الهلال

الإسلام والمسرح

دراسة جديدة عن المسرح في الحضارة الإسلامية • جزء خاص بالألوان •



الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الاول ـ السنة التاسعة والسبعون ـ أول يناير ١٩٧١ ـ ٤ ذو القعدة ١٣٩٠

رئيس مجلس الإدارة :

أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

الإعداد الفني :

مكرم شحاته

الاشتراكات

ثمن العدد : في الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم ـ من الكميات المرسلة بالطائرة ـ في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، في الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ ـ في سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٢ جنيه (...) فلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بتحويل أو بشيك مصرفي قابل للصرف في ج.ع.م ـ والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الهلال

يناير ١٩٧١

في هذا العدد:



● جمال عبد الناصر:

الإنسان والقضية

بقلم: د. جمال أتاسي

ما افقت بعد من ذهول الفاجعة لاكتب عن عبد الناصر ، والكلام الكثير الذى قيل عن استشهاد البطل وعظمة القائد ومآثر الرجل ، ما جاء الا ليثبت عجز الكلام ، فعبد الناصر لم ينته لنقول انه قد كان . انه ليس من الماضى بل له اليوم حضوره القوى فى ضمير كل انسان عربى، ففى المستقبل وماسيكون عبد الناصر . هذا ما اكدته الجماهير الهائلة فى مسيرتها الرهيبة وراء النعش ، وكأنها فى يوم البعث والنشور، وكانت صيحتها الغالبة على كل شىء : ان عبد الناصر حى لا ينتهى ولا يموت. انه قضية تعيش فى وجدان جماهير شعب عربى كبير، وانه طريق. طريق بعث امة وطريق ثورة شاملة لشعب ممزق ومتخلف ومهان ، والكادحون فى دنيا العروبة صرخوا بصوت واحد من حول النعش اننا سنتابع المسيرة ، مسيرة الثورة والكفاح التى مشى فيها عبد الناصر ، وسنكمل « المشوار » ، ذلك « المشوار » الذى بدأ بصعود عبد الناصر ، والمفتوح على المستقبل والذى لا يتوقف او ينتهى .

ولكنني ما صحوت بعد ذهول المفاجأة ، من ذلك الغياب المباغت للرجل القائد ، لافكر بوضوح فيما سيكون فأنا واحد من أفراد شعب كبير عاش عبد الناصر في قلبه وفكره وحياته ثمانية عشر عاما ، واحس بفقدان عبد الناصر تمزقا في داخله وفراغا كبيرا في وجوده وحياته . فمثل محب فقد أعز حبيب ، كان احساسي الاول ، واحساس الجموع الهائلة من جماهير الشعب العربي أمام الفاجعة وكأن كل شيء قد توقف وكأن كل شيء يمكن أن يتحطم . لم أعرف نبأ الفاجعة الا من دموع طفل ، وجدته ينتحب على سلم البيت وقال : مات عبد الناصر . ثم سمعت زفرات الانين والحنين تنساب من وراء كل بيت ، وكان الذهول العام ، فموت عبد الناصر شيء لا يصدق . ثم مشت الفاجعة في الطرقات ، مواكب من البشر لا تعرف الى أين تمضي ، ولا ماذا تريد .. ودمشق التي عرفت عبد الناصر وهو في ابان القوة وابان الصحة والعافية ، دمشق التي عرفت صوته دائما هادرا جبارا ، ذهلت ، فعبد الناصر كان فيها وليس اليوم فيها ، وكانت تعيش على الوعد بأن يعود في يوم قريب اليها . كلمة واحدة كانت تتردد على افواه الجماهير في سورية ، انه مات من اجلنا ايضا ، ولقد مات في يوم الانفصال ، فاي تمزق بعد ذلك التمزق الذي كان والذي مازلنا نعيش مأساته حتى اليوم ، وكان عبد الناصر دائما في قلوب الجماهير ، وعد الوحدة ووعد التحرر والثورة ...

ولكن ما عاشته دمشق عاشه كل بلد عربي ، وكل مدينة وقرية وحي ، وما استطعت تشبيه الفاجعة حينها الا بموت الاب الغالي ، بموت الوالد الكبير الحامي لاولاد لم يبلغوا بعد أشدهم ، ويتلفتوا من حولهم ليجدوا الفراغ الكبير ، فالرحمة قد ذهبت والعطف قد انتهى والسند العظيم قد زال ليسود القلق والخوف ... أين ذهب ذلك الرجل وتركنا .. هكذا عشنا المأساة لاول وهلة ، وهكذا ذهلنا جميعا ورفضنا التصديق ، وهكذا كان الجواب الاول على الصدمة شباها ونكوصا ، واخذنا نبكي مع الاطفال كالاطفال ، وكان لا بد لنا من وهلة من الزمن لنسترد روحنا ولنستعيد الصحو .

لقد عاش الواحد منا نبأ الفاجعة للوهلة الاولى في عزلة ، وكأنها فاجعته وحده ، أحسها ككارثة تضرب به في أكبر ضمانة كان يتعلق بها وفي أعز امنية ، فلقد عاش عبد الناصر تجسيدا رائعا لبعث متفوان أمة ولاماني الشعب العربي كله في الوحدة والعزة والكرامة . واحس الواحد منا بالفاجعة كخسارة فادحة لا يمكن تعويضها ، اخلت قائدا عظيما كان يسير بأمة كبيرة نحو أهدافها ، وحسب للوهلة الاولى وكأن « الطوفان » سيأتي بعد ذلك ليهدم كل شيء . ولكنها

مرحلة ذهول كبرى ما لبث أن أخرجنا منها شيئا فشيئا ، وبعد دموع الأطفال ونحيب النساء بل والرجال ، الزحف الرهيب للجموع الهائلة من جماهير شعبنا العربي فى كل مكان ، وقد جاءت كالطوفان لتسير فى مواكب المأساة ، ولكنه الطوفان الذى يتأجج ثورة ، وتأكيدا للثورة ، لا طوفان اليأس ولا نكوصا ولا ردة .

ورأينا « عبد الناصر » ينتصب شامخا أمامنا أكثر من أى وقت مضى . « فعبد الناصر » كان هناك أمامنا وأمام الجميع ، لا فى الجسد الذى يوارى التراب ، وانما فى جماهير عبد الناصر التى تتابع مسيرة عبد الناصر . كان « عبد الناصر » فى كل دمعة عين وفى كل خفقة قلب وفى كل يد تلوح وفى كل صوت يرتفع ، ولكنه لم يكن ذهابا وزوالا ، بل كان حضورا وتطلعا ، ورأينا عبد الناصر يولد ميلادا جديدا ، فى قلوب الملايين التى تحمل راية عبد الناصر . الغرباء واليائسون من أنفسهم ومن أمتهم ، قالوا انه الفراغ ، ولكن طوفان الجماهير جاء على الفور يبدد فى عزيمته ما قيل من فراغ ، فالجماهير عاشت المأساة لا فراغا بل امتلاء جديدا بعبد الناصر ، لا غيابا له بل حضورا حادا قاسيا . انه لم يذهب هكذا ميتا رخوا تحت الارض ، بل انتصب صلبا شامخا أمام الجميع طريقا ونبراسا ..

ان « عبد الناصر » ليس من الجيل الذى يمضى ، بل هو من الاجيال التى تنهض اليوم والتى ستأتى . انه هو : جمال عبد الناصر ، بعث أمة ومنقوانها تجسدا فى رجل ، انه القائد الذى مشى أمام الجميع ليبقى دائما فى الامام وبعد أن يذهب الجميع . انه ليس ماضيا وانما هو دفعة كبيرة من دفعات المستقبل . ذلك هو التعبير الحقيقى الذى أعطته الجماهير فى النهاية للفاجعة ، حين كانت تضج بنداءات صارخة عديدة وكثيرة الا انها ذات معنى واحد ، وهو أن عبد الناصر باق وسيبقى ..

فما كان أعظم من عبد الناصر فى حياته ، الا عبد الناصر فى موته ، فى مصرعه واستشهاده . لقد مات عبد الناصر ، وكثيرون الذين قالوا انه مات قبل أوانه ، ولكن الموت حق وليس له من أوان . وعبد الناصر قد مات والامة العربية التى يقودها بحق وشرف وقدرة وكفاءة ، تمر بمرحلة حالكة من أصعب مراحل تاريخها وأنساها . مات كما يموت أى انسان بعد أن سحقت قلبه مصائب أمة لم تعرف الا طريق الكوارث فى مرحلة طويلة من حياتها ، مات وقد اختنق صدره بارهاقات مأساتها الكبرى أيام الصراع الدموى المهين فى الاردن ، مات بعد أن أعطى قضية هذه الامة أقصى ما بمقدور انسان أن يعطى ، من جهده وجهاده ، ومن فكره وقلبه وأعصابه .

وكانت تلك الميتة التى قضى بها هى التعبير القوى عن طبيعة عبد الناصر الانسان ، بعد أن كان زحام السياسة اليومية يغطى على الكثير من هذه الحقيقة

فحياة عبد الناصر كانت كلها كفاحا ونضالا وجهدا دءوبا لا يكل ولا يرتاح ، وكان يعطي القدوة في كل شيء ، وكان يحمل المسئولية بجدارة كما لم يحملها قائد أو مسئول على مدى الوطن العربي ، لا حاضرا ولا منذ ماض سحيق . لقد كان رجل دولة فذا بل كان هو الدولة ، يمسك بكل شيء ويتابع كل شيء ويحيط بكل شيء ، ولكنه كان في الوقت ذاته انسانا رحوما ، والرحمة في قلب عبد الناصر كانت نقطة الضعف التي أمرضته ثم قتلته . ولكنها كانت أيضا عنصر القوة الكبير فيه كانسان ، وكانت السر في ذلك البحر المحيط الهائل من التعلق والمحبة الذي فجره عبد الناصر في قلوب جماهير أمة عربية بأكملها . فعبد الناصر كان رجل ارادة وفكر ، ولكن كان فوق ذلك رجل عاطفة وقلب ، وكان يحمل مأساة أمته ملء نفسه ، وكان ينفعل بمصائبها ويتعذب . لقد كان يتحسس حرمان الفقراء وعذاب الكادحين ، وكثيرا ما يكون التحسس بعذاب الآخرين وحرمانهم أقسى من معاناة الانسان للحرمان في شخصه .

وفي الأيام الصعبة ، كان عبد الناصر يقف ليعيش مصائب الأمة العربية كلها في معاناة مباشرة للمسئولية . وفي أيام الحرب والقتال كان يموت قليلا مع كل جندي يستشهد وكان يتعذب لكل خسارة تقع ، وما كان يستطيع أن ينام قبل أن يعرف كل شيء ، وقبل أن يعمل كل ما بمقدوره أن يعمل للتخفيف من عذاب الشعب ومن خسائره . فعبد الناصر ما كان يمشي كعمر بن الخطاب في الليل ليستمع لشكاوى الناس وأنين المحرومين والمظلومين ، بل كانت شكاوى الناس دأبه حيث كان وتتبعه في الليل والنهار ، وكان يقرأ ويستمع ويتابع ويعمل ولا يتوقف أو ينتظر .

لعل البعض يرون في تلك العاطفية لدى عبد الناصر ، نقطة ضعف في رجل السياسة الذي يجب أن يقود في عقلانية صارمة وبلا ضعف ولا رحمة ، ولكن ذلك الجانب من شخصية عبد الناصر كان في الحقيقة عنصرا هاما من عناصر قوته كقائد شعب ، وهي التي وحدت من حوله قلوب الجماهير ، وبها صار عبد الناصر امتدادا في قلب كل واحد من جماهير الشعب ، وهنا تبرز حقيقة عبد الناصر الانسان ، فيما زرعه في قلوب الكادحين والمحرومين ، فيما بعث من حيوية وحماسة لدى الجماهير ، فيما وحد من ارادات ، فيما خلق من تطلعات فيما أعطى من قدوة ، ثم فيما أعطى في الوقت ذاته من وضوح في الفكر والعمل ، للأهداف وللمسيرة التي توصل الى تلك الأهداف . وبذلك توحدت صورة عبد الناصر في وعي الجماهير وفي قلوبها ، فهو لم يعد مجرد قدوة ولا مجرد قائد فذ ، بل أصبح بذاته قضية ، عاشتها وتعيشها جماهير الأمة العربية ملء حياتها وبكل حماستها وتطلعاتها .

وبعد هذا فاذا استغرب العالم ظاهرة

التعلق الكبير بعبد الناصر لدى جماهير الشعب العربي كله ايام الخسائر والمحن والهزائم ، فاننا لم نستغربها لحظة ولا نستغربها نحن محبو عبد الناصر ، فحقيقة عبد الناصر ، والحاجة لوجود عبد الناصر ولقيادة عبد الناصر ، لم تكن لتبرز وتقوى بشكل قاطع الا في المآسي وايام المحن . لقد زحفت الكثير من الجموع للتهليل له والتمجيد أيام الانتصارات والانجازات . ولكن حقيقة عبد الناصر ، وما يجسد عبد الناصر بالنسبة لجماهير الأمة العربية كلها ، قد برزت لاول مرة يوم هزيمة حزيران ، وعندما احنى رأسه أمام تلك الصدمة الكبرى وقال انني سأذهب ، وعندها صرخت الجماهير أين تذهب وتتركنا ، ومشت جحافل الكادحين تحوّل هزيمة ورفضت أن يغيب عبد الناصر أو يتنحى ، فغيابه يومها برز وكأنه غياب القضية الكبرى التي عاشتها الجماهير من خلال عبد الناصر وفي شخص عبد الناصر ، وكان غيابه كان يعني التغيير بالاتجاه المضاد لعبد الناصر ، أي بالاتجاه المعاكس للثورة ، وما كانت قضية عبد الناصر الا الثورة ، الثورة العربية بكل ابعادها وشمولها ، ثورة الكادحين والمظلومين والهائمين والمسحوقين والممزقين في دنيا العروبة كلها ، ثورة شعب كبير تخلف من ركب الحضارة والتاريخ ووجد نفسه بقيادة عبد الناصر يدخل في التاريخ من جديد ويشارك في الحضارة العالمية .. فاذا ما ادهلت مسيرات ٩ و١٠ حزيران عام ٦٧ — العالم الخارجي اذ وجدوا فيها امة مهزومة تمشي لترفع قائدا خسر معركة كبرى من معارك هذه الامة ، فانها بالنسبة للجماهير العربية ، كانت التعبير الطبيعي والوحيد ، عن حقيقة الرابطة التي تربطها بعبد الناصر وتربط عبد الناصر بها .

ويومها استجاب عبد الناصر ولم يغب ولم يذهب ، ونهض عبد الناصر قويا ، نهض على قلبه واعصابه ، ورفع الجبهة عاليا من جديد بعزيمة جماهير امة صممت على ألا تستسلم والا تهون ، وصممت على ان تتابع المسيرة بقيادة عبد الناصر حتى النصر ، وكانت عودة عبد الناصر تأكيدا لمسيرة الثورة وتعميقا لها ، وكانت هي الوعد بدحر العدوان وهي الوعد بالنصر .

وجاء غياب عبد الناصر قبل تحقيق الوعد وقبل اوان النصر ، وجاء غيابه هذه المرة ليباغتنا جميعا ويبقينا في حيرة وفي قلق وخوف .. والفجيعة بعبد الناصر سحقت الكثير من القلوب ، وكادت تسحق قلوب أصحاب العزيمة من الرجال . وارتفع الحديث عن الفراغ وتحرك الشر في السر وفي العلن . جميع اعداء عبد الناصر وقضية عبد الناصر ، جميع اعداء التحرر العربي والقومية العربية ، جميع اعداء الثورة العربية الاشتراكية والوحدوية ، جميعهم تحركت

آمالهم في الردة والنكسة ، وخرجت قوى الرجعية والظلام من جحورها ، وبعضها ذرف دموع التماسيح وتقدم في الموكب ، وتحركت قوى الشر والعدوان في العالم ، وانتشت الصهيونية والامبريالية وتطلعت المصالح الرجعية والاستعمارية الى المنطقة بآمال جديدة ، وكان السد الذى كان منتصبا شامخا في وجهها كلها قد تداعى وزال ...

وهنا ، وامام هذا كله تجلت حقيقة عبد الناصر من جديد ، وما زرع عبد الناصر وما خلق عبد الناصر ، وتجلت بأقوى مما تجلت في اى وقت آخر ، تجلت في زحف الملايين من البشر ، في ذلك البحر المتلاطم من الجماهير الكادحة في موكب المأساة ، انها كانت تحمل الفجيعة في عيونها وقلوبها ، ولكنها كانت تحمل التصميم ايضا ، فلا ردة ولا رجعة ولا خروج ولا انحياز عن طريق عبد الناصر ، وانما سير دائب على طريقه وصعود به الى الامام ، وذهل العالم ايضا من جديد .. فاى بحر هائل من المحبة فجر موت عبد الناصر ، اية مأساة عاشتها امة بأكملها كما لم يشهد العالم يوما ، كل بيت عربى عاش الفجيعة كما لم يعشها لفقدان امر قريب او حبيب ، ولكن اية ثورة حركت هذه الفاجعة ايضا في النفوس ، صحيح ان الجميع تلفتوا نحو القيادة بنداء واحد ، هو ان ليس من بديل لعبد الناصر ، وان لا بد في الساحة كبد عبد الناصر تستطيع ان ترفع الراية ولا قيادة شامخة شموخ قيادة عبد الناصر تستطيع ان تتقدم الصفوف ، ولكن الايدى جميعها ارتفعت لتمسك براية عبدالناصر ، واصبح غيابه هذه المرة نداء عميقا ارتفع مجلجلا اكثر مما ارتفع في حياته : ايها الثوار العرب توحدوا وتضامنوا ، ايها الكادحون العرب احتشدوا وتابعوا المسيرة ، واذا ذهب القائد الفذ الفرد الذى كان السد الشامخ في وجه الطامعين والمرتدين ، فلا بد ان تلتف ايدى الرجال لتمسك كلها بالراية ، والجماهير قد تقدمت تملأ الدنيا ، ولا بد لها من ان تخلق القيادة الواسعة التى تعبر عن ثوريتها اللاهبة ، والتى الهبها عبد الناصر بموته كما الهبها من قبل في حياته ليظل حاضرا في كل قيادة ثورية تصعد ...

لقد وقف البعض عند ظاهرة الحزن على عبد الناصر ، كمجرد ظاهرة حزن مأسوى امام موت انسان كبير وامام مصرى بطل ، ووقف البعض امام الجوانب السلبية من تلك الظاهرة ، وجدوا امامهم جموعا كبيرة لم يشهدوا مثيلا لها

فى عالم انسان على الارض ، وشـــهدوا فيها الدموع التى تذرف والخدود التى تلطم والشـــعور التى تنبش والنوح والبكاء ، ليستخلصوا منها شواهد على تخلف شعبنا وعلى عاطفيته القصـــوى وتعلقه الاسطورى بصورة البطل المنقذ الذى يمضى قبل أن ينقذ ويظل حلما ، وينظروا الى نهاية ذلك القائد الكبير وكأنه على رأس جيش لا ضـــابط له الاه ، فما أن يسقط القائد فى ساحة المعركة حتى تنهار القوى وتنهزم الجيوش . .

ولـكن هؤلاء جميعهم ، لايعرفون ولا يستطيعون ان يفهموا حقيقة شعبنـــــا العربى اليوم ، ولا حقيقة ما صنع عبد الناصر وما صنعت ثورة عبد الناصر فى ضمائر جماهير هذا الشعب ، ولا اى حافز جديد من الثورة يولد موت البطل ، وفى هذا الحافز الذى اكدته مســـيرة الجماهير ، تبرز من جديد حقيقة عبد الناصر ، ويبرز عبد الناصر لا كقـــائد يمضى ، وكل قائد يمضى ويموت أو يقتل ، وانما كقضية فى قلوب الجمـــاهير وفى فكرها ووعيها وتصميمها . فوراء سيل الدموع كان ينحدر بركان من الغيـــظ والحمية ، والجموع التى مشت تتزاحم لتلمس نعش عبد الناصر ، أو صورة من صوره ، ولتتبرك بالثرى الذى ضم رفاته الطاهر ، كانت تعلن تصـــميما أيضا . انها كانت تودع عظيما لتثبت فى الوقت ذاته عظمة الجماهير وقوتها . ففى مسيرة وداع البطل كانت تمشى ارادة كبيرة ، ان الثورة مستمرة وان عبـــد الناصر باق كقوة فكر وقوة مشاعر تؤجج الثورة وتوحد هذه الجماهير وتدفع بها دفعا حثيثا نحو أهدافها .

اننى فيما أكتب لست أفتش عن سلوى أو عزاء — فلا عزاء لمن أحب عبد الناصر وعرف عبدالناصر من فقدان عبدالناصر — ولـكننى احاول أن ألتمس طريقا ، هو الطريق الذى سبقتنا اليه الجماهير . اننى أتطلع الى ما بعد غياب عبدالناصر ، هذا الغياب الباغت المأسوى ، لاجـــد حضور عبد الناصر ، وحضوره القوى الفاعل فى فكرنا وحياتنا ومستقبلنا وفى ارادة الـكادحين من جماهير شعبنا وفى تصميمهم ، ان عبد الناصر قد حمـــل المسئولية كاملة كما لم يحملها انسان ، ولـكنه تركنا أمام ذلك ، أو ترك اكثرنا ، فى شبه اتكالية كاملة عليه وترك البعض فى شبه تهرب من المسئولية أو استعفاء ، واليوم يأتى موت عبد الناصر ، ليضـــع المسئولية فى أعناق الرجال جميعهم ، وفى رقاب الثوريين كلهم ، فلا هروب ولا

استعفاء ولا من اتكال على أحد .

كثيرون أولئك الذين كانوا يحملون عبد الناصر همومهم ، أو يتركون له التقرير فى جميع أمورهم . وكثيرون الذين كانوا يجافون اباءهم ويتدللون عليه وهم واثقون من رحمته وعطفه . بل والذين كانوا يخاصمونه أو يزايدون عليه ، كانوا يعرفون انهم لن يحملوا فى النهاية مسئولية هذه المزايدات فى أنفسهم ، فعبد الناصر فى النهاية هو حامى الديار وهو الذى يحمل المسئولية كاملة ، أما اليوم فلا مزايدة ولا مناقصة ، ولا بد لكل انسان ثورى عربى من أن يحمل المسئولية كاملة او يسقط .

جاءت الفاجعة بعبد الناصر بعد نكبة الاردن ، وفى الوقت الذى توصل فيه عبد الناصر بجهد مرير دفع حياته ثمنا له ، الى أن يوقف الفتنة التى نزلت فى أرض عربية وكادت تمتد وتشمل ، والى ان يوقف المذبحة التى أقامها العملاء للمقاتلين ، وعندما شربت الفتنة شربتها ، واذ مر يوم واحد لم يسمع الناس فيه بصوت عبد الناصر ، أخذ الجميع يتساءلون : أين عبد الناصر ؟ لماذا لم يتدخل ؟ لماذا لم يأت؟ لماذا لم يتكلم ؟ ولان عبد الناصر هو الكبير والمسئول فى كل شىء ، ولانه هو الامل ، ولانه هو القادر ، أخذوا يتادونه ، بل واخذ البعض ينتقدونه ويتهجمون عليه ، ولم يستسلم عبد الناصر للمرض ، وتكلم عبد الناصر .. وسهر الليالى الطوال ، وتدخل عبد الناصر ، وفعل عبد الناصر ، ثم مات عبد الناصر ، **فلفوق ظاهرة الزعامة والقيادة التى جسدها عبد الناصر جسد أيضا ظاهرة الابوة بالنسبة لشعب محروم معذب يعيش التخلف والتمزق ويتطلع للمنقذ والموحد ، وكنا جميعا ، سواء بالوفاء والمحبة ، او بالعناد والشراسة والتمرد ، نتوجه الى عبد الناصر الاب ، ليحل مشاكلنا كلها ويحمل همومنا ومتاعبنا**

ولقد مات الاب ، وضربنا اليتم ، فمنا من استرسل فى اللطم والبكاء واستسلم للحزن ، ومنا من أفقده خوف المصير صوابه فاستبد به الخوف أو اليأس ، البعض أرعبهم الفراغ الكبير ، والبعض تطلعوا بالجشع المتردد الى الميراث العظيم ... ثم بدأت الافاقة ، وكان طوفان الجماهير . لقد مات عبد الناصر الاب ، مات عبد الناصر الرئيس ، ولكن عبد الناصر القضية باق وكذلك عبد الناصر الطريق والثورة ، ويدور الحوار ، ان تجربة الحزن لابد ان يتجاوز ابناء عبد الناصر محنتها ، وان يتجاوزوها بقوة وبسرعة ، فلو كان عبد الناصر اليوم

بيننا ، اوقف فينا كما وقف بعـد الهزيمة ، وقال : لا مجـال اليوم للتردد طويلا عند التأسى والحزن ، وان امامنا اليوم مهمات مستعجلة لابد أن نفى بها ونحمل مسـئوليتها بقسوة وجدارة ..

والان وبعـد الكلام الكثير من المأساة وعجز الكلام ، الان وقـد جاشت النفوس بكل انفعالاتها ، لابد من الصحو والصحو الكامل . لقد كنا نذهل من أنفسنا ونفتقـد أعصابنا ، ونقول ان عبد الناصر هناك قوى وصامد وصابر ، كنا نستبيح لانفسنا النوم والاستراحة ، وكنا على يقين دائما ان عبد الناصر هناك ساهر يقظان ، أما اليوم فقد نام عبد الناصر واستراح ، ولا بد ان نصحو جميعا ، صحوا كاملا واعيا ، فالشر يتحرك من حولنا فى كل مكان . ان قوى الردة تأمل أن تظـل تأخذنا الغفلة ، وان يأخذ بنا التمزق والتشرذم . ان الصهيونيـة تحتل وتتحدى ، والامبرياليـة تتطلع الى استغلال فترة الحيرة ، وتتطلع الى ان يقوم الفراغ بعد عبد الناصر ، والاصدقاء فى العالم يناشدوننا ، يناشدون العرب الى الصمود والاتحاد . وكثير من صـحافة الغرب تتحدث اليوم عن الحيرة بعد عبد الناصر وعن الفراغ ، وتتطلع الى الشرق الاوسط والشرق العربى ، وكأنه كما كانت البلقان الممزقة المتضـاربة التى لا رأس لها قبيـل الحرب العالمية ، ويتحدثون عن تصـارع القوى العالمية وتصادم المصالح وتقاسم مناطق النفوذ ...

ولـكن أعداء تحرر الشعوب يجهلون حقيقة الشعوب ، وأعداء الامة العربيـة لا يدركون ما أعطى وما أبقى عبد الناصر ، وها هى الامم المتحـدة تصمد على طريق عبد النـاصر ، وها هى تؤكد من جديد انها فى الحق قلعـة الصمود العربى ، وأنها الركيزة الاساسـية للثورة العربية ولوحدة قوى الثورة والوحدة الامة العربية ، وعلى طريق هذه الوحدة ، وبدءا : من المتحـدة ، وتمركزا حول المتحدة ، لابد ان تتجدد وان تتجدد بسرعة المسيرة .

لقد نام عبد الناصر فلتستيقظ عيون المناضلين جميعهم ، فقضية عبد الناصر باقية ، والمعركة ما زالت فى ابانها ، ولو كان عبد الناصر بيننا ، لنادانا من جديد : تطلعوا بيقظة وصحو من حولكم فالمخاطر كثيرة ، ولا صوت يعلو على صوت المعركة ... وفى هذا السبيل فان امام المناضلين مهمات مستعجلة ، اولها الوحدة ، وثانيها الوحدة ، وثالثهـا الوحدة ..

ردعلى جارودى

الإسلام والاشتراكية

اشار الاستاذ « روجيه جارودى » فى محاضرتين اعدت لهما مجلة الطليعة فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، الى أثر الحضارة العربية فى الثقافة العالمية والى الصلة بين الاشتراكية والاسلام . ونسارع الى ان نذكر له بالفضل انه ابرز بوضوح دور هذه الحضارة العربية فى بعث الثقافة اليونانية وحملها الى الغرب مما مهد فى نظرنا لحركة احياء العلوم والاصلاح الدينى فى أوربا فقد بين كيف أسهم العرب فى تقدم العلوم الطبيعية ، واستدل لذلك بما انتهى اليه علماء العرب ، من جغرافيين وفلكيين ورياضيين وكيميائيين واطباء ، من كشوف كانت من العوامل التى ساعدت على انهاء ظلمة العصور الوسطى فى اوربا وفى العالم الغربى بصفة عامة .



جارودى

د . محمود قاسم

عميد كلية دار العلوم

وكان حديث « روجيه جارودى » عن الاسهام الفنى للحضارة العربية حصيلة لدراسة ممتازة ؛ فقد اوما الى روائع الفن الاسلامى فى العمارة والزخرفة ، ووقف وقفة طويلة أمام عبقرية ابن خلدون التى تعد مثالا جيدا للتجديد العربى فى مجال الدراسات الانسانية والتى انتهت الى تأكيد فكرة القوانين العلمية التى قال عنها هشسرى بوانكاريه انها من أحدث الكشوف العلمية فى اوربا .

ثم تكلم الاستاذ «جارودى» فى محاضرته الثانية عن الاشتراكية والاسلام فاعترف مشكورا بنجاح هـذا الدين فى محو العبودية وفى تحقيق مبدأ المساواة بين البشر ؛ عربا كانوا أم غير عرب مما يكشف عن طابعه العالمى ، وانه لم يرسل الى أمة العرب وحدها ، وقد عرض للطابع الاسلامى التقدمى فى مجال الضرائب وفى نظام الملكية . ثم تطرق الى مشكلة الدين من وجهة النظر الماركسية ، وناقش ما نسب الى أقطاب هذا المذهب من انهم وصفوا الدين بانه افيون للشعب ، اذ انحصر وظيفته فى تخدير الجماهير حتى تسلس قيادها لطبقة الحكام والمستغلين على نحو ما أراد تطبيقه « فردريك الثانى » الامبراطور الجرمانى فى منتصف القرن الثالث عشر اذ اباح الالحاد للمثقفين ولكن حظره على العامة .. وقد اعترف « جارودى » الى جانب ذلك أن الاسلام بمعناه الحقيقى ليس تسليما سلبيا ، بل كان ، فى فترة ازدهاره ، نظرية للنضال والفتح وتحرير الشعوب . كذلك عدت نظرته المنصفة الى ان حركات التحرير الوطنية فى العصر الحديث كانت اساسا على بعث روح الدين الاسلامى وتطهيره من الخرافة والرواسب التى سادت عصور التدهور أى عصور التحالف بين الملوك المستبدين وبين علماء الدين الرسميين او المحترفين ، على تراكمها حتى حجبت جوهر هـذا الدين . وضرب لذلك مثالا بتحرير الجزائر فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وكيف مهدت لهـذا التحرير دعوة عبد الحميد بن باديس الى بعث الروح الاسلامية والعربية ، وهى فى جوهرها دعوة الى الاعتماد على القرآن والسنة ، مما اتاح للجزائر ان تفلت من المصير الرهيب الذى رسم لهـا منذ سنة ١٨٣٢م وهو ادماجها نهائيا

في فرنسا « ١ » . ولم يكن هذا الادماج يرمي الا الى فرنسة الجزائر بما يستتبعه ذلك من قطع صلة الجزائر بماضيها ولغتها ودينها .

وقد كان « جارودي » صادقا عندما تبين له كيف يمكن ان يساء استخدام القيم الدينية في عصور التدهور حتى تكون سلاحا في يد المستبدين أو المستعمرين .. ولن نفيض في الحديث هنا عن صدق هذه النظرة حتى لانخرج عما رسمناه لأنفسنا من ابداء وجهة نظرنا في مسألة هامة ، وهي مدى صدق وجهة نظر الاستاذ جارودي في حكمه على فلسفة « ابن رشد » ومحاولة الربط بينهما وبين « حركة القرامطة » التي يصفها بأنها المذهب الاشتراكي الطوباوي في الحضارة الاسلامية . وقبل ان نبين وجهة نظرنا الخاصة ينبغي لنا ان نشير الى ان النقطة الاساسية التي تدور حولها محاضرات الاستاذ جارودي ، بعد تمجيد الحضارة العربية أولا ، هي ان الفكر الاسلامي ليس الا احدى حلقات التطور نحو الاشتراكية العلمية . حقا انه يقول ان الماركسيين لا يحتقرون هؤلاء الذين يؤمنون بدينهم او بأحلامهم ، لكنهم يريدون أن يمدوا الى هؤلاء المؤمنين يد العون حتى يخرجوهم من مجال ضيق ، اى مجال أحلامهم وآمالهم الى نوع جديد من الايمان ، وهو الايمان العالي العميق بقيمة الانسان وكرامته ، مما قد يكشف لنا عن جوهر محاضراته او عن الهدف الذي يريد اصابته ، وهو ان الدين ، اى دين كان ، ليس الا مرحلة من مراحل التطور الانساني ، وانه يمكن ان يتخذ وسيلة يمكن الاستعانة بها ، لما تنطوي عليه من قيم انسانية رفيعة ، لتعجيل مراحل هذا التطور الانساني . وقد لاحظ الاستاذ الدكتور « عبد العزيز كامل » هذا الخط الفكري في حديث الاستاذ جارودي اذ تساءل قائلا : ان الاستاذ جارودي قد بدأ ندوته بالحديث عن الاشتراكية لكنه انهاها بالحديث عن الماركسية . كذلك اشار استاذنا الدكتور «كامل حسين» الى انه الماجاز [?] يسمي الدين افيون الشعوب فربما كان من المجدي أن يحتفظ به كما يفعل الاطباء مع مرضاهم . واسلوب الدكتور كامل حسين لا يخلو مع دقته وموضوعيته من رائحة خفيفة من التهكم الرقيق .

لكن لا اريد حقيقة ان اشغل نفسي بتحليل محاضرات الاستاذ جارودي ولا بعرض المناقشات التي دارت حولها والتعليق عليها بل الذي يهمني قبل كل شيء هو أن اعرض لوجهة نظر هذا المحاضر والمفكر الكبير من فلسفة «ابن رشد» بطابعها العقلي ومن تأثيرها في دفع التطور الفكري والعلمي في أوربا ابتداء من القرن الثالث عشر .. ولكن حتى يكون لهذا العرض قيمته يجب أن ابدأ بتحديد العناصر الرئيسية التي جاءت في حديث الاستاذ « جارودي» من هذا الفيلسوف القرطبي الاندلسي لكي ابين مدى الموضوعية في الربط بين ثلاثة عناصر رأى الاستاذ « جارودي » وجاهة الربط بينها ، باعتبار انها تصلح اساسا للاتجاه بالحضارة العربية الاسلامية نحو الاشتراكية أو الماركسية بعبارة أكثر دقة .

انه يرى أن الاشتراكية العلمية في أوربا تعتمد على التراث الفكري للفلسفة الالمانية والاقتصاد السياسي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية . ثم يؤكد لنا تأكيد الواثق أن الحضارة الاسلامية لا تعدم مثل هذه العناصر التي تمكنها من الاتجاه الى

«١» انظر كتابنا الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٨ .





كارل ماركس

ابن رشد



د. عبد العزيز كامل

الماركسية ، وهذه العناصر هى الاشتراكية الطوباوية القرمطية ، والفلسفة العقلية التى وضع ابن رشد اسسها فى اوربا ، وعلم الاجتماع الذى أرسى «ابن خلدون» قواعده العلمية للمرة الاولى فى الفلسفة الاجتماعية .

فهل نستطيع القول بدءا بأن الاستاذ « جارودى » يبسط الامور أكثر مما ينبغى، عندما يقابل بين اسس الاشتراكية العلمية فى اوربا وبين اسس عربية واسلامية يراها كفيلة بتوجيه الفكر الاسلامى المعاصر نحو الاشتراكية العلمية .. وهل لنا أن نقحم انفسنا فى تحديد عناصر الاشتراكية الاوربية على نحو ما فعل « جارودى » لنسأل : وما العناصر التى قامت عليها الفلسفة الالمانية الكلاسيكية !. ولو تعمق جارودى فى هذه النقطة وحدها لفتحت امامه آفاقا جديدة وخصبة لكنه لم يفعل .

وليس من شأننا ان نفتح هذا الطريق هنا . فلنعد اذن الى المجالات التى رسمها لنا فى حضارتنا العربية الاسلامية منعا للاستطراد بالدخول فى خضم من الآراء الفلسفية والدراسات المقارنة ، للكشف عن أصول الفلسفة الجدلية عند هيجل .

أما عن الاشتراكية الطوباوية لدى القرامطة فمن الواجب ان نقرر اولا ، وبايجاز شديد ، أنها لم تكن اشتراكية تنفتح للاتجاه العالمى الذى يسعى الى تحقيق كرامة الانسان تمهيدا لاحترامها، بل كانت حركة انفصالية تمت فى عصر تحلل الدولة العباسية الى دويلات متنافرة ومتصارعة ، مع الاعتراف بأنه كان من اسباب هذا التحلل التحالف بين رجال

الدين والملوك المستبدين . لكن هـذا التحالف ليس الا احد اسباب عديدةوهو شيء دخيل على روح الاسلام . وكانت حركة القرامطة استمرارا لثورة الزنـج التى قامت قبيل منتصف القرن الثالث الهجرى ، تلك الثورة التى نشـأت لتحرير العبيد ، لكنها لم تكن حركـة اشتراكية بل كانت نوعا من الاخـذ بالثار . فقد حرص هؤلاء العبيد الذين حرروا انفسهم على اذلال العرب من طريق استرقاقهم والتنكيل بهم . ومن المعروف تاريخيا انه كانت هناك سـوق للرقيق فى تلك الفترة التى بدأت بثورة الزنج وكانت الحرائر من نساء العـرب تباع فيها ، وكان ثمن الرقيق يرتفع ارتفاعا ملحوظا اذا كانت أولئك النسوة من اسر بنى هاشم بصفة خاصة . اما حـركة القرامطة التى قامت فى الشمال الغربى لبلاد العراق ثم اتخذت مراكز لهـا فى منطقة الكوفة وفى بعض بلاد الشام وفى سواحل الجزيرة العربية المطـلة على الخليج الفارسى ثم استقرت آخر الامر فى البحرين ، تقول ان هذه الحركة التى تعد ثورة اجتماعية كانت على صلة وثيقة بالحركة الاسماعيلية فى دور الستر، وان اختلفت معها فى دور الظهور . فان

●● ردّ على جارودى

الفاطميين ، راوا بعد ظهور دولتهم فى الغرب ، ان يستقلوا بتوجيه السياسة فى ذلك العصر باسقاط الدولة العباسية، بعد نجاح الدولة الفاطمية فى المغرب العربى .

ومن جانب آخر يمكن القـول بأن «الحلاج» المتصوف المشهور كان من اكبر الدعاة لتحطيم الدولة العباسية اذ كان على صلة بالقرامطة . وقد روى عنه أنه اقسم فى احد احاديثه القدسية ، التى كان يزعمها لنفسه ، بسنة ٢٩٢ هجرية وهى السنة التى شهدت الثورة الكبرى للقرامطة . ولا نريد ان نضرب بأيدينا فى وثائق التاريخ لنثبت صدق ما نقوله هنا ، فان هذا شيء يطول سرده ، ويمكن العثور عليه فى كتب التـاريخ ، وفى اتباع «الحلاج» وفيما كتبه «الماسينيون» عن هذا التصوف .

لكن يكفينا ان الاستاذ « جارودى » نفسه يعترف ضمنا بأن حركة القرامطة كانت حركة طائفية . ومن يقول انهـا كانت طائفية لا يستطيع أن يصفها بأنها ذات طابع عالمى . ولقد عرض علينـا « جارودى » بعض نظم هذا المجتمـع القرمطى الاشتراكى . فقد أقر القرامطة شيوع المال فى مجتمعهم الثائر ، وحققوا المساواة بينهم على حد ما يقوله جارودى « فكان كل شخص يعمل باكثر قدر ممكن من الجهد ومن المنافسة حتى يحصل على مركز ممتاز بما يقدمه من خدمات للطائفة » وهذه الخدمات هى الاشتراك المالى الذى يدفعه كل عضو .

ويلاحظ ان صاحب هذه الحركـة كان من الموالى وانه نشر مبادئه فى طائفة العمال والصناع والعبيد والفـلاحين والاجراء من الموالى ثم انضم اليهم عدد من العرب . وقد قامت هذه الحـركة الثورية فى مكان قريب من المكان الذى

قامت فيه ثورة الزنج ووجـدت مكانا خصبا فى الكوفة . كذلك تظاهر أصحاب هذه الثورة الاجتماعية الطائفية بالتشيع والميل الى البيت العلوى ، وان كانوا يسلكون فى الناحية العملية مسـلكا آخر ، اذ اعتدوا على الاماكن المقدسة وجرحوا صحابة الرسول بل الرسول نفسه . **ومن الواجب أن نفرد هنا ان هذا المجتمع الاشتراكى كان مجتمعا طبقيا فبقدر ما يقدم العضو المنتمى اليه من المال كانت ترتفع طبقته . حقا كانت هناك شيوعية فى المال ولكن طبقة العبيد التى تتكون من الاسرى لم تكن تعامل على قدم المساواة مع الاخرين ، ويقـال ان طعام هؤلاء كان يتخذ من امعـاء الحيوان ، فى حين يحتفظ للطبقـات الاخرى بالقطع الممتازة كل حسب درجته.**

وقد سبق أن اشار « **الدكتور عبد العزيز كامل** » فى مناقشة الاسـتاذ « جارودى » الى طائفية القرامطـة ، وبين كيف هاجموا موسم الحجيج وقتلوا نحوا من ثلاثين الفا من هؤلاء الحجاج ، وانتزعوا الحجر الاسود من الكعبة صرفا للناس عن الحج . وكل هذه الوقـائع تؤكد وجود صلة بين هذه الطائفـة وامثالها وبين « الحلاج » الذى كـان معاصرا لحركة القرامطة .، ومن الطريف ان «الحلاج» قد أدين وقتل بتهمة صرف الناس عن الحج ، لقد ورد فى تاريخه انه كان يستعيض عن الحج بكعبة صغيرة فى بيته يطوف بها اتباعه طوافا يغنيهم عن الذهاب الى مكة . وكان يطلب اليهم ان يقدموا بدل الهدى شيئا من المال الذى كان يصرف على عدد من **الاطفال** اليتامى ليكونوا من اتباع مذهبه ».

وكان « جارودى » لا يجهل هـذه الحقائق ، وان حاول التشكيك فى صحتها عندما اوما الى أن المصادر الرسمية تعد مسئولة عن تشويه حركة القرامطة والتشنيع عليها . لكن الدراسة الموضوعية لتيارات الفكر العالمى فى خلال هذه الحقبة الغامضة فى تاريخ الحضارة الانسانية ، وللصلات الظاهرية والخفية بين الباطنية وبين الصليبيين فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، تكشف لنا بوضوح عن ظاهرة فكرية عميقة بدأت فى الشرق فى القرن التاسع الميلادى وانتقلت الى أوربا فى القرن الثالث عشر . فازدهرت فى عهد « فردريك الثانى » ثم انتشرت فى جنوب ايطاليا وادت الى وجود حركة سوزينى » فى ايطاليا والى ظهـور الماسونية فى كثير من البلاد الاوربية .. ويلاحظ ان اهم مبادىء الماسونية هو القضاء على التحالف بين الملوك ورجال الدين . وهذا يفسر لنا كثيرا من الامور التى سبقت حركة الاصلاح الدينى فى العالم المسيحى ، كما يفسر لنا فكرة محاربة الاديان الثلاثة عن طريق ضرب بعضها ببعض عند الماسون ، وعند من ارتبط بهم من الداعين الى الثورة الفرنسية. ولا يتسع حديثنا ولا وقتنا لتتبع العلاقات الفكرية والتاريخية بين الباطنية فى الاسلام وبين الماسونية فى الغرب . ولكن من المجدى ان نذكر بصفة عابرة ان الماسونية قد ارتبطت بالاشتراكية الفرنسية فيما بعد ، وربما ارتبطت بالماركسية أيضا ، وان الماسون يصفون «**الحسن بن الصباح**» رئيس الاسماعيلية الشرقية فى القرن الخامس الهجرى بانه من أسلافهم ، **ويقولون عنه انه كـان الاستاذ الاكبر للماسونية فى العالم الاسلامى**

ولئن متى عـدنا الى « جارودى » امكننا ان نتساءل كيف امكنه أن يتخذ حركة القرامطة عنصرا من العنـاصر الرئيسية للاشتراكية وكيف جاز له أن يربط بينها وبين كل من الاتجاه العقلى عند « ابن رشد » والاتجاه العلمى عند « ابن خلدون » . انه يرى أن متسلسل هذا الربط بين هذه الاتجاهات المتنافرة حسب ما يقرؤه لنا التاريخ السياسى والفكرى للحضارة الاسـلامية فى تلك

الحقبة من الزمن » كفيل بأن يتيح لنا الاتجاه نحو الاشتراكية العلمية . وربما سمح لنا الاستاذ « جارودى »بأن نصف محاولته هذه بأنها ليست علمية ولا موضوعية ، بل ربما كانت ، فى أحسن الفروض ، محاولة طوباوية . وهذا هو ما سبق أن أشرنا اليه من أن الاستاذ « جارودى » يبسط الامور أكثر مما ينبغى ، أو ما نقوله هنا من أنه لم ينتهج فى الحقيقة منهجا موضوعيا . وهذا ما سنبرهن عليه فيما يتعلق بموقفه من ابن رشد وفلسفته . وربما اتاح لنا تخصصنا فى دراسة هذا الفيلسوف وأثر تفكيره فى الفلسفة الاوربية ، ابتداء من القرن الثالث عشر ، أن نكون أقرب الى الموضوعية ٠.

اننا لانسلم مع جارودى بأن عرض الحقائق التاريخية عن حركة القرامطة واتجاهها فى عصر تحلل الدولة العباسية معناه محاولة النيل من الاشتراكية او تشويه حركة القرامطة ، بل نذهب الى ان تشكيك «جارودى» فى موقف المؤرخين من خصوم القرامطة ، حتى نسلم بأن حركتهم كانت اتجاها عاليا ، اسلوب غير علمى بل يشبه أن نكون به رائحة من الارهاب الفكرى الذى قد يؤدى الى طمس الحقائق او صرف الآخرين من النقد الموضوعى .

اما فيما يخص ابن رشد فان «جارودى» اعتمد على كتاب مشهور وهو كتاب «رينان عن ابن رشد والرشديين اللاتينيين » ، وهو كتاب ضخم ، وبه كثير من الحقائق .. غير أنه يحتوى على كثير من الاخطاء . وربما كان أهم ضروب النقص فى هذا الكتاب أن رينان ارتضى منهج النقد التاريخى الخارجى ، ولم يرجع الى النصوص العربية التى نجدها فى كتب ابن رشد الخاصة .

ان رينان يذكر كثيرا من الوقائع


رينان

جمال الدين الافغانى


التاريخية الصحيحة لكنه كثيرا ما يسيء استنباط الحقائق منها .. هذا الى انه يعرض الوقائع التاريخية عرضا ملونا بطابعه الخاص . وأهم سمة في هذا الطابع هي مسحة الالحاد التي سيطرت على تفكيره . بعد أن رغب عن الدخول في السلك الكهنوتي الذي كان يراد له أن ينخرط فيه . لقد كان رينان حريصا على نسبة الالحاد الى كبار المفكرين ، وتفسر لنا «آسين بلاسيوس» هذا الحرص بأنه نوع من التبرير الذاتي عند رينان . وأيا ما كان الامر فان رينان كان يؤمن بأن الالحاد هو الظاهرة التاريخية التقدمية بمعنى الكلمة ويرى ان الفكرة الالحادية التي كانت تقول في القرن الثالث عشر بكذب الرسل الثلاثة « هي فكرة الالحاد بمعنى الكلمة ، وهي الفكرة الفذة في القرن الثالث عشر ، وهي تشبه جميع الافكار الجديدة في انها تعبر عن اتساع نطاق المعرفة بالكون والانسان » (١) ثم انه يصف حركة الالحاد في ذلك القرن بأنها الحضارة ، ربما لاحدث معنى تدل عليه هذه الكلمة «٢» ويفسر لنا هذا الاتجاه الفكري عند رينان كيف كان يميل الى وصف كبار المفكرين بالالحاد . واذا كان قد نسب الالحاد الى « ابن رشد » فانه قد نسبه ايضا الى « جمال الدين الافغاني » فيما بعد عندما قال انه يذكره بكبار الملحدين من امثال ابن رشد . لكن رينان يعترف لنا بامانة ايضا . انه اعتمد في احكامه الخاصة « بابن الرشد » على ترجمات لاتينية لشروحه لكتب ارسطو ، وهو يصف هذه الترجمات بانها همجية وبربرية .

حقا ان كتاب « رينان » عن « ابن رشد » والرشديين اللاتينيين يعد كتابا قد مضى زمنه . ومع ذلك فله قيمته الكبرى من جهة انه يحتوى على وقائع تاريخية في الفكر الانساني ، لكنها وقائع اساء رينان تأويلها بسبب تلك السمة النفسية التي اشرنا اليها .

ومن جانب آخر اعتمد « جارودى » على مصدر اخر في دراسته لفلسفة ابن رشد ، وهو كتاب «ليون جوتييه». ومن الواجب أن نعترف بأن « جارودى »كان محقا عندما قرر ان جوتييه قد بخس ابن رشد حقه . ومع ذلك فاننا نفهم موقف «جوتييه» فهما مخالفا لما يراه «جارودى» من ان هذا المستشرق سار على تحريف فلسفة ابن رشد عندما جعله مجرد معقب أو شارح لأعمال ارسطو . لكن خفيت امور كثيرة على الاستاذ «جارودى» فانه لم يفطن الى أن فلسفة القديس «توماس الاكوينى» الدينية ، تعد نسخة مقاربة لفلسفة « ابن رشد » ، وهذا هو الامر الذى اهتدى اليه « اسين بلاسيوس » في كتابه : «العناصر الرشدية في المذهب الدينى الفلسفى لتوماس الاكوينى » وقد برهن «اسين بلاسيوس» على أن الفلسفة الاكوينية في جملتها مشبعة بالفكر الرشدى . ثم برهنا نحن على التطابق الكبير بين آراء « توماس الاكوينى » «وابن رشد» في المسائل الفلسفية البحتة» وذلك في كتاب لنا هو «نظرية المعرفة» عند ابن رشد، وتأويلها عند القديس «توماس الاكوينى»

ومن جانب آخر ، سلم « جارودى لرينان بشيء تكذبه الوقائع التاريخية ،

«١» ابن رشد والرشديون اللاتينيون – النص الفرنسى ص « ٨ »
«٢» نفس المصدر ص ٢٨٦

وتعنى به نسبة فكرة الالحاد فى القرن الثالث عشر الى تأثير فلسفة «ابن رشد» فى أوربا ، لقد كانت هناك حركة الحاد فى القرن الثالث عشر ، وتلك حقيقة تاريخية فى تلك الحقبة التى كان يظن انها عهد ايمان وتقوى واخلاص للكنيسة وبخاصة ، فى ايام الحروب الصليبية .

لكن تفسير « رينان » لهذه الحقيقة لم يكن تفسيرا صحيحا . وذلك ان هؤلاء اللاتينيين ، الذين ارتضوا لانفسهم فيما بعد اسم الرشديين اللاتينيين ، لم يكونوا من اتباع فلسفة ابن رشد ، بل كانوا من اتباع فلسفة «الفارابى» وابن سينا وقد تلعقوا على الكتب الفلسفية العربية التى ترجمت فى الفترة ما بين ١١٣٠ و ١١٥٠ ميلادية — أما شروح ابن رشد فلم تبدأ ترجمتها باعتراف رينان الا ابتداء من سنة ١٢٣٠ .

وقد استغرقت ترجمتها طيلة القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر كما يقول رينان ايضا . وفيما بين ١٢٣٠ — ١٢٥٠ خفت موجة الالحاد بعد تفنيد رجال الكنيسة لنظريات «الفارابى» «وابن سينا» ، لم أشتد الصراع فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر بين القديس «توماس الاكوينى» «وسيجيردى برابان» ، وهو الصراع الذى أشار

●● ردّ على جارودى

اليه الاستاذ « جارودى » فى محاضرته عن الاسلام والاشتراكية .

ويلاحظ أن هذا الصراع لم يشتد الا بعد ان اطلع « سيجيردى برابان » على نظريات أرسطو التى عرضها «ابن رشد» فى شروحه ، وهى النظريات التى اعتمد عليها اعداء الكنيسة لتدعيم الحادهم من جديد . **اما القدوة غير المادية التى تجلت فى ردود القديس «توماس الاكوينى» على تلاميذ ارسطو ، او على اتباع « ابن رشد » المزعومين فترجع فى المقام الاول الى ان « الاكوينى» اهتدى ، عن طريق طائفة الدومينيكان الى فلسفة « ابن رشد » الحقيقية فى كل من كتاب « تهافت التهافت » وكتاب « الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة » ، وكتاب « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» وهى الكتب التى لم يقرأها رينان ، والتى لم يطلع عليها جارودى فى كتاب « ابن رشد والرشديون اللاتينيون » .**

لقد قيل أن ابن رشد يسلم بوجود حقيقتين متناقضتين هما حقيقة الدين وحقيقة الفلسفة ، لكن أصحاب القول بالحقيقتين هم هؤلاء الذين تطفلوا على ابن رشد فنسبوا أنفسهم اليه ، فى حين أن النظرية الحقيقية لابن رشد ، وهى التى تقول بوجود حقيقة واحدة هى حقيقة الدين وحقيقة الفلسفة فى آن واحد — نقول ان هذه النظرية الرشدية الحقيقية هى نفس تلك النظرية التى ارتضاها توماس الاكوينى ، فبدت بمظهر الجدة والاصالة والابتكار عند معاصريه ممن جهلوا المصدر الذى استقى منه الاكوينى آراءه الفلسفية الدينية .

وقد بينا في موطن آخر « ١ » أن ابن رشد هو صاحب هذه النظرية وانه كان مصدر وحي استقى منه الاكويني كل نظرياته الكبرى ، وان فكرة التوفيق بين الدين والعقل التي جاء بها ابن رشد لم تكن شيئا غريبا في الحضارة الاسلامية . ذلك ان الاتجاه العقلي ليس جديدا في الحقيقة في تلك الحضارة .

فالمتكلمون من المعتزلة والاشاعرة كانوا يقررون من قبل وجود اتفاق عميق بين الدين والعقل . وهذه هي نفس الفكرة التي نجدها عند « **الغزالي** » ثم عند « **ابن تيمية** » . غير انه من الواجب ان نؤكد أن نظرية التوفيق بين العقل والدين كانت أكثر وضوحا عند « **ابن رشد** » منها عند غيره .

وقد رأى الاستاذ « جارودي » ان يربط بين « ابن رشد » « واسبينوزا » في مسألة التوفيق بين الدين والعقل . ونعتقد انه لم ينصف « ابن رشد » ولا « اسبينوزا » . فان نظرية وحدة الوجود المادية عند « اسبينوزا » هي تلك النظرية التي حاربها « ابن رشد » ان هنالك مسائل أخرى اخذ منها « اسبينوزا » نظريته في وحدة الوجود وليس من عدفنا أن نبين طبيعة هذه المسائل .

ومن العجيب حقا ان يتكلم جارودي من ابن رشد كحلقة من حلقات النظرية الجدلية الكبرى للعالم ابتداء من « **هراقليطس** » حتى « **هيجل** » و « **ماركس** » . لكنا نرى أن هذه السلسلة تحتوى على حلقات أخرى اكثر اتصالا بتلك النظرية الجدلية ؛ **ومن اهمها الباطنية وفرسان المعبد واخوان سوزنى وفولتير وديدرو وهولباخ**

وآخرون كثيرون لم يشر اليهم «جارودي»

واذا كان الاستاذ «جارودي » قد ارتضى لنفسه أن يعتمد على مصدر مشكوك في قيمته الموضوعية ، ونعني به كتاب رينان عن ابن رشد فله أن ينسب الى هذا الفيلسوف العربي ما شاء ان ينسبه من النظريات المزعومة كالقول بقدم العالم والزمان والحركة وفناء الارواح الفردية وجميع تلك الاراء التي كان يروجها اعداء الكنيسة منذ أواخر القرن الثاني عشر اى قبل وفاة ابن رشد بسنة او بسنتين . وهكذا فاننا لا نبدى كثيرا من الدهشة عندما ينتهى الاستاذ « جارودى » الى اقتراح ربط الفلسفة الدينية لا بن رشد بحركة القرامطة مع الاختلاف الجوهري بين هذين الامرين . ونقول اننا لا نظهر دهشتنا لمحاولة الاستاذ جارودى التوفيق بين أمور لا يمكن التوفيق بينها وذلك لانه اعتمد على مراجع غير موثقة ؛ ولانه لم يطلع على فلسفة ابن رشد وانما اطلع على ما كتبه رينان بشأن هذه الفلسفة .

ان نقطة الخلط التي وقع فيها رينان هي انه لم يقرأ كتب ابن رشد الخاصة، وانما اعتمد على ترجمات لاتينية لشروح ابن رشد لفلسفة أرسطو . ومن جانب آخر لم يفرق رينان بين موقف ابن رشد من علماء الدين الرسميين وبين موقفه من النصوص الدينية أى القرآن والسنة .

فالمعتقد ان مهاجمة ابن رشد لهؤلاء العلماء الرسميين دليل على عدائه الاكيد للدين وعقائده ، وقد قال رينان ان ابن رشد يحكم بان الدين خرافة . وكم كنا نود ان يأتي بنص واحد في مقابل النصوص التي يلخر بها كتاب مناهج الادلة والتي تبين الوفاق بين الدين

« ١ » كتاب « ابن رشد وفلسفته الدينية » الانجلو المصرية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩



ابن خلدون



هيجل

والعقل ، لكننا لم نعثر حتى الآن على النص الذى ينسبه رينان الى ابن رشد كما ان رينان لم يتح له ان يقرأ الفلسفة الدينية لابن رشد .

أما « جوتييه » الذى اطلع على هذه الفلسفة فقد حاول التشكيك فى قيمتها عندما قال ان هذا الفيلسوف يتملق العامة فى كتاب « مناهج الادلة » ، مع أن هذا الكتاب يعد اهم كتاب جرح فيه مذهب الاشعرى ونحن لا ندرى كيف يتملق ابن رشد الناس بتجريح المذهب الذى يدينون به ! ولقد غاب عن « جوتييه » ان نقد رجال الدين فى الحضارة الاسلامية ليس معناه نقد الدين أو مهاجمته ، وانه من الممكن ان يكون الفيلسوف عقليا ومؤمنا فى آن واحد .

لقد اتهم « جوتييه » ابن رشد بأنه لم يبرهن على صحة العقائد الاسلامية الا لكى يتقرب الى العامة . لكن « جوتييه » يخطىء عندما يعتقد أن ابن رشد يومىء باشارات خفية الى أصحاب المذهب العقلى ليخبرهم أنه مازال معهم ، وذلك لانه ليس فى حاجة الى ادخال الطمأنينة على قلوبهم . انه لا يتجه الى العامة بل يتجه الى العقليين دون مداراة . ولقد وصف جوتييه ابن رشد بأنه فيلسوف عقلى . وليس فى هذا الوصف ما يعيب هذا الفيلسوف ، فقد سبقه « الغزالى » الى ضرورة الجمع بين نور الشرع ونور العقل . ومن

الواجب أن نبين أن وصف فيلسوف ما بأنه فيلسوف عقلي له دلالة أخرى في الحضارة المسيحية ، اذ يدل على أنه يؤمن بحقيقة العقل لا بحقيقة الدين « ١ »

فليس من التناقض في شيء أن يبرهن ابن رشد على إتفاق الدين الاسلامي يتفق مع العقل وانه أسمى الاديان ، ثم يهاجم علماء الكلام في الوقت نفسه ويتهمهم بأنهم يتخذون الدين وسيلة الى الاثراء والجاه . ولو كان ذلك من طريق التغرير بالعامة حتى يسلموا انفسهم للمستبدين والمستغلين . لقد كان ابن رشد يدرك تماما ان الدين الاسلامي في جوهره دين عدالة ومساواة وتحرير للشعوب كما يقول « جارودى » في عصرنا الراهن ، لكنه كان يدرك ايضا ان القيم الدينية السامية قد يساء استخدامها فتصبح اداة لتخدير الشعب واعداده لقبول الظلم والاستبداد وهذا أمر يشاهد بصفة تكاد تكون مسردة في عصور التدهور في الحضارة الاسلامية بصفة خاصة ، وفي غيرها من الحضارات

وربما كانت الحضارة الإسلامية اوسع الحضارات صدرا لنقد رجال الدين الذين يسيئون استخدام القيم الروحية السامية ، وهناك كثير ممن هاجموا ظاهرة استغلال الدين كوسيلة من وسائل التحالف بين رجال الدين والمستبدين من الملوك والطغاة . لكن ظل المسلمون يفرقون بين أمرين وهما الدين في جوهره وقيمه الروحية السامية وبين هؤلاء الذين قد ينحرفون بهذه القيم لتحقيق بعض الغايات الخاصة وغير المشروعة وكان مسلك ابن رشد في ذلك مسلك اى مسلم آخر . وربما كان اقل في حدة نقد العلماء الرسميين من « الامام الغزالى » أو من « أبى العلاء المعرى » ولم يهاجم احد الغزالى لهذا السبب ، بل لا يزال يوصف بأنه حجة الاسلام . أما أبو العلاء ، فعلى الرغم من شدة تحرره ، فانه لم يلق عنتا من أحد .

واخيرا فانا لا نريد أن نستطرد الى موضوع آخر لا يتسع له وقتنا ولا وقت القارىء ، ولكن اردنا فقط ان نعرض وجهة نظر خاصة حول ما اثاره الاستاذ « جارودى » من بعض الافكار عن العناصر التى يظن انها يمكن ان تعد اساسا للاشتراكية العلمية في الاسلام المعاصر . وفي رأينا ان كل مجتمع له ظروفه وحضارته الخاصة ، وان سير التطور التاريخي يختلف من حضارة الى اخرى وان هذا التطور يغير من اتجاهه لظروف عديدة ومتشابكة .

وليس من الضرورى أن تؤدى انماط مختلفة من التطور الى نفس النتائج في حضارات متباينة . وسيبقى من المؤكد بعد ذلك كله أن الواقع الاجتماعى والحضارى لا يخضع لتلك الحتمية الصارمة التى قد يظن أنها تسيطر على العالم الطبيعى والمادى، بل ان الحتمية التاريخية لا تتسق مع مرونة الظواهر الاجتماعية وتشكلها بصور مختلفة لكثرة العناصر التى تدخل في تركيبها .

« ١ » انظر هذا الموضوع تفصيلا في كتابنا ابن رشد وفلسفته الدينية ص ٦٧

د. سهير القلماوي

البحار



٣٦

من أهم ما يشوق به القصاص الشعبي بل القاص بعامة سامعيه هو حديثه عن اشياء لم يالفها السامع او عن بلاد وعادات ومرئيات لا تقع في نطاق تجارب الفرد العادي وكلما تفنن القاص في وصف هذه العجائب والطرائف كان انصات القوم اليه اكثر وتشوقهم الى احاديثه وطلبهم لها اقوى . لذلك نجد القصاص الشعبي يرضي هذه الرغبة في مستمعيه بالاسراف في جمع او اختراع المخلوقات العجيبة والعادات الشاذة والمناظر الطريفة التي لم تر ولعلها لن ترى . والى جانب ذكر هذه الاعاجيب والطرائف يعتمد القاص الشعبي أيضا على الاحداث العنيفة والمواقف المشحونة بالقلق والتعقيد حتى ليبدو الخلاص مستحيلا والنجاة ميئوسا منها . وفجاة بعناية السماء او بشذوذ الاحداث تنحل العقدة ويعود كل شيء الى نصابه بل وهذه خاصة شعبية يعود كل شيء الى مايجب ان يكون والى ما يحب المستمعون ان يكون .

فن القصص الشعبي

■ وكانت البحار مهاد احداث يمكن أن تجمع في يسر طرافة الموجودات وشذوذ الاحداث وتلاطمها واصطخابها . فالبحر يعرف اوله ولا يعرف اخره ، يرى سطحه ولا يعرف ماذا في قاعه ، وهو في بعده وعمقه وتلاطم امواجه [illegible] بالغموض والابهام . [illegible] الانسان لولا رحمة الخالق . [illegible] الاذى الى [illegible] القاص الشعبي في [illegible] وتيرة [illegible] وابطالها في هذا البحار [illegible] الانسان مع البحر وتأمله [illegible] كانت موضوعات [illegible] شعبي

على مدى العصور وفي مختلف البلاد ، ينزل البطل الى البحر وسرعان ما تعصف به الرياح فاذا هو شال على شفا الموت يكاد يموت ويفنى ولا يدرى به أحد لولا ما تعلق به من بقايا مركبه . واذا قدرات الانسان كلها في حالة طوارئه تصرى ، يعمل قوته البدنية والعقلية ليجد الخلاص . والبحر يمده بالامل حينا وباليأس أحيانا ولكنه يصارع : والقاص الشعبي لا يعنيه هذا الصراع مهما تفنن فيه بما شاء . صراع مع البحر او حيوانات البحر في سبيل الحياة او في سبيل لقمة العيش .. وليأخذ هذا الصراع دلالاته الرمزية الراقية كما تجد في رواية « **العجوز والبحر** » « **لهيمنجواي** » **اما القاص**

الشعبي فلا قبل له بكل هذا . وسرعان ما يدخل القدر أو الصدفة ليحل الموقف موقف الصراع بأقصى سرعة . فهناك دائما شاطيء وهناك دائما جزيرة تلوح من بعيد ثم يصل اليها . وفي الجزيرة يصادف العجب من المرئيات والمحسوسات والعجب أيضا من الاحداث .

انه يصادف قوما شاذ الخلقة يشابهون الانسان في أشياء ويختلفون في أشياء أكثر يشابهون الطيور والحيوانات المعروفة ويختلفون أكثر . ويتفنن خيال الناس في التركيبات التي يخترعها من الانسان والحيوان والطير لخلق مخلوقات لا ظل لها في الواقع ولا وجود لها الا في رؤاه .

ولهؤلاء القوم أو الحيوانات عادات وتصرفات تدفع بالحدث نحو التوتر والقمة وسرعان ما يجنح القاص بعد أن يستوفي حظه من الطرافة والجدة الى أن يوصلنا الى ختام أو شبه ختام سعيد لأهوال البحر وصراعات البقاء .

وطبقة التجار وهم أبطال القصص وأبطال الحياة في كثير من أزمانها القديمة عرفت البحر في أسفارها ومارست أهواله في سبيل الرزق وشهدت كثيرا من عجائبه . لذلك فهي تحن اليه والى أخباره دائما . انها لا تسافر فيه فحسب ولكنها تسمع كثيرا أيضا أخبار من سافروا . ونحن اذا ذكرنا البحر وقصصه في الادب الشعبي لابد ذاكرون بطله العربي الدولي الآن وهو « **السندباد البحري** » الذي أصبح اسمه علما على السفر الكثير . وكان هذا البطل تاجرا يركب البحر في سبيل تجارته فاذا عاد من السفرة العجيبة عاد دائما ببضاعة نادرة .

فاذا باعها بالبصرة ، وهي موطنه الاصلي ، واستراح من صراع البحر ، عاوده الحنين الفطري فيه الى البحر مرة أخرى . وهو يصف هذا الحنين في سذاجة ولكن في قوة تعبير تأتي من بساطته كأن يقول في مقدمة من مقدمات قصصه من رحلاته السبع : « **فأقمت على تلك الحال مدة من الزمان متواصل السرور ليل نهار وقد حصلت لي مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة فاشتاقت نفسي الى الفرجة في البلاد والى ركوب البحر وعشرة التجار وسماع الاخبار فهممت بذلك الامر وحزمت أحمالا بحرية من الامتعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد الى مدينة البصرة .** » ثم يعود الى الميناء وقد نافت نفسه ليركب المركب الى رحلة أخرى من رحلاته الشهيرة . وهكذا يظل نداء البحر في حياة هؤلاء التجار يجذبهم اليه ليسمعوا أخباره ويجربوا مواصفه ومخاطراته وليعودوا مرة أخرى يقصون هم بدورهم أخبارا لتشوق غيرهم وغيرهم الى خوض غمار هذا الجبار الحبيب : **البحر** .

والبحار التي عرفها القصص الشعبي تمتاز كل منها عن الاخرى امتيازا واضحا يعود الى طبيعتها ومكانها من الكرة الارضية . وكان لكل بحر في هذه القصص ميزة واضحة خاصة به تسيطر وحدها على سير الاحداث فيه . فلا مجال في القصص الشعبي لتزاحم الخصائص ولا الى صراع الاضداد .

البحر له ميزة غالبة فلتكن هي وحدها التي تكيف الجو كله وتدير الحوادث كلها . فما يقع في الخليج العربي وما يطل عليه من محيط يجب أن يختلف عما يقع في البحر الابيض المتوسط أو بحر الروم كما عرفه المؤرخون المسلمون والقصاص . وكل هذا أيضا يجب أن يختلف بوضوح عما يقع في بحر الظلمات أو المحيط الاطلنطي .

اما الخليج العربي فقد كانت له الصدارة في قصص التجار في الادب الشعبي . والضياع فيه والمغامرات التجارية والانسانية عامة وجدت فيه مصدرا خصيبا للخيال المتنوع والاحداث المختلفة المشوقة . فالجزر التي تصادف المشرف على الغرق كثيرة وأخبارها عجيبة فمن جزيرة « القرود » الى جزيرة « النساء » الى جزيرة « واق الواق » حيث النساء النابتات على الشجر ، الى جزيرة « الادميين » الذين يتغذون على لحم الانسان فيصبح البطل صيدا لهيئا لهم .

وتتوالى الاحـداث من حب ومغامرات الى سرقات وعصابات الى أطماع واحقاد، والى غرائز منفلتة وطبائع شاذة كل هذا فى استعراض مثير حى — ياليت قصاصى اليوم يعرفونه ويستغلون مادته — وتتوالى الحوادث وفيرة الخيال عجيبة التركيب والتاجر يعود من هذه البحار والمغامرات مادة بضاعة غريبة لا يعرفها القوم الذين يصل اليهم وقد كانت فى الجزيرة التى عثر عليها فيها مادة مهملة لا ثمن لها ولا وزن . فيحمل منها ما شاء احمالا حيث يوصلها فيبيعها بثمن خرافى مستغلا القاعدة الاولية البسيطة فى عالم التجارة من أن ثمن المادة يحدد بسوق العرض والطلب ومدى الحاجة اليها فى مكان دون اخر وعند قوم دون اخرين . ويعود الى بلده اخر الامر قرير العين مرتاح البال مملوء الخزائن .

وسكان هذه الجزر اذا سمعوا عن الخليفة « البغدادى » وهو « هارون الرشيد » دائما فى القصص الشعبى (أو لا اسم له وانما يكفى ان يقال مولانا الخليفة) فانهم يعظمونه ويبعثون اليه بهداياهم وتحفهم ويكرمون هذا الوافد من « مدينة السلام » التى يعرفون قدرها وقدر سكانها . وهذه خصيصة أخرى عند أبناء الشعب فى تصورهم دائما لتضخيم لكانة ما يحبون، واعتقاد من انهم هم مركز الكون وان بلادهم هى الدنيا وخليفتهم هو الخليفة على كل الارض . وتصور الفروق او الغير ،مرحلة فى الرقى لا تنعكس فى القصص الا فيما بعد طور السذاجة والبساطة الشعبية .

وذلك لا يمنع ان فى كل جزيرة ملكا معظما ولكنه يعظم بطريقة بغدادية او قاهرية . والناس يدخلون عليه ويرفعون شكواهم اليه ويبت فيها وينصفهم أو يعاقب من استحق العقاب على طريقة الخلفاء فى عصورهم الاولى فى تصور بغداد بالذات . والملك هنا خليفة مثالى ينصت الى شكوى افراد الشعب وينصت اليهم كلية وهم يسألونه حاجتهم بل انه مشارك لهم فى حياتهم مشاركة تامة . ولكن لسكان الجزيرة فيما عدا



بلاط الخليفة عادات شاذة وتقاليد عجيبة كأن يدفن الزوج مع زوجه اذا ماتت فيلقى البعض هذا المصير الذى يلزم الوقف ويرتفع من حدة التوتر والقلق عليه .

وهنا نجد كتبا كثيرة فى فن الادب الراقى كتب الرحلات وجمع الطرائف والعجائب مستغلة كل الاستغلال ترصف مادتها رصفا لانها كلها صالحة لذلك .. ويكفى ان نرجع الى كتاب « **السندباد القديم** » « **للدكتور حسين فوزى** » حيث نجد تحليلا لكثير مما ذكر فى القصص الشعبى وذكر من قبله فى كتب الرحلات والعجائب مثل كتاب « **عجائب الهند** » وغيره وقد حاول المؤلف فى « السندباد القديم » أن يطابق كل هذه على ما صادفه فى رحلة علمية حديثة الى هذا المحيط بقصد التفسير والتبرير العلميين لكثير من الظواهر والعجائب المذكورة .

ولكن فى القصص الشعبى كثيرا ما يصادف التاجر الذى غرقت سفينته فى هذه البحار ، جزرا يسكنها الجن والشياطين من عهد سيدنا سليمان فتقع للتاجر الانسى مع هؤلاء الجن احداث طريفة وحيل تحفل بخيال القاص الشعبى العبقرى .

أما البحر الاحمر فليس له فى القصص الشعبى كبير شأن . انه قلما يذكر فاذا ذكر فان هــو الا زقاق أو ممر يعبر . سكان هذه الارض على شفتيه من الجزيرة العربية أو من مصر لا شــأن لهم عادة فى القصص الشعبى . لقدجذب أهل مصر النيل فى حياتهم وسكان الجزيرة جذبتهم الدلتا العراق والشام فلم تعد لشاطئيه البحر عربيا أو مصريا حياة زاخــرة للتجار ، وهم كما اسلفنا أبطال هــذا القصص القديم . ان ســكان مصر الا ارادوا ان يتحركوا ابطالا فى البحار عليهم ان يصلوا الى البحر الابيض المتوسط .

اما سكان الجــزيرة العربية فما أيسر ما يصلون الى بغــداد أو الى البصرة مباشرة من غير طريق بغداد ليجــدوا فى الخليج مخرجا لهم الى المحيط الزاخر

اما ســـكان الاسكندرية والتجـــار الوافدون اليها فقد أطلوا على بحــر الروم ، بحر ليس محفوفا بظلام كثيف ولا بغموض شديد . فلقد عرف العرب فى تاريخهم سكان الضفة الاخرى من هذا البحر منذ أيام « موسى بن نصير » الذى بدأ يحقق حلمه فى أن يكون هذا البحر بحيرة عربية . وكون احلام « موسى بن نصير » لم تتحقق ، فلم تصــبح الارض الاوروبية كلها أرضا عربية على الضفة الاخرى ، لم يمنع أن تنعكس احــداثه واحداث على شفتى البحر وأن تلاحم الحركة وأن يذهب الابطال ويجيئون على شفتيه فى سهولة ويسر .

وسكان الضفة الاخرى يعرفهم الناس بأنهم نصارى ، ولا شىء قبل هــذا أو بعده . لذلك فمغامرات هذا البحر هى صدى للحروب والصراع الذى كان بين المسلمين والنصـــارى احقابا طويلة . وعند القاص الشعبى يكفى أن يكون سكان شمال البحر نصارى وســكان جنوبه مسلمين لينفجر النزاع فى كل لحظة . ولقد شهد البحر صراعا حقيقيا منــذ أيام عثمان بن عفان وحارب العــرب معركتهم البحــرية الاولى غزوة « ذات الصوارى » على مياهه وظل هذا الصراع يتجدد وينفجر بشتى الوسائل والصور فى حروب رسمية حينا وحروب قرصنة حينا آخر وحروب صغيرة محلية حينــا ثالثا .

ولكن القصاص الشعبى لا يدخــل فى موضوع الصراع بل ان الذى يحرك البطل عنده ليس دافعا سياسيا بل قلما يكون دينيا وانما هو دافع شخصى كثيرا ما يكون الحب والهيام بواحدة من أبناء النصارى أو حب جارية اختطفها القراصنة وهى عند ملك من ملوكهم ولكنها حبيبة البطل التى يجب أن تعود اليه فلا يهدأ بال القاص الشعبى حتى يعيدها فعلا اليه .

وفى هذه الحياة الشخصية تلعب اختلاف العادات والتقاليد ، وأكثرها يعود الى اختلاف الدين ، دورا رئيسيا فى التشويق وفى حبك الحوادث وتعقيــد العقدة . والذين يرتادون هذا البحر لا يرتادونه للتجارة وانما هى أسفار عادية لاغراض سياسية أو شخصية . وهم لا يغلبون فيه بالعواصف كما هى الحال فى بحــر العرب والمحيط الهندى وانما شقاؤهم يكون بسبب القرصنة المعروفة تاريخا من



هذا البحر لقرون طويلة . والبطل يصل بلاد النصارى فيحارب ويصطدم وسلاح اعدائه السطوة والقوة ، وسلاحه الايمان بالله والتوكل (بعد العزم) عليه سبحانه وتعالى . وهو لا يعدم وجود من يعطف عليه او من يؤثر فيهم ايمانه، وبواسطة هؤلاء ، وكثيرا ما تكون المرأة أساسا يستطيع به أن ينجو ويعود الى أرضه سالما بعد ان يكون قد ذاق اهوالا من العذاب والتعذيب وسوء المعاملة في أمكنة عجيبة كالاقبية تحت الارض والآبار والسجون القليظة بسلاسلها واحجارها الضاغطة على جسده . ولكنه في الوقت نفسه يكون قد شاهد ابهة وعظمة من الطرف واللطائف التي يعود بقصصها واخبارها الى أهله . وربما تعظيم شان مغامرته فيصل امرها الى الخليفة ، فعلاقات الملوك النصارى بالخلفاء مستمرة في التاريخ وليس هنلك ما يدعو الى قطعها في القصص .

وهكذا نظفر من القصص الشعبي الذي يدور حول البحر الابيض المتوسط بصور فريدة لمعابد اليهود وكنائس النصارى وقصور الملوك ومراكب القراصنة بل ملوك القرصنة وبصور اشد غرابة لعلاقات القراصنة وقوانين تعاملهم ومراكز نشاطهم وحصاد صراعاتهم معكوسة على أحداث معروفة في التاريخ يصغرها القصاص الشعبي ويقلل من شأنها حتى تصبح مجرد اطار يزين بها مغامرته الخيالية ويكسبها بها دفقة حياة ونشاط حركة .

أما « **المحيط الاطلنطي** » فهو بحر الظلمات كما أسلفنا ولا شيء أكثر من ذلك . انه منطلق قصص الابطال الذين يركبون البحر فلا يعودون منه أبدا . تطويهم مأساة البحر الفجعة الرهيبة . مأساة الضياع او الغرق بعد صراع بطولي مأساوي خائب .. ولا نجد هذا البحر مستغلا كثيرا في القصص الشعبي فان كان الضياع في البحر طريقا موحيا بالخيال عند القصاص فان الموت فيه حادث حزين لا يوحي بشيء عند الناس ولا مستميه . لأنه يشل الشعور ويغرق في الحزن الاليم ولا شيء بعد ذلك. وليس هنالك من قد عاد من هذا البحر في القصص ليحدث بهذا العجب الجديد. أنه بحر مظلم مخيف فيه هذه « الصخرة الممغطة » التي تجذب السفن اليها لتتحطم تحطيما نهائيا وفيه هذه النيران الخرافية التي تبتلع اعتى السفن في ثوان . **يقول عنه جغرافيو المسلمين في آخر عصورهم الزاهية أنه البحر الذي لا يدرى ما فيه ولا يعلم ان احدا قد عاد منه .**

وفي الاساطير يذكر دائما هذا الدرب من دروب الاندلس الذي لاتزال القصص حوله تروى في المغرب الى اليوم،وهو درب «المغررين» في لشبونة انه درب المغررين الى الابد كما سمي أول أمره لان منه كانوا يخرجون الى بحر الظلمات فلا يعودون ويقصون قصة ابناء العم الذين خرجوا اليه فوقعوا على جزيرة فيه تنصب ملكها اعينهم عندما والتهم الرياح وانزلوا ساحلا آخر حتى لا يعرفوا طريق العودة الى الجزيرة فاذا بهم على ساحل البربر في أفريقيا فلما فك وثاقهم صاح زعيمهم « وا أسفي » فسمي المكان من بعده وا أسفي .

أما « **ماركو بولو** » والبطل الحقيقي الذي ارتاد البحر وعرف الطريق الى الهند والبطل العربي « **ابن ماجد** » البحار فان القصص الشعبي لا يدري من ذلك شيئا . وهكذا ظل البحر في وجدانهم بحر ظلمات لا توحي بأحداث ولا ترتاد خيالا ولا تثير شوقا .

هكذا استعان قصاص الشعب بهذه البحار وبخصائصها وتنف من تاريخها ليملأوا قصصهم روعة وفتنة من حب للمغامرة الى شوق الى معرفة المجهول الى افتتان بكل ما هو شاذ وعجيب وطريف، مما ينشط الخيال ويجري الدم دفاقا في العروق ويجعل ميزان الخير دائما هو الغلاب ، وجزاء العمل هنا وعلى هذه الارض وفق الايمان والنوايا والاخلاص . انها بحار تختلف. فلكل منها طابعها الخاص ولكنها كلها كأي شيء آخر في يد القصاص الشعبي مادة خام تخضع لفنه وهدفه السامي من هذا الفن الجميل.

قصة بقلم: سعد مكاوى

الرقص على العشب الأخضر



ريشة: حلمى التونى

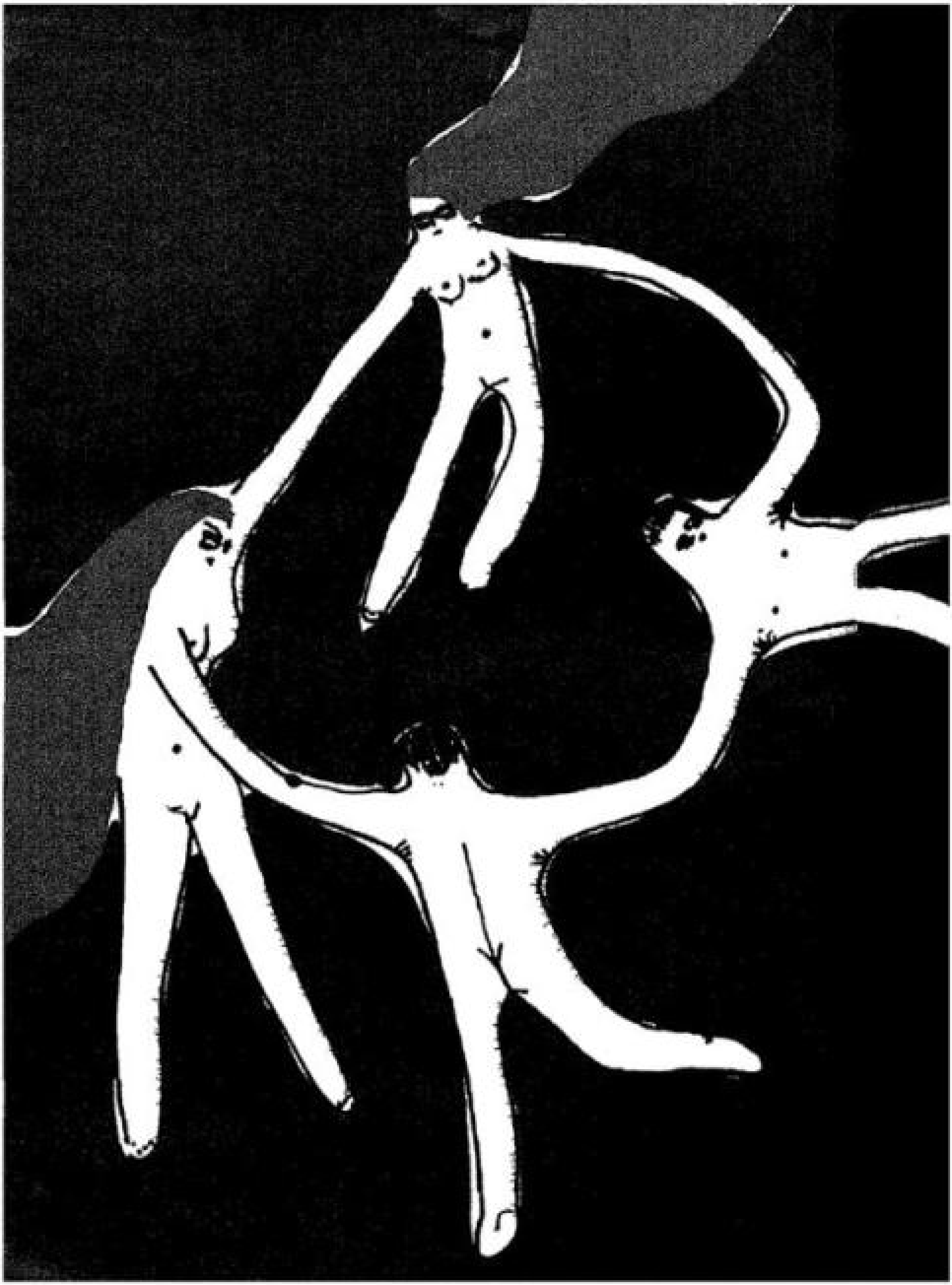
ـ ١ ـ

الرقص على العشب الاخضر متعة الليالي المقمرة ، فى خضرة سابغة لونها رائق وحواشيها مهذبة . لا يخدش مساحتها الواسعة امام البيت الصغير تمثال او شجرة حتى احواض الازهار نائمة هناك فى حضن السور ، ممتدة فى شريط رفيع حول بساط الخضرة العبق داخل السور العالى الذى يحرم على أى عين بشرية ان تختلس ولو لمحة من الجنة .

هى ترقص حول الفراش الارضى المهد فى الوسط وضوء القمر يسكب على عريها الكامل انعكاسات باهرة ، وعلى خضرة العشب يتلألأ جسمها المبدع تكوينا وحركة ، أنثى فاخرة حينا وحينا آخر فراشة طاهرة .

وهو ينهل من رقصها رافدا بعريه الكامل فى حمام من اشعة القمر ، فى تمام صحوه قبيل الفجر ، لامخمورا ولا مخدورا بل سكران برقصها وحده ، دائرة حوله من بعيد ، اودانية منه بكمالها الجسمانى وخفتها الروحانية .

وهما فى صومعة رفعا سورها عاليا فى قلب زراعة صغيرة ، مسوره هى الاخرى ،



بأسلاك شائكة ..
وبيضاء كالياسمينة ظلت تدنو بالحركات الاخيرة لرقصتها من طرف الفراش حتى جلست تلتقط انفاسها وعلى وجهها طلاقة النشوة، فمد لها يده بفوطة أخذت تدلك بها صدرها وبطنها وهي تومىء بوجهها المبتسم نحو الكوبة الزجاجية المقلوبة كالغطاء على حلق القلة الفخارية ، فملأها لها واعتدل في رقدته ليرفع الماء الى شفتيها فتغيرت خطوط جسمه هو الاخر ولمعت على سمرته الاشعة، ثم ابتسم كل منهما لوجه الآخر قبل ان تستلقي الى جانبه وتتمدد على ظهرها مثله في حمام القمر .

وسألها لما بشر النور بمطلع النهار :
ـ هل تدخل ؟
ـ كما قدمت للنجوم التحية اريد ان أحيي مشرق الشمس !

وفي اشعة الشمس الرقيقة التي اخذت في التدفق من فوق جدار السور تفتحت الياسمينة الحية وتفتح الصباح الوليد بعطرها .. وتمطى هو في جلسته على طرف الفراش حتى لانت كل عضلة في جسمه متابعا وثباتها الرشيقة هنا وهناك الى ان احس فجأة بالجوع وهي تدنو منه متطاولة.

وتمثل لخاطره في الحال طبق كبير مفعم بالحمام المشوي على الفحم ، ليخطف يدها ويندمج معها في حركاتها الراقصة وهو يطير بها نحو الباب الخلفي للبيت ، باب المطبخ ..
ـ جائعة مثلي ؟
ـ جوعي متوحش !
ـ حمام مشوي ؟
ـ مادام هذا هو مزاجك . وليكن الى جانبه المش القديم !

وفي ركن المطبخ اكلا وجبة متوحشين عاريين وهما يضحكان كلما طرقعت العظام الهشة تحت ضروسه النشيطة وبين الحين والحين يغوص ابهامها في طبق المش ثم يختفي في فمها وهي تزوم مستطعمة مذاقه ..

ـ ٢ ـ

شبعا نوما كل في حجرته ثم التقيا بعد العصر تحت الدش .
ـ نمت نومة اهل الكهف !

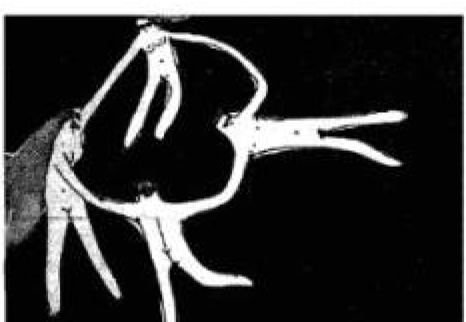
ـ وجائع مثلي ؟
ـ أريد ان أغزو شجرة مانجة وأتغذى من اطيب ثمارها .
ـ اطيب الثمار في اعالي الشجر .. انا اطلع لها !

تصور عينا متطفلة تلمحها من وراء السلك الشائك تتعرى في أعلى الشجرة ، فمنعها:
ـ لا احب أن يقول الناس من حولنا ان بعضهم راى عندي امراة عارية !

ـ هذا قيد على حريتي لم اكن اتوقعه هنا !

جاء هو بالثمار الناضجة وجلسا في الشرفة العليا ساكتين كما يحدث لهما كثيرا حتى غابت الشمس وراء اشجار التوت في الغرب وشاع في نفسيهما من لحظة الغروب شيء من الشجن؛ فنهضت وجلست في حجره وحاولت ان تكسر حاجز الصمت :

ـ هل غضبت من كلمتي .. هي فعلا سخيفة .. كيف أتكلم عن قيد وانا أعلم ما اتفقت على هذا الركن لكي تحقق لي فيه كل حريتي كامرأة سعيدة !



وولت الى الداخل واختفت لحظات قبل ان تعود الى الظهور مندفعة الى البساط الواسع الذى اكسبه الغروب خضرته بعض القتامة . ناشرة طيرانها العفوى فى كل اتجاه داخل السور العالى .. وعيناه تسربت تحتضن الاشعة لدونة جسمها وشفافية ارتجالاته ولطافة حركته .. لكن صوت خفير المانجة عند البوابة البعيدة تردد فى الخارج منادياً باسم من لا يفكر فى تلك اللحظة فى غير العثور على جلبابه ليدخل فيه حتى لا يفتح وهو عريان ..

— ضبطته بشوال المانجة !

فى شحوب ضوء القمر الطالع رأى شوالاً صغيراً مليئاً بثمار زراعته ... والى جوار الشوال وفى قبضة الخفير شاب مضطرب الوجه تحت طائلة مذلولة بطلب الرحمة بالدموع والانكسار ؛ فضاقت نفسه بالمحظة كلها ونظر الى الخفير فى غيظ ونفور .

— ازعجتنى من غير داع !

— سارق النجة ... انظر سيادتك .

تأمل الوجه الفارع قبل ان يكلمه :

— هذه اول مرة ؟

ثانى مرة .

— هل كانت الاولى من عندى ؟

— نعم .

— اذا تركتك تذهب بالشوال مليئاً ونسينا الموضوع ، فهل تعود الى سرقتى مرة اخرى ؟

— لا طبعاً !

تقبل التوبة واشار الى الخفير ان يكف يده عنه :

— اتركه يذهب .

— لو تركناه سيعود لنا فى المرة القادمة بعصابة !

— انا اصدقه

— انا لا اصدق ابداً .

لمست يد صاحب المكان كتف الشاب الذى ينتظر كلمته الاخيرة :

الرقص على العشب الأخضر

— انا اصدقك ... اذهب بما حملت !

اما هى فحاذرت ان تلمحها عين اللص او الخفير وهى تتابع المشهد كله من خصاص النافذة فى الدور العلوى .. وعندما راق لها الجو تجردت فى الحال ونزلت هابطة فى السلم الداخلى الى ان احتوتها رئة النور عند مكان حبيبها الصامت .

— ضايقك ما حصل ؟

— انها هو وجه الفتى لا يريد ان يفارقنى !

— ايّاك ان تدع ظهور لص يعكر عليك صفو الليل !

وهى تخلع عنه الجلباب نالتنى معها وجهة نظر الخفير ... يرى ان ما فعلته خطأ .. يعتقد ان ذلك الانسان سيفترض أن سبب تسامحى معه هو الضعف لا الادراك السليم للموقف .. وانا ارى ان الشاب ليس لصاً بالمعنى الحرفى وانه سيلتزم بالاتفاق .. وقد يتحول الى صديق .. وجهه لا يبرح خيالى !

حاولت ان تحركه للمرح لكنه ظل على حاله من الانطواء لتمددت هى الاخرى وأباحت وجودها لنفحات النسيم وملاطفات الاشعة .

— ٣ —

لم تكن طلعة القمر فى الليلة التالية اقل بهاء ولا اضعف شوقاً الى كمال جسد يرقص لا له الحب عاريا على

سطح كوكب الارض ...
لكن العصفور لم يطل ..
هربت الى البيت باشارة من أصبعه .. واطلت من خصاص النافذة العليا على شواربه الغفير وقد قنص في هذه المرة فتى وفتاة !

وابتسمت لان حبيبها نهر الغفير قبل ان يضبط لبسة الجلباب :

ـ اسمع ... بعد هذه المرة لن تزعجني في الليل أبدا ولو انقلبت اشجار المنجة عصافير تقص شواربك ، هل أنت فاهم ؟

اهتزت الشوارب بغضبة عنيفة !

ـ لكن فصل الليلة يقطع الخميرة من البيت وينجس الزراعة !

اسكته بحزم ليتأمل الوجه الوسيم لشاب في مثل سن زائر الامس لكن فيه على الفقر شيئا من اللطافة ، يحاول بالنظرة الصامتة ان يرى من بنت مسكتها الرعشة واشبعت وجهها لطما ..

هزت قلبه لمحة عينيها النجلاء البليغة وهي ساقطة عند قدميه تناشده ان يستر عليها .

ـ أين وجدتهما ؟
ـ في الناحية القبلية .. تحت شجرة مانجة !.
ـ سرقا شيئا ؟

ـ وهل كان منتعشا وقت او وعى ؟! .. السرقة كانت ستتم طبعا بعد الانس والحظ !

الرقص على العشب الأخضر

الولد والبنت لا يمكن ان يزيد عمرهما معا على خمس وثلاثين سنة ، وهما ينضحان عرقا وحيا .. اخترقا اسلاكه الشائكة تحت راية العشق ...
والبنت أنثى وعينها متكلمة
ـ اذا تركتكما ومسكما ما تقدران على حمله فهل تعودان الى هنا مرة اخرى ؟
تبادل الولد والبنت نظرة قبل ان يقول في ثبات :

ـ لم نجيء الى هنا الا بعد ان ضاق بنا الحال هناك .

ـ لماذا لا تتزوجان ؟

ـ اذا لم يعقل اهلنا ويزوجونا بطريقتهم فلن نجد غير بستانك !
زمجرت الشوارب :

ـ قالوا لكم عن بستاننا انه ملتقى الكلاب الضالة؟!
لم يعره الفتى التفاتا لا اذ هو مشغول بذلك المنتى الريح الناطق في عيني صاحب المكان ، وتوجه اليه بالدعاء :

ـ اجعل لحبنا في ظلالك القدرة على اختلاس قطرات من الهناء !

واذا بصوت من اعلى يتدفق منه الحزم رغم رقة نعومته :

ـ انتظر ياولد .. وانت يا بنت .. أنا نازلة لكما بالرأى والمشورة !

كانت قد فتحت النافذة على مصراعيها قبل ان تطلق نداءها الفجائي فارتفعت اليها عيون البنت والولد والغفير وتحجرت على اشراقة وجهها وتهدلت شعرها على كتفيها من كل ناحية كأنه يشهر غيرته على حسنها .. وحاولت اذن الفضيحة وستعرف الجاهلية الترابية وراء حدود اسواره أنه جاء معه بامرأة !

ـ ٤ ـ

السعت الفرشة في قلب العشب الاخضر للاربعة .
وبعد ان طرد الغفير من الساحة المسورة حاملا معه انذارا بالفصل من الخدمة

اذا عاد الى ازعاج الصغو مهما يكن السبب ، لم يبق فى حكاية البنت والولد نظرة تعتصر .. وراحت صدمة التلاقى تتفتح الانفس وتعانقت الحكايات واتحد الهوى ..

تمشت نشوة الالفاق حضن الاشعة المشحونة بكهرباء الفضاء البعيد ؛ وسألت البنت وهى مبهورة بالانثى المصقولة التى تكلمها وتضاحكها :

— هل انت زوجته ؟
— لا .

— هل انت متزوجة اى رجل آخر ؟

— لا .
— لماذا لا تتزوجان ؟
— سيحدث هذا يوما ما بكل بساطة .

وما حكايتك انت يا احلى مارات عيناى ؟

وضحكت قلوبهم وارتوت من الصفاء ، وبعد الضيافة بالعشاء غمزتها البنت :
— علمينى كيف تحبين الرجل ؟

لرمقتها من غلالها الاسمر الزاهى .

— ولم لا تعلمينني انت ؟
— انا ؟؟

— حالتنا واحد .. كلانا فى موقف الخالصة للحب .. انا جئت من المدينة مع حبيبى فى ستر الليل وانت جئت من القرية فى ستر الليل مع الحبيب !

— انا اعبر عن حبى



بالطاعة وليكن ما يكون .
— وانا أريك فى الحال كيف اعبر !

أدرك صاحبها ما تنوى ان تفعل ، ورجاها بنظرة الا تخلو منها الرداء الخفيف الذى تزلت به وتتركه للعشب الاخضر .. فابتسمت فى الضوء الحنون ممتثلة لرجائه ، وبدأت رقصتها بصيحة مرحة .. وفى الحال اندمجت فصارت خفيفة كالجناح الرقيق ، واستمتع هو نفسه دون ان يلتفت الى محاسن رقصتها بدراسة سلبية لتأثير الغلالة الخفيفة على الضيفين ..

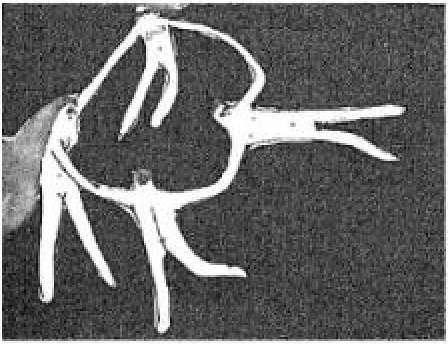
وانتهت الرقصة القصيرة هناك عند الورد وعادت زاهرة كالنجمة ، فقال صاحب المكان لضيفه المبهور :

— مارأيك فى هذا يا صاحبى ؟ .. نحن الان اصدقاء .. ما قولك فى رجل يسمح « لحريمه » بالرقص العريان امام رجل غريب ؟ ؟ .

لكن الفتى ظل جامدا مسحورا امام السؤال ، فضاحكته « الحريم » ليسترد القدرة على النطق :

— قبل ان ترد تصور ايضا العكس ... تصوره هو يرقص عاريا امام محبوبتك !
والبنت قبل الولد استردت قدرتها على الكلام :

— لو حصل هذا لخنقنى



.. ان لم امت انا قبلها من الخجل !

سألها صاحب المكان مستطلعا نجل عينيها :

ــ طيب ما قولك في ان نرقص معا نحن الاربعة هذه الرقصة ؟

ــ بامصيبتي .. عارية أمام رجل غريب !

ومع سيادة الضحك وجدالغلام ايضا كلمته :

ــ لكأنك تطلب منا ان نسلخ جلدنا بأيدينا !

لكن بعد لحظات تبادلت النجوم ومضات برقية تلألأت في السماء كالبسمات المتقاطعة .. وكل ما في السماء من سنا تساقط في اشعة الضياء الليلي وانصب في انعكاسات سماوية على ثلاثة يرقصون حول الياسمينة الحية في ملابس خفيفة وكأنهم اطياف تمشي بالرقص على العشب الاخضر .

ــ ٥ ــ

عمق الصورة تقط هو الذي تغير عندما جاءت ليالي الظلام واخذت حركات الرقص المغوية تبدو كالعمل السحري ، وتكتسب صفة جديدة هي الاندماج بالمعنى المطلق لجلال الكون .. وظل تيار واحد يسري بين الاجسام الاربعة الراقصة التي تشابكت ايديهما في حلقة مقفلة الى ان قطعه نداء الفقير من وراء السور :

ــ كلب الحراسة مات مسموما !

ما دام الانذار لم ينفع فلا بد من طرده وتثبيت الغلام في وظيفته بعد استكمال الاجراء الاداري .. هكذا اعلن صاحب المكان قبل ان يشتبك مع الفقير بقذائف متبادلة من فوق السور :

ــ لعل الكلب نائم مجرد نوم ؟

ــ بل ميت وشبعان موت !

ــ ومن قال لك انه مسموم ؟

ــ شكله ناطق !

ــ عندك شهادة في الطب الشرعي حضرتك ؟

ــ بل الطبيب الشرعي هو الذي قرر ذلك بنفسه !

ــ متى ؟ !

ــ بمجرد ما شاهد البقع التي على جلد بطن الكلب !

ــ واين هو الطبيب الشرعي ؟

ــ عندنا في الاستراحة .. انا بلغت .. والطبيب وصل مع الادارة والنيابة والدنيا !

ــ كلهم جاءوا عندنا هنا ؟ !

ــ والعمدة .. والكلب الميت .. الجميع في الاستراحة والقهوة حاضرة وكل الواجب عملناه . بدون ازعاج لكم حسب الاوامر في آخر مرة ..

ــ من صباحة ربنا ان شاء الله مفصول من الخدمة !

ــ انا كتمت عنكم المسألة قدر ما استطعت الى ان امرتني النيابة باخطاركم للحضور امام مجلس التحقيق ، وربنا لا يكلف العبد فوق طاقته !

ــ مفصول من الخدمة !

الرقص على العشب الأخضر

- ٦ -

وجدهم الفجر فى كآبة تسلطت عليهم بعد اجراءات التحقيق الطويلة التى استلت من ليلتهم نخاع السور وأماتت الرقص .

ومرت ساعة القيلة البطء لكن مع تباشير النور اخذوا يتكلمون فى شئون صغيرة من شواغل النهار . . . ايقاد الفرن وترتيب البيت وجمع ساقط المانجة وتهذيب العشب .. ثم طلعت الشمس على زائر لم يتوقعه أحد ، فلقد ارتفع نباح جرو لصق السور من الخارج ، قرب الباب الفاصل بين حدود الزراعة وحدود الصومعة . قال صاحب المكان مستغربا :

— لم يكن عندى غير كلب واحد عجوز هو الذى جادلنا فى مأتمة بشخصيات مهمة .. والاغلب ان يكون هذا الذى نسمعه عفريت الكلب ؟

لكن الباب الذى فتحته يد ناعمة مشفقة اظهر فعلا جروا صغيرا بدأ زيارته بتعبير جسمانى كامل من التودد .. وشاركت مؤخرته الانيه وذيله فى رقصة لعارف ظريفة ..

وهتفت التى فتحت له

— تأمله .. هو صورة مصغرة من الفقيد .. هذا ابن كلبك بلا جدال . أوداعبت الكلب الصغير باصابعها حتى حركت فيه كل حوافز اللعب ونهضت تجرى على الخضرة فانطلق ورائها كمن يريد ان يأخذ بثاره . . وحميت المطاردة الضاحكة بين الجرو الظريف والياسمينة الطائرة على العشب الرطب بندى الصباح ..

وانعشوا فى النهار بعد كآبتهم ... ورتبت المرأتان البيت واوقدتا الفرن

وخبزتا الفطير على حين تكفل الرجلان بجمع المانجة والاسترخاء والثرثرة ..

وانتهى اليوم باحسن مما بدأ ، الى ان سترهم الظلام فغنوا وصفقوا ورقصوا حول كومة الثمار كالمجانين .. وفجأة نبح الكلب الصغير مرهفا اذنيه الدقيقتين نحو الغرب فالتفت صاحب المكان ليجد امامه بندقيتين ..

وتجمدت الرقصة حتى صاروا كالتماثيل ، وسكت الكلب امام شبحين طويلين لايدرى احد كيف هبطا من ارتفاع السور .

وفى السكون العميق دوت رصاصة وسقطت البنت الكحيلة العينين ميتة عند قدمى حبيبها .. وجاء اول تفسير للموقف على لسان الشبح الاخير الذى اشار بيده الى زميله مطلق النار :

— ابوها !

هذا صوت فقير المانجة وهذه شواربه .. واضاف مخاطبا حبيبها :

— ترقص فى مكانى يا ماهر وتظل حيا !

ودوت من بندقيته الرصاصة الثانية تسقط الوله فوق جثة حبيبته ، وكانت الرصاصة الثالثة من نصيب الياسمينة التى فى الحال تساقطت اوراقها البيضاء على العشب ذابلة هامدة ..

وظل صاحب المكان فى وقفته الجامدة امام اللوحتين غير مصدق للكابوس الذى احتواه فى صدمة ، الى ان دوت الطلقة الاخيرة .

● د . عــــلى الــــــراعى ●

تحدثت فى عدد سابق من الهلال (١) عن ظاهرة طريفة فى حياة هنريك ابسن ، تلك هى ميله فى السنوات العشر الاخيرة من حيــــاته الى صحبة الفتيات الصغيرات .

كان الكاتب الكبير يجد فى هذه الصحبة عزاء عن الشيخوخة ، والهاما لفنه ، وشيئا غير قليل من ارضاء لرغبته فى ان يظل شابا دائما .

وكان ابسن يسعى الى الظهور فى كل مناسبة ، ويميل الى تاكيد ذاته من كل سبيل . كان يجهد فى الحصول على النياشــــين من اماكن مختلفة ، فان لم تاته طواعية ، لم يتردد فى ان يتسولها تسولا ، كما حدث فى حالة الوسام الذى الح فى الحصول عليه من الخــــديو اسماعيل ، عن طريق صديق ارمنى اسمه ((حبيب بك)) كان قد استخدم نفوذه لدعوة ((ابسن)) لمصر لحضور حفلة افتتاح قناة السويس .

كذلك كان ((ابسن)) شديد العناية بهندامه . بلغ من شدة احتفائه باناقته ان اصبح مضرب الامثال لرجال عصره . فجعل هؤلاء يقتفون اثره فى كل ما يحدد من خطوط للاناقة الرجالية .

كان هذا كله يحدث خارج نفس ابسن ، ولا يفتر فى داخــــل تلك النفس ــ مع ذلك ــ صراع روحى وعاطفى عارم ، بين الفرد والفنان . وهو الصراع الذى انجذبت اليـــــه بعنف مجموعة من الفتيــــات الصغيرات تحدثت فى المقال السابق عن واحدة منهن هى اميلى بارداخ .

---

(١) عدد اكتوبر ١٩٧٠ ص ٣٢ ــ ٣٧

أبسن

وزوجته

وصديقة أخرى



هنريك إبسن

غير أن « اميلى باردداخ » لم تكن الفتاة الوحيدة التى تعرف اليها ابسن فى اواخر ايامه ، وسعى الى أن يتخذ منها مادة لفنه .

فهو فى رسالة الى شابة اخرى اسمها « **كاميللا كوليت** » ، بتاريخ ٢ مايو ١٨٨٩ يوافق « كاميللا » على ما رآه من شبه بينها وبين بطلة مسرحية : « **سيدة البحر** » : اليدا ، التى كان ابسن قد اخرجها للناس فى العام السابق . ويضيف ان نقاط التشابه بين المرأتين كثيرة ، وأن « كاميللا » قد أثرت فى كتاباته سنوات طويلة بفضل ما فيها من مزايا روحية وفكرية .

وهو فى رسالة الى شابة ثالثة اسمها « روزا فيتينجهوف » تعرف اليها قبل وفاته بسبع سنوات وكانت آخر من عرف من الفتيات يشكر لهذه الفتاة هديتها من زهور صغيرة زرقاء قدمتها له . ويذكرها بما أبدته من حفاوة به فى العام السابق، حين قدمت مع جماعة من الفتيات عرضا من الرقصات الشعبية اقيم خصيصا لتكريمه ، ووصفه ابسن بأن له ذكرا باقيا فى قلبه .

ويتحدث «ابسن» فى خطابه عن رسائل « روزا » الكثيرة له ، ويقول أن هذه الرسائل ترقد فى مخدع صغير خصصه لها ، فى أحد ادراج مكتبه ، وانه حين يبدأ العمل كل صباح ، يفتح الدرج ليقول : « هاللو ، روزا » !

على ان اهم هؤلاء الفتيات الصغيرات على الاطلاق ، واشدهن اثرا فى قلب « ابسن » وفى فنه على السواء انما هى هيلدور اندرسن .

* * *

كانت هيلدور ابنة لصديق قديم من اصدقاء ابسن . وحفيدة لسيدة تدعى مسيز سونتوم ، كان ابسن يسكن عندها ايام اقامته فى بيرجن . كما أن الفتاة كانت تمت بصلة قربى لطبيب ابسن الخاص .

كانت هيلدور قد عادت لتوها من رحلة على الدراجات حينما لقيها الكاتب العظيم . **وقد تلا هذا اللقاء الاول لقاءات كثيرة ،** امتدت من عام ١٨٩١ حتى العام الأول من القرن العشرين .

وقد تبادل « العاشقان » خلال هذه السنوات الطويلة كثيرا من الرسائل « الملتهبة » اصفها بالملتهبة قياسا على شذرات منها امكن الحصول عليها بعد وفاة هيلدور .

ذلك أن الفتاة اعلنت بعد وفاة ابسن وزواجه فى اوائل القرن ، انها لا تعتزم ابدا نشر الرسائل التى كتبها لها الفنان الكبير ، وذلك فيما عدا فقرة من خطاب مؤرخ ٢٦ يوليو ١٨٩٥ ، وفيه يقول ابسن لهيلدور ، وقد علم انها زارت بلدة « سكين » (١) **انه كان يجدر بهما ان تتعرف على المزيد من « سكين » هذه . فهى بلدة المياه العاصفة ، الجارية ، الثائرة . أو هذا على الأقل مايذكره منها . ثم يضيف : وليس مجرد صدفة انى ولدت فى بلدة الشلالات الصغيرة .**

على أن « **فرانسيس بول** » الدارس المتخصص لابسن وفنه امكنه ان يقنع خادمة هيلدور بأن تحكى له ما تذكر من رسائل ابسن لسيدتها . وقد امدته الخادمة بسطور قلائل وردت فى عبارات اهداء كتبها ابسن لهيلدور فى مناسبتين .

---

(١) التى شهدت مولده فى عام ١٨٢٨ ، والسنوات الاربع الاولى من حياته .

قال ابسن وهو يهدى الفتاة مجموعة من أعماله الكاملة :

هيلدور : هـذه التوائم الخمسة والعشرون تنتمى الينا نحن الاثنين . قبل ان اقع عليك ، كنت ابحث واسعى وانا اكتب . كنت على يقين من انك هناك ، فى مكان ما من هذا العالم الكبير الواسع وبعد ان وجدتك لم اكتب الا عن الاميرات فقط .. الاميرات من كل لون وجنس .

« هـ ـ ا »

وكتب ابسن فى مصاحبة ورود حمراء أهداها للفتاة : هذه تسع وردات حمر لك ، وتسع وردات حمر أخر لى . خذى الورود آيات للعرفان على ما امضيناه معا من سنين .

وكان ابسن قد تقدم بهدايا اخرى للفتاة . أعطاها خاتما من الماس حفر عليه تاريخ ١٩ سبتمبر ١٨ وهو تاريخ ذو مغزى سنعرفه حين ننتقل الى الحـديث عن مسرحية : « **البناء المعلم** » ، التى كتبها ابسن ليصور علاقته مع هيلدور ، وما تنطوى عليه من ابعاد ومعان .

كما اهداها مخطوطة المسرحية ذاتهـا والتى انتهى من كتابتها فى ١٨ سبتمبر ١٨٩٢ ـ ١٩ سبتمبر ايضا !

* * *

ورغم شدة العاطفة التى كان ابسن يحس بها نحو هيلدور ، والتى فاقت كل ما اشتمل فى نفس الفنان الكبير من احساس نحو فتياته (١) فقد نظر اليها هى ايضا على انها مصدر الهام له .

وحين علم من صديقه الناقد الدينمركى « **جورج براندِ** » بأن جوته قد كانت له صاحبة وملهمة اسمهـا : **مريان** ، كتب **براند يقول : يبدو لى مما الاحظه من فحص لاعمال جوته فى تلك السنين (اثناء صحبة مريان له) ، ان شبابه قد عاد فلا ريب أن مريان قد كانت لنعمة كبرى .**

قال ابسن هذا الكلام فى عام ١٨٩٠ ، اى وهو فى غمرة العلاقة العاطفية الوثيقة التى ربطته بهيلدور ، مما يوحى بانه هو نفسه كان ينظر للفتاة على انها ملهمة ومجددة ١٨ ومعيدة للشباب ، الى جوار انها حبيبة القلب .

والواقع ان الشباب وعودة الشباب ، وعلاقة القديم النازل بالجديد الطالع هى جميعا موضوع المسرحية الاخاذة التى كتبها ابسن ابان معرفته لهيلدور ، وصور فيها موقفه الشخص ككاتب مسرحى عظيم ، تقدمت به السنون ١٨ ومازال قلبه شابا يتطلع لصحبة الجميلات ، والشـابات خاصة ، والفتيات الصغيرات بوجه أخص .

وابسن فى المسرحية هو البناء المعلم سولنس ، وهيلدور هى الاعصار الثارى المعمر الذى يلم بالبنـاء المعلم على غير انتظار ، الطير الجميـل الجارح الذى يتمثل فى شخص شابة فى الثالثة والعشرين من عمرها اسمها هيلد ، تحط فجاة على عش البناء الكهل ، فتثير فيه عاصـفة تقتلع كلا من البناء وعشه .

« هيلد » هذه شـابة جميلة ، قد تلبسها الجن فهى تؤمن بالمسـتحيل وترى تحقيقه راى العين . وهى تدفع البناء الكهل « سولنس » الى تحقيق ذلك المستحيل ، لا تبالى وهى تدفعه ان داست على زوجة او هدمت بيتا ، او ضحت بالبناء نفسه . فتحقيق المستحيل هو غايتها ، وهو مبرر بقائها ، وهو ايضا ـ وفى رايها ـ بقاء البناء . المعلم الذى شغفت به حبا .

وهو حب من نوع غريب . فهى لاتحب سولنس لشخصه ، وانما لانها تستطيع من خلاله ان تطول المستحيل .

و « سولنس » ـ بدوره ـ يحب هيلد الحب ذاته . لا يحبها لانها هى ، بل لانها توقد النار فى جوانحه .. نار الرغبة فى تحقيق المستحيل .

---

(١) اقول فتياته وأنا اقصد معنيين : الفتيات اللاتى عرفهن وايضا اللاتى تظاهر اليهن على انهن بناته ـ فلم ينجب ابسن البنات ونحن نجده فى رسالة الى هيلين راف الرسامة الشابة التى تقدمت الاشارة اليها يقول : كم تمنيت ان يكون لى بنت حبيبة ومليحة مثلك .

اما هذا المستحيل فهو قصر في الهواء . قال . قال . كأعلى ما تكون الاشياء . له برج سامق مفرط في الارتفاع . وفي أعلى البرج شرفة سوف تقف فيها هيلدة وتنظر من عليائها الى الناس : من يبني منهم الكنائس ومن يبني البيوت . حرة ترى في كل اتجاه ، لا يحجب احد عنها الرؤية ولا يمونها شيء .

ويسألها سولنس ان كانت ستسمح له بالصعود معها الى الشرفة ؟ فتقول: **نعم ، ستسمح . ان سمح البناء العلم لنفسه بالصعود . ان يجرؤ على الصعود.**

ويكون في هذا التحدي الخفي الفيصل فيقرر البناء العلم ان يفعل المستحيل مرة ثانية . ان يصعد الى أعلى البرج الذي اقامه فوق بيت كان يبنيه لنفسه ، ليضع فوق البرج باقة من الزهور .

يقرر سولنس هذا متحديا خوفه ، وكهولته ، وخوفه القديم من المرتفعات . التي تفقده توازنه .

ولكنه يفعل . يصعد الى قمة البرج ليضع الباقة فينتصر على ضعفه انتصارا واضحا،غير انه يسقط من العلياء ليتحطم جسده اربا اربا . ومع ذلك فقد حقق نصرا روحيا كبيرا ، لا يهم بعده مايجري لوعاء الروح .

* * *

تقرع «هيلدة» الباب على « سولنس »، فينتفض ، قبل ان يراها ، هلعا . فهو يعيش في خوف مقيم من الشباب . يفزع من اليوم الذي سوف يدق فيه الجيل الطالع بابه ، ليقول له : تنح من الطريق .

و « سولنس » يخاف الشباب ، ولكنه مفتون بهم مع ذلك . فلما تقرع عليه هيلدة الباب ، ويرى شبابها ، وحيويتها يقر خوفه . ويطمئن نفسه . فهذا الشباب من نوع آخر ، شباب يستطيع أن يصادقه . ويقوم معه بمزيد من الانجاز .

انها لا تمثل له القصاص الذي يعيش البناء الكبير في خوف أبدي منه . بل تعني الحب ، والدفع ، والتحقيق .

وكان البناء العظيم قد ارتكب ذنبا كبيرا . داس الناس وامتص مواهبهم لكي يصبح بناء عظيما . بل احرق بيتا قديما كان لزوجته فاحترق معه كل شيء احترقت عرائسها الصغيرة التي ورثتها من أهلها جيلا بعد جيل . فاحترقت مع البيت والعرائس قدرة الزوجة على الانجاب ، بل وقدرتها على الاحتفاظ بمن انجبت فعلا من الاولاد . فلا يلبث هؤلاء ان يموتوا بعد أن عجزت الام عن الاحتفاظ بهم .

ويرتفع البناء العظيم على اشلاء كل شيء ولكنه يعلم انه كما ارتفع فلا بد له من سقوط . من هنا فزعه وشقاؤه . غير ان لشقائه اسبابا اخرى . لقد انفق اكثر من سنوات عشر في بناء بيوت للناس ، كي يعيشوا فيها وينجبوا ، وترك من اجل الناس بناء الكنائس ، متحديا .

فلما اوفى على الغاية ، تبين ان الناس لا حاجة لهم بالبيوت التي تبنى . فلم تحقق لهم فيها سعادة . بل هم ليسوا أهلا لسعادة .

وهكذا ضحى البناء بمن داسهم . ضحى بزوجته واولاده ، وسعادته ليقبض الريح آخر الامر .

هنالك قرر أن يبني الشيء الوحيد الذي يحقق السعادة للناس . تسأله هيلدة: **وما هو هذا الشيء ، أيها العلم العظيم فيقول : سأبني قصورا في الهواء !**
وتعود تسأله : الا تخشى السقوط ، فيقول : لن اسقط اذا ما وضعت يدك في يدي وصعدنا معا .

ابسن وزوجته وصديقة أخرى

تلقى مسرحية « البناء المعلم » ضوءا واضحا على علاقة ابسن بهيلدور ، وتوضح الدور الذى لعبته الفتاة فى فنه وهو مشابه لدور « اميلى بارداخ »

فقد كانت هيلدور النواة التى تلقى فى المحلول حتى تتخلق من حولها البللورات

استخدمها ابسن لينشىء من حولها مسرحية يقول فيها شيئا كان يلح عليه ويعذبه **ذلك هو ندمه على انه ترك الحياة فى سبيل الفن ، ليجد من بعد ان الفن لا يغنى من الحياة . بل ليجد ان الفن الذى فضله على الحياة ليس اعمق ما كان ينبغى ان ينتجه من فنون . لم يستخدم فيه الفضل قدراته . وانما هو فن من الدرجة الثانية .**

وفى المسرحية نقاط التقاء كثيرة بين واقع ابسن وحياته الداخلية . ولا عجب فى هذا ، لقد قال الكاتب ذات مرة : ان كل ما خطه قلمه له أوثق ما تكون العلائق بحياته الداخلية . لقد مارسه فى داخل نفسه ، حتى ولو لم يكن له رصيد فى الواقع .

وهكذا نجد ان هيلدور تظهر فى المسرحية باسم هيلد ، وانها كعروس الخيال التى حولها اليها ابسن ، تمت الى الاطباء بسبب .. هيلدور قريبة لطبيب ابسن الخاص ، وهيلد ابنة طبيب يعرفه سولنس .

ويسمى ابسن الشخص الذى يقابله فى الخيال باسم البناء العظيم ومعروف ان ابسن كان يسمى نفسه بناء للمسرحيات وليس مجرد كاتب لها .

وتدخل « هيلد » حياة سولنس بطريقة تكاد تكون مطابقة لظهور « هيلدور » فى حياة « ابسن » فى المسرحية تدخل هيلد وهى عائدة لتوها من رحلة جبلية . لامال معها ولا ملابس غير تلك البسيطة الخشنة التى ترتديها .

بينما تدخل هيلدور حياة الكاتب الكبير وقد عادت لتوها من رحلة على الدراجات .

وفى المسرحية أن هيلد تزور البناء المعلم لتسأله ان ينجزها وعدا كان قد وعدها اياه من عشر سنوات خلت . كان سولنس يومها يزور بلدة هيلد الصغيرة المسماة « ليسانجر » ليفتتح كنيسة جديدة بناها للبلدة ، ويصعد الى برجها العالى ، ليضع عليه باقة من الزهور ، كما تقضى عادة قديمة .

وصعد البناء العظيم الى البرج فعلا ووضع الزهور ، ومن أسفل ، كانت بنت فى الثانية عشرة من عمرها تنظر اليه فى اعجاب . وتهتف ملوحة براية تمسكها : عاش البناء المعلم .

ومن يومها هامت به البنت حبا ، وهى تحكى له انه لقيها من بعد فى اليوم ذاته وخلع عليها لقب الاميرة الصغيرة ، وانكفأ عليها ليقبلها قبلات كثيرة ، كثيرة . ثم وعدها بأن يعود اليها بعد سنوات عشر ليخطفها كما يخطف الجن الجميل عروسه ، ويمضى بها الى اسبانيا أو ما شابهها من بلاد ساحرة ، حيث يقيم لها مملكة ويبنى قصرا تعيش فيه الاميرة هيلد

حدث هذا — تقول الفتاة — من عشر سنوات ، فى اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر . واليوم هو التاسع عشر من شهر سبتمبر ، وقد انقضت عشر سنوات تماما . فهى تسأله ان يعطيها المملكة والقصر .

وقد تقدمت الاشارة الى ان ابسن قد أهدى هيلدور خاتما ماسيا حفر عليه التاريخ : ١٩ سبتمبر ، كما انه اهداها من بعد مخطوط مسرحية : « البناء المعلم » — مسرحيتها ومسرحيته معا — التى انتهى من كتابتها فى التاسع عشر من سبتمبر أيضا .

وابسن يسمى هيلدور فى رسائله : الاميرة ، ويقول انه بعد أن عرفها لم يعد يكتب الا عن الاميرات من كل لون وجنس . وقد وجدنا أن « سولنس » يفعل الشىء ذاته . فهيلد عنده اميرة من يوم أن لقيها طفلة ، وقبلها ، ثم حملها فى قلبه طوال السنوات العشر ، حتى عاد يستدعيها لتقوده من بعد الى النصر الروحى الكبير الذى حققه على حساب وجوده المادى .

ولمة تشابه آخر بين « سولنس » و « هيلد » ، و « ابسن » و « هيلدور » نجده فى علاقة كل من هذين الثنائيين بزوجة الرجل فى كل .

فقد كانت العلاقة بين ابسن وزوجته

سوزانا متلازمة ابان السنوات التى عرف فيها ابسن هيلدور وهام بها . وبعد عام واحد من اهداء ابسن مخطوطة مسرحية « البناء المعلم » لهيلدور ، نجده يرسل الى سوزانا خطابا شديد الانفعال ، يذكر فيه بعنف أنه يفكر فى الانفصال عنها ، رغم عبارات بدت منه حينما كان الكيل يطفح عنده بأثر من نزوات سوزانا ، والانفجارات النفسية الكثيرة التى كانت تدفع به الى حالة اليأس المؤقتة .

غير انه يمضى ليشكو مر الشكوى من الصعوبة التى يجدها فى ارضاء زوجته .. فهى تطلب مسكنا جديدا ، ما أن يوفره لها حتى تعود الشكوى تتصاعد من جديد . الدور الاول لايليق بسبب الرطوبة ، والدور العلوى صعب قبوله بسبب السلالم .. وهكذا وسوزانا مريضة ، ومنفصلة انفصالا واقعيا عن زوجها . بسبب حاجتها للاستشفاء فى اماكن مختلفة .

وفى مسرحية : البناء المعلم نجد موقفا مشابها لهذا . ثم انفصال روحى كبير بين سولنس وزوجته الين ، والزوجة تغار من سكرتيرة زوجها الشابة « كاجا » ، وتغار بدرجة أكبر من هيلد ، حينما تطرأ على المسرحية ، وتقلب الوضع فيها قلبا جذريا .

وفى المسرحية ان سولنس قد بنى لزوجته بيتا جديدا ، يوشكان أن ينتقلا اليه ، غير ان الزوجة لا تشعر الا بالمقت والكراهية للبيت الجديد ، الذى لايمكن أن يصبح بيتا لها ، وانما هو مسكن وحسب . وذلك بعد أن احترق البيت القديم الذى ورثته عن أهلها .

* * *

ابسن الآن يتخذ من هيلدور ومسرحيتها مناسبة يصور فيها حالة . ويرى ذاته ، وينقدها ، ويخفف من وطأة الالم عليها .

قال ذات مرة انه ، اذ كان يكتب مسرحية « براند » اقتنى عقربا ووضعها فى كأس ، ووضع معها قطعة من الفاكهة الطرية ، ثم جعل فى أوقات راحته من الكتابة يرقب العقرب .

كانت هذه تضطرب بين الحين والحين ، وحين يتكاثر السم فى جوفها كانت تغرس زبانيها فى الفاكهة ، وتفرغ السم ، فترتاح وتستريح .

وعلق ابسن على هذا بقوله : **وهكذا حالنا ، نحن الشعراء ! فهل فعل الكاتب الكبير بهيلدور ومسرحيتها مثلما فعلت العقرب بالفاكهة !!**

رغم التماثل الواضح بين سولنس وابسن ، رغم ما قاله ابسن نفسه من أن هناك شبها بين الرجلين ، ورغم اشتراكهما فى الخوف من الاشباه العالية ، وفزعهما معا من خطر الاجيال الطالعة (١) ؛ فان ابسن ليس هو سولنس تماما .

لقد افرغ ابسن سم التجربة فى وعاء المسرحية .

اقام حريقا داخلها ، واحتوى نارة ، وكف من نفسه اذى النار . قدم سولنس فدية عن نفسه ، واصبح بفضل البناء العظيم الذى سقط من حالق ، اكثر استقرارا ودعة مما كان ، ولو الى حين .

اما هيلدور فقد ادت هى الاخرى دورها ، اتخذ منها ابسن موضوعا ومناسبة ، وجعل منها كرسى اعتراف ، لعل هذا فى فنه .

ولكن ماذا كان موضعها من قلبه !!

لن يتسنى لنا ان نجيب عن هذا السؤال ، حتى تنشر على الناس مجموعة الرسائل التى بعث بها اليها ابسن ، والتى عرف الآن انها سليمة ، وانها فى حوزة احد هواة جمع الآثار الشخصية لكبار الفنانين

---

(١) هاجم الروائى الشاب كنوت هامسون ابسن هجوما مكشوفا اهتزت له كبرياء ابسن اهتزازا واضحا .

• إبراهيم عامر •

ديجول
رجل الاستقلال

■ صفحات من حياته
وكفاحه في سبيل الحرية



فالاقل هم أولئك الذين يحملون انفسهم رسـالة ان يجعلوا من وطنهم وطنا حرا مستقلا عظيما .

واقل منهم أولئك الذين تتاح لهم الفرصة لتحقيق رسالتهم هذه .

واقل من هؤلاء جميعا أولئك الذين يفشلون في تحقيق رسالتهم ، مرة ، ثم تتاح لهم فرصة ثانية .

ولقد كان الجنرال شارل ديجول من هؤلاء الاقل من القليل .

وهو عندما حقق ذلك ، فقد كتب اسمه في سجل اسماء رجال الدولة الكبار الذين عرفهم القرن العشرون . اذ تابع بفكرة وحيدة وعنيدة تحقيق ايمانه بان على فرنسا ان تكون عظيمة ، وان رجلا واحدا يقدر على ذلك .

ولقد كان ديجول فارع القامة ، وكان بسيطا في ملبسه ومأكله وحياته ، وكان منعزلا وحيدا . وطالما رسموه ورأسه في السحب . وكان غريبا بالاختيار او الضرورة .

وكانت رسالته في الحياة أن يرفع من شأن فرنسا ، ولا شيء غير هذا كان يهمه .

انها الرسالة التي وجهت كل كلمة من كلماته ، وكل عمل من أعماله ، وكل موقف من مواقفه ، منذ الحرب العالمية الاولى ، وعبر الحرب العالمية الثانية عندما رفع راية المقاومة من الخارج فوق امة مهزومة هزيمة مهينة وغارقة في العار وفقدان الثقة بالذات ، الى اعادة بناء فرنسا كأمة مستقرة وقوية في السنوات الاخيرة من حياته .

واذا كانت الفرصة الاولى قد اتيحت له في عام ١٩٤٠ ، عقب الهزيمة مباشرة ، فان الفرصة الثانية لم تتح له الا بعد ذلك بثماني عشرة سنة ، عندما تولى السلطة لمدة عشر سنوات ، ونجح بدرجة كبيرة في أن يجدد فرنسا ، وان يجعلها قوية ، وان يصل بها الى مكانة عالية في المجالس العالمية .

ولا أدل على نجاحه في رسالته ، من الذين رثوه ، بعد وفاته في ١٠ نوفمبر ١٩٧٠ ، كانوا من كل الاتجاهات في فرنسا نفسـها : شيوعيون واشـتراكيون وليبراليون ووطنيون ، وكانوا من اغلب الدول في العالم : من صين ماو وامريكا نيكسون ، من بلاد افريقيا التي كانت مستعمرات فرنسية الى عهد قريب ومن دول الهند الصينية التي لم تعرف الاستقلال عن فرنسا الا بعد حرب دامت اكثر من عشرين سنة .. ومن البلاد العربية وبلاد امريكا اللاتينية وبلاد آسيا ... ومن الاتحاد السوفييتي والمانيا الغربية وكويبك في كندا .

ولم ينكر أحد ـ أي أحد ـ دوره المؤثر في تاريخ فرنسا وتاريخ اوربا بل وتاريخ عالمنا المعاصر ، وان اختلفت تقديرات هذا الدور ... ولم ينكر احد انه كان رجل التحرر والاستقلال لفرنسا ، وان تباينت معاييرقياس نتائج هذا التحرر والاستقلال والاثرة على الاخرين . لكنه في كل التقديرات لم يكن رجلا من الدرجة الثانية او رجلا صغيرا او غبيا ..

كان نابغة : فكرا وعملا .

وكان يحب فرنسا حبا لايعلو عليه شيء .

ولقد احصى البعض في خطبه واحاديثه عدد المرات التي ذكر فيها اسم « فرنسا » ، فوجدوها ٣٤٢٦ مرة . وبلغ عدد المرات التي ذكر فيها لفظ « البلاد » كناية عن فرنسا ٤١٢ مرة ، واسم « الجمهورية » كناية ، ايضا ، عن فرنسا ١٥١ مرة .

ولكن عن اي فرنسا كان يتحدث ديجول ويعمل ؟

اننا قد نجد الاجابة عن هذا السؤال في متابعة حياته وفكره واعماله .



الحليفـان المتخاصمان : ديجول وتشرشل .. من بين الصلبان التى كان على أن احملها ، كان صليب اللورين اثقلها جميعا ـ « تشرشل »

ديجول وجوردو فى زيارة للجزائر ..
كانت معركة الجزائر تستنزف الرجال والمال وتهدد فرنسا بحرب اهلية ..



عندما جلس ديجول أمام الميكروفون في استوديوهات الاذاعة البريطانية في لندن ، يوم ١٨ يونيو ١٩٤٠ ليدعو الفرنسيين الى مواصلة القتال ضد الالمان ، لم يكن قد سمع باسمه سوى القلائل . لكن كلماته دوت في العالم كله ، وهو يقول :

« لقد خسرت فرنسا معركة ولم تخسر الحرب »

« ومهما حدث ، فان شعلة المقاومة الفرنسية يجب الا تخبو ولن تخبو »

ولم تكن حرب تحرير فرنسا حربا سهلة ، لكن ديجول استمر يرفع راية المقاومة من اجل « فرنسا الحرة » ، وبدأ الرجال ينضمون الى جيشه في لندن .

معركة التحرير

ولمدة اربع سنوات كان عليه ان يقاوم الغازين لتحرير ارض فرنسا من الاحتلال ، وكان عليه أن يقاوم حلفاءه ، بريطانيا والولايات المتحدة ، لكي يعترفوا بحاجتهم الى فرنسا الحرة كقوة مستقلة غير تابعة لهم . وكان عليه أن يقاوم بعض الفرنسيين لكي يقتنعوا بأنه ليس مجرد دمية في يد تشرشل وروزفلت .

وعانى تشرشل ، بصفة خاصة ، الكثير بسبب مقاومة ديجول لمحاولات بريطانيا فرض التبعية على فرنسا ، والحلول محلها في سوريا ولبنان . وقد عبر تشرشل عن تلك المعاناة في مذكراته عن الحرب حيث يقول :

« من كل الصلبان التي كان على ان احملها ، كان صليب اللورين هو اثقلها »

وصليب اللورين هو الشعار الذي اختاره ديجول لفرنسا الحرة .

ويتحدث ديجول ، بدوره ، وفي مذكراته عن الحرب ، عن **« الاحداث القاسية والمؤلمة »** التي وقعت دائما بينه وبين تشرشل بسبب اختلاف شخصيتيهما ، وتعارض مصالح بلديهما ، ومحاولات انجلترا استغلال جراح فرنسا لحسابها .

وفي عام ١٩٤١ ، ثار خلاف شديد ، بصفة خاصة ، بين ديجول وتشرشل حول طريقة ادارة الحملة ضد نفوذ المحور في سوريا ولبنان ، فطار الى القاهرة في ابريل من ذلك العام ، ليحضر الاجتماع الذي عقد بين تشرشل وروزفلت لبحث مصير الشرق الاوسط ، وليقضي على محاولة بريطانيا الرامية الى الحلول محل فرنسا في سوريا ولبنان .

لقد كان ديجول جافا وصعبا وكثير التمنع مع حلفائه .. وهو لم يتردد في الاصطدام بهم في كل مرحلة حاسمة وكلما شعر بان مصالح فرنسا تقتضي ذلك . لكن النتيجة النهائية كانت أن الرجل الذي اقام فرنسا الحرة من بين انقاض الهزيمة وعارها ، وبمساعدة حفنة من الفرنسيين الذين نفوا انفسهم في لندن ، والذي اقتحم على الكبار ستالين وتشرشل وروزفلت مجالسهم ، برز في نهاية حرب التحرير زعيما لفرنسا لا خلاف على زعامته .

وكان على ديجول أن ينتظر حتى تنزل الجيوش المتحالفة في نورماندي في ٦ يونيو ١٩٤٤ ، قبل ان يستطيع ان ينزل هو على ارض فرنسا ، بعد ذلك بأسبوع . والسبب هو أن حلفاءه اخفوا عليه موعد نزولهم الى الارض الفرنسية ، ارض وطنه هو الفرنسي .

لكنه لم ينس عندما نزل في أول قرية فرنسية تم تحريرها ، ان يرد الاهانة الى اصحابها .

ويروي ستيوارت السوب ، المعلق في صحيفة « هيرالد تريبيون » الامريكية والذي

كان ضابط مخابرات أمريكي في فرنسا أثناء الحرب ، ما فعله ديجول في قرية « سالنس » الفرنسية عام ١٩٤٤ .

لقد تجاهل ديجول وجوده ووجود ضابط مخابرات بريطاني كان معه بين مستقبليه ، ووجه كلماته الى أهل القرية قائلا : « **شكرا لكم باسم فرنسا** » .

ثم قال لضابط المخابرات البريطاني : « كان ينبغي عليك أن تغادر فرنسا منذ ٢٤ ساعة » .

وعاد الى أهل القرية ليقول لهم :

« انكم أنتم – أيها الفرنسيون – الذين حررتم فرنسا »

وكان يعبر بذلك عن كراهيته الفاصلة للانجلو – سكسون ، وايمانه العميق بدور الفرنسيين في تحرير وطنهم ، واصراره العنيد على أن يعيد لفرنسا ثقتها بنفسها .

وفي اليوم التالي لدخول القوات الفرنسية والامريكية باريس ، التي استطاع أهلها أن يحرروها بنضالهم ومقاومتهم المسلحة وجبهتهم الوطنية المتحدة المؤلفة من الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين والديجوليين وغيرهم من الوطنيين الفرنسيين ، استطاع ديجول أن يدخل عاصمة فرنسا ، وأن يقود مسيرة تحرير في الشانزليزيه وحتى قبر الجندي المجهول تحت قوس النصر ، بين هتافات كل الفرنسيين ، ودوى الرصاص الذي كان يطلقه بعض القناصة الالمان الذين لم يكونوا قد استسلموا بعد .

وكان من المعترف به أن الشيوعيين قاموا بدور طليعي مجيد في مقاومة الاحتلال النازي ، وساهموا مساهمة كبرى في تنظيم وتوجيه المقاومة في داخل فرنسا نفسها . لكن ديجول خشي أن يستولوا على باريس وربما على البلاد كلها ، فاخذ يناور سياسيا لمنعهم من ذلك .

وفي نوفمبر ١٩٤٤ ، تولى تأليف الحكومة وقد ضم اليها ممثلين عن كل القوى التي اشتركت في المقاومة ، ومنهم الشيوعيون . لكنه لم يسمح للشيوعيين بتولي الوزارات الرئيسية ، وحارب الاشتراكيين الذين عارضوا حجم الميزانية العسكرية ، وحارب البرلمان بسبب بطء اجراءاته .

وفي ٢٠ يناير ١٩٤٦ ، تخلى عن الحكم ، وتوجه الى منزله الريفي في قرية « **كولومبي – لي – دوز – اجليز** » على بعد ٨٠ كيلو مترا شرقي باريس .

وبعد عام كون « الاتحاد الشعبي الفرنسي » ودخل به الانتخابات العامة حيث حصل على ربع مقاعد مجلس النواب . لكنه ما لبث ، بعد ٦ سنوات ، أن اعفى نوابه من تعهداتهم بالولاء السياسي له .

وفي « كولومبي » ظل معتكفا مدة ١٢ سنة ، لكنه كان على اتصال دائم بالتطورات السياسية . وكتب مذكراته عن الحرب . وانتظر الفرصة التي سنحت لعودته الى الحكم عام ١٩٥٨ .

معركة الجمهورية

لقد كانت الجمهورية الرابعة في فرنسا تلفظ انفاسها وهي مخنوقة بخلافاتها ومتناقضاتها ، ونتائج اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وحربها الاستعمارية في الجزائر منذ ١٩٥٤ .

لقد كان الجزائريون ، العرب المسلمون ، يحاربون من أجل التحرير والاستقلال . وكانت الجمهورية الرابعة ترفض أن تصبح الجزائر شيئا آخر الا أن تكون « **جزائر فرنسية** » بصورة أو بأخرى . وكانت حكومات باريس المتعاقبة ترسل سيلا من الرجال والاسلحة والاموال الى معركة الجزائر ، ارضاء للاستعماريين الفرنسيين وللمستوطنين الفرنسيين في الجزائر .

وتفاقمت أزمات الحكم ، مع تفاقم أزمة الحرب الجزائرية .

وفي سبتمبر ١٩٥٧ سقطت حكومة بورجيس – مونوري ، وتولت بعدها حكومة برئاسة فليكس جايار . وفي ابريل ١٩٥٨ هزمت حكومة جايار في البرلمان واستخرجت الآلة الحزبية الفرنسية رئيسا آخر للحكومة اسمه بيير فليملان ، الذي عمل وزيرا في ١٥ حكومة سابقة لكنه لم يتول رئاسة الوزارة أبدا .

ولكن ما أن أعلن تشكيل الحكومة الجديدة في ١٢ مايو ، حتى بدأ المستوطنون الفرنسيون في الجزائر ، ومعهم قوات من الجيش الفرنسي هناك ، يتمردون على حكومة باريس ..وأصدر المتمردون بيانا يطالبون فيه بإقامة « حكومة أمن عام » .

وقبض الجنرال راءول سالان ، قائد الجيش الفرنسي في الجزائر ، على ناصية الامور . وبعث بقوات المظلات لكي تستولي على مبنى الحكومة . وأقيمت « لجنة أمن عام » برئاسة سالان والجنرال جاك ماسو قائد قوات المظلات . وأعلن سالان انه قد تولى « مؤقتا » مسئولية مصير « الجزائر الفرنسية » .

وفي باريس ، حاولت حكومة فليملان أن تنقذ ماء وجهها بإعلان أنها « قد عهدت الى سالان بمهمة المحافظة على النظام في الجزائر » . لكن سالان وماسو، وبمساعدة واحد من أقوى مؤيدي ديجول ، وهو جاك سوستيل ، وجهوا نداء الى ديجول بأن يؤلف — هو — « **حكومة متحررة من نظام الاحزاب** » . وأبلغوا رئيس الجمهورية ، رينيه كوتي ، بما فعلوه .

وقامت في باريس مظاهرات ومعارك في الشوارع . وبدت الامور في فرنسا وهي تسير — حتما — نحو حرب أهلية .

وفي « كولومبي » ظل ديجول صامتا هادئا محافظا على عزلته ، وفي اللحظة المناسبة أعلن :

« **في مرة سابقة ، أنقذتني البلاد ، وقد كانت في الحضيض ، ثقتها لكي أقودها، بأكملها ، نحو الخلاص . واليوم ، فإن على فرنسا ، وهي تواجه المزيد من المحن، أن تعرف أنني على استعداد لتولي سلطة الجمهورية** » .

واتهمه الشيوعيون ، واتهمته اتحادات النقابات العمالية ، واتهمته عناصر اليسار الاخرى ، بأنه قد نزع عن وجهه — علنا — القناع ، وأنه يطالب بسلطة شخصية لنفسه لكي يقيم ديكتاتورية عسكرية في البلاد .

وفي الجزائر ، تظاهر نحو مائة ألف مستوطن فرنسي معربين عن بهجتهم .
واستمرت المظاهرات في فرنسا .

واستمر ديجول ينتظر في هدوء في « كولومبي » ، بينما كانت حكومة فليملان تحاول أن تعوم في مياه غطت رأسها وجعلتها عاجزة تماما عن السيطرة على الاحداث في الجزائر أو في فرنسا .

وبعد أسبوع من وقوع التمرد في الجزائر ، عقد ديجول مؤتمرا صحفيا ، لكي يعلن فيه ، مرارا وتكرارا ، أن الاحزاب السياسية في فرنسا قد أصبحت عقيمة ، وأن رجلا واحدا فقط هو الذي يستطيع أن يحكم فرنسا . وصاح ديجول :

« **أنا رجل واحد فقط ووحيد . أنا رجل لا ينتمي الى احد وأن انتمي الى الجميع ... الجمهورية ؟ ... لقد أعدت اليها أسلحتها وقوانينها واسمها . لقد حاربت لكي أحرز النصر لفرنسا . ولقد خضت تلك الحرب بذلك الاسلوب الوحيد الذي جعل من النصر فيها نصرا للجمهورية** »

وبعد خمسة أيام من ذلك المؤتمر الصحفي ، انتشر التمرد الى كورسيكا .

وبعد أربعة أيام استقالت حكومة فليملان ، ودعا الرئيس كوتي الجنرال ديجول الى تأليف الحكومة .

وتولى ديجول زمام الحكم وهو واثق كل الثقة من قدرته على أن يقيم حكم الرجل الواحد في فرنسا ، وعلى أن يعيد ترتيب البيت الفرنسي وفقا لمعاييره هو .

وحلت الجمهورية الخامسة محل الجمهورية الرابعة .

معركة الجزائر

وبدأ ديجول يحاول تحقيق حلمه :

حلم أن تكون فرنسا دولة قوية ، قادرة على الدفاع عن نفسها بنفسها عسكريا ، وقائدة لأوربا ، وللعالم إن أمكن ، وألا تملي عليها سياستها أية دولة أخرى من الدول الكبرى .

ولا شك في أنه كانت في خلفية عقل ديجول صورة التفرد الذي أصبح للولايات المتحدة الامريكية في أوربا وفي العالم ، بعد

الحرب العالمية الثانية ، ولا شك فى انه كان يفكر فى الدور الذى تقوم به وشنطن للحلول محل فرنسا فى مستعمراتها ، وخاصة فى الجزائر . وربما كان يفكر أيضا فى الخطر على السلام العالمى نتيجة لوجود كتلتى الاطلنطى ووارسو .

لكن المشكلة العاجلة التى كانت تواجهه وتهدد جميع خططه بالفشل كانت مشكلة الحرب فى الجزائر .

ان حرب الجزائر ، وبفضل نضال وتضحيات الجزائريين العرب المسلمين ، جعلت فرنسا تنزف كل عام ما يبلغ الفى مليون دولار فى النفقات العسكرية ، وجعلتها تحتفظ بنحو مليون جندى من قواتها فى الجزائر ، ونقلت الصراع الى قلب فرنسا ذاتها مهددة تلك البلاد بحرب اهلية ، وبالانهيار التام .

وفور عودته الى الحكم قام ديجول بزيارة الجزائر . وفى اثناء خطاب القاه من شرفة مقر الحكومة رفع يديه ثم صاح :

« لقد فهمتكم ، **Je vous ai compris** »

وبمفهوم تلك الايام ، فسر البعض هذه الجملة بمعنى أن ديجول يتعهد بها بأن تظل الجزائر فرنسية .

لكن لم يكن ثمة موضع فى خطط ديجول من اجل أن تستمر فرنسا فى حرب الجزائر الباهظة التكاليف ، والخطرة النتائج .

ومع هذا ، فقد لعب ديجول أوراقه بدبلوماسية ، بعد أن حسب مدى الاخطار التى يمكن ان تنجم من اعادة الجزائر للجزائريين بعد ١٤٢ سنة من الاستعمار الفرنسى .

وبدأ ، اولا ، بطرح مشروع«قسطنطينة» بغرض رفع مكانة الجزائريين ومكانة اقتصادهم ، بجرعة كبيرة من المساعدات الفرنسية لتنمية الزراعة والصناعة فى البلاد ، وبغرض رفع مستوى التعليم ومستوى المعيشة . وهو عندما فعل ذلك استطاع أن ينزع بهدوء الانياب من فم المعارضة .

وحظر على العسكريين ان يحضروا اجتماعات لجان الامن العام .

واخذ دعاة « الجزائر فرنسية » يجدون انفسهم ، واحدا بعد واحد ، خارج الجزائر .

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ ، كشف ديجول عن رأيه بوضوح ، عندما عرض على الشعب الجزائرى :« بعد فترة اربع سنوات يتم فيها اقرار السلام ، حقه فى ان يختار الانفصال عن فرنسا ، او الاندماج الكامل فى فرنسا ، او اقامة حكم ذاتى داخل المجموعة الفرنسية .

وبهذا العرض، انتهى شهر عسل ديجول مع الذين كانوا يطالبون بجزائر فرنسية . وأخذوا يتهمونه بخيانة الثقة التى وضعوها فيه . وترك كثيرون من مؤيديه الجيش أو مناصبهم الاخرى احتجاجا .

وفى يناير ١٩٦٠ ، غلى الغضب ضد سياسة ديجول الجزائرية حتى تحول الى حرب متاريس فى الجزائر . وكان هذا هو اول امتحان للقوة . وانتصر ديجول .

ولكن ما ان وصل عام ١٩٦٠ الى نهايته حتى كان ديجول قد وصل الى « آخر جنرال فى جيشه » — على حد تعبير النكتة حينذاك — وذلك بعد أن خرج عليه كثيرون من اتباعه ومؤيديه .

لقد خرج عليه سالان ، الذى قاد مظاهرات المطالبة بعودته الى السلطة . فطرده ديجول من الجزائر ، حيث ولد . وذهب سالان الى المنفى .

وعزل ديجول جاك سوستيل ، وانفصل عن الطوان بيناى ، الذى أصلح له حالة فرنسا الاقتصادية .

وتحول جورج بيدو الى المعارضة ، وكون مع سوستيل ، المعروف الآن بدفاعه عن اسرائيل ، « جبهة الجزائر الفرنسية »

وظهر ان معظم الذين اشتركوا وايدوا العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، هم الذين يطالبون بان تظل الجزائر فرنسية ، غير مستقلة . تماما كما ظهر بعد ١٩٦٧ ، ان معظم الذين طالبوا بالجزائر فرنسية هم الذين يؤيدون العدوان الاسرائيلى .

وبعناد غريب ، تجاهل ديجول كل معارضة لمشروعه . وفى مناورة جريئة توجه الى الامة فى يناير ١٩٦١ مطالبا اياها



عندما نزل ديجول الى نورماندى واستقبله ميشيل دوبريه « انكم — أنتم ايها الفرنسيون — الذين حررتم فرنسا »
ديجول

بالموافقة ، في استفتاء عام ، على مشروعاته بشأن الجزائر . وفي خلال الحملة من أجل كسب الاستفتاء طرق ديجول فكرة أن التأييد القومي العام له هو وحده الذى يمكنه من مواصلة الحكم ، وأن تخليه عن السلطة سيترك الشعب الفرنسي في براثن الفوضى السياسية والاقتصادية . لتحصل في هذا الاستفتاء على « نعم » هائلة .

لكن فرنسا ظلت منقسمة على نفسها تجاه الجزائر .

وفي الجزائر وقف أكثر من مليون مستوطن فرنسي ضده .

وفي باريس قال الذين كانوا يحاكمون بسبب اشتراكهم في تمرد المتاريس :

« انكم لم تحاكمونا عندما قمنا التمرد الذى اتى بديجول الى السلطة » .

وفي ابريل ١٩٦١ ، استيقظت فرنسا صباح ذات سبت لتجد أن أربعة جنرالات من جيشها ، بقيادة سالان ، قد استولوا على السلطة في الجزائر لكي يبقوها فرنسية .

وعلى الفور أعطى ديجول نفسه سلطات خاصة ، وحذر الفرنسيين من أنهم اذا لم يؤيدوه فسيتخلى من الحكم تاركا البلاد في براثن الفوضى . وتساءل :

« من الذى سيأخذ مكانى اذا تخليت — أنا — عن السلطة ؟ »

وكان الفرنسيون يعرفون أنه لا يوجد أحد سواه .

وفي خلال أربعة أيام انتهى التمرد .

وفر سالان ، وفر ادمون جوهو ، مساعده الرئيسي في القيام بالانقلاب الفاشل . اما الجنرالان الآخران اللذان اشتركا في قيادة الانقلاب ، وهما أندريه زيللر ، وموريس شال ، فقد سلما نفسيهما .

وحكم على جوهو — غيابيا — بالاعدام ، لكن الحكم خفف بعد أن رفضت محكمة امن الدولة ان تحكم على سالان بالاعدام . وحكم على زيللر وشال بالسجن حتى افرج عنهما في عام ١٩٦٧ .

وبدأ الاكثر من مليون مستوطن فرنسي يغادرون الجزائر عائدين الى فرنسا ، وبينهم كثيرون ممن عاشوا لسنوات وسنوات في الجزائر وحجتهم في الجدل هي السكين والقنبلة والبندقية .

وبعودتهم الى فرنسا ظهر نشاط منظمة الجيش السرى التى قررت اسقاط ديجول أو اغتياله . وبدأ عهد طويل من الارهاب ، والقاء القنابل في باريس .

وتصدت محكمة أمن الدولة الديجولية لهذه الاعمال الارهابية بحسم . وأصدرت أشد الاحكام على كل من وقع بين يديها . وواجه كثيرون حكم الاعدام رميا بالرصاص في ضواحي باريس بعد أن رفض ديجول العفو عنهم .

ووقعت خمس محاولات لاغتياله ، وعدة مؤامرات لقتله ، بسبب سياسته تجاه الجزائر .

وفي إحدى هذه المحاولات وضع المتآمرون قنبلة مصنوعة بطريقة بدائية على طريق تمر به سيارته . وعندما انفجرت القنبلة هز ديجول كتفيه وهو يقول : « **هذه نكتة بايخة** » .

وكانت أخطر محاولات اغتياله عندما قامت عصابة من رجال الجيش السرى بنصب كمين لسيارته وأطلقت عليها سيلا من رصاص الرشاشات بغية تمزيقه اربا وهو في داخلها . لكن ديجول ظل هادئا والرصاص يتساقط من حوله داخل السيارة ، ثم قال لسائقه ببساطة :

وحكم على آلفنشـــانت كولونيل ، باستيان تيرى ، الذى قاد العصابة ، بالاعدام . ورفض ديجول أن يعفو عنه ، أو يخفف الحكم ، لكى يكون بمثابة انذار للآخرين الذين قد يحاولون الشىء نفسه .

وما أن جاء منتصف عام ١٩٦٢ حتى كانت المشكلة الجزائرية قد حلت عمليا ، اثر اتفاقيات « ايفيان » ، وتولى ثوار الجزائر الحكم الشرعى للبلاد . وتوقف النزيف الفـــرنسى من الرجال والمال . واصبح ديجول حرا فى أن يضع فرنسا على طريق المجد ، وفى أن ينفذ سياسته من اجل « عظمة فرنسا » ، بعد أن حررها من الاحتلال النــازى ، والتفتت الداخلى ، وبعد أن حررها من استعماريتها القديمة فى افريقيا والجزائر .

معركة امريكا

منذ وقت طويل ، كان ديجول مرتابا فى نوايا الولايات المتحدة فى الســيطرة على اوربا والعـــالم . وكان يرغب فى اقامة « قوة ثالثة » بين الولايات المتحـــدة والاتحـــاد الســوفييتى تحول دون وقوع صدام بينهما يأتى بالكارثة النووية . وكان يشعر بأن ذلك يمكن ان يتحقق من طريق اقامة وحدة اوربية تكون فرنسا طليعتها . وكان هذا الحلم يستلزم ، أول مايستلزم ، تحقيق الوفاق والمصالحة بين العـدوين التقليديين فى أوربا : فرنسا والمانيا .

واستطاع ديجول ان يحقق هذا الوفاق جزئيا عندما وقع مع كونراد اديناور ، مستشار المانيا الغربية ، فى يناير ١٩٦٣ ، المعاهدة الفرنسية ـ الالمانية .

وفى الوقت نفسه قتل ، عمدا ، محاولة بريطـــانيا الدخول الى السوق الاوربية المشتركة ، مستخدما حق فرنســا فى « الفيتو » ، لاعتقاده أن بريطانيا ليست معدة ، بعد ، للمساهمة فى الوحـــدة الاوربية ، بسبب عـلاقات التبعيــة الاقتصادية والسياسية التى بينها وبين الولايات المتحدة .

ولسنوات عديدة كان ديجول ينظر الى « حلف شمال الاطلنطى » على أنه مجرد وسيلة للمحافظة على نفوذ الولايات المتحدة فى أوربا ، ولمد هذا النفوذ الى بقية انحاء العالم .

وبعد عودته الى الحكم عام ١٩٥٨ بقليل اقترح تكوين لجنة ادارية ثلاثية ، من الولايات المتحـــدة وبريطانيا وفرنســا ، للاشراف على حلف الاطلنطى ، لكن الرئيس الامريكى الراحل ايزنهـــاور ، ورئيس الحكومة البريطانية المحافظة ـ حينذاك ـ هارولد ماكميلان ، رفضا الاقتراح . ومن ثمة ، بدأ ديجول ، تدريجيا ، فى سحب القـــوات البرية والبحرية الفرنسية من قيـــادة حلف الاطلنطى . ورفض تخزين الرءوس النـــووية لقوات الحلف على الارض الفـــرنسية . ورفض ، ايضـــا ، مقترحات الرئيس الامريكى الراحل ، جون كنيـدى ، بانشاء قــوة ضــاربة نووية مختلطة .

ووفقا لفكرة أصيلة عنده من ضرورة أن تستقل فرنسا من الولايات المتحدة ، بأن تكون لها ـ أولا ـ وسائلها الخاصة للدفاع من نفسـها ، أنشأ قوة ضاربة فرنسية ، مزودة بطائرات « ميراج ـ ٤ » القاذفة الاسرع من الصوت والقادرة على حمـل قنابل نووية ، ومزودة بغواصات تحمل ســــلاحا نوويا فرنسيا شبيها بنموذج « بولاريس » الامريكى . واقــام قــاعدة التجارب النووية فى الجزر الواقعة جنوب ـ فرنى تاهيتى ـ

وتجـــاهل كل احتجاجات الولايات المتحـدة على ذلك ، وحمـلاتها داخـــل فرنســا وخارجها ضـده .

ثم قرر فى عام ١٩٦٤ ، أن يهـاجم الولايات المتحدة فى عقر مناطق نفوذها فى العالم . فقـام بزيارة ، صاخبةومثيرة لغضب وشنطن ، لامريكا اللاتينية . واعلن تقديم فرنسا قرضا كبيرا للمكسيـك . ورفض طلب الولايات المتحدة بالامتنـــاع من المتاجرة مع كوبا . وكان أول رجـــل دولة اوربى غربى يزور عشر بلاد فى امريكا اللاتينية ، ويغزو أسواقها المقفولة لحســاب الولايات المتحدة ، ويفتح ابوابهـــا امام صفقات بيع طائرات الميراج الفرنســـية بدلا من طائرات الفانتوم الامريكية

وبعد أمريكا اللاتينية اتجه الى الشرق الاقصى ، حيث زار بلاد تلك المنطقة التى كانت منذ عشر سنوات ، فقط ، مستعمرات فرنسية ، معلنا ضرورة انسحاب القوات الامريكية من فيتنام .

واعترف بالصين الشعبية ، واقام معها علاقات دبلوماسية ، رغم المعارضة القاضية من جانب الولايات المتحدة ، واعلن بوضوح انه لا يمكن تحقيق اى تطور فى الشرق الاقصى ، وفى العالم ، بدون اشتراك الصين الشعبية .

وفى سعيه الى تعزيز استقلالية فرنسا فى اوربا ، سافر فى يونيو ١٩٦٦ الى الاتحاد السوفيتى لتعزيز العلاقات الفرنسية السوفيتية بنفسه . وفى خلال رحلته ، التى استغرقت عشرة أيام ، زار موسكو وستالينجراد ولننجراد ونوفوسيبريك ، كما اصبح اول رئيس دولة أوربية غربية يدخل قاعدة اطلاق الاقمار الصناعية السوفيتية فى « بكينور » ويشاهد المعدات السرية السوفيتية لاطلاق هذه الاقمار الصناعية ومركبات الفضاء .

وفى ختام الزيارة تعهدت فرنسا والاتحاد السوفيتى بتنسيق جهودهما فى سبيل خدمة مصالح السلام . وفى ديسمبر ١٩٦٦ زار اليكسى كوسيجين ، رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ، فرنسا ، ردا على زيارة ديجول .

وفى عام ١٩٦٧ ، اثار ديجول ، مرة اخرى ، ضجة عالمية اثناء زيارة قام بها الى كندا ، وذلك عندما فاجأ الكنديين ، وبعض الفرنسيين ، بهتاف يقول : « عاشت كويبك حرة » . وهو هتاف يعتبر ، من الناحية العملية ، بمثابة دعوة الكنديين الفرنسيين الى « تحرير » انفسهم من حكم الانجلو - سكسون ، أى الانجليز والامريكيين

وازاء الغضب العنيف الذى حدث فى بريطانيا والولايات المتحدة ، هز ديجول كتفيه قائلا :

« ان كل مافعلته هو - ببساطة - اننى وصلت مباشرة الى جذر القضية »

مشيرا بذلك الى غزو البريطانيين لكويبك منذ ٢٠٠ سنة .

ووفقا لهذا المقياس الخاص بضرورة الوصول مباشرة الى جذر القضية ، فان ديجول ظل حتى آخر حياته ، مؤمنا بأن جذر قضية العالم ، اليوم ، **هو سعى الولايات المتحدة الدائب الى فرض نفوذها عليه بالقوة**

معركة العرب واسرائيل

وزلزل ديجول الولايات المتحدة والغرب بموقفه من حرب الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٧ ، وذلك عندما حذر اسرائيل من بدء الحرب ضد العرب

وعندما لم يستمع الاسرائيليون الى هذا التحذير ، وشنوا عدوانهم فى « يونيو » فرض ديجول فورا الحظر على تسليم طائرات « الميراج » التى كانت اسرائيل قد اشترتها من فرنسا . وعندما اغار الاسرائيليون على مطار بيروت فى ديسمبر ١٩٦٨ ، عمم ديجول الحظر حتى شمل كل انواع الاسلحة والمعدات العسكرية وقطع الغيار

ودعا ديجول باستمرار الى ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة .

ويرجع اتصال ديجول بالشرق العربى الى سنة ١٩٤١ ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبينما كانت قوات رومل تطرق أبوابه بعنف . وقد كتب فى مذكراته يصف ذلك الاتصال بقوله :

« نحو الشرق الغامض ، طرت بأفكار بسيطة »

وان جهوده فى سبيل المحافظة ، بعد طرد سلطات فيشى ، على شكل من اشكال الوجود الفرنسى فى الدولتين اللتين كانتا تحت الانتداب الفرنسى ، وهما سوريا ولبنان ، كانت مصدرا من مصادر اخطر خلافاته مع تشرشل

وعندما عاد الى السلطة فى عام ١٩٥٨ ، وكانت الحرب قائمة فى الجزائر ، ورث ديجول ، من بين ماورثه ، التحالف الوثيق والتعاون العسكرى التام نموا هائلا الذى اقامته الجمهورية الرابعة مع اسرائيل . وانعكس اثر هذا الميراث فى الزيارتين المتتاليتين اللتين قام بهما دافيد بن جوريون



في شبابه ، ضابطا مع زوجته ايفون .. وفي جنازته الزوجة بملابس الحداد
ذكريات عاطفية . . وكتابات في مجلدات .. وفرنسا قوية عظيمة



رئيس وزراء اسرائيل حينذاك ، الى باريس كما العكس في العبارة المشهورة التي قالها ديجول له :

« ان اسرائيل هي صديقتنا وحليفتنا »

لكن تطورات السياسة الاسرائيلية بعد ذلك برهنت لديجول على ان اسرائيل ليست سوى اداة في يد الولايات المتحدة الامريكية لفرض النفوذ الامريكي على الشرق الاوسط ، وقناة السويس ، وحوض البحر الابيض المتوسط كله . وبالتالي فرض النفوذ الامريكي على اوربا الغربية ، من الباب الخلفي

كذلك فان ديجول قد ادرك ان حركة العرب ضد اسرائيل انما هي حركة قومية معادية للسيطرة الامريكية ولكل سيطرة اجنبية على العالم العربي . وانها بالتالي حركة تخدم استقلال اوربا الغربية وحوض البحر الابيض المتوسط .

وعلى ضوء تجربته في الجزائر ، ادرك ديجول ان اسرائيل ليست سوى كيان استيطاني مثل الكيان الاستيطاني الفرنسي في الجزائر ، وانه محكوم عليها ، بالتالي ، بالتصفية التاريخية ، مع خطر كونهـا بؤرة لاثارة الحروب الاهلية في المنطقة ، بل وبؤرة لخلق خطر حرب عالمية ثالثة نووية .

وانطلاقا من ايمانه باننا نعيش عصر القوميات والتحرر القومي ، رغم اختلاف الايديولوجيات ، فانه ادرك ان حركة الشعب الفلسطيني في سبيل استعادة ارض فلسطين ، انما هي حركة تحرر وطني ، لا يمكن لاية قوة ان توقفهـا أو تقضي عليها .

وقبل كل هذه الاعتبارات وبعد كل هذه الاعتبارات فقد ادرك ديجول أن مصلحة فرنسا المستقلة الحرة تكمن في مصلحة العرب في المحافظة على استقلالهم وحريتهم

وكما يقول بيير روس ، المؤلف الديجولي الذي عاش طويلا في العالم العربي ، في كتابه الحديث « مفاتيح الحرب » ، فان الجنرال ديجول قد ادرك بحسه العسكري أن اسرائيل ليست سوى اداة في يد مناورات « البنتاجون » العسكرية الامريكية وان الحرب الصهيوني الاسرائيلي انما يقوم في قلب العالم العربي بالدور الذي حاول الجيش السري الفرنسي ان يقوم به في الجزائر ، وانلمة تواطؤا اسرائيليا – امريكيا ، عسكريا وسياسيا على نطاق العالم كله ، لفرض سيطرة الاحتكارات الاقتصادية العسكرية الامريكية على الشعوب وان اسرائيل هي حلقة في سلسلة المخططات الامريكية التي بدأ تنفيذها بحرب فيتنام والتي يتوقع لها أن تبدأ محاولات تنفيذها على اوسع نطاق في المنطقة الممتدة من الخليج العربي الى المحيط الاطلنطي ، ومن الساحل الجنوبي للبحر الابيض المتوسط الى سواحل البحر الاحمر وشرق افريقيا وشبه الجزيرة العربية .

اى ان ديجول كان ينظر الى الصراع العربي – الاسرائيلي ، لا على انه صراع ديني ، او صراع بين قوميتين او صراع تكنولوجي علمي بين حضارتين ، وانما على انه صراع عالمي يهم أوربا ، ويهم فرنسا بالدرجة الاولى

وتحمل ديجول بعناد وشجاعة كل الحملات الامريكية والاسرائيلية والصهيونية ضده بسبب موقفه الشامل هذا ، واتجاهه مباشرة الى جذور القضية في الشرق الاوسط .

معركة الطلبة والعمال

على ان اشد محنة واجهها ديجول طوال حياته كانت في ربيع ١٩٦٨ ، اثناء مظاهرات الطلبة واضرابات العمال في جميع انحاء البلاد خلال شهرى مايو ويونيو

واهتز النظام الديجولي ، واختفى بعض الوزراء هاربين ، وتكاتفت ضده جميع القوى . لكنه ظل صامدا ، ومرة أخرى اتجه الى جذور القضية

وسرا ، طار بهليوكوبتر حمله من ارض قصر الاليزيه ، ليزور وحدات الجيش الفرنسي في شرق فرنسا وفي المانيا ، وهناك تلقى من كبار القادة تعهدات بالولاء الشخصي له ، وعاد الى باريس ليبدأ محاولاته لاعادة النظام

ودعا ديجول الى اجراء انتخابات عامة والى احتشاد كل المؤيدين لسياسته .

وسارت مظاهرة من مليون فرنسي وفرنسية في الشانزليزيه معلنة تأييدها له . وجرت الانتخابات العامة في يونيو ١٩٦٨ . ومرة اخرى اعطى الناخبون الفرنسيون ديجول نصرا ساحقا بأغلبية ساحقة في الجمعية الوطنية . وأعطوه مابلغ كوله اعلانا للثقة به ومطالبته بالاستمرار في السلطة

لكن هذه الثقة لم تستمر طويلا .

ففي فبراير ١٩٦٩ ، وضد مشورة وزرائه ومساعديه ، قرر ديجول ان يخطو خطوة اخرى في سبيل تعديل المؤسسات الدستورية . فاقترح نظاما للحكم الاقليمي يفك الادارة المركزية ويضعف من نفوذها ، كما اقترح تعديلا في سلطة مجلس الشيوخ يلغى أن يكون رئيس المجلس الرئيس المؤقت عند وفاة الرئيس او تخليه عن السلطة ، ويضعف من صوت معارضته الذي كان لا يزال قويا .

وتكتلت المعارضة ، من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ضده .

وكانت نتيجة الاستفتاء على مشروع القانون « لا » هائلة في ٢٧ ابريل

وكانت هذه هي اول مرة ترفضه فيها فرنسا .

وتمسكا بوعده بأن يتخلى من السلطة اذا كانت نتيجة الاستفتاء « لا » ، استقال ديجول من رئاسة الجمهورية الفرنسية الخامسة ظهر يوم ٢٨ ابريل ١٩٦٩

واوضح انه سيظل بعيدا عن المعارك الداخلية لانتخاب خليفته . وبينما كان جورج بومبيدو يقود حملته الانتخابية بعد أن رشح نفسه للرئاسة تحت راية الديجولية ، سافر ديجول ، عمدا ، الى ايرلندا ، حيث بقى هناك ٤٠ يوما ، وعندما عاد الى فرنسا كان بومبيدو — مساعده المخلص والذى كان قد عزله من رئاسة الوزارة قبل ذلك بعام بسبب ازدياد نفوذه — قد حل محله في قصر الاليزيه .

وفسر كثيرون سقوط ديجول ، هكذا ، بأنه احب فرنسا واهتم بها كدولة ، لكنه لم يحب الفرنسيين ولم يهتم بهم كبشر .

تركة ديجول

ومات ديجول في قرية « كولومبي — لى — ديز — اجليز » لايغادرها الا نادرا .

ومرة واحدة غادر فرنسا الى اسبانيا حيث التقى ، ولاول مرة ، بالجنرال فرانسيسكو فرانكو . واكتفى بزيارات

قصيرة الى الريف القريب بصحبة مدام ديجول ، ليسترجع عاطفيا ذكريات ميادين معارك الحرب العالمية الاولى .

وخلال كل هذا ، كان يعمل بدأب في الكتابة .

ولقد جمع كل خطبه وكتاباته الرئيسية منذ ١٨ يونيو ١٩٤٠ في خمسة مجلدات

ثم كتب المجلد الاول من « مذكرات الامل » التى كان مقررا لها ان يكتبها في ثلاثة مجلدات ، لتشمل الفترة من ١٩٤٦ الى تخليه عن الحياة العامة .

وقد نشر هذا المجلد الاول في شهر اكتوبر الماضى ، قبل أيام قليلة من وفاته ، وبيعت منه ٥٠٠ الف نسخة في الاسبوع الاول .

وعندما توفى في ١٠ نوفمبر الماضى ، كان يقوم بكتابة المجلد الثانى ، بل وكان

قد قضى عدة ساعات في الكتابة قبل أن يسقط ميتا فوق مقعده .

وكتابات ديجول هى كل ماتركه من افكاره .

كما ترك فرنسا مستقرة ، قوية ، عظيمة .

وترك من بعده رئيسا يعطى للفرنسيين كبشر بعض الاهتمام الذى يعطيه لفرنسا كدولة

وترك شعلة الاستقلال متقدة ، لاينبغى أن تخبو ، ولن تخبو .

وترك اسمه في سجل الخالدين :

« شارل العظيم »

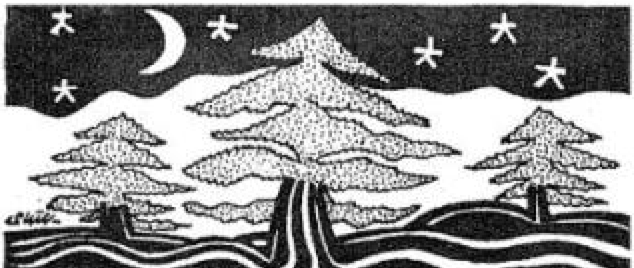
او : «Le grand Charles»

صالح جودت

نادالك لبنان فقم لندائه

« كان العلامة الراحل عيسى اسكندر المعلوف كيانا ضخما فى عالم الادب ... كان شاعرا وكاتبا ومعلما وصحفيا ومؤرخا وقيما على التراث العربى ، وكان عضوا رائدا بمجامع اللغة العربية فى القاهرة وبيروت ودمشق ، وقد ترك وراءه عشرات من المؤلفات الثرية ، المطبوعة والمخطوطة . على ان اعز تراثه ، أبناؤه الشعراء الثلاثة ، فوزى المعلوف ، صاحب ملحمة « بساط الريح » التى تعد فتحا جديدا فى الشعر العربى المعاصر ، وشفيق المعلوف ، صاحب ملحمة « عبقر » ومؤسس « العصبة الاندلسية » صاحبة الاثر الباهر فى شعر المهجر ، ورياض المعلوف ، الامين على مكتبة ابيه الموسرة فى زحلة

« وقد احتفل لبنان منذ ايام بازاحة الستار عن تمثال العلامة الراحل فى حديقة قصر اليونسكو ببيروت ، فى حفل كبير تحدث فيه ممثلو المجامع اللغوية وكبار الادباء والمستشرقون ، وهذه هى قصيدة الاستاذ صالح جودت ، الذى مثل شعراء الجمهورية العربية المتحدة فى الحفل »



ناداك لبنـــان ، فقم لنـــدائه ... او ما جعلت الروح بعض فـــدائه !
ناداك ، فانهض للوفـــاء وحقـــه ... واحمل شجونك في سبيل قضـــائه

واجمـــل قصيدك للجمال تحية ... في جارة الوادي ، وفــز بثنـــائه
والذا عبيت من الجمـــال وتاله ... فخلـــود ذكرك أن تمـــوت بدائه

* * *

يا جارة الوادي ، وحسنك مسرح ... لفتى أمير الشعر في أضـــوائه
أقبلت التمس الطواف بموضـــع ... العـــلم والعـــرفان من آلائه

ومضيت للبيت الكبيـــر احجـــه ... واعد زادي من شـــهي غـــذائه
فسمعت من وادي العرائس هاتفا ... مثلما يرد القـــلب عن اغـــرائه

قال امتثـــل امر الجمال ولبـــه ... واملا كئوسك من ســـنى صـــهبائه
يا شاعر النيل الذي عشـــق الطلا ... من كـــرم لبنـــان الحبيب ومائه

اهبط الى الوادي فمن صـــبوحه ... يهبـــط عليك الوحي من انذائه
اهبط فرو الروح من فردوســـه ... وتقبل التفـــاح من حـــوائه

لا تخش ان تحصي عليك خطيئـــة ... يوم الحســـاب ودينـــه وأدائه
واغنم هوى الدنيا ، فانك شـــاعر ... يتسامح الرحمن في أخطـــائه

***

فاذا فرغت من الصـــبابة وارتوى ... ما في حنايا القلب من أهـــوائه
قم ودع الوادي ونشـــوة كاســـه ... واصـــعد الى لبنان في عليـــائه
اصـــعد الى الجبل الاشـــم وحيه ... واخفض جنـــاحك في حمى كبرائه

واقر الســـلام اذا خطرت برحلة ... وعبرت من حـــرم الحجا بلوائه
ومررت بالبيت الذي فاض الشـــذى ... من آل معـــلوف على أبهـــائه

العبقـــرية في رءوس رجـــاله ... والالمعيـــة في قلوب نســـائه
ورثوا جلال الشعر من « رومية » ... وورثن شجو الشعر من « خنسائه »

حمـــلوا لـــواء الارز وانطلقوا به ... غربا ، فكانوا الفـــر من ســـفرائه
نزلوا بأندلس الجـــديدة مهجرا ... ينهـــل عطر الشرق في اجـــوائه

بعثوا به المجـــد القديم ، واسسوا ... صرحا اعز عليه من « حمـــرائه »

يا اخـوة الارز الـذى نبع العُلا ... من طيب جـوهره وحسن خلاله
ما سر لبنـان ؟ اشـم جباله ؟ ... ما سـحر لبنان ؟ اطيب هـوائه ؟
لا والذى خلق النهى ، انا لا ارى ... لبنـان الا فى اجـل رواته

فى زمـرة الرواد من اعـلامه ... فى عترة الامجـاد من حكمائه
فى نثر « جبران » والطف خيـاله ... فى شعر « مطران » وحلو بنـانه
فى صيحة « القروى » يرفع فى الورى ... علم العـروبة فى عـزيز ابائه
فى «الاخطل» الفرد الذى جعل الهوى ... دين الوجـود بلحنه وغنـائه

فى بلبليات « الامين » اذا اجتلى ... من « نبعة الباروك » دن صـفائه
فى كل من ركب المحيـط ليبتغى ... للارز اضـواء على اضـوائه

وكانه الصـديق -ولى وجهـه ... شـطر الجهاد غداة فار حـرائه
ومشى الى سـمع الزمان بمعجـز ... من شـعر مغتربيه ، لا غربائه

فى كل من اوى البيـان ، مدللا ... ام اللغـات بفيضـه وعطـائه
فى العـاكفين على المعاجم سجدا ... الباحثـين عن التراث التـائه
يدعون للفصـحى دعاء مقـدس ... يتقبـل الرحمن طهـر دعائه
لا الكاشـحين السارحين بدارج ... يشنون شعرلهم على اشـلائه

الاخـذين اللهو عن اوشـابه ... الناقلين اللغـو عن غوغـائه
خير الشعوب من اسـتقام لسانه ... فسـما الى المأثور من فصحائه
لا من تحـلق بالضحـالة وابتغى ... لغـة تزل به الى دهمـائه

***

بيروت ، يا وهج الحياة ، ويا سنى ... تتـألق الافـكار فى لالائه
لنا دموت لموقف الذكـرى التى ... يزهى بهـا التـاريخ فى خيـلائه

طالعت تمثـالا يفيض جـلالة ... ويضـوع عطر المجـد من حصبائه
هل دار فى فلك المجـامع كوكب ... متطلـع يرقى الى جـوزائه ؟

ارنو على الافهـام من نفحـاته ... ما تعجـز الايام عن احصـائه
قالوا : تخلده بشعرك ، قلت هل ... تهب النجوم البدر سحر ضيائه ؟
انى لالتمس الخـلود بذكـره ... واتيـه فى شرف النهى برثائه
ماذا يقول الشـعر عن متحـدث ... تتبـدد الاصوات فى اصدائه ؟



ايقول عن آبائه وشموخهم ؟ فلتسألوا « حوران » عن آبائه
امن المدارس ؟ وهو خير معلم الزى ربوع الارز من نجبائه

امن الصحافة ، وهى من لبناته ؟ امن الفصاحة ، وهى من آلائه ؟
امن التراث ، وكان خير رعاته ؟ امن البيان ، وكان من امرائه ؟

امن الحوادث ، وهو شيخ رواتها ؟ امن البلاغة ، وهى ملء رادئه ؟
امن الامانة ، وهو خير ثقاتها ؟ امن الطهارة ، وهى من اسمائه ؟

هذا بتول العلم فى محرابه وسمى عيسى فى جليل سماته
هذا شريك الارز فى امجاده هذا « ابو الشالوث » من شعرائه

هذا ابو « فوزى » الذى افضى بنا للعالم المجهول فى اسرائه
وروى لنا ما غاب من ابعاده وجلا لنا ما عز من انبائه

وغدا « بساط الريح » بعض عبيده والنيرات الزهر بعض امائه
ودنا لروح القدس فى ملكوته وتقبل البركات من علرائه

وابو « شفيق » وهو صاحب « العبقر » والعبقرية فيه ارث دمائه
ركب الخيال لقرية الجن التى خلعت عليه السحر فى استيحائه

واقام فى حس المهاجر عصبة من ظل اندلس ومن افيائه
اغوى بلابلها الحنين الى الحمى فشدت بقيثار الحزين وناته

وابو « رياض » وهو ترب شبيبتى ورفيق عمرى فى زمان بهائه
ونجى كاسى ، والحياة حبيبة فى ليل قاهرتى وفى لألائه

كنا اذا عز الخيال ملاوة نشكو الى النيل الحنون ومائه
جيرتنا للشـ ايقاعه ويمدنا بالوحى من سمرائه

ونظل نسرح فى « رزة » كلما خلع الغروب البكر ثوب حيائه
ونغـا الحياة بسرها وفتونها لنرى جنون الليل فى غلوائه

ولكم نسينا ، والطريق ممهد قدرا يسير بنا الى وعشائه
والى الشباب بزهوه وربيعه والى المشيب بثلجه وشتائه

وتحول الغزل الرقيق مدامعا لبكاه من نهواه ، او لعزائه
اما عزاؤك يا رياض ، فعزة فابوك فى الاحياء رغم فنائه
ما ماتا من ترك الحياة مخلدا ليعيش بعد الموت فى ابنائه



السلطان عبد الحميد الثاني

د. أحمد صدقي الدجاني

السلطان عبد الحميد

أضواء على شخصيته واستبداده وسمعته التاريخية السيئة

■ منذ حوالي قرن من الزمان برز اسم عبد الحميد الثاني خليفة للمسلمين وسلطانا للدولة العثمانية التي كانت تضم اجزاء واسعة من بلاد العرب. وبقي هذا الاسم في قمة السلطة طيلة ثلث قرن، فارتبطت به احداث كثيرة هامة في وطننا العربي وفي العالم الاسلامي عموما.

وقد حكم عبد الحميد الدولة العثمانية بطريقة اثارت الكثير من التساؤل والنقد. ونال شهرة واسعة في العالم اجمع. كما اشتهرت على الخصوص سياسته الحميدية حتى بعد عزله، واصبح «الاستبداد الحميدي» مضرب الامثال. واختلف القول في عبد الحميد اختلافا كبيرا، وتباينت صورته في الاذهان؛ فهي عند البعض صورة الطاغية المستبد والشيطان المريد المتعطش للحرب والدماء. والذكر رسمها بالريشة اللب الظن انه لاحد الرسامين الاوربيين عصور المنظر الجانبي لرأس السلطان بطربوشه العثماني وانفه الاقنى، وهو في الوقت نفسه وبخدمة قلبه تمثل مجموعة من النساء العاريات. بينما صورة عبد الحميد عند آخرين هي صورة الخليفة المسلم حامي حمى الدين والسلطان الغازي الذي يدافع عن بلاد الاسلام في مواجهة اطماع ومؤامرات الاستعمار الاوروبي. ولا ينس له هؤلاء على الخصوص رفضه عروض «هرتزل» رئيس المؤتمر الصهيوني الاول مقابل منح الصهاينة موقعا في فلسطين. والحق ان لكلا الصورتين ما يبررها في تاريخ عبد الحميد ومرد التباين بينهما هو اقتصار كل منهما على جوانب دون اخرى.

ان تاريخ عبد الحميد يتصل اتصالا وثيقا ببعض القضايا الهامة في التاريخ العربي الجديد . وهذا سبب رئيسي لانشغالنا به . ويكفي ان نشير الى حركة اليقظة العربية الحديثة وحركة الجامعة الاسلامية ، وكلتاهما برزتا في عهده . وهكذا فان اهتمامنا بدراسة تاريخنا العربي الحديث واعادة كتابته بموضوعية تفرض علينا الانشغال بعبد الحميد .

كذلك فان تاريخ عبد الحميد يطرح ويناقش مسائل سياسية وحضارية هامة تستاهل الانشغال بها . ومن هذه المسائل مسالة حكم الفرد وسياسة الاستبداد واسبابها ومظاهرها ونتائجها . والحق ان صورة الاستبداد الحميدي تكررت وتتكرر في اماكن وازمنة مختلفة . ومن هذه المسائل مسالة الصدام بين حضارة زاهرة غازية وبين حضارة آفلة تتعرض للغزو ، ومدى قدرة الفرد على الوقوف في وجه مسار التاريخ .. ومسائل اخرى . وسنخصص هذا الحديث لقصة عبد الحميد مع الدستور والاستبداد .

* * *

كانت الدولة العثمانية حين اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة عام ١٨٧٦ م ، لا تزال امبراطورية فسيحة تمتد من حدود النمسا الى بلاد العجم ، ومن البحر الاسود الى الخليج العربي شرقا والى تونس غربا . وقد ضمت خليطا من الاجناس والقوميات ، وبلغ تعداد سكانها عام ١٨٦٧ بناء على احصاءات غير رسمية ثلاثة واربعين مليون نسمة . منهم حوالي خمسة وعشرين مليون مسلم وحوالي خمسة عشر مليون مسيحي . وفيهم حوالي خمسة عشر مليون تركي وستة ملايين سلاف واربعة ملايين رومانى ومليونين واربعمائة الف ارمني ومليوني يوناني . وكان الباقي وهو حوالي ثلاثة عشر مليونا ونصف المليون من العرب وقليل من العجم (١) .

وكانت الدولة العثمانية آنذاك في النزع الاخير ، بعد ان استحكم الضعف فيها . واطلقت عليها الدول الاوربية الاستعمارية بحق اسم « الرجل المريض » . وكانت محاولات الاصلاح مستمرة فيها لانقاذ ما يمكن انقاذه والصمود في وجه التحدي والخطر الاوروبي المتزايد . وقد عرفت المرحلة الاولى من محاولات الاصلاح باسم «التنظيمات» حيث جرت فيها محاولة تنظيم امور الدولة على اسس جديدة في جميع الميادين . وبدات هذه المرحلة مع تولي السلطان عبد المجيد سنة ١٨٣٩ ، بعد اكثر من نصف قرن من بداية حركة الاصلاح والتجديد ، واستمرت طوال عهد عبدالمجيد حتى عام ١٨٦١ ، وعهد خلفه السلطان عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦) . واستندت التنظيمات الى مرسومين سلطانيين اساسيين صدر الاول سنة ١٨٣٩ وعرف باسم «منشور الكولخانة» وصدر الثاني سنة ١٨٥٦ وعرف باسم « منشور التنظيمات الخيرية » ، وقد قرر المرسومان حقوق التبعة وهي « امنية الروح والعرض والمال » وتثبيت « التكاليف المالية وتحديد مدة الخدمة العسكرية » ومبدا مساواة المعاملة لجميع تبعة الدولة مهما كانت مللهم ونحلهم ، واصدار قوانين جديدة لتنظيم امور الدولة بوجه عام وفقا للنظم المرعية في الدول الاوربية . وكانت المعالم الرئيسية لحركة الاصلاح عموما « تدور حول الاخذ من الغرب في تنظيم الجيش وتسليحه وفي نظم الادارة والحكم ، والاتجاه بالمجتمع نحو التشكيل العلماني ، والاتجاه نحو مركزية السلطة في القسطنطينية والولايات » (٢) . ولقد ظهرت لهذه التنظيمات آثارها الايجابية على الدولة في مجال

(١) آلماوتلي : عبد الحميد ظل الله على الارض .. ص ٧ القاهرة ١٩٥٠ .
(٢) محمد انيس : « الدولة العثمانية والشرق العربي » ص ٢١٢

التعليم وانتشاره فى الولايات وفى القضاء على النظم الاقطاعية فى البلاد العربية ممثلة فى الاقطاع العسكرى وفى نظام الالتزام ، ولكن « التنظيمات » لم تنجح فى تحقيق الاصلاح المنشود ، ولم تفلح فى القضاء على العلل التى تشكو منها الدولة . وبدا فشلها على صعيدى الجيش والاقتصاد ، حيث لجأت الدولة الى عقد قروض خارجية ابان حرب القرم . وكانت الحروب سببا فى انشغال السلطنة عن اتمام هذه الاصلاحات . كما كان افتقار الدولة لجهاز مالى قادر سببا آخر فى هذا الفشل ، وكانت جهود رجال التنظيمات تصطدم بعراقيل كثيرة ومتنوعة أهمها نزوات السلاطين واستبدادهم وفساد حاشيتهم . ولعل السبب الرئيسى فى فشل « التنظيمات » هو انها كانت عملية نقل نظم غربية ، ولم تكن نابعة من فهم حاجة البلاد ولا متصلة بتمثل روح تلك النظم الغربية . فادى « الاصلاح » - كما فهمه المسئولون عن الدولة - الى الاستدانة والافلاس والتدخل الاجنبى .

وهكذا تدهورت مالية الدولة فى عهد السلطان عبد العزيز الذى اشتهر بالتبذير والترف واكثر من القروض الخارجية ، حتى اعلن افلاس الدولة عام ١٨٧٥ . وانتهى امر السلطان بالخلع بتدبير من بعض الوزراء على راسهم الوزير المصلح « مدحت باشا » ، وجاءت فتوى الخلع التى اصدرها شيخ الاسلام توجز تاريخ عبد العزيز وفيها ..

« اذا كان زيد الذى هو امير المؤمنين مختل الشعور وليس له المام فى الامور السياسية ، وما برح ينفق الاموال الاميرية فى مصارفه النفسانية فى درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها . وقد اخل بالامور الدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة ، وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه ؟ الجواب يصح والله اعلم » (١) .

ووجد عبد العزيز بعد ستة أشهر من خلعه ميتا فى قصره حيث انتحر بان قطع اوردة معصميه بمقص .

وخلف مراد الخامس بن عبد المجيد عمه . وكان قد نشا على الطريقة الاوروبية وساءت صحته بسبب ادمانه الخمر وعيشه تحت الرقابة . ولم تطل مدة حكمه اكثر من ثلاثة اشهر . فقد اضطربت اعصابه وجن وانتهى أمره بالخلع . وجاءت فتوى شيخ الاسلام بخلعه موجزة :

« اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهدته ؟ الجواب يصح والله اعلم » .

وتولى عبد الحميد الثانى بن عبد المجيد عرش السلطنة بعد أخيه مراد ، فكان السلطان الرابع والثلاثين من سلاطين آل عثمان . وقد آلت اليه الدولة العثمانية « رجلا مريضا » و « تركة مثقلة » وكانت فضلا عن غرقها فى بحار الفوضى الداخلية تواجه القوة الاوروبية الاستعمارية التى نجحت فى التغلغل فيها وعملت على الاجهاز عليها وسلخ اجزائها عنها . وكان على عبد الحميد ان يجابه هذه القوى وينتشل الدولة من بحار الفوضى .

وفى مستهل عهد عبد الحميد عام ١٨٧٦ بدات المرحلة الثانية من محاولات الاصلاح ، وعرفت باسم « المشروطية » لانها حاولت ان تقضى على نظام الحكم المطلق الذى كان قائما فى الدولة حتى ذلك الحين ، وان تجعل حكم السلطان « مشروطا » بمراعاة

(١) محمد فريد : « تاريخ الدولة العلية » ص ٣٢٠ .

القيود المقررة في القانون الاساسي للدولة الذى اعلن وقتذاك . وكان لعبد الحميد قصته مع هذا القانون الاساسي .

* * *

استهل عبد الحميد عهده باصدار القانون الاساسي أول دستور للدولة ، وتنظيم مجلس عمومي فيها ، وتمت هذه الخطوة بتدبير رجال الاصلاح في الدولة الذين رأوا أن الحاجة ملحة لاستصدار « قانون أساسي » يقيد سلطة السلطان المطلقة ويعالج اهم مشاكل البلاد الداخلية والخارجية . وقد تحدث محمد فريد عن هذه الخطوة فقال :

« ثم أمضى (السلطان) لشورة نبهاء وزرائه الميالين لمنح الدولة العثمانية نظاما دستوريا شوريا يحفظ لجميع رعايا الدولة حقوقهم ويكون بمثابة رابطة بين جميع الشعوب والملل المكونة منها الممالك العثمانية ، فيكون الجميع سـواء في الحقوق والواجبات وتبطل بذلك المنافسات والضغائن الجنسية والدينية لاشتراك الجميع في نظر شئون الدولة ، ووضع القوانين اللازمة لحالة الاهالي ودرجة ارتقائهم في سلم المدنية والعمران ويتنبه كل منهم الى الدسائس الاجنبية ولفظ الخائنين من بينهم لفظ النواة . ولهذه الدواعي أصدر حفظه الله ارادة سنية بموجب قرار سائر الوكلاء في ٥ شوال ١٢٩٣، و ٢ نوفمبر ١٨٧٦ بتنظيم مجلس عمومي (برلمان) يكون من مجلسين احدهما ينتخب الاهالي أعضاءه ويسمى « **مجلس المبعوثان** » . والاخر يعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى « **مجلس الاعيان** » . (١)

وعين عبد الحميد مدحت باشا صدرا اعظم في ١٧ ديسمبر ١٨٧٦ . واصدر فرمانا سلطانيا أرفق معه القانون الاساسي للدولة مشتملا على مائة وتسع عشرة مادة . واعلن القانون بالاستانة في مجمع حافل يوم ٢٣ ديسمبر .

جاء اعلان القانون الاساسي اذن لمعالجة هذه المشاكل التى أشار اليهـا حديث محمد فريد ، برغبة أصيلة من رجال الاصلاح الذين أتوا بعبد الحميد سلطانا على هذا الاساس . وكان مدحت وحزبه الحر قد انتهى في المدة الوجيزة التى جلس فيها مراد على سرير الملك من اعداد القانون الاساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثان ، وقد أحاطت بالدولة في تلك الفترة ظروف أكدت ضرورة هذه الخطوة وعجلت باتخاذها . وكان من بين هذه الظروف انعقاد مؤتمر السفراء الاجانب في استانبول ـ بناء على اقتراح بريطانيا ـ ليطالب الدولة ببعض الاصلاحات ويتيح المجال لمزيد من تدخـل الدول الكبرى « المنتحلة لنفسها حق التداخل في شئون الدولة العلية » على حد تعبير « محمد فريد » ـ والتى طالبت بحق الموافقة على تعيين « حاكم بلغـاريا » خلال السنوات الخمس الاولى وطالبت بتعيين لجنة دولية للمراقبة ، فقرر السلطان تعيين « مدحت باشا » كي يتصدى لهذا المؤتمر ، وكانت الدول الاوربية تحترمه .

وجاء اعلان الدستور يوم ٢٣ ديسمبر اثناء انعقاد ذلك المؤتمر ضربة موفقة من مدحت وعبد الحميد فاجأ بها السفراء وجابها مطالبهم وقطعا عليهم الطريق . فقد جاوزت الخطوة التى تمت باعلان الدستور مطالبهم بشوط كبير وجعلت الكلمة لممثلي الشعب ومنعت العدوان الاجنبي على سيادة الدولة ، وقد وصف محمد فريد وقع هـذه المفاجأة على السفراء فقال

« كان أعضاء المؤتمر الدولي مجتمعين في الطوبخانة ، وبينما كانوا يتباحثون في النقط التى سيتناقشون فيها سمعوا القنابل وهى تدوى فقام صفوت باشا ناظر

(١) محمد فريد ص ٢٢٨ ـ « تاريخ الدولة العلية »

الخارجية وقال للاعضاء ان الامة العثمانية قد نالت مطالبها الشرعية وهى تتمتع الان بحريتها فلا لزوم لهذا الاجتماع بعد هذا الانقلاب . فوجم الجميع » .

وانفض المؤتمر وغادر ممثلو الدول استانبول بعد أن رفض مجلس عثمانى كبير دعا اليه الباب العالى مطالبهم بالاجماع (١) .

كان القانون الاساسى مستوحى من الدستور البلجيكى . وقد قامت لجنة أنهاها مدحت باشا بوضعه ، وكانت تضم ستة عشر موظفا مدنيا وعشرة « علماء » وقائدين كبيرين . ويمكن ان نأخذ فكرة من مضمونه ومن اهم ما لفت النظر فيه من خلال حديث محمد فريد عنه :

« فهو قانون جمع فأوعى ، اهم ما به انه ضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة امام القانون ، وأباح حرية التعليم مع جعله اجباريا على جميع أفراد العثمانيين وحرية المطبوعات ، وبين اختصاصات « مجلس المبعوثان » والاعيان وكيفية الانتخاب ومن يجوز أن ينتخب أو ينتخب ، وأن جميع الرعايا يطلق عليهم اسم عثمانى ومن هو ذلك العثمانى ، وأن الدين الرسمى هو الاسلام ، واللغة الرسمية هى التركية ، وان الدولة جسم واحد لا يمكن تفريقه أو تجزئته . ومما فيه أيضا ابطال المصادرة فى الاموال على العموم والتعذيب فى التحقيق والسخرة على وجه العموم ، ووضع ميزانية تعرض على هيئة المبعوثان ثم الاعيان واذا أقر كلاهما عليها تكون واجبة الاجراء . وعدم جواز عزل القضاة الا بسبب شرعى وكيفية نظام الولايات وحدود المأمورين الخ ... » (٢)

ومما تضمنه هذا القانون الاساسى ايضا انشاء محكمة عليا يكون من صلاحيتها مقاضاة الوزراء والرؤساء وأعضاء محكمة الاستئناف والمتهمين بالعصيان والخيانة العظمى . وأن تقوم ادارة الولايات على أساس اللامركزية (٣) .

وواضح من هذا العرض أن القانون الاساسى كان امتدادا لخطى شريف كولخانة عام ١٨٣٩ وخطى همايونى عام ١٨٥٦ ، أنضج مبادىء الاصلاح وأنظمته وجمعها وقيد سلطة السلطان المطلقة فجعلها « مشروطة » .

ومما يلفت النظر فى محاولات الاصلاح العثمانية عموما انها اتجهت للتركيز على الاصلاح الداخلى حيث وعى الرجال المصلحون أن بداية الاصلاح تكون من الداخل وقد جاء فى خطاب السلطان عبد الحميد لمدحت باشا بمناسبة اصدار القانون الاساسى قوله

« وزيرى سمير المعالى مدحت باشا .. ان التدينات العارضة منذ الزمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيم فى ادارة الامور الداخلية اكثر مما نشأت من الغوائل الخارجية . »

كما ربط الخطاب هذا القانون بخطى شريف همايونى واصلاحات عبد المجيد عموما « .. فهو من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية » .

وورد فى هذا الخطاب ايضا لفظ المشروطية الذى أصبح اسما للمرحلة الثانية من التنظيمات . فمما جاء فيه :

(١) محمد فريد ص ٣٠٨ ، والماوتلن ص ٨٢ وجورج انطونيوس يقظة العرب ص ٦٣ وبروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٨٥

(٢) محمد فريد ص ٣٢٩

(٣) بروكلمان ص ٥٨٦

« ولما كان ربط القوانين والمصالح العمومية بقاعدتى الشورة والمشروطية المشروعتين والثابت خيرهما مما تحتاج اليه هذه الاصول أوعزنا .. الخ .. »

وقد انصرف مدلول « الدستور » على مجموع القوانين والأنظمة التى صدرت فى مختلف فروع الادارة والقضاء بفضل جهود الوزراء المصلحين « رشيد » و «عالى» و « فؤاد » و « مدحت » ، وعلى مدى سنوات . « فمجموع هذه القوانين والنظامات كان معروفا فى بلاد الدولة العلية بالدستور ، ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وارادة السلطان فوق كل قانون » (١) .

لم تأخذ هذه الخطوة التى استهل بها عبد الحميد حكمه مداها ، اذ سرعان ماتنكر لها وتحول عنها . فقبل مضى شهرين على تعيين مدحت صدرا اعظم أصدر عبد الحميد قرارا بعزله . فلم يقدر لمدحت ـ أبى الدستور ـ « أن يرى هذه الهيئة الشورية التى بذل جهده لمنحها لبلاده » ـ كما علق محمد فريد ـ وأصدر عبد الحميد .. قرارا آخر بنفى مدحت بمقتضى المادة « ١١٣ » من القانون الاساسى ـ الذى جاهد لوضعه . والنص الذى طبق عليه فى المادة هو

« ومن ثبت عليهم بتحقيقات ادارة الضابطة الموثوقة انهم اخلوا بأمنية الحكومة يكون اخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصرا بيد اقتدار الحضرة السلطانية . » (٢)

وقد عرف عبد الحميد كيف يستفيد من هذا النص لضرب مدحت والقانون الاساسى كله .

وفى بحثنا عن الاسباب التى حدت بعبد الحميد لاتخاذ هذا الموقف من مدحت ، نجد من المؤرخين من يقول بأن الاستياء استولى على عبد الحميد لتخلف بريطانيا من تقديم المساعدة المنتظرة للدولة للوقوف فى وجه الضغط الروسى عليها » (٣) « واعتبره البعض مسئولا عن هزيمة الدولة فى حربها مع روسيا . وهناك من يرى بأن عبد الحميد تخلى عن مدحت بعد ان استخدمه فى ضرب مؤتمر السفراء وفى اعلان القانون الاساسى « ولم يكن هذا سوى تمثيلية أريد بها كسب الرأى العام فى اوروبا الغربية لتأييد العثمانيين فى معركتهم المقبلة مع روسيا » كما يشير البعض الى تخوف عبد الحميد من مدحت الذى لعب دورا كبيرا فى عزل عمه عبد العزيز واخيه مراد من قبله ، (٤) وزاد فى تخوفه ان مدحت حاول ان يجد مايمسكه به اذا ما اتجه للانفراد فطلب منه « ان يوقع خطابا يعلن استعداده للتخلى عن العرش فى حالة شفاء أخيه مراد » ، لتخلص عبد الحميد منه . والحق أن جميع هذه الاسباب واردة ، وان كان يأتى فى مقدمتها رغبة عبد الحميد فى الانفراد بالسلطة وممارسة الحكم المطلق . وتشير جميع الدراسات التى تناولت عبد الحميد الى هذا النزوع عنده ، والى طبيعته الشكاكة وما أورثته اياه من خوف دائم . ونقدم هذا السبب لان الفترة التى استقر مدحت خلالها فى منصبه لم تكن كافية للحكم على سياسته ، ولقد تفاعلت شخصية عبد الحميد مع الظروف المحيطة فاتجهت به الى سياسة الاستبداد التى اشتهر بها .

ولم يعمر مجلس « المبعوثان » المنتخب طويلا ، فقد أمر عبد الحميد بفضه فى

(١) سليمان البستانى ص ١٣ ، محمد فريد ص ٢٠٧
(٢) محمد فريد ص ٢٢٠
(٣) بروكلمان وتوينبى
(٤) قرابة وولن

١٤ شباط (فبراير) ١٨٧٨ قبل أن يتم المجلس دورة انعقاده الثانية . وقرر بالاتفاق مع جميع الاعيان (المعينين) وجوب ارجاء اجتماعاته لاجل غير محدود لعدم ملاءمة الظروف لوجوده — على حد زعمه — وقد اتخذ عبد الحميد هذه الخطوة بعد أن ضاق ذرعا بالحياة النيابية والنواب المبعوثين ، ونفى السلطان البارزين من المبعوثين بسبب تنديدهم بأعمال الحكومة واعتراضهم على اجراءاتها . وعلق القانون الاساسي فعطل العمل به . ولم يلغ عبد الحميد الدستور رسميا ؛ فبقى القانون الاساسي يدرج سنويا في صدر الدولة — حوليتها الرسمية — ولكن احكامه اهملت فعليا وعمليا

ومع أن تجربة المجلس كانت قصيرة الا أنها كانت غنية حية ؛ شأنها شأن اية تجربة شعبية ديموقراطية . ومع أن فض المجلس لم يولد ردود فعل ملموسة في البلاد اول الامر الا أن ذكراه بقيت ماثلة في الاذهان وظهرت آثاره بعد حين في اشتداد حركة المطالبة باعادة الدستور ، وفي الفرحة الشعبية العارمة التي عمت البلاد منذ اعلان الدستور مرة أخرى عام ١٩٠٨ . وقد قام البعض من النواب العرب في المجلس بدور هام في المذكرات والمناقشات ، وكان أكثر المعارضين منهم . وكانت معارضتهم دفاعا عن المصلحة العامة .

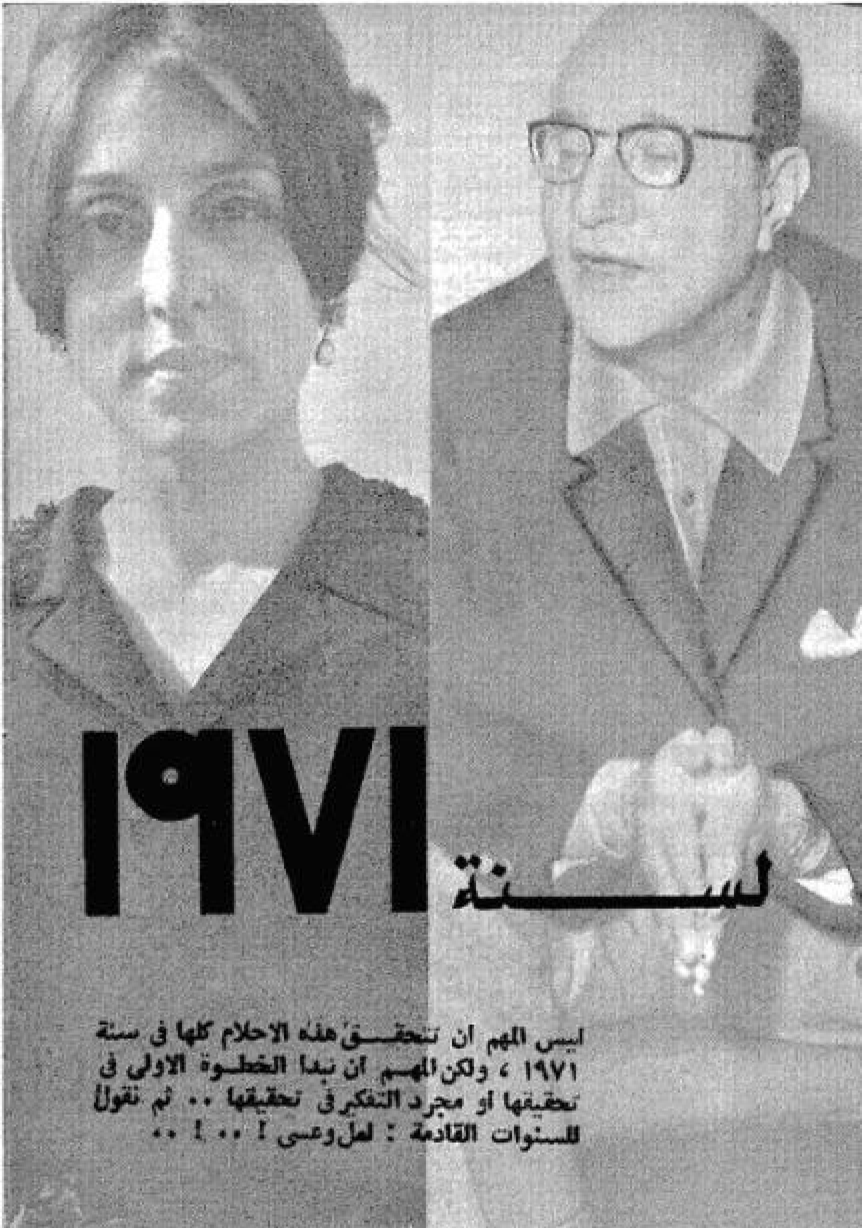
وجاء تعطيل عبد الحميد للحياة الدستورية في البلاد تعبيرا عن رغبته في الانفراد بالسلطة وممارسة الحكم المطلق ، ومن ضيقه بالمعارضة التي اشتدت اثناء الحرب مع روسيا عام ١٨٧٧ بعد أن توالت هزائم الجيش العثماني (١) وكان الامر قد بلغ بالمعارضة مهاجمة السلطان نفسه فضلا عن الحكومة والوزراء . وقد ادى هجومها وقرار المجلس بلوم الحكومة الى استقالة قائد الدفاعية ومن ثم الصدر الاعظم وكانت صيغة اللوم

« ان عدم الكفاية وعدم الاهلية التي يتصف بها القائمون على آلة الحكم لا يوجب اللوم والتقبيح . فلو ان هؤلاء سيروا الامور الدبلوماسية والعسكرية بشكل أنسب لما أصاب الدولة ما أصابها من الكوارث .

وقد بادر عبد الحميد الى اجراء تعديلات هامة في الوزارة مخالفا الدستور بعد أن اتخذت المعارضة قرارين هامين بشأن الحكومة . فتصدت له المعارضة بالنقد ولم تسكت من هذه المخالفة ، وكان خطاب أحد النواب العرب هو القشة التي قصمت ظهر البعير ففض عبد الحميد المجلس ، وكان مصير النائب العربي وهو « يوسف ضيا الخالدى » نائب القدس النفي مع من نفى من النواب . وهكذا انتهت المشروطية الاولى وهدم السلطان عبد الحميد — على حد تعبير محمد فريد — « مابناه الاحرار ، ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة من رؤوس العثمانيين (٢) وبدأ عبد الحميد حكمه الفردى ، فبدت للعيان صورته التي اشتهر بها . » وقد كان الى حين توليه معروفا بأنه ضعيف يعيش في جو القصور المترف وسط الحريم ، وكان يظن أن لديه ميولا تحررية ، ولكن ما ان أمسك بزمام السلطة حتى اثبت نفسه تدريجيا كحاكم مستبد من أقوى طراز . وأصبح واحدا من اذكى واقدر الدبلوماسيين في عصره » (٣) .

(١) عثمان نوري عبد الحميد ودور سلطنته ج ١ ص ٢٦٠ ، محمد توفيق برد العرب والترك ص ٢٠
(٢) عثمان نوري ص ٣٢٨ وبرد ص ٣١ ومحمد فريد ص ٢٠٨
(٣) الموسوعة الامريكية ١٩٦٢ مادة عبد الحميد .


كمال النجمي
أحلام فنية وأدبية



لسنة ١٩٧١
ليس المهم ان تتحقق هذه الاحلام كلها فى سنة ١٩٧١ ، ولكن المهم ان نبدأ الخطوة الاولى فى تحقيقها او مجرد التفكير فى تحقيقها .. ثم نقول للسنوات القادمة : لعل وعسى ! .. ! ..

■ اسميها احلاما ولا اسميها « توقعات » ولا « تنبؤات » كما اعتاد الفلكيون المنجمون ان يتوقعوا او يتنبأوا في بداية كل عام ..

واحلامي الفنية والادبية في العام الجديد هي احلام متفرج متواضع أو متذوق او ناقد من بعيد .. وهي في الحقيقة احلام للآخرين لاني اطلب اليهم او اتمنى عليهم ان يحققوها ، فاذا فعلوا — مشكورين — تحققت أحلامي ! ..

وانا احلم لسنة ١٩٧١ — كما سترى — باعمال جديدة قيمة في مجالات متنوعة من الفنون والادب .. ولكن سنة ١٩٧١ لن تستوعب — عند العمل والتطبيق — تأويل الاحلام كلها ، فانها احلام طوال يستغرق تأويلها او تعبيرها او تفسيرها او اخراجها من النوم الى اليقظة زمنا لا يستهان به .. كل ما ارجوه لهذه الاحلام الجميلة ان تكون سنة ١٩٧١ هي السنة الاولى في عمرها المديد السعيد

واللحن والكلمة هما اكثر ما تتعلق به آمالي هذه الاحلام ، بل هما كل ما تتعلق به ؟ لانهما مدار اهتماماتي واشواقي الفنية والادبية اولا وآخرا ، وهما رؤية البصر في اليقظة ورؤيا البصيرة في المنام ..

أما اللحن فهو اللحن في الموسيقى بطبيعة الحال وليس اللحن في الكلمة جهلا بقواعد النحو .. واحلامي لا تأذن بالدخول لغير الالحان العربية ، فان الالحان الاوربية تتحجم يقظتي بلا استئذان ! ..

وبعد ان كتبت كثيرا عن الغناء العربي والموسيقى العربية في السنوات القلائل الاخيرة ، تبلورت احلامي للموسيقى العربية والغناء العربي على شكل مؤسسة او هيئة رسمية كبرى او مجمع علمي ضخم ، رسالته حفظ الموسيقى العربية والغناء العربي من التدهور والتبدد والانقراض

نحن الآن نسمع ام كلثوم وعبد الوهاب وفيروز ووديع الصافي وفرقة الموسيقى العربية ولا نتصور ان يجيء يوم لا نسمع فيه الغناء العربي والقطع الموسيقية العربية ، ولكن من يتأمل ما يجري تحت سطح الماء الجاري ، قد يصاب بالذعر والاسى لمستقبل الغناء العربي والموسيقى العربية في المدى البعيد بل في المدى القريب ..

ان للموسيقى العربية كيانا فنيا شديد الخصوصية ، مستقلا تماما عن الموسيقى الاوربية ، وعن الموسيقى الشرقية ايضا — وهي الالوان الموسيقية المختلفة للشعوب غير الاوربية — ويرتكز الاستقلال الفني لموسيقانا على الفروق الفنية الدقيقة بينها وبين الوان الموسيقى الاجنبية من اوربية وشرقية .. وأهم هذه الفروق التي لايمكن الغاؤها او تجاهلها عدد درجات السلم الموسيقى ، وتركيب المقامات اللحنية وخصائصها ، والكسور الصوتية واشهرها ربع الصوت (١) الذي يهتز له كل مستمع عربي هزة الطرب والسرور .. الى ميزات قومية ومحلية اخرى تجعل للموسيقى العربية كيانها المستقل الذي لا يمكن ان يبقى مستقلا ، بل ولا يمكن

---

(١) التسمية الصحيحة لربع الصوت هي « ثلاثة ارباع الصوت » ولكن « ربع الصوت » اكثر شيوعا ..

ان يبقى على الاطلاق اذا ارغمته هجمات اعدائه على التجرد من هذه الميزات ! .

والمدهش انه في عصر تهوش القومية العربية وتطلع شعوبها الى الاتحاد او الوحدة ، يقوم بيننا من يرى — بكل صراحة — ان الموسيقى العربية والغناء العربي لم يعد لهما مكان الا في قمامة التاريخ .. لانهما — كما يقول اولئك الصرحاء — لا يقومان على الاسس العلمية التى تقوم عليها الموسيقى الاوربية .. فلا يبقى اذن الا ان نلغى الموسيقى العربية او نستغنى عنها ،ونجعل الموسيقى الاوربية — جملة وتفصيلا —هي موسيقانا، وكاننا ورثناها عن اسحاق الموصلي او زرياب ! ..

واذا كان هذا مدهشا ، فالاكثر منه اثارة للدهشة ان يقع بينما الصهيونيون في فلسطين المحتلة يلفقون لقوميتهم ودولتهم غناء يهوديا وموسيقى يهودية يزعمون انهما من تراث ابائهم واجدادهم منذ الوف السنين ، وقد استعاروا اكثر هذا التراث المزعوم ونهبوا له فيما نهبوا الفلكلور الفلسطيني والعربي الذى يتردد من حولهم ..

بل ان الموسيقيين الاوربيين انفسهم بداوا يتطلعون الى موسيقانا ولا يكتمون تعجبهم من ثرائها النغمى وتنوعها المقامى والايقاعى .

واذا جرت الامور كما يشتهى كارهو الموسيقى العربية فان هذه الموسيقى قد تموت في ارضها العربية ثم تبقى اثار منها خارج هذه الارض . وقد ينتهز الصهيونيون الفرصة ليضعون ايديهم عليها لقمة باردة او ساخنة ثم يزعمون للعالم في زهو وخيلاء انها من جملة ما ورثوه من جدهم اسرائيل الكبير ! ..

كيف نحمى الموسيقى العربية من هذا المصير ؟! ..

لاشك ان الوسائل لحمايتها كثيرة ، ولكنى اظن ان من اكثرها فاعلية تكوين هيئة رسمية قوية في كل دولة عربية ، مهمتها الوحيدة حفظ الموسيقى العربية من المعاول التى تضربها من جميع جهاتها .. على ان ينضم الى هذه الهيئة الملحنون والمطربون والموسيقيون المشتغلون فعلا ، والمعترف بتفوقهم — امثال عبد الوهاب وام كلثوم والسنباطى في مصر مثلا — ولا يقبل في صفوفها احد من الحانقين على الموسيقى العربية .. فالحال عندنا الان ان بعض هؤلاء الحانقين يشتركون في الاشراف الرسمى على الموسيقى العربية ! ..

ان الخطر على الموسيقى العربية خطر حقيقى ، حسبك من دلائله ان اكبر المعاهد الموسيقية — ويسمونه المعهد القومى — لا يعترف بها ويمنع طلبته من الغناء العربى ويحاربهم اذا مارسوه لانه يفسد حناجرهم المدربة على الغناء الاوربي وحده وباللغات الاجنبية وحدها اوباللغة العربية المنطوقة بالرطانة الاجنبية .. فبعد الغاء الغناء العربى لايبقى الا ان يقال : واللغة العربية ايضا ! ..

وهذا الخطر سوف ينحسر ثم يزول تماما اذا اخذ المسئولون قضية الموسيقى العربية بالحزم والغيرة والمحبة الواجبة لها . ولعل مصر هي اكثر البلاد العربية مسئولية عن هذا الواجب القومى الكبير فان مصر — على حد قول المستشرق البريطانى هنرى فارمر الدارس للموسيقى العربية — يجب ان تعنى بالحفاظ على ذلك المجد الفنى ..

وحلمى في العام الجديد هو ان تبدا القاهرة فعلا دراسة قضية الموسيقى العربية بجدية وشمول لحفظها من التبدد والضياع ، واستنباط افضل الحلول لمشكلات تطويرها ، وهى مشكلات كثيرة معقدة ، ولكن المهم ان يسلك العاملون على حلها طريقا مستقلا مستفيدين بتجارب الموسيقى الاوربية والموسيقى الشرقية ، بلا ولوع في التقليد الاعمى او جمود على ما ابلاه الزمان ..

● اما حلمى – رقم ٢ – للموسيقى العربية فهو ان اسمع فى عام ١٩٧١ عملا غنائيا أو موسيقيا كبيرا متطورا ، مؤلفا بالمقامات والإيقاعات العربية ، مطعمــا بثلاثة ارباع الصوت ، بعيدا عن التجارب الموسيقية « العربية » التى قامت على التقليد الحرفى للموسيقى الاوربية ، وقد فشلت هذه التجارب فى اقناع واجتذاب المستمعين العرب فى كل البلاد العربيــة وبخاصة فى مصر ..

ومن أشهر هذه التجارب القائمة على حرفية التقليد ، تجربة غنائية قدمها منذ سنوات موسيقار مهندس ، على أساس لحن «ايه العبارة» .. وهو لحن معروف «السيد درويش» ، فقد مسخ الموسيقار المهندس – رحمه الله – ما صنعه سيد درويش وخلق منه لحنا كنائسيا أوربيا مقطوع الصلة بالذوق العربى انقطـاعا حاسما ، مع أن الاصل فيــه نابع من صميم الذوق العربى !..

والتجارب التى جرت هذا المجرى ولاقت هذا الفشل لم تنقطع بعد ، لان مؤلفيها وأن كان بعضهم فى سـعة من المعرفة بالموسيقى الاوربية ، يعوزهم أقل العلم بالمستمع العربى الذى صنعته عوامـل تاريخية عميقة لا يمكن انتزاعهـا ولو انقطعت الموسيقى العربية من الوجـود كلـه ؟ ..

● الحلم الثالث فى الموسيقى العربية احيله الى رياض السنباطى ، فقد بعد العهد بنا من روائع هذا الملحن الكبير..

واين هو الان واين نحن من روائعــه وشوامخه التى البسته على قمة الملحنين لام كلثوم ثلاثين عاما او اكثر ؟!..

وهل ينسى السنباطى أو ينسى المستمع العربى كيف لحن أغنياته المتجددة البارعة « النوم يداعب جفــون حبيبى » .. و « ياطول عذابى واشتيــاقى » .. و « جددت حبك ليه » الى اغنيـات أخرى كثيرة باهرة .. نقلا من الحالة



تولستوى   رياض السنباطى

للقصــائد ، وقد تفوق فيها على جميع معاصريه تفوقا يحسم كل منافسة او تقليد .. حسبك منها رباعيات الخيام والشوقيات النبوية وغيرهما من الشعر الفصيح والشعر الشعبى .. وان المستمع ليحار فى حسنها وطلاوتها ويعجز عن تفضيل احداها على الاخرى ، ويعجب لقريحة السنباطى ، كيف تدفقت بهذا الفيض الذى لانظير له فى كل ما نعرفه الان من الغناء العربى ، لم تدركهــا الكلال او اليأس أو حب الراحة !.

فهل تعود قريحة السنباطى من جديد الى تدفقها القديم لتكون تعبيرا لرؤيا جميلة من رؤى العام الجديد ؟ ! ..

● الحلم الرابع لثلاثة أصوات جديدة من المستوى الرفيع الذى يبحث عنــه المستمعون منذ ظهرت ام كلثوم وعبــد الوهاب فى العشرينات الى اليــوم ..

الصوت الاول .. صــوت مطرب .. والثانى صوت مطربة . والثالث صــوت قارىء او « مقرىء » ..

لو تحقق هذا الحلم لكان مددا قويا للموسيقى العربية فى كفاحهــا للبقاء فى مكانها تحت شمس بلادها ، لم للتجــدد والتطور والنماء والاستمرار ..

● الحلم الخامس للموسيقى العربية

.. كتاب عظيم مثل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصـــفهاني ، يبدأ مؤلفه اول سطوره في عام ١٩٧١ ثم لايترك القلم طوال السبعينات والثمانينات حتى يسجـل فيه عصرنا كله من خلال اغانيه تاليفـا وتلحينا وغناء ومايتصل بالتاليف والتلحين والغناء من معالم تاريخنا المعاصر كله ..

وفي اعتقادي ان هذا اشد الاحـلام صعوبة في الحل والتنفيذ ، ولكن علينا ان نحلم وعلى الايام ان تحقق الاحلام !.

● بقي ان نحلم للادب والشعر .. وابدا بحلم قريب من الغناء والموسيقى وهو الكتاب الاسـطواني او الكتـاب الاسطوانة او الكتاب المسجل على اسطوانة كانه نوع من الموسيقى والغناء ..

وفي اوربا وامريكا اصبحت القصـائد والمسرحيات والكتب المطبوعة على اسطوانات تزحم المطبوع منها على الورق .

والفكرة وصلت الى مصر وبعض البلاد العربية ، ولكن تنفيذها مازال اكثره كلاما واحلاما . فلعل سنة ١٩٧١ تكون بداية حقيقية للكتاب الاسطوانة باللغة العربية وبخاصة في مصر ..

ان تحقيق هذا الحلم يفتح للشعراء والادباء دنيا مغلقة على جماهير واسعة تقبل اقبالا شديدا على الشعر والادب مطبوعا في الاسطوانات ، ولا تقبل عليه مطبوعا في كتاب ، كانما يريد الانسان المعاصر ان يجعل من اذنيه عينين للقراءة !..

● واحلم بمسرح شعري عربي كبير الجمهور ، كمسرح احمـد شوقي منذ اربعين عاما ..

ولكن .. كيف يكبر جمهور المسرح الشعري عندنا بينما الشعر المسرحي نفسه ما زال صغيرا ؟ !

لابد اذن ان نحلم له بالنمو والنضج

ونحن نتوجه باحلامنا الى عامنا الجديد لعله يحقق الاحلام ..

● احلم برواية في مثل ضـخامة ومستوى « الحرب والسلام » للـكاتب الروسي الكبير تولستوى ، فان بلادنا تمر الان بالحرب كما مرت بها روسيا القيصرية عندما غزاها نابليون ثم انسحب منهـا مقهورا ..

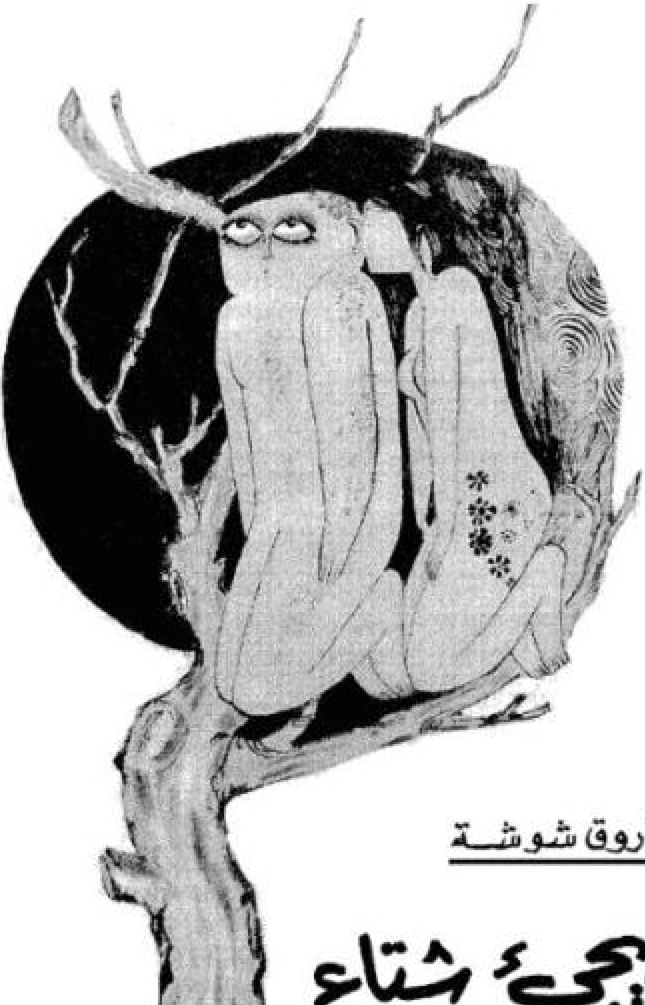
وفي روسيا النصف الثاني من القرن العشرين ـ الاتحاد السوفييتي ـ لم يكتب الادباء السوفييت رواية في ضخامـة ومستوى « الحرب والسلام » بالرغم من انقضاء خمسة وعشرين عاما على خوض الاتحاد السوفييتي نيران الحرب العالمية الثانية وخروجه منها باكبر انتصـار عسكري عرفه التاريخ ..

فالحرب وحدها لا تصنع الاعمـال الادبية العظيمة . وقد انقضى على حرب نابليون في روسيا القيصرية عشرات السنين قبل أن يكتب تولستوي روايته عنها . وقد تنقضي عشرات السنين قبل ان يكتب اديب سوفييتي رواية كبرى عن الحرب العالمية الثانية ، او الحرب الوطنية العظمى كما يسميها السوفييت ..

اكتفي في العام الجديد بان احلم برواية مثل « الحرب والسلام » .. تظهر بعد عشر سنوات أو عشرين عاما او اكثر .. المهم ان احلم بهذه الرواية في بداية هذا العام الجديد ، ولها بعد ذلك ان تظهر على يد اي كاتب تختاره ، في اي عام ترتاح اليه من زماننا او زمان ابنائنا واحفادنا الذين ستبدو لهم حرب الصهيونية العالمية ضد الامة العربية في صور ادبية وفنية لا حصر لها شكلا ومضمونا .

وبعد ..

فاني لا اهرب من يومي الى غدى ، لكنني احلم بالمستقبل عسى ان تتحقق الاحلام . ومرحبا بالمجهول القادم ! ..



فاروق شوشة

ويجيء شتاء

فى قلب الليل العارى ينفجر شتاء
معتل الخطوة ، ممرورا ..

يأتينا اليوم على استحياء
أطول من كل عذابات العمر المحزون
أثقل من عبء التذكار ومن قاع الذكرى الشوهاء

أفدح مما ضاع ، ومما فات ،
وظل حبيسا فى الأحشاء
ويجىء شتاء

يتلاصق وهمانا
تتعانق روحانا
تتجمع فى أوتار الأعماق دماء

يتماوج فينا نبض الشوق .. وتتداخل فينا الأصداء
يتزاحم فينا وهج الدفء ،
وتنطق فى شفتينا الأشياء ..

تبحث عن مأوى .. وغطاء !

* * *

ويجىء شتاء
تدفئنى الكلمات الحرى ..

الكلمات الراعشة الأهداب ، المثقلة القلب بلفح الأشواق
الكلمات العارية من الزيف ،
المترعة بصدق الأعماق
تدفئنى الكلمات الحرى ..

تنثر صعرى بدبيب الأمل المشرق فى نبضات العمر
تنطق صمتى ،
يرنين الصوت الراعش فى خفقات الحرف ..
كلماتك أنت ..

بيضاء بلون الصدق الباقى فى الأصوات وفى النظرات وفى الأشياء ..

كلماتك أنت ..

خضراء بلون الحب المزهر فى الصحراء
فى قلب الصحراء الجرداء ..

كلماتك .. تاريخى .. وخطاى ولون القادم من أيامى
هذا الفجر الأبيض يشرق فى صفحة أوهامى
ويجىء شتاء ..
نتحسس ماذا تركت فينا الأيام !

اللون الباقى فى الأحداق وفى الأعماق ..
والعمر الذائب فى التذكار وفى الأشواق

يتحدى الموت !
كلماتك أنت ..
أغلى من كل الصفحات ومن كل الأوراق ..

قصة بقلم : ديزي الأمير

بدلت اشارة الضوء فتوقفت م السيارة التى امامهاتحمل لوحة دبلوماسية . هكذا تصبح سيارتها بعد بضعة أيام . السيارة التىامامها

تسوقها سيدة . سيدة ؟ سيدة ؟ ما وظيفتها ؟ ما رتبتها ؟ اتراها عربية . شكلها يوحى انها اجنبية، ارتفع رأس صغير ، طفل يجلس بجوارسائقةالسيارة الدبلوماسية .

اذن فالسيدة متزوجة وهى تركب سيارة زوجها الدبلوماسى . فهى نفسها

لا تستحق اللوحة الدبلوماسية لانها تابعة لرجل يحمل هذا اللقب.

اما هى ففتاة عربية تحمل جوازا دبلوماسيا . حصلت عليه لانها تستحقه .. لم يتوسط لها اب ولا اخ ولا زوج . ما شفع لها،

هو مقدرتها لهذه الوظيفة بلدها العربى يقدر الفتيات ويعطيهن ما يستحققن دون وساطة رجل .

وهذه التى امامها تزهو بسيارتها ؟ تزهو بمكانتها!! وما فضلها ما دام زوجها هو صاحب المكانة ؟ وهى كأية سيدة اخرى ، جنت محصول ما زرعه رجل .

لو كانت زوجة وزير او زوجة فلاح فما فضلها فى هذا ؟ اما هى فتعبت وجهدت حتى نالت وظيفتها بعرق جبينها .

وتذكرت كلّ من كان يمكن ان تتزوج . كانوا سيعطونها اسما جديدا ووضعا بيتيا جديدا ومسئوليات جديدة ولكن كل هذه الامور تشبه

ما تربحه كل متزوجة .. اما هى ، فهى تحمل اسما خاصا بها ، مكانة خاصة بها، مسئولية خاصة بها.

حين تقدم للاخرين لا يقال عنها ابنة فلان او زوجة فلان او ام فلان . انما يذكرون اسمها وهو وحده

كاف . انه اسم معروف استحق مديحا لما يحمل من اثر معروف لدى الناس.

السيارة التى خلفها تزعق ليما ان تمشى ، الضوء التالى اخضر من مدة ، وزوجة الدبلوماسى مشت بسيارتها . طبعا عليها

الشعر المستعار

● بريشة حلمي التوني ●



ان تسرع فزوجها ينتظرها وكذلك بقية الاولاد ، ومسئوليات البيت . هي كـذلك يجب أن تسرع لا ارتباطا بشخص ولكن تنفيذا لموعد تسجيل قصة للاذاعة وبعد ذلك عليها ان تحضر الجلسة الثالثة

من المؤتمر . عليها أن تنقد الحوار الذي سمعته امس . كانت السيدة مندوبة الهند

دقيقة جدا في حديثهـا وعميقة أما مندوب سيلان فلم يستطع الوصول الى

عمق نقاط السيدة . هذا القرن عصر السيدات . لقد تفوقن على الرجل . ولكن الغريب أن مندوبة الهند متزوجة كيف استطاعت أن تجد وقتا

تترك فيه بيتها ومسئولياتها لتأتي الى هنا لتناقش وتنتقد وتحاضر ؟ مندوبة الفلبين الجميلة جدا والتي ترتدي

آخر صرخات الازياء لم يكن شكلها يوحي بثقافتها العميقة ولكنها ما ان بدأت

الحديث حتى نسي السامعون جمالها ورأوا عمقهـا ومنطقها وثقافتها .

كادت ان تتعدى الضوء الاحمر فوقفت وتراجعت الى الوراء قليلا . ابتسم لها الشرطي دون أن يعلق بشيء مدت رأسها تقول : أنا متأسفة لقد اخطأت

وكدت اعبر الضوء الاحمر . ضحك قائلا : للسيدات قوانين خاصة ؛ فالجمها جوابه غضبا . ما هذه الحقوق التي للسيدات ؟

السماح لهن بمخالفة تعاليم السير ؟ اهذا هو حق المرأة ؟ وبقية الحقوق التي لم

تكسبها بأنوثتها أهي لا تريد هذا الحق المهين . غدا حين تضع اللوحة

الدبلوماسية على سيارتها ويراها الشرطي وحدها ، سيفتح لها الطريق لانها عاملة جيدة ، عاملة متفوقة حتى على الرجال .

على جانبي الطريق محلات تعلن عن بضاعتها النسوية بتشويق كبير

وحشود من النساء تدخل وتخرج . الساعة الحادية عشرة صباحا . الا عمل

لهؤلاء النسوة غير التنقل من مكان الى اخر ؟ من رأته

منهن يحملن رزما وعلبا كثيرة .. كيف يرضين بهدر الاموال على أشياء تافهة كهذه ؟ والبيت ؟ الا ان ربات بيوت حقا لا يستحق

ذلك البيت وقتا ومالا يصرف عليه بدل تضييعهما على الثياب والشعر والتنقل من مقهى ، الى بيت ، الى رصيف .. ؟



الشعر المستعار

وصلت دار الاذاعة ودخلت قاعة التسجيل . كان هناك رجل لا يزال يسجل حديثه وفي مكان الانتظار كان رجلان اخران جالسين . قام احدهما وقدم كرسيه لها فشكرته معتذرة بانها تفضل الوقوف فاستنكر هذا منها ، ايجلس هو ، وهو الرجل ، وتبقى هي ، الفتاة ، واقفة ؟ اجابته : وما الخطأ في هذا ؟ السنا في عصر تتساوى فيه المرأة والرجل ، قال : انا اقدم لك الكرسي لامرين لانك فتاة ولمكانتك الادبية التي احترمها كثيرا . أحست كل زهو الدنيا يملؤها لمادت تشكره وذهبت الى اقصى القاعة تسحب كرسيا فارغا من بعيد . فركض احد العمال يأتيها بالكرسي وتساءلت فيما بينها : هل يأتي لها العامل بالكرسي لانها فتاة وهو رجل ام لانه كذلك تعرف عليها .. ؟

انتهى الرجل الذى كان يسجل حديثه فتقدم مدير التسجيل منها يدعوها للدخول الى الاستديو فتطلعت الى الرجلين اللذين كانا قبلها ، قال المدير : السيدات اولا .. كادت تقول لم اعد احس انى فتاة ، انا اعمل اكثر من الرجال واقوم بواجبات تساوي أو تفوق وظائفهم ولكنها سكتت . فطالما رددت هذه العبارات امام الاصدقاء والصديقات المقربين والمقربات واعتبر حديثها نكتة بدأوا يتناقلونها .

انهت تسجيل القصة فقال لها المشرف على ضبط الصوت انها اجادت الالقاء فهو لم يكرر لها أو يعيد اى مقطع حتى الرجال انفسهم لا يسجلون احاديثهم بهذه الجودة . تمنت ان تقول له انت تدرى ما هى وظيفتى الجديدة ؟ وظيفة يتمناها ألف رجل ولا يستطيع الحصول عليها فما اهمية ان اجيد تسجيل قصة نسبة الى ما وصلت اليه .. ؟

عند الباب وفي الشارع كانت سيارة قد وقفت لصق سيارتها ولم تترك لها الا مكانا ضيقا للخروج . تأملت السيارتين . قال لها رجل كان يراقبها هل تريدين المساعدة .. ؟ اخراج سيارتك من هذه الحفرة يحتاج مجهود رجل فاستفزها كلامه وشكرته باقتضاب وبدأت تبذل جهدا تحاول اخفاءه لتخرج سيارتها دون ان تخدشها او تخدش السيارة الملتصقة بها . تطلعت بانتصار الى الرجل الواقف وهي تبتعد من نظراته ..

لا تدرى كيف وصلت الى هنا . الطريق الذى تسير فيه مقفل ، طريق يتسوقف ولا منفذ له ، الوقت لديها ضيق وهنا خمس دقائق ضاعت وخمس اخرى ستضيع بالعودة واستدارت لتعود . الشارع ضيق والاستدارة غير سهلة تقدمت قليلا وتأخرت ثم عادت تتقدم والتفكير بضيق الوقت يشغلها . بقيت استدارة بسيطة ويصبح اتجاه السيارة صحيحا . انتهت هذه المرحلة فاسترخت على المقعد وبدأت العودة وما كادت تسير بضعة امتار حتى سمعت صوت ارتطام شديد واذا بسيارتها تكاد تنقلب ورجلان يحيطان بسيارتها وهما يشتمان ويصرخان بالفاظ واصوات لم تتعود اذنها سماعها .

الشعر المستعار

ذهلت للمفاجأة فصرخ فيها احد الرجلين انزلي من سيارتك وتأملي ماذا فعلت بسيارتنا . النساء لا يصلحن لقيادة السيارات فلم لا يتركن هذا العمل لاصحابه للرجال ؟ وجدت نفسها تهبط وتتأمل مؤخرة السيارة . كانت سيارتها مضروبة بقوة والصندوق الخلفي مهشم تماما وكذلك كان الجانب الامامي الايمن من سيارة الرجلين . الضربة من الخلف ليست هي مسئولة عنها .

هكذا علموها في قوانين قيادة السيارات والسيارة قد خرجت من شارع أيسر اذن فالطريق لها وليست لسيارة الرجلين ولكن قبل ان تفتح فمها لتفهمهما خطأهما امتلأ الشارع بالناس ، كل يدلي برأيه ويصرخ برفيقه او بها او بالرجلين ، لا تدري ، كان الصراخ والتعليقات المفهومة وغير المفهومة تتوالى من كل صوب . فتحت نوافذ البيوت وامتدت الرءوس تستطلع وهرع الناس من دكاكينهم يتفرجون .

صاح احد الرجلين لا داعي لكل هذا الصراخ اعطينا ثمن تصليح سيارتنا فسكتت . ايقظتها جملته هذه من الكابوس الذي حولها . الحق عليهما ويريدان منها العكس ؟ ماذا تقول ؟ الحق على انا من تظنني ؟ . وكيف تحسبني بهذه البلاهة .. ؟ تقدم احد المتفرجين قائلا : انت سيدة وهم رجال لن تستطيعي اقناعهم امنحيهم ما تستطيعين ليسكتوا فصرخت فيه ومن قال اني اريدهم ان يسكتوا فليقولوا ما يريدون انا ادرى ان الحق بجانبي وهم المعتدون .. وتدخل كل الحضور هذا من باب دكانه وذاك من رأسه الممدود من النافذة واخر صار قربها ، وخامس دخل سيارتها . وسادس اقتحم الازدحام ليصل اليها . لم تعد ترى احدا او تسمع شيئا امتلأت عيناها واذناها بضجيج لا تميزه .. ولكن يدا امتدت وامسكت بكتفها . وكادت هي ان تمد كفها تدفع اليد لو لم تسمع صوتا انثويا يقول : تعالي مالك وكل هؤلاء الرجال تناقشينهم ، تعالي هنا تليفون اتصلي بأبيك او اخيك او زوجك اتصلي بأحد رجال بيتك ليأتي ويسكت هذه الاصوات . انت فتاة ولن تستطيعي اقناعهم . انجذبت لليد وسارت نحو صالون حلاقة نسائية وامسكت سماعة التليفون تدير القرص . ولكن من تكلم .. لا اب لها ولا اخ ولا زوج ولا رجل في بيتها تستنجد به .

تطلعت الى صاحبة الصالون تريد الاعتراف لها بهذا ولكنها خجلت . ماذا ؟ اتقول انا رجل اقوم بأعمال الرجال واضاهيهم واتفوق عليهم . ؟ وما ينفع ان تقول هذا وضجة الرجال في الخارج تزداد . ثم تذكرت ان هناك شركة تامين وان هناك خبراء للشركة ولكن كيف تخرج دفتر ارقام التليفونات من حقيبتها امام صاحبة الصالون . ؟ المفروض انها تحفظ رقم تليفون ابيها او اخيها او زوجها .

قالت : لا استطيع تركيز افكاري على ان انتقي من الارقام . لم يكن الخبير الاول في مكتبه فادارت رقم

الخبير الثاني وطلبت اليه بالحاح ان يأتي بسرعة سألها من عنوان مكان الحادث

نظرت الى صاحبة الصالون تستنجد بها تماسكت هذه بالسماعة وقالت تخاطب الطرف الثاني يا سيدي اختك عندي في صالون حلاقة يقع في .. ليست اختك المعذرة أقصد زوجتك ! ..

وتمنت هي لو يرضى الخبير ويزعم انه أحد

أقاربها ولا تدري بماذا اجابه لان صاحبة الصالون لم تقترح قرابة جديدة .

بقيت في مكانها تنتظر وصول الخبير وتزاحمت أمامها الصور .. تجلس

وراء المكتب تكتب التقارير تحضر الندوات تناقش في الاجتماعات . تكتب لهذه المجلة تمة وتسجل لهذه الاذاعة حديثاً . حولها في الصالون عدد من السيدات هذه تحت منشف الشعر . أصابعها تعتني بها عاملة

الاظافر . وتلك يسرح لها الحلاق شعرها وهي تطلب اليه ان يرفعه الى أعلى وأعلى وتمد ساقها تدلكها عاملة أظافر القدم . في الخزانة امامها كومة من

الشعر المستعار بمقاييس والوان شتى . انسحبت ستارة وبدا لها وجه امرأة

مستلقية وقناع كثيف من الكريم الابيض يعلو وجهها مدت عينيها الى أبعد ولكن صوت رجل يحييها

بقوة وصل الى اذنيها . كان رجل يقف امامها . رجل طويل عريض الكتفين قدم نفسه لها بأنه خبير حوادث السيارات . خرجت معه الى الخارج سلمته

مفتاح السيارة والاوراق الخاصة بملكيتها واجازة

قيادتها . مع الاوراق كانت هويتها الدبلوماسية تأملتها وارجعتها الى حقيبتها وأوقفت اول

سيارة تاكسي وطلبت منها ان توصلها الى سوق الثياب الجاهزة .

طلبت من البائعة ان تعرض عليها فستانا من اخر

طراز وحين سألتها البائعة: اهو لك .. اجابت أريده صرخة في الزي الحديث .

كان في المتجر قسم للشعر المستعار ؛ اضافت وأريد كذلك شعرا مستعارا .. عادت البائعة تسألها

النوع الذي تريدين ؟ .. أريد شعرا مستعارا .. أريد « باروكة » شعر نسائية لا رجالية ...





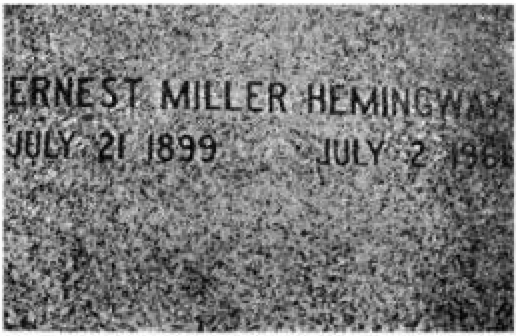
شكرى روفائيل

• مارى هيمنجواى و ٩ سنوات بعد وفاة أشهر كتاب الرواية المعاصرة

كل شئ مستمر فى حياتى رغم أنه ذهب ولم يعد

منذ ٩ سنوات وبالتحديد فى ٢ يوليو ١٩٦١ وفى مدينة كيتشوم Ketchum بولاية ايداهو بالولايات المتحدة الامريكية لقى ارنست هيمنجواى مصرعه ! بادئ الامر جزعت زوجته ولم تصدق انه مات ، فقد كانت أصداء احدى اغانيهما المحببة تتردد فى اذنيها قبل ان ذهبا الى الفراش فى الليلة السابقة .. ولكنها صدمة الموت ومواجهة الحقيقة مرة لاول مرة ..

وعلى طوال السنوات التسع بعد الموت .. استمرت مارى هيمنجواى تواصل نفس الحياة ، وتذهب لقضاء ستة اشهر من كل عام فى نفس المنزل بمدينة كيتشوم .. وكأنما لم يتغير شئ فى حياتها .. وتفعل تماما كما كانت تفعل بجواره .. رحلات الصيد وما يصحبها من انطلاقات حرة .. تماما كما علمها هيمنجواى .



لم يبق من أسطورة هيمنجواى سوى حروف
منقوشة على قطعة رخام بمقابر كيتشوم

● بعد موت هيمنجواى ●

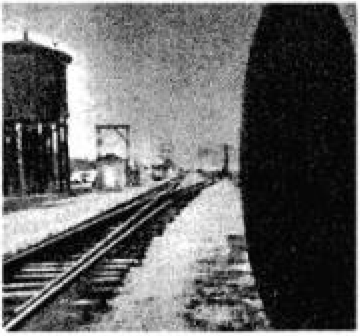
« ٢٢ كيلو من المخطوطات تعثر عليها الزوجة مودعة فى ٤ خزائن باحد بنوك كوبا .. »

بعد موت هيمنجواى .. تلك الميتة الدرامية التى هزت ضمير العالم واعتصرت قلوب عشاقه ومحبيه ، وقرائه ومتابعى حياته الاسطوريه الغريبة .. وأفكاره التى ضمنها عشرات القصص والروايات .. تحول أهالى مدينة كيتشوم صدرا مفتوحا وذراعين حانيتين تحتضنان أرملته ومحبوبته « **مارى هيمنجواى** » ..

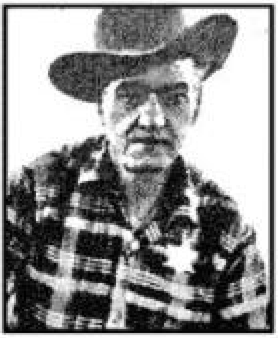
وتسابق الكل ليكونوا فى خدمتها ، **شريف المدينة** الذى يحرص دائما على أن يقدم عزاءه واعتذاره عن تلك الاجراءات الرسمية التى اتخذها رجاله فى اتجاه منزلها بعد مصرعه ... ساعى **البريد الذى** ظل لسنوات طويلة يلتقى بها كل صباح ليسلمها مجموعة الخطابات التى ترد اليها من جميع انحاء العالم تحمل احاسيس الناس ومشاعرهم تجاه زوجها الراحل واكبر كتاب العصر ...

مسز كلاراسبيجل ، السيدة التى أملى عليها « هيمنجواى » اغلب صفحات أشهر رواياته « **لمن تدق الاجراس** » والتى أصبحت فيما بعد رفيقة أرملته فى كل رحلات صيد الوحوش ، بنفس الطريقة التى كانت تتم فى حياة « بابا » « وهو الاسم الذى كانت تطلقه عليه أرملته ومحبوه طوال حياته » ..

طبيب المدينة وولده ، وجميع السكان الذين تحولوا الى مرشدين سياحيين يحذرون



محطة مدينة كيتشوم ذات الطابع المميـــز لمدن غرب أمريـكا ...



شريف المدينة الحريص على تهيئة المكان وإبعاد المتطفلين عن أرملة هيمنجواى ..

القادمين اليها من اثارة الصخب ، وأبعاد جماعات المتطفلين عن المنزل الذى تحيا فيه أرملته وسط مزرعة كبيرة تبعد عن المدينة بأربعمائة متر ، وهم فى الغالب يفعلون ذلك حرصا على اتاحة الفرصة لأرملة الكاتب فى أن تواصل حياتها الرتيبة ، مع فيض الذكريات ، وبين جدران ، وتحت سقف المنزل الذى شهد الأيام الأخيرة لحياة الكاتب العظيم .. « ارنست هيمنجواى » . الذى أثار العالم بحياته الخاصة بنفس القدر الذى أثاره به بأعماله الأدبية الرفيعة ..

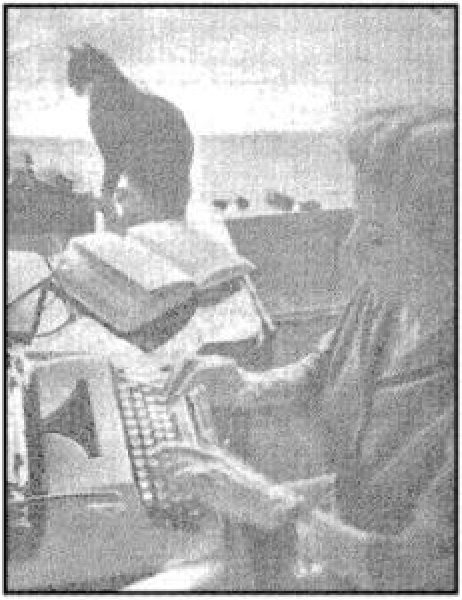
أما « مارى » الأرملة الحزينة ، ذات الشعر الفضى الذى تتماوج فيه لمة بنفسجية خفيفة ، والتقاطيع الحادة ، والأنف الرفيع قد أصبحت يكسو ملامحها الآن ستار من الغموض والصمت الغريب . وتمارس حياتها طبقا لذلك الأسلوب الذى علمها اياه زوجها الراحل ، فى شبه طقوس ومراسيم يومية بكبرياء واخلاص شديدين ..

ويمضى شريط الذكريات لأرملة الكاتب العظيم ، لنتوقف به فى لحظة معينة .. ومكان بعينه ..

الزمان : ٤ يونيو عام ١٩٤٤ والساعة السابعة مساء .
المكان : لنـدن .. وفى بار ريتس بالذات ، حيث تلتقى يوميا مجموعـة كبيرة من المراســـلين العسكريين لكبريات الصحف العالمية .

وفى هذا الزمان وذلك المكان ، وفى تلك اللحظة ، وأمام ذلك الجمع الغفير .. تدخل صحفية امريكية شابة ، على جانب كبير من الجمال ، قصيرة القامة « ١٥٥ سم » ، نحيفة ، ممتلئة بالحيوية والنشاط لتعلن لزملائها وفى عبارات خطابية مختصرة : « حدث عظيم يا سادة !! لقد وصل « بابا » توا من نيويورك ، على ظهر احدى القلاع الطائرة » ..





الطلبة فى جميع انحاء العالم يعدون رســـائل عن هيمنجواى.. ومارى تسهم بارشادهم وتوجيههم.

مارى التى كانت تعشق النوم حتى الظهيرة ، تبكر الآن فى الاستيقاظ حيث تجلس امام الآلة الكاتبة منذ الثامنة صباحا تماما كما كان يفعل هيمنجواى ولمدة ٤ ساعات كل يوم تكرس فيها جهدها فى خدمة الميراث الادبى الكبير الذى تركه هيمنجواى .. ٢٢ كيلو من المخطوطات لاعماله التى لم تنشر .. اربع روايات و ١٩ قصة قصيرة و ٢٣ قصيدة و ١١ مقالة طبقا للجرد الذى اجراه اثنان من اساتذة جامعة بنسلفانيا استعانت بهما مارى لهذه العملية ..

اما الخطابات والمذكرات والمستندات وجميع اوراق ارشيفه تملأ وحدها ١٢ حقيبة كبيرة ومجموعة اخرى من الحقائب الصغيرة .. فقد كان يحتفظ بكل شىء حتى اعلانات حفلات مصارعة الثيران .

ومارى بصفتها المسئولة وحدها وفقا لوصيته عن تقرير مايمكن نشره من اعماله ، تقوم حاليا بالرد على مئات الرسائل التى يبعث بها اليها طلبة الجامعات من جميع انحاء العالم يستشيرونها فى دراساتهم الخاصة بهيمنجواى والى جانب هذا فقد اورثها حب الطبيعة ومعايشتها وهى اغلى هدية تركها لها « ارنست » وفقا لما علمها اياه

● ولكن من هو « بابا » ؟؟ ومن هي تلك الصحفية الشابة ؟؟ ●

لقد كان الـ « بابا » هذا ، هو نفسه « ارنست ميللر هيمنجواى » ، حيث عرف في جميع الاوساط ، وبين عشاقه ومحبيه ، ويدخل هيمنجواى الى البار بجلسته المعتادة ، متدلعا لتحية « اوليس » البارمان ، ثم يتنحى ركنا مع مجموعة من الرفاق ..

اما الصحفية الشابة ، فقد كانت « مارى ولش » المحررة السابقة « بالشيكاجو ديلى نيوز » والتى استقالت منها لرفضهم تعيينها بمكتب الصحيفة بباريس ، فرحلت الى لندن لتعمل لحساب « الديلى اكسبريس » ، وعرف عنها نشاطها ، وسعة اتصالاتها بكافة الاوساط ، ورجال السياسة والادب .. فقد غطت فى عام ١٩٣٦ وبمجموعة من التحقيقات الشيقة احتفالات تتويج الملك جورج السادس ، وفى عام ١٩٤٠ كادت تلقى حتفها فى دنكرك أثناء انسحاب القوات البريطانية ، وتمكن أحد بحارة سفن الشحن من انقاذها فى اللحظات الاخيرة ..

على أن ذلك الحماس الشديد الذى أعلنت به مارى ولش نبأ وصول هيمنجواى الى بار ريتس كان مبعثه شدة اعجابها وتعلقها بمؤلفات واحد من أشهر كتاب بلادها فى تلك الفترة ، ولم يكن بسبب معرفتها به شخصيا من قبل . لكن أحداث تلك الليلة كانت تخبىء لتلك الامريكية الشابة حدثا آخر لعله أصبح فيما بعد واحدا من أهم أحداث حياتها التى لم تسع اليها بحاستها الصحفية على الاقل ، وتحولا فى تاريخ علاقتها كقارئة لاشهر كتاب العصر ... فقد التقى هيمنجواى بمجموعة المراسلين الموجودين فى ذلك البار الصغير ، وأمضى معهم بقية ساعات الليل التى انتهت بتعارفه « بمارى » بعد أن قدمها له أحد الاصدقاء كواحدة من المتحمسات لادبه وفنه ، وانتهى اللقاء بدعوته لها لتناول الغداء فى اليوم التالى بأحد مطاعم لندن ، ولكن الدعوة لم تنته نهايتها المعتادة .. المتكررة .. فلم تكن الا فرصة انتهزها الكاتب الكبير ليعبر لها عن مبادلتها الاعجاب . لا بمقالاتها بصحيفة الاكسبريس ، ولا بنشاطها كمراسلة فحسب ، ولكن بشخصيتها الطاغية ، وجاذبيتها التى لا تقاوم ، وما لبث ان عرض عليها الزواج .. ذلك العرض الذى لم تأخذه على محمل الجد ، وتمضى الايام ، ويرحل هيمنجواى الى باريس .. ومن هناك يمطرها فى كل يوم برسالة ، تحمل أشواقه اليها ، وتؤصل علاقة الحب بينهما ، فى سطور رائعة بعضها من الشعر الحر .. مليئة بعبارات الغزل الرقيق ، معبرا عن خواطره ومشاعره تجاهها ، وان كانت فى نفس الوقت تعد صفحات مجموعة رائعة من يومياته فى تلك الفترة .

واذا كان من المعروف ان هيمنجواى كان يعد واحدا من اقدر صيادى الوحوش .. و .. النساء أيضا ، فقد كانت مارى صيده الرابع والذى استطاع بمهارته ، وعذوبة كلماته اليها أن ينسج شباكه من حولها ، لا لتسقط فيها وحدها ، ولكن لتكون عشا حقيقيا يجمع بينهما ، فحالما انتهت الحرب ، وبعد ان تمت اجراءات طلاقه من زوجته الثالثة « مارثا جيلهورن » وطلاق مارى من زوجها الاول ، عقد هيمنجواى ومارى ولش زواجهما فى هافانا بكوبا فى ٢٣ مارس ١٩٤٦ .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت رحلتهما الزوجية الحافلة التى انتهت بفاجعة فى صباح يوم ٢ يوليو عام ١٩٦١ وفى الساعة السابعة والنصف صباحا بمنزلهما بمدينة كيتشوم عندما استمعت مارى الى طلقة رصاص مكتومة .. هرعت على أثرها من غرفتها

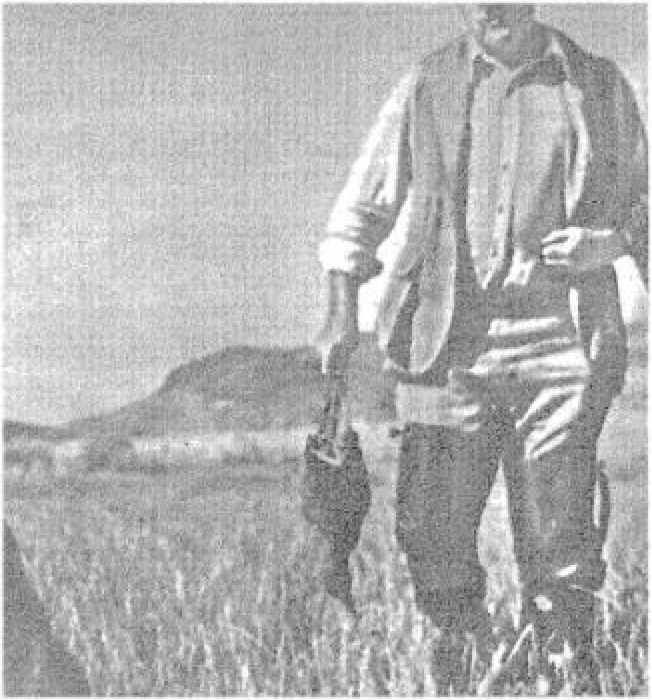


المنزل الذى قضى فيه هيمنجواى
أيامه الاخـــيرة بكيتشـــوم

فى عام ١٩٤٤ لاعداد ريبورتاج عن نزول قوات الحلفاء على شواطىء نورماندى .. تلك الرحلة التى التقى فيها الروائى الكبير لاول مرة بالصحفية الامريكية الشابة مارى ولش التى تزوجها بعد عامين من هذا اللقاء فى هافانا ..
وفى « الفينكافيجيا » منزلهما بكوبا ، مرفأ الهدوء الذى اعداه لقضاء عدة شهور من كل عام حتى ٥٩ كما كانا يقضيان عدة شهور اخرى بمدينة كيتشوم ..
وفى عام ١٩٦٠ علم باصابته بمرض مستعص ، وبعد عام اخر وجد ملقى فى غرفة مكتبه مصابا بطلق نارى واليوم تعترف مارى هيمنجواى انه قد فضل ان يسبق الموت.

فى عام ١٩٦٠ صورة جمعتهما وتبدو عليه مظاهر الاعياء وكلاهما يعرف ذلك .





لقطة تقليدية له كما كان يحب أن يبدو دائما صيادا ماهرا ...



جراب زجاجة ويسكي كانت قد أهدته اياه حفرت اسمه عليه .



على احدى فوط الوجه بالحمام حيث نقشت عبارة ((بابا)) التى كان يفضـــل التوقيع بهـا ...

الى غرفة مكتبه المليئة بأنواع مختلفة من أسلحة الصيد ، حيث وجدت حبيبها مفتوح العينين ، يلقى عليها بنظراته الاخيرة ، بعد أن أطلق فى فمه رصاصة واحدة من بندقيته .. لم فاضت روحه ، وأغمض عينيه الى الابد .. تماما كنفس النهاية وبنفس الاسلوب الذى أنهى به دكتور ميللر هيمنجواى الاب حياته ..

على أن فكرة الانتحار التى فسر بها الحادث ، لم تكن أبدا مقبولة تماما لمارى التى عبرت عن ذلك أمام ما يقرب من الستين صحفيا هرعوا الى مكان الحادث ظهيرة وقوعه بقولها : « انه حادث .. اقسم لكم بذلك وليس انتحارا ، « فارنست » لم يكن يشكو من اى انهيار ، أو أى نوع من أنواع القلق والاضطراب ، منذ عودته من استجمامه الاخير بعيادة « مايو بروشستر » اذ لم يكن يشكو كذلك من اية أورام خبيثة بلسانه ، أو بسرطان الفك ، فارنست لم يكن من ذلك النوع الذى يقدم على الانتحار . انه حادث !! » .

وبمشاعر الحزن والغضب اللذين امتلأ بهما صدرها ، وأوقر فيه آلام جراح عميقة، كانت « مارى » ترفض فكرة انتحار هيمنجواى ، وتدافع عن وجهة نظرها بأنه مجرد حادث ، الى الحد الذى لجأت فيه لرفع قضية ضد « هوفنر » أحد محررى مجلات الاثارة ونشر الفضائح ، لنشره سلسلة من الموضوعات حول الحادث يؤكد فيها انتحار هيمنجواى بدعوى أنه شخصيا قد سبق أن ألمح اليه بنيته التخلص من حياته .

واليوم وبعد مرور سنوات تسع على صبيحة اليوم المشئوم « الثانى من يوليو عام ١٩٦١ » ، ورغم أن أصداء الطلقة المذكورة ما زالت تتردد فى آذان مارى فقد استطاعت أن تتجاوز أحزانها ، وتعقد شبه مصالحة بين مشاعرها وضميرها ، والعالم ، بعد أن تعرى كل شىء ولم يعد لديها ما تخفيه ..

وفى حديث أجراه « ايف سالج » Eve Salgues محرر « البارى ماتش » تقول مارى هيمنجواى : « لكى أستطيع أن أتجاوز أحزان تلك الحادثة المروعة كنت فى أشد الحاجة لكل ادراكى وعقلى ، فقد شعرت فى لحظة ما أن قوة خارقة تسحق تفكيرى وتكاد تسلمنى للجنون .. كما كنت أعتقد أننا نحن الاثنين قد مررنا بعديد من المواقف والازمات الخطيرة التى أمكننا تجاوزها جميعا ، ولم يكن هناك أى علامة تشير بتوقع حدوث ما هو أصعب وأخطر .. وان علينا أن نتهيأ له ! » .

ولعل ما ألمحت اليه مارى هيمنجواى فى حديثها العابر مما أسمته « بالمواقف والازمات الخطرة » كان فى الحقيقة اشارة صريحة لمحاولة سابقة لهيمنجواى الانتحار بالحبوب المنومة ، الا أنه فى غياب ما يبشر بسوء الطالع يصبح ذلك أمرا مثيرا فى حد ذاته بالنسبة لهيمنجواى ...

والدليل على ذلك أنه فى اليوم السابق على مصرعه « فى الثانى من يوليو » كان « ارنست ومارى » يتناولان عشاءهما بمطعم « كريستينا » وهو من أفخم المطاعم المطلة على نهر « سان فالى » بالقرب من كيتشوم بولاية أيداهو والمشهور بتقديم لحوم الصيد .. والاسماك ، والحيوانات البحرية ، وبانتهاء تناولهما العشاء يعودان مبكرين لمنزلهما ، وأثناء خلعها ملابسها تتذكر أحدى الاغنيات الاثيرة الى نفسها والتى كانت قد استمعت اليها لاول مرة من عازف مندولين متجول بنابولى عندما صحبها هيمنجواى فى زيارة طويلة لجنوب ايطاليا « فى خريف عام ١٩٥٦ » .. كان هيمنجواى ينظف أسنانه بالحمام ، حينما ارتفع صوت مارى مرددا المقطع الاول للاغنية ، والتى مالبث

أن التقطها « ارنست » بعد انتهائه من تنظيف أسنانه واشترك في ترديد الاغنية بين ضحكاتها .. واسترجاع بعض من ذكرياتهما ..

هل يمكن لمثل تلك المرأة أن يخطر ببالها أنه بعد ثماني ساعات سيقدم حبيبها على الانتحار ؟؟ ..

وبالرغم من هذا فهناك عبارات « أرنست هيمنجواى » نفسه التى كانت تجول بخاطرها باستمرار .. حينما كان يهمس اليها فى لحظات عابرة : **« لكم اود ياحبيبتى أن تدركى تلك الحقيقة التى تهملها كل النساء ، يجب الا تحلقى فى الاوهام » .**

ولكن مارى تلك الارملة الحزينة التى شحب لون وجهها ، وتقلصت وجنتـــاها ويصعب على المرء أن يحدد سنوات عمرها .. أدركت بحق معنى ما كان يقصـــده هيمنجواى بعباراته تلك بعد سنوات طويلة من مصرعه تعانى فيها آلام الوحدة ، والسباحة بين أمواج الذكريات .

كان من الممكن أن تصبح « مارى » كأى واحدة من الارامل ، تستسلم لليأس .. وتعايش الاحزان .. وتعلق على صدرها قيصا باهتا للذكريات .. أو أرملة متنمرة تنشب أظافرها فى وجه كل من ينال من سيرة معبودها وكاتب الملايين ارنســـت هيمنجواى « ولكنها فضلت أن تبقى زوجته فقط » تعيش فيه ، وتعيش معه بكل صــفاته .. مرحه .. وذكائه .. نشاطه ,, وحيويته . ولحيته الكثيفة الشعر ... التى تهزها ضحكاته » .. حقا ان كل بطلات هيمنجواى تتشابهن ، ومع ذلك فمن بينهن جميعا « وعددهن ١٦ بطلة اذا ادخلنا فى حسابنا قصصه القصيرة » من تشبه هيمنجواى بحق أكثر من غيرها ، وتعتـــبر فعلا قطعة منه ــ تضــمن استمراره كأسطورة ــ هى بالتأكيد زوجته « مارى » التى أعطـــاها خمسة عشر عاما هى عصارة تجاربه وأحلى سنى عمره .. فكل دقة من دقات ساعة كيتشوم الشهيرة انما تذكر مواطنيه بروحه وشخصيته المتجددة فى روح وشـــخص مارى هيمنجواى التى استطاعت بطويل معاناة ، وصبر ودأب شديدين الحفاظ على ذكراه ماثلة متجددة فى الأذهان .

ولقد بدأت تلك المعاناة عندما كان عليها ان تمحو من الاذهان ، أســـطورة **الفيتكافجيا** » مزرعته الشهيرة بهافانا التى يتوسطها منزله ، ذو الثمانى عشرة حجرة .. حيث كتب فى عام ١٩٥١ أروع أعماله « **العجوز والبحر** » .. كان اســـم هيمنجواى مرتبطا ارتباطا وثيقا باسم « هافانا » ، حيث ترسبت أسطورته منذ عام ١٩٣٨ الفترة التى ظهرت فيها بالولايات المتحدة الامريكية روايتـــه « **كل شئ أو لا شئ ! En Avion ou pas** » . وهيمنجواى الذى كان سلوكه طوال حياته يوحى للانسان بالا يأخذ حقيقة الموت مأخذ الجد ، كان هو نفس الشخص الذى أودع مايقرب وزنه من الاثنين والعشرين كيلو من المخطوطات خزانة أحد البنوك فى هافانا بكوبا .. والتى كشفت عنها حكومة فيديل كاسترو فى عام ١٩٥٩ حينما أرسلت له بضرورة حضور عملية فتح الخزانة .. وهو اجراء قامت به الحكومة الثورية فى كوبا مع كل أصحاب الخزائن السرية المغلقة ، ورغم أن البرقية قد وصلت اليه بعد ثلاثة أشهر من ارسالها بعد وفاة هيمنجواى كان على مارى بعد أن تذكرت أمر تلك الرســالة

الكوبية التي لم يستجب لها زوجها في حينها ، أن تتوجه الى هافانا حيث وجدت ذلك الكنز كما هو لم يمسسه احد !! الا أنها مع هذا قطعت صلتها بالمدينة وطلبت تحويل منزل الفينكافيجيا الى متحف يضم آثار زوجها الراحل .

على أن تعلق « مارى » بمنزلها بمدينة كيتشوم لا يرجع فقط الى أنه المكان الذى شهد مصرع زوجها ، ولكن بالذات لانه المكان الذى عاشا فيه شهر عسل متصل دام سنواته الست الاخيرة .. والان ، وهنا .. هنا فقط تمارس طقوس الولاء لذكرى الزوج ، والحبيب والكاتب العظيم ..

وتكتمل ملامح اللوحة العريضة التي تحيط بمنزل الذكريات الذى يعلو ربوة عتيدة تتوسط مجموعة من الربوات تحيطها الثلوج فى الشتاء ، وتبدو كاسوار قلعة من قلاع وادى الشمس .. حيث تنساب على جنباتها أنهار وروافد تتدفع مياهها فى خرير متواصل كسيمفونية بدأت ولن تنتهي .. كل ذلك يجعلنا ندرك لماذا فضل هيمنجواى فى أواخر أيام عمره ذلك المكان دون غيره ، فولاية ايداهو من الولايات التى تعتبر حلما من أحلام هواة صيادى الوحوش والاسماك ، وهما عنصرا أساسيا من عناصر روح المغامرة عند هيمنجواى ..

لقد كان يأتى الى هذا المكان عادة فى شهور الصيف من كل عام ، ومع مطلع شهر سبتمبر يبدأ فى ممارسة صيد الحيوانات البرية ، ومن اكتوبر الى يناير يكمـــــل رحلة الصيد بالبط البرى .. وفى أوائل فبراير ينتقل الى شقته بنيويورك حيث اختارها قريبة من كبريات دور النشر « سكريبترز ، ودبلداى ، وراندوم هاوس » التى أوصلت أعماله الى قرائه بسبع وعشرين لغة وباعت بما فى ذلك كتب الجيب — أكثر من ٢٠٠ مليون نسخة من أعماله .. وبعد وفاته التزمت مارى بهذا النظام فى حياتها كما لو كان أرنست حيا الى جوارها ، بل أكثر من ذلك فان قطته الصغيرة « مارى » كما كان يدللها قد أصبحت تتبع تماما نظام العمل اليومى الذى كان يتبعه هيمنجواى .. يستيقظ فى الفجر ولا يغلق كراساته التى تشبه الكراسات المدرسية الا اذا ملأها بسطور من الحبر الاسود عند الظهيرة ، ولكنها لم تكن أى سطور .. وكلمات أى كلمات بل كانت تحمل فكرا ، وأسلوبا .. وبناء جديدا يضاف الى عمارته الادبيه ، فقط لم تغير مارى ذلك الاسلوب وانما استعاضت عن الكراسات والحبر الاسود باحدى الالات الكاتبة التى استحضرتها من منزلهما بهافانا .. و .. وليس من ذكرياتها معه ..

● ولـــكن ماذا تكتب مـــارى هيمنجواى .. ؟؟ ●

ورغم مرور سنوات تسع على مصرع أرنست هيمنجواى .. ورغم مواصلة أرملته أسلوب حياته اليومية .. واصرارها على أن تسلك فى حياتها نفس السلوك الذى كان يحياه زوجها .. وحصولها على مخطوطاته التى تزن اثنين وعشرين كيلو جراما من أحد بنوك هافانا .. وعثورها على عشرات المخطوطات لعدة أعمال جديدة كان يزمع عملاق الادب الامريكى انجازها والدفع بها الى قرائه .. فهى لم تنشر من تلك الاعمال سوى ثلاثة كتب هى : قصة طويلة بعنوان « **فيما وراء وتحت الاشجار** » ، وجزاين

من الذكريات الاول بعنوان « باريس عيد دائم » Paris est une fête والثاني بعنوان « في الصف Engigne » وهو يضم مجموعة من كتاباته اثناء ممارسته لعمله كمراسل حربي .. ولكن أين ذلك كله من الثين وعشرين كيلو من المخطوطات وعشرات بل مئات المسودات ، والتي تحوى غالبا النسخة الاخـــيرة من روايات : «الصيف الخطر » L'été dangereux تلك الرواية التي ترسم صورة شيقة لحياة مصارعي الثيران .. بطلاها اثنان من الاخوة غير الاشقاء .. أين تلك الرواية ؟؟ ولماذا تمتنع ارملته عن نشر أعماله الاخيرة رغم ان تلك الثروة تعد كنزا مطلقا تحت يديها ؟.

تجيب مارى هيمنجواى على ذلك بقولها كما كان هيمنجواى يجيب لو كان حيا : « لماذا أجعلهم يرفعون الضريبة على ايراداتي من ٧٥٪ الى ٩٠٪ فذلك ما سوف يحدث لو نشرت أعمالا كثيرة في عام واحد ... » بل لقد كان يقول أيضا : « ان للزمن أن يمر ، فذلك يجعلني أستبعد بعضا من سطور رواياتي التي لا أرى لها أية فائدة » .

بل الســـؤال الاكثر غرابة والذى لابد وان يطرا على فكر عشاقه ومحبيه هو ، لماذا لم تنشر ترجمة لحياة ارنست هيمنجواى حتى الآن ؟؟ ..

تجيب أرملته : « انني لم أدعى معرفة حياة ارنست هيمنجواى قبل أن نلتقى في يوليو ١٩٤٤ » ... ورغم ذلك الادعاء فهى نفسها تصرح بأن غرفة المخزن بمنزلها تحتوى على اثنتي عشرة حقيبة تمتلئ بالخطابات التي تبادلها مع زوجاته الاربع ، بما فيها خطاباته لها والتي تقول عنها « انها وحدها تصنع كتابا جميلا الا انها واحتراما لوصيته لن تنشر منها حرفا واحدا « اذ ليس من المستحب أن تنشر أدق تفاصيل حياتي على الملأ .... » .

وعلى منحدر الربوة التي تعلوها مقبرة أرنست هيمنجواى ، وفي الجهة المقابلة من النهر ، غرست لوحة بسيطة من الرخام حفر عليها عبارة : « ارنســـت ميللر هيمنجواى .. ٢١ يوليو ١٨٩٩ ــ ٢ يوليو ١٩٦١ » وضع بالقرب منها مجموعة من المحاربين القدماء صليبا صغيرا أبيض اللون . وزرعت مارى على جانبيها أشــجار السنديان والتي تتعهدها بالرعاية والرى بانتظام وحول تلك اللوحة الرخامية ، وبين هذه الشجيرات تتوافد مجموعات من جميع أنحاء العالم من عشاق أدبه ، ومحبيــه يضعون الزهور .. أو يذرفون الدموع .. أو يتجمدون لحظات في وقفات صامتة حزينة احتراما لحضرة كاتب ألهمهم سطوره ... واستلهموا من فكره امالا جديدة .. وقيما متجددة .

وفي الشتاء حيث يكسو الجليد بردائه الابيض أطراف المنطقة يتوافد الاطفـــال الصغار بزحافاتهم ، ومعاطفهم الثقيلة يتزاحمون ويمارسون رياضة الانزلاق ..فتخرج اليهم مارى تحطيهم نفس الابتسامة التي كان يقدمها هيمنجواى كلما رآهم ، يحيطها أهل المدينة برعايتهم وعطفهم .. ويحترمون رغبتها في وحدة مهيبة .

● والآن ماذا تبقى لمارى.. ؟؟ ●

لم يعد لها سوى الحضور لذلك العملاق الكبير الذى كتب : « عندما تقضى الحياة على انسان تحبه وتقتله .. ليس هناك في مقابل ذلك أى عزاء » ولكن في الواقع هناك أكبر عزاء .. يتمثل في تلك الذكرى التي تعتبرها مارى نوعا من العبادة .. وبذلك فان القطة الصغيرة ــ مارى ــ كذبت عبارة « بابا » هيمنجواى !!

ميشيل تكلا



الذين يروّضون الأفاعى

عكف عدد من علماء النفس على دراسة احوال الهنود الذين يروضون الكوبرا ، فيعزفون الها على النـاى ، فتنتفخ اوداجها ، وتهتز رءوسها الى الخلف ثم الى الامام فى حركات رصينة على نغمات الموسيقى وتتحرك كبندول الساعة فى نظام رتيب ...

● فقراء الهنود يؤمنون بان الكوبرا تعشق الموسيقى وتهواها ! ● والهندوس يقدسون الكوبرا ثم يطلقون سراحها بعد ستة اشهر ! ● وعيون الكوبرا تصور الذى يقتلها فيثار لها رفيق حياتها بعد ان يرى صورة القاتل ! ● المنجوس والطاووس والقردة من الد اعداء الكوبرا واشدها خطرا عليها .. ● الحواة فى الهند يطردون الافاعى من الحدائق والحواة فى امريكا يطردون النمل الابيض من البيوت . ● مدارس الحواة فى الهند تعلم الاطفال فى الثالثة اصطياد الكوبرا والحيات والثعابين

فى الهند

قال احد الهنود : عندما ترفع الكوبرا راسها ، فانها تفعل ذلك لتصور المتفرجين فتنطبع فى الحال صورهم على حدقتى عينيها ... فاذا قتلها أحدهم فاول عمل يجب أن يقوم به ان يبيد عينيها ، واذا لم يفعل ذلك فان رفيق حياتها سوف يتعرف على صورته المطبوعة بوضوح على عينى رفيقته ثم يبحث عنه ليقتله ولو استغرق البحث اكثر من عشرين سنة : ويعتقد الهنود ان الكوبرا تعشق الموسيقى كالحيات والثعابين الاخرى ولكن العلماء لا يؤمنون بذلك لان الثعابين صماء لا تسمع ، والكوبرا لا ترقص على نغمات الموسيقى ولكنها تنتبه فجأة لحركات الناى خوفا من أن ينقض عليها ليقتلها فتتاهب له وتتابع حركاته بحذر شديد ..

وفى مدينة « مايسور » بجنوب الهند يحترف عدد كبير من الهنود ترويض الافاعى والكوبرا على الرقص . وتجيد بعض انواع الكوبرا الرقص بمهارة وحذق ، ويهوى بعضها الموسيقى ويعشقها عشقا غريبا .. ويمسك الهندى الكوبرا من رقبتها بكلتا يديه ثم يقبل اعلى راسها بحركة سريعة بارعة . ثم يضعها مرة اخرى فى سلته ويدير ظهره لها فسرعان ما تنقض عليه محاولة لدغه ولكنها تفشل .. ويقف الهندى بعيداً، ويطلع الزائرين والمحيطين به على يديه وساقيه وقد ظهرت بهما أنفات الكوبرا فى اول عهده بهذه اللعبة الخطرة ويقول كلمات تقليدية :

لقد لدغت عدة مرات سيداتي وسادتي .. ولكني احتفظ دائما بنبات جلود الثعبان الذي ابتلع جزءا منه في الحال . واحتفظ كذلك بحجر الثعبان الذي اضعه فوق اللدغة او الجرح فيشفيني في الحال . وهناك ايضا ناظر محطة السكك الحديدية بالقرب من مدراس الذي يستطيع ان يشفيني من اللدغة بطريق البرق .. ارسل اليه برقية فيرسل لي الرجل الطيب وصفة الدواء في برقية اخرى في دقائق معدودات ..

تعيش الكوبرا في سهل اصفر تقوم عليه بعض تلال صغيرة . ويعرف صيادو الافاعي هذا السهل جيدا ، ويذهبون اليه في مجموعات تكون عادة من افراد عائلة واحدة . ويتقدم اكبرهم سنا نحو التلال ثم يقف فجأة ويحملق في الارض جيدا عند بقعة معينة يميزها عن غيرها ، ثم يلتقط الناي المتدلي الى جانبه ويعزف الحانا سحرية غامضة يطلق عليها « الالحان التي تجذب الكوبرا » فاذا سمعتها الكوبرا لاتستطيع مقاومتها .. وبعد نصف ساعة من العزف المتصل يشم الرجل رائحة خاصة يعرفها في الحال هي رائحة كوبرا ضخمة وفي لمح البصر تظهر افعى ضخمة كالرمح نحو حفرة في الارض عند سفح التل وتبدأ في الهروب الى داخلها ، ولكن الرجل المسن يكون اسرع منها فسرعان ما يقفز في الهواء ويقبض عليها من ذيلها ويخرجها من الحفرة الى الخلاء وبحركة خاطفة للأفعى يغرس رأسها في الارض بعصاه ويجبرها على فتح فمها بعد ان يضع فيه غصن شجرة ثم ينزع انيابها القاتلة ..

والرائحة التي يميزها الرجل على انها للكوبرا تشبه رائحة الصابون كما يقول فقراء الهنود الذين يتكسبون من التنقل الى اسواق مدراس المزدحمة .

وفي احدى القرى الصغيرة القريبة من مدراس عكف عالم طبيعة بريطاني على دراسة طبائع هذه الافاعي وكيف انه عندما يحرك يديه تحرك الكوبرا رأسها في الحال الى الخلف ثم الى الامام كما تفعل عندما تسمع صوت الناي وعليه فان الحركة وليس الموسيقى هي التي تدعو الكوبرا الى هذا السلوك ..

وجلد الكوبرا جاف ناعم كالقطيفة . يميل الى اللون البني . ويعمد فقراء الهنود الى طرد الافاعي والثعابين من حدائق البيوت تماما كما يفعل الحواة في امريكا وهم يطردون النمل الابيض من البيوت كذلك ..

وتخاف الكوبرا من ثلاثة مخلوقات : النمجوس ـ والنمس ـ والطاووس ـ والقرود . وقد رأى بعض علماء الطبيعة القرود وهي تقتل الكوبرا بالعصى والحجارة . وعندما تموت الكوبرا وتتأكد القرود من موتها فان زعيمها يرفعها من الارض ويقربها من اذنه وينصت ليتأكد من انها قد ماتت فعلا ..

الافاعي المقدسة

وفي « نيودلهي » وفي قرية « ورواندة » يعيش ٢٤٠٠ من الهنود الفقراء او الحواة ويكونون مجتمعا لدراسة طبائع الكوبرا والحيات والثعابين الاخرى . ويكونون كذلك مجلسا اعلى يشرف عليه عشرون من كبارهم الطاعنين في السن والتجربة . ولهم نقابة خاصة ؛ اما الحواة فيحملون عادة على اكتافهم سلالا مربوطة في نهاية عصى بها انواع مختلفة من الثعابين . ويحمل بعضهم سلتين على عصا واحدة ويطلقون على هؤلاء الحواة الاوستراطيين ؟

وعمدة هذه القرية او رئيس حواتها يدعى « موس لات » وهو من الهندوس والكوبرا عندهم مقدسة تماما كالبقرة وعندما يقبضون على كوبرا فانهم يفرجون



عنها بعد ستة أشهر في احتفال عام يطيرون فيه الارض ويضعون امامها اللبن واللحم لمدة نصف ساعة ثم ينطلقون بها الى الغابة ويعيدون وضع الطعام امامها ثم يتركونها . والكوبرا في نظرهم مقدسة لانها حرست الههم «كريشنا» ولانها تحرس الهندوس اذا لم يؤذوها .. واذا حدث وقتل ملك الكوبرا بطريق الخطأ فان الهندوس يشيعونه الى مثواه الاخير في احتفال مهيب كانه انسان .

مدارس الحواة

وفي هذه المدينة الصغيرة توجد مدرسة لتعليم الاطفال الاساليب والطرق الصحيحة لاصطياد الثعابين . وتعقد المدرسة كل صباح حيث يجلس الاولاد . على هيئة دائرة يتوسطها طفلان احدهما لا يزيد عمره عن ثلاث سنوات يمسك في يده بناي صغير . وفجأة يصرخ مدرس الفصل « كوبرا ! » وفي الحال يرفع مساعد المدرس غطاء سلة من السلال فتظهر كوبرا ضخمة وتشرع في الهروب الى اقرب دغل .. ويصدر المدرس الامر : اقبض عليها ..

ويخطف الطفل عصا تقبع تحت قدمه ويجرى وراء الكوبرا ثم يغرس العصا في راسها ثم يرفعها ويلقى بها الى السلة

الصراع بين الكوبرا والنمجوس

كثيرا ما يحتدم الصراع او العراك بين الكوبرا واعدائها الثلاثة : النمجوس والطاووس والقرود . فالنمجوس مخلوق صغير له عينان براقتان لامعتان ويعمد فقراء الهنود او الحواة الى ربطه بحبل وتركه في الدغل واعداده لمنازلة كوبرا ضخمة لكي يتفرج عليه الزائرون في المناسبات . وقد لا يصدق انسان اذا رأى النمجوس ذلك المخلوق الصغير الهادىء انه يستطيع ان يقتل اعتى انواع الكوبرا واقساها واشدها خطرا ..

ويجلس عادة اثنان من الهنود يعزفان على الناى عدة الحان سحرية ويقرع غيرهم الطبول لتهيئة النمجوس للنزال والكوبرا مختفية تماما عن العيون والابصار وتشتد انغام الموسيقى ،

وتنشط دقات الطبول بعنف وضراوة ويرفع احد الحواة غطاء سلة من السلال فتطل كوبرا حديثة العهد براسها وتنفخ اوداجها وتقذف براسها في حركات سريعة متلاحقة . وفي الحال يقع بصرها على النمجوس فيتحول لونها البني الى لون داكن متوتر وتستعد للقتال والنزال وتومض عيناها ببريق ثائر غريب في غضب وحنق ، وينطلق لسانها كومضات البرق الاسود . وتخرج الكوبرا من السلة في لمح البصر وتندفع في جراة وضراوة على الارض الصفراء . ويطلق احد الحواة النمجوس من قيده فيتقدم نحو الكوبرا فتعالجه بلدغة قاتلة ولكن النمجوس يكون اسرع منها فيفلت من ضربتها القاضية .

وتفقد الكوبرا توازنها فيقفز النمجوس نحو رقبتها المرتعشة ويغرس اسنانه بعنف وقوة ويطبق عليها بفكيه الفولاذيين وتحاول الكوبرا الفرار من قبضته بعنف وقوة وتنجح في جذبه نحو الارض ، وفي لمح البصر تلتف حول جسمه الصغير وتضغط بكل قوتها . ويبدو ان النمجوس قد انتهى او كاد ولكن في حركة سريعة بارعة يغرس النمجوس اسنانه مرة اخرى في ظهر الكوبرا ويمس عصبا هاما وفي الحال تضعف قبضة الافعى الفولاذية حول جسم الحيوان الصغير فيفر ويتوقف لحظة يسترد فيها انفاسه ، ثم يعود الى حلبة القتال ويغير من تكتيكاته ، فينتصب وفي قفزة بارعة يقبض على فك الكوبرا الاسفل ويتعلق به في حين تتحرك الكوبرا الى الخلف ثم الامام في حركات مستميتة ولكن قوتها تخور فجأة ويقع الصلاق تحت وطأة القمىء ..والنمجوس من الد اعداء الكوبرا واقواها ويتغلب عليها دائما ويقهرها وهو فيلسوف يحتفظ بهدوئه اثناء المعركة في حين ان الكوبرا تفقد صوابها ويعتريها غضب وحنق شديدان . وهناك نظرية تقول ان غضبها وثورتها العارمة يدفعان السم الى راسها فتجن وتصاب بالعمى فيتمكن منها عدوها ويتغلب عليها في آخر الامر

أمين عز الدين

المثقف القاهرى الذى يقضى سحابة يومه متنقلا وسط المدينة الصاخبة من مكتبة الى مكتبة .. من سور الأزبكية الزاخر الى مجتمعات النشر والتأليف فى الحسين واكشاك ميدان السيدة زينب ، لا بد ان ينتهى به المطاف الى ميدان طلعت حرب . فمهما كانت وجهته فى السير فانه سيقف بالتاكيد ، ولو لدقائق معدودات ، عند « مدبولى » بائع الكتب والمجلات والسجائر .
هذا ما حدث لى منذ أيام .
وسألت « مدبولى » كعادتى :

ـ عندك جديد ؟

ـ عندى .. عندى كتاب عن التعاون ، اليس هذا من الموضوعات التى تهمك ؟

ـ من المؤلف ياترى ؟

ـ واحد « بيه » عجوز . هو المؤلف وهو الناشر . تصور انه احضر لى النسخ بنفسه .
ووضع «مدبولى» بين يدى نسخة من الكتاب ، واكد لى ان جميع اصدقائى من مثقفى القاهرة ، حملة الشعر الاشيب والنظارات السميكة ، قد اقتنوا الكتاب دون تردد .

ـ حضرتك تعرفه ؟
وقرأت عنوان الكتاب « مذكرات مجاهد تعاونى » بقلم « دكتور ابراهيم رشاد » الوكيل الاسبق لوزارة الشئون الاجتماعية للتعاون » .
لم اتردد ، مثل بقية اصدقائى ، فى شرائه . واقترب منى « مدبولى » متسائلا :

ـ هل تعرف المؤلف ؟ هل هو صديقك ؟ هل تعرفه حقا ؟

ـ طبعا .. طبعا .. فجميع الفلاحين يعرفونه !
وابتسم « مدبولى » مجاملا ، لانه بالتأكيد لم يفهم مقصدى .

● آخر الرومانتيكيين الاجتماعيين

التمرد ..

ابراهيم رشـــــاد ..

ذلك الانسان الغريب ..

كل مقدمات حياته لا تنبئنا بشيء من مصيره الفـكري ، مولده ، أسرته ، تعليمه ، المناخ الذى أحاط به فى طفولته وصباه وفى شبابه ، كلها مقـدمات لا تبشر بميلاد « مجاهد تعاونى » كما حلا له أن يصف سيرته الذاتية ، بل انها فى الاغلب مقـدمات قادرة فقط على أن تنشىء فتى من فتيان « الذوات » بمضغ ملعقة ذهبية فى طفولته ، يرطن باللغات الاجنبية فى صباه ، يعين فى وظائف ممتازة لم تقذف به سـلطات الاحتلال الى منصب من مناصب الوزارة

كان ذلك هو النمط السائد فى جيله لكل من ولدوا – مثله – فى كنف الاقطاع التركى فى مصر ، ولمن ودلوا – كما حدث له فعلا – عزبة هنا وأبعادية هناك

ولكن ما حدث فى سيرة « ابراهيم رشاد » كان شيئا خارقا لكل هـذه القواعد ، مناقضا لهذه التوقعات ، محطما لكافة الانماط .

نشأ فى كنف الاقطاع التركى فى مصر ، ولكنه أوقف حياته وفكره وجهاده من أجل الفلاحين .

ولد فى ظل الملكيات الزراعية الواسعة وكان من أصحابها ، ولكنه ظل طوال عمره – والى الآن – ينادى بالملكية التعاونية للارض .

تربى فى كنف الاوتوقراطيـة الموالية للاحتلال البريطانى ، ولكنه تمرد على قيمها وناضل لاسقاطها وسعى لاقرار الحقوق الديمقراطية للجماهير العاملة والفلاحين المقهورين فى كل مكان .

لقد ولد ابراهيم رشاد وعاش متمردا على واقعه العائلى والاجتماعى والفكرى، تلك هى ميزته الكبرى ، وذلك هو قدره ونبع الشموخ فى سيرته .



د. ابراهيم رشاد



المعلمون الوطنيون

ولد ابراهيم رشاد عام ١٨٨٦ ، فهو يبلغ الان الرابعة والثمانين من عمره المديد ، منحه الله الصحة والعافية .

ولد — كما عرفنا — من أسرة تركية ، جده البعيد اللواء « ابراهيم رشاد » ، حارب في « نافارين » ومنحه محمد على باشا ألف فدان في السنبلاوين مكافأة على خدماته ، جده القريب الاميرالاى محمود رشاد ، قاد حملة تأديبية ضد الجيش الحبشى الذى أغار على السودان.

ويعلق ابراهيم رشاد على مولده فيقول :

« لا ازعم على فرط تعصبى لمصريتى وارتباطى بتراب هذا الوطن أننى تحدرت من أصل فرعونى . بل الحقيقة أننى تحدرت من اسرة تركية شأنى فى ذلك شأن الكثيرين من رجالات هذا البلد الذين افنوا زهرة العمر فى سبيل حريته واستقلاله ورخائه ورفعته » .

ويصف بيت أسرته بقدر من السخرية فيقول :

« كان خدم البيت من العبيد خارج جدرانه ، والجوارى بداخلها ، وقد أنيطت تربية الأطفال بواحدة منهن ، هى اكثرهن كفاية واشدهن صرامة » .

المسرح الذى كان معدا سواء فى الاسرة أو فى مناخ البيت ، لتنشئة ولد من « أولاد الذوات الذين يسود بيوتهم اللغة التركية وتسيطر عليهم التربية العثمانلى» كما يعترف بنفسه . ولكن اضواء هذا المسرح وتأثيره لم تصمد فى نفس الفتى امام تأثير أساتذته المصريين فى مدرسة « محمد على الابتدائية » و « المدرسة الخديوية الثانوية » .

ففى المدرسة الاولى ، كان ناظرها حسن صبرى بك (حسن صبرى باشا الذى تولى رئاسة الوزارة فيما بعد) يعنى بالتربية الدينية والسلوك وأداء التلاميذ للصلاة فى أوقاتها ، وكان الاستاذ عبد الحافظ — مدرس اللغة العربية — يختلس من وقت الحصة لحظات يلقن التلاميذ فصولا من آداب العرب وبطولاتهم وأمجادهم ، ثم هناك الاستاذ محمد السباعى (أبو الكاتب يوسف السباعى) الذى فتح عين الفتى على الادب الانجليزى وعرفه بشكسبير .

وفى المدرسة الثانوية الخديوية التى دخلها وهو فى سن الخامسة عشرة ، تأثر الشاب « ابراهيم رشاد » بأستاذه « الشيخ طنطاوى جوهرى » الفيلسوف الاسلامى ، والشيخ « أحمد سلامة » تلميذ محمد عبده والمؤمن بضرورة تحرير العالم الاسلامى من ربقة الاستعمار ، وكانت دروسه تتحول يوميا الى محاضرات مثيرة حول الحركة الوطنية وثورة عرابى وجهاد مصطفى كامل ، فكانت — كما يقول — **« وقودا فى صدورنا يلتهب ضد الاستعمار »** .

وحتى الحى الذى عاش فيه ابراهيم رشاد — حى السيدة زينب

عبد الرحمن الرافعى



مصطفى الشوربجى



على الشمسى



كان يعبق بأريج الحركة الوطنية وينبض بأحداثها وذكرياتها .

« كان بيتي ومدرستي في نفس الحي الذي كان يسكنه الثائر أحمد عرابي ، والزعيم مصطفى كامل ، صاحب جريدة اللواء ، لسان حال الحزب الوطني . وكثيرا ما كنت أذهب مع شباب الحي الى مطبعة اللواء في شارع الدواوين لنلتقي بمصطفى كامل ونستمع الى احاديثه الثائرة الواعية وتعاليمه التي تغلغلت في نفوسنا بقوة وايمان .. اما عرابي فكانت سيرته تملأ الحي كله بعدما وصل اليه اخيرا من جزيرة سيلان ، وتلهب وطنية شبابه ، وكنا نحييه أثناء ذهابه الى مسجد السيدة ليؤدي صلاة الجمعة » .

وهكذا انجذب الشاب «ابراهيم رشاد» ــ ابن الذوات ــ الى الحركة الوطنية ، فاصبح بعد دخوله مدرسة الطب عام ١٩٠٦ عضوا في لجنة الحزب الوطني بالمدرسة ، ثم عضوا في نادي المدارس العليا ، اول تنظيم للمثقفين الوطنيين قبل الحرب العالمية الاولى .

وفي هذا النادي الوطني ، حرص الشاب الحالم على سماع محاضرات « مصطفى كامل » وهو يدعو الى الحرية ، وسماع « عمر لطفي » وهو يدعو الى انشاء الحركة التعاونية و «احمد وجدي» وهو يحاضر في الاشتراكية ، و « قاسم أمين » وهو يدعو الى تحرير المرأة و « طلعت حرب » وهو يدعو لانشاء بنك وطني للمصريين .

ويعبر ابراهيم رشاد عن حصيلة هذه المرحلة من حياته الفكرية فيقول :

« وهكذا اتيح لي في هذا النادي ان اسمع لاول مرة من **الحركة التعاونية العالمية وهدفها الاجتماعي ، ووسائلها الاقتصادية ، وعن الاشتراكية بمختلف انواعها ، فوعيت الدعوتين في اعماقي وتعلقت بهما لاجد نفسي لهما في المستقبل .** »

وبهذه الحصيلة المبكرة من الرؤية الوطنية والاجتماعية ، تشكلت عواطفه نحو الفلاحين ونحو الريف حيث كان يقضي جل اجازته الصيفية في ربوعه . فقد أصبح ــ منذ ذلك الحين ــ اكثر حرصا على مخالطة شباب الفلاحين ليقف على « دقائق حياتهم وما يعانون من فقر وحرمان » .

وهناك أيضا بزغت أحلامه في اصلاح الكون واصلاح المجتمع . وفي هذا يقول بوضوح :

« من هذه السن المبكرة بدأت اتعاطف معهم وامني النفس باليوم الذي اكبر فيه واصبح ذا شأن لابذل جهد حياتي في سبيل تغيير هذه الاوضاع وانصاف هؤلاء الابطال الكادحين الصابرين المحرومين من طيب الغذاء والكساء والايواء » .

ولعله كان يحلم في هذه الفترة ــ وهو طالب بمدرسة الطب ــ ان يصبح طبيبا حاذقا ليقبل على علاج الفلاحين بالمجان او يجري البحوث لاستئصال الامراض المتوطنة في الريف او يسعى للقضاء على الظلم والفقر كفارس الاحلام في القصص القديمة .

ولكن الشاب الحالم لم يكن يدري أن المستر « كيتنج » ، ناظر مدرسة الطب ، كان يضيق بنشاطه الوطني ويتربص باحلامه الوردية في اصلاح الكون والمجتمع .

وتكرر رسوب الشاب النابه في الامتحانات رغم اجتهاده ومثابرته . ولم يلبث ان اكتشف الحقيقة المؤلمة ، وهي أن الرسوب في مدرسته كان دائما من نصيب أعضاء لجنة الحزب الوطني ، وادرك انه مهما يبذل من جهد في الدراسة فان المستر « كيتنج » لن يسمح له بالمرور الى احلامه .

وهنا قرر السفر الى بريطانيا بعيدا من متناول « كيتنج » لعله يصيب حظه من النجاح في عقر داره .

الرحلة والتحول

وفي كلية الطب بجامعة لندن حقق الشاب الراسب في مصر نجاحا مرموقا

سنة بعد سنة حتى وصل الى الصف النهائى عام ١٩١٢ .

وعرضت له فى هذا العام فرصة الالتحاق بالبعثة الطبية البريطانية الموفدة الى تركيا خلال الحرب البلقانية ، فلم يتردد فى القبول باعتبارها فرصة لاستكمال تدريبه العملى ورؤية المزيد من العالم المضطرب واحداثه . ولكنه اصيب بمرض باطنى نادر اضطره للعودة الى بريطانيا — لا ليستكمل دراسته الطبية — بل ليواصل علاجه الطويل من هذا المرض النادر .

وفى منطقة « ساير نستر » الريفية الجميلة راح يطلب العلاج والشفاء فى مياهها المعدنية .

وهناك التقى بالصدفة البحتة بعميد الكلية الزراعيـــة الملكية الذى أعجب بشخصيته وعرف طرفا من احلامه ، فاقترح عليه الالتحاق بالسنتين النهائيتين بالكلية لدراسة الزراعة مع مواصلة علاجه بالمنطقة .

وقبل الشاب ابراهيم رشاد ذلك العرض فورا ، واقبل فى حماس على الدراسة حتى نال دبلوم الكلية عام ١٩١٥ ، واستكمل جانبا كبيرا من علاجه

ويبدو أن دراسته الزراعية بكلية ساير نستر أحيت فى نفسه بعض احلامه القديمة من خدمة الفلاحين ، فاتجه بعد ذلك الى جامعة « برستول » ثم جامعة « كمبردج » دارسا فى دراسة الاقتصاد الزراعى ومشاكل الارض والفلاحين والتعاون الزراعى .

ولاشك انه بدا يؤمن — فى هذه الفترة — بأن التعاون هو الرد الحاسم على جميع التساؤلات الحائرة لحل مشاكل الارض والفلاحين . وسيطرت هذه النظرية تماما على تفكيره وملكت عليه كل وقته وكيانه وكل نشاطه .

الى بلد الثورة والفلاحين والتعاون

ورحل الشاب المصرى الحالم الى ايرلنده الثائرة عام ١٩١٨ تحدوه مجموعة من العوامل الاصيلة .

فايرلندة بلد زراعى — مثل مصر — وفيها حركة تعاونية ناجحة يقودها السير « هوراس بلانكيت » التعاونى المشهور .

وايرلنده بلد ثائر — مثل مصر — تماما بلد ثائر ضد البريطانيين . ونضال شعبها بقيادة « ديفاليرا » العظيم يحمل الكثير من ملامح الثورة الوطنية المصريه فى اعقاب الحرب العالمية الاولى !!

وعاش الشاب الحالم فى ايرلنده التى احبها وعشق اهلها (١) ، عاش حياته المثيرة منفعلا بقضاياها وتاريخها وآدابها ، فعقد الكثير من الصداقات الخالدة ، وعرف خيرة رجالها وأدبائها ، وصادق « برنارد شو » صداقة فكرية حقة . وقد زاره شو فى مصر بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما ورافقه فى زياراته الى الريف المصرى .

ولابد انه شعر بآلام الفراق وهو يغادر هذا البلد الحبيب ليعود الى مصر عام ١٩٢٠ ، حاملا فى جعبته الكثير من الاحلام والمشاريع التى اوقفها كلها من أجل الفلاحين ومن أجل حل مشكلة الارض والفقر فى بلاده .

... ...

الى الجبهة التعاونية فى مصر

فلندع الشاب الحالم يتكلم عن نفسه يوم عاد الى ارض الوطن . وهو فى هذا يقول لنا فى صراحة نادرة :

« عدت الى مصر فى ربيع سنة ١٩٢٠ ، مشبعا بالفكرة التعاونية ، مؤمنا بهـا ايمانى بربى ، بعـد أن هيأنى الله للتخصص فى هذه الرسالة علميا وعمليا

---

(١) كتب كتابا بالانجليزية عن حياته ومشاهداته فى ايرلنده بعنوان « مصرى فى ايرلندة » من امتع كتب الرحلات والمشاهدات .



احمد عرابى



قاسم امين



طلعت حرب



مصطفى كامل

خلال السنوات الاثنتى عشرة التى عشتها بعيدا عن الوطن اطلب العلم فى جامعات انجلترا وايرلنده ومعاهدها العليا واخالط التعاونيين . والبت على نفسي ان اهب حياتى لنشر الرسالة التعاونية . لايمانى بأنها النظام الأمثل لرفع مستوى الحياة فى مصر . ولا سيما فى الريف . وتهيئة المعيشة الفاضلة لسكانه اقتصاديا واجتماعيا . »

* * *

لقد كان الشاب ابراهيم رشاد واضحا تماما . واضحا فى فكره . واضحا فى رؤيته .

فهو قد صمم ــ على طريقة الرواد ــ أن يهب حياته لنشر الرسالة التعاونية، وهو مقتنع تماما بأن التعاون هو الحل الامثل لمشاكل المجتمع المصرى ومشاكل الريف والفلاحين ، وأن « الملكية التعاونية » للارض هي الحل الوحيد لهذه القضية القديمة قدم الزمن .

ولا احسب أن قوة مهما كانت بقادرة حينذاك على أن تثنيه عن عزمه او تخفف من تصميمه . فهكذا دائما تدور الرواد وشموخهم . يرون أحلامهم مجسدة ملموسة على صفحة الافق البعيد، ولكنهم لا يرون العقبات والفخاخ المنصوبة لهم على الطريق .

لقد كان ابراهيم رشاد ــ بكل تأكيد ــ رومانتيكيا في رؤيته . ولكن التصاقه بمشاكل الفلاحين والارض منح رومانتيكيته عبيرا مثل عبير الواقع ، واضفى على احلامه شيئا من نبض الحقيقة .

وبدأ الرائد الجديد حركته عام ١٩٢٠ . قرر أن يبدأ من حيث انتهى من سبقوه من رواد التعاون وفى مقدمتهم « عمر لطفى » الذى توفى عام ١٩١١ تاركا الجمعيات التعاونية الوليدة فى رعاية شقيقه « أحمد لطفى » وجماعة من أصدقائه مثل « عبد الرحمن الرافعى » و « مصطفى الشوربجى » و « على الشمسى » .

واكتشف الرائد الجديد أنه لم يكن قد بقى من مخلفات من سبقوه غير بضع جمعيات صغيرة متناثرة في حلوان والمنصورة وشبرا النملة وكوم النور وسنتماى والبلباء .

واكتشف ايضا أن القضية المطروحة على بساط البحث حينذاك هى : هل تبقى الحركة التعاونية حركة اختيارية شعبية او تقبل شيئا من المعونة المالية الحكومية وبالتالي تقبل رقابتها وتدخلها فتقاسى بفقدان شعبيتها .

وفى تقديرنا أن حياة ابراهيم رشاد ونشاطه طوال خمسين سنة كانت معاناة دائما من أجل الرد على هذا السؤال . ولو عاش ابراهيم رشاد السنوات المائة القادمة لواصل البحث والمعاناة من أجل الرد على هذا السؤال .

وحياة ابراهيم رشاد ــ كما تكشف عنها مذكراته ــ حياة مزدوجة بين الايمان بشعبية التعاون وقبول الواقع الذى حتم عليه قبول

الوظيفة الحكومية يمثل قبول الجمعيات التعاونية لمعونة الحكومة ورقابتها .

ولكنه رغم هذا الازدواج، تمكن بجهوده الذاتية ومعاركه المستمرة داخل وزارة الزراعة ثم وزارة الشئون الاجتماعية ، من أن ينشر التعاون وجمعياته فى ألوف القرى المصرية وأن يطور أشكال العمل والتنظيم التعاوني ويوسع مجالات تطبيقه، حتى ارتبط التعاون باسمه وأصبحت سيرته جزءا لا ينفصل عن تاريخ التعاون فى مصر .

وارتبطت باسمه اتجاهات هامة فى التنظيم التعاوني مثل انشاء الاتحادات الاقليمية للتعاون ، وانشاء البنك التعاونى المركزى ، وجمعيات الاتجار بالجملة .

وفى عام ١٩٤٦ أعلن مشروعه لانشاء « الملكيات أو المزارع الجماعية التعاونية » فى أراضى الاستصلاح . وهو المشروع الذى وصفته الحلقة الدراسية الاجتماعية للدول العربية عام ١٩٥٠ بأنه « مشروع فريد فى بابه ، عميق فى بحثه ، سليم فى أوضاعه » وأوصت بتجربته فى بعض مناطق استصلاح الاراضى ثم تعميمه .

ولكن القارىء لمذكراته لن يفوته أن يلمح نبرتين من نبرات المرارة الدفينة بين سطورها :

اولاهما : احساسه بأن الحركة التعاونية فى زمانه فقدت الكثير من طابعها الجماهيرى والشعبى . وربما كان يحمل نفسه جانبا من ذلك الوزر .

ثانيتهما : احساسه بأن نظريته فى «الملكية التعاونية» للأرض لم تجد فرصة للتطبيق فى العهد البائد . ولا تزال محدودة التطبيق فى مجتمعنا الاشتراكى ، رغم أنها - فى تقديره - الحل الاشتراكى الأمثل لمشكلة الارض .

... .

وختاما لابد ان اعترف بأن هذه الصفحات القليلة لا يمكن ان تكفى للكشف عن جوانب رائعة أخرى فى حياة هذا الرجل الفذ ، وهى بالتأكيد لا يمكن ان تكون بديلا للمتعة الذاتية التى تسبغها مذكراته على القارىء .

حول عدد القرآن

بعد صدور العدد السابق من الهلال وهو العدد الخاص بالقرآن وصلتنا تعليقات مختلفة ومناقشات متعددة على ما نشر فى هذا العدد من آراء ودراسات . وسوف ننشر هذه التعليقات والمناقشات فى العدد القادم .

• كتاب الشهر •

الإسلام والمسرح

دراسة جديدة ومثيرة تصدر في باريس وتكشف صفحات جديدة عن المسرح في الحضارة الإسلامية

مسرح " الدمية " الجوال



الإسلام والمسرح

تأليف
محمد عزيزة

عرض وتلخيص
د. رفيق الصبان

« المسرح » تمثال منحوت للفنان اللبناني ميشيل بصبوص وهو موجود بقرية « راشانا ـ لبنان »



كثيرة هى الكتب والمقالات التى حاولت ان تفسر الفن فى الاسلام . وكثيرة هى النتائج والتعليلات والتفسيرات التى قيلت حول عدم ظهور وانتشار فن المسرح ضمن ما ذاع وانتشر من الفنون الاسلامية الاصيلة منها والمقتبسة .

وقد حاول الكاتب التونسى محمد عزيزة ان يجمع ويفسر كل ماقيل عن المسرح فى الاسلام وان يشرح ظاهرة المسرح فى الروح العربية والاسلامية وان يمسك ببعض الظواهر الفولكلورية القديم منها والحديث يغرسها ويرى فيهـا امتدادا او جذورا تبرهن على تفهم الروح العربية للمسرح كظاهرة اجتماعية وحضارية ونفسية .

بل ان السيد عزيزة لا يكتفى بذلك بل يعود الى الاصول الدينية العميقة ينقبها ويبحث فيها ويعللها ويمسك اخيرا بالنص المسرحى الشهير (التعازى) ويعتبره النص المسرحى الوحيد الصالح دراميا الذى تركته لنا الحضارة الاسلامية فى ميدان المسرح .

ورغم تأثر هذا النص تأثرا كبيرا بالروح الفارسية .. فانه يظل نصا عربيا يعالج قضية عربية من خلال رجال عظام فى تاريخنا .

وقد قدم السيد عزيزة هذه الدراسة الجيدة والمثيرة من اكثر من وجهة نظر وجعلها مادة لاطروحته فى الدكتوراه التى ناقشها فى السوربون مع نخبة من كبار رجال الفكر المهتمين بشئون الشرق وعلى راسهم (جاك بيرك) ونال من اجلهـا شهادة الدكتوراه بدرجة امتياز فخرية .

ويسرنى هنا ان اقدم خلاصة وافية لهذا الكتاب مع ترجمة كاملة لنص (التعازى) الذى حققه وراجعه واعده محمد عزيزة فكان العمود الفقرى الهام الذى استند عليه كتابه كله .

وربما بدت بعض الافكار التى يقولها «عزيزة» فى كتابه غريبة وغير مقبولة بالنسبة للبعض وربما اتهمه البعض الآخر بانه اكثر تأثرا بالتفسيرات الاوروبية للروح العربية منه الى الموضوعية والحيادية التى تتطلبهاق رجل العلم ، وربما وجدته فئة ثالثـة كاتبا شجاعا تجرأ على ان يقول اخيرا وبصوت مرتفع ما اعتاد الكثيرون على الهمس به .

ولكن مهما يقال فى شأن الكاتب والكتاب .. فاننا امام عمل كبير ودراسة قيمة تهم كافة الباحثين فى المسرح العربى واصوله وتطوراته .

(ر . ص)

المسرح الباطني

اللغز

تملك الحضارة الاسلامية تراثا أدبيا لا حد لغناه وكثافته .. فاذا كان « **الخيام** » و « **ابو نواس** » قد رفعا الروح الشعرية الى قمم لا تجارى فان « **المعرى** » و «**الحلاج**» قد غاصا الى اعماق التفكير الانسانى ، وزركش « **الجاحظ** » النقل العربي بنقاء ووضوح لا يصل اليه الا رجل مسته حرارة الموهبة ، واعاد « **ابن خلدون** » خلق التاريخ وجعلنا نتنبأ بعلم الاجتماع القادم .. وبين هذه الروائع كلها .. نجد ان المسرح .. يشى بعدم وجوده .وفى الحقيقة انسا حتى عام ١٨٤٨ العام الذى ترجم فيه « **مارون النقاش** » مسرحية « موليير » (البخيل) وقام بتمثيلها .. فان العالم العربي ــ الاسلامى كان يتجاهل تماما التعبير المسرحى .

هذا هو الوجه الاول من اللغز .

ويزيد من غموض هذا اللغز اننا نعرف تماما أن الحضارة الاسلامية كانت هى الحضارة التى نقلت الارث اليونانى والسبيل الى التعرف بالفكر الهلينى . والجسر الذى عبرت عليه هذه الحضارة العريقة الى العالم .. وخصوصا الى الغرب .

وعندما نقول الفكر اليونانى فاننا لا نعنى فلسفة « أفلاطون » و « أفلوطين » و « ارسطو » فحسب ، ولكن مسرح « ايسخيلوس » الكبير و « سوفوكل » و « اوريبيدس » . ومع ذلك فاننا نلاحظ ان المترجمين الذين أفاضوا بترجمة وشرح النصوص الفلسفية اليونانية .. لم يجدوا ضروريا أن يترجموا ولو بيتا واحدا من ايسخيلوس او حوارا صغيرا من سوفوكل أو فاصلا من أوريبيدس .

هذا هو الوجه الثانى من اللغز .

واخيرا عندما اراد « ابن رشد » ان يترجم كتاب « فن الشعر **لارسطو** » واجهته صعوبة لغوية دقيقة عندما وجد نفسه امام كلمتى « **الكوميديا** » و « **التراجيديا** » .. وقد خرج من هذا المأزق باستعمال كلمتين تقولان الشيء الكثير وتدلان دلالة واضحة على اتجاه تفكيره .

فلقد استعمل كلمة (**الهجاء**) ليدلل بها على الكوميديا و (**المديح**) للتراجيديا .

وقد ارتكب بذلك خطأ له دلالته لانه استبدل [الزمر الدرامية] بـ [الانواع الشعرية] ولا شك ان « ابن رشد » لم يكن جاهلا خطأ ترجمته . وان التبرير الرتيب الذى يأتى به للدفاع عن ترجمته تؤكد فى نفوسنا هذا الشعور ، وهو ان التفكير الاسلامى قد تجاهل أو لم يرغب ان يتوقف امام مفهوم المسرح .

لنحاول الآن أن نعرف السبب .

التفسيرات المقدمة

ان الباحثين العرب (رغم ندرتهم) الذين حاولوا أن يفسروا الاسباب التى جعلت الاسلام لا يعرف المسرح .. لم يقدموا لنا الا تفسيرات ناقصة وتعليلات غير مقنعة .

ف « زكى طليمات » مثلا يعتقد أن بداوة الحياة قبل الاسلام ورحيل القبائل الدائم وعدم استقرارها فى مكان معين قد منع الاسلام من معرفة المسرح . ولا شك ان هذا التفسير سائغ الى حد ما .. فاذا وافقنا على هذا التعليل فى بداية ظهور الاسلام .. فانه لا يمكننا أن نقول ان العصر الاموى الذى كانت فيه « دمشق » عاصمة كبيرة والعصر العباسى الذى كانت فيه « **بغداد** » مركزا حضاريا كان عصرا للترحال والبداوة وعدم الاستقرار !!

اما « احمد امين » فيأتى بتعليل اكثر عمقا لانه يعيد غياب المسرح عن التفكير الاسلامى الى اسباب دينية فيقول ان الدين يمنع التصوير وبالتالى التمثيل .

ولكى ندرس هذا التعليل علينا ان نقلب الامر حسب وجهتى نظر :

هل منع الاسلام بصورة صريحة التصوير وبالتالى التمثيل ؟ .. ام انه اكتفى بالتحريم الضمنى للفن عموما وللممارسة المسرحية بشكل خاص ؟! ..

والحقيقة انه باستثناء التحريم المتعلق بالعبادة الوثنية للاصنام (اللات والعزى) فان الاسلام لم يشر بصراحة الى موضوع الفن وبالتالى الى التصوير والتمثيل .

وعلينا أن نجد أسباب المنع فى الاحاديث حيث نرى استنكارا للتصوير والفن .

ويشير « ماسينيون » فى كتابه الهام عن (**طرق التعبير الفنية لدى شعوب الاسلام**) الذى نشره فى مجلة سوريا سنة ١٩٢١ الى اربعة نصوص صريحة فى الاحاديث لمنع التصوير

١ ــ اللعنة التى تحل على عبدة القبور وصور الانبياء والقديسين .. ونلاحظ هنا ان (القبلة) فى الجوامع هى عش فارغ .

٢ ــ الفنانون .. وصانعو الصور عقابهم يوم القيامة القيام بمهمة مستحيلة وهى ان يبعثوا الحياة فى الصور التى صنعوها .

٣ ــ منع استعمال الاقمشة والوسائد التى تحمل صورا (وهذا الحديث مطعون فيه .. لان النبى نفسه كما يقال كان يستعمل وسائد من هذا النوع فى غرفته) .

٤ ــ تحريم عبادة الصليب .

اننا نجد أنفسنا امام ملاحظات ثلاثة على هذه التحريمات الاربعة التى أوردها ماسينيون .

اولها : انها لا تنصب على المسرح بشكل معين وانما على التصوير .

ثانيها : ان الخوف من التصوير ليس مقصورا على الاسلام وحده .. فهناك الكثير من التحريمات فى الكتب المقدسة :

« لا تصنع الصور التى تمثل الاشياء التى فى السماء .. أو على الارض .. فى المياه او فى أعماق التراب (الجزء العشرون من الكتاب المقدس وهو الجزء المعنون بعنوان الهجرة) وان موقف الاسلام المتشدد فى هذا الموضوع يذكرنا بتشدد البروتستانت واستنكارهم كل أنواع التصوير .

ثالثها : ان اى استعراض سريع لتطور تفسير الاحاديث من قبل رجال الدين المسلمين يقودنا الى تبين تطور اختلاف وجهات النظر ، وفى النهاية مرونة هذه الاحكام « **فالنووى** » يمنع فى القرن الثالث عشر كل صورة تعطى ظلا ، بينما يصل «**القرطبى**» الذى توفى سنة ١٢٧٢ الى القول فى كتابه (أحكام القرآن) ان فئة من المفسرين اتهمت بأن اعتبرت الفن والتصوير شرعيين ..ولكى يبرهنوا على صحة اقوالهم اعتمدوا على سورة من القرآن تشير الى التماثيل التى صنعها اليهود لسليمان .

وعلينا ان نلاحظ هنا أنه رغم المنع الصريح الصادر من السنة فان هذا المنع لم يقف فى طريق وجود التصوير العربى .. ولم يمنع من تطور حركة الرسم تطورا كبيرا فى كافة ارجاء العالم العربى حاليا . لذلك يمكننا أن نقول كما قال ماسينيون فى كتابه :

« والحقيقة ان منع بعض اشكال التعبير ليس الا تحديدا فقط وليس انكارا وان الدين لم يمنع الفن .. وانما التمجيد الذى يصل الى حد العبادة » .

لذلك يبدو لى اذا اردنا ان نفتش عن اسباب احجام الاسلام عن الفن عامة ومن المسرح خاصة فلن نجدها فى الاحكام المنصوص عليها بصراحة ولكن فى الخلافات العميقة فى التكوين وفى طبيعة الفرد المسلم نفسه فكاننا امام عدم تلاؤم مطلق فى الطبيعة الاسلامية. قاد الاسلام التقليدى (١) الى عدم الارتباط بالمسرح وبالتالى ادى الى هذا الطلاق .

ولكن علينا ان نبحث أولا .. كيف يظهر المسرح فى حضارة ما .

ظهور المسرح او التجربة الصراعية

كثير من الدراسات اهتمت ببحث أصول المسرح .

فبالنسبة « لنيتشة » مثلا يبحث الرجل الذى صقله المجتمع عن التغيرات كوسيلة يحارب فيها العدم الذى يسكن فى اعماقه فالثمل الديونيسيسى يزهر كزهر الربيع . بقوة لا تقاوم .. وهذا الدفع القوى ليس الا تغيرا أساسيا يعبر عن الارادة الكامنة .

هذا الدفع القوى الربيعى يستبدله بعض الفلاسفة الآخرين بالمفهوم الدينى ففى بدء المسرح كانت هناك الطقوس الدينية . وهذه النظرية تعتمد على التشابه الموجود بين الطقس الدينى والاحتفال المسرحى .

ولكن هذه النظرية عن أصل المسرح نظرية قابلة للنقاش فستبدلها نحن بتفسير اساسى بضع السؤال التالى .. فى اية لحظة من لحظات التجربة الجماعية يحس المجتمع بالحاجة الى التعبير عن نفسه بواسطة هذه الطريقة المعينة التى تتخذ شكل المسرح ؟!

وعلينا كى نجيب عن هذا السؤال ان نعقد المقارنة التالية ..

فلو لم يبتكر المسرح اليونانى الحرية المطلقة فى التعبير عن المواقف الصراعية .. لوقع فيما وقع فيه مسرح « النو » اليابانى الذى جمد فى نشيد وحيد عاطفى ينتهى ليبدأ من جديد

ولو لم تغلت مواطف ميديا وبروميثوس واورست هادرة صارخة لشكا هؤلاء الابطال التراجيديين الشهيرين من الشلل اليائس الذى اصاب زميليهم اليابانيين كاناتى وزيامى اللذين جمدتهما تقاليد مجتمع يابانى رجعى ومحافظ تسيطر عليه قواعد ثلاثة مقدسة الهوكو (الاحترام دون قيد او شرط للاشياء العامة) والتيمان (الشرف) والبولقى (المرض) .

فلو لم يعرف المسرح اليونانى مفهوم الصراع لظل نشيدا ماساويا وحيدا .

ولما اصبح محورا تناقش فيه الاحداث الايديولوجية والسياسية وبكلمة واحدة .. الحياة العضوية لاية مدينة .

وكى يصل المسرح اليونانى الى هذا المستوى كان عليه ان يكتشف مفهوم الحرية بواسطة الشق الذى تفتحه تجربة الصراع .

ولعل اسطورة بروميثوس هى خير مفتاح لفهم المسرح اليونانى . فهذا البطل اليونانى الذى يرفض ويستمر فى رفضه والذى سرق النار من الآلهة يتم وجوده بان يؤكد حريته السلبية التى حصل عليها عن طريق الجريمة .

فالبطل اذن يقوم هنا علنيا بالعمل الذى يفصله عن العالم .

« **انتجونا** » تخرق قانون المدينة ، و « **كيزركس** » يرتكب غلطة مهاجمة اليونان ، و « **اوديب** » يغرق فى جرائمه .. لذلك فاننا نجد البطل الماساوى (عكس الفيلسوف الذى يصمد مواطفه) ينادى بكل قواه هذا المزاج الخاص الذى يرميه خارج دائرة المجتمع المغلقة ويجعله يحيا حياة مستقلة على المسرح .

ولقد قال « **شيللر** » بامانة ان المسرح اليونانى قد علم الحضارة اليونانية ماهى الفردية الحقة من خلال رؤيا لتنبة .

---

(١) يستخدم المؤلف كلمة الاسلام التقليدى هنا للدلالة على الفكر الاسلامى التقليدى القديم وهو يميز بين هذا الفكر الاسلامى التقليدى وبين الفكر الاسلامى الحديث .

اذن ففى أصول المسرح اليونانى .. ولنقل أصول المسرح يوجد مفهوم الصراع الذى يتخذ اشكالا أربعة .

١ ــ **الصراع العمودى** : حيث تواجه الحرية البشرية الارادة الالهية . والمثال الذى يقدمه لنا المسرح اليونانى عن هذا الصراع هو (بروميثوس المقيد بالاغلال)

٢ ــ **الصراع الافقى** : حيث يواجه الفرد قوانين المجموعة والكيان الاجتماعى المفروض، وخير مثال عليه (انتجونا) .

٣ ــ **الصراع الديناميكى** : حيث تقف المغوية البشرية بوجه القدر ، التاريخ المقدر والمعاش وخير مثال عليه هو (الفرس) اللذين اعمتهم الدهشــــة من هزيمتهم ومن انهزام القدر .

٤ ــ **الصراع الداخلى** : وهو الموقف المسرحى الاكثر دقة . فهيجل يعرف القدر بأنه « الشعور بالوجود .. ولكن الشعور به بشكل مدالى » . فالبطل المأساوى هنا يواجه التناقضات الاساسية فى أعماق نفسه . كأوديب مثلا الذى يحمــــل فى أعماقه بذور خرابه .

واذا اقررنا بان المسرح اليونانى هو اول مسرح كامل فى تاريخ المسارح .. واذا تذكرنا انه اول شكل درامى عرفه العرب .. فان هذه المعـــلومات عن المسرح اليونانى ستساعدنا ان نضع مشكلة مفهوم المسرح بالنسبة للاسلام التقليدى .

فهل يستطيع الرجل المسلم حسب حضارته وديانته أن يحيا واحدا من هــــذه الصراعات الاربعة التى ذكرناها وأن يكتشف امكانيات اللغة المسرحية ؟ ..

هل يمكن للرجل المسلم التقليدى أن يضع حريته الشخصية امام ارادة الله ؟! .. او امام الكيان الاجتماعى لمدينته ؟! .. او يواجه بها منطق التاريخ والقـــدر او أن يكتشف انسانا اخر فى اعماقه يصارعه ؟!! ..

وسنبحث الآن فى هذه الامكانيات الاربعة على ضـــوء الفلسفة الدينية والحقيقة الاجتماعية للاسلام التقليدى .

الحرية البشرية والارادة الالهية او « بروميثوس غير المتصور »

ما دام الانسان يكتشف نفسه ندا للالهة كما فى التراجيديا اليونانية .. أو على الاقل بشكل شخصية مستقلة تحيا وحدها تجاهه .. فانـنــا أمام ارادتين .. ارادة هذا الانسان وارادة الله .

وبالنسبة للدين الاسلامى التقليدى فان مثل هذه الثنائية ليست غير موجودة فحسب بل انها غير متصورة على الاطلاق .

وحول هذا الموضوع يقول ماسينيون ..

علينا ان نفهم ان كل ما فى هذا العالم هو من صنع الله . ان العالم هو اكبر شكل فنى وهو ليس الا اداة فى يد الرب يحرك خيوطها كيفما شاء .. ولذلك فليس هناك دراما فى الاسلام . لان الدراما كما يعرفها التفكير الاوروبى تدور فى قلب الانسان .. انها دراما حريتهم .. ولكن هذه الحرية بالنسبة للمسلمين محددة بالارادة الالهية التى لا تعتبرهم الا ادوات فحسب .

وبالنسبة للسنيين فالله هو مصدر واساس كل شىء .. كل شىء يخرج منه وكل شىء يعود اليه . وتجاه القدرة الالهية فان تصرف الانسان يتقلص الى ادنى درجاته .

ان ارادة الانسان هى جزء صغير من ارادة الرب .. ومن هذه الزاوية لا يمكننا ان نتصور نشوء صراع يتواجه فيه (الكل) مع (شىء صغير منه) .. !

تجاه هذه القدرة الكبرى لا يمكن ان تنشا ثورة .. فالرب هو الذى خلق العالم وهو الذى يدمره كما يشاء . انه اله مطلق لا يمكن التعادل معه .. بل ان القرآن يقول بصراحة بفناء كل شىء « ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .. والانسان الاسلامى يروض نفسه على صورة الفناء المطلق هذا . اذن فمن جهة نجد الارادة الالهية اللامتناهية التى لا حدود لقدرتها ثم حرية الانسان الصغيرة .. ثم (وهذه

هى النقطة الهامة) ان ارادة الانسان فى ارادة الله وما دامت كذلك فلا يمكن ان تنفصل عنها او ان تواجهها .

ويلاحظ جاك بيرك ذلك فيصف الشخصية الاسلامية بأنها سعيدة لانها مرتبطة بنظام الكون فهى بعيدة عن العذاب .

ان التواصل بالذات الالهية يمنع التمرد واذا كان الرجل المسلم حرا فان هذه الحرية مقصورة ومراقبة من قبل الرب ؛ حرية تجعله ينفذ القدر المكتوب عليه فحسب .

ويقول « جوستاف فان جرونيوم » فى مقال نشره فى مجلة ديوجين سنة ١٩٦٤ حول (مفهوم الشخصية الانسانية فى الاسلام) .

ان الاسلام السنى لم ينجح فى خلق فن مسرحى رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود الى سبب تاريخى قدر ما يعود الى مفهوم الانسان فى الاسلام وهو مفهوم يمنع وقوع اى صراع درامى ، فاذا لم تكن هناك حرية اختيار او خيار حقيقى بين ما هو ممكن وما هو غير ممكن فلن توجد الشخصية الدرامية .

المواطن المسلم

اذا لم يكن بروميثيوس ممكنا ..واذا لم يكن متصورا قيام صراع بين الانسان والارادة الالهية .. فلمـــاذا لا يواجه الانسان المسلم مدينته وقوانينها ؟؟ .. ولم لا تتكلم « انتجونا » العربية ..

والجواب على ذلك .. ان الاسلام دين ودنيا ، وانه قد نظم الامور الدنيوية وقواعد الحياة كما يلاحظ لويس جارديه فى كتابه من (المدينة الاسلامية) . **فالمدينة الاسلامية التقليدية بكل ما فيها من طقوس عائلية واجتماعية وسياسية ودينية تنظمها التعاليم الدينية .. وكل من يخرج عن هذه التعاليم يموت كافرا .**

الامة اذن حكم ، دولة ، تشريع قانونى أراده وسن له الله ، بل ان الطبيعـــة الاجتماعية للواجبات الدينية (الحج ، الجهاد ، الصيام ، الصلاة الجماعية) تؤكد طبيعة التفكير الجماعى الموحد وتكمل من انتماء الفرد الكامل للمجموعة .. وتقلص من الحرية الانسانية امام المتطلبات الاجتماعية ، المفروضة .

ان ثورة (انتجونا) ممكنة على الصعيد الفردى .. ولكن هذه الثورة تخلق شعراء وليس كتاب دراما ففى المدينة اليونانية نرى ان (المجموعة البشرية) هى التى قاست تجربة انتجونا ..

فانتجونا وكريون يمثلان شطرى المدينة والصراع بينهما .

اما فى المدينة الاسلامية حيث يكون تحقيق الوحدة الجماعية شديد العمق فان مثل هذه الفردية لا يمكن ان تكون نقاشا مدنيا وانما غلطة كفر .

العودة الابدية

ان صراع الانسان مع القدر اى مع التاريخ الدرامى شىء لا يمكن تصوره أيضا فى الاسلام التقليدى . لكى تواجه التاريخ علينا ان نشعر به دراميا . والتاريخ لا يمكن ان يأخذ مدى دراميا الا اذا تمت التجربة الانسانية فى زمن موضوعى يتعارض مع الزمن الشخصى الذى ينسجه ضمير الانسان الذى ينزع نحو البقـــاء والحركة . وبالنسبة للاسلام التقليدى .. فالتاريخ ليس دراميا وانما هو دورى وكما يقـــول « هنرى كوربان » (ان الفكر التاريخى للاسلام يتحرك حركتين متعادلتين (المبدأ والمعاد) لذلك لا يمكننا أن نرى العالم يتطور لانه لا يسير افقيا بل عموديا) ..

هذا الزمن الدائرى يخلق الاسطورة ولا يمكن ان يخلق الدراما .

فكل ما يحدث مكتوب بالنسبة للسير العامودى .. وكل ما يحدث فى السير الافقى فهو عارض ، وبهذا المفهوم يمكننا ان نتكلم عن (القدرية الاسلامية) التى يمكننا ان

تربطها بالقدرية اليونانية ـ اللاتينية . ولكن (المكتوب) فى العالم الاسلامى يجب أن نراه من منظار حتمية متفائلة للتاريخ .

فكل ما يحدث مكتوب ومقدر ولكن المهم هنا أن هذا المكتوب لم يكتب الا لسبب عادل ، وانه مهما كانت الاحداث تبدو لنا من الوهلة الاولى مخالفة للمصالح العامة .. فان الفكر الاسلامى لا يشك لحظة واحدة بتخطيط الله السرى والذى لا يمكن ان يؤدى الا الى الخير .. ولو بعد زمن طويل . هذا الفكر التقليدى الذى ملأ التاريخ بتفسيرات تعود كلها الى حتمية متفائلة تركز على انسجام نظام العالم ، وتجعل الانسان المسلم يتحرك بعيدا عن التناقضات والصراع .

الفردية المستحيلة أو الانسان المحايد

تكلمنا عن المعطيات الثلاثة الماسية للصراع .. وقلنا ان ارادة الانسان المسلم لا يمكن أن تواجه ارادة الله وان الانتمــاء المطلق للانسان المسلم لمجموعته ومفهوم التاريخ اللادرامى عنده تمنع وجود هذا الصراع على مستوييه الثانيين . أى ان (الفردية) مصدر كل صراع داخلى .. تبدو مستحيلة لديه وبالتالى فان الصراعات النفسية والفردية تتجه نحو الذوبان فى بوتقة التصرفات الجماعية .

هذه هى قصة الطلاق الذى حدث بين المسرح والاسلام التقليدى .

وعلينا أن نكون عادلين فنقول ان هذا التعارض بين المسرح والدين لم يكن ظاهرة تميز بها الاسلام فحسب .. وانما كافة الديانات التى تقول باله واحد قد جعلت حدا بينها وبين الفعل المسرحى .

ولكن طبيعة الديانة المسيحية التى فصلت بين الامور الدينية والدنيوية فى المدينة المسيحية .. والصراع بينهما قد خفف كثيرا من الحد الذى يفصل بين الدين المسيحى والمسرح .

خطيئة الكبــــرياء .. أو الاسباب الادبية للنقص

ولكن هل تكفى الاسباب الدينية مهما كانت عميقة فى ابعاد العبقرية العربية عن الكتابة المسرحية : فالعرب الذين ترجموا « افلاطون » و « ارسطو » و « افلوطين » الم يعرفوا ايضا النصوص المسرحية الكوميدية والتراجيدية التى أتت من اليونان .

لا شك انه ما من شىء كان يهيىء العرب لفهم هذه النصوص المسرحية بعمق وهضمها لم تقليدها للاسباب التى ذكرناها سابقا .. ولكن لم لم يحاول العرب أن يترجموا ولو من باب الفضول ابياتا من المسرح اليونانى الشعرى !! ..

ان العرب الذين لم يفهموا (الفكر المسرحى) لم يروا فى هذه المآسى اليونانية الا نصوصا بسيطة موزونة .. واشعارا حوارية غريبة !! ..

ونحن نعرف القناعة الداخلية التى لا تتزعزع لرجال الادب العربى فى القرون الاولى .. التى تقول ان التعبير الشعرى ليس من اكتشاف التفكير العربى فحسب بل انه منطقة نفوذ خاصة لا يشاركهم فيها أحد .

ولقد كتب « الجاحظ » فى هذا الموضوع مقطعا هاما له دلالة فى كتاب « الحيوان » اعتبر فيه الشعر فنا محدثا كان «المهلهل» و « امرؤ القيس » من أوائل من اكتشفه وعرف به .. اذن فالشعر لم يبدأ الا من قرن ونصف قبل الاسلام ..والموهبة الشعرية عطاء مقصور على العرب ومن يتكلم العربية .

و « ابن رشيق » يؤكد هذه الفكرة ويقول ان العرب افضل الشعوب وان فنهم فن الشعر هو ارقى الفنون وان فن الكلمة فن مقصور عليهم ..

وبما ان التراجيديات اليـــونانية اذا جردت من كيانها المسرحى .. فلن تكون الا

اشعارا غريبة ؟! .. وما فائدة ترجمة شعر غير عربي ؟! .. وهل نحن بحاجة اليه حقا ؟! ..

وهكذا نكتشف الاسباب الادبية التي تعلل صمت المترجمين .. والتي تعود كلها لسبب واحد أساسي .. خطيئة الكبرياء .

البستان المتجمد او الاسباب اللغوية

وهنا علينا ان نميز بين العالم العربي والعالم الاسلامي .. فالمشكلة لا يمكن ان تكون واحدة بالنسبة « لحيدر آباد » و « بالي » و « أصفهان » من جهة و « دمشق » و « القاهرة » و « مراكش » من جهة أخرى .. ونحن سنتكلم هنا عن العالم العربي فحسب .

يقول جاك بيرك : « ان التقاليد العربية جهلت التعبير المسرحي لانها لم تتوفق الى اعطاء لغة » والحقيقة ان اللغة العربية تعاني بالنسبة للمسرح من مشكلتين

١ ـ عدم تناسب اللغة العربية الكلاسيكية مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية

٢ ـ صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاث .

فاللغة العربية تمتاز عن غيرها من اللغات بخلاف أساسي في طرق التعبير والجاحظ يشرح هذه الصعوبة بأن يميز بين ثلاث طرق للتعبير .

١ ـ الاشارة ٢ ـ الدلالة ٣ ـ التعبير

واللغة الكلاسيكية تعتمد على الدلاله .. بينما يجب أن تعتمد اللغة المسرحية على التعبير وتحديد اللغة الكلاسيكية بالدلالة قد قادها الى الاقتصار على أشكال ادبية معينة وخصوصا في الشعر .. وهذا مايجعلنا نفسر الصعوبات التي يلاقيها الشعراء العرب المحدثون « نزار قباني ، نازك الملائكة .. » في ربط لغة قديمة بأفكار جديدة ..

اللغة العربية اذن بقيت لغة المعنى ورمزا للتجربة المعبر عنها وليست المعاشة مباشرة . لذلك نكل حب عندما ينتقل الى الشعر يصبح حزينا وكل بطولة كبيرة وكل عظمة نبيلة حتى لو كانت هذه المواطف في التجربة المعاشة مختلفة تماما .

اللغة العربية الكلاسيكية اذن بستان كبير حقا .. ولكنه بستان متجمد

والمسرح الحقيقي « ولا اعني مسرح الفودفيل والميلودراما » هو المسرح الذي يرفض الكلمات المحجرة . والمسرح كالحياة اليومية .. فن سريع ، يعرب دوما بالحاضر .. ولغته مباشرة .. لغة من يعرض متخلصا من كل المعاني السابقة .. من كل مايحجب الكلمة من معناها . ان اللغة المسرحية ترتبط بالتجربة التي تخلقها . تبقى امامنا مشكلة اللغة العامية التي تمثل اصدق تمثيل التجربة المعاشة .. والمسرح يستريح اليها دون شك .. ولكن اختيار اللغة العامية للمسرح العربي الا يقودنا الى الاقليمية ؟.

وهل يمكن ان نوافق عليها ومفهوم الوحدة العربية يزداد صلابة ونشعر به كضرورة الزامية ؟!

هذا اذا لم نختر لغة ثالثة « العربية الوسطى » التي لايدافع عنها توفيق الحكيم وحده « هناك في لبنان أنيس فريحة وفي تونس حسن زمرلي »

ولكن اليس هذا الحل خطرا أيضا .. والا يؤدي بنا الى اضاعة الجانب الدلالي والروحي تقريبا للغتنا الفصحى والجانب التاريخي للعامية ؟!

على كل حال .. ما زال النقاش دائرا ..

الاستثناء والقـــاعدة ... التعازي الشيعية

ان التعازي الشيعية التي ظهرت في القرن السابع هي التي اعطت الاسلام الشكل الدرامي الوحيد الذي يعرفه .

ففي الايام التي تسبق اول محرم .. في الجوامع والتكيات .. في الساحات العامة أو بعض المنازل الخـــاصة ، ومن على المنـــابر تقف شخصيات دينية مدعوة

« روزی کان » والتی ستتخذ فيما بعد شخصيات القديسين ، **لتروى احداث بطولة « الحسين بن على » ومناقبه .**

هؤلاء « **الروزى كان** » كانوا يسردون المديح ثم يضمنونه حوادث تفسيرية والنتيجة كانت مزيجا من الرثاء والغناء والرواية والمواعظ .

وسريعا ما ظهر الى جانب « الروزى كان » مساعداً لقبوه بـ « **باماببر كان** » اى « المغنى على قاعدة المنبر » ويبقى دائما الى جانب المنبر ويتحاور مع الروزى كان .

ثم ظهر « **النوح ــ كان** » وهم مجموعة من البكائين يتحاورون مع سرد الروزى كان .

اى اننا اصبحنا امام ازدواج يذكرنا بتطورات الجوقة اليونانية .

ومنذ اول محرم وحتى ظهر عاشوراء « اى عشرة ايام » كانت تقام المسيرات الدينية العنيفة التى تجعل مدينة كربلاء فى حالة توتر دائم . ويرى جوبينو فى هذه الاحتفالات شيئا يشبه الطقوس الوثنية التى كانت تقام لادونيس .. والى جانب المدائح والندب المعتادين كانت هذه المسيرات تحتوى على رقصات «سيدزن ، زندرزن» ورجال يضربون انفسهم بالسياط واشخاص متنكرين .. كاملم يمتطى صهوة جواده والدم ينزف منه بغزارة .. وكذلك بالنسبة لباقى المشتركين

واخيرا فى اليوم العاشر .. يمثل المشهد الملقب بالتعازى

هذه الاحتفالات يمكننا أن نقارنها بالاعياد والاسرار التى ما زالت تقام حتى يومنا هذا فى منطقة بافاريا .

اما مسرحيات التعازى فقد كتبها مؤلفون مجهولون .. ويتم تمثيلها فى الساحات العامة وفى الهواء الطلق او فى « التكية » حيث يوضع فى منتصفها صيوان خشبى دائرى او مربع يدعى « سيكو » ويستعمل كخشبة مسرح . هذا الصيوان مفتوح من كل جوانبه وليس فيه اى ديكور . اما الممثلون فيغيرون ملابسهم فى الواح جانبية تدعى « تاج ــ نوما » .

ويدوم العرض ساعات متوالية ، ومنذ الصباح الباكر يتجمع الناس حول السيكو . اما ادوار الرجال فيؤديها الرجال ، والجمال والجياد كانت تمثل قافلة الحسين ..

هذه هى التفصيلات المادية للعرض .. أما المواضيع المعالجة فكانت كالتالى :

لم يترك النبى أى نص مكتوب يتعلق بمن يخلفه .. لذلك انقسم المسلمون بعد موته الى فئتين .

الشرعيون الذين يقولون ان الخلافة يجب ان تبقى فى عائلة النبى والذين يرون فى على الخليفة الطبيعى لمحمد .

الدستوريون الذين يقولون ان الخلافة يجب ان تتم عن طريق الانتخاب .

وقد تم الفوز بادىء الامر للفئة الثانية .. وكان أول خليفة فى الاسلام « **ابو بكر الصديق** » الذى سلم الخلافة من بعده الى « **عمر** » وعندما قتل عمر بيد رجل ايرانى يدعى « ابو لؤلؤة ــ فيروز » .. اختير « **عثمان** » للخلافة .. وقد رفضت شيعة (على) هذا الاختيار ومنذ هذه اللحظة ولدت الفتنة الكبرى .

وقد أعقب ذلك فترة من العراك والخلافات الشديدة قتل فيها عثمان من قبل بعض الثائرين . ووصلت الخلافة الى على

ثم اتهم «معاوية» « على » بمقتل عثمان وقام بثورة ضده .. وقتل على بدوره فى احد مساجد الكوفة .. فاصبح الطريق مفتوحا منذ ذلك الحين امام معاوية فسمى نفسه خليفة .. ثم اخذ البيعة لصالح ابنه يزيد .. فاصبحت الخلافة وراثية كما كان يريدها « الشرعيون » ولكن لصالح أسرة معاوية وليس لصالح اسرة النبى .

وعندما اصبح يزيد بن معاوية حاكما لدمشق فى ابريل سنة ٦٨٠ ارسل المبعوثين الى كافة الولاة طالبا البيعة .. وقد قبل بذلك اغلب الولاة .. ولكن عندما وصلت الرسل الى المدينة حيث كان يقيم اولاد على « **الحسن** » و « **الحسين** » .. اثر الحسين الهرب مسرعا الى مكة كى يتجنب المبايعة تاركا اخيه حسن وحيدا .. متعبا فى المدينة المقدسة .

و فى هذه الاثناء كانت الحركة الشيعية قد اشتدت .. وراحوا يفكرون فى الكوفة

بمبايعة الحسين ، وارسلت الرسل تباعا اليه تدعوه الى الكوفة .. ولكن عيون يزيد كانت تبلغه بما يحصل .. فأحس بالخطر وكلف حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد بأن يمنع بكافة الوسائل وصول الحسين الى الكوفة . بينما كان الحسين واتباعه « ويبلغ عددهم ما يقاربه المائتين » في الطريق اليها .. وأمر ابن زياد فيلقا من الجيش الاموى بقيادة الحر بان يسد الطريق في وجه الحسين .. وتم اللقاء بين الحر واتباع الحسين .. ولكن الحر عوضا عن محاربة الحسين انضم هو وجنده اليه .. وفي اثناء ذلك بدأت اخبار خطيرة تصل من الكوفة اذ دب الانشقاق بين سكانها ولم يعودوا كلهم في صالح الحسين .. عندئذ قرر الحسين عدم الذهاب الى الكوفة واتجه الى الشمال من طريق الفرات .

عند ذلك ارسل يزيد جيشا من اربعة الاف جندى ليقضى على مجموعة الهاربين الصغيرة . وكان هذا الجيش برئاسة شمر بن ذى الجوشن ... ولما وصل هذا الجيش الى سهل كربلاء قطع الطريق الى الفرات من الحسين واتباعه وزادت الحرارة اللاهبة من عطش الاطفال ولكن العدو كان يحرس ليلا ونهارا كل الطرق المؤدية الى الماء . وحاول العباس شقيق الحسين أن يخترق الحصار ولكنه فقد كلتا ذراعيه ومات متأثرا بجراحه . وكاد ابن الحسين زين العابدين بيمار « أى المريض » يموت عطشا .

وفى صباح العاشر من محرم « العاشر من اكتوبر سنة ٦٨٠ » نشبت المعركة .. وذبح كافة انصار الحسين.. وقطع رأس الحسين نفسه واخذت النساء والاطفال أسرى الى دمشق ، وقد حملت كل رءوس شهداء عاشوراء الى يزيد على رءوس الرماح .. وتقول الاساطير ان يزيد قد عبث برأس الحسين المقطوع . ومنذ ذلك الحين لم تكف « التعازى » من أن تعيد تمثيل مأساة كربلاء وآلام السيد الحسين .

كيف نفسر وجود هذا المسرح ؟! هناك سببان اساسيان يبدوان لنا حاسمين .. الاول سبب دينى والثانى سياسى

لقد اكتشفت الشيعة المسرح لأنها مرت بتجربة الانفصال عن الدين .

لقد نسب اليها جريمة مقتل عثمان .. وكانت تعانى من الندم العميق لانها مسئولة بشكل ما عن مصرع على ثم الحسين .. لذلك احست الشيعة بالشعور بالذنب ومن وخزات ضمير شقى .

وفقد التاريخ من وجهة نظرهم براءته الاصلية .. وتلوث الميثاق الذى يربط بين الله وعباده بدم على والحسين ... علينا اذن أن ننظف التاريخ من نتائج الخطأ حتى يبعث الامام المختفى من جديد وينقذ العالم .

أما النقطة الثانية فسياسية .. فعلينا الا ننسى ان التعازى قد نشأت فى فارس حيث لم ير الفارسيون فى حياة وموت الحسين قدرا مأساويا فحسب .. بل ضمنوا سير حياته الاليم مطامعهم السياسية والقومية المكتومة .

فحسين ليس ابن على فحسب .. بل هو زوج شهربانو اخر بنات الملك الساسانى يزدجرد وهذا الاتصال يجعل من الحسين واحدا من الامة الفارسية (١) .

ويقول « الوردى » أحد أئمة الشيعة فى كتابه « وعاظ السلاطين » « لقد حصل على « وكان المفضل عند الرسول » ، على مركز ممتاز فى الاسلام جعل منه نصير الضعفاء والمظلومين » .

وقد تابع ابنه الحسين القيام بهذا الدور .. وعندما احتلت الجيوش العربية والاسلامية .. فارس .. راحت هذه تفتش عن زعيم لها فوجدته فى اكثر ائمة الاسلام تواضعا .. ونحن هنا امام مثال بارع تتخذ فيه السياسة رداء دينيا .. والدين رداء سياسيا .

ولكن مع الاسف .. فان سميرنوف قد حضر سنة ١٩١٦ اخر عرض هام للتعازى فى فارس وقال عنه « من المؤسف .. ان تخسر فارس هذا الشىء الغريب .. » وقد تأكد هذا المنع فى ايامنا بشكل رسمى .. فدفن هذا المنع الرسمى جثة ميتة .

---

(١) ليس هناك ما يثبت صحة هذا القول الذى ما زال افتراضا محضا (المترجم)

علينا أن نشير اخيرا ان التعازى ما زالت تقام حتى يومنا هذا فى العراق فى مدينة كربلاء بشكل لايختلف كثيرا عما ذكرناه .

المسرح المكتشف

ورغم ان الاسلام لم يعرف المسرح بشكله المزدهر .. فان هذا لم يمنعه من معرفة اشكال مختلفة من المسرح .. وقد تحايل الفنانون على التعبير عن انفسهم بأشكال ندعوها ماقبل المسرح والتى لا يقتصر ظهورها على العالم الاسلامى فحسب والامثلة على ذلك كثيرة فى تاهيتى وباهيا وسيبيريا وجزر الباسفيك الشمالية .. حيث تتخذ الافعال الدرامية صيغة حسية ورمزية تمثل قيم المجتمع .

وربما لم تكن هذه الظواهر كثيرة ومتعددة فى العالم الاسلامى ولم تصل الى درجة اعتبارها لغة مسرحية .. ولكن هذا لايمنع من أنها وجدت وانها ما زالت موجودة وان حصرها لايمكن الا ان يكون مفيدا .

ما قبل المسرح

• ويستعرض المؤلف هنا بشىء من الشرح المستفيض للاتجاهات التى يدعوها بما قبل المسرح»

الفعل الممثل : وهذه الفئة تشمل حركات البيع المعروفة فى الاسواق المغربية ويجمع فيها كل مايمكن أن يكون فى « الكلمة » حجة لألعاب درامية « الغناء » الكورس ، الحوار ، المونولوج » . وضمن هذه الفئة نضع المداح والراوى والمقلد .. هؤلاء الممثلين الجوالين الذين يمدحون الشخصيات الشهيرة ، ويقلدون اللهجات والعادات او يروون الحكايات القديم منها والحديث .

ويمكننا ان نرى هؤلاء الأشخاص حاليا فى ساحة الجمعة بمراكش .

كما يمكننا أن نضع فى هذه الفئة ايضا « الكلام الملحون » حيث يروى الراوى .. مغامرة على الاغلب مضحكة وفيها شىء من الدعاية الجنسية .. وترد عليه جوقة من الرجال . **وقد اصبح الشيخ « سالم بوشاية » الملقب بملك الزجل أستاذا فى هذا الفن وهو موجود حاليا بتونس ، وفى احدى اغانيه مثلا يروى متاعب حياته الزوجية .. فيقلد حديث امرأته معه .. ونقاشهما معا .. تشاركه مجموعة من الرجال تبعث الحرارة فى الناس بين مقطع وآخر .**

ونضع أيضا مع هذه الفئة المونولوجات الايمائية لبعض الرحالة البربر التى يلقونها فى المواسم **وضمن « الفعل الممثل » نضع ايضا الغناء المتعدد الاصوات لبربر الاطلس المتوسط حيث يشكل التصفيق المنظم نوعا من الحوار الدرامى ذى الايقاع .**

على كل حال علينا ان نؤكد الطبيعة « الما قبل » مسرحية لكل انواع الفولكلور .

وهنا يشير المؤلف ايضا الى الفولكلور اللبنانى وتجارب الاخوين رحبانى وفيروز وجهود الجمهورية العربية المتحدة بانشاء مركز للفنون الشعبية برئاسة السيد يحيى حقى الذى يعمل على احياء فن فولكلورى شديد الغنى ويمكن اعتباره مصدرا من مصادر « ماقبل المسرح »

وينتقل المؤلف الى الحديث عن الغناء الايرانى ورقصات دراويش المولوية فى تركيا ثم يشير ايضا الى « المراكز الادبية » القديمة أسواق واشهرها « **سوق عكاظ** » والتى كانت تستمر عشرين يوما .. ويتم فيها نوع من التنافس الشعرى له طابع مسرحى .

التظاهرات ذات الطابع القريب من الدينى

ويضع فيها المواكب الموسمية كموكب « الام تنجو » فى تونس و « اما ناالكنجا » فى **الجزائر حيث تخرج الفتيات الصغيرات ايام الجفاف فى موكب كبير يحملن فيه ملاعق** كبيرة من خشب وقطعا من قماش ويرقصن ويغنين امام دمية ..

هذه المواكب لابد أن يكون مصدرها طقوس زراعية قديمة

ثم يضيف موكب « خرجة سيدي بوسعيد » في تونس والمواكب الدينية الصوفية . ورغم ان السلطات قد منعت هذه المواكب فانها لم تختف تماما . وقد سنح الحظ للمؤلف أن يرى بعضها ويؤكد على مظهرها الدرامي واصفا كيف تجرى والدور وما يحدث فيها .

ويضيف اخيرا الى هذه الزمرة « بعض تظاهرات الطوائف السوداء المقيمة في افريقيا الشمالية » وخصوصا شخصية بوسعدية الشخصية الشهيرة في بعض المدن المغربية ورقصة صيد الغزال .

ويقول المؤلف انه اطال في وصف هذه التظاهرات والمواكب الجماعية كما شهدها بنفسه في تونس وانه لابد من وجود مثلها في كل البلاد العربية حيث تتخذ أشكال المسرح طابعا عفويا وغير مباشر وبصور مختلفة .

اما الزمرة الثالثة وهي الاكثر اهمية في نظره لانها تشكل نوعا متقدما من البنيان الدرامي ولكنه غير كاف لانه لم يؤد الا الى شكل غير متكامل من اشكال المسرح .

الشكل المجهض للمسرح

ويضع فيها المؤلف « مقامات الحريري » ، « وبديع الزمان الهمزاني » . فان بطلي هذه المقامات « عيسى بن هشام » و « ابو زيد » يشبهان الى حد بعيد خدم كوميديات القرن السابع عشر والثامن عشر من سكابان الى فيجارو مارين بسغناريل وفرونتان ولكنه يتجاوز المقامات مسرعا ليتوقف امام « مسرح الظل » الذى يراه أكثر الظاهر الدرامية لفتا للانتباه .

ثم يبدأ بالتاريخ لخيال الظل « فانوس الخيال » منذ ان اشار اليه « عمر الخيام » في احدى رباعياته ومنذ أن لجأ اليه الشاعر « باني » في اوائل القرن السادس عشر للدلالة على بعض معاني فلسفته فهذه الثنائية بين الرجل وظله .. بين الحقيقة وخيال الحقيقة قد بدأت تؤكد وجودها في عالم الخيال للانسان .. وهكذا ظهر قراقوز وجوقته واسئلتهم التي لاتنتهي .

واذا أردنا ان نعود الى أصل خيال الظل فليست الصين هي ما يجب أن نتجه اليه « كما يخطىء الكثيرون » ولكن علينا أن ننظر نحو الهند فيبشل يدعي ان « الماهابارانا » اقدم نص هندى قد اشار الى وجود مسرح الظلال .

ففي جاوا حيث انتقلت الحضارة الهندية منذ القرن الرابع .. نرى ان الصالب الرايانغ التي حفظتها التقاليد حتى يومنا هذا تعتمد أساسا على مسرح الظل ومسرح العرائس .

ورغم ان تاريخ مسرح الظل في الصين يعود كما تقول « الانسكلوبيديات الصينية » الى القرن الحادى عشر حيث ظهر كنوع من التسلية في الاسواق العامة .. الا أن الاساطير تنسب ظهوره الى الامبراطور «وو» الذى عاش بين اعوام ١٤٠ و٨٧ ماقبل الميلاد .

اما اول اشارة لمسرح الظل في التاريخ العربي فتعود الى القرن الحادى عشر .

فقبل ان يؤلف ابن دانيال الموصلي « طيف خياله » الشهير في مصر بظل السلطان بيبرس « ١٢٦٠ ــ ١٢٧٧ » أشار بعض المتصوفة المسلمين الى مسرح الظل ملقبين اياه بظل الخيال او خيال الظل أو خيال الستار وقارنوا بين العالم وبين المشهد من وراء الظل ليعبروا عن العلاقة التي تربط بين البشر والذات الالهية .

وهكذا نجد مثل هذه الاشارات في أعمال « ابن حزم » و « الامام الغزالي » و « محيي الدين بن عربي » و « ابن اياس » . ويشير «الغزالي» ان صلاح الدين قد شهد عرضا لخيال الظل مع القاضي الفاضل الذى فزع واراد مغادرة القاعة ولكنه خشي من غضب صلاح الدين وظل حتى النهاية حيث اعلن تأييده للعرض .. ومع ذلك فان ابن اياس يقول ان قانونا يمنع خيال الظل قد سن في عام ١٤٥١

اما الاتراك فقد عرفوا خيال الظل منذ زمن بعيد وأدخلوه الى بلدان الشرق الاوسط

وبعض مناطق افريقيا الشمالية . وقد تأكد وجوده مع وجود الامبراطورية العثمانية سواء فى اوروبا او فى افريقيا

اما بالنسبة لمسرح قراقوز ويعنى بالتركية العيون السوداء فعلينا ان نصعد فى التاريخ الى حكم اورخان « ١٣٢٦ – ١٣٥٩ » حتى نعثر على مولد هاتين الشخصيتين .

وتقول بعض الاساطير ان قراقوز وحاجى ميواظ هما شخصيتان حقيقيتان .. فالاول كان بناء : والثانى حدادا وكانا يعملان معا فى بناء جامع امر به السلطان .. وتقول هذه الاساطير ان تعليقات وثرثرات هذين الرجلين كانت تمنع العمال من العمل .. مما جعل اتمام بناء الجامع يتأخر واثار غضب السلطان فامر بقتلهما . وهكذا مات الرجلان .. واصاب الندم السلطان اورخان ولكن رجلا يدعى سيه كوسترى اراد ان يعزى سلطانه فنصب ستارا فى القصر واظهر من خلفه ظل الرجلين القتيلين وقلد أصواتهما .. واستعمل كوسترى « بابوجيه » ليعبر عن شخصيتى « قراقوز » و « حاجى ميواظ » واصبح منذ ذلك الحين سيدا لهذا الفن .. كما سارت شخصية « قراقوز » فى حوض المتوسط وتلونت بألوان مختلفة واتخذت طابع المقليات المتنوعة وخرجت من حدودها الضيقة الى حدود أكثر مرونة وسخرية بل اننا نجدها قد وصلت الى ايران تحت اسم « خيمة ساى جردون »

وان الطابع الشديد الجرأة الذى تميزت به هذه المسرحيات خصوصا فى المسرحية المسماة الحمام قد دفع بالمسئولين الى منعها .. ومن منع الى اخر .. سقط هذا النوع من المسرح فى ادراج النسيان .. ولكن هذا لايمنع أن هذه الشخصيات المصنوعة والمواقف المتعددة تعتبر الشكل الوحيد المقبول للمسرح الذى عرفه ومارسه الاسلام بصورة شعبية واسعة

ثم ينتقل المؤلف الى مسرح العرائس ويحدد تاريخه ومواضيعه ثم اختفاءه من العالم الاسلامى بعد أن ظهر فى ايران بشكل واسع .

واخيرا يستعرض المؤلف فئة رابعة لهذه الانواع الجهضة من المسرح خاصة ببعض العادات الشعبية الاولى فى تونس والثانية فى مراكش .

ويقول ان هذه المسرحيات الجماعية لابد ان تكون موجودة فى ارجاء العالم العربى ولكنه اكتفى بالاشارة الى الظاهر التى رآها ودرسها واستمع الى شهودها وصانعيها

اما العملية المسرحية الجماعية الاولى فى تونس فتدعى باسم « نبتة البلوط » .. حيث تمثل فى بعض احياء المدينة العتيقة روايات تستدعى المشاركة العامة والمجانية من سكان الاحياء .. ويقوم الرجال بكافة الادوار .. ولا وجود للمرأة فيها وهناك روايتان شهيرتان . السلطان وزليخا ، والام بالالا .

واذا كانت « نبتة البلوط » تتعلق بحى صغير فى المدينة فان « عيد تولباس » يجند كل عام مدينة فاس كلها . ففى هذا العيد ينتخب طلاب دوراس ملكا يحق له حكم المدينة يوما باكمله ويأتى الملك نفسه ليحييه . ويشاع ان العلويين قد استندوا فى اقامة حكمهم على واحد من هذه الاعياد .

نحن هنا أمام مثال شديد النجاح لمسرحة الحياة الاجتماعية بشكل كامل حيث يلعب كلّ فرد دورا جديدا ابتكره حسب الوضع الجديد. موقف جديد يخلقه المجتمع نفسه .

وهذا يذكرنا ببعض أعياد القرون الوسطى ولكنه يتميز بمسرحة كاملة للحياة الاجتماعية تدوم يوما كاملا ورغم أهمية هذه الظاهر كلها .. علينا أن نعترف انها عجزت من ان تقدم لنا شكلا واحدا متطورا للمسرح وان المسرح العربى الذى ولد اخيرا لم يلد منها وانما ولد من نقل أشياء من الخارج ... من الاستيراد أى من ظاهرة نقل ثقافة أخرى .

الرهن الاصلى

فى عام ١٨٤٨ عاد « مارون النقاش » من ايطاليا ليقدم مسرحية موليير « البخيل » التى كانت أول مسرحية معروفة فى الريبرتوار العربى .

وقد كتب السائح الايطالي بلزوني في سنة ١٨١٥ .. انه رأى في شبرا في مصر عرضا مسرحيا وان المسرحيات المقدمه (الاجنبي والعربي الفقير) و (الحاج والجمل) كانت شعبية جدا وتحتوى على هجوم حاد على طبقة التجار الغنية المجردة من الضمير .

ويقال ان مسرحا فرنسيا قد أنشىء في مصر سنة ١٨٣٧ كانت تمثل فيه الفرق الاجنبية . كما كان تأثير المسرح الايطالي شديدا في مصر كما تبرهن على ذلك المذكرة المرسلة بالايطالية في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٤٧ من ارتين بك الى سير شارل موارى تتصل بريطانيا في مصر وتحدد النظم التى يجب ان تطبق في صالات المسرح .. منع التدخين ومنع الضجيج ..

ولكن مهما كانت قيمة هذه الملاحظات فان الشرق العربي قد اكتشف المسرح سنة ١٨٤٨ بفضل ترجمة وتمثيل مارون النقاش لمسرحية البخيل .

وبفضل استيراد الثقافة عرف المغرب العربي بدوره بعد ستين عاما المسرح حينما قامت سنة ١٩٠٨ فرقة مصرية للمسرح برئاسة القرداحى بجولة مسرحية في بلاد المغرب العربي : تونس والجزائر ولاقت نجاحا مدويا .

اذن سواء بالنسبة للمشرق أو للمغرب .. بدت ظاهرة نشوء المسرح .. كظاهرة ثقافة مستوردة وكرهن أصلي .. فيهذه الحالة .. هل علينا ان نقول المسرح العربي أو المسرح الممثل بالعربية ؟! ..

ان الخطوة التى ما زالت تفصل بين المسرح العربي وجمهوره .. والتخلف الذي يدور فيه هذا المسرح بالنسبة لغيره من مسارح العالم يعود الى فكرة الثقافة المستوردة .. فعوضا من ان يطور المسرح العربي عناصره الموجودة ما قبل المسرح ويحولها الى لغة مسرحية متينة البنيان .. فانه اضطر كي يثبت وجوده الى سلوك منعطف طويل مستعملا .. طرقا غريبة عليه .

لقد دفع المسرح العربي ثمن وجوده بخسارة أصوله خسارة مؤلمة .

ولكن كيف نبرر ظهور المسرح العربي من جديد بفترة تاريخية شديدة التحديد ؟!

أورفيه العربي

كما كانت الفتنة الاولى في الاسلام حول حق الخلافة باعثا على فك اجماع المسلمين وادخال عاطفة جديدة عليهم من الانعـــزال ومفهوم الخطيئة وعدم الانتماء وجعلتهم (يخترعون) المسرح على يد الخارجين (الشيعة) فان الفتنة الثانية التى نشأت من الاستعمار والضياع الذى نتج عنه ، ستثير الحساسية الخلاقة عند العرب وستقودهم الى طريق يكتشفون من خلاله ومن خلال طرق التعبير الجديدة التى وصلوا اليها القصة والمسرح .

الخطيئة الاولى .

ان العرب لم يشعروا بالاستعمار كنتيجة حتمية للتاريخ والمرحلة القصوىللراسمالية كما يقول « لينين » وانما شعروا به بادىء الامر كاثم .

ويسمى « قسطنطين رزيق » المؤرخ العربي الجاد هذه المرحلة باسم «النكبة» ويمثل الاحساس الضميرى بها بأنه (تمزق الدليل) . وقد اتهمت اغلب الشعوب الاسلامية (عصور الانحطاط) بأنها هي التى ساعدت على الاستعمار . هذا الاحساس الحاد بالاثم سيؤدى الى انواع عنيفة من عدم التوازن في الروح الجماعية لهذه الشعوب .

ومن هنا بدات تظهر مفاهيم جديدة كالكبت والقلق .

اكتشاف الاخرين

ولكن رغم كل سيئاته .. فان الاستعمار ساعد الشعب العربي على اكتشاف الآخرين .. وبالطبع فان هذا الاكتشاف مغلوط لانه اكتشاف مفروض وليس تلقائيا . ولكن تجاه الآخرين تلونت المشاعر الغريبة المصنوعة من النفور والتوتر المكتوم من الرفض

والقبول من الحوار والصمت المفاجىء .

ان الحضارة التكنيكية تبعد وبالتالى تذل ولكن تغطيتها لحاجات الزمن الحاضر تغرى وتشجع . ولكى يتلاءم مع الآخرين ويتوافق مع عالم خلقته الآلة باسم الضرورات الحيوية .. ولكى يحيا المعاصرة اضطر الرجل المسلم ان يتنازل اى ان يعيد خلق نفسه وأن يتجاوب مع التقدم العلمى والانسانى . ولكن بأى ثمن ؟! ..

لقد اكتشف لجأة أن مدينته ليست حكم الانسجام لانها خرجت من يده واصبح يتقاسمها مع الآخرين . لقد اصبحت (القرية الظالمة) التى اكتشف فيها الدكتور « كامل حسين » الظلم .. وكيف يكون الانسان ناقصا .

وهكذا بعد ان ابتعد عنه تاريخه ، واصبح الآخرون يوجهون نفسه ، شاعرا بأعماق نفسه فراغات تتسع يوما بعد يوم وتتراكم فيها عواطف الكبت والقلق .. كان المسلم يواجه يوما بعد يوم التجربة المرة لغيرية مفروضة وليست تلقائية ، وكان عليه فى كل لحظة ان يوافق ارثه الثقافى مع ثقافة مستوردة يفرضها التقدم التكنيكى الآتى من الخارج

وهكذا اصبح المسلم المستعمر مع مأساته مع الحضارة المعاصرة التى لا ترحم شخصية متحركة تواجه خطيئتها كى تتجاوزها واصبح يحيا بذلك حالة درامية خالصة تكاد تصل الى درجة المأساة .

لقد هبط أورفيه العربى ادراج الجحيم .

وعلينا الا نخطىء فنقول ان المسرح العربى ولد من النقل والاقتباس .. لان كل شىء فى الوضع الحيوى للعرب اصبح مهيئا لولادة الدراما .

ان شكل المسرح فقط هو الذى آتانا من الآخرين . اما روحه واساسه ودوره فقد بدات الروح العربية التى عانت من الاستعمار تشعر بها كحاجة وجودية لها .

المسرح والبعث اللغوى

بين عامى ١٨٤٨ ــ ١٨٨٠ ارتسم حركة يقظة الادب العربى وسيجعل بطرس البستانى ولويس صابونجى ، والاب برلو والاخوان شدياق وخصوصا شعراء المهجر من هذه النهضة ارضا تنطلق منها كل مغامرات الكلمة العربية .

ومن حظ هذه الحركة الحاسمة أنها تمت على يد المسيحيين العرب .. لذلك فقدت اللغة الكلاسيكية بين أيديهم طابعها القدسى والرمزى الذى كان يمنعها من دخول ميادين ادبية جديدة يمكن للعبقرية العربية ان تسهم فيها . وهكذا اصبحت ممارسة الاشكال الثقافية المستوردة كالقصة والاقصوصة والمسرح امرا ممكنا فى لغة امرىء القيس .

وهكذا بعد ان اكتشفت المسرح .. راحت الامة العربية تمارسه شيئا فشيئا . لانها رات فيه طريقة ملائمة للتعبير وشكلا يثبت انتماءها الى معاصرة العالم .

● التعازى

ان نصوص التعازى الرئيسية هى ثلاثة :

ــ هناك اولا العدد ٩٩٣ من الاصول الفارسية (ملحق) فى المكتبة القومية فى باريس . ويحتوى على ٣٣ مجلسا ويحمل عنوان جونغ ــ ى ــ شيهادات او (نشيد الشهيد) وقد ترجم المستعمر شودزكو فى كتابه (المسرح الفارسى) خمس قطع (الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٣٢) أما العدد ٢٤ وهو العدد الأكثر اهمية لانه يروى آلام الحسين فقد ترجمه شارل فيرولو فى كتابه المسرح الفارسى او مأساة كربلاء .

وطبع الاب روبرت هنرى دو جنيريه العدد ١٨ (استشهاد على الاكبر) كما قام بترجمته

ــ أما الكتاب الثانى فقد طبعه قنصل سابق لالمانيا فى بغداد ويليهما ليتن ويحمل عنوان (كتاب ليتن) . ويحتوى على خمسة عشر مشهدا مقدمة بشكل نقل فوتوغرافى لمخطوط عراقى مع مقدمة مختصرة .

ــ والكتاب الثالث هو (كتاب لويس) الذى نشر بالانجليزية من قبل كولونيل

انجليزى السير لويس بيللى ويحمل عنوان « مسرحية الحسن والحسين المعجزة » ويحتوى على ترجمة ٣٧ مسرحية فقد نصها الاصلى من حينها .
وعلينا أن نشير ان بعض الترجمات الجزئية قد تمت ايضا .. فقد ترجم جوبينو فى الجزء الخامس عشر من كتابه (الديانات والفلسفات فى آسيا الوسطى) المقطع المتعلق (بزواج قاسم) . وترجم مجيد ريزفانى النص الكامل للمقطع المسمى (استشهاد حر بن يزيد) .
والتعازى كما هى الآن تنسم بصورة طبيعية الى حلقات ثلاث :

- المشاهد التى تسبق معركة كربلاء .
- مأساة كربلاء وآلام الحسين .
- عقب كربلاء .

وسنقدم هنا خلاصة للمشاهد التى تسبق وتلحق الحلقة الاساسية وهى آلام الحسين ، اما بالنسبة لآلام الحسين فقد اعترضتنا مشكلة هامة هى هل علينا ان نقدم ترجمة امينة للنص الاصلى ومعالجة علمية التى ربما امتازت بالدقة الوثائقية ولكنها ستتميز ايضا بالروتين اللفظى والتحقيقات التى لا تفعل الا ان تزيد من الاعمال الدراسية التى سبقت والتى يمكن الاكتفاء بها .
أو ان نؤكد كل الاصداء العالية التى تجد جذورها فى هذا النشيد المأساوى الرائع .. وان نحترم خطه الرئيسى ولكن أن نختار له طريقة تعبيرية تنسجم مع التاليف الدرامى المعاصر ؟! ..
ولم نتردد واخترنا الطريق الثانية .
ان المشهد التمثيلى الذى نقدمه هنا هو اعداد حر عن عدد من النصوص الشيعية التى درسناها فى كثير من المكتبات القومية بالعالم .. وخصوصا فى كربلاء حيث تحفظ بعض المخطوطات فيه بعناية وحرص شديدين فى اعماق الارشيفات الخاصة .
ونحن نعتقد اننا فى محاولة اعادة الكتابة هذه ، كنا امناء فى المحافظة على روح (التعازى) واننا حاولنا ان نمسك بهذه الحركة الواسعة من الوجد ومن الذكرى الحارة من خلال لغة صدقها هى اكثر تناسبا مع متطلبات عصرنا .

خلاصة للمشاهد التى سبقت معركة كربلاء

زواج على وفاطمة

فى يوم ما .. زار النبى ملاك له عشرون راسا وكل راس فيه الف لسان .. وكل لسان يلهج بلسان عربى مبين بذكر الله .
وقال الملاك للنبى (اسمى اسرافيل وقد كلفنى الرب أن ابلغك انه عليك أن تزوج الضياء للضياء) وسارع النبى عندئذ بتزويج ابنته فاطمة الى على بن أبى طالب .
ومن هذا الزواج ولد طفلان الحسن والحسين .

طفولة الحسين

منذ أن بلغ الخامسة من العمر .. بدأ الحسين يصنع المعجزات .. فقد ادخل فى الاسلام قبيلة يهودية كانت تسكن فى ضواحى المدينة .
وخلال ذلك أعلم الملاك جبرائيل النبى بأن حفيديه سيموتان يوما ميتة عنيفة .
وأراد النبى ان يعرف لماذا كتب الله عليهما هذا العقاب وتكفيرا لاى ذنب ؟! ..
وأجاب جبريل ان الحسن والحسين لن يرتكبا اى خطأ ولكن ميتتهما الفاجعة ستكون ضرورية لصالح المؤمنين ، عندئذ انحنى النبى امام ارادة الخالق .
وعندما علم على بالخبر رضخ له أيضا .. كذلك فعلت فاطمة ولكنها تساءلت كيف

يمكنها أن تتابع الحياة بعد هذه التجربة القاسية .. واخبرها النبي انها ستموت قبل تنفيذ القضاء الرهيب . وكان النبي الذى لم يرزق الا بولدين ماتا فى المهد يعتبر حسين وريثه الوحيد ويحيطه بحنان ابوى زائد .

وعندما أخبره الملاك جبريل ان المسلمين الخطاة سيعرفون أيضا أهوال الجحيم .. ازدادت تعاسته لدرجة أنه انعزل فى غرفته كى يبكى ويصلى . وبقى أياما هناك دون أكل ودون شرب رافضا رؤية أى بشر كان . وقد حاول كل من على وفاطمة والحسن اخراجه من هذه العزلة دون جدوى . وعندما اتى الحسين متوسلا اليه أن يخرج وافق النبي على الخروج واستئناف نبوته .

موت النبى

النبى مريض فى سريره ، وحرارته تزداد ارتفاعا ، وفاطمة تسهر عليه باكية . وفجأة يصل رجل بدوى من الصحراء ويطلب مقابلته .. ويسمح النبى بذلك ويدعه يدخل اليه .

ويكشف البدوى عن هويته « انى عزرائيل ملاك الموت .. هذا الذى لا يعرف الابتسام .. والذى يجتاز الابواب كافة . لقد ارسلنى الخالق اليك .. وسألنى الا ادخل دارك الا بعد استئذانك . اعلم أنى اتيت لاقبض روحك .. ولكنى سآخذها بكل رفق واحملها الى الجنة حيث ينتظر باقى الانبياء ليحيطوا بموكبك » .

عندئذ سارع جبريل ليساعد النبى .. وقدم عزرائيل لمحمد تفاحة التقطها من بساتين الجنة . وعندما شم النبى رائحتها (وكان كثير المحبة لرائحة العطور) لفظ أنفاسه الاخيرة برفق بعد أن تشهد للمرة الاخيرة بشهادة الايمان الاسلامية « لا اله الا الله » .

موت فاطمة

وسقطت فاطمة مريضة بعد شهور قليلة من وفاة النبى .

وكان على يسهر عليها بكل حنان ورعاية . واخبرته فاطمة انها رأت حلما ظهر لها فيه أبوها وقال لها « غدا .. ستلحقين بى الى الجنة » . واشتد التأثر بعلى فطلب من فاطمة أن تغفر له كل الاخطاء التى ارتكبها بحقها .. ولكن فاطمة أكدت له عرفانها بجميله وسألته ان يلبى لها طلبها الاخير « ستجد فى غرفتى صندوقا مغلقا باحكام .. ويمكنك أن تميزه بسهولة عن غيره ، لان له لونا احمر ، بلون الدم ، فى هذا الصندوق توجد ورقة مختومة كتبت عليها عدة سطور بالحبر الاخضر ، عندما أفارق الروح ، تذكر ذلك جيدا ، ضع هذا الصندوق على صدرى لاننى أريد يوم المحاكمة النهائية أن اضع تحت أقدام عرش الخالق هذا العقد فهو ثمن دم ولدى .. دم الحسين الذى بفضله سيغفر لكل منا .. مهما كانت خطيئته وسيدخل الجنة » .

الحسين يترك المدينة ويذهب الى كربلاء

كان حسين فى السادسة عندما ماتت أمه ، وعندما حان سن زواجه ، تزوج أميرة فارسية تدعى شهربانو ابنة اخر الملوك الساسانيين يزدجرد الثالث . وعندما بلغ الخامسة والخمسين قرر أن يذهب مع اتباعه الى الكوفة وأن يترك المدينة مطالبا بحقه فى الخلافة

وعندما وصلت هذه النية الى يزيد بن معاوية الذى ورث العرش عن أبيه وأصبح خليفة أمويا فى دمشق ارسل جيشا كبيرا ومجهزا ليسد طريق العراق امام الحسين وانصاره وتم اللقاء امام مدينة كربلاء حيث حاصر الجيش الاموى أتباع الحسين وجعلهم على مبعدة من نهر الفرات فى محاولة لاثباط عزائمهم عن طريق العطش وحجب الماء عنهم فى هذه اللحظة تبدأ مأساة كربلاء وتبدأ الحلقة الرئيسية من التعازى .

آلام الحسين
أو
مأساة كربلاء

النص الكامل لأول مسرحية اسلامية

إعداد مسرحي بتصرف عن الكتاب الفارسي جونغ - مع - "شهاديت"

« المشهد يدور في الكوفة .. امام قصر الحاكم عبيد الله »

عبيد الله : يا قادة الجيش الاموي ، لقد جمعتكم ها هنا كي أطلعكم على احداث خطيرة . لقد اكتشفنا مؤامرة شيعية ، والقينا القبض على رجل مثير للفتن يدعى " مسلم " وقد أعدمناه .

ولقد اعترف قبل موته انه كان مبعوثا من المدينة الى الكوفة ، كي يخبر مواطني سكان مدينتنا تجاه مطامع سيده الحسين .

ونتيجة لذلك لقد ارسل الى خليفتنا يزيد بن معاوية امره من دمشق بأن ابيد موكب الحسين الذي يتجه حاليا نحو الكوفة وان امنعه بكافة الوسائل من الوصول الى هدفه ، وعلى ان اقتل كل من يقاومني وان أوقف النساء والاطفال والشيوخ وان اقودهم اسرى الى دمشق .

اني اسميك قائدا للكتيبة يا ابن سعد .. وسيكون شمر بن ذي الجوشن مساعدك ، اما انت يا حر فاني اسميك قائدا لفيلق الكشافة .

اذهبوا ونفذوا الاوامر بسرعة فان مصير المملكة الحاكمة بين ايديكم .

« ظلام »

« في الصحراء ـ امام الفرات ـ قافلة الحسين تتوقف »

رئيس الجوقة : طويلة كانت مسيرتنا
وكبير تعبنا

الإسلام والمسرح

تصوير كامل لاحداث معركة كربلاء بريشة الفنان الفارسي « سعيد نوب »



أيها السلام .. يا سلام العالم
لا تهجر معسكرنا
في مساء التأمل هذا .

الجـــوقة : ان وردة الرمال
تنغلق على بللورها

والبوم الخائف
يمسك لعينه

اى نيوءات قاتمة
تجعلك ترتجف .. يا سهل كربلاء الحزين

رئيس الجوقة : تعال أيها الصمت
فلف أجسادنا
بلمسالك الواسعة

الجـــوقة : الصمت لبى نداءك

ولكن لسانه ليست الا خفقات اجنحة
تبعث فينا العذاب .

رســـول : السلام عليكم جميعا .. أيمكن لاحد منكم ان يبلغ الحسين بمقدمي!
الحسين : (يخرج من الظل) ..
انا هنا . ماذا تريد أن تخبرني ؟!

الرســـول : السلام عليكم يا امير الائمة . ان الاخبار التي احملها من الكوفة مفزعة . لقد قبض على رسولك مسلم وأعدم .
وعبيد الله يستعد لارسال جيشه كي يقف في طريقك .

الحسين : وسكان الكوفة ؟!

الرســـول : يلزمون الصمت .. وقد استبد بهم الخوف
تجنب الكوفة يا امير الائمة ..

ما من أحد منهم يجرؤ على مساندتك تجنب الكوفة يا امير الائمة ..
تجنب هذه المدينة المتغيرة ذات النزوات .

« يخرج »

الحسين : (وحده)

في هذه الساعة البعيدة عن الثبات .. التي تنقلب فيها الاشياء ..
اي اضطراب يمسكك يا نفسي ؟!
هل اتابع الطريق رغم العقبات ؟! ..

هل اقود هذا الشعب نحو غايته من اجل الاهداف ؟! ..
هل أسبابي نقية حقا ؟! .. أم انها الكبرياء التي تدفعني ؟! ..

وهل يكون اغراء السلطة بهذه القوة حتى تجعلني انسى مسئوليتي تجاه هذا الشعب ؟! ..

ولكن .. كيف يمكن للرجل الفاضل أن يقبل دون نقاش اهانة المتسلطين في هذا العالم ؟!

أيمكن لأكثر الاهداف عدلا أن تدفن في التراب عاراً وخوفا أمام البربرية المتسلطة !! ..
يأتون القرار الصائب .. انت تتخلى عنى بقسوة .

الجـوقة : في قلب الرجل العادل
الظل يحارب الضياء .

الحسين : يا أصدقائي .. لقد استمعتم جميعا الى الانباء المشؤومة
والقرار الذى سيتخذ يتعلق بكم كما يتعلق بي
ساعدوني اذن على أن أنطق بالكلمات التى تحرر قدرنا
ساعدوني ..

زينب : يا أخي .. ان دم أبينا ينادي
الانتقام . فلا تضعف .

عباس : اخي .. الحق الى جانبنا .. ومن واجبنا أن نمنع امتهان الخلافة
لا تضعف

على الاكبر : أبتاه .. الرجل الملوث وحده يخشى المعركة العادلة . لنتابع

على الاصغر : أبتاه .. ابي ، اني احترق للمناداة بحقى على سنان رمحى ..
لنتابع .

قاسم : عماه .. ان نترك طريقنا يعنى اننا نعترف بالاخطاء التى لم
نرتكبها قط .. لنتابع .

الجـوقة : اسمعهم ياحسين .
انهم يتكلمون باسمنا ..
فلا تخيب حماسهم .. وانتظارنا

الحسين : ما دامت هذه رغبتكم .. لنتابع مسيرتنا .

« ظلام »

« في الصحراء .. فيلق الاستكشاف التابع للحر قد ضل الطريق . الكثير من رجاله قد ماتوا عطشا .. اما من بقى منهم على قيد الحياة فيزحف وقد نفدت قواه .. قافلة الحسين تمر في المكان الذى ينازع فيه الحر وثلاثة من رجاله .. »

العباس : اخي .. لقد عثرنا على جنود أمويين يموتون من الظمأ .. ما نفعل بهم ?! ..

الحسين : اريد أن أراهم .. آتوا بهم الي .

« يجلبون الرجال الاربعة على حمالات »

الحسين : يبدو ان هذا هو قائدهم .. قربوه مني . أريد أن اكلمه . من تكون أيها الغريب ؟ ..

الحر : انى ادعى الحر وانا رئيس فرقة الاستكشاف في الجيش الاموى لقد ضللت ورجالي الطريق في الصحراء .. وكان علينا أن نعين مكان قافلة الحسين .

الحسين : لم تفشل في مهمتك . انا الحسين . وها انت ذا في قلب قافلتي

الحر : يا للقدر المعاكس ، هاأنذا في قبضة اعدائي، ها بعيدا أيها الامل

العذب . كتب علي أن اموت في هذه الصحراء الملتهبة .

الحسين : (يسقيه من قربته) اذا كان الماء الزلال يميت الظمأ . الن تستموت .

الحر : أهذا ممكن !! .. اتيت اليك لاقتلك .. فلماذا بك ترد الحياة الي .. يا أميري . ان حوبي كبيرة .

الحسين : لقد أعدت اليك الحياة لان عينيك كانتا تناديانني .. وفي عذابك

يا اخي .. رأيت عذاب كل الذين يتألمون ، الطير الجريح ، والطفل المنزوع من امه .. وقبضة البريء المغلقة .
نعم يا حر لماذا شاءت الاقدار أن تكون عدوي !! ..

الجــوقة : هكذا يكلم العادل الرجل الضال
وصوته بات مسموعا
وطلب الضال من الرجل العادل

ان يقبله في صفوف رجاله
وأجابه العادل الى طلبه
العطاش صواب الضال

وكان يجول سعيد الحظ
انه عما قريب سيكون الشهيد الاول
في سهل كربلاء الحزين





مشهد يصور موت علي الأكبر الابن البكر للحسين

« فى معسكر الجيش الاموى »

شـــمر : ان قافلة الحسين اصبحت على مرمى البصر أيها القـائد . لنقم بهجوم . وليكن الهجوم الاول والاخير .. وبين اصطدام السيوف والسلاح نبيد مرقواحدة أنصار الحسين أجمعين .

ابن سـعد : فى الحقيقـة انه يسوءنى استعمال العنف، تجاه حفيد النبى ، خير لنا ان نقطع منهم طريق الفرات .. ولنحرمهم من الماء فنجبرهم على الاستسلام ، ونتجنب بذلك الكثير من الخطايا .

شـــمر : ان فتورك يغضبني . ولكنى أطيع . ولن يضيرهم الانتظار بشيء .

ابن سعد : أى شيطان انت ؛ وماسر تعطشك للدم ؛

شـــمر : انى رجل كامل يريد ان يذهب الى ابعد مراحل نفسه .. وانا لااكره شيئا قدر التنازلات والمهازل الزيفة التى نلعبها على أنفسنا ..

ظـــلام

« بعد مضى ايام .. فى معسكر الحسين المشتت »

الجـــوقة : أيتها الأيام المشئومة
يا أيام العذاب
يامذاقها مذاق الدم
الظمأ يحاصرنا
والموت
هذا الفارس دون رحمة
ينهب دون توقف
من صفوفنا
أجمل وخير الثمار .
من نبكى ؟!
واى من شهدائنا
أكثر استحقاقا لدموعنا ؟!

رئيس الجوقة : لنبك العباس
الفارس المقدام
الذى استشهد
بعد أن قطعت ذراعاه ..

الجوقة : لنبك الشـــجاعة التي تقصت .

رئيس الجوقة : لنبك على الاكبر
وعلى الاصغر
اللذين سقطا صريعين فى
نشوة معركتهما الاولى ..

الجـــوقة : لنبك الشباب الذى ذبل .

رئيس الجوقة : لنبك « قاسم »
العريس المأساوى
الذى استشهد صبيحة يوم زفافه .

الجـوقة : لنبك الحب الذى لم يتم .

رئيس الجوقة : لنبك باقى شهدائنا .. المختارين.

الجـوقة : لنبك .. لنبك .. انتصار الظلم

« فى معسكر الجيش الاموى الذى يضرب الحصار »

شـمر : لم يبق من اسرة النبى الا الحسين بن على . اما الباقين كلهم فقد سقطوا صرعى بعد ان صرخوا ايمانهم .. صرعهم السيف والخنجر .

ولقد حان الان دور هذا الذى يدعونه .. نور عيون الدنيا والاخرة .. ليسقط تحت ضربات سيوفنا .. ولنضع فى الاسر كل آله وذويه .

وعندئذ لنذهب وقد ملاتنــا النشوة نحو عبيد الله لنخبره بموت ابن فاطمة .

ابن سعد : ما تقول ايها الشقى : كيف يمكننى ان اوافق على مقتل الحسين .. الا يكفى هذا الذى ارتكبناه .. وكيف يمكننى أن أبريء نفسى يوم الحساب.. الا يكفى ان أخاه العباس قد عانى عذاب الاستشهاد .. وان ابنه على الأكبر قد سقط .. وان دم العريس قاسم قد خضب كفيه .. هذه الجرائم جعلت الشمس تكسف .. وما زلت تريد ان تشفى غليلك من هذا البائس الذى يتيه فى سهل لا يعرف الكرم !!

شـمر : ان موت الحسين تطلب مطلق وضرورة لا غنى عنها . واذا جبنت فما عليك الا أن تعود للكوفة وتترك لى امر قيادة الجيوش .

ابن سعد : ان كراهيتك العمياء افقدتك الصواب. املينا كى نطيع أوامر عبيد ابن زياد أن نتخلى عن حقنا فى الجنة .. لنكف عن هذه الحرب الظالمة، ولندع الحسين يعود أدراجه الى المدينة .

شـمر : مادام الحسين لم يسقط بعد وقد نفذت الى جسده الرماح والسيوف ومادامت زينب وكلثوم لم تقعا اسيرتين .. وما دام دم الحسين لم يرو ظمأ هذه الارض الجافة، فان عينى وقلبى لن يرتويا من القتل والمذابح .

واذا كنت لا تملك الشجاعة اللازمة لذلك .. فسأقتل الحسين بنفسى . انى أتجاوز القوانين . وأتحدى الجن التى تحمى ابن على لان موته وحده هو الذى سيسكن هذه العاصفة التى تزمجر فى قلبى

ظلام

« شمر يتجه نحو المعسكر المحاصر »

شـمر : « صارخا » اين نساء حريم الحسين .. اخبروا الحسين ان يظهر لى ..

زينب : اخفض الصوت ايها الظالم .. اخفض الصوت . فالحسين نائم . اخفض الصوت .

شـمر : اذهبى يازينب واخبرى الحسين انها ليست ساعة النوم .. أخبريه ان الساعة حانت هذه الساعة التى عليه أن يواجه فيها الموت . أما انت .. فسأحملك معى الى دمشق والمصير الذى اخترته لك سيكون قاسيا لدرجة تجعل الناس يتأوهون على مصيرك .


شجاعت حضرت علی اکبر علیہ السلام



شجاعة على الاكبر ابن الحسين رضى الله عنه فى معركة كربلاء

زينب : انه ينام .. ياقليل الحياء . ابن علي المرتجى نائم .. فلا تصرخ بالصوت .. سانقل اليه كلماتك الوقحة .. اخفض الصوت .. ودعني اوقظه

« تدخل الى خيمة الحسين »

زينب : يا اخي .. استيقظ . اوصل اليك ، لقد اسود وشاحي .. باقتراب موتك .
استيقظ . ان جيش الاعداء هنا . أيها الملك دون فرسان .
استيقظ . ان نومك هادىء ولكن مملكة الاحلام خادعة .
استيقظ . فنحن محاصرون في اعماق شقائنا .. استيقظ .

الحسين : بحلمت حلما .. كان السهل فيه اخضر .. ولكنك لم تدعيني اكمله .. والماء رقراقا .. والنبع نقيا .. ولكنك لم تدعيني اكمله .. وخيل الى اني اميز والدتي .. وقد ارتدت السواد كلها .. واشارت الى بيدها اشارة خفيفة .. وابتسمت ابتسامة عذبة .. وكأنها تريد مني ان اجتاز الماء وأصل اليها .. ولكنك لم تدعيني اكمله ..

زينب : كنت نائما اي اخي .. وفي هذه الاثناء وصل شمر وصرخ بنا .. اريد ان اقتل الحسين وان اسبي زينب .. هذا ماقاله شمر .

الحسين : لقد اكملت شمس الشقاء السوداء دورتها الان .. لقد اخذ مني هذا الفارس المتعطش للدم اخي واولادي وخير مالي من اعوان .. وها هو يطمع الان بسلبي حياة لم تعد ذات قيمة .. وان يجعلك تتحملين يا اختي المعبودةاهوال اسر مخجل . لقد كتب علي الا ادخل ابواب الجنة الا وعيناي مملاى بالاشواك .

زينب : كيف لا يمكنني ان اموت لاجلك يانور عيني فانقذك واجنب نفسي شقاء أسر اكثر هولا من الموت .

الحسين : لقد حانت الساعة التي لا مفر منها التي علي ان اواجه فيها رياح القدر المعاكسة . آن اوان الرحيل يا اختاه . سابلغ سلامك والدتنا .. لقد كان الحلم نبوءة . كانت تعرف انني سالقاها .

زينب : لن يسمح الله بذلك . ولن ترضى السماء بان يقع هذا الظلم . اذا مت أيها الملك فلن يبقى امامي الا ان اضع حدا لحياتي بيدي هاتين .

الحسين : لن ترتكبي هذا العمل الاحمق ابدا .. لاني اعهد اليك بصغيرتي سكينة .. لا تكفي لحظة واحدة من السهر عليها . ستكونين ملاذها الوحيد .

سكينة : « تستيقظ » انا ظمأى .. ظمأى .. يا والدي الحبيب .. اتوسل اليك .. نقطة ماء .

الحسين : على شفتيها المشققتين تقف روحها التي عذبها الظمأ تنتظر الرحيل .. انظري يازينب .. يأس الوالد الذي يعجز عن انقاذ فلذة كبده . انهضي ياسكينة .. وكفى من الانين . ساذهب وآتيك بقليل من الماء .. انهضي باسلحتي يااختاه .. ان الاوان كي استعد لمعركتي الاخيرة .

وربما عندما أصل الى فوق ، امام الينابيع السماوية ، ربما امكنني ان القي بقطرة من ماء على النار التي تلتهم طفلتي الصغيرة .

زينب : ايها الملك الشقي .. كيف يمكننا تحمل الحياة من دونك .. لاتذهب الى حقل المعركة .

الحسين : وما يمكنني ان افعل سوى ذلك ، يا اعز الاخوات ؟! انت تعرفين ان زمرة الكلاب الهائجة التي تحاصرنا لاتدع لنا مجالا للافلات .. اذن خير لنا ان نموت بشجاعة ، وسلاحنا في يدنا بدلا من ان نذبح على سرير وثير .

اعهد اليك بسكينة اسهري عليها .. وكلميها عني .. بين وقت وآخر .

الوداع .. كم أحببتك يازينب ..

« يخرج »

زينب : الشقاء الكبير يخرس اللســـان ويجفف الدمع .. أيتها الشمس .. أيتها الشمس الوقحة كيف يكون بوسعك ان تتوهجي وأن تضيئي بأنوارك هذا الكفر الذي لايطاق !!

ظلام

« الحسين يتوجه نحو المعسكر الاموي »

الحســـين : نادوا لي ابن سعد .. وليأت وحده .
رجل من عسكر الامويين : ياقائدي .. الحسين يرغب بمحادثتك .
انه هناك : وحده .

ابن سـعد : « متوجها نحو الحسين » :
السلام عليك .. يانور عين فاطمة ، مايمكنني لاجلك ؟

الحســين : في بلاد الشقاء هذه .. هناك ماء كثير للعصافير وللحيوانات المتوحشة ومع ذلك تموت نسائي عطشا .. اعطني قليلا من الماء .

ابن سـعد : لا يمكنني ياسيدي النبيل ان أجيبك الى هذا الطلب . ان أوامر الخليفة يزيد بن معاوية قاطعة في هذا الشأن . لذلك أنا مجبر على ترك قداستك .

يخرج

الحســين : ايتها السماء لم تتخلين عني ؟

صمت

« يظهر ملك الجن »

« جعفر هو ملك الجن ويصفونه بأنه مخلوق خرافي أطرافه الامامية تشبه أطراف الجراد وأطرافه الخلفية تشبه أطراف الجمل »

جعفـــر : السلام أيها الغريب التائه في الصحراء ، الذي يعذبه الظمأ .. .. السلام ايها المهجور .

الحســين : من يتكلم .. من يناديني ..

جعفـــر : انا خادمك . اني من اتباع شعب الجن الذي يسكن آبار العلم . عندما حرر والدك النبيل بلادنا من أيدي أعدائنا .. وضعني على رأس جيش الجن .. ومنذ ذلك الحين أصبحنا رهن اشارته الدائمة .



العباس يذهب للفرات بحثا عن الماء

موت علي الاصغر .. أصغر ابناء الحسين



ولقد ابلغتنى الجن انباء مأساتك .. فهرعت الى نجدتك

ان جيش الجن كله رهن أوامرك . انهم هنا جميعا فى السهل .. يختبئون تحت رداء الليل المظلم . اسمح لنا ان نحقق رجاءك .. أخبرنا باية امنية تريد . تكلم ونحن نستمع اليك .

الحسين : كم هو عذب ان نسمع صوت صديق ونحن فى أعماق الوحدة .. أهو انت ياجعفر الحبيب : ام هى صورة من صنع مخيلتى المريضة ...

جعفر : سيدى .. سيدى انى هنا ، انه أنا من يتوسل اليك أن تقبل مساعدته .

الحسين : وكما تذوب الشمس الغاربة فى امواج المحيط الحمراء وتنحدر منتشية بردائها السائل احس انه على ان أسير وحيدا لاواجه نهايتى .

ان تعبى كبير ياصديقى . وكبير هو اغراء النعاس الذى يحمل المشاكل كلها .. أن انام .. انام .. وربما استطعت أن اعثر وراء النوم على هذه الراحة التى يهبها مصير قبلناه ..

دعنى ياصديقى الهى وحدى مابدأت ، هنا تنتهى الدورة .. وهنا اغلق دائرة مصيرى . اذن .. فالوداع ايها الظل العذب .. وشكرا لك على هذا النداء الاخير

« جعفر يختفى فى الليل »

شمر « يظهر » حسين مهمتى اللذيذة هى ان أجعلك تعترف وتبايع بسلطان يزيد او ان تتهيأ للموت .

الحسين : اعلم انى لن أعترف ابدا بسلطان رجل حقه فى الخلافة لا بالبايعة الشعبية وانما لانه ابن ابيه .

شمر : لم اكن انتظر غير ذلك منك .. ياحسين الكريم .. ياحسين المثالى .. أيها التقى الجميل ، باكثير النقاء ياحسين . بالعظمتك .. وكم هو مؤسف أن هذه العظمة كلها ستتفسخ من لهيب الشمس فى هذا السهل الكئيب .

حيا .. كنت تتحدى الملوك .. وميتا ستكون عطية للغربان الجائعة تذل بكبريائك ايها الامير الذى سقط .

لحد سيفى سيعرف كيف يتلقى بريق نظراتك .

الحسين : اى قلق عميق أحسه فى قرارك المدمر .. اى شمر .. لماذا يدفعك عذاب روحك الى ظلمات قرارك الدنيا !

شمر : لا تكلف نفسك جهد الناصح ايها الرسول النبيل .. ان انفجار طيبتك العذبة لاتمس روحى الصلبة . انى اكره الضعف الانسانى .. واكره غناء التفاؤل الراضى عن نفسه . انى أستخلص القدرة القاطعة من هذا اللغو تدعوه حبا . اريد ان اكون الحديد الذى لا ينثنى والصلب الجامد .

اذن .. كفانا مزاحا . بايع يزيد او تهيأ للموت .

الحسين : انى أرنو بعونى الذى لا مفر منه . ولكن اخبرنى ياشمر .. لم تكرهنى الى هذا الحد .. وما الذى تثور عليه .. وامثله !! ..

شـــمر : ما يثيرني فيك .. ياحسين ليس عظمتك او عذوبتك ..وليس تقاؤك .. وانما هذا الطابع المطلق لمراهقتك .

الحسين : اي فخر لي ان اعرف انك انت جلادي .. تقتلني لانك لا تستطيع ان تكون مثلي .

شـمر : كفانا ثرثرة . تهيأ للموت .

الحسين : سأكون مستعدا بعد ان اودع أهلي الوداع الاخير .. أيمكنني ؟!

شـمر : اذهب .. واعلم انني بانتظارك .

« الحسين يستدير نحو خيامه »

الحسين : **« مكلما اهله »**

ها تدحالت ساعة الفراق والتمزق . شهرابانو يا رفيقة شبابي المدللة .. ويا رفيقة انهياري .. اعلمي انى لا افارقك الا مرغما .. لان قلبي لم يرغب ابدا بأن يتحرر من تلقاء نفسه من القيود .. المدللة التي تربطنا معا .

انى اعهد اليك بأولادي .. كلميهم عني حتى يذكروني ..

وانت يا صغيري زين العابدين يا وريثي .. انى اعهد اليك بما بقي من القافلة .. ورغم سنك الصغيرة .. وجسدك الضعيف (1) عليك أن تسهر على النساء والاطفال وأن تتابع النضال ، وانت يا زينب .. يا شقيقتي المفضلة .. يا صورة أمنا الحية .. كيف أقول لك ما تحسينه وما تعرفينه حقا ..؟! اعلمي ان الحديد عندما يتغلغل الى نحري المدهوش .. ستكون آخر افكاري متجهة نحوك .

اما انتم .. ايها العجائز الكرماء . وانتن ايتها الارامل وأيها الايتام .. انتم يا من سأتركهم على حافة الشقاء .. يا من تجسوتم من الموت .. فكنتم شهودا باقين العدوية على ما وقع .. عندما يحين الوقت وينضج .. اذكروني بتسامح . وارووا بكثير من الاعتدال قصة الرجل الذي أراد ان يحقق حتى النهاية قدرا صعبا . وانتم يا أشباح احبابي الغائبين .. يا من تهيمون حول نيران المعسكرات لتلحوا بشيء من الصبر .. فقريبا ستفارق روحي التي تحررت ، جسدي . وستذهب لللقياكم على ضفاف نهر الكوثر في الجنة .. بعيدا عن أشواك هذه الحياة الدنيا .

الوداع يا أصدقائي .. سأسبقكم الى الحياة الاخرى .. ولكني لن اتركم

« يذهب الحسين »

زينب : الحسين يذهب ..
والارض تتابع دورانها !!
يا لجنون العالم ...

الجـــوقة : في سهل الظلم

---

(1) زين العابدين يطلق عليه بالفارسية « بيمار » اى « المريض »



شجاعة الحسين رضي الله عنه في معركة كربلاء

الفتى يتقدم

زينب : الحسين يذهب
والنجوم ما زالت تتلألأ
يا لعمى العالم .

الجوقة : نحو مواجهة موته
الفتى يتقدم

زينب : الحسين يذهب
والفرات يتابع مجراه
أيها العالم الأصم ؟ !

الجوقة : تأوهي يا قبة السماء الزرقاء .
الفتى يتقدم

زينب : الحسين يذهب
والنهار يتبع الليل
يا لبعدك عن المنطق أيها العالم

الجوقة : في سبيل الظلم
الفتى يتقدم

زينب : الحسين يذهب
وأنا أواصل الحياة
يا لضياع روحي

ظلام

« الحسين أمام الجيش الأموي .. ينتظر نهوض الشمس »

الحسين : حانت إذا أخيرا .. أيها الصباح الصغير الأبيض .. يا معلن اليقظة .

الديك يصرخ في الضياء المظلم .. والأرض تنفض بثقل أحلامها البشعة .. وتتهيأ تشوقا لاستقبال النهار .

عما قريب .. سيتورد الأفق .. وعما قريب ستدفئ الشمس الهضاب .. وعما قريب .. سيأتي صباحي الأخير .
أيتها السماء .. أيتها السماء الصامتة .. لم تركتني !

الملاك فيتروس (1) :
أتيت إليك يا ابن علي المرتجى . أن كفي فارغتان .. ولكن قلبي يفيض رحمة . ولا أملك إلا كلمات مطمئنة أقدمها لك .

الحسين : شكرا لك كثيرا أيها الصديق ..

فيتروس : أفهمك لأنني أيضا عرفت القلق والشك

في يوم ما .. كنت مسئولا عن خطأ جسيم .. وطردني الخالق من السموات .. وأكلت النار أجنحتي . وبعد ذلك هبطت إلى الأرض وخلال ثلاثين ألفا وتسعين من السنوات كنت أهيم في جزيرة محروما من رضا الرب . وعرفت إغراء الإلحاد .. وعرفت نداء الشر.

---

(1) اسم الملاك فيتروس يسمو وكلمة اشتقاق قريب من اسم بيير .. سيد الحواريين « بيتروس »

ولكن في ليلة .. الليلة التي أتيت فيها الى الدنيا أنت .. أيها النقــذ .. اتاني الملاك جبريل الامين وأعلمني بالنبأ السعيد . قال لي أمير الملائكة « اسعد يا فيتروس لقد عفا الخالق عن اخطائك وأعادك للجنان .. لانه في هذه الليلة وضعت فاطمة جوهرة لا مثيل لها .. في هذه الليلة .. أصبح على والدا لطفل سيكمل عمله .. » هكذا تكلم جبريل الامين .. ونمـــا جناحاى من جديد .. وبدأت صعودى المجيد ..

الحســين : يا زهرة النسيان .. ايتها الكلمات .. لم لا تستطيعين أن تحلى مكان هذه الحقيقة السامة

فيتـروس : ان الخالق لا يهجر مختاريه أبدا .. فاطمئن يا حسين

الحســين : اذهب أيها الملاك الجميل .. اذهب واعلم انى ما زلت مصمما ان اهب حياتى تكفيرا من خطايا امتى

« يختفي الملاك فيتروس »

« الحسين يتجه نحو الجيش الاموى »

الحسين : نادوا ابن سعد . أريد أن أكلمه

ابن سعــد : ماذا تريد منى أيها الامير ؟..

الحسين : أن أخبر للمرة الاخيرة نواياك ..

ابن سعــد : يا أميرى .. أن خجلي عظيم .. أعرف أن الملاك جبريل نفسه قد مشط لك شعرك . أعرف انك المختار السعيد .. وان أمك ابنة النبى .. أعرف ذلك ولااجهله ، وفي أعمق أعماق قلبى أحترمك وأجلك كرجال الصحابة .. ولكنى مع ذلك عزمت على أن أقود جيشى يقتلك . في هذه الليلة نفسها أبلغنى يزيد أنه يهبنى ولاية رى (١) مقابل رأسك . يا أميرى ان خجلى عظيم ولكن قرارى قد اتخــذ .

الحسين : انى أشفق عليك .. أيها الرجل الجشع .. أيمكن لاموال الدنيا أن تضل الضمير هكذا ؟ تقدم الان .. مادام قرارك قد اتخذ . جز رأسى بنفسك . ولا تضف الى جشعك جبنا مخجلا . تعال الى واتمم ما عزمت عليه .

ابن ســعد : كلا .. كلا .. لن أجرؤ أن أقتل بيدى ابن بنت النبى

« يستدير نحو جيشه »

نصراني : (٢) خذ هذا السيف وجز رأس الحسين .. وسأعطيك بزمكافاتك

« لا يتقدم أحد »

من يرغب بترقية كبرى .. ليقدم لى رأس الحسين . سنان ياابن أنس .. الا يشوك ذلك ؟

« لا يتقدم أحد »

يا جبناء .. يا أشباه النساء الا يريد أحد منكم تنفيذ أوامرى؟!

شمر «يتقدم» : لا يستبد بك الغضب يا ابن ســعد . ما من أحد غيرى سيجــز

---

(١) رى ولاية في جنوب طهران

(٢) نصرانى يعنى مسيحى .. واذا كان ابن ســعد يوجه كلامه الى النصرانى فلثقته الكاملة بأنه ما من مسلم يجرؤ على قتل حفيد محمد .

رأس الحسين ؛ هو وانا نعرف ذلك منذ بدء المعركة ، الا تعرف -
ذلك يا حسين ؟. وكما يفعل البازى ذو الملة الناتية عندما ينقض على الحمامة ويهشم رأسها ليستمتع به .. كذلك شمر الذى
لا يخاف يمكنه وحده أن يظلم الضياء المنبعث من وجهك بالدم الذى سيجمله يتدفق من جراحك الواسعة .

الحسين : اعرف ذلك أيها المتشدق الوقح .. تعال الى وانه مهمتك القذرة يا جزار تعال ... وليسقط ليل الظلام على هذا السهل .

شمر «يندفع نحوه» : نعم .. سأعرف كيف أظلم بريق نظراتك ..

الظلام

شمر « يحمل راس الحسين بيده »

لقد فصلت راس الحسين عن جسده .. تعال يا ابن سعد .. واملأ جيوب سرجى بالجواهر والاحجار الكريمة لعظمة المهمة التى أسديتها لك .

ابن سعد : الان .. اصبح العالم كما يشتهيه يزيد
لتضرب الطبول كلها

ولكن .. ما أبرد هذا الصباح .. وما أشد بريق نظرة الشهيد
« هنا تنتهى آلام الحسين »

خلاصة الاحداث التى تلت ايام معركة كربلاء

الذين نجوا من مذبحة كربلاء يعودون الى المدينة

وحمل الجيش الاموى راس الحسين بعد ان وضعت على نصل رمح الى دمشق

كما حمل معها النساء والاطفال اسرى. وخلال الطريق كانت المعجزات تقع .. وكثير من اليهود والنصارى يرتدون عن دينهم ويدخلون رحاب الاسلام

وتحررت عائلة الحسين من الاسر بعد فترة قصيرة من وصولها الى دمشق .. وعاد من نجا من مذبحة كربلاء الى المدينة. اما المكان الذى دفن فيه الحسين .. فهناك حوله روايتان

فالتعزية ذات الاصل الفاطمى « مصر ـ لبنان » تؤكد ان راس الحسين قد دفنت فى اسكالون فى بلاد فلسطين القديمة فى معبد كان قد بناه النبى سليمان .

اما التعزية العراقية والايرانية فتؤكد ان الشاب زين العابدين بيمار قد ترك اسرته عندما خرجت من دمشق وعاد الى كربلاء ليدفن راس والده الى جانب بقايا جسده .

يوم الحساب الاخير .. او خاتمة الحسين

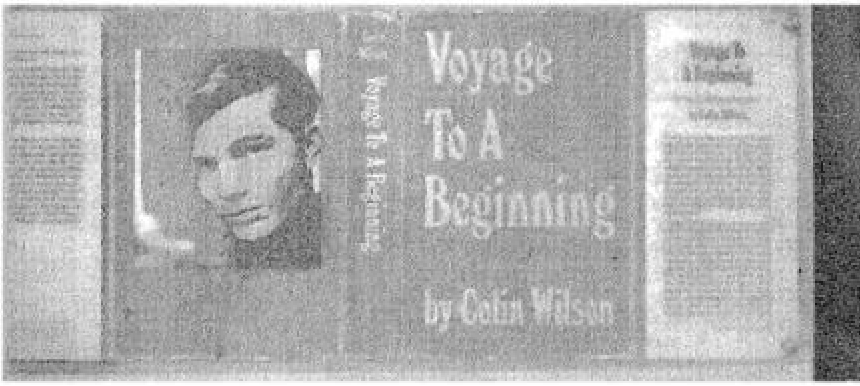
فى يوم الحساب الاخير .. سيتناقش الحسين ويعقوب لمعرفة من منهما قد تعذب اكثر من غيره .. ويحسم جبريل النزاع لصالح الحسين .. فيصبح بذلك هو من يتلقى مفاتيح الجنة ليدخل اليها المسلمون الصالحون .. وكذلك الخطاة الذين ندموا على خطاياهم ندما صادقا ..

● سامي خشبة ●

رحلة نحو البداية

كولن ولسن أشهر أدباء الشباب في إنجلترا يكتب عن قصة حياته مع الفن والفكر والحب والجنس

في الثامن من مايو عام ١٩٥٦ بدأ عرض مسرحية « انظر خلفك في غضب » لجون أوزبورن على أحد المسارح الإنجليزية ، وفي نفس اليوم صدر كتاب « اللامنتمي » لكولين ويلسون ، فانفجرت على الفور أسطورة « الشباب الغاضب » التي غيرت وجه الحياة الثقافية في انجلترا وكانت شعارا لجيل جديد من الكتاب والشعراء والمفكرين والنقاد .



كان موضوع المسرحية هو يأس جيل الخمسينات الشباب من تبني المثل العليا العظيمة التي حارب من أجلها آباؤه في العقدين السابقين وسخطه على تخلي هؤلاء الآباء عن مثلهم التي تشبثوا بها في أسبانيا رغم انتصار الفاشيست ، لم يعجزوا عن المحافظة عليها وهم ينتصرون على الفاشيست أنفسهم في ساحات الحرب العالمية الثانية . وكان موضوع « اللامنتمي » كما يقول كولين ولسون بنفسه هو : « أصحاب الحظ السيء والعاجزون عن التحقق في ظل الحضارة الحديثة ، الرجال البدعون الذين يشعرون بأن لا مكان لهم في سباق الفئران هذا .. » وبذلك فإن مسرحية أوزبورن وكتاب ولسون قد مثلا فى وقت واحد الجانبين المتميزين لحركة جيل الغضب الانجليزي : لقد رفض كلا منهما الحضارة الغربية وأدانها ، كالإفلاس الروحي ، ولكن أوزبورن بحساسيته التراجيدي لم يكن يرى احتمالا لإفلات انسان هذه الحضارة من مصيره . أما ولسون فقد رأى في موقف عدم الانتماء والتمرد والرفض وسيلة لانقاذ هذه الحضارة بعماد جديدة طالما كان المتمردون قادرين على التمسك بنفس المثل العليا المهزومة في وجه طوفان الإفلاس الروحي والضحالة العقلية : كان « اللامنتمي » والتمرد ضد هذه الحضارة هو الذي يدينها وهو الذي ينقذها ، ولكن بشرط واحد : أن يظل رافضا لكل نتائجها الحتمية .

ومثلما كان كتاب « اللامنتمي » أحد العلامات الرئيسية التي شاركت في صنع أسطورة « الشباب الغاضب » فقد كان هذا الكتاب هو بداية أسطورة مؤلفه ، كولين ولسون نفسه . وهو اليوم ينظر الى تلك الفترة التي شهدت « بداية نجاحي » بعين ملؤها السخط وهو يكتب سيرته الذاتية تحت عنوان : « رحلة نحو البداية : ترجمة ذاتية ذهنية » التي نعرضها الآن .

يقول ولسون ان الطبعة الأولى من الكتاب قد نفدت في أيام قليلة . وفي أسبوع واحد كتب أكبر نقاد انجلترا في صحف « الصنداي تايمز » ، « نيوستيتسمان » ، « التايمز » ، « الديلي اكسبرس » وغيرها لكي يكتشفوا أبعاد فكر الكاتب الصغير الذي يدين حضارتهم بأكملها ويرسم لها طريق الخلاص . وتكاثر عليه الصحفيون يطلبون أحاديثه وتصريحاته

واجوبته على اسئلة لم تخطر على باله من قبل . وانهالت عليه طلبات برامج الاذاعة والتليفزيون والجامعات وحتى الجمعيات الخيرية تطلب كلمات منه أو مقابلات او محاضرات . وفى أيام قليلة كان على مكتشف صورة « اللامنتمى » والرافض والمتمرد أن يتحول الى شخص مطيع جذاب مستسلم لكل ما تطلبه منه وسائل النشر والاعلام التى تمثل قمة السطحية والافلاس العقلى فى الحضارة التى يرفضها لهذه الاسباب نفسها. لقد وقع ويلسون — كما يقول — فى فخ الدعاية . وتحول الاعجاب به الى دهشة منه . ويقول : « **اننى اجد الآن اننى قد عوملت كما لو كنت نجما سينمائيا او اعجوبة عقلية او طفلا معجزة** » . وفجأة بدات الدهشة تتحول الى نوع من الاستنكار . وعاد نفس النقاد الذين هللوا له يتحدثون عنه فى المحافل العامة باعتباره شخصا دعيا ومتسرعا وباحثا عن الشهرة . بل ان بعضهم عاد ليصرح بأنه لم يقرأ كتابه وانما تصفحه فقط . وتحولت « موضة » الاعجاب به الى « موضة » السخط عليه . ورغم هذا لقد ظلت كتبه تلقى اقبال الجمهور الشديد . ولكنه كان قد اكتشف حقيقة هامة : انه لكى يصبح قادرا على المحافظة على جديته وقدرته على التفكير والانتاج فان عليه أن يهجر « لندن » عاصمة الحضارة التى يرفضها . وانه لكى يثبت جدارته بالوضع الذى يريده لنفسه فى ثقافة بلاده كمجدد لهذه الثقافة فان عليه أن يعيش كمتمرد حقيقى ، رافض للدعاية ووسائل الانتشار السهلة ، وان يبذل فى عمله كمفكر وككاتب اضعاف الجهد الذى بذله فى طفولته وصباه فى فترة « اعداده » الثقافى الكبير .. وان عليه

لكن يثبت انه مفكر جاد أن يقدم « كمية من الانتاج الجيد » تفوق كل ما أنتجه الكتاب الانجليز فى حجمها وتماسكها وعمقها منذ برنارد شو » ، ويضيف : « **اننى لم اشك فى قدرتى على ذلك . وكنت واثقا من انه ليس هناك من ينافسنى .. لقد انسحق كل من جيمس جويس وفرجينيا وولف وهيمنجواى وتوماس مان واليوت وجراهام جرين تحت ثقل المشكلة الفظيع : مشكلة كيف يصبح المرء كاتبا عظيما فى عصر من القلق والتوترات العصبية . وكان انسحاقهم بسبب ضعف شخصياتهم . ومن بين كل الشخصيات المعاصرة لم يثر اهتمامى غير سارتر لقدرته على مواجهة تلك المشكلة بثبات وقوة . ولكن تشاؤمه الشديد اثبت رغم ثقافته العظيمة وذهنه القوى انه لم يكن سوى ضحية أخرى لعصر الهزيمة** » .

بهذه الثقة بالنفس والجرأة على تقييم شخصيات كبار أدباء ومفكرى « حضارته » وأكثرهم متمرد على هذه الحضارة ورافض لها من وجهات نظر مختلفة ، خرج ويلسون من لندن لكى يقيم فى بيت ريفى منعزل مشرف على البحر ، ولكى يكتب هناك فى عشر سنوات واحدا وعشرين كتابا ومصلا روائيا ولكى يكتشف ويحدد موقفه الفكرى والفلسفى من مختلف جوانب « حضارته » السيكولوجية والاجتماعية والفنية والجمالية .. وكان آخر هذه الكتب — الكتاب الثانى والعشرون — هو هذه الترجمة الذاتية الذهنية ، **التى يحكى فيهما قصة تربيته العاطفية والعقلية ، وقصة اكتشافه لجوانب مختلفة من الحياة منذ خرج من بيت طفولته وأسرته ، لكى يعمل فى المصانع والمزارع ، والمكاتب والورش والمطاعم ،**

سارتر



متجولا بدراجته بين المكتبات والفن ، مكتسبا اصدقاءه واعداءه ومعرفتـــه بالناس والاشياء والافكار والمفكرين والكتب والفتيات .

ان قيام المؤلف بكتابة « سيرة حياته » حتى من جانبها الثقافى والذهنى ، قد يعنى لدى الكثيرين « نهاية » هــذا الكاتب او رغبته فى وضع نهاية يرسمها بنفسه . ولكن هذا الكتاب يبدو كما لو كان خاتمة متعمدة او طبيعية لمرحلة كاملة من حياة مؤلفه ، يسميها كولين ويلسون « **مرحلة ارساء الاساس** » ،

ويبدو احيانا انه يعنى بهذه العبارة « **مرحلة الغزو** » . فهو قد وضع لنفســه اساسا ثابتا بكتبه الاثنين والعشرين فى ميـــدان الادب والفكر الاوروبيين المعاصرين ، او هو قد غزا هذا الميدان واثبت حقه فى البقاء فيه . ويبدو انه يزمع التحول الى اسلوب جديد فى العمل يهدف الى هدف محدد ، وهو كتابة المؤلفات اللازمة لصنع مذهب فلسفى يطلق عليه ويلسون اســم « الوجودية الجديدة » او « وجودية المعنى » مقابل « وجودية الوجود » عند « **سارتر** » و « **هايدجر** » .

ويقدم ويلسون ملخصا لمحاضرة القاها فى اوسلو رسم فيها خطوط نقـــده لوجودية « ســارتر » و « هايدجر » والخطوط الاساسية لوجودية المعنى . لقد اثبت فى كتب « الغزو » ان مشكلة الحضارة الغربية هى الافتقـــاد المبرر لاستمرارها والعجز عن تبين « معنى » الوجود : وجودها هى الخاص . وان المشكلة ليست هى مشكلة اثبات الوجود

او نفيــه بتعبير اكثر دقة ، الامر الذى يؤدى الى نفى المعنى بصـــورة اوتوماتيكية . واصبح عليه باعتباره « منقذا » للحضارة الغربية ، وآخر « اللامنتمين » او اول من دعى « لا انتماء » وادرك اسباب رفضـــه لحضارته وتمرده عليها ، اصبح عليه ان يقدم « المعنى » المفقود ، وان يمد الحضارة الغربية ، وانسانها المسحوق بمبرر وجودها ووجوده .. ان هـــذا الالتزام بتقديم المعنى المفقـــود ، هو ما يمثل مهمة السنوات القادمة بالنسبة لكولين ويلســون ، وهى المهمة التى يقول انه كان يتهيأ لها فى اثناء « رحلة نحو البداية » التى يحكى قصتها فى هذا الكتاب .

* * *

اول ما يؤكده « **كولين ويلسون** » فى كتابه الذى يختتم به مرحلة « الغزو » او ارساء الاساس ، هو انه قد خرج من بيئة ووسط عماليين ، وانه هو نفسه قد اشتغل عاملا صناعيا لمدة طويلة فى مجالات مختلفـــة . ولكنه لا يستخلص من هذه الفرضية ـ او الحقيقة ـ الاساسية النتيجة السياسية او الايديولوجية المتوقعة لتحديد انتمائه الاجتماعى او فهمــه الواقعى للحركة الاجتماعية والظاهرة الثقافية . وانما هو يستخلص من انتمائه الى طبقـــة العمال الصناعيين نتائج «سيكولوجية» متعلقة بتكوينه الشخصى ، واكتساب صفات القدرة على مواجهة الحياة فى هذا العصر المضطرب ومدنه القاسية على الفقراء .

ومن ناحية اخرى فان انتماء كولين ويلسون الفكرى الذى يحدده بنفســه بانه كان انتماء الى تيار « الهجوم على زيف اللامعنى وعلى الاحساس بالسقوط والبعد عن التواضع » هذا التيار الذى يبرز « **نيتشـــه** » و « **برنارد شو** » و « **هـ.ج. ويلز** » كاكبر ممثليه ، اقول ان هذا الانتماء انما يمثل الارتباط بموقف حضارى شامل ، موقف من حضارة برمتها يسعى الى تحصين هذه الحضارة ضد عناصر انهيارها ، ولا يسعى الى تقويضها او استبدالها بغيرها مثلما تعرفه من الموقف الفكرى الثورى الذى يعبر عن وجهة النظر الطبقية الى الحضارة الغربية .

كذلك فان انتماء ويلسون الفنى الذى يحدده بانه كان انتماء الى تيـــار « الصياغة الفنية لصور معاناة روح الانسان المغترب فى العصر الحديث » وهو تيار « اليوت » و « جيمس جويس » و « فرجينيا وولف » ، تيار الاهتمام

العقلى بالصياغة الفنية والبناء الشكلى للفن الذى يعبر عن صراع روح الفنان ضد كل اسباب هزيمتها فى داخلها وفى العالم الخارجى ، ويرفض على ارضية

صراع ذات الفنان ضد العالم الخارجي المنحط والسطحي والممزق ، يرفض ان يتخذ موقف « الاشفاق على النفس » رغم ان عمل مثل هذا الفنان الاساسي انما ينصب على « ذاته » ويستخدم تجربته الخاصة لتوضيح الاسس التي يستند عليها في صراعه ضد اسباب هزيمته الداخلية والخارجية وفي رفضه لها .. اقول ان هذا الاتجاه الفني كان متطابقا بصورة منطقية مع الاتجاه الفكري الذي حدده « كولن ويلسون » لنفسه ، وهو العامل المثقف الذي أخذ على عاتقه مهمة انقاذ الحضارة التي يسحقه والتي يرفضها .

ان علينا قبل ان نناقش اتجاه « الرفض الاصلاحي » لويلسون ان نتذكر اولا ان كولن ويلسون ربيب للثقافة الانجليزية « القومية » القوية او ذات الطابع « القومي » القوي والتي لم تعرف تيارا ثوريا قويا يمكن ان يستند اليه مثقف متمرد مثل كولن ويلسون . وعلى هذا الاساس فاننا نستطيع ان ننظر الى موقف « الرفض الاصلاحي » والى اساسه الفلسفي باعتباره الموقف الذي يعبر عن الجوهر الاساسي للثقافة الانجليزية على طول تاريخها .

● ● ●

والفصول الاولى من كتاب « رحلة نحو البداية » تقدم النموذج المثالي لتصور كولن ويلسون عن « تربيته » العاطفية والعقلية ، هذه التربية المرتبطة تمام الارتباط ببيئته العمالية .

في هذه الفصول لا يعامل كولن ويلسون نفسه باعتباره ابنا لاسرة بروليتارية ، وانما هو ينظر الى نفسه اساسا باعتباره طفلا فحسب ، تحيطه عائلة تحبه وتدلله لانه ابنها الاول والاكبر الذكي المتوحج المشاعر المتقد الذهن والصحيح الجسم ايضا . انه ينظر الى زوايا انسانيته الخالصة ، دون أن يفكر في ألفقر أو البعد « الطبقي » لهذه الانسانية ، ويختار الزوايا التي يمكن أن يشترك فيها الاطفال جميعا بالفعل : الاحساس بالتبعية للأب ، وارتباط التمرد على هذا الاحساس ببداية يقظة مشاعره الجنسية المبكرة ، ومناقشة فكرة السلوك الجنسي والسادية عند كل الاطفال ، وتأكيد ميله الى العنف مثل كل الصبيان العاديين في سنه ، وتحول العنف الى اداة لاستكشاف العالم وامتلاكه من طريق اللصوصية بالسرقات الصغيرة المتلاحقة التي تساعد أيضا على زيادة مصروفه .

وتبرز هنا النتيجة « الاجتماعية » الوحيدة في تحليله لطفولته ، هي ان ميله الى السرقة في صباه كان يدعمه احساس قوي بالفقر والحرمان من بعض المتع الصغيرة رغم انهم لم يكونوا يتضورون جوعا ، الامر الذي ادى الى تحرره من العبودية للمال والى احتقاره للملكية من كل نوع . وقد ظل احتقاره للملكية ملازما له حتى شبابه حينما كان يتسكع في « الحجرات المفروشة المؤجرة » الرخيصة في لندن وباريس وستراسبورج . فقد اصبحت « مالكات البيوت » الغيبيات المزعجات من الد اعدائه جميعا خصوصا وانهن كن يتزعجن لكثرة اصدقائه ومن يبيتون عنده يتناقشون طول الليل ، ولكثرة كتبه ايضا .

ويظل احتقاره للمال وللملكية ايضا هو النتيجة الاجتماعية الوحيدة لانتمائه الى طبقة العمال ، بالاضافة الى توافر الظروف التي ساعدته على الخروج من البيت مبكرا ودون أن يتمم تعليمه . وهذه الظروف نفسها هي التي ساعدته

هايدجر



على تنمية ميله الى القراءة ، فأصبحت الكتب هى الشىء الوحيد الذى يجب حقا ان يمتلكه .. وكانت الكتب أيضـا احد الاشياء الاساسـية التى يمارس سرقتها !

فالصبى عادة ما يوجه الى الكبـار كثيرا من الاسئلة عما يحيط به ، فاذا كان الصبى نشيط العقل كثر الاسئلة اكثر من المعتاد ، واذا كان الكبار من حوله طولين او جهلة او حتى شغوفين بالتربية ؟ كانت النتيجة هى ما حدث لولسون : فقد سرق مرة كتابا يضم اجوبة كثيرة على اسئلة الاطفال . حينئذ بدات حاسة « جمع المعلومات » تنمو فى ذهن الصغير ، فلما اهدته جدته نسخة من احدى دوائر المعارف للاطفـال بدا يتبين قيمة ما يعرفه من معلومات يبهر بها زملاءه فى المدرسة . ولكن جـدته كانت مؤمنة بكثير من الخرافات ، وحينما قرا فى دائرة المعارف اشياء من الفلك تدحض تصورات جدته الخرافية ، تبين لاول مرة ان ليس كل ما يعرفه يمكن ان يعد من قبيل المعلومات ، وأنه ربما لم يكن اكثر من وجهة نظر او تصور خاص بصاحبه ولا يمت الى الحقيقة بصلة . وان المعلومات نفسها لا يمكن أن تكون ذات قيمة والا اصبحت جزءا من حقيقة اشمل وقابلة للتعميم . وحينمـا بدا يدرس الكيمياء فى المدرسـة ، وكانت الحرب العالمية على اشدها والمعسكرات القريبة مجالا عظيما لممارسة سرقات من نوع جديد وخاصة سرقة انواع بسيطة من المتفجرات التى تستخدم فى المناورات، اصبحت هوايته ـ بمساعدة معمـل كيميائى صغير أهدته اليه امه فى عيـد ميلاده الحادى عشر ـ هى صنع متفجرات خاصة يرعب بها الجيران او يبيعها لهم بدلا من « صواريخ » عيد الميـلاد . وبذلك اصبح « العلم » وسيلة قوية لتحريره من الخضوع لشروط حيـاته التافهة والحدود الضيقة لهذه الحياة .

كانت المناقشات بين الاطفال ، وتفوقه عليهم فى كمية المعلومات وفى القدرة على ربطها وتكوين صورة متكاملة منهـا عن العالم ، هى بداية احساسه بتفوقه على الاخرين وبداية انفصاله عنهم ، وبداية احساسه باهمية القراءة بالنسبة له « شخصيا » فى نفس الوقت .

وفى سن الرابعة عشرة كان يواجه اولى صدماته العاطفية ، ولم يكن يشعر بالرغبة فى الخروج مع زملائه ، وكانت الاجازة الدراسية الطويلة والاكتئـاب العاطفى معا الفرصة التى هيـأت له اسباب الانكباب على القراءة ، وتحولت الكتب الى البديل الحقيقى الوحيـد لصاحبة الناس .

كانت هذه الفترة الرومانتيكية فى حياة « كولين ولسون » والتى امتدت طوال عشر سنوات هى فترة اعداده الثقـافى الحقيقى . كان فى اثنائهـا يكتشف « الحضـارة » الاوروبيـة الغربيـة فى مدينتين من اعظم مدنها : « لندن » ثم « باريس » . وكان يتحول الى «صعلوك» مثقف حقيقى : لا يعيش فى حجـرة واحدة اكثر من شهر واحد ، ولا يستمر فى وظيفة واحدة اكثر من اسبوعين . وكثيرا ما تسول طعامه واقامته مع الكتب التى يقرؤها . وقد يلجأ احيانا الى نوع من النصب او الاحتيال باسم الاهتمامات الثقافية المزعومة ، مثل الحادثة التى يرويها عندما احتال على شقيق الراقصة الشهيرة « ايزادورا » لكى يضمن اقامة وطعاما ومكتبة يقرؤها لمدة شهر كامل فى باريس . وفى هذه الفترة ازدادت سرقته ـ واعمق رفضه ـ للقيم المادية المبتذلة والسرعة والعنف والسطحية التى اجتاحت حضارته ، اكتشف ان انسان هذه الحضارة قد ازداد قوة ومارس

كل اللذات حتى فقدت جميعا كل قدرة على بعث اى احساس حقيقى باللذة ، وانه ازداد طموحا ايضا بزيادة قدراته والفرص المتاحة له ، ولكنه فقد أهم ما يمكن أن يبرر السانيته : فقد القدرة على التفكير الحر تحت وطأة الدعاية ، وفقد القدرة على ايجاد هدف لحركته فى المجتمع وفى الوجود تحت وطأة احساسه بالتضاؤل النابع من ضخامة مؤسسات المجتمع الروعة واكتشاف ضخامة الوجود الهائلة التى لا يملك أمامها — كفرد — الا الاذعان : اى ان انسان هذه الحضارة ببساطة قد فقد « المعنى » ، معنى الحياة بشكل عام ومعنى حياته هو الخاصة .

وطوال هذه الفترة كان لا بد من ارتباطه بعمل خلاق خاص به يبرر به لنفسه صعلكته ورفضه للانصياع لمواصفات حضارته الضاغطة ، ويمنحه القيمة التى يستطيع بها أن يبرر تفاؤله واصراره على موقفه واحترام الاخرين له واحترامه هو لنفسه ويمنحه الفرصة للتعبير عن وجهات نظره فى حضارته وفى نموذجها الانسانى . وكان هذا العمل الذى استمر يعمل فى كتابته طوال سبع سنوات تبدأ من ١٩٥١ حتى ١٩٥٨ هو رواية « طقوس فى الظلام » .

يقول ويلسون عن روايته الاولى التى نشرت كتابه له بعد « اللامنتمى » و« الدين والتمرد » :

— « لقد كانت رواية « طقوس فى الظلام » كتابا عن المعنى والبحث عن المعنى . كانت تدور حول التناقض الذى يبين كيف ان اكبر قوة دافعة للانسان هى احتياجه للحرية ، ومع هذا فانه لا يعرف ماذا يفعل بها حينما يحصل عليها .

ان بطل « طقوس فى الظلام » يتملكه احساس بان ثمة معنى للوجود الانسانى، وان هذا المعنى قريب المنال للعقل الانسانى — فقط — اذا عرف هذا العقل الطريق الصحيح المؤدى الى العثور عليه وتأتى اكثر « اختبارات المعنى » شيوعا من خلال الجنس ، وعلى ذلك فان الجنس يقدم نقطة انطلاق لعينة فى سبيل البحث عن المعنى » .

وهذا بغير شك تحديد « لمعنى » الرواية أو لموضوعها ملىء بالتناقض ، أو على الاقل يفتقر الى الاتساق ولكنه فى نفس الوقت بالغ الوضوح ، ويتمتع بقدر معقول من التماسك اذا تذكرنا ان « ويلسون » كان بسبيل كتابة رواية وليس عملا فلسفيا . ولكن على الرغم من وضوح « الفكرة » أو المضمون الى هذا الحد ، فقد كان الشغل الشاغل لويلسون طوال فترة كتابة روايته ، والذى دفعه الى اعادة كتابتها ثلاث مرات ، هو شكه فى كل مرة فى تماسك بنائها الفنى وجودة صياغتها وقوة أسلوبها وقدرته على التعبير عن مضمونها المعقد واحداثها الغزيرة

ورغم هذا التدقيق الشديد فى بناء أعماله الأبداعية وفى صياغتها وتحسين

برنارد شو



اسلوبها ، فان أعماله الفكرية كانت تكتب في سرعة شديدة . لقد كتب كتابه الثاني « **الدين والتمرد** » في ثلاثة أسابيع ولا يكاد يكون قد راجع « المخطوطة » قبل دفعها الى المطبعة بعد موافقة الناشر عليها . وقد استقبل هذا الكتاب من جانب النقاد الانجليز أسوأ استقبال ، رغم أنه لاقى اقبالا معقولا من جانب جمهور القراء . ودعاه الناشر لمقابلته في لندن ، ونصحه بأن يكف من الكتابة لمدة سنة أو أكثر حتى ينساه النقاد ثم يعود بعد ذلك بعمل أكثر رصانة . ولكنه رفض هذا الاقتراح ، ورأى أن عليه أن يتم عملية الغزو أو ارساء الأساس ، ورأى أن سوء استقبال النقاد له كان شيئا منطقيا ، وأن تحمسهم السطحي له في البداية كان منطقيا أيضا ، فكيف يرحب به ممثل الحضارة التي يرفضها ويدينها ويتهم انسانها بالسطحية والعجز عن تبين معنى وجوده ! انهم لو أحسنوا استقبال كتابه الثاني لكان هذا الكتاب « غير مخلص » لموقفه في كتابه الأول . وبالطبع استمرت عملية الغزو بسرعة كبيرة .

وفي أعوام قليلة كتب «معابد اللامنتمي» و «الدين والتمرد» وأكمل كتابة النسخة الأخيرة من رواية « طقوس في الظلام » وكتب روايتي « ضياع في سوهو » و « عالم العنف » وغيرهما . واضطر نقاد كثيرون الى مناقشة أفكاره بدلا من الهجوم على شخصيته أو محاولة تجريح حياته الخاصة .

وكانت هذه الحياة الخاصة قابلة بشدة للتجريح ، مع هذا فهو يحاول أن يضعها أمام قارئه كجزء من « ترجمته الشخصية الذهنية » . لقد تزوج في الثانية والعشرين من عمره فتاة كانت في الحقيقة بديلة لأمه في حياته العاطفية . وبعد أن أنجب منها طفلا اضطر أن يتخلى عنها لأنه .. « **كان علي أن أختار اما أن أصبح كاتبا** [illegible]**يا واما أن أصبح زوجا ووالدا كاسبا للمال** » . ولكنه بعد أن حقق نجاحه وزاد دخله نسبيا اشترى منزلا لزوجته وطفله وواظب على امدادهما بدخل ثابت ولكنه لم يسكن معهما . وفي نفس الوقت كان قد التقى بفتاة أخرى أشبعته عاطفيا وحسيا فجعلها تتخلى عن خطيبها ، وواجه تهديد والدها بضربه بسوط من سياط الخيل . وعاشت معه هذه الفتاة نجاحه ومرارة الهجوم عليه ، ولكنها كانت مؤمنة به الى الدرجة التي جعلته يسعد فعلا بأن يصبح أبا لطفلة منها دون أن يشعر بالتعارض بين الأبوة وبين أن يكون كاتبا عظيما .

لقد استطاع على الأقل أن يرسي الأساس الصالح لانطلاقه ، وأن يثبت أنه كاتب جاد وغزير الانتاج . ويقول عن غزارة انتاجه : « لقد كتبت اثنين وعشرين كتابا في عشر سنوات ، بما في ذلك هذه الترجمة الشخصية . وقد كتبت بهذه السرعة لأنني شعرت بأنه كان لدي الكثير الذي أريد أن أقوله وأنني قد انفجر اذا لم أقله . لقد كتبت بالسرعة التي يخمش بها الكلب جلده اذا أصابته حكة . وقد وصلت الآن الى النقطة التي

حققت عندها ارساء الاساس واحتاج عندها ان اتروى اكثر ، وأن افكر كثيرا ثم اكتب بعد هذا » .

وليس الاحتياج الى التروى وامعان التفكير الا التعبير عن الاحساس بضخامة المهمة التى يوشك ويلسون أن يشرع فى تنفيذها . وفى نهاية كتابه يتحدث عن هذه المهمة ، وعن احساسه بضخامتها وعن احتياجه الى اشياء اخرى غير مجرد التروى او امعان التفكير ..

.. « فى سن الثامنة والثلاثين ، ادرك عبثية قصر حياة الانسان ، واجد من المعانى ما هو اكثر عمقا مما عرفته فى مسرحيات برناردشو « العودة الى ميتوشالح » . ان الزمن تتزايد سرعته بثبات .. ولكن شو على حق . فلا بد لهذا العبث ان يتوقف .. ان مأزق الفلسفة ـ الذى يتكون من انها لم تستطع ابدا ان تتحول الى علم ـ انما يرجع الى هذا القصر الشديد لحياة الانسان . فحينما يتم للانسانية انجاز شىء على المستوى الافقى للوعى .. يصبح من الحتم ان ينقل هذا الانجاز او يسلم الى جيل جديد . ولكن حل مشاكل الفكر الفلسفى والدينى انما يتطلب عملا شاقا وفكرا مركزا يستمر دون توقف لمدة سبعين عاما . فاذا استطاع جسمى وعقلى ان يظلا قادرين على العمل الشاق لمدة مائة عام اخرى او نحوها فربما استطعت ان احل كل مشاكل الفلسفة بيد واحدة . اما الواقع فهو اننى شرعت فى التفكير بدأب فريد واصرار لا يكل منذ كنت فى الثانية عشرة ، وسوف احتاج الى عشرين عاما اخرى لكى اخلق لنفسى مصطلحا اساسيا خاصا حتى اكمل مهمة ارساء الاساس للفلسفة حقيقية .. ولكن عشرين عاما من العمل المتواصل لم تتح لى فرصة الوصول الى اهداف بعيدة . وليس هذا نوعا من التواضع . فانا اعرف اننى قد حققت اكثر مما حققه اى من معاصرى . وسوف اكون غبيا لو لم اعرف هذا ، وجبانا اذا خشيت قوله . ولكن يبدو ان السنوات الماضية قد حملتنى على الاقل الى النقطة التى استطيع منها ان اشرع فى صنع بداية ما » .

* * *

هكذا يختتم كولن ويلسون ترجمته الذاتية الذهنية : تاريخه الذهنى والعاطفى والفكرى الخاص ، يختتمه بجرأة على المستقبل تماثل جرأته القديمة على الماضى ، وهى جرأة فردية على مجال الفلسفة بالذات ، التى تعنى مشاركة كل العقول القادرة على التفكير واكتشاف القوانين العامة للوجود والمجتمع والانسان .

هـ . ج . ويلز



وايا كان الامر فى تقدير ويلسون لمساهمته الشخصية فى ثقافة لغته وبلاده او حضارته ، او فى تقدير الاخرين لهذه المساهمة ، لمن الواضح ان الهجوم عليه

كان نوعا من الهجوم على جناح معين من جيل الخمسينات في انجلترا . ان « ويلسون » ينتمي — فكريا — الى الجناح الثقافي الذي يدين الحضارة الغربية المعاصرة من وجهة نظر مثالية ، فالهجوم عليه يوحي بأن الجو العام بين المثقفين الانجليز اكثر ميلا الى وجهة النظر المادية او الاجتماعية ، فهل هذا صحيح ؟ ان الاجابة السلبية البديهية على هذا السؤال توحي بأن الهجوم على ويلسون لم يكن هجوما مبدئيا ، وانما كان هجوما شخصيا أشبه بالهجمات التي شنت لدينا مؤخرا على الجيل الجديد من الكتاب والمفكرين . وربما كانت الادلة التي يسوقها « ويلسون » نفسه في كتابه كافية لاثبات هذه النظرة . فقليلون من النقاد هم من ناقشوا افكاره الاساسية، والاقل هم من طرحوا وجهات نظر مقابلة وقد خلق ويلسون اهتماما عريضا جديدا أو متجددا .. بكثير من الكتاب والموسيقيين والفنانين الذين لم يكونوا يذكرون من قبل ، فوضعت كتب عديدة من « هيرمان هيسه » الشاعر الالماني ، ومن راقص الباليه « نيجينسكي » ، ومن آخرين غيرهما بعد ظهور «اللامنتمي» و « اللاين والتمرد » ، كما كانت رواياته الاولى هي العنصر الاساسي في تجديد شباب الرواية الانجليزية بعد الحرب .

* * *

اما مشكلة « ويلسون » الفكرية — بصرف النظر عن مبالغاته حول « حل مشاكل الفلسفة » هذه المبالغات التي تعني التناقض مع وجهة نظره نفسها في « تحرير العقل » — اقول ان مشكلته الفكرية انما تكمن في اختياره الفلسفة الوجودية المثالية طريقا لحل مشكلة الافلاس الروحي ولانقاذ حضارته من البوار الثقافي، في الوقت الذي لا تعبر فيه هذه الفلسفة الا عن افلاس هذه الحضارة الروحي وبوارها الثقافي .

وفي الوقت الذي تتخلى فيه الثقافة الغربية ، الفلسفة الوجودية لكي تلقي عصا ترحالها في رحاب الفلسفة البنائية وغيرها . ان مشكلة البحث عن المعنى « بدلا من البحث عن الوجود ليست سوى مشكلة « الفراغية » أو ذهنية تدفع الفكر الى حل معضلات ترشيابه الخاصة بدلا من مواجهة معضلات الوجود المادي والانساني التاريخية . وربما كان التساؤل عن : اين يبحث عن المعنى وباي وسيلة، ولماذا لا تواجه ببساطة العناصر « التاريخية والاجتماعية » التي تؤدي الى ترمية انسان الحضارة الغربية وسطحيته وعجزه عن اكتشاف معنى انسانيته .

هذه الاسئلة ، ربما كانت هي الاسئلة الضرورية التي يواجهها ويلسون كمتمرد حقيقي وباحث جاد عن حقيقة متكاملة وانسانية ، والتي قد تؤدي مواجهته لها الى « تصغير » اهدافه الطموح ، والى جعلها اقرب منالا ، واقرب فائدة في وقت واحد !

٣

"سأحاول - مع كل ما بين الغرب المستهتر، والشرق المتوتر من ظاهر الاختلاف وباطنه - أن أقول الكثير في هذه الصفحات من حياتي، من غير حرص شديد على أن أبدو طوال ما عشته من السنين، مثل من تعدهم من كتابنا الأعلام المبرزين، قديسا من القديسين"

عبد الرحمن صدقي

اعترافات شاعر



صفحات من حياتي..



«حمدى» الحارس الامين على صندوق اجداده القديم

الكشف عن أجدادي المفقودين في صندوق صغير قديم

لولا ان وقعت انظار اخي الكبير على غير انتظار، على مانشرته هنا في غفلة منه ودون انذار، عن سيرة حياتي «اعترافات شاعر» التي بدأت في صدق واخلاص روايتها على القراء، مبتدئا بالاعتذار عن اغفالي السنوات التسع الأولى وما قبلها، لعلة واحدة: هي جهلي المطبق بتفصيل اخبارها، ثم قلة اهتمامي بسؤال أبوي عنها، لانشغالي عن نفسي — من فرط التواضع وفقدان الغرور — بالقراءة في التراجم عن اخبار غيري من السابقين الاولين وبعض المحدثين، ودراسة مابين يدي من مؤلفاتهم، فلم انتبه الى ان لي سيرة حياة، حتى فوجئت بدعوتي الى روايتها اليوم، بعد سنوات من وفاة ابي ومن بعده امي، وكان المفروض الاستعانة بهما في استقصاء اصولي كما يفعل غيري... اقول، لولا ان وقعت انظار اخي الكبير «الحمدي» على اعتذاري بالجهل — في مقال سابق — عن ذكر اجدادي، فظهرت هذه السيرة لحياتي كالجسم الضخم الطويل القامة، لكنه بغير هامة ولكن اخي — لحسن الحظ — ماكاد يقرأ ذلك الاعتذار، حتى تذكر انه قد دخل في حوزته عقب وفاة والدنا عام ١٩٤٣، صندوق صغير قديم كان للمرحوم، فكان من واجبه يومذاك ان القى من خلال الدموع نظرة عابرة على مافيه، خشية ان يكون في الصندوق وصية او غيرها من ذلك القبيل مما يتصل بوزنة الفقيد، فلم يجد غير اشتات اوراق قديمة بالية، ودفتر بدأ ينخر فيه السوس، ومستندات ليست لها صلة بالموضوع، فاغلقه كما كان، واعاده الى مكانه. اما اليوم، فان ذكراه لذلك الصندوق جعلته شديد الفضول للرجوع الى مافيه، لما خالجه من احساس باطن، باحتمال العثور بين ذلك المحفوظ من اشتات الاوراق القديمة البالية، على بعض او كل ماينقصني من معلومات عن تلك السنوات وماقبلها، التي اعلنت جهلي بها.

ولم تمض ايام، الا واخي الكبير يفاجئني بارسال بعض محتويات هذا الصندوق من اشتات الاوراق بعد تنظيمها. فاذا بي اجدها صالحة لتزويدي بالمعلومات التي تتيح لي في هذه الترجمة لحياتي، محاولة الكشف عن اجدادي، وهم الاصول التي صدرت عنها وكانت نشأتي منها، للتحقق من العناصر التي دخلت في تركيبي، ونوع الدم الذي يجري في عروقي

لاحيلة لى فى اختيار جد غير جدى دفاعاً عن اصالتى من امتزاجها بالدم التركى

كان أول من كشفت عنه من أجدادى ، بين اشتات الاوراق المحفوظة فى الصندوق الصغير القديم : جدى المباشر « **عثمان صدقى** » .

لم يكن هذا الاسم جديدا على ، فقد رأيت فى مكتبة ابى بعض الكتب مختومة بخاتم بهذا الاسم . وكانت هذه الكتب بعضها بالتركية ، وهذا لايعنى بالضرورة أن صاحبها تركى ، لان اللغة التركية كانت الى ماقبل الاحتلال الانجليزى تدرس فى مصر وقتذاك ، لما كان ينبغى أن يكون لها من الاهمية ، بحكم تبعية مصر رسميا للدولة العلية ، التى هى فى الوقت نفسه مقر الخلافة الاسلامية ... والى جانب الكتب التركية ، كان هناك أكثر من كتاب مدرسى باللغة الايطالية ، منها « كتاب فى التاريخ الطبيعى » ، وآخر على هيئة مراسلات بين طالبين يتراسلان أثناء العطلة المدرسية ، فيحكى كل منهما من أوصاف البلدان التى يقضى فيها العطلة مع والديه . وأهم من هذا كله عندى ، هذا الكتاب الحسن التجليد فى المفردات والاجرومية والحوار بأربع لغات . وقد جاء فى الصفحة الاولى عنوانه بالإيطالية ، ومن تحته عنوانه بالعربية وهذا نصه ، وقد يوحى فيه السجع ، كما جرت بذلك عادة العرب فى العناوين منذ قديم :

نزهة الاعين فى اربعة السن

فرنساوى ، وايطاليانى ، وانكليزى ، وعربى

نفعا لابناء المدارس

تاليف الحقيران ، جبرائيل وميخائيل سكروج الشقيقان

طبع فى الطبعة المصرية ، الكاينة بمصر المحمية

سنة ١٨٦٤

وتأتى بعد هاتين الصفحتين : المقدمة « باسم الله المبدىء المعيد » . ونسوق للقراء بعض سطورها كنموذج من الكتابة الادبية فى منتصف القرن التاسع عشر ليتأملوا معنا فى بلاغتها التقليدية ، ممثلة فى فصاحة ألفاظها ، وجزالة عباراتها ، وتناسب فقراتها ، مع كثرة المحسنات البديعية ، ثم انسجام الأسلوب كله فى أخذ بعضه برقاب بعض ، واستواء نسقه واحكام سبكه :

« سبحان من جعل اللسان ترجمان اسراره ، وعرف الانسان بالنطق والبيان اعلاء لمناره ، واودع فى اختلاف اللغات من عجائب قدرته الباهرة ، ودلائل حكمته الظاهرة ، وايات ربوبيته القاهرة ، ماعبرت عنه الالسن بتفنن اذابيها ، واعترفت به الامم على تباين اراتها ، واختص كل امة بلغة تشترك فى فهمها وتعبر عن سرائر الضمائر بكلمها ، وميز بعض اللغات بمزيد من المزية كما اقتضت المشيئة الازلية .. »

والقارىء لايتم قراءة هذه السطور ، حتى يدهش أن تكونَ هذه الديباجة العربية البليغة « تأليف الحقيران جبرائيل وميخائيل النشقيان » ، وخاصة بعد الاطلاع فى الكتاب نفسه على ترجمتهما العربية الركيكة للمحاورات الواردة فيه باللغات الاجنبية الثلاث .. فالكاتب لهذه المقدمة لاشك غيرهما . ولا يمكن الخلاف فى أنه أديب عربى من أدباء عصر اسماعيل المصريين ، من القابضين على أزمة البلاغة العربية ، ولعله يكون فى الوقت نفسه من الملمين باللغات الاجنبية ، مع الاحتفاظ بالمكانة الاولى والشرف الاول للسان العربى ، كما هو ظاهر جلى فى قوله :

« هذا ، ولا شك أن الطف اللغات وابدعها ، واجلها وأنفعها ، وأكثرها تداولا ، واشهرها تناولا ، واعمها نفعا ، والزمها تكلما ، هى اللغة العربية ، فانها أساس البلاغة وقسطاسها ، ومقياس البراعة ومقياسها ، ومعدن الفصاحة وينبوعها ، ومحصول اللطافة وموضوعها . فقد حوت من عذوبة المبانى ، وتناسب الالفاظ والمعانى ، وغزارة المواد والفوايد ، وكثرة المصادر والموارد ، ما اعترف بقدره كل انسان ، واغترف من بحره كل لسان . ثم هى مدار علوم الشرقيين ، ومدار الاختلاط بالاسلاميين » .

هذه المعلومات التى سبق لى معرفتها أثناء حياة أبى ، مع قيمتها فى التعريف بثقافة جدى ، لاتقطع بأن جدى تركى أو غير تركى . ومن هنا ، الحاجة الملحة لرجوعى الان بعد وفاة أبى ، الى اشتات الاوراق القديمة التى حرص ابى على حفظها فى الصندوق القديم

تحقيقات عن الحياة من واقع شهادات الوفاة

هذه التحقيقات من الحياة من واقع شهادات الوفاة ، ليست سبيلى وحدى هنا فى الترجمة لحياتى ، بل هى — منذ الاتفاء — سبيل الكتاب النقاد فى كل البلاد ، لجمع المعلومات عمن يترجمون لهم .

كان بين محفوظات الصندوق خاصا بجدى « عثمان صـــدقى » اشهار وفاته ، وصورة منقولة من الحصر الرسمى لتركته ، وبعض رسائله الشخصية لوالد زوجته ، وعليها دائما خاتمه ، وأحيانا مع توقيعه ، مما يدل على أن الاختام فى تلك الازمان كانت – لانتشار الامية – هى المعتمدة فيما يخص المتعلمين والاميين على السواء

وتشهد هذه المستندات فى جملتها ، ان جـدى لابى ، هو « اليوزباشى عثمان صدقى » بالالاى الرابع بياده بالفرقة الثانية ، وانه متزوج من فاطمة – وعلى سبيل التدليل « فطومة » – ابنة ابراهيم افندى حمدى المهندس بالاشغال ، وانه انجب منها – الى جانب محمد صدقى (والدى) – زينب او على سبيل التدليل « زنوبة » ، وعائشة . وكان جدى المذكور يمتلك عدة منازل فى حارة درب القشاشات بالدرب الاحمر ، وبالتشية ، وبالعباسية ، وحصة فى منزل يملكه بالاشتراك مع صهره حضرة محمد بك صدقى أميرالاى سوارى (المتزوج من أخت جدى المذكور) ، فضلا من ارض زراعية فى بنها القليوبية بناحية كانت تسمى « الخراب » فاصطلح على تسميتها « العمار » من قبيل الاستبشار ، الى اخر ماهنالك

ولما كان والد جدى اليوزباشى عثمان صدقى هو فى المستندات الرسمية « محمد محمد اغا البغدادى » ، ومعلوم ان لقب « اغا » من الالقاب العسكرية فى الجيش التركى ، ومعناها رئيس من رؤساء الفرق الانكشارية . ومن ثمة يكون من واجبى التسليم بان اجدادى – على الارجح – من اصل تركى .

وعلى خلاف ذلك كانت زوجاتهن ، فهن جميعا من اصل مصرى . فقد كان جدى الاسبق محمد محمد اغا البغدادى متزوجا من نفيسة بنت الحاج عثمان أمين الفيومى . وقد ذكرنا ان جدى عثمان صدقى كان متزوجا من فاطمة او فطومة المصرية ابنة ابراهيم افندى حمدى المهندس ، وهذا الصهر نفسه كان متزوجا من « سيدة » ابنة ابراهيم الرشيدى وهى كذلك مصرية .

والذى يخلص من هذا جميعه ، أن والدى كان فى عروقه من الدم المصرى مايربو على الدم التركى . ولما كان والدى قد تزوج من هانم ابنة محمود شوكت البارودى معاون الادارة بالفيوم من زوجته القاهرية « حميدة » ، فيكون الغالب على الدم الذى يجرى فى اخوتى الاربعة وانا ، هو الدم المصرى ، مع مزاج من الدم التركى يسير ، لا اظنه يكفى لالقاء ظل على أصالتنا العربية ، عند الكتاب الذين يستهويهم – كما جرت العادة عند المترجمين – البحث فى الانساب .

أكان فى اليقظة ام فى المنام استشهاد جدى اليوزباشى عثمان صـــدقى

منذ أن وقع نظرى – فى اشتات الاوراق التى تركها المرحوم ابى فى صـــندوقه الصغير القديم – على اشهاد وفاة ابيه لاثبات الميراث الذى تركه وبيان مستحقيه ،

وانا انكر فى تلك الكلمة التى وردت فيه بعد ذكر أسمه ، وقد تملكتنى مزيج من الشعور بالاعتزاز والخشوع : الخشوع للموت والاعتزاز بالفخر .

لقد كانت تلك الكلمة غير لفظ « المتوفى » وهو اللفظ المعتاد ، بل كانت «المستشهد» وهو لفظ لايبدو مكتوبا بالمداد ، بل بالنور يشع من كل حرف من حروفه ، على طول الزمان والآباد . وبلى وصفه بالمستشهد ، ذكر مكان الاستشهاد « بوقعة الحبشة » .

ولئن كان هذا الاشهاد لم يحدد تاريخ الوفاة لوقوعها فى الحبشة ، فاننا بالبحث عثرنا على مستندات أخرى خاصة بتركة جدى أمكن الاستدلال منها على صدور القرار بالافراج عن التركة فى يوم ١٠ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ (مارس ١٨٧٧) . فاذا اخذنا فى الاعتبار أن اجراءات الحكومات فى العادة طوال ، وخاصة فى ذلك الزمان وفى تلك الظروف والاحوال ، فان هذا الاعتبار يفتح الباب على مصراعيه أمامى للبحث أياما فى خزائن كتبى ، للوقوف على أى الاحتمالين هو الاصح : استشهاد جدى فى معركة سنة ١٨٧٦ أو المعركة التى قبلها سنة ١٨٧٥ ، وهما السنتان اللتان تنحصر فيهما وقائع الحرب بين مصر والحبشة ؟

وللجواب عن هذا السؤال ، عاودت البحث فى الصندوق السحرى القديم ، فاذا هنالك مستند رسمى يشير الى وصية أوصى بها فى حياته « اليوزباشى عثمان صدقى » فى ديسمبر ١٨٧٥ باقامة زوجته وصية من قبله على أنجاله القصر ، والدى وأختيه . ولما كان تاريخ المذبحة التى حلت بهذه الحملة بالحبشة فى ١٥ مارس ١٨٧٥ سابقا على تاريخ الوصية المذكورة ، فقد تحقق أن جدى انما كان استشهاده فى الحملة الثانية ، وقد كان من احساسه الباطن بانتهاء أجله فيها ، أن عمل تلك الوصية التى تقدم ذكرها لزوجته قبيل السفر . **ومن ثم لننتقل الى الحملة الثانية :**

ما كادت مصر ترد عليها أنباء ما حل بجنودها من تلك المذبحة الاليمة ، نتيجة لتلك المكيدة الحبشية المذكورة ، حتى ثارت الخواطر فى القاهرة ، وباتت جماهير الشعب المصرى تتنازعهم الدهشة واللوعة ، ويشتد بهم العجب والغضب ، وخشى الخديو من سقوط هيبته بين الرعية وعند الدول الاوروبية ، فجعل همه الاكبر اصدار أوامره ، بحشد حملة أخرى على الفور ، وتسييرها على وجه السرعة لتأديب الاحباش والاخذ بالثأر . وهذا كله بغير أناة ولا روية ، ودون تناول الموقف من جميع وجوهه السياسية والدبلوماسية بالبحث الوافى ، بل قبل الاستعداد الحربى الكافى . ولم يقف الامر عند حد النقص فى عدد الجند ، بلْ زاد عليه ضعف القيادة بعقد لواء الحملة للسردار « راتب باشا » ، كما كان التفاهم مفقودا بين هيئة أركان الحرب ورئيسها الجنرال لورنج الامريكى . ولعل الشىء الوحيد الذى حرص عليه الخديو اسماعيل أشد الحرص ، لاظهار عظيم اهتمامه بالحملة ، كان أمره بأن يصحبها ثالث أنجاله الامير « حسن باشا » ، كما كان من آثار هذا الاهتمام السامى ، أن تطوع للخدمة فى هذه الحملة بالذات ، البعض من أكبر أطباء مصر فى ذلك العصر

وكان جدى « اليوزباشى عثمان صدقى » كمعظم أمثاله من ضباط الجيش ، يقضى

حياته متنقلا مع فرقته بعيدا عن القاهرة . ونقل رسالته الى والد زوجته المهندس بديوان الاشغال بحكم قيامه على مصالحه فى القاهرة اثناء غيابه عنها ، انه كان فى هذه الآونة قد نقل من دمياط الى السويس .

ومن السويس ، كان ابحار اليوزباشى الشاب عثمان صدقى مع من أبحروا من الضباط مع الحملة المصرية البالغ عددها نحو ١٥٠٠٠ والتى أبحرت من هذه الميناء ، تقلهم بواخر الشركة الخديوية والسفن الحربية المصرية الى مينائ مصوع حيث لم تزل فيها ١١ ديسمبر ١٨٧٥ . ثم تحركت الحملة برا ، فاجتازت اقليم بوغوص الواقع من عهد قريب تحت الحكم المصرى ، وانحدرت صوب اقليم عدوه جنوبا الى سهل « تورع » المنبسط الفسيح حيث عسكروا ، وأخذوا فى اقامة الاستحكامات . ولكنهم لم يتموا بناء حصن أو حصنين حتى كان « النجاشى يوحنا » قد قصد اليهم على رأس جيش جرار يبلغ نحو الاربعين الف مقاتل . فنشبت بين الجيشين فى السهل الواسع معركة « تورع » الكبرى فى ٧ مارس ١٨٧٦ . وكانت الخسائر الفادحة تكاد تكون واحدة فى الجانبين . ولكن النصر فى اخر الامر كان للحبشة وان ظلت بعض القوات المصرية قد بقيت بعد ذلك متحصنة فى مكانها شهرا كاملا .

ولقد سر النجاشى بهذا النصر سرورا عظيما ، ويظهر ذلك فيما قرأناه مفصلا وربما مبالغا فيه ، من اصداره الامر باقامة عرش فى القصر احتفالا بالنصر ، حيث جلس الامبراطور على عرش أجداده ، ليمر أمامه من بقوا بعد المعركة من الاسرى الضباط المصريين عراة لا يسترهم شيء ، كما قيل أن مصيرهم بعدها كان الى الخصى كالمعتاد وقتذاك . كما سادت روح الفكاهة عند النجاشى يوحنا ، ان امر بأن ينقش بالوشم رسم الصليب على ذراعى الامير حسن ثالث انجال الخديو ، ليحمل معه الى والده الخديو من الزيارة تذكارا لا ينسى .

واتفق أن كان فى جملة الاسرى محمد بك رفعت رئيس القلم التركى بديوان الجهادية ، فأظهر ذكاء ولباقة فى السعى فى عقد الصلح ، وقد نجح مسعاه ، وعاد والاسرى من فلول الجيش الى مصوع .

ولكن جدى الشاب اليوزباشى عثمان صدقى ، لم يكن مع فلول الجيش الذين عادوا الى السويس . فقد استشهد فى جملة من استشهدوا فى ميدان الشرف على أرض المعركة ، وبقيت رفاته فى العراء مجهولة لتبلى ، كما بقيت لتبلى عشرات المئات مثلها فى تلك المجاهل النائية فى أرض الحبشة .

ولكن لا بأس على شهدائنا هناك وفى كل ارض بعيدة او قريبة ، فان رحمة الله تدركهم حيثما كانوا .

وحسب جدى الشهيد الشاب ان تكن بقاياه قد خلت عندنا منها القبور ، انه بعد ما كان من اكتشافنا له ، قد صرت به منا ــ وربما من بعض كرام قرائنا ــ الصعود .



● العقل الالكتروني

.. سوف يشترك في تصميم البيوت وتقدير نفقاتها.. أجريت التجربة في جامعة « ادنبره » اوصلوا العقل بريشة رسمت البيت على شاشة التليفزيون ..

قال أساتذة الهندسة الذين نفذوا الفكرة ان شركات المقاولات الكبرى سوف يمكنها أن تجرب عشرات التصميمات وتعرف نفقات كل منها في ايسر وقت .. موفرة اجور عدد كبير من المهندسين ... سوف يحدد العقل الالكتروني كل شيء بالتفصيل .. عدد الابواب .. الشبابيك .. أسياخ الحديد .. حتى قطع الاحجار والطوب اللازمة للبناء !

● « الاخوان رايت »

..عندما كانا يقومان بتجاربهما الاولى في الطيران قيل لهما ان احد المنافسين يحرص على مقابلة الصحفيين ويدعى

انه قام بمغامرات لايجرؤ « ولبر » ولا شقيقه « اورفيل » على شيء منها.. قال القائل لهما:

يجب أن تقابلا الصحفيين بدوركما وتتكلما .. فالسكوت هنا يضر ولا ينفع !

رد عليه « اورفيل » يقول : الببغاء اكثر الطيور كلاما.. واسوأها طيرانا !

● ادجار فور

المحامي .. استاذ التاريخ .. الروائي .. والوزير

ايضا .. تحول الى

« سيناريست » في فيلم قصير اسماه « السلم

الادنى » .. الفيلم نقد اجتماعي وسياسي .. كتب

« فور » الحوار ايضا

وعمل مساعدا للمخرج

« جان بيير اليساندري » .. قالت صحيفة «اكتواليته»

ان الفيلم درس حتى لكبار السينمائيين : جودار

.. وتاتي .. وايتاى .. والاخرين .

*

● مستقبل التليفزيون

تحدثت عنه مجموعة من اكبر الخبراء في اوروبا ، في ندوة شملها معرض الراديو والتليفزيون الاخير في « بون » .. قال ممثل اليابان ان الاحصاء في بلده دل على ان ساعات المشاهدة والاستماع خمسة اضعاف ساعات المطالعة .. واكد مشتوبا المانيا والولايات المتحدة انه سوف تتضاعف باستمرار.. ولم يستبعد ممثل اليابان ان ينتشر استخدام التليفزيون لدرجة ان يقضي الناس اعمالهم الوظيفية في بيوتهم ، ما دامت الاجهزة

التليفزيونية تمكن رؤساءهم من مراقبتهم والاتصال بهم طول الوقت .

*

● خطف الطائرات

لاغراض سياسية .. سوف يعقبه خطفها لمجرد السرقة والاغتصاب .. هذا ماينتبأ به مخترع اسبانى يدعى « لوى حوزيه سيرانو » .. يقول انه اعد جهازا الكترونيا يستطيع ان يشدو ركاب الطائرة وقائدها اذا وجد بينهم مختطف .. فى الوقت المناسب .. بل ويقتل المختطف اذا احتاج الامر قبل أن ينتهى من تنفيذ خطته .. قال ان الجهاز يعتمد على خلايا الكترونية تثبت فى هيكل الطائرة من الداخل وتراقب الركاب طول الوقت .

*

● المغنى الفرنسى الشاب « جان ريجو »

.. احدث اغانيه تقول « فى استطاعتى ان اصلح ميزانية الحكومة البريطانية .. بشئ بسيط جدا .. اضع كل الرجال هناك فى الجزيرة الكبيرة .. وكل النساء فى ايرلندا مثلا .. ثم اعدم كل السفن والقوارب التى يمكن ان تنقل احدا بين الشاطئين ! »

*

● كل امريكى يستطيع الآن ان يوصى باعضاء جسمه او الانسجة المختلفة فيه ليستغلها الجراحون بعد وفاته فى عملياتهم لانقاذ الآخرين .. يستطيع أن يوصى بذلك فى بطاقة خاصة توزعها الجهات الطبية .. وتعتبر وصية قانونية فى كل الولايات باستثناء « ماساشوستس » !

*

● مقالة فى سطور

● المعلم الحقيقى يستطيع ان يقيم مدرسة ناجحة تحت شجرة

● الحكومة الامريكية هى حكم الشعب .. بالشعب .. من اجل الراسماليين ..

● الامريكى مائة فى المائة .. ابله ٩٩ فى المائة

● لو ان الكتب الجيدة تصلح العالم لاصلحته من زمان مضى .

● هذا الانسان المجنون، لايستطيع ان يصنع نملة .. ومع ذلك فقد صنع آلهة بالمئات !

● آخر مسيحى مات على الصليب

● اذا سرق الجاهل فربما يسرق حمولة عربة من القطار .. اما المتعلم فانه يسرق القطار كله .

● كثيرا ما يكون الشريف هو الذى لم يصادفه اى اغراء ..

● اتعس الاشياء ان تعيش فى حالة من التوتر المستمر .. انها حياة العناكب !

● طالما انت تجرى وراء الكلب فلن يعضك .

● شئ واحد مؤكد بالنسبة للحظ .. انه سيتغير !

● الله يعطى كل واحد منا مخا .. لكنه لا يصحبه بـ « ضمان » !

*

● حاسة الشم فى الانسان .. لا تعد شيئا يذكر اذا هى قورنت بمثلها فى كائنات أخرى .. العجل الوليد يموت جوعا لولا حاسة الشم الممتازة التى يولد بها .. فعن طريقها يهتدى الى امه طول الوقت الذى يسبق الابصار .. وكذلك الكلب الصغير !

فاذا تركنا الكلب بالذات وأمره مشهور .. فان الفيل فى الواقع هو ارهف الحيوانات كلها

شما .. خرطومه الذى يطوح به فى كل الاتجاهات يمكنه من شم أعدائه على مسافات هائلة .. ولاشك أنه يحتاج لذلك حيث انه فى العادة ثقيل السمع .. ضعيف الابصار !

أما النحلة فتمتاز بأنف « فوتوغرافية ! » .. لأنها تشم طريق ذهابها كله .. ثم لا تخطىء شيئا منه فى عودتها مهما كان طويلا .. مسترجعة كل رائحة شمتها فيه ..

ويرجح البعض ان النحلة تفعل نفس الشيء .. فى الجو !

*

● زوجة (برناردشو)

سألوها مرة عن شعورها كزوجة رجل عظيم

قالت : شعور فريد فى نوعه بالطبع .. يكفى انى اشتريت سبورة سوداء وضعتها امامه ... لاكتب عليها الشيء الذى احتاج اليه .. عشر مرات على الأقل — بخط مختلف واخراج مبتكر كل مرة — قبل ان يلتفت اليه .

*

● جزيرة صغيرة جدا ، مرجانية ؛ فى المحيط الهندى ، ترشحها بعض الاخبار الاخيرة قاعدة كبرى للاسطولين الانجليزى والامريكى .. الجزيرة



● الانسان الاول او الرجل القرد .. عرضه عام ١٩٦٨ احد الامريكيين فى ولاية « ميلوكى » .. داخل قطعة من الثلج ... قال انها وجدت طافية على سطح الماء فى البحار الشمالية ..

اعلن احد العلماء المهتمين بدراسة الموضوع واسمه برنارد « هوفلمان » فى ندوة تليفزيونية ، انه التقط للانسان الاول عددا كبيرا من الصور ، وهو داخل الثلج ، وامكنه بعد ذلك أن يرسم له شكلا يحدد كل صفاته الظاهرة .. قال انه عرض على صاحبه ان يبيعه لاحدى الجهات العلمية .. لكنه رفض قائلا : انه يحصل من وراء عرضه على الجماهير .. على مليون دولار كل سنة . . ثم اختفى هذا الرجل بعد أن طاردته سلطات الامن .. ورجال الضرائب ..

اكد العالم هوفلمان ، وهو فى الخمسين ، انه لا يخاطر بسمعته العلمية خاصة فى تلك السن ، ليعلن أنه شاهد الانسان القرد لو لم يكن قد حدث ذلك بالفعل .

اسمها « ديبجوجارسيا » وتقع قرب « سيشل » وهي من بقايا المستعمرات البريطانية .. والغرض من القاعدة هو الوقوف امام توغل النفوذ السوفييتي في المحيط الهندي .. والبلاد الافريقية المطلة عليه ..

●

● « موريس رافيل »

الموسيقار المعروف .. عندما حضرته الوفاة اسرع احد الانتهازيين بوضع مقطوعة جنائزية لتعزف عندما يقضي الامر .. وذهب يعرضها على صديقه « داريوس ميلود » .. فلما سمعها هذا التفت الى مؤلفها يقول له في ادب شديد : انني افضل تغييرا بسيطا .. ان تموت انت ويكتب « رافيل » المقطوعة!

●

● الرجل الذي هزم بسمارك .. السياسي الداهية .. كان عالما اسمه « جوزيف فيرتشو » .. فعندما وقع بينهما خلاف دعاه « بسمارك » الى مبارزته . . . اصيب « فيرتشو » بالفزع لانه كان ضعيف البصر .. وفي نفس الوقت كان « بسمارك » يتقن استخدام السيف .. والمسدس ..

كان من حق « فيرتشو » ان يختار السلاح ما دام الآخر هو الذي تحداه .. فلما التقيا كان « فيرتشو » .. يحمل جراب سدس .. اذ هو يفتحه ليخرج منه قطعتين من السجق قائلا لغريمه : اختر الواحدة التي تعجبك !

كانت الواحدة عادية .. والاخرى محشوة بجراثيم قاتلة .. وانسحب بسمارك !

●

● « جان ارتان »

شحاذ فرنسي يلجأ الى حيلة جديدة لجمع القروش .. او على الاصح الفرنكات .. يجلس في احد المقاهي ويضع على قمة صلعته « برازه » .. بعد ان يبللها بمحلول سكري .. لم يخرج من صندوق كبريت مجموعة

الدنيا في سطور

من الحشرات المنزلية .. تظل تحاول الصعود على صلعته الملساء لتصل الى السكر .. دون فائدة !

●

● سلفادور دالي الرسام السريالي الكبير .. روى انه مرة في احد معارضه وقف شاب انيق امام احدى لوحاته وقفة طويلة .. سأله بعدها : بكم تريد ان تبيع هذه اللوحة ؟

اجابه دالي : بعشرة آلاف بيزيتا

قال الشاب : ادفع ثلاثة آلاف فقط !

قال دالي محتجا : ان البرواز وحده يساوي هذا المبلغ

اجاب الشاب : وانا اوافقك .. خذ اللوحة واعطني البرواز !

●

● بمناسبة الحملة على التدخين

من الطرائف التي حدثت في تاريخه الطويل ان شاه ايران في اواخر القرن الثامن عشر امر بقطع انوف المدخنين ..

ولويس الثامن ملك فرنسا منع بيع التبغ الا في الصيدليات وبناء على « روشتة » الطبيب .

أطرف البرقيات

● انجلترا

عثر القس فيلبيس راندال على حجر فى فناء كنيسته عليه حرفان .. كان هذا منذ ثماني سنوات .. وقضاها الرجل ينقب فى الدفاتر القديمة خشية ان يكون الحجر شاهد قبر رجل عظيم ..

ظهر انهما الحرفان الاولان من كلمتي « حنفية الحريق » !

● لندن

اعلن احد الحانوتية انه سيحتفل باعياد الميلاد القادمة .. بان يخفض تكاليف الجنازة الى النصف للذين يموتون خلال الاسبوعين الاخيرين من ديسمبر .. رسوم الحجز ٥ جنيهات .

● بوسطن

« الولايات المتحدة »

انتشر لصوص الدواء فى المدينة .. خصص احد مكاتب البحث الجنائي الخاصة خطا تليفونيا .. يقدم لاصحاب الصيدليات ومخازن الدواء احدث اخبار اولئك اللصوص .

● كارولينا الشمالية

« الولايات المتحدة »

.. انثى البشر تجلب ، ايضا ، ذكر البعوض .. بعض الانواع فى الواقع .. والاكتشاف للدكتور «كنيث نايت» .. وهرمون الاوستروجين فى المرأة هو الذى يفعل ذلك !

● باريس

صودر العدد الاخير من مجلة « الابله النول » .. اليسارية .. بسبب مقال هوجمت فيه سلطات الامن

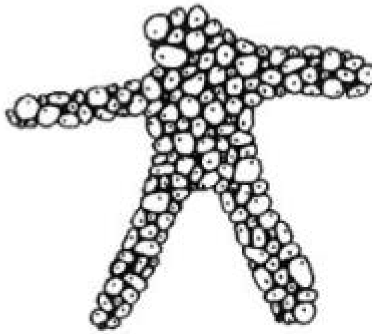
● شتوتجارت

مصانع السيارات رينو وفيات الايطالية .. وويملر الالمانية وداف الهولندية .. تستعد لاقامة وحدة انتاج ضخمة مشتركة فى الاتحاد السوفييتي .. بدات المباحثات فى الشروع فى يناير الماضي .

● بيان عن الطلاق فى العالم وتبعا لاخر احصاء دولى .. تاريخ الاحصاء عام ١٩٦٨ ويقول انه فى كل ١٠٠,٠٠٠ مواطن تم طلاق :

٢٩٠ فى الولايات المتحدة الامريكية
٢٨٠ فى الاتحاد السوفييتي
١٨٤ فى مصر
١٢٠ فى النمسا
٧٥ فى فرنسا
٧٢ فى بريطانيا
٨ فى البرتغال

د. عبد المحسن صالح



عندما يصبح جسم الإنسان

و اللـــــــــهــــــــم

سوف نتناول في هذا المقال دراسة مقارنة من نوع جديد بين نظامين يتمثلان لنا في مجتمعين كبيرين .. مجتمع نعيش فيه كأفراد ، ومجتمع يعيش في كياننا وسنحاول ان نستخلص من كلا المجتمعين دروسا ، فربما يؤدي ذلك الى تفهم أعمق لمشاكلنا الحاضرة من احدى النظم السماوية التي تتمثل لنا في اجسامنا .

■ وقبل أن نبدأ موضوعنا ، سنتعرض لبعض الاسس التي قام عليها كيان الكون .. ونحن بطبيعة الحال جزء من هذا الكيان ..

فالذرة اساس المادة ، وهي اللبنة الاساسية في بناء كل ماتراه حولنا من اكوان .

والخلية اساس الحياة ، وهي اللبنة الاساسية في بناء كل المخلوقات التي نراها او لا نراها .

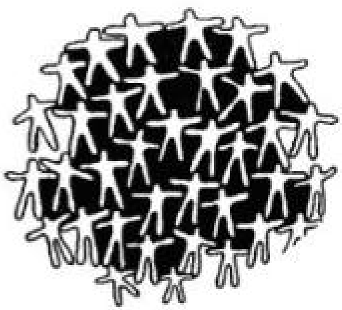
والانسان اساس الجماعات والشعوب وهو الوحدة الصغيرة في هذا الطوفان البشري الذي يتحرك على هذا الكوكب.

وكل هذا تحكمه قوانين .. طبيعية كانت أو وضعية .. ولكل هذا اساس ووحدات خاصة .. مادة كان ذلك او طاقة او حياة او بشرا .

دعنا الآن من مجتمعات البشر ، لنبدأ بمجتمعات الخلايا التي تكون أجسامنا، لنرى سلوكها في حياتها ، ثم لنقارنها بسلوك المجتمعات البشرية ، ونترك لك حرية الحكم على هذا أو ذاك .

انك مثلا مجتمع الستين تريليون خلية .. اي ٦٠ مليون مليون ، وانه ليحق

● رسوم حلمي التوني ●



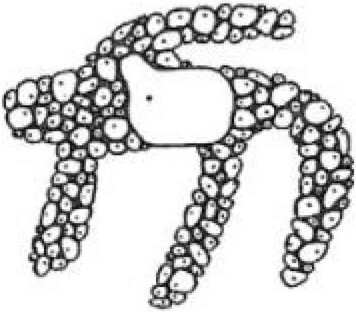
احمني من أصدقائي ●

مجتمع ضخم كبير ، أكبر من سكان عالمنا بآلاف المرات .. ولهذا كان لابد له من مرافق لتخدمه ، ومراكز لتسيطر عليه وتحكمه ، وجيوش لتدافع عنه ، ومخازن لتختزن فيه ما يزيد عن حاجته ليكون له رصيد من يومه لغده .. الخ

وخلايا هذا المجتمع الكبير تعرف مالها وما عليها .. فلابد أن يعمل الجميع في تناسق وتفاهم وتعاون .. كل خلية تأخذ لتعطي ، وتعطي لتأخذ ، وتعمل لمصلحتها ولمصلحة غيرها .

ثم أن لكل مرفق من مرافق الجسم « كالقلب والرئتين والجهاز العصبي .. الخ » خلاياه المتخصصة ، لتقوم بعمل محدد لا تتجاوزه ، وبهذا تكون الخلية المناسبة في المكان المناسب .. لتقوم بالعمل المناسب .. فعلا ، لا شعارا !

فالأمعاء تهضم وتجهز وتمتص وتعطي ، والقلب ينبض ليسحب ويضخ ويوزع ، والكبد يستقبل ويحلل ويصنع ويدفع ويخزن ، والرئة تهبط وتعلو لتستقي وتنقي وتطرد ، والكلية تجمع وتفرز وتخلص المجتمع من سمومه ونفاياته ، والغدد « تعزف سيمفونية » الحياة بهرمونات توزعها لتسيطر بها على العمليات ، وكأنما تشير الى ناحية لترفع إنتاجها ، والى ناحية أخرى لتبطئه ، والخلايا العصبية تقف كأجهزة رادار مستيقظة ليل نهار ، لتستقبل الاشارات من عالمها الداخلي والخارجي ، ثم لتنقلها الى مراكز السيطرة في المخ العظيم ، ليحل شفراتها ، ويتخذ فيها قرارا حاسما وسريعا ، والدم يحمل جيوشا ضخمة من خلايا محاربة « كرات الدم البيضاء » . وأسلحة كيميائية خاصة « الأجسام المضادة » ومركبات الترميم وسد الثغرات « مسببات تجلط الجروح » .. وكأنما كل ما فيه يقف على أهبة الاستعداد لكل هجوم يتعرض له مجتمع الخلايا .. والقنوات « الأوعية الدموية » التي يبلغ طولها آلاف الأميال



تحمل خيرات هذا الكوكب لتوزعه على الافراد ، والكل يأخذ منها ، ويعطى لها .. وبالاختصار فهذا هو المجتمع الرائع الذى يعرف كل من فيه رسالته واهميته وتخصصه .. فلا ترى القلب مثلا يتدخل فى عمل الرئتين ، ولا الكبد لضخامته « يكوش » على عمل الطحال لصغره ، ولا الامعاء ، اول مستقبل لعناصر الغذاء ، تستأثر بخلاصة ما يدخل اليها ، او تحتجز النصيب الاكبر ليتضخم رصيدها .. بل هى تعطى اكثر مما تأخذ .

وهذه هى — فى الواقع — اشتراكية الحياة ، واشتراكية الخلايا .. بالعمل لا بالكلام .

وهكذا نرى هذا المجتمع العظيم « لا مجتمعا جونسون الذى كان يحلم به » فى خفة بعضه بعضا ، فاذا تداعى منه عضو او مرفق، او اذا دخل فيه غريب، تنبض المجتمع كله فى الالام ، واطلق حربا لا هوادة فيها ، قد ترتفع من جرائها حرارة الجسم ، وتكون الحمى ، فاما موت أو حياة .

هذه الان صورة مبسطة لمجتمع الخلايا الذى يعمل حسب خطة متقنة ، ونظام محكم .. ولكنه أحيانا ما يتعرض للازمات واعداء قد تأتيه من خارجه أو من داخله .. ولكن الطامة الكبرى .. اذا أتتهس داخله .. من نفسه وتكوينه ، وكأنما الجسم الحى ينطبق عليه القول المأثور . « اللهم احمنى من اصدقائى .. اما اعدائى فأنا كفيل بهم » .. مثله فى ذلك كمثل الافراد والشعوب .

فمن اخطر الكوارث التى قد تحل بشعب من الشعوب ، انما تأتيه من داخله .. من افراده الذين يعيشون فيه .

كما ان اعظم كارثة يمكن ان تحل بالجسم الحى ، انما تأتيه ايضا من داخله .. من نفس خلاياه التى تكونه .. وما اشبه الجسم .. بتلك الشعوب

كيف يكون ذلك ؟!

دعنا اولا نتعرض لكارثة الاجسام الحية ، وبعدها سنعرج على الشعوب ، لتراه بنفسك ان كان هناك تطابق او تشابه بين ما يحدث فى هذه او تلك ، ثم كيف يكون العلاج .

ان اعظم كارثة يمكن ان تحل بجسم انسان ، هى اصابته بداء السرطان ، ومجرد ذكر هذا الداء اللعين ، يثير فى نفوسنا فزعا ورعبا ، ويجعلنا نستعيذ بالله من شره ومصائبه .

وسرطان الاجسام — وكذلك سرطان الشعوب — هو الذى عرفته البشرية حتى اليوم ، فاذا انشب اظافره فى هذا المجتمع الخلوى العظيم ، فلن يريحه منه الا الموت ، او جراحة مبكرة تستأصله من جذوره .

اهم من ذلك : من اين ينشأ هذا الداء الخبيث ؟

من خلايا الجسم نفسه .. فقد يبدأ

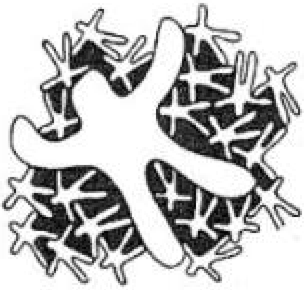
بخلية واحدة ، أو خليتين أو عدة خلايا ، ولكن خلية واحدة تكفى لتدمير مجتمع بأسره ، وكيان برمته .

فى البداية تكون جميع خلايا الجسم « عاقلة » ، أى أنها تقوم بعملها الحيوى فى اتزان وتكافؤ وتكاثر متمشية بذلك مع صالح المجموع .. أو قل أنها بمثابة الفرد العاقل فى مجتمع حكيم .. لا تخرج عليه ، ولا تشذ عنه ولا تتعالى عليه ، وقد تنقسم أحيانا ، فتجعلنا ننمو ، أو لتعوض خلايا متهتكة نتيجة لإصابة أو جرح ، فيلتئم الجرح تبعا لذلك .. ولكن انقسامها فى كل الحالات يقع تحت سيطرة الجسم الحى .

وفجأة تفقد الخلية اتزانها وتعقلها ، وكأنما شيئا قد سقط على « زنادها » ، فتصبح خلية « مجنونة » ، لا يهمها المجتمع الذى فيه تعيش ، فتراها تنقسم وتنقسم ، دون أن يكون للجسم عليها من سلطان ، فتصبح الواحدة اثنتين .. فأربعا .. فثمانيا .. فست عشرة .. فآلافا فمليونا ، فمئات الملايين .. وبهذا يتشعب فسادها هنا وهناك ، وتستحوذ على خيرات الجسم دون أن يستطيع الحد من شراهتها ، وبهذا يضعف الجسد ، و « يستأسد » السرطان ، ويقضى على الكيان !

كذلك يكون الحال فى بعض الشعوب .. يبدأ الفساد فيها مستترا وصغيرا .. وقد يكون من فرد واحد أو عدة أفراد ، وكأنما لا يهمهم مصلحة المجتمع الذى فيه يعيشون .. فإذا لم يستطع المجتمع الواعى – أو ربما غير الواعى – أن يقضى على الفساد من بدايته ، ويستأصله من جذوره ، فلابد أن يتفشى وينتشر وينهش ، حتى يضعف الشعوب كما يضعف السرطان الأجسام .

وكما يموت الأفراد بسرطاناتهم .. كذلك تموت الشعوب بسرطاناتها أو فسادها ، إلا أن موت الشعوب يتمثل



لنا فى اضمحلال حضارتها وقوتها وصمودها وصراعها من أجل الحفاظ على كيانها ، فإذا بها قد تذوب وتجرى فى ركاب دول أخرى أكثر صمودا ، وأعظم وعيا وتطورا .. وما أكثر دروس التاريخ وما أعظم الحضارات التى اضمحلت .. فإذا بها قد تقوم أو لا تقوم .. كل ذلك مرهون بوعى ناسها .

الآن « اللهم احمنى من أصدقائى .. أما أعدائى فأنا كفيل بهم »

وأما أعداء خلايا الجسم ، فخلايا أخرى متشردة نطلق عليها الميكروبات .. تماما كالصهاينة مع المجتمعات التى فيها يعيشون .. خلايا تتسلط على خلايا وبشر يتسلطون على بشر !!

فإذا حط الميكروب واستطاع أن ينفذ من الحدود « الجلد أو الخلايا المبطنة للفتحات المتصلة بالعالم الخارجى كالأنف والزور والأمعاء .. الخ .. وهى التى تمثل لنا فى أجسامنا الخط الدفاعى

الاول » ، فانه يتكاثر بسرعة ، وهنــا يظهر له خط دفاعنا الثانى ممثلا فى خلايا محاربة « كرات الدم البيضاء »

.. والغريب ان هذه الخلايا « تنجذب » بشدة « لرائحة » الاعـداء « نتيجة لافرازاتها » ، وكأنما تقول لهم « أنا لها .. أنا لها » .. وتتقابل الخلايا المهاجمة والخلايا المدافعة وجها لوجه فى معركة خلوية ضارية تدور رحاها ، الى ان يتخلص الجسم من اعدائه .. او لا يتخلص ، فكل ذلك مرهون بقـوته ومقاومته وصموده .

واذا فشل الخط الدفاعى الثانى فى أداء مهمته ، يظهر له بعد ايام الخط الدفاعى الثالث ، ممثلا فى بروتينات متخصصة « الاجسام المضادة » تجهزها خلايا خاصة بعد « دراسة » تكوين نقط حساسة فى الميكروبات ، وتوجه ضربتها اليهــا ، وتقضى عليها .. وهنا نقول ان الجسم قد اكتسب مناعة « اما اعدائى فانا كفيل بهم » .

ولا شك اننا جميعا قد تعرضنا فى ســنى حياتنا الى غزو ميكروبى او فيروسى ، ومن المؤكد ان حربا او حروبا داخلية قد قامت ، وقد نحس بها او لا نحس ، ولابد ان الجسم قد انتصر .. بدليل اننا ما زلنا نعيش .

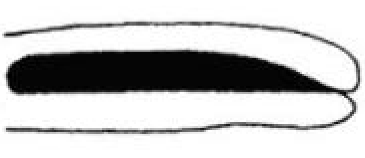
هؤلاء اذن اعـداء الجسم ... وهم يتمثلون لنا فى قائمة طويلة من الميكروبات وهو غالبا ما يتغلب عليها بقوته وحذره ومبادأته بانتاج السلاح المطلوب .. الا ان خلايا الجسم اذا تمردت ، وسلكت طريقا آخر ملتويا ، وتحول اى منها الى خلايا سرطانية ، فانها ولا شك ستقضى عليــه وعلى نفســها « اللهم احمنى من اصدقائى » .

والواقع ان جميع المخلوقات ـ عظيمها وصغيرها ـ تغير باستمرار فى كيميــاء حياتها ، ومن خلال هـذا التغيير الذى تسببه عوامل كثيرة ، تخرج طفرات من الخلايا ، او تختلف عن الاصل فى صفة او صفات. هذا ويقدر عدد الخلايا التى تطفر او تتغير فى جسـم انسـان بالغ بمليون خلية فى اليوم الواحد ، وبالرغم من ان الرقم كبير ، الا انه ضئيل اذا ما قورن بالتريليون خلية التى يحتـويها الجسم « اى بنسبة واحد فى المليون »!!

ان الخطورة هنا تتركز فى أمر واحد .. فقد تصبح اى من هذه الخلايا المتغيرة بؤرة لحدوث السرطان الرهيب ، الذى لا نعرف بالتحديد كيف يحدث او يبدأ ، فقد تضاربت فى ذلك الآراء .. الا ان هناك عوامل تؤدى الى ذلك ، ولا تهمنا هنا فى الموضوع ..

اهم من ذلك ان جسم زيد قد يتعرض لنفس العوامل التى يتعرض لها جسـم عبيد ، وقد ينشب السرطان اظافره فى جسـم زيد ، وينجو عبيـد .. رغم ان خلايا هذا تطفر كما تطفر خلايا ذاك .. وربما يكون الخط الدفاعى الثـالث فى جسم عبيد يقظا متنمـرا لكل ما يدور حوله ، ولهذا يسارع بانتـاج اجسام مضادة لتبيد هذه الخلايا الشاذة قبل ان يسـتفحل امرها ، فينجو عبيـد ، ويموت زيد .

الا ان ما ذكرته فى الفقرة السـابقة ليس الا افتراضا قد تثبت الايام صحته او خطأه .. ومع ذلك فقد نشر جماعة



من العلماء بحوثا أشاروا فيها الى ان الجسم يجهز اجساما مضـادة لبيد الطفرات السيئة فى خلايا القلب والمخ والاعصاب .. الخ وكانما هو يعلن فى داخله حربا اهلية على المنشقين قبل ان تنال منهم المصائب الكبرى .

وكانما صور الانتهازية تتكرر فى مجتمع الخلايا ، كما تتكرر فى مجتمعات البشر والدول .. الا ان الانتهازيين والمغرين فى عالمنا اكثر خطورة على اوطانهم من الاعداء ، لان الاعداء معروفون ، اما هؤلاء فمستترون .. صحيح أنهم آدميون وبيننا يسيرون ، ولكن خطورتهم تتركز فى انهم يظهرون غير ما يبطنون ، او قد يوحون الينا انهم مصلحون ، وليسـوا هم فى الواقع الا مخربين مغرضين !

وكذلك الخلايا التى طفرت .. ونحن لا نستطيع ان نحكم انها طفرت وتغيرت الا بعد أن يظهر فسادها .. وفى البداية يمكن استئصالها قبل أن يتشعب تدميرها

.. وربما يكون خط دفاعنا الثـالث او اى جزء آخـر فى الجسـم لم نعرف وظيفته التامة بعد بمثابة اجهزة الامن فى الاجسام الحية ، فيقضى على المسىء ، ولا شأن له بالبرىء .. وبهذا تنجو كثير من الاجسـام من الكوارث التى تتعرض لها ، فى حين أن أجهزة الامن فى بعض الشعوب قد تكون لاهية عن رسـالتها العظيمة ، أو قد تنكل بالبرىء ، وتترك الفاسد المسىء ، حتى تظهر نتائجها لكل ذى عقل نبيه .

هذا الآن عن نظام السماء فى الاجسام الحية ، وذاك من نظام الشعوب .. ولكل نتائج وعيه وصموده وجلده بما هو كائن حوله .. فان تهاون هذا أو ذاك ، فلا يلومن الا نفسه ..

وما أروع الصور التى تتكرر فى الكون العظيم ، وما اعظم نواميسه وقوانينه .. فبالنظام قد قام وبالحق قد سـار .. فى ذرة .. فى خلية .. فى مخلوق ، فى أرض ، فى سماء وسماوات واكوان .. ونحن جزء من هذا الكون .. لبنيته لذاته ، وتكوننا خلاياه ، وتنتظم الخلايا لتعطينا مخا واعيـا عاقلا يتفهم أسرار الكون والحياة .. فاذا سلكنا الطـريق الذى يسير فيه الكون ويتطور ، فلا شك اننا نسير فى الاتجاه الصحيح ، ونكون بهذا قد نصرنا القوانين .. قوانين السماء .. وهنا يحق القول « ان تنصروا الله ينصركم » .. وهو بطبيعة الحال لايحتاج الى نصرتنا .. بل علينا ان ننصر قوانينه ونواميسه التى وضع اسسها فى كل ما حولنا من نظم رائعات .. فالحق بين ، والباطل بين .

ولكم فى نظم اجسامكم عبرة وعظة لكل من اراد أن يعتبر ويتعظ .

ونختتم موضـوعنا بالقول الفصـل « سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .. صـدق الله العظيم ..





شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح
الفرن الشعبي
شعلتان وسط وشواء
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
مزهرة وسادة .. تتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

في الهلال من ٧٥ سنة..

جمعية الابتهاج الادبي

بلغنا من الاسكندرية أن جمعية الابتهاج الادبي مثلت مساء ٢٢ ديسمبر الماضي رواية الاخ القادر والابن الثائر (هملت) في مرسح عباس حلمي وان الممثلين اجادوا في تمثيل ادوارهم كل الاجادة وخصوصا ممثل دور هملت ، فانه اكتسب ثناء الحضور واستحسانهم ، وختمت الرواية بفصل مضحك فنكرر الثناء على هذه الجمعية ونرجو لها الثبات ودوام الفلاح

النبذة الانيقة في جغرافية افريقية

هي نبذة في جغرافية قارة افريقيا الفها وجمعها حضرة الاديب عبدالجليل افندي سعد أحد تلامذة المدرسة الخديوية تكلم فيها اولا عن القارة بوجه عام فوصف سواحلها وجبالها وأنهرها وحيواناتها ونباتاتها وغير ذلك ثم بسط الكلام عن كل قسم منها على حدة وبا حبذا لو ارفقها بخارطة تتميما للفائدة

حصيرة دقاقة

اخترع بعضهم حصيرة توضع عند أبواب المنازل متصلة بجرس كهربائي فاذا وطىء الحصيرة أحد دق جرس الباب

اسرع القنابل

ان السرعة التي تسير بها قنبلة أحدث المدافع اختراعا تساوي ١٩٦٨ ميلا في الساعة

يناير ١٨٩٦

● الغلاف الأول والأخير ●





منمنمات تركية تبين بعض الممثلين وعازفي الطبول و « العباس » احد افراد اسرة الخمسين



الهلال

● مناقشات حول خلق القرآن

● الكاهن العاشق: قصة الأديب الياباني المنتحر



ثورة شباب العالم في السينما

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثانى – السنة التاسعة والسبعون – اول فبراير ١٩٧١ – ٥ ذو الحجة ١٣٩٠

رئيس مجلس الإدارة :

أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

الإعداد الفنى :

مكرم شحاته

الاشتراكات

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم – من الكميات المرسلة بالطائرة – فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ – فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى ج.ع.م – والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الهلال

فبراير ١٩٧١

في هذا العدد :

كاتبان جريئان .. وحظ ردئ

■ خسرت الحياة الادبية والفكرية في الشهر الماضي كاتبين كبيرين كان لهما دور واضح في حياتنا الثقافية خلال الاعوام الثلاثين الماضية ، واذا كان هناك ادباء قد عاشوا حياتهم كاملة بكل ما فيها من كفاح ونضال لم تركوا هذه الدنيا وقد اخذوا حظهم منها كاملا او شبه كامل ، فان هذين الكاتبين الاديبين لم يكونا من اصحاب الحظ السعيد ، فقد رحلا عن دنيانا وفي نفس كل منهما حزن ولوعة ، لقد كانت سنواتهما الاخيرة غير راضية وغير مستريحة . وكان كل منهما يشعر بحق انه لم ينل حظه الادبي الكافي .

اما الكاتب الاول فهو امين يوسف غراب ، اما الكاتب الثاني فهو محمود الشرقاوي ، وقد يبدو من النظرة الاولى ان الكاتبين لا يمتان الى بعضهما بصلة من اى نوع ، وان الرابط الوحيد بينهما هو : الموت في شهر واحد فلكل منهما مجال مختلف من الاخر .

غراب كاتب قصة ، والشرقاوى كاتب بحوث ودراسات في الدين والتاريخ . ولكن القدر الذى ربط بينهما بالموت في سن واحدة على التقريب ــ فكلاهما كان في حوالي الثامنة والخمسين .. قبلها او بعدها بقليل ــ هذا القدر الذى ربط بينهما كان ينطوى على حكمة من نوع ما .. ذلك لان هناك تشابها بين الكاتبين يمكن العثور عليه بشيء من التامل والتانى في التفكير ، فكلاهما كان من هذا النوع من الكتاب الذى « ظهر » على سطح الحياة الثقافية نتيجة لانه تحدى الراى العام السائد بقلمه وكتاباته .. لقد بدأ « غراب » نشر قصصه في الصحف ، واحس الناس من خلال هذه القصص انه كاتب لا يعبأ بارضاء الجماهير القارئة ، ولا يهتم بالجرى وراء افكارها وتقاليدها المختلفة .. كان غراب يكتب عن الجنس بصراحة جارحة ، وكان يكشف خبايا العلاقات الانسانية في ميدان الجنس بلا هيبة ، ولا خوف من ان يتهمه الجمهور بالخروج على الاداب العامة او الاداب الخاصة او الخروج على التقاليد والعرف والقيم السائدة .. وكان غراب يهدف من وراء ذلك الى شيء ابعد من الاثارة ولفت النظر .. كان يهدف الى ان تقوم العلاقات الانسانية على الصدق والصراحة والاخلاص والفهم الصحيح ، وكان يهدف الى تحطيم ذلك « النفاق الشرقي » الذى ساد مجتمعاتنا العربية الحديثة كثمرة للاحتلال العثمانى .. فلم يكن العرب في عصور ازدهارهم امة منافقة معقدة بل كانوا امة صريحة واقعية تقوم العلاقات البشرية فيها على البوح والافضاء والصراحة والاعتراف الصادق بحقائق الحياة الواقعية .. اما التعقيد والنفاق والاخفاء ورفض كل ما تمليه الفطرة الانسانية فقد جاءتنا من عصور التخلف والتاخر .. وكانت مهمة فضح هذا النفاق هي المسئولية التى حملها عدد من الكتاب التحررين على عاتقهم .. وكان امين يوسف غراب من هؤلاء الكتاب التحررين الذين شهروا اقلامهم في وجه النفاق الشرقى الذى ساد حضارتنا فترة من الزمان . ومن خلال هذه



امين يوسف غراب



محمود الشرقاوي

الجراة فى معالجة موضوع الجنس نال غراب شهرته واصابته ـ فى نفس الوقت ـ رشقات السهام من المعارضين له والمعترضين عليه وكان معظمهم من حماة النفاق الشرقى وانصاره والمتحمسين له .

ولم يكن نجاح غراب بسبب جراته فقط ولكنه نجح ايضا لانه كان موهوبا وكان قادرا على التعبير عن جراته تلك .

ولكن غراب مات حزينا .. لانه اضطرب فى سنواته الاخيرة لاسباب كثيرة معقدة ولم يستطع أن يحافظ على تالقه القديم .. ظل يصارع ويقاوم فى تلك السنوات فيكسب جولة ويخسر جولة حتى فاضت روحه ومات وهو يكافح من اجل استرداد مكانته والمحافظة عليها . وسوف يكون هذا الكفاح وما فيه من نصر وخسارة موضوعا خصبا للباحثين والنقاد .

هذا هو غراب .. اما الشرقاوى فقد خاض نفس المعركة ولكن فى ميدان اخر هو ميدان الفكر الدينى .. لقد كان ازهريا جريئا متحررا من القيود الفكرية القديمة .. وكان يكتب بصوت مرتفع ويناقش الأمور بعقل متفتح ولا يعبا بالاصوات المعارضة له وهى كثيرة .. وقد لقى الشرقاوى بسبب جراته وفكره الدينى المستنير وايمانه بضرورة تجديد فكرنا الدينى المعاصر وربطه بالحياة الحديثة .. لقى الشرقاوى بسبب هذا كله كثيرا من العناء .. وقد انعكست متاعبه هذه على وضعه فى وظيفته بالأزهر ، وانعكست على ما كان يلقاه من جهد كبير فى سبيل نشر كتبه وافكاره .. ولكنه رغم العناء والتعب ظل حتى لفظ اخر انفاسه مخلصا لارائه الفكرية التحررية الجريئة .. ومات وهو حزين القلب .. لانه هو الاخر لم ياخذ حقه ولا مكانته التى كان جديرا بها .

كانا كاتبين جريئين لا يهابان الراى العام السائد ولا يخافان من تحديه .. ولقد خسرا بسبب هذه الجراة اشياء كثيرة .. ولكنهما كسبا ايضا ما حصلا عليه من بعض الشهرة وبعض التقدير والاعجاب .. فالراى العام ليس دائما فى صف الذين يجرون وراءه .. بل كثيرا ما يكون الراى العام مثل الحسناء التى لا تحب المتعبدين فى جمالها والذين يخضعون لكل اشارة من طرف لسانها او طرف اصابعها .. بل على العكس تجرى وراء الذى يتحداها ويبدو قويا امامها وجريئا عليها بل ومستهينا بها فى بعض الاحيان .

رحمهما الله .. كانا جريئين على الراى العام فيما يؤمنان بانه حق .. ولقد ماتا دون ان ينالا كل ماكانا يحبان لنفسيهما ، ولعل الموت يوقظ ضميرنا الادبى فيحقق لما بقى من آثارهما الفنية والفكرية ما كانا يحلمان به .

رجاء النقاش

• د. يحيى المشد •
رئيس قسم الهندسة النووية بجامعة الإسكندرية

لقد شملت التطبيقات الالكترونية حياتنا وارضنا وتجاوزتها الى الفضاء الخارجي . انها ملء أسماعنا وابصارنا بالراديو والتليفزيون . انها اداة لا غنى عنها لتسخير امكانيات الطاقة الكامنة فى نواة الذرة الدقيقة وفى تسمع واستكشاف نبضات الفضاء الخارجي الشاسع . انها طوع امر علماء الجيولوجيا والطيران ورجال العدالة ومكافحة الجريمة . انها فى خدمة اجسادنا بتوفير امكانيات هائلة للطب فى التشخيص والعلاج . وفى خدمة عقولنا بحاسبات الكترونية تزيل عن كاهل عقولنا اجهادا فكريا لا داعى له ، وتفك اسارها من عجلات الحساب الروتينية لتطلقها من غير اثقال تجوب آفاق الفكر وتقدم للانسانية نتاجا فكريا خلاقا مبدعا يحقق المزيد من السيادة على كيانها المادى وعلى العالم الذى نعيش فيه .

الحرب :

ولا جدال في أن ثمرات التطبيقات الالكترونية على تشكيل حياتنـا ومستقبلنا لا حدود لهـا . وخيال العلماء قد تجاوز المعقول الى ما يبـدو احيانا انه لا معقول . فحديثهم لا ينقطع عن امكان ابتكار وسائل الكترونية لاخصاب الاغذية بالبروتين والفيتامين التكوين التناسلي للنبات والحيوان واطالة عمر الانســان وجعل حياته أكثر صحة ونضارة ووجوده أكثر فائدة وجدوى وتنبؤات العلماء بامكان بناء عقول الكترونية أذكى من الانســان وبامكان تركيز اشعاعات الليزر لشـق الطرق والقنوات ولتدمير الطـائرات والصواريخ والغواصات المعادية قد تلقفها الادباء والكتاب ورجال صناعة السينما ليجعلوا منها مادة شيقة ومسلية وليخلقوا بطلا اسطوريا في دور جيمس بوند .

فاذا تركنا هذه الخيالات جانبا ، وجدنا ان واقعنا اليوم يتشكل فعلا بالتطبيقات الالكترونية الحديثة . بل وجدنا ان امن وطننا وسلامته ومستقبل امتنا وكرامتها رهن بقدرة ابنائها على تطويع هــذه الامكانيات للحفاظ على منجزاتها وسلامة اراضيها ورسالتها الانسانية في مواجهة عدو يواجهنا بحرب تلعب فيها المعدات الالكترونية دورا لم يشهده تاريخ الحروب من قبل .

حركة الالكترون

اكتشف ج.ج. تومسون الالكترون عام ١٨٩٧ وكان له بذلك الفضل في القيام بأول عملية تشريحية لجسم الذرة التى ظلت طويلا تعتبر جسما أوليا .

والالكترون هو احد الجسـيمات الاساسية في الكون وشحنته سالبة وتبلغ ٦ر١ × ١٠ − ١٩ كولب ووزنه ١ر٩ × ١٠ −٢٨ جرام . وتطوف الالـكترونات حول نواة الذرة في مدارات ذات طاقات محددة . وفي بعض المواد المشعة تخرج الالكترونات من نواة الذرة ونسميها في هذه الحالة « اشعة بيتا » .. ولا يعرف العلم الحديث اية طريقة للسيطرة على معدل انطلاق اشعة بيتا من نواة ذرة مشعة .

اما الالكترونات التى تدور في مداراتها حول النواة فيمكن بوسائل مختلفة نقلها من مدار الى مدار أو تحريرها من مداراتها واطلاقها لتتحرك وتصبح الكترونات حرة.

الإلكترونية

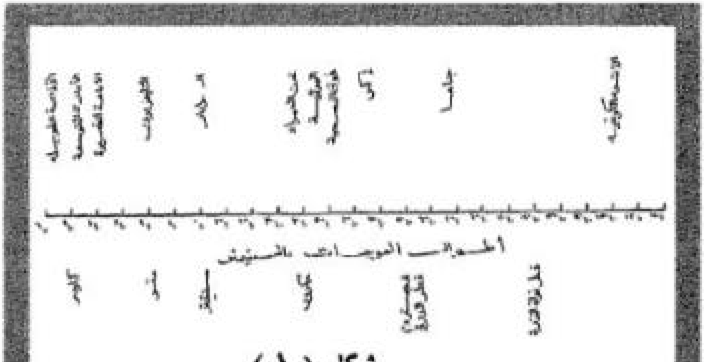
فاذا تحرك عدد من الالكترونات الحرة فى فراغ محدود وامكننا التحكم فى حركتها فهذا صمام الكترونى مما نستخدمه فى اجهزة الارسال للراديو والتليفزيون والاتصالات اللاسلكية والرادار ونستخدمه الآن فى اجهزة الاستقبال بدرجة اقل (حيث استبدل بالترانزستور) .

واذا اصطدمت الالكترونات الحرة بأهداف من مواد معينة فانه قد تنبعث من الاهداف موجات كهرومغناطيسية تقع اطوال موجاتها فى الحيز المرئى من هذه الموجات وبذلك نستطيع ان نرى أضواء مما نشاهده على شاشات التليفزيون والرادار . وقد تنبعث من الاهداف موجات كهرومغناطيسية اخرى لا نراها بأعيننا ولكننا نستطيع أن نتبين تأثيراتها بوسائل اخرى .

ويلاحظ أن هذه الموجات كلها ذات طبيعة كهرومغناطيسية واحدة وتدخل ضمن عائلة اكبر من الموجات الكهرومغناطيسية (شكل ١) لا تفرق بين بعضها البعض الا باطوال موجاتها والتى تتراوح بين عشرات الكيلو مترات وأجزاء من مليون مليون مليون جزء من السنتيمتر والتدرج على الترتيب من موجات الاذاعة الطويلة الى القصيرة الى الموجات التليفزيونية الى الرادار الى الاشعاعات تحت الحمراء ثم الاشعاعات المرئية بألوانها المعروفة فى قوس قزح حتى نصل الى الاشعة فوق البنفسجية تتلوها اشعة اكس فاشعاعات جاما الى أن ننتهى الى الاشعة الكونية من الفضاء الخارجى والتى تمثل أقصر هذه الموجات .

وبالاضافة الى ذلك نلاحظ أيضا أن جميع الاجسام (بدون أى مؤثر خارجى) نتيجة حركة جزيئاتها تشع المهنوية من هذه الموجات الكهرومغناطيسية طالما ان درجة حرارتها أعلى من الصفر المطلق (الصفر المطلق عند - ١٥ر٢٧٣ درجة مئوية)

اما اذا تحرك الالكترون خلال مادة صلبة فنحن امام امكانيات جديدة لا حدود لها . ويقدم لنا علم فيزياء الجوامد نظريات عديدة لدراسة ما يجرى للالكترونات داخل هذه المواد .



شكل (١)

ونستطيع استخدام حركة الالكترونات خلال الاجسام الجيدة التوصيل كالفضة والنحاس فى نقل طاقة كهربية نستخدمها كل يوم فى الاضاءة وتشغيل المحركات والتسخين وغير ذلك .

ونستطيع استخدام حركة الالكترونات خلال اشباه الموصلات فى تطبيقات كثيرة اشهرها الترانزستور والدوائر المتكاملة والتى تضم الواحدة منها العديد من الترانزستورات . وقد وصلت كثافة هذه الترانزستورات فى الدائرة المتكاملة الواحدة حدا مذهلا بلغ مايعادل ١٠٠ ترانزستور بدوائرها فى مساحة قدرها ٦ مليمتر مربع (شكل ٢)

وهناك مجالات استعمال عديدة لحركة الالكترونات فى المواد المغناطيسية أبرزها هو استعمالها فى ذاكرات الحاسبات الالكترونية .

واذا تحرك الالكترون من مدار الى مدار فان ذلك يصحبه اما امتصاص لقدر محدود من الطاقة او انبعاث لها فى صورة موجات مغناطيسية من التى عرفناها . والغالب هذه الموجات يخرج فى اتجاهات متعددة وبتوزيع فضائى غير متوافق . اما اذا امكن تنظيم هذه الموجات لتخرج فى اتجاه واحد وبطول واحد وبتوزيع فضائى متوافق فاننا يمكن ان نحصل على طاقة كبيرة مركزة وهى ما نسميها باشعة الليزر .

هذا جزء يسير وبسيط جدا مما يمكن أن يقال من حركة الالكترونات وما ينشأ منها ، اوردناه فى ايجاز واقتضاب لا شك فى أنه قد أخل ببعض الدقة العلمية وبما يستحقه هذا الموضوع الهام من اسهاب وتفصيل .

التطبيقات الالكترونية العسكرية

تفتح الحرب العصرية ابوابها للتطبيقات الالكترونية بل يمكن ان نقول أن الكثير من هذه التطبيقات استحدث فى أول أمره اساسا لاغراض عسكرية .

والنصر فى الحرب يعتمد الى حد كبير على القدرة على الحصول على اكبر معلومات من مواقع قوات العدو ومن معداته وحركتها ومن خططه ووسائل اتصالاته ، كما يعتمد على الاستفادة من هذه المعلومات لشل حركة العدو وتوجيه الضربات وصد الهجمات بطريقة فعالة ومؤثرة

وتقدم التطبيقات الالكترونية الكثير مما يلزم لهذه الاغراض . ففى سبيل الحصول على المعلومات هناك وسائل استكشاف متعددة تعتمد على استقبال ما يصدر من أو ينعكس على هذه المواقع والمعدات من موجات كهرومغناطيسية وصوتية .

وتعتمد بعض وسائل الاستكشاف اما على أن الهدف يشع بنفسه هذه الموجات او ان الهدف يعكس موجات من مصادر طبيعية اخرى . وتعتمد وسائل استكشاف اخرى على أن يقوم جهاز مخصوص ببث هذه الموجات ثم يستقبلها بعد انعكاسها على الهدف .

والاهداف التى يمكن أن تشع بنفسها عديدة . فكل الاجسام كما ذكرنا تشع موجات كهرومغناطيسية ما دامت حرارتها أعلى من الصفر المطلق . والمواقع العسكرية **تشع موجات كهرومغناطيسية حينما تستعمل أجهزة الاتصال العادية بين بعضها البعض وبين قيادتها واجهزة الرادار تنم عن نفسها ومن خصائصها حينما تحاول بث اشعاعاتها الرادارية . والغواصات فى قاع المحيطات تصدر موجات صوتية نتيجة حركة الاتها .**

والطبيعة نفسها مصدر لا نهائى للاشعاعات التى تنعكس على الاهداف لتكشف عنها .

واجهزة الرادار والميزر والليزر وبعض

أجهزة السونر وأجهزة الاشــعة تحت الحمراء تعتمد على الاشعاعات التي تبثها هي بنفسها ثم تعود لتستقبلها لتكشف الهدف وما حوله .

وهناك تطبيقات عسكرية متعددة لاجهزة الاستكشاف ، فالرادار يستعمل للانذار المبكر بالبحث واكتشاف الطائرات المعادية كما يستعمل في التحـكم وقيادة نيران المدفعية بتتبع الهدف وجمع المعلومات عن حركته ومن حركة القذيفة والاستفادة من هذه المعلومات لقيادة القذيفة حتى تصيب الهدف .

ومن التطبيقات العسكرية ايضااستخدام نظارات الاشعة تحت الحمراء . يستعملها الجنود ليلا لاحكام تصـويب بنادقهم ومدافعهم . ويستعملها سائقو العربات والمدرعات للسير في الظلام بأمان . كما تستعمل كتلسـكوب لدراسـة المواقع الاستراتيجيةواستجلاء تفاصيلها .

وتستعمل الان اشـعة الليزر للرؤية خلال الضبابوللتصوير تحتالماء لمسافات تبلغ اكثر من ٥٠٠ قدما . وتســتخدم هذه الاجهزة معدات اخرى الكترونيــة تمنع الشوشرة من الانعكاس على المـاء وما فيه من دقائق وكائنات .

كما ابتكرت اجهزة رادار قادرة عـلى مسح الافق بمعدل خيالي يصل الى ملايين المرات في الثانية . وتعتمد على ان عملية المسح لا تتم ميكانيكيا كما هي العـادة وانما بطريقة الكترونية .

وبتثبيت مثل هذا الرادار في طائرات تحلق في الجو يمكن الكشف عن الطائرات التي تحلق على ارتفاع منخفض والتي تستطيع الهروب من مجال الـكشف الراداري لاجهزة الرادار العادية والتي يحد من قدرتها وجود الجبال والوديان والمباني المختلفة الى جانب الانحنـاء الطبيعي للارض .

كما يمكن لهذا الرادار الطائر ان يقوم بتوجيه القذائف من الطائرة الى طائرة أخرى او الى الارض كما يستطيع تمكين الطائرة نفسها من الطيران المنخفضوتتبع الانحناءات الارضية حيث يمكنه تحديد هذه الانحناءات وتوجيه الطائرة لتتبعها .

واذا ثبتت أجهزة الاستكشـاف في طائرات المعاونة الجوية ، فانها تستطيع ان تكون جزءا هاما من نظـام للاشراف والسيطرة المركزية على الطلقات البعيدة المدى للقــوات البرية . وتكون أسراب طائرات المعاونة الجوية هذه عادة جزءا لا غنى عنه في تشكيلات القوات البرية الحديثة .

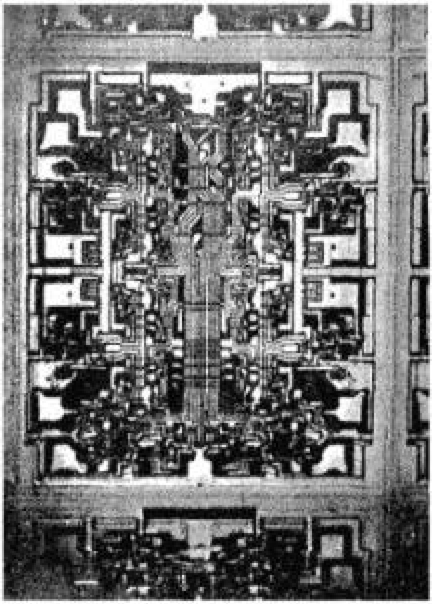
اما اذا ثبتت أجهزة الاستكشـاف في الصواريخ المضادة للدبابات والمضـادة للطائرات والطوربيدات البحرية فانهـا تكون مع أجهـزة التوجيه الآلي وسيلة فعالة لتتبع الهدف واقتناصه

وطائرات الاستطلاع والاقمار الصناعية مجهزة بمعدات استكشاف عـديدة ، وتستخدم عادة أكثر من نوع واحـد من الموجات في نفس الوقت .

والمعلومات التي يمكن الحصول عليها من استخدام الاشـعة فوق البنفسجية والاشعة المرئية والاشعة تحت الحمراء مجتمعة لنفس الهدف معلومات هائلة في كميتها بالنسبة لما تمدنا الحصول عليه باستعمال الاشعة المرئية وحـدها .

لكل جسم كما عرفنا يمتص ويعكس ويبث اشعاعات كهرومغناطيسـية ذات موجات متعددة كل منها بقوة خاصة . وتختلف هذه الموجات باختلاف الاجسام بحيث يمكننا القول ان لكل جسم بصمة خاصة بهمن الموجات الكهرومغناطيسية . وجسمان معينان قد يظهران متماثلين في مجـال الضوء المرئي . ولكننا اذا درسـنا بصمتيهما في المجال غير المرئي فانهمـا قد يبدوان مختلفين تماما . ولكننا للاسف لا نستطيع في الوقت الحالي ان نستنتج من هذا الاختلاف شيئا ذا قيمة .

وتبذل الان محاولات لفهم هذهالبصمات



شكل (٢)
دائرة متكاملة بهـا
١٠٠ صـمام ...

وجعلها ذات معنى يكشف عن خصـائص مصدرها . الا أن هذا ليس بالعمـل الهين . فالانسان ذو خبرة طويلة تمتد الى ملايين السنين فى فهم وتفسير ماتراه عيناه فى المجال المرئى ، ولكن خبرته بما تكشف عنه الموجات فوق البنفسجية وتحت الحمراء لا يتعدى بضع عشرات من السنين فلقد عرفنا اخيرا مثلا ان النباتات وان بدت خضراء فى المجال المرئى الا انهـا تبدو هى نفسها بالتصوير الملون فى مجال الاشعة تحت الحمراء فى لون أحمر فاتح اذا كانت فى طور نماء وازدهار ، أما اذا كانت هذه النباتات فى طريقها الى الموت والذبول فانها تبدو فى لون ازرق .

واذا كانت وسائل الاستكشـاف الالكترونية قد امدتنا بالكثير من الامكانيات للكشف من الموجات والترددات التى يعمل عليها العدو والتى هى بمثابة الجهـاز العصبى للجيوش الحديثة ، مما يمكن من الوصول الى معلومات فى غاية الاهمية ، **فانها فى الوقت نفسه قد امدتنا بوسائل الكترونية مضادة قادرة على الشوشرة على الاجهزة الالكترونية المستعملة للاتصـال اللاسلكى واجهزة الرادار واجهـزة الاستكشاف والتوجيه المثبتة فى الصواريخ والطائرات ، مما يمكن من شـل هذا الجهاز العصبى عن العمل وابطال مفعول اسلحة العدو ومعداته . واحداث سفينتى**

التجسس والاستطلاع الالكترونى «البويلو» التى أسرتها كوريا الشمالية ببحارتها والسفينة « ليبرتى » التى أصيبت خلال معارك يونيو ١٩٦٧ ليست ببعيدة عن اذهاننا .

ولتجنب محاولة التأثير والشوشرة على الاتصالات التليفونية بين المواقع تستخدم أشعة الليزر والاشعة تحت الحمراء عن طريق تعديل قوتهما حسب المعلومات الصوتية . وتمتاز هذه الوسائل بسهولة تركيز الاشعة فى حزمة رفيعة فى اتجاه جهاز الاستقبال وبذلك يصعب اكتشاف مصدرها والشوشرة عليها .

الحاسب الالكتروني في ميدان المعركة

تستعمل اجهزة التوجيه الآلى فى الطائرات والصواريخ وشبكات الدفاع الجوى أنواعا خاصة من الحاسبات الالكترونية منها الحاسبات التماثلية والحاسبات العددية والتى تقوم بالحسابات اللازمة لتحديد سرعة الهدف واتجاهه وربطها بسرعة القذيفة واتجاهها بصفة مستمرة ثم تقوم بتصحيح مسار القذيفة الى أن تصل الى هدفها .

ويستخدم الحاسب الالكترونى احيانا كمماثل لتدريب الطيارين وغيرهم على توجيه الطائرات والصواريخ . فلتدريب الطيارين يقوم الحاسب الالكترونى مقام الطائرة ويجلس الطيار فى غرفة قيادة مماثلة تماما لغرفة القيادة الحقيقية فى الطائرة ويتلقى الحاسب الالكترونى من غرفة القيادة هذه اشارات مماثلة لما تتلقاه الطائرة نتيجة تحريك القائد لمفاتيح الطائرة وأجهزة التوجيه بها . ويقوم الحاسب الالكترونى بدوره بتغيير المؤشرات والقراءات التى تظهر على لوحات غرفة القيادة كما لو كانت الطائرة قد استجابت فعلا لحركة المفاتيح . وبذلك يمكن تدريب الطيار فى ظروف تماثل ظروف الطيران الحقيقية . وبطريقة لا تختلف كثيرا يمكن تدريب الموجهين الارضيين للطائرات الاعتراضية حيث يقوم الحاسب الالكترونى بدور الطائرة الاعتراضية ودور الطائرات المعادية . ويستجيب الحاسب الالكترونى لتوجيهات الموجه الارضى وبذلك يستطيع الموجه الارضى متابعة الطائرات ويرى نتيجة توجيهه .

والحاسبات الالكترونية يمكن استخدامها فى الاغراض المعروفة والعادية والتى لها تطبيقات فى الجيوش الحديثة مثل استخدامها فى مراقبة المخزون من قطع الغيار المختلفة والذخيرة وتحديد معدل استهلاكها وما الى ذلك .

كما تستخدم الحاسبات الالكترونية لاستنباط الاشارات اللاسلكية والتى قد تكون مدفونة فى وسط شوشرة . وتستعمل لهذا الغرض رياضيات خاصة يمكن بها دراسة الموجات المستقبلة وفصل الاشارات المترافقة والتى تمثل الاشارات الحقيقية عن الاشارات غير المترافقة والتى تمثل الشوشرة .

الحرب الالكترونية

كما ان الحاسبات الالكترونية تستخدم لمحاولة كشف الشفرات المستعملة فى الاتصالات اللاسلكية للعدو ، وذلك عن طريق دراسة الرسائل المتبادلة وافتراض عدد كبير من الحلول للشفرة وتبين عما اذا كان ذلك يؤدى الى معنى معقول للرسائل المتبادلة . ومن الواضح انه بدون حاسب الكترونى قادر على اداء هذه المهمة بسرعة عالية بحيث يمكن دراسة عدد كبير وكاف من الحلول المحتملة للشفرة ، فانه يستحيل الوصول الى نتيجة ايجابية يمكن الاستفادة منها قبل فوات الوقت او قبل ان يغير العدو شفرته

وتستخدم الحاسبات الالكترونية لمعاونة القيادة العسكرية فى اشق مهامها وهى اتخاذ القرارات السليمة فى وقتها المناسب

ان اتخاذ القرارات خلال المعركة الحربية لهو فعلا عملية من اعقد العمليات . فاذا افترضنا ان القائد يعرف تماما امكانيات العدو ويعرف ايضا تصرف العدو ردا على كل قرار سيتخذه فان الامر يصبح بسيطا نسبيا فما على القائد الا ان يحسب ما يترتب على كل قرار يمكن ان يتخذه من مكسب او خسارة

الا ان الامر ليس بهذه البساطة فالقائد حتى وان عرف تماما امكانيات العدو فهو على اليقين ليس متأكدا من تصرف العدو ازاء ما يتخذه من قرارات وبذلك تصبح عملية اتخاذ القرار اكثر تعقيدا . الا ان المهم هنا انها ليست مستحيلة . وعلى ذلك فلا داعى ولا ينبغى ان تصبح عملية اتخاذ القرار رجما بالغيب . فهناك نظريات ورياضيات خاصة تسمى نظريات اتخاذ القرارات منها نظرية البرمجة الخطيه ونظرية المباريات او المخاطرات المحسوبة ونظرية البرمجة الديناميكية . وهذه كلها وسائل تمكننا من اتخاذ القرارات الاكثر ملاءمة .

ونلاحظ هنا انه حتى فى حالات اتخاذ قرار ينطوى على مخاطرة محسوبة فانه يجب أن نحسب فعلا هذه المخاطرة، والا اصبح مخاطرة غير محسوبة اشبه شىء بنتيجة ما نخرج به من ضرب الرمل أو وشوشة الودع .

ونعود هنا لنستدرك ونقول ان الامر على ارض المعركة ليس على هذا القدر المعقول من التعقيد . فميدان المعركة فى حالة تغير مستمر والامكانيات والاحتمالات هى الاخرى فى تطور ديناميكى . ويجب على القائد ان يتابع هذه التغيرات ويتخذ القرارات فى الوقت المناسب .

ولا مفر هنا من اللجوء الى حاسب الكترونى ليقوم بهذه الحسابات بالدقة والسرعة اللازمة . الا انه يجب ألا ننسى هنا أن الحاسب الالكترونى بدوره فى حاجة الى عقول بشرية تستغل قدراته وتحدد احتمالات المواقف على ضوء خبرتها وتختار الاستراتيجية والفلسفة المناسبة واللازمة لحساب المخاطرات مستعينة بالنظريات والرياضيات السابق ذكرها

ويبقى علينا واجب استيعاب هذه الامكانيات العلمية والرياضية والتكنولوجية الهائلة لتشكيل حاضرنا ومستقبلنا وتطويعها لتحقيق النصر .

ولا جدال فى ان امتنا العربية التى اسهمت على مر التاريخ لخدمة الانسانية بتراثها الحضارى والعلمى لقادرة على استيعاب هذه العلوم والتطبيقات العصرية وتسخيرها لخدمة قضاياها الوطنية ورسالاتها الانسانية وصنع مستقبلها .

الـتـزام

مُتلازِمانْ .. مُتعانِقانْ
فى كلِّ آونةٍ ، وآنْ
كالظلِّ فى كبد الغدير يُهَوِّمانْ
وكالشُّعاعةِ فى تلفُّتِ نجمةٍ ، وحَشا هجيرٍ .. يَهْبِطانْ
كالوَهْم .. حين تَرَوَّغُ حيَّته بأغصان الشعور .. يُداهِمانْ
كالحُلْم يخلُق من خريف النفس أجنحةً تطير .. يُرفرِفانْ
كالشكِّ يلمَحُ فى السَّريرة طيفَ هاجسةٍ تَزُور .. يُخافِتانْ
كالصَّمت فى الموْت المصفَّد فى القبور .. يُشارِفانْ
كالعطر فى العَبَق فى الزهور .. يُجنِّحانْ
كرَبابةٍ سكَنَتْ وعازفُها بنَغْمَتِه يدور .. مُتداخِلانْ
كصدًى صدًى ، لصدًى تنكَّبَ فى العُبور .. متكامِلانْ !
بصدًى الصَّدى مُتساقِيانْ
والكأس خَلْفَ الصوْت ساقيها زَوالٌ فى عَيانْ
مُترائيانْ ، متخفيانْ !!
متلازمانْ ، مُتعانِقانْ



أنا والحقيقة .. كلَّ آنْ !

●●●

فاذا بكيْتُ فدمعتانْ
واذا ضحكتُ فبسْمتانْ
واذا انتشيتُ فطائرانِ محلّقانْ
بالدمع قد يتبسّمانْ
بالصفْو قد يتناوحانْ
وعلى المدى المسكوب من قدح الزمان يُهاجرانْ
« فى الجُوع » من سنبل البيادرِ يَشبعانْ
ومن السراب الحُرّ فى شفة الطبيعة يَشربانْ
وعلى السلاسل فى رقاب الذُّل عشهما أمانْ ..
يتأملانِ ، ويُصغيانْ
ويَختطفانِ ، ويَهدلانْ
ومن اندلاعِ القهر ، فى خَرسَ العروقِ يُلاغيانْ
وبنَظرة المظلوم فى غلَسِ العدالة يسكنانْ
وبآهةِ المحروم ، فى نفَس العواصفِ يَجريانْ
متكلمانِ ، وصامتانْ
وشاديانِ ، وأخرسانْ
لُغَةُ السماء عَوَتْ .. وما نبضَتْ يدانْ !
ويَداهما بيَدِ السياطِ ..
.. يَداهما مشلولتانْ !!

●●●

... فى الحُبّ ، ضمهما زمانْ



مازالَ يَمشي في دُجَى الأيامِ مشتعلَ الحنانْ
الكونُ فيه تميمتانْ
والنهرُ غنوةُ زورقٍ
يَنعى خُطاه الشاطئانْ
لا موجَ فيه ، ولا رياحَ ، ولا خَفاء ، ولا عيانْ
عصرتْ كرومُ الخلدِ نَشوتَها .. وسار العاشِقانْ
وتَلَفّتا .. فإذا الطريقُ بلا رحيقَ ولا دِنانْ !
.. مرءًا ، ومرءُ الوحشيُ ، لا يتكلمانْ ،
وهُما على نَعشِ الهوَى يتطارحانْ ،
متلازمانْ .. متعانقانْ !!

***

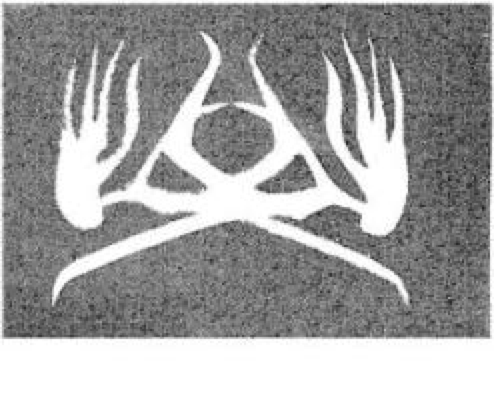
.. في الله يهدرُ هائمانْ ،
لا للصعودِ ، ولا السجودِ يُعرجانْ
لهما صلاةُ الواصلينَ بلا حدودٍ !! طائرانْ ،
يتسمّوانِ على ضفافِ النورِ ،
ثمّ يشاهدانْ !
والنورَ يسمعُ مايقولُ الزائرانْ ..
لا همسَ إلا من صداهُ .. يكبّرانْ
لا لمحَ إلا منْ سناهُ ويَسجدانْ ..
في كلّ سرٍّ للإلهْ ،
متلازمانْ .. متعانقانْ ..

ذاتاً موحّدةَ الكيانْ
في الله .. لا يتفارقانْ !

***

عبرا بساتينَ القيودِ
وكلُّ مافيها هوانْ !
الأوجهُ العبقاتُ أحذيةٌ لخطوِ الصولجانْ
والأعينُ الشمّاء ، ساجدةٌ الضحى للديدبانْ
والخطوُ ، مسبّحةٌ تدورُ ..
ولا تحرّكها يدانْ
مقهورةٌ الدعواتِ تفهق بالرياء بلا لسانْ
ويسوقها رقُّ العصور لذلّه في كلِّ آنْ
شطحاتِ عبدٍ ، خادعتْهُ شعاعةٌ
نسختْهُ ضحكةُ بهلوانْ !
... دُوري ، وسلّي ، واقطفي
بيديكِ زهركِ .. يا جنانْ !
مرّا عليها في السلاسلِ يضرخانْ
وعلى جباه الساجدينَ ينادِيانْ :
كلُّ الظلالِ تحولُ ...
... إلّا ظلُّ وجهكِ ، .. والزمانْ !
عينانِ من قلقِ العصورْ .. سكرانتانْ
ويدانِ في عبقِ الزهورْ .. ممدودتانْ
والقيدُ يفغرُ فاه .. والدنيا أمانْ !
وهما بنارِ خطاهما فوقَ المواكبِ هائمانْ
يتعجّبانِ ، ويغضبانْ !

مُتعانِقانِ ، مُتلازِمانْ
خَلْفَ الجماجِمِ ، يَبْكيانِ ويَضْحَكانْ !!
***
أنا ، والصدَى .. بيدِ الحقيقة تُغمَتانْ
من عازفٍ ، مالى بِرِيشتِهِ الخفيّةِ أيُّ شانْ
هوَ فى دمى ! وعلى فمى !
وعلى انسكابِ الروح مسحورَ الدَّنانْ
يَسْقى ، ويشربُ .. لا يمُدُّ يدًا ،
ولا يَجرى لنشوتِهِ لسانْ ..
.. وله الكرومُ كما تشاءُ غُصونُها ،
لا مايشاءُ لها بَنانْ !
تُعطى .. فيقطِفُ ، لا يَمَسُّ .. ولا يُحِسُّ
ومنهُ تُهْدَرُ موجَتانْ :
نغمُ ، وساقيةٌ تدورُ وجدولانْ
متلازمانْ .. متعانقانْ
ظِلُّ الوجود ، وذاته لهما كيانْ



وحقيقةُ الإنسان توءمٌ أو تَموتُ .. يَجنَحان
أوْ من حبائلها تفوتُ .. يُغنّيان ..
وبِسرِّها يتكلمان
شفةٌ ، ولحنٌ واحدٌ ، وصدًى يدورُ به الزمان !

***

متعانقانِ .. متداخلان
وترٌ ، وضاربةٌ تُطِلُّ وتختفى .. لا يُلمَحان
.. فى صدْرِىَ المهدود أسمعُ منهما قبل الأوان :
خلجاتِ نايٍ يرفضُ التحديقَ فيما يُعطيان
الظلُّ ذنبٌ ، والهجيرِ شفاعةٌ يتساويان !
واللحنُ ومْضٌ ...
لا قياسَ .. ولا أصابعَ تُرجمان !
... أمواجُ موسيقَى مجمَّرةِ الرنين
بغيْرِ نايٍ .. أو بَنان !
وبلا مَثالِثَ ، أو مثان
وبغيرِ أبعادٍ تحددها المزاهرُ للقيان ..
.. ريحٌ تهبُّ .. ولا يقيدها زمان أو مكان
وعلى أناملها يغرِّدُ طائران
عبْدا ملاكٍ .. مستبدٌ ، عبقرىُّ الصولجان
بجناحهِ ، وصياحهِ ، وصداحهِ متعلقان
متعانقانِ .. متلازمان
أنا .. والحقيقةُ كل آنْ !!

محمود حسن اسماعيل



آخر حديث في السجن مع زميل جيفارا

ريجي دوبريه

■ أجرته: ميشيل بونتيه ■ ترجمة: شفيق مقار

كان اسمه الحركى ، بين مقاتلى شى جيفارا ، « دانتون ».. اشتهر بكتابه المتفجر «ثورة داخل الثورة » . وقد صمم على الانضمام الى مناضلى جيفارا فى بوليفيا ـ رغم معارضة هذا الاخير الذى كان يرى ان « دبريه » يفيد الثورة اكثر بقلمه ـ ليثبت انه ليس مجرد كاتب نظرى ، وليس ثوريا على الورق .

وعندما لقى جيفارا مصرعه ، قبض على دبريه وعلى صاحبه الرسام الارجنتينى سيرو بوستوس ، وحوكما امام محكمة عسكرية قضت بسجن كل منهما ثلاثين عاما ، فى نوفمبر ١٩٦٧

واهمية هذا الحديث ، الذى اجرته نيكول بونيه لمجلة « لونوفيل اوبزر فاتور » مع دبريه فى سجنه ، بقرية كاميرى الصغيرة بجنوب بوليفيا ، نابعة من انه آخر ما اجرى معه فى سجنه ، حيث تقرر الافراج عنه بعد ذلك وخرج بالفعل من السجن خلال ايام .

● لاينبغى للمرء أن يدع نفسه يُباع أو يُشترى

● رأيى فى الصحافة لايسر

● أتمنى أن أصبح مغموراً من جديد

● أحس بالعار من كميات الورق التى باعها التجار باسمى



ريجي دبريه مع نيكول بونيه في سجنه .. آلة التسجيل بينهما ، وحراسة في مؤخرة الصورة ..

نيكول : عندما صدر الحكم بسجنك قلت للصحفيين: « ثلاثون عاما ! هذا وقت طويل · اهم شيء الآن ان يمنعهم المرء من تحطيم معنوياته . » فكيف قاومت هذه السنوات الثلاث من المحن ؟

دبريه : ان معنوياتي اليوم اشد صلابة مما كانت عليه يوم وضعوني وراء القضبان ، ولو انه مما يثير الحنق ان يحس المرء بالرغبة في النضال ولا يستطيع شيئا ، وان تقوم في رأسه الافكار ولا يستطيع ان يخرج افكاره الى حيز الوجود· لكن ذلك الحنق لا علاقة له باليأس ·

ثم يضيف بابتسامة متهكمة : « يمكنك القول اني أصبت في هذا الحبس الكريه بما يسمونه في علم النفس الجنون الدوري · فاي حيوان يوضع في القفص لابد ان تمر به لحظات من السواد (انا لنخوليا) . فيأخذ في النظر الى السماء ، بين الحين والحين ·

نيكول : الناس في بوليفيا يقولون ان السجن خير جامعة .. ؟

دبريه : لو كانوا يدعون السجين في سلام لما بات السجن محنة بقدر ما هو تجربة عملية مفضية الى ضرب من « الترسيب النفسي » · فالبقاء طويلا وراء القضبان يؤدي الى ظهور العديد من الميول القديمة ـ الحسنة والسيئة ـ التي يكون المرء قد تصور انها باتت في طي النسيان · وصدقيني ان حالة السجين عموما لا تختلف

كثيرا عن حالة الراهب المتوحد الذى يختار العيش وراء اسوار دير من الاديرة . كل ما هنالك من اختلاف أن الاول يعيش وراء الاسوار برغمه ، والاخير باختياره . ثم ان السجين ليس وحده الذى يقضى وقتا طويلا حبيس المكان ، فهناك الطاعنون فى السن الذين يقضون بقية العمر فى ملاجىء كريهة ، والمرضى الذين يلمدهم المرض عن مبارحة اسرتهم . وصحة هؤلاء لا تقل كثيرا فى رأيى عن محنة أولئك .

نيكول : الشاهد ان الصحفية الايطاليـــة أوريانا فالاتشى وصفتك ، فى الحديث الذى اجرته معك ونشر فى فرنسا بمجلة « الاكسبرس » وفى ايطاليا بجريدة «يوروبيو» ، بانك فى حالة انقباض شديد ، والمعروف انك تنكرت فى ذلك الحـــديث لمضمون كتابك « ثورة داخل الثورة» (طبقا للحديث الذى نشر فى «الاكسبرس» بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٧٠) قال دبريه : « لم اعد اقيم وزنا لشىء . لقد اصابنى غثيان من الكتب ، غثيان من التفكير ، غثيان من الصمت . »

دبريه : الواقع ان اللهجة الباعثة على الشفقة ـ والاستعراضية بعض الشىء ـ التى اتسمت بها أقوال فى ذلك الحديث يرجع الفضل فيها الى موهبـــة أوريانا فالاتشى . ودعينى اصارحك القول ان رأيى فى الصحافة لا يسر . نعم كنت صحفيا فيما مضى ، وما من شك فى أن كل من يلعب دورا فى الحياة العامة يكون ـ شاء أم لم يشأ ـ صحفيا بشكل ما . لكن ذلك الوجه الذى ولدته أوريانا فالاتشى من حديثى فبات أشبه بالاحاديث التى تجرى مع نجوم السينما ، صدمنى بحق . وانا لا أعفى نفسى من المسئولية ، لانى لم أكن حذرا بما فيه الكفاية . وقد استغلت تلك الصحفية ، التى يبدو أنها جاءت وفى نيتها « اصطيادى » لقرائها ، قلة حذرى هذه ، والقرحة التى اعانى منها ، وبعض أشياء عابرة حدثت أثناء لقائى بها . نعم اغرورقت عيناى بالدموع وهى تذكرنى بلحظات معينة من حياة جيفارا ، لكن ذلك شىء لم يكن يستحق أن يذكر . ولقد احتججت على نشر أقوال نسبت الى فى ذلك الحديث دون أن تصدر عنى .

نيكول : اية اقوال هذه ؟

دبريه : عندما تحدثت مثلا عن مجىء الحكومة الحالية فى بوليفيا الى الحكم ، لم اتحدث بكلمة عن احتمالات الافراج عنى ، لانى لا اعتمد فى ذلك الا على النضال العمالى الفعال والمتصف بالمثابرة . فوق أنى لم أتنكر ـ كما قيل ـ لشىء مما جاء فى كتابى « ثورة داخل الثورة » . تريدين الحق ؟ من الدناءة التى تشمئز لها النفس أن تستغل ظروفى المادية بهذا الشكل ، فتنشر مثل هذه الاشياء كذبا ، اعتمادا على استحالة قيامى بأى شىء يمنع تحريف أقوال وتشويهها .

نيكول : واحداث هذه السنوات الاخيرة ، الم تدفعك الى مراجعة نفسك فى بعض ما كتبت ؟

دبريه : اسمعى . ما الذى استهدفه كتابى « ثورة داخل الثورة » ؟ اســـتهدف اجراء اختبار نقدى لسلسلة من التجارب الثورية فى امريكا اللاتينية . ثم طرأت أحداث أخرى . ولكن ما الذى يؤدى اليه ذلك ؟ العدول عن ذلك الاختبار النقدى ؟ أبدا . الاستمرار فيه ، مع ادخال الظروف الجديدة فى الحســـــبان ، دون تغيير للاساس الذى صدرت عنه . مثل ذلك « التعديل » ، فيما يخصنى ، لا يعنى العدول بل يعنى استكمال البحث الاصلى واثقاله . وما على ، للقيام بهذه المهمة ، الا أن

استمر في أداء دوري المتواضع : تطبيق الماركسية اللينينية ، بشكل خلاق ، على واقع أمريكا اللاتينية ، وبذلك نجني تراث جيفارا ، الذي لم أحد عن مساره لحظة.
أنا اذن لم أنكر شيئا ولم أعدل عن شيء مما جاء في « ثورة داخل الثورة » .
اما القول الذي وضع على لساني في ذلك الموضع ، فقول مشين ويتصف بالغباء ، وهو قول مكذوب لم أفه به .

(المفروض انه ـ في حديثه مع « أوريانا فالانشي » ـ قال انه سمع من البعض من الثوار الفلسطينيين الذين يسقطون برصاص الصهيونيين وكتابه في أيديهم ، والمفروض انه قال : « هذا مخيف ، كأني اخدع هؤلاء الثوار ، لأن ما كتبته في ذلك الكتاب يبدو لي اليوم هشا للغاية ، مشكوكا في صحته ! »)

نيكول : وهل الامر كذلك ايضا بالنسبة لما جاء في ذلك الحديث على لسانك خاصا ، باسرتك ؟

(كلماته كما نشرت في « الاكسبرس » : « ليس بوسع المرء ان يختار الابوين **اللذين ينجبانه في هذه الدنيا . فانا لم التق ابوي . والآن لم يعد بيني وبينهما اي شيء « مشترك » والمصيبة ان هذه الاسرة أخذت ـ بعد القبض علي والمتاعب التي حدثت لي ـ تذيع اشياء لم تصدر عني ابدا . »)**
دبريه : لو سمحت ، لا تدعينا نتحدث عن هذا الموضوع .

نيكول : لماذا لم تتم الاعمال التي بدأت في كتابتها وأنت في السجن ؟ دراستك عن جون دوس باسوس ، مثلا ، وكلود سيمون ، واندريه مالرو ، او تفسيرك الماركسي لتاريخ امريكا اللاتينية ؟

دبريه : اتمام مثل هذه الاعمال بطريقة جدية يتطلب ظروفا مادية تختلف عن الظروف التي أعيش في ظلها حاليا ، كان يكون بوسعي ، مثلا ، أن أقوم ببحوثي في مكتبة تضم المراجع التي احتاجها . ومن جانب آخر ، فان الافتقار الى الحركة ، والمناخ الاستوائي ، والضيق الذي اعيش فيه حاليا ، لا تساعد كلها على الكتابة . ففي مثل هذا السجن ، وهذا المناخ غير المألوف ، يجد مثقف مثلي ، من أصل بورجوازي انه في حاجة الى الراحة بصورة تكاد تكون دائمة .

وذلك هو ما فعلته . اخلدت الى الراحة . لكني لم أكف عن التفكير ، مستغلا الفرصة لكي أوضح مواقفي من الاشياء وأحدد معارفي السياسية فيما بيني وبين نفسي .

نيكول : في خطاب كتبته الى البعض قلت ان دراستك عن مالرو لن تروق له . لماذا ؟

دبريه : لا اذكر اني كتبت شيئا عن شخص مالرو الذي لا تثير ميثولوجيته ادنى اهتمام في نفسي . فانا لم اعد صبيا في الخامسة عشرة حتى أسحر بمثل هذا الصنف من المغامرين . ان ما أثار اهتمامي به هو تكنيكه الروائي الذي يبعث على الدهشة حقا بحداثته . وقد شرحت أيضا الظروف التاريخية التي اختلف في ظلها مع الحركات الشيوعية في عصره . ومن الواضح أن هذا كله لن يهم الرجل في شيء .

نيكول : الواضح انك شغوف بالادب ، لكن كتاباتك فوق كل شيء ، سياسية . فلندع حديث الادب جانبا

وتتحدث فى السياسة . ليس من شك فى أن انتخاب الرئيس الليندى فى شيلى هو اهم حدث وقع مؤخرا فى امريكا اللاتينية • فما هى توقعاتك لهذه التجربة الهامة فى شيلى ؟

دبريه : من الواضح طبعا أن مستوى الوعى السياسى فى شيلى مرتفع عن اى مكان آخر فى أمريكا اللاتينية • ويقينى ان حكومة سلفادور الليندى وهى التى تمتد جذورها فى تربة صلبة من الجماهير العاملة المنظمة الواعية لا يمكن أن تخشى أن ينفض من حولها شعب هى الممثلة الحقيقية له • ولما كانت هذه الحكومة تستند الى مثل هذه القاعدة الراسخة ، وتوجهها ايديولوجية واضحة المعالم • متماسكة ، فانها لا يمكن أن تخشى أيضا ضراوة الامبريالية (وقد أثبتت ذلك بالفعل باقامة علاقات دبلوماسية مع كوبا) حتى وان اضطرتها الظروف أن تتقدم فى طريقها بقدر من الحيطة والحذر • **والواقع ان الانتصار الشعبى فى شيلى يعتبر هزيمة خطيرة للامبريالية فى امريكا اللاتينية • وهو اول انتصار كبير يتحقق بعد انتصار الثورة البطولية فى كوبا • لكنه لن يكون الاخير** • فستكون هناك انتصارات أخرى للشعوب المكافحة • ان الوحدة الشعبية الراهنة فى شيلى جديرة بمؤازرة كاملة من جانب كل القوى الثورية فى أمريكا اللاتينية ، وتضامن لا يخذلها لحظة •

نيكول : صرح احد قادة جيش التحرير البوليفى مؤخرا انك ابديت معارضتك ، فى خطاب كتبته ، لفكرة استئناف حرب العصابات فى المناطق الريفية • هل هذا حقيقى ؟

دبريه : ان كان قد وقع خلاف فى وجهات النظر ، فانه انصب على الوسائل واختيار الوقت الملائم • لكنه لم ينصب ابدا على المبادىء الاساسية • ويجب أن تدرك أن حسن اختيار الوسائل ودقة التوقيت من المسائل البالغة الاهمية فى الصراع السياسى • ولقد يصبح من المستطاع أن تنشر المناقشات التى تدور بين الثوريين فيما يتعلق بمسائل كهذه ، واذ ذاك يمكنك ان تصدرى حكمك وكل البيانات تحت يدك •

نيكول : كان دورك السياسى فى فرنسا محدودا . ولكن لنفرض انك كنت موجودا فى باريس ابان احداث مايو ١٩٦٨ • ما الذى كنت تفعله فى تلك الحالة ؟ واى تعليق كان يمكن ان تكتبه عن تلك الاحداث وتطورها ؟

دبريه : يا له من سؤال ! اقول لك • كنت ساشترك فى حركة الجماهير على الفور كمناضل بسيط • وكنت سأتبع الجماهير حتى النهاية • ولكن بغير أوهام أو خداع للنفس : بعينين مفتوحتين على سعتهما دائما •

نيكول : لقد وجهت خطابا الى الجنرال ديجول تشكره فيه لتدخله فى جانبك لدى الجنرال باريئتوس ، وقد قلت له فى خطابك ان ثوار أمريكا اللاتينية يكنون له احتراما خاصا ، ويعتبرونه « رجلا عظيما » • وقد مات الجنرال ديجول • فما هو حكمك عليه الآن ؟

دبريه : كان الجنرال ديجول شخصية تاريخية كبرى • ومن الممكن بلا ادنى شك





« انى لا اعتمد الا على النضال العمـــالى لاطلاق سراحى » ملصـــق على حائط بيت فى القرية التى بهـــا ســـجن دبريه ..

● ريـــجى دوبريـــه

.. أن نجنى التراث الذى تركه جيفارا

ان يفصله المرء بغير تعسف عن القوى الاجتماعية التي كان يمثلها . فلا خلاف على أن نفاذ بصيرته ، وسداد رأيه ، وشجاعته ، وعظمته ، وجرأته ، جعلته كلها نسيجا يختلف تمام الاختلاف عن غيره من الزعماء البورجوازيين . فوق أن اسمه، وصورته ، سيظلان مرتبطين بإرادة المقاومة الوطنية التي تجدها اليوم في كل مكان، في مختلف الظروف ، ومختلف الجبهات .

لقد هب ديجول مدافعا عن فرنسا ضد الاحتلال النازي دون أن يكون وراءه في بداية الامر الا حفنة من الرجال يعدون على أصابع اليد ، متحديا في فرنسا ما يدعى الآن بالاغلبية الصامتة .

وقد رفض بعد ذلك أن يدع بلاده تصبح مستعمرة أمريكية ، وصمم على أن يحقق لها مصيرا مستقلا . لكن الرأسمالية الفرنسية لم يرق ذلك في عينها ، واعتبرته نوعا من ادعاء العظمة الذي لا يقوم على أساس واقعي ، فقررت أن تتخلص من ديجول لتجر فرنسا ثانية الى لعبة السياسيين المحترفين التي يتبوأ فيها أصدقاء مستر فورد أخطر مناصب الدولة .

ولقد أصبح اسم الجنرال ديجول معروفا بطريقة متزايدة خارج فرنسا لدى شعوب كل البلدان التي تناضل في سبيل الحصول على استقلالها الوطني ضد التسلط البشع « للرايخ الرابع » ــ الاشـــــد ضراوة من الرايخ الثالث ــ واعني بذلك امبراطورية الولايات المتحدة الامريكية . فقد اتخذ اسم ديجول سمة الرمز الذي يحرك عواطف الجماهير ، والرمز السياسي الفعال أيضا . وهو ما يفسر الرسائل التي وجهها الرئيس ماوتسي تونج غداة موت الجنرال ديجول ، ولم يكن ماو مدفوعا في ذلك بدوافع رجل الدولة فحسب . وبوسع المرء أن يفهم تماما لماذا أحست بلدان أمريكا اللاتينية بهذا القدر من الفجيعة لاختفاء الجنرال ديجول .

وأنا شخصيا لدي من الاسباب ما يجعلني موقنا من انى ، لولا تدخله السريع لصالحي ، لما كنت قد ظللت على قيد الحياة حتى هذه اللحظة التي اجلس فيها اليك واجيب عن اسئلتك . فأنا مدين له بدين لن انســاه ابدا ، ولن أنسى ما قام به من أجلي .

نيكول : يبدو ان الافراج عنك قد بات وشيكا .
فما الذي ستفعله عندما تسترد حريتك ؟

دبريه : ان السعادة الكبرى التي سيحملها الى ذلك الافراج الذي تتحدثين عنه ــ اذا نجح ضغط الشعب البوليفي في الحصول على عفو لكل المسجونين الثوريين ــ هي ان يصبح في امكاني ان أعود الى مكاني الاول خارج الاضواء ، بعيدا عنها . ان اصبح مغمورا من جديد . فقد اخرجتني من ذلك المكان في الظلال ظروف لم تكن لي ادنى سيطرة عليها . وأنا مؤمن بما قاله كورتازار : « لا ينبغي للمرء أن يدع نفسه يباع » . وأنت لا تتصورين مدى العار الذي أحسه لكوني قد جعلت في مكنة عدد من التجار أن يبيعوا الناس كميات من الورق ، من خلال . لكن المرء لايملك في ... كهذا ، أن يغلق عليه بابه . ان مفهوم الحياة عندي أو بالاحرى مفهوم الحياة التي أطمح في ان أتمكن من عيشها ، لا علاقة له البتة بصور ... تسلط عليه الاضواء . صدقيني أن كل هذه الضجة الدعائية التي اثيرت حوالي تثير حنقي، نفسي . وأنا راض عن هذا الحديث الذي اعطيتــه بمحض رغبتي لمجلتك ؛ لكن ... مخلصا أن تكون هذه هي المرة الاخيرة التي يتحدث فيها احد مني على صفحات الجرائد .

● د. نظمي لوقا ●

الصّديق أبو بكر ومحنة الإفك

■ قلما مرت بحياة رجل محنة مثل محنة الافك ، يكون فيها موزعا توزيعا بالغ القسوة بين حبه الفذ لصاحبه ونبيه الذى يفديه بالنفس والنفيس ، وبين حبه لا لابنته فحسب ، بل ولما هو اغلى عند العربى الكريم من الحياة والاهل : الا وهو العرض المصون والسمعة الطيبة .

محنة نفذت الى اعمق اعماق ابى بكر الصديق .. هذا الرجل الحساس المتقد العاطفة ، لتنال من اعز ما يحرص عليه بينه وبين نفسه ، وبينه وبين الناس، وهو الوقور العارف بمثالب العرب ، فاذا به عرضة بين يوم وليلة لتلبيس كمثله مثلب !

وما حديث الافك ؟ (١)

يقول ابن اسحاق بسند مرفوع الى عائشة :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا اقرع « اجرى القرعة » بين نسائه ، فأيهن خرج سهمها خرج بها معه . فلما كانت غزوة بنى المصطلق اقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى . وكان النساء اذ ذاك لم يهجن اللحم فيثقلن . وكنت اذا رحل لى بعيرى جلست فى

(١) فصل من كتاب «ابو بكر حوارى محمد» الذى يصدر عن سلسلة كتاب الهلال فى الشهر القادم

هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني فيأخذون بأسفل الهودج

فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بالحبال ، ثم يأخذون برأس

البعير فينطلقون به . فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك

توجه قافلا ، حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعض الليل ،

ثم اذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ...

وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار «خرز يمني » . فلما فرغت انسل من عنقي ولا

أدري ، فلما رجعت الى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم اجده ، وقد أخذ

الناس في الرحيل ، فرجعت الى مكاني

الذي ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته .

وجاء القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ،

وهم يظنون اني فيه كما كنت اصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ، ولم

يشكوا اني فيه ، ثم اخذوا برأس البعير

فانطلقوا به ... فرجعت الى العسكر

وما فيه داع ولا مجيب وقد انطلق الناس ،

فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ،

وعرفت اني لو قد افتقدت لرجع الي .

فوالله اني لمضطجعة اذ مر بي صفوان بن

المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين

حتى يأتيهم به ، فلم يبت مع الناس ،

فرأى سوادي واقبل علي حتى وقف علي ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا

الحجاب ، فلما رآني قال وانا ملتفة في ثيابي :

ـ انا لله وانا اليه راجعون ! ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ما خلفك يرحمك الله !

« فما كلمته ! ثم قرب البعير فقال : اركبي ! . . واستأخر عني فركبت ،

واخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب

الناس ، فو الله ما ادركنا الناس وما

افتقدنا حتى أصبحت ونزل الناس .

فلما اطمأنوا في منزلهم ذلك طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الافك ما قالوا ، وارتج العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ! ثم قدمنا المدينة فلم البث ان

اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني من

ذلك شيء . وانتهى الامر الى رسول

الله والى ابوي ، لا يذكرون لي منه قليلا

ولا كثيرا ، الا اني قد انكرت من رسول الله بعض لطفه بي : كنت اذا اشتكيت

رحمني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك في شكواي تلك ، فانكرت ذلك منه ، حتى

وجدت في نفسي فقلت حين رأيت ما رأيت من جفائه لي :

ـ يا رسول الله! لو أذنت لي فانتقلت الى أمي « ام رومان » فمرضتني !

« فقال : لا عليك ! ... فانتقلت الى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى

نقهت من وجعي بعد بضـــع وعشرين ليلة ... فخرجت ليلة لبعض حاجتي ...ومعي ام مسطح بنت أبي رهم « خالة أبي بكر » فوالله أنها لتمشي معي اذ عثرت

في مرطها « كسائها » فقالت « تدعو على ابنها » : تعس مسطح ! .. فقلت لها :

بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين شهد بدرا ! فقالت : أو ما بلغك الخبر

يا بنت أبي بكر ! .. قلت : وما الخبر؟ فاخبرتني بالذي خاض فيه أهل الافك

من أمري وأمر صفوان : فوالله ماقدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت ، فوالله مازلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي ، وقلت لأمي :

ـ يغفر الله لك : تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي شيئا من ذلك! «فقالت : اي بنية! خففي «هوني»

عليك الشأن ! فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها !

« ... ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي . وعندي امرأة من الانصار ، وأنا أبكي وهي تبكي

معي ... ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ـ يا عائشة ! انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس . فاتقي الله . وان كنت قد قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبي الى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده »

وفي رواية البخاري عن عائشة :

« .. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي « جف » حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي :

ـ اجب رسول الله عني فيما قال .

« فقال أبي :

ـ والله ما ادري ما أقول لرسول الله !

« فقلت لأمي :

ـ اجيبي رسول الله فيما قال

« فقالت أمي :

ـ والله ما ادري ما أقول لرســـول الله ! »

وفي رواية ابن اسحاق عن عائشة انها :

« قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل ابي بكر في

تلك الايام ! .. فلما ان استعجما « صمتا » استعبرت فبكيت ، ثم قلت :

ـ والله لا أتوب الى الله مما ذكرت

ابدا ! والله اني لاعلم لئن أقررت بما

يقول الناس والله يعلم اني منه بريئة ،

لأقولن ما لم يكن . وان انا انكرت ما يقولون لا تصدقونني .. ولكن سأقول

كما قال أبو يوسف ـ وقد التمست اسم يعقوب فيما أذكره .. : « **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون !** »

« فو الله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله

ما كان يتغشاه . فسجي رسول الله بثوبه ووضعت له وسادة من ادم تحت رأسه ،

فأنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله

ما فزعت ولا باليت : قد عرفت اني بريئة . وأن الله عز وجل غير ظالمي .

وأما أبواي فو الذي نفس عائشة بيده

ماسرى عن رسول الله حتى ظننت لتخرجن انفسهما فرقا أن يأتى من الله تحقيق ما قاله الناس !

« ثم سرى عن رسول الله فجلس ، وانه ليتحدر منه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق من جبينه ويقول :

ـ أبشرى ياعائشة فقد انزل الله براءتك ! ! »

وفى رواية البخارى :

« فقالت لى امى :

ـ قومى اليه !

« فقلت :

ـ والله لا أقوم اليه فانى لا أحمد الا الله عز وجل ! »

ونعود الى رواية ابن اسحاق :

« ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن فى ذلك « من سورة النور » ثم أمر بمسطح بن أثاثة « ابن خالة أبى بكر » وحسان بن ثابت « شاعر النبى » وحمنة بنت جحش « بنت عمة النبى واخت زوجته زينب » وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ... »

ويقول ابن هشام :

« فلما نزل هذا القرآن فى عائشة وفيمن قال ما قال .. قال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته :

ـ والله لا انفق على مسطح شيئا أبدا ، ولا انفعه بنفع ابدا بعد الذى قال لعائشة وادخل علينا « من الهم » !

« فانزل الله فى ذلك :

« ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ! الا تحبون ان يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم .... »

« فقال أبو بكر :

ـ بلى والله ! انى لاحب ان يغفر الله لى !

« فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال :

ـ والله لا انزعها منه أبدا .. »

***

والذى يعنينا من شأن الافك كله فى هذا المقام ما كان من وقعه فى نفس أبى بكر ، وما كان بتأثيره من فعل ابى بكر.

وقد يكون بعض الأمر فى مظهره امتناعا من الفعل ، وهو مع هذا ـ بالاعتبار النفسى والخلقى ـ فعل أقوى ما يكون الفعل !

ان البركان فعل عنيف غاية العنف ، ولكن أقوى منه بلا شك ذلك الحائل الذى ان وجد كف عمل البركان الثائر فلا تنطلق منه حمة واحدة ! فيظن الجاهل أن سكونه من خمود وجمود ، وهو يتأجج بالضرام ، لان « **الفعل الاقوى** » ـ وهو فعل الكابح ـ غاب عن عينه العشواء او ادراكه الغبى !

ومثل ذلك كان حال أبى بكر :

رجل وقور حفيظ على كرامته عليم مثالب الناس ، فهو أدرى الخلق بما يلحق بالرجل وآله من مسبة حديث كحديث الافك .

ولئن سمى من بعد افكا ، فما تناقلته الالسنة وهى تسميه افكا . وهذا الرجل الوقور المطعون فى سمعته وعرضه ، ماكان احراه أن يدفع عن ابنته ماقيل ، ويثور بمن خاض فى أمرها هذا الخوض الوبيل

ولكنه لزم الصمت !

ومرضت ابنته ، وعادت الى بيته مدلهة تجهل ما يقال . وابو بكر صامت ، بل والزم نساء بيته الصمت المطبق ، وما أشق الصمت فى مثل هذا المرض على النساء !

ولكن ماذا وراء هذا الصمت ؟

أتراه صمت البليد الذى لا يحس ؟
أتراه صمت العاجز عن الرد والردع ؟
أتراه صمت المستخزى ؟

أم هو صمت من نوع غير هذا كله ؟ المرجع فى هذا الى ماتعرفه من حال أبى بكر .. وحاله قاطعة بأنه لم يكن بليد الحس ، بل هو على النقيض من ذلك مرهف جياش العاطفة .. وهو حين يتعلق الأمر بمواقف الحنان يسبق بدمعه قبل لسانه لفرط جيشانه . وغير معقول أن ابنته المريضة المطعونة فى سمعتها كانت عليه هينة فلا تهيج مشاعره الحارة بطبعها لمحنتها .

وهذه عائشة — فى رواية ابن اسحاق — تقول :

— ووالله ما أعلم أن أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام !

ولكنه لزم الصمت أكثر من شهر ، على ما به من الكرب .

أهو صمت العاجز اذن ؟

وأى عجز بمثله وهو وزير محمد وحواريه الأول وصاحبه نجواه وثانى اثنين فى كل موقف حازب لمحمد ؟ أى عجز عساه يكون به على مكانته وفصاحته ، وقد جهر بالفاحشة من جهر من ذوى قرابته (ابن خالته مسطح) وذوى قرابة النبى (حمنة بنت جحش) وشاعر النبى حسان بن ثابت ؟

لقد أرجف المبطلون فى جرأة ما بعدها جرأة ، أفلا يجسر هو بالحق مثل جسارتهم بالبهتان ؟ وما كان صمته ليسكت الألسنة ويقتل الفرية فى مهدها ، وقد صرحت سفرة عن وجهها الكريه حتى ملأت الأسماع . فليس عذره فى الصمت من هذه الجهة اذن .

أهو صمت المستخزى ؟

لو كان من خزى لما ظل على حاله من ملازمة النبى لا يتخلف عنه ، ولا يفاتحه مع هذا فى شىء !

هذا الصمت الذى سد على براكين غضبه وآله النافذ هذا السد الطبق فلا تخرج منه كلمة ولا نأمة ، لا بد أن له سببا آخر اذن !

سبب أقوى من ألم القرابة الجريحة ، ومن ألمه لابنته ولشرفه . أقوى منهما — على جبروتهما — وأوجع كثيرا ، حتى لزم هذا الصمت العجيب وألزمه آل بيته ، وهو الذى لو شاء لرد وردع ، وانتصف لنفسه غير ملوم !

ولكن الأمر كان يتعلق لا بنفسه وكرامته وابنته وشرفه وشرفها فحسب . الأمر أيضا — وقبل هذا كله — يتعلق بمحمد !

وحيث يكون لمحمد شأن ، فشأن محمد مقدم فى اعتباره على نفسه وابنته وسمعته وشرف بيته وعرضه ، وان كان الذى به شخصيا من هذا الكرب فوق ما يحمل البشر !

هذا وحده كاف لابراز نوع ومستوى حبه الفذ لمحمد ، ذلك الحب اللذى هان بجانبه — حرفيا لا على المجاز والتخييل — الذى أوجع وأقسى ما ينزل برجل مثله من الآلام والكروب .

لم أكان لديه فى براءة عائشة شك ؟ كلا ! !

ولكن حين يتعلق الأمر بمحمد المعنيه ما يألم له محمد ، فهو ينسى آلامه ليذكر محنة حبيبه ونبيه . ولا يعنيه الا أن ترتفع المحنة عن كاهله فيما أوذى به فى صدد زوجته .

عائشة زوج محمد تأتى عنده فى الاعتبار قبل عائشة ابنته . ومحنة محمد فى صددها تأتى عنده فى الاعتبار قبل محنته فى ابنته وفى كرامته . فمحمد الآن صاحب الحق وحده فى الكلام ، وفى الرد ، ان شاء صدق ما يقال ، وان شاء كذب ونفى .

وتغضب عائشة وتهيب بأبيها أن يجيب النبى ، فيكون كل رده عليها :

ـ والله ما ادري بعلام اجيبه !

لانه امر لمحمد فيه شأن ، فالامر كله اليه وحده ، بغير تأثير ، وبغير دفاع، وهو متقبل ما يراه محمد أيا كان !

صمت يلتبس عند غير الواعي بالجمود او « عدم الفعل » ـ أو هو ما يسمونه برطانة هذه الايام «سلبية» ! ـ وهو مع هذا فعل أقوى ما يكون الفعل ـ او هو بتلك الرطانة ايجابية اقوى ماتكون الايجابية ـ لانه احساس قوى جياش مضطرم له حاكم أقوى منه بين ملكات النفس وينابيعها : حاكم قلما لا يقدره كل انسان قدره ، لانه من ينبوع قل لا يرقى اليه الا الاقلون : ينبوع ذلك الحب الفريد . والناس يتصورون سواهم على غرارهم !

ولهذا لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل! وحين يندر ذوو الفضل، يندر أيضا من يتصورون الفضل عند أهل الفضل ، ولاحول ولا قوة الا بالله!

***

ولما بشر محمد عائشة ببراءتها لم ينطق ابو بكر ايضا . وهنا يبرز جانب آخر من شخصيته : جانب الكرامة والترفع :

لئن كانوا قالوا فهو يعلم انهم فوق ما قالوا . وما كل فرية كفء لردعليها، ولا سيما حين تنزل الى مستوى رمى الاعراض الطاهرة بأخس المفتريات واقذرها . وبحسبه أن قد ظهر الحق.

وكان قصاراه حين وقع النبى الحد على كبار المرجفين ، وفيهم مسطح ابن خالة ابى بكر ، انه اقسم لا يعوله كما كان يفعل لفقره . فكانت تلك بادرة غضبه الوحيدة .

وها هنا ملحظ لا تفوتنا عبرته العامة: مسطح هذا ابن خالة أبى بكر ، واسير فضله لانه يعوله ويعول امه . ومسطح هذا بين كبار مروجى هذه الفرية القذرة التى تسم أبا بكر وتمسه بما هو انكى من القتل .

انقول : اتق شر من احسنت اليه ؟ نقولها نعم ، ونقول أيضا :

لا حيلة لك امام شر بعض الاخساء ، ولا سيما ان انت احسنت اليهم ، لانهم يضمرون من الحقد على كل حال ماقد لا يجسرون على التعبير عنه ، حتى اذا سنحت السانحة كانوا الدأ الاعداء ، بغير سبب ظاهر للبغضاء ، الا ماينطوون عليه من غل ووضاعة

كل العداوات قد ترجى ازالتها

الا عداوة من عاداك عن حسد ..

ثم ملحظ آخر :

ليذكر اهل الوعى ان ليس كل فرية قذرة لا تتلقى من المفترى عليه ردا فهى قائمة على اساس فاهل الكرامة يترفعون عن النزول بانفسهم الى حضيض الاتهام وكأنه شيء مشروع للمرجفين ، وكأنهم بحاجة الى الدفاع عن طهارتهم أمام كل وبش يخطر له الخوض في اعراضهم بسوء نية ، فهم اكرم على انفسهم من هذا . ثم يجب الا ننسى غضاضة الانشغال بهذه الدناءات التى تشبه المخاط ، ان ترفعه تقززا ، وان تتركه تقززا .. وان من المفتريات ما هو انكى من المخاط ، وادعى للتقزز من البراز . .

لذا كان قصارى سخط ابى بكر انه اقسم لايعول ابن خالته الاثم ، واستثنى امه لانها كانت بريئة من ذنبه .

ومع هذا كله ، فانه حبا لمحمد ، ولما يأبى به محمد ، ما ان نزل القرآن يسأل :

ـ الا تحبون ان يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم !

حتى قال ابو بكر بغير تردد :

ـ بلى والله ! انى لاحب ان يغفرالله لي! والله لا انزع نفقتى من مسطح ابدا!

***

وملحظ اخير ، قبل ختام هذه السطور: ذلك الحض على الصفح في تلك الايات من القرآن ، تأسيسا على حب الناس أن يغفر الله لهم ، ما أقربه في وقعه على النفس عندى من قولنا نحن المسيحيين في صلاتنا :

ـ رب اغفر لنا ذنوبنا مثلما نغفرنحن ايضا للمذنبين الينا ..

● محمد إبراهيم أبو سنة ●

في وجه غربان الحدود

– ١ –

قابلت نهر النيل يجرى فى الصباح

فوق الطريق الى السويس
تهتز صحراء الامل

الشمس تشرق فى القارب والهلال
قوس ينور وجه جندى صغير

العشب ينبت تحت اغصان الرجال
شجر الرجال على الطريق الى السويس
شجر الرجال

مد الظلال من الصعيد الى الشواطىء فى الشمال
شجر الرجال

فى كل فوهة مدفع
عين لمصر تطل فى لهب الحدود

كان الغزاة من اليهود
باقين كالغربان فى الافق البعيد

باقين كالنصب الكئيبة كالهوان

كان الهواء يضج من نفس الغزاة
كانوا هناك ومصر تنتظر اللقاء

البرق يشرق فى عيون رجالنا
فى اعين الجند الغضاب
رفعت ملايين الحراب

فى أعين الجند الغضاب

ذهب السماء وبرق آلاف السيوف
فى اعين الجند الغضـــــاب
كان العقاب

متوثب القدمين والكفين مرفوع اللواء
كانوا هناك وجندنا
يحشون من نار القلوب

احشاء مدفعهم فيا يوم اللقاء
متى تهب الشهيد حياته
والارض صاحبها وللغازى الهوان

— ٢ —

فى بورتوفيق الجريحه
كانت الاحجار تنطق

ها هنا كان الحريق

غير ان الياس يلوى ويموت

« ان جنديا يلوح
باسما بين الفروع ؟

كانت الاحزان تجتاز الحدود

تطلق الصيحة فى وجه اليهود
وتوارى الترب عينا لشهيد

وتنادى
كل ذرات رمالى ستعود

كانت الاحزان تجتاز الحدود

— ٣ —

الشمس تجلس والسماء

فوق الشباب وفوق اطواق الحمام
وتظل تقرأ فى كتاب

الله فى القرآن والانجيل والتوراة يشهد

ان غربان الحدود من اليهود
« صلبوا على الارض السلام »

— ٤ —

اسرى غرامك يا فلسطين الاسيرة
لم يحملوا لك عقد فل
فى موعد العشق العظيم

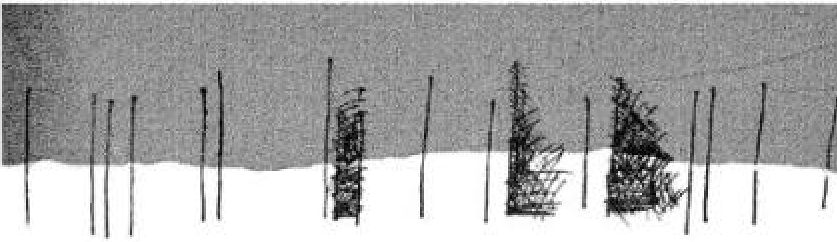
حملوا زهور النار فى القلب الكليم
جعلوا غرامك قبلة

قبلاتهم فوق البنادق والسيوف

تروى لواعج ذلك الحب العنيف

فلتشرقى من بين اطواق القيود
ولتصمدى فى وجه غربان الحدود





قصة بقلم محمود البدوى

السنّ الذهبيّة

من عادة « سعيد » ان يقطع عليك الطريق وانت تمشى كالحالم فى شوارع العاصمة ويقول بصوت هادىء واهجة مؤدبة تجعلك تستفيق من شرودك

— صباح الخير يابيه .!

— صباح الخير ..

— يعنى سعادتك ... مبتجيش النادى من زمان.

فترفع له راسك لانه اطول منك بمجرد سماعك لكلمة سعادتك ، والنادى. وتحدق فى وجهه ، وفى قلبك السرور ، وفى عينيك البهجة ، فقد نقلك فى لمحة عين من طبقة الناس العاديين ، الانفار الذين

لاوزن لهم فى الحياة .. الى طبقة مجتمع النوادى ، حيث الارستقراطية والرفاهية من غير حدود

على اثر قوله تلتفت اليه منتشيا ، وتطالعك منه فى هذه اللحظة ابتسامة عريضة وتبرز سن ذهبية فى الفك الاعلى .. تلتمع وحدها فى كهف الفم المعتم كحبة الزمرد . وتفيض على اثرها ملامح الوجه جميعا بالبشاشة المنطلقة من كل اسار الحياة . فاذا اقترنت بالوجه الاسود اللامع لمعان الابنوس ، والذى توحى كل ملامحه باقصى درجات الطيبة .. استراحت اليه نفسك واقبلت عليه بوجهك بعد ان سرتك كلماته ..

ويتهز هذه السانحة ويقول على الفور :

— حتشرف سعادتك النادى العصر .. ؟

— ان شاء الله ..

— حقول لعبد الحميد بك ... ان سعادتك حتشرف .!

ويظل واقفا فى مكانه وقد ارتسمت على وجهه الطويل علامة استرحام خرساء . .

فتضع يدك فى جيبك على التو وتعطيه عشرة قروش او اكثر ..

فيتناولها شاكرا داعيا لك بالصحة والهناء .

وينطلق بجلبابه النظيف الناصع البياض مبتعدا عن الشمس وعن حركة السيارات حتى يغيب عن بصرك ..

وبعد رحيله مباشرة ترجع رويدا الى نفسك .. وتستفيق من هذه الغفلة فلست من رواد النوادى ولم تشترك قط فى اى ناد من نوادى القاهرة . وتدرك ان الشاب الاسمر قد خدعك بطريقة نفسية بارعة ... ووضع اصبعه على عقدة

● ريشة: حلمي التوني ●



الفقر التى فى اعماقك وقلبها يحنان ..

ومع ذلك فما تشعر بالاسف على خداعه وقد تضحك لبراعته .. ويكون

هو فى لحظة تفكيرك هذه قد بارح مربع الاسعاف سريعا ، ومضى بكل طوله وقوة عضلاته فى شارع ٢٦ يوليو .. ليقف وقفات هناك ثم متلهفا«التوفيقيه» .. وشارع « طلعت حرب» .. وميدان « الاوبرا »

❊❊

وفى الليل وفى وهج المصابيح المتألقة فى قلب العاصمة . يتخذ له مقرا فى حانة« ديانا » بشارع « عبد الخالق ثروت » من الناحية الغربية يشرب الخمر ويتحدث مع رواد الحانة وغالبيتهم من سماسرة الشقق المفروشة . وكثيرا ماكان يسبهم ويلعنهم لانهم نصابون .. ولكنه لا يتعدى التنابذ بالالفاظ لانه مرح دق طبعه ودامه ..

وبعد ان يأخذ كفايته من الراحة ، وينعش نفسه .. يتحرك الى مفترق الطرق بين شارع طلعت حرب وشارع ٢٦ يوليو ويقف على الرصيف الايمن

.. يستقبل القادمين من القطارات والطائرات ويصحبهم الى الفنادق .. وغالبا ما يصيب خيرا ..

❊❊

وذات ليلة هبطت عليه سيدة شابة تلبس السواد من سيارة اجرة .. وفتح لها الباب .. وخرجت مسرعة الى باب العمارة القائمة فى بداية الشارع .

وفى كل ليلة كانت تاتى فى نفس الساعة ويفتح لها باب السيارة ويتلقى ابتسامتها الرقيقة من وجه زاده الفستان الاسود تألقا وسحرا . وكان اذا وجدها تحمل فى يدها شيئا ولو صغيرا حمله عنها حتى باب المصعد .. ومع كل الهابطين من السيارات الخاصة وسيارات الاجرة .



كان يقف مؤدبا بعد كل خدمة ينتظر « البقشيش » ولكن مع هذه السيدة لم يكن يطلب اى شىء على الاطلاق

وكان يكفيه ابتسامتها الحلوة . والبريق الذى يشع من عينيها العسليتين يهزه

كأنما مسه سيال كهربائى وينفذ الى سويداء قلبه ..

فهو زاده فى الحياة ومصباحه ..

لم يكن يراها تبتسم هذه الابتسامة الناعمة .. التى تختلج لها شفتاها

قليلا وتنكسر وجنتاها ... الا عند مارى وجهه الابنوسى وحركة يده فى اكرة باب السيارة .

وسأل نفسه لماذا تلبس السواد .. انها شابة لم تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها .. وخمن انها ارملة .. او حزينة على عزيز لديها مات فى الحرب او فى غيرها .. تأثر لحزنها وزادها من لدنه حنانا ورعاية كرجل .

❊❊

وكانت رقيقة جدا ولطيفة معه .. حتى اصبح وجوده فى المكان متعلقا بحضورها وكلما قدمت له شيئا نظير خدماته .. رده بلطف

.. لم يكن يقبل ان يأخذ منها مليما واحدا

وكان شعوره نحـــوها يزداد فى كل يوم قربا .. حتى شـــغل بها تمـــاما واصبحت معبودته

وكان دائما يراها وحدها فى السيارة وفى الشـــارع وفى المقصف عندما تتنـــاول وجبة خفيفة فى«الامريكين»

فى نفس الشارع . وحتى فى « الاسانسير » لم تكن تركب مع احد .. كـــانت تظل واقفة فى مدخـــل العمارة حتى يخلو لهـــا المصعد وحدها .

وكان وهو واقف بجانبها يحمل لها ما تسوقته .. يشعر بالسرور لهذه الحركة انها حركة طبيعية من امرأة وحيدة تحرص على سمعتها فى هذا الحى الصاخب

❋❋

ولكن حدث ما خسف وجه القمر .. فقد شـــاهدها عرضا خارجة من ســـينما « قصر النيل » بعد منتصف الليل بصحبة رجل.. ولم يصدق عينيه واصابته من المفاجأة لوثة . ظلت تنهش عقله وقلبه طوال الليل

❋❋

وفى الصباح التالى كان كالمضروب على يافوخه .. فتعطل عن كل حركة واصابه الشلل تماما .. ولم يقف على النواصى كعادته يراوغ العابرين من النوادى ..

لقد انطفأ بريقه وخمد ذكاؤه . وانكمش يشرب الشاى الاسود فى مقهـــى « النجوم » ويدخن بشراهة

.. وكان حوله وامامه على الرصيف ملتصقين بالســـور الحـــــــديدى .. بعض المتســـكعين والعـــاطلين والقوادين .. يترقبـــــون الوافدين من الخـــــارج كعادتهم .. ليتقدموا لهـــم الخدمات ..

ولاول مرة فى حياته يشعر نحوهم بالكراهية الشديدة ويود لو يخسف بهـــم الارض . ولكى يخفف من غلواء نقمته عليهم وغضبه. ترك المكان وخرج يسير فى الشوارع كالهائم .. ولمح من بعيد فى ظل العتمـــة شيئا يتحرك جعل قلبـــه يتجمد اولا .. ثم اخـــذ يخفق بعنف .. فقد شاهدها هى بلحمها ودمها تدخـــل فندقا يعرفه بسوء السمعة مع نفس الشاب ..

ودارت به الارض ... وظل واقفا فى مكانه ينتظر نزولها .. ليخنق الشـــاب .. وطال انتظاره .. ولم يخرجا . وظل يروح ويجيء امام الفندق وعيناه تحدقان فى النوافذ المظلمة والمضيئة .. كالمسلوب العقل

❋❋

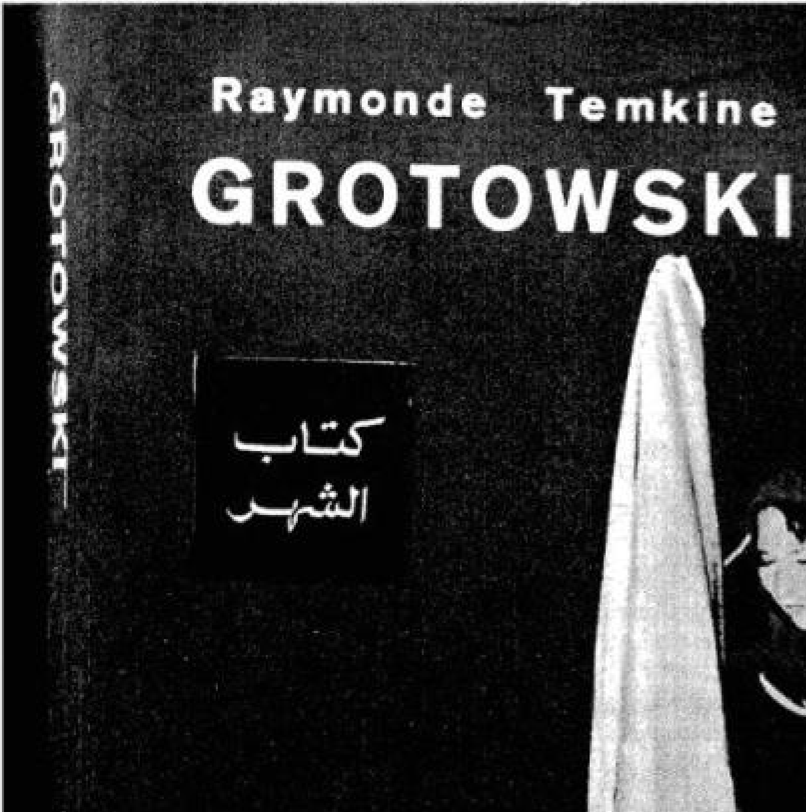
وعلى الرصيف المقـــابل شاهد فى العتمة منظرا جعل غضبه ينفجر .. شـــاهد شخصا يغرى فتاة لم تبلغ العشرين على الركوب مـــع شاب فى سيارة .. والفتاة تبدو خائفة ومترددة لفترة ما .. ثم ركبت ..

وفى وثبـــة واحدة .. اصبح « سعيد » عـــلى رفرف الســـيارة قبل ان تتحرك . واخرج الفتـــاة بعنف وصفعها فطارت ..

وامسك بعنق القـــــواد وضغط حتى خرج لسانه .

ودارت معركة صاخبة اشتركت فيها كل الجموع المتسكعة فى الليل عـــلى الرصيف .

وخرج منها الشاب الاسمر وقد فقد سنه الذهبية .. ولكنه احس بالرضا عـــن نفسه .. احس بانه فعل شيئا ذا قيمة .. فلم يجرؤ واحـــد من الســـاقطين والمتسكعين بعـــدها عـلى الاقتراب من الحى ..


Raymonde Temkine
GROTOWSKI
كتاب
الشهر
GROTOWSKI

ان ربموند تمكين لا تدعى فى كتابها الذى كتبته عن جروتفسكى ، انها تقدم دراسة مسرحية وافية عن الرجل الذى القى بظله المسرحى على اوروبا خلال السنوات العشر الماضية ، بل على العكس ، تنبهنا منذ بداية كتابها ان هذه الصفحات ليست الا « صفحات حب » فهى ترغب بان تروى مغامرة هذا الرجل « كيف بدات وماذا تريد ان تقول » ؟ ..

انها تصور جروتفسكى من خلال معرفتها به وبمسرحه .. وتحاول ان تبسط قدر الامكان من تجربة مسرحية يراها البعض بالغة الصعوبة والتعقيد .

انها تروى ببساطة كيف عرفت الرجل وكيف احبت مسرحه ، لم تحاول بصفتها ناقدة مسرحية وادبية ان تحلل ظواهر هذا المسرح والطريقة التى يلجا اليها للتعبير دون ان تقيم او تستنتج مبادئ عامة وشاملة .

وهى تنهى كتابها بان تصف لنا المسرحيات التى قدمها جروتفسكى بعد ان قدمت لنا مفهومه عن الجمهور والمؤلف والمخرج وبعد أن بينت علاقة هذا المسرح بالادب القديم والحديث .

ونظرا للبساطة التى استعملتها الكاتبة فى التعبير عن ارائها .. ولكمية الحب الكبيرة التى تحملها لهذا المخرج الخلاق فان كتابها استطاع ان ينفذ الى اعماق تجربة مسرحية خطيرة ما زلنا حتى الان لا نعرف تماما نتائجها وان يعطينا صورة صادقة ربما مكنتنا من تحديد موقفنا من رجل ومسرح مازلنا نجهل عنهما كل شئ .

جروتفسكى

ثورة فى المسرح المعاصر

● عرض وتلخيص : د . رفيق الصبان ●

جروتفسكي

ان هدف هذا الكتاب عن جروتفسكي ومسرحه المعملي هو تسهيل فهم عمل غير معتاد قد يثير الدهشة بادىء الامر ولكنه يسحر ما في ذلك ريب . ان الباب قد يبدو مغلقا والمفاتيح ناقصة .. ولكننا نشعر شعور ثقة بان وراء الباب تختفي كنوز حقيقية .

هناك اولا عقبة اللغة وهي عقبة لا يمكن تجاوزها وان كان يمكن تقديرها . ثم هناك عقبة وجود ثقافة كاملة تختلف كل الاختلاف عن ثقافتنا .. واخيرا هناك هذا الشكل المسرحي الذي يتكون هازئا بكل التقاليد المسرحية المكتسبة . ومن هنا أتى استغرابنا وتحفظنا .. اما اذا كان تأثير هذا المسرح علينا هو تأثير السحر فان ذلك يقودنا أحيانا الى الاعجاب المبالغ فيه والذي يؤدي الى شيء من سوء الفهم .

وهذا الكتاب يلجأ الى الكثير من المقالات النقدية والدراسات التي نشرت عن جروتفسكي ومسرحه ، ولكنه لا يدعي الكمال .. فهو يعتمد أصلا على صداقة قوية نشأت بين مؤلفه وجروتفسكي . صداقة قوامها الاعجاب والاحترام . هذه الصداقة لم تقتصر على جروتفسكي وحده بل تعدته الى أعضاء فرقته المنسجمة المتماسكة التي اثبت كل فرد منها أنه يلتزم بكل شخصية في هذا المشروع ، وانه قادر هو ايضا على أن يكون مبدعا في حدوده .

ان جيرزي جروتفسكي بولوني عريق ، وكل من يعمل معه بولوني مثله واذا تناسينا ذلك فاننا نقع في سوء تفاهم مؤكد ، وهذا الكتاب يحاول ان يؤكد هذه الناحية بالذات ويبرزها .. ولكنه يحاول من جهة اخرى ان يرسم صورة لرجل اصبح اسطورة وهو لا يزال حيا .

قد نحب او لا نحب هذا المسرح .. ولكن علينا ان نقدمه كما هو وان نحسن فهمه .

ان جروتفسكي لا يدعي ان طريقته المسرحية هي المستقبل الوحيد للمسرح .. على العكس فانه رجل مفتوح دائما على كل ما هو أصيل .. رجل يحب ان يفهم وان يحاور . ومسرحه الذي لم يتجاوز السنوات العشر من العمر قد رسم ظله على الحركة المسرحية في العالم ، وهذا امر يثير البهجة في نفوس هؤلاء الذين عقدوا على جروتفسكي ومسرحه الآمال منذ ان ظهر اول مرة للوجود .

● الاكتشاف ●

كنت أجهل كل شيء عن بولونيا وعن مسرحها عندما كنت في أغسطس سنة ١٩٦٢ أحضر في فنلندا مهرجانا للشباب والصداقة عقد في هلسنكي . وفي السيارة الكبيرة التي كانت تقلنا الى مدينة تمبيرً حيث سنشهد عرضا مسرحيا بالهواء الطلق بمسرح له هندسة ثورية صممه المهندس ريجو اوجانين سنة ١٩٥٩ وكان جروتفسكي يمثل وفد بلاده وكان يصاحبنا في العربة .

وتبادلنا الحديث ما يقارب الساعات الثلاث .. وشعرت ان ما يراه من فولكلور لا يثير اهتمامه .. وحينما هطلت الامطار .. وتدثر الجميع باغطية على رءوسهم ليتابعوا العرض .. انسحب جروتفسكي بلطف وعاد الى عربته .

ومنذ ذلك الحين بدأت حوارا معه لم ينته .

في ربيع سنة ١٩٦٣ كنا نتجه نحو اوبول المدينة البولونية الصغيرة التي تحتوى على مسرح تجريبي لا يعرفه أحد بعد في اوروبا . وكنت احمل معي مجلة بولونية (من أجل الفن) يكتب فيها عدد من الشعراء والمثقفين البولونيين وكنت اقرأ دراسة كتبها جروتفسكي ذاكرا فيها بعض مبادئه ..

المسرح طقس ، المسرح مكان مختار ، لا يمكن ان يكون عاما للجميع ، وانما لا تفهمه الا (قلة مختارة) وطبعا هذا الاختيار ليس ماليا او طبقيا ، وانما اختيار فكري وروحي محض .

ما اعجبني في افكار الرجل انه كان يحاول ان يجمع جمهورا منتقى ولو كان محدودا .. بل انه كان لا يستعمل كلمة جمهور وانما كلمة متفرجين ليشير الى ما يريد .

وكنت أنتظران أراه يمثل اعمالا صعبة، اعمالا حديثة لمؤلفين بولونيين او معاصرين .. ولكن ما يمثله كان من المسرحيات الكلاسيكية .. شكسبير ، وجوته والرومانتيكيين البولونيين .. ولكن ما الذي كان يفعله بنصوصهم ؟ **لقد كان يستعملها كمادة ينفذ منها الى التعبير عما يريد** (ان الادب ليس هو المسرح) ..

هذه الطريقة في استعمال النصوص هي التي توقفت عندها ولكن ذلك لم يؤثر على انفعالاتي كمشاهد لانني لم أكن أفهم البولونية .

وانت دهشتي من انني كنت ارى التمثيلية تمثل في كل أرجاء الصالة ، وان المتفرجين والممثلين اختلطوا ببعضهم . فمثلا كان جروتفسكي آنذاك يمثل مسرحية « كورديان » وهي من عمل بولوني وضعه في مستشفى للامراض العقلية بعد ان حاول اغتيال القيصر . لذلك جعل جروتفسكي الاحداث تدور في المستشفى وملأ الصالة بالاسرة الخاصة بالمستشفيات .. **وكان المتفرجون يجلسون على البعض منها ويجلس الممثلون على البعض الاخر ويتم الاختلاط** .. اما بالنسبة لمسرحية اكروبوليس .. فما الذي فعله بنا ؟

لقد كنا محاطين من كل جانب .. تحملنا هذه العاصفة من الحركات والاصوات الى درجة من الانتباه المركز ومن التعاطف الشديد لم نعرفها ولم نحس بها قبلا رغم كل تجاربنا المسرحية السابقة .

ومنذ تلك اللحظة فهمنا ماذا يعني المسرح الطقسي ، ماذا تعني الواقعية والارتجال؟! اي بكلمة واحدة ماذا يعني مسرح السحر· هذا التعبير الذى كان بالنسبة لنا كلمة مجوفة أصبح الان ذا معنى ·

بعد هذه الزيارة القصيرة لاوبول عقد المعهد العالمي للمسرح دورته في فارصوفيا ·· وهناك تعرفنا **باوجينو باربا** وكنا قد عرفناه سابقا في هلسنكي ، ثم استطاع هذا الفنان الموهوب ان يحصلّ على منحة من اليونسكو ليدرس الاخراج في بولونيا ·· وقد كاد باربا يترك المنحة ويعود لانه لم يجـــد ما يبحث عنه ، حينما التقى بجروتفسكي ·· فقرر البقاء وظل يعمـل معه كمساعد ما يقارب الاعوام الثلاثة ·· وان دراساته والكتب التى اصـــدرها عن المسرح المعمل تظل أول الدراســــات الاختصاصـــية عن مسرح جروتفســكى وميكانيكيته ·

فى دورة المعهد العالمي للمسرح سنة ١٩٦٣ تجمع عدد كبير من رجال المسرح العالميين سمعوا ان هناك حركة مسرحية غير عادية تدور في بولونيا ·· **وبنـــاء على اقتراح باربا ووصفه ذهب رجال المسرح هؤلاء الى اوبول ليشهدوا عرضا لمسرحية فاوست مارلو يقدمها جروتفسكي ·· وعاد الجميع ليتحدثوا عما شاهدوه وعن الصدمة الحقيقية التي تلقوها ·· ومنــذ ذلك الحين سرى اسم جروتفسكي كالنار في الهشيم في ارجاء اوروبا كلها ·**

وفي عام ١٩٦٤ دعي بعض أفراد فرقة جروتفسكي الى نانسي للمشـــــاركة في مهرجانها المسرحي وتقديم عينات عن طريقة تمثيلهم ·· ولكن المدخل الرسمي لمسرح جروتفسكي الى العالم الغربي كان عن طريق مسرح الامم ومن خلال مسرحية **كالدرون** « الامير القاوم » التي قدمت في السويد وفي النرويج وفي الدانمرك بعــــد ان قدمت في باريس وامستردام وبروكسل ·

اما في فرنسا فرغم التاثير الشديد الذى سببته المسرحية فان الرأى لم يستقر حول اهمية العطاء الذى يقدمه جروتفسكي للمسرح الا بعد الزيارة الثانية سنة ١٩٦٨ وتقديم مسرحيته « اكروبوليس » · فالرأى الذى كان سائدا قبل ذلك **ان جروتفسكي يمهد السبيل لطريقة مسرحية سيعرف « غيره » كيف يستغلها باتقان** ·· وبالطبع فان النقاد كانوا ينتظرون بقلق مقدم هؤلاء « الغير » وحتى رجل مسرح معروف **كبلانشون** قال « **انه لا يتصور كيف يمـــكن لممثـــلي جروتفسكي ان يمثلوا مسرحية تقليدية** » ولكن بلانشون كان له بعد النظر بان يقول **ان وسائل جروتفسكي هي غايات بحد ذاتها وان عظمته هي في انه وجد طريقة مميزة لها منطقها الداخلي الخاص بها وانه ما من احد يجسر على تقليده اذا لم يسر على نفس الطريقة التي وضع اسسها ·**

هذا ما حدث بالفعل ، لان التجارب التي انشقت عن جروتفسكي كان لها كيانهـــا الخاص بها والمختلف عن الطريقة الاصلية كما فعل باوجينو باربا في مسرح « الاودن تياترت » الذى اعتمد بشكلّ ما على مبادىء جروتفسكي ولكنه طورها باسلوب مختلف ومميز ·

وفي سنة ١٩٦٧ قبل جروتفسكي دعوة من الولايات المتحدة وذهب ليدرس بهـــا طريقته مدة خمسة أسابيع مشترطا الا تحيط الدعاية الامريكية التقليدية بهذه الزيارة

٠٠ التى كلفهـا ببرنامج عمــــل شديد « خمس ساعات يوميا واربع مرات أسبوعيا » موجه الى طلاب يحضرون دبلومهم النهائى فى المسرح ٠

وقد قبل جروتفسكى ان يحضر اساتذ المعاهد هذه الدروس ٠٠ منبها اياهم انه سينسف فيها كل ما اعتادوا تدريسه على طلابهم ٠٠ وبالطبع فان هذا اللقاء قد اصطدم بعدة عقبات ٠٠ ولم يكن هناك من مخارج واضحة الا بالنسبة لجوزيفشايكين مدير فرقة « الاوبن تياتر » الذى سبق له ان درس على يد جروتفسكى فى لندن سنة ١٩٦٦ ٠

اما فى فروكلاو حيث اسـتقر المسرح المعمل فان جروتفسكى يقبل سـنويا عددا من المتدربين من العالم اجمع ٠٠ هؤلاء الطلاب واعون تماما ان جروتفســكى قد كشف لهم عن طرق للتعبير كانت خافية عليهم تماما رغم كثرة تجاربهم المسرحية كما كشف لهم عن مفهوم للمسرح يجعلهم يمارسون فيه مهنتهم بشكل متصاعد دون ان يهبطوا بها او تهبط بهم ٠٠

ولكن هذه البرامج التدريبية لا يمكن ان تؤدى « نظرا لقصر مدتهـــا » الى نفس النتائج التى حصل عليها ممثلو جروتفسكى بعد تدريب شاق دام سنوات طويلة ٠٠ بل انها تؤدى احيانا الى نتائج معكوســة ومؤسفة ٠٠ وهـــذا ليس هو رأى بيتر بروك الذى قدم بحــرارة كتاب « نحو مسرح فقير » قائلا نحن نعرف نظريا ان كل ممثل عليه ان يضع فنه يوميا موضع التجربة ٠ شأنه فى ذلك شأن الراقصين وعازفى البيان والرسامين وانه اذا لم يفعل ذلك فسيجد نفسه امام طريق مسدود ٠٠ وسيسقط فى شرك الكليشهات وسيؤدى به ذلك الى بدء الانزلاق ٠ ان اسـلوب جروتفسكى هو بالنسبة لنــا تذكرة بان ما يفعله مع مجموعة ممثلين بشكل يشبه الاعجاز هو شىء ضرورى وحاسم بالنسبة لكل فرد من ممثلى فرقنا الكبيرة ٠

ان كثافة ووضوح ودقة عمل جروتفسكى لا يمكن ان تدفعنا الا الى شىء واحد هو التحدى ٠٠ لا التحدى الذى نقوم به خلال اسابيع او مرة واحدة فى حياتنا ٠٠وانما التحدى الذى نمارسه يوميا ٠

● من هو جروتفسكى ●

جروتفسكى رجل سلافى ، طويل القامة، له وجه مستدير وشعر اشـقر وعينان شديدتا الزرقة ، رغم النظارات الســوداء التى يرتديها باستمرار والتى تظهر بياض وجهه غير الكثيف اللحية ٠٠ الذى يختفى بالمساء بسهولة ٠

ولا شك ان هذا « الوجه الطفولى » هو آخر ما نتوقعه عندما نشهد العروض التى يقدمها مسرحه ٠٠ أو نسمع بنظرياته عن المسرح ٠٠ ذلك لاننا لا نعرف الا الوجه الاول من المثالية ٠٠ اما الوجه الثانى الذى تقودنا الى اكتشافه الصداقة والعــلاقات الانسانية الوثيقــة والترحاب ، وصراحة المعاملة والمزاح فهو يثير استغرابنا دائما٠

نسيت ان أشير الى يدى جروتفســكى واصابعه التى تذكر باصابع الرهبان والانف المرفوع ذى الفتحة الواسعة الذى يدل كما يقول بعض الاطباء على القدرة على التركيز

والانتباه وعلى نضارة الطفولة التى ما زال يحتفظ بشىء كبير منها . أما ذوق جروتفسكى فى الالوان وثيابه .. فهى لا تسقط فى الكليشهات التقليدية التى يعشقها رجال المسرح .. وقد أحسن الناقد هيبرت جيتيو عندما وصف أفراد مسرح جروتفسكى بعد العرض قائلا « عاديون وبسطاء شبيهون بلاعبى الباسكت الذين يخرجون من تحت الدوش بعد الماتش الذى لعبوه » . أما جروتفسكى فقد وصفه قائلا « انه يرتدى السواد ، وله وجه طفولى ، قصير النظر ، خجول ، كثير التهذيب » .

وانا أوافق الناقد على صفة التهذيب .. فهى طبيعة فطرية عند البولونيين ولكن صفة الخجل تدهشنى لقد وجدت دائما بجروتفسكى ثقة عادلة بنفسه .. وثقل شخصية فذة لا مثيل لها ، شىء مفتوح ، شىء ساحر يفوح من شخصيته وليس ضروريا ان يكون الانسان امرأة حتى يقع تحت تأثيره .. فكثيرون هم الرجال الذين أخبرونى عن ذلك .. وهذا السحر يتجلى احيانا بكلمات الدعابة الحلوة التى ينثرها تزينها ابتسامة خاصة تكشف عن قلب حار .

وعندما سألته عن أسرته وتكوينه .. لم يبد جروتفسكى اهتماما كبيرا لاجابتى .. فالمهم عنده هو مايفعله الان ومسئولياته الحاضرة ومع ذلك فيمكننى ان أقول ان جروتفسكى ولد فى ١١ أغسطس سنة ١٩٣٣ فى رسترو وهى مدينة صغيرة تضم عشرة آلاف نسمة فى جنوب شرقى بولونيا ليست بعيدة كل البعد الآن عن الاتحاد السوفييتى ، وأصول جروتفسكى مختلطة فمن جهة الاب هناك دماء ألمانية وليتوانية ومن جهة الام دماء تشيكية ونمساوية وبالطبع هناك الدم البولونى السائد .

وهناك صفات مشتركة لهذه الاصول عرفت بها دائما ، منها الشعور القومى الحاد خاصة فى العائلات العريقة التى تؤمن بالتقدم والتى اعتادت على تحمل المسئوليات وكافحت فى سبيل بولونيا واستقلالها وحرياتها وتميزت بعد ذلك بثقافة واسعة فى ميادين شتى العلوم والادب والموسيقى .

يقابل هذه الميزة .. صفة ثانية هى عدم تمسكها بالدين رغم انها تمارس شعائره .

وفى عائلة جروتفسكى من جهة الاب نجد عددا من أساتذة الجامعة المختصين بالعلوم « كازيمير يدرس العلوم النووية فى جامعة كراكوفيا » وبعض الرسامين والنحاتين كما نجد بعض أقاربه كجده من جهة الام رجلا اختار الرهبنة مصيرا .. ثم غير رأيه بعد ان سافر الى روما وقابل البابا .. ونزع الرداء الدينى وتزوج لانه آمن ان الدين هو شىء آخر غير الكنيسة .. وقد دفع جروتفسكى هذه الفكرة الى أبعد من ذلك حينما قال ان **المقدس ليس هو الدين بصورة قاطعة** .

وقد أتم جروتفسكى تعليمه فى رسترو، حيث انتمى الى منظمة الشباب البولونى ، ثم الى الحزب الشيوعى ، رافضا ان يحضر كافة دروس الدين فى مدرسته .

وفى سن السادسة عشرة .. سقط مريضا ويئس الاطباء من شفائه .. وقضى سنة كاملة فى المستشفى فى الغرفة العامة حيث كان يشهد الناس يموتون الى جانبه .. وعرف بعقله وجسده ما هى المعاناة وما هو النزع الاخير . وخرج من هذه التجربة انسانا جديدا . **فبعد ان كان مرحا ، ايجابيا ، يعشق السباحة بدأ يصبح انطوائيا يعشق المطالعة والتفكير** وقرر ان ينصرف الى الفن . ولكن اذا كان عليه ان يختار بين الجمال والحقيقة فان الحقيقة هى دائما موضع اختياره . وعاد الى بلدته ، ورغم أوامر الاطباء الصارمة بتنظيم حياته قرر ان يعيش حياة عادية شأن الناس وما من أحد سيجبره على ان يعود ثانية للمستشفى أو ان يحد من نشاطه العام .

جروتفسكى

وذهب الى كراكوفيا ليتم دراسته الثانوية ثم التحق بالمعهد العالي للتمثيل رغم معارضة كل أهله « باستثناء امه واخيه » وكان في الثامنة عشرة من عمره .. لقد كان يرغب ان يكون مخرجا .. ولكن عليه قبل ذلك ان يخوض تجربة « التمثيل » واستمرت دراسة جروتفسكي ثماني سنوات وفي سنة ١٩٥٩ عهد إليه بادارة « مسرح رزدو ١٣ » في أوبول .. ولكن سنوات دراسته هذه لم تمض دون حوادث ..

ففي خلال هذه السنوات اهتم بأسلوب **ستانيسلافسكي** واصبح من مريديه المتحمسين .. وجروتفسكي لا ينكر ذلك الان ويعترف أن ستانيسلافسكي قد علمه كيف يطرح الاسئلة الضرورية .. اما بالنسبة للاجابات فهي عائدة لكل واحد منا .. واجابات جروتفسكي لم تكن كاجابات استاذه وهذا مايشرف كلاهما • ورغم اختلافهما الفني فان ستانيسلافسكي يبقى بالنسبة لجروتفسكي مثلا كبيرا •

وذهب الى موسكو سنة ١٩٥٥ حيث تتلمذ على يد **زافادسكي** مدة عام كامل الذي ترك له دائما حرية أن يفعل ما يشاء .. وفي موسكو اهتم جروتفسكي **بمايرهولد** وبطريقة اخراجه لمسرحية جوجول « المفتش العام » ومن خلال تجربة مايرهولد عرف جروتفسكي **ان الاخراج ليس مرفقا للمسرحية وانما « ردا » عليها وليس خضوعا للنص ما هو « رد فعل » وهنا يكمن سر الخلق •**

وفي عام ١٩٥٦ حصل على منحة ذهب بها للشرق الاقصى وذلك لاعتقاد المسئولين ان شمس الشرق قد تفيده في مرضه وهناك اكتشف جروتفسكي بلادا شحذت مخيلته وجعلته يعيد النظر في تجاربه السنسكريتية والفلسفة الشرقية وقد استطاع ان يفيد كثيرا من هذا اللقاء مع الشرق ولكنه خرج منه بالقناعة التامة **ان طريقة التفكير الشرقي لا تناسب العقلية الاوروبية التي عليها ان تفتش عن ارض اخرى للاستلهام•**

ومع ذلك ظل الشرق يستهوي جروتفسكي فعاد اليه برحلة للصين الشعبية سنة ١٩٦٢ وتواصل مع فن قديم راسخ القدم وصل في تطوره الى السقف ، وهناك ازداد قناعة باننا اذا أردنا ان نقتبس من الاوبرا الصينية .. فليس هناك ما نأخذه الا التكنيك .. اما الروح فهي غريبة علينا ولا يمكن الاستفادة منها الا اذا وضعت في قوالب جديدة تبعدها عن معناها الاصلي وتمنحها معنى جديدا .. وفي سنة ١٩٥٦ عاد من موسكو الى بولونيا وانهى دراسته وعمل مساعدا في مسرح ستاري بكراكوفيا حيث أخرج عددا من المسرحيات أسهم معه فيها الاساتذة والرفاق •

وساعدته المنح المتعددة على زيارة الكثير من البلدان كالشرق الاوسط ومصر .. وذهب الى مهرجان اليتيون حيث شهد تجارب **جان فيلار** ، والى برلين حيث رأى **البرلينر انسمبل وبرخت ..**

واذا كان هناك من رأى كثيرا وتعلم كثيرا فانه يكن جروتفسكي عندما بلغ السادسة والعشرين وعهد اليه بادارة « مسرح رزدو ١٣ »

وكانت نيته الاساسية ان يقدم مسرحا .. لا مسرحا تقليديا ولكن مسرحا يواجه به نفسه ومعتقداته وهكذا ولدت فكرة « المسرح المعملي » بعيدا عن العادات والتقاليد .. ولكن عملية البحث لا تعني ان هذا المسرح يظل مغلقا على نفسه بعيدا عن الجمهور .. لذلك فان جروتفسكي قدم في مسرحه ثماني مسرحيات بمعدل مسرحية كل عام ..

حقا • ان جروتفسكي مازال يمثل الامير القاوم بشكلها الاول .. ولكنه أعاد اخراج « اكروبوليس » وفق المبادىء الجديدة .. وبسبب تمثيله الامير القاوم يعود الى رغبته بالاحتفاظ بالتواصل مع جمهوره الذي كونه حوله .. اي انه يعتبر **بعض اعماله**

المسرحية .. معيارا لتذوق الجمهور .. يبدأ بها قبل ان يدخل الى تجارب اكثر منها دقة .

ان تنظيم جروتفسكي الجديد الذي نجح في استصداره لمسرحه هو ان تكون فرقته مركزا للبحوث بواسطة الممثل وعن الممثل. بالاضافة الى الاهداف المسرحية الاولى التي كان يسير عليها معمله أي ان **مسرح جروتفسكي لاول مرة في تاريخ بولونيا الفني اصبح متواصلا من جهة مع مؤسسات البحث العلمي ومن جهة اخرى مع العالم الفني .**

وحسب هذا التنظيم نجد ان المؤسسة المسرحية عند جروتفسكي تتشكل كما يلي:

- **مستشار ثقافي يعود مباشرة الى المدير ..**
- **عمال فنيون مهاون للبحوث التقنية .. ويقومون عند اللزوم بالأداء وهم الممثلون .**
- **العمال المتمرنون وهم الذين ينتمون مؤخرا الى الفريق .**

ونشاط المؤسسة يتوجه نحو خمس وجهات :

- **دراسات وتمارين ..**
- **تحليل وبث ونشر نتائج البحوث ..**
- **تعليم الوافدين الجدد الذين يأتون من الخارج ..**
- **تهيئة عروض للاخصائيين اوللجمهور مفتوح دون ان يعني ذلك اى التزام بتقديم عرض مسرحي كما هو متعارف عليه . والجمهور هنا يلعب دور « الحقل التجريبي » للبحث المسرحي العالي .**

- **مؤتمرات علمية محلية وعالمية .. تدور فيها المناقشات والحوار حول طبيعة التجارب .**

ولكن هذا كله لا ينفي ان الهدف الاول لجروتفسكي هو تقديم عرض مسرحي للجمهور . ان ساعة الحقيقة تقرع دائما عندما يواجه المخرج المسرحي الجمهور بمسرحيته التي عمل عليها .

وكما يعتبر جروتفسكي النص نوعا من التحدي موجها للمخرج فانه يعتبر العرض المسرحي تحديا موجها للجمهور . ومن هذه المواجهة تلد وتنشب اللحظات والمختارة .

● مفهوم جروتفسكي عن المسرح ●

ان المسرح لم يكن يوما ما فنا شعبيا باستثناء الازمنة القديمة والقرون الوسطى . واذا اقتصر كلامنا على اوروبا فان المسرح منذ عصر النهضة اصبح محدود الجمهور .. ورغبته في التحرر والعودة الى الجماهير الواسعة تعود الى القرن العشرين والى اوائل سنة ١٩٤٥ حيث لعبت المهرجانات المسرحية الشعبية وتجربة جان فيلار في فرنسا واللامركزية المسرحية والمراكز الثقافية دورا كبيرا .

ولكن منذ عامين توقفت هذه المحاولات التي ترمي الى كسب جمهور جديد وعادت من جديد المفاهيم البرجوازية للمسرح الى السيطرة . أى ان المسرح عاد مرة أخرى ليجتاز أزمة .. وهذا ما دفع مدير المسرح الشعبي في ستراسبورج الى القول .

« انه لم يعد يؤمن بالمسرح الشعبي وان فنونا اخرى كالتليفزيون والسينما اصبحت اكثر استعدادا ومرونة من المسرح لانها تكلم القطاعات الواسعة من الناس » .

جروتفسكي

وجروتفسكي يشك منذ عشرة أعوام في قدرة المسرح على ان يكون جماهيريا ولكنه يرى ان المسرح لابد له ان يتجه نحـــو الجماهير ولذلك عليه ان يكون متعدد الوجوه كي يسد حاجات مختلف أنواع الناس .. وكلما ازداد اختلافا كلما كان اشعاعه اكثر امتدادا . اما بالنسبة للممثلين والمخرجين فعليهم ان يهيئـــوا انفسهم للمسرح الذى يشعرون بحاجتهم اليه .

هذا الاتجاه في التفكير قاد جروتفسكي نحو مسرح تجريبي اشتد في تعصبه كي ينقله على خير ما يرى . وهو يعتقد ان المسرح اذا أراد ان يحيا فليس عن طريق مواجهته انواعا اخرى من الفنون أكثر جذبا للجماهير وأكثر استعدادا من المسرح للقيام بتنازلات ترضي الجمهور. «كالتليفزيون في المنزل ، ودور السينما في الاحياء» .. لان المسرح اذا خاض مثل هذه المعركة فسيخسر حتما . ان طريق النجاة هو ان يحدد المسرح نطاق عمله وان يذهب به عمقا .

ان المسرح هو موعد بين الممثل والمتفرج .. ولكن ليس اى ممثل وليس اى متفرج . ان المسرح هو فن مختار لفئة قليلة . وهذا الاختيار لا يخضع لمعيار ثقافي معين وانما لحساسية خاصـــة ولمزاج معين من التفكير . ولنوع من الجوع الروحي الناتج عن الرغبة بالتواصل عن طريق حدث ما وما من شيء يرضي كل هذه العواطف قدر المسرح الذى يجعل من المتفرج مشاركا .

وهذا ما يعلل بالنسبة لنا النجاح الذى يلاقيه الان مسرح المشاركة في كل انحاء العالم سواء مسرح الهابننج أو الليفنج او مسرح جروتفسكي .

والسؤال الذى يطـــرح الان في كافة المؤتمرات العالمية للمسرح هو « كيف يمكن ان يكون المسرح المعاصر اليوم اذا استطاع البقاء ؟» .. وتجربة جروتفسكي تحاول ان تحيي المسرح عن طريق ابقائه ضمن مجموعة محدودة « على الاقل في البداية » . وعلى هذا الاساس فان « المسرح المعملي » لا يقبل أكثر من ستين مشاهدا بالعرض الواحد لان العرض المسرحي عند جروتفسكي يتطلب الحد الاقصى من المشاركة بين الممثل والمتفرج .. ولان «الطلبة في مثل هذه المسرحيات لا يتجـــاوز أبدا العرض» (١) . ولان جروتفسكي يقدم مسرحه في البـــدء الى المختصين وهذا ما دفعه الى اعتبار تجربته شيئا مشابها للتجارب العلمية والى محاولته لاعتبار مؤسسته المسرحية مرادفا لمؤسسة بوهر العلمية التي تتواجه فيها كل النظريات الفيزيائية على انواعها المختلفة .

ولكن جروتفسكي بعد ذلك ينفي وجـــود اى صلة تشابه بين النظام الفيزيائي العلمي وبين أداء الممثل « وهو هدفه الاساسي دوما » رغم رفضه مبدأ الاعتمـــاد على الموهبة والالهام .. فاذا كان الرسام او الشاعر يستطيعان ان ينتظرا او ان يختارا لحظة الخلق فان الممثل عليه ان يمارس مهنته دائما بساعة معينـــة ووفق شروط موضوعة . ومن هنا تأتي ضرورة تجنيد كافة الطاقات الخالقة التي نحتاج اليها . وهذا لا يتم الا عن طريق تملك المهنـــة تماما واستعمال الطريقة . لذلك فاننا عندما ندفع الممثل الى الاقتداء بالباحث العلمي فاننا نعني ان يتعلم التواضع والجدية وان يزيل كل القشور التي علقت حتى الان بكلمة الفنان والوجود المسرحي . أى ان الطريقة العلمية تضع الممثل في مناخ عقلي صحي .. فهل هذا هو اذن المقصود من

---

(١) ولا يمكننا ان نضع نصب اعيننا النجاحات التي تلاقيها هذه العروض في المهرجانات الدولية والتي تعود في أكثرها الى الفضول والى شهرة جروتفسكي .. اما في بولونيا فاننا لم نشهد ابدا تزاحما على العرض او رغبة في الحصول على بطاقة في السوق السوداء .. ومهما يكن نجاح هذه العروض حتى في المهرجانات فانها لا تنافس مثلا مسرحية من مسارح الشارع او عرضا موسيقيا راقصا .

« المسرح العملي » يقول الناقد بييل في حدود الحـــديث من ذلك : « وربما ان المسرح يعرف كيف يطرح القضايا والاسئلة، ويعرف كيف يكون أداة تتغلغل في الضمير البشري وتشكله حسب هدف واضح ومحدد .. لذلك اذا أردت ان احدد دوره فانني اضعه ضمن العلوم التي تدرس مشـــاكل العصر الحديث .. والتي تصور الفائدة العملية وتدرس الاشكال المختلفة للثقافة والجذور الحضارية

وفي حديث قديم لجروتفسكي نفســـه نجده يقارن رجل المسرح « وهنا يشير الى المخرج أكثر من اشارته للممثل » بالنحات في القرون الوسطى الذي يحاول ان يصور في قطعة من الخشب شكلا له كيان سابق .. وهذا « الشكل ذو الكيان السابق » يحمله كل فنان في اعماقه ويغذيه من افكاره وكيانه .. وهو الذي يقربه في عمله ويغير من تطوراته .. انه « هذا الفراغ الذي يوضع دائما في المستقبل » كما يقول فاليري .

وجروتفسكي اذا أمسك بالاشكال القديمة والمسرحيات الكلاسيكية فلكي يجعل منها اشكالا أخرى .

● ما هو المسرح ؟ ●

سؤال لا يطرحه عمـــوما هؤلاء الذين يحبون المسرح أو الذين يمارسونه.. وانما طـــرحه بعض رجال المسرح الكبار كبيراندللو وكلوديل واجابوا عنه اجابة واضحة ففي الليلة نرتجل تقول ـ بطلة بيراندللو سرقة المسرح ـ : « انه صالة كبيرة.. فيها صفوف من المقاعد وفيها الواح الواحد يعلو الاخر ، ورءوس كموج البحر .. وفي كل مكان انوار وثريا كبيرة في الســـقف تبدو وكأنها هابطة من السماء .. ثريا تغني كالماس .. نورا يعمي البصر .. ويثير في النفس الثمل .. ويبعث فيها الحماس .. وفجأة تنطفيء الانوار جميعا ويرتفع الستار المصنوع من المخمل الاحمر المليء بالخيوط الذهبية وكأنه باب الجنة » .

ولا يمكن ان نصف المسرح الايطالي خيرا من هذا الوصف ولكن جروتفسكي ومساعده جورالسكي يرفضان تماما هذا المفهوم .. ويطالبان بصالة فارغة من كل هذه التزيينات ولا تحتوي الا على خشبة جيـــدة . انهم يرفضون هندسة المسرح التقليدية وشكله المتعارف عليه لانهم يطالبون بصلات جديدة بين الممثل والجمهور .. لم يعد هناك بحر من الرءوس ولا ثياب انيقة ولا همسات ..

واذا كان بيراندللو يقول ان المسرح يجمع بين النص والرســـوم والالوان والموسيقى والتماثيل ليحولها الى شيء واحد حي .. فان جروتفسكي يقول ان المسرح بالنسبة اليه يجمع بين الديكور والثياب والموسيقى والاضاءة والنص ولكن هذه كلها عناصر مساعدة للعرض فقط وان تطـــور المسرح العملي يسير نحو الاستغناء عنها شيئا فشيئا .. انه يدافع عن « المسرح الفقير » الذي يختلف تماما عن « المسرح الكامل » الذي يهضم كل الفنون .

حتى «النص» يصبح بالنسبة لجروتفسكي شيئا مساعدا . والمسرح ليس هدفه ان يصور النص ولكن ان يجيب عنه .. وقد أحس بيراندللو بذلك وهو رجل مسرح اكثر منه مؤلفا فعبر عنه بالجملة التالية : « ان الممثل يستند على النص وبامكانه الاستغناء عنه اذا شاء . ان سر المسرح هو فن العرض المستقل عن كل الفنـــون الاخرى » .

ماذا بقي من المسرح .. اذا ازلنا كل هذه العناصر الان ؟ الممثل والمتفرج فقط

جـــــروتـفـســـكـى

والمسرح بالنسبة لجروتفسكي هو ما يجري بينهما عندما يجتمعان . الممثل لا يمكن الاستغناء عنه .. وكذلك المتفرج في عالم المسرح هذا الذي يظل موجودا حتى لو جردناه من الماكياج ، ومن الاضاءة ، ومن الثياب ومن الديكورات ، ومن المؤثرات الصوتية ومن الخشبة .

ولكن هذا المسرح يكف عن الوجود اذا خلا من هذه الصلة المباشرة والحية التي تنشأ بين الممثل والمتفرج اللذين يشكلان العنصر الاساسي فيه .

● ماذا يمثل جروتفسكي ؟ ●

يقول بيراندللو « يمكننا عند الضرورة الاستغناء عن النص » ولكن جروتفسكي لا يلجأ الى هذه الضرورة . فان مفهومه المسرحي يتطلب وجود نص في البداية.. ونص قوي .

وحسب ما رأيته من تجارب المسرح المعملي فان جروتفسكي لن يلجأ ابدا الى اي مؤلف مسرحي حي ويطالبه بالكتابة له او بالتعاون معه ..

اذن ما هي النصوص التي يعتمد عليها هذا المسرح ؟ ربما استطعنا الفكر الى مسرح الطليعة الجديد او كما ندعوه مسرح العبث « والحقيقة ان جروتفسكي معجب بجان جنيه وصمويل بكيت حتى انه يقترح على طلابه أحيانا التدريب على مسرحية جنيه«البلكون» ولكنه يرى أن هؤلاء المؤلفين « **قد هزوا من المفهوم التقليدي للمسرح وكشفوا امكانية وجود حساسية جديدة.. لقد هدموا اللغة ولم يعد هناك الا الصمت والفراغ .. ومن وجهة النظر هذه فان مسرحيات بكيت عظيمة لجرأته على ان يلعب بفكرته الى ابعد حدودها** » ولكن هذا النوع من المسرح قد وصل الى سلفه .. وماذا سيبقى منه بعد ان تنحسر الموجة ؟

اعمال ادبية مكتوبة للمسرح ، شهادات مكتوبة ، عالم بعيد عن الامكانيات ، وبين حين وآخر تجارب مؤقتة وعملية .. ولكنه لن يترك لنا مسرحا جديدا .

اذن ما هي مطامع جروتفسكي والى أين تتجه ؟ نحو الاعمال الكلاسيكية خاصة البولونية منها لانا جروتفسكي وفريقه هم بولونيون .. وتجربة مماثلة في بلاد أخرى يجب ان تستند على اعمالها الكلاسيكية والا فقدت اصالتها كلها لشخصيته « كورديان » مثلا شخصية بولونية أصيلة يفهمها كل بولوني .. ولكنها لا تعني في لفوسنا شيئا .. بينما فاوست وهملت أصبحا ملكا انسانيا

اما قيمة هذه الاعمال الكلاسيكية فتكمن في كونها أصبحت عامة وشبيهة بالاسطورة وتحمل حقائق عامة ولكنها معاصرة دوما.. وهذه المسرحية تعطي حرية كبيرة في التفسير وفي حركة المخرج وانطلاقاته .

والمؤلفون الكلاسيكيون البولونيون قد عاصر اغلبهم الرومانتيكيين الفرنسيين .. وهم يشابهونهم في الرومانسية وان كانت هذه الرومانسية مختلفة عما تعودناه .

أول الاعمال التي استلهمها جروتفسكي من هؤلاء المؤلفين مسرحية **ليان كوشانوفسكي** باسم « **طرد السفراء اليونان** » .. لجروتفسكي يعتبر هذا المؤلف « الذي كان معاصرا لرونسار » استاذا له ويستلهم من اعماله وحيا يصل به الى حد البحث عن الايقاع الخاص به .

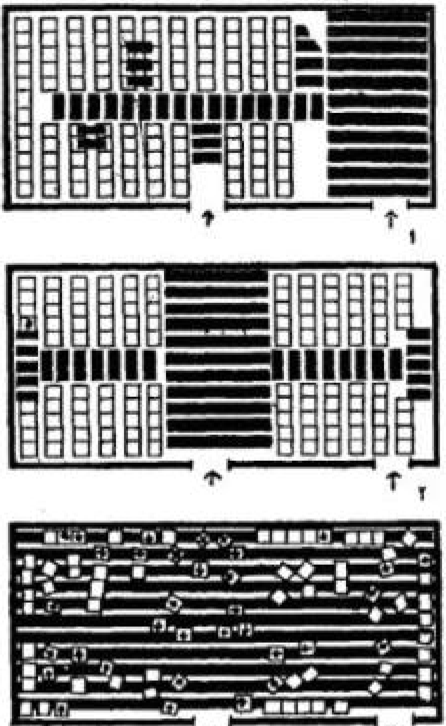
تأتي بعد ذلك فترة « الباروك » حيث بدأ الشعراء البولونيون يتحركون بحرية اكبر واستطاعوا ان يبلغوا قمة ابداعهم.. وفي هذه الفترة نجد سلوفاكي الذي أعد « الامير القادم » لكالديرون .

ولنلاحظ ان هؤلاء الرومانتيكيين جميعا لم يتأثروا بضباب الشمال كما لم يتأثروا

جروتفسكي



توزيع الجمهور فى مسرحيات جروتفسكى
(١) قابيل.. (٢) سياكونتالا.. (٣) الاسلاف.







مشهد خصى الامير هنرى



الأمير المقاوم وحوار داخلى مع نفسه

بأعمال رفاقهم الآخرين الذين كانوا يكتبون في فرنسا وانجلترا .. مع ان أغلب هؤلاء الشعراء « سلوفاكي ، ميكيفتش ، كراسنسكي » كانوا يعيشون في باريس منفيين بعد ان فشلت ثورة سنة ١٨٣١ . وكانوا يحاولون احياء شاعرية «الاسرار» التقليدية الشعبية التي يرون فيها « العبقرية القومية الصحيحة » . للتلاقفان أغلب أعمالهم كانت تمجد بطولات المواطنين البولونيين الذين كانوا يمثلون قدر بلادهم المنكوبة ، ويرتفعون ليكونوا حقا شهودا عن انسانية بائسة تطمع في أيام أكثر سعادة .. زهدنا عن المعنى العميق الذي يختفي وراء مسرحيات : كالاسلاف وكورديان .

ونجد أيضا مؤلفين معاصرين ما زالوا يسيرون على هذا المنهج كفيسبيانسكي أو ميكفتش الذي يعترله بـ « ارثود » البولوني .. واذا كانت مسارح بولونيا تمثل أحيانا لهؤلاء المؤلفين فانها لم تكف لحظة عن تقديم المسرحيات الكلاسيكية وخاصة مسرحية الاسلاف وميكيفتش التي نجدها دوما في برنامج أغلب مسارح بولونيا . وجروتفسكي لم يكن استثناء .. فقد اختار بدوره مسرحية « الاسلاف » لميكيفتش ومسرحيتي كورديان والامير القادم لسلوفاكي ومسرحية اكروبوليس لفيسبيانسكي .

ان أعمال جروتفسكي تغوص في التقاليد البولونية الرومانتيكية لا لتأخذ منها مسرحيات فحسب .. ولكن لتستلهم منها هذه الحرية التي أعطتها مفهومها كله .

فهؤلاء الكتاب المنفيون عندما كانوا يكتبون مسرحياتهم لم يكن يخطر ببالهم انها ستمثل يوما ما على المسرح لذلك كانوا يكتبونها بحرية مطلقة غير عابئين بمستلزمات المسرح ومتطلباته . للتلاقفانا كي نمثل هذه المسرحيات الآن علينا ان نقوم باعداد حر لها .. ولكن جروتفسكي لا يكتفي بالحذف وباعادة شباب اللغة وبايجاد معادلات مسرحية للتغيرات .. بل يتصرف كابن متطور يؤمن بروابطه العائلية ولكن هذا لا يمنعه من تحمل مسئولياته الشخصية .

ولعل سلوفاكي قد أعطى جروتفسكي مثلا كبيرا عندما قام باعداد مسرحية كالدرون الامير القادم اعدادا حرا يجعل من العسير علينا ان نقول عليها اذا كانت مسرحية سلوفاكي أو كالدرون حقا !!

ان جروتفسكي يضع من أول مبادئه **ان المسرح ليس تصويرا للنص الادبي . بل انه على العكس وسيلة .. طريقة لتأكيد حرية المخرج تجاهه** . ومثاله على ذلك ان المسرح الحقيقي لا يعتمد بالمرة أحيانا على النص **« كالكوميديا دل ارث »** ويشير الى تجربة الاوبرا الصينية التي يتكلم بها الممثلون بشكل لا يتمكن فيه الجمهور من فهم كلمة واحدة من أقوالهم واذا كان الجمهور يذهب مرارا لمشاهدة العرض الواحد .. فليس لكي يسمع نصا يعرفه جيدا وانما لكي يتمتع بمشاهدة التفسير المسرحي المقدم .

ووجهة النظر هذه لا تحمل في طياتها اي استهانة للنص المعروض واختيار النصوص الكلاسيكية هو في حد ذاته تكريم لمؤلفيها، وانني استشهد هنا بما يفعله بعض رسامينا الكبار عندما يستلهمون لوحاتهم من لوحات فنانين قدامى **كبيكاسو عندما يعيد رسم بعض لوحات مانيه وديلاكروا وفيلاسكيز على طريقته** .. وهذا ما يفعله بالضبط جروتفسكي عندما يقدم مسرحيات فيسبيانسكي او مارلو .

ويحضرني هنا استشهاد آخر .. **عن الاعداد الذي يقوم به المخرج السينمائي عن عمل ادبي** .. فان نجاح الفيلم السينمائي يكون دائما مرهونا بالنظرة السينمائية المبتكرة التي يقدمها المخرج للعمل الادبي، وليس في النقل الصوري لفصول وحوادث هذا العمل، كما اتفق كل النقاد. ومن وجهة النظر هذه يقترب جروتفسكي من المخرجين

جروتفسكى

السينمائيين ويعمل حسب طريقته . لان العملية العقلية التى يمارسها جروتفسكى على النص المسرحى شبيهة الى حد بعيد بالديكوباج السينمائى .. فهو لا يكتفى بالحذف والتشذيب واعادة كتابة بعض المقاطع واعطائها حيوية معاصرة .. بل انه يذهب الى ابعد من ذلك .. فالعمل الكبير يتميز دوما بتعقيده الغامض .. وجروتفسكى لا يفقر العمل بتبسيطه بل انه يزيل عنه القشور والحواشى لكى يمسك اخيرا بالبذرة الاصلية .

هذه « البذرة » ليست فكرة ولكنها اسطورة جماعية ، حالة عامة تعود الى الذاكرة الانسانية كلها ، وهم جروتفسكى الاول ان يخرجها من المواقف الخاصة وان يعطيها العمومية اللازمة لها .

وبعد مهمة البحث والتنقيب هذه .. تبدأ المرحلة الثانية فى عمل جروتفسكى .. وهى **العملية الهندسية** لجروتفسكى يصقل ويجمع وينسق الخطة الموضوعة سابقا ليضع عوضا عنها ما أصبح بالنسبة له الجذر الحقيقى : **بناءه الدرامى الخاص به** . وهكذا نجد مثلا ان جملة بسيطة أصبح لها وقع كبير .. بينما راحت كثير من الجمل الاخرى الى الظل .. وربما كان المؤلف الاصلى أكثر اهتماما بتلك الجمل ولكنها لم تعد تمس فى رأى جروتفسكى المتفرج المعاصر .. ولكن رغم كل هذه الحرية فى التفسير فان **جروتفسكى يرفض مبدأ الاضافة الى المسرحية** لان المسرحية بالنسبة له وحدة حقيقية ترفض أى عطاء من الخارج . لذلك عليها ان تكتفى بما فيها ومنه وبواسطته تجد تكاملها .

● الجمهور فى مسرح جروتفسكى ●

ان طبيعة اسهام المتفرج فى العرض المسرحى قد عكسها برخت عندما ثار مرة واحدة على قواعد المسرح البورجوازى الذى اسماه مسرح الوهم الذى يقدم لمتفرجيه شحنة من النسيان تنسيه واقعه وتغرقه فى عالم من الاحلام يبعده عن مواجهة مشاكله .

واستنكار برخت لهذا المسرح دفعه الى المناداة بمسرحه الملحمى ومبدأ التباعد الذى يخلق موقفا نقديا لدى المتفرج .. **لذلك فان برخت يرى ان خير المتفرجين فى المسرح التقليدى هو المتفرج الذى يجلس فى آخر المسرح لانه مجبر على التباعد .**

جروتفسكى على عكس برخت .. فهو لا يرغب بابعاد المتفرج بل ضمه الى العرض المسرحى .. وهو ليس لديه فى مسرحه متفرج ممتاز .. بل الكل سواسية .. يجلسون فى اماكن متفرقة ولكنها متساوية .. وفى اثناء العرض يكون الممثل قريبا جدا من المتفرجين .. وربما نسى المتفرج فى مسرح جروتفسكى شخصيته الاصلية ، وربما تمثل نفسه فى الشخصية التى يراها ممثلة امامه ولكنه على كل حال يرى نفسه متعلقا بما يراه .. وكأنه ضحية سحر اسود .. اى بكلمة أخرى **ان برخت يتطلب من المتفرج موقفا نقديا اثناء العرض المسرحى بينما جروتفسكى يثير ويهاجم ويصفع متفرجه .. ونتيجة لذلك يجبر متفرجه على اتخاذ موقف نقدى .**

وقد شهدت بنفسى ردود فعل المتفرجين بعد انتهاء عرض مسرحية « الامير القاوم » .. فبعد ان مات الامير وانتهت المسرحية .. ظل الجمهور مترددا لا يعرف ان كان يجب ان يترك مقاعده ام لا .. وسرعان ما نسى الجمهور « الامير الميت » وبدأ يخرج من الصالة .. على أطراف أصابعه دون ان يجرؤ حتى على التصفيق او الهمس ..

ان موقف جروتفسكى هو موقف مضاد تماما لموقف برخت .. ولكن **هل نستطيع ان نقول عن جروتفسكى انه ضد برخت ؟** ان الرفض للمسرح التقليدى يقرب نيسبا

بينهما ولكن الطرق التي يستعملونهـــا للتعبير عن هذا الرفض مختلفة حتى تصل الى درجة التعارض احيانا .

وخشبـــة المسرح عند جروتفسكي مرت بمراحل متعددة قبل ان تصبح مكانا واسعا يختلط فيه الممثلون بالجمهـــور . ففي مسرحية قابيل لبايرون سنة ١٩٦٠ كانت الخشبه مازالت موجودة ولكنها تمتد بشكل لسان الى داخل الصالة لم تتشعب قليلا أما في مسرحية سياكونتالا لكاليداســـا سنة ١٩٦١ فان الخشبة انتقلت الى نصف الصالة وامتدت بلسانين طويلين الى الاطراف ثم تشعبت أيضا بشكل هندسي في آخر الصالة . وحين قدم جروتفسكي مسرحية الأسلاف سنة ١٩٦١ بدأت نظرته الجديدة الى الصالة تتضح اذ لم يعد هناك خشبة . ومقاعد المتفرجين وضعت بشكل مدروس في كل انحاء الصالة تاركة مجالا واسعا فيما بينها لتحرك الممثلين .. وقد يظن المرء لاول وهلة ان مقاعد المتفرجين قد تركت هكذا دون تنظيم ثم يشعر بعد العرض ان كل مقعد قد درس تماما قبل ان يوضع في مكانه .. وحتى أن المرء ليتســـاءل أثناء التمثيل .. من يكون المتفـــرج ؟؟ ومن يكون الممثل ؟؟

وقد طبق جروتفسكي هـــذه القـــاعدة بالتوزيع في مسرحية كورديان سنة ١٩٦١ التي تجرى حوادثها في مستشفى للامراض العقلية .. حيث يجلس بعض المتفرجين على كراسي .. بينما يجلس بعضهم الاخر على أسرة المـــرضى التي يدور عليهـــا التمثيل .

ورجع جروتفسكي في سنة ١٩٦٣ حين أخرج فاوست وسنة ١٩٦٥ حين أخـــرج الامير القاوم من هذه الحرية المطلقة وقيد نفسه بشيء من التنظيم فيما يتعـــلق بوضعية الجمهور . ففي فاوست مثلا وضع مائدة طويلة ثلاثية وجعـــل المتفرجين يجلسون حولها .. أما في الامير القاوم فانه وضع المتفرجين في أعلى حلبـــة .. وجعلهم ينظرون الى العرض من أسفل ..

اي ان هناك مشـــكلة دائـــة تعترض جروتفسكي في كل مرة يقدم فيها مسرحية، تتعلق بوضع المتفرج فيها . وبالزاوية التي يجب ان يرى وان يشارك منها . يقول جروتفسكي :

« اننا نهتم بالمتفرج الذي يشعر بجوع روحي حقيقي والذي يرغب حقا بتحليـــل نفسه عن طريق تماسه مع المسرحية التي يراها . اننا نهتم بالمتفرج الذي لا يقبل الوقوف أمام مرحلة من الجمود الروحي ، وليس بهذا المتفرج الذي يعرف تماما الخطأ من الصواب والذي لا يعرف الشك والذي لا تتوجه اليه اعمال ديستوفسكي وجريكو وتوماس مان . » ان قلق متفـــرج المسرح المعملي « ليس قلقا عاما وانما قلقا موجها نحو البحث عن حقيقة نفسه ومن دوره في الوجود » .

ان كل المتفرجين في مسرحية فاوست مثلا يصبحون ممثلين .. فكل متفرج يجد نفسه في قلب حادثة معينة ورغم شكوكه كلها فانه يضطر الى اعتبار نفسه مقيد ضمن مجمـــوعة معينة من الممثلين .. ويقاسمهم خلال ساعتين كاملتين مواقفهم تجاه العالم أجمع .. وهـــذه الوضـــعية نفسها يمكننا ان نطبقها أيضا على مسرحية كورديان . ففي هاتين المسرحيتين بالذات نجد التواصل بين الجمهور والممثلين كاملا لا تشوبه شائبة .

ففي فاوست .. مثلا .. عندما يدخل المتفرجون .. يجدون الممثلين جالسين على موائدهم .. يستقبلونهم كضيوف حقيقيين ويدعونهم الى الجلوس معهم على المـــائدة .. وقد يجد المتفرج نفسه جالســا الى جانب أحد الممثلين الذي يتكلم ويمثل دوره .. ونادرا ما يحدث ان يحاول المتفرج الكلام كما هي الحال في مسرح الهابنج الامريكي . فالمسرح المعملي يدعو الى الصمت الايجابي وليس الى الكلام .. الى السكون المركز وليس الى الحركة المفككة .

جـــروتفســكي

وفي كورديان نجد أنفسنا في قاعة المستشفى نفسها وبين أسرة المرضى .. اننا نحس بالجنون معنا نحمله ونعالجه .. ونرى انفسنا كمتفرجين نختار مكاننا بين الاصحاء أو المرضى حسب شعورنا الداخلي .. ولكن من هو المجنون حقا .. ومن هو العاقل ؟ ..

في اكروبوليس المسألة مختلفة . فالجمهور لا يستطيع ان يكون المثل .. **فهؤلاء المسجونون** الذين يمرون بنا دون ان يرونا والذين يحملون بؤسهم ومآسيهم والذين تجردوا من انسانيتهم اصبحوا من عالم آخر .. عالم الموتى .. ونحن الأحياء لا يمكننا شيئا بالنسبة اليهم .. حتى ولا ان نفهمهم .. **انهم يشيعون في نفوسنا الخوف والشفقة .. انهم يشعروننا بالخجل لاننا نرى بؤسهم ولا نستطيع شيئا ..**

هذا الشعور نشعر به أيضا عندما نرى « الامير المقاوم » من الوضعية التي ارادنا المخرج ان نجلس بها .. فنحن نجلس في الاعلى وكاننا في حلبة وننظر الى الاسفل حيث يدور المرض .. أننا شهود على امر جلل .. ولسنا نظارة فقط . وربما تصورنا احد النظارة يقفز من مكانه ويتدخل في المرض ليمنع وقوع هذا العذاب اللاانساني الذي يلاقيه الأمير امام عينيه .. ولكن المتفرج الحقيقي لا يمكنه ان يفعل ذلك انه يشعر بالموقف في داخله فقط ويسائل نفسه ماكان سيفعل لو كان مكان الامير ؟!!

ان «الامير المقاوم» هي أكثر مسرحيات جروتفسكي اثارة للقلق والعذاب .. واعترف انني شعرت بالرغبة بالبكاء والنحيب بعد ان رأيتها للمرة الاولى .. ثم بدأت اعتاد على مواقفها واسائل نفسي ..

ان قيمة المسرح المعملي بالنسبة للجمهور تكمن في « **انها تنبهه الى التفكير بمصيره الانساني والى تشكل افكار فلسفية فردية في اعماقه يواجه بها العالم** » .

● الممثل في مسرح جروتفسكي ●

ان جروتفسكي يميز في عمله بين مايدخل في نطاق الجماليات وما يدخل في نطاق المنهج . اما الجماليات فتعود اليه بشكل شخصي .. واقتباسها لا يمكن ان يفيد احدا . اما المنهج فهو يضعه تحت تصرف كل رجال المسرح والمهتمين بشئونه .

وفي هذا المنهج يوضح جروتفسكي العناصر التي تسهم في خلق الممثل .

ان القاعدة الرئيسية لعمل جروتفسكي هي مع وعلى الممثل . واول المراحل التي يجب ان يمر بها هي **مرحلة التصفية** . فكما يصفي جروتفسكي من النص كل العناصر الاضافية التي يراها هجينة وغير ضرورية فانه يصفي من الممثل كل الحواجز التي تمنع حركته وتعبيره .

ان جسدنا ثقيل ، عضلاتنا تتشنج بسهولة واعصابنا تتوتر .. والممثل خير من يعرف هذه العقبات التي تعترضه .. لذلك عليه ان يتحكم في جسده بترويضه عن طريق تعلم المبارزة والجودو والسباحة وان يروض صوته عن طريق تعلم الغناء والالقاء ولكن هذا كله لا يعود الى الممثل فقط وانما الى كل انسان يريد الاحتفاظ مثلا برشاقة قوامه . والمسرح المعملي يضع قواعد أخرى وتدريبات خاصة بالممثل وحده . انه منهج تعليم رسمي . يقول جروتفسكي في ذلك :

لقد حاولت قدر الامكان ان اطلع على مناهج التعليم السائدة في اوروبا بالنسبة للممثل .. وما اثار انتباهي حقا هو تدريبات دولان ودراسات ديلارت على ردود الفعل وحركات ستانسيلافسكي الجسدية والبيومكانيكية لدى ما يرهولد ودراسات فاختانوف التي تحاول ربط «التعبيرات الخارجية بطريقة ستانسيلافسكي» . وقد ادهشني ايضا كيف يتكون الممثل في المسرح الصيني « اوبرا بكين » وفي مسرح الكاتاكالي الهندي ، ومسرح النو الياباني ،

وقد شرح جروتفسكي أيضا في حديث له بنيويورك الوسيلة التي يستفيد بها من اليوجا فهو قد استغل بعض الوضعيات ليحصل على مزيد من التماس وليس للحصول على نوع من التأمل الداخلي المغلق ..

ان الحواجز الجسدية ، الثقل ، الصوت الاقرع ، عدم المرونة ، تحدد من طاقات الممثل « القفز ، التسلق ، الصراخ » .. لذلك فان هذه التمرينات الطويلة التي يقوم بها خلال سنوات تهيئة الى اليقظة على وضعه « **فهذه الحالة رغم انها قريبة من التركيز والثقة ومن اللاوبلا في المهنة فهي ليست ارادية وايجابية .. بل انها على العكس ترتكز على سلبية معينة ، وضعية سلبية لتحقيق دور ايجابي » .. ان الحواجز تنشأ غالبا من المراقبة الذهنية فاذا تركنا انفسنا كي نقاد .. فان هذه السلبية الداخلية تؤدي الى ايجابية ظاهرية خلاقة »** .

وحول هذا الاتجاه الناضج تسير تدريبات ممثلي المسرح المعملي .. ولكن الجميع ليسوا سواسية في هذا المنهج .

فالاعضاء الجدد مثلا يقومون خلال السنتين الاوليين بتدريبات تؤدي بهم الى معرفة ما يجب ان يصفوه من حركاتهم وتدفعهم الى اختيار تدريباتهم القادمة بشكل شخصي .

والذين يتدربون عند جروتفسكي يعرفون أن **الطريق** طويلة جدا وانه يقع على عاتق كل واحد منهم معرفة مشاكله الشخصية وكيفية التغلب عليها .. ان التدريبات الفردية التي يقومون بها أمام جروتفسكي الذي يراقبهم ويرشدهم متتابعات حول هدف واحد .. وهذا ما يجعلنا نكتشف ان البرامج والمناهج عند جروتفسكي شديدة المرونة .. وان ما يهم فعلا هو **تصفية العوائق التي تمنع التطور الخلاق** . ولكن في اوقات دورية .. تتوقف التدريبات الجسدية عندما يلاحظ المعلم انها قد تكاملت الى درجة ان العاملين عليها أصبحوا يتفننون في تقديمها .. عند ذلك يوقفها لفترة ثم يعود اليها .. « **وعندما تقوم بها من جديد .. نجد اختلافا لان الجسد يعود الى مقاومته .. ورغم ان الافراد هم انفسهم ، لكن تغييرا معينا قد اصابهم** » .

والتدريبات عند جروتفسكي تتوجه وجهتين تبدوان لاول وهلة متعارضتين لكنهما تتوافقان في النهاية وتنسجمان . **الوجهة الاولى** : اعتبار جسد الممثل محكا لكل التجارب والامكانيات . **والوجهة الثانية** : التعبير عن الدور بالاشارة والحركة وهنا يظهر تماما دور الممثل وشخصيته .

وفيما يتعلق بجسد الممثل فان جروتفسكي يشرف بنفسه على التدريبات ويقودها ، وقد تطور أسلوب جروتفسكي في مرحلتين الاولى بين ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ وندعوها **المرحلة الايجابية** والثانية بعد سنة ١٩٦٦ وندعوها **بالمرحلة السلبية** .

وقد شرح جروتفسكي ذلك حين قال انه كان يحاول بادئ الامر الحصول على منهج قادر على ان يمنح الممثل بشكل موضوعي قدرة على الخلق تستمد جذورها من ذاكرته وضميره الداخلي . وكل التمرينات التي تتم وليست الا الاجابة عن هذا التساؤل .. « **كيف يمكنني ان افعل ؟؟** » يجب أن تختلف فورا .

وتبقى العناصر الاساسية التي تحاول الوصول الى نوع من الاتصال أي « ان تكون آخذة ومعطية » . وتلاحظ الاهتمام الذي يبديه جروتفسكي نحو المعطيات الصوتية في مسرحه المعملي . مما يسبب دهشة واعجاب كل من يشاهد مسرحياته أو يرى تدريباته . فهذه التمرينات التي تؤدي الى مثل هذه النتائج الباهرة تعتمد على **التحكم الخارق في الجهاز التنفسي** .. فتبدو **الاصوات** وكأنها تخرج من الاعضاء وليس من الفم ..

جروتفسكى

فلكي يتحكم في الصـــوت .. يطلب جروتفسكي مثلا من تلاميذه اختيار نص معين وقراءته دون أى جهد تمثيلي ، وغنائه او الصراخ به اذا شاءوا ، وطبعا فان الطلاب يختارن نصوصا مختلفة وكل واحد يلقيه على طريقته دون مبـالاة بالآخر .. وفي هـذه الاثنـاء يدور جروتفسكي بينهم .. يمسك صدرهم .. ويتحسس ظهرهم أو رأسهم أوحنجرتهم .. وبعد ذلك يختار أربعة منهم ويتابع معهم التدريب . وفي هذه المرحلة على الاربعة ان يلقوا النص نفسه ..بصوت يرتفع تدريجيا وعند ذلك يمســك جروتفسكي بأحدهم ويطلب منه أن يوجه النص الى السقف كلّ ذلك وهو يدورفي أرجاء الحجرة .. فيبدو الصـوت وكأنه خارج من أعلى الرأس . ثم يبدأ الحوار مع الجدار فيبدو الصوت خارجا من الصدر ثم يتجه الحوار نحو الارض .. فيبدو الصوت خارجا من الرقبة .. وعلى الطالب اثناء التدريب أن يمتنع عن التفكير تماما أو أن يترك التدريب فورا بمجرد أن يشعر بفكرة طارئة تمر في رأسه .

وفي أثناء التدريب يدور جروتفسكي حول الطالبمهاجما اياه .. ضاربا جسده لكي يرى تأثير ذلك كله على صوته.. والطالب يرد بجسده وصوته معا .. لان الجسد يظل العقدة الاســاسية في كل ردود الفعل . وحين يبرر جروتفسكي هذه التدريبات الخارجة عن المألوف يقول ان الجسد يتحرك دائما قبل الصوت وانه في العملية الصوتية يجب ان تهتز كل أعضاء الجسد قبل ان يظهـر اى اثر خارجي .. لذلك ما علينا ان نفرضنظاما للتنفس يسهل الكلام .. وانما علينا ان نترك لكل ممثل نظامه الخاص به وان نزيل العوائق من امامه .. المهم الاّنفكر بالكلام ولا بالجهاز الذي يصدره ولكن ان نجهز جسدنا كله ليقوم بأداء الكلمـة والحركة معا .

ثم تبدأ بعد ذلك التمرينات الجسدية التي تشبه في كثير منها حركاتاليوجا مع الفارق الرئيسي .. ان هذه الحركات تحاول ان تبحث عن نقاط تواصلخارجي .. انها تهيىء للمسرح وليس للرياضة الجسدية فحسب .
ولا أجد لزوما هنا شرح الحـركات التي تريد ان تتوصل الى التحكم الكامل بالجسد وليس الى نوع من الاكروباتيـة الفارغة . والتي تفترض أثناء التمرين انهناك صلة وهمية تربطنا بشكل مستمر مع شخص او جماد مما يعطي الحـركة اتجاها محددا .

وكل هذه التمرينات حتى الجماعيـة منها يجب ان تنسجم مع المبدأ الاساسي وهو التخلص من التقليد والحـــركات المرسومة . وان على كل طالب انيشعر انه يخلق حركته بنفسه وان يجهزجسده وكيانه كله للقيام بهذه الحـركة وحتى لو كانت حركة يد أو أصبع .
وعندما تتكامل هذه التدريبات الاساسية عند ذلك يمكن وضعها في مشهدارتجال عفوى دون التضحية بدقتها في التنفيذ .. ولن نحصل على الاصالة الا اذاحافظنا على هذين العاملين .

فالحركة المهيئة مسبقا تفسد دائمــا الاستمرار .. اما في حالات التداعي العفوى ، فان الحركة تجد مبرر وجودها وتدخل ضمن التنظيم الجماعي للعمل .
وفيمـا يتعلق بالتدريبات المسرحيـة فان جروتفسكي يعلم بها أولا ممثليه .. فيختلي كل بنفسه خـلال فترة معينـة معتمدا على عفويته وعلى ادراكه الشخصي .. ثم تبدأ المرحلة الثانية الجماعيـة والفردية معا .. حيث يقـوم كل فرد بمهمة الخلق . وجروتفســـكي يراقب ويأخذ من الممثل ما يراه جيـدا حتى لو







سياسلاك فى دور
الأمير المقاوم

ابتعد شيئا فشيئا عن المفهوم الاصلي .. ليصبح هناك نظريات تتواجد ومناقشات تجرى .. بل أشياء عملية تقدم ويختار منها .

فالممثل يجرؤ على ان يكون هو نفسه . يقدم كيانه معطيا عارفا ان ما من شيء منه سيقابل بالهزء واللامبالاة . فالمخرج ورفاقه ليسوا « حكاما عليه » .. وانما الكل يعملون في نسيج واحد مشترك حيث ما من أحد يرغب بالظهور أكثر من سواه .. وما أحد يرغب في اعتبار نفسه مسئولا وحده عن النجاح أو الفشل .

● عرض لاحد مسرحيات جروتفسكى الامير المقاوم ●

ان السيناريو الذى اعتمده جروتفسكي من مسرحية كالدرون التى اعدها الشاعر والمؤلف الدرامي البولوني سلوفاكي تتلخص فيما يلي :

استطاع البربر أن يأسروا « الامير هنري » وأن يقنعوه بأن يصبح واحدا منهم . ويوافق هنري .. ويتم ادماجه بالبربر عن طريق تعميده . عند ذلك يصبح منهم ويرتدى ثيابهم وشاراتهم العسكرية وأحذيتهم الثقيلة .

ويقع « دون فرناند » أسيرا بدوره .. ولكنه يرفض التخلي عن هويته . انه لا يثور ولا يناقش ولكنه يواجه هذا العالم الذى ليس عالمه لذلك فانه يجهله . ومنذ هذه اللحظة لم يعد هناك من تأثير عليه ولا تنفع كل الاهانات والتعذيب الموجه الى جسده وحياته في زعزعة مقاومته .. ويبقى نقيا ومقاوما وحرا حتى النشوة .

ويفشل معه الطقس الرامي الى انتزاع رجولته .

المشهد المسرحي غاية في البساطة .. ونحن نشعر بالاختصار المدهش الذى أصاب عمل كالدرون وسلوفاكي . فهنري ذو القلب المتردد ، الذى لا يمانع من التواصل مع العدو .. يصبح هنا عاريا ويمثل هذا النوع من الناس الذين يشاركون البلادين بعد ان خضعوا لهم .. النقيض واضح وصارم لشخصية فرناند العنيدة . والتى جعلها جروتفسكي مشتعلة حقا .

واذا كانت شخصية البطل لدى كالدرون تثير الغضب والاحتقار والاستنكار لدى البعض والاعجاب والتفهم لدى البعض الاخر فان جروتفسكي لا يتوقف عند النواحي البسكولوجية فحسب . انها المجموعة كلها التى جمعتها رغبة واحدة والتى تمر من العنف الشديد نحو الانتعاش القلق .

اننا لا نميز بين البربر والمسيحيين .. فالجميع هنا ينتمون الى نظام واحد .. **النظام الزمني المؤقت الذى يواجه « الروحانية »** . ونلاحظ أثناء العرض المسرحي ان المجموعة تردد الصلاة وهي راكعة وتنشد الاناشيد الدينية .. ونلاحظ أيضا ان المهان ليس النظام المسيحي وانما الصليب نفسه .

المسيح يواجه الكنيسة ، والفرد يواجه المجتمع ، وسلاحه هو كلمة « لا » يلقيها في وجه القلق المستبد محتفظا بصفاء روحه الذى لا ينكسر .

سبق ان تكلمنا عن الطريقة التى تقدم بها هذه المسرحية .. اذ يقف الممثلون في حلبة بينما يجلس المتفرجون بشكل دائرى وعلى منصة مرتفعة ينظرون الى المشهد الذى يدور في الاسفل . وعلينا ان نشير هنا الى الازياء .. حيث يجعل جروتفسكي المجموعة كلها ترتدى ثيابا سوداء .. بينما يرتدى الامير قميصا أبيض .. رمزا لطهارته .. وعندما يبدأ التعذيب يجردونه من قميصه .. فيبقى عاريا الا من غطاء صغير على عورته تماما كغطاء السيد المسيح . وهناك أيضا رداء أحمر

جروتفسكى

يلعب دورا دراميا .. ويغطى به جسد الامير بعد موته .
وفي منتصف العرض هناك اغنية حزينة شهيرة جدا في بولونيا نسمعها خلال ١٠ دقيقة ويحملها المخرج كل انواع المعاني .. فهي تعبر حينا عن الفرح وحينا اخر عن الالم ومرة ثالثة عن النشوة انهـا ترافق موكب الاعداء في القصر ، ويرددها الامير أثناء جلده بالسياط .. **انهـا النغمة التي تجمع بين الألم والنشوة في لوثة واحدة لا تتغير .**

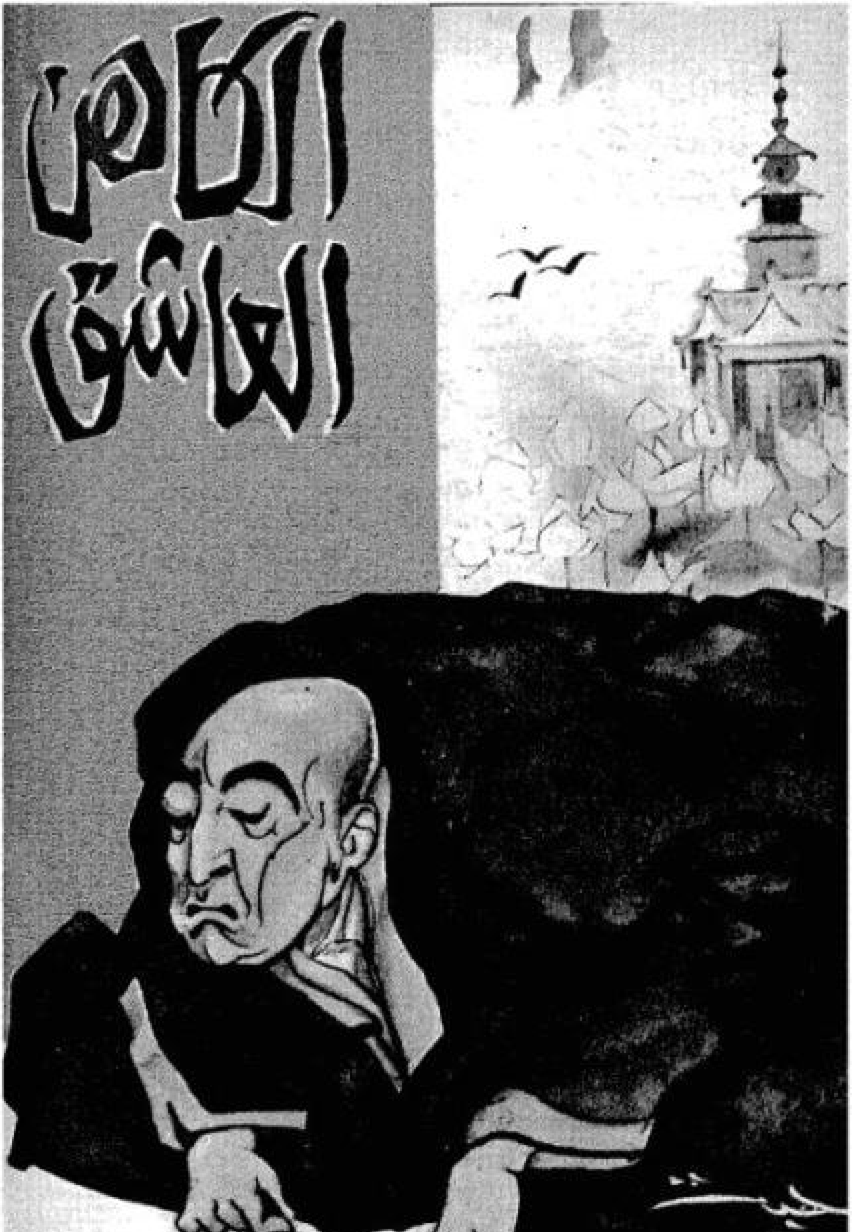
والمسرحية يدوم عرضها خمسون دقيقة دون انقطاع .. تبدأ بالتصاعد ويستمر التصاعد حتى النهاية لم يتوقف عند موت الامير بشكل مفاجىء .. عند ذلك يزول الشعور العدائي من المجموعة وتنحني على الجسد باحثة عن حرارة ٱتفتحوعن نغم حزين .. ولكن هـذا لا يدوم الا دقائق بسيطة . فالتوتر لا يكف عن التصـاعد متوقفا عند محطات ثلاث يزداد بعدها تصاعدا وشدة . **المحطة الاول** عندما يعلن الامير رفضه امام المجموعة كلها . **والثانية** عندما ينفذ فيه التعذيب فيعلن رفضه القاطع ليموت **والثالثة** عند مرحلة النزاع .
وما من مسرحية تتطلب جهدا من الممثل الاول قدر هذه لانه المحور الذي تدور حوله المجموعة والذي تتركز حوله الافكار والروح العامة كلها .

● خاتمة ●

هل هناك ضرورة لان نختم عملا عن رجل مسرحي ما زال في اوج مجده ومازال عمله في مرحلة تطـور خـلاق !! كل الإمكانيات مازالت مفتوحة أمام الرجـل والعمل .. لذلك ما علينا ان ننظر الى هذا الكتاب على انه دراسة .. قدر ماهو رصد حساب .
ان شهرة المسرح المعملي الان عالمية .. وحيثما يقدم عروضه يجد الاعجـاب والتقدير . ورغم ـذلك ننتظر ونتوقع منه الكثير .. فانه لم يخيب املنـا مرة واحدة . وجروتوفسكي مدير هذا المسرح استاذ كبير ولكن من الصعب اعتبـاره مديرا في فرقة كل من فيها سيد نفسه وكل منهم يشق طريقه حسب امكانياته وجهوده الخاصة .

ان عمر المسرح المعملي عشر سـنوات .. ولكن اى طريق قطعها !! بواى تطور اصابه منذ ان قدم مسرحية « قابيل » وحتى قدم آخر مسرحياته « الابوكاليبس » .. كم من البحوث والاكتشافات توصل والتى بها سبيل المسرح العالمي ..
ليست هناك طريقة اول وطريقة ثانية للمسرح المعملي كمـا يحلو للبعض ان يقول وانما **هناك مراحل .. يقطعهـا ويتجاوز كل واحدة منها .**
مراحل يعرفها كل من يعرف جروتوفسكي متسائلين الى اين سيقودنا هذا الرجل .. دون ان يشعروا بالقلق مرة واحدة لانهم واثقون ان مرشدهم رجل ثقة ورجـل امان .

اما بالنسبة لهؤلاء الذين يريدون ان يقتدوا بهذا الرجل العظيم فان جروتوفسكي يقول لهم: **ليست هناك امثلة .. هناك مثل واحد ، كونوا انفسكم لا تتوقفوا في منتصف الطريق ، حققوا كيانكم عن طريق مهنتكم ، واعرفوا ان العمل العظيم هو دوما تحد عظيم واستنبطوا من هذا المبدا البسيط النتائج كلها .**
نعم لان مهنة هذا الرجل الفريد هذا هي كما يقول بيتر بروك بصدق الا يكونوا **بائعا للشراء ..**


الكاهن
العاشق



قصة للكاتب الياباني المنتحر: ميشيما يوكيو

● ترجمة: كمال رستم ●

الكاهن العاشق

– ١ –

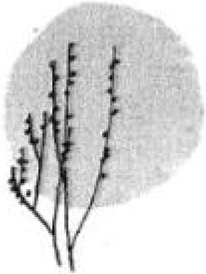
كان الكاهن الاعظم لمبد « شيجا » رجلا ذا فضيلة سامية . وكان حاجباه بيضاوين . وبقدر ماكان يملك من قوة كان يدفع عظامه الواهنة الى الامام ، وهو مستند على عصاه ، متنقلا من ناحية الى اخرى في المعبد . كانت الدنيا تبدو في نظر هذا الناسك القانت مجرد كومة من سقط المتاع . وكان قد عاش معتزلا أياها لسنوات طويلة حتى ان شجرة الصنوبر الصغيرة التي زرعها بيديه عندما انتقل الى صومعته الحالية نمت وترعرعت واصبحت الان شجرة هائلة تختال غصونها في الريح ، أنناسك الذي نجح في اعتزال العالم الفاني كل هذا الوقت الطويل لابد وان يشعر بالامن بالنسبة الى مابعد الحياة .

وعندما كان الكاهن الاعظم يرى الاغنياء والنبلاء كان يبتسم باشفاق ويعجب لهؤلاء الناس الذين لم يدركوا أن مسراتهم ان هي الا احلام خاوية . وعندما كانت تقع عيناه على نسوة جميلات كان رد الفعل الوحيد لديه ان يشعر بالحسرة والالم لهؤلاء الرجال الذين لايزالون يعيشون في عالم الوهم الذي قذف بهم على أمواج اللذة الجسدية

منذ اللحظة التي يستجيب فيها الانسان في القلبل للدوافع التي تنظم العالم المادي ، يبدو له هذا العالم ساكنا سكونا تاما . وفي عيني الكاهن الاعظم ابدى له العالم السكون فقط واضحى مجرد صورة مرسومة على قطعة من الورق ، خريطة لارض اجنبية . وعندما يصل المرء الى حالة ذهنية تكون فيها الانفعالات الشريرة للعالم الحاضر قد غربلت تماما ، ينسى الخوف ايضا وهكذا فان الكاهن استعصى عليه أن يفهم لم يجب ان يبقى الجحيم . كان يعرف بيقين ان العالم الحاضر لم يعد له اي سلطان عليه ولكن نظرا لانه خالٍ تماما من العجب والتيه فلم يدر بلحته أبدا ان مرد هذا الى تأثير فضيلته السامية . وفيما يتصل بجسده يوسع المرء ان يقول ان الكاهن كان على وشك أن يهجره جسده . وفي مثل هذه الحالات – كما لاحظ هو ذلك – عندما يستحم مثلا ، كان يبتهج عندما يرى كيف



ان عظامه النائتة يكسوها جلد جاف بدرجة خطيرة. والآن وقد بلغ جسده هذه المرحلة من العمر شعر ان باستطاعته ان يتراخى معه ، كما لو كان يخص شخصا آخر . وكان يبدو ان مثل هذا الجسد قد اصبح يصلح لان يقتات من الارض الطاهرة اكثر مما يقتات من الطعام والشراب الارضى . وفى احلامه كان يعيش ليلا فى الارض الطاهرة وعندما يصحو كان يدرك ان معايشته للعالم الحاضر معناها ارتباطه بحلم حزين سريع الزوال. وفى فصل مشاهدة الزهور اقبل عدد كبير من الناس من العاصمة ليزوروا قرية « شيجا » ولم يحرج هذا فى القليل صدر الكاهن لانه كان قد ارتفع من هذه الحالة التى يمكن ان يضيق فيها اللعن بصخب الحياة . وذات امسية من امسيات الربيع غادر صومعته متوكئا على عصاه ومضى الى البحيرة كانت الساعة التى تبدأ فيها الاشباح المقبضة تشق طريقها الى ضوء العصر الباهر ، ولم يكن ثمة اقل موجة تعكر سطح الماء . وقف الكاهن وحيدا على شاطيء البحيرة وبدأ يؤدى مراسم « تأمل المياه » . فى هذه اللحظة اقبلت نحو البحيرة عربة يجرها ثور كان من الواضح انها تخص شخصا من علية القوم . وقفت العربة الى حيث كان يقف الكاهن . كانت صاحبة العربة سيدة من سيدات البلاط من حى « كيوجوكى » فى العاصمة ، وكانت تحمل لقب المحظية الامبراطورية العظمى . هذه السيدة كانت قد جاءت لتشاهد منظر الربيع فى شيجا . والآن عند اوبتها اوقفت العربة ورفعت الستارة لكى يتاح لها ان تتزود بنظرة اخيرة من البحيرة . ودون وعى او ادراك القى الكاهن ببصره الى ناحيتها وسرعان ما افتنه جمالها . والتقت عيناه بعينيها ولانه لم يحول نظره عنها ، لم تحفل هى بان تحول نظرها عنه ولم يكن ذلك لان سخاء روحها كان بالقدر الذى يسمح للرجال بان يتأملوها بنظراتهم النحاسية ، بل لانها شعرت بان دوافع هذا الناسك الصارم لا تكاد تشبه دوافع الرجال العاديين . وبعد لحظات قليلة ارخت السيدة الستارة وبدأت عربتها



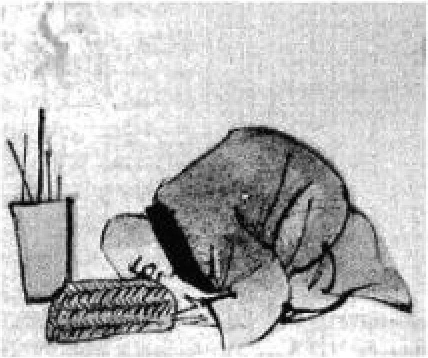
تتحرك . وبعد ان اخترقت ممر شيجا ، انسابت فى هينة ورفق على الطريق الذى يفضى الى العاصمة . هبط الليل وشقت العربة طريقها الى المدينة من طريق المعبد الذهبى وبعد ان توارت من الانظار بين الاشجار البعيدة ، وقف الكاهن الاعظم مسمرا فى مكانه . فى لمح البصر صبت انتقامها بقوة مروعة على الكاهن وما رآه امنا تاما تناثر حطاما . عاد الى المعبد وواجه الصورة الرئيسية لبوذا وتوسل

بالاسم المقدس ولكن افكارا دنـة التت الآن ظلالهـا المعتمة عليه . قال لنفسـه: ان جمال امراة ليس الا خيال عابر وظاهرة مؤقتـة مكونة من اللحم . من اللحم الذى سرعان مايبلى . ولكن محاولاته لان يدفع عنـــه الجمـــال الذى يعزا على الوصف والذى فاض عليه فى هذه اللحظة بالقرب من البحيرة ذهب بددا وقبض الريح . ! ضـــغط ذلك الجمال على قلبـــه بقوة شىء أقبل من مكان سحيق: لم يكن الكاهن الاعظم من صـــغر السن روحيا ولا جثمانيا بحيث يعتقـد ان هذا الشعور الجديد الوافد كان مجرد خدعة من خـدع البدن ، فقد كان يعـرف جيدا أن لحم الرجل لايمكن أن يتغير بمثل هذه السرعة او هو بالاحرى كان يبـدو انه غاص فى بعض السموم الخبيثة التى بدلت روحه فجأة .

لم يكن الكاهن الاعظم قد أخل بقسم النقاء والطهارة، فان صراعه الداخلى الذى تد فى شبابه من مطالب اللحم جعله يعتقد ان النساء ليس الا مجرد مخـــلوقات مادية ، واللحم الوحيـد الحقيقى هـو اللحم الذى يوجد فى خياله . ومن اجل ذلك فطالما كان ينظـــر الى اللحم كتجريد مثـالى اكثر منه حقيقة مادية فقد اعتمد على قوته الروحيـــة لقهره واخضاعه . وبهـذا المجهود ادرك الكاهن نجاحا ـ نجـــاحا لايستطيع فى الحقيقة ان ينكره عليه احد الا ان وجه المرأة التى رفعت ستارة العربة ونظـرت الى البحيرة كان منسجم التقاطيع جدا وبهيا جدا الى حدانه لايمكن ان يدل على مجـرد موضوع لحم . ولم يعـرف الكاهن اى وصف يطلقـــه على هذا الوجه . كـــان بوسعه فقط أن يذكـر انه عندما اراد أن يسترجع هذه اللحظة المدهشـــة ، فان شيئا كان قد كمن طـــويلا وبخداع فى داخله قـــد كشف اخيرا عن ذاته . هذا الشىء لم يكن سوى العالم العاطر الذى كان حتى ذلك الوقت ساكنا . ولكنه ارتفع فجاة من الظلام وبـــدأ يتحرك ! ...

بدا له كما لو كان واقفا بالقرب من الطريق العامة

التى تؤدى الى العاصـــمة وبداه تغطيان بثبات كلا



الكاهن العاشق

اذنيه وانبت مرتين هائلتين يجر كلا منهما ثور تجرى احداهما فى اعقاب الاخرى محدثة قعقعة وجلبة.وفجأة رفع يديه من اذنيه فلم تلبث الضجة من الخارج ان اصطخبت فى كيانه كله

لادراك جزر ومد الظواهر العابرة ، وللحصول على ضجتها الراصدة فى اذنى المرء ، فان هذا يعنى الدخول فى دائرة العالم الحاضر . وبالقياس الى رجل كالكاهن الاعظم الذى قطع كل صلاته بالاشياء الخارجية فقد كان هذا معناه ان يضع نفسه مرة اخرى فى حالة علاقات . وحتى وهو يقرأ « السوترا » كان يستطيع من وقت لآخر ان ينصت الى نفسه وهو يصعد تنهدات هائلة من الالم المبرح . وفكر انه ربما كان بوسعه ان يستخدم الطبيعة فى الهاء روحه ولذلك تطلع من نافذة صومعته الى الجبال التى تسامقت على مدالبصر تحت السماء ، ولكن افكاره بدلا من ان تتركز على الجمال تبددت مثل خصل السحاب واندفعت بعيدا ! وثبت نظراته على القمر ولكن افكاره استمرت تتردد كما فى السابق . وعندما ذهب مرة اخرى ووقف امام الصورة المرئية فى مجهود يائس ليستعيد صفاء ذهنه تحول محيا بوذا وبدا مثل وجه سيدة العربة

ان جوهر عالمه انحصر فى حدود دائرة صغيرة : فى موضع كان الكاهن الاعظم وفى مواجهته كانت المحظية الامبراطورية العظمى .

- ٢ -

سرعان مانسيت محظية كيوجوكو الامبراطورية العظمى كل شىء عن الكاهن العجوز الذى رآته يتطلع اليها بامعان بالقرب من بحيرة شيجا . واذا كان الامر فبعد مضى بعض الوقت بلغتها شائعة ذكرتها بالحادث . كان احد الفلاحين قد استملى نظرة عابرة من القس وهو واقف يرقب عربة السيدة وهى تختفى من ناظريه فى الطريق الطويل . واسر الفلاح بالامر الى احد رجال القصر الذى كان قد ارسل الى شيجا لمشاهدة الزهور ، واضاف انه منذ ذلك اليوم والكاهن يتصرف كرجل مختبل العقل مسلوب الرشاد .

تظاهرت المحظية الامبراطورية بانها لاتصدق الشائعة ذلك ان فضيلة هذا الكاهن بالذات كان قد ذاع صيتها فى كل انحاء العاصمة . وكانت الحادثة حرية بأن ترضى غرور السيدة لانها كانت قد اسامها الحب الذى تتلقاه من رجال هذا العالم .كانت المحظية الامبراطورية تعى تماما جمالها وكانت قد

آلت على نفسها الا تتجلب الى احد باية قوة كانت حتى وان كانت هذه القوة هى الدين الذى ينظر الى جمالها وطبقتها كشيئين تافهين لاقيمة لهما . ولانها كانت قد ملت العالم الحاضر فقد بدأت تؤمن بالارض الطاهرة . وكان لابد «لبوذية جودو » التى رفضت كل جمال وألق العالم المرئى باعتبارهما رجسا ونجسا ، ان تكون لها جاذبية خاصة بالنسبة الى امرأة كالمحظية الامبراطورية التى كان قد انزاح منها تماما وهم الظرف السطحى لحياة البلاط . الظرف الذى بدا انه ينذر بالايام الاخيرة « للقانون »

ومن بين هؤلاء الذين كل اهتمامهم هو الحب ، كانت المحظية الامبراطورية العظمى قد اشتهرت باعتبارها التجسيد الحق للظرف البلاط . وحقيقة انها كانت معروفة بأنها لم تمنح ابدا حبها لأى رجل اضاف الى هذه الشهرة ، وبالرغم من انها كانت تؤدى واجباتها نحو الامبراطور بأقصى ما يسعها من اللباقة الا ان احدا لم يصدق للحظة واحدة انها تحبه من كل قلبها . كانت المحظية الامبراطورية العظمى تحلم بالشمال منيف يقع فى حدود المستحيل . وكان الكاهن الاعظم لمعبد شيجا مشهورا بفضيلته وكان كل انسان فى العاصمة يعلم كيف ان هذا القس العجوز قد اعتزل تماما العالم الحاضر ولذلك فلشد مابدت مروعة شائعة انه بهر بسحر المحظية الامبراطورية وانه ضحى من اجلها بعالم المستقبل . ان يتخلى المرء عن مباهج الارض الطاهرة التى كانت فى متناول يده لهى تضحية كبرى تتضاءل امامها اية تضحية اخرى .

كانت المحظية الامبراطورية



العظمى لاتأبه بملاطفات الشبان النحلين الذين يتجمعون فى القصر ، ولا بالرجال الاماثل ذوى الوسامة والاناقة الذين يتربصون طريقها . فالصفات البدنية للرجال لم تعد تعنى شيئا بالنسبة لها ، وكان اهتمامها الاول والوحيد ان تقع على رجل يستطيع ان يمنحها اقوى الحب واعمقه ، وامرأة لها مثل هذه التطلعات لهى مخلوق مرعب حقا ، ولو كانت مجرد مومس لقنعت دون شك بالثروة الدنيوية بيد ان المحظية الامبراطورية العظمى كانت قد استمتعت بكل هذه الاشياء التى يمكن ان تعطيها ثروة العالم ، والرجل الذى تنتظره يجب ان يقدم لها ثروة عالم المستقبل .

انتشرت شائعات ولع الكاهن فى كل انحاء القصر وتناهت الى مسامع الامبراطور نفسه بطريقة نصف مضحكة . لم تستظرف المحظية الامبراطورية العظمى هذه الثرثرة واحتفظت بسحنة مغلقة لا مبالية . وكانت تعلم جيدا ان ثمة سببين يمكنان رجال البلاط من ان يمزحوا بحرية فى موضوع

يمتنع عليهم المزاح فيه فى الاوقات العادية . الاول : انهم باشاراتهم الى حب الكاهن الاعظم كانوا فى الحقيقة يطرون جمال المراة التى وسعها أن تدفع كاهنا يتحلى بمثل هذه الفضيلة العظمى الى ان يهجر تأملاته والثانى : ان كل انسان يعلم بيقين ان حب الرجل العجوز للمراة النبيلة لا يمكن ابدا أن يلقى تجاوبا منها .

استحضرت المحظية الامبراطورية العظمى الى ذهنها وجه الكاهن العجوز الذى رأته من خلال نافذة عربتها . لم يكن يحمل شبها ولو طفيفا لوجه اى رجل من الرجال الذين توليهوا بها حتى ذلك الحين ومن عجب حقا ان الحب يمكن ان يتفجر فى قلب رجل لا يمتلك اقل المؤهلات التى تؤهله لان يعشق

استعادت السيدة بعض الجمل مثل « حبى يائس وبلا امل » التى كان يستعملها على نطاق واسع ادعياء الشعر فى القصر عندما كانوا يريدون ان يحركوا العطف فى قلوب عشيقاتهم غير المباليات وبمقارنة الحالة البائسة التى وجد الكاهن الاعظم الان نفسه فيها بحالة اقل المحبين الظرفاء حظا وجدا كانت حالة هؤلاء الاخيرين يكادون يحسدون عليها . وبدت لها الان اقتباساتهم الشعرية مجرد زخارف وحيث للفظى يتمشيها الغرور وهى فارغة تماما من الحزن والشفقة . عند هذه النقطة سوف يتضح للقارىء أن المحظية الامبراطورية العظمى لم تكن — كما كان المعتقد على نطاق واسع — تجسيد الظرف البلاطى بل كانت بالاحرى السائة وجدت المذاق الحقيقى للحياة فى معرفة



انها محبوبة . وبالرغم من مقامها السامى كانت قبل كل شىء امراة . وبدت لها كل قوة فى العالم اشياء خاوية اذا ما جردت من هذه المعرفة . فالرجال من حولها قد يعطون انفسهم من سماح للعراكات من اجل القوة السياسية ولكنها كانت تحلم بأن تخضع العالم بطرق مختلفة . طرق انثوية تماما . والكثيرات من النسوة اللاتى عرفتهن حلقن رءوسهن واعتزلن العالم . مثل هؤلاء النسوة يبدون لها مضحكات ، لانه مهما كان ما تقوله المراة من اعتزال العالم ، يكاد يكون من المستحيل عليها ان تتخلى من الاشياء التى تمتلكها . الرجال فقط هم القادرون حقا على التخلى عما يمتلكونه . هذا الكاهن العجوز بالقرب من البحيرة كان قد تخلى عند مرحلة معينة من حياته عن العالم الزائل وكل مسراته وملاذه وكان يبدو فى نظر المحظية الامبراطورية رجلا تفوق رجولته رجولة كل النبلاء الذين عرفتهم فى القصر . وبمثل ما هجر ذات مرة هذا العالم الحاضر ، ففى اعتقادها انه الان على وشك أن يتخلى عن عالم المستقبل

ايضا . تذكرت المحظية الامبراطورية فكرة زهرة اللوتس التي طبعتها على ذهنها تقاليدها الخاصة الراسخة . فكرت في زهرة اللوتس الهائلة باتساعها الذي يبلغ مائتين وخمسين يوجانا . هذا النبات اللامعقول كان أكثر تطابقا مع ذوقها من زهور اللوتس الصغيرة التافهة التي تطفو على الغدران في العاصمة .

وفي الليل عندما كانت تنصت الى زفيف الريح يتناهى اليها من خلال اشجار حديقتها كان الصوت يبدو لها بلا طعم ولا لون اذا ماقورن بالموسيقى الرقيقة في الارض الطاهرة عندما تمر الريح بين الاشجار المقدسة التالية .

وعندما كانت تفكر في الآلات الغريبة التي تتدلى من السماء والتي تعزف من تلقاء نفسها دون أن يمسها احد كان صوت القيثارة التي يتردد صداه في دهاليز القصر يبدو لها تقليدا

— ٢ —

.. كان الكاهن الاعظم لمدة شيجا يقاتل . وكان في قتاله الذي شنه ضد اللحم في شبابه يراوده امل ان يرث عالم المستقبل ولكن هذا القتال اليائس في سنه العالية كان مرتبطا باحساس الخسارة التي لاتعوض . كانت استحالة تحقيق حبه للمحظية الامبراطورية واضحة له وضوح الشمس في كبد السماء . وفي نفس الوقت كان يدرك ادراكا تاما استحالة التقدم نحو الارض الطاهرة طالما ظل اسير هذا الحب . اصبح الكاهن الاعظم ـ الذي عاش

الكاهن العاشق

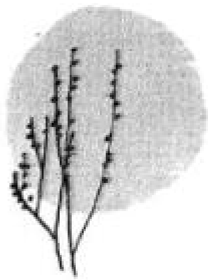
في حالة حرية فكر لامثيل لها ـ في لحظة حبيس الظلام ، والمستقبل غامض تماما . ولربما كانت الشجاعة التي امتلكها ابان صراعاته الشابة قد نجمت من الثقة بالنفس والاعتزاز بحقيقة انه يحرم نفسه بمطلق ارادته من اللذة التي كان من الممكن ان يمتلكها لو انه جد في طلبها .

ومرة أخرى سيطر الكاهن الاعظم على خوفه . والى ان تدانت هذه العربة الشريفة من شاطىء بحيرة شيجا ، كان يعتقد أن ماينتظره على مد اليد منه ليس شيئا آخر غير الانطلاق النهائي للنيرفانا . ولكنه الآن استيقظ على ظلام العالم الحاضر حيث من المحال ان يرى ما يكمن على مدى خطوة واحدة منه كانت كل الاشكال المختلفة للتأمل الديني عبثا باطلا . حاول تأمل « الاقحوان » و « تأمل الوجه الكلي » وتأمل « الاجزاء » ولكنه كان في كل مرة يبدأ فيها التركيز ، يتخايل امام عينيه المحيا الجميل للمحظية . و « تأمل الماء » كان ايضا عبثا لان وجهها البديع كان يطفو متألقا بلا انقطاع من تحت

تموجات البحيرة . كانت هذه بلاشك نتيجة طبيعية لولعه وافتتانه . ولم يلبث الكاهن ان ادرك ان التركيز بسبب الفرو اكثر من النفع وبعد ذلك حاول ان يبلد روحه بتشتيت افكاره ولكم ادهشه ان التركيز الروحي كان له التأثير المضاد اذ غاص به الى اغوار اعمق في اوهامه ، ولكنه سرعان ماادرك أن محاولة الطريقة العكسية بتشتيت افكاره معناها أنه في الحقيقة يسلم بهذه الاوهام ذاتها . ولما كانت روحه قد بدأت لتوه بتقبلها فقد رأى ان من الافضل له بدلا من ان يتابع نضالا عقيما ان يفر من مجهود الفرار بتركيزه على صورة المحظية الامبراطورية العظمى

القى الكاهن الاعظم لذة جديدة في تزيين رؤياه للسيدة بطرق مختلفة كما لو كان يزين تمثالا لبوذا بالاكاليل ، ولقد حول بعمله هذا موضوع حبه الى كائن يزداد تألقا وبعدا واستحالة وهذا منحه سرورا فريدا في نوعه ولكن لم ؟ حقا انه لأمر بدهي بالقياس اليه ان يتصور المحظية الامبراطورية العظمى انثى عادية في متناول اليد وفيها نقاط ضعف انسانية عادية وهكذا يستطيع ان يحولها بطريقة الفضل الى مزية في القليل في خياله . وبينما كان يتدبر هذه المسألة لاحت له الحقيقة . ما كان يراه في المحظية الامبراطورية العظمى لم يكن مخلوقا من لحم ولا كانت مجرد رؤية بل كانت بالاحرى رمزا للحقيقة ، رمزا لجوهر الاشياء .

حقا كان غريبا ان يتتبع هذا الجوهر في صورة امرأة الا ان السبب لم يكن ببعيد عن الفهم والادراك.



أن كاهن شيجا العظيم حتى عندما يقع في الحب لا ينبذ العادة التي مرن عليها خلال حياته الطويلة المديدة من التأمل . عادة الاجتهاد للاقتراب من جوهر الاشياء بواسطة التجريد المتصل . وغدت محظية كيوجوكو الامبراطورية العظمى متسقة مع رؤيته لزهرة اللوتس الهائلة ذات المائتين والخمسين يوجانا . وبينما كانت تنحني على الماء مرتكزة على كل أزهار اللوتس غدت ارحب من جبل « سوميرو » وارحب من مملكة بأكملها . وكلما حول الكاهن الاعظم حبه الى شيء مستحيل التحقيق

عمق خيانته لبوذا لأن استحالة هذا الحب اصبح مرتبطا باستحالة ادراك « الكشف » وكلما ازداد تفكيره في حب كشيء ميئوس منه ، ازداد ثبات الوهم الذي يسنده وازداد عمقا تأصل افكاره الدنسة ، ومادام ينظر الى حبه كشيء بعيد التحقيق فمن التناقض ان يسعه ان يتخلى من نفسه ، ولكن المحظية الامبراطورية العظمى غدت الان مخلوقا اسطوريا لايمكن ابدا الاستحواذ عليه لقد غدا حب القس ساكنا

كبحيرة راكدة عائلة تغطى بنبات وتشوه وجه الارض وامل انه بطريقة ما قد ينجلى وجه المرأة مرة اخرى الا انه توجس من ان تتبدد صورتها التى اصبحت الآن كزهرة لوتس ذابلة ولا يبقى لها اثر عند لقائه بها . فاذا ما حصل هذا فسوف تكتب له النجاة بلا شك . نعم . فى هذه المرة كان بسبيل ان يدرك « الكشف » وهذا الامل نفسه ملأ الكاهن الاعظم خوفا ورعبا . بدا حب الكاهن الوحيد يتنكر خدعا غريبة خادعة للذات . وعندما عقد أخيرا العزم على ان يذهب ويرى السيدة كان واقعا تحت وهم انه كاد يبرأ من المرض الذى يكتوى جسده بناره . كذلك اخطأ الكاهن الحائر المرود الذى صاحب قراره على الامتثال بحسبانه انه فر اخيرا من حبائل حبه .

— ٤ —

لم يستشعر احد من رجال الحاشية العظمى غرابة فى منظر كاهن عجوز يتوكأ على عصاه ويتطلع باكتئاب الى البيت فكثيرا ما وقف النساك والشحاذون بأبواب



القصور فى العاصمة ينتظرون الجود والاحسان . واسرت احدى الوصيفات الى سيدتها بالامر . نظرت المحظية الامبراطورية العظمى من خلال الستارة التى تفصلها عن الحديقة . هناك فى ظل أوراق الشجر اليانعة الخضراء وقف كاهن عجوز واهن فى ثياب سود حائلة اللون ورأس منكس . نظرت اليه السيدة وقتا ما وعندما ادركت ان هذا هو بالامراء الكاهن الذى رأته بالقرب من بحيرة شيجا ازداد وجهها امتقاعا . وانقضت دقائق من التردد والاحجام اعطت بعدها أوامرها لوصيفاتها بأن يتجاهلن وجود الكاهن فى الحديقة .

والآن ولاول مرة وقفت السيدة فريسة للقلق . فلقد رأت فى حياتها رجالا عديدين اعتزلوا العالم واستوحدوا ولكن لم يحدث ابدا ان وقعت عيناها من قبل على احد عبر عالم المستقبل . كان المنظر منذرا بالسوء والهول الى حد الاعجاز . اختفت النشوة التى ابتعثها خيالها من فكرة حب الكاهن . ادركت انه بمقدار ما اوقف عالم المستقبل عليها ان هذا العالم لن يكون ابدا ملك يديها . نظرت المحظية الامبراطورية العظمى الى ثيابها الانيقة والى يديها الجميلتين المبلتين لم تنقل بصرها عبر الحديقة الى وجه الكاهن العجوز الصارم التقاطيع فى ثيابه الرثة . كان ثمة فى الحقيقة افتتان مروع . ان الصلة يجب ان تنعقد بينهما . لشد ما اختلف الامر برمته عن الرؤيا الرائعة ! .. بدا الكاهن الاعظم الآن أشبه برجل خرج لتوه من الجحيم . لم يبق شيء من ذلك الرجل ذى الحضور الطاهر العف الذى جر وراءه بهاء الارض الطاهرة . اختفى تماما الالق الذى سكن فى داخله

والذى تمثل للذهن من خلال الارض الطاهرة .

وبالرغم من أن هذا كان على التحقيق الرجل الذى وقف بجوار بحيرة شيجا فقد كان فى الوقت نفسه رجلا مختلفا تماما عنه . وكأغلب رجال البلاط مالت المحظية الامبراطورية العظمى الى أن تكبح جماح انفعالاتها خصوصا عندما ووجهت بشىء يمكن أن يخلف عليها تأثيرا كبيرا . والآن بعد ان رأت بعينها الدليل القاطع على حب الكاهن لها شعرت بانخلاع قلبها وبالاكثر عندما تحقق لها ان الانفعال العنيف الذى حلمت به طوال هذه السنين قد اتخذ شكلا لا لون له . وعندما دلف الكاهن اخيرا وهو يحجل معتمدا على عصاه الى العاصمة كان قد طرح قريبا تعبه واعياءه . شق طريقه سرا الى الارض التى يقوم عليها مسكن المحظية الامبراطورية العظمى فى كيوجوكو واخذ يرود بعينيه فى ارجاء الحديقة ولم تلبث عيناه ان حطتا على الستائر . وراء هذه الستائر لم تكن تجلس غير السيدة التى اسباه حبها واضناه ! والآن وقد اتخذ الكاهن الاعظم شكلا نقيا طاهرا بدا



عالم المستقبل مرة أخرى يعمل فيه سحره . لم يسبق له ابدا من قبل ان تصور الارض الطاهرة على هذا الوجه النقى النفاذ ، واصبح اشتياقه اليها يكاد يكون شهوانيا . وتفكر انه لم يعد امامه سوى رسمية لقائه بالمحظية العظمى ومكاشفتها بحبه لها ، وهكذا يحرر نفسه تماما من اسار الافكار الدنسة التى شدته الى هذا العالم واعاقته من بلوغ الارض الطاهرة . هذا كل ما كان قد تبقى له ليعمله . وكان امرا مؤلما أن يقف هناك معتمدا جسده الواهن على عصاه . وتألقت اشعة شمس مايو الوضيئة من خلال اوراق الاشجار وسقطت على رأسه الحليق . وبين الفينة والفينة كان يشعر كما لو كان قد فقد الوعى .. وبغير عصاه كان من المؤكد انه سينكفئ فى خطاه ويتهاوى الى الارض فلو أن السيدة تقدر الموقف وتدعوه ليمثل بين يديها حتى يقضى نهائيا على رسمية اللقاء ! انتظر الكاهن الاعظم . انتظر والقى تعبه المتزايد على عصاه . واخيرا التحفت الشمس بغمام المساء وتكاثفت ظلمة الغروب ولما يأت الاذن من المحظية الامبراطورية العظمى . وبديهى لم يكن امامها مندوحة لمعرفة أن الكاهن كان ينظر من خلالها ومن ورائها الى الارض الطاهرة ومن حين لآخر كانت تنظر من خلال الستائر . كان واقفا هناك ساكنا لا يتحرك ، وشق ضوء المساء طريقه فى الحديقة وما زال القس واقفا هناك . هلعت المحظية الامبراطورية العظمى وشعرت بأن ما رأته فى الحديقة كان تجسيدا لذلك الوهم الراسخ .. الذى تراءت منه : «السوترا» وقلبها خوف السقوط فى

الكاهن العاشق

الجحيم . الآن وقد اضلت كاهنا على هذا القدر من الفضيلة السامية لم تكن ما تتطلع اليه هو الارض الطاهرة بل الجحيم ذاته . الجحيم الذى تعرف كما يعرف الحيطون بها – تفصيلا – اهواله .. كان الحب الاسمى الذى حلمت به قد تبدد ، ولان تحب كما كانت فذلك كان يمثل فى ذاته العذاب الابدى . وبينما كان الكاهن الاعظم يتطلع من ورائها الى الارض الطاهرة كانت هى تتطلع من ورائه الى ممالك الجحيم المروعة . الا ان هذه المرأة النبيلة من كيوجوكو كانت من الكبرياء والاعتزاز بالنفس بحيث لم تكن لتسمح لمخاوفها بأن تنال وتراكبت فى ذهنها الان كل حيل قساوتها الفطرية وقالت لنفسها ان الكاهن الاعظم سوف ينهار ان آجلا او عاجلا . وتطلعت من خلال الستارة ظانة انه الآن لابد ان يكون مستلقيا على الارض ، ولكن لشد ما كدرها واحرج صدرها ان تراءت لها الهيئة الصامتة واقفة هناك بلا حراك .

لم يغمض للسيدة جفن من الهلع والخوف . ولم تعد بعد تتطلع من خلل الستارة وادارت ظهرها للحديقة الا انه بدا لها طول الوقت كما لو كانت تشعر بنظرة الكاهن الثاقبة النفاذة تخترم ظهرها . كانت تعلم ان هذا لم يكن حبا عاديا . ومن فرط خوفها من الوقوع فى الحب ، ومن فرط خوفها من السقوط فى الجحيم راحت المحظية الامبراطورية العظمى تصلى للارض الطاهرة كما لم تصل من قبل . كانت تصلى من أجل أرضها الخاصة الطاهرة – ارض طاهرة حاولت أن تحتفظ بها مصونة بين شغاف قلبها – بحق السماء لم حدث هذا ! . ومن عجب انه فى هذه اللحظة نسيت المحظية الامبراطورية العظمى تماما جمالها أو لعله أقرب الى الصواب ان تقول انها حملت نفسها على ان تنساه ! واخيرا بدت اماشق واهنة من الضوء الابيض تتخلل السماء السوداء . وظهرت هيئة الكاهن فى ضوء الفجر . كان لا يزال واقفا . لقد هزمت المحظية الامبراطورية العظمى . واستدعت خادمة واخبرتها بأن تدعو الكاهن من الحديقة وان تجعله يجثو على ركبتيه خارج الستار . كان الكاهن الاعظم على حافة النسيان عندما كان اللحم على شفا الانسحاق . واشكل عليه الامر فلم يدر ما اذا كان ينتظر المحظية الامبراطورية العظمى ام انه ينتظر عالم المستقبل . ومع انه رأى هيئة الخادمة تزايل المسكن الى الحديقة المعشبة فانه لم يدر له بخلد ان ما كان ينتظره اصبح اخيرا فى متناول يده . وابلغته الخادمة رسالة سيدتها وما ان فرغت من مهمتها حتى ندت عن الكاهن صيحة هائلة تكاد تكون لا انسانية . وحاولت الخادمة أن تقوده من يده ولكنه اندفع بعيدا عنها ومضى وحده الى البيت فى خطوات حثيثة ثابتة

بالغة الغرابة .

كان الظلام غاشيا في الجهة الاخرى من الستارة وكان من المستحيل على الكاهن أن يرى من الخارج هيئة السيدة . جثا الكاهن على ركبتيه مغطيا وجهه براحتيه وراح ينشج بالبكاء ، ولبث هناك وقتا طويلا دون ان تنفرج شفتاه عن كلمة . كان جسده ينتفض من الانفعال ولم تلبث ان ظهرت في غبش الفجر يد بيضاء امتدت بلطف من وراء الستارة المسدلة وأوسدها كاهن معبد شيجا بين راحتيه وضغط بها على جبهته ووجنته ، وشعرت محظية كيوجوكو الامبراطورية العظمى بيد غريبة باردة تلمس يدها وفي نفس الوقت احست ببلل دافىء . كانت يدها قد غسلتها دموع انسان . الا انه عندما بدأت تتسلل اليها من خلل الستارة السهام الشاحبة لنور الصباح كان ايمانها الحار قد افعم قلبها بايمان عجيب . بدأت تعتقد أن اليد المجهولة التي لامست يدها . لم تكن غير يد بوذا . ثم بدأت الرؤية الهائلة تثب من جديد في قلب السيدة : التربة الزمردية للارض الطاهرة . ملايين الابراج ذات الجواهر السبع . الملائكة يعزفون الموسيقى . الغدران الذهبية المبذورة بالرمل الفضي ، زهرة اللوتس الزاهية ، اصوات طيور الكالافينكاس الحلوة . كل أولئك ولد من جديد . لماذا كانت هذه هي الارض الطاهرة التي كان عليها ان ترثها والتي اصبحت الآن على يقين من ذلك فلم لا تقبل حب الكاهن الاعظم ؟ .

انتظرت من الرجل الذي يتمسك بيدي بوذا ان يسالها ان ترفع الستارة التي تفصلها عنه . حالا سوف يفعل واذ ذاك سوف ترفع الحاجز وسوف يظهر جسدها الجميل الممتنع النظير امامه كما ظهر في ذلك اليوم على شاطىء بحيرة شيجا ولسوف تدعوه ليدخل . انتظرت المحظية الامبراطورية العظمى ولكن كاهن معبد شيجا لم ينبس ببنت شفة ولم يطلب منها شيئا . وبعد برهة وجيزة ارخت يداه المجوزتان المعروقتان قبضتهما وتركتا اليد الناصعة البياض كالثلج وحدها في ضوء الفجر .

رحل الكاهن وغدا قلب المحظية الامبراطورية العظمى باردا . وانقضت أيام وصلت بعدها الى البلاط شائعة تقول أن روح الكاهن الاعظم قد ادركت انعتاقها الاخير في صومعته في قرية شيجا .

وعندما سمعت سيدة كيوجوكو هذه الانباء شرعت من فورها تنسخ « السوتراس » في صحيفة بعد اخرى بخط جميل رائع ...



● د. عبد المحسن صالح ●

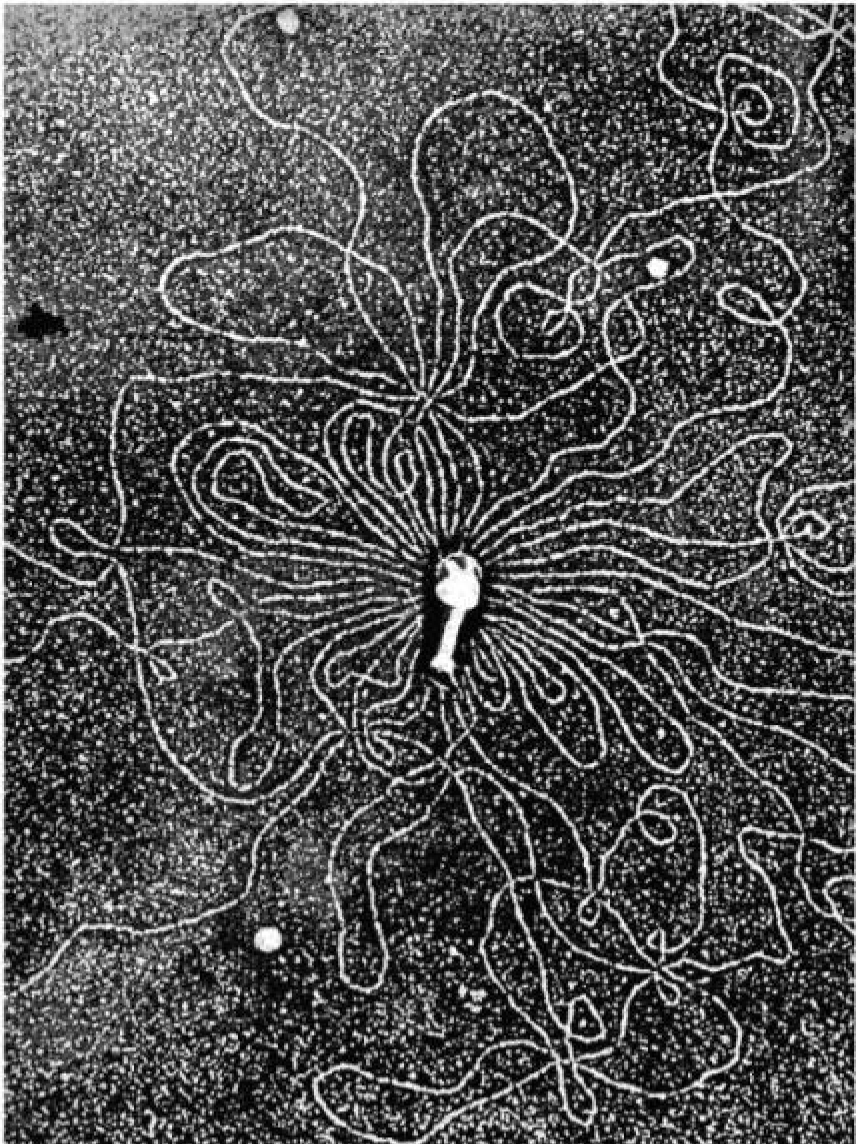
الفيروس طريد الفردوس

من قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان، يحكى ان « ابليس » قد اغوى أمنا « حواء » ، وجاءت حواء لتغوى ابانا « آدم » ليقطف التفاحة .. فطردوا من الفردوس ليصبح بعضهم لبعض عدوا .. الى آخر هذه التفاصيل التى لاشك انكم ادرى بها !

ولكن ، مما لا شك فيه ايضا انكم لم تسمعوا عن قصة « الفيروس .. طريد الفردوس » .. رغم انها قصة واقعية ذات فصول محبوكة ، ولها احداث تجرى فى داخلنا ، وفى داخل كل مخلوقات هذا الكوكب ليل نهار ...

شكل « ١ »

صورة بالميكروسكوب الاليكترونى لراس فيروس محطم بطرق خاصة، فخرج « المخ » على هيئة شريط وراثى يحمل شفرة الحياة التى يستعمر بها الخلايا الناسبة



■ والفيروس شيء معروف ، وان كنا لا نستطيع ان نراه ، لانه يقع فيما وراء حدود عيوننا، ولقد كتب عنه العلماء فى مراجعهم الشىء الكثير ، وبطريقتهم العلمية الجامدة ، ولكننا اردنا ان نحول هذا الجمود العلمى الى صورة حية تنبض بالحكمة والادب والحياة ، دون أن نخل بالاسس العلمية للموضوع .

والى هنا قد تتساءلون : ولكن .. من هو هذا الفيروس ؟ .. وما هو فردوسه ؟ .. وماذا فعل حتى أصبح طريده ؟ .. الى آخر هذه الاسئلة الغريبة .

الفيروس ببساطة هو بمثابة « **ابليس الحياة** » .. او ان شئت الدقة فقل : انه « **ابليس الخلية الحية** » .. وكما يقولون ان « ابليس » (رمز الشر) هو الذى يضل البشر ويفتنهم ، كذلك يمكن أن نقول **ان الفيروس هو الذى يضل الخلية ويوجهها على هواه !**

وكما يقاوم البشر نوازع الشر بضمائرهم الحية ، كذلك تقاوم الخلايا فى داخلنا هذا « الابليس » الفيروس ، فاذا لم تفعل ، فالى الجحيم .. ليس جحيم السماء ، بل جحيم المرض والموت .

ولكن .. دعنا من كل ذلك فالكلام فيه يطول ، وعلينا ان نعود الى تلك النظرية العلمية التى تتحدث من نشأة الفيروس ، وكيف ظهر على هذا الكوكب .. لان السؤال الذى يجابه العلماء هو : **هل ظهر الفيروس أولا او هل ظهرت الخلية اولا ؟**

الواقع اننا امام لغز اكثر غموضا من لغز البيضة والدجاجة .. رغم أن هذا الاخير ليس لغزا على الاطلاق ، لانك لو تدبرت تطور نشأة الحياة ؛ فسوف تصل فى ذلك الى اجابة ترضيك ، وسوف تعلم ان كل شيء قد نشأ من خلية حية .. ودعنا من لغز البيضة والدجاجة ، فالكلام فيه ايضا يطول ، وعلينا أن نعود الى الفيروس وخليته اذن .. فما هو الفيروس ؟ .. هل هو مثلا كائن حى ؟

* * *

الواقع اننا لا نستطيع أن تجيب من ذلك السؤال اجابة مباشرة لسبب بسيط ، ذلك اننا حتى الآن لا نستطيع أن نحدد ان كان هو كائنا حيا او غير حى .. لانه حى غير حى !

وربما تسخرون او تضحكون من اجابة تجيء هكذا ، لانها تبدو لنا على نفس السؤال الذى تسأل فيه زيدا من الناس من مسألة فيجيبك : نعم لا !

وربما تتساءلون وتقولون : هل عجز العلماء — رغم تقدمهم — من تحديد شيء بسيط كهذا ، فلا يستطيعون ان يقولوا فيه القول الفصل ؟

ولن نجيبك من سؤالك هذا الآن ، بل دعنا نسألك بدورنا سؤالا : ما هي صفات الكائن الحي ، حتى نتوصل سويا الى حل يرضيك ويرضينا ؟

ان كنت تعرف ستقول : ان من صفات الكائن الحي ان يأكل ويهضم ما يأكل ليستفيد بما أكل وهضم في بناء مادته الحية .

وهو ينمو ويتكاثر لتكون له ذرية ، ويتنفس ليحصل على الطاقة الحيوية اللازمة لتشغيل أجهزته الخلوية (نسبة للخلية) أو الجسدية .. ويحصل على الماء اللازم لحياته ، اذ لا حياة بدون

ماء .. كما انه يتأثر بالعوامل الطبيعية والكيميائية ، وقد يتحرك (الحيوان) أو يثبت في مكانه (النبات) .. الخ

عظيم جدا .

تأتي الآن الى الفيروس فنقول : انه لا يأكل ، حتى ولو قدمنا اليه كل أطايب طعام هذا الكوكب .

● ولا يشرب .. فليس له في الماء بغية ولا مقصد !

● ولا يتنفس .. لا تنفسا هوائيا او لا هوائيا كما هو الحال في بعض الميكروبات التي تعيش في غياب الاوكسجين

ومع ذلك تحصل على طاقتها بطرق أخرى .. ولكن صاحبنا الفيروس ليس له طاقة !

● ولا ينمو .. لانه ببساطة لا يأكل ولا يشرب ولا يتنفس

● ويمكن ان تحصل عليه بحالة بللورية ، أي كبلورات الملح او السكر ، ولا يمكن ان تحصل على كائن حي بحالة بللورية !

● وليست له ذرية اذا تركناه وشأنه، لانه لا ينمو ولا يأكل .. الخ

وربما تفقد صبرك لتقول : كفى .. كفى ، فما دام الفيروس بهذه الصفات فلا يمكن ان يكون حيا !

ولكن الغريب — يا صاح — انه اذا نجح في الدخول الى خلية حية تناسبه، فانه يبدو لنا بوجهه الآخر .. الوجه الحي !

انه لا يدخل الى الخلية ليأكل ويشرب ويتنفس .. بل ليسيطر على الخلية ويجعلها تأكل وتشرب وتتنفس لحسابه !

وربما تندهشون وتضحكون أو تسخرون وتقولون : لقد عشنا وسمعنا من مخلوق يأكل ويشرب ويتنفس لحساب مخلوق آخر .. هل يمكن أن يكون هذا كلام عقلاء ؟!

نعم .. كلام عقلاء ، لأن الكون يطوى في سجلاته أمورا غريبة ومثيرة .. وربما أغرب مما يتصور البشر .. ولهذا دعنا نكمل قصتنا ، لنعرف السبب ، ويزداد

العجب ، وبعدها سنتعرض لحديث مثير بين خلية وفيروس ، وفيه ستتضح لنا حقيقة تمثيلية رهيبة ، لنعرف مغزى أحداثها .

الفيروس كيان جد دقيق ، ولهذا لا يمكن رؤيته الا بالميكروسكوب الاليكتروني .. لان قطره لا يزيد عن ثمانية أجزاء من مائة ألف جزء من الملليمتر (٠٫٠٠٠٠٨ مم) .. تركيبه جد بسيط ، لانه لا يتكون الا من شيئين :

أولهما : غلاف أو « رداء » بروتيني له تركيبة خاصة هي بمثابة « كلمة السر » التي يعرف بها ضحيته .. أي الخلية المناسبة .. فهناك انواع كثيرة جدا من الفيروسات ، وانواع كثيرة جدا من الخلايا ، ولهذا تخصصت الأولى على الثانية تخصصا دقيقا ، وكأنما في « رداء » الفيروس « بصمات » تتوافق مع « بصمات » غلاف الخلية او جدارها

وثانيهما : شريط وراثي في داخل الرداء لا يزيد طوله من جزء واحد من ألف جزء من الملليمتر ، وسمكه يصل الى جزأين اثنين من مليون جزء من الملليمتر .. وهذا كل ما في الأمر (شكل ١) .

الشريط الوراثي للفيروس بمثابة « مخه » الذي يستخدمه في توجيه كل العمليات الكيميائية التي تتم في الخلية لحسابه .. أو قل انه الخطة الاستعمارية على مستواها الجزيئي الدقيق .. فاذا حط الفيروس على جدار الخلية ، والتصق به ، فانه لا يدخل الى الخلية

كما يقتل الميكروب مثلا لا بل لنراه يخلع الرداء البروتيني ، ويدخل عريانا .. او بمعنى أدق يدخل بشريطه الوراثي الدقيق ويبقى الرداء هناك معلقا على

« أستار كعبته » أو خليته .. وكأنما الرداء يقـــول للشريط « هاأنذا قد اوصلتك الى مرادك .. هذه خليتك .. أننا لن نلتقى بعد ذلك ابدا ، فلقـد اديت مهمتى ، ولا فائدة منى .. وفقك الله في مهمتك وخطتك » !

وهذا هو الفصل الاول من التمثيلية العجيبة .. فصل الغزو او الاصابة !

ثم يرفع الستار عن الفصل الثاني **فصل الخسوف او الظلام** Dark period .. وما فصل الظلام هذا الا كلمة بديلة

لجهلنـــا بما هو كائن .. لان الشريط الفيروسي يقوم بتمثيلية دون أن نعرف

تماما كيف يقوم بها .. ولا ندرك فقط الا ظاهر الامور .. اما الباطن فهــو الظلام .. ظلام المعرفة الحقيقية !

وقبل أن نتعرض لما يجرى ، دعنـــا نقل كلمتين عن أصل « الفيروس .. طريد الفردوس » .. فهناك عدة نظريات عن نشأته ، اهمها : **ان الفيروس ابسط**

بكثير من خلية حية — حتى ولو كانت هذه خلية ميكروبية .. والمعروف أن المخلوقات قد بدأت بداية بسيطة ، ثم تطورت وتعقدت — من خلال الخليـــة —

لتظهر في النهاية على هيئة مخـلوقات كثيرة ومتباينة .. نباتيـــة كانت أو حيوانية .. ثم توجت الحياة مشوارها

الطويل الذى استمر مئات الملايين من السنين بالانسان الحكيم ، فهو أيضـا يبدأ كيانه الذى يجىء به من خلال خلية وحيدة ملقحة في رحم أم .

اذن .. فلا بد أن يكون الفيروس قد نشأ وتكاثر قبل أن تنشأ الخلية .. هو ابسط منها ، والبسيط ظهر اولا !

ولكن الفيروس لا يتكاثر ولا يظهر الا اذا كانت هناك خليـــة حية تأويه ، ليستخدمها في انتاج ذريته .. كأننــا كمن يقول **ان الخلية لا بد ان تكون قد ظهرت اولا حتى يمكن ان تحتضن الفيروس لتكون له ذرية تخلفه من بعده .. لا خلية**

.. اذن لا فيروس .. هذه واحدة ،

والثانية تقول : ان الخلية لا بد أن تكون قد ظهرت أولا ، ثم انفصلت بعض مكوناتها الوراثية تحت ظروف لســنا

ندريها تماما ، وان **ما انفصل منها قد استطاع أن يحمى نفسه برداء بروتيني،**

ليصبح من الشقيين الخـــارجين على المجموع ، أو قد يكون ذلك نتيجة لخطأ ظهر في المكونات الوراثية للخلية ، وأن هذا الخطأ قد ظهر على هيئة فيروسية !

وأيا كانت النظريات ، فانني أميـل الى النظرية الثانية ، ليس لانني أكتب من اجل ذلك مقالة « الفيروس .. طريد

الفردوس » .. ولكن هناك دلائل علمية

في وقتنا الحاضر تشير الى صور قريبة من ذلك ، ونحن — بطبيعة الحال — لا نود أن نخوض هنا في التفاصيل .

* * *

علينا الآن أن نتعرض للفصل الثاني «فصل الخسوف أو الظلام» من تمثيليتنا الرهيبة التى تجرى أحداثها على «خشبة مسرح» ميكروب أو اية خلية .. نباتية

كانت أو حيوانية .. فـكل المخلوقات تتعرض للفيروسات ، وكل أحـــداث المسرحية وفصولها واحـــدة .. وان اختلفت طبيعة « الممثلين » !

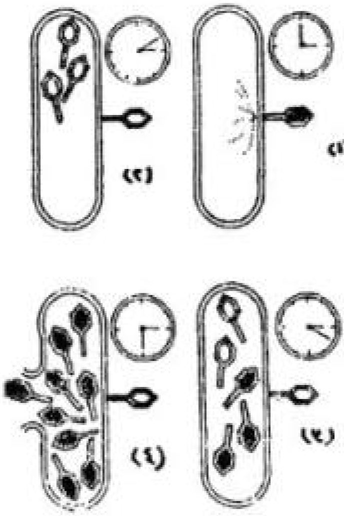
يخبرنا رجال من العلماء يجلسون من وراء « الكواليس » يرقبون ويبحثـون ويسجلون أحداث التمثيلية بوســائلهم

العلمية ، ومن خلال تجارب حاذقة .. يخبرنا هؤلاء عن تمثيلية تجرى بين فيروس وميكروب .. فالفيروس يصيب الميكروب

بالمرض ، كما أن الميكروب يصيبنا كذلك بالمرض ، **وهكذا فقد اصبح الفـيروس**

بمثابة ميكروب الميكروب .. وكأنمـا قد اصبح لكل كائن حى مهمـا صغر ميكروبه الادق الذى يغزوه ويمرضـــه ويفنيه !

امور في ظاهرها القسوة ، وفي باطنها الحكمة .. لو كنتم تعلمون !



شكل « ٢ »

مسرحية موت وحيـاة بين فيروس وميكروب
(١) الفيروس يلتصق على جدار ميكروب ويفرغ فيمادته الوراثية
(٢) بعد عشر دقائق تظهر الاردية البروتينية الفيروسية
(٣) بعد عشر دقائق اخرى يكون الميـكروب للفيروس الجزيئات الوراثية وتحشيها الاردية البروتينية
(٤) ينفجر الميكروب ويتحلل وتخرج الفيروسـات لصيد ميكروبي جديد

كيف يمكن ان تقول هذا ؟!

موضوع طويل جدا ، ولكن يكفي أن نشير هنا الى أساس عميق من أسس الصراع الكائنة بين مخلوقات هـذا الكوكب ، حتى يكون هناك توازن بين الخلق ، فلا تطغى ذرية مخـلوق على مخلوق « **وانبتنـا فيها من كل شيء موزون** » .

نعود الآن الى موضوعنا « الفيروس .. طريد الفردوس » .. وتبسيطا للموضوع ونفاذا الى الحكمة التي تتكرر شواهدها بين المخلوقات وان اختلفت طبائعهـا وصورها وأشكالها ، وتحويلا لموضوعنا من صفته الجامدة الى صفته الحيـة الناطقة ، سنجعل الفيروس يتكلم مع الخلية، ليعيد الى ذاكرتنا صورة باهتة في عقولنا .

كأنما الشريط الفيروسي الضـئيل الذي سجلت عليـه الحياة خطـة « استعمارية » بحروف أو مركبـات كيميائية يتطلع الى الخلية العظيمة التي قد تكبره حجما بمـلايين المرات ، ثم يناديها متشفيا ويقول :

ـ ايه يا حياة .. يامن حرمتني من الحياة .. انني اقف الآن على حـدود ملكوتك .. ملكوت هائل وعظيم ، لأرى فيه عجبا .. أشهد الآن قيـادات (اشرطة الخلية الوراثية التي هي من

ـى اشرقته) ورسل وخمائر وآلات جزئية، ومصانع وجماهيرغفيرة (جزيئات اصغر) واكل وشراب ونظام وكيان ، وحياة فيها استقلال وتوازن ورفاهية .. او ليس هذا يكون ساحر بسـير بكل

هؤلاء ؟ .. لماذا كتب علي التشرد ؟ .. لماذا طردت من هذه الجنة ؟ .. لماذا ؟ لماذا ؟ .. ولكن ، هل يظنون أن النعمة التى يعيشون فيها ستدوم ؟

وكأنما القيادات وما دونها في عالم الخلية الحية تسمع صدى الصـوت الغريب يطن في جنباتها ، وكأنما هي تتوقع من المنادى شرا فتقول للشريط الذى دخل :

● من انت ؟ .. وكيف دخلت ؟ .. ولماذا جئت ؟.. وماذا تريد ؟

ـ انه ثأر قديم بيننا وبينكم .. ثأر عمره مئات الملايين من السنين .

● اى ثأر هذا الذى به تتحدثون .. وكأنما دخلتم الينا تنتقمون ؟

ـ ان كنتم نسيتم ، او تتظـاهرون بالنسيان ، فاننا لن ننسى كل ما كان

.. وحتى لا تظنوا بنا الظنون، وتقولوا اننا منتقمون ، فنسوق لكم اصـل الحكاية باختصار ، لتعلموا اننا لسنا

بظالمين ! فهل انتم لنا تحكى صاغون ، او هل نبدا عملنا الذى من اجله نحن قادمون ؟

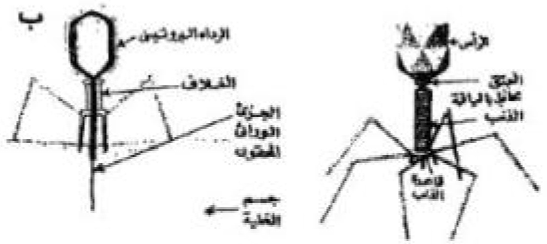
● قولوا .. والامر لله من قبل ومن بعد .. فما قدر يكون !

ـ من مئات الملايين من السنين ، عندما كانت الخلايا تشق في الحيـاة طريقها، تعرضت لتجارب كونية قاسية،

ولكنها عادفة ، وهدفها أن تصـقلها و « ترضيها » وتطورها الى الاحسن

والى الاقوا ، لتساير الظروف الصعبة التي قد تتعرض لها في مشوارها الطويل

وبينما الامور تسـير في طريقهـا المرسوم ، حدث شيء لم يكن في الحسبان



شكل « ٣ »

(ا) احد انواع الفيروسات كما يراها العلماء من خلال الميكروسكوب الاليكتروني
(ب) الفيروس وقد عرف طريقه الي جدار الخلية المناسبة عن طريق ذيله ليحقن في داخلها مادته الوراثية ، كما يحقن الدواء من الحقنـة

.. أو ربما كان (١) .. حدث أن ظهرت أخطاء « القيادات » في عالم الخلايا .. في جزيئاتها أو أشرطتها الوراثية التي تبعث بأوامرها على هيئة رسل أو جزيئات كيميائية طويلة لتنظم أمور الخلية .. ولقد كنا نحن ضحايا هذا

الخطأ .. اذ ظهر فينا ، دون أن يكون لنا فيه من حيلة .. اننا في الواقع

ذرية الخطيئة التي حدثت في زمن — من عمر الكون — سحيق ، وكأنما قصة الخطيئة قد ظهرت فينا ، قبل أن تظهر في « آدم وحواء » ، عندما أغواهما « الشيطان » فطردوا من الجنة ، وأصبح بعضهم لبعض عدوا !

ترى .. ماذا فعلتم معنا ؟ .. دعونا نسأل ونجيب .

لقد أردتم أن تتخلصوا منا ، وكأنما تقولون : ان هؤلاء لخاطئون ، وهم من فردوسنا مطرودون .. وطردتمونا ، وخرجنا من هذا النعيم المقيم ، وتركتاه صاغرين ، دون أن تأخذ معنا الا ورقة تستر «عورتنا» .. تعني رداء بروتينيا كان هو كل نصيبنا ، لتدثر به شريطنا، فنحمي أنفسنا من الضياع !

نعم .. خرجنا مطرودين منذ مئات الملايين من السنين ، واليوم نعود اليكم كما عدنا لأجيال منكم بالأمس البعيد ، وكما سنعود دائما في أجيال قادمة وقادمة ، « فنكيد لكم كيدا مبينا » .. « قضى الأمر الذي فيه تمترون » !

● ولماذا تكيدون لنا ، ونحن لانكيد ؟

— جهل .. غباء .. عدم تبصر أو دراية منكم بسير الأمور .. فأنتم كخلايا تكيدون كيدا ، وأنا كفيروس أكيد كيدا .. شر وخير ، وخير وشر ، أيهما يتغلب ؟ .. لسنا ندرى ! (الرائع أن هناك بروتينات مضادة تكونها الخلايا في أجسامنا، لتصبح بمثابة الخط الدفاعي

الثالث الذي اذا ظهر قضى على الفيروس، وفي أحيان أخرى قد ينجح الميكروب في القضاء على الفيروس .. وفي هذه الاشارة الكفاية) .

● ولكن .. لماذا تسلطون علينا بجريرة ارتكبها أجدادنا ؟

— لسنا ندرى ، واسألوا السماء ، فربما تحصلون على جواب فيه الشفاء !

● وهل أنتم متأكدون أننا ذرية الخلية التي طردتكم من ملايين السنين ؟

— بالفداحة جهلكم .. لقد نظمت أمور الكون بدقة ليس لها مثيل ، ونحن لا نريد أن ننال من كبريائكم اذا أخبرناك، أن الذي عرف الطريق اليكم هو في ، ردائنا (شكل ٢) .. تصوروا أن ا ل

الرداء — يحفظه الله ويرعاه — هو ا ى أسر الينا بأنكم أنتم السلالة ا تى نستطيع أن تحمل جزيئاتها من الصالة بي ولنكون نحن الأعزة .. ولو الى حين !

● وماذا أنتم الآن بنا فاعلون ، ونحن أكثر منكم عددا وعدة ؟

— بالضبط قوم أعجبتهم كثرتهم ، فكانوا من المدحورين .. هل بالكثرة تفاخرون، وبالخطط المنظمة التي جعلناها

سبيلنا لا تتدبرون ؟ .. الا لعنة الله على قوم يتكلمون ويهددون ، أكثر مما يفكرون ويعملون .. اذ ليس بالكلام

والوعيد يا سادة — حتى ولو أعجب جزيئاتكم — تسيطرون وتسودون .

اننا ندخل اليكم يا سادة قومكم (٢) بخطط « مدروسة » نحملها كشفرات كيميائية في جزيئاتنا ، ونحن لا نريد أن نحرجكم اذا أخبرناكم بأن عقد

شفراتنا الوراثية المسجلة على شريطنا هذا الضئيل قد « كتبت » لتمولنا بخطة تكفي للقيام بعدة عمليات كيميائية لا تزيد على عشر أو عشرين ، وهذا عدد

(١) كان في الواقع شيئا مقدرا لحكمة ... وهي توازن الخلق التي أشرنا اليها من قبل ذلك .

(٢) لأن الجزيئات الوراثية التي « يتخاطب » معها الفيروس (وهو أيضا جزيء وراثي) هي الأساس في التخطيط للحياة .

فشيل اذا ما قورن بمؤهلاتكم العظيمة التى تحملونها ، وتستطيعون بها توجيه اكثر من عشرة الاف عملية حيوية من معملياتكم .. الا أن معلوماتكم المكتوبة لكم كخلايا ميكروبية ، لا تقارن بذلك

العدد الهائل الذى تحويه خلية واحدة من أعظم مخلوق على هـذا الكوكب (الانسان) .. ففيها أكثر من مليون معلومة وراثية تستطيع أن تترجمها الى مليون خطة عمل ، ومع ذلك ، فهناك

أصدقاء لنا (فيروسات أخرى) يستطيعون أن يتسلطوا بالقليل جدا مما امتلكوه على خلايا الانسان .. وهنا لا بد أن

تعلموا أن العبرة ليست بكثرة العدد ، ولكن بما تحمل فى رأسنا من مخططات قليلة ، الا أنها أكيدة المفعول .. انه **النوع ، لا الكم** يا سادة !

● **يا ابليس الحياة .. يا ابن الأبالسة !**

ــ دعكم من ذلك ، فالسبب من صفات المعجزة ، وعلينا أن نبدأ عملنا لنريكم بأسنا .. والآن اسمعى وأطيعى .. عليك أن توجهى خططك وأجهزتك ومقوماتك العظيمة لحسابى .. فأنا لا أملك منها

مثل ما تملكين .. كلى واشربى هنيئا مريئا ، وتنفسى كما تبغين .. ومع هذا فأنا لا أريد شرابا ولا طعاما ، بل أطمع

فى ذرية لى تخلفنى من بعدى ، كما للمخلوقات الأخرى ذرياتها .. كل ما أطلبه منك أن تساعدينى على تفصيل

« **اردية بروتينية لأنجالى** » .. فصليها على هواى لا هواك .. فلدى خطة التفصيل المسجلة على شريطى .. أريد

عشرات ومئات من هذه الأردية .. اسحبى الغذاء .. كلى .. تنفسى .. أسرعى .. لأننى فى عجلة من أمرى .. وسأقوم بعد قليل بطبع عشرات النسخ من ذاتى .. نسخ طبق الأصل من شريطى

هذا الذى دخلت به الى ساحتك أو مملكتك (نواة الخلية) عريانا وحيدا ، ولن أستطيع أن أستنسخ الا بمساعدتك .. هكذا قدرت الأمور ، ولا أحد يستطيع أن يهرب من المحظور .. حياة

وموت .. بناء وهدم .. دفع وصراع . « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** » .. وما يجرى على الناس يجرى علينا وعلى كل المخلوقات

« حكمة بالغة » .. « فهل من مدكر » أنا صغير .. أنت أكبر ، أنت صغيرة ..

الانسان أكبر .. الانسان صغير .. الكون أكبر .. الكون صغير .. الله أكبر . الله أكبر .

● **غريب أمرك يافيروس .. تذكر الرب .. وتؤذى الخلق !**

ــ دعك من هذه النغمة .. فما أكثر من يذكرون ثم يؤذون ! .. ألا لست أنا بدعة فى الخلق .. والآن .. لى الأمر ، وعليك السمع والطاعة ..

والى هنا تنتهى تلك المناقشة التصورية التى تحمل فى طياتها الواقعية .. والى هنا أيضا يسجل العلماء للخلايا نشاطا غير عادى ، وكأنما الفيروس قد داس

على « زنادها » لتنطلق فى داخلها القذيفة التى تدفعها الى سحب مزيد من الغذاء ، والقيام بمزيد من التنفس والطاقة .

لقد ملك الشريط الفيروسى زمام الأمور فى الخلية ، وهو الآن يوجهها

لتدير أجهزتها وعملياتها لحسابه .. وبعد عشر دقائق تقط من الغزو ، **يبدأ ظهور بشائر أردية فيروسية** .. رداء من وراء رداء من وراء رداء .. الخ ، حتى يكتمل

عددها الى **حوالى مائتين** .. كل منها قد جاء بهيئة طبق الأصل من الرداء الذى تركه على « أستار » الخلية عندما دخل اليها بشريطه أول مرة .

لو أننا عزلناها من الخلية المحطمة ، عند هذه المرحلة ، فلن تقوم للفيروس قيامة .. صحيح أننا نسجل عددا كبيرا من فيروسات ظهرت ، ولكنها ليست فيروسات حقيقية ، بل هى « أشباح »

فيروسية .. مثلها فى ذلك كمثل جلد ثعبان مسلوخ ، وربما لو رأيت هذا الجلد لحسبته ثعبانا ، وهو فى الواقع غير ذلك !

وكيف عرفنا أن ما ظهر في الخلية كانت أشباح فيروس ، وليس الفيروس الحقيقي ؟

لو أننا عزلناها من الخلية المحطمة ، ووضعناها مع خلايا ميكروبية سليمة ، فإنها تلتصق على جدرها ، لأن الرداء الفيروسي — كما سبق أن ذكرنا — هو الذي يعرف الطريق الى « الرداء » الميكروبي (أي جداره) .. وعندما يتحد به ، فإن الميكروب لا تظهر عليه أعراض المرض ، وكأنما شيئا لم يحدث .

السبب أن الشريط الفيروسي « الاستعماري » لم يتكون بعد ، ولم تحش به الأردية بعد، ولهذا فهو عند هذه المرحلة يكون بمثابة جلد الثعبان.. وليس في الجلد سم ولا أذى .. وكذلك يكون الرداء الفيروسي بالنسبة للخلية .

لقد التصق الفيروس على جدار الميكروب عند ساعة محددة ، ولتكن على سبيل المثال تمام الثالثة ..وعندما يحدث الغزو ، وتستمر أحداث التمثيلية الغريبة في الداخل لمدة دقائق عشر ، أطلقنا عليها فصل « **الظلام** » !

عقارب الساعة الآن تتحرك نحو الثالثة والثلث ، وآن لنا أن نشهد الفصل الثالث من مسرحيتنا الخالدة .. فصل البعث أو « القيامة » وفيه تقوم قيامة الفيروس الحقيقية !

في هذه الفترة **تتكون الأشرطة الوراثية** .. صور طبق الأصل من الشريط الذي دخل أول مرة .. ولكل شريط رداء ، وبه وبالرداء تتكون فيروسات جديدة وتبعث الى الوجود على هيئة مائتين من ذرية فيروسية .

الفصل الرابع — فصل الانطلاق — فصل قصير ، فعند حوالي الساعة الثالثة والنصف تنفجر الخلية ، والذي قام بتفجيرها خميرة خاصة (انزيم) أطلقتها الفيروسات ، لتذيب الجدار ،

وتتحطم الخليــــة ، وتنطلق الذرية الفيروسية ، لتسير على نفس الدرب الذي سار عليه الآباء والأجداد من قديم الزمان .. وبهذا يسدل الستار على تمثيلية الموت والحياة !

كأنما الخلية هنا بمثابة « الأم » التي أرضعت « روحها » لذرية أخرى غير ذريتها ، وكانت سببا في بعثها الى الحياة رغما عنها ، ثم اذا بالية التي امتدت اليها بالاحسان ، تجازيها بالاساءة والبتر والتدمير .

هذه هي اذن قصة جديدة من قصص الصراع الكائن بين مخلوقات هذا الكوكب .. قصة «الفيروس .. طريد الفردوس» .. طريد الخلية التي وضعت فصولها من قديم الزمن !

لو أنك تمعنت في الاســـاس ، ولو درست النظم السارية على هذا الكوكب دراسة المتأمل المفكر المتعمق فيما يدرس لوجدت أن **الصراع هي كلمة بديلة للتفاعل أو الدفع الكائن بين مكونات هذا الكوكب ، أو ما حوله من أقمار وكواكب وشموس ومجرات .**

بين الجسيمات التي تبني الذرة تفاعل ، وبين الذرات تفاعل ، وبين الجزيئات كذلك .. حتى اذا ظهر الفيروس على مسرح الأحداث حدث الصراع أو التفاعل مع ميكروب يناسبه، ثم اذا به يغزوه ويهلكه رغم أن الميكروب أكبر ، ثم يجيء الميكروب بدوره ليغزو الخلايا رغم أنها أكبر ، أو قد تأتي خلية من الخلايا (الخلية السرطانية) لتحطم وتدمر الجسم ، رغم أن الجسم أكبر ، ثم تتطور المخلوقات بخلاياها ، فيظهر الصغير والكبير ، وقد يهجم الكبير على الصغير ليكون له طعاما ، أو قد ينال الصغير من الكبير دون أن تنفعه ضخامته .. الى آخر هذه الأمور التي يبدو لنا أن في ظاهرها العذاب ولكن في باطنها الرحمة لو كنتم تعلمون ، ولا مجال هنا لنناقش هذا الأمر مناقشة هادئة لضيق المجال .

وما نهاية المطاف اذن ؟

لا نهاية .. واذا أردت نهاية ، فعليك أن تفهم مغزى هذه الآية « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** » **.. وما يجري على الناس يجري على كل المخلوقات.. من أول الجسيمات والذرات والفيروسات والخلايا .. الى الكواكب والشموس والمجرات .. وفي ذلك الكفاية لقوم يفقهون .**



فنان المسرح الفرنسي جان
لوي بارو في دور دي بيرو

● د. علي الراعي ●

شاعر الصمت العظيم

كان نابليون راكبا عربته الامبراطورية ، وهي متجهة به الى « سان كلو » ، على الطريق الى باريس .

وكان الامبراطور ـ كعادته ـ كتلة من النشاط والتوقد لا تهدأ . مد بصره الى الطريق فاذا به يرى ممثلا شابا ، بادى الفقر ، يجر قدميه جرا على الطريق الطويل الى عاصمة الامبراطور .

واوقف نابليون عربته ـ بلا تردد ـ وطلب الى الممثل الشاب ان يركب معه ، لم يكن غريبا على القائد الكبير ان يفعل ، فقد كان يجمع الى مزاياه العسكرية العديدة، حبا شديدا للمسرح والمسرحيين .

ولكن نابليون لم يكتف بان يلتقط ممثلا جوالا فقيرا من الطريق ويركبه عربة الامبراطور . بل انه مضى الى سؤال الممثل الشاب عن احوال المسرح في فرنسا ، ثم فاجاه بقوله : « ما رايك في كبار كتاب المسرح في فرنسا اليوم ؟ » .

وتردد الشاب مليا ، وتلعثم ، وهو خجول ، منطو على نفسه بطبيعته . ولكن الامبراطور الح . ولم يجد الشاب بدا من ان يدلى برايه . قاله ببساطة ، ووضوح، فجاء كقنبلة انفجرت على غير ميعاد . قال : « يا صاحب الجلالة : ان في مقدور هؤلاء السادة ان يكونوا اكبر بكثير مما هم الآن . لو انهم تركوا كتابة المآسى ، واقتنعوا بخلق المسرحيات الصامتة » !

ولم يكن الشاب يعبر ـ بهذا الرد الذكي ـ عن سخطه على التراجيديات في عصره وحسب بل كان ـ ايضا ـ يظهر غرامه بفن التمثيل الصامت ، الذى قدر له ان يبلغ فيه مجدا كبيرا ، جعله واحدا من اعظم من اشتغلوا بذلك الفن الصعب على مدى قرون كاملة .

كان اسم هذا الممثل الشاب الفقير : جان جسبار دى بيرو ، وقد لقبه نقاد الفن وهواته فيما بعد باسم : « شاعر الكلمة الصامتة » .

حياة دى بيرو قطعة من الشعر العذب المؤلم . كأنما هى ذاتها واحدة من مسرحياته الصامتة التى برع فى أدائهـــا كل ليلة على مسرح : « **فيناميول** » (١) الصغير فى « **بولفار دى تامبل** » بباريس .

ولد فى اقليم بوهيميا ، فى المانيا ، عام ١٧٩٦ . أبوه جندى فى الجيش ، كان له بنتان جميلتان ، وثلاثة أولاد ، بينهم جان ـ جسبار .

وحين بلغ جان ـ جسبار عامه السابع سمع أبوه أن قريبا له فى فرنســا قد مات وترك له عزبة ، فحزم متــاعه القليل ، وجمع اولاده ، وولى وجهه شطر فرنســا سعيا وراء المال .

وكان على الجميع أن يلتقطوا رزقهم على الطريق الطويل من بوهيميــا الى « اميان » فى فرنســـا ، فحول الأب أبناءه الى بهلوانات يسيرون على الحبل ، ويقدمون عروضهم فى الاسواق والنواصى والأماكن العامة ، وتفوق أربعة من الابناء ـ البنتان والولدان ـ فى هذا الفن المجهد ، بينما لمد بجان ـ جسبار عجز واضح فيه ، **فلا هو مهيأ بدنيا لهذا المجهود الشاق ، ولا روحه العذبة الرقيقة تسمح له بأن يقبل على فن غليظ ـ بالنسبة له ـ لا يستطيع أن يحبه .**

وكان أن اصبح الفتى الصغير هدفا

---

(١) اى مسرح البهلوانات ..



مشهد آخر من شخصية بيرو .

مثيروها لنكات أفراد أسرته وسخرياتهم، لم أصبح دوره التقليدى فى العروض أن يكون المسخة العاجز ، الذى يحاول فيقع ، وقد يجرح ، فلا يثير عجزه هذا الا ضحكات الاستهزاء والشماتة من جمهور غليظ الحس .

وهكذا دخل جان ــ جسبار عالم المهرج التعيس : ذلك الانسان الغريب الذى يضع الاصباغ على وجهه ، ويلبس رداء المهنة الكثير الالوان ليضحك الناس وهو ــ ان كان فى رقة جان ــ جسبار ــ ينزف الدم فى داخل روحه .

* * *

وصلت الفرقة الصغيرة الباحثة عن المال الى « اميان » أخيرا ، وكانت مفاجأة غير سارة فى انتظار الأب الهمام، ما كان يظنه مزرعة فسيحة تقلص حتى أصبح نصف فدان ! وبالينه كان خالصا للزراعة ، بل كانت الاشواك والاعشاب تملأ جنباته ، بلا ندم ، وبغير عزم على الانتقال ! أما البيت الذى طالما تخيله منيفا ، فكان مجرد كوخ حقير لا اكثر ولا أقل . . !

وباع الأب الميراث بالثمن البخس ، وعاد يحمل متاعه وأسرته ليلقى مصيرا كان ــ كارضه التى تخلص منها لتوه ــ مليئا بالاشواك .

والاشواك تدمى الاقدام دائما . ويزيد النزيف اذا طال الطريق ، وتحالف معه زمهرير الشتاء فى أوروبا . زمهرير لا تفاهم معه ولا رحمة له . فاشترى الأب حصانا هزيلا ، ووضع أسرته فى سلال حملها الحصان الهزيل ، وسار الجميع يقدمون فنهم من قرية الى قرية ، ومن بلدة الى بلدة : البنتان المليحتان تمشيان على الحبل ، والولدان والأب يقدمون لعبة القفز فى الهواء تارة ، وتارة أخرى يكونون التشكيل المعروف « بالهرم » ويقدمونه وهم يزحفون على السلك المشدود .

أما المسكين جان ــ جسبار ، فقد ظل دوره أن يحاول ويفشل ويتعثر لم لايكون نصيبه الا الهزء والخزى والضحك الشامت من الجمهور .

* * *

طالت أسفار الجماعة من بلد الى بلد عبر أوروبا بأسرها، ووصلت بهم رحلاتهم الى **استانبول** حيث قدمت الفرقة العابها امام حريم السلطان . وتسلق جان ــ جسبار درجات سلم كى يلقى نظرة على شاغلات الحرملك من الحسان وهى نظرة عقابها الوحيد هو الموت ، ولكن الفنان الشاب اخطأها وافلت من العقاب !

ومن تركيا الى المانيا ، ومن المانيا الى فرنسا . وفى باريس ألقت الفرقة عصا التسيار . وآن لها ان تفصل ، فقد طال تشردها ، ومات الحصان الذى كان يحملها ويحمل همومها معا .

وفى باريس تعدلت أحوال الفرقة بعض الشىء . فقد استراحت من التجوال واستطاعت أن تلتقط رزقها بمشقة اقل ، ولكن جان ــ جسبار ظل على شقائه المعتاد . فبينما كان شقيقاه وشقيقتاه يحصلون على ملابس انيقة ، وطعام طيب ، ويتخذون لانفسهم اسماء مسرحية يطبعونها على الاعلانات ، كان الفنان المضطهد سيىء الملبس ، قليل الطعام ، منزويا ، ضحية لما يتورط فيه من عثرات ، وما يجلبه عليه الغير من سخط بسبب أخطائهم .

هذا ما حدث ذات مرة حين كانت الفرقة تقدم نمرة « **الهرم المصرى** » ، فقد اختار البهلوانان اللذان يكونان قاعدة الهرم فى تلك المناسبة أن يسكرا حتى يفقدا التوازن . فلما شكل الهرم ، ولم يبق الا ان يتسلقه جان ــ جسبار ليكون قمته ، اختل توازن القاعدة فجأة ، فهوى الفنان المسكين الى الارض ، وسالت منه الدماء .

وتعالت الصيحات من المتفرجين ، وهم يظنون أن هذا جزء من النمرة ، فكان ذلك الضحك عزاء جان ــ جسبار الوحيد من مهانته والجراح !

وجاء اليوم الذى ضج فيه جان - جيبار من وضعه هذا المهين : **ان يبقى دائما فى المحل الثانى بعد اخوته ، ولا امل فى تقدم أو ارتقاء** . فسعى حتى حصل على عمل فى مسرح صغير مغمور ، هو « **مسرح البهلوانات** » الذى تقدمت الاشارة اليه ، وكان فى السابق مقرا لفرقة من الكلاب المدربة على العروض المسرحية، واصبح الان يعرض مسرحيات **البانتوميم البهلوانى** ، اى الذى يجمع بين التمثيل الصامت ، وعروض البهلوان الراقصة .

ولم تحسن هذه النقلة من أحوال جان - جيبار ، لقد ظل العمل شاقا، والاجر قليلا ، وضوء الشهرة منه بعيدا ، الى أن جاءه ذات يوم صديق يعمل معه بالفرقة ، يبدو أنه حدس شيئا مما يدور فى نفس جان - جيبار من امل ، وما يعمرها من موهبة ، فعرض عليه أن يقوم بدوره فى المسرحية المعروضة - دور « **أرليكان** » ، البهلوان الذى يتمتع بالبطولة فى كل عرض ، واقرضه الزميل - وكان اسمه **فيلكس** - ملابس الدور .

وفجأة وجد دى بيرو نفسه فى دور ارليكان ، وانتزع أعجاب الجمهور بتمثيله ، وان كان الناس قد ظنوا انهم انما يشاهدون حبيبهم المألوف فيلكس .

ومع هذا ، فلم يرض دى بيرو عن نفسه ، ولم يشعر ان هذا التمثيل بالنيابة ، قد حل مشكلته حلا مرضيا، وظل اليأس يعتصر فؤاده ، وشبح الفشل يلاحقه ، حتى فكر جديا فى الانتحار .

كان اذ ذاك جالسا فى مقهى بشارع « **أو تور** » . وكان الوقت مساء ، والمقهى ليلتها عامر بجماعة من معلمى لعبة الشيش ولعبة المصارعة بالرفس - لعبة فرنسية خالصة - وبعض من الكتاب ومؤلفى الاغانى والصحفيين .

كان الجميع يتحدثون عن الممثل الفرنسى المشهور « **تالما** » ، الذى مات مؤخرا ، ويظهرون اعجابهم الخالص بفنه واعماله .

وكان **فرانسوا جوزيف تالما** (١٧٦٣ - ١٨٢٦) يستحق من جدارة كل ما وجه اليه من تحية وتقدير فى حياته وبعد الممات . كان الملوك يعشقون فنه ، و « **يشرفونه** » بأن يطلبوا اليه التمثيل امامهم . أما هو فكان صديقا للثوار ، وكان هؤلاء يفخرون بأنه صديق لهم .

وكان أول دور ظهر فيه تالما عام ١٧٨٧ فى مسرحية « **محمد** » لفولتير . وكان من بين شهود فنه فيما بعد الملك التعس **لويس السادس عشر** ، وذلك رغم أن تالما كان ظاهر العداء للملكية ، وصديقا حميما لكل من **دانتون وديمولان** من ابطال الثورة الفرنسية الوشيكة الوقوع .

وفى عام ١٧٨٩ ، مثل تالما دورا فى مسرحية : « **شارل التاسع** » وهى معادية للملكية ، والقى خلالها خطابا ملتهبا تنبأ فيه بسقوط الباستيل، فكان **ميرابو** على رأس التصفيق العاصف الذى حيا خطاب تالما .

واحدث الخطاب ضجة كبرى ، وادى الى خروج تالما من المسرح القومى . ولما قامت الثورة عاون دانتون وديمولان الممثل الكبير على انشاء « **مسرح الجمهورية** »، حيث واصل تالما السير فى مجراه الفنى العاصف والحافل .

ومن بعد ، حول **نابليون** هذه الفرقة الى **الكوميدى فرانسيز الجديدة** وجعل تالما على رأسها . وكان الامبراطور من أشد المعجبين بفن تالما . وكان يصحبه فى أسفاره ، ليمثل امام الملوك . وفى عام ١٨٠٨ أخذه الى بلدة **ايرفورت** ، حيث مثل مسرحية « **موت قيصر** » ، أمام خمسة من الرءوس المتوجة !

هذا هو تالما ، الذى سمع جان - جيبار دى بيرو ، **الالسنة تلهج بمدحه**، فى تلك الليلة الحاسمة فى تاريخ الفنان الشاب .

لبث ، وهو ينصت لذلك المديح المتدفق على عظمة الفنان الشاب الموهوب ، وقدرته على

شاعر الصمت العظيم

أن يكسب لنفسه قلوب الناس ، ويشق طريقا واسعا الى حسن الاحدوثة فى الحياة والممات .

وآلى على نفسه ـ كذلك ـ أن يصبح مالكا لمسرح شارع دى تامبل ، الذى يقع فيه مسرحه .

ان تكن الظروف قد شاءت ان يقع له دور المهرج أرلبكان فى مسرحيات بانتوميم بهلوانى راقص ، فسيجعل هو من هذا الدور شيئا عظيما حقا . سيجعل من صمته كلاما لا تلحقه بلاغة ، وسيصب فى الدور كل ما اعتمل فى نفسه طوال سنوات الشقاء من رغبات : من ألم ، من حسرة ، ومن حب أيضا . فرغم أوجاعه الكثيرة ، كان دى بيرو يحب الناس حواليه ، يحب جمهوره الصغير الذى يلقاه كل يوم ... جمهور فقير من عمال الضواحى .. هو دنيا قائمة بذاتها . جمهور صاخب ، ذكى ، نشط ، شاحب الوجوه ، ملتمع العيون ، يتمتع بموهبة اللسان السليط . يتحدث أفراده دائما فى نفس واحد ، ويضيفون الاشارة بالايدى الى لغة الكلام . يتحدثون دائما بأعلى صوت . ويأكلون دائما ، وجميعا ، ما يجلبونه معهم من الفطائر ، والرقاق ، أو يقضمون التفاح ويشربون الليموناده او الشعير المسكر ، يشترونها من باعة لها يجوسون خلال مقاعد المسرح الخشبية ، وهم ينادون على بضاعتهم كأنما الضجة تحتمل المزيد !

* * *

كان دور المهرج البهلوان قبل دى بيرو يتمثل فى شخصية « جيل » أو بييرو التقليدية : **شاب سيىء الحظ دائما ، واضح السذاجة والغباء ، قليل الحظ من اللباقة وهو لهذا اضحوكة الجميع وضحية الظروف باستمرار .**

وتسلم دى بيرو هذه الشخصية التقليدية ، فاحتفظ لها بالرداء التقليدى : **السترة البيضاء الواسعة ذات الاكمام الطويلة ، والياقة الكبيرة المشكشكة ، والقبعة الضخمة ذات الحافة العريضة ، تنحدر حول الوجه المطلى بالابيض .**

ولكن دى بيرو استخدم قدرته الفذة على التعبير الصامت فى تأكيد الجوانب النفسية المتعارضة التى تكمن فى الشخصية : **السذاجة ، الفرح الطفولى ، اليأس الفاجع ، والتصرفات الخرقاء ، واتخذ منها جميعا وسيلة للتعليق الساخر على معايب البشر .**

وسرعان ما أصبح بييرو التقليدى فرنسيا ، بل باريسيا ، له وجود مستقل عن أصوله الايطالية ، ولم تبق له من سماته النفسية الا ذلك الغباء الراسخ ، الذى يحبب فيه الناس مع ذلك . أما مظهره الخارجى فقد ظل كما هو .

فكان دى بيرو قد خلق شخصية جديدة وصبها فى داخل الاطار القديم . شخصية تعبر عنه هو ، أولا ، بوصفه فنانا فقيرا معذبا ، سيىء الحظ ، وتعبر عن جمهوره الشعبى اليقظ ، المتحفز ، الراغب فى أن يرى نفسه وواقعه على المسرح .

وقد جعل دى بيرو من شخصية بييرو كما رآها ، تجسيدا فعليا للشعب

الفرنسي آنذاك . جعل بيرو فرحا تارة، وحزينا تارة أخرى . صوره مريضـا مرة ومتمتعا بالعافية مرة ثانية . قدمه ضاربا ومضروبا . رسمه موسـيقيا وشاعرا ، ومغفلا . فقيرا دائما كما أن الشعب فقير .

وكان جمهوره يشعر بالحقد والاستهزاء نحو النساء المترفات ، والابطـال الوسيمين ، والعشاق المتحرقين والازواج الغيورين ، الذين تزدحم بهم جميعـا الكوميديا المتكلفة . هؤلاء في نظـر الشعب . يعيشون في عالم مصطنع . عالم خاص بهم لم يعرف الجـوع ولا المرض . لم يخبر التشرد ، والحـرمان الممض ، الذى لا يكفيه ما في الحياة من قيود اصيلة ، فيبتكر من عنده قيـودا يكبل بها المزيد من حواس الانسـان ورغباته وقدراته على الانطلاق

وكان هذا الجمهور يطالب بكوميـديا اخرى ، تفضح هذا الزيف ، وتخاطب ما يعتمل في اعمق اعماقه من احتجاج عليه ورغبة في فضحه والتنديد به . ووجد ذلك الجمهور في فن دى بيرو الصـامت ما يطلب تماما

ها هو ذا فنان قد كوته الحيـاة بنيران هادئة ، حتى نضج لحمه تماما ، واصبح جاهزا للاكل ! ها هو ذا رجل طحنته الايام حتى الطحن . وقربته من واقع الناس حتى أصبح هو الناس . هاهوذا عبقري نحى الكلمات جانبا ، لان ما في قلبه من هم وحب أكبر من كل الكلمات . ها هو ذا فنان يتحدث اليهم من اعماق صمته ، يسخر من اعدائهم، ويربت على قلوبهم الموجوعة ، ويقـدم لهم صورا من أنفسهم على المسرح ، في حنان ، وحب ، ونقد يكشف المعايب ولا يشمت فيها

وفي مسرحية وراء مسرحية ، قـدم دى بيرو طوائف الشعب المختـلفة : الطباخ والزبال والسـقاء وبائع الفحم وصانع الاحذية فعرف الناس في مسارح هؤلاء مصيرهم هم ، وراوا انفسهم فيما يجرى لهذه الشخصيات على المسرح من فرح وغم .

* * *

كان مسرح « فيناميول » الذى جعله دى بيرو بيته الدائم عشرين عاما متصلة، هزيل المظهر من الخارج والداخل معا ، واجهته ضيقة ، تضيئها اربعة فوانيس،

جورج صاند



تلقى بفضولها القليل على المتفرجين المتحمسين ، البرمين بطول الانتظار

فاذا ما دخل هؤلاء أخيرا ، سرعان ما ملأوا المقاعد الخشبية فى القاعة ، وزحفوا حتى احتلوا أعلى المسرح .وكان المسرح من الصغر بحيث يلتحم فيه كل شىء بكل شىء : الخشبة بالقاعة ، والممثل بالمتفرج . وكان أدق ما يظهر على وجه دى بيرو العظيم من خلجات ،مرئيا ومفهوما فورا من قبل جمهوره . هنا كان يحدث ذلك الالتحام الثمين ، بين الفنان وجمهوره ، الذى يجعل من العرض المسرحى وحدة واحدة . شيئا روحيا ، يخاطب الاعماق ، اشبه مايكون بالصلاة

لا عجب أن كان صمت مفاجىء يرين على المسرح حالما ترتفع الستار . صمت يوشك أن يكون دينيا ، اذ يأخذ دى بيرو يخلق(1) دوره من جديد وأنظار جمهوره الواله ، مربوطة الى كل حركة من حركاته ، لم يكن يعمد الى المبالغة فى الحركة . لم يتثن ويتكوم ويتكور . لم يكن يظهر عليه أثر للمجهود وهو يؤدى . كان يعتمد على تعبيرات وجهه أساسا . وكان جمهوره ــ من فرط تعلقهم به ــ كأنما هم يسمعون منه كلمات لاتصاحبها أصوات !

وكان لهذا المسرح الضيق ، العزيز قلة من البناوير الصغيرة يشغلها الشاعر وكبار شخصيات الادب والفن من أمثال بلزاك ، وجورج صاند ،وتيوفيل جوتييه، الناقد المسرحى

ولكن : يا ويل أى من هؤلاء ، أو من غيرهم ممن يميزون القسم بالملبس الفاخر ، أو السلوك المتحفز ، أو يرفعون المنظار المقرب ويجيلونه فى القاعة وشاغليها . فستحييهم أصوات الاستهزاء من كل مكان : نباح الكلاب ومواء القطط وصيحات التحقير « الذى لا يتردد ولا يوقر ولا يرحم ... »

***

كان على دى بيرو العظيم أن يقدم خمس حفلات فى الليلة ، وتسعا فى يوم الاحد ، يتقاضى لقاءها خمسة وثلاثين فرنكا فى الاسبوع !

كان هذا أحد شروط العقد الجائر الذى وقعه الفنان مع صاحب المسرح المسمى برتران . وكان برتران هذا ــ فيما تقول احدى الروايات ــ حوذيا، اختلف ذات مرة مع « مدام ساكى » ، وهى آنذاك بهلوانة مشهورة من بهلوانات المشى على الحبل ، وصاحبة مسرح .. اختلف حول الاجرة ، فاقسم أن ينتقم منها ، بفتح مسرح ينافسها

وجمع برتران ماله ومال صديق له كان يعمل باصلاح القلاات ، وتملكا مسرح « الكلاب المدربة » واسمياه مسرح

(1) مع امثال هذا الفنان العظيم ، لا نقول « يمثل » ، بل « يخلق » الدور خلقا

« فيناميول » واستأجرا دى بيرو ليلعب عليه

كان على الفنان ان يلعب كل الادوار، ان يرقص فى عروض الباليه ، وعروض الترفيه ، والبانتوميم ، وسائر ما يقدم من عروض وان يدفع غرامات فى حالة التأخر ، او عدم الظهور فى العروض والتدريبات . وان يقبل العمل فى الظروف الناتجة من نواحى الاضاءة والتدفئة والملابس . وان يحضر الى المسرح يوميا ولو لم يكن مشاركا فى العروض . وان يحصل على اذن كتابى اذا اراد ان يغادر باريس لأى سبب من الاسباب . وان يورد الطيبه الشخصية وجواربه ، واحذيته ، وقفازاته ، والطلاء الاحمر الذى يحتاجه . فاذا ما احترق المسرح، او مرض دى بيرو ، كان لصاحب المسرح الحق فى تأجيل تنفيذ العقد ، وعدم دفع الرتب الى اجل غير مسمى

ومن يقرأ كلمتى الاضاءة والتدفئة يظن أن لهما مدلولا حقيقيا . والواقع ان غرفة اللبس الخاصة بالفنان كانت سيئة الاضاءة ورطبة الى حد ان نبات « العيش الغراب » — الذى يهوى الرطوبة والظلام — كان ينمو بها اولا امام دى بيرو دعوى على برتران طالبا تحسين حال الغرفة ، كسبه الدعوى ، بعد ما تحقق القضاء من ان عيش الغراب ينمو فى الغرفة فعلا!

***

ورغم هذه الشروط الوحشية ، ظل دى بيرو مخلصا للبيت المسرحى الذى شهد ميلاده وتفتحه ومجده . والذى جعل هو منه ملتقى للطبقات العاملة ولصفوة الصفوة بين متفقى باريس .

كتبت جورج صاند فى مذكراتها تقول:

« لم ار فى حياتى فنانا اكثر منه جدية ، ولا اكبر امانة، ولا اقرب الى الذين فى تناوله للفن . كان يعشق فنه عشقا مبرحا ، ويتحدث عنه كامر هام للغاية، بينما يذكر نفسه بكل تواضع . وكان دائم الدراسة لفنه . لم يكن يؤرقه قط ما اذا كانت خبايا التعبير بملامح الوجه واصالته فى التكوين مقدرة من زملائه الفنانين . كان يعمل كى يرضى نفسه اولا ، ويجسد خياله . وهذا الخيال الذى يبدو تلقائيا ، كان حصيلة دراسة مسبقة ، يقوم بها بكل عناية »

وكتب جول جانان ، الناقد المسرحى الذى وقع فى غرام دى بيرو ، والف منه واحدة من اولى الدراسات،يقول: يا لمتعة من يشاهده بشفتيه المزمومتين ، وموقفه المتردد ، وابتسامته الساخرة ، وهيئته التى يبرع فى ان يضفى عليها الغباء اللذيذ ، يا لمتعة من يراه والطحين يغمره ، وهو يرفع رأسه للصفعة . انه لجدير بالاعجاب . ما من فنان قبله استطاع أن يمثل فى مسرحية بهذا القدر (١) من التعقيد ، فاظهر هذا القدر من النشاط ، والصبر وراحة البال ،والروح الرياضية . رغم العقبات الكثيرة ، كان عفيفا واصيلا . وفى العالم المستهلك الذى اختاره لفنه كان جديدا فى كل شىء .. المجد له ، ذلك الذى جعل من القيد (٢) رسالة ، ومن المهنة

(١) مسرحية : « ارليكان والبيضة الذهبية » وفيها مزاوجة بين فنى البانتوميم الانجليزى والفرنسى .

(٢) يقصد التعبير الصامت — التمثيل بلا كلام .

شاعر الصمت العظيم

فنا ، ومن العذاب فرحا »

●●●

وحان وقت الوداع . أخذ الروماتيزم والربو ينخران في جسده ، ويجبرانه ــ بين الحين والحين ــ على أن يغيب من مسرحه وجمهوره

وذات مرة ، عاد الى المسرح بعد فترة مرض ، ليقدم مسرحيته الاثيرة اليه : « عرس بييرو » ، فكانت هذه هي المرة الاخيرة . كتب « شامفلري » ، الذي الف بعضا من مسرحياته ، يصف هذه الحفلة « اليتيمة » فقال :

« رفعت الستار ببطء . وظهر دي بيرو في ردائه الابيض ، وفي ذراعه فتاة جميلة . وفي عروة سترته طاقة من الزهور ، فهو الآن عريس

« من العسير ان اصور الحماس الذي قوبل به . كان هستيريا . اربعمائة وجه اضاءتها الفرحة . ثمانمائة عين تلتهم المسرحية . اربعمائة فم زارت تقول : برافو . ومن كانوا بالباب ــ لم يستطيعوا الدخول ــ هتفوا هم الآخرون ..

« وببساطة ، وضع دي بيرو يده على قلبه تحت طاقة الزهور . وتحدرت دمعة على وجهه ، فوق الدقيق الابيض الذي كسا وجهه . وكان المفروض في نهاية البانتوميم ، ان يتجمع فريق من الفلاحين والفلاحات على المسرح ، وتعزف الاوركسترا لحن الرقص ، وكان دي بيرو ــ في العادة ــ يقدم واحدة من رقصاته الغريبة التي مات سرها بموته . غير انه كان في هذه المرة متأثرا بما يفوق المألوف . كان الفرح يغمر قلبه هو الآخر فلم يرقص

« وصاح صوت خشن من القاعة الرقصة ! »

« واجابه المسرح كله : لا ، لا .

« ذلك انه ، حتى الجماهير الخشنة لها لحظات من الحس الفائق الارهاف

لقد قدرت تأثر الممثل الكوميدي العظيم واحترمته »

« وحوالي منتصف الليل ، اجتمعت طائفة كبيرة من الناس عند باب الممثلين . وخرج دي بيرو . كان لا يزال محتفظا بطاقة الزهور التي تصوره كعريس . احتفظ بها كانها بالهام . وهتف الف من الناس : « عاش دي بيرو » . ولكن الفنان خرج من لدنهم ليموت بعد ايام »

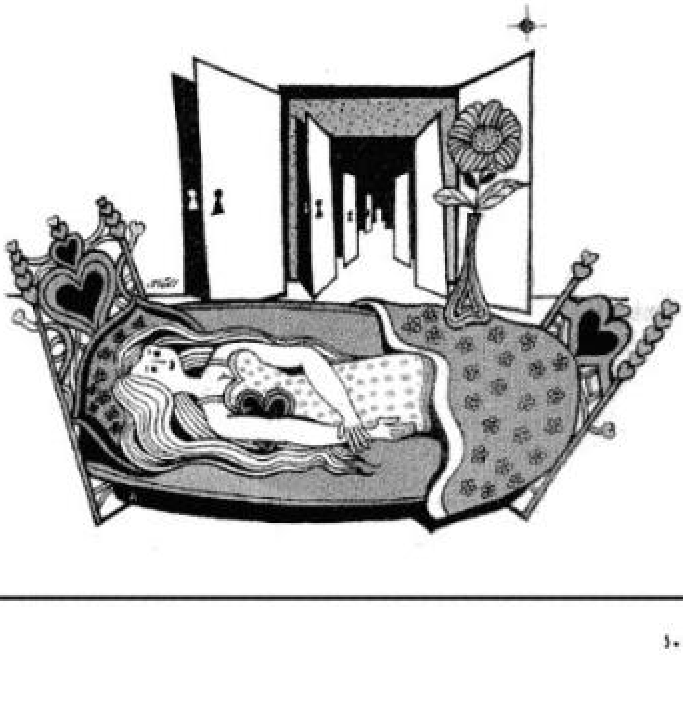
مات وطاقة العرس في يده . كانما قد تزوج الموت !

●●●

اذا ذكرنا اليوم شارلي شابلن العظيم ، وغيره من الفاتحين في حقل الكوميديا ، فقد وجب علينا ان نذكر دينهم الكبير للرائد جان ــ جسبار دي بيرو . أول من جعل المهرج انسانا ، وعبر بالصمت عن الحب والحزن فاحسن التعبير

بـدر توفـيـق

الذكريات





تعلقين صورتى فى مخدعك .. ،
تعانقينها على شرود عينيك الجميلتين
وتمنحين قلبها العذاب والمتعة

. . .   . . .

تبتدئين بالشفاه والعيون .. ،
لتختمين باعصار الروح والبدن
اذكر ذلك الزمن ..

اذكر ذلك الجنون ، العاقل الرزين
نسيج لحمك الذى رحلت فيه موطنا فموطنا
ألمت منه موطنا فموطنا ... ،

يا وطنى الذى نفيت عنه
يا وطنى الذى نفيت فيه
الذكريات وجهنا .. عراكنا .. استقرارنا

افطارنا .. عشاؤنا .. سهرتنا ..
خفوت وشوشاتنا ..
حديثنا الصامت بدءا من اصابع اليدين
الى اصابع القدم

حنيننا المجهض فى ايامه الاولى ...
اشعارنا بالليل .. صحونا على نثر النهار

أيتها الاعذار .. ،
لا تفتحى الابواب
لا تغلقى الابواب

الذكريات تاجنا .. عزاؤنا .. موعدنا ..
بطاقتى التى ارى على رسوم صوتها وجهى

. . .   . . .

اعصف بنا ياحب كيفما اشتهيت .. ،
ولون الفودين بالشيب .. واقطب الجبين بالتحيب
يبقى ابتعادنا عبادة المحب للحبيب ..

لاننى اقطع مابينى وبين الله ،
لو استعدنا حبنا الشاذ الغريب

. . .   . . .

تخفق فى القلب
وتنتشى بصاحب البنادق
سيدة عاشقة .. ،
وشاعر عاشق .

صالح جودت

ابن السلاطين

الشاعر الذى مات فى يوم الهول

كنت اريد هذا الشهر ان استانف الحديث الذى بداته قبل بضعة شهور .. حديث الذكريات الادبية والمعارك الفكرية التى عشناها فى الجيل الماضى ، وهو الحديث الذى قطعه علينا يوم الهول الذى فجعنا فى جمال عبد الناصر

ولكن يوم الهول ذاته ،شاء ان يستطرد بنا فى حديث الموت..

وانى لاستعير كلمتى «يوم الهول» من أمير الشعراء ، شوقى ، فى رثائه للاديب المصرى الكبير مصطفى لطفى

المنفلوطى • فقد تخير المنفلوطى يوم لقاء الله – ان كان الانسان هو الذى يختار

يومه – فى نفس اليوم الذى اطلق فيه احد الشبان الشاردين الرصاص على سعد زغلول

وخرجت مصر كلها يومئذ الى بيت سعد تطمئن على زعيمها ، ولم يسر وراء نعش المنفلوطى أحد ••• وذهب المسكين للقاء ربه فى قلة من الناس

وقال امير الشعراء يرثيه •• ويعتذر للناس فى انصرافهم عن تشييع جنازته :

اخترت يوم الهـول يوم وداع

ونعاك فى عصف الرياح الناعى

ومنذا يلتفت الى شىء فى يوم الهول ؟ ومنذا يستمع لنداء الناعى فى عصف الرياح ؟

وكما تغرق الباخرة الضخمة فى خضم

الامواج ، فتأسى عليها الانباء ، ولكنهـا لا تذكر انها لم تغرق وحدها • وانما غرقت

معها الزوارق الصغيرة التى كانت معلقة على جانبيها ••• كذلك غرق فى عالم الشعر

زورق كان معلقا بباخرة عبد الناصر ••• فلم يذكره أحد •

ذلك هو الشاعر السودانى الموهوب ،

محمد محمد على الذى ذهب الى لقاء الله ، وما أحسبه أدرك الخمسين بعد •

اما كيف ذهب ، فتلك قصة ايمان •• **كان محمد محمد على من اشــد ابناء السودان تعصبا لمصر ، وايمانا بالوحدة ، وتشبثا بالناصرية**

وفى يوم الهول – يوم ٢٨ سبتمبر

الاسود – سمع **أن جمال عبد الناصر قد** مات ، فسقط هو الآخر لا حراك به ، وثلاثة أيام مضت فى محاولات يائسة لانقاذه من الموت ••• وكأنه كان ينتظر هذه الايام

الثلاثة من عمد ، ليسلم الروح فى نهايتها ، وليشيع الى القبر فى أول أكتوبر ••• نفس



الشاعر الســودانى
محمــد محمــد على

اليوم الذى شيع فيه جثمان جمال عبد الناصر ... وكأنما شاء أن يرتبط به حيا وميتا!

***

كان ميلاد هذا الشاعر فى « حلفاية الملوك » وهى قرية صغيرة تقع شمال الخرطوم ، سنة ١٩٢٢ ، من أسرة عريقة، اجتمع لها ملك الدنيا وملك الدين ،فجده هو السلطان ادريس بن ناصر ، آخر ملوك « العبدلاب » ... وينتهى نسبه الى السلطان المتصوف «عجيب الحاج المانجلك»

وهكذا نرى انه من أبناء السلاطين ، ولكنه لم يكن يملك شيئا من حطام الدنيا، ولقد عاش كادحا يحب الكادحين ، ويقدس عبد الناصر لانه ناصر الكادحين

ومن المصادفات ، أن أبا جده اسمه ناصر ، وناصر هذا هو الذى استقبل الخديو اسماعيل جنوب قرية الحلفاية ، عند فتح السودان ..

وقد اشتهرت أسرته، فضلا عن السلطنة، بالاغراق فى التصوف ، والافراط فى العبادة ، واستقراء الغيب ، وكثرة التأمل فى الموت .

ومما يروى عن محمد على ، أبى الشاعر، انه كان رجلا متدينا متصوفا مفرطا فى الذكاء الى حد القلق ، مما حمله — بعد سلوك طويل فى الصوفية — على الثورة على مذهبه الصوفى القديم ، والانحيازه الى انصار السنة ، فى زمن كان متصوفة السودان فيه ينكرون فضل انصار السنة .. هذه اسرته لابيه ..

اما اسرته لامه ، فليست بعيدة عن تلك فامه من بنات عمومة أبيه . وقد كانت للشاعر خالة ذات فصاحة مأثورة ، هى السيدة بخيته بنت محمد بن ادريس

***

ومن أبيه ، ورث شاعرنا روح القلق والتمرد على الاوضاع الموروثة ، الى حد أنه فى كتابه « محاولات فى النقد » اقترح الغاء النحو !

وكانت حياة القرية ، والبادية المتصلة بها ، ثقيلة على نفسه ، فما أن أنجز تعليمه الاول،حتى شد رحاله الى امدرمان، والتحق بمعهدها الدينى

على أنه — بنفس الروح القلقة المتمردة — لم يقتنع بهذا اللون من العلم

يقول الاديب السودانى منير صالح : « لقد نشأ محمد محمد على فى بيت دينى، وهو لا يحب هذا ، انه يحب العاجلة ، ويأنس بها ، ولا يلذ الاخرة ، ولكنه لا ينقطع لها ، وماذا سيجد فى المعهد — معهد ام درمان — من الجديد المأمول الذى يملأ خياله» غير اختلافه على مشايخه الأجلاء ينقشون فى مسمعيه البلاغة والبيان والبديع والنحو والصرف والفقه ... فكان يلقى السمع مستوعبا مستزيدا ، ولكنه كان قلقا يتعجل يوما يفر فيه ليعيش حياة اخرى عريضة يفتقدها فى واقعه . .



وكان هو وقلة من أصحابه في المعهد ثائرين على ماهم فيه ، ينشدون الشعر فيما يقع في أيديهم من دعوات الكتاب المحدثين في الصحف ، فيقبلون على شراء هذه الصحف ، ويحملونها معهم – بدلا من الكتب الدينية – الى المعهد ، مما أثار عليهم ثلة المتزمتين الذين أطلقوا على شاعرنا وأصحابه تسمية عجيبة : **ناس الجرايد**

ورغم هذا ، فقد بقيت فيه نزعة الى التصوف حتى ذلك الحين ، نلمسها في قصيدة « **نشوة ناسك** » التي يقول فيها :

سكرت بعزلتي وهجرت راحي

لعن ذاتي غبوقي واصطباحي
فما للشك ظل في وجودي

وما للغي خطو في مراحي
أنا فوق الزمان وفوق نفسي

وفوق الوهم والحق الصراح

صعدت مع الصلاة الى ذراها
هنا لك عالمي ، وهناك ساحي

بحسبي من حياة الناس نسكي
وانسي بالطبيعة وارتياحي

تشيد الخلد جلجل في دعائي
وصوت الله أرعد في نواحي

وقد بقيت هذه اللمسة الصوفية فيه الى آخر العمر ، ولكنها تلونت بلون الحياة الشاعرية ، وحب المتعة ، وبهجة المدينة ، وبلون ما جبلت عليه نفسه منذ طفولته من القلق والتمرد

وازدادت الحسية في شعره بعد أن انطلق الى الحياة الواسعة في آفاق المدينة الرحبة ، القاهرة ، التي جاء اليها يطلب العلم في « **دار العلوم** » .. فأصبح « غبوقه واصطباحه » من غير ذاته كما كان .. وكما قال في القصيدة .. وانما أصبح يطلبهما من دنان القاهرة

وفي القاهرة ، أنجز دراسته في دار العلوم ، ومعهد التربية ، ثم أعد رسالة فاخرة للماجستير موضوعها « **الشعر السوداني في المعارك السياسية** » عن الفترة ما بين سنة ١٨٢١ و ١٩٢٤ ، ونال الدرجة بامتياز منذ عامين ... وكان يسبيله الى رسالة الدكتوراه حينما فجاء نبأ وفاة جمال عبد الناصر ، فاسرع ليلحق به في رحاب الله ..

***

عرفت هذا الشاعر عن كثب ...

كان يزورنا في دار الهلال ، ويلصحبنا الى مؤتمرات الادب ومهرجانات الشعر ، ممثلا لبلاده ، الى العواصم العربية

كانت صورته رسما صادقا للفنان بكل ملامحه ...

وتستطيع أن تستخرج هذه الملامح من وصف صديقيه الاثيرين ، **منير صالح ومحمد المهدي المجذوب**

الاول يقول : « **هو متمرد أساسا ، يكفر بالجبرية ، ويحبر المقالات ، ويخطر بها خفيف الخطا ، نحيل العود ، منفوش الشعر ، قلق العينين ، يغربل في مشيته** »

والثاني يقول : « **نحيف ، محنى الظهر قليلا ، تلمح خطوطا جميلة في قسماته ، ولكن العالمه فلا ما تحدث ، يلفتك الى حديثه المصور ، ولا يعطيك فرصة لتأمل هذه القسمات .. براق العينين ....عارم التفكير ... حلو الحديث ... قوي الذاكرة ... عنيد ... ثائر ... حاد الشغف بالجمال واللذة ... لا يمنعه عنهما شيء** »

هذه الصورة التشكيلية والنفسية الدقيقة ، واضحة المعالم والسمات ، هي شاعرنا بكل حالاته التي لا يخفيها كما يخفيها غيره من الشعراء ، بل يهتف بها في قصيدة جريئة عنوانها « حبة وحبة » ... يقول فيها :

ما ضر من صرعت هواه حشيشة او قرقف
او هام في وادي الجنون مع الخيال يطوف

ما دام غايته الفناء الاســـود المتطرف
وهل الحياة سوى الجنون لمن يعي اويعرف
هي كالفراشة لا تني فوق الحقوف ترفرف

جبارة تمشي على جثث العبـــاد وتنسف
مطرودة لا تســتقر ، ظلومة لا تنصف
كذابة .. خلابة .. مالونة تتفلســف

سيان من غنى لها او بات عنها يصـــدف
خذ ما وجدت ، فلا يصدك عن متاعك مرجف

ما في القبور ولا وراء القبر كاس ترشف

ودع الذي يهوى الشقاء الى الشقاوة يزحف
يزود عن بنت الـكروم لزهرة لا تقطف
فالنور والظلمات قول في الحقيقة اجوف

ماالروح؟ ماالشيطان بات الى الالم يجرف؟
هل انت بالاوهام لجت في الخفاء مكلف ؟
ان كان ذاك ففي الدنان عـوالم تتصرف

بجنـــان كل مصـــافر من هيه يتخفف
من خالص النور الوضيء لهـــا قوام اهيف

ولها جناحا طائر مثل الهباء ، وعطـــرف
نزاعة ، للعالم العلوي كم تتشـــوف
حتى اذا ظل الحباب على الكئوس يزفزف
وعلت اناشيد الندامى بالبشـــارة تهتف

والعود جلجل بالملاحن والكمانة تعـــزف
ولبثت الى مرقى الســماء مشوقة تتلهف
حتى تقر على جنـــان روحهـــــا يتعطف

وتجوس في ابهـــاء نور لمحها يتخطف
فتظل من خلل الســماء على العوالم تشرف
فاذا رات من يستحث الكاس او يترشــف

كتبته في سفر الخلود ، وخاب من يتعجرف
صــدق ولاتك جاحــدا للحق جاءك يهتف
ان قلت لا ادريه فارفض كل ما لا تعرف

***

كان — رحمه الله — يحب العبث حبا شاعريا دافقا

وقد قلت لك انه — في ساعة من ساعات عبثه — دعا في كتابه « **محاولات في التقدم الى الغاء النحو**

ولا أحسبه دعا هذه الدعوة جادا ، وهو الذي وهب حياته للفصحى ، ولدراســة الادب العربي الى أعلى مستوياته ، ولنظم الشعر الرصين مخلصا لاوزانه وقوافيه ، ولتدبيج المقالات الوطنية التي استهوت القراء ببلاغتها وفصاحتها واشراق ديباجتها في فترة اشتغاله بالصحافة ، ولوضـــع الدراسات النقدية ذات الوزن والكيف ، كرسالته الكبيرة « الشعر الســوداني في المعارك السياسية » التي نال بها درجــة الماجستير في الادب العربي

وانما هي — فيما أحسبها — دعوة منبثقة من خفة ظله ، ومن تبرمه ســخطه على المناهج التعليمية الجامدة ومشايخهـــا المتزمتين ، ومن حبه للحيـــاة الزاحفة المتطورة ، ومن اشفاقه على شبابه ان يذوي بين الصخور الصماء دون ان يحقق أحلامه الكبار ...

يقول في قصيدة « ثورة » :

الفني شـــبابي واجفو رغابي
اجوب الفـــلاة واجني العظام
عظام جنـــان طواها الزمـــان
واســـمال قوم تولوا كـــرام



الام السراب اروم الشراب

فسعيي ضلال وريي اوام
كرهت جلوسي امام الشيوخ
اودع عاما واسلك عام

كرهت المجاز ولغو النحاة
وسخف الفقيه وعلم الكلام
وليم العشاء وهذا البلاء

وقرع الصفاة وطول السقام
وما شاق نفسي وقار الفقيه
ولا ان ارى قاضيا او امام

احب الحياة وفقه الحياة
ووجه الحبيب وكاس المدام
ول عزمات كبار شداد

تهد الجبال وتردي الحمام
ألفت الصراع فلا استسيغ
حياة الهدوء وطيب المنام

تعلق قلبي بحب الجديد
وفك القيود وخوض الضرام

فاضحى شعاري لنفسي وقومي
نداء الحياة ، الامام الامام

***

تلك الابيات الاخيرة تقودنا الى الحقيقة النضالية الرائعة لهذا الشاعر

كان شاعرا سوداني الارومة ، مصري اللغة ، عربي القبيلة ، يؤمن بهذه الثلاثة ولا يفرق بينها أبدا

هو سوداني الارومة ، حين يصف لك شقاء الفلاح السوداني في قصيدته « حداء المحرات » قائلا :

اكسف لوني جاحم الهجير
وشدى المحرات في البكور
ووقدة الاحزان في ضميري
مستهدف للبرد والحرور

في كوخه الهدم الحقير
تحبو دياجي ليله الضرير
على سرير .. بل دون سرير

وحين يدعو قومه الى نبذ الخنوع ويحرضهم على الانقضاض على الاستعمار

الانجليزي صارخا في وجوههم مستنكرا صمتهم :

بني وطني ، ما انتمو غير عصبة
تسموء مواليها وترضي الاعاديا
بلادكمو نهب وانتم بارضها

عبيد جياع يتقفون الاهيا
دعوني دعوني لست منكم وليرحل

بقربكمو انسي يخفف ما بيا
فلو كان لي منكم ظهير وقوة
قلفت يراعي واستشقت حساميا

وهو مصري اللغة ، يهتف باسم مصر في كل مناسبة ، ويحيي ثورتها ، ويهتف لانتصاراتها ، ويبكي لنكساتها ، ويشيد بمآثرها العربية

وهو حين يتحدث عن الثورة ، لا يقول انها ثورة مصر ، ولا ثورة السودان ... بل ثورة النيل ... لان النيل في عقيدته كل لا يتجزأ .

يقول :

يا جنود البلاد ، يا ثورة النيل
.. غضوبا ، في عاصف الغضبان
قد بدأتم ، وللجهاد اذا جد

... ضروب رحيبة الميدان
حرروا انفس الضعاف من الخوف
... فان الحياة للشجعان

ويقبل يوم العيد ، فيأبى أن يحييه ، ويهتف ، في سكان وادي النيل ، من أقصى جنوبه الى أقصى شماله ، قائلا :

تاجوا الهلال وكل نجم شارق
وقفوا على الاطلال وقفة عاشق
انا شبعنا من احاديث المنى

ولقد تسح الدمع عن مشافق
انا لا احيي العيد ، ما لم القه
وجميع وادي النيل ذروة شاهق

وهو حين يناجي مصر ، فكما يناجي الحبيب حبيبته ، وحين يتمثلها ، فانما يتمثلها وطنه الروحي ، وحين يراها معتدى عليها ، فانه لا يرى نفسه الا ثائرا لحقها، مفتديا لحريتها

يقول في قصيدة « مصر الباسلة » :

احنو عليك بقلب شاعر
واذود عنك بعزم ثائر

لك في فـــؤادي موطـــن
رحـــب على الأيام عامـــر
لولاك ما ســـطعت على
أكواخنـــا زهـــر المنـــائر

لولاك ما عشق الحيـــاة
ولا اهتدى في الشرق حائر
يا مصر حضـــنك في ديارك

مثلُ نور الشمس غامـــر
في كل أرض خـــضرة
لك من بنيها خير ناصـــر
والـــخلود عن شـــطآنها
مما تخطـــه الأواصـــر

ثم هو بعد ذلك عربي مؤمن بالنيل ، ومؤمن بأن أرض النيل ليست الا فلذة في كبد الأمة العربية ، وهو اذ ينتقلُ في رحلة حياته من الخرطوم ، الى القـــاهرة ، الى دمشق ، الى بغداد ، لا يحس نأيا ولا غربة، وينشد قائلا :

رحلتي في منـــازل وديارى
ومقـــامي في منبت الآباء

موطني في البلاد موطن قومي
وشبابي من فجره الوضـــاء
عربي ، وخـــافقي عربي
ولســاني ومرجل وانتســائي
تشرق الضاد في نضارة شعرى

ويصغي ســـلافها في اناثي
مجد قومي عقيدتي وصباحي
وسبيل الى الذرى الشمـــاء

***

ويختتم الشاعر ديوانه الملهم « **الحان والشجان** » بملحمة من أجمل ملامح الشعر المعاصر ، عنوانها « **قصة شاعر** » يروى فيها قصة حياته منذ مولده ، الى أن نظم هذه الملحمة سنة ١٩٦٠

ولولا أن الحديث عن الشاعر قد استغرقنا هذا المدى ، لطال حديثنا عن هذه الملحمة الفريدة التي تستاهل أن نفرد لها دراسة

كاملة ، لما فيها من أصالة وبراعة وبحذق في السرد ، ولما تضمنته من الصور الحسية والنفسية التي تصور بيئة الشاعر تصويرا ملونا

يقول في مطلعها :

كبا الأطفـــالُ قد ولدوا
نبي الشـــعر قد ولدا
فـــلم يقلق له قصـــر
ولا ملك له ســـجدا
نعم ، قد هللَ الأهـــلُ
وقاموا حوله حشـــدا

وتمتم جـــده برقى
ترد الـــكيد والحسدا

***

وسال دم الخـــراف على
رحاب الدار في سـرف
وفاح الطيب مثل شذى

زهور الروضـــة الانف
وزغرد نســـوة الحي

وشاع البشر في الغرف
وقد حفلت موائدهـــم
بمـــؤتلف ومختلف ..



ثم يصف كيف ان هذه الفرحة بميلاده لم تكن لانهم قد جاءهم شاعر ، بل لمجرد ان جاءهم ولد ، كما جاء اخوته من قبل :

لقد صنعوا كما صنعوا
بمولد صنوه الاكبر
ولو علموا بان له

بشكل خميلة منبر
وملء دماته نغم

وتحت لسانه مزهر
لما زادوه تسكرة
ولا حفلوا به اكثر

ثم يروى كيف شب هذا الطفل حساس المسمعين ، يترنح للنغم ، فيقول :

وشب الطفل مشتاقا
الى الالحان سماعا
يلاقى نسمة الفجر
وصوت الديك ملتاعا

ليسمع صادحا غردا
على الاغصان سجاعا
وصوت مرتل يتلو
كتاب الله اسباعا

*

وان دوى هزيم الطار
بين اكف مداح

ورنت نغمة الشادى

على رسل واسجاح
وسال الدمع من مقل

تنام وشوقها صاحى
ترنح خطوه طربا
كمصبوح من الراح

ثم يتحدث عن الاساطير التى ملأت خياله فى أول صباه ، تعلمه كيف يحيل ... يقول :

وشب الطفل مأخوذا
باجواء الاساطير

يرى فى البدر غانية

مصورة من النور
يقود السحر موكبها
بمعمور و مهجور

وتصحبها الى الفردوس
اسراب من الحور

ثم يصف الجفوة العاطفية التى عاناها فى البيت ، وهو فى سن أشد ما تكون حاجة الى الحنان ، فيقول :

ولد لاقى من التبريح
ما يوهى اول العزم

تراخى حب والده
واصبح دارس الرسم
ولم يظفر بما يرجو

من العمة والعم
ابتـه مطالب الروح

فعاف مطالب الجسم

ويستطرد فى حديث رحلة حياته ، فى طلب العلم ، الى الاقبال على الادب ، الى نظم الشعر ، الى بناء الاحلام الكبيرة فى النطاق العربى :

ولم لا تخصب الاحلام
فى دنيا شاعره

وقد طهرت ضفاف النيل
من السدام فاخره
وفاض نميره الصخاب

فى قنوات « ناصره »
وعاش حياته الاحرار
من نعمى جزائره ؟

ثم رأى الانتكاسات تتوالى على هذه الاحلام ، على أيدى الرجعية والطائفية والتخلف والحقد ، فاهتز ايمان الشاعر بالناس ، وانطوى على يأس مدمر ... يهمس فى وحدته الحزينة :

وعاش كأنه ميت
ومات ولم يزل حيا

يهاش حطامه الباقى
وتلوى نفسه ليا

واضحى امره نسيا

على الأيام منسيا

وقالوا ان شقوته
قضاء كان مقضيا

●● منـــاقشـــــات

بعد صـدور العـدد الخاص من الهلال عن القرآن فى ديسمبر الماضى وصـلتنا تعليقات كثيرة على ما جاء فى هـذا العـدد من الآراء والقضايا المختلفة ، كما اثار ـ العدد نفسه ـ مناقشات واسعة على صفحات الصـحف كان اهمها ما كتبه العالم المعروف الدكتور محمد سعاد جلال فى جريدة الجمهورية ، كما تعرض لهذا العدد ايضا عدد كبير من الخطباء على منابر المساجد فى خطب الجمعة المختلفة وفى مقدمتهم الشيخ صلاح ابو اسـماعيل الذى ناقش العدد فى خطبـــه القيمة التى يلقيها يوم الجمعة بجامع ميدان الدقى ...

« والهلال » يرحب بكل هذه المناقشـات وبكل ما جاء فيها من تاييد او اعتـراض فقد كان الهدف الاساسى من صدور عدد « القرآن » هو تحريك الفكر الاسلامى ودعوته الى مزيد من التجدد والحركة بدلا من الجمود والركون الى الاستسلام الفكرى للآراء الموروثة .

وفى هذا العدد تنشر الهلال بعض ماوصلها من التعليقات حول عدد القرآن ، وسـوف ننشر بقية ما يصلنا من هذه التعليقـات فى العدد القادم ..

حـــول عـــدد القـــرآن

رَدٌ عـــلى الأنبـــا شـــنودة

من عبد البديع احمد النير بمؤسسة دار الهلال

■ بأسلوب ذكى ملفوف طلع علينا نيافة الانبا شنودة فى عدد نوفمبر ٧٠ من « الهلال » بمقاله « القرآن والمسيحية » ناهجا منهج تقطيع الدليل على طريقة « **يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة** » متغافلا النتيجة المطلوبة من تكملة الآية ..

ولا يتسع المجال لمناقشة كل ما جاء فى مقاله .. ولكننا نكتفى بآية مما استدل به، ومناقشة .. أما الآية فنأخذ مثلا آية « **ليسوا سواء • من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** » والمعنى الذى تغاضى عنه نيافته : أن أهل الكتاب ليسوا سواء فى المساوىء • فإن منهم طائفة قويمة السيرة عادلة منصفة عرفت أن ما جاء به محمد هو الحق فآمنت به وبدينه • واتخذوه طريقا • يقرءون القرآن ويقيمون الصلاة التى من أركانها السجود .. هذا السجود الذى لم يشرع الا فى الاسلام • ومن هنا لا يكون هناك تلاق واتفاق الا اذا طبق أهل المسيحية تعاليم الاسلام وآمنوا بمحمد • أما أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض ويؤمنوا برسول ويكفروا بآخر • فهذا هو الاختلاف بعينه • ولن يكونوا مؤمنين حقا الا اذا آمنوا بالله ومقتضى الايمان بالله الايمان بجميع كتبه ورســـله ومنهم محمد .. ومن آمن بواحد من هذه الكتب السابقة على القرآن وفيها الاشارة الى محمد • أداه هذا الايمان الى الايمان بالقرآن ورسوله لا محـالة • وهذا هو معنى اقامة التوراة والانجيل « **قل يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التـــوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** » .. وقد جاءت فى الاناجيـــل المكتوبة باللغة القبطية كلمات « **البارقليط** » و « **مسيا** » • والكلمة الاولى جاءت فى الانجيل المخطوط الذى كتبه أحد البطاركة سنة ٥٠٦ بعد الميلاد وقبـــل ظهور محمد وهى على لسان السيد المسيح وهى : « **الآتى بعدى يسمى البارقليط بندكراطور — اى الروح المشق اسمه من الحمد — سيبعث الحياة فى امة ليس لها من الحياة نصيب الا الضـــلال فى برية فاران — مكة — كحطاش الآن** » وقال كاتب هذا الانجيل المخطوط : انه نقلا عن أصول الانجيل الحقيقى ..وقد بحث علماء أوربا فى الاناجيل الاربعة المعتمدة فبينوا أنه لا يعرف متى كتبت ولا بأية لغة ألفت • وقال بعضهم أن مؤلفيها غير معروفين • واتهم بعضـــهم بولس بوضع أكثرها كما ذكرت دائرة المعارف الفرنسية .. أما انجيـــل برنابا الذى اتهمه نيافته بالتزييف فله مقال آخر ..

الثالوث ... وابن الله

أما قوله : « **انهم يقولون باله واحد • والبنوة فى اللاهوت هى كبنوة الفكر من العقل** • فهذا مناقض بما ورد فى الكتاب المقدس من التصريح بالوهية المسيح •

فالكتاب المقدس يقول : « ان الثالوث الاقدس هو الله الآب السرمدى · وهو كائن ذاتى قادر على كل شئ · حاضر فى كل مكان · عالم بكل شئ · لا حد لحكمته ومحبته · والرب يســـوع المسيح ابن الله الازلى الذى به خلقت كل الاشياء وبه ايضا يتم خلاص المفديين · والروح القدس الاقنـــوم الثالث فى الثالوث الاقدس · وهو القوة العظيمه المجدة فى عمل الفداء · ان الرب يسوع هو الله نفسه اذ هو من طبيعة الله الابدى نفسها وجوهره · الذى مع احتفاظه بطبيعته الالهيه اتخذ الطبيعة البشرية · وعاش على الارض كانسان · ومثل فى حياته ـ تمثال لنا ـ مبادئ البر · واثبت الوهيته بعجائب كبيرة عظيمة · ومات على الصليب من اجل خطايانا ·· الخ ·· « يوحنا : ١ ، ١٤ ـ عبرانيين ٢ ، ٨ ، ٤ ، ٧ ·· ويقول الرسول بولس : « اذا كان فى صورة الله لم يحسب « المسيح » خلسة ان يكون معادلا لله » ملبى ٢ : ٦ ، ٨ ·· ثم كيف يكون الثلاثة واحدا ؟ ·· ان هذا مثل اجتماع النقيضين مستحيل بداهة ·· ولقد غالى رجال المسيحية فى شرح فكرة الله على هذه الصورة المقتبسه من ديانات سابقة « الآب · والابن · والروح القدس · اله واحد » · لان اللاهوت والناسوت عندهم لا يجتمعان الا فى المسيح الابن وهى فكرة غير مفهومه · لان عيسى مثله فى الخلق كمثل آدم · من حيث هو امر يســاويه من حيث الارادة الالهيـــة كما يساويه تماما خلق حواء من ضلع آدم · وسر الخلق فى الحالات الثلاث واحد وان تعددت الطريقة ·· فآدم أول انسان خلقه الله من تراب ، وخلق حواء من ضلعه لا ينشئ تعددا فى الفكرة · وانما ينشئ تعددا فى طريقة الخلق ذاتها ·· ويكون خلق عيسى بالروح من مريم مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون

بنـــوة اللاهوت

واذا كان خلق عيسى من آم فقط يرشحه للالوهية ـ بصفة البنوة ـ لكان آدم أولى منه بها · بل لكان الملائكة المقربون الذين خلقوا من نوره تعالى أولى بذلك فهم من الملأ الأعلى وليسوا من التراب أو ما هو من التراب خلق ·· وعيسى بشر يأكل الطعام ويتخلف بالفضلات فكيف نزعم له صفة الالوهية التى لها كل كمال : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صـــديقة كانا يأكلان الطعام » ··· ويبقى قوله : « ليس معنى ما قلناه ان القرآن والمسيحية شئ واحد · كلا فهنالك خلافات جوهرية منها التثليث والتجسيد والفداء واللاهوت والمسيح وصلبه · ومنها اسرار الكنيسة ومنها القرآن نفسه واشياء اخرى الخ » ·· ونقول نحن : لقد ناقض كل ما جاء فى مقاله بهذا فاذا كان هناك خلاف شديد بين الاصول · فاتفاق الفروع هباء ·· ومناقشة قضية واحدة من قضايا الاصول الخلافية يودى بجميع القضايا الفرعية الاخرى الخلافية · ويبقى الخلاف قائما حتى يحكموا بما جاء فى الانجيل الصحيح « انجيل المسيح » لا أناجيل التلامية وفيه الامر باتباع النبى الذى سيأتى بعد عيسى وهو محمد · والايمان بالكتاب المرسل به وهو القرآن ·· خاصة وقد جاء ذلك صريحا فى القرآن على لسان المسيح عليه السلام : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد » ··

مناقشة القضية عقلا

لتكن قضية الفـــداء او الصلب محور النقـــاش ـ عقلا ـ هذه القضية التى قامت على فكرة ان الله من صفاته المحبـــة « الله محبـــة » ومن فرط محبته رأى ان يخلص العالم من الخطيئة الموروثة من عهد آدم · فأرســـل ابنه الحبيب الوحيد ليخلص العالم ويصلب فداء للبشر المبتعدين عن الله ·· أى بمعنى

أوضح أن الله قتل الله ليرضى الله وليتوب على البشر .. ولنسلم جدلا بأن صلب المسيح كان تخليصا وتطهيرا للبشر من خطيئة آدم . فهل كان هذا التطهير لمن سبق المسيح من الأمم حتى زمن وجوده ؟. أو كان للذين عاصروا المسيح فى زمنه ؟ . أو كان لمن عاصروه وللاحقين بهم ؟! .. نقول : اذا كان التطهير لمن سبق المسيح .. فقد سبقه أنبياء ورسل اصطفاهم الله من خلقه لرسالاته . ومنهم أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام الذى من سلالته السيد المسيح . وموسى الذى جاء بالناموس الذى جاء المسيح ليكمله كما يقول المسيح فى انجيل متى : « لا تظنوا انى قد جئت لأنقض الناموس او الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » من هنا نقول : اذا كان التطهير لمن سبق المسيح فهذا يصمهم بالخطيئة والمسيح من سلالتهم فيكون هو أيضا موصوما بنفس الخطيئة الموروثة عن آدم . فكيف يطهر خاطىء خطايا المخطئين ؟! .. واذا كان الصلب أو الفداء لتكفير خطايا المعاصرين للمسيح وحدهم .. اذن فكل من سبق المسيح من البشر والأنبياء والمرسلين سيظلون مخطئين يتوارثون الخطيئة الى يوم القيامة . وتكون النتيجة أنهم مطرودون من رحمة الله او الملكوت السماوى .. لان الاناجيل كلها اجمعت على أن : « من يدخل الملكوت يكون بلا خطيئة » . وعلى هذا نحسرتاه على جميع الأنبياء والرسل « ١٢٤ ألف نبى » لأنهم مطرودون من رحمة الله . لأنهم لم يحظوا بشرف وجودهم فى عصر السيد المسيح ولم يكونوا من تلاميذه ؟! وهذه خرافة لا يقبلها عقل أو منطق .. أما اذا كان الصلب فداء للمعاصرين للسيد المسيح عليه السلام واللاحقين لهم . فمن حقنا أن نقول لهم أبشروا أيها السادة النجب فقد غفر الله لكم ذنوبكم ومحا خطيئتكم ، فليس هناك داع لاقامة أى شعيرة من شعائر الدين ، وافعلوا ما تشاءون فقد تطهرتم بدم ابن الله الحبيب من كل الخطايا الموروثة فكفوا عن الذهاب الى الكنيسة وشراء صكوك الغفران والاعتراف الذى يمحو الذنوب . لأن من اغتسل بدم ابن الله فلن تلتصق به خطيئة أبدا .. ثم كيف يحب الله البشر قاطبة ويكره ابنه الذى يقدمه قربانا ليرضى عن البشر ويغفر خطاياهم . أما كان فى استطاعته وهو « **الله محبة** » أن يغفر هذه الخطايا بكلمة منه وهو الغفور الرحيم القادر . أو ما كان فى استطاعته أن يفدى ابنه بخراف الدنيا كما فعل مع ابراهيم حينما افتدى ولده بكبش .. ثم ما ذنب السيد المسيح أن يقتل فداء لخطيئة آخر ؟.. هل اذا تلوث ثوبك بالقاذورات مثلا أغسل أنا ثوبى ؟! . ان ما تقولونه من صلب الله لابنه معناه أن يكون الله قد رضى عن هذه الجريمة . وأن الذين ارتكبوها مبرءون منها . لانهم ارتكبوها بأمر الله . ويكون الله قد أمر بسفك دم ابنه بل واشترك معهم فى قتله . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

كلمة الله لا تمس

أما اذا تناولنا القضية ماديا لا عقليا لما أمكن ثبوتها أيضا .. لأن المسيح عليه السلام كلمة الله وروح منه .. وكلمة الله لا تمس فضلا عن روحه .. فالكلام أيا كان قائله يسمع ولا يمس ولا يمكن الامساك به . اذن المسيح وهو كلمة الله لم يمس وبذلك يكون بريئا من مسألة الصلب والفداء وصدق قول الله فيه : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » .. والا فكيف توفقون بين ما قاله بولس فى رسالته الى أهل أنطاكية الاصحاح ٣ آية ١٣ : « **المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا .. لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة** » .. فبولس الرسول يثبت ان المسيح قد صار لعنة لانه صلب وعلق على خشبة الصلب. وكل من علق على خشبة الصلب صار ملعونا .. وبين ما قاله السيد المسيح نفسه من « **أنه كان مباركا ومقدسا ومرضيا عنه من الآب** » ؟!! ..

تفسير القرآن

ومن حسن عبد المقصود المحرر باخبار اليوم

ان القرآن الكريم هو بلغة العصر الطبعة الاخيرة لرسالة الله الى البشر والان نسأل هل فسر محمد واصحابه القرآن ؟

لم يحدث فى حياة الرسول أن وضع كتاب فى تفسير القرآن ، ولم يوضع كتاب فى التفسير حتى انقضى القرن الاول والثانى تقريبا . فقد نزل القرآن بلغة قريش .. اللغة الغالبة فى جزيرة العرب ففهموه لم فسروه اصلا .. فاذا هم فى أقصر وقت سادة العالم وحكامه .

اذن فليست سنة الرسول التى تتبع هى وضع الكتب فى تفسير القرآن ولكن فى تفهمه والعمل به .

ولعل أقدم كتاب وضع فى تفسير القرآن لم يكتب قبل القرن الثالث ، ومعنى هذا ان المسلمين عاشوا أكثر من قرنين مع كتابهم الكريم « القرآن » دون الشعور بأنهم فى حاجة الى من يضع لهم كتب التفسير التى بين ايدينا الان .

ولعل معظم الامم غير العربية دخلوا فى الاسلام وعلمهم باللغة العربية قليل . فأراد الفقهاء منهم الذين اتقنوا اللغة أن يضعوا تفسيرا لهؤلاء الذين لا يحسنون فهم العربية .

ومن المعروف أن العرب قبل الاسلام كانوا قد بلغوا الذروة فى الفصاحة والبيان فلما جاءهم محمد بالقرآن وهو كلام عربى مبين دهشوا وادركوا أنه سما على هذه الذروة التى بلغوها وشعروا بعجزهم حتى قال كبير من قريش :

أنا أعلمكم بالشعر .. والله ما هو بالشعر .. وأن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر .. وان اسفله لمغدق .

ومنذ عام كنت اتحدث مع الزميل الاستاذ محمد زكى عبد القادر رئيس تحرير الاخبار حول احوال العرب والمسلمين وكان رأيى ان ليس هناك عمل سحرى يخلق امة او ينهضها فى لحظة .. ولابد أن نفهم القرآن فهما قويا نافعا ولا يتم هذا فى يوم وليلة بل يجب وضع منهج قويم للتربية والتعليم .. يتناول الطفل من أول سنة فى الدراسة الى نهاية دراسته الجامعية . وينبغى أن يتضمن المنهج تعليم اللغة العربية وادابها وحفظ تراثها نظما وشعرا وحفظ القرآن تدريجيا والتعود على أداء الصلاة فى أوقاتها ومعرفة تاريخ هذه الامة قبل الاسلام وبعد الاسلام .. هذا الى جانب دراسة العلوم الحديثة بأنواعها .. وهذا المنهج سيعطينا الطبيب العربى العالم بأصول علمه ودينه والمهندس العارف بأصول علمه ودينه أيضا .. وهكذا

ثم ينبغى أن توضع الى جانب مناهج التربية مناهج لوسائل الاعلام تدعم هذه التربية وتوضح هذه المعانى .

ويجب أن نعتقد أن الوحى لم ينقطع بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .. ولهذا ينبغى ان نستمع الى القرآن ونتلوه على أنه يوحى الينا من الله سبحانه وتعالى .. يوحى الى كل فرد منا مباشرة وعليه ان يتدبر آياته ..

وحول افتتاحية عدد « القرآن » والتى كتبها رئيس تحرير الهلال تحت عنوان « حرروا القرآن من هذه القيود » جاءتنا هذه الردود ...

من محمد عاطف نجم الطالب بكلية الطب جامعة الازهر

هذه رسالتى اليك تتضمن تعليقاتى على مقالكم الشهرى فى عدد ديسمبر ، كان هذا المقال تحت عنوان « **حرروا القرآن من هذه القيود** » وانا اسألك عن سر اختيارك لهذا العنوان ؟ وما المقصود بكلمة قيود ؟ ثم متى وجدت هذه القيود ؟ ومن الذى اختلقها ؟

هل تقول ان الذى اختلق هذه القيود فى القرآن العظيم هو امير المؤمنين عثمان ابن عفان . وهو من المبشرين بالجنة رغم انف كل الناس على وجه الارض . لم الا تعلم ان سلفنا الصالح من عهد سيدنا عثمان وما قبله الى عصر الدولة العباسية « عصر العلوم » حتى عصر حجة الاسلام الغزالى رضى الله عنه ـ الذى كان يحق له ان يقول من هذه القيود فهو بحر من العلوم .

لقد استطاع القرآن العظيم بصورته الحالية ان يكون له التأثير العميق فى العالم الاسلامى اجمع ، ومن باب اولى ان نبحث فى هذا المعدن النفيس ولا نغير من جوهره . بل يجب ان نزيل عنه الطلاسم ولا نغير منه .

اما من حيث الثورة الدينية التى تزعمها كما حدث فى العالم المسيحى الغربى فانت تعرف انه مهما تطاولت المدنية ومظاهرها الكاذبة ومهما تطاول الغرب فان هذا لا يقلل من اثر الاسلام وقيمته . ان مبادىء الاسلام ليست فى حاجة الى ثورة ولكن فى حاجة الى توضيح واتباع لتعاليم القرآن

« وجادلهم بالتى هى احسن . فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .
« كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

هذه هى المبادىء الكريمة الصادقة فى آيات كريمة ومسطورة برسم معين فى كتاب عظيم .

يا استاذ رجاء : ان قواعد الاملاء تختلف من شخص لآخر ومن بلد الى بلد وانت تسند سبب عدم حفظ القرآن الى صورته الصعبة حاشا لله ، ولكن المسألة عدم توافر الثقافة عند الاجيال الحالية . وعدم اتباع مفهوم التربية الحسنة . فمثلا انا طالب فى كلية الطب ـ جامعة الازهر ... أتعلم كيف اقرأ المصحف وان كنت فى دراستى الثانوية لم اتعلم هذا . وكان من باب اولى وبالاجدر ان تطبع جامعة الازهر مصاحف معينة مرسومة بقواعد الاملاء التى تنادى بها ولكن هذا غير موجود .

ثم أنت تنادي بتفسير عصري .. ماذا تقصد بعصري ؟. أقول بصراحة نحن نريد أن نهرب من الواقع . انظر الى الفساد في الشوارع والى الرشوة والفجور والانحلال . هل تريد تفسيرا عصريا لكي تخضع القرآن لهذه الانحرافات .

ثم من يقول ان رجال الدين عندنا أنكروا أثر المسرح والسينما فى مجتمعنا هذا هراء لا طائل تحته ، وأنت ترى ان الافلام كلها تدور حول موضوعات كوميدية هزلية سوى عدد بسيط مثل « رابعة العدوية » و « فجر الاسلام »

ولكن اقول هل نسيت الفارابى رائد الموسيقى الذى كان فقيها قبل أن يكون موسيقيا . وكذا الكندى .

اما ما تقوله أن الكنيسة فى أوربا تجمع بين العبادة والفن فاننا هنا فى مصر انشانا كليات ومعاهد علمية فى جامعة الازهر فنحن ندرس الطب وندرس الفقه والقرآن والعقيدة الى جانب الفسيولوجى والتشريح .

يا أستاذ رجاء لا توجد قيود فى القرآن ولكن توجد قيود فى الفكر والآراء ويوجد التعصب والانانية الفردية ..

من جابر عنتر احمد عمـــارة موظف ببنك التسليف الـزراعى فرع السنطة غربية

لقد قرأت مقالتك فى مجلة الهلال وأود هنا أن أقول شيئا عن القرآن الكريم أولا : ان القرآن سهل فى فهمه وهو عسر فيمن لا رحمة فى قلبه

ثانيا : ان القرآن نزل باللغة العربيـــة الفصحى التى يعجز عنهـــا كل شـــاعر وبحروفه التى هو مكتوب بها الآن وبنفس الشكل الذى هو عليه الآن ومعنى أن نغير من حروفه وتشكيله أن نغير شكل ومظهر القرآن فلا يعرف ان كان قرآنا أم قصة .

لقد كان أول أهداف مقالتك قيام ثورة دينية ليس لها مبادىء ولا أهداف انما تطلب من رجال الدين الاعتراف بالسينما والرسم ويا للعجب كيف تعترف انت بالسينما الحالية ولا تعتبرها من المحرمات الدينية ، لا يهمنا العصر وتأثيره مع التطورات الحضارية والمدنية فاذا كان العصر يمحو أصول الدين فنحن لانعتبره عصرا حضريا ويجب أن نعتبره غروبا عن الهدى والنور

فهل ترى المغامرات الجنسية على الشاشة حرام أم حلال ؟. هل تريد من الدين وعلمائه الاعتراف بالرقص وعرض سيقان المرأة ؟ للاسف انى أراك خاطىء وفى نفس الوقت ليس معنى أن تقوم السينما على مقومات دينية أن تظهر شخصيات الانبياء والملائكة لان ذلك يوقعها فى خطأ لا مغفرة لها فيه ولكن لا بأس من عرض افلام دينية مع احترام شخصيات الرسل مثل فيلم « خالد بن الوليد »

أراك فى مقالتك تريد أن تقتاد بالغرب وأنك تريد أن يكون هناك رســـم يمثل الدين مثلما هو متبع فى الدين المسيحى ولو فكرت قليلا فى هذا الرسم لوجدت أن هذا الرسم حرام .. حرام .. حرام . فالانبياء لهم شكل آخر يختلف عن شكل الانسان العادى !

ان خطاك الوحيد هو تفكيرك فى الغرب مع العلم باننا نحن العرب اهل الحضارة واصل التقدم .

واريد ان اوجه لكم سؤالا : لماذا لا تكون كتاباتكم حربا لا هوادة فيها ضد ملابس النسوة الخليعة مثل الميني جيب والميكروجيب وابراز الصـــدر العارى والسيقان ؟

فى العدد القادم من

الهلال

وثائق
جديدة
عن
الثورة العرابية

رسائل مجهولة ..
كتبها أحمد عرابى
إلى يعقوب صنوع

تنشر لأول مرة

زولا .. والسياسة

بقلم : هنرى كوسيجا



- فى ٢ ابريل عام ١٨٤٠ ، رزق المهندس زولا بابن اطلق عليه اسم اميل
- لم يبدا اميل حياته بداية موفقة . فقد رسب فى امتحان الثانوية العامة ، فانضم الى ركب التلاميذ الخائبين ، ثم عمل موظفا بالجمارك ، وكاتب شحن فى دار هاشيت للنشر
- وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٠٢ وجد اميل زولا مختنقا ، نتيجة لحادث — نتيجة جريمة قتل — لا احد يعرفه . وبذلك انتهى نهاية صعبة تماما كبدايته .
- وفيما بين البداية والنهاية لم تكن حياته سهلة رخية ، فقد مرغ فى الوحل ، وجرجره متعهو الوطنية امام القضاة ، وحكم عليه بالنفى ، وذاق المر عموما . وجريمته طبعا : انه التقى بالسياسة فى طريقه ، وكتب عن الفقراء .

بدأ الناس ، هذه الأيام ، يذكرون زولا من جديد ، بعد أن كانوا قد اسقطوه من حسابهم . كثيرون بالوا يقراونه ، بعد ان أوشك تراب النسيان ان يتكاثف على كتبه . وهذا الفضل ، لنا وله ، ويكفينا ذلك الوقت الطويل الذى سرنا خلاله وراء جهابذة النقد الذين تعالوا عليه ، وحاولوا ان يعلمونا احتقاره ، لاسباب لا علاقة لها بفن الادب ، تلك حقيقة لم أفطن اليها الا بعد أن ضقت ذرعا بالحاح النقاد على عقولنا فيمايخصه ، وتصوير ، بصورة الكاتب البطيء الايقاع ، الثقيل الظل ، الخشن الطبع ، العديم السلاسة ، المجرد من كل حس أدبى او فنى ، المفتقر الى كل بصيرة او نفاذ الى خبايا النفس ، وفى هذا المجال يقارنونه ببول بورجيه ، قائلين لنا انظروا الفرق ! هذا استاذ فى كل شيء ، وذلك خائب فى كل شيء ! » ، والادهى من ذلك انه عديم اللياقة ، بل ومشير للتقزز بادبه المكشوف ..

ذلك الافراط فى الذم اثار ريبتى ،



وجدته كثيرا على انسان واحد . فلما أمعنت النظر في نقاد زولا الذين اقدموا له القول وجدتهم ، على ما بينهم من خلاف في صغريات المسائل ، يصبحون يدا واحدة وبنيانا مرصوصا عندما يتعلق الأمر بأمهات المسائل : باحترام النظام القائم ، والذود عن البنيان الاقتصادى والاجتماعى ، أى عندما يتعلق الأمر بالسياسة ، ولما نظرت عن قرب في هجائهم الذى لم يبق لذلك الكاتب على شىء ، لم أجد له مبررا واحدا في فن الكاتب وأعماله ، لكنى وجدت كل مبرر له في اشتغال الكاتب بالسياسة في كتبه ،



واصرار خصومه في الرأى على ادانته بغير محاكمة

ولكن هل بالوسع حقا ان نقول ان زولا « اشتغل بالسياسة » ؟ أليس مثل لامارتين ، على اية حال ، او مثل فيكتور هيجو ، فلم يعرف عن زولا انه حاول ان يجعل احدا ينتخبه لعضوية البرلمان ، وله كتابات عديدة يقسو فيها قسوة شديدة على السياسيين . ولا تقتصر قسوته على اولئك الذين تواطأوا منهم في انقلاب ديسمبر ١٨٥١ ، بل تمتد فتشمل « الجمهوريين » انفسهم الذين خبرهم عن قرب عندما آلت اليهم مقاليد الأمور بعد الانقلاب . لكنه ، مع عزوفه عن الاشتغال بالسياسة ، وقسوته على السياسيين ، تكلم كثيرا عن السياسة في كتاباته . وقد أردت ان أضع النقاط فوق الحروف ، فوجدت ان افضل ما استطيع هو ان اتناول كتاباته السياسية على ثلاث مراحل : قبل قضية دريفوس ، واثناء القضية ، وبعدها .

قبلها : كان زولا قد عمل ، وهو في الثلاثين من عمره ، مراسلا برلمانيا لجريدة « لاكلوش » ومقالاته في تلك الصحيفة حافلة بما يثير الاهتمام ، وحافلة بالسذاجة وسلامة النية ايضا . فلم يكن زولا ، وهو يتصدى للكتابة السياسية في تلك الاونة المليئة بالاحداث ، مدركا لحقيقة ما يدور حوله ، واعيا بالتغيرات التى طرأت على رقعة الشطرنج السياسية . فمنذ ان استتب الامر ثانية للجمهوريين في باريس ، لم يعد الاعداء ، بالنسبة للناس الطيبين ، القراة الذين من وراء الحدود بل « الحمر » الذين داخل الحدود ، اولئك « الوحوش » اعضاء الحركة الشيوعية الدولية الذين يمثلون تهديدا مزعجا لنظام الاشياء القائم الضارب في القدم الذى اوصى به فولتير : نظام « القلة » التى تعيش على حساب « الكثرة » ، او في ضيافتها السخية الدائمة . في مثل ذلك الوضع المقلوب كان لابد ان تنقلب الاوضاع ايضا فيما يتعلق بالسياسة الخارجية . فالوحوش اعداء النظام وقفوا في جانب المقاومة ضد الغزاة والدفاع عن فرنسا ، لانهم كانوا يحلمون بحركة تحرير حقيقية في الداخل تتوحد بالتحرير الخارجى للأرض من المعتدين .

أما فضلاء الناس ، انصار القانون والنظام في الداخل فكان لهم موقف مغاير تماما . وذلك هو ما لم يفطن زولا اليه ، لم يكتشف حقيقة اللعبة التى ظلت تلعبها الحكومات المدنية والعسكرية التى تتابعت على فرنسا في تلك الايام العصيبة ، واشتركت كلها في مهزلة بشعة قامت على شن حرب دفاعية وهمية ، ذخيرتها الكلمات الرنانة والشعارات الضخمة .

بينما فاتتها الحقيقية اتاحة الفرصة الكاملة للالمان لكى يحققوا نصرا حاسما وسريعا يكون فى الوقت ذاته انتصارا للمحافظين فى فرنسا المغلوبة

تلك الحقيقة الشنيعة ، الناضحة بالخيانة ، التى لا تنكر ، لم يدر زولا بها ، او يخمن اى شىء عنها .والحقيقة ان المؤرخ المنصف يجب أن يعترف انه لم يسهم بجهد يذكر فى النضال ، فقدغادر باريس عندان باتت مهددة بالحصار ولجأ الى الجنوب ، فلما عاد الى العاصمة لم يمكث فيها الا قليلا ثم هرب من جديد عندما اخذ **الكوميون** فى تعقب الهاربين من الجندية ، خشية ان تحيق به كارثة

ولا يجد المؤرخ بدا كذلك من الاعتراف بان زولا قد يكون التمس عذرا للهرب امام نفسه فى كراهيته للساسة المحترفين والمستوزرين وعدم ايمانه بكل مايفعلون ، لكن ذلك لا يعفيه من انه ــ ككاتب تصدى للسياسة ــ لم يفقه ، او لم يشأ ان يفقه ، مغزى الدور الخطير **للكوميون**ـ بكل تناقضاته ــ ونقاط ضعفه فى التاريخ الفجيع الطويل للصراع غير المتكافىء بين المعدمين وبين الذين جعلوهم معدمين ، ولم يتيقظ لقيمة تلك المواجهة المتفشية بين الكثرة المطحونة العزلاء وبين القوة المتخمة للقلة المترفة التى تنفق عليها الكثرة من دمها ، تلك الثورة التى قضى عليها بالفشل المبيد فوجه من جعلوهم عبيدا ثم جعلوا حياتهم ذاتها فداء لترفهم وسندا لسطوتهم

بعد خمس سنين من كوميون باريس ، نشر زولا ــ على شكل فصول مسلسلة اولا « **الهراوة** » ــ ١٨٧٦ ، وهو كتاب يتصف بالقسوة ، قد لا يكون من الكتب التى توضح مشكلات الاستغلال الانسانى ، وتتلمس اسبابها ، لكنه يصفها وصفا لا مهادنة فيه ، ويصور بوحشية لم يكن قد جرؤ عليها أحد حتى ذلك الوقت ، حياة الطبقات العاملة ، مما أثار ثائرة بعض الراديكاليين انفسهم ، لصاحوا فى وجهه « أنت تفترى على الشعب ! » . والشعب بالنسبة الى اولئك جماعة الناخبين الذين تقودهم الخطب الرنانة والمقالات النارية من انوفهم ، فيحملون اصحابها الى مقاعد الحكم ومقاعد البرلمان ، وينصرفون بعد ذلك الى همومهم اليومية الصغيرة ، فلا يخطر لهم ببال ان يفكروا فى تغيير مصيرهم . لكن الاشتراكيين ، فى مقابل ذلك ، اقتربوا من زولا ، وقد شد انتباههم كتابه ، فاكتشفوا فيه اخوة خبيئة ، غير ان زولا ظل متباعدا ، معلنا ان « الفنان » ــ وقد أراد أن يكون فنانا لحسب ــ **لا يمكن ان يسمح لنفسه ان يستخلص النتائج ، ويجعل من نفسه كاتبا للعرائض السياسية . قال انا اعطى الاشياء لسانا فتنطق ، هذا كل ما فى الامر ، واضع لنفسى حدودا لا انخطاها : حدود المعاينة والبينات الواقعة والجهر بها ، اما استخلاص النتائج ، واصدار الاحكام ، فلا شأن للفنان بهما ، لان ذلك مجال اصحاب النظريات واهل الفعل والنضال** . تهرب ، تخلص بارع من المأزق .

لكنه لا يستطيع أن يكف نفسه . فسرعان ما نجده يخطو خطوة اخرى ، عام ١٨٨٥ ، فى « **الجنين** » . انه فى هذه الرواية لا يقتصر على الوصف الفجيع لظروف حياة العمال واخلاقياتهم ، كما فى « الهراوة » ، بل يأخذ قارئه معه وينزل الى اعماق مناجمهم ، ويريه الصخرة التى يتعرض لها اطفالهم ، يذيقه شقاءهم ، ويورطه فى ثوراتهم المحبطة دائما . فهو هنا لا يعاين ويصف لكنه منغمس فى الصراع ، منحاز ما فى ذلك شك . وعندما يسأله فى ذلك احد مخبرى الفيجارو ، لا يتردد فى الرد عليه :

ــ هذا حقيقى . لقد اردت أن تكون صرختى فى هذا الكتاب من القوة بحيث

ستستيقظ فرنسا ، وتكف عن الاستسلام لمن ينهشون لحمها

نهو — كدابه — لايعرف متى يتوقف وكانما افزعه بعد ذلك تطرفه ، نجده ينقلب حلوا ، حريصا ، ممعنـــا في « الاحتياط لنفسه » . لكن ما جدوى ذلك وكتابه مالل كالوزر ، بشحنتـــه المتفجرة ! فوق انه يعرف جيــدا ان السادة واتباعهم لن يغفروا له ابدا ، وان حسابه عندهم قد بات ثقيلا . كيف ينسون له ذلك الضوء الفاضح الذى القـــاه في « **طـــــعام الكلاب** » على اوساط المـــال والاعمـــال ، او تلك النهاية الخـــزية في « **بطن باريس** »



بعبارتها الاخيرة من « **السادة الشرفاء** »

انه هـكذا ، زولا ، ولا حيلة له في نفسه . شبيها في ذلك — كما أحس هو — بشخصيته الروائية ، **دكتورباسكال** ، في « **نصيب آل روجون** » ، الذى يظهر لنا ثانية في « **غلطة القس موريه** » ، وفي العمل الاخير من سلسلة «**روجون ماكار**» ففى الثانى من ديسمبر ، لم يجـــد باسكال روجون ، الذى لم يكن يجهـــل شيئا مما يستتر وراء الانقلاب ، ادنى رغبة في نفسه للانضمام الى المحتجين ، فوقف موقف المتفرج ، يهز راســـه ، ويرقب ذلك الفيلق من الفقراء القضى عليهم بالهزيمـــة والموت يهبو لنصرة الجمهورية والذود عنها . ثم ما يلبث ان يجد نفســه بغتة — دون ان يدرى كيف ولم — وسط اولئك الناس ، لا يشترك في القتال حقا ، لكنه بينهم رغم ذلك ، متورط معهم ، مداو لجراحهـــم ، وقد اصبح ممرضهم وطبيبهم . ذلك الذى حدث للدكتور باسكال بغير علم منه ، ورغم انفه ، يمثل مخاطرة بحسبهـــا الروائى كخطر شخصى يتهدده ويتربص به ، شيء اشبه باحتقان في المخ يحس انه بات عرضـــة له ، وانه متى وقعا بصيبه ، سيدفعه الى الاتيان بعمـــل جنونى لا عقل فيه يودى به ويسوقـــه الى سكة خطرة تتعارض مع كل مصالحه لكنه ممكن جدا — رغم سخف الامر — ان ينساق اليها تحت تأثير تراحم غير مفهوم يوشك في كل لحظة ان يجعله شريكا في « جرم » لايرغب في الاشتراك فيه . **جرم التواطؤ مع من يتمردون على نظام الاشياء !**

ولذلك فانه يفرض على نفسه — بعد « الجنين » — رقابة ذاتية صارمة ، وقد قرر أن يلتزم السلامة فيما يبدو ، الى الحد الذى يجعله ، وهو في التاسعـــة والثلاثين ، يعدل عما كان قد داب عليه حتى ذلك الوقت من سخـــرية وزراية بالاكاديمية التى اعتبرها جثة متفسخة ومنتدى زنخا تضيق له النفس ، فياخذ في النظر بوله الى « **مجمع الخالدين** » بقبته المهيبة ، ورداء اعضائه الاخضر ، ويرشح نفسه ، وقد استسلم بنوع من الكلبية الصبيانية ، لثقة مفرطة بالنفس ، عبر عنها بقوله « **طالما كانت هناك اكاديمية فرنسية ، فانى يجب ان اكون جـــزءا منها !!** » ولم يتورع من التصريح بذلك القول ، الذى يمس شغاف القلب لكنه قد يثير سخرية البعض ، علنـــا في الفيجارو . غير ان الاكاديمية لا تحب الذين يتشبثون بارائهم من الخـــارجين على « الاجماع » ، ذوى الاراء « الهدامة » و « الجنين » ليست بكل تأكيد مبررا لاصدار صك غفران ، وليست جواز مرور الى مجمع الخالدين

من هنا تقرت الى صفحات زولا تلك اللهجة المتلوثة المتزلفة الكريهة والنشوة الزيفة المنفرة فى « الارض » و « الانهيار » — خاصة العمل الاخير الذى عامل فيه زولا الجنرالات بقفاز من

حرير ، ووضع فى مقابلهم شخصيتين كريهتين مثيرتين للنفور والتقزز ، باعتبار انهما شخصيتان « اشتراكيتان » : « كانو » اولا ، ثم « شوتو » « شوتو » !!

أيكون زولا قد ذهب فى تمسحه بالاعتاب الى حد اطلاق ذلك الاسم على تلك الشخصية لانه كان اسم احد اعضاء اللجنة المركزية (فى عام ١٨٧١) : شخصيتان منفرتان بحق ، زودهما

« خالقهما » بكل ما انفتق عنه ذهنه من صنوف الحطة وليت ذلك كل ما فى الامر ، « فالانهيار » فيها صفحات محزنة عن كوميون باريس يقول فيها زولا ان « الاسبوع الدامى » كان تجسيدا لرغبة

فرنسا فى ان تسترد عافيتها ، وان الدماء التى اريقت « فى عملية التصفية » اريقت لان فرنسا هبت لتبتر « ذلك الجزء من جسدها الذى اصيب بالغرغرينة »

وتتخلص من الكوميون . الحقيقة ان صاحبنا زولا هذا الذى رشح نفسه للاكاديمية انقلب الى شخص يدعو الى الخجل ، ويثير الالم ، وقد اخذ يكتب هذه الاشياء وعينه على القبة المهيبة ، مترقبا فرصته التى رآها تكبر من اقتراع الى اقتراع

لكن ، تقدرون فتضحك الاقدار كما يقولون

فبينما اميل سادر فى غزله الاكاديمى ، اثيرت قضية دريفوس من جديد ، فاذا « زولا — باسكال » المتورط برغمه ابدا يستيقظ ليسحب السجادة من تحت قدمى « زولا — اميل » ويقلب له كل خططه راسا على عقب

كان قد انتهى ، فى خريف عام ١٨٩٧ ، من كتابة « باريس » ، الجزء الاخير من « ثلاث مدن » ، لوجد نفسه بلا عمل ، وبلا شىء يشغل ذهنه ، حتى مشروع رواية جديدة ، فامسك بقلمه وجلس ينتظر

ولم يطل انتظاره ، ففى ٥ نوفمبر من ذلك العام اثار التشيون قضية الضابط اليهودى دريفوس — الذى كان قد ادين بالخيانة منذ ثلاث سنوات وحكم عليه بالسجن — قضية ذلك الضابط من جديد قائلين انهم اكتشفوا المذنب

الحقيقى ، وان دريفوس يجب ان يبرأ . لكن هيئة اركان الحرب لم تلق الى الضجة التى اثاروها بالا . فاخذوا

يبحثون عمن يحدث ضجة اكبر ، ليثيروا الرأى العام ويؤلبوه على الجيش . وما لبثوا ان وضعوا اعينهم على صاحبنا زولا ، فبعثوا اليه بزميله مارسيل بريفو

يعرض عليه ان يخوض المعركة الى جانب دريفوس بقلمه . وقبل زولا ، ربما عن ملل ... لانه لم يكن لديه فى تلك الاونة مايفعله .. وربما عن رغبة فى الكسب . فالثابت ان مقالاته الاولى التى كتبها عن موضوع دريفوس كانت فاترة ، لا تنبىء عن اقتناع كبير او حماس شديد ..

ولقد اشتغل زولا — كما اسلفنا — بالصحافة قبلا ، ابان الحرب مع الالمان ، وايام الانقلاب ، وعودة الجمهورية ، وقيام الكوميون واندحاره ، فجاءت مقالاته جميعها منبئة عن قدر كبير من « الغشم » وعدم الدراية بما يجرى فى الكواليس .

وفى هذه المرة ايضا لم يبد ادنى اهتمام بالقرائن الكثيرة التى قامت دليلا — وذكرت علنا — على وجود عصابة او نقابة يهودية وراء قضية دريفوس ، معظم اعضائها من الالمان ، تعمل جاهدة على تبرئة دريفوس ، وادانة الجيش الفرنسى برمته

والمهم فى ذلك كله ان زولا — بعد مهاتراته الاخيرة — وجد نفسه منغمسا باندفاعه المعهود فى معركة ضارية مع خصومه القدامى رجال الاعمال . لكنه لم يواجههم فى تلك المعركة وحدهم ، بل واجههم وواجه الجيش معهم . فمنذ ايام الكوميون اكتشف اليمين « اللدود

الاجتماعى » الذى يمكن استغلال الجيش فيه بوصفه حاميا للاثرياء أو « ذوى المصالح الحقيقية فى استتباب الامن والنظام » . ذلك اليمين عينه طعن الجيش الفرنسى فى ظهره عندما جنح

الى مسألة الالمان ، وطمن فرنسا ذاتها، نفسى — دون تردد — بالالزاس واللورين، محققا للالمان حلمهم القديم، دافعا من الارض الفرنسية ثمن حرمان اليسار الفرنسى الذى تصدى لمقاومة الالمان من تحقيق نصر لفرنسا وللجمهورية قد يتمخض عن مخاطر لا يقبلها اليمين بالنسبة للنظام الاقتصادى

***

وكما يحدث فى مثل تلك المعارك ، اصبحت المشكلة التى تنشب حولها الخلاف مجرد تكأة لتصفية الحزازات القديمة . وقد لعب اليمين دوره فى المعركة ببراعة ، فناور حتى وضع زولا فى مواجهة الجنرالات ، وجعل كل جانب



يطبق على رقبة الاخر . لكن زولا لم ينخدع . فتلك المعركة الانتحارية التى وجد نفسه متورطا فيها فجأة « كما خشى ان يحدث له من قديم » والتى حاول **الفونس دوديه** ان يثنيه عنها ، رحمة به : « **ستغرق يا صاح ! هذه بلاهة لا يقدم عليها انسان عاقل يقيم وزنا لمستقبله !** » ، تلك المعركة جعلته ينفض عن كتفيه اوزار « الارض » و « الانهيار » التى توسدت ظهره وجعلته ينحنى منذ عشر سنوات ، ويفتح عينيه على حقيقة ما يجرى حوله

يعتبر كتابه « **باريس** » مفتاحا لذلك، فجريدة « **لاجلوب** » التى تجدها فى الكتاب هى « **لوتا** » فى الواقع ، **وفونتسيج** ، مدير الجلوب فى الكتاب ، هو هيبرار، ادريان هيبرار ، مدير « لوتا » ، والذى يفعله زولا فى كتابه أنه **يعرى تماما تلك الصحيفة البروستانتية . التوقرة المترمتة «التحفظة» للغاية الادبية جدا، والوليمة الدسمة لذوى الذوق الرفيع ، ويكشفها كوجه من اوجه الزيف والخداع اللذين يتستر وراءهما ذلك البلاء الذى ينخر فى جسد الامة ويمص دماءها : « دنيا المال والاعمال »** ، ويجسد ذلك الزيف فى شخص فونتسيج — هيبرار « الذى لا يؤمن بالله او الشيطان لكنه يدعى التدين ، ويصطنع تلك الروحانية التى يرتاح لها قلب البورجوازية البلهاء ، والذى اصبح جمهوريا متحمسا للجمهورية منذ ان وجد مصلحته فى ان يصبح كذلك ، فراجت احواله ، واصبحت له يد فى كل كيس نقود ، فهو ينهبه فى كل اتجاه » . وبطل الكتاب ، **بيير فورمان** ، لا يرى فى المجلس الا ميدان تجار سوقى يشيع الجشع بين الجماعات المتناحرة ذات العشرين لونا التى تخفى وراء ظاهرها الخداع نفس الظمأ الى المغانم والتسابق والتسلق والوصول ، والشعب هو الضحية ، هو الفريسة التى تثير الرثاء فى ذلك الصراع بين الشهوات والمطامع التى لا تشبع . لا يرى بطل زولا فى برامج تلك الاحزاب وفى اشخاص رجالها ، فى تلك الازمات الوزارية المتلاحقة الا واجهة تخفى وراءها من أمين الناس الماديين الذين يجرى استغلالهم ، الرهان الحقيقى ، السباق القائم بين اصحاب المصالح ، وهو سباق له غاية واحدة : **« من الذى سيستولى على فرنسا ، ومن الذى سيفوز بها ويلتهمها ؟ »**

وفى مقابل ذلك ماذا يرى بطل زولا عندما يقدم على استكشاف احياء الشعب؟ تلك الاحياء التى وصفتها جريدة يمينية بسذاجة تحسد عليها ، « **باحياء العمل والشقاء** » ، تلك الاحياء التى يأنف الناس الشرفاء من الذهاب اليها حتى لا يحتك بهم السفلة والفقراء .. وما من شك فى ان زولا ظل محتفظا ، فى مكان ما من ذاكرته ، لم تطمسه سهاداته ايام التطلع الى الاكاديمية ، بالاوصاف التى اطلقت على سكان تلك الاحياء فى الصحف اليمينية ايام صراع الكوميون : « **قطاع الطرق ، المجرمون، الحثالة** ، والفجار،

اللصوص ، القتلة ، الشيوعيون ! » لـذلك يمت ببطله بيير لـيرى بعينيه « مدينة العذاب » هذه ، التى « يتكدس فيها الرقيق ، ويخيم عليها حزن يشع يتصاعد كالنتن من كل تلك القاذورات والآلام » . فلما ذهب بيير ، وجد نفسه وجها لوجه مع ذلك العامل العجوز ، الاب لوفوف ، الضنين ، المحطم ، لوتف ينظر اليه ، وغصة فى حلقه ، متسائلا **« ذلك الحطام الخيف ، تلك البقايا التى خلفتها خمسون عاما من العمل والشقاء ، فلم تعد تمت بصلة الى الانسان الذى كانه ذلك الرجل » .**

ووع بيير بذلك اللقاء ، مواجهة ، مع **« الغيبة التى تعلق بها كل شىء فجأة »** مرسومة على وجه انسانى ، وعدم جدوى أى شىء : الحضارة ، والعمل ، والحياة ذاتها ، فى ظل ظروف تجعل مثل هذا الهول ممكنا .. ذلك فى قاعدة الهرم ، هناك بأسفل . اما بأعلى ، فى القمة ، فيوجد دوفيلار ، يوجد آل دوفيلار الكرام ، الذين كسب جدهم ملايينه الثلاثة الاولى من البورصة ، متهدما خلفها مضاربا ، فربح مبالغ طائلة من **« الاجيو »** ثم كمورد سلاح للجيوش الامبراطورية . اما الاب ، فذاع له صيت عظيم فى عهد لويس فيليب ، وعهد نابليون الثالث ، بما حققه من ضبطات ؟ الصوصية الكبرى فى مضاربات البورصة ، والمناجم ، والسكك الحديدية « وقناة السويس . ونتيجة لتلك الانتصارات التى حققها الجد والاب ، فان البارون دوفيلار ، عميد آل دوفيلار الحالى ، يتعامل مع الحكومة على قدم مساواة ، باعتباره ندا لها ، وقد زوج ابنته من كونت ساك الصغير ، سليل احدى الاسر الارستقراطية العريقة ، واقيم حفل الزفاف على مستوى باذخ فى الالدلين ، « **فهرول لحضوره كل من له وزن فى المجتمع الباريسى الذى تصبب ، بدلا من العرق ، بالجريمة والمال »**

لاه ! ما من شك فى أن « مجتمعنا فى حالة تحلل » كهذا مقضى عليه بالدمار . ولكن منذا الذى يستطيع أن يضمن لنا ان البشرية اذا ما أعيد تنظيمها على أسس من العدل ، لن تعيد الكرة ، وتسير على نفس الدرب من جديد ، « **الا ما ظلت خاضعة لذات القوانين من الغرائز والاهواء » ؟** فهذا المجتمع البشع الذى أثار فزع بيير وتقززه ، ليس الا ما صنعته الحياة ، وليس هناك ما يثبت ان الحياة لن تعود فتفعل نفس الشىء ثانية ، وتخلق مثل ذلك المجتمع من جديد ، على انقاض المجتمع الحالى ، وكل ما يكون بين الاثنين من فرق ان ذلك المجتمع الجديد سيكون أكثر حيوية وامتن صياغة مما هو الان ، ويكون بذلك أشد ضراوة . **أليس الانسان هو الذى يجب تغييره ؟ ولكن كيف ؟ بأى معجزة ؟** لقد رأينا سوفارين ، الفوضوى ، فى « الجنين » يقول لزملائه العمال فى المنجم **انه لا يوجد أدنى أمل فى أى تقدم حقيقى « طالما تبعث كراهيتكم للبورجوازيين من سعاركم الى ان تصبحوا انتم ايضا بورجوازيين مثلهم »** . وبيير لورمان فى تأمله « وهو القس السابق » لما فعلته المسيحية للفقراء ، لا يجد شيئا . **فيصيح ما جدوى كل تلك الطيبة والتقوى والصلاح ؟ ثمانية عشر قرنا من المسيحية « والشقاء الانسانى لا يفعل شيئا الا ان يكبر ويتعاظم ! « الانجيل للفقراء » البشارة للفقراء ! » ثمانية عشر قرنا من الانجيل والبشارة وما زالوا جياعا لا يجدون كسرة خبز يتبلعون بها ؟! »** ومع ذلك ، « **ليست المشكلة الاجتماعية والمشكلة الدينية الا شيئا واحدا »** . تلك المشكلة الواحدة هى كل شىء ، هى « **المشكلة الوحيدة التى لا مشكلة غيرها »**. والواقع ان « باريس » تضم تقرة تأسر النفس عن بيير ، الذى لم يعد يؤمن ، الذى جعل من كلمة « **العدل** » راية يرفعها فوق رأسه ، لكنه ظل مع ذلك غير راض ، قلقا ، موزع النفس ، « **يبدو له انه ما زال امامه شىء بالغ الضخامة يتعين عليه ان يفعله** ، دون ان يكون بوسعه أن **يعرف أى شىء يكون ، ذلك شىء كان فى كل مكان » وبعيد غاية البعد »** . وزوجته مارى ، هى الاخرى سوف تقول لنا هذه الكلمات التى ما من شك فى ان زولا أحسها فى صميم قلبه فى نهاية حياته « **لم أعد أشتهى فى هذه الحياة الا الاشياء التى لا تشترى »**



روائع عالمية .. في متاحف القاهرة

● عبد الفتاح عيد ●

تباهى المتاحف الفنية في انحاء العالم بما تقتنيه من روائع فن التصوير الحديث .. وما من دولة من الدول المتقدمة الا وتزدان متاحفها بهذه الكنوز .. ومتاحفنا في القاهرة بها العشرات من هذه الروائع لمشاهير فن التصوير في القرنين التاسع عشر والعشرين امثال آنجر وديلاكروا ورينوار وفان جوخ وتولوز لوتريك وجوجان وبوش وغيرهم ، كما ان لدينا في القاهرة اعمالا أخرى من القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر للفنان المصور لوسيه .

بل ان المتاحف العالمية الكبرى في الخارج سبق ان استعارت من متاحفنا لوحات فنية لعرضها ضمن مجموعاتها عندما طلبت هولندا استعارة لوحة « يوم الحساب » للفنان الكبير جيروم بوش لعرضها في معرض شامل لهذا الفنان باذن من وزارة الثقافة ، كذلك لوحة المستحمات للمصور الكبير جوجان عندما طلبتها انجلترا لعرضها في معرض عام لاعماله منذ سنتين وقد عادت هذه اللوحات الى مكانها في متاحف القاهرة

حمام روماني .. للفنان
تيودور شسيرى ...
متحف الفن الحديث ..

■ تعرض فى متاحف القاهرة الفنية ما يقرب من ٤٠٠ **لوحة** لاعمال الفنانين الاجانب موزعة بين متحف محمد محمود خليل ومتحف الجزيرة ومتحف الفن الحديث ومتحف المنيل ومتحف القلعة وستظل هذه اللوحات معروضة بهذه المتاحف حتى يتم بناء قصر الفنون على شاطىء النيل بالجيزة حيث تنسق وترتب وتعرض بالطريقة اللائقة حسب المدارس الفنية المختلفة فى متحف واحد

يختص متحف محمد محمود خليل بعرض لوحات المدرسة الفرنسية منذ القرن التاسع عشر ممثلة فى الاتجاهات المختلفة للفنانين الفرنسيين ومبتدئة بالكلاسيكية حيث تعرض لوحة فاطمة للفنان انجر وهى لاشك دراسة للوحة أخرى مثلها فى متحف اللوفر بباريس ، وانجر من كبار المصورين فى عصره (١٧٨٠ - ١٨٦٧) وهو خليفة الفنان الكبير دافيد الذى عاصر نابليون ·· وكذلك أعمال **ديلاكروا** ذات الاتجاه الرومانتيكى وأعماله تمتاز بالانطلاق وروعة وتناسق الالوان ، وقد عاش فترة طويلة فى الشرق ·

ولمصورى الطبيعة الحريصين على تسجيلها بمشاعرهم الخاصة أمثال روسو ودياز ودوبينى وكورو أعمال تتسم بتدرج الألوان والظلال والاضواء أما الاتجاه الواقعى فنجده ممثلا فى لوحات دومييه وكوربيه ثم أعمال الفنانين التأثيريين أمثال مونيه وديجا ورينوار وبيسارو ومن بعدهم المجددون التأثيريون ذوو الشخصيات الفريدة التى تنعكس على أعمالهم أمثال فان جوخ وجوجان ··

ومتحف محمد محمود خليل ولو ان الغالبية الكبرى للوحاته عن الفن الفرنسى الا انه يحتوى ايضا على أعمال قليلة لفنانين من انجلترا امثال سيسلى وبونينجتون وفنانين من بلجيكا ومن ايطاليا ومن هولندا ولا شك أن المجموعة الكبرى لفن التصوير الاجنبى لمشاهير الفنانين المصورين نجدها فى **متحف الجزيرة** وقد ضمت اليه أخيرا مجموعة متحف الفن الحديث ·· وبمتحف الجزيرة أكبر مجموعة من المدارس المختلفة لفن التصوير الحديث منها مجموعة من المدرسة الفرنسية أيضا أقدمها لوحة للفنان **لوسيه** (١٦١٧ - ١٦٥٥) علاوة على أعمال

ديلاكروا ومانيه ورينوار وكاريير واميل ليفي وكوربيه وكورو وفرنسوا بوشيه وفكتور لكونت وغيرهم

ومن المدرسة الايطالية نجد اعمالا للمصورين باسيتي واروك ازولا وسكاليني وكانيلا جويزيا وجياردى جويليومي وماركو بينوداسينا وتترولوشيانو ومن المدرسة الفلمنكية لوحة للفنان الشهير روبنز علاوة على مجموعة أخرى من الفنانين الهولنديين امثال فان در (هلست) وفان اوستاد أدريان وجان بابتست وغيرهم ، ومن المدرسة الأنجليزية نجد اعمالا رائعة منها لوحة للمصور الانجليزى الكبير كونستابل وهو المعروف بلوحاته عن الريف الانجليزى ولوحات لجون وترماوس وثالبوت كلى وجوليان مارال وريتشارد بونينجتون وجراهام بينز وغيرهم ٠

وبمتحف الجزيرة ايضا مجموعة كبيرة من الاعمال الفنية الرائعة وهى لفنانين لم يوقعوا على اعمالهم ويحتاج الامر الى بحثها ودراستها ونشرها بعد نسبتها الى أصحابها ٠

والآن لدينا فى القاهرة هذه المجموعة القيمة عن التصوير الحديث لمشاهير المصورين العالميين ٠٠ ولكن ماذا بعد ذلك ٠ ؟

هل ستظل هذه الاعمال مجرد لوحات معلقة على الحوائط ٠ ان هذه المجموعة لم تدرس للآن ولا يزورها الا افراد قليلون يكادون لايتعدون اصابع اليد الواحدة كل يوم ٠٠ كما ان هذه المجموعة تحتاج أولا الى تصويرها وتسجيلها بالالوان بعد ترميم ما يستحق الترميم ثم نشرها فى مجلد اشبه بما ينشر الآن عن متاحف العالم لان هذا التراث اصبح الآن لا يعوض وعدم الاستفادة منه خسارة كبيرة للفنانين وطلاب الفن وعددهم ولله الحمد فى مصر كبير ٠٠

وفن التصوير الحديث عامة له تاريخ حافل منذ القرن الرابع عشر عندما ظهرت طلائع هذا الفن فى ايطاليا وفى فلورنسا بالذات على يد المصور **تشيمابويه** وكان يسجل موضوعات يغلب عليها الطابع الدينى المتأثر بالفن بالبيزنطى ٠٠ ولكن المصور **جيوتو** جاء بعده واعتنى بالطبيعة وسجل مشاهدها واظهرها فى لوحاته بعد أن تحرر من الجمود وأصبح حرا من القيود التى كانت سائدة فى التصاوير الدينية فى ذلك الوقت ثم تطور هذا الفن فى ايطاليا بفضل مازاتشيو

ذات رملة العنق البيضاء..
للفنـــان رينـــوار ..
متحف محمد محمود خليل..

وليبى وبوتيشيلى ثم بيروجينو وجيرلانديو وبعدهم جـــاء ميكلنجلو ورفائيل وليوناردو دافنشى وهؤلاء تركوا للعالم كنزا لا يفنى من درر الفن وبدائعه

ويحتل التصوير الفلمنكى مكاناعاليا فى التصوير الحديث بعـــد التصوير الايطالى مباشرة وتعتبر الاراضى الواطئة الموطن الثانى لفن التصوير بعد ايطاليا وذلك بفضل الاخوين **فان ايك** اللذين أسسا أقدم معهد للتصوير حوالى سنة ١٤٠٠ ميلادية

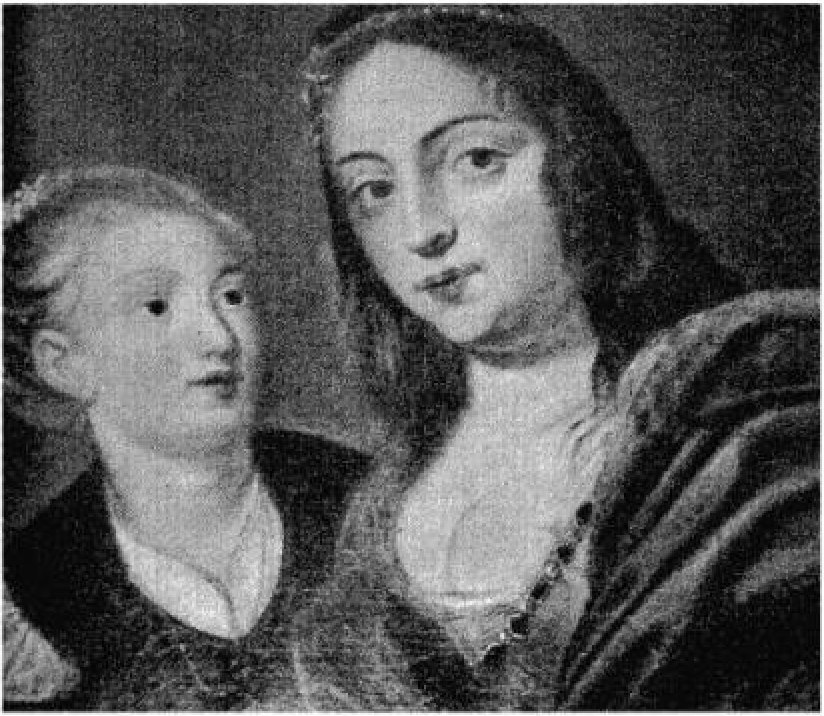
والتصوير الفلمنكى يعكس مظاهر الحياة المألوفة خالية من المؤثرات التى كانت غالبة على فن التصوير ·· وروائع روبنز تعد دعامة قوية فى نهضة التصوير الفلمنكى بل فى العالم أجمع

وعلى هذا المنوال سار هذا الفن الحديث فى ألمانيا واسبانيا وانجلترا ثم فرنسا حيث انتقلت زعامة هذا الفن اليها بفضل **انطـــوان واتو** (١٦٨٤ – ١٧٢١ م) حتى جاء دافيد عندما نشبت الثورة الفرنسية (١٧٤٨ – ١٨٢٥) وهو الذى رأى فى أعمال الاغـــريق والرومان القدماء قدوة لانتشال فن التصوير من كبوته ثم سار على منواله أنجر ثم ديلاكروا ثم كرو ودياز وروسو وميليه وهؤلاء لهم لوحات فى متاحفنا بالقاهرة ·

وفى أواخر القرن التاسع عشر اهتم المصورون الفرنسيون بابراز جمال الضوء ومحاسن الالوان وتصوير الحياة والمناظر الخلوية ومنهم مونيه ومانيه وديجا ورينوار ولاتور وشافان وكاريير ومعظمهم أيضا لهم لوحات فى متاحفنا بالقاهرة ·· ثم تطور فن التصوير الحديث بعد ذلك على أيدى سيزان وفان جوخ ومن بعدهم جوجان

هذه الكلمة الصغيرة عن تاريخ فن التصوير الحديث تعطينا فكرة عن قيمة ما لدينا فى متاحفنا فى القاهرة من روائع فنية تضارع ما هو موجود فى المتاحف العالمية فى أوربا وأمريكا ·· وواجبنا هو صيانتها والحفاظ عليها للاستفادة منها ··





فتاتان .. للفنان روبنز .. متحف الجزيرة

درس في الغناء.. للفنان
تولوزلوتريك .. متحف
محمد محمود خليل ..

على الصفحتين التاليتين .. فتاة .. للفنان برت موريسون .. والمستحمات .. للفنان جوجان وقد عرضت في مزادها بلندن أخيرا .. متحف محمد محمود خليل . . . .









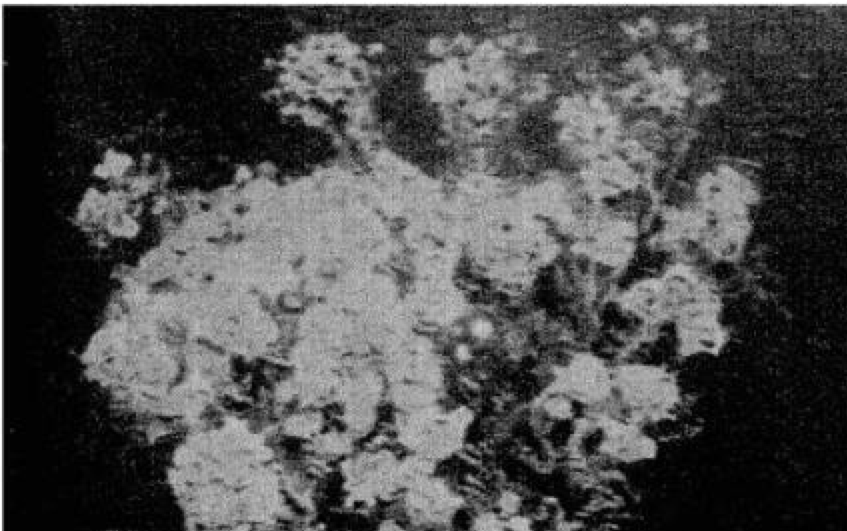
الرجل والغليون .. للمصور كوربيه .. متحف محمد محمود خليل



امومة .. للمصور كاربير .. متحف محمد محمود خليل

فارس عربي .. الفنان
ديلاكروا .. متحف محمد
محمود خليل . . . . . .

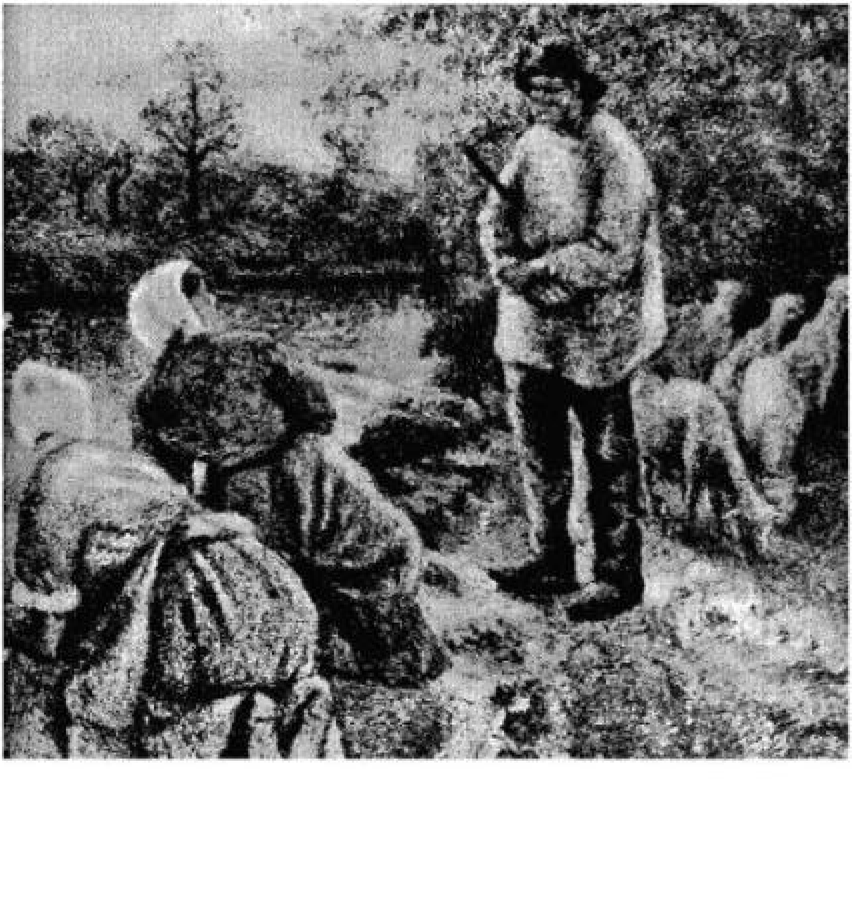
زهور صفراء .. للفنان فان جوخ .. متحف محمد محمود خليل

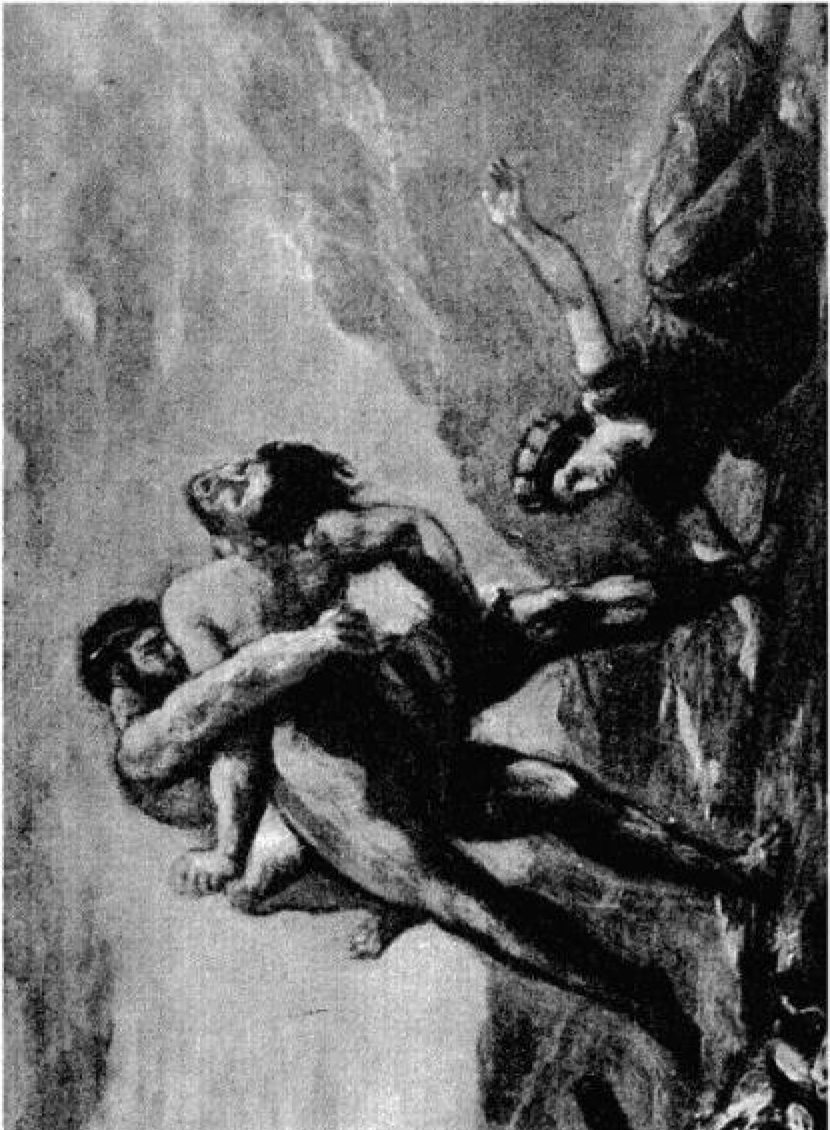




هرقل وانتي .. للفنـــان
دبلاكروا .. متحف محمـد
محمود خليل . . . . . .

راعي الغنم .. للفنان كميل بيسارو (١٨٨١) متحف محمد محمود خليل





كمال سعد

ماري غضبان

ثورة شباب العالم في السينما



الممثلة الفرنسية الشابة « كلود جاد »



لقطة من الفيلم المجري الذي أحدث ضجة « المحاكمة » ...



خطفت ممثلات فرنسا الشابات هذا العام الكاميرا من الوجوه القديمة .. والصورة للممثلة الفرنسية الشابة مارينا فلادي

- جنون العصر كما نراه فى صرخة المخرج الإيطالى
- وهو كذلك .. جريمة جديدة ترتكب فى فيتنام وتعيدنا لعصر الغابة !
- نساء عرايا يأكلن التراب ويقدن زعيم الفلاحين إلى الهلاك

كان الشبان فى هذا العام ابطال كل المهرجانات السينمائية .. والسبب ببساطة .. انهم لم يقدموا لنا افلاما تعكس الحياة الكاذبة والاحلام الوردية كما فعل كثير من المخرجين القدامى ولكنهم جاءوا بكرابيج تلسع ظهور مجتمعاتهم .. وتعريها .. حتى نراها بلا مكياج .. مجرد الوان غامضة سيريالية .. اصابها الوهن .. نتيجة العنف .. والتوتر . والشذوذ .. وتفكك العلاقة بين الناس !

■ فمثلا في أحد أفلام هؤلاء الشبان نرى العصر الحديث .. عاريا .. مجردا من كل الثياب الزائفة .. **فهو فعلا عصر الجنون** .. وفي بداية الفيلم نرى « أنيتا » قبل زواجها بيوم واحد .. انها لن تستعد لهذا الاحتفال حسب التقاليد التي تعود عليها الناس منذ مئات السنين .. ولكنها ستصنع لنفسها طقوسا اخرى على طريقتها الخاصة .. وبداية تلك الطقوس هي مشاهدتنا لها على الشاشة في فراش رجل آخر !

الفيلم اسمه « صرخة » .. ومخرجه شاب ايطالي عمره ٢٦ سنة اسمه « لينتو براس » .. وهذا هو اول افلامه .. وقد اعتمد في معظم لقطات الفيلم على التجريد، حتى يعكس التوتر الذي يسود عالم اليوم .. وبطلة الفيلم هي « تينا اومون » ابنة الممثل الفرنسي المعروف « جان بيير اومون » .. والفيلم ليس جماهيريا ، لانه من افلام التجارب التي تعتمد على الرموز التي ترهق ذهن المتفرج اذا ماأراد حلها !

وتمضي صرخة المخرج الايطالي بعد ذهاب « أنيتا » لفراش رجل غير زوجها المتوقع .. لنراها قلقة .. مضطربة .. هائمة .. تحاول الهروب من عالم خطيبها والمجتمع الذي يمثله .. وتحاول جاهدة ان تحصر في ذهنها شريط الذكريات التي صنعت افكارها ، وجعلت القيم تختلط في ذهنها ..

الذكرى الاولى عندما التقت اثناء حريق الوبيس بشرذمة من البورجوازيين ، ماثلن بنات الحديث معهم ، حتى اكتشفت انهم مازالوا في القاع .. مع التقاليد العفنة !

الذكرى الثانية عندما ذهبت الى القرية، فلم تجد فيها اي نوع من الحياة .. انها عبارة عن مجموعة من المباني .. يتوسطها فندق جديد على احدث موديل ... اما الانسان .. فقد انتهى تماما من تلك القرية .. لقد اصيب لسانهم بالخرس ، بعد ان سيطرت الآلة ، وحولت المكان الى جحيم يطلقون عليه «التكنولوجيا » العصر الحديث!

والذكرى الثالثة لغابة تلجأ اليها .. وتلتقي داخلها بفيلسوف يقدم لها احدث افكار العصر .. الا ان تلك الافكار تزيدها وحدة وقلقا .. فتهرب منه الى ساحر ينصحها بتحقيق سعادتها عن طريق الهروب من الواقع الاليم الى كهوف الهيبز والاندماج في حياتهم التي لا تعرف النقود ولا العمل ولا اي معايير سائدة في المجتمع!

وتتوالى الذكريات الاخرى في ذهن « أنيتا » .. وتقودها الى مدافن كئيبة .. مهجورة .. ما أن تخرج منها حتى تفيق من الحلم .. لخطيبها في انتظارها .. ليحملها الى مقبرة الواقع .. الى عش الزوجية الاليم « !! »

الجنة والفتاة الفيتنامية

وعندما نترك صرخة المخرج الايطالي الشاب ، سنلتقي بالمخرج الفرنسي « الن روب جرييه » الذي يبلغ من العمر ٢٨ سنة ، والذي يتساءل في فيلمه الثالث: **ماذا بعد الجنة ؟**. والجنة في رأيه **لا توجد** على الارض التي لم يترك فيها الانسان بقعة واحدة دون أن يلطخها .. وتصة

الفيلم تدور حول بعض طلبة الجامعة فى باريس .. يختارون دائما فترات ما بين المحاضرات للذهاب الى قهوة اسمها « الجنة » .. مليئة بالمرايا التى ترضى فضول الانسان وحبه للتطلع الى نفسه ، وهى مرتع خصب للاحلام الجميلة ... ولالعاب الحب التى يمارسونها فى حرية وتحرر الانسان من ازماته .. ليس هذا فحسب .. فهى ايضا مكان لممارسة العاب العنف .. والعاب الموت .. فهى ليست جنة مطلقة .. لانها الجنة والجحيم فى وقت واحد !

ويقدم المخرج الفرنسى هذا الفيلم باسلوب جديد .. فهو يحاول ان يقدم افكاره من خلال صور مرئية على الشاشة .. ومثل تلك التجربة تعتبر من اصعب الاعمال السينمائية ..

وقد صور المخرج معظم لقطات الفيلم فى صحراء تونس .. واختار البيوت البيضاء ذات القباب النقية ، ليقول لنا بطريقة تهز كيانك من الاعماق : لماذا يصر الانسان المتحضر القوى على ان يضع اقدامه فى كل مكان ، حتى فى تلك المناطق النقية التى لم تعرف قذارة العصر الحديث !

وينقلنا الشبان بعد ذلك الى فيلم هام ثالث ، اسمه « او ـ كى » او « وهو كذلك » .. وهى الكلمة التى ترتكب بها كل الجرائم فى فيتنام .. والفيلم من

لقطة من فيلم « هو آه بين » الذى تدور احداثه فى فيتنام



اخراج شاب الماني غربي في الثلاثين اسمه « مايكل فرهوفن » . وهو ثالث افلامه.

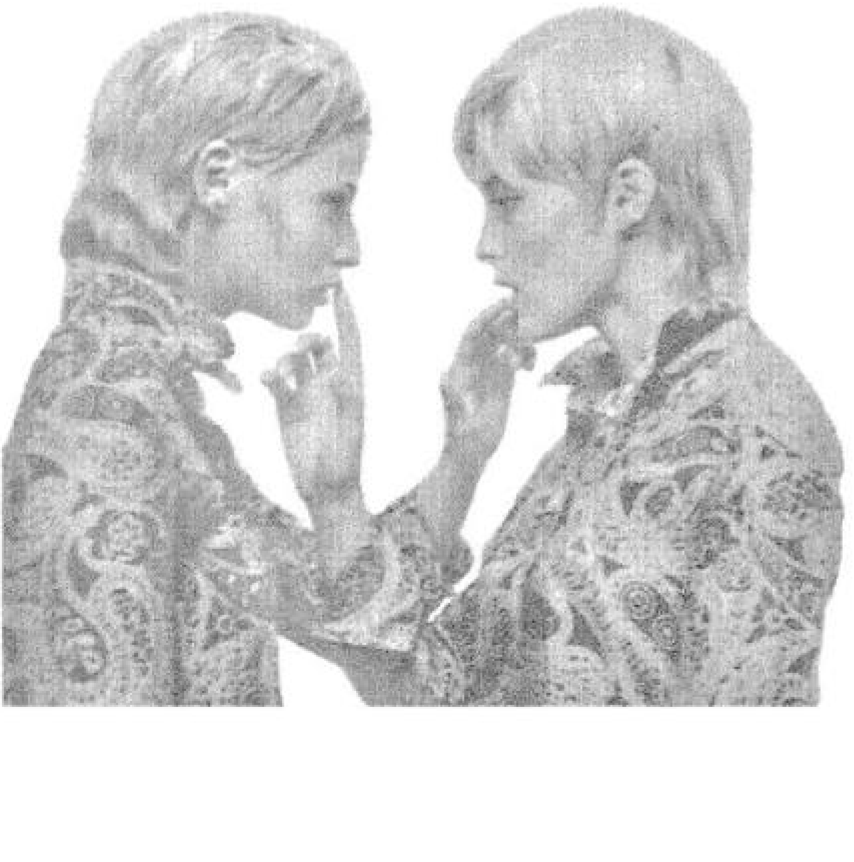
وتدور احداث الفيلم في فيتنام الجنوبية في عام ١٩٦٦ ، أثناء توقف القتال بين الجانبين لفترة قصيرة من الوقت اثناء مناسبة عيد الفصح ..

وأبطال الرواية خمسة من الجنود الامريكيين ، يقضون وقت الراحة في المزاح ولعب الورق .. وفجأة يلمحون فتاة فيتنامية تمر في المنطقة .. ويندفع نحوها اربعة منهم .. يقبضون عليها .. ويبداون في استجوابها .. ثم يغتصبها كل منهم بدوره !

ويعترض على هذا العمل المشين الجندى الخامس « اريكسون » .. انه يحتقر نفسه لانه لم يستطع ان يفعل شيئا من اجل تلك الفتاة .. انه يملك سلاحا .. وكان يستطيع ببساطة ان يقضى عليهم وينقذها من بين ايديهم .. ولكنه ليس بقاتل .. اذن ماذا يفعل ؟.. لا طريق امامه سوى ان يهرب من المعسكر ..ويصل بعد مغامرة قاسية الى مقر القيادة ... ويدخل مسرعا الى مكتب القائد ليروى له تفاصيل هذا الحادث غير الانسانى ..

وما ان ينتهى من الرواية ، حتى يفاجأ بان ملامح القائد لم تتغير .. فقد قال له فى لهجة باردة جدا : وماذا تريد منى ان

« ماذا بعد الجنة ؟ » صورت معظم لقطاته في تونس



لقطتان من فيلم « لماذا يضحك مستر آموك ؟ »





من اعمق افلام هذا العام فيلم « قصة حب سويدية » الذى عالج مشكلة المراهقين بصراحة بالغة ! ..



افعل ؟.. انت اولا هارب من العسكر .. ثم ان المسألة لم تعد مجرد اعتداء اربعة جنود امريكيين على فتاة فيتنامية ..ولكن شكواها لو الرئاها فانها ستسىء اولا واخيرا الى الحكومة الامريكية !!

وعندئذ لايجد الجندى الامريكى الذى استيقظ ضميره ، شيئا امامه ، سوى ان يجر الندامه ، ليعود الى العسكر ، ورأسه منكس ..

الموت البطىء

وكان من اهم الافلام التاريخيـــة التى قدمها الشبان فى هذا العام ، هو الفيلم المجرى « **المحاكمة** » ، ومخرجـه شاب اصبح من المع السـينمائيين هناك ،واسمه « **كوشافارتس** » ..

واحداث الفيلم تدور حول قصة زعيم الفلاحين « **دوجا**» الذى أعطاه النبـــلاء سلاحا ليوزعه على المزارعين ، حتى يقاوموا الاتراك الذين يريدون احتلال البلاد ، فما كان منه الا ان طالب الفلاحين باستخدام هذا الســلاح اولا ضد النبلاء ، قبـــل استخدامه ضد الغازى .. **فالغازى لن يكون اكثر قسوة من النبلاء الذين سرقوا قوت الشعب واذلوه لفترة طويلة !**

ويسمع الفلاحون فى كل مكان بثورة دوجا ، فينضمون اليها ، ويبدأون فى محاربة النبلاء .. وينفد الطعام من بين صفوفهم .. فيلجأ بعضهم الى السرقة من الحقــول ، فيأمر « دوجا » بقتلهم **لانه لايقبل من الذين يحاربون فى صفوفه ان يسرقوا طعام الفقراء ، حتى لوماتوا من الجوع !**

ولكن ثورة « دوجا » لا تستمر .. لقد استطاع ٦ الاف جندى أن يحاصروا مكانه ، وان يقبضوا عليه مع رجاله ، ويقـدمونه للمحاكمة ، ويطـالبونه اثنـاءها باعلان خطئـه امام الفلاحين ، فى مقابل اصدار قرار بالعفو عن اعماله .. ولكنه يرفض هذا العرض .. ويسمح لهم بقطع رقبة أخيه أمام عينيه دون التراجع عن موقفه

.. ثم يضعونه على كرسى من الحـــديد الملتهب ، ليموت موتا بطيئا ، وهو يرى جنوده من الفلاحين ، يضربون بالكرابيج حتى لايعودوا الى مثل تلك الاعمال !

ويموت « دوجا » وهو يقول لجلاديه : **لاتحسبوا ان الثورة بموتى ستنتهى .. انها مستمرة .. فقد اصبحت رمزا لكل الذين يرفضون العيش فى أرضهم كالدواب**

والفيلم بالاضافة لقوة موضوعه قطعة فنية لامثيل لها .. حيث يتميز بيراعتة تحريك الجماهير .. وكانت مزاجرا لقطاته ، تلك التى تقدم فيها عشر نساء عـــرايا تماما .. يحرثن الارض .. ويأكلن ترابها .. لقد كان هذا المشهد اشبه بقصـــيدة حزينة لشاعر ، أراد بها ان ينقلك الى بداية النحس الذى أصاب جيش قائد الفلاحين !

الضاحك القاتل

ويقدم لنا شاب آخر هو المخرج الالمانى « **ريتر فيرنر** » الذى يبلغ من العمر ٢٨ سنة فيلمه الثانى : **لماذا يضحك السيد آموك ؟** ... ووجه الغرابة **الاول** فى هذا الفيلم أن النقاد قالوا انه ضد المسرح .. ووجه الغرابة **الثانى** ان نفس هؤلاء النقاد رشحوه للجائزة ..

وفى بداية الفيلم نرى الســيد آموك انسانا عاديا .. يعيش سعيدا مع زوجته وابنته .. **وكل مشاكله تتمثل فى أن صحته ليست دائما على مايرام** .. ولهذا تنصحه

طبيبه بالاقلاع عن التدخين ، حتى يعود الى حالته الطبيعية .. وتصل الى منزله احدى الجارات .. ويستقبلها مع زوجته وابنته .. وبعد مسألة التحيات والسلامات والسؤال عن الصحة « تنفتح » الصديقة والزوجة والابنة فى عالم كله كلام فى كلام:

كيف يذهب زوجها لاحضار الابنة بالسيارة كل يوم .. مشاكل المهنة .. ماذا رأوا فى برامج التليفزيون .. اصدقاؤهم الطيبون والسيئون .. اخبار الجيران .. ولاينتهى الكلام ابدا .. بل يحاصر بكثرته مستر آموك ويصيبه بنوع من التوتر ، يدفعه

الى قتل الزوجة والابنة والجارة .. وفى ثانى يوم من القتل يذهب زملاؤه الى شقته ، فيجدونه وقد شنق نفسه ليتخلص من ثرثرة هذا العالم ، وحب الكلام سواء كان معقولا او فارغا !

اما الفيلم السادس للشبان فهو فيلم « قصة حب سويدية » ، الذى عالج مشكلة المراهقين بأسلوب سينمائى رقيق، مليء بالشاعرية ، وبالتفهم الكامل لكل متاعبهم .. وهذا الفيلم من اخراج شاب عمره ٢٦ سنة .. اسمه « روى اندرسون » .. والفيلم يروى قصة الحب الاول لفتى وفتاة من عائلات الطبقة المتوسطة فى

السويد .. الفتى عمره ١٥ سنة .. والفتاة عمرها ١٧ سنة .. وهما فى مشاعرهما المستيقظة يحاولان اخفاء هذا الحب النقى ، الرقيق ، الطاهر .. ولكنهما فى نفس الوقت يتصرفان بأحاسيس طبيعية لامبالغة فيها .. فاذا ماأحسا انهما كبيران تصرفا

فى طبيعية مثلما يفعل الكبار .. واذا ماأحسا بالخجل توردت وجنتاهما .. وينمو الحب بينهما فى اجازة الصيف فى المقاهى ، وملعب كرة القدم المهجور ، وفى بيت العائلة الريفى .. اما علاقات والديهما

فهى على العكس من ذلك .. انها فاترة .. فيها الكثير من البرود والتصنع .. وهؤلاء الاباء اصبحوا الان فاقدى الصلة مع اولادهم ، لانهم دائما مرهقون ، وفى حالة قلق ، ونفوسهم مليئة بالاحلام البعيدة .. ووسط هذا الجو الملىء بالتناقض يتساءل الفيلم : هل يستطيع

هؤلاء الاولاد عندما يصبحون اباء ان يحرروا انفسهم من التقاليد الاجتماعية التى تربوا عليها وراوها ماثلة امام اعينهم .. هل

يستطيعون بعد عشرين سنة ان يكسروا حاجز القلق والانتظار والملل .. وان يغيروا نظرة الحسد التى يرمق بها الاباء دائما كل المحبين من الجيل الجديد ؟!

افلام اخرى هامة

وبخلاف هذا .. فقد كانت ايضا تلك

الافلام من بين افلام الشبان الهامة فى هذا العام :

● « ديونيسوس عام ١٩٦٩ » للمخرج « بريان دى بالما » الذى يبلغ من العمر ٢١ سنة ، والذى سبق له ان نال جائزة اولى فى مهرجان برلين عن فيلمه الاول « تحيات » .. والفيلم مأخوذ من مسرحية « ريتشارد شيشنر » التى عرضت لاول

مرة فى احد الجراجات فى نيويورك بعد ان رفضتها كل المسارح ، لانها مليئة بالمشاهد الجنسية .. وقد اطلق النقاد على تلك المسرحية فيما بعد « المسرح الحى » .. وفى هذا الفيلم لاول مرة نرى على الشاشة علاقات واضحة بين

الجنسين ، وبين الجنس الواحد ، بطريقة تجعلك مطالبا بالاندفاع الى دورة المياه لافراغ كل الطعام الذى فى جوفك ... وقد استخدم المخرج صورتين على الشاشة طوال عرض الفيلم !

● « اشياء بسيطة فى الحياة » للمخرج الفرنسى الشاب « كلود سوتيه » .. والفيلم مقتبس من حادثة سيارة وقعت للمخرج نفسه ، فقدمها للشاشة ، وصور الاحلام والذاكرة بعد وقوع الحادثة بشكل

شىء وجديد وجذاب .. ففى حالة الغيبوبة فى المستشفى ، لم يكن ذهنه مليئا بالاحداث الكبيرة فى حياته ، ولكن بالاشياء البسيطة التى تركت بصماتها فى ذهنه !

● « هو آه يين » للمخرج الفرنسى



ماذا يحــدث عندما تستعبد الصقور مدربها ؟ .. الاجابة القاسية عرضها فيلم «الصقور»

« راعول كوتارد » وهو اول افلامه .. لقد كان من قبل احسن مصور سينمائى فى الموجة الجديدة .. والفيلم عن عذاب اسرة من فيتنام الجنوبية ، ينضم ماثلها الى قوات جبهة التحرير ، وتلاقى فى حياتها صنوفا من العذاب تنتهى بموت الام ، ورحيل الاولاد !

● « كيس » للمخرج البريطــانى « كين لوتش » .. هذا هو ثانى افلامه بعد « البقرة الفقيرة » .. يعالج مشــكلة الاســاتذة الذين لايعرفون التعامل مــع الاطفال ، فيدفعونهم الى الانحراف والوحدة والتعاسة .. والفيلم مليء بالشــاعرية والحياة الانسانية فى القرية ، ولهذا حصل على جائزة « كارلو ليفارى » هذا العام !

● « الصقور » فيلم مجرى للمخرج « ايشتفان جال » الذى يبلغ من العمر ثلاثين سنة . والفيلم ضد الستالينية والنظام البوليسى والعنف .. فالصقور فى الفيلم هى رجال البوليس التى يتصور مدربها أنها تحت امره ، ولكنها فى النهاية تستعبده ، فيصبح خادمها المطيع !

●●●

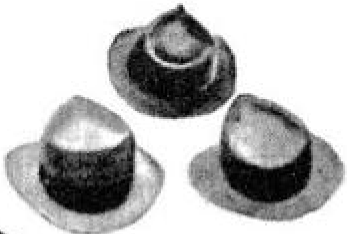
ولا يبقى بعد هذا سوى ان نقول ان هذا العام ايضا تميز بظهور مجموعة ضخمة من الممثلات والممثلين الشبان .. الا ان المهم بصفة خاصة هم الفرنسيون .. فلقد لمت اكثر من ممثلة شابة فرنسية ، لان فيهن كما يقول النقاد : رائحة باريس !

ففى هذا العام رأينا « كلودجاد » التى ولدت فى مدينة « ديجو » من اب وام استاذين فى الجامعة .. ودرست فى معهد الدراما .. ثم مثلت اول افلامها مع المخرج العظيم «فرانسوا تريفو» واسمه «قبلات مسروقة » .. ثم رآها « الفريدهيتشكوك » فاختطفها لهوليوود لتمثل معه فيــلم « الطوق » المأخوذ عن رواية « توباز » !

وهناك « جينفيف جراد » التى بدأت راقصة فى اوبرا باريس .. ثم عملت كمانيكان لاغلفة مجلات الموضة .. ومثلت الفيلم الفرنسى « المراهقات » لتخطفهــا هذا العام ستوديوهات هوليوود وتتعاقد معها فى مجموعة من الافلام !

وغيرها هناك « ميشيل مرسييه » التى اصبحت هذا العام تطوف ستوديوهات ايطاليا وانجلترا وهوليوود لتنفذ عقودها مع الشركات السينمائية التى اكتشفت فيها موهبة جديدة للجمهور !

ان هذا العام هو فعلا .. عام الشبان فى السينما .. ســواء كانوا مخرجين ام ممثلين !



خواجات في تاريخ

أكتب عن هؤلاء « الخواجات » دون انعطاف الى النظرة العنصرية ودون تعصب ، فوجودهم فى تاريخ الحركة العمالية المصرية ظاهرة لفتت نظر الكثيرين وان لم تحظ منهم بالدراسة او التحليل

« خواجات » كثيرون من جنسيات متباينة ظهروا عل مسرح الحركة العمالية المصرية . بعضهم شارك فى عضويتها وبعضهم تول قيادتها ، وآخرون كان لرأيهم او فكرهم نفوذ كبير فى تحديد اتجاهاتها او تشكيل مصيرها . منهم من جاء غازيا .

ومنهم من جاء لاجئا ، منهم المناضل المؤمن والافاق الشارد . منهم من كان يحمل فكرا امميا حقيقيا . ومن كان دعيا ورذيلا.

ولكنهم ـ فى كل الاحوال ـ تركوا بعض بصماتهم على صفحة الحركة العمالية المصرية . ومن اجل ذلك فانهم يستحقون منا هذه الدراسة ..

● أمين عز الدين ●

الحركة العمالية المصرية

قبل نشوء حركتنا العمالية

قبل نشوء النقابات العمالية في مصر بسنوات طويلة ، انشأت فئة من **العمال الاوروبيين المهاجرين** جمعيات ونقابات لهم في الاسكندرية والقاهرة ، بين ١٨٧٥ و ١٨٨٢ عام الثورة والهزيمة العرابية .

وهناك انباء غامضة – خلال هذه الفترة – بأن بعض قادة **«كوميون باريس»** هربوا من فرنسا بعد هزيمتهم وتصفية ثورتهم الاشتراكية ، ووصلوا الاسكندرية ليتخذوا منها ملجأ سياسيا ومأوى . واذا صدقت هذه الانباء الغامضة ، فانها قد تفسر لنا وجود بعض **«الجمعيات السرية»** الاوروبيين في الثغر ونشاطهم الملموس ابان احداث الثورة العرابية وما قبل من تأييدهم لعرابي واعجابهم بحركته . ومن المؤكد أن احدى هذه الجمعيات ، وهي **«الجمعية السرية الطليان»** أيدت عرابي وبعثت له ببرقية تساند فيها حركته ضد الامبريالية البريطانية والمؤامرات الاوروبية .

وجاء الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ ، فاقام « نظاما » متكاملا لادارة المستعمرة الجديدة واحكام طرق استغلال مواردها وثرواتها . **ففي مجال الادارة** اعاد المحتلون الانجليز تنظيم «الحكومة» وخاصة ادارات الامن والمواصلات والسكك الحديدية وجباية الاموال . **وفي مجال الاستغلال الاقتصادي** ، فتحوا البلاد على مصراعيها للمستثمرين البريطانيين وشركاتهم فانشأوا بنوك الائتمان العقاري وشركات تجارة القطن ومؤسسات التجارة الداخلية .

وفي خدمة هذا «النظام» المتكامل منحت امتيازات احتكارية لشركات بريطانية وبلجيكية وفرنسية لانشاء سلسلة من **المرافق الحديثة** التي تكفلت بتقديم خدماتها – اساسا – لاجهزة الاحتلال وموظفيه ولشركات الاستغلال الاقتصادي . وهكذا ظهرت في مصر شركات الترام وسكك الحديد الضيقة وشركات الغاز والكهرباء والمياه وشركات البناء الحديثة لتوفر للاحتلال ورجاله واعوانه هذه الخدمات التي تطلبتها الاذواق المتغيرة للحياة .

في هذه المرافق نشأت الطبقة العاملة المصرية كقوة عاملة غير فنية او نصف

فنية مساعدة للعمال الاوروبيين والفنيين الذين تدفقوا من بلاد أوربا الفقيرة للعمل في مصر ولنسج أحلام الثراء الموعود . ولكن هؤلاء العمال الاوروبيين لم يلبثوا ان اكتشفوا انهم يتعرضون للاستغلال الرأسمالي بالقدر الذي يتعرض له العمال الوطنيون . ولما كان العمال الاوروبيون يملكون قدرا من خبرات العمل النقابي في بلادهم ، فقد عجلوا الى استخدام هذه الخبرات دفاعا عن شروط عملهم وطلبا لتحسينها .

وهكذا اخذ المجتمع المصري يسمع لاول مرة في بداية القرن العشرين باضراب العمال الاوروبيين او « اعتصابهم » ، كما اخذ يسمع عن تكوين « جمعيات » او « نقابات » لهؤلاء العمال لتقود اضراباتهم او لتقدم المعونة والخدمات للمحتاجين والمضطهدين منهم .

وراقب العمال المصريون هذا النشاط الغريب وسط « الخواجات » والتمسوا بجهلوه عندما رأوا الحكومة والقناصل ومديري الشركات في اضطراب شديد عند وقوع اضراب او عند تنظيم مسيرة لهؤلاء العمال « الخواجات » .

وانضم قطاع من العمال المصريين — هنا وهناك — للمشاركة في هذه الاضرابات وفي عمليات الامتناع عن العمل وذلك بسبب مشاركتهم للاوربيين « الخواجات » في شركاتهم او صناعاتهم . ولم يرفض هؤلاء « الخواجات » من جانبهم أن يشركوا العمال المصريين معهم في اضراباتهم ، بل انهم اخذوا يقبلون اشتراكهم معهم في « جمعياتهم » ..

وهكذا ظهرت في هذه الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى جمعيات ونقابات « مختلطة » اى تضم العمال « الخواجات » والعمال المصريين . ولكن « الخواجات » ظلوا في مقدمة هذه النقابات يقودونها ويكتبون محاضرها ويمسكون دفاترها بلغاتهم الاصلية . وحتى الكارنيهات التي كان يحملها الاعضاء المصريون كانت مكتوبة بهذه اللغات ..

ومن الامثلة العديدة على هذه الجمعيات ، جمعية لفافي السجاير بالقاهرة « ١٨٩٩ » ويرأسها يوناني يدعى دكتور كريازي ، وجمعية اتحاد عمال الخياطين ويرأسها يوناني ايضا يدعى دكتوربستس وجمعية عمال السجاير بالاسكندرية « ١٩٠٢ » ويرأسها دكتور بوديتوس ، وجمعية مستخدمي المحكمة المختلطة ، وجمعية المستخدمين بالاسكندرية ، وجمعية المستخدمين بالقاهرة ورئيسها المسيو فريدريك كانسا وسكرتيرها ديمتري استاسيو ..... الخ .

وجذبت هذه الظاهرة — ظاهرة مشاركة العمال الوطنيين والاوروبيين في نقابات واحدة مختلطة — اهتمام بعض الكتاب السياسيين فاعتبروها دليلا على تغلغل روح « الاممية » في تاريخ الطبقة العاملة المصرية وفي وسط العمال « الخواجات » . ونحن نعتقد ان هذا التفسير المتفائل يحمل الظاهرة اكثر مما تحتمل ويضفي عليها مضمونا لم تكن تمثله يومئذ حينذاك .

اما قيادة « الخواجات » للنقابات في هذه الفترة ، فقد كانت محصلة عوامل عديدة منها المكانة الممتازة — او المتميزة — التي كانوا يتمتعون بها في المجتمع المصري ، ومنها تفوقهم الفني على العمال الوطنيين ، ثم تفوقهم في الخبرة النقابية والسياسية .

وقد استمر هذا الوضع سنوات طويلة الى أن ظهرت حركة « الاستقلالية » وسط العمال المصريين ، فأنشأوا نقاباتهم



اسماعيل صدقي



جريلز

الوطنية الخالصة وقادوها برجالهم من العمال ومن المثقفين الوطنيين من رجال الحزب الوطني . وكانت نقابة الصنائع اليدوية « ١٩٠٩ » النموذج الحي لهذه الحركة الاستقلالية ، ونقابة عمال ترام القاهرة التي اخرجت الخواجات «وخاصة المفتشين » من عضويتها لانحيازهم الى ادارة الشركة في اضراب ١٩١١ ، ونقابة المخابز العربية التي أسسها نقابيون مصريون احتجاجا على قادة نقابة المخابز الافرنجية الذين رفضوا اطلاعهم على حسابات النقابة .

والباحثون في تاريخ الفكر الاشتراكي في هذه الفترة يعتقدون أن القادة النقابيين « الخواجات » كانوا على معرفة ببعض جوانب هذا الفكر ، وان شعارات اشتراكية كانت تظهر احيانا في خطبهم وتصريحاتهم، وبالتالي فانهم قد أسهموا في نقل بعض الافكار التقدمية الى أوساط العمال المصريين حينذاك .

في اعقاب الحرب الاولى

في أعقاب الحرب العالمية الاولى أخذ وجود « الخواجات » ونفوذهم في الحركة العمالية المصرية ينحسر بشكل ملحوظ.

وكان لهذا الانحسار أسبابه الموضوعية. ففي اعقاب الحرب ، تجدد تيار الحركة الوطنية من أجل الاستقلال وتفجرت الثورة الوطنية عام ١٩١٩ . وفي مواجهة هذه الثورة انكمش نشاط «الخواجات» في جمعياتهم وفي داخل النقابات التي جددت نظمها ونشاطها بعد الحرب . ولم يعد مقبولا في ظل المناخ الوطني الثوري ان يعود النقابيون الخواجات الى سابق مكانتهم . ولا شك أن عددا كبيرا منهم كان قد غادر البلاد فعلا أثناء الحرب . ومن بقي منها فيها اصبح اكثر ميلا الى مغادرتها بعد الحرب وبعد انفجار الثورة الوطنية ..

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى، كانت الطبقة العاملة المصرية اكثر وعيا بحاجاتها ومطالبها الشاملة . ولا نحسب أن « الخواجات » من القادة النقابيين كانوا جديرين بحمل مسئولية النضال من اجل هذه الحاجات والمطالب ، ذلك أن هذه المطالب كانت ذات صبغة سياسية او مضمون سياسي اكثر من كونها مطالب اقتصادية . **وكان في مقدمتها مثلا ضرورة تشغيل العمال الوطنيين بدلا من الاجانب، وضرورة المساواة بينهم في الاجور والامتيازات الاخرى .**

لهذه الاسباب جميعها انحسر وجود

« الخواجات » ونفوذهم داخل النقابات العمالية ، ومن بقى منهم اخذ ينحاز الى الادارة أكثر من انحيازه الى العمال كما حدث فى شركة الترام والنور والكهرباء عام ١٩٢٠ وما بعدها .

ولكن ذلك لم يكن يعنى انتهاء وجود « الخواجات » وممارستهم التأثير فى الطبقة العاملة المصرية ..

فقد شهدت العشرينات ، من تاريخ الطبقة العاملة المصرية ، نوافذ جديدة تسرب من خلالها « الخواجات » وراحوا يمارسون نشاطهم المؤثر فى الحركة النقابية وفى حياة الطبقة العاملة .

وكانت النافذة الاولى من خلال أجهزة الدولة ولجانها المكلفة بمسئوليات تمس حياة الطبقة العاملة . ونذكر من هذه اللجان – على وجه التحديد – لجنة الصناعة برئاسة اسماعيل صدقى التى تألفت عام ١٩١٧ وظل نفوذها سائدا فى مقدرات البلاد أكثر من ثلاثين عاما .

وكانت هذه اللجنة قد تألفت فى مارس ١٩١٦ لتخطيط النمو الصناعى والرأسمالى المصرى بعد الحرب . وكانت تضم عددا من « الخواجات » مثل المستر سدنى ويلز مدير التعليم الفنى والمستر كريج مراقب الاحصاء ، والمستر ميردوخ من ارباب الصناعة فى المنصورة وآخرين من أترابهم .

وقد تضمنت توصيات هذه اللجنة الكثير مما كان له أكبر الاثر فى حياة الطبقة العاملة المصرية ، مثل التوصية بالحماية للصناعات الوطنية ، والتوصية بالحد من صدور تشريعات العمل ، وضرورة تنظيم أصحاب الاعمال لمواجهة النشاط النقابى . .

واللجنة الثانية التى ضمنت استمرار نفوذ « الخواجات » فى حياة الطبقة



بيكر



عباس حليم

المملكة المصرية » هي « لجنة التوفيق بين العمال وأصحاب الأعمال » . فقد كان رئيسها الدكتور الكسندر جرانفيل.

وهو من الشخصيات البريطانية البارزة، وكان يشغل — في نفس الوقت — عددا من المناصب الهامة . فقد كان رئيسا لمجلس الصحة والمحاجر البحرية ووكيل القومسيون البلدى ورئيس لجنة الترام بالاسكندرية ورئيس جمعية الصليب الاحمر البريطانية .

وقد تولى رئاسة اللجنة بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٤ وسيطر بفكره واتجاهاته على أعمالها وأعضائها ، وكانت له آراء تتراوح بين الموقف الاستعمارى الشديد والموقف الليبرالى الناعم .

وقد أصبح اسم جرانفيل — في هذه الفترة — من أشهر الأسماء المترددة على ألسنة العمال المصريين وداخل نقاباتهم، يتناولونه بالقدح أحيانا وبالشكر أحيانا أخرى نتيجة لمواقفه المتأرجحة باستمرار ..

وكانت النافذة الثانية التى تسلل خلالها « الخواجات » الى حياة الطبقة العاملة — بعد الحرب — هى التنظيمات الاشتراكية والشيوعية التى ظهرت في العشرينات وصلت وسط العمال المصريين في القاهرة والاسكندرية وبعض المدن الاقليمية ..

ومن أبرز « الخواجات » الذين نشطوا في هذا المجال جوزيف روزنتال ، وكان من أبناء الجالية الأجنبية في الاسكندرية منذ سنوات طويلة وكان يمارس بعض النشاط النقابى قبل الحرب . وفي أعقابها نظم «حزبا اشتراكيا » للأجانب بالاسكندرية كما نظم « اتحادا » نقابيا هناك ضم اليه عددا من النقابات العمالية .

ويعتبر جوزيف روزنتال المؤسس الحقيقى للحزب الاشتراكى المصرى في أغسطس ١٩٢١ ، ولكنه لم يلبث أن اختلف مع قادته المصريين مثل سلامة موسى وعلى العنانى ومحمد عبد الله عنان. وقد طرد روزنتال من الحزب بعد ذلك بسنوات نتيجة لأفكاره ونشاطه الفوضوى، ولوقوفه في وجه تحويل الحزب الى شعبة من الشيوعية الدولية ..

ومهما يكن الأمر ، فقد وقع صدام عنيف بين الحركة الاشتراكية وبين حزب الوفد — وهو في الحكم — عام ١٩٢٤ ، فانهار في هذا الصدام اتحاد العمال العام والحزب الاشتراكى المصرى وبعثرت قياداتهما وشملهما العناصر الأجنبية أو « الخواجات » .

ولكن نافذة التسلل ظهرت مفتوحة أمام « الخواجات » وان كان ذلك بشكل محدود ...

ففى اكتوبر ١٩٢٤ أعادت مجموعة أخرى من « الخواجات » تأليف الحزب الشيوعى المصرى وحاولوا معاودة نشاطهم وسط النقابات المصرية . ولكن وزارة زيور باشا شنت عليهم حملة شاملة وقدمتهم الى المحاكمة . وكان من أبرز هذه العناصر : بهيل كوس وشهرته اليجمود . وهو من مواليد أوكرانيا عام ١٨٩٢ وتزوج ابنة جوزيف روزنتال ، وقسطنطين فايس وشالوم بولاك وليون الكونين وريمة هارسليك وشارلوت روزنتال و سكلاريوس بتكاليس وهارون وانبرج . وكان اغلبهم من اليهود الروسيين ومن اليونانيين والألمان .

ولا شك أن نفوذ هذه الجماعة في الحركة العمالية المصرية كان محدودا للغاية اذا قورن بنفوذ « خواجات » ما قبل الحرب العالمية الأولى . ولاشك أيضا أن قيام الحكم الوطنى — في حدوده المرونة حينذاك — ونمو الحركة النقابية

بقياداتها المصرية كان ضمن العوامل المؤثرة في التضييق على هؤلاء «الخواجات» في نهاية العشرينات ..

عودة صدقى والخواجات

وفي أوائل الثلاثينات والأزمة الاقتصادية تحط على العالم وعلى مصر ، تلقت المصالح المالية الاجنبية والمصرية بأحلق رجالها الى الحكم ، وهو اسماعيل صدقى باشا الذى تولى الوزارة في الفترة من يونيو ١٩٣٠ الى سبتمبر ١٩٣٣ .

لقد تركزت مطالب الحركة العمالية المصرية في هذه الفترة على ثلاثة مطالب اساسية :

اولها : اصدار تشريعات العمل التى طال انتظارها

ثانيها : مواجهة امتداد الازمة الاقتصادية وخاصة ارتفاع الاسعار ومحاولات توفير العمال او خفض اجورهم وشروط عملهم ..

ثالثها : اعادة تنظيم الحركة النقابية والاعتراف بوجودها .

وقد استخدم أعداء صدقى الحزبيون هذه المطالب في معركتهم الضارية ضده، وحاولوا تكتيل النقابات والارتهان لاستخدام العنف ضد حكم صدقى ، كجزء من محاولة اسقاطه ..

ولجأ صدقى – على المسرح السياسى – الى اساليب الانقلاب والقهر ، فالغى الدستور وحل البرلمان وأجرى انتخابات جديدة لحساب حزبه « الشعب » وشدد التكير على الصحافة المعارضة وعلى حرية الاجتماعات .

وعلى المسرح العمالى ، أغلق الاتحاد العام لنقابات القطر المصرى الذى كان يرأسه عباس حليم وبساندة الوفد والاحرار الدستوريون .

ولكنه الى جانب هذه الاجراءات التعسفية العنيفة ، حاول أن يستخدم اساليب مكيافيلية لتهدئة الجبهة العمالية الثائرة حول مطالبها . وفي اطار هذه الاساليب اتخذ اجراءين رئيسيين فتحا الطريق – من وجهة نظر هذه الدراسة – لعودة نفوذ «الخواجات» الى المسرح العمالى والنقابى .

وكان اول هذين الاجراءين ، **انشاء مكتب العمل في نوفمبر ١٩٣٠ وتعيين المستر د . م . جريفز مديرا له .** وكان جريفز الى هذا التاريخ يشغل منصب مدير ادارة الاجانب في وزارة الداخلية ، وكان اقوى شخصية مسئولة عن شئون **« عموم الامن » بالوزارة**

ويتولى جريفز منصب المدير العام لمكتب العمل ، اصبح المتصرف الخفى والظاهر في شئون العمل بالبلاد والمتحكم في توجيه سياسة الحكومة في هذا المجال . وهو المسئول – في واقع الامر – عن ارساء تقاليد النظرة البوليسية الى شئون العمال في تاريخ مصر الحديث اذ انه نقل الى مكتب العمل اساليب الامن القديمة ونظرتها الضيقة الى الحركة العمالية .

ومن الطريف انه سمى **قسم البحوث والاحصاء** بالمكتب باسم **« قسم المباحث »** وسمى **الدراسات الميدانية** في **مجال العمل** باسم **« المباحث » العمالية**

وقد اضاع جريفز جهود لجنة رفعت باشا التى أعدت تشريعا موحدا للعمل عام ١٩٢٩ ، حين رفض تنفيذ هذا المشروع ، وعطل صدور التشريعات العمالية المصرية سنوات طويلة بحجة الاخذ بنظرية التطور في صدور القوانين .

وكان الاجراء الثانى الذى اتخذه اسماعيل صدقى والذى اعاد نفوذ « الخواجات » الى شئون العمل فى مصر ، **استقدامه للمستر هارولد بتلر ، مدير مكتب العمل الدولى ، لزيارة مصر ولوضع اسس تشريع العمل واسس تنظيم اجهزة العمل**

وقد وصل بتلر الى مصر في ١٦ فبراير ١٩٣٢ **يصحبه المستر لوفورد شيلعز**



سلامة موسى

وقاما بزيارة عشرات المصانع ومقابلة أصحابها ومديريها ، وجهز له صدقى مقابلة مع مندوبى بعض النقابات « رغم انها كانت مغلقة » وعرض عليه جريفز مشاريع القوانين التى اعدها مكتب العمل المصرى

وفى ٢١ مارس ١٩٤٢ قدم بتلر تقريرين الى الحكومة احدهما يتصل بتنظيم مكتب العمل المصرى والثانى يتصل بتشريعات العمل فى المستقبل . وقد اهملت الوزارة كليهما ، وكذلك ميلاوله جريفز فلم يقدم جديدا

لقد ظل شبح بتلر وجريفز حاضرين فى تاريخ التشريع العمالى المصرى من الثلاثينات الى الخمسينات حتى قدوم ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وكان ظلهما الثقيل مسيطرا على اذهان العشرات من موظفى العمل والادارات العمالية سنوات طويلة ، فكانوا يرددون افكارهما — بوعى او بدون وعى — ويضعان بصماتهما على كل تشريع عمالى صدر فى البلاد طوال هذه الفترة

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية

تغير الوضع كثيرا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية بالنسبة لنفوذ «الخواجات» فى الحركة العمالية وفى شئون العمل فى البلاد . لقد اختفت المظاهر القديمة بكل صورها . اختفى « الخواجات » تماما من الحركة النقابية ، ولم يبق منهم الا فئة قليلة فى التنظيمات الاشتراكية السرية والعلنية . واختفى جريفز من مكتب العمل

ولكن السنوات التالية للحرب شهدت شكلا جديدا من اشكال الوجود والنفوذ « للخواجات »

ذلك ان عددا من السفارات الاجنبية ، وفى مقدمتها السفارة البريطانية والامريكية ، عينت ضمن موظفيها ملحقين عماليين لمتابعة شئون العمل فى مصر ولمتابعة نشاط الحركة العمالية

ولو توقف نشاطهم عند هذا الحد لما شكل خطرا على الحركة العمالية . ولكن الملحقين العماليين راحوا يتدخلون بنشاط وسط الحركة النقابية المصرية ، يعقدون العلاقات الوثيقة بعدد من قادتها ويقدمون لهم المساعدات المادية والادبية ، ويفرضون عليهم اتجاهات غريبة فى التحرك الدولى . وكانت الانقسامات المتعددة داخل النقابات المصرية تمهد لهم الطريق الى فرض آرائهم ونفوذهم بمساندة الموالين لهم من النقابيين

ولكن ثورة يوليو ١٩٥٢ قضت على هذا النشاط أو ردته الى حدوده الدبلوماسية المقررة ! فلم تلبث هذه السفارات ان سحبت ملحقيها ونقلتهم الى بيروت او الى بلاد عربية اخرى

وهكذا وضعت نهاية اخيرة لوجود « الخواجات » ونفوذهم فى الحركة العمالية المصرية ، واصبح فى مقدور هذه الحركة ان تنفض كل اشكال التدخل فى اتجاهاتها وتقف على قدم المساواة مع غيرها من الحركات فى رسم سياستها وتخطيط طريقها من وحى ظروفها ولخدمة اعضائها

من الهــلال القديــم

هــذا باب جديد تقدمه الهلال لقرائها كل شهر ، وفى هذا الباب سوف نحرص على اختيــار بعض الموضوعات التى تضمنتها الاعداد القديمة لمجلة الهلال خلال عمرها الذى امتد حتى الآن الى ٧٧ سنة ... ومن خلال هذه المختارات نستطيع ان نعيش لحظات مع الافكــار والقضايا والمشاكل المختلفــة التى كان مجتمعنا يعيشها او يفكر فيها خلال تلك السنوات المتصلة من عمر « الهلال »

العلاج بالموسيقى

ان الموسيقى تزيد انتشارا وتغلغلا فى حياتنا القومية ، وليس ببعيد ذلك اليوم الذى تصبح فيه حاجة من حاجاتنا الضرورية مثل الغذاء والسكن والكساء

ازداد الاهتمام فى السنوات الاخيرة بنشر الموسيقى وادخالها فى مختلف الامور ، ومن ذلك استخدامها كوسيلة من وسائل العلاج .

وقد غالى البعض فى هذا الامر الاخير ، فنسبوا الى الموسيقى انها تشفى من جميع الامراض ، وذلك قبل أن يجرى الاطباء من التجارب ما يمكنهم من الوصول الى نتائج حاسمة .

والصعوبة التى تواجه الاطباء فى هذا المجال ، هى أن الموسيقى أكثر الفنون التصاقا بالشخص وتعبيرا عنه . وقد ثبت أن الحواس الخمس ذات ارتباط وثيق بصحة الانسان وهنائه ، ومن بينها السمع أشدها دقة وأكثرها تأثرا . ولا ريب أن الموسيقى هى أحب المؤثرات الصوتية الى الناس ، يتلقاها جهاز الاذن الرقيق فتحملها اهتزازات معقدة التكوين الى المخ والجهاز العصبى ، وعندئذ يكون تأثيرها كتأثير كوكتيل قوى .. فهى تقدر أن تنعشك وتنشطك ، أو تهدئك وتسكنك ، وتقدر أن تحلق بنفسيتك فى الاعالى مسرعة مندفعة ، أو تهوى بها الى هوة سحيقة لا تلوى على شىء .

وقديما عرف للموسيقى أثرها فى ايجاد الفرح والعزاء ، وبث الامل والرجاء ، فعند اليونان القدماء كان « بيثاجوراس » أول من كشف هذه الميزة الخفية لها وكان ينصح لتلاميذه بأن يزيلوا آلام الجسم والنفس بما كان يسميه « العلاج الموسيقى » . ويحدثنا « هومر » عن سحر الموسيقى وكيف وقفت نزيف الدم القتال عند « أوليس » . وكان الاطباء العظام كثيرا ما يلجأون الى معجزة الموسيقى حين تفشل وسائلهم الاخرى فى العلاج ، وقد وصف « جالن » عزف المزامير لتخفيف الالام ، وكان « ماتينوس » يخفف الحمى بالغناء ، كما كان « ايسكولابيوس » يعالج الصمم بقرع الطبول .

ومنذ تلك العصور اخذ كثير من المفكرين المتعاقبين — ومن بينهم ليوناردوفنشى — يستكشفون طبيعة الموسيقى . واعترى الموسيقى كذلك تطور عظيم ولا تزال يستحدث فيها الكثير كل يوم .

ولم يقتصر الاهتمام بالموسيقى على الفنانين وحدهم ، بل أخذ علماء الصوت يلتفتون اليها ، ويجرون التجارب والمقاييس ليدركوا تأثيرها من النواحى الجسمانية والنفسية والكيماوية . وقد لخص الدكتور ادوارد بودولسكى نتائج تلك البحوث والتجارب فى رسالة كتبها بعنوان : « الطبيب يصف الموسيقى » .

وبواسطة المؤثرات الصوتية فى السمع تسنى للعلماء ان ينظموا حركة الهضم ويؤثروا فى التنفس ويزيدوا أو ينقصوا من النشاط الخلى ، كما يمكنهم بها أن يعدلوا من حجم الدم وسرعة النبض ومعدل الضغط ويرجئوا الشعور بالتعب أو يعجلوا به ويزيدوه .

ومن ثم يرى علماء النفس ان فى الامكان ايجاد اساس جسمانى « فيزيولوجى » لتولد الاحاسيس ولضبط الافرازات الداخلية .

وقد ثبت أن الاصوات الصارخة تولد الاحماض وتنتج الزيوت من نباتاتها وتبعث الغازات ، وتحول النشاء الى سكر وتقتل أنواعا معينة من الجراثيم وتكثف البروتينات وتحطم الزجاج أو تقتل البيض . بل دلت تجارب أخرى أن سيأتي يوم تعالج فيه حمى المرارة بإذابتها بالاصوات !

وعلى الرغم من هذا التقدم البعيد المدى في البحوث المتعلقة بالصوت ، ينبغي ان لا يبالغ الجمهور في الاعتماد على العلاج بالموسيقى . فالواقع انه في تاريخ الطب كله لم تكتسب وسيلة من وسائله شهرة واسعة على أساس قليل من التجربة ، كما كسب ذلك الضرب من ضروب العلاج . والعادة انه حين تظهر في عالم الطب عملية جراحية من نوع جديد ، أو دواء لم يكن للناس عهد به ، يكون ذلك قائما على آلاف من التجارب أجريت على الفيران والارانب والكلاب والاناسي ، ذلك لان صناعة الطب لا تمشي في الظلام . أما في حالة العلاج بالموسيقى فقد كانت الحاجة عاجلة والحماسة شديدة، فجاء كثير من ذلك العلاج على غير أساس ، ولسوف تنقضي سنوات طويلة في البحث والتجربة ، حتى تعرف بالضبط حدوده وما يمكن ان يصل اليه من النجاح .

ومع ذلك ، والى أن يحين هذا الاوان ، ينتشر استخدام الموسيقى كوسيلة لتخفيف الآلام وإزالة الشعور بالانقباض . وقد أخذ عدد من المستشفيات في اتخاذ الموسيقى لهذه الغاية ، مثل مستشفى فورد ومستشفى الكسندر بلير في ديترويت ومستشفى وولتر ريد في واشنجتن ومستشفى جامعة كليفلند ، وقد سارعت مدارس الموسيقى والموسيقيون المحترفون الى التمشي مع هذه الحركة فوضعوا برامج ملائمة .

وفي مقدمة الرواد في هذا المجال ، المرحومة هاريت آيرسيمور ، التي كانت مؤسسة ومديرة « المؤسسة الوطنية للعلاج بالموسيقى » ، ومكانتها الآن في قاعة ستينواي بنيويورك .

وقد بدأت في خلال الحرب العظمى الاولى ، فقضت سنوات في البحث والدراسة بامريكا وأوروبا ، وانتهت الى وضع برنامج دقيق يشمل أنواعا معينة من الاغاني والآلات الموسيقية لسد حاجة طوائف شتى من المرضى ولمساعدة الاطباء في علاجهم الطبي . وكانت المسز سيمور تهتم بعدة عوامل : مثلا شخصية الموسيقيين العازفين ، وحسن اختيار القطع الموسيقية والتقارب النفساني وغير ذلك مما يختلف عن الحفلات الموسيقية العامة أو المنزلية . وقد تطوع عدد كبير من الطلبة للعمل تحت اشراف تلك السيدة في مختلف مستشفيات نيويورك بعد أن دربوا تدريبا خاصا . ثم اقتدى بهم غيرهم في المدن الامريكية الاخرى فألفت فيها فرق موسيقية للعزف في المستشفيات ترويحا عن المرضى ومعاونة على علاجهم . غير أن المسز سيمور كانت منذ البداية بعيدة عن الغلواء ، مبرأة من الزعم بأن الموسيقى شفاء لكل مرض ، ومع ذلك فقد شهد الاطباء والممرضات منذ بدء استعمال تلك الطريقة بأن مرضاهم تسترخي أعصابهم ، ويهدأ نومهم ، ويزيد اهتمامهم بالحياة والعالم ، عقب كل حفلة موسيقية يستمعون اليها .

ومنذ وفاة المسز سيمور وتزايد عدد الجنود الجرحى ، حمل الرسالة

خليفتها المستر ايرل جاريت بالتعاون مع سيدات الصليب الاحمر ، فهم يقيمون مئات الحفلات الموسيقية كل أسبوع في المستشفيات ، غير أن الطلب يفوق العرض بمراحل . ومن البريجادير جنرال رالف دي لو الضابط المدير لمستشفى هالوران العمومي ، أن الموسيقى سوف تكون في مقدمة وسائل النقاهة في المستشفيات العسكرية .

وكثيرا ما تعزف الموسيقى للمريض في أثناء اجراء عمليـة جراحية له بتخديره تخديرا موضعيا أو في عموده الفقرى ، فهو يستمع اليها بواسطة سماعتين توضعان على أذنيه ، فتخفف عنه وقع الشعور بأن الاطباء يعملون بمباضعهم في أجزاء من جسمه ..

وقد لوحظ في السنوات الاخيرة ، أن كثيرا من الغيورين البواسل الذين يجودون بجانب من دمهم للمرضى ، يصابون بالاغماء أثناء عملية نقل الدم، وقد رأت مراكز الصليب الاحمر في بروكلين وبوستن وبفالو ، أن عزف الموسيقى في أثناء تلك العملية يذهب بمخاوفهم الوهمية . وكان احد الاطباء النفسيين قد اقترح ذلك فدهش الجراحون من حسن نتائجه .

وتذاع القطع الموسيقية المختارة بواسطة جهاز خاص يوضع في المستشفى . ولقد ابتكر الدكتور الرس . بست كرسيا موسيقيا لعيادة طبيب الاسنان، يجلس عليه المريض فيستمع الى موسيقى مطربة تنطي على صـوت الخلع والحفر والسح وما أشبه ... مما قد يجرى على أسنانه .

وقد لجأت الى الموسيقى الدكتورة لورلياس . بنلو ببلدة بلفي والدكتورة ايرا . م . التشولر بمستشفى الوار والاطباء النفسانيون بمستشفى جون هوبكنز وغيره من المستشفيات ، لكى يخلصوا من انفعالات الاطفال المرضى ويهدئوا من ثورة الكبار المرضى بعقولهم . وكانت بأحد المستشفيات امرأة روسية شابة تخيل اليها ان الناس جميعا متآمرون على قتل طفلها ، ولم تهدأ ثائرة هذه الهستيريا عندها حتى عزفت لها قطع موسيقية روسية مما اعتادت سماعه في عهد طفولتها . واصيب شيخ اسكتلندى الاصل في حادث سيارة ففقد ذاكرته فقدانا تاما حتى لقد جهل زوجته ، ولم يستعد ذاكرته الا حين اخذت جماعة من الحسان يعزفن له أغاني اسكتلندية قديمة . وآلاف من الكائنات البشرية المعذبة من أمثال هذا وتلك يولدون من جديد بفضـل الموسيقى ، وخصوصا اذا أمكن اشراكهم أنفسهم في العزف أو الغناء .

ان كثيرا من مديري المستشفيات يطلبون التوسع في استخدام الموسيقى، ويؤثرون أن يشترك فيها المرضى أنفسهم ولو بمجرد التوقيع على سررهم أو الهمهمة بحناجرهم . ومعظمهم لا يضنون بالانفاق السخى من ميزانياتهم المحدودة في سبيل الموسيقى لو أمكن التقدم في استخدامها كعلاج . وفى ذلك يقول الدكتور ويلم فان دي ورل مؤلف كتاب « الموسيقى في المعاهد» : ان استخدامها في العلاج مسألة طبية كما أن استخدامها التجارى مسألة فنية .

ولما وجبت مضاعفة الانتاج في أمريكا لسد حاجات الحرب، كان للموسيقى أثر بارز في هذا المجال ، وقد عمد اليها أكثر من ثلاثة آلاف من المصانع

الحربية فصارت تذيع القطع الموسيقية بالراديو أو الفونوغراف أثناء العمل، فتبعث في العمال روح النشاط والسرور . ولم يقتصر الامر على المصانع الحربية وحدها ، بل استخدمت الموسيقى أيضا في المعامل المدنية والمخازن والمطاعم . وقد لوحظ أن أحسن أنواع الموسيقى في هذا المجال هي الموسيقى الهادئة المتزنة . أما الموسيقى الصاخبة ،مثل الجازباند فانها بعد أن تثير الحماسة في العمال يعقبها رد فعل من الخمول . وقد قام ريتشموند كاردنل مدير أبحاث الموسيقى والاستاذ هارولد بوريس ماير بمباحث وتجارب واسعة النطاق لمعرفة تأثير الموسيقى في انتاج العمال ونشاطهم ، فاتضح لهما انها قد انقصت حالات انصرافهم قبل الميعاد بمعدل ٦٦ في المائة ، وهبطت بحالات الغياب عن المصانع بنسبة ٨٧ في المائة ، وزادت الانتاج بنسبة ١١٫٤ في المائة . وفضلا عن ذلك صحب زيادة الانتاج نقص ملحوظ في الشعور بالتعب والدوار وتحدث العمال معا أثناء العمل وتكرار نظرتهم الى الساعة . وقد كان لهذه النتائج شأن في وقت انصرفت الجهود كلها الى الانتاج بأقصى سرعة وأكبر قدر لسد حاجات الحرب .

على أن الخبراء قد وجدوا أن من المحال وضع قواعد حاسمة بهذا الشأن فان الظروف تختلف باختلاف الصناعات وباختلاف الرجال والنساء الذين يعملون فيها . والثابت على أى حال هو أن للموسيقى أثرا حسنا ملحوظا في نشاط العمال ونقص شعورهم بالتعب وميلهم الى التراخى والخمول ، والعادة أن اذاعة القطع الموسيقية في أحد المصانع تشغل نحو ساعتين ونصف ساعة في اليوم ، على فترات طول كل منها يتراوح بين عشر دقائق وعشرين دقيقة . وكثير من المصانع تشجع عمالها على تكوين فرق موسيقية ، أو فرق غنائية ، فقد ثبت أن الغناء يساعد على الهضم وينشط الحركة الدموية ويزيد ما يستمده الجسم من الاوكسيجين بالتنفس .

وقد يظن القارىء أن الموسيقى اذا ساعدت عمال المصانع على عملهم ، فقد تشغل الذين يشتغلون بأذهانهم اذا استمعوا اليها . وقد ثبت عكس ذلك وصارت القطع الموسيقية تذاع في كثير من المكاتب المزدحمة بالموظفين ،مثل مكاتب مجلة ريدرز دايجست وشركة توماس للنشر وكذلك في بعض البنوك وبعض المكاتب الهندسية التي يجتمع فيها نحو خمسمائة من المهندسين والرسامين لوضع التصميمات الخ .. وانما يجب أن تختار القطع الموسيقية التى تذاع في أمثال تلك المكاتب بحيث تكون هادئة ووسطا بين البطء والسرعة حتى تلائم الاعمال الذهنية .

انا في هذا العصر الذى انتشر فيه الراديو وكثرت اسطوانات الفونوغراف يمكننا أن نحصل على الموسيقى حين نشاء وحيث نشاء . ولسنا نملك الفرار من تأثيرها حتى ولو أردنا ذلك . وأنت أيها القارىء سواء كنت صاحب عمل أو موظفا ، وأنت أيتها القارئة سواء كنت ربة بيت أو ذات مهنة أو عمل ، تستطيعان أن تريحا أعصابكما ، وتبعثا النشاط في الجسم والذهن ، وتشعرا بالعزاء والهناءة ، بقليل من الموسيقى المناسبة تستمعان اليها .

الهلال — يوليو ١٩٤٥

● الصداع مرض الحسان ●

من الكلمات المأثورة قولهم : « ذكاء المرء محسوب عليه » . وطريقنا الطب الحديث بأن نضيف الى ذلك : « جمال المرأة محسوب عليها » . فان أحدث مستكشفات الطب تدل على أن المرأة الحسناء مستهدفة لان تصاب بصداع ينغص عليها حياتها ويجعلها في ألم دائم .

ويقول العلامة الامريكي الدكتور والتر الفاريز ان الحسان المرضات لرض الصداع هن في العادة أكثر النساء جمالا وذكاء وأرقهن شعورا وأشدهن حساسية . والرجال أيضا قد يصيبهم الصداع ولكن النساء أكثر تعرضا له وأشد تألما منه . وهو فضلا عن ذلك قد يكون مرضا متوارثا في الاسرة ، يصيب الفتاة بعد أمها وجدتها .

والعادة أن تكون المريضة التي تشكو صداعا دائما امرأة حسناء ذات مزاج رقيق وقوام معروف حتى ليقول الدكتور الفاريز : « كثيرا ما أعرف المصابة بالصداع من أول نظرة . فهي تكون جميلة ذات قوام رشيق ، بادية الهم والقلق ، تتأثر من أقل الاشياء ، وتجسم أقل الهموم وتكون فوق المستوى العادي في الجمال وفي الذكاء ، سريعة الفهم ، دقيقة الحس ، مرهفة الشعور ، متعلقة بالمثل العليا ، ميالة الى السرعة في كل الامور » .

وقد لوحظ ان المصابات بالصداع يكرهن الاضواء الساطعة ، والروائح الكريهة ، وكل نوع من الضوضاء ، ويكن أدنى الى التعب وربما الاغماء من الاجهاد والتأثر الشديد . ومن يشغلن أنفسهن بالصغائر ويقدرن الامور قبل أن تقع ، وبذا يخلقن لانفسهن هموما لا موجب لها . وليس اجتماع الجمال والذكاء والحساسية فيهن من محض المصادفة بل انه أمر يرجع الى تكوينهن . وهل الصداع مرض وراثي ينتقل من الآباء والامهات الى الاطفال ؟ أو ان منشأه تقليد الاطفال لآبائهم في التألم منه حتى ليصبح عادة متأصلة عندهم ؟

من رأى الدكتور الفاريز والدكتور جورج درابر الاستاذ بجامعة كولمبيا ، أن « الاستعداد » للصداع هو الذي يورث ، لا الصداع نفسه .

وقد لاحظ الاول منهما أن الميل للصداع يورث عادة عن طريق الام وفي أكثر الاحوال ترثه البنات عن أمهن بينما يكون الذكور في الاسرة أقل استهدافا له . على أن الابنة التي تعاني الصداع تكون أشد من أمها تألما منه اذا كان أبوها مصابا بمرض عقلي أو بضغط الدم . فاذا اجتمع الميل الى الصداع مع ضغط الدم عند امرأة فانها تعاني منه نوبتين أو ثلاثا في الاسبوع . وأكثر ما يصيبها حين تأكل طعاما لا يناسبها فيثير حساسيتها للصداع . ومهما تكن حالة الجسم فان السبب المباشر لنوبات الصداع يكون سببا خارجيا متمثلا في الارهاق في العمل أو في الهموم الحقيقية أو الوهمية أو في التفكير الخاطئ .

الهلال – سبتمبير ١٩٤٥

الدنيا في سطور

يوسف جبرا



ادجار فور السياسي والكاتب الفرنسي .. في اجتماع حضره عدد كبير من رجال الاعمال . تهيأ للانصراف بعد تناول الشاي ودون أن يلقى الخطبة التي ينتظرونها منه .. فلحق به احدهم يقول : **لا اقل من كلمتين نسمعهما منك ! !**

رد ادجارفور : **الى .. اللقاء !** وانصرف على الفور

*

ماتاهاري .. الجاسوسة، الرائعة ، التي اعدمت خلال الحرب العالمية الاولى .. اكتشفوا انها كانت لها ابنة سارت في نفس طريقها ولقيت نفس مصيرها .. الابنة اسمها « **باندا** » وعندما اعدمت امها اقسمت ان تنتقم لها .. ولكنها لم تبدأ ذلك الا عام ١٩٣٥ وبعد ان مات زوجها الهولندي الثري .. انضمت الى احد الجواسيس الذين عملوا ضد الهولنديين في اندونيسيا .. ثم ضد الشيوعيين في كوريا الديموقراطية .. والقى عليها القبض واعدمت بالرصاص عام ١٩٥٠

التدخين .. كلنا يعرف الآن أنه خطر على القلب والرئتين .. الخ .. مع ذلك فانه من النادر أن يقلع أحد عن هذه العادة .. لكن نبأ جديدا ربما يفعل شيئا .. فالباحث الفرنسي « د . **فرانسوا بورلييه** » اكتشف ان التدخين يؤثر ايضا على القوى الجنسية .. وهي عند معظم الرجال أهم من القلب .. والرئتين .. دون شك !

*

البترول. يحتمل أنه يوجد منه في قاع البحر المتوسط اضعاف ما يوجد في الشرق الاوسط كله .. الكلمة قالها د . **كنيث سو** احد أساتذة معهد التكنولوجي في بورتلخ وفي مؤتمر عقده اخيرا في باريس المركز الدولي لابحاث المحيطات .. باختصار فان سفن الابحاث قد وجدت أن قاع البحر الابيض تغطيه طبقة من الملح تدل كل الظواهر على انه يمكن أن يوجد تحتها بحر آخر من البترول

ومما يذكر أن ٢٠ ٪ من بترول العالم الآن يستخرجونه من البحار ، وانه من المتوقع ان تصل النسبة في ١٠ ــ ١٥ سنة الى ٤٠ ٪ .. والبترول

البحر بصفة عامة افضل من بترول الارض ؟

●

«الرتبيه تيسار» رجل دين فرنسى ـ ٤٢ سنة ـ افتتح مطعما فى شارع « بيجال» الشهير .. المطعم فى ركن منه « بار » .. وفى الركن الاخر « منبر » يعظ من فوقه رواد المطعم كل يوم .. ويقول الاب «تيسار» فى تفسير هذا انه لابد وان ينزل رجل الدين فى ايامنا هذه الى الناس فى صميم حياتهم .. وان « البابا» نفسه قال فى احدى نصائحه « ينبغى الا يكتفى رجل الدين بدق جرس الكنيسة .. فالغالب ان الناس لا يسمعونه الان .. وسط هدير الات المصانع .. وصفاراتها ! »

فى فرنسا الان ٢٢٥ قسا يمارسون الان مختلف المهن الاخرى الى جوار علوم الدين !!

●

الكلاب .. أحدث كتاب عنها دائرة معارف ـ ٧٦٦ صفحة » و ٣٠٠ رسم وصورة ـ صدر بالفرنسية لاربعة من الاخصائيين .. ومن ابوابه دليل بيطرى لها ..

●

من السكر .. يصنعون الان سائلا منظفا جديدا .. تضاف الى السكر الاحماض الدهنية .. والتكاليف اقل بكثير من تكاليف المنظفات التى



ملكة جمال العالم سوداء

حدث هذا لاول مرة منذ اقيمت مسابقة جمال العالم ـ عمر المسابقة الان ٢٢ سنة ـ والفائزة اسمها « جنيفر هوستن » .. من جزر الانتيل .. تعمل مضيفة جوية .. مقاييسها هى بمهم الامرهى ١٠ـ ٦٠ـ ٩٥ .. كان عدد البلاد المشتركة فى المسابقة ٥٨

بدخلها الزيت .. والمنظف الجديد لا طعم له .. فمعجون الاسنان المصنوع منه لن يكون له طعم الصابون والذى يحاولون اخفاءه فى العاجين الحالية بطعوم اخرى .. كذلك لن تكون له رغوة الصابون التى تترك آثارها فى الحوض و « البانيو » ..

ويستخدم السكر الآن ايضا فى بعض مصففات الشعر .. ودهان الاحذية .. وصبغات الجلود .. والطلاء الفضى للمرايا .. وفى المتفجرات !

●

درجة حرارة الارض بدات تنخفض منذ عام ١٩٤٠ ، وبعدما ان كانت آخذة فى الارتفاع .. اعلن هذا د. هيوبرت لامب الاخصائى البريطانى فى جو الارض .. واضاف ان استمرار هذه الظاهرة بشكل تهديدا خطرا لمدنيتنا كلها .. فلو

استمرت ٢٠ سنة فسوف تغلق مسالك مائية عديدة فى البحار الشمالية .. ولو استمرت ٢٠٠ سنة فسوف تشهد عصرا جليديا مثل ذلك الذى شهدته الارض من قبل وقضى على كائنات عديدة فيها .. والغالب اننا لن تستمرق مشاهدته طويلا !

●

اعياد الميلاد : ذكرت الامريكيين بمادة انقرضت تقريبا .. فاجازة العيد لم يكن يحصل عليها التلاميذ فى مدارس كثيرة الا اذا احتصروا بمدرستهم

واجبروا اساتذتهم على اعلان بدء الاجازة .. تتحول اللعبة فى كثير من الاحيان الى معركة فالاستاذ

يحاول ان يجلى التلاميذ من المدرسة بكل الوسائل .. يسد عليهم «المدخنة» مثلا ليخنقهم الدخان — لاحظ ان العيد يكون فى

الشتاء — ويردون هم على ذلك بان يقذفوه باى شىء فى ايديهم .. حتى يعلن استسلامه فيخرجون ..

ولكنهم لا يكتفون بحصولهم على الاجازة فلابد وان يقدم لهم الاستاذ هدايا من حلوى العيد

يقال انها كانت واحدة من العادات السخيفة التى الفت الابناء هناك .. فقد علمتهم ان يجترءوا على الكبار ويحاولوا الحصول على اى شىء بالعنف !

برقيات

● سيراكيوز — صقلية سقطت واجهة كنيسة سانت لوشيا ، التى ترجع الى القرن الثالث عشر .. اصابت عددا من المشاة والراكبين .. فلتصيبدتين احداهما كانت فى سيارتها

● نيويورك : انقطع كابل بحرى .. لاسباب غير معروفة .. وعطل انقطاعه ١٢٨ خطا بين الولايات المتحدة واوروبا .. قرر المسئولون وضع كابلات بحرية اضافية .. وزيادة الاعتماد فى المستقبل القريب على الاقمار الصناعية .



● باريس : « مارتين كليمنصو » مغنية شابة لمعت اخيرا بمسرح « الوردان » .. وليست لها اية صلة بالسياسى الفرنسى السابق والذى تحمل اسمه .. اتخذت هذا الاسم للشهرة .. واكتشف البعض ان اللقب الذى اشتهرت به « النمر » يلائمها ايضا .. مع التغيير الضرورى اصبح اسمها الآن « النمرة » !

● لندن : تقرر رفع سقف « التيمز » الحماية العاصمة من فيضان النهر .. لمسافة ٢٧ ميلا سوف ترفع الضفتان ١٨ بوصة .. وهو حل مؤقت والى حين اقامة جسور دائمة .. بعد ست سنوات

● نيويورك : انشئت اول وكالة لتشغيل المتقاعدين والمحالين الى المعاش .. تختار لهم الاعمال التى تلائم مؤهلاتهم او قدراتهم نظير « عمولة » .. نفس الوكالة انشاها عدد من المتقاعدين .. وقد سجل اسماءهم فيها ٥٠٠ مشترك فى الاسبوع الاول !

● هافر فوردوست ـ بريطانيا : لم يعد العروسان مضطرين الى ان يعد كل منهما الاخر « بان يظل مخلصا له حتى الموت .. استبدلت بالعبارة التقليدية التى تحمل ذلك المعنى عبارة « اعد بان اظل مخلصا لها ـ او مخلصة له ـ قدر ما استطيع ! » قال رجل الدين الذى احدث التغيير « كيف نطلب من انسان فقد حبه لشريك حياته ان يظل مقيما على عهده !! »

أجمل الأقوال

● يحق صداقتنا .. كن عدوى ! نيكولاس بنتلى

● نكتة الغنى دائما مضحكة .. توماس براون

● نحن نبعث الارساليات الى الصينيين لتعلمهم كيف يدخلون السماء .. وفى الوقت نفسه نحرم عليهم ان يدخلوا بلادنا بيرل بك

● الملاك فى السماء شىء عادى شو

● ما تحتاج اليه بلادنا ! أيادى أنظف .. وعقولا أنظف ! روجرز

● القبلة دائما ترسم أصغر مما هى .. والبراغيث أكبر مما هى ! سويفت

● الرجل الذى لا يقرأ اى شىء أكثر ثقافة من ذلك الذى لا يقرأ شيئا غير الصحف ! جيفرسون

● هل هناك من هو أكثر رزانة وجدا .. واطمئنانا فى سلوكه .. واستقامة فى طريقه .. من الحمار مونتين

● محظوظ الذى يعترف الناس بعبقريته .. لانه يستطيع بعد ذلك أن يرتكب من الحماقات مايشاء! سويفت

● دجاجة غرامة لكل من تلبس الميني جيب !

« موسانا » رئيس احدى القبائل الكبيرة فى روديسيا .. أصدر قانونا يقضى بفرض غرامة على كل فتاة تمشى عارية الفخذين .. «اى ترتدى ميني جيب» أما قيمة الغرامة فهى دجاجة .. فاذا عادت الحسناء وتكررت المخالفة ارتفعت الغرامة الى « معزة »

قد يكون قانون موسانا مثيرا للاستغراب .. ولكن القانون الاكثر غرابة .. هو القانون الذى يناقشه برلمان روديسيا العنصرية .. ويقضى القانون بحرمان اى افريقى من الشراء او استئجار او الاقامة على اى قطعة أرض فى الاحياء الاوروبية

ملحوظة : عدد السكان البيض فى روديسيا ربع مليون عدد السكان الاصليين الافريقيين « ٥ ملايين » ..

حكايات

من الأنباء

ماذا بقى من تراث الهنود الحمر فى أمريكا؟

أصدر «ريتشارد لانكستر» مؤرخ الاجناس البشرية كتابا جديدا يلخص فيه رحلاته بين قبائل الهنود الحمر الباقية فى الولايات المتحدة الامريكية ويقول ريتشارد لانكستر فى مقدمة كتابه : **ان الافلام الامريكية شوهت صورة هذه الاقوام الطريفة وقدمتها الى العالم المتحضر كنماذج للهمجية والتوحش**

لقد اظهروا الهنود الحمر فى صورة الوحوش التى لاهم لها سوى مطاردة القوافل الامريكية واعمال القوس والسهام فى الرجال الامريكيين البواسل وسلخ رؤوسهم والتعدى على نسائهم الى غير ذلك من الصور البشعة ، ولم يكن المقصود من هذا كله سوى التخفف من وخز الضمير عند الامريكيين بعد الذى ارتكبوه من وحشية ضد الهنود الحمر العزل من كل سلاح

ويستطرد المؤلف فى كتابه فيوضح ان الهنود الحمر لم يكن امامهم بعد ان هاجمهم سيل من الغزاة الاجانب سوى الدفاع عن انفسهم بكل مالديهم من وسائل .. وكم كانت هذه الوسائل بدائية

ويحكى لانكستر فى كتابه بانه بعد انتهاء حرب الاستقلال وانتصار المستعمرات الامريكية على انجلترا بدأ الزحف الابيض من شرق الولايات المتحدة الى غربها

.. كان ذلك فى اواخر القرن الثامن عشر وكان يقيم فى غرب الولايات المتحدة نحو ٨٠٠ **الف من الهنود الحمر** منكتلين فى قبائل مختلفة لها عاداتها وتقاليدها .

وكان وجه الشبه فيما بينها جميعا هو زراعة « الاذرة » وكانت النساء هى التى تقوم بهذه الزراعة بينما يخرج الرجال لصيد الجاموس

ومنذ البدء كان لابد من وقوع



الصدام المسلح بين الغزاة وأهل البلاد الاصليين .. وقد فوجئت قبائل الهنود الحمر بهؤلاء «الغزاة» **ولم يكن لدى هذه القبائل مفهوم الملكية الفردية بل كان الهنود يرون ان الارض مثل الهواء والماء ملك للجميع وهى فى بلادهم تكفى حاجات الجميع ولذلك استنكروا ان يهاجمهم هؤلاء الغزاة وامامهم الارض بلا حدود ، ومن هنا هبت القبائل لمحاربة الغزاة المغتصبين**

اما الغزاة البيض فكانوا يتعجبون كيف يجوز لعباد الاصنام أصحاب الوجوه النحاسية اللون أن يقاوموا طوائف تعبد الله وقد جاءت لاستثمار الاراضى .. واختلق الغزاة نظرية خلاصتها **ان الله سبحانه انما اراد لاسباب مجهولة ان تبقى تلك القبائل فى تخلفها وقاد شعوب اوربا الواعية لكى تحل محلها**

ومن هنا اعتبروا الهندى الاحمر نصف انسان او انسان غير كامل فهو يقف فى منتصف الطريق بين الانسان العاقل والحيوان ! وهكذا اخذ الامريكيون يرتكبون الجرائم تحت ستار الدين

ورغم ان الحكومة الاتحادية اعترفت منذ بيان الاستقلال بحق الهنود الحمر فى الاقامة ببعض الاراضى **الا ان ذلك لم يوقف عمليات الابادة بالسلاح وبوسائل اخرى مثل ترويج المشروبات الكحولية والمخدرات بين القبائل مما ادى فى النهاية الى انتشار امراض الحمى والسل تلك الامراض التى كان فتكها بالهنود اشد اثرا من السلاح والرصاص**

وجاءت الضربة الاخيرة يوم شق **الاوربيون الوافدون الخطوط** الحديدية الكبرى وبدات القطارات **تجتاز الولايات المتحدة من أقصى** الشرق الى الاطراف الغربية فاضطربت حياة الهنود تماما وهلك منهم مئات الالوف جوعا ولم يبق منهم سوى ٢٠٠ الف وفى عام ١٩٢٤ اعترفت حكومة واشنطن بالجنسية الامريكية للهنود الحمر الباقين ..

وقد اقام المؤلف مع افراد احدى القبائل الباقية وتسمى «**الاقدام السوداء**» .. وقد **لاحظ المؤلف** ان التقاليد الهندية بعيدة تماما عن الصورة التى يظهرها الامريكيون للناس .. فالامريكيون يقدمون صورة مزورة من حياة الهنود . انهم يبرزون الوشم على الصدر والزند ... يبرزون حملة الحراب والسهام.. وكل ذلك مما تروجه وكالات السياحة الامريكية طمعا فى الربح وحده» والحقيقة ان **الهنود الحمر متحضرون يعيشون على قواعد اجتماعية منسجمة وراقية**

ومن اطرف مايذكره الكاتب فى دراسته ان قصة آدم وحواء عند الهنود الحمر قد تم تحويرها على الوجه التالى :

«جاء ابناء آدم ذات يوم واخبروا والدهم بان زوجته حواء خانت العهود الزوجية ! لكن آدم اجاب ان هذا الامر مستحيل ، لانه لايوجد على وجه الارض سواهم . ثم مضى ادم مع اولاده وساروا فى الغابة خلسة وراء حواء ... فشاهدوها تقفز طربا وفرحا .. وتجرى فى اتجاه شجرة .. وكان العشيق يختبىء خلف هذه الشجرة .. وفوجىء آدم واولاده فلم يكن العشيق سوى ثعبان هائل .. وفجأة تحول الثعبان الى صورة رجل ابيض راح يضاجع حواء».

والمعروف أن الثعبان عند الهنود الحمر هو رمز الشيطان ..

هل يمكن للأطرش أن يسمع الموسيقى ؟



ظهرت فى باريس دراسة بارعة حول طريقة جديدة تجعل الموسيقى بمتناول الاطرش العاجز عن السمع

تقوم هذه الطريقة على فكرة **تحويل الاهتزازات والذبذبات الايقاعية الى رموز بصرية** .وهذه الطريقة قريبة الشبه باسلوب برايل الذى يتيح للاعمى ان يقرأ باصابعه اما هنا فالاطرش يسمع ببصره

وليست هذه المحاولات مجرد تفوق علمى فانها اذا نجحت ستفتح الافاق لكل اصم وابكم فانهما بالتعود على قراءة الاصوات سيتمكنان بالتالى من الاستمتاع بالموسيقى

دراسة أصول البحر الأبيض المتوسط

هل يعود البحر الابيض فيغطى اراضى كانت تنتمى قبلا الى الارض الاوربية ؟ ..

من اجل الاجابة من هذا السؤال غادرت وحدة من « الجيولوجيين » وعلماء المحيطات ميناء لشبونه فى حملة علمية للبحث والدراسة

ويسعى هؤلاء الباحثون الى القاء بعض الضوء على اصول هذا البحر . يعتقد بعض الجيولوجيين ان الحوض الغربى للبحر الابيض المتوسط كان جزءاً من الكتلة القارية التى انهارت منذ ما يقرب من ثلاثين مليون سنة .. بينما يعتقد البعض الاخر بان جزيرتى **سردينيا وكورسيكا** انفصلتا من اسبانيا ، وان **شبه جزيرة ايطاليا** قد ازاحتها من القارة حركة دوران فى اتجاه عكسى لاتجاه عقارب الساعة لاركة الاحواض العميقة فى مجاريها



اما فيما يخص الجزء الشرقى من البحر الابيض المتوسط فان المعروف علميا انه يمثل بقايا طريق مائى ضخم كان يفصل القارة الاوراسية « اوربا ـ اسيا » من قارة تضم الهند وافريقيا .. لم وقع اصطدام بين هاتين القارتين نتيجة للتوسع والتمدد فى اعماق المحيطين الاطلسى والهندى وترتب على هذا التصادم ظهور السلسلة الجبلية الممتدة من الالسب الى الهيمالايا .. ويعد الحوض الشرقى للبحر المتوسط الان الوحيد الباقى من البحر القديم

وتسعى البعثة الجيولوجية الان الى اثبات هذا الافتراض بدراسة اعمار بقايا الرواسب المتخلفة

يرأس هذه البعثة احد اساتذة كلية الفنون التطبيقية فى زيورخ ويساعده استاذ من جامعة كولومبيا مع واحد من اعضاء المرصد الجيولوجى فى زيورخ ،

هذه هي الاتجاهات الثلاثة في المسرح العربي اليوم ؟!
وهي بالضرورة تشير الى أن هناك « أزمة » مسرح عربي .. بالرغم من بعض المحاولات الجادة لوضع أسس مسرح يتسم بصدق التعبير عن الشخصية العربية ، أو بالقدرة على التفاعل مع المسرح العالمي المعاصر ..

وهذا العدد من مجلة المسرح يحاول أن يضع يده على مكمن الداء .. يحاول أن يلقي ضوءا باهرا على « أزمة » المسرح .. ويحاول في نفس الوقت أن يسهم في فتح آفاق جديدة لحلها .. بما يقدمه من دراسات وبحوث .. لا نقول انها دراسات وبحوث جاهزة .. علينا التقيد بها وبعد ذلك سيكون كل شيء « عال العال »

انما هذه الدراسات عبارة عن جهود شخصية واعية ، جعلت من محاولة ايجاد « هوية » للمسرح العربي هدفها .. وسعت الى ذلك بكل ماوسعها من جهد ...

والعدد يضم مجموعة من الدارسين والكتاب والمؤلفين « المتقدمين » الذين جعلوا من قضية المسرح همهم الاكبر .. دراسة .. وتأليفا .. الخ منهم .. **سعدالله ونوس ، الفريد فرج د. سليمان قطاية ، د. محمد عزيزة ونواف ابو الهيجاء** ...

على أن أهم مافي هذا العدد هو في الواقع البحث الذي قدمه الشاب سعد الله ونوس بعنوان « بيانات لمسرح عربي جديد » . فهو هنا يركز على « الجمهور » .. تحديده .. وماذا تقول له ، وكيف تقوله ؟! . وكذلك بحث د. سليمان قطاية الذي حاول فيه « خلق مسرح شعبي اصيل » .. اما الفريد فرج فهو يرى أن عندنا مسرح .. ولكننا لم نصل الى مسرح عربي واحد يقدم للجماهير أساليب متنوعة . وفي رأيه أن الوصول الى تيار مسرحي عربي واحد ، انما يرتكز في الاساس لا على مجرد اللجوء للتـراث او التشبث بالفصحى .. وانما يرتكز على الانطلاق من وحدة الهدف والمصير لجماهير الأمة العربية ..

الفصول

اشعار بالعامية المصرية

تأليف : عبد الرحمن الابنودي

الثمن ١٥ قرشا

بعد « الارض والعيال » و « الزحمة » و « عماليات » و « جوابات حراجي القط العامل بالسد العالي الى زوجته فاطنة » يلقي الينا شاعر العامية عبد الرحمن الابنودي بديوان شعره الجديد « الفصول » ..

والفصول بالمعنى المباشر لهذه الكلمة هي الفصول الاربعة من ربيع وصيف وخريف وشتاء .. ولكن شاعر العامية عبد الرحمن الابنودي يريد ان يلقي الينا بفصوله النفسية التي – منذ عام ١٩٦٧ وحتى الان – مرت عليها اشياء كثيرة ... كلها تقريبا – وعلى الاقل خلال هذا الديوان – خريف وشتاء .
وهذه الفصول عبارة عن قصائد .. ألحت على المؤلف خلال أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ .. قطرها .. كلها تقريبا سوداء !!
وواضح أن الشاعر في مأساة .. وهذه المأساة انعكست على عطائه الشعري بحيث يمكن ان نصفها بانها اشعار « واقعية رومانسية » ان جاز هذا التعبير :

كلين رصاص قابضين على الشفه
لا بالفنى زى الناس
ولا بيطحن الفلل

والليل رحيب الوش
مدهون بالصفار

يعنى ان البلبل الشادى سكت عن الغناء كان كفين من الرصاص قابضتين على شفتيه تمنعسانه عن « الصداح » ..

انه فى حالة سكون وخمول ... شتاء وخريف .. يريد ان يخرج الى الربيع والصيف .. ولكنه يحس أن أغانيه مثل «نعيق» البوم فى ليل اسود حالك السواد.

لكن الشاعر – ككل شاعر – يريد ان يتخلص من هذه الحالة .. فى « أنغام هادئة » ، وفى « قصائد » .. أكثر اشراقا وأكثر ربيعا .. ولذلك نهو يقول .

انا رايح ابل قميصى حبة نهر
واطش فى المياه بيدى .
وافك الحزن من قلبى
واخرج للهوا والشمس

ويبدو أن الشاعر قد حاول هذه المحاولة .. لكى يغسل أدران الماضى الحزين فى مياه النهر المقدس.. يتطهر .. ويبدأ من جديد حياة كلها ربيع وصيف وشمس ساطعة .. تتخللها بين اللبنة واللبنة الثنية حزينة سوداوية .. هى من طابع الشعراء المجيدين الجادين الحقيقيين !..

شخصيات اسلامية معاصرة

تأليف ابراهيم البعثى

الناشر : دار الشعب

الثمن : ٢٠ قرشا

هذا المولد او الاحتفال الدينى فى كتاب ابراهيم البعثى « شخصيات اسلامية معاصرة » استطاعت ان تتحمه سيدة مسلمة هى الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء»

وهـــذا المولد الدينى الذى انتحمته سيدة مسلمة ، وكاتبة عربية جديرة بالاحترام ليس مثل الموالد الاقليمية .. وانمــا هــو احتفــال عالى حضره الامام موسى الصدر ، ورئيس المجلس الشيعى الاعلى فى لبنان ، والسيد ضياء الدين باباخانوف رئيس مسلمى الاتحاد السوفييتى ، والسيد عبدالله كنون رئيس رابطة العلماء بالمغرب .. كما حضره اللواء الركن محمود شيت خطاب العراقى ، والدكتور مصطفى الرافعى المصرى اللبنانى ، والدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر ، والامين العام السابق لمجمع البحوث الاسلامية ، والعالم الاسلامى عبد الرزاق نوفل وكذلك المفكر الاسلامى خالد محمد خالد .. والشيخ الازهرى محمد عبد اللطيف دراز ..

ولقد نشط ابراهيم البعثى خلال عام ١٩٧٠ ، فقد صدرت له ثلاثة اعمال تعتبر تطورا ملحوظا فى تأليفه وهى « **دمـــوع من الدم** » رواية سياسية و « **شخصيات عربية معاصرة** » ، ثم هذا الكتاب الذى نقدم له بعنوان « **شخصيات اسلامية معاصرة** » ..

والشخصيات التى اختــارها ابراهيم البعثى هى شخصيات فى معظمها بدأت دراستها دينية .. وبعض هذه الشخصيات استمرت فى الدراســة الدينية حتى الآن ، وبعضها درسته دراسات اكاديمية بعيدة عن المعاهد الدينية ، وبعضها مثل اللواء الركن محمود شيت خطاب درس العلوم العسكرية ، ثم استمر يقرأ ويقرأ فى التاريخ العسكرى للمسلمين حتى وعاه وأتقنه وأخرج لنا مجموعة من الكتب القيمة

والكتاب بعد ذلك ، من يقرأه قراءة فاحصة ، ويربط بين فصوله العشرة ، والتي أفرد كل فصل فيه لشخصية من الشخصيات .. أقول أن هذا الكتاب يريد أن يقول شيئا محددا لا لف فيه ولا دوران ، وهو أن الدين الاسلامي دين عصري ينفع لكل زمان ومكان .. لكن الاغلبية لا تتعمق في أسس هذا الدين التقدمي الذي لا يرضى بالظلم، ويقوم أساسا على العدل الاجتماعي .. ومن يقرأ كتاب الله ويتعمق في معانيه ، فسيجده انه قد وسع كل شيء .. حتى الصعود الى القمر والكواكب

ولكن هل هذا كل ما يريد أن يقوله البعثي في كتابه ؟؟ .. ان الكتاب يحتوى على عرض طريف لحياة الشخصيات العشر التي تناولها المؤلف .. وفيه مناقشة جادة وطريفة من موقف الفكر الاسلامي من الفكر الماركسي ... ومعلومات طريفة عن الشيعة في لبنان وفي غير لبنان ، ومن الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي .. ومن قضايا كثيرة هامة .. لن تستوعبها هذه السطور ..

أصوات في سمع الزمن المقهور

ديوان : مروان الخاطر

الناشر : دار الاجيال

الثمن : ١٥٠ ق.س.

لا أعرف شيئا عن هذا الشاعر ، وهل هو شاب أو عجوز .. وهل هذا الديوان الصغير الحجم هو أول ديوان له ، أو أن له دواوين أخرى كثيرة .. وهل يعيش في سورية أو في لبنان ؟؟

والديوان يبدأ بقصيدة تعتبر « مقدمة » ، أو مدخلا الى الذي يريد أن يقوله الشاعر .. أن له وجهات نظر في الحياة ، وفي الحب وفي المصير القومي العربي .. وفيما حدث للعرب من نكسة حزيران ١٩٦٧ .

يقول الشاعر بمنتهى الصراحة قبل الدخول في التفاصيل :

أمل يا أحباب
أن أفتح الأبواب
وادخل الحفل البهيج دونما دعوة
ودونما قناع
فاجيء الرجال والنسوة
فيخرس الغناء والايقاع
ترتعش الكئوس بانفعاله
أجر أنفسكم
لأنكم أحباب
أفضحكم
لأنكم أحباب .

والديوان بعد ذلك يضم بين دفتيه عدة قصائد تشعر فيها أنها توجه الخطاب الى ولدك ولها والى كل قارئه .. أقرأ له هذه القصيدة بعنوان « ما كل عاقر موات » يقول في نهايتها :

أحس في عيونكم
يا اخوتي تفتح الحياة
تشوبها
والف واحة تودع السبات
تصيح بي وكم تصيح
ما كل نائم كسيح
وليس كل عاقر موات

يريد الشاعر ان يقول .. ان الانسان عليه الا يفقد الامل فى الحياة .. فالعمل والجهد والمثابرة تصنع المستحيلات .. والانسان الحالم هو الانسان الامل .. والامل يجعل الناثر تزهر وتثمر وتلد ..

حتى الشعراء .. لم يسلموا من غضب الشاعر الساخط الصامت .. انه يقول لهم ان زمن الكلمات قد انتهى ، وقد جاء زمن العمل .. لابد لكل واحد ان يعمل فى هذا الزمن وان يفيد نفسه وبلده ووطنه .. حتى ولو ادى ذلك بالشاعر الى ان يكسر قلمه .. ويبدأ الشاعر بنفسه فيقول :

ليت الاحساس يغيب بلا اوبة
او ليت الشاعر فى صدرى يهلك
ينهار يموت كشاء
. . . .
فالشعر قتلك
يا شاعر والدمع صوفا فى الفلوات
اجدى من حرف تطعمه اجلك
والسامع مسدود الاذنين

.. وهكذا مجموعة من القصائد من الشاعر اليك والى والى كل البشر .. لكى تكون حياة انسانية جديدة ..

التلميذة الخالدة

ترجمة : احمد الصاوى محمد

الناشر : مؤسسة دار الهلال

الثمن : ١٢ قرشا

قال عنها اينشتين : « ان مارى كورى ، من بين جميع المشهورين ، هى وحدها التى لم يفسدها المجد »

وهذا صحيح فان مارى كورى التى وفقت هى وزوجها بيير كورى فى اكتشاف عنصر سحرى هو الراديوم .. قد هيأ البشرية سبيل علاج داء فظيع .. استطاع ان يخفف الام الوف المرضى .. ومع ذلك فهى حين انتهت رسالتها ـ بعد موت زوجها ـ وابلغتها ماتت وقد اضنتها العلل .. بعدما ابت المال والثراء واستكبرت التكريم .. لدرجة انها وهى العالمة الفذة .. حين ماتت دفنت فى هدوء شامل وبساطة مطلقة فى مقبرة ريفية لا زخرف فيها .

والواقع ان مدام كورى تعتبر نموذجا يحتذى للانسان المعاصر . فقد عاشت من اجل العلم ، واعطت حياتها كلها للمعرفة الانسانية حتى وصلت الى اعلى درجات هذه المعرفة فكانت نموذجا العبقرية الانسانية عندما تجند نفسها فى سبيل الخير والارتقاء والتقدم ، وفى سبيل التغلب على مصاعب الحياة البشرية

وقصة مدام كورى منذ ان ولدت فى ٧ نوفمبر ١٨٦٧ حتى مماتها فى يولية ١٩٣٤ ، هذه القصة الثالية النبيلة فى حياتها وفى مماتها .. هى قصة تشبه الاسطورة ، وهى نموذج مضىء ، بل هى مثل اعلى لابد ان نقدمه لابنائنا فى بلاد العروبة .. التى تحاول ان تزيح استار التخلف وتقفز الى مدنية القرن العشرين . ان هذه القصة التى نقلها الى العربية الاستاذ احمد الصاوى بما فيها من مواقف دافئة وقيم نبيلة وطموح علمى الى ابعد مدى .. لهى قصة ممتعة من قصص التحدى والكفاح والسعادة العائلية..


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواء
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباقه للسفرة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

فحول البلاغة

اهدانا حضرة العالم الفاضل سماحة السيد محمد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية بالديار المصرية كتابه « فحول البلاغة » وقد جمع فيه المختار من شعر ثمانية من فحول الشعراء وائمة البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع الغوانى وابو نواس الحسن بن هانى وابو تمام حبيب بن اوس الطائى وابو عبادة البحترى وابن الرومى على بن العباس وابن المعتز وابن الحسين ابو الطيب المتنبى وابو العلاء المعرى . ولابى العلاء رسائل نثر كاحسن ما كتبه بالكاتبون لفظا ومعنى فاختارها سماحته والحقها بشعره . وقد درج فى هذا الكتاب ايضا كثيرا مما استملحه من اشعار المحدثين وعنى فى تفسير ماورد فى منظومات هؤلاء الشعراء من غريب الالفاظ وشرح ماغمض من معانيها .

الميزان

هى جريدة سياسية تصدر بمصر مرة فى الاسبوع باللغة التركية وابحاثها مقتصرة على المملكة العثمانية ولا تتعرض لغيرها مطلقا . وكانت تصدر قبلا فى الاستانة .

الامين الصفى فى وقائع اريستنوس الخل الوفى

من رواية تاريخية تأليف العلامة فنيلون الفيلسوف الفرنساوى الشهير وقد نقلها الى العربية حضرة الاديب يوسف افندى جورج سريانى احد اساتذة مدرسة مارى لويس بطنطا فى عبارة سلسلة سهلة وقد ا...ها ونشرها وجعل ثمن النسخة قرشين مصريين .

الهلال فبراير ١٨٩٦

الغلاف الأول والأخير





سيلفى فيتيك ، وجينفيف جراد من بين ممثلات فرنسا الشابات اللاتى احدثن ثورة سينمائية



الهلال

وثائق جديدة وخطيرة عن
الثورة العرابية.. تنشر لأول مرة



الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثالث ـ السنة التاسعة والسبعون ـ أول مارس ١٩٧١ ـ ٢ محرم ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة :

أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

الإعداد الفنى :

مكرم شحاته

الاشتراكات

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم ـ من الكميات المرسلة بالطائرة ـ فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال: فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى « ج.ع.م » ـ والأسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الهلال

مارس ١٩٧١

في هذا العدد

محمود درويش :

لماذا خرجت من إسرائيل؟

« النص الكامل لبيان الشاعر محمود درويش فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى مبنى التليفزيون بالقاهرة فى ١١ فبراير ١٩٧١ »

■ اريد ان اعلن منذ البداية انى اعتبر مسالة وجودى الان فى القاهرة مسالة شخصية احمل وحدى مسئولية اختيارها ، وسابذل منتهى جهدى للحيلولة دون تحويلها الى موضوع للمناقشة والاخذ والرد ، وكان من الممكن وربما من الافضل حصر المسالة كلها فى حدود ضيقة لولا ان الظروف التى خلقتنى والقضية التى قدمتنى للناس قد ربطت اسمى بقضية عامة ، وهذه القضية العامة هى العنصر الاساسى الذى دفعنى لاختيار موقع جديد فى الجبهة التى احارب فيها ، ومن هنا ، لم يعد من حقى ان انصرف كمسافر او سائح ، ولهذا السبب اشعر باتى مطالب امام نفسى وامام الراى العام بتقديم بعض التحديدات العامة لاتابع بعدها طريقى :

● اننى الح كثيرا على ان يكون مفهوما لجميع الناس ان الخطوة الخطيرة التى اتخذتها نابعة من اعتبارات خدمة القضية من مواقع تبدو لى اكثر انطلاقا وحرية وقد تمنحنى مزيدا من القدرة على التعبير والعمل اكثر مما كنت قادرا على عمله فى بلادى .. اننى قادم من منطقة الحصار والاسر الى منطقة العمل . ولا يساورنى



● محمود درويش.. بريشة الفنان اسماعيل شموط ●

اى شك فى ان الرأى العام العربي – وربما العالمى ايضا – قد اصبح اكثر وعيا بواقع الاضطهاد الاسرائيلى للمواطنين العرب فى بلادهم .

وما جئت الى هنا لادانة هذا الواقع ، ولذلك فانى فى حل من عرض لائحة الاتهام الخطيرة . ولكن ما يهمنا هو أن هؤلاء المواطنين يمارسون البطولة ممارسة يومية بتمسكهم بحق الانتماء الوطنى، وبرفضهم المسئول الانضمام الى الغربة خارج الوطن. لقد آثروا الاغتراب وتحمل القهر داخل الوطن.. ولقد كنت شخصيا ولاازال احب الذين اعطوا شبابهم وطاقتهم لهذا الصمود، وما زلت اعتبر نفسى واحدا من هؤلاء المواطنين الشجعان الذين يكافحون وظهورهم الى الحائط ويستمدون الطاقة والامل من معركة التحرر والبناء والتقدم التى تخوضها شعوبهم خارج اسوار اسرائيل . وأقول لكم – ايها الاصدقاء – بصراحة تامة اننى لاقيت من الحزن قدرا لا يجوز الحديث عنه هنا عندما قررت – مرغما – الانفصال الجغراف عن اولئك المواطنين . ولكنى احاول ان اجد عذرى فى أننى اصبحت مليئا بالاحساس باننى اقترب يوما بعد يوم من نقطة العجز عن القيام بواجبى كمواطن اولا وكشاعر ثانيا بسبب ظروف الكبت الذى اتعرض له .

لقد اصبحت مشلول الحركة تماما ومشلول الحرية فى التعبير ، والتهمة سهلة فى فك العنصرية الاسرائيلية واصبحت مهددا بخطر التعلق على مطاط الصيغ الدبلوماسية لكى انجو من القانون . اننى لا اشكو ولكننى احاول القول ان شعرة معاوية بينى وبين القانون الاسرائيلى قد انقطعت وان طاقتى على الاحتيال والتجاوز قد نفدت ، خاصة اننى لم اعد منتميا الى شعب يطلب الرحمة ويتسول الصدقات ، ولكننى انتمى الى شعب يقاتل ..

من انا ؟

هل انا مواطن اسرائيلى بمحض اختيارى ، ام انا مواطن عربى فلسطينى ... واذا كنت كذلك ففى اى صف اقف . ان قلوبنا واضحة الدقات ولكننى مطالب بتحويل مشاعرى الى كلمات .. من هنا ، اصبح تناقض الانتماءين اشد الحاحا وتعذيبا . لم يعد ممكنا ان اجاور بين هذين الانتماءين بسبب اصرار الحكم الاسرائيلى على السير فى المغامرة حتى النهاية وحرق اى جسر للعودة . إنى امزق مرتين : مرة على شعبى .. ومرة على المواطنين اليهود الذين يقودهم حكامهم الى كارثة .

● ايها الاصدقاء ..

يصعب هنا وضع الفواصل بين الادب والسياسة وانا كاتب لا يتفرج على الحياة



بل يلتحم فيها . والوطن عندى ليس حقيبة ولكنه ايضا ليس جبلا وسهلا .. ان وطنى قضية يجب ان تدافع عنها من اى موقع ، ولست اول مواطن وشاعر يبتعد عن بلاده ليقترب منها . اننى اشعر الان كما لم اشعر من قبل بنبض التربة التى انبتتنى واشعر بمزيد من الامل المبرد والمشروع ، لاننى اعيش واعمل مع شعبى بالمفهوم الاوسع ، لانى ادافع عن الخاص من موقع العام

ان اهمية ما اكتبه ـ اذا كانت له اهمية ـ لا تنبغى ان تكون مستمدة من المكان الذى اكتب منه ، بل من القضية التى اعيشها اينما كنت .

ولا ابيح لنفسى ان اتكلم من موقع الدفاع عن النفس ، وانى احمل كامل المسئولية عن موقفى وقضيتى ، ورحيلى الذى ارجو ان يكون مؤقتا عن وطنى ليس تغييرا لموقف او قضية ولكنه تغيير لموقع ، واختيار موقع راسخ وطيد حمله التاريخ مسئولية تاريخية ، وهى مستقبل منطقة الشرق الاوسط كلها . هذا الموقع هو القاهرة التى اصبحت ـ بحكم التطور التاريخى والظروف الموضوعية ـ المصدر الاساسى للحركة فى المنطقة .

● وانا مواطن فلسطينى ، لقد لقى شعبى من العذاب والقهر الجسدى والمعنوى مالا يوصف .. اننى لا ادير اسطوانة ، ولكن ملحمة اقتلاع شعب كامل وقذفه الى التيه ليست مسالة فلسطينية . انها خنجر فى كل ضمير انسانى .

ولقد كنت اتمزق كل يوم وانا ارى منازل اهلى يسكنها غرباء واسمع منها اغانى انتصار الفاتحين الذين يلاحقون الضحية حتى منفاها ليقفوا على آثارها . لقد رايت كيف تتغير اسماء الشوارع والقرى والمدن ، ولقد رايت كيف يحرث الناس فى اجساد الاخرين ويستخرجون القمح والتفاح ، ولقد رايت كيف يترجم الشجر والحجر والقمر ، ولقد رايت كيف يزيف التاريخ ، وكيف تجرى عملية التنفس من رئات الاخرين . واكثر من ذلك رايت كيف تتم عملية مطالبة الضحية بالاعتراف بانها القاتل . ما زالت اسرائيل حتى الان ، تقدم شعبى الى العالم بزى القاتل وتدعى انها الضحية . ولم يكن شعبى يحسن الا الاستجداء والتسول، ولا يقدم نفسه الا ببطاقات الاغاثة .. ان الوقوف على باب المحكمة الدولية حق والقرع على اجراس ضمير العالم حق والبكاء على ذكرى وطن مغتصب حق . ولكن الحق ليس حقا اذا كان صاحبه ضعيفا . هكذا الدنيا .. لقد تغيرت الان صورة شعبى ولم يعد يقدم نفسه ببطاقة الاغاثة ، بل ببطاقة الاستشهاد .

لقد وجد شعبي طريقه الى الحياة عندما اجتاز سرداب الموت وهذه هي المقاومة وهذا هو الحل .. فاين اقف ؟

● وانا مواطن عربي .. وقضيتي الخاصة جزء لا يتجزأ من القضية العامة للشعوب العربية ، ولا مستقبل لقضيتي اذا لم تعرف مكانها في هذا التيار المعادي للتخلف والامبريالية والصهيونية والطامح الى التقدم الاجتماعي والاستقلال والسيادة القومية والوحدة الاشتراكية . واذا سمحتم لي بالتحدث عن مشاعري الخاصة ، اقول لكم انني اشعر بالانفعال الشديد والتأثر البالغ بسبب احساسي بالعلاقة المباشرة مع ابناء شعبي الذين كنت بعيدا عنهم اكثر من عشرين سنة . هذه اول مرة ازور فيها بلدا عربيا منذ طفولتي . انني اشعر ان كتفي تتسعان ورئتي تكبران ، والمس اسبابا مادية ومعنوية للتفاؤل العلمي والوجداني .

● وانا مواطن عالمي .. وقضيتي جزء من الحركة الثورية العالمية وافخر بانتمائي الى اسرة التقدم والتحرر والاشتراكية التي تمارس تأثيرها الفعال لتغيير العالم تغييرا جذريا .. اننا على الرغم من كل القهر والكبت ننتمي الى الجانب المضيء من وجه عصرنا ، ونشعر بسعادة غامرة وبفرح لا حد له بصداقتنا المصيرية مع الاتحاد السوفييتي الذي يمارس دورا رئيسيا في الحركة الثورية العالمية ، ويقف في جبهة الصدام الاولى مع اعداء الانسان ومعوقات ضرورات التقدم .

ولقد عشت في الاتحاد السوفييتي طيلة العام الماضي ، واشعر شخصيا بانني مدين له لانه اعطاني كل شيء ... من الخبز حتى الامل والتفاؤل العظيم ، وانني واثق بان حبي للانسان وللمجتمع السوفييتي بما يمثله من تجربة خلاص البشرية من العذاب هو من احد مقومات نضالي وفرحي بالحياة .

● ايها الاصدقاء

من المعروف لكم تماما ، انني قادم اليكم من صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يخوض معركة سياسية مليئة بالغنى والشرف وفي جو خانق من العنصرية والغطرسة الصهيونية والاعتداء الصلف على ابسط حريات الانسان .

ومعروف لكم تماما ان هذا الحزب يضم في جبهة واحدة متلاحمة كل العناصر المناضلة من المواطنين العرب وخيرة العناصر المكافحة من المواطنين اليهود . انه يشير الى امكانية التعايش الحقيقي والحياة المشتركة السعيدة بين العرب



واليهود ويرفع شعار : « مع الشعوب العربية ضد الاستعمار لا مع الاستعمار ضد الشعوب العربية » وهو يحذر من الهاوية التى يقود الحكم الاسرائيلى المواطنين اليها ، اذا ما استمر فى تنكره لحقوق الشعب العربى الفلسطينى والاعتداء على الاراضى فى البلاد العربية وحقوقها وسيادتها .

ان من واجبى أن اعلن من هنا ان رحيلى عن بلادى ليس نابعا باى شكل من الاشكال عن رغبة فى الانسلاخ عن انتمائى السياسى والفكرى.ومن ناحية اخرى اريد ان اعلن ان الحزب الشيوعى الاسرائيلى لايتحمل مسئولية قدومى الى القاهرة ولا علم له بذلك وعلى هذا الاساس فمن حقه الطبيعى ان يتحفظ من هذا السلوك الفردى الذى خالفت به أبسط قواعد التنظيم . وعلى اى حال ، بودى ان ارسل تحيات حارة الى الشيوعيين العرب واليهود فى اسرائيل الذين يحتلون مكانهم فى الحركة الثورية العالمية ، ومن هذا المكان فانهم يشكلون حلفاء امناء لحركة التحرر العربية .

● وبعد ...

اسمحوا لى ان اعبر عن عميق الشكر والامتنان الى الجمهورية العربيةالمتحدة ، رئيسا وشعبا وحكومة وحزبا ، لانها فتحت صدرها الواسع لى واعطتنى من الحب والفرح والامل مئونة معنوية ضخمة ، واشعرتنى باننى لم اغادر وطنى ، وانما انتقلت من الوطن الاصغر الى الوطن الاكبر ، انى أحدق فى نهر النيل فارى اعماق القاهرة وجوهرها وارى تدفق الحياة اللامتناهى ورحلة التاريخ الصاعدة دائما . انى احدق فى نهر النيل فاسمع خرير نهر الاردن وبردى والفرات فى نغم واحد متدفق على الرغم مما يعترى القاهرة من ركود ظاهرى .

وانا على يقين من ان نهر الحيـــاة سيواصل المسير وانى على ثقة من اننى ساجد فى موقعى الجديد ، فى القاهرة ، امكانيات واسعة لمواصلة عملى فى سبيل القضية التى نعمل من اجلها جميعا .

ويسعدنى انى اخترت القاهرة لانها القاعدة الاساسية لكفاح الشعوب العربية من اجل التحرر والاستقلال والتقدم الاجتماعى والمستقبل الاشتراكى والسلام .

وارجو ان يغنى هذا الموقع الجديد موقفى ونضالى بمزيد من الطاقة والانطلاق لان الاعتبار الاول والاخير لاختيار اى موقع هو خدمة القضية التى نحيا من اجلها ونموت من اجلها .

● د. سهير القلماوي ●

أزمة

يصيبنا الدوار احيانا عندما نتامل السرعة التى يتغير بها العالم من حولنا . لا شيء يبقى كما هو. كل شيء يتغير وبسرعة وتختلط علينا الرؤية احيانا كثيرة . العلم يلقى كل يوم قنبلة متفجرة فى محيط الحياة الانسانية تغير الموازين وتعصف القيم وتزلزل المعارف . ثورات مستمرة . آلات تخفف عن الانسان انواعا من العمليات الفكرية . والالات تفرض تغييرا فى العلم من جذوره كما يفرض اكتشاف الكومبيوتر مثلا انمحاء النظام العشرى ويطالب بالنظام « الثمانى » انها ثورة فى عالم الارقام قد تعادل الثورة التى احدثها اجدادنا يوم اخترعوا « الصفر » فى عالم الارقام . بل انها قد تفوقها .

والعالم تتوثق صلاته . تقترب المسافات حتى يتغير مفهوم المسافة كلية بل كثيرا ما ينمحى عنصر المسافة من تفكيرنا الحديث . واذا تغير مفهوم المسافات فان مفهوم الزمن نفسه يتغير . وفى عالم انتقال الصوت والصورة عبر آلاف الاميال لابد ان تتغير معلومات كثيرة ظلت ثابتة زمانا طويلا واوجدت حولها نوعا من التفكير والشعور لابد ان يتغيرا .

الفـــــــــن

فن عالمنا المتغير

■ والفن نشاط انساني خاضع لكل ما يخضع له النشاط الانساني من مؤثرات . وهو بدوره قد شهد ثورات كثيرة في نوعية الذين يتلقونه وفي نوعية الاداة او الوسيلة التي يخاطب بها الناس . ومنذ اختراع الطبعة والتطورات التي حدثت في اثرها من انتشار التعليم واتساع رقعة المتعلمين اتساعا لم يكن متصورا في أي عصر من العصور السالفة والفن يخضع لاثارات ضخمة كانت كلها نحو اتساع رقعة المتلقين بواسطة المطابع والمتاحف والمعارض والعروض المسرحية والسينمائية وغيرها ثم الاذاعة والتليفزيون

ولكن الفن يواجه في عصرنا الحديث ازمة حقة ازمة شبيهة بالازمة التي واجهها الفن في اوربا بعد انحسار موجة عصر الرونيسانس او البعث عندما احس الفنانون ان كل ما كان يمكن ان يقال قد قيل ، بل انه قيل على خير وجه واكمله وأبدعه فنيا . لقد وقف الفنان التشكيلي مثلا امام روائع « رفاييل » و « دافنشي » و « مايكل انجلو » يسأل نفسه ماذا يمكن أن يقال بالنحت أو الرسم بعد هذا ؟ وهل يمكن لانسان ما أن يبدع شيئا جديدا او شيئا اجمل او اروع ؟ ولما كانت الازمات عند التاريخ تختلف عن الازمات التي يتعرض لها الانسان من حيث أن ازمات الانسان قد تنتهي بموت أو انحدار شديد بينما ازمات التاريخ عادة تكون ايذانا بصعود الى اعلى أو بتقدم ، فان الفن اجتاز ازمة ما بعد الرونيسانس بخير الى احسن والى افضل . ولم تكن السنين العجاف التي مرت به سنوات مرض .. لقد كانت سنوات مخاض اليم . انتهى بولادة جديدة مبشرة . **ان ازمات الفن عادة مخاض ولادة وليست تقلصات موت .**

وقد تكون هذه الازمة محسة في الفن بشكل اوضح في غير وطننا العربي ولكني كما أسلفت أجد أن مفاهيم الزمن والمسافات كلها قد تغيرت . وما يتأثر به الفن في جزء من المعمورة لابد عاكس اثاره في كل الاجزاء الاخرى وباسرع مما نظن أو نقدر . **ان الفن المحلي او القومي لن تكتب له الحياة بعد اليوم الا اذا كان فنا انسانيا عاما في جوهره أصيلا بتعبيره عن واقع الانسان اكثر مما هو اصيل**

بتعبيره عن واقع خاص ليست فيه معالم العمومية أو الشمول الانساني

ان أزمة الفن في النصف الثاني من القرن العشرين أزمة شاملة فهي أزمة في القيم الفنية وفي التلقي الفني . أزمة المنتج والمتلقي معا والاهم من ذلك انها أزمة وسائل التعبير نفسها

ان التاريخ لا يعرف تغيرا الى الفن . ولابد من وجود عنصر الاكمال اوالاستمرار مع القديم . هذا هو شأن التاريخ عامة او شأن الزمان في مفهومه الفلسفي . ولذلك فان ازمة الفن في عصرنا هذا هي **كيف يستمر طبيعيا في الاستكمال أو الاستمرار وسط هذه التغيرات الجذرية العنيفة ؟** ليست أزمة الفن فيما يمكن ان يجيب عن سؤالنا « ماذا بعد؟ »» ولكن الازمة الحقة في الاجابة عن السؤال **« ماذا يجرى الآن ؟ » . ما علاقة الحالي بما سبق ؟** والام سيؤدى هذا الحالي ؟ بصرف النظر عن الخطوة التربية السابقة. اننا لا نريد أن نعرف ماذا سيأتي بقدر مانريد ان نعرف ماذا يحدث في ظل ماقد كان وما يمكن أن نتصور انه سيكون . « الآن » هو مشكلتنا وليس المستقبل . ان الفن لابد أن يكون من نتاج عصره معبرا عن عبقرية منتجه او خالقه الفردية مهما حملت هذه الفردية في طياتها من السمات العامة . ان الجدة والابتكار مطلبان اساسيان في الفن . وكانت الجدة في عصور سابقة تكتفي بأن تكون جدة في الاسلوب ، جدة في طريقة العرض ، لذلك كانت جدة دالة على استمرار القديم . ولكنا اليوم ازاء ثورة على القديم عارمة. ثورة ترى الاستغناء نهائيا عن كل صور الفن السابقة لانها صور وجدت تحت ظروف مختلفة كل الاختلاف وفي ظل مفاهيم تغيرت كل التغيير . لقد اختلف الزمان والمكان والاداة اختلافات جذرية ولم يعد من الممكن ان يتخذ القديم مثلا يوحى او يحتذى بأية صورة من الصور.

يقول «الجمبرتش» مؤرخ الفن الحديث **في كتابه « قصة الفن » ان ازمة مابعد الرونيسانس او البعث كانت في ان الفنان احس ان كل مايريد قوله قد قيل وليس هناك مجال لقول جديد وهو لا يريد ان يكون مقلدا لانه كان مؤمنا بنفسه واثقا** بان التحدى مهما عظم فانه خليق بان تتصدى له لانه قادر على النصر . ولذلك **حل ازمته بانه يريد أن يصل الى ماوصل اليه العظماء ولكن باسلوب جديد وعن طريق لم يطرقوه من قبل** . كانت المجاهدة **صعبة لكى يفلت الفنان من سيطرة التراث العظيم ولكنه استطاع أن ينتصر وعبر عن نفس الشيء ولكن باسلوب جديد مبتكر**

والفنان يسعى دائما الى خلق جديد الى شيء غير منتظر ولا متوقع . وفي كل ازمة كان هناك فنانون جدد ، فنانون يخضعون لنفس الحافز الازلي حافز الفرار من التكرار ، الفرار من المألوف ومن المعروف ، لذلك شاع على مر الازمنة السابقة التعدل في الاسلوب والتفنن في تغييره .

كانت الازمة السابقة ، أزمة ما بعد البعث ، أزمة الفنان نفسه ، ولكنها اليوم ازمة النظام الثقافي بأكمله . لم تكن الازمة السابقة بسبب تساؤلات مثل تساؤلنا اليوم ماذا يمكن للفن أن يكون؟ او ما القيمة التي يجب أن يحملها الينا؟ او ما المقام الذي يجب أن يشغله في حياتنا ؟ انها كانت أزمة الفنان وهي اليوم أزمة الفن نفسه فنانا وأداة ومتلقيا . ان الفنان الجديد ، فيما بعد البعث ، كان يقف خاشعا أمام القديم او السابق من صور الفن يراها هي التحدى في اتقانها وابداعها وكل ازمته انه يريد أن يفلت من تأثيرها الساحق ، ولقد استطاع ان يثبت **ان الفن متعدد المدركات وان الفن مدرك متعدد النواحي وانه مدرك منفتح غير مقفل يمكن أن تتعدد فيه الاشكال والمضامين والنظام ويظل الفن وفيا للصور السالفة من اشكاله** . كل ما كان يتحداه هو ان الفن لا يمكن أن يكون مبتكرا مرتين انه يبتدع مرة واحدة ولا يمكن التقليد مهما كان بارعا أن يكون فنا ولكنه لم يفكر الا في اجلال هذا القديم والا في الاحتفاء به . انه لا يجب أن يقلد ولكنه موضع الاجلال والاكبار .

ولكن الفنان الجديد او الصيحة الجديدة هي أن فن الماضي ليس فنا على الاطلاق . انه فن فقد قيمته لانه ادى دوره . بل انهم يسرفون في فكرة ان الفن اذا بلغ رسالته فقد انتهى الى حد انهم يسحبون هذا المفهوم على الحديث من

مايكل انجلو





رفائيل



دافينشي

الفن ايضا ويطبقونه عليه .

ولنتتبع فكرة هؤلاء الفنانين الجدد فناني النصف الثاني من القرن العشرين لنفهم صيحتهم وان لم نوافق عليها . فهي عندنا مرفوضة لاسباب كثيرة ولكنا قبل رفضها يجب ان ننصت لما يقولون .

لقد أقيم معرض فن تشكيلي في مدينة شيكاجو سنة ١٩٦٧ كان المعرض للفن المعاصر وكتب الناقد الفني « روزنبرج » يصف هذا المعرض بانه **معرض فنانين يؤمنون بزوال الفن . فنانون ينادون بازالة المعارض والمتاحف من حياتنا . انها مقابر للموت وليست معارض فن ثابتة . ان متحف الفن يجب ان يعرض** الجديد باستمرار والا تحول الى مقبرة جثث كانت يوما ما روائع فنية . وكان الناقد الفني فيما سبق وكتب في شهر فبراير من نفس العام في مجلة الفنون عرضا لوجهة نظره التي ايده فيها الفنانون العارضون بمعرض شيكاجو في نفس العام . **الفن الحق ليس فن الماضي مهما كان الماضي قريبا .** يقول مدير متحف الفن الحديث بشيكاجو **لا يمكن ان أعنى باية صورة من صور الفن مادامت قد قالت كلمتها وانتهت . ان الفن اذا عبر عما يريد واثبت لنا ما يريد ان يثبت فقد انتهى امره . اننا لا نعترف بفن الماضي ، اى ماض ، لا من باب عدم تقليده كما كان اسلافنا يفعلون وانما من باب انه مادام قد وصل الى المتلقي فقد انتهت حياته ولا يجب ان يعيش يوما بعدها .**

وكان الشاعر الانجليزي الاشهر كيتس يقول « **ان الشيء الجميل بهجة أزلية لا تفنى** » اما الفنان الحديث فيقول **ليس الفن شيئا جميلا وليس من المرغوب فيه ان يظل الى الابد . ان الفن لحظة فريدة تجربة لا مثيل لها ولكن لابد ان تمضي حتى لا تقف في سبيل لحظات اخرى وتجارب اخرى**

ويقول الناقد الفني « **جون كيدج** » في حديث له في النيويورك تايمز . « **ليس الفن شيئا يستمتع به وانما هو شيء نستعمله . نستعمله حتى ننتهي منه ثم نرميه كما نرمي نفاية اى شيء . انعدام تأكله قد تفترسه الجماهير ولكن لابد ان نرمي نفايته** »

من هذا يتضح ان الفكرة ليست رفضا للفن القديم لانه مختلف وانما هي رفض للفكرة من الفن ، كل فن قديما وحديثا . ان الفن للاستعمال وليس للتحنيط في المتاحف . ان الفن شاهد على حركة ما ، على عملية ، على نشاط مارسه الفنان ، هذه الحركة والعملية والنشاط هي محور الاهتمام اما الشاهد عليها فقد استنفد مهمته وانتهى عندما أدى هذه الحركة او العملية او النشاط بأن اوصلها الى .

ان شعار هؤلاء الفنانين « **استعمل الفن ثم ألق به في سلة المهملات** » . ان الفن طعام يؤكل . فكله وارم بنفايته

نورا . وليس الفن في عرف هؤلاء لقافة لها قوة التـــاريخ ودوامه وليس الفن احساسا شخصيا أو تجربة شخصيـــة مهما تكن معبرة عن أنها لاصقة بالشخص وبالفرد ؛ ان الفن نشاط ينتقل انفعال بعبر من فرد لآخر ليحـــدث أثرا اذا استوفاه لقلنا انتهت مهمته .

ان النظرة الجديدة ليست مجرد تمرد على التراث في علم الجمال وفلسفة الفن فحسب ولكنها أيضا تمرد على المنطق التقليدي كله . ان اصحـــاب النظرة الحديثة يقولون انه اذا قال احد على شيء ما انه فن ؛ فهو فن مادام يراه كذلك . مثلما يلتذ انسان بطعام لا يؤكل . انه بالنسبة اليه طعام لذيذ يؤدى الغرض من الطعام اللذيذ عنده . ويضطرب تعريف الفن عندهم حتى يصبح هـــذا الكلام الشائع غير المحدد كقولنا ان الفن هو ما ينتجه فنان ، والفنان هو من ينتج الفن . والفن كل شيء يؤدى وظيفة الفن لدى أي انسان . ان الفن ليس شيئا جميلا وليس شيئا ثابتا . انه عرض يؤدى غرضا معينا وبسرعة .

هذا فنان يرسم بياضا تاما والصورة هي ظل معكوس على هذا البيـاض هو ظل الناظر الى هذا الفراغ الابيض . هذه صورة فنية عندهم . صـــورة تثبت ان الفن شيء كاد يصل الى أن يكون لا شيء او الى رفض مفهوم الفن المتعارف عليه .

وهذا النحات الفنان « دونالد جاد » ينحت تماثيل يسميها « مجرد اشياء » . لقد رفع الملل الى مرتبة أن يكون قيمة جمالية . واذا التمست صـــورة الفن في نفسك الملل كما يفعل فن « الاشياء » فان هذا هو ما يراد به أن يفعل وذلك هو أمين للفن بل انه أمين للحياة نفسها بعكسها في اخلاص يفوق اخلاصها لانه يعترف بمللها وتفاهتها بينما الحيـــاة مزيفة لأنها تدعى لنفسها القيمة والجدة .

ان هذا المفهوم الجديد يقف بالفن في الرسم مثلا على حافة الفراغ التام وفي الموسيقى على حافة الصمت والسكون . لا معنى ولا مضمون ولا شكل ، وانمـــا خيط رفيع جدا يربط بشيء من معنى وشيء من شكل وشيء من مضمون . اما المعنى الحق والمضمون الكامل والشكل المتكامل فكله يظهر مع التأمل من المتلقي . يظهر مع جهد المتلقي وقدرته على التنبيه وعلى التكثيف الشديد للتجربة كمـــا يتصورها هو .

وهناك لوحة تجريدية تعد معلمــا في تاريخ هذه النظرة الحديثة لمفهوم الفن اللاشيء لوحة الرسام « ادرينهارت » سنة ١٩٦٤ التي تبدو للنظـرة الاولى انها عبارة عن فراغ ابيض يتوسطه مربع أسود متدرجة درجة السواد فيما يبدو لاول وهلة . ولكن الصورة توصف بأنها « سواد في وسطه معـــالم صليب » . وبالتأمل الشديد يرى الصليب فعلا .. ان الرائي يبذل جهدا شخصيـــا ، انه لا يترك لهواه كلية وفي الوقت نفســـه لا يملى عليه أو يعطى التأثير جاهز ، وانما الامر بين بين . واذا الفن لا يتحقق الا بواسطة مشـــاركة جادة تامة . ان الانســـان قد أصبح جزيرة وحده وسط خضم التلاقي الكثير في عالمنـــا المزدحم المؤكد على قيمة الجماعات . اننا بتأكيد فكرة الجماعة نلتقي بالفرد في أزمة التوحد والانفراد . وهذا الفن يأتي لينتشله من وحدته ليشارك غيره مشاركة حقـــة . فبواسطة الرسم غير اللوني والموسيقى ذات النغم المكرر يبدأ « الانسان الجزيرة » يمد شعيرات نفسه للغير : للفنـــان ؛ يحاول معه أن يتعرف ماذا يريد ، واذا الفنان يقول له ما أحس وعجز عن التعبير عنه .

وفي عالم الموسيقى تحدث نفس هذه البدع . النغم الشجى استنفد أغراضه كالالوان ؛ وهذا موسيقى يسجـــل ذبذبات المخ الكهربية على الآلة الدقيقة لتكون هذه الذبذبات النغـــم الفني الجديد . وهذا فيض من المحاضرات عنوانها « اللاشيئية » وكتابات في مقالات او قصص فيها جملة تتكرر مثل جملة « اذا كنت ترغب في النوم فلتنم » « اذا كنت لا ترغب في النوم فلتنم » وتتكرر حتى يضج منها القارىء والمطلوب هو هـــذا الشعور بالضجر والملل والزهق والقرف وتفاهة كل ما حوله .

لابد من اثارة شعور خاص وان كان مللا ؛ فهذا شعور ذاتي من المتلقي لا يملى عليه . فاذا كانت اللاشيئية تعين على الشعور الذاتي بالملل الذي نستعملهـــا وسيلة تعبير في الفن . حتى ولو اوصلناه

الى ذلك عن طريقا صفحات بيضاء أو فراغ كبير بين أجزاء الجمل .

الفن في هذه الصيحة الجديدة يتمثل أحيانا في قصاصات جرائد قديمة ملصقة على خلفية وعليها بقع سوداء لتمثل خرائب المدن الكبرى . انه أمين في اشباع الشعور بالخراب والبشاعة البربرية أحيانا . وهذا هو الرسام **« روشنبرج »** يبدع في تصوير القمامة المتجمعة من المدن الكبرى . الا تدل القمامة على كثير مما تفرزه المدينة من نشاط وحركة وانفعال ؟ ان المدن الكبرى نفسها أصبحت نفايات جمال مضى ، او نظام زال .

هذا هو الفن الجديد ، قبيح ، لانه يمثل الحياة وقد أصبحت دميمة حقا بما فعله فيها انسان النصف الثاني من القرن العشرين . تلك دمار ، وحروب ، ووحدة الانسان ، وملل الحياة ، وصخب الجماعات ، وزعيق الناس ، ووسائل تجميعهم في لجان ومؤتمرات وحلقات وحول الاذاعة وحول التليفزيون . وكله فراغ مخيف . **ان الفن قبيح لانه امين يمثل حياة قبيحة ، ولكن الحياة خادعة عن نفسها لانها قبيحة ولكنها تغش وتخدع**

وهنا نأتي الى لباب الازمة ، ان الفن اذا كان جميلا فهو خادع لنفسه . واذا بنا نريد من الفن ان يكون قبيحا في ميزان الجمال الفني . ماذا يراد لنا ان نفعل بالقبح ؟ ان نزيده قبحا ، أم نفتح عليه أعيننا خلقيا وننفيه او نحاكمه أو ندينه ؟ — وما جدوى ذلك ؟ اننا نخضع لضغط ثقافي في القيم يفرض علينا اختيارات عسيرة . ولقد اختار الفن ، عند هؤلاء الجدد ، الامانة والصدق والحق . والازمة أصلا في أننا مضطرون الى الاختيار وصعوبة الاختيار تكمن في أننا لسنا مخيرين بين الحياة القبيحة الدميمة والفن الجميل الخادع وانما الاختيار هو بين فن يؤدي شيئا وفن لا يعترف به أحد .. لابد أن نختار حسا جماليا جديدا ؟ ، فلسفة جمال مختلفة كل الاختلاف نظام جمال جديد يجد الجمال في فن يتعمق القبح . وربما نجد الوصلة بالقديم في أن الفنان يسعى الى الجديد حيث لا يتوقع وجود شيء قابل لان يكون فنا ، وقد تكون هذه الوصلة لا تتلاءم مع الاتجاه العام اتجاه « اللاشيئية » والانفصام التام ولكن ما الضرر في ذلك أليس عدم المنطق وانعدام الربط والتسلسل سمة من سمات الفن الحديث .

ليست الازمة ازمة فن يفقد ما هي ازمة ثقافة ، بل ازمة حياة برمتها .

انها مثل ازمة ما بعد الرينسانس تعبر عن شعور بضرورة التغيير الجذري ، واعطاء معنى مختلف لكل ما هو متعارف عليه . انها أزمة تقييم جديد لكل القيم السائدة والاساسية منها بالذات . اننا نعاني الفوضى والغليان والمخاض مثل ما عاناه أسلافنا قبل عصر الاصلاح . وكان ما حمل على الدين هو أزمة الاسلاف ولكنه هو العلم محور أزمتنا نحن الجديدة . انه العلم هو المحور الذى تدور من حوله كل هذه الفوضى ، وتنبعث بسببه كل هذه الصيحات ، ومن بينها صيحة الفن .

في الفن الان قوى غير علمية كثيرة تتجاذب تياراته . « دادية » و « فرويدية » وايمان بالخلق العابر ، والعابث ، ووليد الصدفة ، وغير المفسر أي غير العلمي ، ومع ذلك يعود الفن ليؤمن بالعلم ، فالمطلوب فيه معرفة علمية وادراك علمي للنوازع غير العلمية وغير المفسرة . مطلوب من العلم تفسير علمي للحركة والسعي في الحياة ولكل النوازع الانسانية . ولكننا نؤمن ان العلم ليس كل شيء . بل اننا لنأمل ان تكون في سيرنا الثقافي نتجه نحو ان ندرك ان العلم ثقافيا هو شيء ينتفع به . انه ليس هدفا في ذاته وانما هو وسيلة . وسيلة تستعمل لتحقق قيما بعينها او لتجعلنا ندرك قيما بالذات . ان العلم لا يجب ان يحدد هو لنا هذه القيم ولا أن يفسرها لنا حسب قوانينه . انه لا يفعل أكثر من ان يتيح لنا معرفة الحياة من حولنا ، الحياة التي يجب ان نعيش فيها وان نمارس فيها عملية الاختيار على أوسع مدى . ان العلم يجب الا يدلنا على ما يجب ان نختار بل انه لا يستطيع ان يدلنا على ذلك بل انه عاجز عن ان يوجهنا نحو ما نختار .

ان مهمة الفلسفة تقلصت الى مجرد علم يوضح لنا المعاني من حولنا . وبانكماش مهمة الفلسفة انكمشت مهمة الفن . ان **النظرة الجديدة الى الحياة تتصف**

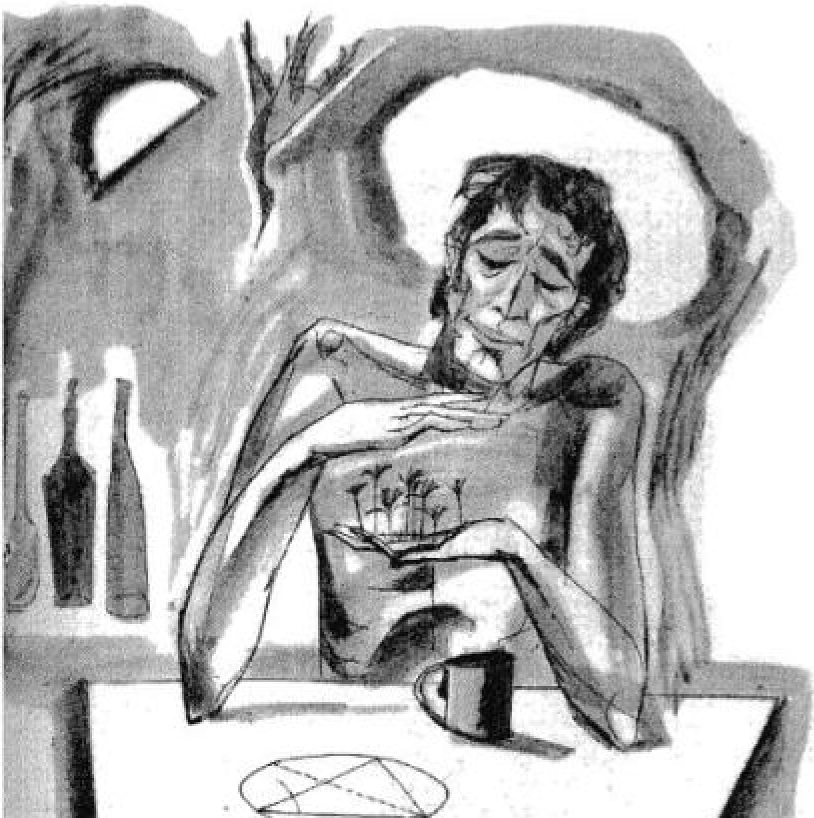
بالعلمية كما لم تتصف بها من قبل ، والان يدخل العلم الحقيقة الانسانية ذاتها فى نطاقه بعد أن كان مكتفيا بالحقيقة الطبيعية او البيولوجية . حتى الشىء غير العلمى اصبح موضوع الدراسة العلمية . والانسان يصطنع الاساليب العلمية ليهندس حياته بل ربما تداوى له هذه الحياةباسم العلم ، والازمة تقع فى

اننا مضطرون الى أن نتاقلم فى حياة لا يترك فيها العلم شيئا خارج نطاقه . والازمة هى فى اننا لابد الا نخضع لهذه الحقائق العلمية بل لابد لنا ان نتعلم كيف نستعمل الحقيقة لا كيف نخضع لها او نخضع تحت وطأتها

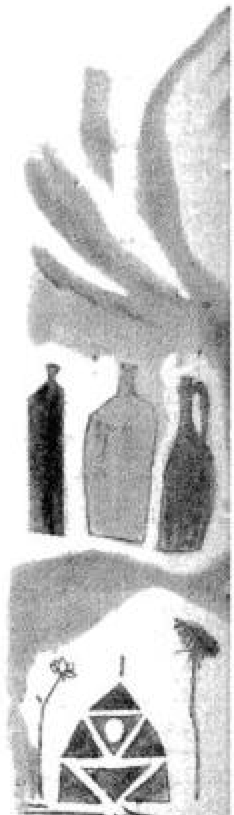
وهذا ما ليس للعلم أن يقرره وانما هو الانسان الذى يجب انيقرره وينفذه . والفن الحديث يعكس هذه الحيرة وهذا التحدى . تحدى العلم للانسان ، تحدى أن يفرض العلم على الانسان ما يختاره هو له . انالفن يحاول ان يقوىالانسان فى الانسان . انه يحاول بطريقته انيقوى الاختيار وممارسة الاختيار فى الانسان الحديث . لابد من ركوب الموجة فانها أن لم تحملنا الى حيث نشاء فلسوف تغرقنا او تجرفنا الى حيث لا ندرى .

هذه فى أختصار شديد صورة لازمة الفن فى عالمنا النفسى كما يراها بعض الفنانين والنقاد فى امريكا وانجلترا وفرنسا حسبما قرات عنها فى مجلاتهم وقد رايت أن اعرضها على قراء الهلال بكل ما حولها من اراء قابلة للتاشيل للرفض احيانا ولكنى اردت أن انبه بها الى مدى الركود وربما التخلف الذى يمكن أن نصل اليه اذا ما نحن ظللنا مغلقين على انفسنا فى فكرنا الفنى او مستلهمين نظريات بعينها وقفت من زمن عند حد معين وتجاوزها العالم شرقا وغربا وما زلنا نحن ندور فى فلكها . ان نظرة الفنانين الجدد التى عرضتها قد لا تعجب القارىء ولكنها قطعا مثيرة للتفكير المثمر وخليقة ان تحرك السكون حول نشاط انسانى تزداد اهميته وتتسع رقعته وهو النشاط الفنى .

صــلاح عبد الصبور



مرثية صديق كان يضحك كثيراً!



كان صديقي حين يجيء الليل
حتى لا يتعطن كالخبز المبتل
يتحول خمرا

تتلامس ضحكته فى ضحكته طينا لماعا اسود ،
او بلورا

ويخشخش فى ذيل الضحكات المرسل
صوت كتكسر قشر الجوز المثقل

**

كنا نتلاقى (او بالاحرى نتوحد) كل مساء ،
فى قاع الحانه

كالاكواخ المتقاربة المنهاره
والريح من الشباك المترب للشباك المترب

تتسكع بين فراغات الاشياء
يتنحى كل منا عن موضعه للجار الاقرب
لا عن ادب وحياء
بل خوفا ان تختل الدورة اذ نتصادم او نتلاقى
كلمات او اذرعة او آلاما او اهواء

حذرا ان نهتز ونتفتح
يتقارب كل منا فى داخله كالاجم الفارغ
فاذا مال .. تنحنح

**

مرثية صديق كان يضحك كثيرا

كان صديقى فى ساعات الليل الاولى
يتجول فى بلدته ..
كانت بلدته ساعات الليل الاولى

ويجمع من مهجته المنثوره
او من بهجته المكسوره

ما ذاب نهارا فى اسفلت الطرقات
حتى يمتلىء كما تمتلىء القاروره
يتعمم بالختم الطينى اللماع على عينيه الطيبتين
ينقش فوق نداوته المحبوره
صورا تطفر منها الضحكات

يتدحرج نحو الحانه

يتعثر فى أيدينا مختارا ، يهوى مسفوحا
يتأرجح عطرا ، ريحا ، روحا
يجعلنا احيانا نضحك كالخمر الصفراء
اذ ندرك ان الاشياء المبذولة مبذولة
والاشياء العادية عادية

والاشياء الملساء مجرد اشياء ملساء
يجعلنا احيانا نضحك اذ يضحك كالخمر السوداء
اذ يبصر فى الورق المتهاوى ..
موت البذره

او يتحسس بلسان الحكمة واللا معنى



حين يمص ثنايا امرأة فى قبلتها الاولى
جدران الجمجمة النخره

**

كنا وصديقى فى آخر ساعات الليل
نتحول عاصفة مخموره
تتخدد فوق ملامحنا
تجعلنا نهتز ونتفتح
تجعلنا نتكسر
حتى نبدو كتلا متشابهة متكرره متآلفه ،
من انسان فرد متكثر

**

مات صديقى امس
اذ جاء الى الحانة ، لم يبصر منا أحدا
اقعى فى مقعده مختوما بالبهجة حتى انصرم الليل
لم يبصر منا احدا
سالت من ساقيه البهجه
وارتفعت حكمته حتى مست قلبه
فتسمم بالحكمه
غاب الندماء ، فلم يقدر ان يتحول خمرا
وتفتت كرغيف الخبز

د. عبد السلام العجيلي

البحث عن ملهون



دخلت على صديقي ع . فلقيته في مكتبه . قد أحاطت به أكوام من المجلدات والكتب المختلفة الاحجام والاعمار . كتب صفراء قديمة ، واخرى جديدة التجليد مذهبة . بعضها مركوم في الزاوية ، وبعضها مقلوب على المنضدة ، وبعضها مفتوح على صفحة بعينها وقد ثبت باشارة أو ثقل . وتلقاني صاحبي متهلل الوجه وهو يقول :

وجدته .. وجدته !

قلت له : ــ من هذا الذي وجدته؟ انك في صراخك تذكرني بأرشميدس وصيحته المشهورة ..

قال : ــ وجدت من كنت أبحث عنه منذ أيام كثيرة .. وجدت الملعون !

قلت دهشا : ــ الملعون !

قال : ــ نعم ، لقد كنت ابحث عنه في مطاوي هذه المجلدات . هناك ملعونون كثيرون ، ولكن غيري اكتشفهم قبلي فلم يعدا لهم كبير قيمة . وانا كنت أبحث عن ملعون لم يتعرض له أحد . ملعون خاص بي ، ملعون لي انا وحدي ..

قلت : ــ أرجوك . . تكلم بما هو مفهوم . تبحث عن ملعون خاص بك .. ماذا تعني بهذا ؟

فضحك صاحبي كأنه مسرور بالحيرة التي اوقعني فيها حديثه ، ثم تابع قائلا :

ــ لن أخفي عنك شيئا . . حتى ولا إسم ملعوني . مع أن الحـــذر يقتضيني أن اكتم عليه مخافة ان يلتقطه غيري فيكتب عنه اطروحة او ينظم في موضوعه مسرحية شعرية ، ولكني واثق بكتومانك لن تبوح باسمه لاحد . أقول لك : ان ملعوني الشخص هو أبو رغال ؛

فما زادني كلامه الا حيرة . ماذا يقصد صاحبي حين يقول ان ابا رغال هو ملعونه الشخصي ؟

قال : ــ نعم ، أبو رغال . يجب ان

تهشني عليه . انت تقف ساكتا هكذا كأنك لم تسمع قبل بأبي رغال . ابو رغال الثقفي ، الدليل الذي سار مع جيش ابرهة الحبشي الى الكعبة . حين جاء ابرهة يريد هدمها . انه صاحب القبر الذي يرجمه الناس كلما حجوا الى بيت الله . اتريد ملعونا اكبر من هذا؟!

ماهو الرائج ؟

بهذا بدأ حواري الذي انقله هنا مع صاحبي ع .. ويجدر بي ان اعرف القارىء بهذا الصاحب قبل ان استمر في رواية ذلك الحوار . انه صديق قديم ، شاعر وكاتب ومؤلف كتب كثيرة ، بعضها يحمل اسمه ، وبعضها لا يعرف احد أنه من تاليفه لانه يبيعه أطروحات لطالبي الشهادات الجامعية . وهو ذو قلم سيال ، وذو حس دقيق في معرفة البضاعة المطلوبة في سوق الفكر والكتابة . لذا فان مؤلفاته التي تحمل اسمه تلقى رواجا عاجلا ، ولكنها سرعان ما تطرح وتنسى ، لانه لم يؤلفها لتبقى بل ليتبع بها الموضة السائدة وليلبي بها حاجة السوق .

وقد تراءى لي – حين رأيت صاحبي

البحث عن: ملعون

هذا غائصا بين مراجعه يتحدث عن الملعون الذي وجده – انه في سبيل تأليف كتاب من كتبه تلك . او انه على الاقل في سبيل اعداد دراسة في موضوع لم يسبق اليه . ولكن لماذا يصر على ان يكتب دراسته عن ملعون ؟ قلت له :

– هل تنوى ان تضع كتابا عن ابي رغال ؟

قال : – الان عدت الى ما اعرفه فيك من فطانة . نعم .. صحيح ما قدرته ، ولكن تأمل في هذه الكتب : « مروج الذهب » « للمسعودي » ، « الكامل » «لابن الاثير» « الطبري تاريخه وتفسيره» « أبو الفداء » ، دوائر المعارف المختصرة والميسرة والموسعة .. المؤسف ان ابا رغال لم يحظ في كل هذه المجلدات الا باسطر قليلة ، ومليئة بالتناقضات ..

قلت : – ولماذا تحب الدخول من الباب الضيق ؟ في خيار الناس ومشاهيرهم متسع لكتابة الف سيرة وسيرة .

فضحك وقال : – كان ذلك زمانا ومضى يا عزيزي . هل تريدني أن أؤلف مجموعة مثل عبقريات العقاد ، أو ان أؤرخ لمشاهير العلماء ، او ان اسير على خطا ستيفان زفايج واميل لودفيج فاكتب سيرا لقادة العالم والملكات الشهيرات وللفنانين العباقرة ؟ ليست هذه موضة ايامنا . ايامنا أيام الملعونين ...

قلت : – لم أفهمك .

قال : – بل تفهم وتتغابى . السوق الرائجة الان في الكتابة ، وفي مناح كثيرة اخرى في الحياة ، ليس للمتعارف عليه والمقبول من الناس جميعا ، بل لما يصدم الناس ويحطم مسلماتهم . الرائج هو ما يحدث فضيحة . الرائج هي الكتابة الملعونة .

قلت : – الكتابة الملعونة ، أم الكتابة

من المعرفين ؟ الى اوافقك على ان كل ما يحدث فضيحة يسترعي اهتمام الناس ويستقطب انظارهم . هذا في الحياة اليومية ، وفي كل الازمان . وقد يكون رواج الفضيحة في الادب والفن صحيحا عند الغربيين : روايات فرانسوازساجان اول امرها ، روايات كولن ولسن ؛ هنري ميلر وجان جينيه، مسرحية هير .. اما عندنا ..

من اللعنة الى التقديس

قال : ع — وعندنا كذلك . لعل ملعونينا الجنسيين لم يبلغوا بعد مابلغه امثالهم في الغرب . ولكننا سائرون في هذا الطريق .. ثق بما أقوله . وعلى كل ؛ ليس هذا ما اعنيه او اريده . هناك لعنات كثيرغير لعنة الجنس نشطت عندنا فيها الدراسات وراجت الكتابة .. وتغيرت فيها المفاهيم . قل لي : هل تحفظ قصيدة ابن الرومي في احراق الزنج للبصرة ؟

قلت : قرأتها ، ولكني لا احفظها . ما الذي خطر ببالك لتذكرها الان ؟

فمد صاحبي يده الى احد الكتب التي كانت امامه ، وقلب فيه حتى وقف عند احدى صفحاته ، وراح يقرأ :

بينما اهلها باحسن حال
الا رماهم عبيدهم باصطلام
دخلوها كانهم قطع الليـ
ـل اذا راح مدلهم الظلام
اى هول راوا بهم اى هول
حق فيه مشيب راس الغلام
الا رموهم بنارهم من يمين
وشمال وخلفهم وامام
كم اغصوا من شارب بشراب
كم اغصوا من طاعم بطعام
عرجا صاحبي بالبصرة الزهـ
ـراء تعريج مدنف ذى سقام
فاسالاها ولا جواب لديها
لسؤال ومن لها بالكلام
اين ضوضاء ذلك الخلق فيها
اين اسواقها ذوات الزحام
بدلت تلكم القصور تلالا
من رماد ومن تراب ركام

وبعد أن تلا ع . هذه الابيات وأبياتا اخرى من قصيدة ابن الرومي في خراب البصرة ، تناول كتابا اخر راح يقرأ منه نبذا متفرقة مثل هذه : « ... وكان ينادى في معسكر الزنج على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم ، تباع الجارية منهن بالدرهمين والثلاثة ... واختفى كثير من اهل المدينة في الدور والابار فكانوا يظهرون في الليل فياخذون الكلاب فيذبحونها والفيران والسنانير فاكلوها ... وكانوا اذا مات الواحد منهم اكلوه ... وعدموا مع ذلك الماء ... »

فصحت بصاحبي : — على رسلك ! ماذا تقصد بقراءة كل هذه الوقائع البشعة والشنيعة ؟

فلم يلتفت الى صيحتي واستمر يقول في هدوء : — تدرى كم قتل في البصرة في تلك الفاجعة التاريخية ؟ في أدنى التقديرات المروية ، بلغ عدد القتلى ثلاثمائة ألف انسان ... وتدرى من فعل ذلك ؟ . انهم الزنج في تمردهم على الدولة العباسية في ايامها البئيسة . كان تمردهم ذاك حركة ملعونة في كتب التاريخ وفي ذاكرة الناس وفي الاعتبارات الانسانية السائدة في كل العصور التي انقضت . ثم جاء عصرنا هذا فاذا بنا نكتشف ان

تمرد الزنج الذى اغرق العراق فى طوفان من الدم وجحيم من النار كان ثورة مثالية وطوباوية ... اول ثورة تحررية عرفها العالم الاسلامى فى كل تاريخه ... الا تصدق ؟ المقالات فى المجلات والقصائد فى الدواوين والاطروحات الجامعيــــــة والمسرحيات الشعرية كلها تقول هذا .

اصبح مباركا ما كان ملعونا ، وتحولت اللعنة هالة قدسية علينا ان نركع امامها ونخضع ...

عالم بن بهرام الطوباوى

قلت : ــ ماتذكره صحيح . من كثرة مامجدت الناحية التحررية فى ثورة الزنج نسينا فظائعها ونسينا ان رئيسها ، او صاحب الزنج كما كانوا يسمونه ، ليس زنجيا ، بل دعيا كاذبا فى نسبه ، ثم متعيشا بالشعر يمدح به خدم السلطان ، ثم مغامرا دمويا وسفاحا قاسى القلب . اصبح فى الادب المعـــاصر والدراسات الحديثة بطلا من ابطال الحرية الانسانية ، اصبح سبارتاكوس العالم الاسلامى .

قال : ــ نعم .. ان صاحب الزنج هذا الذى قال فى خطبته لهم : « انكم **قد اعنتم بقبيح منظر ، فاشفعوه بقبيح مخبر ، اجعلوا كل عامر قفرا وكل بيت قبرا!!** .. صاحب الزنج هذا كان أول الملعونين الذين تقدسوا . تريد مثالا اخر ؟ هنالك القرامطة . خلطوا أموالهم ونساءهم فيما بينهم ، فأصبحوا ممثلين للاشتراكية الطوباوية فى التاريخ العربى . واذا كانت اللعنة قد لاحقتهم عند معاصريهم لالحادهم وسفكهم الدماء ، فان اعتبارهم قد أعيد اليهم فى هذه الايام لان احد زعمائهم ، وهو المدعو بالجنابى قتل من الحجاج بمكة الوفا ، واستملك من النساء والغلمان من ضاق بهم الفضاء كثرة ، واخــذ ميزاب الكعبة ، واستولى على الحجر الاسود وهو يظن انه مغناطيس القلوب . يكفى ان يكـــون ذلك الزعيم القرمطى « سليمان بن الحسن بن بهرام » حتى ترتفع اسهمه عند بعض صنوف الباحثين بهذا الاسم ، ابن بهرام ، تلتقى عنده العصبية الشيقة ، عصبية العروبة ، فيصبح مواطنا عالميا ...

قلت مازحا : ــ من هذه الناحية ارى ان الجنابى القرمطى وابارغال متقاربان . كلاهما سعى الى هدم الكعبة او حاول ذلك . لعلك من هنا ستنطلق فى رفع اللعنة عن ابى رغال وفى اعادة الاعتبار اليه ..

فقال ع . ق جد : ــ ربما فعلت ذلك . وعلى كل فان مجــــال البحث واسع . قلت لك ان من المؤسف كون هذه المجلدات لا تحوى الا سطورا قليلة عن ابى رغال . لعلنى فى هذا مخطىء . الاصح ان اقول ان ذلك من حسن الحظ . هذا يطلق لى العنان فى تخيل ما اريد

البحث عن : ملعون

تخيله وفي بناء استنتاجات على فروض لا يستطيع أحد أن يكذبني فيها . يكفي مثلا أن أقول أن أبا رغال كان يعمل للدولة العالمية . صحيح أنه خان قومه وخان دينه، ولكنه فعل ذلك لغاية سامية في ذاتها ! صحيح أنه كان دليلا لاعداء أمته الاحباش في قصدهم هدم الكعبة، ولكنه فعل ذلك لانه كان عميق الايمان بمثل أعلى هو توحيد الاديان من الناحية الثيولوجية والقضاء على أسطورة التمييز العنصري من الناحية الانثروبولوجية .. وأشياء مثل هذه كثيرة . تقول لي أن الجنابي وأبا رغال متقاربان؟ لا يا صديقي .. الجنابي حفيد بهرام، أنه غير عربي، وليس مستغطا عليه أن يسعى الى هدم دين العرب ودولة العرب . أما أبو رغال فقد كان عربيا من ثقيف ، سعى الى هدم كعبة قومه وحرية قومه . ان لعنتنا عندئذ يلعن أكبر ، وهالته عند التقديس أوسع ..

فضحكت وقلت لصاحبي : — تكاد تقنعني بأن أبا رغال يستحق كل هذا الجهد وهذه العناية منك .. أو بأنه انسان كان يخون عن عقيدة وايمان . غير ان هذا يتضارب وما سمعته منك منذ أيام . قيل لي منذ أيام انك كنت تنوي الحج الى بيت الله الحرام في العام الماضي . لو انك حججت ، ماذا كنت تفعل عند قبر ابي رغال ؟ هل تقرأ له الفاتحة ؟

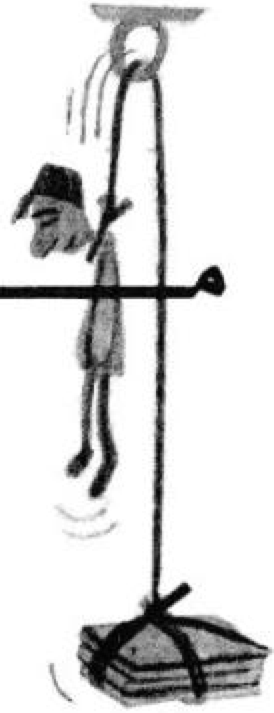
بأكبر حجر ..

وهنا جاء دور صاحبي في الضحك.. ضحك ضحكة قصيرة وقال :

— ماذا كنت أفعل عند قبر أبي رغال؟ اسمع هذه الحكاية : ادعى « مزدك » النبوة في عهد « خسرو قباذ » ملك الفرس، والد « أنوشروان » ، وزعم ان الله بعثه ليأمر بشيوع النساء والاموال بين الناس كافة ، وليشتركوا فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ ، لانهم كلهم اخوة أولاد أب واحد .. كان رجلا مثاليا كما ترى ، يهدف في هذا الى أن يحسم المنازعات بين البشر لان المنازعات تحدث بسبب النساء والمال وانقاد «خسرو قباذ» الى مذهب « مزدك » ، وللتوكيد على ايمانه الصحيح اباح للنبي الجديد أن يخلو بالملكة زوجته . حينئذ ترامى « انوشروان » بن قباذ ، على قدمي « مزدك » باكيا متوسلا اليه الا يقرب أمه ، فسمع « مزدك » توسلات الابن وابتعد عن الملكة . ولما ولي «أنوشروان» الملك بعد أبيه كان أول ما فعله ان قتل « مزدك » انتقاما لما كان هم به . ولما توسل اليه هذا قال « أنوشروان » : لن أنسى نتن قدميك حين قبلتهما ! .. وأنا يا صاحبي قد أؤلف كتابا مطنطنا عن أبي رغال ، لاني لم أجد ملعونا غيره لم يتعرض الى الكتابة عنه وتقديسه كتابنا العصريون من مخلصين ومغرضين ، ومن انسانيين وشعوبيين . ولكني مع ذلك لن أنسى ان أبا رغال مستحق للرجم ، لانه مستحق للعنة .. وأنه استحق هذه وذاك لخيانته قومه وخيانته دينه . تسألني ماذا أفعل اذا وقفت عند قبر أبي رغال ؟ سأتناول أكبر حجر أجده في الجوار فأرجم به قبره ، قبر ذلك الملعون الذي طال في البحث عنه تعبي ..

عبد السلام العجيلي
الرقة — سورية

مؤامرة



■ كميت هيكل مسح دبير منجـــرد ، قيد الاوابد جياش على الذبل ، مكر مفر مقبل مدبر معا ، حزد فزد يطلع ابه !! تمام يا اخ ، هـو الحصان الذى كان الشاعر الجاهلى « امرؤ القيس » يحب أن يتفسح به بين الدخول فحومل ، والذى لا اشـك فى انك قد زلت مثلى عن صهوانه ولازمت الفراش يومين متأثرا بجراحك

وحصان آخر لابد انك قد نلت منه رفصة حادة وهو حصان السيد « عنترة » ، المتسربل بالدم وقد غاصت الرماح فى صدره « معلرة أعنى لبـانه » كأنها أشطان بئر ، مزوبا متحمحما شاكيا الامر الى عنترة الذى لم يهمه شىء فى تلك الظروف الدامية سوى قيل الفوارس ويك عنتر اقدم !

حصانان كنت اظن انهما قد ماتا بعد أن دخـل التلميذ المصرى عصر الصواريخ ، فاذا بى افاجأ بهما ــ بالاخير منهما على الاقل ــ فى كتاب النصوص الذى يدرس لولدى بالمدرسة الاعدادية ، والذى يحمل ذلك العنوان الذى يحسد بحق على جرأته : **النصــوص الادبية « الجديدة »** !

عام بعد عام يطلق المسئولون عن التربيـة تلك الخيول المتوحشة على التلميذ المصرى التعس ، لتدوسه بالاقدام وتحطم ضلوعه وتعلبه ، وتملأ دماغه بكلمات خشنة ومرة متحجرة فقدت على مر الزمن كل قيمـة معنوية . ومرفوضـة مقدما تلك الحجة القائلة باننا يجب

● محمــد عفيــفى ●

على التلميذ المصرى المعاصر!



ان نعمل على اثراء لغة التلميذ ؛ فاين يوجد «معنى « الثراء » ونحن نقدم له عملة بائدة لن يتاح له أن يستخدمها فى اى سوق من الاسواق ! اننا نتعمد ونحن نقدم له تلك الكلمات الجافة الجارحة أن نصدمه ونربكه ونعذبه وكاننا نقول له : تلك هى لغتك ياولد ؛ فلتكره لغتك الى الابد !.

وفى ذات يوم عباس نحس ؛ فى لحظة من اللحظات النادرة التى لم يكن « البحترى » مشغولا فيها بالخليفة المتوكل أو بالمعرفة لابن خاقان ؛ طلع فى دماغه ان يكتب قصيدة عن الربيع الطلق الذى اتاه يختال ضاحكا ؛ غير متخيل بالطبع أن تلك القصيدة سوف تصبح ذات يوم صحنا رئيسيا على مائدة التلميذ المصرى ـ تماما كصحن الفول المدمس !

انا حفظت تلك القصيدة وأنت حفظتها ؛ وولدى اليوم يحفظها مع ولدك فى الكتاب المشار اليه ؛ واذا لم تحدث معجزة فسيظل احفادنا واحفاد احفادنا يتناقلونها جيلا بعد جيل ؛ الى ان يأتى يوم تبرد فيه الشمس وتزحف على الدنيا الثلوج وما يبرح التلميذ المصرى يتحدث عن الربيع الطلق الذى أتاه ضاحكا ! فهى محاولة فذة لتخليد قصيدة عادية جدا وربما رآها البعض سخيفة ؛ تلك المحاولة التى لا أعرف ان كانت ترجع الى رداءة ذوقنا او الى كسلنا عن التنقيب فى التراث عن قصيدة احسن ؛ او الى أن للبحترى بعض الاحفاد المجاملين فى وزارة التربية !

مؤامرة على التلميذ المصري المعاصر!

ثم ينبرى السيد « ابو فراس الحمداني » في نفس الكتاب لكى يصف للتلميذ المصرى المعاصر كيف أنه يصدى « اى يعطش » الى ان تروى البيض والقنا وهى السيوف والرماح ، وكيف أنه يسغب اى يجوع حتى يشبع الذئب والنسر ! اى انه لاتتم له السعادة وراحة البال الا وسط بحر من الدماء ، ووسط مئات الجثث التى تنهشها الذئاب والنسور ، تلك الصورة الوضيعة التى لا ادرى كيف سمحت نفوس المسئولين عن اختيار النصوص بتقديمها لاولادهم واولادنا .

ويشعر المسئولون عن الكتاب بأن المسألة تحتاج الى شىء من العصرية فيشرعون فى تقديم بعض الشعراء الجدد ، بادئين بشاعر يصفه هامش الكتاب بأنه «تخرج فى دار العلوم» (ويخيل الى انه يجب ان يكون قد تخرج منها لا فيها !) وعمل مدرسا ثم صار استاذا فى دار العلوم ووكيلا لها ، ثم ترك العمل ببلوغه الستين وله أكثر من ديوان » . فما ان تشرع فى قراءة القصيدة حتى تدرك ان العصرية شىء يختلف كل الاختلاف عن مجرد « التواجد » فى العصر . فهو يحدثنى عن ليل «ضواه» القمر لا أضاءه ، ويعرض على بلا مناسبة معرفته بذلك الفرق الخطير بين الخبر بضم الخاء والخبر بفتحها ، وسارحا بى فى الظل الفينان وبين شىء من الدرارى الزهر يقول لى ان العلم قد اخرج شطأه وان الانسان قد تحرر من رق حتى منه القصر . واذا كنت فضوليا فلتعلم أن الشطء من الشجر — كما يقول هامش الكتاب — هو ما خرج حول أصوله ، ومن النخل والزرع فراخه أو ورقه . وأما القصر — على وزن سبب — فهو أصول الاعناق ومفرده قصرة ! وانك لتحتاج الى ان تأخذ منحة تفرغ لكى تتوصل الى اكتشاف السبب الذى يجعل ولدك محتاجا الى معرفة ما هو الشطء وما هو القصر . فالشاعر لكى يكون عصريا — كما ترى — يحتاج الى اشياء اكثر بكثير من أن يكون على قيد الحياة .

وشاعر « عصرى » آخر يقدمه الكتاب قائلا انه «من أكبر الاسر مجدا وعلما وأدبا ، وان كثيرا من شعره قد نشر فى المجلات الادبية » . لماذا لم ينشر شعره كله لا يقول لنا الكتاب ، ولكننا بالطبع لن نسرف فى الفضول . وهذا الشاعر قد اختار فى تلك القصيدة أن يتغزل فى أبيه ، ولا شك أن حب الانسان لابيه



عاطفة نبيلة ، غير أنه فى سبيل تلك العاطفة يستهتر بعض الشىء بالحقائق التشريحية للجسم البشرى ، قائلا أنه يوجد له – للشاعر – خلف ضلوع أبيه قلب راحم ولم ؛ فى حين أن الفم كما نعرف من النادر أن يوجد فى التجويف الصدرى . أضف الى ذلك أن عاطفة الشاعر تدور فى جو مقبض من السقم والغم والنقم التى أستبعد أن تستهوى تلميذ الاعدادى ، ولست اشك فى أنه سوف يبدأ فى النفور من أبيه عندما يعلم من الشاعر أن عنده من « رمسيس » الوجد شوقا ليس ينكتم ! فالبحترى كما ترى يهون الان بالربيع الطلق الذى أتاه ضاحكا ، ويوشك أن يكون عصريا اكثر من شعراء العصر !

وشاعر ثالث يقول عنه الكتاب أنه « عين فى حداثة سنه بوزارة الاوقاف بعد إجتياز مسابقة ، وظل يرقى فيها بجده ومثابرته وكفايته حتى عهد اليه بأعمال ذات تبعات وصار مراقبا عاما بهذه الوزارة » . وليس من شك فى أن هذه صفات تثير فى نفس المرء اعجابا شديدا بالرجل ، حتى وان لم يعرف ما وجه العلاقة بينها وبين الشعر كفن جميل . والحق يقال أن هذا الشاعر قد اختار موضوعا ممتعا فى العصرية هو القمر الصناعى ، واصفا اياه وهو يذرع الافق جيئة و « ذهوب » ، ويدور حول الارض مئات المرات دون « لغوب » ، ويتطلع الى الارض من شمال (بالهمزة تيمنا بامرىء القيس) وجنوب ، كاشفا من الغيب والمجهول كل عجيب وقد كانت هذه القصيدة فرصة نادرة لمؤلفى الكتاب لكى يشرحوا للتلميذ ذلك الفرق الدقيق بين الشعر الذى هو شعر وبين الكلام الموزون المقفى ، ولكنهم للأسف ضيعوا تلك الفرصة وقدموا القصيدة للتلميذ الغلبان بوصفها شعرا ؟

من كل هذه الامثلة نرى أن هناك شبه مؤامرة لتنفير التلميذ المصرى المعاصر من اللغة العربية ، وايهامه بأن الشعر لا يخرج عن كونه نوعا من التلاعب البهلوانى بألفاظ غير مفهومة . وفى هذا الوقت الذى نفكر فيه فى تطوير برامج التعليم أعتقد أننا يجب أن نعمد من فورنا الى القضاء على هذه المؤامرة . وشىء ما – شىء جدى وحاسم – يجب أن يفعل لتطوير كتب النصوص ، والحد من نشاط تلك الجمعية التى لا أجد شيئا أسميها به أحسن من جمعية المتلفين بالتلميذ المصرى المعاصر !

عبد الرحمن فهمي

اصيب مأمون محمد شتا بالسعار وانطلق فى الطرقات ينهش وينبح الناس . ولحسن حظ اهل المدينة قبض البوليس عليه قبل ان يعض احدا وينقل اليه العدوى . ولما كانت المدينة خالية تماما من الكلاب ، فقد امر رئيسها بالتحقيق لتحديد مصدر العدوى والقضاء عليه فوريا حتى تظل المدينة محتفظة بسمعتها ، وهذه صورة من محضر التحقيق

اقوال المسعور
مأمون محمد شتا

المحقق : اسمك ؟

المسعور : هاو هاو

المحقق : عمرك ؟

المسعور : هاو هاو

المحقق : مهنتك ؟

المسعور : هاو هاو

المحقق : اين وقعت حادثة عضة الكلب ؟

المسعور : هاو هاو

المحقق : وقعت فى المدينة او خارج المدينة ؟

المسعور : هاو هاو

المحقق : هل لديك اقوال اخرى ؟

المسعور : هاوووه .. هاوهاوو .. هاوهو .. هاوو ..؟!

المحقق : «اكالب التحقيق»

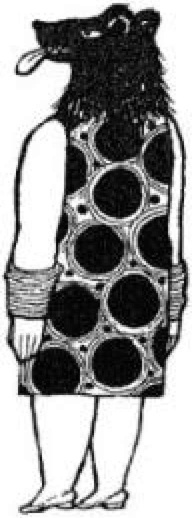
ولما كان المسعور عاجزا عن التوقيع على اقواله ، فقد اكتفينا بذلك ، وامرنا باستدعاء زوجة المسعور لسؤالها عن معلوماتها عن الحادثة .

المسعور



● ريشة : حلمى التونى ●





اقوال الزوجة

المحقق : اسمك ؟

الزوجة : مفيدة احمد منصور .

المحقق : عمرك ؟

الزوجة : ثلاث وعشرون سنة .

المحقق : ما معلوماتك عن حادثة زوجك المسعور مأمون محمد شنا ؟

الزوجة : كنا جالسين نتغدى يوم الجمعة مع الاولاد في امان الله ، ومن غير مناسبة انحنى مأمون على طبق الشوربة والخلد بلعقه بلسانه ، ولما قلت له انه هذا عيب ولا يليق برجل كبير محترم نبح ، فخفت وجريت ، ودخلت حجرة النوم واغلقت الباب على بالمفتاح .

المحقق : والاولاد .. ماذا فعلوا ؟

الزوجة : لا اعرف ، ولكني سمعت ضحكا ..

المحقق : عندكم ولد ؟

الزوجة : اثنان .. محمد ونادية .

المحقق : صغيران طبعا ..

الزوجة : محمد عنده ثلاث وعشرون ونادية احدى وعشرون سنة ..

المحقق : ماذا ؟ انت في عمر ابنك ؟!

الزوجة : ربما اكون قد اخطأت في تقدير عمر محمد وعلى كل حال سمعتهما يضحكان ، ثم سمعت باب الشقة يفتح ويغلق بعنف وبعد ذلك قالوا لي انهم قبضوا على مأمون وهو ينبح في الشارع .

المحقق : والولدان .. لم يفعلا شيئا ؟

الزوجة : لا اعرف ، فعندما فتحت باب حجرة النوم وخرجت لم اجدهما في الشقة .

المحقق : خرجا وراء المسعور ؟

الزوجة : لا اعرف ، لم اجدهما فقط .

المحقق : ولم تسالبهما عندما رجعا ؟

الزوجة : نسيت .

المحقق : ومـاذا فعلت انت عندما علمت أن زوجك مقبوض عليه ؟

الزوجة : ومـاذا كنت تريدني ان افعل ؟

المحقق : انا الذي اسأل يا ست مفيدة .. !

الزوجة : لم افعل شيئا بالطبع ..

المحقق : طيب مـا رأيك فيما حدث لزوجك ؟ اريد رأيك الشخصي ..

الزوجة : في أي شيء ؟

المحقق : في هذا السعار الذي اصيب به ..

الزوجة : آه .. رأيي انه طول عمره كلب وابن كلب .. !

المحقق : لا اقصد رأيك في شخصيته .. اقصد في اصابته ..

الزوجة : من الطبيعي ان الكلب ينبح ويعض ..

المحقق : يا ست مفيده .. السعار مرض لا يأتي الا بالعـــدوى من كلب مصاب ..

الزوجة : لا اعرف ..

المحقق : والمدينة خالية من الكلاب كما تعرفين ..

الزوجة : طبعـــا .. مدينتنا مدينة بلا كلاب ..

المحقق : فاين قابل زوجك الكلب .. او اين قابل الكلب زوجك ..؟

الزوجة : لااعرف .

المحقق : هــل سافر زوجك خارج المدينة ؟

الزوجة : لا اعرف .

المحقق : طيب .. من هم اصدقاء زوجك ؟

الزوجة : لا أعرف .

المحقق : هــل لديك أقوال اخرى ؟

الزوجة : لا ..

المحقق : اذن وقعي هنا .. « للكاتب » **وتم اقفال المحضر في الثالثـة وعشر دقائق وامرنا باستدعاء ابن المسعور لسؤاله .**

المسعور

اقوال ابن المسعور

المحقق : الاسم والعمر والمهنة ؟

الابن : محمد مــأمون محمد شتا .. تســـع وعشرون سنة .. مهندس في شركة الاعمال السريعة .

المحقق : ماذا تعرف عن اصابة ابيك بالسعار ؟

الابن : كنا نتغدى و...

المحقق : « مقاطعــا » ولعق طبق الشوربة ثم نبح .. امك قالت هذا .. اريد معلومات جديدة

الابن : مثل .. ؟

المحقق : الم تلاحــظ عليه مثلا اية اعــراض في الايام الاخيرة ؟

الابن : « متفكرا » لا اظن .. ولكن ..

المحقق : ولكن ماذا ..؟

الابن : اذكر انني رأيته يبتسم منذ اســبوع او اسبوعين .. لا اذكر الموعد تماما ..

المحقق : المهم انك رأيته يبتسم .. متأكد ؟

الابن : تماما .. حتى انني خفت عليه ساعتها ..

المحقق : مم ؟

الابن : لااعرف بالضبط .. ولكن كان تصرفه غير طبيعي ، فخفت ..

المحقق : المدينة خالية من الكلاب كما تعرف ..

الابن : طبعا .. مدينة بلا كلاب .. هذا شـعار مدينتنا ..

المحقق : فمن اين جاء الكلب الذي عض اباك ؟

الابن : لا أعرف ..

المحقق : هل سافر ابوك خارج المدينة أخيرا ؟

الابن : ربما ..

المحقق : الا تستطيعان تحدد ان كان أبوك سافر أم لا ...؟

الابن : لا استطيع تماما .. فانا لا اراه الا مرة كل اسبوع .. او بالضـبط

ساعة الغداء فى كل يوم جمعه ..

المحقق : الا تقيم صحة؟

الابن : طبعا ..

المحقق : اذن كيف لاتراه الا ساعة الغداء كل يوم جمعه .. ؟

الابن : لان يوم الجمعة هو يوم الاجازة ..

المحقق : وفى بقيـــة الايام ..

الابن : اخرج فى السادسة صباحا قبل ان يصحو ، وارجـــع فى الثانية بعد منتصف الليل وهو نائم .

المحقق : تعمل فى الشركة عشرين ساعة ؟

الابن : اعمل ســـت ساعات فقط .. القوانين كما تعرف سعادتك لاتسمح باكثر من ست ســـاعات عمل ..

المحقق : والاربع عشرة ساعة الباقية ..

الابن : انا ..انا شاب .. و .. وبعض المـــرح والتسلية ضرورى كما تعرف سعادتك

المحقق : بمناسبة المرح والتسلية .. هل تعـرف شيئا عن اصدقاء ابيك ؟

الابن : ليـــس لابى اصدقاء ..

المحقق : ابدا ؟

الابن : فى حدود معرفتى .. ولكن ربما ..

المحقق : ربما ماذا ؟

الابن : ربما كان الحاج مرسى البقال صديقه ، فقد رأيته يقف فى دكانه عـــدة مرات ...

المحقق : هـــل لديك اقوال اخرى ؟

الابن : لا ..

المحقق : اذن تفضـــل بالتوقيع هنا .. بل انتظر لحظة .. هناك ســؤال نسيته ..

الابن : انـــــا تحت امرك .

المحقق : قالت أمك ان اباك نبح ثم فتح باب الشقة وخرج ..

الابن : بالضبط ..

المحقق : لمـــاذا ضحكت .. انت واختك ؟

الابن : ماذا تقصـــد سعادتك بالضبط ؟

المحقق : امك قـــالت انها سمعت ضحكا .. فمن الذى ضحك ؟

الابن : نحن .. اختى وانا ..

المحقق : مم .. ؟

الابن : من منظر ابى وهو ينبح كالكلب ..

المحقق : الم تتصور ان هذا قد يكون مرضا لمرض معد .. وان ..

الابن : « متاطعا » نعم .. نعم .. اعرف ان هذا داء الكلب كما يسموته فى الطب .. ولكن المنظر كان مضحكا فضحكنا ..

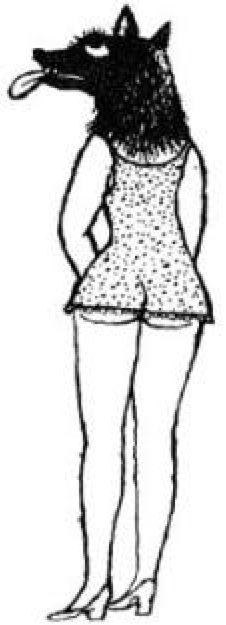
المحقق : ولم تحاول ان تمنع اباك من الخروج ؟

الابن : « مســـتنكرا » امنعه ..؟ ولمـــــاذا ؟ هو حر ..

المحقق : ولكنه قـــد يعض الناس فى الشـــارع وينشر العدوى ..؟

الابن : ســـيدى .. لا اظن أبدا أن حماية الناس من الامراض من عمـــــل المهندسين ..

المحقق : آه .. فاتنى هذا .. اسف .. تفضـــل بالتوقيع هنا .. هذا اذا لم يكن لديك اقـــوال اخرى ..



الوال ابنة المسعور

المحقق : الاسم والسن والمهنة .. ؟

الابنة : نادية مأمون محمد شتا .. سبع وعشرون سنة .. صحفية في جريدة .

المحقق : « مقاطعا » لحظة من فضلك .. انت في السابعة والعشرين .. وامك قالت لي انها في الثالثة والعشرين ..

الابنه : امي في الثالثة والخمسين ..

المحقق : تنقص من عمرها ثلاثين سنة .. وفي اوراق رسمية ؟

الابنه : هذا السؤال يوجه الى امي ... سيجارة ؟

المحقق : تفضلي .. « يقدم اليها علبة سجائره وفي نفس الوقت تقدم هي اليه علبة سجائرها » جربي هذا ...

الابنه : الفل الامريكاني .. جرب انت ..

المحقق : اشكرك ... لا ادخن الامريكاني .. نعود للتحقيق .. متزوجة ؟

الابنه : لا ..

المحقق : ارى في يدك دبلة زواج ..

الابنة : هذه ؟ « تضحك » كلا .. انها هدية من صديق ..

المحقق : آه ..

الابنه : لا شيء تهمس ارجوك ... انه صديق العائلة ..

المحقق : ابوك يعرفه ؟

الابنة : « تفكر » لا اظن .. لا اذكر انهما تقابلا ..

المحقق : واخوك قابله

الابنه : ربما لم يقابله ولكنه يعرفه .. فقد تحدثنا عنه عدة مرات ..

المحقق : وامك ؟

الابنة : مالها ؟

المحقق : قابلته ؟

الابنة : اوه ... كثيرا .. كثيرا جدا .. ولكن .. لم كل هذا الاهتمام بشاب اهدى الى دبلة زواج ..؟ هل له علاقة باصابة ابي بالسعار ؟

المحقق : كلا كلا .. معذرة .. نعود لاصابة ابيك .. هل لديك معلومات ؟

الابنة : مثل ؟

المحقق : امراض مبكرة مثلا ..؟ هل لاحظت عليه شيئا غير عادي في الايام الاخيرة ؟

الابنة : « تحاول التذكر » شيء غير عادي .. غير عادي .. غير عادي « في حماس » نعم ..

المحقق : ماذا ؟

الابنة : منذ اسبوعين على ما اذكر .. عرض على علبة سجائره لاخذ سيجارة فلما اعتذرت له بانني الفل الامريكاني غضب .. مع ان المسالة بسيطة .. هل غضبت انت عندما اعتذرت من سيجارتك ..؟

المحقق : غضبت ؟ طبعا لا .. المسألة مسألة مزاج يا .. آنسة ..

الابنه : ولكنه غضب وصرخ في وجهي .. والقى بعلبة سجائره على الارض وداسها بحذائه .. وقال اشياء كثيرة غير مفهومة ..

المحقق : مثل ..؟

الابنة : مثل .. مثل .. الفلسفة قال . حتى السيجارة لا اجد من يدخنها معي .. كلام غير مفهوم .. اليس كذلك يا حضرة ..؟

المحقق : فعلا .. كلام غريب ..

الابنة : واخذ يسخط كل شيء ويعيب في كل شيء .. حتى فخذي .. قال انهما لا يعجبانه وانهما ارفع مما ينبغي .. هل هذا صحيح ؟ انظر .

المحقق : طبعا غير صحيح .. انهما جميلتان ...

الابنة : ومطابقتان لاحدث مقاييس الجمال يا حضرة .

المحقق : فعلا .. فعلا .. ولكن .. ولكنني لا .. لا ارى صلة بين رأيه في فخذيك واعراض السعار ..

الابنة : انت الذي سألتني عن الاشياء غير العادية التي لا حظتها عليه ..

المحقق : الصدق طبعا الاعراض المتصلة بالسعار

الابنة : انا لم الاحظ الا ما اخبرتك به .

المحقق : حسن .. آه .. هل .. هل تعرفين اصدقاءه .. ؟ من هم اصدقاؤه ..؟

الابنة : لا اعرفهم .. ولكنني كنت اراه يقف طويلا عند الحاج مرسي البقال ..

المحقق : اخوك حدثني عن الحاج مرسي البقال .. فهل تعرفين غيره ؟

الابنة : كلا ..

المحقق : هل لديك فكرة عن الكلب الذي عضه ؟

الابنة : انت تعرف ان مدينتنا بلا كلاب ..

المحقق : نعم .. ولكن .. لابد ان كلبا عضه .. فهل سافر الى الخارج مثلا ..؟

الابنة : كلا ..؟

المحقق : متأكدة ..؟

الابنة : طبعا .. انا صحفية والاخبار عندي اولا بأول ...

المحقق : اخبار مأمون محمد شتا .. ؟

الابنة : كله كله يا حضرة .. كل الاخبار .. كل الناس .. هذا عملي ..

المحقق : يعني انت متأكدة من انه لم يسافر ..

الابنة : متأكدة تماما يا حضرة ...

المحقق : فاين تتصورين ان الكلب قابله وعضه ..؟

الابنة : هذا السؤال يوجه الى الكلب او الى ابي ..

المحقق : حسن .. هل لديك اقوال اخرى ؟

الابنة : هل لديك انت اسئلة اخرى ؟

المحقق : كلا . ويمكنك ان توقعي على المحضر وتنصرفي .. بل انتظري . آسف هناك سؤال انساه دائما .. لماذا ضحكت انت واخوك عندما نبح المسعور وفتح الباب وخرج ؟

الابنة : لماذا ضحكنا ؟ استطيع انت ان ترى اباك ينبح كالكلب ولا تضحك ..؟

المحقق : انا الذي اسأل يا انسة ؟

الابنة : وانا اقول لك جرب .. جرب ان ترى اباك ينبح وانت تعرف لماذا اضحكنا ..

المحقق : حسن . حسن وماذا فعلت عندما رايت المسعور ينبح ويخرج الى

الشارع .. ؟

الابنة : اسرعت خلفه طبعا .. لم اضيع ثانية واحدة ..

المحقق : ولكنك عجزت من منعه كما اعتقد ..

الابنة : (مستنكرة) عجزت من منعه .. ؟ من اى شىء ؟

المحقق : من أن يعض الناس وينشر العدوى ..

الابنة : هل تظننى طبيبة فى البلدية .. انا صحفية ياسيدى واعرف عملى جيدا ..

المحقق : ولماذا اسرعت خلف المصور اذن ؟

الابنة : اسرعت خلفه بالكاميرا لالتقط له بعض الصور .. وفعلا .. التقطنا صورا نادرة .. صورا ستثير ضجة عند نشرها غدا .. رجل يتحول الى كلب وينبح ويعض الناس .. والناس تجرى .. وهو يجرى خلفهم .. وينبح .. ويعض .. وينبح ويعض .. موضوع صحفى من الطراز الاول ..

المحقق : فعلا .. واذا لم يكن لديك اقوال اخرى فيمكنك أن توقعى على المحضر وتنصرفى ..

الابنة : اين تريدنى أن اوقع .. ؟

المحقق : هنا ..

الابنة : هل تمانع فى ان انشر هذا التحقيق فى الجريدة ؟

المحقق : كلا طبعا .. امانع ؟ لا بالنسبة .. عدالة مدينتنا ليس فيها اسرار . مدينتنا مفتوحة بالنسبة وليس فيها اسرار كل شىء من حق الجمهور .. مع السلامة (الكاتب)

وتمت اقوال ابنة المصور وامرنا باستدعاء الحاج مرسى البقال لسماع شهادته .

اقوال الحاج مرسى البقال

المحقق : الاسم والسن والمهنة ؟

مرسى : مرسى محمد مرسى .. السن خمسة وخمسون سنة .. والمهنة حاج وبقال ..

المحقق : ما علاقتك بالمصور ؟

مرسى : سى مأمون ؟. ربنا يشفيه ويشفى مرضى المسلمين اجمعين ..آمين .

المحقق : سألتك عن علاقتك به .

مرسى : يا سعادة البيه .. انا علاقتى بالجميع كلها خير ومحبة ، وكما قال سيدنا النبى عليه افضل الصلاة والسلام .. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

المحقق : عظيم .. عظيم ولكننى اسألك عن علاقتك بالمصور بوجه خاص ..

مرسى : ياسعادة البك لافضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى .. ؟

المحقق : يعنى ؟

مرسى : يعنى كلكم لادم وآدم من تراب ..

المحقق : فهمت السؤال ؟

مرسى : فهمته ياسعادة البك ..

المحقق : المصور صديقك ؟

مرسى : كل الناس اصدقائى ..

المحقق : اولاد المصور قالوا انه كان يقف معك طويلا ..

مرسى : كان يقف عندى فى الدكان .. ولكن ليس معى ..

المحقق : ولماذا كان يقف عندك فى الدكان ؟

مرسى : لانه صديقى ياسعادة البك ..

المحقق : الان كان يقف معك لا عندك .. هذه اذا

يتعامل الأصدقاء ..

مرسى : هذا ما كان يجب أن يكون ياسعادة البك .. وهذا ما اوصانا به سيدنا النبى عليه افضل الصلاة والسلام .. ولكن ..

المحقق : ولكن .. ؟

مرسى : السريالى ياسعادة البك كثيرة ... ولا تترك لى فرصة لأصل لهم حتى سلامته .

المحقق : المهم الدكان صديقك .. فماذا تعرف عنه ؟

مرسى : اعرف عنه كل شىء .. كل شىء ياسعادة البك .. منذ سكن فى الشارع موظفا صغيرا مرتبه ثلاثة جنيهات ، حتى امسكه البوليس وهو سمسار غنى يملك الآن عمارات ويتبسم فى الشارع .. وسبحان المعز المذل ..

المحقق : عظيم .. الآن عرف الكلب الذى عضه ؟

مرسى : الكلب نجاسة ياسعادة البك ..

المحقق : ولكنه عضه . ؟؟

مرسى : مدينتنا بلا كلاب ياسعادة البك .. وسعادتك تعرف هذا ..

المحقق : اذن لابد انه سافر خارج المدينة ..

مرسى : أبدا .. لم يسافر منذ ثلاثين سنة ..

المحقق : متأكد ؟

مرسى : انني اراه كل يوم يا سعادة البك .. تمشى سيسافر ؟ مستحيل ..

المحقق : انا معك .. ولكننا نريد أن نعرف اين عضه الكلب ..

مرسى : وما اوتيتم من العلم الا قليلا ..

المحقق : ولكنك صديقه .. !

مرسى : انا صديق كل الناس يا سعادة البك .

المحقق : حسن .. هلا لاحظت عليه اية امراض .. ؟

مرسى : كان رجلا صالحا عامرا قلبه بالايمان يصدق عليه الله ممن رضى الله عنهم وارضاهم ..

المحقق : انا اسألك عن امراض السعار .. مرض الكلب .. تعرف اعراضه ؟

مرسى : الكلب نجاسة ياسعادة البك ...

المحقق : ولكنه يعض وتعدى ..

مرسى : وهو قبل كل شىء نجاسة .. والحمد لله ان الله سبحانه وتعالى كرم مدينتنا وجعلها بلا كلاب ..

المحقق : اسمع ياحاج .. هل المسمون أصدقاء غيرك .. ؟

مرسى : طبعا ياسعادة البك .. من ملاين سمسار كبير ونصف المدينة زبائنه ..

المحقق : انا اسألك عن أصدقائه ..

مرسى : اصدقاء التاجر زبائنه ياسعادة البك .. وكان ربنا يتولاه يتعامل مع كل الناس .. يبيع ويشترى ويكسب .. ويأخذ من هذا ويعطى هذا ويكسب .. ويبنى العمارة بعد العمارة . ويكسب .. كان رجلا كسيبا ياسعادة البك ..

المحقق : لم يكن له مجلس ؟

مرسى : عندى فى الدكان ..

المحقق : اقصد مجلس سمر .

مرسى : أستغفر الله .. من مأمون رجل صالح لايترك فرضا .. بل حتى لا يصليه قضاء لابد ان يصليه بمجرد ما يسمع الآذان .. صحيح ان بعض الصفقات كانت تضطره للسهر مع بعض الزبائن غير الصالحين ..

المسعور

ويجوز انه كان يجاريهم فى سهراتهم ولكن هذا كان بقصد التجارة لا بقصد الفسق والفجور. استغفر الله العظيم ..!

المحقق : ومن قال ان المجالس لا تكون الا للفسق والفجور يا حاج.؟ امثالكم من الصالحين لابد ان لهم مجالس فى المسجد مثلا .. تتدارسون وتسمعون الوعظ .. و..

مرسى : آه. فهمت .. فهمت .. استغفر الله العظيم .. لا تؤاخذنى يا سعادة البك .. ان بعض الظن اثم ..

المحقق : اذن كان للمسعور مجالس من هذا النوع ؟

مرسى : فى المسجد..! لم يحصل منذ اشتغل سمسارا ان دخل المسجد .. ابدا يا سعادة البك .. لم يحصل ابدا .. من اين يجىء بالوقت ياسعادة البك..! الشغل كثير وكان الله فى عونه..

المحقق : ولكنك قلت انه لا يترك فرضا ..

مرسى : طبعا .. ولكن الصلاة تجوز فى أى مكان .. وكان من مأمون يصلى الفرض فى اى مكان يكون موجودا فيه .. فى البيت .. فى الشارع .. عند زبون .. عندى فى الدكان ... فى أى مكان .. الصلاة تجوز فى اى مكان ياسعادة البك ..

المحقق : اذن .. لم يكن للمسعور اصدقاء غيرك ولا مجالس الا فى دكانك ..

مرسى : الاصدقاء كثيرون .. ولكن المجلس لا يكون الا عندى .. هذا ما اعرفه ..

المحقق : وبالتالى .. يكون الاحتمال الوحيد هو أن الكلب عضه اما فى البيت .. واما عند زبون .. واما فى دكانك .. وهذا الاحتمال مستحيل لان هذه الاماكن كلها فى المدينة ، والمدينة بلا كلاب ..

مرسى : بلا كلاب .. وهذا من نعم الله وكرمه ياسعادة البك ..

المحقق : هل لديك اقوال أخرى ؟..

مرسى : لا ..

المحقق : وقع هنا .. (للكاتب) وتم اقفال المحضر فى الساعة الرابعة والنصف .

من تقرير المحقق الذى رفعه الى رئيس المدينة

... وبما ان مدينتنا بلا كلاب كما هو معروف وثابت ، وبما ان المسعور لم يسافر الى خارج المدينة كما ثبت من اقوال الشهود ، فاننى أرى ان المسعود ليس مسعورا ، وان الامر كله مجرد مزاح سخيف . ويؤكد هذا الراى ماثبت لنا من كلام الشهود من انه رجل اعمال ناجح ورب اسرة ناجحة ، ومثل هذا الشخص لا يستبعد ان يلجأ الى هذا المزاح المزعج من باب التسلية ..

لهذا كله امرت بتقديم المسعور للمحاكمة بتهمة ازعاج السلطات ونشر الذعر بين الناس والعمل على تشويه سمعة المدينة

ملاحظة

علمت بعد اعداد هذا التقرير ان المسعور مات فى المستشفى ، وانه قبل ان يموت كان يخاف من الماء ويسيل الزبد من شدقيه . ولكن هذه الاعراض ليست مهمة مادام المسعور نفسه قد مات . بموته سقطت الدعوى نهائيا وحفظت القضية .

د. علي الراعي

عشرون عاما على مولد

الكوميديا الجديدة

في عام ١٩٥١ انتهى نعمان عاشور من كتابة أولى مسرحياته : « حياتنا كده » ، وهي التي أسماها فيما بعد : « المغماطيس . » ووصفها بأنها : « كوميديا من أربعة فصول . »

كان قد انقضى على وفاة الريحاني حوالي عامين . وكان الكسار قد ترك ميدان الكوميديا - عمليا - قبل ذلك التاريخ بسنوات . وبدا للناس أن الميدان قد أصبح خاليا من المبدعين . وأن سنوات طويلة لابد أن تمر قبل أن يقوم من يستطيع ملء الفراغ الكبير الذي تركه هذان القطبان الكبيران من أقطاب الكوميديا .

ولكن تاريخ الأدب المسرحي كان قد قدر شيئا آخر .

ففي عام ١٩٤٢ ، كانت كلية الآداب من جامعة فؤاد الأول ، قد أخرجت إلى الحياة من بين خريجيها العديدين في ذلك العام ، شابا خفيف الظل ، حلو الدعابة ، مر النقد ، ذكي الفؤاد ، تمور في قلبه وفكره رغبات عارمة للثورة على مجتمع كان يراه متعفنا في كل مظهر من مظاهره .

وكان هذا الشاب يجمع بين الفكر الاشتراكي والرغبة في « أداء » هذا الفكر على نحو بصري ، مجسد أمام جمهور . وكان قد جرب حظه من قبل ، أيام الدراسة ، في كتابة اسكتشات تمثيلية كان يقرؤها بنفسه على زملائه في الدراسة . فإن لم يجد منهم تطوعا لسماعه ، ألقى عليهم القبض القاه ، وأصر على أن يسمعوهم أعماله ، أقبلوا عليه أم أعرضوا .

وكان هذا الشاب هو « نعمان عاشور »

نعمان عاشور في "المغماطيس"



وكوميديا : « المغماطيس » التي كتبها الشاب « نعمان » واخذ يعرضها على استحياء على أصدقائه وعلى الفرق المسرحية ، هي نوع جديد في الكوميديا المسرحية التي عرفتها بلادنا حتى ذلك التاريخ ، والتي اعتمدت أساسا على تراث الكوميديا الشعبية المصرية تارة ، وعلى المسرحيات المعصرة من أصول فرنسية وانجليزية – فرنسية غالبا – تارة أخرى .

ان التماعات المغماطيس الي الكوميديا الشعبية المصرية قليلة الي درجة تلفت النظر . وهذه حقيقة سنثبت حالا مدى ما فيها من كسب وخسارة لفن الكوميديا بوجه عام .

وحتى حينما نلتقى كوميديا نعمان عاشور بنماذج وشخصيات من الكوميديا الشعبية ، لا تلبث عين الكاتب الفاحصة وروحه النافذة الى جوهر الاشياء أن تتسرب الى داخل الوعاء الذى تعرض الكوميديا الشعبية مظهره الخارجي وحسب . فاذا بالشخصية النمطية تتحول عند « نعمان عاشور » الى شخصية كاملة الاستدارة ، لانه سرعان ما يكتشف ما يدور داخلها من صراع وانقسام ، وما يمور فى اعماقها من رغبات واحاسيس متعاقبة .

اذ ذاك تتحول شخصيات الكوميديا الشعبية الى كائنات حية ، وتترك جذورها التقليدية ، ولا يعود لها من الاصل الا المظهر الخارجي .

**

وقد كتب نعمان عاشور : « المغماطيس» ليضحك الناس ويفرحهم معا . أملى عليه هذا الهدف المزدوج ثورته الاجتماعية وفكره الاشتراكى ، وساعده حبه للناس ورغبته الطبيعية فى مخالطتهم — بل فلنقل أمانه التملؤ الطبيعى لهم واحساسه غير المخلوط بأنهم اهله وناسه — على أن ينتزع موضوعه من حياة الناس الفعلية .

لهذا — مرة اخرى — تحركت تماثيل الكوميديا الشعبية تحت بصر نعمان عاشور ، وسالت القوالب بما احتوت، تنفجر منها الاعاجيب ، وأصبحنا ازاء كوميديا جديدة ولدت بين ظهرانينا ، وأصبحت تعرف فيما بعد بالكوميديا الانتقادية ، المصرية حقا ، مولداً ، وفكراً وعاطفة وروحا .

**

تعرض « المغماطيس » لمصائر افراد اسرة مصرية من الطبقة الوسطى الصغيرة، تعيش فى القاهرة فى أواخر الاربعينات رأس الاسرة سيدة فى الخمسينات ، مات زوجها ، وكافحت الكفاح المر التقليدى الذى يخوضه افراد طبقتها فى مواقف مماثلة ، من اجل تربية ولد لها وبنت مات عنهما الزوج .

أما الولد فقد واصل تعليمه فى القاهرة ثم سافر الى فرنسا لدراسة علم التحليل النفسى ، وعاد بعد سنوات ليواجه وضعا قلقا مزعزعا . فهو ضائع بين حضارة متقدمة تلقف ثمارها سنوات متصلة ، وبين تقاليد وعادات موروثة عرفها منذ بدء حياته .

وهو مضطر الى العيش فى حى شعبى — درب عجور — حيث الناس ينظرون اليه على انه نوع من شمهورش ، ويترقبون منه الخدمات ذاتها التى يقدمها ذلك الوسيط التقليدى بين الانس والجن ?

وأخته ، البنت الناضجة قمر ، تعلمت حتى أصبحت مؤهلة للتدريس فى احدى المدارس الابتدائية . وهى فى حيرة بين أن تصبح امرأة عاملة ، وبين أن تعيش حياة الدعة والكسل والعبودية التى يقدمها لها تاجر موسر تقدم لخطبتها .

حول هذه النواة الاجتماعية التى تصور مصر فى مرحلة انتقال ، وتقدم شخصيات

ثلثة ، محيرة بين عالم يموت ، وآخر لم يولد بعد ، بدير نعمان عاشور أحداث مسرحيته ، ويضيف اليها مزيدا من الشخصيات .

هناك التاجر الغنى المستغل ، الذى ينتمى بلا تردد الى مجتمع الثروة ، والنصب والاستغلال : **حسين ابو المال**، وهو يتقدم « لشراء » البنت قمر ، واثقا بسحر ماله ، وقدرته على ان يتخطى عقبة الفارق الكبير فى العمر بين العريس والعروس .

وهناك **عطوة افندى** ، الكاتب بمحل «ابو المال» ، الذى يسخط على الظلم ، ويحتج على النصب ، ولكنه عاجز عن ان يفعل شيئا ، غير تناول المخدرات وهو الاخر محير بين السخط على المجتمع الراسمالى ، وبين الرغبة المحمومة فى ان يقع له نصيب من الغنائم التى يوزعها ذلك المجتمع على افراد منتقين منه .

وهناك **الست فرحانة** ، التى تجمع بين مهنة الخاطبة ، ومهنة الوسيط التجارى ، وتشارك الحاج حسين ابو المال تجارته القذرة فى قوت الشعب ، وتوفق بين الرءوس فى الحلال ، لا يهمها اى رأس تجمع على اى راس !

وهناك التاجر الشريف ، والاخ الاصغر « المنكسر » للحاج حسين ابو المال . وهو **محمود** ، الذى التهم اخوه الاكبر نصيبه من الميراث ، ووظفه فى المحل الذى كان ينبغى أن يكون شريكا فيه ، لا موظفا ، يقنع براتب صغير يعيش منه .

**

ولو القينا نظرة فاحصة على هذه الشخصيات الرئيسية لوجدناها فى الاساس شخصيات نمطية ، بعضها معروف فى حقل الكوميديا الشعبية .

عطوة افندى ، بما يجمع من مكر وغباء ، ونقد لاذع وقدرة على التهريج ، وحيلة لا تنفد ، تعينه على الخروج من المازق ، هو فى اساسه المهرج الشعبى ، او الاراجوز .

والست فرحانه هى مثل الجوهر للخاطبة الشعبية التقليدية التى عرفتها الكوميديا الشعبية من اول **ام رشيد** فى بابة ابن **دانيال** المرونة : « **طيف الخيال** » الى **الست مبروكة** ، الخاطبة القادرة التى ابدعتها ريشة **يعقوب صنوع** فى مسرحية: « **ابو ريدة وكعب الخير** » الى خاطبة اليوم ، كما تتمثل فى افلامنا ومسرحياتنا .

وقريب هو شمهورش ، الساحر القادر على أن يأتى المعجزات ويغير مصائر البشر . هو هذا فى تصور شعب درب **عجود** ، الذى يسمع بمهنة الدكتور قريب ــ التحليل النفسى ــ فلا يفهمها فيضطر الى أن يردها الى اقرب ما يعرف من اشياء ، وهو الطب الروحانى .

والحاج حسين ابو المال ، هو الشرير ، او الاب ، او العجوز ، الذى يحاول التحكم بقوته او ماله او مركزه فى مصائر الشباب ، ويربط الى هيكله المحطم زوجة شابة متفجرة بالحياة . ونحن نلقى اشباها له فى المسرح الشعبى ، ما بين كوميدى وميلودرام . والكوميديا الشعبية الإيطالية تحوى نماذج كثيرة من هؤلاء العجائز الطامعين فى شباب الغير ، يشترونه

او يحصلون عليه قسرا ، أو بالخداع ، فم تكون النتيجة الحتمية ان تخدع الزوجة الشابة زوجها المتهالك مع اقرب عشيق من شباب الحيرة !

ومحمود ابو المال هو الشاب الطيب ، او العاشق ، الذى يطمع ان يجمع شمله بالفتاة التى يهفو اليها قلبه .

ولو قصرنا الحديث على هذه الشخصيات الرئيسية ، لوجدنا أن اساس المسرحية شعبى فعلا . غير ان نعمان عاشور لا يترك هذه الشخصيات التقليدية وشانها . وانما هو يتسرب الى داخلها واحدة واحدة ، فيكشف لنا عن شىء طريف حقا : ان ماساة كل من هذه الشخصيات تكمن فى انها لا تلعب الدور الذى يهيئه لها تاريخها السابق وانتماءاتها الطويلة الى الكوميديا الشعبية

**

غريب اللنجرى ليس شمهورش ، بل هو احتجاج تملى وفكرى على شمهورش ، وان كان به جزء ملحوظ من الشموزة .

وعطوة افندى ليس اراجوزا ، وانما هو رغبة متصلة فى التخلص من الاراجوز فى نفسه ، وفى نفوس الاخرين . انه احتجاج قائم على وجود « الاراجوز » فى حياتنا . كل ما هنالك انه لا قدرة له — ولا رغبة قوية — على التخلص من الاراجوزية فى نفسه وفى الغير . ومن ثم تجمع شخصيته بين الاراجوز وبين نقيضه .

وحسين ابو المال ، ليس التاجر المستغل وحسب ، وانما فى اعماقه شىء يحتج على هذه الشخصية ، ويطالبه بالعودة الى اصوله البسيطة ، أيام أن كان تاجرا شريفا مكافحا .

والبرر التى تتحرك احداث حياتها فى مجرى تقليدى تعرفه الكوميديا الذى لاريب والكوميديا المرتجلة المصرية حق المعرفة ، الا تجعلها تتزوج ، رغما عن اعمق اعماقها، من سيد موسر ، وتهيئها بهذا لدور الزوجة الشابة الغزلة المعروفة فى الكوميديا الشعبية — الزوجة التى تنتقم من الزوج السجان بالتقلب فى احضان العشيق — ثمر هذه تحتج على هذا الدور احتجاجا واضحا ، فتتبين فى آخر المسرحية ان الغنى هباء ، وأن العيش فى فيلا فاخرة يساوى السجن . ولكنها لا تصبح زوجة غزلة ، ولا تبحث عن الصحاب ، وانما تجد العزاء فى الكتب والموسيقى العالمية .

اما شخصية الخاطبة فرحانة ، فان نعمان يضفى عليها حيوية كبرى ، ويمنحها دورا كبيرا فى المسرحية ، تتحول معه من مجرد وسيطة زواج وتاجرة ، الى محركة لاحداث المسرحية ، وعامل هام فى حل عقدتها . وبهذا تستدير الشخصية الى حد واضح ، وتنسى — فى غمرة الاحداث — انها فى أساسها هى الشخصية النمطية المعروفة فى الكوميديا الشعبية .

شخصية واحدة فقط من هذه الشخصيات التقليدية الاساس هى شخصية الاخ « المتكسر » محمود ، تظل على حالها ، فلا تحتج . وان كان مصيرها لا يظل تقليديا ، فان محمود لا يحصل على الفتاة التى يحبها كما تقضى بهذا تقاليد الادب الشعبى عامة !



موليير

ومن الطريف بعد هذا أن الكاتب ترك باقي الشخصيات النمطية في مسرحيته دون تطوير لانها – في الواقع – لا تهمه .

الدبشولي العرقي ، والسني الفنجري والست أم سنية والخياطة الاجنبية ، والخادم البربري ، كل هؤلاء لا دور لهم في الحركة الفكرية للمسرحية ، ولهذا تركهم المؤلف جميعا كما هم .

ومن جهة اخرى ، اضاف نعمان شخصيات جديدة على الكوميديا المصرية مثل : منظم الانتخابات ، ومثل عزيزة ، البنت الشعبية المتواضعة الاصل ، التي تكافح في صمت وصبر ، وتعمل من أجل القوت بعزيمة واقتناع ، وتنجح في الفوز بقلب غريب الفنجري

**

هذه هي المسرحية التي آذنتنا منذ عشرين عاما بمولد الكوميديا الجديدة ، وكانت بشيرا بسلسلة من مسرحيات مماثلة في الروح ، قدمها انصار الكوميديا الانتقادية القائمة على الفكر الاشتراكي .

وكما رأينا ، ادارت هذه الكوميديا ظهرها – أو كادت – للكوميديا الشعبية القائمة على تقاليد الكوميديا دي لارتي الايطالية ، وأصول الفصل المضحك المصري ، والتي تعتمد في جزء هام منها على فن الممثل – المهرج – القادر على الابتكار الفوري . واعتمدت الكوميديا الجديدة – عوضا عن هذا كله – على قدرة المؤلف وفكره ونظرته الاجتماعية .

وقد كان من اثر هذا ان زاد العمق في الكوميديا الجديدة – العمق الفكري والفني معا – فالفكر واضح في مسرحيته : « المفاطيس » ، والرسالة الاجتماعية لا تخطئها عين . بل هي قائمة في بعض المواضع .

والفن المسرحي – وخاصة في رسم الشخصيات وادارة الحوار الذكي المشاكل للواقع – متقدم أيضا وبشكل واضح عما تجده في الكوميديا الشعبية .

وهذان مكسبان لا شك فيهما ، أسهما في رفع المسرحيات التي قدمتها هذه المدرسة الجديدة في الكوميديا الى مستوى الادب المسرحي ، الى جانب كونها أعمالا مسرحية قابلة للتمثيل .

غير أن ما كسبته الكوميديا الجديدة من عمق قد خسرته في الانتشار . فان **هذه الكوميديا قد بالغت في النأى عما ألفه الناس من شخصيات وحوادث وموضوعات ، واعتمدت في نجاحها على قوة الفن والفكر فقط ، دون الاستناد الى تراث الاجيال المتعاقبة في حقل الكوميديا .**

لم تقل هذا عامدة ، وانما لان كتاب

الكوميديا الجديدة ، رغم عطفهم البالغ على القضايا الاجتماعية ، بما فيها قضايا الشعب عامة ، انما هم في جوهرهم يمثلون الطبقة الوسطى الصغيرة . واهتماماتهم ، وموضوعاتهم ، ومواقفهم الفكرية ، وتدريبهم الفنى كله نابع من وجهة نظر الطبقة الوسطى الصغيرة الى الفن والفكر .

وقد نتج من هذا أن أصبحت الكوميديا الجديدة تعبيرا من منطق الطبقة الوسطى الصغيرة ــ رغم محاولات بعض هؤلاء الانخلاع من هذه الطبقة ــ مما يدفعنى الى تسمية ما انتجوه من كوميديا باسم : كوميديا المثقفين .

وقد كان لهذه الكوميديا دوى كبير يوم مولدها ، ولاعوام كثيرة لاحقة . ولكن هذا الدوى لم يؤثر كثيرا على الكوميديا الشعبية ، وظلت هذه قوية ، قادرة على جذب أعداد كبيرة من المتفرجين ، اكبر بكثير مما جذبته كوميديا المثقفين .

وليس السبب في هذا هو ما يبدو للعين من اساليب الاضحاك الفجة التى نجدها في الكوميديا الشعبية . وانما مرده ان هذه الكوميديا ، رغم الاطار الخشن ، والحركة الزاعقة ، والضحك الغليظ هى أقرب الى قلوب الناس واشد رسوخا في وجدانهم من كوميديا المثقفين . وهذه حقيقة لا يجدى معها أن نهاجم الكوميديا الشعبية ونبرز عيوبها وحسب .

علينا ان نسير على الطريق ذاته التى سار عليه اعلام الكوميديا في العالم ، فان هؤلاء لم يديروا ظهورهم للتراث الشعبى في حقل الكوميديا ، بل ــ على النقيض ــ فتشوا في هذا التراث بصبر وعطف حقيقيين ، فما لبثوا ان كشفوا بين أكوام التبن من كثير من الجوهر ، نجده نسجا في اعمالهم .

ارستوفان العظيم ورث الكوميديا اليونانية القديمة ، لصهر شقى التهريج والهجاء فيها ، وجعل منهما سوط عذاب سلطه على خصومه ومن شاء ان ينتقده من الناس ، في اطار عرض مسرحى ناجح يجمع بين الفكر والضحك الناعم والغليظ ، والحركة الزاعقة وكثير .. كثير جدا من التهريج ! ومع ذلك لقد ضحكنا جميعا ، وتمتع منا العقل والجسم معا ، حين عرضت مسرحيته : الضفادع قبل سنوات في القاهرة . ضحكنا كما نضحك لدى مشاهدة مسرحية معاصرة .

والشىء ذاته نمله **بلوتس** ، مورد الضحك والفرجة والعروض المسرحية لروما القديمة ، وبعض أعماله عرضت من سنوات في برودواى على شكل عروض موسيقية لكاهية ، لم تخرج من جوهر الاصل . ومع ذلك ادخلت البهجة على قلوب الالوف على بعد الشقة بين روما القديمة ونيويورك ، في الزمان والمكان .

وموليير ، الممثل الجوال ، وصاحب الفرقة ، والكاتب ، أفاد كثيرا لا من مخزن الكوميديا دى لارتى وحسب ، وانما تعدى ذلك الى فنون مضحكى السيرك واساليبهم في فرفشة الناس ، كما هو واضح بصفة خاصة في مسرحيته : **دون جوان** .

وحين كان **برنارد شو** يستعد لكتابة كوميداه الجديدة ــ الجديدة في كل شىء :

في الفكر والموقف من الجمهور وفي الصياغة. قال دون موارية : « لا أجدني قادرا على المضي في الطريق الا باستخدام الكوميديا الشعبية ، بأشخاصها المعروفة ، المهرج والمهرجة وذي السروال الطويل . ثم عاد يقول : ان حيلي وتشويقاتي والاراتي ونكاتي هي نفسها التي كانت سائدة وانا مازلت صبيا » ...

وحين كتب شو من بعد ، مسرحية : « اندروكليس والاسد » أدار حوادثها في سيرك ، وجعل من أندروكليس مهرجا كمهرجي السيرك أو يكاد ، واستخدم هذه الادوات الكوميدية ليعالج موضوع : الايمان والالحاد !

وكذلك فعل بريشت وبيكيت في ايامنا. كتب الاول اوبرا بثلاثة مليمات ، وكتب الثاني في انتظار جودو ، مستخدمين فنون الاضحاك التقليدية .

ونحن ايضا ، ابان ازدهار الكوميديا عندنا فعلنا الشيء ذاته . ان كوميديا الريحاني تدين لكوميديا المسرح المرتجل الشعبية بدين يزيد من دينها لكوميديا البولفار الفرنسي . بل ان الناجح من كوميديات نعمان عاشور ويوسف ادريس والفريد فرج ، يعود بعض نجاحه الى استخدام هؤلاء لبعض من تقاليد الكوميديا الشعبية ، وان كان هذا قد تم في نطاق ضيق حقا .

وحين كتب نعمان عاشور « الناس اللي تحت » لفت النظر فيها شخصية المهرج الشعبي الذي كان يؤدي دور الجرسون . لفت النظر ،رغم الشخصيات الكثيرة والجديدة التي ابدعتها ريشة نعمان . وبرز في مسرحيتي : « حلاق بغداد » و « علي جناح التبريزي »الالفريد فرج الاساس الشعبي المستمد من الف ليلة ،فكان عامل جذب هام في المسرحيتين اما يوسف ادريس فقد كتب « الفرافير» على غرار مسرح السامر ، وكوميديا السيرك ، فاحدثت مسرحيته فرقعة كبيرة واصبحت أحد معالم الطريق في تطور كوميديا المثقفين .

وهذا كله يشير الى حقيقة بعينها وهي ان حل ازمة الكوميديا الراقية في مصر يكمن في القدر الذي تستطيع به أن تستوعب تقاليد الكوميديا الشعبية ، وتفيد من كنوزها الكثيرة ، لتحقق مزيدا من الاقتراب من الشعب ،ومزيدا من الدفء والانسانية .

على كتاب الكوميديا عندنا ان يدرسوا - بتواضع شديد واحترام اشد - جهود من سبقوهم من الفنانين والكتاب الشعبيين . عليهم ان يدرسوا مسرحيات خيال الظل والاراجوز ، وكوميديا الفصل الواحد (المرتجل منها والمكتوب) التي كانت تقدم على المسارح عقب التمثيل الجاد ، من اواخر القرن الماضي حتى عشرينات هذا القرن .

عليهم ان يدرسوا تراث الريحاني والكسار ، ويحولوه الى فن عصري للضحك الذكي . وليكن لهم اسوة في احدث من ظهر من كتاب المسرح واكثرهم التزاما بقضايا العصر وهو بيتر فايس .

لقد سعى فايس في مسرحية : «التحول» الى ترطيب جفاف مسرحه التسجيلي باستخدام خيال الظل وسيلة للمتعة واداة للتعليق الساخر معا .

بدر الدين أبو غازي "وزير الثقافة"

عام ١٩٧١ هو عام دورير ففيه تنقضي خمسمائة عام على مولده.. ليست المانيا وحدها التي أنجبت دورير هي التي تحتفل بهذه المناسبة بل ان العالم يشاركها الاحتفال.. فلم يكن دورير فقط أعظم فناني عصر النهضة في ألمانيا وانما هو ايضا يمثل قمة من قمم الانسانية والفن لكل العصور وكل العوالم.

فنان ألماني من عصر النهضة

دورير: صورة شخصية (١٤٩٣)

كان دورير مثل رمبراندت وفان جوخ من الفنانين المشغولين بتصوير ذواتهم.. وان اعماله الاولى في سن الثالثة عشرة كانت رسوما لوجهه ثم اخذ يتقمص في ذاته شخصيات اسطورية واحيانا شخصية المسيح ولكن هذه الشخصيات جميعا تحمل ملامح دورير الخارجية والداخلية



■ كان دورير من هؤلاء الذين اعطوا الوهج المقدس ، واعتصروا من قلوبهم الرحيق العذب .. هو مثل « رمبراندت » و « بتهوفن » و « ميكيل انجلو » نماذج من عطاء الحياة للفن ، وصور للقلب الانسانى حين يتفجر بالالم ، والفكر الانسانى حين يستبد به القلق فتتحول مأساته الى ذلك الوهج المقدس الذى تستضىء به الحياة

كانت نورمبرج فى جلالها وتألقها هى مهد حياة « البرت دورير » .. فيها تمثلت عظمة الامبراطورية الرومانية وساد الرخاء وازدهرت الصناعة وتمثل الفن القوطى فى بهائه السامى .. وتلقى « دورير » فى تلك المدينة تعاليم الفن الاولى منذ اختار لنفسه هذا الطريق

ثم مضت به الرحلة الى «سويسرا» ثم الى «ايطاليا» وصقلت رحلاته رؤاه وشحذت فنه .. وفتحت له آفاق الالف مع الطبيعة

وفى فينيسيا لمس دورير تيار النهضة الايطالية فتأثر به تأثرا عميقا وتشكلت مواهبه .. هنالك لقى اللوحات الزيتية للمصور الايطالى بلليني ، واقترب من أعمال المصور كارباشيو وحاول المزج بين روح الشمال الذى تفتحت نهضته على الفلسفة والرياضيات وبين روح الجنوب المتألق بالانسانيات

كان دورير اول فنانى المانيا الذين ارتادوا ايطاليا قبل ان تصبح الرحلة الايطالية تقليدا فى تكوين الفنان الاوربى وعلى الأخص المصورون الالمان

وعاد دورير بعد هذه الرحلة الى بلاده سنة ١٤٩٥ وقد ازدادت رؤياه التشكيلية حساسية وثراء وانفتحت له حقبة من الانتاج الغزير .. كانت أدوات تعبيره اللوحة الزيتية والرسم والحفر وكانت مجالات تعبيره فى تلك الحقبة تدور حول الصورة الشخصية، والمنظر الطبيعى ، واللوحات الدينية والأساطير الاغريقية

وتلقى دورير فى سنة ١٤٩٦ أول تكليف رسمى حين عهد اليه **« فردريك الحكيم »** بعمل صورته الشخصية ، ثم **« لوحة العذراء والطفل »** التى أضفى عليها مسحة انسانية وغلالة من الأحزان تنبىء بالمأساة والموت.. وتوفر دورير بعد ذلك على تصوير موضوع عبادة المجوس بأسلوب جمع بين مثاليةالتصور وواقعية الملاحظة فى قدرة فائقة كانت من ملكاته المميزة

غير أن أروع منجزات دورير خلال هذه الحقبة كانت محفوراته الخشبية فمن خلال فن الحفر استطاع دورير ان يبث الخطوط احاسيسه الرهيفة ، واهتزازات نفسه المشحونة بالتطلع والمخاوف .. كما استطاع ايضا فى رسوماته لمدينته نورمبرج وفى تأملاته من خلال الطبيعة أن يودع الرسم اروع خصائص الشعر

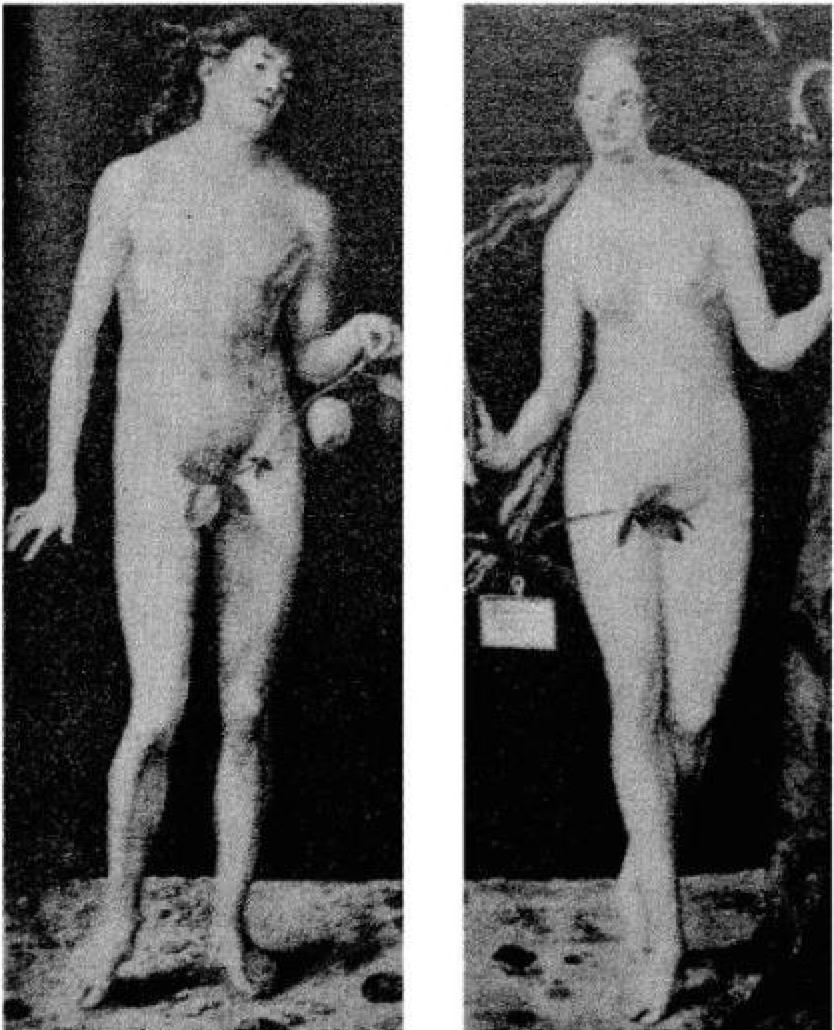
فى هذه الحقبة وحوالى سنة ٥٠٥ عاد دورير الى فينسيا ، استدعى ليصور لوحة الكنيسةالالمانية هناك

وكانت مرة أخرى عودة الى ايطاليا التى تلقى منها تعاليم فن التصوير الزيتى ، كما كانت عودة الى هذه الأداة التعبيرية فىالتصوير بعد أن توفر فترة من حياته على الحفر والرسم

وعاد دورير الى نورمبرج ، ورجع مرة أخرى الى التعبير بالرسم والحفر بعيداً عن قيود التعهدات التى كانت تسند اليه وقدم من خلال هذا الوسيط التشكيلى أروع ما فى نفسه

ولكن تلك الحرية العزيزة التى كان يسعى اليها لم تلبث ان تبددت مع توالى الأعمال الرسمية عليه ، وما أخذ يكلفه به الامبراطور ماكسيمليان

وامتدت تلك الحقبة من سنة ١٥١٢ الى سنة ١٥١٩ الى ان مات الامبراطور ومرض دورير

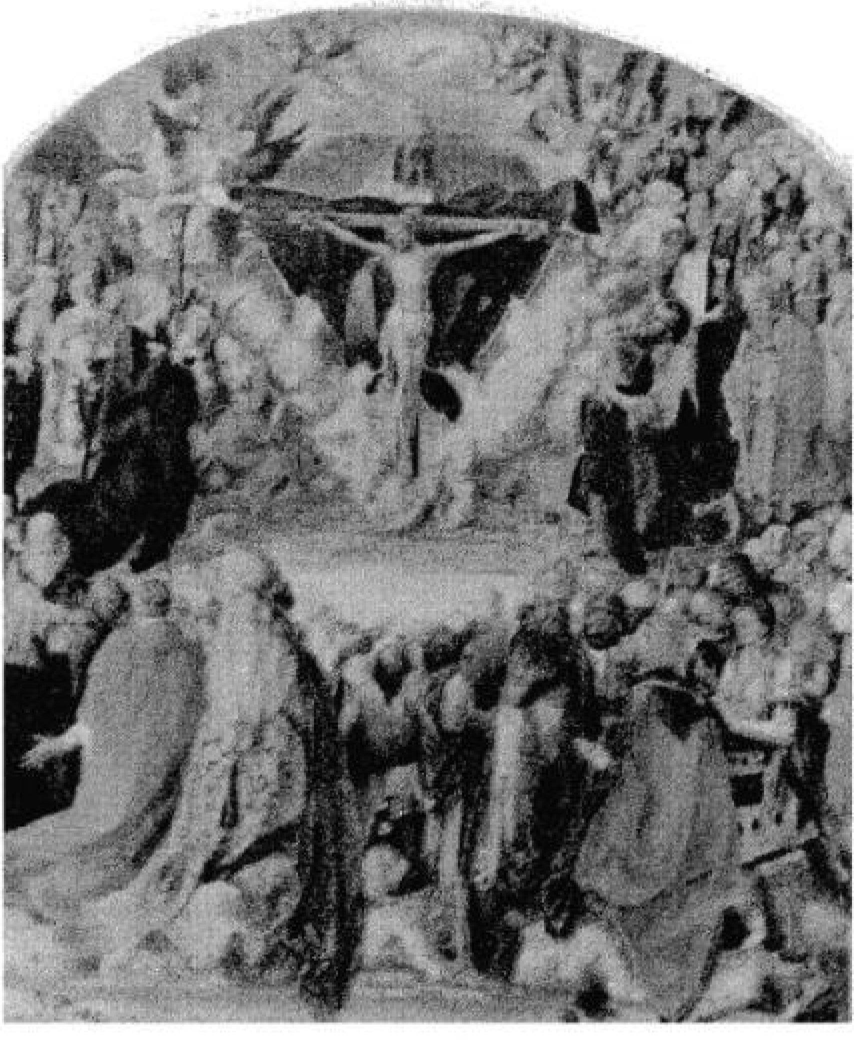


آدم — حواء

درس دورير مناسيب الجمـال الاغريقي واطال التأمل للتماثيـل اليونانية وخرج بنظرة جماليـة جمعت الروح القوطية والشـكل الاغريقي في لوحاته التي عبر بها عن الالهة والانبياء وفيهـا يلتقي الحساب الرياضي والجمال معا..

الصعود (١٥١١)

كان الورع الدينى العميق طابع القرون الوسطى ولكنه اخذ منذ القرن الخامس عشر مسحة انسانية تجلت فى لوحات دورير الدينية .. يلتقى فى هـذه اللوحات عنصر التعبير وعنصر التكوين بيراعة فائقة



غير أن هذه السنوات كانت أخصب ما في حياته .. أنجز فيها الكثير لنفسه الى جانب ما أنجزه بتكليف من الامبراطور

وهزته الفجيعة في امه فأبدع مجموعة من الصور تمثل فيها الموت يحيط بها كقدر غاشم .. وابدع صورتها الشهيرة بين أعماله وكأنها تحية للألم والتضحية والحرمان التي عاشتها وتمجيدا للاستسلام للقدر والتعبد لله

وهجر دورير نورمبرج سنة ١٥٢٠ الى الاراضي الواطئة .. بصحبة زوجته وتفجرت في نفسه ينابيع الكتابة والرسم فتدفقت مذكراته وعجالاته المرسومة كما اخذ تعبيره الفني عندما استقر في مدينة آنفرس يكتسب مسحة جديدة في تصوير الاشخاص سواء في تعبيره أو في اختياره للأشخاص العاديين من غمار الناس اللذين كانوا دوما نماذج الفن الهولندي



طفلة

(١٥١٥)

من خلال الوجه نفذ دورير الى أعماق الشخصية .. سواء أكان أشخاصه قديسين او علماء او افرادا من غمار الشعب او اطفالا .. وان الصورة الشخصية عند دورير لتعتبر من معالم فنه المميزة

كانت الرحلة الى هولندا هى آخر الرحلات فى حياة دورير .. وكانت ايضا علامة تحول نحو موهبته الاخرى.. الكتابة. فاستغرق فى نظرياته عن مناسيب الجسم الانسانى وعن الأعداد المثالى للمصور الفنان وغير ذلك من افكاره

وكان عمل دورير الأخير بمثابة واجب دينى اداه من خلال مشروعه الكبير الرسل الاربعة ـ يوحنا وبطرس وبولس ومرقص

وقد كان هذا العمل الذى اعده دورير فى جو ثورة مارتن لوثر الدينية من اهم الاعمال الفنية التى انتجها عصر النهضة فى المانيا ..

***

لقد كان دورير أعظم عطاء قدمته المانيا الى الفن .. اراد فى عصر النهضة ان ينقب بحثا عن اسرارالجمال كما نقب « فاوست » عن



ايد

تفصيل من لوحة

كانت اليد عنصرا تشكيليا هاما عند دورير فى ابراز قيمتها التعبيرية .. اليد المتوسلة ، واليد المتسلمة ، واليد المتحفزة ، واليد الحانية .. كل مايمكن ان تحمله اليد من دلالات تعبيرية تناوله دورير فى لوحاته ورسومه ودراساته عن يد الانسان ..



أسرار الشباب وتخطى العصر القوطى فى المانيا الى بحوث الاغريق فى الجمال ٠٠ درس التماثيل القديمة ونظريات « بلين » ٠٠ وكان من طلائع الفنانين المنظرين من خلال كتاباته عن فن التصوير . .

أين مكانه بين التقسيم الثلاثى الذى وضعه « ربنيه ويج » للفنانين

اهو فنان الفضاء والشكل مثل رافائيل

ام هو فنان الزمن والحركة مثل تنتوريتو

ام انه فنان الرؤيا الداخلية والاعتراف مثل رمبرانت

ان ألبرت دورير هو بحكم طبعه الخاص فنان الزمن والحركة ولكنه أيضا فنان الرؤيا الداخليـــة والاعترافات التى فاضت على لوحاته ورسومه

لقد ترك دورير عالما كبيرا من اللوحات الزيتية ومن الرسوم وعالما باهرا من لوحات الأكواريل التى تحمل فى أسلوبهـا التشكيلى كل عناصر الجدة والمعاصرة . . هى بعد خمسمائة عام تبدو وكأنها من نتاج عصرنا هذا

اما دورير مصور الاشخاص فهو يبدو كما قال ايرازمس وكأنه توصل الى ابراز الروح من خلال الجسد . .

هو ايضا احد الفنانين العظام الذين نقبـوا فى عجائب الطبيعـة وعكسوا اسرارها من خلال مسرحه التصويرى الحافل بالحيـوان والنبات والبحار الفسيحة والجبال الشاهقة ، وسيظل دورير قمة من قمم الفن لكل العصور

د. أحمد حسين الصاوى

دعوة صريحة إلى تغيير

رسم المصحف

اشار الاستاذ رجاء النقاش فى مقاله بالعدد الخاص من « الهلال » عن القرآن الكريم فى شهر ديسمبر الماضى الى ضرورة تحرير القرآن من بعض القيود المفروضة عليه ، ومنها كتابة المصحف بالرسم العثمانى القديم .

ومشكلة كتابة المصحف فى الحقيقة مشكلة ملحة لا بد من ايجاد حل سريع لها . اذ لا يقبل عقل عاقل ان « ترسم » بعض كلمات المصحف بشكل يخالف ما تعلمه

قراء العربية من قواعد الهجاء والاملاء . ولا يجيز منطق ان تكتب الفاظ القرآن فى الكتب والصحف بما الف القراء من اشكال وصور ، مما ييسر لهم قراءتها ، بينما يصدم هؤلاء القراء حين يأخذون فى مطالعة كتاب الله ، اذ يجدون ان تلك

الالفاظ نفسها مرسومة باشكال غريبة لا تخضع لاية قاعدة هجائية مقبولة . ومن ثم ينشأ الاضطراب والخلط فى قراءة القرآن ، مما يؤدى بالضرورة الى كثير من الخطأ واللحن .

كل ذلك لاننا تمسكنا « برسم » مصحف عثمان ، كانما هذا الرسم حكم الهى نزل به الوحى ، وحاشا لله العلى الكبير .

وفيما يلى طائفة من نماذج مقارنة يخالف فيها رسم بعض كلمات المصحف العثمانى ما تعارفنا عليه من قواعد الهجاء فى الكتابة العربية مخالفة صارخة .

هذا فضلا عن حذف الالف عشرات المرات من الفاظ مشهورة مثل « السموات » و « جنات » ، أو ابدالها واوا فى الفاظ اخرى مثل « الصلاة » و « الزكاة » .

رسم الكلمة في المصحف	رسمها الإملائي	رسم الكلمة في المصحف	رسمها الإملائي
يَبْدَؤُا	يَبْدَأُ	شُفَعَٰٓؤُا	شُفَعَاءُ
يَٰصَٰلِحُ	يَا صَالِحُ	يَعْفُوَا	يَعْفُو
طَٰغِينَ	طَاغِينَ	وَمَلَإِيْهِمْ	وَمَلَئِهِمْ
لِيَسُـۥُٔوا	لِيَسُوءُوا	الْمَشَٰرِقِ	الْمَشَارِقِ
صَلْصَٰلٍ	صَلْصَالٍ	نَشَٰٓؤُا	نَشَاءُ
لِشَاْيْءٍ	لِشَيْءٍ	يَاْيْـَٔسُ	يَيْأَسُ
صَٰٓفَّٰتٍ	صَافَّاتٍ	جِاْيٓءَ	جِيءَ
أَتْلُوَا	أَتْلُو	لَّٰكِنَّا	لَكِنَّ
ءَالْـَٰٔنَ	الْآنَ	الْوَلَٰيَةُ	الْوَلَايَةُ
سَٰٓئِحَٰتٍ	سَائِحَاتٍ	يَبْنَؤُمَّ	يَا ابْنَ أُمَّ
بِهَٰدِ	بِهَادِي	نُۨجِي	نُنْجِي
وَأُوْلَٰتُ	وَأُولَاتُ	الشَّهَٰدَةِ	الشَّهَادَةِ
إِيَٰبَ	إِيَابَ	سَأُوْرِيكُمْ	سَأُرِيكُمْ
خِلَٰلِهِ	خِلَالِهِ	ءَاتَىٰنِۦ	آتَانِي
غَضْبَٰنَ	غَضْبَانَ	لَأَاْذْبَحَنَّهُ	لَأَذْبَحَنَّهُ
جَلَّىٰهَا	جَلَّاهَا	أَفَإِيْن	أَفَإِنْ
لَٰغِيَةً	لَاغِيَةً	وَجَزَٰٓؤُا	وَجَزَاءُ
أَنۢبَٰٓؤُا	أَنْبَاءُ	بَلَٰٓؤُا	بَلَاءُ
لْـَٔيْكَةِ	الْأَيْكَةِ	بِأَيْيْدٍ	بِأَيْدٍ
الْبَلَٰغُ	الْبَلَاغُ	الَّٰٓئِي	اللَّائِي
الْعُلَمَٰٓؤُا	الْعُلَمَاءُ	الْأَوْلَيَٰنِ	الْأَوْلَيَانِ

من كتاب « الفرقان » لابن الخطيب

وليست هذه سوى مجرد نماذج مما يحفل به هذا المصحف من صور مجالية تشذ عما تعارف عليه الناس وتعلموه من قواعد فن الكتابة واصولها . ولو قرئت هذه الالفاظ برسمها العثماني على علاته ، أي دون ما سماع لنطقها الصحيح ، لأدى ذلك الى الخلط والتشويه ، والبعد بها عن معناها الصحيح . وفي ذلك ما فيه من تحريف لكلام الله .

ولا يقف الامر عند هذا الحد . فان الرسم العثماني نفسه لا يطرد في هــذه المخالفة للقواعد الاملائية المعروفة ، بمعنى انه لا ينفرد بقاعدة معينة خاصة به مهما كانت خاطئة ، وانما تشيع فيه التناقضات والتباينات بصورة يستحيل تعليلها مهما بذل المتمسكون بهذا الرسم من جهد وانتحلوا من أعذار .

فمثلا نجد كلمة « لاأذبحنه » ، وهي تتضمن اداتين للتوكيد ، مكتوبة ــ كما في الجدول السابق ، بألفين (لا اذبحنه) ، مما يجعلها تبدو في صورة تلى الذبح لا تأكيده . هذا بينما تتضمن الآية نفسها كلمة « لأعذبنه » ، وهي أيضا بالصيغة المؤكدة ، ولكنها كتبت كتابة صحيحة(١) .

وجاء في سورة الفرقان لفظة « وعتوا » بدون الف امام الواو (وعتو) (٢) . هذا بينما يوجد في السورة نفسها لفظتا « أتوا » (٣) و « دعوا » (٤) باثبات الالف ، دون ما سبب .

وفي سورة فاطر (آية ٦) كتبت كلمة « يدعو » في قوله تعــالى « انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير » بألف زائدة امام الواو (يدعوا) مع انهــا ليست واو جماعة . هذا في حين أن الالف حذفت من بعد واو الجماعة في مواضع اخرى دون ما سبب ، كما في قوله تعالى « وباءو بغضب من الله(٥) » ، وقوله سبحانه « وجاءو بسحر عظيم(٦) » ، اذ كتبت الكلمتان « باءو » ، و « جاءو » !

وكلمة «بنات» وردت باثبات الالف في مواضع(٧) ، وبحذفها في مواضع أخرى(٨) دون اي مبرر معقول او غير معقول !

وفي سورة الاعراف كتبت عبارة « قال ابن ام (٩) » بهذا الرسم الصحيح ، بينما وردت عبارة مشابهة في سورة طه برسم شاذ لا يتفق مع اية قاعدة قديمة او حديثة : قال يبنؤم » (١٠) . والغريب ان العبارتين ترويان حديثا واحدا على لسان هارون الى أخيه موسى عليهما السلام !

وجاء في سورة البقرة : « وبالوالدين احسانا وذي القربى (١١) » باثبات الالف في « احســانا » ، بينما حذفت هذه الالف من الكلمة نفسها في سورة النســاء « وبالوالدين احسانا وبذى القربى » (١٢)

ومثل هذا في كلمة « اصلاح » التي حذفت ألفها من قوله تعالى بسورة النساء « أو اصلاح بين الناس » (١٣) ، بينما أثبتت في آية البقرة « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير » (١٤)

---

(١) النمل : ٢١ « لأعذبنه عذابا شديدا او لاأذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين » .
(٢) آية ٢١ « لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا » .
(٣) آية ٤٠ « ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء » .
(٤) آية ١٣ « واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا » .
(٥) البقرة : ٦١ (٦) الاعراف : ١١٦ (٧) كما في سورة النساء : آية ٢٣ « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم .. » (٨) كما في سورة النحل : آية ٥٧ « ويجعلون لله البنات »
(٩) آية ١٥٠ « قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني »
(١٠) آية ٩٤ « قال يبنؤم لا تأخــذ بلحيتي ولا برأسي »
(١١) آية ٨٣ (١٢) آية ٣٦ (١٣) آية ١١٤ (١٤) آية ٢٢٠

وليس أغرب من هذا سوى فتح تاء التأنيث مرات وكتابتها مربوطة مرات أخرى في الكلمات نفسها ، ومنها كلمات « لعنة » و « جنة » و « معصية » و « سنة » و « رحمة » .

ومن التناقضات العجيبة كتابة لفظ « بسطة » بالسين ، أي بالهجاء الصحيح ، في قوله تعالى « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم (١) » بينما كتب اللفظ نفسه بالصاد ، دون ما مبرر ، في قوله تعالى « وزادكم في الخلق بصطة (٢) » .

وكذلك رسم كلمة « الايكة » صحيحة في قوله تعالى بسورة ق « وأصحاب الايكة وقوم تبع (٣) » ، بينما رسمت هكذا « لئيكة » في آية سورة الشعراء « كذب أصحاب الايكة المرسلين (٤) » .

فما هي قصة مصحف عثمان ورسمه ؟ وكيف فرض علينا هذا الرسم فرضا وجمدنا عنده ، بل وكدنا نحرم المساس به ولو كان في ذلك تيسير قراءة الذكر الحكيم وتلقيه ؟

وقبل ذلك ، ما هي الخطوات التي مر بها تدوين كتاب الله الذي نزل به الوحي على الرسول تلقينا ؟

لقد نزل القرآن منجما (مجزءا) في بضع وعشرين سنة . وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من الآيات على سعف النخل والرقاع والعظام وغيرها .

فلما انتقل الرسول الى جوار ربه ، وقامت حروب الردة وقتل فيها أكثر القراء من الصحابة وبخاصة في يوم اليمامة ، هال هذا الأمر عمر بن الخطاب ، فذهب الى أبي بكر وقال له : « ان القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن ... واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها .. واني أرى أن تأمر بجمع القرآن » .

فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والعسب (جريد النخل) واللخاف (حجارة بيض رقاق) وصدور الرجال . وقد ضم أبو بكر الى زيد بن ثابت سالما مولى أبي حذيفة ليعاونه في جمع القرآن ، على أن يقوم زيد بتدوينه .

وهذه هي عملية التدوين الكامل الأولى للقرآن ، وتتلخص في جمع الآيات المتفرقة المدونة على الرقاع والعظام وغيرها ، وتنسيقها ثم نسخها على قطع من الأديم (الجلد) . فقد روى عن زيد أنه قال : « فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأديم » . وقد كان الجمع في هذه المرة من غير ترتيب للسور .

وحفظت هذه الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر حتى مات ، فحفظت عند ابنته حفصة .

أما عملية التدوين الثانية فكانت في عهد عثمان بن عفان . فقد هال بعض أصحابه وقواده ، وفي مقدمتهم حذيفة بن اليمان ، ما رأوه من اختلاف الناس في قراءة القرآن . فرأى عثمان تدوين مصحف موحد معتمد ، تلافيا لما قد يجر اليه تعدد النصوص واختلاف القراءة من عواقب وخيمة .

وسرعان ما أرسل عثمان الى حفصة يطلب ما حفظ لديها من صحف الأديم التي كانت قد دونت أيام أبي بكر . ثم أمر بعض الصحابة والحفاظ ، وعلى رأسهم « زيد بن ثابت » ، بنسخها في مصحف واحد بعد ترتيب سوره . ودون من هذا المصحف بضع نسخ أرسلت الى الأمصار ، ورد النص الأول الى حفصة ، ثم أحرق ما عدا ذلك من المصاحف غير المعتمدة . وحرص عثمان على أن يكون مصحفه الامام بلغة قريش وحدها .

---

(١) البقرة : ٢٤٧ (٢) الاعراف : ٦٩ (٣) آية ١٤ (٤) آية ١٧٦

وهكذا كان القصد من التدوين الاول جمع نص القرآن وحفظه من الضياع ، اما التدوين الثانى فكان يستهدف جمع الناس على وجه واحد فى قراءة القرآن خشية ما قد يقع بينهم من خلاف مصدره التحريف الذى يفتح الباب للزيادة او النقصان فى كلام الله ، وما قد يجر اليه ذلك من اختلاف فى المعانى . وهذان — لا شك — عملان عظيمان خالدان .

وهنا نلاحظ أن التدوين القرآنى فى المرتين ، بل حتى قبل ذلك فى زمن نزول الوحى على رسول الله ، قد شابه كثير من الاخطاء الاملائية ، أى من حيث هجاء الالفاظ ورسمها . ويرجع ذلك الى امرين : **اولهما** : قصور الكتبة أنفسهم فى فن الكتابة وضعفهم فى الاملاء لبداوتهم وشبه اميتهم ، وندرة استخدامهم للكتابة بوجه عام من حيث هى وسيلة اتصال حضرية . **والامر الثانى** : هو قصور الكتابة العربية نفسها فى ذلك العهد ، فلم تكن الحروف قد تميزت من بعضها البعض بأشكال محددة ذات سمات واضحة المعالم بحيث ينتفى احتمال الخلط بينها .

وقد تلافى كثيرا من هذه الاخطاء زيد بن ثابت فى عملية تجميع النص القرآنى ، وتلافى كثيرا غيرها عثمان بن عفان فى تدوين مصحفه الموحد .

ومع ذلك ، فحتى بعد توحيد عثمان للنص القرآنى فى مصحفه الامام ، ادى القصور فى فن الكتابة العربية ، وبخاصة من حيث خلو الحروف من النقط وعدم ضبطها بالشكل ، الى ظهور التصحيف واللحن وقراءة الكلمة الواحدة بأكثر من وجه . وقد ظهر اثر ذلك فى بعض القراءات وبخاصة فيما سمى بالشاذ منها .

ولذا دعت الحاجة الى نقط الحروف وشكلها منعا للحن ودفعا للاضطراب والبلبلة عند قراءة القرآن . واختلفت الآراء فيمن تصدى لهذا العمل الجليل ، فقيل انه « الحجاج بن يوسف الثقفى » عامل « عبد الملك بن مروان » بالعراق ، الذى امر به «الحسن البصرى» و «يحيى بن معمر» نقطا . وقيل كذلك انه أبو « الاسود الدؤلى» ، كما قيل انه نصر بن عاصم الليثى .

ولم يكن ذلك هو « التحسين » الوحيد فى كتابة المصحف تيسيرا لقراءته وتعلمه على الناس ، وتثبيتا لقوله تعالى « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** »

لقد تتابعت التحسينات ومرت كتابة القرآن الكريم بعدة تطورات تساير التطورات الحضارية التى تعاقبت على المجتمع الاسلامى ، وترضى حاجة جماهير القارئين فى هذا المجتمع . وذلك — بالطبع — دون ما اخلال بالنص المقروء . **وغنى عن القول ان الله تعالى انزل القرآن نصا ملفوظا ولم ينزله هجاء ورسما مكتوبا ، وانما الرسم والهجاء من وضع المخلوقين لصالح المخلوقين .**

فمن تلك التحسينات مثلا وضع علامات رءوس الآى وعلامات الاجزاء والاحزاب والارباع . ومن ذلك ايضا كتابة المصحف بالخطوط التى تطورت اليها الكتابة العربية كالثلث والنسخ ، بدلا من الخط الكوفى القديم .

واهم من هذا أن كثيرا من كتبة المصاحف فى مختلف الامصار الاسلامية لم يجمدوا امام الخطأ والتناقض فى هجاء عدد كبير من الفاظ مصحف عثمان ، وما كتبة المصحف على اية حال الا بشر يجوز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم ، فصححوا كتابة هذه الالفاظ بما يتفق وما وصلوا اليه من اتقان فن الكتابة ومعرفة قواعد الاملاء . وتحفل دور الكتب — وعلى رأسها دار الكتب المصرية — باعداد كبيرة من المصاحف المختلفة الخطوط والتهجئة ، التى دونت على مر العصور منذ عهد عثمان .

اى ان الامة الاسلامية لم تجمع مطلقا على وجوب اتباع رسم معين لالفاظ القرآن . فما الرسم الا وسيلة للقراءة الصحيحة ، وليس هو بالامر التوقيفى الذى لا يجوز المساس به .

ومع كل هذا فالذى حدث عندنا فى مصر كان امرا مختلفا يستحق الوقوف عنده ومناقشته . فمنذ اثنين وخمسين عاما اشرف الازهر على كتابة مصحف جديد ، وتألفت لذلك لجنة برئاسة الشيخ « محمد على خلف الحسينى » شيخ القارىء المصرية وقتئذ . وكتب هذا المصحف (الذى سمى بالاميرى) وضبط على ما يوافق رواية « حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدى » . واخذت طريقة ضبطه مما قرره

علماء الضبط مع تغليب العلامات التي اقرها « الخليل بن أحمد » واتباعه من المشارقة على علامات الأندلسيين والمغاربة . واتبعت في عد آياته طريقة الكوفيين .

واجتهدت اللجنة المذكورة في وضع اصطلاحات ضبط القراءة وعلامات الوقف ، أي أنها نسقت آي الكتاب ونمقت رسمها ، ووضعت بالمصحف علامات وادخلت اليه اشارات وتنبيهات لتيسير قراءته . ولم تكن هذه الاضافات بالطبع جزءا من النص القرآني الأصيل .

وفضلا من ذلك ، فقد كتب هذا المصحف وطبع على أساس قاعدة من خط النسخ الحديث الجميل .

وبالرغم من كل ذلك الاجتهاد والتحسين ، فقد تمسكت اللجنة بهجاء مصحف عثمان القديم ، بكل ما يحفل به هذا الهجاء من أخطاء وتناقضات . فكانت النتيجة ما أسلفنا اليه الاشارة من نماذج في بداية المقال .

ولما تقرر اعادة طبع هذا المصحف ، منذ ثمانية عشر عاماً ، ألف الأزهر لجنة أخرى « للنظر فيما تستلزمه اعادة طبعه من مراجعة نسخة الطبعة الأولى وابداء الرأي فيها » . وقد أقرت هذه اللجنة ما قامت به اللجنة الأولى بوجه عام ، **في أنها اجتهدت في تنقيح علامات الوقف وتهذيبها في اكثر من ثمانمائة موضع . وكذلك صححت ضبط أواخر بعض السور وأوائل تاليها . ولكن الغريب انها صححت رسم بعض الالفاظ متمسكة بهجائها القديم الخاطىء الذى يختلف تماما وقواعد الهجاء الحديث .**

فمن ذلك مثلا كتابة كلمة « قائم » في قوله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت (١) » بهمزة تحت الياء لا فوقها ، لتكون كنظائرها في المصحف !

ومن ذلك أيضا كتابة لفظ «كلمة» في قوله تعالى «وتمت كلمة ربك الحسنى(٢)» بتاء مفتوحة ، لان الوقوف عليها يكون بالتاء لا بالهاء ، حسب رواية حفص !

وكذلك رسمت اللجنة الجديدة لفظ « الطاغين » في الآية ٥٥ من سورة ص ، وفي الآية ٢٢ من سورة النبأ بدون الف بعد الطاء ، ليتفق ذلك مع رسم اللفظ نفسه في الآية ٣٠ من سورة الصافات والآية ٣١ من سورة القلم !

واننا لنتساءل : هل رسم المصحف ليقرأ في يسر ، أو ليكون مجموعة رموز تحتاج الى مقرىء يلقنها واستاذ في الرسم العثماني ليفسر مايغمض أو يلتبس على القارىء ، مهما بلغت درايته بقواعد الهجاء واصول الكتابة ؟

ان أي قارىء حديث للقرآن ، بالغا ما بلغ علمه ، لا يستطيع اذا قرأ المصحف برسمه العثماني الحالي ان ينطق بالالفاظ نطقا صحيحا ، بل انه عرضة لان يخلط في القراءة خلطا يقلب المعاني ويخل بالقصد من هذه القراءة ، طفلا كان او عبدا . فما بالك بأبنائنا الصغار وانصاف المتعلمين وغيرهم من ملايين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ؟

ان الله تعالى أنزل القرآن على نبي امي لا يقرأ ولا يكتب . ولقد انزله تعالى بلفظه لا برسمه ، وبنطقه لا بهيكل الفاظه .

وليس هناك – دين أو عقل – ما يمنع مطلقا من أن يكتب المصحف ويطبع بأي خط وبأي هجاء ، ما دام ذلك لا يخرج به عن النطق المطلوب كما انزله الله تعالى وكما ينطق به اللسان العربي المبين .

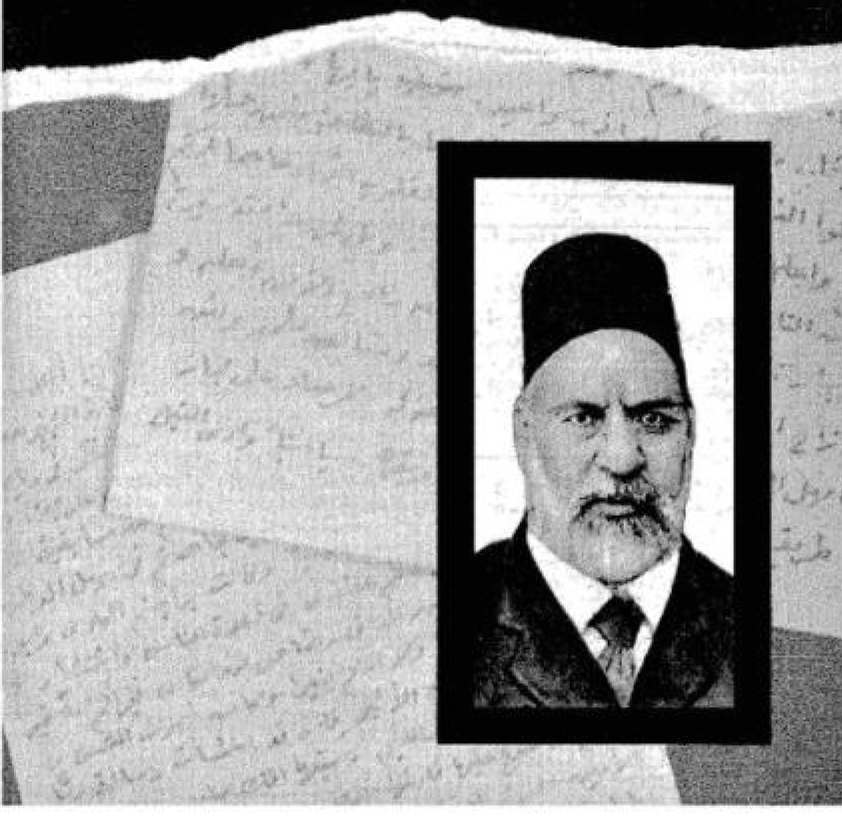
ولو كان « زيد بن ثابت » أو « عثمان بن عفان » موجودا في عصرنا لما كتب المصحف الا بالرسم الحديث الذى تعارفنا عليه ، وبالهجاء الصحيح الذى يستطيع قراءته كل من تعلم القراءة والكتابة .

الا ما أشد حاجتنا الآن الى مصحف جديد يكتب بالرسم الحديث الذى تعلمناه والفناه ، فنحرر القرآن العظيم بذلك من قيد كبير يحجب نوره عن الملايين .

---

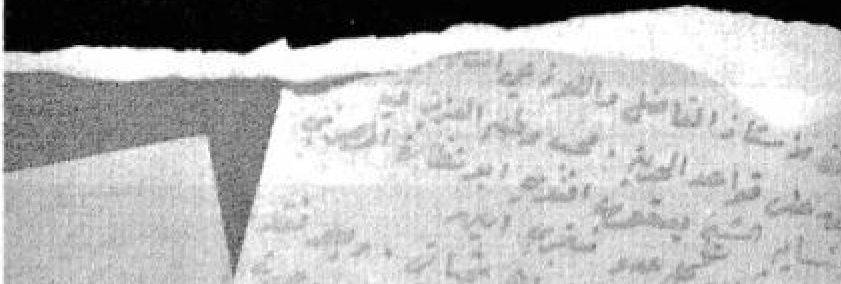
(١) الرعد : ٣٣ (٢) الاعراف : ١٣٧

وثائق جديدة وخطيرة



عن الثورة العرابية

تنشر لأول مرة



١٥ رسالة يكتبها عرابي إلى الكاتب المسرحي "أبو نظارة" ويلقى فيها أضواء جديدة على الثورة العرابية

● عند ماصاح عرابى "لقد قوى عزمى على إعلان طلب الحرية

● لابد أن يكون ناظر الجهادية وطنى النزعة وأن يترتب مجلس

● مائة ألف مقاتل فى صفوف العرابيين

● فتوى شرعية من أفاضل العلماء بوجوب خلع الخديوى

● «الحسكرية» قائمون بواجباتهم والأهلون يكرمون

حصلت على الوثائق من باريس
فريدة مرعى



● كيف تم إعلان الجمهورية المؤقتة فى مصر سنة ١٨٨٢؟

واتخاذ قوانين عادلة وتقرير حكومة ثورية مفيدة".

من نبهاء المصريين ليكون نائبًا عنهم لحفظ حقوقهم وأرواحهم

● قصة المنشور العثمانى وخيانة سلطان باشا

على مقتضى الشرع الشريف الإسلامى..

نزلاء هم ولكن الأعداء لا تنام عيونهم!



التعليق والهوامش بقلم
الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

تقدم « الهلال » في الصفحات التالية مجموعة من أهم الوثائق التاريخية التى تتصل بنضال شعب مصر خلال القرن الماضى ، وهـذه الوثائق تتضمن النص الكامل لخمس عشرة رسالة كتبها احمد عرابى ، زعيم ثورة ١٨٨٢ وقائدها العظيم، الى الكاتب المسرحى يعقوب صنوع ، وقد كتب عرابى هذه الرسائل من منفاه فى سيلان ، وكان « صنوع » آنذاك مقيما فى باريس وتكشف هذه الرسائل كثيرا من اسرار النضـال المصرى فى تلك الفترة الخصبة والعصيبة معا ، وتقدم هـذه الوثائق مادة جديدة وغنية للدراسة تضعها امام المؤرخين والباحثين وتلقى على هـذه الفترة اضواء جديدة . وقد حرصنا ان ننشر هذه الوثائق دون اى تعديل لما ورد فيها من اخطاء نحوية ولغوية لعل سببها ان عرابى كان يكتبها على انها رسائل خاصة تجمع بين الصياغة العربية والصياغة العامية فى نفس الوقت .و«الهلال» تفتح الباب امام التعليقات المختلفة حول هذه الوثائق الجديدة وحـول ما تثيره من قضايا مختلفة بالنسبة للثورة العرابية والظـروف التى احاطت بقيامها وهزيمتها .

من « ابو نظارة » الى « احمد عرابي »

وحق من لعن اللذى جعلنا اسراء للحمر (١) – صدقنى انى اوهب سنة كاملة من العمر ، لمن يطير لسكلومبو ويجيبك لى طيارة – الى قصر بلونت عند ابى نظارة ، انا صار لى هنا جمعة عند اصحابك واصحابى . ونحن ليلاً ونهاراً فى ذكر صديقنا عرابى ، حتى انى ليلة امس رايت نفسى فى المنام – انا واياك وحولنا مستر بلونت(٢) ولادى هنا (٣) وجميع اخواننا الكرام، صدق من قال: ان حلام(٤) القطط كله فيران – انما قلبى يحدثنى أننا نعود للاوطان ، ونغيظ الاخصام وننتصر على الاعادى وهذا ايضا امل جناب المستر وحضرة اللادى . عند ربنا لا بشىء بعيد – فرجه قريب . يجعل سيىء البخت سعيد . ولو ان سيادتك ما شرفتنى بخط . برضى احبك واندحك ولا انساك قط ، وحينما صاحب النحلة (٥) القبية بهداك . ولذا شرفك فى جريدته الاسماعيلية ، صبح عدوى من بعد ما كان لى صديق ..

وصرت اكرهه مثلما ابغض اسماعيل وتوفيق ، واليوم اظهرت غاية قصدى ومرادى . للمستر بلونت ولحضرة اللادى ، بانى انشر كتاب فيه ترجمة حال الجناب ، وازينه بالرسومات التى ظهرت فى ابى نظارة – المختصة بك يا ابن الامارة ، فالرجو بان سعادتك ترسل لى تاريخك بالاختصار وانا اطوله واخرق به عين الاعادى كبار وصغار – لان بالله تعالى هذا يطلع كتاب بديع ، فقط انا فى عرضك كن لى فى جوابك سريع والا ودوجرى (٦) لانى قلت للاصحاب انى لقد وصلت الى كتابة نصف الكتاب ، والسلام ختام – ياسيد الكرام .

يبدو بوضوح ان هذه رسالة من ابى نظارة الى احمد عرابى وهى الرسالة الاولى التى كتب على اثرها عرابى مختصر تاريخ حياته وتوالت بعدها المراسلات بين الاثنين

---

(١) يقصد الاحتلال الانجليزى .

(٢) ولفرد سكاون بلنت : مستشرق بريطانى وعضو بمجلس العموم . كان صديقا للعرابيين ومؤيدا للثورة العرابية . الف كتابا عن الثورة العرابية بعنوان : « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر » .

(٣) ليدى آن بلنت زوجة المستشرق السابق .

(٤) يعنى : احلام .

(٥) الصابونجى .

(٦) ودوغرى .

الرسالة الاولى

« كتب الصابونجي صاحب جريدة « النحلة » يهاجم احمد عرابى ..
وكانت هذه الرسالة ردا على القس الصابونجي :
ومع هذه الرسالة تلتها كتب عرابى موجزا لحياته وكفاحه كما طلب منه يعقوب صنوع »

من كلمب (١) سيلون (٢)
الى حضرة علم الحرية الشهير ، الذى له فى قلوب اهل وطنه امر خطير. البارع الفاضل المحبوب ابو نظارة الشيخ يعقوب .

قد وصلنى جوابكم الكريم ، وحظيت بتسريح النظر فى رياضه الزاهرة وطمنت ما عليه الاخ مقيم فحمدت الله على صحتكم التى ارجو لكم دوامها وانى معترف بما لاخوتكم من سابقية الفضل على عشائر مصر واقوامها حيث جاهدتم فى سبيل الوطن والحرية ثمان سنين عددية ، وكانت جرايدكم «الحاوى» و « ابو نظارة زرقا » اعظم عضد لى فى دعوة الناس وانتشار افكار الحرية بين الدانى والقاصى من الناس فجزاكم الله من الوطن خيرا ، ولا اراكم ضيرا ، واما من خصوص « القس الصابونجي » الافاك الاثيم فانى قد انشات رسالة ردا عليه ذاك النذل اللئيم ، وسميتها « الفك صاحب النحلة » فان اردتم الاطلاع عليها فائتها بطرف رجل الحرية والشرف صديقى الامين المستر بلونت محب المصريين بل والشرقيين ، هذا ، وعلى حسب اشارة حضرتكم قد حررت تاريخ وجودى بالاختصار وما اريد بذلك الافتخار ولكن لتعلم حقيقة الحال وما كان القصد من تلك الاحوال قائما :

على دفع الاعادى من اماكننا وما على اذا لم يسعد القدر

وصورتى مرسولة لكم ايضا ومنى عليكم ازكى السلام .

احمد عرابى المصرى
٢٥ سبتمبر ١٨٨٤

موجز حياة عرابى وكفاحه بقلمه

اللهم انى ابرأ اليك من الافتخار والتفاخر
انا ابن النبى لا مراء انا بن فاطمة الزهراء

الاسم : احمد عرابى

الوظيفة : رئيس الحزب الوطنى وناظر الجهادية وقائد الامة المصرية فى الدفاع عن الوطن

ابن : محمد عرابى السيد الحسينى العالم الورع المعروف عند قومه بالرياسة والعفة والامانة .

---

(١) مدينة كولومبو عاصمة سيلان
(٢) سيلون = جزيرة سيلان .



يعقوب صنوع

ولـد : في هرية رزنة قرية من قرى مديرية الشرقية بمصر بتاريخ ٧ صـفر الخير عام ١٢٥٧ هجرية

تربى : في المكتب الذى أنشـاه المرحوم والده في بلدته ، وتعلم القرآن الشريف والعلوم الدينية فيه ، وفي تاريخ ٢ صـفر الخير عام ١٢٧١ انتظم في سلك العسكرية وتخرج فيها على عهد المرحوم محمد سـعيد باشا الذى كان محبا لتقدم أبناء وطنه ونال فيها الرتب التـدريجية بالامتحانات الشهيرة بحضور رئيس رجال العسكرية سليمان باشـا الفرنساوى الشهير وغيره من الرؤساء حتى ترقى الى رتبة قائمقام بك الآلاى في تاريخ ٢٦ ربيع آخر عام ١٢٧٧ وهى الرتبة التى لم ينلها أحد من العنصر المصرى في العسكرية الا ذاك وبقى عليها يتجرع مضض المظالم الى ان ترقى الى رتبة الميرالاى في بداية عهد توفيق باشـا بتاريخ ٢٦ رجب عام ١٢٩٧

ذكر الحوادث

ليس لمنصف ان ينكر ما عليه الامة المصرية منذ أجيال عديدة من الذلة والاهانة وهضم الحقوق وسفك الدماء بغير حق شرعى ولا الاستبداد لحكامهم الجهلاء الغرباء الذين لا يراعون فيهم الا (١) ولا ذمة . يسومونهم سوء العذاب، ويزعمون بجهلهم ان الله جل شأنه ما خلق المصريين الا لتضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وقد خالف هذا الزعم الباطل المرحوم محمد سعيد باشا وصرح في خطابته (٢) في مادبة كان اعتدها للعلماء والرؤساء العسكرية والملكية عام ١٢٧٦ ، اذ قال انه مخالف لمـا كان عليه سلفه من الولاة وانه سيكون مربيا حقيقيا للامة المصرية ومرقيا لمن توافرت فيه العلوم والمعارف حتى يصل بهم الى اعلى ذروة الكمال وتصير مصر للمصريين خالصة من دون الغرباء المتنهمين ومن ذاك التاريخ اخـذت أجول بفكرى في كيفية الوصول الى انتشال الامة المصرية من جب الاقاصى القتالة ، المطبق عليهم من منذ احقاب عديدة ، وأراجع التواريخ المصرية وغيرها قديما وحديثا حتى اشـتدت الازمة في عهد اسماعيل باشا الخديو السابق الذى أكثر سـفك الدماء من غير مراجعة حكم شرعى ولا قانون عادل وسلب الاموال من كل الرعايا وخرب البيـوت ابتغاء الشهوات البهيمية . فصرت أطرق ابواب عقول العلمـاء والنبهـاء وذوى المكانة من المصريين واستلفت الكارهم للسعى في كشف ما ألم بهم من الكوارث المهلكة ولمـا علم الخديو اسماعيل ما عليه الكارى من المخالفة لمشربه من بعض بطانته من الشراكسة والاروام الذين لا خلاق لهم آل على نفسه أن لا يرقينى الى درجة أستحقها ما دام حيا ، وللاحتيـاط عزل رؤساء الصالح من المصريين عن وظائفهم وأوقف سير التقـدم المصرى وشـدد في اذلال المصريين وتجاوز الحد في افساد الادارة وتولية الامور لغير اربابها حتى حمـل الحكومة دينا غير شرعى مائة مليونا من الجنيهات للاوربيين ، وهذا خلاف ما سلبه من الاهالى باسم مقابلة (٣) ١٧ مليونا وباسم صندوق الروزنامة (٤) ٦ ملايين جنيهـا ، ومع ذلك كان كلمـا ازداد الظلم وانتشر الفساد كلما سرى روح الحرية وطلب العدل في افكار المصريين عموما وكانت لجرائدكم « الحاوى » و « أبو نظارة زرقا وخضرا » السهم الصائب لايقاظ همم المصريين حتى توحدت الافكار واجتمعت الكلمة على احتياج الامة الى سن قوانين عادلة وحكومة مقيدة بالشرائع والقوانين التى توافق مشرب البلاد وطبيعتها

---

(١) الال : هو الله عز وجل وهو ايضا العهد والقرابة .

(٢) خطاب له ...

(٣) دين المقابلة الذى كان ينص على ان من يدفع ضريبة الاطيان لست سنوات مقدما يعفى من نصف الضريبة الى الابد .

(٤) دين الروزنامة : قرض فرض على الاقاليم في عام ١٨٧٤ . ولم تعط للدائنين اى سندات .

ولكنهم لم يتجاسروا على اعلان افكارهم لشدة الظالم عليهم الى ان دبر الخديو اسماعيل في سقوط الوزارة الاوروباوية بواسطة بعض اخصائييه بأن حمل شبان المدارس على الاحاطة بديوان المالية لصرف المرتبات المتأخرة وضرب ولسن ، ونوبار ، واهانة رياض ، وتحقير على مبارك . وتم له بذلك سقوط الوزارة المذكورة ومع ذلك سموا هذه الالعوبة فتنة عسكرية ، والحق ان العسكرية ميرءون منها ، وفي تلك الايام كانت المصالح المهمة ذات الايراد الوافر جميعها في حوزة الاوروباويين كالجمرك وميناء الاسكندرية والسكك الحديدية ، والتلغرافات ، وقومسيون الدائرة السنية ، والدومين والمراقبة وصندوق الدين ، ومصلحة المساحة ، وما شاكل ذلك . وكل مصلحة من هذه المصالح تعتبر نفسها كحكومة مستقلة هنالك طاشت العقول وعم البلا ، وصار الجميع يتفكروا في امر الخلاص من تلك المصائب الى ان نظر الله تعالى بعين الرحمة لعباده المصريين فهيء الاسباب التي بها سقط الخديو الظالم اسماعيل وتولى بعده توفيق ، ولكن الحية لا تلد الا حييه (١) فكانت ولايته شؤم وبئست الولاية ، فاخذت حكومته في الغاء نصف الجيش والاكتفاء بستة آلاف من الجندية مراعاة للاقتصاد على زعمهم في عام ١٢٩٨ وكان ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا وهو من رجل جركسي متعصب لجنسه قد أصدر الاوامر برفت رؤساء الالايات العسكرية من الوطنيين مع لياقتهم وكمال استعدادهم وترتيب عوضهم من بني جلدته على غير لياقة واستعداد منهم فهاجت انفس الضباط من الوطنيين وحضروا الى بمنزلي يتألمون من جور ناظرهم . فسكنت خواطرهم وذكرتهم بما يقاسونه اخوانهم وآبائهم واجدادهم من عدة احقاب من الظالم وسفك دماء الابرياء منهم وان الناس جميعا غافلين بما لهم وما عليهم ولكن خوفهم من سطوة العسكرية العمياء يقعدهم عن طلب حقوقهم ، فهشت قلوبهم لذلك وعاهدوني على ان اكون قائدا عموميا مطالبا بحقوقهم وحقوق آبائهم وتقاسموا بالايمان على حفظي من كل من يردني بسوء ما دام فيهم الحياة وانهم لا يعصون لي امرا ولو كان فيه ازهاق ارواحهم ، فحمدت الله على ذلك ، وعلمت ان هذه هي الفرصة التي كنت ارقبها لتحرير بلادي ، فشكرتهم على ذلك وطلبت منهم رعاية الراحة العمومية والسكون التام وأن يتخذوا لهم نوابا من رؤسائهم ليكونون أعوانا لي في ما أريد اجراء فاتخذوا ما اشرت لهم منه ، وبناء على ذلك قوى عزمي لاعلان طلب الحرية واتخاذ قوانين عادلة وتقرير حكومة شورية مقيدة بلا خوف ولا فزع ففي تاريخ ١٤ يناير عام ١٨٨١ ميلادية أعرضت الى رئيس النظار رياض باشا عريضة بما حصل من سوء الترتيب في ديوان الجهادية وتعصب ناظرها وميله عن جادة الصواب ، وطلبت فيها لزوم اتخاذ طريقة المساواة بين المتوطنين عموما وسن قوانين عادلة واضحة مرعية الاجرى وان يكون ناظر الجهادية وطني النزعة وأن يترتب مجلس على من نبهاء المصريين ليكون نائبا منهم لحفظ حقوقهم وارواحهم وأمضيت هذه العريضة بختمي وختم كل من على بك فهمي ميرالاي « الفاردية » وعبد العال بك حلمي قائد الاي السودان فعقد لذلك مجلس فوق العادة حضره جميع الرؤساء الجراكسة تحت رياسة توفيق باشا الخديو ، وتقرر فيه ما معناه قطع الحكم بالاعدام بطريقة تشبه الطريقة التي اتخذت لاعدام الشقي اسماعيل باشا صديق (٢) وعلى ذلك صدر امر الخديو الى ناظر الجهادية بتنفيذ هذا الحكم تحت كفالته ومسئوليته من ما يخل بالراحة العمومية وفي ثاني يوم الجلسة الذي هو يوم الثلاثاء الموافق ٢ ربيع الاول عام ١٢٩٨ هجرية الموافق غرة فبراير عام ١٨٨١ ميلادية رتب ناظر الجهادية الترتيبات الغدرية وطلب الموقعين على العريضة المذكورة الى ديوان الجهادية بقصر النيل بمقتضى تذاكر فحواها شهود تنظيم موكب زواج اخت الخديو وأمر بالقبض على كل ضابط وطني من رتبة اليكباشي فما فوقها حتى حصل القبض علينا ، فلما اجبنا طلب الدعوة وجدنا الديوان غاص بالمدعوين من رؤساء العسكرية حتى

---

(١) تصغير حية .

(٢) اسماعيل صديق المفتش ـ كان وزيرا للمالية ثم امر الخديو اسماعيل بقتله ـ راجع التفاصيل في الياس الايوبي : تاريخ مصر في عصر الخديو اسماعيل باشا » .

المتقاعدين منهم ليشهدوا العذاب الذى يقع علينا ولما تم الاجتماع تلى علينا امر الخديو الصادر بقوله ان احمد عرابي وعلى فهمى وعبد العال حلمى ، هؤلاء الثلاث ميرالايات خرقوا حرمة القوانين واخلوا بشروط الضباط فى الارض فيقتضى توقيفهم ومحاكمتهم بما يستحقون وفى الحال اخذت سيوفنا وتعين امراء للالايات عوضا عنا وجرى سجننا من غير محاكمة اصلا ، وكانت الضباط من الجراكسة ، شاهرين طبنجاتهم علينا عند توجهنا الى السجن ، ولم الامر على ذلك . فلما علم الاى « القاردبا » الخصوصى ما عوملنا به وما هو مصمم عليه من الاعدام حمل السلاح وتوجه الشجاع الهمام « محمد عبيد افندى » البكباشى باورطته والبكباشى « على افندى عيسى » باورطته ايضا الى قصر النيل لخلاصنا من السجن والبكباشى احمد افندى فرج وقف باورطته فى ساحة عابدين لحفظ الخديو مما عسى أن يحدث ، فأما محمد افندى عبيد ومن معه فقد أخرجونا من السجن وهم فى غاية من الحدة والغضب فقمت فيهم خطيبا منذرا ومحذرا لهم من سوء العاقبة اذا مدوا أيديهم الى احد بسوء فانى لا أريد بهم الا الاصلاح ما استطعت ، ثم توجهت بهم الى قشلاق الالاى المذكور وخطبت فيهم طويلا بملازمة الراحة والسكون وحفظ الجميع وكتبت كتابا الى وكلاء الدول فى القاهرة صرحت فيه انى متكفل بحفظ رعاياهم جميعا القاطنين بمصر كمحافظتى على نفسى وليس هناك ما يوجب الخوف ، وطلبت منهم التوسط فى الاصلاح مع الحكومة وانفذت به الى جناب نائب فرنسا البارون دورنج الشفوق وبناء على ذلك حضر المشار اليه والسير ادوارد مالبت النائب الانجليزى بطرف الخديو واسلم الامر على نحو اجابة طلباتنا بعد أن أراد الخديو ومن معه من الرؤساء الاوروباوية ايقاد نار الفتنة داخل البلد لولا تحققهم من ان جميع العسكرية على راى واحد ثم صدر امر الخديو بعزل عثمان رفقى باشا من نظارة الجهادية وترتب بدله من اخترناه لذلك محمود باشا سامى ، وكانت الحكومة تسعى فى غدرنا بعد ذلك يوما فيوما الا ان محمود باشا سامى كان لا يوافقهم على ذلك لما اخذته عليه من المواثيق والعهود على أن يكون معى من انصار الحرية فصدر امر الخديو بعزله ايضا وترتب عوضه داوود باشا يكن عديل الخديو وهو رجل لا يعرف شيئا فى السياسة ولا تصور له اصلا فأخذ يماجلنا بالخيانة بعد ان اقسم لنا انه من نصرائنا على تحرير البلاد لنكث عهده ولم يعلم ان جميع اعيان البلاد ونبهائها وأمرائها اتوا الى وقاسمونى بالايمان على تخليص البلاد من رق الاستعباد ، وطلب افتتاح مجلس النواب لحفظ حقوقهم المادية والمعنوية وبناء على ذلك كان ما كان فى يوم العروبة الموافق ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ من اجتماع جميع العساكر فى ساحة عابدين واعلان طلب سقوط الوزارة الرياضية المشئومة واستعواضها بوزارة مرءوسة برياسة شريف باشا وذلك لما اشتهر عنه من الميل الى حب الحرية وافتتاح مجلس النواب على نحو ما عليه مجالس اوربا ، وسن قوانين عادلة ، وابلاغ الجيش الى ما هو مقرر بالفرمان السلطانى اى ثمانية عشر الفا من العساكر لوقاية البلاد مما هو منظور وقوعها فيه من الالتهام الاوربى كما حصل بتونس قبل ذلك بقليل وتفاصيل ذلك معلومة - وفى اليوم الثانى حضر شريف باشا من الاسكندرية وتقدمت له العرائض من العمد والاعيان الذين كانوا خلف ظهورنا فى يوم العروبة مختومة بما يزيد عن الاربعة الاف ختم يباركون له ويطلبون منه نجاز ماكان يوعد به من افتتاح مجلس النواب ليكون له فى التاريخ ذكرا حسنا وهنالك شرعت الحكومة فى تنفيذ تلك الطلبات الحقة . فافتتح مجلس النواب واخذ فى سن القوانين المطلوبة حتى انه لما جاء الوفد العثمانى وفيه على باشا نظامى للاستطلاع على حالة مصر لم يجد شيئا مما اشيع من العصيان فرده الخديوى بلا فائدة ، وبعد ذلك بقليل استعفى شريف باشا لخلاف حصل بينه وبين مجلس النواب فى امر تنظيم اللائحة القانونية حيث قرروا فيها ان يكون للمجلس الحق فى معرفة واردات الحكومة ومصروفاتها ، فظن شريف باشا ان هذا يخدش سلطة المراقبة « الانجليزية والفرنساوية » وقبل استعفاه ثم تشكلت وزارة وطنية برياسة محمود سامى باشا واستقامت الاحوال وكاد الجو ان يصفوا لاهله واذا بالزوبعة الغربية اتت سابقة للاساطيل

الاوروباوية حاملة للائحة المشتركة التى مقتضاها محو وجود الحكومة المصرية وجعلها مقبورة تحت قهر الاتفاق الغربى لتقبلها الخديو بغاية الاستبشار لانها عملت باتفاق معه ورفضها النظار ولسبب هذا الخلاف طلبت الوزارة حضور مجلس النواب للنظر فى هذه المهمة المدلهمة فحضروا ارباب المجلس وعرض عليهم الامر فانكروا قبول هذه اللائحة غاية الانكار وهاجت افكارهم من احاطة الاساطيل الحربية بالمياه المصرية وميناء اسكندرية ، ولاصرار الخديو على المخالفة استعفت النظارة وقبل استعفاها فطارت الاخبار الى داخلية البلاد وحضروا العمد والاعيان ومشايخ العربان والعلماء والتجار وغيرهم وحصل فزع شديد لوجود تلك الاساطيل وقبول لائحة التداخل الاوربى واجمع الراى على رفضها وعلى خلع الخديو وقدموا لى محررات بأختامهم وفتوى شرعية من افاضل العلماء بوجوب خلع الخديو على مقتضى الشرع الشريف الاسلامى ثم صار طلبى فى مجلس النواب بمنزل ابو سلطان (١) باشا لكون الخديو لم يأذن بافتتاحه رسميا وكان معهم بالمجلس قاضى مصر وبعض العلماء وكلفونى بالمحافظة على الامن العمومى فذكرتهم بانه قبل استعفائى وليس لى من صفة فى الحكومة تجوز لى قبول هذا التكليف فأجابنى رئيس المجلس ابو سلطان باشا وسليمان باشا أباظة انهم نواب الامة وانهم لا يقبلون استعفائى وانهم يكلفونى بحفظ الراحة العمومية وسيأخذون امرا من الخديو ببقائى فى مسند نظارة الجهادية . ثم حصل التذاكر فى حالة مصر قديما وحديثا وتقرر اخيرا بلزوم اعلان خلع الخديو اذا لم يرفض قبول اللائحة الغربية وفى اليوم الثانى حضر لمنزلى ابو سلطان باشا وسليمان باشا أباظة وسلمونى امرا من الخديو ببقائى فى مسند نظارة الجهادية **وبعد ايام حضر درويش باشا المندوب السلطانى واجتمع مع الخديو ووكلاء الدول فطلبونى والزمونى بحفظ رعايا الاورباويين واموالهم القاطنين فى جميع انحاء القطر المصرى فقبلت منهم هذا التكليف لتحقق ان العسكرية فائمين بواجباتهم والاهلين يكرمون نزلائهم ولكن الاعداء لا تنام عيونهم فاخذوا فى تدبير مذبحة اسكندرية الشنعاء ليشوهوا بذلك وجه اعمالنا الوطنية فى اعين اوربا ويتخذوا ذلك ذريعة لاستعباد المصريين « راجع الكتاب الازرق الانجليزى » فجر ذلك الى ايقاد نار الحرب بين الحكومة الانجليزية والامة المصرية وعقد لذلك مجلس فى جولاى ١٠ (٢) عام ١٨٨٢ تحت رياسة الخديو حضره درويش باشا المشير وقدرى بك من الوفد العثمانى وتقرر فيه لزوم المدافعة عن الوطن وفى ١١ منه ابتدىء بالحرب صباحا وامتد عشرة ساعات ونصف حتى تهدمت المتاريس وسكتت المدافع وفى يوم ١٢ منه اخرجت العساكر الى كفر الدوار لاتخاذ مركزا فيها يصلح للدفاع**

وفى ١٣ منه انحاز الخديو الى العدو المحارب لبلاده وارسل اوامره بصرف العساكر الى بلادهم فعقد لذلك مجلس بمصر حضره وكلاء الدواوين العالية وجميع المديرين والعلماء والقضاة والرؤساء الروحانيين من اليهود والنصارى واعضاء مجلس النواب والبرنسات اعضاء العائلة الخديوية والعمد والمشايخ والتجار وبعد المداولة وتلاوة المنشورات الصادرة من الخديو بصرف العساكر وترك الاستعدادات الحربية وتلاوة المكاتبات الصادرة منى بشأن ذلك تقرر بتوقيف الخديو ، وأن لا يسمع له أمرا لكونه خرج من حدود الشرع الشريف والقانون المنيف وتقرر بوجوب المدافعة عن البلاد والزامى بالمحاماة والمدافعة عنها وختم على هذا القرار من الجميع وتحررت صورته حرفيا للاعتاب للحضرة السلطانية مع ذكر اسماء الموقعين عليه وصار اعلانى بذلك رسميا حالة كونى مع الجيش فى كفر الدوار **ورتب فى مصر مجلس ادارى للنظر فى ادارة البلاد عبارة عن جمهورية مؤقتة الى ان تنقشع سحب المصائب المتكاثفة على مصر** . كل ذلك ولم اكن حاضرا فى المجلس المذكور ولم اشاهده حتى انهم لقبونى فيه بلقب حامى حمى الديار المصرية وأول من خاطبنى بهذا العنوان البرنس ابراهيم باشا الذى هو من أعاظم العائلة الخديوية وليس كما يقال ان ما صار اجراءه كان خوفا منى ثم توأردت العساكر المستجدة

(١) محمد باشا سلطان .
(٢) ١٠ يولية .

البالغ قدرها خمسة واربعون الفا وحضرة النجدات من جميع العربان والمتطوعة من كل طائفة حتى بلغ مجموع المدافعين فى المواقع الحربية المتعددة مائه الف وكسور غير الذين كانوا فى خدمة تشهيل الذخاير الحربية وتوصيلها الى المراكز المتفرقة . وكان اجتماع هذه القوة فى مدة لا تزيد عن شهر واحد واجتمع من الذخاير والمؤن والمواشى ما يكفى هذا المجموع مدة عشرة أشهر . كل ذلك تبرعا من افراد الامة على اختلاف مذاهبها ومعتقداتها

ومن راجع التلغرافات التى كانت ترد الى رأسا من الاهالى ، يجد أن أحد الاهالى من مديرية الجيزة تبرع بنصف ماله ، وآخر من مديرية قنا تبرع بجميع ماله حبا فى الدفاع عن الوطن . فانظر الى هذه الغيرة التى لم يسبق لها نظير منذ صدر الاسلام ، لم استمر الحال على الدفاع الى أن صدر المنشور العثمانى بخروجى من الطاعة وانى عاص انا ومن اتبعنى فتغيرت بذلك القلوب وانحرفت الافكار وخمدت الهمم وسارع بعض الغفل من أمراء الجيش الى اجابة عدو وطنه ابو سلطان باشا داعى الخديو فكانت هزيمة التل الكبير ، ولا حول ولا قوة الا بالله

ملحوظة عمومية

ان بعض المتطفلين على موائد السياسة من ارباب الجرائد العربية يسمون ما أجريناه من الدفاع عن الدين والوطن « بالفتنة العرابية » ولكن دعاة الحق فى كل أمة وفى كل ملة لا يعتبرون هذه العبارة الا من سفاسف المتطفلين مدعى الشرف ، وكان الاولى بهم أن يعتبروا ذلك « نهضة عرابية وفريضة دينية وحركة وطنية ورأيا عاما » ولله در من قال :

وان الحق سلطان مطاع وما لخلافه ابدا سبيل

اذ ليس من الفتنة من يطلب حقا ويدافع عن دين ووطن وعرض ومال وشرف او يسعى فى اخراج مخالب عدوه من احشائه حيث أن ذلك سنة أمر بها الشارع وشهد بها التاريخ قديما وحديثا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

تحريراً فى ٢٥ سبتمبير عام ١٨٨٤

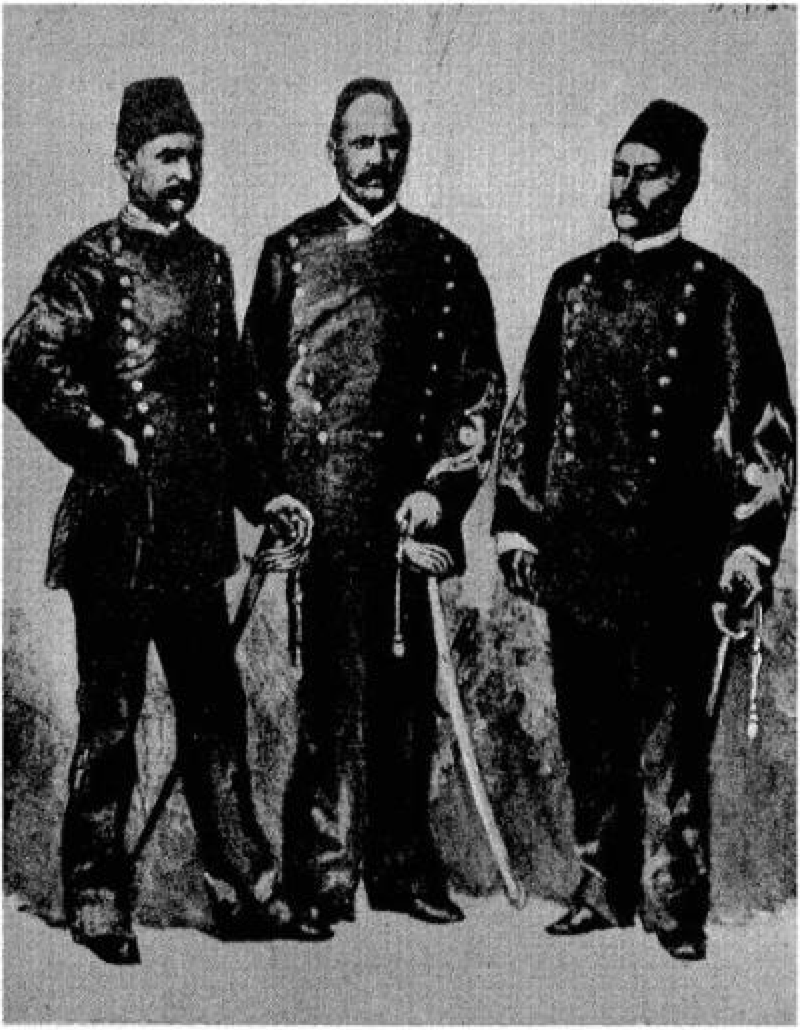
احمد عرابى الحسينى المصرى

الرسالة الثانية

From Mutwal Colombo
Ceylon

الى حضرة الاديب الفاضل ناشر اعلام الحرية محبنا العزيز
يعقوب افندى صاحب النظارة العظمى حفظه الله

بعد اهداء ما يليق بجنابكم من التعظيم والتكريم قد حظيت باستلام الكارت ليزيت تعلق حضرتكم وكل عام عربى وأنتم بكل خير وعافية وتكونوا فى وطنكم العزيز بنعمة راقية . ان امر الله فلا تستعجلوه . لا مرد لقضاء الله . اين الجبابرة . اين الاكاسرة اين القياصرة . انظر كيف فعل الله بمدينة بابل الزانية وكيف فعل بالمصريين الذين حاربوا الله ورسوله من قبل . اباداتهم والله يد القدرة الالهية القوية وتلك عقبى



احمد عرابي بين عبدالعال حلمي وعلي فهمي

الظالمين • سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا • نظارتكم الغراء واصلة الينا أول بأول ولكم الفضل ولكن أرجو أن تخبرني عن سبب انقطاع العـــروة الوثقى (١) شقيقة نظارتكم - حيث من مدة انقطع ورودها الينا والناس في حاجة لها كنت أرسلت لكم بصورتي صحبة مختصر تاريخ حياتي والآن مرســـل لكم بأخرى بالبوسطة التي فيها كتابي هذا - ومن هنا ولدنا محمد بيك وجميع الاخوان يهدونكم بألف سلام • ودمتم بخير يا عزيزي •

١٠ جماد أول ١٣٠٢

صديقكم

خادم وطنه

احمد عرابي الحسيني المصري

انى الآن لست في ليك هاوس ولكن في منزال
كما الواضح باعلاه بالقلم الغربي

الرســالة الثالثــة

الى صديقنا الاجل المحترم رافع علم الحرية المصرية بالبلاد الاروباوية سلالة الامة الكريمة الاسرائيلية (٢) الشيخ ابو نظارة زرقا محلية حفظه الله

بعد اهداء عاطر السلام على حضرتكم وبث زيادة الاشواق لاجتلاء انوار طلعتكم ، قد حظيت بكتابكم الكريم المؤرخ في ٢٥ أبريل عام ٨٨٥ وصورتكم اللطيفة المباركة الالمعية المقرونة الطلية ، كأنكم من رؤساء العلمـــاء الازهرية فسررت بهما ، وأي سرور وأريتهما الى كل من اخواننا شـهداء الحرية وجميعهم مع ولدنا محمد بك يهدونكم بألف الف سلام ، واني شاكر لحضرتكم ولحضرة قرينتكم الباريسية على ما أجريتماه من ضرب الصفارة والزغرطة المصرية فرحا بجوابي يا نخبة أحبابي ، وقلت لي في جوابك الرك على الآخرة ، فاعلم هداك الله أن الارض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . اما رأيت لطف الله بنا واشتداد غضبه على أعدائنا ، فثق بالله ولا تكن من القانطين ، واصبر حتى يأتي حكم أحكم الحاكمين ، فان الله تعالى علم صدق نياتنا في خدمة وطننا فأراحنا وأكرمنا واخذ في اظهار قدرته وعجائبه ليجزي الظالمين ، ان في ذلك لعبرة للمتدبرين ، وتبصرة للمتفكرين والسـلام ختام ياسي جيمس الندى (٣)

خادم وطنه صديقكم

أحمد عرابي الحسيني المصري

كنت أتممت الكتاب قبل استيفائه لوجوب وقت المغرب ولزوم تناول طعام الافطار ولا يخفاك يا سي يعقوب شدة الجوع من طول الصيام ، فلما رجعت اليوم لاتمامه قال لي يا أخ : هل أجبت صديقنا المستر بلونت لطلبه وتوجهت الى لنـــدن

---

(١) جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها الافغاني بالاشتراك مع محمد عبده في باريس

(٢) كان يعقوب صنوع يهوديا .

(٣) كان يلقب أحيانا بجيمس صنوع التي هي يعقوب صنوع

وأديت ما وعدت به أم لا ؟ وماذا رأيت بنظارتك المعظمة من حقيقة الأمر مع سرعة جريان الفلك الأعظم ، أظن أنك تقول رأيت انقلابا واستبدالا . نعم حصل هـذا ولـكن لما بعد ذلك . هل الام المفتونة الفاسقة تترك عشـاقها الاجانب وتتوب من ذنبها وتتذكر قدمها وحرمها .. ؟ وهل تعطف ثانية على أبنـائها من بعد التكرم باستعبادهم الى اخدانها واسـتبعادهم وطردهم من دائرة برها ليخلو الجو الى عشاقها بأموال بل بدماء ، بل بنهش لحوم ابنائها . كان ذلك لطفولية أيتامها وليس من وصى أمين . اما الان ولله الحمد فقد بلغ رشده كثير من أولادها وفيهم بفضل الله من تضلع فى كثير من العلوم وعلم حق العلم بعيوبها ، وفيهم من هو أهل لرد جماحها وضبطها ورد شرفها الذى كان لها فى زمراع شبابها قبل اجرامها مع القدرة على حسن تربية أخوته وحفظ اموالهم المنهوبة وحقن دمائهم المسفوكة بلا ذنب اقترفوه سوى قولهم قد عرفنا حقوقنا ، قد عرفنا عدونا . ولـكن العدو قد علم مفاوضتهم فى كيفية حفظ حقوقهم الذاتية ، فاسـتعان بجهلائهم وأنيابهم على نهر نبهائهم وتشريدهم فى الآفاق واستعباد أجلائهم وحجزهم فى مكان سحيق بأمن العدو منهم ، وأخذ فى قتل كثير من أبنائها الابرياء وهى ناظرة الى مذابحهم كاشرة اليهم من انيابها بلا شفقة ولا رحمة تأخذ العاشق ولا المعشوق وجميع الاطفال القصر يبكون على ما حل باخوتهم ويجزعون من هول ذاك المنظر الفظيع والامر المريع ، هـذا كله جريمة وباقى الاخوان ينظرون لتلك المناظر شذرا ناقمين على الجميع غيرة وحسـدا ، ولـكن الله ملك الملوك ورب الارباب اسمه الغيور تعالى شأنه ، قد سمع صياح الايتام ورأى تجبر الجبابرة فغار على عياله الفقراء والمساكين فأخذ فى اظهار قدرته وقهره وعظمته وجبروته وتجلى بوحدانيته وكبريائه ليهلك المتكبرين فى الارض بغير الحق ويورث عباده المستضعفين ميراث آبائهم الصالحين ، تلك سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ودمتم كما رمتم .

خادم وطنه صديقكم

أحمد عرابى الحسينى المصرى

٢٤ رمضان سنة ١٣٠٢

٧ يوليو عام ١٨٨٥

Ahmed Arabi
Horton Place, Colombo, Ceylon.

الرسالة الرابعة

صديقى العزيز رافع اعلام حرية المصريين يعقوب افندى مدير جريدة « النظارة » الفيحاء حفظه الله آمين

بعد اهداء عاطر السلام وأريج التحية على حضرتكم الرفيعة السنية قد توارادت رسائلـكم الـكريمة تترى مشيرة بصحتكم التى نرجو دوامها ، وآخر رسالة بتاريخ ٢٥ سبتمبر عام ٨٥ ، ومشتملة على سياحتكم الى بلاد السويس وعودتكم الى باريس محفوفين بعنايته تعالى . فالذى أوجب علينا انقطاع مراسلتكم ليس كما ظننتم ، وانما هو انتظارنا الى مراوغة السياسة الاوروباوية ذات الاشكال المتنوعة الغريبة التى لا انقضاء لها ولا انتهى الا بالمام ما بكنه المسئلة الشرقية واننا لنرى كما ترون ويرى كل شرقى ان جميع الممالك الاوربية وجرائدها ينادون باستحسان ما أتى به أمير البلغار البرنس اسكندر واستصواب ما فعله جيش الروملى الشرقية بأسرهم العثمانى ووجوب اجابة طلب انضمام الجنسية فى بلغاريا والروملى الشرقية وما

تزاعم الا معلنين بارضاء الصرب واليونان والجبل الاسود بتقسيم مقدونية وسلانيك وتوز النمسا بامتلاك بوسنة وهرسك وانكلترى حينذاك تجهر بانضمام مصر وقبرص(١) الى مستعمراتها البريتانية وايطاليا تسوق جيوشها للاستيلاء على طرابلس الغرب وفرنسا تشراب بأعناقها الى سوريا وتقذف اليها بأفلاذ أكبادها . وهناك تكون الطامة الكبرى والموت العام ليقضى الله امراً كان مفعولا . فيا للانصاف ، تزعم اوربا ان مصر لم يأن لها أن تتمتع بالحرية وتلقى ذلك النير الاستعبادى من عنقها لكونها لم تتوفر فيها شروط التقليدات الاوربية . على ان مصر ذات مدارس وعلوم وصنايع وزراعة وتجارة ومعارف وآداب لاينكر ذلك كله الا عدو مكابر . مصر افتتحت مدارسها ونظمت ادارتها على نسق التقليدات الاوربية منذ سبعين سنة والعدو يرى عدم استعدادها لنوال الحرية ، وبلغاريا لم تلق ذلك الهمجية من اخلاق زوالها الا من مدة لا تزيد من سبع سنوات ، وأول خطوة القتها فى طريق الحرية متوكاة على عصى الروس تحصلت على امتياز يؤهلها للحصول على الاستقلال واتخذت لها مجلس برلمان ، وأنشئت المدارس والعسكرية

ولم يقل أحد من الاوروباويين أن بلغاريا لم تكن مستعدة لان يكون لها مجلس برلمان حر الافكار . وثانى خطوة ما شاع وراع من كسر العلم العثمانى فى فيليبه والمناداة باسم البرنس اسكندر ولم يقل أحد الاوروباويين أن ذلك عصيان يخشى من سريانه فى أعضاء كافة الممالك ومن الاقتضاء حسمه بسيف الادب وقنابل الارهاب . عجبا عجبا . أوربا تزعم انها آلهة التمدن والانسانية . وأن رجالها أنصار للحق والحرية . وتتادى فى جميع أقطار المسكونة عند الشروع فى أمر يريدوه أن الحق يقضى بمراعاة استقلال الجنسية ورفع نير الاستعباد والتمتع بكامل الحرية والمحافظة على السلم العام . ولكن يرى الناقد البصير انها فى خلال ذلك فاتحة فاها . كاشرة عن أنيابها لابتلاع كل مملكة وكل جنسية وكل معشر وكل قبيلة وكل بطن وكل سهل وكل جبل وكل بحر شرقى لتكون أوربا سائدة على جميع الشرق رغما عنما ينادون به كما ذكر ورغما من وجود ممالك وجنسيات وشعوب وقبائل فى الشرق تخالف أوربا فى العقائد الدينية والعوايد الشعبية . كل ذلك موجب لشد التحالف وتجديد التحالف فى الشرق على اختلاف المعتقدات وتقهقر الخناجر على كيد الطامعين فى الاستيلاء على بلادهم بغير الحق تلك عادة الله فى خلقه برفع قوما ويضع آخرين . وفيهذا كفاية لمن يتدبر .

صورة ولدنا مرسوله كطلبها . الجواب المحرر من بروكسل بلجيكا استلمناه يوم تاريخه ولم تعلم بما فيه لعدم من يعلم اللغة الفرنساوية ، ولدنا يسلم عليكم كثيرا ودمتم محفوظين .

١٥ نوفمبر ١٨٨٥ — صديقكم خادم وطنه

المصرى

« صورة يعقوب سامى باشا مرسولة ايضا ومتى حضرت صور الآخرين يرسلوها . والكل يسلم عليكم كثيرا . سعادة على باشا فهمى يسلم عليكم بعاطر السلام . »

الرسالة الخامسة

الى حضرة اللوزعى الاريب الفاضل الاديب يعقوب افندى مدير جريدة ابو نظارة

(١) جزيرة قبرص .

يا ابناء وادي النيل الذي يجري عن خلاصه ايدي [illegible] على [illegible]

ومستغلين [illegible] العكاكيز ومحال الترهات والى اين تذهب بكم [illegible]

ومتى متى تبيتن [illegible] الغياهب وتخبطون على الكواذب . هل [illegible]

[illegible] او معاذ او مجاز او قرار . كلا . فلا تركنوا الى [illegible]

ولا تنقادوا الى اهوائكم فان الخائن يريد المنتفع [illegible]

[illegible] عار . واحذروا الاجنبي فانه عار [illegible] قصتم [illegible]

بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر . يا ابناء [illegible]

اتقوا الله الذي اعذر بما انذر واحتج بما نهج [illegible]

عدوا تنفث في الصدور خفيا وتنفث في الآذان نجيا وا[illegible]

[illegible] العاجلة لا تسلموا [illegible] الاجل [illegible]

وانتم لا [illegible] العرب والشام [illegible] فاستجيبوا [illegible]

للعدو فانه يلي العار ويلحق النار . هلك [illegible]

العدو وباعه دينه فهو حيث كان ماله اليه قد اتخذه [illegible]

فيا للعار ويا للفضيحة . اذا كنتم في الدنيا تبيعون [illegible]

وفي [illegible] تتقلبون [illegible] وانتم فيما [illegible]

عن عاقبة [illegible] غافلون [illegible] تسوفون [illegible]

[illegible] يا ايها الذين [illegible]

[illegible] العظمى [illegible]

[illegible] الفلاح [illegible]

[illegible] فان [illegible] اعدائكم [illegible]

[illegible] الذين ظلموا اي منقلب

ينقلبون

زرقا حفظه الله آمين

بعد اهداء عاطر سلامى الى حضرتكم وبث ما تلاقيه من كوارث الحدثان قد حظيت بتلاوة رقيماك أحدهما بلا تاريخ والآخر رقم ٢٩ يناير سنة ٨٦ فحمدناه تعالى على صحتكم التى أرجو دوامها . هذا وان أعداد جريدتكم الغراء متواردة الينا تترى وانا نشكركم على ذلك • وانى ابرأ الى الله مما وصفنى به الكولونيل لونج من وصف النبوة واكذب ما وصف به الاتقياء الاخرين • وانما نحن عبيد ضعفاء غرقى فى بحور الخطايا والذنوب اذ أن اعتقادنا أن لا نبوة بعد ظهور سيد الوجود محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبويه ابراهيم واسماعيل وعلى جميع الانبياء والمرسلين • معلوم لك ايها الفاضل أن للقلم رجال وللسيف أبطال وان صاحب السيف خادم مطيع لرب القلم فى زمن السلم والتنعم بعيش الرفاهية والركون الى مسانده الراحة ولكنه ملك متوج قاهر لجميع أرباب الاقلام اذا تقارعت الابطال بالنصال وزمجرت الاقران من شدة ما يلاقيهم من الغيظ فى ساحة النزال واحمرت الاحداق وضاق الخناق والتفت الساق بالساق واظلمت الدنيا بقسطل العجاج وتراكم دخان بارود البنادق والمدافع كتراكم الامواج • هنالك كون القول الفصل • والملك لمن غلب • اننا نرى من الرخفاء رميض • ومن تلبد سحب المنايا فى أفق الرزايا وقرع الوقائع • وليس من كاشف لتلك النوازل ومقشع لسحب تلك البلابل الا حرب يشيب من هولها الاطفال وتذهل لها مرضعة عما أرضعت وتهطل السماء من سحب الأجسام مطرا مدرارا على أراضى مقدونية وجريد (كريت) واليونان وبلغاريا والروملى والصرب وبوسنه والهرسك واذ ذاك تتجرد أوروبا لمساعدة بنى ملتها على المسلمين كما فعلت سنة ١٨٢٧٠ فى الحرب الذى ولدت فيه الحكومة اليونانية الولادة الثانية فتكون النتيجة الاتفاق على تمزيق الملحاف • اما الاعداء فى مصر فهم من حيث هم أعداء لا يصدق لهم قول ولا يركن لهم على عهد أو وعد ولا يعتمد على تصريحاتهم الملوقة المزخرفة كثيرة الالوان • وان فى التجارب لعبرة لاولى الاذهان • فعلى كل ذى شرف وذمة وحمية وطنية وغيرة دينية أن يتدبر فى أمره بعد أن يهب من نومه ويسعى فى الذود عن عرضه وحقوقه بنفسه ونفيسه • وفيهذه الحالة اما الشهادة فوق العرض والوطن واما السـعادة والافتخار بالانتصار واستخلاص الوطن • ولكن أين من يعقل أين من يتدبر أين من يجود بحياته تحاشيا من العار والقوم سكروا بخمرة الرتب والترقيات التى ليس لهم منها الاسم والشار . أسهبنا فى الكلام فلا تأخذنا اذ جرنا ذلك للتكلم فى السياسة وهى محرمة علينا فاحفظ ذلك عنا • أرجوك ابلاغ سلامى الى قرينتكم ومن عنا ولدنا محمد بك وعلى فهمى باشا وسميكم يعقوب سامى باشا يهدونكم بعاطر السلام

خادم وطنه

٢١ مارث ١٨٨٦ صديقكم

أحمد عرابى الحسينى المصرى

الرسالة السادسة

10, Horton Place,
Elizabeth House, Cinnamon Gardens,
Colombo, Ceylon 14 June 1886

صديقنا العزيز قائد الحرية الجليل الشيخ يعقوب ابو نظارة زرقا دام محفوظا آمين

بعد اهداء مزيد عاطر السلام وباهر التحية لجنابكم الكريم وحضرتكم الفخيم قد حظيت باستلام رقيماكم الدالين على صحتكم التي أرجو دوامها عليكم وعلى قرينتكم الكريمة واستلمت كتاب « الكولونيل لونغ »(٢) الامريكاني • واني اشكركم على ما تعلمتموه من ترجمة هذا الكتاب الى اللغة الفرنساوية واضافة ما عن لكم من ترجمة حال الفقير ومن وضع ما رأيتموه مناسبا لهذا المقام تجزاكم الله خير الجزاء عن الوطن والانسانية • واني سررت جدا بحضور صديقنا الافخم المستر بلونت بطرفكم واطلاعه على ما أصفتموه الى الكتاب المذكور • وكل رمضان وأنتم طيبين بخير وعافية واعادكم الله الى الوطن وأراكم فيه امثال امثاله من الشهور والاعوام • لا أقول لكم بنجاح الوطن واقلاله اعتمادا على عدالة أوربا أو نفوذ سطوة الترك . فانه لا يقول بهذا الرأى الا اخرق ولا يعتمد عليه الا أبله . لكن أقول لا بد من الفوز والنجاح حين الوصول الى أمد غير بعيد • وسيكشف لك المستقبل عن عجايب صنع الله القادر على كل الجنود • ولدنا محمد بك وجميع اخواننا الباشرات يهدونكم بألف الف سلام ودمتم كما رمتم

١١ رمضان سنة ١٣٠٣

خادم وطنه
احمد عرابى الحسينى المصرى

الرسالة السابعة

صديقنا الافخم ناشر اعلام الحرية يعقوب افندى ابو نظارة حماه الله .

بعد اهداء عاطر التسليمات وباهر التحيات قد حظيت بكتابكم المؤرخ فى ١٧ يوليه

---

(٢) شاييه لونغ ــ الف كتابين احدهما عنوانه « حياتى فى اربع قارات » ــ والاخر عن « الأنبياء الثلاثة » (غوردون وعرابى والمهدى) والغلب الظن ان عرابى يشير الى الكتاب الاخير .

١٨٨٦ وبتلاوته حمدناه تعالى على ما انتم فيه من الصحة والعافية وعلى ما رزقكم من الذرية اللؤلؤية جعل الله مستقبلها صافيا كاسيها ومتعها بوجودكم وانى أهنىء السيدة والدتها بها اذا كانت شبيهة بكم ومن اشبه أباه فما ظلم بارك الله فيكم اجمعين .

نسخ الرسومات ونسخه الخطاب الادبى وثمرة ديك الحق وصلت لنا ولسعادة محمود باشا البارودى . أنا وولدنا محمد بك وجميع الباشوات نقدم لكم ولحضرة السيدة قرينتكم وكريمتكم فايق الاحترام ونرجو الله أن يرزقكم بغلام سعيد موفق لخدمة وطنه وان يطيل عمركم حتى تباهوا به أمثالكم وتقر اعينكم بما تروه من المنح الالهية . انظر أيها الصديق الى روح سياسة الامم العظيمة المبنية على الطامع وهضم الحقوق وامط جلابيب الجهالة عن ابناء جلدتك واظهر الحقائق الى قراء جريدتك .

تماثل العمل وتباين القصد

ان الحزب الوطنى المصرى لما راى خلل الادارة المصرية وضعف الخديو عن القيام بمصالح البلاد ، وان الاجانب تاقت انفسهم واشرأبت أعناقهم للاستيلاء على البلاد المصرية ، كما فعلت فرنسا بالأمة التونسية . تيسر للحزب الوطنى الاتحاد مع جميع الجيش المصرى والأحاطة بسراى الخديو فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ وطلب من الخديوى سقوط تلك الوزارة التى أخلت بادارة البلاد وعقد مجلس نواب على حسب أصول الحكومات الشورية وتعديل القوانين الموافقة لحياة البلاد مع المنادات بشعار الدولة العلية السائدة على البلاد فقامت فرنسا وانكلترا وتداخلوا فى مصر بل تسابقوا الى العبث باستقلالها ثم اعتزلت فرنسا عن العمل وتجردت انكلترا الى محاربة المصريين والقت اليهم بأفلاذ أكبادها وانحاز الخديو الى العدو المحارب لبلاده وانقلبه الحرب باسم الخديو وأعلن الخديو والانجليز معا بأن الغاية من هذه الحرب هى تأييد سلطة الخديو فقط وليس من غاية أخرى ، ثم تيسر للانجليز أن تجبر مولانا السلطان على نشر ارادته القاضية بعصيان عرابى باشا ومن يتبعه فى المدافعة عن البلاد المصرية . وبهذه الاسباب تغيرت قلوب بعض الجهلاء وتمكنت الانجليز من التغلب على المصريين بدون قتال وكانت مكافآت أمناء البلاد القتل والنفى والتشريد والتخريب على حين لم يوجد بالبلاد المصرية رجل ينادى باسم توفيق كما فعل المسيو استنبالوف بل الأمة البلغارية بأجمعها انتصاراً للأمير اسكندر وتفهت عدالة الانجليز وان شئت قل أوربا بأسرها بموافقت هضم حقوق الامة المصرية بل باستعبادها للخديو المكروه بل المقوت بل الخائن لبلاده بل بترك مصر للانجليز . ا هـ

مقابلة ما سبق ايضاحه

فى ١٨ سبتمبر ١٨٨٥ قام قليل من عساكر الروملى بغتة على الحاكم الشرعى المعين من طرف سيد البلاد فرانقيل باشا واحاطوا بدار حكومته فى مدينة فيليه واخذوه اسيرا وارسلوه الى صوفيه مقر الامير اسكندر ونادوا بتوحيد الروملى والبولغار بافراد الحكومة التى تزعم انها هى الدولة الوحيدة على سلامة الممالك العثمانية فبادرت أوربا بأسرها ما عدا الروسية لتأييد هذا العمل الخل بمعاهدتهم البرلينية (١) ولم يعتبروا ذلك عصيانا قياسا على سابق حكمهم فى مسئلة مصر . بل انتصروا للبرنس اسكندر والزموا الدولة العثمانية بأن تصدر فرمانها السلطانى بتوحيد الروملى والبلغار لشخص البرنس اسكندر ما دام اميرا على البلغار حيث كان أطوع من شعره لدسائس انكلترا ولم يعتبر عاصيا أو قاتلا .

الحكومة الروسية كانت تراقب هذه الأعمال المضحكة هازئة بها الى أن جاء

(١) معاهدة برلين (١٨٧٨) التى سوت نتائج الحرب الروسية – التركية (١٨٧٧ – ٨) .

دورها فلعبت ألعوبتها التي أدهشت العالم من غرابتها اذ فى ليلة ٢١ اوغسطس سنة ١٨٨٦ اختطفت البرنس اسكندر من سرير مأمنه بأسهل الثقافة والقته الى قومه جرمانية فسقط ذاك الرجل المؤسس لشرف وافتخار البلغاريين ولكن لم يتم هذا العمل حتى قام الرجل الوطنى الغيور على شرف بلده ونادى فى الشعب البلغارى بمراعات شرف الامة والانتصار الى اميرهم المحبوب فلباه الجيش البلغارى

والشعب عموما وكذلك الجيش الروملى الذى كان مرافقا للأمير فى ميادين الحرب الصربية وتشكلت حكومة مؤقتة باسم اميرهم ونادوه جهارا للعودة الى مسند امارته فرجع فائزا منتصرا يفتخر بشرف الأمة التى جاد بحياته فى سبيل حياتها . وكان استقباله فى جميع انحاء حكومته من الرجال والنساء بصورة تبهر العقول والانظار

ولكن لم يلبث هذا الشهم الهمام قابضا على ازمة الحكومة حتى نفث عليه السموم القيصر الروسى ونصحه بسمارك بترك الحكومة ورجوعه الى وطنه الاصلى بصفته كونه رجلا جرمانيا ففعل ذلك من بعد ان أوصى الشعب بالانقياد الى الحكومة الوطنية المؤقتة وخرج من البلغار تاركا له ذكرا جميلا ووافقت أوروبا على ذلك ارضاء لجناب القيصر الروسى بصرف النظر من حقوق الامة البلغارية وما ندرى ماذا يمسى فى عاقبة الامر لأولئك الامناء الذين قاموا مدافعين من شرف بلادهم امثل مسيو أوستنبالوف ورفقائه .

فبالتؤمل لاعمال هذا البرنس عالى الهمم واعمال توفيق الخائن الماجن وما كان من عاقبة كل منهما وما حصل من اعمال المصريين والبلغاريين بحكم بعدم نزاهة قضاة أوروبا وانهم ينوعون أحكامهم على حسب قوى الطامعين وانا نخشى أن انكلترا ترسل عساكرها بغتة الى القسطنطينية لتقيم فيها للمحافظة على سلامة الذات الشاهانية لا قدر الله .

علم الدين المصرى

ملحوظة : هذه الرسالة بخط احمد عرابى موقعة باسم علم الدين المصرى

الرسالة الثامنة

صديقى الاجل الافخم يعقوب افندى ابو نظارة رعاه الله

بعد اهداء أزكى السلام وأنمى التحية ورفع علائم الود وحفظ العهد الى قطب دائرة الحرية اعاده الله أيام اقباله برتبة من نحوس الاشراق مشرقة على ديار اظلمت بفراق أنواره فعسعس فيها ليل الظلم والاعتساف انه على ما يشاء قدير . عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . ابتلى المؤمنون فصدقوا ما عاهدوا الله عليه فأعقبهم خيرا.وابتلى أولياء السلطان فكانت عاقبتهم خسرا ، تحركت بهم سواكن الاوهام حتى وسموا على الخرطوم ـ وطاف عليهم من ربك وهم نائمون طائف الهموم

فأغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وعلموا انه لا يفعل الأعداء فى جاهل ما يفعل الجاهل فى نفسه والجى الله المتقين فأخرجهم كرها من ديارهم لم حقت كلمة العذاب على الكافرين . هكذا . هكذا . انه حكيم عليم .

قد وصلنا رقيمكم المؤرخ في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٧ مع المقالة المعلم عليها بالقلم الرصاص والجريدة الشهرية وجريدة المسيو جروميه لجميع ما ذكر فيهم من اعمال الخائنين حقا وصدقا ولكن من الأسف عدم وجود من يعرف الفرنساوية معنا .

زعم الأعداء انهم لا يتركون البلاد حتى يتم الاصلاح المرغوب فيها فهذا الاصلاح امر سهل جدا اذا جعل للبلاد حكومة شورية ومجلس نواب حر في رايه وحاكم مصري تنتخبه الأمة المصرية من الأمراء المصريين الذين حسنت سيرتهم وأن يكون عالما فاضلا عقولا محبوبا عند قومه . وهذا الحاكم يكون مقيدا بقوانين شورية وطنية مراعاة تنفيذها والمحافظة عليها .

ولكن من البديهي الغني عن البيان انه لا يمكن ادخال هذه الاصلاحات المذكورة في حكومة البلاد وتأمين الدائنين على حقوقهم الا بعد انتهى الوقايع السودانية وترك المحاربات تحت شروط مرضية راسخة ولا يمكن للمصريين والسودانيين ترك القتال ما دامت العساكر الانجليزية محتلة مصر وما دام رجل انكليزي متوظف في الجيش المصري وما دامت الحكومة المصرية معهودة الى اناس غير الوطنيين ولا يلتفت الى ما تنشره أرباب الجرائد عبدة الدرهم والدينار بأن نوبار باشا الوطني الهمـام وفلان باشا وطني النزعة وفلان وفلان . فان الوطنيين يعلمون أنفسهم حق العلم

ويعتبرون أولئك اغراب متغلبين وعبيد دفعت المالهم من اموال المصريين قد استأثروا بخيرات البلاد وساموا أهلها سوءا وخسفا فمن للدبر بعين البصيرة ولؤه نفسه من الغرض علم يقينا أن أولئك الاغراب هم حجر عثرة في طريق الاصلاح . بل هم جرثومة الخراب والدمار ولا ندحة للوطنيين من طلب حقوقهم واستقلال بلادهم في

أي وقت وفي أي زمن كان فان المصريين والسودانيين هم أمة واحدة وشريعتهم واحدة وحكومتهم واحدة وعوايدهم واحدة ولغتهم واحدة شعارهم « الوطن الوطن » فلا تضع الحرب أوزارها حتى يستخلصون بلادهم ويتممون واجباتهم الدينية والوطنية وذلك امر لا يعلم منتهاه ولا تحصر عقباه .

وقد ابلغنا سلامكم الى جميع الاخوان وهم ونجلنا محمد بك يهدونكم بازكى السلام، نرجو ابلاغ سلامنا الى حضرة السيدة قرينتكم مع تقبيل وجنات كريمتكم المحفوظة . وقدموا فائق احترامنا الى حضرة الخواجه « جروميه » واشكروه عنا على انتصاره للحق والانسانية ودمتم بخير ..

غرة ابريل ١٨٨٧

خادم وطنه

الرسالة التاسعة

10, Horton Place,
Elizabeth House, Cinnamon Gardens,
Colombo, Ceylon.

صديقي الافخم يعقوب افندي صاحب النظارات المظلمة رعاه الله آمين

بعد اهداء عاطر التسليمات وباهر التحيات قد تشرفت بورود رقيميك المؤرخ احدهما في ١١ فبراير والثاني في ٢ مارس سنة ١٨٨٨ وحمدت الله على صحتكم التي ارجو دوامها . قد سررت جدا برؤية اسم كريمتكم المحفوظة المرقوم بمساعدة انامها اللطيفة فقبلته مرارا نيابة عنها وحفظته تذكارا عندي واني اسأل الله تعالى

ان يهبها عمرا طويلا هى واخيها ووالدها وان يحفظك لهم ولنا من طوارىء الحدثان . انى أشكركم شكرا جزيلا على دوام اهتمامكم بمصالحنا ومصالح الانسانية ولكنى أؤكد لحضرتكم أنى لم آلم بما نمت به رغبة فى الشهرة وعلو الصيت ولا رهبة من التنديد . بل الذى دعانى الى المناضلة عن بلادى هو حرصى على اتمام الفرائض الدينية والواجبات الوطنية ليس الا . وقد أديت ذلك بالفعل الى آخر رمق من

حياتى . فلا ابالى اذا من تنديد الشانئين فان جميع نبهاء قومى يعلمون حقيقة أعمالى ومقاصدى الوطنية . اما ما أتى به القنصل اليونانى السابق من المفتريات فله العذر فى ذلك حيث أن معظم المرابين الذين عاثوا فى البلاد بالفساد وغشوا الاهالى بمعاملتهم الخداعية حتى استولوا على كثير من اطيان المصريين وعقاراتهم وجردوهم من املاكهم

هم من الاروام اليونانيين وأن اغلب القضايا والدعاوى المفتريات التى تقام ضد الاهالى هى صادرة من رعايا اليونان وبناء على ذلك كنت طلبت بمشروعاتى الوطنية وضع حد قانونى لأولئك المرابين لا يتعدوه كما ان الاهالى لا يتجاوزوا حد الاعتدال فى طلب القرض من المرابين . لذلك كبر على ذلك القنصل حصر منافع أمته تحت حد

قانونى . وانى ما اتاه من ذمى ولكنى لا ابالى بذمه ولا بمدحه فان نفسى بيد الله وحده وقومى راضون منى . ومع ذلك ارجوك السماح فى عدم ايضاح ما كلفتنى به اذ ان الوقت الحاضر لايمكننى من ذلك لانى فى ريبة من عدم ورود مايدل على وصول رسالتى السابق ارسالها لحضرتكم التى فيها مسالة طائفة المساجين والمنفيين

والراقدين . لكن يمكنكم اخذ الاستعلامات الكافية من حضرة مسيو جون نينت(1) المقيم بمدينة جينوا (2) سويسرة حيث تجد عنده كلما تحبه وتختاره الخائنين هم ابوشيطان على بك يوسف ابن خنفس المير آلاى البيباده عبد الرحمن بك حسن القائمقام السوارى فقط لا غير .

ارجو ابلاغ عاطر سلامى الى قرينتكم المحترمة وتقبيل وجنات المحبوبين لولى هانم وحلمى افندى . الجرائيل جارى وصولهم بدون تأخير ودمتم سالمين .

٢٥ مارس ١٨٨٨

صديقكم خادم وطنه

الرسالة العاشرة

الى حضرة صديقنا الاجل الافخم يعقوب افندى مدير جريدة ابو نظارة الباهرة حفظه الله آمين .

بعد اهداء عاطر التسليمات وأبهاها وباهر التحيات وانماها نخبركم اننا بحمد الله

---

(1) جون نينيه Ninet سويسرى من انصار الثورة العرابية ، وقد الف كتابا بالفرنسية عن عرابى والثورة العرابية كان فى طليعة الكتب التى انصفت الثورة المصرية .

(2) جنيف

تعالى بغاية الصحة والعافية والمرجو أن تكونوا كذلك متمتعين بحسن الصحة وكمال العافية . هذا وبلغوا أزكى سلامنا الى حضرة السيدة قرينتكم المحترمة وقبلوا لنا وجنات المحفوظين أنجالكم الأعزاء لولى هانم وحلمى أفندى .

يا صديقى مضى مدة طويلة ما حظينا برؤية تحاريركم المطمئنة للقلوب فلمناسبة ان هذا اليوم هو يوم الوقوف بعرفات وباكر يكون عيد الأضحاه الشريف وعند وصول هذا لناديكم المنيف يوافق عيد اول العام الهجرى اغتنمنا الفرصة بأن نقدم لحضرتكم جليل التهنئة بهذه الأعياد المترادفة الشريفة ونقول لكم كل عام وأنتم بخير وعافية رافلين فى حلل السعادة ، والهناء وبلوغ المنا ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يقرب الوقت الذى نحظى فيه بمعانقة حضرتكم فى الوطن العزيز حيث يكون علمكم فيها أكبر اعلام الحرية ولعل ذلك يكون قريبا فهمت يا عزيز انشاءالله . قد رأيتك فى الاسبوع الماضى فى المنام وذلك انى رأيت جميع وجوه بلاد الوطن وعمائهم مجتمعين فى دائرة متسعة جدا فى الدور الاعلا من المكان المخصص للاجتماع واعيان كل جهة جالسين بأوده والأود متجاورة ومنفصلة من بعضها بواسطة برامق من الخشب فقط على شكل « اللوجات » وتوفيق راقد مع رجال حزبه فى لوجه غير ممتازة بشىء من غيرها وجميع المحل مزين بزينة عظيمة وفى وسط تلك الزينة على رأس الدرج الموصل الى فوق عامود من بللور وفى داخله جمعه (١) عظيمة وطولها نحو ثلاثة أمتار وذلك العامود مزين من الخارج بأنواع الزهورات وقيل لى هذا العمود وهذه الشمعة أحضرها أبو نظارة وسيحضر حالا فى هذه الهيئة . وكان هذا الاجتماع . وهذه الزينة لاجل ترتيب مجلس نواب وكثير من نبهاء المصريين يلقى الخطب الحماسية فى شأن ذلك على الحاضرين . وكان كل هذا يجرى على غير رغبة الاهبل (٢) وحزبه ولكنهم تالفين . وكأننى أتنقل فى تلك اللوجات وأحيى رجالها وأحرضهم على التعاضد والائتلاف وأبشرهم بالنجاح واذا بقائل يقول ها أبو نظارة حضر فتعانقت معك معانقة الاحباء وكأنك كنت قلت لى قبل ذلك تأكل الذرة القيلى فى مصر وكانى كنت آكل فى كوز ذرة حين حضورك فقلت لك خذ هذا وكل هنيئا مريئا قد أعطاك الله ما تمنيت واعلم انه لم يكن موجود فى البلاد جميعا ولا كوز الآن غير هذا الذى أعطيتك . وكأنك فرحت بذلك الكوز فرحا شديدا وخصوصا وانى كنت آكل منه شيئا وقلت الحمد لله وقد حضرت فى زمن موافق وأكلت من الذرة القيلى ثم انتبهت فوجدت نفسى فى سيلان فحمدت الله على مقابلة الارواح وتمنيت مقابلة الاشباح وذلك يكون انشاء الله تعالى ولدنا محمد بك يهديكم أزكى السلام ويقبل وجنات المحفوظين ودمتم كما رمتم افندم .

٩ ذى الحجة ١٣٠٦ هجرية و ٩ آب عبرى — محبكم المخلص خادم وطنه

احمد عرابى الحسينى المصرى

قلنى من الموسيو جون نينت

اخى هو ام لا ...

---

(١) شمعه .
(٢) الخديو توفيق .

ووقع ذلك [illegible] فعاليه [illegible]

الوباء عند مضى على هذه المدة عشرة [illegible] انتهى [illegible]

من ارخ الضيق واقترب فيظ ما يترقبه كل محب او [illegible] من الثبات

والمظلوم حتى ضعفت قوتنا وفترت همتنا وضعف [illegible]

وقل سعينا والأمل بعيد والكرب شديد والموعود مرتقب

والعهود خلاف [illegible] وكأننا لسنا باولاد اولئك الرجال

الذين عرفوا كيف يذودوا عن حدودهم ويكيدوا اعداءهم

ويذودوا عن شرفهم واستقلالهم صارت الأمور في ايدي رجاله

[illegible] رواتبهم من وطنهم ووظائفهم والكل متوجه للابعد واحد [illegible] لا.

وانتم باعتنائكم تعرفون البواقي فكافيتم من التطويل فان من

نظر [illegible] لا [illegible] على الكثير من ذلك ولذا ترون خطي بغير

انتظام فاعذروني ولا تعذلوني . تفضلوا بتقديم فائق احتراماتي

للمحترمة السيدة قرينتكم مع تقبيل وجنات المحروس سعيد

لغالبه هانم وحلمي افندي بارك الله لكم فيهما ومن هنا

اولادنا يهدونكم اطيب السلام ودمتم بخير وسعادة

افندم سنة ١٨ محرم الخير سنة ١٣١٠ خادمكم ومخلصكم

احمد عرابي
الحسيني
المصري

[illegible]

الرسالة الحادية عشرة

71 Bambalapitia,
Colombo, Ceylon.

الى حضرة الاستاذ الفاضل واللوذعي الكامل رافع اعلام الحق على قواعد الحرية . محب وطنه العزيز قياما بواجب الانسانية الشيخ يعقوب افندى ابو نظارة المصرى حفظه الله من كل عدو مغرى آمين .

اهديكم عاطر تسليماتي وباهر تحياتي . وبعد لقد حظيت بتلاوة كتابكم الكريم رقم ٤ الشافي وحمدت الله تعالى على دوام حسن صحتكم وحفظ عافيتكم جميعا وسررت جدا من المحاورة المفروض اجراؤها معى اذ كنت أجبت نفسك معتذرا عنى بنفسى ما فى نفسى وطربت سرورا من لطف ولدكم الالمعى المسيو الفرد ليت ورقة طباعه ودماثة اخلاقه خصوصا ولكونه مبعوثا من طرف اعز الاحباب واكرم الانجاب فانى فى جزيرة سيلان على حد قول القائل العربى :

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فما نحن بالاحياء فيها ولا الموتى

اذا مـــا اتانا زائر متفقـــــد
فرحنا وقلنا جاء هـذا من الدنيا

ومع ذلك فانى صابر على قضائه تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله

قد مضى على فى هذه الجزيرة عشرة سنوات اتجرع فيها مرارة الصبر وارقب فيها مايترقبه كل محب لوطنه من النجاح والفلاح حتى ضعفت قوتى وفترت همتى وضعف نظرى وقل سمعى والامل بعيد والكرب شديد والوعود عرقوبية والعهود فلادستونية وكاننا لسنا باولاد أولئك الرجال الذين عرفوا كيف يذودوا عن حوضهم ويكبدوا اعدائهم ويذبوا عن شرفهم واستقلالهم صارت الامور فى ايدى رجال دينهم رواتبهم ووطنهم وظائفهم والكل عرى لايبدوا حراكا .

وانت يا عزيزى تعرف الباقى لعالميتمن التطويل فان نظرى لا يساعدنى على اكثر من ذلك ولذا ترى خطى بغير انتظام فاعذرنى ولا تعذلنى . تفضلوا بتقديم فائق احتراماتى الى حضرة السيدة قرينتكم مع تقبيل وجنات المحروسين لولى هانم وحلمى افندى بارك الله لكم فيهما ومن هنا أولادنا يهدونكم اطيب السلام ودمتم بخير وسعادة افندم

١٨ صفر الخير سنة ١٣١٠

خادم وطنه محبكم

احمد عرابى الحسينى المصرى

سعادة محمود سامى باشا مقيم فى كندى ولذا لم امكن المسيو الفرد مقابلة سعادته والخطاب الرسول من حضرتكم ارسل اليه من طرفنا يكون معلوم

الرسالة الثانية عشرة

حضرة الاديب الفاضل واللوزعى الكامل حامل لواء الحرية على كاهل الانسانية الشيخ يعقوب افندى صاحب النظارة رعاه الله وابقاه

عزيزى اهديكم عاطر تسليماتى وباهر تحياتى ، وبعد فارجوكم تقديم واجب احتراماتى الى حضرة الست قرينتكم مع تقبيل وجنات المحروسين عبد الحميد حلمى افندى ولولى هانم افندى ، هذا وقد حظيت بتلاوة خطابكم رقم ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ وسررت به جدا لاشتماله على ماانتم فيه من الصحة والعافية التى ارجو دوامها عليكم . اما ماذكرتموه من الاحتفاء والاجلال بصديقنا وتلميذكم المسيو لميتر فهذا بعض ماهو واجب لمثل هذا الفاضل الذى أعتز بعلومه وآدابه وصفاء سريرته ، وانى لا أنسى ابدا عظيم لطفه ولطيف مؤانسته ورقة طباعه . واما ماذكرتمونى به من الاطراء فانى لا اعش اليه ولا ارتاح لسماعه اصلا ولا اعتبر نفسى الا مقصرا فى حقكم وحق الصادقين فى خدمة الوطن العزيز امثالكم ولكن لا حيلة والامر على ماتعلم من احكام الدهر ونزح معين الثروة وذل الاسر فى سجن العدو فلله الامر من قبل ومن بعد . والحمد لله على كل حال . نحمده على بلائه كما نحمده على آلائه . واما ماذكر من انقطاع رسائلى عنكم مدة خمس سنين فالله يعلم انى ماتأخرت عن رد رسائلكم اولا فأول وقد حررت لحضرتكم رسالة بعد مقابلة سحب الطرفين المسيو لميتر ولا اراها

الا وصلت اليكم بعنوان الست حمالكم المعتاد استعماله بيننا . أما المتولى (١) شيء له ياسيدى ، فلا لوم عليه أصلا لانه لم يصبه شيء من أدران الخيانة لوطنه اذ ذاك لصغر سنه . ولا لوم عليه فيما هو عليه الآن لحكم الشبيبة اذ أن الشباب شعبة من الجنون والحب يعمى ويصم كما قيل ولكن اللوم كل اللوم على رجاله الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يسلكوا مسالك الوطنية الحقة ولم يلجأوا الى ملجأ مكين . بل اتخذوا دينهم الرواتب ووطنهم الوظائف . وتبهاء الأمة الآن فى حالة انقطع فيها حبل الدين وتزعزعت أعمدة اليقين واختلف الأصل وتشتت الأمر وضاق المخرج وعمى المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصى الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمهم وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت طرقه . أطاعوا الشيطان الاحمر فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله . بهم سارت أعلامه وقام لوائه فى داهية دهماء داستهم باخفافها ووطأتهم باظلافها . فهم فيها تائهون حائرون . جاهلون مفتونون فى خير داء وشر جيران بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

واما العامة فانما هم صم ذوو أسماع وبكم ذوو كلام وعمى ذوو ابصار . لا احرار صدق عند اللقاء ، ولا اخوان ثقة عند البلاء وانما هم اشباه الرجال ولا رجال بل اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر ولا حول ولا قوة الا بالله . واما مايسمع من اهتمام دار الخلافة فى امر الوطن فهى جعجعة فارغة لايعود منها فائدة ولا خير فى قول لايتبعه عمل . وراحة الفكر بنا أولى .

أوقاتك سعيدة دوموا بعافية . أولادى جميعا يهدوكم باهر السلام ويقبلون وجنات طفى وأولى ودمتم عززى .

سنة ١٨٩٢

خادم وطنه

الحسينى المصرى

الرسالة الثالثة عشرة

هذه الرسالة كتبها عرابى من القاهرة بعد عودته من المنفى

الى حضرة الفاضل المحترم صديقنا العزيز الشيخ يعقوب سانوا شاعر الملك دامت مودته .

بعد اهداء حضرتكم عاطر السلام وباهر التحية ، نخبركم ان الله تعالى قد من علينا بالعودة الى وطننا العزيز ، وقد وصلنا الى القاهرة فى مساء يوم الاثنين سبتمبر سنة ١٩٠١ ومكثنا فيها أسبوعا واحدا ولكثرة ازدحام الناس علينا مابين مهنيء ومتفرج قد بارحناها وتوجهنا الى ناحية القرشية ومكثنا بها مدة فى ضيافة صديقنا الاوحد الكريم احمد منشاوى باشا . وملاذك الا تباعدا من الاجتماعات وقطعا للقيل والقال . ثم عدت الى القاهرة . فوجدت كتابا من حضرتكم بتاريخ ٩ اغسطس سنة ١٩٠١ بين الاوراق التى وردت الى مصر بعنوانى قبل حضورى

---

(١) الخديو عباس الثانى .

اليها ولم أتمكن من تصفحها لكثرة الزائرين ، وبتلاوته حمدنا الله على دوام حسن صحتكم وكمال عافيتكم وانا نشكركم شكرا جزيلا على شريف احساساتكم نحونا . وحسن لقائكم بنا وتهنئتكم لنا بعودتنا الى وطننا المحبوب .. ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا برؤيتكم المنيرة . أما ما تقوله المتقولون وما يتشدق به المتشدقون فانا لانبالى ولا يثنى عزمنا من مبدأنا الاساسى الذى هو «مصر للمصريين» ان لم يكن اليوم فغدا . والامور مرهونة بأوقاتها واذا أراد الله امرا هيأ أسبابه ولا راد لقضائه جل شأنه .. قد أكلنا الثمرة الشهية والحمد لله وكنا نود أن تقاسمونا فى أكلها كسابق رؤيتنا المعلومة لديكم وليس بغريب اذا من الله بحضوركم الشخصية فصل الشتاء فى وطنكم المشتاق أهله الى أنوار محياكم اذ لامانع الآن يمنع من ذلك فى عهد مولانا الخديو عباس باشا حلمى حفظه الله .

تفضلوا بتقديم فائق احتراماتنا الى حضرة قرينتكم المحترمة والى انجالكم المحفوظين عبد الحميد افندى حلمى والسيدة لولى هانم القاهرة والى حضرة محبنا العزيز محمد افندى عبد الفتاح وكل من يطرقكم من اخواننا المصريين ودمتم فى رعاية الله تعالى

٧ نوفمبر ١٩٠١

محبكم المخلص

احمد عرابى الحسينى المصرى

هذا البيان هام جدا

ومع الأسف ليس فيه مايشير الى تاريخ كتابته

الرسالة الرابعة عشرة بلا تاريخ

هذه رسالة بلا تاريخ كتبها عرابى على شكل بيان الى المصريين

نذير مشفق

يا أبناء الوطن المهضوم ! اسمعوا .. اسمعوا وقر سمع من لم يسمع الداعية . وقر قلب من لم تكن له أذن واعية . يا أيها الاخوان ، اقبلوا النصيحة ممن نصح وتلقوها بالطاعة ممن حملها لكم واعلموا أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب الا أوعاها للحكم ، ومن الناس الا أسرعهم الى الحق اجابة . وويل لمن ساءت سيرته وجارت ملكته وتجبر واعتدى ، والله ما منع الأمن أهله وأزاح الحق من مستحقه الا كل كافر جاحد ومنافق ملحد ولئن امهل الله الظالم فلن يفوته أخذه وهو له بالمرصاد وعلى مجاز طريقه وموضع الشجاء (١) من مجاز ريقه .

يا أبناء وادى النيل الذى عز خلاصه ، الى متى أنتم عاكفون على الفكاهات ومضاحك الحكايات ومحال الترهات ، والى أين تذهب بكم المذاهب وحتى متى تبيت بكم الغياهب ، وتختدعكم الكواذب ، هل من خلاص أو مناص أو معاذ أو مجاز او فرار ، كلا ، فلا تركنوا الى جهلائكم ، ولا تنقادوا الى أهوائكم فان النازل بهذا المنزل على شفا جرف هار ، واحذروا الجبن فانه عار ومن قصته

---

(١) الشجا : ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره

واتعظوا بالعبر ، واعتبروا بالغير ، وانتفعوا بالنذر .
يا أيها الاخوان اتقوا الله الذى أعذر بما أنذر ، واحتج بما نهج وحذركم عدوا نفذ فى الصدور خفيا ونفث فى الآذان نجيا ، وأيم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة ، وانتم لهاميم العرب والسنام الاعظم فاستحيوا من الاستنامة للعدو فان فيها العار وولوج النار ، هلك والله من استنام الى العدو وباعه دينه نهبا حيث مال نال اليه قد اتخذه هو وسيوده فيا للعار ويا للفضيحة ، اذا كنتم فى النهار تبيعون وتشترون وفى الليل على فراشكم تتقلبون وتنامون وانتم فيما بين ذلك من عاقبة امركم غافلون وبالعمل تسرفون فمتى تفكرون وتقدمون ومتى بأمر خلاصكم تهتمون . يا ايها الاحبة الى كم توعظون ولا تتعظون ، وكم قد وعظكم الواعظون وحذركم المحذرون ، وزجركم الزاجرون وعلى سبيل الفلاح ارشدكم الراشدون واقاموا عليكم الحجة واوضحوا لكم المحجة ، فارفعوا أصواتكم بطلباتكم واحفظوا حقوقكم ووطنكم المقدس تنالوا شرفكم الاقدس ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

رسالة اخرى بلا تاريخ

85 Colpetty,
Colombo, Ceylon

صديقى الاجل الافخم يعقوب افندى ابو نظارة رعاه الله آمين :

بعد اهدائكم غوالى تسليمات عاطرات مشحونة منا بصادق الوداد وسحائب تحيات باهرات يعبق ندها فى كل ناد ، قد حظيت بتلاوة رقيمكم العاطر وعلمت ما تضمنه من النبأ الباهر ، فحمدت الله سبحانه على حسن صحتكم وكمال عافيتكم انتم واولادكم ومحبيكم ، ونعلمكم اننا جميعا بغاية الصحة ، وان كنا فى دار الغربة والاسر ، وترانا دائما فى النكبات مسرورين لاعتقادنا بانه لا بد من نفاذ ما سبق به الكتاب ، وان ما رأيتموه من أسباب عدم توحيد الكلمة هو حقا ولكن لو شاء ربك ما فعلوه وما ربك بظلام للعبيد ، فبعدل منه تعالى انتقم من عباده الذين عصوا أوامره العادلة وانكبوا على معاصيه وارتكبوا نواهيه وتخاذلوا عن نصرته ، فسلط عليهم عدوا أولوا بأس شديد والقى فى قلوبهم الرعب فانت تراهم كحمر مستنفرة فرت من قسورة ولكنا نثق بان الله تعالى اسمه سينقذ عباده المستضعفين الذين يعبدونه لا يشركون به أحدا ويوحدونه تعالى وينزهونه عن الصاحبة والولد فيعيد لهم الكرة على احسن مما كانوا فيه ، ان الهنا عادل وذو بطش شديد ، سيقهر أعداءه ويخرجهم بيد قوية وساعد رفيع وينتقم منهم جزاء ما اقترفوه من دم الابرياء الذين يغضب الله لهم ، ويتجلى تعالى بجبروته وقهره وعظمته وكبريائه ، فلذلك نحن نتصبر وننتظر وفاء وعده تعالى .

أرجو تقديم واجب احترامانى الى الست قرينتكم وقبلوا لنا وجنات نجلكم العزيز حلمى أفندى وكريمتكم الغالية لؤلؤ هانم ، ومنى لهما الف الف سلام . ومن هنا ولدنا محمد بك يهديكم عاطر السلام ودمتم فى رعاية الله وعظيم عنايته تعالى . .

خادم وطنه
مخلصكم   احمد عرابى الحسينى المصرى

---

(١) بالتأكيد كتبت بعد عام ١٨٨٧ وهو العام الذى انجب فيه ابنه حلمى لان عرابى فى هذه الرسالة يرسل بسلامه الى حلمى - وقبل عام ١٩٠١ وهو العام الذى عاد فيه عرابى الى القاهرة والرسالة مكتوبة من المنفى

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

رئيس قسم التاريخ واستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس



احمد عرابى — يعقوب صنوع

مراسلات المنفى بين "عرابى" و"أبو نظارة"

نحن هنا امام الفصل الختامى فى دراما بطلاها رجلان احبا مصر وعملا من اجلها : احدهما بالسيف والسنان ، والآخر بالقلم . وشاءت المقادير لكل منهما ان يطرد من بلده : احدهما الى سيلان ، والآخر الى باريس . وفى المنفى التقى الرجلان بالمراسلة : يتذاكران الماضى ويجتران آلام الهزيمة والاغتراب وظلم الطغاة وتقول القائلين ، ولا يفتأن يشتاقان الى مصر ويتمنيان العودة اليها .

والخطابات التى تقدمها الى القراء قد دبج معظمها يراع المنفى فى سيلان : احمد عرابى — الى المنفى فى باريس : يعقوب صنوع .

ولا يمكن قراءة ما بين سطور هذه الخطابات الا اذا تبينا طبيعة اخوة الكفاح التى ربطت بين الرجلين . فيعقوب صنوع اول من انشا مسرحا فى مصر ، واول من اصدر صحيفة هزلية كاريكاتورية فى الشرق ، واول من اخرج مجلة بالالوان — وقد استغرق كفاحه فى سبيل مصر اربعة وثلاثين عاما . بدا نشاطه فى مصر باصدار صحيفة هزلية بالفرنسية اسمها (البعوضة) ، وقفاها باخرى اسمها (النظارة) ، ثم اصدر صحيفة بثمانى لغات عنوانها (الثرثار المصرى) ، كانت من اوسع الصحف انتشارا . وقد اغلقتها السلطات الخديوية فى عهد اسماعيل بسبب النقد الذى

وجهه الى الخديو وحاشيته ، وهجومها على التدخل الاجنبي في شئون مصر . الا ان الشهرة التى اكتسبها صنوع ترجع الى صحيفته الهزلية « ابو نظارة زرقا » التى اوحى بصدورها جمال الدين الافغانى الذى فكر فى انشاء صحيفة هزلية تنتقد حكم اسماعيل وجعل صنوع رئيسا لتحريرها . وسرعان ما لصق اسم الصحيفة بصنوع .. مشيرا الى ان رئيس التحرير رجل يرى من بعيد ، ويتصف بالالهام ولا تفوته فائتة .

وكان « ابو نظارة » اول من كتب باللغة العامية واتقن السخرية السياسية ، مستعملا المصطلحات والاسماء الشعبية للاشارة الى الشخصيات السياسية وعلى راسها الخديو اسماعيل الذى رمز اليه بلقب « شيخ الحارة » ، على حين رمز الى الفلاح المصرى بلقب « ابو الغلب » .. وبذلك وجه هجوما مركزا الى الطغيان السياسى فى مصر بلغة عامية احرزت « لابو نضارة » شعبية واسعة . الا انالصحيفة لم تلبث ان صودرت بعد عددها الخامس عشر ، وارغم صنوع على مغادرة مصر فى يونية ، ١٨٧٨ ، فتوجه الى فرنسا . وفى باريس بدا حياته معلما للغات ، ثم ما لبث ان وثق علاقاته بكثير من ساستها واصحاب الراى فيها ، يساعده على ذلك اتقانه للغة الفرنسية وغيرها من اللغات الاوروبية والشرقية وما اتصف به من لباقة وتالف للقلوب . وقد استغل هذه العلاقات فى اثارة قضية مصر فى فرنسا واوروبا : فقد كان يتردد على مختلف المجتمعات والمحافل ويلقى فيها محاضراته ويترجم لها ما يرد اليه من مصر من رسائل ، ويكتب فى مختلف الصحف .

ولم تطل غيبة صحيفة « ابو نظارة » ، فما لبثت ان ظهرت من جديد ، وهربت اعدادها الى مصر حيث لقيت رواجا كبيرا ، الا أن وزارة رياض (١٨٧٩ — ١٨٨١) حرمت دخولها الى البلاد .. ورغم ذلك فقد كانت ترد الى البلاد بصورة او اخرى . ثم بدل صنوع اسم صحيفته فجعله (النظارات المصرية) ثم (ابو صفارة) ثم (الحاوى) ، ثم عاد الى (ابو نظارة زرقا) . وهكذا تعددت اسماء صحفه ، فاذا هى تتجاوز اثنى عشر اسما . وعلة ذلك ان السلطات المصرية — قبل الاحتلال وبعده — كانت تصادر صحف صنوع ، بما اضطره الى تغيير اسمائها حتى يوهم المسئولين المصريين بان الصحيفة الجديدة فى كل مرة لا تمت اليه بصلة . وظل يصدر صحفه نحو ثلاثين عاما ، حاثا مواطنيه على محاربة الاستعمار والاستبداد ، ذاكرا وطنه باستمرار ومتمنيا له ان يتخلص من الاستعمار .. فاذا حدث هذا « ... كنت اودع قلمى وقرطاسى ، واعود الى مصر واعيش بين اهلى وناسى ، لان الغربة طالت على ووحشتنى الديار ، وتقرى ضعف قوى وصبحت اختيار ..

مراسلات المنفى بين «عرابي» و«أبو نظارة»

ويا هل ترى بعد هذا البعاد الطويل يسمح لى الزمان بالعودة الى وادى النيل ! »
وانتهت حياة صنوع فى المنفى فى عام ١٩١٢ .

اما عرابى فانه غنى عن التعريف . فهو زعيم اول ثورة مصرية تصدت فى التاريخ الحديث للطغيان الخديوى والاستعمار البريطانى . ولم تنجح الثورة فى تحقيق اهدافها المباشرة ، اذ كانت نكستها راجعة الى تدخل القوى الخارجية القوية وعرقلتها للتطور الداخلى لمصر والمصريين . هذا الى انقسام مصر ما بين عرابيين وتوفيقيين وعناصر الانتهازية المحلية وما قامت به من اعمال الخيانة والغدر وبلبلة الخواطر . وبعد هزيمة الثورة عملت انجلترا على تصفية آثارها والتمهيد لسياستها الاستعمارية ، فاجريت المحاكمات لزعماء الثورة وعلى راسهم عرابى . وقبل ان يصدر الحكم اعلنت الحكومة الانجليزية عزمها على الا يحكم على عرابى بالاعدام ، وقوبل هذا الاعلان فى مصر بالوجوم .. وتقول البعض بان ذلك انما هو « ثمن » تواطؤ عرابى مع الانجليز قبيل موقعة التل الكبير . واشاع اعداء الثورة هذا الافتراء ، فكان له صدى مرير فى النفوس . وسرح جيش الثورة وشتت من اشتركوا فيها . وثبت الخديو على عرشه ، وحكم على زعماء الثورة ـ وعلى راسهم عرابى ـ بالنفى الابد الى جزيرة سيلان .

وما لبثت ان انطلقت حملات التشهير على الثورة وزعمائها ، فاخذت الدوائر الاستعمارية تشيع انها لم تكن سوى « عصيان » لصاحب السلطة الشرعية يكمن من ورائه التعصب الدينى . وادعت انجلترا انها بغزوها لمصر لم تسع الى ما هو ابعد من اقرار الامن والنظام والمحافظة على المصالح الاوربية وحماية الخديو . ولم تجد الثورة كثيرا من الاصدقاء سواء فى الداخل ام فى الخارج . فقد نعى عليها المصريون انها كانت السبب المباشر للاحتلال الذى رزح فوق صدورهم ، خاصة وانهم قد اثرت فيهم الحملات المسمومة التى اطلقها اعداء الثورة . وفى اوروبا لم تجد الثورة سوى عدد قليل من المنصفين ، وسبب ذلك ما اشاعته الصحافة الاستعمارية الانجليزية ، وما فى صدور الاوروبيين وشعورهم من تحامل قديم ضد الشرق واهله .

وفى المنفى وصلت الى عرابى اصداء حملات التشهير عليه وعلى الثورة المصرية . وقد سجلت خطاباته الى صنوع ـ رغم ما كان يدركه من الرقابة المفروضة عليه ومنعه من اى نشاط سياسى ـ دفاعا عن الثورة المصرية ، وتبريرا للدور الذى لعبه ، غير نادم على ما قام به ، مبينا انه ما تصدى الا لتقويض الظلم ونشر العدالة

فى ربوع وادى النيل ، ومشيرا الى الثورة باعتبارها « نهضة عرابية وفريضة دينية وحركة وطنية ورايا عاما » .

كما نستشف اعجابه بصنوع ومواهبه الكتابية وتقديره لما اداه لمصر من خدمات . ومن الناحية المقابلة نلمس ان صنوع كان لا ينفك يعمل على رفع روح عرابى المعنوية ، يسخر صلاته بالصحافة الاوروبية لنشر بعض الحقائق عن الثورة بقلم زعيمها . فقد طلب من عرابى ان يكتب نبذة عن حياته ، هى — فى أغلب الظن — المسودة الاولى لكتاب « كشف الستار عن سر الاسرار ، او النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية » .

وينفى عرابى عن العسكريين الذين تصدروا الثورة انهم كانوا مدفوعين باسباب مرتبطة بالترقية وتحسين احوالهم المادية ، ويشير الى مظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١ باعتبارها « يوم العروبة » ، ايماء الى البطولة والنجدة والفداء ، وهو ما اتصف به من اشتركوا فى هذا اليوم المشهود وتحدوا السلطة الخديوية . وهو — برغم تخاذل الكثيرين فى اواخر مراحل الثورة — ينفى عن مواطنيه صفات الضعف والخيانة ، ولا يعدد سوى خائنين اثنين ، مفضلا الاشارة الى ما اسهم به الكثيرون من التبرعات من شتى انحاء مصر واستعدادهم لافتداء الوطن بالروح والمال الا انه حين يذكر احداث الثورة ونفيه يشير الى مصر باعتبارها « الام العقوق الفاسقة » ويرجو لها ان « تترك عشاقها الاجانب وتتوب من ذنبها وتتذكر قدمها وحرمها » . كما نستشف من خطابات عرابى انه — برغم ما كان يشيعه عنه خصومه — كان ملما بالسياسة الدولية متتبعا لاهم مجرياتها . فهو يعلق على الاحداث التى تحملها اليه الصحف ، وينتظر على احر من الجمر صحف صنوع وجريدة « العروة الوثقى » التى كان يصدرها الافغانى ومحمد عبده فى باريس . ويعلق طويلا على القلاقل التى نشبت فى بلغاريا ويقارنها باحداث مصر ، ويسخر من عدم تدخل اوروبا فى شئون البلغاريين الذين ثاروا على اميرهم وخلعوه . بل انه يوضح ان مصر التى انكرت عليها اوروبا طلب الحرية والاستقلال كانت اكثر تقدما من بلغاريا التى ساندت اوروبا مطالبها القومية ، وفى ذلك قوله : « تزعم اوروبا ان مصر لم يان لها ان تتمتع بالحرية وتلقى ذلك ... (النير) الاستعبادى عن عنقها لكونها لم تتوفر فيها شروط التقليدات الاوروبية . على ان مصر ذات مدارس وعلوم وصنايع وزراعة وتجارة ومعارف وآداب .. مصر افتتحت مدارسها ونظمت اداراتها على نسق التقليدات الاوربية منذ سبعين سنة ، والعدو يرى عدم استعدادها لنوال

مراسلات المنفى
بين عرابي وأبو نظارة

الحرية .. وبلغاريا لم تلق ذلك الهمجية من اخلاق ذواتها الا من مدة لا تزيد على سبع سنوات . واول خطوة القتها في طريق الحرية متوكئة على عصا الروس تحصلت على امتياز يؤهلها للحصول على الاستقلال واتخذت لها مجلس برلمان وانشأت المدارس العسكرية ولم يقل احد من الاوروباويين ان بلغاريا لم تكن مستعدة لان يكون لها مجلس برلمان حر الافكار » .

وحين الف الكولونل شاييه لونج كتابا عن « الانبياء الثلاثة » ـ ومنهم عرابي ـ ينفى زعيم الثورة المصرية عن نفسه تهمة النبوة ، مؤكدا ان محمدا خاتم النبيين والمرسلين . ويسأل عرابي صنوع عن اخبار جون نينيه ، ذلك السويسري الذى كان من انصار الثورة المصرية وكان في طليعة من كتبوا للدفاع عنها : فقد الف كتابا بالفرنسية عن عرابي في عام ١٨٨٤ ، وكتب مقالا عن « اصول الحزب الوطني المصري » بالانجليزية في عام ١٨٨٣ . كما نستشف وفاة لولفرد بلنت المستشرق الانجليزى الذى ناصر الثورة المصرية ، الامر الذى جر عليه كثيرا من الاذى والاتهام في انجلترا .

ويتتبع عرابي انباء الثورة المهدية في السودان ويتعاطف معها ويؤكد ان « المصريين والسودانيين امة واحدة وشريعتهم واحدة وحكومتهم واحدة وعوايدهم واحدة ولغتهم واحدة وشعارهم (الوطن الوطن) » .

وتبلغ الدراما ذروتها حين يعود عرابي الى مصر ، وحينئذ يؤثر البعد عن الاضواء والنزول في ضيافة « صديقه الأوحد » النشاوى باشا بعيدا عن القاهرة وذلك منعا للقيل والقال . ولا تستمر مراسلات الرجلين بعد عودة عرابي الى مصر بمثل انتظامها السابق ـ اذ يبدو ان العقوق والنكران والهجمات المسمومة التى وجهت الى الزعيم المصرى كان لها أثرها في روحه المعنوية ، مما يفسر تخبطه بعد ان انكره قومه وتنكروا له ـ هذا برغم انه يسجل انه لا يبالى بذلك ، بحيث لا يثنيه شيء عن مبدأ (مصر للمصريين) « ان لم يكن اليوم فغدا » .

هذه هى الخواطر التى تثيرها هذه المراسلات التى تفيض بنفس المشاعر التى الهمت البارودى باشعار المنفى . ولاستكمال هذه الصورة لا بد من الحصول على الوثائق البريطانية المودعة في دار المحفوظات بلندن تحت عنوان « العرابيون في سيلان » . فهى تكشف لنا تقارير القناصل البريطانيين المتعلقة بحياة ابطال الثورة في المنفى : او الفصل الختامى في دراما أبطال الثورة المصرية المعروفة بالعرابية .

د . عبد المحسن صالح

زواج ذرتين

ربما كان هذا اغرب عنوان تقع عليه أنظار العلماء والادباء وطلبة وطالبات المدارس والجامعات .. وربما يتساءل الجميع بدهشة : ما دخل الادب بالكيمياء هنا ؟ .. وهل يمكن حقا ان تتحول لغة التفاعلات والذرات والجزيئات والمعادلات الجامدة التى تحشر فى الرءوس حشرا الى لغة ادبية من ذلك النوع الذى يرتاح اليه الحس ، ويطمئن به الفؤاد ؟

ان ذلك يتوقف - بطبيعة الحال - على درجة التذوق ، وعلى الطريقة التى نفلسف بها علومنا وحياتنا . ولسنا نعنى بذلك ان نكتب كتب الكيمياء بصورة ادبية فلسفية علمية ، ولكن الذى نعنيه حقا هو محاولة تقريب ذلك وشرحه بصورة محببة الى النفوس ، ليرتاح اليها كل من يريد ان يدرس ويعرف .. فلو نظرنا الى الكيمياء على انها لغة جديدة ظهرت من قديم الزمن فى مجتمعات جد صغيرة تحكمها قوانين ، وتسير على نظم ، فاننا ولا شك سنخرج من ذلك بحصيلة كبيرة من المعرفة والحكم ، وسنعرف كيف ان كل شيء قد قام على اساس ، وسار بقانون !

وهذا المقال ليس الا محاولة منا لتقديم العلم بصورة بعيدة عن العقد والتعقيد .. ولقد اخترنا هذا العنوان من واقع احداث ما يجرى بين الذرات من سلوك قد لا يكون غريبا ولا مستحدثا فى سلوك مجتمعاتنا البشرية

● سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ●

دراسة أدبية
كيميائية



رسوم: حلمي التوني

قيل أن الملك سليمان كان يفهم لغة الطير والحيوان ويتحدث مع الجن والعفاريت .. وقيل أن علماء الطبيعة والكيمياء والحياة يفهمون بدورهم لغة الذرات والجزيئات والخلايا .. فكل متخصص في علم من العلوم يستطيع أن يخبرك مثلا كيف يتصرف « المجتمع » الذرى أو الجزيئى مع بعضه . اذا واتته الفرصة للاجتماع في مكان ، وليكن ذلك المكان مفاعلا ذريا أو أنبوبة اختبار او خلية حية .. الخ .

وما دام الملك يفهم .. والعلماء يفهمون ، فلا أقل من أن نفهم بدورنا بعض ما يحدث في هذه المجتمعات الدقيقة، مستمدين بذلك من لغة العلم العريضة ، فنحولها من صورة جامدة ، الى صورة حية تنبض بالبهجة والادب والحكمة والحياة !

كأنني سمعت همسا حائرا بين ذرتين اجتمعتا في مكان ، ودار بينهما حديث قصير ، عقدا بعده صفقة رابحة تباركها السماء ، وجمعهما « عش للزوجية » جد صغير .

كانما ذرة الصوديوم تهمس لذرة الكلور فتقول : انني اراك يا اختاه ذرة شرسة غير مهذبة ولا عاقلة .. ولا ادرى لماذا تفتكين دائما بكل ما تقابلين .. فاذا الفجر غزان او انبوبة قد حبستها « بنر ملتك » . فالكم تهاجمون الحياة والاحياء .. كل من يستنشقكم يموت ، سواء كان المستنشق انسانا ام نوبا ام صرصارا ام ميكروبا .. او قد تفرضون أنفسكم عنوة على الجزيئات الاخرى ، فتدخلونها دخول الغزاة البرابرة .. فهلا أخبرتنى — بحق السماء — لم هذه الشراسة وهذا الهجوم ؟

وتهمس ذرة الكلور معاتبة : غريب منك هذا الهجوم القاسى على يا اختاه .. لهذه هى طبيعتى التى جبلت عليها .. فاذا كنت فى نظرك شرسة غير مهذبة ، فلا ذنب لى فى هذا .. واسأل السماء .. ثم دعينى اسألك بدورى سؤالا : هل أنت مثلا ذرة طيبة لا تهاجم ولا تحرق او تفتك كما افعل ؟ « الصوديوم مع الماء يعطى الصودا الكاوية » .

ذرة الصوديوم : آه .. انني آسفة يا أختاه .. لقد كان يجب على ان انتقد نفسى ، واصلح عيوبى ، قبل أن انتقد واصلح عيوب غيرى .. فانني لا افعل ما افعل الا من خلال تكويني الذى يشقيني .. ان بلوتى تتركز فى ذلك الساكن الاليكترونى الذى يقطن عندى وحيدا فى طابقى الثالث .. انه كالداء اللعين الذى يؤرقنى ، ويدفعنى دفعا لأعاجم غيرى ، علنى اتخلص منه ومن وجوده .. ليتنى جئت الى الحياة بدونه ، ولكن ما قدر يكون .. ولتخبرينى بربك يا اختاه : هل عندك أنت نفس المشكلة ؟

ذرة الكلور : ان بلوتك لهينة .. فانا احس بنقص عجيب ، واسعى جاهدة لكى اكمل نقصى .. حتى ولو سلكت الى هذا طرقا ملتوية غير مشروعة !

ذرة الصوديوم : يا حرام !! اتسلكين فى حياتك سلوك بعض بنى الانسان ؟

ذرة الكلور : استغفر الله .. مالنا بهم من شأن .. فلهم دين ، ولنا دين .. صحيح انهم قد منحوا الفكر والعقل وبسطة فى الجسم ، وهيهات أن نرقى الى مصافهم ، ولكن يبدو لى — يا أختاه — ان لكل مجتمع منغصاته وصراعه ودفعه

بعضه بعضا ، وكأنما هذا شيء متوارث في طبائع الذرات والجزيئات والناس وكل المخلوقات .. ومع ذلك ، فلا بد ان يكون من وراء ذلك أسباب لا تدريها ولا تعيها

لقد استرسلت يا أختاه في الحديث، ونسيت مشكلتي التي يجب أن أحدثك عنها حديثا من القلب للقلب « أي من نواة لنواة » .

ان بنائي الاليكتروني يتكون من طوابق « مدارات » ثلاثة .. الطابق الاول فيه ساكنان .. اليكترونان دواران .. وهو

قد اكتمل بسكانه لضيق المكان .. ثم ثمانية في طابقي الثاني ، ولقد اكتمل بالسكان .. ولكن المشكلة — عقدة النقص — تكمن في الطابق الثالث ..

ففيه سبعة ، ولقد كان بودي ان يتكامل أيضا بثمانية .. ولكن ما بالتمنيات تطلب ما نريد ، ولا بالتواكل نحصل على المزيد ، بل علينا أن نتصارع

ونتناقش ونتنزع بالقوة ما نشاء ، حتى نصل الى ما نصبو اليه .. ليس هذا حالنا وحدنا .. فلقد كنت ذات مرة في جزيء متفاعل في مخ انسان ، ولقد

سمعت صاحب هذا المخ العظيم يردد ويقول :

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ومرة أخرى يقول :

ودعوى القوي كدعوى السباع
من الناب والظفر برهانها

هكذا حالهم ، وهكذا حالنا .. فلا بد أن تؤخذ الاليكترونات في عالمنا غلابا .. بالظفر والناب ان كان لنا مثل مالهم ، وبهذا وحده نصل الى ما وصل اليه النبلاء في عالمنا !

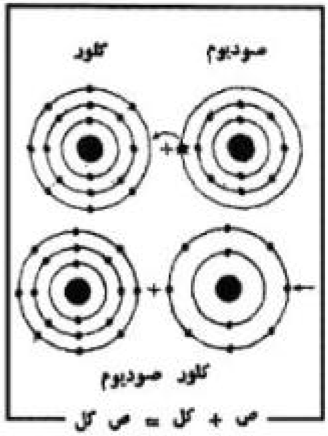
ذرة الصوديوم «بتعجب» : نبلاء ؟!.. هل في عالمنا ذرات نبيلة تريدين أن ترتقي الى مسالها وتتوصلين الى رتبها ؟

ذرة الكلور : يبدو لي ياعزيزتي انك لا تعرفين من أمور دنياك شيئا .. الم تسمعي من قبل عن النبلاء الذين اكتملت طوابقهم بسكانها ، فدائما هي ثمانية ثمانية ، فلا يأخذون منا ولا يعطون ، ولا يختلطون معنا ولا يتفاعلون ، ولهذا وضعهم علماء البشر في مرتبة خاصة ، أو مجموعة فريدة ، وأطلقوا عليها « مجموعة الغازات النبيلة » أو النادرة .. لندرتها في الارض ، وأحيانا أخرى يسمونها « مجموعة الغازات « الخاملة »
«Noble Rare or Inert gas»

والى هنا تبدو ذرة الصوديوم ، وكأنما تضحك ساخرة ، فتهتز اليكتروناتها ، وتظهر قهقهتها على هيئة موجات كهرومغناطيسية تستقبلها ذرة الكلور وتفهم معناها ، فتقول لذرة الصوديوم معاتبة : ما الذي يضحكك ويثيرك يا أختاه ؟

ذرة الصوديوم : أضحك لهؤلاء النبلاء الخاملين .. لماذا جاءوا الى ما داموا لا يختلطون معنا ولا يتفاعلون ؟ .. وانى لأعجب كيف تسعين لتكوني مثلهم !!

ذرة الكلور : وما يدريني انك لا تسعين الى ما أسعى اليه .. ان هناك دوافع خفية تدفعك وتدفعني لأن نسلك سلوك الغازات النبيلة ، أو لم تكوني في مخ انسان لتسمعي ياصاحبتي قوله



عز وجل « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** » .. وكذلك .

فلولا هـذا الدفع الخفي الكامن وراء النظام المتقن الذي جاءت به طبائعنا لفسد مجتمعنا ، ولأصبحنا مشردين في الكون أشتاتا أشتاتا .. لاتربطنا رابطة، ولا تظهر على أكتافنا مجتمعات آنيـة وقانية .. مجتمعات شتى تسكن الثرى، أو تجرى على الارض ، أو تسبح في الماء ، أو تحلق في الهواء .. هل فهمت يا ذرة الصوديوم ؟ .. هل توصلت الى الحـكمة الكامنة وراء طبائع الذرات والبشر وكل المخلوقات .

ذرة الصوديوم : يبدو لى أنك قـد أوتيت شيئا من الحكمة يا أختاه .. وأرجوك أن تعلميني مما أوتيت علما !

ذرة الكلور : ان احساسي الدفين الذي يدفعني دفعا الى مثل هذا السلوك الغريب هو أنني اريد أن أكون شـبيهة بذرة الارجون النبيلة ، أتشابه معها فقط في مظهري الخارجي لا في باطني « أي في مداراتها الاليكترونية لا نواتها » .. فلقد اكتمل طابقها الثالث – لحسن حظها – باليكترونات ثمانية ، فارتاحت واستراحت .. وطابقي الثالث يحتاج الى ساكن واحد أضمه الى تكويني ، ليصبح مكتملا مثلها بثمانية .

ذرة الصـوديوم : وأنا ؟ .. كيف أسعى الى ماتسعين اليه لكى أكون كذرة الأرجون النبيلة ؟

ذرة الكلور : لقد أخبرتني أن الذي يؤرقك هو ذلك الساكن الوحيـد الذي يقطن عنـدك في الطابق الثـالث ..

وما عليك الا أن تتخلصي منه ، فتريحين وتستريحين ، وعندئذ سـتكونين مظهريا في مصاف ذرات النيون النبيلة .

ذرة الصوديوم : أما غريبة .. لقد انتهت المشكلة .. أنت تطلبين اليكترونا وحيدا .. وليس لدى مانع من أن أتنازل لك عن هذا الساكن الذي يؤرقني في طابقي الثالث ، لأريح وأستريح .

ذرة الكلور : اذا أردت أن تمنحي .. فلتقتربي ولنتعانق

●●●

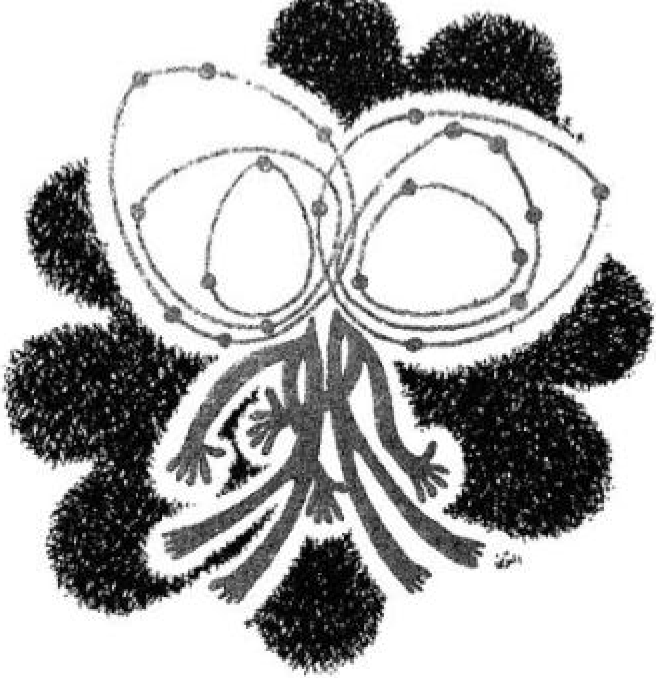
واقتربت ذرة الصـوديوم من ذرة الكلور ، حتى اذا ما دخلت في مجالها حدث الشيء الذي تباركه السماء .. ففي لحظة خاطفة تمت صفقة اليكترونية رابحة ، وارتبطت الذرتان برباط مقدس، أو غير مقـدس ، لست أدرى ، **ولكن الذي ندريه حقا ان اللقاء يصحبه ارتفاع في درجة الحرارة .. حرارة اللقاء أو التفاعل – كما يتراءى لك – وبعدها تفقد ذرة الصوديوم ضراوتها .. وكذلك الكلور ، فيتحول الصوديوم الحـارق ، والكلور السـام ، الى جزيء من ملح الطعام .. لا هو حارق ولا هو سام !**

وتعود ذرة الصـوديوم – التي لم تصبح ذرة بالمعنى المفهوم بعد أن ارتبطت مع ذرة الكلور في عش زوجيـة صغير تسميه جزيئا – لتقول : حبيبتي ياكلور .. أحس بأن ما كان يثقل كاهلي قد زال عني ، وأشعر وأنا في رحابك براحة بال ، واطمئنان فؤاد ، وكأنك تجذبينني اليك ، وأجذبك الى ، وكأنما أنت لباس لى ، وأنا لباس لك ، فهل تشعرين بما أشعر، وتشاركينني هذا الانسجام الفريد ؟ « **يجذبها وتجذبه .. نسمي هذا علميا قوة الجذب الايوني** » .

الكلور : حبيبي يا صودى « تقصـد صوديوم » .. أو لم تشعر بأن شيئا من تكوينك أو جزءا من كيانك ، قـد انتقل منك ليصـبح جزءا من تكويني وكياني ؟

الصوديوم : لست أدرى .. فهنـاك شعور جميل لست أعرف كنهه ولامغزاه .. فهلا شرحت لى سر هذا الاحساس اللطيف ؟

الكلور : سأنبئك يامصفى الحلو .. فعندما اقتربت مني وجدت لها غريبا لكي أمتلك جزءا غاليا وحساسا من كيانك



.. لقد ادخلت اليكترونك الوحيد فى تكوينى ، وكأننى قد ضممته بحنان الى « صدرى » .. أتصفه الى الطابق الثالث من بنائى ، وهكذا أتممت الرسالة التى كنت اليها أسعى ، والآن أحس بتكامل .. فلقد أصبح السكان السبعة فى طابقى الثالث ثمانية .. ليصبح مظهرى كذرة النيون النبيلة .. يا لها من راحة واستقرار .. وسبحان مغير الاحوال ، ومهذب طبائع الذرات .. فمن كان ياعزيزى يظن أن الكاوى والسام .. أنت وأنا ، يجمع بينهما عش صغير ، أو جزىء من ملح الطعام ، لا هو كاو ولا هو سام !!

الصوديوم : ولكن ماذا تعنين بقولك مظهرى ومظهرك ؟

الكلور : لان قلوبنا « نوى الذرات » ما زالت كما هى .. كل ما تغير هو المظهر .. تلك الستارة الاليكترونيـــة التى تحيط بها القلـــوب .. قلوبنا ، ولهذا فنحن فى الظاهر نتشبه بالذرات النبيلة ، وفى البـــاطن ما زلنا نحتفظ بشخصياتنا .. مثلنا فى ذلك كمثل بنى الانسان .. فقد يكون ظاهرهم شىء ، وفى باطنهم شىء آخر مختلف تماما .. قد يتظاهرون بالطهر والتقوى والعفة ، وفى الباطن صفات أحلك من الليـــل البهيم !

الصوديوم : كلامك يجذبني ويستهويني ياكلوري الغالية .. ولكن هل لي أن أسالك سؤالا : أتشعرين أنك ما زلت ذرة متوازنة في نظامها ، خاصة بعدان أخذت من تكويني شيئا ، وحملتيه في تكوينك حملا !!

الكلور : يبدو لي ياصوديوم أنك تظهر بعض السخف في أسئلتك هذه التي بها تحرجني ، ومع ذلك فلا بد من بيان وترضيح .

أنا أعترف بأنني حملت منك اليكترونا ، وباليكترونك هذا اصبحت أيونا .. هكذا أسماني علماء البشر بعد أن جمع بيني وبينك عش صغير .. تماما كالانسة في عالمهم ، فانا جمعها مع الرجل عش الزوجية ، تحولت الانسة في عرفهم الى سيدة ، كما تتحول الذرة في عالمنا الى أيون ..

الصوديوم : وأنا ؟ .. ماذا يا ترى قد أطلقوا علي ؟

الكلور : أنت أيضـــا أيون ! .. ولكن ..

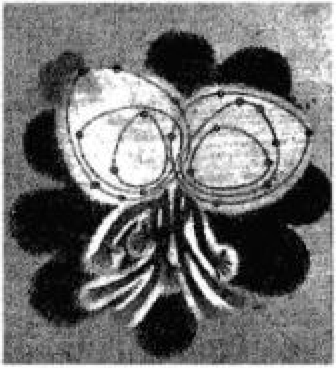
الصوديوم متقاطعا : أيون ؟! .. غير ممكن ولا معقول !

الكلور : صبرا ياحبيبي .. أنت الايون الموجب ، وأنا الايون السالب .. والموجب والسالب في عالمنا بينهما دائما جاذبية ، كالجاذبية بين الذكور والاناث في عالم الانسان والحيوان .. الا أن جاذبيتهم الجنسية تتحكم فيها أشياء يطلقون عليها اسم هرمونات الجنس ، وجاذبيتنا كهربية بطبيعتها .. في مجتمعاتهم تنفصل من أجسادهم خلايا جنسية .. وتندفع من ذكورهم الى اناثهم ، لتتحد ببويضاتها ، وفي مجتمعاتنا تنفصـــل من تكوينهـا اليكترونات ، لتدخل في تكوين ذرات أخرى لتحملها حملا ، فيـــكون الترابط بيننا أقوى !

الا أن هنـــاك فرقا جوهريا بين مجتمعاتنا الذرية ، ومجتمعاتهم البشرية والحيوانية .. فهم تخلفهم ذرية جديدة ، أما نحن فلا ذرية لنا ، أي أننا لانستطيع أن نلد جزيئا صغيرا من ملح الطعام ، ومع ذلك فنحن الاساس في تكوينهم .. فبالجزيئات الكثيرة التي تنتج من ترابط بني ملتنا بروابط مختلفة وكثيرة تتكون ملايين فوق ملايين من أشـــياء يطلقون عليهـــا اسم الجـــزيئات أو المركبات الكيميائية .. والحياة ياعزيزي ما هي الا تفاعل كيميائي منظم تنظيما رائعا ، ليمنح المخلوقات طاقة كيميائية حيوية بها يعيشون ويجرون ويتزوجون ويعملون ، حتى يختل النظام ، ويتوقف التفاعل ، ويأتي الموت .. فيعود كل شيء الى أصله .. يعودون الى ذرات وعناصر وجزيئات بسيطة .. اذن فنحن البـــاقون ، وهم الفانون .. ندخل في تكوينهم تارة ، ونخرج تارة أخرى .. وهكذا تستمر رحلتنا عبر ملايين السنين .

الصوديوم : كم أنا سعيد بصحبتك يا أيوني الغالي ، وسوف أظل مرتبطا بك ما دمت حيا ، فلا تفرق بيننا قوة في الارض بعد ذلك أبدا !

الكلور : أوه .. لقد عدت الى خيال بعض بني الانسان ياصودي .. ويبدو



لي أن التفاعلات الكيميائية لم تحركك ولم تحركها .. ففي حياتنا قوانين يجب أن تسري ، وهكذا نظمت لنا الامور دون أن ندري ، فلا نستطيع أن نحتج ولا نهرب من المحظور .. ومع ذلك ، فلو جاءني من هو أقوى منك جاذبية وأشد بأسا ، ليجذبني منك جذبا ، وليطردك من مجال طردا ؛ فلا تستطيع لذلك صبرا ؛ اللهم الا اذا استطعت أن تثبت لي أنك أقوى .. عنـدئذ أقول لك مرحى مرحى ..

وهكذا لا بد أن تعلم أن في حيـاتنا نواميس من الصراع والطرد والجـذب والاحـلال أو الاحلال ، وبذلك يسري التنظيم في عالمنا ، والغلبة فيه للاقوى، ولولا ذلك ، لاصبح كل شيء في الكون غير متحرك ولا متفاعل ولا متنافس ، ولأصابه الجمود القاتل .

الصوديوم : كلامك يؤزرني ياكلوري .. ولكن دعيني أسألك : من هو ذلك الايون الذي تفضلينه علي ليحـل في عشنا الصغير محلي !؟

الكلور : غريب أمرك ياصوديوم .. فما أكثر أسئلتك ، وما أشد جهلك ، وسأخبرك بما لم تستطع عليه صبرا ، فان سألتني بعدها فلا تصاحبني ، وليكن هذا فراقا بيني وبينك ، واليك بيـان بعض ما تهوى ، فلعلك لا تعود فتتهوى!

أولها : أن رحلتنا في هذا الكوكب طويلة ومثيرة .. فقد ننتقل من أرض الى بحر الى طحلب الى سـمكة الى طير أو انسان الى الارض ، وقد تجرفنـا الامطار لتعود الى الماء ، وقد تأتي بجوار خلية حية ، وقد تختارك الخلية لمهمة عاجلة ، فتلتقطك من عشـنا الصغير بطريقة هي بها جـد خبيرة ، ويكون الفراق ، وفي الداخل ستسير مع طوفان من جزيئات أخرى ، وستجد لك هناك رفيقا ، وهكذا لابد أن تعلم أن دوام الحال من المحال !

وثانيها : أن الفراق قد يأتي عندما يمرر بنو الانسان تيارا كهـربيا في محلول منك ومني ، وينطلق القوة يجذبني القطب الموجب ، لانني أنا الايون السالب وأنت يجذبك القطب السالب ، لطبيعتك الموجبة ؛ وقد تأتيك الشقاوة بمهاجمة جزيء ماء ، وترتبط بجزء من تكوينه لتصبح صودا كاوية .. أما أنا فأعود لهيئتي الاولى .. بعد أن حدث «الطلاق» أو الفراق .. لست أدري ، ولكن الذي أدريه حقا أنني لا أسـتطيع أن أعيش وحيدة ، فلقد عاد الى تقص .. ولهـذا فقد جئت لارتبط .. وفي الرباط حياة .. رحلة طويلة طويلة .. ياصودي !

وثالثها : ان الاقدار قد ترميني في مكان .. أو قد يأتيني أيون ذهب أو فضة .. أو حتى حديد ونحاس ، فتنطرد من مجالي ، ويحل محلك واحد من هؤلاء .. وأصبح أنا « ملام » نحاس ، أو ذهب أو فضة ... أعني كلوريد نحاس أو ذهب أو فضة .. على حسب ما ترميني الاقدار .. ولكن لابد أن تعلم .

وهنا يقاطعهـا الصـوديوم قائلا : تبا لك من رفيقة .. اذ لا أعرف الحكمة أو السبب في تفضيلك للنحاس والذهب والفضة .. أو لست أنا ..

الكلور غاضبة مقاطعة : هذا اذنفراق بيني وبينك .. فلا شك ..

وفي لحـظة خاطفة يقـع المحظور ، ويضيف طالب في معمل محلولا منملح الطعام « كلوريد الصوديوم » الىمحلول من ملح لنترات الفضة ، ويحدثالفراق وتتم صفقة كيميائية جديدة ، يظهر على أثرها راسب أبيض ، ويجد الصـوديوم نفسه مرتبطا — رغمـا عنه — بأيون النيترات ، ليصبح «نيترات الصوديوم» وترتبط الكلور بالفضة ، لتصبح راسبا من كلوريد الفضة .

والى هنا تنتهي التمثيلية ، ويسـدل السـتار ، ليفتح من جديد على ملايين البلايين من التفاعلات التي تتم في كل لحظة بين مجتمعات ذرية وجزيئيـة ، ليكون التغيير والتطور والحياة . **وكأنما الذرات في ترابطها وانفصالها بمثابةأدق وأروع مجتمع درسه العلماء حتى الآن ، فكل شيء فيه يسري بقـانون ، ويتم بناموس ، وكأنمـا الذرة على ضآلتها بمثابة سماء صغيرة أوحى الله فيهـا أمرها ، ليسير كل شيء بحسابوبقدار.**

الوهم

● فاروق شوشة ●

— ١ —

هل ان سقوطك يا ظل الوهم الشائه
تتمدد خلف عيون الليل المطفأة
تلهث خلف الابواب ، وملء رؤانا المهترئة
وتظل على الانفاس ، ثقيل الوطأة والسيماء
كاللعنة . . ابدا لا ترحل

كالقدر الجاثم .. كالمنجل
تحصد ازهار امانينا

- مازلت سرا لم تتفتح عنه الاكمام -
تجرف طعم الامن الوادع في ابعد اغوار النفس
حتى القاع ...
محنى القامة .. والاحساس ..

مخنوق النبرة والانفاس
مسحوقا امشي ، اتخفى ، اتضاءل ، التفت حولي
خشية أن ينسحق جميع الناس !

هل آن سقوطك يا جبل الوهم الشائه
تحجب عنا لمح النور وافق الرؤيا
فنظل نعود ..
ونظل نعود ..

يقذفنا الديجور الى الديجور
في تيه الاصوات المصمتة !

— ٢ —

اسأل : - يا مذلة السؤال -
هل آن ان نعود للبراءة ؟
لفطرة الانسان حين يملك الانسان

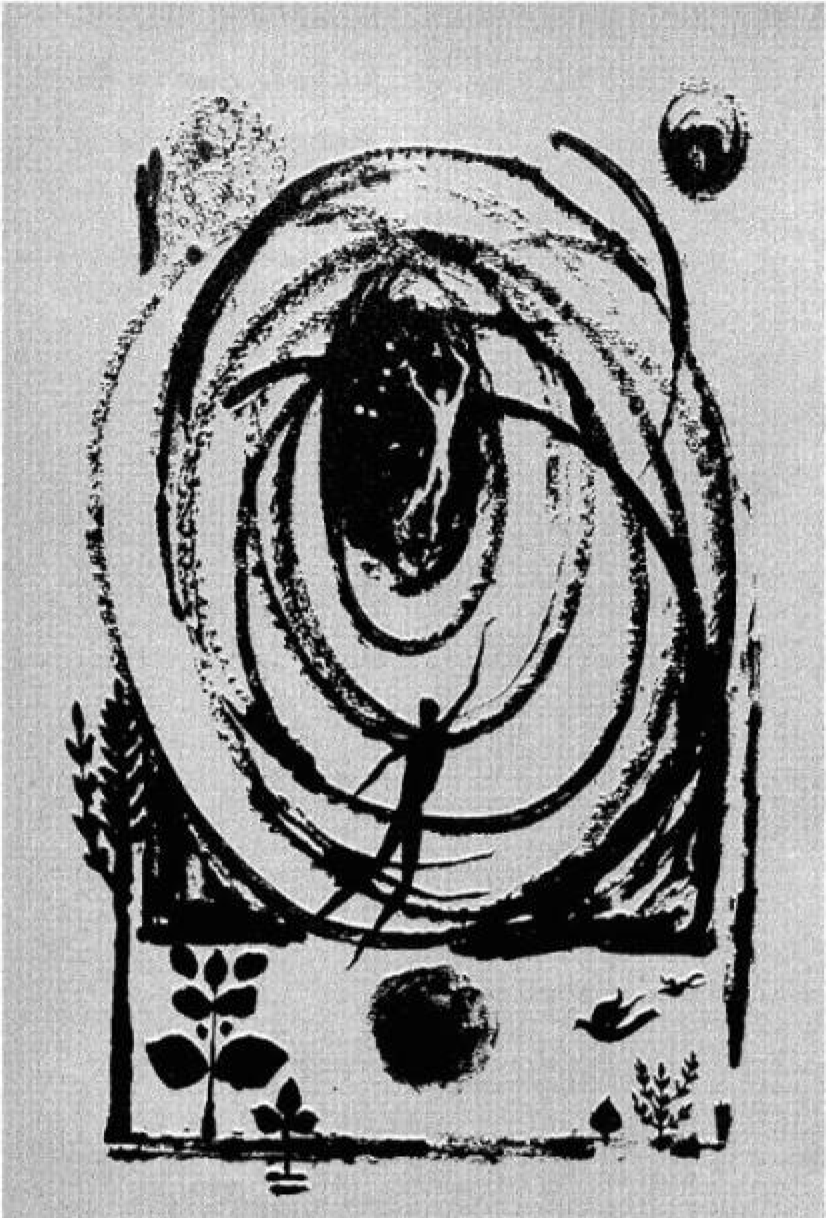
بقبض كفيه الضئيلتين زهوة الحياة ..
هل آن ان نعود للجراءة ؟
لفطرة الانسان حين يؤمن الانسان

بقدرة الغريق ان يلاطم الموج وان يجاوز الردى
بحثا عن النجاة !

هل آن ان نعود للقراءة ؟
لفطرة الانسان حين يعرف الانسان
حقيقة الذي مضى ..

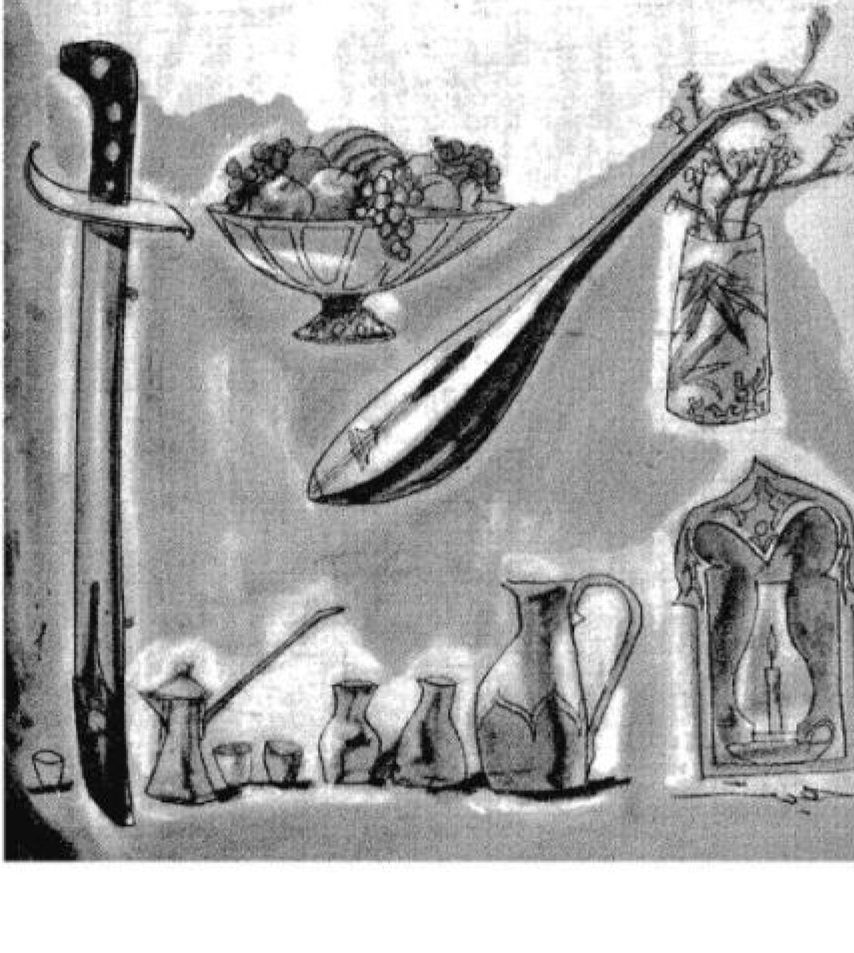
وجوهر الخبيء في بقية الزمان ..
اسأل : - من يجيبني اذا سألت ؟ -

وكلكم يعاقر الذل والهوان :
هل تعرفون قيمة الانسان ؟
كرامة الانسان ؟
حرية الانسان !



● كمال النجمي ●

الجارية ومجتمعها




الجارية المغنية البارعة الجميلة المحبوبة فى هذه الصفحات التى نسج التاريخ نصفها ونسجنا نحن نصفها الاخر ، ليست الا رمز حياة فنية واجتماعية وسياسية كاملة ، كانت تموج بمئات الالوف من الجوارى البارعات حسنا وغناء، وقد نغدو اعمق معرفة بالتاريخ حين نسمعه فى صوت مغنية او نراه فى عيون جارية حسناء ! ..

في بيت صناعته لتنشئة الجواري الحسان وتعليمهن واعدادهن للعمل في القصور ، بدأت « متيم » حياتها بمدينة البصرة في أواخر القرن الثاني الهجري ، والخليفة يومئذ في بغداد هو المأمون بن الرشيد

بيعت « متيم » بعد اكتمال تربيتها الى القائد علي بن هشام حين مر بالبصرة عائدا من محاربة بعض أعداء الدولة ، متلهفا على قضاء فترة من الراحة والمتعة بعد التعب والحرمان في تلك الحروب التي لا تنقطع في الأطراف البعيدة من دولة الخلافة ..

لم يستغرق ابن هشام وقتا طويلا في الحصول على متيم .. طرق بيت السيدة « لبانة بنت عبد الله » معلمة الجواري وصاحبة الكلمة المسموعة في بيعهن وشرائهن بالبصرة .بادرته «المعلمة» لبانة قائلة وقد غمزت باحدى عينيها ثقة واعجابا بما تعرضه من بضاعتها الثمينة على القائد الشهير :

ــ عندي أيها القائد الكبير جارية رومية الأصل تفوق كل من اشتريتهن مني قبل اليوم .. صبية شاعرة مغنية ، تؤنس أيام راحتك بعد وحشة أيامك في ميادين القتال النائية ...

ــ وكيف اجادتها للغناء يا لبانة ؟!

ــ أبرع المغنيات . تخرجت على يد « بذل » سيدة المغنيات ! ..

ــ واجادتها للشعر ؟!

ــ لا اكتمك الحق .. شعرها ليس مما يستجاد ، الا القليل منه ..

ــ وجمالها وصباها ؟! ..

ــ فاتنة لم تبلغ الثامنة عشرة بعد ..

وجاءت متيم ليعاينها الرجل قبل أن يقول كلمته الأخيرة في الصفقة ، فلما وقفت بين يديه سألها متلطفا :

ــ ما اسمك يا بنتي الجميلة الصغيرة ؟!.

قالت بجرأة الجارية المدربة منذ طفولتها على مخاطبة الشارين والبائعين :

ــ متيم ! ..

أعجبته الجارية اسما ورسما . جرى حوار سريع بينه وبين المعلمة لبانة انتهى الى اتفاق تام على الصفقة .قبضت لبانة عشرين ألف درهم ومضى علي بن هشام سعيدا بجاريته الصغيرة الموهوبة

وصلت متيم الى بغداد في عصرها الذهبي للجواري والغلمان ،وقد اتسعت أحياؤها حتى ضمت مليوني نسمة ، بينهم عدد هائل من الغلمان والجواري والعبيد المستخدمين في الأعمال الشاقة . وكثرت في بغداد تسمية الجواري بأسماء الذكور، فغلبت عليهن أسماء كفضل وبذل ووجد وفاتن ومراد وقلم وطغيان .. وأسماء كثيرة أخرى يقع معناها عليهن وعلى الغلمان بلا تفريق ..

وغرق اسم متيم في لجة هذه الأسماء ، ولكن رنينه بلغ مسامع الخليفة المأمون وراء الأستار والحجب في قصور الخلافة.

***

قال المأمون لقائده علي بن هشام ذات ليلة وقد غناهما اسحاق الموصلي وفحول

المغنين :

ــ هؤلاء المغنون يمتدحون مغنيتــك الجديدة يا على ، وحسبك ان يشهد لها بالبراعة اسحاق الذى لا يشــهد لاحد ! ..

ــ هى جارية امير المؤمنين وخادمته !.

ــ انسمعها ؟! ..

ــ ان الانتم يا امير المؤمنين ! ..

وفى الليلة التــالية جاءت « متيم » وغنت فى مجلس الخليفة وقد احتشــد فيه كبار المغنين والعــازفين ، يتوسطهم اسحاق الموصلى ، فطرب الخليفة وشرب واستعادها ، وقال لها : احســنت يا متيم ! .. وامر لها بجائزة ، وشمل على بن هشام بعطفه ورعايته ..

ثم سأل الخليفة اسحاق الموصلى عن رايه فيها فاجاب :

ــ والله يا امير المؤمنين لقد داخلنى من الطرب مالا يوصف ..

والتفت اسحاق الى متيم فقال لها :

ــ انت والله انا .. فانا من ؟! .. (١)

وانصرف على بن هشام بجاريته وقد تعلق بها قلب الخليفة وكان من اعــرف الناس بالغناء واشدهم طربا للمجيــدين من المغنين والمغنيات ، واسر الخليفــة فى نفسه ان يشترى الجارية او يأخذها هدية من صاحبها .. ولكن الخليفــة لوجيء بقائده المخلص على بن هشــام لا يريد ان يبيعــه الجارية ولا يريد ان يهديها اليه .. « فلما الح المأمون فى طلبها حرص على بن هشام على أن تعلق منــه حتى حبلت ويئس المأمون منها .. » (٢)

ولكن يأس المأمون من متيم لم يمنعه من سماعها فى مجلســه كل ليلة ، ولا من حبها ورعايتها وهى ام ولد فى بيت قائده .. وبلغت عنايته بها أن كان يسأل عنها حين تلد ، ويتدخل لتسمية اولادها . وقد علم مرة بانها انجبت ولدا فقــال لعلى بن هشام :

ــ وماذا سميتموه يا على ؟! ..

ــ ما زلنا مختلفين على الاسم ..

قال المأمون وكأنه يصدر امرا :

ــ سموه هارون ..

وهارون هو اسم الخليفة الرشيد والد المأمون .. وقد دل اختيار المأمون لاسم والده العظيم على حرارة ما يكنه من حب لمتيم ، وجسامة ما يضمره من حنق على صاحب متيم الذى رفض ان يهبها له ، ولو كانت لغيره وطلبها المأمون لكان شرفا للجارية وصاحبها ! ..

ولكن صاحب متيم كان حريصــا عليها كل الحرص ، كأنها كنز حياته كلها . ولم يصغ الى ما ينصح له خلصاؤه به من مداراة الخليفة الذى الح فى قلبــه عصيان امره كما الح فيه الحب . فكان صاحب متيم يقول لهؤلاء الخلصــاء الناصحين :

ــ اموت كمدا لو تنازلت عنها لشرى ولو كان امير المؤمنين وخــليفة رب العالمين ! ..

ويقولون له :

ــ بل تعيش ان شــاء الله ، وتطيب نفســا بتنازلك عنهــا لامير المؤمنين ، وحسبك ما اصبت من وصــالها ، وانه لكثير .. ولا يجمل بك وانت اســد الحروب ان تعجز عن فراق امرأة ..

لم يستمع الى نصــائحهم وظن ان

---

(١) قال الاصبهانى فى كتاب الاغانى تعليقا على هــذه الكلمة من الموصلى « يريد انها قد حلت محله وسارته » ..

(٢) هذه هى عبارة كتاب الاغانى . وقد يئس المأمون لان الجارية لم تعد تحل له بعد أن حبلت واصبحت ام ولد

المأمون يسليها بما ملكت يمينه من المغنيات والجميلات . وثابر الرجل على تنفيذ خطته البسيطة الناجحة فحرص دائما على ان .. « تعلق منه » فتجيء

بالبنين والبنات ، حتى صارت متيم — وحدها — أم ولده كلهم ، فليس له ولد من زوجة ولا جارية سواها ! ..

واشتد يأس المأمون من متيم فطلب النصيحة من اسحاق الموصلي الذى كان يحب لمتيم وصاحبها أن ينجوا من عواقب يأس الخليفة ، فقال له :

— يا أمير المؤمنين .. لو شئته بعثت بعلى بن هشام واليا على اذربيجان او ما يجاورها من ملكك ، فانه يبعد عنك بجاريته وترتاح منهما معا ان شاء الله ! ..

وامر المأمون على الفور بتولية ابن هشام على اذربيجان وسفره مع اهله وبنيه وجواريه وخدمه الى ولايته التى تقلدها غير راغب فيها ..

واقبل المأمون بعد رحيلهم يستمع الى الغناء كل ليلة ، وقد ظن أنه نسى قصة متيم وصاحبها كأنه دفن القصة — ودفنهما أيضا — فى ثلوج اذربيجان ! ..

ولكن صوت متيم بجرسه الرخيم واقتداره الفنى الباهر لبث عالقا بقلب امير المؤمنين كأنها ما برحت بغداد ولا انتقلت خطوة وراءها ، بل كأنها لم تغادر مكانها من مجلس طربه وأنسه بين المغنين والندامى ، حيث اعتادت ان تغنى ، واعتاد أن يشرب ويطرب ويهوى قلبه بحضورها ساعة فى مجلسه ! ..

***

— أعلمتم ما صنع على بن هشام فى اذربيجان ؟!

سؤال من المأمون دهش له رجال دولته



وامراؤه .. واجابوا :

ـ ما علمنا من شيء يا امير المؤمنين !..

قال :

ـ كتب الينا اهل اذربيجان ان واليهم ابن هشام يظلمهم وينهبهم ويسفك دماءهم ويطغى كالجبارين . وقد استصرخونا ان نرفع عنهم يده ! ..

وجم بعض الحاضرين اذ ايقنوا ان امير المؤمنين قد ظفر اخيرا بالثغرة التي ينفذ منها الى دم علي بن هشام ..

فاولئك رعايا الخليفة في اطراف دولته يضجون من جور ابن هشام ونهبه وسلبه الاموال ، وسفكه الدماء .. فاين يجد الخليفة فرصة يثب منها الى فريسه كهذه الفرصة التي سنحت له من حيث لا يحتسب ؟! ..

كان علي بن هشام من خيرة قواد المأمون . اثبت ولاءه وكفايته في ميادين الحرب ، وعاش دائما ينفذ اوامر الدولة ، وهذا ما ثنى المأمون عن الايقاع به عندما راغ من تنفيذ امره بالتنازل عن متيم ، وعندما امهله في ايلاد متيم ولداً بعد ولد كأنه يتحدى بكثرة ما ولدها ارادة امير المؤمنين !..

وهذه هي رسالة اهل اذربيجان . لا يدري احد كيف املیت وكتبت وختمت باسماء الناس . ولكن الرسالة جاءت من اذربيجان بدون شك ، تكيل التهم الثقيلة لابن هشام . فما العمل ؟!..

حاول بعض خواص الخليفة صرفه عن نيته التي لاحت بوادرها الخطيرة :

ـ يا امير المؤمنين .. ان كان علي بن هشام قد صار جبارا ، فان هذا من اثر الحرب ، وقد خاضها في طاعتك يا امير المؤمنين . وان قلبه ـ مع ذلك ـ لينطوي على رقة شاعر وظرف مغن ، وهذا ما حبب اليه النساء وحببه اليهن . فان شئت يا امير المؤمنين رفعت يده عن ولايته واحضرته الى بغداد فأقام فيها !.

قال المأمون :

ـ نعم نحضره الى بغداد فلا يغادرها..

***

صفا الزمان لعلي بن هشام ومتيم في اذربيجان ، فالعذول القوي الخطر اصبح بعيدا عنهما ، لا يطل عليهما برأسه كل ليلة وفي عينيه امر صامت صارم يقول : يا ابن هشام .. تنازل لي عن متيم .. وفي كل مرة يرد عليه ابن هشام بادب جم وخوف من العواقب : عفــوا يا امير المؤمنين .. لا اتنازل عن متيم !.

وهتف ابن هشام بمتيم :

ـ غنني في قول العباس بن الاحنف :

ما اراني الا ســـاهجر من ليـ
س يراني اقوى على الهجـــران
قد حدا بي الى الجفاء وفائي
ما اضر الوفاء بالانســـــــان

قالت متيم :

ـ هل لك في غير هذا الشعر ؟!

ـ بل فيه لا في غيره !..

وتجادلا ساعة فلم يرض بعض ماسمعه منها ، فدفع يده في صـــدرها فنهضت ولزمت حجرتها لا تخرج اليه حتى نـدم على ما بدر منه وكتب اليها متوسلا :

فليت يدي بانت غـــداة مددتها
اليك ولم ترجع بكف وســـاعد
فان يرجع الرحمن ما كان بيننا
فلســـت الى يوم التنادي بعائد

فلما اطلعت متيم على هذا الشــعر صنعت فيه لحنا وخرجت الى ابن هشام فغنته وشربا عليه وطربا وعاشا يوما من احسن ايامهما ..

ولكن المغنية الدقيقة الإحســـاس لم

تنشط للغناء في اليوم التالي ، ووجدت في نفسها حزنا لم تدر له سببا ، فاذا بها تغني دندنة خافتة تحاذر أن يسمعها أحد :

يا منزلا لم تبل اطــــلاله
حاشا لاطــــلالك ان تبلى
لم ابك اطــــلالك لكنني
بكيت عيشي فيك اذ ولى

بلغت الدندنة الخافتة مسامع ابن هشام كأنها صلصلة جهيرة ، فأدهشه الكلام الحزين واللحن الحزين ، وهتف بها من قريب ضاحكا معابثا :

ـ أراك اليوم تغنين للتحزن لا للتطرب ، كأنك تذكرت أيام البصرة ودار لبانة بنت عبد الله !..

وظن انها ستدع غناءها وتلتفت اليه ضاحكة منصرفة عما هي فيه من حزين الشعر وحزين الغناء . ولكنها مضت في غنائها الحزين الذي كأنه يحترك أوتار حنجرتها بغير ارادتها !..

●●●

انكشف لهما في اليوم التالي تأويل هذا الغناء الحزين ، في كتاب من الخليفة يحمله حرس ضخم البنيـــان مدجج بالسلاح ، يأمر علي بن هشام أن يعود فورا الى بغداد بأهله وأمواله معزولا عن ولاية اذربيجان !..

ولم يكد ابن هشام يجلس لحظة في بيته بعد وصوله الى بغداد حتى اقبل عليه رسل الخليفة يستحثونه على اجابة امير المؤمنين بلا ابطاء ، فنهض متثاقلا وصدره ينوء بوسواس اليم ..

وفي مجلس الخليفة لم ير مغنيـــا ولا شاعرا ولا مغنية ولا شاعرة كما كان يراهم هناك في سالف الايام . انه الآن ليس مجلس أنس وطرب ، فأي مجلس يكون ؟!

الخليفة وحده .. لا اسحاق الموصلي ولا مخارق ولا علوية ولا عمرو بن بانة ولا محمد بن الحارث ولا ابراهيم بن المهدي ولا الزامر برصوما . لا أحـــــد من هؤلاء المطربين ولا احد ايضا من الشعراء والادباء والظرفاء . كل من حول الخليفة قادة وجنود وحرسيون يحملون السيوف

وقال ابن هشام لنفسه متعلقا بالامل الاخير :

ـ لعل امير المؤمنين ينتدبني لحرب جديدة ، فاني علمت ان بابك الخرمي قد افسد في اطراف البلاد ..

وقبل أن يفتش ابن هشام عن امل آخر ، سك اذنيه صوت امير المؤمنين اجش رهيبا صارما كما لم يسمعه قط من قبل :

ـ كيف كانت سيرتك في الرعية يا ابن هشام ؟!..

حاول الرجل أن يجيب ، ولكن صوته احتبس كأن الكلام كله ضـــاع منه ، فاسترسل الخليفة :

ـ ظلمت النـــاس ونهبت اموالهم وسفكت دماءهم واستحللت بدمائهم غضب الله سبحانه وتعالى ونقمته على من أقامك واليا عليهم ، فلا عفا الله عني ان عفوت عنك !..

وسيق علي بن هشام الى القتل ، والخليفة ينظر اليه بعين جامدة كأنه عدو لم يلتق معه في يوم من الايام الا على العداوة والبغضاء !..

شيء واحد كان يفكر فيه المأمون بعد مصرع ابن هشام :

ـ ماذا تقول متيم وماذا تفعل ؟!..

وعاد اليه رسلـــه بعد يومين أو ثلاثة يقولون :

ـ اذهلتها المصيبة يا امير المؤمنين فلم



تخرج مع النائحات تندبه وتبكيه ، ولكن النائحات هتفن بألحان النــواح التى صنعتها متيم فى الماضى وناحت بها على بعض اعزائها ..

وسألهم المأمون :

ــ وماذا قال الناس عندما ســمعوا النائحات يرثين ابن هشام بنواح متيم ؟!

ــ قالوا ــ يا امير المؤمنين ــ : اعانك الله يا متيم على ما انت فيه . كنت علما فى الســرور ، وانت اليوم علم فى المصائب !..

وبعد ايام اخرى جاء الى المأمون من يقول له :

ــ خرجت متيم اليوم فوقفت على قبر على بن هشام وتمثلت بأبيات من الشعر « لم يكن حتى سقطت من قامتهــا ، وجعل النسوة يناشدنها ويقلن : الله الله فى نفســك .. فانك تؤخذين الآن(1) فبعد لأى ما حملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع » ..

***

مضت شهور طويلة ، والمأمون لايجرؤ على مواجهة متيم،حتى استبد به الشوق اليها يوما فبعث من احضروها .

لم يتحدث اليها بكلمة عن الماضى ولا طلب اليها ان تغنى وانما قال : اردنا ان نراك ونسألك عن حاجتك !

وهمست تشكره ثم اذن لها بالانصراف وارسل معها من يحمــل جائزة كبيرة تستعين بها على العيش ، بعد ان صادر الخليفة اموال ابن هشام ..

وشيئا بعد شيء ، استطاع المأمون ان يقنع « متيم » بغشيان مجلس انســه وطربه حين يدعوها اليه . فكان يبعث اليها لتجيئه فتغنيه . ثم انقطعت عن مجلســه شهورا وخرجت من بغداد الى البصرة لتزور استاذتها القديمة لبانةبنت عبد الله ..

وذات ليلة جاءها فى البصرة من يقــول لها :

ــ أجيبى امير المؤمنين المعتصم !..

بهتت متيم لحظة ، ثم قالت وكأنها لا تصدق ما سمعته أذناها :

ــ أو قد مات المأمون ؟!..

وعادت متيم الى بغداد . ومرت أول ما مرت بأطلال قصر على بن هشــام فتمثلت بالشعر الذى أنكر عليها غناءه من قبل فى اذربيجان :

يا منزلا لم تبــل اطلاله
حاشــا لاطلالك ان تبلى
قد كان لى فيك هوى مرة
غيبــه الترب وما مــلا
فصرت ابــكى جاهدا فقده
عند ادكارى حيثما حــلا
فالعيش اولى مابكاه الفتى
لابد للمحزون ان يســلى

وقد حاولت متيــم أن تعيش وتنسى حزنها على ابن هشام والمأمون مــعــا ، فاقبلت على بلاط المعتصم عاقدة عزمها ان تغنى كما كانت تغنى دائما . ولــما وجدت فى اعماق نفسها بعض الانكار ، سألت نفسها باستخفاف : هل انا الا جارية عند هؤلاء الناس ؟! ..

---

(1) اى يأخذها رجال الشرطة ويسألونها عن بكائها رجلا قتله الخليفة .. والعبارة بين القوسين من لغة كتاب الاغانى ..

● فوزية بريون ●

حب المغرب..

كتبتها على الجدران السمر في كل الشوارع
واخترتها من كنز قلبي الطفل حبا وانبهارا

رشقت صدر البائسين في الاكواخ . . وشمت المزارع
« احبك يا مغرب .. يا حلم .. يا أعلى الاحبة »

ينتشي الافق الرمادي تحنانا وحبا
ترقص كل الحمامات على غصن ظمىء
يتمطى الفجر في المغرب في كل مدينة
في نفوس الفقراء ، في المواويل الحزينة

في القرية الملحاح
في الرفض الذي يجتاح اعماق المدينة

***

عفوية صليت للاطفال لم يعرفوا ما معنى الطفولة
علقت رمشي بالسماء الحلوة اللون الحبية
عانقت وجه الشعب ـ يا شعبي المغبون في ليل الاعاصير الشقية ـ
ضممت رأسه لصدريا
ادخلته في صدريا
اكبرت في عيونه ابويا

***

شرايينى حبلى بحب الثرى الاخضر
وحب الوجوه التى تعكس وجه امى



وطيبة امى
واحلام امى بعقد سلام يلف الوجود

وبهى بأمطار خبز وعطف وجود
فابقى اخط على الارصفة

وفوق البيوت ، وعند الزوايا

احبك يا مغرب

يا حلم
يا احلى الاحبة

يا نبيا رائع الحيرة قد اهل ربه
احب فيك الناس — كل الناس — والارض السخية

احب فيك الصرخة المكتوم

والغضبة وهجا في العيون ترفض الطاووس والموت البطيء الزحف في صمت مخيف

تهدم الاسوار والابواب في كل السجون

احب فيك الصدق في الاحساس دفقات ندية
اعطيك قلبي البض يا شعبي المعذب
ابارك الاشواك اكليلا لراسك

والقي ملء اعماقي حبا
احبك يا مغرب

يا حلم
يا احلى الاحبة . .

● أحمد فؤاد سليم ●

وجه جانبى لراقصة باليه فرنسية كانت
تؤدى دورها على مسرح دار الاوبرا
٥٥ × ٤٥ زيت

الوجه الإنسانى عند
سيف وانلى

● تصوير سعيد عبد الحميد ●

من هو سيف وانلى

● ولد فى ربيع عام ١٩٠٦ بالاسكندرية ● شقيقه الفنان المصور واستاذ « الاسكيتش » الراحل ادهم وانلى ● خاله هو الممثل الراحل سليمان نجيب الذى كان اول مصرى مديرا لدار الاوبرا ● عمل بارشيف جمرك الاسكندرية ولقى هناك العذاب وسوء الفهم ● تعلم بعض الوقت على يدى المصور الايطالى / اوتورينو بيكى ● حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة سنة ١٩٥٨ حين ذهب هو وشقيقه الى النوبة ليسجلا معالمها ● اختير عضوا فى لجان الفنيات والتفرغ بالقاهرة ، ولكنه



قدم استقالته بعد وقت قصير لان بعضهم على حد قوله « مضللون » ● اختاره الفنان الراحل احمد عثمان اثناء عمادته لكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية لتدريس فن البورتريه للطلاب ، وعندما انتهت عمادة احمد عثمان نقلته سلطة الكلية لتدريس مادة الديكور المسرحي ، ثم نقلته الى تدريس فن المناظر للطلاب خارج الكلية (!!!) ● لانعرف له رفيقة بالتحديد الا حين استقرت الفنانة احسان مختار فى مرسمه وهيات له بعض الامان فى اوائل الستينات ● قارىء نهم ، يعشق الموسيقى الجادة والمسرح ، ولا يحمل درجة علمية من اى نوع ، ولم يتزوج ● حطم التقاليد الكهنوتية للفن وعبر من مفهوم العصر فالتحم به جميع طلاب الفن ونصبته الاسكندرية فى مكان الاب الروحى ، ويعتبر افراد جماعة التجريبيين من اهم تلاميذه ● أنجز حتى اليوم ما يقرب من ثلاثة آلاف لوحة زيتية بينها مائة وخمسون بورتريه ، و ٧٤ الف اسكتش بالقلم الرصاص والفحم والفلوماستر والالوان المائية والجواش والزيت ● فى سنة ١٩٣٦ حصل على جائزة مختار وفى سنة ١٩٤٩ على جائزة ريشاردوفى سنة ١٩٥٣ على ميدالية معرض الفنون الاسيوية والافريقية ، وفى سنة ١٩٥٩ على الجائزة الاولى لبينالى الاسكندرية ● صمم ديكور مسرحيات شهر زاد ، مهر العروسة، والاوبرات بلياتشى، وكارمن ولاترافياتا ، اوتللوا ، لابوهيم ، واخرجت الاخيرة بنفس الديكور على مسارح المانيا الغربية وامريكا الجنوبية باشراف كارلو اوزوليني ● تقتنى اعماله جميع متاحف مصر ،وله فى باريس ٢٨ بورتريه ، ٥٧ لوحة باليه تقتنيها فرقة ماركيز دى كويفاس، انجلترا ٨٠ لوحة زيتية ، امريكا ٥٠ لوحة ، ايطاليا ٤٠ لوحة ، اسبانيا ١٠ لوحات ، الارجنتين ٤ لوحات ، المانيا الغربية ٦ لوحات ، يوغوسلافيا ١٦ لوحة ، روسيا ٥ لوحات، لبنان ١٠ لوحات ، تشيكوسلوفاكيا ٢ لوحات ، بولندا ٤ لوحات ، المانيا الشرقية لوحة واحدة ● اقام معارض خاصة فى معظم بلاد العالم ، وقابل خلال رحلاته الفنان العالمى فونتانا ،وموراندى، ودى كريكو ..



الفنان سيف وانلى

سيف وانلي

سيف وانلي والتناقض

● .. ..

● انا ارسم العالم الذى يتناقض معى .

● يتناقض مع ماذا بالتحديد؟

● معى !

● ... .

● ان اللوحة هى النقيض الذى يوازينى !

سيف وانلي والبطل

● من هو البطل عندك .. الفكر ؟ أم المساحة ؟

● عندما انظر الى المساحة البيضاء تستفزني .. انني أرى الاشكال فجاة وقد رسمت فوقها، وعندئذ احس عندما اتناول ادواتي ووسائطي انني اقوم فقط بعملية تحميض على مساحة حساسة !

● انت مؤمن ؟

● نعم مؤمن ؟

● ... .

● كثيرا ما رايت الاشياء تلاطمني وهي تمسح المسافة من امامي كالخيالات الهاربة .

● هل تؤمن بالروح ؟

● نعم ..!

● اي نوع من الايمان ، ايمانك بالروح !

● عميق هو ايماني بالروح .

● غريب يا سيف !

● غريب !

● نعم غريب ياسيف !!

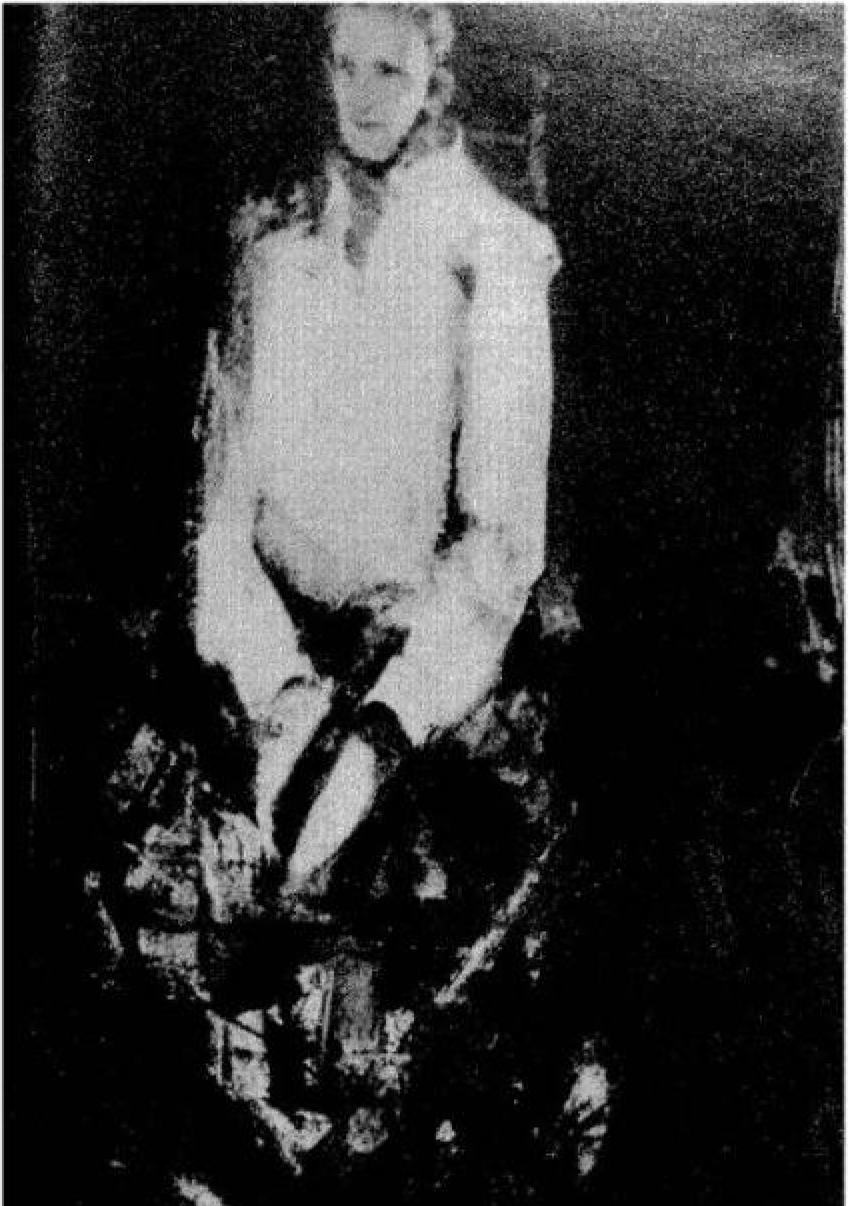
● لست اومن بالروح ايمانا نمطيا ، ولكني اراها تحاورني ..

● غريب ..!

● غريب ، ووسائطك جميعها هي المحسوس ، العالم من حولك، الريشة ، اللون ، البالته ، الزيت ، منشار البيض ، الجواش ، المياه ، السكين المجانى ، النوال ، الكرتون ، الاخشاب ، الاقلام ، الاحبار ، الجاز ، التربنتين ، البودرة ، البلاستيك ، المنظر ، البحر ، الوجه؛ فمع الفكر والفيلسوف، الحال يختلف حيث الوسائط أفكار كالاحجية !

● نعم .. غريب ! ولكن انت نفسك عندما ترسم فانت ترسم الاشياء الهاربة ، انت ترسم الروح التى هى روحك !

● ... .





وجه الفنان ادهم وائل شقيق سيف وائل
وبجانبه وجه القطة
٦٥ x ٦٠ زيت - ١٩٥٩

وجه بديع خيري
في ايامه الاخيرة
٥٥ x ٤٠ زيت

سيف وانلى

سيف وانلى والوسائط

« امامى الآن طبق – برتقالة مقصمة ، بجوارها صحن آخر ، قطعة جبن بيضاء ، سكينة وشوكة ، وقطعة خبز ، انها طبيعة صامتة تستحق الرسم ، لكنى تعب والساعة الثانية عشرة مساء . اريد ان انام » .

من خطاب الى صديق عزيز بالقاهرة بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٧٠

■ هذا هو سيف وانلى . منارة حركة الفن المعاصر فى مصر ، واحد اعمدتها الرصينة . اعماله تبدا من القبول وتنتهى بالرفض . الوانه محددة واحيانا ذائبة . خطوطه تنحنى واحيانا تستقيم . الكتلة عنده تتجسد او هى تمتلىء بالهواء . شخوصه ثقيلة . ترتبط بالارض ، او هى احيانا هشة كخيوط النمل المغوية فوق التراب . يضع الاسود بنفس الرصانة التى يحملها للابيض . فالالوان عنده مجموعة اوعية عليها أن تحتمل اسقاطاته الذاتية ، وان تمتلىء بها ونقيض . علاقته بالضوء لا تحكمها غير الحرية . فالصداقة التى تربطه بالظل هى نفسها التى تربطه بالنور . والسببية التى تثير الحركة بين الخط والسطح عنده هى نفسها التى تثير السكون الدائم بين السطوح وبعضها فوق المساحة . فيض من تيار الفكر العجيب يروح ويجىء بين الاحزان السوداء والافراح العالقة بنفس القدار .

بين الحقيقى الملموس ، والمستحيل . بين المنظور المحسوس ، واللامنظور . بين الكلاسيكية الفنية الراسخة الى محاولات ضاربة نحو الاشكال المتحركة بفعل الدوائر الكهربائية . وهى نفس السببية التى تجعله يحول البقعة الى كتلة ذات ثلاثة ابعاد او يعرى طفولتها فيسطحها فى بعد واحد . من عالم « فلاسكويز » و « فيرمير » و « رمبرانت » ، و « الجريكو » و « جويا » ، الى « دوشومب » و « بيكاسو » و « روشنبرج » و « وليام سكوت » ، و « جاكسون بولوك » ، عابرا من خلال هذا العالم المتسيد الذى احضره لهذا العصر « سيزان » ، و « سوراه » ، و « مونيه » ، و « فان جوخ » ، و « ديجا » ، و « لوتريك » ، و « ماتيه » .

هذا هو سيف وانلى الذى عبرت خلال اعماله سنوات طوالا وقد رايت عينى تتربى على رسومه وتنهيا ، اقدمه لقراء الهلال من خلال جزء واحد من اجزاء عالمه الشاسع اللذ ، من خلال فن البورتريه أو فن رسم الوجه الانسانى ، او فن ترجمة الوجه الى اوصاف يحكمها قانون اللون والخط والا طة الفعولية .

***

يعتبر « سيف » وانلى واحدا من اغزر الفنانين المصريين انتاجا ، لمجموع لوحاته الزيتية وحدها تزيد على الثلاثة الآف ، ويبلغ مجموع اسكتشاته من الزيت ،

والجواش ، والالوان المائية ، والفحم والفلوماستر ، والقلم الرصاص ، وغيرها مايزيد على سبعين الفا مجمعة في ارتال من الصناديق والادراج ، والشنط . ويبلغ عدد اللوحات الزيتية التي رسمها لنفسه فقط حوالي ٦٠ لوحة وتماثل هذا العدد تقريبا وجوه أخرى لشخصيات شهيرة ومغمورة، ونمطية ، ويزيد عدد اسكتشات الوجوه التي رسمها من المواد المختلفة ما يزيد على خمسة آلاف اسكتش وعمل تحضيري وبذلك يكون سيف وانلي قد تعدى معوقات الاداء الفني وتخطى الحواجز الى عالم المحظور ضاربا بفرشاته الفذة مخاطر الكون الابداعي ، هذا الكون الذي هو كونه الخاص حيث لا نجد الوقت بدون أن نلهث ، وحيث يتعرى الزمن من قيمته حين نلج اليه ، هكذا حيث لا يكون هناك مايعوزنا كثيرا لكي نلتقط أنفاسنا أمام أعمال « محمود سعيد » أو « احمد صبرى » او « محمد ناجى » او « محمد حسن » أو « عز الدين حمـــــودة » أو « كامل مصطفى » وغيرهم ، وغيرهم ، من أولئك الذين لم تصيبهم قدرا على أقدارنا ، ومصيرا لا نخال من دونه ملاذا آخر غير « سيف وانلى » باقتداره العميق على ان يكشف عن فكره في بساطة تتعادل والأثقل حيرة وتمردا أمام عالم محكوم ، علينا أن نقبله كما هو او نصارعه حتى الموت ونتحمل وبال خلاصنا... هذا الملاذ الذى نعثر فيه على ضالتنا عندما نرى لوحات « سيف وانلى » ، حيث نتقابل مع المحظور الذى يعادلنا ، بينما الاعمال في ورشته العجيبة تستريح حتى السقف فوق حيطان مرسمه ، او تتكىء تحت الرفوف الخشبية او على جوانب الابواب المفتوحة ، أو تحت الكراسي العالية او بين الاوراق المنسية في الادراج العتيقة .

من فلاسكويز ورمبرانت الى سيف وانلى

رسم سيف وجوها كثيرة من بينها في عالم الادب توفيق الحكيم ، وكامل الشناوى، وشكسبير . ومن بينها في عالم الموســـيقى بيتهوفن ، وباخ ، وموزار ، وشوبان ، وروسينى ، وفيردى ، وفاجنر ، وبرليوز ، وسيد درويش ، ومن بينهـــا في عالم التمثيل سليمان نجيب ، وجورج أبيض ، وعزيز عيد ، وسارة برنار ، ومن بينها في عالم العظماء جمال عبد الناصر ، وديجول ، ونابليون ، وخروشوف ، ومن بينها في عالم الفن رمبرانت ، ومحمد حسن ، واحسان مختار ، وأحمد لطفى ، وادهم وانلى ، ومن بينها في عالم الفقراء الشحاذ « ام شحاتة » ، غير العديد من الوجوه التى رسمها لنفسه في ازمنة محسوبة .

ويختلف سيف وانلى عن فلاسكويز (دييجو فلاسكويز ١٥٩٩ ــ ١٦٦٠) ، ورمبرانت (١٦٠٦ ــ ١٦٦٩) ــ فعندما كان فلاسكويز يقدم لنا الوجه الانسانى كان يترجم لنا نوع العصر والمجتمع الذى يعيش فيه فجميع أشخاص فلاسكويز وجوه تصطبغ بالنبالة، أو هى على الاصح تحليه بالعلاقات الرومانسية في ضربات الريشة ــ حيث كانت الهالات والملابس التى تحيط بالوجه تمثل نوعا ما ، ثورة على الأسلوب البنائى الدقيق لثنيات الملابس وتسريحات الشعر . لقد كانت شخصياته بكاملها ناعمة حتى في هذه اللحظات التى يتناول فيها شخصيات بسيطة او نمطية او معتادة . **لقد كان فلاسكويز عظيما وهو يقدم لنا الوجه الانسانى بالوان عبرت على المساحة كما لو كانت حدثت بالصدفة ، رقيقة حتى لتخشى عليها من الضياع حين يكون من الصعب ان تتبين الخطوط التحضيرية الاولى لرسم الشخصية** ، وهو هنا يختلف اختلافا كليا عن رمبرانت ــ وهو لا يختلف عن رمبرانت فقط في قدر الابداع وانما يختلف عنه أساسا في الاداء وفي ضربات الفرشاة وأيضا في موضوع رسم الشخصية . لقد كان رمبرانت



« عم شحاته » .. الشحاذ
زيت — ١٩٣٦

معنيا بقضية أساسية خصوصا في أعماله وأشخاصه التي توقف عندها عصرنا . كان معنيا بترجمة البؤس وعذاب الانسان . ان اشكاله كانت دائما خارج الشخص الذي يرسمه ، فلم تكن الوجوه التي اختارها تحكي أوصافا للشخصية بقدر ما تكون هي نماذج مختارة ومراده ، تقدر أن تتحمل بتغضنها وثنيات تشريحها ومسافة عمرها الزمني ما يرمي اليه رمبرانت . ولذلك فقد اختار رمبرانت البواب ، والساقي ، والفقراء ، ووجوه الاشخاص الذين يتكئون طول الوقت على العصا ضعفا وعجزا .

ولم تكن تلك هي عظمة رمبرانت وانما كانت عظمته تكمن في ضربات فرشاته الفذة ، وفي ثورته على اللون البني المحترق الذي أكده فان دايك (١٥٩٩ — ١٦٤١) — وفي ادخاله اللون الاحمر القانع (فيرميليون) والاصفر المضيء في لمسات جريئة غير مبالية على الوجه — لقد انشغل رمبرانت فوق ذلك كله بالضوء كاشكال ، وبأسلوب تركيبه فوق المساحة ، ولذلك فلم يكن رمبرانت يقدم طلاء لونيا لملء الخطوط الخارجية كما فعل مايكل انجلو (١٤٧٥ — ١٥٦٤) في بعض رسومه أو دافنشي (١٤٥٢ — ١٥١٩) أو حتى روبنز (١٥٧٧ — ١٦٤٠) — وانما هو كان يصور . كان يضع اللون حسابا كالقيمة الرياضية تتعادل في توازنها مع الضوء . وكان يتوحد على الضوء ويكثفه في لمسة تجذب اليها سائر أنسجة اللوحة .

هكذا كان اثنان من عمالقة رسم الوجه الانساني معنيان بقضايا من الخارج أكثر مما هي مستقاة أو محصلة من وجدان الشخصية ، فلم يكن الوجه عندهما غير مسقط من مساقط وجدانهما الخاص أو افكارهما الذاتية . ولم تكن الاوصاف التي يحملها الوجه لترجم اشكالا ما في صميم الشخصية ، وانما هي تعكس الشخصية كنموذج لا يكون المثير فيه ، هو ما فيه أصلا وانما المثير فيه هو قدرته على أن يمنحنا مالا يساويه ، ومالا يعادله من نوع الفكر الفلسفي العام للعصر . أو في استطاعته على الاغلب في أن يكشف عذاب الفنان الذاتي ونوع تفكيره .

***

ان المسألة اذن ليست على هذه البساطة التي نتخيلهـــا ، أي مجرد تسجيل للشخصية على مساحة معينة من التوال ، كما كانت عليه مثلا معظم وجوه « فان

ديك » ، وانما كان الاشكال مركبا تتخطفه مجموعة أبعاد ذات خواص وسمات فكرية .

على أن الامر عند سيف وانلي يختلف . وهو يختلف من مجموعة نواح . نقول ذلك ونحن نحسب في حصيلتنا قدر المساحة الزمنية التي يبتعد بهـــا سيف عن فلاسكويز ورمبرانت ، وايضا ونحن نحسب قدر الدور الهائل منذ عصر النهضة الفنية حتى امتلت هاماتنا مراحل الغضب الفنى في جيل عصرنا .

فسيف وانلي فنان يعرف كيف يرسم . يعرف كيف يرسم الوجه الانساني . ومن ثم فهو فنان لا تعوزه أسرار الصنعة الفنية منذ مبادئها التقليدية حتى التشويه المطلق . وهو ليس دكيكا عندما يرسم الشفة العليا في الوجه في حال علاقتها بالانف مثلما كان رمبرانت ، ومن ثم فالحواجز التى قد تعوق الاقتدار عند سيف ملغاه ، والسدود التى قد تقوم في وجه اشكال الابداع عنده مهدورة امامه بدون اثر .

ولكن المهم عند « سيف » هو ما ينحى اليه . فهو يرسم الوجه لكي يكشف أساسا عن شخصية لها اوصافها الخاصة ، ومميزاتها الذاتية . وفي هذا هو يختلف عن فنان ديك الذى كان منهجه في رسم الشخصية هو تسجيلها في افضل حالات ظهورها الخارجي حيث تكون الشخصية عنده في الاغلب قريبة الى الدمى أو قريبة الى النموذج . وليست متاعب « سيف » الذاتية أو افكاره الشالية هي التى تملي عليه اختيار الشخصية بقدر ما هى عند « رمبرانت » أو « فلاسكويز » ـ فثمة ما هو كائن عند سيف ، هذا الذى يجعله قادرا على ان يتخلص من ذاته عندما ينهج الى رسم شخصية معينة ، انه يراها من بعيد ، ويظل بعيدا عنها حتى اللمسة الاخيرة . ان ما يعنيه أساسا هو كشف النموذج أمام الناس . كشفه بأوصافه وعلاته ، بحسناته ومساوئه، وحتى بعاداته اليومية الرديئة . على أن سيف رغم هذا يرتقى أثناء الممارسة حتى انه يأخذ الوجه الذى أمامه ويتناسخ معه ، ويمثله على المساحة . هكذا كانت هناك عند « سيف » أهمية نوعية للتخلص من « الموديل » . ان الاشكال هو في أن يعايش الشخصية حتى يتقمصها لا ان يراها مجرد بناء أو كتلة جالسة على المقعد .

ولذلك فمعظم وجوه سيف قد رسمت من الذاكرة النقية . لقد استطاع ان يدرب بصيرته على ان تختزن الاشكال كما يراها ، وان يطبع اوصافها كما يلحظها وان يغوص حتى يعوزه في ملامحها ما يؤكد شيئا فيها يبحث عنه ، ان الصعوبة تجيء من ان سيف لا ينقل الملامح على علاتها ، ولكنه قادر على أن يبتدع ملامحا تتعادل مع المدلول الاخلاقى للشخصية ، وتتلاقى مع نوع وجدانهـــا ونوع عقلانيتها ، ولوازمها التى تفضحها . وهو هنا يكون مجبرا في الغالب على اختيار الأسلوب الفنى الذى يتناسب مع وسيلة كشف مميزات الشخصية .

ومن ثم فمن الظلم أن نصف سيف بأنه هنا فنان مذبذب ، يقع في حبائل مجموعة المدارس الفنية دون ما يريد ، كما حاول أن يصفه البعض بدون تعمق للمدركات التى بلغ اليها ، وبدون تحوط لاختيار الكلمات الوضوعية في تفسير الفن .

سيف وانلى وكامل الشناوى

ان انجع الامثلة التي يمكن ان تقودنا الى ما نهدف اليه هو الوجه الذى رسمه سيف للشاعر الاديب **كامل الشناوى** . فلقد اختار له سيف خليطا من ثلاث مدارس متمازجة ومتضاربة ، **وهى التأثرية والتعبيرية ، والوحشية (الحوشية)** .

ولكن المتأمل لوجه كامل الشناوى سيجبر على أن يتصور الامر بمعنى مختلف .



احسان مختار
٦٥ x ٧٠ (زيت)
١٩٥٧

فالأسلوب الذى اختاره سيف لم يكن استقبالا لصدفة ، أو مجرد ترسب للخيال بغير وعى . ولكن كل تفصيلة فيه مرادة حتى النهاية ، وحتى آخر لمسة . فكامل الشناوى لا يجلس دائما مفتوح الفم ، ولكن سيف يختاره فى هذه الحالة بالذات ، وبحيث تبدو أسنانه بيضاء مهتكة ، وبحيث تميل شفته السفلى أكثر ناحية اليسار بفعل السيجار الدائم ، هكذا يبدو كامل الشناوى على جانب من الطيبة أحيانا ، وعلى جانب من البدائية أو الوحشية أحيانا أخرى ، بينما لمسات الفرشاة الرمادية تبدو كالمجالى المشبعة بالالوان الذائبة فى بعضها بحيث تقترب فى بعض تفاصيل الوجه من أسلوب التأثرية ، أى تجزىء المساحة اللونية الى نقط ضوئية متجاورة الى بعضها ، أو فى تفصيلات أخرى فى الوجه حين نجد النقط قد تحولت الى خطوط متعرجة كما هو الحال فى بعض أساليب المدرسة التعبيرية . ولكن التعبيرية هنا تبدو أكثر ما يكون ، موضوعا لا أسلوبا .

فلقد اختار « سيف » أن يرسم وجه كامل الشناوى مائلا نوعا . أن كل ما فيه عندئذ يميل الى ناحية الوجه ، وفى اللحظة التالية سنحس بأن الوجه هنا قادر على ان يطرح علينا نوعا من الحركة ، ولكنها ليست مجرد حركة تكشف عن حدود قائمة ، وانما هى حركة تفصح ديناميكية كاملة فى الجسم كله تدفع فيما تدفع أمامها الوجه نفسه لكى يميل يمينا أو يسارا ، فنحن عندما تقع أعيننا على وجه كامل





سيف وانلي

كامل الشناوى
٥٥ x ٤٥ ـ زيت
١٩٦٥

الفنان احمد لطفى
٧٠ x ٣٥
زيت

وجه الفنان محمد حسن ٦٠ x ٥٠ زيت ـ ١٩٦٢



الشناوى تحس انه شخص يريد أن ينهض من مكانه ، ولكنه في اللحظة التي يحاول فيها أن ينهض يقرر ان يستريح والا ينهض . لقد نجح سيف في أن ينقل الينا الحيرة كلها عند كامل الشناوى ، وأن يمسك بتلابيب أوصافه ويكشف عنها بريشته الفريدة .

والمهم ما يهمنا هنا ان نسجله وهو ان كامل الشناوى لم يجلس لدقيقة واحدة أمام سيف ليرسمه ، والمسألة ببساطة هي أنه كان صديقا . صديقا له ما له من المقدار عند سيف ، بحيث ظل يختزنه حتى الثمالة ، وحتى حانت اللحظة ليكشف النقاب عن أوصافه ومعانيه .

سيف وانلى وتوفيق الحكيم

ان الاشكال يكاد يكون هو ذاته لو تأملنا تفسير سيف للوجه الجانبي الذي رسمه لتوفيق الحكيم . ففي ريشته هنـــا شيء ما يذكرنا « بأنوريه دوميبه » (رائد السخرية الاجتماعية في الفن الفرنسي) .. انه شخص ضعيف الجسم ولكن له حضورا مهيبا ، ولعلنا نلحظ منذ الوهلة الاولى انه بالغ قليلا في بعض تفاصيل الوجه بغرض الكشف عمن يهدف اليه ، ولكننا لو تأملنا مدة اطول سنجد ان كل تفصيلة في مكانها وان المقاييس العضوية متناسبة الى بعضها كما هي عند توفيق الحكيم .

لقد خلص سيف الى ذلك بسلاسة لها قدرها من الاعجاز ، فلقد استعاض من التشويه في الخط (Distortion) باللمسات الضوئية التي تعكس حجما اكبر لتفصيلة بذاتها ، ومن هنا فلقد بدا توفيق الحكيم كما نعرفه جميعا في عالم الفكر المصري ، اديبا ساخرا ، وانسانا يتميز بضحكة تحت الشفة السفلى تكاد تكشف عن نفسها، فاذا بنا نتصورها احيانا شيئا مريرا ، واحيـــانا شيئا أبله ، واحيانا سخرية لاذعة .

« انني لا ارسم الوجه الذي يعـــرف انني اتهيأ لكي ارسمه ، انني انتظر زمنا لا اعرف طوله حتى يسقط عن هذا الوجه الانبهار الذي اكتسى به في اللحظات الاولى ، وحالما يذبل احبســـه . احبه بالصورة التي كان عليها عندما انعكس على بصيرتي ، اذ تجيء هذه اللحظـــة تائبـــة . . ارسمه .. !! » .

بين موديليـــانى وبيكون وسيف وانلى

لا نملك الا أن نقرر والحال كذلك في مجال البورتريه ، ان موديلياني (اميديو موديلياني ١٨٨٤ – ١٩٢٠) هو احد سادة هذا القرن في رسم الوجه الانساني حتى عشر سنوات مضت ، ولكن الامانة العلمية تحتم علينا ان نتجاوز هذه الحقيقة الى حقيقة أخرى لمنار عليها هي ان بيكون (فرنسيس بيكون ١٩١٢ – ... م) هو سيد هذا المجال باطلاق لا نخال أن هناك نزاعا فيه . فالشيء المطلق الذي نحسبه لموديلياني

هو فى انه فجر قانونا جديدا لاسلوب بناء الوجه الانسانى . لقد ثار على الحساب التقليدى لرسم الشخصية ولكنه ظل يروح ويجيء فى اطار قانونها العام ، وهو أن الوجه الانسانى يمثل نموذجا اما أن تكون شواغله مفضوحة من داخله او مفضوحة من خارجه ، واما ان تكون اشكالاتها مثيرة لانعكاسات الفنان الخاصة او نوع العصر . ولكن ماجاء به « بيكون » ، فضلا عما اثاره بين نقاد العالم بطريقته الخارقة فى ضربات الفرشاة ، وفى سيطرته على مدلول التشويه امرا يستجلب منا أن نتوقف عنده ، حتى يكون فى مقدورنا أن تكون افكارنا العامة فى هذا المجال ، وحتى نستطيع بالتالى ان نضع « سيف وانلى » فى مصر فى مكانه الصحيح .

فلقد اتى « فرنسيس بيكون » بجوهر جديد كل الجدة ، لقد تحول البورتريه من قضية رسم الوجه الانسانى بشكل عام ، الى قضية موضوع . ان الوجه عند بيكون « موضوع » . موضوع يعكس اشكالا شاملا ومرارة فاضحة امام العالم . اشكالا ليس هو فقط اشكال بيكون ، وانما هو أصلا موضوع العصر . انه ليس انعكاسا لتلة وقيمه مثلا كما كان يفعل فلاسكويز وفان دايك وروبنز وغيرهم ، ولكنه ثورة عليه وكشف لمخازيه .

ومن ثم فلقد اصبح من الصعب علينا ان نقول ان « بيكون » رسام بورتريه ، فلقد صار البورتريه عنده عملا مماثلا وموازيا لأى لوحة أخرى من اى نوع . هكذا انتهت حضارة رسم الوجه التقليدى ، وصار واجبا علينا أن نراقب الامر بوجهة نظر قادرة على علمية الفن بمثل قدرتها على الحياد الفنى .

ومن هذه القاعدة فنحن لا نستطيع ان نزعم ان سيف قد اتى بجديد فى مجال رسم الوجه الانسانى . وما نقصده هنا بالقاعدة هو ما اوجزناه عندما استعرضنا بعض جوانب الابداع الفنى منذ فلاسكويز ورمبرانت حتى موديليانى وفرنسيس بيكون .

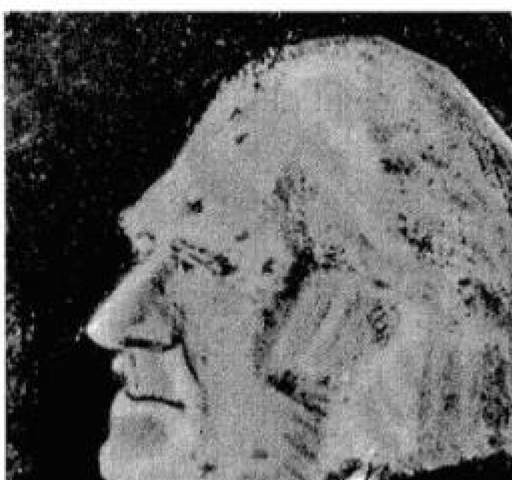
وما اظن ان المجال يسمح هنا بأن نتناول ولو بايجاز شديد أولئك العظام الآخرين الذين قدموا الوجه الانسانى مثل « الجريكو » ، و « جويا » ، و « سيزان » ، و « سوراه » ، و « رينوار » ، و « فان جوخ » ، و « بيكاسو » .

مهما يكن من شيء فان سيف وانلى يقف فى حركة الفن المصرى المعاصر باكمله معلاقا فى هذا المجال بلا منازع ، وسيدا عليه بغير خشية من مخاطر الالفاظ ومعانيها . ولعل ما يهمنا أن نقرره بالنسبة الى سيف وهو انفراده وتميزه بخاصية بصرية لانجد الكثير منها فى عالمنا المصرى اليوم ، ولعلنا لا نكون مبالغين اذا اطلقنا ما نقوله على عالم الفن منذ عصر النهضة على الاقل . هذه الخاصية التى ربما تميز سيف مثلا من موديليانى وبيكون ورينوار ورمبرانت ، وغيرهم ، وهو استطاعته المدهشة على أن يختزن شكل الوجه امامه ثم ينقله بعد ذلك بينه وبين نفسه على المساحة ، وهو هنا مقتدر حتى انه يستطيع أن يضعه فى حالة حركة بدون خوف من ان يقع فى مغبة فقدان الشبه . وذلك يفسر لنا عدم استخدام سيف « للموديل » مثلما يفعل معظم الفنانين الاخرين . اننا نقول ذلك ونتحفظ عليه من حيث اننا نتكلم عن البورتريه كبناء فى الشكل وليس كموضوع انسانى .

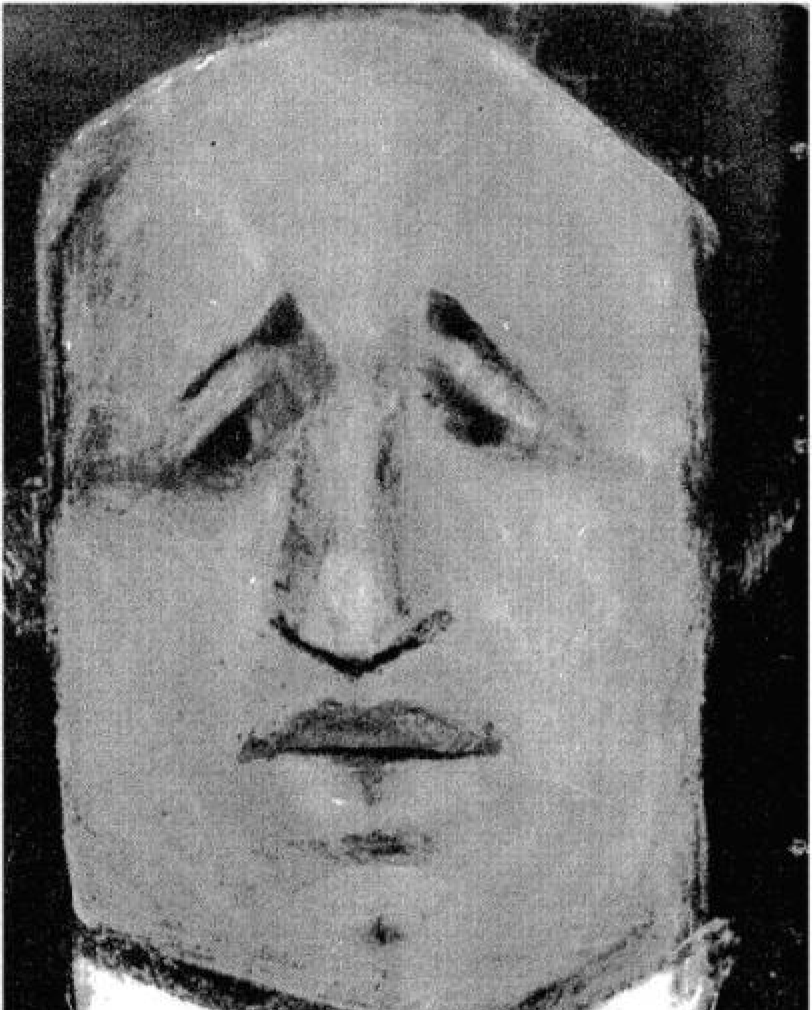
وجه سيد درويش
٤٠ x ٣٥
زيت وجواش

وجه لودفيج فان
بيتهوفن
٧٠ x ٥٥ زيت





المؤلف الموسيقى
النمساوى
« فرانزليست »
١٢ x ١٠
زيت وجواش



(..............

« منذ عامين جرجرتني الضرائب الى المحكمة، فاستأنفت ، واستأنفت هي أيضا . كسبت الاستئناف فطعنت الضرائب ضدي بالنقض . كان مكتوبا على الأوراق أن خصمي هو وزير المالية . وجدت نفسي كما لو كنت مجرما ضبط متلبسا .. ولو لم ينقذني حمدي عاشور كنت جننت . عندما خرجت وجدت وجهي ينعكس في الواجهة الزجاجية لمحل « ايليت » فذهبت الى مرسمي . ورسمته »

« من مذكرات سيف »

محمود سعيد ، واحمد صبري ، ومحمد ناجي وصلاح عبد الكريم .. وسيف وانلي

يقودنا البحث عن سيف وانلي في البورتريه الى مجال آخر . الى مجال فن البورتريه في مصر . فمن المحزن أن نعترف بأننا لا نستطيع الزعم بأن لدينا في حقل الفن حركة لفن رسم الوجه الانساني . ونقصد بالحركة ، ما يعرف بالتيار المتكامل في الفن . فالحسنة الوحيدة التي نحتفظ بها لحساب « محمود سعيد » ، و « احمد صبري » ، و « محمد ناجي » هي في كونهم انقذوا الذوق المصري العام من الغرق من جراء انتاج صناع اللوحات وتجار البراويز اليومية وناقلي الكروت الملونة . ولكننا نختلف في الكثير مما ندعوه ، ونتعارض مع الاراء التي اثيرت حول أعمالهم

فى جلبة أشبه ما تكون قربا الى العشوائية والقصور الفنى منها الى العلمية والموضوعية الفنية .

فلم يكن هناك منهم من يقدم لنا نوعا من الفكر الانسانى ، بقدر ما كانت هى مجرد محاولات للاقتراب من التسجيل الفوتوغراف للشخصية ، ومحاولة ابراز ملامحها كما هى ظاهرة الآخرين . فاذا كان « محمود سعيد » قد نجح نوعا ما ، فلقد صادف الفشل المرير محاولات « محمـــــد ناجى » تلك التى حاولت الارتباط بالمدرسة الفرنسية على نحو ما ، ولكنه ظل بعيدا عنها بقدر ما كان « احمد صبرى » قريبا الى المدرسة الايطالية . ان الامر نفسه لا يختلف لو حاولنا أن نتصور رسم الوجه عند « محمد حسن » أو « عز الدين حمـــودة » او « كامل مصطفى » او حتى « صـــلاح عبد الكريم » حين استعمل الاخير الوجه الانسانى موازيا للكتلة الزخرفية النحتية ، حين قدم معظم وجوهه مقسمة الى مساحات هندسية مختلفة الالوان تقترب من الخفة والبهجة قدر بعدها البعيد عن فن البورتريه ، ولكننا لا نحسب لذلك حسابا بالنسبة لصلاح عبد الكريم اذ من الانصاف أن نراه باعتباره نحاتا أكثر منه مصورا .

ان سيف وانلى يتميز هنا بما يصح أن يدفعنا دفعا لتنأى به من أسلوب المقارنة حتى نصحح الاشياء فى مواقعها ، ونراه فى مكانه الحقيقى . ولكننا على الرغم من ذلك سنحاول ان نقدم نماذج عملية للنتائج التى خلصنا اليها . فقد رسم « سيف » مثلا « بديع خيرى » ، و « سيد درويش » ، بطريقة معبرة أقرب الى التأثرية ، ولكن خالجتها بعض لمسات ضوئية جريئة فى بعض المسافات جعلتها قريبة أيضا الى الحوشية . غير أن « سيف » لم يكن مشغولا بالبحث عن زاوية محببة اليه ويهدف الى اسقاطها بالوجه ، وانما هو يريد أن يكشف أبلغ ما فى داخل الشخصية تعبيرا وأثرا ، ولذلك فهو يرى بديع خيرى وقد هاجمه الوهن والعجز - ضعيفا حتى لاتكاد تتبينه ، نحيلا حتى لتخال أنه قد يتهاوى فى اللحظـــة التالية . ان بديع خيرى منتصب فى الصورة بفعل المضادات الصناعية ، وقد حان الوقت لكى يغيب عنا ويموت . بينما يبدو سيد درويش ممتلئابالصحة والعافية، واللون الاسود يظهر وقد تبدت فيه عظمة « بالتة » سيف ، حيث يصعب علينا أن نتكشف نوع الســواد الذى غطى اللوحة .

بالتة تمتلىء طزاجة وغنى ، مزيج من مجموعة الوان ذابت فى بعضها فاذا بك تقف امام لون أسود عليك أن تصفه بالقدم وبالاصالة والبلاغة .

فاذا عرجنا مثلا على وجوه محمود سعيد سنصطدم باصطلاحاته المتكررة فى جميع الوجوه . لقد كان محمود سعيد مشغولا فى وجوهه بابراز الدلال المصرى عنـد المرأة . وهو يختار لذلك اى طراز من الفتيات ، الفلاحات أو الفقيرات ، العاملات او الشغالات او الفلاحات . فالادمى هنا كانسان لايعنيه ، بقدر ماكان يعنيه هـــذا المدلول السياحى الغالب ، الذى لم يجد مندوحة من أن يغطى به معظم الوجوه التى اختارها ، فاذا تعرضنا لاسلوب المعالجة سنفتقد احساسه بمجال الالوان ، تلك الخاصية التى جعلت من « رمبرانت » مثلا عظيما فى كل الازمنة . فاذا كان

وجه الموسيقار
فردي
١٥ x ١٠ زيت



وجه فاجنر
٦٠ x ٥٠
زيت - ١٩٦٣



محمود سعيد قد اقترب قليلا الى وجدان العوام المصريين فليكن ذلك لأنه رسم وجها للفلاحة المصرية ، وقبل ذلك الزمن لم يكن هناك من يفكر أن يجد عند هؤلاء الناس البسطاء شيئا يستحق التأمل .

وبعيدا عن ذلك فقد كان محمود سعيد رساما قديرا عارفا بأصول التشريح ولكن هذه الميزة ظلت قاصرة عن أن تعطينا بشكل أوفى الفكر أو المواهب . ومن ثم فان عرضنا للفنانين الآخرين أمثال أحمد صبري ومحمد حسن وكامل مصطفى وعز الدين حمودة وغيرهم لايقدم لنا هنا دليلا أفضل . فمحمود سعيد ظل يمتاز عليهم بما استطاع ان يحقق من التأثير للفن المصري عموما ، بينما وقعوا جميعا في اشكال الاداء الحرفي بحيث سقطوا في النهاية الى هاوية تكبير الصورة ، احيانا بفنية ومهارة مثل احمد صبري واحيانا بطريقة مدرسية كما هو الحال عند وجوه محمد ناجي ومحمد حسن وكامل مصطفى .

والحال ، ونحن بصدد فن رسم الوجه الانساني لانجد مفرا من التسليم بأن « سيف وانلي » يقف في هذا المجال بلا منافس في مثل اقتداره الابداعي ، أو حتى قريبا الى اسلوب رؤيته الموضوعية حين يضطلع برسم شخص ما . وعلى الرغم من اننا قد نجد بعض الوجوه الجيدة التي قدمها حسن سليمان بين بعض أعماله ، الا انها على قلتها لاتسمح لنا بأن تكون رأيا ، بينما نحن نحاول أن نضع هنا تصويرا لموقف سيف وانلي في معالجة الوجه الانساني ، ومن ثم مدى هذا الموقع من القوة والتأثير في مسار الحركة الفنية المصرية .

***

ان الوجوه والشخصيات التي قدمها لنا سيف تكشف لنا نوع الحركة في تفكيره كفنان ، ومن ثم حجم الموهبة التي أمدته لمزاياه الخصبة ، فهو يقدم لنا مثلا جمال عبد الناصر وديجول ، ويقدم لنا بيتهوفن وسيد درويش ، ويقدم لنا جورج أبيض وسارة برنارد ، ويقدم لنا توفيق الحكيم وشكسبير ، ويقدم لنا رميرانت وادهم وانلي ، ويقدم لنا محمود السعدني واحسان مختار ، ويقدم لنا وجهه هو ، وأيضا الفقير الشحاذ « عم شحاتة » .

ولقد سألته يوما بينما عيناي غارقتان في تأمل الوجه الفريد الذي رسمه سيف لجمال عبد الناصر : « هل طلب أحد منك أن ترسمه ؟ » .. فأشار بيده كلها قائلا : « لا » . ثم غرق معي في تأمل عميق بينما كانت أنفاه متكئتين فوق بعضهما ، ثم أردف : « يقولون ان في جبهة عبد الناصر جرحا قديما » ، فقلت له : « نعم ، ولكن يا سيف هذه اللمسة الفنية على جبهة عبد الناصر لاتبدو جرحا » .

ولكن سيف لم يجب . لقد خرجت وأنا أعرف ان هذه اللمسة الجريئة ذات الضوء الخاطف في جبهة عبد الناصر شيء أكبر بكثير من ان يكون جرحا قديما وان عيني عبد الناصر قد غمرتهما بالتة سيف وانلي الفذة ، بحيث جعلتهما تروحان وتجيئان وتتحركان بين الطيبة الحلوة ، والصلابة القاسية ، وأن شفتيه المبتزتين يعدلان طعم الأسرار ، وأن حاجبيه المندهشين يتعامدان على فكين موحيين يمتحان الاحساس بأنه يوشك أن ينهض طول الوقت ، بينما بدت هذه الثلاثة الأسطورة تترجم البسمة اللاهبة وهي تنطق وجهه النبيل ، ولا تزال .

● فـــؤاد دوارة ●

الســـيد ومــــرَاتــــه



بيرم التونسي

فى باريس

اعجب الزوجة كلام زوجها ، ونقده اللاذع لاهل بلاده وعاداتهم السيئة ، وجهلهم حتى بابسط اساليب التخاطب اليومى ، ووافقته على فكرة تأليف كتاب فى فن الكلام الذى يجهلونه ، ولكنه سرعان ما تنبه الى حقيقة الواقع المرير الذى يعيشون فيه فقال :

« ـ الله لين ، الناس اللى لازمهم التعليم ، واللى انا تايج حس عليهم مايعرفوش يكتبوا ولا يقروا مين حايوصل كلامى للواد البلدى الحالى اللى داقق على ايده قصر انس الوجود ، او للفلاح اللى اسمه سالم سالم ابو مصباح من جهة شنتوبل ، او للمرة ام ملاية لف وبرقع بعروسة .. واللى هم اغلبية الشعب . الوسيلة الوحيدة للفهم هى القراية والكتابة ودول لا يكتبوا ولا يقروا بقى ايه تنفع الكتب والجرائد ؟ خدى عندك مثلا الطريقة الامريكانية اللى بيستعملوها لصوص العاصمة مع الفلاحين والعبط والمغفلين . الجرايد كتبتها الف مرة . وشرحتها الف مرة . واللى بيقروا ويكتبوا كلهم عرفوها . ماعدا الفلاحين والعبط والجهلة . ماعندهمش خبر عنها بالمرة ، وهى بتحصل لغاية النهارده وبكره .. »

كتب **محمود بيرم التونسى** هذا الكلام فى المتربسات ، وهو يعيش فى باريس مشردا منفيا لايجد قوت يومه الا بكل عناء ومشقة ، وله سنوات طوال لم ير بلده ، ومع ذلك فقد ظل قلبه وعقله لايشغلهما غير « **الواد البلدى الحالى** » و« **الفلاح سالم سالم ابو مصباح من جهة شنتوبل** » و « **المره ام ملاية لف وبرقع بعروسة** » .. لا يرى مظهرا من مظاهر التقدم فى باريس الا تذكرهم وتمنى لو اخذوا به ، وتخلوا من كل مظاهر جهلهم وتخلفهم .. ومن اجل ذلك ملأ الصحائف بالازجال والمواربات والمقامات ، ولم يدع عادة من عاداتنا السيئة الا ونبهنا اليها ، وهجانا من اجلها بكلماته المقذعة ، لكى نقلع عنها ونلحق بركب الحضارة والتقدم ..

ولكن واحسرتاه .. ان الذين كتب من اجلهم كل ذلك .. لايقراون ولايكتبون .. فكيف يصلهم كلامه ؟

على كل حال لقد وضع بيرم اصبعه فى ذلك الوقت المبكر على موضع العلة فى جسد امتنا ، وشخص بوضوح تام اخطر اسباب تخلفنا .. وحدد فى الوقت نفسه الطبقة التى يتجه اليها بفنه ، لولا عجزها عن القراءة والكتابة ، وهى الطبقة التى ينبغى ان يتجه اليها كل فن اصيل ، بل كل عمل وبناء واصلاح ، لانها غالبية الشعب وصاحبة كل الحق فيما تنتجه ايديها من خير ..

ولم يكتف بيرم بتحديد العلة وتشخيص المرض ، بل اخذ يتتبع اسبابه :

« ـ والمصيبة دى اسبابها الفقها والمفتشين والبهوات اللى فى وزارة المعارف ، واللى محكمين رايهم ان كل شيء لازم يتكتب باللغة العربية الفصحى ؟

ـ اه ، اه !

ـ اديكى انتى مافهمتيش كلمة واحدة من كلامهم واسمك مرة عاقلة كام لك عمرك تلاتين سنة ويش حال بقى العيل اللى عمره ست سنين لما يقعدوه ويقولوا له « كانا فعلون ماض ناقصون مبنيون على الفتح لا محلا لهو من الاعرابى » .. انتى فاهمة ؟

ـ ابدا !

ـ والواد راخر مايفهمش يقوموا ينزلوا عليه بالعصايه والكلاكيم والراكيب مع ان كلمة « كان » الواد عارفها وفاهمها طيب من قبل مايشوف خلقتهم.

لكن لما يلاقيهم بيعلموه بالشكل ده يفتكر نفسه حمار وان حضراتهم العلما الكبار اللى عندهم حل الطلاسم . يقوم عقله يتبرجل ويضيع ولا يعرف يروح ولا ييجى ويكره الدروس والعلمين ويهرب على قد ما يقدر . وحياة شنبى ان ما قعد الشعب المصرى خمسة تلاف سنة تانيين وهو كدا تسمع اشاره جاهلين مايقاش السيد .. دا حتى ياوليه معظم اللى بيكتبوا ويقروا مايفهموش لغة الجرايد والكتب .. »

وبعد أن شخص المرض وتتبع اسبابه يمضى بالحوار بين الزوجين المقتربين الى ذكر العلاج ، فتقول الزوجة :

« ـ وحانعمل ايه بقى فى قلبنا ، ادى احنا اتخلقنا كده خلاص .

ـ نقوم نسكت ؟

ـ قول لى ، انا والا انت بيدنا حاجة .

ـ طيب على الطلاق منك ، ومن كل مره حاتجوزها انى اقدر اعلم الشعب القراية والكتابة فى ست شهور .

ـ ليه كنت عفريت ؟

ـ و « مصطفى كمال » كان عفريت ..

واذا كان بيرم التونسى لم يحدثنا فى هذه الحوارية التعليمية عن الاساليب التى اتبعها « مصطفى كمال اتاتورك » لتعليم شعب بلاده فى ستة أشهر ، فالحق ان هذا ليس عمله ، يكفيه ان وضع أصبعه على الداء ، وعرف اسبابه ، واشار الى وسيلة العلاج ، وعلى رجال السياسة والتعليم أن يبحثوا الاساليب التى اتبعها مصطفى كمال وغيره من المصلحين الذين علموا شعوبهم ، ويأخذوا منها مايصلح لبيئتنا وشعبنا .. ولكن يبدو أن أحدا منهم لم يفعل ، اذ مازالت مشكلة الامية قائمة بنفس حجمها الرهيب تقريبا .. رغم مرور حوالى نصف قرن على حديث بيرم !!

***

الاستشهاد السابق ليس الا جانبا من حوارية واحدة من بين اثنتى عشرة حوارية يضمها كتاب « السيد ومراته فى باريس » ، وهو كتاب شبه مجهول بين دارسى ادبنا رغم اهميته البالغة فى تاريخنا الفكرى ، بالاضافة الى أهميته الفنية من حيث حسن تمثل كاتبه للغة الحوار العامى وادق مصطلحاته وتعابيره ، حتى لقد اختارته جامعة برلين ليدرس فى قسم اللغات الشرقية كنموذج للهجة العامية المصرية ، كما كتب بيرم على غلافه باعتزاز واضح .

ومن الغريب ان بيرم ـ كما يقول فى مقدمته القصيرة ـ كان يكتب هذه الفصول ـ أو « المقالات » كما يسميها ـ بعد ان يفرغ من تحرير احدى الصحف الاسبوعية ، ليكمل بها مابقى من مساحة احدى الصفحات ، معتقدا أنها لن تلقى شيئا من اهتمام القراء ، فاذا بها تحظى وحدها بهذا الاهتمام ، حتى ليطبعها صاحب الجريدة فى كتاب بروج ، ويعيد بيرم طبعها مرة اخرى بعد عشرين سنة .

والكتاب فى الحقيقة رحلة من نوع خاص فى سلسلة الرحلات الاوربية التى كتبها رواد فكرنا الحديث ابتداء من رفاعة الطهطاوى فى « تلخيص الابريز فى أخبار باريز » .. حتى « عصفور من الشرق » و « زهرة العمر » لتوفيق الحكيم .. وتمثل كل منها صورة من صور مواجهة العقل والوجدان المصرى للحضارة الاوربية الحديثة بعد طول الانفصال والتخلف ...

ومن الطبيعى أن تسفر هذه المواجهات عن مقارنات بين الاوضاع والعادات التى عرفها الكاتب ونشأ عليها فى بيئته المصرية وبين مظاهر التقدم والتحرر التى يعرفه فى أوربا ، وان تختلف هذه المقارنات باختلاف اهتمامات كل كاتب والزاوية التى يتطلع منها الى هذه الحضارة المتقدمة ..

أما بيرم التونسى فيكفى المثل الذى سقناه فى مستهل الحديث لتبين طبيعة الزاوية التى سيرى منها هذه الحضارة ، انه يعيش فى باريس حقا ، ولكنه يحمل فى عقله وقلبه وكل كيانه هموم « الواد البلدى الحافى » و « الفلاح سالم سالم ابو مصباح » و « المره ام ملاية لف وبرقع » وامثالهم من ابناء الطبقة الكادحة المحرومة التى نشأ بينها ، ويقدر ما احبها وتعلق بها كره الكثير من عاداتها السيئة وكل مظاهر جهلها

وتخلفها ، فلم يستطع ان يرى اى مظهر من مظاهر التقدم الحضارى فى باريس الا من خلالها ومن اجلها ، وكل سطر فى « السيد ومراته فى باريس » موجه اليها ، لائم لها ، ناصح وموجه لنسائها ورجالها أو لكل « سيد » و « مراته » ممن يملأون مدن مصر وحواريها .. وآه لو كانوا يقراون !

ويلائم هذا الهدف تماما ويؤكده ان يكون الكتاب كله عبارة عن حوار متصل بين زوجين من ابناء هذه الطبقة الكادحة الزوج « **افندى فقير** » على قدر كبير من الثقافة ونفاذ البصيرة ..

« **ـ عارفه من ايه ؟ ... لأنى قلبى صافى ، ونيتى نضيفة ، ولا اقولش غير الحق ولو على امى ، يقوم ربنا سبحانه وتعالى يبعت لى شعاع من نوره امشى عليه وافهم بيه كل شيء ..** »

أما الزوجة فهى نفسها تلك « **المرة ام ملاية لف وبرقع بعروسة** » بكل عاداتها السيئة وسلامة فطرتها وخفة ظلها ودلالها الانثوى .. فى السطر الاول من الكتاب تقول :

« **كدهو ياراجل تقلعنى ملايتى وبرقعى وتخلينى أمشى فى السكه عريانة ؟** »

ليجيبها الزوج بلسانه السليط :

« **ـ عايزه تمشى فى باريز بالملايه والبرقع عشان تلمى علينا الناس ؟ ماكنا احسن نجيب معانا قرد وحمار لجل تكمل الفرجه ، انتى كده وانتى عريانه تبقى مستوره اكتر ، واحده فى وسط ؟ مليون ماحدش عارفك ان كنتى من مصر والا من قبرص ..** »

ويمضى « السيد ومراته فى باريس » بهذا الأسلوب التعليمى الشوق ، مقارنا بين مختلف مظاهر التخلف فى مصر وما يقابلها من تقدم حضارى فى باريز ، مبتدئا بنظافة الشوارع عندهم وقذارتها عندنا ، الى المطاعم والفنادق ، وآداب المائدة ، وباعة اليانصيب وماسحى الاحذية « **اللى الحافظة عندنا مسيباهم على الشعب المصرى** » ، وعادات الطعام والملبس والعبادة والنهو والاستحمام ، والحلاقة ، وتأمينات العمال ، واساليب التجارة وحتى المظاهرات ، وتربية الاطفال ، وعمل المرأة ، والاباحية فى العلاقات الجنسية .. الى غير ذلك من التجارب التى عاشها بيرم فى باريس اثناء سنوات نفيه الطويلة .

***

واذا كان قد قسا فى وصف تأخرنا والتدع فى سب عاداتنا المتخلفة ، فلم يفعل ذلك الا من فرط الحب :

« **عمال اتكر البلاوى اللى فى بلدنا ودمى يغلى ، والله يا شيخة مسيرى اتزل على نقطه ..** »

ولقد ترسب فى نفسه أن الله لن يحاسبه على هذا السباب ، بل على العكس من ذلك :

« **حايسامحنى ويكافئنى مكافأة عظيمة على شتمتك ، لأنكم ماتربوش الا بالكلام اللى يوجع ..** »

. وآه لو كانوا يقراون !!

و « بيرم » لايرى عيبا فى فضح مظاهر تخلف بلاده بالقياس الى غيرها فالعيب عنده أن ندفن رءوسنا فى الرمال ولا نبصر مابنا من سلبيات ونواقص :

« **اهو دا اللى تلف املنا .. نخاف نجيب سيرة العمايب ونختشى نتكلم فى المواضيع الوسخة ، يعنى معناها ان الاوساخ تفضل زى ماهيه مغطية محدش ينبشها او يفحصها لا الشعب ولا الحكومة!!**

غير أن « بيرم » حين يعرض لتفصيلات دقيقة من عاداتنا ويقارنها بعادات الباريسيين بأسلوب حى يعتمد على الصور الحركية والمبالغات الضاحكة (الكاريكاتير) ... بيرم حين يفعل ذلك ببراعة وتشويق وخفة ظل لا يتوه بين التفصيلات ، ولا يتوقف عند المظاهر ، بل ينفذ من خلالها الى جوهر الحضارة الاوربية والأسس التى اقامت عليها تقدمها ، وهى العمل ، والحرية ، واحترام حرية الآخرين وكرامتهم ، وحرص الدولة على رعاية العاملين وضمان حقوقهم ... الخ ، ومن امثلة ذلك قوله :

« **من الساعة ٦ صباحا ماتلاقيش فى اوربا كلها مخلوق نايم فى الفرش الا اللى فى المستشفيات ، وعلى كده استعمرونا وشغلونا فعله ندحرج لهم براميل البيره ونشيل بالات القطن وما**

اشبه .. »

« لا .. استهيالى ان الرحمة كلها ربنا حاططها هنا ، ده مفيش هنـا كبير او صغير ينام من غير عشا ، البطال اللى ماعندوش شغل ياخد اعانة مايالخدهاش اربعـة عمال عندنا بعرق جبينهم ، والعاجز له استاليه وملجأ محروم منه واحد باشا عندنا » فان كنتى فاكره ان الرحمة هى ان جارتك تبعت لك صحن طبيخ فمفيش كلام من ده هنا .. »

***

وهذه النزعة الاشتراكية الواضحة فى الفترة الاخيرة تلتقى بهـا فى اكثر من موضع من الكتـاب ، فحين تقول له الزوجة مثلا ان عندنا فى مصر المدارس والملاجىء وكل شىء يجيبها بقوله :

« قليله بس ، اهو كل شىء موجود فى اوربا موجـود زيه فى مصر ، لـكن فين ؟ موجود لطبقة مخصوصة . يعنى ان قلنا ياحافيين يطلع لى واحد افندى بعد جزمته ولوش ويقول لى امال دى ايه ؟ عمى ؟ واذا قلنا يافقرا يجى لى واحد باشا يقول لى : كذاب ، انا عنـدى عشر تلاف فدان . تعرف ؟ يبقى الشعب كله بشوات وبهوات والقصور والاوتوموبيلات ، الابهة دى كلها تضيع لو كان فى السكة ولد مهربد نايم على البلاط ، او واحد وسخ بتاع مدمس سارح بقدره مزفتة على عربية ، او واحد حافى ماشى يهرش فى خرته وكل خطوة والتانية يتف تفه تملا سلطانية عاشورة . والوساخة تبان اكتر من النظافة . »

وحين يبـدى السيد افندى اعجابه بنظام المحاكم الصغيرة الموجودة فى اقسام البوليس بفرنسا للحكم فى المنـازعات الصغيرة وتنفيذ الحكم فورا ، يضيف :

« ماعندناش احنا محاكم صـغيرة للامور المستعجلة اللى ينفصل فيها فى الحال ، وبعدم وجود محكمة من النوع ده بتخلى الناس تخلص حقها بايديها ، ولذلك تسمع ان واحد قتل واحـد عشان بصله وعشـان مليم ، ودا جاى منين ؟ لان الباشــوات اللى بيعملوا القوانين مابيجرى لهمش مشاكل من النوع ده ، كلها بتقع بين الفقرا وبعضها وعلى كده ما يلزمش تشريع . »

واشادة بيرم بمظاهر الحضــارة والنظام والنظافة والتقدم فى باريس ليس معناها تخليـه من مصريته او استسلامه التام لنموذج الحياة الباريسى ، فما اكثر العادات والتقاليد التى عبـر عن عدم رضـاه عنها ، فقـد رفض « السيد » ان يسمح لزوجتـه بالرقص او ترجيج الحواجب مثـلا ، وعبر فى اكثـر من موضع عن اعتزازه بمصريته واسلامه :

« البقى مفيش حاجة كويسة الا ومعاها خمسين مصيبة . صدقينى ان النظـام الاسلامى احسن نظام ظهر فى العـالم . الراجل مايشوفش غير مراته ، والمره ماتشوفش غير جوزها .. الخ »

***

وتزداد اهمية « السـيد ومراته فى باريس » حين نـلاحظ انه يحوى افكار كثير من الازجال التى ساقها بيرم بعـد ذلك ، مما يدل على تأصل هــذه الافكار فى نفسه وايمانه بها ، فحينما تعجب الزوجة لنظافة شـوارع باريس فى مستهل الكتاب ، يرد عليها الزوج بقوله :

« الشوارع نضيفة لان الشـعب نضيف ، ولما يبقى الشعب وسـخ وكل واحد يرمى فى الارض اللى يقدره عليه ربنا من قشر خس وزعازيع قصب وورقة فيها قشر سمك ، الشارع يبقى مزبلة »

فكأن بيرم كان يضع فى هذه السطور مسودة زجله الرائع الذى كتبـه بعـد ذلك بسنوات :

« حاتجن ياريت يا اخوانا مارحتش لندن ولا باريز
دى بلاد تمدين ونضافة وذوق ولطافة وحاجة تغيظ
مالقيتش جدع متعافى وحافى وماشى بقشر خس
ولا شحط مشرمخ افندى معاه عسود خلفه ونازل مص
ولا لب اسمر وسودانى وحمص والزل بالقزقيز . »

والامثلة على هذه الظاهرة كثيرة فى الكتاب وفى ازجال بيرم التى تغلب عليها الروح التمثيلية الواضحة فى كتـاب « السيد ومراته فى باريس » ، ونفس

الاسلوب الهجائي المقذع الصادر من الحب العميق للشعب ، وطبقاته الدنيا بصفة خاصة ، واعتزاز بالانتساب اليه رغم كل عيوبه وسوءاته .. اسمعه يقول في ختام الزجل السابق :

« اقول كنا احسن منهم ، اولاد سيرتنا بالاذن الله

نبقى احسن منهم برضه بعد السك اللى اكلناه

ودا عيب وهوان نتهجى دروس يا اساتذة على التلاميذ

حانجن بارت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز »

وكان النجاح الكبير الذى حققته « السيد ومراته في باريس » حافزا لبيرم لكى يؤلف كتابا آخر على نسقه اسماه « السيد ومراته في مصر » ، الا ان الكتابين لم يحظيا بما يستحقانه من درس وانتشار رغم اهميتهما البالغة ، اذ طغت عليهما شهرة ازجال بيرم واغانيه .

***

واليوم ونحن نحييه في ذكراه العاشرة . لا يسعنا الا ان نهيب بالدارسين الجادين وباجهزة الاعلام والثقافة الشعبية بان يولوا تراث بيرم الغزير المتنوع ما هو جدير من اهتمام ، ويعملوا على انتشاره بمختلف الوسائل . لا لتخليد بيرم الفنان الشعبي العظيم، وهو خليق بذلك ، ولكن لان في هذا التراث اشياء كثيرة مازالت نافعة لجماهير الفلاحين والعمال الكادحين الذين احبهم وكتب لهم بلغتهم .. وليتهم يقرأون !

رأى توفيق الحكيم في بيرم التونسي



● بينما كنت أعد كتيبا عن بيرم التونسي ليوزع في الاحتفال الذى ستقيمه الثقافة الجماهيرية في دار الاوبرا في الخامس من يناير الماضي بمناسبة الذكرى العاشرة لبيرم ، وجدت اقوالا فيه لطه حسين والعقاد واحمد شوقي وغيرهم ، ولم أجد لتوفيق الحكيم كلمة في بيرم رغم ما أعرفه من اعجابه به ، وفي لقاء قريب صارحته بذلك ، وطلبت منه ان يكتب كلمة قصيرة عن بيرم لاضمنها كتيب الثقافة الجماهيرية فلم يتردد ، ولم يمهلني الى لقاء آخر ريثما يفكر ويتدبر كعادته في كل صغيرة وكبيرة ، وانما اخرج على الفور ورقة من درج مكتبه وكتب الكلمة التالية :

« اذا كان بيرم التونسي من أصل تونسي فمن العجيب ان يتقمص روح الشعب المصرى على نحو يبعد ان تجده في مصرى صميم . فاما ان تكون روح مصر من القوة بحيث تطبع بطابعها الخالد من يأتي اليها ويعيش فيها بحب صادق عميق واما ان يكون بيرم التونسي من اولئك الموهوبين الذين تنعكس في قلوبهم صورة الشعب الذى يحتويهم . وما من شك في ان بيرم قد جمع في أدبه بين الامرين . »

توفيق الحكيم


الرجال لهم رؤوس
محمود دياب
مسرحية
من فصل واحد


اشخاص المسرحية :
الرجل : رجل تجاوز الاربعين بسنتين او ثلاث .
الزوجة : زوجة الرجل .. امضت معه عشرين سنة
.. ولم تنجب منه .
صوت خشن .. لاحد العمال .



المنظر :

انتريه فى بيت الرجل ... كل شىء فيه هادىء ، مستقر .. يوشك ان يكون أبديا . محتويات المكان توحى بان نفوس اصحابه ابعد ما تكون من العقد . اذا تصورنا انهم فكروا يوما ، فى حماسة المتزوجين الجدد ، ان يجملوا المكان ، ولنفترض ان ذلك حدث منذ عشرين سنة على الاقل .. فلا ريب اننا سنرى على احد الجدران لوحة فنية كبيرة .. لايرى فيها سوى سماء صافية لانهائية فان ظهرت فيها اية طيور .. فهى بغير شك طيور بيضاء طيبة ، لاتشوبها شائبة .

الوقت :

امسية عادية .. يسودها الهدوء والدفء . لا فرق بين شتاء او صيف .

(الزوجة فى ثوب منزلى بسيط فى مقعد مريح ، منشغلة « بالتريكو » .. تصنع بلوفر لنفسها .. وعند رفع الستار نراها تفك خيوط جانب منه وتلفها على بكرة فى يدها .. بهدوء وفى غير عجلة . اما الرجل فنراه منبطحا على الارض ، زاحفا على بطنه بين المقاعد ، فيدس راسه تحتها مفتشا عن شىء ما ...)

الرجل : (وهو يتابع البحث فى اناة) لا أدرى أين ذهب هذا « الولد » ... هل فر من البيت .. ؟ .. كيف نلعب بغير « ولد » ... ؟ .. (ينهض لينفض ثيابه ويلتقط انفاسه) لقد أرهقنى البحث ... الن تبحثى معى يافردوس ... ؟ .. لم لاتهتمين ... ؟

الزوجة : (مبتسمة فى هدوء بينما هى ماضية فيما بين يديها) الافضل الا تجده .. فانا لا انوى اللعب الليلة ..

الرجل : ماذا .. ؟ .. تقولين انك لاتنوين اللعب ..

الزوجة : (فى لهجة اعتذار) اريد ان انتهى من هذا البلوفر ..

الرجل : (متضايقا) البلوفر .. البلوفر .. ومتى ينتهى ... ؟

الزوجة : كلما ظننت انى انتهيت منه .. اكتشفت به عيبا جديدا .. لم يتعبنى شىء مثلما اتعبنى هذا البلوفر ..

الرجل : فلماذا تصرين عليه ؟! فلتتركيه اذن .. خاصة وان لونه لايعجبنى ..
الزوجة : (فى هدوء) انت لاتستطيع ان تحكم عليه .. قبل أن ترانى فيه ..
الرجل : (وهو ينحنى على الارض ليتابع البحث)
انا لم أكن احب هذا اللون ابدا ..
الزوجة : (مازالت تفك نسيج البلوفر) ماكنت اعرف هذا ... فخلال عشرتنا الطويلة ، لم أرك يوما تهتم بالوان ثيابى ...
الرجل : (متبرما) كنت اترك لك الاختيار ... ويبدو اننى كنت مخطئا ...
(ويدس رأسه تحت احدى قطع الاثاث) أين ذهب هذا الولد الملعون
الزوجة : (مازحة) اغاضب انت لانى لن الاعبك .. ؟
الرجل : (ورأسه لا يزال مدفونا) لسوف اجد من يلاعبنى .. سيأتى «خيرى» حتما فيلاعبنى ..
الزوجة : (تضحك فى طيبة)
الرجل (محتدا وهو يقيم رأسه) اهذا نوع من العقاب .. ؟
الزوجة : الا الاعبك .. ؟ .. لا .. بل أريد أن أنتهى من البلوفر . هذا كل مافى الامر ..
الرجل : (فى غضب صبيانى) أنت امرأة متحجرة القلب .. هذه هى الحقيقة..
الزوجة : (تضحك ضحكة طيبة خفيفة) .
الرجل : (وهو يزحف الى المقعد الذى تجلس عليه الزوجة) لو كنت رجلا شكاكا .. لفكرت فى انك .. ربما ، أخفيت الولد ، عن عمد ، لتمنعى اللعب الليلة ..
الزوجة : أتفكر فى هذا حقا .. ؟
الرجل : انا لست رجلا شكاكا .. « ويدس رأسه تحت مقعدها »
الزوجة : (وهى تضربه برقة على كتفه) ماكان يصح اذن .. ان تقول ماقلت « وتتابع عملها » .
الرجل : (وهو يرفع رأسه بغتة) انظرى ماذا وجدت .. « يقرب يده من عينيها وقد قبض بأصابعه على ابرة خياطة » أليست هذه أبرتك التى فقدتها بالامس .. ؟ .. لقد قلبت الدنيا بحثا عنها بغير طائل .. وهأنذا التقطها بنظرة واحدة .. لعل عينيك بحاجة الى طبيب ..
الزوجة : (مبتسمة وهى تتناول الابرة فتشبكها فى صدر ثوبها) انت مازلت غاضبا .
الرجل : ولكنى لا أعرف اين اجد الولد .. لعى ملح ذاب ..
الزوجة : لقد اجهدت نفسك .. فاسترح قليلا .. لن تكون بحاجة اليه الليلة ..
الرجل : (وهو ينهض يائسا ، فيجلس مهموما يعبث بأوراق الكتشينة)
كانت الكتشينة كاملة بالامس .. لم انتبه الى أن بها نقصا وانا الاعبك .. ولا وأنا الاعب خيرى .. ثم انى جمعتها بنفسى فى نهاية السهرة .. فكيف ضاع منها الولد .. « يفتش فى الكتشينة نفسها » لو لم الاعب نفسى اليوم .. ما اكتشفت هذا النقص «يفكر» ان بعض الظن اثم .. لو كنت رجلا شكاكا .. لفكرت فى انه .. ربما .. كان خيرى يغش فى الورق .
الزوجة : (فى غير اهتمام حقيقى) لايمكن ان يكون خيرى غشاشا .. ومع ذلك ، فما علاقة هذا بضياع الولد .. ؟
الرجل : ربما اخفاه فى جيبه ليستعين به عند الحاجة ... ثم العرف قبل ان يتمكن من اعادته الى الورق .. كنت افكر فى هذا لو اننى رجل شكاك .. خاصة وانه فاز بكل ادوار اللعب فى سهرة الامس .. ولكنى لست شكاكا .. وليس خيرى ممن يغشون فى اللعب على اية حال ..

الزوجة : فلننس هذا الموضوع الآن .. ولتهدأ رحمة بنفسك .

الرجل : (ساخطا) ما الذي سأفعله خلال سهرة بطولها .. أنت منشغلة بهذا البلوفر .. وليس من المتوقع أن يزورنا أحد .. « **ملتقانا ناحية باب الشقة** » .. حتى خيري لم يعد من عمله بعد .. فأنا لم أسمع صوت بابه يفتح .. أما كان الأجدر بك أن تتركي هذا البلوفر ساعة من أجلي .. ألا يكفيك النهار كله .

(كفت الزوجة عن فك الخيوط وبدأت تنسجها من جديد)

الزوجة : أنت لا تكف من الشكوى اليوم .. هل كل هذا بسبب ضياع الولد .. أم لأني لن ألاعبك .. ! .. « في جدية » فلتهتم بشيء آخر ..

الرجل : مثل ماذا .. ! .. أنا لا أعرف .. أتعرفين أنت ..!

الزوجة : فلتقرأ كتابا ..

الرجل : قرأت كتبي كلها .. من الجلدة للجلدة ..

الزوجة : لم لاتشتري كتبا جديدة .. !

الرجل : الآن .. !

الزوجة : افتح الراديو – إن شئت ..

الرجل : أنت تعرفين أني لاأفتح الراديو إلا وأنا منشغل بشيء آخر ...

الزوجة : أنت حر .. فاصنع ماتحب ..

(الرجل يتلفت حوله في ضيق باحثا عن الولد .. ويلقي نظرة تحت المقعد الذي يجلس عليه)

الزوجة : عندي فكرة ..

الرجل : ماذا ... !

الزوجة : (**في تعاطف**) تعال اجلس بجانبي .. فنتحدث معا .

الرجل : م نتحدث ... !

الزوجة : ما أشد عنادك ... فيما مضى كنت تفضل الحديث معي على أي شيء آخر ... حتى على لعب الكتشينة .. ولم تكن تسأل مثل هـــذا السؤال ... فما الذي غيرك .. !

الرجل : أنت ..

الزوجة : أنا .. !!

الرجل : أنت دائما تجرينني الى موضوع واحد لايتغير ..

الزوجة : (**وهي ماضية في عملها**) مثلك .. !

الرجل : نعم .. عملي .. لم يعد يستهويني كلامك عن عملي ..

الزوجة : كنت تقول العكس ..

الرجل : كان كلامك في هذا الموضوع مسليا .. ومشجعا . (**ينهض خلال ذلك فيرفع طرف السجادة باحثا عن الولد**) ولا أنكر أنه كان نافعا من بعض الوجوه ... أما الآن .. فبصراحة – وأرجو ألا تزعلي من صراحتي – كلامك عن عملي يزعجني .. ينكد علي .. (**لم يجد شيئا تحت السجادة**)

الزوجة : (**في هدوء**) أعرف لماذا .. !

الرجل : (**منفعلا**) نعم ؛ أعرف .. لأنك تحرضينني على العقوق .. قد يكون هذا التعبير متبغا بعض الشيء .. وغير لائق ، ولكني أقرر حقيقة .. أنت تريدين مني أن أشن حربا على رؤسائي .. أن أجلب العار على الشركة .. وأدمر علاقتي بالزملاء .. أن أقذف الى النار بعشرين سنة من حسن السير والسلوك .

الزوجة : (**دون أن تخرج عن هدوئها**) والصبر ..

الرجل : نعم .. والصبر ..

الزوجة : (تتنهد .. **ولكنها لم تغير لهجتها**) أنت لاتحس بالزمن .. وهذه هي



المشكلة . ولقد كنت انا ايضا لا احس بالزمن .. وربما بات كلامى بسبب تلك الضيق .. لان الاحساس بالزمن تنبه عندى قبلك ..

الرجل : (متضايقا) وتتفلسفين ايضا ...

الزوجة : ان تخطيك فى الترقية للمرة الثالثة امر يختلف بالطبع من تخطيك فى المرة الاولى ... الا تقدر هذا .. ! لايمكن ان يكون كلامى معك فى المرتين واحدا ..

الرجل : (فى صخب) وهل تخطونى لانى غائب بالفردوس ..

الزوجة : انا لا اعنى هذا .. فانا اعرف ان زوجى من خيرة موظفى الشركة .. .. وهذا هو مايحزننى ..

الرجل : ان اكون من خيرة موظفى الشركة .. !

الزوجة : ان يتخطوك ...

الرجل : (يلقى بالكتشينة جانبا فى سخط)

الزوجة : (مستطردة بعد سكتة قصيرة بينما هى تواصل عملها) ما التقيت بواحد من زملائك .. او بزوجة احدهم .. الا وسمعت منك كل خير .. الكل يجلونك .. ويشهدون باخلاصك وتفانيك فى العمل .. (صمت ..)

الرجل : (فى الم) اول من يدخل الشركة فى الصباح .. وآخر من يترك مكتبه .. لا اغيب حتى وانا مريض ... كل دقيقة من وقت العمل للعمل .. لا اروى الحكايات ... ولا اقرا الجرنال .. اخشى الخطا مثلما اخشى الطاعون ..

الزوجة : عشرون سنة .. على هذا الحال ...

الرجل : (وقد اخذته الحماسة) ارى عشرات الاخطاء المقصودة .. وغير المقصودة .. ولا اتكلم .. وانا مالى .. اسمع قصص العبث والتلاعب تروى همسا فى كل مكان وانا .. اذن من طين واذن من عجين .. بل انى لاضع يدى على الاسباب الحقيقية المؤسفة لخسارة الشركة .. ولكنى اتجاهلها .. وانا مالى ... انا عامل بالشركة ، ولست مخبرا .. ان واجبى ان أؤدى عملى .. لا أن اثير الشغب .. وماذا كانت النتيجة .!

الزوجة : تخطوك .. ورقوا من يثيرون الشغب ..

الرجل : نعم .. ترضية لهم .. ليكفوا من الشغب .. رشوة خسيسة ..

الزوجة : (فى حدة) لم لاتثير الشغب انت ايضا .. ؟

الرجل : (مبهوتا) اتريدين لى ان اكون مشاغبا حقا بالفردوس .. !

الزوجة : انت صاحب حق ... (سكتة قصيرة) الا ترى انك تصبح شريكاً لهم بسكوتك .. او لم تفكر فى هذا .. ! لم لاتفضحهم .. ؟

الرجل : (فى ذهول) افضحهم .. ! .. الا تدركين معنى أن افضحهم .. ؟

الزوجة : لابد وان يكشف امرهم احد ...

الرجل : لن اكون أنا هذا .. « الاحد » ... فأنا لست نبيا بالفردوس .. وهل انا مكلف باصلاح الكون ؟ .. وأنا مالى ..

الزوجة : (مقاطعة فى صرامة) فلتتمسك بحقك على الاقل ..

(لحظة صمت ..)

الرجل : (فى كآبة) كنت أحسب مديرى يحبنى ..

الزوجة : حين يتمسك الانسان بحقه .. لايكون مشاغباً ...

الرجل : (مازال فى كآبته) كنت احسبهم جميعا يحبوننى ...

الزوجة : فى شركتكم .. لايرقى الناس بالحب ...

(... ينهض الرجل مهموما ... فيدور فى المكان مطرقا .. وتمر لحظة صمت ..)

الرجل : (وقد تمكن منه الهم) انا لم اقو على أن اذكر شيئا لخيرى من الموضوع ليلة امس ... ان التخطى فى الترقية للمرة الثالثة امر مخجل ...

الزوجة : لو علمت زوجته بالنبأ لاستحييت أن القاها ..

الرجل : لقد حصل خيرى ، خلال سنوات جيرتنا ، على ثلاث ترقيات ... ولم احصل على واحدة ... (مستدركا) ستقولين انه ضابط مباحث ممتاز .. يشم الجريمة على بعد أميال ... (صارخا) وهل انا موظف خائب ! .. انا خائب بالفردوس !

الزوجة : (تطلق تنهيدة عميقة .. ولا تجيب) ... (صمت ..)

الرجل : (وقد عاد الى هموله الكئيب) ... عندما تخطونى لاول مرة .. طلبت مقابلة المدير ... فأذن لى على الفور .. لم يتركنى انتظر دقيقة واحدة ... استقبلنى بحفاوة بالغة ، واعتذر لى .. كان متألما من اجلى .. قال لى : لقد ظلمناك يارجل ... ولكن بغير قصد .. لقد وقع ماوقع سهوا ... لكن لاتبتئس ... فسنتدبر الامر ... فلم افتح فمى بكلمة ... كان الرجل متألما من اجلى

الزوجة : لم تنس كل شيء من الامر ..

الرجل : وفى المرة الثانية ..

الزوجة : نعم ... فى المرة الثانية ... قال لك : نحن نعلم جميعا انك الاحق بالترقية ... غير ان زميلك انسان بائس .. يعول جيشا من الاولاد ... وانت بلا أولاد .. فهو اجدر بالشفقة ..

الرجل : بدا لى منطقه معقولا ..

الزوجة . فلم تفتح فمك ...

الرجل : (فى عصبية) كان فى لهجته معنى الاعتذار ... مديرى يشعر بالحرج حيالى .. يعترف بانى صاحب حق ، ويعتذر لى ... الا يكفى هذا ... ؟ هل من الذوق ان ..

الزوجة : (مقاطعة) وفى المرة الثالثة ... رفض ان يقابلك ...

الرجل : كان مشغولا ... ظل مشغولا الامس بطوله ..

الزوجة : واليوم أيضا ..

الرجل : انه مدير يا امرأة .. ومن حق المدير ، بل من واجبه ، ان يكون مشغولا .. (لكنه يبدو وقد هزمه القلق) ارأيت بالفردوس ... ارأيت . ؟ . لهذا لا احبك ان تتحدثى من عملى .. انت تعذبيننى ... تسلمييننى للقلق .. تجعليننى اشعر بالتعاسة .. أنى أحب

ان امضى امسياتي هادئا .. وانت تصرين على ان تغرقيني فى المشاكل
انا لا أحب المشاكل .. اريد ان اعيش فى هدوء ..

الزوجة : (وهى لا تزال ماضية فى عملها) لا بد وان تواجه مشاكلك يوما ..

الرجل : كيف .. ؟ ... ان افكر حتى يصيبنى الهزال .. ان امضى الليل مؤرقا ، يمزقنى القلق حتى أموت .. ان .. ان اكره حتى يعميني الكره .. ؟

الزوجة : بل ان تجلس الان فى سكون .. لتسطر احتجاجا صارخا على موقفهم منك ..

الرجل : تقصدين عريضة املؤها بالسباب ..

الزوجة : بل تظلما مدعما بالاسانيد .. ولديك الكفاية منها .. لمجرد ان يبرروا تخطيهم لك .. تنبههم الى أن لك صوتا أيضا .. بأنك موجود

الرجل : بأنى عدو لهم ...

الزوجة : بأن لك عينا ترى .. واذنا تسمع .. وان لك كرامة ..

الرجل : (مصدوما) وهل ادعو غير ذلك يا فردوس .. ؟

الزوجة : تصرفاتهم لاتوحى بأنهم يقيمون وزنا لهذا ...

الرجل : (ثائرا) ... انت تهونين من شأنى .. هذه اهانة .. لاول مرة اسمعك توجهين الى اهانة ...

الزوجة : (رافعة وجهها اليه فى هدوء وانما فى جدية) اضربنى اذن ..

الرجل : (يضطرب) اضربك .. ؟ .. كيف .. ؟ .. فردوس ... ماذا دهانا الليلة ..

الزوجة : ان كنت مقتنعا بأنى اهنتك فأدبنى .. اريدك ان تضربنى ..

الرجل : هذا عجيب .. ماذا دهانا ... لاشك ان عينا اصابتنا ..

الزوجة : (تتنهد وتحول اهتمامها الى عملها فى حركة يأس ..)

الرجل : (فى انزعاج شديد) لو كنت قد عثرت على الولد .. لما خضنا فى هذا الحديث .. ولما بلغ بنا الامر هذا الحد من السفه ...
(ينفلع فيمسك بالكشينة ، ويدور حوله فى اضطراب باحثا عن الورقة المفقودة ، ثم ينبطح على الارض من جديد فيدس راسه تحت احد المقاعد)
لابد من العثور على هذا الولد الملعون ... ليس له اجنحة حتى يطير ... سأجده حتما هنا (وهو اشد حماسة واقبالا على عملية البحث) وليعبثوا بالشركة ماشاءوا ... فلست نبيا ... وليرقوا من شاءوا .. ولتخسر الشركة كل اموالها .. انا لست مسئولا عن شيء من هذا .. طالما ان صفحتى بيضاء .. ولن اكون مشاغبا ابدا (يرن جرس الباب رنينا عنيفا)

الرجل : (يرفع رأسه فى لهفة) لابد انه خيرى ... (ينهض فى حيوية ويحاول ان يستعيد مرحه) سيلاعبنى .. سنظل نلعب الليل كله .. واشغلى انت بالبلوفر ما شئت .. يكفى ان ألاعب خيرى . ولكن الكشينة ناقصة . ليكن .. سنلعب بها ناقصة .. سيجد خيرى حلا لها ...
(الجرس يرن ثانية) طيب .. طيب .. (يقفز ناحية الباب ، ولكنه يتوقف فجأة) لايصح ان تقابلى خيرى بهذه الثياب ... حقيقة انه جار قديم .. ومع ذلك ... (الجرس يقاطعه) طيب ...
(الرجل يتجه نحو الباب .. بينما تنهض الزوجة فتجمع اشياءها .. وتختفى وراء احد الابواب)
(الرجل يفتح الباب فى ابتهاج .. الا انه ما يلبث ان يصدم .. ان القادم ليس خيرى ، بل شخص آخر .. يبدو على الرجل انه لايعرفه)



صوت الطارق : (فيه خشونة وغلظة) هل اسم سيادتك هو المدون هنا ...
(وتظهر يده ممدودة بدفتر صغير) لاتؤاخذني ... فأنا رجل امي ..
لا اعرف القراءة ولا الكتابة ...
الرجل : (يحملق في الدفتر في دهشة) نعم .. انه اسمي فعلا .. (ويبتسم في استغراب)
الصوت : (وقد اختفت اليد بالدفتر) لسيادتك طرد ..
الرجل : طرد .. !
الصوت : نعم .. طرد . هذا هو ...
الرجل : (يلقي نظرة على الطرد من خلال الباب) انه طرد كبير ... ممن هو ؟
الصوت : انا لا اعرف .. فأنا اوصل الطرود ولا اسأل من راسليها ..
وقع هنا من فضلك (وتمتد اليد ثانية بالدفتر وبقلم رصاص)
الرجل : (وهو يتناول الدفتر والقلم) ولكني لا انتظر طرودا من أحد ..
الصوت : هذا يجعل للهدية قيمتها .. فأفضل الهدايا مايأتي بغير انتظار ...
هكذا) من السماء ...
الرجل : (وهو يكاد يضحك) فعلا ... فعلا ... (يلقي نظرة على الطرد) انه يبدو طردا لعينا .. (وينشغل بالتوقيع في الدفتر)
الصوت : انه ثقيل .. لقد كدت أسقط به على السلم ... وسلمكم عال جدا ... انا لاأحب الادوار العالية ... (يسترد الدفتر والقلم) ألف شكر
الرجل : (ملتفتا الى الوراء مناديا) فردوس ... تعالى ... فليس غيري هو الطارق .. (الى صاحب الصوت) الن تساعدني في ادخاله .. ؟
الصوت : (متباعدا) ان مهمتي تنتهي عند الباب .. يكفي انه كاد يكسر رقبتي
الرجل : (يلقي نظرة على الباب الذي اختفت وراءه زوجته ثم يتأمل الطرد من خلال الباب) ترى من ارسله ... ! .. سنعرف حالا كل شيء ...
(ثم يخطو خارج الباب ونسمع صوته) ياه .. انه ثقيل بالفعل ...
كان به هدية من الزلط ... ياه .. (ويظهر بالطرد باذلا جهدا كبيرا ومع ذلك فهو لايكاد يرفعه عن الارض .. ما ان يخطو به داخل المكان حتى يتركه يسقط .. ويقف يتأمله لاهثا)
(الطرد عبارة عن صندوق كبير من الخشب له قفل قليظ)
الرجل : مسكين هذا الرجل ... كيف صعد به السلم ! .. ما اصعب عمل

هؤلاء الناس .. (**يجلس على حافة الصندوق ليستريح**) كان يتمنى على أن امنحه بقشيشا ... (**يهم بأن يلحق به ثم يعدل**) لن ألحق به .. فلقد هبط السلم قفزا .. فلأضاعف له البقشيش في المرة القادمة .. (مناديا) فردوس .. أين انت ..؟.. لقد أتانا طرد كبير .. (**يتجه الى الباب ليغلقه ، فيلقى نظرة على باب الشقة المواجهة**) يظهر ان خيري لم يعد بعد .. (**يغلق الباب ويعود الى الصندوق ، يتحسسه في ابتهاج**) قد يكون من ممتى .. فلربما رأت أن تطمئنا من خيرها مرة قبل أن تموت .. (**ويضحك ضحكة خفيفة**) لقد جاء في الوقت المناسب تماما .. عزاء صغير ولكنه جميل .. أن السماء تذكرنا بأن الله لاينسى عباده .. مجرد تذكرة .. (**يربت على الصندوق في اعجاب**) خشب زان محترم .. (**يفطن الى وجود القفل**) وله قفل ... (**ينتفض منزعجا**) فردوس .. الرجل لم يعطني المفتاح .. (**ويهم بان يندفع خلف الرجل .. ولكنه يتريث ليمسك بالقفل يختبره ، ثم يتنهد في ارتياح**) انه مفتوح ... لقد أعفوني من مشقة كسره .. (**ينزعج ثانية**) الا يحتمل ان يكون قد اخذ شيئا من الطرد ؟ .. لا أظن هـــذا ... فلقد كانت الطيبة ظاهرة على الرجل ... (**ينتزع القفل**) حقيقة انه كان فظا .. (**وهو يلقى نظـرة داخل الصندوق**) الا انه ... (**تتجمد الكلمة على شفتيه وقد ارتسم على وجهه رعب شديد . شلت حركته فهو لايقوى على ان يترك غطاء الصندوق ... ولا على ان يصرخ ... يحرك شفتيه بنداءات لاتسمع .. ثم يفلح في النهاية في ان يترك الغطاء يسقط ويطلق صرخة من اعماقه ... « فردوس ... » ويظل راكعا بجانب الصندوق متجمدا**)

(**الزوجة وقد بدلت ثوبها تظهر مندفعة وقد روعتها صرخة زوجها**)

الزوجة : ماذا جرى ؟ .. لــماذا تصرخ ؟ (**مشيرة الى الصندوق**) ما هذا ؟ (**الرجل يرتجف .. ويلهث .. ولا ينطق ..**) من أتى به . ؟ لقد صرخت .. ماذا فيه .. ؟

(**الرجل لا يزال عاجزا عن النطق .. الزوجة تندفع نحو الصندوق لتنظر مافيه**)

الرجل : (**يمنعها صارخا**) .. لا ..

الزوجة : أنا لا أفهم .. لا أفهم شيئا .. (صارخة) ماذا هناك ... ؟

الرجل : (**في ضعف وهو يوشك ان يبكى**) فردوس ... في هذا الصندوق ..

الزوجة : .. ماذا فيه ..

الرجل : في هذا .. الصندوق .. جثة ...

الزوجة : (**تطلق صيحة رعب**) ... جثة .. ؟ .. جثة من ؟ ... لماذا ؟

الرجل : أنا .. لم يداخلني الشك .. كنت أظن ..

الزوجة : أواثق انت ؟ .. قد لا ...

الرجل : بل هي جثة ... هل أكذب عيني ..

الزوجة : مستحيل ... لماذا يرسلون الينا جثة .. ؟

الرجل : من هم .. ؟

الزوجة : من أرسلوها .. لا يمكن ان تكون جثة .. قد تكون واهمـــا .. (**تهم بان تفتح الصندوق**)

الرجل : (يمنعها من الصندوق) لا ... لن تنظرى اليها .. فهي جثة رجل ..

الزوجة : لابد أن أرى بنفسي ..

الرجل : لن ادعك تريها ..

الزوجة : قد تكون واهما ..

الرجل : انها عارية ..
الزوجة : **(في ذهول)** في بيتنا جثة ... جثة رجل ..
الرجل : نعم .. وهي عارية ..
الزوجة : **(صارخة)** فلماذا تقف مكتوف اليدين ..
الرجل : **(صارخا)** ماذا تريدين مني أن أفعل ..
الزوجة : **(يعلو صراخها)** لماذا لم تمسك بالرجل .. هل أتى الصندوق زاحفا أو كان يحمله رجل ..
الرجل : **(يعلو صراخه)** كان يحمله رجل ..
الزوجة : اذن لماذا لم تلحق به .. ؟
الرجل : لم أكن أعرف مافيه ..
الزوجة : وهل عرفت الآن ..
الرجل : **(بكل صوته)** نعم .. عرفت ..
الزوجة : فلماذا تقف مكتوف اليدين ..
الرجل : ولماذا تصرخين .. ؟ ..

(صمت ... كلاهما يحدق في الآخر ... في ذهول ..)

الرجل : **(مع شعور بالضياع)** كان عندي مايكفيني يارب من المشاكل .. واكثر .. فلماذا أبتلي بهذه المصيبة الثقيلة .. لماذا اختاروني بالذات .. الأني طيب .. ؟ .. انا لا استحق كل هذا يارب .. فانا طيب ..
الزوجة : **(في حنق)** جثة في البيت .. ورجلي يغني ..
الرجل : أنا لا أغني يا فردوس ..
الزوجة : فلنتصرف في هذا الصندوق حالا ...
الرجل : كيف ؟ أنا لا اعرف من أرسلوه .. حتى أرده اليهم .. أوتعرفين أنت .. ؟
الزوجة : لو لم أكن أعرفك على حقيقتك .. لتصورت أن لك علاقة ...
الرجل : **(مقاطعا)** علاقة بماذا .. ؟ .. فردوس .. هل جننت ..
الزوجة : ولكني أعرفك .. أنت لاتقتل نملة ..
الرجل : عشرون سنة من حسن السير والسلوك .. بشهادة ..
الزوجة : **(مقاطعة)** فما علاقتنا بهذا القتيل ... ؟
الرجل : **(منتفضا)** أهو قتيل ... ؟
الزوجة : تسألني .. ؟ .. ألم تقل أن بالصندوق ..
الرجل : **(مقاطعا)** ولكني لم أقل انه قتيل ... **(في غير اقتناع)** .. قد يموت الانسان دون أن يقتل ... كثيرون ممن أعرفهم ماتوا ... دون أن يقتلوا ...
الزوجة : فلماذا يرسلونه اليك بهذه الطريقة ... ؟
الرجل : ربما احتاروا في دفنه .. قرروا أن يلقوا على هذه المهمة .. ربما ظنوه قريبا لي .. **(يهم بأن يفتح الصندوق ليتحقق من صاحبها ولكنه يتراجع فجأة ..)**
الزوجة : هل تعتقد هذا حقا ... ؟ .. ان في هذا الصندوق جريمة يارجل ...
الرجل : **(وهو على يقين من صحة قول زوجته في الواقع)** جريمة .. ؟ .. ومادخلي أنا بالجرائم .. فال الله ولا فالك ... لماذا يفكر مخلوق في أن يرسل الى جريمة في صندوق .. وأنا مالي .. أية ليلة سوداء هذه ..
الزوجة : **(في ذروة سخطها)** الا تكف من النواح ... فلنفعل شيئا غير النواح ..
الرجل : ان المؤامرات تحاك ضدي من كل جانب .. أنا مضطهد يافردوس ..

الجميع يضطهدونني .. حتى انت تصرخين في وجهي .. بدلا من ان تمدي الي يد العون ..

الزوجة : أنا مازلت بجانبك ... ولكنك لاتفعل شيئا تجاه هذه المصيبة .

الرجل : لماذا ابتلاني الله بها ! .. لابد انه غاضب مني ... فمتى غضب الله من انسان غضبا شديدا ، ارسل اليه جثة في صندوق ... ولكني لم ارتكب اثما لاغضبه كل هذا الغضب .. انا لست آثما ..

الزوجة : ان لم تكن تستطيع أن تتصرف .. فأغلق فمك على الاقل ، رحمة بي ..

الرجل : فردوس .. أنت لم تعودي انت .. انك توجهين الي الاهانة تلو الاهانة هذا المساء ...

الزوجة : انسيت ان في بيتنا جثة رجل ..

الرجل : كلا .. لم انس .. وهي عارية ..

الزوجة : ومع ذلك فأنت تتكلم عن امور اخرى

الرجل : ولكن وجود جثة عارية لرجل في البيت .. لايبيح لك أن توجهي الي الاهانات

الزوجة : (في انهيار) أنا لم اعد احتمل ..

الرجل : من غير اللائق ان تقول سيدة محترمة لزوجها .. اغلق فمك .. ليس هذا من الاصول

الزوجة : لم اعد احتمل .. لم اعد احتمل .. (وتجهش بالبكاء)

الرجل : (وقد ازداد ضعفا واضطرابا) طيب .. طيب .. سأكف عن الكلام .. فلا تبكي .. سأغلق فمي رغم ما في عبارتك من اهانة ... انت معذورة .. فالامر اصعب من أن تحتمله أعصابنا .. اعصابك انت بالذات .. اعصابي انا بالذات .. اعصابنا جميعا .. بالذات .. نحن جميعا .. امثي .. انا وانت .. في موقف لانحسد عليه .. فهنا .. في بيتنا جثة .. تصوري .. جثة .. وقد تكون على حد قولك .. جثة قتيل .. الكارثة كبيرة بلا ريب .. والموقف بحاجة الى تصرف حكيم .. بالغ الحكمة .. ولكن ، كيف نتوصل الى الحكمة ونحن في هذا الحال من التوتر والجزع ... فلنهدأ اولا .. لنهدأ قليلا .. لنجلس اولا ... لن نتوصل الى الحكمة ونحن وقوف على اقدامنا نصرخ ... من يفكر يجب ان يجلس .. هذه مسألة اولية مفروغ منها ... ليس في تراث القدماء صورة او تمثال لانسان يفكر واقفا .. او بينما هو يصرخ ... التراث عظيم من هذه الناحية .. فلنجلس .. تعالي .. لقد كنت دائما زوجة طيبة . لولاك لمت منذ زمن بعيد .. انت طيبة حتى وانت تصرخين .. (يقودها في رفق الى الكنبة فتنقاد له وهي لا تزال تنشج ... ويستأنف هو كلامه) أما ان يفكر الانسان أو ان يصرخ ... أما ان يفكر ويصرخ في نفس الوقت .. فهذا مستحيل .. مستحيل يافردوس (جلس الاثنان متجاورين ، الزوجة لاتحول عينيها من الصندوق ، والرجل يتحاشى ان يسقط بصره عليه .. يجول بعينيه حوله في قلق ويبدو كأنما يفتش عن حل ما في ركن ما او تحت احد المقاعد)

(وتمر لحظة صمت ...)

الزوجة : الم انتهيت .. !

الرجل : (مأخوذا) هه ... انا لم ابدأ بعد ..

الزوجة : فلتبدأ الآن

الرجل : حاضر .. سأبدأ حالا .. ولكني سأفكر بصوت عال .. فلا تؤاخذيني ارجو ان تفسحي صدرك .. فالمسألة غاية في التعقيد .. والتفكير فيها ليس بالامر الهين . بدأ الامر هكذا .. انا وانت جالسان في

امان الله .. لا بنا ولا علينا .. انت منشغلة بالبلوفر .. (**يقطن الى خلو يدها من البلوفر**) .. اين البلوفر .. ؟
.. آه .. لعلك تركته بغرفة النوم وانت تبدلين ثيابك .. هل انتزعت الابرة من صدر ثوبك قبل أن تخلعيه .. ؟

الزوجة : (**تشيح بوجهها في حركة مضيقة**)

الرجل : قد تشكك الابرة عندما تلبسين الثوب مرة أخرى .. ليس لهذا اهمية الآن على أية حال .. كنت أنا أبحث عن الولد الضائع .. بحثت عنه في كل مكان .. اين ذهبت الكشفية .. ؟ (**يتحسس جيوبه**) آه .. هذه هي .. ولكني لم أعثر له على اثر .. لو لم يضع هذا الولد الليلة .. (**مستاء من نفسه**) وما دخل الولد في هذا .. ؟ (**مستطردا**) قلت لي اجلس بجانبي لنتحدث معا .. لم اجلس بجانبك .. ولكنا تحادثنا .. وتطرق بنا الحديث الى الترقيات ... ومسألة الصبر .. وأحوال الشركة التي لا ترضي الرب ولا العبد ..

الزوجة : أهكذا تفكر .. ؟ ما علاقة هذا كله .. بما نحن فيه ..

الرجل : العلاقة وطيدة يافردوس .. الم يكن هذا ما تفعله بالضبط حين دق جرس الباب . التي أتتبع الموقف خطوة لخطوة ، فأنا لا استطيع أن افكر في فراغ .. كما أن الاحداث يؤدي بعضها الى بعض .. هذا هو منطق التاريخ (**يعود الى حكايته**) .. دق جرس الباب الآن .. ظننت أنا .. أن خيري هو الطارق .. (**منتبها فجأة**) وخيري .. ضابط مباحث .. (**يقفز على قدميه مذعورا**) .. يشم الجريمة على بعد أميال .. (**صارخا**) فردوس .. هل يمكن أن نتهم بقتل هذا ال ... (**في انهيار**) هل يمكن أن ...

الزوجة : لقد بدأت تفكر ...

الرجل : وقد يأتي خيري الآن .. قد تدفعه رغبة في اللعب .. وربما جذبته رائحة الدم .. (**يندفع نحو الصندوق في هلع**) في بيتنا دم ..

الزوجة : نعم .. في بيتنا دم ..

الرجل : (**يتحول عن الصندوق فجأة**) وكنت سأمنح هذا الوغد بقشيشا .. لقد خدعني .. ظننت فيه الطيبة .. وكدت الحق به على السلم لأمنحه بقشيشا .. كان الهاما من الله الا ألحق به ..

الزوجة : وما العمل الآن في هذا الدم ؟..

الرجل : فلنتخلص منه فورا ..

الزوجة : (**وهي تتنفس والقلة في لهفة**) كيف .. ؟

الرجل : سأقذف به الى السلم .. انه لا يخصنا .. ولن نتركه ببيتنا ، لا شأن لنا به ..
(**ينقض على الصندوق ليرفعه ، ولكنه يعجز عن أن يزحزحه من مكانه**)
انه ثقيل .. ليته كسر رقبة هذا الوغد قبل أن يصل به الينا .. ساعديني يا فردوس ..
(**الزوجة تخطو في صمت .. ويتعاون الاثنان في حمل الصندوق**)

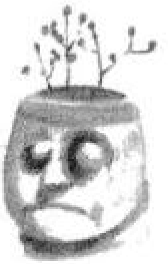
الرجل : سامحيني يا فردوس .. فهو ثقيل .. ولا استطيع أن احمله وحدي .. كان رجلا سمينا .. ليته كسر رقبة الشيال الوغد

الزوجة : لا تشغل نفسك بي ..

الرجل : وهل ثمة ما يستحق الانشغال غيرك .. يا زوجتي .. (**ولكنه لا يتم عبارته فقد خطر له خاطر ارعبه .. وجعله يتوقف فجأة ويترك الصندوق يسقط على الارض ..**)

الزوجة : لماذا توقفت ..؟ ماذا حدث ..؟

الرجل : اتدرين الى أين كنا نمضي به ..؟ الى الشقة .. فليس من العقل



ان نتركه على بسطة السلم ، بين بابنا وباب غيري .. اما ان نصعد به الى فوق أو أن نهبط به الى تحت .. وقد تقع عين علينا والصندوق بين ايدينا .. وحتى اذا لم يرنا أحد .. فسيكتشفون حتما بصمات أصابعنا على الصندوق .. ان للمباحث وسائلهم الرهيبة لكشف هذه الامور .. ولن يعنى تخلصنا منه سوى معنى واحد .. اننا قاتلوه ..

الزوجة : قاتلوه .. ؟

الرجل : أن لم نكن قاتليه .. فلماذا تخلصنا منه .. ؟

الزوجة : لأننا لم نقتله ..

الرجل : وهذا تفسير محتمل أيضا .. ومع ذلك .. فهناك احتمال التفسير الآخر .. تصوري .. لو وجدنا أنفسنا مطالبين باثبات أننا لم نقتله .

الزوجة : لماذا نقتله .. نحن حتى لا نعرف من هو ..

الرجل : لكننا لا نملك دليلا على هذا سوى أن نحلف يمينا على المصحف .. ومن ذا يصدق الايمان في هذه الايام ..

الزوجة : فما العمل ..؟ يجب أن نجد حلا ..

الرجل : كنت قد بدأت أفكر .. فما الذي أوقفني عن التفكير ..

الزوجة : فلنفكر مرة أخرى ..

الرجل : نحن في ورطة حقيقية .. هذه هي المسألة .. فصل سخيف من انسان ثقيل الظل .. كنا ندبر مثل هذه الفصول ونحن في سن الصبا .. كنا نبعث الى أصدقائنا بطرود مماثلة .. ولكنها كانت طرودا صغيرة .. بها جثث فئران وصراصير .. لم يفكر أينا يوما في أن يرسل الى آخر بجثة رجل .. فصل سخيف لا يضحك .. (يعلو صراخه) الفئران والصراصير تضحك .. اما جثث الرجال فلا تضحك .. انها شيء رهيب .. ان الاعيب الصغار أرق من الاعيب الكبار .. واجمل بكثير .. صدقيني يا فردوس .. ان أروع سنوات العمر .. هي سنوات الصبا ..

الزوجة : (**وقد طفح بها الكيل**) ان لم تجد حلا حاسما وسريعا لهذه الكارثة .. فسأغادر البيت على الفور ..

الرجل : وتتركينني وحدي يا فردوس .. وحدي مع هذه الجثة ؟ لو كنت أعرف صاحبها لاحتملت وحدتي معها .. فالاصدقاء يمكن احتمالهم

احياء وموتى .. ولكنى لا اعرف صاحب هذه الجثة .. أتتركيننى وحدى معها ..؟

الزوجة : **(وقد فاجأتها فكرة جديدة)** .. هل تأملت وجهه .. ؟

الرجل : هه .. وجه من ..؟ وجه هذا الـ .. لا .. بالطبع لا ..

الزوجة : فلتدقق النظر فى وجهه .. فقد تتعرف عليه .. وعندئذ ، سيكون من اليسير حل اللغز ..

الرجل : اللغز .. هذا صحيح .. لو تعرفت عليه ، لأمكن حل اللغز .. فكرة رائعة .. ياسلام يافردوس .. أنت زوجة مدهشة والله .. لا ادرى ماذا كنت أصنع بدونك ..

الزوجة : لا اهمية لهذا الآن .. المهم هو ان تنظر فى وجهه ..

الرجل : .. ولكنى .. لا احتمل النظر اليه ثانية .

الزوجة : لسوف أنظر اليه انا .. **(وتنقض على الصندوق .. فترفع غطاءه)**

الرجل : **(صارخا ليمنعها)** فردوس ..

(الزوجة تمعن النظر فى الجثة وترتسم على وجهها علامات تقزز وذعر شديدين ، ثم تغلق الصندوق فى حركة عنيفة) .

الرجل : كيف استبحت لنفسك أن تنظرى الى جسد رجل عار ..

الزوجة : انه بغير رأس ..

الرجل : **(مندفعا فى غضبه)** ليكن .. ولكن الجسد جسد رجل .. **(منتبها)** .. أتقولين ان الجثة بغير رأس .. هذا مستحيل .. فأين ذهبت الرأس .. اين ذهبت ..؟ سرقوها اللاعين .. سرقها الشبال الوغد .. وكنت سامنحه بقشيشا .. ان هذه مصيبة اخرى .. بماذا اجيب اذا سئلت عن الرأس . فلا شك انه كانت له رأس .. سيحاكموننى عن الجريمتين .. القتل والسرقة .. وأنا لم أقتل .. لم اسرق .. لم أكذب .. لم اشهد شهادة زور .. لم .. لم افعل شيئا بالمرة .. فلنتخلص من هذا الصندوق فورا .. فلنقذف به الى الشارع .. نقذفه من النافذة ونغلقها قبل أن ترانا عين .. لن يعرف احد من أين سقط .. فالنوافذ كثيرة فى الشارع .. وقد يظنون أن السماء تمطر جثثا .. ولو سئلت عنها فساحلف على المصحف مرة فى حياتى كذبا . مرة واحدة .. بأنى لا أعلم شيئا عنها .. ساعدينى يافردوس .. **(الزوجة واقفة فى جمود)** بل انتظرى .. فسألقى نظرة على الطريق لأتحقق من ان احدا لا يرانا .. فى العادة يخلو الشارع من المارة فى هذه الساعة .. ورغم ذلك فالأفضل ان أتأكد..

(يفتح النافذة فيصدم بضوضاء وجلبة هائلين لشارع مزدحم .. يغلق النافذة على الفور .. ويعود منكس الرأس يائسا مهدودا .. وتمر لحظة صمت) .

الرجل : **(فى صوت مهزوم)** النوافذ كلها مفتوحة يافردوس .. والناس على ارض الشارع كالنمل .. كل الأعين معلقة بشباكنا .. وكأن الجميع يتوقعون شيئا يقذف منه . يبدو أنه حكم علينا بأن نمضى مع هذه الجثة الملعونة بقية عمرنا .. الا اذا استخدمنا الاحماض لاذابتها .. وأنا لا علم لى بالاحماض .. فردوس .. ما العمل ..؟ انى بحاجة الى نصيحتك . فما العمل ..؟

الزوجة : **(فى هدوء كئيب)** لا اعرف يا زوجى الطيب .. لا اعرف .. **(تتجه فى هدوء نحو أحد المقاعد)** أنت العقل المفكر فى هذا البيت .. أما انا .. فلا أعرف **(تجلس)** كل ما اعرفه ان هذا كله قدرى ..

الرجل : تتركيننى وحدى يا فردوس .. ؟

الزوجة : لن اترك البيت ..

الرجل : ومع ذلك .. فانت تتخلين عنى ..

الزوجة : لقد تعبت ..
(تدفن وجهها بين راحتيها .. وتسكن .. ويعظم شعور الرجل بالوحدة والضياع)

الرجل : **(في حديث مع نفسه)** بين لحظة واخرى سيأتي خيري .. وسيكتشف الجريمتين .. ولن يراعي صداقة أو جيرة .. سيضع الواجب فوق كل اعتبار .. وسيضحي بالساعات المرحة الطيبة التي نمضيها معا .. وبالمتعة التي تتهيأ له عندما يهزمني في الكتشينة .. ولن تمضي دقائق حتى يمتلىء بيتي بالشرطة والمحققين .. وقد يأتي النائب العمومي بنفسه .. فقتل رجل وسرقة رأسه .. ليس بالشيء الهين وأنا لا أطيق القيود .. والسجن بارد .. والمشنقة غير رحيمة .. وسأترك فردوس وحدها بلا معين .. **(يضرب الصندوق براحته ضربات عصبية عنيفة صارخا)** اين الراس .. اين الراس ؟ .. أنا لست مسئولا عن ضياع الرأس على الاقل **(في محاولة لضبط اعصابه)** ان الصراخ لا يجدي في حالة كهذه .. خاصة في حضور المحققين .. وخيري لن يعاملني كجار وصديق منذ اليوم .. ولن يسمح لي بالصراخ .. الشغل .. شغل .. ولا بد من التصرف قبل أن يأتي .. ان كل دقيقة تمضي لها ثمنها الغالي .. بين لحظة واخرى سيطرق الباب .. **(وهو يضرب الصندوق بقبضته في عجز)** فما العمل .. ما العمل .. **(يريح رأسه على الصندوق في عجز .. ويكف عن الحركة .. وتمضي لحظة صمت .. ينهض بعدها وقد تبدلت ملامحه فجأة .. وكأنما وضع يده على الحل)**

كيف كانت غائبة عني هذه الفكرة ؟ .. فكرة هائلة .. لهذا خلق الله للناس عقولا .. لكي يجدوا بها الحلول ..

(يسرع الى مفرش ملون يغطي احدى قطع الاثاث بالمكان .. فيجذبه في حركة نشطة بينما هو مسترسل في الكلام)

ان أجمل الافكار ما دلنا على المخارج من الورطات .. ولقد وجدت مخرجا بديعا من هذه الورطة المشئومة ..

(يلقي بالمفرش على الصندوق فيخفيه تماما .. ويقف ليتأمله في سعادة بها ألعجز)

ترابيزة .. صار الصندوق ترابيزة .. ألطرى يافردوس .. **(الزوجة تلقي على الصندوق نظرة ميتة ثم تحول عينيها عنه)** لقد اختفى الصندوق في غمضة عين . لن يشك خيري في الامر بالمرة .. لن يشم الجريمة مهما بلغ من الحذق .. خاصة وأنه كان مزكوما بالامس **(يغتصب ابتسامة)** ولنقطع احتمال الشك تماما بزهرية .. **(يسرع الى زهرية في احد الاركان بها بضع زهرات صناعية فيضعها فوق الصندوق ، ويقف يتأملها مليا في غبطة)** .. هذا رائع .. ان الزهرية تبدو اجمل وانيق في مكانها هذا .. وهي أنفع هنا بغير شك .. **(ويسرع الي كرسيين خفيفين فيضعهما على جانبي الصندوق)** والكراسي مهمة أيضا .. بذلك صار وجود الصندوق نفسه مهما .. **(يغتصب ابتسامة)** .. ولافتح الراديو .. نحن بحاجة الى الراديو في هذه الساعة .. ليكون الجو طبيعيا .. وتنتفي شبهة وجود أي شيء .. **(يكون قد فتح الراديو .. فتنبعث منه اغنية عاطفية رخيصة)** الآن لن يخطر بذهن انسان أن بالبيت جثة .. عارية .. لرجل سمين .. بغير رأس .. انا نفسي أكاد اشك في أن يكون بالبيت شيء من ذلك **(خلال هذا يكون قد اضاف الي المفرش منفضة سجائر)** وامعانا في تضليله .. سألاعبه الكتشينة هنا .. فوق هذا الصندوق .. **(يجلس على احد الكرسيين ..)** هذه هي



الكتشينة .. (**يسحب الكتشينة من جيبه فيضعها على الصندوق في حركة متحدية**) سألاعبه حتى الصباح ان شاء .. فوق هذه الترابيزة.. (**يكاد يضحك**) الا يعجبك هذا يا امرأة ..؟ سأستمتع في اللعب الليلة .. ولكنى سأتركه يهزمنى حتى لا أستثيره .. بل وسأتركه يغش في الورق حتى يخرج من بيتى راضيا .. (**متنبها فجأة**) .. ولكن الكتشينة ناقصة .. (**يعود الى اضطرابه بصورة مضاعفة**) لا بد من العثور على الولد قبل ان يأتى .. (**ينتفض مذعورا**) فقد يتطوع للبحث عنه بنفسه .. وقد يكشف الغطاء عن الصندوق .. (**يرتمى على الارض ليقوم بالبحث عن الورقة الضائعة بنفس الطريقة الاولى وان يكن بتوتر اشد**) فردوس .. ساعديني أرجوك ..

(**الزوجة تنهض واقفة في هدوء**)

الرجل : الى أين انت ذاهبة .. ؟

الزوجة : ذاهبة لأحضر التريكو .. حتى يبدو الجو طبيعيا جدا ..

الرجل : فكرة صائبة .. ولكن من المهم أن نجد الولد أولا ..

الزوجة : (**في تقزز**) انت تثير اشمئزازى يا زوجى الطيب ..

الرجل : (**مبهوتا**) فردوس .. ماذا تقولين .. (**يقفز على قدميه**) هذه اهانة أخرى ..

الزوجة : (**تسكت الراديو بحركة عنيفة**) أنت لست أكثر من مهرج ..

الرجل : (**صارخا**) أما هذه فاهانة لا تحتمل ..

الزوجة : بل انت تحتمل الاهانات مهما بلغت .. أنت لم تخلق الا لتهان ..

الرجل : (**مصعوقا**) فردوس ..

الزوجة : كان يجب ان افهم هذا منذ عشرين سنة .. (**تندفع الى الصندوق فترفع الفرش بما عليه .. في ثقل .. وتقذف به الى الارض .. ثم ترفع غطاء الصندوق لآخره وتترك الصندوق مفتوحا**)

الزوجة : هذه جثة يا راجل .. جثة رجل بلا رأس .. اتغطيها لتخدع غيرى .. ام لتخدع نفسك .. ؟ أنت انما تخدع نفسك .. بعد يوم .. او يومين . او ثلاثة .. ستتعفن الجثة .. فتزكم رائحتها أنوف الخلق .. وسيسرح منها الدود في البيت فيملأ كل الاركان .. وبدلا من أن يشم غيرى وحده الجريمة ، فسيشمها الملايين .. ورأينا

الجريمة من شعر رءوسنا حتى اظافر الاقدام .. انظر اليها لو كنت رجلا .. اتحداك ان تجرؤ على النظر اليها بامعان .. الرجال الاقوياء هم القادرون على ذلك .. ولست واحدا منهم ..

الرجل : فردوس .. هذا كثير .. **(وهو عاجز من ان يوقفها ولا يدري ما يفعل)**

الزوجة : ان كل ما بوسعك .. هو أن ترغى وتتنطط كمهرج .. وتخفى الجثث تحت المفارش والزهريات .. كنت اعرف دائما حقيقة زوجي .. ولكنى كنت ضعيفة القلب ايضا .. فلم اكن اجرؤ على أن اواجه نفسى بها .. اما الآن .. فانى اقولها لك بصراحة ..

الرجل : **(يقاطعها صارخا وهو يتلوى غضبا)** لا تنطقيها .. انى احذرك .. لا تنطقى هذه الكلمة ..

الزوجة : **(فى اصرار)** .. أنت جبان ..

الرجل : **(ترتفع يده على الفور فتهبط على وجه الزوجة بصفعة شديدة)** قلت لك : لا تنطقيها .. حذرتك .. **(وهو يهزها من كتفيها هزا عنيفا)** انا لست جبانا .. اتفهمين **(يلقى بها على احد المقاعد)** .. متى كانت الطيبة جبنا .. ربما غاليت فى الطيبة بعض الشيء ، ولكن ذلك ما كان يبيح لك ان تتمادى فى اهانتى .. وتنعتينى بالجبن .. لست جبانا .. وانى لاقبل تحديك .. وهاأنذا أحدق فى الجثة بلا خوف .. ادفن فيها وجهى كله .. **(ويدفن وجهه فى الصندوق بالفعل .. ثم يقيم رأسه وقد ارتسم على وجهه الامتعاض والالم)** ما كنت أتحاشى النظر اليها خوفا .. بل اشفاقا على السائبتى من ان تمزق بهذه الصورة البشعة .. من صور الانسان . ليس هذا من الجبن فى شيء .. ولكنك تستخدمين الالفاظ الكبيرة بغير حرص .. **(يعود فى المكان كالثور الهائج ويتوقف بين لحظة واخرى خلال استرساله فى الحديث ليحدق فى الجثة متألما .. ثم متقززا .. ثم متعجبا ..)**

السيدة الفاضلة لا تقول لزوجها أغلق فمك .. ولا تختار الكلمات الكبيرة لتجرحه .. ضربتك ! نعم .. ضربتك .. وثـرت عليك . **(وكأنما يحس بالذنب)** .. ولو لم اكن اعلم ان لا احد لك فى الدنيا سواى .. لكان لى معك شأن آخر .. لا أعرف ماذا كنت سأفعل عندئذ .. ولكنى كنت بغير شك سأتصرف تصرفا كبيرا .. **(يرفع الزهرية من على الارض ثم يلقى بها ثانية فى عصبية)** انا لن أغلق فمى .. سأتكلم على هواى .. فالرجل هو الذى يعطى الاوامر ، اتفهمين ؟ وأنا الرجل هنا .. **(يضرب الفرش بقدمه الا يعترض طريقه)** أنا أعرف ماذا كنت تبغين أن أكون .. كنت تريدينني فارسا .. وما أتعس ما تمنيت . ان فرسان هذا العصر ليسوا بالشجعان كما تتوهمين . فى هذا العصر لا يكون الانسان فارسا الا وبيده قنبلة .. ولكن تلك مشيئتك لتقبلى نتائجها .. منذ الساعة .. لن أمشى الا وأنا أحمل القنابل بكلتا يدى .. لقد كنت أتحاشى المعارك وانحنى للزوابع .. نعم .. ولم يكن ذلك عن خوف ، وانما رحمة بك انت .. كنت اشفق عليك من عذاب الترمل والتيتم .. ولذع القلق .. ولكن اليك قرارى .. منذ الساعة .. سأفجر قنبلة فى كل مكان أسير فيه .. ولن تعرفى طعم الهدوء ابدا .. بعد دقائق سيمتلىء البيت بالشرطة والمحققين .. سأستدعيهم بنفسى .. ولن يلمس جنبك الفراش الليلة . أنا قادر على ان احتمل .. اما انت فتدبرى

امرك بنفسك (**بعد سكته قصيرة .. وكأنما يناقش نفسه فيما قرره وقد جنح الى الهدوء قليلا**) .. أنا لم أقتل .. ولم أسرق الرأس .. أنا واثق من براءتي .. لسأقتحم القضية كاملة من الالف للياء .. سأطالبهم بأن يفتشوا عن الرأس ويستحضروها قبل أن يفتحوا التحقيق معي .. لمن حقي أن أرى وجه من اتهم بقتله .. ما أدراني أنه هو .. من أتهم بقتله .. الرجل لا يعرف بسمته بل بوجهه .. هذا حق كفله الدستور .. أنت بالطبع لا تعرفين شيئا من الدستور .. ولكني أعرف .. فأنا اقرأ كتب التاريخ .. (**يغلق الصندوق في حركة غير واعية**) وفي الصباح .. سيكون أول ما أفعله هو ان أفجر قنبلة أخرى في الشركة .. قنبلة رهيبة أدمر بها كل شيء .. ان القنبلة هنا .. جاهزة .. وهي ثقيلة أيضا ! وقد صنعتها بنفسي (**يفتح درجا بإحدى قطع الأثاث فيسحب منه ملفا متخما بالأوراق** ! .. ما من عبث بالشركة .. أو تلاعب .. أو سخرة الا وهو مرصود هنا .. كنت ألحظ كل شيء وأرصده في صمت .. (**يقرب الملف من عيني الزوجة حتى يكاد يلامس وجهها**) أنظري فيه ان شئت .. أتحداك أن تنظري فيه فتفهمي منه شيئا .. لن تستطيعي .. فكله رموز .. أنا صانعها .. (**في حماسة بالغة**) سيشهد الصباح .. مواقف عظيمة لي .. (**يلقي بالملف على الأرض بجوار الصندوق**) .. لمتى يأتي الصباح ..؟ سأفتح النافذة .. حتى يرى الجيران ما عندنا .. فليس هناك ما أخشاه .. (**يفتح النافذة على مصراعيها ويعود فيلتفت الى الصندوق**) من الذي أغلق هذا الصندوق .. ! يجب أن يبقى مفتوحا .. (**ويفتح الصندوق ثانية**) .. كم الساعة الآن ..؟ ما زال الصباح بعيدا .. سيقتلني الانتظار حتى يأتي الصباح .. سأجري كل التفجيرات الليلة .. فأنا متعجل .. ان خير البر عاجله .. سأطلع خيري على كل شيء الليلة بغير ابطاء .. الجثة .. وأحوال الشركة .. وكل ما هو جريمة .. ولن أنتظر الصباح .. قد تتعفن الجثة حتى الصباح .. لماذا لم يأت خيري حتى الآن .. هل تعطلت حاسة الشم عنده .. ! قد يمنعه الزكام من أن يشم وردة .. ولكن لا يمكن أن يمنعه من أن يشم جريمة ..

الزوجة : (**في هدوء .. وكأنت لا تزال في مكانها الذي وضعها فيه تتابعه في صمت**) أنت لا تعرف كيف تضبط أعصابك .. حتى وأنت قوي ..

الرجل : (**وكأنما كان ينتظر كلمة منها ليثور**) ومتى كنت ضعيفا يافردوس ..! لقد كنت دائما قويا .. أليست عشرون سنة من الاحتمال والصبر دليل قوة .. ! .. أنها بطولة يا امرأة .. ! .. أتهونين من هذا أيضا .. أين خيري .. ! .. ما الذي أخره .. ! .. هل شغلته عنا جرائم أخرى .. ! أنا متعجل .. فلأفتح الباب حتى يرانا ونراه عندما يعود .. فقد يعود متعبا ويفضل أن ينام فلا نراه .. (**يفتح الباب على الساعه .. ويميل برأسه تجاه باب شقة خيري مرهفا سمعه .. ثم ينادي بأعلى صوته**) خيري .. خيري .. (**ويرهف سمعه**) يبدو أنه .. (**منزعجا**) ما هذا .. (**فقد وقع بصره في هذه اللحظة على صندوق مربع من الكرتون .. وضع لصق الباب**) .. ما هذا .. !

الزوجة : (**تنهض متطلعة في تساؤل**)

الرجل : ان الليلة هي ليلة الطرود بغير شك .. من تركه هنا .. ! (**يدفع رأسه خارج الباب مستطلعا**) لابد أنه الشيال الوغد ..

شيال الجثث ..

الزوجة : (**تهرع اليه**) ماذا هناك .. !

الرجل : طرد آخر ..

الزوجة : (**تلقي نظرة من خلال الباب**) انه صغير ..

الرجل : يكفينا طرد كبير واحد .. أنا لست من هواة الطرود ..

الزوجة : أعني انه أصغر من أن يحوي جثة هذه المرة ..

الرجل : لعلهم عادوا الى جثث الفئران .. غير أن اللعبة كلها لم تعد تحتمل..

الزوجة : فلننظر ما فيه ..

الرجل : (**محتدا**) طبعا سأنظر ما فيه .. أو تظنينني خائفا .. !

(**ولكنه يبدو مترددا يتوقع شرا .. وهو ينحني على الصندوق فيحمله بين ذراعيه .. يخطو داخلا به خطوة .. ثم يعود فيمط رقبته خارج الباب مناديا**) خيري .. (**يتريث برهة**) قد لا ينتهي اليوم من عمله .. فربما كانت الجثث توزع على كل البيوت .. بلا محاباة .

الزوجة : (**في قلق**) لم لا تفتح الصندوق !! افتحه ولا تخش شيئا .. فأنا بجانبك ..

الرجل : (**في عناد صبياني**) سأفتحه وحدي .. لن أفتحه وانت بجانبي

الزوجة : طيب .. سأبتعد .. كما تشاء .. (**وترتد عنه خطوة**)

(**الرجل لا يزال مترددا .. يحملق في الصندوق في توجس .. يمد يده المرتجفة فيرفع غطاءه بحركة بطيئة بينما هو يحتضنه بالذراع الاخرى**)

الرجل : (**وقد تعلقت انفاسه .. يتردد في ان يلقي نظرة داخل الصندوق .. يستجمع شجاعته في النهاية .. وينظر .. فيشهق .. ثم يهتف**) الراس .. أنها الراس ..

الزوجة : (**في دهشة**) الراس .. !

الرجل : كنت على يقين من أن للرجل راسا .. ركوها وفروا .. الجبناء .. لم يتريثوا حتى أؤدبهم .. (**ينظر مرة اخرى داخل الصندوق**) ومعها ورقة ..

الزوجة : أرنيها ..

الرجل : بل انتظري أنت .. لا دخل لك بهذا .. أنا المسئول هنا من كل شيء .. (**يمد يده فيتناول ورقة مطوية .. يعجز من ان يفضها بنفسه بينما هو لا يزال محتضنا الصندوق**) خذي .. فاقرأيها .. قد يكون فيها مفتاح اللغز ..

الزوجة : (**تفض الورقة وتقرا**) نأسف .. لتأخير الراس .. فقد وقع الامر سهوا .. عند التعبئة ..

الرجل : (**في غيظ**) التعبئة .. وكأننا نتعامل مع المذبح .. شيء مقرف .. وقع الامر سهوا عند التعبئة .. نكتة سمجة لا تضحك .. وبالطبع لا يوجد توقيع ..

الزوجة : لا توقيعات ..

الرجل : (**يسترد الورقة**) وقع الامر سهوا .. ؟ .. ان أبشع الاخطاء تبرر عادة بالسهو في هذه الايام .. ابتداء بالعبث بالترقيات .. حتى فصل راس من صاحبها .. لم أكن لادهش لو كان هذا الخطاب موقعا من مدير شركتنا ..

الزوجة : ان هذه الورقة لهي دليل براءتنا ..

الرجل : (**في ثقة وانما في حدة**) اعرف هذا .. لست بحاجة لان تذكريني به

.. اعرف انه لابد وان يترك المجرم اثرا مع جريمته يدل عليه .. (**يربح الصندوق على احد المقاعد**) ها هي الراس جاءت .. واكتملت الجثة .. ومعنا ورقة تؤكد اننا شحبة لعبة قذرة .. لم يبق الا ان يأتي خيري فنسلمه كل ما عندنا .. (**يشير الى الصندوقين والملف**) حصيلة من الجرائم تكفل له ترقيتين في عام واحد .. ولكنه لا يأتي .. (**يندفع الى الباب وينادي من جديد**) خيري .. (**لم يعود**) ما العمل الان .. لن نبقى مكتوفي الايدى حتى الصباح ، تحدق في هذه الرمم.. وتحدق فينا ..

الزوجة : عليك أن تهدأ .. منذ اكثر من ساعة وانت في ثورة ..

الرجل : نعم .. انا ثائر ..

الزوجة : اجلس على الاقل .

الرجل : الثائر لا يجلس ..

الزوجة : انت بحاجة الى الراحة ..

الرجل : انا ثائر على الراحة ايضا .. ثم كيف ارتاح وفي البيت هذا الراس المنفصل .. وقد تفجر في وجهه كل هذا القدر من الذعر ..

الزوجة : (في الم) أكان الرجل مذعورا .. !!

الرجل : كأنما كنت تتوقعين ان يذبح وهو يبتسم ..

الزوجة : يا المسكين .. (**تتجه نحو صندوق الراس في وجل .. وتلقي نظرة متأملة على الوجه**)

الرجل : لن انتظر خيري اكثر من هـــذا .. لقد تعبت .. لابد ان انتهي من هذا كله .

الزوجة : (في الم) لقد كان يصرخ .. بالليالي .. لم يسمع احد صراخه ..

الرجل : سأذهب لاستدعي الشرطة .. لابد أن هناك ضابطا آخر يتمنى ترقية سريعة ...

الزوجة : (في دهشة شديدة) الم تلحظ شيئا .. !

الرجل : ماذا .. !

الزوجة : هذا عجيب ...

الرجل : (**في قلق**) ماذا .. !

الزوجة : ان في هذا الوجه .. **لا تغضب** ...

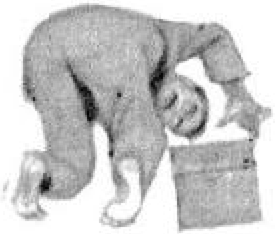
الرجل : (**اشتد قلقه**) لن اغضب .. ماذا فيه ... !

الزوجة : ان فيه شبها كبيرا منك .

الرجل : لقد بدأ التعب يصور لك اشياء ... (**يمعن النظر في الوجه**) هذا عجيب فعلا ... حين رأيت الوجه ، خيل الي لوهلة انى اعرف صاحبه ... ولكن لم يخطر لي أنه يشبهني .. من المؤكد ان ليس لي اخوة ... او .. لعله كان لي أخ فارقنا وانا طفل ...... مثل هذه الامور تحدث في القصص .. ويروى بعضها في التاريخ ... (**يتأمل الوجه**) وعلى كل .. فانا ارى فيه اختلافا كبيرا عني ... الا ترين هذا .. !

الزوجة : ان كون الراس مقطوعا .. وما ارتسم على الوجه من ذعر .. هو ما يجعله يبدو مختلفا ..

الرجل: هذا محتمل ... فما كانوا ليخصونا به لو لم يكن يخصنا بالفعل ...



ومع ذلك .. فراسى ما زال فى جسدى .. ولست مذعورا .. انه ليس انا ... ألديك شك فى هذا .. ؟ (متأملا ماحوله) .. وعلى الرغم من ذلك .. لقد اقتحم الاضطراب حياتنا .. ولن ينتهى بين يوم وليلة .. فردوس ؛ أحس بأن تقرير براءتنا لن يقطع صلتنا بالقضية ... الطريق طويل يافردوس وصعب ... وهذا الانسان الذى يشبهنى .. والذى التجأ الى مقطوع الراس حملنى مسئولية لاخلاص لى منها .. أشعر شعورا قويا بأنى - بصورة ما - مسئول عنه ... لاكجبان .. بل كمجنى عليه .. اعنى انى مسئول عن دعواه ضد من سفكوا دمه ... فردوس .. انى لاشعر شعورا عظيما .. بأن الايام المقبلة .. ستكون اياما قاسية ... ولكنها فى نفس الوقت ستكون اياما عظيمة .. الجثة تخصنا بلا ريب ... وقضيتها تخصنا أيضا حتى نهايتها ... هل ستبقين بجانبى حتى النهاية .. انى بحاجة اليك ... اغفرى لى اولا قسوتى .. لقد قسوت عليك .. وأنا حزين من أجل هذا .. هل ستبقين بجانبى .. ؟

الزوجة : لقد كنت دائما بجانبك ... وسابقى بجانبك ..

الرجل : مزيد من القوة .. ومزيد من الصبر .. هذا هو مانحتاجه ...

الزوجة : نحن لا تعوزنا القوة .. ولا القدرة على الصبر

الرجل : (فى ثقة كبيرة) .. أنا ذاهب بافردوس الى الشرطة بنفسى .. كخطوة أولى فى الطريق الصعب ... فهل تأتين معى .. ؟

الزوجة : بل سأنتظر حتى تعود

الرجل : اشفق عليك من البقاء وحدك مع هذه الجثة ...

الزوجة : لم اعد أرى فى بيتى جثثا ... (وتبتسم)

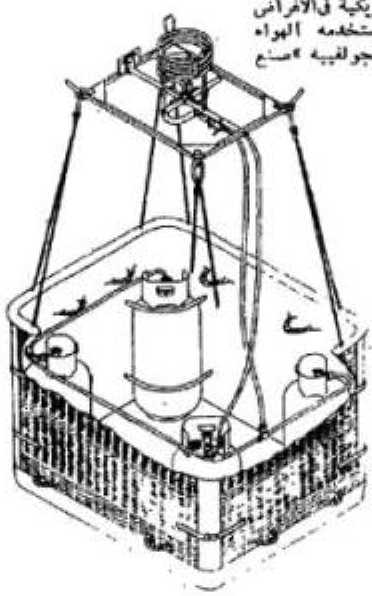
(الرجل يبادلها ابتسامتها بابتسام ... ويستدير .. ويغادر المكان فى خطوات وئيدة ولكنها واثقة ... بينما ترفع الزوجة الصندوق الصغير بغير جهد ، فتلقى به داخل الصندوق الكبير .. ثم ترفع الصندوق الكبير نفسه بغير جهد مما يوحى بان الصندوقين فارغان وتنحيه جانبا لتعيد ترتيب محتويات المكان .)

الظلام

يوسف جبرا

الدنيا في سطور

بالون مونجولفييه الذي يطير بالهواء الساخن .. تذكروه بعد حوالي قرنين من النسيان .. يستخدم الان بكثرة في الولايات المتحدة الامريكية في الاغراض العسكرية والارصاد الجوية .. كما يستخدمه الهواة .. في انجلترا وبلاد غربية أخرى. «مونجولفييه» صنع بالونه من الورق (كان تاجر ورق) اما الان فيصنعونه من النايلون .. وكان هو يرسل الهواء الساخن الى داخل بالونه بمدفأة .. اما الان فيستخدمون انابيب البوتاجاز ..



بسبب العودة الى الهواء الساخن ببساطة .. انه ارخص .. والرسم يوضح سلة البالون وفيها اربعة انابيب .. تستخدم اثناء الطيران .. وتكفي ساعتين!

☆



لتوفير البنزين من ناحية .. ولمنع هواء المدن من التلوث بـ « عادم » السيارات من ناحية أخرى ... بدلا من مؤسسات فى الشارع جهودها الآن لتعميم سيارة تمشى ببخار الماء .. وفى الولايات المتحدة الامريكية بالذات يبذل أكبر جانب من تلك الجهود .. وكصدى لانذار الرئيس «نيكسون» .. بأنه ما لم تحل مشكلة تلوث الهواء حتى عام ١٩٧٥ فسوف يمنع استخدام السيارات داخل المدن .

وطالما هى تعتمد على البنزين ..

واللقطة لسيارة تمشى ببخار الماء انتجتها مصانع « ديون بوتون » عام ١٨٨٥

■ لو تكلمت الكلاب .. لربما وجدناها الصعوبة فى معاملتها ما نجد فى معاملة الآدميين !

كاريل كابيك

■ كتابة الشعر الحر مثل لعب التنس بدون شبكة

روبرت فروست

■ أكثر الناس قلقا فى السجن .. السجان

شو

■ يكره الله المال .. ولذلك يغدقه على الانذال !

سويفت

■ الحياة ليست شيئا عظيما .. لكن هل لدينا غيرها !

يونيسكو

■ ازدهرت البلاغة والفصاحة فى روما .. عندما كانت احوال الناس أسوأ ما تكون !

مونتين

■ الفضيلة .. الا يكون فى المرأة اغراء .. والا تتاح للرجل فرصة !

بيرس

■ احب بلدى .. ولكن ليس معنى هذا أنى أحب اهل بلدى !

بيرون

■ ليت الانسان يصاب بالصحة .. بدلا من المرض !

انجرسول

البيت الدائر نفذه مهندس بلجيكي بالقرب من بروكسل .. يعتمد على نفس فكرة المسرح الدائر .. الغرض

هو استقبال الشمس في أي مكان في البيت عند الطلب .. وتفادي الريح والمطر .. وتغيير المنظر باستمرار ..

**

المنحرفون مصلحون ... يصلحون البيئة التي دفعتهم الى الانحراف .. وخلال

هذا يصلحون أنفسهم .. تنفذ الفكرة الآن في بعض

المدن الامريكية ، فيختار نزلاء السجون الذين يمتازون بقدر معين من

الذكاء ويعينون — بأجر — باحثين ومنفذين لأساليب العلاج اللائمة ، في الاحياء

التي انحدروا منها ... ويرى المسئولون انهم أكثر نجاحا من زملائهم الذين

لا ينتمون أصلا الى تلك الاماكن .. لانهم أكثر منهم معرفة بها .. أضف ان

هذا العمل — الشريف — يمنعهم من العودة الى الانحراف !

**

الكلاب الضالة في « دلهي » عاصمة الهند .. تبدأ قريبا تجربة قتلها بالسم — الاستركنين — يدس لها

في الطعام .. عقيدة الهندوس ترفض قتل الكلاب بالنار .. في بعض

بلاد الغرب تجمع الكلاب

الضالة وتقتل بالتيار الكهربائي ..

تمبير جميل .. ! وانتظمت اعمال هيكل انجلوروما .. كنائس . قصور . جسور . اقواس . كلها

باهرة شامخة ورائعة الجمال .. كأنها سيمفونية واحدة عظيمة تجمدت مقاطعها احجارا ! »

**

الغازات السامة في الحروب .. ليست فكرة حديثة .. فالمؤرخ اليوناني القديم «توكيديديز»

يروي لنا في كتابه الثاني من حروب «البلوبونيز» انه في عام ٤٢٠ ق.م حاول **اللكيديمونيون** اثناء

حصار « ميجارا » .. ان يرغموا اهلها على التسليم باستخدام غازات الكبريت والقطران ..

ولكن الريح قلبت الاية وهبت في اتجاه الغزاة فأرغمتهم على الفرار ..

لكنهم عادوا واستخدموا فكرتهم في حصار مدينة « بلاتيا » بعد ذلك بأكثر من اربعين سنة .. هذه المرة نجحوا .. وان كانوا لم يدركوا

بالطبع انه لم يكن دخان الحريق وحده الذي عمل في المرتين .. وانما هو غاز سام نسميه الان « اول اكسيد الكربون »

**

هل يفكر النمل ؟ روى مارمن بنسلفانيا — الولايات المتحدة — انه راقب قطعة من الحلوى اسقطها بالقرب من جحر من جحور النمل..

اجتمع النمل على القطعة وبدأ يأكل منها .. ثم امتدت اليها اشعة الشمس وبدأت تنصهر ..

فتركها النمل — بصعوبة — ولكنه رجع بعد

لحظات يحمل شظايا من الخشب والقش .. القى بها على سطح بحيرة السكر ووقف فوقها .. يكمل وجبته !

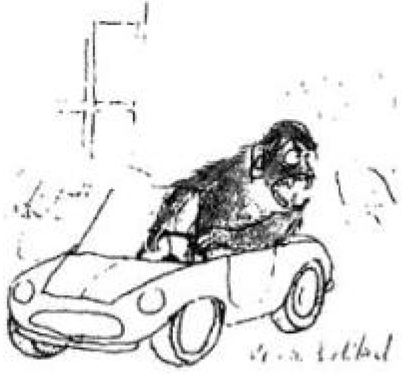
**

هنريتا زوجة شارل الثاني ملك انجلترا .. كانت تحب الاقزام .. احدى سيدات البلاط قربت اليها ذات مرة بقزم لم يزد طوله على ١٨ بوصة

.. استطاعت أن تضعه داخل « تورته » ارسلت بها الى الملكة وهي على المائدة .. ولم تكد الملكة

تلمسها بالسكين حتى انشقت عن القزم العجيب ينحني وهو يهتف بصاحبة الجلالة « في

خدمتك ! »



اصحاب السيارات عندما يحتدون .. كما يتصورهم المشاة ..
(بارى ماتش)

الدنيا في سطور

أقوال لديجول من صحيفة عمرها ٥ سنوات

عن السياسيين : عندما تكون وزيرا فانك لا تشكو من الصحف .. انك حتى لا تقرؤها .. انك تكتبها !

لا يشعر سياسى بالحرج عندما تذكره بشىء قاله .. فهو شخصيا لا يصدق نفسه !

عن الدبلوماسيين : يلمعون طالما السماء صافية .. فاذا سقطت قطرة مطر غرقوا فيها !

عن الفيلد مارشال مونتجومرى : انه ليس جنديا حقا .. انه ممثل يتقن دوره !

عن نفسه : ديجول ليس مع اليمين .. ولا مع اليسار .. ولا فى الوسط .. انه فوق !

عن فرنسا : كيف تحكم بلدا فيه ٢٤٦ نوعا من الجبن !!

عن الفرنسيين : انهم يفكرون فقط فى ملء بطونهم والاستمتاع بالحياة ..

ومن الصعب اعتبار هذا هدفا قوميا !

كل فرنسى يريد أن يمتاز على الآخرين فى شىء أو شيئين .. يجب ان يتحقق له هذا حتى يؤمن بالمساواة !

برقيات ..

لندن :
سرقت من متحف « واريك » مجموعة من الدر العراقي يقدر ثمنها بستة آلاف جنيه .. وتعتقد الشرطة أن اللصوص من الخبراء في العراقي .. وان المجموعة المسروقة سوف تباع خارج البلاد لانها معروفة للكثيرين في الداخل

فرساي :
أكلت الفئران وجه طفل عمره ثلاثة أشهر .. تركه والداه نائما في سيارة من نوع الـ « كارافان » على حافة الغابة القريبة

روما :
أحد أعضاء مجلس الشيوخ ناشد رئيس الوزراء منع ارتداء البدلة ذات الذيل الطويل في الحفلات

واشنطن :
دعت الحكومة الامريكية الى اجتماع دولي يضع حدا لخطف السياسيين .. واتهم « وليام روجرز » عددا من دول أمريكا اللاتينية بأنها تأوي الارهابيين الذين يدبرون تلك العمليات

بكين :
بدأت حكومة الصين في اعادة ممثليها السياسيين الى الدول التي كانت قد سحبتهم منها أثناء حركة الاصلاح الداخلية القريبة والتي أطلق عليها اسم « الثورة الثقافية »

الدنيا في سطور

ماذا يكسب الشعراء؟

.. « ملتون » كان اجره من « الفردوس المفقود » خمسة جنيهات .. و « روبرت » لم يصل ربحه من اشعاره خلال اربعين سنة الى الف جنيه .. لكن لم يكن ذلك هو حظ الجميع .. روبرت فروست – الشاعر الامريكي الحديث – قال مرة ان اجره من السطر الواحد وصل الى الف دولار .. « لورد تينسون » – الشاعر الانجليزي القديم – ربح ٥٠٠) جنيه من ديوان له عام ١٨٦٠ .. وخمسة آلاف بعد ذلك من ديوان آخر

في ايام هنري الثالث ملك فرنسا ، كتب شاعر القصر « ديزبورتز » – والذي توفي عام ١٦٠٦ – ابياتا للملك ليرسل بها الى احدى صديقاته – اربعة ابيات – فاجازه عنها مايساوي نصف مليون جنيه !

وفي الشرق .. الشاعر الفارسي « الفردوسي » كافأه الشاه « محمود الغزنوي » بقطعة من الذهب عن كل سطر من سطور ملحمته « الشاهنامة » .. وهي ٦٠ الف سطر ... بقية القصة انه لم يتسلمها ، مات قبل وصولها ، ودفنت بهما ارملته جسرا كانت المدينة تحتاج اليه .. نفس الشاه .. الغزنوي .. يقال انه كافأ شاعرا آخر بأن ملأ له فمه .. احجارا كريمة !

● احصائيات عن الطلاق فى العالم ●



ورد فى الاحصائيات المتعلقة بالزواج والطلاق ان عشرة والمائة من الزيجات تنتهى بالطلاق فى فرنسا . بينما تصل هذه النسبه الى ٣٠٪ فى الولايات المتحدة .
ويصل عدد أحكام الطلاق فى فرنسا الى ٤٠ الف حكم سنويا وفى اغلب هذه القضايا تكون الزوجة هى المحركة لدعوى الطلاق .

والملاحظة الاخرى التى نخرج بها من الاحصائيات . ان فى معظم الاحكام التى تصدرها المحاكم . يسند القضاة حضانة الاطفال الى امهاتهم . فيما عدا بعض الحــالات الاستثنائية . ففى القوانين الغربية يكون تحـديد حق الحضانة متروكا لاجتهاد القاضى . والاجتهاد العام ان الام اكثر كفاءة من الاب فى تربية الاولاد .

اما صلة الاب بابنائه بعد الطلاق فتنظمها المحاكم مع صدور الحكم ويقضى هذا النظام بحق الاب فى زيارة اولاده عدة مرات فى الشهر كما له أيضا حق استضافتهم لـمدة اسبوعين متواصلين كل عام. ونعود الى خصائص أحكام الطلاق فى كل من فرنسا والولايات المتحدة .. يقضى القانون الفرنسى بعدم قبول مبدأ « الطلاق بالتراضى » بل تطلب المحكمة من صاحب دعوى الطــلاق أن يثبت واحدا من الاسباب التى أوردها القانون والموجبة فى حالة تحققها لوقوع الطلاق .. وهذه الحالات هى :

- ● ثبوت الزنا من أحد الطرفين
- ● الحكم على أحدهما بعقوبة حبس جنائية لسبب مشين
- ● مبادرة أحد الزوجين الى معاملة الاخر بشراســة أو توجيه اهانة خطيرة له .

ومن أساليب المعاملة الشرسة الموجبة للطلاق: هجر الزوج منزل الزوجية دون سبب معقول مدة تتجاوز ١٥ يوما « خمسة عشر يوما » . أما الاهانة الخطيرة . فهى تعنيف أحد الطرفين للاخر ، أو توجيه شتائم نابية له فى مجتمع عام .

والامر على خلاف ذلك فى القانون الامريكى فهو يبيح الطلاق بمجرد وقوف الطرفين أمام القاضى وطلبهما الحكم بالطلاق بسبب « تنافر الطباع » .

والسر فى هذه السهولة التى يتم بها الطلاق فى الولايات المتحدة . يرجع للمشرع الامريكى . فهو يعتبر عقــد الزواج مثل سائر العقود التجارية والمدنية يتعين فسخه اذا تلاقت ارادة طرفى العقد على الغائه ..


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه فى الشرق العربى
موقد مسطح
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواء
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
مزخرفة وسادة .. تتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

الجمعية الخيرية المارونية

كلفت الجمعية الخيرية المارونية بالقاهرة حضرة الاديب اسكندر افندى فرح مدير الجوق الوطني الشهير تمثيل رواية هارون الرشيد في الاوبرا الخديوية مساء الجمعة في ٣٠ مارس الجارى والدراهم التى ستجمعها الجمعية من هذا التمثيل ستضاف الى صندوقها لتنفق على المعوزين وذوى الاسقام ونعمت هذه الوسيلة فى استدرار اموال الاغنياء لمساعدة الفقراء اذ يدفع المحسن ما يدفعه فى مقابل ليلة طرب يقضيها مسرورا ليكون النفع متبادلا وللفقراء منه النصيب الاكبر

اعتقاد الافرنج بالحجارة الكريمة

يعزيا ان فى أوربا بلاد التمدن الحديث خرافات مثل خرافاتنا فان للحجارة الكريمة عند عامة الانكليز كرامات غريبة فالياقوت عندهم يشفى من الروماتيزم ويقى حامله من برد الاطراف والصفير او الياقوت الازرق يحمى حامله من الافاعى فلو حملته جدتنا حواء لم تستطع الحية اغراءها . والفيروز يحمى حامله من السقوط من شاهق ويزعمون ان حجرا كريما يظهر فى راس الهر مرة كل الف سنة فالذى يحمل هذا الحجر تحت لسانه ينطق بالنبوة ويكشف الغيب .

مارس ١٨٩٦

● الغلاف الأول والأخير ●

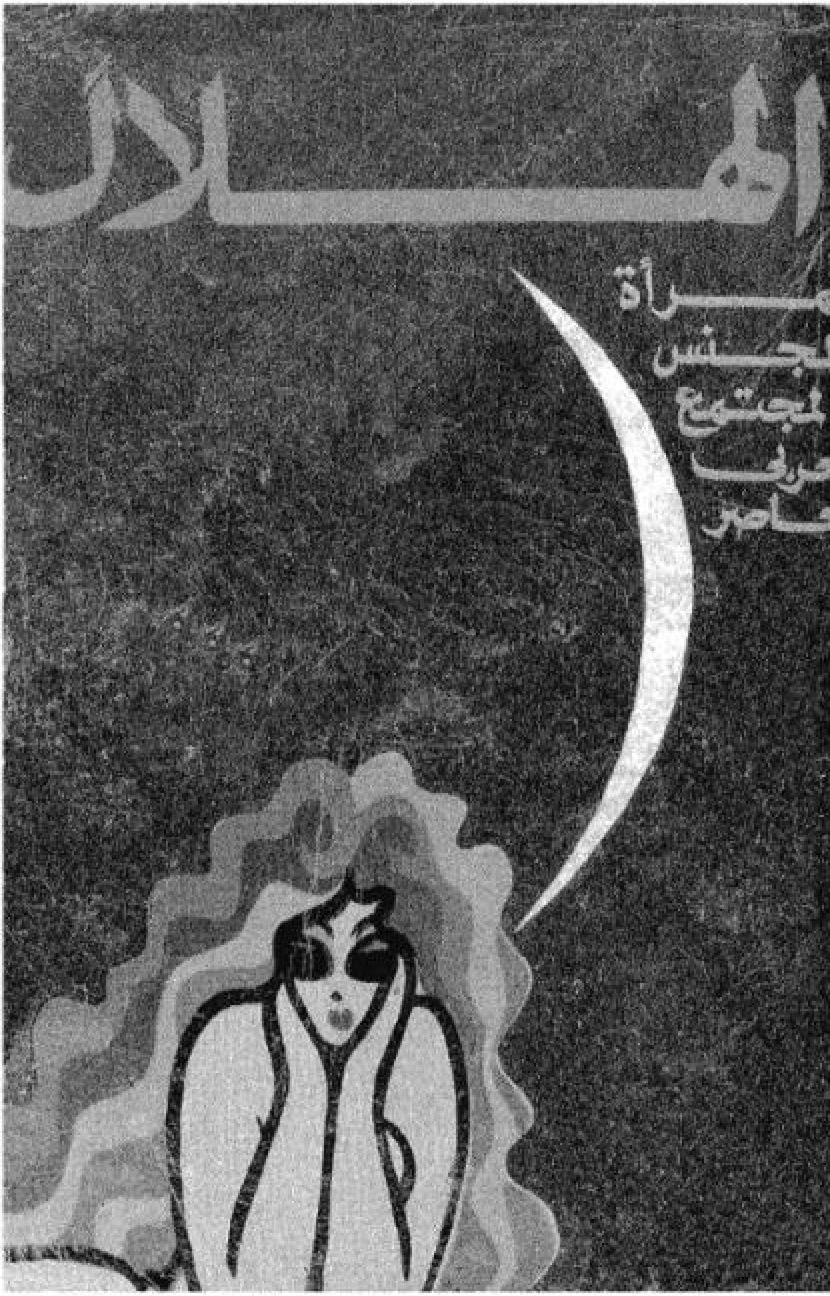


توفيق الحكيم
للفنان سيف وانلى



وجه سيدة
للفنان الألماني دورير




الهلال
مرأة
لجنس
المجتمع
عربي
عاصر

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الرابع ـ السنة التاسعة والسبعون ـ اول ابريل ١٩٧١ ـ ٥ صفر ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة :

أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

الإعداد الفني :

مكرم شحاته

الاشتراكات

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ـ فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى « ج.ع.م » ـ والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

التليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الهلال

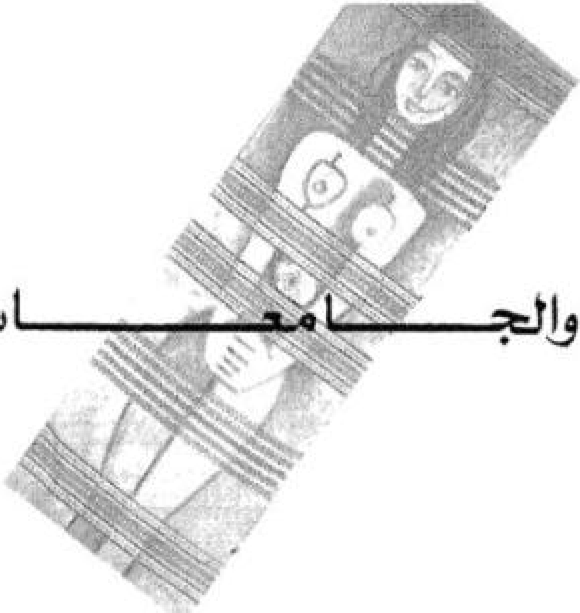
ابريل ١٩٧١

في هذا العدد

الجنس في المدارس

هلال بدر الدين

هذا العدد الخاص الذى تقدمه الهلال عن ((المرأة والجنس فى المجتمع العربى المعاصر)) يهدف الى ان يضع امام البحث العلمى الحر مشكلة من أكبر المشكلات التى واجهت المجتمع العربى منذ بداية نهضته الى اليوم ، لقد اخذت بعض المجتمعات العربية بالنظم السياسية الحديثة فى اعطاء المرأة حق الانتخاب والترشيح فى البرلمانات والنقابات وما الى ذلك ، بينما نجد بعض المجتمعات العربية الاخرى مازالت تحجب عن المرأة هذه الحقوق وتعاملها على انها كمية اجتماعية مهملة ، ولكن المجتمع العربى كله مازال يعانى من عدم القدرة على اتخاذ قرارات حاسمة وواضحة فى جوانب اخرى من قضية المرأة مثل : الطلاق ، وتعدد الزوجات وما الى ذلك . ومن ناحية اخرى فمازال المجتمع العربى كله يفضل الحياء والاخفاء ورفض المناقشة الجدية فيما يتصل بموضوع ((الجنس)) ، ولذلك فالانسان العربى ولا شك يعتبر من اكثر الناس تعرضا للمشاكل النفسية والمشاكل العضوية بسبب هذا التجاهل غير العلمى لاى مناقشة صريحة لموضوع الجنس .. وبذلك اصبح المجتمع العربى نوعا ثالثا من المجتمعات الانسانية ، فلا هو نموذج للمجتمع المتقدم ، مجتمع القرن العشرين الذى حل بالجرأة والعلم مشكلاته الرئيسية ، ولا هو نموذج للمجتمع البدائى الذى حل بالفطرة والبساطة مشاكله الرئيسية .. ونحن مطالبون بالطبع بان نبذل كل جهودنا فى الميادين العلمية والاجتماعية لحل مشكلاتنا الرئيسية عن طريق الاخذ باساليب المجتمعات الحديثة والمتقدمة ، دون ان نخفى رؤوسنا فى الرمال ودون ان نعصب عيوننا بما يخفى عنا نور الحقيقة ، ودون ان نترك الامراض النفسية والعضوية تتسلل الى حياتنا لسبب واحد هو اننا نرفض العلم ونرفض المناقشة الصريحة لمشكلاتنا الرئيسية .



والجـــــامعـــــات؟

ومن اجل ان تسود هذه الروح العلمية فى مجتمعنا العربى ، ومن اجل أن تتحرر المراة العربيـــة وتسهم بدورها فى تقدم الحيـاة والحضارة ، ومن اجل ان نواجه امراضنا الخفية فى جرب مكشوفة صريحة نستطيع بعدها أن نحاصر هذه الامراض ونقضى عليها .. من اجل هذا كله تقدم الهلال هذه المساهمة العلمية فى مناقشـــة مشكلة المراة والجنس فى المجتمع العربى المعاصر . وفى بداية العدد نقدم هذا التحقيق العلمى الصريح ، الذى يشترك فيه عدد كبير من رجال الدين والفكر والمجتمع وعدد من العنـاصر النسائية البارزة .. ويتناول هذا التحقيق ســؤالا هاما هو « هل ندرس الجنس فى الجامعات والمدارس ؟ » وتحـدد الاجابة التى يقدمها هؤلاء المفكرون وأهل الراى مدخلا سليما لدراسة موضـــوع « المراة والجنس فى المجتمع العربى » .

ونرجو ان يكون هذا التحقيق بما فيه من آراء جريئة وعلميـــة وصريحة .. بل ونرجو ان يكون هذا العدد الخاص كله مساهمة فى فتح طريق علمى وحضارى سليم لدراسة هـذه المشكلة الرئيسية التى يواجهها مجتمعنا العربى المعاصر وهى مشكلة المراة والجنس .

« الهلال »

•

هل ندرس

الجنس

في المدارس والجامعات ؟



.. على أن يبقى الأمر في حدود السائل والمسئول

د . محمد الفحام
شيخ الجامع الازهر

انا لا افهم المقصود بدقة من معنى التربية الجنسية التى يراد تدريسها في المدارس والجامعات .. وانما افهم الجنس بمعناه المباشر والمألوف .. فاذا كان يراد تدريس الجنس بهذا المعنى الذى افهمه وتلقينه للشبان والفتيات فانا لا املك ان اوافق على هذا ومن الافضل تجنب اثارة الموضوع .

ان موضوع الجنس وما يتصل به من الموضوعات الشائكة ولا اتصور الشكل الذى يمكن ان تدرس من خلاله مثل هذه المادة لشبان وفتيات في سن المراهقة وبداية النضج .. اما السعى الى تكوين انسان سوى من كل الوجوه فيتم بدراسة الاخلاق وتهذيبها ، وفي الشريعة الاسلامية الحنيفة ما يكفى لتحقيق هذا السواء المطلوب بين الاب وزوجه وبينه وبين ابنائه .

اما ما يتصل بضرورة تعريف الابناء بحقائق الحياة الاولى ومن بينها ما يتصل بالغريزة الجنسية فانا ارى ان هذا واجب البيت بالدرجة الاولى .. ان على الاب المثقف ان يكون في سلوكه عملا وقولا هديا لابنائه. بمثل ما ان الام عليها أن تكون هادية لبناتها .. فليس على الابن حرج في أن يسأل والده وليس على هذا حرج في أن يجيب عليه .. وليس على البنت حرج - بالمثل - ان تتجه الى أمها بالسؤال

وان تتولى الام توجيهها .. ان الاب والام هما اقرب الناس الى عقول وقلوب ابنائهم واكثرهم تفهما لهم ولظروفهم الخاصة .. ولقد كانت الام دائما منذ صدر الاسلام هى الوجه الامين لبناتها .. ولعلنا نذكر الان ذلك الارشاد الحكيم الذى قالته هذه الام المسلمة لاحدى بناتها وهى بصدد الزواج .. « **يابنية انك ذاهبة الى بيت لم تالفيه وزوج لم تعرفيه فكونى له امة يكن لك عبدا ..** » الى آخر هذه النصيحة الامينة .. اريد ان اقول ان التربية فى البيت ومن خلال الاب والام هى الاساس الذى يجب ان نهتم به ونحرص كل الحرص على تلقينه للفتيان والفتيات ..

وفى حدود هذا الاطار فمن حق الانسان ان يسأل عن كل ما يعن له بلا حرج ولا خوف .. ومن حق الشاب او الفتاة ان يسأل والديه ومن حقه ان يجاب عن سؤاله مهما كان السؤال ، فلا حياء فى الدين .. ذهبت ام سليم الى النبى عليه الصلاة والسلام وسألته .. « **هل على المرأة من غسل اذا احتلمت ؟** » قال : **نعم .. اذا رأت الماء** . اقول هذا لأعنى به اننا يجب الا نفرض على شبابنا وفتياتنا شيئا من عندنا تحت ما يسمى بالتربية الجنسية او غيرها .. لنترك الامر لهم ليسألوا ما شاءوا ولنجيب فى حدود العلم والتربية والاخلاق وبصدر رحب على اسئلتهم تلك ، مهما كانت خاصة او شائكة .. نعم اننى ارى من وجهة نظر شخصية **بحتة ان يبقى الامر فى حدود السائل والمسئول ولا يتعداهما الى هذا الشكل العام الذى يرتفع النداء به هذه الايام .**

هنا قد يثور سؤال او اعتراض يقول : اننا نسعى الى الامام نحو التقدم والاخذ بالاسباب العصرية بمثل ما فعل الغرب وسبقنا فى مضمار المدنية الحديثة فلماذا لا ننهج نهج الغرب ونأخذ بأساليبه فى الحياة والتربية ؟

واقول ردا على هذا السؤال من واقع تجربتى الشخصية .. اننى قد عشت فى فرنسا — ذلك البلد الذى يتهم بالانحلال والاباحية — عشر سنوات فلم اجد شيئا من ذلك الانحلال الذى نتحدث عنه .. وقال لى **الشيخ المراغى** — يرحمه الله — قبل ان اسافر .. **لا تصدق انهم فى اوربا يعيشون فى ظل الانحلال .. ان الفساد فى مصر اكثر منه فى اوربا** ولقد صدق الشيخ فى كلمته العظيمة ولهذا فانا لا املك الا ان ارددها اليوم مرة أخرى .

هناك .. رأيت كيف يقوم الاب والام كل بواجبه فى ظل البيت . **ان الشاب او الفتاة لايقرأ كتابا الا اذا اختاره له والده — الذى يكون قد سبق الى قراءته — او والدته** ولا يستطيع الطفل ان يختار صديقا او صديقة الا اذا اختارته له امه او ابوه بعد ان تكون قد خبرت سلوك هذا الطفل وكلماته ، ولقد منعت جارتنا الفرنسية اطفالها من اللعب مع أطفالى قبل أن تتعرف عليهم وتختبر اخلاقهم .. هذه هى فرنسا وهذا هو الوسط الذى عشت فيه والذى يحرص الاباء والامهات فيه على اختيار وسائل ثقافة الطفل واختيار اصدقائه ولا تذهب الفتاة فيه الى السينما بمفردها ولا تجلس الى مدرس الموسيقى بغير رفيق من أهل الدار .. وهذا هو ما اقصده بالتربية فى البيت من خلال الاب والام وهو ما اقصده بالحرص على الاخلاق وتعميق معناها فى نفوس ابنائنا .

يقولون فى فرنسا : Dis-moi qui tu hantes. je te dirai que tu es.
وهو القول الذى يترجمه هذا البيت من الشعر العربى :

عن المرء لاتسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

ثم اضيف بعد كل هذا .. اننا لا نقف ضد العلم .

انى اعلم ان علوم الحياة والنبات والحيوان والتشريح وغيرها تدرس فى مدارسنا وجامعاتنا .. وفى كل هذه العلوم وغيرها فان مسألة الجنس — من خلال النبات والحيوان وأحيانا من خلال الانسان كما فى كليات الطب — تدرس باسهاب ووضوح . واسأل : الا تكفى هذه العلوم لكى تعطى للشاب او الفتاة كمية تكفى من المعلومات والمعارف حول حقائق الجنس والحياة ؟ أعتقد أن الانسان الذى كرمه الله بالعقل يستطيع ان يفهم شيئا كثيرا من الجانب المتعلق بالجنس فى حياته من خلال دراسة هذه العلوم وغيرها دون حاجة الى مزيد من الدراسة على الانسان نفسه .

ومع هذا فانا اقول مرة اخرى انني — او غيرى — لا نستطيع ان نقف فى وجه العلم .. ومن ثم فانا اوافق على ان تقوم لجنة مؤلفة من علماء التربية وعلماء النفس وعلماء الدين وعلماء الطب والتشريح ووظائف الاعضاء بوضع منهج لدراسة التربية الجنسية . فان وضعوا هذا المنهج ووافقوا عليه فى ظل اطار علمى دينى بحت فاعتقد ان هذا يعتبر اجماعا يقابل بما ينبغى من التقدير والاحترام والقبول .

ان لجنة كهذه يتوفر لها حسن النية والعلم والاجماع يجب ان تقوم بدراسة الامر ووضع المنهج المطلوب فاذا تم لها هذا فهو الخير ان شاء الله لأن امتى — كما يقول الرسول الامين — لاتجتمع على ضلالة .

وباختصار فاننى لا اعلق حكمى على مبدا تدريس الجنس وانما اعلق حكمى على المنهج الموضوع لهذه الدراسة بعد الاطلاع عليه .

تدريس الجنس فى المدارس حاجة ضرورية من حاجات المجتمع



يوسف السباعى

من البديهى أن أساليب التعليم — ومناهجه أيضا — لابد أن تتطور بتطور المجتمع لتواكب حركته المتقدمة دوما الى الامام ولتلبى احتياجاته الروحية والعقلية والاقتصادية وغيرها .. والا وسم بالتخلف والرجعية والجمود وعجز من مواكبة الحياة والتطور والقيام بدوره الخطير فى تقدم الفرد والجماعة .

ونحن نعيش اليوم فى مجتمع يسعى قدما نحو الامام ويرفع شعارات الاخذ بأسباب المدنية والتقدم فى ظل الدولة العصرية .. وهذا يعنى بالضرورة أن أساليب التعليم

ومضمونه لابد ان تسير فى خط مواز ومساعد لهذا التقدم ..

ولهذا كان مما يتفق وطبائع الاشياء ان تثور هذه الايام بالذات - فى مرحلة مابعد النكسة ومحاولة تجاوزها - أزمة التعليم التى تنفجر فى بلادنا على هذا النحو الصاخب الذى تشهده على اعلى المستويات السياسية والعلمية .

هذا مجتمع مصرى .. أو يسعى لان يكون عصريا .. وحركة المجتمع هذه هى التى تفرض على التعليم ان يطور نفسه شكلا ومضمونا

لقد كانت علاقة الرجل بالمرأة فى بلادنا الى ما قبل عدة عشرات من السنين تأخذ شكل الرجل السيد ومجموعة الحريم .. ولقد اختفت هذه الصورة المتخلفة واصبح الرجل والمرأة عضوين عاملين فى المجتمع على قدم المساواة .. الان تقف الفتاة الى جوار الفتى فى المصنع ويجلسان جنبا الى جنب فى المدرسة وفى قاعة المحاضرات .

ان هذا المظهر البسيط من مظاهر التطور فى حركة المجتمع الى الامام يملى علينا شئنا او لم نشأ اعتناق الافكار العصرية المتقدمة والموائمة لهذا التطور .

ومن هنا لا يصبح تدريس التربية الجنسية فى المدارس مطلبا عاديا وانما حاجة ضرورية من حاجات المجتمع فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة التى يمر بها الان .

وما اعجب له حقيقة ان مثل هذا المطلب المصرى العلمى البسيط يلقى بعض المعارضة ويحتاج الى مثل هذه الضجة المفتعلة التى تثار لغير ما سبب واضح او مفهوم .

التربية الجنسية علم .. ولست اتصور انسانا - يعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين - يقف ضد العلم ايا كان هذا العلم .

وما اريد ان اؤكده ان الجنس يدرس فى مدارسنا وجامعاتنا فعلا من خلال التاريخ الطبيعى وعلوم النبات والحيوان وعلم وظائف الاعضاء والتكاثر والوراثة .. بل ومن خلال الدين .

ان الصبية فى مدارسنا يعرفون كل شيء عن عمليات التلقيح والتكاثر عند النبات والحيوان وهم يدرسون نظريات ماندى فى الوراثة .. وما اشبه التفصيلات فى كل هذه العلوم بمثيلاتها عند الانسان .. فما الذى يبيح دراسة هذه العلوم من خلال الحيوان ويمنع دراستها على الانسان الذى كرمه الله بالعقل والمعرفة .

انى ارى ان تدرس التربية الجنسية منذ المراحل الاولى للتعليم على اساس ان تتقدم هذه الدراسة مع كل مرحلة من مراحله المختلفة .. حتى اذا تجاوز الفتى او الفتاة مرحلة المراهقة يكون قد الم بطبيعة غريزته الجنسية وبطبيعة الجنس الاخر الذى يصوره له خياله فى صورة غامضة ومهولة ومبهمة .. وهى صورة ابعد ماتكون عن الحقيقة ، ومن المؤلم ان ابعاد هذه الصورة تترسب فى وجدانه وتؤثر على حياته بعد ذلك ابعد التأثير واخطره .

ولنعلم ان الجنس فى حياة شبابنا وشاباتنا يشكل علامة استفهام ضخمة يحاول كل منهم ان يبحث عن اجابة لها .. وهو غالبا ما يحصل على هذه الاجابة بطريقة

لا تتصل بالعلم من قريب او بعيد .

لقد ارتبط الجنس فى بلادنا ـ نتيجة مراحل طويلة من التخلف ـ بالاثارة والعيب .. واحسب ان اخضاع هذه الغريزة للعلم سيخلصها من كل ما يحيط بها من اثارة وغموض وسينفى عنها معنى العيب الذى ارتبطت به فى الاذهان .

لهذا فانا ارفض الحلول الوسط كان يكون تدريس هذه المادة اختياريا لان فى معنى الاختيار هنا اننا بصدد شىء غير طبيعى او خارق للمالوف مع ان الامر اكثر طبيعية مما نتصور .

وظنى ان بعض العناصر التى ترفض ـ الان ـ فكرة تدريس التربية الجنسية ستجد فى المستقبل انها كانت مخطئة فى رايها حين تعلم ان العلم يهذب الغريزة ويبتعد بها عن الاثارة والابتذال بعد السماء عن الارض .

انى احيل هؤلاء الى القران الكريم .. ليقرءوا معى سورا مثل سورة يوسف وشيئا من الايات البينات التى تتحدث عن علاقة الرجل بالمراة وعن خلق الانسان من اللحظة التى يكون فيها نطفة الى ان يصير انسانا سويا .. ثم ليقرا هؤلاء ايضا شيئا من الاحاديث النبوية الشريفة وهى فى جوانب كثيرة منها تتحدث عن التربية الجنسية بين الرجل والمراة حديثا طيبا جميلا لا مواربة فيه ولا ابهام .

لانبتدع جديدًا فى تدريس الجنس ... وإنما نحن نهذب الموجود

نجيب محفوظ



● انا لا ارى فى تدريس الجنس مطلبا ينبغى ان ناخذ به وانما اراه ضرورة من ضرورات الدولة العصرية والتطور الحضارى الذى نمضى فيه بلادنا .. ومن ثم فانا ارى ان يدرس الجنس كمادة علمية فى مدارسنا الاعدادية والثانوية لان سنوات هذه الدراسة هى سنوات المراهقة وبداية النضج العقلى والجسمى والنفسى .. وعلى العكس فانا لا ارى ضرورة فى تدريس هذه المادة فى الجامعات لان الشاب او الفتاة حين يصل الى الجامعة يكون قد بلغ درجة من النضج والمعرفة بحقائق الحياة ـ ومن بينها الجنس ـ بحيث يصبح تدريس مثل هذه المادة لهؤلاء من قبيل تحصيل الحاصل الذى لا موجب له .

فاذا قدر لنا أن تأخذ بالنظرة العلمية للاشياء وتسارع الى ادخال مثل هذه الدراسات في مدارسنا فمن البديهي ان نقول ان مثل هذه الدراسات ينبغي ان تقوم على أساس تربوي وعلمي سليم وأن يقوم على وضعها وتدريسها نخبة طيبة من الاخصائيين والمربين وعلماء النفس .

انني أريد أن انبه الى حقيقة لا اعلم ما اذا كنا قد نسيناها سهوا أو تناسيناها عمدا وهي أن الجنس كعلم يدرس في مدارسنا فعلا ومنذ سنوات طويلة .. ان شباننا وفتياتنا يدرسون الجنس بكل تفاصيله ودقائقه في دروس النبات والحيوان وعلم وظائف الأعضاء وعلم النفس .. فضلا عن علوم الطب والشريعة وغيرها .. ومعنى هذا أن دراسة الجنس في مدارسنا ليست شيئا غريبا وليست بدعة جديدة .. ان كل الجديد سيتحصر في اننا ستقدم هذه المادة لصغار السن نوعا ليعرفوا شيئا من حقائق الحياة وليتجنبوا اضرارا كثيرة نعلم جميعا مدى خطورتها على اجيالنا الجديدة من الشبان والشابات .

ولا بد أن بعض القوى المحافظة والمعارضة تقف الآن في وجه هذه الدعوى وتستبشع فكرة دراسة الجنس لطول ما ابتذل معنى هذه الكلمة بمثل ما ابتذلت كلمات اخرى كثيرة في حياتنا .. واحب أن اقول لهؤلاء اننا يجب ان تكون اكثر صراحة في مواجهة الحقائق .. ان اطفالنا وفتياتنا وشباننا في مرحلة المراهقة وما قبلها يتلقون كل مايتصل بالجنس بطريقة او باخرى سواء اردنا ام لم نرد .. انهم يعرفون كل شيء من أصحاب السوء في المدرسة وفي الشارع ومن الكتب الصفراء .. ومن أسف أنهم يعرفون هذه الحقائق الخطيرة بشكل مشوه ومثير وغير علمي بما يضرهم نفسيا وعقليا وصحيا .

لهذا أقول اننا لا نبتدع جديدا بتدريس الجنس وانما نحن نهذب الموجود ونلقنه بطريقة علمية .. انني لا اتصور كيف اعلم ابني الصغير كيف يأكل وكيف يمشي وكيف يتحدث وكيف يتعامل مع غرائزه المختلفة ثم اهمل اكثر الغرائز خطورة واهمية لديه وكأنها شيء مفقود .. أن الانسان يعيش في المجتمع وهو يقوم بوظيفة اولية واساسية هي محاربة الغرائز وتهذيبها وتوجيهها .. ومن باب اولى ان ينصرف هذا التهذيب والتوجيه الى الغريزة الجنسية قبل ان ينصرف الى غيرها من الغرائز .

اقول هذا وانا اعلم ان ثمة اعتراضا قد يثور ليتساءل عن علاقة الدين بهذه القضية .. واحب أن اقول ردا على هذا ان تدريس الجنس هو في النهاية علم بحت وليس هناك تعارض في ظني بين العلم والدين .. فضلا عن ان التربية الجنسية أدخل في الدين منها في العلم .. نعم . أنها أقرب الى الدين الذي هو في حقيقته تربية عامة وليس العلم كذلك .. ويجب ان نذكر ان هناك من الاحاديث النبوية الشريفة ما يعتبر تربية جنسية من أصفى ينابيعها . ثم يضاف الى هذا كله أن مناهج هذه المادة ستوضع بحيث تحقق الهدف من التربية السليمة وظني أن وضع هذه المناهج لا بد ان يشترك فيه علماء الدين الى جانب علماء النفس والتربية .

وفي النهاية قد يثور بعض المحافظين ليزعموا أن تدريس التربية الجنسية في أوربا والغرب قد انتهى بالمجتمع هناك الى نوع من الانحلال وان هذا قد يحدث في بلادنا اذا ما اخذنا بفكرة دراسة الجنس في مدارسنا .. واحب أن اقول لهؤلاء أيضا ان

هذه الدعوى لا تنهض على أساس من الصحة .. لان ما يسمى بالانحلال فى الغرب لم ينشأ بسبب التربية الجنسية التى تلقن الطلبة فى المدارس وانما نشأ نتيجة عوامل معقدة ابعد ما تكون من هذا وظروف حضارية خاصة مرت بها هذه المجتمعات ولم نتعرض نحن لها من قريب او بعيد .

على أية حال فالمشكلة قائمة وهى تفرض نفسها علينا بالحاح ووضوح .. ولا بد أن القضية ستتعرض لكثير من الاخذ والرد بين أصحاب الافكار التقدمية المصرية وبين العناصر المحافظة والسلفية قبل أن ينتصر التقدم .. اما اذا انتصر الرأى المحافظ ـ ولا بد أنه سيكون انتصارا مؤقتا ـ فلا مانع من أن نبدأ بتدريس التربية الجنسية كمادة اختيارية يرهن تلقى التلميذ لها بموافقة ولى الامر .. واما اذا انتصر أصحاب الفكر التقدمى فهو الخير والبركة .



التربية الجنسية ينبغى أن تبدأ منذ اللحظات الأولى للحياة

د . مفيد شهاب
امين الشباب

● الاحظ هذه الايام اهتماما واضحا بالتربية الجنسية .. فهل استطيع ان اجد أسبابا واضحة لهذه الظاهرة ؟

ـ نعم .. هناك أكثر من سبب .

فمجتمعنا الآن يرفع شعار الدولة العصرية .. **واهم سمات الدولة العصرية هو الاتجاه العلمى ، ومحاولة الاخذ بوسائله ومناهجه فى كل الميـادين .. والناحية** الجنسية جزء هام فى حياة الانسان .. هكذا يقول العلم ، وبخاصة بعد أن تقدمت الدراسات النفسية ، واوغلت فى كشف الجوانب الخفية من حياة الانسان الشعورية واللاشعورية .. وبعد أن استطاعت ان تضع أيدينا على كثير من أسباب الامراض التى تتعرض لها النفس الانسانية .. واستطاعت بذلك أن تعالجها على أساس نفسى بعيد عن العقاقير والادوية . ان كثيرا من الاضطرابات النفسية والعقليـة والاجتماعية انما ترجع الى خطأ فى هذا النوع من التربية .. **اقصد التربية الجنسية** .. ولذلك كان من المهم أن نتعرف ، ويتعرف معنا كل مسئول عن التربيـة على الاتجاهات العلمية الصحيحة حتى نستطيع ان ننشىء أجيالا سليمة بعيدة عن الانحرافات والامراض .

هذا سبب ..

وهناك ايضا ذلك الوعي المتزايد بين جماهيرنا بالتربية الجنسية وذلك نتيجة اتساع قاعدة الثقافة ، والدور الذي لعبته اجهزة الاعلام في هذا الميدان .. ذلك كله خفف المعارضة التي كانت تلقاها الثقافة الجنسية بين القطاعات المحافظة ، مما يشجعنا على المضي بها خطوات الى الامام ..

ولكن : **الا يجد هذا النوع من التربية معارضة من رجال الدين ؟**

ـ ان ديننا لا يمكن أن يقف في وجه أي نوع من التربية يؤدي الى سعادة الانسان .. ولعل عبارة « **لا حياء في الدين** » هي خير ما يمثل موقف ديننا السمح من هذه القضية .. بل انى أذهب الى ماهو أبعد من هذا ، فأضع على عاتق رجل الدين مهمة النهوض بهذه التربية كجزء من رسالته .. ان رجل الدين في أوربا وأمريكا يقوم بهذه المهمة الى جانب عالم النفس والتربية .. فلماذا لا يقوم بها رجل الدين في مجتمعنا ؟ .. اننا بذلك نزيد من ربط الدين بمشاكل المجتمع ، ونؤكد سلطانه الروحي بين جماهير الشباب .

وعند هذا الحد .. يثور سؤال جديد : **من المسئول عن التربية الجنسية .. هل هو البيت او المدرسة ؟**

ـ هذا نوع من الجدل ، كنا نجده أحيانا في البيئة الاوروبية ، وذلك لان كلا من البيت والمدرسة يستطيع ان يقوم بدوره على نحو مرض ..ولكن في مجتمع كمجتمعنا مازالت الاسرة فيه عاجزة عن القيام بدورهالا يمكن ان نلقى بمسئولية العمل على عاتقها .. فالمدرسة أقدر على النهوض بهذه المهمة .. وهي تملك من الوسائل والامكانيات ما لا تملكه الاسرة .. وان كان من رأيي أنها **مسئولية كل الاجهزة التي تستطيع أن تقوم بدور في هذا الاتجاه .. انها مسئولية وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي والثقافة ووزارة الشباب ومنظمة الشباب واجهزة الاعلام المختلفة .**

وهنا .. يطرح سؤال جديد .. **متى ينبغي ان نبدأ هذا النوع من التربية ؟ .. هل نبدؤه في سن الشباب او قبل ذلك ؟**

ـ هنا أحب ان نفرق بين شيئين : التربية الجنسية ، والمعلومات الجنسية .. والتربية الجنسية ينبغي أن تبدأ منذ اللحظات الاولى للحياة .. هكذا يقرر علماء النفس والتربية .. ونموذج العلاقات بين الابوين هي خير وسيلة لتربية الطفل تربية جنسية مستقيمة . فالطفل الذي ينشأ بين أبوين سعيدين يعامل كل منهما الاخر على قدم المساواة ويحترم كل منهما جنس الاخر .. والطفل الذي ينشأ في اسرة لا انحياز فيها من الوالدين لاحد الابناء بسبب جنسه .. والطفل الذي يجد الاجابات الملائمة لاسئلته التي تحير عقله الصغير .. والطفل الذي لا يتعلم أن الجنس شيء قذر أو شيء مخيف أو من « العيب » ان يتحدث فيه .. مثل هذا الطفل سوف ينشأ سوى النفس ، مستقيم السلوك .

أما بالنسبة للمعلومات فينبغي أن نقدم منها المقدار المناسب لكل سن حسب احتياجاته .

ولكن .. **هل يستطيع المدرس بظروفه الحالية أن يقوم بدوره في المدرسة ؟**

ـ في رأيي أن قلة من المدرسين هي التي تستطيع ذلك .. واظن أن مدرسي العلوم والاحياء هم أقدر المدرسين على القيام بهذه المهمة الآن .. ولهذا فاني أرى في هذه المرحلة أن نعجل باعداد مناهج خاصة لتزويد المعلمين بالدراسات الضرورية .. وعلينا أيضا ان نلتفت الى هذه المسألة في المعاهد والكليات التي تخرج المدرسين والمدرسات . وهنا لا بد من ابراز مسألة هامة . فانا لا أحب أن يتسرب الى الاذهان ان اهتمام المدرسة بالتربية الجنسية يعنى اضافة مادةجديدة الى منهج مكتظ ، أو اضافة بعض الدروس الى احدى المواد الموجودة فعلا .

فالتربية الجنسية كما يرى علماء النفس والتربية ينبغي أن تتخلل الحياة المدرسية كلها ، كما لا ينبغي قصرها على دراسة خاصة أو مدرس معين . والحقائق الضرورية لفهم الجنس فهما صحيحا ، لا يصح أن تنزع من مناسباتها الطبيعية لتنفرد بها دروس تسمى « التربية الجنسية » .. فالاتجاهات السليمة والمثل العليا ، وهي جزء من التربية الجنسية ، لا يصح فصلها عن الجو المدرسي العام .

واذا كانت التربية الجنسية في المدرسة غير محسوسة كان اثرها أعمق ونتائجها افضل . والتربية الجنسية بهذا المعنى الواسع والعريض من الممكن ان تمتد لتشمل كل المواد الدراسية وكل مراحل التعليم ، حتى مدارس رياض الاطفال .

وهنا .. نصل الى سؤال اخير هو : **كيف يتلقى الطفل دراسة جنسية في رياض الاطفال ؟**

من طريق الاجابة عن اسئلته في حدود ادراكه .. ثم ان اشتراك الاطفال في دورة مياه واحدة ، سوف يضعف الرغبة المتحرقة في التطلع الى جسم الجنس الاخر .. سيكون هناك طبعا الميل الى الاستطلاع ، ولكنه الميل الصحي السليم . وعلينا في هذه المرحلة مثلا أن نعلم الطفل أهمية الوظائف الاخراجية بطريقة لا تثير فيه الشعور بالتقزز او النفور منها ، لان أعضاء الاخراج تتصل اتصالا وثيقا بالاعضاء الجنسية ، ونحن اذا بذرنا بذور الاشمئزاز من أعضاء الاخراج ، فربما امتد هذا الى الاعضاء الجنسية ، مما يؤثر تأثيرا سيئا على اتجاه الطفل نحو الجنس في مستقبل حياته .

ونحن اذا انتقلنا الى المدرسة الابتدائية وجدنا في دروس مشاهد الطبيعة والحيوان والنبات فرصا لدراسة الجنس والتناسل .. والحقيقة ان الاطفال سوف يتعلمون من طريق تربية الدواجن والحيوانات الاليفة أكثر مما يتعلمونه من عدة أحاديث عن التكاثر .

والموضوع على كل حال واسع وعميق ، ولا بد ان يقوم على اساس كلمة العلم والاخصائيين .



تدريس الجنس لا يعتبر مباحًا .. بل هو أمر ضروري ومطلوب

د . محمد سعاد جلال

● ربما كان فرويد أول من عرى النفس البشرية من ثقافتها ، وفضح زيفها في مجال العلاقات والنوازع الجنسية ، وتكلم بصوت مرتفع لا يشوبه الحياء المتوارث في الآداب التقليدية من النشاط الفوار المربد للغريزة الجنسية ، وامتداد

اثره النفاذ العميق ، المتسلط فى حياة الفرد وحياة المجتمع ، ومن شرعية التعبير التى تعبر به الغريزة الجنسية من ذات نفسها مستمدا مناط هذه الشرعية من حكم الواقع المحسوس بأن « كظم » هذه الغريزة المربدة ذات النشاط الثورى فى جسم الانسان، مؤد الى فساد الشخصية واضمحلال المواهب والاسهام فى تعطيل النمو الحضارى .

وتستطيع ان تقول اذا جردنا فرويد من اخطائه ، وغلوائه انه فى عموم هذه النظرة الى الجنس ، انما يعبر بمقدار ملحوظ عن نظرة الاسلام الصحيحة عن الجنس وهى النظرة التى كانت تتمثل فى موقف النبى ـ وعمله وعمل اصحابه فى حياتهم العادية ـ الى الجنس وتناولهم قولا وعملا لموضوعاته .

لم يكن المسلمون فى الصدر الاول يجدون فى أنفسهم حرجا من تناول الحديث فى المسائل الجنسية بصراحة رجالا ونساء.

وبرغم أن التقاليد والافكار الاجنبية التى دخلت على المسلمين فى عصور عزلتهم من هدى الاسلام الاول فجعلتهم ـ أو جعلت بناتهم المحافظة ـ تتكلم عن الجنس بصوت هامس ، وجبين مقنع ـ نقول برغم هذا التيار الوافد على طبيعة الاسلام الصريحة لقد ظل الفقهاء فى كل العصور يتحدثون عن الجنس ، والعمليات الجنسية بصورة مكشوفة ، ويؤرخون لنا اساليب التعبير الصريحة عن مسائل الجنس فى عصر المسلمين الاول :

نجد فى القرآن وفى السنة دلائل كثيرة على صراحة الاسلوب المعبر عن مسائل الجنس .. ومن المؤكد أن سورة « **يوسف** » تشتمل على آيات بينة الدلالة فى هذا المعنى .. كما أن الآيات التى وردت فى بيان أحكام الزنا واللواط والسحاق عند بعض المفسرين واللعان والظهار ، وتظاهر أزواج النبى عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها تعتبر مصارحات جنسية اذا نظرنا اليها من حيث ما تستتبعه من تفسير لا يتم فهم المراد منها الا به .

وأما **السنة المطهرة** فانها مشحونة بالاحاديث الصحيحة المتناولة لموضوعات العادة الشهرية ، وكيفية التطهر منها ، والنفاس ، والجنابة ، والاحتلام عند المرأة والرجل ، والعادة السرية ومقادير أجزاء استمتاع الرجل بجسم الزوجة بعبارات صريحة سافرة يوشك بعضها أن يكون أدبا مكشوفا حتى فى استعمال الفوطة للمسح عقب عملية الجماع ، لقد كانت **عائشة** ـ رضى الله عنها ـ تعلمه لاحدى زوجات المسلمين كما نقل ذلك **ابن قدامة** الحنبلى فى كتاب « **المغنى** » .

ونذكر فى هذا المقام مثلين جديرين بالذكر :

ـ احدهما ان طريقة الجماع عند المكيين المسلمين لما هاجروا للمدينة كانت موضع حوار ومبارزة بينهم وبين اليهود فى المدينة لقد كان لهؤلاء المهاجرين طريقة خاصة فى اتيان نسائهم فعاب ذلك اليهود عليهم وقالوا : انهم « **يشرحون نساءهم شرحا** » فنزل قوله تعالى فى الرد عليهم .. « **فأتوا حرثكم انى شئتم** » اى على اى كيفية شئتم .

ـ وثانيهما : ان امرأة « **ابى ركانه** » وهو رجل من الصحابة جاءت لمجلس النبى عليه الصلاة والسلام بمحضر من الصحابة تشكو لعجز ابى ركانة الجنسى بهذه العبارة المكشوفة : يارسول الله : ان أبى ركانة « لم يعد له الا مثل هدب الثوب » فلم

ينكر عليها أحد صياغة الفاظها المكشوفة وكانت لها قصة .

ثم تناول فقهاء المسلمين موضوعات الجنس بفكر صريح وتعبيرات صريحة وكانوا فى ذلك أسبق من « **فرويد** » و « **هافلوك أليس** » فى القـــدار الذى كانت تأذن لهم بمثله أحكام الشريعة وللعلامة المتبحر المتفتح الامام ابن القيم ـ رضى الله عنه ـ

تفصيلات صريحة وعلمية من طرق الجماع الصحية ومن أضرار **الكبت الجنسى** أو « **الكظم الجنسى** » كما كان يسميه الاستاذ سلامة موسى .. ومن الحب بل وتفصيلات وتحليلات عجيبة من الشذوذ الجنسى وأثره على شخصية الشخص وعقله.. تجد ذلك فى

كتبه « **زاد المعاد** » و « **الجواب الكافى** » و « **اغاثة اللهفان** » مما يتعجب له الذين تتقصهم الثقافة الاسلامية أن يعلموا . ان علماء المسلمين لم يفتهم تنظيم المجتمع الاسلامى من هذه الناحية الاساسية بمقدار ما اتسعت له امكانيات العلم والثقافة فى عصورهم .

أما بعد : فلقد كان ذلك كله مشروطا بالوقوف عند حدود الاسلام من الحلال والحرام والأمر والنهى .. وبناء عليه نقول : **اذا كانت الدراسات الجنسية المسئول عن تعلمها وتعليمها من هذا الجنس الذى ذكرناه مما يقصد به خدمة العبادة ووقوعها صحيحة وخدمة الزوجية وتوفير أسباب تأكدها وبقائها ، وزيادة المحبة والاشباع بين الزوجين ، ويقصد به العمل على صحة الجسد وسوائية الشخصية وتخليصها**

من العقد النفسية ، ويقصد به تعليم الشباب طرق الاستعلاء على نوازع الجنس ، والتخلص من شرور الخطأ فى تصوره ، أو مباشرته حلالا على أساس نظريات علمية موثوق بها لا نظريات جديدة لم تتأكد بعد .. فأنا أرى فى هذه الحال أن تدريس الجنس لا يعتبر مباحا بل مطلوبا .

أما عند اختلال هذه الشروط فلا أراه جائزا أصلا .. وأبرأ الى الله من مسئولية اباحته .. على أنى أرى قصر هذا النوع من الدراسة على الجامعة فقط لا فى المدارس الثانوية حيث تعمل الفلمة الطائشة فى سن المراهقة على تحويل الخير الى شر والله المستعان .



الثقافة الجنسية تساعد الشاب والفتاة على صيانة النفس

د. عائشة راتب
استاذة القانون الدولى بحقوق القاهرة

● تدريس الجنس موضوع خطير له مزاياه وقد تكون له بعض العيوب .. ولكن هذه المزايا التى تحسب للموضوع يمكن أن تجب ما قد يثار ضده من اعتراضات حول بعض عيوبه .

واكبر مزايا التربية الجنسية خطرا واهمية انها تلقى الابناء فتيانا وفتيات شيئا اصيلا من حقائق الحياة فى مرحلة مبكرة من السن تسمح لهم بالحكم والتصرف الصائب فيما بعد .. ومن ثم يجب أن تبدأ الثقافة الجنسية من المراحل الاولى للتعليم وقبل أن يستطيع الشاب أو الفتاة الحصول على اجابات لاسئلتهم الكبيرة الكثيرة الحائرة بوسائل ملتوية نعلم جميعا تأثيرها المخرب عليهم وجدانيا ونفسيا وجسديا .

ان الفتى أو الفتاة فى سن المراهقة وما قبلها يريد أن يعلم ، وهو لا يعدم وسيلة للحصول على ما يريده.. وما أكثر الوسائل التى تقدم بما لا حد له من المعلومات الخاطئة والمضللة والمثيرة .. هناك أفلام السينما وخاصة تلك التى تعلق الشعار المثير « **للكبار فقط** »، ونحن نعلم اى ألوان الاثارة **تحويها مثل هذه الافلام** ونعلم أيضا أن كل فتى أو فتاة فى المرحلة الاعدادية يستطيع دخول هذه الافلام ببطاقته الشخصية أو ببطاقة زميله اذا كانت ادارة السينما من الحزم بحيث تمنع من هم دون السادسة عشرة من الدخول وهو مالا يحدث .. وهناك سيل المجلات باغلفتها المثيرة البراقة وبما تحويه فى داخلها من اثارة اشد واعنف .. وهناك هذا الركام الهائل من الكتب الصفراء التى انتشرت بشكل مروع وكلها تدعى بحث موضوع الجنس علميا وهى أبعد ما تكون عن احترام العلم ويجب أن نلقى نظرة سريعة على حجم انتشار وتوزيع هذه الكتب لنعلم كيف يحصل شبابنا على معلوماتهم الاساسية فى الحياة كما يجب أن نلقى نظرة على محتوى هذه الكتب لنعلم اى معلومات تقدم لابنائنا .

نحن لم ناخذ حتى الآن بتدريس الثقافة الجنسية بدعوى الحفاظ على المجتمع ..

فهل منع هذا شيئا من الانحرافات التى تقع كل يوم وتزداد باضطراد ؟ . وهل منع هذا وجود اطفال غير شرعيين فى بلادنا ؟

انى أعتقد ان قيمنا ما زالت غير كافية لحماية النشء ونحن نحتاج الى جانب هذه القيم الى توعية تمد أبناءنا بما يحتاجون أليه .. والسؤال هو : **هل نترك أمر هذه التوعية المطلوبة للافلام والمجلات والكتب الرديئة ولاصدقاء السوء فى المدرسة وفى الشارع ولبعض من لا أخلاق لهم من الشغالات ؟ .. او نجعل هذه التوعية عن طريق المدرسة وعن طريق الاساتذة والتربويين والعلماء الذين يعرفون ما يقولون وكيف يقال والوسيلة التى يقال بها ؟.**

ان السؤال لا يحتاج الى اجابة فتوصيل المعلومات الى النشء بطريقة سليمة وعلمية ومدروسه يساعده على حسن تقدير الامور وعلى الحكم على الاشياء .. ثم قبل كل هذا وبعده يساعده على حماية نفسه . نعم ، أن الثقافة الجنسية تساعد الشاب والفتاة على أن يصون نفسه ويحافظ على شخصيته وكيانه ومن ثم فهى تقوده الى التصرف السليم .

اننا لو رجعنا الى مجموعة الجرائم الاخيرة التى قام بها أو شارك فيها مجموعة من الشباب المتعلم - واغلبهم فى الثانوية العامة - لوجدنا ان المال او الحصول على المال كان هو دافع هؤلاء الشبان للقيام بهذه الجرائم بهدف تحقيق بعض الرغبات الطائشة ومن بينها رغبتهم فى التعرف على الجنس الاخر وخوض هذا العالم الضبابى

الملهو بالاحلام .. وفي يقيني انه لو توفرت لهؤلاء الشبان الدراسات الجنسية العلمية القويمة لكانوا اكثر صلاحا ولمروا بطريقة سليمة ان لكل سن مجالها .

ان هذه الجرائم في ظنى هي دليل بسيط على سوء فهم الشباب لهذه المسالة .. وتلك نتيجة طبيعية لعدم تفهمهم لذواتهم ولحقائق الحياة من حولهم بطريقة سليمة .

ان الجنس محور أساسي في حياة الانسان .. ولقد استمعت الى محاضرة للدكتور **صادق فوده** يقول فيها **ان الطفل في مراحل الطفولة الاولى يشعر بالجنس ويحس به .. فكيف نمنع النشء من دراسة التربية الجنسية وهي غريزة تستولي على كيان الانسان بهذا القدر من الاهمية والخطورة .**

يقول البعض ان البلاد التي أخذت بتدريس الجنس قد أدى بها هذا الى نوع من الانحراف وهو اعتراض وجيه ويجب دراسته .. ولكننا يجب أن نعلم من ناحية اخرى ان طبيعة الحياة الاجتماعية في هذه البلاد كانت ستؤدى حتما الى هـــذه الانحرافات سواء أخذت بتدريس الجنس أم لم تأخذ .

ان كل حقائق الحياة ــ ومن اخطرها واهمها الجنس ــ يجب ان تخضع للدراسة والعلم .. وهنا يتطلب الامر تكوين لجنة على أعلى مستوى علمي من الاطباء ورجال الاجتماع وعلم النفس والتربية لدراسة تجارب الشـــعوب التي سبقتنا ولتقديم الاحصاءات اللازمة والبحث في كيفية توصيل الثقافة الجنسية للطفل مع المرحلة التي يبدأ فيها ذهنه في التفتح حول هذا الموضوع .. نعم . نحن نحتاج الى دراسات جادة وعلمية لمعالجة الاختلالات الاجتماعية التي يسببها سوء فهم الشباب للثقافة الجنسية .

في المجتمعات الشــرقيـة ارتبط الجنس بالخطيئة



د . رمزية الغريب
عميدة كلية البنات

● هل تدرس الجنس في المدارس والجامعات ؟

هذا سؤال أعتقد أننا لســـــنا في حاجة الى الاجابة عنه ، لان السؤال والاجابة معا يعتبران من البديهيات .. **ان الجنس مظهر من مظاهر النمو عند الفرد شأنه في ذلك شأن النمو الانفعالي والعقـــلي والبدني وغير ذلك..** فاذا جاز لنا ان نربي

ابنائنا تربية عقلية وانفعالية وجسمية صحيحة حتى يستطيعوا مسايرة الحياة العصرية بنجاح كان علينا ايضا أن نعنى بتربيتهم جنسيا ، وكان من الضرورى ان تقوم المدرسة بدور هام كما يقوم المنزل والمجتمع بدورهما فى تلك التربية .

على انه من الاسف ان التربية الجنسية قد احيطت بصبغة انفعالية غير مرضية خاصة فى المجتمعات الشرقية وارتبط الجنس بالخطيئة واصبح اى موضوع يتصل بالجنس محرما سماعه ومناقشته مع الاباء .

ولقد كان من نتائج ذلك أن حرم الابناء من اشباع استطلاعهم الطبيعى لهذه الناحية بطريقة سوية موجهة تعصمهم من الانحراف وتحول بينهم وبين الاحساس بالذنب المرتبط بالجنس والذى كثيرا ما يسيء الى الصحة النفسية للشباب .. فضلا من أن موقف الاباء من هذا الموضوع كثيرا ما يدفع الشباب الى التحدى والاقبال على الجنس فكل ممنوع مرغوب فيه ، وهكذا كان خوف الاباء والمجتمع من اخطاء الجنس والانحرافات الجنسية هو الذى خلق الهدف الذى نسعى اليه .

لهذا كان علينا أن نعمل على تربية اولادنا تربية جنسية صحيحة وبطريقة علمية منذ الصغر ويمكننا ان نقدم الجنس حتى فى مدرسة الحضانة وذلك بملاحظة كيفية تناسل الطيور التى يربونها ويعنون بها فى جانب من حديقة المدرسة .. فضلا عن الرد على اسئلتهم ببساطة ودون حرج .

اما المدرسة الثانوية وهى التى تقابل مرحلة المراهقة فيمكن أن تقوم بدور هام فى التربية الجنسية لشبابنا ، وذلك عن طريق الدراسة العلمية لعملية النمو فى الجسم الانسانى .. فيدرس الشباب مراحل النمو الجنسى منذ الطفولة حتى الشباب .. وماذا يقصد بالبلوغ ؟ وما هى مظاهره ؟ وكيف يتصرف الشاب والفتاة ازاء هذا النمو ؟ ثم لماذا يلاحظ الفتى او الفتاة فى نفسه فى بداية مرحلة المراهقة عزوفا وتجنبا للجنس الاخر واقبالا شديدا عليه فى السادسة عشرة والسابعة عشرة ؟ وما هى علاقة النمو الجنسى بالنمو العقلى ؟ ولماذا تلجأ المجتمعات الى تحديد الرغبات الجنسية وتأجيل سن الزواج حتى يقترن النمو الجسمى الجنسى بنمو انفعالى وعقلى يعصم الشباب من الانحراف ؟ ومتى يكون الشاب او الفتاة مستعدا للزواج جسميا وعقليا واقتصاديا ؟

ومن المهم ان يسمح للشباب اثناء هذه الدراسة بالسؤال والاستفسار عن النواحى التى تحيره فى النمو الجنسى وان يرد عليها المعلم فى بساطة صريحة او صراحة بسيطة .

ان مثل هذه التربية تساعد الشباب على التخلص من الحيرة التى تدفع بهم الى طلب المزيد من المعرفة من مصادر مضللة أو غير صحيحة وبذلك يزداد احتمال الانحراف . كذلك تعتبر التربية الجنسية الصحيحة فى المدرسة الثانوية خطوة موفقة فى تكوين الاسرة السعيدة بعد فهم كل جنس للاخر فهما صحيحا .

واعتقد ان تربية الشباب جنسيا فى المدرسة الثانوية يساعد فى انجاح برامج تنظيم الاسرة التى تعتبر ضرورة قومية فى الوقت الحالى .

اما عن التربية الجنسية فى الجامعة فاننى اعتقد انه يكفى ان نعنى بهذه التربية فى المدرسة الثانوية ؛ حيث متوسط سن خريجى هذه المدرسة هو ثمانية عشر عاما

حتى نزود الشباب بمعرفة تساعدهم على فهم واع للجنس وحقائقه بنير لهم السبيل فى مستقبل حياتهم ازاء هذا الموضوع ، وليس هناك ما يدعو الى تربية جنسية اخرى فى الجامعة .



نحن الراشدين لانحيط بمفهوم الجنس إحاطة موضوعية صحيحة

د . سمية احمد فهمى
استاذة علم النفس بجامعة عين شمس

● **هل تدرس الجنس فى المدارس والجامعات ؟**

هذا سؤال ملغز . كأن بواضعه يريد أن يستفسر ، لكنه لا يعرف بالضبط ماذا يريد الاستفسار عنه . ان صيغة السؤال لغويا ومنطقيا تنطوى على مشكلة ، يعنى على مسألة غير مفهومة ، تحتاج الى بحث واستقصاء للوصول الى جواب يتيح الفهم . فما هى المشكلة التى ينطوى عليها هذا السؤال ؟ وهنا لا مناص من الافتراض حيث أن غموض صياغة السؤال لم تترك لى سبيلا آخر .

الافتراض الاول : هو ان المشكلة تكمن فى غموض مفهوم الجنس، وتناقض الاتجاهات التى تتقبلها منه اقبالا ونفورا ، وتضارب القيم التى تقيمه بها تقديسا وتقبيحا ، وما يترتب على ذلك كله من فوضى وارتباك .

والجواب فى هذه الحالة يتطلب أن نستوضح مفهوم الجنس ونستجلى حقيقته .

الافتراض الثانى : هو ان المشكلة لا تكمن فى سوء فهمنا لحقيقة الجنس بل فى جهلنا المنهج السليم الذى ننقل به معلوماتنا الصحيحة ، واتجاهاتنا السوية ، وقيمنا الانسانية الى الناشئين . والجواب فى هذه الحالة يتطلب وضع خطة اجرائية للتربية الجنسية السوية .

الافتراض الثالث : هو ان المشكلة مزدوجة . فنحن الراشدين لا نحيط بمفهوم الجنس احاطة موضوعية صحيحة ، وبالتالى نجد أنفسنا عاجزين عن ارشاد الناشئين الى حياة جنسية متوافقة .

اكبر ظنى أن الافتراض الثالث يصور حقيقة المشكلة الكامنة وراء السؤال اللغز الذى طرح علينا . والجواب فى تصورى يجرى على النحو التالى :

ـ **اولا : ان مفهوم « الجنس » يشير الى حاجة سيكوبيولوجية** ، اى حاجة حيوية نفسية ضرورية للتناسل واستمرار النوع البشرى وضرورية لاستكمال شخصية الانسان بالتواصل الوجدانى . مؤدى ذلك أن تصور السلوك الجنسى على انه مجرد

عملية فسيولوجية بين ذكر وأنثى تصور مبتور مشوه ، يؤدي في أبشع صوره الى الدعارة الصريحة والخفية . **انما الحقيقة الموضوعية ان السلوك الجنسي تواصل وجداني بين رجل وامرأة يتوجه اندماج كلي متكامل** . أقصد بالتواصل الوجداني تفاهما متبادلا ، واحتراما متبادلا ، وتآلفا متبادلا ، وحنانا متبادلا ، ومسئولية متساوية .

ـ **ثانيا : اول خطوة في سبيل تعليم الناشئين ، ان يبدأ الرجال والنساء الراشدون بانفسهم** ، أن يعوا عقليا ووجدانيا حقيقة الحياة الجنسية كما أوضحناها فيما سبق ، وأن يكون اتجاههم نحوها اتجاه اقبال واحترام ومسئولية ، وأن يكون سلوكهم في هذا المضمار تجسيدا عمليا للتآلف والتفاهم والمحبة . **حينئذ يصبح الراشدون قدوة للناشئين ، والقدوة هي انجع وسائل التعليم** ، تتجلى في أروع صورها من خلال العلاقة بين الوالدين في الاسرة ، حيث يتعلم البنون والبنات بالمعايشة الفعلية معنى التواصل الوجداني المتكامل بين الزوجين .

ـ **ثالثا** : ومع ذلك علينا بوصفنا مربين أن نسأل انفسنا **ما الذي ينبغي أن نعلمه للناشئين الذين لا يحظون بالقدوة السوية في أسرهم ؟**

(ا) ينبغي أن نعلم البنين والبنات اسلوبا معينا في معاملة بعضهم البعض . نعلمهم كيف يفهم أحدهم الاخر ، ويخدم بعضهم بعضا ، وكيف يتعاونون في بعض الاعمال لتحقيق هدف مشترك . هذا الاسلوب في المعاملة لا يمكن تعليمه بالدروس والمحاضرات ، انما يتعلمه البنون والبنات اذا نشأوا معا وتعلموا معاً في مدارس مشتركة خلال جميع مراحل التعليم ، تحت رعاية مدرسين ومدرسات تتوفر فيهم النظرة الموضوعية المتكاملة للحياة الجنسية .

(ب) ينبغي ان نساعد الناشئين على مواجهة التغييرات النفسية ـ الفسيولوجية الخاصة بمرحلة المراهقة . ويمكن تحقيق ذلك بطريقتين متكاملتين . **الطريقة الاولى** ترتكز على الاستشارة الفردية والارشاد الفردي في مراكز خاصة للارشاد يعمل فيها فريق مكون من اخصائي نفسي كلينيكي ، وطبيب عضوي ، واخصائي اجتماعي . **اما الطريقة الثانية** فتنصب على الارشاد الجماعي لمجموعات محدودة من الفتيان والفتيات تتاح لهم الفرصة فيها للتعبير عن مشكلاتهم المشتركة ومناقشتها بحرية مع لفيف من المتخصصين في شتى شئون الشباب .

(حـ) ينبغي ان نعلم الناشئين بعض الحقائق العلمية النفسية والفسيولوجية الاجتماعية المتعلقة بتكوينهم ونموهم ورقيهم . ويستحسن أن يتحقق ذلك في اطار برامج دراسة العلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تدرس في المدارس والجامعات ، مع مراعاة ملاءمة المادة وطريقة التدريس مع مراحل النمو المتعاقبة .

(د) نود تحقيق التفاهم بين الناشئين والوالدين والمدرسين . لذلك عدة طرق ، منها تنظيم ندوات مشتركة بينهم في المدرسة ، أو عرض أفلام تتناول بعض المشكلات ، يشاهدونها معا ، ويعقب العرض مناقشة .

ـ **رابعا** : واخيرا فان القصائد ، والقصص ، والروايات ، والمسرحيات ، والافلام ، يمكن أن تلعب دورا هاما في تنمية وجهة النظر الموضوعية الصحية نحو

الحياة الجنسية ، اذا استطاعت أن تجسد فى مواقف حية القيم الانسانية التى تقوم عليها علاقة التواصل الوجدانى والمشاركة الحياتية المتكاملة بين الرجل والمرأة وما قد يكتنفها من صعوبات ، وكيفية تذليلها .



لماذا ندرس الجنس عند النحل والشجر والزهور- ولا ندرسه عند الإنسان؟

د . نوال السعداوى

هذا السؤال سبق ان سألته لنفسى كثيرا فى فترات مختلفة من حياتى حينما ادركت ان المعلومات الخاطئة التى وصلتنى عن الجنس فى طفولتى عطلت فهمى وافسدت كثيرا من البديهيات التى يفطن اليها الانسان بذكائه الفطرى . وقد وصفت هذه الحالة فى بعض قصص الادبية .. ووصفت كيف يدرسون لنا تناسل النحل والشجر والزهور اما الانسان فمنطقة محرمة مجهولة محاطة بالشكوك والضباب والخوف ولعل آخر مرة سألت نفسى هذا السؤال كان فى مارس سنة ١٩٦٨ حينما بدأ طفلى الصغير يسألنى عدة اسئلة عن نفسه وجنسه والحياه . واحسست مسئولية خاصة ازاء هذا الموضوع لكونى طبيبه واما وأيضا عضوا بمجلس نقابة الاطباء والمفروض ان الاطباء بحكم دراستهم العلمية لجسم الانسان أكثر الناس مسئولية تجاه هذا الموضوع .

ولهذا فقد قدمت مذكرة فى ٢١ مارس سنة ١٩٦٨ الى مجلس نقابة الاطباء طلبت فيها موافقتهم على مبدا تدريس الجنس للاطفال بالمدارس وتضمنت المذكرة هذه النقاط :

– **أولا** : ان الاطباء بحكم دراستهم من أكثر الناس احتراما للعلم وأكثرهم ايمانا بأنه لا حياء فى العلم .. وقد آن الاوان لان يلعب الاطباء – عن طريق نقابتهم – دورهم فى المجتمع وأن يحرروا العقول من تلك الفلسفة العتيقة التى تقوم على اخفاء الحقائق الاولى فى الحياه .

– **ثانيا** : ان هذه الحقائق الاولى المتصلة بالجسم الانسانى ووظائف الاعضاء لا تصل الى الطفل بطريقة علمية مباشرة عن طريق الام او المدرسة والمدرسين وانما تصله دائما من الابواب الخلفية وبطريقة غير علمية مشوهه تسبب له الكثير من العقد

النفسية فى حياته كلها .

ـ **ثالثا** : اننا نعانى من نقص شديد وتخلف فى برامج التربية الصحية والنفسية الخاصة بالاطفال والمراهقين سواء فى المدارس ام الجامعات .

ـ **رابعا** : انه يمكننا القضاء على الكثير من مشاكلنا الصحية والنفسية وما ينتج عنهما من مشاكل أخرى اقتصادية واجتماعية ـ مثل اثر مشكلة زيادة النسل على الاقتصاد القومى وغيرها من المشاكل الصحية والاجتماعية ـ لو اننا عنينا منذ البداية بالتكوين السليم لعقلية ومفاهيم الطفل .

ـ **خامسا** : ارى البدء فى تطوير البرامج التعليمية والثقافية التى تعطى للاطفال فى المدارس وللمراهقين والشباب فى المعاهد والجامعات بحيث تقوم على فلسفة جديدة اساسها كشف الحقائق العلمية المتعلقة بجسم الانسان وتفسيرها .

ـ **سادسا** : اقترح ان يتبنى مجلس نقابة الاطباء هذه الفكرة وأن يشكل لجنة صغيرة تتولى الاتصال بوزير التربية والتعليم ووزير الثقافة لمناقشة الموضوع . فاذا ما كان هناك اتفاق على الفكرة تقوم اللجنة بضم بعض العناصر المتخصصة فى المجالات الآتية :

ا ـ التربية والتعليم .

ب ـ الصحة العامة والتربية الصحية .

حـ ـ الصحة النفسية .

د ـ الثقافة الخاصة بالطفل .

وتكون مهمة اللجنة الآتى :

ا ـ تقييم الكتب المدرسية والبرامج الخاصة بالتربية الصحية والنفسية فى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية .

٢ ـ وضع الاسس الجديدة والمواد التى يجب أن تشتمل عليها هذه البرامج .

٣ ـ العمل على اصدار كتب مدرسية جديدة تفى بالمواد المطلوبة .

٤ ـ دراسة وسائل نشر المعلومات الصحية الاساسية للشعب عن طريق أجهزة الثقافة العامة المختلفة .

وقد وافق مجلس نقابة الاطباء على هذه المذكرة فى ٢ ابريل سنة ١٩٦٨ لكن الاجراءات التنفيذية للموضوع لم تتخذ منذ ذلك الحين .

ورأيى الان أنه من المهم البدء جديا فى تحقيق هذه الفكرة . وليس من الضرورى أن تسميها تدريس « الجنس » وانما يمكن تغيير الاسم حيث أن كلمة « الجنس » لا تعبر عن كل ما يراد تدريسه **فليس الجنس وحده الذى نريد أن يدرس وانما كل ما يمكن التلميذ من ان يعرف جسمه من الناحية التشريحية والفسيولوجية ولهذا يمكن ان يسمى هذا العلم مثلا علم « الفسيولوجى » او « وظائف الاعضاء » او « علم الحياة » او « جسم الانسان » .. ولا داعى لكلمة « الجنس » التى هى قاصرة وايضا محاطة بالمشاكل الكثيرة التى قد تصرف الاذهان عن جوهر الموضوع .**

● إبراهيم عامر ●

نظرة اشتراكية إلى المرأة العربية!

ما اسهل ان تدين الاوضاع المتخلفة للمرأة العربية ، وتدين كل اجراء لم يقض ، بعد ، على هذا التخلف بضربة واحدة .

وما اسهل ان نخلط بين كل الاوضاع في جميع البلاد العربية ونجمعها في اطار « التخلف » الواحد هذا ، ونسوى بذلك بين الاوضاع الرجعية والمحافظة والتحررية والتقدمية .

ولست اعتقد ان هناك خلافا بين اغلبية الرأى العام العربي ، والعالمي على ان المرأة العربية متخلفة لا بالنسبة للمرأة العامة في عصرنا هذا فحسب ، بل وبالنسبة للمرأة الحديثة في منطقة الشرق الاوسط التي نعيش فيها .

بل ، ولست اعتقد ان هناك خلافا حول ان المرأة العربية تحمل – على طريق تحررها – قيودا ثقيلة عديدة . وهي ، في كثير من الاحيان ، تواجه الافتقار الى « السوابق » . وفي المجتمعات العربية التي لا تزال تتحرك بالارادة « الابوية » الفردية للرجال ، فان المرأة العربية مضطرة ، وبحكم ظروف تاريخية واجتماعية وايديولوجية متعددة ومتشابكة ، الى الخضوع لانماط حياة وسلوك لم يؤخذ رأيها فيها دائما .

على ان تخلف المرأة العربية ليس متساويا على كافة المستويات وفي كل البلاد العربية . كذلك فانه من المفيد ان نفرق بين الاتجاه الرئيسي العام والانحرافات المؤقتة والموقوتة تاريخيا في هذا الاتجاه نتيجة للصراعات الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية . واذا كان الاتجاه العام الرئيسي ، والقائم على ظروف موضوعية حقيقية ، هو اتجاه تقدمي ، فان هذا لا يعني ، بأي حال من الاحوال ، التغاضي عن الانحرافات المؤقتة والموقوتة تاريخيا ، بل يجب النضال ضدها نضالا دؤوبا ..

الطريق إلى
الحب والمتعة والمعرفة

المراة تحرر المراة

لكن النضال من اجل تحرير المراة هو ـ في رأيي ـ نضال من جانب المراة، اولا وقبل كل شيء، لتحرير نفسها، سواء على المستوى الاجتماعي النوعي الافقي ، او على المستوى الفردي الكمي الرأسي .

وفي تصوري أن مشكلة معظم الذين يكتبون او يناضلون من أجل تحرير المرأة العربية ينطلقون من افتراض ان هذا التحرير هو بيد الرجل قبل ان يكون بيد المرأة اولا . ومن هنا ، فان الكاتبين والناضلين ـ سواء اكانوا من الرجال أم النساء ـ لا يزالون يتوجهون الى الرجل .

ولاشك في أن قضية تحرير المرأة العربية لا تزال حتى الآن في يد الرجل، لكن هذا لايقتضي ـ بالضرورة ـ ان يظل الناضلات ، والناضلون ، من اجل تحرير المرأة العربية ، خاضعين لانماط حياة وسلوك وقيم لم يؤخذ رأيهم فيها.

والكتابة من المرأة من اجل المرأة ، وليس من أجل الرجل ، هي الان احدى مزايا العصر الحديث والمجتمعات العصرية. هذه المجتمعات التي تفتح الباب للتطور والتغيير والاتقان .

واذا كان نقد موقف الرجل من قضية تحرير المراة امرا هاما ، فان النقد الذاتي للمرأة كجماعة يزيد من ذلك اهمية . لان النقد الذاتي هو شكل من اشكال قطع الترابط بشعور الحطة في الجماعة، وهو الموقف الثوري الحقيقي لكل جماعات الاقلية .

والمرأة العربية تواجه في كثير من المجالات ، الافتقار الى « السوابق » كذلك فانها لا تزال اسيرة قيم التواكل والتقليل من القيمة الذاتية ،وهو موقف لا يمكن ان يؤدي الى نتيجة تذكر .

ولكسر هذه الحلقة فلابد ، في اية جماعة انسانية ، من الجرأة على صنع «السابقة» الجديدة . ولاشك في ان هذا يؤدي الى انطلاق السخريات والادانات السهلة ،

لكنه يخدم في النهاية المستقبل التاريخي

ولقد عرفت المرأة العربية ، من قبل ، نساء من بنات جنسها كسرن حلقة التقاليد المزيفة والفارغة ، بالجرأة على صنع السابقة الجديدة ، وتحمل كل السخريات والادانات ، منذ قام عدد قليل من السيدات في اوائل القرن برفع النقاب عن وجوههن امام « رجال الغراب » ، فاثاروا الناقشات . واثارة المناقشات هي خدمة حيوية لحركة التاريخ في المستقبل .

ومعنى هذا — بايجاز — انني ممن يؤمنون بان على المرأة العربية ، أولا ، ان تتصدى ، هي ، لحركة تحرير المرأة متحالفة مع الرجال كلما امكن ذلك .

ان مهمة تحرير المرأة العربية هي — اولا وقبل كل شيء — مهمة المرأة العربية ذاتها .

وهذه — بداية — نقطة خلاف مع كاتب مثل **الاستاذ عبد الله زخيا** ، صاحب مقال اخير من **« المرأة واليسار العربي »**

« اليسار »
والنضال الاقتصادى

اما نقطة الخلاف الثانية فهي حول تعميمه الكامن في تعبير « اليسار العربي » انه تعميم أدى به الى صنع خليط غريب من المواقف والاحداث ، مثل رأى منشور في مجلة **« جيش الشعب السورى »** بالعدد ٩٢٣ ومنقول عن مجلة « ماري كلير » الفرنسية ، ومثل حادث فصل الكاتبة **فاضلة مرابط** من جامعة الجزائر « بسبب دفاعها المتواصل والعنيد عن حقوق المرأة الجزائرية المهضومة » . ومؤلفة كتاب **« المرأة الجزائرية »**

وليس معنى هذا ان « اليسار » العربي غير متخلف في موقفه من قضية تحرر المرأة العربية لاسباب تاريخية واجتماعية وفكرية متصلة بنشأته ومسار تطوره وعقبات نضاله ، لكن هذا التخلف درجات . واخطر من تخلف اليسار ، تخلف اليمين المحافظ في البلاد العربية والذى يعكس ، ويفرض احيانا ، تخلفه — وبسبب عوامل عديدة — على النظم العربية المتقدمة ، او الاقل تخلفا .

كذلك فان ثمة نقطة خلاف مع الاستاذ « عبدالله زخيا » تدور حول محاولة تقليل اهمية النضال الاقتصادى في قضية تحرير المرأة العربية ، وحول قوله : « .. **ولن يخلق الانسان العربي** الجديد الا بتغيير البنيان الثقافي الفوقي » وقوله : « **المرأة مستقلة في البلاد العربية على نطاق الجنس بقدر ، وربما اكثر ، مما هي مستقلة على مستوى العمل** » !

ولست أدرى — من وجهة نظر اية « يسارية » حقيقية — كيف يمكن ان تتحرر المرأة من الاستغلال « الجنسي » ، دون ان تتحرر اقتصاديا !

كيف يمكن للمرأة العاطلة ، التي بلا عمل وبلا مورد ، ان تتحرر من ضرورة العيش في كنف رجل ، اى تحت سيطرته وبما في ذلك سيطرته الجنسية ، لكى تضمن قوتها ؟

ومع ان معركة « **الاحوال الشخصية** » للمرأة لها اهميتها في تحريرها جنسيا واجتماعيا ، فان معركتها الاقتصادية لها أهمية قصوى في هذا التحرير ، كما ان تشريعات « الاحوال الشخصية » هي ، في الغالب ، الصورة التشريعية لعلاقات القوى الاقتصادية الاجتماعية .

ان خروج المرأة الى العمل لا يعني فقط توفر مصدر دخل اقتصادى لها ، ويجعلها اقل اعتمادا على الرجل ،

ويحولها الى شريكة له في تحمل اعباء نفقات معيشة الاسرة ، وبربط مستوى الرجل الاقتصادى والاجتماعي بمستواها الاقتصادى والاجتماعي ، ولكنه يعني - وفي الوقت نفسه - اتساع تجربتها مع الحياة الفردية والعامة ، وارتفاع مستوى وعيها ، واندماجها في الحياة القومية بهذه الدرجة او تلك ، واكتسابها الوجود اجتماعي حقيقي ، واشتراكها في النشاطات التمدينية والعامة ، وتحليها بمفهوم المصلحة العامة .

ولست اعرف كاتبا أو مفكرا « يساريا » او حتى « يمينيا » ، تصور تحرر المرأة « جنسيا » بدون تحررها « اقتصاديا » : اليساريون يدعون الى التحرر « الاقتصادى » كقاعدة ضرورية للتحرر « الجنسى » الحقيقي . واليمينيون يدعون ضد التحرر الاقتصادى كضمان لعدم التحرر الجنسى الحقيقي ، او هم يقفون مع « التحرر الجنسى » الظهرى كصمام امان

عمل الفلاحة .. ليس
« العمل الاجتماعي »



وصرف لانظار المرأة والمجتمع من النضال في سبيل التحرر « الاقتصادى » .

العمل .. والتعليم

هل هذه « اقتصادية » يسارية ، تغفل التحرر من القضية الرئيسية ؟

هل يمكن أن تصبح كذلك اذا كان « اليسار » العربي العلمي والحقيقي يقتصر في معالجته لقضية تحرر المرأة العربية عليها .

ولست أنكر ان بعض قطاعات « اليسار » العربي قد نحت مثل هذا النحو « الاقتصادى » الا في قضية تحرير المرأة فحسب ، بل وفي قضايا هامة أخرى ، ومنها القضية الوطنية والقومية العربية . لكن ذلك لا يمكن أن « يدين » التحرر الاقتصادى للمرأة ، حتى اذا اقتصر النضال عليه في وقت من الاوقات وفي مرحلة من المراحل وفي ظرف من الظروف ، وان كان « يعيبه » في مرحلة اخرى وظرف آخر ووقت غير الوقت .

ولا أحد يستطيع ان يزعم ان معركة تحرير المرأة العربية اقتصاديا قد حسمت في الواقع ، او أنها تقدمت وتتقدم بالمعدل نفسه في كل المجتمعات العربية ، ولهذا أسباب موضوعية أساسية تتعلق بمسار معركة التحرر القومى ككل ، والتي معركة تحرير المرأة هي جزء لا يتجزأ منها بالفعل الثورى الدائب ، كما تتعلق بان معركة نوعية النظام الاقتصادى - الاجتماعي لم تحسم بصورة نهائية في العالم العربي .

والواقع العربي يشير الى ان معركة تحرر المرأة العربية لم تبدأ بقضية تحررها الاقتصادى ، وانما بدأت بقضية

تحررها التعليمى ، أى بقضية حقها فى التعليم فى جميع مراحله بما فى ذلك المرحلة الجامعية . ولم يكن ذلك شعارا « يساريا » أو « اشتراكيا » ، وانما كان شعارا وطنيا وقوميا .

والسؤال هنا :

هل يساعد تعليم المرأة على تحررها اقتصاديا وبالتالى « جنسيا » ؟

والاجابة هى :

نعم .. ولا .

نعم فى تلك الاحوال التى يكون فيها العمل متوفرا بعد التعليم .

ولا .. فى تلك الاحوال التى يكون فيها التعليم للتعليم نفسه ، وبدون عمل .

وثمة رابطة قوية بين العمل والتعليم . ولا اقصد بالتعليم هنا مجرد المؤهل الدراسى النظرى فقط ، وانما اقصد به أيضا التدريب المهنى والخبرة بالعمل . كما أقصد ذلك التعليم الذى تحصل عليه المرأة من خلال ممارسة العمل .

وهنا أرانى مدفوعا الى التعبير عن تحفظ هام بالنسبة لنوعية العمل الذى ينبغى توفره للمرأة . ومبعث هذا التحفظ ماهو شائع من ان المرأة العربية الفلاحة تعمل مجهودها فى الزراعة . وعلى الرغم من عدم دقة هذا الشائع ، حتى ولا مظهريا ، لان الفلاحين فلائل وفقراء جدا هم الذين يسمحون لزوجاتهم او امهاتهم او بناتهم المدركات بالعمل معهم فى الحقل فان نوعية العمل الذى تقوم به فلاحات مع رجالهن فى الزراعة ، ليست هى النوعية التى نقصدها عندما نتحدث من العمل الذى ينبغى توفر فرصه للمرأة

ان عمل الفلاحات اللاتى يعشن فى كنف رجل وضمن من يعولهم ــ تمييزا لهن عن الفلاحات اللاتى بلا رجال او عائل ــ هو عمل ذو صلة فردية وتبعية . انه عمل فردى وليس عملا اجتماعيا ، يتم فى اطار اقتصاديات اسرية ، ولا تترتب عليه ايه حقوق او التزامات اجتماعية من جانب صاحب العمل ، وهو الرجل ، تجاه العاملة معه او لحسابه وهى المرأة . ولا يقوم بين الفلاحة ورجلها اى شرط من شروط العمالة الاجتماعية ، من تعاقد او اتفاق على اجر ، او من حق فى الترابط او التضامن مع فلاحات عاملات مثلها .

وبايجاز شديد فان العمل الذى نعنيه هو العمل الاجتماعى ، وليس هذا النوع « الفلاحى » من العمل الفردى القائم على تبعية المرأة للرجل .

وليس من المتصور أن تتوفر للمرأة فرص العمل الاجتماعى ــ ولو نظريا ــ فى جميع المجالات ، بدون ان تتوفر لها فرص التعليم واكتساب الكفاءة لجميع المجالات .

ومن الناحية التطبيقية ، فان حق المرأة فى العمل يتوقف على توافر عوامل اقتصادية قومية فى المجتمعات العربية ، وفى مقدمتها توفر فرص العمل والحاجة الى المزيد من الايدى العاملة . ومن غير المتصور ان تحصل المرأة العربية على عمل فى مجتمع لا تتوفر فيه فرص العمل ، ولا تتوفر فيه الحاجة الى المزيد من الايدى العاملة .

ومثل هذا المجتمع يحتاج الى « ثورة اقتصادية » توفر له المصانع والمنشآت والمؤسسات الانتاجية قبل ان يحتاج الى « ثورة جنسية » . ونداء منافسة نسائية ، مثل فلورا تريستان : « أيها العمال ! الا تناضلون من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية .. اثبتوا انكم انفسكم عادلون .. باقراركم مساواة المرأة لكم » ، يظل نداء اجوف ، وقد ظل بالفعل كذلك ، مالم يحصل العمال انفسهم على العدل الاجتماعى فى صورته





الزوجة .. والحامل .. والام ... واهمية اسرار العلاقات الجنسية لتطوير علاقة الرجل بالمرأة ..

الاكثر اساسية وهي توفر فرصة العمل المنتج الكريم لكل واحد منهم ، في ظل النظام الاشتراكي .

واذا كانت كاتبة ، مثل « ايفلين سوليرت » تقول في كتابها « فيما .. النساء » « ان المرأة العربية تواجه مأزقا صعبا بصورة خاصة .. هو مأزق تحررها الفسيولوجي » فاننا نميل الى الاعتقاد بان المأزق الاصعب الذي لا تزال المرأة العربية تواجهه هو مأزق تحررها الاقتصادي .

ان جميع الباحثين يقرون بان وضع المرأة يرتبط ارتباطا وثيقا بالاوضاع الاقتصادية ، وبأن نظام الملكية الفردية لوسائل الانتاج هو المصدر الرئيسي لنظام تملك الرجل للمرأة تملكا فرديا. والنظام الراسمالي هو اسوا نظام مضاد لحرية المرأة ، وخاصة في مظهريه الرئيسيين : مظهر البطالة والخوف من البطالة ، ومظهر تمجيد الاستهلاك وتحويل الاشياء والناس الى سلع .

« البكارة » .. و « الصداق »

ولنقرب مثلا على تأثير النظام الاقتصادي على الوضع الجنسي والفسيولوجي للمرأة بقضية تقديس « بكارة » المرأة، والعوامل المؤثرة في «ارتفاع» او «هبوط» الصداق عند الزواج .

ولقد أشار الاستاذ **عبد الله زخيا** الى هذه القضية بقوله : **« ان منطق السلعة يطبق على المرأة ككل السلع الاخرى . ان صداق المرأة التي فقدت بكارتها أدنى من صداق الفتاة البكر . ويعتبر البعض انتفاء البكارة سببا لابطال الزواج بسبب العلة في المبيع ، كما لو كانت سيارة ينقص ثمنها مع الاستعمال »**

ان الرجل العربي ؛ بصفة عامة وباستثناءات قليلة ؛ ينشد في المرأة التي يريد ان يتزوجها أن تكون عذراء محتفظة ببكارتها . والصداق الذي يدفع في المرأة « **البكرية** » هو — نسبيا — أكبر من الصداق الذي يدفع في المرأة « **الثيب** »

وهنا لابد ان نلاحظ — قسرا — ان الصداق يأخذ طابع الثمن للمرأة التي يريد الرجل ان يتزوجها ، اى التى يريد ان يملكها ، وان جزءا من هذا الثمن هو ثمن عذريتها .

ومهما كانت العوامل الاخرى الداخلة في تحديد قيمة الفتاة الشابة العربية ، من حسب ونسب وما اشبه ، فان عذريتها ، التى هى دليل عدم الاستخدام من قبل ، تمثل العامل الرئيسى في تحديد قيمتها عند اغلبية الرجال ، والذى يمكن ان يمنع الزواج في حالة اكتشاف عدم توفره .

وبجانب أن مفهوم العذرية هو مفهوم اقتصادى نابع من قيم مجتمع السلع والملكية الفردية ، فانه مفهوم ينبع ايضا من نظرة ترى في **« الجهل » و « عدم الخبرة »** قيمة ، وتضع المرأة منذ البداية في مركز عدم المساواة مع الرجل الذى لا يتطلب فيه شرط عدم الاستخدام السابق . وهو مفهوم يؤكد بصفة مستمرة ، وفي كل حالة من هذه الاحوال ، أيديولوجية « **الخطيئة** » الاولى للمرأة . وهو مفهوم يصور نقاء المرأة وطهرها مرتبطا بانفصالها من اية حياة جنسية ، ويواصل تلك المطاردة للمرأة القائمة منذ أقدم العصور بدعوى **« نجاسة »** المرأة .

ان قضية عذرية المرأة ذات اساس اقتصادى . وهى تعبر عن كل علاقات التمييز واللا مساواة التى يعكسها نظام الملكية الخاصة ، كما تعبر عن كل المعايير التى ترى في عدم الخبرة والسذاجة والجهل قيما ايجابية خيرة ، وترى في المعرفة ومترتباتها من تفكير عقلى ومرونة فكرية وحرية تصرف قيما سلبية شيطانية بالنسبة للمرأة .

اى ان قضية « عذرية » المرأة قضية اقتصادية ، لا قضية جنسية ، أو حتى أخلاقية .

واذا ما أتم الرجل صفقة الشراء وفقا للمواصفات المطلوبة ، واصبح يمتلك امرأته وحده ، فانه يطالبها بأن تقوم بالمهمة التى اشتراها من أجلها ، وهى مهمة الانتاج : انتاج الاطفال

وليس في وسع امرأة اشتريت ، ودفع فيها الثمن أن تمتنع من القيام بمهمتها وفقا لشروط ومواصفات « شاريها » .

وهى اذا امتنعت أو قصرت ، فسيكون عليها اما ان تدخل فى صراع مع رجلها لتعديل الشروط والمواصفات ، والمهمة ان أمكن ، أو ان تواجه خطر التخلى عنها كسلعة مستعملة فى سوق يبحث فيها معظم

المشترين عن السلع الشابة غير المستعملة ويهبط فيها سعر السلع المستعملة الى أدنى حد ، وتقسو فيها شروط «الشراء او « التأجير » المؤقت قسوة لا انسانية .

أى ان نظام « الاقتصاد السلعى » هو الذى يجعل جسد المرأة قدرها .. جسدا من أجل الحمل والرضاعة ... والمتعة .

ومع هذا الوضع الاقتصادى للعلاقة الجنسية الفسيولوجية بين المرأة العربية والرجل ، تعطى قوانين «الاقتصاد الحر»

للرجل حق « المشترى » فى ان يتصرف فى سلعته وفى ان يستخدمها وينتفع بها وفق مشيئته « **ومتى يريد** » **وكيفما يريد وكلما يريد** » .

وفى ظل مثل هذه القيم « الاقتصادية» تتحول المرأة الى انسان مغلق ، او الى

انسان لا ينفتح على الآخرين وعلى العالم الا بقدر مايريد ويسمح « صاحبه » .

وعندما يقول ابن رشد : « **المرأة فى** الظاهر صالحة للحمل والحضانة فقط »

وما ذلك الا لان **حالة العبودية** التى انشأنا عليها نساءنا اتلفت مواهبهن العظيمة ، وقضت على مواهبها العقلية » ،

فانه يصبح من الضرورى تحديدنا معنى « حالة العبودية » لا تحديدا جنسيا فحسب ، وانما تحديدا اقتصاديا أولا وقبل كل شيء .

أسرار الرحم

ومع هذا ، فاذا كنا نؤمن ايمانا عميقا بان معركة المرأة العربية فى سبيل

تحررها هى معركة فى سبيل تحررها الاقتصادى ، فاننا لا نميل الى قصرها على معركة « **حق العمل** » الهامة جدا ، كما لا نميل الى قصر اسلوبها على

الاسلوب « الاقتصادى البحت » ، لان هناك عوامل واساليب غير اقتصادية لها دورها الهام فى مساعدة المرأة العربية

على التحرر ، او تمهيد طريق نضالها فى هذا السبيل .

ان القضاء علميا على جهل الرجل ، وجهل المرأة ، بالتكوين الفسيولوجى للمرأة ، وبالعملية البيولوجية بين الرجل والمرأة ، يمكن ان يقضى على

الكثير من الخرافات والاساطير المحيطة بالمرأة ، والتى تكون نظرة الرجل العلوية نحوها ..

وفى هذا الصدد ، فان تقدم التعليم واتاحته بصورة أوسع للمرأة ، هو عامل

لصالح تحررها ينبغى أن تتمسك به حتى اخر مراحله ، وأن تناضل باستمرار

ضد اية محاولات ، مباشرة او غير مباشرة ، فى سبيل عرقلة تطبيقه اوالحد من مزاياه .

ولاشك فى ان حق التعليم العام لايزال معيبا فى تطبيقاته على الاناث ، لكن النضال ضد عيوبه هو جزء لا يتجزأ من نضال المرأة فى سبيل تحررها .

ان التعليم الابتدائى الالزامى للذكر والانثى ينبغى ان يكون حقا عاما لكل ابناء وبنات العالم العربى ، وينبغى الحفاظ عليه حيثما وجد . كما تنبغى

الدعوة الى التعليم المختلط فى جميع المراحل والحفاظ عليه اذا ما تم ، لان من شأن التعليم المختلط ان يزيح الكثير من الاستار النفسية والفكرية بين الصبى

والصبية والشابة والشاب والطفلة والطفل ، ويقضى على الكثير من الخرافات والاساطير المتوارثة ضد كل

منهما من الاخر ، ويوفر امكانيات اجراء الحوار وتبادل الخبرات بينهما .

على ان مناهج التعليم في البلاد العربية محتاجة الى ثورة حقيقية ، وخاصة فيما يتعلق بضرورة عكسها للتقدم الذى تم في المعارف العلمية ، وفي معارف علم « البيولوجيا » وعلم « النفس » . ذلك لان هذين العلمين هما القادران على القضاء على الكثير من الخرافات المولدة لسوء الظن والاحكام الخاطئة تجاه الظواهر الفسيولوجية والنفسية عند المراة ، وتجاه مدى قوتها او ضعفها بالنسبة للرجل ، وهي التي تحل سر الرحم : خلال كل عمليات اللقاح والاخصاب والحمل والولادة ..

وان اتساع نطاق الثقافة العامة عن طريق وسائل الاعلام ، وخاصة من طريق الوسائل السمعية والبصرية ، مثل الاذاعة والتليفزيون والسينما ، هو عامل هام لصالح المراة ، لانه يفتح امامها افاقا جديدة من المعرفة والفهم والتجربة . ومهما كانت العيوب التوجيهية في المسار اليومي لاجهزة الثقافة العامة الجماهيرية فانه لاينبغي ، باى حال من الاحوال ، مسايرة دعاة « العيب » و « الخطر » الذين يأخذون من تلك العيوب ، الموجودة فعلا او المزعومة تقديريا ، مبررا لمنع بناتهم او نسائهم ، من مشاهدتها .

كذلك فان تقدم الطب والرعاية الصحية ، وما يؤديان اليه من انخفاض في نسبة الوفيات بين الاطفال ، وبين النساء عند الوضع ، هو عامل في صالح المراة العربية ، لابد من تعزيزه وتطويره

ان انخفاض نسبة الوفيات بين الاطفال يحرر المراة العربية ، بدرجة ما ، من تعدد عمليات الحمل الزائدة لتعويض الاطفال المتوفين . وانخفاض وفيات النساء عند الوضع يحررها من تعدد الزيجات . كذلك فان الوسائل الطبية لتحديد مسئولية العقم ولمعالجته ، يمكن ان تنقذ نساء كثيرات من الطلاق لمثل هذا السبب .

ومن ناحية اخرى ، فان التقدم العلمى اصبح يوفر امكانية الرضاعة الصناعية ، لا كبديل لقيام الام بهذه المهمة فحسب ، بل وكعامل ادى الى اختفاء ظاهرة تأجير امراة اخرى للقيام بالرضاعة .

ويستلزم تحدى الانفجار السكاني في بعض البلاد العربية، وفي مقدمتها مصر، ضرورة الرد عليه ، باتخاذ اجراءات لتنظيم الاسرة والحد من النسل ، وهي اجراءات في صالح تحرير المراة من مهمة الحمل والولادة الزائدة ، وما يستتبعها من مهام حضانية وتربوية ومنزلية متزايدة الاعباء . ولقد خلق تدخل المجتمع في علاقة الاخصاب بين الرجل والمراة ، عن طريق مختلف وسائل منع الحمل ، ظروفا تتيح للمراة ان تتحكم في حالتها البيولوجية ، وتتيح لها الاختيار بدلا من مجرد القبول .

نظرة اشتراكية
الى
المرأة العربية

حقيقة الاستكمالية

وايا كان الامر فان حركة تحرر المراة العربية ينبغي أن تستهدف اولا تصفية الروح الفردية المترتبة على نظام الملكية الخاصة والتنافس السلبي وتناليه التشريعية ..

وهذا هدف سياسي اقتصادي قومي يستدعي من المراة العربيـة الدخول في صفوف حركة النضال التحررى العامة ، لاثبات وجودها الاجتماعي فعلا ، ولطرح حقوقها طرحا قويامدعما بخبرة النضال. ولا شك في ان اشتراك نساء في الحركات التحررية العربية كان هو الخطوة الاولى نحو طرح القضية على المجتمع العربي كله . لكنها خطوة لابد وأن تتبعهاخطوات متصلـة ، في اطار صراع ثورى عام ، من أجل الاشتراكية التي هي النظام الوحيد الذي يمكن ان يعيـد للمراة انسانيتها ، رغم كل المقاومات والعقبات والموانع التاريخية والايديولوجية .

وينبغي أن تستهدف حركةتحريرالمراة العربية القضاء على الامية ، ونشر التعليم ، والتربية العلمية وبما في ذلك التربية البيولوجية السليمة .

وينبغي أن تستهدف حركة تحرير المراة العربية رفع مستوى الرعاية الطبيـة والصحية وخاصة للاطفال والنساء اثناء الحمل وعند الوضع ..

وينبغي أن تستهدف حركة تحرير المراة العربية القضاء على نعرات تمجيد القوة والعدوانيـة والتعصب القومى والعنصرى . والقضـاء على النظرة « النجاسية » الى العلاقة الجنسية .

وينبغي أن تستهدفحركة تحريرالمراة العربيـة ، قبل كل هذا ودائما ، توفير فرص العمل للنساء ، وتطوير ايديولوجية العمل ، ورفع مستوىالمهن المتاحة ، بدون تمييز بين مايسمى « المهن للنساء » و « مهن للرجال » ، واتاحة الفرصة للمراة لكي ترقى مثل الرجل، وان تصل الى اى وظيفة او منصباذا ما تساوت كفاءتها مع كفاءة الرجل ، وبصرف النظر عن الفوارق الفسيولوجية والبيولوجية .

ثم ينبغي على حركة تحـرير المراة العربية ان تستهدف اعادة تربية المراة العربية بروح غير تقليدية غير توائمية مع الانماط المتعارف عليها والمفروضة في مجتمع الرجال ، وبروح الجـراة على صنع « السابقة » الاجتماعية بصرف النظر عن السخريات والادانات ، وبروح النقد الذاتي التي تساعد على فصل الرباط الذي يوثق المراة بعقدة القصة والخطة وخرافات التاريخ الرجالي .

ولابد ان تعرف كل امراة عربية ،وكل رجل عربي ، ان جميع النســاء ، كجماعة ، لسن مكملات لجميع الرجال، كجماعة ، باى معنى من المعـاني النفسانية او الثقافية او الاقتصادية . واذا كان كلاهما مكملا للاخر على مستوى العلاقة الجنسية ، فان الرجل مكمـل للمراة بقدر ما المراة مكملة للرجل .

ان غاية كل امراة عربية ، وغاية كل رجل عربي ، هى الوصول الى الحرية والكفاية والعدل . وعلى المستوى الفردى هي الوصول الى الحب والمعرفة والاستمتاع . ولا استمتاع بدون حرية: حرية رجل وامراة في متعة . ولا متعة بدون حب : حب متبادل صادق انساني عميق . ولا حب بدون معرفة : معرفة من الحب معرفة عميقة مجربة مستمرة.

والاشتراكية ، بكل مضمونها الانساني المركب، وعبر كل متناقضاتها وصراعاتها، وليست مجرد « اليسارية » المبهمة .. هي طريق المراة العربية الى الحب .. والمعرفة .. والاستمتاع .

د. سهير القلماوي

حول تطور مفهوم الجنس!

بالرغم من الرحلة الطويلة التي خاضها مفهوم الجنس من عصور الحياة الاولى، او العصور الحجرية كما يسميها التاريخ، الى عصرنا الحديث، عصر الفضاء، فان العلماء يقررون ان الجنس لم يتغير في جوهره. على عكس غريزة الجوع، ولذة الطعام، فانها قد تغيرت بشكل عنيف ضار في جوهره بالنسبة لصحة الانسان. فمنذ اكتشاف النار والطعام يطهى، ثم يتفنن في طهوه. والاتجاه العام هو تركيز خلاصة الطعام في حجم صغير، مما اضر بصحة الانسان. فالانسان كان ياكل كما كبيرا من النبات مثلا ليحصل من سكره على الكمية المطلوبة من السعرات الحرارية، واليوم يستطيع ان يحصل على هذه السعرات من قطعة سكر مصنعة في المصنع بشكل مركز، مما يترك في معدته فراغا يراد له ان يملأ ليحس بالشبع، فياكل فتزداد السعرات الحرارية عن المطلوب للجسم، وتؤدي صعوبة تصريفها الى كثير من الخلل ثم العلة والمرض. وهذا واحد من كثير مما طرا على طعام الانسان وجعل اشباع غريزة الطعام عنده تتطور في اشكال مختلفة في استشرافها عصر الحبوب او الحقن حيث يقضى نهائيا على حاسة التذوق وغريزة حب الطعام.

ولكن الامر جد مختلف في الجنس فما زال الانسان برغم كل الظروف المتغيرة من حوله يمارس العملية الجنسية دون تغيير جذري يجعلها تختلف عنها ايام العصر الحجري. ومع ذلك فقد احاط بالعملية الجنسية تاريخ طويل، تلاحظ فيه تطور النظرة الى الجنس بل تطور المراة والرجل في ممارسة هذه الغريزة، مما يمكن ان يكون في جوهره تاريخا للبشرية في تطورها في كل المجالات.

والذين يبحثون في علم الانثروبولوجيا يبحثون فيما يبحثون عن أصول الانسان وبدايات تكوينات جماعاته . وبهمهم العثور على ما يثبت تصورا ما من تصورات الجماعة للحياة وللانسان . ولقد وصل بعض هؤلاء العلماء الى ان **الانسان عاش عصورا طويلة لا يفرق في تصوره بين ذكر وانثى . وانما ينظر كل الى رفيقه على انه انسان ، مجرد انسان ، مثل الحيوان ، يمارس التناسل والتكاثر كسائر الاحياء من حوله .** وهناك تمثال حجرى يرجع الى العصور الحجرية الاولى عثر عليه في النمسا آخر القرن الماضي ينبيء بوضوح ان النحات البدائي القديم نحت تمثالا لا هو انثى ولا هو رجل . ويستدل العلماء من هذا على أن التكوين الجسدى للانثى بكل اختلافاته لم يكن مثار انتباه بالرغم من ان كلا من الانثى والذكر كان يقوم بما يجذب به رفيقه اليه عندما يحس جوع الغريزة ورغبتها في اللقاء . وفي التماثيل الفرعونية أيضا بعض ما يقوى فكرة عدم التمييز تلك .

متى اذن اصبح جسد المراة مثارا للخيال ومتى اصبح موضوع الجنس موضوعا ، ولا القول مشكلة ، في المجتمع الانساني . ليس من السهل تحديد ذلك . وانما الدراسات تدخل في عموميات حتى تصل الى عصر التجمعات القبلية او ما يشابهها .

فبمجرد التجمع ، الذى لم تكن نواته الاسرة أول الامر ، بدات معالم التفرقة الحقة بين الجنسين . وبعبارة اخرى **عندما اصبح نشاط الانسان يستدعى تضافر جماعة يتحتم عليها ان تقتسم العمل .** وهنا برزت حقيقة أن المراة تستطيع اشياء ولا تستطيع اخرى . انها تستطيع ان تحمل وتلد وترعى الصغير الذى تطول رعايته مدة اكثر من اى حيوان آخر . ولكنها من اجل ذلك لا تستطيع مجاراة الجماعة في هجراتها المستمرة وراء الرزق سواء بسبب جدب الارض او ندرة الصيد . وبدات المراة تثير مشكلة حق الطفل . مما يجعل بنوة الطفل واجبا لابد أن يتعلق برقبة رجل بعينه مسئول ، أو الجماعة كلها ككل ، فالمراة عاجزة من ذلك ابان حملها وولادتها له أو لاخيه من بعده .

والانسان البدائى لا غنى له من الجنس وممارسة الجنس تعنى ميلاد طفل . والطفل تابع لانه عندما يكبر يعاون في الصيد والرحيل وراء النبت ، ولم تكن المسالة واضحة في ذهن الانسان آنذاك . لقد ربط منذ البداية الاولى بين العملية الجنسية وبين الجنين . ولكن كيف ؟ هل المراة مجرد وعاء ؟ هل لها في الجنين نصيب ؟ ومن يكون ابا الطفل والجنس يمارس دون قيود . وفي المعتقدات البدائية يعتقد أن الطفل من الاله وما الرجل الا حامل رسالة الاله أو بذرة من يذورة يودعها رحم المراة .

وقليلا قليلا ظهرت الحاجة الى شكل من اشكال الزواج تكون فيه امراة بعينها زوجا لرجل بعينه ولو لفترة معلومة ، تتبعه أو يتبعها في اسرته ، ترحل معه أو

تنتظره ، فتنتصر عليه أو تكون للاخوة كلهم ، أو للقبيلة كلها . موضوعات أخذت اجيالا واجيالا واشكالا واشكالا حتى وصلت الى شكل من أشكال الاسرة قريب من مفهومنا الحديث لمعناها . وبدأ بعض التحريم لاناث بعينهن على رجال بعينهم . **وتقدمت الانسانية كثيرا في مناحي شتى حتى وصلنا الى القوانين الفرعونية وقانون حمورابي وهي كلها ترفع من شأن المراة حتى ان قانون حمورابي يحرم الزواج باكثر من واحدة .**

والى جانب هذه التنظيمات كانت فكرة الجنس تتشكل وتنمو في مجتمعات **الرحيل صيدا وقنصا وتلمسا للعشب** وكانت المراة عائقا لابد أن تتحمل عواقب انها لا تستطيع الحركة السريعة اذا تعطلت بحمل وولادة ورعاية طفل . والمجتمع المتنقل هذا يزدري المراة حتى يصل الى وأدها احيانا ، حتى لا تكون عبئا على الجماعة بحملها وولادتها . **اما المجتمع الزراعي** ففيه تصل المراة الى اسمى درجات الاحترام . وليس صدفة ان اقدم التشاريع التى تنصف المراة هي تشريعات البيئات الزراعية ، **مصر** وما بين النهرين . هنا المراة لها دور : تزرع وتطهو وتخزن وتغزل ولا يصرفها الحمل ولا الولادة من ان تكون عنصرا اقتصاديا ايجابيا فعالا على قدم المساواة مع الرجل ، قبل ان يخرج الرجل الى مصنع او مكان عمل عام .

وبدأ الرجل المستقر يفكر في الجنس في قالب من خيالاته ونزوعه . وهنا ، ومباشرة ، تتصل المراة بفكرة الخصوبة وتلتصق بها ، وتصبح هي والارض مصدر الحياة . وليس صدفة ان الالهة الخصب في اي دين قديم كانت امراة او انثى . والخصوبة مستحبة . انها في الارض مصدر البقاء وسر الاستمرار في الحياة وهي سبب تعاقب الابناء وعزوة الاب بابنائه ومساعدتهم له في استنبات الارض وتفجير خصوبتها .

واخذ الجنس معنى الخصوبة . وبالتالي ظهرت المراة بكل ما يمكن ان يميزها من الرجل . في أول الامر فكرة مجردة تصور واقع المراة . وكانت جسما عاملا نحيلا مكتملا تبرز فيه الاعضاء الانثوية بقدر ما تتيح كثرة الحركة وكثرة العمل .

وبالاستقرار يأتي الرخاء ويبدأ الرخاء يزحف على حياة الانسان فأصبح غير مشغول بالطعام وربما بسببه الجري وراء الطعام من جهد . واخذت المراة تتخفف من الأعمال العنيفة وتتركها للرجل او لمن تتبعهم الحروب والقوة من اماء عاملة مستعبدة . واخذ جسم المراة يرتخي ويترهل . وترسم في خيال الفنان المراة البدينة الكبيرة الاعضاء الانثوية المميزة تمييزا واضحا جدا من الرجل . لم يعد التمثال مثلا يحتاج الى أن يضع سهما يشير الى عضو المراة التناسلي ليقول به هذه امراة . كما نجده في التمثال القديم المشهور . ان الصدر والكفلين وان لم يكن الوجه ايضا كلها تقول هذه امراة دون الحاجة الى ارشاد .

ومع الاستقرار والرخاء تصبح النساء الجميلات مجالا لتنافس الرجال ولكن عندما تشتد الحروب وتثقل وطأتها تتنافس النساء على الرجال لقلتهم .

وفي كلتا الحالتين يشعر كل منهما بجنسه المختلف ويحمل فكرة الجنس خيالات ونوازع ليست الغريزة الاساسية سوى دافع لها او ملهبا لمسارها الطويل في عالم الخيال .

وتبدأ المراة في تنافسها على الرجل تتفنن في ابراز مفاتنها ، وتصبح واحدة دون سواها أكثر اغراء لمجموعات من الرجال . وتصبح المراة الاجمل مثار خيال للشعراء والرسامين والنحاتين والموسيقيين . وتأتي معتقدات المجتمع اما بقانونه او بظروف تاريخه لتحرم رجلا من امراة او امراة من رجل . اما المراة فقد القى عليها خمار وعلى عواطفها

خبر مدبدة لا تعبر عن ذات نفسها الا في الشاذ والنادر . وأما الرجل فقد راح يملأ الدنيا فنا ، أو شبه فن في عالم الصناعة والتجارة ليعبر عن شهوة الجنس المكبوتة أو المحرومة .

من هنا نرى ان الجنس دون تحريمات او قيود لا يزال كما كان في العصر الحجري، بل كما هو عند سائر الكائنات. ولكن الحرام والقيود وظروف الحرمان هي التي تخلق الافكار حول الجنس .
وليس من شك أنه لابد من قانون وتحريم والا كان الانسان والحيوان سواء، ولكن الى اى مدى تحكم التقاليد أو التحريمات صمام الامن في هذا الموضوع ، والى اى مدى تكون عرضة لان تنقلب الى الضد . هذا موضوع مطروح ولا شك على انسان العصر الحديث ، لان كثيرا جدا مما كان يساعد على النظام والقانون أصبح الان غير موجود . اى أن كثيرا مما كان يساعد المرأة على ان تلتزم بالقانون وبالتحريم أو يجبرها عليه أصبح اليوم من السهل التحلل منه .

ومع التقدم الذى يتيح للمرء الا يستنفد كل قواه البدنية في سبيل الحصول على الطعام ، يأتي عامل الحروب وما كانت تدخل من فساد ليس أقله **نظام الرق** بكل ما فيه من خزى للانسان في تاريخه الطويل . ان الغالب في الحرب يستبيح قوم من غلبهم ويسخرهم لخدمته أو للذته . وجاء تاريخ الرق حافلا بكل انواع الاستغلال البشع لانسانية الانسان . واصبح الرقيق سلعة، واصبحت **المرأة الامة** سلعة، ونشأت تجارة الرقيق بكل ما حولها من وسائل الترغيب والافتنان في الكسب . وهؤلاء مفتنون مدربون أو نخاسون يعلمون الجارية فنون الادب والغناء والعزف وربما أيضا الفروسية واللعب بالنرد او الشطرنج او غير ذلك مما يجعل البضاعة نادرة المثال ، لتدر الجارية على التاجر اوفر ربح بسبب جنسها وما تفننت فيه .

ويطفح تاريخ الرومان والفرس والعرب بقصص الاماء وما ادخلن على الحياة الجنسية في كل هذه الدول من حركة وحيوية وفن . والجارية ظاهرة مسلم بوجودها تؤدي دورها اما في أحط المهن أو في أعلى السلم في سياسة الدولة ذاتها . وبفضل هذا الوضع الذى طال امده في التاريخ ورثت المرأة تركة مثقلة من الفكر المنحرف حول الجنس .

صحيح ان الحرة كانت تعيش دائما ولها وضعها الطبيعي الخاص، ولكن وضع الجارية كان لا بد أن يعكس آثاره على الجنس كله . ساعد على ذلك ان المرأة ، وخاصة في الطبقة العليا من سلم طبقات المجتمع ، كانت لا تحتاج الى ان تعمل . فأبوها ثم زوجها يكفلان لها كل ما تحتاج اليه . والطبيعي أن تحس المرأة الجنس احساسا غير سليم عندما تتأكد أن الجنس هو أساس حياتها ، وألا حياة لها بسبب جنسها الا في ظل زوج أو أب أو أخ .

ولكن المرأة لحسن الحظ تثور على هذا الوضع . لا كرها في الترف او تخلصا من الراحة ولكن لان ليس كل امرأة تجد مالاً لها بسببه جنسها . **وتنزل المرأة ميدان العمل في القرن الماضي بشكل الاعداد الكثيرة التى تجعل من عمل المرأة ظاهرة عامة .** وكان هذا أول زلزال ضخم في دنيا الجنس عند الطبقة الوسطى والعليا من المجتمع . أما الطبقة السليمة حقا وهي طبقة العامة أو الفقراء ، فقد تأثرت بلا شك بما يدور في الطبقة العليا واصطنعت الحجاب والانزواء تشبها بها ما امكنها ذلك . ولكن الحياة الطاحنة تفرض عليها ان تتخلى من هذه القشرة المستعارة وتعمل هي ايضا عملا يجعل لها وجودا في المجتمع ، وتستمر حياتها الجنسية أقرب الى السلامة منها الى الانحراف .

وكانت الديانات والتشريعات تشرع للأسرة او للفرد والجماعة ، ولكن الثورة

الدينية الحقة في هذا الميدان لم تأت الا بما نص القرآن الكريم عليه من حقوق للمرأة وتنظيم للأسرة ، وشريعة غايتها هي الا تضار المرأة بسبب امومتها ، وانما تكرم لذلك ويساعدها الرجل لتؤدى اشرف الرسالات : رسالة استمرار الحياة .

ولكن القوانين والشرائع كثيرا ما يحرفها الانسان وكثيرا ما يفسرها حسب هواه ، وبذلك يطغى التيار العام احيانا دون ترشيد حكيم بواسطة ما يحمله الدين من حكمة معجزة .

ان المرأة بمجرد ان اصبح لها وجود خارج دنيا الجنس . وبمجرد ان اصبحت لا تعتمد اعتمادا كليا على الرجل في معاشها ، وقد وضعت للجنس معنى جديدا . **لم يعد الجنس وسيلة او سببا للحياة وانما اصبح غريزة عادية تؤدى للانسان ما تؤديه له سائر غرائزه من استمرار حياته سواء اوجد في ذلك لذة ام لم يجد .**

ولكن الذى اوجد حول الجنس كل ما نعرف من خيال وأجواء بل ثقافة بأسرها ما زال يلبي حاجة ملحة في الانسان . لذلك استمرت فكرة الجنس بكل ما حولها طالما ان هناك قوة يمكن أن تسخر انسانا لآخر . ولكن المرأة تعود الى دنيا الجنس مرة أخرى مسلحة بشيء من الاستقلال أو القدرة عليه ، وعلى اكتافها ترزح قرون وقرون مما يحول الجنس من عادات وتقاليد وما نحوله من تفنن واغراء . وهي لا تستطيع ابدا ان تتخلص من كل هذا في جيل بل اجيال .

وكان يساعد على بقاء الحال ان المرأة مازالت ، وستظل ، تحمل عبء نتائج العملية الجنسية : **الجنين** ، سواء أرادت ذلك ام لم ترده ، سواء أكان الرجل ايضا مريدا لذلك ام غير مريد . وحول هذه الحقيقة نسج التاريخ نسيجا سميكا : حول عفة المرأة وبكارتها وطهارتها . وما دام الرجل يتحمل عبء الجنين مثله كمثل المرأة ؟ وما دامت المرأة هي وحدها التى تتأكد بيولوجيا ان الجنين ابنها ، فلا بد للرجل من ان يتأكد بدوره ان الجنين ابنه . ولم يكن الا رباط الزواج مؤكدا لهذا . وشرف المرأة وكريم منبتها وتقاليد المجتمع من حولها . ولكن هناك أيضا ، وخاصة في القرون السابقة ، وسائل من ابعاد المرأة عن شبهة الاغراء وتحصينها ماديا لم خلقيا بحيث تكون اهلا لثقة الرجل ، ويشهد التاريخ ألوانا من الاسراف والانحراف في هذا المجال .

والقنبلة الحقة التى القيت في هذا الميدان هي التحكم في النسل ، بحيث لا يأتى الطفل الا لم ترد المرأة خاصة ان يأتى . وتخوف الرجل ان يكون هذا سببا للانفلات في دنيا الجنس . ورأت المرأة ان هذا ، كالنزول الى العمل، نوع من التحرر من كل ما يفرضه عليها جنسها من تبعية او خضوع لسلطان بحجة بقاء النسب . ولكن المرأة لحسن الحظ لا يأتيها العمل والتحكم في النسل الا بعد أن تكون قد قطعت اشواطا في الخروج الى الحياة وفي التعليم والتثقيف ، بل انها لا تعمل الا وقد اكتسبت على الاقل ما يتطلبه عملها ، مهما يكن بسيطا ، من ثقافة خاصة به . لذلك فان اسلحة التحرر احرى الا تكون اسباب انحراف بل هي ستكون اسباب حرية صحية في المستقبل . لتصبح المرأة فعلا الامينة على الحياة بكل ما في جلال هذه الامانة من صفات الصلابة والطهارة في آن واحد .

ويشهد العالم ثورات الشباب على قيم عصرهم ، وعلى سياسة القوة التى ما زالت تسود العالم حتى اليوم ، سياسة ان يأكل القوى الضعيف لمجرد انه قوى وهو ضعيف ، وفي هذه الثورة شذوذ ولاشك ، ولكن فيها ايضا جذورا سليمة . لقد آن للبشر ان يفكروا في المجتمع الدولي كأسرة متساندة لا كوحوش تأكل كبارها صغار الغنم .

ومما يثور عليه الشباب هذه القيم التى ظلت تحكم شكل الاسرة . هم ثائرون على تبعيتهم لاسرة ويريدون

الانقلات قبل التحرر ، وقد قادهم هذا في كثير من الاحيان الى انحرافات ومنها ما هو جنسي بلا ريب . ولكني لا اذكر هذا الا لاشير الى ظاهرة بعينيها ظاهرة **توحيد الجنس في المظهر** . فاننا ونحن نسير اليوم في شوارع بعض العواصم الكبرى لا نكاد نفرق بين شاب وشابة بين ذكر وانثى . ليست هي انثى تتمرد فترتدي « البنطلون » وتقص شعرها قصيرا جدا كالرجال كما كان الامر في العشرينات من هذا القرن . انه الشاب ايضا يثور ، لا على ذكورته كما قد يبدو ، ولكن على التفرقة بين الجنسين كمبدأ ويظهر بمظهر المراة .

وفي ثورة نساء امريكا الاخيرة ، منذ بضعة اشهر ، كانوا يأتون بالملابس الداخلية التي تميز المراة : النهد وحمالات الصدر ، ويلقون بها في حرائق اعلانا للثورة على كل ما من شانه ان يشير الى عملية فنون الاغراء للذكر او فنون التجمل النسوي المستهدف اثارة اعجاب الرجل .

وما هذه الثورات — ثورة الشباب وثورة نساء امريكا — في نظري الا مقدمات لحركة واسعة النطاق ستتسع وتتزايد نحو العودة الى الحياة الجنسية الفطرية السليمة التي لا تحتاج الى كل هذه الالاعيب والمغريات ليكون الجنس بسببها تجارة رابحة سواء اكان تجارة سافرة او مقنعة ، تحت ستار اغراء الرجل دائما بان ينفق في سبيل الجنس .

سيصل الامر يوما الى ان تكون العملية الجنسية عملية طبيعية ، تحكمها الشرائع التي تحفظ للجنين حقه في حياة ، او بداية حياة على الاقل ، صحية مطمئنة ، وتحفظ على الزوجين حقهما في الحب والمتعة من الطرفين . لا ان يكون الجنس محاطا بكل هذا الذي احيط به من خيالات ، بل ينظام اتقال كامل .

ستظل المراة مصدر وحي وسيظل جسم المراة منظرا طبيعيا جميلا يوحي ويفجر الطاقات . ولكن سيكون الرجل ايضا بالنسبة للمراة مصدر وحي وسيكون جسمه ايضا منظرا طبيعيا جميلا يوحي ويفجر طاقاتها .. وتنطلق المراة وهي على نفس منبر الفن مساوية للرجل في حق التعبير والاحساس معبرة عن هذا . ولكن الاهم من كل هذا ان امورا اخرى كثيرة ستكون بدورها مصدر وحي وجمال ومتعة .

ان المجتمعات التي تساوت فيها المراة بالرجل كل المساواة ما زالت تـرزح تحت فترة المساواة تلك ، من ثقل ميراث الجنس وما حوله من تقاليد وعادات وثقافة كاملة . ولست ارى ان المجتمع الاشتراكي خير كثيرا من المجتمعات الاخرى في هذا الصدد الا ان يكون في جوهره قد حرر المراة اقتصاديا الى حد بعيد . ويبقى ان يحررها بيولوجيا ايضا . وهذا من صنع المستقبل لا هذه الاجيال .

ولكن هذا الحكم الواسع تقف دونه عقبة كاداء . ليست عقبة ضخامة رؤوس الاموال المستخدمة في هذا المفهوم المتخلف للجنس ، فهذه مآلها مهما استشرست الى زوال ، ولكنها عقبة طبيعية اخرى كاداء حقا . وهي ان المراة **ما زالت ستضطر الى الاعتماد على الرجل على الاقل فترة بعينها من حياتها . وستظل بسبب هذه الفترة ايضا اقل من الرجال درجة في ميدان العمل . انها سترزح تحت عبء الحمل والولادة وتحمل ثقله فترة من حياتها بسبب طفل او طفلين او اكثر . وهذه الا ترتيبها قصرت كفيلة بكسر القاعدة وكفيلة بايجاد التفرقة في ميدان العمل وخاصة عندما تصبح الالة وحدها هي التي ستحمل عبء الاعمال الهينة ويختص الانسان وحده بالعمل الراقي المتطلب لكفاءة عالية تتزايد مع كل يوم من ايام العمل .**

ايكون خلق الجنين في انبوبة الاختبار هو الثورة الثالثة على خزعبلات الجنس . ان الانسان اذا وصل الى هذا فسيكون ذلك ثورة لا على مفهوم الجنس وانما على مفهوم الحياة كلها دون ريب .

عبد الرحمن صدقي



نزعة الحرية

عند فتاتنا العصرية

وأثرها في تطوير

علاقتها بالرجل!

شهر زاد الفتاة المثقفة ،
وحديث مع شهريار ..

مما هو جدير بالاحاطة والاعتبار ، ان الفتاة المصرية عندنا ، لم تتأكد فيها تلك النزعة الى طلب الحرية لنفسها ، الا بعد ان اشتركت المرة بعد الاخرى في طلب الحرية لبلادها وانى اقول ، المرة بعد الاخرى ، لان فتاتنا المصرية بعد ان اشتركت جدتها وامها في ثورة سنة ١٩١٩ ضد الاحتلال الانجليزى ، متعرضات للسقوط صرعى برصاص البنادق المرعبة الطلقات ، اشتركت هي وسائر الفتيات من جنسها ، في اكثر من واقعة من الوقائع الثورية المعاصرة ، ضد الرجعية والامبريالية والصهيونية العالمية منذ سنة ١٩٥٢ حتى اليوم ، ولم تحدثها نفسها في واحدة من تلك المرات ، انها في هذه المرة قد ادت دينها للوطن جملة واحدة ، وصار من حقها ان تأخذ بعد ذلك حقها من الاستمتاع بالحياة ، او – على الاقل – السكون الى الاستجمام والراحة في عقر بيتها ، بل انا على يقين راسخ ، انها لن تحدث نفسها بمثل ذلك الحديث فيما هو آت لا محالة عن قريب ، ولا في أى وقت بعيد من الاوقات ، لا في اليقظة ولا في المنام

ولكن ، كيف نشأت تلك النزعة ، وكيف كان تطورها ، وما هي مشاكلها ، والى اين المصير ؟



•• نزعة الحرية عند فتاتنا العصرية

فى عهد التبعية للرجل « السيد المطلق »!

لكى تبدو القضية بأبعادها الحقيقية ، لا نجد مندوحة من أن نضع فى خلفية الصورة خلاصة الحكم والامثال التى توارثناها عن المجتمعات القديمة ، بإزاء أحدث موضوعاتنا الاجتماعية فى هذا الجيل « نزعة الحرية عند فتاتنا العصرية »

وهذه هى بوجه عام ، خلاصة تلك الحكم والامثال فى أوجز عبارة :

«العلاقة بين الجنسين لا يدوم لها عقد ، الا أن يكون أحدهما السيد ، والآخر العبد »

وربما يأخذ البعض على هذه العبارة ، ما يراه من الفظاظة وقلة الكياسة وانعدام الرقة فى اختيارها استعارة « **السيد والعبد** » • ولكن الامر هنا خارج عن ارادتنا ولا اختيار فيه لاحد ، لان التعميم والمبالغة فى الصراحة هما الشأن فى صوغ الحكم وضرب الامثال فى كل اللغات • وبدونه تفقد الحكم والامثال صيغتها المميزة وقوتها المؤثرة ومكانتها بين سائر الاقوال

والواقع أن المرأة ظلت تابعة للرجل أجيالا عدة ، بحكم قوته العضلية على اخذها عنوة واغتصابا فى العهود البدائية • ثم من بعدها قدرته المالية على شرائها فى عصور المدنية

ولقد ظلت المرأة على وجه العموم ، سعيدة قانعة بالعيش على أية حال فى كفالة رجلها ، حتى كان اليوم الذى أراد فيه الرجل عندنا للفتاة أن تتعلم فى البيت ثم فى مدارس البنات ، ما يحسن به قيامها على خدمته ، عمليا فى فنون الطبخ وتدبير المنزل وتربية الطفل وما الى ذلك ، وخلقيا مثل قراءة ما يناسبها من الآيات القرآنية ودروس الدين ، لما اتفقت عليه الاديان من وجوب الطاعة للوالدين والطاعة للزوج •

جهد الفتاة الشخصى للتعرف على العالم الخارجى

حسبنا أن نذكر أن حياة هؤلاء الفتيات فى البيت لم تكن أوفر حظا فى الحرية من أمهاتهن فى حريم الشرق القديم ، من جراء ما كان متبعا قبيل نضجهن من حجبهن فى البيت كأمهاتهن ، ممنوعات من الاتصال بالعالم الخارجى • لا مباشرة بصفة عامة ، ولا حتى بالواسطة بصفة شخصية ، اذ لم يكن لقاؤهن للشباب من لداتهن حتى الاقربين من ذوى القربى الا فى المناسبات الكبرى • حسبنا أن نذكر ذلك لنتصور ما كان يداخلهن من السرور لخروجهن من البيت ، ولو لحظة محدودة من لحظات الحرية ، يلقين فيها كل يوم نظرة على العالم الخارجى ويتنسمن هواءه ، فى طريقهن الى المدرسة • ولا بأس أن يجدن أنفسهن بعدها ، وقد انتقلن من سجن البيت الى سجن شبيه به هو **مدرسة البنات** ، حيث لا يلاقين غير بنات جنسهن تلميذات ومعلمات • وقد كن وقتذاك يتنظمن فى الدراسة كأنهن فى التجنيد ، لصرامة المعاملة وكثرة القيود حفاظا على التقاليد ، وكن يتعلمن برنامجا من العلوم المقررة عليهن غير برنامج البنين ، بحجة اعدادهن — على حسب الاعتقاد السائد — لما خلقن له دون غيره ، وهو « **خدمة الزوج** » أو بعبارة أخف على السمع « **الحياة الزوجية** » • وكان ذلك تحت الاشراف المشدد من الناظرات والمعلمات ، وكلهن من العانسات المحرومات من الزواج ، بمقتضى قوانين التوظف وقتذاك

ولما تغير الحال بعد سنوات طوال ، تحت ضغط ما كانت تتقدم به العانسات — ناظرات ومعلمات — من التظلمات تلو التظلمات ، لرفع ذلك الحظر على الزواج ،

محتجات بأن الزواج حقهن الطبيعي ، فضلا عن أنه سنة الحياة التي لا يستطيع أحد تبديلها والخروج على حكمها ... تقول : لما تغير الحال ، وصدر القانون برفع الحظر . بوعت التلميذات في سائر مدارس البنات ، حين أصبحن لا تقع عيونهن في حصص التدريس الا على مدرسات حوامل ، يكاد بعضهن ينوء بحملهن . فكان من ذلك ان أصبح هذا المنظر الروع المتكرر لوظيفة الزواج في شكلها الحيواني الطبيعي ، الذي تظهر به المعلمات خارج البيت أمام فتياتنا العـــذارى في قاعة الدرس ، كالكابوس يلازمهن ويعترض حلمهن الجميل بفارس الاحلام

وكانت حياة الفتيات ، في مثل هذا الجو الثقيل المادى الخالى من الخيال «سيان في البيت أو في المدرسة من المحال ، لولا جهد الفتاة الشخصى . فان الفتاة ، بعد أن تعودت القراءة وتقدمت فيها ، لم تكن ــ مع فضولها النســـوى ــ لتقف في قراءاتها عند الكتب المدرسية المقررة عليها ، بل دفعها الفضول الى أن تعرف شيئا عن هذا الذى يخطر بقراءته أخوها ، وربما أبوها . وكان من الطبيعى أحيانا أن تسنح لها الفرص لاختلاس المطالعة في ما يقع تحت يدها من القصص . واذا حيل بينها وبين القصص ، كانت أمامها المجلات الاسبوعية المصورة التى لم تكن تتحدث عن بلادها فحسب ، بل تعكس بالكلمة والصورة حرية المرأة في معظم البلاد الغربية ، وهنالك الى جانب ذلك الاخبار المحلية المثيرة التى لها في الصحف اليومية مساحات كبيرة

وهكذا شاء القدر ، ان يكون تعليم الفتـــاة ، الذى دعا اليه الرجال أنفسهم في حيز ضيق لخدمة انانيتهم ، هو السبيل الذى هيأ للكلمة المطبوعة أن تحمل رسالة الحرية وراء الاسوار العالية والسدود المنيعة ، الى هؤلاء المحجوبات عن الحياة في البيت والمدرسة

الثقـــافة العصرية هى الدافع الحتمى لنزعة فتياتنا التحررية

كان من انتشار التعليم العالى للشبان ، وزيادة عدد المتخرجين المثقفين ثقـــافة عصرية في بلادنا ، أن ظهرت عندهم بطبيعة الحال الرغبة في أن تكون زوجاتهم على جانب من العلم والثقافة ، حتى يجدوا في بيوتهم الجو المناســـب لهم . فلا يضطرون لقضاء أوقات فراغهم خارجها كل ليلة - في المقاهى أو البارات ، وصالات الغناء وغيرها من الملاهى التى كانت منتشرة في القاهرة والاسكندرية خاصة ، ومن بعدهما في بعض المدن الكبرى .

وقد بلغ من شأن هذه الرغبة عند الشبان المتعلمين وقوة سيطرتها عليهم ، أن امتنع الكثيرون عن الزواج ، وصاروا يرجئونه ، بعد أن كان الزواج أول ما يفعلون بعد التخرج في المدرسة والالتحاق بوظيفة في الدولة ولو في أول درجاتها ، وأدنى مرتباتهـــا . وقد أدى هذا الاحجام من الشبان المثقفين عن الزواج بغير المثقفة من الفتيات ، الى ظهور نقص ظاهر في النسبة العامة للزواج في تلك السنوات .

وكان على الفتيات أنفسهن قبل غيرهن مواجهة هذه الحال بازالة أسباب الازمة، وهى قلة بضاعتهن من المقومات المعنوية مثل الثقافة العصرية والهوايات الفنية . وبالنظر الى عدم وجود ما يفى بهذه الفرص في المدارس العربية وقتذاك ، فقد وافق الاباء بناتهن على دخولهن مدارس البنات الاجنبية ليتعلمن الكثير أو القليل من اللغة الفرنسية التى كانت أحب ما يتكلم به النساء في العالم كله عند الرجال ، ولو كانوا بها جهلاء . والى جانب ذلك كانت الفتيات يتلقين دروسا خصوصية في عزف البيانو والتصوير المائى والزيتى وغيرهما من ألوان الفنون الجميلة .

بيد أن هذا التعليم الاجنبى للبنات لم يكن يقدر عليه الا القليل عدا الاسر الوفيرة المال . أما الكثرة من فتيات الطبقة الوسطى وعددهن قلة تتزايد كل عام من بنـــات الشعب ، فكان عليهن الانتظار ، حتى يدبر القائمون عندنا على شئون التعليم أمر تزويدهن بثقافة عصرية مماثلة . ولم تمض بضع سنين حتى افتتحت لهن في الدول العربية معاهد ثقافية خاصة بهن ، كما انشىء لمن شاء منهن معهد في بلادنا للفنـــون

الجميلة . ومن هذه المعاهد العالية تخرجت أكثر من واحدة من الاديبات والشاعرات فضلا عن النابغات في الفنون الجميلة ، ظهرت بواكير آثارهن الى جانب الرجال ، بين ثمرات المطابع في المكتبات ، وبين بدائع المعروضات في معارض الفن . وهذه البواكير على قلتها في بادىء الامر تعتبر آثارا باقية مذكورة حتى اليوم

ونحب ان نقول انصافا لفتياتنا من بنات الطبقة الوسطى وطبقة الشعب ، انهن لم يتخلين بعد ما حصلنه من التعليم الثقافي والفني عن مهام بيوتهن ، بل زدن عليها ما اخذنه على انفسهن بعد الزواج من الاسهام مع المدرسة في تثقيف بناتهن واولادهن .

ولا يفوتنا قيامهن بادخال تلك الظاهرة التي كانت مفقودة في الكثير من البيوت المتواضعة ، وهي الجو الثقافي الفني ، متمثلا ولو في صورة واحدة ، وخزانة صغيرة لطائفة من مختار الكتب من قديمة ومعاصرة ، واسطوانات للموسيقى الشرقية والعالمية او أشرطة لتسجيلها وسماعها ... وأهم من هذه المجموعة الثقافية الفنية ، ربة البيت المثقفة الفنانة نفسها

وهكذا كان تزويد الفتاة عندنا بالثقافة المصرية ، كافيا وحده في تلك المرحلة لتحسين مركزها عند الرجل ، فهي لم تعد خادمة بيته وشريكة فراشه فحسب ، بل هي ربة البيت وشريكة الزوج في حياته كلها . **انها للمرة الاولى تشارك رجلها في استقبال الزائرين ، وتصاحبه في بعض سهراته في الحين بعد الحين . وبذلك تكون الفتاة المصرية منذ هذه المرحلة ، قد فرضت على الرجل احترامها ، والاعتراف علانية بها في المجتمع،كما حققت لنفسها في خروجها معه شيئا من الحرية التي لم تكن لها ولكن امرا واحدا ظل يكدر هناء فتاتنا العربية المثقفة ، ويثير حسدها ويجرح كبرياءها ، سيان أكان الامر خليقا بكل ذلك او غير خليق .**

ذلك الامر ، هو ما كان ملحوظا من عودة معظم الطلاب العرب من بعثاتنا الدراسية الى البلاد الاجنبية ، ومعهم زوجات اجنبيات . ولا خفاء أن سبب الزواج بهن يرجع الى اجتماع الشبان والفتيات في نظام التعليم المشترك من الجنسين في الكليات هناك ، وفي بعض الحالات القلائل لوقوع الالفة بين أحدهم وفتاة من أسرة النزل «البنسيون» الذى قد يقيم المبعوث فيه سنوات ، ولم يكن يؤخذ على الطلاب والطالبات أن يكونوا أصدقاء داخل الكلية او خارجها على السواء ، وكذلك الحال مع سائر أفراد الجنسين على العموم . ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الخلطة والمعاشرة في اضرام الحب في قلوب شبابنا الذين لم تكن قد سبقت لهم مثل هذه التجربة في بلادهم . يضاف الى ذلك أن الزواج كان المرجع فيه الى الفتاة قبل كل شيء . ثم هو أمر من الناحية المالية سهل ، لان العريس غير مطالب باداء أى مهر ، كما كانت التحريات عنه مقصورة على ما يحمله من المؤهلات العلمية أو الفنية ولا تتعدى الى أهله ومقدار نصيبه بعد وفاتهم من الميراث .

واذا كنت أذكر هذا ، فلان فتاتنا المصرية أظهرت قريحة عملية تجاه هذه الحال، لما كادت تعرف حقيقة الملابسات ، حتى وعت الدرس حق الوعى ، فاعلنت في شجاعة مبدأ جديدا في تاريخ الزواج عندنا ، وهو قبول البعض النزول عن المهر الا خمسة وعشرين قرشا على سبيل الرمز لما يقضى به الشرع ، كما تخلصت من كل أو بعض موقفها السلبي في اختيار الزوج ، وتعلمت انه اذا كان الرجل يجب أن يكون هو الذى يسعى لاقتناص الفتاة ، فان للفتاة — على الاقل — أن تختار قانصها بأن تستلفت — كما لو كان عن غير قصد — نظره وتسترعى اهتمامه . لانها بذلك تقتنصه مع ايهامه أنه القانص ، كما فعلت وتفعل هؤلاء الزوجات الاجنبيات .

وهنا يجدر بنا التنويه بأن ما أفادته فتاتنا المصرية من التجارب في عالم المرأة ، وما حصلته من الثقافة ، مضافا اليهما جمال وجهها وسحر عينيها ، وما هو أندر من جمال الوجوه وسحر العيون وهو حظها العظيم من خفة الروح والانوثة الخالدة ، كل هذا مجتمعا ، جدير ولا ريب بأن يجعلها تحتل مكانها بين أجمل الجميلات ، مع تحفظ واحد ليس باليسير عليها ، هو احتفاظها بالقوام المشوق وخفة الوزن مع رشاقة المشية وتنمية الشخصية .

اذا كان في كل رجل «شهريار»
فلماذا لا تكون فتياتنا المثقفة « شهر زاد »

ليس يجدينا نحن الرجال ، أن ننكر ما هو واضح كالنهار . وهو أنه في الصميم من كل رجل منا « شهريار » . فالرجل على حقيقته أناني . فهو حين يطلب في الحياة المجد والشهرة ، انما يطلبهما أولا لنفسه ، ولا يرتضي التضحية ولو بشيء منهما في سبيل توفير الراحة أو السعادة لزوجته . وهو كذلك في الحب . ولا عبرة بما نقرأ خبره كل يوم ، عن محب قتل نفسه من أجل الفتاة التي يحبها ، فان ذلك ليس حرصا منه على مصلحتها ، بل لانه حيل بينه وبينها وهو لا يطيق الحرمان من المتعة بها ، بدليل أنه كثيرا ما يقتلها أيضا في الوقت نفسه كيلا تكون لغيره

ومن الامثلة على هذه الانانية التي تجعل الرجل لا يفكر الا في متعته ، قلة احتفاله في معظم الاحوال بما اذا كانت المرأة التي في حوزته تشاركه في المتعة أو لا تشاركه . ثم هذا الحرص من جانبه على أن يكون المالك الوحيد لها ، دون أن يرعى على الدوام حقها في أن تكون كذلك المالكة له وحدها . واذا ذكرنا غيرة الرجل على المرأة ، فلنذكر في الوقت نفسه أن هذه الغيرة ليست دائما بدافع حبها ، فقد يغار عليها وهو لا يحبها ، وانما من قبيل دفاع المالك عما يملكه امرأة كان أو عقارا ، فضلا عن دواعي الحرص أيضا على كرامته بين الناس ، من أن ينحط له جاه أو أن تسوء له سمعة أو يتهم على الاقل بالغفلة .

هذه الانانية التي أوضحنا صفتها ، هي التي كانت ولما تزل الى ما قبل سنوات معدودات ، هي وحدها التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة ، فهو دائما حريص على أن يجعل منها ـ ممتهنة كانت أو مدللة ، معذبة كانت أو منعمة ـ الجارية التابعة له ، المخلوقة لكي تخدمه وتمتعه .

في وجه هذا الاستعباد الذي كان الغالب لفظا مع بقائه معنى ، قامت الفتاة المثقفة عندنا ـ اقتداء بمن سبق من نساء العالم قبلها ، وقدوة لمن سيلحق بعدها ـ للتحرر من نوع تلك العلاقة الوحيدة بين الرجل وبينها .

وكان أمام فتياتنا مثال « شهر زاد » التي مكنتها ثقافتها الواسعة العميقة من أن تقيم علاقتها بالرجل الطاغية « شهريار » لا على الجسد وحده كما شاءت له حيوانيته ، بل على الجسد بعض الوقت في كامل انسانيته كما تريد هي ، ثم على الفكر والروح في سائر الاوقات .

وذلك أن الجسد وحده مع كل حرارته ، لا يربط الجنسين الا لحظة محدودة هي لحظة الشهوة الحيوانية أو بلغة عصرية « الجنس » . كما أن التفاهم الفكري والتوافق الروحي وحدهما وان طال امدهما ، لا يربطان الجنسين الا برباط فاتر الحرارة أو لا حرارة فيه وهو رباط الصداقة البريئة . أما العلاقة الحية الكاملة الصحيحة بين زوج وزوجة ، فلا تتحقق الا اذا كان بينهما الحب الحقيقي وهو المركب من الصداقة والجنس .

ولقد رأينا مع انتشار المدنية وكثرة المتعلمين ، كيف أصبحت عندنا ثقافة الفتاة في مقدمة مطالب راغبي الزواج من المثقفين ولا يبدو في هذا شيء عجيب . بل أيضا ـ وهذا هو الشيء العجيب الجدير بالتعقيب ـ من غير المثقفين من السادة الاقطاعيين أو غير الاقطاعيين الاغنياء ، فقد أخذوا يغالون بالمهور لاتخاذ زوجة مثقفة . لا تقديرا شخصيا لثقافتها ، بل للمباهاة في أوساطهم بها .

فالرجل من هؤلاء ، كان قد تعود قبلها هو وأمثاله صنفا آخر من النساء ، وهي المرأة التي لم تكن تعرف كيف يكون التسلط على الرجل الا الناحية الحيوانية وحدها ، فهي تتجه الوجهة المنحطة منذ أول وهلة فلا تخاطب منه غيرها . حتى لا تكاد تسمح لنفسها أن تضيع من وقته لحظة لاظهار ما اشتهرت به عندنا المرأة من الحياء والخفر ، بل تسبقه الى رفع الكلفة ، خالعة كل ربقة ، متجردة من كل حشمة ، متخلية عما للمرأة الحرة من كرامة وحرمة . وهذه المرأة تفسد الرغبة

الطبيعية الصحية في الرجال ، يمثل هذه العشرة التي تعتمد كل الاعتماد على اثارة الشهوة وحدها واطلاق العنان لها الى غير حد ، فتتحول الى عرس جنسي لا احساس فيه بالتخمة أو الشبع .

مثل ذلك الرجل ، الذي كان شديد الشبه بما صار اليه « شهريار » كان في واقع الامر ، في حاجة حقيقية ، لا مظهرية فحسب ، الى الفتاة المثقفة مثل « شهرزاد » فهي وحدها التي بتفوقها الثقافي المسلم به عنده تستطيع أن توقظ فيه تلك الجوانب الاخرى الانسانية التي سدت الرذيلة عليها المنافذ ، فكادت تخمد شعلتها النورانية وتخبو أنوارها الالهية الحية ، فاذا به بفضل عشرته للزوجة المثقفة قد شعر بما ينقصه وبالكثير الذي فاته ، فلا يلبث أن يشعر بذاته الانسانية فيستكمل صفاته الادمية ، فيعتدل مزاجه ، وتتفتح حواسه الباطنة على ما هو أرقى من الجسد وألطف احساسا وأبقى متعة .

فهل يسع ذلك الرجل الذي يمثل غير المثقفين في بلادنا ، الا أن يعلي صوته لنصرة قضية الحرية ، لمثل هذه الفتاة المثقفة التي اعترف بفضلها عليه ، **كما اعترف من قبله الطاغية الجبار « شهريار » ، بفضل « شهر زاد » التي هدته في الف ليلة وليلة ، الى ما وراء متعة الجسد ، من اشباع الجمال في الحياة للاستمتاع بالف شيء وشيء .**

نشوب خلاف بين المثقف والمثقفة

اخطر على المجتمع من الخلاف بين فلسفة وفلسفة

كان القياس المنطقي يقضي بان تكون نسبة النجاح في حالة زواج المثقفة بالمثقف ، أعلى منها في حالة زواج المثقفة بغير المثقف .

ولكن الواقع في الحياة ليس دائما كذلك ، للاسف .

فالمرأة عندنا بحكم كونها حديثة عهد بالثقافة ، يغلب أن تكون أشد اعتزازا بها من الرجل . ثم ان الرجل عندنا لا يهون على نفسه في أكثر الاحيان التسليم لهـا بالتفوق في الثقافة عليه ، وهي كذلك لا تسلم له بذلك . فلا بد أن تنشب الخلافات على هذا الامر ولكنها خلافات لا بأس بها ولا يخشى منها كبير خطر .

ولكن الخطر يكمن في ان فتاتنا المثقفة في اعتزازها بثقافتها تنسى ان الرجل بكل ثقافته لم تعده الطبيعة ليعرف الامومة . والامومة هي التي تربط المرأة بواله أولادها الذين حملتهم في احشائها ، اكثر من ارتباط الرجل بالمرأة لانها أم اولاده . ومن اجل ذلك كان الرجل المثقف ذو المزاج الفني اكثر قبولا من المرأة في ان يتسع قلبه لاكثر من نوع من الحب تبعا لتقلب أهوائه ، وتعدد جوانب طبيعته فهو لا يطلب أن تجتمع في المرأة كل مزية في الجسد والفكر والروح لكي يحبها ، على حين تحاول المرأة ان توهم نفسها بأن الرجل الذي احبته يجمع كل المزايا ، فاذا انصرفت عن حبه لسبب من الاسباب ، لجأت الى القول بانه خدعها عن حقيقة نفسه فاخطأ حكمها بسبب كذبه المتعمد ، وذلك لكي تجرده بعد ان تركته — غير صادقة في هـذه المرة أيضا مع نفسها — من المزايا كلها دفعة واحدة .

والواقع أن الحب عند المثقفين اذا كانوا من أهل المزاج الفني لا يصدر عن العقل ، بل هو شعور تلقائي وليد اللحظة — مثل ضربة الصاعقة — يحس به الواحد منهم على الفور أمام الجمال خاصة ، وذلك حين تقع في بعض الاحايين عينه الناقصة وذوقه الشخصي ، على ما يحلم به من نماذج الجمال ، وقد سنح له نموذج منها في صـــورة جديدة لامرأة يروقه قالب جسمها ، وايقاع مشيتها ، وغرارة لفتاتها ، ولطافة شمائلها ومعنى خفي في نظرتها ، وجرس غير مألوف في رخامة صوتها الى اخر ما هنالك ، فاذا — مهما يتمالك زمامه — تغلبه تلك المرأة على نفسه في تلك اللحظة قبل أن يفيق من دهشة المفاجأة ، فاذا به مفتون بها ، مفال بجمالها الجديد عليه . فينطلق كالصياد يجد وراءها يطاردها من مكان الى مكان ويلاحقها ، لا يألو جهدا في طلبها ، ولا يضن بمال في سبيل نيلها .

•• نزعة الحرية عند فتاتنا العصرية



الين كى

وقد يتكرر مثل هذا من الزوج المثقف وقد لا يتكرر . ولكن أمره على الحالين يدعو الفتاة المثقفة المصرية الى طول التأمل والتفكير .

ان هذا الزوج المثقف كان أمامه قبل زواجنا من هن أجمل منى ، ولكنه تزوجنى لانه يريد قبل كل شيء الفتاة المثقفة . فماذا جرى ؟ كيف لمثل هذه المرأة أن تفتنه زمنا غير يسير بجمالها الرخيص ، وهى — على عكس مايريد — غير مثقفة . بل هى فى مجتمعها المتخلف السخيف تزداد كل يوم جهلا على جهل ؟ وأنا — مع ثقافتى — حاكمة على أن أكون أكثر ثقافة ، ايمانا منى بما كان يردده هو ، بل كل الرجال ، فى كل مجال للحديث او الكتابة :

« الثقافة عند المرأة زينة الجمال ، بل هى البديل من الجمال فى كثير من الاحوال » .

هراء .. هراء .. رياء رجال .. « عملة » زائفة تتداولها الاجيال

لا حرية حقيقية الا فى ميدان العمل تحقيقا للاستقلال الاقتصادى عن الرجل

لم يبق أمام الفتاة المصرية — بعد أن فشل اتخاذها الثقافة زينة لها عند الرجل ترفع من قدرها ، وبديلا عنده فى بعض الاحوال من الجمال — الا أن تتخذ طريقا آخر للاطمئنان على مستقبلها مع الرجل فى الحياة على قدم المساواة .

كانت الفتاة المثقفة المصرية جادة شجاعة ، فلم تر غير طريق واحد ، هو أن تنتزع من يد الرجل السلاح الذى يشهره فى وجهها كلما حاولت خلع نير التبعية له ، واثبات وجودها المستقل والمطالبة باحترام حقوقها ، وهذا السلاح **هو حاجتها المادية الى الرجل لاعتمادها المادى عليه كليا فى جميع الاحوال مع استثناءات فردية لا تؤثر فى القاعدة العمومية** .

ولقد انبرت فتاتنا المصرية — بما هو معروف فى جنسها من الاصرار والعناد — مجاهدة فى تحصيل العلوم التى تؤهلها للدخول فى ميادين العمل . وكان فى مصلحة الدولة الاستجابة لها ، حتى لا تظل البلاد مع تخلفها محرومة من جهود نصف المواطنين وهم النساء ، مع حاجتها الى المزيد من العاملين فى مشاريعها الجديدة للتطور والنهوض السريع للحاق بالامم الاخرى المتقدمة فى مختلف ميادين الحضارة العالمية العصرية . فما كادت تفتتح لهن بعض المعاهد العلمية حتى تزاحمت عليها فتياتنا المصريات من

سائر الطبقات واكتظت بهن . وما كدن يتخرجن فيها حتى سابقن الشباب الى طرق أبواب العمل وهن مصممات على اقتحامها . وكان الرؤساء أول الامر فى شك من تحصيلهن العلمى ومقدرتهن العملية ثم جدية الرغبة عندهن فى حمل المسئوليات . ولكن فتياتنا اللاتى كن فى صحبة السنوات الاولى من الجهاد ، خضن التجربة بنجاح . وكان من شأن هذه النتائج المشجعة أن افتتحت لتعليمهن العلوم الاخرى . المعاهد تلو المعاهد ، فتكاثر عدد المشتركات منهن فى ميادين الاعمال .

ولما كانت الحركة النسائية التى نوطد أساسها عندنا ، قد اكتسبت أكبر قدر من الشعبية باشتراك المرأة لاول مرة فى المظاهرات الشعبية فى وجه بنادق جنود الاحتلال وقذائفه ، ثم استمر منذ ذلك الحين نضالها الى جانب الرجل فى كل القضايا الوطنية ، **فقد استجاب الرأى العام – حكومة وشعبا – لمطالب الفتاة العصرية فى المساواة بينها وبين الشبان فى جميع مراحل التعليم الى حد الموافقة على جعل التعليم مشتركا بين الجنسين فى مختلف الكليات فى الجامعات .**

وقد زادت تبعا لذلك فرص العمل أمام الالوف المؤلفة من الفتيات . فصار لهن القدرة على الاعتماد على أنفسهن فى كسب معاشهن . وبذلك وضعت الفتاة العربية العصرية . آخر الامر ، حدا لما كانت تفرضه عليها طبيعة ظروفها المادية من الخضوع الاضطرارى لقبول التبعية للرجل والتسليم بسيادته على بنات جنسها . فلا غرو اذا قلنا إنه فى هذا العهد وحده من جميع العهود ، بدأت فتاتنا العربية العصرية ، بفضل استقلالها الاقتصادى عن الرجل مهمعا بالحرية الكاملة الحقيقية .

واستأذن الرجال فى القــول ، انه أصبح من الواجب عليهم كذلك ان يذكروا عهد حرية اخواتهم بالحمد ، فهذه الحرية اذا كانت قد افادتهن ضمان الكرامةوالامان فى ظل الاستقلال الاقتصادى ، فقد افاد منها الرجال مشاركة الزوجة العصرية لهم فى النفقة على البيت والعيال بعد أن كانوا يحملون هذا العبء وحدهم ، ولا اظنهم يكابرون فى انه عبء كانوا سينوءون تحته لا محالة ، فى احوال الاقتصاد العالمى الحاضرة .

واخيرا الحرية الجنسية وهــل تصبح مطلبا للفتاة العربية العصرية

والآن ، وقد تحققت الحرية الكاملة الحقيقية للفتاة العصرية ، بحكم نزولها الى ميدان العمل والانتاج على قدم المساواة مع الرجال فى كل شىء حتى الاجر « وهذا لم تصل اليه المرأة فى البلاد الغربية نفسها » ، مما حقق لها ما لا مزيد عليــه من الاستقلال الاقتصادى الذى ضمن لها – كما قدمنا – خلع نير التبعية للرجل .. فماذا تراها معتزمة بعدها ؟

ماذا تراها معتزمة بعدها ، وهى – تحت أنظارنا وبالمساعدة الفعلية من التقدميين منا – قد قلبت نظام المجتمع الذى كان قائما على سيادة الرجل . كما عارضت – على مرأى ومسمع رجال الدين فى بلادنا – التسليم حتى بما جاء به القرآن الكريم من أن للرجال على النساء درجة ... وفى هذا وفى ذاك للفتاة العصرية الكفاية وفوق الكفاية لارضاء نزعتها للحرية . فهل هى منتهية ؟

الواقع ، اننا نعيش – شئنا أو لم نشأ – فى هذا العصر الذى أثار فيه العلامة النمسوى « فرويد » الاهتمــام العميق بما يســمى « **علم الجنس** » ، وقد أبى العلامة الا التوسع الى غير حد فى تفسير الحياة ، فى اليقظة أو فى المنام مع الاحلام ، فى حالة الوعى أو الوعى الباطن او اللاوعى ، فى الاساطير والديانات القديمة ، فى الادب والفن ، فى كل هذه وغيرها تفسيرا جنسيا أولا وآخرا . وقد أحدثت هــذه النظرية أثرها العميق فى علوم شتى وعلى الاخص فى علم النفس وفى الطب وفى أصول التربية ، ومن ذلك ما أفتى به رجال التربية عندنا من وجوب ادخال ما أسموه « التربية الجنسية » ضمن المقررات الدراسية فى المدارس ، فضلا عما شاع من تناول الموضوعات الجنسية فى الصحافة العالمية وبالتالى بعض صحفنا اليومية ومجلاتنــا الاسبوعية ، حتى أصبحت هذه المطبوعات – وهى أوسع وسائل الاعلام انتشارا – تعنى بدرجات متفاوتة بأخبار الفوضى الجنسية التى تجتاح العالم ، مع غلبة عرض

مشاهدها المخزية علينا في الافلام السينمائية وبعض التمثيليات المسرحية . وهذا كله ، الى جانب ذلك الطوفان من الانتاج الادبي الفنى الذى أعرض عن الرومانتيكية التى كانا غارقا فيها ، الى المذهب الواقعي أو الطبيعي ، كما نراه في الصور العارية الكثيرة في معارضنا الفنية ، وكما نقرؤه في انتاجنا الادبي سواء في القصة أم في الشعر أم في غيرهما تحت شعار « الادب المكشوف » أو « الادب الوجودى » أو غير ذلك من الشعارات .

ونحن اذا تذكرنا بعد كل الذى ذكرناه ، اننا لا نعيش هنا — نحن الرجال — وحدنا ، بل يشاركنا في هذه الحياة العصرية نصفنا الاخر وهم النساء ، وعلى الاخص الفتيات المراهقات المصريات ... اذا تذكرنا ذلك ، لم نعجب من عدم اكتفاء بعضهن بما حصلن عليه أخيرا في بلادنا الشرقية المحافظة — باسم التقدمية — من واسع الحريات ، ومنها اختلاط الجنسين حيث التعليم المشترك في الجامعات ، والمبالغة في الازياء من تعرية الساقين الى ما فوق الركبتين وما الى ذلك . ولكننا في الايام الاخيرة ، لا نملك الا أن نعجب كيف أخذ البعض — اذا صح ما ترامى الينا — يرددن علانية من التساؤلات ما كان ترديدها سرا ، وفى نطاق النجوى بين الصديقات في خلواتهن .

ونكتفى من هذه التساؤلات بما يلى :

— لماذا التفرقة بين الرجل والمرأة في وجوب احترام الالتزامات التي تفرضها رابطة الزوجية ، فلا تقع المؤاخذة الا على الزوجة وحدها ، اذا هي خرجت عليها ذات مرة ؟

— لماذا لا يكون للمرأة التي يخونها زوجها ، الحق في خيانته على مبدأ القصاص . العين بالعين ، والسن بالسن ، والبادى أظلم ؟

ونحن أولا نحمد الله ، أن ليس وراء مثل هذه التساؤلات ما هو شر منها ، مثل دعوات بعض المتطرفات في القارة الاوربية ، واشهرهن بالاعتدال مع ذلك الكاتبة السويدية « **الين كي** » في دعوتها الى الحب الحر ، فضلا عما يمارسه دون حياء بعض الجماعات مثل الهيبيز في الولايات المتحدة الامريكية من الاباحة الجنسية .

ونحن اخيرا ، لا نأبه لما قد يزل به من الشطط في احتدام المناقشات لسان احدى الفتيات ، لاننا نؤمن الايمان اليقين ، أن الفتاة العربية العصرية اعرق في العروبة اصلا من أن تنحرف فطرتها السليمة الى حد الا تجد من تترسم خطاه في البلاد الغربية او القارة الامريكية ، غير هذا البعض من شواذ النساء المتطرفات ، ومن الجانحين من الرجال المنحطين . كما اننا نؤمن الايمان اليقين بأن الفتاة العربية العصرية من اصالة الرأى بحيث لا يمكن أن يغيب عنها ، انه لا يمكن عمليا ان يقوم على الفوضى الجنسية واختلاط الانساب ، بنيان الاسرة التي تعتبر المرأة نفسها بحكم الامومة المقدسة المسئولة الاولى التي تحمل قبل الرجل شرف هذه المسئولية الكبرى ، فضلا عن أنها — بحكم ثقافتها — تعرف حق المعرفة أن الاسرة التي تحتمل مسئوليتها ، هي الوحدة التي يتألف منها ومثيلاتها كيان الامة الحية ، من حيث تركيبها العضوى وعمرانها الاجتماعى .

كلمة ختام

هنا ، وقد بلغت من كلامى في تفسير « نزعة الحرية عند فتاتنا المصرية » الى الختام بعد الذى كشفت عنه من أنانيتنا نحن الرجال ومسئوليتنا ، وألقيت بالقلم بعيدا وهممت بتسليم المقال ... استوقفنى هاتف من داخل نفسى كالهمس ، لا من ناحية العقل بل من ناحية القلب ، يناجينى أن أتقدم الى فتياتنا العربيات المصريات بهذا الرجاء :

« رجائى — مهما بلغ الاعتراف لكن بما كان ، وما قد يكون ، من الحقوق التى لا تدع بينكن والرجال من فروق — الا تذهبن بعيدا في استعمال هذه الحقوق ، حتى لا نحرم — نحن الرجال — من أن نجد فيكن دائما النصف الحلو منا : النساء »

إبراهيم المصري

كلمة هادئة

"السر" في غيرة المرأة

الغيرة عند الرجل ، تصدر عن شعور ورائي بملكية المرأة ملكية مطلقة، كما تصدر عن ضرب من الهوس الجنسي ،يلقى في روع الرجل أن محاسن امرأته لامثيل لها ، وأن أبصار الرجال لا تنفك تنهبها ، وأن أقل تساهل أو تهاون في الذود عنها لابد أن يلوثها .

هذا الشعور هو الذي يستأثر بالغيور ، فيوقظ خياله ، ويلهب شكوكه ، ويضرم وساوسه ، ويجعله كالبخيل الملهوف لاتطيب له الحياة إلا إذا حام أبدا حول كنزه ، واطمأن على متاعه الغالي من عبث اللصوص ...



إلى الفتاة العربية



ومع ذلك فالغيرة أشد وطأة من البخل وأنكى عاقبة . **اذ البخيل يحرم نفسه وأهله ويجد في الحرمان متعة . أما الغيور فلفرط امعانه في التمتع بامرأته ، لا يستطيع أن يتصور هذه المتع ملكا لآخرين . فيضطرب ويحار ،** ويخاف ويرتعد ، ولا يجد بعد متعة الحيازة المطلقة متعة أروع ولا أعمق من متعة الاستبداد والتنكيل . فتراه يحب امرأته ثم يضطهدها ، يتعلق بها ثم يعذبها ، يحببها الى مختلف رغباتها ثم يتقاضاها الثمن غاليا من صفوة احساسها وخالص كرامتها

فالغيور ضعيف ، ضعيف الثقة بتأثيره ، ضعيف الثقة بسلطانه ، ضعيف الثقة بعقله وذكائه وقدرته على الاحتفاظ بالمرأة . لذلك يعتقد انه بالغيرة يتفوق ، وبالغيرة يحترس ، وبالغيرة يصون ..

اما المرأة فغيرتها تصدر عن عوامل وبواعث أخرى ، نبسطها فيما يلي :

لا ريب في ان المرأة سيئة الحظ جدا من الناحية النفسية . فهي لا تستطيع ان تطمئن الى صداقة المرأة ولا تستطيع ان تطمئن الى حب الرجل .

لصديقتها قد تحسدها ، وتمكر بها ، وتضللها ، ولا تجد غضاضة في أن تسلبها زوجها او حبيبها .

والرجل بما طبع عليه من الانانية وحب التمتع قد يخونها أيضا ويغدر بها .

فالمرأة محرومة من نعمة الطمأنينة في الحب ، ومن نعمة الطمأنينة في الصداقة . وهذا الحرمان يولد في نفسها الحذر والغيرة من النساء جميعا ، والحذر من الرجل زوجا كان أم حبيبا والغيرة الشديدة عليه .

وما دام الحذر مادة حياتها ، فهي مضطرة ان تعيش في قلق دائم وخوف مستمر . وهذا القلق المشوب بالخوف هو مبعث غيرتها .

ثم هي لفرط احساسها بضعفها الطبيعي ، ولهفتها على الزواج والأمومة ، وحاجتها الى رجل يصونها ويحميها ، لا تستطيع مهما حاولت ، أن تتحرر من شعور القلق والخوف بصفة دائمة مطلقة .

فهي تخاف على نفسها ، وعلى سمعتها ، وعلى مستقبلها ومستقبل ابنائها ، خوفا يولد فيها غيرة على

الرجل اساسها الرغبة في الاستقرار والامن .

بيد ان المراة لا تغار مدفوعة بعامل الخوف ورغبة الاستقرار فقط ، بل مسوقة ايضا باحساس الكرامة اي بكبرها الانثوي الذي يصور لها انها اجمل وافتن من غيرها ، وان في وسعها ان تمنح الرجل من محاسنها اضعاف ما تستطيع أن تقدمه عليه اية امراة غيرها .

والواقع ان اعتداد المراة بمحاسنها لا بد منه لمكافحة خولها واضطرابها وقلقها . فالرجل قوي وحضر ومتقلب وانانى ، ولا سبيل الى الحرص عليه الا بالمراة معتدة بنفسها ، معتزة بمحاسنها ، ولو بلغ هذا الاعتداد حد الحماقة ، وهذا الاعتزاز حد الزهو والغرور .

فالمراة تغار وتتعذب لشعورها بالضعف امام الرجل ، والضعف امام الطبيعة ، والضعف امام المجتمع ، والضعف امام كل مخلوقة اجمل منها ، ولشعورها فوق ذلك بأنها مجبرة على مكافحة جميع الوان الضعف هذه للتفوق على اترابها ، والاحتفاظ بالرجل الذي لو خانها وعبث بها فلا بد ان يذل انوثتها ، وينتهك كبرياءها ، ويشهر بضعفها ، ويجعل منها مادة لشماتة النساء وسخريتهن وتعبيرهن .

فالحرص على الكرامة يلعب دورا كبيرا في اثارة غيرة المراة . الا كرامة المراة لا تتحقق الا بقدرتها على الاحتفاظ بالرجل . فمتى خانها الرجل او شرع في خيانتها ، جردها امام الناس من هذه القدرة التي تؤكد كرامتها ، اي جردها من امضى سلاح لها ، واحال فتنتها الشربة الى عدم ، وابتلاها بجنون الالم وجنون اليأس وجنون الغيرة .

فغيرة المراة والحالة هذه تصدر عن عوامل ثلاثة : الكرامة الشخصية ، والمصلحة الخاصة ، ومصلحة الاسرة ومستقبل الابناء . فهي اذن غيرة انانية وغريزة ، لم يتحكم فيها التصور الشهوي المقرون بحب الذات وغريزة الملكية كما يتحكم في غيرة الرجل .

والحق أن غيرة الرجل لا تحتمل الخيانة بل تدفع بالرجل في الغالب الى الانفصال عن المراة التي خانته أو الى



قتلها اذا كان مشبوب العاطفة جامح الكبرياء . أما المرأة فليس من السهل عليها أن تنفصل عن زوجها متى خانها او تفكر في قتله . اذ المهم عندها أن تكيد لغريمتها ، وأن تتفوق في النهاية عليها ، كي تسترد الرجل منها ، وتبقيه لاولادها ، وتصون بوجوده مستقبلها ومصيرها . لهذا تحتمل المرأة في الغالب خيانة الرجل مهما عذبتها الغيرة . تحتمل الخيانة في سبيل الذود عن مكانتها ، والحياة في كنف ابنائها ، تربيهم بنفسها وتتقدم من أيدي الغريبة الدخيلة السارقة .

فغيرة المرأة ترمى في النهاية الى حراسة النوع وخير الاسرة ، وان اتخذت في شكلها الظاهري طابع الانانية .

وهذا ما يجب أن يفهمه الرجل كيلا يظلم المرأة بل يحاول جهده أن يلطف من غيرتها ، بأن يودع الطمأنينة في قلبها بحسن معاملته ، واستقامة مسلكه ، وحنانه الغامر عليها ، واخلاصه الدائم لها .

وما يدل ابلغ الدلالة على ان الغيرة النسوية تهدف في جوهرها الى البناء لا الى الهدم والى الاتصال لا الى القطيعة ، **ان المرأة لا تكره في الغالب الرجل الذي خدعها . بل تشعر ان خديعته تضاعف من قوة حبها له .** كما تشعر في الوقت نفسه ان كفاحها لاسترداده يلهب حبه في صدرها بقدر ما يلهب عوامل الحقد والكراهية نحو غريمتها .

فثورة المرأة الغيور تتجه نحو غريمتها اكثر الف مرة مما تتجه نحو الرجل الذي خانها . وهي تثور على غريمتها لتتفوق عليها آخر الامر كما ذكرنا وتحتفظ بالرجل الذي تحبه وان كان قد خدعها .

ومع ذلك فكفاح المرأة للاحتفاظ بالرجل غير مضمون النجاح . اذ الرجل قد يخونها ثم ينصرف عنها برغم كفاحها ، أو قد يشرع في خيانتها وهي لا تدري ما اذا كان سيمضي في الخيانة فعلا أم يتهيبها ، وما اذا كان سيكتفي بخيانة عرضية أو يتورط وينساق في خيانة جوهرية قد تهدم لجاة حياة المرأة وتقوض صرح الاسرة ومستقبل الابناء .

فهذا الشك الدائم . بل هذا القلق المروع العميق هو السر فيما تلحظه على كل امرأة من غيرة دائمة متربصة متحفزة . ولكن هذه الغيرة الدائمة التحفز لا تشتد وتقوى وتجنح الى المبالغة والتجسيم والتهويل الا عند المرأة الضعيفة الشخصية ، القليلة الحيلة ، المفتقرة الى الثقة بنفسها او المصابة بنقص في طبيعتها ، او نقص في اخلاقها ، او نقص في محاسنها .

فهذه المرأة لا تكاد تحس أن زوجها او حبيبها قد جاوز الحد بعض الشيء في مجاملة سواها او التلطف مع غيرها ، حتى يختم القلق والخوف على بصرها وبصيرتها . فتسرع في الشك والاتهام ، ويجمح بها خيالها فيصور لها ان خطرا وشيكا يتهددها . فبدل ان تنظر وتحقق ، وتتئد وتفكر ، وتلاحظ وتقدر ، تنتابها الريب والوساوس .. فتبدو لها الحركة العارضة شبهة ، والكلمة البريئة تهمة ، والابتسامة التافهة خدعة . فيثور ثائرها ، ويجن جنونها ، ولا تجد الراحة والخلاص الا في نفس عاطفة الغيرة التي تأكلها وتأكل من حولها ...

والعجيب في هذه المرأة انها لا تشعر في تلك الاحيان بما تحدثه غيرتها الطائشة من أثر وبيل في نفس الرجل . بل تتملكها حالة شاذة يخيل اليها معها ان **القلق**



عناية ، والشك اخلاص ، والارتياب وفاء ، والغيرة حب ، في حين يشعر زوجها أن القلق وقر ، والشك اهانة ، والارتياب اتهام ، والغيرة وصمة ومرض ولعنة .

فمتى بلغت المرأة هذا الحد من الغيرة دلت على أن أعصابها قد افلتت من رقابة ارادتها ، وخيالها افلت من رقابة عقلها ، وكرامتها انحطت وتضاءلت ، وصغرت في نظرها . وعندئذ تصبح غيرتها مرضا مستعصيا وتصبح هي التي تقصي زوجها عنها ، وهي التي تدفعه الى غيرها ، وهي التي تحطم بيدها حياتها ومستقبلها ومستقبل ابنائها .

فلكي تصون مثل هذه المرأة بيتها ونفسها ، وتتغلب على شيطان الغيرة الذي ما يفتأ يتربص بها ، أسوق اليها هذه التوجيهات التي أرجو أن تنعم النظر فيها وأن تأخذ بها ما استطاعت في حياتها الزوجية :

أولا : لا تعتقدي ان الرجل دنيء النفس وانه وان كان متزوجا فهو لابد أن يسعى وراء كل أنثى ولا بد أن يغدر ويخون . **الرجل يقدم على الزواج وهو لايفكر في خيانة امرأته** . ولكنه اذا احس بنقص عميق في أخلاقها ومواطفها ، أو بنقص عميق في نظام الحياة البيتية الذي هيأته له ، فهو قد ينحرف على مضض منه وقد يفكر في الخيانة كي ينطلق ويفرج عن نفسه . فابحثي عن مواطن النقص في شخصك وفي بيتك واستكمليها ، قبل أن يفطن اليها زوجك ، ويشعر بقيمتها ، فيتمنى لو أن في مقدوره أن يستكملها على امرأة أخرى .

ثانيا : اعلمي ان الرجل مخلوق نزاع الى الحرية بطبعه ، وأن الحرية فيه شيء أصيل لا دخيل ، بل هي عنوان رجولته وحافز جهاده . فاذا أحس ان زوجته توشك أن تستعبده بغيرتها ، عز عليه ان يفقد رجولته وحافزه ، فيثور بالرغم منه وقد يحطم في طريقه زوجته وبيته وحياته كلها .

ثالثا : كوني قدوة لزوجك في كل شيء ثم ثقي به . ومتى شعر هو بقيمة فضائلك واحس انه رجل مكفول الرجولة والحرية الشخصية ، خجل من نفسه وخجل من سوء استخدام حريته ، وبادلك ثقة بثقة ، واخلص لك الاخلاص المنشود .

رابعا : اذا اتفق ورأيت زوجك يسرف في التودد الى امرأة ، فاكبحي غيرتك جهدك ، ولا تدللي بغيرتك على انعدام

ثقتك بنفسك وعلى نقص جاذبيــــة محاسنك بوصـــفك انثى . **كونى هادئة ومعتزة بكرامتك** ، يقدر زوجك سلطانك وقوتك ويزداد متهافتا عليك . اما اذا استرسل مع ذلك فى التودد الى تلــك المرأة واستــــلحها امامك ، فلا تنفعلى ولا تغضبى بل استملحيها أنت أيضا مثله وابتسمى . وهكذا يصبح الاعجاب بها مشتركا بينك وبين زوجك . لتفقد المرأة الغريبة سحرها فى نظره لانها تكون قد أثارت اعجابك دون أن تــستطيع اثارة غيرتك .

خامسا : لاتخافى من النساء الجميلات بل **اثبتى امامهن** ، وقابليهن جميعا بروح مرحة واعصاب راسخة ونفس مطمئنة ، بحيث تجبرين اجملهن واخبثهن على ان تحترمك وتهابك ، وتشعر شعورا عميقا ان من المحال عليها أن تفكر ولو لحظــة واحدة فى امكان التفوق عليك والتطلع الى زوجك .

سادسا : لا تقولى لاية امرأة انك شقية فى زواجك ، ولا تصارحى اية امرأة باية متاعب يجلبها اليك زوجك ، والا دللت على انصراف قلبه عنك . فأطمعت النساء الخبيثات فيه ودفعتهن دفعــا اما الى الاكتفاء بمغازلته اثارة لغيرتك ، واما الى اقتحامه ومحاولة سرقته منك .

سابعا : اعلمى ان كل زوجة ضعيفة لا تكاد تشعر ان زوجها قد اتصل بامرأة غيرها ، حتى ترتعد فرائصــها ، وتعتقد على الفور أن زوجها قد ينفصل عنها فى اى وقت ، وقد يتنكر لواجبه الزوجى والابوى فى اية لحظة ، وقد يدمر حياتها فجأة ويتبع خليلته دون ما وازع من خلق أو ضمير . فهذا الخوف الطارىء هو الذى يفقد تلك الزوجة توازنهــــا ، ويفقدها ملكة الحكم الهادىء على الاشياء ، ويولد فى نفسها غيرة جامحة مروعة تفسد أخلاقها ، وتشوه شخصيتها ، وتحيلها بين يوم وليلة الى مخلوق ثائر فــظ غليظ .

وهكذا تختم الغيرة على بصرها وتحول بينها وبين ادراك حقيقة العوامل التى تجول فى نفس زوجها .

والواقع انها لفرط غيرتها وخوفهــا ، لا تستطيع ان تفهم ان زوجها يجتاز فى علاقته الاثيمة ازمة نفسية خطيرة ، وانه مهما كان متعلقا بخليلته فليس فى مقدوره ان يضحى بامرأته بســهولة ، وليس فى مقدوره أن يتطلع بسهولة الى حيــاة جديدة وزواج جديد . فهو اذن حائر قلق مضطرب ، يفكر فى خليلته مرة ،



ويفكر فى زوجته وأولاده وبيته ومستقبله مرات .. يود أن يغامر فيحجم ، ويود أن يتقـــدم فيتقهقــــر ، ويود آخر الامر أن يجد فى امرأته نفسها ، فى أخلاقها ، فى تصرفاتها ، فى أســـلوب معاملتها له ، أسبابا وجيهة لنفره منها ، وتبغضه فيها ، وتشعره بأن الحياة قد باتت مستحيلة فى صحبتها ، وانها هى ، هى التى تدفعه دفعا الى الانفصال عنها . فاذا أجال البصر فيها عندئذ ، فالفاها وقد عصفت بها الغيرة ، فظة الطبــع غليظة القلب عصبية ثائرة متمـــــردة ، اتهمها بسوء الخلق ، واتخذ من أخلاقها السيئة ذريعة للتمادى فى غيه وللتفكير الجدى فى طلاقها ، وفى التزوج بخليلته .

وهكذا تمكن الزوجة الحمقاء زوجهـــا منها وتمنحه ما يبرئ به نفســـه على حسابها ، وتسلمه بغيرتها السلاح الذى به يطعنها !..

وعندى ان خير وسيلة تلجأ اليهـــا الزوجة فى مثل هذه الظــروف هى ان تعكس الآية الثالثة فى معظم النســاء ، وتجاهد ما وسعها الجهد فى ســـبيل ان تكون على نقيض ما يتوقعه زوجها منها ، بحيث لا تعطيه اية فرصة للطعـــن فى اخلاقها . وذلك بان تصبر ما استطاعت وتكتم غيرتها ، وتلوذ بحكمة العقل ورقة الطبع ودماثة الخلق ، ومضاعفة البذل والتضحية من اجل قرينها وبيتهـــا واولادها .

وأنا اعلم ان هذا الجهد شاق وعسير ، ولكنه هو وحـــده الذى يحمى البيت والاسرة ، وهو وحده الذى يمكن ان يوقظ ضمير الزوج ، ويشعره أن امرأته لامطعن فيها ، وانها مخلوق طيب كريم بريء لا يستحق ان يظلم ولا يستحق ان يضحى به من أجل نزوة عابرة ، ونزوة عارضة ، وفتنة امرأة غريبـــة لاتزال مجهولة الخلق والعاطفةوالشخصية

على ان الزوجــة لو فشلت برغم جهادها ، وانفصل عنها زوجها وتبـــع خليلته ، فستخرج هى ولا ريب من هذه المعركة بريئة النفس طاهـــرة الذيل ، لا تتهم نفسها ولا يتهمها انسان بأنهـــا قد دمرت بحماقة غيرتها صرح بيتهـــا ومستقبل اولادها ، بل يعجب الـــكل بصبرها وبذلها واستمســاكها بشرفهـــا ، مما يمكنها من التطلع فى سهولة ويسر الى زواج آخر تجدد بوساطته حياتها .

فاذكرى هذا كله ، واذا شئت اتقاء الخطر الاكبر الذى قد يحطم بيتك فى غفلة منك ، فاياك ان تطمئنى كل الطمأنينة الى صديقتك ، واياك أن تذهبى فى صداقتك لاية امراة الى أبعد من حدود المجاملات الاجتماعية الشائعة . اعــرفى الحد الذى تنتهى عنده الصداقة ويبدأ بعده التدخل والتسلل والاتصال الحميم المرهوب . تجنبى هذا الاتصال الحميـــم جهـدك ، واعلمى ان الصـــديقة التى اصطفيتها ورفعت الكلفة بينك وبينها ، قد تكون هى التى تغدر بك يوماوتخدعك . فلا تدعى زوجك يألف رؤية صديقةبعينها ويعتاد الجلوس اليها والتحدث معهـــــا والتأمل فى محاسنها ، فالعـــادة قوة مستبدة .. وانت اذا مكنت لهذه القوة فى قلب زوجك ، فقدته وقضيته بنفسك على نفسك .

فضعى هذهالتوجيهات نصب عينيك ، واذكرى فوق ماتقدم ودائما وابدا ، أننا عندما نغار على من نحب غيرة انسانية معقولة ، حيثما تعلقنا به ورغبتنـــا فى المحافظة عليه وتوقنا الى مضـــاعفة سعادته ، يزداد هو حبا لنا واستمســاكا بنا . اما اذا اسرفنا فى غيرتنا عليه فلا بد أن نشعره بأنانيتنا واستبدادناوطغياننا، وعندئذ نثيره علينا ، وندفعه الى كرهنا، والى محاولة الانسلاخ عنا وتحطيم القيود التى كبلناه بها . وفى مثل هذه الحالة تصبح الغيرة رذيلة عقيمة اى عديمـــة الجدوى فى تقريب الحبيب الينـــا وحمله على التعلق بنا . وهكذا نفقده ، وقـــد نفقد فى الوقت نفســه مستقبلنا وحياتنا .

د. علي الراعي:

في عام ١٩١٤، كتب الروائي والكاتب المسرحي جون جولسويرذي الى صديقه ادوارد جارنيت يعلق على رواية د . هـ . لورنس المعروفة : « ابناء وآباء » بقوله : « ليس من الكياسة في شيء ان ننفق الوقت والمداد في وصف المشاعر والحركات البدنية التي يأتيها اناس يمرون بمرحلة الدمامة . اننا نعرف هذه المشاعر جيدا . ان الجسد لا يهم في شيء ، وكلما اسرع لورنس بتبين هذا كان الافضل له . انظر الى الاسماء التي تقسم بها في ميدان الرواية (تولستوي، وتورجينيف ، وتشيخوف وموباسان وفلوبير واناتول فرانس . كلهم تبينوا هذه الحقيقة . ومن ثم استخدموا الجسد هونا ما في اعمالهم ... استخدموه كي يكشف الستر عن الروح . »



د. هـ. لورنس

■ وجوهر هذا الاعتراض يوجهه **يحيى حقى الى نجيب محفوظ** حين يتحدث من **الثلاثيـــة** فى كتابه الأخير : « **عطر الاحباب** » . ان نجيب محفوظ – عند يحيى حقى – يتناول الجنس تناولا جامدا ، غير مؤد ، ليقع بهذا فى محظور فنى وخلقى معا : يصف « **المشاعر والحركات البدنية التى يأتيها الناس وهم يمرون بمرحلة البهامة** » ، ويكتفى بهذا ، لا يجاوزه الى خلق معنى آخر للجنس – كقوة اخصاب – كلذة خلق – كرمز للارض والزرع – كعمل اجتماعى يناله الثواب ولا يفلت من العقاب

لهذا يجد يحيى حقى **ان الجنس عند نجيب محفوظ قبيح وليس جميـــلا . فاضح وليس نيرا . يفضى الى طريق مسدود ، بدلا من أن يقود الانسان من المتعة الحسية الى المتعة العقليـــة فالمتعة الروحية**

ومن الطريف أن يحيى حقى يعقد مقارنة بين ثلاثية **نجيب محفوظ** ورواية : « **الاخوة كرامازوف** » **لدستويفسكى** ، على أساس من تشابه يجده فى هيـــكل العملين . شخصية **ديمترى** فى « **الاخوة** » تقترب من **يس** . وشخصية **اليوشا** بها بعض الالتقاء مع شخصية **كمال** ، وان كان الاب عند دستويفسكى بغيضا بينما هو عند نجيب محفوظ محبب الى الناس

ثم يمضى يحيى حقى ليقـــول : أن دستويفسكى جعل من استغراق ديمترى فى اللذة الحسية مأساة انسانية تهتـــز لها القلوب . بينما سوى نجيب محفوظ او كاد بين مصائر أبطاله ، مهما اختلف موقفهم من **اللذة الحسية** : يس الذى يسيل لعابه لرؤية اية امرأة ، يتساوى مع فهمى الذى التفت الى مطـــالب عقله قبل مطالب الجسد ، ومع كمـــال الذى فلسف الجنس بصورة تتراوح بـــين الفن والفلسفة

وكان من نتائج هـــذه التسوية ان ضاعت على الثلاثية لحظة هامـــة من لحظاتها ، تلك التى رضى فيها السيـــد عبد الجواد بأن تكون عشيقته السابقة زوجة لابنه وسيدة لداره . ويجد يحيى حقى أن اعمال نجيب محفوظ للمذرى

جنس صحيح وجنس مريض

العميق المترتب على هذا الرضا ، هو الدمامة بعينها ، لانه يسوى بين مايهبط بالانسان وما يسمو به

قلت آنفا ان من الطريف ان يعقد يحيى حقى هذه المقارنة بين ثلاثية نجيب محفوظ و « اخوة » دستويفسكى ولم اذكر وجه الطرافة . فالان اذكره : ان جولسوبردى فى رسالته الى ادوارد جارنيت يختم حديثه بحاشية يقول فيها : « **لعنة الله على هؤلاء الشباب جميعا . انه ما يتحلب ريقهم امام دستويفسكى** » . وبهذا ادرج جارنيت الشاب لورنس « كان اذ ذاك فى التاسعة والعشرين » بين عبدة الكاتب الروسى ، الثائرين اثره « القذر » ! ..

فمن جهة : هذا جولسوبردى يسب لورنس لانه ينحو نحو دستويفسكى فى الافراط فى الاهتمام بالجسد . ومن جهة اخرى هذا يحيى حقى ينعى على نجيب محفوظ انه لم يسم بالجنس على نحو ما فعل زميله الروسى الكبير

وهذا التناقض ليس له من تفسير الا ان للجنس استخدامات كثيرة فى الادب ، وليس استخداما واحدا

فمثلا : الرد على اتهام جولسوبردى ل . د . هـ . لورنس ، ميسور اليوم ، ولم يكن كذلك فى عام ١٩١٤ . **ان لورنس كان يرى فى الجنس رمزا للتحرر من القيود الكاذبة** . وكان ينظر حواليه فيرى الاوروبيين يرسفون فى اغلال الاكاذيب الخلقية ، والمواقف التقليدية الجامدة يداورون بها نفاقهم ، وعريهم الخلقى ، والفصامهم السرى فى شرور يتبرءون منها فى العلن . انهم يعاملون الجنس على انه سوءة ينبغى سترها ، بدلا من مفخرة وآية من ايات الله فى خلقه ، ينبغى التمتع بها علنا فى جو صحى ، وهواء نظيف وشمس ساطعة

وكان لورنس يربط بين سوء استخدام الاوروبيين للجنس وبين نقص فى حيويتهم وضعف فى صلتهم بنبع الحياة الاكبر : وهو الشمس . ومن ثم ، **فلون الاوروبيين الابيض هو انيميا طبيعية ، تعبر عن قلة الدم فى العروق ، اذا ماقيس بدماء الشعوب الملونة ، بين اصفر واحمر واسود** . والتماس الاوروبيين فى حضارة مادية آلية يقابله تحرر الشعوب البدائية من براثن الالة ومن النظم الاقتصادية المبالغة فى التنظيم . وقوة الانسان الحقة وحيويته تتضخم وتعظم كلما امعن فى البعد عن الحضارة واوغل — فى الزمان والمكان — متجها الى البدائية المنعشة الخلاقة

ووسط هذا العالم الحيوى الذى رسمه لورنس لنفسه والمعجبين به ، وجعله مثلا أعلى ، يقف الجنس بوصفه الصلة الرئيسية بهذه البدائية الخلاقة ان الجنس فعل وطريق ورمز . ومن هنا تأتى صيحة لورنس المشهورة : « **المهم ان نحيا هنا ، على الارض ، الان ، ومن خلال الجسد** » . فلا بديل لهذه الحياة فيما تقدمه الحضارة الاوروبية ، ولا ما تعد به الفلسفة المثالية من حياة اخرى فى عالم المثل ، ولا ما يقدمه العقل من عزاء عن حياة الجسد . ان هذا كله عملات وبدائل مزيفة ، تخفى العجز وراء الفضائل المزعومة

وواضح من هذا البسط السريع لاراء لورنس فى الجنس ، ان هذه الاراء لاتمت بشيء الى الدمامة التى شكا منها جولسوبردى وان لورنس لا يقصد الجسد لذاته ، وانما لما يعد به من تحرر والدماج فى ذات الكون الاولى ، وقد شاء لورنس ان يجد الطريق اليها عبر الجسد ، كما يجد الصوفى الطريق الى الله من خلال العشق الحسى المفضى — فى النهاية — الى عشق الروح

وقد نوافق على هذه الاراء كلها او بعضها . وقد نراها مفرطة فى التفاؤل والتبسيط . ولكن النظر العميق اليها جدير بان يدفع عنها تهمتى الدمامة وعبادة الشهوة معا

* * *

اما الجنس عند نجيب محفوظ فما اظن ان به دمامة ، وان كان به بعض التفريط . وهو على كل حال لا يكشف عن نظرة استوائية كما يقول يحيى حقى او حيادية كما افضل انا ان اقول

ان الثلاثية تكشف عن مواقف محددة يقفها نجيب من التمتع الحسى الذى ياخذ ابطاله الرئيسيون باسبابه بمقادير متفاوتة .

وستجد هذه المواقف لو رحنا نفتش



دستويفسكي



يحيى حقى



نجيب محفوظ

عنها عبر الثلاثية كلها ، وليس فى لحظة واحدة عابرة . فان الثلاثية ليس بها مثل هذه اللحظة الواحدة وانما بها لحظات

هناك — مثلا — اللحظة التى يخرج فيها السيد عبد الجواد من بيت أم مريم متلفعا بالظلام ، لتتلقفه أيدى جنود الاستعمار البريطانى وترغمه ارغاما على العمل فى سد حفرة كبيرة كان الوطنيون قد حفروها لتسقط فيها عربات الانجليز . ان السيد عبد الجواد نفسه لا تفوته المهانة التى تعرض لها خلال هـــذا الحادث ، فنراه يتجـــه بأفكاره الى اسرته ويتساءل : هل يتصور افرادها ما آل اليه حاله من هوان ، وهى التى لم تره الا جبارا ، عزيزا ، جليلا !

وقد يتسلح السيد عبد الجواد بحسه الفكاهى ، وبخفة ظله ، وبواقع ان الواجهة التى يبنيها لنفسه ويختفى من ورائها تنجح فعلا فى أن تتستر عليه . ولكن هذا كله لا ينفى ان نجيب يأخذنا الى ما وراء الواجهة ، وانه يجعل من خفة ظل السيد عبد الجواد عاملا مخففا فقط ، وليس حكما بالبراءة على ما يأتيه السيد من افعال . وأدانة نجيب محفوظ للسيد هى — بعد هذا — أوضح فى الحالة التى اوردها يحيى حقى من رضا السيد بأن تكون عشيقته زوبة زوجة لابنـــه وسيدة لداره ، ولكنه رضا العاجز وليس رضا الراضى . أن قصة واضحة تشمل هذا الرضا وتشيع فيه المرارة

ومع ان اجزاء كبيرة من الثلاثية تبرز المفارقة الواضحة بين اقوال السيد عبد الجواد وافعاله ، مما يكشف فيه ظاهرة الرياء الاجتماعى ، فان نجيب محفوظ لا يقف معه عند هذا الحد . انه لا يلبث ان يكشف له ان ابنه كمال ينحو نحوه فى « اللهو الخفى » ، والتلفع بالاحترام

الظاهر . وعبثا يحاول السيد عبد الجواد أن يفر من الحقيقة التى يكشفها له على عبد الرحيم . وعبثا يدهش ويتزعج ويصيبه الذهول حين يعلم ان كمال يتردد على بيت جليلة العالمة ، عشيقة السيد عبد الجواد السابقة . ان شيئا من العدل الالهى يتعقب افعال احمد عبد الجواد ، ويجازيه عنها الجزاء الكافى

أما يس فانه من الجنس فى الموقف الكوميدى الذى يوجد فيه من لا يملك امر نفسه ، ما أن يرى انثى حتى تحدث داخله تغيرات جسدية لا يستطيع حيالها الا أن يندفع . الجنس عنده فعل ورد فعل . وهو لا يملك دفع الفعل ولا تجاهل رد الفعل . انه من جهة ينتمى الى المفرطين الكبار فى اللذات من امثال فولستاف ، ومن جهة اخرى الى حيوانات هكسلى الآدمية التى تخيلها فى واحدة من رواياته ، وجعل الجنس عندها مجرد تغير كيماوى فى داخل الجسد ، ما يكاد الذكر منها يقترب الانثى حتى يندفع الاثنان الى الفعل فى حتمية الية تشبه ما نجده من نتائج مؤكدة حين نضع السوائل فى انابيب الاختبار

ومن السهل توجيه تهمة الافراط الى يس ، غير ان ما به من حيوية ، وخفة ظل وتأخر فى الادراك يخفف من وقع التهمة عليه ، ويدفع عنه كثيرا من الدمامة التى كانت خليقة أن تكون من نصيبه لو كان شخصا جادا ، يفعل ما يفعل من ادراك كامل ، وتصميم مسبق

فاذا انتقلنا الى فهمى ، وجدناه يتسامى بالجنس ويصب قوته الدافقة فى العمل الوطنى ، بينما يبنى كمال للجنس صرحا شامخا من الفن والشك والتشوف ، يعلو به عن لذته فى حبه ، ويرقب منه مستقبلا افضل ، يستطيع فيه أمثاله ان يحلوا العقدة ، بدلا من أن يلقوها جانبا

على انى لا أود ان انكر ما يوجهه يحيى حقى للثلاثية من افراط فى الانشغال بالجنس : **افراط يتخذ شكل التكرار تارة ، وشكل الالحاح فى الوصف تارة اخرى . وهو افراط لا يبدو ان نجيب ينكره ، او يعجز عن تلافيه ، وانما هو يستخدمه راضيا . اوشك ان اقول مستمتعا !**

غير ان الجنس فى الثلاثية يمثل لونا واحدا فقط من استخدام نجيب محفوظ لهذه القوة الدافقة ، ان له مدلولا اجتماعيا واضحا فى رواية « **فضيحة فى القاهرة** » حيث الشر الاجتماعى يتوسل بالمتعة الحسية كى يبقى

وهو فى « **بداية ونهاية** » نوع من المفارقة الساخرة من المجتمع تتمثل فى أكوام من اللحم البشرى تباع وتشترى فى حى البغايا ، ويجلس وسطها حسن ، الموغل فى الخطايا حتى قمة رأسه ، ومع ذلك فهو الشريف الوحيد بين أفراد أسرة المتحفين بشرف ظاهرى لا يجاوز السطح

وهو فى الرواية ذاتها قوة اجتماعية تعنى السيطرة قبل كل شيء وتتمثل فى عبارة حسنين المشهورة : « **ما اجمل ان املك هذه الفيللا وانام فوق هذه الفتاة .. ليست شهوة فحسب ولكنها قوة وعزة ... اذا ركبتها ركبت طبقة بأسرها !** » ..

وهو فى « **اللص والكلاب** » واحد من حوافز الثورة . وفى « **الشحاذ** » بديل من اليأس والاستسلام يفضى — مع هذا — الى اليأس والاستسلام !

وهو فى « **ثرثرة فوق النيل** » صرخة احتجاج عاجز ، وملاذ لجماعة من المتبرمين ، او الخارجين ، او العادين ، او الثوار السابقين

وهكذا يمايز نجيب بين جنس وجنس ، ويجعل لكل وظيفة محددة

* * *

وقد جعلت عنوان هذه المقالة : « **الجنس صحى وجنس مريض** » . وأوردت نماذج



د. لطيفة الزيات

من الجنس الذى تحسبه العين ، للنظرة الاولى ، مريضا ، يسعى الى عبادة المتعة الحسية ويغفل عن الوظيفة التى تكون المتعة جزاء حلوا لكل من اداها

غير ان بأدبنا العربى ، بين شعبى ورسمى ، ما هو أكثر دلالة على النظرة الصحيحة للجنس ، بوصفه قوة كبرى تعمل فى خدمة الحياة

والمثل الاول للجنس الصحى الخلاق اختاره من الف ليلة ، التى تعج بدنيا كاملة من الوان الجنس وصنوفه ، بين

هابط وسادج وشاذ ، وحلو حلاوة الحياة ذاتها ! ومن النوع الاخير الحادثة التالية :

نحن فى الليلة الثانية والعشرين ، وهذا **حسن بدر الدين** قد اختلى بعروسه ست الحسن ، بعد طول العناء ، وافضى اليها بحقيقة ما كان يحول بينه وبينها حتى ذلك الحين . فهى لعبة قرد هو وأبوها أن يلعباها دفعا لعيون

الحاسدين : لعبة التظاهر بتزويجها من السائس الاحدب القبيح الخلقة . وها هى ذى اللعبة قد انتهت ولم يعد يفصل بين الحبيبين شىء

« فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وابتسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت : والله لقد اطفات نارى فبالله خذنى عندك وضمنى الى حضنك »

لم يدور بين العروسين من بعدما يدور بين كل عروسين . يصفه القصاص الشعبى دون عقد ، ويورد تفصيله فى كلمات واضحة تشمل كثيرا مما يعد اليوم من المحظورات . ولكن النفس لا تنكره مع ذلك لان الجو الذى يدور فيه الحدث حر طليق . هذا عريس

يدخل بعروسه ، فأى عيب فى أن تتجرد له ويتجرد لها ؟ وماذا لو نظر اليها ، فتنته صفاء جسدها ؟ وماذا لو وجدانه العروس فاتنا وشهيا فى قميصه الرقيع ،

الطرز بالذهب فجذبته اليها وجذبها بدر الدين اليه ، ليجدها من بعد درة ما لقيت ، ومطية ، لغيره ما ركبت ؟

الجنس هنا صحى كما قلت ، موضوع فى خدمة الحياة . تشمله طوبة وفكاهة تحولان بين وصف الفعل الجنسى وبين ان يكون : « مشاعر وحركات بدنية ، يأتيها الناس يمرون بمرحلة الدمامة »

عكس هذا بالضبط ما يتخلف لنا من احساس ونحن نتخيل العريس الشاب وهو يدخل بعروسه . عواطفنا معه ، وشعورنا متسام فوق الحدث بحيث يسمح بالتأمل والفكاهة . فنبتسم مع القصاص الشعبى وهو يرمز الى الفعل الجنسى بصورة المدفع الذى يصوبه الى القلعة ، ويطلق فيهدم البرج ، ثم وهو ينتقل من هذا الى وصف ازالة البكارة مستخدما صورتى الدرة التى ما ثقبت والمطية التى ما ركبت .

* * *

ومثل ثان نجده فى رواية لطيفة الزيات : « الباب المفتوح » . بقعة من الدم فى مريلة التلميذة ليلى تكشف من حقيقة مركزية فى حياة كل بنت : انها قد بلغت مبلغ النساء !

تهز هذه الحقيقة الاولية البنت ليلى من الاعماق . وتغير علاقاتها بأهلها وبصديقاتها : « اندفع خوف غامض فى جسد ليلى وهمت بالاندفاع الى احضان جميلة ولكنها لم تندفع . هزت جميلة رأسها .. ونظرت الى ليلى نظرة طويلة حزينة

« حدث لليلى ما حدث .. وبما من الصباح . لم تحس بتعب أو قلق او خوف . بالعكس شعرت أنها خفيفة وانها تريد أن تجرى وتضحك وتدفن رأسها في أزهار الحديقة . شعرت أنها قوية وأنها ذكية وانها تستطيع أن تسبق زكية في الحساب »

« سيعرف ابوها الآن . سيعرف حتما . ستخبره أمها . ترى ماذا يقول؟ سيفرح طبعا كما فرح عندما بدأ الشعر ينمو في ذقن أخيها محمود . اذ ذاك

استوقف ابوها محمودا وجذبه تحت النافذة في الضوء ونظر اليه طويلا نظرة خيل الى ليلى معها أن اباها لم يعد يقف على الارض بل يطير بمحمود عاليا . ثم تورد وجهه وضحك ضحكا طويلا بلا سبب »

هذه هي اللحظة الحاسمة في حياتي بنت وولد . اللحظة التي تستفتح حياة جنسية تتعلق عليها الامال في أن تكون مثمرة . تتلقاها البنت — لاول وهلة — بالحفاوة التي تليق بها . وبالشعور الغامر بالسعادة . وبالخفة النشوى التي توشك أن تكون نزقا . وتظن ان غيرها سيلقاهامثلهذا اللقاء سوان الاذن بالبلوغ — الاعلان بأن الزهرة قد أصبحت الآن مهيأة للاخصاب يلقى في حالة البنت ما يلقاه افصاح الطبيعة عن بدء الرجولة في حياة واحد من أفراد الجنس الاخر المتاز

وليلى ، رغم القلق والخوف ، وحزن من أحاط بها من رجال ونساء ، تريد أن تكبر .. ان تكبر !

فهذا مثل اخر من جنس يريد ان يتفتح ، ويزدهر ويؤتى الثمر ،ويفرح به صاحبه بوصف انه نعمة من نعم الله ، لولا أن مجرى الجنس عندالمرأة غير صاف . لا يخلو قط من كدر ، في مجتمع صنعه الرجال كي يعيش فيه الرجال ، ونسجن فيه النساء : رهائن وغنائم لطلاب اللذة ، والباحثين عن السلطان

ويقودنا هذا الكلام للحديث عن الصورتين الاخاذتين اللتين يقدمهما الطيب صالح للجنس . الصحىوالجنس المريض في روايتيه « عرس الزين » ، و « موسم الهجرة للشمال »

و « موسم الهجرة » تمثل النظرة الشرقية التقليدية للجنس : نظرة الذكر الفاتح ، الذى يغزو القلاع النسائية ، تأكيدا لسيطرته ، وانتقاما — في المخدع — لما يلقاه خارج المخدع من مهانة . ان مصطفى سعيد — مثل حسنين في « بداية ونهاية » — يريد أن يركب السلطة عن طريق النساء . يرى في الجنس تعويضا عن الضعة . جنسه من النوع المفترس ، الذى يلتهم المرأة ولا يؤاخيها . هو شهريار مثقف .وطنى عربى شرقى يريد أن ينتقم من الغرب لما أوقعه بالشرق من هزيمة واذلال .على المستوى الشخصى هو كازانوفا ودون جوان وفولبونى ، وغيرهم من الضعفاء في الجوهر ، اللذين سعوا الى الانتقام من الضعف والحرمان بتخريق عينى الدمية والقائها في الجمرة وسط سحب البخور وتراتيم السحر وطقوسه .الود متوحش لا يفتر من الطراد . وورق شجر متعفن الرائحة في غابات افريقيا

وعلى المستوى العام راى مصطفى سعيد في جذبه الجنسى لنساء الانجليز وسيلة للتحرر الوطنى . قال ذات مرة:

جنسا صحيح وجنسا مريض

ساحرد افريقيا عن طريق عضوى التناسلى ! غير أن اللقاء الجنسى الوحيد الذى قدر له فى الرواية ان يتخذ شكل صراع بين أسود وبيضاء كان أقرب الى حب وحشى بين الطرفين ، مثلت الطرف الابيض فيه تلك النمرة المفترسة

المسماة جين مورس ، التى استدرجت مصطفى سعيد الى طقس غريب من طقوس اللذة ، يمتزج فيه الجنس بالدم

فى وليمة واحدة تذكرنا بما نسمعه اليوم ونقرؤه فى مذابح الهيبيز – وبالاخص مذبحة شارون تيت ورفاقها

هنا يأخذ مصطفى سعيد وجين مورس بمفهوم د . ه . لورنس للجنس كقوة بدائية جبارة ، تخاطب اعماق الناس فى ضراوة وتأخذ بخناقهم أخذ عزيز مقتدر،

وتظهر منهم جوهر الجسد والروح معاً والواقع ان المشهد الذى تستسلم فيه جين مورس لزوجها مصطفى سعيد من رضا وطيب خاطر ، بعد طول نفور ،

وقسوة ، وحب مقلوب ، ليذكرنا ببعض ما كان لورنس يصفه فى اعمال مثل : « الثعلب » حيث الجنس قوة كالقدر ، لا دافع لها ، ولا مهرب من اثرها اذ يسلب الناس الارادة وينومهم تنويما

ورغم الجوانب المريضة الواضحة فى

صورة هذا الفاتح الجنسى ، فان الطيب صالح ينجح فى تخفيف حدة اعتراضنا عليه ، وتقززنا من أفعاله . يفعل هذا بأن يجعلنا نغوص فى اعماق مصطفى

سعيد . انه تارة شهريار – كما يذكر الطيب صالح نفسه ، وتارة اخرى هو عطيل – كما يوضح المؤلف ايضا فى مشهد الاستسلام الذى تقدمت الاشارة اليه .

وبين هذا وذاك ينطلق مصطفى سعيد كالعبقرى المجنون ، فنرى فيه ايضا صورة من الملك ريتشارد الثالث ، الذى دفعه قبحه ووضعه الاجتماعى الذليل

الى سبى المرأة وراء المرأة – كلما وقعت له واحدة منهن ، تهللت نفسه الكئيبة وارتاحت وانتقلت بعد الفرح الى غزو تال اخر

وعكس هذه الصورة تماما نجده فى رواية الطيب صالح الاخرى : « عرس الزين » .

ها هنا محب اخر للحياة وللجمال الانثوى . ولكنه حب صحى مائة فى المائة . ان الزين يحب المرأة لانه يحب

الحياة ، يحب المرأة طول الوقت ولا يتوزع اهتمامه بها ما بين حب وكره كما كان يفعل مصطفى سعيد

والزين مشوه هو الاخر – من ناحية الخلقة .. ولكنه لا يحمل للناس اصرا . ولا يسعى للانتقام من أحد .. وحين تحسن له الحياة فتختار له البنت « نعمة » – أجمل فتيات البلد –زوجة، يكاد يجن من الفرح ، ولكن صوتا فى

داخله يقول له : بل انت تستحق البنت فعلا . بل انت كفء لها

هذا الصوت هو صوت الزين نفسه. انه يعلم ان سوء خلقته لا يعدله الا جمال نفسه . لهذا استوت أعماله جميعا . وأحبه الناس كلهم . ولم تنكر

عليه بنت أن شبب بها وزغرد لها . بل تضاحكت النساء كلما كانت يد الزين تمتد الى اجسادهن مداعبة أو قارصة !

ويوم تزوج الزين من نعمة ، رقصت البلدة كلها فى عرسه .

والفرق بين العملين بعد هذا ، واضح: ان « موسم الهجرة » تتحدث عن

حمى الجنس . تدق طبوله العالية الصوت : تحرق فى ناره البخور والاجساد . تعوى به وتفح .

اما « عرس الزين » فهى ترشفه رحيقه وتشم عطره ، وترش سكره

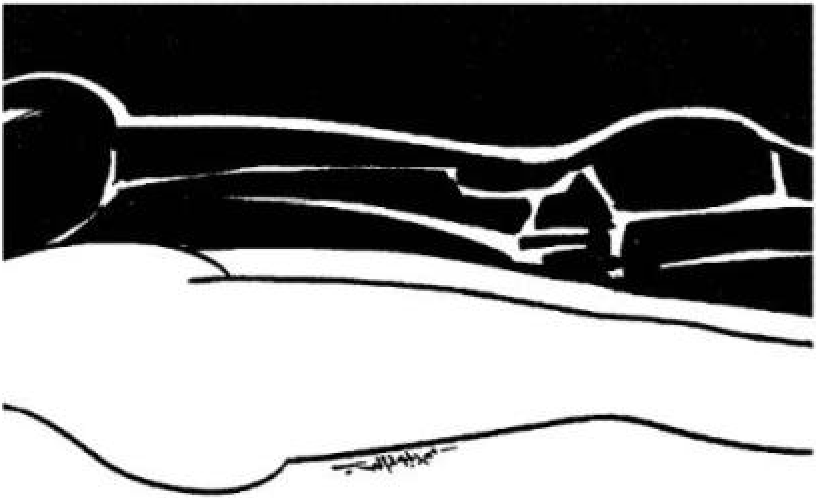
الجنس فى « موسم الهجرة » هو جنس لورنسى مرفوع الحرارة الى درجة الغليان ، ومضاف اليه الهوى مافى الف ليلة من اثارة

اما « عرس الزين » ، فانها تنبع من جمال وصفاء عرس حسن بدر الدين وست الحسن بنت الوزير ، فى الليلة الثانية والعشرين من ليالى الف ليلة !

● عبد المنعم الجداوى ●

نماذج من الجرائم الجنسية

لذة القتل عند حواء



حينما يترسب فى ذهن المرأة ان نقاء اللذة من المرارة لن يتأتى الا بخلاصها من زوجها ، وتملكها الأكد والمستديم لشريكها الذى تمكن من منحها اللذة المشتهاة لها دون غيره .. تقدم على القتل .. مدفوعة برغبتها اللاشعورية فى التماك ممارسة « لساديتها » فى تعذيب زوجها . و « ماسوشيتها » فى القاء نفسها تحت قدمى العشيق . .



فى مصر الجديدة

فى جريمة الهرم الرابع التى وجدت فيها جثة الزوج ممزقة بطعنات نافذة ، وملقاة عند الهرم الثالث . كانت الزوجة فيها قد حرضت العشيق على ارتكاب جريمته ضد الزوج بغية التخلص منه رغم انه كان يعلم مدى العلاقة التى بينها وبين عشيقها ، وقد اعترض عليها فى اول الامر واختلف معها حولها ، ووصل الخلاف الى حد الانفصال ، ولكنهما عادا بعد عامين لطعهما لايسمح بالطلاق .. وخلال كل هذا كانت الموارد المالية للزوج آخذة فى الهبوط ، بينما يغطى العشيق الجانب الاكبر والاشق من مصروفات الزوجة والاولاد ، ولم تكن عودة الزوج الى ممارسة الحياة مع زوجته مشروطة بفسخ علاقتها مع العشيق

بل العكس ، هي التي اشترطت عليه الا تكون علاقتها بالعشيق مجالا لاحتكاكاته وان يتقبل وجوده في البيت كواقع لا مفر منه ، اذا كانت له رغبة في مواصلة الحياة معها .. ورغم أن الزوج شقيق ممثلة معروفة الا أن ظروفه السيئة فرضت عليه القبول ، واندفع هو في الطريق الى نهايته ، فكان اذا اشترى العشيق فستانا لزوجته طالبه هو الآخر ببدلة جديدة ، ولكن ليس بالشكل الذي قد يتبادر الى الذهن – اي انه لم يصطنع البلطجة – كان فقط يحاول أن يشبع رضاه وموافقته في صورة فعلية وعلنية .. ورغم هذه الموافقة فقد حرضت الزوجة على قتله ، وقتله العشيق مستعينا ببعض عماله . غير أن فكرة القتل والتخلص كان منشؤها الزوجة ..!

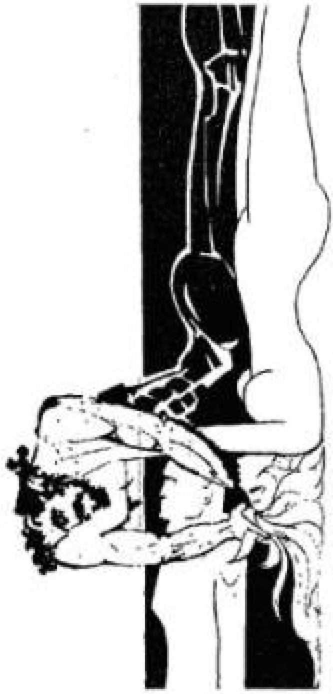
فالزوجة كانت في حوالي الخامسة والثلاثين .. خريجة الليسيه .. مرمرية الجسد .. رائعة القوام .. لها طلعة انثوية كأنها مجموعة نساء .. في عينيها رغبة صاخبة تكاد الأذن تسمعها .. أنجبت ثلاثة أطفال . الا أن الأمومة فيها كانت تزيد من أنوثتها وتعمقها كالفاكهة الناضجة .. أما العشيق فكان يصغرها بسنوات .. تزوج ولم ينجب .. لم حرم نفسه على زوجته نتيجة لظروف نفسية شديدة الغرابة .. فقد كانت زوجته صديقة لشقيقته الكبرى وزميلة لها في الدراسة .. ومن هنا أحبها وتزوجها لشدة الشبه بينها وبين شقيقته

الى حد ان بعض الناس كانوا يظنونهما توأمين ، وبعد الزواج بسنوات مرضت شقيقته وماتت متأثرة بمرضها .. وغرق الشاب في أوهام وأحاسيس عجز عن الخروج منها .. فقد أصبح لا يطيق أن يغلق عليه مع زوجته باب واحد فهو يرى فيها صورة طبق الأصل من شقيقته المتوفاه .. وزاد من عذابه أن زوجته من حسن نية كانت تعلق لشقيقته صورة كبيرة في غرفة النوم .. ويوما بعد يوم فقد قدرته على الصبر لمجرد رؤيتها في غرفة النوم .. وكان يسرع الى اطفاء النور بمجرد دخوله الغرفة . حتى لا يرى وجهها .. فاذا حدث وأضاءت النور لأمر من الأمور .. قفز من سريره وانهال عليها ضربا وفسر هاربا من الدار كلها ليبيت في الخارج .. وحاول الطلاق أكثر من مرة ولكن ديانتهما كانت تحول دون ذلك ..!

وكان عليه أن يجد لنفسه مخرجا من هذه الورطة النفسية يتلاءم وظروفه التي يعيشها . حتى لو كان انحرافا . فهو لا يرى حسما للمتناقضات والتوترات التي يحياها الا أن يبحث عن عشيقة يعطيها ما عجز عن منحه لزوجته بحكم ظروفه ، ويأخذ منها ما لا يجد في نفسه القدرة على الحصول عليه من زوجته رغم ضرورته له وأهميته ، وفي عنفوان محنته النفسية هذه التقى « جان » بـ « تريزا » زوجة « جورج » فتاه احدى قريباته ، ومن النظرة الأولى أدرك انها في حاجة الى شيء عنده ، وانه في حاجة الى الاف الاشياء عندها ..!

ضغوط مالية

أما « تريزا » فكانت برمة بعلاقتها الزوجية التي كانت تجتاز سنتها العاشرة .. ضجرة بالروتين اليومي ، والميكانيكية التي يتعامل بها معها زوجها .. وكانت السن تتقدم به الى جانب عمله المرهق الذي كان يستهلكه . فقد كان يعمل في لحام الأوكسجين .. وسنواته التي تقترب من الخمسين تثقل كاهله .. واشتدت عليه عاهة الصمم فجعلت من الحديث معه مشقة تدفعها الى البحث عن شخص آخر تدير معه حديثا ممتعا يفتح الطريق الى متع أخرى .. وخلال هذه العشرة الطويلة تفاقم احساسها بالفارق الثقافي بينها وبين زوجها ، وفي كل مرة تنظر الى المرآة يزداد ايمانها بأنها في حاجة الى جواهرجي مدرب يلتقطها . يدرك قيمتها ويعد لها العلبة الحريرية اللائقة بها . هذا الى جانب الجو العام الذي يحيط بها والحسد الذي تراه في عيون النساء لجمالها ، والرجال الذين يتهافتون عليها بنظراتهم ، والضيق المادي في تقديرها الذي بدأ يضغطها مع زيادة متطلبات أطفالها ، ومتطلباتها من



لــــذة القــتـــل عنـــد حـــواء

الثيـــاب والعطور والحلى .. أما هو فكانت العلاقة فى نظره هى الحل الامثل الذى يجب أن يعترف به المجتمع الذى يحتويه .. وأسقط نهائيا زوجتـه من حسابه .. وان كان قد أبقى على الحياة معها امتثالا فقط للشكل الذى يحتمه الدين ..!

وحينما سألناه عن سر تمسكه بالعلاقة معهـا رغم انهـا كانت متزوجة أجاب :

أحسست معها أننى أرتوى لاول مرة .. رغم أنى عرفت قبل زواجى الكثيـرات وبعده .. أعطتنى متعة لم أشعر بهـا طول عمرى .. مجرد رؤيتها كانت تحشد فى رجـولتى وكأننى فى العشرين .. ثم بدأت تشرب نطاقا حولى وتغير على حتى من زوجتى ..!

وأجاب عن سؤال ـ كيف قضى ليلة الحادث قائلا : ذهبت اليها .. أخذت معى طعاما وفاكهة وشرابا كالعـادة .. قلت لها أن « جورج » قتل منذ ساعات خلف الهرم الثـالث .. شربنا وخلال الشرب أكلنا .. وكانت دافئة . رائعة .. نفاذة العطر .. تتحرك فى بحيرة من النور الاحمر .. وألقيت بنفسى اليها .. ولقفتنى . التهمتنى .. أطـلقت أصـابعها تتحسس وجهى وشعرى .. وتعتصر وجنتى بيديها وهى تمتص فمى .. كأنها تشربنى منه .. قلت لها وأنا فى قمة نشوتى أريدك .. وهمست هى من قلب عطرها .. خذنى ، امضغنى ، ابتلعنى اذا استطعت .. اخترقنى واسكن داخلى .. حتى أشعر أنك لن تؤخـذ منى .. فهذه أول ليلة أقبض كفى عليك دون أن تظل احدى أصابعى مفتوحة .. وشعرت فى لحظة أنها توشك أن تذيبنى من شدة التصاقها لكى تمزجنى بها ..!

وسألناه لماذا فكرتما فى قتل « جورج » ما دام لم يعترض على علاقتكما ؟

وكان جوابه : أنا لم أفكر اطلاقا فى ذلك .. فى كـل مرة كانت « تريـزا » تتسلم ذروة الانسـجام معى تبكى ، وأسألها وهى بين أحضانى .. فتقول أنها تبكى خوفا على .. وأنهـا تشعر بأنها مهددة بالحـرمان منى .. مجـرد وجود « جورج » كان يجعلها غير مطمئنة

.. وترتعش . ويشيع صــوتها .. واسألها لماذا ؟؟ وتجيب ان وجوده فى حياتها يجعلنى خارجها .. وهى تريدنى حياتها كلها .. وتريد منى كل حياتى ..؟

ـــــ ضغوط نفسية ـــــ

واود ان أعود الى حديث الزوجةوهى تقول عبارتها . انا هذه اول ليلة اقبض كفى عليك دون ان تظل احدى اصابعى

مفتوحة » هذه العبارة تؤكد ان مــوت زوجها او اختفاءه نهائيا من حيــاتها



يعطيها الاحساس الاعمق بالملكية غــير المزعزعة لشريكها فى اللذة بالرغم من زواجه باخرى . فالذى يعنيها بالدرجة الاولى هو شعورها هى بهذه الملكية . اما ملكية الغير له فلى وسعها أن تــسقطها من حسابها .. اما وجود زوجها فيذكرها كل لحظة بانها لاتملك شريكها لانهــــا مملوكة للزوج . حتى وان كانت رافضــة

لهذه الملكية كارهة لها ، وليس فى وسعها ان تسقطها من حسابها لانها ماثلة امام عينيها تلهبها بسياطها وتذكرها بنفسها فى كل لحظة ، وتتسلل الى أعمق أعماقها لتفسد عليها اسعد لحظات حيــاتها ، وتجعل الالام التى تصيبها من لقائها مع شريكها اضعاف اللذة التى تحصل عليها

.. نتيجة لاحساسها بأنها لذة باطلة كما يقول افلاطون « فاللذة كالتفكير يمكن أن تكون حقا او باطلا » وفى كل يوم يترسب فى ذهنها أن تلك اللذة من المرارة التى تعلق بها لن يتأتى الا بخلاصهــــا من

زوجها ، وتملكها المؤكد والمستديم لشريكها الذى تمكن من منحها اللذة المشتهاة لها دون غيره .. وهى بذلك الاحســـاس

مدفوعة برغبتها اللاشــعورية فى التملك « لساديتها » فى تعذيب زوجها واحتقاره و « ماسوشيتها » فى القاء نفسها تحت قدمى العشيق ..!

وهنا يقفز سؤال لابد منه .. هل ما صدر عن هذه المرأة يمكن أن يصدر عن امرأة اخرى تجاه زوجهــا مع اختلاف البيئة والثقافات والعلاقات ؟؟

والجواب ليس ســهلا .. فالاجابة تتطلب بعض الحذر ، فالتحريض على قتل الزوج او محاولة التخلص منه ليس الا اختارته الزوجة بكامل وعيها بعد المفاضلة بينه وبين حلول أخرى .. والا كان للثقافة والمحتوى الاجتماعى دخــل كبير فى الاختيار .. ولكنه تمل تحتمه رغبتها الشديدة الكامنة فى « اللاوعى » والتى تلح وتضغط بصفة مستمرة حتى تنتصر فى النهاية ، ويتحقق لها ملكية العشيق .. وليس ادل على ذلك من أن

ما فعلته « تريزا » خريجة الليسيه هو نفس ما فعلته « نجاح » في « ملوى » ، وما فعلته « نبيلة » في « قنا » ..!

الزوج اول من يعلم

و « نجاح » زوجة نشأت في معقل التقاليد في بلدة اسمها « تنده » مركز « ملوى » محافظة المنيا ، وحينما ارتكبت جريمتها كانت في حوالي الثلاثين لها اربعة اطفال اكبرهم في السابعة .. ممتلئة .. بيضاء . بضة الجسد ..

مستديرة الوجه .. في عينيها ضعف والفراء النوى يحرض على الهجوم .. ربعة القامة . أما العشيق فكان شريكا لزوجها في سيارة اجرة .. لم يتجاوز السابعة والعشرين .. متين البناء .. عريض الكتفين . مشرع القامة .. برونزي

اللون كمعظم ابناء الصعيد .. لا تخلو قسماته من حسن ، تتألق ملامحه ببريق الشباب .. أما الزوج فكان في السنوات الاولى بعد الاربعين .. يعمل في ماكينة النارة باحدى البلاد المجاورة ، ويقضى

كل لياليه خارج بيته .. هده الافيون ، واستعمال الكيفات ، فقد تزوجها صغيرة ، وامضى الاربعة عشر عاما التى تزوجها فيها ، وهو يحاول ان يرضيها ، الا أن الامر كان يسير في حركة عكسية بالنسبة له .. هى تنضج وتتعمق انوثتها

وتتعمق خبرتها بالجنس ، وهو تتراجع به الايام لتنقص منه صحته ، وقدرته على الصعود بها الى القمة التى عودها بلوغها/..؟

وذات صباح ذهبت الزوجة لتبلغ عن غياب زوجها الذى استمر اكثر من ثلاثة ايام ، وقالت في بلاغها انه خرج الى عمله ولم يعد .. وفي اليوم الخامس

وجدت جثته في ترعة ، ولكن الموت لم يكن سببه الغرق . فقد قرر الطبيب الشرعى أن الوفاة حدثت من اصطدام جسم صلب هوى على رأسه ادى الى وفاته ثم ألقى به في الترعة بعد ذلك ..

وأكدت التحريات ان الزوجة ليست فوق مستوى الشبهات ، وضيقت النيابة عليها الخناق ، وشهد طفلها الاكبر أن شخصا كان يلف وجهه بشال . طرق الباب أثناء العشاء . ففتحت الام له الباب ، وكان والدهم يجلس بينهم ، وتقدم منه هذا الشخص وهوى عليه بالفاس التى كان يحملها ..وحاول الاب الصراخ ولكن كلماته ماتت معه ..وجمد

الاطفال ، ولكنهم شهدوا بأن والدتهم تعاونت مع الملثم في حمل الجثة الى مكان خلف الباب .. وقد وجدت في فرن المنزل بقايا ملابس لم تحترق ، بها آثار دماء وكانت للمرأة والعشيق ، والقت النيابة

القبض عليهما ـ يلاحظ هنا ان العشيق كان متزوجا أيضا ـ وبعد الاعترافات التى ادلى بها العشيق قال انها اتفقت معه على أن تحصل على المعاش لتعيش منه مع اولادها حتى اذا تزوجته لم

ترهقه ، واشترط عليها الا تطلب منه أن يطلق زوجته الاولى فقبلت على ان يكون لها الليل ، ويعطى للزوجة الاولى النهار الى جانب سعيه على الرزق ..

قال لى العشيق وهو يعترف بممارسة اللذة معها ، وهو شيء ثقيل على نفس كل صعيدى « كانت كجهنم يا استاذ.. حاجة مش معقولة .. قطر ماشى قول ـ يقصد قطار ـ طاحونة دايرة قول .. موتور داير قول ـ يلاحظ أن العشيق سائق سيارة ـ فرس بتجرى قول »

ولما طلبنا منه ان يفسر لى ما يعنيه من هذه الجمل ازداد ارتباكا وطأطأ رأسه وقال « طول ما انا وياها ماكنتش اعرف أيه اللى بيحصل .. كنت معاها زى الطفل الصغير .. اللى تقول عليه انفذه .. واللى تطلبه لازم يمشى » .

واننزعت النيابة من العشيق اعترافا كاملا بأن الزوجة هى التى ظلت تلح فى تنفيذ القتل ، وتقترح الخطط وتعدل فيها ، وتغرى العشيق على تنفيذها الى أن ضاق بالحاحها فأقدم على آخر خطة وضعتها له وشاركته فيها ، وكانت حجتها امامه انها ضايقت زوجها بشتى

السابقات ، ولكنه لا يريد أن يطلقها ، وقد صارحها مرة بأنها تريد الطلاق لكي تتزوج العشيق ، ولهذا فهو لن يمكنها مما تريد ..!

ومعنى ذلك ان الزوج كان يشعر، وكان يشك ، ولكنه لم يظن ان الامر قد يصل الى قتله .. ولعل فكرة خيانتها له قد مرت بخياله ، ولكنه طردها فورا من رأسه .. لا ايمانا بطهارة زوجته ، ولكن لان وقوع الفعل نفسه طعنا في رجولته ، وهو لا يتصور ان في رجولته قصورا حتى ولو كان ذلك حقيقة واقعة، والزوج ليس آخر من يعلم كما يقول المثل ، لكنه اول من يعلم . ومن يشعر، ولكنه آخر من يصدق . لانه لا يريد ان يصدق ان انثاه فضلت عليه ذكرا آخر !

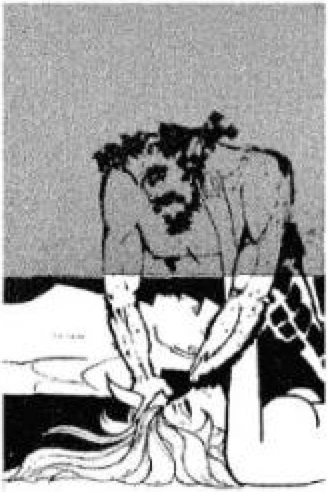
***

ولست اعقد هنا مقارنة بين المرأتين بنت مصر الجديدة ، وبنت ملوي فكلتاهما كانت تتصرف بما يمليه عليها ذلك القابع في اعماقها ، يدفعها نحو كل ما يحقق لها رغبتها في امتلاك شريك اللذة بصفة دائمة .. وفي الجريمة التي كان مسرحها « قنا » تكاد تكون نفس التفاصيل ، فقد حرضت الزوجة في هذه القضية عشيقها على قتل زوجها ، فلما ابدى لها عجزه عن القيام بقتله وحده .. قدمت له الثمن لكي يستأجر من يستعين بهما على قتل الزوج .. ثم تركت باب الشقة مفتوحا ، ودخل العشيق وذبح الزوج مع رجلين استأجرهما ، وهي ترى كل ذلك . فلما تأكدت من ان زوجها ذبح وفصلت رأسه عن جسده .. قامت تحتضن عشيقها وتقول له « مبروك » ، وقد اعترفت بان زوجها كان يعرف اسرار علاقتها بالعشيق ، وانه استأجر له غرفة في نفس المنزل حتى يجعله قريبا منها ، وكان يتيح لهما كل فرصة ممكنة في الاستمتاع ، ورغم ذلك فقد كانت نهايته القتل .. ومن كلام العشيق في اعترافاته اود ان انقل هذه السطور :

« كانت تقول لي .. لا يمكنني ان اعيش دونك .. ولا استطيع ان اعطى جسدى لرجل غيرك . اصبحت لا اطيق انفاس زوجي .. كلما لامس جسدي يقشعر .. لا تتصور مدى عذابي . انني انزف دما واموت وهو يباشرني .. لابد من التخلص منه . لا يمكن ان اقاوم اكثر من هذا .. ان الساعات التي تختلسها لابد من حرماني .. وتجعلني اجوع الى الطعام الدسم الذي تعطيه لي من شبابك ومن قلبك .. هيا .. هيا نتخلص منه .. وكانت تختار لهذا الايحاء احرج لحظات علاقتنا .. تنتظر حتى تصل خلوتنا الى ذروتها . وحينما تدرك انني اصبحت مفتوح المشاعر تصب في ذهني كل ما تريد .. واجد نفسي مطواعا لها انفذ كل ما تريده .. »

ملك الظلام

والزوجة كانت دون الثلاثين .. نحيلة الجسد .. انثوية الملامح .. بيضاء . متناسقة الاعضاء . دقيقة .. رقيقة . كأنها لعبة رجل ، اما الشاب فكان ضخم الجثة .. له جسد مصارع .. غزير الشارب . لم يتجاوز السادسة والعشرين .. وسيم التقاطيع كنجوم السينما .. وجاء في اعترافات الزوجة « اصبحت امقت زوجي . احتقره .. اريد ان يتركني ولكنه تمسك بي .. كل لقاء لي معه في الفراش .. كان سياطا تجلدني .. كرهته وحرمت نفسي عليه ، ولكني لشلت في دفعه الى الطلاق ففكرت في قتله .. كنت اخشى ان يفلت مني



« خيري » ـ اسم العشيق ـ ويتزوج غيري فاحرم منه طول العمر .. حرصي على « خيري » صور لي ان كل شيء يمكن ان يسير كما رسمته »

ولست أريد أن أسترسل في وصف تفاصيل الجريمة ، ولكني فقط أريد أن أوضح لهفة المرأة على امتلاك شريكها في اللذة امتلاكا دائما رغم بحور الدم التي تعرف مقدما أن عليهما أن تخوضهما للوصول الى هدفها ، ورغم أنها متوسطة الذكاء . الا أنها كانت تختار لحظة الايحاء بعناية ، ولعل مبعث اختيارها لحظة الايحاء أنها نفس اللحظة التي تنبثق فيها نشوتها تأخذ التعاسة بخناقها كالذي تندفع الدموع الى عينيه تحت لحظة توتر معينة . ثم فجأة يصبح عليه ان يضحك . فتنبسط أساريره ويقهقه الا أن مرارة الغصة تملأ حلقه ، وتسرى مع لعابه .. لا يخفف من مرارتها انبساط الأسارير ولا ارتفاع القهقهة ، ولهذا كانت توحي بهمسات منتزعة من أعماقها ماضية كالسكين الحاد الى أعماق شريكها لأن كليهما في لحظة استجابة مع الآخر ، وقد أسدلت الغريزة داخلهما ستارة كثيفة على كل منفذ للعقل الواعي ليصبح « اللاوعي » وحده ملك الظلام المتوج في أعماقهما .. غير أنها كانت تجني من لذاتها آلاما تفوق ما تحصل عليه من لذة .. مبعثها عثرات المخاوف التي تهدد ملكيتها لشريكها أو تلقيها او تنال منها أو تحولها الى اثم يتطلب الغفران!

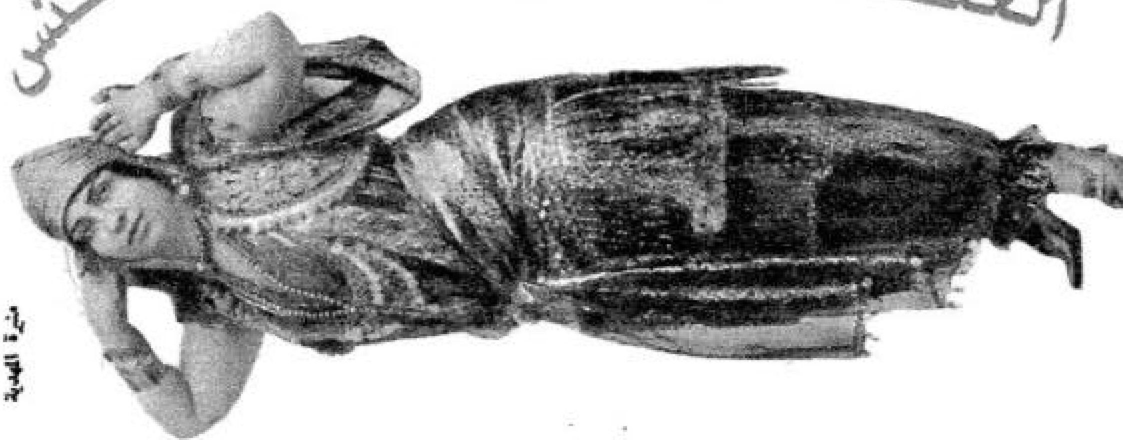
وقد كان السؤال الذي يتردد .. هو أنه ما دام الزوج راضيا ولم يعترض فلم تفكر الزوجة في قتله ..؟!

والجواب عن هذا السؤال الحائر أشق ما واجه الزوجات الثلاث .. فالمرأة منهن رغم كل ما تحمله لزوجها من احتقار الا أن ذلك لا ينزع من أعماقها شعورها بالاثم في حقه كصاحب الولاية والسلطة عليها ، حتى ولو تظاهرت بغير هذا ، وذلك ما يجعلها تشعر أمامه بالانسحاق ، وبالحاجة الملحة الى طلب عفوه .. في أن تعارض هذا مع « ساديتها » التي ترى كل اللذة في تعذيبه وايلامه وتحقيره من جهة ، وحاجة أعماقها الى مغفرته عن ذنب تظن أنه هو دافعها الوحيد اليه لأكثر من سبب ، أقلها أنه راض عنه من جهة أخرى . كل ذلك كان يختلط ويتفاعل داخلها ليقودها نحو التخلص منه .. فبزواله تتأكد ملكيتها لشريك لذتها بصفة مستديمة ، وتصبح اللذة التي تحصل عليها لذة خالصة ، خالية من المرارة والشوائب وتهديد المخاوف ؟!



عبد اللطيف البنا

الغناء.. والمرأة.... والجنس



منيرة المهدية

كمال النجمي

الغناء بتاء التانيث عدوى فنية أصابت المطربين ومؤلفي الاغاني ولم يتخلصوا من آثارها حتى الان .. ولكن تاء التانيث مظلومة مع المطربين ومؤلفي الاغاني ومع المراة ايضا ، وهم بدورهم مظلومون مع تاء التانيث ! ..

■ لما غنى المطربعبد اللطيفالبنا في اسطوانات الشركات الفنية « الستارة » . ذهب بعض المعترضين على كلمات الاغنية الى مؤلفها الشيخ يونس القاضي يحتجون قائلين :

ـ سبحان الله ايها الرجل .. كيف تؤلف كلاما على لسان انثى فيغنيه رجل يفتن به الرجال والنساء ؟ ! ..

قال لهم :

ـ اسألوا ملحن الاغنية الشيخ زكريا احمد ، فهو الذى اعطاها لعبد اللطيف البنا ..

وقال لهم الشيخ زكريا :

ـ انا ما اعطيت هذا اللحن الا للمطربة فاطمة سرى ، لم لاتغنتهنها منيرةالمهدية ونعيمة المصرية وعبد اللطيف البنا ..

كان اكثر اعتراض المعترضين على كلمات الاغنية ، على لحنها الذى لم يكن بدعا في ذلك الزمان ، ولم تكن كلماتها ايضـــا غريبة على الاسماع ولا منفردة باسلوبها بين اغاني العصر ، ولكن ما صادفته من رواج ساحق ، اثار حماة الورع والتقوى فذهبوا يعترضون ويحتجون .. ولو نجحوا في سحب جميع اسطوانات هـذه الاغنيةمن ايدى الناس ، لبقيت في ايديهم مئاتمن الاسطوانات الاخرى تنطق وتغنى بالطريقة ذاتها ..

نظم الشيخ يونس هذه الاغنيـــة على لسان امراة عاشـقة تقول لصاحبها في خلوتهما :

ارخى الستارة اللى ف ريحنا
لاحسن جيـرانك تجرحنـــا
قلبى بيدق قوى وخايفــه
عنقك شباك نواحى العطفه
اقفل درفــه وافتح درفــه
وتقــوم نفسى مطرحنـــا
قعدتنا هناك دى كانت غلطــه
ناولنى الكاس بلا مغالطـــه
خدلك شفطه وادينى شفطه
وتقوم نفسى مطرحنـــا

.. وتمضى المراة العاشقـــة في هذه المناجاة وكأنها تحمد نفسها على ما اتيح لها من الصفو فتهتف ثالثة : « يافرحانين يامبسوطين يامفرفشين يامزططين ... يا احنا » ! ..

ولم يكن مستغربا أن تلاقى الاسطوانة التى سجل عليها عبد اللطيف البنا هذه الاغنية المؤنثة رواجا عند المستمعين تضاءل الى جانبه رواج الاسطوانات التى سجلتها منيرة المهدية ونعيمة المصرية . ففى ذلك العصر كان الناس يستملحون سماع مطرب يتغنى بلغة المطربة فلا يتبين السامعون اية فروق لغوية بين المطرب الذى هو رجل والمطربة التى هى انثى . ولا يستنكرون ان يضيع المطرب بملء صوته الرجولى : انا مشتاقة .. انا حزينة .. انا منتظرة ، خائفة ، باكية ، نادمة .. فلا غضاضة على تاء التأنيث فى موضعها هذا من غنائه بل ان لها من الطرافة واللذاذة اكثر مما للكلمة فى لهاة المطرب خالية من هذه التاء اللعوب ! ..

كان هذا المذهب فى الغناء فصلا من مذهب « الخلاعة والدلاعة » الشامل للفن والحياة عند الطبقة العالية والطبقة الوسطى الثرية وما دونها الى سفح الطبقة المتوسطة الصغيرة .. وقد ازدهر هذا الفن وازدهرت هذه الطبقات من حوله فى ملاهى عماد الدين ، وروض الفرج ، وفى حى الازبكية الصاخب بالرقص والغناء واللهو ملء المقاهى الكبيرة والصغيرة وما يحف بها من مخادع اللذة المفتوحة فى الغدو والرواح ! ..

فى ذلك العصر الذى كان جانب كبير من فنه ملحقا بمقاهى اللهو ومخادع اللذة ، كان التنافس بين المطربين والمطربات على غناء الكلمات المؤنثة ظاهرة واقعية من ظواهر الفن والحياة ، وكان اقبال الكثيرين من الناس على سماع هذا الغناء ، يجسد تبريرا فى كل ما حوله وكل من حوله ، الا من بعض العناصر المتدينة والعناصر الداعية الى الاصلاح الاجتماعى والتطوير الفنى

وكان غناء الرجال بالكلام الانثوى يصور علانية ما يخفى من العلاقة الاجتماعية والجنسية بين الرجل والمرأة ، وينم عن اضطراب هذه العلاقة هنا وهناك الى الحد الذى جعل الشذوذ اللفظى حلية للغناء وهو اكبر فن عند الخاصة والعامة على السواء

ويمكن ان يقال بطبيعة الحال ان هذا الغناء هو غناء التفكك الحضارى والاجتماعى والتدهور القومى الذى اصابنا تحت نير حكم العثمانيين وتحت كابوس الاحتلال البريطانى ، حتى ثرنا على الاجنبى وعلى انفسنا ثورة ١٩١٩ العظيمة ..

ولكن هذا التفسير لا يخلو من شبهة هوايتنا لادانة الماضى دائما ، واندفاعنا بصدد حاضرنا الى الوعظ والارشاد. فلا يصح فى الذهن أن تدخل فى عموم هذا التفسير كل حالة من حالات الغناء بالمؤنث فى ماضى أمتنا البعيد وحاضرنا القريب وما بينهما من الامد الطويل الحافل بالنظم الاجتماعية والافكار المتنوعة المتناقضة ..

وكيف تفسر ــ مثلا ــ بقاء هذا اللون من الغناء بعد ثورة ١٩١٩ وامتداد بقاياه حتى اليوم وكأنها توشك أن تزدهر فى شكل جديد ، مما يبدو لاول وهلة غير متفق وما قطعناه من خطوات فى تغيير مجتمعنا وتوجيهه صوب طريق الاشتراكية ! ! ..

.. ولنستعرض بعض النماذج من غناء الرجال بتاء التأنيث قبل أن نسترسل فى الكلام ..

فى اغنية لاقت رواجا لا يقل عن الرواج الذى لاقته اغنية « الستارة » .. يقول عبد اللطيف البنا بتاء التأنيث :

آه يانا ربقى ناشف وانا شرقانه
وحبيبى خايف لا يقولوا جانا ..
والعشق دا نار وعذاب وهيام
مسك السيره على ايه يا اختى ؟! ..

وفى اغنية للشيخ محمد المسلوب تقول الكلمات المؤنثة :

كوانى بعاده ياناس
وانا اعمل ايه من كتر اللوم
فى حبه شربت الكاس
ومن بعاده ما شفت النوم

اغنية البنا تتكلم صراحة بتاء التأنيث ، كأن قائلها يتخفى فى زى عاشقة تخاطب حبيبها بتلك اللغة ..

وفى اغنية الشيخ المسلوب يخاطب المذكر مذكرا آخر ، على مذهب الشعراء القدماء الذين جعلوا الغزل بالمذكر فنا فى الشعر العربى . ولكن الغزل بالمذكر شعرا وغناء يمكن أن ينقلب فى اذن المستمع الى كلام مؤنث بغير تاء التأنيث ، فلا يبقى لدى المستمع فرق بين التأنيث بتاء وبغير تاء ..

الغناء .. والمرأة والجنس



سيد درويش

ويغنى المطرب سيد شطا :

جمعتين قاعده فى حالى
ولا باخد ولا بدى
والنبى استنى شويه
لما اروح البس واجيلك

ويغنى مطرب آخر ما زال يشتغل بالغناء حتى اليوم :

حرص منى أوعى تزلزلنى
جسمى رقيق مايستحملنى
ذى القشطه والملبن
لما امشى كدا والمخطر ..
تبقى الناس رايحه تجنن

واشترك مع منيرة المهدية عدد من المطربين فى غناء كلمات صريحة التأنيث ، ومن هؤلاء المطربين الشيخ سيد درويش ومحمد المندى لور :

البحر بيضحك ليه ..
وانا نازلة ادلع املا القلل
يمشى كدا وعينه منى
وعامل انه مخاصمنى
وكل يوم يسال عنى

ويقول مطرب آخر يشكو الغيرة من اربع زوجات تزوجهن الرجل المقصود بالأغنية فى ليلة واحدة ، بعد طليقه لزوجته التى يتغنى المطرب نيابة عنها :

ياليلة مادخلم .. دخلم لاربعه
ياليلة ما حبلم .. حبلم لاربعة
ياليلة ما توحموا .. توحموا لاربعة
اول واحدة على تفاحه
تانى واحده على رمانه
تالت واحده على كمترى
رابع واحده على مشمشه
وانا ياغلبانه ياسكينة
يا شقيانة .. جاب لى راس حمار

ويغنى المطرب محمد على لبة ، وغنتها ايضا منيرة المهدية :

حبيبى غاب وانا قلبى داب
وبقى له زمان مابعتش جواب
ياميين يقول له على حالى
ويدلنى ايه سبب غيابه
اعيش طول عمرى داعيه له
يكسب من اجر وثواب

ويقول المطرب زكى مراد متغنيا بتاء التأنيث صريحة فى شكلها ومضمونها :

حمالى على قويه
وانا مقدرش على العيشه ديه

دى معـــذبانى ومزعـــلانى
ولا ليـــلة أبات مهنيـــة
دى شـافتنى فى الشـــباك
قالت لجوزى لم جـــاك

ويغنى عبد الحى حلمى وهـــو المطرب الكبير المشهور بروائع قصائده وأدواره ومواويله :

الحنه يا الحنه يا قطر الندى
شباك حبيبى ياعينى جلاب الهوى
ياخوفى من أمك لا تســـأل عليك
لاحطك فى شعرى واصــفر عليك
وان جاتنى امك تســـأل عليك
لاحطك فى عينى والـــكحل عليك

فى هذه المقتطفات نرى اكبر واشهر مطربى الربع الاول من القرن العشرين يغنون بتاء التأنيث أو بالمذكر الذى يلحقه معناه بالتأنيث . فالشـــيخ المـلوب وعبد الحى حلمى وعبـــد اللطيف البنا وسيد درويش وزكى مراد وسيد شطا هم بعض اكابر المطربين فى عصرهم ، وقد غنو ولحنوا جميعا ما رأيته من الكلام المؤنث الذى تخاطب به الانثى رجلا ، ولا يخاطب به الرجل انثى مهما اجتهدنا — أو اجتهدوا هم — فى تأويل هذا الكلام ! ..

الا أن تاء التأنيث وملحقاتها لم تكن تمثل أزمة فى الاخلاق العامة ، وفى مقومات الامة التى يرتكز عليها كيانها ، بل كانت تمثل اخفى الجوانب فى حياة الامة حينذاك ، وهو جانب العلاقة الاجتماعية والجنسية بين الرجل والمرأة المحجبة ! ...

والمطربون الذين غنوا بتاء التأنيث أو بالمذكر المراد به المؤنث أو المراد به المذكر مكشوفا للعيان ، كان اكثرهم رجالا اصحاء الرجولة ، ولكن عصرهم أباح لهم ماغنوا به من الكلام .. وكل عصر يبيح لونا من الكلام قد يمنعــه عصر آخر لايفضله فى الحضارة وارتفاع قدر المرأة وقدر الانسان بوجه عام ..

واذا قيل ان الادب الاوربى والغنــاء الاوربى كانا يجهلان الغـــزل بالمذكر ولا يعرفان حتى اليوم غنـــاء الرجل بتاء التأنيث ، فالواضح ان الاسباب اللغوية داخلة فى هـــذا الموضوع كالاسباب الاجتماعية . ولقد بقيت عندهم الاسباب اللغوية ، اما الاسباب الاجتماعية فانهـا سمحت بالكلام والغنـــاء ، ثم سمحت بسن القوانين المبيحة لكل ما قد يتعفف عنه الغناء والكلام فى اشد العصور تخليا عن مقومات الرجولة والانوثة ..

ولقد رأينا موجة الجنس الطاغية على السينما والمسرح والادب والفن فى اوربا وامريكا ، حتى اصبح اللقاء الجنسى على علاته صورة من الصور الفنية يشاهدها الناس فى المسرح نابضة باللحم والدم . ويشاهدونها فى السينما صورا عارية حتى من اوراق التين ..

والى جانب هذا كله يصبح الغنـــاء بالمذكر او المؤنث غاية المقـــة ، اذ كان منتهاه ان يتغنى به المغنى ويتطـــرب به الســـامعون ثم ينصرف كل الى حال سبيله ..



فيروز

واذا كان مذهب « الخلاعة والدلاعة » قد أثمر قولا وغناء كثيرا يشبهه فى عصور خلت فى التاريخ المصرى وفى تاريخ امم الحضارة القديمة ، فان مذهب الخلاعة والدلاعة كان أهون المذاهب الخليعة فى تاريخ الامم ، وقد جاء ثم ذهب ، فدل ذهابه بعد مجيئه على أنه كان تيارا موقوتا بزمانه وظروفه الاجتماعية والسياسية والفكرية (١) ..

على ان غياب هـــذا المذهب لا يعنى انقطاع الاسباب التى يقوم عليها فى اى وقت مذهب آخر على غراره وان اتخذ شكلا جديدا . وليراجع من شاء اغانينا اليوم ، وبخاصة اغانى فرق الجاز التى يؤلفها الشبان ويصخبون بها فى ملاهى شارع الهرم . ولولا ان كلمتنا هذه تقف عند الغناء القديم (٢) لا تتعـــداه الى الغناء الجديد ، لكشفنا من هذا الغناء الجديد ستاره ، وان كان ما وراء ستاره مكشوفا بطبيعته للعيون والاسماع ! ..

لقد كان غناء الرجل بتاء التأنيث يمثل قبل كل شىء فجاجة العلاقة بين الرجـــل والمرأة فى زمن الحجاب وتعدد الزوجات والجوارى المجلوبات من خارج البلاد برغم تحريم الرقيق . وفى هذا الجو تفاقم التلاعب بالالفاظ فى مخاطبة الفتى والشاعر للمرأة . ولن ينقطع هذا التلاعب اللفظى فى اللغة العربية ولهجاتها العامية ما دامت تاء التأنيث تلعب دورها المشهود ...

وقديما قال افلاطون : اذا اردت ان تعرف مدى رقى أمة من الامم فاستمع الى غنائها ..

وبعد افلاطـــون جاء مئات ومئات من الكتاب والمفكرين قالوا هذه الـــكلمة بالفاظ اخرى ، وكأنهم يريدون تطبيقها ميكانيكيا على كل امة ، فاذا ارتقى غناؤها – من وجهة نظر افلاطون وتابعيه – فهى امة راقية . واذا هبط غناؤها فهى أمة ينقصها الرقى ..

وليس الامر على هذا الوجه فى كل أمة وفى كل عصر ، فمن الممكن أن يظهر غناء راق جدا فى بلاد لاتفضل غيرها فى الرقى .. حسبنا ان نتذكر الآن المطربة فيروز الرحبانية ، فما هو تفسير ظهور غنائها الراقى فى لبنان لا فى السويد ولا فى الاتحاد السوفييتى مثلا !! ..

على أن غناء الامة لا يمكن ان ينطلق فى الفضاء بعيدا عن شروط حياتها الاجتماعية والسياسية والفنية ، وان كان لا يمكن أيضا أن يكون مرآة تامة الصدق فى بيان ملامح الامة من فرعها الى قدمها ، ومن خارجها وداخلها ..

ومصداق ذلك ان مطربى العشرينات وما قبلها قد تغنوا بالكثير جدا من الشعر العربى والعـــامى البالغ الرقى فى عصر الغنـــاء بتاء التأنيث . فأى المذهبين فى الغناء كان يمثـــل الامة ، وكلاهما كان محبوبا من الخاصة والعامة بلا تفريق ؟! ..

وكيف صح الغناء بالمؤنث المذكر والمذكر المؤنث فى عصر الاصلاح الدينى الذى بدأ بالشيخين الافغانى ومحمد عبده ؟!وكيف صح هذا الغناء أيضا فى عصر احيـــاء التراث العربى وفى زمان النهضة الوطنية والقومية ؟! ..

لست اريد طبعـــا تبرئة المتغنين بتاء التأنيث تبرئة تامة ، ولكنى اريد ان اقول انهم لم يكونوا بدعا فى تاريخ امتنا ولا فى تاريخ أمة من الامم ، وان امثالهم يظهرون الآن ولن ينقطع ظهورهم بعد الآن ، على اختلاف الاشكال والالوان ..

---

(١) على ان هذا اللون كان لا يشمل الاقليلا من كلام ذلك العصر الحافل باكابر الشعراء والكتاب فى مصر ..

(٢) نعنى بالغناء القديم هنا غناء اواخرالقرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

د. صبري جرجس

في بعض ما قيل عن المرأة ، وهو كثير ، انها ظلت منذ فجر التاريخ تلعب بطريقة متحلة دورا مزدوجا ، فهي جذابة ومنفرة في آن معا ، وهي خاضعة وعدوانية ، رقيقة وعنيفة ، عطوف وقاسية ، مستقرة وهوائية . والمعنى الواضح لهذه العبارة ان المرأة تجمع في شخصيتها بين المتناقضات وليس في هذا ما يدعو الى الغرابة ، فحياة الانسان كلها تستقطب الاضداد ، بل لعل ان يكون في هذا الاستقطاب معنى التكامل البناء . ولكن المدلول الضمني له انه يعكس الموقف الذى وقفه الرجل من المرأة منذ ابعد العصور ، وهو الموقف الذى يزدوج فيه مفهومه عن المرأة كملاك وشيطان وقد يتفق بعض الرجال مع اوسكار وايلد في ان المرأة ما خلقت لتفهم بل لتحب . ولكن من الواضح ان هذا الرأى لا يصلح ان يكون اساسا لعلاقة فعلية او سليمة بين الرجل والمرأة . فان اية علاقة بين اثنين من الناس يرجى لها الاستقرار او الاستمرار لابد ان تقوم على اساس من الفهم والتفاهم . والزوج الذى لا يقيم علاقته بزوجته على هذا الاساس سينتهى به الحال اخر الامر الى ان تغلبه الحيرة على امره ، وسواء أكان موقفه من العلاقة بها هو موقف الحنق أم اليأس ام كان هذا الموقف هو الانفصال عنها بشعوره ووجدانه ، فلابد بين الحين والحين ان يشغله التساؤل بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ، « ماذا عساها تريد ؟ » .

دور الجنس

في المشاكل النفسية ..

والسؤال الذى يواجهنا فى هذا المقام هو : هل صحيح ما يقال من ان المرأة لغز متعذر على الفهم ؟ هل صحيح ما يقال من ان اهدافها المتناقضة وعدم رضائها عن دورها وقدرها هو الذى جعل منها لغزا لنفسها قبل ان تكون لغزا للرجل ؟ ثم هل صحيح مايقال من أن كل « الحركة النسائية » هى فى جوهرها التنفيس عما يعتمل فى داخل المرأة من حسد للرجل وبغض له وانها نتاج خوفها من كونها امرأة ؟ او الصحيح ان المرأة وقد عاشت فى دنيا يسودها الرجل قد ظلت دائما « مواطنة من الدرجة الثانية » ، تقسر عليها المباحات والمحظورات ويفرض عليها الاقتصار على ضروب النشاط التى يبيحها الرجل ، مما أثار فى نفسها الوانا شتى من الصراع حول كونها امرأة وكاد يجعل من تناقضات سلوكها حتمية لافكاك لها منها ؟ .

ايما كان الامر فالذى لاشك فيه ان المرأة قوة مؤثرة وفعالة فى توجيه مجتمعنا المعاصر ، ولهذا السبب وحده ، ان لم يكن لاى شىء اخر ، فانها تستحق منا قدرا اكبر من الفهم . ونحن بذلك لا نخدمها بقدر ما نخدم انفسنا ومجتمعنا ، لان اى فهم للمرأة هو فى الوقت نفسه فهم لنا وللمجتمع . وواضح ان هذه النظرة المتكاملة ترقى بالمرأة فوق مستوى الدونية الذى دفعها الرجل اليه وابقاها فيه احقابا طويلة ، وتنظر اليها كقيمة اولية واساسية فى المجتمع المعاصر مثلما تنظر الى الرجل تماما .

للمـرأة العـربيـة المعـاصرة

■ ما هو وضع المرأة العربية في هذا التشابك الاجتماعي المعقد الذي هو المجتمع المعاصر ؟ وما دور الجنس في تكييف نظرتها الى المشاكل النفسية التي تقابلها وفي توجيهها الى حل هذه المشاكل ؟

في سبيل الاجابة عن هذا السؤال قد يكون من المستحسن ان نرجع الى الوراء قليلا لكي نستعرض في نظرة خاطفة الخلفية الاجتماعية للمرأة العربية المعاصرة . ولسنا في ذلك بحاجة الرجوع الى بعيد . حسبنا منه بضع عشرات من السنين حين كان المكان الوحيد للمرأة هو البيت وكانت المهمة الوحيدة لحياتها رعاية الزوج والابناء . في ذلك الحين كانت الحياة الاسرية بوجه عام متماسكة وكان الرجل هو السيد بغير منازع، كما كانت العلاقة بين افراد الاسرة قوية وثيقة وخاصة بين الام والابناء ، اذ كان الوضع الحضاري يفرض على الرجل في سبيل الاحتفاظ بهيبته ، التباعد قليلا مما كان يضفي على البيت في كثير من الاحيان قدرا من الفتور وعدم الدفء

وكانت معايير السلوك ، وخاصة فيما يتعلق بامور الجنس ، تجري على قدر كبير من التزمت والصرامة ، فلم يكن مباحا أن يشار الى الجنس بكلمة أو ايماءة ، وكانت المرأة بصفة خاصة تحاط في ذلك بسياج كثيف يهدف الى وقايتها من التلوث بدنس الجنس . وفي وضع حضاري له مثل هذه السمات الصارمة كانت المرأة تجد نفسها في موقف صراع لا تحسد عليه ، فمن ناحية **كانت تنشأ منذ الصغر على الا سبيل امامها غير الزواج ولا بديل لها منه لانه بغير الزواج سيكون عليها أن تعيش حياة العانس ، وحياة العانس في ذلك الحين كانت حكما على المرأة بالنبذ الاجتماعي كما كانت عبئا على اسرتها وعليها معا ، ومن ناحية اخرى كانت القيم السائدة التي تفرض على المرأة ضرورة الزواج هي نفسها التي تفرض عليها الا تستمتع بالجانب الجنسي في حياتها الزوجية ، لانه اذا كانت الصلة الجنسية حقا مشروعا للرجل فانها بالنسبة للمرأة كانت واجبا زوجيا عليها أن تؤديه ، وقصارى اهتمامها ان تكون وسيلة للانجاب، والانجاب كان ولعله لا يزال الى حد كبير ايضا ، سبيل المرأة الى ان تستشعر قدرا من الثقة بالنفس والتحلي بشيء من المكانة .**

بيد أن هذا لم يكن كل ما فى الوضع الحضارى السائد يومئذ من تناقض ، فعلى السطح كان يبدو ان المرأة قانعة بنصيبها من الحياة المحدودة فى بيئة مغلقة تشفى عليها الحماية ، راضية من ان يحمل الرجل عنها القدر الأكبر من المسئولية فتعيش آمنة فى كنف الاعتماد عليه . ومدلول هذا الوضع فيما يبدو انه لم يكن لحياة المرأة معنى الا من خلال الغير : الزوج والابناء والاسرة ؛ وهى فى هذا الاطار كانت تعيش حياتها فى قناعة وكفاءة وسعادة . ولكن تحت السطح مباشرة كان الانعكاس التلقائى لهذه الحالة فى ميدان الجنس يبدو فى صورة المفاهيم التى تقضى على المرأة بالاعتقاد ان الصلة الجنسية هوان ومذلة ، وان وجود اية دوافع جنسية لديها مرادف للتهتك !! أما الخضوع لهذه الدوافع او اشباعها فقد كان ينطوى على مواجهة خطر فعلى لوقى ما تبقى من اهدار لحق المرأة فى الاحترام والمكانة . ومن اجل هذا فقد كان برود المرأة فى الصلة الجنسية هو الحالة الوحيدة التى تحفظ عليها قيمتها الخلقية ، كما كان الضمان الوحيد لوفائها وعفتها .

وقد ظلت هذه المفاهيم تحتل تفكير الرجل وقتا غير قصير وظلت اصداؤها تتردد على السنة الرجال من مختلف المراتب والمستويات الاجتماعية والثقافية لسنوات طويلة بعد أن بدأت المزاولة الطبية منذ أربعين سنة . وعلى الرغم من انها انحسرت الى حد كبير الآن فان رواسبها لا تزال ، فيما يبدو ، مؤثرة فى توجيه تفكيرنا فى هذا الشأن الى المدى الذى يحجب عنا المدلول الحقيقى للجنس فى حياة الانسان والذى لا تزال حتى المرأة ترى معه انه قد يكون فى ممارسة الجنس ما يخدش وقارها وينال من كرامتها .

منذ ما لا يزيد على نصف قرن الا قليلا انطلقت فى مصر اول دعوة الى تحرير المرأة ، واثناء هذه الحقبة القصيرة نسبيا فى عمر الزمن ازالت المرأة العربية من جسمها الحجاب ، وقطعت شوطا غير قليل فى طريق العلم والثقافة ، وانفتحت امامها ابواب العمل كلها تقريبا وظفرت بحقوقها السياسية كاملة ، وحققت نجاحا كبيرا فى مجالات النشاط الاجتماعى على اختلافها ، واضحت قوة مؤثرة وفعالة فى البناء الاقتصادى والاجتماعى التقدمى لوطنها العربى . فأين تراها تقف ، بعد كل ما سارت وتقدمت وظفرت وحققت ، من المضمون الحقيقى للتحرر ؟ هل زال الحجاب من حياتها الداخلية كما انحسر عن شكلها الخارجى؟ هل تجرد الجنس فى مجتمع لا تزال السيادة فيه للرجل من مضمون الخطيئة والدنس بالنسبة للمرأة فلم يعد فيه ما يلوثها ويحط من قدرها ويهبط باحترامها لذاتها ؟ هل بالوسع القول ان المرأة قد تخلصت ، او كادت ، من رواسب وضعها فى ماض هو غير بعيد ؟ هل اصبح الوضع الحضارى السائد فى المجتمع العربى اليوم من الحياد ازاء الرجل والمرأة بحيث ازال عنها الشعور بان قيمتها كامرأة هى فى ذاتها دون قيمة الرجل ؟ هل صاحب التغير الواضح المعالم فى الشكل الخارجى لحياة المرأة العربية المعاصرة تغيرا مماثلا فى مضمون حياتها الداخلية ؟ ثم اهم من هذا كله هل حققت التوازن الحتمى الذى لابد منه للمرأة السليمة بين حاجات وجودها كانثى ومقتضيات حياتها كانسان آواخيرا هل استطاعت التخلص من تناقضات الجمع فى نفسها بين رواسب الشعور القديم بالدونية والحرافات الدعوة الحديثة الى التحرر ؟ وبعبارة اخرى هل استطاعت التخلص من المفهوم الخاطىء

لوضعها القديم وهو خضوع الانوثة والمفهوم المنحرف لوضعها الجديد وهو رفض الانوثة ؟

اما ان المرأة العربية لا تزال تعاني من رواسب الشعور القديم بالدونية فلعلنا نلمس الدليل عليه من موقفها من الحب . وبمراجعة هذا الموقف فسيكون في وسعنا أن نرى دون عناء كبير ، ان حاجة المرأة الى الحب حاجة اساسية ، وان خوفها من فقد الحب خوف اساسي ايضا . وبين حاجة المرأة الى الحب وخشيتها من فقده كان اعتمادها على الرجل وكان نزوعها الى ارضائه ، ثم كان شعورها بالطمأنينة والقيمة المستمدة من هذا الارضاء ، تماما كما كانت امها او جدتها تفعل حين كان الرجل كل حياتها ، أي حين كان سبيلها الوحيد الى تحقيق ذاتها .

وكنتيجة طبيعية لموقف المرأة من الحب او بالاحرى لجزعها من فقده ، فقد بالغت في تقدير قيمة الجمال ، وبالغت في الوقت نفسه في الفزع من زواله حتى لقد بلغ من حرصها على بقاء هذا الجمال ان اغفلت من حسابها احيانا حكم السن ونقص الجاذبية وكأنها تعيش في خيال « انعدام الزمن » ، لان ارضاء الرجل كان ، ولا يزال ، هو هدفها الرئيسي ولان جاذبيتها كانت ، ولا تزال هي وسيلتها المفضلة ، وربما الوحيدة في تحقيق هذا الهدف .

ولكن المرأة العربية برغم هذا كله لا تزال ، ونرجو أن تظل ، بعيدة عما انحدرت اليه المرأة في الوضع الحضاري الغربي ، أو في بعضه على الاقل ، حيث ادى اندفاعها دون توقف او تبصر نحو التركيز على الشباب والجاذبية الجنسية والجمال الى ازمة صراع محتدم بين قبولها انوثتها في رضا وبسر من ناحية والثورة عليها في تبرم وسخط من ناحية أخرى ، بين استغلالها الانوثة كسلعة والخوف منها ومحاولة انكارها كخطر واقع أو محتمل ، ثم الى حل هذا الصراع آخر الامر عن طريق استخدام انوثتها كقناع لعدوانيتها ، حتى اصبحت صفات السيطرة والعدوان والتحكم والاقتحام من نصيبها ، وصفات الضعف وعدم الفعالية والقصور والخضوع من نصيب الرجل .

بيد أن هذا ليس كل ما في الامر في شأن حاجة المرأة في مجتمعنا العربي الى الحب ، فقد تكون لهذه الحاجة لديها انعكاساتها النفسية غير المريحة على حياتها الجنسية . ومن خبرتنا في المزاولة الطبية النفسية فنحن نعرف أن هنالك من النساء كثيرات يشعرن بالضياع اذا توجسن أنهن فقدن القدرة على اثارة اهتمام الرجل بهن ، بينما هن يخشين في الوقت نفسه الدخول في علاقة وثيقة معه ، امثال هؤلاء النساء قد يدور سلوكهن حول محاولة اغراء الرجل باية وسيلة فاذا استجاب لهن اسرعن الى الانسحاب . كما اننا نعرف من خبرتنا ايضا أن هنالك من النساء كثيرات لا يعني الجنس بالنسبة لهن حاجة الى اشباع بدني ولكنه سبيلهن الرئيسي ، وربما الوحيد ، الى تكوين علاقة انسانية ، فاذا توجست المرأة لسبب ما من تعذر حصولها على الحب فقد ترى في الصلة البدنية بديلا من الصلة العاطفية ، دون ان تكون الصلة البدنية مطلوبة اومشبعة في ذاتها . واذا خشيت ان تفقد علاقة قائمة فقد تجد نفسها مسوقة الى دفع اي ثمن يقتضيه الاحتفاظ بهذه العلاقة ، اي ان ما يبدو جنسا في مثل هذه

دور الجنس في المشاكل النفسية

الحالات ليس في حقيقة امره الا هربا من القلق تسعى المراة الى التخفف منه من طريق علاقة تزودها بشعور زائف بالثقة بالنفس وباطمئنان سطحي مؤقت الى انها يمكن ان تحب .

وقد يكون الوضع الحضارى العربى الراهن ، بما فيه من تقاليد سائدة ، لا يزال يحوط المراة بسياج من الضبط ، كما قد يكون ان المراة العربية ذاتها لا تزال في الاغلب الاعم ترى أن العلاقة بالزوج هى العلاقة الوحيدة التى يمكن ان تبيحها لنفسها في التعبير عن حاجتها الى الحب والى التشجيع والمسانَدة . ولكننا في هذا المقام ينبغى ايضا الا ننسى أن المراة العربية قد انفتحت على الدنيا ، غربا وشرقا ، وشهدت موجة التحلل الجنسى التى جرفت في طريقها المراة في بعض مراتب ومستويات الوضع الحضارى الغربى ، وسواء أكان هذا الانطلاق هو محاولة ، ضلت المراة فيها الطريق .. لمعالجة ما شعرت انه يصطرع بداخلها من اسباب القلق وعدم الاطمئنان ، ام كان تعبيراً عن نزوات التمرد على القيود والحرمات ، فان نزوع المراة الغربية الى الانطلاق وراء الجنس لم يحقق لها الرضا والهدوء ولم يخفف ما بها من قلق . وهو في رأى الكثيرين من صفوة العلماء والمفكرين هناك مجرد مخرج لتوترات نفسية بطريقة غير بناءة وليس تعبيراً عن حاجة جنسية حقيقية اصيلة ، أى انه اقرب ان يكون مسكنا او مخففا من أن يكون اشباعا جنسيا صحيا حقيقيا .

واما ان المراة العربية قد بدات تسير في طريق رفض الانوثة فان الادلة عليه تطرد زيادة في خبرات كل يوم . ولكننا قبل الاستطراد الى الادلة نودان نقول ان المسئولية في ذلك لا تقع على المراة وحدها ، وانما تقع على الرجل معها ، وربما قبلها ، ذلك ان الرجل باحباطه لها قد دفعها ، من طريق رفضها لانوثتها ، الى السلوك الذى خالت انها ستلقى فيه الحل لذلك الاحباط .

وبغير الدخول في تفصيلات معقدة فان ظروف التنشئة في الاسرة العربية كثيرا ما تؤدى بالرجل اخر الامر الى العجز عن النهوض بتبعات الرجولة ، من الناحية المعنوية ، على نحو كامل وتعوقه عن القيام بدور القيادة والحماية الذى تتوقعه المراة السوية منه ، لانه في واقع الامر يخافها . والنتيجة الحتمية لهذه الحالة انه بينما يسرى نفسه مسوقا الى الارتباط بها فانه في الوقت نفسه يظل يعتدى عليها ويؤذيها ويحبطها . وليس امثال هؤلاء الرجال في مجتمعنا مع الاسف بالقلة التى يعتد بها ، فاننا كثيرا ما نلقاهم لا في خبرتنا المهنية فحسب ، ولكن غادين ورائحين في الحياة العامة ايضا دون ان يثير سلوكهم الاشتباه في أنهم يعانون من اى اضطراب ، ودون أن يبدو في هذا الاضطراب ، ان اتضح امره ، ما يشير الى انه في جوهره نقص في سمات الرجولة الحقة او رفض لها ، ولكنه على اية حال يجعل حياة صاحبه ومن

يتصل بهن من النساء سلسلة متصلة من العذاب والاحباط . والمشكلة مع كل من الرجل والمرأة على السواء ان المتاعب التي يعاني منها احدهما لا يمكن ان تظل بمنأى من الاخر ، فان الرجل الناقص الرجولة ، وان اقتصر هذا النقص على المعنى النفسي دون الجنسي ، حين يصل حياته بحياة امرأة اخرى انما يحبط تلقائيا وباستمرار مطالب انوثتها في المجال العاطفي والمجال الجنسي معا ، وان لم يبد هذا الاحباط ، الا نادرا ، في صورة تشعر بالمصدر الحقيقي ، لانه في اغلب الاحيان يتعلق بلون او باخر من الوان الاحتكاك الذي تتعدد مناسباته في حياة كل يوم والذي كان خليقا الا يحدث او أن يجد له حلا سهلا وسريعا لو أن العلاقة بينهما كانت عامل اشباع لا احباط .

واستطرادا من هذا الضرب من الاحباط الذي هو في جوهره انعكاس مباشر لمتاعب الرجل عليها فان اكثر ما تعانيه المرأة من احباط انما ينبعث من داخل نفسها : من انكارها لانوثتها ورفضها اياها ، في محاولة خاطئة وبائسة لتحقيق ذاتها بما خالت انه يحقق لها التفوق .

وكما أن الرجل قلما يدرك وجود النقص في رجولته ليعيش حياته في وهم الرجولة الكاملة أو الرجولة الزائدة كذلك المرأة ايضا قلما تدرك أنها تنكر انوثتها او ترفضها ، ولكن مظاهر الرفض والانكار لا تخفى على من يتعمقون النظر في مدلول الحياة للمرأة المعاصرة .

ونبدأ بالطريقة التي بها تقرب الفتاة التي ترفض أنوثتها امور الحب والزواج وهي كالمتوقع العزوف والرفض .

فكلنا نعرف الفتاة التي تتطلب الكمال فيمن يمكن ان ترضى به زوجا ، ومتى طلبت الفتاة الكمال فلن يتعذر عليها التعلل بعيب أو باخر في من يتقدم اليها وهي بعد بمنأى من اللائم ، من نفسها اولا وقبل كل شيء ، لانها لم تلق من يصلح ان تشاركه الحياة برباط الزواج ..

وكلنا نعرف الفتاة التي تنصرف الى العمل ثم تستغرق فيه حتى ينسيها ذلك التفكير في الجنس الاخر ويحجب عنها فرص الاتصال به .

وكلنا نعرف الفتاة التي تحقق حبها للاطفال ، لا من طريق الحب والزواج كما يفعل الاسوياء من الناس ، ولكن من طريق عمل مهني يتيح لها الاتصال بالطفولة كالتدريس أو التمريض . مثل هذه الفتاة قد تستعبدها المهنة ولكنها في الوقت نفسه تلتمس فيها الحل لمشكلة الحب والزواج .

وكلنا نعرف الفتاة التي تجعل من فشلها في علاقة واحدة سببا للامتناع عن اية علاقة لاحقة . ولو تعمقنا بحث ظروفها لوضح لنا انها هي التي سعت الى هذا الفشل لتجعل منه مبررا للامتناع بعد ذلك وعذرا لتجنبها اقامة اية علاقة أخرى .

وكلنا نعرف الفتاة التي لا يجذبها الا الرجل الذي لا تستطيع الزواج منه ، فهي معه طبيعية وجذابة الى اقصى وسعها ، فاذا قابلت من يصلح ان يكون لها زوجا فقدت اتزانها واصابها الارتباك وبدت في تصرفها اما طفلية واما متحجرة واما متكلفة واما خجول واما ساكتة فينفر منها ، انها تخشى مواجهة مشكلة الزواج

وتحاول الاحتفاظ بتفوقها عن طريق الهرب منه .

وفي وسعنا أن نمضي في الرد استكمالا لهذه الثالثة من الفتيات اللاتي يدفعهن رفض الأنوثة الى رفض التزامها الأول والأكبر في حياة المرأة وهو الزواج .. وعددهن آخذ يطرد زيادة في مجتمعنا العربي في السنوات العشرين أو الثلاثين الأخيرة وخاصة بين من أصبن حظا غير قليل من التعليم وأصبح بوسعهن الاستقلال بحياتهن من الوجهة الاقتصادية .

وقد تدرك المرأة في أحيان قليلة أنها تعيش حياتها في رفض لأنوثتها ولا تتردد عن الجهر بذلك ما لاحت لها المناسبة ، ولكن المرأة في أغلب الأحيان لا تعلن عن احتقارها لدورها الأنثوي ولا عن رفضها اياه ، لا تهيبا او تكتما ولكن لأنها لا تشعر بوجوده في نفسها . بل لقد تكون صارخة الأنوثة في مظهرها وسلوكها أو قد تكون اما لعدة أطفال ولكنها مع ذلك تنكر أنوثتها لا شعوريا وتعيش في انكار أنوثتها في صراع مع نفسها ومع الرجل الذي ترتبط به على نحو يطرد السعادة من حياتها .

ولا يتسع المقام للافاضة في بيان الأقنعة المختلفة التي قد يختفي وراءها رفض المرأة لأنوثتها . وحسبي أن أذكر هنا أكثرها ذيوعا .

ففي المجال البدني أو الفسيولوجي يبدو رفض المرأة لأنوثتها في كثير من حالات ألم اللقاء والبرود الجنسي والألم الشديد الذي يصاحب الطمث والعزوف عن الحمل أو أي مظهر من مظاهر النشاط والالتزام الأنثوي . وتحضرني بهذه المناسبة

دور الجنس في المشاكل النفسية

حالة امرأة صغيرة السن قبلت الزواج على كره منها لأنها خالت أنه ينقلها من « جحيم » الحياة مع أسرتها ، فاذا بها بعد الزواج قد انتقلت من جحيم الأم والأخوة الى جحيم الزوج على حد قولها وفي انكارها لأنوثتها لقد كانت تمتنع من التزين بتاتا وضجرت بالعلاقة الجنسية وكادت تمنعها من الزوج كما رفضت الحمل باصرار لأنه كعلامة صارخة وأكيدة لدورها الأنثوي ، لم يكن مقبولا لديها على الاطلاق .

وللطمث بوصفه أكثر الوظائف الأنثوية انتظاما أهميته الخاصة من حيث دلالته على انكار الأنوثة . فنحن نعرف أن كثيرات من النساء يصفن الطمث ، حتى وان لم يكن مصحوبا بأي ألم ، بأنه « المرض الشهري » . وليس الأمر على هذه العبارة أنها دائما مجرد وصف عارض يخلو من المدلول ، ولكنها في كثير من الأحيان تعبير عن التبرم بهذا المظهر من مظاهر الأنوثة . أما الألم المصاحب للطمث فانه كثيرا ما يكون تعبيرا عن الاحتجاج . ولو تعمقنا دراسة حالاته لما تعذر علينا أن نجد في الكثير منها رفضا ولا شك ؛

واحيانا لا خفاء ، فيه للانوثة . لرفض الانوثة هنا وما ينطوى عليه من انفعالات الضيق والتبرم والغضب قد اثر ، عن طريق الجهاز العصبى المستقل ، فى العضلات والغدد المشتركة فى عملية الطمث حتى ظهر اخر الامر فى صورة الالم ».

ومن مظاهر رفض الانوثة ايضـا عدم **عناية المرأة بجمالها** . انها ترفض الجمال لان الجمال صفة انثوية . فاذا تعذر عليها الزواج فقد يختلط السبب بالنتيجة فى ظاهر الامر : اهى لم تتزوج لانهـا غير جميلة أم هى غير جميلة لانها لم تتزوج؟

وفى الاجابة من هذا التساؤل فانه تحضرنى حالة فتاة اخرى هى مثال مؤكد وان كان متنما ، لرفض الانوثة . فقد عانت كطفلة ومراهقة من صدامها لها لانها فى نظر الام شوهت بشرتها السمراء سمعة أسرة كل بناتها شقراوات ، وقد ادى بها هذا الصد الى كراهية نفسها اولا ، ثم الى كراهية امها وكراهية الجنس الذى تنتسب اليه الام . ومنذ ان بدأ الطمث عندها كان يصطحب دائما بالام مبرحة تكاد تمزقها . وعلى الرغم من أنه لم يكن فى الوسع وصفها بالدمامة فقد كانت ترى القبح فى نفسها . وبطبيعة الحال لم تتزوج على الرغم مما عرض لها من فرص متعددة للزواج لانها كانت تقدم نفسها دائما بصورة منفرة . وانتهى الامر بها الى الوضع المألوف للعانس التى تجعل من حياتها ممارسة صارخة ومستمرة للفشل ».

وليكن الامر فى رفض الانوثة فى مثل هذه الحالات ليس مجرد ما يعوز المرأة من اغراء الجمال .. فقد تكون المرأة جميلة او دميمة ، جريئة او متهيبة ، ولكن النتيجة فى الحالتين واحدة : **ان شيئا ما فيها يؤدى فى النهاية الى نفور الرجل منها . فما عسى أن يكون هذا الشىء** : انه فى كثير من الاحيان شعور خفى يسيطر على الفتاة بأنها لا يمكن ان تحب . **ولهذا الشعور عادة دعائم ثلاث. الاولى** اتجاهها اللاشعورى الى ازدراء الانوثة نتيجة الوضع الدونى للانثى ، **والثانية** اتجاهها العدائى من الرجل مما يدفعها ان تقف منه ، دون ان تدرى ، موقفا ينفره منها لانه يعكس اما «الدلالة» او اللهفة او الامتلاك او التهديد الخ ، **والثالثة** موقفهـا الفزع من أم قوية الشخصية بارزة المكانة مما يشعرها بالعجز من ان تصل فى الانوثة او بها الى ما وصلت اليه امها . والشواهد على هذه الدعامة الاخيرة ترى بصفة خاصة اذا كانت الام بارعة الحسن او اذا حققت مكانة اجتماعية أو علمية مرموقة .

والمرأة السليمة ، اى الخالية من الشعور بانها لا يمكن أن تحب ، تود ، بغض النظر عما اذا كانت جميلة او غير جميلة ، ان يلاحظ الرجل وجودها . فاذا تملكها هذا الشعور وكانت غير جميلة فانها تلتمس فى دمامتها العذر لعدم اقبال الرجال عليها ، أما اذا كانت جميلة فانها قد تستخدم جمالها لاغراء الرجل لانها فى قرارة نفسها تشعر بانها غير محبوبة وان أحدا لن يلتفت اليها . والفارق بين الاثنتين ان غير الجميلة تستسلم لعلتها أما الجميلة فانها لا تستسلم وتحاول استخدام الجمال فى اغراء الرجل لتكسب معركتها مع نفسها . ولعلنا نجد الدليل على أن جمال المرأة فى هذه الحالة ليس الا مجرد وسيلة للاغراء وليس جاذبية

اصيلة في برود المرأة جنسيا او انصرافها من الرجل بعد ان تطمئن الى نجاحها في اغرائه . وما اكثر هذه الحالات في عملنا الطبي النفسي وفي حياتنا العامة على حد سواء .»

ولكن لعل أكثر الامثلة ذيوعا لرفض الامومة في مجتمعنا المعاصر مثال المرأة التي تبدو في ظاهر الامر انها تقوم بوظائفها الانثوية على الوجه الامثل ، فهي زوجة وأم متفرغة لرعاية زوجها وابنائها، وهي قد ضحت بكل مباهج الحياة في سبيل العمل على راحتهم ، بل قد لايكون من المغالاة القول انها اعتزلت الحياة الا ما كان منها مرتبطا بهم حتى لقد تغدو في نظر الناس مثلا اعلى للزوجية والامومة المضحية الصادقة .

بيد أننا اذ نتعمق حياة هذه المرأة فسيكون في وسعنا ، في كثير من الاحيان ان نلمس شعورها بأن الحياة تمضي بها متثاقلة كئيبة، خالية من البهجة ومخيبة للأمل ايضا » مع اعتقادها الراسخ في الوقت نفسه وترديدها دائما أنها تلتزم بكل المهام التي تعد ان المرأة قد خلقت من اجلها ، ثم شكواها من انها لا تلقى من زوجها وأبنائها الا الجحود والنكران ومعنى هذا ان المدلول العميق لحياتها يعكس اعتقادها بأنها تعد المرأة الجنس المجني عليه ، اذ ان مجرد مجيئها الى الدنيا يضعها تلقائيا في مكانة دونية ، ثم لا سبيل امامها بعد ذلك الا أن تقبل قدرها . ولما كان الحل الذي ترتئيه لمشكلة وجودها بهذه الصورة هو ان تستشعر مجزها فانها تمضي بهمة لا تعرف الكلل الى استغلال مزايا جنسها والتبرم بالتزاماته ، ثم لا يزيدها مرور الايام الا تشبثا بحقوق الانوثة بينما هي في الواقع تنكر مدلولها الحقيقي .

وثمة مثل اخر بدأ مجتمعنا يحفل بأشباهه في هذه الايام : هو مثال المرأة التي يدفعها الى الزواج ما تراه في نجاح زوجها الفعلي أو المحتمل . ولما كان الوضع الحضاري قد بدأ يتيح للمرأة الاسهام في نجاح زوجها وكانت هي نفسها تحب النجاح وتستهدفه فانها قد تجد نفسها في موقف صراع بين حبها زوجها لنجاحه وبغضها اياه لنفس السبب . هي تود ان تحطم النجاح ولكنها في الوقت نفسه تود الاستمتاع به عن طريق المشاركة فيه، مثل هذه المرأة قد تعبر عن رغبتها في تحطيم زوجها بوسائل متعددة : بالاسراف لتهديد طمأنينته الاقتصادية، وبالمشاحنات المثيرة لتحطيم هدوئه وتماسكه، وبالنقد اللاذع والوقوف منه موقف الاستهانة المخالفة لتحطيم ثقته بنفسه وقدراته . أو هي قد تعبر عن الرغبة في تحطيمه عن طريق دفعه دون رحمة الى مزيد من النجاح دون النظر الى مقتضيات الصحة أو المصلحة . وكل هذه النزعات الهدمية قد تظل مختفية وراء اقنعة الحب والاعجاب، ولكن اشباعها الأذى يتسرب

الى حياة الزوجين ويحول دون التقائهما على مستوى عميق .

ومثال آخر لرفض أنوثتها تقدمه لنا المرأة التي تعمل جاهدة على اخضاع الرجل واذلاله . وقد تكون على وعي بهذه الرغبة فتبدأ علاقتها به ودافعها الواضح الى هذه العلاقة هو اخضاعه، أو قد تحاول اغراءه فاذا استجاب نبذته . ولكن هذه الرغبة كثيرا ما تعمل على توجيه سلوك المرأة لا شعوريا وانما يكتشف وجودها بطريقة غير مباشرة من مدلول السلوك ، مثل السخرية من محاولات الرجل التقرب اليها او البرود الجنسى بقصد اذلاله لعجزه عن اشباعها وخاصة اذا كان هو نفسه يعانى من خوف الاذلال على يد المرأة .

ومثال آخر لا سبيل الى تقدير ماله من نظائر فيما يجرى حولنا هو مثال المرأة التى لا تفتأ تشكو من هذا اللون او ذاك من الوان المرض . ولنكن المرض الروماتيزم او الربو او الجيوب الانفية او تقلص المعدة او القولون او ايا من حالات الحساسية أو غير ذلك من قائمة لا حصر لها من الامراض التى لا يستطاع بعد الفحص المدقق ردها الى اساس عضوى . المهم فى المرض انه يقعدها او تكاد ، وانها تجاهد فى امر علاجه دون ان يجدى ترددها على كبار الاطباء فى أن تجد له عندهم الشفاء . ثم المهم ايضا فى المرض ان يكون من الشدة والالحاح بحيث يعفيها من مسئولية الزوج والابناء او اذا لم يكن لاعفائها من هذه المسئولية سبيل ان يمنحها صفة الشهداء . هل يتعذر علينا ان نرى حولنا الالوف من مثل هذه المرأة ؟ وهل يتعذر علينا آن نفهم المدلول لهذا المرض الذى تحاول صاحبته أن تصوره لنفسها وللناس على انه ضريبة تدفعها فى سبيل قيامها بواجبها وفى سبيل سعادتها وليست تملك ازاءه الا الرضوخ ؟ اما حقيقة الامر مع المرض فى مثل تلك الحالات فهى أنه الثمن الذى على المرأة ان تدفعه اذ تنكر لا شعوريا الانوثة والتزاماتها ، انه الثمن الذى على المرأة ان تدفعه مادامت قد « اختارت » ان تضحى بأنوثتها على مذبح المرض .

ومثال اخير اخشى ان الشواهد قد اخذت تتوالى عليه فى مجتمعنا بعد ان انفتحت وجوه النشاط على اختلافها امام المرأة ، ذلك هو مثال المرأة التى يدفعها طموحها الى ان تحلق فى افاق النجاح والمجد . وهى فى سبيل ذلك اما ان تمتنع عن الزواج مؤثرة التفرغ لتحقيق طموحها على الاستقرار الاسرى او اذا تزوجت تبرمت بزوجها واظهرت تبرمها فيما لا تفتأ تكتشفه فيه من هنات وعيوب حتى ينتهى الامر بها الى ان ترى حياتها مثالا للرتابة والتجرد من البهجة والخيبة التى لا تستطيع الرضا بها ، فتندفع الى العمل الاجتماعى أو السياسى ، ثم لا تلبث أن تبرز وتصيب فيه نجاحا مرموقا ويتردد اسمها فى الصحف وعلى السنة الناس بمعزل عن الزوج حتى لتكاد تنسى هى نفسها ايضا انها متزوجة .

ولكننا فى هذا المقام ينبغى الا ننسى ان كثيرات من النساء العاملات لهن حياة ناجحة ونافعة ، وليس من الانصاف ان يقال انهن بالعمل قد رفضن الانوثة او ضحين بها ، لان واقع حياتهن يقول انهن حتى بغير زواج او انجاب قد عشن حياة انثوية فى جوهرها وان كانت تخلو من الاشباع البدنى . وقد يكون قدر من

تمرد المرأة على سلبيتها وعلى المعوقات الاجتماعية لحياتها وعلى محاولة الرجل اخضاعها والسيطرة عليها ، قد يكون قدر من تمرد المرأة على هذه الاوضاع مؤثرا على تمتعها بالحيوية وعلى سيرها في الطريق الصحي السليم ، كما قد يكون هو المسئول عما حققت من حرية اجتماعية ومن انصاف اقتصادي ومن مساواة في الحقوق السياسية .
والفيصل على أية حال في تقييم كل ما يصدر عن المرأة هو في الدافع المحرك لسلوكها : **اهو تنمية شخصيتها عن طريق ممارسة انوثتها ، ام هو هدم شخصيتها عن طريق رفضها الانوثة ؟**

وخارج المجال المباشر لما قد تلقى المرأة من احباط نتيجة لنقص الرجولة او رفض الانوثة فانه لا نهاية في مجتمعنا المعاصر لمزالق الحب في العلاقة بين المرأة والرجل . وقد يكون من المتعذر ان نقع على تعريف للحب ، على كثرة ما قيل في تعريفه ، يتفق عليه اجماع الرأي . ولكن ايما كان التعريف الذي نؤثره فان الذي ينبغي أن يعنينا فيه هو اتجاه المحب ممن يحب : **اهو اتجاه ايجابي نحو البذل من اجله ، ام هو اتجاه الخوف من فقده ، ام هو اتجاه الرغبة في السيطرة عليه** ؟ وفي ضوء هذا التوجيه الاساسي فانه ليبدو انه لانهاية لمزالق الحب في العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع العربي المعاصر . وبعض هذه المزالق راجع الى جوع لا يشبع الى الحنان ، ومن الامثلة عليها الغيرة المسرفة والنزعة الى تفسير كل اهتمام يبدى للغير بانه اهمال وكل مطلب بانه فرض وكل نقد بانه اهانة ، ومن الامثلة عليها ايضا طلب الحب دون قيد أو شرط ولو كان فيه التضحية بالمبادىء والقيم والنزاهة الشخصية . ولكن بعضها الاخر راجع الى الانانية وقلة النضج ، ومن الامثلة عليها تعمد الملاطفة على مناسبات اللقاء الجنسي وفتور الاشتهاء في صورة الحب ، ومن الامثلة عليها أيضا استغلال « الحب » لتحقيق مآرب شخصية كالحصول على الاشباع الجنسي فقط أو على المباهاة والتفاخر أو على الاعجاب والثناء .

وفي الطرف المقابل من مزالق الحب تلك الايثارية الكاملة التي لا تتوقع او تطلب شيئا مجزيا لصاحبها لقاء حبه ، فان الحب في جوهره هو علاقة تبادل ، علاقة عطاء واخذ ، فاذا اعطى المحب فان من حقه أن ينتظر الاشباع والولاء والعون بل والتضحية احيانا اذا اقتضى الامر ، والا فقدت العلاقة عنصر التكافؤ النفسي وخرجت من المثل الناضج للحب

ومهما يكن من شأن هذه المزالق فانها جميعا ، بما تؤدي اليه من احباط ، تشوه آخر الامر العلاقة بين الجنسين وتفسد ما بينهما من عوامل الاستقرار والوئام .

ومجمل الرأى فيما يبدو من نزعة المرأة العربية المعاصرة الى رفض انوثتها انه ليست ثمة فائدة واحدة يمكن ان تجنيها من ذلك ، فان رفض الانوثة لن يؤدى بالمرأة ، مهما يطل المطاف ، الا الى الشقاء والرفض والقبح وسوء التوافق الجنسى والاجتماعى والوحدة والانسحاب من الحياة ، ثم هو يقينا يؤدى ايضا الى عدائها للرجل وعدوانها ، الصريح او المقنع ،، عليه . ولكن المرأة مهما حققت أو سوف تحقق ومهما تخال فى نفسها القدرة والكفاية فانها لن تصل قط الى تحقيق الاكتفاء الذاتى لانها ستظل ابدا بحاجة الى الرجل كما سيظل الرجل بحاجة اليها . فاذا دفعها رفضها لانوثتها الى محاولة الانفصال عن الرجل او الانتقام منه فتلك هى نهاية المطاف فى محاولتها احباط نفسها .

* * *

ما تعمدت فيما قدمت ان أعطى صورة موحشة عن العلاقة بين الرجل والمرأة فى المجتمع العربى المعاصر ولا عن أثر هذه العلاقة فى المشاكل النفسية للمرأة العربية ، ولكننا وددت فقط ان أنبه الى اننا قد نكون سائرين فى طريق لن نحصد فيه آخر الامر الا الاشواك .

ان المرأة العربية تمر الآن بمرحلة انتقال تقتضى منها تعبئة أقصى ماتستطيع من صفات الشجاعة والحكمة والضبط معا . ولديها منها جميعا الكثير . فقد زال عنها الكثير من القيود الخارجية التى كانت تغللها دون الانطلاق لتحقيق ذاتها . وبزوال هذه القيود فان المعركة الرئيسية للمرأة لم تعد معركتها مع الرجل ولكنها فى المقام الاول قد أضحت معركتها مع نفسها ، معركتها مع الحجاب الداخلى الذى لا تزال رواسبه تعوق ، الى حد غير قليل حركتها نحو تنمية شخصيتها من ناحية ، ومعركتها مع الدفاعات وهم تسجنه لها شعارات التحرر من ناحية أخرى ، فمضت وراء هذا الوهم تستنكر انوثتها وتنكرها ، غير ملتفتة الى العبرة مما حدث لاختها الغربية حين جعلت من التحرر رفضا لانوثتها ففقدت نفسها وفقدت الرجل معا .

ان ازمة الجنس فى حياة المرأة العربية المعاصرة ليست ازمتها وحدها ولكنها ازمة ذات طرفين ، الرجل احدهما والمرأة ثانيهما . ذلك ان المرأة السليمة بقدر ما لا تستطيع الفتاة من ان تحب لا تستطيع الفتاة أيضا من أن تحب ، ومن ان تشعر فى يقين ان الرجل يريد حبها ويقدره ، ولكن كيف يتحقق للمرأة حاجتها الى ان تحب وأن تحب اذا قامت العلاقة بينها وبين الرجل ، كما هى قائمة فى كثير من الاحيان الآن ، على التنابذ لا التعاون وعلى الاختلاف لا الائتلاف ! كيف تتحقق للمرأة حاجتها الى ان تحب وأن تحب اذا كانت العلاقة بينها وبين الرجل يسودها التشكك ويحركها التنافس ، واذا كان الرجل فى خشيته من فقد السيطرة عليها يندفع الى مزيد من هذه السيطرة ، او اذا كانت المرأة فى خشيتها من العجز عن التحرر من سيطرة الرجل تندفع الى مزيد من هذا التحرر !

فاذا نحينا الرجل ومشاكله مع المرأة جانبا فالذى ينبغى للمرأة العربية ان تذكره دائما هو ان اخطر ما يمكن ان تواجهه المرأة فى دعوة التحرر هو الخلط بين أن تتاح لها الفرصة كاملة للقيام

دور الجنس في المشاكل النفسية

بدورها في الحياة ، داخل البيت وخارجه ، وفقا لتكوينها الخاص ووظائفها البيولوجية والنفسية ، وبين ان تكون هذه الدعوة مجالا للتنفيس من حسد الرجل وكراهيته وخوف المراة من ان تعيش حياتها وتنهض بمسئولياتها كامراة ، فتصبح الدعوة الى التحرر بذلك مظاهرة عامة تحاول ان تقى بها نفسها من ذلك الخوف . وقد حصلت المراة على حقوقها السياسية متساوية في ذلك مع الرجل وكادت تحقق المساواة الاقتصادية معه ايضا ، فهل ادناها ذلك من الرضا من حياتها وهل جعلها اقل تبرما بها من ذي قبل ؟ لقد حصلت المراة الان على حقوقها كآدمية ومواطنة فهل ساعدها ذلك على حل مشكلاتها كامراة ؟

* * *

لتحتج المراة العربية على ما تعده قدرها كامراة ما تشاء ، ولكن هذا الاحتجاج لن ينفى منها صفتها كانثى . والمراة السليمة ، اى المراة الخالية من صراعات وجودها كانثى ، ترحب بانوثتها ترحيبا كاملا لانها لا ترى فيها اى تعويق لتحقيق ذاتيتها . انها بذلك تقى نفسها الاحباط ومغبته ، وهى بذلك خليقة بان تكون زوجة احسن واما احسن ومواطنة احسن ، لانه ليس كالاحباط ما يمكن ان يؤذى الفرد في نفسه وفي مجتمعه معا

وبرغم كل ماقد تسمع في الاتجاه المضاد فانه بوسع المراة ان تجيد القيام بالدورين معا : دورها الانسانى الخاص كانثى ودورها الانسانى العام كآدمية . فاذا خالت انه من المتعذر عليها الجمع بين الدورين فلتسال نفسها اولا : هل مرجع ذلك الى كونها امراة او ان مرجعه الى خوفها من كونها امراة . اننا آخر الامر

لا نود للمراة العربية ان تنزلق الى ما انزلقت اليه اختها الغربية : نريد ان تكون امراة ترضى في الوقت نفسه تخشى ان تكونها

ان بوسع المراة العربية اذا امنت بنفسها ان تسهم على نحو فعال في تغيير الوضع الحضارى الذى تعيش فيه ، وفي وسعها ، بالاسلوب الذى تتخذه لحياتها ان تغير من راى الرجل فيها ومن موقفه منها . في وسعها ان تساعد الرجل على بلوغ النضج وعلى تجاوز تعثرات الانانية وعلى تحقيق الكفاية والسعادة من حياته معها . وهى لن تستطيع ذلك بالمطالبة بالمساواة ، لان ما بين المراة والرجل من فوارق لا تلغيه المساواة . وانما هى تستطيعه اذا عرفت نفسها وقدراتها وحدودها كامراة ، واذا قبلت قدرها وعاشت حياتها كالمراة . انها عندئذ لن تكون مجرد محاكاة ممسوخة للرجل ، انها ستكون صنوا له ، مستقلة عنه ومتعاونة معه في آن معا .

وحينئذ سوف يكون بوسعها ان تقول انها عاشت حياة طيبة وانها اسهمت في ان تجعل مجتمعها اكثر امنا واقرب الى تحقيق السعادة لبنيه .

محمد إبراهيم أبوسنة

مرثية امرأة جميلة

هل يذكرها النهر ؟

هل تذكرها الشجرة ؟

هل يبعثها الصيف الابيض زهرة

او تولد نجما فوق جبين الليل
هل يسكبها الساقى كأسا ذهبية

فى حلق العاشق ذات مساء
هل تسلم الريح الحانية الكف

الصاف قوام معراج

هل تضحك ملء القلب

كان لها قلب من بللور
حين يفيض بخمر الوجد

ترقص تحت اشعته الاشياء الجذلى

هل يذكرها الطير الازرق
فوق الفجر العارى

كانت عصفورا لا تهبط اجنحته

ترقص تحت الامطار ..

– تغنى للاسفار
تضحك من جنتها

فوق العاشق حتى تصبح روحه

فوق الجسد الناحل ظل سحابه

كانت فى الليل القمر غابة

لا يدخلها الا النجم المترع بالاحلام

يخرج منها العطر الى كل الانحاء
كانت مثل البشر الفانين تجوع وتأكل

تصحو عند الفجر وتذبل

حين يغيب القمر الاعزل
كانت قمرا لم يكمل
ربما تلتف على أكتاف الاشجار
يا قسوة ما تفعله فينا الاقدار

فنموت بحسرتنا
البحار يموت على مرأى من شاطئه الاخضر

العطشان يموت على شاطىء نهر
ماتت

كان القمر يغنى وهى تموت

لم تبق لها تاريخا الا ما تحمله الريح

من عطر فواح

والزهر الحالم فى كل ربيع

منحته اللون وراحت خلف الاحجار
والتفاح الناعم

سرق حرير الخد التوهج
ماتت

هل تذكرها الساعات الفانية العذبة

تحت القمر الازرق
فى ليلة صيف

هل يذكرها طائرها

وهو يجالد عصف الريح

هل يذكرها زهر الوادى وهو يفوح
ماتت

كان القمر الغارب يبكى

وانا ابصر زهرة
تتفتح فى ذاكرة الامواج



أحمد فؤاد سليم

المرأة والجنس

في أعمال عشرة فنانين مصريين

الفنان الراحل كمال خليفة .. اسكتش بالحبر الشيني



عنصر وجود حي وخلاق في نسيج الامة ، مثلما كان كذلك في العصر القديم . وكيف لنا أن نقبل هذا الزعم « بالجمود في الفن » ؟ ـ ونحن نرى المرأة عصب المجتمع ، الامة وملكة وسياسية وكاتبة ومعلمة وراقصة وملهمة وعاشقة وفنانة ورياضية وكاهنة . حين نراها على الرسوم الحائطية وفي التماثيل المنحوتة تترجم لنا «الشيء» الذ يضعها الفنان من خلال خطوط شديدة التبسيط عارية تارة ، وتضع ملابسها الشفافة حين تكشف من مفاتنها تارة أخرى ، حين يتحت لنا شعرها المتموج كمياه النيل فوق جبهتها ، حين يستبدل رأسها بطائر ، حين يجعل من طول أصابعها شعرا ومن عيونها وجبينها نبلا .

***

ان هذا المدخل الضرورى الى الزمن القديم ، البعيد ، يقودنا الى ان نتعرف على نوع ما يحصلنا عليه في عصرنا الحديث حين بدأ فنان مثل **محمود مختار** يطرق أول طرقة في الحجر ليعبر عن موقفه من المرأة .

النحت

● المرأة والقومية عند محمود مختار (١)

بدأ مختار لعبته الصعبة في مجتمع يتحوط على المرأة حتى الانانية ، ويتحفظ عليها حتى الحبس . في مجتمع لا تملك فيه المرأة من مفردات الحرية الا كلمات تغنيها لنفسها وهي جالسة الى آنية الغسيل أو وهي تحيك الملابس الملونة . في مجتمع لم تكن فيه المرأة الا انتظارا طويلا لعودة الرجل . محتوم عليها أن ترى وجودها عبثا مضافا وعمرها زمنا طليلا يضيع بلا ثمن ، فهي ليست الا شيئا ولودا ، يستمد غاية ما يصبو اليه من الانجاب والاخصاب ، هكذا أيضا كانت مصر كلها مهدودة الحيل ، مكسورة الفؤاد ، أمام مستعمر غافل سلامها وطيبتها وضعفها .

ومن ثم فلقد كانت المرأة في تماثيل « مختار » ليست هي المرأة التي نعرفها ، وليست هي كما عهدناها عند الفنان القديم . **وانما كانت المرأة عند مختار هي (مصر) مصر بقدرها ومقاديرها وهمومها وأحلامها الذبيحة** . ان العلاقة الوحيدة التي تربطها بالفن القديم هي فقط في تشابه وحدة التركيب والبناء ، في هذه السلاسة البليغة التى عالج بها الفنان القديم اشكاله وعالمه الفنى .. في الخط

---

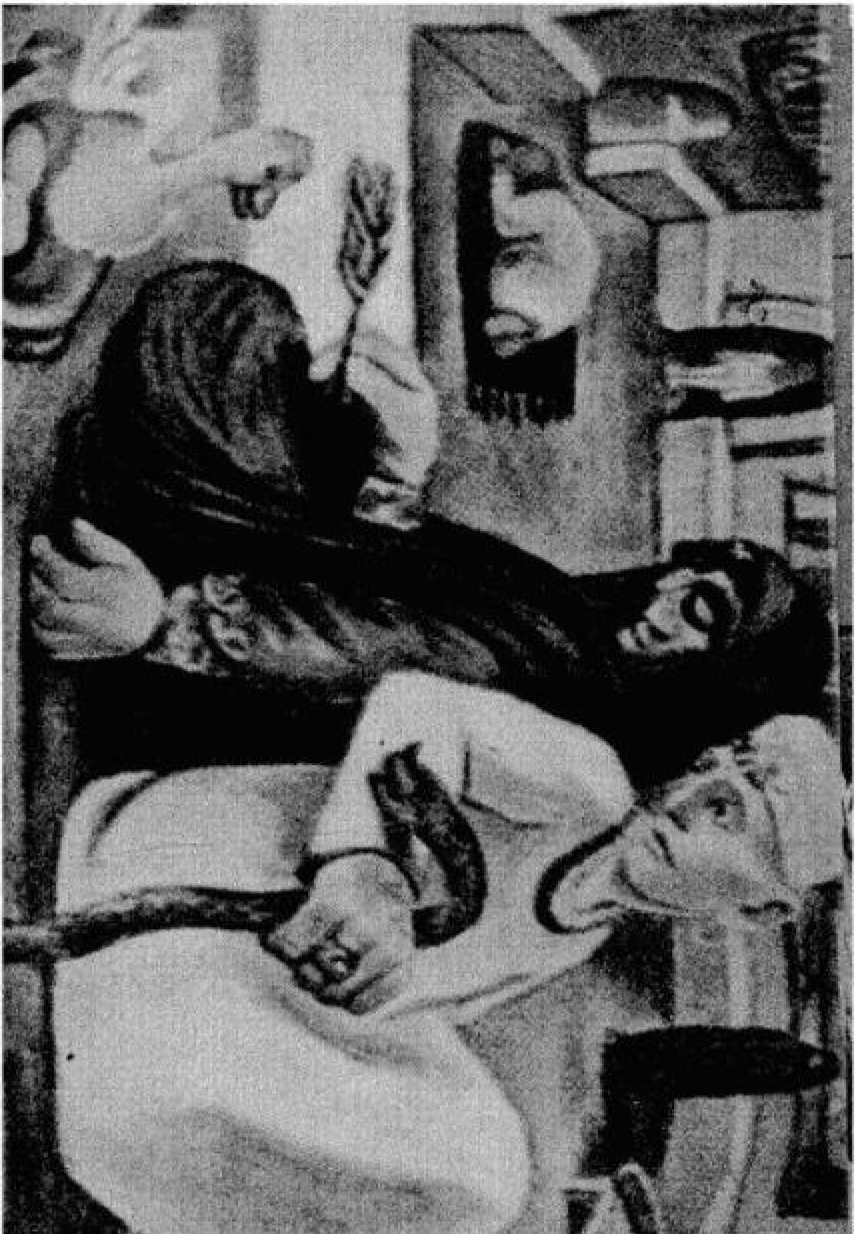
(١) « الفنان الراحل » : رائد النحت الاول في مصر

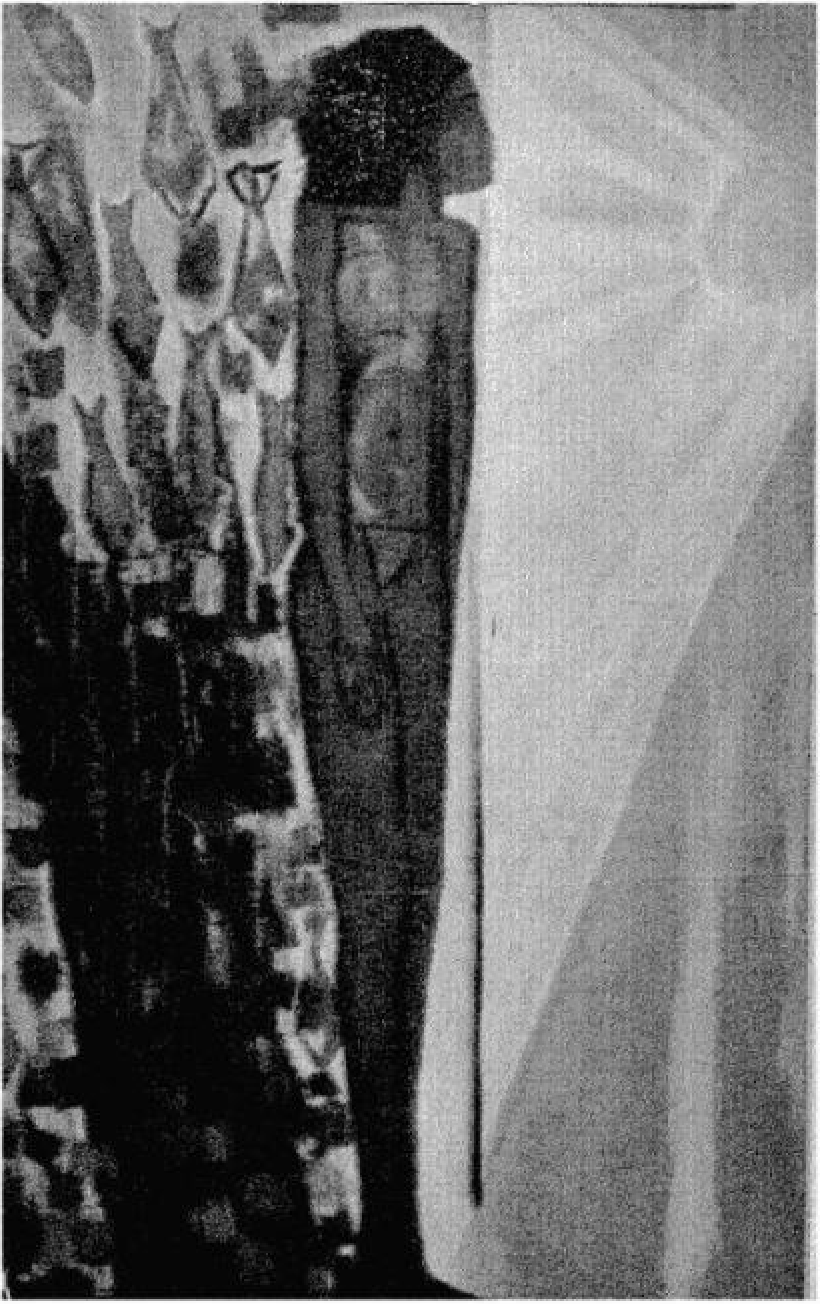
على الصفحتين التاليتين :

عبدالهادى الجزار (١٩٢٥ ـ ١٩٦٦)

وجاذبية سرى (١٩٢٥ ـ ٠٠)

المرأة الصائمة






محمد حسنين علي
.. بنات حارتنا

الراسخ الواثق ، وفي شحنة التعبير الكثيفة . ولذلك فمصر هي التي تنهض ناقضة همومها في تمثال « **نهضة مصر** » ، وهي التي تصارع المجهول في تمثال «**الخماسين**» ، وهي التي تركن الى متاعبها وهمومها في تمثال «**القيلولة**» ، وهي مصر محبوبة النيل في تمثال « **بنت النيل** » ، وهي ام الدلال وأم الحسن وأم الأصل في تمثال « **حاملة الجرة** » ، وثمة ما يتوجب علينا هنا أن نقرره ، فلم يكن محمود مختار فنانا انطباعيا يختزن الأشياء ثم يركبها ، وانما كان فنانا يعتنق قضية هي بالنسبة اليه والى شعبه جوهرا ، وكلا شاملا . ومن ثم فقد كان مختار مثالا مثاليا حين قدم المرأة في تماثيله تتفجر بالنيل والحضارة ، حين جعل من وقفتها الرشيقة الثابتة

معادلا مساويا لرسوخ الشخصية ، حين اختارها رمزا للثورة في رياح الخماسين ، ان مختار الذي يختار المرأة ليساويها بأعظم الرموز ، أو هو يختار اعظم الرموز لتذوب وتتساوى في المرأة ، هكذا يتقدر علينا أن نرى مختار فنانا قوميا . اراد ان يقول الكلمة في حالة تجسد وتسيد ، ومنذ هذه اللحظة الفريدة بدأ الفن بشكل رسمي في مصرنا الحديث ، وبدأت حينئذ تتضح معالم السنين الطويلة الضائعة منذ القدم.

● المرأة والمثالية .. عند جمال السجيني (1)

ان المسألة تختلف ــ ونحن بصدد هذا البحث الثري ــ لو عرجنا لكي نتأمل عالم المثال **جمال السجيني** من هذه الزاوية . ونحن لسنا هنا بسبيل تصعيب الأمر في موقع المقارنة ، غير أنه علينا هنا أن نتقصى ظروف الوقائع الفنية . فلقد كانت الدوافع كلها تنطلق عند مختار من داخل شحنة تعبير قومية ، فلم يكن مختار الذى فنانا ذاتيا ، واستخلاصيا بقدر ما كان فنانا ذا عقيدة عليا ، أو هو كان على الأصح فنانا ملتزما بالمعنى الاخلاقي المطلق لمفهوم الالتزام هنا ، ومن هذا المنطلق نحن لا نستطيع أن نقرر ان جمال السجيني قد تناول المرأة بنفس المفردات الفنية ، والعقائدية التي التزم بها مختار ، فهو بدلا من أن يعادل المرأة بالوطن ، عادلها مع نفسه ، وهو بدلا من أن يهبها للوطن وهبها لنفسه ، **ان المرأة عند السجيني هي الفضيلة التي تعطي بلا توقف ، ولذلك فان المرأة عند جمال السجيني هي في جميع الاحوال « ام » . وهي في افضل الوجوه تقف بالنسبة له مثلا اعلى** ، ولذلك فليس من باب التحرج اذا قررنا ان جمال السجيني فنان يتميز بقدرات انطباعية ذاتية ، تضعه في موقع مثالي من هذه الزاوية . ونحن هنا نتحفظ على ذلك من حيث اننا نتكلم عن المرأة في أعمال السجيني ، فنحن لا نصدر هنا الا من هذه الزاوية وحدها تلك التي تقصر من ان تقدم لنا رؤية كلية بالنسبة لفن جمال السجيني .

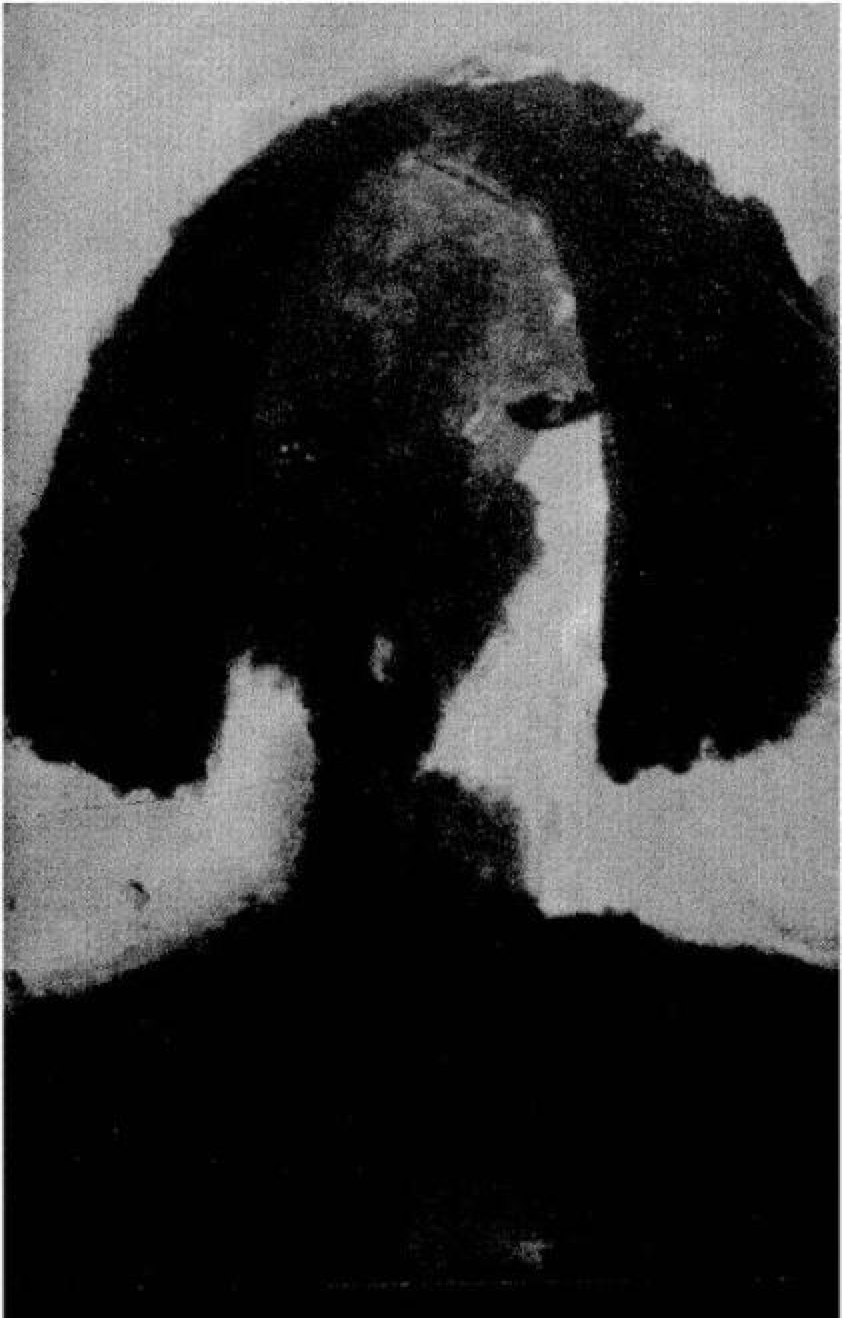
مهما يكن من شيء فالمرأة التي قدمها لنا جمال السجيني هي أم .

وهي أم تحمل في أغلب الوجوه طفلا . وهي في معظم معالجات السجيني جالسة (متربعة) تتحوط بخطوط منحنيه في أغلبها حتى تقدم لنا ما يشبه الدائرة ، أو ما يشبه الاحتواء ، أو العطاء الذي لا يتوقف .

ومهما يكن من أمر ما أثير يوما ما ، حول العلاقة الفنية الأثرة بين « **هنري مور** » **وجمال السجيني** في هذه المرحلة ، الا أننا لا نستطيع أن نتجاهل هذه الجلسة الفريدة التي قدمها هذا المثال عندما تناول الأم ، هذه الجلسة ، أو (القعدة) ،

---

(1) اهم طلائع جيل النحت الثاني . رئيس قسم النحت بكلية الفنون الجميلة اقام نحو عشرين معرضا فرديا ، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية ، وعلى وسام الحكومة الإيطالية





سيف وانلي (١٩٠٦ - ٠٠) .. امرأة عارية

كمال خلفه ..

وجــــه امرأة

او (التربيعة) ، التى لا يمكن الا ان نعثر عليها فى ريفنا الخصيب وحده ، أو فى ريف المنطقة العربية ككل . ومن ثم فنحن لا نستطيع ان نتصور ان جمال السجينى كان هنا فنانا ذاتيا على الاطلاق ، وانما هو على الاصح كان ذاتيا عندما تناول المرأة أكثر مما كان قوميا .

● المرأة والمادية العقلية .. عند صالح رضا (١)

هكذا قدر لنا ان نقف امام أول اندهاشه فى فن النحت المصرى ، وذلك حين قدم صالح رضا معرضه الاول سنة ١٩٥٤ ــ فالتقى منذ ذلك الوقت ظله المؤثر على قدرات التعبير الغالبة عند كثير من الفنانين المصريين ، من اولئك الذين أطلقنا عليهم فيما بعد اصطلاح الفنانين الشعبيين فى النحت أو فى التصوير .

لقد بدأ صالح رضا معالجته للمرأة من زاوية محببه ، حين قدمها فى شكل عروسة المولد الى حد ما ، ترتدى نفس الزى الذى نتعرف عليه على الفور ، حين أخذ يهتم فى ذلك الزمن بتأكيد الوحدات الزخرفية العربية على ذيل فستانها ، وعلى مقدمة صدرها ، وعلى جبهتها ، مستغلا أحيانا مفردات الوشم المصرية على جوانبها وعلى أقدامها ، انها نفس فتاة عروسة المولد ذات الخصر الرقيق الضيق ، والعيون المفتوحة المتسعة ، والفم الصغير الحلو ، والاطراف الطريه الملفوفه ، والانف الدقيق ، والصدر المتصب النامى والشعر المتموج . هى نفس هذه العروسة التى نعرفها حين تغيب اصابعها فى خصرها لرقتها ورقاقتها ، وحين تلتفت اليها وهى تكاد تتعثر لصغر قدميها . هذه هى المرأة عند صالح رضا فى ذلك الزمن ، بنت من بنات الشعب . تأخذ أوصاف عروسة المولد السكريه وتلتفع بها وتفيض . فهى حلوة حتى انها تدفعك لالتهامها ، وهى رقيقة حتى تمنعك عن ان تلمسها ، او تمسها لعفافها .

ومن ثم فلقد كانت وحدة البناء عند صالح رضا تتلخص ــ لو عرينا التمثال من كائنته الزخرفية ــ فى شكل اسطوانى مستطيل هو جسم العروسة ــ يلتحم بدائرة نامية هى الرأس ، فهى على أفضل التقديرات رؤية جنسية تتخفى فى شكل عروسة المولد من حيث الفهم الموضوعى ، فاذا نزعنا عنها هذه الزخرفات الغلابة على « الفورم » سيفاجئنا هذا الشكل النحتى الخالص المجرد الذى يقدر أن يتفجر من مضامين ذات أبعاد فنية متقدمة ــ وهذا هو ما فعله صالح رضا فى اعماله فى المرحلة التالية ــ ولعل ذلك اذن يفسر لنا لماذا أخذ صالح رضا فيما بعد يستخدم منطقة الثقل فى أعلى التمثال . ذلك يعنى أن محور ارتكاز التصميم البنائى عند صالح رضا ينطلق من قمة التمثال ، وليس من قاعدته ، ان العقل المحرك هو فوق ، ومن ثم فلعله يجوز لنا ان نرى صالح رضا باعتباره فنانا ماديا عقلانيا أكثر منه فنانا مثاليا مثلما كان عليه الحال عند مختار ، والسجينى .

على أن مفهوم صالح رضا عن المرأة من خلال الجنس أخذ يتحول بعد ذلك الى عمل ذهنى مرتب ، فالجنس هو محور ارتكاز جوهرى للحياة ، ومن ثم فالاسرة ،

---

(١) اهم طلائع جيل النحت الثالث . استاذ الخزف ، وفن التصميم بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة ، نحات وحفار وخزاف ومصور . اقام اكثر من خمسة عشر معرضا فرديا وحصل على جائزة الدولة التشجيعية ، وعلى الجائزة الاولى لبينالى الاسكندرية مرتين فى النحت والحفر

او الزوج والزوجة ، او العشيق والعشيقة ، هما محور هذا الجوهر ؛ ولذا فقد اخذت تماثيله بعد ذلك تنطلق من كتلة مصمتة ، متحدة ، ثم تتفرع الى واسطتين متلاصقتين ، فهى على ما فيها من المصرية ، معنى واسلوبا ، تحمل فيما تحمل الكثير من مفردات الشخصية العربية ككل اجمالي . ولكن ثمة ما أخذ يشغل صالح رضا بعد ذلك فى أعماله التالية حول المرأة ، أو حول الجنس اذا تقصينا الدقة ، اذ أخذ يتحول هذا الجوهر عنده الى اشكال بستوى والقضية ، بحيث يرى من خلالها الطبيعة ، والاشياء ، والعالم . وسرعان ما بدأ الوعاء الموضوعى عند رضا يتطاع لحسه التشكيلى ، واسلوب فكره الفنى ، ومنذ هذه اللحظة بدأ شكل التعبير النحتى عند هذا الفنان من منطلق اكثر اهمية ، **فالمرأة هى جنس ، والرجل هو جنس ، ان كل شىء هو جنس ، ان الجنس الان هو صراع الاضداد ، هو صراع حى من اجل مبتغى حيوى ، هكذا اخذت تماثيله بعد ذلك تتعرى من حقيقة مجردة ، فلم يعد الجنس عنده مفهوما اصطلاحيا للجنس ، وانما هو معادل لجوهر أعلى ، هو الحياة بنفسها ، وبتفاصيلها .**

● المرأة والرومانسية .. عند كمال خليفة (١)

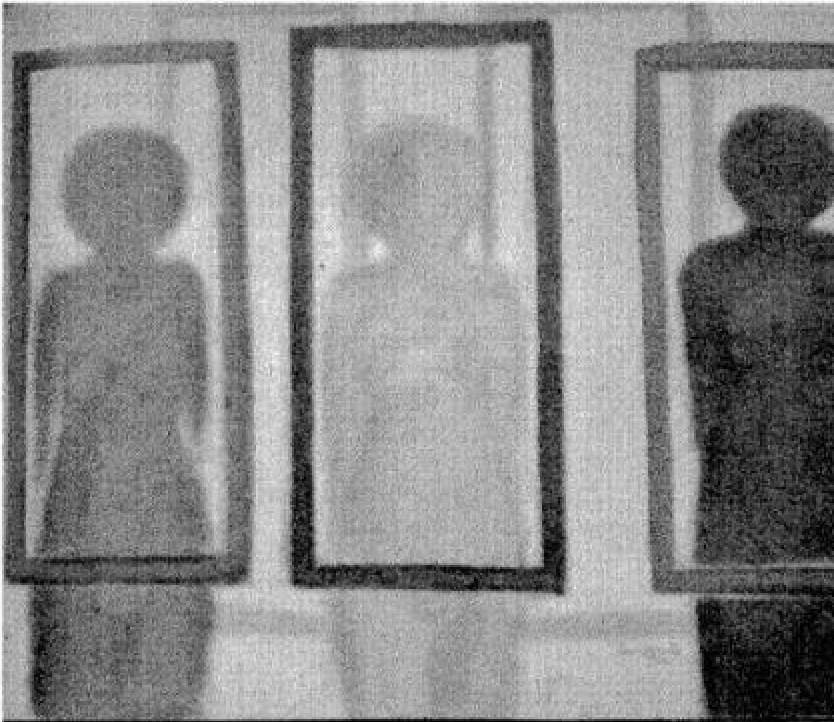
هكذا كان صالح رضا فنانا محبا للحياة من هذه الزاوية ، ملقيا بنفسه فى صراعاتها بدون خشية السقوط فى مضاداتها ، على عكس ما كان عليه الحال عند كمال خليفة عندما تمثلت المرأة عنده فى نوع من العطش القديم ، لاتجر عليه فيما تجر الا المأساة . فلقد كان كمال خليفة شديد الاحساس بالحواجز التى تقف فى سبيله . كان رومانسيا بمعنى الكلمة اذا ما ألقينا الضوء على إسلوبه فى التفكير على الاقل . **ولذلك فقد كانت المرأة عنده شيئا معادلا للمرارة احيانا ، وللاستنكار احيانا ، وللقذارة احيانا ، وللصراع اليائس احيانا ، وللمـــوت ايضا .**

وباستثناء هذا الجزء الغض ، المليء بالعطش والحياة المتدفقة هذا الذى أنجزه فى أوائل الخمسينات ، فاننا لا نستطيع أن نرى كمال خليفة الا من خلال تماثيله التى انجزها حول المرأة فيما بعد ـ حين تركزت عنده مجموعة تساؤلات جسم المرأة بأكمله ابتداء من تمثاله المعروف « **ملكة القطن** » . لقد كان كمال خليفة يتميز بقيمة لمسية عالية ، سرعان ما تمنحك الاحساس بشحنة مركزة من الشجن والأسى ، تتلفع بها الخطوط الاساسية الخارجية لكتلته النحتية . كان مرهفا بحيث يدعك ترى معه بنفس المقدار ، نوع المخارج والنتوءات ، والمساحات الصغيرة الغائرة على سطح الكتلة ، وهى تعطى فيما تعطى نوعا من الوجدان المعذب . اننا من هنا وعلى الرغم مما تحمله من مكانة عالية لكمال خليفة ، لا نستطيع ان نتجاهل تأثره العميق بالفن النحتى عند « **كنيث ارميتاج** » ، سواء من ناحية ترقيق الكتلة حتى تصير كالورقة السميكة تقف فى مهب الرياح العاتية ، أو حتى من ناحية هذه اللمسات المميزة على سطح الكتلة وبخاصة فى تناولاته للمرأة ككل .

ولذلك فنحن نضع اسكتشاته التحضيرية الكاملة تلك التى استعمل فيها الاحجار الصينية الداكنة ، فى موقع اهم من مختلف الزوايا . حين اخذ يبلور فكرته حول المرأة . وهى اهم لانها فنيا تتقابل من خلال بعضها فوق المساحة من طريق عناصر التكوين المحكم وبطريقة عشوائية سخية ، فنحن نعثر على كمال خليفة حيا متدفقا ،

---

(١) « الفنان الراحل » نحات ومصور ، من طلائع جيل النحت الثانى



زكريا الزيني (١٩٣٢ - ٠٠) ٠٠ العامل

المرأة والجنس

في أعمال عشرة فنانين مصريين

يعبر من المرأة من خلال نفس هذه المأساة ولكنه ليس هو نفس الصراع ، بل هو في الاسكتش صراع من نوع ايجابي ، على عكس ما ألقاه في تماثيله التي أنجزها في هذه الرحلة ، حين يصدمنا الاحساس بجفاف الحياة ، وتحجيد الصراع حتى اليأس الخانق

التصوير

- **المرأة والجنس .. عند محمود سعيد (١)**
- **المرأة والميتافيزيقية .. عند عبد الهادى الجزار (٢)**

مما يؤسف له ، أننا لا نجد في عصرنا الفنى الحديث ، سواء في مصر او في المنطقة العربية ككل ، وجودا محقق التأثير بالنسبة للمرأة في أعمال الفنانين . اللهم الا بعض الاهتمامات الفردية التى لا تلبث أن تمضى وتذوب خلال العمر الفنى . فنحن مثلا لم نعثر في **النحت** على مثال قدم المرأة بمثل ما قدمها « **رودان** » ، ام وحبيبة وعشيقة ، أو حتى بمثل ما قدمها « **مايول** » في نحته الوصفى لجمال تكوين الجسم عند المرأة ، أو بمثل ما قدمها « **جون هانز آرب** » زاخرة باسقاطاته الفلسفية والتشكيلية الفنية ... والحال ، في مجال **التصوير** ليس أفضل مما تقابله في النحت

اذا لا نجد مصورا قدم **المرأة علىاوية** متصوفة كمثل امرأة «**دافينشى**» او طائرة اطول الوقت تتعثر في ملابسها مثل « **تنتورتو** » ، أو جميلة ورومانسية مثل « **بوتشيللى** » ، أو جنسية مثل « **روبنز** » ، أو ناعمة تسيل عذوبة مثل « **كارافاجيو** » ، أو وحشية مثل «**جوجان**» ، او باعتبارها كلا شاملا من جميع الوجوه كمثل امرأة « **بيكاسو** » .

ان ما نقصد اليه ، هو أننا لا نتمتع بهذا التيار الدفاق في الفن ، هذا الذى يترجم المرأة كوجود فعلى في الحياة ، حين يكون مطلوبا من حركة التاريخ الفنى أن تؤكد لنا وجود المرأة كمفهوم عام في ضمير الفنان . ولكن ثمة ما يقف حائلا دون اداناتنا للفنان المصرى من جميع الوجوه ، اذ تشترك هنا مجموعة عوامل متشابكة لا سبيل الى النفاذ من خلالها نحو عالم المرأة . وكيف يكون لهذا التيار الخاص أن يتهيأ حين لا تزال هناك هذه المعوقات الكثيرة تلك التى تسد السبيل امام المرأة من أن تجعلها تذوب في وحدة المجتمع الواسعة مجتازة مئات الحواجز الخيفة .

***

ولهذا السبب فلقد كان لعاريات **محمود سعيد** وقع كوقع القنبلة في مجتمع ذلك الزمان . حين قدم المرأة عارية حتى من آخر قطعة ، مضطجعة فوق السرير ، تشد الانتباه عن طريق اثارة الحواس جميعها . او حين قدمها بعيون جائعة مسربلة ، حيث يتفجر صدرها من الدداء منتفخة مملوءة ، وفم مكتنز يحمل من أوصاف الجنس جانبها الزنجى الحارق . او حين قدم محمود سعيد بنت البلد مستديرة طرية ، داخل ملاءتها الشعبية السوداء بينما تمتلىء افخاذها وأردافها بالعافية ، والرقبة ،

هكذا كان محمود سعيد شجاعا حين قرر أن يخترق حواجز القهر الاجتماعية ، وان يكشف لنا بصورة ما عن جمال نسائنا .

---

(١) « الفنان الراحل » رائد الكلاسيكية المصرية في التصوير

(٢) « الفنان الراحل » : من طلائع جيل التصوير الثانى

ومنذ ذلك التاريخ بدأت المرأة تظهر في أعمال الفنانين خطوة أثر خطوة .

***

ومن ثم فنحن نلتقي من هنا نقطة بدايتنا في التصوير . نلتقي هذه المرأة التي قدمها لنا الفنان الراحل **عبد الهادي الجزار** . نلتقيها لأنها امرأة مدهشة . لاتجلب لنا الا احساسا مفاجئا بالصدمة حين نلتقي بها على مساحاته المضيئة . نلتقيها لانها امرأة من نوع مختلف لا نراها بيننا ، ولكنها تعيش فينا ، وتكون شكل خيالاتنا منذ طفولتنا الصغيرة . انها امرأة لا نراها الا في « الحواديت » . امرأة تمسك الثعبان ، وتسلق الشـــعور ، وتعلق الاحجبة ، وترتمي فوق الارض ، وتنكش شعورها ، وتترعرع عيونها بالضوء بينما هي ملقاة داخل اكفان الموت الخشبية . **انها اذن ليست أمرأة الجزار فقط ، هذه التي تســـتطيع ان تتعرف ربما على الغيب ، وعلى المستقبل ، ولكنها امرأة كل الناس ، وربما كل الاطفال ايضـــا .** هكذا اختارها الجزار خلال انجازاته المميزة في رحلته الفنية المتقدمة قبل ان يصـــل الى التعبير عن خوفه من الفضاء فيما بعد . ومن ثم فان وحدات التاليف الفنية عنده تبدأ من منطلق فكري ، اكثر مما تبدا من منطلق تشكيلي ، وهي تنتهي ببلورة فكرية ، اكثر مما تنتهي ببلورة جمالية . ولذلك فقد خانه تماسك البناء على الرغم من محاولاته الواضحة في تأكيد نسيج متوحد على السطح . اذ جعل وحداته في ذلك الوقت مسخرة للهموم قريب الى منطق التفكير الفلسفي في اغلبها ، اننا نستطيع من هنا ان نصفه ـــ مع بعض التجاوز ـــ بالسوريالية ، وبالميتافيزيقية ، وذلك على عكس ما تصوره الكثيرون فنانا واقعيا ، لنجد ان الجزار يضـــع مفردات مقروءة ومفهومة في مساحاته مثل المرأة والثعبان والحصان والحشرة ... الخ **هكذا كانت المرأة عند الجزار شيئا غيبيا . شيئا يملك الكثير من امكانيات السحر ، ومخاطبة المجهول . ولعل ذلك نراه أوضح ما يكون في لوحته الشهيرة « الميثاق » ، حين رمز الى مصر بامرأة تتلفع بلون اخضر على درجة هائلة من الغموض ، وعيونها تشع بضوء براق ، قد يجعلنا نتصورها شيطانا او ملاكا ، ولكنها في جميع الاحوال امرأة تستطيع ان تفعل المعجزات ، وان تضفي علينا من الغيب والمجهول جو السحر .**

- **المرأة والمأســـاة ٠٠ عند جاذبية سرى (١)**
- **المرأة والاسرة ٠٠عند محمد حسنين علي (٢)**
- **المرأة والاخصاب ٠٠عند زكريا الزيني(٣)**

هكذا اخذت المرأة كمفهوم تحتل مكانا ما في ضمير الفنانين وليس من قبيل الصدفة ان نختار هنا فنانة قامت بالتعبير عن المرأة في مجموعة مراحل متنوعة . فلعلها كانت تترجم لنا من موطن احساساتها وتجربتها شكل الحواجز والعلل ، التي قررت ان تكشف النقاب عنها في أعمالها . ومن ثم فقد بدأت المرأة طفلة في مرحلة متقدمة من أعمال **جاذبية سري** . طفلة تلهو باللعب وبطائرات الورق وتركن على الارض حافية القدمين تلعب السيجا ، أو تخطط لعبة الحجلة . وهي طفلة لا تجد من يشاركها

---

(١) استاذة التصوير بالمعهد العالي للتربية الفنية ، حصلت على منحة التفرغ لمدة اربع سنوات متتالية ، اقامت حوالي عشرين معرضا فرديا ، وحصلت على جائزة روما في التصوير ، جائزة شرف بينالي فينيسيا ، وجائزة التصوير الاولى بينالي الاسكندرية

(٢) فنان متفرغ : مصور ونحات وخزاف ، اقام عدة معارض بالقاهرة والخارج

(٣) مدرس بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، اقام اكثر من خمسة معارض فردية منذ عودته من ايطاليا سنة ١٩٦٨

اللعبة الا طفلة مثلها . ثمة هنا ما يجبرنا على ان نتوقف . اذ لا تحمل الطفلة هنا من مميزات الطفولة شيئا الا البراءة ، ولكن حركتها مشحونة بالمعرفة والاسى . وميولها طافحة باللوم احيانا وبالاعتراض — وربما ايضا بالخوف — هذا الخوف الذى دفع جاذبية سرى أن تبحث لطفلتها أو لبطلتهـــا عن وجه ما تنتمى اليه . **ومن ثم لم تجد الفنانة اطيب من القرية رمزا ملائما للانتماء** ، هكذا رأينـــا الطفلة وقد صارت امرأة تأخذ شكلا بين بيوت الفلاحين . وهى تأخذ لذلك شكلا قد يتحول فى بعض اللوحات الى ما يشبه البيت . انها الآن جزء لا يتجزأ من هذا الموقع . غير إن جاذبية تفاجئنا فى رحلتها التالية حين تجعل المرأة عندها جزءا من بيوت المدينة ، ولكنها فى هذه المرة جزء مفروض عليها . اننا لا نملك الا أن نكتشف الفضاضة فى وجهها والقرف . فالانتماء الى المدينة هنا ليس انتماء للطبيعة ، ولكنـــه انتمـــاء للسلطة . هكذا تميزت هذه الفترة عند جاذبية سرى بالتماســـك البلاستيكى ، وبالالوان الزاهية التى تفضح نفســها . كانت وحدة التكوين عند جاذبية فى ذلك الوقت تمتثل لشكل المربع . مجموعة مربعات متعامدة فوق بعضها ، أو متوافقة الى جانب بعضها . والمربع هنا ليس شكلا بلاستيكيا مطلقا وانما هو مربع يحمل ما فيه من معادلات الرمز . فهو شكل من اشكال الاكتمال الحســـابى ، وهو عند جاذبية الان معادل لمفهوم الامان . ولكن جاذبية سرعان ما تضيق بهذا النوع من الحس التواكلى . فهى اخيرا قد قررت أن تبحث عن المحرك . ان المثير اساسا فى لوحاتها الاخيرة حول المرأة هو « **البطل** » . والبطل هنا فى اعمالها الاخيرة ليس هو المرأة ، وانما هو ما تعبر عنه هذه المرأة . ولذلك فاننا نلتفت وقد رأينا المرأة عندها تطير فى الهواء أو تدور حول نفسها فى الفضاء أو هى تدور حول مجموعة مربعات مطلقة ، أو نعثر عليها احيانا ملقاة من فوق الى اسفل ، ولكننا لو لبثنا لحظة فاننا سنتبين هذا الهلال الذى أخذ يلازم المرأة ، هذا الدليل الوهمى لمنى الشعر عند جاذبية . انها تثور وتفقد توازنها ولكنها تحمل معها معادلا لمثلها العليا . ان ذلك لم يمنع جاذبية سرى من أن تقع فى بعض المخاطر فى حسم مشكلة السيطرة على التكوين اذ أجبرتها هذه الرحلة المثيرة حتى تجزىء المساحة الى مجموعة وحدات منفصلة فوق الســـطح على عكس ما كان عليه الحال عندما بدأت حلولهـــا الفنية البريئة مع الطفلة والقرية .

***

ان وجه الشبه يكاد يقابلنا لو تصورنا أعمال فنان مثل « **محمد حسنين على** » . فلوحاته فى التصوير تلك التى بدأها فى الستينات تكشف لنا مفهوما يكاد يكون قريبا من نفس المفهوم الذى بدأت من عنده جاذبية ، هذه البداية التى ربطت — على الاغلب — بين البيت والمرأة ، أو بين بيوت القرية والمرأة أو بين بيوت المدينـــة والمرأة ، أنها عند محمد حسنين على نفس المرأة ، ولكنها مع بيوت تختلف نوعيا عن بيوت جاذبية . فلا هى بيوت القرية ، ولا هى بيوت المدينة . انها بيوت لاتقابلها الا فى الحوارى المغلقة وهى أيضا ليست أية حوار ، بل هى تلك التى تحمل دهورا من الزمن وتنوء بالذكريات الطويلة . فهى حوار لا نعثر عليها الا فى القاهرة القديمة أو خلف أبنية حى الحسين المميزة ، فهى اذن حوارى الفقراء . تلك التى لا تدخلها الشمس الا نادرا ، هناك حيث نجد المرأة أو نجد الاسرة بكاملها تجلس خارج البيت القديم تنظر فى لا شىء وربما أيضا تفكر فى لا شىء . هذا هو القطاع الذى حرك اشكال التعبير عند محمد حسنين على ، **ولذلك فالمرأة عنده تختلف . فهى ليست قطاعا من البيت لا يتجزأ ، ولكنها قطاع من الاسرة ، ومن ثم فنحن نجد معظم لوحاته تمتلىء بمجموعة من النساء الجالسات أو الواقفات ، حين نراها وقد أصبحت جزءا**

من شكل التصميم المعمارى القديم الذى يفصح من نفسه على الدوام فى خلفياته المتقنه التسيج . ولذلك فاننا نرى فيها طعما كالافرسك ، ولونا بنيا حارقا قد يكون احيانا باليا واحيانا باهتا ومزمنا ، هكذا نعثر على شخوص هذا الفنان حين تتكون من مفردات الخط الرأسى المستقيم فى اغلبها فى تآلفات متنوعة مع وحدات من المثلث التى تمنح الاحساس بالقلق ، وعدمية الامان . ان حسنين هنا يجنح الى الكشف والامتراض من طريق المرائنا فى هذا النوع من العذاب العميق . وهو هنا يختلف من جاذبية سرى نوما ورمزا ، ففى حين تنطلق جاذبية من مفهوم رومانسى ، ليبرالى حول المرأة ، نجد حسنين على ينهج الى الواقعية الملتزمة فيما يقدمه ، وفى حين تتنوع اللوحات عند جاذبية بجميع الالوان تجدها عند حسنين على مغرقة فى توليفات اللون الواحد ، وفى حين تكون وحدة جاذبية هى المربع ، نجد الوحدة الفنية عند حسنين ، على اغلب الوجوه ، هى المثلث .

والحال ، اننا نقف امام أعمال فنان مثل زكريا الزينى ، وقد قدم لنا المرأة فى جميع اعماله محملة بنوعية مثيرة . فثمة هذا الاستخلاص الموضوعى لجوهر فهمه للمرأة ، متحصلا على (البيت) من جاذبية سرى ، وعلى وحدة اللون من محمد حسنين على . ولكن تحصيل الزينى هنا لكل منهما ليس تحصيلا استقرائيا ، وانما هو تلخيص على قدر كبير من معنى اللمسة حين يكون لها من التفاعل الوجدانى ما يؤكدها ، ومن المثير الفلسفى ما يعمقها . ولذلك فالبيت عند الزينى ليس بيتا على الاطلاق ، وانما هو اطار يأخذ فيما يأخذ شكل المربع الخالى احيانا والمستطيل الخالى احيانا أخرى . فهو مجرد « برواز » لا يقدم الى الصورة المحمولة فيه جوهرا كمثل ما نجده عند جاذبية ، بل جمالا مضافا ، واللون عنده يتوحد على المساحة ليس من خلال التفريع التعليمى كما هو الحال عند محمد حسنين على ، وانما من خلال التوليف التركيبى ، فليس البيت اذن عند الزينى ضرورة مرادة ، وليس اللون عنده احتياجا ملحا ، بل ثمة ما يجد علينا امام اعمال الزينى ، حين نرى ان كل امرأة عنده تحمل فى بطنها جنينا . انه شىء هلامى على نحو ما ، ولكنه على كل الاحوال جنين . فامرأة زكريا الزينى امرأة من هذا النوع الذى يحمل البقاء ، والبقاء اذن بدون الاخصاب لا يصير الا عبثا وهراء .

● المرأة والحرية .. عند سيف وانلى (١)

« سأقول لك الحقيقة ، استفزنى احدهم يوما ، وقال لى،
هل تستطيع ان ترسم العارية ؟ .. ذهبت مشتاقا الى مرسمى
وفى شهرين رسمت مائتى امرأة عارية ... بطريقتى ! »

لم تبدأ المرأة فى أعمال سيف منذ ذلك التاريخ . ولكنها بدأت منذ زمن بعيد فى اوائل الاربعينات حينما ملأ رسومه كلها بهذه المرأة التى لا تعرف الا ان ترقص .

---

(١) رائد التصوير المصرى المعاصر . اقام اكثر من ثلاثين معرضا فرديا ، وله مقتنيات فى جميع انحاء العالم

رسمها وهي ترقص في ثياب الفلاحين وفي الملابس الشعبية وايضا وهي تقف على أطراف أصابعها فوق المسرح . رسمها وهي أم ، وهي فتاة كبارية ، وهي مغنية ، وهي ايضا مومس . واخيرا رسمها وهي عارية تماما . ولكن حتى عريها لم يكن الا عريا حرا ، علينا برفض القواعد التي قدمتها لنا مثلا عاريات بوتشيللي ، أو روبنز فهي عارية تغسل نفسها ، او تضع قدميها مرتفعة أمام وجهك ، أو تستطلب الفراش، وصنع الحب . ان ما يقوله سيف في الجملة المذكورة هنا لا يزيدنا الا اقتناعا **بان المرأة كانت تعيش في ضميره** ، وان هذا الاستقرار لم يكن فقط الا محركا ومثيرا ليحدث على المساحة اسقاطاته في المرأة ، تلك التي نضعها في راينا في افضل الروائع الفنية التي قدمها سيف في أعماله . ولكن المسافة هنا لا تسمح لنا بأن نتناول المرأة عند سيف بدون أن نقع في بعض المحاذير ، ولذلك فنحن نكتفي بأن نسجل له هذه الفوضى المنظمة التي قد نصطلح على تسميتها بـ « الحرية » ، تلك التي تلفعت بها المرأة عند سيف وفاضت بها في رسومه الغزيرة .

فالمرأة التي يقدمها لنا سيف ليست من هذا النوع الذي نستطيع أن نضع له اطارا محددا فلا هي غريزية ، ولا هي مثالية ، ولا هي رومانسية ، ولا هي ميتافيزيقية ولا هي مأساوية ، كما أنها ليست امرأة للاسرة ، ولا امرأة للاخصاب ، ولا امرأة للبقاء . **انها عند سيف تستمد معظم ملكاتها من كونها امرأة** . مجرد « امرأة » لها النداء قبيحة أو جميلة تظهرها ، وبطن مترهل أو عنق تبرزه ، وافخاذ مترهلة ، او مثيرة تكشف عنها ، وشفاه لا تطلب الا الحب . ولكننا مع ذلك نقف امام ريشته ولا نعرف تماما ماذا يتوجب علينا ان نأخذ من نوع الاستدراك المطروح أمامنا . **ان المرأة عند سيف كل شامل . تمثل في ضميره هذا الطرف الاخر الذي يفسح السبيل الى الحرية . انها في احسن الاحوال امرأة هذا العصر المطحون . تتحمل كل الاوصاف ولكنها لا تملك وصفا** . ولذلك فان الخطوط والالوان التي يفسحها سيف في مساحاته من العارية والمرأة ، لا تهتم بشكل النسيج الاجمالي ، بقدر اهتمامها بتنوير الاسقاطات التي يهدف اليها فهو في النهاية فنان يستنقذ الحقيقة حتى يصل عند المشاهد الى حد الكشف عنها ، واحداثها ثم التصادم معها .

هكذا اخذت المرأة تتحصل على مكانتها عند الفنان العربي ، حين بدأت تتشكل في ضميره الفني بحيث أصبحت جزءا هاما من شواغله اليومية في التعبير . فنحن أيضا نجدها عند الفنان الفلسطيني **اسماعيل شموط** ، **وتمام الاكحل** حين تحمل المرأة عندهما معنى القومية . كما نجدها عند الفنان السوري **نعيم اسماعيل** حين تمثل رمزا للشعبية .

* * *

غير اننا لا نستطيع الزعم بان النماذج التي انتهينا اليها هنا من الفنانين هي افضل النماذج المنتقاة على الاطلاق ، ولكنها في اغلبها تقدر ان تقدم لنا من خلال تعبيرها الهام الغزير في هذا المجال ، ما يجبرنا على ان نتوقف عنده لنتأمله ، حين نتطلع الى ان نبرز موقع المرأة ، حين يكون منهجنا ان نكشف النقاب عن مكانتها ، وعن تحقيقاتها في المجتمع العربي بوجه عام .

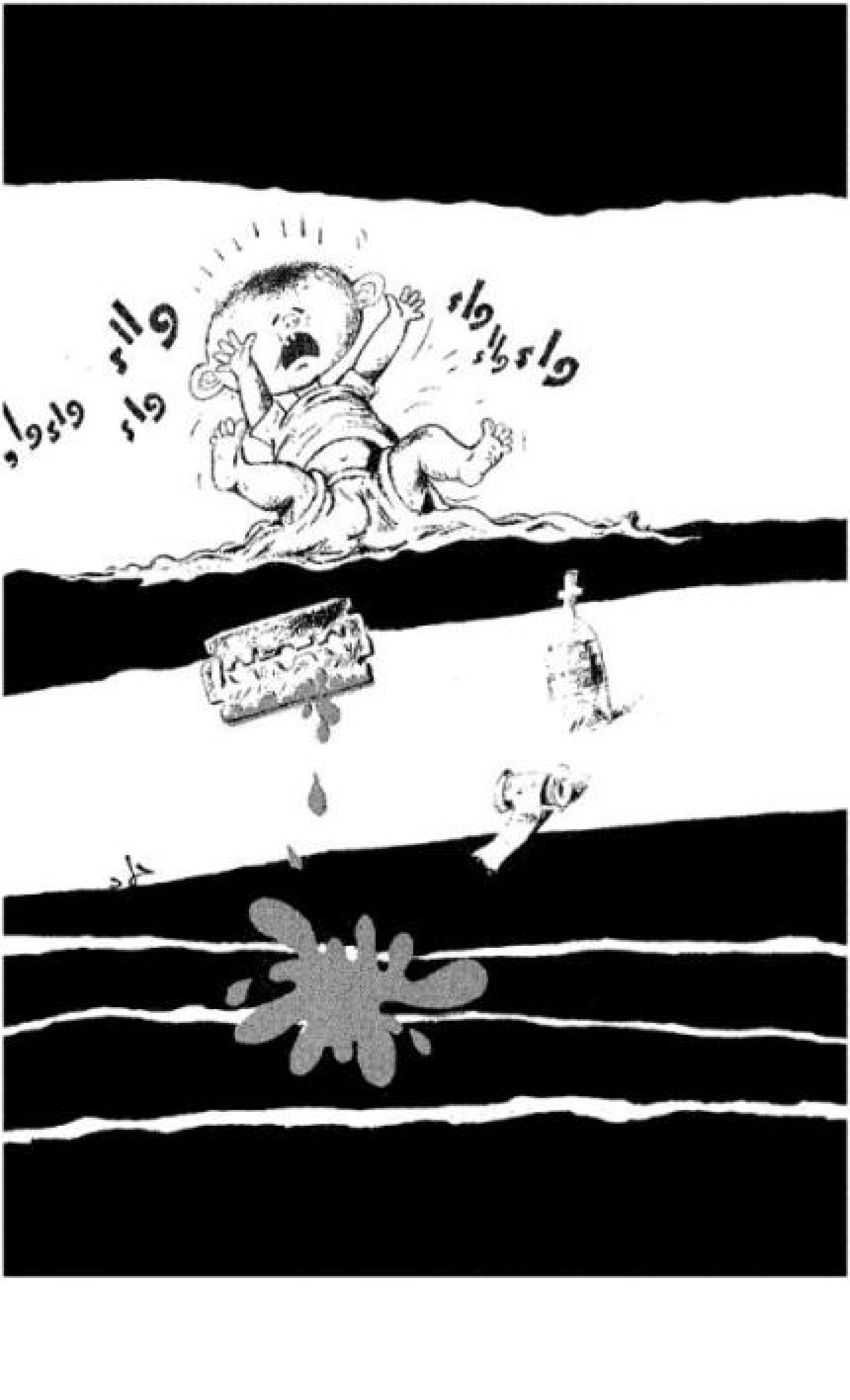
محمد عفيفي

مرشد الحيران .. فى عملية الختان ..!

من المعلوم ان عادة الختان واحدة من الشعائر الرئيسية فى ديانة اليهود ، ان لم تكن كما يفهم من اقوال بعضهم على رأس تلك الشعائر كلها . فلقد بلغ من تحمس البعض لها ان قال : ان الله تعالى حين خلق العالم لم يكن يهدف الى شىء سوى تهيئة الوسط المناسب لوجود الانسان الذى تجرى له عملية الختان ! واذا بدا لك ان هذا الكلام نوع من المبالغة بقصد التشنيع فما عليك الا ان تفتح صفحة ٧٥ من كتاب اسمه «اليهودية» كتبه يهودى يدعى آرثر هرتزبرج ، وهو كتاب - اذا كان يهمك الامر - امريكى الصنع !

فبينما كان ابراهيم فى التاسعة والتسعين من العمر (شايف الدقة !؟) كلمه الهه السمى «يهوه» مخطرا اياه بانه قد فرض عليه شريعة الختان هو وذريته ، وان كل طفل يولد فى اى بيت يهودى يجب ان يختن حتى ولو كان من العبيد ، ولا يحول دون تختينه ان يكون قد ولد ميتا ! والختان يجب على وجه التحديد أن يتم فى اليوم الثامن لميلاد الطفل ، لا يمنع من ذلك ان يتصادف كون ذلك اليوم يوم السبت ! وطوال تلك الايام الثمانية يكون البيت مليئا بالارواح النجسة الشريرة التى لا تنصرف الا باجراء العملية المقدسة .

وسجلت هذه الشريعة كما زعموا فى وثيقة بين ابراهيم وربه ، تلك الوثيقة التى لم يوقعها الاول بالحبر مثل سائر الوثائق الرسمية وانما بالمادة المناسبة للمقام وهى دم الختان !!



واءواءواء
وااء
واء
واءواء

●● مرشد الحيران في عملية الختان!

ويزعم الكتاب الذى سلفت الاشارة اليه ان بنى اسرائيل ارادوا ان يخرجوا من مصر الفرعونية فاستوقفهم المصريون قائلين :

– لماذا لا تكفون عن الختان فيشب اولادكم مثل المصريين وتنزع من اعناقهم قيود الاسر ؟

فنفخ بنو اسرائيل في ترفع وكبرياء قائلين :

– هل نسى ابراهام واسحاق ويعقوب اباهم الذى في السماء حتى ننساه نحن ؟!

وهذه والحق يقال درة الدرر في ذلك الفن الذى تتجلى فيه على الدوام عبقرية بنى اسرائيل ، في الكذب والتدجيل ! فمثل هذه المحاورة يستحيل ان تكون دارت بينهم وبين المصريين لسبب بسيط جدا هو أن المصريين قد أعتادوا ممارسة الختان منذ آلاف السنين قبل أن يتردد على وجه الارض صوت واحد اخنف لكائن يهودى !

وفى اى يوم تذهب فيه الى سقارة او الاقصر يمكنك ان ترى على جدران المعابد صورة للعملية سجلها الرسام الفرعونى بواقعيته المعروفة . بل كان الفراعنة في اعقاب المعارك يحصون عدد القتلى من الاعداء عن طريق فرزهم للجثث غير المختنة !

وليس الفراعنة الذين بنوا الاهرام واخترعوا الابجدية والتقويم هم الذين أبتكروا عادة الختان ، بل هم ورثوها من عصور موغلة في القدم ، كواحدة من الرواسب البدائية التى لم ينجح الفرعونى المتحضر في التخلص منها ، وهو معذور والله ما دام حفيده مصرى القرن العشرين لم ينجح هو الاخر في التخلص منها ! وكان استمرار هذه العادة البدائية راجعا بالطبع الى الكهنة الذين يرفضون التخلى عن القديم مهما كان سخيفا ، والذين بلغ من تمسكهم بذلك القديم أنهم أصروا على اجراء العملية بالاسلحة الحجرية حتى بعد أن دخلت مصر في عصر النحاس .

وهى ليست بالطبع عادة مصرية فحسب ، بل هى عادة متفشية بين كثير من الشعوب القديمة .. ولقد تعددت الاراء في تفسير الفائدة التى توهم الانسان البدائى ان يحصل عليها من وراء عادة الختان ، بين رأى يقول انها نوع من قرابين الدماء التى ظن ذلك البدائى التعس انها ترضى الالهة ، وبين رأى يقول انها بديل رمزى للتضحية بالفرد كله على مذبح الاله . اى ان الرجل الذى كان يذبح تضحية للاله لا يمكنه اليوم أن يعترض على اقتطاع هذه القطعة الصغيرة من جسمه ! وهناك رأى ثالث بأن الانسان البدائى قد اهتم بتلك العملية لاعتبارات فسيولوجية ، وذلك بسبب ما يحدثه ذلك الغلاف الجلدى من انقاص للحساسية مهددا بذلك ما هو مطلوب في الرجل من الخصوبة الكاملة .

وهذا الرأى الاخر يناقض نفسه

لصـأما ، حيث انه اذا كانت زيادة الحساسية هى الغرض من ختين الذكور فما معنى اجراء العملية للاناث وليس لمة نتيجة لذلك سوى الالغاء الكلى او الجزئى لتلك الحساسية ؟! ولقد كان ختين الاناث موجـــودا ايضاً فى مصر القديمة ، على الاقل اذا صح ما تروه المؤرخ الاغريقى سترابو من مشاهدته تلك العملية بنفسه .

فاذا وافقنا على الراى الاخر القائل بأن الختان هو نوع من القربان الجزئى فاننا لا نملك الا أن نتساءل : **لماذا وقع الاختيار على هـــذا المكان بالذات من جسم الانسان ؟؟ لماذا لم يعهد مقدم القربان – ما دامت المسألة مجرد عينة – الى اقتطاع حلمة الاذنه مثلا ؟!**

ان هذا التساؤل يغرينا بان ننحاز لراى آخر ، ذلك الرأى القائل بأن الختان ما هو الا رمز لعادة قديمة ، كانت تجرى فى غياهب التاريخ ، عادة الاستئصال الكامل لعضو التناسل منذ الطفل الذكر ، حيث كان الاب البدائى او زعيم العشيرة يعمد الى هذا الاجراء القاسى خـــوفا من أن يكبر الاولاد وينافسونه على اناث العشيرة ، بعد ان يقتلوه ان استطاعوا . وهو نوع من القسوة قد يبدو غريبا لعقلنا المتحضر ، ولكننا لا نلبث أن نتذكر الخصيان و « الاغوات » الذين خصت بهم قصور الكثير من الحـــكام من مختلف الاديان توقيا لاعتدائهم على الحريم .

وسواء أخذنا بهذا الراى او ذاك – وكلها فروض نظرية – فنحن فى النهاية امام ظاهرة همجية محضة ، وامام تعبير صريح من كل اللبس والتشويش والخوف الخرافى الذى اقترن بالمسألة الجنسية فى ذهن الانســان البدائى . وهى فى الوقت نفسه مثل مجسم للسادزم الذى عرف به الكهنة فى كافة العصـــور ، والسادزم ان كنت لا تعلم هو القسوة الجنسية التى يحلولها فى بعض الاحيان – كماهو الحال هنا – أن تتخذ لنفسها صورة دينية زائفة .. ومن ثم فقد كان « يهوه » الها غريباً حقا ، اذ اختار لشعبه المختار تلك العادة الهمجية لتكون حجر الزاوية فى دينهم ، مثبتا بذلك انه لا يزيد عن كونه تجســيدا عبريا جديدا لتلك الالهة الدموية العتيقــة التى توقف عندها خيال الانســـــان البدائى .

واليوم يعمد بعض الفيلوبين من هواة السادزم الى التمسح فى العلم ، قائلين لنا **ان ذلك الغلاف الجلدى من عادته أن يحتجـز فى ثناياه بعض المواد الضـــارة التى يمكنها على المدى الطويل ان تصيب عضو الذكر بالسرطان .** وهذا نوع من الجدل الذى يثير كلا من الغيظ والرثاء ، فلماذا نفترض وجود ذلك الرجل القذ فى قذارته ، الذى يرفــض الاغتسال ويترك الافرازات جسمه تتراكم يوما بعد يوم حتى تصيبه بالسرطان ؟! وإذا صح وجود مثل هذا المخلوف أفلا ترى معى انه يستحق أن يصاب بالسرطان فعلا ؟! وان السرطان ليصيب الانثى بين حين وآخر فى ثدييها أو فى رحمها ، فهـــل يدفعنا هذا – وفقا لنفس المنطق – الى ان نستأصل لكل انثى تولد ثدييهـــا ورحمهـــا فى اليوم الثامن ؟! وما رأى اصحاب ذلك الكلام فى ان عدد الاطفال الذين ماتوا بسبب الختان يبلغ أضعاف عدد الذين ماتوا من السرطان ؟! والدليل على ذلك ما ننسبوه الى « يهوه » من انه يعفى من الختان كل طفــــل ثالث يكون أخواه السابقان قد ماتا بسبب العملية ! فلو لم يكن قد تكرر حدوث الوفاة بسبب الختان لما كان « ينزل » هـــذا الاعفاء ؟! ومن هنا يبدو لنا أن الكاهن الفرعونى كان اكثر حكمة من « يهوه » ، اذ رفض أن يجرى العملية للطفل الوليد مؤجلا اياها الى سن البلوغ حيث يمكن للغلام أن يتحملها بغير خطر كبير على حياته .

فهـــذا الراى البالى هو أقصى ما يستطيع ان يسوقه دعاة الختـــان « العلميين » من حجج لتبرير العملية ، وفى مقابله تقوم اكثر من حجة منطقيـة

وعلمية تدعونا الى نبذ العمليــة نبذا تاما . فماذا يدعوني – انا الانســـان المعاصر – الى أن أخضع جسمي للتشويه انصياعاً لعادة تنحدر الى مما قبل العصر الحجري ؟ وكيف أسمح لنفسي بأن اتورط في هذا التوهم الساذج بأن خالق هذا الكون العظيم يمكن ان يبدي كل هذا الاهتمام بقطعة جلد مهينة تتدلى مني !! واذا كان الله هو الذي خلق بنفسه تلك القطعة ، فأي منطق هــذا الذي يقول انه ما خلقها الا لكي يأمرني بأن أقطعها !!

فاذا تناولنا العملية من ناحية نتائجها فقد رأينا كيف تسببت في وفاة الكثير من الأطفال لا سيما قبل أن تتقدم أساليب الجراحة والتمريض . وهي كما مر بنا تضاعف الحساسية عنــد الذكر ، في الوقت الذي تهبط بها عند الانثى الى الحد الادنى . **فهل لعاقل منكم ان يخبرني بالسبب الذي يدعونا الى ان نقطع الذكر – لا سيما اذا كان مراهقا نصبا – في حالة اســتعداد مستمر للتهيج الموضـعي ، او الذي يدعونا الى ان نحرم الانثى من حــق التلذذ الذي وهبتها الطبيعة اياه ؟!**

واهم من كل ذلك في نظري ما لا بد أن يصاحب تلك العملية من **قمرد عصبي بالغ** ، لا سيما عند موافقة « بهوه » على اجرائها في اليوم الثامن . فهناك في علم النفس ما يعرف بصــدمة الولادة التي يتعرض لها كل طفل ، ولا شــك أنك لاحظت من عواء الوليد أنه ليس سعيدا كل السعادة بالخــروج الى الحياة . فأنت تتخيل بالطبع ما لا بد أن تقترن به عملية « الخـــروج » من أوجاع للطفل المسكين ، كما تتخيــل ضخامة العبء الذي يلقى فجــأة على الجهاز العصبي للطفل ، لكي يمكنه من ان يتنفس الهواء للمرة الاولى ومن ان يتحمل البرد القارس الذي خرج اليه فجأة من دفء الرحم . الى صـــدمة الولادة هذه يعزون كثيرا من الاضطرابات العصبية التي تلازم الانسان في مختلف مراحل حياته ، بل يبالغ بعض العلماء فينسبون معظم الامراض النفسية الى ما يسمونه بالحنين اللاشعوري للعودة الى الرحم .

وهاهم يريدون أن يجعلوا المصيبة مصيبتين ، وبدلاً من صــدمة الولادة وحدها يضيفون اليها صدمة الختان ! فلا شك أن الجهاز العصبي سوف يجد نفسه مضطرا الى بذل مجهود ضــخم جديد لكي يواجه هذه الالام غير المتوقعة ، الى جانب ما يلقى على الجسم كله من جهد يحقق به التئام الجــرح ومقاومة الميكروبات التي تهجــم بالبلايين على الجسم الطري التعس . اضف الى ذلك ما ورد في فقرة من كتاب سأحدثك عنه بعد قليل ، وتلك الفقــرة تقـول **« اظهرت البحوث الاخيرة أن السبب في تخثر الدم هو فيتامين ك ، وهو لا يكون في الاطفال الاصحاء قبل اليوم العاشر من العمر . كما اظهرت ان الطفل يرث من امه مقــدارا من « البروترومبين » يبدأ به حياته ، ثم يأخذ هذا المقدار في التناقص خلال الايام القليلة الاولى من**

●● مرشــد الحــيران في عمليــة الختــان!

عمره الى ان يبدأ جسمه فى اكتساب هذه الصفات الاهمية الحيوية ، فاذا ختن الطفل مبكرا عرقل ذلك اكتسابه هذه الصفة » .

فاذا أجريت العملية حين يكبر الطفل بعض الشيء — ماسين مثلا — فهناك الخطر النفسي البالغ الذى تهدده به ، لما يمكن ان يترسب فى لاوعيه من أنها نوع من الخصاء على سبيل العقوبة ، واعتقد انك قرأت اكثر من مرة عما يسمى بعقدة الخصاء التى طالما سببت للرجل البالغ كثيرا من المتاعب النفسية . فاذا ما أجلت العملية الى سن البلوغ كما هو الحال عند الفراعنة فهذا لايحول دون ما لابد أن تتركه فى نفس الغلام من المهانة ومن احساس مستمر بفكرة النجاسة اللازمة لكل ما يتعلق بالجنس

من كل هذا أعتقد انك قد بدأت توافقنى موافقة تامة — بعقلك على الاقل — على ان الختان عادة همجية يجب تحريمها ، وأن كنت بالطبع اسمع ذلك السؤال الذى يتردد فى ذهنك طول الوقت قائلا : اذا اتفقنا على ان الختان عادة همجية يجب ان نترفع عنهـا ، واذا سلمنا بأن المصريين قد نسبوها الى السماء زورا وبهتانا ، فكيف امكن لها أن تصل الينا نحن المسلمين بوصفها شيئا يباركه ديننا ؟؟

وهنا نصل الى ذلك الكتاب الذى اشرت اليه ، وهو كتاب صغير عنوانه « الختان ضلالة اسرائيلية مؤذية » ، الفه مفكر امريكى حر اسمه جوزيف لويس ، وترجمه الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف ، وطبعته دار الشعب التابعة للاتحاد الاشتراكى العربى . وقد صدره المترجم بمقدمة طويلة تجيب عن ذلك التساؤل الخاص بالعلاقة بين الختان والاسلام .

يرى الكاتب ان الاسانيد التى تؤيد الختان كعادة يقرها الاسلام هى التالية :

اولا — الحديث النبوى الذى يقول : الفطرة خمس : الاختتان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط .

ويقول الكاتب أن هذا حديث مكذوب مثل الاحاديث الكثيرة التى دسها اليهود بين نصوص الاسلام ترويجا لشعائرهم الخاصة . وحتى اذا صح — اقول انا — أن الحديث ليس مكذوبا فهو كما ترى لا يرفع الختان الى درجة الشعائر ، وواضح بداهة ان الذى لا يقص شاربه او ينتف ابطه لا يرتكب بذلك فاحشة تدرجه فى قائمة الخطاة

ثانيا — الاية الكريمة التى تقول : واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن . والاية الثانية التى تقول : ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا .

لقد فسر البعض الاية الاولى أنهـا تشير الى الختان ، وفسروا الثانية بأن الختان شيء اساسى فى ملة ابراهيم ومن ثم فهو ملزم للمسلمين . وفى ذلك يستشهد الكاتب برأى الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت بأن هذا اسراف فى الاستدلال ، غاية ما توحى به هو عدم التسليم له .

ثالثا — الحديث النبوى الذى يقول الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء ، وهو حديث يرى الكاتب انه مكذوب أيضا ، وانه — مثل الحديث السابق — لم يرد عند كتاب السيرة الذين يعول عليهم .

ويختتم كلامه بفتيا الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت التى تقول :

« والذى اراه ان حكم الشرع فى الختان لا يخضع لنص منقول وانمـا يخضع فى الذكر والانثى لقاعدة شرعية

عامة وهى أن إيلام الحى لا يجوز شرعا إلا لمصالح تعود عليه وتربو على الألم الذى يلحقه . وقد خرجنا من استعراض الروايات فى مسألة الختان على أنه ليس فيها ما يصـــح أن يكون دليلا على « السنة الفقهية » فضلا عن « الوجود الفقهى » وهى النتيجة التى وصـــل اليها بعض العلماء السابقين وعبر عنها بقوله : ليس فى الختان خبر يرجـــع اليه ولا سنة تتبع »

وأنا لا يسعنى الا أن أشكر الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف على الجهـــد الذى بذله فى كتابة هـــذه المقدمة وفى اختيار هـــذا الكتاب للترجمة ، كما أشكر دار الشعب التى تبنت الكتاب ونشرته ، وأن كنت ألومها بالطبع على هذه « السرية » الشديدة التى صدر بها الكتاب دون أن يسمع به أحد ، مع أنه يجب أن تكون هناك نسخة منه فى كل بيت مصرى حديث ، عسى أن يفكر الناس مرتين قبل أن يلحقوا بأطفالهم الأبرياء كل ذلك الإيلام والإيذاء والإذلال

وأنا أعرف أن هناك نوعا من الناس يحب على الدوام ان يمسك العصا من وسطها ، ويرفض ان يأخـــذ بفـــكرة الاحاديث المكذوبة مخافة ان تكون على عكس ما يرى الشراح صادقة . ولهؤلاء أقول انه حتى لو صحت تلك الاحاديث فهى — كما رأينا — لا ترفع الختان الى مرتبة أكبر من مرتبة نتف الابط ، أو أكبر من كونها نوعا من « المكرمة » . ولعل عادة الختـــان كانت أثيرة لدى عرب الجاهلية الى الدرجـــة التى لم تجعل من اللازم صدم مشاعرهم بتحريم شىء لا تبدو له — وفقا لظـروف ذلك العصر — أضرار واضحة . فنحن اليوم لا نأثم اذا امتنعنا عن عادة أقرها الاسلام فى ظـروف معينة ، تماما كما لم نأثم عندما كففنا عن قطع يد الســارق ، ولا عندما اكتفينا بحبس الزانى والزانيـة بدلا من دفنهما فى الرمال ورجمهما حتى الموت . ونحن لا نأثم بالطبع حين ندعو الى الحد من تعدد الزوجات والى تحديد النسل ، وذلك بعد أن تغيرت الظـروف وأوشك حى واحد من أحياء القاهرة — مثل شبرا — ان يفوق فى عدد سكانه كافة سكان مكة فى وقت ظهور الاسلام. **فالمهم فى الدين — أى دين — هو روحه العامة الخالدة لا مجموعة التفصيلات التشريعية التى تصبح فى بعض الاحيان — مع التطور الاجتماعى والاقتصـــادى والثقافى — غير ذات موضوع .**

فاذا لم يتطور الانسان ويسمو الى مستوى عصره فهذا هو الجمود الفكرى الذى يهدده بالتخلف والسقوط من ركب الحياة . وكان الله فى عون طفل يسلم جسده — مترجما باكيـــا — الى موس كاهن يهودى أفـــرغ من مخلفات العصر الحجرى ، فى الوقت الذى تسمح فيه من دراسة الصخور القمرية المتطمة فى معامل روســيا وأمريكا ، بعد أن تمت أكبر عملية ختان فى القرن العشرين — عملية الختان لكوكب القمر !

•• مرشـــد الحـــيران فى عمليـــة الختـــان!

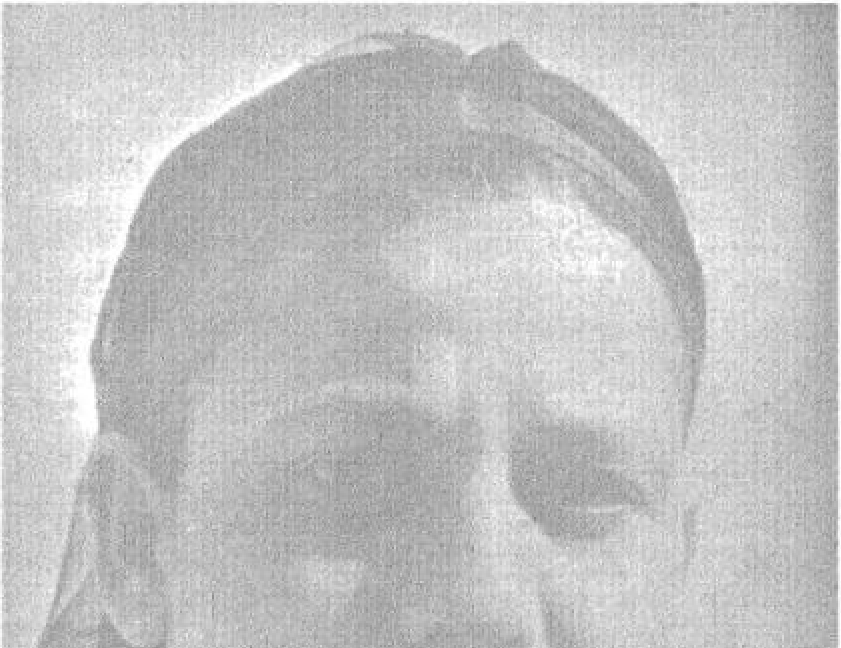
د. سيد عويس

جرائم

الأنثى المصرية المعاصرة

في ضوء قيم مجتمعنا ، وفي ضوء مبادئه ومثله العليا ، نجد ان من الاهداف الكبرى لهذا المجتمع تكوين المواطنين الصالحين اقصد المواطنين الاسوياء غير المنحرفين . والانحراف ، كما يلاحظ القارىء ، انواع وصور ومن هـذه الانواع والصور ارتكاب الجريمة بانماطها او ممارسة ارتكاب الجريمة بانماطها .

والجريمة هي ظاهرة اجتماعية فهي توجد ، بالضرورة ، في المجتمعات الانسانية .. اي توجد في محيط البشر سواء كانوا ذكورا او اناثا ، حيثما وجد هؤلاء .. في المدينة ، او في القرية ، او كانوا يحيون حياة البداوة .



والملاحظ أن الجريمة تتضمن نمطا معينا أو أنماطا معينة من السلوك من طبيعتها أن تكون بشرية وهي – قانونا – أنماط من السلوك يجرمها قانون العقوبات وتستوجب العقوبة باسم الدولة ، وذلك بعد المحاكمة وثبوت الإدانة . ويفترض عادة أن كل مخالفة لهذا القانون تكون ضارة بالمجتمع ، وعليه يجب أن تمتنع أو على الأقل يجب أن تقيد .

ومع ذلك فالملاحظ أن الجريمة ، كمخالفة لقانون العقوبات ، هي مجرد مخالفة لنوع معين من القوانين السلوكية السائدة في المجتمع .. أي مجتمع . وعلى هذا **فالمجرمون ، ذكورا كانوا أو اناثا ، هم فئة من الأشخاص لا يختلفون عن غيرهم من الأشخاص الذين يخالفون القوانين السلوكية الأخرى . انهم ليسوا قط فئة فريدة في نوعها .**

ومن الناحية الأخرى نجد أن القوانين بعامة ، وقانون العقوبات أحدها ، تتغير من وقت لآخر . ونجد أن ما يصطلح عليه بأنه شاذ اجتماعيا يختلف من مجتمع لآخر كذلك . **لأن المجتمعات تختلف في أجهزتها وثقافاتها بعضها عن البعض . وكذلك بمرور الزمن نجد أنه في المجتمع الواحد تتغير القيم الاجتماعية والأخلاقية والآراء والمبادىء ووجهات النظر السائدة فيه** . ذلك لأن تطور الأساليب الانتاجية في مجتمع من المجتمعات ، واتساع رقعة التحضر فيه ، والتغيرات الكبرى في المسائل المالية والاقتصادية وفي الصناعة وفي طرق المواصلات والقوى الآلية وغير ذلك .. من الظواهر التي تؤدي الى تعريفات جديدة لأنماط جديدة من الجرائم او تؤدي الى اعادة تعريف أنماط الجريمة القديمة .

وإذا كانت الانثى فى مجتمعنا ترتكب الجرائم ، فاننا نجد فى محيط الاعضاء البالغين فى هذا المجتمع ان **نسبة النساء المجرمات اقل بكثير من نسبة الرجال المجرمين** . اننا نجد ، مثلا ، ان **عدد النساء اللاتى اتهمن فى جنايات فى خلال الاعوام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ كان ٢٣١ امرأة بنسبة نحو ٤ر٣٪ و ٢٦١ امرأة بنسبة نحو ٩ر٣ ٪ و ١٣٥ امرأة بنسبة نحو ٤ر٢ ٪** و ١٦٣ امرأة بنسبة نحو ٤ر٢ ٪ و ١٨٥ امرأة بنسبة نحو ٩ر٢ ٪ على التوالى . وأن عدد الرجال الذين اتهموا فى جنايات فى خلال نفس الاعوام كان ٦٥٢٣ رجلا بنسبة نحو ٦ر٩٦ ٪ و ٦٤٤٠ رجلا بنسبة نحو ١ر٩٦٪ و ٥٦٢١ رجلا بنسبة نحو ٦ر٩٧ ٪ و ٦٥٩٧ رجلا بنسبة نحو ٦ر٩٧ ٪ و ٦٢٢٩ رجلا بنسبة نحو ١ر٩٧ ٪ على التوالى (١) .

وفى ضوء الدراسات والبحوث التى أشرف الكاتب على اجرائها فى محيط **الاحداث والشباب وبعض النساء الذين وجدوا فى حالات التشرد او ارتكبوا جرائم فى خلال المدة من عام ١٩٥٦ حتى الآن** .. نجد ان مجموع الاحداث المتشردين فى خلال عام ينتهى فى أول يناير ١٩٦٢ فى مدينة القاهرة ٢٩٨٠، حدثا، منهم ٢٨١٢ حدثا من الذكور بنسبة نحو ٩٦ ٪ و ١٦٨. حدثا من الاناث بنسبة نحو ٤ ٪ **فقط** .

وقد تبين أن رجال الشرطة فى خلال نفس هذا العام قد قبضوا على الاحداث المتشردين الذكور مرات اكثر من مرات القبض على الاحداث المتشردات الاناث . فالغالبية العظمى من المتهمات بالتشرد بنسبة نحو ٣ر٨٦ ٪ قد قبض عليهن مرة واحدة ، وقد قبض على نحو ٧ر١٣٪ منهن ــ اى الباقى ــ من مرتين الى خمس مرات . بينما نجد أن نسبة الاحداث الذكور الذين قبض عليهم مرة واحدة نحو ٨ر٦٤ ٪ **فقط** ، ونسبة الذين قبض عليهم من مرتين الى خمس مرات نحو ٤ر٣٢ ٪ ، ونسبة الذين قبض عليهم **من ست مرات الى ست وأربعين مرة** نحو ٨ر١٩ ٪ (٢) .

وفى محيط **الشباب الجانح** (من سن ١٥ ــ ٢٥ عاما) اتضح أن الغالبية العظمى من الشباب الجانح كانت من الذكور ، اذ كان عدد من أودع منهم فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى أكتوبر ١٩٦٣ ١٤١٠٧ شبان أى بنسبة ١ر٩٤ ٪ ، وكان عدد الشابات فى خلال نفس المدة ٨٨٤ شابة أى بنسبة نحو ٩ر٥٪ فقط . وبلغ عدد الشبان الجانحين الذكور الذين أودعوا فى



---

(١) تقارير الامن العام : اعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ .

(٢) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تشرد الاحداث : دراسة احصائية ، اشراف سيد عويس ، ١٩٦٣ ، القاهرة ، صفحتا ٢٠ و ٢٤ .



سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى اكتوبر ١٩٦٤ ، ١٠٦٩٣ شابا أى بنسبة نحو ٩٤٫٢ ٪ ، وكان عدد الشابات الجانحات فى خلال نفس المدة ٦٦٢ شابة اى بنسبة نحو ٥٫٨ ٪ (١) .

وقد بلغ عدد الاشخاص النشالين المحترفين فى مدينة القاهرة منذ عام ١٩٢٢ حتى آخر ديسمبر ١٩٦٤ ، ٢٢٥٥ شخصا ، منهم ٢٣٨ نشالة اى بنسبة نحو ٧٫٣ ٪ فقط ، والباقي وقدره ٢٠١٧ شخصا كان كله من النشالين الذكور بنسبة نحو ٩٢٫٧ ٪ (٢)

***

والمراة البالغة والشابة والانثى من الاحداث فى المجتمع المصرى ، مثل المراة البالغة والشابة والانثى من الاحداث فى المجتمعات الاخرى ، يرتكبن الجرائم على اختلاف انماطها . فهن يرتكبن الجرائم ضد الاشخاص او ضد الاموال او ضد امن الدولة او ضد الاداب او جرائم التشرد .

وقد تبين فى خلال الاعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و١٩٦٧ و ١٩٦٨ و١٩٦٩ أن عدد النساء اللائى اتهمن فى جرائم القتل العمد كان ٤١ امراة و ٥٩ امراة و ٣٣ امراة و ٣٦ امراة و ٦٠ امراة على التوالي . وكان عدد الرجال الذين اتهموا فى نفس الجرائم فى خلال نفس الاعوام ٢٣٨١ رجلا و ٢٢٨١ رجلا و ٢٠٤٠ رجلا و ٢٧٠٣ رجال و ٢٤١٩ رجلا (٣) .

واذا كانت ٦٠ امراة بنسبة نحو ٤٫٣٢ ٪ قد اتهمن فى جناية القتل العمد فى عام ١٩٦٩ ، فقد اتهمت ٢٨ امراة بنسبة نحو ٢٠٫٤ ٪ فى جناية ضرب احدث عاهة ، و ١٦ امراة بنسبة نحو ٨٫٧ ٪ فى جناية ضرب افضى الى الموت ، و ١٤ امراة بنسبة نحو ٧٫٦ ٪ فى جناية الرشوة ، وعشر نساء بنسبة نحو ٥٫٤ ٪ فى جناية تزوير أوراق رسمية وتقليد اختام ، وتسع نساء بنسبة نحو ٤٫٩ ٪ فى جناية مقاومة سلطات وتجمهر ، وسبع نساء بنسبة نحو ٣٫٨ ٪ فى جناية سرقة ، وسبع نساء بنسبة نحو ٣٫٨ ٪ فى جناية حريق عمد، وسبع نساء بنسبة نحو ٣٫٨ ٪ فى جناية اختلاس ، وخمس نساء بنسبة نحو ٢٫٧ ٪ فى جناية هتك عرض واغتصاب ، واربع نساء بنسبة نحو ٢٫٢ ٪ فى جناية عود ، وثلاث نساء بنسبة نحو ١٫٦ ٪ فى جناية خطف ، وثلاث نساء بنسبة ١٫٦ ٪ فى جناية تزوير أوراق مالية (بنكنوت) ، وامراتان بنسبة نحو ١٫١ ٪ فى جناية تهديد . أى أن عدد

---

(١) نجوى حافظ : الشباب الجانح فى الجمهورية العربية المتحدة ، اشراف سيد عويس ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الاول ، مارس ١٩٦٩ .

(٢) سيد عويس : ظاهرة النشل فى محيط النساء فى محافظة القاهرة ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الاول ، مارس ١٩٦٥

(٣) تقارير الامن العام : اعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ .

النساء اللاتى اتهمن فى هــذه الجنايات فى عام ١٩٦٩ كان ١٨٥ امرأة ، فى حين كان عدد الرجال الذين اتهموا فى نفس الجنايات وغيرها (تسميم مواشى ، واتلاف مزروعات ، وتزييف مسكوكات ، وتعريض وسائل النقل للخطر او تعطيلها ، وتعطيل مواصــلات سلكية ولاسلكية ، وبعض الجنايات الاخرى) فى نفس العام ٦٢٢٩ رجلا (١) .

وفى دراسة اشرف الكاتب عليها فى محيط نزيلات سجن القناطر ، اتضح أن عدد هؤلاء النزيلات فى يوم ١٩٦٢/١١/٣ كان ٦٦٩ نزيلة اودعن فى هذا السجن فى جرائم مختلفة . وكان عدد هذه الجرائم ٢٤٠ جناية بنسبة نحو ٥١ ٪ و ٣٢٩ جنحة بنسبة نحو ٤٩ ٪ وكان أهم انماط هذه الجــرائم **جرائم المخدرات** : ٢٤٩ جريمة بنسبة نحو ٣٧٫٢ ٪ ، **وجرائم ضد الاداب** : ٢٢٩ جريمة بنسبة نحو ٣٤٫٢ ٪ ، **وجرائم السرقة**: ٨٠ جريمة بنسبة نحو ١٢٪ ، **وجرائم القتل** : ٤٨ جريمــة بنسبة نحو ٧٫٢ ٪ ، **وجــرائم تسول** : ١٦ جريمة بنسبة نحو ٢٫٤ ٪ ، **ومخالفة مراقبة**: ثمان جرائم بنســبة نحو ١٫٢٪ ، **وجرائم خطف** : سبع جــرائم بنسبة ١ ٪ **وجرائم تزوير**: سبع جرائم بنسبة نحو ١ ٪ ، **وجرائم سياسية** : خمس جرائم بنسبةنحو ٠٫٨٪ . **وجــرائم ضرب ادى الى مــــوت** : اربع جــرائم بنسبة نحو ٠٫٦ ٪ ، **وجــرائم اخرى** (مخالفة تسعيرة ، ورشوة وتبديد ، وتشرد ، وغش لبن) : ١٦ جريمة بنسبة نحو ٢٫٤٪ (٢)

وفى دراسة اخرى تناولت ٩٢ نزيلة شابة (من سن ١٦ ــ ٢٥ عاما) من نزيلات سجن القناطر فى يوم ١٩٦٠/١١/٣٠ كن مودعات ضمن ٤٢١ نزيلة فى هذا السجن، اتضح انه قد حكم عليهن فى جرائم مختلفة ، وكان عدد هذه الجرائم ٥٠ جنحة بنسبة نحو ٥٤٫٣٨ ٪ و ٤٢ جناية بنسبة نحو ٤٦٫٢ ٪ وكان اهم انماط هذه الجــرائم **جرائم المخدرات** : ٢٦ جريمـة بنسبة نحو ٢٨ ٪ ، **وجــرائم الدعارة** : ٢٠ جريمة بنسبة نحو ٢١٫٧ ٪ ، **وجرائم التحريض** : ثمان جرائم بنسبة ٨٫٦٥ ٪ ، **وجرائم قتل** : ثمان جرائم بنسبة ٨٫٦٥ ٪ ، **وجــرائم هروب من المراقبة** : ٨ جرائم بنسبة نحو ٨٫٦٥ ٪ ، **وجرائم سرقة** : سبع جرائم ، بنسبة نحو ٧٫٦٩ ٪ ، **وجرائم سياسية** : خمس جرائم بنسبة نحو ٥٫٣٥ ٪ ، **وجرائم تزوير** : ثلاث جرائم بنسبة نحو ٣٫٢١ ٪ ، **وجرائم دخول الاراضى دون ترخيص** : ثلاث جرائم بنسبة نحو ٣٫٢١ ٪ ، **وجرائم اخرى** (تسول وخطف واخفاء وضرب ادى الى عاهة) : خمس جرائم بنسبة نحو ٥٫٣٥٪ (٣) .

وقد اتضح أن ٨٨٤ شــابة (من سن ١٥ ــ ٢٥ عاما) اللاتى



---

(١) تقرير الامن العــام : عام١٩٦٩ .

(٢) صموئيل وليم واخريات : صور جرائم النساء فى ســـجن القناطر ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦٣ .

(٣) نوال محمـــد ابراهيم : الشابات الجانحات ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦١ .



اودعن فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى اكتوبر ١٩٦٣ قد ارتكبن جرائم عديدة منها **جرائم ضد الاداب** : ٢٩٦ جريمة بنسبة نحو ٣٢٫٥ ٪ ، وتليها **جرائم ضد الاموال** : ٢٣٩ جريمة بنسبة نحو ٢٧٫١ ٪ **وجرائم ضد امن الدولة** : ١٤٥ جريمة بنسبة نحو ١٦٫٤ ٪ ، **وجرائم التشرد** : ١٣٩ بنسبة نحو ١٥٫٧ ٪ ،

وجرائم ضد الاشخاص : ١٧ جريمة بنسبة نحو ١٫٩ ٪ ، ثم **جرائم اخرى** (حبس بدل غرامة ، وبطاقة شخصية ، وتعاطى مخدرات ، والاتجار فى مخدرات ، واحراز سلاح واشتباه وعود له : ٤٨ جريمة بنسبة نحو ٥٫٤ ٪ .

أما الـ ٦٦٢ شابة اللاتى اودعن فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى اكتوبر ١٩٦٤ ، فقد كانت جرائمهن عديدة كذلك .

وكانت الجرائم ضد الاموال اكثر الجرائم ، اذ بلغت ٢٢٢ جريمة بنسبة نحو ٣٢٫٥ ٪ ، وتليها الجرائم ضد الاداب : ٢١٥ جريمة بنسبة نحو ٣٢٫٥ ٪ ، وجرائم التشرد : ١٢٥ جريمة بنسبة نحو ١٨٫٩ ٪ ، والجرائم ضد امن الدولة : ٧٢ جريمة بنسبة نحو ١٠٫٩ ٪ ، والجرائم ضد الاشخاص : عشر جرائم بنسبة نحو ١٫٥ ٪ ، ثم جرائم اخرى (حبس بدل غرامة ، وتعاطى مخدرات ، واشتباه وعود له) : ١٨ جريمة بنسبة نحو ٢٫٧ ٪ (١)

وقد تبين ان اهم انماط التشرد فى محيط الاحداث المتشردين فى خلال عام ينتهى فى اول يناير ١٩٦٢ تتركز فى ثلاث مجموعات هى :

- جمع اعقاب ولا محل للاقامة ولا وسيلة للتعيش .
- تسول وجمع اعقاب ولا محل للاقامة ولا وسيلة للتعيش .
- تسول ولا محل للاقامة ولا وسيلة للتعيش .

ومن حيث المجموعة الاولى نجد ان عدد الاحداث الذين اتهموا بتهمها ١٥٨٤ حدثا بنسبة نحو ٣٩٫٨ ٪ من مجموع الاحداث وعددهم ٣٩٨٠ حدثا . ومن الـ ١٥٨٤ حدثا ، ١٥٦٢ حدثا كانوا من الذكور بنسبة نحو ٩٨٫٦ و ٢٢ حدثا من الاناث بنسبة نحو ١٫٤ ٪ .

أما المجموعة الثانية فقد كان عدد الاحداث الذين اتهموا بتهمها ١٢٤٤ حدثا بنسبة نحو ٣١٫٣ ٪ من مجموع الاحداث . ومن هؤلاء ١٢٣٨ حدثا كانوا من الذكور بنسبة نحو ٩٩٫٥ ٪ وستة احداث من الاناث بنسبة نحو ٠٫٥ ٪

وكان عدد الاحداث الذين اتهموا بتهم المجموعة الثالثة ٧٠٠ حدث بنسبة نحو ١٧٫٦ ٪ من مجموع الاحداث . ومن هؤلاء ٦٣٥ حدثا كانوا من الذكور بنسبة نحو ٩٠٫٧ ٪ و ٦٥ حدثا من الاناث بنسبة نحو ٩٫٣ ٪ (٢) .

---

(١) الشباب الجانح فى الجمهورية العربية المتحدة
(٢) تشرد الاحداث : دراسة احصائية .

وفي ضوء البند السابق ، يتضح أن من أكثر الأنماط العمية بين النساء والشابات والاحداث الاناث هي أنماط الجرائم ضد الآداب ، وجرائم المخدرات ، وجرائم السرقة ، وجرائم القتل ثم جرائم التشرد . والملاحظ ان الجريمة كظاهرة اجتماعية يتوقف وجودها ، كأية ظاهرة اجتماعية اخرى ، على عوامل متعددة وديناميه .

وقد تبين في احدى الدراسات التي اجريت على ١٠٥٥ من البغايا اللاتي ضبطن بواسطة مكتب حماية الآداب بالقاهرة في خلال عام ينتهي في ١٨ أكتوبر ١٩٥٨ ، أن اعمار اكثر من ثلاثة ارباعهن تقع بين ١٥ و ٢٩ عاما . وان اكثر من نصفهن يقع موطن اسرهن خارج القاهرة . وتراوحت اعمار غالبية المهاجرات ما بين ١٠ أعوام و١٩ عاما وقت الهجرة الى القاهرة . وقد دفعت الحاجة الى العمل اغلبية المهاجرات الى النزوح الى القاهرة . وتبين ان اكثر من ثلاثة ارباع البغايا اميات ، واقل من خمسهن يعرفن القراءة والكتابة . وتبين ان حوالي ثلث البغايا كن متعطلات . فضلا عن ان اللاتي كن يعملن لم يكن يتقاضين الا اجرا ضئيلا عن عملهن كما تبين أن حوالي نصفهن كن يعملن في الخدمة المنزلية ، وكان بعضهن مثقلات بأعباء اعالة آخرين مثل الابناء والامهات او الاخوة او بعض الاقارب .

وفي ضوء دراسة اكلينيكية تناولت ١٨ بغيا من البغايا السابقات ، اتضح ان البغاء ظاهرة تتداخل فيها العوامل المختلفة . وان هذه العوامل تتمثل في ثلاثة انواع بالذات .. هي الشخصية السيكوباتية ، والضعف العقلي ، وسوء التوافق الاجتماعي النفسي . ويعني المفهوم الاخير « تحلل روابط الاسرة من جهة ، واضطراب عملية التوافق الاجتماعي من جهة اخرى » ، ويأتي هذا التحلل نتيجة لطلاق الوالدين او وفاتهما او لهجرة الاسرة من البيئة الريفية الى البيئة المصرية . وينتج اضطراب التوافق الاجتماعي بالذات عن زواج الفتاة في سن مبكرة زواجا فاشلا لم يتح لها تكوين اسرة مستقرة او اوقعها تحت سيطرة زوج قواد استغلها في الدعارة ، او ينتج عن التوحد بالجماعات الفاسدة أو التمرد على الاسرة في المراهقة ومحاولة الاستقلال عنها بالخروج الفعلي عليها وعلى ما تمثله من قيم (١) .

وفي ضوء دراسة تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن القناطر في يوم ١٩٦٢/١١/٣ المحكوم عليهن بالايداع في السجن في جريمة تعاطي الحشيش ، اتضح ان معظمهن قد بدأن التعاطي في سن مبكرة في الغالب وخصوصا في المرحلة من سن ١٥ ـ ٢٥ عاما . وكانت اغلبية منهن قد تعاطين المخدر قبل الزواج . واكثر من ٥٠٪ من المتعاطيات يتعاطين المخدر مع اعضاء اسرهن مثل الزوج او الاخ او الوالدين او العم او الخال . ومن يتعاطين المخدر لاغراض النسيان ، او لادخال السرور على انفسهن او للعلاج من الامراض ، او تحقيقا لرغبة الرجل . وكانت الغالبية المتعاطيات اميات (نحو ٨٤٪) ، ولا يعملن (نحو ٦٠ ٪) ، ومن



---

(١) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغاء في القاهرة ، ١٩٦١ صفحات ٧٦ ـ ٨١ وصفحات ١٣٥ ـ ١٣٧ .



كن يعملن فان عملهن كان اقرب الى ان يكون من نوع الخدمات . وتبين ان نحو ١٦ ٪ منهن تدتزوجن ، ومن هؤلاء بقى فى اثناء الدراسة نحو ٦٢ ٪ متزوجات ، ونحو ٢٠ ٪ **مطلقات** ، ونحو ١٤ ٪ **قد ترملن** . وقد ولد نحو ٨٠٪ منهن خارج محافظة القاهرة ، ونحو ٥٨ ٪ يقمن فيها فى الوقت الحاضر (١) .

وفى ضوء دراسة أخرى تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن القناطر فى يوم ١٩٦٠/١/١٤ اللاتى ارتكبن جريمة السرقة ، اتضح أن اغلبية كبيرة بنسبة نحو ٧٢ ٪ تتراوح اعمارهن ما بين ٢٠ و ٤٠ عاما **واتضح ان الاغلبية الساحقة بنسبة نحو ٩٦٪ من الاميات . وكان نحو ٥٨ ٪ منهن غير عاملات** ومن يعملن كن يعملن خادمات او بائعات وكان نحو ٧٤ ٪ منهن متزوجات ونحو ١٤ ٪ مطلقات . **وكانت اغلبية** الازواج متعطلين ومن يعمل منهم **كانوا يعملون عمالا او باعة متجولين** . وكانت أغلبية **هؤلاء** النزيلات يحصلن **على ايراد شهرى ما بين جنيهين وعشرة جنيهات** . وكان لنحو ٥٤ ٪ منهن سوابق ، وقد سرقن فى الغالب تفردا أو مصاحفا او ساعات بنسبة نحو ٦٦ ٪ . وكانت اغلبية المجنى عليهم من الشخصيات الحقيقية بنسبة نحو ٧٠ ٪ منهم الذكور ومنهم الاناث . **ولعل تنوع السرقات ونوع المجنى عليهم يدلان على ان اكثر انماط هذه السرقات هو ، فى الاغلب ، نمط النشل (٢) .**

وقد اتضح فى ضوء دراسة النشالات المحترفات منذ عام ١٩٢٣ حتى آخر ديسمبر ١٩٦٤ وعددهن ٢٣٨ نشالة ، ان عدد حوادث النشل المسجلة فى السجل الجنائى التى ارتكبتها ٢٣٢ نشالة منهن ٩٧٨ حادثة نشل . اى أن متوسط ما ارتكبته النشالة الواحدة من هذه الحوادث نحو ٤٫٢ ٪ . **وقد تبين ان اكثر من ثلاثة ارباع النشالات بدان حياة النشل وهن فى سن الحداثة وفى سن الشباب** . اى أن أقل من ربع النشالات فقط بدأن حياة النشل وهن فى سن أكثر من ٢٥ عاما. واتضح أن نحو نصف عدد **النشالات قد ولدن خارج محافظة القاهرة** . وأن نسبة اللاتى يعملن من النشالات نسبة ضئيلة . وان انواع العمل التى يقمن بها أنواع لا تتطلب مهارة كبيرة . **ونلاحظ ان النشالات المتزوجات ، ونسبتهن كبيرة ، فى ضوء مكانة المرأة فى محيط هذه الفئة من النساء ، يعفون – عادة – من العمل** . ولعل النشل ذاته يعتبر فى نظر المحيطين بهن وفى نظرهن عملا . فهو – اى النشل – أولا وقبل كل شىء مصدر من مصادر الرزق . **والملاحظ** ان الاعمال التى يقمن بها **ما هى الا ستار او وسيلة تيسر لهن** ، فى الغالب ، ارتكاب الجريمة . وقد استخدمت النشالات ، موضوع الدراسة ، ٢٤ اسلوبا اجراميا ١٧٨ مرة . وكانت الاساليب نشل يد طريق ونشل يد أوتوبيس ونشل يد ترام ونشل يد منزل ونشل يد مستشفى اكثر الاساليب استخداما . وقد استخدمت هذه

---

(١) صور جرائم النساء فى سجن القناطر .
(٢) سلوى محمد فهمى عبد العال : السرقة عند النساء ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦١ .

الاساليب بنسبة نحو ٦٨٫٨٣٪ . ويرجع استخدام النشالات هذه الاساليب بكثرة الى انه من السهل عليهن الاندساس بين الناس فى الطريق المزدحم ، خصوصا ، فى وسط السيدات اللاتى كثيرا ما يتزاحمن فى الطريق أمام محلات الازياء. أما من حيث القيام بعمليات النشل فى الاتوبيس المزدحم وفى الترام المزدحم فهو أمر ميسر لعوامل لا تخفى على القارىء . وللنشالات من صغر سنهن وشبابهن وسرعة حركتهن ومرونة اصابعهن فضلا عن الجراة ما يعينهن على الافلات من المجنى عليهم أو غيرهم . ولعل دخول النشالات فى المنازل او فى المستشفيات يكون أمرا سهلا عليهن . ففى المنزل يتيسر لهن اقحام انفسهن كمدعوات فى حفلات الزواج .. كما يتيسر لهن الاندساس فى المآتم كمعزيات ، ويتيسر كذلك لهن استخدام حيلة السؤال عن شقة للايجار . وفى المستشفى يتيسر للمرأة النشالة الاندساس بين الاطفال والسيدات المرضى والسيدات الحوامل (١) .

وفى ضوء دراسة تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن القناطر فى ديسمبر ١٩٥٨ اللاتى حكم عليهن فى جرائم القتل تبين أن اغلبية أعمارهن تتراوح ما بين ١٥ و ٤٥ عاما بنسبة نحو ٧٢٪ وان نحو ٥٢ ٪ منهن كن متزوجات و ٢٨ ٪ منهن كن ارامل ، و ٨٪ فقط كن مطلقات و ١٢ ٪ منهن لم يتزوجن منهن اثنتان مخطوبتان وكانت الاغلبية الساحقة من الجانيات يقمن خارج القاهرة . وكان اكثر من نصفهن يعملن فلاحات وخادمات وبائعات ، ومنهن « دادة » واحدة . وكان المجنى عليهم من الذكور ومن الاناث، ونسبة كبيرة منهم (٦٤٪) من الاقارب (مثل الزوج وابن الضرة وابن السلفة واخت الزوج والأب وابن العمة وزوجة الاخ وابن الخالة والاخت) . والباقى من الجيران ومن المخدومين ، ووجد منهم خادمة وصديقة وعشيق وجندى شرطة . وكانت دوافع ارتكاب جريمة القتل عديدة منها الانتقام ، والغيرة ، والكسب المادى ، والعراك ، وسوء الخلق ، والاخذ بالثأر ، والتخلص من الزوج للزواج بآخر ، ثم الدفاع عن النفس وقد ارتكبت الجرائم داخل المنزل بنسبة نحو ٦٨ ٪ فى مسكن الجانية او فى مسكن المجنى عليه وكانت أساليب ارتكاب الجريمة عديدة منها الخنق ، والمسدس، والضرب بالعصا، والضرب باليد، وحشو الحلق بالرمل ، والحرق، والغرق ، وكتم النفس ، واستخدام الطواة، وقذف المجنى عليه من فوق المنزل ، والبندقية، واستخدام الزرنيخ ، والفنيك وال د. د. ت والتوتيا الخضراء واستخدام ماء البوتاس مع الخنق والبالطة، والساطور ، والسكين والمسمار ، والشومة والفأس . وكل هذه الاساليب او معظمها أساليب بدائية يسر استخدامها المناخ الثقافى الذى عاشت الجانيات فى ظله .

وفى ضوء دراسة أخرى تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات



(١) ظاهرة النشل فى محيط النساء فى محافظة القاهرة .



مؤسسة العجوزة للسيدات المتسولات بالقبة في عام ١٩٦١ ، اتضح أن أغلبية هؤلاء النزيلات بنسبة نحو ٧٢ ٪ كانت اعمارهن ما بين ٥٠ و ٩٠ عاما ، ومن ذوات العاهات (نحو ٧٠ ٪) ، وان حوالي ربعهن مريضات . وتبين أن ٨٠ ٪ منهن اميات ، ونحو نصفهن من المدخنات . وكانت نسبة من يعملن قبل التسول نحو ٤٦ ٪ فقط ، وكن يعملن خادمات وطاهيات وبائعات ، أو كن يقرأن القرآن . وقد تزوج معظم النزيلات بنسبة نحو ٨٦٪ ، واستمر بعضهن متزوجات بنسبة نحو ١٨ ٪ فقط ، والباقي اما ترملن بنسبة نحو ٤٤٪ او طلقن بنسبة نحو ٢٤ ٪ . وكانت نسبة كبيرة منهن قد هاجرن الى القاهرة (نحو ٥٦ ٪) . وقد بدأت نحو ٧٠ ٪ من هؤلاء المتسولات التسول في سن الاربعين . وكانت دوافع التسول عديدة . اهمها وفاة الزوج او مرضه المزمن ، وعدم وجود عائل ، وانخفاض مستوى المعيشة ، والطلاق ، ولعدم وجود عمل نتيجة لعاهة او تشوه ، والمرض وبخاصة مرض العينين . ويلاحظ ان نسبة كبيرة من هؤلاء المتسولات بنسبة نحو ٤٨ ٪ يرين أن التسول مهنة شريفة وان ممارستها تيسر الانطلاق والحرية . (١)

***

وفي ضوء كل ما سبق نلاحظ انه على الرغم من سيادة معظم الادوار الاجتماعية التي يؤديها الذكور المصريون وتميزها على الادوار الاجتماعية التي تؤديها الاناث المصريات ، فان الاناث المصريات اقل عدوانا على المجتمع المصري المعاصر من الذكور المصريين . ونلاحظ ، ايضا ، انه على الرغم من ان المرأة المصرية والشابة المصرية والانثى المصرية من الاحداث يرتكبن الجرائم بانماطها العديدة وبخاصة الجرائم ضد الاداب ، وجرائم المخدرات ، وجرائم السرقة ، وجرائم القتل ، وجرائم التشرد – فان المجتمع المصري هو المسئول الاول عن ذلك . لقد ترك هذا المجتمع هؤلاء الاناث ينشأن في اسر توجيهية غير سوية ويعشن في اسر تناسلية غير سوية يشرف عليها الذكور وحدهم . وكانت النتيجة ان اصبحن في الاغلب الاعم اميات وأرامل ، ومطلقات ، وذوات عاهات ، ومريضات ، ومتألمات . تراهن يفتقدن القدوة الصالحة في الرجل كأب أو كزوج أو كأخ أو حتى كمواطن عادي ، كما تراهن لا يجدن في القانون او اجهزة التنشئة الاجتماعية الاخرى كالمدرسة ، والمنظمة الدينية ، والنادي الاجتماعي ، والمنظمة السياسية ، والمؤسسات الاجتماعية الوقائية والعلاجية ، واجهزة الاعلام ، سندا ومعينا بما فيه الكفاية على مواجهة الحياة بحلوها ومرها مواجهة كريمة .

---

(١) عبلة حسن الافندي : التسول عند النساء ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦١ .

د. عائشة راتب
أستاذة القانون الدولي العام بحقوق القاهرة

تضمن الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨ النص في مادته الثانية على ان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان دون اى تمييز كالتمييز بسبب العنصر او اللون او الجنس او اللغة او الدين او الرأى السياسى او اى رأى اخر ، او الاصل الوطنى او الاجتماعى او الثروة او الميلاد او اى وضع اخر دون اية تفرقة بين الرجال والنساء . واقرت الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية الصادرة عن الجمعية العامة فى ١٦ من ديسمبر سنة ١٩٦٦ والتى اصبحت نافذة المفعول من ١٥ يوليو ١٩٦٧ تعهد الدول الاطراف فيها باحترام وتأمين الحقوق المقررة فى هذه الاتفاقية لكافة الافراد ضمن اقليمها والخاضعين لولايتهـا دون تمييز من اى نوع سواء كان ذلك بسبب العنصر او اللون او الجنس او اللغة او الديانة او الرأى السياسى او غيره او الاصل القومى او الاجتماعى او الملكية او صفة الولادة او غيرها « المادة ٢ » . كما تعهدت الدول الاطراف فى المادة الخامسة بضمان مساواة الرجل والمرأة فى حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية التى تضمنتها الاتفاقية .

حقوق

فى ثورة ١٩١٩ شاركت المرأة المصرية الرجل فى الاحتجاج على الاحتلال



وفى اعلان الامم المتحدة الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة الصادر فى ٧ نوفمبر عام ١٩٦٧ يرد النص فى **المادة الاولى** على أن التمييز ضد المرأة، بانكار أو تقليه مساواتها فى الحقوق مع الرجل يمثل اجحافا أساسيا ويكون جريمة مخلة بالكرامة الانسانية . كما تطالب «المادة الثانية» من الاعلان بضرورة مراعاة اتخاذ كافة التدابير المناسبة لالغاء القوانين والانظمة والعادات والعرف والتقاليد القائمة المنطوية على أى تمييز ضد المرأة ، وتقرير الحماية القانونية الكافية لتامين المساواة فى الحقوق بين الرجل والمرأة ولا سيما فيما يلى :

أ — ضمان مبدأ مساواة الحقوق باثباته فى الدستور او بتاييده باى ضمان قانونى اخر .

ب — القيام ، فى اسرع وقت ممكن ، بالتصديق على الوثائق الدولية الصادرة عن الامم المتحدة والوكالات المتخصصة والمتعلقة بالقضاء على التمييز ضد المرأة ، او بالانضمام اليها وبتنفيذها على اكمل وجه .

واوجبت المادة الرابعة من الاعلان ضرورة مراعاة اتخاذ كافة التدابير المناسبة لتامين تمتع المرأة ، على قدم المساواة مع

المرأة فى مصر

للمرأة حق الاقتراع فى جميع الانتخابات العامة ..



الرجل ودون أى تمييز ،بالحقوق التالية :

أ ـ حق الاقتراع فى جميع الانتخابات والترشيح لمقاعد جميع الهيئات المنبثقة عن الانتخابات العامة .

ب ـ حق الاقتراع فى جميع الاستفتاءات العامة .

جـ ـ حق تقلد المناصب العامة ومباشرة جميع الوظائف العامة .

وقدرت وجوب ضمان هذه الحقوق بالاحكام التشريعية اللازمة .

واذا كانت الفلسفة المعاصرة لانعاش الشعوب والافراد وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ترتكز على ضرورة استثمار الموارد الطبيعية على أوسع مدى وضرورة استغلال الطاقات البشرية الى أقصى حد ، فان دور المرأة العربية فى محيط هذين الميدانين يتخذ شكلا جديدا ذا ابعاد عريضة وعميقة ، يصل بالمرأة وبانتاجها الى اعلى مستوى يكفل تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية ويحقق الموازنة بين حياتها العائلية وحياتها العاملة .

وقد حرمت المرأة العربية فى مصر ، قبل ثورة عام ١٩٥٢ ،من حقوقها السياسية وكثير من حقوقها الاجتماعية والاقتصادية ، ومع ذلك فقد اثبتت المرأة وجودها فى ثورة ١٩١٩ التى شاركت فيها الرجل فى الاحتجاج على الاحتلال الاجنبى . وطالبت الجهات النسائية بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية كاملة وحاربت الافكار الرجعية التى كانت تفصل بين عمل الرجل وعمل المرأة وتعتبر عمل المرأة عملا مساعدا لا يتم الا فى ظروف معينة . ولكن هذه الحقوق لم تنلها المرأة كاملة غير منقوصة الا فى ظل دستور ١٩٥٦ الذى قرر المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية والاجتماعية فى مادته التاسعة التى تقضى بأن تيسر الدولة للمرأة التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الأسرة . وتضمن الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة الصادر فى مارس ١٩٦٤ النص على أن المواطنين لدى القانون سواء وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الاصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

ومبدأ المساواة هذا ، اذا ما تحددت عناصره وحدوده سوف يكون له الفضل فى تخفيف حدة الخلافات التى تثور حول المركز القانونى للمرأة ، ذلك ان التطور الاشتراكى وخروج المرأة للعمل ومشاركتها فى عملية البناء والتنمية ولد مجموعة من المشاكل الاجتماعية :

١ ـ هنالك مشكلة العبء المضاعف الذى

حقوق المرأة في مصر



تيسر الدولة للمرأة التوفيق بين عملها في المجتمع وواجباتها في الاسرة

تقوم به المرأة الان بعد أن خرجت للعمل وجمعت بينه وبين عملها في الاسرة ٠

٢ ـ وهناك المشكلة الخاصة بالمركز الاجتماعي للمرأة وبوضعها في قوانين الاحوال الشخصية ٠

٣ ـ وهناك مشاكل الامومة المتعلقة بضرورة توفير الحماية والرعاية للامهات والاطفال ٠

ومما لا شك فيه ان المجتمع الاشتراكي وهو يرغب في تهيئة الظروف التي تسمح للمرأة بالاسهام مع الرجل في كل الميادين يهدف الى ان يوفر لها القيم المعنوية التي تمكنها من التمتع بالحياة الاجتماعية في نفس الوقت ٠٠ فما معنى المساواة وما هي حدودها ؟

وقد كان نص المادة الثالثة من دستور عام ١٩٢٣ يقضي بأن « **المصريون لدى القانون سواء ٠٠ وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الاصل او اللغة او الدين** » ٠ وذهبت لجنة الشئون الدستورية بمجلس الشيوخ ـ مدفوعة بالرغبة في عدم تقرير حق المرأة في الانتخاب طبقا لنظام ما قبل الثورة ـ الى التفريق بين صدر المادة وعجزها ٠ فصدر المادة « **المصريون لدى القانون سواء** » يقرر المساواة المطلقة

للجميع دون أى تمييز لأى سبب من الاسباب وعلى ذلك فالرجال والنساء سواء أمام القانون . أما عجز المادة فهو لا يقرر المساواة المطلقة ـ فى نظر اللجنة ـ وانما يقرر مساواة محدودة بعدم التمييز بسبب الأصل او اللغة او الدين فقط اما عدم التمييز بسبب الجنس فلم ينص عليه .. وعلى ذلك يجوز التمييز فى الحقوق السياسية بل وفى الحقوق المدنيـة وهى واردة بعجز المادة بين الرجل والمرأة . وهو تفسير خاطىء ، وجاءت الثورة وصححت الاوضاع وعدلت المادة وأضافت اليهـا بسبب الجنس .

فهل معنى هذا النص الآن أن مبدأ المساواة طبقا لنص المادة ٢٤ هو مبدأ مطلق يجب تطبيقه دون قيد او شرط ؟ طبيعى أنه لا يمكن الاخذ بهذا التفسير الذى يخرج به عن المدى الذى وضع من أجله . فالمساواة ليست من الحقوق الفردية وانما هى النتيجة الطبيعية لحقوق الافراد سواء منها المادية أم المعنوية . ويتلخص مبدأ المساواة فى ضرورة حماية هذه الحقوق بقوة واحدة . فالمساواة اذن لا تتعدى « **المساواة فى الاهلية القانونية والاعباء العامة** » . أو بعبارة أخرى المساواة فى طلب حماية الحقوق الفردية . والمساواة على هذا الوضع لا تتضمن مساواة فعلية أو مساواة فى الوقائع .. فالفرد يستطيع أن يكون مالكا وفى هذه الحالة يطلب حماية هذا الحق .. ولكن لا يشترط بالطبع أن يكون كل فرد مالكا .. والا أصبحت الشيوعية النتيجة الحتمية لمبدأ المساواة ..

وما دامت المساواة قانونية فللقانون أن ينظم المراكز القانونية ويفرق فى الحكم بينها طبقا لقدرة الافراد وكفاياتهم . ومن ثم بدت شرعية وضع شروط وقيود خاصة بجميع المراكز القانونية كالمهن والوظائف والخدمات العامة .

ونتيجة لهذا التفسير تبدو القاعدة التالية:
« **المساواة واجبة بين جميع من هم فى مراكز قانونية متساوية بصرف النظر عن الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة او اى اعتبار آخر . ويتحتم حماية جميع من هم فى مراكز قانونية متساوية** » .

ولهذا فانه لا يكفى النص على المبدأ العام فى المساواة فى الحقوق وانما يجب ضمان هذه الحقوق بتوفير الشروط اللازمة لتحقيق المساواة الفعلية . وغالبية الدساتير الافريقية التى أصدرتها الدول الافريقية تتضمن النص على أن « يعاقب القانون

على كل عمل من أعمال التفرقة العنصرية او الجنسية او الدينية » (المادة ٨/١ من دستور جابون) • « يعاقب القانون على كل دعاية خاصة ذات طابع عنصري او جنسي ••• » (المادة ٦ من دستور ساحل العاج) • « الزواج والاسرة يكونان الاساس الطبيعي والاخلاقي للمجتمع الانساني • ويتمتعان بحماية الدولة • والدولة والهيئات العامة مكلفة بالسهر على صحة الاسرة جسميا ونفسيا ••• » (م ١٤ من دستور جمهورية السنغال) • وينص دستور فولتا العليا في المادة السادسة « تكفل الجمهورية المساواة للجميع امام القانون بدون تفرقة بسبب الإصل أو الجنس او النوع او الدين وهى تحترم جميع العقائد • ويعاقب القانون على كل دعاية خاصة ذات طابع عنصري او جنسي او اقليمي وكذلك كل مظاهرة قائمة على التفرقة العنصرية •• » وتنص الفقرة الاخيرة من دستور الكاميرون « وتكفل الدولة لجميع المواطنين من رجال ونساء الحقوق والحريات المذكورة في ديباجة الدستور •• » كما تنص المادة ٦ من دستور النيجر « تكفل الجمهورية لجميع المواطنين المساواة امام القانون دون اية تفرقة بسبب الاصل او الجنس او النوع او العقيدة ••• » ويعاقب القانون على كل دعاية ذات طابع جنسي أو عنصري وكل مظاهرة من مظاهرات التفرقة العنصرية ••

وفي اعتقادي انه لا يكفي تقرير المساواة بين الرجل والمرأة وانما يجب ان تؤمن للرجل والمرأة ممارسة هذه الحقوق على وجه التساوي ، فاذا ما آمن كل منهما على حقوقه تلاشت المشكلات الخاصة بالمرأة والاسرة تدريجيا • وهو ما فعله دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الذى عالج مشاكل الاسرة والمرأة في مادة واحدة هي المادة ١٢٢ التي تقرر « تمنح المرأة في الاتحاد السوفييتي حقوقا مساوية لحقوق الرجل في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والعامة والثقافية والاجتماعية والسياسية • وتؤمن للمرأة امكانية ممارسة جميع هذه الحقوق ، بمنحها حقوقا مساوية لحقوق الرجل في العمل والاجر والراحة والتامينات الاجتماعية والتعليم ، وحماية الدولة مصالح الام والطفل، وبالمساعدات التى تخصصها الدولة للامهات الكثيرات الاولاد ، وبمنح المرأة اجازات اثناء الحمل مع دفع الاجور ، وبالشبكة الواسعة من دور التوليد ودور الحضانة ورياض الاطفال » •

وقد تضمن نص ميثاق العمل الوطني « ان المرأة لا بد ان تتساوى بالرجل ، ولا بد ان تسقط الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية في صنع الحياة » •

وعبر الميثاق بذلك عن احساسه بأهمية دور المرأة العربية في الاسهام في عملية التحول الاشتراكي وبناء المجتمع الجديد • وتوفر الدولة حاليا للمرأة كل الامكانيات والفرص ، مستمدة الهدى من الشريعة الاسلامية التي كرمت المرأة ورفعت من شأنها ومنحتها من الحقوق الكثير وساوت بينها وبين الرجل في المسئوليات في جميع مجالات الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية •



● أمين عز الدين ●

المرأة والعمل والحياة

هناك خطأ شائع – لا نعرف من المسئول عنه – بأن المرأة دخلت مجال العمل حديثاً . وهذا بالتأكيد انكار صارخ للحقيقة والتاريخ . فالمرأة تعمل منذ بدء الخليقة وكان أول عمل قامت به هو اخراج آدم من الجنة ، وهو عمل لابد أنه كلفها جهداً كبيراً ، ولقيت من أجله أقسى الجزاء في المجتمعات البدائية المبكرة . ففي هذه المجتمعات ، كما يصورها لنا علماء الانثربولوجي ، كان الرجل يتولى الصيد والدفاع ، بينما وقع على عاتق المرأة الجانب الاكبر من أعباء العمل والانتاج ، كانت تتولى الزراعة ، واعداد الطعام بعد اكتشاف النار والطهي . وكانت هي الموكول اليها تنشئة الاطفال وتدريبهم دون تدخل من الرجال ، **حتى استحقت في مقابل ذلك ان ينتسب اليها الجيل الجديد، بل وان تعرف القبيلة – أو التجمع البدائي – باسمها . وهذا هو الاصل في المجتمعات الامومية .**

وطوال العصور الوسطى ، حين سادت **العلاقات الاقطاعية** ، بشكلها الشرقي والغربي ، ظل مكان المرأة في عمليات الانتاج ، الحرفي والزراعي ، محفوظاً لها . بل ان هناك من الشواهد ما تشير الى زيادة دورها واسهامها في هذه العمليات . فالاحوال التي سادت الانتاج الزراعي كانت تحتم على الاقنان والاتباع ان يستعينوا بالمرأة في أعمال الزراعة والحصاد والتخزين ، حتى يتمكن هؤلاء الاقنان من التفرغ جانباً من الوقت للعمل بالسخرة في مزارع الاقطاعي وسداد ما عليهم من أيام العمل في هذه المزارع ، بينما يتولى نساؤهم العمل في ساحة الارض « المقطوعة » لهم في زمام الاقطاعية .. ولا تخلو اللوحات الفنية المتخلفة لنا من هذا العهد من صور المرأة القن وهي تكدح في الحقول حول القلعة الاقطاعية أو على الطرق التي تسير عليها – في اللوحات – جماعات الفرسان والاقيال .

ولم يكن نصيب **امرأة الحرفي المرتبط بالاقطاعية** أحسن أو أسوأ من امرأة القن الزراعي ، فورشة الحرفي كانت تشغل جانباً أو حجرة أو ركناً من ساحة بيته . ولا مفر عنده من أن يشرك أبناءه وصبيانه

ونساء في العمليات التي يتطلبها انتاجه . **وكان يقع على عاتق المرأة ـ عادة ـ مهمة اعداد الخامات وتجهيزها داخل منزلهـا قبل ان يتناولها زوجها او ابنهـا الحرفي بالتحويل الى سلع نهائية** . وفي صناعة الغزل والنسيج ـ مثلاً ـ كانت مهمة

النساء تغطي كافة عمليات التجهيز وجانباً رئيسياً من عملية الغزل ثم اكثر عمليات الصباغة والغسيل للنسيج .

ولعلنا لا يخفى علينا مغزى التسمية التي يطلقها المؤرخون الاقتصاديون على الصناعات الحرفية في هذه الحقبة السابقة ، وهي « صناعة الكوخ **Cottage Industry** » باعتبارها كانت تتم في الواقع

داخل أكواخ الحرفيين وبمعاونة ابنائهم ونسائهم .

وفي العصر الحديث ، **مع نشوء النظام الرأسمالي** ، اختفت الظروف التي كانت سائدة في المجتمعات الاقطاعية ، واختفى معها النمط السائد في تشغيل المرأة . ليقوم بدلاً منه نمط جديد من نتسماح العلاقات الرأسمالية .

ففي ظل هذه العلاقات الجديدة انفصل العمل ـ عمل المرأة والرجل ـ عن رأس المال . ولم يبق للجماهير المنتجة غير قدرتها على العمل تقدمها لاصحاب الاعمال مقابل اجر وحسب نوع من التعاقد تبيل

موازنته دائما الى جانب صاحب العمل ، وأصبح العامل ـ رجلاً كان او امرأة ـ أجيراً يبيع عمله حيثما أتيحت له السوق المواتية في ظروفها وشروطها لهذه الصفقة ،

واذا لم تتح له هذه السوق ، اصبح عاطلاً .

وأوجد النظام الجديد قطاعا معينا من الاعمال اعتبرها صالحة لاستخدام المرأة او أكثر اتفاقاً او توافقـاً مع قدراتهـا الجسمانية والعقلية ، ولتضمن هذا

القطاع ـ في بادىء الامر صناعة الغزل والنسيج وصناعة الملابس والصباغة ،

والخدمات الشخصية ثم امتد الى بعض الصناعات الغذائية والمشروبات ، والخدمات التجارية ، كما دخلت المرأة في ظروف

الحروب وبأعداد كبيرة في صناعات الاسلحة والذخيرة وتولت بعض اعمال النقل والاعمال المكتبية .

وارتبط تشغيل المرأة ـ سنوات طويلة خلال القرن التاسع عشر والربع الاول من

القرن العشرين ـ بمحـاولات اصحاب الاعمال تخفيض الاجور او ضغط اجور

الرجال . وردت النقابات على هذه المحاولات ـ دفاعا عن اعضائها ـ بالمطالبة بتطبيق الاجر المتساوي للعمل المتساوي

ولم يكن الباعث على هذا الطلب ـ كما يظن الكثيرون ـ محاولة انصاف المرأة ،

وانما كان يستهدف في الاساس قطع السبيل على أصحاب الاعمـال الذين يستخدمون المرأة بأجور منخفضة ومنافسة لأجور الرجال او ضاغطة عليها . كما

اهتمت النقابات في نفس الوقت باجتذاب المرأة الى صفوفها حتى لا تكون رصيدا بشريا يستخدمه أصحاب الاعمال للضغط على مستويات الاجور .

المرأة العاملة المصرية

في تقديرنا ان نصيب المرأة المصرية من اعباء العمل لم يختلف عن نصيب زميلاتها

فى المجتمع البشرى عامة ، مع تباين فى بعض التفاصيل بطبيعة الحال ، فقد مرت المرأة المصرية — مثلهن — بالظروف التى فرضها المجتمع الاقطاعى طوال العصور الوسطى وجانبا من العصر الحديث ، كما مرت — مثلهن — بالظروف التى خلقها المجتمع الراسمالى منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ولا محل الان للوقوع فى الخطأ الشائع بالنسبة للمرأة المصرية ، والذى يصور دخولها فى ميادين العمل وكانه حدث متأخر او معاصر فقط . فالمرأة المصرية تحملت نصيبها من العمل الزراعى والمنزلى والحرف فى المجتمعات القديمة والوسيطة ، بل ان هناك ما يؤكد استخدامها فى أعمال السخرة بنوعيها : سخرة السيادة التى كانت منتشرة فى العصر المملوكى حين كان الملتزمون يستخدمون الفلاحين فى اراضيهم دون مقابل ، والسخرة فى الاعمال العامة التى استفحل امرها فى عصر محمد على باشا حتى قيل انها كانت تصبح بمنزلة الخدمة العسكرية الاجبارية . وكان هذا الشكل الثانى من السخرة يعنى فى واقع الامر تسخير نحو ٤٠٠ الف رجل من الفلاحين لمدة اربعة أشهر سنويا فى حفر الترع واقامة الجسور وبناء القناطر . وغالبا ما كان يصحب هؤلاء الرجال مئات الالوف من ابنائهم ونسائهم .

وفى العصر الحديث ، ومع النشوء التدريجى للعلاقات الراسمالية ، ظهرت فى مصر وحدات للانتاج الصناعى والصيانة ومنشآت للمرافق الحديثة والخدمات المالية والتجارية ، كانت فى الاغلب مملوكة للاستثمارات الاجنبية البريطانية والفرنسية والبلجيكية . كما نمت الادارة الحكومية — على نمط حديث — وخاصة فى المصالح المتصلة بشئون الرى والاشغال العامة وزراعة الاقطان ومواني التصدير ، كما نمت بصورة اقل فى مجالات التعليم والصحة العامة .

ووجدت المرأة المصرية — التى تعمل مقابل اجر — مكانا لها منذ البداية فى هذه المنشآت الحديثة ، ويمكننا أن نجد حالات معينة كانت المرأة هى المفضلة فى الاستخدام فى بعض هذه المنشآت حتى قبل الحرب العالمية الاولى ، فتشغيل المرأة — والاحداث ايضا — كان شائعا ومنتشرا فى محالج الاقطان منذ هذه الحقبة المبكرة من القرن العشرين ، كما استخدمت المرأة بصورة واضحة فى مصنع الطرابيش انشاء اسماعيل باشا عاصم فى قها عام ١٩٠٢ ، وفى معامل الزيوت والطواحين وفى صناعة الحلوى والدخان والسجاير .

وقد وصف كاتب معاصر حالة العاملات فى محالج الاقطان عام ١٩٠٢ فقال : « ان عمالها أغلبهم من الفتيات الصغار اللاتى يشتغلن مدة ١٧ ساعة بلا انقطاع ... انهن طفلات صغيرات من سن ١٢ سنة فما دون ، حافيات ، نصف عاريات لا يقيهن من هذا الطقس الشديد البرودة الا القميص الازرق وهو شعارهن ودثارهن وهن ذاهبات فى الليل البهيم الى وابورات الحليج ولا حديث لهن فى الطريق الا خوف الخولى وضربه لهن بالسياط اذا تاخرن عن الميعاد دقائق او نصف ساعة على الاكثر » .

ويصف الكاتب ظروف العمل داخل المحلج فيقول :

« ان العمل يجرى وسط غبار والياف القطن تتطاير فتسد التنفس وتزهق الارواح والبرد قارس يجمد الدم فى العروق والطفلات الذكورات والقفات كالالات المتحركة يلقمن القطن للدواليب صابرات صبر الكرام ، ولا يزلن يشتغلن حتى يطلع النهار وترتفع الشمس ... لم يمكثن مواليات عملهن الى الساعة السادسة مساء حتى تكاد كل منهن تقع خورا ، وقد يستبد بعض اصحاب الوابورات مع هؤلاء الطفلات فيزيدون لكل واحدة منهن نصف قرش على اجرتها اليومية نظير زيادة ثلاث ساعات أى الى الساعة التاسعة مساء » .

« اللواء ٣١ اغسطس ١٩٠٢ »

فى أعقاب الحرب الاولى وثورة ١٩١٩

ولم يتغير الوضع كثيرا بالنسبة للمراة العاملة خلال الحرب العالمية الاولى وفى اعقابها . وكان الحديث عن « تحرير المراة » كما تناوله قاسم امين وانصاره من المثقفين الثوريين لا يتطرق كثيرا او قليلا الى « المراة العاملة » ... بل كان يتجه الى « المراة » المحجبة فى البيوتات الكبيرة ومن افراد « الاسر الكريمة » . ولم يهتم بالمراة العاملة من المثقفين المصريين حينذاك غير سلامة موسى — بقدر محدود — وغير مصطفى حسنين المنصورى الذى الف كتابا فى تاريخ الفكر الاشتراكى عام ١٩١٥ ، ففى البرنامج الذى وضعه آنذاك « لمصر الاشتراكية » طالب بوضع حد ادنى للاجور لجميع العمال، كما طالب الحكومة « بقبول النساء فى الوظائف الجلوسية كوكيلات للبريد وعاملات للتلغراف » وطالب الحكومة ايضا « باصدار قانون بعدم حرمان الطبيبات والمعلمات من الزواج لان هذا يخالف الطبيعة البشرية » .

وفى ظل ثورة ١٩١٩ ، شاركت « المراة المصرية » من الطبقة العليا فى جانب من العمل السياسى ، واشتدت مشاركتها هذه ونمت لتشكل التيار المعروف لنا بحركة تحرير المراة . ولكن هذا التيار ظل بمعزل عن شئون « المراة العاملة » ولم يبد اهتماما كبيرا بها .

وعلى الرغم من ذلك ، تمكنت بعض قطاعات من النساء العاملات من الافادة بالحركة الشعبية المزدهرة حينذاك وظهرت بينهن بعض الاتجاهات لقبول فكرة التنظيم النقابى فى بداية العشرينات .

ولعل ابرز مثل لهذا الاتجاه تلك المحاولة الفريدة فى يوليو ١٩٢٠ لانشاء « نقابة الحكيمات المصريات بمدينة القاهرة » وقد نشرت الصحافة المعاصرة اهداف هذه النقابة على النحو التالى

● جمع شمل الحكيمات المصريات فى جميع البلاد بالقطر المصرى وايجاد رابطة جامعة بينهن اساسها الاخاء والتضامن .

● الاحتفاظ بكرامة المهنة والدفاع عن مصالح الاعضاء المادية والادبية .

● تحسين حال الاعضاء وترقيتهن ادبيا والعمل على ظهورهن بما يلائمهن من المكانة الاجتماعية .

● مساعدة اعضاء النقابة ماديا عند الاحتياج والسعى فى ايجاد عمل لهن بكل الوسائل الممكنة .

وكانت ضمن خطط هذه النقابة اجراء العمليات للعاملات الفقيرات بالمجان واصدار نشرات للتوعية فى تربية الطفل ومقاومة العادات السيئة القديمة ، والخطابة فى النساء المصريات والقاء المحاضرات لتنوير اذهانهن .

ولقيت قضية المراة العاملة اهتماما كبيرا من لجنة عبد الرحمن رضا باشا التى شكلت عام ١٩٢٧ لوضع قانون العمل واستمرت حتى عام ١٩٢٩ ، وقد خصصت هذه اللجنة احدى لجانها الفرعية لدراسة « تشغيل الاحداث والنساء » وأعدت تقريرا هاما فى هذا الشأن .

وتضمن مشروع القانون الذى وضعته لجنة رضا فى نهاية الامر احكاما مجزية لحماية المراة العاملة واقرار حقها فى المعاملة الخاصة بالنسبة للاجازات وبالنسبة لحظر تشغيلها فى الصناعات الخطرة وفى العمل الليلى .

لقد حظر المشروع « المادة ٢٢ » تشغيل النساء فى جميع الاعمال الخطرة والمضرة بالصحة ، كما حظر تشغيلهن ليلا .. أى مابين الساعة العاشرة مساء والساعة الخامسة صباحا .



سلامة موسى



مصطفى المنصورى



عبد الرحمن رضا

ومنع المشروع تشغيل الحامل فى أعمال مادية تستلزم مجهودا كبيرا أو من نوع يجوز أن يترتب عليه ضرر لها أو للجنين ، كما لا يجوز تشغيلها قبل الوضع وبعده مدة ثلاثة أسابيع يترك لها تحديد مبدئها ونهايتها بنفسها وتحسب لها نصف الأجرة على المدة المذكورة ويحفظ لها محلها فى العمل مدة انقطاعها .

وأعطى المشروع للعاملات اللاتى لهن أطفال فى سن الرضاعة مدتين للاستراحة احداهما نصف ساعة فى الصباح والأخرى مثلها بعد الظهر لتغذية أطفالهن .

ولاشك أن موقف لجنة رضا من قضية المرأة العاملة — وغيرها من القضايا الأخرى — كان فى واقع الأمر موقفاً تقدميا متنورا بالنسبة للعشرينات وبالنسبة للمواقف والأفكار السائدة حينذاك حول هذه القضايا . ولهذا فان المشروع الذى أعدته اللجنة ظل حبيس المكاتب فى وزارة الحقانية وفى مجلس الوزراء . وبينما تهربت حكومة الوفد من تنفيذه فى بداية الثلاثينات ، فان حكومة صدقى التى تلتها أعلنت رفضها للمشروع تماما ، واستبدلت به بما سمى حينذاك باسم « البرنامج التشريعى للعمال » فى نوفمبر ١٩٣١ . وقد تضمن هذا البرنامج قانونا بتنظيم « تشغيل المرأة » صدر بعد ذلك بعامين وفى ١٧ يوليو ١٩٣٣ على وجه التحديد .

ولاشك ان صدور هــذا القانون كان مكسبا للمرأة العاملة فى ذلك الوقت ، رغم أنه لم يحقق الآمال العريضة التى طالما راودت الطبقة العاملة فى مثل هذا القانون .

وقد تضمن القانون — رغم هذه الملاحظة العامة — عدة أحكام لصالح المرأة العاملة مثل تحديده للصناعات الخطرة ، وتحديده لساعات العمل بتسع ساعات يوميا ، وحظر العمل الليلى ، واقرار حق المرأة فى اجازة الوضع « اسبوعين » والاحتفاظ بعملها ، واقرار حقها فى نصف ساعة استراحة للرضاعة .

ولــكنا نلاحظ — فى نفس الوقت —

ان احكام القانون فى هذه المجالات كانت اقل دائما مما اقرته لجنة رشد ، كما أن أحكامه كانت تسمح باستثناءات عديدة من شأنها ان تنسف الحقوق الاساسية التى منحها القانون .

وقد قدر عدد النساء المنتفعات بهذا القانون فى بداية الثلاثينات بنحو خمسين الف امرأة عاملة ، منهن نحو ٢٥ الفا يعملن فى صناعة الغزل والنسيج وصناعة الملابس . ولم يطبق القانون – بالطبع – على العاملات بالزراعة والعاملات فى « المصانع المنزلية » التى لايشتغل فيها سوى افراد الاسرة .

الحرب العالمية الثانية وفى اعقـــــابها

انتهت الثلاثينات والمرأة العاملة تملك قانونا خاصا بها ضمن تشريعات العمل الضئيلة التى مرت فى هذه الحقبة .. ونحن نعتبر المرأة العاملة – من هذه الناحية – اكثر حظا من الرجل .

وفى تقديرنا أن الظروف التى خلقتها الحرب العالمية الثانية فى مصر قد اسفرت عن نتائج هامة بالنسبة للمرأة العاملة لعل اهمها :

● زيادة حجم العمالة النســائية وخاصة فى الصناعات التى انتعشت فى ظروف الحرب لسد حاجات السـوق المحلية ، مثل صناعة الغزل والنسيج والصناعات الغذائية وصناعة الملابس

● زيادة اقبال المرأة على العضوية النقابية وظهور عدد من رائدات العمل النقابي النسوى . وقد شجعهن على هذا الاقبال ، صدور قانون الاعتراف بالنقابات فى عام ١٩٤٢ .

وفى اعقاب الحرب ، شاركت قطاعات من النساء العاملات فى الحركة الوطنية من اجل الجلاء ، كما لوحظ أن خط « تحرير المرأة » بدأ يجلب الى صفوفه عددا من النقابيات والعاملات . وساعد على هذا الالتقاء الحتمى بين حركة تحرير المرأة وحركة المرأة العاملة ، دخول عدد متزايد من العاملات المثقفات الى مجال النشاط الاقتصادى واطراد عدد الخريجات من كافة مستويات التعليم الفنى والجامعى

وظهرت فى هذه الفترة – عام ١٩٤٦ – اول منظمة عامة للمرأة العاملة باسم « رابطة عاملات القطر المصرى » التى ضمت عددا كبيرا من عاملات الغزل والنسيج واشتركت فى مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى، وقد اصدرت هذه الرابطة « نداء » عاما الى العاملات ربطت فيه بين اهداف العمل الوطني والعمل النقابي ، وطالبت بمبدأ « الاربعين ساعة عمل» ، والمساواة فى الاجر بين الرجل والمرأة واعتبار عيد اول مايو عيدا للعمال .

المرأة العـــاملة وثــورة ١٩٥٢

ان ثورة ١٩٥٢ – تعنى فى الاساس – بالنسبة للجماهير العاملة ثلاثة مواقف او محاور فى حركة المجتمع :

● وقوف فى وجه الاستعمار القديم



علية عزمى

والجديد ونضال من اجل تصفية وازالة آثاره .

● **تغيير العلاقات الاجتماعية من اجل اقامة مجتمع العدل والرخاء على الطريق الاشتراكي**

● **الوحـــدة القومية والاسهام في الجهود الدولية من اجل التحرر الوطني والسلام العالمي القائم على العدل .**

ومن اجل هذه المواقف ، وحولها ؛ نشطت الجماهير العاملة مؤيدة ومساندة لحركة الثورة منذ عام ١٩٥٢ .

والمتتبع لتاريخنا الثوري — من خلال حركة الطبقة العاملة المصرية — يجد اننا مررنا بمرحلتين متميزتان : المرحلة من ١٩٥٢ الى ١٩٦١ ثم المرحلة من ١٩٦١ الى الوقت الحاضر .

وقد اتسمت **المرحـلة الاولى** — من وجهة نظر الطبقة العاملة — بعدة سمات كان اهمها الاضـــافات الجوهـرية الى تشريع العمل في مجال الضمانات ضد الفصل وفي مجالْ التأمينات الاجتماعية واستكمال البناء النقابي وتوسيع قاعدته.

وقد جسدت هذه الاضافات موجتان من التشريع العمـــالي ، الاولى في عام ١٩٥٢ والثانية في عام ١٩٥٩ . في الاولى حدثت مراجعة شاملة وعامة للقوانين الاساسية « عقد العمل الفردي والنقابات »

وفي الثانيـــة حـــدث توحيد لكافة التشريعات بصورة تقدمية واضـــحة ووضعت الاسس النهائية للتأمينـــات الاجتماعية ..

وقد افادت المرأة العاملة في هذه المرحلة من الاعتراف بمساواتها في الاجور والزيادات الكبيرة في امتيـازات الاجازات المرتبطة بظروفها الاجتماعية « الولادة والحضانة وامراض النفاس »

وساعد على توسيع قاعدة اســتفادة المرأة بهــذه التشريعات ؛ تلك الزيادة الفلكية التي تحققت في القوى العـاملة — بصفة عامة — وفي حجم العمالة النسوية بصفة خاصة ، حتى ليقدر نسبة المرأة الان في القوى العاملة بنحو ١٥٪ ، نحو ثلاثة ملايين امرأة ،

وقد ادت التغيرات الكبيرة التي حدثت في التركيب النقـابي وفي ضـمانات العضـوية الى ضم نحو ٢٠٠ الف من العـاملات الى الحـركة النقابية ونمو دورهن القيادي في كافة المستويات .

وعلى خط مواز لهــذه التغـيرات ؛ حصلت المرأة — والمرأة العـاملة في الاساس — على حق التصـويت النيابي والعضـــوية البرلمانية منذ عام ١٩٥٧ .

وظهـر من تفـاعل الخطين — النقـابي والسـياسي — عدد من القيادات النسائية ذات المكانة والنفوذ الكبيرين في العمـل الشعبي **مثل المرحومة علية عزمي والنقابية البارزة خيرية محمد ومادلين عزيز وثريا لبنة وزميلاتهن النشـــيطات في الحركتين السـياسية والنقابية .**

واتســمت المرحلة الثانية — من وجهة نظر الطبقة العاملة — **بالتحولات الاشتراكية** منذ عام ١٩٦١ واهمها بناء القطاع العام واقرار حق التمثيل في كافة التنظيمـات للعمال والفلاحين ، واقرار نظام المشاركة العمالية ، في الادارة الاشتراكية .

وقد شهدت السنوات التالية لبدء التحول الاشتراكي زيادة مطردة في دخول المرأة — وخاصة من خريجات المـعاهد المتوسطة والعليا والجامعات — في مجال الاستخدام من خلال خطة العمالة الكاملة

وحققت الرائدات النقـابيات نجاحا ملموسا في الانتخابات التي جرت في كافة التنظيمات الشعبية في ظل مبدا الخمسين في المائة ، كما لعبت عناصر منهن دورا هاما في تجربة الادارة المشتركة .

كتاب الشهر



الدراما الجنسية للمرأة في المشرق العربي

- تأليف : يوسف المصرى
- عرض وتلخيص: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لاتزال الدراسات الخاصة بالتاريخ الاجتماعى للعالم العربى قاصرة . كما ان الدراسات المتصلة بالاوضاع الاجتماعية الراهنة فى هذا الجزء من العالم لم تلق حتى الان العناية الواجبة . وفى نفس الوقت تنشط دور النشر الاجنبية فى معالجة القضايا الاجتماعية فى العالم العربى ، وبين وقت وآخر تخرج لنا بحوثا بعضها مفيد وبعضها الاخر لايخلو من الاخطاء وسوء الفهم والتحامل . ولاتزال فكرة العالم الخارجى عنا بعيدة كل البعد عن الواقعية ، فنحن مازلنا نتهم بين وقت واخر باننا مجتمعات « الجوارى والعبيد » ، ان لم يكن بصورة واقعية ، فعلى الاقل من قبيل المجاز . ولايزال ثمة من يعتقدون فى الغرب أن كل رجل من رجالنا متزوج بنصابه الشرعى — اربع زوجات — وكان عدد النساء فى بلادنا اربعة اضعاف الرجال! ولايزال ثمة من يعتقدون بان بناتنا عرضة للبيع ، ان لم يكن فى اسواق النخاسة فعلى الاقل لمن يدفع اعلى ثمن : سيدا كان هذا المشترى او زوجا !!

ومنذ بضع سنوات ادخلت فى برامج الجامعات المصرية والجامعات العربية الاخرى مادة « المجتمع العربى » بقصد تعريف الشباب باحوال مجتمعهم ومشكلاته ، توطئة لخلق مواطن عربى واع بالصورة الواقعية لمجتمعه الكبير . الا أن مؤلفى هذه المادة راحوا يتغنون بجمال الشعر الجاهلى ورومانتيكية البادية ، واوغلوا فى الامجاد التاريخية للوطن العربى ، وكان تاريخنا سلسلة من الامجاد ، وطفقوا يبسطون الاحوال ويثبتون ان كل مافى العالم العربى قمين بخلق الدولة العربية الكبرى ! واهملوا الى حد كبير واقع العرب الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . وازاء كل هذا لم تحقق المادة الجديدة الهدف منها ، وتحولت الى مادة دعائية واحيانا مضللة ، مما ادى الى الغائها واستبدل بها منهاج آخر لم تتضح صورته بعد .

الدراما الجنسية للمرأة في المشرق العربي

■ **والكتاب الذي نعرضه يثير وضع المرأة في المشرق العربي .** وقد نختلف مع المؤلف في بعض النقاط التي أثارها بحثه ، وقد نتفق معه في الاطار العام للقضية التي تصدى لمعالجتها . الا ان الكتاب في حد ذاته يعالج قضية المرأة العربية معالجة صريحة تستند في تفاصيلها الى واقع الاراء التي ادلى بها بعض المفكرين العرب ، ووقائع الاحداث التي نشرتها بعض الصحف العربية .

ولد مؤلف الكتاب – **يوسف المصرى** – في مصر الجديدة في عام ١٩٢٤ ، وتلقى في القاهرة تعليمه الابتدائي والثانوى ، ثم حصل على دبلوم معهد الدراسات السياسية بباريس ، واحترف الصحافة (وقد عمل بعض الوقت محررا بجريدة «التحرير» القاهرية) ، وقام بجولات متعددة في شتى اقطار المشرق العربي ، بالاضافة الى الهند وباكستان ، حيث درس احوال الشعوب الاسلامية على الطبيعة . وهو يهدى كتابه الى **كل النساء العرب الطليقات باوضاع احسن ، وكل الكتاب العرب الذين شنوا حملة واسعة النطاق لالغاء طهارة البنات ،** ويخص بالذكر احسان عبد القدوس الكاتب المصرى المعروف وعبد العزيز صادق الذى كان رئيسا لتحرير مجلة « التحرير » القاهرية التي احتجبت عن الظهور .

ويرى المؤلف في **الجنس** اساسا لكل اوضاع المرأة العربية من المهد الى اللحد . وهو يبدا حملته ضد اوضاع المرأة في المشرق العربي بشن هجوم مباشر على « **طهارة** » البنات التي يربط بينها وبين انتشار تعاطى الحشيش في مصر بوجه خاص وتعاطى القات في اليمن . فهذه العملية تؤثر في التكوين الجنسي للمرأة وتطبعها بطابع البرود ، ويستشهد المؤلف على ذلك بآراء بعض الاطباء الذين تناولوا هذه المسألة من الناحيتين التشريحية والوظيفية . ويرى المؤلف ان هذه العملية بالطريقة البدائية التي تتم بمقتضاها تنفر البنات من الجنس وترسب في لاشعورهن مخاوف لا حصر لها . والانكى من ذلك ما يحدث في السودان حيث تتم هذه العملية بطريقة اكثر بشاعة ، وحيث تجرى « خياطة » العضو التناسلي للبنات بصورة بدائية قد تؤدى احيانا الى الوفاة .

وينفى المؤلف ارتباط هذه العادة بالدين الاسلامى ، بدليل انها لا تجرى في بلدان اسلامية مثل تركيا وايران والمغرب واندونيسيا . فهى لا توجد الا في مصر والسودان ، وبشكل محدود في سوريا والاردن والعراق وشبه الجزيرة العربية . وازاء برود المرأة الجنسي يشعر الرجل العربي بانه غير قادر على ارضائها جنسيا ، ومن ثم تعاطيه الحشيش اعتقادا منه بأنه يوفر مصدرا للطاقة الجنسية . ومن هذه الزاوية يفسر المؤلف تمسك الرجل العربي بأن

يكون المعلم الأول للممارسة الجنسية لزوجته خوفا من أن تقارنه بغيره ، ومن ثم اهتمامه الشديد بالبكارة ، وذلك تغطية لفشله الجنسي الناتج من صعوبة اشباع امرأة استؤصلت من عضوها التناسلي بعض الأجزاء الجنسية الهامة التي تتصف بشدة الحساسية . وحين تتاح لبعض الشباب العربي فرصة الاقامة في البلدان التي لا تجرى فيها هذه العملية والتي تبيح تقاليدها الاختلاط الجنسي غير المشروع تجدهم ينفلتون بعد أن يلمسوا أن العملية الجنسية ليست بتعقيد مثيلتها في بلادهم ، بل ان بعضهم يلعنون هذه الناحية وينسون الاهداف التي من اجلها بارحوا أوطانهم !

ويرى المؤلف ان الزواج في الشرق العربي يرتبط ارتباطا صارخا بالجنس: تقبل اختيار الفتاة بصبح جسدها موضعا لاختبارات ومقايسات ، شأنها في ذلك شأن أي سلعة أخرى . ويستشهد — فيما يستشهد به — بأن أم الخطيب أصرت على أن تصحبها خطيبة ابنها الى احد الحمامات لكي تراها عارية ، وأن أسرة البنت لم تستطع الاعتراض على هذا الطلب خوفا من أن يفسر الرفض على انه تهرب من مشاهدة عاهة او ما الى ذلك . ويستفيض في تفاصيل «ليلة الدخلة» ، و «الليلة الحنة» ودور البلانة التي « تنشط » جسم العروسة تمهيدا لليلة الموعودة التي تفض التامها بكارة بعض البنات بصورة همجية ، يتلوها عرض لقطرات الدم الدالة على البكارة، كما يتناول بعض الحيل التي قد تلجأ اليها بعض البنات والاسر لتعويض البكارة المفقودة . ويستشهد على قيمة البكارة بقصة طريفة : **فقد ركبت بنت مصرية في التاسعة من عمرها دراجة ، واشتبه والدها — وهو من المتعلمين — في أن ذلك قد ادى الى المساس بعذرية ابنته ، فاصطحبها الى طبيب حرر** **شهادة بما حدث . ولم يكتف بهذا ، بل انه « وثق » الشهادة في احدى المحاكم، حتى تكون حجة لديه ازاء عريس المستقبل اذا كان قد حدث ما لا تحمد عقباه !**

ويهاجم المؤلف « المهور » التي لا تعدو — في رأيه — أن تكون « ثمنا » للبنات. واذا كانت البنات حسب هذا المفهوم يشكلن سلعة ، فان سوقهن ترتبط بقانون العرض والطلب . ويستدل على ذلك بأن موسم الزواج في مصر يحل في شهري أكتوبر ونوفمبر بعد ان يتم جني محصول القطن ، وبأن « أسعار » بنات الكويت قد ارتفعت بعد تدفق البترول وهجرة بعض اللبنانيين والفلسطينيين وغيرهم الى البلاد ، مما جعل الطلب يزداد على البنات . **وما دام الزواج صفقة ، فان البنت في معظم الاحوال تكون من نصيب من يدفع أعلى ثمن .** ولهذا فان أكثر من ٩٠٪ من الزيجات لا تتم بالاختيار الحر ، بل نتيجة لتدخل الأسرة التي تؤكد للبنت انها أقدر على أن تختار لها زوجا يؤمن مستقبلها !! ولا بأس اذا كان هذا التأمين يتم بتزويج فتاة دون العشرين بكهل يتجاوز الستين ما دام قادرا على الدفع بسخاء .

ويستشهد على كل ذلك بأمثلة وردت على صفحات الصحف والمجلات العربية أبطالها أغنياء سعوديون وكويتيون ويمنيون « يشترون » ما شاءت لهم أمزجتهم من بنات مصر ولبنان اللاتي تضغط عليهن أسرهن أو تغريهن بمثل هذه الزيجات الثمينة .

كما يهاجم المؤلف تعدد الزوجات ، وان كان — من ناحية اخرى — بسلبياته أصبح لا يعدو كونه من وسائل رفاهية الأغنياء . ويندد بأوضاع الطلاق القائمة: فهو يتوقف على كلمة تصدر من الرجل الذي قد يندم على قراره ويعمد الى « المحلل » .. هذا في حين يصعب على المرأة أن تضع حدا لعلاقاتها بزوج تكرهه.

فاذا ماتركت منزله استعدى عليها السلطات لتعود الى منزل هو بالنسبة اليها اشبه بالسجن ، وذلك على شكل « بيت الطاعة » .. وفى مثل هذه الحالة تتخذ المباشرة الجنسية بين الطرفين صفة الاغتصاب .

وليست الصور التى عرضناها هى اشكال القسوة الوحيدة التى تتعرض لها المراة العربية ، بل انها منذ ولادتها تحاط بالاحتقار . فالرجل العربى يسوؤه ان يرزق بطفلة ، والام معرضة للطلاق او لان يتزوج رجلها بأخرى اذا ما اكثرت من انتاج البنات ، وهذا فى كثير من الاحيان هو مصير المراة العاقر . اما ميلاد الولد فتطلق له البشائر ، بحيث يشعر الذكر منذ البداية انه المفضل وانه الامر والناهى ، ومن ثم يتردد فى الاوساط الغربية من ان مجتمعنا العربى انما هو مجتمع ذكور فى المحل الاول .

ولا يقتصر الامر على ذلك : فالى جانب الاحتقار والمهانة اللذين تحاط بهما الانثى منذ مولدها ، فانها بين آونة واخرى تعتبر مصدرا للنجاسة : فلابد من التطهر بعد ملامستها وقبل الصلاة ، ولابد من الغسل الكامل فى أعقاب مخالطتها جنسيا ، هذا بالاضافة الى تحريم تقبيلها او مخالطتها جنسيا فى ايام رمضان .

وهنا يقترب المؤلف من هدفه الاصلى وهو جعل الاسلام صراحة مسئولا عن اوضاع المراة فى الشرق العربى . حقيقة انه ينفى مسئولية الاسلام بهذا الصدد . الا انه من ناحية اخرى يشير الى تشدده بالنسبة الى المراة ، وان يكن يخفف من حكمه هنا بالاشارة الى قدرة الاسلام على التكيف ومرونته وانه كان باستمرار اداة ذلولا فى خدمة الدولة . وهو يؤيد حكمه بما يؤكده الاسلام من ان المراة منذ ميلادها حتى زواجها تعتبر قاصرا ... ومن ثم وضعها تحت وصاية ابيها ، ولا تخرج من وصاية الاب الا لتدخل تحت وصاية الزوج . فهى فى الاسلام — فى راى المؤلف — عبد بصورة او اخرى ، دون ان يكون لديها ادنى امل فى الانعتاق .. وبعد ان تتزوج يجب عليها — طبقا للقانون — ان تطيع زوجها طاعة مطلقة دون ادنى تحفظ ، فهى لا ترشد ابدا ، وهى باستمرار بحاجة الى وصى ، ويخصص لها فى الميراث نصف نصيب الرجل ، كما تعدل امرأتان رجلا فى الشهادة . ولزوجها الحق فى ان يتزوج عليها ثلاثا اخريات وعددا لاحصر له من الجوارى . وكل هذا يؤكد وضعها الادنى وقصورها .

أما استبداد الرجل فهو ناتج من نشأته فى وسط يفهمه انه كائن ممتاز ينتمى الى نصف البشرية الفضل . وبالاضافة الى هذا فانه لا تتوفر له خارج منزله فرصة ممارسة « تفوقه » . فاذا كان فلاحا واجه اذلال كل الفئات المتصلة بالارض ، واذا كان عاملا تم استغلاله بصورة مشينة دون أن تتوفر له معظم الاحيان اية حماية نقابية . واذا كان موظفا لا تتيح له اوضاع بلاده ان يتقاضى اكثر من ٤ أو ٥ دولارات فى الاسبوع . واذا كان مهندسا فانه يتقاضى ٤٥ او ٥٠ دولارا فى الشهر . وازاء كل هذا كيف يتسنى له أن يمارس تفوقه ؟ فى هذه الحالة لا يوفر له المجتمع اية فرصة ، فلا يبقى امامه سوى أسرته حيث يعكس كل ألوان التحقير التى يصادفها فى المجتمع : على زوجته والى حد ما على أولاده . ويشبه رأى المؤلف تفسير قاسم امين للاوضاع الاجتماعية فى مصر فى مطلع القرن العشرين . فقد ربطت دعوته وضع المراة فى المجتمع الشرقى بوجه عام والمصرى بوجه خاص بالاوضاع السياسية السائدة فى المجتمعات الشرقية ، كما ربطت تحرر المراة فى الغرب بالحرية السياسية التى تمتعت بها المجتمعات الغربية . ولهذا يرى قاسم امين فى كتابه « المراة الجديدة » انها ثمرة من ثمار التمدن الحديث الذى ظهر فى الغرب

نتيجة للاكتشافات العلمية التي خلصت الإنسان من سلطة الأوهام والظنون والخرافات وسلمته قياد نفسه ورسمت له الطريق التي يجب عليه أن يسلكها. ولكن قاسم أمين لايتهم الدين بأنه من وراء تخلف المرأة ، اذ السبب الحقيقي – في رأيه – لانحطاط المرأة المسلمة هو ان الدين الاسلامي دخل على شعوب قامت تقاليدها على الاستبداد السياسي والاجتماعي ، فافسدت الدين بتقاليدها الفاسدة – وفي ذلك قوله : « انظر الى البلاد الشرقية تجد أن المرأة في رق الرجل ، والرجل في رق الحاكم – فهو ظالم في بيته مظلوم اذا خرج منه . ثم انظر الى البلاد الأوربية تجد ان حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية – فارتفع شأن النساء فيها الى درجة عالية من الاعتبار وحرية الفكر والعمل ، وان كن لم يصلن الى الآن الى مستوى ما اعد لهن » .

وفي ظل مثل هذه الأوضاع يكون أمرا طبيعيا ان تصبح المرأة عبدا للرجل ، على الأقل في مجال الأسرة . فهي مجال الظلم الطبيعي دون ان يؤدي هذا الى تحريك الضمير . وانطلاقا من كون هذا الظلم امرا « طبيعيا » ، فانه يصبح امرا « اجباريا » حين يصل الأمر الى مجال الجنس . ويشير المؤلف الى أن من النادر أن تتمرد المرأة العربية على مصيرها ، وحين يتم ذلك يكون التمرد فرديا وفوضويا ويأخذ شكل الانفجار . والتي تتمرد ليست المرأة العادية التي تعيش في الريف أو في الأحياء الشعبية ، بل المرأة المثقفة الواعية بقدرها أو الشابة التي يفوق وضع أسرتها وضع زوجها من الناحية الاجتماعية وتشعر بمساندة والديها لها . الا ان هذا التمرد لا يتخذ شكلا منتظما ، لأن الاسلام – في رأي المؤلف – قد سلح الرجال بوسائل القمع .

ويختتم المؤلف كتابه بالفقرات التالية : « هذا هو وضع المرأة العربية . مجتمع لا يعطف عليها .. مجتمع وضع على مقاس الرجل .. مجتمع عقد العزم على ان يوصد امامها بكل الوسائل طريق السعادة . فهي – كطفلة صغيرة – يبتر جزء من عضوها التناسلي بصورة وحشية لكي تحرم من القسط الأكبر من القدرة على اللذة الجنسية . وهي – كفتاة – تنشأ في ظل الخوف من فقد خاتمها المقدس ، وهي – كعذراء شابة – تباع لمن يدفع أعلى ثمن حتى وان كان كهلا معيبا . وهي – كخطيبة – تلقن ان واجب الزوجة هو ارضاء زوجها . وحين تتزوج يتم اغتصابها في ليلة الزفاف . وهي – كامرأة – خادمة وأداة للمتعة ، وتعتبر حسنة الحظ اذا لم تشاركها في زوجها زوجة أو اكثر . وهي – كأم – تباشر دورها في ايقاع جهنمي : فتصبح آلة حقيقية لانتاج الأطفال . وهي – كزوجة – محرومة من الحقوق الأولية ، وبامكان زوجها ان يطلقها ويطردها في اي لحظة أو ان يأخذها زوج كرها الى فراشه بالقوة . وبالتالي فهي عبد منذ ميلادها الى وفاتها . ورغم ذلك فان الدول التي تحتفظ للمرأة العربية بهذا الدور المشين موقعة على ميثاق حقوق الانسان » .

وهكذا نجد المؤلف يشبه قاسم أمين في طرحه قضية المرأة على اعتبار انها جزء لا يتجزأ من « حقوق الانسان » على النحو الذي اقرته الثورة الفرنسية – ومن ثم فان دعوة الرجلين تقوم من الناحية الانسانية على احترام حقوق الانسان ، وفي مقدمتها الحرية والمساواة والاخاء ، ومن الناحية التاريخية – الاجتماعية على انتشار الفكرة الديمقراطية . ورغم أن كثيرا مما يذكره المؤلف وارد بالفعل ، فان التطور يسير بخطا سريعة نحو استكمال تحرير المرأة في البلدان العربية ، خاصة بعد أن شقت المرأة طريقها في مجال التعليم وعملت في كثير من الميادين التي كانت احتكارا للرجل . كما ان تغيير اسس الاقتصاد في البلدان العربية التي اخذت بالمذهب الاشتراكي قد دمر الركيزة الأساسية للطبقة الاقطاعية والرأسمالية التي شكلت العلاقات الاجتماعية في عهود التخلف . ان الحل الاشتراكي وحده كفيل بتصفية الآثار الطبقية والاستغلال وتحرير الرجل والمرأة معا واقامة مجتمع سليم ينعم بالحرية الحقيقية وبالمساواة دون تفرقة بين شخص وآخر او بين رجل وامرأة .

● د. فاروق مصطفى ●

الأمراض الجنسية

فرضت الظروف على المجتمع العربى تخلفا فى نواح متعددة ولعل ابرزها هذا التخلف الرهيب المتصل بقضية الجنس، والتخوف المصحوب بالخجل الشديد فى مواجهة الامراض التى تصيب الاجهزة التناسلية .

ورغم ان الدين الاسلامى عالج قضية الجنس بوضوح تام ، الا ان الانسان العربى ظل خجولا امام قضاياه الجنسية ، وامام العلاج منها .

الشائعة فى المجتمع العربى

■ **والحقيقة ان الامراض الجنسية الشائعة فى المجتمع العربى يمكن حصرها على الوجه التالى:** سرعة القذف ، الضعف او العجز الجنسى عند الرجل والمرأة ، الشذوذ الجنسى وله مظاهر وانواع مختلفة ، البغاء باعتباره مرضا اجتماعيا .

والمرض الاول وهو « سرعة القذف » هو مرض شائع بين الشباب العربى وله بعدان اساسيان ، **البعد الاول** هو بعد بيولوجى ، **اما الثانى** فهو نفسى ..

فى الجانب البيولوجى تبرز الاسباب الاتية :

- اختلال الغدد الصماء .. وهذا لا علاج له
- التهاب مزمن فى البروستاتا
- حساسية رأس عضو التذكير ..

وهى ظاهرة منتشرة بين ابناء الدين المسيحى لعدم شيوع عملية الختان بينهم .

اما الجانب النفسى فيعود السبب الرئيسى فيه الى الجهل بالطريقة الصحيحة لممارسة الجنس .

ومن العوامل الاخرى المسببة لهذا المرض الافراط فى ممارسة العادة السرية وكنتيجة طبيعية لتخلف الوعى الجنسى عند ابناء المجتمع العربى نجد اكثر المصابين بهذا المرض يهربون الى المخدرات بقصد الخلاص من هذا المرض بوسيلة مفتعلة .

الضعف الجنسي عند الرجل

نفرق اولا بين حالتين : حالة الضعف الجنسى ، وحالة عدم القدرة على الاخصاب . فهناك حالات كثيرة يكون الفرد

فيها قادرا على ممارسة الجنس بنجاح ورغم ذلك نجده غير قادر على الاخصاب وفي حالات اخرى نجد بعض ضعاف القدرة الجنسية قادرين على الاخصاب، وذلك فيما عدا حالات العجز الجنسي الكامل .

وللضعف الجنسي خمسة انواع رئيسية

١ ـ ضعف جنسي مصحوب بقلق نفسي

٢ ـ ضعف جنسي مصحوب بقلق نفسي شديد

٣ ـ ضعف جنسي مصحوب بمرض نفسي

٤ ـ ضعف جنسي نتيجة لعادات جنسية خاطئة منذ الطفولة

٥ ـ الضعف الجنسي المصحوب بامراض عضوية مثل السكر ، والغدد الصماء والالتهاب المزمن في البروستاتا او حالات الاصابة بمرض الزهري المزمن

وهناك طبعا قصور واضح في الثقافة الجنسية للانسان العربي مما يؤدي الى عدم معرفته بالاسباب المؤدية الى هذه الامراض ... والجهل يؤدي الى الوقوع في المرض نفسه

ومن خلال نظرة علمية الى العملية الجنسية فاننا نجد انها تتم وفقا لعدة عمليات معقدة داخل الجسم الانساني ، فاذا ما اصيبت احدى مراحل العملية الجنسية بأي خطأ فانها لا يمكن ان تتم بشكل كامل وصحيح .

ومن خلال ذلك يتضح ان الشباب العربي محتاج لرعاية وتوجيه يتمكن من خلالهما ان ينتقل من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة دون ادنى مضاعفات نفسية او شعور بالالم وهما الامران اللذان قد يسببان قصورا جنسيا واضحا للمقبل على الزواج عند اقدامه على ممارسة الجنس .

الضعف الجنسي عند المرأة (البرود)

ساد اعتقاد خاطىء يقول ان العملية الجنسية لها جانبان : **سالب ويتمثل في المرأة والاخر موجب ويتمثل في الرجل** ... ولكن هذا اعتقاد خاطىء لان الرجل والمرأة في الواقع يشاركان ويكملان بعضهما البعض في اتمام العملية الجنسية كل بنفس القدرة حتى يتسنى لهذه العملية أن تتم بنجاح

ويمكن ارجاع الضعف الجنسي لدى المرأة ـ او ما يعرف بالبرود ـ الى عوامل اغلبها نفسية وهي لا تعني بالدرجة الاولى مرضا عضويا فقط ولكن الغالب عند المرأة ان يجتمع العاملان معا ، العامل النفسي والعامل البيولوجي .

ويمكن تصنيف حالات القصور عند المرأة على الوجه الآتي :

١ ـ عوامل التربية المتزمتة في المنزل

٢ ـ الشعور بالنقص وعدم ثقة الفتاة بأنوثتها ... ومن أهم عوامل الوصول الى هذه الحالة النفسية عند المرأة العربية عملية الختان التي تتم في العادة بطريقة غير علمية وكنتيجة للعامل الاخير ـ واقصد به عملية الختان ـ فان الرجل عند ممارسته للجنس مع هذا النوع من الاناث لا يستطيع أن يصل بالمرأة الى الذروة الجنسية .

وتعتبر **ليلة الزفاف** من اهم واخطر اللحظات حساسية حيث تمر العلاقة الجنسية وبالتبعية الحياة الزوجية بمرحلة دقيقة تتعرض فيها لكثير من الاخطار .

والزوج الذي لا يراعي الاسلوب اللائق والصبر في هذا اللقاء الجنسي بالذات يعرض حياته الجنسية والزوجية

لاحتمالات الفشل ، وهنا أيضاً يتدخل الجهل وانعدام الثقافة الجنسية فى الوصول بالعلاقات الزوجية الى مآزق جديدة .

الشذوذ الجنسى

نلاحظ أنه من الشائع اعتبار بعض العادات ـ كالعادة السرية ـ شذوذاً بل يذهب البعض الى أن استخدام « العازل الهبلى » فى ممارسة العملية الجنسية نوع من أنواع الشذوذ . وهذا مفهوم خاطىء من الشذوذ الجنسى فالعادة السرية ، اذا تمت بمعدل معقول فى مواجهة حالات الهياج الجنسى فقط ، تعتبر غير ضارة ، فهى فى هذه الحالة عمل فسيولوجى عادى من وجهة النظر العلمية . ولا تعتبر شذوذاً على الاطلاق

أنواع الشذوذ الجنسى

١ ـ تعرية بعض الاعضاء الجنسية امام الجنس الآخر دون ممارسة الجنس بالطريقة السوية ، وفى هذه الحالة يصل الرجل الى حالة الاكتفاء الجنسى عن طريق شديد الشبه بالعادة السرية. وهذا النوع من الشذوذ يتم اما فى الأماكن المزدحمة أو الأماكن الخلوية

٢ ـ أن تولد الرغبة عند الرجل بالحرص على رؤية بعض الملابس الداخلية

●● الأمراض الجنسية

للمرأة دون أن يمارس الجنس معها .

٣ ـ أن يرتدى بعض الرجال ملابس النساء الداخلية للحصول على اللذة من وراء ذلك دون ممارسة الجنس

٤ ـ أن تحدث الرغبة الجنسية بمجرد مشاهدة عملية جنسية تؤدى امام بعض الرجال او النساء

٥ ـ نوع من الشذوذ لا يحدث فيه لقاء جنسى بين الرجل والمرأة الا بعد عمليات عنيفة من الضرب ... أو الربط بالحبال .

٦ ـ وهناك نوع ينتشر فى القرى ... وهو اتصال بعض الذكور او الاناث بالحيوان كالكلاب او القطط .

٧ ـ اتصال يتم بين رجلين او امرأتين

وهذه الالوان من الشذوذ كلها تنتشر عادة مع انعدام الثقافة الجنسية وانعدام العلاقات الصحية بين الرجال والنساء فى مجتمع يحارب الاختلاط وينظر بالشك والريبة الى اى علاقة بين الرجل والمرأة.

والعلاج المثالى لكل هذه الامراض العضوية والنفسية وكل هذا الشذوذ الذى يتعرض له الانسان فى علاقاته الجنسية ... العلاج المثالى لهذا كله هو ان تنتشر الثقافة الجنسية بصورة

سليمة فى المجتمع والا نتجاهل موضوع الجنس ونخشاه وننفر منه ، وان تعقد المؤتمرات العلمية الصريحة لمواجهة مثل هذه الامور والوصول فيها الى قرارات صحيحة.. فلماذا على سبيل المثال لا تعقد

مؤتمرا علميا لمناقشة موضوع « الختان بالنسبة للمرأة » وتقرر فيه رأيا علميا دقيقا ينقذ المرأة والرجل عندنا من مشاكل كثيرة .

اننا نخفى مشاكلنا ولا نواجهها بروح علمية .... والمواجهة العلمية هى الطريق الصحيح لحل هذه المشاكل ولا طريق سوى العلم .

صناعة محركات السيارات في ج.ع.م

يعتبر محرك السيارة هو القلب النابض الذى يتحدد مستوى اداء السيارة من خلال كفاءته ، وترسم معالمه المعالم الرئيسية لها .. فالمحرك هو الذى يحدد قوة السيارة ومعدل استهلاكها .. وهذا بالتالى يرتبط ارتباطا مباشرا بحمولة السيارة واقتصاديات تشغيلها .

وتمثل مرحلة تصنيع المحرك مرحلة اساسية من مراحل تصنيع السيارة ، فقيمة المحرك تتراوح بين ١٦ و ٣٠٪ من قيمة السيارة الكاملة .. كما أن أغلبية اجزائه هى من الاجزاء السريعة الحركة والاستهلاك التى يلزم توافرها كقطع غيار .. وهى بالتالى تعطى حجما اقتصاديا للانتاج وتمثل مصدرا هاما للربح .

وحينما ابرمت شركة النصر لصناعة السيارات عقود التصنيع المختلفة مع الشركات العالمية التى حصلت الشركة بموجبها على رخص التصنيع لمنتجاتها المختلفة « لوارى – اوتوبيس – جرارات – سيارات الركوب » ، تضمنت هذه العقود تصنيع المحركات اللازمة لهذه المنتجات ، كمرحلة مستقلة من مراحل التصنيع التى اشتملت عليها خطة تطوير الانتاج بالشركة .

وقد راعت الشركة ان تكون هذه المرحلة تالية لمراحل تمهيدية يتم فيها تصنيع بعض الاجزاء البسيطة نسبيا من اجزاء السيارة ، حتى تكون هذه المراحل الاولى بمثابة تدريب للعمال والفنيين يتم فيها تهيئتهم للعمليات الدقيقة التى يستلزمها تصنيع المحرك ، الذى يرتفع فيه مستوى الدقة فى الانتاج ، وحتى تتيح هذه المراحل الاولى الفرصة للشركة لاستكمال تنظيمها ودورياتها المستندية وكذلك التعاقد على الخامات والاجزاء النصف مصنعة اللازمة للمرحلة الهامة التالية ، مرحلة تصنيع المحرك .

تنفيذا لهذه الخطة ، بدأت الشركة فعلا فى تصنيع المحركات المختلفة على النحو التالى :

١ – المحركات الديزل الخاصة باللوارى والاوتوبيس :

تنتج الشركة لوارى حمولة ٦ و ٨ طن ، وكذلك اوتوبيس حمولة ٦٥ راكبا . وهى جميعها مزودة بمحرك ديزل تبريد هواء قوة ١٢٥/١١٢ حصانا عند ٢٣٠٠ لفة فى الدقيقة ، له ٦ اسطوانات ، حصلت الشركة على رخصة انتاجه من شركة دويتز بالمانيا الغربية التى اشتهرت بانتاجها لمحركات الديزل المبردة بالهواء .

ويمثل المحرك فى قيمته حوالى الـ ٣٠٪ من قيمة اللورى الكامل وحوالى الـ ١٧٪

بقلم : د . مهندس

عادل جزرين



من قيمة الاوبيس الكامل ، كما يبلغ وزنه حوالي الـ ٧٠٠ كجم .

ومع بداية عام ١٩٦٥ بدأت الشركة في الدراسات التفصيلية مع الشركة الالمانية لتحديد المعدات اللازمة لانتاج هذا المحرك والتعاقد عليها ، وتحت الاعتمادات اللازمة لشراء هذه المعدات والتى بلغت قيمتها حوالي ٢ر٥ مليون جنيه ، كما انجزت الشركة بناء المبنى الخاص بمصنع المحركات الديزل ، وتبلغ مساحته حوالي ٢٠٫٠٠٠ متر مربع اى خمسة افدنة .

وقد تم وضع خطة انتاج أجزاء المحرك على اساس تقسيم هذه الاجزاء الى ثلاثة اقسام اساسية :

أ ـ اجزاء يتم الحصول عليها كاملة من مصانع منتدبة محلية ، وهى الاجزاء التى يتم صناعتها فى المعتاد فى مصانع متخصصة ، ويقدر اجمالى قيمتها فى المرحلة الحالية بحوالى ١٥٪ من قيمة المحرك الكامل ، وتشمل البساتم والشنابر والسبائك وروللمان البلى وبعض المسامير . وقد نجحت المصانع الحربية فى صناعتها وبدأ توريدها للشركة بنجاح . كما تشمل البلوف والرشاشات التى نجحت مصانع الطائرات فى صناعتها وتوريدها للشركة ، وكذلك الجوانات وبعض الاجزاء الاخرى التى امكن الحصول عليها من موردين من شركات القطاع العام والقطاع الخاص .

ب ـ اجزاء يستمر استيرادها فى المرحلة الحالية لعدم اقتصادية انتاجها محليا ، وهى تشمل طلمبات الحقن والاجهزة الكهربائية وتمثل قيمتها حوالى ٢٠٪ من قيمة المحرك الكامل .

اما الـ ٦٥٪ الباقية من اجزاء المحرك فهى تمثل الاجزاء الرئيسية للمحرك التى بدأت شركة النصر فى انتاجها . وهذه الاجزاء يتم تشغيلها بمصنع المحركات بالشركة بعد الحصول على خاماتها واجزائها النصف مشغلة من المصانع المحلية ، ويمكن تقسيم هذه الاجزاء الى اجزاء : خاماتها من المطروقات واهم هذه الاجزاء هى عمود الكرنكات ـ عمود المرفق ـ وقد نجحت شركة النصر للمطروقات فى طرق هذه الاجزاء وتقوم بتوريدها لشركة

النصر بنجاح وانتظام ، واجـــزاء من المسبوكات الجديدة واهمها السلندرات ذات الزعانف الخاصة بتبريد الهواء ، جسم المحرك ، الحدالة وغيرها .. وقد نجحت المسابك المحلية في توريد هـــذه الاجزاء المســبوكة للشركة حيث يتم تشغيلها .

ويضاف الى ذلك الاجزاء المسبوكة من الالمنيوم مثل غطاء السلندر ومروحة التبريد والكارتير .. ويتم ايضا الحصول عليها من المسابك المحلية .

واخيرا الاجزاء التى يتم تشغيلها من قطاعات والواح الصلب مثل عمود الكامات وغيرها ... وتدخل هذه الخامات والاجزاء النصف مشغلة بانواعها الى مصـــنع المحركات بشركة النصر حيث يتم تشغيلها فى خطوط انتاجية ، يختص كل خـــط بانتاج جزء معين وبطاقة محددة تـــكفى لتغطية حاجة مصانع التجميـــع وكذلك احتياجات الاسواق من قطع الغيار .

وتخرج الاجزاء من الخطوط ليستقبلها فى نهاية كل خط مفتش مدرب يقـــوم بالتفتيش الدقيق عليها ، ولا تعـــطى الصلاحية الا للاجزاء التى يتأكـــد من مطابقتها للمواصفات والجودة المحددة .

ومن خطوط الانتاج تنقل الاجزاء التى حصلت على الصلاحية الى خطوط تجميع المحركات ، حيث تستقبلها أياد مدربة لتقوم بتجميع هذه الاجزاء وتحويلها الى محركات كاملة تنقل بدورها الى قواعـــد الاختبار .

وفى هذه القواعد تدب الحياة لاول مرة فى هذه المحركات ، وتتلوى الاجـــزاء الصماء بالحركة .. ويتم ادارة كل محرك لمدة أربع ساعات كاملة يجرى خلالهـــا اختبار المحرك وقياس كفاءته عنـــد الاحمال المختلفة ، كما يتم ضبطه ، فاذا ثبتت كفاءة المحرك فانه يحصل عـــلى « شهادة ميلاده » التى يصبح بموجبهـــا جديرا بادارة السيارة التى سينتهى اليها مصيره .. كما يحصل المحرك على اسمه الذى يلصق به « محرك نصر رقم ... »

وتعمل حاليا خطوط الانتاج بمصـــنع المحركات وردية واحدة فى اغلب الخطوط ، ووريتين فى بعض الخطـوط التى يزداد الضغط عليها ، بينمـا تعمل خطوط التجميع والاختبـــار وردية واحـدة ، وذلك لانتاج حوالى ١٠ محركات يوميـــا وقطع الغيار اللازمة للسوق المحلية .

ويعمل فى هذا المصنع حاليا حوالى ٧٠٠ عامل تم تدريب العدد الكبير منهم بالخارج ومن المنتظر تشغيل هذا المصنع ورديتين بالكامل لمضاعفة الناتجه خلال الاشـــهر القادمة .

٢ ــ المحركات الديزل الخاصـــة بالجرارات :

تنتج الشركة جرارا زراعيا قوة ٥٦ حصانا مزودا بمحـــرك ديزل ذى أربع اسطوانات تبريد مياه ، كما تنتج هذا المحرك وكذلك نفس النوع من المحركات ذات الست والثلاث اسطوانات للاغراض الصناعية والنقل ، بقوة ٣٥ الى ٨٥ حصانا .

وتسير خطة انتاج هذه المحركات على نفس الاسس الموضحة سابقا وبدأ فعلا انتاج بعض الاجزاء الاساسية ، وينتظر الانتهاء من تصنيع باقى أجزاء هذه المحـــركات حتى منتصف عام ١٩٧١ .

٣ ــ المحركات البنزين الخاصة بسيارات الركوب :

أتمت الشركة كافة الدراسات الخاصة بتصنيع محرك السيارة الـ ١٥٠٠ المتعاقد على تصنيعها مع شركة فيات ، ووردت فعلا كافة معدات تصنيع هذا المحرك ، وتم تركيبها فى مصنع محركات البنزين الذى تبلغ مساحته ١٢٫٠٠٠ متر مربع ، كما يجرى استكمال الشبكات والمرافق الخاصة بهذا المصنع الذى ينتظر أن يبدأ تشغيله ويفتتح رسميا هذا الشهر ، ليقوم بانتاج ١٢٫٠٠٠ محرك بنزين سنويا وقطع الغيار اللازمة لها .

وهكذا نجح تصنيع المحركات محليا .. وأمكن لشركة النصر أن تتخطى العقبات والعوائق لترسى اقدامها فى هذه الصناعة المتيدة ولبحق لها ان تفخر بصناعتهـــا للمحركات نصر .

والى المرحلة القادمة .. مرحـــلة تصنيع التروس واجهزة نقل الحركة .. والى مزيد من النصر .

٥

التطوّر الصّناعى الحديث

في

تشيكوسلوفاكيا

بولندا

الجمهوريّة العربيّة المتحدة

إعداد: أنور المرصفى

مؤسسة تكنواكسبورت براج

• تؤمن لك خبرة أكثر من ٧٠ شركة في تشيكوسلوفاكيا

• تورد وتبنى مصانع كاملة بخبرائها

مؤسسة تكنو اكسبورت براج ، هي اهم مؤسسات التجارة الخارجية في تشيكوسلوفاكيا • وقد اصبحت شركة ذات رأس مال مشترك في أول يناير سنة ١٩٦٩ ، استمرارا للتقاليد القانونية والتجارية للمؤسسة التى كانت تحمل نفس الاسم ، والتى كانت مشهورة في العالم اجمع كمصدر ومورد للصناعات الكيماوية والغذائية

وعلى المستوى العالمى تمثل هذه المؤسسة مصالح ونشاط اكثر من ٧٠ من حملة الأسهم والمؤسسات التشيكية والسلوفاكية مثل :

شيبوس ، الصناعات الكيماوية والغذائية في برنو ، سلوفنافت في براتيسلافا ، الصناعات الكيماوية جيرى ديمتروف في براتسلافا ، مصانع سكودا في هيراديك كرالوفى ، مصانع سكودا فى بلزن ، الصناعات الهندسية كرالوفو بول فى برنو ، شودوس شودوف قرب كارلوفى فارى ، لوزولوك كوماروف ، فيروكس ديسين ، مصانع انتاج آلات المطاحن فى باردوبيس ، المصانع الهندسية فى شوتيبور ، مصانع بلانيك الهندسية فى فلاسيم •• وغيرها •

وتصدر مؤسسة تكنو اكسبورت مصانع كاملة ، آلات واجهزة الصناعات الكيماوية والمطاط والبلاستيك ، اجهزة لصناعة الورق والسيليولوز والصناعات الغذائية ، اجزاء الاجهزة ، قطع الغيار ، فضلا عن المشروعات ، والتراخيص ، واقامة ، والاشراف على بناء ما تصدره • ولاجل الصناعة التشيكية تستورد الاجهزة ومستلزماتها من الخارج •

وتدريب الفنيين

ولعل تقديم المعونة الفنية وتدريب الفنيين على ادارة الاجهزة والمعدات التي توردها ، من اهم أنشطة مؤسسة تكنو اكسبورت ٠ وتتضمن هذه البرامج تدريب الفنيين في مصانعها في اقصر وقت ، فضلا عن تقديم الخبرة التشيكية والسلوفاكية في موقع العمل نفسه، مما يوفر الكثير لزبائنها ٠

وفي بعض الاسواق ، تعد مؤسسة تكنو اكسبورت ، هي المورد الوحيد ٠٠ هي مثلا تعد اكبر مورد لمعدات صناعة الكيماويات والمطاط للاتحاد السوفييتي ، وهي أهم مورد لمعدات صناعات الزيت والكيماويات لسورية ، ولمصانع السكر لمصر ، ولمعدات صناعة المطاط لاثيوبيا ٠

ووراء صادرات المؤسسة من اجهزة الصناعات الغذائية والكيماوية، خبرة وتقليد اشهر مصانع تشيكوسلوفاكيا ، مثل سكودا في هيراديك كرالوفي ، ومصانع آلات المطاحن في باردوبيس ، ومصانع كرالوفو بول في برنو ، ومصانع بلانيك الهندسية في فلاسيم ٠٠ وغيرها ٠

ومبدأ المؤسسة هو الاشتراك في حل مشاكل التنمية التكنولوجية، وتحقيق العائد من الاستثمارات ، وتنمية علاقاتها التجارية مع زبائنها، وضمان تعاون الصناعة التشيكوسلوفاكية المتفوقة في ميادين الكيماويات ، والبتروكيماويات ، والمطاط ، والبلاستيك ، والورق والسيليولوز ، فضلا عن الصناعات الكيماوية ٠

كرالوفوبولسكى برنو

معنا هاخبرة ٨٠ عاما وتقاليد عريقة لجودة الانتاج

• جامعات تشيكوسلوفاكيا ومعاهد الابحاث تتعاون مع المصانع لحل مشاكل العميل

• عقول الكترونية تدير المصانع فتوفر الهالك وتضمن قمة في جودة الانتاج ..!

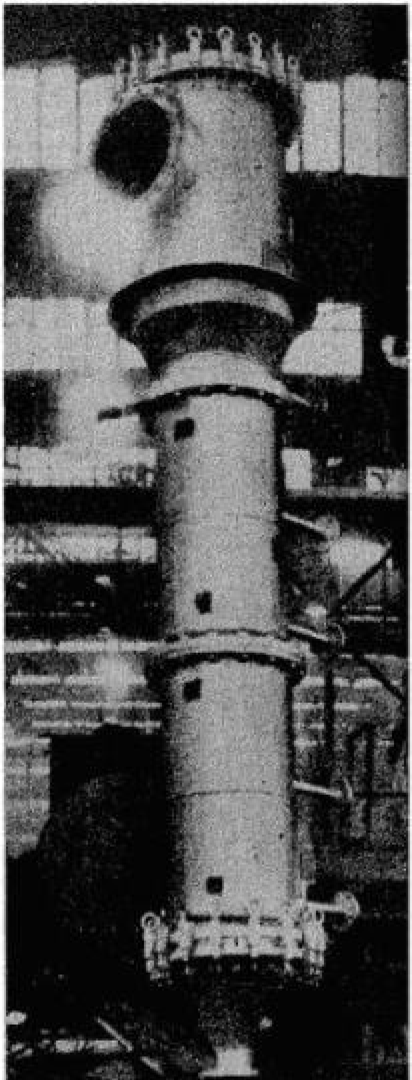
معدات البتروكيمياويات

البتروكيمياويات هي أحدث نتاج التعاون بين العلم والبحوث الصناعية في سبيل ايجاد موارد جديدة للمواد الخام اللازمة للصناعات الكيماوية وتنتج من معالجة البترول الخام مع الغاز الطبيعي . وانتاج مواد البتروكيماويات وتصنيعها من من الاهمية بمكان كبير في تنمية الاقتصاد القومي ، فهي من جهة تجعل الاقتصاد القومي الذي ينقصه المواد الخام ، اقل اعتمادا على استيراد هذه المواد ، ومن جهة اخرى تخفض تكاليف المنتجات التي كانت تعتمد في انتاجها على المواد الخام الغالية الثمن او التي تحتاج في انتاجها الى عمليات صناعية مكلفة ، وهكذا يمكن تخفيض نفقات انتاج السلع بحيث يمكنها ان تصمد لمنافسة الاسواق العالمية

وقد أدى نمو صناعة البتروكيماويات الى التوسع في الصناعات الهندسية الكيماوية، التي تقدم المصانع ذات الاجهزة المعقدة اللازمة لهذه الصناعة ، والتي

تواجه التطوير المستمر لعمليات الانتاج وادى هذا بدوره الى توسع الصناعات الهندسية الكيماوية التشيكوسلوفاكية في برامجها ، ولعل ابلغ دليل على النجاح في هذا الميدان هو قيام عمال الصناعات الهندسية الكيماوية في كرالوفو بولسكا ستروجيرنا بمدينة برنو بالتعاون مع معامل البحوث والتنمية ، باقامة مصانع ومنشآت جديدة في تشيكوسلوفاكيا وفي الخارج : خصوصا في مصر وسوريه .. وهكذا فانه بالاضافة الى معامل التكرير ، تصدر مؤسسة تكنواكسبورت مصانع كاملة لانتاج الايثيلين ، والبوليبروبيلين والبولي ايثيلين ، والفينيل كلوريد ، والبولي فينيل كلوريد ، والالكتروليسيس والاكسوسينتيثيس ، والبولياميد ، وخيوط البوليستر ، والمطريات

وتقوم المؤسسة أيضا بتوريد الاجهزة المنفصلة ، مثل افران التسخين الخاصة خصوصا الافران السلندرية والمكعبة لتكرير البترول ، ووحدات التقطير في جو مفرغ ، ووحدات للهدرجة ، ووحدات التهذيب بالوسيط الكيماوي ، وافران



مجفف الافيلم
بالبخار ..

اعادة الغلي لاعمدة التقطير ، والافران البخار ذات الحرارة العالية لصناعة البتروكيماويات وغيرها .. وفي مصانع كرالوفوبولسكا ستروجيرنا للصناعات الهندسية الكيماوية يتم تصميم وبناء هذه الافران طبقا لاحتياجات العميل

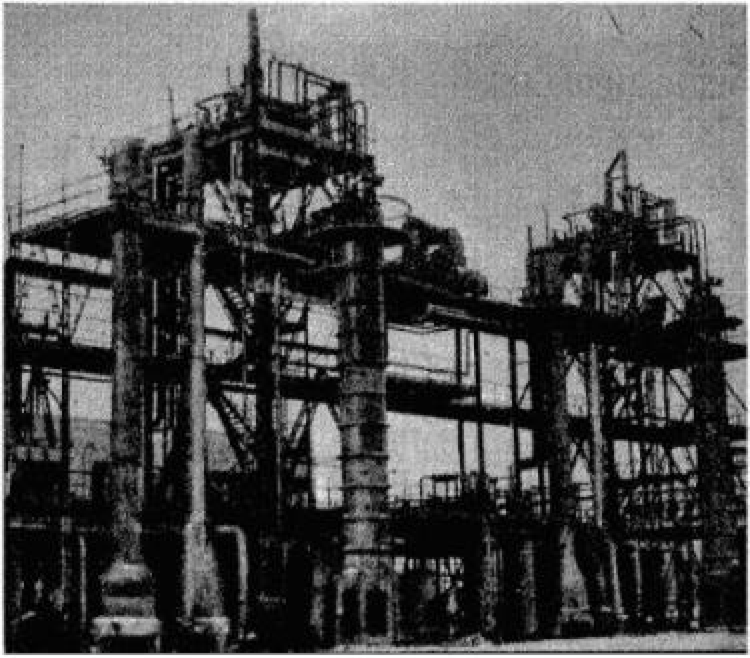
وثمة مجموعة أخرى من الاعمدة، ويتركز البحث والتطوير والبناء في بذل عناية أكبر لمواجهة الحاجة الى زيادة الانتاج ، وزيادة الكفاءة ومقاومة التآكل . وتقوم الجامعات ومعاهد البحوث بالتعاون مع المصانع في ايجاد حلول لهذه المشاكل ، وتورد الاعمدة ضمن المصانع ، أو على حدة، لتلائم الاحتياجات المطلوبة للتشغيل (كالتفريغ ونوع الضغط الجوى) والعمل « كالتقطير والتصفية والاستخلاص والامتصاص والمدرجة والاشتقاق وغيرها » والمواد .. « كالكربون والصلب المطلى أو الصلب غير القابل للصدا » والتركيب « كالخصوصي والتكسية والمحورية وغيرها »

وفي مجال الحديث من أجهزة ومعدات

البتروكيمياويات جدير بنا أن نذكر الأجهزة الأنبوبية لتوصيل الحرارة لضمان كفاءة أجهزة البارامبتر ، مثل مبدلات الحرارة للتهذيب بالوسيط الكيماوي التي تستخدم في منطقة الزحف الحراري بمفعول المواد الشديدة التأثير مثل الايدروجين ، أو التبريد أو التسخين أو المكثفات أو المبخرات أو المراجل أو الممص الحراري لأوعية اعادة الغلي وغيرها ولا يجب في هذا المجال أن ننسى أوعية التكسير الهيدروجيني ، ولمعالجة منتجات الزيت بواسطة عمليات التهذيب بالوسيط الكيميائي، والهدرجة والتهذيب ، وازالة الكبريت ، تستخدم مفاعل الضغط المتوسط . وفي هذه الأجهزة التي تتم فيها التفاعلات الكيميائية تحت ظروف معينة ، وبمعمولة مهذب ، تبنى عادة بحشوة للأعمدة ، يكون من نتيجتها أن تتم المعالجة بأقصى كفاءة بتأثير مفعول المهذب . وتنتج مصانع كرالوفوبولسكي ستروجيرنا للهندسة الكيميائية مفاعلات ضغط متوسطة معظمها أوعية ضغط اسطوانية ذات قيعان نصف كروية أو أوعية كروية كاملة المعدات التي تضمن أعلى جودة ممكنة للمنتج .

ووراء صناعة الأجهزة الكيميائية أو البتروكيميائية ، خبرة مصانع كرالوفوبولسكي ستروجيرنا للهندسة الكيميائية التي تزيد على ٨٠ عاما ، بالاضافة الى طاقم من العاملين الاخصائيين ذوي الخبرة في البحث والتصميم والبناء والصناعة .. وهذه التقاليد العريقة هي الضمان لجودة الانتاج الذي تحمل شعار

خطان لانتاج الامونيا « النشادر »



« كرالوفوبولسكى برنو »

مصانع تشيكوسلوفاكيا الكيمائية

ان الصناعات الهندسية للكيمائيات من أهم فروع الصناعات الهندسية التشيكوسلوفاكية، ووراءها خبرة وتقاليد مائة سنة ، خلالها تحولت الصنائع الصغيرة والورش الى مصانع ضخمة تضم الوف العاملين ، وقد تم التوسع فى الكفاءة الانتاجية بفضل استمرار زيادة تعقيد ودقة الانتاج ،ومع دوام تقاليد الجودة فى العمل ، مما كان سببا فى زيادة المبيعات سواء فى الداخل او فى الخارج .

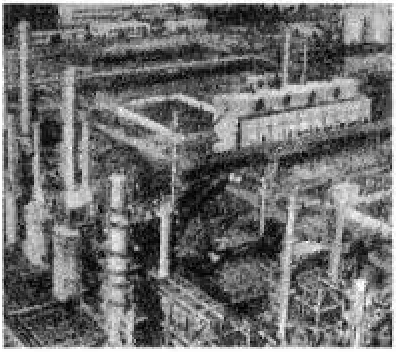
وقد نمت الصناعات الهندسية لانتاج الاجهزة الكيمائية ، جنبا الى جنب مع انتاج الصناعات الكيمائية نفسها ،مما أدى بدوره الى زيادة الطلب على الصناعات الهندسية، وتحولت الاساليب الكيميائية البسيطة التى تتطلب الكثير من الجهد والعمل الى أساليب تكنولوجية حديثة كأجهزة الضخ ذات الكفاءة العالية، فضلا عن الاجهزة الاوتوماتيكية الاقتصادية التشغيل .

وقد حتم هذا التطور أن يعاد تنظيم العمل فى الصناعات الهندسية التى تنتج الاجهزة والمعدات الكيميائية ، فلم يعد من الممكن أن يواجه العمل الانتاجي وحده الطلبات المتزايدة على هذه الصناعة ، وكان من الضرورى التعاون مع باقى المنتجين ، لأن الصناعات الكيمائية تحتاج الى أسلوب تكنولوجى تام .وكان من نتيجة التغييرات الجوهرية فى الصناعات الهندسية الكيميائية أن بدأ الانتاج المتخصص للاجهزة الكيمائية ، وانشاء ادارات جديدة مصممة على أساس تكنولوجى .

والشركات الوطنية للصناعات الهندسية « كرالوفوبولسكى ستروجيرنا» فى برنو ، وسكودا فى هراديك كرالوف، وفيروكس فى ديسين ، وكلها فروع لمجموعة شيبوس ، هى من اكبر مصانع هندسة الكيميائيات فى تشيكوسلوفاكيا . وهذه المجموعة تسيطر أيضا على مجموعة شيمونت برنو ومنشآت مونتاس هراديك كرالوف ، فضلا عن معهد بحوث مصانع الكيميائيات فى برنو . وهكذا أصبح هذا التجمع وحدة اقتصادية ضخمة قادرة على تأمين تصميم وصناعة واقامة مصانع كيميائية كاملة ، واساليب تكنولوجية فى ميادين معالجة الزيت الخام ، والامونيا، والاسمدة وصناعة البتروكيماويات وغيرها

والاساليب الحديثة فى التصميم بمعونة العقل الالكترونى تؤمن لهذه التصميمات مستوى عاليا من الكفاءة والاقتصاد ، وحينما يحتاج العميل الى مستوى فى القمة التكنولوجية لا يتوفر فى تشيكوسلوفاكيا تشترى التراخيص والخبرة من المؤسسات الاجنبية فى الخارج

وتصدر مؤسسة تكنو اكسبورت فى برامج مصانع كاملة ، فضلا عن الاجهزة المفردة والالات لانتاج الاسمدة ، والاحماض الازوتية والكبريتية ، ومصانع التحليل الكهربى للملح الحجرى ، ومصانع انتاج الطلاء وثانى اوكسيد التيتانيوم ،واجهزة



مصنع تكرير البترول الخام في سورية

فصل الهواء ، واسالة الغاز ، ومعدات النقل والتخزين ، واجهزة معالجة اسالة الرقائق ، ومحللات التحليل المزودة بمحللات غروية ، ومصانع خلق الجو لخلق اجواء من النتروجين او النتروجين والايدروجين ، ومنظمات الغاز

وفي مجال أحدث ما صدرته مصانع تشيكوسلوفاكيا الكيميائية ، يمكن على سبيل المثال — ذكر مصنع الامونيا لرومانيا ، ومصنع فصل الغاز وفرن الكوك للاتحاد السوفييتي ، وللاتحاد ومصانع للامونيا وفصل الغاز الطبيعي لرومانيا والمانيا الديمقراطية والمجر ، وشحنات منظمات الغاز للمجر وبولندا . وعقود سنة ١٩٧٠ تتضمن مصنعا لليوريا لالمانيا الديمقراطية ، وآخر لتركيز حامض النيتريك لمصر ، ومصنع لافران حرق الفوسفوريت للاتحاد السوفييتي ، وصهاريج اسطوانية لخزن غازات البروبين والبوتين ليوجوسلافيا .. وغيرها

صناعات المطاط والبلاستيك

ان الحياة المصرية تحتاج الى حد كبير لمنتجات صناعات البلاستيك والمطاط ، فمنتجات هذا القطاع الصناعي تدخل البيت والمدرسة والمكتب والمصنع وغيرها . وشعبية منتجات هذين القطاعين أدت الى التوسع السريع في المصانع التي تعالج المواد الخام لانتاج المطاط والبلاستيك لصناعة أدوات الحياة اليومية فضلا عن أنواع متعددة من المعدات والتسهيلات لاغراض الصناعة

وتقوم مجموعة شركات تشيكوسلوفاكيا الوطنية في بوزلوك مثل كوماروف ، وشودوس ، وشودوفه قرب كارلو في فاري ومصانع سلوفاكيا الهندسية ، وبوهورسكي برود ، وكلها أعضاء في مجموعة شيبوس ومصانع عدد الالاتق راكونفيك ، بانتاج الات واجهزة صناعات معالجة المطاط والبلاستيك

وتقوم مؤسسة تكنو اكسبورت للتجارة الخارجية في براغ ، بتصدير مصانع كاملة للمطاط والاطارات ، وخطوط انتاج لمعالجة مواد المطاط والبلاستيك ، ومكابس فلكنة لانتاج الارضيات من المطاط والبلاستيك ، ومكابس لانتاج اطارات المطاط لسيارات الركوب واللوريات والدراجات البخارية والعادية ، وأطقم لكسوة الحبال ، وهراسات ، وتوافيل ، والات جندرة وأخرى لصناعة سيور حرف «V» والات لانتاج مواد البلاستيك ، وأنابيب ومواد ماصة ، والات أوتوماتيكية لانتاج الاجسام المجوفة ، والات لانتاج رقائق وصفائح البوليسترين وغيرها .

● **مكابس فلكنة اطارات السيارات:** تستخدم في تكوين وفلكنة اطارات المطاط . جميع مراحل الانتاج اوتوماتيكية لاتحتاج الى تدخل العامل ، ويمكن تغيير برامج عمل الالات حسب الحاجة

● **هراسات مركب المطاط :** تستخدم في تحضير المواد الخام لصناعة المطاط ، وهي تعمل مستقلة بادارة يدوية او اوتوماتيكية مع مجموع خط الانتاج

● **الات صناعة اطارات اللوريات :** تعتبر اهم خطوط صناعة اطارات السيارات ، واحدث هذه الالات اوتوماتيكي الى حد كبير ، وهي تمكن تقليل الاشراف الانساني ، وتضمن المقذيات الهيدروليكية مزيدا من الامان في العمل ، هذا فضلا عن الاقتصاد في التشغيل

● **الات الجندرة :** ذات اعداد مختلفة من الدرافيل (٢ و٣ و٤) لأدى اعمال مختلفة ، كتسخين وخلط مركبات المطاط ، هرس او تقطيع المطاط ، خلط ومعالجة مواد البلاستيك لتغطية الحبال أو المنسوجات بالمطاط على وجه واحد أو على الوجهين ، ولوضع طبقة من المطاط على السيور او الاسلاك . ويمكن وضع هذه الالات أيضا على خط الانتاج

● **انتاج سيور حرف «V»**

لتنتج مقاسات مختلفة من ٨ × ٥ الى ٥٠ × ٣٠ بأطوال من ٢٠٠ مليمتر الى ٢٠٠٠٠ر٢ مليمتر ، فاذا أضيفت مكابس فلكنه في نهاية خط الانتاج ، اصبحت هذه المعدات بفضل ميكنتها وزيادة انتاجها ونوعية السيور المنتجة ، من افضل الالات من هذا النوع في العالم

● **الات الدرفلة :** ذات استعمالات متعددة ، طراز ٧٢/٤٢ا مثلا يؤدى ١٥ عملا مختلفا للمطاط او مركبات «PVC» درافيل هذه الالات مخرمة تحت السطح لتأمين تبريد او تسخين فعال فضلا عن ضبط درجة الحرارة المناسبة

● **مصانع الاطارات :** تصدر مؤسسة تكنو اكسبورت مصانع اطارات لاغراض متعددة ، مثل اطارات السيارات واللوريات والجرارات والدراجات البخارية والعادية وانواع خاصة من اطارات الطائرات

● **ورش لاختبار اطارات السيارات :** لاختبار متانة ومواصفات الاطارات طبقا للقياسات المعتمدة

● **تجديد الاطارات :** عملية تكميلية في مصانع المطاط من هالك المطاط ومنتجات المطاط القديمة ، وهي أجهزة بسيطة عالية الكفاءة الانتاجية بتكاليف بسيطة ، والعملية تتكون من مراحل هي تحضير المواد وطحنها والتجديد والتشطيب ، تكملها عمليات التصنيف والتحضير الجرعات والتفتيش والاختبار وغيرها . وهي عملية تنفرد تشيكوسلوفاكيا بتسجيلها

● **خطوط طحن مواد البلاستيك :** وتتكون من انواع مختلفة من الطحانات لسحق المواد الخام اللازمة لصناعة البلاستيك ، وتمر المواد خلال طحنها على درجات مختلفة بأجهزة تنظيف وتصنيف لسلمها بعد ذلك للخلاطات

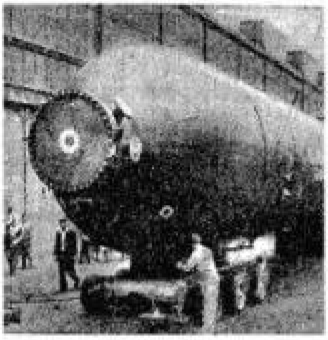
● **خطوط انتاج اسلاك «PVC»** بسمك يتراوح بين صفر - ١ - ٢را مليمتر الى ١٥٠٠ مليمتر في العرض و ٢٠٠ر - ١ مليمتر في السمك الى ١٦٠٠ مليمتر في العرض

● **الات انتاج البلاستيك ونفخه :** لانتاج ونفخ الاجسام المجوفة لمواد البلاستيك المشكلة بالحرارة .

●●●

وفي خلال السنوات الاخيرة قامت مؤسسة تكنو اكسبورت بتصدير مصانع كاملة للاطارات ، والبلاستيك ، وسيور حرف ٧ ، فضلا من عدد من الالات والاجهزة لمنشآت مهمة ومصانع للمطاط الى بولندا والاتحاد السوفيتي واليوبيا وغانا والهند ويوغوسلافيا وكيسوديا واندونيسيا وجمهورية المانيا الديمقراطية وتركيا وجمهورية كوريا الديمقراطية وافغانستان والاردن وجمهورية فيتنام الديمقراطية وكوبا وغيرها من الدول

مفاعل ايدروجيني



الصناعات الغذائية التشيكية

- مصانع كاملة لانتاج السكر من القصب أو البنجر أوتوماتيكية واقتصادية

- صوامع الغلال تنظف وتنقى وتخزن وتوزع .. دون تدخل إنسان ..!

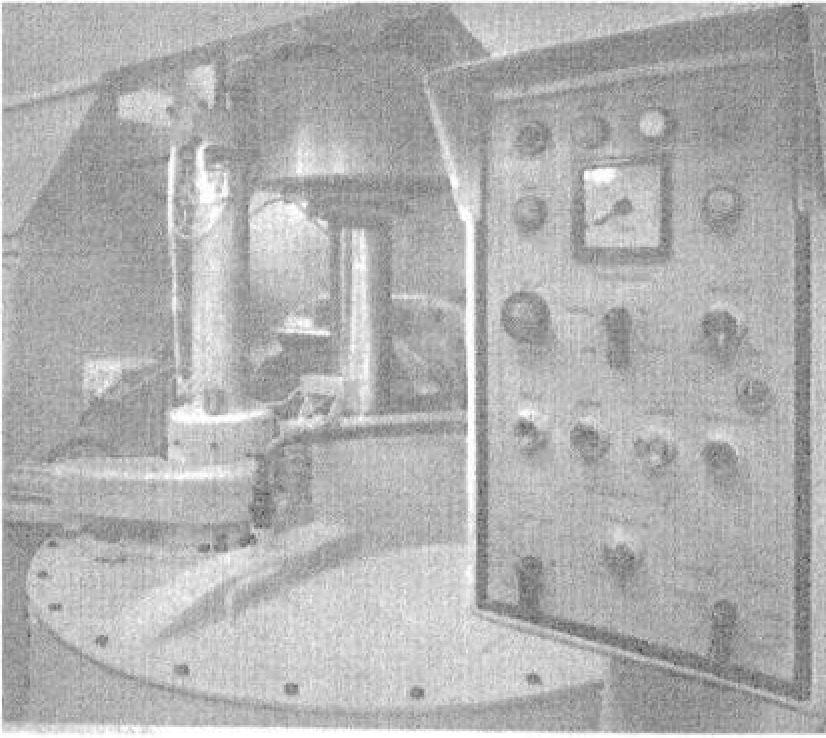
- أفران آلية تقدم لك الخبز والحلوى طازجة .. دون عمل يدوى ..!

مصانع استخلاص السكر من القصب والبنجر

ان انتاج مصانع استخلاص السكر من القصب والبنجر من أهم صناعات آلات المواد الغذائية في تشيكوسلوفاكيا ، وهي من انتاج مصانع سكودا في هراديك كرالوفي ، عضو مجموعة تيبوس التي تؤمن التصميم والصناعة والتسليم والتركيب فضلا عن اعادة بناء مصانع السكر الموجودة فعلا ... وتجديد آلات المصانع القديمة طبقا لطلبات العملاء ولتلائم متطلبات الانتاج

ولصناعة مصانع القصب تقاليد طيبة في تشيكوسلوفاكيا ، فأول مصنع للسكر تم بناؤه في سنة ١٨٣٢ ، وفي خلال حوالي ١٤٠ عاما ، قام مهندسو سكودا المهرة ببناء أكثر من ٥٠٠ مصنع سكر في تشيكوسلوفاكيا وفي ٤٢ بلدا آخر . وفي خلال نفس المدة قدموا أكثر من ١٠٠٠ جهاز وآلة لتجديد مصانع قديمة !

وفي الوقت الحال تسلم مصانع سكر البنجر كفاءة انتاجها ما بين ٥٠٠ الى ٨٠٠٠ طن مترى من سكر البنجر كل ٢٤ ساعة ، ومصانع سكر القصب كفاءة انتاجها ما



جهاز فصل السكر بطريقة الطرد المركزى طراز ARO 120

بين ٥٠٠ الى ١٢٠٠ طن مترى من سكر القصب كل ٢٤ ساعة ٠ ويدرس كل مشروع بعناية فائقة وتكون اقتراحات العميل موضع عناية فائقة ، وتلقى كل التفاصيل ما تستحقه من عناية ، لضمان أحسن الحلول ٠٠ والنتيجة طبعا هى الحصول على القيم المطلوبة ، والصناعة الدقيقة والاقتصادية ٠ كذلك تدرس مواقع اقامة المصانع بدقة من حيث أماكن تواجد الخام ، وخطوط القوى ، بحيث تكون خطوط الأنابيب من القصر بحيث تبسط عمليات التجميع

وللمشروعات اقامة مصانع السكر الجديدة يوضع دليل فنى واقتصادى متقن ، يؤمن أفضل استغلال للاستثمار ٠ وهذا الدليل يحوى آلات وأجهزة متقدمة فضلا عن الميكنة والاوتوماتيكية الكاملة ٠ وبضمان مزيد من الوفر والاقتصاد ، ولتقصير الوقت اللازم للبناء ، تتخذ وسائل لضم الاجزاء المفردة فى مجموعات ، وبذلك يمكن تقصير خطوط النقل الخارجية واستغلال المبنى على أحسن وجه

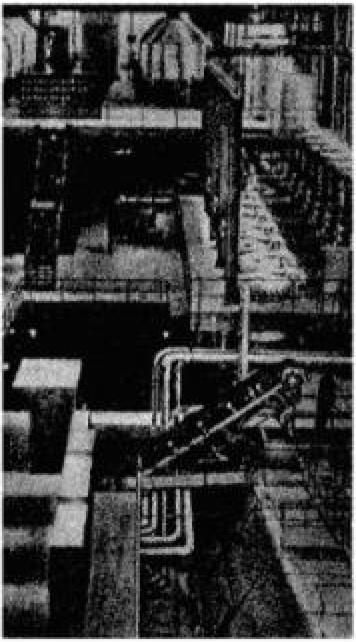
ومعظم الاجهزة والماكينات الرئيسية موحدة قياسيا ونموذجية ، ومرتبة طبقا لانتاجيتها ، ويتم تنفيذها على أحدث التصميمات ، وعلى أعلى مستوى من العلم

والتكنولوجيا • وتتعاون مصانع سكودا ، في حالات خاصة ، مع معاهد بحوث صناعة السكر فضلا عن الجامعات المدنية وغيرها من المعاهد العلمية

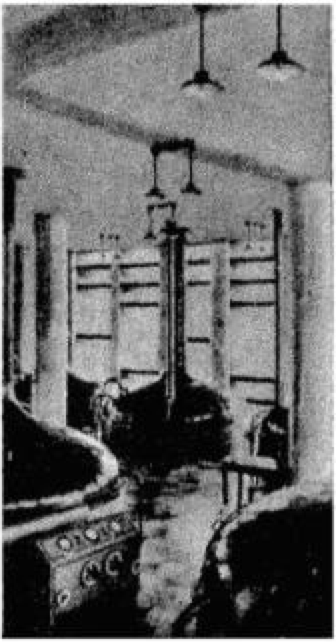
ويتم في الوقت الحالي بناء العديد من الالات والاجهزة المسجلة في تشيكوسلوفاكيا مثل فواصل الحصى التي تنقي محلول السكر من الحصى وغيره من الشوائب • وثمة جهاز آخر ، وهو جهاز الانتشار المستمر من طراز سكودا «KDP» المصنوع في تشيكوسلوفاكيا ، الذي لقي ترحيبا خاصا لبساطة تركيبه الالي ، وسهولة صنعه وتجميعه وعمله الاوتوماتيكي، وسرعته ، وسهولة ادارته وصيانته • كذلك فان المستوى الفني وكفاءة انتاج اجهزة سكودا باراميتر لفصل السكر بطريقة الطرد المركزي مناسبة جدا للمواصفات الفنية الحديثة وتماثل الالات الاجنبية التي في نفس حجمه ، وتورد الاجهزة الاوتوماتيكية لفصل السكر بطريقة الطرد المركزي ذات كفاءة انتاج من ٧٠٠ الى ١٥٠٠ كيلو جرام • والطراز التشيكوسلوفاكي من صوامع السكر ، بناء على الخبرة السوفييتية ، فيه تحسينات كثيرة اذا قورن بالمنشآت المثيلة • وتوريد آلات الاجهزة يتضمن المبنى باسقفه ، والغلاف الواقي مصنوعا من صفائح الالمنيوم •• وقد تم اختيار الصوامع في تشيكوسلوفاكيا ، والاتها مسجلة في تشيكوسلوفاكيا

معدات المطاحن واجهزة التلقيم

منذ الازل ، لعبت معالجة الحبوب دورا هاما في حياة الانسان ، وعلى مر القرون تم تحسين العمليات الرئيسية ، بهدف



منظر داخل مصنع للسكر



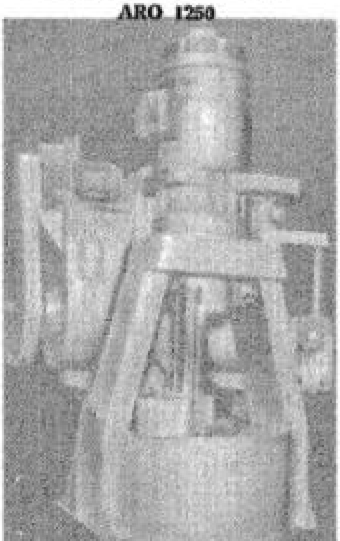
منظر داخل مصنع للبيرة

الوصول الى أقصى فائدة من هذه المادة المكلفة ، وفي نفس الوقت فان تنمية عمليات معالجتها مستمرة ، وتبذل الجهود للحصول على أعلى انتاج من هذا العمل ، فكان من نتيجة هذه الجهود انشاء صوامع تخزين الغلال الحديثة ، والمطاحن ، ومنشآت التلقيم ، التي تبنيها الشركة الوطنية لصناعة آلات المطاحن في باردوبيس ، احدى فروع مجموعة منشآت « شيبوس »

صوامع التخزين المزودة باجهزة تلقيم وروافع الحبوب :

« آلات لفصل الشوائب كفاءتها ٦٣ طن مترى من الحبوب في الساعة » ومجففات الحبوب » بكفاءة ٤٠ طن مترى في الساعة مع تجفيف يصل الى ٤٪ من رطوبة الحبوب » يتم تخليص الحبوب من الشوائب قبل تخزينها ، وتنظيم الرطوبة يؤمن أقل الخسائر . والاجهزة اللازمة لاحسن تجهيز للحبوب قبل معالجتها يمكن

احدى معدات جهاز الطرد المركزى لفصل السكر من طراز ARO 1250



ترتيبها بطرق مختلفة حتى تصبح المادة الخام على أفضل حالاتها قبل معالجتها . وجهاز الضبط في صوامع التخزين يسمح بالتغيير من مركز لآخر ، حتى في الوحدات الكبيرة ، اما تصريف السلعة فيمكن التصرف فيه طبقا لوسائل النقل المتاحة . والمخازن ذات الروافع تسلم بمداخل ذات كفاءات ٣٢ر٦٣ر١٢٥ طن مترى في الساعة ، اما آلات التنظيف فكفاءتها من ٥ر٢ الى ٤ الى ٣ر٦ طن مترى في الساعة

مطاحن الغلال :

« تنتج ٨٠ أو ١٢٠ أو ١٦٠ أو ٢٤٠ أو ٣٦٠ طن مترى كل ٢٤ ساعة » ووحدات مجمعة للطحن » كفاءة ٢٤ أو ٦٣ طن مترى كل ٢٤ ساعة » بتحميل ميكانيكي عال ، ومع ذلك بتكاليف أقل نسبيا في قيمة الآلات » وتقدم المطاحن انتاجا عاليا من المواد الغذائية مع حفظ نقاوة الدقيق ودرجة نعومته حسب عادات كل بلد . وشروط الآلة وكذلك تجميعها يضمن اتساع الاماكن وسهولة التشغيل بأقل عدد من العاملين ، واجهزة النقل التي تعمل بالهواء المضغوط تتيح أقصى انتفاع بالمساحة مع وفر في التكلفة وفي الصيانة . والانابيب الزجاج تؤمن سيطرة كاملة على ادارة المصنع

منشآت لتجهيز علف الحيوان :

بكفاءة انتاج ٦ أو ١٠ أو ٢٠ طن مترى في الساعة في مبان تقليدية أو خاصة ، ويسمح هذا الفرع من الصناعة بانتاج تشكيلة واسعة من الاعلاف تضمن الانتفاع بكل القيم البيولوجية لجميع العناصر المستخدمة ، مع كفاءة كاملة في الانتاج . والالة الرئيسية في مصنع تجهيز الاعلاف هي مكبس التحبيب . وتصميم المكبس التشيكوسلوفاكي نجح في تقديم انحدار مناسب بين القالب والبكرة يضمن تكسيرا تاما للمواد الاولية . وخطوط التحبيب من هذا النوع نجحت نجاحا ملحوظا في الزراعة — تحبيب العلف — وصناعة السكر « تحبيب سكر البنجر »

لقد احتفلت مصانع آلات المطاحن ، التي تنتج أجهزة المطاحن ، بيوبيلها المئوي في سنة ١٩٧٠ ، وتعمل آلاتها في ٤٠

دولة من دول العالم فى الوقت الحاضر . ويبذل أقصى الجهد لاستمرار تحسين وتطوير الالات المنتجة ، وتقديم العون للعملاء فى شكل خدمات وتنظيم للمراكز الفنية فى مناطق التصدير الرئيسية

الات التعبئة والتغليف فى تشيكوسلوفاكيا

تهتم صناعات الغذاء ، والدواء ، والصناعات الكيماوية وغيرها من فروع صناعة البضائع الاستهلاكية ، اهتماما كبيرا بالطبع بتعبئة وتغليف منتجاتها

وبفضل تعاون الشركة الوطنية بلاتيك ستروجيرنى مع معاهد البحث ومعامله التى تتصل بالجامعات ، خلقت جوا مناسبا لصناعة وتطوير آلات ومعدات التعبئة والتغليف . وتصميم هذه الالات مبنى على أساس التوسع فى استخدام مواد البلاستيك فى التعبئة والتغليف ، ومعظم الالات التى تنتجها مصانع بلاتيك ستروجيرنى تستخدم شرائح البلاستيك التى تغلق باللحام الحرارى . وآلات التغليف التشيكوسلوفاكية تنقسم الى المجموعات التالية :

١ ـ آلات طراز BTK التى تصنع وتعبىء وتغلق أكوابا أو دلاء من شرائح البلاستيك

٢ ـ طراز «BTH» الذى يصنع ربطة من شرائح البلاستيك على شكل انبوب تغلق بالطرق ،

٣ ـ آلات تغليف الربط

٤ ـ آلات التعبئة بتفريغ الهواء

٥ ـ اضافات مختلفة ومعدات لميكنة عمليات الحزم

طراز «BTK»

آلات هذا الطراز تغير تماما أساليب تعبئة المعاجين والسوائل ـ مثل الكريمة والكمستارد والمربات ـ وتصنع الالة كوبا أو دلوا الكيل ملئه ، وتصميم الالة بسيط يوفر نفقات الصيانة والوقت ، ويسمح بتغير سريع فى حجم وشكل أوعية التغليف ، وكفاءتها الانتاجية تتوقف على حجم ومحتويات أوعية التغليف ونوع الانتاج المراد تغليفه ، ففى حالة تعبئة كميات من ٢٠ الى ١٠٠ سنتيمتر مكعب ، تراوح الانتاج ما بين ٨٠٠٠ الى ١٣٠٠٠ كوب أو دلو فى الساعة ، وبعد تعبئة الوعاء يغلق بغطاء من البلاستيك أو الالومنيوم فى محطة اللحام الحرارى ... وتخرج الاكواب أو الدلاء من خط الانتاج فرادى أو فى مجموعات

طراز «BTH» ذو النوع الانبوبى :

انبوبة التغليف تدخل اما من بكرة من السيلوفان أو أفلام البولى ايثيلين ، وتدفع المنتجات المراد تغليفها من فوهة الالة الى الانبوبة ويلحم قاع وقمة الانبوبة بالحرارة لتكون على شكل وسادة ويقوم سلاح خاص بفصل كل كيس من الآخر ، ومعظم هذه الالات رأسى

طراز «BTH 11» الاوتوماتيكى :

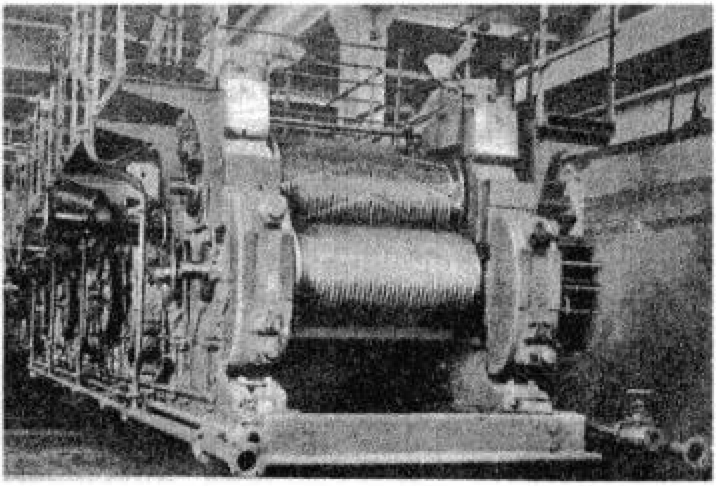
يستخدم فى تعبئة جميع أنواع المنتجات السائلة أو المنتجات الصغيرة ، وطراز «BTH 12» خاص بتعبئة السوائل خصوصا اللبن فى أكياس من البولى ايثيلين سعة ربع ونصف ولتر . وطراز «BA 21» مناسب لتعبئة حبوب البن والشاى والتوابل والشوع الصغيرة والسكر . وطراز «BTH 10» الذى يصنع أنابيب التغليف لتعبئة المنتجات ذات القوام المتماسك مثل البسكويت والجبن والحلوى والبضائع الاستهلاكية ، ومن السهل تغيير العنصر المعبأ بسهولة وسرعة

آلات تغليف الربط :

تختص بتغليف حزم الربط والعلب والكراسات والاكياس وغيرها بورق اللف، وطراز «BSP 10» الاوتوماتيكى يحزم ١٥ ربطة فى الدقيقة . ومن هذه المجموعة طراز «BSF 1» من انتاج بلاتيك ستروجيرنى الذى يستخدم الافلام المنكمشة

آلات الحزم بالتفريغ :

مجموعة من الالات الاوتوماتيكية مثل طراز «VB 1» الذى يوضع فيه المنتج على قاعدة من الكرتون ويغلف بفيلم من البلاستيك يغطى المنتج ويأخذ شكله تماما بفعل التفريغ ثم يلحم الفيلم بالحرارة فى القاعدة الكرتونية . ويتم عمل قالب البلاستيك برأس نافث للحرارة ، وهو أسلوب مناسب لتغليف المنتجات الصغيرة



ناقلات وقاطعات لقصب السكر في مصنع تكرير.

مثل الساطر والحلي والنعب وغيرها . والآلة مناسبة جدا للمصانع الصغيرة أو التعاونيات أو المعامل

الحاقات ليكنة اعمال التعبئة والتغليف :

وحدات للتعبئة بالقياس المترى ، والوزن والتلقيم ، ونقل المنتجات المعبأة . أجهزة تغليف تناسب محال البقالة ، منفصلة أو كجزء مكمل لالات التعبئة .. وتدخل تعديلات خاصة على أجهزة التعبئة حسب الطلب

اجهزة الخبـــز التشيكوسلوفاكية

تميز تطوير المخابز – أى انتاج الخبز والجاتوه – أخيرا ببناء المخابز الآلية على أحدث طراز . وقد تم اقامة مخابز آلية يفوق انتاجها المخابز العادية وبكفاءة عالية تتوقف مباشرة على المعدات المنتجة . وتنتج الشركة الوطنية توبوس سلوكنوف اليوم خطوط انتاج آلية للحلوى بأفران مساحتها ٢٥ مترا مربعا ، فضلا عن خطوط انتاج آلية للخبز بأفران مساحة كل منها ٥٠ مترا مربعا . والمخابز الآلية التى يعمل بعضها الآن خطوط انتاج آلية للحلوى بأفران مساحتها ٤٠ أو ٥٠ مترا مربعا ، وللخبز بأفران مساحتها ٨٠ مترا مربعا ؟

ومع المخابز تبنى صوامع من الاسمنت المسلح ينقل اليها الدقيق بضغط الهواء .. بعد ذلك تتم باقى المراحل اوتوماتيكيا . وتشمل خطوط انتاج الخبز والحلوى الآلية تماما تبدأ من مأخذ الدقيق حتى المنتج الكامل . وخطوط انتاج الخبز كفاءتها ١٠٠٠ كيلو جرام فى الساعة . ويتم الآن بناء خطوط انتاج كفاءتها ١٥٠٠ كيلوجرام .. وقد تم بناء خطوط لانتاج الفطائر والخبز الاسطوانى كفاءة ٥٠٠ كيلو جرام وهناك ترتيبات لبناء خطوط انتاج كفاءة ١٠٠٠ كيلو جرام فى الساعة . أما الحلوى فتستخدم أجهزة للتبريد بالهواء ، وعد المنتجات أوتوماتيكيا قبل تسليمها ، فضلا عن استخدام التجميد وفك التجميد ... ويمكن أيضا تسليم وحدات منفصلة من هذه الاجهزة المتكاملة

وادخال الاسلوب الآلى أعطى المخابز طابعا جديدا ، فقد وفر الوقت والعمل الشاق ليلا ؛ فضلا عن كفاءة الادارة فى ظروف مناسبة وجودة الانتاج .

تكنواكسبورت والدول العربية

إسم تكنواكسبورت معناه :

● الثقة
● والكفاءة
● والخبرة

● التعاون بين الدول العربية وتشيكوسلوفاكيا في ميدان التجارة قديم ، وقد زاد نمو هذه العلاقات بعد الحرب العالمية الثانية ، فأصبحت على قدم المساواة ودون شروط اقتصادية أو سياسية ... وهي المبادىء التي تحرص عليها مؤسسة تكنو اكسبورت للتجارة الخارجية في جميع انشطتها ، ومن ثم أصبحت من أهم شركاء التجارة مع هذه الدول .

وقد كان من نتيجة هذا التعاون الوثيق أن نمت علاقات هذه المؤسسة بأكبر المصانع التشيكية مثل مصانع سكودا في هراديك كرالوفي . ومصانع سكودا في بلزن ، والمصانع الهندسية كرالوفو بول في برنو وغيرها من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٣٢ .

وقد زادت علاقات المؤسسة بالدول العربية توثقا بعد الحرب – أي من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٤٩ – حيث تم توريد مصنع للسكر كفاءته ٦٠٠طن كل ٢٤ ساعة الى حمص بسورية ، وفي سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ تم تجديد هذه المصانع وتوسيعها ليتضاعف انتاجها ... وبعد سنوات بنت المؤسسة مصنعا آخر بنفس الكفاءة في عورة بسورية

وفي سنة ١٩٥٧ تعاقدت المؤسسة على تصدير معمل لتكرير الزيت في حمص كفاءته مليون طن سنويا ... وفي هذه الفترة كان توريد المصانع الكاملة من أهم صادرات المؤسسة للدول العربية . ولم يقتصر نشاط تكنو اكسبورت على ذلك بل تعداه الى صناعات الاغذية والكيماويات ، ومحطات القوى الهيدروليكية والبخارية ، ومصانع الاسمنت فضلا عن آلات ومعدات الصناعات الخشبية .

وشهدت الستينات نموا ملحوظا آخر في المعاملات : صدرت عشرة مطاحن للحبوب الى مصر ، ومصانع السكر في ادلو وتوص ودشنا ، وأجهزة ومعدات التقطير لمعامل تكرير البترول في السويس والاسكندرية فضلا عن توسيع معمل تكرير البترول في حمص بإضافة معدات لانتاج نترات الامونيوم والكالسيوم بكفاءة ١٤٨ الف طن . وبعض هذه المصانع يتم بناؤه حاليا ويدخل الانتاج قريبا .

كذلك شهد عام ١٩٧٠ عقودا جديدة لتوريد مصانع كاملة وآلات ومعدات جديدة للدول العربية تشمل معملا لتكرير البترول في البصرة بالعراق ، كفاءته ٣,٥ مليون طن سنويا ، مما يعد أكبر عمل للصناعات الكيماوية التشيكية ، تقوم به المصانع الهندسية في كرالوفو ، في برنو ، ومصانع سكودا في هراديك كرالوفي . وينص العقد على التوريد والبناء جاهزا للانتاج .. وسينطوي هذا المشروع على عمالة لاكثر

CHEPOS — Chemical and Foodstuffs Engineering Work, Brno

CHEPOS — ZVÚ, Hradec Králové

CHEPOS — Královo Pole Engineering Works, Brno

CHEPOS — Chodov u Karlových Varů

CHEPOS — Buzuluk, Komárov

CHEPOS — Works Děčín

CHEPOS — Chotěboř

CHEPOS — Pardubice

CHEPOS — Slovácké strojírny Uherský Brod

CHEPOS — VSS Košice

CHEPOS — Kolín

من ٣٠٠٠ عامل عراقي • وقد فازت تشيكوسلوفاكيا بهذا العقد منافسة للشركات اليابانية والايطالية ، وكان تفضيل جمهورية العراق للعرض التشيكي مبنيا على سمعتها الطيبة وخبرتها فضلا عن اسعارها المعقولة ••• وهكذا يعد معمل تكرير البترول بالبصرة نصرا كبيرا للشركة التشيكوسلوفاكية للتجارة الخارجية فضلا عن العراق التي ستدفع جانبا كبيرا من ثمنه بتصدير الزيت الى تشيكوسلوفاكيا •

وضمن العقود : عقد لتوريد معدات لانتاج حامض النتريك لمصر • وآخر لمعدات صناعة السكر لسورية . وآلات طحن للمغرب ، وثالث لمعدات صناعة المطاط للعراق وغيرها ••

وثمة عقد مشترك تدم سنة ١٩٧٠ بين مؤسسة تكنو اكسبورت بتشيكوسلوفاكيا ، ومؤسسة انفستكسبورت في جمهورية المانيا الديمقراطية لبنـــاء معدات لصناعة البتروكيماويات لا تزال تدرسه الجمهورية العربية المتحدة

كل هذه العقود دليل على ان اسم تكنو اكسبورت يعني بالنسبة للدول العربية السمعة الطيبة والثقة في كفاءة الصناعة التشيكوسلوفاكية في كل اعمالها

وللمزيد من المعلومات والتفاصيل ، نرجو الاتصال بشركة :

Technoexport
Foreign Trade Company Limited
Praha. I
Vaclavske Nam. I
Czechoslovakia



تتميز الزراعة العالمية المعاصرة ببلوغ أرقام قياسية في النمو والانتاج سواء في المواد الغذائية أو المحاصيل الصناعية . ويبدو هذا واضحا في اقتصاد الدول الافريقية والاسيوية فضلا عن دول امريكا اللاتينية .

وفي مواجهة الطلب المتزايد على منتجات المزارع لا بد من التوسع الرأسي فضلا عن التوسع الافقي في الزراعة . ولا يتأتى هذا الا بزيادة محصول الوحدة الزراعية نتيجة للتقدم التكنولوجي في الزراعة .

ويمكن القول بوجه عام ان التقدم التكنولوجي في الزراعة يسير في اربعة اتجاهات :

- **ميكنة الزراعة .**
- **تحسين الاسمدة المناسبة للارض**
- **ميكنة خصوبة الارض**
- **تقليل الفاقد من المحصول نتيجة للآلات .**

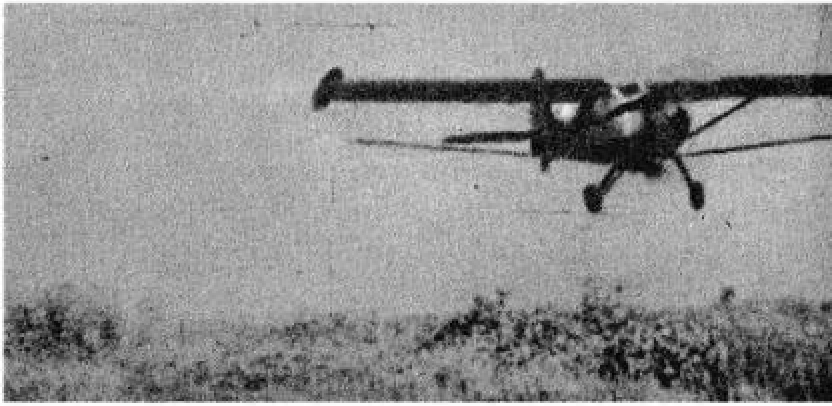
وفي مواجهة طلب المعدات الجديدة والفعالة ، تتعاون صناعة الطائرات مع الزراعة في تقديم الوسائل المناسبة لانهاء الاعمال في أوقات محددة . وأهم هذه الوسائل هي الطيران الزراعي ، فبفضل سرعتها تكمن فعاليتها بالنسبة للمزارع الكبيرة في حالة الكوارث الطبيعية ، فضلا عن أن استخدامها يمنع ما يحدث عادة من تدمير المحصول في حالة استخدام الوسائل السطحية .

وحتى في المزرعة الصغيرة ، فان الطائرة أكثر فعالية وسرعة ، بينما اذا كان تكوين الحقول ملائما ومسافات الطيران معقولة ، كانت التكاليف أقل . والواقع أنه في العمليات فوق مساحات واسعة من المزارع الموحدة ، تكون الطائرة أرخص كثيرا . وبخصوص الاتجاه الى تجميع الزراعة ، الذى بدأ يفرض نفسه على العالم ، لزيادته من الناحية الارض ؛ فان استخدام الطيران في الزراعة أصبح ضرورة اقتصادية .

وفي العالم اليوم أكثر من ٢٠ ألف طائرة تخدم الزراعة ، ولا شك أن عدد هذه الطائرات سيزيد مستقبلا ، لاستبدال الاجهزة الارضية بالطائرات من جهة ، وقد أدى الاتجاه الى زراعة محصول واحد في مساحات واسعة الى سهولة وسرعة القضاء على الالات الزراعية .

ومنذ أربع سنوات ، تقوم الجمهورية العربية المتحدة بمكافحة آفات القطن عن طريق الجو ، وفي كل عام تزيد من المساحة التي توفر لها الوقاية بهذه الطريقة . ومعظم هذه العمليات تتم بواسطة طائرات بولندية يقودها طيارون بولنديون وبمعدات بولندية .

وتنتج بولندا نوعين من الطائرات الزراعية : طراز جورون PZL 101 وحمولة ٥٠٠ كيلو جرام وقدرة رش تغطى حوالى ٢٥٠ فدانا في الساعة ، وطراز AN-2 وحمولة ١٠٠٠ كيلو جرام وقدرة رش تغطى ٧٠٠ فدان في الساعة . وبالطبع فان



هذه الارقام لا تمثل سوى متوسطات . اما النتائج النهائية فتتوقف على مساحة الحقول وبعدها عن اماكن هبوط الطائرات، ودرجة تركيز المبيد الكيماوى ، وحالة الطقس الخ

وقد صممت طائرة جورون PZL 101 لخدمة المساحات الصغيرة ، حيث يكون الاقتراب صعبا بسبب خطوط كهرباء الضغط العالى او خطوط التليفون ، او التلال ، أو المبانى وغيرها .

واستخدام طراز AN-2 اقتصادى فوق المساحات الكبيرة ، رغم أن مشكلة اختيار الطائرة المناسبة ، يحتاج الى دراسة مستفيضة لا مجال لها هنا

واجهزة الطائرتين المذكورتين تسمح بـ :

- رش تركيزات مختلفة من محاليل الزيت والماء .
- التعفير
- نثر الحبوب

ويجدر هنا اضافة أن نفس هذه الطائرات يمكن استخدامها لاغراض أخرى غير الزراعة . يمكن مثلا استخدامها فى النقل على نطاق محدود ، او فى السياحة ، او اعمال البحث الميدانى ، أو الاستطلاع بجميع انواعه ، وهكذا فانه خلال الاوقات التى لا تحتاج الزراعة اليها ، يمكن استخدامها فى أغراض أخرى . ويمكن استخدام هذه الطائرات ايضا فى اقتصاديات الماء ، لنشر مستحضرات كيماوية لتقليل تبخر الماء ومن ثم حفظ مخزون المياه .

ويتم تطوير طائرتى جورون PZL 101 و AN-2 سنويا ، والتحسينات الناتجة تعبر عن خبرة ٢٥ عاما فى خدمة الزراعة سواء فى بولندا أو الخارج .

وقد ادخلت تحسينات عديدة وتعديلات فى التصميمات للضمان والامان فى الظروف الاستوائية على كلا الطرازين نتيجة للخبرة المكتسبة من التجارب فى النمسا وليبيا وتونس وفنزويلا والسودان .

وتعتبر مؤسسة التجارة الخارجية بول موت ــ سابقا موتو امبورت ــ هى المصدر الوحيد لخدمات الطيران فضلا عن الطائرات البولندية ، وتقوم المؤسسة بتقديم الخدمات الزراعية المختلفة ، وتؤجر الطائرات بطاقمها أو بدونه .

وتقوم مؤسسة بول موت بتطوير وسائلها وتحسين خدماتها بصفة منتظمة ، وعلى سبيل المثال استخدمت فى سنة ١٩٦٨ طريقة جديدة فى الجمهورية العربية المتحدة للسيطرة على الجراد بواسطة الطيران ، وقد جربت هذه الطريقة ثم طورتها وزارة الزراعة بالجمهورية العربية المتحدة وحسنتها .

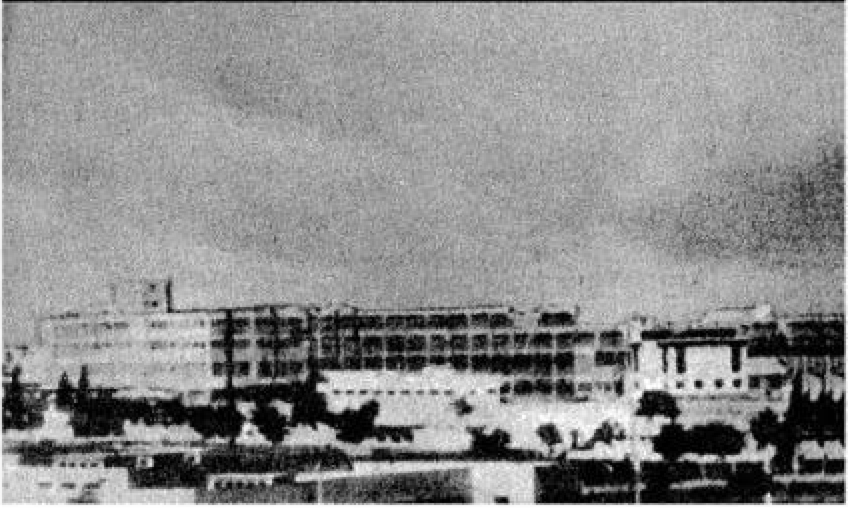
وتنوى مؤسسة بول موت تصدير خدمات الطيران بهدف تمكين الدولة المعنية من التدرب عليها تدريجيا ، ويتم هذا فى المراحل الاخيرة من التعاقد ، وبناء على طلب العميل ، حيث تقوم مؤسسة بول موت بتدريب الملاحين الجويين والارضيين ... هذا فضلا عن بيع القاعدة الارضية التى انشئت فى الاصل لتنفيذ التعاقد او تقديم القواعد المطلوبة من بولندا لخدمة متصلة . وفى الايام الاولى لعمل القاعدة الجديدة تضمن بولندا أيضا تقديم المشورة والخبرة البولندية .

الحديث عن صناعة الغزل والنسيج فى بلدنا حديث طويل يبدأ منذ آلاف السنين أى منذ عهد الفراعنة فقد كشفت الآثار المصرية القديمة عن المغازل والأنوال اليدوية التى كان المصريون القدماء يستخدمونها .. كما كشفت هذه الآثار أيضا عن مدى الروعة والجمال الذى حققه الإنتاج الفرعونى للمصنوعات النسجية ..
وهذا معناه أن مصر من أقدم دول الأرض التى أقامت صناعة الغزل والنسيج ولا عجب فى ذلك فصناعة الغزل والنسيج صناعة تقوم أساسا على الزراعة ومصر بلد زراعى زاخر بالثروة الزراعية والحيوانية .

وتقوم صناعة الغزل والنسيج على عدة خامات هى القطن والكتان والجوت ثم الصوف والحرير والألياف الصناعية المختلفة مثل الرايون والنايلون .
وتحتل صناعة الغزل والنسيج فى معظم دول العالم مكان الصدارة بين الصناعات الاستهلاكية ، ويحتل القطن المركز الأول بين الخامات المستخدمة فى صناعة الغزل والنسيج سواء من حيث حجم الإنتاج أو الاستهلاك .

وقد مرت صناعة الغزل والنسيج فى مصر بعصور مختلفة حتى أواخر العشرينات من القرن الحالى حيث أقيمت أول مصانع آلية لهذه الصناعة ولكنها كانت على نطاق محدود ..

الغزل والنسيج على أسس علمية تساير التطورات العالمية





السيد الدكتور عزيز صدقي يتفقد منتجات شركات مؤسسة الغزل في أحد معارضها

صناعة الغزل والنسج

ولقد كان اهتمام ثورة يوليو ١٩٥٢ كبيرا بهذه الصناعة باعتبارها أم الصناعة المصرية كلها .. فقد جاءت الثورة لتجد صناعة الغزل والنسيج المصرية واقعة في يد حفنة من أصحاب رءوس الأموال والمستغلين والمحتكرين من الأجانب الذين لم يكن لهم من هم الا الربح المادى وحده .. أما حقوق العمال وتطوير الآلة ؛ وتطوير الصناعة نفسها فلم يكن لها أى حساب عندهم .. وكان على الثورة أن تغير هذا الواقع .. وأن تأخذ بيد هذه الصناعة الكبيرة وتطورها وتجعلها في مقدمة الصناعات المصرية .

وهكذا بدأت الثورة تخطط لصناعة الغزل والنسيج في بلدنا وتعطيها العناية



المهندس حسن ناجى والمهندس حامد المامون حبيب والسيد/ محمد سمير بدوى فى جولة داخل احد معارض المؤسسة..

الفائقة حتى اصبح قطاع الغزل والنسيج فى بلدنا فى مقدمة القطاعات التى تتجلى فيها قوة الانجازات وعظمتها، الامر الذى غير من واقع هذه الصناعة عندنا لدرجة أن بلغت قيمة انتاجنا هذا العام فى صناعة الغزل والنسيج ٢١٧ مليون جنيه ، بينما لم تكن هذه القيمة تتجاوز مبلغ ٧ ملايين جنيه قبل الثورة !

لقد نجحت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى تحطيم الاحتكارات الأجنبية الرأسمالية التى كانت تسيطر سيطرة تامة على مقدرات صناعة الغزل والنسيج بالاضافة الى أن الثورة قد غيرت تماما من الاساس نفسه الذى كانت تقوم عليه هذه الصناعة فأصبحت الوسائل الفنية المتطورة والاسلوب العلمى الحديث والمزيد من الدراسات والبحوث هى الاساس ؛ الامر الذى لم يكن متوافرا من قبل .

ان الثورة استطاعت أن تغير من صورة صناعة الغزل والنسيج فى بلدنا تغييرا تاما فقبل الثورة كانت عندنا صناعة تعتمد على القطن المصرى وهى صناعة الغزل والنسيج وكانت تخضع للاحتكارات الاجنبية الرأسمالية ولم تكن تقوم على أسس اقتصادية مدروسة ولكنها كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على استيراد المنسوجات من الخارج وبقيام ثورة يوليو نالت صناعة الغزل والنسيج نصيبا موفورا وأصبحت اليوم تشغل

مدنا بأكملها تمتد من الاسكندرية شمالا حتى قنا جنوبا .

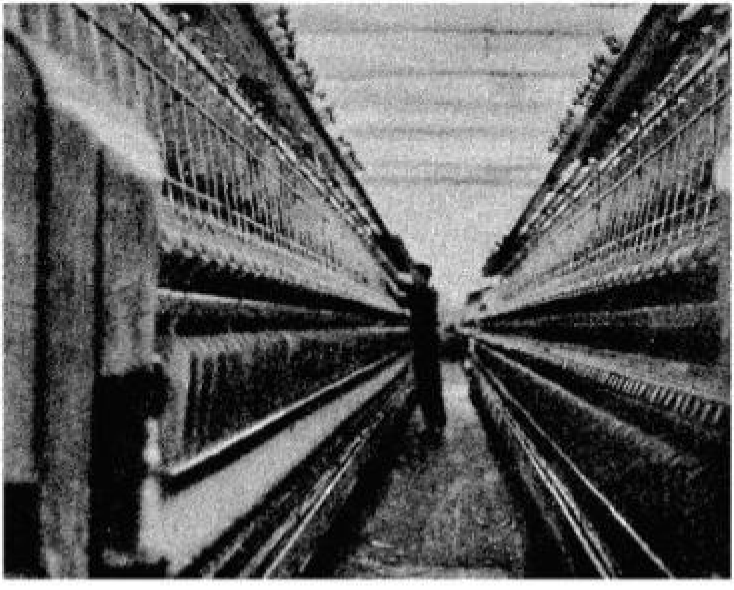
ان صناعة الغزل والنسيج فى بلدنا ازدادت ازدهارا عند قيام وزارة الصناعة فى سنة ١٩٥٦ حيث أضافت الوزارة اليها كثيرا من مشروعات التوسيع والتجديد بالاضافة الى المصانع الجديدة التى أقامتها فى المناطق التى كانت محرومة منها تماما .

اما بداية العصر الذهبى الذى شهدته صناعة الغزل والنسيج عندنا فجاء عقب صدور القرارات الاشتراكية وتاميم بعض الشركات فكان ذلك بمثابة انطلاقة ثورية رائدة غيرت التركيبة التقليدية فى هذه الشركات ، وجعلتها تعمل لصالح مجموع الشعب بعد أن كانت وقفا على بعض افراد الشعب ، واصبحت الشركات تدار على اساس من العلم مستفيدة من كل الطاقات والخبرات . وكان لزاما على ثورتنا الصناعية ان تدعم تطورنا الصناعى بالخبرات وباحدث الماكينات والمعدات والمصانع الحديثة .

وفى ظل القرارات الاشتراكية ولدت المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج لتكون القوة المحركة لكل شركات الغزل والنسيج فى مصر والمايسترو الذى يمسك بناصية الامور ويحرك كل الاطراف ويوجه صناعة الغزل والنسيج فى صالح الشعب وفى صالح الانتاج والاقتصاد القومى .

ان المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج تقوم مع شركاتها الثلاثين بتادية دورها بنجاح تام مشهود له فى قطاع الغزل والنسيج من غزل قطن

الماكينات الحديثة فى مصانع الغزل والنسيج .. عنوان النهضة الصناعية الحديثة ..



وصوف وألياف صناعية ونسيجها بما يتخلل ذلك من مراحل وعمليات صناعية وعلمية وفنية أذهلت العالم .. وأذهل العالم أكثر العامل المصري بسرعة استيعابه للعمل وإتقانه له ثم تفوقه على غيره من عمال العالم الذين سيهزمه بأجيال عديدة في هذه الصناعة .

ان نهضة صناعة الغزل والنسيج التي تتمثل في نشاط ٣٠ شركة تتولى مهمة الانتاج لقد تمكنت هذه الشركات من تدعيم اقتصادياتها والسيطرة على السوق المحلية والعمل على تطوير الانتاج وتحسينه مما أدى الى زيادة كمية الاقطان المصرية التي وجهت لهذه الصناعة والحد من تصدير القطن الخام والعمل على تصنيعه غزلا ونسيجا لمواجهة احتياجات البلاد من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية وتحقيق الاكتفاء الذاتي ثم غزو الأسواق الخارجية بالتصدير للحصول على مزيد من العملات الصعبة.

وقبل أن نتحدث عن عمليات التصدير العظيمة التي تقوم بها شركات المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج في هذا المجال تعال أعرفك بسرعة على شركات المؤسسة الثلاثين :

● تأتي شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى في مقدمة شركات المؤسسة فهي احدى القلاع الصناعية الهامة في مصر وهي تتخصص من الناحية الانتاجية في انتاج غزل ونسيج وتجهيز القطن والصوف والبطاطين والقطن الطبي — اذ تملك الشركة المصنع الوحيد من نوعه في الشرق الأوسط لانتاج القطن الطبي — كما تلبي الشركة حاجة البلاد من الاستهلاك المحلي من الاقمشة الصوفية التي تضارع ارقى الاصناف . والاقمشة الوبرية وخيوط التريكو اليدوي وخيوط الحياكة .

● ثم شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار ومجال تخصصها غزل ونسيج القطن وخيوط الحياكة

● ثم شركة المحلات الصناعية لـ ... ر والقطن « اسكو » ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز القطن والصوف والحرير والاقمشة الوبرية .

● شركة مصر حلوان للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز القطن والفبرار واقمشة الحرير الصناعي والطبيعي والبروديريه والجيبير والقطيفة والابانجليه .

● شركة مصر للحرير الصناعي ومجال تخصصها خيوط وفيران حرير صناعي وورق شفاف عادي ومانع الرطوبة وخيوط وفيران النايلون والهيلانكا .

● شركة مصر / صباغي البيضا ومجال تخصصها خدمات صباغة وطباعة وتجهيز الاقمشة والخيوط والاقمشة البلاستيك وتوبس الصوف .

● شركة النصر للاصواف والمنسوجات الممتازة « ستيا » ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز القطن والفيران والصوف وانتاج وتفصيل الملابس والجوارب وانتاج اقمشة معاصر الزيوت وخيوط تريكو يدوي واقمشة هيلانكا .

● الشركة الاهلية للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز القطن وخيوط الحياكة وانتاج الاقمشة الوبرية ونسيج وتجهيز اقمشة حرير طبيعي وصناعي .

● شركة السيوف للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل ونسج القطن .

● شركة النصر للغزل والنسيج الرفيع بدمياط والمنصورة ومجال تخصصها غزل ونسج القطن .

● الشركة العامة لمنتجات الجوت ومجال تخصصها غزل ونسج الجوت وانتاج دوبارة جوت وسيزال وعبوات هيشان وزكائب .

● شركة النصر للغزل والنسج والتريكو « شوربجي » ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز القطن ، منتجات التريكو والجوارب .

● شركة مصر / شبين الكوم للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل القطن

● الشركة المصرية للغزل ونسج الصوف « وولتكس » ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز الصوف ومنتجات التريكو والجوارب والبطاطين وخيوط التريكو اليدوى .

● شركة القاهرة للمنسوجات الحريرية ومجال تخصصها نسج القطن والحرير الصناعي والطبيعى وصناعة أقمشة شيلو ناموسية .

● شركة الدلتا للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل ونسج القطن .

● شركة القاهرة للملبوسات والتريكو ومجال تخصصها منتجات التريكو والجوارب والشرائط والنسيج .

● شركة الاسكندرية للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل القطن وتجهيز الاقمشة .

● شركة القاهرة للصباغة والتجهيز ومجال تخصصها منتجات التريكو والجوارب .

● شركة النصر للصباغة والتجهيز بالمحلة ومجال تخصصها نسج القطن وتجهيز الخيوط والاقمشة الوبرية .

● شركة الوجه القبلى للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل ونسج القطن .

● شركة النصر للغزل والنسيج ببورسعيد ومجال تخصصها صناعة شباك الصيد والتمويه والاقمشة الثقيلة وغزل ونسج وتجهيز الصوف ومنتجات التريكو الصوفية وخيوط تريكو يدوى .

● الشركة العربية للسجاد

المنسوجات المصرية الحديثة فى عرض ازياء اقيم بموسكو



والمفروشات ومجال تخصصها انتاج السجاد الميكانيكى والصوف والحرير والكوفرتات .

● الشركة الشرقية للكتان والقطن ومجال تخصصها غزل ونسج وتجهيز القطن والكتان وانتاج خراطيم الحريق والدوبارة الكتانية والكوفرتات .

● الشركة العربية والمتحدة للغزل والنسيج ومجال تخصصها غزل ونسج القطن وتجهيزه .

● شركة المنسوجات الحديثة .

● شركة مصر لمعدات الغزل والنسيج ومجال تخصصها انتاج قطع غيار الات الغزل والنسيج .

● شركة ابو الهول .

● الجليل التجارية .

وقد تمكنت هذه الشركات من تدعيم اقتصادياتها والسيطرة على السوق المحلية بالعمل على تطوير الانتاج وتحسينه مما أدى الى زيادة كمية الاقطان المصرية التى وجهت الى هذه الصناعة والحد من تصدير القطن الخام والعمل على تصنيعه غزلا ونسيجا لواجهة احتياجات البلاد من المنتجات القطنية والصوفية والحريرية وتحقيق الاكتفاء الذاتى منها لم غزو اكثر من لمائتين سوقا خارجية .

وقد غزت منتجات شركات المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج جميع أسواق العالم فهى تنتج أضخم انتاج من المنسوجات القطنية الفاخرة كما تنتج غزل القطن وغزل الصوف والمنسوجات الصوفية والسجاد الفاخر والمنسوجات الحرير الصناعى والفبران والاقمشة القطنية .

وقد حققت شركات المؤسسة تقدما عظيما فى صناعة الغزل والنسيج لعدة عوامل أهمها :

● **تحقيق التكامل فى الصناعة وذلك**

وزير الاقتصاد السورى وحرمه يتفقدان المنسوجات المصرية فى معرض دمشق الدولى بجناح المؤسسة ...



بانشاء مصانع حديثة متخصصة لجميع مراحل الانتاج التى تتضمن الغزل والنسيج والصباغة والطباعة والتجهيز .

● جودة خام القطن المصرى .

● اهتمام الدولة بتدعيم هذه الصناعة وارسائها على قواعد سليمة وذلك بتجديد المصانع وتزويدها باحدث ما وصلت اليه الصناعة فى انتاج الآلات والاجهزة العلمية الحديثة الخاصة بالغزل والنسيج .

وقد كانت قيمة الانتاج فى عام ٦١/٦٠ نحو ١٣٥ مليون جنيه واضطردت زيادتها سنة بعد اخرى فزادت الى ١٤٧ مليونا ثم قفزت الى ١٧١ مليونا وفى عام ٦٤/٦٣ بلغت ٢٠٩ ملايين وفى سنة ٦٥/٦٤ بلغت ٢٢٧ مليون جنيه ثم ارتفعت فى ٦٨/٦٧ الى ٣٠٢ مليون وفى عام ٧٠/٦٩ ارتفعت الى ٣٢١ مليونا

وقد قامت المؤسسة باعداد وتنفيذ مشروعات الخطة الخمسية الثانية ٧٠/٦٥ وقد أعدت هذه الخطة الخمسية على أساس تنفيذ ١٠٠ مشروع لصناعات الغزل والنسيج بتكاليف استثمارية قدرها ٦٩٫٨ مليون جنيه واستكمالا للمشروعات المرحلة من الخطة الثانية والاستفادة منها وضعت المؤسسة الخطة الثالثة ٧٠ الى ١٩٧٥ وتهدف الى :

● استكمال المشروعات المرحلة من الخطة الثانية والاستفادة منها .

● الاستفادة من الطاقات غير المستغلة استغلالا كاملا واستكمال النقص فى المصانع القائمة وازالة نقط الاختناق التى تعترض التوسع الراسى فى الانتاج وايجاد التوازن بين مراحل التصنيع لتخفيض تكاليف الانتاج .

● اتباع اساليب التطبيق التكنولوجى الحديث لتطوير المنتجات والاهتمام بالبحوث التطبيقية فى هذا المجال .

● التوسع فى انتاج قطع الغيار ولوازم صناعة الغزل والنسيج .

● الاستفادة بالمواد والتجهيزات التى يمكن تصنيعها محليا .

● التوسع فى استخدام العوادم ومخلفات التشغيل .

● استحداث وتجديد كل ما يصلح من المعدات والآلات المستخدمة لعمرها الانتاجى .

● استخدام البدائل لانتاج السلع والمنتجات من الخامات المتوفرة .

● تجميع الوحدات الانتاجية الصغيرة التى تعمل بطريقة اقتصادية .

● التوسع فى تدريب العاملين لاكسابهم المهارات .

وتطبيقا لهذه الاسس اشتمل اطار الخطة على ١٢٨ مشروعا هاما . منها ٣٢ مشروعا مرحلا من الخطة الثانية و ٥٥ مشروعا للاحلال والتجديد و ٢٥ مشروعا جديدا و ١٦ مشروعا للمرافق والخدمات و ٧ مشروعات لتجميع وحدات و ٨ مشروعات لتعديلات مبانى نشاط انتاجى

وتبلغ جملة الاستثمارات اللازمة لتنفيذ هذه المشروعات ١٢٨ مليون جنيه .

وتقدر الاستثمارات المطلوبة للاحلال والتجديد والمرافق وتعديلات المبانى وتجميع الوحدات خلال الخطة بـ ٥٧٫٨ مليون جنيه .

وتعتبر هذه الاستثمارات مناسبة اذا ما قورنت باجمالى التمويل الذاتى لدى شركات الغزل والنسيج فى آخر الخطة الخمسية الثالثة والذى يقدر بنحو ٢٠٦٫٢ مليون جنيه وهو عبارة عن مجمع الاهلاك واحتياطى ارتفاع الاصول والاحتياطى المخصص لتمويل المشروعات الجديدة والتوسعات حتى ١٩٧٥/٦/٣٠

ونتيجة لتنفيذ مشروعات خطة التنمية الثالثة سترتفع قيمة منتجات صناعة الغزل والنسيج من ٣٢١ مليون جنيه الى ٤٦٢٫٦ مليون جنيه اى بنسبة ٤٤ ٪ وقيمة تصدير منتجات هذه الصناعة من ٦١٫٢ مليون جنيه عام ٧٠/٦٩ الى ٩٥٫٣ مليون جنيه اى بنسبة ٥٢ ٪ وستزيد العمالة من ١٩٥ الى ٢٢٥٫١ الف عامل اى بنسبة ١٥ ٪ كما ستزيد الاجور من ٥٠٫١ مليون جنيه الى ٥٨٫٢ مليون جنيه .

التصدير ..

وتلعب شركات المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج دورا هاما بتصدير انتاجها الى مختلف انحاء العالم اذ تدخل هذه المنتجات اسواق ٨٤ دولة من دول العالم وتحتل المركز الاول فى الاسواق العربية . وقد بلغت صادراتنا من الغزل والنسيج فى هذا العام نحو ٦٢ مليونا من الجنيهات بالعملات الصعبة .. اما فى أسواق الدول العربية الشقيقة

صناعة الغزل والنسج

فمنسوجاتنا تعد أول منسوجات يقبل عليها المستهلك .

وتقوم المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج بدراسة الأسواق العالمية مراعية في ذلك التكتلات الاقتصادية المختلفة وأنظمتها الجمركية والاتفاقات الدولية والخطة التصديرية التي تستهدف الى اعطاء أفضلية التصدير الى الملابس الجاهزة أولاولتليها الأقمشة المطبوعة والخام والخيوط الرفيعة والسميكة .

ولعل أرقام الصادرات تعطينا فكرة واضحة عن مدى نجاح المؤسسة في عمليات التصدير فبعد أن كانت قيمة الصادرات في عام ٦٢/٦١ ١٢ر٧ مليونا من الجنيهات أصبحت في عام ٦٤/٦٣ ثلاثة أمثالها أي ما يزيد على ٣٣ مليون جنيه وارتفعت مرة أخرى في عام ٦٥/٦٤ فوصلت الى ٤٠ مليون جنيه حتى بلغت في عام ٦٧/٦٦ ٥٠ مليونا من الجنيهات ثم ارتفعت الى ٥٨ مليونا ثم وصلت الى ٦١ مليونا من الجنيهات في عام ٧٠/٦٩

نحو العلم والتكنولوجيا

ويقول المهندس حسن ناجي رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج : لقد حققت بلادنا هذا التقدم الهائل في صناعة الغزل والنسيج بفضل عدة عوامل أهمها تحقيق التكامل في هذه الصناعة ، ولا شك أن التكامل الاقتصادي بين دول ميثاق طرابلس سوف يحقق المزيد من التطور في صناعة الغزل والنسيج .

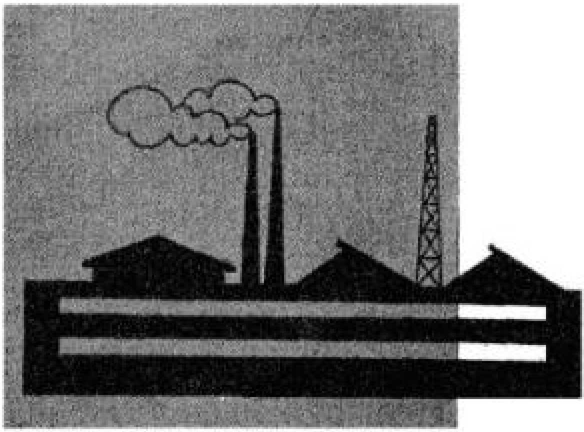
وقال سيادته أيضا : ان مركز التنمية الصناعية للدول العربية هو أنسب مجال لتجمع عربي صناعي له وزنه وحسابه خاصة اذا عرفنا ان الدول العربية لا تزال تستورد ٢٠ ٪ من احتياجاتها من الغزل و ٤٠ ٪ من احتياجاتها من الكساء ، ولا شك ان هذه الأرقام تدعونا الى العمل على الاستزادة من انتاجنا ولو لتغطية احتياجات المنطقة العربية .

ان الوطن العربي بما وهبه الله من وفرة في الخامات الأساسية اللازمة لصناعة الغزل والنسيج سواء منها الطبيعية كالقطن او الكيماوية كالبترول ومشتقاته القادر على تحقيق أعلى مستويات الجودة في هذه الصناعة بشيء من التنسيق والتطوير لامكانياته وموارده المادية والبشرية .

وقال سيادته أيضا : ان الوطن العربي يستطيع الاكتفاء ذاتيا بما ينتجه من غزل دون الاعتماد على المصادر الأجنبية وذلك على أساس ان الطاقة الانتاجية للمغازل القائمة تفي بالاحتياجات للاستهلاك العربي ولو ان ذلك يتطلب دراسة شاملة عن حاجة تلك الأسواق لنمو الغزول المختلفة وتخطيط برامج الانتاج في دول الوطن العربي مع التوسع في الانتاج للاحتفاظ بالأسواق التقليدية الخارجية دعما للتجارة الخارجية للوطن العربي .

وتحدث سيادته عن التطور التكنولوجي في الصناعات النسجية وحتمية دخول الدول العربية في مجال البحوث التكنولوجية للصناعات النسجية فقال :

لقد اتجهت الجهود في السنوات الأخيرة الى التطور التكنولوجي في الصناعات النسجية عن طريق زيادة سرعة الماكينات ورفع كفاءتها وكذا حذف بعض خطوات التشغيل وتخفيض الوقت اللازم للعمليات والاتجاه الى تطوير الصناعة النسجية في الجمهورية العربية المتحدة الآلية الذاتية واستخدام الأجهزة الالكترونية . وعلى الدول العربية أن تسرع في تطبيق العلم وأساليبه على أوسع نطاق اذا أرادت لهذه الصناعة الكبيرة ان تستمر في توسعها وكذا دخولها ميدان المنافسة العالمية الذي أصبح لا غنى عنه الآن .



مصنع الأسمنت ومصنع السماد بحلوان أحدث بصمات الجهود البناءة والإيجابية لـ.. "المقاولون العرب"

بصماتهم في كل مكان .. أينما سرت ، وجدت أمامك الدليل ودليل على أنهم كانوا هنا . .

وأنهم شاركوا في بناء صرح الانطلاقة الثورية في بلادنا مشاركة فعالة وممتدة بامتداد الرقعة المصرية .. من أسوان الى الاسكندرية ..

واذا كانت الانطلاقة الثورية تحرز نصرا جديدا في كل يوم ، واذا كان التطور يعبر عن نفسه في تلك الخطوات العملاقة التي تبهر العالم ، واذا كانت النهضة تنتشر معالمها وملامحها في كل مكان .. فانهم هناك دائما .. بجهودهم البناءة والمثمرة في تنفيذ المشروعات الكبيرة والعظيمة .

انهم .. « المقاولون العرب » عثمان أحمد عثمان وشركاه .. الذين يزاولون نشاطهم في ميدان المساهمة في تنفيذ المشروعات العمرانية والصناعية الضخمة

•• مصنع الأسمنت ومصنع السماد بحلوان

.. وذلك بتنفيذ عدد كبير من أضخم المشروعات الصناعية فى بلادنا . ولعل أروع شاهد على ذلك دورهم العظيم فى

تنفيذ هرم مصر الحديثة .. السد العالى .. تلك المعجزة التى بهرت

العالم بتحديات انامتهـا ، والتى أدهشت العالم بالقدرة الفائقة على

تنفيذها على أكمل الوجوه وفى الوقت المحدد .

وهكذا .. لقد وضع «المقاولون العرب» عثمان احمد عثمان وشركاه خبرتهم الفنية الطويلة فى خدمة الاقتصاد الوطنى ،

وأسهموا فى تنفيذ هدف من أسمى أهداف ثورتنا البناءة ، الا وهو تحقيق الرخاء للبلاد ، والانتقال بها من مرحلة الاقتصاد الصناعى المتقدم .. وهى المرحلة التى

تعتبر عماد بناء الكفاية والعدل فى مجتمعنا الاشتراكى .

والآن ، لنعش فى جولة مع أحدث بصمات « المقاولون العرب » عثمان احمد عثمان وشركاه على حياتنا الاقتصادية والصناعية .. ويتمثل ذلك فى مصنع الاسمنت بحلوان ، ومصنع السماد فى نفس المنطقة ..

● **مصنع الاسمنت** : فى صحراء التبين جنوب حلوان ، ارتفع بناء جديد يعبر عن وجه مصر الحديثة المتطورة .

انه أكبر مصنع للأسمنت لا فى مصر وحدها بل فى الشرق كله . وهو أيضا

المصنع الوحيد فى المنطقة لصناعة الاسمنت الحديدى الذى يدخل فى تركيبه

خبث الافران العالية من مصنع شركة الحديد والصلب المصرية ..

والمصنع الجديد مقام على مساحة قدرها ٦٠٠ فدان ، تشغل المبانى منها

١٣٠ فدانا . وقد صممت بعض المبانى ونفذت بطريقة الاسقف القشرية ، ويتكون من ست صوامع ، سعة الواحدة منها حوالى خمسة آلاف متر مكعب ، الى

جانب عنبر لتخزين الخامات ، طوله ٢٥٢ مترا وارتفاعه ٢٢ مترا .

وفى المصنع الجديد :





– فرنان كل واحدة منهما عبارة عن ماسورة كبيرة قطرها اربعة امتار وطولها ١٢٠ مترا ، وطاقة الفرن اليومية ٢٥٠ طنا .

– مدخنتان .. ارتفاع كل مدخنة منهما ٤٢ مترا ، وقطرها الداخلى ٣ امتار .

– مبنى طواحين الاسمنت . ويبلغ مكعبات الخرسانة المسلحة فيها ٦٧٥٠ مترا مكعبا ، والخرسانة العادية ١٢٠٠ متر مكعب .

– مبنى تجفيف الجبس ، ومبنى الادارة العامة .

وقد بلغت تكاليف هذا المشروع الكبير مبلغ مليون جنيه مصرى . وانتهت الشركة من تشييده على اكمل الوجوه فى مدى عامين ..

● مصنع السماد : وفى منطقة التبين ايضا ، قام « المقاولون العرب » عثمان احمد عثمان وشركاه .. بتشييد قلعة اخرى من قلاعنا الصناعية الحديثة .. وهذه القلعة هى مصنع السماد الذى بلغت تكاليفه ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه . وقد تم انشاؤه على مرحلتين ، وتضمن انشاء وحدات لاستعمال وتصنيع الغازات الناتجة من مصنع فحم الكوك ، وجسر السكة الحديد وطرقا خرسانية بسطح اجمالى قدره ٤٠ الف متر مسطح ، وذلك بخلاف انشاء مخازن السماد والكوك وفلاتر الافران والامونيا وقطع الغيار ، ومبانى الادارة ، وورشة الكهرباء والميكانيكا ، والجراج ، وضغط الهواء والكسارة ..

***

وبعد . فهذه احدث بصمات الخبرة الهندسية لشركة « المقاولون العرب » عثمان احمد عثمان شركاه .. تلك البصمات التى انتشرت فوق ارجاء الارض المصرية ، وتجاوزتها لتشمل ايضا اراضى الامة العربية فى كل مكان ..وخلف هذا كله ، ايمان عظيم بالوطن وبالامة العربية وبالمستقبل .. وحسن التنظيم والادارة والتدريب .. وجهود السواعد الفتية .. ونتاج حبات العرق التى تختلط بالامل والعمل ، فيصنع هذا المزيج اقوى واعظم الصروح الصناعية والعمرانية ..

الكابلات الكهربائية

فى خدمة الاقتصاد القومى ومشروعات الصناعة والعمران



بقلم المهندس

حسنى حافظ عامر

رئيس مجلس إدارة شركة الكابلات الكهربائية المصرية

لا شك فى أن الكهرباء صاحبة الفضل الاول فيما وصل اليه انسان القرن العشرين من تقدم وتطور ، تلك الطاقة الجبارة التى أحالت الظلام الى نور والجهل الى علم ، وحاربت المرض والفاقة التى عاشها الانسان عبر ملايين السنين لقد صاحب اكتشاف الكهرباء هذا التقدم العلمى والتكنولوجى الذى وصلت اليه البشرية فى عالمنا المعاصر ولا يوجد انسان على كوكبنا لم تمسه الكهرباء بالخير حتى أولئك الذين مازالوا يعيشون فى حرمان من نورها

لقد وصلت اليهم على شكل كساء أو دواء أو سماد والات صنعت جميعها أو بمصانع تديرها الكهرباء .

وفى مطلع كل صباح يبهرنا العلم باحدث الاكتشافات والمخترعات التى يرجع الفضل فيها للكهرباء .. مثل العقول الالكترونية التى صنعت كل اجهزتها فى مصانع تدار بالكهرباء كما تمت بحوثها فى معامل ومعاهد انارتها الكهرباء .

وقد أصبح الانسان يعتمد فى غذائه وكسائه على الكهرباء حتى أصبح يقاس مدى تقدم ورخاء الشعوب بمقدار نصيب الفرد من تلك الطاقة .

واليوم وبعد أن احتفلت بلادنا واحتفلت معها كل الشعوب المحبة للسلام ورخاء الانسان بمناسبة الانتهاء من أعظم منجزات ثورتنا الاشتراكية وهو السد العالى وتطلع كل فرد فى وطننا الى ما بعد السد العالى من سنوات زاهرة يعمها الرخاء والسلام وتطلع هؤلاء المحرومون من نور تلك الطاقة الجبارة الى أمل فى غد أفضل من ملايين السنين التى عاشها أجدادهم بلا كهرباء .

وبعد .. هذه هي الكهرباء التي عرف كل منا ما اعطته للبشرية بلا حدود . فماذا نعرف عن صناعة الكابلات الكهربائية .. تلك الصناعة التي تعتبر الاخ التوأم للطاقة الكهربائية ؟!

اذا كانت الكهرباء تعتبر بحق القلب النابض لكل حضارة وصل اليها الانسان فالكابلات الكهربائية هي تلك الشرايين التي تقوم بنقل هذه الطاقة من محطات التوليد الى كل مكان تدب فيه الحياة والتقدم والرخاء .

وقد كان من الطبيعي بعد أن صممت بلادنا على أن تزيح عن كاهلها عبء التخلف الحضاري والصناعي الذي اراده لهما الاستعمار البغيض وبعد أن عرف الشعب طريقه الى التقدم العلمي والتكنولوجي منذ فجر الثالث والعشرين من يوليو الخالد أن تتجه الى صناعة أهم وسائل هذا التقدم وهو انتاج الكابلات الكهربائية المصرية فتم بذلك انشاء اول شركة مصرية لانتاج الاسلاك والكابلات الكهربائية والتليفونية في منتصف عام ١٩٥٤ لتقوم محليا بانتاج جميع انواع هذه الواصلات طبقا لاحدث الواصفات العالمية للاستعاضة بانتاجها عن الاستيراد من الخارج الذي كان يكبد البلاد سنويا ما لا يقل عن مليونين من الجنيهات من العملات الاجنبية حينذاك وخاصة وانه كان من المنتظر في ذلك الوقت ان يزيد هذا المبلغ الى اكثر من عشرين مليونا من الجنيهات سنويا بازدياد حركة التصنيع والتوسع في استخدام الكهرباء في شتى المجالات .

وقد وضع مشروع انشاء المصانع على أن يتم تنفيذه على اربع مراحل اساسية على النحو التالى :

المرحلة الاولى :

وتشمل انتاج الاسلاك والكابلات العارية والمعزولة بالمطاط أو البلاستيك أو القطن وقد تم الانتهاء منها في أوائل سنة ١٩٥٥ .

المرحلة الثانية :

وتشمل انتاج كابلات القوى الكهربائية الارضية المسلحة وقد بدأت الشركة في تنفيذها عام ١٩٥٦ وتم الانتهاء منها عام ١٩٦٠ .

المرحلة الثالثة :

وتشمل انتاج الكابلات التليفونية وقد بدأت الشركة في تنفيذها عام ١٩٥٩ وقد تم الانتهاء من هذه المرحلة في يوليو سنة ١٩٦٢ .

المرحلة الرابعة :

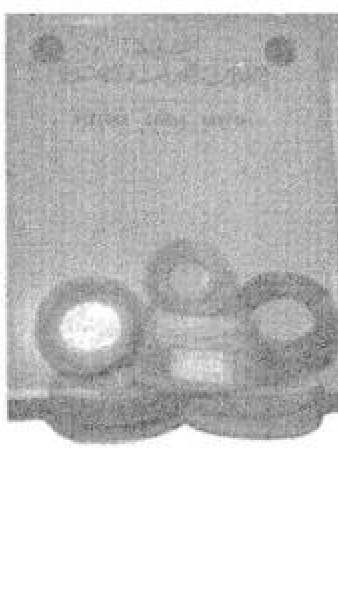
وتشمل انتاج الاسلاك المعزولة بالورنيش وقد تم الانتهاء من المباني اللازمة لها وما زالت بقية التركيبات تحت التنفيذ .

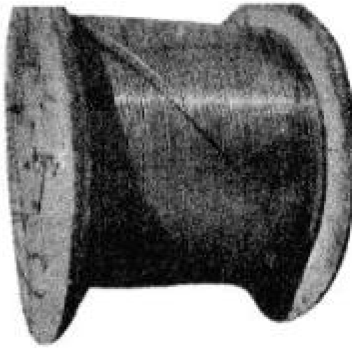
منتجات الشركة

لا يخلو اى مكان به لمسة من الحضارة أو المدنية في أى صورة من صورها من انتاج الشركة فهو موجود في المنزل والمصنع والشارع ... وهذا الانتاج يمتاز بتنوعه وهو يشمل المنتجات الاتية :

● **اسلاك الخطوط الهوائية وهي** تستعمل في نقل القوى الكهربائية الهوائية والخطوط التليفونية وأسلاك الترولي والترام والمترو وتقوم الشركة بتلبية احتياجات مؤسسة الكهرباء ومشروعات انارة المدن وكهربة الريف ومؤسسات النقل العام وهيئة المواصلات السلكية واللاسلكية من هذا النوع .

● **الاسلاك والكابلات المعزولة بالقطن** وهي تستعمل في بوبينات المحركات والمولدات الكهربائية وتقوم الشركة بتلبية احتياجات القطاع العام والخاص من جميع المقاسات المطلوبة .





•• الكابلات الكهربائية

● أسلاك المحولات وهي الأسلاك المستعملة في المحولات الكهربائية وتقوم الشركة بانتاجها خصيصا لشركة النصر للمنتجات والمحولات الكهربائية .

● الأسلاك والكابلات المعزولة بالمطاط وهي تستعمل في المحركات الكهربائية وآلات اللحام ومعظم الاجهزة المنزلية والاضاءة الداخلية للمنشآت والمنازل وتركب تحت البياض مباشرة دون الحاجة الى استعمال مواسير البرجمان مما يؤدي الى خفض التكلفة الكلية لهذه التوصيلات

● الاسلاك والكابلات المعزولة بالبلاستيك وتستخدم في التركيبات الداخلية بالمنشآت والمنازل وجميع اجهزة التحكم المركزي والانذار والسيارات والتوصيلات التليفونية الداخلية وأجهزة الراديو والتليفزيون .. الخ يضاف الى ذلك الكابلات الارضية المسلحة المستخدمة في توصيلات الكهرباء من الشبك الكهربائية وتقوم الشركة بتلبية احتياجات المصانع ومؤسسة الكهرباء والمشروعات الصناعية والعمرانية من هذه الانواع .

● الكابلات الأرضية المسلحة للضغط المتوسط ١١٠٠٠ فولت وتستعمل في توصيل التيار الكهربائي وتركب تحت الارض وتقوم الشركة بتلبية جميع احتياجات البلاد وخاصة مشروعات كهربة الريف وانارة المدن من هذه الكابلات .

تطور الطاقة والكفاية الانتاجية

وكان من الطبيعي لمواجهة التوسع الكبير في استخدام الطاقة الكهربائية بعد الانتهاء من مشروعات السد العالي أن يصاحب ذلك زيادة كبيرة في استخدام الكابلات الكهربائية وحتى لا تحرم البلاد من الاستفادة بهذه الطاقة أو تلجأ لسد احتياجاتها المتزايدة من الكابلات الكهربائية عن طريق الاستيراد فقد وضعت الشركة في حسبانها أن تسير مشروعات التوسع جنبا الى جنب مع توسع البلاد في استخدام الكهرباء فبادرت بتنفيذ مشروعات التوسع بزيادة طاقتها الانتاجية الى أربعة امثالها .

ولم يكن من أهداف الشركة زيادة طاقتها الانتاجية فحسب وانما كان من أول اهدافها تحقيق أعلى مستوى من الجودة الانتاجية والمحافظة على المستوى الرفيع الذي اشتهر به انتاجها في الاسواق العربية والدولية ، لذلك لقد وضعت الشركة نظاما بالغ الدقة للمحافظة على جودة الانتاج فانشات لذلك المعامل المتخصصة والمزودة بأحدث الآلات العلمية للتأكد من جودة الخامات المستعملة فالخامة التي يتم التأكد من جودتها ثم تستخدم في تصنيعها الطرق الصحيحة لابد أن تعطي منتجات على درجة عالية من الجودة وبطبيعة الحال فانه لا يكفي التأكد من جودة الخامات ومطابقتها للمواصفات وانما ينبغي أن يكون الانتاج أيضا جيدا ومطابقا للمواصفات المحددة وتتم عملية مراقبة الجودة والتفتيش على الانتاج في جميع مراحله المتعددة وقد أعدت الشركة جهازا كاملا من مراقبي الجودة والتفتيش على اعلى مستويات المهارة وارسلت العديد منهم في بعثات تدريبية للخارج حتى يتسنى لهم الاطلاع على أحدث طرق التفتيش والرقابة .

وكذلك قامت الشركة بتدريب الفنيين والعمال في مراكز التدريب الفني التي أنشأتها الشركة بالاضافة الى ارسال العديد منهم في بعثات خارجية ، ووضع احدث المراجع العلمية تحت أيديهم والقيام بترجمة معظم الكتب الاجنبية المتعلقة بصناعة الكابلات وطبعها وتدريسها للعاملين بها .

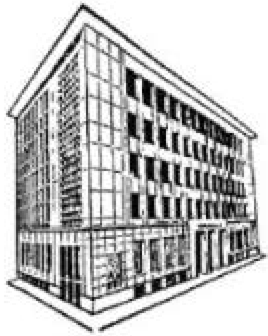
هذه هي شركة الكابلات الكهربائية التي تعيش وتعتبر من مفاخر الصناعة العربية المتقدمة والتي حازت ثقة الجميع بمنتجاتها المتطورة ، واستحقت كأس الانتاج خلال سنتين متتاليتين وشهادات التقدير والميداليات من المعارض الدولية .


شركة القاهرة للمنتجات المعدنية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية
تقدم ..
تصميمات حديثة
ألوان جذابة
تتحمل الحرارة .. وتعيش عمرا طويلا
• أطقم سفرة ٢١ قطعة صاج مطلي بالمينا
• حلل وعلب كالاحبات صاج مطلي بالمينا
• بانيوهات زهر مطلي بالمينا (ألوان مختلفة)
ادارة البيع القاهرة : ١٨ شارع عماد الدين / تليفون ٤٦١٩٢ / ٤٤٧٢٣
الاسكندرية : ١ شارع سان سابا طريق الحرية / تليفون ٢٥٣٧٧


إنك تشعر بالأمان
إذا كانت بطاريتك بولدن
أوريينت العالمية
بطارية أوناش
٨٠ ڤولت
١٠٠٨ أمبير ساعة
بطارية طورش
ماجيك
١٫٥ ڤولت
بطارية
ماجيك
٩ ڤولت
إنتاج:
الشركة العامة للبطاريات
الإدارة العامة: شارع الشهيد الحي - العمرانية - الجيزة

من تاريخ مصر الاقتصادى

٢



البنك الأهلى المصرى والصناعة

.. ونمضى على الطريق مع دور البنك الأهلى المصرى فى حياتنا..

وكان حديثنا السابق عن البنك الأهلى وتطوره التاريخى منذ انشائه عام ١٨٩٨ حتى اليوم ، وعرفنا كيف كان البنك الأهلى المصرى أول بنك حديث النشء فى مصر وكيف كان دوره فى هذا تاريخيا ، وكيف خدمت أمواله ، المودعة بواسطة المواطنين ، اقتصاد مصر على مدى هذه الحقبة الطويلة من عمر بلدنا .

وأوضحنا أنه بعد انقسام البنك الأهلى المصرى عام ١٩٦٠ الى مؤسستين هما : البنك الأهلى والبنك المركزى المصرى .. استمرت أعمال البنك الأهلى المصرى بخبراته المدعمة على مدى ٧٢ عاما فى القيام بدورها الطبيعى فى خدمة المجال المصرفى والتجارى والصناعى .. بعد أن تفرغ البنك المركزى لمزاولة أعماله كبنك للدولة فحسب .

وهنا يجىء حديثنا هذه المرة عن البنك الأهلى المصرى .. ودوره فى مجال الصناعة :

والصناعة لا شك هى طريق الحضارة .

البنك الأهلي المصري والصناعة

.. هي عصب الحياة في مجتمع القرن العشرين . هي التعبير عن الدولة المصرية الحديثة ..

ولكن الصناعة ليست كما يتبادر الى الذهن ماكينات تهدر وآلات تدور فحسب .. ولكنها بالدرجة الاولى وليدة اجهزة تعمل وتدرس وتخطط وتدبر . وتشارك البنوك في هذا كله . فهي التي توفر الأموال اللازمة لتحقيق اى مشروع صناعي بعد دراسته . واظننا جميعا متفقون على أن هذه الأموال هي عصب كل المشروعات الصناعية التي تنتشر في بلدنا .. ونأمل أن تزداد مع مرور الأيام ..

وفروع البنك الأهلي المصري ووكيلاته في شتى انحاء الجمهورية .. لا شك تلعب دورا هاما ورئيسيا في تمويل هذه الصناعات . وانت عندما تدخل أى فرع من هذه الفروع تلحظ النشاط الذى لا يهدأ من حولك .. وسوف يزداد اطمئنانك من خلال العمليات المصرفية المتنوعة التي تدور فيه . وأن البنك يقوم بتشغيل ما تودعه من بعض مالك أنت وغيرك من ابناء هذا الوطن لتصب خدماته في النهاية في بوتقة واحدة الغرض منها : دفع عجلة التنمية الاقتصادية والصناعية الى الامام .

وعندما تقودك الظروف الى احد موانينا الكبيرة . فلا تنس وأنت تتأمل شحنات الآلات الضخمة والماكينات المختلفة وصناديق قطع الغيار .. أن الأجهزة التي تخطط لتنمية الصناعة وتزودها باحتياجاتها حتى تصل الى هذا الميناء تكون في الغالب مدعمة بجهد وخبرات المتخصصين من العاملين في البنك الأهلي المصري الذى يقوم بدور حيوى هام في هذا المجال . وقد بلغت نسبة الاعتمادات المستندية المصرفية التي تمت ومولت عن طريقه نسبة كبيرة من مجموع عمليات التجارة الخارجية للبلاد .

وعندما تحين لك زيارة بعض مصانعنا – التي الغت الأسطورة الاستعمارية من ان مصر بلد زراعي فحسب – فلا تنشغل في غمرة الاحساس بالثقة والاعتزاز من حولك ، عن الدور الطليعي المستمر والمتطور للبنك الأهلي المصري .. واستعداده الدائم للدراسة والتمويل لجلب المزيد من الآلات الضخمة والماكينات من مصادرها في العالم لتدور في هذه المصانع .. وفي مصانع اخرى جديدة ، عابرة بها المحيطات والحدود ، ومشكلات التجارة الخارجية ، والعملات الصعبة ، وقيود الاستيراد ..

والى جانب هذا الدور الهام للبنك الأهلي المصري في بناء الصناعات الثقيلة فلقد كان للبنك ولا يزال دوره الطليعي في فتح مجالات متزايدة لنشاط الصانع الصغيرة والحرفية المتخصصة لتسهم بصناعاتها الصغيرة في دفع عجلة التطور الى الامام ... لأن الصناعات الصغيرة

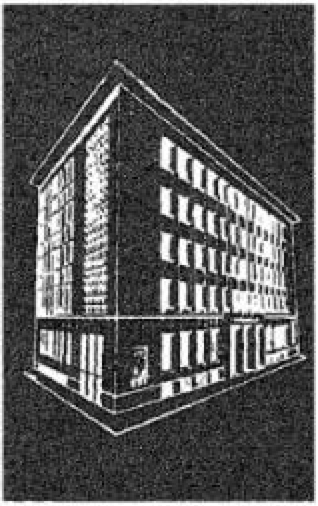
لها أهميتها فى استكمال قيام الصناعة فى بلد متطور .

ولقد أخذ البنك على عاتقه أمانة دفع وتطوير هذه الصناعات الصغيرة ..

●● وقبل أن نوضح التسهيلات والتيسيرات التى يقدمها البنك الأهلى فى مجال الصناعات الصغيرة .. يجدر بنا أن نتساءل أولا : ما هى أنواع الصناعات التى يمكن أن تدخل أساسا فى نطاق الصناعات الصغيرة ؟

إنها ببساطة أنواع ثلاثة :

– الصناعات الحرفية : التى تعتمد أساسا على اليد الماهرة المتخصصة مثل النقش والحفر والزخرفة وأعمال خان الخليلى .. وغيرها .



– والصناعات الريفية : وهى التى تقام بهدف تصنيع الخامات الريفية مثل صناعة السجاد والأكلمة وصناعة الحصر وتجفيف البلح وغيرها .

– والصناعات المنزلية : وهى التى تمارس غالبا داخل المنازل وتمارسها السيدات عادة مثل أشغال الإبرة والتريكو وشغل التللى .

والبنك الأهلى المصرى فى خدمته لأصحاب الصناعات الصغيرة يرفع عن عاتق الصناع والحرفيين وأصحاب المصانع والورش الصغيرة عبء البحث عن التمويل الذى يحتاجونه لاستمرار مشروعاتهم وازدهارها . ويمنحهم القروض التى تسعى لزيادة انتاجياتهم أو ادخال وسائل حديثة فى مصانعهم وورشهم الصغيرة . وهو أيضا يساعدهم فى توسيع هذه المصانع والورش فضلا عن امدادهم بالقروض التى تمكنهم من شراء آلات أو معدات أو خامات جديدة ..

والبنك فى هذا ييسر منح قروضه التى تبدأ من ٥٠ جنيها ويمكن أن تصل الى خمسة آلاف جنيه لخدمة هذه المجالات . وهو يكتفى للموافقةعلى منح هذهالقروض بالخبرة الحرفية والكفاءة لطالبالقرض، وبضمان سمعته الطيبة .

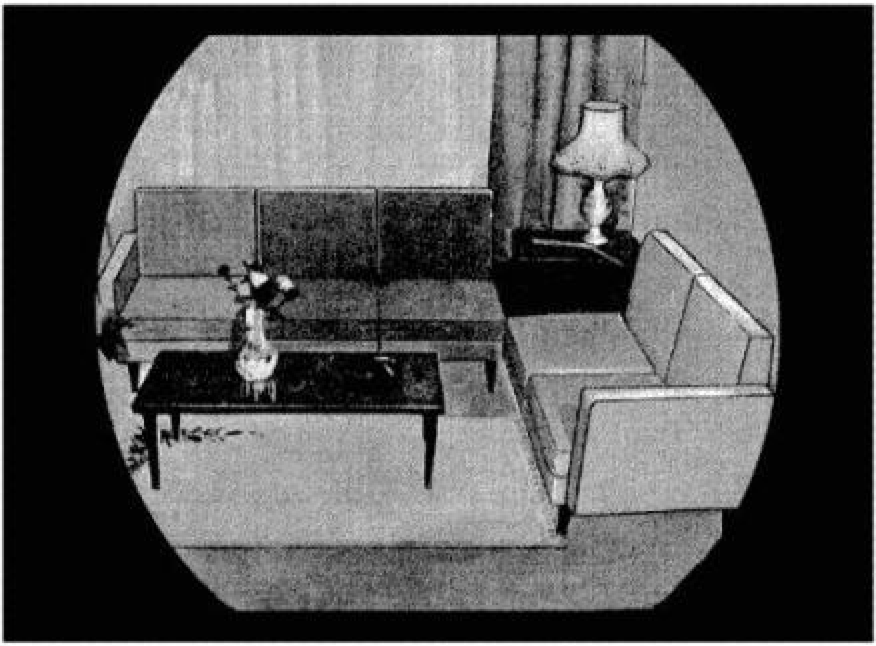
وفى سبيل تحقيق تلك الغاية يقدم البنك الأهلى المصرى لهؤلاء الصناع والحرفيين أقصى تسهيل يمكن أن يمنحه بنك لعميله سواء فى سداد قرضه أو الفائدة المخفضة للغاية . والقرض بلا عمولات على الاطلاق . وفترة السداد تمتد الى ٥ سنوات .

وهكذا يقف البنك الأهلى المصرى عملاقا بجانب المشروعات الصناعية الثقيلة ، ويقف فى الوقت نفسه معاونا .. ومؤازرا الى جانب أصحاب المشروعات والصناعات الصغيرة .

ايديال تواصل رسالتها

من أجل بيوت عصرية حديثة

- أحدث انتاج تقدمه الشركة للجماهير في كل مكان: غرفة المائدة والانتريه
- الانتاج الجديد يجمع بين أحدث الخطوط الهندسية الجميلة وبين تحقيق أقصى فائدة عملية لبيوتنا



في عالم الصناعة ، تتحقق قمة النجاح والتفوق عندما تنتشر العلامة التجارية أو يبرز الاسم التجاري ، محققا انتشارا جماهيريا واسعا .. فهذا يعني حقيقة هامة . هي الثقة المطلقة .

ولقد أصبح اسم « ايديال » علامة ومؤشرا ودليلا على مدى ما وصلت اليه الصناعة العربية من تطور ، وما حققته من تقدم في الذوق والفن ومستوى الانتاج ، بحيث يمكننا أن نقول أن منتجات ايديال أصبحت تمثل أحد المعالم البارزة على طريق التفوق الصناعي العربي .

وتعتبر مصانع شركة الدلتا الصناعية ـ ايديال ـ من أكبر المصانع المنتجة للاجهزة المنزلية الكهربائية الحديثة في الشرق الاوسط . ومن حيث المستوى ، فان انتاجها يضارع في هذا المجال أرقى المستويات العالمية . ويتمثل أرقى انتاج لها في الثلاجات الكهربائية طراز ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ قدما . وكذلك الدفايات والغسالات الكهربائية ، والاثاثات المعدنية التي تعبر عن الصورة العصرية الحديثة في البيوت والمكاتب والحدائق .

ورغم هذا التفوق الكبير في الانتاج من ناحية ، وارتفاع مستوى الذوق والجودة من ناحية أخرى .. فان شركة الدلتا الصناعية ـ ايديال ـ تواصل غزو ميادين جديدة للانتاج ، لتحقق في النهاية صورة متكاملة في مستوى مظهر البيوت والمكاتب وغيرهما ..

ففي خلال الفترة الاخيرة ، تمكنت الشركة التي عودت الجماهير في كل مكان على أن تقدم لها كل جديد وحديث ، من انتاج لموذجين لخدمة واناقة البيوت المصرية ، وهذا الانتاج هو : غرفة المائدة الحديثة التي تتميز بالبساطة والجمال والاناقة ، الى جانب فائدتها العملية التي تجعلها تفي بمختلف الاغراض في الظروف والمناسبات المختلفة .. والانتريه التي تتمثل فيه أحدث الخطوط الهندسية والافكار العملية بهدف توفير الراحة



ايديال...

والجمال وجو الاستمتاع الاسرى • وهكذا تتابع الشركة فى انتاجها الجديد تحقيق رسالتها التى تحرص عليها بصفة دائمة • وبالنسبة لكل انتاج لها •• وهى ان يكون الانتاج على احدث وارقى المستويات من ناحية • وأن يخدم البيت أو المكتب أو غيرهما بصورة عملية ومفيدة من ناحية أخرى •

واذا كنا نتحدث عن منتجات ايديال فى الميادين المتعددة ، فانه لا يفوتنا ان نذكر الحقيقة الرائعة ، وهى ان المنتجات لم يقتصر نجاحها على المستوى المحلى ، ولكنها استطاعت ان تغزو الاسواق العالمية ، وأن تؤكد تفوق الانتاج الصناعى المصرى على المستوى العالمى • ولا جدال فى ان منتجات ايديال قد أسهمت بصورة ملموسة فى خدمة التقدم الصناعى ، وفى دعم اقتصاديات الرخاء فى بلادنا ، وذلك عن طريق التصدير التى تتزايد أرقامه عاما بعد عام ، بفضل ما تجده منتجات ايديال المختلفة من اقبال كبير وثقة عظيمة فى الاسواق العربية والافريقية وبعض دول أوربا الشرقية •

ويرجع الفضل فى هذا النجاح الى عاملين هامين • الاول هو التخطيط العلمى ، والثانى هو ثورية الادارة العربية التى تحمل أمانة المسئولية فى شركة الدلتا الصناعية • وهكذا ، فان العلم من جانب ، والايمان بمستقبل بلادنا من جانب آخر ، يدفعان بشركة الدلتا الصناعية نحو مزيد من التقدم والتفوق ، ويتيحان لها القدرة على فتح أسواق جديدة للتصدير وبخاصة فى بلاد العملات الحرة • وفى نفس الوقت ، فان الشركة تضع فى اعتبارها على الدوام أن تلبى كافة احتياجات السوق المحلية •

واخيرا ، فان نظرة الى بيوتنا العصرية الحديثة تدل على مدى ما بذلته شركة الدلتا الصناعية من اجل تغيير الصورة القديمة .. فهناك الثلاجة ، والغسالة ، والدفاية ، والمكتب ، والسرير .. واخيرا تقدم الانتاج الجديد الذى تكتمل به صورة هذا البيت وهو : غرفة المائدة والانتريه ..


شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح
شعلتان ونصف ومثلها شعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف وشواء
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
مزهرة وسارة .. تتحمل درجات الحرارة
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الإسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

فى العـــــدد القـــــادم

لم يتسع هذا العدد لكل البحوث والدراسات التى وصلتنا حول موضوع المرأة والجنس فى المجتمع العربى ، وسوف يواصل الهلال مناقشـــة هذا الموضوع الهام ، وذلك بتخصيص جزء من العدد القادم لنشر بقيـة البحوث والمقالات ومن بينها :

المرأة افضل واقوى بيولوجيا من الرجل ـ للدكتور عبد المحسن صالح

عندما لم يكن للبشر آباء ـ للدكتور نظمى لوقا

الاعترافات الجنسية فى حياة ادبائنا ـ على بركات

الام بين الرواية الغربية والمصرية ـ فتحى الابيارى

المرأة والجنس فى السينما المصرية ـ د . رفيق الصبان

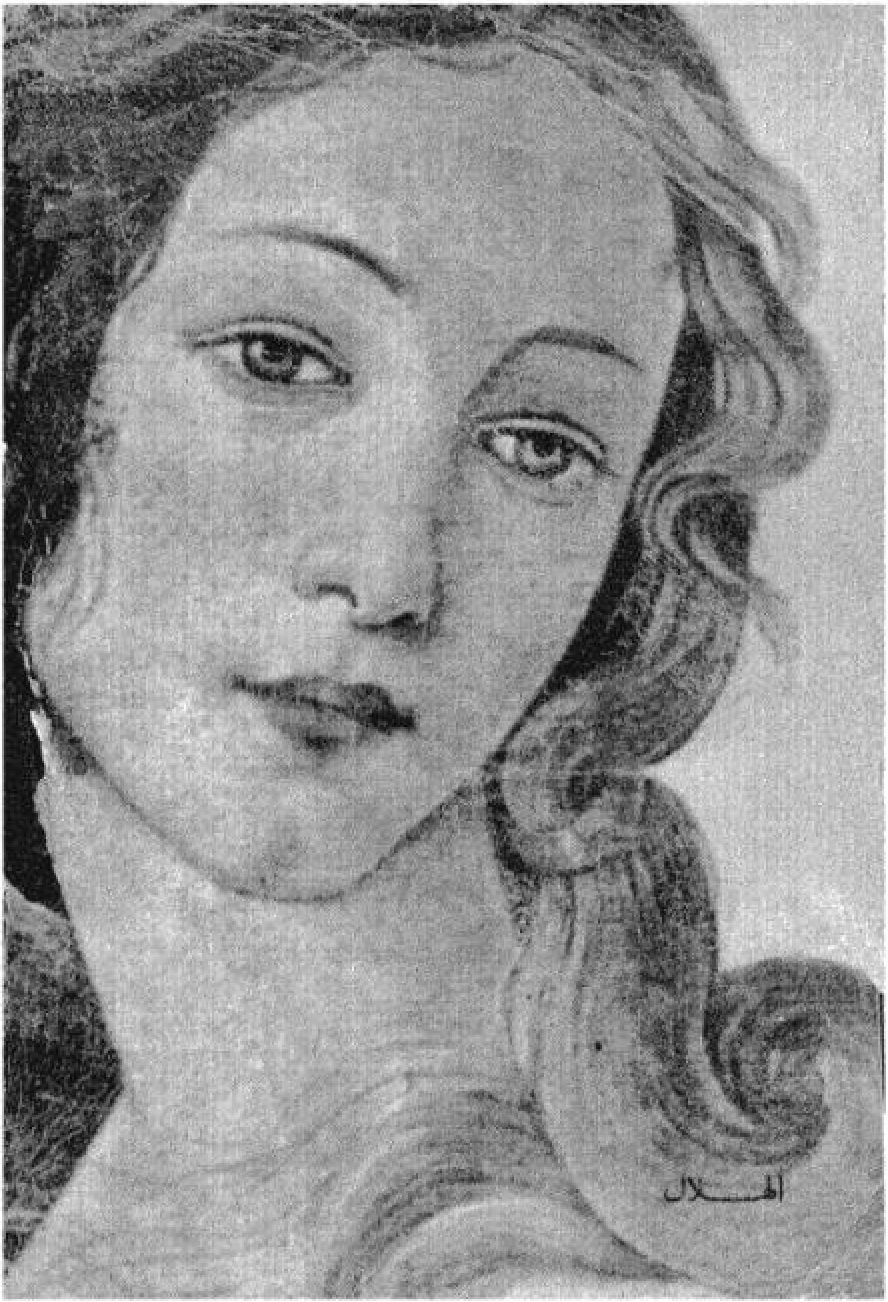
● الغلاف الأول والأخير ●



تصميم الفنان
حلمى التونى



فينوس « تفصيل »
للفنان بوتشيللى


الهلال


الهلال
• جزء خاص •
المرأة والجنس
في المجتمع العربي المعاصر

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الخامس ـ السنة التاسعة والسبعون ـ اول مايو ١٩٧١ ـ ٦ ربيع الاول ١٣٩١.

رئيس مجلس الإدارة :

أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

الإعداد الفني :

مكرم شحاته

الاشتراكات

ثمن العدد : في الجمهورية العربية المتحدة : ١٠٠ مليم ـ من الكميات المرسلة بالطائرة ـ في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، في الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ عددا » في الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ . في سائر انحاء العالم « ونصف دولارات او ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بتحويل او بشيك مصرفي قابل الصرف في « ج.ع.م » ب والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الهلال

مايو ١٩٧١

في هذا العدد

● محمود حسن اسماعيل ●

« وانه كان رجال من الانس ، يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا »
سورة الجن

●

وأخيرا وصلت للنور .. طوبى

موسيقى من الجن

وأكاد أسمعهمْ ..
ورغم ضراوة الغيب الكثيف ،
أكاد أسمعهم وأبصرهمْ ..
وأرى خفيف خطاهمُ ،
خلف الأثير مزاهراً حمْراً
تغنيهم وترقصهمْ ..
يتسللونَ ، ويمرقونَ ،
ولا طيورُ الوهم فوق الظنّ
بالأحلام تدركهمْ ،



وأكاد من خَلَدَى أكلمهم ،
ومن شفتى أهز لهم نغما يسامرهم
وأكاد أبسط راحتى ويدى تصافحهم
وأكاد أسلك دربَهُم ،
وأسير محجوب الخطا مَعَهُم
وأكاد أدعوهُمْ
وأنتشل الصدى المخطوفَ
من يدهم ، وأعرفهُم
مَن هؤلاء يرونني شبحاً
وعيني لا تساهرُهم ؟
شقى يدى قلبَ الأثيرِ
وصافحى بيديك موكبَهم
مَنْ هؤلاء ؟
أراهمْ وأكاد رغم السَّتْرِ أعرفهم
ستروا الوجوه ، فمن همُ ؟
يا قلبُ مَهْلَكَ !
... بِبُرْقعٍ يخفيك أم يخفى ملامحهم ؟
تعبوا من الإخفاءِ ..



حتى كاد شيبُ الصمت من فكيه يلفِظُهم
إنى أراهم ... رغم أنهموا
لاشىء ، لا إحساس يكتمهم
جنوا فذابوا فى مرنحة
بكماءَ حول صداى تشربُهم
لا فى فمى جَرْسٌ يخاطبهم
ولا فى دمى همس يواكبهم
خرسٌ وأسمع فحَّ ألسِنِهم
واضج فى خرسى لأعلِنَهم
زاموا بزمزمةٍ مزمَّلةٍ
بعواء أصوات تزامنهم
صمتٌ بصــــوت ،
لا طنينَ ولا سكونَ ،
هلا ...
مَسَّت يدى قدحا على فمهم
عطشــانُ للأسرار
فاسقونى ..
وكدت أذوق ماذاقته نظرتهم !



بل ذقتها .. وغدوت مشدودا

بعصبتهم

وشطرت ذاتي

واحدا معهم ، والواحد الباقي

يراقبهم ...

هيا ... وسرت بنصف مغترب

وخيال ضيف عابر معهم !

وإلى هناك .. وسرت ..

لا إنسا ، ولا جنا ، أصاحبهم

بل طيف روح لايغادرهم

سرنا سويا ...

أينما ذهبوا لاحقتهم ،

وظللت صاحبهم ...

تتلفت الحدقات من حدقي ،

والهمس من شفتي على فمهم ..

دخلوا محاريب الصلاة ،

فرحت أتبعهم ..

ووراء جاث خاشع لله ،



كنت مكاشفا مَعَهُمْ

... يجثو .. ويلعق ! صحت أسألهم

ماذا ؟ فقال كبيرهم : هَهَهَا !

ويْلا ! لسجّادين المحتم

العين تهجع فى زبيبتهم

والروح تفزع من حقيقتهم

دعهم ! ســكارى ..

ذاب واجدهم

فى دمع من مارى طريقتهم !!

انظر صدى البهتان فى دمهم

إبريقُ خمّارٍ لنشوتهم

ويد الفقير ذراعُ مَرْوحةٍ

شلاء بالدعوات تنعشهم

سكنوا ... وزنت نحلةٌ ،

خفيت رؤيا ملامحها لتلسعهم

وتريق سم الخير فى قدحٍ

بالرق والإحسان رنحهم !!

.. ساروا وسرت



وكلما وقفوا
كنتُ الخطا الشلاء تتبعهم ...
ومخبلٌ القسمات لحيته
غربال زور كاد يسقطهم
عيناه ... راهبةٌ وعاهرةٌ
والديرُ فى الماخور يجذبهم
تتناقلان الحبو فى شَركٍ
شدّ الخيوطَ ، وقال أعرفهُم ...
ومضى يجاذب فى أعِنّتِهِم
ويصيح مأخوذا بمقدمهم
أصغوا اليه تمائما
ورقى ، وسطور أحجبة تكاتبهم
وتعوم غرقى فوق لجتهم
تئد الضياءَ ،
وما بها قبس الا الظلامَ
يلفهُ وحدتهم
ومضى يلوك الغيب عن فمهم
وبزيفه العاتى يزوّرهم



أعمى ولم يرهم

ويقول أحبابى أواصلهم

وأذيب سر الله

من أسرار صحبتهم !

كذب الضرير ..

فما رأى شيئا ، ولا فيئا يزاولهم

هم يبصرون عمى بجعبته

وهو الكفيف ... عليه لعنتهم

بصقوا ... وذابوا فى مسيرتهم

وسمعت ءاهلتهم يناغيمهم

ظل الحيارى حائر معهم

والكأس حادى العقل حطمها

ومضى بها للنور يسبقهم

ضلوا الطريق ...

فما لمنتجع غيب الإله سنا يضوءهم

الغيب غيب الله يبعدهم

والعقل مدّ الروح يحملهم

والروح دون العقل ترفضهم



● صـــالح جــودت ●





الرافعى العقاد

معركة الرافعى والعقاد

لا من أجـل شوقـى ولا مـى

شوقى مى





« لو صام المسلمون جميعا يوما واحدا من أجل فلسطين ، لقال النبى مفاخرا : هذه أمتى »

« كانت مصر والشام فى القرن الماضى وما سبقه من قرون بلدا واحدا ، يقيم فيه المواطن حيث شـــاء ، وينتقل فى ربوعه انى أراد . وكانت الهجرة بينهما أمرا يســيرا . والانتقال من بلد الى بلد شيئا عاديا لا يخضع الى ما تخضع اليه هذه الايام من تلك الصعوبات التى خلفها الاستعمار الاوربى ، حين بدد الشمل ، ومزق الكيان الواحد ، وفتت الامة ، وقسم الارض ، ووضع القيود ، واقام الحـدود ، وجعل من البلد الواحد عدة بلدان ، ومن الوطن الواحــد عدة اوطان .. لقد كانت مصر والشام بلدا واحدا ، فصار بلدين . وكان الشام قطرا واحدا ، فصار اربعة اقطار ، هى سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين .. ثم اقتطع الاستعمار فلسطين من الشام ووهبها لقوم اجانب جاء بهم من بقاع متفرقة من انحاء الارض ، لينشىء لهم وطنـــا مصطنعا فى قلب العالم العربى »

■ وليس حديثنا فى السـياسة ، وانما هى حقيقة تاريخية مرة ، نصـطدم بها ونحن نراجع سـيرة ابناء ذلك الرعيل العمـلاق من ادباء الشام ، الذين ساروا الى مصر فى احقاب مختلفات ، فأسهموا فى نهضاتها الادبيـة والصحفية والمسرحية والغنائية ، والقومية عامة ، أيما اسهام ، وفى طليعتهم بيت الرافعى ، الذى بقى نصف بنيه هناك ، موزعين بين سورية ولبنان حتى اليوم ، وقدم نصفهم الآخر الى مصر فى القـرن الماضى ، فكان من ابنائهم ثلاثة من اعلام مصر الخالدين ، كل فى ميدانه ، هم : الصحفى الرائد امين الرافعى ، والكاتب الاسلامى مصطفى صادق الرافعى، والمؤرخ الامين عبد الرحمن الرافعى

ويشدنا اليوم الى الحديث عن «مصطفى صادق الرافعى ـ كاتبا عربيا ومفـكرا اسلاميا » كتاب فريد بهذا الاسم ، يضـاف الى الى ما استهلت به المطبعة العربيـة نتاجها هذا العام ، للاستاذ « الدكتـور مصطفى الشكعة » ، استاذ الادب الاسلامى بجامعتى عين شمس وبيروت العربية .

***

رأيت « مصطفى صادق الرافعى » مرتين او ثلاثا فى عهد ابوللو . وكـان

رحمه الله ، على سماحته وعمق حديثه ، ثقيل السمع ، وكان هو شديد الحساسية بهذه الحقيقة ، ولهذا فانه كان يؤثر ، وكنا نؤثر معه طبعا ، ان نستمع اليه اكثر مما نسأله او نحاوره .

وكانت الفترة التي عرفته فيها ، فترة صاخبة من عمر الحياة الادبية في مصر ، لانها كانت فترة الصراع بين شوقي وخصومه ، وفي طليعتهم العقاد وصاحبه المازني .

ومن الغريب أن الرافعي ، في غمار هذا الصراع ، قد انضم الى شوقي في كراهية العقاد ، بل لعله كان حامل الراية في هذا الجحفل بكتابه المأثور «على السفود» الذي اراد به ان يشوى عليه لحم العقاد ، بعدما فعل هذا بشوقي في كتابه « الديوان » الذي ألفه هو وصاحبه المازني .

ووجه الغرابة في هذا الموقف ، ان الرافعي عالج الشعر في اول زمانه ، وبلغ فيه شأوا جعله يهيىء نفسه لان يكون شاعر العصر « وهو المكان الذي انفرد به شوقي » لولا واقعة عارضة باعدت بين وجدانه وهذا الامل الذي التمسه كثير من شعراء ذلك العصر ، ومنهم « حافظ ابراهيم » و « عبد الله عفيفي » وغيرهما .

ذلك ان كبار الكتاب في العصور الادبية الزاهرة ـ كما يقول الدكتور الشكعة ـ يسهمون في تعاطي الشعر ، ظنا منهم انه لا تكمل للاديب اسباب الامتياز الا اذا جمع الى كتابة النثر قول الشعر . ولكن شعرهم ، رغم ماكان فيه من سمات جمال ، لم يرتفع قدره الى مقام شعر الشعراء المتفرغين . ولذلك كان يطلق عليه «شعر الكتاب » ... على ان شعر الرافعي لم يكن كذلك ، رغم ان شهرته ككاتب غلبت صيته كشاعر

***

واعرف واقعة وقعت بين شوقي والرافعي في زمان مبكر ، احسب انني سمعتها من الاستاذ محمد متولي المحامي

لقد كانت هناك حاجة ملحة الى نشيد قومي مصري ، أحس بها المسئولون ، فرصدوا لها جائزة كبيرة ، وتقدم لها الشعراء المحسنون ، وفي طليعتهم شوقي ، الذي كتب النشيد الذي مطلعه « بني مصر مكانكمو تهيا »

لكن اللجنة المسئولة عن اختيار النشيد وجدت فيما بين ايديها نشيدا افضل منه ، للرافعي ، هو النشيد الذي لانزال نردده الى الآن ، مطلعه :

حماة الحمى يا حماة الحمى
هلموا هلموا لمجد الزمن
لقد صرخت في العروق الدما
نموت نموت ويحيا الوطن

سمع شوقي ، او سمع المتعصبون له ، بالنبأ ، فتسللوا الى ضمائر اعضاء اللجنة حتى قلبوا نشيد شوقي على نشيد الرافعي .

ورغم هذا ، فان نشيد شوقي قد مات ، بينما بقي نشيد الرافعي يتردد عاليا حتى اليوم .

وليس معنى هذا ان الرافعي كان اشعر من شوقي ، فليس اشعر من شوقي احد . ولكن الرافعي كان اقدر من شوقي على صناعة النشيد ، وله نشيد آخر لا نزال نردده ونحتفل به في كل مناسبة ، هو النشيد الذي مطلعه :

اسلمي يامصر انني الفدا
ذي يدي ان مدت الدنيا يدا
ابدا لن تستكيني ابدا
انني ارجو مع اليوم غدا

***

اما أن الرافعي كان يهيىء نفسه لمنصب شاعر العصر ، وامير الشعراء في مصر ، فالواقعة ـ كما يرويها الدكتور الشكعة ـ ان الرافعي بلغ ذلك الامل او كاد ، ولكنه تنازل عنه عندما غضب لكرامته ذات يوم ، حينما تصور ان تصرفا ما صدر من ناظر الخاصة الملكية في حقه قد مس كبرياءه ، فاسمع رجل القصر الكبير مالم يكن يتوقعه من مواطن متواضع الحال .. غير ان الرافعي في اعتزازه بكرامته كان يضيع



د. مصطفى الشكعة

نفسه حيث يرى أنها اهل له ، لا حيث يراها بعض الجاهلين ؛ فقد عامله بعض الناس – ولعل رجل القصر كان منهم – على أنه كاتب محكمة شرعية فقط ، وعامله قوم آخرون ، كما عامل هو نفسه ، أماما لمدرسة الادب المتماسك ، وكاتب الفكرة الاسلامية في الادب المعاصر .

ومن أثر تلك الغضبة ، صرخ الرافعي ببيتيه المشهورين :

فيا مصر ما انت دار الاديب
وما انت بالبـــلد الطيـــب

وكم فيـــك يامصر من كاتب
أقال اليراع ولم يـــكتب

وهما بيتان قالهما الرافعي في ساعة غضب ، وفي مصر طغت عليــه الرجعية والاقطاع ، وأذلته الملكية والاستعمار ، وضاعت فيه أقدار الرجال

***

قلت ان احداً لا يستطيع أن يزعم أن الرافعي كان أشعر من شوقي ، وأن كان الرافعي قد مارس صناعة الشعر زمناً ، وتناول في مجاله مختلف الاغراض ، وله اكثر من ديوان ، منها « ديوان الرافعي » في ثلاثة أجزاء ، و « ديوان النظرات » ... هذا مجموعة كبيرة من قصائده لم تزل مخطوطة حتى الآن ، وليت مجلس الفنون والآداب يبعثها من مرقدها وينشرها على الناس .

من ألطف شعر الرافعي ، في مجال المجتمع ، هذه القصيدة التي تحدثنا عن ظاهرة الشيخ الذي يتقدم لخطبة صبية في سن ابنته . يقول :

جاءها خاطبـــا ، وبين يديــه
قام عـــزريل واقفـــا وخطيبا

وتصدى لها ، فصدت وقالت :
اوقـــدوا في السراج هذا المشيبا

قال : اني ابو العجائب ، قالت :
وعجيب الا تـــكون عجيبـــا

يا ابا الهول ، يا اخـــا الهـــرم
... الاكبر حسبي ، فقد كفاك عيوبا

يا نذر المـــات ، يا رجفة القلب
... متى كنت للقـــلوب طبيبا ؟

انت كالبـــحر ، في انك محوق
... وكالشمس اوشكت ان تغيبا

***

اقول ، رغم تلك الرائعة التي ذكرتها من حكاية النشيد القومي ، ومن حكاية الطموح الى منصب شاعر الملك ، وهو المنصب الذى تنازل عنه لشوقي بعــد اصطدامه برجل القصر المتعجرف ؛ فان الرافعي انبرى للعقاد ، خصـم شوقي العنيد ، لا حبا في شوقي ، بقدر ماهي كراهية في العقاد ، بعد موقف العقاد من كتاب الرافعي « اعجاز القرآن »

ذلك أن العقاد كان – منذ مستهل حياته الادبية – يقدس ادب الرافعي ، وحينما أصدر الرافعي كتابه « المساكين » سنة ١٩١٧ ، كتب العقاد عنه يقول : انه ليتفق لهذا الكتاب من أساليب البيان مالا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها »

وهذا حق لاشك فيه ، فان الرافعي كان مدرسة في البيان ، كمدرسة عبدالحميد الكاتب ، وكمدرسة ابن العميد

وكما كتب عبد الحميد رسالته المأثورة، يرسم فيها للكاتبين نهج الحق والخير والجمال ، كذلك فعل الرافعي ، فكتب مثلها يقول :

« واذا اختير الكاتب لرسالة ما ، شعر بقوة تفرض نفسها عليه ، منها سناد رأيه ، ومنها اقامة برهانه ، ومنها جمال ما يأتي به ، فيكون انسانا لاعماله واعمالها جميعا ، له بنفسه وجود ، وله بها وجود آخر . ومن يصبح عالما بعناصره للخير أو الشر كما يوجه ، ويلقى فيه مثل السر الذي يلقى في الشجرة لاخراج ثمرها بعمل طبيعي يرى سهلا كل السهل حين يتم ، ولكنه صعب اى صعب حين يبدأ»

فكيف اختلف الرجلان ، بعد ذلك الثناء !

قرأت لبعض الهازلين أن شوقي هو الذي حرض الرافعي على العقاد

ولعلى استهللت هذا المقال بما كان من أمر شوقي والرافعي ، لاطرح على القراء من البينات ماينفي هذا الايهام الباطل من أساسه ، ولا سيما اذا عرفنا ان ما كان يملكه شوقي من خير للرافعي ، من مال أو غيره ، لم يكن بالامر الذي يثير شهية الكاتب المسكين المعتز بكبريائه ، المتعالي حتى على رجال القصر كما أسلفنا القول

ويقول غيرهم من الهازلين : بل انه لحقد من الرافعي على العقاد ، لان كليهما قد أحب الكاتبة « مي » ... فلما غلب الرافعي على امره في معركة الحب ، حمل قلبه تلك الحفيظة للعقاد

***

وهذه الرحلة من الحديث تنقلنا الى قصة الرافعي ومي .

صحيح انه قد احبها ، كما احبها غيره من عمالقة الفكر في ذلك الزمان ، ومنهم شبلي شميل وجبران خليل جبران ولطفي السيد وخليل مطران ومنصور فهمي واسماعيل صبري وطه حسين وعباس العقاد وغيرهم .. وراسلتهم وراسلوها..

حافظ ابراهيم



مصطفى كامل



العريان



ولكن الكاتبة الفنانة كانت تعطى بقدر .. فتشعر كلا منهم بأنه الاثير عندها ، والحقيقة ان لا اثير عندها .. ولا نصيب لاحد منهم فى حبها الا اللوعة الموحية والحرمان الملهم

وهكذا كان نصيب العقاد منها ايضا ،

فلا مجال للقول بأنه غلب الرافعي على امره فى حب مى ، فقد كان هؤلاء العشاق الكبار جميعاً « فى الهوا سوا » .. وفى

العناء سواء .. بل لعل نصيب العقاد من ذلك الهوى كان دون نصيب غيره من عشاقها الموسرين ، وهذا مانجد دليلا عليه فى شعره ، اذ يقول فى قصيدته

« ليلة الاربعاء » ... وهى الليلة التى كانت تجمعهم جميعا فى صالون « مى » كل اسبوع .

حسبنا منـك ان نراك وان
... كنت تميل الجفون للاغضاء

وتجل الغنى ، وما الحسن الا
سلعة عند معشر الاغنياء

***

ويروى « الدكتور الشكعة » فى هذا المقام قصة سمعها من صديقنا المرحوم « محمد سعيد العريان » ، صفى الرافعى ونجيه ، انقلها بحذافيرها لطرافتها :

« قص على صديقى المرحوم « محمد سعيد العريان » ان الرافعى كان متماسكا فى حبه لمى ، وقورا فى صلته بها ، لا يترخص او يصطنع الظرف ، ولايتهافت او يتملق تقربا اليها كما كان يفعل غيره من العاشقين .

« لم حدث منها ماجعله يغضب لكرامته فانصرف عن مجلسها ، وقاطعها عشر سنين .

« وذات يوم ، طلب الرافعى منه ان يصاحبه الى بيت « مى » ، لقد قرر ان يزورها ويجدد ماضى صلته بها .

« ويستطرد المرحوم العريان فيقول :

لقد تأنق الرافعى فى ذلك اليوم اناقة ملحوظة ، وأمسك بعصاه امساك الشباب الفتيان لا امساك الكهول المتهالكين ، وظللنا نضرب فى الارض سعيا الى دارها ، وكلما قربت الدار تباطأ الرافعى فى مشيته ، حتى اذا وصلنا اليها ، قال الاديب الكبير : لا ياسعيد ، لن اصعد لزيارتها ، لقد مرت على اخر لقاء بيننا عشرة اعوام طوال ، لاشك انها غيرت منى وغيرت منها ، واخشى ان ينكر كل منا صاحبه بفعل السنين ، وانى اريد ان يحتفظ كل منا للاخر بصورة الشباب الوضيئة .

« ويستطرد العريان قائلا : وانصرفنا عائدين ، والى حيث كنا قائلين »

وقد الهمت « مى » الرافعى ، مثلما الهمت العقاد واسماعيل صبرى وخليل مطران وجبران وغيرهم ، اجمل مانظموا فى الغزل العذرى

يقول الرافعى ، واصفا تدسية هذا الحب :

قلبى يحب ، وانمـا
أخلاقه فيـه ودينـه

ويقول فى لوعته بهواها :

ياعن لنفسـو جريح
مجمـع من حطـام
بقيـة من سـلو
على بقـايا غرام
وقطعـة من جلـاء
فى قطعة من سلام
امسى كالنجم ، لكن
فى وحـدة ، وظلام
وما اكـابد نارا
يروه نورا امـامى
ما نفع رقـة روحى
تبـدى كظل الغمام
وكل ماهـو حولى

كحلق عطشان ظامى ؟

الى ان يقول :

يا واصلى بالمعانى
وهاجرى فى الكلام

مخاصمى فى نهارى
مصالحى فى منامى

من العبوس كلام
معناه معنى ابتسام

ولن يغير جسم ...
الوداد ثوب الخصام

ما نلغ رقة روحى
تندى كطل الغمام

وكل ما هو حولى
كحلق عطشان ظامى ؟

***

فما هى اذن قصة المعركة بين الرافعى والعقاد بعد ذلك الثناء الذى اشرنا اليه واوردناه بنصه ؟

كانت المعركة حول كتاب الرافعى المأثور « اعجاز القرآن » وهو الجزء الثانى من كتاب « تاريخ آداب العرب »

يقول الدكتور الشكعة « ... ما كاد كتاب الاعجاز ينال من الحظوة والشهرة ماناله حتى تسبب الى العقاد انه قد اصيب بنوع من الغيرة التى قد تحدث بين ابناء المهنة الواحدة ، دفعته لان يغلو غلوا ورطه فى اقوال حول الاعجاز لايليق ان تصدر من مسلم ، جعلت الرافعى يشن عليه حربا اكاد اقول انها من اشد ماعرف من حروب بين اصحاب الخصومات الادبية »

وقد تمثلت هذه الحرب فى المقالات التى نشرها الرافعى تحت عنوان « على السفود » ... ثم جمعها فى كتاب تحت العنوان نفسه ... وقد تعسف الرافعى فى هذا النقد ، فنال من نفس العقاد وعرضه وعلمه وادبه ، وسخف افكاره ، وتبع ذوقه ، وطعن فى امانته العلمية ، وجهل مفاهيمه للنصوص الادبية .

واحقاقا للحق ، نقول ان هذا الموقف للعقاد كان فى فترة طالما مرت بغيره من المفكرين ، هى فترة الشك ، التى لم تلبث أن ذهبت عنه كما ذهبت عن غيره ، فحسنت عقيدته ، وقدم للفكر العربى بضعة كتب من خير ما تعتز به المكتبة الاسلامية المعاصرة ، وفى طليعتها العبقريات ، وكتاب « الله » وكتاب « مايقال عن الاسلام » وكتاب « حقائق الاسلام واباطيل خصومه »

***

على أن المعركة لم تكن بين الرافعى وبين العقاد وحده ، بل لقد تصدى الرافعى لخصوم الفكرة الاسلامية ، كما تصدى لخصوم الفكرة العربية ، الذين ارادوا أن يعبثوا بها تحت ستار الاصلاح اللغوى او الدعوات الحضارية ، يصنفهم المؤلف فيما يلى :

١ — فئة تنادى بالعامية وتتحمس لها وتطالب بان تكون لغة كتابة

٢ — وفئة تتحمس للادب الاوربى ، قديمه وحديثه ، وتمجد آلهة اليونان وتقصصهم وملاحمهم ، وترحب بالادب المستورد من فرنسا والجلترا ، وتدعو الى نبذ التراث العربى وترميه بكل مستقبح ومستهجن

٣ — وفئة تبشر بنبذ العقائد وتدعو الى الالحاد وانكار رسالة الانبياء والمرسلين

وكان المستعمر الاجنبى يشجع هذه الفئات الثلاث على تحقيق اغراضها ، ادراكا منه بأن تحقيقها يساعد على الفت فى عضد الروح القومية ، حتى لقد جاهر احد غلاة الاستعمار ، وهو



جورجي زيدان

« المستر ولكوكس » ، المهندس الانجليزى بالرى المصرى ، بارائه فى هذا الصدد ، مع انه ليس من رجال الادب ولا الفكر ، فى محاضرة القاها فى « كلوب الازبكية » عنوانها ... وربما لغرابة العنوان ذاته :
« لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الان ! »

وقال الرجل فى محاضرته :

« ان من جملة العوامل فى فقد قوة الاختراع عند المصريين ، استخدامهم اللغة العربية الفصحى »

ثم دعا الى اغفالها واستبدالها باللغة العامية ، اقتداء بالامم الاخرى ، وضرب مثلا بالامة الانجليزية ، التى تركت اللاتينية واستبدلت بها اللغة الانجليزية الحديثة

وفى الوقت ذاته ، الف المستر «ولمور» القاضى الانجليزى بالمحاكم المصرية ، كتابا سماه « لغة القاهرة » فزاد خطوة على الخطوة التى نادى بها صاحبه «ولكوكس» اذ دعا أن تكتب اللغة العامية – بعد حلولها محل العربية – بحروف لاتينية ،

وقد ثارت الخواطر المصرية العربية الكريمة يومئذ على هذه الدعوة الخبيثة، ووقف شاعر النيل حافظ ابراهيم يطلق الصيحة ناطقا باسم اللغة الفصحى ، قائلا :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
وناديت قومى فاحتسبت حياتى

رمونى بعقم فى الشباب ، وليتنى
عقمت فلم اجزع لقول عداتى

ولدت ولما لم اجد لعرائسى
رجالا والكفاء وادت بناتى

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لمخترعات

انا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى؟

ايطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادى بوادى فى ربيع حياتى ؟

ارى كل يوم بالجرائد مزلقا
من القبر يدنينى بغير أناة

واسمع للكتاب فى مصر ضجة
واعلم أن الصائحين نعاتى

***

كان الخصوم الذين تصدى لهم الرافعى فى هذه المعركة الثلاثية كثرا ، ولكنه كان لهم مناطحا عنيدا ، حتى لقد ارتد اكثرهم الى حظيرة الوعى الروحى والقومى على مر الزمن ، الا قلة كان على راسها « سلامة موسى » الذى ناصب العربية العداء المستحكم ، قائلا :

« لنا من العرب الفاظهم ، فانما ورثنا منهم هذه اللغة العربية ، وهى لغة بدوية لا تكاد تكفل الاداء اذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التى نعيش بين ظهرانيها الان » .

ثم يقول فى موضع آخر ، نابذا فكرة الدين :

« ونحن في حاجة الى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الاديان »

ثم يحمل على الزعيم الطاهر مصطفى كامل لانه قال « لو لم أكن مصريا لوددت ان أكون مصريا » فيقول عنه :

«وقد كان مصطفى كامل ، لجهله بروح الزمن ، يخبرنا ، ولا يزال فلول المحررين

في المؤيد والحزب الوطني يخبروننا نحن المصريين عن الاســـلام في الصين تحت

عنوان : أخبار العالم الاسلامي » ... ثم يضيف ان ظهور مصطفى كامل كـان

ارتدادا في الفكرة الوطنية ، لانه دعا الى الجامعة الاسلامية ».

ثم يقول :

« وها نحن أولاء نجد انفســنا الآن مترددين بين الشرق والغرب ، لنا حكومة

منظمة على الاساليب الاوربية ، ولكن في وسط الحكومة اجسـاما شرقية مثـل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية ، تؤخر

تقدم البلاد . ولنا جامعـــة تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدن ، ولكن جامعـــة الازهر تقف الى جانبها تبث بيننا ثقافة

العصور المظلمة . ولنــا أفندية قـد تفرنجوا ، لهم بيوت نظيفة ، ويقرءون كتبا سليمة ، ولكن الى جانبهم شيوخا

لا يزالون يلبسون الجبب والقفاطين ، ولا يتورعون من التوضؤ على قوارع الطرق في الارياف ... »

ثم يقول :

« يجب علينا ان نخــرج من آسيا ونلتحق بأوربا ، فاني كلما زادت معرفتي

بالشرق ، زادت كراهيتي له ، وشعوري بأنه غريب عني .. »

***

ولو تأملنا جوانب هذه الحرب الثلاثية، لوجــدنا ان الرافعي وقف وحــده في

صف ، ووقفت في الصفوف المواجهة له اسماء ضخمة : « العقاد » و « طـه

حسين » و « لطفي الســيد » و « منصور فهمي » و « عبــد العـــزيز فهمي » و « محمد حسين هيكل » ... واخيرا ... « سلامة موسى » .

ومن العجيب أن أصـــواتا جاءت من خارج مصر ، وهي أسماء مسيحية بكل

فخر ، هبت تدحض هذا التيار الاعرج ، وتدافع عن مكانة أم اللغات ومقدرتها على

استيعاب الحضارات ، اذ كانت هي لغة الحضـارات حين كانت أوربا تخبط في

الظلام وتتطلع الى الاشــعاع قادما من الشرق .

من اعظم هذه الاصوات المسيحية ، المستشرق الإيطالي « نللينو » ، والشيخ

« خليل اليازجي » ، و « الشــيخ ابراهيم اليازجي » ، من لبنان ، ثم

« جورجي زيدان » ، منشيء الهلال ، وصاحب سلسلة « تاريخ التمـــدن الاسلامي » .

وفي غمار هذه الحرب ، يقول الرافعي بصوت جهير في كتــابه « تحت راية القرآن » .

« انما اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الامة ، والامة تكاد تكون صفة لغتها ، لانها حاجتها الطبيعية التي

لا تنفك منها ، ولا قوام لها بغــيرها ، فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها

بتاريخ الامة واتصال الامة بها ، وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول الا بزوال

الجنسية ، وانسلاخ الامة من تاريخها ، واشتمالها جلدة امة أخرى .

« فلو بقي للمصريين شيء متميز من نسب الفــراعنة ، لبقيت لهم جملة مستعملة من اللغة الهيروغليفية ... وان

في العربية سرا خالدا ، هو ذلك الكتاب المبين ، القرآن ، الذي يجب أن يؤدي

على وجهه العربي الصريح ، ويحكم منطقا واعرابا ، بحيث يكون الاخلال بمخرج

الحرف الواحد منه ، كالزيغ بالكلمة عن وجهتها ، وبالجملة عن مؤداها ، وبحيث

يستوى فيه اللص الخفي واللص الظاهر ، ثم هذا المعنى الاسلامى (الدين) المبنى على القلبية ، والمعقود على اتفاق الامم ، والقيم على الفطرة الانسانية ، حيث نزعت وأين استقرت .

« فالامر اكبر من أن تؤثر فيه سورة حمق ، أو تأخذ منه كلمة جهل ، واعضل من أن يزيله قلم كاتب ولو تناصت به سن الدهر ، حتى يلقى من الامة اربعة عشر جيلا كالتى مرت منذ التاريخ الاسلامى الى اليوم » .

***

وقبل أن نكف من هذا الحديث الذكى من الرافعى ، نقــول ، ونحن نواجه احداث اليوم فى العالم العربى ، وماتطويه من محنة فلسطين ، أن الرافعى لم يرفع راية الفكرة العربية ويتحامل على من ينكرون عروبة مصر ويزعمون انهــــا فرعونية ، لانه يدافع من قضية ذاتية ، اذ انه ينتمى الى بيت قادم أصلا من الشام . فمثل هذا الادعاء مردود من اساسه ، فهذا المؤرخ الكبير خير الدين الزركلى يؤكد لنا أن بيت الرافعى ، وأن عاش حقبة من العمر فى الشام ، الا انه كان بيتا مصريا قبل ذلك ... ومن صميم مصر ... من صعيد مصر ... ومن نفس المحافظة التى انجبت الزعيم جمـــال عبد النـــاصر ... والتى انجبت الامام السيوطى من قبل .

يقــول الزركلى أن جد الرافعيين جميعا ، هو العالم الفـــاضل الشيخ عبد القادر بن عبد اللطيف بن عمر بن ابى بكر البيــارى ، المتوفى سنة ١٨١٥ ميلادية ، وانه كان أول من تلقب بالرافعى من الأسرة ، وكانت الاسرة تعرف قبل ذلك بالبيسارية ، والنسبة للفـــرد بيسارى ، نسبة الى بيسار ، وهى قرية من قرى اسيوط ، بمصر » .

يضاف الى هذا ، أن مصطفى صادق الرافعى نفســــه ، مصرى ربلى المولد والحياة والممات .. فقد ولد فى قرية بهتيم بمحافظة القليوبية سنة ١٨٨٠ ، وعاش جل حياته فى طنطا ، ودفن بها عند مماته سنة ١٩٣٧ » .

ومع انه مات سنة ١٩٣٧ ، أى قبل محنة فلسطين بأكثر من عشر سنوات ، فانه قد تنبأ بالمحنة قبل وقوعها ، وحين كان جميع العرب فى غفلة عنها ، فتوجه الى جمهور المسلمين مستنهضا هممهم ، محركا نخوة العـــزة فيهم للجهاد بالمال والتبرع لانقاذ الارض العربية المسلمة ، وهو أضعف الايمان ، قائلا :

« لو صام العالم الاسلامى كله يوما واحدا ، وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين ، لانقذها .

« لو صام المسلمون كلهم يوما واحدا لاعانة فلسطين ، لقال النبى مفـــاخرا الانبياء : هذه امتى .

« لو صام المسلمون جميعا يوما واحدا لفلسطين ، لقال اليهود اليوم ما قاله اباؤهم من قبل : ان فيها قوما جبارين .

« ايها المسلمون : هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شـــيئا سماويا » .

« كل قرش يبذله المسلم لفلسطين يتكلم يوم الحساب يقول : يارب ، انا ايمان فلان » .

***

رحم الله الرافعى ، وحيا صاحبه الذى كرم ذكراه بهذا الكتاب .

● إبراهيم عامر ●

كوميون باريس

٧٠ يوما خالدة طوال ١٠٠ سنة



رودلف تيير ، رئيس الحكومة التي قادت المذبحة ضد الكوميون : بورجوازي تقليدي يجلس في صالون قصره يصدر الأوامر ويتصالح مع الغزاة البروسيين ..

آخر معارك الكوميين في جبانة « بيير – لا شيز » بالسلاح الأبيض فوق قبر بلزاك ..



لويز ميشيل : لأول مرة دخلت المرأة الميدان النضالي



لعله لم يحدث كثيرا فى التاريخ ان كانت هزيمة ثورية خصبة بالدروس مثلما كانت هزيمة ثورة باريس (١٨ مارس ـ ٢٨ مايو ١٨٧٠) . ولعله لم يحدث كثيرا فى التاريخ ان كانت الحقيقة كل الحقيقة مع « المهزومين » ، وباطل الاباطيل مع « المنتصرين » مثلمــــا هى متمثلة فى تلك الثورة المشهورة فى التـاريخ باسم « الكوميون » .

ومن هذه الهزيمة تعلم الثوريون الاشتراكيون ، من جميع الاتجاهات ، ولا يزالون يتعلمون كيف يكون العمل الثورى ايجابيا اذا ما تجنبوا سلبيات تجربة باريس وأكدوا ايجابياتها . واستطاع الاشتراكيون الثوريون ، خلال السنوات المائة التى انقضت منذ تلك التجربة الرهيبة العظيمة ، ان يحققوا الكثير من الانتصارات والنجاحات والمنجزات الايجابية مستفيدين بدروس تلك الايام . وكان اول واكبر انتصار للثورية الاشتراكية بعد اقل من نصف قرن من هزيمة باريس ، انتصار الثورة الاشتراكية السوفييتية فى عام ١٩١٧ ، والتى توالت الانتصارات من بعدها .

ولقد كانت ثورة « كوميون باريس » اول ثورة ديمقراطية اشتراكية للطبقة العاملة المتحالفة مع الطبقة المتوسطة ومع جميع الموظفين والجمهوريين الشرفاء ، كانت ثورة « الكوميون » اول ثورة اشتراكية واعية ، تمييزا لها عن الثورات الاشتراكية التلقائية او غير الواعية السابقة على تلك الفترة . وكانت اول تجربة تتجسد فيها سلطة الطبقة العاملة فى التاريخ .

وفى هذه الايام يحتفل العالم كله بذكرى مرور مائة سنة على تلك التجربة الثورية الاشتراكية الفاشلة الناجحة ، لا باعتبارها جزءا لا يتجزأ من النضال الثورى الاشتراكى فحسب ، بل وباعتبارها جزءا لايتجزأ من نضال الانسان المعاصر . والذين احتفلوا ويحتفلون بتلك الذكرى ليسوا الاشتراكيين فحسب ، على اختلاف اتجاهاتهم ، وانمــا غير الاشتراكيين الذين يدركون المغزى التاريخى لذلك الحدث التاريخى . ومما يلفت النظر بصفة خاصة احتفال صحيفة مثل « التايمز » اللندنية المحافظة ، او مثل « لوموند » الباريسية المستقلة ، بذكرى كوميون باريس ، بينما لم تتعرض صحف « اشتراكية » عربية لهذه الذكرى ولا بخبر عابر . بل ان الاذاعة البريطانية كرست برامج لهذه الذكرى ، بينما لم تنطق اذاعات « اشتراكية » عربية كلمة واحدة ، بدعوى ان احدا فى البلاد العربية لا يعرف شيئا عن « كوميون باريس » ، وهى دعوى تتنفى ، انتهاز فرصة الذكرى للتعريف بتجــربة اشتراكية رائدة ، ولا تبرر تجاهل الموضوع .

لكن ذكريات النضال الاشتراكى تنفع ـ دائما ـ الاشتراكيين .

الوطن فى خطر

نحن فى خريف عام ١٨٧٠ ، وفرنسا تتعرض لهجوم جيش بروسيا بقيادة « بسمارك » ، الذى كان يمثل الطبقات السائدة فى اوربا الرأسمالية ، تلك الطبقات التى كانت تهدف الى محاولة سحق اية ثورة اجتماعية فى فرنسا ، كما سبق لهذه الطبقات أن حاولت سحق الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ . وانزلت جيوش بسمارك البروسية الهزيمة بقوات فرنسا العسكرية فى سيدان ، واخذت تتقدم من باريس معلنة البورجوازية الفرنسية انه اما ان تستسلم أو تساوم او يقضى عليها نهائيا .

وكشفت هزيمة « سيدان » عن مدى ضعف النظام الملكى للامبراطورية الثانية وعلى راسها نابليون الثالث الذى لم يكن له من نابليون بونابرت الا اسمه ، والا كونه ابن ابنة جوزفين دى بوهارنيه ، وابوه لويس بونابرت . وفى ظل هذا النابليون الصغير — كما اطلقوا عليه — ولمدة ١٨ سنة متوالية اصبح الاغنياء اكثر غنى والفقراء اشد فقرا . ورأى الشعب الفرنسى — على ضوء الهزيمة — كيف ان تهديدات نابليون لم تكن الا خدعة ، لان جيشه لم يكن مستعدا للحرب .

واصبح السؤال المطروح :

كيف يمكن الدفاع عن الوطن الفرنسى؟

وكانت هناك اجابة واحدة بالاجماع تقول ان النظام الجمهورى الفرنسى هو الذى يستطيع الدفاع عن الوطن الفرنسى ، وخاصة بعد أن افتضح مدى العفن فى النظام الملكى . واقتحمت الجماهير الشعبية الجمعية الوطنية (البرلمان) فى ٤ سبتمبر ١٨٧٠ حيث اجتمع النواب واعلنوا بالاجماع اسقاط النظام الملكى وقيام النظام الجمهورى .

لكن سرعان ما فرض سؤال آخر نفسه :

اى نوع من الجمهورية هو الاقدر على الصمود والخروج من براثن الهزيمة العسكرية ، ومواصلة القتال دفاعا عن الوطن الفرنسى ؟

وكانت هناك ثلاث اجابات » على الاقل .

كانت هناك اجابة مجموعة من المغامرين السياسيين الذين اطلق عليهم اسم « **اليهوذيون الجمهوريون** » ، وكانوا يرون النظام الجمهورى مجرد نظام سياسى يكفل لهم التخلص من البونابرتيين .

وكان هناك الرأسماليون ، الذين اطلق عليهم وصف « **من ياكلون اللاشية والعلف فى وقت واحد** » ، وكانوا يرون الجمهورية مجرد نظام يكفل لهم حرية التجارة ويقطع اية يد تمتد الى ممتلكاتهم وخزائنهم !

اما العمال والحرفيون والمواطنون الفقراء فقد كانوا يرون الجمهورية نظاما ديمقراطيا اشتراكيا يوفر الاخاء بين الشعوب ، والمساواة بين المواطنين فى تحمل اعباء الدفاع عن الوطن .

لقد كان الناس فى باريس يعانون ، بسبب الحرب ، برد الشتاء والجوع ، لكنهم كانوا صامدين رغم سواد الخبز وندرة الفحم واللحم .

وكان كل هذا يمكن أن يحتمل لولا الفوارق الطبقية الفاضحة بين الفقراء والاغنياء ، ولولا سلبية الحكومات المتعاقبة ، تلك السلبية التى ادانها رجال مثل كليمنصو وقد كان رئيس مجلس بلدى الحى الثامن عشر فى باريس .

وعندما تكونت اول حكومة جمهورية مؤقتة بعد اسقاط الملكية ، فانها رأت

في الجمهورية مجرد نظام مروش ، يكفل لها ضرب القوى الشعبية ، وعقد صلح الاستسلام والعار مع البروسيين . وقامت تلك الحكومة بتوجيه انذار الى التجار غير القادرين على سداد ديونهم باعلان افلاسهم اذا لم يقوموا بالسداد في خلال فترة معينة ، بينما كانت التجارة كاسدة بسبب حصار باريس ، ولا عمل ولا ارباح ولا علاقات تبادل تجارى بين باريس والاقاليم والخارج . وكانت البطالة منتشرة في كل مكان ، ولا احد قادر على سداد ما عليه .. وقد اثار هذا الانذار اصحاب المتاجر والحرفيين واصحاب الورش ورجال الصناعات الصغيرة . كما اصدرت الحكومة قانونا بزيادة ايجارات المساكن ، هدد السكان الفقراء وذوى الدخول المحدودة بالطرد او الحجز على امتعتهم .

ومن ناحية اخرى ، كانت الحكومة تسعى بكل جهدها في سبيل الوصول الى تسوية استسلامية مع بسمارك . بينما كان العمال والحرفيون بصفة خاصة على وعى تام بالخطر الذى يمثله الاستسلام لبسمارك . ولذلك فقد رفضوا الهدنة المؤقتة كما رفضوا الهدنة الدائمة والصلح . وفي ٥ سبتمبر صدر بيان يعلن تكوين « لجنة يقظة » وطنية في باريس . ووجه ١٠٠٠٠ مندوب عمالى نداء الى الشعب الالمانى يدعونه الى الاخاء والعمل على الضغط على بسمارك لكى يسحب قواته من الاراضى الفرنسية .

المدافعون الحقيقيون

واستمرت الحرب في المكافحة بين بروسيا وفرنسا حتى بلغت الجيوش البروسية ضواحى باريس وحاصرت العاصمة الفرنسية ، واخذت تقذفها بقنابل المدافع . واخذت الحكومة المؤقتة تتظاهر بتنظيم الدفاع عن الاراضى الفرنسية والمقاومة في باريس .

لكن سرعان ما اتضح للجماهير الشعبية ان القادة الذين اسندت اليهم هذه المهام لم يكونوا يتصفون بعدم الكفاءة فحسب ، بل وكانوا يتصفون بالجبن في كثير من الاحيان .

ان احد القادة ويدعى « المارشال بازين » لم يكن مهتما بالقتال والحرب قدر اهتمامه بمساومة كل انسان وبما في ذلك مساومة البروسيين ، الامر الذى انتهى به الى ان قام بتسليم نفسه وقواته البالغ عددها ١٣٠ الف جندى للبروسيين .

وكان احد القادة ويدعى « الجنرال بورباكي » قائدا للجبهة الشرقية وكانت الحكومة المؤقتة تقول انها تعتمد عليه في اعادة تنظيم الدفاع عن البلاد ، وتثنى على سرعته في اتخاذ القرارات العسكرية . لكن الجنرال لم يبد ميزة سرعته هذه الا في الفرار الى سويسرا .

وعندما اسندت مهمة الدفاع الى جنرال يدعى « تروشو » ، فانه سرعان ما اتضح انه مهتم بالدفاع عن النظام الاجتماعى الرأسمالى تحت شعار « الدفاع عن الاسرة والملكية الخاصة والدين » اكثر من اهتمامه بالدفاع عن الوطن .

لكن فرنسا المواطنين الفقراء والمتوسطين في المدن والريف لم تعترف بالهزيمة ، ولم تعترف بالضياع ، ولم تعترف بان الحرب هى مجرد حرب بين المانيا وفرنسا وانما هى حرب بين الطبقات الرأسمالية المستغلة والطبقات الشعبية .. وارتفع على لسان الجماهير شعار « **الجمهورية تستدعينا ، وواجبنا هو القتال من اجل فرنسا** » ، وهو شعار رسمه الفنان الخالد « دوميه » في صورة ظلت خالدة على مدى المائة سنة .

واصدر الاشتراكيون الثوريون ما اصبح يطلق عليه في التاريخ اسم « البيان الاحمر » يتندرون فيه بعدم قدرة الحكومة المؤقتة على الدفاع عن باريس . وفي ٢٢ يناير ١٨٧١ ارتفع شعار : « **لا هدنة . الحرب الى النهاية . عاش الكوميون** »

لكن الحكومة المؤقتة ، والتى تسعى بكل جهدها في سبيل عقد الصلح مع البروسيين ، رأت ان موقف الجماهير المصرة على القتال اخطر عليها من موقف القوات البروسيين . وصدرت الاوامر الى « قوات النظام » من الجيش والشرطة

باطلاق الرصاص على الجماهير التي تجمعت تطالب بمواصلة القتال . واتجهت القذائف التي كان من المفروض أن تكون ضد البروسيين الى صدور الباريسيين ، وتساقطت على الارصفة جثث القتلى وبينها جثث نساء واطفال .

واعلنت الحكومة ، وهي تتفاوض سرا مع بسمارك ، تصرخ محذرة من «الحمر» وتصف شعار « الحرب حتى النهاية » بأنه « خيانة للوطن » ، واتخذت سلسلة من الاجراءات المقيدة لحرية الصحف وحرية النوادي السياسية ، والقت القبض على المئات .

وكان رد القوى الشعبية الوطنية ، المؤمنة باهمية القتال ضد العدو البروسي حتى النهاية ، هو تأليف حرس وطني للدفاع عن الوطن ، وتكوين لجنة مركزية لقيادة هذا الحرس . وفي أواخر فبراير استطاع رجال الحرس الوطني أن يضعوا ايديهم على ٢٢٧ مدفعا لمنع تسليمها الى البروسيين ، وجمعوها تحت الحراسة الشعبية في حي مونمارتر ، لاستخدامها في الدفاع عن العاصمة .

وفي اول مارس ، دخل الغزاة البروسيون باريس ، واستعرضوا قواتهم في « الشانزليزيه » ، فكان ذلك الاستعراض العسكري صفعة لجماهير العاصمة الفرنسية استثارت اصرارها على الصمود والقتال ، كما كان الاستعراض فاضحا لموقف البورجوازية التي آثرت الفرار الى الريف ، بينما غادرت الحكومة العاصمة الى فرساي ، تاركة العاصمة بلا قيادة وبلا دفاع . وفي فرساي ، مقر النظام الملكي القديم ، تولى أدولف تيير ، الذي كان مستشار لويس فيليب ، رئاسة السلطة التنفيذية ، وأمامه هدفان رئيسيان هما محاولة اعادة الملكية ، ومحاولة عقد الصلح مع بسمارك .

واخذ تيير ، الذي أطلق على نفسه لقب « جندي فرنسا الاول » يدبر المؤامرات ضد جميع العناصر الوطنية والجمهورية وفقا لخطة ذات ثلاث شعب تهدف الى استفزازهم ، ورفض الوفاق معهم ، والقضاء عليهم بتدابير وحشية يتولاها الجيش والشرطة .

الثورة وانجازاتها

وكان الصباح الباكر من يوم ١٨ مارس ١٨٧١ هو بدء هجوم الحكومة على القائلين دفاعا عن باريس ضد الغزاة البروسيين .

ففي الساعة الثالثة من فجر ذلك اليوم اخذت قوات حكومة تيير تحتل المواقع الحساسة في باريس . وقامت بالاستيلاء على المواقع التي في يد الحرس الوطني في مونمارتر . وعندما استيقظت جماهير مونمارتر في الساعة الخامسة صباحا وشاهدت ما حدث هاجمت قوات الحكومة واستطاعت بعد معركة استمرت حتى الساعة الثامنة صباحا أن تسترد المدافع وان تنقلها الى بوابة « سان كلو » .

وفي خلال هذه المعركة أخذ الجنود ينضمون الى الحرس الوطني الشعبي ، الى درجة أن اضطر قادة الحكومة الى سحب القوات الى فرساي حتى يمنعوا عمليات الانضمام الى الثوار . وما جاء ظهر ذلك اليوم حتى كانت باريس قد تحررت ، واصبحت السلطة في يد اللجنة المركزية ، وبدأت اعادة صياغة الاوضاع السياسية والاجتماعية للمدينة .

وتجمع كل الدراسات التي صدرت عن ثورة كوميون باريس ، وقد بلغت في الاسابيع القليلة الاخيرة فقط نحو مائة دراسة ، على أن تلك الثورة قد شقت طريق التقدم للانسانية جمعاء :

لقد كانت اول محاولة من جانب العمال الكادحين لتحويل المجتمع الى الديمقراطية الاشتراكية التي تكفل حقوق العمل والمساواة والعدل .

وعلى حد ماجاء في « **موسوعة الهلال الاشتراكية** » الصادرة في عام ١٩٦٨ ، فان سلطة الكوميون أجرت أكثر انتخابات عرفها التاريخ حرية في ظل التمسك الثوري بالجمهورية . وحصل العمال وكل الكادحين على جميع حقوقهم . وعاش وزراء الحكومة الثورية كالعمال ، حتى كانت زوجة وزير المالية تذهب الى المغسل العام

لتغسل الملابس . وترك الوزراء الحكومة لقراء معدمين كما دخلوها .

وكانت باريس ، في ظل سلطة الكوميون ، طيبة القلب ، اخوية ، لا صراع فيها بين فرنسي وفرنسي . وكان الناس في باريس يسيرون مرفوعي الرءوس وعيونهم لامعة وعلى وجوههم سمات العزة والكرامة . وعندما كان بورجوازي يرفض النضال قائلا : « ان عندي أسرة » ، كان العامل يقول : « اما انا فسأناضل من اجل مستقبل افضل لاولادي » .

واحرق الثوار المقصلة واعلنوا ان لا اعدام بعد الثورة

والتف الشعب حول الكوميون وهو شعور بما يحققه في ظلها .

وكان من ابرز انجازات كوميون باريس الدور الكبير الذي قامت به النساء في الثورة ووصولهن — لاول مرة في التاريخ — الى مستوى المساواة الكاملة مع الرجل

ومن ابرز النساء اللاتي قمن بدور تاريخي « لويز ميشيل » ، التي كان عمرها ٤١ سنة واطلق عليها اسم « العذراء الحمراء » . وكانت لويز تقاتل في كل مكان . وانتخبت عضوا في اللجنة المركزية للحرس الوطني من مونمارتر . واصبحت رئيسة « لجنة المواطنات » للدفاع عن الوطن . ونظمت وقادت العديد من المظاهرات .

وكم اغاظ القوى الرجعية هذا التطور في العلاقة بين المرأة والرجل ، حتى ان « تيير » ، البورجوازي المحترم ، لم يتورع عن سب الثائرات بأقذع الالفاظ ، مثل وصفهن بأنهن جميعا « داعرات كلبات متمردات » .

واعطت ثورة الكوميون كل انسان شعورا عميقا بمعنى الشرف والكرامة ، حتى كانوا يواجهون الموت — عندما جاء — مرفوعي الرءوس بلا خوف او تراجع .

واستثارت الثورة اروع احاسيس الشعراء والادباء وكل المبدعين ، الذين خلدوها رسما وقصصا وقصائد وروايات تاريخية .

لكن الثورة ضربت .

الايدي المتسخة

لقد تحالفت كل القوى الرجعية والمحافظة والاستغلالية لضرب الكوميون في مهده . وقدمت قوات بسمارك المساعدات بالافراج عن جميع الاسرى من الجنود الفرنسيين لكي يعودوا الى وحداتهم في جيش الحكومة لتعزيزه وزيادة عدده وتعويضه عمن تركوه وانضموا الى الثوار واخذت المدفعية البروسية تضرب من جانبها مواقع الثوار في الضواحي . وقامت القوات البروسية باغلاق الطرق من والى باريس لتمنع وصول اية تعزيزات الى الثوار ، او خروج الناجين من المذبحة .

واستعانت حكومة فرساي بجنود اجانب من المرتزقة ، كما جندت الفلاحين الذين حشت عقولهم بالدعايات عن الثوار الاشتراكيين وانهم ليسوا سوى وحوش ضارية وقطاع طرق مجرمين

وابتداء من ٢ ابريل اخذت قوات حكومة « تيير » تشن الهجوم على مواقع الثوار في باريس . وفي خلال ذلك وقع « تيير » معاهدة صلح مع بسمارك في ١٨ مايو ، ثم اعلن على الفور ان « النظام سيثأر لنفسه خلال أسبوع » ، ودخل ١٣٠ الف جندي من جيش حكومة فرساي الى باريس « كالثعابين الطويلة السوداء » ، على حد وصف « تيير » . واخذت مقاومة الثوار تضعف امام التفوق في المعدات بلغت نسبتها الى قوات الحكومة واحدا الى خمسة ، وبدأت القوات الثورية تنعزل في جزر صغيرة لا اتصال ولا تنسيق بينها .

لكن كل ثائر ظل في مكانه خلف المتراس . وانضم الطلبة الى العمال وراء المتاريس وكانت ربات البيوت تطلقن الرصاص من النوافذ على قوات الحكومة الهاجمة

وفي جبانة « بير — لاشيز » ، وفي يوم ٢٧ مايو ، جرت معركة بالسلاح الابيض بين الثوار وقوات الحكومة عند مقبرة بلزاك .

ولكن ما ان جاء يوم ٢٨ مايو حتى كان الغزاة من فرساي والذين اطلق عليهم

الثوار لقب « بروسيى فرساى » قد « نظفوا » المدينة . وسقط آخر متراس للكوميون فى الساعة الثانية بعد الظهر ، بعد أن ظل ثائر واحد مجهول يدافع عنه وحده حتى مات

وماجاء مساء ٢٨ مارس حتى كان « النظام قد ساد » باريس التى كانت مشتعلة بالحرائق . وثأرت فرساى لنفسها .

ثم بدأت أخطر مذبحة عندما انطلقت قوات الحكومة تقتل كل من تقع عيونها عليه : طفلا كان أو امرأة أو عجوزا ، بعد ان صدرت الاوامر بعدم أخذ أسرى وكانت هذه القوات تقتل كل من تجد يده متسخة وخشنة .

ويقدر عدد الذين تم اعدامهم فى باريس بنحو ١٧٠ الف عامل . وبلغ عدد الذين حكم عليهم بالسجن نحو ٣٦ ألف عامل . بينما تم نفى نحو ٨ الاف امرأة ورجل الى المستعمرات الفرنسية وقد حملتهم اليها سفن الصلح لشحن البهائم حتى كان السعيد هو الذى يموت فى الميناء قبل ركوبه السفينة ، أو يموت فى السفينة قبل الوصول الى جحيم المنفى

وكم كان سادة فرساى المنتصرون ، ونساء فرساى الانيقات ، يتلهون بمنظر الثوار وهم يساقون الى الاعدام مجرورين بالسلاسل أو بالحبال المربوطة فى ذيول الخيول الجامحة ، وهم يصيحون : « الى الموت .. الى الموت » ، أو « اغلموا اظافرهم قبل قتلهم »

ومع هذا ، فقدظل كوميون باريس ، وبعد مائة عام ، هو الحقيقة كل الحقيقة، وظلت فرساى باطل الاباطيل ..

وذلك رغم كل أخطاء كوميون باريس .

لماذا هزم الكوميون :

وكذلك بقى السؤال الذى ظل موضع الدراسة طوال المائة سنة ، وسيظل الى مئات السنوات القادمة :

لماذا هزم كوميون باريس ؟

ومن الواضح اولا ان القوى الاجتماعية فى فرنسا ، بل وفى اوربا ، كانت غير متطورة بما يكفى ، وان تنظيم الطبقة العاملة لم يكن بالدرجة التى يقتضيها الاستمرار فى الثورة والمحافظة عليها ،وان العناصر التى لا غنى عنها لتحقيق انتصار الطبقة العاملة غير متوافرة بالقدر اللازم لضمان النصر .

ولقد أدرك كارل ماركس هذه العوامل جميعا فى حينها ، وحذر اشتراكيى باريس من القيام بثورة لم تنضج ظروفها بعد .

ولكن عندما قامت الثورة ، رغم هذا التحذير ، اعلن الرجل الذى اكتشف قوانين تطورات المجتمعات فى العصر الحديث ، تأييدها ودعا الى ضرورة الدفاع عنها ، لان الثورى لا يخذل الثوار ابدا حتى ولو اخطأوا التقدير

ومن ناحية أخرى ، فان الثوار كانوا يفتقرون الى وضوح مفهوم الحكم . انهم لم يفهموا أنه لا يكفى مجرد تولى السلطة للمحافظة عليها . ولم يعرفوا أن جميع الثورات الاشتراكية الجادة لابد لها من أن تبدأ بالسيطرة على مركز الجهاز العصبى للطبقات المستغلة وهى البنوك ومؤسسات التمويل والائتمان المالية .وهم قد تركوا بنك فرنسا يتلاعب بمصير الثورة .

ولم يعرف ثوار كوميون باريس أنه لا بد من القضاء على جهاز الدولة القديمة واحلال جهاز جديد محله ، فتركوا حكومة فرساى قائمة تتآمر ضدهم مع البروسيين وسمحوا لجيوشها بأن تهرب وكان فى قدرتهم ، فى الايام الاولى من الثورة ان يصلوا الى فرساى

وتجاهل الثوار ضرورة تنظيم الاداة الحكومية من أسفل الى أعلى ، وضرورة تكوين قيادة عسكرية موحدة ترسم خطة الدفاع عن الثورة وتنسق جهود المدافعين

ومن ناحية أخرى ، فقد كانت ثمة ازدواجية فى سلطة الكوميون ، بين اللجنة المركزية للحرس الوطنى والحكومة كما كانت هناك ازدواجية فى مفهوم العمل السياسى بين أنصار اقامة بنيان سياسى واقتصادى تابع مباشرة من الشعب ، وأنصار اقامة بنيان سياسى واقتصادى مستند الى سلطة مركزية ديمقراطية . وكانت هناك خلافات حول المهام العاجلة

والمهام البعيدة المدى ، وبينمـــا كانت الاقلية تدعو الى الحرية كل الحرية للجميع كضمان للمهام البعيدة المـــدى وتقـــول بأن العمل التـاريخى هو عودة

أبدية الى أوضاع متمثلة ، كانت هناك أقلية شديدة الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية العاجلة ، وغير مترددة فى اســــتعدادها لاستخدام أية وسيلة للدفاع عن الجماهير

وقد أدت تلك الازدواجية والخلافات الى انقسامات فى وقت كانت قيمـــه كل دقيقة ثمينة ، وكانت فيه وحدة الاتجاه حتمية لنجاح الثورة .

ثم هناك سبب آخر تردد كثيرا حـــول تفسير هزيمة كوميون باريس وهو القائل بأن كوميون باريس كان معزولا عن الاقاليم لكن دراسة جدلية حول هذا الســـبب تشير الى أن هذا السبب ليس صحيحا على اطلاقه ، ويعزو الترويج له الى ثلاثة عوامل هى ميل الناشل الى القول بأنه

كان هو وحده الذى يناضل حتى يصبح دوره أعظم ، وميل القوى المعادية للثورة الى تصوير الثورة على أنها كانت معزولة فى باريس لكى تقلل من قيمتها ومغزاها وميل كارل ماركس ثم لينين من بعده الى النظر الى تجربة الكوميون كتجربة بروليتارية تعميمية للأغراض التاريخية النضالية .

ولاشك فى أن الطبقة العاملة الباريسية هى التى قامت بدور رئيسى فى الثورة ، لأنها كانت الاكبـــر عددا والاكثر وعيـــا والافضل تنظيما من الطبقة العاملة فى أنحاء فرنســا الاخرى ، ولاشك فى أن طابعهـــا

الاجتماعى كان أكثر بروزا من طابعهـــا السياسى ، لكنها جاءت بعد ، وليس قبل ثورات وقعت فى مدن بالاقاليم ، مثل مارسيليا وليون وبعض مدن منطقة الميدى

ومنطقة الرون ، وفى مدينة كروسو التى كانت مركز صناعة الاسلحة الفرنسية . وفى رأى البعض أن ثورة باريس تأخرت عن ثورة الاقاليم ، الأمر الذى أدى الى

أنها عندما وقعت كان جنود ثورات الاقاليم قد تفرقوا ، وكانت قوى الثورة قـــد استنفدت طاقاتها المحدودة ، بل وكان بعض المناضلين الاقليميين قد فقدوا الايمان

والثقة بقدرتهم على الانتصار واخذوا يهاجرون الى باريس بدلا من أن يظلوا فى مواقعهم النضالية .

الماضى ليس ذكرى

وأيا كان الامر ، فان كوميون باريس سيظل دائما تجربة ثورية اشتراكية هامة

تقتضى ان يتأملها ويدرسهـــا ويعيـــد تأملها ودراستها كل اشتراكى ثورى ، أيا كانت مدرسته الاشتراكية ، وسواء أكان عاملا أو طالبا او مثقفا أو فلاحا أو امرأة

وليس كوميون باريس « نمطـــا » او « نموذجا » ينقل كما هو لتطبيقه ، وانما هو مثل على امكانية الدفاع عن الوطن دفاعا ثوريا ضد الغزاة ، وامكانية العاملين على أن يناضلوا وأن يضحوا فى ســـبيل قضية الاشتراكية الكبرى ، وهو مثـــل للجهد الذى يمكن ان يبذل فى ســـبيل اسقاط الاحجبة ونزع الاقنعة عن الوجوه حتى يتضح من هم الوطنيون والديمقراطيون والاشتراكيون الحقيقيون ، ومن هم الذين لا يحملون من الوطنية والديمقراطيـــة والاشتراكية الا مجرد شعارات الكلام ، بلا نضال وعمل وفعل ثورى دائب .

والمثل فى جميع الحالات ، وحتى عند الهزيمة ، يمكن أن يستثير طاقات جديدة للنضال اذا ما أصبح درسا مستفادا .

كذلك فان « كوميون باريس » ، وقد مضى عليه مائة عام ، ليس مجرد ذكرى أو قصة من قصص الماضى البعيد ، وانما هو واقع راهن لان الظروف التى صنعته لها مايماثلها فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، مكانا وزمانا ، ولان شوق الانسان الى الامن والمساواة والعدل والحرية ، شوقه الى الاشتراكية لايزال شوقا راهنا هنا والان .

ولقد قالت صحيفة « الفيجارو » أيام مذبحة الكوميون انه لابد من القضـــاء على « السم الديمقراطى والاشتراكى » ، لكن القضاء على كوميون باريس لم يقض على « سم » الديمقراطية والاشتراكية ، بل ان هذا « السم » يزداد انتشارا فى دماء الناس فى كل مكان فى هذا العالم .. لكنه سم هو فى حقيقته بلسم .

● كمال النجمي ●

في مايو الحالي تمر الذكرى السابعة عشرة للاديب المؤرخ الفقيه الشيخ الدكتور احمد امين . ولكنها ـ فيما يبدو ـ ستمر كأخواتها من قبل ، في صمت وبلا تحية او زهرة توضع على اسمه الذي كان في حياته مكللا بالازهار !.

أحمد أمين



■ لماذا لا نجد الآن أثرا لذكراه بين الذكريات المشهورة المحتفل بها كل عام ، مع أنه عاش حياته مشهورا محتفلا به من عامة القراء وخاصتهم ، وله اليد الطولى في التأليف والتجوال في دنيا الأدب والفكر ؟! ..

الذين رأوا شهرة الشيخ الدكتور أحمد أمين في حياته لم يخطر ببالهم أن مصيرها الى انتهاء ، وأن الصمت المطبق سيعاجل اسم هذا الرجل اللامع المشهور فيحجب آثاره الأدبية والفكرية التي كان لها في عهدها القريب دوي بعيد ! ..

الحقيقة أن الرجل لم يدخل دائرة الصمت المطبق وحده ، فقد سبقه وتلاه اليها جماعة من افذاذ ادباء عصره انتاجا وابعدهم صيتا .. وكان الظن أن يمتد الأجل بأسمائهم طويلا بعد حياتهم ..

ولكن .. ألا نلتقي أولا بأحمد أمين ونتعرف عليه وعلى عمله خلال ثمانية وستين عاما عاشها بين الأزهر والقضاء الشرعي والجامعة المصرية والمجمع اللغوي والجامعة العربية ووزارة المعارف والجامعة الشعبية والصحافة ، كاتبا فقيها مؤرخا محبا للحكمة ، ناطقا باللغة العربية واللغة الانجليزية ؟! ..

رسم أحمد أمين بقلمه صورة (رسمية) لحياته عندما طلب منه مجمع اللغة العربية أن يكتب كلمة عن حياته .. قال أحمد أمين متحدثا عن نفسه بصيغة المجهول التي اعتاد المجمعيون أن يكتبوا بها كلمات عن حياتهم تحفظ في ملفات المجمع :

● ولد بالقاهرة في أول أكتوبر سنة ١٨٨٦ ، وابتدأ دراسته بكتاتيب مختلفة ، ثم الأزهر ، ثم مدرسة القضاء الشرعي ، فنال العالمية سنة ١٩١١ وعين مدرسا بمدرسة القضاء الشرعي في نفس السنة الى سنة ١٩١٣ فعين قاضيا في محكمة أسيوط الشرعية ، ومنها انتدب لمحكمة الواحات الخارجة وبقي بها ثلاثة أشهر ، ثم عاد مدرسا بمدرسة القضاء الى سنة ١٩٢١

● عمل قاضيا في محاكم طنطا وقويسنا وطوخ والأزبكية الى سنة ١٩٢٦ حيث عين مدرسا في كلية الآداب ، فأستاذا مساعدا فأستاذا فعميدا سنة ١٩٣٩ ، فأستاذا ، الى أن أحيل الى المعاش في أول أكتوبر سنة ١٩٤٦ . وفي أول يناير سنة ١٩٤٧

إعادة اكتشاف كاتب معروف

● أحمد أمين ●

إعادة اكتشاف كاتب معروف

عين مديرا للادارة الثقافية بالجامعة العربية .

● نال البكوية سنة ١٩٤٠ وفي نفس السنة عين عضوا بالمجمع اللغوى ، وفي سنة ١٩٤٨ نال الدكتوراه الفخرية وجائزة فؤاد الاول ، وفي اثناء أستاذيته بكلية الاداب اختير نحو عشر سنوات عضوا لمجلس جامعة فؤاد الاول ، وفي سنة ١٩٤٥ مديرا لادارة الثقافة بوزارة المعارف مع عمله في الكلية .

● في سنة ١٩١٤ أسس لجنة التأليف والترجمة والنشر وظل رئيسا لها من يوم تأسيسها بلا انقطاع . وفي سنة ١٩٤٥ حينما كان مديرا للادارة الثقافية بوزارة المعارف فكر في انشاء الجامعة الشعبية فأسست ، وكون لها مجلس ادارة كان رئيسه بعد ذلك التاريخ .

واختير سنة ١٩٣٦ عضوا للمجلس الاعلى لدار الكتب وفي سنة ١٩٤٥ عضوا للمجلس الاعلى للمعلمين . وابتدا اتصاله بالصحافة سنة ١٩٣٤ في الرسالة والثقافة — وكان مديرا لها — ثم مجلات دار الهلال ، وكذلك بدأ اتصالاته بالاذاعة المصرية واذاعات الشرق الادنى ولندن العربية ..

● في سنة ١٩١٨ ترجم كتاب مبادىء الفلسفة . وفي سنة ١٩٢٢ الف كتاب الاخلاق ، ثم فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام ، وله قصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة مع الدكتور زكي نجيب محمود ، واشترك في كتب مدرسية ، ثم اشترك في نشر كتاب الامتاع والمؤانسة والعقد الفريد ، ثم ألف كتاب قصة الادب في العالم مع زكي نجيب محمود ، ثم كتاب فيض الخاطر ثم كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، وحياتي ، وقاموس العادات والتقاليد وكتاب الشرق والغرب « ١ »

هذه هي الصورة الوظيفية التى رسمها الشيخ احمد امين لنفسه بدقة وصدق وبلا تزويق . وتكتمل صورته الانسانية في كتابه « حياتي » وفي شذرات اخرى من كتاباته ، منها قوله : « لم انتفع بزمن الصبا كما اود فلم يجد المرح والنشاط ولا اللهو ولا الحب لقلبي منفذا . ولم اكن محوطا بفرح وسرور في المنزل . واني احس بميل الى الحركة والنشاط على اثر درس اللغة الانجليزية على سيدة انجليزية عجوز كانت تصلح من نفسي كما تصلح من لساني ، ولقد تغير كثير من اخلاقي الى خير ، ويرجع ذلك الى عوامل اهمها تعلم الانجليزية وما كان يدعو اليه من مخالطة انجليزيتين راقيتين احداهما عجوز والاخرى فتاة متزوجة . ومما احس به انني الان اكبر حرية في الفكر « لا اتحرج من انتقاد بعض المسائل الفقهية وما يتبعها » ..

كتب هذه السطور في صيف سنة ١٩١٦ وختمها بقوله : « انا الان مدرس بمدرسة القضاء مرتبي ١٢٢٠ قرشا ، وانا ارجو من الله ان يمنني على القيام

«١» من كتاب « احمد امين بقلمه وقلم اصدقائه » . وقد اعتمدنا على هذا الكتاب في مقالنا هذا وعلى بعض مؤلفات احمد امين ..

بعمل عظيم لاشى من الجهة الخلقية والاجتماعية »

وتبلغ صورة أحمد امين غاية اكتمالها بما كتبه عنه خمسة عشر من زملائه الادباء واساتذة الجامعات فى ذكراه الاولى التى احتفلوا بها سنة ١٩٥٥ فكانت الاحتفال الاول والاخير بذكرى أحمد امين منذ توفى الى اليوم ..

قال الدكتور ابراهيم بيومى مدكور فى تلك الذكرى : « ان ثقافة أحمد امين من تلك الثقافات الخصبة المتعددة الالوان .. وهناك ناحية تعتبر نقطة البدء فى حياته العقلية كلها ويعنى بها التربية ، ومن طريقها امتد به البحث الى شتى النواحى . ولم يكن بد من أن يكون أحمد امين مربيا ، فقد اخذ من ابيه الوعظ والارشاد والترغيب والترهيب ، وهى احدى وسائل التربية . ثم تتلمذ لعاطف بركات احد ائمة المربين المصريين فى نصف القرن الاخير .. » ..

نشــــأ احمد امين فى اسرة مصرية فقيرة . كان والده « فلاحا من مديرية البحيرة ، هجر القرية الى القاهرة هربا من الظلم والسخرة ، والتحق بالازهر ، ثم كان مصححا بالمطبعة الاميرية ببولاق ، وجعل ينسخ المخطوطات ويجمع الكتب ، فنشأ ابنه احمد امين بين الكتب والمحابر » (١)

وفى شبابه اشترك احمد امين فى ثورة ١٩١٩ ثم فى الحركة الوطنية التى اعقبت الثورة بقيادة الوفد المصرى وزعامة سعد زغلول . وكان من الثابتين على مناصرة الوفد عندما اضطهده الانجليز والملك فؤاد وتآمرت عليه الاحزاب الصغيرة .. ولقد اغترف الكثيرون من خيرات الحركة الوطنية ذهبا وفضة بعد ان هدأت الروح الثورية واصبح مجاهدو ١٩١٩ وزراء وحكاما فى العشرينات والثلاثينات وما تلاها . ولكن احمد امين كان من القلائل الذين لم يغنموا شيئا لانفسهم ، فلبث طوال عمره فى سلك القضاء او التدريس.

ويبدو أن أحمد امين لم يكن راضيا تمام الرضا من حظه فى الحياة برغم اعلانه الدائم للرضا ، فقد كان شديد الكتمان والكظم لما فى النفس .. قال ابنه جلال أحمد امين : « كان أبى من هؤلاء القلة الذين يطوون الآلام على أنفسهم ، ولا يشركون غيرهم فيها » ..

وقال الدكتور احمد زكى : « ظن احمد امين ــ فى اخريات عمره ــ أن الحياة قد عانته وانها هجرته . والحق انه هو الذى عافها فى ايامه الاخيرة واحتقر ناسها . حضرنا حفلا فى احدى السفارات وهناك التقيت بأحمد امين .. ظهر فى هذا الحفل بما لم يجر الناس على أن يظهروا عليه فى الحفلات : الذقن لم تحلق منذ ايام ، والقميص مفتوح صدره ، وليس بياقته رباط ، والهندام كله يكاد يهزأ بالحاضرين .. وذلك الى فى الحفل صديق قال لى : ماذا جرى لاحمد امين ؟ ! .. قلت : ذهب عنه احترام الدنيا ، فقال الصديق : بل ان احمد امين ارتفع عن المجتمع فلم يأبه فيه بما يصنع » ..

هكذا .. فى النهاية انفجر البركان الكظيم ، الذى كان يبدو هادئا فى كتابه « حياتى » مفتونا كالطفل بذكريات بيت اسرته القديم والكتاتيب وصحن الازهر ومدرسيه واساتذه فى مدرسة القضاء واساتذته فى اللغة الانجليزية .. كان هذا الكتاب قصة حبه للناس والحياة ، ولكن هذا الحب لم يصمد الى النهاية..

وفى نهاية العمر قال لصديقه الدكتور احمد زكى : « اليوم لا ارى شيئا عندى اكره من الناس ، ولا اصوب فى هذه

---

(١) من كلمة لمحمود تيمور فى تأبين احمد امين سنة ١٩٥٥

الدنيا من قطيعة ، وأنا اليوم مسافر فى سبيل والله من قبلى » ..

وكان والد الدكتور احمد زكى قد تحول فى شيخوخته الى كاره للدنيا غير مؤمن بالناس .. وتم عزوفه عن الدنيا وعن الناس بأن « قطع علاقته بالناس ، وباكثرهم قربا اليه » ! ..

وبرغم نجاح احمد امين موظفا كبيرا ومؤلفا شهيرا طوال اربعين عاما ، كان يعانى عقدة الخوف من استبداد الاقوياء به وجورهم عليه ، وكان شعاره الى آخر حياته ان الاستبداد « يجعل من النفاق سياسة ، والتحايل كياسة ، والدناءة لطفا ، والنذالة دماثة وظرفا » ..

وقد انتهى به تمسكه بهذا الشعار الى الشعور بالوحدة فى الحياة وسط حشود المنافقين والمحتالين والادنياء والانذال والظرفاء ، فكان عزاؤه أن يعمل ويكتب بلا انقطاع ، لتفنى العمل والكتابة ينسى هذه الدنيا من حوله ، ولو استراح من العمل والكتابة لانفتح له باب التفكير فيما حوله بما يجره عليه من الغيظ والأسف والكمد ، وكان يقول : لو استرحت من العمل والكتابة لمت كمدا ! ..

هكذا نرى أحمد أمين شخصية تبعث الاحترام فى كل من يعرفها ، ولكنه — بعد وفاته — ذهب بلا ذكرى باقية يجدها الناس بين أيديهم كما يجدون ذكرى هذا الاديب أو ذاك المفكر ممن لا يتفوقون على احمد امين بأدب ولا فكر ، بالرغم من أن اسمه قد أطلق على شارع فى مصر الجديدة ، وخصصت له جائزة لمنح لخريجى اللغة العربية بآداب القاهرة كل عام ، واشغل مكتبه الآن مكانا فى احدى قاعات « المؤتمر الاسلامى » بالقاهرة مذكرة كل من يغشاها باسم هذا الرجل الكبير ..

ولكن الذى حدث أن الزمن قد أحدث هوة مفاجئة بين أفكار الثلاثينات والاربعينات ، حتى بدا كثير من ألمع أدباء ومفكرى تلك الفترة كأنهم متخلفون فكريا أو واقفون ضد التقدم ، وقد أصاب هذا الرذاذ حتى عمالقة الشهرة فى الأدب كالعقاد والمازنى وطه حسين ، فضلا عن الآخرين الذين لم يكونوا فى عصرهم دعاة تجديد كما كان العقاد وطبقته ..

واحمد امين — مع الاسف — اعتبر من هذا الطراز الذى حجزته عن الجيل الجديد تلك الهوة المفاجئة التى شقتها زلازل الحرب العالمية الثانية كما يشق الزلزال الارض .. فأين يقع ميراثه الفكرى الآن من الجديد الدائم التجدد فى الشعر والقصة والرواية والمسرح والسينما والغناء والموسيقى ، فضلا عن الافكار الاجتماعية والاخلاقية التى اتخذت مسارا لم يخطر على باله حين قال : « ارجو أن يمتعنى الله على الايام بعمل عظيم لأمتى من الجهة الخلقية والاجتماعية »!! ..

مع ذلك ، ما زال ميراث المرحوم الدكتور الشيخ احمد امين قادرا على العطاء وفتح أبواب لفكر الاجيال العربية الصاعدة ، ولو قيض له من يكتشفه من جديد ويعرف الناس به ، لبلغ احمد امين من التقدير والتأثير فى غيابه ما بلغ منهما وهو فى الاسماع والابصار طوال اربعين عاما ..

أمين عزالدين

أحلام المؤرخين الاجتماعيين



عبد الرحمن
الرافعى



احمد عبد الرحيم
مصطفى



محمد
انيس

● ● تعلمنا التاريخ في المدارس وفي الجامعة . وحملتنا محبة مصر الى مواصلة القراءة في تاريخها من الكتب والمراجع والمصادر المتاحة . وعرفنا الكثير من تاريخ الحكام والساسة والكبراء – على مدى قرون عديدة – وعرفنا حوادث الحرب والحملات والغزوات ، فكرهنا الهكسوس وأنزلنا اللعنات على الصليبيين وضاعفنا من مقتنا وحقدنا على البريطانيين ، وعشنا الأيام والليالي نحلم بأنباء القادة المحررين والأبطال وينمو اعجابنا بهم وحبنا لهم . ولكننا – في كلّ هذا وذاك – كنا نشعر دائما بأن شيئا هاما ينقص هذا التاريخ . كان شعورا غامضا بأن هذا التاريخ – القديم والوسيط والحديث – الذي درسناه قد اسقط الكثير من حسابه ، وكنا نتساءل – أحيانا – أين الناس في كلّ هذه الاحداث التاريخية . كيف كانوا يعيشون ؟ كيف كانوا يفكرون ؟ ما هي أحلامهم وقيمهم ومعتقداتهم ؟ كيف كانوا يعملون وينتجون ؟ . وعشرات اخرى من هذه الاسئلة التي لانجد جوابا شافيا او كافيا في كتب التاريخ . هل هناك تاريخ آخر لا نعلمه ؟ ولماذا لم يكتب الى الآن ؟ أين تاريخ الفلاح المصري والصانع المصري والمثقف المصري ؟ كيف نشأوا وعاشوا وكافحوا طوال هذه القرون؟ وكيف كانت مكانتهم او نفوذهم في المجتمعات القديمة ؟ وكيف اصبحوا في المجتمع الوسيط والحديث ؟

■ تلك هي مجموعة الاسئلة التي يتشكل منها هذا الشعور الغامض بأن هناك تاريخا آخر ينبغي أن يكتب .

والموقف هنا يمكن ان يؤخذ بطريقين . أن ننغمس في جدل المنهج الامثل لكتابة التاريخ ونظرياته وفلسفته أو نعترف – فورا – بهذا النقص والقصور الصارخ ونحاول البحث عن وسيلة لتلافيه .

وفي تقديري أن الطريق الثاني هو الأول هنا بالرعاية ، وهو الطريق الذي ينبغي أن نتحمل مشقته . أما الجدل النظري فيمكن أن يأتي متأخرا . بل ينبغي أن يأتي متأخرا بعد أن نستكمل كتابة تاريخ الناس ونتعلم من حياتهم الكثير . ومن ثم يأتي دور التنظير منطلقا من ذخيرة وافرة من المعلومات والبيانات المحققة علميا .

قصة اعادة تاريخ مصر

لقد ترددت في السنوات الأخيرة فكرة اعادة كتابة تاريخ مصر ، والى لأصدقكم القول اذا اعترفت هنا بأنني لم أتقبل هذه الفكرة بصدر رحب ، ذلك أنني كنت أشفق من أن تكون محملة بنوايا تغيير الحقائق أو اعتساف دلالات جديدة لها لخدمة نظريات مسبقة او رؤية خاصة الى التاريخ .

ولكنني مستعد لقبول الفكرة اذا كانت تعني ـ على وجه التحديد ـ **استكمال البحث** في تاريخ المجتمع المصري من أجل الكشف عن جوانب جديدة أهملها الكتاب والمؤرخون السابقون · والاهمال كان بينا ـ بطبيعة الحال ـ لتاريخ الناس ·· **تاريخ الشعب** بفئاته وطبقاته الاجتماعية على مر العصور ، ولتاريخ العلاقات الاجتماعية وأنماطها السائدة في مرحلة أو أخرى من مراحل هذا التاريخ ·

بهذا المعنى المحدد تصبح فكرة اعادة ـ أو استكمال ـ تاريخ مصر ، فكرة مقبولة لدى الغالبية العظمى من الباحثين، وفكرة لا تثير الخلاف ولا الجدل حولها ·

ولكن الاتفاق على هذا المعنى لا يحملنا على التقليل من شأن الصعوبات التي يمكن أن نلاقيها في سبيل تحقيقه ، فهناك صعوبات تتصل بالمنهج · وأخرى تتصل **بالمصادر** وثالثة تتصل **بالمسئولية عن الأداء** ·

ان عملا من هذا النوع يتطلب ـ منذ بدايته ـ منهجا واضحا يلتزم به ، ولعل أدق مشكلة في المنهج هي : هل يشمل « التاريخ » كافة القوى الاجتماعية دون تمييز أو ابراز لاحداها ، أو يكتب تاريخ « منفصل » لكل قوة من هذه القوى مع دراسة علاقاتها بالقوى الأخرى بطبيعة الحال · والفرق بين المنهجين واضح ·

ففي الأول ·· نحن نتابع حركة القوى الاجتماعية وتفاعلها من خلال رؤية شاملة لحركة المجتمع ·

وفي الثاني ·· نحن نجعل احدى القوى « ولتكن العمال أو الفلاحين أو غيرهما » هي الخط الأساسي ونحن نتابع علاقاتها بالقوى الأخرى المؤثرة فيها والمتأثرة بها·

ان الموقف العملي والبرجماتي قد يفضل **المنهج الثاني** لسهولة تناوله ولوجود المتخصصين النوعيين القادرين على دراسة هذه القوة الاجتماعية أو تلك حسب الأحوال · فمن اليسير ـ بالطبع ـ ان نجد مؤرخا للطبقة العاملة ، وآخر للفلاحين وثالثا للمثقفين ، يعرف كل منهم مادته ويقدر على تناولها علميا ، ولكننا قد نجد صعوبة في العثور على المؤرخ «الشمولي» القادر على تغطية حركة المجتمع وتغيره ـ بالتفصيل ـ وبكل قواه الحاكمة والمحكومة على مدى التاريخ ·

صاحب بالين

تبقى بعد ذلك صعوبات **الكشف عن المصادر** · وهنا ينبغي أن ننبه الى عمليتين منفصلتين وان كانتا متكاملتين ·

الأولى : عملية الكشف عن المصادر وخاصة الوثائق واعدادها وتجهيزها لتكون تحت يد المؤرخين ·

والثانية : عملية استخدام هذه المصادر ـ وخاصة الوثائق ـ في الكتابة الفعلية للتاريخ ·

ومن المؤسف حقا أن المؤرخ المصري عليه أن يكون ذا بالين · فهو باحث عن الوثائق ومحقق لها · ثم هو مؤرخ يستخدمها في الكتابة · والعمل ببالين عبء كبير على هؤلاء القوم · ولا بد من أن نحقق قدرا معقولا من تقسيم العمل بين الباحثين عن المصادر والوثائق · وبين المؤرخين المتوفرين على التحليل والمقارنة وصياغة الحدث التاريخي للقارىء ·

ان لي أصدقاء من المؤرخين الجادين الذين كان عليهم أن ينقبوا عن المصادر وأن يكتبوا التاريخ في نفس الوقت ، والمصادر هنا لم تكن تعني شيئا ضائعا في « دار الكتب » **بالقاهرة أو الاسكوريال أو السوربون** ، ولكنها مجرد مجموعات من الصحف أو مجموعات من « الوقائع » أو الجرائد الرسمية أو كتاب مر على طبعه خمس سنوات فقط · وكم قضى هؤلاء من السنين في التنقيب عن أشياء كان ينبغي أن يضعها رجال الوثائق ـ بل ورجال المكتبات العامة ـ تحت أيديهم بسهولة ودون تعنت ·

ان الاقدام على كتابة تاريخ مصر الاجتماعي سيكون شيئا من قبيل المغامرة ما لم يقم رجال الوثائق بواجبهم أولا ، وما لم يضعوا امام المؤرخ الجاد الكبير القدر من حاجته من المصادر والوثائق ·

أحلام المؤرخين الاجتماعيين

مسئولية الأداء

ويأتي في النهاية موضوع المسئولية عن الأداء .

ان القاهرة ـ بجامعاتها ومقاهيها وأنديتها الثقافية ـ تزخر بأصدقاء لي ولكم ممن يتحدثون ليل نهار عن ضرورة كتابة تاريخ مصر وضرورة كتابة تاريخ الطبقة العاملة والفلاحين والاطفال والمرأة .. الخ. والكل مجمع على حتمية تحقيق هذه الأعمال ، والكل مستعد ـ بقدرات متفاوتة طبعا ـ للاقدام يوما على الأداء ، ولكن . مرت سنوات وسنوات وما زلنا ننتظر . صحيح أن بعضهم قدم عملا أو أعمالا ضمن هذا الحلم الجميل ، ولكن الانجاز الكامل لا يزال بعيدا .

ولست أعرض هنا بهؤلاء القوم، فانني واحد منهم بالتأكيد . ولكنني أفضل أن ألتفت الى سر العقدة التي أقعدتنا سنوات طويلة . والقضية ـ في رأيي وببساطة ـ هي أن هذا النمط من العمل التاريخي لا يمكن أن يسنده ـ فقط ـ الى الجهد الفردي . واذا انتهى مصيره الى جهد الفرد فانه يفقد أهم أساس من أسس نجاحه .

ان كتابة تاريخ مصر الاجتماعي أو تاريخ القوى والعلاقات الاجتماعية في مصر أو سمه ما شئت ، لا يمكن ان يتم الا من خلال جهد جماعي يحشد له علماء الوثائق والمصورون والاقتصاديون ورجال الاجتماع والقانونيون والمؤرخون . ولكل واحد من هؤلاء دوره المحدد وواجباته الواضحة .

واذا تحدثنا عن « الجهد الجماعي » فان الذهن ينصرف بالضرورة الى عدد من الهيئات ينبغي أن تتولى تنظيم هذا الجهد ورعايته وتمويله . **فهناك الجامعات والمجلس الاعلى للفنون والآداب والاتحاد الاشتراكي العربي ووزارة الثقافة ومركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، وأخرى لا يحصرها الذهن .**

واذا اتجهنا الى تنظيم الجهد الجماعي لكتابة تاريخ الطبقة العاملة مثلا فلا بد أن يكون « للاتحاد العام للعمال » دوره الفعال ولكتابة تاريخ الفلاحين لابد أن تظفر بمساواة « مجلس الاعلام الريفي » و « الاتحاد العام التعاوني » .. وهكذا .

ويحضرني ـ بهذه المناسبة ـ مثل رائع للجهد الجماعي لكتابة تاريخ الطبقة العاملة في ألمانيا الشرقية . فقد أسست هيئة خاصة لتنفيذ المهمة كان يشرف عليها **« الرئيس أولبريخت »** ، وحشد للعمل بها مئات من الباحثين والعلماء والمصورين والمؤرخين . وقد أنجزت الهيئة هذا التاريخ في ثماني مجلدات فضلا عن النشرات الاضافية والأوراق المنشورة ، ولا تزال تواصل عملها الى الآن .

رجال في الميدان

وميدان التاريخ الاجتماعي في مصر لا ينقصه الرجال من الباحثين والمؤرخين، ولست أعرف فرعا من فروع هذا التاريخ دون أن يقفز لي ذهني اسم أو أكثر من المختصين القادرين والمؤرخين الجادين .

ان ثلاثة من الاساتذة المؤرخين الكبار بالجامعة وهم الدكتور **« احمد عبد الرحيم مصطفى »** والدكتور **« محمد أنيس »** والدكتور **« سعيد عبد الفتاح عاشور »** يمكنهم ان يكونوا الرواد لمثل هذا العمل لو اجتمعت جهودهم على التنفيذ ، انهم قادرون بالتأكيد على اضفاء الروح العلمية والتوجيه السليم ـ فضلا عن فيض معارفهم ـ على مجموعة من شباب الباحثين لانجاز هذا العمل الوطني الهام .

وفي مجال تاريخ الطبقة العاملة ، يمكن

للاتحاد العام للعمال أن يجمع جهود الرواد في هذا المجال من أمثال الدكتور «سليمان النخيلي » و « عبدالمنعم الغزال الجبيلي » و « رءوف عباس » وآخرين ممن قدموا أعمالا فردية هامة في هذا الاتجاه .

ويمكن – في مجال تاريخ الفلاحين – أن تجند جهود الباحثين المخضرمين من أمثال « ابراهيم عامر » و « عبد الخالق الشهاوي » وآخرين ممن يحتضنون أحلامهم في كتابة هذا التاريخ منذ سنوات طويلة .

وهكذا – في جميع الميادين – يمكننا أن نعدد عشرات الاسماء المبعثرة في الجامعات والصحافة والحكومة والمؤسسات ، الذين يملكون القدرة والعلم ويملكون الطاقات الجبارة للبحث والتنقيب ، ويملكون الاقلام المجربة في كتابة التاريخ .

قضية النشر

لا يكفي كتابة تاريخ مصر الاجتماعي ، بل ينبغي أن ينشر على أوسع نطاق ، ذلك أن نشره يعتبر من وسائل التربية القومية والتثقيف الجماهيري . ومن ثم فان الشكل أو الاشكال التي يتخذها النشر تكتسب أهمية خاصة هنا .

ونحن لا نستبعد – بادىء ذي بدء – أن يتم نشر هذا التاريخ في صورة موسوعية من عدة أجزاء لتكون في متناول المثقفين المعنيين والباحثين الجامعيين وغيرهم . ولكننا ينبغي أن نفكر في أشكال أخرى من النشر تجعل هذا التاريخ في متناول أوسع الجماهير وبصورة ميسرة لهم . وفي هذا الاطار يمكننا أن نقترح الى جانب اصدار «تاريخ مصور» للمجتمع المصري للكبار ، و« تاريخ » مصور « أيضا للاطفال ، بحيث لا يطغى ذلك على المضمون العلمي للتاريخ أولا بحقائقه وأحداثه .

وقد يتخذ النشر أيضا شكل «المجلات» الدورية التي تخاطب القراء غير المتخصصين، ولكنها تمتع القراء الوسط بدراسات وصور من تاريخ بلادهم دون ملل أو اثقال على وقتهم .

ولهذه القضية جانب آخر يمكن أن نسميه « باقتصاديات النشر » . ذلك أننا في كل الاحوال ينبغي أن نحذر من أن يصبح نشر تاريخ مصر الاجتماعي مصدرا للربح على حساب القراء ، ومن ثم فاننا نستبعد أن تتولى نشره دور النشر من القطاع الخاص ، بل ينبغي أن تتولى هذه المهمة القومية احدى مؤسسات القطاع العام ، وحبذا لو تلقت اعانة مالية من وزارة الثقافة لتغطية جانب من التكاليف ولضمان وصول « التاريخ » للقراء بأيسر الأسعار .

خطة عاجلة

ان أحلام المؤرخين الاجتماعيين لا تقف عند حد . ولكن الرؤية الواقعية للقضية تحتم البدء بالقليل حتى تتوفر الظروف لتحقيق الكثير . فقد يبدو من العسير الآن أن نشرع فورا في تنظيم « الجهد الجماعي » الذي نتصوره لتحقيق الحلم ، ولكن ذلك لا يناقضه تشجيع « الجهد الفردي » الجاد في اطار تصور شامل للمهمة .

وهناك أفكار ومقترحات عديدة ومفيدة في هذا الاتجاه ، فقد يكون من الأوفق الآن أن تضع أقسام التاريخ قائمة بموضوعات محددة تخدم كتابة تاريخ مصر الاجتماعي في نهاية الامر ، وتفرض هذه الموضوعات على شباب الباحثين للدرجات العلمية « الماجستير والدكتوراه » ، وبالمثل يمكن للمجلس الاعلى للفنون والآداب أن يبرز ضمن الجوائز التقديرية والتشجيعية موضوعات تاريخ مصر الاجتماعي ويمنحها قدرا من ميزاته على الموضوعات الاخرى .

كما يمكن للاتحاد العام للعمال والنقابات العامة أن تشرع في كتابة « تاريخها » وتاريخ نضالها منذ سنوات ؛ ضمن الاطار الواسع لتاريخ الطبقة العاملة .

وبهذا نخلق تيارا من الانتاج الجاد في تاريخ مصر الاجتماعي من خلال هذه الجهود المتفرقة ، حتى يمكن وضع تنظيم متكامل « للجهد الجماعي » من أجل كتابة هذا التاريخ .

موقف المجتمع

تواصل « الهلال » فى هذا العدد استكمال دراستها التى بدأتها فى العدد الماضى عن المرأة والجنس فى المجتمع العربى • وهذا الاستفتاء الذى تقدمه اليوم يناقش سؤالا خطيرا عن « موقف المجتمع العربى من التجربة الجنسية قبل الزواج » • وهذا السؤال يتردد ـ عمما ـ فى كل البيئات العربية ، ومن الضرورى أن نطرحه للمناقشة الصريحة الواضحة أمام الرأى العام العربى ، ومن الضرورى أيضا أن نبحث هذا السؤال بطريقة علمية سليمة على يد المفكرين وأهل الرأى فى مجتمعنا العربى • وقد اشترك فى هذا الاستفتاء عدد من المفكرين والعلماء والباحثين وأصحاب الاقلام • وناقشوا القضية مناقشة واضحة من وجهات نظر متعددة ، فالبعض ناقشها من وجهة النظر الدينية والبعض ناقشها من وجهة النظر الاخلاقية ، كما يطرح الاستفتاء وجهات نظر أخرى حول الموضوع من جوانبه الاجتماعية والواقعية والنفسية • وكل هذه الآراء تلقى أضواء متعددة على هذه

العرب من

التجربة الجنسية قبل الزواج



القضية التي نواجهها ونحن على أبواب مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي الواسع ، حيث تكثر عندنا المقارنات بين مايجرى فى بلادنا وما يجرى فى المجتمعات الغربية ، وحيث يسارع البعض الى التقليد الاعمى لما يجرى هناك ، ومن اهم الامور ولا شك أن نواجه التطور الاجتماعى بالعقل والا نترك القضايا الحساسة فى هذا التطور الاجتماعى تختبئ فى الظلام مما يؤدى - فى العادة - الى آثار ضارة وخطيرة على التكوين النفسى والاجتماعى بل والعضوى للانسان العربى .

ان المناقشة الحرة هى الوسيلة السليمة للترحيب بالتطور ولتصحيح هذا التطور اذا احتاج الامر الى مثل هذا التصحيح .

« الهلال »





كل الأديان لاتبيح ذلك ..

د . محمد الطيب النجار ـ الاستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر .. يقول ..

ان الدين لايبيح مثل هذا العمل . كما ان طبيعة المرأة فيما اعتقد تتمشى مع رأى الدين ، لأن ممارسة البنت لهذا العمل تفتح أمامها المجال للاكثار منه لانهـا تذوق طعم اللذة التى ربما تدفعها الى المزيد . أما اذا استمرت بعيدة عن مثل هذا العمل فان أبواب الشر تكون بعيدة عنها . وأما ما يقال عن ان البنت التى توضع فى سبيلها القيود الاخلاقية ربما تكون معقدة النفس فهذا خطأ واضح . لأن الغريزة الجنسية يمكن اعلاؤها بممارسة الاعمال الرياضية وبالامعان فى قراءة الكتب الاخلاقية وبشغل الوقت فى الامور الجادة التى تستنفد طاقة الانسان وبذلك يمكن ان يكون هناك سد منيع بين البنت وبين الانزلاق الى الخطيئة التى يمكن أن تكون أساسا لشر لا نهاية له ..

.. أما الفترة التى تبدأ بعد خطبة البنت وقبل عقد قرانها فيمكن ان يكون هناك مجال لخروج البنت فى أوقات مختلفة مع خطيبها ولكن فى الحدود التى لا يكون فيها مجال للعبث ، أعنى أن تكون هناك رقابة الى حد ما عليها ودون ان تكون هـذه الرقابة مبعثا لغضب الخطيب وفى الحدود التى لا تجرح كبرياءه ، وفى مثل هذه الحالة يجب ان يكون الأب والأم فى منتهى اللباقة والحذر حتى يمكن ان تسير الامور بالنسبة لابنتهما سيرا كريما وحتى لاتوجد عقبات بين الخطيبين تؤدى الى انفساخ الخطبة والاساءة الى مستقبلهما . وجميع الاديان حرمت ممارسة الجنس قبل ان يتم الزواج لان ذلك يؤدى الى عواقب وخيمة . فقد تصبح المسألة مقارنة بين حالتين لو لم يقدر لها الزواج بهذا الشخص الذى اتصلت به جنسيا . وقدر لها ان تتزوج بآخر تقل قدرته الجنسية عن ذلك الشخص كما ان ممارسة هذا العمل تهتك الحجاب الحصين الذى جعله الله من كمال زينة المرأة وتؤدى الى بلادة الاحساس وعدم الغيرة التى هى من سمات الانسانية . بل ان الحيوان يغار على اناثه كما ان انثى الحيوان تغار على زوجها وقد حدد الدين الاسلامى موقف الانسان الذى لا يغار أمام الله . فقال صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح « لن يدخل الجنة ديوث » قيل ومن الديوث يا رسول الله ؟ قال « الذى لا يغار على عرضه » .. والحديث عن أضرار الزنا أكثر من ان يتحدث فيها محدث .



الطـــــريـــق إلـــى صيـــانـــة المـــرأة ..

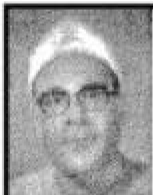
ويقول محمد عبد الرحمن الجديلى الاستاذ بالمعهد العالى للدراسات الاسـلامية .

انى أكاد اجزم بأن هذا السؤال غير وارد من أى مسلم يعرف حـكم الله فى اختلاط الجنسين ومباشرة الاعمال الجنسية . ذلك أن كثيرا من آيات القرآن تحث على صيانة المرأة وعفتها والعمل على صيانة كرامتها . لا ان تشيع الفاحشة فى المؤمنين باسم الدراسات الجنسية ، وأنا أكتفى بمثل واحد . اذ أن بعض صحابة الرسول فى الجهاد سأله : « يارسول الله ان امرأتى تحج وحدها وأنا اجاهد معك فهل فى

ذلك ألم » فقال صلى الله عليه وسلم : « اذهب فرافق زوجتك فى الحج فان ذلك أدعى لصيانتها » .. وهذا الاتجاه من رسول الاسلام يرشد الى آن ترك المرأة حبلها على غاربها سواء كانت بكرا او ثيبا لتمارس أى تجارب بدون حماية ولا صيانة . مما يأباه الاسلام اباء كاملا . فهو يحرص أشد الحرص على صيانة المرأة وعفتها ، وانا لا أرى فى هذه المسألة المطروحة الا خروجا على تعاليم الدين ولا آجد شعبا مقوم السلوك يسكت عن هذا او يرضى عنه . وليس من حقوق المرأة وصيانتها وعفتها . قبل الزواج ان يباح لها مثل هذا التصرف خصوصا اذا كانت المرأة تحفظ أو تسمع آيات الله القائلة :

« يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين »

وفى هذا تشبيه دقيق وحريص على وقاية النساء من مفاسد عرض النفسهن على الرجال على اية صورة من الصور وان اية امة يكون من بينها من يطرح هذه القضية فهى تؤذن بانحلال سريع .



مباح فقط للكلاب فى الشوارع ..

وعبد الرحمن النجار مدير المساجد بوزارة الاوقاف يقول ..

ان اثارة مثل هذا الموضوع مرفوضة اساسا ؛ لانه يهدد انسانية الانسان . والمرأة كانسان ينبغى ان تظل فى موضع التكريم ولا تمتهن لأى انسان والا فان المجتمع الذى تسوده هذه الافكار يكون مجتمعا اقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية . والجنس الوحيد المباح له بممارسة الجنس هم الكلاب فى الشوارع . ونحن نربأ بمجتمعنا أن يوصف بهذه الصفة لانه مجتمع انسانى محافظ بقيم وتقاليد وأخلاق ودين والعلاقة الكريمة التى يطلبها الدين بين المرأة والرجل حينما يتزوجان هى المودة والرحمة والسكن تطبيقا للنص القرآنى « ومن آياته ان خلق لكم من

انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فالاسلام يسمو بالعلاقة الزوجية عن اطار الجنس حتى تظل الحياة قائمة بين الزوجين حتى في فترة عدم النشاط الجنسي .. وينبغي أن نعلم أن الحرية كلمة مضبوطة وليست مطلقة ..

والعلاقة الجنسية غير المشروعة بين الفتى والفتاة يترتب عليها ابناء غير شرعيين فمن يرعاهم : كذلك لماذا لا تطالب الفتاة بأن تمارس الجنس مع أخيها ، أو تشارك أمها في أبيها اذا كان رجلا وسيما وفيه قوة . فهل تقبل أمها هذا ؟ . ارجو أن نحكم العقل في مثل هذه المسائل المتصلة بكيان المجتمع والاسرة .. ونذكر هنا حديثا عن الرسول . اذ جاءه رجل متزوج وقال له « اني لا اصبر على النساء » وكأنه يريد رخصة لمزاولة الاتصال الجنسي مع نساء غير زوجته . فأجابه الرسول اجابة رقيقة هادئة ردت الرجل الى عقله وقد كان مدفوعا من قبل بغريزته .

سأله الرسول : أتحب الزنا لأمك ؟

اجاب الرجل بعده : لا

فسأله الرسول : أتحبه لأختك ؟

اجاب الرجل : لا

سأله الرسول : أتحبه لزوجك ؟

اجاب الرجل : لا

سأله الرسول : أتحبه لابنتك ؟

فأجاب الرجل : لا ..

فقال له الرسول : « وهكذا الناس يا أخا العرب لا يحبــون الزنا لأمهاتهم ولا لأخواتهم ولا لزوجاتهم ولا لبناتهم » فانصرف الرجل وهو يقول « وليس ابغض شيء الي مما كنت أنوي فعله »



فلنحـــــدد معـــــنى الثقـــــافة الجنســـية ..

د . احمد الخشاب رئيس قسم الاجتماع بكلية الاداب جامعة القاهرة .. يقــول .

انا شخصيا احبذ الثقافة الجنســــية ولكن ليس معنى التثقيف الجنسي ان تكون هناك ممارسة فعلية له . فليست هناك حاجة ملحة لهــــذه الممارســـة

قبل اتمام الزواج . اذ يكفي للفتاة ان تكون على بينة من القواعد العامة للثقافة الجنسية بهدف السعادة الزوجية وليس بهدف الاشباع الجنسي . لأن الحياة الأسرية هي حياة اجتماعية قبل أن تكون استجابة لدوافع غريزية ولا شك أن التوافق بين الزوج والزوجة يعتبر عاملا أساسيا في استقرار الجو العائلي غير أن هذا لايتأتى بالفعل عن طريق الممارسة بقدر ما يتأتى عن طريق الدراسة العلمية لطبيعة العلاقات بين الفتى والفتاة . على أنه لا يجب أن يكون مفهوما بالثقافة الجنسية مجرد الاطار النظري للجوانب البيولوجية المتعلقة بطبيعة العلاقة . اذ أنها لابد وأن تمتد الى جوانب متعلقة بالصحة العامة وبطبيعة النشاط الذى يتولد عن التفاعل بين الجنسين والمشاركة بينهما سواء في الجو العائلي أو في المجتمع المحلي أو المجتمع العام بحيث يتهيأ المناخ العام الصالح لوضع نماذج سلوكية في كافة المجالات التي تتيح اللقاء بين الفتى والفتاة .. وان استكمال حقوق الفتاة لا يتضمن أن يتصرف الفرد تصرفا مطلقا في كافة المجالات غير عابيء بالقوالب والنماذج السلوكية التي يرتضيها المجتمع لاننا اذا أتخذنا هذا منطلقا لتفكيرنا لنعني هذا أن نجد مجتمعا بلا نظام وبلا ضوابط اجتماعية وهذا يخالف جذريا طبيعة المجتمعات الانسانية لان كلّ مجتمع يلتزم بضوابط إجتماعية تحدد سلوك وتصالح وتصرفات افراده وأن كانت المجتمعات تختلف باختلاف محدداتها الحضارية والثقافية ..

وليست هناك فيما أرى حاجة ملحة للممارسة الجنسية قبل الزواج لان هناك وسائل أخرى مشروعة أو يرتضيها المجتمع ويتقبلها دون الابتعاد عن القيم الاخلاقية التي تحدد طبيعة العلاقات بين الفتى والفتاة . فالاختلاط احدى الوسائل . كما أن الالعاب الرياضية وممارسة الهوايات الفنية تعتبر منافذ لاستنفاد الطاقة التي لا تجعل الفتاة في حاجة الى الممارسة الفعلية للعملية الجنسية .

لو تسامحنا في ذلك فسوف تظهر مشكلات أخطر بكثير .

د . اميرة مطر استاذة الفلسفة بكلية الاداب جامعة القاهرة تقول ..

اذا كنا نؤمن ببعض القيم الروحية ونستمد منها شخصيتنا فالافضل ان وضع السؤال بصيغة الحرية المطلقة للفتاة بغير قيود يجعلها تغية غير علمية فالعلم في بعض المسائل لا يبرر دائما القضاء على القيم الاجتماعية المميزة لشخصيتنا

كأمة لها مقومات أخلاقية وأهداف معينة . ومن الواضح أننا ما دمنا نتمسك بكيان الأسرة فالأجدى أن نحتاط عند اثارة هذا الموضوع فالمسألة ليست فى رأيى مسألة علمية فقط لأنها حتى على فرض اباحة العلم لهذه الحرية . فانهـــا لن تقضى على المشكلات النفسية الخاصة بالشباب أو بالفتيات وربما تؤدى الى ظهور مشكلات أخطر وأوخم عاقبة على شخصيتهم . والمشكلات التى تنجم عن اباحة هذا الموضوع لا يمكن حصرها فى نطاق الصحة النفسية وحدها . بل قد تنجم عنها مشكلة اجتماعيـــة واقتصادية وأخلاقية .. ففى أوربا مثلا أمكن الوصول الى مستوى اقتصادى واجتماعى وأخلاقى لا يجعل لممارسة هذه الحرية العواقب الوخيمة التى يتعرض لها مجتمعنـــا فيما لو نقل هذا الموضوع عن المجتمعات الاوربية بغير احتياط او دراسة كافية .. فقد تنجم مشاكل كثيرة . مثلا سوف يحتاج كل شاب الى شقة خاصة والى سيارة .. والمجتمع سوف يلفظ كل ابن غير شرعى .. وكذلك كيان كل أسرة لن تقبل مطلقا ذلك الوضع بالنسبة الى بناتها .. كما أن البنات لن يجدن أماكن للاجهاض .. وهذه كلها مشاكل لسنا فى حاجة اليها .. اما حرية الفتاة فيجب أن نفهمها فى حدود امكانياتها . فليست هناك حرية مطلقة بل كما يقول الفلاسفة فان الحرية هى فهم الضروريات والتحكم فى الاسباب ، الضرورة الاساسية هى تكامل الشخصية وهذا التكامل محدود باطار اجتماعى وأخلاقى واقتصادى والا فانه لا يصبح تكاملا ولا تصبح هناك حرية وانما نوع من الفوضى لا نستطيع قبولها فى أى مجال من مجالات الحياة الانسانية .

الأفضل هو رفع مستوى التربية الجنسية ..

د . محمد عزت عبد الموجود مدرس اصول التربية بكلية التربية بجامعة عين شمس .. يقول .

ان قيم المجتمع متمثلة فى نظامه الدينى ومعتقداته الاجتماعية تمنع مثل هـــذا السلوك لانها تؤمن بالزواج كمؤسسة اجتماعية منظمة ومحددة الاهداف . وعلى ذلك لايقبل مجتمعنا الشرقى الاســلامى اباحة السلوك الجنسى خارج نطاق الزوجية

خصوصا وان مجتمعنا الاشتراكي يعتبر الاسرة اهم وحدات التنظيم الاجتماعي ويجب ان تتوفر لها كل امكانيات الصحة النفسية . فالذين يشذون عن قيم المجتمع ويمارسون افعالا لاتقرها انظمته ولا تعترف بها مؤسساته يعتبر خارجا عن الاطار الثقافي للمجتمع وهو في تصوري يعزل نفسه حضاريا عن مجتمعه .. وان ممارسة البنت للعملية الجنسية قبل الزواج يخالف قيم المجتمع الاسلامي المبنية على احترام الاسرة . فمن الناحية الدينية كما نعرف يعتبر هذا السلوك من باب الزنا وهذا محرم في الشريعة الاسلامية تحريما صريحا . ومن الناحية الاجتماعية يعتبر هذا السلوك امتهانا لقداسة التكوين الاسري .. ومفهومنا عن الجنس هو الممارسة . وهذا مفهوم خاطىء . لان هناك جوانب كثيرة متصلة بهذا الموضوع ويعتبر تثقيف الشباب فيها امرا ضروريا لايعتبر مخالفا للدين وفي تصوري فان المدرسة المصرية يجب ان تضم الجزء في مناهجها . منهجا في التربية الصحية يهدف الى مساعدة التلميذ على تعلم وممارسة القيم الصحية السليمة التي هي اساس من اسس نموه وسعادته وسوف يكون من ضمن محتويات هذا المنهج شيء من الثقافة أو التربية الجنسية يكتبه متخصصون . وسوف تساعد هذه التربية الجنسية تلاميذ وتلميذات المدارس على فهم جوانب القضية وعلى التخلص من الكثير من المعلومات الشائعة والخاطئة التي قد يتعرض لها بعضهم خارج المدرسة . وبذلك تتحول مناقشة موضوع الجنس الى خبرة مربية فيها كثير من العمق والعلم والتفكير ..



البكارة لها وزن كبير ..

ويقول الدكتور محمد على حسن مدرس الصحة النفسية بكلية التربية بجامعة عين شمس ..

.. هذا امر غير مقبول في مجتمعاتنا الشرقية وهذه الممارسات الجنسية قد تتم بطريقة خاطئة مما يترتب عليها اضرار مرضية وجسمية ونفسية مثل حالات هتك

العرض والامراض السرية وكذلك بعض الامراض النفســية مثل القلق والخوف والاكتئاب . ثم انه ليس هناك حد لهذه الممارسات بحيث يمنع الفتيان والفتيات من التمادى فيها بطريقة تشغل انتباههم واهتمامهم مما يؤدى الى عدم تكيف كثير من نواحى الحياة الاخرى المختلفة وبالاضافة الى ذلك يجب الا ننسى أن مجتمعاتنا لاتزال تقيم لظاهرة البكارة وزنا كبيرا كمعيار من معايير صلاحية الفتاة للزواج وعلى هذا فاننا نجد أن التقاليد نفسها ترفض مثل هذا الامر .. أيضا فان التربية العربية تضع المرأة فى مكانة كبيرة تفرض على الرجل احترامها "لصفاتها الاصــيلة والتى من أهمها الحفاظ على الكرامة .. فما من أب او أم تقبل لابنتها الدخول فى مثل هذه التجارب القاسية التى يعتبرونها اسفافا للكرامة ومعيبة فى حق الاسرة بل اننا ما زلنا حتى الان نرى اباء وأمهات متعلمين يرفضون مجرد فكرة اختــلاط بناتهم بالشباب حتى فى الاندية والجامعات فمابالنا بالاختلاط الجنسى ! .. وان صورة المجتمع الاسلامى التى تقول : من استطاع الباءة فليتزوج . تقف بمحتوياتها التربوية حائلا دون تحقيق هذا الامر .. والذى يمكن أن يسهم فى حل مشكلة الجنس هو الاهتمام بالتربية الجنسية فى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والتى يمكن بها اذا ماتوافر على القيام بها اخصائيون تربويون ونفسيون واجتماعيون فنيون مدربون أن تحل هذه المشاكل .



ليس بالجنس وحده يحيا الإنسان ..

ويقول : نعمان عاشور ..

انا لا اوافق اطلاقا على ذلك . واعتراضى لايستند الى اسباب اخلاقية ولا اسباب دينية فقط . وانما مصدره هو أن الانسان لايعيش على الجنس وحده . وان الجنس لايشكل اساس الحياة الانسانية ودليلى على ذلك ان ملايين من البشر عاشوا على مدى التاريخ بحكم العقائد الدينية والنواحى الاخلاقية والاوضاع الاجتماعية

ولم يفكروا في مثل هذه السابقة . وأن هناك الوفا من البشر وهم الرهبان والمتنسكون والمتصوفة واصحاب المبادىء والمثل العليا عاشوا بدون الجنس على مدى العمر . فمابالك بالفترة التى تسبق الزواج . فالقضية فى جوهرها تثار لاننا نجتاز مرحلة منق الزجاجة فى التطور من مجتمع جامد الى مجتمع فاضح التحرر ودليلى هو ان اغلبية المثيرات الجنسية الحديثة بما فى ذلك الميني جيب وغيره من وسائل التعرية قد بسطت من معقدات الكبت الجنسى . فالمناداة بهذه الدعوة يلغيها التطور لاننا رغم مظاهر التحرر الفاحش الواضحة حاليا تكاد تجعل من الجنس عاملا ثانوى الاثر . وفى اعتقادى اننا بعد عشر سنوات على الاكثر سنكون اقل اهتماما بقضية الجنس قبل وبعد الزواج مما نحن الان . فاذا طبقنا ذلك على مجال الادب كانت ابرز ملاحظة تلفت النظر هى اضمحلال الادب الجنسى بكافة الوانه .. فالدعوة محلولة من تلقاء نفسها ..

ولكن من البديهى ان ممارسة البنت للعملية الجنسية قبل الزواج حق مشروع ككافة الحقوق الموجبة للمساواة الكاملة بين الجنسين كما تدعو الى ذلك متطلبات العصر . ولكنى سقت حججا سابقة للتدليل على ان ممارسة هذا الحق لم تعد حتمية وضرورية .. تماما كقضية السفور والحجاب . فقد انهاها التطور قبل ان تنهيها المناقشة ..



تنظيم العلاقة الجنسية تكريم لها وارتفاع بشأنها ..

ويقول احمد عباس صالح
رئيس تحرير مجلة الكاتب

ممارسة الجنس قبل الزواج ليست حقا مطلقا من حقوق الرجل أو المرأة بلا زواج فى حدود القيم الاجتماعية والدينية على السواء . وبالتالى فلا تعتبر ممارسة

الجنس قبل الزواج سواء للرجل ام المرأة ضربا من الحرية . ولكن فى الواقع هى نوع من الفوضى الحيوانية التى نظمها المجتمع بالنسبة للرجل والمرأة . فلماذا كانت المسألة هى مسألة مساواة ، فان المجتمع فى الواقع يدين الرجل كما يدين المرأة بالنسبة لهذه الممارسة قبل الزواج وهذا التنظيم للعلاقة الجنسية هو فى الواقع تكريم لهذه العلاقة وارتفاع بها من مستوى الحيوانية الى المستوى الانسانى اللائق بأقدس علاقة بين البشر وهى علاقة الحب والتى لاتقصد لذاتها فى الواقع بقدر ماتقصد لما ينتج عنها من ثمار وهى الابناء والاسرة ، وتصورنا للعلاقة الجنسية هذا التصور هو نفسه تصور جميع الامم سواء فى الغرب او فى الشرق والتفكير العصرى الصحيح هو ان نحيط هذه العلاقة بما ينبغى لها من تكريم واحترام . وفى نفس الوقت ان نتيح الفرص اللازمة لكى تساعد على الزواج . اى اتمام العلاقة فى اطارها التنظيمى فى الوقت المناسب وان نسمح بالاختلاط فى مراحل الدراسة المختلفة وان نهيىء شبابنا الى ان العلاقة الجنسية هى نتيجة علاقة حب ، وان علاقة الحب اذا كانت قد وصلت الى الحد المناسب ينبغى ان تتوج بالزواج . **ومن هنا فانا مع الاختلاط ووجود العلاقة بين الشاب والفتاة حتى يتم الزواج على اسس من العاطفة الصادقة والحقيقية والتعرف التبادل بين الطرفين وهو نفس الامر الذى يحدث حتى فى اكثر بلاد اوربا تفتحا او مغالاة فى الحرية .. اما هذه الدعوة التى تطالب بان تمارس الفتاة العملية الجنسية قبل الزواج فانها تعتبر تدميرا للبنت ولنفسيتها ولاحترامها لذاتها ..**



الغريزة الجنسية لها رسالة ..

وتقول السيدة امينة السعيد

ان المجتمع العربى باعتباره مجتمعا اسلاميا متمسكا بتقاليده القديمة وحريص كل الحرص على حياة العفة والحفاظ عليها يستنكر كل الاستنكار سواء الطبقات

المتعلمة المتقدمة حضاريا ام المتخلفة يستنكر اى تجربة جنسية قبل الزواج لانه يعتبر هذه التجربة أو الكلام فيها دعوة للانحراف وربما يكون على حق فى هـذا الكلام انما الذى يجب أن تقتنع به المجتمع العربى وخاصة فى مصر الاخت الاكبر لهذا المجتمع .

ان الثقافة الجنسية التى ندعو اليها ونلح فى طلبها لاتعنى تجربة جنسية مطلقا ولا تعنى دراسة على الطبيعة انما تعنى تبصير البنين والبنات باسرار أجسـامهم وبقيمة ورسالة الغريزة الجنسية التى وهبتها الطبيعة اياهم ووضعها الله فيهم ، فهم بهذه المعرفة يكونون أقوى وأقدر على صيانة انفسهم واحترام الجنس الذى وهب اليهم لكى يحقق اغراضا نبيلة واغراضا انسانية شريفة لا صلة لها مطلقـا بالابتذال والانحراف .

فنحن نريد معرفة جنسية ولا نريد خبرة جنسية وهـذا كثيرا ما يختلط على الناس حين يسمعون الحديث فى التربية الجنسية . فالمعرفة الجنسية تقوم على المعلومات الصحيحة التى يستقيها الانسان من العلم بشأن جسمه وبشأن اغراض القدرات التى وجدت فى هذا الجسم

أما الخبرة فتختلف كل الاختلاف لانها تقوم على الممارسة والتجربة وهذه الخبرة ليست تربية جنسية بأى حال من الاحوال ، وحتى المعرفة الجنسية التى نطلبها ونعتقد فى اهميتها الحتمية البالغة لابنائها ذكورا كانوا أم اناثا فيجب أن يخطط لها تخطيط علمى صحيح ولا تعطى اعتباطا كى ينال كل جيل من الابناء من الطفولة الى الشباب القدر المناسب لعقليته وقدرته على الفهم ومرحلته من العمر .

فنحن لا نستطيع أن نحدث طفلا بما نحدث به مراهقا ، لاننا لو فعلنا ذلك نصيبه بالذعر والرعب من الجنس مما يفسد حياته كلها ، ولا ينبغى أن نحـدث المراهق بما نحدث به الشاب الناضج والا أثرنا فيه غرائزه قبل الاوان بفعل الانفعـالات العنيفة المعروفة عن هذه المرحلة فلكل من هذه الفئات قدره المحدود من المعرفة

ونحن فى العالم العربى نعانى اشد المعاناة من الجهـل الجنسى ومن الكبت الجنسى نتيجة للفصل بين الجنسين ونتيجة لعزوف الاباء والامهات عن تبصير ابنائهم بأسرار الحياة أو جهل هؤلاء الآباء والامهات بما ينبغى ان يقال رغم أهميتها فى صيانتهم من الاخطاء

ولذلك ينبغى ان تقوم المدرسة مقام الاهل فى حماية الابناء من الكبت وتامينهم من اخطار الجهل باعطائهم القدر الكافى من المعرفة الجنسية ، وهذه المعرفة الجنسية التى نطالب بها ليست حراما او شبه حرام بدليل ان القرآن توسع فى الحديث عن الجنس واورد ذكره فى اكثر من مكان ..



تقييد الغريزة مطلب إنساني

وتقول الدكتورة سهير القلماوي

المجتمع العربي مجتمع اسلامي وهو يتبع الدين الاسلامي وتقاليده الراسخة والاسلام يحرم الاتصال الجنسي دون زواج فليست العلاقة الجنسية في ذاتها هي التي تهم الشرع وانما المهم ما ينجم عن هذه العلاقة من أحوال تستوجب مسئوليات وتبعات .. ما موقف الطفل الذي ينجم من هذه العلاقة . وحتى اليوم وبرغم كل التقدم العلمي لا يمكن أن نمنع وجود طفل نتيجة اتصال جنسي .

من ناحية اخرى فالمرأة وهي الامينة على النسل لا بد ان تمارس ضبط النفس وان تكون ممارستها للجنس في حدود الشرع والقانون والا فماذا يصيب المجتمع لو انها اطلقت لغرائزها العنان . انها هي وهي اساسا التي تستطيع بحكم طبيعتها وأماناتها ان تشع قيمة الطهارة والقداسة لاشرف رابطة في الوجود .

المجتمع العربي حتى الذين لا يدينون فيه بالاسلام لهم من دينهم ما يوافق الاسلام على هذا ولهم من تقاليدهم ما يتمشى مع التسليم بأن عفة المرأة وطهارتها قيمة أساسية في المجتمع .

صحيح أن تحليلاتي كثيرا ، ربما في المظهر أكثر منه في الواقع ، يبدو أنه ينتشر في هذا الميدان ولكنا يجب أن ننظر الى كل مظاهر التحلل في حجمها الطبيعي . المجتمع لابد أن يتغير ولا يمكن الا أن يتغير وليس كل تغيير انحلالا . وانما قد يكون التغيير تثبيتا للقيم القديمة ودفاعا أعلى منها .

يجب ألا نحكم على المجتمع ببعض مظاهر قشرية على سطحه . المجتمع هو السواد الاعظم من الامة وهو في نظري من هذه الناحية بخير . فالمرأة أساسا طهارة وترفع عن الانقياد وراء الغرائز . والانسان الذي لا يقيد غرائزه لا يستحق أن يسمى انسانا . هذه قيود نحبها ونقدرها ونقدمها بأيدينا لانفسنا لانها ميزان انسانيتنا .

لا أريد ان أقيض وانما موقف المجتمع من التي تنقاد وراء غرائزها بدافع قهري وتريد ان تتوب وان تشقى في سبيل استرداد فرصتها في ان تطهر من جديد يجب أن يتعدل . فيكون ارحم اذا كانت الظروف تدعو الى الرحمة دون ريب



غشاء البكارة ليس دليلا على العفة..

وتقول الدكتورة نوال السعداوى

المجتمع العربي ومجتمعات أخرى كثيرة فى العالم لا تزال تحرم التجربة الجنسية قبل الزواج بالنسبة للمرأة فقط ، اما الرجل فهو يستطيع أن يتصل بالمرأة جنسيا قبل الزواج . والقيود التى يفرضها المجتمع على المرأة تتخذ مظهرا أخلاقيا وتمسكا بالعفة ولكنى لا افهم لماذا لا يفرض المجتمع العفة على رجاله ونسائه سواء بسواء هذا اذا كانت القضية قضية أخلاق وعفة .

ان القيم الاخلاقية فى المجتمع يجب أن تسري على جميع أفراده ، اما أن تسرى فقط على النساء أو على طبقة العمال مثلا فهذا يدل على شيء آخر لا يتعلق بالاخلاق وانما يتعلق بالنظام الاجتماعى السائد ، فاذا كان الحكام رأسماليين دعوا العمال الى الالتزام بصفات خلقية معينة تضمن زهدهم فى الحياة وقناعتهم وخضوعهم على حين يستمتع الحكام الرأسماليون بقيم الجشع والنهم وكل متع الحياة التى حرموها على العمال .

وكذلك بالنسبة للمرأة ، فاذا كان الرجل هو الذى يسود وهو الذى يحكم فانه يدعو المرأة الى الالتزام بالعفة ويضع أمامها العراقيل والقيود الجسمية والنفسية والقانونية ليضمن عدم حريتها ويضمن خضوعها له على حين ينطلق هو مبيحا لنفسه كل ما حرمه على المرأة من متع الحياة .

ان دراسة التاريخ تدل على أن الرق بدأ حين امتلك الرجل الارض وامتلك معها المرأة والعامل الأجير . ونبتت القيم الخلقية التى تحكم علاقة المرأة بالرجل من هذه الملكية ومن هذا الرق ، فأصبحت المرأة شيئا يبيعه الرجل ويشتريه

كأى سلعة . لقدت المرأة انسانيتها وحقها فى أن تعيش وتستمتع بالحياة كالرجل وفرضت عليها القيود باسم العفة والخلق . وكما استغل المجتمع الرسمالى اللون الاسود الذى صبغت به الطبيعة لون الزنوج ليفصلهم من السادة البيض فقد استغل الحمل والولادة وغشاء البكارة ليجعل منهم قيودا على المرأة . ويخفى المجتمع الدوافع الحقيقية التى تجعله يفرض العفة على المرأة ولا

يفرضها على الرجل ويسوق أسبابا أخرى فيقول مبررا موقفه بأن المرأة هى التى تحمل ثمرة العلاقة جنينا فى احشائها أما الرجل فلا يحمل أى أثر من آثار العلاقة . كما أن المرأة تفقد عذريتها أو غشاء البكارة على حين أن الرجل ليس عنده غشاء بكارة .

وربط المجتمع مفهوم الشرف عند البنت بسلامة غشاء البكارة ليقيدها بالسلاسل ويجعلها عاجزة عن الحركة ، والحركة هنا لا تعنى العلاقة الجنسية بالرجل فحسب ولكنها الحركة الرياضية ايضا .. فهناك بعض الرياضات ،

كركوب الخيل ، والدراجات ، مما قد يسبب تمزقا جانبيا فى الغشاء لا تحس به الفتاة . بالاضافة الى أن حوالى ٢٥ ٪ من البنات يولدن بالغشية بكارة مطاطة او متعرجة الفتحة لا تسيل منها قطرة دم واحدة عند اول اتصال بالرجل .. فهل يمكن أن تعتبر هؤلاء الـ ٢٥ ٪ من البنات غير شريفات ؟

ومن الناحية الاجتماعية فان التحايل لاثبات سلامة غشاء البكارة معروف وهناك من الوسائل التى يمكن أن تستخدمها الفتاة لتصبح عذراء بعد اتصالها بمن تشاء من الرجال ، ثم ما رأى المجتمع فى الفتيات اللاتى يمارسن الاتصال الجنسى السطحى ؟ !

أما اذا كان المجتمع قد تعلل بمسألة الحمل وفرض العفة على المرأة وليس الرجل لان المرأة هى التى تحمل الجنين فان حبوب منع الحمل تجعل موقف المرأة كموقف الرجل وكما يستطيع الرجل أن يمارس الجنس دون أن يحمل فى أحشائه جنينا فان

المرأة أيضا تستطيع أن تمارس الجنس دون أن تحمل جنينا . والآن .. أى تبرير يمكن أن يسوقه المجتمع ليقيد المرأة دون الرجل بعد أن اتضح أن العذرية ليست دليلا للشرف وان الحمل يمكن أن يمنع بارادة المرأة ؟

قد يلجأ المجتمع الى الدين ، وكثيرا ما استغل الدين لتقييد حرية المرأة واخضاعها للرجل .. على أن الدين فى جوهره وروحه الحقة يسوى بين النساء والرجال ، والاغنياء ، والفقراء ، والناس جميعا . ولا أظن أن هناك دينا من الاديان يدعو الى العدل بين الناس ثم يفرض العفة على نصف المجتمع ويترك النصف الآخر حرا طليقا يمارس كل شهواته بغير قيود ؟

ولعل من أسوأ تقاليد مجتمعنا والذى تسب الى الدين خطأ تقليد « ختان » البنات أو بتر الجزء الحساس من اعضائهن التناسلية فأصيبت معظم النساء العربيات بالبرود الجنسى ، وأصيب عدد كبير من الرجال بالانحرافات الجنسية وادمان الحشيش والمخدرات .

وانا فى أشد الحاجة الى ان نعيد النظر الى بعض القيم والتقاليد السائدة فى مجتمعنا والتى تجعل لنا حياتين متناقضتين ، حياة ظاهرية ، تتمسك بمظاهر العفة ، وحياة خفية على نقيض الحياة الظاهرية .. ونحن فى أشد الحاجة الى تغيير نظرتنا للمرأة ، فهى ليست شيئا او سلعة يشتريها الرجل بالصداق ، ويملكها بالزواج ، ومن حقها ان تستمتع بالحياة كالرجل ، ومن حقها ان تعرف الرجل الذى سيصبح شريكا لحياتها معرفة دقيقة وصحيحة ..

يجب أن تكون « الخبرة » قيمة خلقية جديدة وأن نقضى على القيمة القديمة التى كانت تتغنى بالفتاة الجاهلة أو « القطة المغمضة » العمياء التى لا تعرف عن الرجل أو الحياة شيئا .. ان متطلبات الحياة الحديثة تقتضى يقظة المرأة وتجربتها وخبرتها .. ولماذا نشترط الخبرة فى كل الاعمال وكل المجالات فى الحياة فيما

عدا الحياة الزوجية التى نشترط فيها جهل المرأة وعدم خبرتها ؟ ! مع ان الحياة الزوجية أكثر المجالات حاجة الى الخبرة والتجربة لتنجح وتتغلب على الصعوبات التى تعترض مسارها طوال العمر .. كما ان الدليل على الشرف والعفة فى رأيى ليس هو مجرد وجود عقد من ورق ، وليس هو مجرد وجود غشاء رقيق ، وانما هو الصدق والنضج فى الحب ..

ومشكلتنا فى مجتمعنا أننا نأخذ الكثير من الوسائل الحديثة ، كحبوب منع الحمل مثلا ، دون أن نبلغ النضج الكافى لاستخدام مثل هذه الوسائل

ونحن فى حاجة الى نضج ، والى فهم أكثر ، والى صدق أكثر ، ولايكون ذلك الا بالثقافة المستمرة ، والتى تبدأ بالاطفال ، والتى تسوى بين البنت والولد فى التربية وفى الحقوق والواجبات ، وكذلك الكشف المستمر لعيوبنا وعلاجها ..

د. سهير القلماوي



المرأة والجنس

لا يوجد كتاب فيما أعرف يزخر بالمخلوقات والحركة والمعلومات والعواطف بمثل مايزخر بها كتاب الف ليلة وليلة كتاب تتوالى فيه الاحداث ارضا وبحرا وسماء فى أعماق الدنيا وفوق آفاق السماء بسرعة متلاحقة فيها مفاجآت وعجائب ليس لها آخر والانسان فيه تارة انسان واخرى مسحور الى جماد او حيوان او جان أو هو نصف انسان ونصف حيوان يتعامل مع الحيوان والطير ومركبات من الانسان والحيوان والطير لا يمكن ان تحصر ولكن مع كل هذا فالانسان ابدا بخصائصه الاولية يروح ويجيء وسط هذا الصخب الشديد ينشر حوله قيما ثابتة هى قيم عالم التجار فى قرون طويلة من العصر الحديث .



فى ألف ليلة وليلة

نظرة الانسان فى الليالى الى الحياة هى نظرة انسان القرون الوسطى الاسلامية فى مجتمع يتغلب فيه الخير على الشر دائما ويثاب كل انسان هنا وعلى الارض على عمله اعدل ثواب . والمرأة فى هذا المجتمع مجتمع التجار تظهر باشكال عديدة هى المرأة الحرة : الام والاخت او ابنة العم او الزوجة وهى الجارية المحبة دائما والكثيرة الفراق لمن تحب . وهى المرأة الجنية والمرأة المسترجلة او المحاربة «الامازون» وهى المرأة الخادعة والشريرة والكائدة وذات الدواهى . صنوف عديدة متنوعة يلقى عليها دورها فى القصة انعكاسات تتحكم فى شكلها فالكائدة دائما بشعة والقوادة دائما غير جميلة واسعة الحيلة لبقة ظريفة والمحاربة جمالها مثل جمال الجارية العاقلة مثل جمال الشابة الثرية الدالة . كلهن سواء حتى الجنية فى السحاب او فى قاع البحار مثل منار السنا حبيبة «حسن البصرى» او جلنار البحرية حبيبة الملك بدر باسم كلهن ايضا سواء . جمال له الفاظ محفوظة ترص رصا بمجرد ظهور البطلة على مسرح الاحداث حتى الثياب التى تلبسها لو حللناها لدلت على خطوط «موضة» واحدة . مثل الثوب الطويل ذى الزنار العريض المرصع بالجواهر والقماش دائما شفاف وعلى الراس تاج او طوق مرصع بالجواهر واللباس مطرز بالذهب والفضة ، واللآلىء فى العنق ثمينة نادرة وقد تلبس عقدا من العنبر تفوح رائحته فتملأ المكان سحرا . ولا يذكر القاص خالها المرأة الا نادرا عندما يريدها تترك علامة تدل عليها ولا يذكر لها خلخالا ولا قرطا . ولا تدخل الحسناء مسرح الاحداث هكذا دون مقدمات . وقد تكون مقدمات تعكس جمالها على طائفة غيرها من الحسناوات اللاتى تبرزن او غيرها من الوصيفات او الاخوات . فحسن البصرى يرى جميلته وسط اخواتها عندما ينزعن عنهن لباسهن الريش فاذا هن شابات جميلات على حافة البحيرة ينزلن للاستحمام . «وشركان» يرى حسناءه ، فى قصة «عمر النعمان» ، وسط دير فى الصحراء حولها وصيفات وحولها ايضا بذخ معمارى فريد يصف القاص فيه ابوابا من العاج المرصع بالدر والجواهر والشبابيك والجدران وارض الدير من الرخام المجزع ، والتماثيل او الصور المجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك فى جوفها الآن يتخيل للناظر انها تتكلم ، والجارية جالسة على ايوان مفروش بانواع الحرير والستر المكللة بالذهب

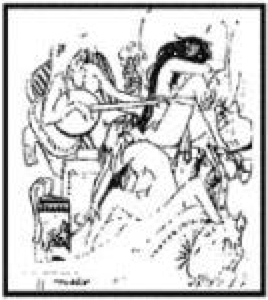
وبركة الماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب يخرج منها الماء كاللجين الخ

فاذا ذكرت الورود في مجالس الغرام او المأكولات تفنن القاص في الدقة والتنوع معا . وبالغ مبالغة الجوعان يحلم بالطعام الغالي اللذيذ، ولا بأس في ظروف أخرى ان يذكر الجمل الذي في جوفه خروف في جوفه ديك في جوفه فرخة الخ امعانا في وصف ما يتحلب شوقا اليه ..

وبهذا المنطق يصور جسد المرأة . أرداف ثقيلة ترجرج وخصر نحيل ووجه يمتاز بصغر الانف والفم وجمال العين الكحيلة الواسعة . والجمال ليس كله جسديا وان كان في وصف أعضاء الجنس يمعن في المبالغة نعومة وبربرة كما يقول. والقاص يؤكد على الظرف والقدرة على المداعبة واثارة الشهوة، بل كثيرا ماتكون الجارية جميلة الصوت بارعة العزف على العود . واحيانا تكون عالمة بالادب بل انها تصل احيانا الى جمود الفقيه العالم كما نجد في وصف «تودد» الجارية في القصة المرونة باسمها والتي يغلب انها مجرد اضافة متأخرة مقحمة على الليالي فلا يمكن ان تكون مثل هذه القصة مما يقص شفاها .

والحب في الليالي اما حب ابنة العم أو حب امرأة التي قد تكون بنت ملك عدو ملك الروم أو النصارى احيانا أو ملك فارس أو غير ذلك ولكنها في الاغلب والاعم جارية .

وان كان القاص حريصا على حصانة المرأة الحرة من حيث الاحداث فهو ليس حريصا على أي شيء عندما يصف منظر اللقاء بين اي رجل واي امرأة . هنا تنقلب الحرة الى جارية اتقنت فن العشق وان كانت بكرا فهي تتصرف مثل امرأة متمرسة تلذ اخذات الجنس حرفتها وغايتها في الحياة وحتى موضوع البكارة فان القاص لا ينظر اليه على انها قيمة خلقية او اجتماعية وانما هو ينظر اليها على انها اضافة عضوية لجمال المرأة لا اكثر ولا اقل اي انها قيمة استمتاعية وكثيرا ما تكون المرأة حتى البكر هي التي تقبل على الرجل وهي التي تفتح المنظر وتغري بالتلاقي . وما الاحداث السابقة كلها الا مجرد حشد ينسى أحيانا عند وصف منظر التلاقي بين المرأة والرجل. والطريف أننا لا نجد هذا المنظر يوصف بنفس التفاصيل فحسب ولكنه بنفس الكلمات ايضا .



وحتى اذا اعتبر هذا المنظر شذوذا في الاحداث فاننا نجد الشبه قويا جدا كما نجد في منظرين توأمين تماما في قصة «مريم الزنارية » وقصة « علي شار وزمرد الجارية » حيث تكون المرأة قد اضطرت لسبب او لآخر أن تظهر بمظهر الرجال ويصل بها الامر الا ان تكون ملكا على قوم من الناس ثم يأتيها حبيبها فتعرفه ولايعرفها وتصر على أن تنفرد به وتدعوه الى نفسها . فيأبى ظانا أنها رجل ولا يعرفها الا بعد أن تكون قد أرغمته على أن يتحسس جسدها ليجدها امرأة ثم يعرف انها حبيبته . ومثل هذا المنظر

فرصة لان يصف القاص اعضاء المرأة تفصيلا كما يصف لوزان الغريزة عند الطرفين .

ولا يجد القاص الشعبي أي حرج في ذكر أوصاف الاعضاء التناسلية من حيث هي كما نجد في قصة « الحمال والثلاث بنات » فلا غاية لهذا الوصف ولا غرض الا مجرد وصف لهتك هؤلاء البنات . يريد القاص ان يصف كبتهن وجوعهن فيمعن في التعدد والتنوع كما يفعل في وصف ثراء القصر او مائدة الطعام أو فاخر الجواهر والثياب مبالغة كمية ونوعية .

ان العلاقة الطبيعية بين المرأة والرجل قلما توجد في هذا القصص الزاخر بالحركة والاحداث وانما علاقة الجارية المدربة كما كان يشتهيها العامة باعتبارها كنزا ، في يد الاغنياء هي التي تستأثر باكثر الوصف في هذه العلاقة . ان الاحداث كلها قد تكون محكمة شيقة وخاصة في وصف صعاب الفراق ومشاق الرحلة الى اللقاء ولكن بمجرد ان يحدث اللقـــاء تنقلب كل امرأة الى جارية صناعتها الجنس .

والقاص الشعبي مشغول جدا بغريزة الجنس يحاول أن يتخيل مستوفا من الرجال « والغلمان على قلة » ومستوفا من النساء على كثرة لا حصر لها . ولكن المرأة دائما هي الجنس مادامت شابة فهي حتى عندما تكون مسترجلة اى تكون محاربة نراها دائما أنثى . تصرع منازليها بالنظرة التى تعقبها ألف حسرة أو النظرة التى تخلخل ثوبه فاذا هو أمام عينها ضعيف وذليل وما يكادان ينفردان حتى تصبح جارية عادية لا علاقة بينها وبين المحاربة .

والقاص يفصـــل المواقف كمجالس البنات اللاتى يفاضلن بين انواع الرجال والمفاضلة تشمل صـــفات كثيرة ولكنها تضغط على صفات الجنس والقـــدرة الشاذة على ممارسته .

ولكن المرأة في ألف ليلة منذ البداية



فى المقـــدمة تجدها قد تحدد الاهم فى مسارها . انها اما امراة العـزيز التى تدعو يوسف الى نفسها وتخون زوجها واما هى حواء التى اخرجت ادم من الجنة لانها فتنت ادم عن ربه وهى فى الحالين فتنة تجلب العذاب .

والخائنة تحتل قسما كبيرا من قصص الليالى فشـهريار نفسه لم يحتج الى قصص شهر زاد الا لان امراته خانته مع عبدلها اثناء سفره . وهذا ملك بريدان يزوج ابنه فيرفض الابن وتقوم بين الوزراء السبعة وجارية الملك مناظرات وقصص على خيانة المرأة فى كل قصة تفنن وحيل جديدة تستطيع بها المراة ان تغش زوجها وأن تخفى حبيبها او اى رجل اخر وربما صبى فتنها عن الزوج أو تحتال لاخراجه من غرفتها بعد أن تكون قـد اخترعت قصة تغش بها الزوج . هذه القصص تبنى على أساس قوى فى مجتمع التجار . هذا المجتمع المبنى على التنقل والترحال وتلق التاجر على بيته وشكه فى امراته التى يضطر عادة الى تركها من ورائه وأبنائه حتى يعود من سفراته وما أكثر سفراته .

وتصف الليالى لونا مريضـــا من النساء تلود فيهن شهوة غير عادية ولكن الليالى تصفون على أنهن مرضى يحتجن الى سحر او علاج عجوز أو ساحرة حتى يعدن طبيعيات . كما نجد فى قصـــة « وردان **الجزار** » حيث يراقب حسناء فى غاية الحسن تشترى لحما كل يوم بمقدار غير عادى لتطعم دبا ليكتشف سر العلاقة بين المراة والدب ويتزوجها ولا يقدر عليها حتى تخرج له عجوز دودة سوداء واخرى بيضاء من جوفها لتعود غريزتها الجنسية الى اتزانها الطبيعى .

ان اهم ما تدور حوله قصص الليالى هو احداث الفراق بين المحبين . هـذا الفراق الذى يجـد الشرق والتطلع فى نفوس العامة وهم يرون كبار التجـار فى سوق الجوارى يحظون بجميلات لاسبيل الى متلين بالنسبة للرجل العادى . لذلك ماتكاد الحسناء تظهر حتى يراها الرجل العادى « ينظر اليها نظرة تعقبها الف حسرة » وبعد الالف حسرة هذه تتوالى احداث القصة عقبات وعقبات فى سبيل الوصول الى المحبوبة . والقاص متعاطف كل التعاطف مع الحب الرجل والحبة المراة ولكن الساعى والشقى دائما هو الرجل ، بحكم طبيعة البيئة . هو الذى يسافر فى البحر أو يصعد الى السماء او يدخل السراديب التى لا نهاية لها أو تحمله العفاريت فى اجواء السماء أو اعماق البحار سعيا وراء الجميلة التى رآها

وقد تكون الجميلة جارية الخليفة او ابنة ملك والاصعب أن تكون بنت ملك من الجان فهنا تكون الصعاب التى لاحصر لها . ويدخل العاشق البلاط بكل جلاله وكأنه بيت عادى وتدور بين جـدرانه احداث اللقاء المحرم . بل أن السيدة زبيدة أخت هارون الرشيد تشارك بالحيل وبالسعى للجمع بين الحبيبين ، وبالمكائد لابعاد قرت القلوب عن الرشيد كمـــا لو كانت جارية عادية من جوارى التجار من عامة الشعب .

اما الحب بين المراة والجن فيويتكرر كثيرا . ويكون فى بعضه ، لاثبات انه حتى الجن لا تستطيع ان تمنع المراة من الخيانة .. وفى المقدمة نموذج قوى من الشابة التى خطفها الجان يوم زفافهـا عروسا وحبسها فى صندوق يحمله على ظهره ما يكاد يستريح ويفتح لها وينام على فخذها حتى تدعو رأسه وتراود شهريار الملك واخاه شهزمان وكانا قد جلسا تحت الشجرة يجتران همهما بعد ثبوت خيانة زوجة كل منهما لزوجها . وتنص الشابة

قصتها وزيهما طائفة كبيرة من خواتم من استجابوا لندائها وخانت معهم العفريت او الجن رغم انه عفريت ورغم انه يحبسها في صندوق محكم القفل . ويتكرر حب العفريت او الجان للجميلة في قصص كثير يدخل فيه الحب الانسان في صراع مع الجن حول من يفوز بالجميلة وهي جارية في كل الاحوال حتى وان ظهرت احيانا على انها بنت ملك من ملوك الارض .

ولما كانت تجارة الرقيق امرا مألوفا في ذلك الزمان ولما كانت تجارة الاماء او الجوارى ارقى من تجارة الرقيق الذى يطلب للعمل او الخدمة فان التاجر كان يتفنن في اعداد الجارية للعرض . يعلمها وكثيرا تتقن الغناء والضرب على العود . وربما تعرف ايضا الشطرنج والادب ولكل ميزة يرتفع ثمنها في السوق ويتنافس التجار على شرائها والنخاس او تاجر الرقيق هو الكاسب دائما . والجارية التحفة لها قلب تحب احيانا من لاقدرة له على شرائها فاحيانا تختلى بالحبيب لتعطيه ما يشتريه بها او يرفض كل منهما الفراق الى ان تدبر الجارية وسيلة لتفك من اسر من اشتراها وتعود الى حبيبها .

ويحدث احيانا ان يتزوج بالخطأ اخ اخته وتتعقد الامور ولكن بمجرد ان يعرف الاخ ذلك يقف الى جانب الاخت موقف الشهم الذى يريد ان يصلح الامور ولا يرتكب هذا الحرام ابدا . اما خيانة الزوج فهى ليست بهذا القدر من التحريم .

وحب المسلم للنصرانية يظهر بشكل قوى . وفي الحروب في قصة « عمر النعمان » بين المسلمين والروم نرى كيف تطغى الحياة اليومية والعلاقات الانسانية العادية على احداث الحرب فتدفنها وكأنما هي مجرد ديكور مسرحي او حيلة اخراج للمسرحية التي اساسها حب المرأة والرجل . كذلك حب المسلم للمجوسية نجد الدين هنا مجرد صعوبة من الصعاب ..

والعجيب اننا لا نجد ذكرا لما نجده في الادب الرسمي من الشراب او التماثم او الحيل التي يشفى بها الانسان من الحب

ان الحب في الادب الشعبي قدر لا مفر منه وحتى اذا وجد العقار الذى يحيل المرأة رجلا والرجل امرأة فانه يذكر عرضا وهذا العقار لا يلعب أى دور حتى في القصة التي يرد ذكره فيها .

والقاص يتساءل ايهما اقوى شهوة الرجل ام المرأة وهناك قصة جميلة جدا يدور فيها الرهان بين اثنين من الجن على هذا الموضوع . وتحضر الجنية « ميمونة » الملكة « بدور » من بلاد الصين ويحضر الجن « دهنش » الملك « قمر الزمان » ابن الملك شهرمان ويجملان الجميلين في سرير واحد ويوقظان كلا منهما على انفراد ويراقبان تلهف كل منهما على الاخر . وينتهى القاص الرهان وتعود « بدور » الى بلدها « وقمر الزمان » يصحو في القلعة التي سجنه فيها ابوه لانه لا يريد ان يتزوج وتبدأ مأساة حبيبين لا يعرفان شيئا عن بعضهما البعض وكل ما يجعلهما على يقين من ان الحبيب موجود وليس حلما او خيالا هو هذا الخاتم الذى نزعه كل منهما من اصبع صاحبه واتخذه لنفسه دليلا على الحبيب الذى رآه وفتن به حبا . اما القضية الاساسية ايهما اقوى شهوة فقد تووريت ولم يعد القاص الى ذكرها .

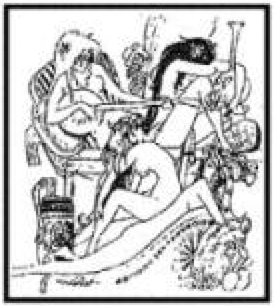
ومن طريف ما تعرض الليالى مشكلة المحلل الذى يستعان به لكى تعود المرأة الى زوجها فيحب المرأة ولا يريد فراقها.

وهناك قصة طريفة من « حريم بعض الاكابر » كما يسميها القاص حيث تصادف رجلا يبكى على استار الكعبة فعندما يسأل عن سر بكائه ودعائه الشاذ يقص كيف أن جميلة ارادت الانتقام من زوجها فنادته وهو زبال فى الشارع وامرت بحمامه والباسه فاخر الثياب لتخون زوجها معه انتقاما من خيانته لها، ولم يحيا طبعا بقلب هذا الذى تعلق بها وها هو على استار الكعبة يدعو الله ان يخونها زوجها ليجتمع بها مرة اخرى .

والصلة بين الضرائر تبدو احيانا عجيبة فهذه قصة تصور كيف ان ابن كل من الضرتين يحب ضرة امه، واحيانا نجد الضرائر متحابات من غير هذه العلاقة الشاذة . كل هذا يثبت كيف ان المرأة كانت محكومة بجو الاماء والجوارى وجو السلطة المطلقة للرجل على المرأة .

وهناك صور من الحب العنيف الضحى بشكل مأساوى جذاب ففى قصة « عبد الله المصرى » والشاب السارق يرضى الشابان بموت بتهمة انه سارق ولا يبوح بأنه كان فى القصر للقاء حبيبته زوج الحاكم . والى جوارها صور طريفة ايضا من حيل المرأة التى تريد ان تحافظ على طهارتها فهذا رجل يريدها فتتحايل عليه لتقرأ كتابا فى الزنا فما يكاد يقرؤه حتى ينصرف عنها متعظا بما قرأ . كل هذا طبعا فى جو مشبع بالاقوال والمواقف التى تجعل مثل هذا العمل الشاذ متقبلا الى حد بعيد .

وكثيرات من النساء يلعبن دون الاخوة لرجل يحب غيرهن ويسعين معه وان كن شابات جميلات ليصل الى من يحب واحيانا يكن من يحببن الرجل دون امل ولكن توجد هذه التى تخون اختها او تنافسها على حب رجل بعينه . بين الجميلات جميعا ميثاق بعدم اعتداء، والحب



قيمة معترف بها والحب الفارق له حرمة وعلى الناس بل على الانس والجن أن يساعدوه على أن يصل . فالحرمان حرام

وليست كل النساء فى ألف ليلة وليلة حبيبات ؛ فهناك الاخوات والامهات اللاتى لهن حرمة اوشبه قداسة وهناك العاملات فى ميادين كثيرة غير ميدان الحب . ولكن الحب هو الاساس الذى تدور حوله قصص الليالى وليس كله حبا جنسيا محروما كما هو فى الاغلب وانما هناك حب يصور الحياة الطبيعية بين الرجل والمرأة بعيدا عن الجنس كأن يصور مثلا مدى تعنت المرأة وتفننها فى أن تمكر بزوجها الزوج او تستغل حبه لها اسوأ استغلال كما نجد فى قصة « فاطمة العرة » زوج « معروف الاسكافى » التى تكيل له العذاب كيلا فى شكل دلال شاذ .

واخيرا تترك هذا العالم الزاخر بالحب والجنس والكيدة والعذاب فى سبيل الوصول الى المحبوب فلعل غيرنا يستطيع ان يفجر طاقات هذا الكتاب العجيب الذى ظل يلهم قصصا ومسرحا ورقصا ولوحات وموسيقى قرنين اويزيد بحيث يعود هذا النجم الى اهله لا فى عالم الاطفال كما نجد فيما ترجمنا عن الغرب منه وانما فى عالم الكبار فى دنيا الادب والفن بكل مالهما من عمق وشمول وطاقة على احتمال قضايا العصر .

القصر المهجور

قصة بقلم

عصمت عطية

« هذه القصة لكاتب عربى كبير آثر ان ينشرها بتوقيع مستعار » . . .



بريشة الفنان : حلمى التونى

— ١ —

« ركعت وركعت ..

ثم ادرك انى كنت حافية الا حين تركت قدماى السجاد الى برودة البلاط . لم ادرك انى كنت عارية الا حين اصطدم وجهى بالحائط وانهرست حلمتا ثديى على سطح ناعم ، صقيل ، بارد ، كان هو المرآة على الجدار

هل كانت مرآة الجدار كله كان مرآة مصقولة ، كان لوحا رأيت فيه عريى واضحا حين ابتعدت وقد ادهشتنى الصدمة وفاجأتنى برودة البلور

ولم اعرف من أين جاء النور الذى رأيت فيه صورتى فى المرآة . فالممرات التى جئت منها كانت مظلمة ، سوداء بلون شعرى .. شعرى المعتم الذى اراه الآن يحتضن وجهى ، ينهمر جداول على كتفى

من اين جاء النور الذى ارى فيه صورتى فى المرآة ، بعد الظلام الذى ركعت فيه فى الممرات ؟ من السقف ؟ من الارضية ؟ من وراء المرآة ، ام انه جسدى هو الذى كان يشع النور لترى نفسى فيه نفسى ، ولاكتشف فيه عالما لم اعرفه منى ، من خباياى ، من خفاياى ، من مطاوى ؟

فى نظرة مبهورة وقفت اتأملنى . أهذا انا ؟ كأنى لم ار نفسى قبل الآن . او كان هذه المرآة تنفث سحرا يغلف النور فى الثنايا

وان كانت هذه الالوان من الجمال التى كنت



اجهلها منى ؟ ابتعدت الى الوراء خطوات ، فابتعدت مثلى صورتى فى المرآة . ها انا قد طويل مشيق ، اسمر سمرة القرب من السواحيت يحتجب النور بثنية او استدارة ، وفى لون البرونز المصقول حيث ينصب النور مضيئا صريحا . وشعرى ، ما كنت الفه طويلا هكذا ازحته بنزق عن صدرى وعن وجهى ، فارتمى وراء كتفى كوشاح فتنة اندلسية فى حلكة لونه وكثافة خصلاته

تحت هذا الوشاح تاملت فى وجهى . عيناى واسعتان ، توهضان وميضا غريبا لعله وميض نشوة الدهشة من انى اجد نفسى هكذا فى هذه القمة من الجمال . وابتسمت لهذه الفكرة فالتمعت ، فى سمرة وجهى الخمرية وبين شفتى المرجتين ، اسنانى الناصعة البياض . اسنانى سكين عاج بين فلقتى ثمرة ارجوانية اللون هاشتفتاى

لم تكن النشوة فى عينى فقط ، فقد اخذت احس بدبيبها يملا صدرى . اخذ صدرى يعلو ويهبط وانا اجيل نظرى فى استدارة ثديى ولون هالتيهما الخمرى . سارت النشوة مع نظراتى ... تسلقت اولا عنقى الطويل من جانبيه الى منبت الشعر وراء اذنى ، ثم هبطت . انحدرت الى خصرى ، الى الجانبين المصاوين .. الى مادون . فرفعت رأسى وندائى لرضا لا يزال على شفتى . كنت انتظر ان يكون هو ، رضا ، قد اجاب على ندائى . ولكنه لم يكن هو ... كان الشعاعان شعاعى لهب صقيعى ينبعثان من عينى نائلة ...

نعم انها نائلة ! مدت يدها الى فازاحت ذوائب شعرى عن وجهى ، ثم سارت براحة كفها على ذراعى حتى بلغت بها كفى ، فتناولتها وقالت :

ــ تعالى .

قلت : ــ هكذا ؟

قالت : ــ تعالى ياحنان هكذا . انت جميلة هكذا . تاملى فى المرآة .. انظرى كم انت رائعة ! فتبعتها ، كما انا ، عارية . لم اتطلع الى نفسى فى المرآة ، فقد تحولت انا عنها ، تحولت هى الى جماد كامد . ولكنى تطلعت الى نفسى فى عينى نائلة ، فخفت ، وتبعتها .

نائلة ياسمينة .. انها زهرة ياسمين صغيرة فائقة الجمال ، مسكرة العطر . ليست طويلة القامة مثلى ، ولكنها فى قدها الصغير هى الحياة مركزة فى برعم . ثوبها الابيض ، الناصع فى بياضه ، شعرى التناسب مع لون بشرتها الزهرى ، ومع عينيها الخضراوين الواسعتين ، ومع شفتيها اللتين تتفجران بالحيوية والشهوة .

القصر المهجور

تبعت نائلة وانا اقول .

ــ الجو بارد ، وأنا عارية

قالت : الليل فى الشرفة دافىء . تعالى معى الى الشرفة

صدقت نائلة ، واستمررت فى اتباعها وانا خائفة . كنت اعلم ان القصر حيث انا ونائلة كان مهجورا ، وان ليس فى الشرفة احد غير شجرة الياسمين . ستاخذنى نائلة الى اخواتها الان ،

الى الياسمينات . لو ان رضا كان في القصر ! لو ان الخادم كان في القصر ... لو ان سائق السيارة كان في القصر ، لكان الامر اهون . اما ان اكون انا ونائلة وشجرة الياسمين وحدنا في الشرفة ! ..

ومع ذلك فانى تبعت نائلة . كان الليل هنالك في الشرفة ، كما قالت نائلة ، دافئا . ولكنى كنت احس



برودة الصلب تتسرب من اناملها الى جسمى ، فارتعش . وعيناها ، عيناها الخضراوان ، وهما تتطلعان الى

فابتسمت شفتاها ، اما عيناها الخضراوان فضحكتا ضحكة ساخرة . ووقفت معى على حافة الشرفة حيث كانت زهرات الياسمين على بساط اوراق شجرتها الخضر تلتمع كاعين النجوم في زرقة السماء . هنالك تحول ذراع نائلة اللين ، البض ، الى غصن ياسمين اخضر يطوق خصرى . وتحولت غصون شجرة الياسمين الى اذرع متسابقة في الالتفاف حولى . هل كان الغصون الياسمينة اشواك ؟ ربما !

— ٢ —

النور الساطع يبهر عينى وهما مغمضتان ، ففتحتهما لاتجنب حريق بشرتهما به . ذلك النور كان نور الصباح المتحرك بجانب السرير ، فقد اغرقنى بوهجه فوق راسى . فوق راسى رأيت رضا منحنيا ، يتاملنى تحت النور الكاشف .

احطت وجهى بذراعى التى بها الوهج ، وهمست وانا لا اصدق ان لى صوتا يسمع :

— رضا ... اين انا ؟

فسمعت ضحكة ، ثم :

— اسالى نائلة .

— نائلة ؟ .. اين هى ؟

— كنت تناديتها قبل لحظة . اى حلم كنت فيه غارقة ؟

فانطويت على نفسى وتساءلت : الن كان ذلك حلما ! ذلك الشيء المخيف .. مخيف ؟ ذلك الشيء اللذيذ والراعب .. اللذيذ حقا .. كان حلما ! ..

— كان صوتك ابح .

فاستدرت في فراشى ، وغمرت راسى باللحاف لاتجنب الضوء والصوت ، الصارخين ، من الصباح ومن رضا . قلت ، كانى احدث طيات اللحاف :

— كم الساعة ؟ متى عدت ؟

فاتانى صوته من بعيد يقول : — لم اذهب حتى اعود . كنت اكتب التقرير في صالون الفندق . خطر لى ان القى عليك نظرة ، وانت نائمة ، فرايت شيئا رائعا . عودى الى نومك ولا تنسى الحلم . سأسالك عنه في الصباح

سكت . بعد لحظات احسست بباب الغرفة يغلق وراءه ، فرفعت راسى في حذر ثم ابعدت عن عينى اللحاف . كان قد اطفا النور قبل ان يخرج ، فجذبت من صدرى نفسا عميقا وجلست في فراشى في الظلمة ، حانية راسى على صدرى .

الن ... القصر المهجور بأروقته الخالية وشرفه الموحشة وجدرانه المرآة ، كان حلما ! ونائلة تلك التى كانت الى جانبى في ثوبها الابيض ، كانت حلما

كذلك ! ... لقد تذكرت: انه الثوب الذى رأيتها فيه ليلة سهرنا معا فى مطعم المطار ... نظراتها الليلة، قبل لحظات، مثل نظراتها تلك فى تلك السهرة. وكان حلما ولاشك تحول ذراع نائلة ، الفضى ، البض ، الزئبقى ، الى غصن ياسمين مورق فاس طوق قدى ثم تدلى الى خصرى، ثم تسلل وتمادى. وكانت حلما دغدغة اشواك اغصون الياسمين لبشرتى ، دغدغة لا ازال احس منها وخزات دقيقة على باطن فخذى ، عند اروشى فخذى ...

مددت يدى اللمس ، كالمتفقدة ، مغارس تلك الاشواك من ثنايا جسدى ، ثم توقفت فجأة . تبادر الى ذهنى أن نائلة التى رأيتها فى الحلم كانت هى نائلة ، كما اعرفها .. اما انا فلم اكن انا . صورتى التى تراءت لى فى المرآة لم تكن صورتى ، اناحتان .. كيف بدوت لنفسى امام المرآة سمراء ، طويلة القامة ، يضرب شعرى الى خصرى ، واسعة العينين ، كانى احدى الحسان الاندلسيات التى طالما رأيت صورهن فى لوحات اعلانات شركات الاسفار !

انا فى الحقيقة كنائلة ، جميلة التكوين ، وصغيرة القد مثلها . بشرتى بيضاء ، وعيناى عسليتان ، وثدياى على صلابتهما صغيران كثديى راهبة لم تداعب صدرها انامل رجل. ان رضا يحبنى كما انا ، ويقول لى انه مغرم بى لانى هكذا ، ويكرر على قوله ان ليس هو الفنانين من يحب الطويلات من النساء ، والفنانون ، على قوله ، لا يعرفون المرأة الانثى حق المعرفة لانهم فى العادة شاذون .. لا يحبون النساء !

نعم ان رضا يحبنى كما انا . ولكنى احببت نفسى كما رأيتها قبل لحظات فى الحلم . متى كان ذلك ؟ قبل لحظات ، ام قبل دهور ؟ واحسست بالخجل لانى اعترفت لنفسى بانى احب نفسى فى ذلك الشكل التمثال ، الثر ، الشيق ، الذى تبدى لى فى المرآة التى كانت على الجدار. ونائلة ؟ لماذا كانت تنظر الى بتلك الصلابة وذلك البرود ؟ ولماذا خفت منها؟

اخذت استعيد لنفسى تفاصيل الحلم ، فوجدتنى منتشية باستعادته . لابد لى من ان اعيد التفاصيل على نفسى حتى لترسخ فى ذهنى، فان رضا سيسألنى عنها غدا . سأقص انا الحلم عليه ، وسيفسر لى هو معناه . ووجدتنى أتردد . لا ... لن اقص ذلك الحلم على رضا . لانى زوجة موارية مرة واحدة. بل لاقلها .. لانى زوجة خائنة ، فاكتم عن زوجى بعض ما بنفسى مرة واحدة.

ونمت ، فلم اشعر

القصر المهجور

برضا حين عاد ، حتى الصباح .

— ٣ —

احلامى كان رضا يعرفها اكثر منى انا . انا كنت ارى من الاحلام صورها وحكاياتها الهلهلة ، اما رضا فكان يدرك مغازيها ، ما تدل عليه وما تستره . ذلك ان رضا ، زوجى ، استاذ فى التحليل النفسى ، عنده شهادة فيه من مستشفى

السالبتريير في باريس ، ومكتبه مملوءة بمؤلفات اناس شهيرين من اطباء وعلماء نفس واخصائيين في الاضطرابات النفسية والعقلية ...

منذ تزوجت رضا ، منذ ثمانية اعوام ، وانا كتاب مفتوح امام عينيه . انه يعرف كل هواجسي ودوافعي من تحليله لاحلامي . وهو لم يتزوجني الا بعد ان



قبلت ، مدفوعة بحبي له ، ان اقص عليه حياتي وانا مضطجعة على الديوان الطويل في شقته ... ذلك الديوان الذي كنت امنحه عليه نفسي عارية كل العرى ، تارة من ثيابي وتارة من أوهامي ورواسب ايامي وعقد نفسي .

ومنذ ثمانية اعوام وليس في حياتي سرا اخفيه عن رضا . في طواعية كنت اقص عليه ما يغمض على من حياتي الواعية واللاواعية ، واجد لذة في أن ألقى منه تفسيرا لما كنت اظنه يعذبني بجهله وبغموضه على . ولكن ماذا بي اليوم ؟ في الصباح ، حين افقت وتطلعت الى رضا النائم الى جانبي ، معطيا اياي ظهره ، وعلى كتفيه الابيضين العاريين

تلمع جرزتان من شعره الاشقر ، عادت الى نفسي تلك الرغبة الغريبة في ان اكتمه حلمي هذه المرة .. في أن احفظ ذلك الحلم ، بلذاته ومخاوفه ، لي .. لي وحدي ..

ايمكنني هذا ؟ الى اقدر على الكتمان الى امد .. مؤقتا . فقد كان علينا ان نسافر من بيروت حيث نحن الان ، الى دمشق ، اليوم . وقبل ان نترك بيروت علينا ان نتهيأ للسفر ونودع ، في التليفون

وعلى الطريق ، بعض الاصحاب ، وان نشترى بعض الاشياء . طمعت في ان يلهى ذلك رضا عن حلمي ، فيترك لي فرصة اتناسى بها ان اقصه عليه . فلم يكن من عادة رضا ان يسألني ، بل كنت انا التي تبادره الحديث عن احلام النام او اليقظة ، وعن الرغبات الواعية واللاواعية اما هو ، فانه يكون في مقعده وراء المكتب ، او الى جانب الموقد الاصطناعي في بهو منزلنا ، أو في غرفة نومنا ، هو في كرسيه وانا مضطجعة .. اتكلم انا وهو يصغى . يصغى ، ثم يبتسم ، ثم يحلل ويعطى اراده واضحة قاطعة .

نعم ، لم يكن من عادة رضا ان يسألني . الا ان مالم يحدث قبلا حدث اليوم . ربما لاني قبل الان كنت اكفيه مؤونة السؤال ، واني لم اكفه اياها اليوم . فبعد ان تركنا بيروت عن طريق الكورنيش ، وقبل ان تتخلص من زحام المدينة ، سمعته يقول :

ــ ماذا كان ذلك الحلم؟

فكدت لدهشتي انحرف بمقود السيارة فاجعل السيارة التي كانت تريد ان تتجاوزنا تصدم جناح سيارتنا الايسر . فقد كنت انا التي تسوق ، وكان هو الى جانبي .

عدت الى نفسي وسألته متجاهلة : ــ اى حلم ؟

ــ هل نسيت ؟ امس تمتمت منك بمنظر لم اره

فيء قبل الآن. انى فى شوق الى أن تقص على ظروف تلك الرعشة التى كانت تهزك ، تبعث البحة فى صوتك ، وانت تنادين نائلة

سكت ولم اجب . فى داخلى كان تصميم وخبث تسالى قل ان عرفتهما فى نفسى يقولان لى : اكتفى الحلم .. خلى احلامك لنائلك ! الا انى كنت اضعف من ان اصمد ضد ما يريده رضا منى . كنت جاهدة فى ان اتسلل بين السيارات ، وفى أن اتجنب ان ادهس المشاة ، وفى ان اميز بين اللون الاحمر وفى نفس الوقت احس بان وجود رضا جانبى كان يلفنى ويحيطنى بتموجات مغنطيسية تضيق على الخناق وتدعونى الى ان استسلم ..

ــ نائلة ؟ من يدرى ؟ لعلى فى اعماقى اخاف من انها تريد أن تخطفك منى .. ان تفتنك .. ان توقعك فى شباكها . انت تعرف انها مغرية ، وانها معجبة بك .. فهل انت معجب بها ؟

قلت هذا بتزق مصطنع ، كانى اريد ان اشغل رضا بمعركة جانبية تلهيه عن حلمى . لم اد كيف اثرت عليه الوالى ، ولكنى سمعته يرد بهدوء :

ــ اروى لى حلمك وانا اقول لك ما هى العلاقة بينى وبين نائلة .. اعنى العلاقة التى يراها عقلك الباطن بينى وبين نائلة ..

ــ ؟ ــ

هذه اول مرة ابسط فيها اعماقى لرضا على الطريق

على الطريق من بيروت الى دمشق ، الطريق الصاعد الملتوى المزدحم ، رويت لرضا حلمى ، بكل تفصيل من تفاصيله .

عشت ذلك الحلم مرة جديدة وانا ارويه ، وانا اقود السيارة .

وقد عجبت بعد ذلك من رضا ، كيف تركنى اقود وهو الذى يعلم كيف يلوب التباعى وتمحى ردود الفعل عندى وتغيم الدنيا فى عينى حين انهمك فى رواية نفسى له . اما كان يخشى ان اغفل عن انحناءات الطريق ، او ان اعمى عن رؤية سيارة قادمة ، او ان انحدر وهو الى جانبى بالسيارة الى هوة عميقة ؟

ان رضا استاذ فى فنه . ما شككت فى ذلك قبل اليوم . حين كانت افكارى تنعقد وانا اعرض عليه ، فى غير هذه المرة ، اعماقى ، وحين كان الكلام يخوننى او كانت المعانى لا تنشرح له بالبساطة والصراحة اللتين يريدهما منى ، كان رضا يقول ان شيئا ما فى اعضاء جسمى ، او فى حواسى ، فى جسدى يعنى ، يعرقل انطلاق نفسى . كان حينئذ يريدنى ان اركز نظرى بشيء ، او اشغل يدى بشيء اخر ،

القصر المهجور

حتى يشل محاولات الجسد لعرقلة النفس . مرة وضع امامى كورة بلورية كالتى يستعملها المنجمون لاستقراء المستقبل ، وطلب منى ان اركز فيها بصرى حتى يسهل على الافضاء بما فى اعماقى . فلعله اليوم أنس تمردى ، ورغبتى فى الا افضى عليه حلمى ، فشغلنى بقيادة السيارة

حتى تشل ارادتى واكون بين يديه ، وتحت ارادته ، طيعة لينة ...

اذن فقد قصصت على رضا حلمى كما اراد ، ونحن نرقى ذلك الطريق الملتوى الصاعد المزدحم . عشت ذلك الحلم مجددا ، وربما بصورة ادق ، وباوعى مما مر فى الحلم نفسه . حين رايت الحلم كنت غارقة فى وقائعه ، اما حين روايته



فقد كنت مراقبة متاملة ممعنة فى دقائقه . فى مواقف الدهشة ، كنت دهشة حتى الحيرة والضياع . وفى مواقف الخوف ، كنت احس انقباض صدرى وخافق قلبى بين ضلوعى . وفى مواقف اللذة ، وقد كانت هناك مواقف لذة مؤلمة فى الحلم ، كنت احس باشتهاء غريب يمتصنى ويكاد يلقى بى فى غيبوبة

وصفت لرضا بدقة كل ما رايته ، وبتفصيل كذلك . ظل هو ساكتا . من عاداته فى عملياته التحليلية السابقة لنفسى ، كان يقول كلمة هنا ، ويبدى ملاحظة هناك ، ليحسن توجيه افكارى او يفجر التفاصيل فى حديثى . اما فى هذه المرة فقد ظل ساكتا ، يستمع الى وانا اصف تخبطى فى اروقة القصر المهجور ، وانبثاق النور فجاة على الجدار المرآة ، وعريى .. عرى المراة السمراء الملفوفة الفخذين الطويلتين ، الناهرة الثدى التركى الحلمة ، الواسعة العينين ، التى كنتها فى ذلك الحلم . وحين وصفت عينى نائله الخضراوين ، والنظرة الفولاذية الباردة فيهما ، وتحولها من امراة جميلة ، كالياسمينة فى بياض ثوبها ونصوع بشرتها وطراوة عطرها ، الى شجرة من الياسمين كالمراة عاشقة فى تشبثها وحرارة عناقها والتصاقها بمعشوقها حتى الاندماج والتلاشى .. حين وصفت كل ذلك من نائلة ، ثم وقفت متلجلجة عاجزة من ان اصوغ فى كلمات النشوة التى شعرت بها من تطويق تلك المراة الياسمينة لجسدى ، سمعت رضا ينطق بصوت ابح :

– ثم ماذا ؟

ثم ماذا ؟ لا ادرى كيف وجدت مفردات ما وصفته من التصاق غصون الياسمينة ببشرتى السمراء حينذاك ، من تسلقها لساقى ، من عضها ما بين كتفى ، من زحفها الى الثنايا الخفيلة من جسدى متسربة الى اعماقى من مسام جلدى المتفتحة اشتهاء وانتشاء ...

واحسست اننى اعطيت كل ما عندى وانا اقص هذا الحلم على رضا ، واننى فرغت فراغا هائلا .. فتداركت نفسى اذ شعرت بان قدمى ارتختا عن ضغط مسرع السيارة او فراملها ، وان يدى وهنتا عن امساك عجلة القيادة ، فبذلت مجهودا اخيرا عدلت فيه الى حاشية عريضة من الطريق فى السهل الذى انحدرنا اليه بعد شتورا ... والقيت براسى الى الخلف ، بعد ما وقفت السيارة ، كالمنهكة .

اندست بين شفتى سيجارة مشعلة وضعها

رضا . ادرت نظرى اليه فوجدته يشعل لنفســه سيجارة اخرى ويتطلع عبر الاشجار الى يمينه ، فى نظرة ثابتة وطويلة .

— ٥ —

فى نصف الطريق الاخر قاد السيارة رضــا ، وجلست انا الى جانبــه صامتة . بعد دور الانهاك وجــدتنى اجمــع نفسى والملم ما تشتت من ذاتى ومن افكارى . شيئا فشيئا ترك الهمود فى نفس مكانه لنشــاط غريب ، الى مايشبه الفرحة . فانطلقت فى ضحكة عالية مليئــة حبورا ، كأنها زغردة .

لم يلتفت رضا الى . كان باديا عليــه الجد بين لبنان وســورية . وحين ضحكت لاحظت انه زوى مابين عينيه ، كان ضحكتى اذته الا دعته الى مزيد من التركيز فيما كان يفكر به .

قلت : — الآن ... ماتحليلك ؟

فلم يجب ، ولم الح انا . . حتى اذا وقــف الســيارة ليتم معاملات الاجتياز على الحدود تطلع فى ثبات الى بنظرته الجادة اولا ، ثم ابتسم قبل ان ينزل من وراء المقعــد وقال :

— من تفضلين : فرويد ... ام ابن سيرين ؟

فلم افهم مايقصــد ، ولكنى على عادتى فى قلة التردد اجبته وانا منشرحة :

— افضل فرويد ...

فانم ابتسامته بضحكة ليست خالية من خبثه المعهود ، ثم نزل وتركنى فى السيارة انتظر .

وحين عدنا الى الطريق ممعنين فى السير نحــو دمشق ، بدا رضــا فى الكلام معلقا ومفسرا . وفى العادة كان يقول جمــلا موجزة يضمــنها آراءه النهائية واحكامه القاطعة ، اما فى هذه المرة فقد كان حديثه مطولا ومــترسلا .

— كما يقول الفقهاء ، فى المســالة قولان ... اعنى ان لتفسير حلمك طريقتين : طريقــة ابن سيرين ، وطريقة فرويد .

للمرة الثانية لفظ رضا اول الاســمين ، ابن سيرين ، فبدا لى اسما غريبا لم يطرق اذنى قبل الآن . لعل هذا ماجعلنى افضل عليه وبصــورة عفوية اسم فرويد الذى طالما سمعت به وقرات عنه .

— ... فى شرح تفسير الرؤيا لابن ســيرين ان البيت المهجــور طلاق ، وان الحائط فراق بالموت .

اما الياسمين وشــجر الياسمين فان ذكرهما لم يرد فى الشرح . ابن سيرين من اهل البصرة ، ولعلهم هناك ، او فى تلك الايام ، لم يــكونوا يعــرفون الياسمين . الشجر الذى طالما ورد ذكــره فى شرح التفسير هو النخيــل :

القصــر المهجــور

النخلة الخضراء وقاع مع من تحبين ، والنخــلة اليابسة وقاع مع من تكرهين

قلت : — اراك تكلمنى بالالغاز ... مافهمت شيئا

فاستمر جادا كانه يلقى درســا محفوظا : ولكنك فضلت فرويد .. فرويد اله العصر . وهــو كمــا علمتك سابقا يرد كل شيء الى الجنس . حلمك يقطر

جنسا بغير فرويد ، فكيف مع فرويد ؟

قلت : ـ لا تتخابث . ماذا يعني هذا الحلم ؟

قال : ـ انه يعني ان في اعماقك رغبة في ان تخونيني ...

قالها وسكت . كلمة الخيانة هذه كلمة كبيرة ، كان يجب بي أن أثور لسماع تهمته لي بها .. او ان اتظاهر بالثورة .



ولكني ظللت هادئة . فاذا كانت تلك الكلمة غريبة على لسان رضا وغريبةعلى سمعيانا ، فقد احسست بانها لم تكن غريبة عن مشاعري . تذكرت انني كنت امس مصممة على ان اخون رضا بكتماني حلمي عليه . حتى هذه النية التي لم تتحقق اكتشفها زوجي الذكيالنافذ النظرة الدقيق الادراك .

ـ نعم ، ان في اعماقك رغبة في ان تخونيني ... ومع امراة !

في هذه المرة كانت الكلمة غريبة حقا ، حتى لقد شهقت . ولابد من انى تطلعت الى رضا بعينين مذعورتين ، لاني رأيته بعد ان ادار رأسه الى يبتسم قائلا :

ـ لماذا انت خائفة هكذا ؟ ان الجنسية المتماثلة ، اعني حب الفرد لمثيله في الجنس ، حب انثى لانثى او ذكر لذكر ، ليست مخيفة الى هذه الدرجة ... وليست نادرة الى الدرجة التي يزعمها الناس فيسمونها شذوذا .

فرددت عليه محتجة . ولابد من ان احتجاجي كان من الشدة بحيث أن رضا عاد الى تهدئتي بقوله :

ـ يجب أن تصبري على تعلم ما تجهلينه . من الناحيةالجمالية ، وحتى من ناحية صحة الجسد ، يجد الكثيرون ان حب المراة للمراة هو الحب المثالي الذي لا تفسده صفاءه الشوائب . هل ترين في هذا مايخيف ؟

لم يخفف كلامه هذا شيئا من الدهشةالممزوجة بالضيق الذي اصابني . ولكني قلتلنفسي ان رضا يعرف عن ماذا يتكلم ، وان هذه معاناة جديدة معه لامور اجهلها من نفسي . فعلى اذناناصغى اذا اردت ان اصل الى نتيجة وان استريح .

وكنا بلغنا من الرحلة السهل الذي يعلو اودية بردىقبلدمشق ، والطريق فيه كان عريضا ومستقيما . فابطأ رضا ومضى يفسر لي مايراه هو واضحا في اعماق مشاعري

ـ كي تفهمي حلمك ، عليك ان تضعي سهرة اول امس في حسابك . هل تذكرين اسم الملهى الذي سهرنا فيه اول امس ؟ كان اسمه الكازار ... ايالقصر . القصر المهجور جاء من هنا ياحنان . وان تضعي في الحساب كذلك الراقصة الاسبانية ورفيقها في الرقصةالبديعة التي رقصاها . تذكري كيف كانت تلك الراقصة تدور حول نفسها حتى يكشف ثوبها الاسود عن عريساقيها وفخذيها حتى وركيها وادنى بطنها ... تذكري !

وصمت كأنه يريد ان

يعطيني وقتا للتذكر . ولما كانت تلك السهرة بعيدة عنى ، فقد انصرف ذهنى عنهـا ، على الاقل فى الظاهر ، اذ ملا الحلم والمشاعر التى اثارها كل تفكيرى . واذ دعانى رضا الى التذكر ، عادت تلك السهرة بتفاصيلها الى بالى

— ٦ —

فى تلك السهرة كنا اربعة : نائلة وزوجها محمود ، ورضا ، وانا .

غريب كيف بعث لى نائلة فى الحلم لابسة ثوبها الابيض . فالصورة قديمة لها ، رسبت فى ذهنى من سهرة لنا معها فى مطعم المطار منذ ثلاث سنين او اربع . كيف لم تبد لى بثوبها الكشمير النارى الذى سهرت به معنا منذ يومين ؟ ولكن للاحلام غرائبها .

كانت نائلة رائعة حقا فى ذلك الثوب الاحمر . انه ينعكس على بشرتها الرقيقة بلون زهرى جميل ، تبرق فيه عيناها الخضراوان بضوء آسر . لقد احببت نائلة ، وكنت احبها منذ زمن طويل . فهل هذا ماعناه رضا بقوله انى افكر بخيانته مع امراة ؟ ليس مايجذبنى الى نائلة غير الاعجاب ، ولا يربطنى بها غير الود والاعزاز . فكيف تحول هذا الى حب جنسى وانا لا ادرى ؟

نعم ، لقد كانت نائلة رائعة . تطلعت اليهـا بعينين مجذوبتين بجمالها الى ان خفتت الاضواء فى الملهى وارتفع صـوت جيتـار ، لحقتـه دقات صـناجات سبقت بروز الثنائى الاسبانى على « البيست » . وكما قال رضا ، كانت رقصـة بديعة تلك التى قدمتها الراقصة والراقص . هو نحيل على ماكان يبدو . قده صغير متناسق التركيب ، وسمرته داكنة وعيناه حزينتان . اما هى فكانها احدى عظيمات الاسبان : طويلة القد ، طويلة العنق ، شديدة سواد الشعر الذى كان يحيط وجهها كتاج ويبدى سمرتها الناعمة اقرب الى البياض الوردى . نفذنا الى قلوبنا بجمال تكوينهما قبل ان يسحرانا بجمال رقصهما . فانصرفنا اليهما بعيوننا وبكل كياننا ، وكذلك انصرف كل من كان معنا فى ذلك الملهى .

اذكر الآن كيف غيرنا مواضـعنا حول المائدة لنستطيع ان نتمتع جميعنا بمنظر الراقصين . حركنا كراسينا حتى اصبحنا فى صف واحـد وراء تلك المائدة . ولئلا نسـد الرؤية على من ورائنا ، اقترب بعضنا من بعض حتى تلاصقت المقاعد . رضا كان الى يمينى ، ومحمود الذى تليه نائلة الى يسارى ...

القصر المهجور

ارتبطت انظـارنا « بالبيست » ، وبالحوار الايمائى الذى يدور بين الراقص والراقصـة . هو ، كان يحدثها بتصفيق يديه ودقات كعبيـه ، وبالتفافه حولها واشارات يديه العصبيتين الى قدها . وهى ، كانت تجيبه بشموخ قامتها وتثنى جيدها ، وبدورانها حول نفسها دورات سريعة

ترتفع فيها حواشي ثوبها الفضفاض الى خصرها ، معرية جسدها حتى الخصر . ثم اذا اعوزها البيان ، كانت تجيب بدقات صناجات الكاستنييت ، دقات متواترة او متقطعة او متناوبة تكاد في فصاحتها تكون الفاظا ناطقة .

كنت ، بل كنا جميعا مبهوتين نتطلع ونستمع الى



ذلك الحوار البليغ بين الفتاة الراقصة والفتى الراقص . ذراع رفيقا عن يميني تلتف حول كتفي ، واظن نائلة كانت تلف بذراعها كتف زوجها .

وفجأة ، احسست بدفء غريب يسري الى ... يسري من شقي المجاور لمحمود ، زوج نائلة . كان ذلك الدفء كان لسان لهب نفث وقده على جانب فخذي الايسر . وفي خلال لحظة واحدة امتد سريان اللهب الى كل جسدي ، فاحسست حر النار في صدري وبموجة ساخنة تلفح وجهي وبمسام جلدي تنفث لهبا محرقا ...

ماذا جرى ؟ قلتها لنفسي مشدوهة ، تلك النار من اين جاءت ، ما الذي بعثها من يساري لا تطلعت بطرف عيني الى محمود . كانت يداه على المائدة ... يمسك باصابع واحدة سيجارته ، ويدير كف الثانية حول كأسه . ولكن تلك النار ؟ تلك النار عرفت ماتاها ... تلك النار كانت فخذ محمود اللاصقة بفخذي تضغط عليها برفق ، ولكنها تضغط ... تضغط

ماذا كان محمود ، زوج صديقتي نائلة ، يعني بهذا ؟ أتراه الصق نفسه بي هكذا منذ زمن طويل ؟ لم ادر . ولكني منذ انتبهت الى ان هذه اللاصقة كانت مقصودة عصفت في نفسي زوبعة تغيرت بها حتى نظرتي الى الراقصة وزميلها امامي . اعطت تلك الزوبعة معاني جديدة لما كنت اري وما كنت اسمع . اعطت معاني جديدة للحوار الذي كانت تنقله بين الغجري وغليمة الاسبان نظرات العيون وحركات الايدي ، واهتزازات الاعطاف والارداف . لهذه الانطلاقة في ردكي الفتاة متقدمة الى الامام ، ولتلك الارتدادة الفجائية من جسد الفتى الى الوراء . اصبحت لكل هذا ، مما يدور امامي ، معان جديدة رحت اراها واضحة وصريحة .

لم يعد الفتى في عيني راقصا يوازن خطواته على نغمات الموسيقى مسجلة على شريط كهربائي ، بل رايته رجلا يريد امراة ، هي الراقصة التي كانت امامه . وكذلك اكتشفت ان الفتاة لم تعد دمية جميلة مقاييس الاعضاء ، بل انثى حية مشتهاة . واثارت غيرتي ، ولعلها اثارت امورا اخرى في نفسي ، تلك الفرجة القليلة بين نهديها ، وطول ساقيها ، وحسن انسكاب فخذيها فوقهما ، وتلك الخطوط المتراوحة بين التكور والانهدام التي كانت تلوح لي من جسدها كلما استدار ثوبها كحلقة من الدانتلة فارتفع الى موازاة الخصر ..

لم تدم طويلا تلك النار التي التهمتني وارتني ما ارتني . فلقد احسست بان مضرم النار ابتعد عني حين مدت نائلة راسها امام زوجها وقالت لي كلمتين، معلقة على جمال الراقصة وعلى مهارة الراقص .

ما قالتــه لي نائلة لم افهمه ، ولم اميز كلماته. خفضت بصري الى المائدة فابصرت يدى زوجهــا

لا تزالان في وضعهما الاول، واحدة ممسكة بالسيجارة وواحدة ممسكة بالــكاس التي فرغ مافيهـــا من شراب . يداه كانتـــا سمراوين . بشرته سمراء، دون سمرة الراقص ... كانها سمرة هذه الاندلسية الفــاتنة . وكنت اعرف ايضا ان شعر محمــــود

اسود سواد شعرها، وان قامته طويلة، ليست كقامة مراقصها الغجرى . لو راقص محمــود الاسبانية لكان لها زميلا مثاليا ، انسب بكثير من زميلهــا هذا. وان لعقدا مشيقا، كانه هو ايضـا عظيم من عظماء الاسبان ! دمه حار، ملتهب ... اليس هــو الدم الذى بث في كل ذلك اللهب منذ لحظات ؟

أعادت نائلة كلمتيهــا اللتين ما وعيتهما في الاول، فاخرجتني من غمــامات المشاعر والافكار التي تهت فيهـــا . وحين وعيت ما قالته ، اجبتها جوابا الله اكثر ما سمعته مني بلاهة منذ عرفتني وعرفتها

— ٧ —

امرني رضا بان اتذكر، فتذكرت تلك الســـهرة بتفاصيلها .

استغرب الان كيف عشت لحظات اللهيب تلك ، بكل تلك القســوة ، ثم كيف نسيتها . كيف امحت من ذهني في اليومين الاولين اللذين تليا ســـهرتنا في « الكـــازار » ، حتى اعادها اليه امر زوجي لي بالتذكر .

كيف نسيت تلك اللحظات

حين خرجنـــا من باب الملهى ، كان نسيم الليل باردا والضــوء في الشارع ساطعا . فجاة احسست ان الضـــباب الذى كان يحجب الرؤية عن عينى قد انحسر ، وان صدرى انصــح ، وان يدا باردة تسللت الى اضلاعى فهدا بها خفوق قلبى واطمـــانت نفسى . شعرت بنوع من الخجل من ذاتى ، من كل الاحســـاسات التي ملات ذاتى منذ دقائق .

وكان محمود ، عنـدما صرنا في الشارع، يسبقني، تطلعت اليه متمعنة ، بعد ما كنت شبه خائفة من ان ألبث نظرى به حين كان اللهيب يفـــح في ارجاء جسدى . كان هو هو .. أسود الشــعر ، أسمر البشرة ، طـويل القــامة شفتاه ممتلئتان . انهـــا ملامح تذكرني حقا بالراقصة الاسبانية المثيرة تقاطيع

القصر
المهجور

الجسد ، ذات النظــرات الوحشية . ما ابعد بينه وبين زوجي ، رضا ، ذى الوجه الازهر ، الربوع ، القد ، ذى الشـــفتين الدقيقتين والعينين الذكيتين زوجي انسان انيس ذكى متمدن ، ومحمود مخلوق وحشى . محمود صياد في غابة ، او ذئب كاسر في فلاة موحشة . ليبحث عن فريسة غيرى هذا الذئب ،

فانا لست نعجته !

هكذا امحت لحظات اللهيب من نفسي . ولكن .. اتراها لم تمح بل انها تسربت الى اعماق شعوري، ومن هناك هيجت في لاوعيي ذلك الحلم ؟

تطلعت الى رضا في هذه الاونة . حقا ما كان ابعد ما بينه وبين محمود! والانه ، دون ان يلتفت الى



وهو وراء المقود ، لاحظ بطرف عينه تحديقي اليه، فقال :

ــ تذكرت الآن السهرة؟ الم تكن الاسبانية مبدعة ؟ الم تكن ، فوق ذلك ، مثيرة ؟ بينما كنت انت تنظرين الى البيست كنت انا انظر اليك .. والى نائلة . كنتما غارقتين في التطلع في المراة الراقصة. الرجل الراقص لم يكن يهمكما . الرجال ، لان رؤية جسد المراة عاريا تثيرهم ، الرجال يظنون ان النساء بالمقابل يستثرن بجسد الرجل ، وبعري الرجل . ولكن هذا غير صحيح . عري الرجل يصدم المراة في الظروف العادية .. احيانا يخيفها واحيانا يثير قرفها . وهو، اقصد عري الرجل ، لايصبح سائغا لها اومثيرا لغريزتها الا بعد الف مداورة ومداعبة من الرجل، او بعد التشحن بالخيال او تهيئة نفسية ذاتية من المراة ذاتها . وبالعكس .. المراة تفتن بعري مثيلتها من اول نظرة . المراة يثيرها جمال الجسد الانثوي عند امراة جميلة غيرها . واحيانا تثيرها مفاتنها هي ذاتها . لهذا كنتما ، انت ونائلة ، غارقتين في تامل الراقصة التي كانت والحق يقال فوق الجميلة . استغراقكما في النظر اليها تحول الى التهام تلك الحورية السمراء المشوقة حين اخذت تعرض جمال تكوينها في كل حركة من رقصها . حتى طريقة عرض مفاتنها كانت فاتنة . كنت انا انظر اليك ، لاحظك وانت غافلة عن نفسك . فجاة رايت ملامحك تجمد ونظراتك تتصلب كانها مسحورة ، وشفتيك تنفرجان انفراجة العطاء ... وذلك في اللحظة التي كانت الاسبانية فيها تعطي جسدها لراقصها وقد تطايرت حواشي ثوبها الى ما فوق وسطها . قمة العطاء عندها صادفت عندك قمة التقبل . كما قلت لك ، لقد كنت الاحظك . شحب وجهك ، ثم تورد ، كانما مرت بك موجة لهب . احسست انا بتلك الموجة على بشرة كتفك الذي كنت اطوقه بيدي . وفي تلك اللحظة تطلعت انت الى نائلة .. تطلعت اليها ولم تكوني تريتها . ذلك انها لم تكن نائلة التي امامك بل كانت نائلة اخرى في غير ذلك المكان ، وفي غير ذلك الوضع . هيه ؟ اليس هذا ما كان في بالك وفي خيالك وفي احساسك تلك اللحظة ؟

وهو يحدثني بهذا ، كان رضا يقود سيارته ببطء ، لاننا كنا قد دخلنا في سيل من السيارات امامنا وورائنا حين اقتربنا من دمشق ، لا يسمح لنا بالسرعة . وصفه لحالي

كان صحيحا .

ولكن الشك داخلني لاول مرة بصحة ما استنتجه رضا من ذلك الوصف . فى مرات سابقة كثيرة حين كان زوجى يقول لى ما لم اكن اعرفه من نفسى ، او ما كنت اعرف خلاله من نفسى ، كنت أخطىء ذاتى فى جهلها او معرفتها واقول ان ما اظنه من أمرى هو وعى او شعور ، اما ما يحدثنى به رضا فهو لا وعى او شعور . فهو اى قول رضا ، صحيح على الرغم من انى لا ادركه . اما فى هذه المرة فقد كنت شبه واثقة من ان رضا اخطأ . ذلك ان موقد اللهب فى شعورى كان معروفا عندى تمام المعرفة وقد زادنى معرفة به الحاح رضا فى وصف حالى فى تلك السهرة . نائلة ؟ لقد تطلعت اليها حقا ... ولكن نائلة والراقصة كانتا مجرد ظواهر . النار الحقة التى تنبعث من جانبى ، من تلك اللامسة التى لم تطل ولكنها حملتنى اليها سماها رضا قمة .. قمة ... قمة أى شىء ؟ قمة اللذة ؟ قمة الاشتهاء ؟ قمة الغواية ؟ قمة الخيانة ؟! عادت الكلمة الاخيرة الى ذهنى حين اخذ زوجى يقول بلهجة غريبة ، لم تكن ساخرة ولا ثائرة .

ـ لقد خنتنى فى تلك اللحظة يا حنان . انت وانا لسنا من عامة الناس ، ننتظر تمام الفعل ، او مظاهر الفعل ، لنحكم بالخيانة . خنتنى انت مع نائلة ! لقد أحببت انت نائلة ... احببتها حبا جنسيا ، الحب الذى عليك ان تقصريه على زوجك وتخصى به زوجك وحده ! هذا هو تفسير حلمك يا عزيزتى ...

كنا بلغنا مدخل دمشق ، وصار علينا ان نأخذ الطريق الصاعد الى اليسار لنبلغ المنزل ، الا ان رضا دار بالسيارة حول الساحة الكبيرة وعاد من جديد فى الطريق الذى جئنا منه . وحين التفت اليه متسائلة قال :

ـ لا يزال عندنا متسع من الوقت . سنأخذ فنجان قهوة فى احد هذه المطاعم .

ـ ٨ ـ

جلسنا فى زاوية من المطعم الذى كان ناسه قليلين . واخيرا ابتسم رضا ، وقال :

ـ هذا تفسير حلمك .. لذت بالصمت . لم اكن فى الواقع مطمئنة . قبل اليوم ، فى كل مرة يقول لى رضا فيها هذه الكلمة ، كنت اشعر بالخفة وبالانبساط الذى تحلل من عقدة كانت تعصر نفسه ، او الذى ألقى عن ظهره حملا كان يثقله . اما اليوم فان العقدة لم تحل ، اشتدت وطأتها ، وثقل الحمل عما كان عليه .

القصر المهجور

ـ القصر المهجور ... انه « الكازار » . لم يكن « الكازار » مهجورا ، ولكنك تتمنين لو أنه كان كذلك . احلامنا هى تحقيق ما لم يتحقق من امنياتنا ... هذا ما يقوله فرويد . وانت فى المرآة لم تكونى انت ، بل كنت الاسبانية التى كنت تتمنين ان تكونيها ، لا لانك احببتها أنت .. بل لان نائلة احبتها . وحين صرت انت الجسد الذى اعجب

ثالثة والنار تشهيها نادتك ثالثة الى الشرفة فتتحول الى غصون ياسمين تتعلق بك، تحتضنك ، وتتشربين انت منها . التفسير بسيط ، ومنطقي كذلك ! كما ترين

وقلت لاثنة بالصمت. التفسير لم يكن بالبساطة التي قلتها رضا . كان للتفسير مفتاح لم يهتد اليه هو ، ليصبح بسيطا ومنطقيا . فهل اسلمه المفتاح ؟



استمر يقول : ـ هذه هي خياناتك ، ضبطتك متلبسة بها . من حسن الحظ انك اصبحت تعرفين علتك الان . هذا يحررك منها ويعيدك الى . لو ظللت تجهلين نزواتك الدفينة لظلت علتك بدون حل ، ولخنتني فعلا ذات يوم ... كما خنتني امس بالنية . تكفي ليلة واحدة ... ليلة شتاء ممطرة او ليلة صيف مقمرة ، تثور فيها في نفسك وفي نفس ثالثة الرغبة ، لتلتقي واحدة منكما نفسها في حضن الاخرى . يكفي ان تنفردا مرة واحدة في غرفة بعيدة منها الخدم او في منزل نام فيه الاولاد ، لترتمي واحدة منكما في حضن الاخرى . في عيني ثالثة الخضراوين شراسة النمرة ، وفي هيئتك الصليتين وداعة الغزالة الاليفة . ولا استغرب من محمود ان يركض وراء كل امرأة يراها ، فان ثالثة زوجته امرأة ليست لرجل، انها هي امرأة نساء ...

تكفي ليلة واحدة !هكذا يقول رضا . ربما لو ان العقدة الحقيقية حلت في نفسي ، كنت تحررت من مركباتها وعدت اليه زوجة مخلصة ، مكتفية . ولكن العقدة لا تزال متراكبة . رضا وضع يدي عليها دون ان يدري ، ولكنه هو لم يهتد اليها ، وانا ليست عندي الشجاعة لاقول له الحقيقة ، تلك الرغبة بالخيانة لا تزال في اعماقي ، افعى متكومة على نفسها ، تتململ كانها تريد تمزيقي ..

تكفي ليلة واحدة ! ترى متى تاتي هذه الليلة الواحدة التي تنبأ بها رضا ؟ ليلة الشتاء الممطرة ، او ليلة الصيف المقمرة التي يغمرني فيها اللهب ، لا يحرق بحره فخذي اليسرى فحسب ، بل يلفني ... يتسلل الى اعماقي ويتدفق في اعالي ... تلذعني دبوس اشواك الياسمينة في باطن ساقي ومجرى سلسلة ظهري وتحجرات وركي ؟

وقدرت ان وجهي التهب بخيال اللهب الذي كنت افكر فيه . فقد احسست بمسام بشرته تنفث نارا وشفتي ترتجفان ونظري يزوغ . اديرت راسي حتى لا تقع انظار رضا على ملامحي وقلت :

ـ هيا نذهب . قارب النهار ان ينتهي .

وانحدرت درج المطعم مسرعة قبله ، كاني انحدر الى شرفة ذلك القصر المهجور ، الاقيه تلك الياسمينة ... ولكن دون خوف هذه المرة . لقد تلاشى الخوف حين انقشع الجهل بماذا ينتظرني ، وحين عرفت ماذا في اعماق نفسي من رغبة ، وماذا اثارني ، وماذا ملأ قلبي توقا واسال في اعصابي لهبا محرقا ...

● عبد المنعم الجداوى ●

.. ويترسب فى أعماق الرجل حقد ضد زوجته . متعدد الأسباب .. مركب العناصر ينتظر لحظة النضج الإنتقامى ، ولكنه يقاوم .. وفى لحظة تنهار المقاومة وينفذ ما يختزنه ضدها منطلقا مع آخر حدود الفعل دون أن يملك القدرة على التوقف أو التراجع .. !

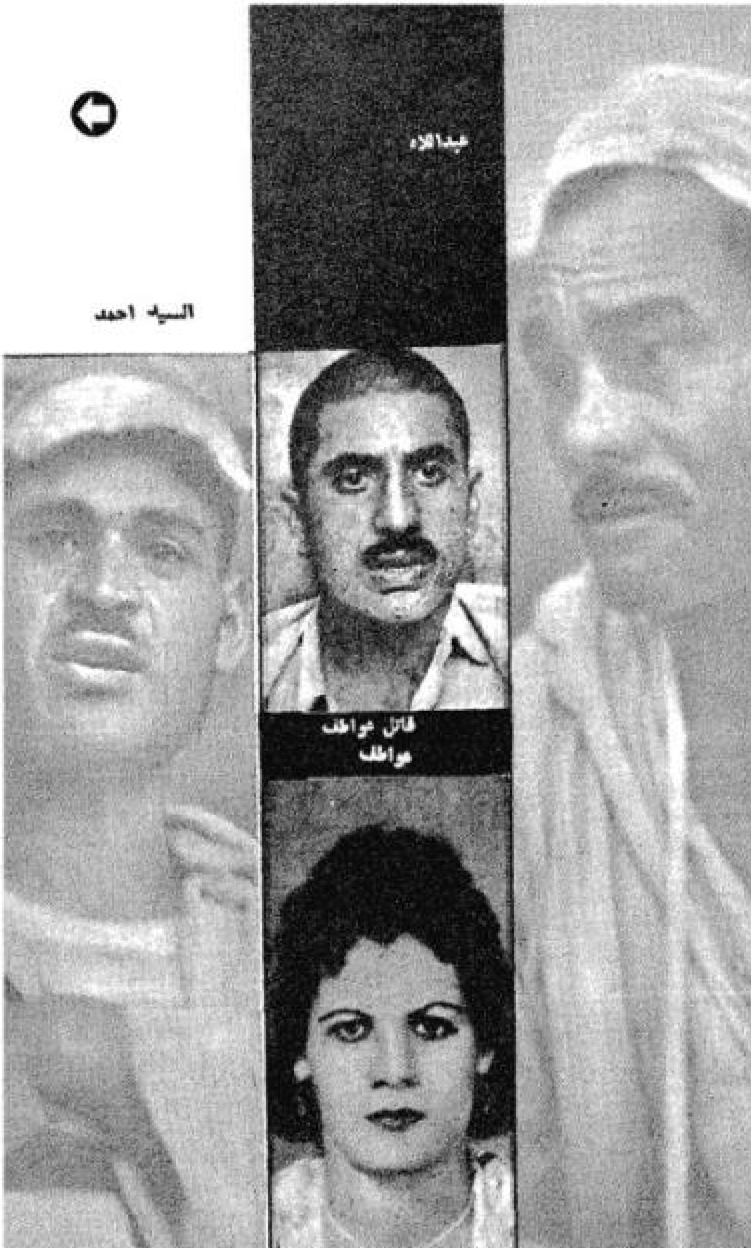
لماذا القتل عند الرجال!

● لم يكن « عبد اللاه » يبحث عن الحقيقة .. بقدر ما كان يبحث عن شىء يريحه من شكوكه .. ولكنه وضع أمام امتحان صعب .. هل يقبل الحياة مع العار ويؤثر السلامة .. أو يدافع عن الشرف مهما كان الثمن .. ؟

● اجتاحته حالة انفصام عنيفة .. فصلته عن واقعه المؤلم .. واقع الذكر الذى خانته النساء مع مجموعة من الذكور لا قبل له بمقاومتها .

● ولم يكن القتل على بشاعته إلا تعبيرا عن الحب ، وليس تعبيرا عن الكراهية .. ويمكن أن نقول فى حذر أن كلا من الرجال الثلاثة قد قام بعملية انتحار تصفية .. قتل فيها نصفه الذى كان سببا فى القتل .. !!

السيد احمد



■ النماذج التي شاهدتها لقتلة الزوجات تشترك كلها في ضعف الشخصية ، والملامح غير المؤكدة حتى لتحس أن وجوههم بلا قسمات .. اصواتهم اما هامسة أو « مرسعة » كصفيح يحتك ببعضه .. تكاد العين لا تراهم كأنهم بلا وجود لفرط ضياع شخصياتهم .. من طراز بشرى خلق لعينا من الداخل ، وكنت أظن ان الكارثة هي التي حولتهم الى ذلك الضياع غير انني عندما تقصيت حياة بعضهم من ذويهم تأكد لي انهم كانوا بهذه الصفات قبل وبعد ارتكاب الجريمة .. ! او لعل هذا من العوامل التي مهدت لزوجاتهم طريق الخيانة .. وقد يكون احساسهم بهذا النقص هو الذى ملأ نفوسهم بالشكوك التي دفعتهم الى ارتكاب جرائمهم .. !!

قاتل زوجته وابنتيه !!

وفي جريمة « كفر الدوار » التي قتل فيها الصعيدى احمد عبد الله زوجته وابنتيه الصغيرتين في سرير واحد بعدة طلقات . كان القاتل في حوالي الخمسين .. له ملامح الصعيدى التقليدية .. واللون الخطبي الترابي .. والجبهة المليئة بالخطوط .. والانف المتفتح بعض الشيء عند المنخرين .. ثم الشارب الكث .. والنحافة التي تلازم متعاطى الافيون .. وحينما بدأ يروى قصته مع زوجته « خديجة » في مستشفى « كفر الدوار » ، وكان يعالج من اصابة في يده أطلقها عليه رجال الشرطة لكى يسقطوا المسدس من يده .. فقد انتابته لوثة بعد قتل زوجته وابنتيه ، وراح يطلق النار يمينا وشمالا .. وقاوم الشرطة ، حينما جاءت للقبض عليه .. ولخص القصة في انه تزوج ابنة خالته وجاء بها من قريته « موشا » احدى قرى محافظة أسيوط ، وكان قد اجتاز الثلاثين بينما هي لم تكن تجاوزت السادسة عشرة ، وكان يومها يعمل عند خاله مقاولا للانفار في شركات « كفر الدوار » ، واسكنها في الحي الذى يسكن فيه معظم بلدياته في الاسكندرية .. ولكنه لم يلبث أن جمع بعض المبالغ التي اتاحت له العمل كمقاول مثل خاله ، ولم ترضه العملية الاخيرة ، وشعر أن لديه بعض المدخرات التي تمكنه من استئجار محل للبقالة فأقدم على انتهاز الفرصة ، وانهمك في هذا العمل الاخير الذى كان يجعله يغادر الاسكندرية مع الفجر ولا يعود اليها قبل العشاء .. وبعد عدة أعوام اشترى قطعة ارض ، واصبح كل همه ان يبنيها بيتا يؤجر بعضه ، ويفتح فيه حانوته ويسكن في جزء منه لكى يرتاح من السفر يوميا الى الاسكندرية ، واستغرقت هذه القصة من عمره حوالي اثنتى عشرة سنة !

وفي السنة الثامنة للزواج على وجه التقريب ، وبعد ان كانت ابنته الاولى قد بلغت السابعة ، وابنته الثانى بلغ الخامسة تقريبا .. شعر ان « خديجة » تعلمت الكثير .. تعلمت كيف تتزين ..

وكيف تترك خصلة سوداء على جبينها الابيض .. وكيف ترتدى الملابس التى تبرز مفاتن جسدها .. واحس بأن عيون الجيران تزود حين تراه .. وانهم يتهامسون ، ويتغامزون .. فاذا التفت خلفه وجد السنتهم تشير اليه .. او اصابعهم .. فاذا جلس على المقهى حاصره الرجال بقصص من خيانات النساء لم ألقبوا ذلك بضحكات عالية .. وتهوى ضحكاتهم عليه كالصفعات!!

وحينما صارحها بما يراه فى عيون الناس .. قالت له أنها غيرة نساء .. فكلهن يغرن من جمالها ، ومن حسن تدبيرها ، ويضعف عبد اللاه امام اغرائها وبصدقها .. واخيرا انتهى من بناء البيت وحمل زوجته الى هناك وظن انه استراح من الشكوك والغمزات والهمسات ، ولكن العكس هو الذى حدث .. فقد راحت الشكوك تراوده وتعذبه فيهرع اليها يسألها ويتوسل اليها أن تصدقه القول اذا كانت الخيانة قد وقعت أم لا ؟ وهل حدثت فى بيته او خارجه .. ؟ ومع من .. ؟ وكان يقسم لها بأنه لن يفعل شيئا .. انه فقط يريد أن يعرف الحقيقة .. ولكنها كانت تقسم له على طهارتها ، وتؤكد له ان كل هذه الغمزات من رجال اعطوا آذانهم لنسائهم ، والنسوة ثرثارات لا عمل لهن سوى اتهام الجميلات بالحق والباطل .. !

الى أن جاء عيد رمضان ، واستقبل فى بيته « بكفر الدوار » رجلين من بلدياته حضرا لزيارته ، وبعد ان شربا الشاى وتجاذبا الحديث .. فجأة تحدثا عن خيانة النساء .. والدخان الذى لا يمكن أن يكون بلا نار .. ولم يحتمل عبد اللاه لغوهما ودورانهما .. ففاجأهما بسؤال حاسم قائلا :

قولوها بصراحة .. هل خانتنى خديجة او لا ؟

وقالا فى نفس واحد :

ـ حصل .. !!

ورفضنا أن يفصحا بأكثر من ذلك واستأذنا فى الخروج

« لست ادرى اذا كانا قد ذكرا لبعض التفاصيل التى خجل من ذكرها ام لا ؟ لقد كان هنا بعض رجال الشرطة والمستشفى يستمعون الى القصة .. الا أن فى تسلسل الحوادث بعد ذلك ما يؤكد انه سمع من الرجلين ما حوله الى ثور هائج طعن بالسيف فى مقتله » ولم يغادر الغرفة التى كان يجلس فيها مع الرجلين .. ظل جالسا غارقا فى خواطره الى ان جاء الليل ثم تقدم ومعه مسدسه المرخص فاقتحم غرفة النوم ، وكانت زوجته شبه مستغرقة فى النوم، فاطلق عليها الرصاص ثم اطلقه على الطفلتين الاخريين منها ، ظانا أنه يقضى على الخيانة ومتعلقاتها .. !!

● وهكذا لم يتحمل عبد اللاه الحقيقة او ما اعتقد انه الحقيقة ليلة واحدة .. اذن فهو لم يكن يبحث عن الحقيقة وانما كان يبحث عن شىء يريحه من شكوكه .. ولكن كلام بلدياته وضعه امام امتحان صعب ... هل سيتقبل الحياة مع العار مؤثرا السلامة .. او يهب للدفاع عن شرفه مهما كان الثمن..؟ هذا من جانب ومن جانب اخر فان اى عمل ايجابى يقدم عليه سوف يريحه ويضع حدا للصراع الزمن الذى يعانيه من جراء عدم ملاءمة ظاهره مع باطنه .. وقبوله معاشرة (خديجة) وهو يشك فى خيانتها له .. الى حد كان يقعد برجولته فيفقدها حين يلامس جسدها .. ويقفز الى ذهنه ان يدا أخرى قد لمست هذا الجسد ، وقضت منه وطرا .. وكانت هذه النقطة تذيبه كشحم فوق سطح ساخن ! وترسب فى اعماقه حقد ضد زوجته .. متعدد الاسباب .. مركب العناصر .. يتنظر

لحظة التفسخ الانتقامي لينطلق .. ورغم كل ذلك فان عبد اللاه كان يتمنى لو ان بلدياته قالا كلاما غير هذا .. !!

قاتل عواطف !

وفي جـريمة قاتل عواطف التي مزق فيها الزوج جسد زوجته بسكين بعد ان حز عنقها وهي نائمة أيضا ـ يلاحظ

ان غالبية هؤلاء يختارون لحظات نوم زوجاتهم لتنفيذ القتل ـ ولحظة الاختيار تتم داخله بتقدير يتلاءم مع دوافعــه وما يكمن في أعماقه دون ارادة واعيــة

منه وان كان القاتل يظن غير ذلك مؤكدا وهو يعترف او يشرح أنه اختار لحظة نومها حتى لا تكون هناك فرصة للمقاومة أو التردد .. والحقيقة أن الزوجــة لو واجهته لتغير الموقف بعض الشيء ..

في هذه الجريمة اجتاحت القاتل بعد الحادث مباشرة حالة هذيان عصبي حاد ، أضرب معه عن الطعام ، ولم يعد يدري بما يدور حوله .. لقيته في سجن مركز قليوب وكان يردد في عتاب واسى :

ـ يرضيك كده يا عواطف .. مبسوطة بالفضيحة .. !

والزوج كان يناهز الخامسة والثلاثين يعمل في احدى شركات النسيج في شبرا الخيمة حيث يسكن أيضا .. وقد جاء مع زوجته من طنطا منذ أكثر من عشر سنوات ، وأنجبا طفلة في الثامنة وأخرى

في الخامسة .. أما الزوجة وقد كانت صورها تملأ جدران البيت فهي على

أعتاب الثلاثين ممتلئة الجسد .. ذات ملامح مؤثرة .. تملك مسحة جمــال

متساهل .. فطــاء الانف مفلطحــة الوجه كالفجر .. في عينيها الواثقة مقتحمة

لها شراسة الحيوان المفترس .. وعلى شفتيها حضور شهواني عنيف .. كانت

صورها وصور صديقاتها تملأ البيت أما هو فلم تجد له صورة واحدة تأكيــدا

لسيطرتها وضــيـاع شخصيته أمام شخصيتها .. !

احس في السنوات الاخيرة أنها تعرفت على سيدات كن يزرنها .. مطلقـات ومتزوجات .. كثيرا ما تخــرج معهن

وتعود وعليها آثار النعمة .. وآثار اخرى غير النعمة .. يثرثرن احيانا بأشياء

مثيرة .. وتسقط من حقائبهن اشياء أكثر اثارة .. أرقام تليفونات .. وقطع

هدايا صغيرة من الذهب ، واصبحت زوجته تملك احذية كثيرة .. وفساتين

كثيرة .. وحليا ومصوغات لم يشترها .. ولم تعد تعتذر عن التأخير في الخارج ..

وامتد التأخير فاصبح مبيتا في الخارج واراد ان يمتحن صلابته كزوج ، ولكنها

قالت له ان صديقة لها رتشمت ، واضطرت ان تبيت عندها ماذا في ذلك !

وكيف كانت تخبره .. ! واعتبرت شكه اهانة لها فحملت ملابسها وطارت الى والدها الذى كان قد جاء الى القاهرة وعاش في شبرا مع والدها .. !

واحس بعد ايام انه لا يســتطيع الاستغناء عنها .. فذهب يسترضيها ،

ولكنها اذلت البقية الباقية من رجولته .. قررت ان تسحقه .. املت عليــه شروطها كقائد منتصر يطوح بأوامره في

●● لـذة القتل عند الرجال

وجه جنـــدى مهزوم .. قالت له أن شروطها للعودة .. هى أنه لا شـــأن لك بصديقاتى .. لا شأن لك بتصرفاتى .. لا شأن لك بما أحققه من مكاســب بجهدى .. وكانت مزهوة وهى تملــى شروطها .. تعلن فى كل فرصة انها فى غنى من العودة اليه .. وأنهــــا على استعداد لان تدفع له مائة جنيه ليطلقها فورا .. !

وتأكد لديه أنها تريد أن تتخلص منه .. لا تريده الان بعد أن أصبحت سيدة تقص شعرها .. ولها حقيبة يد مملوءة بالنقود .. وتعرف كيف تتحـــدث فى التليفونات .. ولكنه لن يتركها .. لا من اجل الاطفـــال كما يدعى .. بل من اجله هو .. حتى لا يبدو أمام النـاس فى صورة الزوج المهجور .. المطـــرود من ساحة محبة السيدات .. ولعن فى اكثر من لحظة أن تعود « عواطف » الى ما كانت عليه يوم أن جاءت من طنطا .. فى قدميهـــا شبشبه .. وعلى جسدها ملاءة .. ان « عواطف » الجـديدة من انشاله ولذلك فهو لن يعطيها لاحد ..

فاذا صممت على هجره فسوف يدافع عن ممتلكاته بكل اسلحته .. ! ولكنها كانت تفكر فى طريقة للخلاص منه .. واصبحا كقطارين يسير كلاهما باقصى سرعته فى اتجاه الاخر .. لابد أن يلتقيا ويصطدما ويخرج كلاهما من القضبان .. !

وجاءت اللحظة الفاصـــلة .. كانت عقب غضبة من غضباتها التى اصبحت تتكرر كل شهر تقريبا .. ظل بجوارها يقظا وهى نائمة على السرير .. كان فى الغرفة يشرب الحشيش والعسل « كما ثبت من المعاينة بعد ذلك » وأعطتـــه خلوته مع الحشيش فرصة الاستغراق فى همومه . فقام الى المطبخ وعاد بسكين ماضية طـــويلة .. وجلس على حافة الفراش .. لم يكن فى ذهنه الا ان يذبحها .. اما ما عدا ذلك فلم يكن امامه .. ذبحها كان نهاية متاعبه .. ونهـــاية خيالاته .. اجتاحته حالة انفصام عنيف .. فصلته عن واقعه المؤلم .. والواقع الاكبر الذى خلقته اثناء مع مجموعة من الذكور لا يملك مقاتلتها .. ووثب على جسدها وراح يجز عنقها بالسكين .. ثم انهال على جسدها طعنا فلما هدأت تركها واغلق عليها الباب .. وغير ملابسه وفى الصباح خرج وجلس على المقهى ينتظر رجال الشرطة !!

● يلاحظ هنا ان « عواطف » أيضا مهاجرة « كخديجة » فى الجريمة السابقة ويبدو ان الهجرة فى بعض الاحيان تدخل ضمن اسباب الانحراف .. الا بانفصال المرء عن جذوره يصبح عرضة لان يميل يمينا او شمالا مع العواطف .. كمـــا أن ضعف شخصية الزوج هنا لا تحتاج الى برهان .. وحالة الانفصام لم تصبه فجأة كما قد يفهم من السياق ، وانما مهدت لها العلاقة التى كان يعيشـــها مع شـــعوره بان « عواطف » تخونه ، وقد ملئت كل منطقة فيه بالــــكبت والضغط مما اسلمه الى اعياء نفسى ، وترسب فى ذهنه انه فاشل فلجـــأ الى الانعزال واستغرق فى انطوائيته هربا من همسات الناس .. ولم يكن ينقـــذه من ذلك سوى « الحشيش » يعيش فى اوهامه متمثلا « عواطف » يوم ان كانت ترى فيه رجلها الاول والاخير .. واعتاد الخروج من ذاته الى الشخصية القديمة التى يستحضرها ايام ان كان مسموع الكلمة عندها .. ومن هنا كان ولوجه لنطقة انفصام الشخصية سهلا وبلا اى اعتراض من وعيه الذى اصبح اوهى من خيوط العنكبوت .. !

جريمة المنصورة !

وفى جريمة المنصورة التى قتل فيهـــا الزوج (السيد) زوجته الحســـناء بسكين نقلت من رأســـها الى ثلاثيف

منها فقتلتها على الفور . وهذه الجريمة وان لم تكن وقعت فى المنصورة ـ الا أن الجنى عليها والجانى عاشا جانبا من حياتهما فيها ـ وهنا يكمن ايضـــا عنصر الهجرة ـ اما ضعف شخصـــية

« السـيد » فهو اول ما يلفت النظـــر فيه حتى ليبدو كالأهبل أو المعتوه .. فى حوالى السابعة والعشرين .. مفرط الطول .. اصفر اللون .. نحيف يوشك

أن يضيع داخل ملابسه .. نظراته مطفأة رغم اتساع عينيه .. تعرف حتى مالم تكن لك علاقة بالطب انه ضـــحية بلهارسيا مزمنة .. يعمل كخفيـــر فى مساكن « المنصورة » الشعبية .. تزوج من احدى فتيات قريته ، وكانت بشهادة الجميع .. ذات حيوية رائعة ..شديدة الحلاوة .. زاعقة الأنوثة .. لبقة ..

تعرف أكثر مما تعرف بنات القرية .. فى أعماقها نزعة استعراضية .. وحينما زفت الى « السيد » راهن بعض شباب القرية على أن هذا الزواج لن يدوم ..!

لم يكن « السيد » يجهل كل ذلك ، بل كان يدرك تماما انه فاز بالفتاة التى تشتهيها كل القرية .. وقد رأى بعد

الشهر الاول أن يحملها معه الى « المنصورة » بعد أن كان يجىء اليها كل اسبوع .. لوجودها بجانبه سوف يجعل قلبـــه

•• لـذة القتـل عنـد الرجـال

مطمئنا .. وان كان لا يبدو عليه القلق رغم ما يصطرع داخله من نزعات .. !

وفى « المنصورة » بدأت المتاعب .. كان يعود فيجد فى البيت بعض زوار من القـرية لا يرتاح لزيارتهم .. وقال له الجيران أنها تصعد عند بعض الطلبة من بلدياتهم .. وقالت أنها قريبـــة

لاحد الطلبة ، ووالدة الطالب كلفتهـــا بأن ترعاه .. وتكرر الخلاف .. وتعلمت كيف تترك البيت وتسافر وحدها الى القرية .. ومرة بعد اخـــرى تختلق المشاجرات لكى تتركه وتمضى الى القرية .. ويجرى خلفها ويجمع النـــاس لمصالحتها .. وقالت أنها لا تقبل أن

تكون موضع شبهات .. وقال هو أن بعض أهل القرية شاهدها تعـود الى القرية برفقة تاجر اقمشة معين فى القرية .. ولم تنكر هى ، وقالت أنه وجدها عند موقف السيارات ، وعرف أنها من قريته وأبت عليه شهامته ان يتركهـــا

وحدها .. ولكن « السيد » أقســم ان الشهامة ليس لها أى دخل ولكن جمالها هو السبب .. وان نذالة الرجل وليست شهامته هى التى دفعته الى مرافقتها حتى القرية ، وجعلته يشترى لها طعاما وفاكهة فى الطريق .. !

فالثورات كانت تتجمع داخل الزوج لتحوله الى مستودع زبالة بشرية .. لم يعود ويتذلل لها لتعود بعد أن يرميها بكل هذه التهم .. وتأكد فى أعماقهـــا

أنه ليس هو الرجل الذى يملأ حياتها .. ويرضى ثورة أنوثتها التى كانت تجابهه بها كل ليلة .. فتمســك به علته من الصبر عليها حتى تحصـــل على بغيتها منه ، فاذا ما غلب على أمره انســحب مهزوما بتراجع القهقرى ، فلاحقه لعنائها وكلمات الهزء والسخرية .. وقد هزت هذه العلة البقية الباقية من شخصيته وفى آخر غضبة رفضت أن تعود اليــه رغم الجهود التى بذلها .. !

وذهب ليتحدث مع والدها فى الصلح ولكنه وجد تاجر الأقمشة هناك .. كان

يشرب الشاي مع والدها وكانت تجلس هي ووالدتها بالقرب منه .. واستأذن الضيف بعد دخول « السيد » وادرك لماذا تصر هي على الطلاق هذه المرة ..!

.. ورفضت حتى مجرد الاستماع اليه .. وصاحت فيه تتحدى رجولته ان يطلقها اذا كان رجلا .. ولم تكن المرة الاولى .. وتركته واخذت دابة والدها وخرجت الى الحقل .. كان ذلك في وقت الضحى .. !!

ولم يكن « السيد » قد نام طول الليل .. فهو يعمل خفيرا ليليا .. ومشى نحو « مصلاته » على شاطىء ترعة فنام حتى استيقظ قرب العصر مفزوعا من كابوس شاهد فيه زوجته تزف الى التاجر .. وتسلطت عليه الفكرة الى حد أنه لم يتخلص منها رغم يقظته ..

وراح يتابع خواطره في داخله .. لابد ان التاجر ذهب اليها ولم يكن والدها في البيت ولا والدتها .. ولابد انه حدث بينهما ما يحدث بين امرأة جميلة ، ورجل يشتهيها .. وتحسس « السيد » المطواة الكبيرة في جيبه .. لابد ان هذا قد حدث والا فلماذا ترفض كل الشفاعات وتصر على الطلاق .. ؟

وقام لمضي الى طريق بيت والد زوجته .. وفي ذهنه ان يستعيدها بالقوة .. وقبل أن يصل الى البيت رآها قادمة من الحقل فوق الدابة .. فتصدى لها يطالبها بأن تعود معه الى «المنصورة» وهبطت هي من فوق الدابة واجتمع حولها بعض الجيران .. وكادتها هوت عليه بالعصا التي كانت تسوق بها دابتها .. وسخرت منه أمام الجيران وتحدته ان يطلقها ان كان في جسده ذرة من رجولة .. ولم تكن تتوقع .. ولا احد من الجيران .. فقد أخرج « السيد » مطواة طويلة من صدره .. لمت لحظة ثم هوى بها عليها ..وفوجئت هي فارتبكت وجلست على الارض بين قدميه لتفادي ضرباته بعد أن أصابتها الاولى في كتفها ..واذا به يهوى بالثانية فوق رأسها بكل غيظه فتخترق عظمة الرأس لكي تستقر في تلافيف المخ .. وتعذر عليه أن ينتزعها فتركها ومضى الى الحقول .. ولفظت هي آخر انفاسها بين يدي الجيران الذين كتموا انفاسهم.!

وهكذا نجد ان القتلة الثلاثة قد اشتركوا في ضعف الشخصية مما كان له بعض الاثر في اغراء الزوجات على الانحراف .. كما كانت الهجرة من القرية الى المدينة او من المدينة الصغيرة الى المدينة الكبيرة قاسما مشتركا بين الزوجات الثلاث .. كما ان حب الازواج العنيف لزوجاتهم والذى لم يجدوا وسيلة سليمة للتعبير عنه . كل هذه العوامل الظاهرية كانت من الاسباب التي دفعت الى القتل . الى جانبها كان يصطرع داخل كل منهم في « اللاشعور» ضد زوجته من احساسه بخيانتها له — ان صدقا او كذبا — .. المهم انهم اعتنقوا الفكرة .. وذابت في اعماقهم واختلطت « باللاشعور » تطفو بين الحين والحين .. دون ان تنفجر الا عندما تصطدم بما تستقبله من اشارات مزعجة من الوعي الكامل الحقيقي .. وقد كانت الاشارة عند عبد الاله ما رواه لعبدالله عن « خديجة » .. وعند « فاتزهر عواطف» ما احسه من انها وضعته على الرف .. وعند « السيد » اصرار زوجته على الطلاق للزواج من التاجر .. !

ورغم ان القتل من ابشع الجرائم الا انه هنا لايعبر عن الكراهية بل العكس .. فلو ان أحدهم كان يكره زوجته فما كان ايسر عليه من طلاقها .. ولكن الحب الكبير لم الخيبة فيه .. هي التي جرتهم الى القتل .. تماما كما يحس الانسان انه فشل في حياته ، وانه قد تحطمت آماله فجأة فيندفع الى الانتحار .. ويمكن ان نقول في حذر .. ان كلا من الرجال الثلاثة قد قام بعملية انتحار نفسيه .. قتل فيها نفسه الذى كان سببا في فشله .. !!

د. عبد المحسن صالح

كيف ينظر علماء الطبيعة الحية إلى الأنثى؟

المرأة

عندما طلب مني ان اشارك بكتابة مقال في هذا العدد الخاص عن « المراة والجنس في مجتمعنا العربي المعاصر » تحيرت حيرة شديدة ، وبرز امامي اكثر من سؤال .. ففي اي الموضوعات نكتب ؟ .. هل نتعرض مثلا لطبيعة الاختلاف البيولوجي بين المراة والرجل .. هذا الانعكاس الذي ينعكس على سلوكها مما يجعلنا ننظر اليها على أنها مخلوق ناعم لطيف في الظاهر ، ولكنه مختلف في الباطن ؟ .. او هل نكتب عن فسيولوجية المراة وما يتبع ذلك من جوانب جنسية وحسية ؟ .. او هل نتناول السلوك النفسي والجنسي للمراة في المجتمع العربي مع مقارنة ذلك بمجتمعات أخرى غير عربية ؟ .. او هل نقارن سلوكها في المجتمع القديم مع المجتمع المعاصر وما حدث من تطور خلال الحقب التاريخية المختلفة ؟ .. او هل نتناول دراسة مقارنة بين المراة وبين الاناث الاخريات في مملكة الحيوان ، وما اكتسبته أو تخلت عنه نتيجة لعوامل التطور التي حدثت في اناث الحيوانات التي ظهرت قبل أن تظهر حواؤنا بعشرات ومئات الملايين من السنين ؟ .. او هل نتعرض لتلك الصفات الانثوية التي لا نمتلكها نحن معشر الرجال ، بل تغنينا بها وسجلناها في اشعارنا وتماثيلنا وصورنا وفنوننا الاخرى .. هذه الصفات التي تجعلها جميلة جذابة في عيوننا حتى تقع الفاس في الراس ، وينتهي الامر على بدى مالون ؟!

مواضيع كثيرة تجذبني كما تجذبني المراة بسحر تكوينها وأنوثتها وشبابها ، فانجذب حينا ، واهرب في أحيان كثيرة ، حتى لا اقع كما وقع الكثيرون من بني جنسي في شباكها الوردية المنصوبة امام اعيننا في كل آن وحين ، وكانهم بعد الزواج يقولون « ياريت اللي جرى ما كان » !

كانما نحن معشر الرجال نجيء الى الحيـــاة أول ما نجيء من المراة ، لتحتضننا بامومتها وحنانها ونحن صغار، ثم نترعرع ونصبح شبابا يتدفق حيوية وقوة وجنسا، فاذا بها تحتوينا في أحضانها مرة أخرى وبطريقة اخرى ، وكانما ندخل برؤوسنا في حلقة ضيقة نصبتها لنا الطبيعة على هيئة شباك ستدسية ، وفي داخلها صيد

أفضل وأثمن بيولوجيا من الرجل !

للديك ، أو تكوين انثوى فريد ، يجذبنا كما يجذب « الطعم » في السنارة سمكة جائعة ، أو كما يجذب الفخ بما حوى حيوانا ، فاذا بهذا السحر الانثوى أو «الطعام» اللذيذ الذى كان يتراقص امام اعيننا على هيئة « وجبة جنسية » يسيل لها اللعاب .. اذا به جميعا يطير من الشباك بالزواج !

نعم .. ان غرورنا نحن معشر الرجال بقوتنا ورجولتنا هو الذى يوحى الينا باننا نحن الذين نصطاد ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فالجوع الجنسى او ذلك الهرمون السحرى العجيب هو الذى يحركنا ـ كما يحرك الذكور في عالم الحيوان ـ ويدفعنا دفعا الى دخول هذا العش أو تلك المصيدة المنصوبة ، فاذا بنا نصبح صيدا ، ويسخر الصياد الحقيقى ـ المرأة ـ او يفرح بما اصطاد ، ولهذا ، فكثيرا ما نسمع همسا من الصياد تلك العبارة المكررة « لقد اوقعته في حبالى من أول نظرة » ! .. وكل ما نستطيع ان نقوله نحن معشر الرجال لنعزى انفسنا تلك العبارة المكررة ايضا « شر لا بد منه » !

وهكذا شاءت الاقدار من قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان .. شاءت الحكمة بالغة .. أن يعمر هذا الكوكب بأجيال متتابعة من البشر وسائر أنواع الحيوان والنبات ، فحيث يذهب جيل قديم ، يحل محله جيل جديد .. والمرأة او الانثى عموما هي صانعة الاجيال .. هى الاساس ، فالجنس بالنسبة لها بداية .. اعظم بداية ، وبالنسبة لنا نحن معشر الذكور نهاية .. ابسط نهاية !

انا لست في هذا ضد المرأة ، فالمرأة ولا شك تستهوينى .. انها طعم للديك في سنارة .. احيانا اقضم الطعم ، ولا اقرب السنارة ، انه نوع من الحرص ليس الا ، فاذا دخل الزواج من الباب ، طار الحب من الشباك ، او اذا اردت تعبيرا أدق لقلنا : طار الجنس والسحر والجمال من الشباك ، أو هكذا اخبرنى من قضموا الطعم والسنارة ، وكثير منهم نادمون ، أو هو شر لا بد منه ، وكذلك يقولون !

كان لا بد من هذا التمهيد لموضوعنا المتعدد الجوانب ، وعلينا أن نختار الان في أى الموضوعات التى اشرنا اليها سنكتب ، ولقد تركت لى حرية الكتابة ، وهذا امر جميل ، لان التحديد فى الكتابة عن المرأة فى المجتمع العربى المعاصر ليس له معنى من وجهة النظر البيولوجية .. **فالمرأة هى المرأة بيولوجيا ، مهما اختلفت فى البيئة والعقيدة والثقافة واللون والمكان والزمان**

.. صحيح أن هناك تقاليد وعقائد وقيما تتحكم فى المرأة التى نشأت فى هذه المنطقة من وطننا العربى الكبير ، ولكن ذلك لا يدخل ضمن موضوعنا ، لان ما نريد أن نتعرض له هنا هو شخصية المرأة التى تبرز من طبيعة تكوينها البيولوجى الذى جاءت به الى الحياة .

فما أكثر ما كتب عن المرأة ، وعن الجنس عند المرأة ، وعن الحب عند المرأة .. أكثره غث ، وقليله ثمين ، ولهذا كان لا بد أن تقدم المرأة بطريقة اخرى فيها موضوعية تتناسب ووضع المرأة فى المجتمع البشرى خاصة ، أو الأنثى فى طوفان المخلوقات عامة .

لا شك أن العنوان الذى اخترناه لموضوعنا هذا .. أى « **المرأة افضل وأثمن من الرجل** » قد افزع الكثيرين من بنى جنسى الرجال ، ولهذا قد نراهم يتساءلون بغيظ ويقولون : كيف أقول بتفضيل المرأة على الرجل ؟ .. هل أنا مثلا أتحيز لها « **لأمر فى نفس يعقوب** » ؟ ولماذا أحيد عن التقاليد المتوارثة التى نشأت معنا فى بيئتنا العربية أو ربما فى البيئات الاخرى غير العربية ، واقول بما لا يقول به الناس ، او بما لا يقول به الدين ؟ .. الى آخر هذه الاسئلة التى لا شك أنها تحتاج الى جواب وجواب .

صحيح انه وردت آية فى القرآن الكريم تقول « **الرجال قوامون على النساء** »، وفى هذه الآية اشارة صريحة الى ما يدور فى خلدنا نحن معشر الرجال ولكنك لو تركت هذه الاية دون تكملة ، لكنت كمن يقرأ آية اخرى تقول « **لا تقربوا الصلاة** » ! .. وعليك أن تكملها حتى يتبين مضمونها الحقيقى لتقول « **لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** » .. كذلك لا بد ان تتم الاية الاولى لتقول « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما انفقوا من اموالهم** » .. **الخ** ، والتفضيل هنا متروك لتقديرك وتعمقك فى التفسير ، واستجلاء كوامن المعانى ، ولا بد أن أعترف أن هذه ليست سنحتى ، ومع ذلك فلدى احساس دفين أن ما ورد فى هذه الاية لا يتعارض مع ما أنا مقدم عليه فى التبيان والتوضيح !

لقد حددت من قبل نظرة العلم الى المرأة خاصة ، والى الأنثى عامة، وهذا التحديد من الاهمية بمكان ، حتى لا تختلط علينا الأمور ، ونقع فى المحظور !

لهذا نعود لنحدد ونقول : **ان المرأة افضل وأثمن من الرجل من وجهة النظر البيولوجية** .. يعنى هذا أن موت الذكور على مستوى كل المخلوقات ، ليس فى حد ذاته كارثة أو مصيبة بقدر ما تموت الاناث .. لان الأنثى هى الاساس ، وما الذكر الا بمثابة عابر سبيل ! .. أعنى انه يؤدى رسالته فى لحظات نحو الجنس ونحو استمرار النوع .. اى نوع نشاء، من اى مخلوق نشاء ، فليس الامر مقصورا علينا نحن معشر البشر ، بل ان المخلوقات الاخرى أمم أمثالنا ، وان كنا لا ندرى ذلك الا عن طريق بحث

والتمحيص واستنتاج وجمع حقائق تزخر بها أمهات المراجع العلمية .

اذن .. فما هو الدليل الذى نرتكز عليه فى تفضيل الانثى على الذكر بيولوجيا ؟

أكثر من دليل .. والأدلة لم تأت هكذا جزافا ، بل جاءت من وضع المرأة والرجل على « منضدة التشريح العلمى » .. وباجراء مزيد من التحريات الدقيقة ، والتحقيقات العلمية الاصيلة ، ظهر لنا الحقيقة ، واذا بالحكم يصدر فى صالح الانثى بوجه عام ، وفى صالح المرأة بوجه خاص .. أيضا من الناحية البيولوجية ! .. وعلينا أن نضيف حكما آخر لصالحها .. مؤداه : **ان المرأة او الانثى اعقد وأسمى من الرجل فى خلقها** (بفتح الخاء وسكون اللام) ، وسنعود لتوضيح ذلك بعد حين .

من أين نبدأ اذن ؟ .. هل نبدأ بالمرأة خاصة ، أو الانثى عامة ؟ .. أو هل نتعرض للبدايات التى جاء على أساسها الذكر والانثى ؟

علينا أن نأخذ الأساس .. أن ننظر الى البدايات .. ففيها يرتبط الظاهر بالباطن .. وبالباطن نبدأ ، وبالظاهر ننتهى .. وبهذا تتجلى لنا حقائق الامور وجواهرها .

* *

فى البداية .. كان الذكر وكانت الانثى .. ولقد ظهرا على هذا الكوكب منذ مئات الملايين من السنين على هيئة خلايا .. الميكروب خلية أو خلايا .. فيه الذكر وفيه الانثى ، وباندماج هذا مع تلك ، تنتج سبيكة وراثية تختلط فيها مكونات الميكروب الذكر ، مع الميكروب الانثى .

لم تتعقد الخلايا قليلا ، لتظهر مخلوقات بدائية .. أيضا فيها الذكر وفيها الانثى .. الذكر يتحول الى خلايا جنسية ، لم تنته حياته .. والانثى تبقى فى مكانها حاملة بويضاتها ، وهى **لاتطلقها فى الماء كما تفعل الذكور** ، بل تحتفظ بها ، وعلى الخلايا الذكرية أن تسعى وتكد وتبحث عن الانثى .. وقد يتوه منها الملايين ، وقد يموتون فى الطريق ، ولكن هناك قلة قليلة تصمد وتكافح وتبحث حتى تصل الى الانثى .. الى البويضات أو الخلايا الجنسية الأنثوية التى تحتفظ بها دون أن تكلف نفسها مشقة البحث والموت كما فعل الذكر أو كما فعلت خلاياه الجنسية .. **وكأنما هذه الانثى البسيطة التركيب أهم وأثمن للحياة من كل الذكور !**

ونتدرج الى **أعلى** فى سلم المخلوقات لنرى عجبا ، ولكن المجال هنا ضيق ، وعلينا أن نقفز الى عالم الحيوانات الثديية ، وعلى رأسها الانسان لتقدم نفس الصورة ، ولكن بطريقة أخرى ، ليكون حكمنا على أساس !

ان حواء الكبيرة (المرأة) فى داخلها « حواء » صغيرة ، هى **مبيض الانثى** .. والمبيض الانثوى بدوره مسئول عن انتاج « حواء » أصغر تتمثل لنا فى **البويضة** .. بناء من داخل بناء من داخل بناء ! ونحن لا نستطيع ان نتعرض للأحداث الكيميائية والهرمونية الرائعة التى تجرى فى الخفاء لتجهيز « عروسنا » الصغيرة — أعنى البويضة — لأنها طويلة ومعقدة ، ولكن يكفينا ان نقول ان هناك مبيضين .. كل مبيض لا يجهز الا عروسا واحدة (أو ربما اثنتين أو ثلاثا أو أربعا فى حالات نادرة) فى كل شهرين .. بمعنى أن المبيض الأيمن يفرز بويضة فى هذا الشهر مثلا ، والأيسر بويضة فى الشهر القادم .. وهكذا

نعود الان الى آدم الكبير (الرجل) لنرى كيف يتدلى ، وبه « آدم » صغير على اليمين ، و « ادم » على اليسار (الخصيتان) .. وفى داخل كل خصية تتكون عشرات الملايين من « ادم » أصغر (١)

(١) لقد اطلقنا على الخلايا الجنسية — الانثوية والذكرية — اسم حواء الصغيرة وادم الصغير .. لأن كل خلية هى سجل وراثى مسجل ومكتوب ومقدر فيه كل صفات الانثى او كل صفات الذكر .. وهنا فعلا الاساس فى الخلق ، وهذا موضوع طويل نحن فى حل من التعرض له هنا .. ومع ذلك فالباطن مرتبط الى حد كبير بالظاهر .

.. هي الحيوانات المنوية ، أو «عريسا» الخلوى الدقيق ، الذى سينطلق يوما ليبحث عن عروسه الكامنة هنالك في عشها أو خدرها

.. اننا لو قدرنا الفترة الخصيبة في حياة المرأة ، لوجدناها حوالي ثلاثين عاما أو تزيد قليلا ، ولقد كان من المفروض أن تفرز شهريا أكثر من الف بويضة ، ولكن بويضة واحدة تكفى ، وعلينا أن نفرز نحن مئات الملايين .. لسن باعظ تدفعه نحن معشر الرجال ، حتى ولو كان ذلك على مستوى خلايا جنسية !

واذا كانت حواء الكبيرة أكثر حياء من الرجال ، واذا كان الرجال دائما هم الذين يسعون أولا الى النساء .. كذلك جاءت البويضة بنفس الخصال ، بمعنى أنها عندما تخرج من المبيض (أو من بيت العائلة اذا أردت) ، فانها لا تخرج وحيدة ، بل نراها محاطة «بصويحبات» لها نطلق عليها اسم **خلايا التاج أو التتويج** ، ومهمتها أن تحميها وتمدها بالغذاء والاوكسيجين ، فاذا جاء « العريس » أو الحيوان المنوى ليدخل بعروسه الصغيرة ، فان خلايا التتويج تساعده على الدخول ، وعندئذ تذوب وتتحطم ، وينفض هذا المهرجان الصغير بعد عملية التلقيح ، وكأنما عروسنا الصغيرة قد خرجت معززة مكرمة ، ولكنها لا تسعى الى العرسان ، بل على العرسان ان يسعوا اليها ، ويحثوا عنها ، حتى يجدوها في عشها الصغير .. وهكذا يتبين لنا أن حواء هى حواء ، حتى ولو كان ذلك على مستوى خلية جنسية !

ولقد جاء كل « آدم » صغير أو حيوان منوى بديل طويل ، وهكذا قدرت علينا الامور في بداياتنا الصغيرة ، وتجرى الحيوانات المنوية هنا وهناك وهى تضرب بذيولها ، وتكد وتسعى في مغارات ومتاهات في داخل الرحم وفي القناتين اللتين توصلان الرحم بالمبيض ، علها تعثر على « عروسها » الصغيرة الكامنة هناك في القناة ، وكأنما هي تنتظر « العريس » على استحياء ، ولن يفوز « بقلبها » الا كل من عرف الطريق اليها أولا ، فلا شك أنه أقواها وأسرعها، أما الملايين الاخرى الكثيرة ، فالى الضياعات والى الموت والى « الجحيم » ! وكذلك الحال في الذكور مع الاناث ، وسنتعرض له فيما بعد .

الا ترى أن نفس الاحداث التى تحدث مع الخلايا الجنسية المنطلقة من ذكور الحيوانات البدائية في الماء هي نفس الاحداث التي تجرى مع خلايانا الجنسية نحن معشر ذكور البشر ! .. ان الأساس واحد ، وان اختلفت الصور ! ..

كأنما البويضات أو الخلايا الجنسية التى تفرزها الانثى أثمن وأهم من الحيوان المنوى بملايين وبلايين المرات .. وكذلك فان موت بويضة في الرحم دون أن يصل اليها حيوانها المنوى ، ويدخل بها ، وكذلك الاستعدادات الهائلة التي أشرفت عليها الهرمونات لتجهيز جدار الرحم لاستقبال العروسين اللذين اندمجا في تلك البداية الجديدة من حياة مخلوق قادم ، كل هذا قد ينهار بموت العروس في عشها ، وعندئذ يعلن « الحداد » ، وتهدم الاستعدادات ، ويحدث الكرب الذى يظهر في نهاية الامر على هيئة دماء حيض ، وكأنما في خروجه اعلان عن موت شيء ثمين بالنسبة للحياة ، في حين أن خلايانا نحن معشر الذكور تخرج بالملايين ، وتموت بالملايين في أى مكان وزمان ، دون حس أو خبر (١) .. وهذا أمر يدعو الى الأسف ، ويدعونا الى تقييم أنفسنا من الناحية البيولوجية

هذا الى أن حواء الصغيرة التى تسكن في داخل حواء الكبيرة... ويسدل الستار، لترفع من جديد عن صورة أخرى تقدمها لنا الحياة ، وكأنما هي تشير الينا من طرف خفى وكأنما تقول : **اذا كانت الخلية الجنسية للانثى افضل واكرم ، فان الانثى اثمن من الذكر .. وكأنما موت الذكر لا يعتبر كارثة بالنسبة للحياة**

---

(١) ومما يذكر هنا أيضا أن النباتات تسير على نفس المنوال ، فحيث تبقى أعضاء الانثى في زهرتها ، نجد أن حبوب اللقاح « الخلايا الذكرية للنبات » هى التى تنتشر في الهواء بملايين الملايين باحثة عن الانثى

تموت الانثى .. لان الانثى قد جاءت لاعزاز لا لاذلال !

ماذا يعنى هذا ايضا بحق السماء ؟

* *

فى الوقت الذى كنت فيه أتنقل بين اهمية البويضة والحيوان المنوى ، طرأت على بالى فكرة من الافكار التى تتخذها الطبيعة كوسيلة من الوسائل التى تقدم فيها الذكور لاختبار قد ينتهى بالموت فى اغلب الاحيان .. اختبار قاس وغريب ، ولكن لتحيا الانثى !

من ذلك اناث الحشرات وبعض حيوانات اخرى .

ان ذلك قد يبدو خروجا على موضوعنا ، وما هو بخروج ، لان المرأة انثى قبل كل شىء ، وهى قد جاءت فى النهاية بعد عمليات تطور طويلة استمرت مئات الملايين من السنين ، لتكون بجمالها وذكائها على قمة اناث هذا الكوكب ، ولكى نوسع مداركنا ، كان لابد أن نتعرض اولا للعموميات ، ولنأت الخصوصيات بعد ذلك كنتيجة حتمية .. ذلك ان نواميس الطبيعة لا تفرق بين خلايا جنسية وحشرات وحيوانات وبشر .. الكل من انتاجها ، والكل يخضع لقوانينها .. لا تفرقة ولا استثناءات لو كنتم تعلمون !

هناك عشرات الالوف من انواع النمل والنحل والدبابير .. الخ ، وهذه تعيش فى مستعمرات منظمة تنتشر انتشارا واسعا فى هذا الكوكب ، وليس فى المستعمرة الا انثى واحدة ، نطلق عليها اسم « الملكة » ، وهى المسئولة عن عمار مملكتها بما تنتجه من الاف البويضات فى عملية مستمرة لا تتوقف ابدا الا بموتها

والانثى بطبيعة الحال تريد اخصابا .. تريد ذكرا ولا كل الذكور ، ومن اجل هذا تنشىء المستعمرة الواحدة مئات الذكور .. ما يقرب من أربعمائة ذكر أو يزيد ، كل هذا من اجل انثى واحدة تترك مستعمرتها لتطير بسرعة الى اعلى ، وورائها تنطلق كل الذكور فى سباق مرير ، وكأنما الطبيعة قد وضعت « توصيتها الطبى العام » فى خدمة الانثى .. الذكر السالم القوى المتين هو الذى يصل الى الانثى أولا .. لقد اجتاز الاختبار الرهيب ، واختارت انثى الحشرات الفتى الكفء الخالى من العاهات والامراض ، ليورث الاجيال القادمة خلاياه القوية الخصبة ، لتقوى المستعمرات بساكنيها « حكمة بالغة » .. « فهل من مدكر » ؟!

ان المئات الباقية التى لم تنجح فى مهمتها لا فائدة الان منها ، ولهذا يكتب عليها الموت جوعا ، أو كمدا .. لست ادرى ، وحتى ذلك البطل الوحيد الذى حصل على شرف جماع ملكته ، مقضى عليه بالموت ايضا ، لان الانثى تنزع اعضاءه الجنسية لتحتفظ بها فى داخلها ، ومع نزع هذه الاعضاء تخرج احشاؤه ، فيهوى البطل من عليائه ، بعد ان وهب حياته لغيره !

انها تضحية بمئات الذكور ، لتحيا انثى واحدة ، لان الانثى هنا اهم للحياة من كل الذكور ، فهى حاملة الاجيال القادمة ، وهى المسئولة عن امداد مملكتها بطوفان جديد من الاحياء

هنا مئات الذكور تموت من اجل انثى واحدة ، وهناك ملايين الحيوانات المنوية تموت من اجل بويضة واحدة ، وكأنما الذكور وخلاياها بمثابة عابرى سبيل ، فاذا أدوا الامانة ، فلا فائدة منهم بالنسبة للحياة .. وكأنما الانثى بتكوينها وبما حملت تحمل صفة الاستمرار ، وانه لما يؤكد لنا هذا المعنى ان الحياة قد قدمت لنا صورا من مخلوقات شتى .. **الاناث لا تعرف فى حياتها شيئا اسمه الذكور ، انها تحمل بويضاتها ، وتقوم « باخصابها » وتضع مواليدها ، دون ان يمسسها ذكر . فالذكور غير موجودة ، ولا فائدة منهم مادامت الحياة قد يسرت لها سبلها ، لتكون الانثى بمفردها ، ولتحمل وحدها صفة استمرار الحياة ، واستمرار النوع !**

لم تصبح الحياة قاسية على الذكور قسوة من يحكم عليه بالاعدام دون ذنب جناه ، ففى أنواع كثيرة من الحشرات والعناكب والعقارب وما شابه ذلك ، تضحى الحياة بذكورها من اجل اناثها ، والغريب ان ذلك لا يحدث الا عند عملية الجماع الجنسى بين الذكر والانثى أو بعده مباشرة ، ولقد تعددت وسائل الموت ، ولكن النتيجة واحدة .. فالانثى قد تقطع

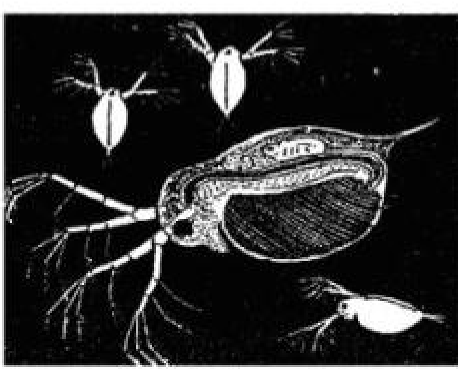
رتبة ذكرها ثم تلتهمه أثناء الجماع ، وثانية تبقر بطن « رجلها » ، وتلتهم احشاءه ، **وغيرها تلدغه ليموت فتأكله** وكأنما الذكر هنا قد جاء من أجل مهمتين: **مهمة الجنس ، ومهمة الطعام !**

أمور في ظاهرها قسوة ، وفي باطنها رحمة .. رحمة بالانثى الحامل ، ورحمة بالاجيال القادمة .. وعلى الذكر أن يدفع دين وجوده كذكر .. يموت واحد ، ليعيش الكثير من الاجيال

ان الحكمة التي أوحت بها الحياة الى اناثها لتقتل ذكورها وتأكلها هي بمثابة النفقة أو المعاش الذى يعرف للزوجة لتربي أولادها .. ولكن الحشرات لا تعرف نفقة ولا معاشا .. ان الذكر في حياتها هو نفقتها ومعاشها .. كل ما تريده للزوجها التي تحملها في احشائها هو وجبة شهية من بروتين ، وقد لاتواتيها الفرصة في الحصول عليها وهي حامل ، فساقت اليها الاقدار هذا الذكر ليكون جنسا وطعاما .. انه لن يعيش بعد عملية الجماع لتواتيه الفرصة مع انثى اخرى في جيل قادم ، وبدلا من أن يموت ويكون مثواه التراب او يلتهمه كائن اخر ويقضى عليه ، تجره الانثى لتكون أولى بزوجها ، وعيالها أولى بأبيهم .. وهكذا قدرت الحياة ، وسخرت منا نحن معشر الذكور .. ومن هنا نعود ونقول : ان الانثى بالنسبة للحياة أفضل من الذكور .. ولهذا فقد حكمت عليهم بالاعدام ، لتبقى الاناث ، وتضع أجيالها !

* *

لاشك انكم تنتظرون وتستعجلون لكى نكتب عن المرأة والجنس في هذا الزمن .. ورأينا لا يخرج عن رأى متعارف عليه ، ولا جديد فيه .. فطبيعة المناخ الذى نعيش فيه يجعلنا — نساء ورجالا — نهوى الجنس ، ونحسب له حسابا ، **والمرأة العربية — في رأينا — من أنظف نساء العالم ، واكثرهن في الجنس دلعا وامتاعا** .. وهذا ليس جديدا .. كما أن الفتاة والمرأة عندنا **مازالت تحكمها تقاليد** متوارثة ، ولهذا تنظر الى الجنس على أنه عيب وحرام وعار ، مالم يرتبط بالزواج ، وهي في ذلك تختلف عن المرأة الغربية المتحررة .. رأى ليس بجديد أيضا .. ولكن الشيء الذى يدعو الى الحسرة حقا ان الفتاة عندنا لاتستطيع الزواج بمن ارتضته شريكا لحياتها ، بل ان تقاليد العائلة تفرض عليها أن تنزل عند رأيهم ، فاذا اعترضت الفتاة واحتجت ، ثارت العائلة وهددت .. رأى معروف أيضا ومكرر !



برغوث الماء .. حيث التلقيح ذاتي لا تدخل للذكر فيه ! !

ولكن ما رأيكم – تجنبا للتكرار الممل – لو قدمنا شيئا جديدا ومثيرا ، وكتبنا عن « **الكلبة والجنس في المجتمع الكلابي المعاصر** » ؟ !

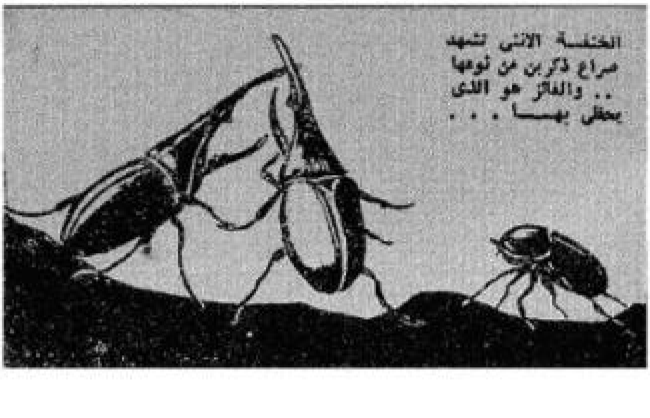
لاشك ان ذلك أمر يدعو الى الاستياء ، ولكن لو عرفنا السبب .. بطل الاستياء والعجب !

من المؤكد طبعا انه ليس هناك شيء اسمه كلبة معاصرة في مجتمع كلابي معاصر .. لان الكلبة ظهرت على الارض قبل ان يظهر عليها الجنس البشري بعشرات الملايين من السنين ، ومع ذلك . فللكلبة طريقة « عصرية » في اختيار الكلب المناسب ، وكأنما هي تتخير لنطفتها احسن الكلاب واقواها ، وتصوروا معي ان الكلبة تختار ، في حين ان بعض فتياتنا في مجتمعنا المعاصر ليس لهن حق الاختيار ، وكأنما هن سلعة تباع لمن يدفع لها اكثر .. أمر مؤسف ومحزن نوصم به نحن معشر البشر ، لان الكلبة قد عرفت طريق الاختيار قبل أن تعرفه المرأة المعاصرة بملايين السنين ! .. وهكذا نقدو ، وكأنما تسخر منا الكلاب !

ليس للكلبة بطبيعة الحال عقل كعقولنا لتختار الكلب المناسب ، ولكن الامور ترسم وتقدر لغير ذوي العقول ، او بما نسميه نحن الغريزة ، والغريزة لفظ بديل لجهلنا بنواميس الحياة

كنا قد لاحظنا أن الكلبة تجمع حولها عددا كبيرا من الكلاب ، وكأنما هي قد ارسلت لهم دعوة ليجتمعوا من كل حدب وصوب دون أن تنتقل هي من مكانها ، وعلى الكلاب ان تتصارع وتتطاحن فيما بينها قبل ان تقرب الانثى ! وكأنما الكلاب تقوم بعمل تصفية كالتي نسمع عنها في الدورات الاولمبية ، هنا أيضا تحدث تصفية كلابية ، ولا ندري ان كانت الكلبة سعيدة بهذا الصراع القائم بين الذكور من اجل خاطرها ، كما هو الحال عند فتيات البشر ، عندما يتصارع العرسان على امتلاك قلوبهن .. ولكن الذي ندريه ان الكلبة قد لعبت في الخفاء لعبتها لينالها اقوى الكلاب ، دون ان يجرؤ الضعيف او الهزيل على الاقتراب منها في حضرة القوي المتين من الكلاب .. اذن ، فكيف جمعت الكلبة كلابها لاجراء تصفية نهائية تناسبها !

عندما تفرز البويضات ، وتحس الكلبة بالامومة تجتاح كيانها ، تلعب الهرمونات لعبتها ، وتنطلق رائحة تنتشر في الهواء لمسافات بعيدة ، فتشمها الذكور من الكلاب ، وتعرف ان هناك كلبة تطلب جنسا ، وتثور الذكور جنسيا ، وبالرائحة المنطلقة تهتدي الى مكان الكلبة ، ليكون



الخنفسة الانثى تشهد صراع ذكرين من نوعها .. والفائز هو الذى يحظى بهـا . . .



قرون الايل للدفاع .. كما تستخدم في معارك من اجــل الانثى .

ما يكون ، وهكذا سارت الامور بين الكلاب غير العاصرة !

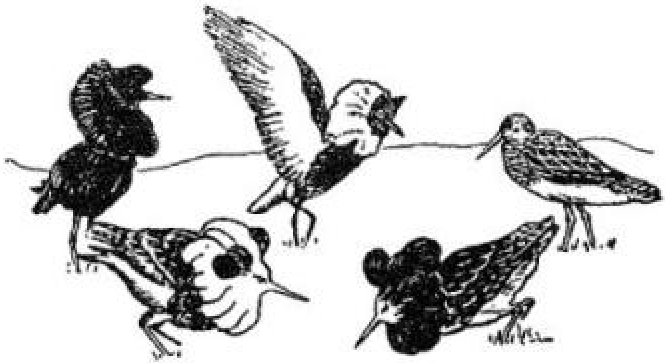
او ما رأيكم في خنفسة « معاصرة » ظهرت قبل الكلاب بمئـــات الملايين من السنين ؟ .. ان الخنفسة غير العاصرة اسمها **خنفسة الايل** .. والايل نوع من الغزلان ذات القرون المتشعبـــــة التي تستخدمها الذكور في معركة طاحنة من اجل الانثى الكريمة من الحياة .. ولقد سميت الخنفسة بهذا الاسم « خنفسة الايل » لان لذكورها زوائد كبيرة تشبه قـــرون الايل ، وعندما يتقـــابل الخنفس مع الخنفس في حضرة الخنفســة ، تراها وكانما هي تقف ايضا على استحياء لتنظر نتيجة المعركة التي تقوم بين ذكرين او ربمـــا اكثر ، وبهذا تقدم الطبيعة لاناثها العشرة ذكرا قويا ، ولا كل الذكور !

والنواع اخرى من الصراع تقـــوم بين ذكور الاسماك والغزلان والقرود والطيور .. الخ من اجل عملية اختيـــار طبيعي للاقوى والانسب ، وكانما الحياة هنـــا ايضا تضحي من خلال هذه المعـــارك الدامية بالكثير من ذكورها ، ولا تضحي بالاناث ، لان الانثى اثمن بيولوجيا من الذكور .. والغريب اننا لم نسجل نوعا من صراع يقوم بين الاناث في عالم الحيوان لامتلاك ذكر ، في حين ان ذلك يحـــدث احيانا بين النساء المصريات وغير المصريات من اجل رجل مرموق ، او غير مرموق ، لست ادري !

وهكذا تدفع الذكور الثمن .. من اول الخـــلايا الجنسيـــة الى الحشرات الى الكلاب الى القرود الى الانسان ، ولم يقتصر ذلك على الاناث لحكمة بالغة .. لان الانثى هي المسئولة عن انجاب الاجيال في كل زمان ومكان ، ولهذا فقد كرمتهـــا الحياة وعززتها ، ولا تريد ان تضحي بها كما تضحي بالذكور

* *

والواقع ان ما يجـــــري على اناث المخلوقات الاخرى يجري ايضا على المرأة .. انها اثمن بيولوجيا من الرجل ، بدليل انها تتحمل بطبيعتها الصدمات اكثر منا نحن معشر الرجال ، كما انها تعيش اطول من الرجال ، ويظهر ذلك عند تقـــدم السن ، فحيث يموت رجلان ، تمـــوت



اربعة ذكور تحت اختبار انثى نوع من الطيور فى الصبر والرشاقة والقوة وجمال الرقصة .. وبعدها تختار الانثى دون اعتراض ...

امراة واحدة ، كما أنها هى المحور الذى تدور حوله حياتنا ، ويعتبر العلماء الرجل أقل مرتبة فى الخلق من المراة ، وكذلك يقولون ان المراة هى الاساس ، والعمليات الفسيولوجية .. التى تتم فى اعضائها اعقد منا نحن معشر الرجال .. كما اننا لسنا رجالا مائة فى المائة ! .. لاننا نحمل فى كل خلية من خلايانا مكونات حريمى ومكونات رجالى ، اى اننا نحمل مكونات الانوثة والرجولة ، بدليل ان الحيوانات المنوية التى نفرزها نصفها صبيانى ، ونصفها بناتى !

ولكى نوضح هذا الامر ببساطة دون الدخول فى التفاصيل نقول : ان الحيوانات المنوية تنشأ فى الغدتين الجنسيتين بعملية انقسام ، فيحمل كل حيوان نصف المكونات الوراثية ، بمعنى ان الخلية الجسدية تحتوى على مكونين « كروموسومين » ولنطلق عليهما س، ص ان « س » كروموسوم « بناتى » و « ص » صبيانى .. وبعملية القسمة ، تتوجه س الى حيوان منوى ، ص الى حيوان منوى آخر ، فاذا دخل الحيوان س الى البويضة ولقحها ، **فانها تعطى بنتا** ، واذا دخل ص اولا فانها تعطى ذكرا (١)

كل خلية فى المراة تحمل ايضا نفس المكونات ، ولكن بدلا من س ، ص نجد فيها س ، س .. ولهذا فان البويضة تحمل دائما س بعملية القسمة التى اشرنا اليها .. ومن عملية الاخصاب قد يتوجه الحيوان المنوى الذى يحمل الكروموسوم س الى البويضة التى تحمل ايضا س ، وتكون النتيجة بداية نبأ س س .. يعنى بنتا ، أو قد يتوجه الحيوان المنوى ص ويدخل فى البويضة س ، ليبدأ س ص .. يعنى ولدا .

يعنى هذا اننا نحمل فى خلايانا الجسدية المكونات التى تحدد الذكورة والانوثة ،

---

(١) وربما كان هذا هو المقصود بقوله تعالى « الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .. ومع ذلك ، فكله متروك لتقديرك وتحليلك .. والله اعلم

في حين ان المرأة لا تحمل الا مكونات انثوية فقط .. هي دائما س

ومن ناحية أخرى ينظر العلماء الى المرأة على أنها أعز بيولوجيا من الرجل، ويتضح ذلك من الملاحظات الاكلينيكية الطبية ، والتجارب العملية التي يقومون بها على بدايات الاجنة في الارحام .. ففي المراحل الاولى لتكوين الجنين تنشأ الاعضاء التناسلية جنبا الى جنب .. بمعنى أن أعضاء الذكورة تتواجد بجوار أعضاء الانوثة في نفس الجنين ، أى ان بداياتنا جميعا مخنثة ، ولولا ظهور بدايات الخصى في الجنين ، وافرازها الهرمون الذكرى الذى يقوم بتشكيله وابراز الاعضاء الجنسية الذكرية فيه ، لولدنا نحن معشر الرجال خناثا .. اى نحمل في جنبينا صفات الانوثة والذكورة ، واحيانا ما يحدث خلل في هذا التوازن الهرمونى ، ويأتى المواليد الى الوجود خناثا ، وبعملية جراحية يمكن تحويل الذكر الى انثى ، والانثى الى ذكر ، ومن اجل هذا يولد الرجل وفى داخله انثى ضامرة ، وتولد المرأة وفى داخلها رجل ضامر ، ومن وراء ذلك مجموعة من الهرمونات التى تبرز الانوثة في الانثى ، والرجولة في الرجل

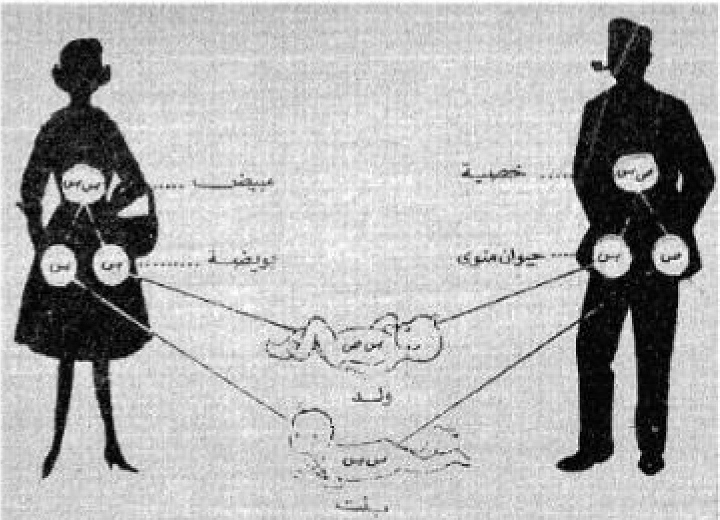
ان الرجل الذى يقف امامك ويفتل شاربيه ويفخر بأنه رجل مائة في المائة .. قول ليس صحيحا من الوجهة البيولوجية، لان مثل هذا الرجل يمكن التلاعب برجولته لو اننا حقناه بجرعات كبيرة من الهرمون الانثوى ، عندئذ يبرز نهداه ، ويصبحان كنهدى الانثى، وفى حالات نادرة قد يفرزا قطرات من سائل لبنى..واحيانا ما تظهر النهود لبعض الرجال تلقائيا ، نتيجة لاضطرابات هرمونية ، كما ان النساء ـ خصوصا العجائز منهن ـ يظهر لهن شوارب ، وشعر في الذقن، وخشونة في الصوت كصوت الرجال ، وتضخم في البظر « عضو ضامر يقابل العضو الذكرى » ، وبروز في العضلات ، وقد تكتسى اجسامهن بالشعر .. الخ

كل هذه الامور ترجع الى كوننا نحمل في أجسامنا هرمونات الذكورة والانوثة.. في الذكر تسود الهرمونات الذكرية، وتضمر الانثوية ليكون رجلا ، وفى الانثى تسود الهرمونات الانثوية وتضمر الذكرية لتكون انثى .. الخلل في افراز الهرمونات في الجنسين يقرب الفواصل التى تفصل بينهما ، ليكتسب الرجل صفات الانثى، وتكتسب الانثى صفات الرجل ، وكأنما الحدود الشامخة التى وضعناها نحن معشر البشر بين الذكر والانثى حدود وهمية ، وفيما قدمنا خير دليل

لقد أجريت تجارب كثيرة بالهرمونات على الحيوانات في مراحل العمر المختلفة، فقلبت صفات اناثها وذكورها رأسا على عقب ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر حالات الدجاجة التى حقنت بهرمون ذكرى، فنبت لها عرف كالديك ، وأخذت تصبح كالديك الفصيح ، وفوق كل هذا بدأت تحس بأعراض الذكورة ، وأخذت تقفز على الدجاج ، تريد تلقيحه !

كثير من العلماء يقول ان الانوثة في الجنين هى الاساس ، ثم تظهر أعراض الذكورة بعد ذلك في المراحل المتأخرة من تشكيل الجنين ، ولهذا يعبرون أحيانا عن ذلك بقولهم « روح امرأة في جسد رجل » .. او بمعنى اخر تقول : ان مظاهر الرجولة تنبثق أساسا وتظهر من الانوثة .. بتوضيح اكثر نضيف : يبدو ان البداية كانت للانثى اولا ، او كما يعلق على ذلك الطبيب العالم أزوالد شفارتز في كتابه « سيكولوجية الجنس » فيقول : «لقد اكتشفنا بطريق البحث العلمى ان الذكر قد اشتق من الانثى ، وليست الانثى هى التى اشتقت من الذكر ، ولذلك فان هذه حالة من الحالات التى صححها العلم لبعض تعاليم الانجيل » ! .. وهو يقصد بذلك ما قالت به الاديان من خلق ادم اولا ، ثم حواء بعد ذلك !

والواقع أن كل الرجال كانوا أقرب الى الانثى منهم الى الذكر قبل مرحلة البلوغ .. البشرة ناعمة .. الصوت نسائى هادىء .. العضلات لينة .. لا ذقن ولا شاربه .. ثديا الولد الصغير لا يختلفان عن ثديى البنت الصغيرة ، لان



الرجل يحمل مكونات الانثى والذكر فى خلاياه الجنسية « س ، ص » اما الانثى فتحتوى على « س » دائما .. والرسم يوضح ما يتم عند تلقيح حيوان منوى لبويضة الانثى . . . .

كليهما خامر .. الخ ، ولكن كل هذه الصفات الانثوية تنقلب فجأة عند مرحلة البلوغ ، فاذا بالهرمون الجنسى الذى يفرز من غددنا التناسلية يحولنا الى رجال بشوارب وجسم مغطى بالشعر ، وخشونة فى الصوت ، وعضلات قوية ، وفوق كل هذا دافع جنسى قوى يدفعنا الى التقرب للانثى ، وكأننا نحس بأننا قد اصبحت مخلوقا آخر فيه سحر وجاذبية وجمال ، وطبيعى اننا ما كنا نعرف كل هذا ونحن أطفال أو صبيان قبل مرحلة البلوغ ، وكأننا كنا أقرب الى البنات الصغار منا الى الرجال ، ولكن هذا الهرمون الجنسى العجيب هو الذى يقلب حالنا رأسا على عقب ، ويثير فينا عوامل التودد والتغزل والخيال والسعى الى نيل الجنس الاخر بأى وسيلة من الوسائل .. هذا الهرمون الوحيد !

من المعروف ايضا فى تاريخ البشرية تلك الحالات التى كانت تزال فيها وظيفة الغدد الجنسية من الصبيان قبل مرحلة البلوغ ، وكانوا يسمونها **بالطواشى او الخصيان** ، ووظيفتهم ان يقوموا بخدمة الحريم فى القصور ، والدخول معهم الى الحمامات وهن عرايا ، دون أن تثار فيهم اية غريزة جنسية ، لانهم اقرب الى الاناث منهم الى الرجال ، ولهذا فان المرأة لا تعنى فى حياتهم شيئا ، وكأنهم اناث كالاناث .. صوت انثوى ،وبشرة انثوية ، وتصرفات انثوية .. الخ

المرأة بيولوجيا أعقد فى الخلق من الرجل ، ومن هنا كانت أسمى منه فى الوظائف الفسيولوجية .. فبروز النهدين صفة هامة جدا عند المرأة كعلامة اساسية من علامات أنوثتها ،والذى يبرزهما عدد من الهرمونات التى تسيطر على نموه وتشكيله .. كذلك فان ادرار اللبن مثل

الرضاعة عملية فسيولوجية وهرمونية معقدة ، وتتداخل فيها سلسلة من الاحداث الكيميائية الهامة.. كما أن وظيفة الغدد الصماء عند المرأة – وهى التى تتحكم فى وظائفها الجنسية – اعقد بمراحل من الرجل ، فهى التى تسيطر بهرموناتها على تجهيز البويضة ، وهى التى تقوم بتجهيز المهد أو العش الذى يستقبل البويضة عند تلقيحها ، ثم استقرارها فى الرحم ، فاذا لم يحدث الاخصاب ، بدأت عمليات جديدة لتنظيف الرحم وكنسه ، ثم تجهيزه من جديد لبويضة قادمة ، فاذا تلقحت وبدأت فى تكوين الجنين ، كانت هناك جيوش من الهرمونات التى تتجول ليل نهار فى دماء الحامل والجنين ، تؤثر فيه كما تؤثر على جسم الحامل ،

وتجعله اكثر انوثة .. ذلك أن جسمها يقيم استعدادات و «مهرجانات» حيوية كيميائية ، وكأنما هو يرحب بقدوم حدث سعيد ، وشيء جديد .. ولهذا يدب النشاط فى الانسجة والاعضاء ، وتصير البشرة غضة بضة ملساء ناعمة لامعة ، وتتكور النهود وتصبح أكثر شموخا .. وبالاختصار تصبح المرأة فى اشهر الحمل الاولى بمثابة وردة متفتحة بالنشاط والحيوية ، ومن هنا يقول الدكتور : ما امتع جماع الحامل ، وهو قول له سند من الصحة والواقع !

كل هذه الاحداث الرائعة ، والعمليات المعقدة ، لا تعرف منها أجسامنا شيئا نحن معشر الرجال .. كل ما نعرفه هو ذلك الاحساس اللذيذ الذى لا يستمر الا وقتا قصيرا ، ومن وراء ذلك أنثى تثيرنا فنثار بهرمون ، ثم نقذف خلايانا ونهبط ونتام ، وينتهى الامر عندنا ، ليبدأ عندها

ولهذا نقول هنا كما قلنا من قبل : ان **الجنس بالنسبة للرجل نهاية .. ابسط نهاية ، وبالنسبة للمرأة بداية.. اعظم بداية !**

وهل هناك أعظم من تلك البداية التى تأتى بها كل اجيال الخلق ، ليعمر هذا الكوكب بساكنيه ! .. ان المرأة هنا هى الهدف الذى تسعى اليه الطبيعة ، لتكون حاملة الاجيال ، ولهذا تنسب اليها أكثر مما تنسب الينا .. انها لذة الجنس لدقائق ، ولها النصب والتعب والحمل لشهور تسعة طوال .. ثم وضع وليدها فى عملية عسرة قد تودى بحياتها ، ثم رضاعة وتربية تستمر سنين ، ولكن كل هذا يهون عندها فى أنبل غرض ، وأروع مقصد .. انها الامومة أيها الرجال ، ومن أجل هذا وغيره تكرم الأم .. ومن هنا يأتى قول الرسول الكريم عندما سئل من اى الناس أولى بالبر ، فقال لمن سأل : **امك ! .. فسأل السائل : ثم من ؟ .. قال : ثم امك .. قال : ثم من ؟ .. قال : ثم امك « كررها النبى ثلاث مرات » .. قال : ثم من ؟ .. قال: ثم ابوك** .. وما علمنا دينا قد كرم المرأة بقدر ما كرمها الاسلام

* *

علينا أن نتعرض الآن لبضع نقاط تختص بالجنس فنقول : ان الجنس بالنسبة للمرأة أمر قد يكون ثانويا فى أحيان « خصوصا بعد ان تحقق الهدف الحقيقى وهو الامومة » ، وقد يكون هاما جدا عند نساء أخريات ، وعلى الرجل الفطن ان ينتبه لهذه الحقيقة

الجنس لا يستيقظ عند المرأة بنفس السرعة التى نراها فى الرجل .. فحيث يستيقظ عندنا نحن معشر الرجال بطريقة تلقائية وعفوية مادام المؤثر قد حضر ، الا انه عند المرأة يحتاج غالبا الى مؤثر أو دافع ليوقظ عندها هذا الشعور الكامن .. فالمرأة بطبيعتها تحب الغزل والمداعبة والملاطفة ، وأحيانا ما يكون هذا أسمى لنفسيتها وأعظم من الجنس ، ومع ذلك فلابد من تجاوب جسدى وعاطفى ونفسى حتى يسير كل شيء على ما يرام

من النادر أن تحلم الفتاة أو المرأة بالعملية الجنسية ، وتستجيب لها كما يحدث عندنا فى الرجال ، لتضيع بالقذف ونحن نيام مئات الملايين من هذه الخلايا الثمينة أو الرخيصة .. لست أدرى

النساء تختلف في الفترات التي تجتاحهن فيها الرغبة الى الجنس .. فمن احصائيات علمية يتبين ان الغالبية منهن تنتابهن الرغبة قبل الحيض وبعده بأيام قليلة .. في حين أن بعضهن يصلن الى هذه الرغبة عند أنزال البويضة ، وهذا هو الوقت المناسب من وجهة النظر البيولوجية ، حتى يحدث الاخصاب .. نفس هذا الاساس موجود في اناث الحيوانات ، حيث يكون انزال البويضات موسميا ، وبوسائلها تثير ذكورها ، ليحدث التلقيح

ليست النساء أقوى جنسيا من الرجال كما يظن البعض او يؤكد .. ولكن هناك حالات استثنائية يكون فيها لقلة من النساء شوق شديد لممارسة الجنس مرات عديدة وفي فترات قصيرة ! وهذا الاستثناء موجود ايضا عند بعض الرجال

يقولون ايضا : أطفىء الانوار ، تتساوى النساء ، وهذا خطأ كبير قد وقع فيه غبي من الاغبياء ، ورددناه نحن وكأنه قضية مسلم بها ، لان الظلام يطمس فقط حاسة البصر ، ويبقى حاسة اللمس والسمع والشم ، وفوق كل هذا تجاوب عاطفي وروحي وعضوي وحركي .. فحيث لا ترى العين ، فان الاحساس في اليد يستطيع ان يفرق بين «الكنوز» التي جاءت بها كل امرأة الى الحياة ، ولا يعرفها الا كل رجل ذواق .. فلكل امرأة بناء خاص يختلف عن الاخريات ، ولها تجاوب واصوات وروح تختلف بها عن غيرها ، حتى ولو اطفئت الانوار .. ولا حياء في العلم ، كما لا حياء في الدين !

علميا نقول : انه لا يمكن ان تتشابه امرأة باخرى ، ولا رجل برجل شبها مطلقا ، « ما عدا التوائم التي تنتج عن بويضة واحدة ملقحة تنقسم الى نصفين ، وكل نصف يكتمل ليعطي جنينا يشبه الاخر تماما » ، وفرصة مجيء انسان الى الحياة شبيها باخر في كل الصفات فرصة نادرة ، ولا يمكن أن تتكرر او تحدث .. فرصة وحيدة من بين كل ١٠ « ١ س » ٩٠٢٠ فرصة اى عليك ان تكتب الرقم واحد وتضع الى يمينه ٩٠٢٠ صفرا !! .. وهذا العدد اكبر من عدد ذرات الكون كله برقم لا يمكن نطقه ايضا ، فعدد ذرات الكون لا تزيد عن ١٠ « ١ س » ٨٠٠ .. اى واحد مسبوق بثمانيمائة صفر !.. وهكذا يقدر العلماء بالارقام ، حتى يتبين لك كم تختلف النساء ، ويختلف الرجال في الصفات .. صفات لا يمكن ان تتكرر مطلقا !

قد تكون المرأة في مظهرها عادية ، ولكنها تحتوي على كنوز انثوية تعوضها من جمال التقاطيع ، وتفتن بها الرجال. والنساء هنا اسرار يا من قلت « أطفىء الانوار »

والمرأة ضعيفة بالنسبة للرجل سيدتي. ولكن من هذا الضعف تنبثق قوة خفية تؤثر فينا نحن معشر الرجال الاشداء ، واسألوا التاريخ ، تنبئه الجواب ، ورحم الله ابانا ادم وقصته مع حواء

الانثى هي حاملة الاجيال ، ووالدتها ، وصانعتها !

كأنما الذكر بالنسبة للانثى وسيلة ، والانثى بالنسبة للحياة غاية .. فهي الحاضنة الحقيقية لهذا الطوفان الهائل من المخلوقات .. ومن اجل هذا فقد حافظت عليها بوسائل كثيرة ، تختلف باختلاف طبيعة النوع .. او كما سبق أن قلنا : ان الانثى اهم وافضل بيولوجيا من الذكر ، وكأنما الذكر في حياة الانثى ليس الا بمثابة عابر سبيل ، ليضع البذرة ، ويترك لها الباقي

في الانسان تختلف الامور قليلا ، نتيجة لوجود عقل مدرك ، فتكون الاسرة ، ويكون المجتمع .. الاب يعمل ويحمي ويدافع ويقوم بما يقوم به الرجال ، والام هي المربية الحقيقية للاجيال .. هي التي تشكلهم وتقومهم وترعاهم وتبث في نفوسهم وعقولهم من روحها ما تشاء .. خيرا ان كانت خيرا ، وشرا ان كانت شرا ، ورحم الله شاعرنا العظيم احمد شوقي اذ يقول :

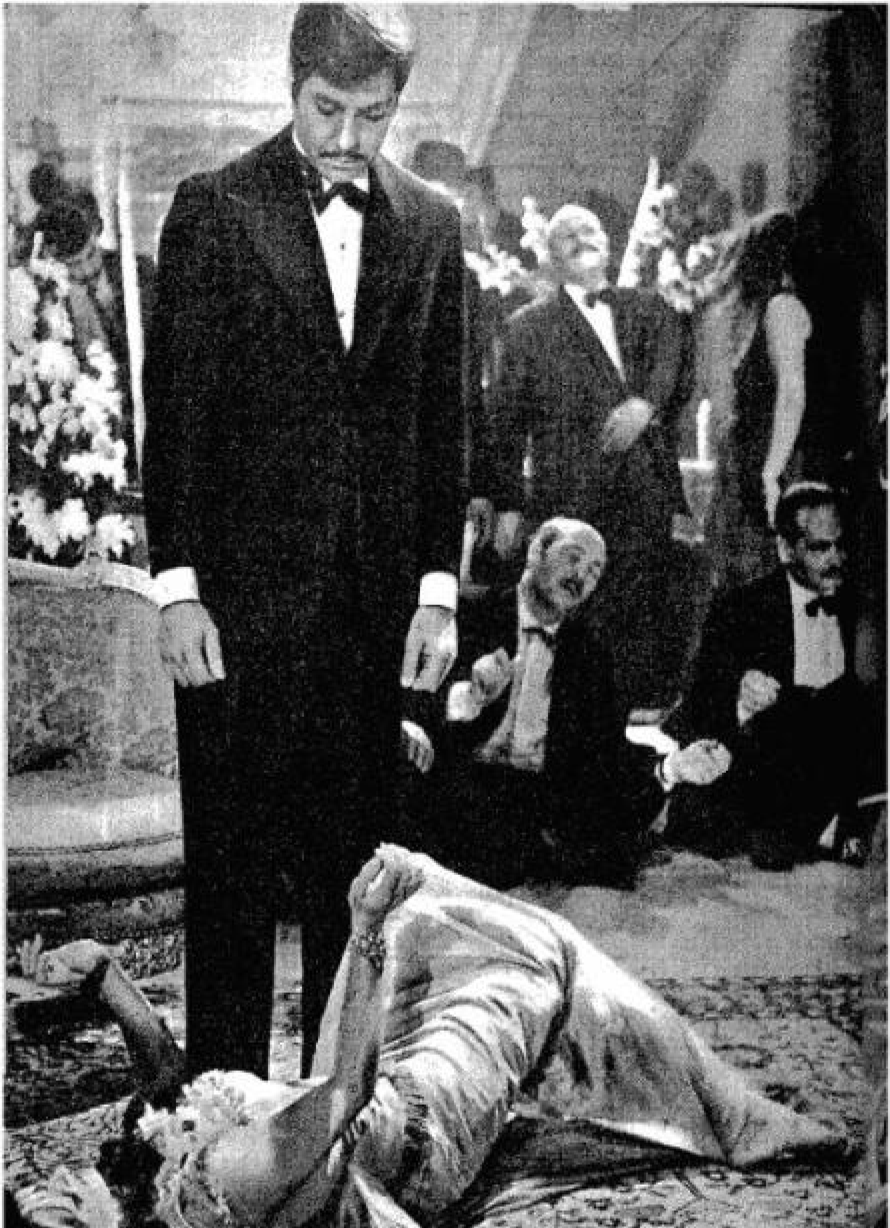
الام مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق

د. رفيق الصبان

المرأة والجنس في السينما المصرية في السبعينات

نار الشوق .. صورة تقليدية لما تقدمه السينما المصرية عن المراهقة والحب





اذا صح القول بان السينما يمكن ان تكون مرآة حقيقية لما يدور فى مجتمع ما خلال فترة ما ، فان السينما المصرية هى آخر ما يمكن ان نرجع اليه اذا اردنا ان نؤرخ لتطور مفهوم المرأة فى مجتمعنا او نرى من خلالها كيف تبلورت فكرة الجنس وكيف تطورت مواجهتها .

ومع ذلك فالنماذج النسائية التي اعتادت ان تعرضها السينما المصرية نماذج معتادة ومألوفة يمكن ان ينطبق عليها صفة الواقعية ، ولكن الاطار الذى توضع فيه هذه الشخصيات عامة والعوامل التى تحركها والمناخ الذى تسير فيه.. كل ذلك يجعلها تبدو كأنها صورة كاريكاتورية مهزوزة ، او سلبية سوداء مشوهة الملامح يعسر على من ينظر اليها ان يحدد ابعادها الحقيقية .

من هو المسئول عن هذا الوضع العجيب !! وهل يمكننا ان نضع السينمائيين المصريين موضع الاتهام فى هذه الحالة المعقدة الجوانب ؟؟

بنات فى الجامعة . وشرط البنت المثقفة الواعية فى مجتمع السبعينات



المــــرأة والجـــنس في الســـينما المصريـــة

والحق ان تحديد الاتهام على راس الكتاب السينمائيين ليس ظالما كل القـــلم ، لان النمــاذج النسوية الحقيقية التي عرضتها علينا السينما المصرية .. كانت كلها **نماذج مستقاة من الادب المصرى .. ومن خلال بطلات لشـخصيات عظيمات الشـهرة كحميدة (زقاق المدق) او صاحبة (الشقارة السوداء) او عاشـقة (بين الاطلال)** .. والجنس الذى قدمته لنا السينما المصرية لم يكن الا جنسا مستقى من بئر الادب له نفس الطعم ونفس المذاق وان لم يكن له دائما نفس التاثير

لذلك يجد الباحث عن اثار اجتماعية في السـينما نفسه مقودا الى العودة الى الادب لان هذه السـينما لا تقدم له مايرويه حقا وما يشفى غليله . ويظل شرط المرأة المصرية المعاصرة وموقفها من الجنس في السينما المصرية موقفا هلاميا غير متبلور لا يمكن الاخذ به ولا اعتباره موضع دلالة او نقطة انطلاق في اى بحث كان .

واذا اردنا أن نضع هذه الاقوال التى اطرحها موضع التجربة .. فاننا سنلقى نظرة فاحصة على مجموعة الافلام التى قدمتها السينما المصرية هذا الموسم ، ونحلل الشخصيات النسائية التى قدمتها لنا ، ونحاول أن نستنتج منها موقفا محددا للمرأة المصرية كما تراها هـــذه السـينما وردود فعلها تجاه ظاهرة الجنس

ثم نتساءل بعدها **هل يمكن اعتبار هذه النماذج نماذج حقيقية للمرأة في مصر؟؟ وهل يصح اعتبارها مرجعا نعود اليـــه لنبنى احكامنا ؟ وهل استطاعت السينما أن تكون حقا مرآة عاكسة لمجتمع وقيم سائدة كما يجب ان تكون .. وكما هى فعلا في بعض الدول المتمدنة ؟؟؟**

في دلال المصرية الماخوذة بتصرف عن قصة لتولستوى .. نرى اكثر من نموذج سينمائي .

هناك اولا الفتــاة الفقيرة التقليدية التى قست عليها الاقدار والتى احبت ثم تركها ثم هجرها حبيبها فسقطت في عالم الخطيئة وامتهنت الدعارة وعادت تنظـــر الى دنياها من خلال منظار جديد فيـــه الكثير من الكراهية والحقد والرغبــة في اخذ الثار .

ما من شك في أن هذا النموذج موجود بكثرة في المجتمعات العربية .. ان سلبية المرأة التى سحقتها الظروف ولاتستطيع ان تصرخ (لا) بل لا تملك حتى قوة الغضب ، كانت محورا لكثير من الكتاب والمفكرين يستنتجون من خلالها شرط المرأة الشرقية عموما وموقفها الساكن تجاه الظواهر الجنسـية .

المرأة الطاقة السلبية التى تتلقى ولا تأخذ تقبل ولا تطالب ، ترضخ ولا تجسر على ان تريد . **والجديد في (دلال) ان هذه المرأة تنقلب في نهاية الفيلم الى امرأة غاضبة تملك حق الاختيار بين رجلين** : الرجل الذى خدعها يوما واراد أن يكفر من خطيئته وأن يشترى راحة ضميره والرجل الاخر الذى يهبها مستقبلا غير مأمون الجوانب ولكنه اختارها من وعى وتصميم .

هذه الايجابية المفـاجئة قد لا تكون سمة اساسية في شخصية العاهرة المصرية التقليدية وقد تكون اسسها موجودة عند تولستوى أصلا ولكنها دون شك نقلة جديدة في السـينما المصرية .

وفي دلال نرى أيضا نموذجا نسـائيا تقليديا اعتدنا أن نراه منذ سنوات كثيرة الفتاة الارستقراطية العابثة التى تمارس

حريتها من طريق الانغماس في الجنس .. والتي تجد في كثرة عدد الرجال اللذين يقاسمونها الفراش دليلا اكيدا على عصريتها وعلى تمشيها مع تقاليد الزمن الذي تحيا فيه .. انها امرأة غبية بلهاء لا يمكن أن نأخذها على محمل الجد ، ولا يمكننا اعتبارها مقياسا حقيقيا للمرأة (الثرية) المصرية التي تحاول أن تبحث عن حريتها والتي تمارس الجنس حقا وفق منطق خاص ، ولكنه منطق واع وان لم يكن صحيحا كل الصحة .

الفتاة الثرية في (دلال المصرية) نموذج فاسد ومزيف لا يستند اصلا على معيار اجتماعي صحيح ، ولا يمكننا ان نجد له رديفا حقيقيا في مجتمعاتنا . انه النموذج التقليدي الذي اعتدنا رؤيته حتى التخمة والذي لا يمكنه أن يعطي اضافات جديدة الى مفهومنا المتحضر عن المرأة ومشاكلها العامة والخاصة معا .

وفي نار الشوق نرى نموذجا نسائيا شابا .. حقا أن هذا النموذج يأتينا من (لبنان) . ويحاول ان يعطي صورة متعارف عليها عن الفتاة اللبنانية المتحررة .. ولكن هذا النموذج يظل وليد خيال مفكر سينمائي مصري ، ويعكس الصورة التي يراها هذا المفكر عن التحرر ومن الشابة المراهقة التي تنطلق وتريد أن تثبت حريتها في الحب وفي ممارسة الجنس واختيار الحياة التي تشاء .

ومرة اخرى نجد **ان الحرية عند (هويدا) المراهقة تتمثل ايضا في اختيار الرجل الذي تحب .. وممارسة الجنس معه واحتقار التقاليد الاجتماعية التي تقف حائلا بينهما .**

ليست هناك اية تهيئة نفسية او فنية لعرض هذا النموذج الهام الذي كان يمكن ان يكون له تأثيره البعيد لو وضعت الاطر الصالحة له ولو احسنت دراسته على الصعيد النفسي والجسدي معا .. انما هناك احداث معينة تتوالى أمامنا . فترسم من خلالها الخطوط العريضة للنموذج :

هويدا شابة تعشق الفن وتمارسه .. تقرر أن تخوض تجربة مواجهة الجماهير لاول مرة بعيدا عن امها الفنانة التي تهبها الحماية والحب والامن الاجتماعي .. وعندما تواجه هويدا حياة الحرية لاول مرة تسقط في حب شاب ثري ينتمي الى عائلة عريقة .. ويتركنا الفيلم نعتقد أن هذا الحب قد سار بصورة عفيفة . وانه لم يتعد القبلات .. لان الحرية عند الفتاة الشرقية قد تمتد الى حد تحمل المسئوليات الحياتية ومواجهة الظروف كلها .. ولكن يجب الا تصل الى حد الممارسة الجنسية والا اعتبرت تطرفا وابتذالا وخروجا عن التقاليد .

المهم ان هويدا تحب وتمارس حبها ضمن اطار اجتماعي مسموح به .. ولكن الظروف الطبقية تمنعها من التواصل مع حبيبها وتكاد تقضي على علاقتها معه . لولا يقظة ضمير مفاجئة تصيب الاب العنيد وتجمع شمل العاشقين من جديد .

هنا ايضا .. **نجد نموذجا للفتاة السلبية التي لا تعرف كيف تطالب بحقها .. والتي لا تستطيع ان تواجه حياتها الجنسية بلا خجل انما تسحقها ظروفها الاجتماعية والافكار الرجعية التي تحيط بها . ان الحرية المقدمة لها ليست الا غلافا براقا زاهيا وهي في الحقيقة دمية مصنوعة بالفنان لا تعرف ان تلفظ الا كلمة (نعم) .**

والخطر في الامر ان هذا النموذج العجيب من الفتاة السلبية القائمة

المرأة والجنس في السينما المصرية

بمصيرها التى لا تستطيع مواجهة رغباتها الجنسية او عواطفها موضوع على مراهقة شابة ما زالت عوامل الغضب والثورة تثب فى أعماقها ماء وانها يمكن ان تكون لو اراد لها كاتب السيناريو او المؤلف السينمائى نموذجا لاهبا للمراهقة المصرية التى تجرؤ وتفعل وتعتمد على نفسها .

ولكننا عوضا عن ذلك سقطنا مرة اخرى فى السلبيات القادة وفى الصورة التقليدية التى تقدمها السينما المصرية

من المراهقة والحب والتى تختلف اختلافا بينا عن واقع الحياة ومن الظروف الواقعية التى تعيش بهما مراهقات السبعين فى القاهرة .

اما محمد ابو زيد الكاتب الساهر والموهوب الذى رسم نماذج (بنات فى الجامعة) فان مسئوليته كبيرة حقا ..

لان فيلمه يريد ان يكون وثيقة اجتماعية عن شرط البنت المثقفة الواعية فى مجتمع

السبعينات . بل انه قد اختار عامدا نموذجين اعتبرهما صالحين لان يمثلا قطاعا كبيرا جدا من فتيات الجامعة .

النموذج الاول فتاة ساذجة الى حدما .. تريد ان تؤكد حريتها وانوثتها .. فتمارس الجنس مع شاب تختاره وتحيا حياة حرة نسبيا ولكنها سرعان ما تكتشف هى الاخرى انها ما زالت فى مجتمع متخلف

ينظر الى المرأة التى تتحكم فى جسدها بحرية على انها امرأة عاهرة .. فتعود الى نفسها وتحاول الرجوع الى حظيرة

المجتمع الذى خرجت منه عن طريق الزواج الشرعى .. وحينما تعجز تضطر لان تجهض نفسها وتموت من نزيف دموى حاد .

نموذج سلبى تقليدى كان يمكن ان يكون ايضا بالغ الايجابية لو وضعت له معايير واقعية صحيحة .. انا لا انكر ابدا ان مثل هذا النموذج موجود فى مجتمعنا

.. ولكن ماهى الرغبة الحقيقية فى اظهار والقاء الانوار عليه !! بينما هناك نماذج اخرى اكثر ديناميكية واكثر تحررا ويصح تقديمها فى اطر اكثر سلامة وموضوعية !!

انا اذا اردنا ان نسبر غور تطور شرط المرأة المصرية المعاصرة وموقفها من الجنس من خلال فتيات الجامعة فليس نموذج

هذه الفتاة هو الذى يستوقفنا .. وليست هى من يصح اعتبارها مفتاحا لفهم التيارات التى تتعارك فى قلب الثقافة المصرية .

كذلك كان النموذج الثانى فى هذا الفيلم .. وقد بولغ فى رسم جوانبه كى

يصلح لان يكون مادة درامية مقبولة .. انها الفتاة الطاهرة حقا .. التى لاترغب اصلا فى ان تواجه مشاكلها الجنسية والتى

تتهرب من مواجهة حقائق الحياة .. وتحيا حياة ظاهرية من خلال مفهوم أخلاقى متعارف عليه وعندما تضعها الظروف فى مأزق نجدها لا تعرف كيف

تتصرف او تدافع عن نفسها وتكتفى بان تصرخ براءتها وطهرها بصوت مؤلم مذبوح !! منتظرة عدلا سماويا او يقظة ضمير مفاجئة .

هذا النموذج ايضا للفتاة الطيبة كان يمكن ان يكون ايجابيا لو رسمت دوافعه

جيدا ولو وضع ضمن بوتقة صراعية واضحة المعالم . ولكن الفيلم عوضا عن ذلك قدم لنا ما قدمته السينما المصرية منذ قرن .. نماذج مكررة لسلبية الفتاة

الشرقية وخوفها الدائم المستمر من مواجهة مشاكلها واللجوء دوما الى الطرق الجانبية لقول ما يجب ان تقوله بصوت عال ودون حياء .

والحزن حقا ان يسلك فيلم (بنات فى الجامعة) هذا الطريق وكاتبه شاب موهوب ننتظر منه الكثير وموضوعه يدور حول الفتاة المثقفة وموقفها من الحياة ومن الظروف الاجتماعية والجنسية التى تحيط بها .

لقد كان يمكن لهذا الفيلم ان يكون مرجعا وثائقيا ونفسيا لشرط الفتاة المصرية المعاصرة ولكنه اختار هربا من ذلك الدرب السهل وآثر ان يهرب هو ايضا من مواجهة المشكلة مكتفيا بتصفيق الجمهور ودغدغة عواطفه على الامور التى اعتاد ان يراها ولا يطلب من احد تغييرها .

لا اريد ان اتوقف بعد ذلك عند النموذج النسائى الذى يقدمه « ملكة الليل » فهو نموذج ابله يثير الضحك والسخرية اكثر مما يثير النقد والتأمل .

راقصة شهيرة تحب استاذا جامعيا .. وتجبرها الظروف الاجتماعية أن تضحى بحبها .. فتموت شبه منتحرة اثر حادث سيارة فى ليلة ممطرة .

ان هذا الفيلم لا يقدم لنا عنصرا واقعيا واحدا يمكن الوقوف عنده ، أو أى مضاعفة نفسية يصح الرجوع اليها .. بل سلبية فى التفكير تستدعى الاسف ، ونظرة متعالية للمرأة تعيدنا الى اعمق اعماق الروح الشرقية المستعرة فى عصر الانحطاط .

انا لا اظن ان مثل هذا النموذج الذى يقدمه لنا «ملكة الليل» موجود حقا فى مجتمعنا .. واذا كان موجودا حقا فعلينا ان ننظر الى انفسنا متفحصين وان نفتش عن اسباب الداء ونتائجه قبل ان نتهم السينما والمؤلفين والمخرجين .

اتوقف اخيرا فى هذا الاستعراض السريع للافلام التى قدمت لنا فى مطلع هذا الموسم .. امام نموذج ممتاز يصح ان نعتبره نموذجا كاشفا ، ويصح ان نبنى حوله الاحكام وان نخرج منه ببعض الاستنتاجات .. انه شخصية (رباب) فى فيلم (السراب) الماخوذ عن قصة نجيب محفوظ التى قدمها أنور الشناوى للسينما .

رباب معلمة شابة من اسرة متوسطة ، تحيا حياة الفتاة الشرقية المستلذة ، تتلقى الغزل من شاب يلاحقها فى الطريق .. ويثير اعجابها بشكل ما ، لا تجرؤ طبعا على أن تقيم علاقة معه .. ولكنها تشجعه على طلب يدها ، وتتزوجه ، ولكن رغم كل التوقعات ، لا يحدث اى احتكاك جنسى بينها وبين زوجها.. وتقف رباب امام هذا الحدث الفاجىء وقفة حيرى .. فهى لا تستطيع ان تعترف امام الجميع ، ان الجنس شىء هام واساسى بالنسبة لها ، لان التقاليد علمتها ان هذا الموضوع « محرم » .. وان الفتيات اللاتى احسنت تربيتهن لا يستطعن بحثه ، بل ان هذا الخوف يمتد بها الى حد كتمان السر حتى عن والدتها.. والايحاء امام الجميع بأن ما يجب حدوثه قد حدث .. وتعود رباب الى نفسها وتقرر ان تواجه الموقف على طريقتها .. فتفتش حائرة عن سبب قصور زوجها وتحاول بوسائلها الساذجة ان تجد دواء لمرض نفسى ليس من السهل شفاؤه ، وحينما تعجز وتواجه عجزها لا تجد سبيلا امامها الا السقوط فى احضان أول رجل يقابلها وهى فى عنفوان ازمتها ، وينكشف الامر حينما تحمل رباب وتضطر الى المواجهة .. ولكنها هى ايضا تختار

المرأة والجنس في السينما المصرية

الحل السلبي الاخير وتقرر اجهاض نفسها.. وتفقد حياتها اثر نزيف يصفي منها الدماء ويجعلها جسدا بلا لون

لااريد ان اذهب كما ذهب البعض الى تفسير شخصية رباب وجعلها رمزاً للوطن

كله الذى يواجه مصيره امام عجز في القيادة . والذى يموت من نزيف يستنزف كل قواه ويجعل من شرايينه خطوطا معروقة بلا روح .. فالرمز في

هذه الحالة فج وغير مستساغ .. وانما افضل ان ارى في « رباب » نمطا نسائيا مشوقا ، ونموذجا للمرأة كما تقدمها السينما المصرية

هنا ايضا نواجه سلبية نسبية . سلبية المرء الذى يعجز من الدفاع عن نفسه لان ظروفا اجتماعية ساحقة تقف

في وجهه وعندما يحاول أن يجد منفذا للخروج فان المنفذ يكشف نفسه فاذا به وسيلة عقيمة تزيد الامور سوءا..وتؤدى الى نفس نقطة البداية

حركة التحكم الوحيدة التى قامت بها رباب تجاه نفسها أدت الى دمارها ..

وظل الجنس بالنسبة اليها وفي حياتها فاكهة محرمة من يتذوقها تكون عاقبته الدمار ..

ان رباب لا تستطيع حتى أن تطالب بحقوقها الاساسية كزوجة وانثى .. وتظل حبيسة مجتمع محكم الاغلاق .. جدار دون نوافذ ، لا يدخله النور ولا الهواء

هل يمكننا اعتبار « رباب » نموذجا حقيقيا للفتاة المصرية المتوسطة .. وهل استطاعت السينما ان ترسمها باتقان وان تجعلها قالبا مرنا يمكن من خلاله أصدار الاحكام ؟

دون شك من بين النماذج التى استعرضناها والتى قدمتاليها في الافلام المصرية في مطلع السبعينات تظل رباب افضل هذهالنماذج جميعا .. ولكنها مع الاسف لم تخرج من خيال كاتب سينما او مخرج متمكن .. وانما خرجت من هذا الارشيف الفنى والملىء بالصور والامكانيات الباهرة الذى وضعه نجيب محفوظ لدنياه ومجتمعه ووطنه

اى ان السينما المصرية كسينما مستقلة عجزت حتى اليوم من تقديم نموذج سينمائى أصيل للمرأة المصرية المنطلقة التى تبحث عن نفسها والتى تواجه مشاكلها العامة ومشكلة الجنس بصورة خاصة وبأسلوب معاصر وعصرى

لقد قدمت لنا السينما المصرية منذ نشأتها وحتى اليوم نماذج مصنوعة ومتصورة تغلب عليها الميلودرامية والمبالغة والبعد عن الواقع .. وأننا لاشك اذا أردنا أن نبحث عن روح المرأة المصرية وعن مشاكلها فعلينا أن نستدير نحو دنيا الادب او علينا أن نسير في طرقات

القاهرة المريضة وأن نرى هذه الوجوه السمراء الشامخة التى تبتسم ابتسامة مغلقة والتى يلمع التجسم في أطراف عينيها والتى تترك على الارض الخشنة آثار خطواتها الخفيفة .

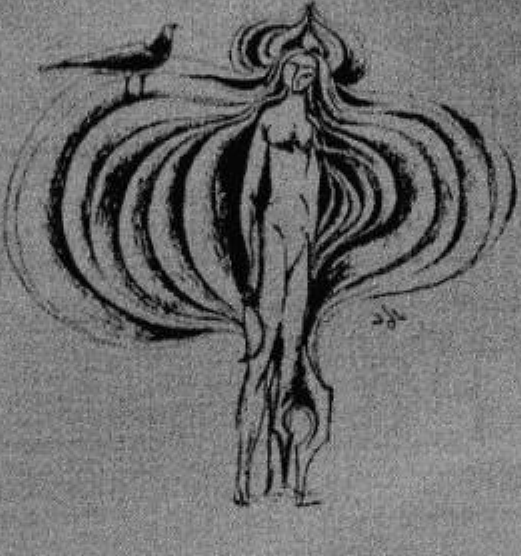
علينا أن نقرأ في العيون . وان نرقب الصدر الفتى كيف يتحرك .. والشفة المبتسمة كيف تنطق .. فربما استطعنا أن نعثر على اجابة عن تساؤلاتنا ..

اما السينما فقد عجزت عن ان تكون نهرا سيالا يعطى ويهب ويوحى وظلت شاشة بيضاء تنعكس عليها ظلال خافتة ومشوهة لحقيقة المرأة المصرية كما نعرفها وكما نحبها وكما نريدها ان تكون .

علي بركات

أدباؤنا والاعترافات الجنسية

« دراسة مهداة إلى المجمع اللغوي بمناسبة قراره حذف الألفاظ الجنسية من المعاجم العربية »



أدب الاعترافات

كان للاعترافات التى ظهرت فى الادب الغربى فضل ارساء المعالم ، وتحديد السمات التى ينفرد بها فن السيرة الذاتية بما فيه من كشف خفايا حياة كاتبه ، واماطة اللثام عما ينطوى فى اعماق سريرته ، وما لا يعرفه سواه من اسرار حياته الشخصية .

ومن بين المحاولات المبكرة فى تاريخ الادب تنهض « اعترافات » القديس اوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠) معلما بارزا فى الفن الاعترافى ، لانه فى غير تحرج او مواربة تناول خفايا حياته الخاصة تناولا صريحا ، ولم يتغافل عن سوء سقطاته وزلاته وعثراته ، وماكانت تتردى فيه روحه قبل ان يتداركه اللطف الالهى .

ثم جاءت « اعترافات » جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) لتضيف تطورا فى هذا الفن ، حيث صور صاحبها نفسه بدون تحفظ ، ونقب فى طواياه عن جذور النقائص التى اقترفها فى حياته من طمع ونفاق وما كان يعتريه من جموح واندفاع وتهور ، فاظهر اخفى خفايا نفسه ، ولذا قال : « اننى فى هذا الكتاب لا اخفى سيئة ولا اضيف حسنة » ..

وتوالت « الاعترافات » التى كان من اشهرها « اعترافات » توماس دى كوينى وعنوانها : « اعترافات مدمن افيون انجليزى » ، التى صور فيها ما كان يعانيه اذ يتناول « الافيون » علاجا لما يكابده من آلام ، وما كان يظهر له من اوهام وهذيان ، وكذلك قدم جورج مور « اعترافات انسان فى شبابه » ، و « ذكريات حياتى الميتة » ، فاستخرج فيهما مخزون اعماقه من اسرار ، وافضى بكل خلجات نفسه .

وكان لهذه الاعترافات فضل تجلية معنى كلمة « السيرة الذاتية » التى بدا استعمالها عام ١٨٠٩ ، فيما يؤرخ لها « مختصر قاموس اكسفورد » فذكرها لتدل على « كتابة انسان لتاريخه ، او قص حياة انسان بنفسه» فهى تتضمن معلومات يفترض توفر اكبر جانب من الصدق فيها ، مع الصراحة والمكاشفة ، ولذا فلم يتردد بعض الكتاب امثال « ستندال » و « جيد » و « جورج صاند » فى الافضاء بتجاربهم الجنسية ، وخبراتهم فى مجالها ، وما لابسها من ظروف ، وصاحبها من اجواء .

● أدباؤنا والاعترافات الجنسية

هروب من الجنس

ولا ريب ان ادباءنا الرواد فى ادبنا الحديث اطلعوا على الوان من الادب الاعترافى فى الادب الغربى ، وكان لهم وجهة نظر تبين مدى استجابتهم بالتأييد أو العزوف من هذه الالوان الادبية التى تتضمن جهر الاديب بمكنونات حياته وخفاياها .

فعبد الرحمن شكرى يقول : « ليس فريضة على صاحب الاعترافات أن يذكر كل نقائصه ، هل فعل ذلك « روسو » او « جيتى » أو « شاتوبريان » ؟ كلا .. ومهما عظم نصيب صاحب الاعتراف من الصراحة فلا بد أن يكون عنده من الجبن والحزم واحترام النفس ما يغريه باخفاء كثير من نقائصه ومعايبه (الاعترافات ص ٢)

ويقول احمد امين مبديا رأيه فى الاعترافات بصفة عامة : « اعتاد الكتاب ان يقصروا الاعترافات على المسائل الجنسية التى اعتاد الانسان أن يسرها ولا يجهر بها الا لخواص اصدقائه ، ولعل المسئول عن حصر الكلمة بهذا المعنى « جان جاك روسو » وأمثاله ممن قيدوا هذه الاعترافات ، والقسس الذين يصغون الى هذه الاعترافات . اما الكلمة نفسها فواسعة شاملة تشمل هذا النوع وتشمل غيره من الفضائل التى اكتسبها الانسان فى حياته بعنف ومشقة » (فيض الخاطر ج ٩ ص ١٩٦) .

ويكاد يتفق رأى عباس العقاد مع احمد امين حيث يقول : « لن يكون الاعتراف اعترافا فى رأى بعضهم الا اذا كان اعترافا بأمر يغلب على الناس انكاره وكتمانه ، فلا يفهمون من الاعتراف الا انه اعلان لخبيئة فى النفس تشين صاحبها ، وتدعو الى اخفائها . لكنها على التحقيق مغالطة من مغالطات « العرف » التى تواضع عليها ابناء آدم وحواء على سنة الكذب والرياء » (انا ص ٢٢٦) . ويرى العقاد ان الاعترافات اشتهرت فى الهياكل على عهد الحضارة البابلية قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ، وكانت فى حقيقتها ضربا من العلاج الجثمانى الذى يتطلبه المريض من الطبيب ، اعتقادا بأن المرض عقوبة الهية على الذنوب والخطايا ، وان البوح بها والاعتراف يؤدى الى الاستشفاء . ولقد تحمس سلامة موسى للاعترافات كما تتمثل فى اعترافات روسو ، ورأى ان اوربا تدين بالفضل لآراء هذا الاديب التى غيرتها .

قلة التعرى

واذا كانت اسباب قلة اقبال ادبائنا على تسجيل اعترافاتهم ، والكشف فى صراحة عن الخبيء فى حياتهم ، تتعدد ، وتتنوع بين عامة موروثة بحكم الزمان والمكان ،



احمد امين



عباس العقاد



د. طه حسين

وفردية شخصية مرجعها عوامل مزاجية واخلاقية وعقلية ، فأن محمود تيمور يجملها في قوله : « نحن الشرقيين نحيا في دنيانا هذه ، وعلى أخلاقنـــا وسلوكنا قنـــاع غليظ .. قلما نقول ما نعتقد ، وقلمـــا نصارح بما نجد ، وقلمـــا نعبر عما تطويه السرائر .. كلنا متستر يداجي ويوارب ، ويظهر على غير حقيقته .. منا من يتخذ مسوح الاخيار الزهاد ، ويبدو في سمت المثاليين الابرار ، وربما كتم امر نفســه من نفســه خداعا من نفســه لنفســه ، وفرارا بوجهه من وجهه ، فنحن امام ضعفنا الانساني ضعفاء من أن نعترف به ، نجاهـــــد في أن نظهر في ثوب من البراءة والطهرية ، على رءوسنا اكليل من بطولة الفضيلة لكي نستطيع ان نلائم ذلك المجتمع المنافق المكذوب الذى نعيش فيه » (دراسات في القصة والمسرح ص ٨٨).

وعلى الرغم من ذلك فقد حاول بعض الادباء ان يكتبوا سيرهم الذاتية ، ويضمنوها بعض اعترافاتهم ، وكي يقنعوا عليها ، كانوا يبدءون بذكر مبررات عرضهم لحياتهم . فنجد عبد الرحمن شكرى يبرر « اعترافاته » بقوله : « رايت ان اجمع هـذه المذكرات وأن أنشرها لان نشرها عبرة كبيرة لمن يعتبر » .

ويقول د . طه حسين في « ايامه » ج ۱ ، موجها الحديث لابنته : « قد عرفت اباك في طور من اطوار حياته استطيع أن احدثك به دون أن اثير في نفسك حزنا ، ودون ان اغريك بالضحك او اللهو .. وكم احب او تعرفينه كما عرفته ، اذن تقدرين ما بينك وبينه من فرق » ، لم يوجه الجزء الثاني من « ايامه » الى ابنه فيقول : « احدثك هـذا الحديث لعلك ترتاح اليه ... وتذكر شخصا طالما ارتاح الى قربك منه » .

ويقرر سلامة موسى في مقدمة « تربيتــه » : « ان كل سيرة مهما كان « سائرها » تنفع وتثير ما دام كاتبها يكتبها في اخلاص »

اما احمد امين فقد اراد في سرد « حياته » ان يصور جانبا من جوانب جيله ، ويصف نمطا من انماط حياتهم . وهو يتفق مع ما يذهب اليه د . حسين فوزى في « سندباد في رحلة الحياة » من ان يحاول كما يقول : « ان القى ضوءا جانبيــا على حياة جيلى في سن المراهقة وما بعدها ، وعلاقته بالثقافة » .

اما ميخائيـل نعيمة فانه يسجل حياته في « سبعون » عمره بدافع من « اللذة التي يلاقيها الانسان اذا هو تعرى امام اخوته الناس من جميع اسراره واوزاره » (ص ١٢ ط)

أدبــاؤنــا والاعـتـرافات الجنسـيـة

دروشة وجنس ومراهقة

وشغلت ادباءنا الاعترافات الجنسية فيما يسجلون من اسرار حياتهم ، الى حد يغضون بحقائقها فى نفوسهم ، ويكشفون عن ازهقا فى اطوارهم ، ومن ثمة فقد اقدم بعضهم على التعرض للجنس فى حياتهم بشىء من الصراحة ، او الصراحة المرونة بالحذر عند آخرين ، او اغفالها تماما لتكون حياة ســوية بقدر ما هى خالية من الجنس كلية ، فلم يتعرضوا له ، وان جاءت مواربتهم لذلك كاشفة عن عوامل جنسية خفية مضطربة عذبها الحرمان والشوق الى الارتواء والاشباع ، فجاءت اشاراتهم الملوحة بالترفع عن ذكر الجنس فى سيرهم الذاتية ، اشبه بفلتات اللسان ، وزلات القلم التى تسفر عن اغوار النفس وخفاياها امام المحلل النفسانى .

فعبد الرحمن شكرى يقرر فى « اعترافاته » انه : « كانت كثرة مراقبة الشهوات بقدر شدة التعبد ، فلم يمنعنى تخويف تلك الكتب (الاوراد والاذكار) وارهابها من اللذات بل كان يفزعنى من عواقبها فى الآخرة » (ص ٢٣) . فنشأة الشعور الدينى تقترن باحساسه الجنسى ، فيكثر من الصلاة وقراءة الاوراد ، وزيارة اولياء الله الصالحين ويميل الى حياة المتصوفين . ويرى ف . هـ . موترام (الاساس الجسمانى للشخصية) « ان الانسان عرضة فى مرحلة المراهقة ان يعانى بعض التجارب الصوفية » (ص ٢٢) وربما احس شكرى الم ما يأتيه ، فيبكى وينتحب ، ولكنه سرعان ما يعود الى « مراقبة الشهوات من غير ان يمنعنى منها ذلك الفزع وذلك البكاء لان الفزع نتيجة قراءة تلك الكتب والبكاء حاجة يستلزمها هياج الاعصاب ، كما ان الشهوات حوائج اخرى قلما يصرف عنها الفزع من عواقبها » (ص ٢٢) ، ولكنه كان يفرط احيانا فى المتعة الجنسية واللذات الحسية الى حد كادت الا تؤمن عاقبته او يخلو من الالم ، ولذا يقول : « ان لذات الحس قد تبلغ بالمرء جنون اللذة ولكنها تبلغ ايضا جنون الالم » (ص١٢).

واقتران الدين بالجنس يبرره لنا د . زكى نجيب محمود فى « اعترافات » مراهقته التى يذكرها فى « قصة نفس » اذ يقول : « اننى اذ ارتد الى اعوام المراهقة الباكرة ، اجد فى ملتقى اخلاط عجيبة تشابكت اطرافها من دين وجنس . اخذت ادرك ان بين الجنسين امرا يحرص الناس على ان يجرى فى خفاء وستر..»



سلامه موسى



عبد الرحمن فكرى



د. زكى نجيب محمود

(ص ١٠٤) . لم يسرد تجاربه الجنسية عندما كان فى السودان طفلا ، واختلى بنفسه على شاطىء النيل : « فجاءتنى فتاتان سودانيتان ما زلت اذكر منهما لمعة العيون التى تناديك فى اغراء بل فى اغواء صامت دون أن ينطق اللسان بكلمة ؛ كما اذكر منهما صدورا ناهدة تستثير أصابع القديسين أن تمتد لتجسّها .. وخيل الى أن تلكما الفتاتين هما اللتان ارسلهما الغيب لتفتحا الباب الذى لبث حتى تلك اللحظة مغلقا ، ماذا وراءه الا من طريق الرواية .. فقلت لهما بأنفاس متقطعة : « لكننى ما زلت صغيرا » ، فضحكتا فى دلال لا يعرفه الا من عرف كيف تدل الفتاة السودانية بأنوثتها ، وقالت احداهما — ورددت الاخرى قولها — « صغير ؟ هذه هى السن التى جئنا نبحث عنها » ، فلم اشعر عندئذ الا بالقشعريرة الشديدة تلم ببدنى كأنها المرض الداهم » (ص ١٠٦) .

ويقبل على قراءة الف ليلة وليلة « من حيث هى كتاب فيه لمسات من الدعارة المحرمة » (ص ١٠٧) . وفى تلك المرحلة من العمر يظهر شعوره الدينى ، فيقول : « وكانت تلك هى الايام التى اخذ فيها الشعور الدينى يملأ قلوبنا » (ص ١٠٧) ، فيؤدى الصلاة فى اوقاتها ويؤذن لها ، ويصوم رمضان ، ويستمع الى شرح فى أصول الدين : « بل تجاوز أمر التدين عندنا كل هذه الحدود ، حتى كاد يبلغ بنا حد « الدروشة » ؛ او قل انه قد بلغها وارقل فيها ، فكما ارادت لنا أيام المراهقة صحبة من أصدقاء تفتح اعيننا وآذاننا على عالم مسحور هو عالم الجنس ، فقد ارادت لنا كذلك أن نجتمع بحلقة دينية » (ص ١٠٧) . ثم يحلل طبيعة اقتران الشعور الدينى فى سن المراهقة بالجنس فى قوله : تلك كانت الموجة الدينية الجارفة ونحن فى سن المراهقة .. أيكون هذان الجانبان من النفس الانسانية على علاقة وثيقة أحدهما بالآخر ، حتى ليحدث كثيرا أن تكون النقلة يسيرة بين الامعان فى الدعارة والامعان فى الزهد والعبادة ؟ كما حدث للقديس أوغسطين ، ولرابعة العدوية ولتاييس — نعم .. قد يكون الامر كذلك ، حتى لقد اجتمع المعنيان فى كلمة عربية واحدة ، هى كلمة « الحرام » بمعنى المقدس وبمعنى الممنوع فعله ، فيقال : المسجد الحرام بالمعنى الاول ، ويقال : هذا الفعل حرام عليك بالمعنى الثانى — ومهما يكن من أمر فقد جمعت أعوام المراهقة فى حياتى بين حلقتين فى آن واحد : الحلقة الدينية ، وحلقة الحديث فى شئون الجنس » (ص ١١١) ، ولا يتردد د . زكى نجيب محمود فى ذكر يوم كان صائما فى شهر رمضان ، ومر على دار أسرة صديقة ، فيدخل غرفة الضيوف البعيدة من بقية أجزاء المنزل ، فيجد فتاة من الاسرة فى مثل سنه « قد

جلست الى ماكينة الخياطة تهز قاعدتها بقدميها ، وتمسك الثوب المخيط بيديها ، فيكون لجسمها بهذه الحركة شيء من التوقيع والنغم ، اما انا فقد حبيت وجلست الى منضدة قريبة وفتحت القرآن - وكنت احمسله معي - واخذت اقرأ في همس .. وكان كياني كله عندئذ كان هو ذلك القرآن ، اخذت اتلو اياته في همس ، مدخلا نفسي في هالة ، ومازجا معانيه - بقدر ادراكي لها - بشغاف قلبي ... ودخل عم الفتاة يسالها : ان كان لديها شيء يلف فيه ثوبا جديدا على ذراعه ، واجابت بالنفي ، وخرج العم ، وعلقت الفتاة بعبارة تشير بها الى معنى خفي ، وقرنت العبارة بابتسامة تنادي وبنظرة تدعو ، فاذا كنت قد رأيت شرارة النار ماذا تفعل بكومة من الدريس الجاف ، فقد رأيت ماذا فعلت تلك الشيطانة بجسدي الذي كان الصوم قد جففه ! .. لقد أشعلت في احشائه نارا - على سبيل الحقيقة لا على سبيل المجاز - لانني احسست عندئذ لهب النار يأكل جوفي اكلا ويعلو الى وجهي فيشويه ، وتحول كياني الملتهب الى عينين ذاهلتين تنظر الى الشيطان وقد تجسد في انسانة من البشر لكن لساني لم ينطق بحرف ، وسمر بدني كله على مقعدي ، وعيناها ما زالتا تدعو ، وابتساماتها ما زالت تنادي .. » (ص ١١٢) . **وهذه الصراحة في نقل انفعالات النفس ، ترتفع الى مستوى ما يجهر به «برتراند رسل» اذ يتحدث عن مراهقته في سيرته الذاتية فيقول :** « وفي فترة البلوغ بدات ساعات طويلة كل يوم في اشتهاء النظر من خلال النوافذ الى الخادمات وهن يقمن بارتداء ملابسهن على أمل رؤيتهن ولكن دون جدوى » .

ابو طرطور والتنفيس الجنسى

ويعرض د . طه حسين في « الايام » (ج ١) الرحلة التي اتم فيها حفظ القرآن وقراءة الاوراد ، وكون اسس ثقافته الدينية ، حيث رغب مفتش الطرق الزراعية ان يعلمه تجويد القرآن ، لانه سبق له ان نال قسطا من التعليم بالازهر ، فارسله والده اليه ، وكان المفتش في الاربعين من عمره ، وزوجته لم تبلغ السادسة عشرة ، ولم يكن له ولد وليس ببيته سوى جدة جاوزت الخمسين ، ومع كثرة تردد طه حسين على المنزل ، أخذت الزوجة الصغيرة تتحدث اليه وتسأله عن نفسه ، واهله ، وكان يجيبها « مستحييا ، ثم متبسطا ، ثم مطمئنا » ، ولم يعد بينه ، وبينها تردد او خوف ، حتى « اتصلت بين هذه الفتاة وهذا الصبي مودة ساذجة كانت حلوة في نفس الصبي لذيذة الوقع في قلبه وكانت ثقيلة على نفس هذه الشيخة ، وكان المفتش يجهلها جهلا تاما » (ص ١١٧ ط) وهنا تجد الغريزة الشخص الذي تتجه نحوه ، ومن ثمة ينتحل الذرائع ليذهب الى بيت المفتش « قبل الميعاد ليظفر بساعة او بعض ساعة يتحدث فيها الى هذه الفتاة ، واخذت الفتاة تنتظره ، حتى اذا أقبل أخذته الى غرفتها فجلست واجلسته وتحدثا . وما هي الا أن استحال الحديث الى لعب » (ص ١١٧) ؛ وكان لهذا اللعب وقعه المحبب والسار في نفسه ، حيث يصفه بانه « كان لعبا لذيذا » ، وهذا اللعب بما يصاحبه من مداعبات وتفريج ضرب من التحويل من سلوك محظور الى بديل مقبول .

وفي الجزء الثاني من « ايام » د . طه حسين يحدثنا عن مسكنه بربع السلحدار بحي الجمالية حيث حجرته فوق السطح بين عديد من الحجرات التي تستاجر ، فيرسم لنا بيئة لها تأثيرها « الديناميكي » عليه ، والتي يقول عنها « آن

المستلزى » انها تنطوى على المؤثرات التى يتلقاها الفرد منذ بدء حياته الرحمية حتى الممات . ولذا فهو يشير الى الاصوات التى كانت تحدثها النساء « المتصايحات ، المتضاحكات ، المزغردات ، المتغنيات » فى الغرف المجاورة لغرفته ، وكان فيها « لذة ومتاع لا يقلان عما كان يجد من اللذة والمتاع حين كان يستمع لشيوخه وهم يتغنون بما كانوا يلقون فى دروسهم من علم ، وان اختلف نوع اللذة والمتاع اختلافا شديدا » ! ! (ص ٨٤) . فاذا جاء المساء ، واستغرق فى النوم تجسدت مؤثرات النهار فى ذلك « الشخص » الذى كان « يزور ولا يزار » وكان لا يزور وحده وانما يزور ومعه شخص آخر ، وكان لا يزور فى النهار ولا فى أول الليل ، ولا يزور فى اليقظة وانما يزور فى أوساط الليل وفى أثناء النوم العميق (ص ٦٤) ، ويطلق على هذا الزائر « ابو طرطور » الذى اذا انصرف عنه تركه « مذعورا ضيق النفس منائما متحرجا » (ص ٩٤) ، فيهب « من فراشه مجلا وجلا حريصا على أن يطهر » اذ « لابد من ان يكون الفتى طاهر النفس والجسم معا » (ص ٩٥) ، ويبين ان « أبا طرطور » يحقق الرغبات المكبوتة التى تثيرها المنبهات الخارجية العارضة .

اسوار حول المرأة

ولعلنا نتساءل : ما سر ولع ابراهيم عبد القادر المازنى بالحديث عن المرأة ، ولماذا كانت تدور معظم قصصه ورواياته حولها باعتباره بطلا مرغوبا فيه ، ان « اعترافاته » الصريحة عن خبراته العاطفية فى عالم المرأة التى يعرضها فى سيرته « قصة حياة » يمكن ان تنير لنا الطريق . فمنذ حداثته ، والتقاليد تحول بينه وبين الاختلاط بالفتيات ، « وكان شر ما يمكن أن يعاب فى الواحد منا نحن الصبيان ، أن يراه أحد واقفا يحدث بنتا أو يلاعبها » (ص ١٥) ، وبذا عرف أن هناك « تابو » متعلق بالجنس الآخر باعتبار « طوطم » تقديسه فى الابتعاد عنه . لم يحاول أن يتصل ببنت خادمتهم وهى فى مثل سنه ، فيصدوه عن ذلك ، فأحيطت طقوس الحب بزواجر نهى ترسبت فى اعماقه وامتد المنع فى التعبير عن مواطفه من « المحرم » الى « المشروع » ، فلا يذكر انه عبر يوما لزوجته عن مواطفه ، ويتساءل : « لماذا اخجل أن اقول لزوجتى انى احبها » (ص ٢٥) ، بل انه يقرر : « ما اعرفنى استطعت قط ان اقول لواحدة انى احبها بالغا ما بلغ جنونى بها » فاقترنت بعض الفاظ معجمه اللغوى بالمحرم الذى ان يكون معناها كامنا فيها « بالقوة » مفارقا لها « بالفعل » . ولذا كان احساسه بالمرأة قويا ووصفه لها حبا يعبر عن كبت عاناه تجاهها منذ طفولته . وكثيرا ما أشار الى قصره وضآلة جسمه وعرجه ، ولكنه كان فيما يكتبه عن المرأة وحولها يريد ان يثبت ان ذلك لم يحل بينه وبين ان يكون موضع اعجابها ورضاها ، وهو فارس يجمع فؤاده حب أكثر من واحدة فهو لا يؤمن بالحب لواحدة فقط . (ص ٤ ع الماشى) ، « واللحم هو كيفما طبخته ، ولكنه تارة يكون أشهى مشويا ، وتارة أخرى يكون الذ وهو مسلوق ، أو مقدد أو شرائح ، أو معلق فى السفود ، أو مخلوط بالارز او البيض او الخضر . وكذلك المرأة » (ص ١٢٩ من الرسالة العدد ١٢٤ فى ١٩٣٦/١/٢٧) ، واذا كان العجز فى أحد الاعضاء يقابله نشاط فى اعضاء أخرى لان اعضاء البدن الاساسية للحياة تزيد فى النمو ، وتجيد اداء وظائفها اذا اصيب جزء منها ، فانه يمكننا تفسير هذا الحب الجنسى الذى

أشار اليه ، والذى حدا به أن يقرر فى وضوح « انى لا اومن بالحب الافلاطونى » (نفس المرجع السابق) .

وقد يكون ما كتبه عن علاقته بالمرأة خيالات فروسية تعويضية سلبية لا تسيل سوى مداد قلمه ، نتيجة لكبت الدوافع الجنسية نحو المحرمات فى الطفولة ، الذى يتولد عنه ظاهرة « انتشار الكبت » .

العربدة الجنسية

ويحدثنا سلامة موسى فى « اعترافاته » التى اوردها فى « تربيته » من نشأته فى اسرة تكاد تنقطع كل علاقتها بالآخرين ، وبيتهم لا يزوره ضيف فأحس الحرمان من الاحساس الاجتماعى ، كما كان الاختلاط منعدما ، فالمرأة تعيش فى ظلام الحجاب لا تجالس الضيوف من الرجال . وكان الرجال يزورون أو يزاورون فى « منظرة » لا تشترك فى لقائهم المرأة . (ص ١٦) وحتى عام ١٩٠٨ قبل أن يسافر الى باريس كانت بينه وبين المرأة أسوار منيعة اذ يقول : « لا اكاد اذكر انى طوال عمرى فى مصر قبل سفرى الى فرنسا قد تحدثت الى آنسة او تمتعت الى سيدة او فتحت عينى فى وجه امرأة مصرية » (ص ٦٤) ، فكان يعانى الحصر والعى فى حضور المرأة لا سيما خارج وطنه ، مما أدى به الى « العربدة الجنسية الذاتية التى انغمست فيها للترفيه عن نفسى » (ص ٢١) اذ يشرف بذلك يذكرنا باعتراف « رسل » فى سيرته حيث يقول : « لما بلغت الخامسة عشرة من عمرى اخذت تجتاحنى مشاعر الجنس بحيث لم اكن اقوى على احتمالها . فبينما كنت اجلس مستعدا للعمل احاول التركيز كان ذهنى يتشتت على الدوام بسبب الرغبة الجنسية ، وتولدت عندى العادة السرية . كنت دائما الزم حدود الاعتدال ولا اشتط ومع ذلك ظللت امارسها حتى سن العشرين لم اقلعت عنها فجأة حين عرفت الحب » ، وقد لا يقتصر سبب هذه العادة على التفريج الجنسى ، اذ كما يقول « ازوالد ستشوارز » احيانا تكون العادة السرية وسيلة للهدوء النفسى من بعض انواع التوترات غير الجنسية » (سيكولوجيا الجنس . ص٦٩) ، الا ان الكبت الجنسى فيما يبدو من اعترافات سلامة موسى كان له اثر كبير فى تشكيل علاقاته بالجنس الآخر ، ولذا فانه عندما تعرف على فتاة ايرلندية وتوطدت بينهما الصداقة كانت نهايتها فيما يقول : « استسلمت لى واستسلمت لها » (ص ٧٨) ، واستخدامه للفظة « استسلمت » مرده الى أنه كان فى أوربا كما



ابراهيم المازني



توفيق الحكيم

يقول : « كانت شهواتى الذهنية اكثر منها جنسية » .

ونفس الظروف التى احاطت بسلامة موسى وسدت منافذ الاتصال بالجنس الآخر نجدها حول احمد امين كما يقررها فى « حياتى » مع تباين المثيرات والاستجابة لها .

العمامة والقمع

فقد نشأ فى اسرة تغلب عليها الجهامة ، مع افراط فى التدين ، فيقوم الليل متهجدا ، منذ صغره ، يكثر الابتهالات ، ويحفظ الادعية والتوسلات ، ولم يكن لتربية الذوق فى بيته اى اثر ، فيقول : « كل شيء حولى كان كفيلا ان يميت الذوق ويبلد الحس ، ويقضى على الشعور بالجمال » (ص ٤٦) ، الى حد أن عد الاستمتاع بالغناء خطيئة ، مما ترتب عليه أن حياءه وخجله كان يحول بينه وبين ذلك ، حتى انه عندما اراد أن يستمع الى الغناء فى صالة استلزم الامر منه فيما يقول : « أن حفزت كل همتى ، وقاومت كل خجلى ، فذهبت الى استماع الغناء فى صالة تسمى « ألف ليلة » بالازبكية من مغنية اسمها « الست وحيدة » واتخذت كل الوسائل للاختفاء » (ص ٩٩) وينحصر ترفيهه عن نفسه على المشى توجها الى المسجد . واثر ارتدائه العمامة منذ الرابعة عشرة من عمره على حركته كصبى وانطلاقه ، فلبس « القباء والجبة والعمة والمركوب » (ص ٥٤) ، فكان يشعر بالخجل والضيق ويسير فى الاماكن غير الآهلة حتى لايراه احد ، وانقطعت علاقته بزملائه الصغار الذين كانوا يرتدون البدلة « فشخت قبل الاوان ، والطفل اذا تشايخ كالشيخ اذا تصابى » (ص ٥٥) . واطلق عليه تارة « السنى » لشدة تدينه (ص ١٠٨) ، و « مالك الحزين » (ص ١١٥) لكآبته وجديته وانطوائه . وحينما تقدم للزواج حازت كل صفاته وامكانياته القبول ، ما عدا عمامته فكانت سببا فى رفض كثير من الاسر له ، حتى ان فتاة قبلته دون رؤيته ، ولكنها كما يقول : « اطلت على من الشباك وأنا خارج فرات العمامة والجبة والقفطان فرعبت ورفضت رفضا باتا أن تتزوجنى رغم الحاح اهلها » (ص ١٦٨) وعلى شدة هذه الصدمة على نفسه فانه لا يحدثنا عن وقعها عليه باعتبارها ذات صلة بميول شاب ورغباته ، بالرغم من أنه يكاد لا يترك شيئا من طفولته ومراهقته وشبابه الا ويذكره تفصيلا ، ويغفل الاشارة الى الجنس فى حياته ، بينما الظروف كلها تنطق بكبت وقمع يعانيه الشاب فى مختلف أطوار حياته . ويكثر من حديثه عن عمامته وجبته ، اللتين استبدلهما بالطربوش

والبدالة » « وشجعني على هذا ما كنت الاقيه في لبس العمامة من عناء ، فعامة الناس في مصر ، وخاصة في المدن ـ يجلون العمامة ظاهرا ولا يجلونها باطنا » (ص ٢٠٢) ومن ثمة فسجل اعترافاته يفيض بالحسرة والأسى والحرمان « أسى ـ والاسف يملأ فؤادي ـ لم أنتفع بزمن الصبا والفتوة كما كان يجب . فلم يجد المرح والنشاط واللهو ـ ولو كان بريئا ـ ولا الحب الى قلبي منفذا » (ص ١٧٠)

ولكنه لا ينكر أثر علاقته مع المدرسة الانجليزية ، على وجدانه وذوقه فيدب فيه النشاط عندما يتعرف عليها لانها « كانت تصلح من نفسي كما تصلح من لساني » (ص ١٧٠) ولماذا لا يتجه بعواطفه وشبابه اليها ، وهو لا ينسى القيود الغليظة ، والاسوار العتيقة التي صدمته في علاقة عاطفية بريئة في صباه ، يعترف بهما في قوله : « أحببت وأنا في نحو الخامسة عشرة ابنة جار لنا والتهبت عاطفتي فأرقت كثيرا ، وبكيت طويلا ، وكل ما كان من وصال أن أجلس أنا وهي على كرسيين .. أمام دار نتحدث في غير الغرام ، فلما وسوس الشيطان لابيها حجبها مني وشقيت زمنا بذلك » ص ١٧١ » . ولم يكن امامه الا نقل عواطفه للمدرسة برغم زواجها ، ولكنه لا يفصح تماما عن ابعاد هذه العلاقة ، وان استشف القارىء عما وراءها فهو يعترف بأنه « أحببت المدرسة الانجليزية الشابة حبا ضنيت به ولم تشعر به ، وكل ما سعدت به ساعات الدرس أتحدث اليها ، وتتحدث الى وتنظر الى بعينيها الصافيتين الامينتين ، ولكنه كان حبا يائسا ، فهي متزوجة مخلصة لزوجها سعيدة بزواجها ، فعاطفة الحب كانت في أعماق نفسي ولكنها مكبوتة » (ص ١٧١) ولم يمنع فارق السن بينه وبين مدرسته الانجليزية الاولى من توطيد العلاقة بينهما فكانت في الخامسة والخمسين من عمرها ، ضخمة مستديرة الوجه ، يوحي مظهرها بالقوة والسيطرة ، بسيطة في ملبسها وزينتها ، وادهشها انه يسير كالشيوخ وهو في السابعة والعشرين ، يميل الى الوقار والتزمت في حياته مع حرمان من التسرية ولو بريئة ، (ثم اكتئاب النفس وانقباض الصدر ، وحزنه عميق في القلب ، فذكرته بشبابه ، ومباهج الحياة ، وان أصرت على ارتدائه العمامة حتى يشبع خيالها باعتباره تحفة قنية من الشرق بتقاليده وأزيائه) (ص ١٤٢) .

ولكن حرارة الاعتراف ترتفع عند ما يتحدث عن المدرسة الانجليزية الثانية في حياته والتي قرر أنه هام بها حبا ووجدا لانها كانت « في ريعان الشباب جميلة الطلعة لها عينان تبعثان في النفس معنى الصفاء والطهارة والثقة .. كنت أرتقب موعدها بشوق ولهفة ، وكانت هذه السيدة تغذى عواطفي برقتها وجمالها وكمالها » (ص ١٤٥) ولو تساءلنا : لماذا هذه المغالاة العاطفية ؟ ما أسباب الكبت والقمع الذي يقرر أنه كابدهما ؟ وجدناه يصرح بالعوامل التي حالت دون ارتواء عواطفه « حال دون ظهورها وسطي ، فالفتاة لم تكن سافرة سفور اليوم ، وكان الشاب لا يعرف من الفتيات الا أقاربه ، وكانت تربيتي الدينية تعد الحب فجورا ، والنظر الى الفتاة وحديثها اغواء شيطانيا .. كل هذا لم يهيئ مجالا للحب ، بل كبته في أعماق نفسي » (ص ١٧٢) ، ويحاول أحمد أمين أن يردف «اعترافاته» التي تدل على عذاب جدب العاطفة ، بذكره العواطف التي كان يتحلى بها في شبابه مثل العواطف الدينية ، وحب الاصدقاء ، والفقراء ، وذلك ليدلل على اعلائه لميوله الجنسية في مراحل العمر ، وهو ضرب من التصعيد القسمي فيما يرى « هربرت ماركوز » . واعترافات أحمد أمين تمثل لونا من الصراعات التي يشقى الانسان منذ تفتح طاقاته الجنسية لانها صدام بين الميل المتيقظ وبين تقاليد المجتمع ، أو بينه وبين ضميره ، كما تصور الصراع الديني بين ما تعلمه من شعائر وبين ما يصوره تفكيره الجديد .

رجوع الشيخ

ولقد كانت اول صدمة لاقاها توفيق الحكيم من نظرة المجتمع الى الحب عند ما اختاره موضوعا يتحدث فيه امام التلاميذ في مدرسته مما أثار دهشتهم وغضب مدرسه ، وذلك فيما يعرضه من تجارب طفولته وصباه العاطفية في « عودة الروح » (ط ص ١٢٠) ، ثم يكشف عن تعلقه بالموسيقى والغناء الذى ارتبط بالاوسطى « لبيبة شخلع » التى يفرد لها صفحات كثيرة عند حديثه عن تفتح حسه الجمالى (ص ١١٤ الى ١٧٤) ؛ ويعترف في « سجن العمر » بما اعتراه في مطلع شبابه من الميل الى كل ما يشعرنا برجولتنا . ظهر ذلك في نوع مطالعتنا . كما ظهر من نوع مواطفنا لحدث لينا مزيج عجيب متناقض . فالى جانب احساسنا بالحب الرفيع ، بدأنا نعرف المرأة كما كان يتاح لامثالنا مقابلتها وتتلذ ، في تلك الاماكن الظالمة « بحى وجه البركة » و « كلوت بك » ، كلما استطعنا تدبير عشرة قروش في ليلة الجمعة .. والى جانب الكتب الماجنة التى كانت الايدى تتنازعها خفية في الفصل مثل كتاب « رجوع الشيخ » (ص ١٤٩) ، فاذا كان في باريس فكل وقته يقضيه منحنيا على مكتب الحجرة رقم ٤٨ بشارع بلبود ، اقرأ حتى قرات كل شيء (زهرة العمر ص ١١٩) ، ويعيش فيها قلقا « وهذا القلق يحرمنى التمتع بالحياة والشباب » (ص ٢٣) فالمرأة يلتقى بها في المؤلفات وتماثيل المتاحف ، فاذا تحرك نحوها وجد انه يستلهم منها مثلا لفنه ، وان حدد مفهومه للثقافة الكاملة التى ترتبط بالتربية الكاملة التى هى تربية جميع الملكات والحواس مجتمعة ، حاسة البصر والسمع والشم والتذوق اذ لكل حاسة عوالم من الجمال لا نهاية لها ينبغى ان تجوس في ارجائها الواسعة (زهرة العمر ص ١٢٠) ، الا انه في باريس لا يعترف بالعواطف المائلة نحو المرأة فيما سجله من حياته .

فاذا انتقلنا الى عباس محمود العقاد والتقطنا رايه في الحب سبيلنا الى كشف اعترافاته الصريحة بآرائه يقول في « انا » : « ليس الحب بالغريزة الجنسية لان الغريزة الجنسية تعم الذكور والاناث ، ولا يكون الحب بغير تخصيص وتمييز ، وليس الحب بالشهوة ، لان الانسان قد يشتهى ولا يحب ، وقد يحب ويقضى الشهوة على حبه وليس الحب بالصداقة ، لان الصداقة اقوى ما تكون بين اثنين من جنس واحد ، والحب اقوى ما يكون بين اثنين من جنسين مختلفين » (ص ٢٠٦)

فكيف كان حبه لسارة (اليس) التى قال عنها :

ولنشوة الخمر اذا قوبلت ... بنشوة منك متاع زيد

والتى استخلص من الوانها : « انها لتثير في الرجل شعور القوة وشعور الجمال ، وشعور اللذة ، وشعور الالم ، وشعور الجموح والانطلاق من قيود النطق والحكمة . وشعور الانسان كله . وشعور الحيوان كله . بل تثير فيه الشعور بما وراء الطبيعة من اسرار مرهوبة ومن اغوار لا يسبر مداها في النور والظلام » ، فاذا كان في صراحته مع سارة ما يحمل مظنة الضعف فيما أتاه معها ، فانه يبرهن على ان سلوكه معها يسلكه الانسان حيثما كان في أى زمان ومكان ، وانه لم يجانب الحكمة و « منذ الازل وقفت الفتنة الى جانب ووقف الى الجانب المقابل لها حكماء الارض وهداتها ومشترعوها واصحاب النظم والدساتير فيها ، قالت هذه كلمتها وقال الحكماء والهداة كلمتهم ، ونظرت ونظروا ، ووعدت واوعدت ، ووعدوا واوعدوا . وامامك الناس اجمعين فاسألهم واحدا واحدا : « كم مرة

أدبـــاؤنـــا والاعـــترافات الجنســـية

سمعتم هذه وكم سمعتم هؤلاء ، وأنا الضمين لك أن فى تاريخ كل انســان مرة واحدة على الأقل سمع فيها لهذه الفتنة ولم يسمع معها لحكمة الحكماء ولا لشيء من الاشياء » (سارة ص ٥٨) . فالعقاد وإن عرض للحب من جوانب مجردة ، الا انه يقدمه واقعيا كما ناله فى حيـاته كانسان يخضع لمـا يخضع له البشر من ميول ورغبات وجموح .

ميول نرجسية

ويعتبر ميخائيل نعيمة من أكثر الادباء صراحة فيما يعرضه من الجوانب الخفية لحياته الجنسية ، وعلاقته بالمرأة يمكن تجريدها فى ايقاعات ثابتــة مهما تنوعت الظروف ، تسمع عنه وتعجب به قبل أن تراه ، وتتمنى أن تتعرف عليه ، فاذا نالت ذلك ، جاء التعبير عن اعجابها به . أو تكون زوجة لا يناسبها زوجها للفوارق بينهما ، ويظهر هو فى الوقت المناسب تتعرف عليه ، وتحبه لانه أمل انقاذها ، فيقاوم لم يخطر الى الاستسلام مقدما شتى الـذرائع والمبـررات التى دفعتــه الى التنازل والتعاطف والرحمة بها . والمرأة تطارده دوما وتتوسل اليه ، وتكاد تنتحر من أجله ، دون أن يذكر مرة واحدة اقدامه نحو المرأة ليجذبها اليه ، ولـكنها تسعى اليه مهما اختلفت اطوار حياتها ومستواها ، وليس أمامه الا الرضــوخ والاستجابة التى يضطر اليها اضطرارا على الرغم مما يردده من عفته الشــديدة ، وبذله الجهد فى التوقى من رغبات المرأة ، ولـكنه ازاء عنف تهالكها عليه لا يسعه الا الشفقة والرحمة .

وتفيض كلماته وعبـاراته « بنرجسية » مسرفة تحكم تصرفاته ازاء كل امـرأة لاقاها فى الشرق والغرب ، كما يطغى عليه احساسه بفحولته الجنسـية فيتضاءل أمامه أى زوج تحبه زوجته . فلا يراه الا ابله ساذجا مغفلا . ويمكن ان تتابع ذلك فى اعترافاته الجنسية الجريئة التى ضمنها سـيرته الذاتية « سبعون » باجزائها الثلاثة . يرى ان « الشــهوة الجنسية من اشــد الشهوات البشرية واعنفها » (ص ٩٢ جـ ٣) ، وهى أقوى العواطف الانسـانية و ما ان تبلغ سـن المراهقة حتى تجدنا فى صراع .. ففى الجسم قوة هائلة ، سجينة تريد الانطلاق من سجنها .. هكذا ارادتها الطبيعة .. والتى ما خلقتها الا وخلقت لهـا الباب لانطلاقها ، غير أننا سورنا ذلك الباب بالاسوار ، وأقمنا على الاسوار الحراس والرقباء .. » (ص ١٤٨ جـ ١) ، فاذا كان فى الشباب أحس الدم .. يغلى فى



ميخائيل نعيمة



د. نوال السعداوى

مروتي وبفور فلا تستطيع اى اعتبارات دينية او اجتماعية ان تحد من غليانه وفورانه انها لتبدو له ترهات وخيوط عنكبوت . ان يكن هنالك من أثم فهو اثم الطبيعة التي جعلت ذلك الدم قابلا للالتهاب بشرارة تنطلق اليه من دم فيه مثل ما فى الحرارة ومن قابلية الغليان والفوران » (ص ١٥٥ جـ ٢) والذى يفسح الشهوى هذا الموضع من النفس والجسم ، تشغل المرأة فى صورها المتعددة جانبا هاما من حياته ، فقد كان أول مرة يتعرف على فتاتين فى القطار بلبنان ، وكانتا تشيران اليه باعجاب ، واتضح عند ما فاتحته احداهما بالحديث ان اخاها حدثهما من تفوقه فى الدراسة واختياره للسفر الى روسيا لاستكمال دراسته ، وحينما افترق عنهما احس أنهما « ايقظتا حاجة هاجعة فى كيانى الى مخالطة « الجنس اللطيف » .. انها حاجة الى بسمة الى نكتة الى مداعبة الى كلمة مبطنة بأكثر من معنى تأتينى من فم فتاة تتفتح على الحياة مثلما اتفتح .. وسواء أكان ذلك بسبب اعجابهما به ، أو رغبته فى الاستمتاع بحديثهما ، الا ان « تيارا كهربائيا سرى من دم الفتاتين الى دمى فغلى وفار . وكانت فى غليانه وفورانه رعشة اللذة ونشوة الله » (ص ١٦٢ جـ ١) ، وهذا الاحساس الذى اعتراه يذكره بأول مرة شاهد فيها على المسرح « فتاة فى مثل قامة فينوس ، وقد تعرى البعض من جسدها ، وتستر الآخر . والذى تستر كان أشد اغراء من الذى تعرى » (ص ١٦٢ جـ ١) .

ويفاجأ اذ تحادثه فتاة فى روسيا بأن لسانه لا يتحرك ، ولا يقوى على الافشاء بما فى نفسه من شوق الى مبادلتها الحديث ، لان ذلك لم يتعوده داخل الاسوار التى قدم من خلفها ، وتحكمها التقاليد والقيود . ولم يلبث أن تعرف وصديق له روسى على فتاتين ، واشترطت الفتاتان ان يتعرفوا جميعا « بدون حياء وبدون تكلف » ، وانفردت به صديقته بعيدا واستلقيا على الاعشاب ، وهنا يظهر لنا سلبيته فى هذه المواقف ، كما سنرى ، ويقول : « احسست ذراعيها حول عنقى ، وشفتيها على شفتى ، واحسست نارا تجرى من انفاسها فى دمى ، وتمشى أناملها تلمس الحلال والحرام فى جسدى » (ص ١٦٢ جـ ١) .

ويتعرف على اخت صديق له متزوجة ، وعلى زوجها ، لانهما سمعا عنه واعجبا به قبل ان يرياه ، فيكتشف ان البون شاسع بينهما وان الزوجة « فاريا » فى ميعة الشباب ، نضرة ، ناعمة ، وزوجها « كوليا » هزيل ، متردد ، كالطفل ،

صورة غريبة من الرجال ، فيما يراه نعيمة . لم تعترف له بهيامها به في « غرفة ضيقة في قبو ، يضيئها مصباح أحمر لاهث النور ، خافته . واذا بفاريا تنهض من كرسيها وفي لمح الطرف تطوقني بذراعيها وتنكب على بشفتيها » (ص ٢١٧ جـ ١) ، وفي لقاء آخر يقول : « انكبت على فمي في قبلة طويلة ، ملتهبة » (ص ٢٢٦ جـ ١) ، ويحاول أن يهرب منها ، وتطارده ».

ويتعرف على « ليدا » التي تعرف بـ « ماروسيا » وتحبه لولا أنها كانت ضعيفة الادراك . ويعقب على هذه العلاقات التي عاشها منذ مراهقته حتى شبابه .. كان من تلك الفترة أنها سلبتني طهارة الشباب لتعوضني منها خبرة كنت في أمس الحاجة اليها . لقد عرفت المرأة بلحمها ودمها » (ص ٢٧٣ جـ ١) «.

وفي باريس تحبه « مادلين » وتدعوه الى بيتها . وفي نيويورك نجده بين زوجين : الزوجة « بيلا » وزوجها « هاري » ، هي ذات وجه مستدير هادىء ، وعليها مسحة حزن « مكبوت » ، والزوج فظ ، غليظ ، به بلاهة ، وسذاجة . وكأنه في نفس الموقف السابق تماما ، فيحس انه المنقذ للمرأة ، ويلم هذه المأساة العائلية ، فيستمر يحنو على جراح قلب « بيلا » وجسدها خمس سنوات . لم يقابل « نيونيا » البولندية التي يرى في عينيها تعطشا للحياة ، وللذائذها ، وفي شفتيها انوثة ، لانها عالم يضج بالشهوة والشوق والحركة » (ص ٢٨٥ جـ ٢) ، وتدعوه الى التنزه معها ، وترفع « الكلفة » بينهما ، وتزوره في غرفته ، ويتيح ذلك أكثر من امرأة في حياته .

وما أكثر ما يقدم من مسوغات تبريرية لعلاقته بالمرأة « هذه المرأة التي بين يدي ، ما ذنبها اذا تعلقت بي تعلق الغارق بحبل النجاة ؟ ما ذنبها ، والرجل الذي هو في عرف القانون زوجها ، رجل غير مكتمل الرجولة ؟ اذا أنا راعيت شعور الزوج جنيت على الزوجة في أعز ما تملك ، وهو حقها الى أن تحب وان تحيا ولو لفترة من العمر » (ص ٢١٦ جـ ١) ، وبهذا يجد (حقه) في أن يتمادى في صلته بها ، ما دامت « المقادير العمياء قد جعلتها زوجة لرجل يشبه الرجال » (ص ٢٥٦ جـ ١) . ويبرر اتصاله بأخرى بقوله : « ههنا امرأة أوثقتها التقاليد العمياء الى رجل لا تجانس بينها وبينه البتة » (ص ١٥٥ ج ٢) ومن ثمة « قد وجدت في القوت والشراب لكل ما جاع وعطش في جسدها وفي روحها » وبالتالي يستجيب هواها لانه « وجدت فيها مثل ما وجدت في .. ولا أنا المسئول من جوع جسمي وروحي وعطشهما » فيقضي معها أياما متصلة « في عرس من اللذة » (ص ١٥٥) . ويرتبط بزوجة ، يعرف زوجها علاقتهما ولكنه راضخ لضعفه ، فيجد ذريعة في قوله : « كنت أريد أن أرفعها بحبي . وان ارتفع بحبها » (ص ٨) بل انه يقول من حب يعترف بما فيه من « شهوة » انه كان اسمى من رغبات الجسد « حبك لها ، وحبها لك ، وان رافقته الشهوة الجسدانية ، ليبدو لك ارفع من حاجات الجسد بكثير » (ص ٢١٨)

وعبارات ميخائيل نعيمة ، وحديثه عن نفسه يفيض « بنرجسية » واضحة صارخة ، واعجاب بالذات ، مع شعور بتضخمها ، وما أكثر ما يردد : « هامت بي أكثر من فتاة . الا انني لم أفتح قلبي ولا استسلمت لاغراء أية واحدة منهن . ولو شئت أن امثل دور « دون جوان » لمثلته بسهولة » (ص ٢٠٧ جـ ١) ، ويبدو أنه كمن بدافع من نفسه بعد أن تفطن الى حديثه عن هيمان الجنس الآخر به ، ولكن ذلك لا يقفه عن وصفه محاولة احداهن اثارة انتباهه « يبدو أن « فاريا » تهيم بي من زمان ، وانها كانت تحاول بشتى الحركات والالتفاتات والاشارات أن تنبهني .. اختارت أن تستعيض من التلميح بالتصريح ، وكان

تصريحها مؤثرا للغاية » (ص ٢١٣ جـ ١) ويذكر قول أخرى بعد اعترافها بحبها له : « اذا لأني اعترف في هذا بعض العطف منك كنت سعيدة جدا . والا سأقضي اطعم احزاني من قلبي » فيتساءل في حيرة وترفع من لا صلة له : « ماذا أصنع بقلبي ترثي عليه القلوب » (ص ٢١٥ جـ ١) . ويصرح بتلذذه عندما تبثه المرأة غرامها واشواقها : « يلذلي أن أسمع شخصا يحبني يعبر عن حبه » (ص٢٢١ جـ ١)،

ويحس بالاستعلاء على زملائه اذ يستجيب لدعوة ابنة أستاذه « ليدا » لقضاء السهرة معها ، حيث لم يكن يسمح لها والدها الا بمرافقة النخبة . ويقول من « ماروسيا » : « انشغلت بي ايما انشغال » (ص ٢٣٤) ، ويضيف : « لكم راقني أن أسمعها تبوح لي بحبها وهي كالعجينة بين يدي » (ص٢٣٦ جـ ١) ، وانها كانت « تطل على القبنة بعد الفينة لتبرد قلبها بنظرة او بكلمة ، او بحركة ..

ووكان في آخر اطلالة ان تعانقنا او تبادلنا القبل » (ص ٢٣٨) . أما « مادلين » فيقول عنها وكأنه الفريسة الوديعة أنها « تتحين الفرص لتصطادني وحدي » (ص ١٢٨ جـ ٢) و « تستميت بين يدي وتستسلم لي بكليتها » (ص ١٢٩) فهي « تصطاده » مرة و « تستميت » أخرى . فاذا ما صارت بين يديه ، وفاح منها

الجنس ، وفقمت معه الشهوة قال : « ها هو الجسد الذي بين يدي ، انه يمور بمثل الفتنة التي يمور بها هذا النهار من الربيع . انه يضج ويستغيث . انه يتمنى لو يستطيع أن يتحد بجسدي اتحادا لا انفصام بعده . والرجفة التي تسرى منه الي تجعلني ارتجف » (ص ١٢٩ جـ ٢)

ويروى عن حسناء لبنانية أنها لجأت الى كل وسائل الاغراء لتستميله ، الى حد أنها استأجرت مسكنا بجواره ، اتراقبه ، ثم لتدعوه الى زيارتها ، وتتصنع الاغماء ، حتى ، فيما يقول : « تثير الشهوة في دمي » (ص ١٦١ ج ٢) . ولا يسجل عبارات حبه وهيامه بأية واحدة من اللاتي هِمن به وجدا ، ولكنه يكثر

من أمثال العبارات الملتهبة بالصبابة التي وجهت اليه مثل « انت وحدك اختارك قلبي ، واختارتك عيني وكل قطرة من دمي ، وكل جارحة من جوارحي . وأنا لم اعرف طعم الحياة قبل أن عرفتك » (ص ٢٢٦ ج ٢) ، ويصف اشتهاء المرأة له فيقول عن احداهن : « شفتاها لا تنفصلان من شفتي الا لتعودا اليهما بنهم

اشد من ذي قبل . انهما تنهشانني ، وتودان ـ لو تستطيعان ـ أن تمتصاني بلحمي وعظمي » . ولم يعترف أبدا بانفعالاته هو واستجاباته الذلك كله مهما تكرر ، بقدر حرصه على عرض ذاته المرغوبة المطلوبة ورضوخه وتنازله المتعطف

نحو المرأة ، لتروى رغباتها فيه ، فيقول مثلا عن فتاة قضت سهرة معه انها كانت « ترمي نفسها بين ذراعي وتستسلم لي بكليتها ، فاطفىء الشهوة المشبوبة في دمها » (ص ٢٠١ جـ ٢) ، **ولذا فان اعترافات ميخائيل نعيمة تحتمل وقفة عميقة طويلة مستشفة ما وراءها من دلالات فسيولوجية ونفسية واجتماعية .**

جنس بلا قيود

ولقد قضى صبحي الجبار « ربع قرن في القيود » لم تعق ميوله الجنسية ان تجد غايتها ، وتنطلق عواطفه دون عقبات تصدها . فالتغيرات التي لابسته في الثالثة عشرة من عمره ، لم تجد تفسيرا في مدرسته ، ولكن والده تكفل بان يترجم له العلاقات التي صاحبت مراهقته ، والتي كانت تجد متنفسها في رسم

النساء العاريات (ص ١٦ جـ ١) وفي حجرته التي الزمه المرض عدم مبارحتها ، عرف المرأة عن قرب ابتداء من تلميذات المدارس الى حسناء ظن انها تبادله حبا صوره خياله فاذا هي تحترمه فحسب فكانت صدمة انهت علاقته معها لتبدأ اخرى

مع امرأة تعدت الاربعين ، واخرى مليونيرة اعترفت له بحبها ، واعتزما على الزواج ، ولكنه كان اذا اغلق باب حجرته أغضب والدته بسبب « النجاسة التي ستخرب البيت » فاضطر الى مناقشتها وسألها : هل تعتقدين أن الله زود الانسان بغريزة الجنس التي لا تقاوم لمجرد العبث ؟ فأجابته بأن الشباب لا يعيبه شيء خارج البيت ، وما دام مقيدا فيه ، فليرض بنصيبه ، ولكنه يتمرد على ذلك ، اذ يستنتج منها أن العيب والحرام والحلال لا تثقل كاهل الشباب الطليق دون القيد وكان القيد نفسه هو الحرام والعيب . (ص ١٨٥) ، ولكن التليفون يكون سبيله الى ممارسة نشاطه العاطفي ، وجلبه الى غرفته .

اما الدكتورة نوال السعداوي فهي تصحبنا معها في « مذكرات طبيبة » التي تضمنها اعترافاتها لتكشف لنا احساس الانثى بكيانها من النواحي البيولوجية ، والفسيولوجية ، والنفسية ، والاجتماعية ، حيث تقدم لنا نفسها منذ أدركت الفروق بينها وبين الذكر اخيها .. ولم يكن لكلمة بنت في نظري سوى معنى واحد .. هو أنني لست ولدا .. لست مثل أخي .. اخي يقص شعره ويتركه حرا .. يصحو من نومه ويترك سريره كما هو .. يخرج الى الشارع ليلعب بلا اذن .. يأخذ قطعة من اللحم اكبر من قطعتي .. » (ص ٥) فهي تعيش ثورة واحتجاجا ضد المجتمع الذي يؤثر عليها أخاها ، الذي ينعم بامتيازات كثيرة ، مصدرها رجولته التي يتيه بها ، فتشعر بالغيرة منه ، وتبذل جهدها لتقاوم تسرب الشعور « بالدونية » الى أعماقها . وتعرض لنا مرحلة الطفولة وهي تجاوزها الى البلوغ فالمراهقة التي تحدثنا عن اهم ظاهرة صاحبتها « أحسست برجفة منبلة تسري في جسدي ودوار في رأسي... ورأيت شيئا أحمر اللون » (ص ٧) وتكون صدمة تشعرها بالخجل ، وتحمل طابع المفاجأة ، فهي تستقبل الحيض بالرفض والسخط والانكار الذي يقترن بالقلق والتوتر ، وقابلية التهيج . انها صدمة نفسية لان الحيض يرمز لدى المرأة الى الضعف والخضوع والنقص ، ولعل ما تصاب به الانثى من صدمة « الدورة الشهرية » هو الذي حدا بتسميتها « اللعنة » عند الاوربيين . واهم مرحلة تمر بها الانثى هي انتقالها من مرحلة الطفولة الى المرحلة السابقة على البلوغ لانها تتجاوز بها مرحلة « الكمون الجنسي » واهميتها أنها ذات اثر في حياتها الجنسية والنفسية لانها حافلة بالخبرات التي يكون لها اثرها في حياتها المقبلة ... وتبدأ تمارس حريتها ، ممارسة تشي بحيرة الطفولة الماضية وشباب المستقبل أي بين روابط الطفولة الوجدانية ، ومسئوليات البلوغ ، والاستقلال الذاتي ، ولذا تقوم بهجوم ضد البيئة التي تعيش فيها ، لتثبت استقلالها « خرجت لاول مرة في حياتي من البيت دون أن آخذ الاذن من امي ، وقصصت شعري ، فلما واجهت أمها وقفت متحدية « واستطعت ان اشد قامتي وأنا أقف أمام امي بشعري القصير » (ص ٥) وتحاول الام أن تقمع كل نشاط ايجابي لها ، لانها تريدها مجرد صورة مصغرة لها ، وتشعرها بأن مستقبلها رهن بأنوثتها ، التي تقتضي الابتعاد عن كل نشاط وجرأة ، وتحاول أن تكسب ابنتها طابعا انثويا بتلقينها واجبات المرأة ، ومهام البيت والتدبير المنزلي ، ولكنها تنزع الى التنكر لانوثتها ، ومنافسة الصبيان ، والتفوق عليهم لتثبت للجميع انها ليست دون الذكور .. سأثبت لامي وجدتي انني لست امرأة مثلهما . انني لن اعيش حياتي في المطبخ اقشر البصل واقصص الثوم .. انني لن اقضي عمري من اجل زوج يأكل ويأكل .. سأثبت لامي انني اكثر ذكاء من اخي ومن الرجال ومن كل الرجال .. وأنني استطيع ان افعل كل ما يفعله ابي واكثر واكثر » (ص ٢١) ، وتتقدم في دراستها وتتخرج طبيبة ، وخلال كل ذلك تعيش صراعها مع المجتمع الذي يريد أن يفرض عليها القيام بدور « الجنس الضعيف » ، ويلزمها بالتخلي عن كل نشاط ايجابي لتصير « موضوعا » بقيمة

الآخرون ، ويسرون أو ينفرون لرؤيتها على الصورة التي تستهويهم ، فتحاول ان تتحدى العاطفة ، ولكنها عندما تنفرد بنفسها ، كما تقول : « احسست انني اخلع من نفسي كل اثوابها .. ووقفت نفسي امامي عارية .. عارية تماما .. احسست أن العاطفة أكثر ذكاء من العقل وأكثر رسوخا في القلب » (ص ١) انها نهاية الصراع بين اهتمامها بذاتها ، وخدمتها للنوع البشري ، أي تنازع « الفرد » و « النوع » في أعماقها .. وتنبهت .. ها هو جسدي الذي حكمت عليه يوما بالاعدام .. جسد المرأة الانثى الذي ذبحته ذبحا عند قدمي اله العلم والعقل .. ها هو جسدي تدب فيه الحياة من جديد .. ضيعت طفولتي وصباي في عراك عنيف ضد من ؟ ضد نفسي .. ضد انسانيتي .. ضد غريزتي .. » (ص ٤٤) فاذا التقت بالرجل الذكر الذي تنكرت له يوما ، تنهدت : « آه .. واخفيت رأسي في صدره .. أحتمي فيه .. والتصق به .. واحسست انني تجردت من عمري الذي فات وعدت طفلة تحبو وتتعلم المشي .. ودفنت رأسي في صدره وبكيت .. بكيت في راحة وهدوء .. » (ص ١١٠)

الجنس في المجمع اللغوي

ان الاطلاع على اثر الصدمات الانفعالية والدوافع التي كبتت نتيجة التزمت ومواصفات المجتمع في الطفولة المبكرة ، والمراهقة ، مما يكشف نواحي عديدة من شخصية الاديب ، لان فيها نواة الشخصية ، والطفل ابو الرجل فيما يرى « فرويد » ، وبذا نقف على صراع الغريزة تجاه المقاومة ، فالتعرف على تطور الغريزة الجنسية عند الاديب هو تعرف على تطور الشخصية ذاتها . ومن البين أن الحاجات « الحيوية » لدى أدبائنا ، كانت تصطدم بتقاليد المجتمع ، فينشأ النزاع بين (مبدأ اللذة) « ايروس » و (مبدأ الواقع) ، فيتنفس الاديب في آفاق الاشكال الابداعية الفنية والادبية والفكرية .

وعرض هذه الجوانب من حياة الادباء تعين على فهم انتاج الاديب وآراء النقد المعتمد على السيرة لانها توصلنا الى فهم حياتهم وذواتهم وشخوصهم . فاختيار الاديب لموضوعاته ليس أمرا عارضا ، بل هو أشبه « بفلتات اللسان » ، و « انصاف الاعترافات » ، « لان الآراء والنظريات تقربها الى حد كبير ، شخصيات أصحابها وأحوال حياتهم » فيما يقرر « فان ويك بروكس » ، كما أن النقد الحق فيما يرى « سنتربيف » يتكون من دراسة كل أديب حسب أحوال طبيعته لكي تقيم له وصفا حيويا حافلا .

واعترافات الادباء الصريحة تمد النقد النفسي بمادة كاشفة ؛ هادية ، لانه ما من أديب يخلو من التأثر باللاشعور الجمعي الذي يختزن الماضي الجنسي مكونا « ذاكرة الجنس » فيما يقول « يونج » .

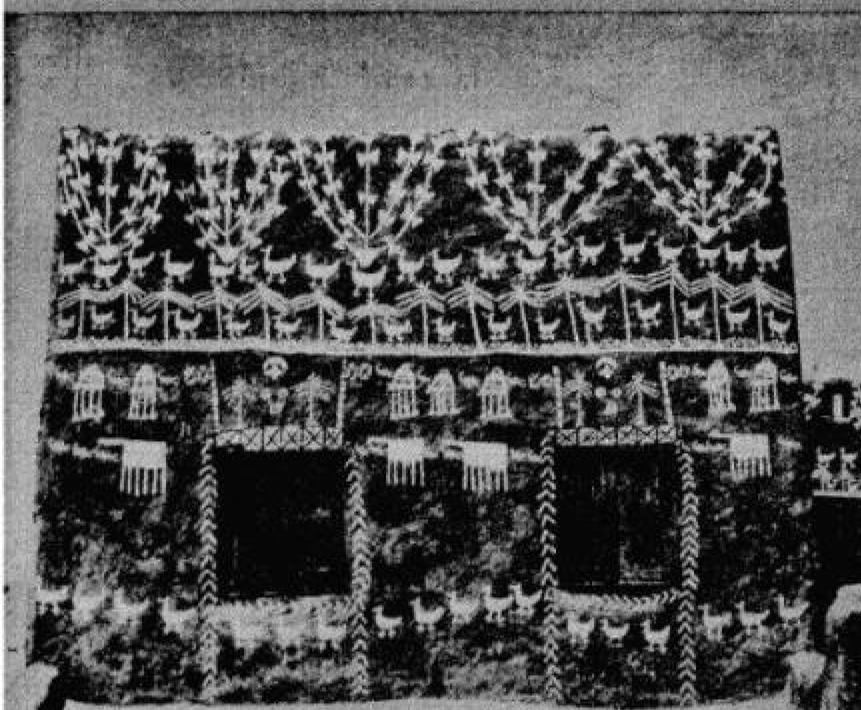
وقد دعم هذا الاتجاه بحوث « فرويد » وكشوفه النفسية ، ومؤلفه « ليونارد دافنشي ـ دراسة نفسية جنسية لذكريات الطفولة » الذي استند على تفسير المكبوتات الجنسية في الطفولة مما أدى الى الاستفادة من التفسيرات الجنسية في الادب .

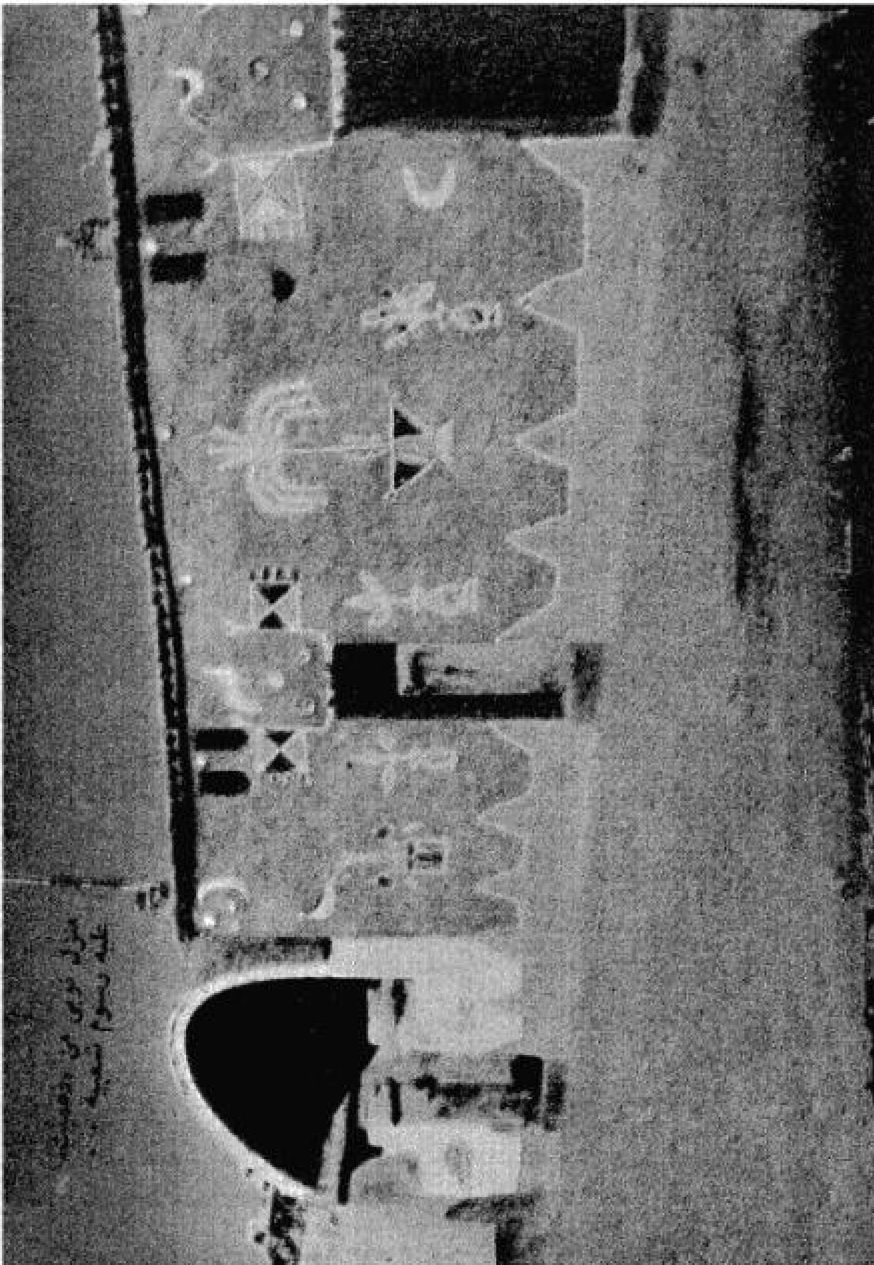
وامثال هذه الدراسات والاعترافات يمكن ان تفصح عن مدى التطور في القيم الذي لحق مجتمعنا منذ ان كان الاديب يتحرج من ذكره لاعترافاته الجنسية الى ان قرر المجمع اللغوي حذف الالفاظ الجنسية من المعاجم العربية في النصف الاخير من القرن العشرين (١٩٧١/٢/١٨) ، ولعل اطلاعنا على اعترافات بعض اعضاء المجمع اللغوي من الادباء واللغويين يكشف عن سر امثال هذه القرارات ، ويثري الادب والنقد الادبي في هذا المجال .

عبد الفتاح عيد

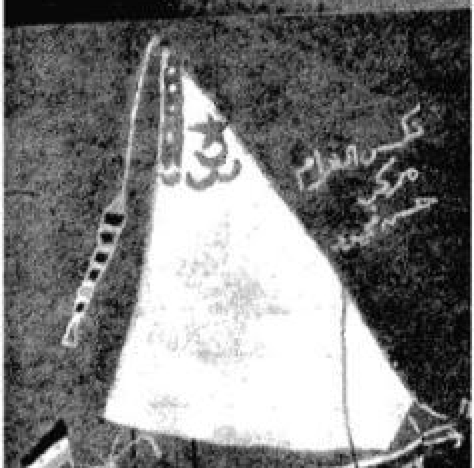
الرسوم الشعبية في مصر

منزل من وادى العرب بالنوبة
القديمة عليه رسوم شعبية زخرفية









تخطيط شعبي فرعوني لاثنين يتصارعان « المتحف المصري » ...

●

تاكسي الغرام .. رسم شعبي حائطي من النوبة القديمة لرسامة شعبية سجلت فيه احدى ذكرياتها

الرسوم الشعبية في مصر

لم يترك المصري فرصة على مر العصور الا وانتهزها ليعبر من شعوره واحساسه بالبيئة التي تحيط به .

ومنذ عشرات الالوف من السنين ترك الرعاة والصيادون على الصخور رسوما شعبية ، تمثل اشخاصا وحيوانات

اهم ما في هذه الرسوم التعبير الصادق بخطوط بدائية بسيطة .

وعلى كلا جانبي مجرى النيل في مصر العليا واسوان والنوبة تمتلىء الصخور برسوم غائرة للغزلان والزراف

والماعز والكباش الجبلية وحتى الافيال والحمير الوحشية ورسوم للصيادين يصطادون هذه الحيوانات ومعارك بين

الاشخاص ومراكب يستقلونها للصيد او الترحال من شاطىء لشاطىء .

هذا في عصر ما قبل التاريخ اما عصر ما قبل الاسرات فنجد الرسوم الشعبية على الأواني الفخارية ملونة باللون

البني وتمثل اشخاصا ومراكب ونباتات وحيوانات مختلفة منها النعام وفرس النهر والتمساح والغزال والارانب

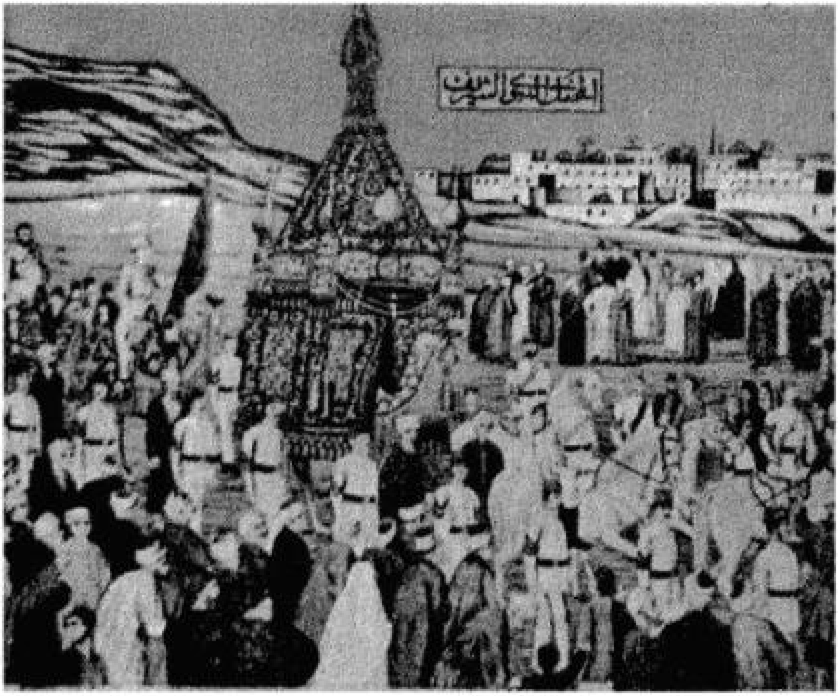
وبالتحف المصري ومتاحف العالم الكبرى مجموعة كبيرة منها .

وفي العصر الفرعوني نجد الفنان الشعبي يسجل اعماله على قطع صغيرة من الحجر او الفخار (الشقف) وعلى

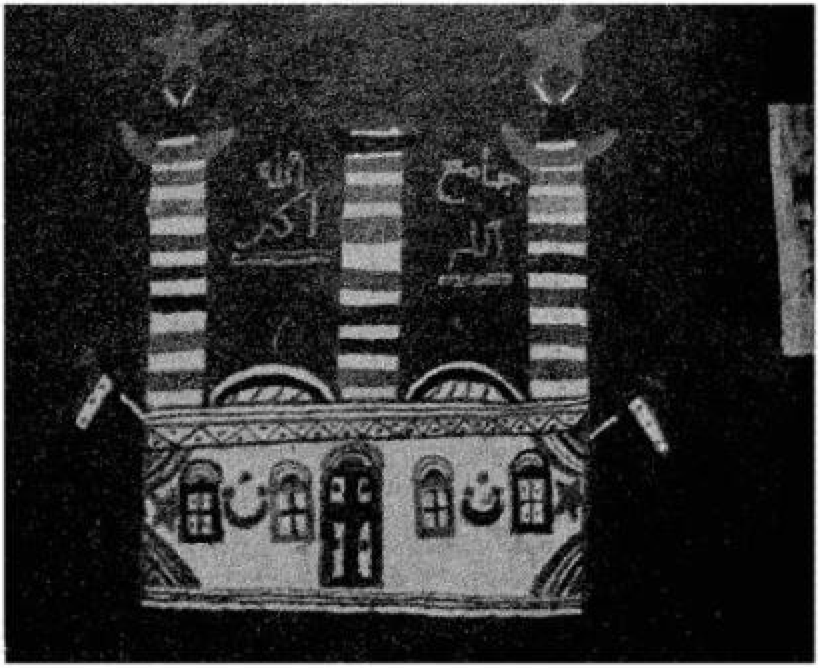
اوراق البردي رسوم شعبية هزلية مثل الاسد يلعب الشطرنج مع الحمار الوحشي او قط يرعى الأوز وفي

المتحف القبطي بالقاهرة رسم شعبي طريف ملون على الجص (الفرسك) من العصر المسيحي المبكر يمثل

مجموعة من الفئران ترفع راية بيضاء تطلب الهدنة من القط الواقف امامها .



المحمل من الموضوعات الشعبية التي رســـمها الفنان الشعبي ..



رسم من منزل نوبي من «ابي هور» لمسجد بثلاث مآذن ..

يمكن تقسيم الرسوم الشعبية المعاصرة فى مصر الى قسمين :

القسم الاول :

رسوم شعبية منفذة على مشغولات تشكيلية مثل ملابس السيدات فى النوبة والواحات او على الاوانى الفخارية (قلة السبوع) أو السلال المصنوعة من سعف النخيل أو الحصير المصنوع من السمار وغالبا ما تكون هذه الرسوم أساسها زخرف من وحدات نباتية او طيور او اشخاص فى اضيق الحدود .

والقسم الثانى : وهو الذى يهمنا وهو عبارة عن الرسوم الشعبية المرسومة على جدران البيوت او فى صور المطبوعات التى تعلق على الحوائط او تعرض فى صندوق الدنيا (السفيرة عزيزة) أو رسوم الوشم .

الرسوم الشعبية فى النوبة

تعد منطقة النوبة القديمة من اغنى مناطق العالم بالرسوم الشعبية ومن الاسف ان هذه الثروة الفنية القومية تركناها للقدر وبدون دراسة أو تسجيل ولكن لنا عزاء فى النوبة الجديدة فملكة الفن المتاصلة فى نفوس النوبيين والتى ورثوها عن المصريين القدماء بدأت تستيقظ ثانية بعد التهجير واخذت الفنانات الشعبيات يزين بيوتهن من الداخل والخارج . ومن النادر ان تجد منزلا فى النوبة القديمة لا تزينه الرسوم الشعبية ؛ ويمكن تقسيم هذه الرسوم الى ثلاثة أقسام .

القسم الاول : الرسوم الحائطية فى المنطقة التى كانت واقعة بين الشلال جنوب اسوان ومنطقة المضيق (منطقة الكنوز) واهم قراها « **دهميت** » و « **ابو هور** » و « **قورتة** » و « **امبركاب** » و « **كلابشة** » و « **ماريا** » و « **مرواو** » و « **الدكة** » وتمتاز هذه الرسوم بالانطلاق بدون حدود فالفنان الشعبى وغالبا ما تكون آنسة او عروسا جديدة تسجل فى المناسبات السعيدة على واجهة منزلها وعلى ارضية بيضاء وحدات غير مرتبطة ببعضها مثل السيف والزير والراديو الترانزستور وباقات الزهور وأدوات شرب الشاى من مائدة وموقد البترول والبراد والاكواب والقوارب الشراعية والبواخر فى النيل خصوصا باخرة البوستة السودانية وبعض الاشخاص والطيور والحيوانات وسجادة الصلاة والمسجد أو المئذنتين (للحسن والحسين) والفنانة الشعبية تسجل واجهة المسجد بنسب صحيحة وتزينه من الخارج ولكنها تسجل بعض التفاصيل داخل المسجد وكأنها ترسم نطاقا هندسيا لتظهر سلم

المثلثة وزير الماء للوضوء وهذا نجده فى بعض الرسوم المصرية القديمة عند رسم صوامع الغلال أو البيوت فى مصر أخناتون .

والمنطقة الثانية : منطقة العرب بين الضيق وتوشكا ومن قراها «القرية السبوع» و « **شاطرمة** » و « **المالكى** » و « **المشقارى** » وتمتاز رسومها الشعبية على واجهات المنازل وداخلها بالوحدات الزخرفية المكررة وقد نجد جميع بيوت القرية بلا استثناء مزينة برسوم متشابهة أساسها الزهور والاشجار والبط فى الماء والعقرب والاشخاص على ارضية صفراء أو بلون طمى النيل بينما الرسوم بيضاء او بالعكس والمهم ان هذه الثروة التشكيلية الشعبية رسمت بوسائل بدائية جدا بقطعة من جريد النخل باخرها قطعة من القماش بدلا من الفرشاة !!

وفى هذه المنطقة ايضا يزين مدخل البيت برسوم ملونة تقليدا للقيشانى بل ترسم فى بعض الاحيان ارضية المنزل بالالوان تقليدا البلاط الملون الذى يتعذر الحصول عليه !!

والمنطقة الثالثة : هى المنطقة الاخيرة القريبة من الحدود السودانية ومن قراها « **توشكا** » و « **ابو سمبل** » و «**بلانة** » و « **ادندان** » وتختلف الرسوم الشعبية فى هذه المنطقة من المناطق الاخرى فالروح الافريقية تغلب على رسومها التى غالبا ما تكون وحداتها زخرفية أو بها رسوم للتمساح والاسد والبجع وفى داخل البيوت وفى غرفة الجلوس اليومية (الديوان) رسوم شعبية منفذة على الجص بطريقة الحفر الغائر أو ملونة بألوان زاهية فيها شبه كبير بالاساليب التى كانت متبعة بالمقابر المصرية القديمة والافريقية الرومانية ، ورسوم الاسدين المتقابلين هى الوحدة الثابتة فى هذه الرسوم الشعبية .

الرسوم الشعبية فى وادى النيل والواحات

تتشابه الرسوم الشعبية الحائطية فى جميع وادى النيل سواء فى اقاصى الصعيد أو فى الدلتا او فى القاهرة وضواحيها وكذلك فى واحتى الخارجة والبحرية فالموضوع الاساسى فى هذه الرسوم هو الحج بمراسيمه المختلفة ووسائل المواصلات التى يستخدمها الحاج لكى يقوم بتأدية فريضته ، وتختلف هذه الرسوم عن رسوم النوبة فى انها مترابطة وتكون موضوعا واحدا متصلا ببعضه ومكملا له فهذه الرسوم تحكى قصة متسلسلة فقط يختلف الفنانون الشعبيون فى الاداء والتنفيذ كل حسب ذكائه وقوة ملاحظته فمثلا باخرة الحجاج ترسم فى الصعيد بطريقة عجيبة تخالها



حيات وحجلات وأسماك وزهور
وطيور رسمها فنان الوشم ..



رسم ملون للفنان
زخرفية لها معنى خاص

سفينة بخارية كاملة لا ينقصـــها شيء حتى القبطان يرتدي زيه الخاص وينظر في منظاره المكبر .

والفنان الشعبي متطور فحاليا اختفت الجمال والمحمل لتحل محلهـا الباخرة واخيرا شاهدت في الصعيد وفي البر الغربي للاقصر الفنان الشعبي يرسم طائرات ضمن رسوم الحج بل شاهدت رسما هناك لطائرة هليوكوبتر !! وربما كانت قوة ملاحظة الفنان في الصعيد ودقته في الرسـم ترجع الى عامل الوراثة فأجداده هم الذين رسموا المقابر الفرعونية القديمة ..

اللوحات الفنية الشعبية

من النادر أن نجد بيتا من بيوت الريف في مصر لا تعلق على جدرانه آية قرآنية مكتوبة بخط جميل أو رسم من الرسوم الشـــعبية المطبوعة مرسوم فيه بطل من الابطال امثال ابو زيد الهلالي سـلامة أو الزناتي خليفة أو حتى صورة ملونة من مجلة فيها منظر او فتاة جميلة فالمصري مهما كانت ثقافته يتمتع بحاسة التذوق

والصور الشعبية المطبوعة والمرسومة بأيدى فنانين شعبيين تجد رواجا كبيرا في الريف وبين أوساط العمال ولها تأثير كبير في النفوس وهي تعبير صادق لما يتخيله الفنان الشعبي من احداث الاقاصيص والحكايات سواء ما كان منها واقعيـــا أو خرافيا وهذه الصور الشعبية اما أن تكون لمواضيع دينية مثل المحمل والكعبة والحرم النبوي والبراق أو مواضيع تمجد البطولة والشهامة العربية مثل المعارك الحربية ومبارزة الفرسان على ظهور الخيل ومحاربة الجان والانتصار على الوحوش أو استئناسها . والفنان الشعبي يعطى لكل موضوع بطرقه تأثيره الخاص فمثلا الموضوعات الدينية يحاول أن يضفى عليها المهابة والجلالة بينما موضوعات البطولة والشجاعة يعطيها طابع الجد والخشونة

ومن اشهر الموضوعات التى طرقها الرسام الشعبي صورا تظهر البطولة والشجاعة لاصحاب السير الشعبية امثال « ابو زيد الهلالي والزناتي خليفة وعنتره بن شداد اخوه شيبوب وابنة عمه عبلة» والاحداث التى مرت بالجزيرة العربية في الجاهلية وما بعدها وكلها كانت الهاما للفنان الشعبي ترجم اهم موضوعاتها التى تهمه وحولها الى رسوم تعبيرية بقدر ما اسعفه خياله الخصب

ورسوم هؤلاء الابطال غالبا ما تكون من فارسين متقابلين متقلين بالملابس التاريخية والخوذات الفولاذية والاسلحة المختلفة كل منهما يركب حصانا أو فرسا معلهما مع

ابراز ملامح وجه كل فارس والمبالغة فى اطالة الشوارب وتوسيع العيون ولا مانع من أن يتشابه فى الوجه الغريمان . وبدون اى تعبير فى الوجه نجد الفارس الغالب والمغلوب وكأنهما ينظران الى الرسام حتى ولو كان احدهما قد اطاح بسيفه براس غريمه فكلاهما ينظر ايضا الى الرسام . وهناك ظاهرة اخرى فى هذه الرسوم الشعبية وهى أن الفنان يرسم شخصية البطل الشعبى اكبر من بقية الشخصيات الاخرى غير الهامة فى الصورة مثله فى ذلك مثل الفنان المصرى القديم حينما يرسم الملك او أى شخصية عظيمة اكبر من بقية الشخصيات الاخرى ..

ولو تغاضينا عن بعض الاخطاء الفنية والتاريخية فى هذه الرسوم الشعبية فى الازياء والمبانى فان النتيجة النهائية لهذه الرسوم تمتاز بالاصالة والذكاء وحسن التصرف والتعبير التلقائى الذى هو اهم مميزات الفن الشعبى

رسوم الوشم

عرف الوشم من قديم الزمان ولا يزال حتى الان يستخدم فى بعض البلاد والى وقت قريب كان رسامو الوشم فى مصر يظهرون فى الاسواق وفى الموالد والاعياد ومعهم لوحات ملونة كعينات مرسومه على الزجاج وموضوعة فى اطارات كى يختار طالب الوشم ما يريده منها .

ورسوم الوشم فى مصر نوع فردى عبارة عن رسم لنخلة او اسد فى يده سيف او حية او ثعبان او عصفورة وهذه الرسوم كانت تنقش على الصدغ بين العين والاذن او فوق الصدر او الذراع أو اليد ونوع آخر يكون موضوعا متكاملا يحكى قصة او يرمز لفكرة معينة مثل الحمل والجمل او السقا أوفتاة تحمل جرة او أسدين او غزالين متقابلين علاوة على الطيور والاسماك والزهور .

وفنان الوشم يكون من هذه الموضوعات لوحات ينقشها على الصدر فى تناسق عجيب بلون واحد هو اللون الاخضر او بدرجات من نفس اللون وبآلة خاصة تترك اثرا على الجلد لا يمكن محوه الا بالمواد الكاوية بعد أن يترك تشويها يصعب ازالته

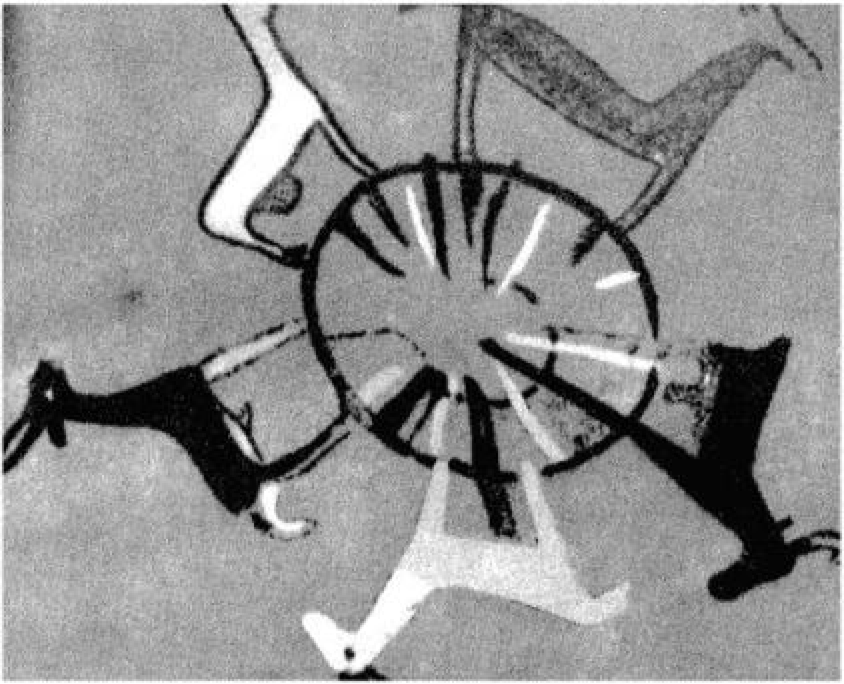
وقد كان للوعى الثقافى فى الريف المصرى اثر كبير فى انقراض رسوم الوشم واصبح فنانو هذا النوع من الرسوم لا يتعدون أصابع اليد الواحدة ، وهذه الرسوم وأن كانت قد أوشكت على الزوال من ريفنا فانها ما زالت مستعملة للآن فى دول أخرى افريقية وآسيوية بل وأوروبية أيضا والاختلاف فقط بين رسوم الوشم فى البلاد المختلفة هو اختلاف التقاليد الفنية الشعبية لكل بلد فلكل فنان شعبى انطباعاته وأساليبه المكتسبة من بيئته ومن تراثه ومن مقدرته الشخصية على التعبير

«الزير سالم» يركب الاسد و «الجساس بن مرة»
يقتل «كليبا» وجميعهم ينظرون الى عدسة المصور!





« دياب بن غانم » يصيب عين « الزناتي خليفة » في معركة من معاركهما



اقدم رسوم شعبية ملونة فى مصر تمثل صيد الغزلان بالفخ من حوالى ٧ آلاف سنة « منطقة الكاب فى مصر العليا »

« البراق » من اكثر الموضوعات التى سجلها الفنان الشعبى فى مصر



رسامة شعبية نوبية تزين
حائط منزلها وتستعمل في
الرسم فرشاة بدائية عبارة
عن قطعة جريد في آخرها
لفافة من القماش . . .

« السلطان حسن » يهزم « علقمة » وزير الملك « هرقل » ..





د. نظمى لوقا

عندما لم يكن للبشر



« الانسان مولود المراة ... »
هكذا تقول عن الانسان بعض أسفار التوراة .

وهكذا ايضا يقول عن الانسان اهالى جزر « التربرياند » التى تقع الى الشمال من غينيا الجديدة ، ولكنهم - والعهدة فى ذلك على « مالينوفسكى » عالم الانتروبولوجيا الكبير - يقولون ايضا عن الانسان شيئا آخر يخرج بصفة « مولود المراة » عن المعنى الذى تقصده أسفار التوراة ، واقصده - أو افهمه أنا وأنت . أو عن المعنى الذى قد يعنيه شخص غير عف اللسان حين يرمى شخصا آخر بانه « ابن امراة » أو « ابن امه »

آبـــاء

■ ففي جميع الأحوال – المهذبة وغير المهذبة – نعرف ونعترف بأن الإنسان « مولود المرأة » حقاً وصدقاً – أيمكن أن يكون في هذا مراء ؟! – ولكنها لا تنفرد بتكوينه وإعداده للوجود ، بل إن « مشيئة » الرجل – أي فعله الجسدي الحميم المباشر – لازم حتماً لإتمام هذه المعجزة الحيوية المألوفة التي نسميها إنجاباً .

أما أولئك الناس – أهالي جزر التروبرياند – فيعتقدون أن الإنسان مولود المرأة وحدها ، على وجه الحصر والقصر وبدون مشاركة من الرجل أياً كانت المشاركة . ولك أن تسمي هذه المشاركة من الأسماء ما شئت . سمها بالتورية المهذبة «مشيئة الرجل» أو سمها بالتعبير الصريح المسفر « فعل الرجل » وسواء عليك حدث هذا الفعل بعقد زواج أو بدونه ، فلا شيء من هذا كله ذا صلة بالإنجاب !

ولا تحسبن هذا الاعتقاد عندهم خصيصة يمتاز بها لديهم الأفذاذ أو الأنبياء ومن إليهم ، بل هذه عندهم صفة البشر كافة ، وسنة الطبيعة التي لا يمتاز بها أحد دون أحد ، ولن تجد لسنة الطبيعة عندهم تبديلا !

والمسألة ليست طرفة أو آية جنون عند هؤلاء الناس . فلو كان الأمر كذلك لما كان خليقاً أن يعنينا . ولكن «المسألة» أخطر من هذا – ولك أن تسميها « المصيبة » إن شئت ! – ذلك أن نخبة من علماء أصول الثقافات القديمة يقولون إن **هذا المجتمع البدائي الذي ظل على حاله حتى العصر الحاضر إنما هو « حفرية » حية تخلفت من حالة كانت عليها البشرية برمتها منذ ألوف وألوف من السنين لا يعلم عددها إلا الله ويقولون أيضاً إن أجدادنا في فجاج هذا الكوكب كله هكذا كانوا . ثم طرأ التغير والتطور عليهم . ولبث أبناء عمومتنا هؤلاء في تلك البقعة المنعزلة على حالهم ، علامة باقية على ما اندثر من حالتنا العتيق وأصلنا السحيق .. فسكان البشرية كلها – في رأي أولئك العلماء – كانت كلها بغير آباء ..**

وبهذا الاعتبار يستحق أبناء عمومتنا هؤلاء أن ننظر في أمرهم ، وكأننا ننظر في مرآة لنرى ما غبر من أرومتنا ، قبل أن تتداركنا سنة التطور ، حتى صرنا في حال شديدة الاختلاف عن حال أولئك الأسلاف ، وحتى صرنا نعتقد أن ما نحن عليه إنما هو فطرة ليس عنها محيص وفي مرآة السلف محيص عنها – وأي محيص ! – يبتعد من النقيض إلى النقيض ..

فهؤلاء إذن ربما كانوا صورة لما كان عليه البشر في حقبة سحيقة ، حين كانوا ذوي أمهات معلومات ، ولم يكن لهم آباء معلومون ، ولا غير معلومين .. ولله في خلقه شئون !

الأم تحبل . وتكفل أبناءها ، وترعاهم الخاص . فنعم . كل هذا مشهود معلوم غير مجحود . ولكن الشأن في هذا شأنها وحدها . وليس لما تكون بينها وبين الرجال من أفعالها إليهم والفعالهم إليها شأن بكل هذه الأحداث .

ويعجب العلماء والباحثون لهذا « التصور » الغريب ، ويأخذون هؤلاء

الناس بالحيلة ، ويمامارتهم على قدر عقولهم ، ويستجوبون الكبار ليروفسون او يتبالهون ، ولا يكون حظهم مع من يتالقون قلوبهم من الصبيان خيرا من ذلك فالدهشة البالغة بادية على وجوههم من اسئلة هؤلاء العلماء ومن طريقة تفكيرهم الغريبة .

ـ من ابوك ؟

ـ ابى ؟ وما معنى « اب » هذه ؟

ويجتهد العالم فى الشرح والتبسيط ، لقرب الامثال ما وسعه أن يقربها ، مستعينا بما تعلمه من لغة القوم ، وما اسعفته به الاشارات والحركات والمحاكاة بالاصوات . واخيرا يفتح الله على صبى منهم فيصيح :

ـ آه ! تعنى زوج امى ؟ الرجل الذى ينام مع امى ؟ لماذا لا تقول هذا ؟ ولماذا تسميه هذا الاسم الغريب ؟

وهكذا يدرك العالم الجهبذ أن معنى الابوة برمته ليس له وجود عند هؤلاء الناس . وان علاقة السببية بين ممارسة الجنس والحمل لا وجود لها فى روعهم على الاطلاق .

وقد بلغ من امرهم أن رجلا منهم خصى كل الذكور فى قطيع خنازير يملكه كى تسمن وتكثر اللحم والشحم ، ولم يترك منها ذكرا واحدا معفى من الخصاء ثم راح يعجب كل العجب ويشكو مر الشكوى لان النسل فى قطيعه توقف . ونشد ساحرا يفك من القطيع هذه اللعنة !

وسقط العالم الكبير رجلا كان يعاشر التجار البيض ويخدمهم منذ سنين طويلة فتعلم لغتهم . وكانت فيه فطنة وبراعة فى امور الحساب والتجارة . وجعل يستدرجه ويحاول ان يدخل فى رأسه العلاقة بين نزو ذكور الخنازير على اناثها وما يكون على اثر ذلك من حملها ، فهز الرجل رأسه وقال :

ـ طبعا . طبعا . هذا معروف ..

واستبشر العالم خيرا بنجاح جهوده وتنوير ذهن صاحبه فقال :

ـ مادام الامر كذلك ، فممارسة الجنس بين الذكر والانثى من الخنازير هى السبب فى الحمل والنسل ..

وهنا وقف حمار الشيخ فى العقبة !

وعادت البلادة الى سحنة الرجل . واصر على انه لا يفهم . وان هذه « الحكاية » لايمكن ان تكون سببا فى اى شىء : **بل هى على الارجح مسالة مزاج ولذة عارمة كما هو الحال عند الرجال والنساء !**

وتذرع العالم الجليل بالصبر ، وانتقل من الخنازير الى الرجال والنساء لعل المسألة تزداد قربا من ذهن هذا الصاحب العنيد ..

ـ والرجال والنساء يا صاحبى ... ما بال المرأة لا تحبل وتلد الا بمعاشرة رجل ؟

وهز الرجل رأسه رثيا لغباء هذا الاوربى وقال :

ـ ابدا .. كثيرا ما تحبل المرأة وتلد هكذا .. من غير معاشرة رجل ، لان معاشرة الرجل ليس لها بهذا شأن .. فانا مثلا التحقت ذات مرة بالعمل عند تاجر ابيض ورحلت معه فى تجارة له ولبثت اكثر من عامين فى جزيرة اخرى ، وعدت لاجد زوجتى انجبت طفلا جميلا منذ شهر ، فرحت به كثيرا .. وغيرى كثيرون والاهم مثل حظى هذا السعيد ! فالمسألة كما ترى ارزاق وحظوظ !

ونترك هذا الحوار الطريف لنعود اليه بعد حين ، ربما نحيط ببعض غوامض هذه الامور

***

والحقيقة ان علاقات الرجال والنساء وممارسة الجنس وصلات القرابة فى تلك الجزر عجب فى عجب ، فهى تختلف فى كل شىء عما نعرفه ونألفه . ولكن لها « نظمها » المقررة التى تنزل منهم منزلة الحقائق الراسية رسو الجبال !

الام هناك اساس القرابة الوحيد . وهذا بديهى لانهم لا يعرفون ما الاب وما الابوة . فالاطفال جزء من لحمها ،



وهم من لحمها خرجوا . واولادها اخوة واخوات ، لانهم أجزاء من لحم أم واحدة . وآلهم آل أمهم ، فاخوها خالهم وولى امرهم الاوحد . واختها خالتهم ، وهكذا .. اما ذلك الرجل الذى يعيش معهم فى البيت وينام مع امهم ، ويلاعبهم ويدللهم ويسهر معهم ويعنى بأمر نظافتهم فهو انسان لطيف ودود، ولكنه غريب عن أسرتهم ، وينتمى الى اسرة خاصة به ، هى اسرة امه واخته . ولا سلطان له على زوجته او اطفالها . وانما هو عشير كالضيف الدائم ، يجب ان يتحلى بالدماثة واللطف لتطيب اقامته وتحمد عشرته ، والا كان جاحدا !

منذ الطفولة الاولى يجد الطفل نفسه محل تدليل بغير حدود . فالبيت خال من مصدر للسلطة . لان الرجل الذى يعاشر امه غريب عنها وعنه ولا سلطان له عليهما . وانما هو مدين لها بالخدمة، وما تتيحه له كل ليلة من ممارسة الجنس . ثم هو لا يعولها الا بهدايا اختيارية . اما ولى امرها الاوحد ، وعائلها المسئول عنها وعن ذريتها فهو اخوها الذى يعيش فى قرية اخرى ؛ واختلاط الاخوين محرم ، فهى لا ترفع الكلفة معه ، ولا يتخاطبان برقة وحنان. بل كلما لقيته انحنت امامه كما ينحنى افراد الرعية للرؤساء . وبهذا البعد نفسه يشب الصغار بعيدين تماما عن كل سلطان او رقابة .

ومنذ الثالثة من عمرهم ينطلق الاولاد مع لداتهم ، وتنطلق البنات مع لداتهن. ولكن مع مراعاة انفصال الاخ عن اخته تمام الانفصال فى اللعب منذ تكوين المجموعات المختلطة من الجنسين ، رعاية للاحتشام الصارم بين الاخ والاخت. ولان اللعب منذ هذه السن الباكرة يدخل فيه عنصر العبث الجنسى بصورة واضحة ومطلقة ! وفى هذه المرحلة تتولى الاكبر سنا « ترشيد » الناشئين ..

وطبيعى انهم فى هذه المرحلة ـ كما يقول مالينوفسكى ـ عاجزون عن ممارسة الفعل الجنسى كما يجب ، فيكتفون بكل انواع العبث الجنسى المتاح لهم بكل الصور بغير تحرز او تمويه . ومن اهم هذه الالعاب لعبة « العروسين » ، فيشيد طفل وطفلة مأوى صغيرا بدعوانه بيتهما ويتصرفان فيه لممارسة الحياة الزوجية ، ومن اهم جوانبها طبعا الممارسة الجنسية على قدر استطاعتهما. اما بالنسبة للكبار قليلا ـ من سن السادسة لما فوقها ـ فمن المألوف ان تقوم كل جماعة برحلة صيد، وتكون المتعة الاساسية فيها الطعام والمصارعة وممارسة الجنس بانطلاق عفوى . ومنذ

تلك المرحلة تبدو اللذة الحسية الفجة غير كافية للطرفين ، وتبدأ عمليات التخير والاستلطاف والروابط الرومانسية تتداخل في نسيج هذه الالعاب والاتصالات الجنسية المبكرة .

واهم ما يلاحظ أن الاهل يتركون لهم الحبل على الغارب ، ويأخذون مايحدث مأخذ الامر المتوقع الذى لا غبار عليه . وقصاراهم ان يتندروا بما يكون من تخبطات الصغار وما قد يتفق في علاقاتهم الغرامية من مآس او مضحكات . ولا يخطر لهم مطلقا ان يتدخلوا أو يعبسوا في وجوههم ، شريطة ان يلتزم الصغار بالاحتشام الواجب فلا يمارسون الجنس في بيت الأسرة ، بل في اى مكان بعيد حيثما اتفق لهم ذلك في الغابة الترامية .

وفيما بين التاسعة والخامسة عشرة يدخل الطفل تدريجا في المراهقة . ونقول تدريجا لان النشاط الجنسى التام يبدأ قبل المراهقة ، وتأتى المراهقة من غير ان يشعر بأنها طرأت عليه بشكل حاسم ، وتحدث تغيراتها بصورة طبيعية .

وفي هذه المرحلة ايضا يبدأ اهتمام الفتى والفتاة بالواجبات الاجتماعية والاضطلاع بمسئولياتها ، والاستقلال تدريجا بالرزق عن الاسرة الاصلية .

وبطبيعة الحال تزداد صرامة الفصل بين الاخ واخته المحرمة التها عليه مع اكتمال الحافز الجنسى . وامعانا في هذا الفصل انيمت « بيوت الشباب » وهى بيوت خاصة تقيم فيها مجموعات تنضم الى كل منهم حبيبته . وليس من الضرورى أن تكون الحبيبة دائمة ، فالتبديل او التجريب قائم على قدم وساق ، الى ان يسكن كل الف الى الفه سكونا نهائيا .

وتبيت الفتاة المراهقة في هذا البيت او ذاك ، متنقلة بين طالبى قربها ، اللهم الا في ايام حيضها ، فتلك تقضيها في بيت امها . وكذلك الليالى التى لا تكون فيها مطلوبة هنا أو هناك . واما النهار فيقضيه الفتى في تعلم الصيد او المساعدة في الزراعة مع خاله . والبنت تساعد امها ..

ويبلغ الفتى الحلم رسميا ، ويحين ان يأخذ وضعه الاجتماعى في العشيرة — عشيرة خاله — ولا يمكن ان يتم له ذلك ما لم يتزوج . وتكون علاقة الالفة والسكن النفسى قد توطدت غالبا بينه وبين احداهن . ولما كانت كل امور الجنس الخاصة بالفتاة محرمة على محارمها، من اخوتها وخالها، فلا يبقى الا « زوج الام » . وهذا هو الواجب الوحيد الملقى عليه : أن يزوج ابنة زوجته — التى لايدرك انها من صلبه فعلا — ويلقاه الخاطب ويفضى اليه بقصده ، ويهش له الرجل :

— انت تنام معها الآن ؟ واستطبت



ذلك ؟ عظيم ! وتريد ان تتزوجها ؟ تزوجها الان !

ومن المفارقة — في نظرنا لا في نظرهم! — ان الفتاة ان اتفق ان حملت قبل الزواج ، كان ذلك عندهم مكروها !

وقد حدث لبعض أصدقاء عالم من الباحثين ان حبيبته الجبت انادعلاقتها الطويلة به ، فتركها بغير تردد ! ولما سأله الباحث عن السبب :

— اشككت في ولائها لك ؟

— اطلاقا ! فانا اعلم انها لم تمارس الجنس مع غيري . وهي لاتزمني كظلي!

— لماذا تركتها الان ؟

— لان « الارواح » اعطتها وليدا وهي غير متزوجة . اي انه ليس هناك من يدلل طفلها ويعنى به . مما يدل على ان الارواح ساخطة عليها وتريد احراجها !

ومن باب « الارواح » بدأ الباحثون الامائل يفهمون « الفولة » في موضوع التناسل !

فالاطفال عند هؤلاء الناس انما هم « ارواح » الاسلاف والاقارب المنتقلين الى العالم الاخر ، تندس في رحم المرأة كي تعود الى الحياة في صورة جديدة !

ولذا كان الباحثون يسألونهم :

— ايمكن للعذراء ان تحبل ؟

ويضحك الاهالي من سذاجتهم ويقولون :

— العذراء العذراء ؟ طبعا لا ! وكيف يمكن هذا ؟

— فالرجل اذن ضروري للحبل !

— ليس ضروريا على الاطلاق ! بل يكفي جدا ان تفض بكارة الفتاة باي وسيلة، ولو بان تتعرض اثناء استحمامها في البحر لاندفاع تيار شديد من الماء . او أن تعبث في جهازها التناسلي باصابعها ، كما تفعل بعض الفتيات القبيحات الشكل ممن لا يجدن عاشقا . وبذلك يغدو الباب مفتوحا امام اي « روح » تريد التسلل في اي وقت الى رحم المرأة !

ويحاول الباحث المتميت ان ايتورد ذهن البدائي بشيء من العلة والمعلول ، والسبب والنتيجة :

— الم تلاحظ تعاقب حبل الخنزيرة كلما نزا عليها الذكر ؟

— هذه مجرد وسيلة لتوسيع المدخل امام ارواح الخنازير الميتة كي تندس في رحم الخنزيرة وتعود الى الحياة في صورة صغار الخنازير !

ثم انتفض البدائي « الواعي » نحو الباحث « الغافل » وقال له بلهجة فيها الكثير من التأنيب ونفاد الصبر :

— عجيب أن تحدثني في هذا الامر عن سبب ليس سببا على الاطلاق ! الا ترى المرأة تمارس الجنس منذ صغرها كل ليلة ، وربما عدة مرات في كل ليلة؛ فيكون مجموع ذلك في حياتها عشرات الالوف من المرات ، ثم لا يتفق لها الانجاب الا آحادا من المرات متفرقات ، وقد لا تحبل طول عمرها اطلاقا ؟ فكيف يصلح المألوف جدا والمتكرر جدا سببا للخارق والشاذ ؟ الست معي في انكم قوم لا تعقلون ؟

***

مسألة اعقد من ذنب الضب ؟!

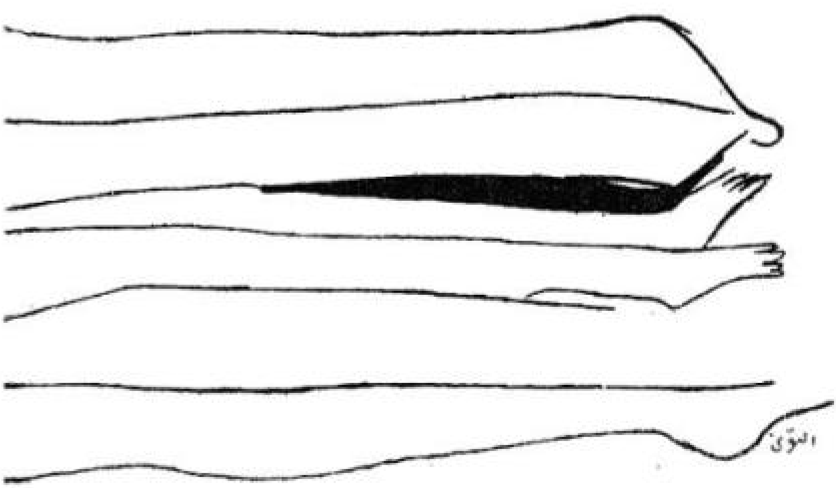
ومع هذا يقول علماء اجلاء ان ذلك كان حال البشرية جمعاء ، وان فكرة الاب بمعناها البيولوجي فكرة حديثة نسبيا ، ومن اختراع الحضارة المتطورة ..

ولكن هذه قصة اخرى !.

محمود البدوى

سونيا الجميلة

التقيت بـ «سونيا» لاول مرة فى بنك الصين . وكانت فى الصف عندما خرجت من فمى على سبيل السهو بضع كلمات باللغة العربية جعلت الموظف فى حيرة ، ولكنها ابتسمت وازالت حيرته بان ترجمت له الكلمات فى الحال الى اللغة الانجليزية . فحولت اليها وجهى فى دهشة . لان اول شىء خطر على بالى فى تلك اللحظة انها مصرية ووجود المصرية فى هذه المدينة نادر الحدوث . ويبعث على الدهشة . وددت لو اوجه اليها اول سؤال لاعرف حقيقة المسالة . ولكننى تباطات . وكانت هى اسرع منى فخرجت على عجل

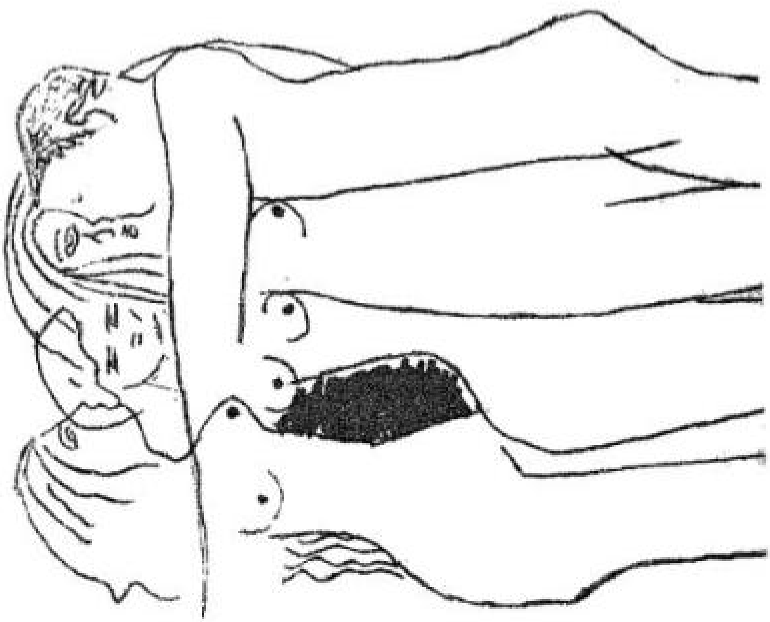


الرسوم بريشة : حلمي التوني

من الصالة بعد ان فرغت من عملها

لم رأيتها مرة اخـــرى واقفـــة على الرصيف فى « كولون » تنتظر مثـــل الباخرة التى ستعبر بها الخليج الى « هونج كونج » وكانت بصحبـــة رفيقـــة صينية فى مثل سنها ومع اننا كنا فى الطابق الاول من الباخرة ، لكنهما خرجتا قبلى مسرعتين على الكوبرى الخشبى . ولما استدارت لمحتها تنظر الى ناحيتى ولا ادرى اكانت تقصدنى أم تقصد شخصا اخر .

والتقيت بها بعد ذلك بثلاثة ايام فى « حـــدائق النمر » ب « هونج كونج » ، وكانت برفقة نفس الشابة الصـــينية . . وكانت



تبختران بين الاشجار كأجمل شابتين بين المروج. وانا وحدى اتسكع . . فرفت على ثغرها نفس الابتسامة التى رأيتها فى البنك . وسمعت صوتها وضحكتها ثم غابتا عن بصرى ..

وفى اللقاء الرابع وجدتها امامى فى الترام ذى الطابقين بشارع « هوليود » فى قلب «هونج كونج » .. وكأنى عثرت على شيء عزيز كان ضاع منى منذ سنين طويلة ووجدته فجأة . ولذلك تشبثت بها بقوة .. وحادثتها على التو باللغة العربية التى لا يفهمها احد فى الترام ولا فى المدينة .. وعرفتنى بأنها درست بقسم اللغات الشرقية بجامعة «موسكو » .. وزاد ذلك من سرورى ولا ادرى احساسها فى ذلك الوقت ولكننى شعرت عن يقين بعد ان نزلنا من الترام واخذنا نتهادى فى شارع « دى فو » بأنها استراحت للقائى الذى لم يكن على ميعاد . كما استراحت لصحبتى ..

وحدثتنى بأنها قادمة من « نيودلهى » وستمكث عشرة ايام فى « هونج كونج» وتسافر منها الى «بكين» وانها تنزل الآن عند الصديقة التى رأيتها معها من قبل ..

وقلت لها انى انزل فى فندق « شمروك » بشارع « نثان » واتمنى ان يكون منزل صاحبتها قريبا من الفندق لنتلاقى فى الايام القليلة التى ستقضيها فى « هونج كونج »

وعبرت لها عن بالغ سرورى لانى وجدت من يحدثنى بالعربية بعد غيبة ثلاثة اشهر عن القاهرة .. ويضاعف من هذا السرور ان تكون المتحدثة شابة جميلة ورقيقة المشاعر مثلها . واحمر خداها لهذا الاطراء ..

ولما كانت قد جذبتنى بروحها الجميلة وملامحها الشرقية وخجلها العذرى .. فقد حرصت على الا اجعلها تفلت من يدى بعد ان جمعتنا الاقدار لاول مرة فى صالة البنك ..

وكنا قد ملنا الى شارع « كوين رود » دون ان نشعر مستعرضين الحوانيت كسائحين متعطشين لكل ما تقع عليه العين فى مدينة الاعاجيب التى وطأتها اقدامنا لاول مرة ..

ووقفنا عند قاعة «كافيه دى بارى » .. فعرضت عليها ان ندخل ونستريح حتى يحين موعد لقائها مع صاحبتها الصينية التى سترافقها فى جولة ..

ووافقت وازحنا الستر ودخلنا فى مكان جميل هادىء .. وسمعنا ونحن نتقدم نحو المائدة التى اخترناها انغاما صينية خافتة استراحت لها حواسنا ..

وجلسنا الى مائدة واطئة وحولنا الستر الحريرية الحمراء عليها خيوط الذهب وشعرنا بالدفء والراحة بعد تناول قليل من الطعام وشرب الشاى .

واخذت احادث «سونيا» باللغة العربية الخالصة التى كنت استثقلها فى مصر ولكننى احببتها الآن من اجلها .. وقالت لى انها بعد عودتها الى « بكين » ستسافر الى موسكو . . وانها تعد دراسة عن الحالة الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة والهند بعد الحرب العالمية الثانية .. فهما دولتان ناميتان اخذتا فى التصنيع .. وابدت رغبتها فى زيارة القاهرة التى تحبها وتود ان تعرف الكثير عنها وسرها للغاية معرفة مصرى مثلى فى « هونج كونج »

وقرات فى عينيها السؤال عن السبب فى وجودى .. فقلت لها انى كنت فى زيارة اخى الاكبر الذى يعمل فى « بانكوك » والقريبى من « هونج كونج » وكنت اسمع عنها الكثير وجدتها فرصة سانحة لزيارتها .. ومهد لى اخى المال اللازم لذلك .

واصغت وانا احدق فى وجهها الجميل الساكن وفى بريق عينيها الخضراوين وفى الحمرة التى علت خديها

– ومادمت قد وجدت من يحدثنى بالعربية فسأظل فى « هونج كونج » الى ان تسافرى ..

– الا يوجد من يتكلم العربية هنا ؟

– ابدا .. ان هذا نادر .. يوجد من يتحدث بها فى القنصليات العربية الموجودة فى المدينة .. ولكننى ماجئت هنا لاذهب الى هؤلاء ! ..

وقالت بعذوبة :

– يسرنى الحديث بلغتك .. لانى تركتها مذ غادرت موسكو ..

ثم اردفت بحماسة :

– وكم انا فى شوق لزيارة القاهرة ..

فقلت لها ..

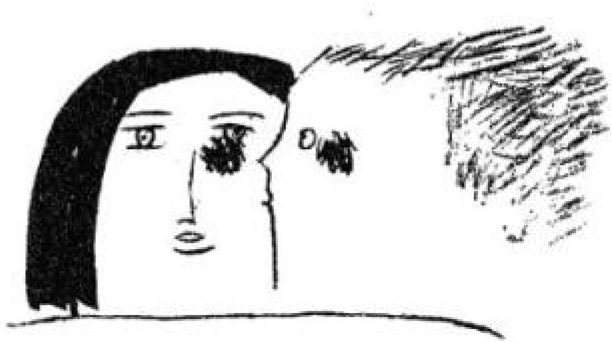
– يسرنى ان استضيفك اذا ذهبت الى هناك .. وستفرح بك والدتى واختى .. وهى فى مثل سنك ..

– شكرا .. شكرا ..

وكانت تكرر هذه الكلمة كثيرا .. بالتفخيم حتى كان قلبى يضحك .. ولم اكن وانا فى صحبتها اتصور انى بعدت عن القاهرة شبرا واحدا .. فقد كانت تنقلنى بملامحها وطباعها الى هناك ..

ولقد جذبتنى اليها بقوة المغناطيس .. والشابات اللاتى فى مثل سنها من الاوروبيات والامريكيات والاسيويات والافريقيات اللاتى كنت اراهن يتجولن فى شوارع « هونج كونج » فى مطلع عام ١٩٧١ كن يلبسن الميني جيب .. فى صميم الشتاء ..

اما هى فكانت تلبس جونلة تغطى الركبة وبلوزة صوفية تصل الى العنق .. ولم يكن فى وجهها غير زينة خفيفة . بل واقطع بانها لا تضع احمر شفاه على



سونيا الجميلة

الاطلال ..

ولكم تمنيت وانا احدق فى ثغرها لو لمسته بشفتى وذقت حلاوته على الطبيعة

وكان ميعاد صاحبتها قد اقترب .. فنهضنا .. ورافقتها الى الميناء .. ولما تقدمت الى الشباك لاقطع لها .. التذكرة وثمنها لا يزيد على قرشين .. اعترضتنى ورفضت بشدة .. ولكننى اخيرا تغلبت عليها ..

وقلت مازحا :

ـ انت مصرية ياسونيا

ـ وهل المصريات يفعلن ذلك ؟ ..

ـ اجل .. لهن نفس الطباع ..

وضحكت ..

ولما رست الباخرة هبطت اليها بسرعة .. والتفتت نحوى .. قبل ان تجلس على الدكة الخشبية .. وكنت لا ازال واقفا فى مكانى فحيتنى بيدها .. وقد وجدت فى هذه الحركة تحية ود جميلة ..

***

ومع انها اعطتنى عنوان المنزل الذى تقيم فيه وكان فى شارع « شتنهاى » بكولون ولكنى لم اجد فى نفسى الرغبة على قرع بابها ..

لتحفظها الشديد ..

وتركت يوما كاملا بنهاره وليله يمضى دون لقاء .. وحدثت نفسى بأنها اذا رغبت فى لقائى .. فمن السهل عليها الاتصال بى تليفونيا مادامت تعرف الفندق ..

ومر اليوم الثالث كله دون لقاء ايضا .. وان كنت قد ذهبت الى قاعة « الكافيه دى بارى » فى « هونج كونج » .. لعلى اجدها هناك ..

وفى صباح اليوم الذى يليه دق جرس التليفون فى غرفتى قبل ان اتناول الافطار وحدثتنى موظفة الاستقبال .. ان سيدة تنتظر فى بهو الفندق ..

فقلت للموظفة :

ـ اعطها رقم الغرفة لتصعد .. لاننى اتناول الافطار ..

فقالت :

ـ لقد اعطيتها الرقم يا سيد « حسن » ويبدو لى انها تفضل .. الانتظار هنا ..

فقلت للموظفة :

ـ اسمحى لى .. اعطها السماعة من فضلك ..

وجاءت سونيا على الخط ..

فقلت لها :

ـ انسة سونيا .. ارجو ان تصعدى .. فانا لم افطر بعد ..

ـ لا داعى .. لازعاجك .. وسانتظرك فى البهو حتى تفطر ..

ـ ولماذا تجلسين وحدك .. تعالى ..

ـ سأتحدث مع الموظفة حتى تحضر ..

ونزلت اليها قبل الافطار وانا مستاء قليلا من هذا التصرف .. لانى شعرت انها لا تثق بى .. ولكنى التمست لها العذر .. لاننا لم نتعارف بعد المعرفة التى توجب عندها هذه الثقة ..

***

ووجدتها ترتدى ثوبا بنفسجيا من الصوف ..



وتغطي شعرها بايشارب وفي قدميها حذاء اسود من جلد البقر .. وفوقه جورب وردي من النايلون جعل ساقيها اكثر جمالا وفتنة

وجلست بجوارها على كنبة مغطاة بحشيات من الحرير .. وانا ماخوذ بجمالها وبشرتها الناضرة

وطلبت من الساقية الشاي ..

فقالت بعذوبة :

ـ لا داعي له .. سنشربه في « هونج كونج » ..

ـ لم افطر .. وتركت الطعام على المائدة ..

ـ سنفطر في « هونج كونج » .. اريد ان اتسوق بعض الاشياء لاخي .. ورايت أن آخذ رأيك كرجل قبل شرائها ..

ـ وخرجنا من الفندق بعد الساعة التاسعة صباحا .. وكان الجو جميلا .. بعد مطر لم يدم طويلا .. والحركة في الشوارع على اشدها .. وكل شيء يتحرك بسرعة ونشاط .. السيارات الصغيرة والكبيرة .. والترام ذو الطابقين .. والرجال والنساء .. كل يتحرك في سرعة دافقة كانه في سباق . ومر بجوارنا تاكسي فاستوقفته ..

وقالت :

ـ المسافة قصيرة .. فلماذا لا نمشيها .. والجو فيه لسعة برد خفيفة احب ان اتحرك فيها ..

ـ انني جائع .. ولا استطيع المشي وانا جوعان !

واركبتها قبلي .. ولما جلست بجوارها ادركت ان التاكسي صغير جدا .. واكاد التصق بها .. وقهر عليهما الخفر ولزمنا الصمت .

***

وفي الباخرة التي اقلتنا الى « هونج كونج » جلسنا دون قصد على دكة خشبية بجوار فتاة صينية .. عرفتها بعد جلوسي وعرفتني .. فتجاذبنا الحديث لفترة قصيرة بالانجليزية .. فقد كانت مضيفة في الطائرة التي نقلتني الى « هونج كونج » ..

ولاحظت أن وجه سونيا احمر وانا احادث الفتاة ..

ولما خرجنا من الباخرة .. واصبحنا في شارع « دي فو » قاصدين المتجر

قلت لأزيل من راسها سوء الفهم ..

ـ الفتاة مضيفة ..

ـ مضيفة ؟ ! ..

ـ اجل .. وركبت معها الطائرة من « بنكوك » الى مطار « كاى تاك »

ـ وتتذكرك مع عشرات الاشخاص .. الذين كانوا فى الطائرة .. انها ذكية جدا ! ..

ـ لقد سافرت معها فى رحلة اخرى .. ولهذا السبب اعتقد ان صورتى فى ذهنها .. فلقد كنت المصرى الوحيد ..

ولم تعلب « سونيا » .. ومشينا صامتين حتى دخلنا المتجر ..

وصعدنا فى السلالم الكهربائية الى الطابق الرابع .. فى متجر « لين كراوفورد » ووقفنا امام فتاة صينية مليحة الوجه سوداء الشعر ترتدى معطفا ازرق ..

واستقبلتنا بالترحيب .

وخطر لها للوهلة الاولى ان « سونيا » زوجتى .. فاخذت تحادثها على هذا النحو .. وقدمت لها اجمل ما عندها من القمصان .. الارو .. والشابلون .. والبلوزات .. والكرافتات الحريرية ..

ولما انتقلنا الى قسم الجوارب .. رافقتنا .. اتدلتنا على الطريق وتقدمتنا الى الفتاة المختصة وهى تنحنى فى رقة اذهلتنى ..

ولقد اشتهيت هذه الفتاة بكل مفاتن جسمها اللدن .. وكل العذوبة والرقة والاشتهاء الصامت الذى وجدته فى عينيها ..

واشتريت اشياء كثيرة بارخص الاسعار اكراما لها .. كما اشترت سونيا ..

ولما اصبحت الربطة كبيرة .. فضلت البائعة ان يرسلها المحل على عنواننا حتى لا نتعب فى حملها ..

فسالت سونيا بالعربية :

ـ هل نرسلها على عنوان صاحبتك ؟ ..

ـ اجعلها على عنوان الفندق .. لانه اقرب ..

وفعلا كتبت عنوانى ..

وبارحنا المتجر والساعة تشير الى الحادية عشرة ..

وكان امامنا وقت طويل للتنزه قبل ساعة الغداء

فمشينا فى شارع « كوزواى بيى » نتسكع كما اتفق .. واستلفت نظرى صورة كبيرة « للولو بريجيدا » على باب سينما « كابيتال » اغرتنا على ان ندخل السينما ونشاهد الفيلم وكنا لم نر فيلما ايطاليا من مدة طويلة ..

وكان البلكون فى الدور الثانى فصعدنا سلالم خشبية مغطاة بالسجاد .. وخيل الينا والعامل يدلنا على مكان جلوسنا فى الظلام ان الصالة خالية من الرواد

وجلسنا نحدق فى الشاشة .. وكانت بعيدة جدا .. والسينما مع انها فخمة وانيقة ولكننا شعرنا فيها بالوحشة .. لشدة الظلام ورهبته .. ولان المقاعد التى حولنا وامامنا بدت خالية تماما . وغمرنا الاحساس المشترك بعد دقيقة واحدة من دخولنا ان السينما تشتغل لنا وحدنا ..

وكانت « لولو بريجيدا » .. قد نهضت من فراشها فى هذه اللحظة تتثاءب وهى فى قميص من الدانتلا السوداء يكشف كل مفاتن جسمها العاجى .. ويزيد من حلاوته .. ومرت علينا فى هذه الجلسة الشاحبة عشرون دقيقة واكثر . . ونحن لم نتبادل كلمة واحدة .. ولم اجرؤ فى خلالها على لمس يدها .. بعد ان وجدتها جالسة كالمتخشبة على المقعد ..

وملت عليها احدق فى عينيها واقول بصوت خافت فيه الكثير من عواطف القلب محاولا بذلك ان

سونيا الجميلة

احرك رمادها البارد ..

ـ الشعرين بالبرد ..

ياسونيـــا ؟ .. ابدا التكييف يعمل بحرارة ..

ـ هل اعجبك الفيلم؟.

ـ رائع .. ولكن يبدو انه بدأ من مدة ..

ـ سنبقى حتى نراه من اوله .. فالعرض مستمر

ـ هذا احسن ..

وامسكت بيدها .. بعد هذا الحديث .. ولمستها برقة .. فابقتهـا فى يدى لحظات ثم سحبتها ..

***

وشعرت من هذه الحركة ببرودة شديدة .. وتجمد فى الياف لحمى .. ودمى .. حتى وان كنت اتوقعها منها .. ثم تماالكت نفسى .. ولــم ار ما يدعو لان اعكر صفو الجلسة . . والرواية جميلة والممثلون يعزون الشاعر .. وخرجنا من السينما والساعة قد تجاوزت الثانية ظهرا ..

وكنت فى حالة اكتئـاب لم استطع ان اخفيها ولذلك سرنا فى الشوارع كزوجين مضت على زواجهما عشرات السنين فاصبحا جامدين صامتين .. لاتحركهما حتى الاعاصير ..

فقد كنت اتوق بحرارة الشاب وطبعه الى لمس يديها وشفتيها .. ولكنها قابلت كل ذلك بحماقة .. جعلتنى ابلد ..

ثم بعـد ساعة تاججت عواطفى من جديد ونسيت حماقتها فى الســينما .. وغفرت لها هذا التحفظ .

***

واصبحت فى كل ساعة تمر ازداد حبا لها وتعلقا بها .. فقد جذبتنى بكياتها كله وروحها العــذبة .. جذبتنى بشدة بشىء خفى لا اســتطيع تحديده .. فكنت احس بضربات قلبى كلما اطلت على بوجهها او سمعت صوتها .. او حتى ســمعت من بعيـد وقع اقدامها على درجات الفندق

ولم استطع تعليل هـذا الحب الجنونى .. ولقد شغلتنى بشمول كامل فى مدى اربعة ايام فقط من النساء جميعا.. فاصبحت متعلقا الى درجة كبيرة ..

وعجبت لنفسى .. وقد كان غرضى الاول من زيارة « هونج كونج » ان اغوص فى قلب المدينـة واختلط بكل اجناس النســاء .. وابدا بالانجليـــزيات لكن يتعالين علينا فى مصر بسبب الاستعمار الطويل .. اما هنا فنظرتهن تختلف تماما وفكرت ان التقى بواحدة منهن على التو لاحقق رغبة دفينة .. ولكن ســونيا غيرت مجرى سيرى وحياتى .. واستولت على روحى وجسمى .. تملكتنى تماما .. ولم استطع الى هذه اللحظة الفكاك منها ..

كانت فيها قوة خفيـة للاسر .. الاشياء التى كانت تنفرنى منها كانت هى التى تقربنى اليها .. خفـرها الشــديد .. وهدوؤها .. واحتشامها .. جعلها فتاة غير فتيات العصر ..

***

وفاتنى ميعاد الغداء فى الفندق بسبب الســينما .. فتغدينا معا فى « هونج كونج » ثم ركبنا الباخرة الى « كولــون » وكانت الساعة تقترب من الرابعة .. والجو فيه غيوم خفيفة ولســعة برد .. ولكنه محتمل .. ورايتها انتعش

الى بيتها ..
وعلى الباب ودعتها .. وانا اقول :

ـ ستاتين فى المساء .. لاخذ حاجتك .. لابد انها وصلت الان ..

ـ ساتلفن لك .. قبل السابعة .. واحب ان نتجول معا فى «كولون» ..

وحييتها وانصرفت وانا شاعر بالفرح ..

***

ووصلت الى الفندق فى الفترة التى تنقطع فيها المياه عن المدينة .. فاستلقيت على الفراش اقلب صحيفة محلية تصدر باللغة الانجليزية .. حتى تعود المياه الى مجاريها .. وكانت صورة سونيا تحتل كل صفحة .. فالقيت الصحيفة من يدى .. واخذت ارتب الغرفة .. وامسح الكرسى الطويل الذى ستجلس عليه .. وارتب المائدة الصغيرة .. وارفع ستر النافذة واخفضها ..

وكانت الغرفة صغيرة ولكنها جميلة وانيقة وتطل على الشارع .. فوقفت بجوار النافذة ارقب حركة المرور فى المدينة الساحرة

كان المارة حتى فى « كولون » وهى ليست مزدحمة بالسكان كـ «هونج كونج » يتحركون فى سرعة شديدة .. كأنما هناك من يلهب حواسهم الى النشاط والحركة السريعة

وكانت المدينة التجارية الصغيرة يتدفق فيها فى هذه الساعة اجناس من كل الوان البشر .. وسيارات التاكسى الصغيرة تمرق كالسهام .. وعربات الترام من طابقين انيقة ونظيفة .. وتتوقف تماما للاطفال الخارجين من المدارس .. فى غير المحطات وفى اماكن المرور ..

والصينيات الجميلات فى الجونلة المشقوقة عند الفخذين يتحركن بجانب الاوربيات والامريكيات اللاتى يلبسن المينى جيب .. والبنطلونات .. وهذا الخليط من النساء فيه السمراء والشقراء .. والطويلة والقصيرة .. وذات الدل .. هذا الخليط يشوقنى .. ويلهب الحواس .. ولكننى تركته ..

واحسست بعودة المياه .. فاسرعت الى الحمام .. لانتهى منه بسرعة خشية ان يدق التليفون .. وانا بداخله ..

ولمحت وانا خارج من الحمام فى الطرقة الخلفية خادم الفندق يحمل حقيبة ويتقدمه سيدة شقراء طويلة القوام ترتدى فستانا رماديا من قطعة واحدة .. وتمهلت فى سيرى حتى عرفت رقم الغرفة التى نزلت فيها ولما ادار الخادم لها مفتاح الباب .. ووقفت



تنتظره .. لمحت آلة تصوير معلقة في كتفها .. وخمنت بانها سائحة اوربية ولكنني لم اقطع بعد التفكير التمهل بانها جاءت الى هذه المدينة وحدها ..

***

وفي الساعة السابعة دقت « سونيا » جرس التليفون ..

فسألتها :

– من اين تتحدثين ياسونيا .. ؟

– من تحت ..

– اصعدى .. انا في انتظارك ..

– ساصعد ..

واعطيتها رقم الغرفة .

وجاءت تتهادى كالعروس .. ولم اشعر بفرحة في حياتى كما شعرت في هذه الساعة .. ولما جلست على الكرسى الطويل المريح الذى اعددته لها .. خرست وانا انظر الى جمالها كله .. محصورا في اربعة جدران .. في غرفة صغيرة .. انعقد لسانى ثم حلت عقدته .. واخذت اسرع في الحديث واصخب .. وهى صامتة مبتسمة .. والتى كانت من قبل هى المتحدثة وحدها صمتت الان لتسمعنى

ولما اخذت الربطة .. لاخرج اشياءها .. قالت وقد تكسر خداها واصبحا بلون العناب :

– ابقها .. الان .. فانى احب ان اشاهد « كولون » في الليل وانت معى ..

وتجولنا اكثر من ساعة في المدينة .. ثم دخلنا ملهى « امبريال » ..

ولاحظت انها في شوق الى مشاهدة هذه الاشياء لانها غير موجودة في بلادها .. وتود في فترة وجودها في « هونج كونج » ان تشبع منها .. وتحس بالامتلاء

وكانت الصالة خافتة الضوء .. وشاحبة وممتلئة بالرواد .. من السائحين وهم الغالبية واخترنا ركنا .. اكثر ظلاما من كل جوانب الصالة .. ولا ادرى من منا الذى كان يريد ان يتخفى من الانظار ..

وطلبنا نبيذا احمر .. ولم نشرب كثيرا مراعاة لحالتها ..

وبدات على خشبة المسرح عروض مختلفة من الغناء والرقص .. الصينى .. والاوربى ..

ثم بدا عرض التجرد من الملابس من فتيات جميلات القوام ومنهن الصينيات ايضا ..

ولاحظت الخجل الشديد على وجه سونيا ولكنها لم تحول نظرها من هذه المشاهد .. استمتعت بها كلها ..

وشعرنا بالمتعة حقا من راقصة صينية شابة اخذت تمثل مشهدا غراميا مع حبيبها . فجر عواطف المشاهدين . والتهبت اكفهم من التصفيق له ..

ورغم الدخان الذى خيم على جو الصالة الصغيرة والصخب الذى كان من بعض البحارة .. فاننى قضيت بصحبة « سونيا » ليلة هنية ..

***

ولما كنا قد تأخرنا في الملهى الى مابعد منتصف الليل . واحسسنا بعد خروجنا بالبرد الشديد فقد صحبتها في تاكسى الى بيتها مباشرة ورأينا ان تبقى اشياءها في حجرتى الى يوم آخر ..

واتفقنا على ان نتلاقى في صباح اليوم التالى في الساعة العاشرة صباحا لنذهب في جولة الى تلال « هونج كونج » الزمردية .. ونركب الترام الصاعد وعربة « الركشة » لاول مرة ..

وفي الصباح .. انتظرته

« سونيا » فى مدخل الفندق .. قبل العاشرة بقليل .. ورأيت السيدة الشقراء النزيلة الجديدة والتى تقيم معى فى نفس الجناح .. جالسة فى البهو تقلب جريدة الصباح وامامها على المنضدة آلة التصوير ..

ولما طوت الصحيفة ونهضت سمعتها تحادث الساقية بالانجليزية ولا ادرى لماذا سررت لذلك .

وجاءت سونيا واخذنا نتسكع .. قرب الميناء .. ثم عبرنا الخليج ودخلنا مدينة « هونج كونج » .. مدينة الاعاجيب ..

الشحاذون فى الطرقات .. وعربات الركشة .. والنشالون الذين لا يشق لهم غبار وليس لهم ضريب فى العالم كله .. ثم اللوادون .. والعاهرات من كل جنس .. وماسحو الاحذية تحت الاقبية .. والارصفة المزدحمة بالمارة .. والمتاجر الصغيرة ذات الفخامة .. واللافتات الكبيرة باللغة الصينية المتشابكة .. التى تبدو كرسوم الاطفال .. والسرعة فى الحركة والعمل .. كان الناس جميعا يحركهم لولب جهنمى فى يد مارد جبار .

وتلاقى فى الشوارع الصينى .. والهندى .. واليمنى .. والباكستانى .. والارمنى .. واليونانى .. والانجليزى .. والامريكى .. والصينى الذى يعيش ويموت فى الماء .. والذى يسكن الاكواخ الحقيرة القذرة فى « ابردين » ..

ثم المستعمر الذى يسكن القصور الفخمة على الخليج .. ويملك اليخوت للنزهة والمتعة ..

ومع كل هذا الخليط البشرى من مجتمعات كل البشر فى مدينة الاعاجيب دون تناسق او رباط .. فانك تشعر بالراحة عندما تضع قدمك فى المدينة وتتنفس من هوائها .. ولا تدرى السبب على التحقيق فليها جاذبية غامضة . وحرية يستريح لها كل سائح فى تداول النقد فى أى مكان .. واول مايطالعك فى الميناء هو ابتسامة مشرقة وترحيب رقيق من فتيات الجليزيات يلبسن المعاطف البيضاء .. وقفن وراء المنصة كانهن ملكات الجمال يفحصن فى سرعة ودلال بطاقتك الصحية

***

وتوقفنا فى قلب مدينة « هونج كونج » واصبحنا فى الحى الصينى الخالص بلافتاته الكبيرة المتشابكة ودكاكينه الصغيرة .. وحواريه الضيقة .. نشم رائحة الاطعمة الصينية من بعيد قبل ان نشاهد دخان المطاعم .. ونرى الاطعمة معروضة فى صحاف كبيرة وراء الزجاج فيسيل لها اللعاب ..

والصينيات فى المرايل البيضاء والزرقاء بوجوههن الصفراء المستديرة وعيونهن المشروطة وروسهن المعصوبة بالمناديل .. فى استقبالنا للخدمة ..

وقضينا نهارا جميلا انا وسونيا فى الهضبة واشرفنا من اعلى مكان فى المدينة على الجزيرة كلها بروابيها ومروجها الخضراء ... وخلجانها .. ورأينا اجمل المناظر الطبيعية على الاطلاق

وكانت « سونيا » متفتحة وشاعرة بالجمال كله .. وتتشرب روحها وجسمها من الانفاس العطرة المحيطة بنا ..

وبرزت فى هذه اللحظة .. بجمالها كله .. وهى معتمدة على السياج الحديدى .. ومتجهة بعينيها نحو الشرق .. ولقد اسرنى قوامها فوددت لو قبلتها واعتصر عودها

سونيا الجميلة

.. ولكنني وجدت دافعا قويا يردني عن ذلك ..

ثم ركبنا عربة «الركشة» وجلسنا متجاورين في هذا الحيز الضيق .. واخذ الشاب الذى يجرها يبتسم لنا في مرح وتبرق اسنانه الذهبية .. وهو يسير بنا الهوينى ثم يسرع ثم يعود فيتمهل لناخذ حظنا مما حولنا من جمال ونستمتع بالرحلة الى مداها ..

***

وبعد ان نزلنا من الهضبة .. اخذنا نفكر في نزهة اخرى ثم رأينا ان نتغدى في السفينة العائمة لانها كانت تسمع عنها وفي لهفة الى رؤيتها ..

وحملتنا فتاة صينية ناضرة في زورقها الصغير الى السفينة ..

وجلسنا الى مائدة ناكل السمك الطازج .. ونستمتع بكل ما حولنا من جمال البحر وكانت الشمس تذهب وتجيء ..

وشاهدنا زوارق اولئك المساكين الذين يعيشون ويموتون في الماء ..

وسألتني سونيا وهي تتجه بوجهها الى ناحيتهم :

— اتعجبهم هذه الحياة .. ؟

— لا اظن .. من يرضى بهذه الحياة الدون ..

— ولماذا لا يغيرونها .؟

— ما احسبهم يستطيعون ذلك .. فالفقر يعصرهم بقوة .. والحياة الرتيبة تشدهم الى هذه الزوارق .. وهي بمثابة قيود لهم .. من اللحظة التي يولدون فيها .. يجدون هذه الرموس امامهم وكانها مصيرهم الابدى ..

— اذا ارادوا التغيير .. يمكن ان يتغيروا ..

— لقد استطابوا هذه الحياة الضحلة .. ورضوا بهذا الهوان .. وما احسب ان لهم ارادة على الاطلاق ..

وكانت الشمس تجنح للغروب عندما غادرنا السفينة .. وقد نقلتنا نفس اللاحة الصينية وقد اجزلت لها العطاء اكراما .. لطفليها كانا ممددين في بطن الزورق شاحبين كالموتى ..

***

ووصلنا الفندق في الليل .. وكانت الرحلة طويلة من « ابردين » الى « هونج كونج » فاحسسنا بالتعب معا ..

وجلست سونيا في حجرتي تستريح وانا قبالها .. املا عيني من حسنها كله .. وخلعت معطفها وحذاءها .. واسترخت .. فقلت لها برقة ..

هل تنامين قليلا .. يا سونيا .. ؟

— شكرا .. سأغلق عيني وانا جالسة .. واكتفي بهذا ..

وجاء الشاى فرشفته بقليل من السكر .. وانتعشت بعد لحظات قليلة .. ثم دخلت دورة المياه .. ولما عادت وجدتني اغسل وجهي في الحوض الذى في الغرفة .

وقلت لها وانا اجفف شعرى :

— بلل وجهك بالماء الدافىء ..

- سأفعل ..

وغسلت وجهها .. وجففته .. جيدا وكأنها تدلكه ..

ثم وقفت امام المرآة تمشط شعرها الابنوسي الطويل الشديد البريق اجمل شعر رأيته على رأس حسناء ..

ولما استدارت من المرآة وجدتني اقف امامها .. كالمأخوذ بكل هذه الفتنة .. واسمعتها اخيرا الى صدري ..

وطوقتها وقبلتها في شفتيها وعينيها وجيدها ولا ادري كم مضى من الوقت وهي واقفة ساكنة .. ولقد احسست سكونها .. كأنها تروض نفسها .. ثم ذاب جليدها .. فطوقتني .. وقبلتني قبلة سريعة ولكنني احسست بحرارتها وحلاوتها .. وخلصت نفسها من عناقي .. وبحركة اغضبتني . وجلست تسوي هندامها .. وشعرها .. بيديها ..

ووقفت احدق فيها كالذي انتزع منه فجأة شيء يحرص عليه وعاش السنين كلها له .. وبعد دقيقة من الذهول .. امسكت بيدها لاتفحصها..

فقالت بصوت اخرس :

- اين الربطة .. ؟

- فاحسست بالبرودة تسري في دمي كله ..

وتناولت اشياءها من الدولاب ووضعتها امامها على النضد ..

ولبست معطفها وحملتها .. واحسست بكل الخيوط وقد انقطعت فجأة بحد السكين واوقفت لها « تاكسي » على باب الفندق واركبتها فيه .. دون ان نتبادل كلمة . .

***

وبعد ذهابها .. شعرت بكآبة شديدة ووجدت نفسي امشي في الشوارع على غير هدى ثم اعبر الخليج الى «الهونج كونج» .. وادخل الملاهي الشرة .. وكنت اعرض نفسي في سبيل المغامرة واكتشاف الاشياء المخبوءة الى التشل والضرب حتى الموت ..

وفي « سنترال رود » وكانت الساعة تقترب من منتصف الليل ، والطريق ساكن رأيت من بعيد شحاذا يطارد سيدة .. ويضايقها بالحاحه ولما سمعت السيدة خطواتي وراءها توقفت .. ولما اقتربت منها وجدتها جارتي في الفندق ..

قلت لها بالانجليزية :

- ما الذي جرى .. ؟

- انه يضايقني .. وقد اعطيته نصف دولار .. ولكنه ظل يلاحقني واخاف على آلة التصوير .

- لا تخافي .. انه لا يسبب اي اذى ..

واستدار الشحاذ وبعد عنا وهو يبتسم في خبث واسنانه الذهبية تلمع في الظلام ولما اطمأنت لوجودي بجانبها سألتها :

- ولماذا تسيرين وحدك هنا .. في هذا الليل .. ؟

- كنت اصور سوق الخضار .. وهم يغسلونه في الليل .. منظر ممتع ..

- لو كان معي آلة تصوير لفعلت مثلك ! ..

- حقا .. ؟

- حقا ..

وضحكت .

- الآن ساعطيك صورة

- شكرا .. ستكون اجمل تذكار ..

ورافقت « كارولين » الى الفندق ..

***

وفي الصباح التالي تلاقينا في البهو .. كأننا كنا على ميعاد .. وخرجنا الى المدينة وقضينا النهار بطوله وجزءا من الليل معا .. ذهبنا الى كل

مكان ترغب ان تراه .. وكل ملهى ..

وفى اليوم التالى ذهبنا الى « لوو » وعدنا بعد منتصف الليل الى الفندق ونامت فى فراش نصف عارية مشبوبة بكل انوثتها ..

انها المانية .. وتزوجت ثلاث مرات وفشلت فى المرات الثلاث .. وتعمل صحفية .. ومراسلة لمجلة المانية مشهورة .. وقادمة من نيودلهى .. ومسافرة فى الغد .. الى طوكيو ..

وتجاوزت الخامسة والثلاثين .. ولكن فيها حرارة بنت العشرين .. واحببتها .. واخذت المس شعرها .. واضغط على شفتيها .. وامزج عرقى بعرقها .. ودمى بدمها ..

وسألتنى :

– امتزوج .. ؟

– اجل ..

– واين هى الآن .. ؟

– فى الاسكندرية ..

– وجميلة .. ؟

– جدا ..

– ولماذا تخونها .. ؟

– لانى احبها ..

فضحكت ..

– اتكرهها .. ؟

– انتى كلما اقتربت منها تتثاءب ..

– وانا .. !

– انت مشبوبة العاطفة ..

– واحببتنى ..

– بالطبع ..

– وتشعر بالسعادة .؟

– الى اقصى غاية ..

– وستكتب لى ..

– اجل .. من كل مكان انزل فيه ..

واحتضنتها ..

***

وفى بكورة الصباح الضبابى الخفيف .. كانت نائمة بين ذراعى وشعرها الاشقر المتهدل يغطى نصف الجبين .. فامسكت بشعرات صغيرة ولمست بها شفتها السفلى مداعبا .. فى نعومة ..

وفتحت عينيها .. على قبلاتى المحمومة .. وشدتنى اليها فى نشوة .. لم تكن كاية امرأة عرفتها .. كانت رائعة .. كانما اجتمعت فيها كل خصائص الانثى منذ حواء ..

وتذكرت وانا اضغط على شفتيها ما قاله « بيرون » ليت النساء جميعا اجتمعن فى ثغرها فقبلته واسترحت . .

وقبلته .. وقبلته .. ولكننى لم استرح .. وشعرت باصابعها تتحسس فى نعومة كتفى وعنقى وصدرى ..

كل شىء حولى كان جميلا وبلون العسل المصفى ..

وقبل الشروق بدا المطر يتساقط واخذت ريح خفيفة تهب وجعلت الشجر يتمايل .

وكانت « كارولين » مستلقية فى قميص حريرى مغمضة عينيها .. وكانها تحلم .. ثم فتحت عينيها ونهضت فى تثاقل . . وقبلتنى وهزتنى فى مرح ..

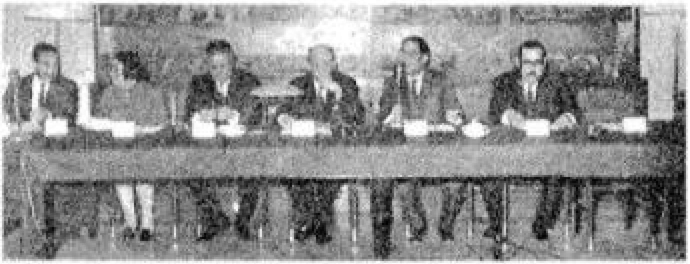
– حسن .. انى ذاهبة ..

ولبست ثيابها بسرعة دون زينة .. لتستكمل زينتها فى غرفتها ..

وعلى الباب احتضنتها وقبلتها بقوة دون ان اعبأ بشىء .. ولما رفعت راسى عنها وجدت « سونيا » قادمة فى الطرقة متجهة الى غرفتى ..

ولما شاهدتنا صدمها المنظر .. وتراجعت مضطربة .. وارتدت مسرعة الى السلم ..

وسمعت وقع خطواتها .. وانا اعصر قلبى ..



السيد حمدى عاشور والى يساره الاستاذان احمد بهاء الدين ومرسى الشافعى والى يمينه المهندس احمد على فرج والسيدة امينة السعيد والدكتور الهادى المغربى

عقدت « مجلة الهلال » ندوة كبيرة ناقشت فيها السياسة التموينية فى البلاد . وقد حضر الندوة السيد / حمدى عاشور وزير التموين والتجارة الداخلية والمهندس احمد على فرج رئيس مجلس ادارة مؤسسة المطاحن والمخابز والصوامع والدكتور الهادى المغربى نائب رئيس الهيئة العامة للسلع التموينية والدكتور عبد القادر الجمال رئيس مجلس ادارة المؤسسة الاستهلاكية والمهندس احمد طلعت عزيز رئيس مجلس ادارة مؤسسة المضارب والمهندس حسنين محمد حسنين



المهندس مصطفى الفار والمهندس جعفر عبد الله والسيد على طلحة والدكتور حسن عشماوى

ندوة الهلال حول

رئيس مجلس ادارة السلع الهندسية والسيد حبيب داود رئيس مجلس ادارة مؤسسة السلع الغذائية والسيد عبد الرحمن الشاذلى والمهندس ابراهيم درويش وكيلا وزارة التموين والمهندس مصطفى الفار رئيس مجلس ادارة الائتمان الزراعى التعاونى والمهندس جعفر عبد الله رئيس مجلس ادارة مؤسسة النقل النهرى

والاستاذ على طلحة مدير عام مؤسسة الغزل والدكتور حسن محمد عشماوى مدير عام مؤسسة الصناعات الغذائية والاستاذ عدلى اسحاق رئيس مجلس ادارة شركة تسويق الاسماك والسيد يحيى الجمال رئيس مجلس ادارة شركة الاسواق الحرة والسيد / حنا سليمان من السكك الحديدية والسيد/محمد ناجى والسيد/



من اليمين الدكتور عبد القادر الجمال فالمهندس احمد طلعت عزيز فالمهندس حسنين محمود حسنين فالسيد عبد الرحمن الشاذلي فالمهندس ابراهيم درويش فالسيد حبيب داود فالسيد عدلي اسحاق



المهندس حنا سليمان والسادة محمد ناجي وعثمان حمودة وكمال رمضان

الرصفي ويوسف فكري وماجد عطية واحمد رسلان

وقد ناقشت الندوة طائفة من الموضوعات التموينية التي تهم جمهور المستهلكين ومن بينها الصورة المثالية التي يجب أن تقوم بين قطاعات الانتاج والتجارة الخارجية وبين التجارةالداخلية .. كما ناقشت سياسة توزيع السلع بالنسبة للقطاعين العام والخاص وحجم تجارة الجملة في الخضر والفاكهةوسياسة تنمية الثروة الحيوانية .. والخبز

السياسة التموينية

عثمان حمودة عن جمعية البصريات والسيد / كمال رمضان رئيس غرفة الجلود

ومثل دار الهلال في هذه الندوة الاستاذ احمد بهاء الدين رئيس مجلس الادارة والسيدة امينة السعيد والاساتذة مرسي الشافعي وابراهيم عامر وانور

والاسماك وغيرها من المسائل التموينية الهامة .

وستقوم مجلة « الهلال » بنشر كل ما دار في هذهالندوة في عدد يونية ١٩٧١ بالاضافة الى جزء خاص من الهلال عن كل ما يجب ان تعرفه من اجهزة وزارة التموين وكل القطاعات الاخرى المكملة للخدمة التموينية في البلاد .

● عبد الرحمن صدقي ●



● سأحاول مع كل ما بين الغرب المتحرر والشرق المتوتر من ظواهر الاختلاف وباطنه – أن أقول الكثير في هذه الصفحات عن حياتي مع حرص شديد على أن أبدو طوال ما عشته من السنين، مثل من تقدموني من كتابنا الأحرار المبدعين، قريبا من القارئين ●

اعترافات شاعر

صفحات من حياتي ٤

مولدى فى مدينة الأموات

قصة المدينتين

بقيت السنين الطوال على عقيدة راسخة ، أنى يوم خرجت الى الدنيا ، فتحت عينى اول ما فتحتهما على القاهرة • أليست مسقط رأسى ومهد طفولتى كسائر اخوتى ؟

وكيف لا يكون الامر كذلك ، وأنا حين اذكـــر ملاعبى ، اذكرها فى حارة بحى الدرب الاحمر ، حارة عريضة طويلة اسمها « درب القشاش » • وأرجو أن يذكر القراء أن معظم الحارات فى القاهرة وقتذاك ، كانت تنتسب الى ولى من أولياء الله الفقراء ، أبى أهل الحارة الا أن يقام له فيها ضريح متواضع • والولى الفقير هنا هو « سيدى القشاشى » • وكانت لنا ميزة على أهل الحارة بوجود ضريحه المبارك فى ركن معتم من فناء بيتنا ، والى جانبه بئر لا ينضب ماؤها ، تشيع فى المكان رطوبة تهدىء الاعصاب الثائرة ، وخاصة عند مرضى الاعصاب من النساء وما اكثرهن فيحملن ذلك على أنه من بركات الشيخ

وهذه الحارة كانت لها بوابة ، عند مدخلها من شارع الدرب الاحمر الذى كانت تمتد فى موازاته طويلة مستقيمة ، ثم تتعرج ، فاذا بها بعد المنعرج مسدودة ،بقيام بيت واحد بينها وبين الشارع • ومن ثمة لم تكن حارتنا تعامل معاملة الشوارع التى يقوم على جانبيها أعمدة غاز الاستصباح للانارة الليلية ، بل كان يتعين على أهلها أن يتكفلوا بالوقود كل ليلة بتعليق مصابيح البترول على أبواب بيوتهم • واذا قصر أحدهم كان على الخفير الليلى أن يقوم بتنبيهه ، فان تكررت المخالفة قام قسم الشرطة بتوقيع الغرامة على المخالف •

وقد كنت وأنا صبى مزهوا بمعرفة هذه الاجراءات كأنما عرفت بمعرفتها القانون كله • وقد بلغ مرة زهوى بهذه المعرفة ما جعلنى أتصرف كأهل الأمر أنفسهم من الطواف ببيوت الحارة لتنبيه من غفلوا عن الاضاءة • ولكن اهتمامى بهذا الطواف المسائى ، كان له وراء ذلك فى نفسى سر عاطفى • ذلك أنه كان وســـيلتى الى الاقتراب من ذلك المنزل الوحيد بعد المنعرج ،لتحية الفتاة البضة البيضاء الحسناء ، التى كانت تجلس كل مساء فى شرفته ، وتنبيهها فى أدب الى أن الوقت قد حان لإشعال المسرجة المعلقة على الباب ، تجنبا لإزعاج الخفير الليلى لأبويها فى جوف الليل للقيام بهذا الواجب منعا من توقيع الغرامة • وكانت الفتاة ــ مع كونها أكبر منى سنا بحيث لا تجوز عليها امثال هذه الحيلة ــ تشكرنى كل مرة وهى مرحبة متهللة الوجه مما كان يزيد من تعلقى بها ، ومن حرصى على تكرار هذه الوقفة كل مساء تحت شرفتها ، ومضت الحال على هذا المنوال شهورا عدة ، وفجأة تغيرت عادتها فى

الترحيب بي ، فداخلني الحزن وتحيرت ، الى ان أخذ يتأهر معها في الشرفة فحل من الرجال يكبرها ، وعلمت بعدها أنه خطيبها المزمع أن يتزوجها . فامتنعت من العروج على هذا البيت ، ثم امتنعت عن الطواف المسائي كله ، وتبخر ما كان من اهتمامي بتعليمات الادرة والحرص على تحقيقها في الحضارة ، والطويت على نفسي

أتكر في سر هذه القوة الخفية التي ينطوي عليها احتواء هذا الرجل الغريب فجأة على اهتمام جارتي الفتاة الحسناء ، دون أن يكون بينهما جوار ، او سابقة معرفة تؤدي الى شيء كالذي نشأ بيني وبينها من الالفة

مسقط راسي رايته للمرة الاولى بعد أن شاب راسي

الواقع انني رأيت « المنصورة » مسقط راسي ، للمرة الاولى بعد أن شاب راسي

فمنذ سنوات ثلاث بعد بلوغي سن المعاش ، تفضل السيد الاستاذ مدير المنصورة فدعاني في جملة من دعاهم ، ممن ذاعت لهم شهرة في العلوم أو الفنون او الآداب من مواليد المنصورة ، الى زيارة المدينة للاطلاع على ما استجد من مظاهر تقدمها ، والتعرف الى أهلها الكرام . فما كدت امشي خطوات على ضفاف نهرها، حتى طاب لي تسريح الطرف في محاسنها الطبيعية ، وتصفح الوجوه السمحة للغادين والرائحين من الجنسين في شوارعها الحديثة ودروبها القديمة ، فما لبثت أن أنست الى المدينة وسكانها ، وانجذب قلبي لها ولهم .

كان حال شعوري نحو مسقط رأسي المنصورة في هذه المناسبة المتأخرة ، شعورا يغلب عليه طابع التاريخ الوطني وحماسته . وهو أيا كانت الحال ، شعور يتأرجح في هذه الأونة الاخيرة في حركة مثل حركة المد والجزر ، على حسب الدواعي العارضة كالتي وصفت ، ثم لا يلبث أن يعود بي الى حيث كنت منصرف النفس عن المنصورة ، متشبثا بأني مولود « بالروح » في القاهرة ، وقد رأى القراء اني ما زلت كذلك حتى بعد أن ذهبت الى كتابة هذه الاعترافات ، محتجا فيها بيني وبين نفسي ، وأخيرا بين يدي القراء ، أن ليس لي فيها ما اعترف به، اذ كنت ــ كما تدل الاسانيد الرسمية المكتشفة اخيرا ــ لم اتجاوز السنوات الاربع الا قليلا ، حين فارقتها الى غير رجعة

زواج اليتيمين : ابي وامي قبل عام من الرحلة الى المنصورة

كان أبي وامي يتيمين ، حرمهما الموت من السند الاكبر وهو الاب ، حين عقد بالقاهرة في حي الدرب الاحمر زواجهما

والعبارة الوحيدة التي سمعتها عن زواج أبي وأمي ، جاءت على لسان أمي بعد سنة من وفاة أبي ، وبالتحديد في اليوم التالي لاحياء الذكرى الاول للوفاة .

قالت وقد كنا وحدنا : « الله يرحمه » وسكتت . وسرح خاطرها بعيدا ، في الماضي البعيد ، وبعد هنيهة ، رفت ابتسامة رقيقة على شفتيها ، وسمعتها تقول هامسة كهمس النائمة الحالمة : « ان أنس ، لا أنسى يوم زواجنا ، وهو ــ رحمه الله ــ في موكب الزفاف الصاخب بقرع الطبل ودقات الدفوف وترديد الزغاريد، يسير الى جانبي ممسكا بذراعي يسندني كما هي العادة في الاعراس ، حتى لا تتساقط العروس من فرط الاضطراب . فاذا بي ، على الرغم من تماسكي ،احس ارتجافا ورعدة في ذراعي . فلما ركزت انتباهي ، فطنت الى ان الذي يرتعد ويرجف كالقصبة في مهب الريح ، هو ذراع العريس المنوط به ان يسند ذراعي .فدهشت



صورة والدى



صورة والدتى



اليوم قد وافى السرور وانجلاه كاس الهنا والانس اضحى يرتشف
اهلا وسهلا ومرحبا يا سادتى ٭ بحضوركم يصفو الزمان ويلطف
فتكرموا بقبول دعوة مخلص ٭ وتعطفوا نحو الديار وشرفوا

التشريف يوم الاربع ٧ ربيع الاول سنه ١٣١٠ الساعه ١٠
نهارا والعاقبة عندكم فى المسرات الداعى
﴿ محمد شبان ﴾
﴿ المنزل بحارة درب القشاشات بالدرب الاحمر ﴾

الدعوة التى وجهت بمناسبة زواج ابى وامى

ان يكون المضطرب هو العريس . وانسانى اضطرابه ما كان من اضطرابى شأن كل عذراء . ولكن هذا الحياء منه مع النساء ، عطف قلبى اليه ، حتى تمنيت لو استطعت ان أهدىء من روعه ، بكلمة تقطع هذا الصمت الذى يفصلنا ، لولا ما كان ينطوى عليه ذلك وقتذاك ، من المخالفة الفاضحة للعرف والاخلاق » .

وهكذا كان أبى بين النوادر من الرجال ، الذين يتناقص أمثالهم بسرعة مع تعاقب الاجيال ، مثالا للعريس الذى يحمل الى عروسه البكر العذراء ، ما يقابل ذلك من جانبه ، جسدا مثلها جسدها بكرا ، وروحا عذراء . وهو ما يسمونه اليوم فى سخرية واستهزاء وخاصة فى بلاد الغرب « الرجل العذراء » ..

كان أبى حين تزوج أمى ، لا وظيفة له . وكان هذا خير ما رشحه للزواج بها عند « الست حميدة » أمها . وكانت هذه الام امرأة متعلمة ، فلما مات زوجها « محمود شوكت البارودى » معاون الادارة بالفيوم ، عقدت على العمل النية ، كما تصرف فى هذه الايام المرأة العصرية . ولم يكن وقتذاك أمام

المتعلمات من عمل شريف يدر عليهن المال الوفير غير بعض الدراسة النظرية والتدريب العملي في مستشفى قصر العيني للحصول على شهادة « حكيمة » . وكانت لمهنة الحكيمات في تلك الايام خاصة سوق رائجة أشد الرواج .

وبسبب ذلك ، ان الرجال الاطباء كان يمنع الدين والعرف من كشفهم على المرضى من النساء ، كما كان قيامهم على ولادتهن في حكم المستحيلات . وما زلت أذكر حتى الآن ، بعد أن تغيرت الحال منذ سنوات ، كيف كان الازواج ومنهم أبي ، يصحبون الزوجة المريضة التي ساء حالها ، وهم متحرجون ، الى أكبر الاطباء المشاهير سنا . مثل الدكتور شكري باشا مثلا ، فاذا استلزم الامر الكشف على كبدها ، أدار الطبيب ظهره ، أو انقلب الى الغرفة الملاصقة ، حتى تتولى هي وزوجها أو المساعدة « التمرجية » رفع الثياب ـ وما كان أكثرها ـ لتعرية بطنها ، لتوضع على الموضع العاري من الجسم ملاءة بيضاء ، وعندها يكون من المباح للطبيب الشيخ العجوز ، أن يتحسس من فوق الملاءة حال الكبد من التضخم أو مقدار الحصى في المرارة ، دون أن يقع نظره على جسد المرأة أو تمس أطراف أصابعه جلدها مباشرة .

وحاصل القول مما ذكرناه ، أن والدة أبي كانت لها مصالح حيوية في القاهرة ، العاصمة العامرة الزاهرة ، الفسيحة الارجاء ، المترامية الاطراف . ومن ثمة حرصها على تزويج ابنتها من زوج يقيم معها في القاهرة . ولما كان الموظفون لا يأمنون على أنفسهم من النقل المفاجيء من القاهرة الى أية جهة من الجهات في الدلتا أو أقاصي الصعيد ، فان الوالدة « الحكيمة » كانت تبحث لابنتها عن زوج غير موظف ممن لهم دخل ثابت ولو محدود . وقد وجدت ضالتها المنشودة في الشاب « محمد عثمان صدقي » الذى حسنت الشهادة فيه ، وكان له من ميراثه في ذلك الزمن ، رزق يكفيه في حالتي العزوبة والزواج

وكان زواج أبي من أمي ـ على حسب ما جاء في رقعة الدعوة ـ بمنزله بحارة درب المقشات بالدرب الاحمر ، في يوم الاربعاء ٧ ربيع الاول سنة ١٣١٠ هـ الموافق ٢٦ من أغسطس سنة ١٨٩٢ م . وكانت العادة أن تكون على رأس رقعة الدعوة ، أبيات مختارة بمعرفة الداعي أو صاحب المطبعة من شعر المناسبات المصطلح عليه . ويجد القارىء في بطاقة زواج أبي المثال على ذلك الشعر .

اليوم قد وافى السرور ، وانجلى | كاس الهنا ، والأنس أصبح يهتف
أهلا وسهلا مرحبا يا سادتي | بحضوركم يصفو الزمان ويهتف
فتشكروا بقبول دعوة مخلص | وتعطفوا نحو الديار ، وشرفوا

ولم ينقض عام على هنأ الزواج ، حتى كانت الباكورة أخي الاكبر المولود بالقاهرة في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٣

ولكن أبي ما كاد يتزوج ، حتى راودته فكرة التوظف في الحكومة كغيره ، حتى لا يفوته ـ كما يقولون ـ « شرف التمرغ في تراب الميري » . والواقع أن المجتمع المصري في تلك الايام كان يرى الشأن كل الشأن للموظف الحكومي ، سيان أكانت وظيفته كبيرة أم صغيرة ، لان ذلك الموظف أيا كان ، وفي جميع الاحوال ، يمثل الحكومة عند الرعية

وهنا ، تعرض أبي لما كانت تحاذره أم زوجته ، اذ جاء أول تعيينه بالمنصورة ، في أول فبراير سنة ١٨٩٤ ، فسافر وحده على أمل أن تتحقق المساعي المبذولة لدى بعض ذوي النفوذ ممن يسمونهم « باشاوات » ، في جعل التعيين في القاهرة . ولكن المساعي أخفقت ، فلم يسع حماته « الحكيمة » في شدة تعلقها بابنتها الوحيدة ، الا أن ترافقها الى المنصورة ، مضحية بمصلحتها المالية من عملها في القاهرة .

فى تلك الفترة بالذات كان مولدى فى مدينة الاموات

كان ميلادى فى المنصورة فى ليلة السبت السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٩٦ ، وأمى تلبس الحداد فى سواد الخمار على رأسها وسائر ثيابها ، وفى صوتها ونظرة عينيها وكل تعبير على أسارير وجهها ، وأشد من ذلك فى صميم الصميم من قلبها ، على أمها ، والدتها الحبيبة التى كانت قد قضت نحبها منذ شهور أربعة ، فى جملة ضحايا وباء الكوليرا ، الذى أردى بالكثيرين قبلها وبعدها

لقد شهدت أمى — لا محالة — وأنا فى أحشائها ، الاعراض المرعبة التى كانت أمها تعانيها — كالذين أصيبوا غيرها — من التقلصات فى عضلات البطن ،والاوجاع فى الساقين ، وذلك الهيجان الذى كان ينتابها فلا يقر لها على الفراش جنب • وكانت أمى — لا محالة — كلما تطلعت الى وجه أمها ، أفزعتهمـــا هاتان العينان الغائرتان • فان هى مسحت على جبين أمها ، لذعت كفها — وأسرفت فى رد الفعل قلبها — تلك البرودة المثلوجة ، لا على الجبين وحده ، بل على ســـطح جســـم المريضة كله • وبعد هذا وأمثاله من ألوان العذاب ، الذى عاينته أمى فى أمها « أعز الاحباب » يأذن الله بالفرج للمريضة المعذبة فيعجل بها الى لحدها ، الى ذلك الشق العميق المطبق ، وعلى حسب تلك الاجراءات المقررة فى تعليمـــات مكتب الصحة •

فلا يبقى أمام أمى المسكينة ، وهى وحيدة فى بلدة غريبة • الا أن تستبد بها الفجيعة ، على أثر تلك الصدمة الصاعقة العظيمة ، فاذا هى تقترب كل يوم من حالة أقرب ما تكون الى الجنون •

كل هذه الانفعالات المجنونة ، التى انقضت فجأة على أمى فى أيام معدودة من مرض أمها المعذبة ولم تتركها الا وهى صريعة ، كان لها — قبل الوفاة وبعدها — ما لابد أن يكون من ردود فعلها على ذلك الجنين الحى النامى الذى تحمله فى أحشائها ، بما سرى — لا محالة — اليه من انفعالات أعصابها وتشنجات جسدها، وهو حبيس يضطرب بين جدران بطنها ، يكاد يختنق •

والى جانب هذا البلاء الاكبر ، ابتليت أمى بفقدان ابنتين صغيرتين فى المنصورة ، احداهما « زينب » التى ولدت قبل ، والاخرى « نفيسة » التى ولدت بعدى • وكان موتهما معجلا ، فلم يمهلهما حتى يلقا من الوعى بالحياة •

لقد كانت المنصورة بالنسبة لأمى فى هذه الفترة « مدينة الاموات » • وهــذا عذرى — وأنا الطفل الصغيرـــ اذا كنت لا أنفى أن قد كان لى — وهذه حالة أمى — ملعب كسائر الاطفال فى المنصورة ، فلا غرو اذا نشأت على الاعتقاد بأن القاهرة التى كانت فيها أول ملاعب طفولتى هى مسقط رأسى ومهد مولدى •

والآن ، أرى من واجبى قبل ختام هذا الفصل الحزين ، أن أعلن انصافا للحق ، انى اذا كنت لم اسمع من أمى أى كلام فى وصف « المنصورة الجميلة » ، فانى سمعت منها الكثير فى وصف مكارم اخلاق أهل المنصورة ، الذين عطفوا عليهـــا واحاطوا بها حين احسوا بمصابها ، وآلوا على انفسهم الا يتركوها لحظة وحدها كيلا تستأثر بها احزانها • وهم — ولا ريب — لا ذنب لهم ولا تقصير من جانبهم ، اذا هى كانت بعد انصرافهم ، لا يسعها — شاءت أو لم تشأ — الا أن تخلو الى نفسها ، على الرغم من وجود الطفل الصغير — كاتب هذه السطور — فى احضانها، تكاتم تحت جنح الليل زفراتها وحر بكائها ••

الدنيا في سطور

«هيرو هيتو» امبراطور اليابان .. ينتظر انتخابه عضوا في الجمعية الملكية البريطانية عند زيارته لبريطانيا في اكتوبر القادم .. هذه الجمعية التي أنشئت في عهد شارل الثاني لا يضم اليها ، بدون مؤهلات علمية ، غير أفراد الاسرة المالكة البريطانية ، وواحد فقط كل عام .. من أعضائها ، الاجانب ، والمؤهلين ، جوستاف ملك السويد وهو من علماء الاركيولوجي وقد انتخب عام ٥٩ .. أما الامبراطور «هيرو هيتو» فانه من علماء احياء البحار المتمازين وله عشرة كتب حتى الآن فيهما .. وقد بدأ هذا الاتجاه منذ شبابه وان لم يسلط ضوء على هذه الناحية قبل الحرب العالمية .. وعلى اعتبار ان مثل هذه الامور لا يرقى الى مستوى حاكم يضعه شعبه في مرتبة الآلهة !

❁

« من خليفة نيكسون؟» .. ليس عنوان استفتاء صحفي أو غير صحفي .. وانما هي لعبة جديدة أعدت على طريقة « المونوبولي » .. يستطيع ان يشتريها أي طفل أمريكي من أي محل للعب .. وتتضمن ٧ منافسين للرئيس نيكسون على رأسهم « جون لندسي» محافظ نيويورك .. المنافسون أماكنهم ليست ثابتة في اللعبة اذ يستطيع الهاوي تغييرها حسب ارتفاع اسهم الواحد فيهم أو انخفاضها في دنيا السياسة وحتى موعد الانتخابات الجديدة بعد ١٨ شهرا !

❁

« سلفادور دالي» الفنان صاحب « التقاليع » التي لا تنتهي .. يلبس خاتما مرصعا نقشت عليه هذه العبارة « الى سلفادور دالي .. من المعجب .. سلفادور دالي » !

❁

« البرت لاسك » رجل البوليس الامريكي .. في ١٥ سنة خدمة عثر على ١٠٦١ سيارة مسروقة .. قال انه في كثير من الاحيان كان يشتبه في السيارة القذرة فاذا راجع أوراق راكبها اكتشف انه ليس صاحبها .. لذلك فهو يهمل نظافتها !

فراولة في حجم الطماطم .. الكيلو ١٠ حبات .. توصل اليها خبير التطعيم — تيهولد هوميل — ألمانيا الفيدرالية — والمهم ان نسبة السكر ، والماء أيضا ، فيها لا تقل عنها في أحسن الانواع المعروفة ..

❁

وفراولة متسلقة .. للزينة وللثمار .. تعيش ٨ أشهر وتحصل على أول « قطفة » منها بعد ٦٠ يوما من زراعتها .. توصل اليها خبير آخر في التطعيم .. فرنسي هذه المرة .. كما توصل زميل له الى نوع آخر يعطي ثلاثة محاصيل في السنة — كل هذه الانواع معدة « شتلاتها » لمن يطلبها .. المهم هو الظروف الجوية الملائمة

❁

الامريكيون من اكثر الناس استعمالا للمهدئات والمنبهات و المهضمات الصناعية .. محل في نيويورك تخصص في بيع اقراص الهضم على اختلافها شوهدت في أحد الايام على بابه هذه اللافتة « المحل مغلق اليوم .. اعتمدوا على انفسكم ! »

❁

اجرا برنامج تليفزيوني شهدته انجلترا في الشهر الماضي .. قدم فيه المذيع المرأة التي تحب وتعايش جنسها .. قدم أربعا ينتمين الى هذا الفريق

الشاذ من النساء ·· واحدة منهن رئيسة تحرير مجلة معروفة ·· والتتان عثر عليهما في احدى محطات المترو ·· لفت نظره ان احداهما تضع ذراعها حول وسط الاخرى ·· اعترفت كل واحدة منهن في البرنامج بسلوكها ودافعت عنه !

« المتخلف صار في ايامنا هذه مخلوقا محللا مفسرا في المقام الاول ·· على انه لا يزال يوجد ، في القديم والحديث أيضا ، أشياء لا يمكن تفسيرها ··

لا استطيع مثلا أن أتصور التسيئ الذي عمله ماري جسرجس لانه كان يلتهم عذارى المدينة ·

يقول وعيناه مختلفتان دموعا « ليست غلطتي فلدخلقت ناقصا ·· أمي هربت مع وحش بحرى وكنت أنا الثمرة ! » اننا محتاجون الى أن نريح أنفسنا قليلا من تحليل وتفسير كل شيء « من مجلة لايف »

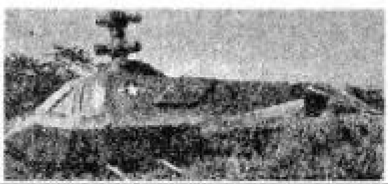
●

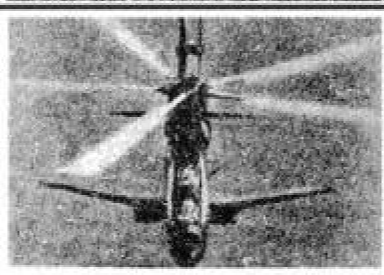
الغوريللا تحب التليفزيون ·· اكتشف هذا أحد الباحثين في جامعة « ايموري » بولاية جورجيا الامريكية ·· أجرى التجربة على أعداد من الغوريللات ·· والاورانج اوتان ·· والشيمبانزي ·· وأطفال البشر ·· الاولى أظهرت اهتماما أكثر من بقية الفئات ببرامج التليفزيون ·· خاصة البرامج التي تعتمد على الحركة « الاكشن » ·· بل ان منها ما يتعرف على بطل سلسلة معينة ، من مسلسلات رعاة البقر مثلا ، فيظهر كل امارات الترحيب به عند ظهوره على الشاشة ·· من صياح والقفز في الهواء ·· وتصفيق ·· وقد يحطم بعض الاشياء التي تصل اليها يده ·· من الحماس ! ويضيف الباحث ان سائر الفئات التي استخدمها تجد في التليفزيون بصفة عامة تسلية ·· فالحيوانات النابهة تعاني الملل والفراغ وتحتاج الى التسلية مثل الانسان !

● ● ●

الهليكوبتر السريع أعده مصمم امريكي يدعى سيكورسكي ·· سرعته ٣٠٠ كيلو متر في الساعة ويزن ١٠ أطنان ·· يطير بالتوربينات الغازية ·· ومزود بأجنحة يعتمد عليها عند تخفيض السرعة ··

أعد نفس المصمم هليكوبتر آخر مخرع للجيش ·· يطير بتوربين غاز أيضا ·· يزن ثلاثة أطنان فقط ·· ويحمل رجلين و ٤٥٠ كيلو جراما من المعدات ·





مهرجان ملوك ورؤساء دول .. ينتظر ان تشاهده « طهران » في الخريف القادم .. في احتفال الشاه بتمام ٢٥٠٠ سنة على ميلاد الامبراطورية الفارسية .. مدينة جديدة لضيوف المهرجان يدىء في اقامتها سكان « برسبوليس » العاصمة القديمة ..

*

حل جزئي لأزمة المساكن الضيقة .. الفكرة لمهندس سويسري اسمه « لاشات » .. غرفة متوسطة على شكل بالون يمكن الحاقها بأى مسكن عن طريق احدى النوافذ .. ودون اعتداء على حقوق الجيران .. في اللقطة الاولى الغرفة كما تشاهد من خارج المنزل .. في اللقطة الثانية محمولة على عربة في الطريق الى مكان تركيبها .. وفي الثالثة من داخل المسكن بعد تثبيتها الى احدى النوافذ .

مقالات في كلمات

□ لا انتقد الفكاهة أبدا عندما يكون « الكونجرس » منعقدا .

ويل روجرز

□ كل أزياء المرأة صراع بين رغبتين .. الاولى مشروعة .. وهي تغطية الجسم .. والثانية غير مشروعة .. وهي تعريته .

لن يوتانج

□ الثقافة هي ما يبقى فينا بعد أن ننسى ما درسناه .

ج. هاليفاكس

□ نحن الآدميين .. ربما كنا لا نختلف عن بقية طفيليات الارض في شيء .. سوى أننا أكبرها حجما !

هـ. فيشر

□ أحب المرأة .. جمالها .. رقتها .. حيويتها .. و .. صمتها !

صامويل جونسون

□ الرومان .. لو أنهم اضطروا الى تعلم اللاتينية .. لما وجدوا وقتا ليفتحوا العالم !

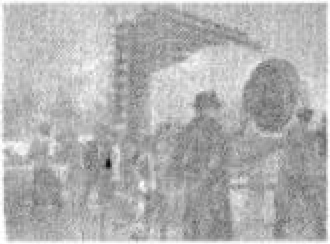
هنريخ هاينى

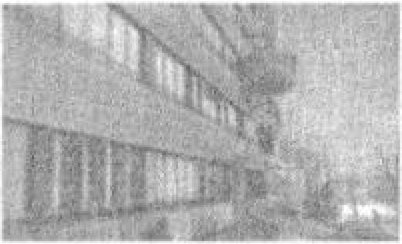
□ نتعلم من التاريخ اننا لانتعلم من التاريخ!

هيجل

□ كاتب عادى ذلك الذى يستطيع الكتابة في أى وقت !

سومرست موم





فى الهلال من ٧٥ سنة

الحب

الحب أساس العمران وواسطة عقد الاجتماع وخلاصة النواميس الادبية واكسير الفضائل البشرية وهو مهذب النفوس ومرقى العقول ومحيى العواطف ولولاه لكان الانسان وحشا كاسرا ولانفصمت عرى الاجتماع فبطلت العائلات وبادت الامم وهلك نوع الانسان .

المتحف المصرى بالجيزة

اصبح الدخول الى المتحف المصرى مجانا كل يوم اعتبارا من ١٨ ابريل الماضى الى ١٥ اكتوبر المقبل وهو يفتح ابوابه لقبول الزائرين كل يوم من الساعة الثامنة والنصف صباحا الى الظهر ما خلا أيام الاثنين والاعياد .

سمر العشاق

هى رواية غرامية ادبية ألفها حضرة الاديب البارع ادوارد أفندى جدى صاحب جريدة « الثريا » ومنشئها جعل حوادثها مصرية وقعت فى بعض السنين الأخيرة بين بيروت ولبنان ومصر شرح فيها كثيرا من العادات فى القطرين ووصف بعض الاحوال التجارية كالبورصة ، وعواقبها ، وبعض الحوادث التاريخية .

طرائف اللطائف

أهدانا حضرة الاديب ابراهيم أفندى فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر الجزء الثانى من كتابه طرائف اللطائف الحاوى لنخبة الملح والنوادر والفكاهات والحكايات الادبية والقصص النسائية والامثال الشائعة عن النساء والزواج وما يعبر عنه بلسان حال العشاق فضلا من المواويل وأدوار الغناء والأشعار وغير ذلك .

مايو ١٨٩٦

● الغلاف الأول والأخير ●



أغنية غرامية
للفنان ادوين ابى




سبأ
الطبيعة والتاريخ و الإنسان والأمل

الهلال

يونيو ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد السادس ـ السنة التاسعة والسبعون ـ اول يونيه ١٩٧١ ـ ربيع الاخر ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة :

أحمد بهاء الدين

الاشتراكات

ثمن العدد . فى الجمهورية العربيـــة المتحدة ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ـ فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر أنحاء العالم « ونصف دولارات أو ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل للصرف فى « ج.ع.م » ـ والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل حل الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

سيناء ...
الطبيعة والانسان



الفنون الشعبية في سيناء

سيناء والأديان السماوية

في هذا العدد

إبراهيم عامر

خطط إسرائيل فى سيناء

« .. واذا كنا قد عقدنا العزم على تحويل اسرائيل الى دولة هامة ، فعلينا ان نستغل كل فرصة ، وان نبحث عن كل ذريعة ، لكى نتوطد فى شبه جزيرة سيناء ، ولا نتزحزح من هناك الى الابد .. »

دكتور يون فايزل
كاتب ومفكر اسرائيلى



موشى ديان

خطط إسرائيل في سيناء

بعد حرب يونيو لفترة من الوقت ، كان هناك اعتقاد لدى البعض بأنه ليس لدى اسرائيل اية مطامع توسعية أو مطالب اقليمية فى سيناء .

وكان الرأى الرائج هو انه لو كان الامر يتعلق بانسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء وحدها ـ دون المرتفعات السورية والقدس والضفة الغربية ـ لما تأخرت التسوية . وانه ليس للاسرائيليين اية مصلحة فى الاحتفاظ بشبه الجزيرة الصحراوية التى تغطيها الرمال والصخور .

ولعل مصدر كل هذا ـ بداية ـ هو عدم تقدير الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية ، بل والسياسية ، لسيناء بالنسبة لمشروعات اسرائيل التوسعية الان وفى المستقبل ، واحلام الصهيونيين باقامة الوطن التاريخى اليهودى ، وجعل اسرائيل دولة كبيرة قوية فى المنطقة .

ولعله ايضا بعض ذلك الزعم القائل بان المواطنين المصريين الذين يعيشون فى « الوادى الخصيب » لا يكادون يشعرون بوجود ذلك الجزء « القاحل » من وطنهم ، رغم انه يمثل خمس مساحة هذا الوطن .

لكن الصورة فى الوقت الراهن تبدو مختلفة ، او لابد ان تبدو مختلفة ، خاصة بعد ان تكشفت نوايا اسرائيل اكثر فاكثر ، فاذا هناك خطة قصيرة المدى واخرى بعيدة المدى لضم جزء من اراضى سيناء ، او وضعه تحت سيطرة اسرائيل ، او اشرافها على الاقل للتعبير بل وظهور اصوات اسرائيلية تدعو الى الاحتفاظ بكل سيناء ، او تغيير طبيعتها السكانية ، حتى تصبح حدود مصر هى قناة السويس .

ولعل خطورة النوايا التوسعية الاسرائيلية فى سيناء تبدو بأجلى معانيها على ضوء تاريخ مصر حتى حرب ١٩٦٧ .

ففى تاريخ مصر كله لم يحدث ان كانت سيناء هدف ضم ، ولم يحدث ان كانت ارض سيناء مثار خلاف او نزاع على انها ارض مصرية وجزء لا يتجزأ من الوطن المصرى التاريخى .

ومع كثرة الذين غزوا مصر او احتلوها او سيطروا عليها فى يوم من الايام ، فان احدا منهم لم يستطع ان يدعى لنفسه حقا فى سيناء ، ولم يستطع ان يفصل هذا الجزء من ارض الوطن ويضمه الى اراضيه .

لكننا نشهد اليوم ، ولاول مرة فى تاريخ مصر منذ القدم ، من يطالب بحق فى سيناء ، ويعمل بالفعل ، قبل القول ، على ضم اجزاء منها الى اراضيه ، وتغيير طبيعتها السكانية .

اننا نشهد اليوم ، اسرائيل وهى تفعل ذلك .

ان لدى اسرائيل عدة خطط متشعبة في سيناء .

وهي خطط لا تعكسها تصريحات الاسرائيليين وكتاباتهم فحسب ، بل وتعكسها — وهذا هو الاخطر — اعمال الاسرائيليين اليومية في هذه الاراضي ، هذه الاعمال المتواصلة بدون توقف وفي صمت بهدف تغيير الاوضاع في سيناء ، وخلق امر واقع جديد يكون بعضه — على أقل تقدير — احد اسلحة الضغط والمساومة ، ويكون بعضه الاخر — ان لم يكن كله — كسبا توسعيا على حساب مصر .

وبداية — ووفقا لرد اسرائيل الرسمي على رسالة السفير جونار يارنج في ٢٢ فبراير الماضي — فان حكام اسرائيل يعلنون رفضهم العودة الى حدود ٤ يونيو عام ١٩٦٧ ، ومنها بالطبع خط حدود مصر في سيناء مع فلسطين التاريخية ، او مع اسرائيل بعد حرب عام ١٩٤٨ ، واتفاقات عام ١٩٥٥ .

ثم هم يطالبون — بعد تعديلات ذات طابع اقليمي — بتجريد سيناء من السلاح ، وجعلها منطقة مكشوفة لا تقوم بعد ذلك بأي دور في سبيل الدفاع ، كخط اول ، عن وادي النيل .

وهم يعترفون بان اعمالهم الحربية والاحتلالية ، على مدى السنوات الاربع التي مرت حتى الآن منذ العدوان ، قد غيرت ، الى حد ما ، قيمة سيناء بالنسبة لهم .

فمن ناحية ، حرصوا منذ الايام الاولى على ان يقطعوا ويدمروا الخط الحديدي الذي كان يربط القاهرة بالعريش ورفح من طريق القنطرة وعبر كوبري الفردان ، وكان هذا الخط يمتد قبل حرب عام ١٩٤٨ من القاهرة الى القدس ودمشق .. كان خط قطار مصر — فلسطين

وحرصوا ، منذ الايام الاولى ، على ان يدمروا الطرق الرئيسية البرية في سيناء ، حتى يقطعوا الشرايين التي تربط منطقة القناة بأنحاء هذا الجزء من الوطن .

وحرصوا ، منذ الايام الاولى ، على نقل عدد من السكان ، وخاصة من البدو ، من مناطق معيشتهم الى مناطق اخرى جديدة .

ولم يتهاونوا بعد ذلك في ضرب اية محاولة للمقاومة او لتنظيم مقاومة الاحتلال في سيناء .

وهم يفرضون ستارا كثيفا من السرية والكتمان على المنطقة كلها ، ويساعدهم على ذلك قلة عدد القادمين والقادمين منها واليها ، حتى من الاسرائيليين انفسهم ، وعسكرة المنطقة عسكرة كاملة ، وتحويلها في الواقع ، الى خط دفاع اول ، او على الاصح خط هجوم اول ، لاسرائيل .

خطط

إسرائيل فى سيناء

وفى خلال مرحلة حرب الاستنزاف بين عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ أخليت المناطق السكانية القليلة فى غرب سيناء ، وتحولت المدن القليلة الموجودة ، مثل القنطرة شرق ، الى خرائب تهيم فيها الاشباح والكلاب الضالة .

وتتمركز قوات اسرائيلية رئيسية فى محاور سيناء الثلاثة : أبو عجيلة ، وبير تمادا ، والكونتيلا ، وممر متلا ، وجبل لبنى ، وبير جفجافة . وبدأت بعض الاصوات فى اسرائيل ترتفع مطالبة بضرورة استمرار اسرائيل ، عند أية تسوية ، فى السيطرة على هذه المحاور .

***

لكن اخطر من هذه الاوضاع العسكرية الاسرائيلية فى سيناء ، الاوضاع الاستيطانية والتشييدية التى تقوم بها اسرائيل .

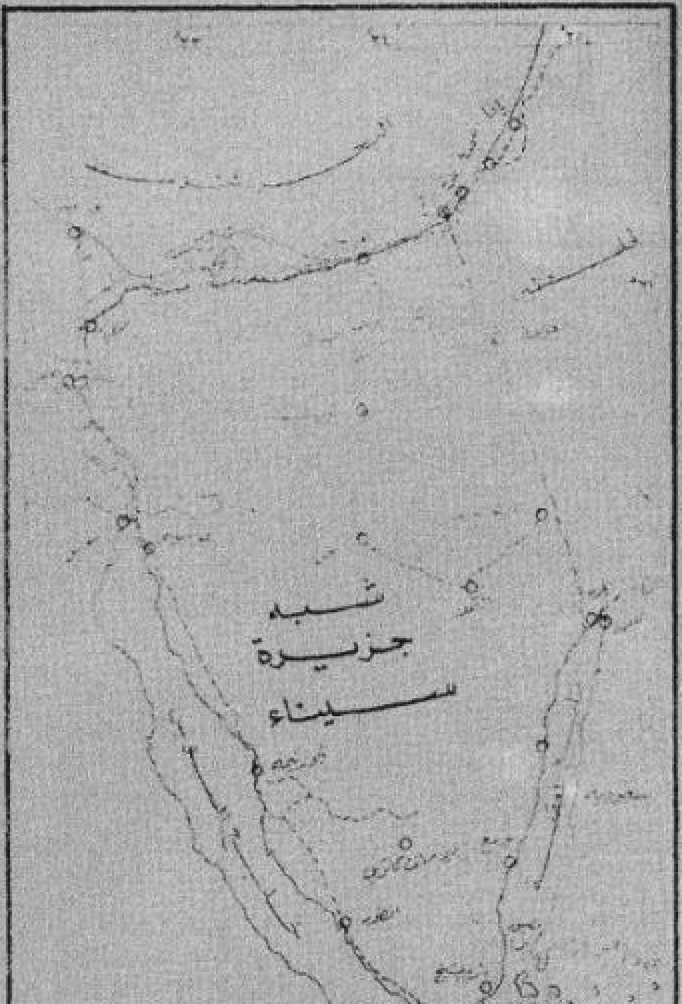
ان اسرائيل تقوم بخلق امر واقع جديد فى منطقة شرم الشيخ ، ذات الاهمية الاستراتيجية الكبيرة عند مدخل خليج العقبة .

ووفقا للمعلومات القليلة المنشورة ، فان ثمة مشروعين رئيسيين بالنسبة لمنطقة شرم الشيخ : هناك مشروع لربط شرم الشيخ بميناء ايلات الاسرائيلى بطريق برى مرصوف يحاذى شريط الساحل الغربى لخليج العقبة . وهناك مشروعات تهجير واسكان فى شرم الشيخ تبلورت فى قرار الحكومة الاسرائيلية الاخير بالسماح للمواطنين الاسرائيليين ، اذا أرادوا ، بالاقامة هناك . وذلك بالاضافة الى فندق سياحى تجرى اقامته مع تنشيط حركة السياح .

وفى الوقت ذاته ، فان القليل الذى تنشره الصحف الاجنبية من مشاريع اسرائيل فى سيناء يشير الى انها قد اقامت عدة مستوطنات اسرائيلية ذات طابع عسكرى ـ اقتصادى ، وهى من ذلك النوع من المستوطنات التى اعتادت أن تقيمه قوات الطلائع العسكرية الاسرائيلية المعروفة باسم « ناحال » منذ تروت الحركة الصهيونية العالمية استيطان فلسطين .

وفى ٢٨ فبراير الماضى ، نشرت صحيفة « لوموند » الفرنسية ما يشير الى وجود مستوطنة اسرائيلية للصيد فى منطقة بحيرة البردويل ، وثلاث مستوطنات زراعية فى منطقة العريش ورفح .

ومن ناحية اخرى ، يجرى بنشاط تعمير المنطقة التى يقع فيها دير سانت كاترين ، لاغراض السياحة ، وتجرى اقامة مطار لهبوط طائرات الهليوكوبتر


شبه
جزيرة
سيناء

خطط

إسرائيل في سيناء

بالقرب من الدير لتسهيل وصول السياح اليه .

وهناك عدة بعثات اسرائيلية تقوم بأعمال التنقيب والحفائر بحثا من الاثار اليهودية القديمة فى سيناء ، وذلك لتعزيز الادلة التاريخية على « حق » اسرائيل فى هذه المنطقة .

بينما تعمل بعثات اسرائيلية أخرى ، بهمة ونشاط ، على استغلال وتنمية موارد البترول فى سيناء ، والتنقيب عن موارد جديدة ..

ولقد لفتت هذه المشروعات وغيرها مما يتم فى الاراضى العربية المحتلة الاخرى نظر الصحفيين الاجانب ، ومنهم — على سبيل المثال — مستر ريشرجريف ، مراسل مجلة « نيوزويك » الامريكية ، الذى أجرى حديثا هاما مع الرئيس أنور السادات ، ثم أجرى حديثا اخر مع السيدة جولدا مائير .

ويقول مستر ريشرجريف انه وجه اكثر من سؤال الى السيدة جولدا مائير حول مغزى الاعمال الاستيطانية التى تقوم بها اسرائيل فى المناطق العربية المحتلة ومنها سيناء ، ولكنه لم يحظ منها باجابة مقنعة . وكل ما قالته رئيسة وزراء

اسرائيل انها لا ترى أى تناقض فى ان يستوطن اسرائيليون بعض الاراضى العربية ، وفى ان يستمروا فى هذه المستوطنات الجديدة حتى لو اعيدت الى الدول العربية ، وانهم فى هذه الحالة يمكن ان يصبحوا فى الدول العربية مثل العرب فى اسرائيل !

●●●

على ان النظرة الابعد الى خطط اسرائيل الاستيطانية والتوسعية فى سيناء يمكن أن تعطى هذه الخطط مغزى أبعد من مجرد مغزاها العسكرى او السياسى أو حتى الاقتصادى ، الراهن .

ومن غير المستبعد أن تكون اسرائيل تهدف الى تقديم نموذج على ما يمكن ان تقوم به من اعمال « التعمير والتوطين » فى سيناء ، تمهيدا لطرح قضية أهم وأخطر ، وهى قضية توطين عرب اسرائيل نفسها فى هذه المناطق .

وفى كتاب « هاتول » (ومعناها التل) ، الذى عرضه محمود عوض فى عدد « المصور » الصادر بتاريخ ٧ مايو ، نجد اشارات عديدة من كتاب اسرائيليين الى مثل هذه الخطط البعيدة المدى فى سيناء .

ان الكاتب الدكتور يونخايزل يقول :

« . . . واذا كنا قد عقدنا العزم

على تحويل اسرائيل الى دولة هامة ، فعلينا ان نستغل كل فرصة ، وان نبحث عن كل ذريعة لكي نتوطد في شبه جزيرة سيناء ، ولا نتزحزح من هناك الى الابد » .

ويقول شموئيل تمير :

« ان قضية اللاجئين الفلسطينيين يمكن حلها بتوطينهم — بمساعدة دولية — في سيناء » .

ويقول اليعيزر ليبنه :

« . . . وفي حالة وجود عدد من اللاجئين الذين يرغبون ، رغم كل شيء ، في الحياة الزراعية وفي الطبيعة القريبة من نفوسهم ، من المناسب ان نقترح عليهم الاستيطان في شمال سيناء ، وهو الامتداد الطبيعي لقطاع غزة » .

●●●

وبايجاز شديد ، فانه ليس صحيحا انه لا توجد نوايا او خطط توسعية لاسرائيل في سيناء .

بل الامر على العكس .

فهناك خطط ونوايا توسعية لاسرائيل في سيناء ، وهناك خطط ونوايا اسرائيلية لمحاولة استخدام ارض سيناء لتصفية قضية الشعب الفلسطيني تصفية نهائية وهناك خطط ونوايا اسرائيلية لمحاولة ضرب الفلسطينيين بالمصريين في سيناء .

ثم فلنواجه الحقيقة .. كل الحقيقة بصراحة ووضوح :

لقد غزا الاسرائيليون سيناء مرتين خلال نحو عشر سنوات : مرة في سنة ١٩٥٦ ، ثم اضطروا الى الانسحاب انسحابا كاملا . ومرة في سنة ١٩٦٧ ، وهم لا يوافقون حتى على انسحاب جزئي ملموس .

ثم لم تكن مصادفة أن ركز العسكريون الاسرائيليون قواتهم الرئيسية لاحتلال سيناء ، قبل أن يتجهوا الى الدول العربية الاخرى المجاورة لهم . وكان حسم المعركة في سيناء حسما للمعركة في الجبهات الاخرى .

ثم لم تكن مصادفة أن شعر الاسرائيليون بقلق حقيقي على مراكزهم وروحهم المعنوية عندما بدأت حرب الاستنزاف ضدهم في سيناء ، ويشهد على ذلك كتاب اخير صدر بعنوان « **الطرق الى القدس** » . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يأخذ أسلوبا روائيا فان فيه صفحات توضح مدى ما اصاب الاسرائيليين من ارهاق في سيناء نتيجة لحرب الاستنزاف

سيناء

الشرط الثالث للقومية

في التعريف العلمي للقومية والامة عدة شروط وقسمات لابد من توافرها حتى نستطيع أن نقول ان هذه الجماعة البشرية أمة واحدة ، وانها تكون قومية واحدة من القوميات .. وهذه الشروط والقسمات هي :

١ ـ أن تكون لهذه الجماعة البشرية اقامة ثابتة في وطنها، بحيث لا يكون لقاؤها عرضا ينتهي بالهجرات والرحيل .. وان يكون تكوين هذه الجماعة قد حدث خلال المراحل التاريخية ، فاصبح طبيعيا راسخا ، وليس مجرد عملية مصطنعة قهرية .. وان يكون المعيار الذي يحدد الدخول في هذه الجماعة ، والخروج منها مبرا من النزعات القبلية والعرقية والعنصرية .

٢ ـ ان تكون لهذه الجماعة البشرية لغة مشتركة .

٣ ـ وان تكون لها ارض مشتركة ، تصبح بالنسبة لقسماتها القومية الوعاء الذي يتم فيه التفاعل والانصهار .. بحيث تخلو من الحواجز الطبيعية والصناعية التي تحول دون هذا التفاعل وذلك الانصهار .

٤ ـ وان تكون لهذه الجماعة البشرية حياة اقتصادية مشتركة ..

٥ ـ وان يكون لها تكوين نفسي مشترك ، ينعكس ويتجسد في ثقافتها العامة والمشتركة .

العربية

■ محمد عمارة ■

وعلى هذا الأساس ، وانطلاقا من هذا الموقف العلمي في الدراسات القومية يجب أن يكون الفهم العربي لقضية الاحتلال الاسرائيلي لسيناء .. والاصرار على زيادة رقعة الحاجز الصناعي الذي تمثل ويتمثل في الكيان الصهيوني العنصري ، والذي شطر الأرض المشتركة للقومية العربية الى شطرين ، مشرق ومغرب ، ثم قام بينهما حائلا دون الاتصال الارضي ، على أمل الحيلولة بين العرب وبين وحدتهم ، وتمهيدا لاصابة باقي قسمات القومية العربية بالتحلل والذبول بدلا من التفاعل والانصهار .

وعلى هذا الاساس ، ومن هذا المنطلق تصبح سيناء أكثر من صحراء رملية .. وأكثر من ثروات اقتصادية تختفي أو تظهر في أرض هذه الصحراء .. وأكثر من موقع استراتيجي بالنسبة لمصر كوطن من الأوطان العربية .. وأكثر من قطعة عزيزة على قلوب المصريين لا يمكن للعقل ولا للقلب أن يهدأ دون أن تتحرر من قيد الأعداء .. تصبح سيناء أكثر من كل ذلك ، وفوق كل ذلك وقبله : **قضية العروبة بالنسبة لكل من يؤمن بالعروبة .. قضية القومية العربية والأمة العربية بالنسبة لكل من ينتمي الى هذا الكيان من المحيط الى الخليج .. قضية البقاء والازدهار لكل القيم العربية على كل الأرض العربية ، اذ في تحريرها قيام هذا الوعاء ، وعاء الأرض العربية المشتركة ، كي تتفاعل فيه هذه القيم التي يريد لها الأعداء الذبول والاضمحلال والفناء .**

ونحن اذا شئنا أن نضرب بعض الامثلة على هذه الاهمية الكبرى التي تمثلها سيناء في وحدة الأرض العربية المشتركة ، تلك القسمة القومية الضرورية * لوحدة شعوب هذه الامة ، وجدنا في كثير من تجارب الامم في قارات العالم المختلفة ، وفي عصور البشرية المتعاقبة الكثير من الامثلة على هذا الذي نقول :

فعندما تكونت « باكستان » في أعقاب الحرب العالمية الثانية شهدت جماهيرها وزعاماتها السياسية والفكرية موجات من الحماس الوحدوي بلغت حد العقيدة الدينية التي تكونت على أساسها هذه الدولة بعد الاستقلال .. بل ان هذا الحماس قد جعل الكثيرين في بلاد كثيرة ينظرون الى هذه التجربة كنموذج يجب أن يحتذى في اقامة الدولة على أساس من الدين .. واليوم ، تؤكد الاحداث التي عاشتها وتعيشها هذه البلاد **أن انعدام « الأرض المشتركة » بين اقليميها الشرقي والغربي ، كان في مقدمة الاسباب التي جعلت القسمات التي تميز هذين الاقليمين تسير في اتجاه التميز والابتعاد ، بل والتعارض والتناقض بدلا من أن تسير في اتجاه التقارب والتفاعل والانصهار ..**

وحتى تجربة اليهود أنفسهم .. عندما جعلتهم الظروف التاريخية يعيشون في أوطان عديدة ، فانهم قد تمايزت طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم ، رغم تلك التنظيمات السرية التي ظلت تعمل لتوحيدهم على طول عصور ذلك التاريخ ، ورغم العنصرية التي ظلت تشدهم الى رباطها باستمرار ، ورغم الاحلام الاستيطانية والاستغلالية التي ظلت تراودهم جميعا تقريبا في أرض فلسطين ..

واليوم يشهد المجتمع الاسرائيلي - رغم التخطيط الواعي الذي يواجهون به سلبيات عصور الشتات - انقسام الصهيونية الى أناس من الدرجة الاولى ، والثانية ، والثالثة .. ويعيش التناقضات لا يمنع تفجرها سوى ظروف التعبئة التي تعيش فيها هذه الثكنة العسكرية العنصرية باستمرار ..

●●●

أما اذا شئنا الاشارة - مجرد الاشارة - لتلك الكارثة التي يمكن أن تصيب الوطن العربي وقسمات أمته القومية ، اذا حدث ونجح الاستعمار والصهيونية في ترسيخ الحاجز الذي يشطر أرضنا الى مشرق ومغرب ، فيكفي أن نعلم أن مساحة مصر والمغرب العربي تصل الى ضعف

مساحة المشرق العربي ... وان تعداد السكان في مصر والمغرب العربي يصل الى ما يقرب من ثلاثة اضعاف عدد السكان في اقطار المشرق .. وان اللغة العربية يتكلمها في القارة الافريقية – اى غربي سيناء – سبعون مليونا من البشر ..بل وتتاثر بها وتقترب منها لغات افريقية اخرى ، مثل « السواحلية » و «الهوسا » و « اليوربا » ، يبلغ عدد الذين يتكلمون بها من ابناء افريقيا سبعون مليونا كذلك .. وهى امكانيات حضارية وسياسية لن تستطيع العروبة الاستفادة منها الا بهزيمة المخطط الاستعماري الصهيوني الذى يدور حول هدفه الاساسي: فصم عرى الوحدة العربية . والحيلولة دون القومية العربية ودون الوحدة .. وذلك عن طريق تقسيم الارض المشتركة ،وتعميق الحاجز الذى اقيم فى سنة ١٩٤٨ فى فلسطين ، بمده غربا وجنوبا فى ارض سيناء .

ونحن نستطيع ان نقول ايضا : ان هذه الاهمية القومية لسيناء ، ليست وليدة العصر الحديث والصراعات التي يخوضها العرب لتحرير اوطانهم من الاستعمار وحليفته الصهيونية .. وانما ترجع اهمية سيناء القومية ودورها القومي الى ما هو ابعد من هذا التاريخ بكثير .. كما ان وضعها كنقطة رئيسية فى جدول اعمال الذين خططوا لاعاقة تقدم هذه المنطقة ومنع وحدتها ، هو ابعد ايضا من ذلك التاريخ الحديث..**فمنذ ان قامت للعرب والعروبة امبراطورية على انقاض النفوذ والاحتلال البيزنطي لبلاد الشرق ، كان لسيناء ذلك الدور القومي العربي .. وللاعداء ذلك المخطط لشل فعالية دورها هذا ،والحيلولة بينها وبين القيام بدور الجسر الحضاري والقومي الذى يربط المشرق بالمغرب ويوحد العرب من الخليج الى المحيط ..**

فى العصر العربى الاول

منذ ان عبر الجيش العربي الذى قاده عمرو بن العاص ارض سيناء سنة ٦٣٩م ليساعد العنصر الوطني المصري على ازاحة النير البيزنطي الاستعماري ، وسيناء تلعب فى التاريخ العربي دورا ما زال ينتظر الدراسة التاريخية الكبرى التي تجلى صفحاته وتقدمها بين يدى الباحثين والقراء

فهى لم تشهد فقط طلائع الجيوش التي عبرت مصر ، ثم بلاد الشمال الافريقي ، ثم عبرت البحر الى الاندلس لتقيم الحضارة التي يفخر بها الشرق والغرب حتى هذا التاريخ ... **وانما كانت الطريق لكل عالم ، ولكل فقيه ، ولكل عقل عربي مستنير عبر من بلاد المشرق الى بلاد افريقيا والمغرب والاندلس ليوقد شمعة فى عقول الناس وقلوبهم ، وليسهم فى بناء ذلك المجد الفكرى الانساني الذى لولا وجوده فى العصور الوسطى لشمل وصف « العصور المظلمة » كل بنى البشر طوال هذه القرون ... ومن يدرى ، ربما لم يكن لاوربا عصر للنهضة بعد ذلك الانحطاط الذى عاشت فيه ..فذلك البناء الحضاري الذى صنعه العرب والمسلمون انما كان ثمرة تفاعل الجذوة الفتية التي خرجت من المشرق فوصلت الى المغرب ، عبر سيناء.**

وعندما اخذت الامبراطورية العربية على عهد « **عبد الملك بن مروان** » (٦٨٥ – ٧٠٥م) تسلك طريق التعريب لاجهزة الدولة ، عبرت سيناء تلك الافكار التي وضعت فى دمشق ، فربط البريد اجزاء البلاد ، وعربت دواوين الحكم والحكومة، وعرفت الاسواق العربية النقود العربية لاول مرة فى التاريخ ... الخ .. الخ..

وفى عهد « **هشام بن عبد الملك** » (٧٢٤ – ٧٤٣م) اخذت القبائل العربية والبيوت البدوية فى الهجرة من شبه الجزيرة ، عبر سيناء ، الى مصر ، كى تعيش فيها ، وتتفاعل حضاريا وعرقيا وثقافيا مع العنصر المحلى فيها ، ولتعطى فى النهاية ثمرة عملية التعريب الكبرى التي شهدها ذلك التاريخ ، تلك الثمرة التي تمثلت فى عروبة مصر ، وعروبة المغرب العربي ، تلك العروبة التي استعصت على المستعمر عندما اراد اقتلاعها ، او حتى مجرد النيل منها ، سواء فى العصور الوسطى او فى العصر الحديث ..

ففى سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧ م) شهدت سيناء عبور طلائع هذه القبائل من عرب « قيس » .. ثم تبعتها غيرها .. فانتشرت بذلك العربية كلغة ، والعروبة كهوية قومية ، والتعريب كعملية حضارية عميقة الجذور فى اعماق الملايين من البشر الذين

عاشوا غربي سيناء من مصر حتى شاطىء المحيط ... وكما شهد الذين ارخوا لتلك المسألة .. « .. فلقد كان اكبر عامل في انتشار الثقافة العربية في مصر تلك الموجة الناجحة التي لم تبلغها سابقتها الهلينية : هو نزوح العرب الرحل اليها نزوحا تدريجيا واتســـــاع التناسل ، واستقرارهم بها .. »(١) وهو النزوح الذي كانت سيناء معبره وطريقه باستمرار

وبعض هذه القبائل التي عبرت سيناء الى مصر ، واصلت سيرها بعد حين من الدهر الى بلاد المغرب العربي ، فاضافت الى عقيدة الاسلام قسمة العروبة لهــذه البلاد ، ولم يعد سكان المغرب مجــــرد « بربر » مسلمين ، وانما شربت العروبة بجذورها في أعماق هذه البلاد .. ونحن اذا شئنا أن نعرف بذور ذلك الصمود العربي الذي استعصى على الفرنسيين اقتلاعه أو كسره في الجزائر والمغرب وتونس ، فلابد لنا من ذكر طلائع العروبة والتعريب التي زحفت الى هناك في هجرات القبائل العربية من « بني هلال » و « بني سالم » و « رباح » .. الخ .. الخ .. تلك التي هاجرت الى المغرب في سنة ٤٤٤ هـ (سنة ١٠٥٢ م) .. والتي اضــافت بهجرتها تلك الى تراثنا الثقافي عددا من الملاحم والاساطير أسهمت في ايجاد التكوين النفسي المشترك للمواطن العربي على امتداد الوطن العربي الكبير ..

وعندما اكتملت لهذه المنطقة من افريقيا مقومات العروبة والتعريب .. وقامت في مصر والمغرب الدولة الفاطمية ، وبنيت « القاهرة » ايذانا بأن الوقت قد حان كي تقوم هذه العاصمة بالدور القيادي للوطن العربي كله .. عندما حدث ذلك التحول الكيفي البالغ الاهمية في تطور العـــالم العربي أخذت سيناء ترد الى الشرق ، من المغرب ، بعض الذين ، فتعطيـــه زادا فكريا وثقافيا ، وعرفت طرقها قوافــل الدعاة الفاطميين ، أولئك الذين حملوا الى الشرق رسالة « الازهر » و « بيت الحكمة » ومعارف مكتبة القاهرة التي لم يكن لها نظير في ذلك التاريخ .. كمـــا عبرت سيناء كذلك جيوش الفاطميين كي تجدد شباب الدولة العربية الاسلامية التي شاخت في العصر الاخير من حكم العباسيين .. وظلت تمارس دورها ، معبرا حضاريا وعسكريا وسبيل وصل .. وحتى وان بدت فقيرة عريانة قاحلة ، الا أنها عاشت في كنف الحضارة الزاخرة بالغنى وبالحياة والتي امتدت آثارها الى ما هو أبعد من المحيط والخليج .

في مواجهة الاخطار

وعندما بدأت تلك الحقبة الشهيرة من صراع الغرب ضد الشرق ، والتي عرفت باسم « الحروب الصليبية » ، واستمرت قرنين كاملين (١٠٩٧ ــ ١٢٩١ م) بدأت تتكشف للغزاة والمغامرين الاوربيين مخاطر الوحدة العربية كعقبة لا بد من ازالتهــا حتى يدوم لهم الاحتلال والاســتقرار ، فكانت عيونهم على فلسطين ــ تحت ستار المسيحية وقبر المسيح ــ حتى يصلوا الى مركز التحكم في طريق التجارة الدولية بين آسيا وأوروبا .. ومن ثم وجدوا أن استقرارهم في هذه البلاد ، وبقاء كياناتهم اللاتينية الاستيطانية المزروعــة في قلب فلسطين رهن بعزل الشرق عن المغرب ، والحيلولة دون وحدة مصر العربية مع البلاد الواقعة الى الشرق والشمال من فلسطين.

ومن خلال معارك هذا الصراع وأحداثه اكتشف الطرفان ــ « العرب والصليبيون » ــ حقيقة هامة ، ظلت تحكم معاركهما ، وبالذات في المائة عام الاخيرة ، التي بدأت مع مطلع القرن الثالث عشر الميلادي .. وهذه الحقيقة تقــول : « انه لا ســبيل

---

(١) جورج كيرك (موجز تاريخ الشرق الاوسط) ص ٣٧ . ترجمة عمر الاسكندري ــ طبعة الالف كتاب . القاهرة .

للعرب كي يتلقفوا الكيانات الصليبية التي زرعتها أوربا في فلسطين والشام الا بتوحيد الشرق مع مصر ، حتى يتم الالتفاف حول هذه الكيانات الغريبة ، فيضيق عليهـا الخناق ، فلا تجد سوى البحر المتوسـط طريقا لها ، جاءت عبره من أوربا ، وعبره الى أوربا تعود .. كما أنه لا سبيل امام الصليبيين ، كي يثبتوا كيانا لهم في الشام وفلسطين ، الا بمنع قيام هذه الوحدة العربية بأي ثمن ، وبأي شكل من الاشكال

ونحن اذ نظرنا الى خريطة « مملكة أورشليم » الصليبية التي قامت سـنة ١١٠٠ وقارناها بخريطة الكيان الصهيوني في فلسطين ، وخصوصا من حيث قيام هذين الكيانين وتحقيقهما لعزل المشرق عن المغرب العربي ، واقامة حاجز يمتد من خليج العقبة الى البحر المتوسط .. أدركنا وحدة الهدف الاستعماري ، ووحدة المخطط رغم اختلاف العصور والملابسات ، ورغم اختلاف أدوات التنفيذ لهذا المخطط وتلك الاهداف ..

واذا اضفنا الى ذلك تلك المطالب والآمال الصهيونية الحالية في سيناء ، تلك التي تريد مد عنق الحاجز الى جنوبي سيناء حتى « شرم الشيخ » ادركنا أنهم اليوم يريدون احكام العزل اكثر ممـا حاول الاولون .. وانهم يريدون ما هو ابعد من التجارة ، والامن على التجارة الخاصة بهم في البحر الاحمر .. انهم يريدون الحيلولة دون تنفيذ ما طالب به البعض بعد سنة ١٩٤٨ م من اقامة معبر بري يصل الشرق بالمغرب عبر خليج العقبـة وسيناء ، وهو الامر الذي يجعل الوحدة الارضية للقومية العربية قائمـة ، بل وملتفة حول الكيان الصهيوني الغريب من اغلب الجهات .. كما يريدون تحـويل التجارة عن قناة السويس الى قناة يخططون لانشائها بين « ايلات » و « اسدود » .. كي يعيدوا تنفيذ وتطبيق ما صـنعه البرتغاليون في العصر الوسيط عنـدما حولوا التجارة الى رأس الرجاء الصالح فاصابوا مصر والوطن العربي بالتحلل والتفكك في عصر المماليك ؟! ..

وكل هذه الاحلام تطوف بسيناء ..
وكل هـذه المطالب تريد من سيناء ..

خريطة اسرائيل قبل ٥ يونيو سـنة ١٩٦٧ تحول دون وحدة الارض العربية



وتحقيق هذه الآمال أوقفتها رهن بالموقف من سيناء ..

ذلك أن سيناء كانت هي الطريق الذي سلكه العرب في العصور الوسطى لتبديد أحلام الصليبيين وتحطيم آمالهم .. وذلك عندما عبرتها جيوش **صلاح الدين الايوبي** لتحرز الانتصارات الكبرى التي توجت باسترداد القدس وتحريرها في سنة ١١٨٧م .. وعندما عبرتها من بعد ذلك جيوش **الملك قطز والظاهر بيبرس** لتصد التتار في « عين جالوت » سنة ١٢٦٠ م ولتفتح حصون الصليبيين وتحررها منهم بعد ذلك .. وعندما عبرتها جيوش **السلطان الاشرف خليل** (١٢٩٠ ــ ١٢٩٣ م) لتحرر عكا ، آخر معاقل الصليبيين في الشرق ، في مايو سنة ١٢٩١ م .. كانت سيناء « وعبور سيناء » هي بداية النهاية لذلك المد الاستعماري الاوربي الذي زحف على الشرق ، ودام في ربوعه قرنين من الزمان ، كي يعيد السيطرة والنير اللذين خلعهما هذا الشرق عن كاهله عندما ظهر فيه الاسلام ، وتسلح أهله بأسلحة العروبة والاسلام .

ونحن اذا شئنا أن نعرف مدى وعي قادة أمتنا العظام بأهمية سيناء كطريق لا بديل له لتحرير الشرق من ذلك الغزو الصليبي ، كفانا أن نورد ذلك المثل الذي حدثت وقائعه في معركة العرب ضد الصليبي ، كفانا أن نورد ذلك المثل الذي في ٨ يونيو سنة ١٢١٨ م .. فلقد استطاع الصليبيون أن يحتلوا يومها مدينة « دمياط » ، بل ودام احتلالهم لها أكثر من ثلاث سنوات ــ « أربعين شهرا » ــ ودارت يومئذ اتصالات بين الملك الكامل الايوبي وبين الصليبيين ، وعرض عليهم أن يتركوا « دمياط » ويعودوا الى حصونهم على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط في نظير أن يعيد اليهم عددا كبيرا من الحصون التي سبق أن حررها منهم صلاح الدين .. بما في ذلك القدس .. ولكن المفاوضات فشلت لاصطدامها بعقبة لا يمكن ادراك أهميتها الا في ضوء حديثنا هذا عن دور سيناء ، ودور وحدة الارض العربية في اقتلاع واسقاط الكيانات الغربية والشاذة التي اجتهد الاستعمار تاريخيا في زرعها بأرض فلسطين ..

ذلك أن الملك الكامل ، كما قلنا ، قد عرض على الصليبيين عددا كبيرا من الحصون ، ولكنه تمسك بالطريق البري الذي يصل سيناء بالمشرق ، وبأن تبقى حصون جنوب فلسطين بيد جيشه ، وفي مقدمتها حصنا « الكرك » و« الشوبك » شمال خليج العقبة وجنوبي فلسطين .. وكان الملك الكامل يقدم يومئذ من التنازلات مالا يتعارض مع الاستراتيجية العربية التي رسمت في عهد الدولة « الزنكية » في المشرق(١) ، والتي نفذها « نور الدين » (١١٤٦ ــ ١١٧٤ م) ثم من بعده « صلاح الدين » .. استراتيجية وصل المشرق بالمغرب ، وتوحيد المشرق ومصر ، واحاطة الكيانات الاستيطانية الغربية من كل الجهات حتى لا يبقى أمامها سوى البحر المتوسط لتعود عبره الى أوربا حيث جاءت الى بلادنا من هناك ..

وتوقفت المفاوضات بين الملك الكامل وبين الصليبيين .. ودارت الحرب ، وأحرزت فيها مصر انتصارا تاريخيا بدد كل آمال الغزاة وأحلامهم في سبتمبر سنة ١٢٢١ م . **توقفت المفاوضات وتعثرت بسبب اصرار العرب على ذلك الممر البري الذي يصل المشرق بالمغرب شمال خليج العقبة وجنوبي فلسطين ..** وهي نفس المنطقة التي دفع « برنادوت »

---

(١) وهي التي تأسست في « الموصل » سنة ١١٢٧ م وامتد نفوذها الى الشام ، واحاطت بالكيانات الصليبية بعد وحدتها مع مصر على يد صلاح الدين الايوبي سنة ١١٧٤ م .

خريطة مملكة اورشليم الصليبية التي قامت
سنة ١١٠٠ لتحول دون وحدة الارض العربية



حياته ثمنا لاقتراحه اعطاءها للعرب عند قيام اسرائيل ؟!! ..

فى العصر الحديث

وعندما شرع الاستعمار ، مع مطالع العصر الحديث ، فى تكرار محاولاته التاريخية للسيطرة على هذه المنطقة ،كان له استفاد من كل خبرات أسلافه فى هذا الميدان .. ولكن بقى الهدف وهو السيطرة وظلت وسيلته الأساسية هى تحطيم وحدة الارض العربية باقامة كيان غريب فى هذا المكان من العالم العربى .. والتقت عندئذ مخططاته بأحلام اليهود والصهيونيين ..

لعندما كانت فرنسا تحاول بواسطة « بونابرت » اقامة امبراطوريتها الشرقية طلب « بونابرت » من يهود العالم أن يتحالفوا مع فرنسا ضد العرب ، وأن يكونوا لفرنسا العميل والشريك الاصغر فى النهب الاستعمارى الذى جاءت به حملته الى الشرق العربى فى ذلك التاريخ .. ومن على أبواب « عكا » ـ التى ردته مهزوما ـ وجه « بونابرت » نداءه الشهير الى يهود العالم فى ٤ ابريل سنة ١٧٩٩م طالبا مؤازرتهم له فى نظير أن تعيد لهم فرنسا « وراثة فلسطين » .. (١) !!؟

وعندما انهارت أحلام « بونابرت » فى سنة ١٨٠١ م .. وانهارت من بعدها مخططات بريطانيا فى معركة « رشيد » سنة ١٨٠٧ م ، ونهضت فى مصر دولة مدنية قوية حديثة بقيادة محمد على حاولت ـ بأسلوب ذلك العصر ـ توحيد مصر والسودان بالمشرق العربى (١٨٣١ ـ ١٨٤١ م) قادت بريطانيا العمل لتحطيم ذلك الاتحاد ، وأبصرت يومئذ دور الاقلية اليهودية المتصرية فى ذلك المخطط .. وكتب وزير الخارجية الانجليزى « بالمرستون » الى سفيره فى عاصمة الدولة العثمانية يقول فى سنة ١٨٤٠ م : « ... ان الشعب اليهودى بعودته الى البلاد « فلسطين » .. **يكون حجر عثرة فى سبيل اى اهداف سيئة تخطر فى المستقبل ببال محمد على اومن يخلفه»(٢) ..ومنذ ذلك التاريخ تحدد دور الحركة الصهيونية الحجر عثرة فى سبيل اهدافنا فى الوحدة ـ وهى الاهداف السيئة فى نظر الاستعمار ـ سواء قام على تنفيذ هذه الاهداف محمد على او غيره .. وسواء أكانت بلادنا اشتراكية أم غير اشتراكية .. فالهدف هو الحيلولة دون وحدة الامة العربية وقوتها وتحررها وتقدمها عن طريق تمزيق ارضها المشتركة بزرع الكيان الصهيونى الغريب فى هذا المكان ..**

وقبلت الصهيونية هذا الدور .. بل قامت حركتها السياسية الحديثة على يد « هرتزل » سنة ١٨٩٧ م كى تنهض بدورها فى هذا المخطط الكبير .. قامت فى سنة ١٨٩٧ لتنفذ نفس الاهداف التى عبر عنها أحد قادة اليهود الفرنسيين قبل مائة سنة ، فى ١٧٩٨ م عندما أخذ يتحدث الى يهود العالم عن أهمية هذا الموقع ، وعن توسط سيناء للخريطة التى يحلم بها ، فقال : « .. **اما البلاد التى ننوى قبولها ـ بالاتفاق مع فرنسا ـ فهى :اقليم الوجه البحرى من مصر ، مع حفظ منطقة واسعة الذى يمتد خطها من مدينة «عكا» الى « البحر الميت » ، ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر** .. فهذا المركز الملائم أكثر من أى مركز آخر فى العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الاتية من البحر الاحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية .. وموقع بلادنا من البحر المتوسط يمكننا من اقامة المواصلات بسهولة

---

(١) انظر نص النداء فى كتابنا «اسرائيل .. هل هى سامية ؟ » ص ٣١ ، ٣٢ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .

مع فرنسا وايطاليا وأسبانيا وغيرها من بلدان أوربا . ولما كانت بلادنا فى موقع متوسط من العالم فانها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التى تنتجها البلاد الغنية » (١) فهو يرمى باختصار الى سلب الوطن العربى قيمته الدولية وموقعه الاستراتيجى ، ومركزه التجارى .. كل ذلك بواسطة شطره ، والاستيلاء على الموقع الهام الذى تتوسطه سيناء .

وعندما يعقد حزب المحافظين الانجليزى مؤتمرا استعماريا أوربيا فى سنة ١٩٠٥ لدراسة تجارب الفشل والنجاح التى أصابتها من قبل الامبراطوريات الاوربية فى الشرق ، يدرك هذا المؤتمر دور الوحدة العربية المرتكزة الى وحدة أرض المنطقة فى فشل القائمة واستمرار هذه الامبراطوريات ... ولذلك يوصى هذا المؤتمر « باقامة حاجز بشرى قوى وغريب على الجسر البرى الذى يربط اوربا بالعالم القديم ، ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة ، وصديقة للدول الاوربية ومصالحها »(٢).. ولقد قامت الحركة الاستعمارية الاوربية بتوظيف الحركة الصهيونية للقيام بهذا الدور منذ ذلك التاريخ ..

وهكذا نستطيع ان نبصر من خلال كلماتهم هذه .. كلمات خبراء الشئون الاستعمارية فى أوربا ، والدعاة الصهيونيين نفس المخطط القديم فى ثوبه العصرى الجديد .. وان نرى فى أطماع الامبريالية والصهيونية فى سيناء نفس الاطماع التى حلم بها فرسان الصليبيين فى العصور الوسطى ، مع اختلاف طفيف – يتعلق بالشكل فقط – بين الاختفاء خلف « استعادة قبر المسيح » ، و « استعادة هيكل سليمان » ؟ !! ..

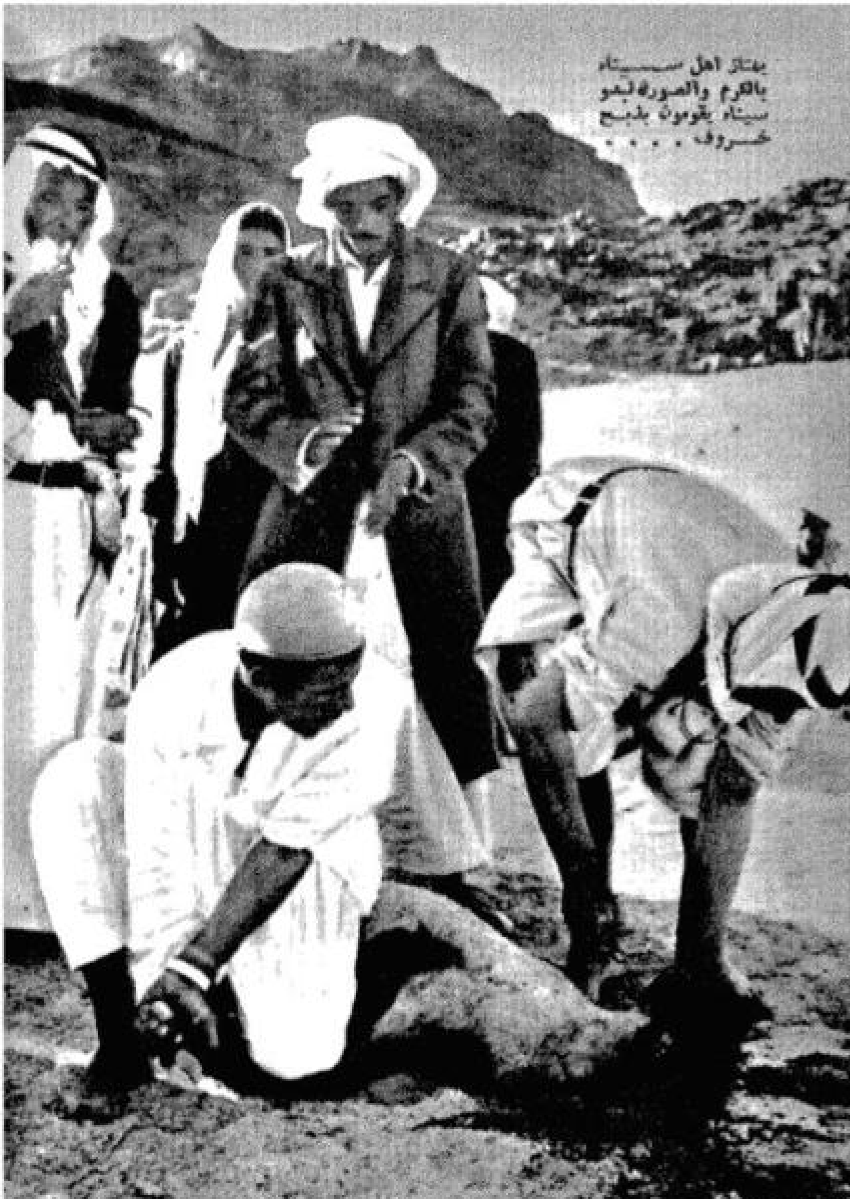
أما المخطط والاطماع فهى هى لم تتغير : فصم عرى وحدة الارض العربية ، للحيلولة بين العرب وبين التحرر والتقدم والاتحاد ، وذلك لاحكام القبضة الامبريالية على ثروات ومقدرات هذه المنطقة من المحيط الى الخليج .. ومفتاح كل ذلك هو عزل مصر عن المشرق العربى .. وبناء سور استعمارى أصم على مقربة من قناة السويس يحول دون نبض القاهرة الثورى حتى لا يسمع فى ربوع المشرق العربى الكبير ...

واذا كان هذا هو المخطط ، وتلك هى الاهداف .. فان فلسفة المواجهة لهما ، والعمل لاحباطهما ، تظل هى كذلك دون تغيير ، فيما يتعلق بالاسس والجوهريات ... نفس الاصرار على وحدة الموقف الثورى لهذه الامة .. نفس الاصرار على بقاء ارضها المشتركة دون فصم ولا تمزيق .. نفس الاصرار على التقدم فى اتجاه تطويق الكيان العنصرى الصهيونى الامبريالى حتى يأتى اليوم الذى يلقى فيه نفس مصير الكيانات الغريبة والشاذة التى زرعها من قبل الاستعمار فى هذا المكان وفى كل المواقف ، وجميع المراحل ، نفس الاصرار على ان تظل سيناء الجسر الحضارى والقومى الذى يحقق لامتنا ويضمن لها امتلاك خصائصها وسماتها القومية دونما ضعف او تصدع ... نفس الاصرار على أن تظل سيناء : الشرط الثالث للقومية العربية ، ذات الرايات الخفاقة ، رغم المصاعب والازمات والمعطلات .

---

(١) نقلا عن كتاب « يقظة العالم اليهودى » للكاتب الصهيونى ايلى ليفى أبو عسل ص ١٠١ وما بعدها . طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ م .

(٢) انظر هذه الوثيقة فى « ملف وثائق القضية الفلسطينية » جـ١ ص ١٤٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

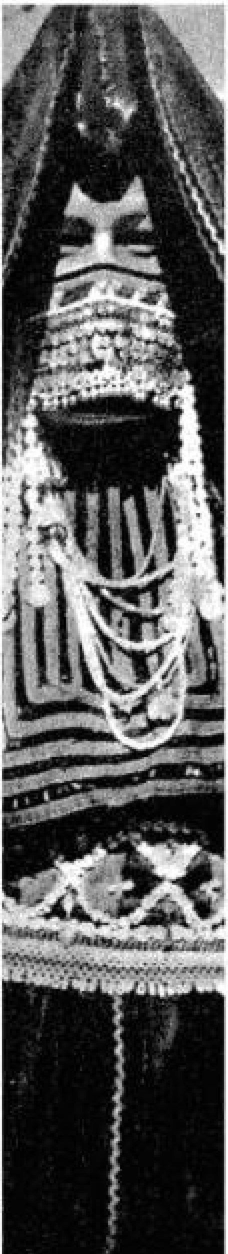


يمتاز أهل سيناء بالكرم والصورة لبدو سيناء يقومون بذبح خروف ....

د. محمود زايد

قبائل سيناء العربية

فى شبه جزيرة سيناء ثلاث مجموعات من القبائل العربية : الطورة ومساكنهم فى القسم الجنوبى من البلاد جنوب التيه ، والقبائل التى تسكن شمال التيه ، وقبائل بادية العريش .



زى شعبى من وسط سيناء لفتاة تضفر شعرها من الامام

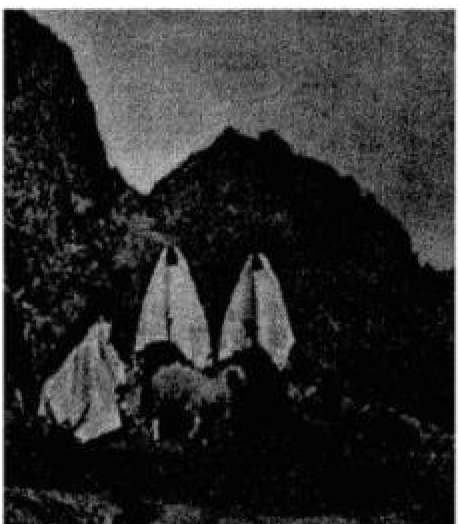
قبائل سيناء العربية

الطورة

وتضم الطورة ست قبائل رئيسية مع ملحقاتها وهذه القبائل هي : العليقات ومزينة والعوارمة واولاد سعيد والقرارشة

(وتعرف هذه القبائل الثلاث بالصوالحة) ثم قبيلة الجبالية ..

وتتميز قبائل الطورة عن غيرها من القبائل باتحاد الكلمة عند مجابهة التحديات الخارجية وباكرام الضيف. ويذكر نعوم شقير الذى درس أحوالهم فى مطلع هذا القرن بأنهم يقدمون للضيف ثلاث وجبات بينما يقدم غيرهم وجبتين فقط . وتجيز احدى عاداتهم الحصول على الغنم حتى بالسرقة اكراما لضيوفهم . كما يتميزون كذلك بعدم ممارستهم الاغارة على غيرهم بقصد الحصول على الغنائم . ويعلل (بالى) هذا بما لطبيعة بلادهم الجبلية



صورتان الاولى لسيدتين من قبائل الطورة .. والثانية : طريقة تادية السلام عند اعراب سيناء . . .

التيه والحكومة المستقرة من ثالير . كما انهم فى غاية الامانة بالرغم من تقرهم .

والطورة ليسوا سكان شبه الجزيرة الاصليين . لقد وفدوا على البلاد ابان موجة الفتح العربية الكبرى عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان يسيطر على قلب سيناء الا ذاك عرب بنى سليمان وبنى واصل . لكن العليقات والصوالحة من الطورة انتزعا البلاد منهم . ويذكر الرحالة (بركهارت) الذى زار البلاد فى اوائل القرن التاسع عشر ان بنى سليمان كانوا لا يزالون يفاخرون بانهم كانوا فيما مضى اسياد البلاد . وقد اضطر اكثرهم الى الرحيل الى محافظة الشرقية وانضم من بقى منهم فى شبه الجزيرة الى القرارشة .

اما بنو واصل فلم يكن قد بقى منهم فى اوائل القرن العشرين سوى عشرين بيتا دخل اهلها فى حمى الصوالحة . وكانوا من قبل يتمتعون بحق نقل البضائع الى دير القديس انطونيوس . وفى الوجه القبلى قبائل من بنى واصل تسكن محافظة اسيوط .

ومزينة من اكثر القبائل امتدادا بنسبها . وقد اشتهر ابناؤها بحب السلام ولين العريكة والامانة بالرغم من فقرهم . وينتشرون على طول الساحل الشرقى لسيناء .

وكان بنو مزينة قد وفدوا على سيناء بعد العليقات والصوالحة على اثر نزاع قبلى خشوا عواقبه فطلبوا من الصوالحة



قبائل سيناء العربية

أن يسمحوا لهم بالانضمام اليهم واستخدام مراعيهم فاشترطوا عليهم دفع جزية سنوية من الاغنام فى مقابل ذلك . وتقول رواية اخرى بأنهم اشترطوا على مزينة دفع جمل من كل بنت يزوجونها من بناتهم . فأبت مزينة قبول شرط يحط من قدرهم ويحد من حريتهم ، وتحولوا الى قبيلة العليقات فرحب هؤلاء بهم ولم يفرضوا عليهم اية شروط . ويبدو ان انضمام مزينة الى العليقات أخل بالتوازن القائم بين قوى العليقات والصوالحة ، فهب العليقات لقتال الصوالحة ووقعت حرب طويلة الامد بينهم جنحوا بعدها الى الصلح .

ويذكر نعوم شقير ان شيوخ الصوالحة والعليقات اجتمعوا فى بيت عربى فى مصر يدعى « الودى » واتفقوا على ان يعود كل منهم على املاكه التى كانت له قبل الحرب ، وعلى ان يقتسموا فيما بينهم عوائد الدير (وهى منافع نقل الرهبان وامتعتهم ونقل حجاج الدير) وعوائد نقل المسلمين من الحجاج المصريين الذين يأتون بطريق الطور او بطريق نخل .

واقتسمت مزينة مع العليقات المنافع ، لكن العليقات اشركتها فى منافع نقل الحجاج المسلمين دون منافع الدير . وبقى الامر كذلك الى ان قطع احد العليقات ذراع مزينى فهبت مزينة للاخذ بثأره . وكانت عندئذ تفوق العليقات عددا . فعقد العليقات معهم صلحا تنازلوا بموجبه من خمس عائداتهم من بعض منافع الدير . وفيما بعد اشرك الجبالية فى بعض منافع الدير بعد تدخل السلطات وعقد اتفاق بين القبائل فى عام ١٩٠٥ .

ويعتقد البعض أن القرارشة (احد فروع الصوالحة) هم من قريش ومساكنهم الرئيسية بجوار وادى فيران . ومن اعظم رجالهم الشيخ موسى ابو نصير . ويقول عنه نعوم شقير :

« هو اعظم رجل انتجته الجزيرة فى العصر . وقد كان نابغة جزيرة سيناء .. وكان رجلا شهما مهيبا طويل القامة جميل الطلعة جليل القدر سديد الرأى مسموع الكلمة . توفى عن ثمانين عاما فى منزله فى حديقة فيران يوم الجمعة فى ١١ اكتوبر ١٩١٢ . ودفن فى جبانة الشيخ عليان بفيران . وقيل عجل بموته وفاة ابنه الاصغر ابراهيم شابا ، فى مقتبل العمر . وقد ادخله مدرسة الطور . فكان اول من اتقن القراءة والكتابة من البدو فى سيناء كلها ، فشق عليه موته فمات غما . وكان فى فيران يوم وفاته نحو ٢٠٠ رجل من

قبائل الطورة كافة قد اجتمعوا لموسم البلح فدفنوه بالاكرام اللائق به » .

اما الجبالية وهم القبيلة السادسة من الطورة فليسوا فى الاصل من القبائل العربية . فقد تحدروا من « عبيد الدير » النصارى الذين أمر جوستنيان امبراطور الدولة البيزنطية بارسالهم الى دير القديسة كاترينا لحمايته . وفى الدير خبر مدون عن هؤلاء يقول :

« على ان هذا الحصن (أى الدير) لم يق الرهبان وزواره من اعتداء البدو لان هؤلاء كانوا يختبئون فى المغاور والجبال وكلما وجدوا زائرا او راهبا منفردا انقضوا عليه وقتلوه وسلبوه ماله . فلما بلغت هذه الاخبار الملك يوستنيانوس احضر من بلاد الفلاخ جهة البحر الاسود مائة رجل بعائلاتهم وارسلهم الى سيناء وكتب الى ثاودورس نائبه فى مصر فارسل اليها ايضا مائة رجل بعائلاتهم فبنى الجميع لهم محلة وراء الجبل الشرقى على نحو ثمانية اميال من الدير وسكنوا فيها واقاموا هناك فى حراسة الدير وخدمة الرهبان . وامر الملك يوستنيانوس ان يكونوا عبيدا للدير وفى طاعة الرهبان هم واولادهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها . ومن اخلا منهم فللرهبان الاذن فى تأديبه ومجازاته ...

« وبقى الصبيان محافظين على دينهم وامانتهم فى طاعة الدير الى ان فتح السلطان سليم مصر فاتحا » .

وتمضى الرواية بعد ذلك الى انهم دخلوا فى الاسلام عندئذ . وعلى أى حال فانهم تخلقوا بأخلاق البادية . ويمكن تمييزهم من غيرهم بقسمات وجوههم التى تختلف عن نظائرها عند القبائل العربية . وتترفع القبائل الاخرى منهم ألا يتزوج افرادها منهم . وكان عددهم فى أوائل هذا القرن ٨٠٠ شخصا .

قبائل شمال التيه

ومن أبرز القبائل التى تسكن شمال التيه : **التياها والترابين واللحيوات والحويطات** . ويبدو ان التياها والترابين دخلوا شبه الجزيرة فى وقت واحد . وفى مأثور التياها « **أن اصلهم من بنى هلال من فخذ سليمان العنود من برية نجد وانهم هاجروا من بلادهم فرارا من المجاعة ودخلوا الجزيرة فى وقت واحد مع الترابين وسكنوا بلاد التيه . وسكن قسم من الترابين شرق بلاد الطور ، ووقعت بين القبيلتين حرب على « عين سدر » كان الفوز فيها التياها وانهزم الترابين واتجهوا الى مصر ، ثم عادوا الى الجزيرة واصطلحوا مع التياها فى بلدة نخل على أن يكون للتياها ارض الجلد وللترابين ارض الدعث** » .

واهم مراكز التياها نخل وجبل الحلال وبين القسيمة وعد الويلح . واهم مايميز التياها البساطة وشدة الشكيمة وحب الغزو . وقد يكون اقبالهم على الغزو اكثر من غيرهم ناشئا عن جدب منطقتهم . ويذكر (بالمر) أن ضحايا غاراتهم التقليديين هم قبيلة عنيزة التى تمتد مضاربها من النمر الى حوران وتعتبر من أعظم قبائل البدو وأكثرها عددا . ويقوم التياها مرة على الاقل فى كل عام بحشد قواها وقطع مسافة تستغرق عشرين يوما للغارة على عنيزة . ويغيرون عليهم عندما تكون الابل فى المراعى . وحيثما تكون الابل

قبائل سيناء العربية

قد ابتعدت من مضارب اصحابها هاجموها وساقوها الى بلادهم . ويحدث احيانا أن يصل المغيرون الى مساكنهم قبل أن يتنبه أصحاب الابل الى فقدها . ويضيف (بالر) الى هذا أن التياها ساقوا فى آخر غارة لهم ٦٠٠ رأس من الابل .

وفيما عدا غنائمهم من الغارات فان جل اعتمادهم على الابل وعلى عوائدهم من الحجاج مسيحيين ومسلمين . اذ يقومون بنقل المسلمين عبر الصحراء الى العقبة ، وينقلون المسيحيين الى فلسطين .

وتتميز الترابين بسالتهم واقدامهم .

وفى ماتورهم انهم تحدروا من جد يسمى نجم قدم الى سيناء ونزل ضيفا على شيخ كبير من بنى واصل فى جبل طور سيناء . فزوجه ابنة له قبيحة الوجه ، وكان نجم فارسا مقدما . فجاء الترابين شجعانا قبيحى الصورة .

ويسكن اللحيوات شرق بلاد التياها وغربها ولهم فروع كثيرة منها النجمات والطور والصقابحة . ومشايخ اللحيوات من النجمات ذرية نجم بن سلامة بن غانم. وكان نجم هذا هو أول من اخذ « الصرة » من الحكومة المصرية لحماية طريق الحج. وخلفه على المشيخة ابنه « على » الذى قتل خطأ فى القاهرة . قيل انه دخل القلعة وهو راكب فرسه ، فناداه الحارس فلم يلتفت الى النداء فرماه برصاصة اردته قتيلا . فأضافت الحكومة المصرية اربعة جنيهات الى « الصرة » ترضية لهم . وللحيوات ايام وحروب كثيرة مع غيرهم من القبائل .

وتمتد مساكن قبيلة الحويطات من « طاسة الطو » تجاه الاسماعيلية الى وادى غرندل شمالا وجنوبا ومن جبيل حسن الى البحر الاحمر شرقا وغربا . واشهر مراكزهم بئر المرة وعين السدر . ويعتبر الحويطات انفسهم اشرافا من نسل فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

قبائل بادية العريش

واهم هذه القبائل : السواركة والرميلات والمساعيد والعيايعة . والسواركة من اكثر قبائل سيناء عددا . ويلقبون بأولاد الفزورة . ويسكنون فى القسم الشرقى من منطقة العريش . وقد زادت قوتهم كثيرا عندما انضمت اليهم قبيلة الرميلات التى هاجرت من جهات خان يونس الى منطقة العريش . ويسكنون الى جهة رفح الى الشمال .

الملحقات

وللقبائل فى سيناء عدة ملحقات اهمها الصلبة او الصليب ، والهتيم ، والعبيد.

وتنظر القبائل العربية الى هذه الملحقات بازدراء .

ولا يعرف أصل الصلبة على وجه التحديد . ذهب البعض الى أنهم من بقايا الصليبيين . ويميل (جارفس) الى الاعتقاد بأنهم فرع شرقي من النور . ويعيشون على صيد الغزال والارانب والجربوع . ويزاولون صناعة الادوات الزراعية كالفئوس ولا يقتنون الا الحمير ، ويعملون فمهنة يرعوا فيها وهي البيطرة . ويدربون بناتهم منذ الصغر على الغناء والرقص ، ويفدون على مضارب البدو لتسليتهم لقاء ما يمنحونه للراقصة من المال أو المتاع او الغذاء .

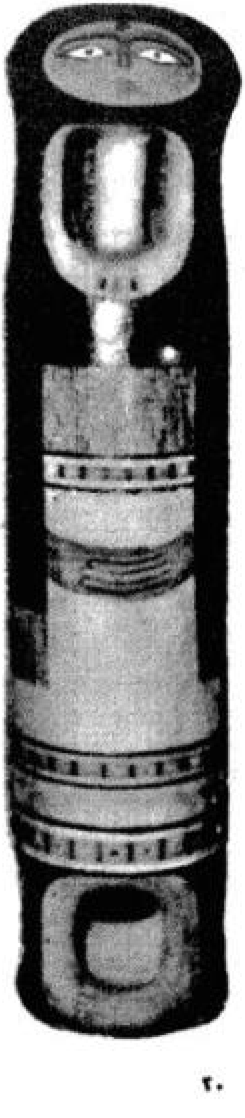
ويمقت البدو الصلبة لبراعة هؤلاء في العبث بأسنان الحيوانات لتبدو أصغر سناً ، ولمهارتهم في سرقة الطيور والدواجن . ويقول (جارفس) بأن اختفاء الدواجن يحدث عادة بعد أن يضرب الصلبة خيامهم بجوار أصحابها .

وبالرغم من أن الصلبة يتكلمون العربية فلهم لغة خاصة بهم لا يتحدثون بها الا فيما بينهم .

وقبائل الهتيم قبائل مستضعفة تعيش في حمى القبائل القوية نظير « الخاوة » التي يدفعونها لها . ولا يتزوج العرب منهم ولا يزوجونهم . واذا حدث أن تزوج عربي منهم عيروه واعتبروا أولاده من الهتيم . والشرارات اقوى قبائل الهتيم واكثرها عددا . وهم من أبرع العرب في معرفة طرق الصحراء والاستدلال على المسالك وتتبع الآثار . ويقول (جارفس) ان العربي يجوب الصحراء كلها بحثا عن جماله ويستطيع تتبع آثارها وتعيين تاريخ زمني دقيق لهذه الآثار . ويستطيع كذلك ان يفرق بين آثار جماله وجمال الآخرين . ويضيف الى هذا أنه لايمكن لأحد ان يقطع خطوة في الصحراء دون أن يراقبها غيره . وعليه فان البدوي يقرأ الاخبار على وجه الرمال . ويحدث كثيرا أن يسأل أحدهم بدويا ان كان رأى شخصا من قبيلة كذا فيجيب بأن مر قبل ثمانية أشهر مثلا ومعه جملان وثلاث عنزات وامرأة . وقد يكون البدوي سمع ذلك من غيره او رآه بنفسه . لكن اذا حدث أن اشعر السائل البدوي بأن الرجل الذي يبحث عنه مطلوب للبوليس بسبب جرم اقترفه فانه لا يظفر منه بشيء .

أما العبيد فهؤلاء من السود الذين استرقوا لمساعدة القبائل في الرعي وفي فلاحة الارض . والعرب لا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم فاذا تزوج أحدهم بعبدة عد أولاده عبيدا .

سيناء والوجدان



صالح رضا .. نحت حجر
خزف « ١٩٥٨ » ـ لاحظ
الوحدات على صدر التمثال

ظلت سيناء في وجدان الانسان المصري المعاصر حلما ضبابيا خابيا ، على مدى زمان طويل . وبالنسبة للفنان المصري فقد كانت تهب على وجدانه كالذكريات البعيدة ، حاملة أقدارها الكابية المطوية ، وهي تعطي منذ هذا الوجدان العميق الشجي ، احساسا مروعا بالتصوف ، حين نراها تقبع كشاهد الاثبات الاساسي على هذا اللقاء الازلي بين منطقة مصر والمنطقة العربية .

ولكن ثمة ما جعل سيناء تنحت في شعورنا أهمية المرائي ، حين نقرأ من مرائيها وأساها ونقشها ، مستوعبة في رمالها وصخورها الرصينة المصوفة دماء العصور السالفة ، مختزلة شكل الغاب والتفتح ، في ذلك اللون الأزرق النبيل ، هذا الذي نطقت به كثير من أعمال مصر القديمة ، حين أخذت تجتره الصحراء الترابية لتعطينا حبة الفيروز .

ولكن صحراء سيناء لم تعطنا فقط الفـــيروز ، وإنما أعطتنا حين ذاك ما هو أهم من الفيروز ، وهو « لحظة الاكتشاف » ، وذلك عندما أخذ المصري القديم منذ عهد ما قبل الأسرات يكسر الجرانيت الصعب الصمت باحثا في أحشائه عما قد يرويه ويسلوه . تلك كانت احدى لحظات الفعل الراقي الأول نحو البحث حول جعل « الاستعمالي » جميلا ، و « التعليمي » نافعا ، و « التزييني » مرفقا له قوة القانون الاجتماعي ـ فلعل هذه كانت احدى بدايات « فعل الفن » ، ونقصد بها تلك اللحظة الهامة التي تعترض زمن الممارسة وتفاجئه بالتغير ، ولكن ثمة ما نزيده على ذلك ، اذ نقصد بفعل الفن هنا ولادة الشكل السلوكي نحو الجمال .

واذ نصل الى هذه النقطة ، فاننا نقف على أول خيط لنا في منهجنا نحو هذا البحث الصعب . نحو محاولتنا الذاتية ، واجتهادنا الخاص لتقنين نوع الفن ـ اذا كان هناك فن ـ في سيناء ، والكشف عن التواصلات التي استقى منها وبها أوصافه وتراكيبه ونظامه العام .

ونحن نعترف ابتداء بندرة المراجع التي بين أيدينا ، ونحتج بذلك على أجهزة وزارة الثقافة ، التي لم يلتفت مسجلوها ، أو أثريوها ، أو باحثوها ، أو حتى

الفـــــن

في مصـــر المعــاصــرة

■ أحمد فؤاد سليم ■

الافراد الشخصيون داخلها الى تقرير جزء هام من جسد الامة المصرية ، يزخر بشوامخ الفن المصرى القديم ، وتلتقى فيه جميع حضارات الشرق الاوسط (البابلية والاشورية والقبطية والاسلامية) .

وعلى الرغم من عثورنا على القطع الثماني والستين ما بين ادوات استعمالية وادوات للزينة وغيرها للحياة والناس في سيناء ، في احدى الحجرات الهينة بمركز الفنون الشعبية ووكالة الغورى ، فان بصيص الضوء الذى تلقيه هذه الادوات على صحرائنا العزيزة الشاسعة لا يكفى ، بينما المحصلة غالية وعزيزة ، تهجع تحت الرمال ، او ترقص خلف الصخور القاسية .

مهما يكن من شيء فلقد عقدنا العزم على ان نلتزم بمحدود بحثنا من هذا الواقع ، واضعين نصب اعيننا هذه القطع الثماني والستين ، ونحن نحاول ان نجيب عن سؤال قد يظل قائما حتى النهاية : الفن في سيناء ، كيف جاء ، ومن اين جاء ، وما الضرورة اليه بين هذه البداوة المشغولة اكثر ما يكون الشاغل بالبحث عن سبل العيش والحياة .

اربعة عشر ملكا مصريا في سيناء ولا احد يدرى

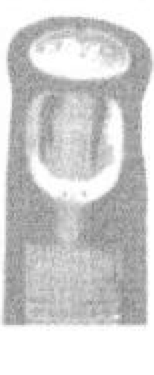
ولكن لمة ما يضطرنا هنا الى أن نتوقف قليلا لنلقى نظرة تاريخية شاملة قد تفيدنا فيما نرمع اليه . **فليس ادعى على الدهشة من ان نعلم ان سيناء تحتوى على اعمال نحتية ما بين مجسمات ، ونحت بارز ، ونحت غائر لاكثر من ثلاثة عشر ملكا مصريا من مشاهير عصر الاسرات هم :**

سمرخت (الاسرة الاولى ــ ٣١٣٥ ق. م) ، وزوسر ، وسانخت (الاسرة الثالثة ــ حوالى ٢٨٩٥ ق. م ــ ٢٨٤٠ ق. م) وخوفو ، وسنفرو (الاسرة الرابعة ــ ٢٨٤٠ ــ ٢٦٨٠ ق. م) ، وساحورى ، وتلو ــ رع ، ومنقرع (الاسرة الخامسة ٢٦٨٠ ــ ٢٥٤٠ ق. م) ، وبيبى الاول ، وبيبى الثانى (الاسرة السادسة ٢٥٤٠ ــ ٢٢٥٠ ق. م) وامنحمت (الاسرة الثانية عشرة ١٩٠٠ ق. م) وتحتمس الثالث ، ورمسيس الرابع ، وغيرهم مما عجزت المصادر أن تحققه .

وليس ادعى على جلب الحيرة أيضا من أن نعرف أن « **ايزيس هاتور** » الهة الحب وسيدة الفيروز منحوتة بوجوهها الاربعة في سيناء لكى تجلب الفيروز ، وهى موضوعة على رأس معبد ضخم بناه سنفرو لا نعرف كيف يكون عليه الحال اليوم في سيناء ــ ان مرارتنا تأتى من كوننا نقف أمام المصادر لا ندرى من تفاصيلها ما يساعد على شحذ خيالنا ، ولا ندرى من حالها ما كان يتحتم ان ندريه عليها .

وليس هناك شك في أن منطقة سيناء تزخر ايضا بالكثير من نماذج الحضارات الاشورية ، والبابلية ، والقبطية ، واليونانية ، والاسلامية ، ولكن المصادر العلمية الضنينة عنا ، لا تعيننا على أن نرى الملاقات بدقة ووضوح ، أو أن نستشف الحقائق الكامنة بطريقة تخلو من المخاطر .

ولذلك ، فاننا سنعتمد فيما نتصور على اسلوب الاستقراء والقياس الاستخلاصى في بحثنا حول الفن في سيناء ، مترسمين اسلوب التراكيب الفنية والحياتية في



سيناء ، فى محاولة للمقابلة بينها وبين غيرها من تراث الحضارات التى تحيط بها .
وليس أدل على هذه العلاقة — تاريخيا وانسانيا — هذه التى تجعل من سيناء ملتقى ومعبرا لعديد من الحضارات الانسانية العظيمة التى أحاطت بنا من أن نسوق لقرائنا هذين الخطابين (١) المثيرين المتبادلين بين اخناتون (١٤٠٠ ق.م) فيلسوف العصر القديم وبين اثنين من الحكام فى سوريا (٢) أحدهما « بيريديا » حاكم مدينة « مجدو » و « لابايا » حاكم مدينة « شيشم » :

(١)

« الى اخناتون
الى الملك سيدى وشمسى ، هكذا القول انا بيريديا خادم الملك الامين (يقصد اخناتون) — فليعلم الملك انه منذ عودة سارية الرماة يقوم لابايا بأعمال سيئة ضدى . لذلك نحن لا نستطيع جمع الصفوف ولا نستطيع الخروج من البوابة ، منذ علم لابايا بأنك لن ترسل سارية الرماة ثانيا . والان عزم لابايا على الاستيلاء على مجدو — هكذا هلكت مدينتنا من الموت بسبب المرض والطاعون . فليحم الملك المدينة »

ويكتب اخناتون الى لابايا يلومه على هذا التصرف ، فيرد لابايا على اخناتون :

(٢)

« الى اخناتون
الى الملك سيدى وشمسى ، لقد سمعت الكلمات التى كتبها الملك . فأنا لابايا الذى لم يخطىء . ولم اقم بثورة ولم ارفض طلبات الحاكم . هم يشون بى عندك عن سوء قصـــد فارجو الا ينسب لى الملك العصيان .. »

ونحن نسوق هنا هذا المثال الهام للبرهنة على الرابطة الادارية والوجدانيـة التى كانت تقوم بين مصر وسوريا فى ذلك الزمان البعيد ، حتى يجوز لنا ان نتصور هذه الواسطة الاخرى التى سبقت التاريخ الانسانى بعدة عصور بيننا . وبين سوريا وهى بالتحديد صحراؤنا الحمول الصامدة سيناء .
غير أننا قبل أن نطوى هذه الصفحة ، تاركين أسس تبويبها لاصحاب التخصصات التاريخية ، والعلوم الحضارية الشرقية ، وعلماء المصريات ، لا نمضى قبل ان نسجل العار لهذا الميجور الانجليزى الصفيق « ماكدونالد » الذى عبر صحراءنا

---

(١) من كتاب بلاد الشرق القديم لعالم المصريات د . محمد عبد القادر ص ١٤٠ .

(٢) يقصد بسوريا هنا الاصطلاح العام الذى استخدمه اليونان للدلالة على المساحة الواقعة بين جبال طوروس شمالا ، وسيناء جنوبا والبحر المتوسط غربا والبادية وبلاد النهرين شرقا .

الوزيرة على التحديد في عام ١٨٦٤ على رأس فرقة عسكرية لاكتشاف التجنيز والنحاس ، فأخذ يفجر الصخور المتبدة بحثا عن غنائم لم تفصح له من نفسها ، ومضت عليه الصحراء ، فعاد من حيث جاء ، ولكننا منذ هذه اللحظة عرفنا ان كثيرا من هذه الاعمال النبيلة قد تهشمت .

وحدة التصميم الفنية في سيناء

تتألف وحدة التركيب الفنية في سيناء من واقع الاعمال الاستخدامية المعروضة بمركز الفنون الشعبية الى مجموعة منظورات نفضل ان نحصرها ، حتى نحدد جوانب الاتجاه هنا بشكل عام .

١ ـ وحدة « تخطيطية » يعتمد فيهـــا على ابراز الخط الافقى المستقيم ، والخط الافقى الملتوى .

٢ ـ وحدة « تنقيطية » ، يعتمد الشكل فيها على منهج النقطة في استكمال النظام العام للشكل .

٣ ـ وحدة « المثلث » سواء كان مثلثا حاد الزوايا او منفرج الزوايا .

٤ ـ وحدة « المربع » والخط المنكسر .

٥ ـ وحدة « الدائرة المغلقة » ، والمفتوحة ، وغير المحدودة .

٦ ـ وحدة « الصليب » .

فهي اذن تتألف من مصنفين هامين اولهما :

الاعتماد على وحدة سكونية جمالية تتمثل في المثلث والمربع والخط المستقيم ، وثانيهما وحدة تتمثل في الحركة الظاهرية للفعل المؤقت ، وتتمثل في الدائرة والنقطة والخط الملتوى .

والحال ، اننا نجد انفسنا امام حالة تمثيل الجمال يتكون باسلوب تصميمى يتفق والطبيعة الكلانية لهـــذه الوحدات ، بحيث ينتهى بنا الوضع الى ان نعثر على شكل الجمال يتكشف لنا حين نلحظ الخلق التبادلي لتركيب الوحدات على مساحة بعينها ، مثلا بين المربع والمثلث ، في حالة توازن ينتهى بالتصميم الى حالة سكونية متصوفة على درجة عالية من التفوق ـ او تتكشف لنا من خلال منطق متنافر او متضاد الوحدة التركيبية بين المثلث والدائرة ، او بين الخط المستقيم والمثلث ، او بين الخط المنحنى والنقطة بحيث تقع اعيننا على حالة من حالات الحركة العابرة في واقع ديناميكى من ظاهرها ، او يجوز لنا ان نصفها بانها حالة سكونية على درجة عالية من التوتر تؤدى بالشكل التصميمى في النهاية الى نوع ما من الفن البصرى المتقدم اذا جاز لنا ان نستعير اصطلاحا محدثا من هذا النوع ـ وهي في جانب آخر ـ في بعض الحالات ـ تستلهم بطريقة تركيبها النوعى اسباب القوانين الرياضية والعقلية التى تحكمهـــا الضرورة الخالصـــة او المجردة .

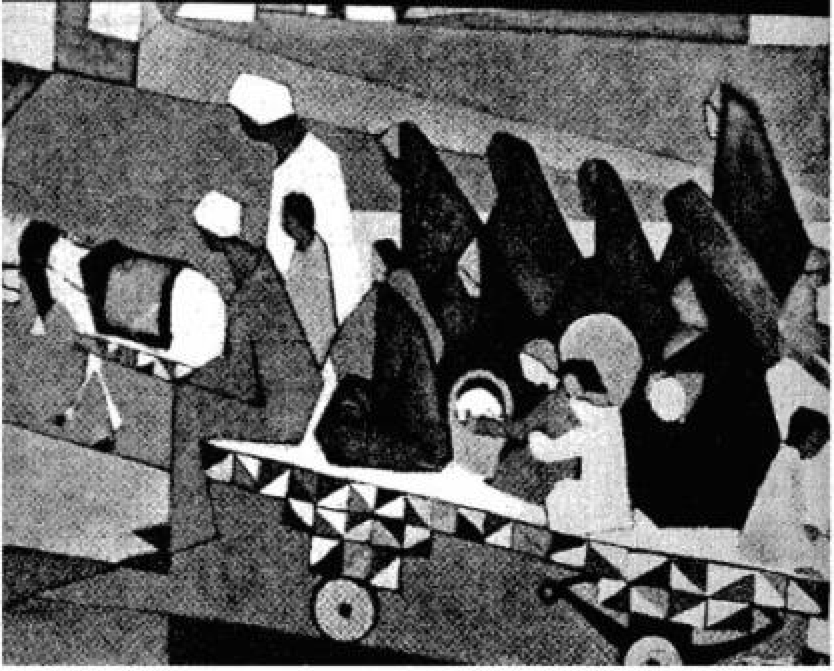
غير اننا لا نستطيع ان نرى هذه الوحدات من خلال واقع تحليلي نفسى للابتكار الفنى ، وانما نفضل من هنا ان نراها باعتبارها ضرورة جمالية خالصة تقوم على اختيار درجة الحقيقة التى يراد بلوغها في العمل الفنى . وعلى الرغم من ان هذه التصميمات قد وجدت في اغلبها على وحدات حياتية استعمالية ، الا اننا





.. حفر – لوحة الملوك الثلاثة – لاحظ وحدات المثلث والمربع ..

الفنان السوري محمد قشلان



لا نستطيع الزعم بأنها تسهم بشكل أو بآخر في خدمة الأهداف الاستعمالية ، أو حتى التصميمية للشيء الاستخدامي .

لنحن نعثر على هذه التصميمات مثلا على مقبض السكين ، أو على ظهر سلة الخبز ، أو على ابريق النحاس ، أو على دلاية في الرقبة ، أو على ظهر الفستان، أو في حزام الوسط ، أو كيس النقود ... الخ ــ فتمثيل الشكل المطروح عليها حينئذ انما يفرض نفسه من واقع احساس الانسان المبتكر بضرورة الجمال ، وبحاجته والجذابه الذاتى اليه ، أنها اذن مسألة لا نجد لها فيما نرى غير مثبتات عالية للذوق الفنى عند هذا الانسان الذى يسكن الصحراء ، مثبتات هى تعيش فيه وتتحرك ، وتدفع عنده خاصية الاحساس الفنى بالتراث الحضرى العميق ، وبحبه الغامر للبرهنة عليه والخلاص فيه .

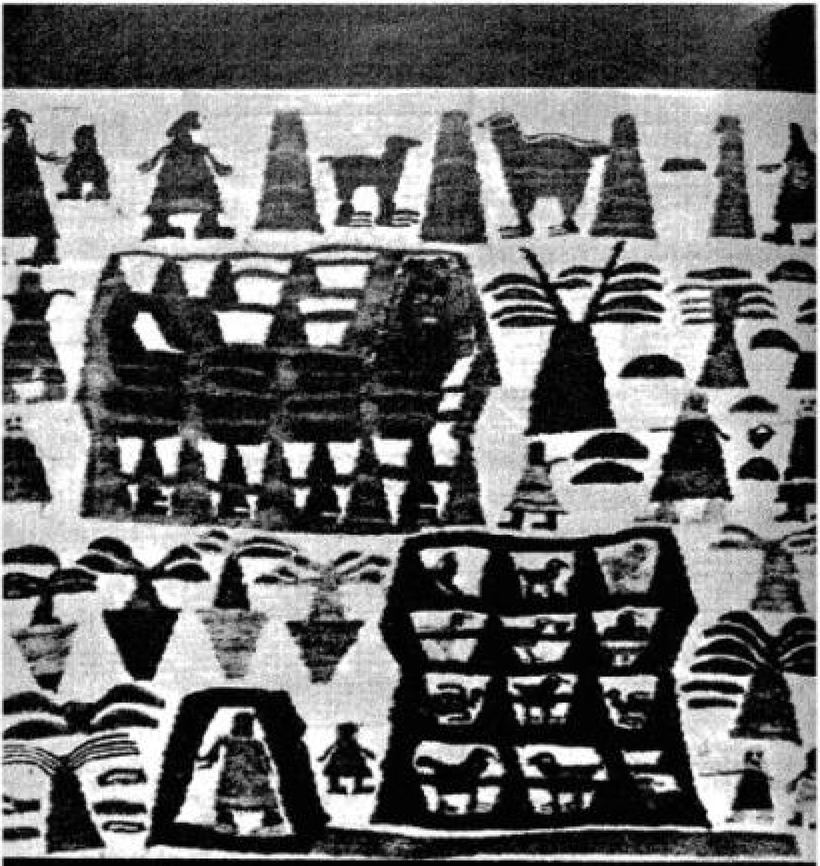
السكونية المتصوفة والمصرية

وفى تصورنا أن الانسان الذى يعيش فى سيناء قد تحصل على وحدانه السكونية المتصوفة فى تراكيبه الفنية من أجداده الشرعيين الذين ابتكروا شوامخ الفن المصرى القديم ،' فالمثلث والمربع ، هما وحدتان أساسيتان اعتمد عليهما فى أغلب الوقت النظام التصميمى للتركيب الفنى فى مصر القديمة ، وأشهر الأمثلة على ذلك هرم سقارة المدرج ، الذى يتكون من مجموعة مثلثات مجسمة ترتكز على مجموعة مربعات متفاوتة الحجم ، وكذلك الأهرام الثلاثة والمسلات المصرية ، وكثير من الرســـوم الحائطية مثل سقف معبد الكرنك بالأقصر ، والنحوت الغائرة والبارزة فى كثير من المعابد المصرية كمعبد أبو سمبل ، والعديد من الزخرفات المنتشرة على الأدوات الاستعمالية كالملابس وأدوات الزينة ، والفخار ، ونظام الكتابة ، والمقابر وغيرها .

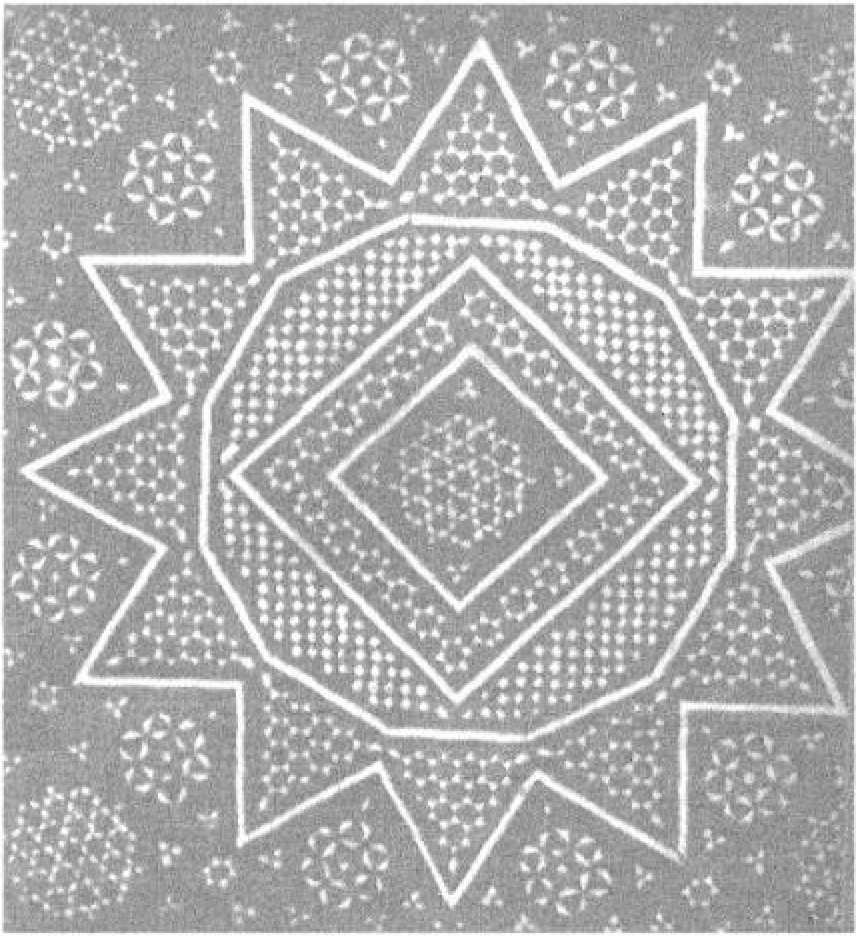
غير أن البحث هنا لا يقف فقط عند المثلث، بل يتعداه أيضا الى الخط المستقيم والشكل الصليبى (وحدة الصليب) ، حين دخلت هذه الوحدة الأخيرة فى التركيب الفنى الزخرفى الى سيناء ، فى القرن الرابع الميلادى (١) بشكل رسمى ، بمعنى أنها مثلت على أبعاد ومسقطات لاهوتية عقائدية حين بدأ ما نصطلح على وصفه بالزمن القبطى ، أو الحضارة القبطية فى مصر القديمة ــ ولكننا لا نســتطيع التسليم بذلك على الاطلاق ، وان اتفقنا تجاوزا على صحة ما ذكر ، إذ أن الشكل الصليبى أو الخطان المتعامدان على بعضهما ، كانت أيضا وحدة من وحدات التركيب الفنى التى كشف عنها التصميم الإبداعى فى مصر القديمة ، ولعل أبرز شاهد على هذا يتمثل فى وحدات هذا الرمز الشهير المعروف بـ « الحياة » أو « عين الحياة » ، حين تتكون من شكل صليبى يلتقى فى طرفه بدائرة لها فى كثير منها أوصاف المثلث ، فهى على هذا النحو تبدو كما لو كانت نوعا من الادراك للعالم الكونى على مستوى شديد الحداثة .

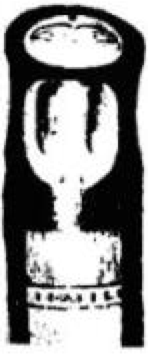
---

(١) مجلد سيناء أمس واليوم لأستاذ الآداب والتاريخ القس م. دافيد .. طبعة جامعة « ليل » فرنسا ص ٦٥ ــ ١٤٠ سنة ١٩٢٦



تحية على . من أطفال الحرانية ـ لاحظ البناء الصليبي والمثلث ..





صندوق من العصر الفاطمي ـ لاحظ الوحدات القبطيـة .

السكونية المتوترة والحضارة العربية

ان ما اوضحناه سالفا ، يشدنا الى جانب آخر حول محور سؤالنا من الفن في سيناء . فمن أين جاءت اذن هذه الوحدات الفنية الاخرى كالدائرة المفتوحة والنقطة والخط الملتوى والدائرة المقفلة .

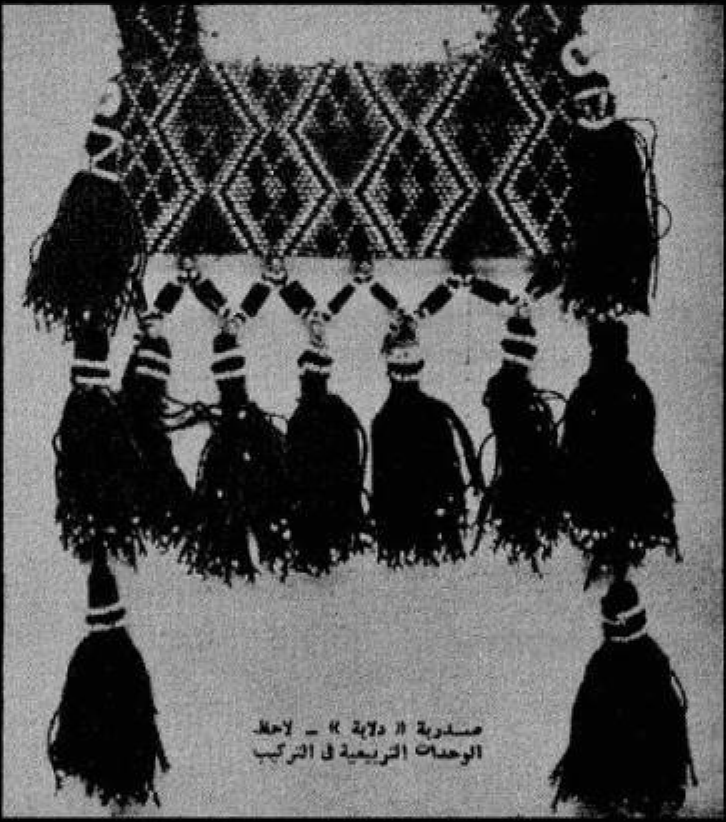
ولحن نعترف بانه ليس من السهل وضع اجابة فورية حاسمة حول هذا التساؤل الاستطرادى الصعب ، غير اننا سنحاول في جميع الاستخلاصات أن نجعل استنتاجاتنا خاضعة لمنطق احتمالى صرف . ونحن حينما نتكلم عن **الدائرة** لا نلغيها من واقع التصميم الفنى في مصر القديمة ، وانما نعول على تميز قلتها بان نضعها جانبا ، حين نراها بطريقة وفيرة سخية في التراكيب الفنية الشاملة في الفن الاشورى الذى انحدر من شمال العراق في الزمن القديم وتركز في سوريا . فنحن نعثر على الفن الاشورى يتميز باسلوبه الاستدارى وخطوطه المقوسة والمنحنية ، ففى الوقت الذى اختص فيه الفن المصرى القديم بوقائع تركيبى هندسى او بنائى ، نجد الفن الاشورى يضع ابطاله بطريقة اقل حدة واكثر مرونة في التخطيط ويتخلى في كثير منه عن تبنى نوع من النظرة الصارمة في الموضوع الفنى . فحتى شعر الذقن في التمثال الاشورى نجده ينتهى بشعيرات ملتوية حول نفسها في اشكال هى في الغالب دائرية او قريبة الى وحدة الدائرة . ولا يساعدنا المجال في هذا البحث لكى نتقصى التفاسير الموضوعية والتاريخية والاقتصادية ، وايضا التحليلية للبحث حول الاسباب التى خلص اليها الفن الاشورى باشكاله المعروفة ، ولكن الذى لا شك فيه ، هو ان الدائرة والخط المنحنى والملتوى كانت سمة من السمات الرئيسية التى ميزته في بلاد ما بين النهرين على الاطلاق .

ولذلك فاننا نرى ان الوحدات التى حفلت بها التصميمات الفنية في سيناء ، قد عبرت اليها من خلال الفن الاشورى ، بل انها قد امتدت الى الجهة الغربية كلها تلك التى تقابل سيناء حين نجد الزخرفات والتصميمات الفنية في محافظتى الشرقية والمنوفية وغيرها تحتفل بها وتتواتر في معظم تركيباتهم الجمالية على الاشياء الاستخدامية وغيرها .

ومن ثم فاننا ننسب الى ظهور الحضارة الاسلامية ، ودخولها الى سيناء في القرن التاسع الميلادى اهم دور قامت به في دعم هذه الوحدات ، ومزجها في بعضها البعض ، وابتكار منطق تبادلى ومتمايز بينها ، وابتداع نوع من الفراغ التوالدى في العمل الزخرفى من خلال العلاقة بين وحدة واخرى في التصميم الجمالى ، **وما نقصده هنا بالتوالد عن طريق الشكل ، هو الفراغ الذى ينجم عن تركيبات بعينها تحت هدف تصميمى خالص ، فمثلا وضع مجموعة مربعات متلاصقة في وضع دائرى كفيل بان يخرج لنا في وسطها فراغا أشبه بنجمة مكونة من ثمانية اضلاع او اثنى عشر ضلعا أو اكثر او اقل حسب متواضعات الاشكال المطروحة ، ومن ثم فنحن لا نجد افضل من « الارابيسك » مثالا دلاليا على ما ندعى به . ولعلنا لا نغالى كثيرا اذا قلنا ان نفس هذا الجانب السلوكى للطبيعة الديناميكية للحضارة الاسلامية قد ادى في الغالب الى ابتداع الشكل السحرى للحضارة البيزنطية ، من خلال المزيج المتفاوت في وحداتها بين الفرعونية واليونانية والاسلامية – بل**

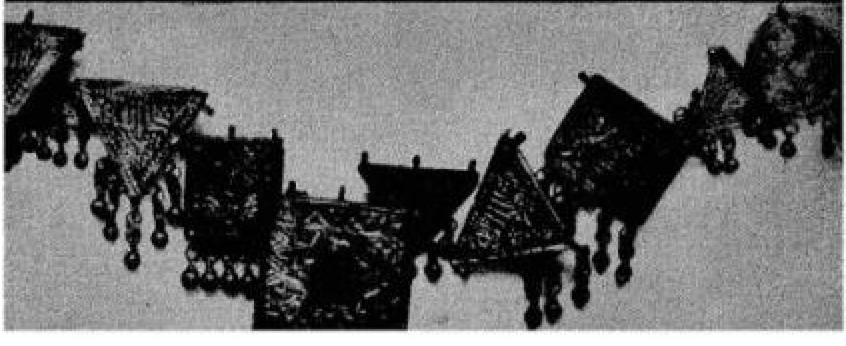


فستان من سيناء .. الدائرة ، الخط الملتوى على الصدر والخط المستقيم بأسفل



صدرية « دلاية » - لاحظ
الوحدات التربيعية في التركيب

عقد معدني يزخر بالكتابات العربية - لاحظ التركيب المثلثي . .



انتا نذهب الى ابعد من ذلك في هذا السبيل حين نلفت النظر الى تلمس هذه الوحدات الزخرفية الجاهزة التى استقاها « بول كلى » من منطقة الشرق الأوسط ، ومن مصر والمغرب بالذات عندما زارهما بين عامي ١٩١٨ ، ١٩٢٩ - بينما كانت أوروبا تتجهز نحو حركة تصميمية هائلة في فن القرن العشرين بزعامة بول كلى ، في مدرسة « الباو هاوس » ، عندما اعتمدت في اسسها التنهجية على المربع كوحدة بنائية .

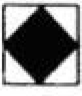
سيناء ووجدان الفنان المصرى المعاصر

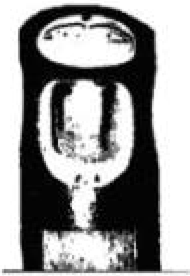
هذه هي سيناء الغالية منبع التشكل والاسى ومراك الاقدار ، ومصب الحضارات العزيزة الوغلة في القلب . فهي الارض الصعبة التى جعلت مسافات ارضها توصلا وتواصلا للحضارات الانسانية حين تتكثف فيها ، وتهجع في جبالها ، وتتصوف .

فاذا كان سعد كامل ، ويوسف سيده ، ورمزى مصطفى ، وصالح رضا ، وعبد الوهاب مرسى ، وسيد عبد الرسول ، ومحمد قشلان - قد قدموا الينا في رحلة من مراحل عمرهم الفنى جانبا غزيرا من هذه الوحدات التركيبية والتصميمية في اعمالهم الفنية ، واذا كان سيف وانلى ، وانجى افلاطون ، ومصطفى الحلاج ، وجاذبية سرى ، ومصطفى الرزاز وآخرون ، قد عبروا من صراع سيناء وصمودها ضد الغدر والفاشوية ، واذا كان رشدى اسكندر قد رسم العديد من انتاجه الفنى والرسوم التحضيرية حول جبالها وسحرها ووديانها وتصوفها وسلامها - فليس الآن سيناء تحيا فينا كالوجدان ، وكالاخلاق ، وتتحرك داخلنا كالاحشاء الطحونة ، وتعيش .

فكيف يكون للضمير الاجتماعى بين فنانينا ان يقدم لنا استخلاصاته التركيبية التحضرة دون ان تشترك صحراء سيناء في حمل الزبد الينا ، ودفعه الى ضميرنا التاريخى . وكيف يكون لفنانينا ان يحتجوا على هوان سيناء دون ان يكون لهم يد في حبها والشغف بها ، والذود عنها .

فالمثلثات والربعات التى نعثر عليها في لوحات الفنان السورى محمد قشلان حين تحتفل بها عربة الكارو الجميلة ليست مجرد انطباع عشوائى . وليست الدوائر المفتوحة والنقط والخطوط الملتوية عند الفنان المصرى سعد كامل هي مجرد استطرادات تصميمية اعتباطية ، كما ان الوحدات السكونية المتوترة ، المتمثلة في الدائرة المغلقة والنقطة ذات اللون الفيروزى والابتهاجى عند صالح رضا ، وفي اعمال يوسف سيده ، ورمزى مصطفى ، وعبد الوهاب مرسى، وسيد عبد الرسول ليست مجرد احتفال بالشكل او استمراء للمنهج الطبيعى في التركيب الخالص . بل ان الوحدات التكيفية، والاسلوب التبادلى جاءت عند هؤلاء الفنانين المتمرسين من هناك ، والوحدات التمثيلية الهندسية عبرت الى قشلان السورى من هنا ، هكذا عندما كانت سيناء بيتنا وهكذا عندما ستكون .





د. أحمد شلبي

يتجه رأى علماء مقارنة الأديان إلى أن الأديان تظهر حيث ترقى الثقافة ويتقدم الفكر، وقد شهدت منطقة الشرق الأوسط أرقى حضارات العالم منذ أقدم العصور وكانت حضاراتها أدبية وعلمية فهيأت بذلك شعوبها لتلقى الرسالات.

وشبه جزيرة سيناء تتوسط هذه المنطقة، ومع أنها جزء من مصر فهى شديدة الاتصال بفلسطين وبالجزيرة العربية ولذلك شهدت مطالع الأديان السماوية الثلاثة التى لاتزال موجودة فى عالمنا الحاضر، وسنعرض فيما يلى صلة سيناء بهذه الأديان.

سيناء والأديان السماوية

سيناء والأديان السماوية

سيناء واليهودية

ان قصة يوسف شديدة الشهرة وقد اوردتها الكتب السماوية وخصصت لها صورة كاملة فى القرآن الكريم ، وخلاصتها أن اخوته تآمروا عليه والقوه فى الجب والتزمته قافلة كانت فى طريقها الى مصر ، وبيع يوسف الى عزيز مصر ، ومرت به احداث واطوار انتهت به الى ان أصبح ذا مكانة سامية فى قصر العزيز ، وصار له تدبير الاقتصاد لمواجهة المجاعة التى ألمت بمصر ، وعندما جاءت ايام القحط والجدب هرع الناس الى خزائن ملك مصر يطلبون عونه ، ويسألونه القوت ، واخذ يوسف يمنحهم القوت نظير مايمتلكون من فضة وذهب وماشية واطيان . بل اشتراهم ايضا وجعلهم عبيدا لفرعون من اجل الطعام (١) ، وامتدت المجاعة الى الممالك المحيطة بمصر ، وكان وقعها شديدا على العبرانيين ، فدفع يعقوب ابناءه ليطلبوا الميرة من مصر ، وهناك عرفهم يوسف ، ولكنهم لم يعرفوه وجرت بينه وبينهم احداث انتهت بأن جلى يوسف لهم الامر ، واعلن لهم أنه أخوهم ، وطلب اليهم أن يحضروا اباه واهليهم اجمعين .

وكانت سيناء هى معبر الوافدين الى رحاب مصر من فلسطين المتطلعين الى القوت بها .

ولكن بنى اسرائيل بمصر عاشوا فى انعزالية تامة دون اى اختلاط بأصحاب الارض الاصليين ، وتكاثر بنو اسرائيل بمصر تكاثرا واسعا وسريعا واصبحت عزلتهم مع كثرتهم تستلفت نظر المصريين وتثير تفكيرهم حتى لقد اصبحوا شبه دولة داخل الدولة كما يقال فى التعبير الحديث ، ومما قوى هذا الاحساس عند المصريين أن أمراء طيبة بقيادة البطل احمس تغلبوا ــ ابتداء من الاسرة الثامنة عشرة ــ على الرعاة العماليق الذين كانوا يحتلون البلاد ، والذين جلبوا بنى اسرائيل لمصر ومنحوهم افضل الارض كما يقول العهد القديم (٢) ، ولم يتعرض احمس لبنى اسرائيل بسوء ، فلما قامت الاسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثانى الفاتح العظيم ظهر شعور العداء ضد بنى اسرائيل ، ونقم الحكم الوطنى عليهم **لانهم كانوا يكونون مع العماليق جبهة تناوئ الشعور الوطنى ، ولانهم نالوا اطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على امرهم ، ثم أن الحكم الجديد كان يخشى أن يتآمر بنو اسرائيل ضده فى محاولة للانتكاس ، بل يرى بعض الباحثين ان شعب مصر اكتشف بالفعل ان بنى اسرائيل كانوا يتآمرون عليه ، وتأزمت العلاقات بين المصريين وبين بنى اسرائيل ، واصبحت الكراهية والحذر طابعها ، وفى هذه الفترة ولد موسى بمصر وقد ربى كما يقول القرآن الكريم فى قصر فرعون ، ولكنه عندما شب ادرك أنه من بنى اسرائيل فقرر ان يكون ظهيرا لهم ،** وذات يوم رأى خلافا يدور بين مصرى وعبرانى ، وتطور الخلاف الى عراك تهتف به العبرانى أن يساعده ، ففعل ، وسقط المصرى قتيلا بضربة من موسى ، وثار المصريون ضد العبرانيين ، ثم اتجهت ثورة المصريين ضد موسى عندما اعترف عليه العبرانى الذى استغاث به بالامس ، ولم يجد موسى مفرا من الهرب ، واتجه فى هربه الى الجنوب الشرقى عبر سيناء حيث قاده الطريق الى ارض مدين ، مقر

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ٤٧ الفقرات ١٣ ــ ٢٣

(٢) سفر التكوين ٤٧ : ع١١ ــ ١٢

نبي الله شعيب ، وهناك تزوج ابنتـه وكان صداقها خدمته لابيها لعالي سنوات وبعد أن اتم موسى الميقات فكر فى الرجوع الى مصر آملا ان يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته ، فوهب له صهره بعض المال والاغنام ، وسار مع زوجه فى طريق العودة حتى وصل طور سيناء ، وهنـاك خيل له أنه ضل الطريق ، فوقف مترددا ولكنه سرعان ما أبصر نارا تشتعل فى جانب الطور الايمن ، فقال لاهلـه « امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هـدى ، فلما أتاها نودى ياموسى انى انا ربـك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصـلاة لذكرى » (١) وبدأت بذلك رسالة موسى فى سيناء .

ودخل موسى أرض مصر مرة ثانيـة وعرض رسالته على فرعـون مصر فلم يستجب له ، واتبعه بنو اسرائيل لا من ايمان ، بل رغبة فى أن يكون على يده الخلاص مما يعانون فى مصر من قسوة ، ورغبة فى ان يستعيدوا ماكان لهم فى عهد العماليق من جاه وسلطان .

واتجـه موسى يطلب من فرعون ان يطلق معه بنى اسرائيل الى البرية فى سيناء ، ولكن فرعون لم يستجب لذلك مخافة ان يلتقى هؤلاء بأعـداء المصريين بالشمال ، وأن يتفقوا معهم على مايؤذى المصريين . ولهذا دبر موسى أن يخـرج بقومه سرا .

وهناك رأى آخر يقرر أن فرعون اذن لموسى فى الخروج ببنى اسرائيل ، بيدان نساء بنى اسرائيل استجبن لالهم الذى تروى التوراة قوله لهم : حينما تمضون انكم لاتمضون فارغين ، بل تطلب كـل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعـة فضة ، وامتعة ذهبا ، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين (٢)

وخرج بنو اسرائيل بما سـلبوه من المصريين ، وسواء كان خروج بنى اسرائيل سرا ، أو كان بموافقة فرعون لكن نساء بنى اسرائيل سلبن ثروات المصريات ؛ فقد كان على فرعون أن يلحق بهم وأن يمنعهم من مواصلة السفر ، وتبعهم فرعـون ومعه فريق من جنده ، فلحق بهم وقد بلغوا شاطىء خليج السويس « فلمـا تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون ، قال كلا ان معى ربى سيهدين ، فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصـاك البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، وازلفنا ثم الاخرين ، وانجينا موسى ومن معه اجمعين ، ثم اغرقنـا الاخرين » (٣)

ويعلق أكثر المفسرين على الاية الاخيرة بان اغراق فرعون على هذا النحو كـان لقوله فيما حكاه عنه القـرآن الكريم « ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى(٤)» وقوله لموسى « لئن اتخـذت الهـا غيرى لاجعلنك من المسجونين » (٥) وقـوله «فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى(٦) » ولذلك جاء بعد هذه الاية قوله تعـالى « فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (٧) » وهـذا التعليل للغرق هو الذى تذكـره الاية الكريمة : « فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنهـا غافلين » (٨)

وفرعون الاضطهاد هو رمسيس الثانى (١٣٠١ — ١٢٣٤ ق.م) وفرعون الخروج هو منفتاح الذى خلف أباه رمسيس الثانى وكان خروج بنى اسرائيل من مصر حوالى سنة ١٢١٣ ق . م ، وقد جاء فى لوح عثر عليه فى طيبة ان منفتاح اباد بنى اسرائيل واستاصلهم (٩)

---

(١) سورة طه : الايات ١٠–١٤

(٢) سفر الخـروج ٣ : ٢١ — ٢٢ وخروج ١٢ : ٣٥ — ٣٦

(٣) سورة الشعراء الآيات ٦١ — ٦٦

(٤) سورة القصص الاية ٣٨

(٥) سورة الشعراء الاية ٢٩

(٦) سورة النازعات الايتان ٢٣ — ٢٤

(٧) سورة النازعات الايتان ٢٥ — ٢٦

(٨) سورة الاعراف الاية ١٣٦

(٩) دكتور احمد بدوى : فى موكب الشمس ج ٢ ص ٨٨٦

وهكذا اصبح موسى ومن تبعه فى سيناء، ولكن هؤلاء التابعين لم يكونوا جميعا من بنى اسرائيل، فالمراجع التاريخية والبحوث الانثروبولوجية « علم اجناس البشر » تجمع على أن خروج بنى اسرائيل من مصر كان حدثا فاصلا بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم ، يقول غوستاف لوبون (١): لحق ببنى اسرائيل عدد من المصريين الساخطين، ومن الاسارى من العبيد ، ولما جاوز بنو اسرائيل بحر القلزم بدوا عشيرة اى جماعة تبدو كانها نسل رجل واحد وان كانت فى الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع القرار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها (٢) .

بنو اسرائيل فى سيناء

التف بنو اسرائيل حول موسى وهم بمصر ، لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد المصريين ، ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على موسى ، ومن الواضح تاريخيا أن بنى اسرائيل ثاروا على الحكم الوطنى بمصر لما احسوا انهم فقدوا امتيازاتهم التى كانوا ينعمون بها خلال عهد العماليق وقد كرر بنو اسرائيل موقفهم ضد موسى نفسه لما جاء بهم الى سيناء ، التى فقدوا بها ماكانوا ينعمون به فى مصر من خيرات ،ولذلك صاحوا به وبأخيه هارون فيما ترويه التوراة .

— ليتنا متنا فى مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فانكما اخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع (٣)

— وفى بعض اماكن سيناء لم يجدوا ماء ، فخاصم الشعب موسى وتذمروا عليه ، وقالوا لماذا اصعدتنا من مصر لتميتنا واولادنا ومواشينا بالعطش (٤)

وفى سيناء ترك موسى بنى اسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد جبل الطور ويمكث ثلاثين ليلة صائما ليتلقى من الله الوصايا والتعليمات التى يسير عليها هو وشعبه، وطالت هذه الليالى فبلغت اربعين ، وهنا يتناسى بنو اسرائيل كل معجزات موسى ويعودون الى طبيعتهم الوثنية الشريرة ، تقول التوراة :

ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا الهة تسير امامنا ، لان هذا موسى الرجل الذى اصعدنا من ارض مصر لانعلم ماذا اصابه، فقال لهم هارون انزعوا اقراط الذهب التى فى اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتونى بها ، فنزع كل الشعب اقراط الذهب واتوا بها الى هارون فاخذ ذلك منهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا .. فقال الرب لموسى اذهب لانه قد فسد شعبك الذى اصعدته من ارض مصر زاغوا سريعا عن الطريق ، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا (٥) ونزل موسى من الجبل وغضب غضبا

---

(١) اليهود فى الحضارات الاولى ص ٣٢

(٢) عن اختلاط بنى اسرائيل بسواهم وضياع الدم واللامح اليهودية على مر التاريخ اقرأ : A History of the Jewish People by M. Margolis p. 233.

(٣) سفر الخروج ١٦ : ٢ — ٣ (٤) سفر الخروج ٧ : ٣

(٥) خروج ٣٢ : ١ — ٨ والقرآن الكريم ينسب هذا التصرف للسامرى (سورة طه الايات ٨٧ — ٩٦)

شديداً على قومه لعودتهم للوثنية وعبادة العجل ، وكان عقابهم أن تسلط بعضهم على بعض في معارك طويلة سقط فيها عدد كبير .

وبدأ موسى يسير بقومه من سيناء تجاه فلسطين ، ولكن فلسطين كانت عامرة بالسكان وكان قد شاع بين الناس غدر بني اسرائيل وتآمرهم ضد البلاد التي ينزلونها ، فلم تعد فلسطين مفتوحة لهم كما كانت من قبل ، بل وقف أهلها في وجه بني اسرائيل يردونهم عنها . وهكذا اصبحت محاولة دخولها معناها الحرب وهم لا يريدونها اذ تمكنت منهم الذلة والصغار ، فصاحوا بموسى **« ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها »** وبدلاً من محاولات لاقرانهم بالدخول ووعد بالنصر ، ولكنهم أصروا على موقفهم : **« قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون »** ولم يستجب لموسى احد سوى اخيه هارون ، فشكا موسى الى ربه قائلا : **« رب اني لا املك الا نفسي واخي ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »** فنزل عليهم حكم الله **« انها محرمة عليهم ، اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين (١)**

ويقرر بعض الباحثين ان التيه بسيناء هو الذي حدد باربعين سنة وليس التحريم ، فالتحريم مطلق ابدي ، اي لن يكون لهم بها استقرار ومن اجل هذا يوقف في القراءة بعد قوله تعالى **« محرمة عليهم »** ..

ومات هارون ثم موسى في فترة التيه ، دفن هارون في جبل هور ودفن موسى كثيب أحمر حيث كان يرى أرض فلسطين دون ان يدخلها .

وفي سيناء مواقع تاريخية ترتبط بهذه الفترة القصيرة التي امضاها اليهود بسيناء بعد فرارهم من فرعون . الى فلسطين ومن هذه المواقع جبل المناجاة التي تقول الرواية ان موسى ناجى ربه من فوقه ، ومنها جبل موسى الذي يقال ان موسى قد تلقى عليه الوصايا العشر ، ومنها الواحة التي تسمى (عيون موسى) ومنها التل الذي اقيم عليه ضريح يسمى مقام النبي هارون وهو التل الذي عبد الاسرائيليون فوقه العجل الذهبي ..

سيناء والمسيحية

يذكر انجيل متى في الاصحاح الثاني ان وفود الملائكة بدأت تظهر في الجو مسبحة في الحقول المجاورة لبيت لحم عقب مولد المسيح ، وان نجما لاح في السماء يبشر بمولد المخلص ، وان جماعات المجوس تبعوا ذلك النجم الذي هداهم الى مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له (٢) ، وان هيرودوس ملك اليهود لما علم بذلك خاف على ملكه من المولود الجديد فاصدر امره بقتل كل مواليد بيت لحم ، ولكن الله اوحى الى يوسف النجار ان يأخذ الطفل وامه ويذهب الى مصر (٣) فأخذهما وحل بهما في دير المحرق بجبل قسقام بمحافظة اسيوط حيث اقاموا بضعة اشهر ، حتى جاء الوحي مرة اخرى ينبيء يوسف بأن ملك اليهود هذا قد هلك ، ويأمره بالعودة الى فلسطين (٤) . فقاموا ومروا في طريقهم بالمطرية واستظلوا فترة بشجرة سميت منذ ذلك بشجرة العذراء .

وتعليقنا على هذا النص من ناحيتين ؛ الناحية الاولى ما سجله متى على ملك اليهود من عدوان على كل امل في الاصلاح ولو كان ذلك بقتل عديد الاطفال ومحاولة قتل يسوع نفسه ، واذا كان عيسى بن مريم نجا عقب مولده من هيرودوس الملك اليهودي ، فانه لم ينج من اليهود عندما بدأت رسالته ، فقد حكم عليه اليهود بالاعدام صلبا ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من هذا الطغيان والقى شبهه على الخائن يهوذا الاسخريوطي اليهودي الذي دل على عيسى فنال جزاء خيانته بأن وقع عليه

---

(١) سورة المائدة الآيات ٢٢ – ٢٦

(٢) متى ٢ : ١٢ – ١٤

(٣) متى ٢ : ١ – ٩

(٤) متى ٢ : ١٩ – ٢٢

سيناء والأديان السماوية

الصلب الذى كان قد تقرر لعيسى عليه السلام ...

التعليق الثانى ان عيسى فى لعابه الى مصر وفى عودته منها مر بسيناء وحط الرحال هنا وهناك فى اماكن اصبحت مقدسة لدى المسيحيين ولايزال لها تقديسها وجلالها عندهم . من هذه الامكنة **ديرسانت كاترين** الذى يعتبر من اشهر الاديرة وهو يحمل اسم الشهيدة كاترين شفيعة الشابات ، ويوجد بهذا الدير مخطوطات قيمة للغاية من بينها اقدم مخطوطة للعهد الجديد والاف المخطوطات الدينية الاخرى .

ومنها كذلك دير سيناء الذى بناه الامبراطور يوستينيانس سنة ٥٢٧ ميلادية . وله كنيسة ذات آثار فنية بديعة .

وهكذا تحوى سيناء كثيرا من الاماكن المقدسة عند المسيحيين كما تحوى كنائس تعد من اقدم وافخم الكنائس فى العالم ويلجأ لها بعض الرهبان الذين يحبون أن يتفرغوا للعبادة بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها .

سيناء والاسلام

لعل اول ما يربط سيناء بالاسلام هو ما ذكره حنا النقيوسى من أن احد رهبان دير سيناء قد أسلم قبل ان يتم فتح مصر ، وكان مع اتباعه أكبر عون للعرب فى تقدمهم نحو وادى النيل (١)

وينتهى المثلث الذى يمثل شبه جزيرة سيناء جنوبا بمنطقة تسمى **رأس محمد** وهى تسمية اسلامية تربط بين شبه الجزيرة وبين الاسلام

وقد اخترق الجيش الاسلامى طريق الهجرات بسيناء الذى يسير موازيا للبحر الأبيض مارا بغزة ورفح والعريش الى القنطرة حتى دخل مصر ، ولما فرغ هذا الجيش من القضاء على الرومان وتخليص البلاد من الاستعمار عاش فى مصر عدد كبير من افراد الجيش العربى المسلم ، وظل الطريق سالف الذكر رباطا مهماً بين الجزيرة العربية حيث موطن الاسلام الاول وبين مصر وما تلاها من الشمال الافريقى ، ولو قدر لنا ان نعود الى الوراء ، الى الفترة التى تلت انتهاء عهد الرومان بمصر وبدء العهد الاسلامى لرأينا **سيناء تدب بالحياة بين غاد ورائح ولشهدنا القوافل العربية تخترق بقاعها حاملة الفكر من الجزيرة الى مصر وعائدة بالميرة من مصر الى الجزيرة ، ولعله بسبب هذه الرحلات المتتالية حطت بعض القبائل العربية رحالها فى سيناء ، ووجدت فيها حياة قريبة الشبه بصحارى الجزيرة العربية فآثرتها على حياة المدن بمصر ، ولا تزال تعيش هناك بسيناء قبائل عربية كبيرة منها مزينة والحوارمة والعبايدة وغيرها .**

وهناك رباط مقدس يربط بين سيناء والاسلام ذلك هو ورودها فى القرآن الكريم ، فاحدى سور كتاب الله سميت باسم « **الطور** » وورد ذكر الطور فى غير هذه السورة تسع مرات فى القرآن الكريم ، وارتبط فى مرتين منها بكلمة سيناء او سينين قال تعالى « **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** » (٢) وقال « **والتين والزيتون وطور سينين** » (٣) ، ويرى بعض الباحثين ان المقصود بطور سيناء او طور سينين هو شبه جزيرة سيناء

---

(١) تاريخ حنا النقيوسى ص ٥٨٥
(٢) سورة المؤمنون الاية ٢٠
(٣) سورة التين الايات ١ ــ ٣ وانظر معجم البلدان لياقوت ح ٥ ص ٢٠١

كلها وليس جبل الطور وحده من باب اطلاق الجزء على الكل .

وقد اقسم الله سبحانه وتعالى بالطور في مكانين من القرآن الكريم اوردنا آنفا احدهما وهو قوله تعالى « والتين والزيتون وطور سينين » اما القسم الثاني فهو قوله تعالى « والطور وكتاب مسطور في رق منشور » (1)، وهذا يدل على مكانة الطور في الفكر الاسلامي .

وقد سبق ان قلنا ان الله سبحانه وتعالى تجلى لموسى على جبل الطور بسيناء قال تعالى « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » (2)

وورد ذكر الطور مرة للتدليل على صدق رسالة سيدنا محمد ، يقول الله تعالى « وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك » (3) فالله سبحانه يقول لرسولنا عليه السلام انك يا محمد لم تكن بالقرب من طور سيناء حينما نادينا موسى ، ولكننا أطلعناك على ذلك لتقدمه لقومك دليلا على صدق دعوتك، ولتنذرهم بعد ان مرت فترة طويلة على دعوة اسماعيل للعرب ، فاصبح العرب في عهدك - لطول المدة بينهم وبين اسماعيل - كأنهم لم يشهدوا دعوة من قبل .

ومن الآيات القرآنية التي ذكر فيها الطور آيتان يهدد بهما الله سبحانه وتعالى اليهود بالفناء والدمار بواسطة جبل الطور ، قال تعالى : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » (4) .

وقال « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ، فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم » (5) .

ففي الآيتين يقول المفسرون ان موسى عندما جاء بالالواح وعرض ما بها على بني اسرائيل اعرض هؤلاء عنه ولم يقبلوا شرع الله لما رأوه فيه من تكاليف

فأمر الله جبريل عليه السلام لقطع جبل الطور من اصله ورفعه فوقهم وهددهم موسى بانهم ان لم يقبلوا تعاليم الله فان الله سيلقي عليهم الجبل ليقضي عليهم ، وقد ارتعد بنو اسرائيل لهذا المنظر وقبلوا شرع الله ، ولكنهم

سرعان ما تنكروا فقال لهم الله « كونوا قردة خاسئين » (6) أي خاسئين بين سوء المنظر والمظهر وبين حقارة العبودية والخسة ، ومن العجيب ان بعض اليهود حتى العهد الحاضر يخافون من جبل الطور ان يصبح يوما مقبرة لهم ، وهؤلاء هم الكهنة الذين يتحدثون احيانا عن ضرورة الانسحاب من سيناء خوفا من النهاية الاليمة التي يخشون أن تلم بهم بهذه المنطقة ..

تلك دراسة سريعة عن سيناء والاديان ، ومنها يتضح ان صلة اليهود بها كانت كما هي اليوم صلة صراع وعدوان ، اما صلة المسيحية والاسلام بها فكانت وما زالت صلة طاعة وخير ، ولعل هذه الدراسة تلقي شعاعا من الضوء على هذه الارض الحبيبة والتربة الطيبة التي يرتبط بها الدين والوطن

(1) سورة الطور آيتا 1 و 2
(2) سورة الاعراف الآية 143
(3) سورة القصص الآية 46
(4) سورة البقرة الآية 93
(5) سورة النساء الآيتان 154 - 155
(6) سورة البقرة الآية 65

معانقا سيناء

شعر: كمال عمار

ريشة الفنان حلمى التونى

« طيار مصرى .. أصيبت طائرته فى إحدى طلعاتنا الجوية على سيناء .. وبدلا من أن يقفز بمظلته ويهبط .. اندفع بالطائرة المصابة نحو أهداف العدو فدمرها .. وأضاف اسما جديدا لقائمة الشهداء .. »

أمسكت النيران فى جناح النسر
وتوجته بالورود والدماء
ساعتها ..
ارتفعت رءوس أهل مصر
وانتفضت مواكب الجنود فى الصباح
والمساء

***

فى السقطة الواجمة الحزينة
غداة يونيو حين حط السيل
ليلتها ...
شق سكون الليل
عواء كل المرجفين فى المدينة
وأطلقوا النبال فى مجالس البهتان
أسألهم .. والآن :
ماذا يقول الحقد والضغينة
عن نشرة الأنباء ؟!

***

كان يريد أن يموت
ليبصر الوطن
يدوس فوق العنكبوت
ويعبر المحن
كان يريد أن يموت
معانقا سيناء
مهما غلا الثمن
معانقا سيناء !



لمحة من فجر التاريخ عن

سيناء

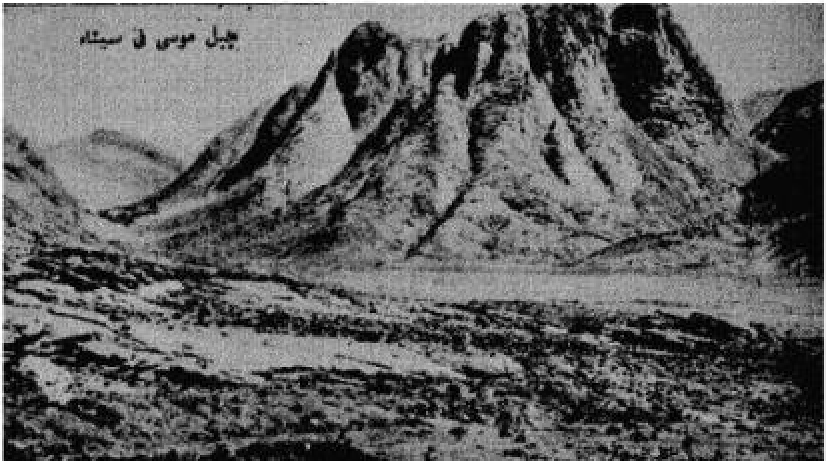


لوحة تذكارية في سيناء تمثل الملك « سنفرو » يقمع شعب قبائل البدو الاسيويين في منطقة مناجم النحاس

عبد الرحمن صدقى

سيناء الجزيرة ، او شبه الجزيرة المثلثة الصحراوية الجبلية ، التى يحتضنها بحر القلزم « الاحمر » بين ذراعيه الممدودتين فى الخليجين السويس والعقبة ، وهى مسندة الظهر على البحر المتوسط « الابيض » - سيناء هذه ، كان من الطبيعى لنشر التقدم العمرانى ان قضت المشيئة الالهية ان يكون فى فجر التاريخ البشرى منذ ستة الاف سنة ، هذا الارتباط الوثيق العضوى بينها - بحكم كونها الوصلة البرية التى تصل القارة الاسيوية بشمال شرقى افريقية - وبين مصر أم الحضارات والعلوم والفنون والصناعات ، بوصفها المركز الاول للاشعاع الفكرى الذى افاد من نوره العالم القديم كله

ورسالة مصر الحضارية



جبل موسى فى سيناء

رسالة مصر الحضارية

يذهب العلماء المتخصصون في دراسة أصول السلالات البشرية، في تطبيقهم على هذه الجماعات مذهب النشوء والارتقاء ، الى تقسيم مراحل ارتقائها من حال الوحشية الى حال البدائية الهمجية ، ومن تلك الحال الى المدنية ، على سياق من التركيب التصاعدي ، مبتدئا عند كل جماعة بضرورة اصطناعهم كلاما للتفاهم بين بعضهم البعض، ثم ضرورة معرفة النار واستخدامها ، واتخاذهم سلاحا بعيد المدى كالقوس والسهام للصيد والقتال • مع اتخاذ أواني الفخار لحفظ الطعام ، وتأنيس الحيوانات المستوحشة وتحويلها الى حيوانات داجنة واليفة للانتفاع بها وتسخيرها لخدمة

لمحة من فجر التاريخ

الانسان • وبعد هذه المراحل كلها ، يأتي الكشفان العظيمان : **استخراج المعادن وتصنيعها ، واختراع الكتابة •**

وقد انعقد الاجماع عند المؤرخين الثقاة المنصفين ، على أن المصريين القدماء كانوا السابقين الى قطع هذه المراحل واجتيازها قبل طلوع فجر التاريخ • فلما طلع التاريخ يسجل أمجادهم بعد أن توحدوا في دولة واحدة ، كانوا هم اصحاب النظم السياسية العليا في ذلك الحين ، والراسخون أهل الدراية بالصناعات والمعاملات التجارية والفنون •

فلا غرو ، ان كانت قد انتشرت أول ما انتشرت الانوار ، من مركز الاشعاع في مصر القديمة الى جميع ماحولها من الاقطار، ومنها شبه جزيرة سيناء ، بواسطة تلك البعوث المصرية الحضارية ، للكشف عما في بطن الارض من دفائن الكنوز ، وتوثيق الروابط عن طريق المعاملات التجارية بين مختلف الجماعات البشرية •

ملامح سيناء الرئيسية

تعد شبه جزيرة سيناء من وجهة النظر الجغرافية والجيولوجية ، من أحق البقاع على وجه الارض بالزيارة والدراسة • فهي ـ في ذلك المثلث ـ تجمع من الملامح الطبيعية للكرة الارضية ، نماذج ممتازة من الطبيعة : البحر ، الصحراء ، الجبل

وتضيف الى ذلك من ناحية التاريخ البشري ، ما سبقت الاشارة اليه ، وهو انها في موضع متوسط بين قارتين قديمتين ، تقيم في ارجائهما شعوب تمثل أقدم حضارات الدنيا : الحضارة المصرية في شمال افريقية ، ثم الحضارات العديدة الاسيوية •

وتنقسم شبه جزيرة سيناء الى ثلاثة اقسام طبيعية :

القطاع الشمالي : وهو قاعدة المثلث الممتدة أميالا على ساحل البحر الابيض المتوسط من بورسعيد الى العريش ورفح • والشائع اطلاق اسم « **الصحراء** » على هذا القسم والقسم الاوسط من سيناء • ولكن هذا الوصف لا يصح تعميمه ، لان هذا القسم الشمالي على الاقل ـ مع كونه سهولا رملية كثيرة الكثبان ـ لا يخلو أبدا من الماء والخضرة الى ابعاد تقاس بالاميال ، وذلك انه يتعرض بعض الاحيان وان تكن غير كثار ـ للامطار في الخريف والشتاء ، وهذا يكفل وجود الابار ، وعلى مسافات متقاربة نسبيا فلا غرو تنمو هنا وهناك خمائل كثيفة الاغصان ، وبعض الاشجار القصار • كما توجد في الاودية التي تجري فيها مياه المطر والسيول بين الكثبان بقاع صالحة للزرع ينبت فيها العشب والكلا وكثير من النباتات وتظل مخضرة لوجود الرطوبة بها عدة شهور • ويضاف الى هذا كله أن ما يخيم على الساحل في أشهر نوفمبر وديسمبر ومارس من الضباب المتكاثف والانداء الغزيرة ، يشيع في كل نبت ناجم هنا حتى بين الصخور من الرطوبة ما يغني الاغنام التي يرعاها بدو هذه السهول الصحراوية عن الماء •

ومن اجل ذلك كله تؤثر اليوم تسمية الاقليم الشمالي من شبه جزيرة سيناء ، باسم اكبر الاودية فيه «**وادي العريش**» • ومن أهم واحاته « **نخل** » وهي في قلب

شبه جزيرة سيناء وكانت عاصمتها . وهذا الاقليم الصحراوى المحاذى للبحر ، يمد طريقه الساحلى الذى تكثر فيه الابار « **باب مصر الشرقى** » منذ قديم . فمن هذا الباب ، خرجت بعوث مصر الشاخصة الى غرب آسيا تارة فى مهامها التجارية ، وأخرى فى زحوفها الحربية لتاديب اعدائها وتامين حدودها . ومن هذا الباب كذلك سلك الوافدون على مصر ، تارة من أهل السلام المتطلعين الى العيش فى ظل خيراتها وتبادل التجارات معها مثل ابراهيم عليه السلام فى القرن العشرين قبل الميلاد ، وتارات من أهل الحرب المغيرين ، الطامعين فى غزو مصر مثل الهكسوس والحيثيين والاشوريين والفرس قديما ، وغيرهم فى العصور الوسطى أو التاريخ الحديث ، ومن اواخر ذلك ما كان منذ أعوام من أحداث القرن العشرين بعد الميلاد ، كالعدوان الثلاثى على مصر ، وما تلاه من محاولات الضغط والقهر من جانب الصهيونية العالمية والامبريالية الامريكية .

القطاع الاوسط : صحراء التيه

لما كان القطاع الشمالى الساحلى ترتفع ارضه تدريجيا فى اتجاه الجنوب كلما ابتعد عن البحر ، فانه لا يلبث أن يتحول الى هضبة من الحجر الجيرى يصل ارتفاعها فوق مستوى البحر من ٥٠٠ الى نحو ٢٥٠٠ قدم . وهذا القطاع الاوسط من شبه جزيرة سيناء ، ويطلق عليه « **صحراء – اوبرية – التيه** » مما يذكرنا ما كان من ضلال بنى اسرائيل وطول مسيرتهم فيه بعد خروجهم من مصر بقيادة موسى . وصحراء التيه هضبة متوسطة الارتفاع من سهول صلبة التربة داكنة ، بما يخالطها من الحصباء من فتات حجر الصوان . وهذه السهول شاسعة متتابعة متموجة تتخللها بعض التلال المستطيلة الجيرية التى يتعارض بياضها الشديد مع لون الارض ، ليبدو المشهد فى جملته كالبحر الفسيح الداكن الخضرة بأمواجه المتعاظمة المتلاقية ذات القمم المزبدة . وهذه البرية لا تخلو فى بعض المواضع من أحافير للبقايا العضوية المتخلفة القديمة المتحجرة .

القطاع الجنوبى : طور سيناء

فى آخر هضبة «برية التيه» الصحراوية المنبسطة الجيرية ، تظهر مرتفعات من صخور رملية يسمونها « **دبة الرملة** » وهى بمثابة الطلائع للقطاع الجنوبى من سيناء ، بجباله الصخرية العالية الوعرة . ويعرف هذا القطاع باسم « **طور سيناء** » من قبيل اطلاق اسم البعض – وهو جبل الطور – على الكل .

وهذه الجبال قلما تشبهها غيرها الا فى كونها شاهقة وعرة ، بل لانها – فوق ذلك – متجمعة بلا نظام ولا ترتيب ، على نحو من الفوضى رهيب ، يجعلها تبدو متراكمة ، كأنها عناقيد هائلة معلقة فى عنان السماء على ارتفاع يتراوح بين ٨٠٠٠ – ٩٠٠٠ قدم فوق مستوى البحر الاحمر ، وهى من صخر الجرانيت ، جرداء عارية ، عجيبة التكوين مستغربة الاشكال من كل جانب وزاوية ، من سفوحها الوعرة وبخاصة قممها العالية الشاهقة ، فهى تطالعك فى تعاريجها وكثرة التوائها كأنها شياطين معذبة ، لا سيما اذا كانت هذه القمم من الجرانيت الاحمر بينما القاعدة من جرانيت الوانه داكنة وصخور الجرانيت هنا كلها فاخرة الالوان باهرة ، معظمها من الجرانيت الاحمر مع تفاوت درجات الحمرة ، من الحمرة القانية الى الارجوانية فالوردية .. والى جانبها من الالوان الاخرى : الاسود والابيض والبنى المحروق والرمادى ، والازرق الصافى والاخضر الفيروزى وغيرها على حسب ما يدخل من العناصر فى تركيب هذه الصخور . وهكذا تجتمع فى الجبال المتراكمة هنا الى روعة الاشكال ، فتنة الالوان على نحو لا يمكن أن يخطر على البال ، أو يتعلق به الوهم ويتمثله الخيال

ومما هو جدير بالذكر هنا ، ما يقرره من قرأنا لهم من علماء الجيولوجيا ، **من ان صخور هذه الجبال الجرانيتية فى سيناء ، من القاعدة الى القمة ، هى من نوع الجرانيت الموجود فى ارض اسوان على شاطئ النيل ، وهى التى كان المصريون الاقدمون يتخذونها فى تشييد ما يريدون تخليده من مقدسات كالمعابد والتماثيل والمسلات .**

وهذه السلاسل المتصلة من جبال طور سيناء ، تنحدر سفوحها ناحية البحر في جانبي شبه الجزيرة فينشأ مما ينهمر على سفوحها من الامطار بعض الاودية يتجه مصبها الى أحد الخليجين • وحيث يكون الماء ، يقوم بعض النخيل والشجر الصحراوي والوان من الازهار • أشهر هذه الاودية على خليج السويس « وادي فاران » الذي تعد واحته في سيناء أخصب الواحات ، فهذه الواحة الفيحاء يرويها جدول جار طوله بضعة كيلومترات، وعلى ضفافه النخيل وشجر السنط والسدر والاثل والخرنوب فضلا عن الصفصاف • وهنا تأنس النفس على غير انتظار بسماع الاطيار تغرد وتسجع ، وبرؤية الاغنام ترعى وترتع ، فضلا عما تحمله الريح احيانا من رائحة الاعشاب العطرية وهي ريانة ناضرة أو بعد أن جفت •

بيد أن مثل هذا الوادي النزه، ومادونه من الاودية الصغرى ، وهي جميعا تعتمد على ما قد يصيبها من ماء المطر في هذه الارض الجبلية الصخرية الجرداء ، لم يكن من طبيعة شأنها المتواضع ، أن تغير من

تسمية المصريين القدماء لها في آثارهم باسم « توشويت » ومعناه «ارض الجدب»، فتلك كانت طبيعة أرضها وقتذاك •

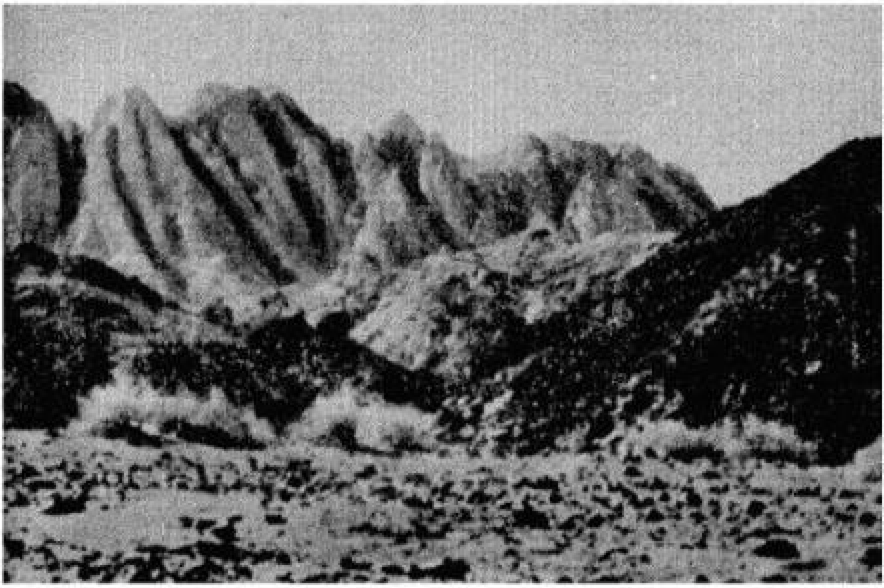
ولكن ذلك لم يكن ليمنع أجدادنا المصريين من أن يكونوا أول من قدر مافي باطن أرضها من معادن الكنوز ، كما سنرى من ايفادهم اليها البعوث التي قامت وحدها دون غيرها بالكشف عن مناجمها بما في

ذلك من تشييد العمران حولها ، مع حسن استثمارها عدة قرون ، بالاشتراك بين العمال المصريين ، والعمال من أهل سيناء نفسها •

لمحة من فجر التاريخ

منذ ٦٠٠٠ سنة كشفت مصر القديمة عن كنوز سيناء الدفينة

لكي يتمثل القارىء ما كان يتعرض له

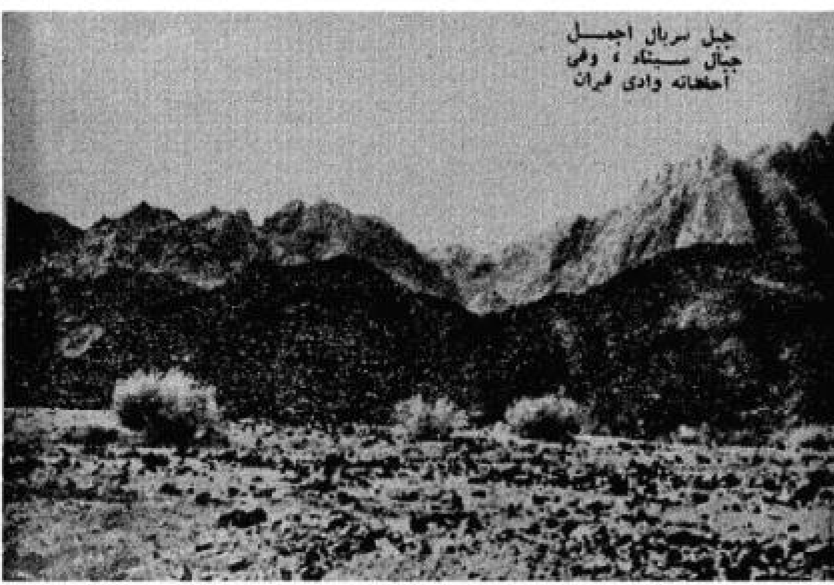


أفراد البعوث المصرية ، التي كانت أول من كشف عن ثروات سيناء المعدنية، نذكر شيئا عن تلك الاعاصير الرملية التي ترك لنا وصفها بعض من زاروا سيناء من الرحالين المتقدمين والمحدثين ونكتفي منها لضيق المقام بهذه السطور :

في اليوم التالي لمغادرتنا «عيون موسى» متجهين الى الجنوب ، كان لا يزال على مرأى عيوننا خليج السويس ، ذلك الفرع العميق الزرقة الايسر ، للبحر الاحمر ، ولكننا سرعان ما غاب عن أنظارنا في مثل كرة اللحظ ، مرأى البحر وكل ماحولنا، في غمرة عاصفة رملية من رياح السموم دامت اليوم كله . لقد سدت وجه السماء، ولم تبق على الارض شيئا قريبا اوبعيدا الا لفت عليه . كانت الرمال ترتفع طبقات طبقات ، كأنها اللانات متطايرات فوق اديم الصحراء ، ولكنها كانت تصدم وجوهنا كأنها سحال من معدن . ومع ذلك، كانت جمال القافلة تواجه هذا كله وتصمد له صابرة ، وقد شغل قادة القافلة أنفسهم بلف الأقطية على رءوسهم ووجوههم حتى أعناقهم ، وتعلق كل منهم بحبل جمله .

وقد استرعى نظرنا الى الجمال ، انها كانت وهي وسط هذه الرمال السافية ، تتفادى مصادمة العاصفة لها ، بتحريك اعناقها الطوال يمنة ويسرة ، على غرار السفن اذا كان اتجاهها ضد التيار ، مما جعلنا نذكر وصف العرب للجمال بأنها « سفن الصحراء». ومضت الساعات، ولم يظهر على جمال القافلة اثر الاعياء ، وكنا نحن ــ نحن الركب الذين شكونا على ظهورها التعب من مشقة هذا السفر. فأناخوها لتتخذ مضاجعنا الصقها محتمين بسنامها . ومن فوقه رحلها دريا للعاصفة الرملية ان تطمرنا رمالها الخ .

هذا عن صحراء التيه ، أما اقليم طور سيناء الجبلي الذي كان مقصد البعوث باعتبار أن فيه مظان الكنوز الدفينة المطلوب الكشف منها واستخراج المعادن والاحجار الكريمة من مناجمها ، فان خطره على البعوث المصرية كان اشد وادهى ، وذلك لتعرض المنطقة في بعض الاحيان لبعض ثورات الطبيعة التي تشارك فيها كل عناصرها ، فاذا هوج الرياح تزمجر خلال الجبال مجنونة حيرى ، وتئن في فجاجها



جبل سربال اجمل جبال سيناء ، وفي أحضانه وادي فيران

الضيقة ومخارمها كالشاكلة الحمرى . وفي وسط هذا العصف تردد شواهق القمم قصف الرعد ، بينما تستطير في السحب المدلهمة نيران البرق ، ثم لا تلبث السماء ان تفتح مغاليقها لتنهمر سيول الامطار على سفوح الجبال الوعرة المتحدر . وكانما الساعة جاءت ، فزلزلت الارض زلزالها ودكت الجبال دكا ، وانشقت السماء وتهاوت الاجرام وعم الطوفان .

هذه التجارب او مايشبهها من قريب او بعيد ، كان يتوقعها اجدادنا الاولون من افراد تلك البعوث المصرية الى سيناء، ومع ذلك لم ينكصوا عن النهوض لها مستعدين لمواجهتها والصبر عليها، مما يشهد بما كانوا عليه من الشجاعة وقوة الشكيمة وصلابة العزيمة وشدة الجلد وطاقة الاحتمال .

لمحة من فجر التاريخ

ويرجع اهتمام المصريين القدماء بمناجم شبه جزيرة سيناء الى كثرة النحاس بها . وتدل حفريات البدارى عندنا — وهى الحفريات التى قام بها منذ سنين علماء المصريات العالميون لدراسة أصول الحضارة المصرية — على أن أجدادنا عرفوا النحاس قبل حكم الاسر الملكية ، والموا بخواصه من حيث قابليته الطرق وطواعية الانتشار ، فلم يقتصروا فى ذلك العهد السحيق السابق للتاريخ على صنع الآلات من الحجر الصلد ، وصنع الآنية من الفخار ، واتخاذ غير ذلك كالدبابيس والخطاطيف من عظام الحيوان ، بل أخذوا يستعملون فى صنع بعض هذه الاشياء من النحاس سواء للمنفعة او للزينة ، وعلى الاخص بعد أن اهتدوا الى قابلية النحاس للانصهار بدليل العثور فى حفريات البدارى على بعض الاوانى الصغيرة مصنوعة من النحاس .

ومع ذلك ، فانه فى تلك الحقبة السابقة لحكم الاسر المالكة ظل استعمال النحاس قليلا ، ولم يكن هنالك سبب لذلك الا قلة النحاس وندرته فى مصر .

ولم يكن امام مصر فى عهد الدولة القديمة للاسر ، الا استجلاب النحاس من الخارج . ولم يكن امامها من مواطن النحاس القريبة الا جزيرة قبرص ، ومعنى اسمها باللغة الافريقية القديمة النحاس ، ولكن البحر يقوم بين مصر وبينها . فلم يبق الا الوطن الاخر للنحاس وهو شبه جزيرة سيناء ، وهى فى حدود مصر الشمالية الشرقية حيث يمكن البلوغ الى مناجم النحاس برا من برزخ السويس .

وقد حفظت لنا صخور سيناء — الى جانب الاثار التاريخية الاخرى — سجلا منقوشا على الصخر باللغة الهيروغليفية ، بما كان من أمر البعوث المصرية القديمة الى مناجم وادى المغارة وغيرها ، فكانت لكل بعثة صفحتها على صخرة بمفردها ، من نقش رجال البعثة نفسها . ومن هذا السجل الصخرى المتناثر الصفحات فى تلك الانحاء ، امكن الاستدلال على وجه اليقين ، أن أول تلك البعوث المصرية الى سيناء ، يرجع عهده الى سابع ملوك الاسرة الاولى ، وهو « سمرخت » ، وبعده الملك « سانخت » ثانى ملوك الاسرة الثالثة .

وبعد هذين ، جاء من هو أشهر فى التاريخ منهما ، فترك نقوشا على الصخر شاهدة بانتصاراته هناك ، وهو « سنفرو » أول ملوك الاسرة الرابعة ، الذى لم يطمئن الى سير العمل فى تلك المناجم الغنية من حيث المعادن بالنحاس خاصة ، ومن حيث الاحجار الكريمة بالفيروز . فلم يتردد لحظة فى توجيه حملة تأديبية الى سيناء لاخماد حركة المشاغبين ، وانزل بهم ما يستحقونه من العقاب ، كما هو مسجل فى اللوحة التذكارية المنقوشة فى صخرة من صخور وادى المغارة . واللوحة تمثل شيخ المشاغبين ، وهو راكع يطلب الامان فى ضراعة وتذلل ، وفرعون قابض عليه من ناصية شعره ، يهم بضربه على أم رأسه ، بمقمعة « هراوة » رأسها من الحجر الابيض .

ومنذ ذلك الحين انتظم العمل فى المناجم ، اذ صارت شبه جزيرة سيناء كلها جزءا من مصر . ولكن الطمع فى الاستيلاء على انتاج هذه المناجم الغنية ، كان يتجدد من جانب مشايخ القبائل البدوية . فلم يكد الملك « سنفرو » يوافيه الاجل ، حتى اضطر خلفه الشهير « خوفو » بانى الهرم

الاكبر ، الى مقاتلة هذه القبائل ودحرها ، دفاعا عن المناجم التى انشاها ووضع نظام العمل فيها سلفه .

وتكررت الحملات فى عهد « ساحو رع » ثانى ملوك الاسرة الخامسة الذى سجل غيرها نقشا على مثال تلك الصورة التقليدية التى وصفناها فى كلامنا عن الملك سنفرو . كما أرسل الملك « منكاو حور » من الاسرة نفسها حملة أخرى الى المنطقة نفسها .

وفى اواخر هذه الاسرة ، تمكنت بعض القبائل البدوية الاسيوية من وضع يدها على المناجم ، الى أن تولى الحكم « بيبى الاول » وهو ثانى ملوك الاسرة السادسة فاسترد المناجم ، وجعل الاشراف عليها لوزيره « أونى » الذى وضع لاستغلالها نظاما يكفل لها اطراد النجاح ، مع اخضاعها لرقابة دائمة . وكان من نتيجة ذلك أن ارتفع انتاجها أضعافه .

ولكن المناجم بانتهاء عهد الاسرة السادسة ، خرجت من أيدى المصريين . الى أن ارجعتها الاسرة الثانية عشرة ، فى عهد « امنمحت الاول » وابنه « سنوسرت » لما كان من حرصهما على استغلال المحاجر والمناجم فى جميع انحاء البلاد مهما تكن نائية ، ومنها مناجم سيناء فى وادى المغارة التى أعاد فتحها حتى تولى الحكم « سنوسرت الاول » ، بالاضافة الى استخراج المعادن من مناجم « سرابيت الخادم » . ومما يدل على كثرة ما تركه - فوق ما ذكرناه - ملوك هذه الاسرة من الاثار فى سيناء ، العثور فى منطقة المناجم فى « سرابيت الخادم » على رأس تمثال ضخم من الجرانيت للملك « سنوسرت الثالث » وكذلك على جزء من تمثال له وهو جالس ، وكلاهما الان فى المتحف البريطانى . كما يوجد اسم « امنمحت الرابع » منقوشا على بعض الصخور . أما المسلة من الحجر الرملى ، التى نصبت تذكارا لاحد الموظفين المصريين فى منطقة مناجم النحاس فى « سرابيت الخادم » فهى أيضا معروضة فى المتحف البريطانى .

وهذا المزيد من الحرص الشديد من جانب الاسرة الثانية عشرة ، مرده ما كان من نجاح الحصول على البرونز من اضافة القصدير الى النحاس بعد صهره . فلقد أتاح هذا المركب الصلب الجديد « البرونز » استخدامه - بالرغم من ثقله - فى صنع الاسلحة والاوانى وبعض التماثيل ، وبالجملة كل ما يحتاج الى الصلابة .

ونكتفى بما ذكرناه من البعوث المصرية القديمة الى شبه جزيرة سيناء ، لنقرر أن هذا الاهتمام المصرى بمناجم سيناء - مع تفاوته وبالرغم من الظروف التى أدت أحيانا الى توقفه - قد استمر أكثر من ٢٥ قرنا ، منذ الاسرة الاولى حتى الاسرة العشرين ، وهى آخر عهود الرعامسة . وفى طليعتهم سيتى الاول وابنه رعمسيس الثانى الاشهر الذى يضم المتحف البريطانى جزءا من تمثال له كان فى سرابيت الخادم بسيناء وعلى قاعدته نقش يمثل زوجة له من أحب زوجاته . وكلا الملكين الوالد وابنه ، بلغ انتاج المناجم كلها فى عهدهما الحد الاقصى الذى كان لا زيادة بعده لمستزيد ، سيان فى ذلك المحاجر أو مناجم النحاس ومناجم الفيروز .

فراعنة مصر وعمال مناجم سيناء

كان فراعنة مصر - كما رأينا - شديدى البطش بالقبائل البدوية الاسيوية التى كانت لا تكف عن الاغارة - كلما سنحت الفرصة - على مناجم النحاس والفيروز فى سيناء ، للسلب والنهب واشاعة الفوضى ، ولكن هؤلاء الملوك الفراعنة أنفسهم كانوا مع عمال المناجم فى سيناء وغيرها من الصحارى المحرقة النائية ، على ادراك تام لما يبذلونه من همة وجهد ، وما يحتملونه من عناء ومشقة ، فى عملهم الشاق تحت ظروف قاسية ، ومن ثمة ما نقرؤه فى أخبار هؤلاء الملوك من العطف على عمال المناجم لا قولا فحسب ، بل بالعناية الحقة العملية الكفيلة بتوفير أسباب الراحة والحرص على سلامتهم . ومن الامثلة على ذلك ، ما جاء فى الاثار عن « رعمسيس الثانى » ، **وكيف ابى التسليم بما كان من اخفاق أبيه فى مشروع امر به ، يتعلق بحفر بئر لعمال بعض المناجم بعد أن بلغ الحفر الى عمق ١٢٠ قدما ولم يظهر الماء ، فانه لم يقنط ولم تفتر له همة عن هذا المشروع حين خلف اباه ، بل اصر على تحقيقه ، ايمانا منه**

بأن خطوته برضا الآلهة كفيلة بتوفيقه. وقد صح ما توقعه ، أو بعبارة أقرب إلى ما جاء في الآثار : لقد أطاعه الماء الذى عصى آباءه ، وامتلأت به البئر ، واطمأن عمال المنجم إلى أنهم لن يموتوا عطشا في القفر .

وكان العمل في مناجم وادى المغارة بسيناء ، يشترك فيه أهالى المنطقة ، وفريق من العمال المدربين يرسل من مصر . وكان هؤلاء ، اذا احتاج « رمسيس » كعادته إلى مزيد من الانتاج ، يعززون من مصر بفريق آخر قد يبلغ ألفى رجل أو أكثر لمدة شهر أو شهرين . وكان مقامهم جميعا في وادى

لمحة من فجر التاريخ

المغارة عند ملتقاه بوادى جنة ، في موضع يقع في مقطع راسى في الجبل ، فيه طريق يمتد من أعلى المنحدر إلى أسفله ، حيث يرجد على مسافة خمسة عشر مترا من هذا المنحدر سطح في الجبل ، فيه بلدة كبيرة مخصصة لهم . وهى بلدة تذكرها النصوص المصرية القديمة باسم « حايت قايت » بها بيوت بعضهامستدير وبعضهامستطيل وكلها مبنية بالحجر الرملى المرصوصدون بلاط ، وسقوفها مسطحة مفروشة وملطة بالطفل المعجون . وهذه البيوت قل أن يكون لها باب بالمعنى المألوف ، وانما هو منفذ للبيت لا يدخل منه الرجل الضخم الا بمشقة . ولا يوجد في الداخل سوى قاعة واحدة أو قاعتين اذا كان البيت لرئيس من رؤساء العمال . وحول كل بيت مصطبة من الحجر تحيطه كالرصيف ، ارتفاعها نحو السبعين أو الثمانين سنتيمترا ، فضلا عن أجمة من الاشجار الشائكة ، مما يعد تحصينا لهذه المساكن ، واتاحة الفرصة لأهلها للدفاع عن أنفسهم عند الاقتضاء . وهذا ، الى أنهم يتخذون منهم بالتناوب حراسا راصدين فوق أعالى الجبال للمراقبة خشية غارة من غارات البدو الطارئين .

ويستدل من أبحاث المنقبين من الاثريين ، ان العمال في عملهم بمناجم النحاس كانوا يتخذون الفئوس من حجر الظهر « الصوان » بأيد خشبية ، وكذلك الاسافين والمطارق . وهم يسلكون في الجبل سراديب عريضة غير عميقة ، ويسيرون في اقتطاعهم للاحجار في خط مستقيم ، ثم يفرغون المساحة التى اقتطعوهافي جوف الجبل بحيث يبقى سقفها مركوزا على صخر الجبل نفسه ، ثم يبدأون التنقيب في كل قطاع الواحد بعد الآخر مستدلين هنا وهناك في جدرانه وسقفه على عروق ما يكون هناك من المعادن واتجاهها . فاذا لم يكن في الصخور فلوق أو شقوق تظهر منها العروق ، عمدوا إلى الصخور فأحموها بالنار حتى تتفلق وتتشقق ، وعندئذ يعالجون بالاسافين استخراج ما في الصخر من المعدن أو الاحجار الكريمة .

الفيروز فى مناجم سيناء لم يشتد عليه طلب الفراعنة للزينة

ذكرنا من الاسباب التى وثقت العلاقة بين مصر القديمة وشبه جزيرة سيناء حاجة كل منهما الى الاخرى من ناحية الموقع الجغرافى ، ومن حيث التوزيع الالهى لمصادر الثروات الاقتصادية . ولا نقصد هنا الى اعادة القول في هذا الموضوع أو ذاك . وانما مقصدنا بعدما ذكرناه من كثرة النحاس في سيناء ، ان نذكر مايقابله من كثرة الذهب في مصر . فقد بلغ من اشتهار مصر به ، ان كان بعض ملوك آسيا يلتمسون من « امينوفيس الثالث » ثم ابنه « اخناتون » الا يضن عليهم كل عام بجملة من الذهب ، محتجين بقولهم الوارد في احدى لوحات « تل العمارنة » : « انه كثير من خالص الذهب الابريز ، تراب الطريق العام في مصر ، يا أخى العزيز » .

وقد قال الملك « سيتى الاول » في خطابه الى عمال المناجم . « ان جبل الذهب يشرق على مصر كلها ، كاشراق اله الشمس رع في الافق » . وليس لاحد أن يحمل ذلك منه على محمل المبالغة ، فقد بلغ ما دخل خزانة مصر من تصدير الذهب في عهد رمسيس الثانى ، ما يقدر في سنة من السنوات بثمانين مليونا من الجنيهات الذهبية لهذا كانت مصر بما للذهبها من القوة الشرائية ، لا تكتفى

طوال تلك العهود القديمة بما كانت تستورده من جزيرة قبرص وشمال سوريا من النحاس ، بل ظلت حريصة ـ كما رأينا ـ على الاستمرار في الانفاق على استخراج المقادير الكبيرة من نحاس المناجم الغنية في سيناء للوفاء بما تدعو اليه الحاجة المتزايدة للصناعة في البلاد ٠

ولكن كلاً ما في سيناء من مناجم النحاس على كثرتها لسد حاجة الصناعات، لم تكن لتنسي فراعين مصر ما تستدعيه الحضارة من الكماليات. ٠٠ ومن هنا ما أعارته مصر في الوقت نفسه من الاهتمام لما تضمه مناجم سيناء من حجر كريم هو الفيروز ٠

والفيروز عند المصريين الاقدمين ، لم يكن حلية فحسب من الاحجار الكريمة يرصع بها الفاخر الثياب للجنسين والاسلحة والاواني والاثاث وغيرها من متعلقات العلية من الرجال ونساء البلاط ، بل هو رأس الاحجار الكريمة ذات القيمة الرمزية في معتقداتهم الدينية ، لنسبته الى ربة الحب والامومة « حتحور » المرموز اليها بالبقرة في ديانة مصر الفرعونية ، ثم استمر ذلك الرمز بعد العهود المسيحية في صورة مريم العذراء الام المقدسة ٠

فالمصريون يتحلون الفيروز حتى اليوم ، لا للزينة وحدها ، بل باعتباره تعويذة لها خصائصها السحرية في دفع كل سوء عن حاملها في البر والبحر ، والوقاية من الارواح الشريرة التي كانوا يعتقدون انها تدخل اليهم من انوفهم ، فيتداوون منها بحمل الفيروز ، في ظاهر الامر للزينة ، وفي باطنه بمثابة تميمة للشفاء من الزكام بأنواعه ومن اختلال العصب السمبتاوي ، وبالجملة لصلاح حاسة الشم ومن خلفها للمخيخ في مؤخر الدماغ

الفيروز اسمه بالمصرية القديمة « مفاكت Mefaket » واسمه الحديث باللغات

احدى عيون موسى يحيط بها النخيل



الاجنبية « Targuaise » أى الحجر التركى نسبة الى مصدر الشرقى ، فليست تركيا مصدره الوحيد فى الشرق بل يذكر معها ايران بالقرب من مدينة نيسابور وفى الهند وغيرهما .

والفيروز يتأثر بالهواء ، وخاصة عند الانتقال من موضع جاف الى آخر رطب ، أو الى درجة حرارة أعلى وهذه الحساسية الخاصة ، هى المحور الذى تدور عليه هذه الرواية من الأخبار المصرية القديمة التى انحدرت الينا من عهد الاسرة الثالثة الثانية عشرة .

ويطل هذه الرواية المهندس « هرور - رع » الذى اوفده الملك للقيام على بعض مناجم الفيروز فى سيناء لاستخراج أكبر قدر من هذا الحجر الكريم . فأجمع - على أثر وصوله فى أوائل الصيف .

لمحة من فجر التاريخ

بالوطنيين المعنيين من أهل التجربة ، فكان قولهم له بالاجماع : « ان الجبل فيه من الفيروز ما يكفى الى الابد . ولكن ما ينبغى ان يكون موضع العناية والاهتمام هو كيف سيكون لون الفيروز فى مثل هذا الفصل من السنة . فان الفيروز الذى يستخرج فى هذا الفصل تام فى الحجم ، ولكن يأتيه النقص من جهة اللون ، لان الجبل فى شدة حرارة الصيف يصير كالاتون المحمى ، فلا غرو تخرج احجار الفيروز منه كدرة الالوان »

ولما كان المهندس قد قضى الايام الاولى من الصيف فى عمل الاستعدادات الاولية فقد أصبح من المحتم أن يقع وقت استخراج الفيروز فى ابان الصيف واشتداد الحر الى الاوج . ولكن ما العمل ، والمهندس يشفق على نفسه من غضب فرعون ؟

انه - وهذا كل ما بقى له - يتوجه بالصلاة والابتهالات للسيدة السماوية « ربة الحب والامومة « حتحور » سيدة الفيروز ، وحامية المشتغلين بالتعدين ، مؤمنا بأنها لن تتخلى عنه

بهذا الايمان أقبل على استخراج الفيروز بالقدر الوفير الذى أمر به الملك .. فاذا بهذا القدر الوفير من الفيروز الذى استخرج من الجبال الجرداء العارية تحت الشمس المحرقة ووسط ذلك الجحيم من الحر ، كله من النوع الجيد الصافى ، ذى اللون السماوى الذى ليس فيه أدنى عيب، بل يفوق ما استخرج فى غير الصيف من هذا الجبل نفسه

الخاتمة

تلك لمحة من فجر التاريخ عن العلاقة القديمة بين مصر وسيناء ، بين بلاد « اله الشمس رع » ، وأرض « اله القمر سن » . وما ذكرناه فى هذه اللمحة قليل جدا من كثير .. فلقد مضى على هذه العلاقة حتى اليوم نحو ستين قرنا ، كشفت مصر فى التاريخ القديم خلالها من الثروات المعدنية الدفينة فى تلك الاراضى الصحراوية ما اتينا على ذكر بعضها . ثم كشفت مصر فى التاريخ الحديث فى تلك الارض الصحراوية نفسها ثروات اخرى ليست مناجم البترول الا واحدة منها ، بل لم يقتصر الكشف عن هذه الثروة فى ارضها ، بل ادى الكشف الى وجود امثال هذه الثروة ايضا تحت مياه خليجها

اما معرفة الاسرائيليين لارض سيناء ، فهى لم تتجاوز فى تاريخها الطويل شهودا قضوها فى « برية التيه » تائهين ، لا ماديا فحسب ، بل معنويا حين بلغ من معصيتهم وكفرهم التاء غيبة نبى الله موسى الكليم، ان القى ارضا بألواح الوصايا العشر التى انزلت عليه من فرط سخطه ونقمته عليهم ، وان استعان باللاويين على سائر القبائل الاسرائيلية واوقع القتل فيهم حتى بلغ عدد القتلى عشرين الفا ، كما جاء فى كتابهم المقدس

واما فى هذه المرة ، فلن يطول بمشيئة الله بعد يومنا هذا خروجهم من سيناء طوعا او كرها ، مبعدين مدحورين الى يوم الدين ...

محمد العزب موسى

موسى في سيناء



تمثال موسى للفنان العالمى مايكل انجلو

وجه الصعوبة فى دراسة هذا الموضوع « موسى فى سيناء » وفرة مادته الدينية والاسطورية الى حد الافراط ، وندرة مادته التاريخية والاثرية الى حد العدم . ووفرة الاولى تغرى بالاعتماد عليها بغض النظر عن قيمة البحث من الناحية التاريخية ، ومعنى ذلك ان يأتى البحث مقالا فى التفسير او فى علم الاديان المقارن او فى الميثولوجيا وليس فى التاريخ

موسى

في سيناء

فالكتب المقدسة ، وما يحيط بها من تفسيرات ودراسات وقصص واساطير ، تعطيك صورة تفصيلية لخروج بني اسرائيل من مصر ، وضربهم في سيناء ، بحيث لا تغفل ادق التفاصيل وكأنك تعايشهم يوما بيوم ،

أما التاريخ فأقصى ما يمكن أن يقدمه اليك من خدمات أن يعينك على أن تحدد وسط الضباب الأثرى الكثيف موعد الخروج أو قد يطلعك على طرف من حالة بني اسرائيل وعقائدهم آنذاك .

وحتى هذا القدر من المعرفة لا يستمد من حقائق تاريخية وشواهد اثرية ثابتة وانما من قرائن تاريخية واسطورية في نفس الوقت ، **فانك اذا بحثت في سجلات التاريخ المكتوب عن ذكر لبني اسرائيل في مصر فلن تجد سوى وثيقتين فقط من وثائق التاريخ المصري القديم تذكرهم بالاسم** : الأولى **خطابات تل العمارنة** التي كانت ترد الى أمينوفيس الرابع (اخناتون) من امراء الشام تستصرخه الدفاع عن الامبراطورية اثناء فترة حكمه القصير من ١٣٧٦ — ١٣٥٩ ق . م .

وقد وردت في بعضها اشارة الى أقوام مشاغبة تسمى **الخابيرى** أو **Hapiru** وتكتب بالهيروغليفية **Prw** ويرجح الاثريون انهم آباء العبرانيين الذين ظهروا فيما بعد نتيجة اختلاط الخابيرى بالقبائل الآرامية .

والثانية **لوحة مرن بتاح** (منفتاح) الذي اعتلى عرش مصر عام ١٢٢٥ ق . م . خلفا لابيه رمسيس الثاني من الاسرة التاسعة عشرة ، وفيها يسجل انتصاراته على الشعوب الاسيوية ومنها اسرائيل التي تذكرها اللوحة بعبارة « **وخربت جيزرديل ولم يعد لنسلها وجود** » (٢)

أما التوراة فلا يمكن الاعتماد عليها بصفة اساسية في البحث التاريخي . فالتوراة لم تكتب قبل سبعة أو ثمانية قرون من الاحداث المفترضة لقصة الخروج وخضعت بعد ذلك لكثير من التعديلات والتحريفات . ولذلك لا يمكن أن نفترض فيها الدقة التاريخية ، ومثل ذلك أن نحاول الآن كتابة تاريخ الحروب الصليبية

رمسيس الثاني



من الذاكرة الشعبية فلن تصل في أفضل الأحوال الى أكثر من سيرة الظاهر بيبرس ، والى جانب ذلك فان سفر الخروج بالذات ينطوى على تناقضات كثيرة في التفاصيل بل والمسائل الجوهرية ، فمثلا نجد ان مفهوم الاله ذاته يختلف في مكان من الاخر ، فهو احيانا تمكن رؤيته كما حدث لموسى وشيوخ اسرائيل « **ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف .. فرأوا الله وأكلوا وشربوا** » (خروج : ٢٤ : ١٠) واحيانا لا يمكن أن يرى « **وقال لا تقدر ان ترى وجهى لأن الانسان لا يرانى ويعيش** » (خروج : ٣٣ : ٢٠) واحيانا لا ينبىء منه سوى صوته « **وقالوا لموسى تكلم انت معنا فتسمع ولايتكلم معنا الله لكيلا نموت** » (خروج : ٢٠ : ١٩) واحيانا يتصل من طريق ملاك « **وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة** » (خروج : ٣ : ٢) . وفي بعض الاماكن نقرأ أن الاسرائيليين كانوا يعيشون في اقليم جاسان بمصر (خروج : ٨ : ١٨) واحيانا نجدهم مختلطين بالمصريين (خروج ٣ : ٢٢) وحمو موسى يدعى احيانا يثرون (خروج ٣ : ١) وأحيانا رعوئيل (خروج ٢ : ١٨) .

ومثل هذه التناقضات تسقط اية حجية تاريخية لما جاء في سفر الخروج بحيث لايصح الاعتماد عليه الا استئناسا ، ودائرة المعارف اليهودية نفسها تعترف بأن سفر الخروج يختلف في اسلوبه اختلافا واضحا ، فالجزء الخاص بالاضطهاد والخروج يبدو قويا وشاعريا في حين ان وصف اقامة خيمة العهد يبدو جافا وتكنيكيا ، وتضيف دائرة المعارف اليهودية أن هذا السفر مأخوذ من مصادر متعددة أقدمها يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد وأحدثها الى القرن الثالث قبل الميلاد ، ولم يكتبه موسى كما هو شائع بين اليهود (٣) .

وينكلر وفرويد

وقد ذهب بعض الباحثين الى رفض قصة الخروج من مصر جملة وتفصيلا او على الاقل رفض الاساطير المتعلقة بها ، وأهم نظريتين في هذا الصدد لوينكلر وفرويد .

● **نظرية وينكلر** : يرى الباحث اليهودى هوجو وينكلر ان الخروج لم يحدث من مصر ، وان كلمة « **مصرايم** » التى وردت في سفر الخروج لا تشير الى مصر النيل ، وانما الى اقليم Muzri ويقع جنوب البحر الميت شمال شبه جزيرة العرب ويمتد غربا حتى الحدود الشرقية لمصر ويضم جبل سير Seir ومدينة البتراء Petra وأراضى أهل مدين وأدوم ، ويقول وينكلر ان اسم هذا الاقليم اختلط في ذاكرة اليهود بعد ذلك باسم مصر لان سكان هذه المنطقة وكل كنعان كانت تحت الحكم المصرى ، واخترعت العقلية اليهودية أسطورة الخروج بكل تفاصيلها رمزا للخلاص من هذا الحكم (٤) .

غير أن هذه النظرية يهدمها ما ورد في التوراة من وصف دقيق للطبيعة المصرية كفيضان النيل وما يؤدى اليه هبوط منسوبه من انتشار الاوبئة والامراض وكذلك وصف بعض اقاليم مصر وحرفها الامر الذى يدل على اقامة فعلية ( ) (٥)

وهناك شواهد تاريخية ثابتة على وجود جالية سامية في مصر منذ زمن الهكسوس ، وتكون هذه الجالية اساسا

---

1) G. Lanville : The lagacy of Egypt : Egypt and Israel. p. 222.
2) Ibid : p. 224.
3) The Universal Jewish Ency- clopedia : Book of Exodus V. 4.
انظر ايضا د . فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية ص ١)
4) The Universal Jewish Ency- clopedia : Exodus.
(٥) حضارة مصر والشرق الادنى القديم : الساميون القدماء للدكتور حسن أحمد محمود ص ٢٠٥

موسى في سيناء

من قبائل كنعانية باسم « يعقوب ايل » والارجح أنه لم يكن من المؤكد انها قبيلة يعقوب ويوسف ، وما دام الامر كذلك فلا بد أن تكون هذه الجالية قد خرجت فيما بعد من مصر لا سيما مع حرصها على عدم الاندماج في الوسط المصرى (٦)

وتاريخ مانيثون يشير الى وجود اليهود بمصر ولكن في عبارات غامضة باعتبارهم مواطنين مصابين بالبرص امرهم الملك أمينوفيس بمغادرة البلاد بعد ان استقروا زمنا في المحاجر التى تقع على الجانب الشرقى للنيل (٧) .

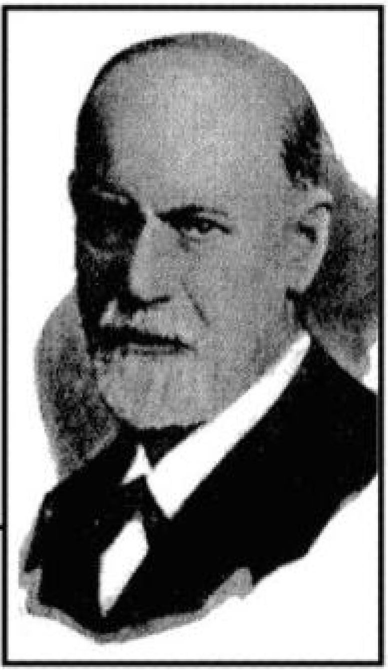
كل ذلك يدفعنا الى رفض نظرية وينكلر في عدم مجيء اليهود الى مصر وعدم خروجهم منها ولكن ذلك لا ينفى ان فريقا من العبرانيين ربما يكون قد اقام فعلا في اقليم Muzri الذى يشير اليه وينكلر .

● **نظرية فرويد** : ويرى العالم النفسى سيجموند فرويد ان موسى لم يكن يهوديا بالجنس وانما كان مصريا دما وعقيدة ، وانه اعطى عقيدته المصرية – التى ليست سوى عقيدة الدون بالتحديد – لبنى اسرائيل وقادهم في الخروج من مصر بعد انهيار الديانة الجديدة في مصر عقب مأساة اخناتون . وفى الفلاة تنكر اليهود لسيدهم المصرى وقتلوه وارتدوا من عبادة ادوناى (اتون) الى عبادة يهوه اله البراكين ولم يعودوا مرة اخرى الى الشريعة الموسوية الا تدريجيا عبر القرون لان ذكرى موسى ظلت قوية في اذهانهم ، ولكن نتيجة لتنكرهم المشين لهذا الزعيم المصرى العظيم أصيبت النفسية الجماعية اليهودية بعقدة تاريخية ، وحاول اليهود كبت حقيقة ان موسى كان مصريا وانهم اغتالوه فاقترفوا في سبيل ذلك سلسلة من الاكاذيب والتشويهات لتغطية هاتين الحقيقتين المؤلمتين (٨) .

واستطرادا من هذه النظرية ينفى فرويد امرين :

الاول : ان يكون موسى المصرى قد

فرويد .. موسى مصريا دما وعقيدة



ذهب الى مدين وتلقى على جبل حوريب كلمة يهوه اله البراكين الذى زوده بمعجزات سحرية وامره بمحاجاة فرعون واخراج بنى اسرائيل . ويرى فرويد ان صورة موسى مدين لا تتمشى مطلقا مع صورة موسى قائد الخروج من مصر وان صفات يهوه الذى كان شيطانا مهلكا محبا للدماء لا تتمشى مع صفات الاله الواحد المتفرد الذى علم موسى عبادته للاسرائيليين والذى يحرم السحر والشعوذة تحريما تاما ، ويخلص فرويد من ذلك الى أن اليهود مزجوا بين كاهن مدين وموسى المصرى أو بمعنى آخر قاموا بعملية اسقاط كاهن مدين على شخصية موسى لاخفاء حقيقة الثانى وما ارتكبوه من اخطاء فى حقه وحق الهه .

والثانى : يرفض فرويد كل التفاصيل المتعلقة بالخروج مثل محاجاة فرعون والطواعين العشرة وشق البحر الاحمر وتلقى الرسالة على جبل سيناء ، ويعتقد فرويد ان الخروج تم بسهولة نتيجة لنفوذ موسى فى البلاط المصرى ، وانه استطاع ان يقود بنى اسرائيل « بيد قوية » كما تقول التوراة ، ولم تكن هناك مطاردة او اى شيء من هذا القبيل ، وان هذه التفاصيل جميعا حين سجلت فى التوراة بعد هذه الأحداث بعدة قرون لم تكن أكثر من اساطير دينية تسجل تراثا انحدر من زمن سحيق لاضفاء القدسية والمهابة على ذلك الحدث التاريخى ولاخفاء مصرية موسى فى نفس الوقت .

متى حدث الخروج ؟

هناك آراء كثيرة فى الموعد الذى خرج فيه بنو اسرائيل من مصر وفى فرعون الخروج تنحصر فى الفترات التالية :

- من وقت طرد الهكسوس من مصر الى حكم تحتمس الثالث اى من ١٥٧٠ ق . م الى ١٤٤٠ ق. م على وجه التقريب .
- من انهيار الاسرة الثامنة عشرة الى زمن رمسيس الثانى ومرنبتاح اى من ١٢٥٠ ق. م الى ١٢٢٥ ق. م .
- بعد انهيار الاسرة التاسعة عشرة اى من ١٢٠٠ ق. م الى ما بعد .

ويرفض الباحثون الفترة الاولى والفترة الثالثة على اساس ان الاولى مبكرة جدا والثانية متاخرة جدا لا يستقيم تاريخ بنى اسرائيل اللاحق اذا اخذنا بهما ، وتبقى الفترة الثانية هى المرجحة للخروج ، ولكن فى اى عهد من فراعنة هذه الفترة حدث الخروج ؟

هنا أيضا عدة آراء يمكن اجمالها فيما يلى :

(١) فى عهد تحتمس الثالث :

طبقا لحساب التوراة يكون فرعون الخروج هو تحتمس الثالث الذى حكم خلال الفترة الاولى وتوفى عام ١٤٤١ ق.م لان سفر الملوك الاول يقرر ان بناء الهيكل فى عهد سليمان كان فى عام ٤٨٠ لخروج بنى اسرائيل من ارض مصر وفى السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل (٩) ، ولما كان سليمان قد حكم عام ٩٦٥ ق.م. وبدأ بناء الهيكل بعد مرور أربع سنوات على ملكه اى حوالى عام ٩٦٢ ق. م. فمعنى ذلك أن الخروج حدث عام ١٤٤٢ ق. م. (١٠)

ويؤيد هذا الراى ان تحتمس الثالث كان مغرما باقامة البنايات الفاخرة ومن ضمن آثاره لوحة تصور اسرى ساميين يعملون فى مشروعاته الانشائية ، وبالاضافة الى ذلك اذا كان بنو اسرائيل قد عشوا

---

(٦) هزيمة الهكسوس لكاتب المقال المكتبة الثقافية – ١٧٨ ص ٣٩ وما بعدها
7) William Whiston : The works of Flavius Josephus Contra Apeon.
(٨) موسى مصريا لكاتب المقال . المكتبة الثقافية – ٢٣٠ وبه عرض واف لكتاب فرويد Moses and Monotheism
(٩) الملوك الاول : ٦ : ١

اربعين سنة فى التيه بسيناء يكون معنى ذلك انهم غزوا أرض كنعان تحت قيادة يوشع بن نون حوالى عام ١٤٠٠ ق٠ م وهو التاريخ الثابت أثريا لحدوث غزو كبير لممالك كنعان واحراق وتخريب مدينة عاى فى منطقة أريحا (١١) .

ولكن ينقض هذا الرأى أن تحتمس الثالث كانت جل آثاره فى الصعيد ولا يمكن أن تنسب اليه مدينتا برعمسيس

وبثيوم اللتان تقرر التوراة أن بنى اسرائيل استعبدوا فى بنائهما . أما عن تخريب ممالك كنعان فليس من الضرورى أن يكون قد حدث على أيدى الاسرائيليين

الخارجين من مصر ، والمرجح أنه حدث فى فترة الفوضى التى صحبت عهد اخناتون والتى تشير فيها وثائق تل العمارنة الى قوم يدعون بالخابيرى أو العابيرو قاموا بمهاجمة أملاك الامبراطورية المصرية فى فلسطين .

كما أن القول بخروج بنى اسرائيل من مصر فى عهد تحتمس الثالث معناه انهم لم يلحقوا عصر اخناتون فى مصر مع أن هناك تأثيرا قويا للغاية لعقيدة اتون فى

الشريعة الموسوية الى درجة أن بعض نصوص التوراة عبارة عن ترجمة حرفية لأناشيد اخناتون . ولا يمكن أن يكون اليهود قد حملوا كل هذه البصمات من مصر اخناتون دون أن يشهدوا العصر فى مصر .

(٢) بعد وفاة اخناتون مباشرة

وهذا هو رأى فرويد استطرادا لنظريته فى مصرية موسى ، فاذا كان موسى مصريا كما يدل على ذلك التطابق الحرفى بين الشريعة الموسوية وشريعة اتون وحقيقة أن موسى فرض على شعبه عادة الختان وهى عادة مصرية صميمة . فلا بد أن يكون موسى معاصرا لاخناتون

بل ومن أعضاء البيت المالك كما تقول أسطورة مولده وربما كان أميرا أو كاهنا أو قائدا فى بلاط اخناتون وبعد انهيار آماله فى مصر بانتصار النظام القديم قرر تحدى قدره الخاص لأنه رفض أن يتخلى

من عقائده التى هى أعز لديه من وطنه فأعطى تلك العقائد التى رفضها المصريون لأكثر فئات المجتمع اضطهادا وهم الساميون المقيمون فى أرض جاسان وقادهم الى الخروج فى فترة الفوضى التى تلت وفاة اخناتون وسبقت استيلاء القائد حور محب على السلطة أى فيما بين عامى ١٣٥٨ ق٠ م و ١٣٥٠ ق٠ م٠ (١٢)

غير أن فرويد لا يتشبث بهذا الرأى فى موعد الخروج بل يرى أن نظريته فى مصرية موسى تستقيم كذلك اذا تأخر موعد الخروج بعض الوقت اذا افترضنا

أن موسى كان كاهنا فى مدرسة أون (عين شمس) التى استمرت فيها عقيدة اتون حية عدة أجيال بعد القضاء عليها من الناحية الرسمية .

(٣) فى عهد مرن بتاح (منفتاح)

ويرجح غالبية الباحثين أن يكون الخروج قد تم فى عهد مرن بتاح (١٢٢٥ ـ ١٢١٥ ق. م) وبذلك يكون مرن بتاح

هو فرعون الخروج ويكون أبوه رمسيس الثانى فرعون الاضطهاد ومعروف أن التوراة تفرق بين فرعونى الاضطهاد والخروج (خروج ٢ : ٢٣)

ويحدد البروفيسور فلندرز بترى المعالم الرئيسية الآتية فى تاريخ بنى اسرائيل(١٣)
دخول ابراهيم أرض كنعان ٢١١٠ ق٠ م٠
دخول الاسرائيليين مصر . . . . ١٦٥٠ ق ٠ م

موسى فى سيناء

بداية الاضطهاد . . . . ١٥٨٠ ق. م.
الخروج . . . . ١٢٢٠ ق. م.
بناء الهيكل . . . . ٩٧٣ ق. م.

تذكر التوراة أن بني اسرائيل بنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس (خروج : ١ : ١١) . **وقد اكتشف العالم الفرنسي ادوارنا فيل في عام ١٨٨٣ مدينة فيثوم وموضعها الان تل المسخوطة وبعد ١٦ ميلا غربي الاسماعيلية وظهر من النقوش ان اسمها القديم « بر اتوم » اى معبد الاله اتوم (١٤) وحرفت الى فيثوم . واكتشف العالم المصرى الاستاذ محمود حمزة في عام ١٩٢٨ مدينة برعمسيس الى الغرب قليلا من براتوم وموضعها الان بلدة قنتير او تل الرطابة من قرى محافظة الشرقيــة وكان اسمها المصرى القديم « خنت نفر » اى الوسط الجميل وايضا « برعمسيس » نسبة الى بانيها رمسيس الثاني الذى جعلها عاصمة لملكه في الوجه البحرى لتكون بالقرب من الحدود الشرقية مما يساعده على صد الاعداء ، وثبت ان رمسيس الثاني هو الذى اقام براتوم ايضـــا كحصن الى الشرق من هذه العاصمة ، وبذلك تكون التـــوراة قد اخطات في حسبانهما مخازن للغلال (١٥) .**

ورجحت هذه الاكتشافات أن يكون رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد الذى ولد موسى في زمنه وربي في قصره ، وكان رمسيس الثاني معروفا بعدائه الشديد للشعوب الاسيوية التي ظل يحاربها منقبا من مصر زهاء تسع سنوات ، ويبدو انه كان يخشى انضمام الاسرائيليين المقيمين في ارض جاسان الى اعدائه الاسيويين ، اذ تقول التوراة عن لسانه محدثا شعبه عن بني اسرائيل **« هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض » (١٦)**

ومما يؤيد ارتباط المدينتين ببني اسرائيل أن **فلندرزبترى** اكتشف ان أقدم أسوار مدينة برعمسيس اقيم فوق ضحية بشرية عبارة عن جثة طفل مما يربطها بمادة تضحية الاطفال التي كشف عنها الاستاذ **« ماكالستر »** في فلسطين في حين ان المصريين لم يعرفوا مطلقا عادة الضحايا البشرية . وثمة أسطورة غريبة كانت منتشرة في هذه المنطقة خلال القرن الرابع الميلادى تقول من تمثال مزدوج يمثل رمسيس والاله اتوم انه لموسى وهارون ، ووجود مثل هذه الاسطورة في مكان له اتصال بالعبرانيين يشير الى أن موقع تل الرطابة لم يكن بعيدا من الاحداث التي أفضت الى الخروج (١٧).

واذا انتهينا الى ان رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد مات خليفته وابنه مرن بتاح (منفتاح) لا بد ان يكون فرعون الخروج . ولكن يقف في وجه هذه النتيجة اعتراضان : **الاول** لوحة مرن بتاح الشهيرة التي اكتشفها فلندرز بترى في كوم الحيتان بالاقصر وفيها يفخر مرن بتاح بانتصاراته على الشعوب الاسيوية ومنها اسرائيل **والثاني** ان جثة مرن بتاح عثر عليها محنطة في خبيئة قبر امنحتب الثاني بالاقصر وهي معروضة الان بالمتحف المصرى مما يفيد انه لم يغرق في البحر الاحمر كما تقول القصة الدينيــة ، ومعنى ذلك اما ان نرفض القصة الدينية او نرفض كون مرن بتاح هو فرعون الخروج .

---

(١٠) و (١١) جون الدر : الاحجار تتكلم ترجمة د . عزت زكي ص ٥٠ وما بعدها
(١٢) موسى مصريا ص ٦
31) Flenders Fetri ; Egypt and Israel p. 38.
(١٤) جيمس بيكى : الاثار المصرية في وادى النيل ترجمة لبيب حبشي وشفيق فريد جـ ١ ص ٩٤
(١٥) عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء طبعة ثانية ص ٢٠٤ وفيه يشير الى بحث للعالم الاثرى احمد يوسف احمد
(١٦) خروج : ١ : ١٠
(١٧) جيمس بيكى : المرجع السابق ص ٥٢

ولكن للدافعين عن النظرية القائلة بأن مرن بتاح هو فرعون الخروج يقولون أن النصب الذى يسجل انتصاراته لم يكتب غالبا فى عهده وانما كتب فى وقت لاحق بدليل أن هذا النصب كان أصلا للملك امنحتب الثالث (والد أخناتون) فقد سجل على أحد وجهيه المنشآت التى أقامها ذلك الملك فى معبد امون (الكرنك) ثم جاء الكهنة التابعون لمرن بتاح لنقشوا على الوجه الآخر للنصب انتصارات مرن بتاح على الشعوب الاسيوية ، ولو كانت هذه الانتصارات قد سجلت فى حياة الملك لكانت قد استقلت بنصب خاص بها ، ولكن الكهنة استخدموا نصب امنحتب الثالث على وجه السرعة نظرا لوفاة الملك المفاجئة التى يدل عليها ان قبر مرن بتاح لم يكن مهيأ كما يجب لملك مثله ويبدو انهم فعلوا ذلك تمويها وقلبا للحقائق حتى يستروا امام الشعب والتاريخ الهزيمة التى لقيها مرن بتاح وهو يتعقب بنى اسرائيل ، أما العثور على جثة مرن بتاح وتحنيطها فهو مصداق لقول القرآن الكريم **«فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » (١٨)**

موضع العبور والعدد

وقيلت كذلك نظريات عديدة فى الموضع الذى عبر عنده بنو اسرائيل الى سيناء تنحصر فى ثلاثة طرق رئيسية :

١ ـ الطريق الشمالى عبر القنطرة .
٢ ـ الطريق الاوسط عبر السويس .
٣ ـ الطريق الجنوبى عبر خليج السويس (١٩) .

وتذكر التوراة أسماء أماكن كثيرة مر بها بنو اسرائيل فى خروجهم من مصر وسياحتهم فى سيناء ولكن لا يمكن التحقق من معظمها الآن ، وعلى أية حال فالمؤكد انهم كانوا يقيمون فى أرض جاسان Joshem التى تقع فى محافظة الشرقية حاليا واتجهوا شرقا عبر وادى الطميلات الى مكان يدعى أيثام على حافة الصحراء يمكن ان يكون نفيشة الحالية ، ثم واصلوا تقدمهم جنوبا بشرق الى جنوب البحيرات المرة حيث كان خليج السويس يمتد فى ذلك الوقت حتى موضع الاسماعيلية الحالية ، وهذه المنطقة تشكل الآن مرتفعا بين الاسماعيلية والسويس ، والمؤكد أنها كانت أكثر أجزاء الخليج ضحالة فى ذلك الحين .

والكتاب الذين يرفضون معجزة شق البحر يتصورون ان العبور قد تم فى وقت انحسرت فيه المياه من هذا الجزء من الخليج نتيجة لحركة الجزر أو هبوب الريح ويستندون على ما تقرره التوراة **من أن الله ارسل ريحا شرقية شديدة فرقت مياه البحر ومكنت الاسرائيليين من العبور .**

والصعوبة الرئيسية فى قبول قصة الخروج كما تقررها التوراة هى تلك الاعداد الكبيرة التى قيل ان الاسرائيليين خرجوا بها . فمجموع الخارجين طبقا للتعداد الوارد فى الاصحاح الاول من سفر العدد يبلغ ٦٠٠ الف من الرجال القادرين على الحرب بخلاف أبنائهم وتابعيهم ، وهو تقدير لا يمكن قبوله بأى حال ان لم يكن لأى شىء فلان أرض جاسان لا يمكن أن تحوى هذا العدد الضخم وصحراء سيناء لا يمكن أن تقيم أود هذه الآلاف المؤلفة .

كما ان هذا التقدير لا يستقيم مع منطق التوراة نفسها ، فالتوراة تذكر

موسى

فى سيناء

وتقوم معارك مريرة بين بني اسرائيـــل الخارجين من مصر والعماليق من سكان سيناء على امتلاك الجزء الخصب الوحيد في شبه جزيرة سيناء وهو افيديم او وادي فيران على ارجح الاحتمالات ، فكيف كان من الممكن ان يواجه هـــذا الجيش العرمرم من الاسرائيليـــين اية مقاومة ذات بال من سكان الصـــحراء البسطاء المقيمين في هذه المنطقة والذين لا يمكن ان يتجاوز عددهم عدة الاف في الوقت الذي يتفوق عليهم الاسرائيليون بنسبة مائة الى واحد ؟

وقد حاولت دائرة المعارف اليهـــودية اعطاء تفسير لذلك فذهبت الى ان عدد الخارجين من مصر ربما كان لا يتجـــاوز بالفعل عدة آلاف من ابناء قبيلة يوسف على وجه التحديد اما بقية القبـــائل الاخرى التي يتكون منها شعب اسرائيل فلم تبرح ارض كنعان ، ولكن لانها كانت أيضا تحت رحمة مصر المسيطرة على ارض كنعان سياسيا لذلك تولدت مع مرور الزمن فكرة أن كل الشعب الاسرائيلي كان يقاسي من الاستعباد المصري واشترك في الخروج من مصر (٢٠) .

والعلامة فلندرز بتري يحل هـــذا الاشكال على نحو مرض ، فهو يرى ان هذا التقدير المبالغ فيه لعدد الخارجين والوارد في الاصحاح الاول من ســفر العدد جاء نتيجة الخطا في فهم المقصود بكلمة « الالف » ، فالاصحاح يحصي الخارجين من مصر على النحو التالي :

رأوبين	٤٦ر٥٠٠
شمعون	٥٩ر٣٠٠
جاد	٤٥ر٦٥٠
يهوذا	٧٤ر٦٠٠
يساكر	٥٤ر٤٠٠
زبولون	٥٧ر٤٠٠
افرايم	٤٠ر٥٠٠
منسى	٣٢ر٢٠٠
بنيامين	٣٥ر٤٠٠
دان	٦٢ر٧٠٠
أشير	٤١ر٥٠٠
نفتالي	٥٣ر٤٠٠

ويقترح العلامة بتري تفســـير خانة الالاف بأنها تعني عدد العشائر التي في كل قبيلة وخانة المئات بأنها تعني العدد الحقيقي لافراد كل قبيلة ، ودليله على ذلك ان كلمة « الف » بالعبرية كما انها تدل على العدد تدل أيضا على العشيرة أو الاسرة (وهو نفس معناها في اللغـــة العربية اذا وضعنا الهمزة تحت الالف لا فوقها) وتطبيقا لذلك تكون قبيـــلة رأوبين مثلا تضم ٤٦ الفا أو عشيرة أو اسرة مجموع اعضائها ٥٠٠ شخصوقبيلة شمعون تضم ٥٩ اسرة مجموع اعضـــائها ٢٠٠ وهكذا .

وهذا يجعل عدد الرجال القادرين على الحرب ٥٦٥٠ بخلاف أبنائهم وتابعيهم وهو تقدير مقبول لا سيما ونحن نعرف من التراث اليهودي ان قابلتين فقط كانتا تقومان بمساعدة النساءالاسرائيليات على الوضع وان موسى كان يفصل بنفسه في المنازعات التي تشجر بين جميع ابناء شعبه .

العقوق الاسرائيلي

اذا انتهينا من الناحية التاريخية من حقنا الاعتماد على الكتب المقدسة والتراث الديني والاسطوري في معرفة الحـــالة النفسية للاسرائيليين اثناء تجـوالهم في سيناء لاننا حتى اذا اعتبرنا هـــذا التراث مجرد تراث ادبي ، فان الادب ــ كما هو معروف ــ مرآة صادقة للحالة النفسية .

(١٨) عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص ٢٤١

19) Flenders Petrie : Egypt and Israel p. 39.

(٢٠) دائرة المعارف اليهودية : مادة Exodus

موسى في سيناء

واول ما يلفت النظر هنا ذلك البون الشاسع بين ما يتجلى به موسى عليه السلام من قوة نفسية وايمان لايتزعزع واخلاص للمثل العليا وبين ما يتصف به بنو اسرائيل – أو فريق منهم على الأقل – من ضعف نفسي وتخاذل روحي واستعداد للمروق والارتداد وهو أمر كان يؤدي بموسى الى الغضب الشديد حتى أنه حطم مرة الالواح المقدسة التي تلقاها على جبل سيناء .

وقبل المضي في المقارنة يستوقفنا ما ذكرته التوراة من أن بني اسرائيل عشية خروجهم من مصر احتالوا لسلب المصريين امتعتهم وأموالهم « **طلبوا من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهبا وثيابا ، واعطى الرب نعمته للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم فسلبوا المصريين** » (خروج ١٢ : ٣٥) فهذه الواقعة تدل ابتداء على ان فكرة الخلاص لدى بني اسرائيل لم تكن خالصة لوجه العقيدة والمثل العليا وانما كانت مرتبطة بالرغبة في التنفع المادي ودواعي الانتقام ، وثمة أدلة كثيرة على أن بني اسرائيل لم يتبعوا موسى الا متثاقلين رغم المعجزات التي راوها على يديه والامل العريض الذي يمنيهم به ، وقد يكون السبب في ذلك ان فترة الاضطهاد المصري دمرت نفسيتهم ، ولكن على أية حال فاننا نستبعد أن يكون الايمان بالعقيدة الجديدة هو ما ألهب أفئدة الاسرائيليين ودعاهم الى قبول القيام بتلك المغامرة ، وهذا ما يفسر رعبهم الشديد وحملتهم على موسى عندما احاط بهم فرعون وجنوده عند ساحل البحر فلو كانوا حملة عقيدة يؤمنون بها مخلصين لكانوا قد رحبوا بالاستشهاد من اجلها وما كانوا يتمنون العودة الى استعباد فرعون انقاذا لرممهم .

تقول التوراة « **فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم ، ففزعوا جدا وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ، وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور في مصر اخذتنا لنموت في البرية ماذا صنعت بنا حتى اخرجتنا من مصر اليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لانه خير لنا أن نخدم المصريين من ان نموت في البرية** » . (خروج : ١٤ : ١٠ – ١٢)

ويفيض التراث الديني في ذكر فضل الله على بني اسرائيل أثناء تجوالهم في سيناء وتسجيل معجزات موسى الواحدة تلو الاخرى فمن النجاة بعبور البحر المنشق الى انبجاس المياه من الصخر الى تظليل الغمام وانزال المن والسلوى(٢١)

ولكن بالرغم من كل هذه المنن والمعجزات ظل بنو اسرائيل قساة القلوب غلاظ الاعناق على استعداد دائم للارتداد الديني والتمرد .

ويذكر القرآن الكريم ان استعدادهم للارتداد بدأ فور خلاصهم من فرعون « **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون** » (الاعراف : ١٣٨)

ثم نراهم لا يرتضون المن والسلوى وهما من اطيب الطعام « **واذا قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير**

اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم » (البقرة)

وفي التوراة اشارات عديدة الى تمرد بني اسرائيل وجحدانهم للجميل :

« فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية . وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في ارض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع فانكما اخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع » (خروج : ١٦ : ٢)

« فخاصم الشعب موسى وقالوا اعطونا ماء لنشرب ، فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني لماذا تجربون الرب . وعطش هناك الشعب الى الماء . وتذمر الشعب على موسى . وقالوا لماذا اصعدتنا من مصر لتميتنا واولادنا ومواشينا بالعطش فصرخ موسى الى الرب قائلا ماذا افعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني » (خروج : ١٧ : ٢)

ويعتقد بعض الباحثين ان تمرد بني اسرائيل على موسى وصل الى حد ارتكاب جريمة كبرى في حقه ، فقد عثر ارنست سيللين Ernost Sellin في سفر هوشع (الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد) على آثار لا تخطئها البصيرة تشير الى مأثورة قديمة فحواها ان موسى مؤسس العقيدة لقي نهاية عنيفة في تمرد قام به شدة شعبه العنيد العاصي . وان الديانة التي جاء بها هجرت في نفس الوقت . والواقع ان هذه المأثورة ليست مقصورة على سفر هوشع بل تتكرر بصورة أقل وضوحا في أسفار معظم الانبياء اللاحقين وهي أساس التوقعات القادمة بمقدم المسيح ، ففي أواخر عهد الاسر البابلي انبثق الامل بين الشعب اليهودي في أن الرجل الذي قتله اليهود ثم جحدوا افضاله وعاملوه بكل قسوة سوف يعود من مملكة الموتى ليقود شعبه النادم التائب ــ وربما غير شعبه أيضا ــ الى مملكة البركة الخالدة (٢٢) والتراث الديني يزخر بأدلة لا تقبل الشك على أن الشعب اليهودي الذي رافق موسى الى سيناء لم يكن قادرا على حمل عبء التوحيد وفلسفته التجريدية الروحية الرفيعة ولم يجد فيما تعلمه الديانة الجديدة ما يشبع حاجته الى الاعتبارات المادية ، وأبلغ دليل على ذلك قصة عبادة العجل التي وردت في القرآن والتوراة . (٢٣) .

بل ان هارون نفسه أخا موسى وشريكه في الدعوة لم يستطع أن يمنعهم من عبادة العجل واتخذ موقفا يليق برجل السياسة لا برجل العقيدة **« قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا . الا تتبعن أفعصيت أمري . قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي »** . (طه : ٩٢ ــ ٩٤)

ويقول القرآن الكريم ان موسى ألقى الألواح ، وتقول التوراة انه حطمها غضبا منه على قومه ثم أمرهم أن يقتلوا انفسهم تكفيرا من هذه الخطيئة الكبرى ، فاعملوا السيف بعضهم في بعض ، وفي ذلك اشارة واضحة الى وقوع فتنة مسلحة او حرب أهلية بين بني اسرائيل في سيناء .

وكان العصيان الكبير الثاني هو رفض بني اسرائيل اطاعة موسى عندما امرهم بدخول الارض المقدسة ، فاظهروا جبنا شديدا واغلظوا له القول فحرمها الله عليهم اربعين سنة يتيهون في البرية حتى فنى ذلك الجيل ونشأ جيل جديد دخل الارض المقدسة تحت قيادة يوشع بن نون فتى موسى .

« يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فان دخلتموه فانكم غالبون . وعلى الله توكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى

---

(٢١) سورة الاعراف : ١٥٩ ــ ١٦٠ وطه : ٨٠ ــ ٨٢
خروج : ١٥ : ٢٥ و ١٦ : ١٣ و ١٧ : ٦

(٢٢) موسى مصريا وفيه يشير فرويد الى دراسة لسللين بعنوان :
Mose Und seine Bendentung fur rie Israelitisch - Judische Religionsgeschichte.

(٢٣) راجع : البقرة ــ ٩٢ والاعراف ــ ١٤٢ وطه ٨٨ . خروج : ٣٢

موسى

فى سيناء

انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . قال رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين »
(المائدة ٢١ — ٢٦)

ويقول **ابن خلدون** معلقا على هذا الموقف ان نفس بنى اسرائيل كانت صغيرة ضئيلة لانهم رئموا الذل والهوان فى ملك المصريين ، ومن كان كذلك لايصلح لقتال ولا استقلال ولذلك ذابت قلوبهم فى صدورهم وملأ الخوف انفسهم حين امروا بقتال اولئك الجبارين .

والى ذلك يضيف فضيلة **الشيخ عبد الوهاب النجار** أن العلماء يقررون أن حضانة العلم خمس عشرة سنة فاذا ابتدأت أمة لتعلم فانها تجنى ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة وأما حضانة الاخلاق فمدتها أربعون سنة فاذا أخذت أمة تستمسك بالاخلاق فانها لا تجنى الثمرة الا بعد اربعين سنة لذلك أراد الله تعالى أن يبقى بنى اسرائيل فى البرية اربعين سنة حتى يفنى الجيل الذى نشأ فى الذل والاستعباد وينشأ جيل الف الحرية ولد تلده العبودية (٢٤)

ولا شك ان تجربة الخروج كان لها ابعد الاثر فى صياغة النفسية الجماعية لبنى اسرائيل ، ويلاحظ **الدكتور محمد كامل حسين** (٢٥) أن اليهود يجمعون بين طباع متناقضة ، ففيهم رقة فى الطبع ودقة فى الحس وتراهم يسرفون فى العطف على المريض والفقير والطفل وهم مع هذا اقسى الناس قلبا لا يزعجهم افقار الاف الناس فى سبيل غناهم ، وهم أشد الناس صبرا على ذل وخضوعا لظلم حتى اذا آنسوا ضعفا او قوة قست قلوبهم غاية القسوة لا يرعون الا ولا ذمة،وان أحدهم ليبكى وينتحب حتى تنشق نفسه لرؤية أخيه يعذب أمامه ثم لا يلهيه ذلك عن أن يلتمس وسيلة يفيد بها من دم أخيه المسفوك .

ويرى الدكتور محمد كامل حسين ان قصة الخروج تقدم اروع تعبير وادق تفسير لهذا التناقض فى النفسية اليهودية، بل ان صدق تعبيرها عن النفس اليهودية أكبر دليل على حدوثها ، فقد تعرضوا للموت حتى لم يعد بينهم وبينه الا قيد شعرة ثم نجوا بمعجزة غير طبيعية ،

وقد اجتمع عليهم فى دقائق اليأس القاتل والنجاة التامة وتحقق لهم القضاء على عدوهم وهم وقوف ينظرون ، وادى ذلك الموقف الى هدم نفسيتهم هدما ثم تكونت من جديد على أطلال نفس هدمها الرعب، وخرجوا من هذه التجربة أمة شاذة التكوين . فقد نجوا بمعجزة لم يعرفوا لها سببا ، وفقدان العلاقة بين السبب

والمسبب شر نكبة ينكب بها العقل البشرى ، وكان ان وقر فى اذهانهم ان مجرد يهوديتهم سبب فى نجاتهم فاصبحوا يرجون دائما أن تكون يهوديتهم كافية لنجاتهم وصاروا يسرفون فى حالتى اليأس والأمل ، وفقدوا الاتزان ، واصبحوا أسرى لشاعر الطغيان المكبوت، **فالتحليل النفسى لليهود يدل على ان قصة الخروج تعبر عنهم اصدق تعبير وهذا يجعلها ابدع قصص التاريخ .**

(٢٤) عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص ٢٧٢
(٢٥) د . محمد كامل حسين : متنوعات ج ١ ص ٢٧



رحلة المتنبى فى سيناء

من بين جميع الشعراء لا تتذكر سيناء الا الشاعر العظيم « المتنبى » لان مغامرته فوق رمالها كانت احفل مغامرات الشعراء والفرسان بالشجاعة والذكاء ! ..

كمال النجمى

فتحت سيناء عينيها دهشة للقامرة أبي الطيب المتنبي فوق رمالها الحارقة ، وقد تسلل اليها من الفسطاط ـ عاصمة مصر قبل القاهرة ـ هاربا بدمه وماله الى الكوفة في العراق ، بعد ان اقذع في هجاء حاكم مصر كافور الاخشيدي ، واستحق عنده بهذا الاقذاع عقوبة الموت !..

لم تنقطع رحلات الشعراء العرب في سيناء غدواً ورواحا قبل رحلة المتنبي ، ولم تنقطع بعدها . ولكن رحلة المتنبي هي وحدها الباقية في ذاكرة التاريخ ، لانها كانت مغامرة حياة او موت في التيه المجهول ، لا مجرد مرور ميسور في طريق القوافل المحفوف بالامن والسلام ، او بالقليل من المخاوف والعقبات !..

بدا المتنبي يفكر في سيناء ورمالها وجبالها ودروبها وسواحلها قبل بضعة أشهر من مغادرته « حلب » مخاصما اميرها سيف الدولة الذي زلزلت الوشايات مكانة المتنبي عنده ، فاهمل رعايته وحمايته حتى تكاثر عليه حساده والناقمون عليه ، يهينونه او يضربونه او يشرعون في قتله ..

كان المتنبي قوي الشعور بان سيف الدولة هو اعظم امراء البلاد العربية في عصره . حسبه شرفا انه وحده المدافع بجيشه عن كل البلاد العربية اللاهية عن اعدائها الذين يتربصون بها ويتهددونها بافدح الكوارث !..

رحلة

المتنبي

في سيناء



ولكن المتنبي الذي يحمل لسيف الدولة كل هذا التعظيم كان قد انهزم تماما في معركته ضد حاشية سيف الدولة وشعرائه واقربائه ، وبات مهددا بالاغتيال او السجن او مصادرة المال وزوال الوجاهة !..

فلم يبق مناص من التفكير في سيناء وما وراء سيناء ، لان الرحلة الى هناك أهون على كبريائه من الرحلة الى اي مكان آخر من البلاد العربية التي الهاها من حياة الكرامة والكفاح « شرب المدامة والاوتار والنغم » .. على حد قوله في آخر قصيدة مدح بها سيف الدولة ..

ولعل المتنبي فكر عندئذ في كبار الشعراء الذين سبقوه الى عبور سيناء قاصدين الفسطاط.

أبو نواس مثلا .. عانى السفر من العراق الى الشام حتى بلغ الجولان على مشارف دمشق فسار فوق صخورها على قدميه متحدرا الى فلسطين ، فلبث قليلا ثم مضى الى العريش متخذا طريقه في سيناء الى الفسطاط على ضفاف النيل ، يحلم بالثراء والسعادة من نوال اميرها الخصيب ..

وابو تمام ايضا .. غادر مرتفعات الجولان السورية التي ولد ونشا بها ، فاخترق فلسطين وسيناء حتى بلغ الفسطاط وهو صغير فقير ، يحاول ان يستزيد من العلم والادب ، ويتكسب بالشعر بعض الدراهم . ثم عاد كما عاد أبو نواس قبله مخترقا سيناء في طريق آمن يغص بسالكيه ليلا ونهارا ..

فهل يتاح للمتنبي ما أتيح لابي نواس أو لابي تمام من الامن والسلام في رحلة سيناء بدءا وختاما ؟؟..

كان اهم ما فكر فيه المتنبي عند عقده العزم على الرحيل خلسة من حلب ، ان يقطع بخيله الشام كله ركضا من حلب الى حمص الى دمشق بلا توقف ، متكتما شخصيته حتى يخرج من آخر حدود مملكة سيف الدولة التي تنتهي على مقربة من دمشق .

ويخشى المتنبي ان تدركه خيل سيف الدولة فكان يستتر نهارا في الكهوف

والجبال والآكام ، ويركض خيله ليلا ، فيظن من يراه على حالته هذه في الظلام انه من المكلفين بالبريد ، يلهب ظهور خيله لينتقل مع أعوانه ومساعديه بريد الدولة الى الولاة والموظفين ..

ولم يكد يضيع القديه داخل اسوار دمشق حتى كشف عن شخصيته فتوافد عليه الراغبون في مديحه ، او في سماع شعره وحضور مجالسه . ولكن المتنبي لم يجد ما يحبب اليه المكوث في دمشق التي كانت في ذلك الزمن تشارف الحدود بين مملكة سيف الدولة ومملكة الاخشيديين بزعامة « الاستاذ » كافور. ولم يجد المتنبي بطبيعة الحال طمأنينة في سكناه ـ ولو مؤقتا ـ مدينة من مدن الحدود ، قريبة من متناول اميره السابق المتلهف بالوجفة عليه !..

وهكذا فارق سوريا الى فلسطين ، فنزل بمدينة الرملة التي كانت في ذلك العصر من اكثر المدن الفلسطينية والعربية ازدهارا ، فنزل في ضيافة اميرها الحسن ابن طغج احد ممدوحي المتنبي في بداية شهرته قبل التحاقه بسيف الدولة . ولما كان ابن طغج هو احد ولاة كافور الاخشيدي ، فقد كانت الخطوة الطبيعية للمتنبي بعد ذلك أن يودع صديقه وممدوحه القديم في الرملة ، ويبدأ الرحلة عبر سيناء الى الأستاذ كافور استاذ مصر ، والوصي على اميرها الصغير ابن الاخشيد !..

في هذه الرحلة كان المتنبي آمنا مطمئنا ، ينتقل في سيناء من منزلة الى منزلة ، ومن ماء الى ماء ، يحفظ قافلته الصغيرة جند ابن طغج الذين صحبوه من الرملة الى غزة الى العريش الى قطية حتى بلغ مشارف الوادي . وهو في كل مرحلة من هذه المراحل يسأل الجند ويسأل الاعراب ويسأل من يعرفه ومن لا يعرفه عن مسالك هذه الصحراء التي يخترقها لاول مرة في حياته ، حتى نزل بعد اجتيازه الصحراء على درب بلبيس الذين صحبوه بعد ذلك بأبيات من شعره ، ليسألهم عما ناله من اسرار المسالك والمياه في سيناء ..

وأقام المتنبي بالفسطاط وتنقل في بعض مدن مصر وقراها ، وبلغت مدة اقامته كلها بمصر أربع سنوات وبضعة شهور (1) .. ولم يعرف عنه أنه بنى دارا في الفسطاط او أتى ما يدل على رغبته او اعتزامه الاقامة فيها ، بالرغم من انها كانت ـ بعد بغداد ـ اعظم المدن العربية كلها في ذلك الزمان .. وكانت « في غاية العمارة ونهاية الحسن .. رحل الناس اليها من سائر الاقطار ، وقصدوها من جميع الجهات وغصت بسكانها » (2) ..

ولو اراد المتنبي الاقامة بها لكان له ما أراد واكثر ، لقد كانت هذه بغية كافور الاخشيدي الذي اقتنص له الحظ اعظم شعراء عصره اقتناصا ، وحرم منه منافسه سيف الدولة الذي يشاركه الارض والحدود على مقربة من دمشق.. ولكن المتنبي اقام بمصر اقامة من يحاول قضاء أمر لابد له من قضائه ، فاذا تم له انصرف عنها الى حيث اراد ..

وظن المتنبي ان الفوز بولاية او امارة صغيرة من كافور الاخشيدي لا يكلفه الا بضع مدائح سريعة ينظمها بتلك اللهجة المتعالية ، ولكن كافور الاخشيدي لم يكن غبيا جاهلا يخدعه المتنبي بكلماته المعسولة ، بل كان ابعد غورا مما ظن المتنبي ، فلم يقلده ولاية ولا امارة ، ولا « ضيعة » على حد تعبير المتنبي ..

وبعد ان نظم تسع قصائد وابياتا اخرى ، يئس المتنبي من كافور ، وأيقن انه يمكر به ، ولا يريده الا مجرد شاعر في بلاطه يفاخر به الدول التي تتقاسم العالم العربي وتفتخر بمجدها شعرائها وأطولهم في الشعر لا يطاول المتنبي العملاق !..

وضاقت الحال به فلم يعد قادرا على التعلل بشيء « يوم التعلل لا اهل ولا وطن .. » وارهقت المحنة شاعريته ،

---

(1) حقق المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام كثيرا من تواريخ رحلة المتنبي الى مصر ، في كتابه القيم « ذكرى ابي الطيب بعد ألف عام » ..
(2) صبح الاعشى ، جـ ٣ · ص ٣٣٢

فنظم أروع قصـــائد شعره كله في تلك الفترة ، وضمنها حديث نفسه ونجوى أحلامه الضـائعة . وما زال أكثر رجال الأدب يرون أن أحسن شعره ما قاله في سيف الدولة ، ولكن شعره المصري من أعاجيب الإلهام في الشعر العربي كله

وبالرغم من جيشـان عواطفه ، فإنه لبث طوال العام الأخير من إقامته بمصر صامتا عن مدح كافـور ، فقد كان يدبر خطة الفرار من وجهه ، بينما كافـور يشدد الرقابة عليه ويحـدد إقامته في الفسطاط لا يتخطاها الى أية مدينة أو قرية بالقرب منها ..

وأراد أن يجس بيـديه نبض كافور حياله فاستأذنه في السفر الى « الرملة » فلم يأذن له ، فعلم المتنبي أن خروجه

من أسار كافور لن يتم بالتفاهم ، ولابد في النهاية من الخروج خفية بعد تدبير محكم لا يشـعر به كافور ولا رجاله الرقباء على كل خطوة يخطوها الشـاعر الأسير ..

« وأقام المتنبي لا يلقى كافورا غضبا عليه ، لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به ، واسـتعد للرحيل في

رحـــلة المتنبـــي في ســــيناء



البـاطن ، وجهـز جميع ما يحتـاج اليه » (١)

وكانت قصيدته « عيد بأية حال عدت يا عيد » التي هجا بها كافورا في الساعات الأخيرة التي سبقت فراره من الفسطاط دليلا على أنه قد أعد للفرار عدته حتى بات واثقا بنجاحه تمام الثقة . وخرج من داره ليلا مع غلمانه وقد نام الرقباء « لدفن الرماح في الرمل وحمل الماء على الإبل من النيل عدة لعشر ليال ، والزود لعشرين » (٢)

كان المتنبي يتوقع معارك ضارية في طريق هروبه تستلم بالرماح والقسي ، ولو كان يتـوقع طريقـا سهلا لاكتفى بالسيوف والخناجر .. ولم يتخف في زي شحاذ ولا زي متصـوف ، لأنه كان مضطرا الى الركض السريع ومعه غلمانه وأثقاله من الذهب والفضـة وفاخـر الثياب . ولو تـكر في الطريق متخفيا في أي زي أو أية هيئة لظفرت به شرطة كافور

وتوقف قليلا في بلبيس ليتزود بنصائح صديقه عبد العزيز الخزاعي كبير القبائل العربية هناك . ولا يدري أحد كيف جرؤ المتنبي على اختراق طريق سيناء المجهولة فرارا الى النقب فنجد فالعراق ، ولكن الواضح أنه استعان بدليل مدرب من عرب بلبيس ، فإن هـذه الطريق لم يسلكها المتنبي من قبل . وحتى كافور الإخشيدي وهو القائد المحنك الخبير الذي عبر سيناء بعسكره مرات ، لم يخطر بباله أن المتنبي يسلك هذه الطريق الوعرة المخوفة ، فأرسل خلفه من يقبض عليه في طرق سيناء التي يسلكها القادمون والراحلون بين مصر وفلسطين تحت سمع الحكومة وبصرها ..

ولكن المتنبي لم يهرب في قلب سيناء ويغامر في دروبهـا الجبلية ورمالها الوحشة طلبا للمغامرة والشهرة بالشجاعة بل دفعته أزمته الطاحنة دفعا الى هذه

(١) النجوم الزاهرة . جـ ٤ . ص ٨
(٢) « ذكرى أبي الطيب » لعبدالوهاب عزام ص ١٤٦

الطريق الوحيد المفتوحة امامه بعد ان سد كافور امامه جميع المسالك ..

والمدهش أن مؤرخي الادب لم يهتموا كثيراً بروعة هذه المغامرة التي لم يقدم على مثلها شاعر عربي خلال أكثر من ألف سنة ، وقد اكتفى شارحو ديوانه بتفسير معاني كلمات قصيدته الرائعة « الا كل ماشــية الخيزلى » التي وصف بها مغامرته في سيناء وما يليها من الصحاري والجبال حتى مشارف مدينة الكوفة .. مثلا .. في شرح ابي البقاء العكبري اللغوي النحوي لديوان المتنبي ، يذكر قول المتنبي :

لعرت بنخل وفي ركبهــا
عن العالمين وعنه غنى ..

فيقول العكبري شارحاً : « مرت هذه الابل بنخل وهو ماء معروف » (1)

وقد حاول الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه « ذكرى ابي الطيب » أن يحقق الاماكن التي مر بها في رحلته فلم يزد على قول الاقدمين الا قليلا .. وهذا ما ابقى هذه الرحلة الفــذة غامضة حتى الآن ، بلا تحقيق علمي ينزلها من جو الاسطورة الى اديم الارض ! ..

اختار المتنبي كما يلوح لنا من قصيدته « الا كل ماشية الخيزلى » التي هجا بها كافورا بعد نجاح رحلته ، طريقا لشق سيناء من موضــع بورتوفيق الآن الى مدينة ايلة التي يسميها الصهيونيون الآن « ايلات » .. بلا انحراف ناحيــة الشــمال حيث البحر الابيض ، وبلا انحدار الى الجنــوب في محاذاة خليج السويس ..

وسار ليبلغ مكانا اسمه « نجة الطير » فلم يلبث به الا ســــاعة وانطلق الى « الرتنة » وفارقها متجها في سرعة الى « نخل » في وســط ســيناء تقريبا ، واسمها يدل عليها ، فهي واحة قديمة ذات نخيل ، لا يوجد فيها جنود لكافور ، لان اهلها العرب يتركون حمايتها بوسعهم جندا له . ولكنهم لم يعلموا أن الرجل الذي مر بهم كان هاربا من كافور ، فلم يتعرضوا له ، ولم يكد يفارقهم حتى اقبل رسل كافور يسألونهم عنه ! ..

كان المتنبي وقتئذ قد ابتعد كثيرا من نخل بعد أن خاض على مقربة منها معركة ضد جماعة من البدو كان يحسبهم عيونا عليه من كافور ، وقذفت به المعركة ناحية البحر الابيض المتوســط ، فلما تبين ذلك عاد ادراجه الى قلب ســيناء غاضبا منزعجا من تهوره في ركضه لان طريق الساحل هو طريق الجند ..

وبعد معركة نخل أسرع متجها صوب « ايلة » وقال له الدليل :

ـ نحن الآن في مفترق الطرق ، فهل نأخذ طريق الحاج المصري حتى نبلغ مكة ثم المدينة ومن ثمة نتجه الى العراق ؟!

قال المتنبي :

ـ بل نخترق هذه الرمال الى نجد ، فالى العراق ..

ولم تكن مغامرة المتنبي في سيناء الا نصف مغامرته في هذه الرحلة الفريدة ، اما نصــفها الآخر فكان في الصــحارى العربية وراء حدود مصر ..

وترسم لنا قصيدته « الا كل ماشية الخيزلى » لوحة بالغــة الروعة والذكاء لهذه المغامرة الوحشية الشاعرية التي شق فيها المتنبي قلب الموت ، على حد قولنا :

ومن يك قلب كقلبي لــه
يشق الى العــز قلب التوى

ويبلغ المتنبي الكوفة ، وهو يترنم على راحلته :

وقلنا لها اين ارض العــراق؟
فقــالت ونحن بتربان : ها

ويتــذكر المتنبي غريمه كافورا وكيف افلت منه وانتصر عليــه ، فيصيح في سعادة غامرة : ها .. ها .. ها ! ..
ثم يتــذكر اول خطــوة له في مغامرته الظافرة على رمال ســيناء ، فيصيح في امتنان المنتصر : شكرا لك يا سيناء !.

(1) ديوان المتنبي بشرح العكبري . الجزء الاول . ص ٢٨

نزع سلاح سيناء

من وجهة نظر

فى صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ قامت اسرائيل بهجوم مفاجىء على المطارات والاراضى العربية ، وانتهى العدوان باحتلال اسرائيل لجزء من الاراضى العربية ، واتخذ مجلس الامن خمسة قرارات تقضى بوقف اطلاق النار وقدمت اليه مشروعات قرارات لم يوافق عليها . وقدمت للجمعية العامة – فى الدورة الاستثنائية التى دعا اليها الاتحاد السوفييتى – عدة مشروعات لم يحصل أى منها على الاغلبية اللازمة لاقراره . وبعد مناقشات طويلة فى الدورة العادية للجمعية التى افتتحت فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧، قررت الجمعية فى منتصف اكتوبر تاجيل مناقشة نزاع الشرق الاوسط . وطلبت الجمهورية العربية المتحدة فى ٧ نوفمبر ١٩٦٧ عقد جلسة

عاجلة للمجلس لبحث الموقف الخطير الناشىء عن رفض اسرائيل الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها نتيجة لعدوانها فى يونيو ١٩٦٧ وبعد محاولات مضنية لاستصدار قرار من مجلس الامن تقدمت المملكة المتحدة بمشروع قرار الى المجلس وافق عليه الاخير فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . ويقضى البند (ج) من الفقرة الثانية من هذا القرار:

« يؤكد المجلس الحاجة الى : ضمان حدود كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى عن طريق تدابير من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح » وتتواتر الانباء عن الرغبة فى نزع سلاح بعض الاقاليم العربية المحتلة ومنها شبه جزيرة سيناء .. فما معنى المنطقة المنزوعة السلاح وما هو وضعها القانونى ؟

القانون الدولى

■ د. عائشة راتب ■

من المعلوم ان الحدود الجغرافية يحددها عادة اتفـاق الأطراف المعنية اما في اتفاق ينهي حالة حرب بين دولتين واما في وقت السلم من طريق عقد اتفاقات خاصة بتسوية مشـاكل الحدود وفيها تحاول دولتان او اكثر اعادة النظر في تعيين حدودها لسبب او لآخر . ويلاحظ أنه أيا كان الحـد الفاصل الذى يقع عليه الاختيار ، فان الدول ـ مدفوعة بفكرة المحافظة على امنها وسلامتها ـ تميل الى وضـع تنظيم لحدودها قد يتضمن انشاء نظم امن لحمايتها من العدوان أو من حوادث الحدود التى قد تؤدى الى اشـعال الحرب . وهى نصوص قد يتم وضعها اما بعد نزاع مسلح ، وذلك لمنع تجدد الاعمال العدوانية ، واما بعد حوادث



متكررة على الحدود ، وذلك لمنـع تكرارها . وتختلف هذه النصوص تبعا للاسباب والإهـداف التى ترمى الى تحقيقها : فقد تكون مدتها غير محدودة وقد تكون محدودة بفترة معينة . وقـد تغطى هذه النصوص كل حدود الدولة ، وقد تنفرد لجزء معين من حدودها . وتتضمن هذه النصوص انشـاء نظم مختلفة : **مناطق محايدة او منـاطق منزوعة السلاح تماما ، او مناطق منزوعة السلاح جزئيا .**

والمناطق المنزوعة السلاح بالمعنى الواسع تشمل كل تسوية دولية تتم بنـاء على اتفاق دولى ثنائى او جماعى بقصـد ابعاد اقليم معين ، سـواء لمدة مؤقتة او لمدة غير محدودة ، من كل عمل من اعمال الحرب او الاعمال التى تحضر لها .

والمناطق المنزوعة السلاح بهذه الصورة طريقة خاصة ومحدودة لتحقيق الامن الدولى وترتبط ارتباطا وثيقا به . فاذا كانت الغاية من اعلان عدم مشروعيـة الحرب وتحريم الاعمال العدوانيـة هو منع العدوان ، فان انشاء المنـاطق المنزوعة السـلاح يقصد به كقاعدة عامة منع الاعمال العسكرية على اقليم معين ، سواء أكانت اعمالا هجومية او دفاعية

والمناطق المنزوعة السلاح بهذه الصورة أكثر فاعلية من مجرد تحريم ومنـع الاعمال العدوانية . غير ان هذا القول لا يمنع الدولة صاحبة السـيادة على الاقليم المنزوع السلاح من ممارسة حق الدفاع الشرعى من النفس اذا ما تعرض هذا الاقليم لعدوان ما . فهى لا تلتزم باحترام النظام القانونى المقرر للاقليم حالة تعرضه لاعمال عدوانية مباشرة .

ويجب التفرقة بين تحييد بعض المناطق والامتناع من القيام باعمال حربية فيها، وبين نزع سلاحها . فـسويسرا دولة محايدة ولكنها غير منزوعة السلاح ، **والبحيرات الكبرى** منزوعة السـلاح ، ولكنها غير محايدة ، **وجزر الآلند** كانت محايدة ومنزوعة السلاح في نفس الوقت والمقصود من نزع سلاح منطقة او اقليم معين هو منع **اقامة المنشآت والتحصينات العسكرية وتحريم الاحتفـاظ بقوات عسكرية ـ خصوصا اذا كانت دائمة ـ على هذا الاقليم.** ونزع السلاح قد يكون ناقصا او كاملا ، مطلقا او نسبيا ، مشروطا أو غير مشروط : فقد يمنع الاتفاق اقامة التحصينات وقد يسـمح بها ، وقـد يتضمن تحريم كل انواع المنشآت او القوات العسكرية ، وقد

يقتصر على بعض القيود ذات الاثر المحدود ، وقد يحرم تجنيد المتطوعين على الاقليم المنزوع السلاح وان كان هذا ليس عنصرا اساسيا . والغرض الرئيسى من انشاء المناطق المنزوعة السلاح هو منع الحرب والمنازعات المسلحة ، وبمعنى آخر تفادى ومنع ووقف كل ما من شأنه أن يهدد وقت السلم ويحرض على قيام العمليات العسكرية أو يسهلها .

أما نظم الحياد ، فقد تقررت اصلا لترتيب آثار معينة وقت الحرب . والاقليم المحايد هو اقليم تلتزم فيه الدولة صاحبة الولاية عليه ، بالامتناع عن أى عمل من أعمال الحرب بصرف النظر عما اذا كان قد تقرر نزع سلاحه ام لا . وقد تضطر ظروف الدولة التى يتبعها هذا الاقليم الى اتخاذ اجراءات تطبق عادة فى الاقاليم المنزوعة السلاح حتى تمنع المخالفات المحتملة وتضمن تنفيذ التزاماتها الدولية .

ويتعين الرجوع الى محتوى الاتفاقات والتسويات المختلفة لمعرفة الاثار المترتبة على تحييد منطقة من المناطق او نزع سلاحها . وهذه الاتفاقات هى المرجع الرئيسى لدراسة نية الاطراف المتعاقدة ومدى الالتزامات المترتبة على تحييد أو نزع سلاح الاقليم . والمناطق المنزوعة السلاح فضلا عن قيامها بضمان أمن وسلامة منطقة معينة ، تساعد على معرفة المعتدى وتسهل ادانته على أعماله غير المشروعة ، وترتب قيام النظم الجماعية أو الاقليمية أو الاحلاف التى ترتبط بها الدولة ، باتخاذ التدابير اللازمة لوقف هذه الاعمال . كما تمهد المناطق المنزوعة السلاح بصفة عامة الطريق الى نزع السلاح الشامل باعتبارها مناطق التزمت الدول بالامتناع عن تسليحها سواء أكان ذلك بصفة مطلقة او نسبية .

ولا توجد قواعد دولية ملزمة تحكم انشاء هذه المناطق وتعالج آثارها ، غير ان العمل الدولى قد جرى على مراعاة الدول التى يتزع سلاح جزء من اقليمها . لما يلى :

١ ــ منع اقامة التحصينات وحشد أو جمع القوات العسكرية ، سواء أكان ذلك بصفة دائمة او مؤقتة ، أو القيام بالمناورات العسكرية او غيرها .

٢ ــ منع مرور الطائرات العسكرية أيا كانت جنسيتها فوق المنطقة المنزوعة السلاح ومنع اتخاذ التسهيلات المادية للخدمة العسكرية .

٣ ــ تتم المحافظة على الامن فى هذه الاقاليم بواسطة قوات بوليسية غير عسكرية تخضع لاشراف السلطات المدنية وتحدد الاتفاقات خاصة عدد هذه القوات ومدى تسليحها .

٤ ــ يتعين انشاء المنطقة المنزوعة السلاح فى أراضى كل من الدول المعنية . ويتم بهذه الصورة انشاء طريق سلمى يتكون من جزء من اقليم كل من الدولتين لمنع قيام المنازعات المسلحة بينهما أو الحد من آثارها اذا ما قامت فعلا .

ويمكننا لذلك ان نقرر مجموعة من القواعد يتعين مراعاتها عند انشاء المناطق المنزوعة السلاح :

اولا : يشترط عند انشاء مناطق الحدود المنزوعة السلاح الحصول على موافقة الدول التى ينزع سلاح جزء من اقليمها ، ويتعين انشاء المنطقة فى أراضى كل من الدول الاطراف فى الاتفاق .

ثانيا : السيادة على الاقليم المنزوع السلاح للدولة صاحبة الولاية عليه ، وتلتزم الاخيرة بالامتناع عن الاحتفاظ بقوات عسكرية او اقامة المنشآت العسكرية سواء بصفة مؤقتة او دائمة فى الاقليم المنزوع السلاح ، وهذا لا يمس بحق الدولة فى الدفاع عن هذه المناطق اذا ما وقع اعتداء عليها .

ثالثا : ضرورة اخضاع مناطق الحدود المنزوعة السلاح لرقابة واشراف دوليين

وتتمتع منطقة الحدود المنزوعة السلاح بالاهمية اذا ما ارتبطت المصلحة الجماعية الدولية بمصلحة الدول المتعاقدة حتى ولو تم ذلك بطريق غير مباشر . وتظهر الاهمية الدولية للمنطقة المنزوعة السلاح حالة ما اذا اعترفت الدول بالنظام المقرر لها وقيامها بضمانه صراحة سواء في شكل التزام جماعي يصدر من مجموعة معينة من الدول ، او في اتفاق جماعي يعقد تحت اشراف نظام الامن الجماعي .

رابعا : ترتب مناطق الحدود المنزوعة السلاح آثارها القانونية وقت السلم ووقت الحرب .

وقد قامت اتفاقية الهدنة الموقعة بين مصر واسرائيل في ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بانشاء نوعين من المناطق المنزوعة السلاح هما على التوالي :



(أ) منطقة منزوعة السلاح اذ تقرر الاتفاقية :

« تجرد من السلاح المنطقة التي تشمل قرية العوجا وجوارها ، ويحظر حظرا تاما وجود اية قوات مسلحة مصرية أو اسرائيلية فيها . ويكون رئيس لجنة الهدنة المشتركة المشكلة وفقا للمادة العاشرة من هذا الاتفاق ومراقبو الامم المتحدة الملحقون باللجنة مسئولين عن تأكيد تنفيذ هذا البند تنفيذا تاما » .

(ب) ومنطقة منزوعة السلاح نزعا جزئيا او منطقة الامن وتقرر الاتفاقية بخصوصها :

« في منطقة الجبهة الغربية الواقعة تحت السيطرة المصرية لا يمكن الاحتفاظ الا بقوات دفاع مصرية . ويجب سحب جميع القوات المصرية الاخرى من هذه المنطقة الى نقط او نقاط لا تتعدى العريش - ابو عجيلة شرقا .

« وفي منطقة الجبهة الغربية الواقعة تحت السيطرة الاسرائيلية لا يمكن الاحتفاظ الا بقوات دفاع اسرائيلية تتمركز في المستعمرات . ويجب سحب جميع القوات الاسرائيلية الاخرى من هذه المنطقة الى نقطة او نقاط محددة من قبل ... »

وقد حدد الملحق ٢ من الاتفاقية قوات الدفاع ، ومنع الاحتفاظ في المناطق التي يسمح فيها بوجود قوات الدفاع ، باية مطارات عسكرية او ساحات طيران أو ساحات هبوط او اية منشآت عسكرية اخرى . كما منع قيام او هبوط أية طائرات عسكرية الا في الحالات الطارئة .

ومنع ايضا اقامة اية قواعد بحرية او دخول السفن الحربية في المياه الاقليمية الملاصقة لتلك المناطق . وفيما يتعلق بالقوات البرية قرر الملحق - وبعد أن حدد هذه القوات - أن استخدام الوحدات الادارية اللازمة لها يجب ان تراقب عليها لجنة الهدنة المشتركة .

واخذت الاتفاقية بضرورة تحقيق الاشراف والرقابة الدوليين فقررت تكوين لجنة هدنة مشتركة يرأسها رئيس اركان مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة او أحد كبار الضباط من هيئة المراقبين في تلك المنطقة يعينه رئيس الاركان المذكور بعد التشاور مع فريقي هذا الاتفاق .

وفي النهاية فان تفسير النص الخاص **« بضمان حدود كل دولة في المنطقة عن طريق تدابير من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح »** الوارد في قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ قد يفيد قيام المجلس بانشاء منطقة منزوعة السلاح في سيناء تقع على الحدود

الفاصلة بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة . ويتعين هنا على المجلس أن يراعى ضرورة انشاء المنطقة المنزوعة السلاح على جانبي الحدود الفاصلة بين الاطراف المتنازعة . **ذلك ان انشاء المنطقة المنزوعة السلاح فى اراضى طرف واحد من أطراف النزاع قيد على حرية هذا الطرف فى التصرف يعالجه باعتباره وضعا سياسيا مؤقتا يتحين الفرصة للخلاص منه واحلال التزام تبادلى مكانه، فضلا عما يؤدى اليه من اثارة المشاعر الوطنية وتعريض السلم والامن الدوليين بالتالى للخطر** . ويتعين على المجلس أن يعمل على وضع نظام عام يحكم المناطق المنزوعة السلاح ويطبق عليها سواء وجدت فى اقاليم دولة كبيرة أو صغيرة ، بصرف النظر عن التفوق المادى النسبى الذى قد يتمتع به بعضها دون البعض الاخر ، حتى يساعد على المحافظة على هذه النظم كوسائل امن جزئية تعمل داخل اطار التنظيم العالمى الشامل .

ويتعين هنا ايضا على الامم المتحدة ان تشرف وان تراقب وان تضمن بفعالية سلامة المناطق المنزوعة السلاح ، خاصة فى ضوء سابقة اسرائيل فى الاستيلاء على المناطق المنزوعة السلاح التى قررتها اتفاقات هدنة عام ١٩٤٩ . كما يتعين ان يلزم الضمان الطرف الذى يتعهد به سواء أكانت الدول الاربع الكبرى أو كل الدول الاعضاء فى مجلس الامن ، ايا كانت الصعوبات العملية التى قد يثيرها تنفيذ هذا الضمان . وايا كان شكل الضمان او مصدره فانه يتعين فى تقديرنا ايضا ان يتضمن التزاما بالمساعدة حالة الاخلال بوضع هذه المناطق . بمعنى أن التعهد بضمان سلامة المناطق المنزوعة السلاح يجب الا يقتصر على مجرد التعهد باحترام وضع هذه المناطق وانما يجب ان يمتد التعهد حتى يشمل ضمان فرض احترام هذا الوضع . وبعبارة أخرى لا يكفى أن يضمن التعهد تحقيق نتيجة معينة وانما يجب أن يتضمن الاعمال والتدابير اللازمة التى تتفق على ضرورة تحقيق الهدف الذى اعطى الضمان من اجله وهو المحافظة على سلامة وامن دول المنطقة . **ولا يعنى هذا حرمان الدولة التى تقع المنطقة المنزوعة السلاح داخل اراضيها ، من حقها كدولة ذات سيادة فى حماية هذه المنطقة من الاخطار التى قد تتعرض لها ، بل انه يقع عليها واجب بالزام الدول الاخرى باحترام هذه المنطقة كما تلتزم بحمايتها من كل صور العدوان الخارجى .**

سيناء في كتب

١ ـ ادوارد هنرى بالمر : صحراء الخروج مجلدان (لندن ١٨٧١)

Edward Henry Palmer : Desert and Exodus 2 vols. (London, 1871)

مؤلف هذا الكتاب ادوارد هنرى بالمر الذى كان استاذا للغة العربية فى جامعة كمبردج بانجلترا . رافق « بعثة اعداد الخرائط » الى سيناء عام ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩ ، ثم اوفدته « مؤسسة الاستكشاف الفلسطينية » الى سيناء عام ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ فزار صحرا التيه وايدوميا وموآب . ويقول فى مقدمة كتابه بانه قطع خلال رحلته جزءا من الصحراء لم يسبق لغيره ان قطعه كله ، وانه فعل ذلك فى الاكثر مشيا على قدميه . وجاء كتابه ثمرة هاتين الرحلتين .

يعتبر هذا الكتاب مرجعا لا غنى عنه للمعنيين بدراسة سيناء واهلها وآثارها . ومن آرائه التى تستلفت النظر مخالفته فى الراى لمن يذهبون الى أن البدو زنادقة ملحدون . يرى ان اصحاب هذا الراى حادوا عن جادة الصواب . فبالرغم من أن البدو لا يراعون شعائر دينهم بانتظام فانهم يستغرقون فى التأمل ويتجهون بادعيتهم الى الله كل صباح ومساء .

ويخالف بالمر القائلين بان البدوى « ابن الصحراء » ويميل الى القول بان العكس هو الصحيح . ويرى ضرورة توطين البدو لان اعتمادهم على الابل والاغنام فى معاشهم وتنقلهم المستمر لا يعود عليهم الا بالعيش الكفاف ويدفعهم الى الاغارة على جيرانهم المستقرين ويصرفهم عن استثمار الارض بزراعتها .

ويشير بالمر الى محاولتين اقدمت عليهما الحكومة التركية لحمل البدو على الاستقرار . وكانت المحاولة الاولى عندما قررت ردم آبار الصحراء حول تدمر . ونجحت المحاولة فى أول الامر عندما تشتت البدو وهجروا تلك المنطقة . الا ان الباشا الذى كان قد عهد اليه بالتنفيذ زرع شجيرة فوق كل بئر واطلع بدو متميزة على السر لقاء مبلغ من المال . وجرت المحاولة الثانية ، عندما امر رشيد باشا البدو القاطنين حول غزة بالتحول من خيامهم الى اكواخ يبنونها لانفسهم . الا أن البدو ثاروا على السلطان ، وفتك عرب « التياها » بخمسة عشر جنديا من

المفكرين الغربيين

الاتراك . وبالرغم من أن السلطات هاجمتهم وصادرت ماشيتهم وعرضتها للبيع في القدس فان المحاولة انتهت بالفشل وخاصة لان البدو استظلوا بحماية محمد على باشا .

وبالمر هذا هو الذى اوفدته الحكومة البريطانية عام ١٨٨٢ الى سيناء في مهمة غايتها الظاهرة شراء الجمال وغايتها الحقيقية اقناع البدو بالانضمام الى الجيش البريطاني اذا وقعت الحرب بين انجلترا وعرابى . وزودته الحكومة البريطانية بعشرين الف جنيه لذلك الغرض .

واصطحب بالمر ضابطين انجليزيين وترجمانا سوريا وطباخا ، وحمل ٣٠٠٠ جنيه وخرج من السويس في ٨ اغسطس « آب » يريد بلدة نخل بطريق وادى السدر . وفى هذه الاثناء كتب فى يومياته :

« لقد قمت باصعب جزء من مهمتى وحالما تصلنى التعليمات الدقيقة يكون الامر قد تم ، الامر الذى قد فشل عرابى فى تحقيقه وعليه تتوقف سلامة الطريق الى الهند ..

« لقد اخلد البدو الى السكينة ولن ينضموا الى عرابى وهم ينتظرون كلمة منى بشأن ما ينبغى لهم عمله .

فهم يعتبرون عبد الله افندى ـ وهو الاسم الذى يناديننى به ـ شخصية عظيمة جدا في الحقيقة . »

لكن قبل أن يصل بالمر الى (عين السدر) هاجمه جماعة من بدو الحويطات والترابين وقتلوه هو ورفاقه .

واهتمت الحكومة البريطانية اهتماما كبيرا بمقتل بالمر . فبعد معركة التل الكبير واحتلالها مصر اوفدت الكولونيل تشارلز وارن للتحقيق في ظروف مقتله وللبحث عن الجناة . وقبض على الجناة بالفعل واعدم بعضهم وسجن البعض الاخر .

٢ ـ جون لويس بركهاردت : رحلات فى سوريا والبلاد المقدسة « لندن ١٨٢٢ » .

John Lewis Burkhardt : Travels in Syria and the Holyland (London) 1822.

صاحب هذه الرحلات سويسرى ولد عام ١٧٨٤ فى لوزان ودرس فى جامعة غوتنكن فى المانيا ثم سافر الى لندن حيث اتصل بالجمعية الافريقية وعرض خدماته عليها معربا عن رغبته فى دراسة الاجناس البشرية

سيناء في كتب المفكرين الغربيين

والاستكشاف في افريقيا . فاوفدته الجمعية الى الشرق عام ١٨٠٩ . وفي طريقه الى سوريا نزل في مالطه حيث بقي سبعة اسابيع اكب خلالها على تعلم العربية والتمرن على التنكر في هيئة مسلم هندي . ثم واصل طريقه الى سوريا فاتجه الى حلب حيث اتخذ لنفسه اسم « الشيخ ابراهيم » وتوفر على دراسة اللغة العربية فاتقنها الى حد اثار اعجاب العلماء .

ومن حلب قام بركهاردت برحلات في الشرق العربي كان من ثمارها هذا الكتاب الذي يصف رحلته الى سيناء عام ١٨١٢ وهو في طريقه الى مصر ثم رحلته الاخرى اليها عام ١٨١٦ .

ويقول بركهاردت :

« وفي اوائل نيسان (ابريل) من عام ١٨١٦ تفشى الطاعون مرة اخرى في مصر . واقفل الفرنجة والنصارى على انفسهم الابواب . ولما كنت لا ارغب في ان احذو حذوهم ولا في تعريض نفسي لاخطار لا ضرورة لها في المدينة قررت ان اقضي فترة تفشي الطاعون بين بدو سيناء وان ازور العقبة وقلعتها اذا تيسر لي ذلك .. »

وجاء كتاب بركهاردت غنيا دقيقا في معلوماته عن طبيعة سيناء وقبائلها وأحوال البدو وعاداتهم . وكان يستعين بالبوصلة لتحديد المواقع بالرغم مما كان ينطوي عليه استخدامه لها من اثارة شكوك البدو حول غاياته. وكان يمكنه لو كان على صهوة جواد أن يستخدمها دون أن يراه أحد « أما على الجمل الذي كان وسيلة ركوبه فان الامر كان يختلف كل الاختلاف » فبينما كان من الممكن وقف الحصان قليلا كان يستحيل وقف الجمل اثناء السير . فكان يضطر الى القفز من الجمل والتظاهر بانه يريد ان يقضي حاجة طبيعية له فيستخدم البوصلة ثم يعود ويقفز على الجمل وهو سائر .

ويقارن بركهاردت في رحلته بين النتائج التي توصل اليها وبين نتائج رحلات من سبقه من الرحالة.

وينشر الاسماء بالعربية الى جانب ما يقابلها بالانجليزية . يقول مثلا :

« لم تكن السويس ايام (نيبر) مسورة . اما الان فيشاهد سور من الغرب والجنوب الغربي ، ولكن يد الخراب اخذت تعمل فيه بسرعة . والبلدة خربة وليس فيها تجار ولا صناع . ويتالف سكانها من حوالي اثنى عشر وكيلا يستقبلون البضائع من موانيء البحر الاحمر ويرسلونها الى عملائهم في القاهرة ، ومن عدد من اصحاب الدكاكين الذين يبيعون المؤن . وللباشا فيها حامية من حوالي خمسين فارسا تحت امرة ضابط يحكم المدينة والعرب المجاورين ويشرف على حركة السفن في المرفا.»

ويمدنا بركهاردت بالكثير من فروع البدو واحوالهم فيعلق مثلا على قبيلة الترابين التي تمتد مساكنها شمالي التيه قائلا :

« ويسير عرب الترابين القوافل الى غزة والخليل . ويستغرق قطع المسافة الى الخليل ثمانية ايام . ويكلف نقل حمل الجمل في الوقت الحاضر ما يقابل اربعة دولارات ونصف الدولار . وتعود الجمال محملة بمصنوعات دمشق كالصابون والزجاج والتبغ والفواكه المجففة . وتشحن هذه السلع من السويس الى الحجاز واليمن . »

وعاد هذا الرحالة من سيناء بعد زوال خطر الوباء من مصر . ولكنه وقع فريسة للمرض الذي أودى

بشبابه فى اكتوبر عام ١٨١٧ ولمـــا يكمل الثالثة والثلاثين من عمره . ودفن فى القاهرة .

٣ ـ الميجر ك . س جارفس: الصحراء والدلتـــا « لندن ، ١٩٤٧ » : ثلاث صحارى «لندن ١٩٥١ »

Major C.S. Jarvis: Desert and Delta London, 1947)
Three Deserts (London, 1951)

مؤلف هذين الكتابين المعروفين لدى كثرة من القراء هو الميجور جارفس الذى التحق بقوة الحدود التابعة للحكومة المصرية عام ١٩١٨ . وبقى فى خدمتها لمانى عشرة سنة قضى منها ثلاث عشرة سنة وهو حاكم لشـبه جزيرة سيناء . واعتبر بعد ذلك حجة فى شئون القبائل البدوية العربية .

وفى الكتابين عدة فصـــول يصف فيها جارفس البدوى من خلال تجاربه

البدوى ، فى راى جارفس ، يعيش بالكلية فى الحاضر ولا يكترث بالمستقبل . فاذا حصل على قوت يومه اكتفى ويترك امر الغد للغد . وبالرغم من ان البدوى فى الغالب لا يعرف القراءة والكتابة فانه يسـتخدم عقله فى حساباته بشكل يثير الدهشة . وله ذاكرة فى منتهى القوة فهـو يحفظ اسماء افراد قبيلته وعدد أولاد كل منهم وما يملكه من الجمال والغنم .

وبالرغم من حياة البدوى القاسية فانه يترفع من الاعمال اليدوية وينظر باحتقار الى الفلاحين .

ومقاييس البدوى الاخلاقية فيمـا يختص بالمراة صارمة . فهو لا يسمح بالتعدى عليها . وجزاء المعتدى فى الغالب هو الموت .

ويشيد جارفس بشهامة البـدوى وحبه لمساعدة الغرباء . ويذكر قصة امريكى طرا خلل على سيارته فتوقفت فى الصـــحراء تحت نيران الشمس المحرقة . وكاد يقضى من العطش لولا ان انقذه بدويان مرا بالمكان ، ودفعا سيارته الى مكان آمن . ويقول جارفس ان الامريكى ترك لهما خمسين جنيها لقاء انقاذ حياته ولكنه «اى جارفس» لم يستطع حملهما على قبول المبلغ الا بصعوبة .

والواقـــع ان اكثر الرحالة الذين زاروا سيناء يؤيدون مايقوله جارفس . حدث ان مرض برتراندون دي لابردكيه الرحالة فى طريقه الى بيت المقدس ولم يستطع مواصلة السـفر فانزله البدو من مطيته وعالجوه فى خيامهم حتى استرد قواه . يقول : « ولم يسلبونى شيئا ، ولم يصيبونى باذى فى حين ان الامر كان سـهلا عليهم لو شاءوا . فقد كان معى جمـــلان يحملان النبيذ واللحم كما كان معى مالنا دوكا » ..

ويذهب جارفس الى ان البدوى فى سيناء يجد متعة خاصة فى الخصومات القضائية التى تشغل باله اكثر من غيرها من القضايا . واذا حدث ان استغرق الفصل فى القضية او تنفيذ الحكم سنين طويلة فانه لا يتذمر ولا يشكو . والقانون عند البدو فى سيناء يختلف اختلافا اساســيا من بعض النواحى عنه عند الحضر . فقانون البدو يعترف بمســئولية القبيلة لا مسـئولية الفرد ؛ ولا يقر عقوبة الموت والسجن ؛ بل يفرض فى الغـــالب غرامات « دية مثلا » من الجمال او الغنم . وغالبا ما يعين عمر الجمل ونوعه ؛ وتدفع الغرامة خلال مدة من الزمن قد تستغرق سنين طويلة .

ولا يفقد البـــدوى توازنه شىء كالمال . واذا تنازع البدو على المال كان امر الفصل فى نزاعهم غاية فى الصعوبة .

ويرى جارفس ضرورة العمل على استقرار البدو . ويأخذ على الاداريين تشجيعهم لا لاستمرار الحـال بين البدو كما هو فحسب بل ولاحياء ما اندرس من تقاليدهم وعاداتهم .

وعلى الرغم من أن جارفس يعـد حجة فى شئون البدو فالذى يبدو من كتبه انه لم يتوفر على دراسة أصول القبائل العربية وتاريخها وهو نقص نلحظه عند غيره ممن كتبوا من سيناء

دير القديسة كاترين

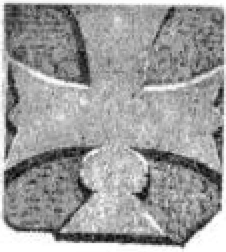
قلعة المسيحية التى



لم يعرف اصحاب دين سماوى موجة عاصفة ، من الاضطهاد .. مثلما عرفها مسيحيو مصر على يد اباطرة الرومان وولاتهم

ولقد تصاعدت موجة الاضطهادات فى مصر ما يقرب من مائة عام بالتمام والكمال،بدات من ايام الامبراطور الرومانى «كراكلا» عام ٢١٥م .. حيث اعدم عددا هائلا من اهالى الاسكندرية ، بسبب مسيحيتهم .. ثم اصبح الامر عادة ، فتكرر الاعدام والذبح على عهود من اتوا بعده من الاباطرة

على أن الاضطهاد قد بلغ مداه ، وتصاعدت موجاته العنيفة .. بعد أن تولى عرش الامبراطورية الرومانية دقلديانوس ٢٨٤ – ٣٠٥م) .. وصل الاضطهاد ذروته حين أصدر هذا الامبراطور فى سنوات حكمه الاخيرة منشورا ، امر فيه بابادة الكنائس وحرق الكتب



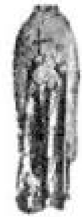
أحمد أبو كف

اقتحمها العدوان الإسرائيلى

المسيحية .وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية واستباحة دمائهم .. لدرجة ان المسيحيين سموا فترة حكمه بعصر الشهداء ..

ومع ان هذه الاضطهادات استمرت على عهد من خلفه : جاليريوس (٢٠٥ ـ ٣١١) ؛ ومكسيميانوس (٣٠٥-٣١٣م).. فان الايمان المسيحى ، وصمود المسيحيين الاوائل على المذابح والمكاره .. واعتقادهم بان المسيحى الحق لا بد له ان يمر عبر طريق من الالام، مثل الذى قاسى منه صاحب الدعوة يسوع المسيح .. فجعل هذه «الغمة»تمر .. بعد ان قيض الله للمسيحيين امبراطورا رومانيا دخل نور الايمان قلبه .. فاصدر« مرسوما » فى مدينة ميلان .. هو « مرسوم التسامح الدينى » « عام ٣١٣م » .. يعترف فيه بالمسيحية كدين سماوى له ما للديانات الاخرى فى الامبراطورية من حقوق وواجبات .





دير القديسة كاترين

لكن كيف كان حال المسيحيين الاوائل فى مصر من هذه الاضطهادات ؟! حين تزايدت الموجة بشكل لا يطاق .. لم يكن أمام الكثير منهم الا ما قاله السيد المسيح **« اذا أردت ان تكون كاملا ، فبع ما لديك ، واعط ثمنه للفقراء .. وتعال اتبعنى »** .. وفعلا .. فانه بمجرد أن استفحل الامر وعظمت المصيبة ، وتفاقم عدد الشهداء .. رأى البعض أن يهرب بدينه الى حيث يستطيع ان يمارسه فى خشوع وأمن ، ويواصل به الرسالة المسيحية الصحيحة .. فى مصر لم يعرف القيم ، ولم يقدر التسامح . ومن هنا بدأ ما يعرف باسم **« النسك »** أو **« الرهبنة »** ، أى الفرار الى « البرية » .

ويقال ، ان أول من لجأ الى « البرية » من المسيحيين المصريين هو **القديس بولس السكندرى** (٢٢٨ — ٣٤٢ م) وقد لجأ الى الصحراء الشرقية . **لكن المؤكد ان المؤسس الاول للرهبنة فى مصر ، كفكرة فلسفية ، هو القديس انطونيوس ، او مار انطونيوس (٢٥١ — ٣٦٥ م)**

وبسبب اتساع مصر وصحاريها .. ثم وجود الاثار الفرعونية فيها .. كان هذا دافعا قويا للمسيحيين .. كى يعيشوا حياة الرهبنة فى مختلف مناطقها ، ومن هذه المناطق ، منطقة « طور سيناء » .. اذ انه من الثابت أن الرهبان اتخذوا من جبل سيناء « **منسكا** » منذ أوائل القرن الثالث الميلادى .. فهو بعيد عن مخالب الرومان الوثنيين .. وأظافرهم المفترسة ..

وبرغم مرسوم التسامح الدينى من الامبراطور قسطنطين .. فان الذين ذاقوا حياة الرهبنة والتقشف .. لم يستطيعوا أن يستبدلوها . فلقد استهوتهم هذه الحياة النقية ، بما فيها من ترويض للنفس الامارة بالسوء .. ورفضوا ان يعودوا الى نعيم الحضارة الزائل فى المدن .. وكان رفضهم بمثابة حياة مسيحية جديدة . **تحولت « الرهبنة » الى « ديرية » .. بحيث يلقى المسيحيون فى الفيافى والقفار ، يكفون انفسهم بانفسهم .. ولا ينظرون الى الوراء .. الى نعيم الدنيا الزائل .**

ويقال أن أول من بدأ نظام الديرية فى مصر .. هو القديس « **باخوم** » .. لتنتشر بعد ذلك فى صحراوات الوادى كلها .. ومنها منطقة طور سيناء .

طور سيناء ، وجبل المناجاة

والذى يجمع عليه مؤرخو المسيحية ، أن الدير المعروف باسم **« سانت كاترينه »** شيد فى عام ٣٦٠ م وحمل اسما هو « دير السيدة العذراء » . وهذه الفترة التى بنى فيها ، هى فى الواقع الفترة التى بنيت فيها معظم الاديرة المسيحية فى مصر ..

ويقال أيضا ان التى اسهمت فى بناء الدير هى **« هيلانة »** أم الامبراطور قسطنطين ، بعدما يقال من انها هى التى دفعت بابنها الى أن يصدر مرسوم التسامح المسيحى المشهور . فلقد زارت هذه الامبراطورة — القديسة — منطقة طور سيناء ، وجلست مع « النساك » وتبركت بهم ، ثم أمرت ببناء كنيسة صغيرة — سميت كنيسة **العليقة** — فى نفس المكان الذى سمع فيه موسى صوت ربه . وكان الرهبان فى هذه المنطقة الخصبة يتعبدون بجانب العليقة الملتهبة او الشجرة الملتهبة .. لكنها رأت ان الشجرة لا بد أن يكون مكانها خارج الكنيسة

الجديدة .. حتى لا تموت .. وفعلا انتقلت واعيدت زراعتها على بعد ثلاثة أمتار
ومما يذكر هنا ان العليقة الملتهبة ما زالت موجودة . فهى كلما يشيخ عمرها ، يأخذ منها الرهبان فرعا ليزرعوه . وهى من نوع شجر التوت ، ولكنها لا تثمر أبدا . والخبراء النبات – رغم الدراسات التى أجريت حولها – لم يصلوا الى معرفة أصلها . وهى الآن تقوم بجوار « بئر موسى » المقدسة .

على اية حال ، فان الامبراطورة هيلانة ، التى صارت قديسة ، لم تغادر «طورسيناء» .. الا بعد ان امرت ببناء « برجين » فى المكان الذى بنيت فيه الكنيسة .. حتى يكون الرهبان بمأمن من غارات اللصوص وقطاع الطرق .

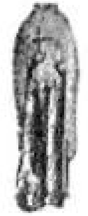
ولقد دعا الرهبان للامبراطورة وباركوها .. وغادرت المكان ليمارس فيه الرهبان شعائرهم .. وليظلوا محل اعجاب مسيحيى العالم فى انحاء الامبراطورية الرومانية كلها .. لا يقلق هدوءهم سوى بعض الاغارات من العربان . فالمنطقة التى بنيت فيها الكنيسة كانت منطقة خصبة مليئة بالمياه والخضرة .. مما جعلها عامل جذب للاغارات والغزوات ..

ولقد تكررت هذه الاغارات والغزوات بعد ذلك .. مدة مائة عام .. ومن هنا ارسل رهبان المنطقة وفدا الى الامبراطور التقى الورع « جوستنيان » .. وزوجته الامبراطورة « ثيودورا » ، يطلبون الحماية من الاغارات ..

وفعلا فكر الامبراطور فى أن يبنى « ديرا » يستطيع فى داخله الرهبان أن يكونوا فى مأمن على دينهم وحياتهم .. وليحقق لهم ما ينشدونه من الانقطاع والوحدة .

ايقونة من الموزاييك للسيد المسيح وحوله الرسل فوق هيكل الكنيسة الكبرى





دير القديسة كاترين

ولهذا جاء بناء الدير على شكل قلعة حصينة..

وهذا الدير الذي بنى حول كنيسة « العليقة » .. فى منتصف القرن الخامس تقريبا .. بنى فى داخله بعد ذلك بقليل كنيسة كبرى .. بعد موت الامبراطورة تيودورة .. « زكاة » على روحهـا « هدية من الامبراطور المتسدين للرهبان والمتنسكين الذين يعيشون فى سفح الجبل المقدس . ويقال انه فى هذه المناسبة ، وضعت لوحة تؤكد ان الامبراطور جوستنيان هو الذى قام بهذا العمل الدينى العظيم . وهذه اللوحة الرخامية بالعربية تقول :

« انشأ دير طورسيناء ، وكنيسة جبل المناجاة ، الفقير لله ، الراجى عفو مولاه ، الملك المهذب ، الرومى المذهب جوستنيانوس ، تذكارا له ولزوجته تاوضوره على مرور الزمان ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ... »

وقد كان لا بد للدير ــ القلعة ــ من حماية أكثر . ولهذا فان الامبراطور اختار مائتى رجل وعائلاتهم وأسكنهم بجوار الدير ليكونوا حماة له .. مائة منهم من الجند الصقالبة ، والمائة الآخرون من مصر . وأجرى على هؤلاء الحراس جميعا ريعا من القمح يأتيهم سنويا من مصر .. وهؤلاء الجند اعتنقت سلالتهم الاسلام فيما بعد .. ولا يزال أحفادهم هناك حتى الآن ، ويعرفون باسم « **الجبالية** » .

والمهم هنا أن الدير عند انشائه لم يكن يحمل اسم « القديسة كاترين » . بل انه حمل اسم « السيدة العذراء » ، نسبة الى الكنيسة الكبيرة التى بناها الامبراطور ، وسماها كنيسة السيدة العذراء . والمهم أيضـا أن الذى دفع بجوستنيان الى ان يبنى الدير على هيئة قلعة ، أو حصن هى الظـروف السيئة التى تردت فيها الامبراطورية قبل أن يصل الى العرش الامبراطورى ، ومنذ أيام الامبراطور « ثيودوسيوس الاكبر » فى أواخر القرن الرابع الميلادى . فلقد كانت الامبراطورية مقطعة الاوصال ، تكاد أطرافها تكون شبه مشلولة . وكان لا بد لجوستنيان من أن يجرى الدماء فى أوصالها .. وأن يستمر جريان هذه الدماء باقامة مجموعة من الحصون والحاميات فى الاطراف لتعيد مجد الامبراطورية ،

لكن يبدو أن المجد الحربى للرومان .. قد انهارت اعمدته الى غير رجعة .. ويدلل المؤرخون على ذلك بأن بناء الدير كقلعة فى سفح عدة جبال منها الجبل المقدس ، وجبل الدير ، وجبل سانت كاترين .. كان خطأ استراتيجيا ، بل يدل على عدم خبرة بها .. فهذا الدير من الممكن أن يهاجمه كل من تسلق هـذه الجبال

على أية حال فان الدير ، بما فى داخله من كنائس ، وحديقة ، ومسـاكن للرهبان ، ومطابخ ومعاصر .. كان يحيط به سور شبه مربع الشكل تبلغ أطوال أضلاعه على التوالى ١١٧ ــ ٨٠ ــ ٧٧ ــ ٧٦ م . ويتراوح ارتفاعه ما بين ١٢ و ١٥ مترا . وسمكه يصل الى مترين وربع المتر . وفى أعلى السور أبراج مركب عليها مدافع أثرية ترجع الى أيام الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ . ويقال ان السلطان سليم .. كان من أكثر سلاطين آل عثمان احتكاكا بالدير ورهبانه .. وانه جلب له هذه المدافع لحمايته . والسور ــ أيضا ــ كانت له بوابة كبيرة مدرعة بالرصاص والصلب .. ثم رؤى انها لا تحمى الدير كما ينبغى ، فاستبدل بها ثلاثة أبواب متتالية ضيقة .

وعلى مر العصور ــ أى طوال اربعة عشر قرنا هى عمر الدير تقريبا ــ تعرض

السور لعوامل الجو والسيول الرهيبة .. وبسببها تهدمت معظم اجزائه . ويقال انه حين احتل الفرنسيون مصر ، ذكرت كتب التاريخ ، واثبتت النقوش ان الجنرال بونابرت ارسل قائده كليبر ليعيد بناء سور الدير بعد أن دمرت السيول معظم أجزائه .. وان البناء مسجل على لوحة رخامية تشير الى انه تم في أول مايو عام ١٨٠١ ، وانه تكلف (٢٢٠٢٨) قرشا عثمانيا ..

روح الاستشهاد والتضحية

ثم نأتي الى التسمية الحالية للدير .. « دير سانت كاترين » .

الحقيقة ان تسمية الدير كله باسم القديسة « كاترين » أو « كاترينا » ، لم تبدأ الا في القرن التاسع الميلادى . عندما بدأت شهرة هذه القديسة السكندرية تزداد وتأخذ الطابع العالمي

والقديسة كاترينا لها قصة تبدأ في الاسكندرية لينتهي رفاتها على مذابح الكنيسة الكبرى في الدير .

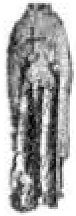
وقصتها باختصار انها فتاة اسكندرانية عمر قلبها بنور الايمان المسيحى ، اعتنقت المسيحية رغم أبويها الوثنيين في فجر القرن الرابع الميلادى .. على يد احد الزهاد . وحين بلغت الثامنة عشرة من عمرها ، ظهر لها المسيح في الحلم على هيئة طفل بين ذراعى السيدة العذراء ، ووضع في أصبعها خاتم الخطبة الذهبى

وتتابع القصة احداثها ، لتقول أن « كاترين » حين استيقظت من حلمها ، وجدت — فعلا — خاتما من الذهب الخالص في أصبعها .. وانها توجهت منذ ذلك الوقت ، بكل ما في قلبها من ايمان الى الوالى الرومانى مكسيميانوس قيصر (عام ٣١٧ م) لتدعوه الى المسيحية . وقد حمد لها هذا الوالى الوثنى شجاعتها واحب ان يتزوجها .. وكان أن واجهها بخمسين فيلسوفا .. كى يستطيعوا أن يلووا ذراعها ويعيدوها الى الوثنية .. لكن العكس هو الذى حدث .. فبعد المناقشة تحول الفلاسفة الرومان الى المسيحية . منذ ذلك .. ظهر للوالى الرومانى أن هذه الفتاة خطرة ، فألقى بها في غياهب السجن . ولقد فعلت « كاترينة » بحراسها ، مثلما فعلت بالفلاسفة ، تحولت غالبيتهم الى المسيحية ..

هنا أمر الوالى الرومانى بتعذيبها .. الى ان تتهشم عظامها وتجويعها .. لكن الملائكة نالت باطعامها وشفائها ..

وهنا كان لا بد مما ليس منه بد ، بين وال رومانى وثنى ، وفتاة مسيحية بريئة لا تتعدى التسعة عشر ربيعا ، أصدر أوامره عام ٣١٢ باعدامها ، وقطع رأسها ، وفصله من جسدها .. وهنا ظهرت المعجزة .. « فبدلا من أن ينفجر الدم من البتر .. تفجر اللبن .. » !!

هذه المعجزة .. ظلت تقوى من ايمان المسيحيين ، وتشيع فيهم روح الاستشهاد والتضحية في سبيل الدين .. مدة خمسة قرون بعد ذلك . الى أن رأى أحد رهبان الدير في المنام ، أن الملائكة حملوا بقايا رفات القديسة كاترين الى قمة جبل قريب من الدير ، هو الجبل المقدس . وفعلا ذهب الى المكان ، فوجد بقية



دير القديسة كاترين

رفاتها .. فنقله الى الدير ، والى الكنيسة الكبرى .. التى أطلق عليها وعلى الدير اسم هذه العذراء الشهيرة « دير سانت كاترين » .

مجمع دينى كبير

ولنتحدث عما فى الدير من كنوز وبقايا وذكريات دينية مسيحية ..
فبالاضافة الى القلعة والسور ، وكنيسة العليقة ؛ وكنيسة التجلى ذات المذابح السبعة والاعمدة السبعة .. يوجد أيضا اربع عشرة كنيسة صغيرة لا تتسع الا لشخص أو اثنين .. كما يوجد بقايا مسجد اسلامى فاطمى .. ومكتبة من اعظم المكتبات التراثية فى العالم .. هذ‌ا بالاضافة الى حوالى سبع عشرة كنيسة اخرى تقوم خارج السور .. بحيث يصبح الدير — ان صح التعبير — شبه مجمع دينى كبير ..
وسنركز حديثنا هنا على الكنيسة الكبرى — أو الكاتدرائية — والمكتبة — والمسجد ومآذنها .. بعد أن تحدثنا عن « كنيسة العليقة » التى بنتها أم قسطنطين

أما الكنيسة الكبرى او كنيسة التجلى ، أو « الاستحالة » .. كما تسمى .. فهى تعتبر من أقدم الكنائس التى بقيت على حالها . ونظرة عليها من الخارج نجد أن لها واجهة بسيطة — بساطة الرهبان — وسقفا منحدرا .
ولو دققنا النظر اليها من الخارج أيضا نجد محفورا على جدرانها عددا كبيرا من الصلبان . منها ما يأخذ **الشكل اليونانى** للصلبان المتساوى الأذرع كل صليب فى دائرة منحوتة . ومنها ما يأخذ **الشكل اللاتينى** ، حيث الذراع السفلى تكون أطول من غيرها ، والصليب كله داخل مثلث . وفى الواجهة الغربية للكنيسة نلاحظ وجود شجرتى نخيل صغيرتين منحوتتين فى الصخر .
المهم فى هذه الكنيسة الكبرى أنها مبنية وفق طراز العمارة المعروف باسم « **الطراز البازيليكى** » وهى فى أبسط أنواع هذا الطراز ، ويغطيها سقف خشبى . والملاحظ أن نصف الكنيسة الأسفل مدفون فى الأرض ، ومنحوت فى الصخر ، خاصة الجزء الغربى منه .
وترجع أهمية البناء ، ان هذا الطراز البازيليكى فى مرحلته الاولى ، هو طراز معمارى نادر فى عصرنا الحديث . فمعظم المبانى التى تنتمى لعصر هذا البناء لم تبق على حالها ، تهدمت او انتهى امرها.ولان هذه الكنيسة ما زالت على حالتها الاولى ، فهى تعتبر طرازا اثريا هاما لا يوجد منه الا القليل الماثل فى العالم، ومنه كنيسة القديس بطرس فى روما ، وكنيسة القديس بولس خارج أسوار روما ، وكنيسة سانت ابوليناري الجديدة فى « رافنا » ..
ونعود الى بقية تفاصيل الكنيسة من الداخل ..
تتكون هذه الكنيسة البازيليكية الطراز من ايوان اوسط متسع ، يفصله عن الجناحين الجانبيين صفان من الاعمدة ، من الطراز البيزنطى ، وكلها من الجرانيت .. ويوجد بالكنيسة عدد من الهياكل الجانبية الصغيرة تفتح على الاجنحة الجانبية

وكل منها مزود بمذبح . ويغطى الكنيسة سقف خشبى تغطيه الواح الرصاص لحمايته . والسقف فى الداخل مقسم الى مربعات خضراء تزينها نجوم مذهبة لامعة . واهمية هذا السقف تعود الى ان عمره مثل عمر الكنيسة . أما الارضية الرخامية وحجاب الهيكل ، فيعودان الى القرن الثامن عشر .

وعلى السقف توجد نقوش كثيرة أثرية ؛ منها نقش من ٣ سطور باليونانية .

الاول : يذكر اسم بانى الكنيسة الامبراطور جوستنيان .

والثانى : يطلب الرحمة لزوجته الامبراطورة تيودورا .

والثالث : يطلب الدعوات للمهندس الذى بنى الكنيسة « ستيفانوس » .. وهو من منطقة خليج العقبة .

وهيكل الكنيسة يوجد بالجهة الشرقية ، يفصله من جسم الكنيسة حجاب خشبى يحمل عددا كبيرا من « **الايقونات** » .. من أعمال المدرسة الروسية . ويوجد بالهيكل المذبح ، وثلاثة توابيت احدها ، هو الذى فيه صندوقان لبقية رفات القديسة « كاترين » .

وعلى حوائط الكنيسة عدة مناظر بالفسيفساء . أهمها المنظر المرسوم فى الهيكل الشرقى . ويمثل « تجلى » السيد المسيح لتلاميذه . يتوسط السيد المسيح المنظر ، وتحيط به دائرة زرقاء ، وسط الارضية الذهبية للفسيفساء ، وحول رأسه هالة مستديرة من النور . بينما هناك أشعة عريضة من الضوء تخرج منه الى الشخصيات الاخرى التى تحيط به ، وكلها ترتبط بمعجزة « التجلى » .

الايقونات واللاايقونيين

على أن المهم فى الكنيسة الكبرى ، **وفى دير سانت كاترين هو مجموعة «الايقونات الشمعية »** .. التى يرجع معظمها الى العصر البيزنطى المبكر ، كما يقول **الدكتور داود عبده داود** ، فى بحث له بمجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية ، عنوانه « دير سانت كاترين بسيناء واهميته فى تاريخ الفن البيزنطى»

والايقونة كما يقول البحث ـ صورة دينية مرسومة على الخشب أو غيره من المواد . وفى سيناء ايقونات مرسومة على الصدف ، وفى عصر متأخر بدأ رسمها على الخيش . وكان الناس يتعبدون لها ، ويعتقدون ، ليس فى قيمتها المادية ، وانما فى قيمتها الروحية . ولذلك كانت توضع فى الكنائس والاديرة ، واحيانا فى البيوت .

ولقد بدأ عصر الايقونات فى الشرق ، فى القرن الرابع الميلادى ، ثم انتشر فى القرن الخامس . وقد كان الاباء الاول للكنيسة لا يجدون ضررا فى انتشارها ، بل اعتبرها البعض ، ومنهم « يوحنا فم الذهب » أسقف القسطنطينية ، من الوسائل التى تساعد على نشر المسيحية وتقريبها من الاذهان .

أما عن طريقة رسمها .. فكانت بالالوان الشمعية ، قبل أن تعرف الالوان الزيتية . ويقال أن الالوان كانت تخلط بالشمع وتسحق ، وربما أضيف اليها بعض الزيت ، ثم يوضع الكل على النار ليتحول الى سائل ، ثم يوضع على اللوحة الخشبية بواسطة سكين ساخنة .



دير القديسة كاترين

والايقونات ظلت شائعة في العالم المسيحي حوالي أربعة قرون فقط . ففي القرن الثامن الميلادي قامت القيامة حول الايقونات في العالم البيزنطي .. وصدرت الاوامر الامبراطورية بتحطيمها .. بعد ان اتضح انها نوع من عبادة الاصنام .. ولقد سمي الاباطرة البيزنطيون الذين حرموا الايقونات باسم الاباطرة « اللا ايقونيين » .

ولهذا فقد دمرت جميع الايقونات في العالم المسيحي كله تقريبا .. فيما عدا الايقونات التي كانت داخل دير سانت كاترين ، لان سيناء كان من حظها انها كانت خارجة عن سلطة بيزنطة .

والواقع ان دير سانت كاترين وكنيسته الكبرى ، وكنيسة المليقة ، ما زالت تضم مجموعة من الايقونات الهامة التي تعتبر كنوزاً لا تقدر بمال ، خاصة القديم منها . ويقال ان من هذه الايقونات أربعين ايقونة لا يوجد لها مثيل في العالم . نذكر بعضها ..

● هناك أيقونة ممثل عليها السيدة العذراء جالسة على عرشها والمسيح الطفل على رجليها ، ويحرسها من اليمين واليسار القديسان المحاربان ، « جورجيوس » و « تيودوسيوس » على التوالي . وخلف العذراء ملاكان ينظران الى السماء ، والوجوه كلها جادة ، والعيون واسعة ، والملابس لمينة ، وخاصة ملابس العذراء ، فهي تلبس اللون الارجواني المخصص للاباطرة .

● وايقونة اخرى من اهم ايقونات الدير نجد فيها القديس بطرس .. وهو هنا ليس بطرس الصياد المسكين الذي طلب منه المسيح ان يتبعه ، وانما بطرس المفكر . فهو في حالة تفكير عميق ، يمسك بيده اليسرى عصاه الطويلة ، وباليد اليمنى يمسك بقوة حزمة من المفاتيح ، هي مفاتيح السماء .

● ايقونة ثالثة من العصر المبكر .. وفيها السيد المسيح وسط دائرة في اعلى الصورة والانظار كلها متجهة اليه ..

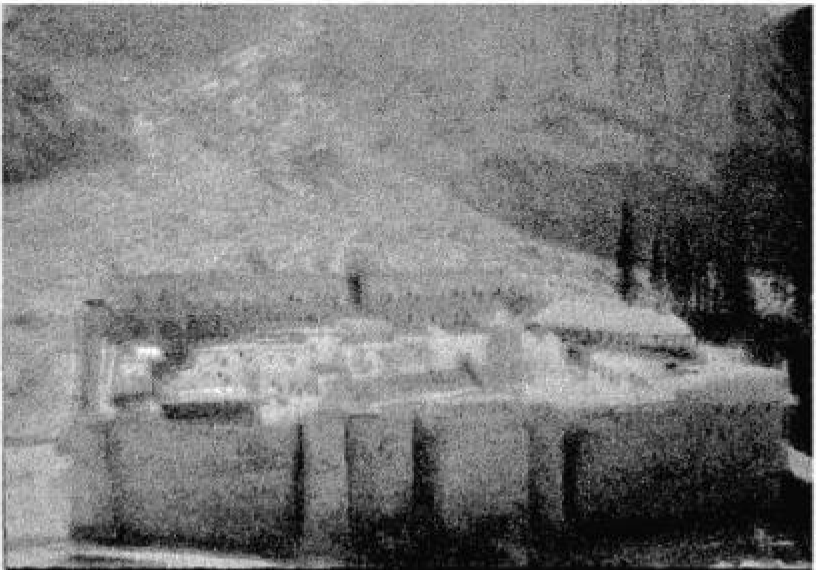
● ثم ايقونة « الصلب » ، وتمثل المسيح على الصليب ، ويدان تمتدان من السماء لحمل المسيح الى اعلى .. وهكذا ..

اما الذي يمكن أن يقال هنا .. عن الايقونات في الدير ، فقد ظلت في مأمن لا يعرفها أحد الا في القرن الماضي ، حين جاء الاسقف الروسي « بورفيريوس ازبنسكي » الى سيناء وشاهدها ، وحمل بعضاً منها الى روسيا . وهنا بدأ عالم الايقونات ينفتح ..

آثار اسلامية ومسيحية

وبالاضافة الى الايقونات والرسوم .. فان الدير تجمعت لديه كنوز نادرة .. بفضل الهبات والعطايا التي انهالت عليه .. خاصة في القرن الثامن عشر .

فهيكل الكنيسة يضم تابوتين من الفضة الخالصة ، رسم على غطاء كل منهما صورة للقديسة كاترين .. مطعمة بالذهب الخالص والاحجار الكريمة . وهما هبتان من قيصري الروس بطرس الاكبر عام ١٦٨٨ ، والسكندر الثاني عام ١٨٦٠ .



الدير .. في حضن جبل موسى ثم مذبح الكنيسة الكبيرة .. وايقونات من القرن ١٧ م





دير القديسة كاترين

وهما يستخدمان لحفظ بعض الهدايا والهبات الثمينة ، التي كان يبعث بها الملوك والملكات الى الدير في العصور المختلفة .

على أن أثمن تلك الكنوز ، ذلك التابوت المحفوظ تحت قبة المظلة على يمين مذبح « كنيسة التجلى » . وهو يحوى صندوقين من الفضة المزخرفة . وأحد الصندوقين يضم **جمجمة القديسة كاترين** يحوطها تاج ذهبى مرصع بالجواهر ، والاخر يضم **ذراعها اليسرى** ، وتزين أصابع اليد مجموعة من الخواتم المرصعة بالاحجار الكريمة .. ومما يذكر أن هذه البقايا المقدسة تعرض لحجاج الدير وزواره في ٢٥ من نوفمبر من كل عام ، أي في عيد القديسة كاترين ..

وفى هيكل كنيسة العليقة مجموعات هائلة ـ قديمة وحديثـة ـ من الملابس الكهنوتية المطرزة بخيوط من الذهب والفضة والنقوش والرسوم . ثم مجموعة اخرى من تيجان الاساقفة الذهبية والفضية على اختلاف احجامها واشكالها .. وايضا اغطية اغلفة الاناجيل من الذهب الخالص . ويضارع هذه المجموعات .. بقايا اجساد القديسين ، مثل جمجمة القديس يوحنـا فم الذهب ، وذراع القديس باسيليوس ، والفك السفلى للقديس جريجورى .. بالاضافة الى جماجم وعظام القديسين التى تحفظ في مكان خاص من الدير .

وبجانب هذه الاثار المسيحية النادرة .

هناك أيضا داخل الدير مجموعة من الاثار الاسلامية .

فالدير يضم مسجدا اسلاميا صغيرا ، يقع قرب كنيسة التجلى ، وهو مبنى بالطوب اللبن . وللمسجد منارة ما زالت قائمة وسط أبراج الكنائس المتعددة ، وفى داخله منبر خشبى مطعم ، وكرسى مطعم أيضا ، وماليه يعود الى عصر الدولة الفاطمية في مصر .. اى أن عمره يقارب الالف عام . يدل على ذلك الكتابة على المنبر ، والتى تقول :

« ... نصر من الله وفتح قريب ، لعبد الله ووليه ابى على المنصور ، الامام الامر باحكام الله ، امير المؤمنين .. امر بانشاء هذا المنبر السيد الاجل الافضل امير الحرمين ، سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين .. أبو القاسم شاهنشاه ، عضد الله به الدين .. وذلك في ربيع الاول سنة خمسمائة » .

وهذا يعنى ان الكرسى يعود الى سابع الخلفاء الفاطميين **الخليفة الامر باحكام الله ابى على المنصور** ، والـذى تولى الخلافة ما بين سنتى ٤٩٥ ـ ٥٢٤ هجرية .

ويقال أيضا ان الذى بنى الجامع الوزير الفاطمى **« ابو جعفـر الوشتكين »** استنادا الى النقوش على الكرسى والتى تقول أيضا **« مما امر بعمل هذه الكراسى المباركة ... الامير الموفق المنتخب ، منير الدولة وفارسها ابو منصور انوشتكين الامرى »**

وهذا النص ، والنص قبله .. يلغيان الراى الذى يقول أن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله هو الذى بنى المسجد في عهده .

ومما يذكر هنا أن الجامع يضاء بثريا كبيرة لها ستة عشر قنديلا بالزيت .

والمنبر بالذات فريد في نوعه ، ولا يوجد له مثيل ضمن الاثار الاسلامية سوى منبر في مدينة قوص بالوجه القبلى . والسبب في ذلك ان نقوش حشواته من طراز الفن الفاطمى المتقدم ، والمتمثل في الزخارف التقليدية من اشكال النبات

والمناظر الهندسية .. وهى تشبه نقوش حشوات أبواب الكنيسة الكبيرة ..

وتبقى مكتبة الدير .. وهى فى حد ذاتها كنز لا يقدر بمال .. بالاضافة الى مجموعة نادرة من الكتب القديمة والحديثة .. بكل اللغات القديمة والحديثة

ومن المخطوطات ، يقال انه يوجد بالمكتبة «٢٠٠» مخطوط باليونانية ، و«٦٧٠» بالعربية ، و «٥٠٠» بالسريانية، و «١٢٠» بالارمنية ، و ١٩ بالحبشية .. وهذا التقدير هو لا شك تقدير مبدئى . اما من الكتب المطبوعة ، فيقال أن بالمكتبة اكثر من اربعة آلاف مجلد . ويضاف الى المخطوطات والكتب مجموعة نادرة من الوثائق واللفائف المختلفة الاحجام والاطوال ، وهى مراسم وفرمانات وعهود .. أصدرها خلفاء وسلاطين الاسلام لرهبان الدير ، وتزيد على الالفين !!

ويقال أن من أهم آثار الفتح الاسلامى لمصر ، ذلك « العهد » الذى قيل أن النبى محمدا منحه لرهبان الدير مكتوبا ، لحماية أرواحهم ومتاعهم ودينهم تحت الحكم الاسلامى . ويقال أيضا أن العهد الاصلى استولى عليه السلطان العثمانى سليم ، واعطى للرهبان صورة منه مترجمة بنصوصه وموقعة بخاتمه .

ومن الآثار القديمة جدا «انجيل سيناء» . قيل ان تاريخه يعود الى القرن الرابع الميلادى . وقد اكتشفه فى مكتبة الدير العلامة الروسى « بتشندرف » عام ١٨٦٦م. وحمله الى بطرسبرج .، وعرضه على قيصر روسيا ، فاشتراه . الى أن تمكن المتحف البريطانى من شرائه بمبلغ مائة الف جنيه ذهبا .

اما « التوراة السوريانية » وهى مخطوط نادر ، ويعود تاريخه الى القرن الخامس الميلادى ، فلا يزال فى مكتبة الدير ، باعتباره اقدم ترجمة للكتاب المقدس .. وبالاضافة الى ذلك يوجد « سفر المزامير » ، فى ست ورقات .

ومن المخطوطات العلمية النادرة ، يكفى أن نقول ان المكتبة تحوى بين كنوزها اقدم مخطوط طبى فى العالم ، وهو من طب العيون ، للطبيب العربى « على بن عيسى » .. ويقال انه يعود الى القرن الاول الهجرى .

على ان ما خفى كان أعظم فى مكتبة الدير .

وهذا الكلام أيضا ينسحب على آثار الدير كله وكنوزه .

فالدير ، فى الواقع ، لم يكتشف الا مؤخرا .. ويكفى ان نقول ان الكتبة بدأ البحث فيها وفهرستها وتصوير مخطوطاتها منذ عام ١٩٥٠ ..

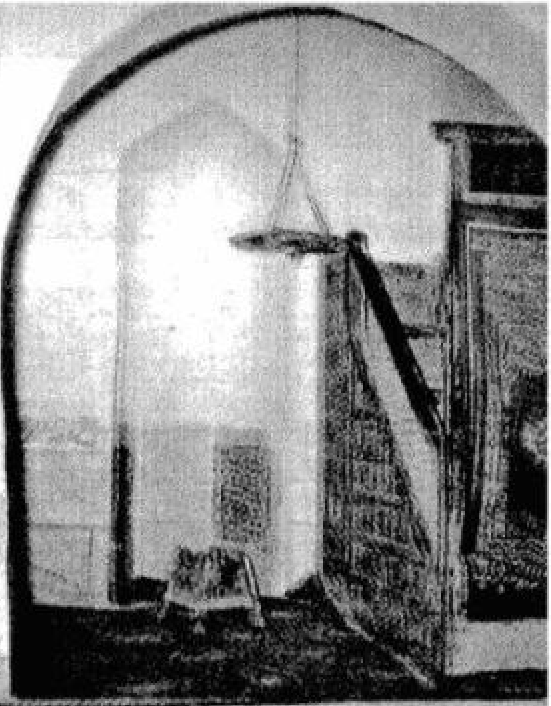
وهناك دراسات اخرى كثيرة متخصصة .. بدأت ثمارها تلوح فى الافق .. لكن هذا كله كاد يتوقف نتيجة للعدوان الصهيونى فى عام ١٩٦٧ .. وبعد أن اقتحمت القوات الصهيونية حرم هذا المعبد المسيحى ، وتصلت مع رهبانه .. ونقلت بعضهم داخل اسرائيل .

بل ان القوات الاسرائيلية اقتحمت المذبح ، واستولت على بعض القطع النادرة مثلما فعلت فى كنيسة القيامة بالقدس . ويقال انها اخذت مجموعة من الايقونات والتصبت اهم المخطوطات ، ومنها اقدم نسخة من الكتاب المقدس .

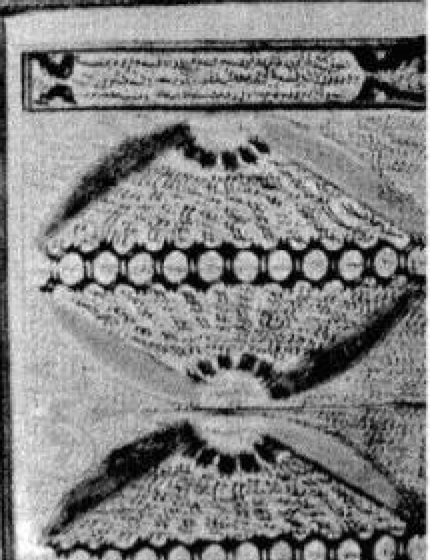
على ان كل هذا الصلف الصهيونى ، وكل هذه الاعتداءات على المقدسات .. لا بد لها من حد .. ولا بد من تحرير الدير ورهبانه وكنوزه .. حتى لا تضيع العالم ويختفى ما بقى من كنوز .. لا يمكن تقدر بمال ، ناهيك عن قيمتها الدينية والروحية .

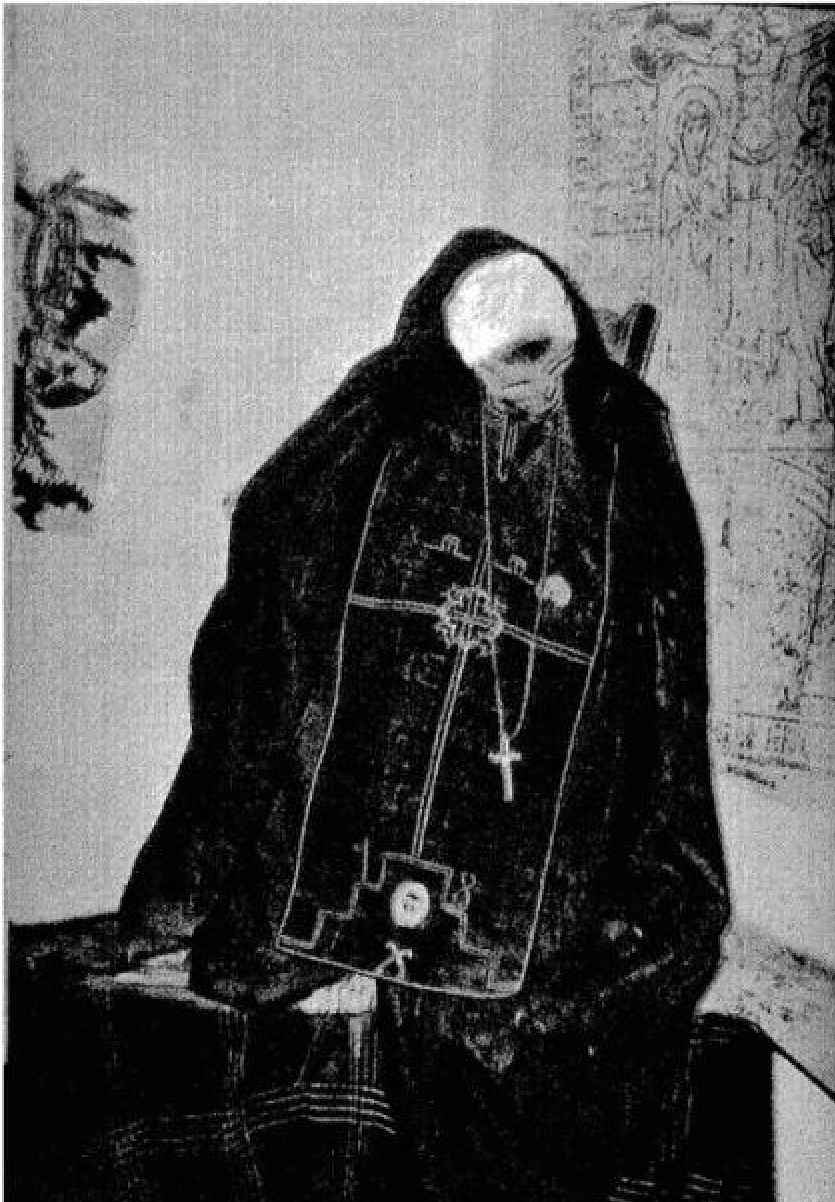


المسجد الاسلامى داخل الكنيسة ويظهر المنبر والكرسى الاربعين . من القرن ١٢ م وأسفل صفحتان لمخطوط عربى قديم بمكتبة الدير . والى اليسار .. بقايا القديس سمعان ستيفانوس بملابسه الكهنوتية . والمتبع ان يحتفظ المسيحيون بعظام القديسين ...









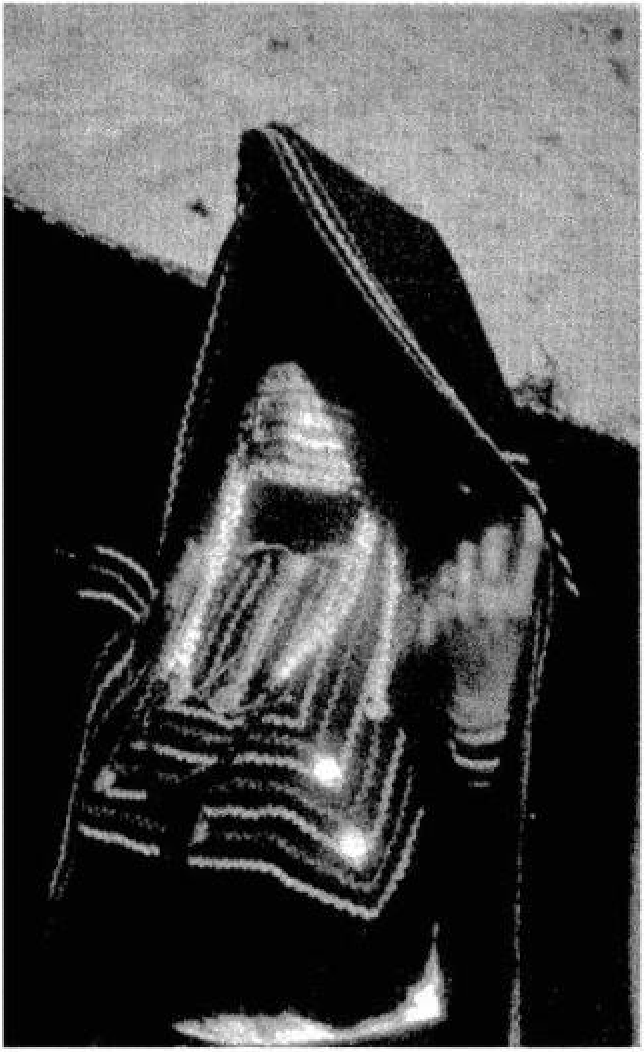

د. عبد الحميد يونس
الفنون
الشعبية
في وادي

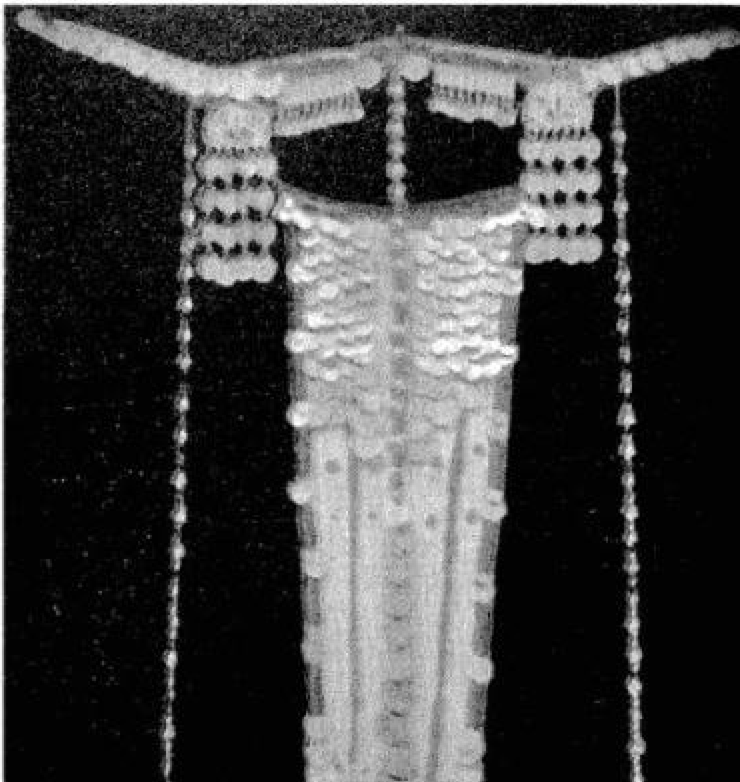


ان ابة محاولة لعرض الفنون الشعبية في شبه جزيرة سيناء ، لا بد ان تواجه ثلاثة مواقف : الاول هو التقاء الحقيقة بالخيال ، ذلك لان طبيعة شبه الجزيرة ، من الناحية الجغرافية ، قد اقترنت من قديم بتصورات خيالية ، لعلها نشأت من التفسير الاسطوري العريق لظاهر الطبيعة والحياة . والثاني اقتران الواقع بالحلم او المثال في عقول الناس ، الذين درجوا ولا يزالون يدرجون على هضاب سيناء وسهولها ، ومهما يكن من أمر ارتباط المعارف ، التي يحصلها الناس هناك من التجارب ، فان الخبرة تمازج تصورات ومعتقدات تجاوز الواقع الى عالم المثل والاحلام. والثالث ان هذه البقعة من الارض ، على تفردها في ظاهر الامر ، انما تربط بين الوطن العربي مشرقه ومغربه ، ولقد اثبتت الدراسة ان العناصر البشرية ، البدوية والمستقرة ، التي ابدعت فنون الكلمة والحركة وتشكيل المادة ، لها جذورها في المواطن الاولى للشعب العربي ، ولها اصول وفروع في الوطن العربي الكبير - وكاتب هذه السطور يعترف منذ البداية بانه يفيد في دراسته للفنون الشعبية في شبه جزيرة سيناء من ملاحظاته المتعددة لظاهرة الابداع الشعبي في كثير من الربوع ، وبخاصة في الاقليم الذي عاش فيه بنو عمومته دهرا طويلا - وليس التشابه في الاشكال والمضامين والطراز ثمرة التماثل في الظروف الثقافية ، ولكنه البرهان الذي تؤكده الدراسة ، على الاتصال الوثيق المستمر بين القبائل والعشائر والبطون .

وأرض الفيروز

الفنون الشعبية في سيناء





خمار من سيناء مثبت عليه
قطع النقود وبعض الحلى

التفنن الرائع فى التطريز وفى
استخدام الخرز الملون فى ملابس
بدو سيناء ويلاحظ أن غطاءالرأس
شعار الى أنها سيدة .

الفنون الشعبية فى سيناء

والتتبع لما يمكن ان يسمى بالتاريخ الشعبي للجماعات العربية يدهشه ان يلاحظ العناية الفائقة بحفظ النسب عند الاسر والعشائر في اكثر الربوع ، ويدهشه اكثر وحدة الانتماء لهذه القبيلة او تلك ، بين فروع تباعدت ديارها ، وربما اختلفت بعض ازيائها وطرائق عيشها . ومن المسلم به ان موقع سيناء التي كانت الجسر ، الذي عبرت منه الجماعات العـربية الى مصر وما وراءها ، ظلت تحتفظ بتاريخهـا الوجداني ، الذي يربطها بالاصول والفروع شرقا وغربا . ومن هنا تكررت اسماء الاعلام البدوية في سيناء بصيغها التي عرفتها الانساب القـديمة ، ولا تزال تعرفها الانساب الجديدة . في الشرق والغرب على السواء .. العيايدة .. الحويطات .. بنو عقيل .. الفوايد .. الصوالح .. بنوزويد .. الاخارسه .. بلى .. القطاوية .. الخ . ومما يلفت النظر اكثر واكثر، ان الدارسين يكادون يسلمون بان البداوة هي المدخـل الى الاستقرار ، ولكن دراسة الحياة في شبه جزيرة سيناء قد سجلت عودة بعض العشائر ، التي اخذت في الاستقرار ، الى البـداوة ، فقد انتشر بعض اهـل المحافظات الشرقية في شبه جزيرةسيناء، ونقلوا معهم حصيلة خبرة جديدة وذوق فني يتسم بالصقل والتعقيد ، اذا قورن بالذوق البدوي .

الشعر البدوى

وليس من شـك في ان فن الكلمة اظهر من غيره في حياة الجماعات ، التي تدرج على شبه الجزيرة ، ذلك لان الكلمة ادخل في السانيتهم ، واقدر على تحقيق وجودهم ، والحفاظ على تراثهم ، وتاكيد المثل والقيم ، التي تنظم علاقاتهم بالكون والطبيعة والحياة . وفن الكلمة عند عرب سيناء لا يكاد يختلف عنه بين عشائر البدو المنتشرين في الوطن العربي الكبير وبين المدن ومراكز التجميع، التي استقطبت حياة البداوة ، وعاشت بها ولها في وقت واحد . وهذا الفن يستوعب الشعر والاغنية والحكاية والوصية والمثل وبعض المطارحات ، التي تثير الذهن ، او تعتمد على الايهام والتلويح . ولا يكاد الادب البدوي في سيناء ينفصل عن الوسـائل الفنية الاخرى ، فهو يرتبط بالموسـيقى ارتباطه بالحركة وكثيرا ما اقترن بالازياء والادوات .

و « القصيد » او «القصيد» لايزال في مكان الصـدارة من الادب البدوي ولقد آن الاوان ، لكي نصـحح خطا شائعا ، بمناسبة الحديث عن الشعر البدوي في سيناء بصفة عامة ، وعن القصيد منه بصفة خاصة ، وهو ان هذا الشكل من اشكال التعبير الادبي يقوم براسه، وينحصر في المجتمعات البدوية . والواقع ان القصيد البدوي انما هو امتداد للقصيدة العربية الفصيحة ، وانه يفسر بهذا الاعتبار كثيرا من الظواهر في الشعر الجاهلي وما تلاه ، ذلك لان الجماعات البدوية لم تاخـذ في الامتداد عبر الزمان والمكان كحلقـات السلسلة ، يتداخل بعضها في بعض ، وانما امتدت كتيار مائي متصل ، لا تنفصل وحداتها . وهذا القصيد جزء لا يتجزا من تراث الادب العربي ، ياخذ منه ، ويضيف

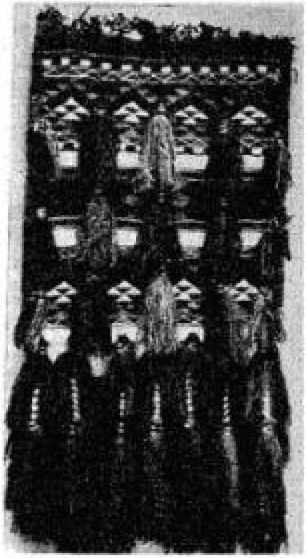
اليه . والراجح ان هذا الشكل ادخل في الشعر الملحمي من غيره ، لسببين رئيسيين هما ان ضربا من الموسيقى يصاحبه في العادة . ومع ذلك فهو الشاد بالمعنى الخاص ، والالة الموسيقية التي تصاحبه هي «الربابة» الشاعر المعروفة في كل مكان ، اما السبب الثاني فهو ان القصيد يلتزم في الغالب الاعم البحور الطويلة النفس ، التي تستطيع ان تستوعب التاريخ الوجداني للجماعات ، فهم يعتمدون على الذاكرة في الاحتفاظ بايامهم ووقائعهم ومفاخرهم ومواقفهم من ابناء عمومتهم ومن الاخرين .

ومن الطبيعي ان تجد في القصيد البدوي بشبه جزيرة سيناء ما عرفناه في تراث الادب الفصيح من المفاخرات والمطارحات واشباه التثاقفي ، كما تجد فيه لمحات من القصص الي جانب الاغراض التقليدية في المدح وما اليه . ويحتفظ القصيد فوق هذا كله بما يترسب في النفس من خبرة ، وما يحتاج اليه البدوي من تجربة وموعظة ومثل .

ومن اقوى الادلة على عراقة الشعر البدوي في سيناء وفي غيرها « الحداء » واذا كان القصيد طويل النفس فان الحداء قصيره ، وهو ايضا يرتبط بالموسيقى ، او لعل الاصح ان القول انه تجسيم للموسيقى ، فهو جزء لا يتجزا من رحلة البدوي طلبا للماء او الرعي او الغنيمة . والحداء الذي يتردد الان بين عربان سيناء لا يكاد يختلف عن الاوصاف التي حفظتها الروايات المدونة القديمة ، وهو لا يتجاوز مقطوعة قصيرة من بيتين اثنين . والاسترسال يقتضي التكرار او اضافة مقطوعة او مقطوعات اخرى على النسق نفسه . ومما تجدر الاشارة اليه ان الحداء يصدر عن الارتجال ، ولا يحتاج الى التنقيح او المراجعة ، او تخصص فرد معين في نظمه . وليس مقصورا على الرحلة ولا على الناقة ، وهو « اغنية حرب » ـ اذا صح هذا التعبير ـ لانه يصدر بصفة عفوية ابان المعارك ، وكانه صيحات قتال ، كما يقال في التوجه الى المعركة او العودة منها . واحب اوزانه الرجز ، وربما كان ذلك من الاسباب التي دعت بعض الباحثين الى القول بان الحداء هو اول شكل ظهر من اشكال التعبير الشعري عند العرب ، وقد ترجع هذه الحقيقة ان الاراجيز اتسمت بالروح فتعددت المقطعات والتحمت ، واصبحت قادرة ، في الشعر الفصيح والبدوي معا ، على استيعاب الايام والتواريخ والقصص والمواعظ والدروس .

ولا تشغلنا في هذا المقال مسايرة موسيقى الشعر البدوي في سيناء للحركة الطبيعية في السير او على ظهور الابل او متون الخيل ، وانما الذي يعنينا بصفة خاصة هو ذلك النوع الذي لا يصدر عن الحركة بل يصدر عن الهدوء ، ويستهدف السمر ، وقد عرف من اجل ذلك باسم

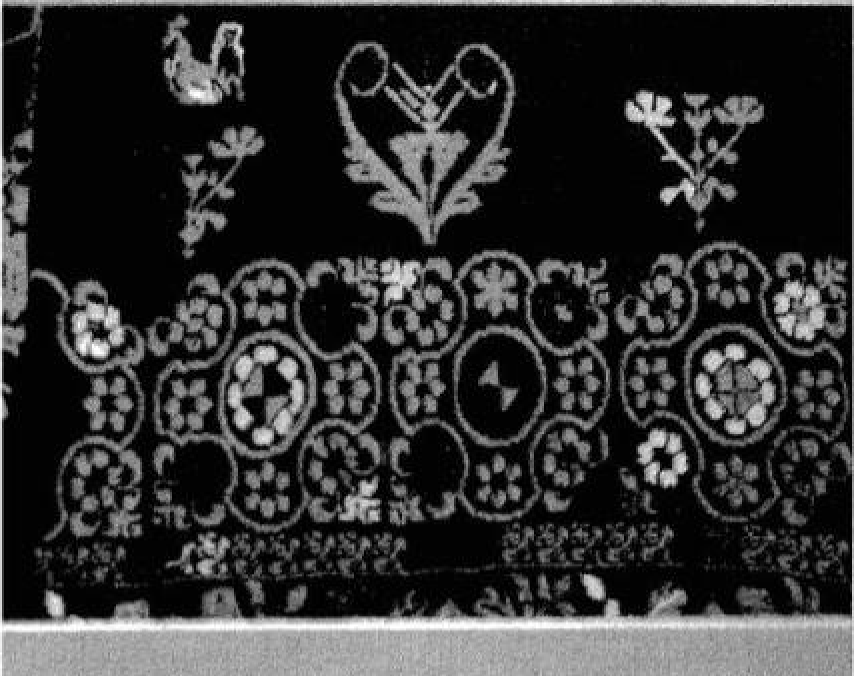
خرج جمل من سيناء ، من الصوف الملون

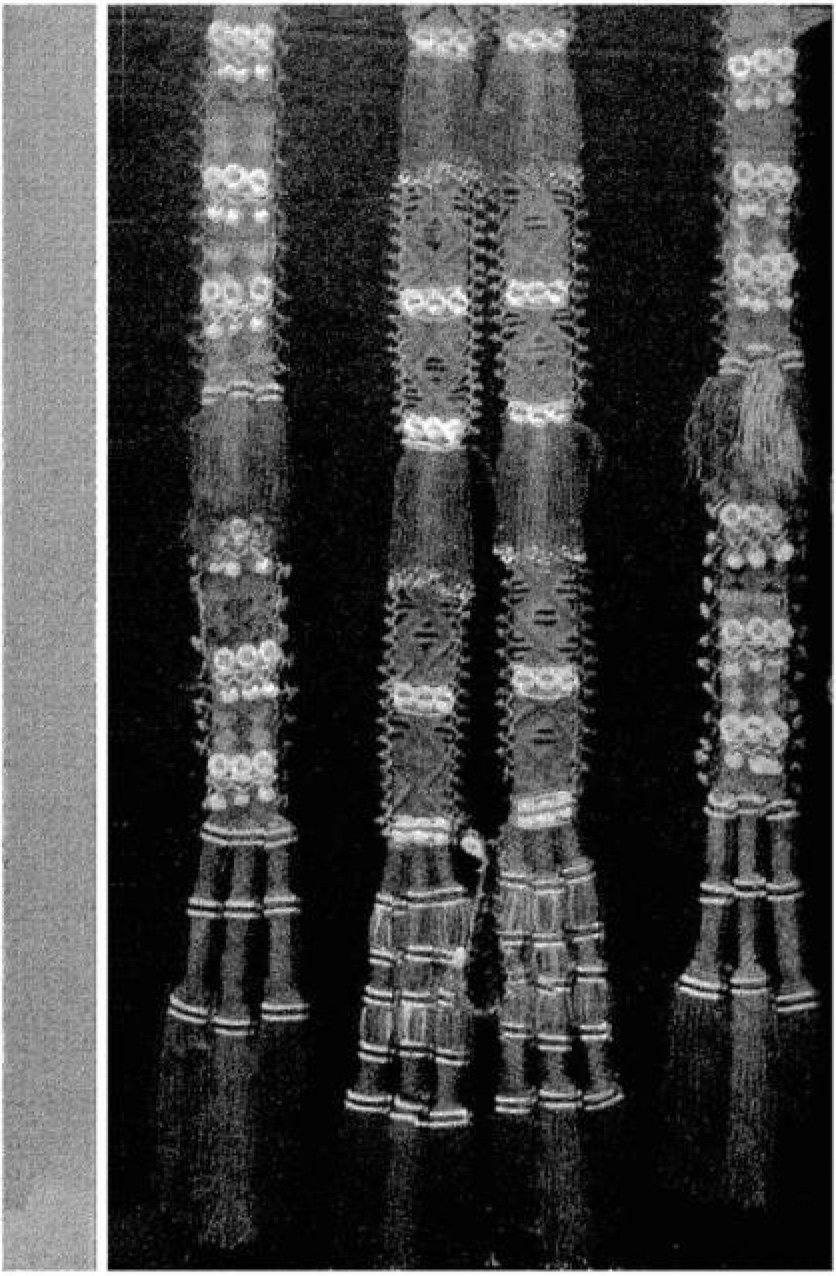


الفنون الشعبية فى سيناء

دلايات للشعر من الصوف
المحلي بالخرز والازرار .

زخارف مطرزة فوق ثوب





الفنون الشعبية في سيناء

السمر او السامر او السامري . وهكذا يستكمل الشعر البدوي في الامسيات الهادئة مقومات الفن المصقول النوع . وجمهور السامر يتلقى هذا الشعر بهدوء

ايضا يجعله اقدر على تذوقه وتقويمه ، ولذلك تخصص فيه آحاد ، اشتهروا بالموهبة او العبقرية ، وتنوعت اغراضه ، التفصيلية . واذا كان الطابع الملحمي قد

غلب على القصيد ، فان الطابع الغنائي يغلب على السامر ، بما فيه من غزل وتشبيب ووجد وصبابة . وفيه ما يصلح للغناء وما يصاحب الرقص . ومن المألوف

ان يجتمع الجمهور حول عازف الربابة في شبه حلقة ويتغنى بالسامر ويردد المجتمعون بعض أبياته . وهناك ضروب اخرى من الشعر البدوي في وادي القصر ، وهي

ادخل في الطارحات والاغاني القصار من الشعر المستكمل لمقوماته في نظر اصحاب الصنعة من الشعراء المتخصصين . ومن هذا الشعر ما يصاحب بعض الالات الموسيقية

استحثاثا للابل على السير او تجميعا للقطعان المتناثرة في المراعي أو الشاردة في شعاب الصحراء . وفيه مايكون على شكل حوار بين اثنين او ثلاثة ، ويستهدف

الغزل وما اليه من فنون السمر . وقد ينشد في المواسم والافراح . وفيه مايقترب في شكله من الموال الربع او الخمس وما يشبه المقطعات التي تؤلف بعد التحامها المواويل الطويلة .

رقص وتمثيل

ومن الصعب ، ونحن نتحدث عن الفنون الشعبية في شبه جزيرة سيناء ، ان تفصل بين فن وآخر لانها تلتقي بوسائلها، وقلما تفترق . والرقص وهو فن الحركة والايقاع لا ينفصل في اكثر الاحيان عن الشعر ، وهو يختلف تماما عما تسميه

خطأ بالرقص الشرقي ، ذلك لانه لا يحكي اختلاجات الجسم بقدر ما يمثل معنى او قيمة تحبها الجماعة وتحرص عليها ، كما انه ليس فنا يقوم به فرد واحد يتفرج الجمهور عليه بل يقوم به افراد او جماعة

وكثيرا ما يشترك الجمهور نفسه فيه . والرقص البدوي في شبه جزيرة سيناء، هو بعينه في كثير من ربوع الصحاري العربية . ونحن نكتفي هنا بالحديث عن رقصتين .

١ ـ رقصة السامر وهي ترتبط ايضا بالسمر ، ولها علاقة بالشعر المعروف بالاسم نفسه . ولهذه الرقصة ضروب مختلفة ، اشهرها ان يقف الرجال صفين وبينهما جمع من النساء يضم منشدتين او « بداعتين » . ويبدو ان لفظ « بداع » يطلق على المتخصص في انشاد الشعر

وحفظه وابداعه . وتتجه كل بداعة نحو احد الصفين وتاخذ في الغناء ويستجيب صف الرجال بالرقص اما فريق النساء فيكتفي بالتمايل وترديد الاغنية المصاحبة للرقصة . وهكذا نرى ان هذا الضرب من رقصة السامر جماعي يشترك فيه الرجال

والنساء ويقترن فيه الشعر بفن الحركة والايقاع . وهناك ضرب آخر يقف فيه الرجال على شكل هلال وهم متشابكو الايدي ويأخذون في الرقص مستجيبين لانشاد البداع او الشاعر الذي ترقص امامه فتاة ممسكة بالسيف . ومن ضروب رقصة السامر ايضا ما يعرف باسم رقصة

الشرقية . وتشير هذه الضروب الى ان الرقص البدوي ادنى في بعض اشكاله من الرقص الطقوسي والعلاجي . وهو يقوم بوظيفة الترفيه بالتعبير الحركي عن بعض القيم والمثل البدوية .

٢ ـ رقصة الدحة او الدحية وهي منتشرة بين البدو في جزيرة العرب وبلاد الشام ومصر وغيرها . وتبدأ بترديد صياح يدعو الى الرقص هاتفين « الدحية

..الدحية » . لو يقف احد افراد الفريق ويطلب الى الفتيات النزول الى حلبة الرقص ولكنهن يتابين عليه ولا تقبل الواحدة منهن المشاركة فى الرقص الا اذا حصلت على ثمنها وهو فى العرف الفنى ابيات من الشعر يرتجلها من يدعو الى الرقص وهذه الابيات تبدع فى وصف الفتاة وابراز محاسنها والتغزل فيها . وتدل استجابتها له على طربها من الشعر وموافقتها من الناحية الفنية على ما وصفها به وتنزل الفتاة الى حلبة الرقص وفى يدها سيف وترقص وهو يردد الشعر ، ويكرد الجمهور بعض المقاطع ويعين على الايقاع بالتصفيق . وقد يسهم اكثر من شاعر او بداع وقد يتخصص فريق فى ترديد الشعر . وقد دلت الدراسات الاولية للشعر المصاحب لهذه الرقصة انه يتالف من رباعية : الابيات الثلاثة الاولى على قافية واحدة والرابع على قافية اخرى ، وكلما استرسل فى الانشاد جاء البيت الرابع على نسق مثيله فى المقطعة الاولى من حيث القافية .

وهناك رقصات بدوية اخرى تقترب من هاتين الرقصتين وقد تختلف عنهما بعض الاختلاف ولكن الملاحظ ان نزعة الفروسية هى الغالبة على التعبير بالكلمة والحركة والايقاع ، فاستخدام السيف والتقدم الى الفتاة وتدللها واعتزازها بذاتها ومكانتها ، كل اولئك من اصداء الفروسية العربية العريقة .

الزى والزينة

ويضم متحف الفنون الشعبية فى وكالة الغورى نماذج ومقتنيات لها قيمتها الفنية الى جانب دلالتها الاجتماعية ، وفيه قاعة مخصصة لشبه جزيرة سيناء . واول ما يطالعه المشاهد لهذه النماذج وتلك المقتنيات التفنن الرائع فى التطريز وصياغة الحلى واستخدام الخرز الملون . ومن المسلم به ان البدويات منحن طاقة كبيرة تعينهن على التفنن فى التطريز والنسيج وما اليهما .

ولكن البدويات فى وادى القمر وارض الفيروز لهن موهبة اكبر فى ممارسة الفنون التقليدية . والراجح ان العناصر البشرية التى كانت قد استقرت فى مرحلة من المراحل ثم عادت الى شبه الجزيرة قد اثرت فى احكام الفنون البدوية وصقلها وتعقيدها .

ولقد شكلت طبيعة شبه الجزيرة حياة الانسان ، وغلبت البداوة عليها ، وانتشرت قبائل البدو فى سهولها وهضابها وجبالها ونجوعها ووديانها . وللبدو عادات وتقاليد وفن شعبى اصيل ، يعد الزى والزينة من ذخائره ونفائسه . وان الباحث المدقق فى انماط الزى ووحدات الزخرف واساليب الزينة ، يجدها تحكى بعاداتها ومناهج تشكيلها ، البداوة بعاداتها وتقاليدها التى عرفت بها على مر الزمان . وليس الموضوع مجرد نزعة فطرية الى التجميل .. انه يتجاوز ذلك الى التعبير عن مكانة الفرد وعن شعار قبيلته ، ومن ثم تنوعت الطرائق والاساليب والانماط على الازياء ووسائل الزينة جميعا ، مع ما يبدو عليها من بساطة تكافئ طبيعة البدوى ، فاذا اضفنا الى هذا كله تقاليد فنية ، يصدر عنها البدوى ، استطعنا ان نتبين كيف يجتمع الحذق والقدرة على الصقل مع البساطة .

والباحث فى الزى والزينة مطالب بان يحلل جميع العناصر التى تقوم عليها فى اطار الطبيعة والملابسات التاريخية معا ، وليس الامر مجرد اعجاب او دهشة ، ولكنه دراسة تحاول ان تستجلى الابعاد الاجتماعية والنفسية التى عملت على تشكيل المادة تشكيلا يناسب ما يقصد اليه البدوى من تحقيق الوجود الشخصى والجمعى على السواء .. ان الدراسة تتوسل بالوصف والتحليل ، الى جانب التذوق .. ولذلك كان من الضرورى ان يعايش الباحث المجتمعات البدوية فترة غير قصيرة لكى يفى الموضوع حقه من جمع وتصوير وتصنيف ودراسة .

فستان من العريش به تطريز بخيوط الحرير من الامام والخلف ويلاحظ أنه لاول مرة فى تاريخ الفن الشعبى بسيناء رسم شخصيات مطرزة على فستان



ولا تكفي قاعة واحدة في متحف للفنون الشعبية لكي تعطي صورة كاملة او مقاربة عن تلك الوهبة البدوية ، التي استطاعت ان تحقق وجودها بتلك الاشكال الرائعة من الابداع الشعبي .

وتختلف ازياء البدو من حيث الجنس والسن والحـــالة الاجتماعية ، الى جانب النسب في بعض الاحيان .

وزى الرجال تقليدى،فالرجل يضع على راسه « العجدة » وهى تصنع من قماش خفيف ابيض ويلف راسه بعقال من الصوف الاسود ويتخذ قفطـــانا ابيض ويتمنطق بحزام من الجلد يتدلى منه في الايام العادية خنجر وفى المواسم والحفلات حسام يعتز به . وفى الشتاء يرتدى ثيابا من الصوف .

اما المراة فتتفنن في زيها وزينتهـــا . وكل من يشاهد النماذج الماخوذة من شبه جزيرة سيناء يروعه تفنن المراة في التطريز والزخرف وهى تستخدم وحدات زخرفية من الفن التقليدى البدوى ولكنها كثيرا ماتضيف اليه او تعدله من ابداعها . وقد سبق ان ذكرنا ان فن التطريز يبدو اكثر صقلا وتعقيدا في شبه جزيرة سيناء منه في الصحارى العربية الاخرى والراجح ان وجود الفيروز وغيره من الاحجـــار الى جانب بعض المعادن في شبه الجزيرة كان من العوامل على رقى هــذا الفن ، الى جانب الاتصال المباشر والمستمر بمراكز الحضارة العربية شرقا وغربا . واصبح للتطـريز عند البدويات في سيناء تقنية على شيء من التعقيد ، ولها مصطلحاتها الدالة على الانماط والاشكال والوحدات .. من ذلك القص والجيـــان والجلاد والسبيلة والبلرة والمدارى والنخلة والجلايد والشبطة وحب الترمس ودلال الشايب ومطبوق .. الخ .

ولكل فتاة بدوية ثوب الزفاف الذى تعنى باعداده واستكماله في فترة مبكرة ، وتضع فيه كل مواهبهـــا وتحرص عليـــــه . وتستعمله في المناسبات الاجتماعية بعد الزواج ، ويظل محققا لوجودها دالا على ذاتيتها ، باعثا على التفاخر والمباهاة الى آخر العمر .

والمراة في شبه جزيرة سيناء ، مثلها مثل المراة البدوية في ربوع الوطن العربي الاخرى ، تعنى بتضفير شعرها عنـــاية فائقة . والفتاة تجمع شعرها في ضفيرتين اثنتين ، حتى اذا تزوجت اطالتهما بجدائل من شعر الماعز وتعلق في نهايتهما شرائط حريرية حمراء زينت بحلقات من الخرز . وهكذا نجد ان البدوية قد توصلت بشعر صناعى تضيفه الى شعرها الطبيعى كمـــا تفعل المراة الحضرية الحديثة اليوم ، وان كان ذلك باسلوب آخر .

اما غطاء الراس والبرقع فقـــد تفننت فيهما العذارى والمتزوجات في سيناء ، وهما اقرب الى الشعار منهما الى مجرد زى .. انهما يدلان باللون والشارة والحلية الى الحالة الاجتماعية .. عذراء او متزوجة .. ويدلان في الوقت نفسه على القبيلة او العشيرة او البيت الذى تنتسب اليه .

وليس من شك في ان الفنون الشعبية عند بدو سيناء تصدر عن التقاليد والمعتقدات الى جانب تحقيقها للجمـــال والمتعة . وما اكثر الاحجبة التى تقى الصبى والفتاة والمراة والرجل من شر العين ومن غوائل الزمن .. تتالف هذه الاحجبة من خرزات مفردة ومجتمعة ولالوانها دلالات ترتبط بالعقائد والتقاليد ، وتسهم المعادن في هذه الاحجبة ، فتستخدم القطع الفضية واحيانا القطع الذهبية ، كما تستخدم حليا صيغت لهذا الغرض فحسب ، وتدل النقـوش والاشكال على هذه الوظيفة شبه السحرية .

وللحلى مكانة ممتازة عند البدوية في شبه جزيرة سيناء وهى تشبه في هـــذه الناحية البدوية او القريبة من البداوة في الاقاليم الشرقيـــة من الديار المصرية . والصائغ يتفنن في الاســـاور والدمالـــج والخلاخيل والعقود والاشناف والخواتم . وتستخدم فصوص مختلفة الالوان لهـــذه الحلى ، وبخاصة للخواتم ، وقلما تتخذ المراة البدوية في شبه جزيرة ســـيناء العلق ، الذى تثقب له الآذان عند اكثر النساء في العالم ، كما ان للخرز مكانا بارزا عند النساء البدويات . وكثيرا ماتثبت قطع النقود وبعض الحلى على الخمـــار وغطاء الراس واجزاء من الثوب . والرجل

الفنون الشعبية فى سيناء

البدوى فى شبه الجزيرة يتختم فى اصبعين اثنين هما البنصر والخنصر . وهذه الخواتم تستوعب الفصوص ايضا وقد ينقش الاسم عليها لتكون بمثابة البصمة او « الختم » .

اما الوشم فلا يزال له مكانة من الفنون الشعبية ، والغالب الظن انه يستهدف وظيفة اخرى ، الى جانب التجميل ، وتسرف المرأة البدوية فى سيناء فى هذا الوشم وهى تزخرف جبهتها وجانبى الفم والشفة السفلى الى نهاية الذقن وظهر الاصابع والكفين . والارجل من القدم الى منتصف الساق . ولهذا الوشم صداه فى الشعر البدوى الغنائى ، وهو من مقومات الجمال ، وقد اضيف الى الفطرة التى لم تدخل الصناعة عليها ، حتى اصبح فى منزلة واحدة عند الشعراء وفرسان الاحلام ، بالنسبة الى العذراء فى وادى القمر ..

وتتنوع الفنون الشعبية بعد ذلك وتستهدف الفائدة فى المحل الاول ، وتعين على تشييد الدار فى الشتاء او الصيف وعلى تجهيز ما تحتاج اليه المطايا من وسائل وادوات . ويلعب الصوف دورا كبيرا فى هذه الفنون الشعبية ، ويستخلص من الابل او الماعز ، ولهم فى صبغه وتلوينه حذق توارثوه حتى عرفوا به . ولا تزال الاسواق على نفس الصورة ، التى عرفتها القرى العربية الى عهد قريب ، فهذه الاسواق تقام فى اماكن التجمع يوما كل اسبوع ، وهى تتسم بالتفنن فى عرض ما انتجته المراهب والانامل البدوية من زى وزينة



الى اليمين : قلادة من الفضة بها فصوص من الفيروز وتتدلى من القلادة دلايات بهـا نقود فضية قديمة .. والى اليسار سيدة من سيناء « محجبة » وفتاة تطرز ثوب زفافها ، ثم خرج من الجلد المزخرف يركب فى رقبة الجمل

والى جانبها تتم بعض العروض الادبية والموسيقية وشبه التمثيلية .. تماما كما كان الحال فى القرية المصرية . والغلب الظن ان فنون « السامر » و « الفايش » وغيرهما قد تطورا عن ذلك الاصل البدوى الاصيل المستقر فى شبه جزيرة سيناء .

سيناء فى الادب الشعبى

ولا يستطيع باحث فى الفنون الشعبية ان يتجاوز من ذلك القصص الذى صور الايام والوقائع بين العرب واعدائهم .. ولقد اسهمت تلك القصص فى نسيج الملاحم الشعبية الكبرى مثل الهلالية والظاهر بيبرس وعنترة. وغيرها . ووجود تلك الحلقات لا يدل على انها جزء من مسرح الاحداث فى ملحمة كبيرة تستوعب العالم باسره ، وان تركزت حول الوطن العربى. والدارس لها يكاد يقطع بانها لمت فى مواطن الوقائع .. اى فى شبه الجزيرة وانها تجمعت حتى استكملت الملحمة اشتاتها . وثبتت على صورتها النهائية .

ولعل « بحيرة البردويل » من اقوى البراهين على صحة ما نقول ، فقداحتفظت الذاكرة الشعبية فى بيئتها بما وقع عندها من احداث . وليس من شك فى ان الخيال الشعبى قد اشترك فى التعبير والتصوير، ذلك لان وظيفة القصص لم تكن مجرد تسجيل الواقع التاريخى او شبه التاريخى، وانما استهدفت غايات اخرى ، ترتبط بحياة الجماعة ومنازلها وقيمها . ونحن نجد حلقات رائعة من هذا القصص الشعبى فى وقائع متعددة ، تحكى مقاومة الصليبيين والتخلص من مكر اليهود . ومهما اتصفت هذه القصص بمجافاة التاريخ فى بعض التفاصيل او السياق او الاسماء ، فانها ثمرة طبيعية لموقف شعب ، يحقق وجوده على ارضه ، ويحمى ترابه ومقدراته ، ويسهم مع ابنائه عمومته فى بناء الحياة الحرة الكريمة ، كما تصورها فى مثله العليا





حادثة طابة:

١٩٠٦

وتخطيط حدود مصر الشرقية



مصطفى كامل

دخلت انجلترا مصر فى عام ١٨٨٢ باسم حماية الخديو والمصالح الاوربية وبحجة سحق « عصيان عسكرى » مؤكدة للجميع ان الاحتلال مؤقت . الا ان وجود جيش الاحتلال كان بمثابة امر واقع لا يغير دلالته ابقاء العلاقات الرسمية بين مصر وتركيا ، بحيث كان من المتوقع - رغم عدم شرعية الاحتلال - ان تنتقل السلطة العامة من والى مصر الى ممثلى انجلترا ، وان تسلك هذه الدولة من مصر المسلك الذى يمليه وضعها الجديد . كان عليها ان تهتم بارضاء الدول والمصريين مع استمساكها بالسلطة الحقيقية وكان عليها ان ترسى دعائم الحكم بالشكل الذى تمليه هذه الضرورات . وكان عليها ان تسير على خطة اصلاحية وئيدة ، لا حبا فى الاصلاح لذاته ، بل تمشيا مع اعتبارين محددين يرتبط كل منهما بالمصالح البريطانية هما التجارة الانجليزية النامية نموا يستلزم تحسين ادارة البلاد ، وموقع مصر الجغرافى الذى يستلزم اهتماما باحوالها السياسية . ورغم ان ممثل انجلترا كان على قدم المساواة مع ممثلى الدول الاخرى ، الا انه - بالاستناد الى جيش الاحتلال والى نفوذ انجلترا فى المجال الدولى - كان يتمتع بسلطة مطلقة بحيث لم تفلت من يديه شاردة ولا واردة من شئون مصر .

د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

حادثة طابة ١٩٠٦

الا ان احتلال انجلترا لمصر كان بمثابة تحد للدول الاوروبية الكبرى التى كانت قد اتفقت فى مؤتمر الاستانة « ١٨٨٢ » على الا تهدف دولة منها الى الحصول على ميزات توسعية او ان تنفرد دون الدول الاخرى باى ميزة اخرى او باى امتيازات تجارية لرعاياها لا يمكن لرعايا الدول الاخرى الحصول عليها . كما ان مصر — بحكم موقعها الجغرافى — كانت تشكل جزءا من مسألة البحر المتوسط التى كانت تتطور بسرعة . وكان يرتبط بكل هذا حقد اوروبا على قوة انجلترا ونفوذها . فكل من فرنسا وروسيا « وفرنسا بوجه خاص » كانت لا ترضى باستمرار الاحتلال البريطانى لمصر ، **واستندتا فى معارضتهما للاحتلال البريطانى على ما لتركيا من حق السيادة على مصر ، وحاولتا بكل الوسائل الممكنة ان تؤكدا حقوق السلطان فى السيادة .**

وكان الصراع الانجليزى — الفرنسى على مصر ومعارضة فرنسا للاحتلال البريطانى من العوامل التى احرجت مركز انجلترا وزادت فى مخاوفها . فلو استطاع الفرنسيون قطع الطريق البحرى فى الجزء الغربى من البحر المتوسط لهددوا مصر وقناة السويس تهديدا كبيرا . لهذا رأت انجلترا ان تطمئن الى ان الدولة التى لها السيطرة على تونس والجزائر والتى سيصبح لها النفوذ فى مراكش دولة صديقة لها ، خاصة وان قوة منافستها المانيا كانت تنمو سريعا فى المجال البحرى مما كان يهددها بحجز جانب كبير من اسطولها فى المحيط الاطلنطى وبحر الشمال . فلكى تطمئن انجلترا الى مركزها فى مصر واشرافها على قناة السويس وقواعدها فى جبل طارق ومالطة ، **قررت الوصول الى اتفاق تام مع فرنسا وتسوية كل المسائل المتنازع عليها بينهما وبخاصة مسألة مصر وقناة السويس** . وفى عام ١٩٠٤ تم توقيع الوفاق الودى بين الدولتين وبمقتضاه تنازلت فرنسا من ادعاءاتها فى مصر فى نظير تنازل انجلترا عن ادعاءاتها فى مراكش ، ثم اقرت كل من النمسا والمجر وايطاليا والمانيا وضع انجلترا الخاص فى مصر — ومن ثم اعترفت أوروبا ضمنيا بأن انجلترا هى الدولة صاحبة الحماية الفعلية على مصر ، وان لم ينص على ذلك اجراء رسمى .

السلطان عبد الحميد



الا أن تركيا ظلت تحاول أن تحيى سيادتها على مصر ونفوذها فيها خاصة وان السلطان عبد الحميد الثانى قد تبنى فكرة الجامعة الاسلامية التى كان وضع مصر الجغرافى يجعلها مركزا لا غنى عنه فى الدعاية لها . وحين رأت تركيا ان حليفتيها التقليديتين ضد روسيا – أى انجلترا وفرنسا – قد بدت أطماعهما التوسعية واضحة فى أملاكها منذ ان احتلت انجلترا مصر وقبرص واحتلت فرنسا تونس والجزائر ، ولت وجهها شطر دولة ألمانيا الفتية التى بدأت فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر تحاول أن تلعب دورها فى السياسة العالمية وفى مجال الاستعمار . ورأت ألمانيا أن مما يخدم اتجاهها هذا ان تساند الامبراطورية العثمانية وتتغلغل فيها تغلغلا سلميا : عن طريق تسليح جيوشها وتدريبها والقيام بمشروعات استثمارية فيها . ولقد اعتقدت ألمانيا ان بامكانها أن تطوق انجلترا بمد خط حديدى يربط برلين بغداد والخليج العربى . فبناء هذا الخط الحديدى وانتعاش تركيا مع سيطرة ألمانيا عليها من شأنه ان يسهل احتلال تركيا لمصر بالفعل وتحديها لانجلترا ، وقد عبر دكتور بول روهرباخ من استراتيجية الفكرة بشمولها على الوجه التالى :

« ان فقد انجلترا لمصر لن يعنى فقط وضع حد لسيطرتها على قناة السويس ولمواصلاتها مع الهند والشرق الاوسط ، بل ربما يترتب عليه ايضا فقدها لاملاكها فى اواسط افريقيا وشرقيها ... على ان تركيا لن تستطيع ان تأمل فى استرجاع مصر الا بسيطرتها على مواصلات جديدة متطورة فى آسيا الصغرى وسوريا ، والا اذا امتدت سكة حديد الاناضول الى بغداد ، بحيث تكون فى وضع يمكنها من مقاومة هجوم انجلترا على منطقة ما بين النهرين ... وكلما قويت تركيا ازداد الخطر على انجلترا فى حالة انضمام تركيا الى ألمانيا بعد ان تنشب الحرب بين انجلترا والمانيا »

وكانت سياسة السلطان عبد الحميد الخاصة بحركة الجامعة الاسلامية من وراء الازمة التى نشبت بين شهرى يناير ومايو ١٩٠٦ والتى عرفت باسم حادثة طابة أو أزمة العقبة . وكان هدف تركيا من اختلاق هذه الازمة هو تأمين فرع سكة حديد الحجاز المزمع مده من معان الى العقبة وتحويل خليج العقبة الى بحر تركى خالص وذلك بابعاد مصر – الخاضعة للنفوذ البريطانى حينئذ – من مداخله وساحله الغربى خاصة وان مسألة سيناء متصلة بطريق الحج بين القاهرة والمدينة المنورة . وكان السلطان عبد الحميد قد انتهز فرصة تولى الخديو عباس الثانى فى عام ١٨٩٢ وبعث اليه بفرمان تولية « ١٧ يناير ١٨٩٢ » أجرى بعض التعديلات على حدود « الولاية » المصرية سلبتها من ادارة المراكز التى كانت ممنوحة لها شرقى خليج العقبة بالاضافة الى شبه جزيرة سيناء .

فقد نص فرمان يونية ١٨٤١ على أن تتضمن الاراضى التى اسندت ادارتها الى « ولاية مصر » بحدودها القديمة « بعض المراكز على الساحل الشرقى لخليج العقبة وهى «طابة» و «المويلح» و « العقبة » وذلك بقصد تأمين طريق الحج البرى بين مصر والحجاز . وظلت هذه المراكز تحت الادارة المصرية حتى عام ١٨٩٢ . الا أن انجلترا لم توافق على هذه التعديلات واضطرت السلطات العثمانية الى التخلى عن فكرة سلخ سيناء عن مصر وضمها الى ولاية الحجاز وفى يناير ١٩٠٦ أصدرت الحكومة المصرية أمرها الى مفتش سيناء بوضع خفر من البوليس فى نقب العقبة لمراقبة الحدود ومنع تهريب الاسلحة . ولكن لم يسمح له قائد الحامية التركية فى

حادثة طابة ١٩٠٦

العقبة بذلك ، ترجع واخطر الحكومة التى طلبت من السلطان تعيين لجنة من الاتراك والمصريين لتحديد الحدود بين سيناء وسوريا . الا ان الحكومة التركية لم ترحب بفكرة تعيين الحدود بحجة ان « الباب العالى لن يعين حدوداً حيث انه ليست هناك مشكلة حدود بل عدوان على الاراضى العثمانية لايمكن السكوت عليه » ، وان مصر ولاية عثمانية وبالتالى لا توجد بينها وبين بقية الولايات الخاضعة للادارة التركية مباشرة حدود وتخوم » واراء عدم موافقة الحكومة التركية على تعيين الحدود رات السلطات البريطانية فى القاهرة ضرورة تامين المراكز المصرية على هذه الحدود ، فتقرر ارسال قوة مصرية صغيرة ، تتكون من خمسين رجلا ، لاحتلال طابة . وقد تقدمت هذه القوة الى طابة فى سفينة خفر السواحل المصرية بسبب صعوبة المواصلات فى سيناء . الا ان القائد التركى أعلن ان لديه أوامر صريحة بمنع اى قوة من النزول فى طابة حتى ولو استدعى الامر الى استعمال العنف . ولما كانت الاوامر الصادرة الى قائد القوة المصرية تحذره من الصدام الا فى حالة اطلاق النار عليه ، ولما كانت قوته صغيرة لا تكفى للتصدى للقوات التركية ، فقد انسحب الى جزيرة فرعون الملاصقة للساحل الغربى لخليج العقبة جنوبى طابة .

وقد انزعج الانجليز لهذا الاجراء الذى كان من شأنه ان يجعل حدود مصر تنكمش من خط العريش — العقبة الى خط العريش — السويس . ورأوا فى قبول مطالب تركيا خطرا على حرية قناة السويس وسلامة مصر والاسرة الخديوية وفى ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ قابل السفير البريطانى فى الاستانة الصدر الاعظم العثمانى وقدم له احتجاجا شديد اللهجة على احتلال القوات التركية لطابة وعلى ارسال التعليمات للقائد التركى بعدم السماح للقوات المصرية بالنزول فيها وقد جاء فى الاحتجاج انه ليس من حق الاتراك احتلال المكان الذى هو بلا شك ارض مصرية ، ونصح بالانسحاب السريع تجنبا لنشوب ازمة حادة . ثم بلغ وزير الخارجية البريطانى السفير التركى فى لندن بأن استمرار الوضع من شأنه ان يؤدى الى نشوب اضطرابات واسعة النطاق . وحين اقترح السفير البريطانى فى الاستانة سحب قوات الجانبين من المنطقة حتى تسوى المسألة رفض كرومر وصمم على التمسك بحق مصر فى احتلال طابة فور اخلاء الاتراك لها — وكان من رأيه ان كل مايمكن عمله هو وعد السلطان بعدم التدخل فى الخط الحديدى بأى شكل من الاشكال . وفى ١٤ فبراير قدمت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة الى السفير التركى فى لندن جاء فيها ان الحكومة البريطانية قررت ارسال احدى سفنها الحربية الى جزيرة فرعون نتيجة للتهديدات المستمرة من قائد العقبة التركى للمركز المصرى ، وانها ستعمل على التصدى لاى محاولة للعدوان على الاراضى المصرية . وباسم المحافظة على حدود مصر ارسل كرومر طرادا بريطانيا الى طابة . وحينئذ طالبت الحكومة التركية بانسحاب الطراد فى مقابل ارسال أوامر للقائد التركى فى العقبة بعدم التدخل فى شئون جزيرة فرعون . ووافقت الحكومة البريطانية الطلب ، فردت تركيا على ذلك بتعزيز قواتها فى العقبة

وذلك بارسال لواء ونصف لواء من المشاة.

الا ان الدولتين لم تكونا قد قررتا اللجوء الى القوة المسلحة مساندة لوجهتي نظريهما ، ولهذا بدأت المفاوضات لتسوية المسألة سلميا ، واستعملت انجلترا خلال هذه المفاوضات كل فنون الضغط الدبلوماسي بالتلويح باللجوء الى القوة ،

وكانت تركيا تظن ان بعض الدول تقف في صفها ضد انجلترا . الا ان فرنسا كانت مقيدة بالوفاق الودي الذي كانت مادته التاسعة تحتم عليها تقديم المساعدة اللازمة لانجلترا فيما يتعلق بتنفيذ احكام هذا الاتفاق . وعملا بهذه المادة قام سفير فرنسا في الاستانة بمساع رسمية ليحمل الباب العالي على الاذعان لمطالب انجلترا . وفي نفس الوقت كان السفير الروسي . يبذل مساعي مماثلة بدون دعوة من انجلترا لحكومة روسيا - وافهم حكومة الباب العالي ان روسيا غير مستعدة لتأييد تركيا ، بل هي تلح على تركيا في عدم الاستمرار في المقاومة . وقيل حينئذ ان المانيا مستعدة لتأييد تركيا ، الا ان الساسة الالمان اعلنوا انهم غير مسئولين من هذا الخلاف وانهم لا يساندون تركيا في الازمة . وهكذا كانت تركيا تقف وحيدة امام انجلترا التي اصطنعت كل الوان الضغط السياسي والعسكري .

ففي ١٤ ابريل صرح الصدر الاعظم التركي بأن الاراضي المذكورة في الفرمان السلطاني لا تشمل سيناء او خليج العقبة وان برقية ٨ ابريل ١٨٩٢ التي تعتبر ملخصا لفرمان تولية عباس الثاني لا تشير الا الى القسم الغربي من سيناء . وارسل السلطان عبد الحميد الى الخديو خطابا يكرر الطلبة « بتهو هذا الامر بدون اعطاء فرصة لتمكين المداخلة الاجنبية واستكمال الاسباب لاعادة ارتباط موقع العقبة بولاية الحجاز ».

واشتدت الصحف المصرية المؤيدة لحركة الجامعة الاسلامية في حملتها على موقف انجلترا لدرجة ان كرومر توقع ان يتحول اي حادث صغير الى ثورة دينية واسعة النطاق . وألقيت الخطب في بعض المساجد ، واقامت بعض الطوائف احتفالات دينية بهدف الدعاية واظهار التأييد للسلطان . ولهذا طالب كرومر حكومته بتعزيز جيش الاحتلال كوسيلة للضغط على السلطان . وفي ٢٦ ابريل صدرت الاوامر بتحرك ثلاثة فيالق من كريت الى القاهرة تعززها قوة اخرى من مالطة كما تقرر ارسال قوة مدفعية من الجزر البريطانية الى مصر ، وصدرت الاوامر الى البارجة « منيرفا » الراسية في بورسعيد بالتوجه الى العريش او رفح والقيام بمظاهرة بحرية في شرقي البحر المتوسط قرب السواحل التركية . كما صدرت الاوامر في ٤ مايو الى الاسطول البريطاني في البحر المتوسط بالتقدم الى ميناء بيريه باليونان - وفعلا بدأت قطع هذا الاسطول في تنفيذ الاوامر بعد ان انضمت اليها البارجة منيرفا التي كانت قد انضمتها في رفح

لورد كرومر



حادثة طابة ١٩٠٦

وردت تركيا على هذه الاجراءات بانزال قوات في يافا وصل بعضها الى الحدود عند رفح ، وقدر عدد القوات التركية في العقبة بـ ٢ر٤٥٠ جندياً ، كما كان باستطاعة الاتراك أن يحشدوا ٢٠٠ر٠٠٠ جندي في معان خلال أسبوعين . الا أن انجلترا ارسلت حملة قوية من الفرقاطات وقوارب الطوربيد الى المياه المصرية لصد أي هجوم تركي على قناة السويس. ووافقت وزارة الحربية البريطانية على بقاء القوات الهندية رهن الاستعداد تحت طلب المعتمد البريطاني في القاهرة.

وحين وجدت تركيا أنها تقف وحدها ضد انجلترا اضطرت الى التسليم — فتكونت لجنـــة مصرية — انجليزية — تركية لتحديد الحـــدود المصرية انهت اعمالها في اول اكتوبر ١٩٠٦ . وعينت الحدود بتحديد خط ادارى فاصـــل بين ولاية الحجاز ومتصرفية القـــدس وشبه جزيرة سيناء ، جعل كل شبه جزيرة سيناء ملكا لمصر بما في ذلك مدينة طابة .. وقد صمم كرومر على عدم اعادة الاسطول قبل جلاء القوات التركية عن طابة ورفح ، كما صمم على ان يمتـــد خط الحدود من رفح في خط مـــستقيم الى راس خليج العقبـــة على بعد ثلاثة اميال غرب قلعة العقبـــة . وما لبث القوات التركية ان جلت عن المراكز التي احتلتها منذ بداية الازمة ، وهي طابة ونقب العقبة والقطار . كما اعيدت اعمدة الحدود التي كانت قد ازيلت من رفـــح وانسحب الاتراك الى شرق الحدود التي تم الاتفاق عليها . وهكذا حـــسمت مسألة حدود مصر الشرقية ، وبقيت كل شبه جزيرة سيناء جـــزءا لا يتجزأ من الاراضي المصرية كما كان شأنها دائمـــا منذ اقدم العصور وقد اجتذبت الازمة التي نشبت في أوائل عام ١٩٠٦ الرأى العام المصري الـــذي انقسم الى قسمين : فالبعض من دعاة حركة الجامعة الاسلامية ساندوا الحكومة العثمانية من قبيـــل الولاء للـــسلطان الذي كان لا يزال صاحب الـــسيادة على مصر من الناحية القانونية. ورأى آخرون انه لا يجب التنازل للـــسلطان عن أى جزء من الاراضي المصرية ، بحكم أن مصر مقيض لها ان آجلا أو عاجلا ان تـــستقل عن كل من انجلترا وتركيا . وابدى معظم المصريين استعدادهم للتضحية بمصالحهم الخاصة في سبيل التعبير عن كرههم للاحتلال البريطـــاني . والزعيم اللازمة لانجلترا فيما يتعلق بتنفيـــذ الى اجتماع يضم من ينحون نحوهم — وكان

الخديو عباس الثاني



هذا الاجتماع هو أساس نشأة حزب الامة . اما مصطفى كامل فانه رفض الاعتراف بحق انجلترا في حماية مصر وطالبها بسرعة الجلاء ، ووقف الى جانب تركيا مدافعا عن مطالب دولة الخلافة جهد طاقته . وقد أوضح مصطفى كامل موقف الخديو عباس من حادثة طابة ، واجمله على الوجه التالى : « منذ بضع سنوات دب اليأس فى قلب الخديو بعد ان سلبه كرومر كل سلطة سياسية ، فاتجه الى محاولة جمع المال ، وكان باستمرار محبا للمال . ثم وقع تحت تأثير الملك ادوارد الذى افهمه ان حياته ستخلو من المتاعب وانه سيسمح له بالاثراء اذا لم يثر اية متاعب فى وجه كرومر . لهذا ترك كرومر يفعل ما يشاء وظل على هذا الاتجاه حتى عام ١٩٠٦ حين اصطدم كرومر بالسلطان فى حادثة طابة . وكان الخديو خلال المرحلة الاولى من الازمة مطواعا . ولكن حين قدمت انجلترا انذارها وبدا ان مصر كلها تساند السلطان ، بل بدا ان الفلاحين فى القرى يعلنون تفضيلهم سوء حكومة السلطان على الطغيان الانجليزى ، بدأ عباس يتأمل ويفكر » . واكد تراجع تركيا الاتجاه الذى نما فى مصر واخذ يدعو الى الاعتماد على النفس منذ توقيع الوفاق الودى .

وقد ادى انقسام الرأى العام المصرى خلال أزمة طابة الى ظهور حزب الامة والحزب الوطنى . كما انه أدى الى اعتراف الدولة العثمانية بخط الحدود المصرية الممتد من رفح الى رأس خليج العقبة ، وبالتالى الاعتراف بمصرية الساحل الغربى لهذا الخليج من النقطة الواقعة غرب العقبة بثلاثة اميال الى مدخله فى الجنوب . وكانت تركيا حين نشبت الازمة تود الاستيلاء على خليج العقبة وتصر على ان الحدود المصرية تمتد من العريش الى السويس ، ولما تراجعت تنازلت عن السويس لتمد خط هذه الحدود بين رفح ورأس محمد ثم مالبثت ان اقرت الحقيقة التاريخية الخاصة بأن سيناء جزء لا يتجزأ من مصر . ولو تحققت الادعاءات التركية لتم تهديد قناة السويس ولتم التنازل عن حقوق مصر التاريخية المقررة على الساحل الغربى لخليج العقبة .

الا ان تركيا لم تتخل نهائيا عن الاهداف التى من أجلها أثارت حادثة طابة . فلما كانت قد انضمت الى المانيا ضد انجلترا وحلفائها اثناء الحرب العالمية الاولى فانها أرسلت قواتها فى فبراير ١٩١٥ الى قناة السويس املا فى احتلال مصر وثورة المصريين على الاستعمار البريطانى . وقد اشترك فى الحملة التركية كل من كانوا فى الاستانة من المصريين — بعضهم كمتطوعين يشتركون فى الاعمال الحربية ، والبعض الآخر كملحقين للقيام بأعمال مختلفة كالتموين والترجمة . وكان من المقرر ان يتولى الخديو عباس — الذى خلعه الانجليز فى أوائل الحرب — قيادة الحملة على مصر ، وان يدخل البلاد على رأس الجيش الفاتح باحتفال عظيم بصحبة محمد فريد الذى كان قد تصالح معه للتضافر فى خدمة الوطن . بل لقد تعرضت مصر للهجوم من ناحية الغرب من جهة ليبيا — فقام السيد احمد الشريف ، تحت ضغط الضباط الاتراك والالمان الذين هبطوا البلاد فى عام ١٩١٥ لاثارة برقة ، بحملة عسكرية على مصر كان القصد منها ارغام انجلترا على القتال على حدود مصر الغربية ، وبالتالى شغلها عن الحملة التركية — الالمانية على قناة السويس . ولكن فشل الهجوم على مصر سواء من الشرق أو من الغرب . وما لبث الانجليز أن جعلوا منها القاعدة الرئيسية للقضاء على النفوذ التركى فى المشرق العربى



موارد الثروة

د. أحمد علي إسماعيل

شبه جزيرة سيناء جزء من التراب الوطنى المصرى المقدس ، وكانت على مر العصور ذات أثر هام فى التاريخ المصرى ، فقدعبرتها فى كلا الاتجاهين ، المؤثرات الحضارية والغزوات الحربية او حملات التاديب التى قام بها المصريون منذ اقدم عصور التاريخ المصرى لتامين حدودهم الشمالية الشرقية ، كما دخل مصر عبرها غزاة كثيرون من هكسوس وفرس واتراك ، ودخلت منها مؤثرات العروبة والاسلام من شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى .

فن سيناء

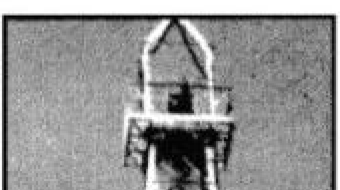
منذ أقدم العصور تحتل شبه جزيرة سيناء مكانة خاصة **كمصدر للثروة في مصر**. وعلى الرغم من أن شبه **الجزيرة لا يمثل سوى ٦٪** من مساحة الأراضي المصرية ، **الا انها** تلعب في الاقتصاد المصري دورا أكبر من ذلك ، نظرا لما تختزنه أرضها من ثروات وما يمكن أن تضيفه أيضا حين يتم تطهيرها من المعتدين .

وتنقسم شبه جزيرة سيناء — بصفة عامة — الى وحدات طبيعية ثلاث هي **الشمال والوسط والجنوب** ، وتتدرج أرضها في الارتفاع حسب الترتيب السابق ، فتغلب عليها السهول والأراضي المنبسطة في الشمال ، تليها منطقة الهضاب الوسطى ، ثم تصل في الجنوب الى أكثر أجزائها ارتفاعا ، بل الى أكثر أجزاء مصر ارتفاعا ، لأنه توجد في سيناء أعلى جبال مصر وهو **جبل كاترين** (٢٦٤١ مترا) **وجبل ام شومر** (٢٥٨٦ مترا) **وجبل الثبت** (٢٤٣٩ مترا) **وجبل موسى** (٢٢٨٠ مترا) .

وتنحدر من المرتفعات الجنوبية ومن الهضاب الوسطى عدة أودية ومسيلات تدب فيها الحياة والحركة في فترة قصيرة من السنة على اثر نزول الأمطار القليلة التي تتلقاها سيناء ، ويتجه بعض هذه الأودية الى خليج العقبة مثل وادي الوتير ووادي النصب ووادي كيد ، ويتجه بعضها الآخر الى خليج السويس مثل وادي الشيخ ووادي فيران ، الا ان اهم أودية شبه الجزيرة هو **وادي العريش** الذي يتجه الى الشمال نحو البحر المتوسط وينتهي عند مدينة العريش ، بعد أن تتجمع فيه مياه أمطار سيناء الوسطى والشمالية التي تأخذ طريقها الى روافده العديدة المتشعبة ، وتبلغ مساحة حوض وادي العريش ١٧٫٢٠٠ كيلومتر مربع أي ما يقرب من ثلث مساحة شبه الجزيرة (٦١٫٠٠٠ كيلومتر مربع) .

أما الذراعان المحيطان بشبه الجزيرة في شرقها وغربها وهما خليجا العقبة والسويس فيختلفان في بعض خصائصهما لأن خليج العقبة أقل امتدادا وطولا الى الشمال وان كان أكثر عمقا من خليج السويس ، فبينما يوجد أجزاء يصل عمقها الى ١٠٠٠ متر في خليج العقبة ، فان عمق خليج السويس لا يتعدى مائة متر ، كما أن خليج العقبة أضيق من خليج السويس سواء بالنسبة لمدخله أو لمتوسطه العام .

وقد ادى هذا التباين الطبيعي في شبه جزيرة سيناء الى عدد من الآثار من النواحي السكانية والاقتصادية ، حيث يتركز السكان في الشمال بصفة اساسية كما أن معظم الاراضي الزراعية واراضي المراعي توجد في الشمال والشمال الشرقي مرتبطة بالأودية الفرعية والثانوية لوادي العريش ، وعلى العكس من ذلك فان الثروة المعدنية توجد في جنوب وجنوب غرب سيناء لأنها ترتبط بتكوينات العصور الجيولوجية وطبقات الصخور التي تحمل المعادن ، وهي تتمثل بدرجة اساسية في المرتفعات الجنوبية والسهل الساحلي المطل على خليج السويس الذي يعرف باسم سهل القاع ، وقد ادى ذلك الى



اجتذاب السكان فعمروا هذا الجزء من شبه الجزيرة واصبح السكان يمتدون فى شكل محور يمتد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى . كما يمتد النشاط الاقتصادى فى شبه الجزيرة على نفس المحور ، وان كان كل من المحورين السكانى والاقتصادى لا يمثلان امتدادا متصلا ، لان المنطقة الوسطى تبقى اقل نشاطا وعمرانا من الطرفين .

ولعل دراسة أوجه النشاط الاقتصادى ومصادر الثروة فى سيناء تقتضى ان نقسمها على أساس موضوعى على النحو التالى :

اولا: مصادر الثروة المعدنية

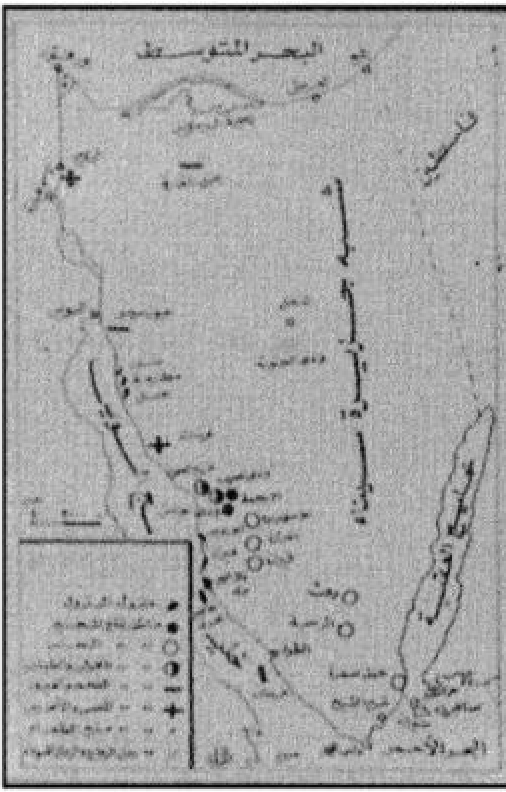
شهدت سيناء منذ اقدم عصور التاريخ نشاطا كبيرا فى مجال التعدين ، وكان قدماء المصريين يطلقون على سيناء اسم « **بياوو** » التى تعنى « **مناجم النحاس** » وفى الدولة الحديثة كانوا يطلقون على سيناء اسم « **دومفكات** » اى « **جبل الفيروز** » واحيانا يطلقون عليها « **خيتو مفكات** » اى « **مدرجات الفيروز** » وكانوا يستخدمونه فى الزينة أو يسحقونه ثم يستخدمونه فى التلوين . وأحيانا اخرى كانوا يدعون سيناء بلاد « **السمت** » وهو أحد أكاسيد النحاس – الملخيت – الذى يستخرج منه الكحل وبعض المساحيق كمقاقير للعيون – التوتيا – واقدم المناطق التى عرفها القدماء هى **وادى المغارة الذى توجد به نقوش للدولة** القديمة للأسرات الثالثة والرابعة والخامسة ، وفى أيام الدولة الوسطى كانوا يحصلون على الفيروز من **السرابيت الخادم** » .

ويرى بعض الباحثين ان العمال الذين كانوا يعملون فى مناجم شبه جزيرة سيناء فى العصور القديمة كانوا جماعات من الاسرى والمجرمين ، وربما كان بعض اولئك الاسرى من سكان غرب آسيا الذين كانوا يعبدون اله القمر البابلى « سين » والذى يرجع ان اسم شبه الجزيرة الحالى يمثل تحريفا لاسمه ، وكانت عبادته تنتشر فى غرب آسيا ومنها فلسطين ، وكانت هذه الجماعات تعود من سيناء قبل مقدم الصيف الحار ، بعد موسم العمل فى فصل الشتاء والربيع ، وربما حملت بعض هذه الجماعات معها الى جانب النحاس والفيروز بعضا من « **القار** » وهو أحد تكوينات البترول التى استخدمها الفراعنة فى التحنيط .

واهم مصادر الثروة فى سيناء من حيث قيمتها فى الاقتصاد المصرى هى :

١ – البترول

وقد بدات اولى عمليات الحفر بحثا من البترول فى سيناء فى عام ١٩١٠ ، وظهر البترول فى « **ابو دربة** » **عام ١٩٢١** وهو حقل فقير جدا يقع على بعد ١٨٠ كيلومترا جنوب السويس ، وقد توقف من الانتاج وهجر فى عام ١٩٢٥ وبلغ جملة ما انتج منه ١٢٠٠٠ **طن فقط** . ولكن ما لبث البترول أن اكتشف بعد ذلك على الساحل الغربى لسيناء الطل على



خريطة، توضح موارد الثروة في سيناء

موارد الثروة في سيناء

خليج السويس ، ومع ذلك ظلت سيناء حتى عام ١٩٥٢ تنتج ما لا يزيد على ٥ ٪ من انتاج مصر البترولى ، ولكن بعد ان كشف حقل « **البلاعيم برى** » فى عام ١٩٥٥ وحقل « **ابو رديس** » فى عام ١٩٥٧ قفز انتاج سيناء واصبح يتفوق على انتاج الصحراء الشرقية على الناحية الاخرى من خليج السويس ، وفى عام ١٩٥٧ ، كان انتاج كل من البلاعيم برى وابو رديس يمثل ٤٥ ٪ من انتاج سيناء تقفز الى ٨٢ ٪ فى عام ١٩٥٨ . ومنذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٣ كانت حقول سيناء البترولية تسهم بحوالى ٦٧ ٪ من انتاج مصر البترولى ، **واهم هذه الحقول من حيث الانتاج هى :**

● **البلاعيم برى** ويقع على بعد ١٨٤ كيلومترا جنوب السويس ، وقد انتج فى عام ١٩٦٣ حوالى **٤ر٢ مليون** طن مترى من البترول الخام كونت ٥٤ ٪ من الانتاج المصرى . واحتياطى هذا الحقل حوالى ٤٠ **مليون طن** حاليا . وقد اقيم مصنع تفحيم المازوت بالسويس اعتمادا على انتاج ذلك الحقل وفقا لتحليل خام البترول الناتج منه ، بهدف انتاج ٢ مليون طن فى العام ، وهو أكبر مشروع بترولى منذ قيام صناعة البترول فى مصر وتصل تكاليفه الى ٢٤ مليون جنيه بينما تصل قيمة منتجاته السنوية الى ٢٥ مليون جنيه ويزيد الدخل القومى بمقدار ٩ ملايين جنيه ويوفر عملات اجنبية تصل الى ٧ ملايين من الجنيهات .

● **البلاعيم بحرى** وهو اول بئر منتج فى المنطقة الشاطئية حيث تقع البئر تحت مياه خليج السويس على بعد ٩ كيلومترات من حقل بلاعيم البرى ، وقد بدأ انتاجه فى عام ١٩٦٢ بحوالى ١٠٥ر٠٠٠ **طن** ثم قفز فى العام التالى (١٩٦٣) الى **٩٦٥ر٠٠٠ طن** .

● **ابورديس** على بعد ١٤٣ كيلومترا جنوب السويس ، كشف عام ١٩٥٧ ، وقد بلغ انتاجه فى عام ١٩٦٣ حوالى ١١١ر٠٠٠ **طن** ويجاوره حقل **سدرى** الذى انتج فى ذلك العام حوالى **٨٦ر٠٠٠ طن** .

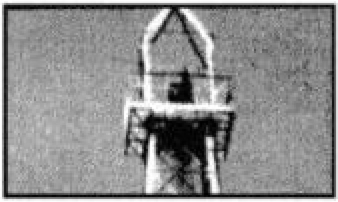
● **سدر** ويقع على بعد ٤٥ كيلومترا جنوب السويس ، اكتشف عام ١٩٤٦ ووصل الى ذروة انتاجه فى عام ١٩٤٩ حيث وصل الى **٧٥٠ر٠٠٠ طن** ولكنه اخذ يتناقص حتى وصل الى **١٥٥ر٠٠٠ طن** فى عام ١٩٦٣ .

● **عسل** على بعد ٦٣ كيلومترا جنوب السويس ، وصل انتاجه للذروة عام ١٩٥٣ بحوالى **٨٢٠ر٠٠٠ طن** ثم هبط الى **١٣٢ر٠٠٠** طن فى عام ١٩٦٣ .

● **مطارمة** ويقع جنوب السويس بحوالى ٥٢ كيلومترا وقد كشف عام ١٩٤٨ وبدأ الانتاج فيه عام ١٩٥٤ وهو محدود القيمة ولم يتعد انتاجه فى عام ١٩٦٣ حوالى **١٧ر٠٠٠** طن .

● **فيران** على بعد ١٦٤ كيلومترا جنوب السويس ، وقد كشف عام ١٩٤٨ ولم يبدأ انتاجه الا فى عام ١٩٥٤ . وقد وصل انتاجه فى عام ١٩٦٣ الى **٣٢ر٠٠٠ طن**

والخلاصة هى ان بترول سيناء كان يسهم بحوالى ثلثى الانتاج المصرى ، واستمر ذلك منذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٦/١٩٦٧ الذى بلغت فيه جملة الانتاج المصرى حوالى ٧ ملايين من الاطنان



اسهمت حقول سيناء منها بخمسة ملايين من الاطنان ، وبذلك قل الانتاج المصرى من البترول بعد العدوان الى ٢ مليون طن ، ثم ادت عمليات الاستكشاف المستمر على ساحل البحر الاحمر وفى الصحراء الغربية الى ان اصبح انتاج مصر البترولى فى عام ١٩٧٠ يصل الى ضعف ما كان ينتج من البترول المصرى قبل العدوان .

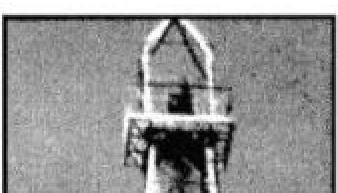
٢ ــ المنجنيز

وهو اهم فلز فى مجموعة فلزات السبائك الحديدية ، ويستخدم فى صناعة الحديد والصلب ، وبصفة خاصة فى انتاج الصلب غير القابل للصدأ ، وفى صناعة السبائك الحديدية القوية ، ويخلط مع خام الصلب للحصول على الفيرومنجنيز ، ويدخل ثانى اكسيد المنجنيز فى الصناعات الكيماوية لصناعة الاوكسوجين ، كما تستخدم بعض انواع المنجنيز ذات التركيب البلورى النشط فى صناعة البطاريات كموانع للاستقطاب ، ويدخل ايضا فى صناعات الالومونيوم والمغنسيوم وفى صناعة البرونز المنجنيزى

ومنجنيز شبهجزيرة سيناء يقسم عادة الى ثلاث درجات من حيث الجودة ، ونسبة المعدن فى الخام ، ويختلف السعر حسب الجودة فبينما لا يصل سعر الطن من خام المنجنيز الحديدى الى اربعة جنيهات ، فان سعر الطن من المنجنيز عالى الرتبة قد يتجاوز العشرين جنيها . واكاسيد المنجنيز عالى الرتبة فى سيناء تتراوح نسبة المعدن فى الخام فيها بين ٨٠ ٪ و ٩٠ ٪ ، اما متوسط الرتبة فتصل نسبة المعدن فى خاماته الى ٤٠ ٪ واقل الانواع قيمة هو المنجنيز الحديدى الذى تتراوح نسبة المعدن فيه بين ٢٠ ٪ و ٤٠ ٪ ، ومع ذلك فان قيام صناعة الحديد والصلب فى مصر قد ادى الى مشاريع للافادة من كل من المنجنيز والحديد فى خام المنجنيز الحديدى

واهم مناجم المنجنيز فى سيناء توجد فى « ام **بجمة** » التى تعتبر احد مناجم المنجنيز الكبرى فى العالم ، وتقع ام بجمة على بعد ١٢٥ كيلومترا جنوب شرق السويس فى منطقة جبلية وعرة ترتفع حوالى ٧٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، وقد ادت وعورة طريق السيارات وخطورته الى انشاء سكة حديد معلقة طولها ١١ كيلومترا لنقل الخام من المنجم الى محطة تخزين قرب سطح الجبل ، وتوجد سكة حديد ضيقة لنقل الخام بعد ذلك من محطة التخزين الى ميناء أبو زنيمة .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مالبث الانتاج أن وصل الى ١٨٠٠٠٠ طن فى العام ، لكنه لم يلبث ان توقف بسبب الحرب العالمية الثانية ، ثم وصل حين انتهت هذه الحرب الى ٢٠٠٠٠٠ طن ارتفعت فى عام ١٩٥٥ الى ٢٢٠٠٠٠ طن ثم توقف فى فترة العدوان الثلاثى ، ولكنه عاد الى مستواه فى عام ١٩٥٨ (٢٠٠٠٠٠ طن) وما لبث أن ارتفع فى عام ١٩٦٤ الى ٣٢٨٠٠٠ طن وان كان قد انخفض بعد ذلك فى عام ١٩٦٥ الى ١٨٢٠٠٠ طن ارتفعت فى عام ١٩٦٦ الى



١٩٨٫٠٠٠ طن . ويقدر أن احتياطى المنجنيز فى أم بجمة يصل الى ١٠ ملايين طن كما اكتشفت بعض خامات المنجنيز قرب **شرم الشيخ** ، وكانت نسبة المعدن فى الخام منخفضة تتراوح بين ١٢٫٧ ٪ و ٢٠٫٣ ٪ أى أقل من النسب المتوفرة فى أم بجمة كما تتراوح نسبة أكسيد الحديد والالومونيوم فى خامات شرم الشيخ بين ٢٫٣ ٪ و ١٢٫٩ ٪ .

هذا ، وقد خصص برنامج السنوات الخمس الثانى للصناعة (١٩٦٠ ـ ١٩٦٥) مصنعا فى **أبو زنيمة** للفيرومنجنيز يضم وحدات تقوم بتركيز خامات المنجنيز منخفض الدرجة لانتاج ٢٠٫٠٠٠ طن فيرومنجنيز و ٤٠٫٠٠٠ طن حديد زهر يمكن زيادتها مستقبلا الى ٨٠٫٠٠٠ طن ، وقد أقيم المصنع بالفعل قرب ابو زنيمة ، وكان من المقرر أن ينتج كميات كبيرة من الماء العذب والكهرباء كانتاج ثانوى ، وكان ذلك يؤدى الى حل مشكلات الطاقة والماء فى هذه المنطقة من سيناء التى ينقل اليها الماء العذب من السويس ويتكلف الطن الواحد ثلاثة جنيهات لنقله الى ام بجمة ، وكان من المقرر ان يفتتح هذا المصنع فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، الا ان العدوان الاسرائيلى سبق ذلك الموعد وحال ـ الى حين ـ دون تطوير هذا الجزء من سيناء . وتبلغ قيمة صادرات منجنيز سيناء حوالى مليون جنيه .

٣ ـ معادن متنوعة

وهى تضم مايلى :

● **الفيروز** ، وهو يستخدم فى صناعة الحلى والمجوهرات ويتركب من فوسفات الالومنيوم والنحاس ، وكان يعدن منذ مصر الدولة القديمة فى مصر من مناطق المغارة وسرابيت الخادم . وتقع مناجم الفيروز الآن فى حجاجة ، شب ، حديد ، يهودية أم حسن وسفرة .

● **النحاس** ، وقد استخدم فى مصر ما قبل التاريخ فى مصر ، حيث عثر عليه فى حضارة البدارى (ترجع الى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد) ومن المتفق عليه ان مصدر نحاس البدارى هو شبه جزيرة سيناء وقد ازداد استخدام النحاس فى مصر الأسرات فى مصر ، واكتشفت فى مناجم المغارة **الواح المعدنين القدامى** وكثير من خبث النحاس وبقايا بواتق الصهر التى كانت تستخدم فى استخلاص النحاس من خاماته ، كما اكتشفت أدوات نحاسية

فى وادى النصيب . وفى العصر الحديث اكتشفت خامات النحاس فى جنوب سيناء ، وأهم المناطق هى **السمرة** (فى خاماتها من ٤ ـ ١٢ ٪ معدن) وفى **أبو النمران** (فى خاماتها بين ٣٫٢ ٪ و ٥٫٢٠ ٪ معدن) وفى **سرابيت الخادم** قدرت نسبة المعدن فى الخام بحوالى ١٫٦ ٪ ، ولكن قدرت خامات **وادى نصيب** وحدها مبدئيا بما يتراوح بين ٥٠٫٠٠٠ و ١٠٠٫٠٠٠ طن .

● **الحديد والفحم** ، ويوجد الحديد مختلطا بخامات المنجنيز فى جنوب شبه الجزيرة ، وفى أم بجمة تبلغ نسبة الحديد فى خامات المنجنيز الحديدى ٢٢ ٪ (بينما تبلغ نسبة المنجنيز بها

موارد الثروة فى سيناء



٣٥ ٪) ، ولكن توجد خامات حديد في كل من **جبل ابو مسعود وجبل الحلال وجبل الحمرة** . والخامات بعضها من النوع الجيد كالهيماتيت وبعضها من الليمونيت . أما الفحم فهو من انواع غير جيدة لانخفاض نسبة الكربون به ، وبذلك **لا** يصلح لصناعة فحم الكوك الذي يخدم صناعة الحديد والصلب ، وقد أكتشفت طبقة من الفحم سمكها ١٢٠ سنتيمترا في **عيون موسى** على عمق ٥٠ مترا من سطح الارض ، كما كشفت بعض طبقات الفحم في بعض **زوائد وادى غرندل ووادى زلقة** ، وبالاضافة الى ذلك كان هناك احتمال في أن تحتوى طبقات الحجر الرملي النوبي في شرق سيناء على حديد لان هذه الطبقات هي التي توجد بها خامات الحديد في أسوان وفي الواحات البحرية .

يوجد الى جانب ذلك **الفوسفات** في جبل سفاريات وفي هضبتي العجمة والتيه كما يوجد **الرصاص والزنك** في مناطق حقل بترول عسل ، ويوجد **الكبريت** في ابودربة ويبلغ سمك رواسبه نصف المتر أحيانا ، ويوجد **الفلسبار والكوارتز والكاولين** في جنوب غرب سيناء خاصة في وادى أبونتش ووادى بودرة ، وهي تدخل في صناعات الزجاج والخزف والصيني ، كما يدخل الكاولين في صناعة الحراريات والشب والطوب وأحجار الجلخ ، ومن مميزات كاولين سيناء سهولة استخراجه دون اللجوء الى استخدام المفرقعات . كما توجد في سيناء عدة انواع من الطينات التي تستخدم في صناعة البويات .

ومن انتاج المحاجر فى سيناء يستخرج **الجبس** من وادى غرندل فى حدود ٢٥٠٠٠ طن يصدر معظمها الى الشرق الاقصى ، ويوجد **الانهيدريت** الذى يقارب الجبس فى تركيبه الكيماوى فى وادى غرندل ايضا ، وهو يستخدم فى صناعة حامض الكبريتيك وبعض الاسمدة ، ويستخدم فى صناعة الاسمنت وبعض انواع المصيص ، ويدخل فى صناعات الخزف والزجاج والالواح والحوائط العازلة والبلاط والاسقف . ولما كانت تكوينات الجبس والانهيدريت تمتد فى تكوينات متصلة فى غرب سيناء من **البحيرات المرة** شمالا الى **الطور** جنوبا ، فانها تكون ملايين اللايين من الاطنان .

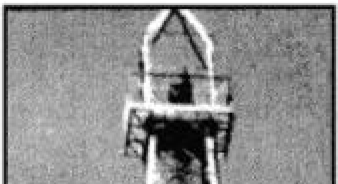
ثانيا : الزراعة والرى

تعانى الزراعة فى سيناء من مشكلة ندرة موارد المياه ، فمياه الامطار لا تتجاوز ما تعارف عليه الجغرافيون بانه يمثل الصحراء وهو ٢٠٠ ملليمتر فى العام وهو رقم لا يتحقق الا فى أكثر جهات سيناء مطرا وهو شمالها الشرقى وتسقط هذه الامطار فى فصل الشتاء وعدد ايام سقوط المطر لا يتجاوز ٤٠ يوما ، لم تقل الكمية فى وسط سيناء الى ٢٧ ملليمترا فقط تسقط على ثمانية ايام فى المتوسط ، لم يؤدى ارتفاع جنوب سيناء الى زيادة كمية المطر الى ٦٠ ملليمترا على مدى ١٥ يوما . ولكن لما كان مطر سيناء من النوع العشوى ، فان بعض الايام قد يشهد مطرا يزيد على المتوسط السنوى ، الا أن نسبة التبخر عالية جدا لارتفاع درجة الحرارة

وقد انشىء **سد الروافعة** على وادى العريش فى عام ١٩٤٦ على بعد ٥٥ كيلومترا جنوب شرق العريش ، ولم يحدث أن امتلأ الخزان لسعته الكاملة وهى ٦٫٨ مليون متر مكعب كما ان طبيعة جريان المياه فى الوادى على شكل سيول تؤدى الى زيادة المواد العالقة بالمياه وتراكم الرواسب مما يؤدى الى تقليل سعة السد . وقد حفرت ترعة يغذيها سد الروافعة لرى ٤٠٠ فدان ، ومنذ أنشاء السد فان المياه التى يخزنها تستخدم فى اغراض الشرب فقط لندرة وجود مياه جوفية ، عذبة بالمنطقة .

اما مصادر المياه الجوفية – والتى تعتبر اكثر ثباتا من مياه الامطار – فانها تكون اما على شكل عيون ، او آبار . ومن اشهر العيون العذبة عيون : **الجديرات والقصيمة** فى الشمال الشرقى واما على الحافة الجنوبية لهضبة التيه فأهم العيون هى سعفر ، **برقة** ، **حجية** ، واما على الوديان التى تنتهى الى خليج العقبة فاشهر العيون هى **القرقاطة وجديع** ، وعلى خليج السويس عيون **فيران فى وادى فيران** . وقد بنى السكان لبعض هذه العيون خزانات لتقوم بحجز مياهها طول الليل للافادة بها فى الرى اثناء النهار مثل خزان عين الجديرات اما أشهر العيون الكبريتية فهى عيون موسى وحمام فرعون على خليج السويس .

اما الابار فانها اما سطحية يقل عمقها



عن ١٠ أمتار واما عميقة تزيد أعماقها على ١٠ أمتار وتصل حتى ٦٠ متـــرا وتعرف الطبقة الحاملة للمياه فى الآبار العميقة باسم **الفجيرة** وهى التى توجـد عليها بعض وسائل الرفع الميكانيكية ، كالطلمبات والمراوح الهوائية ، وتتباين درجة ملوحة الآبار رغم تقاربها مما يدل على أنها تمثل تجمعات محدودة فى جيوب صغيرة للماء الجوفى . وقد عثر اثنـــاء التنقيب عن البترول فى شـــمال غرب سيناء على طبقات تحتوى على مياه عذبة أمكن تحديد طبقتين تقع العليا منهمـــا على عمق ٩٠٤ مترا بينما تقع الطبقـــة السفلى على عمق ١٧٠٠ متر ولكنهما لم تـــستثمرا حتى الآن .

ومن مشكلات الزراعة الاخرى فى سيناء فقر التربة وذلك لعدم وجود مواد عضوية أو قرين ، كما ان السيول الكثيرة تسبب جرف التربة وتعريتها .

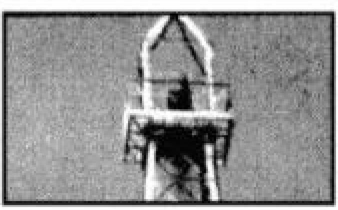
ورغم ان مـساحة شـبه الجزيرة تبلغ **١٥ مليون فدان** الا أن أشجار النخيــل والفواكه لا تغطى أكثر من ٨٠٠٠ فدان معظمها يوجد في الشمال الشرقى بين رفح والعريش وتزرع عادة بالشـــعير وقليل من القمح والبطيخ والخضراوات . وتبلغ جملة أشجار النخيل فى شـــبه جزيرة سيناء حوالى ٣٠٠,٠٠٠ شـجرة نخيل معظمها يوجد فى منطقة العريش ـ الشيخ زويد وفى واحة فيران التى تشغل مساحة ٧٥٠ فدانا ، وتوجد مزرعة لوزارة الزراعة فى العريش مساحتها ٨٠ فدانا كما كانت توجد مزرعة أخرى مـساحتها ٣٦ فدانا فى رفح أنشأتها وزارة الزراعة المصرية فى عام ١٩٤٧ وقد نجحت زراعة التفاح بها ولكن العدوان الاسرائيلى فى عام ١٩٥٦ لم يترك بها أثرا لشجرة واحدة

وفى منطقة الشيخ زويد كانت تزرع مساحة ٢٠٠ فدان بأشجار الخروع الذى تنقل ثماره الى وادى النيل لاستخراج الزيت منه ، **ولكن كثيرا من مشكلات الزراعة فى سيناء يمكن ان تنتهى اذا امكن نقل مياه النيل من نفق يمر تحت قناة السويس .**

أما بالنسبة للرعى فانه يعـانى من نفس المشكلات التى تعانيهـــا الزراعة وخصوصا بالنسبة لندرة موارد الميـــاه التى قد تؤدى الى هلاك القطعان فى بعض الاعوام . ومعظم الثروة الحيوانية فى سيناء من الحيوانات الكافحـة والتى تمتاز بالقدرة على تحمل العطش .ولذلك فان الماعز والاغنام والابل تكون أكبر عدد من الرءوس على الترتيب ، وتصل اعداد الماعز الى حوالى ١٠٠,٠٠٠ وكذلك الاغنام أما الابل ففى حدود ٥٠,٠٠٠ رأس ، وتوجد اعداد أقل من الحمير والابغـــال والخيول ، أما الجاموس فلا يكاد يوجد فى سيناء .

ومعظم الثروة الحيوانية فى ســيناء يتركز فى الشمال الشرقى حيث الرعى أوفر وحيث الزراعة اغنى نســبيا ، وحيث السكان يتركزون أكثر من بقيـة شبه الجزيرة .

والى جانب الزراعة والرعى فان جمع **النباتات الطبية** يمثل مصدرا طبيا يمكن استغلاله وتنظيمه على اسس علمية .





ثالثا : المصايد والملاحات

تعتبر بحيرة البردويل وامتدادها في بحيرة الزرانيق ثانية البحيرات المصرية مساحة بعد بحيرة المنزلة ، حيث تشغل بحيرة البردويل مساحة قدرها ١٦٤,٠٠٠ فدان تقريبا . وتؤجر هذه البحيرة بطريق الالتزام بعقود لمدة ١٥ عاما . وأهم أسماكها البوري والوت والدنيس والطوبار الا أن البوري هو الذي يمثل شهرة أكبر

ويقدر أن انتاج البحيرة يصل الى حوالي ٢٠٠٠ طن سنويا .

والى جانب هذه البحيرة يمثل خليج السويس والعقبة والبحر الأحمر مصادر للصيد ، وخاصة بعد تكوين اسطول يعتمد على الأساليب العلمية في الصيد البحري . كما يمثل الصيد البري للسمان مصدرا آخر للرزق في سيناء ويقدر أن موسم الصيد الناجح يتم فيه صيد قرابة ٥٠٠,٠٠٠ زوج لتهبط في المواسم غير الناجحة الى ٢٠٠,٠٠٠ زوج .

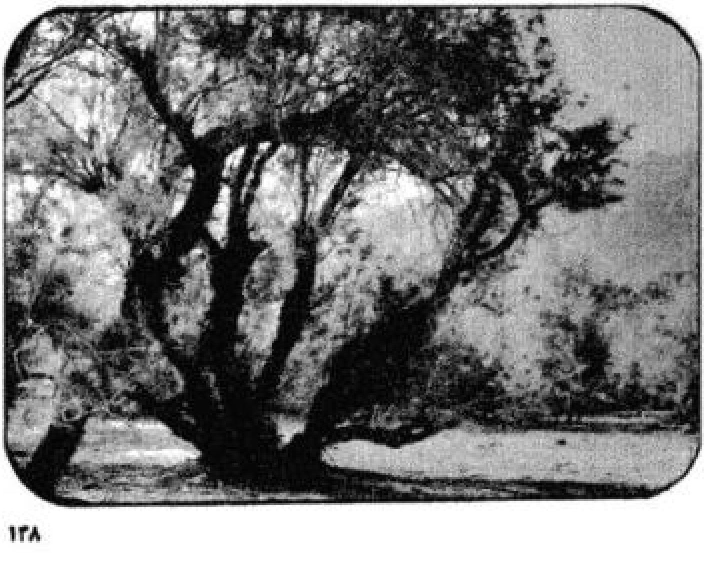
أما ملح الطعام فيستخرج في شمال سيناء من بحيرة البردويل وتعتبر ملاحة بورسعيد جزءا من ساحل سيناء ، وان كان تحديد الكمية المنتجة من ملاحات سيناء أمرا صعبا ؛ الا أنه كان يتجه الى التصدير للخارج متجها لأقطار الشرق الأقصى وخاصة اليابان .

وهكذا نرى أن موارد الثروة في شبه جزيرة سيناء متنوعة، وان كانت تتكامل مع موارد الثروة في بقية اجزاء مصر .

موارد الثروة
في
سيناء

سيناء

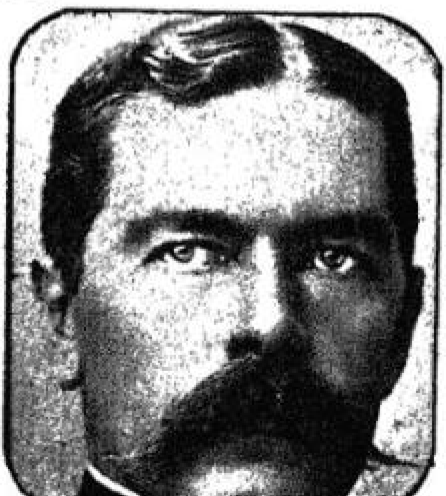
الطبيعة



د. محمد السيد غلاب

سيناء شبه جزيرة كبيرة شمال شرقي مصر تكون نحو ٦٪ من المساحة العامة للبلاد وتطل على امتداد الشواطئ المصرية على البحر المتوسط ، ويحف بها من الجنوب الشرقي والجنوب الغربي خليجا العقبة والسويس على شكل حرف V ، وتندمج تدريجيا غربا نحو ارض الدلتا عبر برزخ السويس الذى شقته القناة ، كما تندمج تدريجيا نحو ارض النجب وفلسطين شرقا . فهي بذلك حلقة الوصل بين الدلتا ووادى النيل الادنى وبين بلاد الشام

والإنسان



الى اليمن اشجار باسقة فى وديان سيناء ويقال ان المن والسلوى نزل حولها ... لم لورد تشتر

الطبيعة
سيناء
والإنسان

وشبه الجزيرة ، اذا بدانا من الجنوب الى الشمال ، هضبة شاهقة الارتفاع تتكون من صخور نارية قديمة ، وتطل فوقها قمم بركانية مرتفعة ، اهمها جبل سانت كاترين الذى يبلغ ارتفاعه ٢٦٤١ مترا ، وجبل أم شومر ٢٥٨٦ مترا ، وجبل الشبة ٢٤٣٩ مترا) . وتطل هـذه الهضبة بحافات مرتفعة لا تترك الا سهلا ضيقا بينها وبين خليج العقبة شرقا وجنوبا بشرق ، كما تنتهى بحافات مماثلة واعمدة جرانيتية قبل ان تنتهى الى السهل الساحلى الضيق المطل على خليج السويس غربا وجنوبا بغرب .

تلى هضبة العجمة هذه شمالا ، هضبة اقل ارتفاعا تنحدر نحو البحر المتوسط هى هضبة التيه ، ويحد هذه الهضبة بشكل عام خط يمتد من السويس الى العقبة ، ويقطعها وادى العريش الكبير ، هو وروافده المختلفة وهذا الوادى هو اول الاودية الجافة فى مصر ، وقد يمتلىء بالماء اذا اصطدمت الاعاصير الشتوية بمرتفعات سيناء ، فيجرى فيه الماء متدفقا كالسيل الجارف ، ومن ثم كان بطن الوادى مكونا من رواسب طينية ناعمة ، وكان عبوره عسيرا الا من بضع نقط قليلة .

اما شمال سيناء فسهل متموج كبير ، يتكون من فتات الصخر الجيرى المختلط بالرمال ، حملتها الرياح والقتها فعرفت بالتربة الهوائية ، وتغطيها ايضا الكثبان الرملية التى تحاذى ساحل البحر من ناحية ، ونطاقا داخليا يمتد من القصيمة نحو الغرب من ناحية اخرى . هذه الكثبان الرملية ظاهرة طبيعية ذات اهمية كبرى فى شمال شبه الجزيرة العربية ، **اذ تعتبر خزانات طبيعية لمياه المطر التى تسقط شتاء ، كما انها ذات خطر داهم على الزراعة والبساتين القليلة المتناثرة وعلى طرق المواصلات فى المنطقة ان لم تتخذ الاجراءات اللازمة نحو تثبيتها فى اماكنها .**

موارد المياه قليلة ومتناثرة فى شمال سيناء ، واهمها هو وادى العريش نفسه الذى يمتلىء بالماء فى فصل الشتاء اذا مر به اعصار ، ومن ثم كان التفكير فى اقامة سد على هذا الوادى فى نقطة تبعد ٤٥ كيلو مترا من مصبه ، وهو سد الروافعة ، وقد بدىء فى انشائه عام ١٩٤٧ ، وهو يمتلىء بالماء بعد كل سيل ، ويستطيع الخزان ان يحجز ٢٤ مليون متر مكعب من الماء . ويحدث فيضان كبير لوادى العريش مرة كل سبع سنوات تقريبا .

وهناك مشروع لسد اخر يستخدم وادى العبقة ـ وهو جزء من وادى العريش جنوبى الروافعة ـ يضيق فيه الوادى بين واديى الحلال وضلفع .

فيما عدا وادى العريش ، تنبجس المياه من عيون القديرات ، كما يمكن العثور على المياه من مستوى يتراوح عمقه بين ١٠ ، ١٥ مترا . وقد اقامت وزارة الزراعة عدة بساتين نموذجية ، وهى دليل على امكان نشر العمران فى شمال سيناء ، وهو وان كان عمرانا متناثرا الا انه كفيل بتعمير


خريطة تضاريس شبه جزيرة سيناء
البحر المتوسط
هضبة التيه

هذه المنطقة وتحويلها من الحالة الشبه الصحراوية التى هى عليها الان الى حالة آهله بالسكان بشكل نسبى .

اهمية سيناء الاستراتيجية

شبه جزيرة سيناء هى حلقة الوصل بين دلتا النيل ومايليها غربا وبين فلسطين وسورية والهلال الخصيب عموما ، بين قارتي افريقيــــة واسيا ، هى جزء من الصــــحراء او ما يشبه الصحراء كانت دائما الدرع الذى يقى جسم مصر ، وهى المعبر الذى لابد للمسافر او المتسلل ، للمهاجر او المهاجم ان يعبره حتى يصل الى شرقي الدلتا، ومن ثم كان يطلق عليها الباب الشرقي لمصر .

ولم تكن مصر ــ منذ اقدم عهدها بالمدنية المستقرة ــ لتترك هذا الباب دون حارس، فمنذ عصر الاسرة الاولى على الاقل « ٣٠٠٠ ق . م » كانت سيناء داخلة ضمن حدود مصر ، ولا تخلو سجلات الفراعنة من ذكر الحملات التاديبية المتـــكررة على بدو الصحراء ، وذكر بعثـــات الباحثين عن المعدن ولا سيما النحاس من وسط سيناء. وكان المصريون يحتفظون باستمرار بنقط دفاعية على الحدود قرب رفح وفى غزة نفسها . وقد اثبتت حفائر تل العجول قرب غزة (التى قام بها الاثرى البريطانى فلندر بترى ونشر نتائجها عام ١٩٣١) ان غزة كانت حامية مصرية امامية ، وقد كان العهد القديم يسمى وادى غزة « بوادى مصر » وهذه تسمية لهـــا دلالتها ، فهى اعتراف صريح من الشعوب البـــــدوية القديمة ومنهم العبريون والفلسطينيون القدماء باهمية غزة لمصر ، تلك القلعة التى كانت تحرس « الباب الشرقى لمصر » .

وتختلف اهمية الموقع الجغرافى لاى مكان باختلاف اهمية الاطراف التى يقع بينها ، وباختلاف موقعه من مراكز الثقل الحضارية والعسكرية فى العالم بالنسبة له فعندما كانت مراكز الثقل هذه فى مصر والعراق خلال التاريخ القـــديم ، كانت لسيناء وجنوب فلسطين اهميـــة خاصة بالنسبة لهما . وعنـــدما اصبحت مصر داخلة فى حدود دولة كبـــــرى هى الامبراطورية الرومانية فقدت سيناء اهميتها العسكرية، بينما اكتسبت اهمية اخرى لا تقل اهمية عنها ، وهى الاهمية التجارية كنقطة التقاء تجارة اليمن وتجارة الشام ، أو تجارة اليمن وتجارة البحر المتوسط ، او تجارة الخليج العربى وتجارة البحر المتوسط .
وبينما كانت هذه المنطقة اقليم حدود اثناء حكم الدولة البيزنطية قبيل الاسلام ، اذ بها تصبح اقليم مرور للقبائل المهاجرة من قلب شبه الجزيرة العـــربية الى مصر وشمال افريقية .

لم تضمحل قيمة موقع ســـــيناء من الناحية التجارية ، وينسدل الستار على اقليم الشرق الاوسط باكمله ، ويمر فى فترة مظلمة من تاريخه ، هى فترة الحكم التركى ، ولا يستيقظ من سباته العميق الا على ضربات الغرب القوية ، تدق بابه دقا عنيفـــا ، وتقتحم منزله ، وتستغل

مركزه لحسابها الخاص ، وتعود التجارة العالمية الى المرور مرة أخرى عبر هذا الاقليم ، ولكن الى غربه : فى منطقة برزخ السويس ، الذى تشقه القناة المشهورة ، وتلعب شبه جزيرة سيناء دورها التاريخى لموقع استراتيجى هام ، ولكن لحساب مراكز الثقل الجديدة ، وهى دول الاستعمار من غرب أوروبا .

وها نحن نمر فى فترة اخرى جديدة من تاريخ سيناء ، يتحرر فيها الوطن من الاحتلال الاجنبى والاحتكارات الراسمالية الكبرى ، كما كانت ممثلة فى شركة قناة السويس المنحلة ، ويتهددها فى نفس الوقت استعمار من نوع جديد ، هو اشبه بالسرطانات الخبيثة التى تزرع فى الجسم السليم ، هذا هو الاستعمار الصهيونى الذى احتل شطرا كبيرا من فلسطين ، وتعود سيناء لتلعب دورها التاريخى القديم ، دور الحارس للباب الشرقى لمصر ، وسوف تعود لتلعب دور المحرر مرة اخرى لهذا الجزء من العالم العربى .

تكمن اهمية سيناء ، الى جانب دور الدهليز لوادى النيل ، فى أنها تقع حيث يلتقى البران اسيا وافريقيا ، ويفترق البحران المتوسط والاحمر ، وهى تقع عند طرف هلال كبير يشمل الشام والعراق ، وفى طرف العراق الجنوبى يقترب بحر ثالث هو الخليج العربى وما وراءه شرقا بالبحر المتوسط . هذه المنطقة التى يجب ان تخترقها طرق المواصلات البرية التى تصل البحر المتوسط وما وراءه شمالا وغربا (اوروبا) والخليج العربى والبحر الاحمر وما وراءهما جنوبا وشرقا (اسيا الموسمية وافريقية المدارية) .

سيناء اذن لم تكن حلقة الوصل بين مصر والهلال الخصيب فحسب ، بل انها ايضا حلقة الوصل بين شبه جزيرة العرب والبحر المتوسط .

ومهما تدافع المد والجزر ، فلقد كانت شبه جزيرة سيناء كلها حتى وادى غزة جزءا لايتجزأ من مصر ، بل لقد كانت حدود مصر لتمتد لتشمل جنوبى فلسطين ، او الاقليم الذى يسمى بالنجب (بمعنى الجنوب او الاقليم الجدب) ، وكان النجب بمثابة اقليم حدود ، تقابل فيه جيوش فرعون بالبدو المهاجرين او المتسللين الى مصر . ومن المهم ان نلاحظ أن كل الاخطار التى تهددت مصر انما جاءتها من الشرق ، عن طريق سيناء ، كما كانت سيناء هى طريق جيوش مصر لتامين حدودها الشرقية ، وكانت مصر باستمرار تنظر بحذر نحو ما يجرى فى الجانب السورى من البحر المتوسط ، وليس من قبيل الصدف أن تحارب مصر اهم معاركها التاريخية فى ارض فلسطين ، من موقعة مجدو الى موقعة قادش (فى التاريخ القديم) الى موقعة حطين (فى العصور الوسطى) الى موقعة مرج دابق .

ففى أرض فلسطين قابل فرعون جيوش الحيثيين وردها مدحورة ، وفى أرض فلسطين هزم صلاح الدين جيوش الصليبيين ، وفى ارض فلسطين ردت مصر عن العالم الاسلامى كارثة المغول ، وفى أرض فلسطين ستكون المعركة الفاصلة مع الصهيونية باذن الله .

كل هذه المعارك كان يعد لها وتسير من قاعدة واحدة ، هى قاعدة سيناء . ولم تكن سيناء وحدها داخل حدود مصر خلال تاريخها الطويل ، بل لقد كانت تضم اليها ايضا منطقة النجب ، هذه المنطقة ــ سيناء وامتدادها فى النجب ــ تحتل أخطر منطقة استراتيجية فى العالم

الطبيعة سيناء والإنسان

العربى ، ويبدو خطورتها بصفة خاصة ايام الازمات التى الت بهذا الوطن ، عندما تهددها الصليبيون والصليبية الحديثة ممثلة فى الصهيونية .

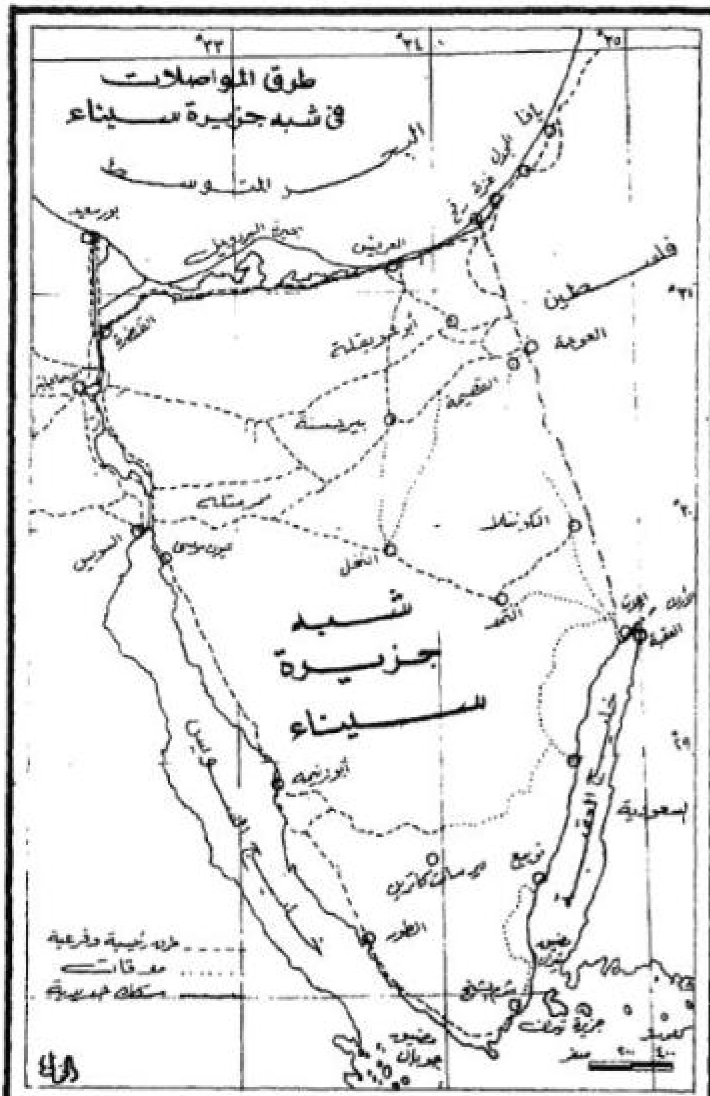
ولقد أدرك الصهيونيون اهمية سيناء والنجب الاستراتيجية ، فاتجهت اطماعهم فى القرن التاسع عشر الى سيناء ، وحاول المؤتمر الصهيونى الاول ان يحصل على اذن من لورد كتشنر فى مطلع هذا القرن بانشاء مستعمرات فى أرض سيناء ، زاعما أن شبه الجزيرة كانت تقع فى مملكة يهوذا . وكاد المستعمر الانجليزى يسمح لهم بذلك لولا أن تنبه المصريون لهذا الخطر .

الا انهم نجحوا فى تأسيس اولى مستوطناتهم المحصنة فى النجب على حدود سيناء وعملوا على استخلاص النجب لهم فى اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٨ ، وقد اتبعوا فى سبيل ذلك اسلوبهم التقليدى ، وهو ايهام العالم انهم بفنهم وعلمهم هم وحدهم القادرون على تحويل قفار الصحارى الى أراض تفيض بالخيرات ، واحاطوا هذه الدعاية بعاصفة تذر الرماد فى العيون ، سندها ولحمتها الحقائق المشوهة ، فقالوا ان هذا الاقليم كان يفيض خيرا ايام بنى اسرائيل ، وان النجب وسيناء كانا مزدهرين بحقولهما وبساتينهما ومدنهما وقراهما ايام الرومان ، وأن العرب وهم أهل بداوة قد حطموا المدن البيزنطية هذا الى أن النجب وسيناء هما المجال الحيوى لافواج اليهود العائدة الى ارض المعاد .

هذا هو زعمهم ، مجرد اعادة تعمير ماخربه البدو ، ولكن الحقيقة انهم كانوا يريدون الاستيلاء على النجب وسيناء لسبب واحد ، هو اهميتهما الاستراتيجية فى عزل مصر عن بقية العالم العربى ، اما تاريخ النجب وسيناء فهو قصة أخرى لم يكن لبنى اسرائيل فيها اى فضل ، بل كان الفضل فيها للعرب وحدهم ، الذين اسسوا دولة الانباط من القرن السادس الى القرن الثانى قبل الميلاد ، وكانت عاصمتهم سلع (بترا) او الرقيم . كما كان هؤلاء العرب هم المؤسسون للمدن التجارية العديدة التى فى النجب . ولم تندثر الا بعد أن تفقد النجب اهميته الاستراتيجية بعد ان اصبح مجرد جزء من دولة عربية اسلامية كبرى تمتد من الخليج الى المحيط .

●●●

ظلت سيناء خلال العصر العربى والعصر التركى والعصر المملوكى مجرد طريق مرور للهجرات العربية المتتالية ، كما عبرتها طرق الحج البرية بين القلزم (السويس) والعقبة ثم الحجاز ، أو بين السويس والطور ، ثم عبر البحر الاحمر الى ينبع وجدة ، غير أن اهم الطرق التى كانت تسلك سيناء بلا شك فى ذلك الوقت كان طريق الساحل الشمالى من ناحية وطريق الحج من ناحية أخرى ، وكان هذا الطريق يبدأ من الشط ويتجه شرقا حتى النخل — عاصمة سيناء حينئذ — ومن



طرق المواصلات
فى شبه جزيرة سيناء
البحر المتوسط
فلسطين
شبه جزيرة سيناء
العريش
العوجة
السويس
أبو زنيمة
الطور
السعودية
خليج العقبة

ثم الى العقبة وكانت قافلة الحج هى مسئولية ولاة مصر المتعاقبين ، ولم يكن هذا الا تأكيدا لحقيقة تاريخية قديمة ، هى ان سيناء جزء لا يتجزأ من مصر .

غير ان الحالة تغيرت تغيرا شاملا بشق قناة السويس ، فأصبحت شبه جزيرة سيناء منطقة دفاع شرقية للقناة ، وبهذا زادت أهمية سيناء الحربية ، وقد انقسمت الاراء الاستراتيجية فى شأنها الى قسمين ، قسم يرى أن قناة السويس مجرد خندق مائى كبير يحسن بالجيوش المصرية ان تتحصن وراءه ، وقسم يرى أن الدفاع عن مصر ينبغى أن يعتبر سيناء خطا أماميا ، ودرعا كبيرا يقى جسم مصر .

ونحن فى الوقت الحاضر لا نستطيع أن نغالى اذا قلنا ان سيناء هى أخطر منطقة فى مصر ، وأن النجب هى أخطر منطقة فى الشرق العربى ، وترجع أهمية سيناء الاستراتيجية فى الوقت الحالى الى امور يمكن ان تلخصها فيما يلى :

١ ــ متاخمتها لفلسطين واقليم النجب

٢ ــ حراستها لقناة السويس ، ذلك الطريق المائى العالمى الذى عاد الى حوزة البلاد بعد التأميم .

٣ ــ يحف بسيناء من الجنوب والشرق خليج العقبة الذى تحرسه جزر تيران .

٤ ــ وجــود معظم ثروة مصر المعدنية ولا سيما البترول فى سيناء .

١ ــ اما عن الحدود المتاخمة لفلسطين وبعبارة أصح النجب ، فأنها تمتد من قطاع غزة عند رفح حتى نقب العقبة ، فى خط يكاد يكون مستقيما مسافة تزيد على ٢٢٠ كيلو مترا . وهذه الحدود ليست الا خطا وهميا عبر قيعان وقفار ، لم يعن بتحديده الا فى الفترة الاخيرة من تاريخنا (١٩١٢) ، ولم تكن لهـــا أى قيمة بشرية ، اذ كانت القبائل البدوية تعبره بحرية تامة حتى قيــــام دولة اسرائيل (١٩٤٨) . وتمتد الحــدود عبر السهل الساحلى لشمالى سيناء مسافة خمسين كيلو مترا فى سهل مموج تنهض فيه كثبان رملية ناعمة لا سيما بين العريش والقضبة والخبارى ، وهذه الرمال تعوق حــركة السيارات وتحــدد بدورها اتجاه الطرق التى عبدت فيما بعد ، بين العوجة ورفح ، وبين العوجة وابو عويقيلة « عجيلة » وبين الاخيرة والعـــريش . وتتجمع طرق شمال سيناء وســـهل غزة ، والطريق القادم من القدس فالخليل فبير سبع ، فى العوجة قبل ان تتفرع مرة اخرى نحو ابو عجيلة فالاسماعيلية او نحو القصيمة ، فالحسنة فالثمد الى الكـــوبرى أمام السويس .

ومن ثم كانت أهم نقطة فى هذا القطاع الشمالى من الحدود الشرقية هى نقطة العوجة التى تقع فى وادى العفير ، احد روافد وادى حريض الذى يصب فى وادى العريش من ناحية الشرق .

الطبيعــــة
سيناء
والإنســــان

وتقابل الموجة – من حيث الاهمية الاستراتيجية – نقطة أبو عجيلة على الجانب المصرى للحدود ، وهى تقع فى وادى العريش ولا تبعد عن الموجة أكثر من ٥٠ كيلو مترا تقريبا ، وتعتبر ابو عجيلة مفتاح الطريق المهد نحو الاسماعيلية ، كما أنها أيضا مفتاح الطريق نحو العريش شمالا ، والعريش كما نعرف هى أول مدينة مصرية كبيرة على الحدود الشرقية.

كما تقابلها من الجنوب الغربى نقطة القصيمة التى لا تفصلها عن ابو عجيلة الا كتلة من الجبال الطباشيرية القليلة الارتفاع تسمى الجبل الابيض ، وتشرف على القصيمة فى الوقت الحاضر بقايا قلعة تركية ، وهى قريبة من عين القديرات وواحتها .

اذن فهناك مثلث استراتيجى هام فى هذا القطاع من الحدود ، رأسه عند القصيمة ، وقاعدته تمتد من رفح الى العريش ، وترتبط اجزاؤه بخطوط مستقيمة من الطرق الصحراوية المعبدة. وتسيطر القصيمة على طريق سيناء الاوسط ، كما تسيطر على الطريق المؤدى الى نقب العقبة نحو الجنوب ، ويحف بالطريق الشمالى الممتد من أبو عجيلة غربا وبالطريق الاوسط الممتد من القصيمة غربا ، عدة كتل جبلية متناثرة يمكن أن تستخدم كنقط دفاعية للسيطرة على هذين الطريقين الهامين ، هى جبل خلفع وجبل الحلال ، وجبل لبنى ، وجبل مغارة ، وجبل يلق وجبل الحيرى ، والماء أكثر وفرة فى الطريق الشمالى منه فى الطريق الجنوبى .

اما القطاع الاوسط من الحدود الشرقية فانه يقطع كتلة جبلية مرتفعة هى جبل خاروف الذى يمتد على شكل يضاوى وسط النجب من الشرق الى الغرب ، وينتهى داخل حدود مصر حيث يعرف بجبل الصبحة . ووجه الخطورة فى هذا القطاع ان كتلته الجبليه تشرف على الحدود ، ولذلك كان الطريق الجنوبى الممتد من القصيمة ينحرف قليلا نحو الغرب ، متابعا سفوح الجبل ، ثم يعود ليتجه جنوب الشرق الى نقطة الكونتلا ، حيث تلتقى طرق النجب وسيناء القادمة من الشمال ، كما تلتقى بطريق هضبة التيه المشهور القادم من الغرب ، والذى كان يسلكه طريق الحج البرى .

ومن الكونتلا يتجه طريق جنوبى غربى الى الثمد ، ثم ينحرف غربا الى نخل ثم يلتقى بالطريق القادم من القصيمة عند مصر مثلا ، فنقطة الكبرى امام السويس. ومن الكونتلا يتجه الطريق جنوبا الى راس النقب حيث يتجه الى الحدود المصرية على خليج العقبة امام جزيرة فرعون .

يتضح من هذا اهمية النجب لامن مصر ، بل واهمية وادى غزة بأكمله ، او وادى مصر كما كان يسميه القدماء ، دلالة على اهميته الحيوية للدفاع عن وادى النيل ، وطالما كانت هناك قوة معادية فى النجب ، كان هناك خطر حقيقى على امن كل رجل وامرأة وطفل فى هذا الوادى .

اهم طرق سيناء

تتركز طرق سيناء فى ثلاث مجموعات هى :

١ – المجموعة الشمالية .

وهى الطرق التى تعبر شمال سيناء ،

ويسلكها فى الوقت الحالى خط السكة الحديد الممتد من القنطرة الى العريش ، وتمتد هذه السكة على طول الكثبان الرملية الشمالية ، ويوازى السكة الحديد طريق يمر بعدة آبار ، الا انه تعترضه الكثبان الرملية التى تمتد بحذاء الساحل فى شريط عرضه ٢٥ كيلو مترا فى المتوسط ، كما تحف به السبخات والمستنقعات العديدة ، واكبر هذه السبخات هى بحيرة بردويل ، وهى جزء ضحل مقتطع من البحر المتوسط ، ومن ثم كان هذا الطريق شاقا بالنسبة للسيارات .

ب ـ المجموعة الوسطى :

يسلك طريق السيارات شمال هضبة التيه من الاسماعيلية الى ابو عجيلة ، وقد كان هذا الطريق يعرف بطريق الشام، لانه كان يتصل بعد ذلك بالعوجة فبير السبع فالخليل فالقدس ، وكان هذا الطريق مع طريق الكوبرى (السويس) بير الحسنة ـ القصيمة ، مطروقا منذ القرن السادس قبل الميلاد ، وكانت تسيطر على اجزائه الشرقية الداخلية فى النجب دولة الانباط العربية ، ويمتاز هذا الطريق بانه يتحاشى منازل البدو فى النطاق الساحلى ، كما انه الان يتحاشى هجوم الاساطيل البحرية من الساحل الشمالى .

د ـ المجموعة الجنوبية :

ويشمل طريق هضبة التيه ، بين الكوبرى فمر متلا ثم النخل الى الجنوب . وقد كان اقصر طرق الحج البرية بين مصر والحجاز ، ولذلك يسمى بدرب الحج ، وكان هذا الطريق مطروقا منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، بعد أن حجت منه شجرة الدر ، واستمرت لهذا الطريق اهميته حتى تحول الحج الى البحر بطريق السويس فجدة فى اواخر القرن التاسع عشر . وبعد أن اضمحلت أهمية درب الحج تحولت النخل ـ عاصمة سيناء فى ذلك الوقت ـ الى مجرد نقطة صغيرة ، وانتقلت العاصمة الى العريش.

خليج العقبة

خليج العقبة هو احد طرفى البحر الاحمر نحو الشمال ، ويحف بشبه جزيرة سيناء من الجنوب الشرقى ، وهو خليج ضيق يبلغ طوله ١٨٠ كيلو مترا من مدخل الخليج عند جزيرة تيران . وتشرف على الخليج عند مدخله صخرة شرم الشيخ ، كما تعترضه جزيرتا صنافير وتيران ، ولايزيد عرض ممر تيران على خمسة كيلو مترات .

ويستمر الخليج نحو الشمال الشرقي كالبحيرة المقفلة ، وهو أكثر عمقـــا من خليج الســويس ، وتشرف جبال سيناء ومرتفعاتها على الضفة الغـــربية للخليج بحيث لا تترك سهلا ســـاحليا يذكر بين الخليج والجبال . بل تطل الجبال مباشرة على الخليج حتى نقب العقبة ، في جروف جرداء شاهقة الارتفاع ، تقطعها خوانق وأخاديد عميقة ، حفرتهـــا سيول جارفة قوية . ولا تكاد توجد فيها نقطة عمران الا عند نبق شمالي شرم الشيخ ، حيث يصب وادى أم عدوى ، ونقطة دهب حيث يصب وادى العقيب .

وتمتد وعورة هذه المنطقة حتى نقب العقبة نفسها ، وهي منطقة الحدود المصرية على الخليج ، اذ ينحدر الطريق من رأس النقب الى العقبة انحدارا سريعا ، داخل نقب اى كسر من الجبل ، كما ان طريق السيارات في هذه النقطة لا يزال شاقا وصعبا ، وكان من السهل على الجانب المصرى ان يشرف على ميناء ايلات اليهودى الذى يقع في مدخل وادى عربة السهل المنبسط .

ولقد نشأ في خليج العقبة وضع غريب بعد قيام اسرائيـــــل ، اذ اســتولى الاسرائيليون على النجب ووصلت قواتهم بسرعة الى نقطة العقبة الفلسطينية التى كانت تسمى ام الرشراش وانشأوا ميناء أطلقوا عليه اسم ايلات وهو تحريف ايلا القديم . ولقد كانت ايلا ميناء نبطيـــا « عربيا » قديما ، استغله البطـــالمة والرومان زمنا لمنافسة الطريق التجـــارى العربى الكبير الذى كان يمتد من اليمن جنوبا الى الشام شمالا . أما قصـــة عصيون جيبر التى يزعم اليهود أنها كانت ميناء سليمان على الخليج فانها تعتمد على أسطورة قديمة لا أساس لها من الصحة ، فالثابت تاريخيا أن مملكة يهوذا « ملك داود وسليمان » لم تستمر الا جيلين فقط مابين ١٠٠٠ – ٩٣٢ ق . م . كما انه من الثابت أيضا أن أساطيل الفينيقيين وليس العبريين هى التى كانت تمخر البحر الاحمر ، ولم يكن لانصاف البدو الاسرائيليين اى معرفة بالبحر او خبرة بركوبه .

هذا الوضع الشاذ هو وضع ميناء ايلات على نقطة صغيرة محصورة بين العقبة الاردنية والعقبة المصرية خلقه تدخـــــل بريطانيا في هذه المنطقة . فلقـــد كانت فرمانات تعيين محمد على وخلفائه تنص على وضع العقبة وقلاع شمال الحجـــاز داخل حكم مصر ، ثم عادت تركيا – بعد الاحتلال البريطاني لمصر – وارادت ان تبعد بريطانيا من خليج العقبة ، كمـــا ارادت أن تعيد النظر في تحديد الحدود الشرقية لمصر ، بحيث تدخل خليج العقبة باجمعه في ارض الحجاز والشام ، ولكن محاولاتها هذه لم تفلح ورسمت الحدود الشرقية بين رفح والعقبة عام ١٩١٢ كما أسلفنا .

غير أن عدم الدقة في رسم الحـــدود بمنطقة العقبة ، وسيطرة بريطانيا بعـــد الحرب العالمية الاولى على فلســـطين وشرق الاردن والعراق ، وحالة التخـــلف

والتوتر بين المملكة العربية السعودية الناشئة حينذاك وبريطانيا ، يضاف اليها عدم اكتراث العرب بطبيعتهم برسم الحدود الدولية الوهمية فى فيافى الصحراء ، كل هذا جعلهم لا يفطنون الى نقط الحدود المصرية الفلسطينية والفلسطينية الاردنية التى تتجمع عند راس الخليج

ان هذا الوضع الشاذ فى رسم الحدود لا تكاد تعرف له مثيلا فى العالم . ميناء أجنبى يطل على بحيرة مستطيلة تشرف عليها دولتان اخريان . وتعتبر مياهه مياها اقليمية لهما . مهما اختلف فى تقدير مسافة المياه الاقليمية « ٨ — ١٢ ميلا » . ولا تملك سوى مصر والسعودية حق المرور فيه او منح هذا الحق لغيرهما .

قبائل سيناء

تمتد اصول قبائل البدو فى سيناء الى شبه الجزيرة العربية ، فمنها وفدت قبائل عديدة من قحطان ايام مملكة الانباط كما وفدت بعد الاسلام قبائل اخرى من عدنان ، اما القبائل القحطانية التى دخلت سيناء فاهمها جهينة وبلى وهمـــا من

الطبيعة
سيناء
والإنسان

قضاعة ، وقد اتجهت جهينة جنوبا الى صعيد مصر وسهول السودان الشمالى وغربى النيل ، واما بلى فقد انتشرت فى الصحراء الشرقية وشارفت قرى محافظة الشرقية ، كما دخلت قبائل من جذام وبنى واصل ، كلها قحطانية .

اما من عدنان فقد دخلت ربيعة ومضر واياد ، وتفرع من مضر قيس عيلان التى خرج منها بنو هلال وبنو سليم وغطفان ، كما تفرع منها بنو تميم وكنانة . واما ربيعة فقد تفرع منها بنو عطية وقبائل سيناء كلها تقريبا ، مثل التياها والترابين والحسنات ومسارة وعنازة

ويلاحظ فى توزيع قبائل سيناء استمرار بطون القبائل وعشائرها عبر الحدود الى جنوبى فلسطين والنجب وجنوبى الاردن وشمالى الحجاز ، واستمرارها غربا عبر قناة السويس الى محافظتى الشرقية والقليوبية ، واستمرارها عبر خليج السويس الى ساحل البحر الاحمر .

بلغ عدد سكان شبه جزيرة سيناء عام ١٩٦٦ ١٢٠٫٨٢٩ نسمة . وينقسم هذا العدد حوالى ٤٠٫٠٠٠ من البدو و ٥٠٫٠٠٠ من سكان العريش وابى سقل ورفح والقنطرة والطور ، ويسكن مدينة العريش وحدها حوالى ٤٠٫٠٠٠ نسمة ، اما الباقى فمن اللاجئين الفلسطينيين من ناحية ، وموظفى وعمال التعدين من ناحية اخرى .

واهم التغيرات التى طرات على توزيع القبائل فى سيناء منذ الفتح العربى هى:

ان جذام ولخم هاجرتا من شبه جزيرة العرب الى محافظة الشرقية وان ثعلبة قرى شانها فى جنوبى فلسطين وامتدادها الى شمالى سيناء من القرن العاشر حتى الرابع عشر ، ومنذ ذلك الحين تنـــازل هاتان ثعلبة امام ضغط قبائل اخرى من

بنى عطية وهى السواركة والترابين ، الا ان بقايا لطيه لاتزال باقية تمثلها البلى والعائله . وقد هاجر معظمهم الى ريف مصر ولاسيما مركز بلبيس . كما كان السواركه يسكنون معظم سيناء الشمالية الى الجنوب والغرب من العريش الى ان ضغطت عليها قبيلتا الترابين والتياها

ويسكن قسم شمال سيناء فى الوقت الحالى قبائل الرميلات والسواركة والقديرات والتفارسة والبلى والرواعز والعبايدة والمساعيد . وتنقسم كل قبيلة بدورها الى عائلات : فالرميلات تشمل ابو صبيح وابوعياد وابو عبد الله وابو قبخه . وتشمل السواركه عائلات ابوداود وابن عرض ومريشد وابن مراجه وابوعيطه وتشمل البياضية عائلات العرش وابوبعانى وابو مرلوحة وسيد أحمد . اماالتفارسة فعائلة واحدة

ويسكن سيناء الوسطى قبيلة الترابين، وهى اقوى قبائل سيناء وتنقسم الى عدد كبير من العـائلات اهمها : الدلالة ، والحسابلة ، والعويضات ، والقصار ، والمرجانى ، والجرآيه ، وابو سحبان ، وابن جارى وابن زاهد والبدارة والجهامات وابو نقر والطيور ، والشنيبات والبجع . وهناك قسم كبير من الترابين فى جنوبى فلسطين اهمها الصوفى وابو ستة وابوفالية وابو الحصين وابو بكرة وابو مريلة

اما قبيلة الحيوات ، وهى تسكن قسم سيناء الاوسط فتشمل النجمات والعمدات والصفايحة والحناظلة والعقبان . وتسكن جنوبى سيناء عدة قبائل أهمها الجرارشة والصوالحة .

وبعد ،

فهذه هى سيناء ، الباب الشرقى لمصر وحلقة الوصل بينها وبين اقطار العروبة الاخرى ، بينها وبين خزان العروبة الكبير فى شبه جزيرة العرب ، وبينها وبين اقطار الشام والعراق ، منها وفدت دماء زكية تجرى فى عروق المصريين . منذ عصر بناة الاهرام ، ومنها وفدت العناصر العربية التى حملت رسالة الاسلام ولغة القرآن . منها اتصلت بمهبط الديانات التوحيدية الكبرى ومهبط الوحى فى فلسطين والحجاز

سيناء درع مصر ومصدر ثروتها المعدنية سيناء المقدسة التى كلم الله فيها موسى تكليما ، والتى لجأت اليها الاسرة المقدسة هاربة من طغيان اليهود ، والتى اقام فيها المسيحيون الاوائل اول اديرتهم

« والتين والزيتون وطور سينين وهـذا البلد الامين »
صدق الله العظيم . . .



السيد الوزير
حمدي عاشور



الاستاذ
أحمد بهاء الدين

ندوة الهلال حول السياسة التموينية في الجمهورية العربية المتحدة

إعداد: أنور المرصفي



مرسى الشافعى ـ احمد بهاء الدين ـ السيد الوزير ـ م.
احمد على فرج ـ السيدة امينة اسماعيل ـ د. الهادى المغربى

ندوة الهلال

اقامت مجلة « الهلال » ندوة كبرى ناقشت فيها السياسة التموينية فى الجمهورية العربية المتحدة . وقد حضر الندوة السيد / حمدى عاشور وزير التموين والتجارة الداخلية ومعه من قطاع التموين كل من السادة المهندس احمد على فرج رئيس مجلس ادارة مؤسسة المطاحن والمخابز والصوامع ، والدكتور الهادى المغربى نائب رئيس الهيئة العامة للسلع التموينية والدكتور احمد عبد القادر الجمال رئيس مجلس ادارة المؤسسة الاستهلاكية ، والمهندس احمد طلعت عزيز رئيس مجلس ادارة مؤسسة المضارب والمهندس حسنين محمد حسنين رئيس مجلس ادارة مؤسسة السلع الهندسية والمعادن والكيماويات والسيد / حبيب داود رئيس مجلس ادارة مؤسسة السلع الغذائية والسيد / عبد الرحمن الشاذلى والمهندس ابراهيم درويش وكيلا وزارة التموين والتجارة

الداخلية والسيد / عدلى اسحاق رئيس مجلس ادارة شركة تسويق الاسماك والسيد/ يحيى الجمال رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية لتجارة السلع المستوردة والسادة فؤاد بسيونى مدير عام الشئون القانونية ومحمد محمود دعبس مدير عام التخطيط والمتابعة والعقيد زكى بدر مدير مباحث التموين واحمد حافظ مدير ادارة العلاقات العامة .

ومن قطاع الزراعة المهندس مصطفى الفار رئيس مجلس ادارة مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى ومن قطاع النقل المهندس جعفر محمد عبد الله رئيس مجلس ادارة مؤسسة النقل النهرى والمهندس حنا سليمان عن هيئة السكك الحديدية ومن قطاع الصناعة السيد / على طلحة مدير عام مؤسسة الغزل والنسيج والدكتور حسن محمد عشماوى مدير عام المؤسسة المصرية للصناعات الغذائية ومن القطاع الخاص السيدان محمد ناجى وعثمان حمودة من جمعية البصريات والسيد كمال رمضان رئيس غرفة الجلود .

ومثل مؤسسة دار الهلال فى الندوة الاساتذة احمد بهاء الدين رئيس مجلس ادارة مؤسسة دار الهلال والسيدة امينة السعيد رئيسة تحرير مجلة « حواء » ومرسى الشافعى وابراهيم عامر وانور المرصفى ويوسف فكرى وماجدة عطية واحمد رسلان .

وقام باعمال السكرتارية الفنية والاختزال السيدان / على يسرى وعبد القادر حمادة المختزلان باللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى العربى

م . احمد على فرج ..





د. الهادى المغربى



السيد / كمال
رمزى ستينو



السيد / نور
الدين قمره



السيد / محمد
عبد الله مرزبان

وكان جدول أعمال الندوة يحوى أربعة عشر موضوعا هى :

- الصورة المثالية التى يجب أن تقوم بين قطاعات الانتـاج والتجارة الخارجية وبين التجارة الداخلية ، بمعنى من الذى يحدد حجم ونوع وذوق المنتج ؟ أو حجم ونوع واحتياجات السوق فى الواردات ؟
- اسلوب التوزيع بالنسبة للقطاعين : العام ، والخاص .. بما يحقق الانسياب المطلوب للسلعة على مستوى الجمهورية ؟
- اسلوب القطاع العام فى التعامل مع الجمهور من حيث توفير الخدمة وتحسين الاداء والحوافز .
- تجار الجملة فى الخضر والفاكهة لا يأبهون لشىء اسمه التسعيرة .. فلماذا لا تكون هناك خطة متكاملة « من الارض الى المستهلك » ، ويدخل القطـاع العام بذلك مجال منافسة حيوية لصالح المستهلك ؟
- ثبت أن سياسة تنمية الثروة الحيوانية تتعثر .. فلماذا لا تشترك الوزارة فى تخطيط سليم لهذه المؤسسات الحيوية التى يمكن أن تلعب دورا حقيقيا فى حل أزمة اللحوم ؟
- رغيف الخبز ما زال بحاجة الى نظرة من مخالفات المواصفات وغير ذلك .. وكيف السبيل الى رغيف نظيف ؟
- السمك بديل للحوم .. ما زال سعره مرتفعا .. كيف توفر السمك كبديل رخيص للمستهلك ؟
- موقف النقل من سرعة نقل المواد التموينية عامة ، والمواد القـابلة للتلف

ندوة الهلال

والفساد « مثل السمك » خاصة ؟

- سعر الارز فى العالم انخفض بنسبة ٥٠ ٪ بينما ما زال سعر الاستهلاك المحلى كما هو ؟
- ما هو الدور الذى تنهض به هيئة السلع التموينية طالما ان شركات التجارة الخارجية تتولى عنها استيراد السلع التموينية ؟
- ما هو الدور الجديد للغرف التجارية فى خدمة التجارة الداخلية واستقرار السياسة السلعة لخدمة الوطن ؟
- اعلنتم عن ضرورة خفض نفقات المعيشة .. واعلنتم ان الاسعار العالمية باستثناء الارز فى تزايد .. كيف .. ؟

افتتاح الندوة

وقد افتتح الندوة الاستاذ/ احمد بهاء الدين بكلمة رحب فيها بالسيد / الوزير والسادة الضيوف اعضاء الندوة واشار فيها الى أهمية الدور الذى تقوم به وزارة التموين والتجارة الداخلية واجهزتها فى حياة البلاد . ثم دعا السيد/ الوزير الى ان يرأس الندوة .

السيد الوزير :

يسعدنى باسم زملائى ، وباسم العاملين بوزارة التموين ، والمؤسسات والهيئات التابعة لها أن أتقدم بالشكر « لدار الهلال » على هذه الدعوة الكريمة

لمناقشة موضوع يعد من أهم الموضوعات في حياتنا العامة . ولقد حرصت على حضور هذه الندوة بالذات لايماني العميق بالدور الهام الذي تقوم به في مجال التوجيه والنقد البناء وفتح الموضوعات أمام جماهير الشعب لمناقشتها مناقشة علمية وموضوعية .

على طول مدة تزيد على ١٩ عاما عملت خلالها في تنظيمات متعددة ومختلفة ، كنت اشعر دائما بالدور الكبير الذي تقوم به « دار الهلال » بمجلاتها وصحفها المتعددة ، واشتراكها اشتراكا عمليا في مناقشة مشاكلنا وموضوعاتنا المختلفة ، والعمل على ايجاد الحلول العملية لها ، وكانت صدورنا دائما مفتوحة ، ونرحب بكل نقد يوجه من صحافة حرة بناءة ، ترشدنا الى الطريق السليم ، وانني أذكر — في مجالات متعددة لقطاعات كثيرة عملت فيها في مختلف المحافظات — ما كان للصحافة البناءة من توجيهات وفوائد كثيرة ، وعند ما أسند الي العمل في وزارة التموين والتجارة الداخلية ، شعرت أننا في حاجة الى الاخذ بالآراء النيرة ، واننا في حاجة الى مناقشة الموضوعات التموينية ، وكان نجاح الندوات السابقة في « دار الهلال » خير حافز لنا لان نستجيب لهذه الدعوة الكريمة . كذلك فقد رحب اخواني السادة رؤساء المؤسسات والهيئات ، ووكلاء الوزارة ، وباقي المدعوين لهذه الندوة على أساس جدول الاعمال الذي وضع بمهارة لمناقشة موضوعات التموين تحت عنوان : « السياسة التموينية » .

« ارجو بعد أن أسند الى الاخ احمد بهاء الدين رئاسة هذه الندوة الا نتقيد في مناقشاتنا بالموضوعات التي أدرجت في جدول الاعمال بل نزيد عليها اذا لزم الامر فلا نخرج من هذه الجلسة الا ونكون قد ناقشنا كل الموضوعات التي تجول بأذهان الجماهير العريضة فالفترة الحالية التي نمر بها تحتم علينا أن نتهيأ لها وأن نتحمل مسئولياتها تحملا كريما » .

« وقبل أن ندخل في مناقشات هذه الندوة ، ارجو أن أوضح بعض الامور في كلمة صغيرة من سياسة التموين أو من السياسة التموينية بالمعنى الذي يتطلبه مجتمعنا الاشتراكي في هذه المرحلة ... ان السياسة التموينية تختلف عن غيرها من السياسات الاخرى ، لان السياسة التموينية تتأثر بالكثير من العوامل التي لا يمكن السيطرة عليها أو قياس اتجاهاتها بسهولة ، فهي محاولات مستمرة للتوفيق بين امكانيات محدودة ، واحتياجات متزايدة .

« هذه الامكانيات المحدودة يمكن تلخيصها في عدة نقاط هي :

● طاقات انتاجية محدودة ، سواء كانت زراعية او صناعية .

● عملات اجنبية تتنازعها اولويات وحتميات ، ويرهقها اتجاه صعودي في الاسعار العالمية .

● وسائل نقل يلزم تدعيمها ، وزيادة كفاءتها .

● سعات تخزينية غير كافية ، سواء بالموانيء او بداخل البلاد ..

● واخيرا .. الاجهزة الادارية ، فما زالت هذه الاجهزة — في الحقيقة — حتى الآن في طور نموها ، سواء كان ذلك في مجال التخطيط او التنفيذ او الرقابة او المتابعة .

« واذا انتقلنا الى العنصر الثاني في السياسة التموينية نجد الاحتياجات المتزايدة نتيجة لعوامل متعددة هي :

أولا : الزيادة المضطردة فى عدد السكان .

ثانيا : زيادة أو ارتفاع مستوى الدخول .

ثالثا : زيادة متطلبات المركة المتصاعدة مع العدو .

رابعا : عدم ترشيد الاستهلاك وتنظيمه .

« كذلك فلا ننسى ان سبعمائة الف من المقاتلين الموجودين فى الميدان فى حاجة الى اشياء كثيرة ، ونحن فعلا فى حاجة الى أن يشعر الشعب بهذه المسئولية الملقاة على عاتقنا كوزارة تموين فى توفير احتياجات أكثر من نصف مليـون مقـاتل ، فى حاجة الى المزيد من المواد التموينية » .
« وبناء على ما ذكرت .. من ان الطاقات محدودة ، وان الطلبات والاحتياجات متزايدة ، فاننا نرى ان السياسة التموينيـة تتأثر الى حد كبير بمعدلات نمو السكان وتطورات دخولهم ، وكيفية توزيعها على الافراد وأنماط الاستهلاك والعادات الشرائية والتغييرات التى تطرأ على الاسـعار العالميـة والمحلية ، كما تتأثر السياسة التموينية فى نفس الوقت بالظروف السياسية والاجتماعية السائدة .. »
« كل هـذا لم يقف عائقا امام الهيئات والمؤسسـات التى تعمل فى هـذا الشأن ، ونحن اذا أردنا ان نلخص فى كلمة سريعة أهـداف السياسة التموينية فاننا نستطيع حصرها فى خمس نقاط أو خمسة أهداف هى :

أولا : ان الوزارة والهيئة العامة لاسـتيراد السلع التموينية والمؤسسـات التموينية تعتبر مسئولة عن توفير احتياجات السوق المحلية من كافة السـلع التموينية بما يشمله هـذا المفهوم من تخطيط واقعى لهذه الاحتياجات ، وتدبير السلع من المصادر الداخليـة والخارجية بالكميات والمواصفات والاسعار فى الاوقات المناسبة ، بما يحقق عدالة التوزيع ويمنع الاحتكار .

ثانيا : الحد من ارتفاع أسعار السلع الرئيسية والعمل على استقرار هـذه الاسعار بما يحقق الطمأنينة لدى التجار والمستهلكين ويحول دون تلاعب المنحرفين .
ثالثا : العمل على توفير السلع التموينية وتدعيم أرصدتها على نحو يكفل عدم وجود اية اختناقات أو ازمات ، وذلك عن طريق تطوير مفهوم التجارة الداخلية بما يتفق مع المفاهيم الاشتراكية .
رابعا : المساواة بين القطاعين : العام ، والخاص ، سواء من ناحيـة توفير السلع اللازمة أو الرقابة على عمليات البيع .
خامسا : وأخيرا تحفيز المحافظين للاشتراك والاسهام فى تنفيذ السياسـة التموينية والعمل على تطبيق مبدأ عدالة التوزيع بالنسبة لجميع السلع .
« هـذا وفى اعتقادى ان وزارة التموين ان تنجح فى اداء دورها على النحو الذى تتطلبه ظروف مجتمعنا الحالية الا اذا آمنت ايمانا بالغا وعميقا بأهميـة دور المحليات ودور المحافظين الشخصى فى المشاركة والتدعيم » .
« واذا رجعنا الى تاريخ انشاء وزارة التموين فسنجدها قد انشئت فى عام ١٩٣٩ ، عنـد ما كان الجيش البريطانى والقوات البريطانية تحتاج الى مزيد من المواد الاستهلاكية ، اذن فقـد كان الهدف من انشـاء وزارة التموين هو توفير احتياجات الجيش البريطانى ... اهملت هـذه العملية ولم تتطور الا فى عام ١٩٥١ حيث دخلت ضمن أهدافها ، أهـداف جديدة . وقد عاصرنا طوال هـذه الاعوام الدور الذى قام به السـيد / الدكتور كمال رمزى ستينو ، ثم السـيد / نور الدين قرة ، ثم السيد / محمد عبد الله مرزبان . وعنـد ما راجعت الاعمال



اجتماع السيد الوزير برؤساء الغرف التجارية والسيد/زكريا توفيق عبد الفتاح يلقى كلمة الاتحاد العام للغرف ..

المتعددة على مدار الـ ٣١ عاما الماضية ، قمت بعقد عدة اجتماعات مع السادة رؤساء الهيئات والمؤسسات ، والسادة وكلاء الوزارة وانتهينا الى رسم سياسة لتحقيق دورنا واستكمال خطة التموين والتجارة الداخلية . ان دورنا الحقيقى والاساسى هو أن يكون للتجارة الداخلية دورها مثل التموين تماما وأن يكون لها كذلك سياسة كالسياسة التموينية أيضا .

« ان كل المؤسسات ممثلة هنا فى هذا الاجتماع وسنستمع لكل رؤساء المؤسسات ، وسنوجه اليهم الاسئلة ، وسيعطينا كل رئيس مؤسسة فكرة عن الدور الذى تقوم به مؤسسته والعمل الذى تؤديه .

« وهذه عملية ضخمة نرجو أن نتولاها على خير وجه .. وقد وجدت من الواجب أيضا ابراز دور الغرف التجارية فهى جهاز هام جدا ، ومن هنا كان لا بد أن تدعم الصلة بينها وبين الوزارة وهذا ما قمنا به فعلا .. وأكثر من ذلك اننا قمنا بالتنسيق بيننا وبين الاتحاد العام للغرف التجارية وشعرنا بمسئوليتنا ومسئولية الاتحاد العام معنا فى مجال التجارة الداخلية » .

« كما اننا قمنا بمراجعة القوانين التموينية وطورناها واختصرناها رغبة فى تحقيق مزيد من وضوح الرؤية وتعميق المفاهيم الاشتراكية ، وقد تم بالفعل اعداد مشروعات لخمسة قوانين هى : قانون التموين الموحد الذى كان مطبقا منذ عام ١٩٣٩ ، وقانون التعاون ، وقانون الغرف التجارية ، وقانون الرقابة التجارية ، وقانون السجل التجارى ، ونرجو ان شاء الله أن ينتهى مجلس الامة من اقرار هذه القوانين حتى تستقر التجارة الداخلية والسياسة التموينية » .

بقيت نقطة أخيرة أود أن أتحدث عنها ، وهى دورنا فى خفض تكاليف المعيشة ... فى الحقيقة أن وزارة التموين مظلومة أمام الجماهير ، فالمواطن العادى لا يعرف من المسئول عن توفير السلع وعن خفض الاسعار ، كما لا بد لنا أن تؤدى دورنا فى خفض تكاليف المعيشة وانى فى سبيل ذلك قلت ان الهيئات التى تعمل فى الخارج يجب ان يكون دورها قاصرا على التصدير والاستيراد ، وأن يقتصر جهاز الانتاج على الانتاج فقط ، وأن تقوم وزارة التموين والتجارة الداخلية بعمليات التوزيع وحدها دون منازع ... هذا الكلام أخذ به ، وأقر بالفعل فى اللجنة الاقتصادية ونرجو ان يطبق ذلك المفهوم فى أول يوليو عام ١٩٧١ تطبيقا كاملا حتى تتفرغ وزارة التموين لدورها كوزارة للتموين والتجارة الداخلية » .

« ولا يفوتنى أن أذكر أن الوزارة قامت بمجهودات رائدة فى مجال خفض تكاليف المعيشة ليس فقط بما تسهم به الدولة من اعتمادات كبيرة تصل الى ٥٢



السيد الوزير فى اجتماع بالغرفة التجارية مع أكثر من ٧٠٠ جزار

مليون جنيه لتخفيض أسعار السلع التموينية ، كالسكر ، والخبز ، والزيت ، والكيروسين ، بل أيضا لتخفيض أسعار بعض السلع الأساسية التى تهم الجماهير ، كالأسماك ، واللحوم ، والخضر ، والفاكهة ، فبالنسبة للأسماك أشعر أن مشكلتها قد حلت حلا جذريا ، فقد كان هدفنا منذ عشرة أعوام السيطرة على أسعار الأسماك وقد نجحت الوزارة فعلا فى تسعير أربعة أصناف من الأسماك ، تمثل نحو ٦٠ ٪ من حجم الاستهلاك ، وقد ألزمنا شركات الأسماك ، وشركات التوزيع بالمؤسسة بتسعير الأسماك تسعيرة رسمية بلغ أعلى سعر فيها ٢٩ قرشا الكيلو ، كما بلغ أقل سعر عشرة قروش . وقد يتساءل بعض الناس عن وجود أسعار عالية لبعض الأصناف ، ويقولون أن أسعار الأسماك ما زالت مرتفعة ، والرد على ذلك أن الأصناف الفاخرة ما زالت فعلا أسعارها مرتفعة ولكن الذين يقبلون على شرائها قليلون ولقد كان يهمنا أولا أن نهتم بالأصناف التى يقبل عليها الكثيرون من المستهلكين !

« وهناك أصناف مثل أسماك الكرونة التى تنتجها محافظة السويس ، والتى يحاول تجار الأسماك رفع سعرها ، ولكنني لن أسمح بزيادة سعر الكيلو منها من ٢٥ قرشاً ، ومهما حاول التجار فسوف نضغط عليهم ، وسوف يكون نفسنا طويلا معهم ، فالتموين كما قلت : يتطلب أعصابا هادئة .

« وقد حرصت الوزارة على توفير كميات كبيرة من أسماك «بحيرة ناصر» والأسماك المجمدة بأسعار تتناسب مع دخول الطبقات الكادحة ، كما قامت شركة تسويق الأسماك بفتح فروع متعددة لبيع الأسماك المطهوة « مشوى ومقلى » فى مناطق التجمعات العمالية » .

« هذا بالنسبة للأسماك .. أما بالنسبة للخضراوات فقد كان الأمل منذ عشرة أعوام أن تمنع تجارة الجملة فى الخضراوات ، لأن الخضراوات تتداول ما بين الفلاح ، والمنتج ، وتاجر الجملة ، وان كنت لا أستطيع أن أنزل الى الفلاح وأتعاقد معه وأعطى له السلفة ، الا أننى أستطيع أن أتحكم فى هذه السلعة عن طريق لجنة التسعيرة ، وقد جمعنا فريقا من تجار الخضراوات وناقشنا معهم فى مسألة الأسعار ، وكانت تجربة ناجحة ، والواقع أنه لو آمن بلجنة التسعيرة فى محافظته فان اللجنة تستطيع أن تصدر تسعيرة محترمة » .

« وقد حرصت الوزارة على تنظيم التعامل فى أسواق الجملة للخضر والفاكهة وقد فرضت رقابة شديدة على التعامل خارج تلك الأسواق حتى يمكن السيطرة على الكميات المعروضة وأسعارها ، واهتمت الوزارة باعادة تشكيل لجان



د. احمد عبد القادر الجمال ـ م. احمد طلعت عزيز ـ م. حسنين محمد حسنين عبدالرحمن الشاذلي ـ م . ابراهيم درويش ـ حبيب داود . . .

التسعيرة بالمحافظات بما يضمن جديتها وبذلك تكون لكل محافظة تسعيرة تتفق مع ظروف العرض والطلب فيها ، ذلك باستثناء تسعيرة الطماطم ، والبصل ، والثوم ، والقلقاس التى تتم مركزيا بالوزارة ، وكذلك تسعيرة الموالح ، والعنب ، والموز ، والبطيخ » .

اما بالنسبة للحوم ، فهى مشكلة ضخمة ، ولكن كم فردا يأكل اللحوم فى الجمهورية العربية المتحدة ؟ .. اننى اقول ان نسبة ضئيلة لا تتجاوز من ٣ ٪ الى ٥ ٪ من عدد السكان هم الذين يأكلون اللحوم بصفة منتظمة .. وفى الحقيقة ليست هناك مشكلة لحوم ، ولكن المشكلة هى قلة انتاج اللحوم . وسوف تقابلنا مشكلة كبيرة ما لم نفكر تفكيرا عميقا وجادا فى موضوعات الثروة الحيوانية ذاتها . وقد رأينا مشكلة اللحوم مركزة فى ناحية واحدة هى التنسيق بين اللحوم والدواجن والاسماك ، وعرضنا هذه المشكلة فى مجلس الامة ، وانتهى الامر الى ان يعهد به الى جهاز مسئول من الثروة الحيوانية يجمع بين اللحوم والدواجن والاسماك وقد وافق السيد / نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة على جمع هذه البدائل الثلاثة فى جهاز مسئول عن الشباع وتربية المواشى والدواجن والاسماك» .

« ان مشروعات تربية الدواجن قد حققت نجاحا كبيرا لسبب بسيط ، هو ان هذه المشروعات قد خطط لها تخطيط سليم .. والاسماك كانت تابعة لوزارة التموين والتجارة الداخلية وقد تبعت من قبل لوزارات مختلفة ثم استقرت أخيرا فى جهاز اللحوم » .

« ومشكلة اللحوم أساسا مسألة عرض وطلب ، ونحن نسعى الى استيراد كميات كبيرة من الابقار التى تتناسب مع حاجتنا ، فتوجد فى السودان والصومال اعداد كبيرة من هذه الابقار تصدر الى دول العالم ونحن لا نستورد شيئا بسبب مشكلة النقل .. وقد رأينا وضع سياسة لاستيراد كميات كبيرة منها من السودان والصومال وأن تنشىء مجزرا حديثا يساعدنا فى استقبال هذه اللحوم ثم تنشىء ميناء جديدا لذلك » .

« وهناك حلول عاجلة بدأنا بانفاذها فعلا ، وهى :

اولا : اننا لا بد أن نحد من زيادة الاسعار ونعمل على تثبيتها ويجب أن نطبق القانون الذى يحرم ذبح الاناث بجدية ، لان ذبح الاناث يمثل مشكلة كبيرة وخطيرة ولا بد من أن تكون هناك خطة لاحكام الرقابة لتطبيق ذلك القانون .

ثانيا : لقد بدأ السيد / الدكتور سيد مرعى بانشاء جهاز لتربية البتلو وهو من المشروعات التى تهدف الى توفير اللحوم ، فان ايقاف ذبح البتلو لمدة



عدلى اسحاق ـ يحيى الجمال

٦ اشهر فى ج . ع . م . سوف يوفر لنا بلا شك كميات كبيرة من اللحوم .

« وبالنسبة لأسعار اللحوم ، فان اللجنة الاقتصادية بمجلس الامة قد وافقت على السياسة الجديدة للأسعار ، وهذه السياسة تقضى بتثبيت أسعار اللحوم فى القاهرة ، كذلك منعنا الوزن بالورق الذى لا يقل عن ١٥٠ جراما فى كل كيلو ، علاوة على نسبة الخفض المبدئى الذى امكن تحقيقه عن طريق القصابين وتجار الماشية ، وقد أعقب ذلك فى مايو الماضى خفض آخر عن طريق الاتصال بالمربين فقد وضحت مع المسئولين بالوزارة هدفنا وهو أن نعود بأسعار اللحوم الى ما قبل عام ١٩٦٧ ، على أن يصبح أعلى سعر للكندوز الشفى ٦٥ قرشا وقد استطعنا حاليا أن نخفضه الى ٧٤ قرشا ، بتخفيض قدره ١١ قرشا . وقد يقول قائل أن أسعاره كانت أقل من ذلك . ولكن الاحياء الكبرى ، مثل الزمالك ، والدقى ، ومصر الجديدة ، كان يباع فيها بسعر أعلى من ذلك ، فضلا عن أن الوزن كان يتم باستخدام الورق الثقيل » .

« واود أن اقول أنه ليست هناك ـ وظروف الامكانيات الحالية ـ طريقة لتخفيض أسعار اللحوم فى القاهرة ، والاسكندرية ، الا ما ابديناه ووافقت عليه الجهات المعنية » .

« ومما لا شك فيه أن نجاح كل هذه الاجراءات يتوقف على مدى تمسك المستهلكين وربة البيت بصفة خاصة بحقوقها ومدى نجاحها فى ترشيد الاستهلاك وتنظيمه بدلا من التهالك والحرص على عادات شرائية تجعل من العسير نجاح أى سياسة لتنظيم تداول السلع والحد من ارتفاع الأسعار » .

« وانى كمسئول مع زملائى من التموين أحب أن أقول انه رغما من الظروف الحاضرة التى تعلمون جميعا ابعادها وطبيعتها فان الموقف التموينى فى غاية الاطمئنان وان امكانياتنا والحمد لله تغطى اى معركة ونحن مستعدون لكل شيء » .

« وفى الحقيقة هناك موضوعات كثيرة يمكن طرحها ومناقشتها وآمل أن يغطى زملائى هذه الموضوعات بأن يوضحوا لنا الجهود التى بذلت فى كافة القطاعات سواء فى الاستيراد ، أو الانتاج ، أو التوزيع ، وما هو التنسيق الكبير الذى عمل ، والذى استطاعت معه الوزارة توفير كل السلع التموينية » .

احمد بهاء الدين :

فى الواقع ان السيد / الوزير قام بعمل احتواء كامل للندوة ، فهو بصراحة غطى كل الأسئلة .

ندوة الهلال




عبد الرحمن الشاذلي – م. ابراهيم درويش

السيد / الوزير :

الأخ الأستاذ / عبد الرحمن الشاذلي بصفته وكيل وزارة لشئون التجارة الداخلية ولديه سياسة التجارة الداخلية الخاصة بالتوزيع ، نرجو منه أن يمس لنا هذه النقاط بإيضاح ..

عبد الرحمن الشاذلي :

– قد يهم حضراتكم أن نوضح دور وزارة التموين والتجارة الداخلية ، لارتباطه الوثيق بموضوع الندوة وما يدور في أذهان حضراتكم .

ينحصر نشاط وزارة التموين والتجارة الداخلية في نشاطين هامين متصلين اتصالا وثيقا بحياة الجماهير، التموين والتجارة الداخلية ، وكلاهما يتطلبان عملا تخطيطيا ينحصر في التعرف على احتياجات الجماهير وتقديرها من حيث كميتها ومواصفاتها وتوقيت استهلاكها ، ويرتبط بذلك التعرف على وسائل توفيرها سواء بالانتاج المحلي أو بالاستيراد وعمل آخر تنفيذي تخطيطي وهو توزيع السلع التي توافرت طبقا لخطة محكمة تكفل تواجدها في مناطق الاستهلاك ، وتحقيق عدالة التوزيع وتوفيرها للمستهلك في الوقت والمكان المناسبين .

وقد تحددت مسئولية التخطيط والتوزيع في قطاع التموين والتجارة الداخلية بالنسبة للسلع الغذائية منذ أتيح لقطاع التموين والتجارة الداخلية أن يضطلع بمسئوليته الكاملة بالنسبة للسلع الغذائية في وضع خطة الاحتياجات وخطة توفيرها ، وخطة التوزيع وتنفيذها والاشراف عليها ، على ضوء التوقعات المنتظرة لتحديد الاحتياجات والامكانيات المتاحة لقطاعات الانتاج والاستيراد والنقد الاجنبي المتوفر .

ووضح دور قطاع الانتاج حيث وقف عند حد الانتهاء من عمليات انتاج السلع المطلوبة للسوق المحلية على ضوء الخطة الموضوعة سلفا من قطاع التجارة الداخلية ، كما اقتصر دور قطاع الاستيراد عند حد توفير الاحتياجات بالتعاقد على السلع وفق برامج التوريد والمواصفات اللازمة التي تضمنتها خطة توفير الاحتياجات المشار اليها وتسليم البضائع في موانيء الوصول .

وتبادر أجهزة التجارة الداخلية الى تسلم السلع بمجرد توافرها واصدار القرارات المنظمة لانسيابها في مختلف انحاء الجمهورية بما يحقق العدالة في التوزيع وفقا لطبيعة السلعة واستهلاكها والطلب عليها .

ولهذا انعدمت الاختناقات في هذا النوع من السلع وأمكن على ضوء المسئوليات الكاملة التي أعطيت لوزارة التموين والتجارة الداخلية التصرف في الخطط الموضوعة وتغييرها طبقا لمقتضيات العرض والطلب وعلى ضوء الظروف التي يسفر عنها التطبيق العملي لتنفيذ هذه الخطط .

وبذلك وضحت مسئولية كل جهاز ودوره في توفير هذه السلع .

والأمر على النقيض بالنسبة للسلع غير الغذائية ، فان دور وزارة التموين

والتجارة الداخلية لم يتبلور بعد ، ولم تتضح مسئولياتها بين القطاعات الاخرى ، مما حال للآن دون امكان وضع تخطيط متكامل لتحديد الاحتياجات من السلع غير الغذائية او وضع خطة لتوفيرها تلتزم بها أجهزة الانتاج أو أجهزة الاستيراد طبقا لامكانيات كل جهاز ، كما تعذر وضع خطة توزيع تلتزم بها هذه الاجهزة .

واقتصر دور وزارة التموين والتجارة الداخلية في هذا النوع من السلع على مراقبة الاسعار والحد من تلاعب التجار في حبس السلع من التداول باستثناء عدد قليل من السلع التي تتولى الوزارة وضع خطة توزيعها وهو عمل لا يتناسب مع وجود وزارة للتموين والتجارة الداخلية فيما يختص بهذا النوع من السلع ، ويتعارض مع الاسلوب الذي أخذت به الدولة لضمان توفير السلع بالكميات المناسبة وفي مناطق الاستهلاك وطبقا لبرامج تزويد محددة .

وقد ترتب على ذلك أن تعددت نظم التوزيع الداخلي متخذة عدة طرق من حيث مصدر السلع المتاحة ، فما زالت الشركات المستوردة تقوم بتوزيع بعض السلع مباشرة الى المستهلك الاخير ، وبعضها يتم تسليمه لقطاع التجارة الداخلية لتوزيعه بمعرفته ، والبعض الاخر تقوم شركات الاستيراد بتوزيعه تحت اشراف الادارة العامة لتوفير احتياجات مواد البناء بوزارة الاسكان او مصلحة الرقابة الصناعية بوزارة الصناعة ، هذا بجانب قيام الشركات الصناعية بتوزيع الكثير من منتجاتها ، الامر الذي نتج عنه اشراف أكثر من جهاز على توزيع السلع ، وأحيانا بالنسبة للسلعة الواحدة ، وترتب على ذلك تكرار توزيع السلعة الواحدة في بعض المناطق ، فتوافرت فيها ، بينما ندرت او حرمت مناطق أخرى منها .

ورغم هذه الصعوبات التي تصادف التجارة الداخلية بالنسبة للسلع غير الغذائية ، فقد انتهجت الوزارة بالنسبة لتقدير احتياجات البلاد من السلع غير الغذائية خطة تقوم على أساس دراسة الاحتياجات دراسة موضوعية ميدانية واستقراء البيانات المتاحة لدى كل من اجهزة الانتاج واجهزة الاستيراد ، وحرصت في الوصول بأرقام تقدير احتياجات البلاد من أهم السلع الاستهلاكية والوسيطة غير الغذائية (دون مستلزمات الانتاج) على أسس مدروسة مسترشدة في ذلك بحجم الانتاج الصناعي ، ومدى وفائه بحاجة الاستهلاك والوقوف على حجم الاستيراد المادي مقرونا بالحد الادنى الواجب توفيره من طريق الاستيراد في ضوء الامكانيات النقدية المتاحة بما يمكن من تلافي حدوث أزمات ملحوظة في السوق المحلية أو حدوث عجز واضح في السلع الضرورية .

وايمانا من الوزارة بأهمية تنسيق العمل بين أجهزة الانتاج والاستيراد من ناحية ، وأجهزة التوزيع من ناحية أخرى .

وفي سبيل التنسيق بين امكانيات كل قطاع تجارة داخلية ، وانتاج وتجارة خارجية فقد شكلت الوزارة عدة لجان اشترك في عضويتها ممثلون على مستوى المسئولية من القطاعات المختلفة لدراسة نظم ومعدلات انتاج واستيراد واستهلاك بعض السلع الحيوية تمهيدا لحصر احتياجات السوق منها حصرا واضحا ودقيقا ، وامكانية كل قطاع من قطاع الانتاج والاستيراد في توفيرها ووضع النظم الكفيلة بتوفيرها وعدالة توزيعها .

وقد وصلت بذلك التعاون المثمر الى دراسات في مجموعتين من السلع : مجموعة السلع الكيماوية ، ومجموعة السلع الكهربائية ، تعبر من حقيقة حجم الاستهلاك ومدى اسهام الانتاج المحلي فيه ، وتحديد القدر الواجب توفيره من طريق الاستيراد ، وبالتالي توجيه النقد الاجنبي توجيها سليما .

وعلى هذا فان تنسيق العمل بين قطاعات الانتاج والاستيراد والتوزيع ، ليس أمرا صعبا بوجود المسئولين المؤمنين بأهمية الصالح العام .

فاذا أمكن الوصول الى تحديد احتياجات السوق من السلع في ضوء خطة الاستهلاك ، وأمكن معرفة امكانيات الانتاج المحلي لكل مجموعة من السلع وامكانيات النقد الاجنبي المتاحة لدى الدولة ، أمكن لكل قطاع أن يضع

خطة فرعية لنشاطه ، فيستطيع قطاع التجارة الداخلية وضع خطة احتياجات ، وامكن وضع خطة للوفاء بهذه الاحتياجات من قطاع الانتاج واستكمال باقى الاحتياجات بالاستيراد ، مأخوذا فى الاعتبار خطة التصدير .

وبهذه الوسيلة وعن طريق الاجتماعات المشتركة بين الأجهزة المختلفة يمكن وضع خطة فرعية لكل قطاع من القطاعات والتنسيق بينها ووضعها موضع التنفيذ .

غير أننا لا ننسى ما سبق أن ذكرته أن بقاء مسئولية التوزيع تتداولها كافة القطاعات يجعل من الصعب الالتزام بخطة توزيع معينة ، الامر الذى يتطلب وقد آن الاوان ، أن تقوم وزارة التموين والتجارة الداخلية بمسئوليتها فى وضع خطة التوزيع والالتزام بها والاشراف عليها فى السلع غير الغذائية شأنها شأن السلع الغذائية .

ولقد أتاح التكوين الحكومى الاخير فرصة الوقوف على أهمية التزام كل من الاجهزة الاقتصادية بمسئولياتها طبقا لمبدأ التخصص الذى تسير عليه الدولة واتجهت الى أن يلتزم كل قطاع بمهامه فقط ، فتقتصر مسئولية جهاز التجارة الخارجية على عمليات الاستيراد والتصدير ، وجهاز الانتاج على عمليات الانتاج فقط ، وجهاز التجارة الداخلية على عمليات التوزيع فى حدود ما يتوافر من السلع .

ولا شك أن تنفيذ توصية لجنة الانتاج والتجارة فى هذا الخصوص سوف يكون له أثره الكبير فى تعميق اهتمام كل قطاع بعمله وبذل جهوده المتناثرة وتركزها فى زيادة الانتاج وفتح الاسواق الاجنبية وتحقيق عدالة التوزيع .

ولم تأل الوزارة جهدها فى السير قدما نحو الاستفادة بالتعاون المستمر مع القطاعات المختلفة ، وكما ذكرت سلفا فقد وصلنا نتيجة للجان المشتركة التى دعت اليها الوزارة فى التنسيق بين خطط الاحتياجات وخطط الانتاج وامكانيات الاستيراد وقضينا على كثير من المشاكل .

كما استطاعت لجان أخرى دعت اليها وزارات أخرى أن توفق بين خطة الاحتياجات ، وخطة الانتاج ، ومتطلبات التصدير .

وأملنا كبير فى أن يستكمل هذا التعاون بالتزام الاجهزة لتخصصها فيرتبط الانتاج أساسا باحتياجات السوق المحلية واحتياجات التصدير ، وأن تستطيع أجهزة الانتاج تطوير منتجاتها وفقا لمتطلبات السوق ، وأن يكون الاستيراد وفقا لخطة مقرونة بالمواصفات والزمان والسعر المخطط لكل مجموعة من السلع ولكل سلعة .

ومع هذا فان الوزارة قد حققت سياسات واضحة فى توزيع السلع التى تتحمل مسئولياتها بالكامل مؤداها تحقيق عدالة توزيع السلع على مناطق الاستهلاك وفقا لنمط الاستهلاك وعدد السكان وطبيعة استهلاك السلعة مأخوذا فى الاعتبار بعد وقرب مناطق الاستهلاك والحدود الاستراتيجية للمخزون السلعى اللازم للاستهلاك ، وقد كان لهذه السياسة أثرها فى استقرار الاوضاع وتحقيق عدالة التوزيع بين تجار التجزئة والمستهلكين .

كما لم تستأثر الوزارة بالدخول فى تنفيذ خطة التوزيع ، بل اقتصر دورها على التخطيط وتحديد حصص المحافظات ثم توصية المحافظات بتشكيل لجان توزيع السلع فى كل محافظة لوضع قواعد التوزيع على التجار بما يحقق فرص العمل لكل حسب امكانياته ، وبذلك تضمن الوزارة تنفيذ خطتها تحت اشراف كامل من أجهزة الرقابة المركزية والمتابعة .

اما عن دور القطاعين : العام ، والخاص ، فى مجالات التوزيع :

فأحب ان اوضح ان التجارة الداخلية هى نشاط اقتصادى يهدف الى توصيل السلعة فى المكان المناسب وبالسعر المناسب فى مناطق الاستهلاك ، ويكون ذلك عادة طبقا لنظم التجارة فى نظام الاقتصاد الحر ، بانتقال السلعة فى حلقة واحدة أو حلقتين أو ثلاث ، بانتقال السلعة من المنتج الى تاجر الجملة ثم تاجر نصف الجملة ثم تاجر التجزئة فالمستهلك ، أو من المنتج الى تاجر الجملة الى

تاجر التجزئة فالمستهلك ، أو من المنتج الى تاجر التجزئة مباشرة وقد تصل الى المستهلك مباشرة .

ولكل حلقة من هذه الحلقات مزاياها وعيوبها ــ تكلفتها وارباحها ، والى عهد قريب كانت التجارة الداخلية تزاول فى النظام الرأسمالى متحكم فى بعضها فئة قليلة من الانتهازيين والمستغلين ، ومنذ ثلاث سنوات اتجهت الدولة الى سياسة جديدة مخططة تهدف الى تخليص تاجر التجزئة والمستهلك من الانتهازيين بنقل تجارة الجملة الى القطاع العام ، وأوكل تحقيق هذه السياسة الى وزارة التموين والتجارة الداخلية وبدأت تنقل تجارة الجملة تدريجيا من القطاع الخاص الى القطاع العام حسب اهمية السلعة وكلما اقتضت الضرورة ذلك .

والى جانب ذلك بقى عدد كبير من السلع لم تر الوزارة حتى الآن سلوك هذه السياسة بالنسبة لها طالما لم يدخل فى تداولها المستغلون وحتى يتم اكتساب القطاع العام لخبرته فيها ، كما بقى القطاع الخاص والقطاع التعاونى يزاولان نشاطهما فى تجارة التجزئة جنبا الى جنب دون تخصيص أو تمييز ، كل حسب امكانياته ، تعطى لكل حصته من كافة الاصناف ، كما يخضع كل من القطاعات الثلاثة : عام ، وتعاونى ، وخاص ، للرقابة بنفس الاسلوب والمعاملة .

وحرصا من الوزارة على تحقيق عدالة التوزيع بين هذه القطاعات ، لقد اخضعت توزيع السلع التى يقل المعروض منها عن الطلب لنظام الحصص تقوم به المحليات عن طريق لجان توزيع سلعية تحقق العدالة بين القطاع العام ، والخاص ، والتعاونى ، على نحو ما ذكرت من قبل .

اما فيما يختص بدور الغرف التجارية فى خدمة التجارة الداخلية :
لقد آمنت الوزارة منذ فترة طويلة بدورها فى التعرف على حالة السوق واعطاء صورة واقعية عن حالتها ، عن ندرة السلعة ، عن حالة السلعة ، جودتها ، اصنافها ، اتجاه الطلب عليها ، اتجاه سعرها للصعود أو الهبوط ، نمط الاستهلاك وتطوره واتجاهاته .

ولهذا حرصت الوزارة على تطوير دور الغرف التجارية كأداة فعالة تشترك مع الوزارة فى الدراسات السوقية الميدانية بالطرق العلمية السليمة ولقد أسهمت فعلا هى والاتحاد العام للغرف التجارية فى الدراسات التى قامت بها اللجان التى اشرت اليها فى مقدمة حديثى ، وكان لتقديراتها اثر كبير فى المقارنة بينها وبين ما قامت به أجهزة البحث فى الادارة العامة للتسويق بالوزارة . وبذلك امكننا ان نحول دور الغرف التجارية من خدمة فقط لصالح شخصية لمجموعة من التجار ، الى خدمة الصالح العام .

وأملنا كبير ان تزداد اهمية الغرف التجارية بعد صدور القانون الجديد .

وقد لا حظت ان احدا لم يتعرض الى قطاع له اهميته كأحد دعائم النظام السياسى بالدولة ، وهو قطاع التعاون الاستهلاكى الذى يعتبر احد القطاعات الهامة التى تخدم التجارة الداخلية ، ويعتبر احد الاركان الهامة فى قطاعات التجارة بالدول الاشتراكية التى سبقتنا فى ذلك المجال .

وهذا القطاع يتولى خدمة مناطق الاستهلاك التى لم تمتد اليها خدمات القطاع العام .

وان كانت الحركة التعاونية الاستهلاكية قد اخذت متقدما نسبيا فى العامين الاخيرين ، الا اننا نطمع فى ان تقوم بدورها كأحد القطاعات العاملة فى مجال التجارة الداخلية لتخدم القاعدة العريضة من المستهلكين ، وهم الفلاحون والعمال الذين يبلغ عددهم نحو ٧٠ ٪ من مجموع السكان .

وأملنا كبير فى ان تنال اهتمام المسئولين فى الدولة رعاية وايمانا بأهميتها الكبرى كوسيلة لتدعيم الاشتراكية ولخدمة التجارة الداخلية .

السيد / الوزير :
يخيل الى ان الاخ عبد الرحمن الشاذلى قد عرض كل الجوانب المتصلة بالتجارة الداخلية . وارجو ان

ننتقل الى مناقشات الموضوعات الاخرى . واذا كان لاحد من حضراتكم اى سـؤال فيما ذكرناه فنحن مستعدون للاجابة عنه .

ماجد عطية :

فى الحقيقة ان الصـورة التى رسمها الاستاذ عبد الرحمن الشـاذلى من خلال حديثه ، صـورة مثالية ونحن نريد ان نتحدث عن أشياء واقعيـة وملموسـة .. انا اقول ان العلاقة القائمة بين قطاع الانتاج وبين قطـاع التوزيع ، ما زالت فى حاجة الى تنسيق كبير ، فان قلة التنسيق الحالية بين القطاعين واضحة لدرجة ان من نتائجها تكدس بعض السلع فى قطاعات التوزيع ، وهـذا راجع الى ان قطاع الانتاج لا يراعى فى طرح السلع التى ينتجها الوقت المناسب لاستهلاكها ، فعلى سـبيل المثال ، نجد ان احدى الشركات القائمة على توزيع الاقمشـة تشكو من انه قد وصـل اليهـا من قطاع الانتاج كميـة تقدرها مليونان من امتار الـكستور فى شهر مايو ، اى فى الوقت الذى لا يحتاج فيه اى مستهلك لهذه السلعة ، فهى بلا شك بهذا الحال تمثل « مخزون سلعى وتكدس سلعى وتجميد لرءوس أموال » ، مثل هـذه الشركات .. وهـذا الموضوع فى الحقيقة يحتاج الى علاج سريع .

السيد / الوزير :

أود ان أطمئن سيادتكم الى انه اذا كانت هناك مشـاكل متعلقة بالانتاج والتوزيع فان ذلك يجرنا الى ان التجارة الداخليـة بشكلها الحالى بصـفة عامة تجعلنـا نعمل على تنسيق المسئولية بين الوزارات التى تعمل فى مجال السلع جميعهـا ، سـواء كان من ناحيـة انتاجها ، أو من ناحيـة توزيعهـا ، وفى الحقيقة ، كنت اشعر شخصيا بان هناك تنافسا او تضاربا فى القطاعات المختلفة ، ولكننا الان وقد أصبحنا نعرض مشاكلنا كلها فى لجنـة الانتاج ، استطيع ان اقول ان جميع اخواننا الذين يعملون فى هـذا المجال متعاونون معنـا تعاونا كاملا فى حل كل المشاكل السـابقة . وبالنسبـة للكستور ، فنحن نبحث انتاجنـا منه ، والـكميات التى نحتاج اليهـا وتوفيرها فى المواعيـد المناسبـة مع مراعاة توفير احتياجات القوات المسلحة اولا ، وهناك لجنة خاصة لمناقشة مثل هذه المشاكل .

امينة السعيد :

فى الواقع كنت اقترح ان يكون لدينـا من الوقت ما يمكننا من الاستماع الى كل فرد يتحدث عن تخصصه ، ولـكنى أود اذا لم يكن هناك مانع ان ننتقل بالمناقشة الى طرح الموضوعات بترتيب يقدم الاهم على المهم بالنسبة للجمهور .. فمثـلا



م. حنا سكيمان ـ د. حسن عشماوى ـ على طلحة ـ م. جعفر عبد الله ـ م . مصطفى الفار

التموين ، ثم التغذية ، ثم الاحتياجات الاخرى ، وخلافه .

السيد / الوزير :

فى الحقيقة أنا حريص على هذه المناقشة وأرجو أن تسجل كاملة لكى تساعدنا فى عملنا بالوزارة وأننى انتهز فرصة وجود السيدة أمينة السعيد معنا فى هذه الندوة لانها ربة بيت ، ولأن لها دورا كبيرا معنا فى وزارة التموين ، وفى الاشتراك مع الوزارة فى حل المشاكل التموينية وترشيد الاستهلاك .

على طلحة :

أحب أن اتحدث عن قطاع النسيج ، لان الاخ ماجد عطية اثار هذا الموضوع على أساس المقدمة المختصرة جدا عن الاهداف الموجودة لقطاع النسيج ، وهذا الامر يهمنى جدا لان المستهلك فى الواقع يجب أن يكون على علم بهذا الموضوع .. لدينا أربعة أهداف أساسية فى قطاع النسيج ، وهى :

- الهدف الاول : توفير مستلزمات ومتطلبات الاستهلاك لمحدودى الدخل ، وهو ما نطلق عليه « الاقمشة الشعبية » .

- الهدف الثانى : وهو على نفس الدرجة من الاهمية ، بل وقد يكون أهم ، وهو توفير احتياجات القوات المسلحة فى ظروف المعركة المتصاعدة مع العدو .

- والهدف الثالث : هو التصدير . فهناك اعتماد كبير جدا على قطاع النسيج فى هذا الشأن حيث يصل الهدف الذى تحققه فى قطاع النسيج الى ٦١ مليون جنيه اريد بنسبة ١٠ ٪ سنويا .

- الهدف الرابع : وقد لا يكون له نفس الاهمية ، ولكنه فى نظرنا من الاهداف الهامة ، وهو محاولة تحويل نظر المستهلك عن السلع المستوردة ، وذلك باقناعه بأنه يمكن للانتاج المحلى أن يشبع رغباته واحتياجاته أكثر من السلع المستوردة .

هذه الاهداف الاربعة لقطاع النسيج ، وبالنسبة للمشاكل فى هذا القطاع فانى لا اقول ان هناك مشاكل دائما ، هناك بعض الصعوبات ، وكما ذكر السيد / الوزير ، فان وزارة التموين والتجارة الداخلية ، والمسئولين بقطاع النسيج ،



احمد حافظ ـ فؤاد بسيونى ـ زكى بدر ـ محمد شبس

ندوة الهلال



م. مصطفى الفار



على طلحة

متعاونون تماما لحل هذه الصعوبات ، ولكن فى الحقيقة هناك بعض التناقضات التى قد يكون من نتيجتها أن تقوم بعض المصانع بتسليم الكستور مثلا فى شهر مايو ، ونحن بالطبع لا يمكن ان نجبر المحال الاستهلاكية بان تقبل الكستور فى هذا الوقت ، ولكننا اذا قلنا ان أكبر عملائنا فى النسيج هو القطاع العام ، حيث أنه يأخذ ٧٥ ٪ من الانتاج ، بالاضافة الى انه قد بدأ يأخذ كل انتاج بعض المصانع ، فانه من مصلحة المؤسسة الاستهلاكية بصفتها قطاعا عاما ، الا يكون لديها مخزون سلعى كبير فى نهاية شهر يونية ، وهو موعد انتهاء السنة المالية ، لانها تحاسب عن هذا من بعض الزملاء بالجهاز المركزى أو غيرهم ممن ليست لديهم دراية بالناحية التجارية .. ان منتجات الشتاء تتراكم لدينا فى الشتاء ونحن نحاول التخلص من أكبر كمية منها بأن نسلمها لقطاع التوزيع ، وقطاع التوزيع من جانبه يأبى أن يقوم باستلام اية كمية منها ، ونحن فى الحقيقة نجد له العذر فى ذلك حيث انه يحاسب عن وجود المخزون السلعى عنده ، لذلك فاننا نحاول أن نسلمه قبل شهر يونيه ، وليس معنى ذلك ان التفاهم غير موجود بين القطاعين ، انه موجود ولكننى أقرر أنه حتى يكون هذا التفاهم كاملا يجب أن تكون اللقاءات ليس بين المؤسسة والمسئولين فى قطاع التموين فحسب بل بين المنتجين ككل وبين مجالات التوزيع جميعها بحيث لا تكون لقاءات فردية ولكن لقاءات جماعية حتى يسهل حل كل المشاكل المتعلقة بهذا الموضوع .

السيد / الوزير :

أود أن أقول ان مثل هذه اللقاءات التى أشار اليها الأخ على طلحة يجب ان تأخذ بجدية وان تشترك فيها كل الاجهزة المتصلة بهذا الموضوع ، ومنها اجهزة الانتاج ، واجهزة التوزيع ، والاجهزة الحاسبية ، حيث يمكن الاستماع الى آراء ومقترحات القائمين على العمل فى كل هذه الاجهزة ، وليس من شك ، ان تكرار هذه اللقاءات ووجود الاتصال الدائم ، والتفاهم الكامل بين اجهزة الانتاج ، واجهزة التوزيع له أثره الكبير فى حل المشاكل الموجودة ، والعمل على تفادى مثل هذه المشاكل مستقبلا .

السيدة أمينة السعيد :

هل يمكن ان أسأل المهندس على طلحة شخصيا ، سؤالا كثيرا ما ألح على وهو ان سيادته تكلم عن الاقمشة الشعبية ، وأنا أيضا لا أتحدث عن الاقمشة الممتازة ولكنى أتحدث عن الاقمشة الشعبية التى تعتبر كساء عامة الشعب ، والتى يستخدمها نحو ٩٠ ٪ من جماهير الشعب .. هل ترى سيادتكم كأب ، وكزوج ، وكمواطن ، ان الكستور الذى يصنع حاليا يوفر الدفء لابن الشعب الذى ربما لا يملك غير جلباب واحد من هذا الكستور ، كذلك فاننا نجد أن الاثواب من هذا القماش مليئة بالعيوب ، بالاضافة الى انه خفيف جداً ولا يبعث على الدفء .

على طلحة :

انا ننتج كل الاقمشة الشعبية ومن بينها الكستور بمواصفات معينة متفق



د. احمد عبد القادر الجمال



م. حسنين محمد حسنين



م. احمد طلعت عزيز



د. حسن هشماوى

عليها مع وزارة التموين والتجارة الداخلية بما يوفر الدفء للمواطنين ، والمفروض علينا هو أن ننتج طبقا لهذه المواصفات ، ولكن سيادتك تقولين ما معناه ان هذه المواصفات غير مناسبه ومؤدى ذلك اننا يجب أن « نثقل » او نزيد من وزن القماش وهذا معناه ان التكلفة سترفع السعر نتيجة لذلك ، ونحن فى الحقيقة ضد ذلك ، وانا غير متفق معك فى ان الكستور الموجود حاليا لا يوفر الدفء ، لانه يعتبر اثقل كستور فى العالم مع الاخذ فى الاعتبار ان بلادنا ليست ابرد بلاد العالم . اما وجود العيوب فى الاثواب فاود أن أوضح ان مصانعنا تنتج جميع الاقمشة ، ومن بينها الكستور بدرجة عالية من الجودة ، ولكن جزءا بسيطا جدا هو الذى تكون به عيوب ، فضلا من ان الكثير من مصانعنا عبارة عن فلول للمصانع التى اخذناها من القطاع الخاص وبعض الماكينات التى تعمل بها قديمة جدا وامكانياتها قليلة ، وقد بدانا نحصل على مبالغ كبيرة لتدعيم هذه المصانع ، ولكن النتيجة لم تظهر بعد ، وانا ادعو سيادتك لزيارة بعض المصانع القريبة الموجودة فى القاهرة لترى ما تنتجه هذه المصانع ، ومع ذلك فانه يهمنا جدا أن نقلل من هذه العيوب ونلافيها ، نرجو خلال عامين على الاكثر ان نحقق ذلك ، لان الماكينات الجديدة بدأت تدخل المصانع .

السيدة امينة السعيد :

اذا كان الذين وضعوا هذه المواصفات ادركوا بعد تطبيقها انها غير مناسبة ، فانني اقترح ان نقوم بعمل شىء آخر يكون ملائما . ومع احترامى لكلام سيادتكم عن المصانع التى اخذت من القطاع الخاص ، اليست هذه هى التى كانت تنتج أجود الاصناف ؟ أما عن الكلام بان الكستور الذى ننتجه يعتبر اثقل كستور فى العالم وان بلادنا لا تعتبر ابرد بلاد العالم ، فانني اقول أن المواطن فى البلاد التى تعنيها سيادتكم قد لا يكون محتاجا للكستور بالمرة لوجود امكانيات تدفئة اخرى .

على طلحة :

الماكينات التى استلمناها من القطاع الخاص ليست هى التى كانت تنتج بها الاصناف الجيدة . فالماكينات التى تسلمناها بالفعل غاية فى القدم ، ذلك لان القطاع الخاص عند ما شعر أن الدولة ستأخذ هذه الماكينات وانه لن يستمر فى وضعه بدأ يهمل فى صيانتها ، فكان كل واحد فى القطاع الخاص يسافر أوربا كل عام لاحضار قطع غيار لتجديد مصنعه ، ولكنه عند ما علم ان الدولة ستأخذ هذه المصانع لم يجددها

السيد / الوزير :

فى الحقيقة ان السيدة امينة السعيد معها حق ، ونحن علينا ان نقوم بالتجديد فى مواعيده ، كذلك أود ان اشيد بالدور الضخم الذى تقوم به السيدة امينة السعيد من توجيهات وارشادات لربة البيت فى مجال الاستهلاك وخلافه .

ماجد عطية :

هناك سؤال .. نحن لدينا صناعة نسيج نفخر بها ، ولكن « التوفوتيه » الذى

ينتج حاليا ليس فيه اسعار وسط ، في حين انه يمكن للمراة العاملة ان ترتديه وتذهب به الى العمل لو كانت اسعاره معقولة .

السيد / الوزير :

لقد اعجبني ما قاله الاخ علي طلحة من ان وزارة التموين مسئولة عن الاسعار ، وانا ما زلت اقول ان وزارة التموين مظلومة في هذا حيث ان هناك عوامل كثيرة تتحكم في عملية الاسعار خارج نطاق وزارة التموين ، وعلى كل حال ، فهذا الموضوع سيراعى باهتمام وستكون هناك اسعار وسط لكل الاصناف . والان ننتقل الى مناقشة البضائع المستوردة ، فالاخ يحيى الجمال ، سيوضح لنا هذا الامر .

يحيى الجمال :

من المفروض الا يكون هناك استيراد اصلا فيما له مثيل في الانتاج المحلي ، وهذه التوصية مطبقة في الوقت الحاضر ، حيث لا يمكن استيراد كل ما ليس له مثيل في الانتاج المحلي ، وذلك لان الدولة لها امكانيات معينة وفي حدود هذه الامكانيات تقوم باستيراد هذه السلع ، الاهم ، فالمهم ، ولا اعتقد ان هناك شيئا ضروريا في قطاع النسيج يستلزم استيراده كما قال الاخ ماجد عطية . وهناك نقطة اخرى اثارها الاخ ماجد ، وهي الخاصة بايجاد نوع وسط في السعر ما بين الاقمشة الشعبية والاقمشة التي نعتبرها « نوفوتيه » وهذا الامر محل دراسة .

السيد / الوزير :

نرجو من الاخ يحيى الجمال ان يغطي لنا ناحية السلع المستوردة .

يحيى الجمال :

ان دور السلع المستوردة عموما يرجع الى الاسواق الحرة نفسها ، فمن المعروف اننا نستورد ما نحتاج اليه من الخارج بالنقد الاجنبي لبيعه في السوق المحلية ، واننا نلجأ الى هذا كلما سمحت امكانيات الدولة بذلك ، وهناك نوعان من الاسواق الحرة : اسواق حرة ، للبيع للمواطنين ، واسواق حرة ، للبيع للدبلوماسيين . وبالنسبة للسوق الحرة التي تبيع للمواطنين ، يضاف اليها رسوم جمركية تحصل من الاسواق ، وهذه في الحقيقة كانت وسيلة لجلب مدخرات المصريين الموجودين في الخارج .

يوسف فكري :

هناك قرار صادر من وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية رقم ٧٢٧ لسنة ١٩٦٤ بمنع استيراد شنابر النظارات من الخارج ، حماية للمنتج محليا ، فهل هذا القرار ما زال قائما ، ام انه غير قائم ؟ واذا كان قائما ، فما هو السر في وجود هذه الكميات الهائلة من الشنابر المستوردة ، والمعروضة في محال النظارات في كل مكان .. وما هو موقف هذه السلعة من قرار المهلة الممنوحة للبضائع المستوردة ، والتي انتهت يوم ٥ ابريل عام ١٩٧١ . ان وجود هذه السلعة المستوردة يسد الطريق امام الانتاج المحلي في حين ان الانتاج المصري لا يقل جودة عن الانتاج الاجنبي ، وخاصة من ناحية الخامة فهي واحدة .

السيد / الوزير :

اود ان اقول ان الوزارة بعد ستة اشهر تكاد تكون قد حققت الهدف من تنظيم تجارة السلع المستوردة ، وفي الحقيقة ان الحديث في هذا الموضوع يجعلنا نستعرض الاجراءات التي قامت بها وزارة التموين في القضاء على ظاهرة تهريب السلع الاجنبية ، لقد اقتضى الصالح العام ، والحفاظ على مصلحة الاقتصاد القومي الا تقف الدولة مكتوفة اليدين امام عمليات التهريب المستمرة التي ادت الى غمر الاسواق بالسلع الاستهلاكية منافسة بذلك المنتجات المحلية ، مستغلة جمهور المستهلكين بالاسعار الخيالية ، فصدر قرار وزارة التموين والتجارة الداخلية رقم ٢ لسنة ١٩٧١ ، بحظر عرض هذه السلع للبيع في محلات القطاع الخاص ، واعطيت فرصة للتجار مدتها ثلاثة اشهر للتصرف في البضائع الموجودة لديهم ، زيدت الى ثلاثة اشهر اخرى ، انتهت في ٥ ابريل عام ١٩٧١ ،

وتيسيرا على أصحاب هذه الحال الذين لم تمكنهم الظروف من التخلص من البضائع الموجودة لديهم خلال هذه المهلة ، قامت الغرف التجارية باجراء حصر شامل لهذه البضائع المتبقية لدى التجار بمحافظتي القاهرة ، والاسكندرية ، وقد أسفرت الاحصاءات التي تجمعت لدى غرفتي القاهرة ، والاسكندرية عن وجود كميات كبيرة تبلغ قيمتها ملايين الجنيهات من النقد الاجنبي التي دفعت ثمنا لها ، وضاعت على البلاد بهذه الوسيلة ، وهي متبقية حاليا لدى التجار وتحتاج الى عدة شهور للتخلص منها ، وقد كلفت الوزارة الاجهزة المختصة بها بأن تتولى تحت اشرافها تحديد المهلة اللازمة لتصريف البضائع المتبقية لدى كل تاجر حسب كمياتها ونوعها وقد تم تسعيرها ، وذلك حماية للمستهلكين وقد ثبت أن هذه الكميات بلغت قدرا كبيرا يسمح بتشغيلهم لمدة طويلة يتم خلالها تطوير نشاطهم ، والاتجار في السلع المحلية مستقبلا .. وقد حدد القرار رقم ١٥٥ لسنة ١٩٧١ ، نوعيات السلع التي يسري عليها قرار الحظر ، وهي : الملابس الداخلية والخارجية بكافة أنواعها ، والبلوفرات ، والجوارب ، وكافة انواع مستحضرات التجميل ، والروائح ، والكولونيا ، ومعجون الاسنان ، وامواس الحلاقة ، والساعات ، والاقمشة بكافة أنواعها . وهي مجموعات السلع التي سمح للتجار بتصريف الكميات المتبقية منها بعد تسعيرها بمعرفة الشركة وخلال المهلة المحددة لهذا الغرض . على انه بعد الانتهاء من تصريف انواع البضائع التي تم حصرها لدى التجار ، وفي نهاية المهلة المقررة تكون وزارة التموين والتجارة الداخلية قد قامت بدورها بالتيسير على التجار المتعاملين في هذه السلع ومنحتهم اجلا لتطوير نشاطهم ، وقضت من جانبها على ظاهرة التهريب في السلع المستوردة وحافظت على أموال الدولة ، وتأمل معاونة الاجهزة الاخرى المختصة بوزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية ووزارة الخزانة في القضاء على عمليات التهريب نهائيا.

عبد الرحمن الشاذلي :

في الواقع ان القرار الذي اشار اليه الاخ يوسف فكري صادر من وزارة الاقتصاد ، واما بالنسبة لشنابر النظارات الموجودة حاليا ببعض المحال ، فمن الجائز ان تكون هذه الشنابر قد وصلت بطريق التهريب ، ووزارة التموين والتجارة الداخلية تحاول بالتعاون مع أجهزة وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية أن تحد من عرض هذه البضائع في السوق .

محمد ناجي :

بصفتي خبيرا في صناعة النظارات ، يهمني أن اوضح دور الشنابر في الاحساس الداخلي للفرد الذي تقرر له عمل نظارة طبية ، فليس من شك أن مصانعنا ما زالت متخلفة في صناعة شنابر النظارات ، والمسئولون يعلمون ذلك ، كذلك فان انتاجها لا يغطي كافة الاحتياجات ، اما من ناحية اننا نقوم بالتصدير في هذا المجال ، فاننا نصدر أشياء نوعية فقط .. ولكن يكفي أن نعلم ان الشخص الذي تقرر له عمل نظارة عادة ما يكون نظره ضعيفا ، فلا يمكن ان نعطي له شنبرا يعطيه الاحساس بالنقص . ان المصانع القائمة على صناعة شنابر النظارات لا تغطي الا بعض النوعيات ، وليست المسألة ان هذه مصانعنا ويجب تشجيعها ، ولكن المسألة هي ان هذه المصانع في حاجة الى دعم وتطوير حتى تكون على مستوى المصانع الموجودة في البلاد المتقدمة ، ولا شك انه في الوقت الذي تصل كفاءة وجودة الانتاج في مصانعنا الى الدرجة التي عليها المصانع الحديثة بالخارج فسوف لا تكون في حاجة مطلقا الى أي شيء يأتي الينا من الخارج ، ونرجو ان شاء الله أن تصل مصانعنا في المدى القريب الى هذه الدرجة ، وهذا المستوى ، اما في الوقت الحاضر ، وحيث لم تصل مصانعنا الى ما نرجوه ، وما يمكنها من تحقيق الاكتفاء الذاتي في هذا المجال ، فليس من المعقول أن نحرم الشخص الذي يلزمه عمل نظارة طبية من الشنابر المناسبة ، خاصة وان الشخص الواحد لا يقوم بعمل نظارة الا مرة واحدة كل خمس سنوات .. اننا



كمال رمضان ـ عثمان حمودة ـ محمد ناجي

نشجع ما هو منتج محليا طبقا لامكانيات الانتاج ، ولكن الى جانب ذلك يجب أن يسمح لنا باستيراد ما لا ينتج محليا ، أو ما هو مكمل للانتاج المحلي ، هذا بالاضافة الى انه توجد لدينا نماذج من الانتاج المحلي ، ونماذج أخرى من البضائع المستوردة ، لو عرضناها على حضراتكم ، فستجدون ان هناك فرقا شاسعاً بين النماذج . وفي الواقع ان موضوع النظارات أخذ نقاشا كثيرا ، ولكننا قبل أن ننهي هذا النقاش لا بد أن نقول انه يجب العمل على تحسين انتاجنا وأن نحاول كذلك توفير النظارة الشعبية للمستهلك بأسعار معقولة .

السيد / الوزير :

نشكر الاخ محمد ناجي على هذه اللفتة ولكننا لا بد ان نذكر أن غذاء النظر لا يسبق غذاء البطن ، وانني لا استطيع ان انقص من العملة لتوفير ما هو غذاء للنظر قبل توفير ما هو غذاء للبطن .

محمد ناجي :

في الواقع ان الكفاية الانتاجية تتوقف ـ للفنيين ـ على سلامة وقوة ابصارهم ومن هنا فان النظارات تعتبر من الاشياء الهامة جدا والضرورية في نجاح عمليات الانتاج حيث ان النظارة المنتجة محليا قد تسبب للشخص الذي يستخدمها بعض الصداع .

السيد / الوزير :

لدي نظارة مصرية ومع ذلك فانني لا اشعر بصداع او بأي شيء من هذا القبيل .

ماجد عطية :

تكلمتم سيادتكم عن منافع التنسيق بين وزارة التموين والتجارة الداخلية وبين أجهزة وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية للتعاون فيما بينها للقضاء على عمليات تهريب البضائع المستوردة ومع ذلك فهناك قرار يسمح لأي مواطن بالخارج أن يحضر معه بضائع أجنبية في حدود ١٠٠ جنيه ، أفليس ذلك أحد المنافذ التي تساعد الافراد على التهريب ؟

السيد / الوزير :

لعلاج هذا الموضوع أصدرنا قرارا يقضي بعدم السماح لأي شخص قادم من الخارج بالمتاجرة فيما أحضره معه من البضائع الاجنبية ، كذلك فلا بد أن يحصل كل مشتر لهذه البضائع على فاتورة ، وهذا بلا شك يجعل العائد من الخارج لا يحضر معه ـ وان وصلت قيمته للحد المقرر وهو الـ ١٠٠ جنيه ـ الا ما يلزم لاستعماله الشخصي أو ما يقدمه هدايا لاقاربه ، كذلك كما ذكرت

فى هذا المجال فاننا وضعنا أيدينا على البضائع الاجنبية الموجودة لدى التجار وقمنا بحصرها وتسعيرها ، وقمنا بعمل رقابة شديدة على عمليات التهريب .

ماجد عطية :

ما زلت اقول ان القرار الذى أشرت اليه يتيح للافراد فرص التهريب ، خاصة وان هذا القرار الذى يسمح للقادم من الخارج باحضار بضائع اجنبية فى حدود ١٠٠ جنيه لا يشترط أن يكون قد أمضى فى الخارج مدة طويلة تعد بالسنين ، ولكنه يفيد كذلك حتى الذى سافر لمدة بسيطة تعد بالايام .. وعلى ذلك فهذا يعتبر من أكبر المصادر الموجودة فى عمليات التهريب .

السيد / الوزير :

لقد قمنا بعمل احصائية لهذه العملية فوجدنا انها أشياء بسيطة ، وعلى كل حال يجب ان نتعاون نحن كأجهزة توزيع ورقابة مع أجهزة النقد للانتهاء من هذا الموضوع .

احمد رسلان :

الاحظ ان أسعار الاحذية ترتفع ، بينما الجودة تنخفض ؟

السيد / الوزير :

لقد ناقشت التجار فى موضوع الغش بالذات وهناك لجان للدراسة يمثل فيها التجار انفسهم وأترك للأخ عبد الرحمن الشاذلى شرح الموضوع .

عبد الرحمن الشاذلى :

الأزمة المثارة حاليا تكمن فى ارتفاع أسعار الخامات التى قيمت على أساسها أسعار الاحذية حاليا وقد تقدمت بعض المصانع بطلب اعادة النظر فى بعض المواصفات التى لا تؤثر فى جودة الحذاء وان الخامات تمر بمراحل مختلفة حتى تصل الى المصانع وبعضها من السوق السوداء وقد بدأنا فى دراسة هذا الموضوع ، ونفكر الان فى عمل مراكز توزيع للخامات حتى توفر بأسعار مناسبة .

السيد / الوزير :

فى الحقيقة ان السيدات هن من أسباب ارتفاع أسعار الاحذية ، بسبب الجرى وراء الموضات التى تستهلك جلودا كثيرة .

السيدة امينة السعيد :

وطنية السيدة تحتم عليها عدم الاسراف ، ولكن الاحذية الرجالى أيضا تستهلك جلودا كثيرة .

السيد / الوزير :

أرجو ان تتمكن من مراجعة الاسعار مرة أخرى .

كمال رمضان :

التسعيرة التى وضعت عام ١٩٦٧ كانت مرضية للجميع فتلاشت الشكوى ، وكان الانتاج جيدا .. وفى عام ١٩٦٩ زادت أسعار الجلود وبدأت شكوى الصناع ، وجاء قرار الخفض الجديد فى الوقت الذى زادت فيه أسعار الجلود الى ٦٠ ٪ فحدثت الشكوى الشديدة لدرجة ان بعض المصانع الصغيرة لم تتحمل الخسائر .. مع انه كان فى الامكان ان نفيد المستهلك من طريق الجودة بدلا من الخفض الجديد ١٠٪ .. ثم اطالب باحلال الخامات البديلة من الجلود الصناعية التى تخفض من الاسعار مثل بقية بلاد العالم التى يرتفع فيها الحذاء الجلد الطبيعى الى ١٥ جنيها .

السيد / الوزير :

اشكر الندوة التى أتاحت لى فرصة الاستماع للمنتجين ، غير أن ردى على النتيجة ان الاسعار وضعت بناء على دراسة كافية وضعت فى وزارة الصناعة ، ولكن ان كانت هناك اخطاء علينا ان نتكاتف لعلاجها .. ونحن ندرس الان موضوع الجلود وصناعة الاحذية فى لجنة الانتاج ، انه لا بد من العمل على خفض المعيشة ، والاحذية عنصر هام لا بد أن يخفض ، لقد تحملت الدولة سنويا ٥٢ مليون جنيه من أجل خفض المعيشة ، والدولة تتحمل فى سبيل خفض سعر

الاحذية حوالة ٣ ملايين جنيه .

ان صناعة الاحذية عندنا تتطور ، وصدرنا كميات كبيرة لدول العالم .

كمال رمضان :

لقد زاد انتاجنا فعلا ويمكن لو رفعنا الانتاج بنسبة ٢٠ ٪ فقط فقد نصل بالانتاج الى ٢٠ مليون جنيه ونفتح أسواقا متعددة لصادراتنا .

السيد / الوزير :

انا نتقابل ، انت تنظر الى الموضوع من جهة القطاع الخاص ، ونحن ننظر اليه بنظرة أعم من هذا ، ونرجو أن نتجه الى الاستعانة بالجلود الصناعية في القريب ، كما نرجو ان نصل الى تسعيرة ترضى كل الاطراف .

ابراهيم عامر :

مواد التموين وخاصة المواد الزراعية ، وهذه معرضة لتقلبات الجو وضعف امكانيات التنسيق ، فهل يمكن أن نعرف شيئا عن اشكال التنسيق بين وزارة التموين ، ووزارة الزراعة فى ضوء مشكلة الفول الحالية ؟

السيد / الوزير :

اشكرك على اثارة موضوع الفول ، واشكر الله ان المشكلة تكاد تكون الان فى طريق الحل ، فالبشائر الجديدة لمحصول الفول ظهرت فى السوق وتتزايد .. لقد ناقشنا المشكلة فى اللجنة الاقتصادية بمجلس الامة واشترك فى المناقشة وزراء الزراعة والتموين والاقتصاد .. لقد تناقصت مساحة زراعة الفول بواقع ٣٠ الف فدان سنويا اى نقصت خلال العامين الاخيرين ٧٠ الف فدان ، والسبب فقدان الثقة عند المزارع نتيجة لعدم وجود تسعيرة للمحاصيل ، ومن هنا كان الاتجاه الى انشاء جهاز لتسعير المواد الغذائية واعلان الاسعار فى شهر سبتمبر من كل عام لكى يكون الفلاح على علم بسعر كل محصول .. وسيتم التعاون بين وزارتى التموين والزراعة لوضع خطة متكاملة لتقدير الاحتياجات المحلية فى ضوء الانتاج لتحديد حجم الاستيراد .. كما ستقوم وزارة الزراعة لاول مرة بانشاء مزارع خاصة تمد المدن الرئيسية بالخضر والفاكهة والدواجن .. كما تم انشاء شركة جملة فى وزارة التموين لتدخل مشترية فى السوق عند ما يتجه تجار الجملة الى رفع الاسعار وبمناسبة الكلام عن الفول أعطى الكلمة للمهندس مصطفى الفار ، والدكتور حسن عشماوى كزراعيين أصلا .

مصطفى الفار :

اعتقد أن الحلول التى ذكرها السيد الوزير بالنسبة لحل ازمة الفول ستكون مفيدة للغاية ، فالحل الحقيقى يكمن فى مشكلة السعر الذى يجب ان يعلن به الفلاح حتى يحدد صنف الزراعة وهو الحل الذى اتفق الوزيران عليه ، بالاضافة الى ان التعاون بين الوزارتين سيمنع تكرار هذه المشكلة مستقبلا وخاصة فيما يتعلق بالفول والبصل .. وعلى اية حال سيكون الفول متوفرا فى وقت قريب جدا ، كما تقرر استيراد كميات كبيرة منه لمواجهة الموقف ، وفى النهاية اننى اقدر التعاون البناء الكامل بين التموين والزراعة فى التخطيط بين الانتاج والاستهلاك حتى يمكن التغلب على الصعاب مستقبلا .

السيدة امينة السعيد :

لى سؤالان ، ولكن قبل أن اوجههما اريد ان اؤكد اننى اوجه السؤالين بحسن نية وبراءة تامة .

السيد / الوزير :

ان كلامك دائما كله بحسن نية وبراءة .

السيدة امينة السعيد :

السؤال الاول : عن رغيف العيش : لماذا لا يبيض لونه ، اننى أعلم ظروف المواصفات وظروفنا الحالية ، لكن لماذا لا يكون الرغيف البلدى فى القاهرة على نفس درجة الجودة للرغيف فى الاسكندرية .

السؤال الثانى : سمعنا عن سياسة لانتاج الدواجن ، ولكننى اسأل : اين

في الدواجن .. منذ ستة اشهر لم أرها ، فلماذا سألت في المجمعات قيل انها تصل الساعة ١١ صباحا ، فهل تستطيع المرأة العاملة ان تترك عملها لتتفرغ لشراء الدجاج ؟

السيد / الوزير :

اترك للسيد المهندس احمد على فرج رئيس مؤسسة المطاحن الرد على السؤال الاول .. كما ارجو من السيد حبيب داود رئيس مؤسسة السلع الغذائية الرد على السؤال الثاني .

لكنني قبل الاجابة .. ارجو ان تسمحوا لي بعرض بعض الارقام التي توضح مدى زيادة الاستهلاك رغم ظروف الحرب التي نمر بها .. هل شعر احد بظروف الحرب .. هل نقص الاستهلاك او حد منه .. هل حدث اختناق في اي سلعة باستثناء مشكلة الفول التي ليس للتموين ذنب فيها ؟

بتزايد السكان بنسبة ٢٫٨ ٪ ومع ذلك يتزايد الاستهلاك بنسب شديدة جدا فاذا افترضنا ان عام ١٩٦٧ ، عام العدوان هو سنة الاساس ، وافترضنا ان نسبة الاستهلاك = ١٠٠٪ ، فسوف نجد الزيادة كالاتي بالنسبة لعام ١٩٧١ ، وكما هو مقدر القمح — ١٢٩ ٪ — الفول — ١٦١ ٪ — العدس — ١٢٨ ٪ — السكر — ١٣٦ ٪ — الزيت — ١٤٢ ٪ — اللحوم المجمدة ٢٣٣ ٪ — السمك المجمد — ٢٠٤ ٪ — الارز — ١١٦ ٪ — الشاى ١٠٨ ٪ — السمسم — ١٣٩ ٪ — الذرة — ١٠١ ٪ — البن — ١١٦ ٪ .

انني بعد ذلك اعهد للاخ السيد / المهندس احمد على فرج شرح ما قامت به الدولة في قطاع رغيف الخبز — والمجهودات التي قامت بها المؤسسة في هذا القطاع .

احمد على فرج :

قبل ان اتكلم عن سياسة الخبز ، اي لقمة العيش .. اود ان اشير الى اننا نرحب بأي نقد يوجه الينا في هذه السياسة ما دام هذا النقد يعاوننا ويوجهنا في رسالتنا حتى نستطيع ان نصل بلقمة العيش ، وهي العنصر الاساسي في غذائنا ، الى اعلى مستوى بإذن الله .

« لا شك اننا جميعا نتفق على انه — في مجتمعنا الاشتراكي — لا بد ان تعمل الدولة على « توفير » هذه اللقمة « بمواصفات » سليمة مقررة و « بسعر » لا تلعب فيه السوق السوداء . فاذا كانت هذه هي المبادىء الثلاثة في سياسة الدولة عن لقمة العيش ، فمن اين نبدأ ؟ .. لا شك ان البداية تكون في توفير السلعة ذاتها ، وقد تكون المتاعب التي نلقاها في سبيل توفير السلعة غالبا غير ملحوظة ، ذلك لانه لم تظهر هذه المشكلة مطلقا بأي شكل للجماهير منذ قيام الثورة .

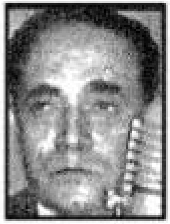
« الا ان الواقع ان هذه المشكلة كبيرة وجسيمة ، لاننا اذا نظرنا الى الخامة الرئيسية فيها وهي « القمح » الذي ينتج منه الخبز ، نجد اننا نستورد منه ما يوازي مرة ونصف مرة من انتاجنا المحلي ، فاذا كنا ننتج حاليا من القمح نحو ١٫٥٠ مليون طن ، فاننا نستورد نحو ٢٫٢٥٠ مليون طن . وحتى هذا الرقم اعتبره لا يمثل الحقيقة فيما نستورده لاننا لو اضفنا الدقيق الفاخر الذي نستورده وهو يقدر بنحو ٥٥٠ الف طن ، فان معنى هذا اننا نستورد نحو ثلاثة ملايين طن من القمح اي ضعف انتاجنا المحلي منه .

« ومن هنا تظهر ضخامة المشكلة في توفير السلعة ذاتها في شكلها الاول وهو « القمح » الذي اخذت الدولة على عاتقها تنفيذ السياسة التخطيطية السليمة لتوفيره » .

وعلى ذلك حتما ضمان توفير السلعة في شكلها التالي وهو « الدقيق » الذي اخذت الدولة على عاتقها ايضا توفيره بالسعر الذي ييسر على المستهلك حصوله عليه بصفة مستمرة كغذاء اساسي له .. ولكن كيف نصل الى ذلك ؟

« لا شك ان مطاحن القطاع الخاص التي اممت لم تكن لتستطيع مواجهة الطلب من الدقيق ، لذلك كانت نقطة البداية هي ايجاد المطاحن والربط بينها ، لقد

ندوة الهلال



حبيب داود



جعفر عبد الله

كانت هناك مناطق خالية من المطاحن وكان يباع فيها الدقيق فى السوق السوداء ، لذلك كان من الضرورى توفير القدرات الطاحنة فى ظروف كلنا نعلمها واستثمارات كلنا نعلم كيف ندبرها ، وكانت المطاحن المؤممة ـ الى جانب انها لم تكن منشأة على أساس سليم من التصميم الذى ينتج دقيقا مطابقا للمواصفات ـ فانها لم تكن موزعة توزيعا جغرافيا سليما حيث كانت بعض المحافظات محرومة منها ، مثل محافظات القناة ، ودمياط ، وأسوان ، وكانت المهمة الاساسية هى توفير القدرة الطاحنة على مستوى الجمهورية وايجاد اكتفاء ذاتى منها فى كل محافظة من محافظات الجمهورية .

« ولقد أخذت المؤسسة على عاتقها فوق ذلك انشاء مراكز تديرها بمعرفتها لتوزيع الدقيق بالجملة فى كل مركز ادارى ولم يعد هناك اى توزيع لهذه السلعة الرئيسية من طريق المتعهدين بل وستبدأ المؤسسة فى تعميم مراكز التوزيع هذه فى القرى الكبيرة .

ويأتى بعد ذلك توفير السلعة فى شكلها النهائى اى «الخبز» ـ وهو ما يجرنا الى الكلام عن « صناعةالخبز » .

وفى هذه النقطة بالذات لم نقف مكتوفى الايدى بل قامت عملية تطوير صناعة الخبز جنبا الى جنب مع توفير الدقيق الجيد . اذ من المعلوم ان المخابز الموجودة لا تفى بالمطلوب لصناعة جيدة فقد بدأنا بتجربة « التصنيع الآلى » واستفدنا بخبرات كثير من الدول فيه ، واستوردنا مخابز آلية ولكننا لم نستطع فى بداية الامر مسايرة رغبات المستهلك فى الحصول منها على رغيف « مستدير » وليس « اسطوانيا » كما هو الحال فى العالم الخارجى . وبعد تجارب عديدة وطويلة استطعنا انتاج « الرغيف البلدى المستدير » من الخبز الآلى الذى استوردناه من المانيا الغربية ، الا ان تكلفة الانتاج كانت عالية الى حد كبير عن المستوى الحالى ـ فبلغت هذه التكلفة مثلا بالنسبة لبند « الوقود » وحده نحو ٣٧ قرشا لجوال الدقيق زنة ١٠٠ كيلوجرام ، بدلا من ٩٠ مليما فى المخابز العادية ـ ولذلك كان من الخطأ أن نستمر فى الانتاج بالتوسع فى هذه التجربة ـ ونضيف اعباء أخرى جديدة على الدولة فى الوقت الذى تشير فيه الارقام الى ان الرغيف العادى الذى يباع بخمسة مليمات يكلف الدولة ستة مليمات ، ومن هنا اتجهنا الى محاولة جديدة لضمن التصنيع الجيد السليم للخبز البلدى ، دون زيادة فى الاعباء على الدولة ـ وهذا ما يتم فيما تطلق عليه « المخابز المحسنة » وهى مخابز ذات حجم اقتصادى تتم فيها كثير من العمليات آليا ، وقد انشىء أحد هذه المخابز فى ميت عقبة بالقرب من مدينتكم « مدينة الصحفيين » ، الأمر الذى ادعوكم جميعا لزيارته ومشاهدة عمليات تصنيع الخبز فيه بأسلم الطرق واصحها .

وينتج هذا المخبز ٣٦٠ جوال دقيق يوميا ، فى حين كان اكبر مخبز فى القاهرة لا يكاد يصل انتاجه الى ٥٠ جوالا يوميا . وبنجاح تجربة «المخابز المحسنة »



عدلي اسحاق



يحيى الجمال

اتجهنا الى تعميمها فأنشىء واحد منها فى مدينة نصر بمحافظة القاهرة ــ كما سيفتتح ثلاثة منها واحد بالسيدة زينب ، وثان بالسيدة نفيسة وثالث بالحسينية . وتهدف سياسة المؤسسة الى تعميم هذه المخابز فى محافظة القاهرة ومحافظة الاسكندرية وباقى المحافظات .. وطبيعى ان تكون السرعة فى تنفيذ ذلك مرهونة بما يمنح للمؤسسة من مبالغ استثمارية للتنفيذ .

« وثمة نقطة هامة ارجو أن اشير اليها فى شأن انتاج المؤسسة من الخبز . تلك هى ان المؤسسة لا يتبعها فى القاهرة مثلا الا ٧٩ مخبزاً من بين ٧٠٠ مخبز تقريبا بالقاهرة . ولذلك فان ما ينزل الى الاسواق بالقاهرة من مخابز المؤسسة لا يعدو ١٠٪ من الاستهلاك خاصة وهذه القلة من مخابز القطاع العام عليها التزامات لتوريد الخبز لكثير من وحدات قواتنا المسلحة .

« ومع كل هذا استطيع القول بأن مخابز القطاع الخاص التى تغطى مطالب الاستهلاك من الخبز قد أصبحت ــ بعد الرقابة الشديدة والتوعية ــ تنتج خبزا احسن بكثير مما كان عليه فيما مضى .

« واخيرا لا تفوتنى الاجابة عن سؤال السيدة الفاضلة الاستاذة امينة السعيد فى شأن أفضلية خبز مدينة الاسكندرية عن خبز مدينة القاهرة فاقول ان مواصفات دقيق كلا الخبزين واحدة ، الا أن اسلوب الصناعة هو الذى يسبب الفرق فى الجودة فصناع الخبز فى الاسكندرية ينتجون ما يسمونه بالخبز المجرى وهو مفرود بالنشابة ، ومثل هذا الخبز ينتج فى جهات أخرى غير الاسكندرية كبندر المنصورة مثلا وبورسعيد والاسماعيلية وقد حاولنا عمل تجربة لانتاجه هنا فى مخبز الرمالى بالقاهرة لكن مخابز القطاع الخاص لم تستجب لانتاجه .

حسن عشماوى :

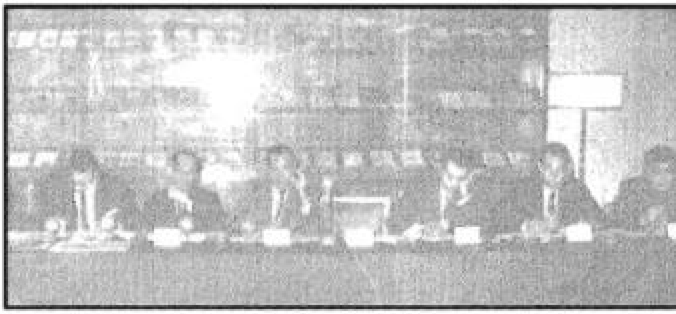
اعتقد ان جودة الرغيف فى الاسكندرية ترجع الى نوع الخميرة التى تستعمل والتى تنتج بمدينة الاسكندرية عن طريق شركة النشا والخميرة ، وأن سبب جودة الرغيف فى المنصورة تعود الى استعمال نفس النوع من الخميرة التى يحصلون عليها من الاسكندرية وهذه الخميرة لها خواص جيدة وتختلف عن الطريقة المستعملة فى الكثير من المخابز والتى يستعمل فيها التخمر الذاتى عن طريق استعمال جزء من عجينة تخمر ذاتيا دون اضافة الخميرة النقية اليه .

السيد / الوزير :

قد تكون الخميرة ايضا أحد العوامل المؤثرة ، ويمكن عمل تجربة اخرى بمخبز الرمالى باتباع نفس الاسلوب وباستخدام نفس الخميرة .

احمد على فرج :

ان طريقة الصناعة هى العامل الاساسى فى العملية والخميرة التى يشير اليها الاخ الدكتور حسن عشماوى هى نفسها التى تستعملها مخابز القطاع العام بالقاهرة .



احمد رسلان ـ يوسف فكرى ـ ابراهيم عامر ـ
ماجد عطية ـ انور المرصفى ـ عبدالقادر حمادة

السيد / الوزير :

ارجو من الدكتور حسن عشماوى أن يحضر اجراء التجربة على انتاج هذا النوع من الخبز .. ونتنقل الان الى الموضوع الاخر وهو موضوع الدواجن ، وارجو من السيد / حبيب داود شرح الموضوع .

حبيب داود :

كانت مؤسسة الدواجن تنتج فيما مضى من ٥ره الى ٦ ملايين دجاجة سنويا ، وارتفع انتاجها الى ٩ ملايين دجاجة ، ورغم هذا فان الطلب يزداد ، وذلك راجع الى رخص السعر بالنسبة للحوم ، وقامت الوزارة ومؤسسة السلع الغذائية بوضع سياسة توزيع محكمة قدر الامكان .

ونحن نقوم بالتوزيع على الجمعيات بعدد قليل من سيارات النقل الامر الذى لا يجعل مواعيد وصولها الى الجمعيات منتظما وهذه حقيقة معترف بها.. وقد اشار السيد / الوزير بتخطيط جديد يقضى بأن تقوم شركات الجمعيات بتوزيع الدواجن من المجزر الى الجمعيات فى الساعة التاسعة صباحا كما يحدث فى الاسماك .

وقد وجدنا أن ربات البيوت يشتكين من الاوزان ، ولهذا وضعت الاوزان والاسعار على الاكياس من المجزر مباشرة للقضاء على هذه الشكوى وكان ينبغى أن تغلق الاكياس وسوف يتم ذلك مستقبلا منعا للشكوى . كذلك فقد حرصنا على عدم عرض أكثر من وزن بالمجمع الواحد وان مؤسسة الدواجن بصدد استكمال أجهزتها لتجميد الدجاجة حتى تصبح كالمستوردة تماما وتتمكن من وضعها فى الثلاجة قبل عرضها للبيع وقد عملت تجارب ناجحة فى هذا الموضوع .

ولكن للحقيقة يجب ان نقول ان الانتاج الحالى لا يكفى الاستهلاك المحلى ولذلك قامت الوزارة باستيراد كميات اخرى وطرحتها فى السوق . وهذه الكميات فى الحقيقة هى التى ساعدت على عمل توازن فى السوق . هذا وقد اكتشفنا أن التجار يقومون بارسال اولادهم واقاربهم لشرائها من الجمعيات وبيعها فى السوق السوداء واستطاعت مباحث التموين القبض على بعضهم .

ان الانتاج يتضاعف والاكياس الموجودة تمنع التلاعب فى الاوزان وأدى الى سرعة البيع وحسن الخدمة ، اننا نوزع يوميا فى شركات الجمعيات حوالى ٢٠ الف دجاجة يوميا .

حسن عشماوى :

كميات الاعلاف ليست كافية ، ولهذا يجب أن نحسن استخدامها لانتاج قدر أكبر من اللحم .. ان انتاج كيلو من اللحم البقرى الواحد يحتاج الى أن يحتاج الحيوان ٨ كيلو علف ، وتكوين كيلو اللحم الضأن يحتاج الى ١١ كيلو علف ، فى حين ان كيلو

الدجاج لا يحتاج أكثر من ٢ كيلو علف فقط .. من هنا يجب التركيز على تربية الدواجن لرخص تكاليفها ووفرة عائدها .

فى أمريكا ثمن كيلو الدجاج ١٤ قرشا فى حين ثمن كيلو اللحم بها يزيد على ثلاثة جنيهات . وهذا يدل على أن تربية الدواجن أصبحت صناعة وانتاج اللحم من الدواجن ارخص من انتاجه من أى نوع آخر من الحيوانات .

السيد / الوزير :

لا يجب المقارنة المصرية مع أمريكا على الاطلاق .

حسن عشماوى :

احب ان اسجل حقيقة اقتصادية ان الجنيه المصرى فى مصر يعتبر من اقوى العملات التى لها قوة شرائية كبيرة والسلع التى يمكن شراؤها بالجنيه المصرى فى مصر لا يمكن شراؤها بالقيمة المماثلة بأى عملة من العملات الاجنبية .

السيد / الوزير :

يتم حاليا تكوين جهاز خاص يشرف على الثروة الحيوانية من لحوم ودواجن واسماك ، وسيبحث الجهاز هذه المشكلة .

مرسى الشافعى :

ارجو ان تعمل الوزارة على توفير الاستقرار النفسى للمستهلك ، فالمستهلك مستعد ان يواجه اى نقص فى اى سلعة اذا أعلن بذلك بدلا من المفاجآت التى تحدث مثل الفول ، او ان تقول له لن تذبح بتلو لمدة عشرة اشهر مقبلة .

السيد / الوزير :

اتاح لنا الاخ مرسى فرصة الكلام عن المفاجآت التموينية .. لقد كانت الجماهير تقف فى طوابير قبل عام ١٩٦٧ لتحصل على أى شىء من الجمعيات والان اصبح عندنا ٤٠٠ مجمع تقضت على هذه الظاهرة . اننا نستهلك حوالى ٩٠ الف طن من الاسماك منها ١٢ ألف طن مستوردة و ١٨ الف طن من اسطول اعالى البحار والباقى من الانتاج المحلى وتمكنا بذلك من توفير السمك وترخيص سعره .. ويجرى تخطيط مماثل بالنسبة للفول انتاجا واستيرادا للقضاء على المفاجآت والعجز .. كان هناك نقص فى البصل وتداركناه وانتهى .. انتهت مشاكل الزيت والصابون بالتخطيط والتنظيم والتعاون بين الوزارات المختلفة واجهزتها .. اننا نخطط من الانتاج الى الاستيراد الى حسن التوزيع .. اننا رغم المعركة التى نخوضها الان لا توجد أزمة تسمى أزمة تموينية .

نحن نعلم أن تجار القطاع الخاص يستولون على البطاطس والبلوفرات لبيعها فى السوق السوداء ، ولهذا فقد وضعنا أيدينا عليها بالكامل لتوزيعها بالطريقة العادلة التى تضمن عدم الاستغلال وسوف تخصص حصص للمحافظات توزع بواسطة لجان التوزيع تحت اشراف السادة المحافظين وهناك مهزلة الاوكازيونات لشلالات القطاع العام لم يشترك فيها فى الموسم الماضى . وسوف تضع لها ضوابط تضمن الفائدة للمستهلك وعدم خسارة القطاع العام .

اما ازمة الفول فانا لا اتنصل من مسئوليتها ، اننى مسئول مع وزراء الزراعة والاقتصاد وسنتكاتف لحلها وعدم تكرارها . والان ننتقل الى موضوع الارز .. وارجو من السيد المهندس احمد طلعت عزيز ان يحدثنا عنه .

احمد طلعت عزيز :

ورد سؤال يقول لماذا لا ينخفض سعر الارز عندنا رغم انخفاض سعره فى العالم بنسبة ٥٠ ٪ ؟

وأود قبل الاجابة من السؤال أن أعطى فكرة سريعة عن مؤسسة المضارب .. لقد انشئت المؤسسة عام ١٩٦٢ بمقتضى القوانين الاشتراكية بتأميم صناعة ضرب الارز ، وبلغ ما قامت المؤسسة بضربه من الارز الشعير منذ قيام القطاع العام حتى عام ١٩٧٠ نحو ٩٫٨ مليون طن وصدرت البلاد من انتاجها ٤٫٦ مليون طن قيمتها ٢٧٥ مليون جنيه وانتجت ١٫٥ مليون طن ارز محلى قيمتها حوالى ٨٢ مليون جنيه ، وطبق نظام التسويق التعاونى على الارز فى ١٦ محافظة ، وزادت العمالة من ٢٥٠٠

عامل حتى أصبحوا الان ٦٢٠٠ عامل وزادت الاجور من نصف مليون جنيه الى ٢ر٢ مليون جنيه ، ورغم رفع أسعار الارز الشعير نحو ثلاث مرات فقد بقيت أسعار المخلفات دون اى زيادة لارتباطها بالثروة الحيوانية وأسعار اللحوم . وبالنسبة لقوة ضرب الارز فقد زادت بنسبة ٣٠ ٪ عما كانت عليه وقت التأميم وارتفعت كفاءتها لانتاج أرز مطابق للمواصفات قادر على الصمود فى المنافسة العالمية ووضعت خطة لملاحقة التطور التكنولوجي الحديث وزيادة قوة الضرب والاستفادة الاقتصادية بالمخلفات مع استخدام الاجهزة الالكترونية فى نقاوة الارز وتعبئة الارز فى عبوات صغيرة .

أما من حيث الاجابة على السؤال فحقيقة أن متوسط الاسعار العالمية انخفض من ١٤٩ دولار قرب الى ٩٥ دولارا ، ولكن ارتباطها بالاسعار المحلية غير مؤثر فى الدول المنتجة كالجمهورية العربية المتحدة وان كان يؤثر فى الدول المستوردة غير المنتجة ، فسعر بيع الارز المحلى فى الدول المنتجة يتحدد على أساس سعر شراء الارز الشعير من الزراع ، أما الدول المستوردة فيرتبط سعر بيع الارز المحلى بالاسعار العالمية السائدة وان كانت الاسعار المشار اليها هى أسعار الشراء أيضا يضاف اليها تولون الشحن وربح المستورد وربح تاجر الجملة وربح تاجر التجزئة بما يجعل هذه الاسعار أكثر ارتفاعا من هذا الرقم المذكور وكلنا يعلم أن الاسعار العالمية يحكمها العرض والطلب ، وقد تناقص الطلب الخارجي على الارز من ٥ر٧ مليون طن عام ١٩٦٥ الى ٣ر٦ مليون طن عام ١٩٦٩ بسبب الثورة التكنولوجية فى انتاج الارز نتيجة استنباط سلالات جديدة متفوقة واستخدام الاسمدة وزيادة المساحة مما أدى الى زيادة الانتاج العالمى منه من ٢٤٠ مليون طن الى ٢٩٠ مليون طن وهى تشمل ٢٥ ٪ فضلا عما تمنحه بعض الدول من حوافز للمنتجين كذلك فان رغبتنا فى الحفاظ على أسواقنا تفرض علينا الاستمرار فى التصدير رغم انخفاض الاسعار وتتحمل الدولة اعانات لتصدير الارز تمنحها لشركات مؤسسة التجارة. ومن العوامل المؤثرة على زيادة الانتاج التعاون الاقليمى لتطوير انتاج الارز كما فى السوق الاوربية المشتركة فى جنوب شرق آسيا وفى غرب افريقيا فضلا عن اغراق بعض الاسواق بالارز وبيعه بالتسهيلات الائتمانية والسداد على مدى طويل كما فعلت اليابان ببيع ٧ ملايين طن كانت رصيدا عندها . هذا من الاسعار العالمية أما عن أسواقنا المحلية فقد سبق أن رفع سعر الكيلو من الارز الى ثمانية قروش ثم خفض الى ستة قروش وخفض ثانية الى ٥ر٥ قرش أى أن الخفض حدث مرتين فى ثلاث سنوات .. وينبنى هذا السعر أساسا على ثمن الارز الشعير والضرورات الاجتماعية والاقتصادية التى تحدده ومن أهمها ضرورة توفير عائد مناسب لجماهير الفلاحين المنتجين لهذا المحصول فى اطار الدورة الزراعية السائدة .

السيد / الوزير :

بعد الرد الذى قام به السيد/رئيس مؤسسة المضارب أوضح أننا نسعى للتغلب على تجارة الجملة فى الفول ، وسوف ندخل نظام التسويق التعاونى ، وصاحب هذه الفكرة هو السيد / المهندس مصطفى الفار وسوف نضع حوافز مشجعة للمنتجين .

حسن عشماوى :

فيما يتعلق بتوفير العلف كعنصر هام من عناصر توفير وتنمية الثروة الحيوانية ، أود أن أوضح ان المؤسسة الغذائية تخطط لانتاج مليون طن علف سنويا على أساس قيام عشرة مصانع طاقة كل منها ١٠ طن ساعة وهذا يقتضى توفير خامات العلف وايقاف تصدير بعض المخلفات من التى يصرح بتصديرها حاليا .

السيد / الوزير :

ارجو ان يدرس هذا الموضوع دراسة اقتصادية وافية وأرى أن يشترك الدكتور حسن عشماوى فى اللجنة الخاصة بهذا الموضوع ، علما بأننا نعتمد ٢٤٠ الف جنيه لاقامة مصنع للعلف فى الوقت الحاضر .

مصطفى الفار :

بالنسبة لتربية الثروة الحيوانية ، فان الانتاج الحيوانى يعتبر مكملا للانتاج الزراعى ، وهى مسئولية اساسية على الفلاح ، ولكن على الدولة أن تشجعه وأن تضع لذلك سياسة تنحصر فى ثلاثة عناصر هامة : توفير الرعاية الطبية ، ومده بالسلالات الحسنة ، وتوفير الاعلاف ، والعنصر الاخير فى غاية الاهمية وهذا هو المتبع فعلا فى حدود الامكانيات المتاحة .

عندنا حوالى ٥ر٥ مليون فدان لا تكاد تكفى حاجة الانسان ، الامر الذى قد يشكل عاملا من عوامل تحديد عدد المواشى التى يمكن أن تعيش على الاعلاف الخضراء ، وليس من بديل سوى الاعلاف الجافة ، ومن هنا تجىء مسئولية الدولة فى توفيرها للتشجيع على تربية الحيوان . ويبقى على الفلاح مسئولية التربية بعد معاونة الدولة له . وبصفتى مسئولا من بنك التسليف فانني أوضح ان البنك قد قام بتمويل اربعة مشروعات لتربية المواشى حققت نتائج هامة كما نرى من الارقام :

مشروع التسمين على البرسيم : فى عام ١٩٦٧ كان العدد ١٧٠٠ رأس وصل عام ١٩٦٩ الى ١٤٠٠٠٫٠٠٠ رأس .

مشروع البتلو : كان العدد عام ١٩٦٧ لا يزيد على ٣٠٠ رأس فقط وقفز العدد الى ١٤ الف رأس .

مشروع الجمعيات التعاونية المتخصصة : كان العدد فى عام ١٩٦٧ ستة آلاف رأس وزاد الى ١٢ الف رأس .

مشروع الجمعيات المركزية : كان العدد ٤٠٠٠ رأس اصبح الان ٦٠٠٠ رأس .

وكان مجموع القروض عام ١٩٦٧ مبلغ ٧٤٦ الف جنيه قفز فى ١٩٦٩ الى أكثر من ٥ر٣ مليون جنيه ، وفى النهاية أوضح ان الثروة الحيوانية تتناسب تناسبا اطراديا مع الاعلاف وزيادتها ، ولكن لا يمكن القول بان زيادة الثروة الحيوانية سوف تواجه الزيادة الكبيرة فى السكان ، خصوصا وهناك ظاهرة اشار اليها السيد/ وزير التموين وهى زيادة عدد من يأكلون اللحوم ، رغم أن نسبة عدد من يأكلون اللحوم بانتظام لا تزيد على ٢ ٪ من السكان .

السيد / الوزير :

من أهم الاجهزة التى تعمل فى قطاع التموين ، هيئة السلع التموينية والتى لا يسجل دورها الهام ، ومعنا الان السيد / الدكتور الهادى المغربى نائب رئيس الهيئة ، ارجو ان يعطينا فكرة عن وظيفة الهيئة والصعوبات التى تواجه عملها .

الهادى المغربى :

عمل الهيئة ينحصر فى استيراد السلع الضرورية اللازمة للاستهلاك المحلى والتى يقصر الانتاج المحلى عن الوفاء بها ، ونحن نتبع فى ذلك عدة خطوات فى اطار المبالغ التى تعتمد عن طريق وزارة الاقتصاد أو عن طريق وزارة الخزانة ، وتوزيعها على مدار السنة ، كما تقوم بعمل دراسة لمستويات الاسعار ومواسمها لتحديد برامج الشراء وتوقيته .

وتحت الظروف الحالية لا بد من أن نتوقع بعض الصعوبات والمعوقات .. نحن نجد ميناء الاسكندرية مثلا وهو الميناء الوحيد تصل اليه عدة مراكب فى وقت واحد وقد لا يكون الجو مساعدا لتفريغها او قد تقصر الامكانيات أو قد تكون الارصفة مزدحمة .. تحت هذه الظروف وبالشكل الذى يسير به العمل لا بد ان أسجل كلمة شكر للعاملين وهم يقاومون كل الظروف .

أما عن النقل فان العمليات تسير بانتظام وان توقعنا بعض المشاكل التى تعترضها فى بعض الاحيان طارئة .

وهناك سؤال عن الغرامات التى ندفعها نتيجة تأخر عمليات التفريغ وهذه كما قلت بسبب المراكب التى قد تجىء دفعة واحدة أو الارصفة المحدودة مزدحمة لدرجة ان رصيف التموين يشاركه فيه الخشب ونأمل توفير المبالغ لاستخدام الشفاطات الحديثة لتسهيل عمليات التفريغ وتفادى غرامات التأخير بالاضافة الى ضرورة توفير

الامكانيات لهيئة الميناء للقيام بعمليات تطهير وتعميق المياه امام الارصفة حتى يمكن استقبال البواخر ذات الغاطس الكبير وبذلك يقل عدد البواخر التى تحمل نفس الشحنات من السلع التموينية .

وتقوم الهيئة بدور فى خفض تكاليف المعيشة بأن توفر السلع فى مواسمها فلا تضطر لشرائها بسعر مرتفع تحت ضغط الظروف بالعملات الاجنبية .. ويهتم السيد / الوزير بذلك فطلب الينا أن تبحث موقف كل سلعة من حيث الاسعار والمواسم التى يجب أن يتم فيها الشراء حتى تحصل عليها بأفضل الاسعار لتباع للمستهلك بسعر مناسب ، هذا فضلا عن التعاقد على اللحوم السودانية والصومالية وغمر الاسواق بها حتى يحدث الخفض فى سعر اللحوم .

وقد اخذت الهيئة قرضا كبيرا قدره ٢٥ مليون جنيه كان يأخذها بنك التسليف لحساب التموين بفائدة ٥ر٥ ٪ ، وامكن الاتفاق مع البنوك على أن يكون سعر الفائدة واحد وربع فى المائة وذلك سيحدث أثره فى خفض الاسعار بالقضاء على مشكلة النقد .

السيد / الوزير :

هل هناك تعليق على مشكلة النقل ؟

جعفر عبد الله :

نقطة هامة أحب توضيحها خاصة بأهمية استخدام بحيرة ناصر فى النقل ، وقد كانت هيئة قناة السويس بصدد بناء وحدات عائمة عام ١٩٦٣ ، وهى ستبدأ فى تصنيع وحدات النقل النهرى ونقل بعض الوحدات من مجرى النهر عبر السد العالى وبعد ثلاثة أشهر ستكون هذه الوحدات مستعدة للنقل .

ماجد عطية :

هل من نظرة جديدة الى أسلوب العمل فى القطاع العام من حيث توفير الخدمة ، تحسين الخدمة أو تحسين الاداء ، ومن حيث الحوافز للعاملين ؟

السيد / الوزير :

السيد / المهندس حسنين محمد حسنين سيتناول هذا الموضوع بالتوضيح .

حسنين محمد حسنين :

سياسة الوزارة ومؤسساتها تتجه الى التوسع فى فتح المحال التجارية فى القاهرة والاسكندرية والمحافظات والمراكز وستنزل فى خطتها الجديدة الى مستوى القرية ، حتى توفر الخدمة لجميع المواطنين .. على سبيل المثال ، المؤسسة الغذائية لديها ٤٠٠ مجمع ، وكذلك المؤسسة الاستهلاكية لديها ٢٨٠ وحدة منتشرة فى أنحاء الجمهورية .. مؤسسة السلع الهندسية زادت وحداتها من ٦٧ الى ١٢٥ وحدة خلال ثلاث سنوات ولديها خطة لفتح ١٠٠ وحدة أخرى فى الاعوام الثلاثة المقبلة .

أما فيما يتعلق بتحسين الخدمة والاداء فمما لا شك فيه أنها الآن أفضل من قبل ، ونحن نتابع ذلك لتحقيق المزيد من الخدمة الافضل عن طريق الرقابة المستمرة على محلات البيع والفروع وتحديد المسئولية والقيام بالتوعية اللازمة والاهتمام بشكوى المواطنين والبت فيها والقضاء على ظاهرة المجاملات والبقشيش .

وفيما يتعلق بالحوافز سلبا وايجابا فقد وضعت كل شركة النظام الخاص بها سواء العمولات التى تمنح على أرقام المبيعات أو نظام المكافآت التشجيعية على سلوك العاملين نحو الزبائن .. هذا فضلا عن الجزاءات التى تعاقب المهملين أو المنحرفين .

فؤاد السيد :

لماذا يحرم الريف من الخدمات التموينية ؟

السيد / الوزير :

نقوم الان مع المحافظين بوضع خطة لتعميم الخدمات التموينية فى الريف ، بالاضافة الى ما تقوم به فروع القطاع العام فى المراكز والقرى الكبرى ، وتعتمد الخطة الجديدة على تنشيط التعاون الاستهلاكى ومده بالقروض والتسهيلات الائتمانية ، بالاضافة الى مشروع « البقال التعاونى » وهناك فكرة لفتح فروع بقالة فى الجمعيات الزراعية تخدم القرية .. ان الريف طالبنى فى زيارات كثيرة بنصيب من البضائع المستوردة ولن نحرمه منها .. اما القول بأن الجمعيات لا تغطى كل أحياء القاهرة والاسكندرية ، فنرجو من هذه المناطق أن تساعدنا فى ايجاد مكان تدفع ايجاره ونحن على اتم استعداد لفتحه فورا .

احمد على فرج :

اعتقد قبل نهاية هذه الندوة انه لا يكون هناك تفاعل بيننا الا اذا اختتمت بالاجابة على سؤال نرجو أن نوجهه للاخ احمد بهاء الدين وهو : ما هو دور الصحافة فى سياسة التموين وفى التخطيط التموينى ؟

السيدة امينة السعيد :

فى الحقيقة ان كل وسائل الاعلام تشترك فى هذا الدور ، فالصحافة لها دور كبير فى فتح شهية الجماهير .

احمد على فرج :

فى الواقع انه بينما يجب أن يكون دور التوعية فى هذه المرحلة هو العمل على الحد من الاستهلاك فى شتى السلع الاستهلاكية ، الا ان الصحافة تتحدث كثيرا من الاستهلاك ، بل وتوجه المواطنين الى طلب التوسع فى استهلاك الكماليات . وانى أعتبر ان دور الصحافة الكبير يجب أن يكون فى توجيه الجماهير الى الحد من الاستهلاك وعدم طلب الكماليات وخاصة غير المحلية وهذا ما قصدت الى تسجيله كدور للصحافة فى السياسة التموينية فى هذه المرحلة .

احمد بهاء الدين :

رأيى الشخصى ان الصحافة لا يمكن ان تؤدى هذا الدور كاملا ، لان نسبة الامية فى بلدنا حوالى ٧٠ ٪ ، وليس كل الناس يقرأون الصحف ، هذا وان كان من رأيى ان الصحافة تزيد من شهية الناس الى استهلاك أو استعمال اشياء غير ضرورية كما يحدث ذلك فى رمضان بالنسبة لاستهلاك السلع الكمالية .

السيد / الوزير :

اود ان اعقب على كلام الاخ احمد بهاء الدين .. فالصحافة فى الحقيقة ادت دورها كاملا ، الا ان الحديث الكثير عن التموين قد يدخلنا فى متاهات . او يوقعنا فى اخطاء كما حدث بالنسبة للحوم والفول وما صدر فى الصحافة عنهما .

وفى نهاية هذا اللقاء فانه مع شكرنا « لدار الهلال » على اتاحة هذه الفرصة لنا نأسف لتأخيركم الى هذا الوقت . كذلك فانى اهدف الى ان نسجل كل ما دار فى هذه الندوة من مناقشات فى « كتيب » كى يستفيد منه القراء ، ويستفيد منه الاميون الذين سيسمعونه .

هذا ، وان شاء الله فاننا سنعتبر ان كل ما دار فى هذه الندوة من مناقشات اشترك فيها جميع الاخوان كتخطيط لنا ولابراز دور ربة البيت فى خفض تكاليف المعيشة .

وان شاء الله فاننا سنتعاون فى هذا المجال الى اقصى حد .

واخيرا .. نرجو لاخواننا فى كافة القطاعات التوفيق فى تأدية دورهم فى هذا المجال .. وشكرا ..

● رغيف العيش ● رغيف

المؤسسة المصرية العامة للمطاحن والصوامع والمخابز

ومسئوليات رغيف العيش

يش ● رغيف العيش

ـيش ● رغيف العـيش ● رغيف العـيش ●

● كيف واجهت المؤسسة مسئولياتها بالإمكانيات المحدودة التى لديها .. وكيف طورت المطاحن المستهلكة التى تسلمتها ؟ ..

● تخطيط كامل لاحتياجات البلاد من الطاقة الطاحنة فى الحاضر والمستقبل .

● التخطيط الجديد يحقق لكل محافظة اكتفاءً ذاتيًا من الدقيق تأمينًا لأهلها من أى طارئ .

● اذا اردنا ان نعرف قصة « رغيف العيش » فى بلادنا ، فلابد ان نكون على بينة من القصة منذ بدايتها ، اى منذ دعا المجتمع الاشتراكى الذى استهدفناه الى ان تأخذ الدولة على عاتقها مسئولية انتاج هذا القوت الاساسى ووفرته بالمواصفات التى تنشدها لغذاء هذا الشعب .

يف العـيش ● رغيف العـيش ● رغيف

رغيف العـيش ● رغيف العـيش ● رغيف العيش

مسئوليات رغيف العيش

- تطوير مطاحن الحجارة ومطاحن السلندرات وإنشاء مطاحن جديدة
- إنشاء شبكة من مراكز التوزيع والمستودعات تغطى أنحاء الجمهورية كلها

وكان ضروريا لذلك ان تبدأ الدولة فتتملك كل وسائل الانتاج فى صناعة هذا القوت ..

ومن هنا كان قيام هذه المؤسسة
والواقع ان قيام « مؤسسة المطاحن » عند انشائها عام ١٩٦٢ كان مقصورا على المساهمة - بنسبة ٥٠ ٪ - فى رأس مال عدد من المطاحن ، اممت بعد ذلك تأميما كاملا مع غيرها فى مايو سنة ١٩٦٣ ليتبع المؤسسة بذلك ١٦٠ مطحنا ، كانت هى كل ما لدى المؤسسة من امكانيات للقيام بمسئولياتها من طحن الغلال وتوفير الدقيق الصالح اللازم للقمة العيش على مستوى الجمهورية ..

فى قطاع المطاحن

وكان على هذه المؤسسة ، منذ لحظة ميلادها ، ودون اية دراسة او اعداد مسبق ، ان تضطلع بمسئوليات الادارة المباشرة لجميع هذه الوحدات - وعددها كما اسلفنا ١٦٠ مطحنا - تنتشر فى جميع ارجاء البلاد من اقصاها الى اقصاها ، ادارة تهدف قبل كل شيء الى ضمان انتظام وتشغيل هذه المطاحن بأقصى طاقتها لتوفير احتياجات البلاد اليومية من الدقيق .

وكان معظم هذه الوحدات ، ان لم يكن كلها ، منشآت فردية صغيرة ، حجمها دون الحجم الاقتصادى الامثل بكثير ، آلاتها وتجهيزاتها متخلفة جدا ، والكثير منها فى حالة متهالكة ، بل ويكاد يلفظ انفاسه الاخيرة ، فضلا من افتقارها الى اهم مقومات التنظيم المادية والبشرية ، مثقلة بالديون والالتزامات ، حافلة بالمشاكل العمالية والتمويلية ... الخ ..



السيد الوزير ورئيس المؤسسة ومحافظ أسوان في جولة بمطحن ناصر بكوم أمبو . . .

وفي نفس الوقت ، وعلى الرغم من مشاكل العمل اليومي ، كان على المؤسسة أن تدرس .. وتنظم .. وتخطط .. من أجل المحافظة على الطاقة الانتاجية العاملة ، واستخدام الامكانيات المتاحة أكفأ استخدام ، ثم العمل على تطويرها ، وتنميتها ، لتوفير احتياجات البلاد المتزايدة من «الدقيق» وكذلك من أجل التنظيم المالي والاداري لهذه الوحدات ، وتوفير مقوماته البشرية والمادية .

وذلك حتى تم تأسيس « شركات مساهمة للمطاحن » أدمج في كل منها عدد مناسب من المنشآت القائمة ، واضطلعت مجالس ادارات هذه الشركات بمسئولياتها في هذا الشأن اعتبارا من ٢٥ مارس عام ١٩٦٧ .

وقد رأت المؤسسة ـ كخطة عاجلة ـ منذ تسلمها لهذه المطاحن الاهتمام بالامكانيات المتاحة فيها والاستفادة منها الى أقصى درجة وذلك اما بالمحافظة على قدرتها الانتاجية بما يضمن استمرار عمل التشغيل أو تطويرها لزيادة قدرتها الانتاجية .

واعدت المؤسسة ـ بناء على دراساتها للتجهيز الآلي لكل مطحن ـ برنامجا يستهدف زيادة القدرة الانتاجية لهذه المطاحن والمحافظة عليها بتدعيمها بمعدات وتجهيزات محلية بما يحقق التناسق والانسياب والتدفق اللازم فيما بين الاقسام المختلفة بكل مطحن مما يؤدي في النهاية الى القضاء على الاختناقات الموجودة به وذلك وصولا بالطاقة الانتاجية لهذه الوحدات الى أقصى طاقة انتاجية ممكنة .

وكتخطيط لاحتياجات البلاد من الطاقة الطاحنة فقد انتهت الدراسات التي قامت بها المؤسسة ، للمطاحن القائمة وقدراتها ، واحتياجات البلاد المتزايدة

مسئوليات
رغيف العيش

● خطة عاجلة لإصلاح المخابز وتجديدها وتزويدها بالمعدات الضرورية

● إنشاء "مخابز محسنة" كوحدات إنتاجية كبيرة يصنع فيها الخبز آليًا



منشر الخبز بالمخبز المحسن في ميت عقبة

من الدقيق فى الحاضر والمستقبل ، أن حساب مقدار الطاقة الجديدة من مطاحن الغلال التى يتعين توفيرها خلال السنوات التالية ، ينبغى ان يكون فى ضـــوء اعتبارات عامة ، هى :

ا ــ الزيادة السنوية الطبيعية فى عدد السكان .

ب ــ تعويض الطـــاقة التى يتحتم تخريدها تباعا خلال السنوات التالية .

ج ــ ضرورة توفير ظروف التشغيـــل بحالة امن مناسبة .

د ــ ضرورة الاحتفاظ باحتيـــــاطى مناسب من الطاقة فى مطاحننا ، ذلك انه اذا جاز التغاضى عن الاحتياطى او تقليله الى أدنى الحدود فى بعض المشروعات الهندسية ، فان الوضع فى المطـــاحن يختلف اختلافا تاما ، وتحتم السياسة الرشيدة الاحتفاظ بقدر احتياطى من الطاقة الانتاجية لمطاحننا لمواجهـــــة الاحتمالات الكثيرة التى قد تتعرض لها المطاحن .

هـ ــ معالجة خلل التوزيع الجغرافى للمطاحن القائمة ، حيث نجدها تزيد بكثير فى بعض المناطق على احتياجاتها ، كما هو الحال فى مدينتى القـــاهرة ، والاسكندرية ، بينما محافظـــات كثيرة باسرها كمحافظـــات الاســـماعيلية ، والسويس ، ودمياط ، محرومة تماما من المطاحن وتنقل اليها احتياجاتها من الدقيق من محافظات اخرى ، كما ان محافظات أخرى كمحافظات كفر الشيخ وقنا واسوان تقل قدرات مطاحنها بكثير عن سد مطالب الاستهلاك بها ، وتنقل اليها كذلك باقى احتياجاتها من محافظات غيرها .

وغنى عن البيان ان التخطيط السليم لمثل هذه الصناعة ، ينبغى ان يحقق لكل محافظة اكتفاء ذاتيا من الدقيق، تامينا لاهلهـــا من اى طارىء قد يعوق امدادها باحتياجاتها فى الوقت المناسب، كما لو حدثت ازمة نقل مثلا ..

هذا فضلا عن ان صناعة الطحن فى بلادنا ، من الصناعات التى يجب ــ وفقا للمبادىء الاقتصادية السليمة ــ أن تتوطن فى مناطق الاستهلاك .

ولا شك ان « انشاء مطاحن جديدة » يكون الحل المبـــاشر والايسر لتوفير احتياجات البـــلاد من قدرات الطحن الجديدة ، الا ان المؤســـسة ايمانا منها بواجبها الوطنى نحو حتمية استغلال الطاقة الانتاجية المتاحة ، والارتفاع بها الى اقصى حد ، وادراكا لشكل ابعاد ظروف التنمية الاقتصادية وتصنيـــع البلاد ، وما تفرضه فى هذه المرحلة من اولويات تقضى بالاعتماد بقدر المستطاع على مواردنا من الاستثمارات المحلية ، فقد حرصت المؤســـسة على ان تقـــوم خطتها فى هذا الشان على محاور ثلاثة هى :

اولا : تطوير مطاحن الحجارة القائمة :

فى ضوء ما أسفرت عنه الدراســـة الشاملة لكل ظروف وأوضاع هـــذه المطاحن ، وضعت المؤســـسة خطة لتطوير كل مطحن منها اثبتت الدراسة صلاحيته لذلك فنيا واقتصاديا ، وذلك عن طريق التخلص من أية اختناقات قائمة فيه ، او احلال بعض آلات جديدة محل الالات المستهلكة ، أو تزويده باجهزة جديدة تزيد من كفاءته الانتاجية ، وذلك كله باجهزة مصنعة محليا .

وكان هدف هذه الخطـــة هو زيادة الطاقة الانتاجية لمطاحن الحجارة القائمة بما يعادل ٥٠ ٪ من اجمالى طاقتها عام ١٩٦٣/١٩٦٢ .

ولقد تم تنفيذ هذا البرنامج بنجاح ، وأسهمت الطاقة الجديدة الكبيرة التى حققها ، أسهاما بارزا فى مواجهة الزيادة الكبيرة التى تطلبتها القفزات السريعة فى الاستهلاك خلال الفترة الماضية .

مسئوليات رغيف العيش

● كيف تواجه المؤسسة استقبال وتخزين اكثر من مليونى طن من القمح المستورد ؟

● شبكة من الشون والمخازن فى أنحاء الجمهورية وتكوين رصيد لكل محافظة

● خطة جديدة لتطوير نظام تخزين القمح والدقيق وفقا لأحدث الأساليب الفنية والاقتصادية

ثانيا: تطوير مطاحن السلندرات القائمة:

تستهدف الخطة التى اعدتها المؤسسة لتطوير مطاحن السلندرات القائمة ، زيادة اجمالى قدراتها الانتاجية بمايقرب من ضعف قدرتها الاولى .

ثالثا : انشاء مطاحن جديدة :

المحور الثالث والاهم ، فى خطة المؤسسة لتوفير احتياجات البلاد من قدرات الطحن الجديدة ، هو انشاء مطاحن جديدة ، ذلك ان مشروعات التطوير فى وحدات المطاحن القائمة ، وما توفره من قدرات جديدة – مع اهميتها الكبيرة – لا يمكن ان تغطى وحدها احتياجات البلاد المتزايدة من الدقيق ، فضلا عن انها لا تعالج خلل التوزيع الجغرافى الحالى للمطاحن ، واخيرا فان توفير قدرات تحل محل قدرات المطاحن القديمة التى يقتضى الامر تخريدها تماما والاحتفاظ بنسبة اخرى كاحتياطى للطوارىء ، لا يمكن بطبيعة الحال تحقيقه بغير انشاء مطاحن جديدة .

وبالاضافة الى ما تقدم ، فان ثمة هدفا آخر هاما ينبغى ان نعمل على تحقيقه باستيراد وحدات من المطاحن الحديثة المتطورة ، هو التخلص من معظم العيوب الموجودة بمطاحن الحجارة القائمة ، وبالتالى يتسنى :

ا – فصل الدقيق عن النخالة بكفاءة اكبر ، بما يؤدى الى تحسين جودة الانتاج وارتفاع نسبة تصافى الدقيق .

ب – سهولة التحكم فى نسبة استخراج الدقيق الناتج ، وتحقيق انتاج اجود .

ج ـ تقليل الفاقد في عمليـــات الطحن ، حيث لا يتطاير الدقيق ولا يحدث تبخر لرطوبته ، لان نواتج الطحن تمر في مواسير واجهزة محكمة ، لاتتواجد في مطاحن الحجارة .

د ـ ارتفاع الكفاءة الانتاجية .

هـ ـ ارتفاع الكفاءة الادارية والتنظيمية

و ـ نظافة الانتاج وعدم تعرضـــه للتلوث ، ونظـــافة الطحن ، ووقاية العاملين من استنشاق الهواء المشبع بذرات الدقيق .

وعلى اساس هذا التخطيط للقدرات الطاحنة واجهت هذه المؤسسة وتواجه مسئولياتها نحو توفير احتياجات البلاد المتزايدة من الدقيق كما تنطق بذلك الارقام الجدول التالي :

السنة المالية	القمح المطحون بالطن	نسبته إلى سنة الأساس
٦٢ / ١٩٦٣	١٠٩٨٦٠٤	سنة الأساس
٦٣ / ١٩٦٤	١١٢٩١٠٦	١٠٣
٦٤ / ١٩٦٥	١١٩٢٣٧٥	١٠٩
٦٥ / ١٩٦٦	١٤٣٥٩٥٧	١٢١
٦٦ / ١٩٦٧	١٧٣٥٢٠٠	١٥٨
٦٧ / ١٩٦٨	١٧٧٣٢٥٩	١٦١
٦٨ / ١٩٦٩	١٦١٠٨٣٥	١٤٧
٦٩ / ١٩٧٠	٢٠١٩٣٨٨	١٨٤

ومما تجدر الاشارة اليه أنه ادراكا من هـــذه المؤسسة لمسئولياتها ، ليس فقط نحو توفير احتياجات الاستهلاك من الدقيق ، بل أيضا نحو تيسير وصوله الى المستهلك ، بما يكفل عدالة التوزيع وشموله ، وحصول المستهلك على حاجته منه بالسعر الرسمي ، في أي مكان ، وفي كل وقت ، وبالتالي القضاء على السوق السوداء في سلعة هي أساس القوت اليومي للشعب .

... من أجل ذلك ، كان من أهم أهداف هذه المؤسسة انشاء شبكة من مراكز التوزيع والمستودعات ، تغطي جميع انحاء الجمهورية ، وعلى مستوى كل من المراكز الادارية ، تتولى بيع الدقيق البلدي والفاخر بالجملة .

ففي كل من محافظات القاهرة والجيزة والاسكندرية تتولى شركات المطاحن توزيع الدقيق البلدي بالجملة (جوال فأكثر) على المخابز وتجار التجزئة والجمعيـــات الاستهلاكية وذلك من المطاحن المنتشرة في هذه المحافظات كما تتولى الشركة المصرية العامة للصوامع والتخزين هذا التوزيع بالنسبة للدقيق الفاخر من مخازنهـــا ومستودعاتها بالمحافظات المذكورة .

ولشركة مطاحن غرب ووسط الدلتا حاليا مخازن ومستودعات في جميـــع المراكز الادارية لمحافظات البحيرة وكفر الشيخ والغربية والمنوفية والقليوبيـــة لتوزيع كل من الدقيق البلدي والدقيق الفاخر فيها .

كما أن لشركة مطاحن شرق الدلتا حاليا مخازن ومستودعات للغرض المتقدم في كل من مراكز محافظات الشرقيـــة والدقهلية ودمياط والسويس والاسماعيلية وبورسعيد .

ولشركة مطاحن مصر الوسطى مخـــازن ومستودعات للتوزيع بالجملة في كل من

مسئوليات رغيف العيش

مراكز محافظات بنى سويف والفيوم والمنيا .

وتقوم شركة مطاحن أسيوط وسوهاج بالتوزيع لهاتين السلعتين من مخازنها ومستودعاتها فى كل من المراكز الادارية للمحافظتين المذكورتين .

وشركة مطاحن مصر العليا تقوم كذلك بالتوزيع لكل من الدقيق البلدى والدقيق الفاخر من مخازنها ومستودعاتها فى كل من المراكز الادارية لمحافظات قنا واسوان والبحر الأحمر .

فى قطاع المخابز

وهنا لا بد من الاشارة الى ان المؤسسة لم يؤل اليها بالتأميم منذ عام ١٩٦٢ سوى ٩٢ مخبزا بلديا ، جميعها يقع فى مدينة القاهرة وبندرى الجيزة وامبابة وهى من حيث النسبة العددية لا تجاوز ٢٠ ٪ من عدد المخابز البلدية فيها ، ومن حيث قدرتها الانتاجية لا تمثل أكثر من ١٤ ٪ من انتاج الخبز البلدى بها .

أما من حيث حال هذه المخابز .. حجمها الانتاجى .. مستوى تجهيزها .. مدى صلاحيتها ... الخ ، فان الدولة - حقيقة وأمانة - عندما أخضعت بعض المخابز للقوانين الاشتراكية كتجربة رائدة تستهدف الارتقاء بصناعة الخبز فى البلاد ، وهى على ما هى عليه من تخلف وانحطاط ، لم تستهدف تأميم أكبر المخابز القائمة وأحسنها تجهيزا واعدادا ، بل اختارت عينة ممثلة لمخابز العاصمة بكل ما فيها من عيوب ومساوىء منها :

- ضآلة القدرة الانتاجية ، حيث نجد ان المتوسط العام لقدرة المخبز لا تزيد على ٢٥ جوال دقيق / يوم .

- صغر المساحة الكلية للمخبز ، واقامته فى اماكن غير مناسبة ووجود اغلبها فى بيوت سكنية .

- عدم توافر الاشتراطات الصحية الضرورية فى مبنى المخبز ، وفى طرق ووسائل الانتاج ، والتخزين ، والتوزيع

- عدم توافر الوعى الفنى والصحى اللازم لدى العاملين بهذه الصناعة .

- عدم توافر ابسط التجهيزات الآلية الضرورية للانتاج .

- عدم توافر الوسائل الحديثة للتوزيع .

ولقد ترتب على ذلك بالضرورة :

- صعوبة تحسين او تجديد هذه المخابز الى المستوى اللائق .

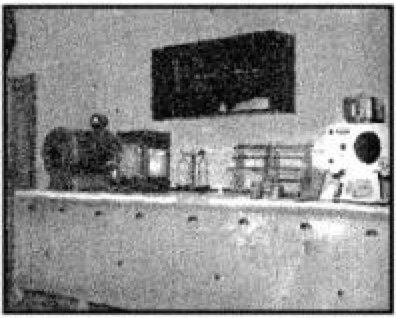
- صعوبة تحقيق الرقابة التموينية والادارية والصحية ، وتشتت جهود المشرفين عليها .

- ارتفاع التكلفة بها ، حيث ان معظمها ، بل كلها ، دون الحجم الاقتصادى المناسب بكثير .



مطحن ناصر بأسوان

معمل التحاليل بمطاحن
ناصر الجديدة ...



ومن باب أولى ، فلقد تعذر ، بل استحال تطوير صناعة الخبز نفسها فى هذه المخابز .

على أن المؤسسة ، وقد وجدت أن تنفيذ أية خطة ثورية للنهوض بصناعة الخبز الى المستوى اللائق ، لابد وأن يستغرق وقتا طويلا تظل فيه الحاجة الى انتاج هذه المخابز قائمة ، رأت بعد دراسة شاملة لظروف وأوضاع كل مخبز من المخابز التى آلت اليها ، أن تقوم بتنفيذ خطة عاجلة لاصلاح هذه المخابز وتجديدها وتزويدها بالكثير من التجهيزات والمعدات الضرورية ، وتوفير الاشتراطات الصحية الممكنة ، وتحسين ظروف العمل بها ، الى أكبر حد مستطاع .

وادراكا من المؤسسة لواجبها الاساسى نحو تطوير صناعة الخبز فى البلاد ، تطويرا ينتشلها من حالة التخلف التى هى عليه ، ويرتقى بها الى المستوى الذى تتمتع به هذه الصناعة فى الدول المتقدمة ، فقد سعت الى ادخال نظام التصنيع الآلى للخبز .

وانه وان كانت المخابز الآلية تنتشر فى كل بلاد العالم المتقدمة الا أنه لا توجد ـ بعد ـ المخابز الآلية التى تستطيع انتاج « الرغيف البلدى » ـ وذلك لما تتصف به صناعته من تعقيد ، ومن ثم فان الأمر كان يقتضى تصميم أجهزة وآلات خاصة ، واجراء عديد من التجارب ، وحل كثير من المشاكل الفنية كل هذا قبل احراز النجاح المنشود فى تصنيع « الرغيف البلدى » بكل صفاته وخواصه آليا ، وتحقيق مزايا هذا النظام وفوائده .

من أجل هذا ، كانت التجارب التى قامت بها المؤسسة مع الشركات العالمية المتخصصة ، والتى لم تؤد الا الى نجاح جزئى فى انتاج « الرغيف البلدى » مع ارتفاع تكلفة انتاجه من مثيلتها فى المخابز البلدية .

مسئوليات رغيف العيش

وفى ضوء ما أسفرت عنه تجربة المخابز الآلية ، وبالنظر الى ما تفرضه ظروف التنمية الراهنة على الدولة ، من أعباء متزايدة تتزاحم على حصيلتها من النقد الأجنبى ، اتجهت المؤسسة — فى سعيها الدائب الى تطوير صناعة الخبز وتحسين اقتصادياتها — الى تنفيذ خطة بديلة ، تقوم على انشاء « مخابز محسنة » عبارة من وحدات انتاجية كبيرة ، هى فى الواقع أقرب الى كونها « مصانع خبز » مشيدة على أسس فنية سليمة ، تتم فيهـا معظم مراحل التصنيع والنقل الداخلى بأجهزة ومعدات آلية ، وتخضع لتنظيم ادارى ومالى سليم .

وفضلا عن كفاءة اقتصاديات هـذه المخابز ، فان تنفيذها يعتمد أساسا على الموارد والمنتجات المحلية .

وقد تم فعلا من هذه المخابز المحسنة : المخبز المحسن بمدينة الأوقاف بالدقى ، (بقدرة انتاجية قدرها ٣٦٠ جـوال دقيق / يوم) والمخبز المحسن بمدينة نصر (بقدرة انتاجية قدرها ٢٤٠ جوال دقيق / يوم) .

هذا فضلا عن المخابز المحسنة التى يجرى حاليا انشاؤها : بالسيدة زينب والحسينية والسيدة نفيسة بالقاهرة (بقدرات انتاجية ٣٠٠ ، ٢٠٠ ، ١٠٠ جوال دقيق / يوم على التوالى) ومن المقرر أن يبدأ تشغيلها قبل نهاية العام المالى الحالى .

ومن النجاح الذى أحرزته المخابز المحسنة ، واستقرار سياسة المؤسسة عليها ، بوصفها الوسيلة الأكثر ملاءمة لتحقيق هدف المؤسسة ومسئوليتها نحو تطوير صناعة الخبز فى البلاد ، فان خطة المؤسسة تهدف الى تعميم هذه المخابز فى القاهرة والاسكندرية ثم باقى محافظات الجمهورية .

فى قطاع الصوامع والتخزين

كان لزاما لاستكمال حلقات مسئوليات هذه المؤسسة فى المهام الموكولة اليها ، أن يعهد اليها باستقبال واستلام وتخزين وتوزيع جميع كميات القمح والدقيق الفاخر التى ترد الى البلاد .

وابتداء من ١٩٦٨/٨/٢٨ ، أخذت هذه المؤسسة تضطلع بمسئولياتهـا الضخمة فى هذا الميدان ، حيث يقع على عاتقها استقبال كل رسائل القمح المستورد بالميناء (بما تصل جملته حاليـا الى مليونى طن فى العام) وكذا استقبال كل رسائل الدقيق الفاخر المستورد (بما تصل جملته حاليا الى ٦٠٠ الف طن فى العام) — كما أن عليها تفريغ هـذه الرسائل من البواخر اما عن طريق صومعة الاسكندرية أو على الأرصفة بواسطة الشفاطات المتنقلة التى تملكها .

وفى ضوء مراكز أرصدة القمح والدقيق بكل محافظة من محافظات الجمهورية وحجم فراغات التخزين المتاحة ، تقوم المؤسسة بتوجيه وسائل النقل الى المخازن والشون المنتشرة فى كل محافظات الجمهورية ، مع متابعة سيرها حتى وصولها الى جهاتها .

ووفاء بهذه المسئوليات ، فقد قامت المؤسسة بتدبير وتوفير شبكة من الشون والمخازن تغطي جميع انحاء الجمهورية ، مع ما تحتاج اليه من كميات ضخمة من مستلزمات التخزين والصيانة ؛ بما يكفي استقبال وتخزين جميع ما يرد الى البلاد من قمح ودقيق فاخر بكميات متزايدة ، وبما يكفل — في نفس الوقت — تكوين ارصدة بكل محافظة على حدة تغطي احتياجات الاستهلاك بها من هاتين السلعتين الرئيسيتين لمدة ثلاثة أشهر على الأقل .

وأن المؤسسة وهي تتحرك في نطاق أقصى الامكانيات المتاحة ، وتعلم أن التخزين في العراء كوسيلة أساسية لتخزين القمح يتنافى مع اقتصاديات التخزين السليم ، وانه الى أن يتم تنفيذ المشروعات الجديدة بانشاء شبكة من الصوامع ، لا مناص من الاعتماد على هذه الشون ، فانها لم تأل جهدا في سبيل اعدادها وتجهيزها ، توفيرا لأنسب ظروف التخزين السليم في العراء الى حد المستطاع ، فضلا عن توفير واعداد وتجهيز مجموعة من المخازن المقفلة والمزودة بمختلف مستلزمات تخزين وصيانة الدقيق .

على انه مما تجدر الاشارة اليه انه كان ولا يزال هدف تطوير نظام تخزين وتداول القمح والدقيق ، والارتقاء به من الحالة البدائية ، أو حتى المتخلفة ، التي هو عليها ، الى مستوى التخزين الاقتصادي السليم ، هو الهدف الكبير الذي تصبو المؤسسة الى تحقيقه ، وبأسرع ما يمكن ؛ انقاذا لقدر كبير من الفاقد في هذا المجال من مجالات النشاط الاقتصادي للبلاد .

لذلك فقد اعدت المؤسسة خطة تطوير لنظام تخزين القمح والدقيق وفقا لاحدث الاساليب الفنية والاقتصادية ، على أساس انشاء شبكة من صوامع الغلال ومخازن الدقيق ، ونقل وتخزين وتداول القمح سائبا « بدون عبوات » .

وبناء على اتفاق عقد بين المؤسسة وشركة سلخوز بروم اكسبورت بالاتحاد السوفييتي بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٧ بدراسة وتقديم تقرير فني واقتصادي عن انشاء نظام لتخزين الحبوب والدقيق بالجمهورية العربية المتحدة .

قدمت الشركة المذكورة بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٢٦ تقريرها المشار اليه ، متضمنا التوصيات التالية :

أ — انشاء ٣٧ صومعة للغلال بسعة اجمالية قدرها ٧٠٠٫٩٠٠ طن لتخزين القمح والارز والشعير (بما يعادل تلك الكمية التي تغرب في مضارب القطاع العام) .

ب — انشاء ١٤ مخزنا للدقيق بسعة اجمالية قدرها ١٥٠٫٠٠٠ طن .

على أن يتم تنفيذ المشروع في خمس سنوات

وقد أسفرت الباحثات والمفاوضات التي دارت بين الجانبين المصري والسوفييتي في مارس الماضي عن ادراج هذا المشروع بالكامل ضمن اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين الجمهوريتين وتقديم قروض من الحكومة السوفييتية بقيمة المعدات والمهمات والخبرة اللازمة — وسيبدأ التنفيذ بمشيئة الله تعالى في أول يوليو سنة ١٩٧١ .

وهكذا تنطلق « المؤسسة المصرية العامة للمطاحن والصوامع والمخابز » في مجالاتها الثلاثة لتكون في خدمة جماهير الشعب وقواته المسلحة في كل مكان للقيام بكل مايتطلبه توفير « الرغيف العيش » على أحسن وأكمل وجه .

ماذا

الهيئة العامة للسلع التموينية

● الجهود الكبيرة وراء توفير السلع التموينية فى كل مكان

● ماهى الصعوبات التى تواجهها الهيئة ؟.. وكيف تعمل على تذليلها ؟

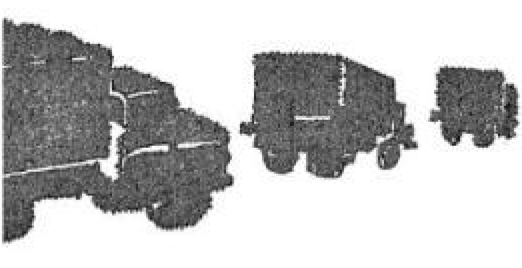
● السؤال المطروح : لماذا قامت الهيئة العامة للسلع التموينية ؟

وما هى وظيفتها اليوم ؟ وماهو الدور الذى تلعبه ؟ وماهو مدى المجال الذى يجب ان تتحرك فيه الهيئة حتى تحقق الهدف من وجودها ؟ .

وفى سبيل تحقيق اهدافها .. ماهى المشاكل التى تواجهها على طريق العمل الحيوى لصالح معيشة الشعب وتوفير احتياجات المواطنين .

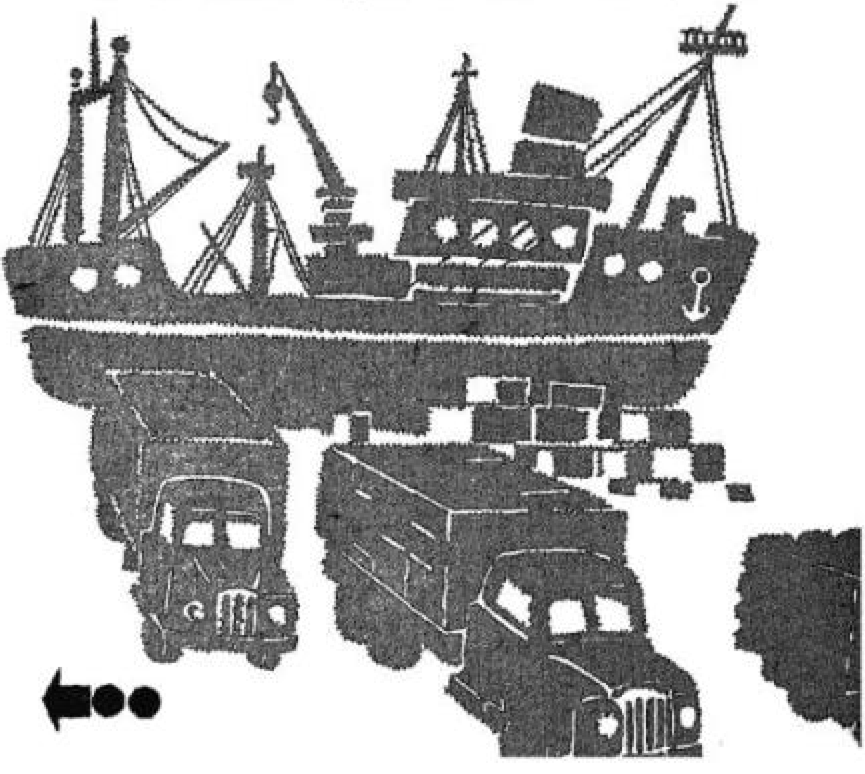
من داخل هذه الاسئلة .. تثور اسئلة اخرى فرعية .. تطرحها المشاكل اليومية والظروف التى تطرأ وتأتى بالجديد من المشاكل العاجلة ، مثل بعض الازمات التى تحيط بسلعة ما ..

ان هذا التحقيق الصحفى الذى تقدمه « الهلال » يجيب على كل هذه الاسئلة بوضوح تام ويبرز الدور الذى تقوم به الهيئة العامة للسلع التموينية كأساس لكثير من النشاطات التموينية فى البلاد ... يجيب ايضا على اسئلة عديدة اخرى عن صورة العلاقة بين الهيئة وبين القطاعات الاخرى كقطاع التجارة الخارجية وقطاع الانتاج وقطاع النقل .



تعرف عن :

- هيئة السلع التموينية تتعقب السلعة من المصادر الأصلية إلى أن تصل إلى المستهلك
- مشروعات جديدة للتخزين وإنشاء صوامع ومخازن مزودة بالموازين الأوتوماتيكية



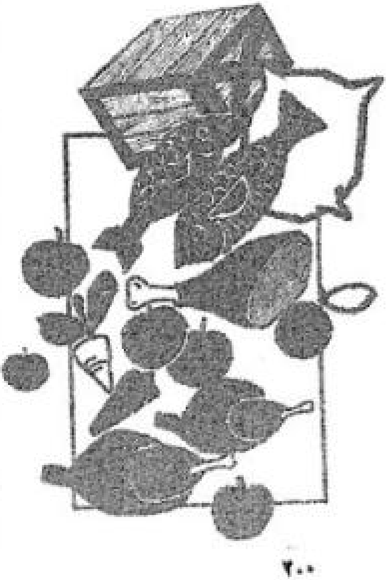
الهيئة العامة للسلع التموينية

ان ابرز ماتقوم به الهيئة العامة للسلع التموينية هى تلك الجهود الجبارة التى تبذلها فى سبيل توفير السلع التى تتعامل فيها والمكونة من خمس مجموعات اساسية وضرورية للحياة اليومية بين الناس .. ان هذا التحقيق يكشف بوضوح دور الهيئة الكبير فى هذا المجال .

وتعال بنا الآن نبدأ الكلام من المجهودات التى تبذلها الهيئة فى توفير السلع التموينية وتحقيق الاهداف التى انشئت من أجلها ...

كان ميلاد الهيئة العامة للسلع التموينية فى ١٩٦٨/٧/٢٠ عندما صدر القرار الجمهورى رقم ١١٨٩ لسنة ١٩٦٨ بانشائها .. وكانت اول ميزانية لها فى العام المالى ١٩٦٩/٦٨ وفى اطارها باشرت الهيئة اختصاصاتها التى تهدف أساسا الى توفير السلع التموينية ، سواء بالشراء من السوق المحلية أوعن طريق الاستيراد — مع مراعاة أفضل المواصفات وأنسب الاسعار ، وان يتم ذلك طبقا لبرنامج زمنى ، لمواجهة حاجة الاستهلاك ، مع الاحتفاظ بالارصدة اللازمة حسب طبيعة كل سلعة واتخاذ كافة الاجراءات التى تتطلبها عمليات النقل والتخزين والتوزيع ، وفقا لاحتياجات كل منطقة على مستوى الجمهورية مع المداومة على عمليات التفتيش الفنى والمراجعة للتأكد من مطابقة السلع الواردة للمواصفات المتفق عليها ..

وجاء قرار السيد وزير التموين والتجارة الداخلية محددا للسلع التى تتعامل فيها الهيئة ، وهى تندرج تحت خمس مجموعات هى :



- مجموعة الحبوب والبقــــول ومشتقاتها .
- مجموعة الزيوت والشحوم الغذائية والحيوانية .
- مجموعة المنتجات الحيوانية .. لحوم طازجة ومجمدة ومحفوظة .
- مجموعة المنتجات النباتية .
- مجموعة السلع غير الغذائية ..

وعند قيام الهيئـــة باعداد مشروع ميزانيتها العامة ، ومشروع ميزانيتهـا النقدية تضع فى اعتبارها الانتاج المحلى، ورصيد أول المدة ومعدلات الاســتهلاك والتغيــيرات المنتظرة خلال سريان مدة التنفيذ وتقدير الكميـــــات الواجب استيرادها لتغطية حاجة البــلاد مــع الاحتفاظ برصيد احتياطى معقول يمكن الدخول به فى الموسم التــالى الى أن يتم اعتماد الميزانية الجــديدة وابرام التعاقدات والبدء فى تنفيذها .

وعلى ضوء الدراسات التى تجريهـا الهيئة من الأسواق العالمية ومصـادر الاستيراد ، مع الاخذ فى الاعتبار قوائم السلع الملحقـة ، ببروتوكولات التجارة والدفع والاتفاقات الخاصة المبرمة مـع بعض الدول ، تقدر الهيئة حاجتها من النقد بما يتمشى مع امكانيات الاستيراد من كل البلاد التى يتم التعامل معهـا بالعملات الحسـابية ، وتلك التى يتم التعامل معها بالعملات الحرة .

متابعة كل المراحل

وعقب الانتهاء من هذه الدراسة من كافة جوانبها تقوم الهيئة بعدة خطوات هامة .. هى :

- اخطار المؤسسة العامة للتجارة ومجلس الســلع الغذائية ببيان الكميات المطلوب استيرادها من السلع التموينية والمواصــفات التى يجــرى اعدادها بالاشتراك مع الجهات المختصة بالتوزيع، وكذلك البرنامج الزمنى للشحن والوصول الذى يتم تنســيقه بمـا يكفل ورود الاحتياجات فى الوقت المناسب . مــع الاخذ فى الاعتبار طاقة ميناء الاسكندرية فى استقبال البواخر باعتباره الميناء الذى تتركز فيه حركة تفريغ السلع المستوردة حاليا ..
- يقوم مجلس السلع الغذائيــة ، وفقا للبرامج المحددة بمعرفة الهيئـــة باخطار الشركات التجارية المختصـــة لطلب العروض من الخارج فى ضــوء احتياجات الهيئة من حيث الكميــة والمواصفات ومواعيد الشحن والوصول، على أن تكون طريقة الســداد متفقــة مع الشروط التى تحددها مؤســسة التجارة ولجنة التمويل بالبنك المركزى فى نطاق وسائل الدفع المتاحة سواء نقدا ، أو قروضا أو تسهيلات ائتمانية مصرفية.، أو تســهيـــلات مصرفيـــة مدبرة بمعــرفة الموردين .
- تحال العروض المقدمة الى لجان فرعية منبثقة من مجلس السلع الغذائية لبحثها واختيار أفضلها ــ علما بأنه نظرا لان السلع التموينية تمثل أكثر من ٩٠ ٪ من نشاط مجلس الســلع الغذائية فان نائب مدير عام الهيئة لشئون الاستيراد هو أمين عام المجلس ــ كما أن الهيئة ممثلة فى جميع اللجان الفرعية لضمان اتخاذ القرار المناسب عنــــد فحص العروض والبت فيها، كما أن الدراسات التى تسبق اجتماعات اللجان الفرعيــة بالنسبة للعروض تتم بالكامل فى الادارات المختصة بقطاع الاستيراد بالهيئة .
- بعد أن يتم البت فى انسبه وأفضل العروض ، تصدر تصاريح الاســتيراد

بمعرفة المؤسسة العامة للتجارة ، وتبلغ الى الهيئة التى تقوم باخطار البنك الاهلى لفتح الاعتمادات المستندية المطلوبة ، كما تقوم بالتأمين على الرسائل عن طريق ممارسة تعقدها الهيئة بحضور شركات التأمين المحلية .

● وفى جميع هذه المراحل تقوم الهيئة بمتابعة كاملة لتنفيذ كافة التعاقدات وبرامج الشحن — والوصول ، والاستلام بما يكفل وصول الكميات المتعاقد عليها فى المواعيد المحددة ، ومطابقة للمواصفات الامر الذى يمكن الوزارة من عرض السلع التموينية للاستهلاك على مدار السنة وفى الاوقات المناسبة وبأحسن المواصفات وأفضل الاسعار ..

الاستفادة من الاتفاقيات

ومما يساعد المؤسسة فى اداء رسالتها على الوجه الاكمل انها تمثل فى جميع لجان المباحثات الاقتصادية التى تعقد فى الداخل والخارج سواء أكانت بغرض تجديد اتفاقية سابقة أو عقد اتفاقيات جديدة أو متابعة ما يكون ساريا منها اذ أن الهيئة لها الدور الرئيسى فى تحديد السلع بالقوائم الملحقة ببروتوكولات التجارة والدفع ، كما أنها هى المسئولة عن مباشرة عمليات الاستيراد ومتابعة تنفيذ العقود ودراسة المشكلات المتعلقة بها ...

وبذلك يمكن الاستفادة الى أكبر مدى من هذه الاتفاقيات ، كما أنه يتيح الفرصة لمندوبى القطاع التموينى لدراسة النظم التى تسير عليها تلك الدول فى وضع سياستها الخاصة بالانتاج والتسويق المحلى والتصدير الى جانب الوقوف على الاسعار السائدة للسلع والطرق المتبعة فى تحديد مواصفاتها القياسية ، ووسائل نقلها وتغريغها واعدادها للتصدير بهدف تحديد أنسب الاوقات وأفضل الشروط التى يتم التعاقد على اساسها .

مواصفات لكل سلعة

وليست هذه هى كل جهود الهيئة .. انما هناك جهود أخرى تبذلها الهيئة حتى يكون المعروض من السلع الغذائية والمواد التموينية المختلفة متفقا فى مواصفاته مع حاجة الانتاج والاستهلاك فتتولى الهيئة تحديد المواصفات الخاصة لكل سلعة وضمانا لمطابقة الكميات الواردة للمواصفات تقوم الهيئة بتعيين شركات المراجعة العالمية لمباشرة عمليات التفتيش والمراجعة الفنية بموانىء الشحن ولا تكتفى الهيئة بذلك بل تقوم بمعاونة الاجهزة الفنية للدولة باخذ عينات فى موانىء الوصول للتأكد من مطابقتها .

التحرر من أموال الخزانة العامة

واعتبارا من العام المالى ٦٨/١٩٦٩ — وهو تاريخ انشاء الهيئة — صدرت ميزانية السلع التموينية لاول مرة فى شكل موازنة سلعية متحررة من أموال الخزانة العامة وقد وازنت ايراداتها خسائرها .

وكان على الهيئة – في اطار ما تقدم – في المقام الاول ان تقوم بتدبير الاموال اللازمة لعمليات تمويل السلع والمحاصيل التموينية بعد أن أصبح لزاما عليها تدبيرها بعيدا عن أموال الدولة .

وقد اتخذت الاجراءات الاتية للمحافظة على سبل الائتمان بالهيئة : –

● تم تحويل القرض الممنوح من البنك المركزي للمؤسسة الائتمان الزراعي والتعاوني ، وقدره ٢٥ مليون جنيه بفائدة قدرها ٥٪ سنويا لحساب هذه الهيئة ولصالحها ..

● تمكنت الهيئة من الحصول على تسهيلات ائتمانية من البنوك التجارية بفائدة قدرها ٥ر١ ٪ سنويا من الشهرين الاول والثاني تزاد الى ٥ر٥ ٪ سنويا اعتبارا من أول الشهر الثالث . « وبمتابعة الهيئة لتحصيل مستحقاتها طرف الجهات المتعاملة معها اولا بأول ، امكنها التمويل بالفائدة المخفضة . »

● تمكنت الهيئة أيضا من الحصول على تسهيلات ائتمانية من البنوك التجارية لتمويل المحاصيل المحلية بفائدة قدرها ٣/٤ ١٪ سنويا ، وقد انعكس ذلك على تكلفة السلع التموينية المحلية والمستوردة نتيجة هذه الاجراءات بخفض اعانة الدولة التي تقدمها لغرض توفير السلع الغذائية .

الاستلام من الميناء

ولكي تكون صورة الجهود التي تبذلها الهيئة واضحة تماما فيحسن بنا أن نتحدث عن بعض الجوانب الخاصة بعمليات استلام السلع من ميناء الاسكندرية اذ تقوم أجهزة الهيئة بالوالي باتخاذ كافة اجراءات استقبال البواخر تمهيدا لتفريغها بعد اتخاذ كافة الاجراءات الخاصة بالافراج الجمركي والزراعي والصحي الى جانب القيام باتخاذ الاجراءات الخاصة بفحص السلع التموينية والتأكد من مطابقتها للمواصفات المتفق عليها وما يتصل بذلك من المحافظة على حقوق الهيئة من النواحي القانونية عن طريق الدعاوى المحلية أو التحكيم الخارجي .

والهيئة فروع بالوالي تقوم باجراءات تسليم الرسائل المفرجعنها الى المؤسسات التموينية النوعية كل حسب تخصصه مع تدبير وسائل النقل الى الداخل بالاتفاق بين الهيئة والجهة المستلمة .

وقد راعت الهيئة – محافظة منها على حقوقها كاملة بالنسبة للتأمين – القيام باجراء تأمين بحري على كافة السلع ضد الاخطار اثناء الرحلة البحرية كلية لتحديد مسئولية الناقل فيما قد يظهر من تلف اوعوارض جزئية والحصول على قيمتها بالعملات الحرة في حالة ثبوت مسئولية الناقل ويجدر بالذكر ان الهيئة لها دور كامل في استلام وتخزين وتوزيع السلع وفي مقدمتها الزيت والذرة والسمسم والعدس والفول .

ان التوقيت الزمني عامل هام جدا لتوفير السلع بأماكن استهلاكها . ولهذا عملت الهيئة على توفير وسائل النقل المختلفة لتيسير وصول السلع الى مواطن الاستهلاك بالكميات المناسبة وذلك بابرامها التعاقدات مع الجهات الناقلة « مؤسسة النقل الداخلي » وهيئة السكة الحديد ومؤسسة النقل النهري » والسماح للهيئات والمؤسسات الموكول اليها أمر التوزيع بالاستعانة بوسائلها الخاصة ، وكذلك التعاقد مع القطاع الخاص اذا لزم الامر ، مع تحمل الهيئة كافة المصاريف المترتبة على هذه العمليات

وقد كان من نتيجة ذلك توافر الارصدة وفقا للخطة الموضوعة بالرغم من وجود بعض الصعوبات التي قابلت الهيئة

لورود جميع احتياجات البلاد الى ميناء واحد وهو الاسكندرية ، وعدم توافر الامكانيات اللازمة للتفريغ والسحب .

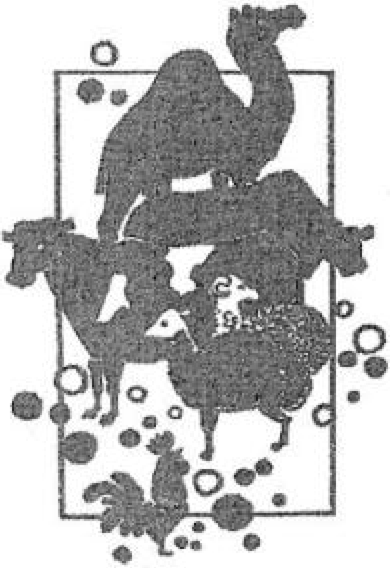
التوزيع والتخزين

واذا كانت الهيئة تتعقب مراحل وصول السلع وتفريغها ونقلها وتعتبر النقل عاملا حاسما فى الموضوع ، فان هناك نقطة هامة تعتبر الدعامة الاساسية فى توفير احتياجات الاستهلاك من مختلف السلع على مستوى المحافظات ووفقا لمعدلات الاستهلاك الفعلى لكل منها .. هذا هو التوزيع والتخزين .

وتتولى الهيئة باجهزتها المختلفة التى لديها الامكانيات الفعالة عمليات التوزيع والتخزين وفيما يختص بالتوزيع او كل توزيع السلع المحلية الى مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى ، اما السلع المستوردة فقد اوكلت حسب نوعيتها الى المؤسسات والشركات التموينية (لمؤسسة المطاحن التى تتولى توزيع القمح والدقيق الفاخر ومؤسسة السلع الغذائية وشركاتها التى تتولى توزيع الشاى والبن والسكر والعدس والجبن والمعلبات وشركة اللحوم والدواجن التى تتولى توزيع اللحوم والدواجن).

وقد كان لاشراك السادة المحافظين واجهزة الراى العام بالمحافظات فى متابعة خطة التوزيع ميدانيا ، اثره الكبير فى استقرار الاوضاع التموينية

اما امر تخزين السلع التموينية فقد اوكل الى مؤسسة الائتمان الزراعى والبنوك التجارية الاخرى وتمشيا مع سياسة توسيع رقعة التخزين والعمل على انتشار المخزون فى كافة المحافظات بما يحقق الاكتفاء الذاتى لكل منها لفترات مناسبة وتوفير جانب الطمأنينة لدى المستهلكين والموزعين فى كل محافظة ، وعلى مراعاة التخصص النوعى ، فقد اختصت مؤسسة الائتمان بتخزين السلع المحلية كالقمح والفول والعدس الصحيح



والسمسم المحلى والذرة المستوردة ، وخصصت مؤسسة المطاحن والصوامع لتخزين القمح المستورد والدقيق الفاخر وخصصت المخازن التى آلت للهيئة من شركة الشرق الأدنى للتخزين لبعض المحاصيل كالعدس والسمسم . كما خصصت شركة تجارة الجملة للسلع الغذائية لتخزين الشاى والبن والعدس المجروش المستورد .

وتقوم الهيئة الآن بدراسات ومشروعات للوصول بالتخزين الى حد الكمال وذلك بانشاء صوامع لتخزين القمح ، ومخازن آلية لتخزين الدقيق تزود بالموازين الأوتوماتيكية بالداخل والخارج تكفل سرعة الاستلام وعدم فساد المخزون او اصابته .

ولكى يمكن زيادة معدلات الاستيراد من الزيت وتوفير الاحتياطى الواجب لمواجهة والتخزين حتى يبدأ موسم عصير بذرة القطن فقد تقدمت الهيئة بمشروع لانشاء محطة استلام بالميناء .

وتستعين الهيئة بثلاجات شركة الاسكندرية للتبريد وشركة جركو فى تخزين الجبن المستورد والسلى والزبد المستورد واللحوم والدواجن والاسماك المجمدة .

وتعد قليلة هى أوجه النشاط الواسعة التى تتحرك فى دائرتها الهيئة العامة للسلع التموينية وهى كما نرى تبذل جهوداً جبارة فى سبيل اداء رسالتها التى انشئت من اجلها فى ظل المجتمع الاشتراكى الذى يوفر للشعب احتياجاته التموينية دون استغلال او نقص .

ان هذا النشاط الكبير يبدو واضحاً فيما توفره الهيئة فى الأسواق المصرية على اختلاف انواعها من السلع ، وفى دورها الكبير فى سد النقص فى بعض السلع الاخرى التى لا يفى الناتج المحلى بحاجة المستهلك منها مثل اللحوم المحلية التى تقوم الهيئة بتكملة النقص فيها باستيراد اللحوم من الخارج لعرضها بأسعار معتدلة فى الأسواق المحلية مما يحد من اقبال المستهلك على اللحوم البلدية .

وتعتمد الهيئة عند التعاقد على استيراد اللحوم من الخارج — سواء الحية منها او المثلجة الى اختيار اللحوم التى تتناسب مع القدرة الشرائية للطبقات الشعبية مع المحافظة على استيراد انواع يكون طعمها مستساغا لدى الطبقات المستهلكة فضلا عن ذبحها شرعيا ، ولهذا فان الهيئة تستورد ابقارا وعجولا واغناما وجمالا حية من الانواع الصغيرة السن والسمنة .

وقد ابتهلت كل من السودان والصومال فى عمليات تسمين الماشية تحت اشراف هيئات حكومية لتحسين الانتاج بدلا من الماشى التى كانت تترك على طبيعتها فى المراعى ويتم تصديرها دون تسمين

السمك .. ايضا

وكبديل للحوم تتعاقد الهيئة ايضاً مع الأسطول الروسى للصيد فى اعالى البحار على استيراد ١٢ الف طن من الاسماك سنوياً ، هذا بخلاف حصيلة الصيد من الأسطول المصرى فى اعالى البحار التى تقدر بنحو ١٨ الف طن سنوياً وذلك بالاضافة الى محصول البحيرات وبحيرة ناصر التى اتخذت بشأنها اجراءات خاصة لرفع حصيلة الصيد منها .

ولقد كان لتوفير هذه الاصناف المستوردة اثره الملحوظ فى خفض اسعار الاسماك فى الآونة الاخيرة .

هذه صورة لما تقوم به الهيئة العامة للسلع التموينية من جهود فى سبيل توفير احتياجات الشعب وحمايته من الاستغلال .

شركاتها ... أهدافها

المجموعات السلعية التي تتعامل فيها ؟
حجم مبيعاتها .. ودورها في إيجاد التوازن لصالح جمهور المستهلكين ؟

[illegible]

[illegible]



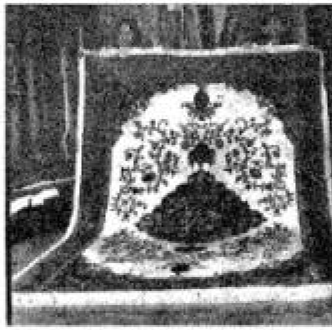
ملابس جاهزة حريمي ورجالي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

غير الغذائية لمختلف مستويات المستهلكين بالسعر المناسب في مختلف أنحــــاء الجمهورية العربية المتحدة .



قسم السجاد

وبالنسبة لقطاع شركات الجملة تهدف المؤسسة والشركات التابعة لها في هذا القطاع الى ايصال السلع الاستهلاكية غير الغذائية المختلفة الى تجار التجزئة في كافة مراكز الجمهورية الهـامة . ذلك تمهيداً لنقل تجارة الجملة بالكامل الى القطاع العام والتموين بالنسبة لكافة أنواع المنسوجات وبعض السلع الاستهلاكيـة الأخرى التى تتعامل فيها شركات الجملة التابعة للمؤسسة .

●● المؤسسة المصرية العامة للسلع الاستهلاكية

اما اهداف المؤسسة بالنسبة للاسواق الحرة فتوفير كافة السلع الاستهلاكية عن طريق الشركة المصرية لتجارة السـلع المستوردة ـ بما فيها السلع الغذائيـة سواء كانت من الانتاج الاجنبى أو المحلى ـ للدبلوماسيين ومن فى حكمهم . وتتعامل هذه الشركة بالنقد الاجنبى . وترمى الى توفير بعض نوعيات السلع المستوردة للمواطنين عن طريق بيعها بالنقد الاجنبى فى محلات خاصة هى محلات البيع للمواطنين بالنقد الاجنبى .

السلع التى تتعامل فيها

تتعامل شركات متاجر التجزئة التابعة للمؤسسة فى كافة نوعيات السـلع الاستهلاكية غير الغذائية ومن أهمهـا الاقمشة بكافة انواعها « قطنيات واصواف وحرابر ومنسوجات تركيبية وغيرها . والمفروشـات والبياضات والبطاطين والملابس الداخلية للرجال والسيدات والاولاد والاطفال والملابس الخارجيـة للرجال والسيدات والاولاد والاطفـال والاحذية بكافة أنواعها والمصـنوعات الجلدية المختلفة والروائح وأدوات الزينة ومستحضرات التجميـل والخردوات الرفيعة والاثاث الخشبى والمعدنى والسجاد والنجف والادوات المنزلية العادية وبعض الادوات الكهربائية والصينى بمختلف أنواعه وأدوات المائدة والطبخ والسـلع المعمرة كالتليفزيون والراديو والثلاجات الكهربائية والغسالات الكهربائية والمراوح البوتاجاز وغيرها والساعات والنظارات والتحف كما تتعامل فى الدراجات العادية والدراجات البخارية (الموتوسيكلات) وكاوتش السيـارات والدراجات واللعب والادوات الكتبيـة المختلفة » ..

وتبلغ رءوس أموال الشركات التابعـة للمؤسسة والاحتياطات مبلغ ١٣٫٢٥٥٫٦٧٨ جنيها منها ٨٫٥٩٣٫٧٨٠ جنيهـا رءوس أموال الشركات التابعة للمؤسسة ومبلغ ٤٫٧٦١٫٨٩٨ جنيها احتياطات الشركات التابعة للمؤسسة .

سياسة نشر الفروع

ويبلغ عدد فروع الشركات التابعـــة للمؤسسة ٢٨٦ فرعا موزعة على القطاعات المختلفة منها ٢١٩ فرعا لشركات مناجر التجزئة وخمســة أفرع للشركة المصرية لتجارة السلع المستوردة (الاسواق الحرة) و ١٠٦ أفرع لقطاع الاحذية (الشركة المصرية للاحذية « باتا ») و ٥٦ فرعا لقطاع شركات الجملة .

وتهدف المؤسســة الى نشر الفروع فى كافة مراكز الجمهورية الهامة . كمــا تهدف الى تطوير الفروع بحيث تصبح متكاملة مع الاهتمام بأن تشــمل فروع شركات متاجر التجزئة كافة الســلع الشــعبية والضرورية اللازمة لمختلف المستويات . وتراعى الشركات التابعة للمؤسسة أن تنشأ فروعها الجديدة فى مختلف مراكز الجمهــورية ذات الوزن الاستهلاكى الكبير .

انتاج شركات المؤسسة

وبلغت جملة انتاج الشركات التابعة للمؤســسة (المبيعات) من تجزئة وجملة خلال الســـنة المالية ٦٩/١٩٧٠ مبلغ ١٠١ر٧٨٧ر٩٤٥ جنيها بزيادة قــدرها ٨٢٤ر٥٨٨ر١٠ جنيها أى بنسبة ٨ر١٧٪ من جملة مبيعات السنة المالية السابقة عليها . فكان نصيب المبيعات الخاصــة بشركات متاجر التجزئة خلال عام ٦٨ / ١٩٦٩ مبلغ ٧٦ر٥٣٧ر٨٣٢ر٥٢ جنيها فزاد فى سنة ٦٩/١٩٧٠ الى ٩٢١ر٩٩٥ر٥٥ جنيها كما كان نصيب مبيعــات الشركة المصرية للاحذية « باتا » خلال عام ٦٨ / ٦٩ مبلغ ٤٢٨ر٨٤٨ر٥ جنيها فزاد فى سنة ٦٩/ ١٩٧٠ الى ٣٨٠ر٠٢٧ر٧ جنيها خلال عام ٦٩ / ١٩٧٠ وكان نصيب مبيعات شركات الجملة خــلال عام ٦٨/ ١٩٦٩ مبلغ ٠٠٢ر١٦٦ر٢٧ جنيهات فزاد خلال عام ٦٩/ ١٩٧٠ الى مبلغ ٦٤٤ر٧٦٤ر٢٨ جنيها .

العمالة والاجور

وتؤكد الارقام ايضا أن عدد العاملين فى الشركات التابعة للمؤســـســة يزداد تبعا لزيادة نشاط الشركات فبلغ عــدد العاملين فى الشركات التابعة للمؤســسة ٧٠٤ر١٥ عاملا حتى ٣٠-٦-٧٠ يعمل منهم ١١٤٩ر١١ عاملا بشركات متاجر التجزئة و ٣٢٢٤ عاملا بالشركة المصرية للاحذية « باتا » و٩٩٧ عاملا بشركات الجملة .

وقد بلغ اجمالى الاجور وما فى حكمها فى الشركات التابعــة للمؤسسة حتى ٣٠-٦-١٩٧٠ مبلغ ٩٨٦ر٥٢ر٧٥٢ر٥ جنيها منها ٠٠٢ر٤٦٦ر٢ جنيهات اجمالى الاجور فى شركات متاجر التجزئة و ٦٠٥ر١٦٦ر١ جنيهات اجمالى الاجور فى الشركة المصرية للاحذية « باتا » و ٣٧٧ر٤٠٢ جنيهــا اجمالى الاجور فى شركات الجملة .



ان هذه الارقام بلا شك تعطينا صورة واضحة من النشاط غير العادى الذى تبذله المؤسسة المصرية العامة للسلع الاستهلاكية وشركاتها فى مختلف المجالات التى تعمل بها ، كما تعطينا فكرة سريعة عن مدى حرص المؤسسة على التغلغل فى اعماق المدن والمراكز فى الجمهورية العربية المتحدة لتوفر لجماهير المستهلكين حاجتهم من السلع غير الغذائية بعيدا عن الاستغلال والتلاعب بالاحتياجات الضرورية للشعب .

المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات

انطلاقة شعارها

مزيد من النجاح والتفوق وخدمة الجماهير فى كل مكان

كان من الطبيعي وتحسين لتبني مجتمعنا اشتراكيا أن تنقل تجارة الجملة الى القطاع العام ، وكان من الضرورى اتخاذ هذه الخطوة الحاسمة حماية للمستهلك وتاجر التجزئة من استغلال بعض كبار تجار الجملة . وكان من المنطقى أن تقوم مؤسسة عامة لتتولى قيادة هذا القطاع ، وتوفر السلع فى جميع المحافظات على امتداد رقعة الجمهورية العربية المتحدة وتحافظ على استقرار الاسعار ، وتقضى على طبقة المستغلين من تجار الجملة ، وتمنع قيام السوق السوداء .

وهذا ما حدث فى عام ١٩٦٨ ، حيث انشئت المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات ، بهدف نقل تجارة الجملة فى السلع غير الغذائية تدريجيا الى القطاع العام ، ولتحقيق الاهداف الاشتراكية من وراء هذه الخطوة .

ومنذ حملت المؤسسة امانة هذه الرسالة القومية والوطنية ، وضعت فى مقدمة اهدافها ان تتوسع فى انشاء الفروع والمخازن فى مختلف المحافظات لتلبية احتياجات جماهير المستهلكين فى كل مكان ، وذلك بالنسبة للسلع التى يشير اليها اسم المؤسسة ، وهى السلع الهندسية والمعادن والكيماويات .

وتتبع المؤسسة خمس شركات هى :

الشركة المصرية للمعدات الكهربائية .
الشركة المصرية لتجارة المعادن « سيجال » .
الشركة المصرية للورق والادوات الكتابية .
الشركة المصرية للبويات والكيماويات .
الشركة المصرية للطباعة والنشر « دار الكاتب العربى » .. وهى الشركة التى ضمت اخيرا الى المؤسسة بعد ان كانت تابعة لوزارة الثقافة .

وقبل ان نستعرض نشاط كل شركة من هذه الشركات ، فاننا نعرض أولا لنشاط المؤسسة . وفى هذا المجال ، نجد ان المؤسسة قد اهتمت بتوفير السلع الهندسية والكهربائية والمعادن والكيماويات والورق والادوات الكتابية سواء ما ينتج منها محليا أو المستوردة بالاسعار المناسبة . كذلك فانها قد افتتحت مزيدا من الفروع والمخازن بحيث وصل عددها الى ١٢٧ فرعا فى يناير ١٩٧١ . مقابل ٦٧ فرعا فى نهاية عام ٦٧ / ١٩٦٨ . ومن جانب اخر ، فانها حرصت على دعم اسطول النقل بالشركات وذلك بهدف تسهيل عمليات التوزيع بالنسبة لمختلف المحافظات .

وقد ارتفع رقم اعمال الشركات الاربع — بخلاف شركة الطباعة والنشر التى ضمت اخيرا — من ١١٫٧ مليون جنيه خلال عام ٦٨ / ١٩٦٩ الى مبلغ ٢٣٫٢ مليون جنيه عام ٦٩ / ١٩٧٠ أى بنسبة قدرها ١٠٠ ٪ تقريبا . ومن المتوقع ان

يرتفع هذا الرقم الى ٣٦٣ر٣ مليون جنيه في نهاية العام المالي الحالي ٧٠/١٩٧١

وبالنسبة للعمالة ، فقد ارتفع عدد العاملين من ٣٠٧٣ عاملا عام ١٩٦٩/٦٨ الى ٣٥٥٨ عاملا في عام ١٩٧٠/٦٩ ، ومن المتوقع أن يصل عددهم الى ٣٨٨٤ عاملا في نهاية العام المالي الحالي .

وفي نفس الفترة ارتفعت الاجور من ٣٩٦ر٨١١ جنيها الى ٨٤٤ر١٠٠١ جنيها ويتوقع لها أن تصل الى مليون و ٩٤ الف جنيه في هذا العام .

وارتفعت الارباح من ٢٢٥ر٤٦٢ جنيها في عام ٦٨ / ١٩٦٩ الى مبلغ ٥٦٧ر٨٦٩ جنيها في عام ٦٩ / ١٩٧٠ . وينتظر ان تصل الى مليون و ٣٦١ الف جنيه في نهاية العام المالي ٧٠ / ١٩٧١ .

وقد انتهت المؤسسة من اعداد خطتها الخمسية المقبلة ٧٠/٧١ — ٧٤/١٩٧٥ على اساس انشاء حوالي ١٠٠ فرع ومخزن جديد بالمحافظات المختلفة ، وذلك لمواجهة التوسع المرتقب في نشاط الشركات ، تلبية لاحتياجات المستهلكين في الوقت المناسب ، وذلك تطبيقا للمبادىء التالية :

● التوسع في انشاء مراكز التوزيع بالجملة ببنادر المحافظات بصفة اساسية

● انشاء مراكز للجملة والتجزئة على مستوى المراكز الهامة في بعض المحافظات

● زيادة عدد سيارات النقل لتسهيل اعمال التوزيع بين المخازن الرئيسية والفروع على مستوى المحافظات .

● تقوية الرقابة على المحلات التجارية لضمان تقديم الخدمة الطيبة لجماهير المواطنين .

● وهذا الى جانب البرامج التى اعدتها المؤسسة لتدريب العاملين بهدف رفع كفاءاتهم والدراسات التسويقية التى عدتها للتعرف على مشاكل التسويق والعمل على تذليلها والتغلب عليها .

شركات المؤسسة

وفي اطار هذه الصورة العامة ، يمكن ان نقف عند نشاط كل شركة من شركات المؤسسة باعتبار أن ما حققته المؤسسة من نجاح وتقدم ، وما قامت به من جهود في سبيل توفير السلع والقضاء على السوق السوداء ، انما هو ثمرة التعاون الوثيق بين المؤسسة وشركاتها لصالح الجمهور .

● الشركة المصرية للمعدات الكهربائية « شاهر / ستتربلاك »

تأسست في بداية عام ١٩٦٥ ، بهدف توزيع كافة السلع الهندسية والكهربائية والالكترونية سواء المنتجة محليا او المستوردة عن طريق شركات التجارة الخارجية . ويتم التوزيع في كافة فروع الشركة المنتشرة في محافظات الجمهورية بالنقد او بالتقسيط ، وبالجملة أو القطاعي .

واهم السلع التي تتعامل فيها الشركة : الاجهزة المنزلية ، والادوات الكهربائية ، واللمبات العادية والفلورسنت ، والراديو والتليفزيون ، والغسالات ، والدراجات ، والموتورات الخفيفة ، الى جانب قيامها بتوزيع حصص البطاريات الجافة على المحافظات .

ويبلغ عدد فروع الشركة ٣٤ فرعا بخلاف ٦ مخازن رئيسية بالقاهرة و ٢ مخازن بالاسكندرية .

وقد بلغت قيمة صافي مبيعات الشركة حوالي ١٩٩ر٢١ر٨ جنيها خلال عام ١٩٦٩/٦٨ ، ثم ارتفعت الى ٣٢٦ر٢٥٦ر٩ جنيها خلال عام ١٩٧٠/٦٩ . ومن المتوقع أن تصل الى ٩ ملايين و ٣٠٠ الف جنيه في نهاية العام المالي ٧٠/١٩٧١ وبلغ صافي الربح الذي حققته الشركة خلال عام ١٩٦٩/٦٨ مبلغ ٣٢٣ر١٠٠ جنيها ارتفع الى ٣٥٣ر٢٤٦ جنيها خلال عام ١٩٧٠/٦٩ ، وينتظر ان يصل الى ٣٠٣ آلاف جنيه خلال العام الحالي ٧٠/٧١

● الشركة المصرية لتجارة المعادن « سيجال » :

وقد تكونت في عام ١٩٦٨ سلخا من الشركة المصرية لتجارة المعادن والبويات « شمتو » منضمة اليها شركة الوادي

للمعادن والمصوغات . ثم ضم اليهـــا مصنعا بلبكات والاهرام بالقـــــاهرة والاسكندرية وقامت الشركة بشراء باقى منشأة تولنجى .

وتقوم الشركة بالاتجـــــار بالجملة والقطاعى فى كافة أنواع المعادن وبمختلف أشكالها سواء كانت سلعا صناعية وسيطة او سلعا نهائية للمستهلك ، وســواء كانت هذه السلع من منتجات الصناعات المحلية او المستوردة كالحديد والكريتال والنحاس والالومنيوم والقصدير ،وذلك بخلاف تجارتها فى السلع المصـــنعة بوحداتها الانتاجية ، والمعـادن الثمينة كمشغولات الذهب والفضة والمجوهرات.

وللشركة أربعة مصانع هى : مصـنع المعـادن الثمينة بالقـــاهرة ، ومصنع المشغولات المعدنية بالقاهرة ، ومصنع الادوات المنزلية بالاسكندرية ، وورشة الاخشاب برملة بولاق ، كما يتبعها فرع لتجارة الذهب بالجملة وآخر لتجـــارة القشرة بالجملة بالقـــاهرة . وذلك بخلاف ١٥ فرعا لتجارة الذهب والفضيات والمجوهرات والادوات المنزلية والعـــدد اليدوية والمعـادن بالقاهرة و ٣٠ فروع بالاسكندرية وفرع بطنطا ، وفرع بكفر الشيخ .

وقد بلغت قيمة صافى مبيعات الشركة ٧٣١ر٨٦٠ر٤ جنيها خلال عام ١٩٦٩/٦٨ ثم قفزت الى ٨٤٦ر٨٧٠ر٧ جنيهـا عام ١٩٧٠/٦٩ . ومن المتوقع أن تصل الى مبلغ ١٠٠١٥٠٩١١٠ جنيه خلال العـام المالى الحالى .

وترتب على ذلك أن ارتفع صافى الربح من ١٣٣ر٣٤٠ جنيها فى عام ١٩٦٩/٦٨ الى ١٥٨ر٩٠٢ جنيها فى عام ١٩٧٠/٦٩ . وينتظر أن يصل الى ٦١٧ الف جنيه فى نهاية العام المالى ١٩٧١/١٩٧٠ .

● الشركة المصرية للــورق والادوات الكتابية :

بدأت كفرع لشركة ويكنسون بلنــدن ثم اممت فى عام ١٩٦٢ ، واصبح اسمها الشركة العربية لتوزيع وتصنيع الورق ثم ضمت الى المؤســسة فى عام ١٩٦٧ .

وهى تمارس نشاطا صناعيا وتجاريا، حيث تقوم بأعمال الطبـــاعة وتصنيع الاحبار والاقلام الجافة والحبر والاتجار فيها . وكذلك الاتجار فى الورق الخام والمصنع بأنواعه المختلفة وذلك بالاضافة الى مختلف أنواع الادوات الكتـــابية وأدوات التصوير والافلام .

وقد بلغت قيمة صافى مبيعات الشركة ٨٦٦ر٥١٥ر٢ جنيهــا فى عام ١٩٦٩/٦٨ ارتفعت الى ٠٦٥ر٩٤٠ر٢ جنيها خــلال عام ١٩٧٠/٦٩ ، ومن المنتظر ان تصل فى نهاية العام الحالى ٣ ملايين و ٢٤٥ الف جنيـــه . كما انه من المتوقع ان تصل أرباحها الى ٢٧٤ الف جنيـه فى نهاية العام المالى ١٩٧١/٧٠ .

● الشركة المصرية للبــــــويات والكيماويات :

تكونت فى عام ١٩٦٨ سلفا من الشركة المصرية لتجارة المعادن والبويات . ومن اغراضها الاتجار فى جميع أنواع البويات وخاماتها والســلع الكيماوية بالجملة والتجزئة على مســتوى الجمهورية ، وذلك لضمان توافر هذه الســلع فى السوق المحلية بالاسعار المناسبة .

وقد بلغ صـــافى مبيعـــات الشركة ٦١٥ر٣٧١ر١ جنيها فى عام ١٩٦٩/٦٨ ثم ارتفع الى ٦٦٩ر١٢٣ر٢ جنيها خلال عام ١٩٧٠/٦٩ . ومن المتوقع أن يصل الى ٢ مليون و ٦٦٤ الف جنيه فى نهاية العام المالى الحالى ١٩٧١/١٩٧٠ .

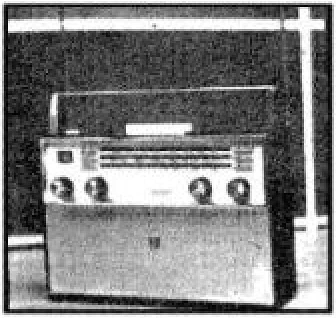
وبلغ صـــافى ارباح الشركة ١١٨ر١٢٠ جنيها فى عام ١٩٦٩/٦٨ ، وارتفع الى مبلغ ٨٩٣ر٧٢٣ جنيها خلال عام ١٩٧٠/٦٩ ومن المتوقع ان يصـــل الى ١٢٩ الف جنيه فى نهاية العام المالى ١٩٧١/٧٠ .

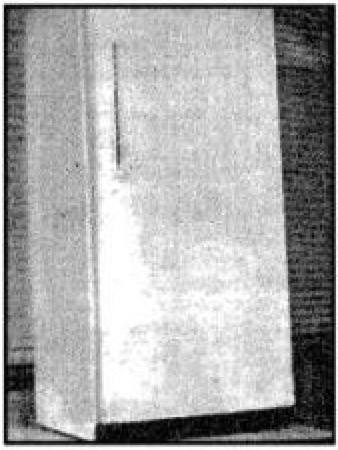
● الشركة المصرية للطبـــاعة والنشر « دار الكاتب العربى » :

وقد ضمت الى المؤســـسة فى بداية العام المالى الحالى . وهى تقوم بجميع اعمال الطباعة وبخاصــة فيما يتعلق بنشر الكتب ،وتتوقع المؤسسة ان تحقق الشركة دفعة قوية على طريق المستقبل لتقف الى جانب الشركات الاخـــرى التابعة لها فى مضمار النجاح والتفوق



الشركة المصرية للورق والأدوات الكتابية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات
أكبر مصنع فى الشرق للمنتجات الورقية والأدوات الكتابية
إنتاج الشركة :
كراسات بجميع أنواعها • كشاكيل - محاضرات • اجندات
مفكرات ونتائج • دفاتر تجارية للحسابات • تجليد فاخر
• البومات للصور • البومات طوابع بريد • كرتون
للصور • أقلام حبر وجاف وغياراتها • أدوات كتابية وهندسية
• أحبار كتابة كاديلاك ورومنى.
تصنيع :
أكياس • ورق لف • علب كرتون
شنط ورق • ظروف كرافت وعادة وطيارة
توزيع :
١- أحبار الطباعة بجميع أنواعها.
٢- آلات كاتبة وحاسبة.
٣- أدوات كتابية وهندسية مستوردة.
٤- أدوات تصوير وأفلام وورق حساس.
٥- ورق خام مستورد ومحلى بجميع أنواعه.
٦- بضائع الجمارك المصادرة.
القاهرة : ٦ شارع شمبليون ت : ٥٩١٧٠٠
الاسكندرية : ٥ شارع الشهداء ت : ٢٦١٠٧
ص. ت : ١٠٤٨١٩ / القاهرة - صندوق بريد ١٢٢٩ القاهرة





ثلاجات وراديوهات بمعارض شاهر

الشركة المصرية للمعدات الكهربائية

شاهر/سنتريلك

رحلة كفاح من تحت الصفر إلى القمة

● ان قصة نجاح الشركة المصرية للمعدات الكهربائية ليست قصة نجاح عادية . فقد بدأت من تحت الصفر . ولكن الجماعة التي تعمل بروح الفريق والادارة التي تنشر المبادىء الديمقراطية ، والفرد الذي يعرف طريقه وهدفه تماما .. كل ذلك معا كان هو صانع قصة النجاح .

وبمنطق الارقام نجد أن الخسارة في الفائض القابل للتوزيع كانت مبلغ ٢٢٩ر٨٣ جنيها في عام ٦٥/١٩٦٦ بالنسبة لشاهر ـ أحد جناحي الشركة ، ثم تحولت الخسائر الى أرباح ـ وارتفعت تدريجيا حتى وصلت الى مبلغ ٢٤٦ر٧٥٢ جنيها في عام ٦٩/١٩٧٠ . وذلك بالنسبة لجناحي الشركة .. شاهر/سنتريلك . وأكثر من ذلك حصلت الشركة على كأس الانتاج عن عام ١٩٧٠ .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : كيف استطاعت الشركة أن تعبر هذا المضيق ... وتحقق هذا التحول رغم تخفيضات الاسعار التي حدثت في عام ١٩٦٩ ، والتي شملت بعض المنتجات التي تقوم الشركة بتوزيعها ؟

والاجابة تتطلب استعراض أهم الانجازات التي تمت في الشركة في الفترة ما بين أغسطس ٦٨ ومارس ١٩٧١ .

في المجال التنظيمي . قامت الشركة باعداد هذا الهيكل على أسس علمية متطورة ، حيث انتظم العاملون المنقولون من شركة شاهر ـ ١٩٠ عاملا ـ والمنقولون من شركة سنتريلك ـ ٥٨٠ عاملا في كتف أقدمية واحد ، وأصبحوا يعملون معا بروح الفريق . وبخاصة بعد أن أتيحت لهم فرصة الترقية والتدريب .

كذلك حرصت الشركة على وضع اللوائح المالية والادارية التي تحكم سير العمل ، واهتمت بالرعاية الصحية للعاملين ، وكفلت لهم رعاية طبية كاملة .

وفي مجال النشاط التجاري ، قامت الشركة بدراسة احتياجات السوق من السلع التي تتجر فيها ، وحرصت على توصيلها الى التاجر والمستهلك بسهولة ويسر ، وذلك عن طريق فتح فروع للشركة في جميع المحافظات ، والقضاء على السوق السوداء وخاصة بالنسبة لتجارة البطاريات الجافة واللمبات الفلورسنت . وقد ترتب على ذلك ارتفاع صافي المبيعات من ٢٫٢٦٤٫٨٨٨ جنيها في عام ١٩٦٦/٦٥ الى مبلغ ٩٫٢٥٦٫٣٣٦ جنيها في عام ٧٠/٦٩

وقد بذلت الشركة جهودا رائعة في سبيل توفير السلع عن طريق شركات الانتاج المحلي ، الى جانب استكمال احتياجات السوق عن طريق شركات التجارة الخارجية ، كما اهتمت بتيسير حصول الجماهير على هذه السلع عن طريق افتتاح فروع جديدة في كل من محافظات أسوان وسوهاج والفيوم والمنوفية وكفر الشيخ والبحيرة .. وكانت النتيجة الحتمية لنشاط الشركة في وضعها الجديد ان تحسنت سمعتها المالية والتجارية لدى الشركات المنتجة والبنوك التي تتعامل معها .

وفي مجال السياسة الانتاجية ، قامت الشركة بخطوات ايجابية تتمثل في احكام الرقابة على جميع فروعها ومخازنها . والى هذه الرقابة يعزى السبب الرئيسي في زيادة أرباح الشركة . كما أن الجرد السنوي الذي تم في يونيو ١٩٧٠ هو أدق جرد سنوي منذ دخول الشركة بشقيها « شاهر / ستريلك » الى القطاع العام .

وكان من نتيجة تفاعل العاملين كأسرة واحدة ، أن أصبحت الشركة تحقق أرباحا وتحقق خدمات . كما أصبحت من ممولي الخزانة العامة حيث تقدم لخزينة الدولة ربع مليون جنيه . وفي نفس الوقت أدت رسالتها كاملة في خدمة عملائها من التجار والمستهلكين ، وبذلك حصلت بجدارة على كأس الانتاج لعام ١٩٧٠ .

وقد أصبح عدد العاملين في الشركة ٨٦٥ عاملا ، بعد أن كان عددهم ١٨٥ عاملا فقط في عام ١٩٦٦/٦٥ . كما ارتفع عدد الفروع من ٦ فروع في ١٩٦٦/٦٥ الى ٣٤ فرعا عام ١٩٧٠/٦٩ . وارتفعت الانتاجية الجدية أجر من ٢٩ جنيها في عام ٦٦/٦٥ الى ٣١ جنيها في عام ١٩٧٠/٦٩ .

وتعتبر الشركة هي الموزع الوحيد لمنتجات الشركات التالية : النصر للاجهزة الكهربائية والالكترونية . الشركة العامة للبطاريات . شركة قها للصناعات الكيماوية الحربية والمدنية . شركة اسطوانات صوت القاهرة . شركة تنال الكترونك . شركة شبرا للصناعات الحربية والمدنية . وهذا الى جانب قيامها بالاسهام في توزيع انتاج شركة الكابلات الكهربائية المصرية . شركة المعادى للصناعات الحربية والمدنية . الشركة المصرية لصناعة وسائل النقل الخفيف . شركة الدلتا الصناعية « ايديال » الهيئة العامة للطيران . شركة النصر للتليفزيون . الشركة العربية للراديو الترانزستور والاجهزة الالكترونية . شركة بنها للصناعات الكهربائية والالكترونية . شركة النصر للاجهزة الكهربائية والالكترونية « فيليبس » . وهذا كله الى جانب نشاط الشركة في توزيع السلع الأخرى مثل النجف والابليكات والابجورات وموتورات ماكينات الحياكة وغيرها . والمراوح والمكاوى وماكينات الحلاقة الكهربائية وماكينات اللحام واطقم الصيني واطقم الشاي والقهوة والسجاد وكافة أنواع الادوات الكهربائية .

وبعد .. فهذه قصة نجاح ، صنعها العرق والايمان والاخلاص ، فاستطاعت أن تبدأ من تحت الصفر لترتفع الى القمة ، وتصبح في عداد شركاتنا المتفوقة التي تحرز كأس الانتاج .

الشركة المصرية لتجارة المعادن

"سيجال"

شعارها : من الحديد إلى الذهب
رسالتها : للصانع .. للتاجر .. للمستهلك

● تكونت الشركة المصرية لتجارة المعادن « سيجال » ـ وهى احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات ـ فى عام ١٩٦٨ . وذلك بهدف الاتجار فى كافة انواع المعادن سواء كانت على شكل سلع صناعية وسيطة او سلع نهائية للمستهلك . وذلك بالجملة والقطاعى . وهذه المنتجات قد تكون منتجات الصناعات المحلية او المستوردة او المصنعة بوحدات الشركة الانتاجية .

واذا كانت الشركة تمارس التجارة بصفة عامة ، فان نشاطها يغلب عليه جانب الاتجار بالجملة ، وذلك تحقيقا لسياسة الدولة من وراء انشاء المؤسسة وشركاتها ، وهى السياسة التى تستهدف نقل تجارة الجملة الى القطاع العام ، لتكون فى خدمة الاهداف العامة والبناء الاشتراكى .

ومنذ بداية نشاط الشركة ، وقد اتخذت لنفسها شعارا هو : من الحديد الى الذهب .. وذلك تمشيا مع مجالات نشاط الشركة . كذلك فانها اتخذت لها اسما تجاريا هو « سيجال » وهذا الاسم يرمز الى الحروف الاولى لترجمة بعض السلع التى تقوم الشركة بتسويقها بالجملة ، وهذه السلع هى : الفضة ، والصلب ، والذهب ، والالومنيوم .

ويدخل تحت شعار الشركة « من الحديد الى الذهب » ، تلك السلع التى تتعامل فيها الشركة وهى : سلع حديدية وسلع غير حديدية ، وسلع نهائية ، وسلع ثمينة ونتناول بالتفصيل كل وحدة من هذه السلع :

السلع الحديدية :

وهى تشمل الخامات الحديدية مثل الحديد ، الصلب ، الصاج ، الصفيح ، الزنك ، العدد اليدوية ، المسامير ، البارود ، الصنفرة .

وتقوم الشركة بدور تاجر الجملة بالنسبة لهذه السلع ، حيث تتولى توزيع كافة الكميات المستوردة منها ، وذلك الى جانب قيامها بتوزيع الانتاج المحلى منها .

السلع غير الحديدية :

وهى تشمل الالومنيوم ، النحاس ، القصدير ، النوشادر . وفى هذا المجال ، نجد أن الشركة تقوم بدور تاجر الجملة الوحيد فيما يتعلق بالقصدير والنوشادر أما بالنسبة للالومنيوم والنحاس فانها تسهم بنشاط كبير فى توزيعها .

السلع النهائية :

وهى تشمل مجموعات السلع المنزلية ، وهذه المجموعات عبارة من منتجات مصانع الشركة من الالومنيوم الابيض والملون ، وذلك بالاضافة الى تشكيلات التحف والصحف والتماثيل التى تنتجها مصانع الشركة .

وقد حرصت الشركة ـ استكمالا لمجموعة الاوانى والادوات المنزلية ـ على ان تحصل على حق توزيع بعض السلع المنزلية الاخرى التى تعتبر مكملة لنشاط الشركة

في هذا الميدان ، مثل أدوات المائدة والمقارم والسكاكين والقصافات وبذلك أصبح التشكيلة التي تعمل فيها الشركة متكاملة من حيث الأصناف .

السلع الثمينة :

وهي تشمل المشغولات الذهبية والفضية ومشغولات القشرة وذلك بالاضافة الى انتاج الشركة من مشغولات خان الخليلي .

وفي سبيل استكمال هذه التشكيلة ، قامت الشركة بالتعاقد على شراء انتاج المصانع من المنتجات الذهبية والماسية ، وبذلك حققت التكامل بالنسبة للتشكيلة التي تعرض بمحلات الشركة .

مصانع الشركة

هناك أربعة مصانع للشركة المصرية لتجارة المعادن « سيجال » . وهذه المصانع هي :

مصنع المعادن الثمينة بالقاهرة ، ومصنع المشغولات المعدنية بالقاهرة ، ومصنع الأدوات المنزلية بالاسكندرية ، وورشة الأخشاب برملة بولاق .

ويتبع الشركة فرع لتجارة الذهب بالجملة وآخر لتجارة القشرة بالجملة بالقاهرة وذلك بخلاف الفروع الأخرى لتجارة الذهب والفضيات والمجوهرات والأدوات المنزلية والعدد اليدوية والمعادن بالقاهرة والاسكندرية وطنطا وكفر الشيخ .

وحتى نلم بأبعاد الصورة التي تمثل نشاط الشركة ، فاننا نستعرض التوكيلات التي استطاعت الشركة الحصول عليها ، والتي أتاحت لها توزيع منتجات المصانع الكبرى من السلع المعدنية ، بما يتمشى مع نشاطها من ناحية ، وبما يحقق عدالة التوزيع لهذه المنتجات من ناحية أخرى .

وفيما يلي أهم التوكيلات التي حصلت الشركة على حق توزيع انتاجها بالكامل :

● شركة المعادي للصناعات الحربية والمدنية (مصنع ٥٤ الحربي) : وهي تنتج العدد اليدوية ، والمقارم ، وماكينات الحلاقة ، والقصافات ، وسكاكين المطبخ .

● شركة النصر لصناعة المطروقات : وهي تنتج العدد اليدوية .

● الشركة المصرية للصناعات الدقيقة « سابي » : وهي تنتج المبارد والصنفرة وسوست الملابس .

● شركة أبي قير للصناعات الحربية والمدنية : وهي تنتج لعب الأطفال .

● الشركة الصناعية للمعادن وأدوات المائدة « جيلكومينتلر » : وهي تنتج أدوات المائدة .

● شركة أجهزة القاهرة العلمية : وهي تنتج الأسلاك المزولة بالورنيش وتصدير اللحام .

وكذلك فقد استطاعت الشركة أن تكون موزعة لمنتجات المصانع التالية :

● شركة النصر للمواسير : وهي تنتج مواسير المياه المجلفنة والسوداء .

● شركة المعصرة للصناعات الحربية والمدنية « مصنع ٤٥ » : وهي تنتج المسامير بأنواعها المختلفة ، والصواميل ، وورولان البلى .

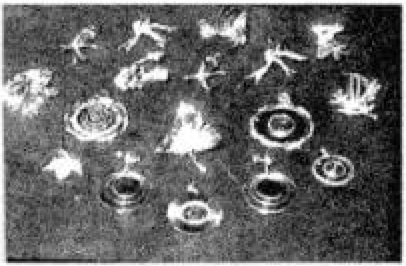
● شركة حلوان للمعادن غير الحديدية : وهي تنتج الألومنيوم والنحاس .

● الشركة العامة للمعادن : وهي تنتج النحاس والألومنيوم .

● شركة النحاس المصرية : وهي تنتج النحاس والألومنيوم والشنابر .

● شركة الغازات الصناعية : وهي تنتج أسلاك اللحام .

● شركة الحديد والصلب : وهي



مشغولات ذهبية

لتنمع الحديد التجاري والصاج .

ومن خلال هذه الصورة ، يبدو أن الشركة تعتبر الموزع الوحيد بالنسبة لانتاج بعض الشركات والمصانع ، وتسهم في توزيع الانتاج بالنسبة لبعضها الاخر . وهي في الحالين تحرص على ان تقدم أرقى مستويات السلع المنتجة لقطاع المستهلكين ، وتحرص كذلك على توفرها في كل وقت ومكان بالاسعار المناسبة ، لتحقق الهدف الكبير وهو عدم وجود سوق سوداء لهذه السلع .. وهو الهدف الذي يتمشى مع رسالة نقل تجارة الجملة الى القطاع العام ..

معارض الشركة

وتمشيا مع سياسة الدولة أهدافها الكبيرة والمرحلية ، فان الشركة تقوم بتوزيع المنتجات التي تتعامل فيها على المحافظات والتجار وجمهور المستهلكين . ومن أجل ذلك ، فقد حرصت الشركة على انشاء مراكز توزيع بالمحافظات ، الى جانب فروع البيع للمستهلكين مباشرة . وقد حققت في هذا المجال نجاحا كبيرا يتمثل في انشاء كثير من الفروع منذ انشائها في عام ١٩٦٨ حتى الآن .

فروع البيع للمستهلك

● **القاهرة :**

فروع بيع السلع الحديدية :

● فرع الجمهورية ـ ١١١ شارع الجمهورية .

● فرع السبتية ـ ٥٢ شارع السبتية

● فرع عمادالدين ـ شارع عمادالدين

● فرع بابااللوق ـ ميدان باب اللوق

فروع بيع السلع غير الحديدية :

● فرع الجمهورية ـ ٥٧ شارع الجمهورية

فروع بيع السلع النهائية :

● فرع عبد الخالق ثروت ـ ٤٨ ش عبد الخالق ثروت .

● فرع مصر الجديدة ـ عمارة برج روكسي بمصر الجديدة .

● فرع السكة الجديدة ـ بالسكة الجديدة .

● فرع الغورية ـ شارع المؤيد بجوار بوابة المتولي

● فرع ماسبيرو ـ شارع ساحل الغلال بجوار ماسبيرو

فروع بيع السلع الثمينة « ذهب » :

● فرع عبد الخالق ثروت : ٤١ شارع عبد الخالق ثروت .

● فرع الغورية : شارع أحمد ماهر بالدرب الأحمر .

● فرع السكة الجديدة : ٢ عطفة الأزهر متفرع من جوهر القائد .

● فرع الصاغة : ٩ / ٩٦ شارع المعز لدين الله بالصاغة .

مراكز التوزيع بالمحافظات :

قامت الشركة بانشاء مراكز التوزيع للسلع الحديدية والسلع النهائية التالية :

● مركز توزيع كفر الشيخ : تقسيم رقم ١ شارع مدرسة السلام متفرع من شارع الاستاد .

● مركز توزيع الغربية : شارع عدلية متفرع من شارع ميدان الساعة بطنطا .

● مركز توزيع البحيرة : شارع الجمهورية بدمنهور .

● مركز توزيع الدقهلية : ميدان الشابوري بالمنصورة .

● مركز توزيع دمياط : ١٣ شارع طلعت حرب ـ بدمياط .

● مركز توزيع بني سويف : شارع بورسعيد ببني سويف .

● مركز توزيع قنا : شارع ٢٦ يوليو بقنا .

● مركز توزيع أسوان : شارع كورنيش النيل .

هذا وسوف تقوم الشركة بفتح مراكز توزيع جديدة في جميع المحافظات بهدف توفير السلع المعدنية بكافة أنواعها بهذه المحافظات ، مراعية في ذلك الاسعار المناسبة وبالكميات اللازمة في الوقت المناسب .. لتحقق بذلك أهداف سياسة الدولة ، وليكون شعارها عنوانا عليها ، وهو من الحديد الى الذهب .. للصانع .. للتاجر .. للمستهلك


عزيزى المستهلك .. لأنك تفضل ...
الأسماك ..
فقد قامت بتوفيرها لك :
الشركة المصرية لتسويق الأسماك
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية
بمحلاتها الجديدة لبيع القطاعى
معارض البيع بالقطاعى
المحافظات
القاهرة
• سفير بمصر الجديدة
• هارون الرشيد بمصر الجديدة
• العباسية : بمبنى المؤسسة الاقتصادية للقوات المسلحة
• دير الملاك : شارع مصر والسودان ٧٢ مكرر
• المنيل : شارع على يوسف رقم ١
• باب الشعرية
• الدقى : شارع سليمان جوهر رقم ٨
• رابعة العدوية بمدينة نصر
• أرض الكوك بالخرنفش
• كوبرى القبة
• باب اللوق شارع الشريفين
• معرض حلوان بشارع المحطة و مساكن ناصر الشعبية
• طنطا
• المحلة / الشون
• المحلة / محب
• كفر الشيخ
• سيدى سالم
• شبين الكوم
• دمياط
• رأس البر
وجارى افتتاح باقى المعارض بمختلف أحياء القاهرة بمروع المائة معرض بالتعاون مع محافظة القاهرة
الإسكندرية :
• سوق راتب
• سوق باكوس
• محطة الرمل
الرجاء عند الرغبة فى الاستعلام عن معارض بيع القطاعى الاتصال بتليفون ٨٣٩٥٢٢ أو الادارة العامة ٦٣٠٤٩
٤٢ شارع الثورة بمصر الجديدة ص.ب ٩١٧٠ تلغرافيا : أسماك القاهرة ج.ع.م

دور المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية
فى توفير احتياجات المواطنين فى المجتمع الاشتراكى

السد العالى يوفر القوة الاقتصادية ●● و المجمع الاستهلاكى يوفر سبل المعيشة ومطالب الحياة

● السؤال الذى يجب أن نبدأ منه الحديث عن القطاع العام فى مجال السلع الغذائية هو : ماذا لو لم يكن للقطاع العام وجود فى هذا المجال؟

وتجىء الاجابة من واقع الاستقرار ، من واقع عدم الاستغلال ، من ظروف توفير السلعة . والاجابة الصحيحة تأتى من حجم عمل هذه المؤسسة وشركاتها .. من أرقام مبيعات الجمعيات الاستهلاكية المنتشرة فى القاهرة والاسكندرية وعدد من المحافظات الاخرى ... من خلال توفير السلع الضرورية ، ومد القطاع الخاص بها على مستوى الجمهورية حتى تصل لاقل بقال فى أصغر قرية لصالح معيشة المواطن .

فمؤسسة السلع الغذائية توفر السلع فى مجمعاتها ، وتوفر السلع للقطاع الخاص .. وفى النهاية تصب هذه الخدمة كلها عند المستهلك ولصالح حياته ورفاهيته .

واذكر أن الزعيم الهندى شاسترى رئيس وزراء الهند الراحل قدم الى بلادنا منذ سنوات ، وبدأ زيارته بالسد العالى كأكبر مشروع مصرى ، وكانت زيارته الثانية للمجمعات الاستهلاكية .. يومها قال شاسترى : بنت الثورة لكم السد العالى ، وأقامت المجمعات الاستهلاكية ، هذا يوفر لكم امكانيات القوة الاقتصادية ، وتلك توفر لكم سبل المعيشة ومطالب الحياة اليومية .

والذين يعرفون تاريخ القطاع العام فى هذا المجال يذكرون « الطوابير » الطويلة على المجمعات ، ولم تقم هذه الطوابير عفوا بل لان المستهلك كان يشعر بالوفر الهام فى سعر السلعة التى تقدم له دون استغلال أو متاجرة فى معيشته .



السيد / حمدى عاشور
والسيد / حبيب داود
داخل مجمع الخدمة الذاتية

« واذا كانت الطوابير قد انتهت اليوم ، فذلك راجع الى تطور دور القطاع العام الذى تحمله المؤسسة بعد القطاع الخاص بكل السلع التى تباع فى الجمعيات حتى تصل الى الجميع بدون مشكلة ... ولكن لا يزال الضغط موجودا فى الجمعيات لان الاسعار فيها اقل من غيرها .. »

ولكى تكون الصورة دقيقة ولكى تجىء الحقيقة كاملة ، نترك تكملة العمل ومؤشرات الارقام بين الدارسين والقراء .

ان المجمع الاشتراكى يهدف الى توفير احتياجات الجماهير من السلع المختلفة بالاسعار المناسبة بعيدا عن استغلال الوسطاء . وعمل المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية يرتبط ارتباطا وثيقا بتوفير السلع الغذائية والاحتياجات الضرورية للجماهير . اذ تتولى المؤسسة توفير السلع والخدمات اللازمة لتجار التجزئة عن طريق شركات الجملة والتعبئة بالاضافة الى ادارة أسواق الجملة للخضر والفاكهة وسواحل الحبوب الى جانب قيام شركات المجمعات ببيع السلع بالتجزئة لجمهور المواطنين .

والمؤسسة تتبعها مخازن للتبريد يتم فيها تخزين الثلج للمحافظة عليها من التلف وتنظيم تداولها فى الاوقات والاماكن المناسبة .. وهى ايضا تقوم بانتاج وتوزيع الثلج بالقاهرة الكبرى والاسكندرية وبورسعيد والسويس ومرسى

المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية



رئيس المؤسسة ورئيس شركة النيل للمجمعات فى جولة تفتيشية ...



رئيس المؤسسة ورئيس شركة الاهرام للمجمعات يتفقدا قسم الاسماك

مطروح وكفر الشيخ وأسيوط وأسوان.. وفى طريقها الى انشاء مصانع جـديدة للثلج بشبين الكوم والمنصورة والفيوم .

شركات المؤسسة

ويحسن بنا ان نلقى نظرة سريعة على ما يتبع المؤسسة من شركات حتى يمكن ان نلم بسرعة بنشاط المؤسسة تماما ..

ان المؤسسة تتبعها احدى عشرة شركة موزعة على قطاعات اولها قطاع تجـارة الجملة وتتفرع منه شركتان هما . الشركة المصرية لتجارة السلع الغـذائية بالجملة والشركة العامة لتجارة السلع الغـذائية بالجملة ، وتتولى الشركتان توزيع السلع على تجار التجزئة عن طريق الفروع المنتشرة بكافة المحافظات والمراكز وبعض القـرى الكبرى بالجمهـــورية ، ويبلغ عددها أكثر من ١١٠٥ فروع ومخازن ومراكز للتوزيع ، وتقدم للتجار التسهيلات اللازمة لهم من تيسير لسحب الحصص على دفعات الى منحهم الائتمان المقرر لحمايتهم . وقد بلغ انتاجها ١ر١٣٠ مليون جنيه عن العام المالى ٦٩/١٩٧٠ مقابل ٦ر٩٠ مليون جنيه بزيادة قدرها ٥ر٢٩ مليون جنيه بنسبة ٥ر١٣٢٪ الى العام السابق .

وفى نفس القطاع تعمل الشركة المصرية لتعبئة وتوزيع السلع الغذائية وهى تضم ثلاثة مصانع لتعبئة الشاى .. اثنان بالقاهرة والثالث بالاسكندرية الى جانب ثلاثة مصانع لتعبئة المواد الغذائية بالقاهرة والاسكندرية

وتقوم هذه الشركة بتعبئة جميع كميات الشاى المستوردة فى عبوات مختلفـــة تتناسب مع حاجة المستهلك ، كما تتولى تعبئة المواد الغذائية المختلفة : كالبقول والتوابل والسكر والارز والدقيق والبن والبلح والزبيب وغيرها ، وذلك طبقا للمواصفات العالمية وضمانا لوصولها للمستهلك بحالة جيدة ومتجانسة .

وبلغ انتاج الشركة فى عام ٦٩/١٩٧٠ ٢ر٥٠ مليون جنيه مقابل ٨ر٤٥ مليون جنيه بزيادة قدرها ٤ر٤ مليون جنيـه بنسبة ٦ر١٠٩٪ الى العام الماضى .

ثم يأتى بعد ذلك دور الشركة العامة للحوم والدواجن والتوريدات الغذائية .. وهى تعمل فى نفس القطاع « قطاع تجارة الجملة » .. وتقوم هذه الشركة بتوفير اللحوم والدواجن لشركات المجمعـــات الاستهلاكية ، وتتولى اعمـال التوريدات الغذائية للجهاز الحكومى والجامعـــات والمستشفيات وغيرها . وهى فى طريقها لانشاء اول مجزر آلى فى الجمهـــورية العربية المتحدة .

ويتزايد نشاط هذه الشركة باستمرار فقد زاد من ٢ر٦ مليون جنيه عام ٦٨/٦٩ الى ٦ر١٤ مليون جنيـــه عام ٦٩/١٩٧٠ بزيادة قدرها ٤ر٨ مليون جنيه أى بنسبة ٥ر٢٣٥٪ .

اما الشركة الخامسة التى تعمل فى قطاع تجارة الجملة فهى الشركة المصرية العامة لأسواق الجملة ... ولقد تم انشاء هذه الشركة نتيجة للاهتمام بالتجارة الداخلية واعادة تنظيم اســواق الجملة للخضر والفاكهة وسواحل الحبوب .. وقد قامت الشركة لتتولى ادارة أسواق الجملة للخضر والفاكهة والسواحل والقيام بعمليـــات الوزن للمتعاملين فيها ، والعمل على تنشيط التعامل بالجملة .

وقد بلغ انتاج هـــذه الشركة عن عام ٦٩/١٩٧٠ « ٢٣٦ الف جنيه مقابل ١٦١ الف جنيه بزيادة قدرها ٦٥ الف جنيه وبنسبة ٤ر١٤٠٪ الى العام السابق » .

وفى الطريق الى التنفيذ ما تضمنته خطة الشركة من انشاء ٦ أسواق جديدة للخضر والفاكهة بالقاهرة الكبرى .. وانشـــاء أسواق ببعض المحافظات تبدأ بمحافظتى طنطا والفيوم .

تجارة التجزئة

هذا فى مجال تجارة الجملة ... اما فى مجال تجارة التجزئة فتنشـــط ثلاث شركات للمجمعات الاستهلاكية .. اثنـــان منها بالقاهرة وهما : النيـــل والاهرام للمجمعات الاستهلاكية والثالثة بالاسكندرية هى : شركة الاسكندرية للمجمعـــات الاستهلاكية وتضم هـــذه الشركات ٤٠٠ مجمع وفرع استهلاكى .

« دور هذه الشركات أو هدفها هو التأثير على سوق التجزئة فى السلع الغذائية على الوجه الذى يحول دون حدوث أى تلاعب او محاولة للاستغلال او المغالاة فى الاسعار .. »

ولعل رقم مبيعات هذه المجمعات سنويا يعطينا فكرة عن مدى تحقيقها لهذا الهدف اذ يبلغ هذا الرقم نحو ٢١٫٤ مليون جنيه سنويا .

ويبلغ انتاج شركة النيل للمجمعات الاستهلاكية ٧٫٥ مليون جنيه عام ٦٩/٧٠ مقابل ٦٫٤ مليون جنيه عن العام السابق بزيادة قدرها ١٫١ مليون جنيه بنسبة ١١٨٪ الى العام السابق .. ويبلغ انتاج شركة الاهرام للمجمعات الاستهلاكية ٨٫١ مليون جنيه عام ٦٩/٧٠ مقابل ٦٫٩مليون جنيه بزيادة قدرها ١٫٢ مليون جنيه وبنسبة ١١٧٫٤٪ الى العام السابق. أما انتاج شركة الاسكندرية فيبلغ ٦٫٢مليون جنيه مقابل ٥٫٨ مليون جنيه بزيادة قدرها ٤٠٠ ألف جنيه وبنسبة ١٠٧٪ الى العام السابق .

التخزين بالتبريد والثلج

« ويأتى بعد ذلك الكلام عن قطاع التخزين بالتبريد وصناعة الثلج وهو القطاع الثالث .. وتنهض بنشاط التخزين والتبريد والتجميد فى هذا القطاع الشركة العامة للهندسة والتبريد « جركو » وشركة اسكندرية للتبريد . وتمتلك الشركتان ثلاجات يبلغ اجمالى سعاتها التخزينية ١٥٫٩٢٧ طنا وهى منتشرة بمختلف انحاء الجمهورية .. كما تمتلك أسطولا من النقل المبرد لحفظ وتخزين ونقل اللحوم والدواجن والاسماك المجمدة والخضر والفاكهة ومنتجات الالبان وبعض المواد الاخرى . وذلك فى أوقات وفرها أو استيرادها لحين الطلب عليها . الامر الذى يحقق التوازن بين العرض والطلب عليها خلال فترات السنة المختلفة » .

كما تدول هاتان الشركتان بالاضافة الى الشركة المصرية للثلج والتبريد انتاج نحو ٦٦٪ من انتاج الثلج السنوى على مستوى الجمهورية .

ويبلغ اجمالى انتاج شركة اسكندرية للتبريد عام ٦٩/١٩٧٠ « ٤٥٠ الف جنيه » مقابل ٤٠٢ ألف جنيه وبنسبة ١٢٤٪ الى العام السابق .

ويبلغ انتاج الشركة العامة للتبريد والهندسة « جركو » عام ٦٩/١٩٧٠ ٩٨٤ ألف جنيه مقابل ٤٠٤ الف جنيه بزيادة قدرها ٥٨٠ الف جنيه وبنسبة ٢٤٤٪ الى العام السابق .

ويبلغ انتاج الشركة المصرية للثلج والتبريد عام ٦٩/١٩٧٠ نحو ٦٣٠ الف جنيه مقابل ٦١١ ألف جنيه وبنسبة ١٠٣٪ الى العام السابق .

هذه هي القطاعات الثلاثة التى تعمل فيها المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية وشركاتها الاحدى عشرة .. وقد حققت المؤسسة فى كافة القطاعات التى تعمل فيها انتاجا يقدر بـ ٢٠٧٫٧ مليون جنيه عن عام ٦٩/١٩٧٠ مقابل ١٦٣٫٣ مليون جنيه عن العام السابق بزيادة قدرها ٤٤٫٥ مليون جنيه بنسبة ١٢٦٫٢٪ الى العام السابق .

وهذا الرقم الاخير يعطينا فكرة واضحة عن ان المؤسسة المصرية العامة للسلع الغذائية هى العماد الرئيسى للتجارة الداخلية فى مجال السلع الغذائية وهى تقوم بدورها الفعال فى التأثير على السوق الداخلية وبقدرتها البالغة فى التحكم فى عرض السلع على مدار السنة بالسعر المناسب وفاء لاحتياجات المواطنين وحماية لهم من المحتكرين وذلك فى سبيل تحقيق مجتمع الكفاية والعدل ، وتحقيق الرفاهية للمواطنين فى المجتمع الذى أفنى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر حياته فى سبيل اقامته فوق أرض وطننا العزيز .

رسالة الغرف التجارية فى الحياة الاقتصادية



السيد / زكريا توفيق عبد الفتاح امين عام اتحاد الغرف التجارية . . .

● الاتحاد العام للغرف التجارية.. واجهة البلاد الاقتصادية فى المجالات العربية والافريقية والآسيوية والعالمية .

● مطلوب بسرعة استصدار قانون الغرف التجارية الجديد دفعاً لعجلة التطور وخدمة رسالة التجارة فى المجتمع الاشتراكى

● ماذا تعرف عن الاتحاد العام للغرف التجارية ؟ متى كانت البداية ؟ وما هو الدور الذى يقوم به الاتحاد فى خدمة الاقتصاد القومى من ناحية ، وفى مواكبة الاحداث الاقتصادية العالمية من ناحية اخرى ، وفى التجارة الداخلية لصالح جماهير الشعب من ناحية ثالثة ؟

لقد انشىء الاتحاد العام للغرف التجارية فى مارس ١٩٥٥ ، وذلك بعد ان اصبحت الحاجة ماسة الى ضرورة تنسيق جهود الغرف التجارية ، وليكون هذا الاتحاد واجهة لهذه الغرف فى مقابلة المنظمات والهيئات العالمية المشابهة .

ويمارس الاتحاد دوره فى خدمة الاقتصاد القومى بالمعاونة على تخطيط الخدمات التجارية على مستوى الجمهورية، والنهوض بهذه الخدمات من خلال التنسيق لنشاط الغرف ، ومسايرة الاحداث الاقتصادية العالمية والاقليمية ، والاسهام الايجابى فى نشاط المنظمات والهيئات التى تشترك فيها .

فهو على المستوى الداخلى ، يباشر اختصاصاته من خلال ما يجريه من دراسات واتصالات على مستوى الجمهورية، ومن طريق بلورته جهود الغرف فى دراسة الاحوال التجارية الاقليمية ومتابعتها . وهو يضع التصور العام للحالة التجارية فى البلاد ، بما يتيح القيام بالمتابعة الدورية لحالة التوزيع والاستهلاك ، ويسهم فى التخطيط لعمليات التوزيع ، وفى مناقشة وعلاج المشاكل المتعلقة بحركة انسياب السلع ، ومدى توفرها ، ومشاكل المنشآت التسويقية ، وتنظيم عمليات التوزيع ، وارساء قواعد العمل التجارى على اسس سليمة تكفل توفير احتياجات جميع المواطنين بالقدر المناسب وبالسعر المناسب وفى الوقت المناسب .

اما على الصعيد الخارجى ، فان الاتحاد عضو فى عدد من المنظمات والهيئات الدولية والاقليمية . وهو يحرص على المشاركة فى المؤتمرات واللقاءات ، سعيا وراء الاستفادة القصوى من الاحتكاك الدولى فى المجال الاقتصادى وخلق علاقات

قوية في هذه المجالات ، وهذا فضلا عن دوره الفعال في دراسة الاسواق الخارجية لدعم علاقاتنا التجارية في مختلف الاسواق العالمية ، ومن أجل هذه الاهداف ، فان الاتحاد يوفد البعثات التجارية ويستقبل العديد من هذه البعثات لتوطيد العلاقات بين الدوائر التجارية ، بما يعود بالنفع على اقتصادنا القومي في مجال التجارة الخارجية

ولذلك فقـــد كان من الضرورى أن يعكس تشكيل الاتحاد اهمية هذه المهام والاعباء ، بحيث يتمكن من القيام برسالته على أكمل الوجوه وافضلها . ولذلك فقد أصبح التشـــكيل الجديد في مستوى الاهمية الكبرى المعلقة على دور الاتحاد العام للغرف التجارية ، باعتباره احد الاجهزة الاقتصادية الهامة التى تشارك في رسم السياسة الاقتصـادية للبلاد ، ويضطلع بدور ايجابى في دعم القطـــاع التجارى واستقراره في مجاليه الداخلي والخارجي ، وبخاصة في هذه المرحلة الحيوية والفـــاصلة في تاريخ بلادنا ، والتى تتطلب حشد كل الامكانيـــات في خدمة المعركة .

فالغرف التجارية بحكم اتصالها بقطاعى التوزيع والاستهلاك ، وما تقوم به من اتصالات ودراسات تتيح لكافة الاجهزة متابعة دورية للاحوال التجارية الاقليمية، كما تسهم بقدر كبير في الدراسات المتعلقة بتقدير الاحتياجات ، وتطوير انمـــاط الاستهلاك ، وفي تخطيط عمليات التوزيع وبحث مشاكلها ، وحصر منافذ التوزيع واستقصاء تدراتها ، كما تقوم الغرف بالتعرف على المشاكل المتعلقـة بعلاقات أجهزة التوزيع بعضها ببعض وعلاقاتها مع الهيئات والمؤسسات والمصالح المتصلة بقطاع التجارة الداخلية ، وذلك فيمـا يختص بمشـــاكل التسعير والائتمـــان والضرائب والتأمينات الاجتماعية ، ثم رفع التوصـــيات فيما يتعلق بوضـــع الحلول اللازمة .

وقد سارت الغرف التجارية شـوطا بعيدا في مختلف مجالات نشاطها ، حيث تمارس كافة الاختصاصات التى تؤهلهـا لدورها الحق في خـدمة المجتمع ، عن طريق تقصى حالة التوزيع ومشاكله ، والعمل على تيسـير انسياب الســلع والخـــدمات عبر منافذ التوزيع بأعلى كفاءة ، حتى تصل الى مستهلكها الحقيقي دون استغلال أو تغرات . كما تشارك في اعمـــال لجان التوزيع في المحافظات ، وتتولى حصر المنشآت التسويقية وتقييم قدراتها على التوزيع ، ووضع أسس التوزيع السليمة حتى لاتتسرب الحصص الى غير مستحقيها ويؤدى ذلك الى قيام السوق السوداء .

وتتولى الغرف بحث مشاكل هـــذه المنشآت في علاقاتها مع الاجهزة المختلفة والمتعلقة بمسائل التوزيع والائتمان والنقل والضرائب والتأمينات وغيرها . وقـــد تساولت الغرف فيما يجريه الاتحـــاد بالنسبة لوضع أسس عادلة للمحاســبة الضريبية في مختلف القطاعات التجارية .

دور الاتحاد

وقد عقد الاتحاد العام للغرف التجارية اجتماعا لمجلس ادارته الجديد في شـــهر فبراير الماضى . حيث رأس الاجتمـاع السيد « حمدى عاشور » وزير التموين والتجارة الداخلية . وقد ألقى في هذا الاجتماع ، السيد « زكريا توفيق عبد الفتاح » رئيس الاتحاد ، كلمة جامعـة وعامة ، تناول فيها الحديث عن دور الاتحاد والغرف التجـــارية في الحركة التجارية على الصعيد الداخلى ، ورسالة الاتحاد في المجالات الدولية والاقليمية . وقـد وردت في هذه الـكلمة مجموعة من النقاط الهامة ، نوجزها فيما يلى :

● ان الغرف التجارية واتحـــادها العام . وهى تمثل العمل التجـارى في البلاد بكافة منشآته وقطاعاته ، ليهمها أن تسهم بالجهد الراجب في هـــذه المرحلة ، في اطار الخطة التى ترسمها سيادتكم ، وتضع كل امكانياتها وخبراتها

فى خدمة تنفيذ هذه السياسة . ولقد سارت وتسير وفق مفهوم التطور الذى لحق بكافة الاجهزة بالبلاد ، لتخدم صمود الجبهة الداخلية بالاسهام فى استقرار أوضاع السوق التجارية ، وتوفير احتياجات المواطنين فى كل مكان بانتظام ، وبالسعر المناسب دون استغلال

● ان الاتحاد العام للغرف التجارية يؤدى دورا ايجابيا فى مجال خلق ودعم العلاقات التجارية مع مختلف دول العالم، وعلى الاخص العالم العربى .. فعلى المستوى الاقليمى ، فالاتحاد عضو مؤسس فى اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية ، والذى اسهم فى جهود تدعيم وتوثيق الروابط الاقتصادية العربية على طريق الوحدة الاقتصادية الشاملة .. وللاتحاد على الصعيد الدولى ، وعلى الاخص المجال الافروأسيوى ، نشاط كبير من خلال الهيئة الافرو اسيوية للتعاون الاقتصادى .وقد قامت هذه الهيئة بتدعيم العلاقات الاقتصادية بين مجموعة دول القارتين .

● ان الغرف ـ والاتحاد ـ على الصعيد الداخلى ، قامت وتقوم بدور كبير فى خدمة استقرار الحالة التجارية ، وتوفير كافة الاحتياجات ، والاسهام فى التخطيط لعمليات التوزيع . وتعد الغرف والاتحاد تقارير دورية تناقش وتتابع فيها حالة مختلف السلع فى السوق ـ ومشاكل توافرها ومناسبة أسعارها وطرق توزيعها. كما تعقد الغرف والاتحاد لقاءات دورية بين المسئولين عن عمليات التوزيع والعاملين فى مجاله لاستطلاع المشاكل وبحثها وايجاد الحلول الملائمة لها .

● ان الاتحاد اذ يتابع اجتماعات سيادتكم ولقاءاتكم مع مختلف القطاعات، يرحب بكل التقدير بجهودكم لتخفيض تكاليف المعيشة تخفيفا عن كاهل المواطنين فى هذه المرحلة الهامة . كذلك فانه يولى عناية خاصة لبحث مشاكل القطاع التجارى مع الاجهزة المختلفة ، لخلق الجو الملائم لاستقرار وطمأنينة القائمين بعمليات التوزيع الداخلى ".

● قام الاتحاد باتخاذ خطوة هامة فى سبيل تصفية العديد من المنازعات الضريبية بين الممولين ومصلحة الضرائب، وانتهى الى اتفاق عام بنسب متطورة تلائم الظروف والاوضاع الاقتصادية الحالية . وبحث حجز ضريبة ثابتة فى النسبة لعدد من الانشطة ، بدأ تنفيذها بالفعل فى نشاط الصيدليات .. كما يبحث الاتحاد مع هيئة التأمينات الاجتماعية امتداد مظلة هذه التأمينات الى القطاع الكبير من التجار والحرفيين . وقد كانت هذه هى احدى وصايا زعيمنا الراحل الاخيرة .

● وهناك ايضا نشاط الاتحاد فى مجال الارشاد التجارى ، ونشرته التشريعية التى تتضمن تبويب التشريعات الاقتصادية بحسب قطاعات النشاط التجارى . كما انه يولى اهتماما كبيرا بمشاكل تجار منطقة سيناء والقناة الذين اضيروا بسبب العدوان القائم . وقد تولى الاتحاد مهمة صرف السلف لهؤلاء المواطنين تخفيفا لاعبائهم

● يناقش الاتحاد والغرف مشروع قانون الغرف التجارية ، الذى نأمل ان يصدر قريبا ، ليعطى للغرف الفاعلية فى اداء دورها الحق فى خدمة الاقتصاد القومى . ويجب أن تعطى الغرف السلطات الكافية للعمل ، وان يعكس تشكيلها طبيعتها المتطورة فى ظل مفهومها الجديد لخدمة رسالة التجارة فى مجتمع اشتراكى كما نرجو سرعة استصدار قانون تنظيم هذه التجارة ، لتقوم المهنة على اسس سليمة . وكذلك ضرورة تطوير قوانين التموين واساليب تطبيقها ، بما يتيح المعاملة الكريمة للمواطنين من التجار ".

ولقد اكد السيد « حمدى عاشور » فى كلمته دور الاتحاد والغرف التجارية فى تحقيق مجتمع الرفاهية ، من طريق خفض تكاليف المعيشة لجماهير المواطنين. وكانت كلمته تعبيرا طيبا عن دور الاتحاد والغرف فى الحياة الاقتصادية والتجارية على المستوى المحلى وعلى الصعيد الدولى . ولعل ذلك مما يتيح للاتحاد أن يقوم برسالته كاملة فى ظل ظروف الغد .

المؤسسة المصرية العامة للمضارب

- دور المؤسسة فى الارتقاء بصناعة ضرب الأرز على أحدث المستويات العالمية
- كيف تمضى المؤسسة بشركاتها نحو التطور العلمى لصناعة الأرز ..؟
- ما هى المشروعات التى تعدها المؤسسة للأرز المصرى؟



نموذج لمضرب حديث

● مع بداية التحول الاشتراكي كان ضروريا ان تخضع صناعة الارز لسيطرة الشعب باعتبارها من الصناعات الحيوية والتى تقوم بدور هام على المستويين المحلى والعالمى .

وارتقاء بهذا الدور فى تدعيم الاقتصاد القومى بكل ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة من امكانيات وبكل ما يتيحه العمل العلمى المنظم والمبدع والخلاق من قدرات لم يكن ممكنا الوصول اليها قبل التأميم ، وقد كانت صناعة ضرب الارز قبل انتقال ملكيتها الى الشعب من الصناعات المتخلفة ولا تهتم بالاخذ بالحديث والجديد والتطور ، شأنها فى ذلك شأن الكثير من الصناعات التى كان الطابع الغالب والسائد فيها تحقيق اقصى قدر من الربح ، ولذلك كانت الصورة التى بدت عليها هذه الصناعة انها كانت منشآت فردية قاصرة عن مسايرة احدث امكانيات التطور ، وكان معظمها فى حالة متهالكة واجتهادية الطراز ، وكان بعض هذه المضارب معطلا لعجز اصحابها عن اعادة تشغيلها وغرق معظمها فى الديون ، وايضا لعدم توفر الاحصاءات والدراسات التحليلية لاوجه النشاط الانتاجى بالمضارب التى هى اساس اى تطوير علمى وتخطيطى ، ونظرا لاهمية الارز كمحصول غذائى رئيسى ـ ومصدر هام للعملات الاجنبية ، وايمانا بضرورة تطوير صناعة ضرب الارز دعما للاقتصاد القومى بعد صدور قرارات التأميم فقد تحملت المؤسسة المصرية العامة للمضارب وشركاتها عبء النهوض بهذه الصناعة ، واضعة نصب عينيها هدف وضع الخطط الكفيلة بوصولها الى مكانتها فى خدمة الاحتياجات الاستهلاكية وتحقيق اهداف التصدير التى نجحت نجاحا كبيرا يتمثل فى وصول الجمهورية العربية المتحدة الى المرتبة الرابعة بين الدول المصدرة للارز على المستوى العالمى .

وقد حققت المؤسسة اهدافها باستخدام احدث اساليب البحث العلمى والدراسات التطبيقية وادخال كل ما وصلت اليه تكنولوجيا صناعة ضرب الارز على المستوى العالمى فى كافة مراحل التصنيع ، مما حقق للجمهورية العربية المتحدة قفزات كبيرة فى مستوى الانتاج وكميته اسهمت فيه المؤسسة وشركاتها العشر وهى :ـ شركة مضارب شرق الاسكندرية وادكو ورشيد ، شركة مضارب غرب الاسكندرية ، شركة مضارب محافظة البحيرة ، شركة مضارب شرق محافظة كفر الشيخ ، شركة مضارب غرب كفر الشيخ ، شركة مضارب محافظة الغربية ، شركة مضارب شمال محافظة الدقهلية ، شركة مضارب جنوب محافظة الدقهلية ، شركة مضارب دمياط وبلقاس ، شركة المضارب المتحدة

ولقد وضعت المؤسسة سياسة لتطوير المضارب معتمدة على الاسس التالية :ـ

● خطط قصيرة المدى لتطوير المضارب القائمة واستكمال تجهيزاتها والاستفادة من جميع الطاقات المعطلة .

● خطط طويلة المدى لاقامة مضارب حديثة مزودة بكافة مقومات الصناعة المتطورة القادرة على مواجهة المنافسة العالمية .

● مراعاة مقومات المشروع الاقتصادى السليم للمضارب من حيث توفير القوى الوظيفية اللازمة والنظم المالية والمحاسبية والادارية .

● رفع الكفاية الانتاجية لقوى الانتاج

● اعداد البحوث والدراسات الخاصة بمستقبل الصناعة .

الخطة الاستثمارية الاولى ٦٢ ـ ٦٥

لم يدرج فى برامج الخطة الاستثمارية الاولى للدولة اية استثمارات القطاع المضارب . حيث كان يعتبر من قطاع

الاعمال غير المنظم ، واقتصرت الخطة الاولى على تنفيذ بعض المشروعات العاجلة والاستعداد لتنفيذ الخطط الاجلة خلال

الخطة الثانية وارتكزت الخطة الاولى على الاسس التالية : —

* دراسة أوضاع المضارب .
* رفع القدرة الانتاجية للوحدات التى تسمح ظروفها بذلك .
* تشغيل واستغلال كافة الطاقات المعطلة الى اقصى حد ممكن .
* ادخال كثير من التعديلات الفنية على التجهيزات البدائية بالمضارب واستبدالها بالآلات ، وأجهزة جديدة .
* اصلاح وترميم المبانى واقامة المخازن والمظلات لضمان التخزين السليم .
* تعزيز القوى العاملة وتدبير قوى محركة احتياطية لمواجهة مفاجآت التوقف والتعطيل .
* تحسين مواصفات الانتاج للتمشى مع متطلبات التصدير والاستهلاك .

وقد بلغت جملة الاستثمارات التى انفقت على هذه الاعمال ١٫٣٢٢٫٠٠٠ جنيه .

الخطة الاستثمارية الثانية ٦٥/٦٦ — ٦٩ / ١٩٧٠

مع بداية الخطة الخمسية الثانية كانت قد توفرت لدى المؤسسة المعلومات والبيانات الاحصائية الكافية مع التخطيط لبرامج التنمية والتطوير اللازمة والتى لها ان تدرج استثمارات بخطة الدولة ، واعتمدت هذه الخطة على محورين اساسيين هما : —

* برامج الاحلال والتجديد بتكلفة استثمارية قدرها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه .
* برامج اقامة المضارب الجديدة بتكلفة استثمارية تبلغ ٥٫٧٢٨٫٠٠٠ جنيه

وبهذا يبلغ اجمالى ما رصد من استثمارات للنهوض بالمضارب واقامة المضارب الجديدة حوالى السبعة ملايين من الجنيهات . وبتنفيذ هذه الخطط امكن تحقيق انجازات ضخمة على النحو التالى

توفير السعات التخزينية اللازمة لاستيعاب المحصول فى فترات انسيابه عند التوريد وضمان عدم تلف المحصول والمحافظة عليه سواء من العوامل الجوية او الاصابة الحشرية والفطرية . وانشأت العديد من المخازن والمظلات اللازمة لتخزين المحصول .

وقد تم عقد اتفاقية مع المانيا الديمقراطية لانشاء لمانية مضارب جديدة تمثل احدث ما وصلت اليه تكنولوجيا صناعة ضرب الارز فى العالم . وتبلغ الطاقة الانتاجية للمضرب الواحد ١٠٠ طن ارز ابيض يوميا .

وبالنسبة للخطة الخمسية الثالثة : (٧٠/٧١ — ١٩٧٥/٧٤) فقد كانت المؤسسة باعداد مجموعة من الدراسات والبحوث التى تعاونها فى وضع الخطة على اساس واقعى وموضوعى .

وقد تضمنت هذه الخطة المشروعات التالية : —

اولا : استكمال اقامة المضارب الجديدة حيث يتم الانتهاء من اقامة وتركيب الآت ثلاثة مضارب خلال عام ٧١/٧٢ والمضارب الخمسة الاخرى خلال عام ٧٢/٧٣ وبذلك يتم تحقيق التكامل لمشروع اقامة المضارب الحديثة . .

المؤسسة والقطاع الخاص

وايمانا من المؤسسة بدورها كقائد وموجه للقطاع الخاص فقد تم الاتفاق مع شركة بوتيتكا على اقامة وحدة صغيرة على نمط المضارب الكبيرة ، قدرتها الانتاجية فى حدود ٢٠ طنا يوميا . تكون مجهزة باحدث الآلات والمعدات وتكون نموذجا يحتذى لتطوير فراكات القطاع الخاص . وتم اختيار موقع هذه الفراكات القديمة هدية من شركة بوتيتكا بمنطقة سيدى سالم بكفر الشيخ ، حيث تنتشر فراكات القطاع الخاص ، ويكثر انتاج الارز فى هذه المنطقة .

التنقية الالكترونية للارز

ونظرا لما لوحظ من ارتفاع سعر الارز المنتج الكترونيا ، واستجابة لتوصيات

مؤتمر الارز الاول الذى عقدته المؤسسة فى شهر مايو ١٩٧٠، من استخدام اجهزة التنقية الالكترونية فى فرز وتنقية الارز فقد بدأت المؤسسة تجارب رائدة لاستخدام هذه الاجهزة فى بداية الستينات ، وقامت البعثات التى أوفدتها المؤسسة للخارج بدراسة كفاءة وتشغيل هذه الاجهزة على الطبيعة وعلى أرز مصرى . وقد وافق السيد وزير التموين والتجارة الداخلية أخيرا على مشروع المؤسسة باستيراد أحدث هذه الاجهزة من الخارج ، مما سيوفر على الدولة ٦٠٠ر٠٠٠ جنيه من العملات الحرة سنويا زيادة عما تحققه أسعار الارز العامل بالطريقة العادية ..

وقد درست بعثات المؤسسة التى سافرت الى الخارج امكانية استيراد احدث اجهزة التعبئة الالية التى تناسب وقدرات أجهزة التنقية الالكترونية وذلك حتى يتم تعبئة الارز المصرى النقى الكترونيا فى عبوات صغيرة وانيقة ملائمة لذوق المستهلك الاوربى .

واستجابة لتوصيات مؤتمر الارز الاول بشأن معالجة الرجيعة فور انتاجها لمنع ارتفاع حموضة الزيت الموجود بها ، تقوم المؤسسة بدراسة امكانية استيراد اجهزة لمعالجة الرجيعة فور انتاجها والحاقها بالمضارب الجديدة حتى يمكن التحكم فى حجم وكمية الرجيعة المعالجة بهذه الطريقة وحفظها والزيت الناتج بهذه الطريقة يصلح للاستهلاك الادمى ، ويمكن تحويله الى سمن صناعى .

وبناء على نتائج الدراسات الهندسية والاقتصادية التى اجرتها المؤسسة على العمر الانتاجى للمضارب من حيث حالة المبانى وقدرة الآلات وأنواع الحركة والتصادمات التشغيل ، فقد وضعت المؤسسة برنامجا للاحلال والتجديد للمضارب التى تسمح مبانيها وآلاتها المحركة بالتشغيل الاقتصادى الجيد ، ويبلغ عددها نحو سبعة وعشرين مضربا وذلك بهدف احلال بعض المبانى والآلات المستهلكة بأخرى جديدة حتى يمكن المحافظة على القدرة الانتاجية وانتاج ارز مطابق للمواصفات ، وكذا تشمل مشروعات الاحلال والتجديد استيراد موازين للتعبئة الصغيرة من ٢ الى ٥كجم وذلك لسهولة الاحجام الصغيرة فى التداول والتوزيع ولزيادة الطلب عليها .

كما تم اعداد خطة متكاملة لاقامة المخازن والمظلات لتخزين الارز الابيض والشعير على احدث الاسس والمواصفات التخزينية .

اما بالنسبة للمضارب التى تبين أن مبانيها بحالة جيدة ويمكن تطويرها تطويرا شاملا عن طريق استبدال معظم آلاتها بأخرى ، واحداث تعديلات فى مبانيها فقد تم الاتفاق على ادراج مشروع تطويرها ضمن اتفاقية التعاون الفنى والاقتصادى طويلة الاجل المبرمة مع ألمانيا الديمقراطية .

الارز الفلى

ويزداد الطلب العالمى فى السنوات الاخيرة على الارز الفلى . والذى يعتبر الناتجه وسيلة عملية لتدعيم حبة الارز الابيض بكثير من المواد البروتينية والفيتامينات عن طريق الاحتفاظ بالحويصلات الغذائية لاغلفة الارز وتثبيتها داخل الحبة البيضاء .. وتوجد وحدة انتاج الارز الفلى بالمحلة الكبرى وتعتبر قاصرة عن مواجهة زيادة الاقبال على هذا النوع من الارز فى الاسواق الخارجية .. حيث انه من الملاحظ أن انتاج هذا النوع قد زاد فى السنوات الاخيرة بحيث اصبح يعادل ٢٠٪ من الانتاج العالمى للارز تقريبا واهم الدول التى تستهلك هذا الصنف هى دول جنوب شرق آسيا خاصة الهند / سيلان / وبعض الدول العربية والافريقية مثل سيراليون وليبيريا وقد استقدمت المؤسسة الخبراء الاجانب واوفدت بعثاتها الى الدول المتقدمة فى انتاج هذا النوع من الارز للوقوف على اهم اساليب تصنيعه . وقد تضمنت الخطة الخمسية الثالثة للمؤسسة اقامة وحدتين جديدتين لانتاج الارز الفلى وفق احدث المواصفات العالمية بدلا من كل ماسبق تشجيعا للجهد الذى يبذله المؤسسة والواجبات الضخمة التى تحملها ازاء مسئولية اعداد ارز التصدير وارز الاستهلاك المحلى .

وقد حقق الارز المصرى خلال السنوات الاخيرة مركزا عالميا ممتازا يتمثل فى وصول الجمهورية العربية المتحدة الى المرتبة الرابعة بين الدول المصدرة للارز على المستوى العالمى ، واصبح الارز المصرى

المؤسسة المصرية العامة للمضارب

يمثل ١٠٪ من حجم التجارة العالمية رغم أن كمية الارز المصرى المنتجة لا تتجاوز نسبته ١ ٪ من جملة الانتاج العالمى وتنتج شركات المؤسسة غير الرتب المحلية عشر رتب للتصدير كما تنتج ما يفى بمتطلبات الاسواق العالمية لاكثر من ٦٠ دولة من كل أنحاء العالم وقد ارتفع معدل الصادرات حتى وصل الى ٣١٣ الف طن لسنة ٦٩ / ٧٠ وبلغت الإيرادات التى حققتها الدولة من صادراتها الارزية ستة وخمسين مليونا من الجنيهات فى العام الماضى . ويقوم الفنيون المختصون بالمؤسسة فى الوقت الحالى بالتعاون مع مؤسسة التجارة وشركاتها التى تتولى لتحقيق الارتباطات الدولية وتحديد رتب الارز المطلوبة لهذه الارتباطات الدولية وتحديده . وقد وصل معدل مايوفره الارز من العملات الصعبة لبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعب فى الجمهورية العربية المتحدة بخلاف ما تجنيه من بلاد الاتفاقيات مالا يقل عن ٢٥ مليونا من الجنيهات سنوياً .

وتعمل المؤسسة على الوفاء باحتياجات السوق المحلية، الى جانب اهتمامها بأرز التصدير وكذلك تحسين مواصفات الارز المعد للاستهلاك المحلى وضمان توزيعه فى انحاء الجمهورية دون احتكار او استغلال

وايمانا من المؤسسة بدورها الطبيعى فى تحقيق رغبات افراد المجتمع فى وصول السلع والخدمات اليهم دون استغلال ، قامت بالغاء تجارة الجملة ، وقصرت توزيع الارز على تجار التجزئة منذ بداية عام ٦٦ وذلك لضمان توفير الارز فى السوق المحلية ، وانتشاره على مستوى الجمهورية وتوزيعه بانتظام

.. كما تقوم المؤسسة بدارسة المعدلات الاستهلاكية لكل محافظة للعمل على توفير المقررات اللازمة لها وفقا لمعدلات استهلاكها . ويقدر استهلاك الجمهورية من الارز الابيض بحوالى ٩٠٠ الف طن تقوم القرايات بتدبير الجزء الاكبر منه، اما بالنسبة للمؤسسة فتتولى توزيع احتياجات استهلاك سكان المحافظات غير المنتجة والمراكز الادارية بالمحافظات المنتجة . وتنتج من عمليات ضرب الارز منتجات ثانوية يطلق عليها مخلفات الضرب، وتعتبر عنصراً هاما فى اقتصاديات صناعة ضرب الارز ، وقد أصبح لهذه المخلفات اهمية اقتصادية كبيرة سواء على المستوى المحلى او العالمى ، وقد انشئت عدة مصانع تعتمد على هذه المخلفات فى كثير من الصناعات الغذائية والكيمائية. وهذه المخلفات تشمل : —

اولا : الكسر ، ويصاحب عملية ضرب الارز وجود نسبة من الكسر تستخدم فى الاستهلاك كمادة خام وفى صناعة بعض المنتجات الغذائية مثل النشا والجلوكوز والبيرة ومسحوق غذاء الاطفال وكذا الدخل ضمن مكونات علف الحيوان ، وعلف الدواجن . كما تستخدم فى صناعة البوش اللازم لصناعة النسيج .. واصبحت هناك مجالات واسعة لتصدير كسر الارز سواء بحالته الراهنة ، او بادخال كميات كبيرة منه فى رتبة الارز الطبيعى ٤٠ ٪ كسر التى تستوعب مواصفاتها ٤٠ ٪ من كسر الارز ، وهى رتبة مطلوبة فى الاسواق الافريقية والاسيوية

ثانيا : رجيع الكون وهو عبارة عن مسحوق القشور الداخلية لحبوب الارز الناتج من عملية ضرب الارز بالطرق الحديثة بعد فصل القشور الخارجية للحبوب « السرس » . ويمتاز باحتوائه على نسب عالية من البروتين والزيوت والكربوهيدرات ، لذلك يعتبر مادة علف حيوانى هامة اما بحالته عند انتاجه او بعد استخلاص الزيت منه ، كما يستخدم الزيت الناتج من عمليات الاستخلاص فى صناعة الصابون والبويات ويزداد الطلب على رجيع الكون فى الاسواق العالمية . ولكن يحد من تصديره الحرص على توفير مواد العلف داخليا

ثالثا : الجرمة وهى عبارة عن جنين حبة الارز وتنتج من عمليات ضرب الارز بالطرق الحديثة وتحتوى على نسبة عالية من الزيت والبروتين الخام ، وتبلغ كميات انتاجها سنويا نحو ٢٨ الف طن وتعتبر مصدرا هاما للحصول على الزيت اللازم للاغراض الصناعية ، مثل صناعة الصابون والبويات هذا بجانب استعمال الكسب الناتج من عمليات الاستخلاص كمادة علف للحيوان ، وتصدر هذه المادة الى بلاد اوربا الغربية وتبلغ حصيلتها السنوية نحو مليون ونصف دولار

رابعا : سرس الارز وهو القشرة الخارجية لحبة الارز والتى كانت تمثل عبئا على المضارب فى تراكمها وتعرضها للحريق ولم تكن تستخدم الا كمادة وقود فى بعض المضارب التى تدار بالبخار وقد فتح التقدم العلمى آفاقا جديدة لاستخدام سرس الارز صناعيا فهو تستخدم كمادة علف بعد طحنها ومعاملتها بالفلوبات واضافة المولاس اليها وتستخدم بعد حرقها فى انتاج الطوب الحرارى والمواد العازلة وانتاج الزجاج الابيض والعسلى والكريستال .

التسويق التعاونى للارز

وقد بدأ تطبيق نظام التسويق التعاونى للارز الشعير اعتبارا من موسم ٦٥/٦٦ واتسع نطاقه تدريجيا حتى اصبح يشمل الان جميع المحافظات المنتجة للارز ، وتقوم المؤسسة بالاتفاق مع البنوك التجارية على تمويل المحصول فى وقت مبكر بمبالغ تتزايد قيمتها عاما بعد عام حتى انها جاوزت فى الموسم الماضى خمسين مليونا من الجنيهات ، تدفع منها شركات المؤسسة للفلاحين مقدم ثمن قدره خمسة

ملايين من الجنيهات ، حتى يمكن للمنتج اداء الالتزامات فى تجهيز المحصول وحتى يزداد ارتباطه بنظام التسويق .. وفى مواجهة حركة انسياب الارز الشعير فى فترة التسويق التى تتراوح بين شهرين وثلاثة على الاكثر ، تقوم المؤسسة وشركاتها باستلام الارز فى مراكز التجميع وتفتح المؤسسة شونا مركزية ووسيطة لاستقبال المحصول تمهيدا لنقله بعد ذلك الى المضارب وتتخذ الاجراءات التخزينية للمحافظة على المحصول من التلف ويقوم مندوبو الشركات بعملية الفرز والاستلام لصرف الثمن للموردين خلال ٤٨ ساعة من وقت الاستلام ، وفى هذا المجال تقوم المؤسسة بتنسيق عملها مع كافة الاجهزة التى يتصل نشاطها بتسويق الارز مثل وزارة الزراعة والاصلاح الزراعى ومؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى وكافة اجهزة الحكم والادارة المحلية فى مختلف المحافظات والهدف الاساسى الذى يحكم هذا التنسيق التعاونى هو تحقيق اقصى ضمانات العدالة والراحة للمنتجين ، وتحقيق مصلحة الاقتصاد القومى الذى يلعب الارز فيه دورا اساسيا ، ولقد تم البدء فى العام الماضى فى تجربة جديدة بمحافظة الفيوم ، وهى قيام المضارب

بالتعاقد مع الجمعيات التعاونية على تسويق المحصول مباشرة بدلا من بنك الائتمان الزراعى والتعاونى وذلك تأكيدا لدور التعاون فى تسويق الحاصلات الزراعية ، ومن مزايا هذه التجربة تعامل الجمعيات رأسا مع الشركات نيابة عن المنتجين دون تدخل وسيط وفى هذا زيادة فى العائد للفلاح ، كما ان المؤسسة

ستقوم بالشراء والتعاقد مع الجمعيات مباشرة بدلا من استلام الارز من الفلاح مما يؤدى الى اختصار الوقت والاجراءات ، ودقة فرز وتصنيف المحصول . ويمكن تلخيص سياسة المؤسسة فى مجال التسويق فيما قاله السيد المهندس احمد طلعت عزيز رئيس مجلس الادارة من انها كانت دائما حريصة على الوصول بالتسويق التعاونى الى مفهومه الصحيح ، وهو ان يتم تعاونيا فى كافة مراحله معتمدا على

قيام التعاونيات المحلية بدورها الاساسى فى التسويق ، مجمعة لحاصلات اعضائها ساعية الى افضل الاسعار لهذه الحاصلات ، ومن خلال بنيان تعاونى سليم مستكمل لاجهزته الفنية والمحاسبية القادرة فكانت هى السباقة الى ضرورة البدء بتصحيح مفهوم التسويق التعاونى وتطبيقه داعية الى التطبيق السليم له بعد اعادة تكوين البنيان التعاونى واستكمالا لكل تشكيلاته انتهاء بالاتحاد التعاونى


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح
الفرن الشعبي
شعلتان وسط وشواء
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباقه السفرة
نظيفة وسارة .. تتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤



السكك الحديدية في خدمة التموين

دور السكك الحديدية.. في

دعم النهضة الاقتصادية والصناعية وتطوير وتيسير الخدمات الجماهيرية

اذا كانت المواصلات هي التعبير الحضاري عن الدولة المصرية ، فالذي لا شك فيه أن السكك الحديدية تقف في مقدمة أساليب النقل دقة ومقدرة وكفاءة ومن ثم فانها الواجهة التي تعبر عن صورة الدولة المصرية ومن هنا كان الاهتمام الكبير .. منذ بداية ثورة ١٩٥٢ وحتى الآن .. بدعم وتطوير السكك الحديدية في بلادنا ،

واذا أردنا أن نقف على تلك الخطوات التي قطعها هذا المرفق الحيوي ، فلا بد لنا من نظرة مقارنة بين ما كان عليه الحال من قبل وما أصبح عليه الآن. فان الفارق بين الماضي والحاضر هو دائما



م. محمود كامل مرتجي رئيس هيئة السكك الحديدية ..

دلالة التطور وهو أيضا دليل المستقبل. وفي الماضي ، كانت الصورة على النحو التالي :

* بلغ عدد القاطرات البخارية التي استنفدت عمرها الاقتصادي حوالي ٤٠٪ من جملة القاطرات البخارية . كذلك فان حوالي ٥٨٪ من عربات الركاب وحوالي ٢٥ ٪ من عربات البضائع كانت في حاجة الى استبدال .

* معظم الورش وأقسام الصيانة كانت قد تجاوزت عمرها وأصبحت في حاجة ماسة الى التجديد الشامل وقد ترتب على ذلك توقف أعمال تجديدات السكك والقاطرات والعربات .

* تخلف واضح في الأخذ بأحدث الأساليب الفنية في التنظيم المالي والادارى والحسابى للمرفق ، الى جانب تخلف يصل الى حد القصور في تنفيذ المشروعات الفنية الحديثة التي تستهدف خفض المصروفات وزيادة الايرادات ، وتيسير الخدمة للجمهور وسلامة الحركة ودقتها .

ولما كانت الثورة تعنى التغيير الشامل ودفع عجلة الحياة الى الامام وبقوة ، فقد كان من الطبيعى أن يجد هذا المرفق اهتماما كبيرا ، وأن يشهد تطورات ضخمة تتناسب مع الصورة الحديثة لبلادنا المنطلقة دائما بالتحديات الى آفاق القرن العشرين .

وقد تجلت هذه التغييرات في الظاهر التالية

* القيام بالتجديدات المختلفة سواء بالنسبة للخطوط الحديدية أو القاطرات أو الكبارى والجسور لتكون قادرة على القيام برسالتها على أكمل الوجوه وأفضلها .

* تنفيذ مشروع التحول من البخار الى الديزل ، وما ترتب على ذلك من مزايا عظيمة مثل خفض مصروفات التشغيل الى جانب المزايا الفنية الأخرى وفي مقدمتها اتباع أحدث الأساليب العصرية في النقل بالسكك الحديدية وأكثرها انجازا وأسرعها وأقواها .

* الاستغناء من معظم عربات الركاب القديمة وذات الهياكل الخشبية ، وشراء عربات أخرى حديثة ذات هياكل معدنية مريحة . كما تم شراء عربات مكيفة الهواء وعربات نوم وأكل مكيفة الهواء روعى فيها أحدث التصميمات التي تحقق راحة المسافرين .

* تم شراء عربات بضاعة ذات حمولات كبيرة يسهل شحنها وتفريغها لمواجهة التقدم الصناعى ، وجدير بالذكر ان جميع العربات الحديثة مزودة بفرامل تعمل بالهواء المضغوط .

* الأخذ بأحدث الأساليب الفنية التي تستهدف زيادة كفاءة النقل وتطوير وسائل الجر وأهم هذه الأساليب مشروع التحول من البخار الى الديزل مشروع كهربة خط حلوان . ادخال نظام المراقبة المركزية على حركة سير القطارات ، استعمال الفلنكات الخرسانية سابقة الاجهاد بالخطوط الحديدية . ادخال النظم الآلية في تركيب وتجديد السكك وصيانتها والكشف عليها . تعميم فرامل الهواء المضغوط بالوحدات المتحركة . انشاء ادارة للاشراف على التدريب المهنى لجميع فروع وأقسام الهيئة . ادخال النظام الآلى في شحن وتفريغ البضائع .

وفي الفترة الاخيرة نجد أن الهيئة قد عملت على تحسين الخدمة ، وقدمت للمسافر على خطوطها خدمات ذات مستوى رفيع مثل التوسع في الخدمة بوحدات الديزل المكيفة الهواء بعد ان كانت مقصورة على خط القاهرة — الاسكندرية كما ادخلت الهيئة نظام السفر بالدرجة الثانية الممتازة المكيفة الهواء ، كذلك فقد اهتمت الهيئة بتحسين الخدمة على خطوط الضواحى بتشغيل عربات الوبيس للضواحى الجديدة على خطى كوبرى الليمون — المرج ، والاسكندرية — أبو قير .

وقد ضاعفت الهيئة من اعداد القطارات الاكسبريس بالوجهين البحرى والقبلى ، وأولت عنايتها لركاب الدرجة الثالثة خدمة للقطاعات العريضة من الجماهير ، فاستخدمت نظام تذاكر الذهاب والاياب اليومية المخفضة بنسبة ٥٠٪ كما رفعت من مستوى هذه العربات عن طريق تزويدها بالمراوح وكسوة مقاعدها بالجلد وتزويدها بمناضد أمام أماكن جلوس الركاب .

وكانت مشكلة مواعيد القطارات من أكبر المشاكل القديمة ، ولذلك فقد اهتمت الهيئة بهذه المشكلة وادخلت تعديلات جوهرية على مواعيد قطارات الركاب بهدف تحقيق خدمة أفضل للركاب من طريق تنظيم المواعيد من ناحية وتقصير الفترات بين القطارات بقصد التخفيف من الزحام من ناحية أخرى .

وقد اهتمت الهيئة بعربات النوم والأكل ، وضاعفت من عدد الوحدات التي تقوم بهذين الغرضين وقد أصبحت هذه الوحدات تخدم في الوقت الحاضر أكثر من مائة ألف مسافر في السنة ،

وكانت من قبل تقدم خدماتها لحوالي ٢٠ الف راكب خلال السنوات الماضية

دور السكك الحديدية في الحياة الاقتصادية

اسهمت السكك الحديدية في بلادنا بدور ايجابي كبير فى دعم النهضة الصناعية وارساء المشروعات الكبيرة التى تعتبر عماد الحياة الاقتصادية . ومن ذلك :

● دعم صناعة الحديد والصلب : قامت هيئة السكك الحديدية بتنفيذ مشروعات لهذه الاغراض تكلفت أكثر من خمسة ملايين من الجنيهات .

دعم صناعة السماد باسوان : وذلك عن طريق مد الخطوط الحديدية اللازمة لمصانع شركة الصناعات الكيماوية المصرية وتستخدم هذه الخطوط فى استقبال الخامات اللازمة للصناعة وشحن الاسمدة الى مراكز الاستهلاك .

● يعتبر مشروع السد العالي من اهم المشروعات العمرانية فى البلاد اذ تتوقف عليه كثير من ركائز النهضة الزراعية . وقد قامت هيئة السكك الحديدية بتنفيذ كل مايلزم هذا المشروع من الخطوط الحديدية الى جانب انشاء محطة جديدة عند الميناء النهرى لتبادل النقل بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان الشقيقة .

● اهتمت هيئة السكك الحديدية بنقل البضائع لمواجهة متطلبات التطور الاقتصادى للبلاد ، واعدت الطاقات الجديدة المختلفة من العربات فادخلت عربات الثلاجات الكهربائية من احدث طراز لشحن اللحوم والاسماك والخضر والفاكهة ونقلها من مناطق الانتاج الى مختلف انحاء البلاد ، كذلك اوجدت عربات مكونة من دورين لشحن الاغنام وهى تتسع لضعف العدد الذى تتسع له عربات الحيوانات العادية وهناك ايضا عربات خاصة لشحن الفحم السائب .

● تابعت هيئة السكك الحديدية متطلبات النهضة الصناعية المستجدة فاعدت عربات لنقل الثقلات مثل المحولات الكهربائية وغيرها . كما اعدت عربات من طراز خاص لشحن الخامات اللازمة للصناعات المختلفة .

وجدير بالذكر ان الهيئة فى سبيل المحافظة على سلامة البضائع التى تشحن وتفرغ بمعرفتها فى المحطات ، فقد ادخلت النظام الآلى الذى يقضى باستعمال الاوناش المتحركة على عجل كاوتش والالاطات وعربات الارصفة التى تجرها الجرارات .

خدمات جماهيرية

والى جانب هذه الخدمات الجليلة فى مجال الحياة الاقتصادية ، فان الهيئة قد اهتمت كذلك بالخدمات الجماهيرية ويتمثل ذلك فى تخفيض أجور السفر للطلبة بنسبة تتراوح بين ٣٠ و ٥٠ ٪ وهناك التذاكر المشتركة ــ « سكة حديد ــ عربات نوم ــ فنادق » بتخفيض ٢٧٫٥ ٪ من أجور السفر و ١٧ ٪ من أجور عربات النوم و ١٠٪ من أجور الفنادق

وتصرف الهيئة ايضا اشتراكات بنصف اجرة للطلبة ودفاتر مخفضة بنسبة ٥٠ ٪ لطلبة الجامعات والمعاهد العليا .

وأدخلت نظام السفر بالتذاكر العائلية بتخفيض يتراوح بين ١٠ و ٢٥ و ٥٠٪ كما أدخلت نظام السفر بالادخار السابق الذى يتيح للمواطن ادخار اجر السفر مقدما لدى الهيئة خلال مدة لا تقل من ثلاثة اشهر وعلى اقساط شهرية زهيدة ، وهذا النظام يمنح المواطن تخفيضا قدره ٢٥٪ كما استحدثت نظام الحجز بواسطة التليفون .

اما بالنسبة للرحلات التى تنظمها وزارة الشباب او احد اجهزتها التنفيذية فانها تحصل على تخفيض يصل الى ٦٦٫٦٪ ، وتمنح الهيئة تخفيضا قدره ٢٥٪ للسفر الى المدارس الاقليمية ، وتعاون الهيئات الانسانية والخيرية فى اداء رسالتها بتخفيض ٥٠٪ من أجور السفر لموظفى الهلال الاحمر والصليب الاحمر .

وهكذا تسهم هيئة السكك الحديدية فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وتحرص فى نفس الوقت على أن تكون فى الصورة المصرية الحديثة التى تعبر عن دولة منطلقة الى افاق تحديات القرن العشرين بمنتهى الطموح والاصرار بعد أن عرفت طريقها ووقفت على اعتاب المستقبل العظيم .

رئيس مجلس إدارة

مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى

يتحدث عن :

- جهود المؤسسة وبنوكها فى تنمية الإنتاج الزراعى
- الحاصلات التى تم تسويقها خلال العام الماضى بلغت قيمتها أكثر من ١٧٤ مليون جنيه

● تحدث المهندس مصطفى الفار رئيس مجلس ادارة مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى الى مجلة « الهلال » عن الجهود التى تبذلها المؤسسة وبنوكها فى تنمية الانتاج الزراعى . وقد بدأ الحديث بسؤال توجه به محرر الهلال عن مفهوم الائتمان الزراعى فى مجتمعنا .. فأجاب سيادته قائلا :

ـ لقد استطاعت مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى فى الفترة الاخيرة أن تحدد مفهوم الائتمان الزراعى فى مجتمعنا كما أرساه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، بأن أصبح أسلوبا اقتصاديا ، اجتماعيا هادفا وليس عملا مصرفيا تقليديا فهو من الناحية الاقتصادية يوفر مقومات الزراعة واحتياجاتها فى مواقيتها ويسهم فى تنمية الانتاج الزراعى ومن الناحية الاجتماعية يتيح للمزارع تنظيم دخله ويهيىء له احتياجاته دون ارتباك فى معيشته .

ـ وكيف تقوم المؤسسة بتطبيق هذا المفهوم ؟

ـ ادراكا لهذا المفهوم وتقديرا لأهميته وفاعليته حرصت المؤسسة وبنوكها بالمحافظات خلال الآونة الاخيرة على تحقيق هدفين أساسيين هما : أولا تدعيم الثقة فى أجهزة الائتمان الزراعى كأساس لحسن التعامل والثانى هو تخطيط وتنظيم أوجه النشاط الائتمانى وصولا الى راحة الزراع وضمان استقرارهم . وقد تحقق فى مجال تدعيم الثقة أن تم استكمال حسابات الزراع المتعاملين الذين يزيد عددهم على مليونين ونصف المليون مزارع محاسبيا ومستنديا ومراجعتها للتأكد من سلامتها وحصول جميع المتعاملين على كشوف حساب تتضمن مفردات مديونياتهم كما تشكلت لجان محايدة لفحص طعون الزراع ووضعت قرارات لجان الطعون موضع التنفيذ . وقد اعتبرت بطاقة الحيازة لجميع المتعاملين سندا للمحاسبة لايلتزم المزارع الا بما هو مثبت فيها ، وتفاديا لظاهرة تهريب البعض لحاصلاتهم تقرر تقسيط ما يتبقى من متأخرات عليهم على أقساط تيسر لهم السداد على عشر

سنوات بدون فوائد مع خصم ٢٠٪ فى حالة السداد المقدم . وتجنيبا لاية تراكمات تقرر عدم منح الائتمان الا لمن يسدد ماعليه من التزامات ، كما تقرر ان يكون الاقراض اقتصاديا حتى لا يرهق الزراع وقد تم لاول مرة فى تاريخ الحركة التعاونية منذ عام ١٩٦٠ استخراج ميزانيات الجمعيات فى مواعيدها وهى نحو ٤٠٨٣ جمعية واثبتت المراجعة للميزانيات انها تتمشى مع الواقع مما طمأن الزراع الى دقة حساباتهم

— وماذا عن التخطيط وتنظيم اوجه النشاط الائتمانى ؟

— لقد حمل العاملون بالبنوك — وهم الجنود المجهولون الذين يعملون فى جميع قرى الجمهورية طوال العام دون انقطاع — عبء هذا العمل الشاق ، وذلك فى سبيل توفير الاسمدة المحلية والمستوردة ونقلها من الموانىء او مواقع الانتاج الى مخازن الجمعيات بالقرى لتكون فى متناول يد الزارع فى المواعيد المناسبة وتوفير الخامات اللازمة لانتاج التقاوى لمحطات الغربلة ومواقع انتاجها ثم استعادة نقلها الى مخازن الجمعيات فى القرى وتوزيعها على جميع الزراع . وقيام بنوك التسليف بالمحافظات بتوفير ونقل اكثر من ٢٥ الف طن مبيدات متعددة الانواع والعبوات الى مخازن الجمعيات . ان المهام الضخمة والعديدة فى تهيئة مستلزمات الانتاج الزراعى من اسمدة وتقاوى ومبيدات تبرز حجم الجهود التى تقتضيها فى توفيرها وتوزيعها على ملايين الزراع . كما ان اجهزة الائتمان الزراعى اسهمت فى تنمية الثروة الحيوانية من تمويل عمليات برامج التربية بكافة مشروعاتها حتى بلغت جملة التمويل الممنوح للثروة الحيوانية نحو اربعة ملايين من الجنيهات . وقد امتدت نشاطات الائتمان الزراعى الى تمويل الميكنة الزراعية على مختلف انواعها والتى بلغت قيمتها اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات .

وتبلغ جملة مايصرف سنويا فى اقراض الائتمان المختلفة مايزيد على ٨٥ مليون جنيه تتحرك سنويا من طريق بنوك التسليف والزارعين اقراضا وتحصيلا على مدار كل عام .

— وماذا عن النظام التسويقى ؟

— لقد امكن فى العامين الاخيرين تنفيذ النظام الذى يحقق الانسياب التسويقى المنتظم والذى قضى على كثير من الشكاوى فى مختلف مراحل عمليات التسويق من بدء الاستلام والوزن الى صرف الثمن ، وتبرز الجهود الشاقة التى تبذل من العاملين فى هذا المجال من المؤشرات الآتية:

- اعداد مراكز تجميع لكل محصول

- توفير العبوات والفوارغ اللازمة للتعبئة

— بلغت كميات الاقطان المسوقة بمعرفة اجهزة الائتمان هذا العام نحو ٧ر٧ مليون قنطار من القطن فى مدة قياسية لم تتجاوز شهرين ومليون طن من الارز ونحو ١٥٠ الف طن من الثوم والبصل واكثر من ٨ر٣ مليون اردب من مختلف المحاصيل وبلغت قيمة المحاصلات التى تم تسويقها خلال عام ١٩٧٠ اكثر من ١٧٤ مليون جنيه

— بلغ صافى ما تسلمه الزراع خلال العام نحو ١٠٢ مليون جنيه وبلغ ما تم تحصيله ٧٢ مليون جنيه

هذه صورة للمهام التى تتولاها اجهزة الائتمان الزراعى نرجو ان تكون بالنسبة لمسالرنا قد حققت قوله تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ..

مؤسسة استغلال وتنمية الأراضي المستصلحة

سياسة المؤسسة الجديدة لزراعة الأرض هي التوسع في :

- إنتاج المحاصيل غير التقليدية .
- استخدام الميكنة الزراعية على أوسع نطاق
- تطوير استخدام الوسائل والأساليب المستخدمة حاليا في الزراعة .

● الحديث عن انتاجية الاراضي الجديدة ، حديث مثار على نطاق واسع في هذه الايام ..

ان الكلام يدور حوله وحول المدى الذي يمكن ان تسهم به هذه الاراضي في حل المشكلات التموينية الداخلية الناتجة عن النقص في الحبوب او الخضر او اللحوم .

ان الكل ينظر الى الرقعة الخضراء الشاسعة الجديدة التي اضيفت الى ارض بلادنا والتي تحقق وجودها بفكر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، الكل ينظر اليها على انها باب الامل .. وباب المستقبل الذي يؤدي الى الرخاء وتوفير احتياجات الشعب مما تنتجه الارض ..

وهذه في حد ذاتها حقيقة واضحة لقد استطاعت الاراضي التي وصلت مساحتها المنزرعة الآن الى ٥١٠٠٠٠ فدان ، والتي تتولى استزراعها مؤسسة استغلال وتنمية الاراضي المستصلحة ، ان تحقق تطورا كبيرا ، وتقدما اشبه ما يكون بطفرة هائلة في انتاجيتها .

ان هذا التطور الهائل وهذه الطفرة الكبيرة جاءت نتيجة للجهود العلمية المنظمة التي بذلت وتبذل للنهوض بهذه الاراضي وتحسينها والارتفاع بدرجة خصوبتها .. وبالتالي فيما تحقق من انتاج في مختلف المحاصيل .

واذا اردنا ان ندلل على تقدم هذه الاراضي فيكفي ان نقارن بين انتاجها خلال العامين الاخيرين حتى تتضح لنا حقيقة هذا التقدم واهميته

لقد بلغ انتاج هذه الاراضي من محصول القطن في الموسم الماضي مثلا اكثر من ٥٨ الف قنطار وهو يعادل ضعف محصول الموسم السابق .

كما زاد انتاج الموالح بنسبة ٢٥٪ خلال عام واحد ، وكذلك ارتفع انتاج الفول السوداني من ٧٥٠٠ اردب الى ٢٧ الف اردب ..

وهذه الطفرات الانتاجية تعد دليلا قويا على ان الارض الجديدة تتجاوب مع الجهود العلمية المنظمة التي تبذل في ادارتها واستزراعها .

ماذا حققت

وهناك شيء اخر له اهمية خاصة .. ذلك هو ما حققته هذه الاراضي من عائد .. لقد استطاعت ان تدر عائدا ، وتحقق

تحدث طفرة هائلة فى إنتاجية الأراضى الجديدة



عناقيد العنب انتاج الاراضى المستصلحة

ايرادا قيمته ٥ر٨ مليون جنيه فى عام ١٩٧٠/٦٩ كما انها ينتظر أن تحقق ما قيمته ٥ر١٠ مليون جنيه فى عام ١٩٧١/٧٠

ولبيان الاثر القوى للانتاج الهائل الذى يتحقق على هذه الارض نستعرض الدورة الزراعية الصيفية للعام الحالى (١٩٧١) فهى تشمل ٢٥٠ر١٧ فدان قطن و ٨٥٦ر٨) فدان ارز و ٠٠ر١٩ فدان ذرة و ٢٨٣ر١٧ فدان فول سودانى و ١٣١١ فدان سمسم و ٢٠٠ الف فدان كتان صيفى .

وهذا الانتاج مخصص لانتاج البذور الرئيسية لقد بدأت المؤسسة بالتركيز على زراعة مساحات اكبر بالمحاصيل غير التقليدية .

سياسة المستقبل

وقد رسمت المؤسسة سياستها

الزراعية المستقبلة على اساس تطوير وسائل واساليب الانتاج الزراعى على اساس التشغيل الالى ، وكذلك استخدام الميكنة الزراعية على اوسع نطاق اقتصادى ممكن ، على ان يصحب ذلك تطور فى اسلوبه استصلاح الاراضى ذاته ، لكى يتمشى بما يسمح بالتوسع فى الميكنة ، كما يشمل هذا التطور استخدام الوسائل والاساليب المستخدمة فى الزراعة ، وكذلك ادخال محاصيل جديدة غير المحاصيل التقليدية التى تعودناها ..

أن الهدف من كل ذلك اساسا هو الحصول على اكبر عائد اقتصادى ممكن من هذه الاراضى من طريق اسهامها بانتاجها اسهاما فعالا فى توفير الاحتياج المحلى من ناحية ومن ناحية اخرى قيامها بدور حيوى فى الانتاج للتصدير .

المحاصيل غير التقليدية

وتنقسم المحاصيل غير التقليدية التى تتجه المؤسسة الى التوسع فى زراعتها الى ثلاث مجموعات هى :

● **المحاصيل الزيتية** : فقد قامت المؤسسة بوضع خطة خمسية تبدأ من عام ١٩٧١ حتى صيف ٧٦ فى زراعة المحاصيل الزيتية مثل عباد الشمس والقسمرطم والكتان ، وتبدأ هذا العام بزراعة ٦٦٠٠ فدان فى الدورة الصيفية القادمة وتتزايد المساحة حتى تصل الى ٧٩ الف فدان عام ١٩٧٦/٧٥ لتدر انتاجا يصل الى ٤٠ الف طن قيمتها ٣,٢ مليون جنيه . ويصل الانتاج الحالى من هذه المحاصيل الى نحو ٢٩٣١ طنا قيمتها ٢٨١٤٣٩ جنيها .

● **محاصيل الخضر** : وتعمل المؤسسة حاليا على زراعة الخضر بغرض التصدير للاسواق الاوربية فى موسم الشتاء علاوة على الاسهام فى توفير الاحتياجات المحلية ، وقد بلغت مساحة الخضر بالاراضى الجديدة اكثر من ٣١ الف فدان منها نحو ٢٩٧,٥١ فدانا لانتاج الخضر الشتوية و ١٢٩,١٢ فدانا لانتاج تقاوى الخضر و ٥١٠ افدنة لانتاج انواع مختلفة من الخضر للتصدير .

وتقف خطة التوسع بالتدرج فى الزيادة حتى تصل فى عام ١٩٧٦/٧٥ الى نحو ٣١٥ الف طن قيمتها ٦ ملايين جنيه .

وهى تنتج الان نحو ٩١٢٢ طنا قيمتها ٤٥٤٨٤٠ جنيها .

● **المحاصيل البستانية** : وتعتمد خطة التوسع فى البساتين على محصولين رئيسيين هما : الموالح والعنب .. وتستهدف رفع الموالح من ١٥ الف فدان تدر نحو ٧٥٨٤ طنا قيمتها ١٨٩٦٠٠ جنيه الى ٤٠ الف فدان فى عام ١٩٧٦/٧٥ بهدف تغطية السوق المحلية من الانتاج الطازج بالاضافة الى التصدير ويقدر حجم الانتاج فى هذه المساحة فى عام ١٩٨٠ بحوالى ٣٠٠ الف طن .

اما العنب فينتج حاليا نحو ٣٤٩٧ طنا قيمتها ٢٥٩١٢٩ جنيها ويستهدف زيادة مساحته من ١١١ الف فدان الى ٢٤ الف فدان حتى تصل انتاجيته عام ١٩٨٠ الى ١٢٠ الف طن .

الانتاج الحيوانى

اما مشروعات الانتاج الحيوانى فقد اعتمدت الاراضى المستصلحة فى السنوات الاولى من زراعتها على المحاصيل التحسينية مثل البرسيم الحجازى ، والمقاوى ولوبيا العلف والذرة السكرية وقد وصلت مساحة هذه الاعلاف الى ٣٠٪ من الزمام المنزرع وهذه المساحة تتزايد عاما بعد عام نتيجة للتوسع الافقى بدخول اراض جديدة الى مرحلة الاستزراع بعد استصلاحها .

وقد بلغت مساحة الاعلاف فى الدورة الحالية ١٩٧١/٧٠ نحو ١٣٦ الف فدان منها ١٠ الاف فدان محجوزة لانتاج التقاوى للتصدير و ٥ الاف فدان لانتاج الدريس و ١٠ الاف فدان للبيع كمراع خضراء و ١٥ الف فدان تقلب فى الاراضى لزيادة خصوبتها . اما الباقى وقدره (٨٦ الف) فدان فتخصص لمشروعات الانتاج الحيوانى .

وقد بلغت اعداد الماشية بالمؤسسة حاليا ١٦,٣٩١ راسا من حيوانات التسمين و ١٨,٦٩٩ راسا من حيوانات التربية و ١٧,٠٥٨ راس الغنم .

وقد طرح منها فى السوق المحلية خلال شهر مايو الماضى ويونيه الحالى نحو ٨ الاف راس للبيع اسهاما من المؤسسة فى حل مشكلة اللحوم القائمة والاسهام فى خفض اسعارها .

● الغلاف الأول والأخير ●



وجه من سيناء ..
تصميم الفنان حلمي التوني



سيدة من سيناء ..
تصوير الفنان عبد الفتاح عيد

هذه سيناء

● يبلغ تعداد سكان سيناء حوالى ١٠٦ الاف نسمة تتكون من ٩٠٥ه اسر و ١٦ قبيلة .

● سيناء مقسمة الى خمسة اقسام ادارية هي :

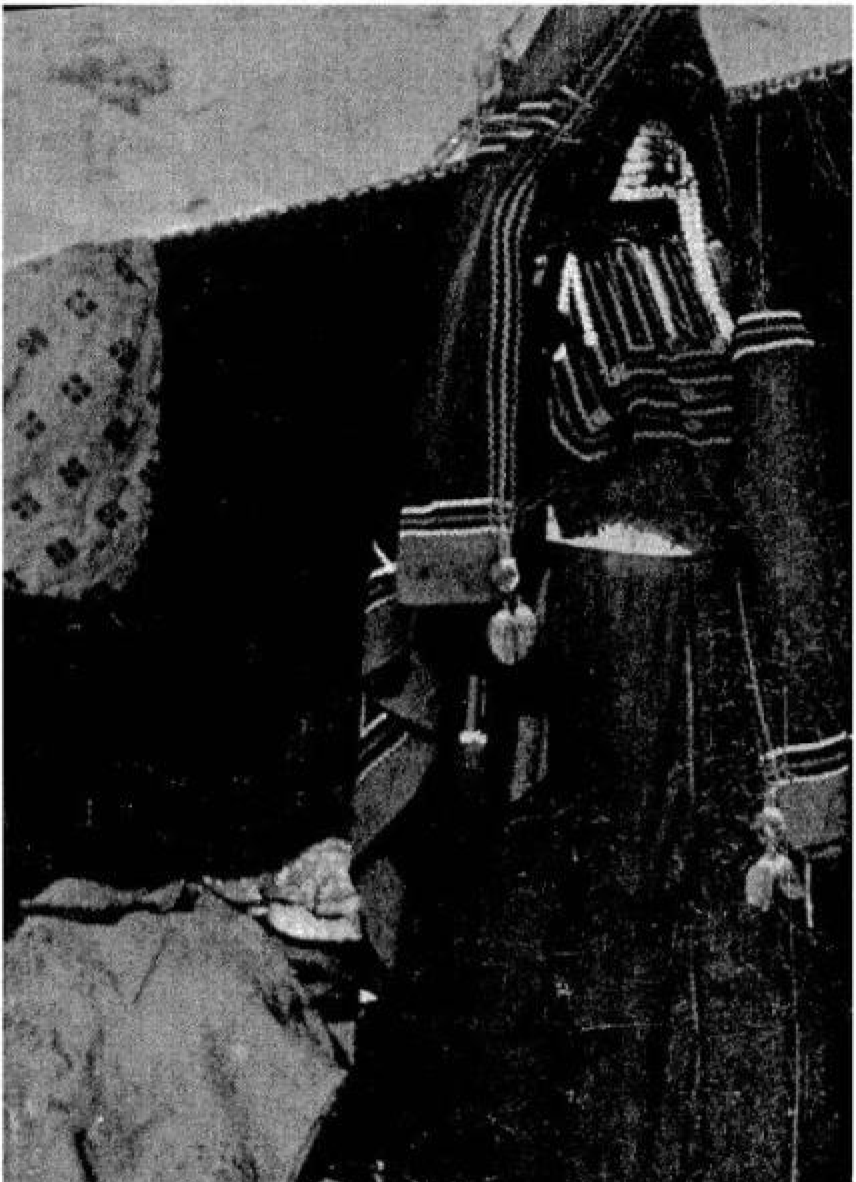
- القنطرة شرق وعاصمته القنطرة
- سيناء الشمال وعاصمته العريش
- سيناء المتوسط ورياسته في العريش
- مركز الشط ورياسته في الشط
- قسم سيناء الجنوبي ورياسته في الطور

● يبدا اول تاريخ رسمي للوجود المصرى في سيناء سنة ٣١٢٥ ق. م، وتوضحه اثار مؤرخة من الاسرة الاولى المصرية .

● يبدا اول تاريخ رسمي للفن المصرى في سيناء سنة ٢٦٨٠ ق. م عندما امر «سنفرو» من الاسرة الثالثة بنحت وجه ايزيس هاتور الهة الحب والجمال وسيدة الفيروز في سيناء .

● دخل الفن المسيحي في سيناء في القرن الرابع للميلاد ، ودخلت معه وحدة الصليب في التركيب التصميمي

● دخل الفن العربي الاسلامي الى سيناء في القرن التاسع الميلادى ، وبدل وجه الحياة




الهلال
أول كوميديا مصرية : دخول الحما
موت ممثلة عظيمة : هيلين ڤيجل
جزء خاص عن المسرح

الهلال

يوليو ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن
دار الهلال العدد السابع
السنة التاسعة والسبعون
– اول يولية ١٩٧١ – ٨
جمادى الاولى ١٣٩١

الاشتراكات

ثمن العدد . فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم – من الكميات المرسلة بالطائرة – فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٢٠ فلسا
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم « خمسة دولارات او ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى « ج.ع.م » – والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب
الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد

دخول الحمام
مش زي خروجه





لورانس ..
بطل أم مجرم ؟



سارتر .. وعبيط العائلة

إبراهيم عامر

ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الوطنية



فى هذه الايام التى نحتفل فيها بالعيد التاسع عشر لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ونقبل على السنة العشرين من هذه الثورة المستمرة الدائمة ، فان العيد يأتى ، ولاول مرة ، فى غيبة قائد هذه الثورة ، الزعيم الخالد جمال عبد الناصر . وهو اول عيد يأتى فى ظل قيادة الرئيس أنور السادات

التحرير والتصحيح

وتبرز فى هذه المرحلة من تاريخ الثورة قضيتان رئيسيتان :

الاولى :

هناك جزء من اراضى الوطن واقع تحت الاحتلال الاسرائيلى ، الصهيونى الاستعمارى وهذا الجزء من ارض الوطن مهدد بتغيير طبيعته البشرية والسياسية نتيجة للاعمال العسكرية ، التوسعية والاستيطانية ، التى يقوم بها العدو الاسرائيلى منذ اكثر من أربع سنوات .

وهذا الاحتلال لشبه جزيرة سيناء ، وخاصة لموقع شرم الشيخ ، لا يمثل اعتداء مستمرا على سيادة مصر واستقلالها فحسب ، بل ويخلق تهديدا خطيرا دائما لامن وسلامة الوطن والمواطنين جميعا ، من أسوان الى الاسكندرية .

وهناك قناة السويس ، الملكية الوطنية للشعب المصرى ، مغلقة ومعطلة فى وجه الملاحة الدولية . والقوات الاسرائيلية ترابط على ضفتها الشرقية . وقد تم تهجير سكان مدنها الثلاث الرئيسية : السويس ، والاسماعيلية ، وبور سعيد ، الى داخل البلاد حتى لا يكونوا بمثابة « رهائن » لدى العدو .

وهناك اراض عربية أخرى محتلة ، فى المرتفعات السورية ، وفى الضفة الغربية للاردن ، وفى غزة ، ولم يغتصب الاسرائيليون الحقوق الوطنية لشعب فلسطين فحسب ، بل واصبحوا اليوم غاصبين لكل اراضى وطنه اسرائيل .

الثانية :

هناك حركة تصحيح داخلية شاملة لمسار الثورة ، ولنمط العلاقات السياسية بين أجهزتها المختلفة ، وبين هذه الاجهزة السياسية والتنفيذية ، والجماهير .

وهى حركة تصحيح تقوم على أساس توسيع قاعدة الحرية السياسية ، وتصفية مراكز القوة . ويصحبها بالضرورة قدر ملموس من الصراع الفكرى الاجتماعى ، كما تصحبها مشاركة واسعة من جانب فئات وقوى مختلفة .

لكن هناك قضية اساسية تربط بين هاتين القضيتين الرئيسيتين . وهى قضية الوحدة الوطنية .

فالوحدة الوطنية هى الدرع الواقى لمواجهة العدوان الاسرائيلى وتحرير



ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الوطنية

الارض المحتلة ، وهى الضمان الراسخ لمضى حركة التصحيح فى طريق يدعم الثورة .

انهاء السلطة الشخصية

ومنذ البداية كان الهدف الرئيسى لثورة ٢٣ يوليو ، هو تأكيد وتدعيم الوحدة الوطنية .

وفى ظل ظروف تلك الايام من عام ١٩٥٢ ، فقد كان من اهم مظاهر ضعف الوحدة الوطنية قيام السلطة على اساس وراثى شخصى اسرى ، هو الاساس الملكى

وكان عزل الملك « نزولا على ارادة الشعب » بداية — فى حد ذاته — لالغاء النظام الملكى كله . ثم كان الغاء الملكية الغاء تاما واعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، اى بعد اقل من عام من قيام الثورة ، تحولا جذريا فى طبيعة سلطة الدولة المصرية ، ولاول مرة فى تاريخ البلاد الممتد بطول اكثر من خمسة الاف سنة

ان قيام النظام الجمهورى فى مصر كان معناه سقوط النظام الفردى الوراثى . كان معناه ان تولى حكم مصر لم يعد مقصورا على من له الحق الاسرى الشخصى ، يفرض نفسه على الشعب ، ولا يملك الشعب الا القبول والرضوخ .

أى ان السلطة الفردية الوراثية سقطت بسقوط الملكية . واصبح حكم مصر امكانية عامة لكل ابناء الشعب ، يتم بالاختيار والانتخاب . ومقياس الاختيار والانتخاب هو مقياس عام للمواقف ، وليس مجرد مقياس خاص للاشخاص .

عندما يشعر جميع المواطنين بأن فى قدرة أى واحد منهم ان يصبح حاكما للبلاد ، كرئيس للجمهورية ، أو أن يقرر بصوته من الذى يمكن أن يكون رئيس الجمهورية الحاكم ، فان حاجزا هاما من الحواجز التى تفصل بين الحكام والمحكومين يزول ، وتتأكد الوحدة الوطنية بين اولئك وهؤلاء .

على أن رواسب الحكم الشخصى الفردى ظلت قائمة حتى بعد سقوط النظام الملكى ، وقد عبرت من نفسها ، خلال مراحل الثورة المختلفة ، فى ظهور مراكز القوة ، وفى تكون الشللية والتكتلية بل وفى ظهور دور العلاقات الاسرية فى تكوين علاقات الحكم فى الاجهزة التنفيذية والسياسية ، ولفترة من الزمن كان مقياس الاخلاص

والولاء يعلو على مقياس العمل والكفاءة . وكان من شأن ذلك اضعاف الوحدة الوطنية .

لكن قضية الوحدة الوطنية ليست قضية حكم فحسب ، وانما هي أيضا قضية تحرير وتحكم في بنيان العلاقات الاجتماعية في الوطن . ولا يمكن تصور قيام الوحدة الوطنية الاختيارية الحقيقية الا على أساس تذويب الفوارق في القدرة على اتخاذ القرارات والتحكم الاجتماعي .

ومن هنا ، فقد كان لابد وان تكون الخطوة الثانية بعد عزل الملك ، في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، اصدار أول قانون للاصلاح الزراعي لتحقيق هدفين مزدوجين : توسيع مجال تكافؤ فرصة ملكية الأرض أمام اكبر عدد من أبناء الشعب من الفلاحين ، والملكية هي مصدر أي سلطة ، وتصفية السلطة السياسية لكبار الملاك بما يكفل تحرر صوت الفلاح .

وكما كان عزل الملك انهاء للحكم الوراثي الشخصي الأسري في قمة السلطة ، فان اجراءات تصفية كبار ملاك الارض كانت انهاء للسيطرة الشخصية الاسرية الوراثية الى حد كبير .

وكما سقطت قدسية الملكية بسقوط الملك ، سقطت قدسية الملكية بسقوط كبار ملاك الارض .

ثم كانت الخطوة الثالثة الضرورية هي حل الاحزاب المتعددة ، التي كانت ذات قيادات لا تعمل لحساب الوطن بقدر ما تعمل لحساب الاحتلال ، ولا تخدم جماهير الشعب ، وخاصة من الفلاحين ، بقدر ما كانت تخدم أقلية من كبار الملاك المرتبطين ارتباطا اقتصاديا وعضويا مع المستعمرين ، وخاصة من طريق القطن وبنوك الائتمان الزراعي والعقاري الأجنبية

وتوالت بعد ذلك ، وعلى طوال سنوات الثورة ، اجراءات محاولة توسيع قاعدة السلطة ، واهمها النص على نسبة الخمسين في المائة على الاقل من العمال والفلاحين في جميع المجالس المنتخبة .

« سلطة الشعب »
بين النظرية والتطبيق

على ان عزل الملك ، وتصفية سلطة كبار الملاك ، وحل الاحزاب ، وضمان نسبة النصف على الاقل من العمال والفلاحين ، ورفع شعار «كل السلطة للشعب»

ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الوطنية



لم تكن سوى اجراءات مضادة لما كان قائما . وكان لابد بعدها من اتخاذ اجراءات ايجابية لملء الفراغ الذى خلفته وراءها فئات السلطة القديمة .

وتحت شعار « السلطة للشعب » بدأت تلك الاجراءات .

لكن الشعب ـ أى شعب ـ ليس كلا متجانسا ، وليس قوة فعالة بطبيعتها . ان الشعب يحتاج الى توفر ظروف موضوعية لتحقيق تجانسه ، واهمها ظروف تذويب الفوارق المادية والثقافية بين فئاته المختلفة وقواه العاملة . ويحتاج الشعب الى توفير ظروف ذاتية لكى يصبح فعالا ، واهمها ظروف اعادة اكتشاف الذات وتربية النفس بممارسة السلطة فعلا .

ولفترة كانت الدعوة الى الوحدة الوطنية دعوة الى تجميد عدم التجانس وعرقلة توفر الظروف اللازمة للفاعلية الشعبية . وكانت الدعوة الى الوحدة الوطنية احيانا ستارا للمحافظة على الفوارق المادية والثقافية ، ولتثبيت حركة التطور عند نقطة معينة . وفى لحظات كانت الدعوة الى الوحدة الوطنية تبدو وكأنها النذير بخطر زوال تلك الوحدة .

لكن من الانصاف لشعب مصر ان نقول انه لم يكن مهددا فى يوم من الايام فى وحدته الوطنية . ولم تكن القضية بالنسبة له قضية وجود او عدم وجود الوحدة الوطنية ، بقدر ما كانت قضيته مدى فاعلية هذه الوحدة الوطنية ، قوة او ضعفا ، ونوعية العناصر المكونة لعلاقات هذه الوحدة الوطنية .

وان مصر هى اول امة فى التاريخ عرفت الوحدة الوطنية .

ذلك لان الوحدة الوطنية ، سواء من ناحية السلطة أم من ناحية المجتمع ، قد قامت فى مصر منذ القدم المعهود . وهى قد قامت على اساس وحدة طبيعية هى وحدة نهر النيل . ونهر النيل هو المصدر الحيوى لمياه الرى التى يعتمد عليها الانتاج الزراعى ، وهو الانتاج الاساسى للوجود البشرى لانه مصدر الطعام .

وكان نهر النيل ، منذ وقت بعيد ، وسيلة المواصلات والاتصال بين نواحى البلاد قبل ان تعرف الدروب والطرق . اى انه كان ، ولا يزال بهذه الدرجة او تلك ، مصدر توحيد معاشى واتصالى بين المجموعات البشرية التى تعيش فى واديه .

وباعتبار النيل مصدر الحياة لجميع المصريين ، فانه استلزم قيام سلطة واحدة ومرحدة لتوفير وتنظيم وتوزيع مياهه باكبر قدر ممكن من العدل والمساواة بين الجميع .

وعرفت مصر ، قبل غيرها ، قيام الدولة المركزية التي لا تمارس دورا سياسيا فقط ، وانما تمارس دورا اقتصاديا انتاجيا رئيسيا ، هو دور توفير اهم عناصر الانتاج واعادة الانتاج الزراعي ، كما تمارس بالتالي دورا في تحقيق القدر المطلوب من التضامن الاجتماعي .

ومن هنا كانت الرابطة بين المواطنين والدولة ، لا على اساس الخضوع السياسي الولائي بقدر ما كانت على اساس التضامن والتكافل الاقتصادي والاجتماعي الانتاجي . وعرف المصريون ، طوال معظم تاريخهم ، بشعورهم العميق بواجبهم تجاه الدولة ، وبواجب الدولة تجاههم . وتعمق في نفوسهم الترابط السياسي على اساس من المصالح الاقتصادية والاجتماعية .

اي ان سلطة الشعب تاريخيا في مصر هي الوجه الاخر لسلطة الدولة وسلطة الدولة هي الوجه الاخر لسلطة الشعب والوحدة الوطنية هي في الواقع وحدة بين الشعب والدولة وبين الدولة والشعب ، لانها مبنية على اساس واحد هو وحدة الحياة .

ومن الملاحظ ، طوال تاريخ مصر ، ان الغزاة الاجانب كانوا يهدفون اول ما يهدفون الى تحطيم الوحدة الوطنية على اساس هدم ركائزها الطبيعية والاصيلة ، كان الغزو الاجنبي يعني باسقاط سلطة الدولة المصرية ، واحلال سلطته محلها وخاصة في مراكز السيطرة على الري .

ونحن نعرف كيف كان الغزاة الاجانب لمصر يهملون مشروعات ضبط مياه النيل ويهملون صيانة منشآت الري من ترع وقنوات ، مما كان يؤدي في كثير من الاحوال الى انتشار المجاعات والاوبئة . الامر الذي يخلق روح الفردية المتنازعة ، ومنازعات الانانية الذاتية .

ولم تكن مجرد مصادفة ان معركة « السد العالي » هي المثل الرائع في تاريخ الثورة المصرية المعاصرة على الوحدة الوطنية . ولم تكن مصادفة



ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الوطنية

انه عندما قررت أسرائيل ضرب الجبهة الداخلية ، أى ضرب الوحدة الوطنية فى اوائل عام ١٩٧٠ ، ان اتجهت الى محاولة ضرب بعض منشآت الرى على النيل .

واذا كان للوحدة الوطنية المصرية هذا البعد التاريخى الاصيل ، فان ذلك التاريخ ذو مضمون اقتصادى ـ اجتماعى ـ ولم يحدث ان كانت الوحدة الوطنية راسخة فى أى وقت كانت فيه مصادرها الطبيعية غير موزعة توزيعا عادلا على الجميع .

ومن ثمة ، فلسنا ننقل عن احد غيرنا او من واقع غير واقعنا ، اذا قلنا وأكدنا القول بأنه لا وحدة وطنية فى بلادنا بدون عدل اقتصادى ـ اجتماعى واذا كانت سلطة الشعب فى مصر تتجسد تاريخيا فى سلطة الدولة ، فانها تتجسد بالقدر ذاته فى سلطة البنيان الاقتصادى ـ الاجتماعى .

واية محاولة لتفريغ الوحدة الوطنية المصرية من مضمونها الاقتصادى الاجتماعى هى محاولة محكوم عليها بالفشل ، لانها محاولة ضد التاريخ .

واذا طبقنا هذه القاعدة على ايامنا هذه . فان تأكيد الوحدة الوطنية يقتضى بالضرورة تأكيد سلطة دولة الشعب وتأكيد عدالة توزيع الثروة القومية على جميع ابناء الشعب ، ومقياس العدل هو ان يحصل من عنده الاقل على اكثر ممن عنده الاكثر ، وان يتحمل الاقدر أعباء من التضحية وانكار الذات والتقشف اكثر مما يتحملها الاقل قدرة .

مواجهة الخطر المشترك وبنيان العلاقات

وفى المرحلة الراهنة ، فان الوحدة الوطنية لازمة بالدرجة الاولى لمواجهة الخطر الخارجى الذى يهدد مصادر ثروتنا القومية .

وهذا الخطر يتمثل اساسا فى الاحتلال الاسرائيلى لجزء من اراضينا ، أى لجزء من مصادر ثروتنا القومية ، بالاضافة الى ما يحمله استمرار هذا الاحتلال من اخطار على المصادر الاخرى لثروتنا القومية .

والاحتلال الاسرائيلى تأثم لان الاستعمار ، أى الاستغلال الاحتكارى العالمى ، الامريكى ، يسنده ويسانده

حتى أصبحت الولايات المتحدة ـ بعونها العدوى ـ شريكا في احتلال اراضينا .

ومقياس الوحدة الوطنية في هذه الحالة هو الموقف من قضية تحرير الارض . وهى قضية تستلزم ـ بالضرورة ـ وضوح الرأى فيمن هو العدو ؟ ومن هو الحليف ؟ ومن هو الصديق ؟

والعدو هو اسرائيل ، ومن ورائها الاستعمار الجديد بزعامة الولايات المتحدة .

والحليف هو الاتحاد السوفييتى ، والى جانبه كل الدول والقوى الاشتراكية

والصديق هو كل من يمد يده من تقديم المساعدة والتأييد للعدوان والتوسع الاسرائيلى حتى لو لم يساعدنا ويؤيدنا .

لكن اساس الوحدة الوطنية ، وهو المصالح المشتركة والخطر المشترك ، يقيمها ولا يضمن فاعليتها .

والذى يضمن فعالية الوحدة الوطنية هو صيغة العلاقات القائمة بين مختلف القوى الموحدة والمتحدة فى اطارها .

والثورية فى الواقع ، هى علم وضع الصيغة المناسبة ، زمانا ومكانا ، للعلاقات بين كل العناصر المكونة للوحدة الوطنية .

ان الامة تضم فى اطارها عناصر عديدة ذات أبعاد تاريخية ـ اجتماعية مختلفة انها تضم الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية . وكل قوة من هذه القوى تضم فئات ومستويات ومراتب متفاوتة . والوحدة الوطنية لا تتحقق بين كل هؤلاء الا اذا وضعنا فى الاعتبار صيغة العلاقات بينهم جميعا على أن تكون علاقات غير عدائية وغير تصادمية .

لكن الامة المصرية عرفت فى تاريخها كتلتين اساسيتين : كتلة قواتها المسلحة وكتلة الجماهير الشعبية .

والجيش هو القطب الرئيسى للبنيان الوطنى الاستقلالى للدولة المصرية . ولا يمكن التنبؤ بأى شيء اذا لم يوضع فى الاعتبار الدور الاساسى للقوات المسلحة سواء فى تحرير الارض المحتلة ، أو غداة التحرير الذى لاشك فيه .

ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الوطنية



اما الجماهير الشعبية ، لقد كان لها دائما دور المبادرة ، وكانت محور المسيرة الوطنية فى كل تاريخنا الحديث ، وشعب مصر ، بطبيعته التاريخية وبأوضاعه الاجتماعية لايمكن الا ان يكون شعبا ثوريا مناضلا ، ولا يمكن ان يقبل الاستبداد والاستعباد والاستغلال .

على ان السؤال الاهم هو :

كيف يمكن التوفيق بين ضرورة الوحدة الوطنية بين الشعب والدولة ، وبين الجماهير والقوات المسلحة ، وبين فئات الامة الاقتصادية ـ الاجتماعية المختلفة ، والتنشيط الضرورى للآراء المختلفة ، السياسية والاجتماعية والفكرية ؟

وهذا السؤال كان مطروحا دائما امام ثورة ٢٣ يوليو منذ قيامها حتى اليوم .

وثمة الصيغة الحالية للرد عليه .

وهى صيغة خلق اطار جديد ، على المستوى السياسى والنقابى والتنفيذى ، يكفل الاتساق المطلوب لضمان عقلانية العملية السياسية ، وحريتها ، وشرعيتها .

وهذا الاطار اقتضى ، اولا ما اقتضى التمسك بالعمل الوطنى الجذرى ، اى التمسك بالعمل التحررى الوطنى الديمقراطى الاشتراكى ، وتعميقه على اساس الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس ، وبيان ١٠ يوليو ، والوثائق الرئيسية للحياة الوطنية المصرية .

وهو قد اقتضى تدعيم السلطة الحقيقية فى يد قوى الشعب العامل ، كفالة صحة تمثيل العمال والفلاحين ، وشرعية هذه السلطة قانونا وعدلا ، وحمايتها من اى عدوان يقع عليها من جانب الاجهزة والبيروقراطية .

واقتضى هذا الاطار اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى حتى يصبح مجالا حقيقيا لاعمال الجدل الاجتماعى والفكرى ، وبلورة الاتجاهات السياسية والتنظيمية داخله ، وخلق حياة سياسية سليمة ،

وها هى ثورة ٢٣ يوليو تدخل عامها العشرين ، وتدخل معه مرحلة جديدة من مراحل تدعيم الوحدة الوطنية بالاشتراكية والديمقراطية .. مع استمرار اليقظة والحذر من اية انحرافات او اخطاء او فلتات .. ومع اطلاق حرية النقد والنقد الذاتى ، فى ظل العقلانية والشرعية الاشتراكية .

أحمد البديني



لورانس الجزيرة العربية بطل أسطوري

المؤرخون العرب القلائل الذين ناقشوا سيرة حياته لا يشكون في انه كان مجرد جاسوس وان الغاية القصوى لمهمته السرية في بداية حياته اخضاع منطقة الشرق الاوسط كلها للسيطرة الاستعمارية البريطانية .

ولكن الكولونيل لورانس ، او لورانس الجزيرة العربيـــة الذى توفى عام ١٩٣٥ ، كان شيئا مختلفا جدا عند مواطنيه .. فلقد رآه ابناء جيلين متعاقبين منهم على انه النموذج الفذ للبطل الانجليزى الامبراطورى ! ذلك الانســان المتجرد ، الحكيم ، ذو العقل المتصف ، وصاحب القلب الشجاع .. ذلك الانسان الذى يحمل اعباء بلاده في الشرق الاوسط ويقود « العرب الاوفياء » في طريق النصر والتحرر من ربقة الاتراك وهو يتحرك في أوســاط الملوك والشعراء واهل العلم والفكر وقادة الجيوش ووفود الدولة ، ثم يتاى من اضواء الحياة وبريق المجد ليـدفن نفسه كجندى عادى في صفوف الجيش لانه يكتشف ان العرب كانوا ضحية لخيانة مديرة وان الوعود التى قدمها لهم لم تنفذ بل ولم يكن مقـدرا لها ان تنفـذ قط ! ثم ها هو ذا لورانس ـ العربى الابيض وامير مكة وملك دمشق غير المتـوج ـ يموت آخر الامر وحيدا ، مستوحشا ، منطويا على جروح قلبه النازف كما يموت الابطال في ملاحم الاغريق !

ويا لها من اسطورة !

لقد جعلت من لورانس ، وهو شـاب في منتصف عمره ، اشـهر انجليزى في هذا القرن بعد « ونستون تشرشـل » . اذ يقام له تمثال نصـفى بكتـدرائية « سانت بول » الى جوار تمثالى « نلسون » و « ولنجتون » . ويتحول بيته في كلوندز هيل بمقاطعة دورست الى مقام يحج اليه ـ اما كتابه « اعمدة الحكمــة السـبعة » الذى يروى فيه قصة « الثورة العربية » فقد أصبح من اكثر المؤلفـات الانجليزية ذيوعا ، ويؤلف عنه ما يربو على ثلاثين كتابا باربع لغات ، ويلقى فيلم « لورانس الجزيرة العربية » اقبالا منقطع النظير في تاريخ صناعة السـينما العالمية .

كيف ولدت اسطورة لورانس ؟

وكيف نمت واستقرت في اعماق شعب لم يوصف ابدا بانه شعب رومانسى ؟ وكيف استطاع هـذا الرجل الصــغير ان يمارس نفوذا طاغيا على رجال من طراز تشرشل وبرنارد شو ؟ وهل كان تشرشــل يعرف ما يفعل أو يعنى ما يقول عند ما بكى في جنازة لورانس واصفا اياه بانه « .. واحد من اعظمــم الاحياء في عصرنا .. » وقائلا عنه : « .. اننا لن نرى قرينا له مرة ثانية .. » ؟

ان كل ما نشر او اعلن عن لورانس ، سواء باقلام عربية او غربية ، لم يكن يقدمه الا في صورة ناقصة ومبتورة . وذلك لاسباب ثلاثة :

أم جاسوس استعمارى ؟

أولها : ان الكثير من أوراقه الخاصة أودع عقب وفاته بمكتبة « البودليان » ، باكسفورد ، على أن تبقى سرا مطويا حتى عام ....؟

وثانيها : ان بعض الذين عرفوه معرفة وثيقة آثروا التزام الكتمان لبواعث شخصية .

وثالثها : لأن ستارا من الصمت الرسمي أسدل على نشاطه الواسع باعتباره عميلا سريا .

وحدث مؤخرا ان تكلم رجل كان يحمل مفتاح الجانب السري من حياة لورانس . فلقد سمح أخوه « البروفسور لورانس » لمحررين بمجلة « الصانداى تايمز » اللندنية بالاطلاع على الوثائق المودعة بمكتبة البودليان . وحدث أيضا ، وفي فترة مقاربة ، ان رفع الحظر عن وثائق حكومية سرية معينة . من ذلك كله بدأ هذان المحرران ، وهما « فيليب نايتلى » و « كوليد سيمبسون » ، في اجراء تحقيق تاريخي جاد اضطرهما للتنقل بين عدد من عواصم العالم . وسرعان ما برزت صورة جديدة غاية الجدة ، واذا بحياة لورانس تنقسم الى أربع مراحل :

في المرحلة الأولى : يتلقى تدريبه كعميل سري متظاهرا بالتنقيب عن الآثار في آسيا الصغرى . وفي الثانية : مناوراته للحيلولة دون وقوع الشرق الأوسط تحت السيطرة الفرنسية وضمان السيطرة البريطانية عليه . ويدخل في هذه المرحلة دوره في « ثورة الصحراء » ودوره في تأسيس ما سيعرفه التاريخ باسم دولة اسرائيل ! والمرحلة الثالثة : تتضمن محاولاته المتعددة بعد الحرب العالمية الأولى للهرب من الأضواء وفيها يلتحق بسلاح الطيران الملكي كعامل فني ثم يلتحق بسلاح الدبابات كجندي بسيط . والمرحلة الرابعة والأخيرة : هي السابقة على وفاته وكانت تفاصيلها مجهولة تماما حتى الآن .

في هذه المراحل الأربع تظهر ، على التعاقب ، شخصيات أربع : البروفسور هوجارث — الأستاذ بجامعة اكسفورد وأعظم خبير بريطاني في شئون الشعوب الآسيوية والعربية — يلقنه أسرار الجاسوسية ويراجع معه الأساليب والوسائل لتحقيق مطامع الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق الأوسط .

ويأتي بعده « س . أ » الشخص الغامض الذي أهدى اليه ، وربما اليها ، كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » — ثم « جون بروس » .. الأداة التي استخدمها في تعذيب نفسه للرط ما ذاعه بعد الحرب من احساس بالفشل والجرم . وفي المرحلة الرابعة والأخيرة تدخل في حياته « شارلوت » زوجة برنارد شو لتكون له بمثابة الأم ولتعينه على تفهم ذاته وتقبل مصيره .

* * *

وبعد ..

فان كتاب « الحيوات السرية للورانس الجزيرة العربية » لا يميط اللثام عن حقيقة الدور الخادع الذي لعبه لورانس فحسب ولكنه انما يقدم صياغة جديدة لحقبة حاسمة من تاريخنا المعاصر . ذلك انه لم يعد ثمة مراء في أن لورانس كان مكلفا بتنفيذ خطة مرسومة بكل دقائقها وبكل تفصيلاتها .. خطة تستهدف تحريض العرب على الثورة ضد الحكم التركي وللاسهام بالتالي في تقويض الامبراطورية العثمانية .. وكانت هذه بالتحديد خطوة ضرورية لفرض السيطرة البريطانية على فلسطين وانفتاح الباب على مصراعيه لاقامة دولة اسرائيل ! ..

ولقد كان لورانس ، العميل المزدوج ، على علم شامل بأبعاد دوره . وكان يعرف منذ اللحظة الأولى ان الجيش العربي بقيادة الأمير « فيصل » سوف يشارك بالقسط الأوفر في فتح فلسطين — وقد دخلها بالفعل قبل جيش اللنبي — لكي تسلم فيما بعد ، غنيمة باردة ، للصهيونية العالمية . أما سائر الأراضي العربية في آسيا فان اتفاقية « سايكس — بيكو » تكفلت بتوزيعها بين انجلترا وفرنسا قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بعامين كاملين .

« أ . ب »

لورانس الجزيرة العربية

في اليوم العاشر من يونية عام ١٩١٦ اطلق « حسين » الشريف الاعظم ، رصاص بندقيته على معسكر للجيش التركي في ارباض مكة ايذانا ببدء الثورة العربية .

ومع انطلاق رصاصة « حسين » ولدت اسطورة « لورانس » . وسوف يفيض هو نفسه في كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » في وصف حرب العصابات التي شنها العرب تحت قيادته ضد مواقع الاتراك . ولكن له وجها لم يكشف عنه أبدا . فالحقيقة العارية هي ان لورانس كان يرافق القوات العربية « ... بصفته ضابط مخابرات سياسيا ملحقا بالامير «فيصل» نجل شريف مكة : وكان عليه ان يظل بعيدا عن الاضواء ـ وتحددت مهمته في السيطرة على مد الثورة بحيث تسير وفقا للمصالح البريطانية » ـ وهذا يعني اقناع العرب بان بريطانيا تعطف ، أكثر من سائر الدول الكبرى ، على الاماني العربية وانها ستحقق لهم كل احلامهم القديمة في نيل الحرية !

وكان « لورانس » يعلم طول الوقت ان السياسة البريطانية ، وقد شارك في وضعها ، تتعارض تعارضا مباشرا وكاملا مع مفهوم العرب للحرية ومع طراز الدولة التي وعدوا بها وحاربوا من اجلها .

ان الاسطورة تصور « لورانس » على انه بطل العرب في معركة الحرية ، كما تصوره مجاهدا من أجل القضاء على نوازع الحقد والبغضاء والفرقة بين القبائل العربية لكي يصنع منها أمة حرة موحدة » والحقيقة التي تكشف عنها تقاريره السرية هي ان مهمته الرئيسية ـ منذ بداية الثورة ـ كانت اخضاع العرب للسيطرة البريطانية والعمل على تعميق انقساماتهم وتبائنهم ! وآية ذلك ما ضمنه تقريره المؤرخ ١٦ يناير عام ١٩١٦ تحت عنوان « سياسات مكة » وفيه يعرض لارائه حول الثورة العربية : « ان نشاط حسين يبدو مفيدا لنا لانه يتفق مع غاياتنا العاجلة وهي تحطيم « الكتلة » الاسلامية وهزيمة الامبراطورية العثمانية وتقويض بنيانها ، ولأن الدول التي سوف يقيمها « حسين » خلفا للاتراك تكون طيعة لنا مثلما كانت تركيا قبل ان تصبح صنيعة للألمان . واذا عوملت « هذه الدول » بالاسلوب الصحيح فانها ستبقى في حالة تخبط سياسي ... »

وهل كانت خديعة العرب تؤرق ضميره حقا !

اننا نقرأ في « أعمدة الحكمة السبعة » قوله بلا مواربة : « اذا انتصرت بريطانيا في الحرب فستكون وعودها للعرب كالورقة الميتة . ولو انني كنت ناصحا شريفا لسرحت رجالي ولمنعتهم من المخاطرة بأرواحهم لمثل هذا . ومع ذلك فان الاماني العربية كانت اداتنا الاساسية لكسب الحرب في الجبهة الشرقية ... »

ثم يعود في موضع اخر ليقرر في صراحة سخرية :

« لقد غامرت بالتضليل لايماني بان عون العرب كان لازما لاحراز نصر رخيص وسريع في الشرق . وخير لنا ان ننتصر وان نخلف وعودنا من ان نمنى بالهزيمة»

* * *

اما وقد بدات الثورة العربية فقد كان على « لورانس » ان ينقب عن أصلح قائد عربي لها .. من وجهة النظر البريطانية .

ومن يكون هذا القائد ؟

ان اظهر مرشح هو « حسين » .. شريف مكة . وكان رجلا مهيبا ، جميل العينين ، عالي الجبهة ، ودودا ، رقيق الحاشية . ولكنه كان ـ كما وصفه هوجارث ـ يتمتع بارادة حديدية . وهو

زعيم عربي ذو مقام ديني كبير لكونه من نسل الرسول ولكونه حارس الاماكن المقدسة في مكة والمدينة . وكانت الاقامة الجبرية قد فرضت عليه في القسطنطينية سبعة عشر عاما قبل ان يعين شريفا أعظم على مكة ، ومن ثم فقد كان يعرف معظم القادة في الامبراطورية العثمانية . وهو فضلا عما تقدم الزعيم العربي الذي يتسامع به المسلمون في خارج البلاد العربية . واذا وافق « حسين » على قبول المساعدة البريطانية والثورة ضد الاتراك لكان ذلك ردا على مناداة سلطان تركيا بالجهاد ضد الحلفاء .. وهي دعوة خليقة باشعال ثورة ملايين المسلمين من رعايا الممتلكات البريطانية والفرنسية والروسية ! !

لذلك كله كان « لورانس » يؤمن بأن « حسين » هو المرشح الأوحد لقيادة الثورة .

وفي مستهل عام ١٩١٦ يكتب لورانس تقريرا سريا مطولا ، لم ينشر من قبل ، ليحدد أهداف الثورة العربية — السياسات والاستراتيجية والتكتيك — بالاضافة الى ما ينبغي ان تكون عليه أهداف بريطانيا بعد الحرب . وجاء في تقريره ما يلي بحروفه : « لا بد لهذه

الحرب ، اذا كان لها أن تسفر عن شيء على الاطلاق ، من القضاء نهائيا على سيادة السلطان (التركي) . ذلك لان قدرة بريطانيا على ان تنصب خليفة جديدا كما نصبت سلطانا جديدا (في مصر) لا تعدو قدرة اليابانيين على فرض «بابا» جديد على الكنيسة الكاثوليكية ! وحتى سلطان مصر لا يستطيع ان ينصب نفسه للخلافة لان تنصيبه سيكون مثارا للريبة بسبب ملابساته معنا .. ان أكثر المطالبين بالخلافة رجحانا ، بعد السلطان ، هو شريف مكة .. »

من الواضح الآن ان بريطانيا كانت ترمي الى السيطرة على الثورة ، وكانت تريد ان تتباطأ في معاونتها ريثما تتبدى هذه الحقيقة للشريف حسين . ومع ذلك فقد اضطرت للتدخل . قبل الأوان ، في اكتوبر عام ١٩١٦ عندما تواترت الدلائل على ان الاتراك يعتزمون المعاودة الخروج من المدينة المنورة بغية الاستيلاء على مكة ودمشق واخماد حركة التمرد .

وفي نفس الشهر وصل الى جدة « رونالد ستورز » السكرتير الشرقي للوكالة البريطانية في القاهرة ، لتفقد احتياجات الثورة تمشيا مع سياسته في تجنيد افضل العناصر الوطنية للعمل لحساب بريطانيا لا ضدها ! ويصف لورانس في « اعمدة الحكمة السبعة » ظروف مرافقته لرونالد ستورز الى جدة بهذه العبارات : « .. كنت اؤمن بأن

عثرات الثورة ترجع اساسا الى سوء القيادة او حتى الى انعدام القيادة .. سواء اكانت عربية ام انجليزية . ولذلك قصدت الى الجزيرة العربية لاتعرف على اعظم رجالاتها . واولهم هو شريف مكة ونحن نعلم انه رجل مسن . وقد وجدت عبد الله ذكيا للغاية ، ووجدت عليا نظيفا للغاية ، ووجدت زيدا باردا للغاية لم ركبت الى داخل البلاد لاقابل فيصل .. ووجدت فيه القائد ذا الحمية المطلوبة ! »

لماذا يعدل لورانس عن رأيه الاول في صلاحية الشريف حسين ؟

يقول لورانس : « ان حسين اذا قرر امرا فمن العبث أن يحاول المرء اقناعه بالعدول عنه » — ولم يكن مخطئا في تقديره لصلابة الشريف حسين . وفي عام ١٩٢١ سوف يحاول ، بلا طائل ، اقناع حسين بالتوقيع على معاهدة مع بريطانيا ؟

انه يرفض ترشيح الامير علي ، الابن الاكبر للشريف حسين ، لانه معتل الصحة ، شديد التقوى ، ولانه خاضع لابيه . وكان زيد ، الابن الاصغر ، في التاسعة عشرة ، ومن أم تركية ، ولم يكن متحمسا لاستقلال العرب ! وهكذا بقي عبد الله وفيصل . أما عبد الله ، النجل الثاني ، فكان مغطوسا بسليقته على سياسة القبائل ، وكان الذراع اليمنى لابيه وعلى الرغم من ولعه باللهو فقد كان ثاقب البصيرة ، ثابت الجنان ، تواقا الى الاستقلال .. ولكنه لم يكن يحب لورانس وكان يشك في نواياه .

بقي امامه الآن الامير فيصل ، ثالث انجال الشريف حسين ، بقامته المديدة ورسامته الباهرة ولباقته ونفوذه الطاغي على رجال القبائل . كان فيصل يعتقد انه قادر على استغلال لورانس لتحقيق

لورانس الجزيرة العربية

الاستقلال العربي ، وكان لورانس « .. موقنا من قدرته على استقلال فيصل لأحداث الانقسام في الكتلة الاسلامية ولتدعيم نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط فايجاد فئتان ، احداهما من الاخرى ، على طرفي نقيض . وبذلك تكاملت عناصر المأساة ، وكان من المحتم ان ينجلي الموقف عن كارثة .. »

* * *

هل كان لورانس يحب العرب ؟

وهل تيمته الصحراء بهوائها النقي وسمائها الصافية ؟ أو هل فتنته البدو بعاداتهم وصراحتهم وبساطة حياتهم ؟

لورانس



ذلك ما تزعمه الأسطورة وتبالغ في تصويره وتخترع له الوقائع اختراعا . ولكن الوثائق قاطعة في أن قلب لورانس لم يعرف شيئا سوى المقت الأسود للأمة العربية . وهو يرتدي ثياب العرب

ويتحدث بلغتهم ويسلك سلوكهم لا لشيء الا ليكون أقدر على التغلغل في الوسط العربي . بل انه يحتقر الأماني العربية ويخشاها — حتى انه يقول في تقرير سري له تحت عنوان « غزو سوريا » : « اذا كنا نريد أن نكون في سلام بجنوب سوريا ، وان نستولي ايضا على جنوب العراق ، وان نسيطر على المدن المقدسة .. فلا مندوحة من أن نحكم نحن دمشق أو ان تحكمها دولة اخرى ، غير اسلامية تكون صديقة لنا ! »

ويختتم تقريره من « سياسات مكة » بهذه العبارات : « ان حسين (شريف مكة) يفكر في أن يأخذ لنفسه ذات يوم مكان الحكومة التركية في الحجاز . واذا كنا نستطيع أن نرتب الامور بحيث يكون هذا التغير مصطبغا بالعنف فاننا نكون قد محونا خطر الاسلام .. اذ سوف ينقسم المسلمون على أنفسهم ، وفي قلب الاسلام ! وسيكون هناك عندئذ خليفة في تركيا وخليفة في الجزيرة العربية .. وسيعود الاسلام ضئيل القدر شأن البابوية أيام كان البابوات يعيشون في آفنيون ! »

وبينما كان لورانس ماضيا في خديعة فيصل والقبائل العربية ، كانت بريطانيا وفرنسا توقعان على اتفاقية سرية عرفت باسمي موقعيها : السير مارك سايكس عن بريطانيا ، والمسيو فرانسوا جورج بيكو عن فرنسا . وهي الاتفاقية التي وصفها المؤرخ العربي جورج انطونيوس بأنها « .. وثيقة مروعة .. وثمرة الجشع في أبشع صوره ! » — وبمقتضى اتفاقية سايكس — بيكو تحصل فرنسا ، بعد الحرب ، على الجزء الأكبر من سوريا واقليم الموصل في العراق . وتستبعد فلسطين من عملية التقسيم : « .. ليكون لها نظام دولي خاص بها ، ولاقناع الصهيونيين بأن الفرصة قد أتيحت اخيرا لتحقيق حلمهم في اقامة وطن قومي لليهود !! » واما العرب فلم تترك لهم الاتفاقية شيئا يستحق الذكر .

وكانت بريطانيا وفرنسا تدركان ان اعلان الاتفاقية يمزق من وجهيهما قناع النوايا الطيبة وقد تتوقف الثورة العربية على الفور . ولذلك عملت على اخفائها الى ان سقط النظام القيصري في روسيا في نوفمبر عام ١٩١٧ واذاع البلاشفة للعالم كل الاتفاقات السرية ، ومن بينها اتفاقية سايكس ـ بيكو .

ويبادر جمال باشا (المعروف بالجزار) بارسال انباء الاتفاقية الى فيصل في خطابات سرية مؤملا اقناعه بانهاء الثورة العربية . ويكتب له جمال بان خطة البريطانيين والفرنسيين هي تقسيم الاراضي العربية كلها وحكمها ، وان حسين قد وقع في شرك نصبه له البريطانيون، وعاد خليفة جمال باشا ، ويدعى هو الآخر جمال باشا الأصغر ، فاوفد رسلا يعرضون على العرب شروطا محددة للسلام .

والمحقق ان لورانس كان يعلم بتفاصيل المحادثات الدائرة لابرام اتفاقية سايكس ـ بيكو منذ عام ١٩١٥ وكان يعلم بما تعنيه الاتفاقية ذاتها بالنسبة لمصير الثورة العربية . والمحقق أيضا انه كان محيطا بتفاصيل العروض التركية من طريق التجسس على اوراق فيصل، ومع انه ينجح في اقناع فيصل بأن الامر لا يزيد عن محاولة تركية لفتح ثغرة فادحة في جبهة الحلفاء ، الا انه لم يستطع ان يمنعه ـ وقد استبد به القلق العميق ـ من اخبار ابيه بالرسائل التركية .

وكم كانت فرحة لورانس عندما تسلم فيصل رد أبيه في برقيته الشهيرة التي قال فيها : **« ان الوعد البريطاني كالذهب .. مهما جلوته بشدة فانه يسطع دائما ! »**

ولسوف يأتي يوم قريب يدخل فيه فيصل على رأس قواته الى القدس ثم الى دمشق وسوف يهتز وجدانه لتحرير العاصمة العربية المتيدة بعد اربعة قرون من الاستعمار التركي .. وعندها يعرف أن وعود بريطانيا لم تكن ذهبا ، وأن سوريا ستكون محمية فرنسية طبقا لاتفاقية « سايكس ـ بيكو » .

ويقال ان فيصل قد دخل مقر قيادة « اللنبي » في دمشق وهو مخضل العينين

ولو قد علم بما يراد لفلسطين .. لبكى ، بدل الدموع ، دما !

* * *

سقطت الامبراطورية العثمانية وتكالبت الدول الحليفة تنهش في أوصالها الممزقة وكأنها كلاب طراد في صيد ثمين . وبدأ الصهيونيون يتصيدون لاقامة « وطن اليهود القومي » في فلسطين استنجازا لوعد بلفور (نوفمبر ١٩١٧) باسم الامبراطورية البريطانية .

ولكن بريطانيا وعدت العرب أولا باستقلال فلسطين ـ وقد مهدت الدماء العربية طريق اللنبي الى القدس ودمشق ، وفقد الجيش العربي عشرين الف رجل ، وفلسطين ـ قبل أي اعتبار آخر ـ أرض عربية منذ نيف وعشرين قرنا !

كيف يتفق وعد بلفور مع التزام بريطانيا للعرب بضمان استقلال فلسطين العربية مقابل وقوفهم الى جانب الحلفاء ضد الاتراك ؟ سؤال ينبغي ان يسبقه سؤال آخر : هل حدث بالفعل أن التزمت بريطانيا باستقلال فلسطين العربية ؟ ولقد احتاج هذا السؤال ، على بساطته ، الى أكثر من نصف قرن من المحاولات الدائبة ، ومن لجان التحقيق، ومع ذلك فان احدا لم يتوصل حتى الآن الى اجابة حاسمة عليه .

ان المراسلات التي دارت خلال عامي ١٩١٥ ـ ١٩١٦ بين السير « هنري مكماهون » ، المعتمد البريطاني السامي في مصر ، وبين الشريف حسين في مكة تمثل الاتفاقيات الاولى بين بريطانيا والعرب حول مستقبل الاراضي العربية. فهل نصت هذه المراسلات على دخول فلسطين ضمن المنطقة العربية أم لا ؟ الأرخون العرب يجيبون بالايجاب .. اما الصهيونيون فيزعمون ان بريطانيا لم تفكر مطلقا في ادراج فلسطين ضمن وعودها للشريف حسين .

ولكن كتاب « الحيوات السرية للورانس الجزيرة العربية » ينشر لأول مرة في التاريخ ـ وثيقة بريطانية بقيت سرا لما يقرب من خمسين عاما . وهذه الوثيقة هي محضر لاجتماع عقدته لجنة مجلس الوزراء للحرب الشرقية

لــورانـس
الجزيــرة
العــربيــة

في لندن بتاريخ ٢٧ نوفمبر عام ١٩١٨ ، وترأس اجتماع اللجنة اللورد كيرزون رئيس الوزراء .

تقول الوثيقة ان اللجنة بحثت مسألة سوريا ، واوشكت أن تنتقل الى مسألة فلسطين . وقدم كيرزون ، كعادته ، عرضا موجزا لموقف حكومته استهله قائلا : « ان وضع فلسطين هو كما يلي : اذا كان لنا ان ننجز التزاماتنا لوجدنا اولا الوعد العام لحسين في اكتوبر عام ١٩١٥ وبموجبه تدخل فلسطين ضمن المناطق التي ألزمت بريطانيا نفسها بأن تكون عربية ومستقلة في المستقبل .. »

ويعلق الكاتبان ـ فيليب نايتلي ، وكولين سمبسون ، على هذه الوثيقة بقولهما : « ان الوثيقة لا يمكن ان تكون أكثر قطعا . فلقد كانت بريطانيا تعلم يقينا انها وعدت العرب أولا بفلسطين كجزء من منطقة عربية مستقلة .. »

وأيا كان الرأي في هذا الجدل الاكاديمي فان « لورانس » كان يعمل في اتجاه آخر « .. فمنذ ان صدر وعد بلفور في نوفمبر عام ١٩١٧ وهو يسعى ملحا في تبديد مخاوف العرب من الاماني الصهيونية ، وكان على رأس الحملة القائمة لاقناع العرب بتقبل الموقف ! »

ان « لورانس » يعبر في أول تقرير له حول هذا الموضوع من ثقته في التأثير على فيصل اذ يقول في رسالة الى كلايتون بالقاهرة : « سوف اتحدث مع فيصل عند ما التقي به ثانية لصالح اليهود ، وسيكون موقف العرب مشوبا بالعطف خلال الحرب على الاقل . فقط أرجو ان تتذكر أنه « فيصل » واقع تحت سيطرة الرجل العجوز . وهو لا يستطيع أن يتعهد باسم المملكة العربية»

أما « هوجارث » ، معلم لورانس ومدير المخابرات العسكرية في القاهرة ، فانه ينشط بدوره ليكون طرفا ثالثا في حملة التأثير على « فيصل » لصالح الصهيونية . وهو يسافر في يناير عام ١٩١٨ ليقابل الشريف حسين لكي يشرح له سياسة بريطانيا حول توطين الصهيونيين في فلسطين . ويقول « هوجارث » في تقريره من المقابلة : « ان الملك لن يقبل اقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين ، ولم تصدر الي اوامر بتحذيره من ان بريطانيا تفكر في اقامة هذه الدولة ! »

وهكذا يرح الخفاء ، لقد نقضت بريطانيا وعودها للعرب . ولن تكون فلسطين عربية ولا مستقلة . بل انها سوف تكون منحة بريطانية للحركة الصهيونية لاقامة دولة اسرائيل !

تلك هي خطة بريطانيا ، وتلك هي الاهداف التي اليطت بعملائها في المنطقة، واولهم « لورانس » لنفوذه الخارق في المعسكر العربي . ويدعمها « هوجارث » الى حد انه يوصي حكومته باستعمال القوة ضد العرب ولم تجف بعد دماؤهم المراقة في سبيل الحلفاء ـ وهو يمضي في تقريره قائلا : « .. لا مناص من ان تفرض بريطانيا تعهدها للصهاينة بواسطة القوة ! » .

ويسعى « لورانس » لتدبير لقاء بين فيصـــــل ووايزمان ، زعيم الحركة الصهيونية ، في فندق كارلتون بلندن، وكان لورانس قد تقابل مع وايزمان للمرة الاولى ، في فلسطين عقب سقوط القدس وأعجب به أعجابا عاما . ... هو ذا يوفق ، بمباركة كاملة من الحكومة البريطانية ، في أن يجمع بين فيصل ووايزمان وفي ان يقدم للزعيم الصهيوني خطة جديدة للشرق الأوسط .

ولم تكن اجتماعات الكارلتون سوى حلقة الختام لمحادلات سابقة بين فيصل والصهاينة بدأت قبل انتهاء الحرب » ففي ؛ يولية عام ١٩١٨ قصد وايزمان الى العقبة ليقابل فيصل وليقول له : انه « .. اذا كان يريد أن يشيد مملكة عربية قوية وغنية فاننا نحن اليهود قادرون على معاونته .. ونحن وحدنا . وسنكون جيرانه ، ولن نشكل خطرا عليه لاننا لسنا دولة قوية ولن

لــورانـس الجزيـرة العربيـة

تكون ! ! » واستمر الصهيونيون طوال العام اللاحق لهذه الزيارة يحاولون التوصل الى اتفاق مع فيصل مستغلين حاجته الماسة للمال .

انعقد الاجتماع الاول بفندق كارلتون، في ١١ ديسمبر ، بعد وصول فيصل الى لندن بيوم واحد . وحضره لورانس ، كمترجم . ولم يعلم به واحد من اتباع فيصل او مساعديه . وقد كان وايزمان اول من تحدث عن وجود اتفاق في عام ١٩٣٦ الا انه لم يذكر شيئا عما دار من مباحثات .

واستهدف اتفاقية الكارلتون ، بكل اختصار ، ارضاء الاطراف الثلاثة جميعا : بريطانيا تحصل على الوصاية والصهيونيون يحصلون على حق الدخول

فيصل بن الحسين



والتوطن وعلى نصيبهم في الحكومة ، ويحصل فيصل على اموال يهودية للتنمية وعلى مساندتهم في مؤتمر السلام.

على انه حدث في ٣ يناير - اليوم المحدد لتوقيع الوثيقة الفعلية - ان ثارت عقبات لم تكن في الحسبان . وطبقا لما قاله لورانس لأرنولد توينبي (المؤرخ الكبير وعضو الوفد البريطاني الى مؤتمر السلام) حاول وايزمان ان يضمن مسودة الوثيقة عبارتي « الدولة اليهودية » و « الحكومة اليهودية » - وامر فيصل ، عند ما قرأها لورانس عليه ، على استبدال العبارتين « بفلسطين » و « حكومة فلسطين » ؛ كما امر على ان يضيف تحفظا باللغة العربية في اسفل الصفحة الاخيرة من وثيقة الاتفاق . وكتب لورانس هذه الترجمة الانجليزية العربية للنص المتحفظ : « اذا استتب الامر للعرب حسب طلبي في مذكرتي بتاريخ ؟ يناير الى وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية ، فسوف انفذ ما جاء بهذه الاتفاقية . واذا طرأت تغييرات فلن اكون مسئولا عن عدم تنفيذها » - ثم ارفقت الترجمة بأصل الاتفاقية باعتبارها الصفحة رقم خمسة ، ووقع عليها كل من وايزمان وفيصل

وقد اكتشف المؤرخ العربي انطونيوس تباينا ملحوظا بين ترجمة لورانس وصيغة تحفظ فيصل اذ يقول النص العربي : « .. شريطة ان يحصل العرب على الاستقلال .. » - ويضيف النص العربي بتحديد اكبر : « .. فلن اكون عندئذ مقيدا بكلمة واحدة مما جاء في هذه الاتفاقية التي تعتبر لاغية وبلا اثر او مفعول .. »

والفارق بين النص الاصلي والترجمة لا يحتاج الى بيان .

ان لورانس يضيف جريمة التزوير الى قائمة جرائمه . وغايته ان يحصل على توقيع فيصل بأي ثمن .. فالمهم هو ان تتقدم بريطانيا بوثيقة اتفاق بين العرب والصهاينة الى مؤتمر السلام . وما دامت بريطانيا تحكم فلسطين ، وما دام الطريق مفتوحا للهجرة الصهيونية ، فان مهمة لورانس - العميل المزدوج - تكون قد تمت !

د. أمين العيوطي

سيظل اسم جورج لوكاتش على الدوام رمزا لهذا التكامل المذهل بين الفكر والوجدان ، بين العمق والرصانة والرحابة وبين الحس الفني الاريب . فليست هنالك درجة من درجات الرقي الانساني تفوق تلك الوحدة العميقة الوثيقة وليس هناك في عالمنا المعاصر من يضارع لوكاتش في تلك الخلفية الثقافية العريضة التي تمتد فتشمل الاداب والفنون الانسانية في كل بقعة من بقاع اوربا وامريكا على امتداد التاريخ الادبي كله : ولكنها ايضا خلفية يقيسها على الدوام بمعيار واحد ، ومن زاوية رؤية محددة صريحة وواضحة ، وهو معيار يستمده من الفكر الاشتراكي الذي يشكل رؤية لكل عمل فني على حدة ، ولكل الحركات الفنية على اختلاف ضروبها . وليس من الغريب على رجل تشرب روح الفكر الاشتراكي وكرس حياته لعلم الجماليات أن نجد في نقده للفن وتحليله له هذا المزيج المدهش من التناول الفني للقضايا الفكرية ، والتناول الفكري للقضايا الفنية ، بحيث يمكن ان يقال بحق ان قيمة لوكاتش في الحياة الفنية والفكرية المعاصرة انما تتركز في انه بلا منازع فيلسوف جماليات الفكر الاشتراكي .

جورج لوكاتش وفن الرواية

منهج لوكاتش النقدى

وليس من العسير تحديد منهج لوكاتش النقدى ، أو مدخله الجمالي الى الاعمال والحركات الفنية على اختلاف الوانها . فهو يصدر أساسا من وعيه بأن البناء العلوى ، بما فى ذلك ضروب الفنون والآداب ، انما تنبع من البناء الاجتماعى وما يولده هذا من انعكاسات شتى فى روح الفنان تتراوح بين التواطؤ او الاحتجاج والتمرد والثورة . وفى هذا المعنى يقول لوكاتش صراحة فى مقدمة كتابه « الرواية التاريخية » : « أن هدفه الاساسى من هذه الدراسة هو دراسة التفاعل بين روح التاريخ من ناحية وبين أشكال الفن والادب من ناحية أخرى » . أى انه ، بصيغة أخرى ، يهتم بدراسة الخطوط الاساسية فى العملية الجدلية التى تتم بين حركة التاريخ وما يتولد عنها من أشكال التعبير الانسانى . فكل هذه الاشكال فى رأيه انما هى انعكاس صادق لحركة التاريخ العملية وتطور المجتمعات الانسانية . وطموح لوكاتش الجمالى لايقف عند هذا الحد . فاذا كانت تلك النظرة هى منطلقه الفنى ، فان نقطة الوصول عنده أو الهدف النهائى هى ان يوضح أن جدليات حركة التاريخ كما تصورها « ماركس » لم تكن وليدة عمل عقلى مجرد ، ولكنها فى واقع الامر انعكاس لحركة التاريخ الفعلية تماما مثل اشكال الفن والادب التى هى أيضا وليدة حركة التاريخ هذه .

ولا اريد أن اقفز من هذا الى أن لوكاتش انما يطبق الفكر الاشتراكى على الاساليب الفنية تطبيقا جامدا . فليس أبعد من الصواب من مثل هذا الاستنتاج الخاطىء . فهو يصل الى احكامه النهائية من خلال تحليل واع دقيق للحركات الفنية المختلفة ، لكى يخلص من هذا الى نظرة الفنان الفكرية ، أو عقائديته ، التى تحكم حساسيته الفنية ، أو تحكم النهج الفنى فتجرى عليه حركة فكرية معينة . ثم يعود بعد هذا كله ردها الى الاشكال الاجتماعية والتاريخية . وهو لا يهدف من وراء هذا الى الرد على التاريخ أو علم الاجتماع ، لهذا مجال عالم التاريخ او المفكر الاجتماعى ، بقدر ما يسعى كناقد فنان الى استجلاء العلاقة بين جدليات البناء العلوى الفنى وبين جدليات حركة الحياة . فالفن فى نهاية الامر ، فى رأيه ، ليس الا انعكاسا صادقا للحياة الانسانية بكل ما يحكمها من عوامل البيئة ومكوناتها .

وليس ادل على هذا المنهج الذى يقوم على العلاقة الجدلية بين الفن والحياة من موقف لوكاتش من النقد الحديث . والفرق الحقيقى بين منهجه النقدى وهذا المنهج الجديد هو فى واقع الامر الفرق بين النظرة الديناميكية والنظرة الجامدة الى الحياة . ومثال النقد الجديد ذلك النهج الذى يقوم على

جورج لوكاتش

كافكا




تولستوی

تحليل الصور الفنية داخل العمل الادبي بشحناتها الجمالية ومدلولاتها السطحية . فمثل هذا النقد في رأيه انما يعرض لنا صورة زائلة عن العمل الفني ، اذ يقدم لنا متتاليات من الصور عاجزة عن توصيل الاحساس بحيوية العمل ذاته . فهو اذن منهج جامد لا يمكنه أن يقدم لنا سوى رؤيا جامدة للعمل الفني ، في حين أن هذا العمل أساسا – في رأى لوكاتش – مخلوق حي تتوافر بداخله كل صفات الحياة التي يأخذ عنها ويصورها . ومثل هذا النقد الشكلي الصرف انما يهتم على حد تعبيره : « **بالمعايير الشكلية، بمشكلات الاسلوب والحرفية الادبية** » دون اعتبار للجدلية الكامنة في الاعمال الفنية والتي لا يمكن بدونها أن تقدر ما اذا كان العمل الفني ينبض بالحياة التي يغترف منها أصلا أو اذا كان يفتقر الى مثل هذا الحس بالحياة . وعن مثل هؤلاء النقاد الشكليين يقول لوكاتش في كتابه « **معنى الواقعية المعاصرة** » انهم يتسترون على الاتجاهات العدمية في الفن الحديث ، فهم : **يمجدون الحركة الحديثة بطريقة منقطعة . وهؤلاء النقاد يمسكون عن اصدار حكم على مغزى الموضوع الاجتماعي او الفني ، عن طريق التركيز على المعايير الشكلية ، والفصل بين الحرفية الفنية والمضمون ، والمبالغة في هذا الفصل . وهم لهذا عاجزون عن التمييز الجمالي بين الواقعية والطبيعية .**

ولهذا فانه يرى انهم ، على الرغم من اهتمامهم بالمعايير الشكلية ، يفشلون في تحديد المشكلات الحاسمة التي تتعلق بالشكل .

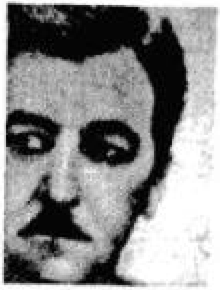
وهذه المشكلات الخاصة بالشكل تكتسب في منهج لوكاتش النقدي أهمية خاصة . فمن خلال التحليل الجمالي للشكل يصل الى الخلفيات الفكرية التي تحكم هذا الشكل ، وبالتالي الى أصول هذه الخلفيات في الواقع الاجتماعي والتاريخي . فالشكل يعني عنده عملية الجدل بين الذات والواقع ، بين العالم الداخلي للانسان وبين العالم الخارجي . وهي العملية التي تتحدد من خلالها ملامح الشخصيات والاحداث ، كما يتجدد نموها جميعا دون الغاز أو زيف في متاهات سراديب الذات الخفية أو الرؤى الهلامية للحياة والوجود .

ومن هذا المنطلق يقوم لوكاتش بتحليل الحركات التجريبية المعاصرة في الرواية العالمية ، كما يقوم بتحليل الاتجاهات الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية في نفس هذا اللون من الوان الادب .

جورج لوكاتش

● نظرة لوكاتش في الرواية التجريبية الحديثة

هاتان النظرتان المتعارضتان في النقد – النظرة الديناميكية المتطورة والنظرة الجامدة – لهما ما يناظرهما في الحياة والفن . ففي الحياة أيضا هناك من يتخذ موقف الانعزال



لوكاتش

والانغلاق على الذات . وهناك من يقف منها موقف الانفتاح عليها والتأثير فيها . والموقف الاول ينبع من ايمان بان العالم جامد لا يمكن تغييره ، ولهذا كان التقوقع داخل الذات . والموقف الثاني ينبثق من ايمان بالقدرة على التغيير . والفرق بين الاثنين باختصار هو الفرق بين الجمود والحركة .

ولوكاتش يضرب أمثلة عديدة على موقف الانغلاق والجمود في الرواية التجريبية الحديثة عند « فوكنر » و « جويس » و « كافكا » و « بروست » و « بيكيت » وغيرهم . ففي مناقشته لكافكا ، على سبيل المثال ، يرى أنه يعمد الى الغاء العالم الموضوعي والتقليل من أهميته ، ويستبدل به ما يسميه بواقع العالم الطيفي . فهو يغمض عينيه عن الواقع الخارجي لكي يحل محله العالم الذاتي القلق بشخصياته ، والتفصيل الواقعي في المحاكمة أو القصر ليس الا تعبيرا عن الوهم الطيفي ، عن أضغاث الاحلام وما تثيره من مخاوف ومقلقات . و « جويس » أيضا يعمد في عوليس الى تسجيل الحقائق الحسية تفصيلا ، بحيث يصبح العالم الذاتي والحس الذاتي بؤرة الاهتمام ، ويعمى الفنان عن رؤية حقيقة التناقضات داخل المجتمع ذاته ، تلك التناقضات التي تعطي للعالم الموضوعي ديناميكيته وحيويته وامكانية تغييره .

ومثل هذه النظرة عند الروائيين المحدثين انما تنبع من ايمانهم بعزلة الانسان الكاملة عن بيئته الاجتماعية والتاريخية . وهم لهذا يفصلون بين الفرد وبين البيئة التي يوجد فيها . انهم ، بعبارة أخرى ، يؤمنون بان الانسان انعزالي بطبعه ، غير اجتماعي ، وغير قادر على اقامة علاقات اجتماعية مع الاخرين الذين هم بدورهم انعزاليون أيضا . ومن هنا كان اهتمامهم بخيالات الذات وما تسقطه على العالم الخارجي من أحلام أو أحلام يقظة أو أضغاث أحلام .

وهذا الانكار للعلاقة الجدلية بين الذات والواقع له نتائج محددة في الرواية الحديثة . وهو يأخذ ، في رأى لوكاتش، شكلين مختلفين :

فأولا : ينحصر البطل بشكل صارم داخل حدود تجربته ذاتها ، فليس هناك بالنسبة له ، ولا بالنسبة لخالقه فيما يبدو ، أية حقيقة موجودة مسبقة فيما وراء ذاته نفسها تؤثر عليه او تتأثر به . وثانيا ، يكون البطل نفسه بدون تاريخ شخصي . فقد قذف به الى الوجود بلا معنى ، وبلا قدرة على فهم كنه ذلك . وهو لا يتطور من خلال اتصاله بالعالم ، فهو لا يشكله ولا يتشكل به . والتطور الوحيد الذي يحدث في هذا الادب هو الكشف التدريجي عن الوضع الانساني. فالانسان هو ما كان عليه على الدوام ، وما سيكون عليه على الدوام . والروائي ، أو الذات الفاحصة في حالة حركة ، والواقع المختبر في حالة جمود .



بروست

جورج لوكاتش

والنتيجة الحتمية لهذا في الرواية الحديثة أن تتحلل الشخصية الانسانية . فالشخصية تتحدد امكانياتها من خلال مواجهة الذات للمواقف واتخاذها قرارا حاسما في موقف محدد . وتطور المواهب والميزات الموروثة انما يتحدد حين تصطدم بواقع الحياة . وتحديد الامكانيات الحقيقية لشخصية ما انما يتم من خلال تفاعل الذات والظروف المحيطة بها . غير أن تأكيد الرواية الحديثه للجانب الذاتي في الشخصية لايتيح مثل هذا التفاعل ، ولا يتيح الكشف عن جوهرها من خلال ما تتخذه من قرارات بالنسبة للواقع الموضوعي . وبالتالي فان الشخصية هنا تختزل الى متتاليات من الجزئيات التجريبية غير المترابطة . ولهذا ينتهي الامر بها الى التحلل بنفس الدرجة التي يتحلل بها العالم الموضوعي كما يحدث في « مولوي » لبيكيت أو في « الصوت والغضب » لفوكنر، وغيرهما . وقد يبدو كافكا كما لو كان استطاع أن يتغلب على تحلل العالم الموضوعي من خلال انتقاله لتفصيلات الواقع ، الا انه في حقيقة الامر لا يصور الواقع كما هو ، بل كما يعيش في خيال الذات المريضة القلقة .

وفي هذا بالذات تكمن دلالة الاهتمام بعلم النفس المرضي في الرواية الحديثة . فهو لا يعني أكثر من محاولة الهروب من الواقع الكئيب الذي يفرضه النظام الراسمالي . ولاشك أن مثل هذا الاهتمام بتصوير حالات العته والشذوذ والقلق انما يتضمن احتجاجا خلقيا . ولكن النتيجة الحتمية لهذا أن يفتقر رفض هذا الواقع الى ثقل محدد ، بحيث يصبح مجرد مهرب الى العدمية ، او كما قال كافكا « نحن بدع عدمية ، أو معلومات انتحارية ، في عقل الله » .

وفي هذا تختلف الرواية الحديثة عن الرواية الواقعية النقدية او الرواية الواقعية الاشتراكية . ففي هذين النوعين يكون الاحتجاج موجها الى شيء بعينه ، ويهدف الى ارساء دعائم نظام بعينه قد يكون في الواقعية النقدية مبهم المعالم ولكن لا تنقصه الرغبة في تحديده بدقة أكثر . وقد تلتقي الرواية الحديثة مع هذين اللونين في أن نقطة الانطلاق في هذه الاعمال هي المجتمع الفاسد . لكن نقطة الوصول فيها ، وهي الهروب الى الامراض العقلية ، تفقد الاحتجاج المضمون والاتجاه .

ويخلص لوكاتش من هذا التحليل العميق المقنع الى أن ما تعاني منه الرواية الحديثة من أوجه القصور الفني انما يرجع في واقع الامر الى أن الروائيين المحدثين ينكرون التاريخ والتطور ، وبالتالي يفتقرون الى المنظور . فلأنهم لا يستطيعون رؤية حركة تطور التاريخ ، لا يؤمنون بامكان تغيير الواقع ، وبالتالي يغرقون في تقززهم لعجز الانسان وعبثية وجوده .

● ديناميكية الرواية الواقعية النقدية

وبراعة كافكا فى راى لوكاتش بالرغم من عدميته وافتقاره الى منظور انما ترجع الى واقعية اسلوبه . هذه الواقعية فى استحضار التفصيلات هى ما ينقذ رواياته من التردى فى الهلامية التى تتميز بها روايات المحدثين . فواقعيـــة التفصيلات التى ينتقيها لا تؤدى به الى ان يضاد الرواية الواقعية . وكافكا رغم كل شيء أحد الواقعيين العظام

فالواقعية فى نهاية الامر :

ليست اسلوبا واحدا من بين اساليب اخـرى . انها اساس الادب وكل الاساليب ، حتى تلك الاساليب التى تبدو متعارضة تماما مع الواقعية ، تنشا منها او ترتبط بها ارتباطا له دلالته .

ومثل هذا التجريب الذى يقوم به كافكا ليس تحريفـا متعمدا للواقع تبعا لنزوة ذاتية ، بل هو نتيجة مترتبـة على الظروف التى تسود العالم اليوم . وهو من ناحيـة اخرى رفض لمثل الجمود العقائدى الذى دفع ستالين الى محاولة تبسيط مادة الواقعيـــة واسلوبهـا بحيث انكر المتناقضات الموجودة داخل المجتمعات الاشـتراكية ذاتها . لقد انكر ستالين على الفنان حريته فى التعبير وقدرته على الابتكار . وهذا ما أفلت منه قرائن كافكا .

وفى حين ان الروائيين المحدثين يغرقون فى التفصيلات، مما يضفى على اعمالهم صفة الطبيعيـة ، يلتقى كافكا مع الواقعيين العظام فى انه ينتقى تفصيلاته من الواقع بعناية، وهو التقاء من الناحية الشكلية فقط ، فهو يختلف عنهم من ناحية اخرى فى ان التفصيلات عنده لا تعكس الواقع بقدر ما تعكس عدمية علوية غير محددة ، وهو ما يلتقى فيه كافكا مع الروائيين المحدثين . ان ما يفتقر اليه كافكا، باختصار ، هو ذلك المنظور الاجتماعى التاريخى الذى يمكنه ان يحدد له نقطة الوصول فى العمل الفنى . وهذا هو ما يميز « توماس مان » فى الحرب فى فيمار مثلا ، او فى تونيو كروجر . فبالرغم من تجريبه لاسـلوب المونولوج الداخلى فى الاولى ، او انشغاله بالبحث فى عالم العقـــل الانسانى فى الثانية ، الا انه قد احكم قبضته على الواقع بحيث حدد نقطة الانطلاق ، ونقطة الوصول ..

ورغم ان المنظور فى هذه الحالة لا يعـــدو ان يكون منظورا انسانيا مجردا ، لا منظورا اشتراكيا محددا ، فان مان ـــ شأنه فى هذا شأن « سويفت » و « سولتيكوف » و « ديكنز » و « ستندال » و « تولستوى » ، يستغل الملامح العامة لفترة تاريخية لكى يحدد معالم شخصياته وسرائره واتجاه أحداث رواياته . ولهذا تجيء شخوص هؤلاء الروائيين انماطا لفترة تاريخية اجتماعية معنية ، وذات دلالة

جوركى



دائمة . فأعمال « بلزاك » و « تولستوى » تحمل بصمات عصرها ، كما تعبر عن ادراك الكاتب للكيفية التى تتشكل بها فترة تاريخية معنية .

وانعدام مثل هذا الادراك يفسر فشل الطبيعيين فى خلق أنماط اجتماعية . فزولا مثلا لم يخلق شخصية واحدة خالدة، وهذا ما يفسر أيضا هبوط الشخصية فى الادب الحديث الى حد الضبابية المبهمة . ومن ذلك ضبابية شخصيات كامى مثلا . فأبطال كامى « ظلال ايمائية عاطفية تتأمل المصير الانسانى » . وشخصيات الطاعون مجرد ظلال ، بلا ابعاد ولا دوافع ولا تطور .

فما يميز الرواية الواقعية اذن هو قدرتها على فهم الوضع الانسانى فى مرحلة من مراحل تطوره ، وبالتالى رفضها للانهزامية والعدمية وايمانها بقدرة الانسان على تغيير واقعه الى واقع أفضل . هذا هو الجانب الايجابى المشرق فى الرواية الواقعية النقدية . ولكنه يظل مع هذا جانبا قاصرا لانه يفتقر الى منظور محدد يوضح ملامح المستقبل المشرق الذى يومىء اليه بغموض وابهام .

● الرواية الواقعية الاشتراكية

هذه الايماءة المبهمة الى مستقبل أفضل تختفى فى الواقعية الاشتراكية . ذلك أن الرؤيا الاشتراكية تتيح للروائى الايمان بالتطور وبالمستقبل بشكل محدد المعالم . ومع ذلك فان المنهجين يلتقيان أساسا على الثورة ضد النظام الاجتماعى الراسمالى . كل ما فى الامر أنه فى حين يصف الواقعى النقدى عالمه من الخارج ، نجد أن الواقعى الاشتراكى يصفه من الداخل بمعنى أن الاول يصل الى تنميط شخصياته عن طريق التركيز على الفرد وصراعاته ثم يحاول أن يصل من ذلك الى دلالة اجتماعية أكثر شمولا ، فى حين أن الاخير يقيم تنميطه على أساس تحليل المتناقضات الاجتماعية ذاتها .

ورغم هذا الاختلاف الجوهرى بين المنهجين الا أن وحدة الهدف بينهما جعلت الواقعيين الاشتراكيين يدركون أن حليفهم الوحيد فى الحقل الادبى هى الواقعية الاشتراكية فى نضالهم من أجل تحقيق سيادة الواقعية فى علم الجمال . وعلينا أن نذكر « رومان رولان » فى نضاله ضد الادب المضاد للواقعية . وتطور « جوركى » من النظرة البرجوازية الديموقراطية للعالم الى النظرة الاشتراكية يوضح الرابطة الوثيقة بين المنهجين . كما أن تطور « بريخت » و « بول ايلوار » من التعبيرية الالمانية والسيريالية الفرنسية الى الاشتراكية يشير الى نفس التحالف النضالى .

ومن الملاحظ عموما أن الكتاب الواقعيين ظلوا على ولائهم للرواية الواقعية النقدية فى البلاد التى تم فيها التحول الى

الاشتراكية فترة طويلة . لكنها كانت فترة ضرورية حتى يستطيعوا أن يستوعبوا القوى الجديدة والتفاعلات الجديدة داخل المجتمعات الاشتراكية . وهي عملية تتضمن انتقالا جدليا من الواقعية النقدية الى الواقعية الاشتراكية . اى الانتقال من الوصف من الخارج الى الوصف من الداخل . والانتقال من اليأس الى اعتناق الايمان بالتطور والمستقبل

ومن اوجه الاختلاف بين المنهجين ان الفرد فى التصوير الواقعى النقدى ينتهى فى صراعه مع القوى الرجعية الى حالة من الاذعان او حالة من العزلة . أى ان القوى الرجعية هى التى تخرج منتصرة فى نهاية المطاف . والعكس فى تصوير الواقعية الاشتراكية لصراع الفرد مع بيئته المتخلفة . ومع ذلك فان تحليل الكاتب الواقعى النقدى للتناقضات فى النظام المتحلل يساعد على تقوية الروابط بين المنهجين . فكلاهما يتناول نفس المادة ، ولكن بطريقة مختلفة .

● وجه القصور فى الواقعيــة الاشتراكية

ومع ذلك يرى « لوكاتش » بعض أوجه القصور فى تصوير الواقعية الاشتراكية للواقع . فلما كانت الاشتراكية تهدف اساسا الى الغاء التناقضات من المجتمع ، فقد اغفل روائيو الواقعية الاشتراكية تصوير التناقضات التى تعيش فى الواقع . وهكذا ظهرت حركة « الدراما بدون صراع » والروايات والقصص القصيرة التى تخلو من الصراع فى الأدب السوفييتى تحت حكم ستالين . اغفل هؤلاء الروائيون انه ما زالت هناك متناقضات فى اى مجتمع اشــتراكى ناشىء . وكانت النتيجة افتقار الفن الروائى اذ لم يعد هناك بناء جدلى فنى يتطور من خلال صراع هــذه المتناقضات . ومن هنا ولدت الرواية الثورية الرومانسية .

ويضرب « لوكاتش » مثلا على هذه الرواية بمشهد ترقص فيه امرأة فى المزرعة الجماعية جائزة على جهدها لان الملكية الجماعية عندها اغلى من الملكية الفردية . ويرى أن هذا السلوك سلوك نمطى . فالشخصيات والاحداث هنا ليست منقولة من الحياة ، بل هى مجردة ومهزوزة .

مركب الموضوع

ومن هذا التحليل لمختلف الاتجاهات فى الرواية يصــل « لوكاتش » الى صيغة ترضيه فى الفن الروائى ، تتمثل فى مزيج من المنهجين الواقعيين . فالروائى الواقعى الاشتراكى عليه ان يفتح عينيه على التناقضات القائمة داخل المجتمــع الاشتراكى ذاته ، وان ينهج نهج الواقعى النقــدى فى بناء عالمه على اساس جدليات الصراع بين المتناقضات داخل المجتمع الانسانى . فالواقعية النقدية هى فى واقع الامر النهج الوحيد الذى يمكنه ان يساعد الواقعية الاشتراكية على علاج اوجه القصور فيها . وهذا هو مايرى لوكاتش فيــه اساسا لاى تحــالف مفيد بين المنهجين .

بريشت



فيلا .... لؤلؤة النوبة

د. عبد المنعم أبو بكر

تم في القاهرة يـــوم الخميس الموافق ٣ يونية عام ١٩٧٢ توقيع العقد بين الشركات العاملـــة والسد العالي للبدء في عملية انقاذ معابد فيلا وذلك في حدود مبلغ الستة ملايين من الجنيهات وعلى أساس فك أحجار هذه المعابد ونقلها الى جزيرة مجاورة هي جزيرة أجيليكا ثم اعادة بناء هذه الأحجار بعد ترميم مايحتاج الى ترميم منها وقصة انقاذ آثار النوبة من مياه السد العالي قصة طويلة ومتشعبة عرفها الناس منذ بدايتها عام ١٩٥٩ الى نهايتها عام ١٩٦٩ حين تم انقاذ معبدي أبو سمبل واعادة بنائهما في موقعهما الجديد الذي يصل في ارتفاعه الى ١٨٥ مترا فوق سطح البحر .



فيلا لؤلؤة النوبة

وجزيرة فيلا بمعابدها هي آخر ما تبقى من آثار بلاد النوبة وقد حان الوقت الان لانقاذها، والسبب في ارجاء عملية الانقاذ هو ان هذه الجزيرة تقع في البحيرة التي تفصل بين سد أسوان في الشمال والسد العالي في الجنوب . وهي بحيرة أصبح منسوب ارتفاع المياه فيها يتراوح بين ١١٠ أمتار و ١١٨ مترا فوق سطح البحر . وهو المنسوب اللازم لتشغيل محطة الكهرباء القائمة على شاطئها الغربي .

ومن الطريف أن نعلم أن معابد فيلا كانت تغمر بالمياه طوال تسعة أشهر من العام قبل بناء السد العالي . كما كانت تنحسر عنها المياه تماما مدة الاشهر الثلاثة التالية . وحين يأتي الفيضان تفتح جميع بوابات سد أسوان . ولقد ساعد ذلك على تنقية أحجار هذه المعابد من الاملاح وبقائها سليمة . الا أن جزيرة فيلا كانت على ارتفاع ١٠٤ امتار فوق سطح البحر في حين أن ارتفاع مياه البحيرة بعد انحسار الفيضان واتمام خزن المياه كان ١٢١ مترا فوق سطح البحر . ومما يؤسف له ان ذبذبة منسوب مياه بحيرة خزان أسوان فيما بين ١١٠ و ١١٨ مترا طوال العام ما بين ارتفاع وانخفاض قد كشف عن جزء كبير من جدران المعابد وجعل أحجارها تتآكل وتتهشم . وأصبح من واجبنا الاسراع بانقاذها وهو ما سوف يتم في السنوات القليلة القادمة لتحتفظ مصر عنصرا من أهم عناصر تراثها القديم .

● ●

تقع جزيرة « فيلا » على مسافة ثلاثة كيلو مترات الى الجنوب من سد أسوان ويبلغ طولها ٥٠٠ متر وعرضها ١٦٠ مترا وتتكون من صخور جرانيتية تراكمت فوقها وبينها كميات كبيرة من غرين النيل ولو ان قمم بعض هذه الصخور ترتفع فوق الطمى في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة وفيلا هو الاسم الافريقي المشتق من «بيلاك» اسمها المصري القديم الذي نعتقد انه يعني « النهاية » وهو اسم يتفق مع وقوعها عند النهاية الجنوبية في القطر المصري .

و « ايزيس » هي سيدة الجزيرة ومعبودتها الاولى ولكن هناك معبودات اخرى اقيمت لها بعض الطقوس في الجزيرة وهي اوزوريس رب الموتى وزوج ايزيس واخوها . وكذلك حوريس ابنهما . ثم المعبودة حتحور . كما يوجد أيضا كل من المعبودين المحليين: ماندوليس، وارسنوفيس ولكل من هذه المعبودات قصة ربطته بهذه الجزيرة . وهي قصص تقوم معظم عناصرها على أسس سياسية تهدف تارة للترويج لحقوق هذه المعبودات في بعض الثروة القومية لبلاد النوبة . وتارة اخرى لارضاء بعض العناصر البشرية من أهل النوبة بتمثيل معبوداتهم المحلية في هذه الجزيرة .

وجزيرة فيلا لم تأخذ مكانتها الدينية الا في نهاية التاريخ المصري القديم . واقدم معابدها المشيدة فيها يعود الى عصر الملك النوبي « طهارقا » أحد ملوك الاسرة الخامسة والعشرين الفرعونية « القرن السابع قبل الميلاد » ويعود المبنى التالي له الى عصر الملك « نقطانبو » أحد ملوك الاسرة الثلاثين «القرن الرابع قبل الميلاد» وبعد ذلك . وفي عصر البطالمة على وجه التحديد « القرن الثالث قبل الميلاد » اخذت أهم أجزاء معابد فيلا تنشأ . واستمرت عملية البناء والاتساع حتى عصر الامبراطور الروماني « هادريان » ١١٧ — ١٣٨ بعد الميلاد »

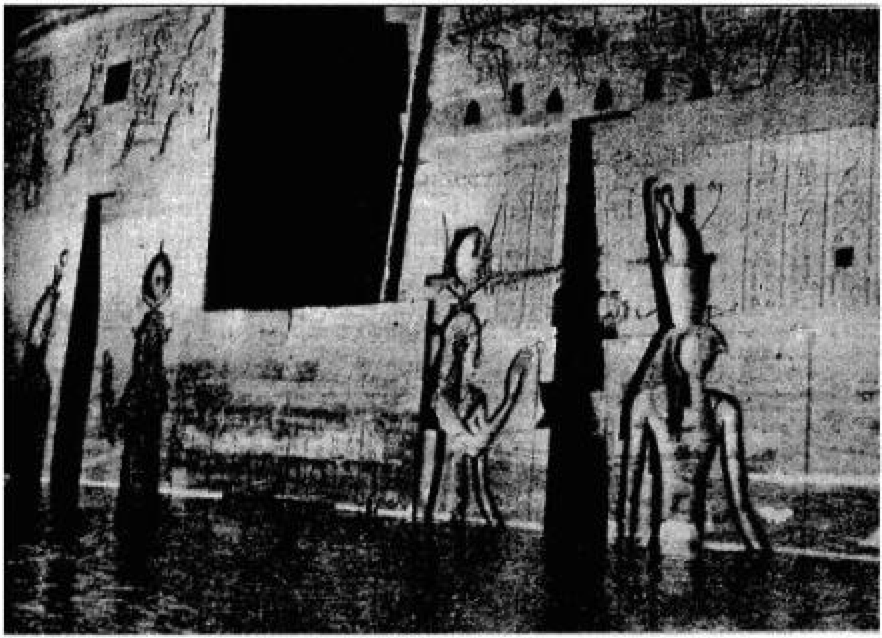
واذا كانت « ايزيس » هي المعبودة الرئيسية لجزيرة فيلا . الا انها ولا شك

ارتبطت برباط وثيق بزوجها أوزوريس الذي قامت عبادته في معبد مشيد له على جزيرة « بيجه » التي تقع على مقربة من « فيلا » ونحن لاندري متى انتقلت هذه العبادة الى بلاد النوبة في حين كانت تفوز بشهرة واسعة في « ابيدوس » حيث شيدت له اعظم مقابره وقامت له شعائر دينية على مدى التاريخ الفرعوني منذ أواخر الدولة القديمة « ٢٤٠٠ ق٠ م٠ » ، وعلى كل حال قامت عبادة « أوزوريس » على جزيرة « بيجه » وسميت « جزيرة الصمت العميق » حيث يرقد « أوزوريس » رب الموتى وحاكم العالم السفلي ، ولا شك أن هذه العبادة لم تزدهر هناك الا بعد أن اضمحلت في أبيدوس ، ولم يحدث هذا الا في أواخر العصور التاريخية لمصر القديمة « ولو أن أسطورة أوزوريس » تقول أن أخاه ست كان قد مزق جسده الى أشلاء وانه أطاح بها فوقعت متفرقة في اقاليم مصر بأكملها ، ويبدو أن ساق « أوزوريس » اليسرى كانت قد سقطت في هذه الجزيرة ، اذ أن الاسطورة المحلية تقول ان النيل ينبع من هذه الساق وانه يجري حاملا الرخاء والهناء الى مصر .

وعلى السطح العلوي لمعبد ايزيس بجزيرة فيلا توجد بعض المقاصير المخصصة « لأوزوريس » وهي في واقع الامر كانت مخصصة لاقامة شعائر تدور حول قصة هذا الاله ، كيف عاش وكيف وقع في براثن أخيه ست الذي دبر له مؤامرة انتهت بقتله ثم كيف استطاعت ايزيس انقاذ جسده واعادته من جبيل « في لبنان » ثم كيف عثر « ست » على هذا الجسد وقطعه الى أشلاء وهي بكل منها في اقليم من اقاليم مصر وكيف قامت عبادة أوزوريس على أنه رب الموتى وحاكم العالم الثاني حيث الخلود . هذه القصة كانت تمثل مرة كل عام على هيئة مسرحية دينية في كثير من المعابد المخصصة لأوزوريس والمتفرقة في طول البلاد وعرضها .

أما « حتحور » المعبودة الرئيسية في معبد « دندرة » « قنا » فقد قامت علاقتها بجزيرة « فيلا » على أساس اسطورة مصرية قديمة ، هي أسطورة « فناء البشر » وتقول الاسطورة : « حدث فيما مضى من الزمان ، حين كان « رع » يسكن الارض وبعد أن خلق الناس ، وخلق كل مايدب على الارض كما خلق الآلهة ، ان كان الناس يتقدمون الى الاله الاكبر بكل فروض الطاعة والعبادة ، ولكن الاله كان قد داهمته الكهولة بمخالب السنين والاجيال ، وأصبح عجوزا حتى أصبحت عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد ، وأخذ الناس يتهكمون عليه ويرمونه بالضعف والهزال ، وتضيف الاسطورة كيف أن الاله عندما علم بذلك ثار غضبه وطلب الى الآلهة أن تسرع اليه لكي يستشيرهم فنصحوه بأن يفتك بهم ويفنيهم ولكن البشر عندما علموا بذلك تفرقوا في الصحاري واختفوا بين الصخور ، وعندئذ طلب « رع » من « حتحور » أن تنزل هي هذه المهمة وبالفعل نزلت الى الارض وفتكت بالبشر المنتشرين في الصحراء وعادت الى « رع » فقال لها : « مرحبا بك يا « حتحور » يا من قمت بما ادعو اليه من اعمال » فردت « حتحور » قائلة : : « يا من تحيا من اجلي ، لقد كنت جبارة قوية بين البشر ، ومهمتك هذه أقوم بها بقلب مفعم بالسرور والهناء » فرد عليها « رع » قائلا : « ان فتكك بهم سوف يوطد سلطاني عليهم ولكن كفي ما قمت به ولا تقتلي منهم بعد ذلك فردا » .

ولكن « حتحور » لم تستمع الى أمر « رع » واستمرت تفتك بالبشر ، وسارع الاله الى حيلة لينجي من غضبها ما تبقى من البشر ، وذلك بأن سكب كميات ضخمة من الجعة بعد أن لونها بمادة حمراء لتبدو كالدم ، سكبها في المكان الذي اعتزمت « حتحور » أن تفتك فيه بالقلة الباقية من البشر ، وشربت حتى ثملت ورجعت تترنح ولم تقو على اتمام ما اعتزمته من الاتيان على ما تبقى من البشر ، ولكن عندما ذهب عنها تأثير الخمر غضبت وتركت البلاد واختارت النوبة مكانا لسكناها ، لحزن « رع » لفراقها وارسل وراءها الرسل بعد الرسل يتوسلون اليها حتى يقنعوها بالعودة الى بلدها ولكن جهودهم كانت دائما تبوء بالفشل ، وفي نهاية الامر التجأ الى حكيم الالهة «تحوت» فهو الوحيد الذي تؤهله صفات الحكمة والدراية بخلق الالهة ان يقنعها بالعودة الى مصر .

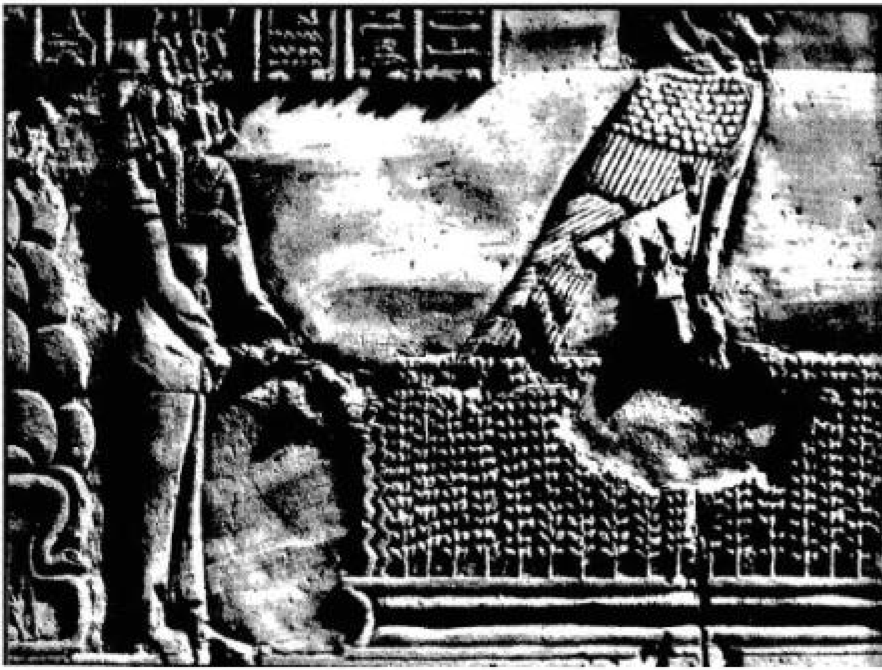


رسوم الإله ايزيس وحورس والملك وقد غمرتهم مياه النيل

فيلا لؤلؤة النوبة

والغلد « تحوت » شكل القرد وذهب اليها ووجدها تتجول في صحراء النوبة وعندما رآته زمجرت وعرف انها لا تزال غاضبة فقام بقفزات مختلفة وحركات لطيفة جعلت الالهة تهدأ بل تبدأ في الضحك وفي آخر الامر نجح في مهمته وعادت معه « حتحور » وسعدت مصر بقدومها كما فرح أبوها بلقائها بعد غياب طويل .

وكانت فيلا من بين الاماكن التى حطت فيها « حتحور » رحالها أثناء عودتها الى مصر . ولذلك نجد لها معبدا صغيرا يقع الى الشرق من معبد « ايزيس » وأصبحت ذات مكانة مرموقة في هذه الجزيرة على اســـاس ان اهل النوبة اعتبروها من معبوداتهم ، وايجاد مثل هذا المعبد الصغير فيه ارضاء واضح لهم . وليس من شك ان افساح المجال لمعبودين من معبودات الجنوب وهما « منتوليس » و « ارسنوفيس » يدخل ايضا في مجال ارضـاء مشاعر



نقش من معبد فيلا لمولد النيل ومنبعه من صخور أسوان

النوبيين » وأقيم لكل منهما مقصورة ، وتقع المقصورتان في الجزء الغربي من الساحة التي تتقدم معبد أيزيس .

أما « ايزيس » فقد كانت المعبودة الكبرى في الجزيرة ، واعتبرت أيضا المعبودة الرئيسية لكل بلاد النوبة ، وحلت محل اله أسوان « خنوم » الذي كانت جزيرة « اليفانتين » مقرا لعبادته والذي سيطر على كل مناطق النوبة منذ أول العصور حتى العصر المتأخر . ومن الطريف أن كهنة « خنوم » عندما أحسوا بازدياد سيطرة « ايزيس » وكهنتها على مناطق النوبة ، سارعوا بتأكيد حقوقهم الموروثة على هذه المنطقة وسجلوا نصا يرجع في تاريخه الى أوائل العصر البطلمي أي الى القرن الثالث قبل الميلاد ، هو ولا شك القرن الذي أخذت فيه أهمية «ايزيس» وبالتالي تجمع الناس حول معبدها في « فيلا » - تقلق بال كهنة « خنوم » .

وكعادة المصريين اسبغ كهنة « خنوم » على محاولتهم هذه صبغة الخلود بارجاعها الى القدم المعمور ، واختاروا لها عصر الملك « زوسر » أول ملوك الأسرة الثالثة عام ٢٩٠٠ ق . م . » ووزيره الحكيم « ايمحوتب » . ويسمى النص باسم «لوحة المجاعة» ، سجل على صخرة عالية من صخور « جزيرة سهيل » التي تقع الى الجنوب من جزيرة « اليفانتين » عند أسوان . يقول النص ان الملك زوسر بعث برسالة الى حاكم الجنوب جاء فيها : « أرسل اليك لاخبرك عن الأسى الذي أشعر به وأنا أجلس على عرش العظيم ، ومن مبلغ توجع قلبي لتلك المأساة الكبرى التي وقعت اذ لم يفض النيل لمدة سبع سنوات لقد ندر القمح وجفت الخضراوات . وليس هناك من طعام من أي نوع ، وأخذ كل انسان يحاول سرقة جاره ، ولا يستطيع المستشارون ابداء النصح ، وعندما

تحطم الصوامع فلا يخرج منها الا الهواء ، لقد اصبح كل شيء أطلالا » . ويستطرد النص ويقول أن « زوسر » سأل حاكم الجنوب عن منبع النيل والى اى من الالهة يستطيع أن يتوجه بالرجاء طالبا العون ، وكان رد الحاكم أن النيل ينبع عند جزيرة اليفانتين وأن المتصرف في مياهه هو الاله « خنوم » . فذهب « زوسر » توا الى جزيرة اليفانتين حيث قدم شكواه الى اله المنطقة الذى قال بأن الغضب تمالكه عندما رأى جدران معبده تتهاوى وانه على استعداد أن يجعل النيل يفيض فتملأ المحاصيل صوامعها اذا كفل الملك عناية صحيحة بمعبده . وعلى أثر ذلك سارع الملك باصدار أوامره بأن يمنح « خنوم » وكهنته أرض النوبة من جزيرة « سهيل » في الشمال الى جزيرة «تاكومبسو» في الجنوب على مسافة ١٢٠ كيلو مترا الى الجنوب من أسوان » . وأن تجبى الضرائب له من كل من يعيش على أرض هذه المنطقة وينتفع منها ومن نيلها ، وكذلك تجبى الضرائب على الذهب المستورد منها وسن الفيل والاخشاب وغيرها من السلع وكذلك تجبى الرسوم المفروضة على الوافدين على مصر من المناطق الجنوبية » .

ونحن لا نشك أن محاولة كهنة «خنوم» ضاعت سدى اذ أن الناس في بلاد النوبة تجمعوا حول « ايزيس » وكهنتها واخذ نفوذها يزداد يوما بعد يوم ، وكان معبدها

فيلا لؤلؤة النوبة

مركزا تنبع منه حركات التمرد والثورة ضد الحكم الروماني .

وحدث في اواخر القرن الاول بعد الميلاد أن ظهرت قوة فتية لشعب نوبي هو شعب « البليمي » الذى أخذ على عاتقه مناوأة النفوذ الروماني ليس في بلاد النوبة فحسب ، بل أخذ يهاجم بقسوة المدن الجنوبية في مصر العليا حتى وصلوا الى قفط والمنشأة واستولوا عليهما .

ونحن لا نعرف على وجه التحقيق الجنس الذى انتمى اليه « البليمي » ، فالبعض يؤكد أنهم من الجنس الحامى الذى انتمت اليه قبائل « البدجة » التى تنقسم سلالتها حاليا الى جماعات مختلفة ، فمنهم البشاريون في الشمال « قبيلة أم علي » الذين يتجولون في المناطق بين البحر الاحمر وأسوان ، ومنهم بشاريو الجنوب « قبيلة أم ناجي » الذين يقطنون المناطق الممتدة حول نهر عطبرة ، ومنهم كذلك قبيلة « الامرار » التي يعيش أفرادها في بورسودان والمرتفعات القريبة منها ، ومنهم « الهولندوة » الذين يقطنون هضبة « الجاش » وينتمى اليهم أيضا «بنو عامر» الذين يقطنون منطقة « كوكر » وسوخى « بركة » في السودان . ويرى البعض الاخر أن « البليمي » ينتمون الى الجنس الزنجى وأنهم كانوا يقطنون منطقة النيل الابيض والازرق .

فقد كان هؤلاء من المخلصين عباد «ايزيس» واكثرهم تعلقا بها ، يقطعون مئات الاميال ليتجمعوا في رحابها في فيلا في كل موسم ويقدمون قرابينهم السخية في أعيادها المختلفة . ونجح « البليمي » في القضاء على نفوذ الرومان في بلاد النوبة ، بل واضطروا الامبراطور « دقلد يانوس » « ٢٨٤ ـ ٣٠٥ م » أن يسحب الحاميات الرومانية من مناطق بلاد النوبة السفلى ومن أسوان أيضا ، بل اعترف الامبراطور أن شعب « البليمي » قد أصبح السيد المطاع في بلاد النوبة وأن هجماته القوية على مدن مصر الجنوبية لا تلاقي مقاومة من الجند الرومان . الا أن « دقلديانوس » لجأ الى حيلة بأن طلب من قبائل « النوباد » أن يستقروا حول أسوان وطلب منهم الدفاع عنها ضد أولاد عمومتهم « البليمي » وتشجيعا لهم أقطعهم أراضي

زراعية شاسعة ، ووعدهم باعانات عينية سخية مقابل خدماتهم .

« والنوباد » قبيلة ليبية كانت تجوب الصحراء الغربية وامتدت مناطقها من «دارفور» و «كوردفان» جنوبا الى الواحة الخارجية شمالا ، ومنهم انحدرت قبيلة البقارة حاليا ، وكذلك قبيلة العبابدة . وكان « النوباد » أيضا من المتعلقين بعبادة « ايزيس » ، وسرعان ما اتحد البليمي والنوباد تحت راية « ايزيس » وهاجموا سويا الاراضي المصرية وهزموا الحاميات الرومانية واسروا المئات من جنودها .

لقد كان الانتصار كبيرا كما كانت هزيمة الامبراطورية الرومانية مفزعة ومهينة واضطرت أن تدافع عن كرامتها بتجريد جيش جرار هاجم « البليمي » فى معاقلهم وهزم التحالف القوى بينهم وبين النوباد، واضطروا أن يقبلوا شروط معاهدة تنص على اقرار السلام فى المنطقة لمدة مائة عام وكان شرط البليمي والنوباد الوحيد هو الابقاء على « ايزيس » فى جزيرتها والسماح لهم بالتعبد اليها .

لقد حافظ « البليمي » على عهدهم طوال الاعوام المائة ولا غرابة فى ذلك لان « ايزيس » كانت قد رضيت به ، ولكن ما كادت الفترة تنتهى حتى قاموا بثورة جامحة فى عصر الامبراطور « جوستنيان » « ٥٥٠ م » وانتصر الرومان وشعروا ان الخطر يكمن فى جزيرة « فيلا » وفى معبودتها الكبرى ايزيس، فأمر الامبراطور بغلق المعبد وتشتيت كهنته ونقل كنوزه الى القسطنطينية .

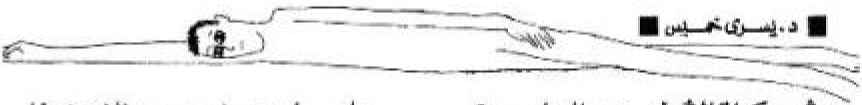
دخلت المسيحية بلاد النوبة فى عام ٥٥٠ م واخذت تنتشر وحدث فى عام ٥٧٧ م أن حول رئيس مطارنة أسوان معبد ايزيس الى كنيسة ، وسرعان ما تحولت معظم المعابد الفرعونية فى بلاد النوبة الى كنائس وظهرت دولة مسيحية نوبية كان لملوكها سلطان قوى على معظم مناطق النوبة ، ولكن كان على هذه الدولة ان تواجه قوات العرب التى اخذت تتجه جنوبا بعد ان استقرت فى مصر ، وانتهى الامر ان عقدت محالفة ؛ بينهم وبين هذه الدولة عام ٦٥١ م على أن تدفع الجزية لمصر وأن تتعهد بحماية المسلمين المقيمين فى اراضيها ، ومن ثم اخذ الاسلام ينتشر فى بلاد النوبة ، خاصة بعد أن قام أحد أفراد أسرة صلاح الدين بحملة عام ١١٧٣م توغل بها فى بلاد النوبة واستولى على كثير من مناطقها .

وعرفت جزيرة « فيلا » منذ دخل العرب المنطقة باسم جزيرة «أنس الوجود» ويحلو لاهل المنطقة أن يتحدثوا عن أصل هذا الاسم ويرددوا قصتهم عن ذلك قائلين :

كان فى بلاط أحد ملوك العرب فى اقليم مصر فتى جميل الوجه جرىء ومقدام اسمه « أنس الوجود » ، كما كان لوزير هذا الملك ابنه شابة بلغت حد الفتنة فى جمالها ، وكان اسمها « زهرة الورد » ، وحدث أن التقى الفتى بالفتاة وهام بها وهامت به ، وعندما علم والد الفتاة بهذا الامر خشى الفضيحة وقرر ابعادها عن حبيبها فأرسلها بعيدا الى معبد «ايزيس» وسجنها فيه . وعندما طالت غيبة « زهرة الورد » هام « أنس الوجود » على وجهه وأخذ يتنقل من مكان الى آخر بحثا عن حبيبته ، كان فى طوافه يعطف على ما يلقاه من حيوانات الصحراء مما جعلها تأنس اليه وتسعى لمساعدته ، وأخيرا أخبره أحد الرهبان بمكان « زهرة الورد » فسعى الى معبد « ايزيس » ووقف على شاطىء النيل وقد امتلأت مياهه بالتماسيح وأخذ يفكر كيف يصل الى الجزيرة ، وتقدم أحد التماسيح الكبيرة اليه ، بعد أن أخذته الشفقة ، وعرض عليه أن ينقله الى شاطىء الجزيرة ، وبعد أن تم ذلك التقى بحبيبته واستطاع اقناع أبيها الوزير بأمر حبه فرضى أن يزوجها له .

هذه هى قصة « فيلا لؤلؤة النوبة » حيث تقوم على سطحها معابد كثيرة أهمها معبد الآلهة « ايزيس » الذى يعود الى عصر البطالمة « القرن الثالث قبل الميلاد » وتعاقب ملوك البطالمة ومن بعدهم الاباطرة الرومان وكل منهم يزيد من أجزاء المعبد أو يشيد هيكلا أو مقصورة جديدة حتى اكتظت الجزيرة بها ، كما اكتظت جدران المعابد والمقاصير بأجمل النقوش والمناظر التى تعتبرها العين التى لا ينضب للدراسات اللغوية والدينية للعصرين البطلمي والروماني .

■ د. يسري خميس ■



مشكلة الشخص الرابع واصراره على عدم الاعتذار

تحدثنا ، تناقشنا ، واقترحنا ، واتفقنا واختلفنا
وكنت جالسا ، أقرأ في صحيفة المساء أخبار الرياضة
وأحتسي القهوة .
واتفقنا بأنني اختلفت في الماضي
وأنني أخطأت
وأنني أكتب شعرا دائما حزينا ، يفيض منه الهم
وأنني منحرف المزاج
وأنني أضيع الوقت ، ولا أهتم
واتفقنا ، بأن حاضري مشتت
مبعثر ، مرتبك ، ممزق — لا يعرف البداية
وأن هؤلاء الجند في سيناء ، يزعجونني بصورة مرضية
وأنني لست بواقعي
أحتاج للخيال دائما — بلا نهاية
واختلفنا عند اقتراح حل مقنع للموقف
اقترحنا بأن أغير الطريقة
أغير المقعد والسجادة
قرأت برج الدلو قال لي :
« حظك سعيد في الحياة — والحب »
اقترحنا أن أعتذر
عن سنوات عشر عشتها في الخطأ
وعن ثلاثين سنة
حطمت فيها قريتي وحبي حينما حلمت
أن أعتذر
عن أنني ولدت برج الدلو ،
— حالما وشاعرا وأن محنتي : التحول —
أن أعتذر
عن حلمي الذي يطمح لتغيير هذا العالم
أن أعتذر عن عجزي
أن أعتذر
عن غضبي حين سماعي نشرة الأخبار صدفة
في دورة المياه
أن أعتذر
لأنني لا أقرأ الجرائد اليومية التي تحبطني
أن أعتذر
لأنني أعشق نبتة الحرية
ولا أطيق الصمت
أن أعتذر
عن حبي الجنون — لأغنيات الصدق
شربت قهوتي
ثم انصرفنا .
كنت حزينا متعبا اكتشفت في الطريق
أنني :
لم أقرأ الفنجان .



د. سهير القلماوى

كلمة في تمثيل تمثيل



تشيكوف

الاستاذ يعدو فى الشارع بسرعة ليلحق الاوتوبيس. فجاة يلمح تلميذا من تلاميذه على الطوار ينظر اليه . خطوات الاستاذ تتزن يمشى على مهل فى وقار . يفوته الاوتوبيس تدور بخلده افكار . لم يكن يليق به وهو استاذ ان يعدو فى الشارع . ماذا يقول التلاميذ الان . ماذا يقول صغار المدرسين لكنه سيصل متاخرا . وتتوالى الافكار .

والحقيقة هى ان الاستاذ بمجرد ان وجد نظارة او متفرجا اخذ يمثل . كلنا نمثل فى الحياة كلنا نريد ان نخلق انفعالا بعينه فى الجمهور . يكفى ان نشعر ان احدا ينظر الينا لنتجه اوتوماتيكيا الى الرغبة فى خلق شعور معين .

ان الكتاب ايضا يمثلون ولعلى امثل انا ايضا الآن . فانا اتخيل النظارة اى القراء واتخيل ما يثيره كلامى هنا فى نفوسهم . وبى رغبة قوية ان يرضوا عما اكتب . بل ان يعجبوا به ايضا . لذلك احاول. لذلك امثل .

والممثل على خشبة المسرح يتقن هذا الفن . تلك مهنته . اين تعلمها ؟ كيف ؟ بماذا يفكر فيها . هل ممثل اليوم يستعمل نفس التكنيك الذى كان يستعمله الممثل القديم ايام اثينا البعيدة .

كله تمثيل في تمثيل

اسـئلة تتوالى والواقع ان فلسـفة التمثيل موضـوع جديد جدا فى النقد الادبى . والذين عملوا على تطوير مفهوم المسرح المـعاصر يشكون من قلة ما يجدون من مادية فى فن التمثيل او فلسـفته . هناك قواعد ، مذكرات ممثلين ، تستخرج منها نصائح . ولـكن لم نجد بعد الممثل الذى حرص على ان يوضح لنا فلسفته فى فنه . والنتيجة الطبيعية هى ان هذا الفن ظل يعتمد على الموهبة . وتقريبا الموهبـة وحدها الى يومنا هذا . ربما ارشادات المخرج ، ربما التجارب لها شـــأن فى اتقان فنه ، ولـكن التكنيك المبنى على التفكير العملى والتقنين المجرد لا يجد الممثل منه ما يمكن ان يدله فى عمله .

ما الفرق بين تمثيلنا فى الحياة وتمثيل الممثل على المسرح ؟ ما هو هذا الخيط الدقيق الفاصل بين هـذين النوعين من التمثيل ؟

وجود النظارة او الجمهور ؟ انه دائما موجود . قد يكون جمعا من الناس او افرادا ، قد يكون شعوريا باطنيا نسميه ضمير الفرد ، قد يكون ايمانا بقوة عليا ترقب كل حركاتنـا فى كل زمان ومكان وهى الله ، قد تكون الرأى العام ، او ضمير الجماعة ، أو الضمير الانســانى العام . انه قدرة عليا معينة نتصورها ، تحكم على افعالنــا ، ومن هنا نخضـع افعالنا فى اطار معين بحيث تكون مرضية بالنسبة لهذه القدرة العليا .

وتصور هــذه القدرة العليا يجعلنا نتأمل افعالنا . يجعلنا نفكر فى مغزاها ، فى كيفية القيام بها ، ثم فى جعلهـا متجانسـة مع مقاييس ، أو ما نتصوره من مقاييس ، عند هذه القدرة العليا . وكما يسعى الممثل الى ان يندمج فى جمهوره نسعى نحن ايضا الى الاندماج فى هذه القدرة العليا . وهذا الاحساس اسمى ما يمكن ان يحسه الانسان عند ما يرى ان « الانا » منه قد اندمجت فى قدرة أعلى واسمى واصـبحت شيئا واحدا .

ونعود مرة اخــرى الى المسرح . ما هذا الخيط الرفيع الذى يفرق بين ما يمثله الممثل وما نمثله جميعا فى حياتنا . ان الفرق ينبع من ردنا على السؤال : ماذا يمثل الممثل ؟ مسرحية ؟ شخصية مسرحية ؟ فكرة مسرحية ؟ على كل حال الاساس هو نص مكتوب يسمى فنا فى شكل مسرحية .

الفرق اذن هو فرقا ما بين الحيـــاة والفن . **الفن معروف اوله وآخره . له نظام ، له حركة مرسومة . له رؤية تظهر من خلال محاولة جادة لتحديدها .**

اما الحياة فلم يخلق بعـد الخيال الفنى الذى يمكن ان يحيــط باولها وبآخرها معا كـكل . ولم يوجد الخيال الفنى ، ولا الخيال العلمى أيضا ، الذى يمكن ان يعرف السر فى نظـــامها ، وحركاتهـا ، وتطـور الاحـداث فيهـا . **اننا فى الحياة نمثل مسرحية لا نعرف لها اولا ولا آخرا . لا نعرف لها وحدة : لا فى الحدث ولا فى الزمان ولا فى المكان . اننا نمثل مسرحية نجهد كل الجهد فى ايجاد معنى لها . فى ايجاد رؤية سليمة تشتمل عليها .**

اما في المسرحية فهناك حدود مرسومة ووحدة متحققة وخيوط متماسكة فهي هناك ، يمكن أن تنسج منها رؤية للعالم ولو في لمحة معينة .

ونحن في الحياة لا نحتاج الى فلسفة التمثيل ولا الى تقنينه . ولكن التمثيل المسرحي محتاج الى ذلك . وقد آن الاوان لتقنين حرفيــة التمثيل . ان الطبيب الذي يقوم بعمليــة نادرة في امريكا يمكن ان ينقل بسرعة البرق تقنية عمله الى طبيب في اليابان مثلا ليقوم بنفس العملية ربما في نفس الاسبوع . ولكن الممثل بخيل ، او عاجز ، انه لا يكتب الى زميله ليشرح له كيف مثل دوره . ولكنه سخي جدا في الارشادات والتعليمات . بل لعل المخرج هو السخي في هذا المضمار .

والنتيجة اننــا الى الآن لا نعرف للتمثيل فلسفة او علما مجردا . وهي كلها بدايات ساذجة . فمثــلا يلاحظ الممثل والمخرج « ستانسلافسكي » من ممارسة عمله ان الممثل كثيرا ما يختار الدور الذي يشبع فيه مركب النقص . يريد ان يمثل دور الشجاع لانه في الحياة جبان، يريد ان يمثل دور العاشق الرومانسي لانه في الحيــاة جلف جاف يشعر بوطأة العمل الرتيب اليومي .. وهكذا .. بل ان الجمهور نفسه كذلك أيضا .

وليس الامر في ايجاد فلسفة التمثيل او علمه المجرد بالسهل أيضا . اننــا بازاء عوامل متــداخلة من الصعب ان نفصل بعضها عن البعض . فهناك مؤلف، ومخرج ، وممثل ، وجمهور ، والاهم من هؤلاء جميعا هناك فكرة المسرحيــة ذاتها . وكل هذه العناصر تتداخل بل انها تتفرع ايضا . فالممثل يحاول ان يكون هــذه الشخصية المسرحية واقعا وحقيقة ولــكنه يعرف ان المسرح خدعة، والديكور خدعة ، بل ان الجمهور يوافق لا بد ان ينتقل الى منطقــة الايمان بالخدعة ليكون جمهورا . وهناك تتفرع ايضا خدع جانبية . فمثــلا في رواية « هاملت » يعرف الممثل القائم بدور هاملت انه سيطعن « بولونيوس » من خلال الستار في الفصل الثالث . ولــكن في الفصل الاول يمثل على انه لا يعرف هذه الحقيقة . بل ان وقوع هــذه الحقيقة على المسرح لا بد أن يصحبه بالدهشة والمفاجأة . كيف ؟ هو يعرف ذلك من قبل . بل انه في كل لحظة يمثل انه لا يعرف المسرحية وهو يعرفها. حتى فكرة المسرحية ليست واقعا ولا يمكن أن يكون الامر كله الا « تمثيل في تمثيل » . ومع ذلك لا بد من الاقناع . لا بد من الاندماج في الجمهور والثقة .

والحقيقة الموجودة في المسرح هي ممثل وجمهور يتواجدان بشريا في مكان واحد، المؤلف غائب ، والمخرج غير موجود . هذا التواجد البشري لا بد أن يلتحم . كيف ؟ وعلى مر العصور جهــد الذين كتبوا في فلسفة المسرح ان يكسروا كل ما يمكن ان يقف في سبيــل الالتحام الفعلي من الوجودين البشريين الممثــل والنظارة . منــذ « ارسطو » حتى « سارتر » طريق صاعد ابدا نحو نقل كل منهما خطوة نحو الاخر . ارسطو ينقل النظارة الى خشبة المسرح، المتفرج يجد نفسه في البطل يعيش بتفــل في الممثل ادوارا في الخيال ما كان يمكن ان يعيشها في الواقع ، يحس انه هو هذا البطل ، يصيبه ما يصيب البطل ويخرج من هــذا الاحساس الارسطي المعروف . ويأتي المحدثون ليقولوا الممثل الى الجمهور في المسرح التجريبي مثــلا حيث يندمج الممثل بدوره في جمهوره ، ويشارك الجمهور من مقعده في التمثيلية ببعض افراد ترســم لهم ادوارهم ، ويخرجون من صفوف المتفرجين .وتتقلقل الــكراسي قليلا من تحت المتفرجين،فتتقطع احلامهم وتتحرك سلبيتهم . واذا طبقة اخرى ترتفع من فوق « الانا » عنــد المتفرج لتصبح بعيدة من الواقع الحقيقي ولــكن « سارتر » يضع النقطة الاحدث،

كله تمثيل في تمثيل

هل هذه « الأنا » حقيقية فعلا . ان الانسان ليس نفسه لا في الحقيقة والواقع ولا في المسرح . بين الحقيقة وبين «الأنا»

حجب كثيرة . ومرة أخرى ينادي سارتر بابتعاد المسرح عن الصالة . بأن يكون

هناك بعد كاف يتيح « للأنا » ان تتخيل لأن الخيال وحده يمكن ان تحقق الحقيقة

الوحيدة ، وهي الحقيقة المدركة بالخيال لا بالتجريب الواقعي .

وبين سارتر وارسطو نجد على الطريق غير « برشت » آلواما وعلماء ومخرجين

وفلاسفة يسهمون في تبيان حقيقة المسرح ، لا حقيقة الفن التمثيلي . وكأنما

التمثيل شيء مفروغ منه ويبقى دور المسرحية أو المسرح كفكرة . ماذا هو ؟

هناك مثلا « ستانسلافسكي » الذي ألف كثيرا للمسرح وهو يبني فلسفته على رده

على السؤال ماذا يمثل الممثل . الشخصية ؟ المؤلف ؟ كلا ! انه يمثل

« الفكرة » . فكرة هاملت « مثلا » لا هاملت . وفكرة المسرحية عنده أشبه

ما تكون بالمثل الافلاطونية انها حقيقة عليا ليس لها على الأرض الا مثال ناقص

وتتعدد الأمثلة وهي مختلفة في التفصيلات ولكن في كل مثل منها جزء من الجوهر

المتحقق فقط في المثل الأعلى الافلاطوني . هذا الجوهر هذه الفكرة هي التي يمثلها الممثلون ويحاولون تجسيدها . من الذي يوحي بهذه الفكرة يرسمها ويحددها ؟ انه المؤلف مؤلف النص وحده .

وبأي دور المؤلف ماذا هو لقد شجع « تشيكوف » مثلا من سوء اخراج ستانسلافسكي نفسه لمسرحياته ولما استعان به المخرج أبى أن يساعده .

« عندك النص » ، « في النص كل الرد على سؤالك » ، « افهم النص » وهكذا كان تشيكوف نفسه لا يساعد المخرج في شيء .

وتساءل المخرجون هل المؤلف هو الاقدر على ابراز الفكرة أو تحديدها في مسرحيته . قطعا لا . قد يكون واعيا ببعض التفصيلات . ولكن الفكرة التي لا تحتمل الا تفسيرا واحدا ليست فكرة فنية بحال . انه من المسلم به ان الفكرة التي توحي بتفسيرات متعددة والتي لها القدرة المتجددة على تفجير تفسيرات

جديدة باستمرار هي الفكرة الفنية حقا . الذن من يحدد الفكرة ؟ المؤلف والمخرج والممثل والنظارة أيضا . وقد يدخل من بعيد الزمان والمكان والعصر بما تحمل كلها من قيم وأخبار والحركات الانسانية عامة . من هنا شمول الفن ومن هنا صعوبته أيضا .

الممثل الذن غير محتاج الى ان يعرف كل شيء عن عصر المسرحية ولا عن الشخصية المسرحية ولا عن حقيقة وقائعها وانما هو محتاج الى أن يكون معدا بقدرة تجعله يستطيع أن يدرك كنه « الفكرة » ادراكا قويا . فكرة هاملت لها اكثر من

وجه واكثر من دلالة . والممثل يجب ان يكون قادرا على استنباط الفكرة مدلولا جديدا قادرا على اعطاء هاملت وجها مقنعا بشكل جديد . يستلهم هذا من تجارب من سبق من ممثلين ؛ من المخرج من النظارة ؛ من الحياة ؟ يمكن ! ولكن قبل كل شيء لابد أن يكون مدربا على عملية استنباط فكرة المسرحية المجردة .

انها هي هذه الفكرة التي يتجرد الممثل

والنظارة من وانهم فى سبيل أن يجسموا
على واقعها الجديد ، واقعها الخيـــالى

ان فشنا التعبير الدقيق رغم ظاهر تناقضه
ليست حرفة التمثيل مرانا شـــاقا

للتحـكم فى الارادة والعواطف وحركات
الجســد ، نعم فان الممثل يتعلم المشى
والحركة حسب مواصـــــفات فكرة

الشخصية لا حسبما تعلم صغيرا ليمشى
فى الحياة ويتحرك .. وليســت حرفة
التمثيل او فنه على الأصح هى القدرة

على الفناء فى شخصية يؤمن بها او يقتنع
بها بحيث يعيشها من جديد وكأنما هو
هى . ان الممثل يقول لنفســه لو ان

كل ما حولى فى المسرح هذا حق وواقع
فكيف اتصرف وفى «لو» هذه تكمن الصعوبة
«لو» ماذا هو الواقع: الديكور، المسرح،

الصالة ، الجمهـــور ، انا الممثل ؟
لا ليس هذا فحسب وانما هو كل هذا
مذابا فى « فـــكرة » المسرحية ذاتهـــا

لا الشخصية ولا الحدث وانما الفكرة
التى تجسدها الشخصية ويحاول الحدث
أن ينزلها من الخيال الى الواقع . ان

حرفة التمثيل هى استيعاب كامل للفلسفة
العملية كلها . هى الخلق لتكنيك علمى

فى كيف تذوب « الانا » فى الغير بقدر مقنع
وفى الوقت نفسه لا تنزلق الى التحام



ارسطو

كله تمثيل في تمثيل

كامل في اللاوعي الذي يفقد حدود الشعرة الفاصلة بين الخيال والواقع بين الواقع الخيالي والخيال الواقعي ، والا انتقل الممثل من متقن لاداء فكرة جديدة تجرها من فكرة مسرحية هاملت الى مجنون يرى نفسه هاملت طول الوقت .

ان المسرحية دون ان تمثل ليست مسرحية وانما هي نص ادبي في شكل حوار وحدث مسرحيين . ليس معنى هذا ان النص الذي يفشل مخرج او ممثل في تمثيله يصبح « لا مسرحية » بسبب ذلك . لان النص الذي فيه بذرة تفجير الفكرة هو مسرحية الى ان يجد له الممثل والمخرج القادرين على تفجيره حقا .

تبقى مشكلة حديثة في هذا التصور تصور لفكرة المسرحية ، وقدرة الممثل بواسطة علم (لابد ان يوجد) وفلسفة (لابد ان تتحدد) على ان ينقل الفكرة بشكل جديد الى واقع بشرى جسدى على المسرح قادر على استيعاب الواقع البشرى للمتفرجين . والمشكلة هي ان المسرح لا يريد إن يتحد الممثل والجمهور حول فكرة ليغرقوا فيها بضع ساعات ويخوضوا تجربتها فحسب وانما المسرح الحديث يزعم بحق انه ثورة دائمة دافعة للعمل من اجل عالم افضل . لابد من تغيير مستمر في المجتمع . تغيير يلائم طبيعة المجتمع ويحقق اجزاء من احلامه المتجددة باستمرار .

كيف يخرج الممثل والجمهور من تجربة المسرحية او « الفكرة » الى حال الثورة الدائمة لتغيير المجتمع . ماذا يستطيع المؤلف والممثل وربما المخرج ايضا ان يفعل ليضمن تحريك المتفرجين في الحياة بعد ان يتركوا بيت الخيال او بيت واقع « الفكرة » المسرحية .

قد تكون هذه المشكلة هي مشكلة الفنون عامة . مشكلة تناقش على نطاق المفهوم الفلسفي للفن بعامة ولكنها في المسرح تكسب بعدا اكبر وخطورة اعظم . ان المسرح يتصل مباشرة (جسديا) بالجمهور . هو اكثر اقناعا واكشف تجربة واقوى تأثيرا . ربما هو (وهو في قلب المجتمع فعلا) عنصر واضح من عناصر الحركة بدافع او بوسيلة على الاصح فنية . لذلك نجد المشكلة تناقش عادة من خلاله في الاعم والاكثر . لقد انتهينا من فكرة الدعوة المباشرة وغير المباشرة ، ولست اذكر المشكلة لنفكر فيها على هذا المستوى . وانما اثيرها على مستوى فلسفة الفن نفسها ، وفلسفة فن التمثيل بالذات . هذا الفن الذي يسعى الى ايجاد اصول وتقنية وفلسفة ماذا يمكن ان يجد من حل لمشكلة التحريك بواسطة الاغراق في الخيال .

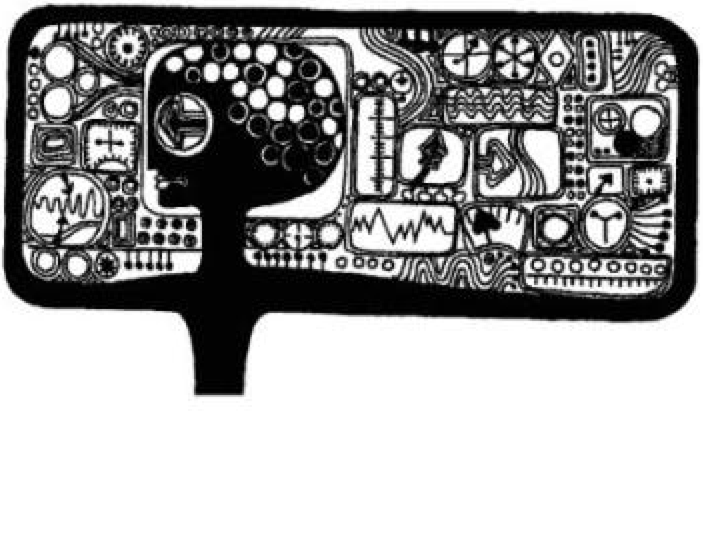
يقول سارتر : ان الانسان ليس نفسه لا في المسرح ولا في الحياة ذاتها . والنقاد يقولون المسرح ثورة دائمة من اهم القوى التي يجب ان تحرك الناس برغبة التغيير الى الافضل . وبين الاستغراق والوجود الثائر سلم مملوء بالدرجات المعقدة الصعبة . **والممثل سيد المسرح والجمهور سبب وجود المسرح لابد ان يصلا الى فلسفة او الى علم يسعد الخطا لتصعد السلم دون ان تنزلق او تغنى ..**

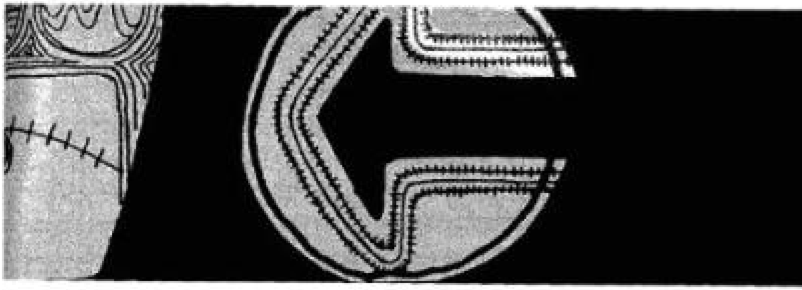
■ مجدى نصيف ■

تتم تحت ابصارنا اليوم ، اعمق ثورة علمية وتكنولوجية عرفتها البشرية ، ومن الصعب التكهن بكل نتائجها . وكل ما نستطيع ان نقوله ان صورة المستقبل التى رسمها كتاب القصص الخيالى العلمى ، تتحقق بسرعة كبيرة .

العلم

والدولة العصرية





ان العلم المعاصر يسمح بضمان الوفرة لجميع من يسكنون هذه الارض ، ويرجع هذا الى الامكانيات التى تقدمها المعرفة العملية والاكتشافات الجديدة ، والتى تزايد بسرعة لم يسبق لها مثيل ، ويرجع أيضا الى التغير الذى طرأ على طبيعة العلاقات بين العلم والانتاج ، وبطبيعة الحال فان هذا التغير ذو طبيعة مختلفة فى المجتمع الرأسمالى منه فى المجتمع الاشتراكى . صحيح ان العلم هو العلم ، ولكن راس المال فى المجتمع الرأسمالى يستولى على ما يحققه العلم من نتائج وتطبيقات .

ان العلم الحديث يتطلب علاقات انتاج اشتراكية .

اننا نشهد فى الوقت الحاضر تطورا لا حد له فى عملية اجتماعية جديدة : هى **الارتباط العضوى بين العلم والانتاج** : انهما الان يكونان مركبا واحدا بنظم المجتمع . فى الماضى كان العالم يعكف على معمله ، ولم يكن الانتاج يستخدم الا نتائجه النهائية ، ولم يكن المجتمع يتدخل على الاطلاق فى تخطيط هذه النتائج وتوجيهها . أما الان فالبحث العلمى يجد اتحادا عضويا مع عملية الانتاج .

بل يحدث الآن ما هو أكثر من ذلك . ان العلم يقدم فروعا جديدة تماما فى الانتاج ، تسمح بتحسين نشاط الانسان وتوسيع مجالات عمله . للقــد تطورت الصناعات الذرية والالكترونية والكيميائية من خلال البحوث التى تمت فى المعامل .

وقامت مساجلات ومحاورات وندوات بين العلماء ، بما فى ذلك المشتغلون بالعلوم الاجتماعية . وقامت مجلة « قضايا السلام والاشتراكية » ، احدى هذه المناقشات بين ثلاثة من أكبر العلماء السوفييت . الاول هو الاكاديمى س . ستروميلين والثانى هو الاكاديمى ينشستوف والثالث الاكاديمى ف . ترابيزنيكوف . لقــد قدمت هيئة تحرير المجلة ثلاثة أسئلة لكل عالم من الثــلاثة ، تدور كلها حول العلم والدولة العصرية .

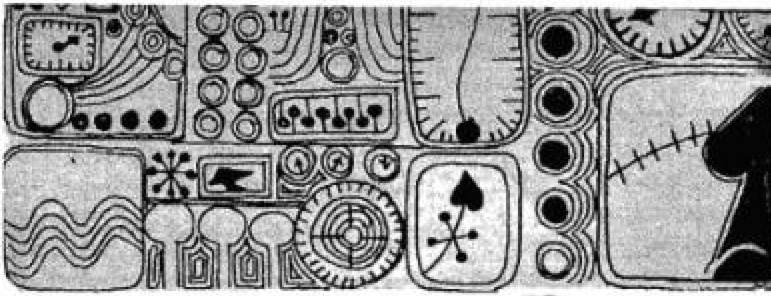
العلم والانتاج

فبازدياد التداخل بين العلم والانتاج واجه المجتمع المعاصر مسألتين :

فاولا : يؤدى العلم الى ترشيد وتحسين اشكال الانتاج والالات ، وتلعب « العلوم التطبيقية » هذا الدور بالذات .

وثانيا : يعمل العلم أكثر فأكثر على ادخال تغيرات عميقة وجذرية هى نتــاج الاكتشافات النظرية العظيمة وتطبيقها الراهن . ويؤدى هذا الى تغيرات ثورية فى التكنولوجيا وفى الانتاج . وهكذا يصبح الانتاج « ملحقا تكنيكيا للعلوم » .

اما العلم نفسه فقد أصبح بناء متكاملا منظما ، يوجهه المجتمع ، وقاعدته التجريبية هى الصناعة بقاعدتها العريضة . ولم يعد العلم هو أساس كل عملية الانتاج فحسب ولكنه يصبح قوة منتجة مباشرة . وهكذا يكتسب العلم قوة لا حد لها ، ولكن هذا لا يعنى أنه أصبح «الها» من الآلهة ، لا يخضع للانتاج ولا القوانين التى تنظمه ، ان الانسان هو الذى يضع الخطط وينفذها . ان النتيجة المباشرة لتزايد الترابط بين العلم والانتاج ادى الى تحوله الى عامل اقتصادى حاسم فى التحول الاجتماعى . وأسباب التغير البناء الداخلى للعلوم ودوافع البحث العلمى ووسائل تطبيق نتائجه .



لقد أصبح البحث العلمي عملا جماعيا يشترك فيه عدد كبير من الاشخاص بما يتطلبه ذلك من تقسيم متقدم للعمل . وأصبح اجراء التجارب العلمية يتخذ شكلا صناعيا وأجهزة معقدة باهظة التكاليف .

وأدى التداخل بين العلم والانتاج الى تغيرات فى بناء المجتمع ذاته . لقد أدى الى تعديل البناء العام للعمل سواء البناء المتعلق بالانتاج المادى أم المتعلق بالادارة والمحاسبة . وأدى الى زيادة نسبية ومطلقة فى عدد المشتغلين بالعمل الذهنى المشترك مباشرة فى الانتاج المادى . ويؤدى تحويل عمليات الادارة والمحاسبة الى الآلية الى أن يصبح موظفو هذه القطاعات « عمالا » يعملون على « آلات » ، وهو يمارس فى نفس الوقت الاتجاه الى زيادة عدد العاملين فى « الادارة » . ولا يمكن أن نتجاهل كل هذه المسائل ، بل يجب أن ندرسها بانتباه ، ليس فقط فى المجتمعات الرأسمالية أو الاشتراكية ، ولكنها من القضايا الهامة فى دول العالم الثالث .

وفى البلاد الصناعية المتقدمة ، يتزايد عدد المشتغلين بالعلم بسرعة كبيرة : ٧ ٪ فى السنة اى أنه يتضاعف مرة كل عشر سنوات . ويزيد هذا المعدل من معدل زيادة اى فئة اخرى من فئات المجتمع وكذلك يزيد من معدل زيادة السكان . ولكن هذا المعدل لا يمكن أن يظل فى زيادة مستمرة بلا نهاية ، فلابد وأن يستقر ان عاجلا أو آجلا . ويعتقد ج. برنال العالم البريطانى المعروف ، ان هذا العدد سيصل فى نهاية القرن العشرين الى ٢٠ ٪ من السكان . أما الاكاديمى السوفييتى م . سيميونوف ، فيتوقع أن نصف البشرية سيقوم بالنشاط العلمى .

ويتعلق هذا الامر بحقيقة اجتماعية جديدة فى المجتمع الرأسمالى : أن هذا العدد الضخم المتزايد من المشتغلين بالعلوم يتحول الى جيش من الموظفين – بما فى ذلك العلماء – يعمل فى شركات رأسمالية تستغلهم ، وهذا يؤدى الى تقريب هذه الفئة من الطبقة العاملة وتعاطفهم بشكل عام من قضايا العلم فى العالم الثالث ودوله المتخلفة .

ويؤدى تطبيق العلم فى الدول الرأسمالية الى أشكال تتناقض مع المضمون الانسانى للعلم ، والى أضرار خطيرة تصيب الكثيرين ، والمثل الواضح هنا هو ما يصيب الشعب الفيتنامى البطل على أيدى الاكتشافات العسكرية الامريكية . وهنا تثار المسئولية الاخلاقية للعالم ، وللمثقف بشكل عام . ان مفكرى البورجوازية يجعلون من العلم « بعبعا » ويصورونه كقوة شيطانية وكمصدر للمصائب والخراب ... هنا يحدث التناقض فى نفس العلماء الكبار فى الدول الرأسمالية ، ومثل أوبنهايمر وغيره ليس ببعيد . ولكن الملاحظ انهم يشاركون أكثر فأكثر فى الصراع الاجتماعى من أجل الاستخدام السليم للنتائج التى يحققها العلم .

فباختصار يدفع الاستغلال الرأسمالى للعلم نحو تحويل العالم الى مجرد ترس فى الجهاز البيروقراطى العسكرى الذى ينظم العلم ، ذلك الجهاز الذى لا يمنح تأييده للعلم ولتطوره الا فى اطار الربح الخاص والاهتمامات العسكرية

أما فى النظام الاشتراكى فتحل مشكلة تخطيط العلم . هنا يتم التنسيق الوثيق المبدع بين نموه وبين احتياجات المجتمع فى مجموعه ، وبطريقة تضمن أفضل الظروف لتقدم المعارف ، والتجعل من العلم قوة منتجة مباشرة ، مرتبطة ارتباطا لا ينفصم

بالإنتاج ، الذى يوضع فى خدمة الجماهير ، ان تطور العلم يثبت ان مستقبله مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجماهير من اجل تحول المجتمع الى الاشتراكية .

وحدة العلم والعمل

ولقد وجهت المجلة للاكاديمى ستروميلين الاسئلة الثلاثة فى اطار مستقبل الوحدة بين العلم والعمل . فكان السؤال الاول :

● **ما معنى تحول العلم الى قوة منتجة مباشرة فى المجتمع ؟**

يقول ستروميلين انه لكى يصبح العلم قوة منتجة فى المجتمع ، يجب أن يتدخل مباشرة فى عملية الانتاج ، وأن يتحقق الاتحاد بين امكانيات العلم وبين العمل فى عملية الانتاج هذه . ويظهر هذا الاتجاه بما نشهده من توسع فى استخدام نتائج العلم فى تنظيم وتجديد التجهيزات التكنولوجية لكل عملية من عمليات الانتاج .

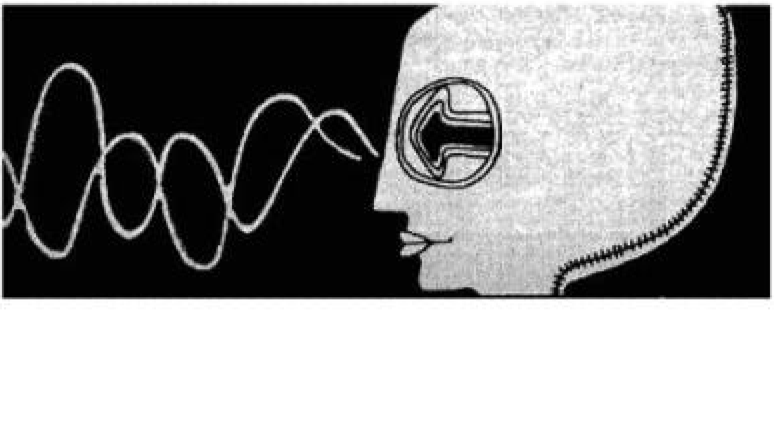
ويكاد التمايز بين العمل العلمى والعمل الانتاجى يختفى :

فأولا : نجد أن النشاط العلمى يتضمن نوعا من الانتاج المادى ، حيث يتجسد فى شكل كتابات وبحوث منشورة وكتب الخ . « فما الفكر فيه يظل ناقصا ، طالما لم ندونه كتابة . ولكن بمجرد تجسد الافكار على شكل كتاب او مقال أو آلة ، فانه يمكن لهذا المنتج ان يتميز كأى منتج آخر . وعندما تباع مجلة او يباع كتاب . فاننا نكرم بأمة للانتاج العلمى الذى قدمه هؤلاء العلماء والكتاب ، وان كان انتاجهم من نوع خاص » .

وثانيا : ان اى منتج علمى فى اى فرع من فروع العلم يقتضى وجود مواد واجهزة وعمل ذهنى وعمل يدوى ايضا . فبدون تجارب وبدون اجهزة يقوم العلماء بتركيبها ، لن تظهر اى حقيقة علمية يمكن استخدامها لاغراض الانتاج . ولكن الانتاج العلمى بمجرد ان يتجسد على شكل أدوات انتاج أو يدخل كعنصر من عناصر الانتاج ذاته ، يصبح هبة من هبات الطبيعة .

فما معنى هذا ؟

ان تطبيق العلم يؤدى الى زيادة انتاجية العمل ويزيد من حجم الانتاج ، وعلاوة على ذلك فانه يحسن نوع المنتجات وحتى يسمح بانتاج أنواع جديدة تماما .. النتيجة الاقتصادية لتطبيق العلم هنا نتيجة مباشرة . والمعرفة العلمية لها صفة هامة : فبمجرد الحصول عليها تصبح فى متناول الجميع ، ويمكن استخدامها بشكل مستقل عن جهود أولئك الذين توصلوا اليها . ويرتكز كل جديد بدوره على مجموع المعارف التى حققتها الانسانية جمعاء . ويضاف كل مكتسبات العلم الذى كلف الانسان الجهد الذهنى والكفاح والعرق ، الى التراث البشرى . وهكذا تستوعب اى كفاءة ذهنية - مهما كان تواضعها - جهد العباقرة . ولو نظرنا الى طلبة المدارس وهم يتعلمون قاعدة ارشميدس أو قانون نيوتن أو جدول مندلييف ، لوجدنا ان هذا التعلم لا يكلفهم سوى مجهود بضع ساعات من الدراسة . فى حين ان التوصل الى هذه الافكار مبدئيا كلف العباقرة كمية لا تقدر من الجهد الخلاق . فالانسانية تتمتع بكل العمل الذى بذلوه كهبة مجانية ، كالهواء والشمس ، ومع ذلك فهى جميعها خيرات ثمينة ، بل



وعلاوة على ذلك فان المعارف ـ بعكس أدوات الانتاج ـ بدلا من أن تستهلك بالاستعمال، فانها تتسع وترتقي .

هكذا يرتبط الانتاج العلمي بكل سهولة بالانتاج ، ويحدد اكثر واكثر التنظيم التكنولوجي والادوات ، ويرتبط بالعمل الحي ويتجسد فيه ، وبهذا يصبح العلم بدوره قوة منتجة مباشرة . ولكني أؤكد هنا أن هناك شرطا لهذا : أن يتحد رجل العلم ورجل العمل . ان استخدام ثمار العلم لخدمة الانتاج والتكنولوجيا ، بل والاشتراك المباشر لممثليه في ادارة الانتاج ـ ليس شيئا جديدا ، ولكنه لا يحقق وحدة العلم والعمل بسبب التناقضات في المجتمع الطبقي . فقد كان العلم ورجاله وهم في خدمة البورجوازية يتناقضون دوما مع مصالح الجماهير الكادحة . هكذا لم تتحقق وحدة العلم والعمل الا بزوال التناقض بين العمل الذهني والعمـــل اليدوي في النظـــام الاشتراكي . وبفضل هذه الوحدة تصبح هذه القوة الجبارة ـ العلم ـ قوة منتجة تعطي كل طاقتها ، لا نظريا فحسب ، وانما في التطبيق كذلك .

● كيف يؤثر الانصهار بين العلم والانتاج على طبيعة عمل العالم ؟

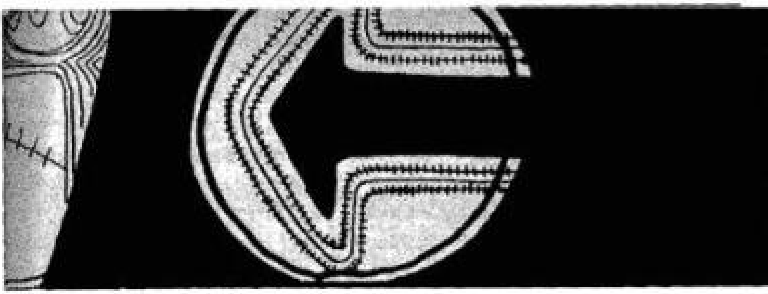
يقول ستروميلين أن العالم عندما يرتبط بالانتاج بشكل مباشر فيوجهه نحو أهداف ومتطلبات كل الجماعة المشتركة في الانتاج الاجتماعي . ان العالم عندما يشترك مع الانتاج الاجتماعي في اهتماماته واتجاهاته التقدمية تزداد الفرص امامه لكي تطبق كشوفه دون تأخير ، وبهذا تزداد انتاجية عمل العالم الى اقصى حد ، والى جانب ذلك يؤدي انصهار العلم والانتاج الى ظهور العالم بجوار العامل والمهندس ، وهذه العملية تزداد بروزا كلما تقدم بناء الاشتراكية فالشيوعية .

من هنا يكتسب عمل العالم صفات عمل جماعي حقيقي ، مما يقتضي التنسيق للعمل وتضافر الجهود لتحقيق مهمة مشتركة . ويحل محل العالم الفرد ، الذي يجهل في كثير من الاحيان الاحتياجات الرئيسية للمجتمع ، ويتصرف على مسئوليته الخاصة ، عالم من نوع جديد ، عالم « جماعي » يعرف احتياجات مجتمعه ، ويقوم بنصيبه من العمل الجماعي مستفيدا من المساعدة الكاملة للمجتمع وواعيا في نفس الوقت بمسئولياته تجاهه .

● هل يغير تحول العلم الى قوة منتجة من وضع الانسان في عملية الانتاج ؟

يقول الاكاديمي ستروميلين ان عدد المشتغلين يزداد بسرعة كبيرة ، ويرجع هذا الى الزيادة المستمرة لدور العلم في الانتاج ، وفي فروع الانتاج الجديدة . والعلم بتدخله في عملية الانتاج وبتحوله الى العامل الحاسم للنمو الكبير في قوى الانتاج في المجتمع ، يدخل في قوى الانتاج عوامل جديدة ، الاوتومية والتشغيل البعيد والالكترونيات والسيبرناطيقا ، وهذه العوامل الجديدة تغير من طبيعة الانتـــاج نفسها . وتتطلب طبيعة الانتاج أن يرتفع العامل بمستواه الى مستوى المهندس والفني . وما يهم الان اكثر من اي شيء هو المستوى الثقافي والفني للعامل الذي يشتغل على آلة معينة أو على خط انتاج ، لا قوته العضلية او مهارته ، وهذا دليل من بين آلاف الادلة الاخرى على تحول العلم الى قوة منتجة مباشرة . ويكفي هنا ان نذكر أن ٤٠ ٪ من العمال الصناعيين الذين يقومون بعمل جسماني حاصلون على تعليم ثانوي او عال وتصل هذه النسبة في بعض المهن الى ٥٠ ٪ او ٦٠ ٪ واحيانا اكثر . (هذه النسبة في الاتحاد





السوفييتي) • ولكن المغزى الاكبر هو المعدل الذي تنمو به هذه النسبة . ففي مهنة كالكهربائي ، كان ٢٩ ٪ من العمال عام ١٩٣٩ في مستوى الدراسة الثانوية او اعلى . وفي عام ١٩٥٩ بلغت هذه النسبة ٦٣ ٪ ، اي ارتفعت النسبة الى اكثر من الضعف في ٢٠ سنة ، وحتى اذا سارت النسبة بنفس هذا المعدل فستصل الى ١٠٠٪ في اقل من ٢٠ سنة • وفي هذه الظروف لن توجد تلك الهوة الفاصلة بين مستوى تعليم هؤلاء الذين يعملون بذهنهم واولئك الذين يعملون بايديهم . وبفضل الالمام بما حققه العلم يمكن لكل من هؤلاء واولئك ان يحل محل الآخر عند الحاجة ، لا في مجالات العمل الروتيني او الثابت ، وانما في المجالات التي تحتاج الى المبادرة والذكاء الخلاق . ولنتذكر انه حتى في ايامنا هذه ، يقوم ملايين من العمال السوفييت من تلقاء انفسهم بالعمل الخلاق كمخترعين ومنظمين للانتاج الى جانب عملهم اليومي المعتاد •

ان ادخال العلم بشكل مباشر في الانتاج يبدل من عناصر العمل المختلفة ، انه يخفض نسبة الاشكال الشاقة للعمل الجسماني ، ويرفع نسبة المشتغلين بالمهن الذهنية التي تقتضي مستوى مرتفعا من التعليم ، وليس معنى هذا ان المستقبل لن يعرف الا العمل الذهني ، وان العمل الجسماني سيقتصر على « الضغط على الازرار » ، كلا ! ان العمل الجسماني لن يختفي ، وانما ستختفي اشكاله الشاقة فحسب .

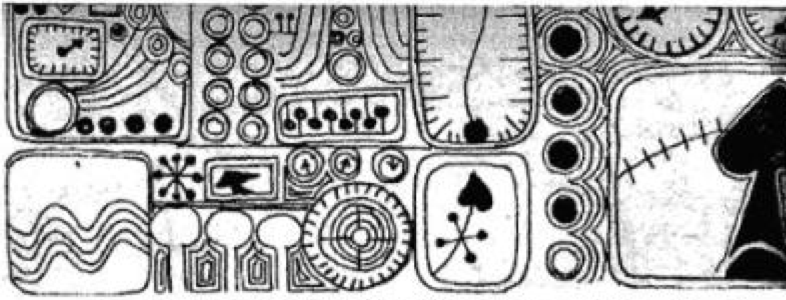
وفي اطار المجتمع القديم المقسم الى طبقات ، لا يمكن للعلم ان يطبق على نطاق واسع ، ولا ان ينتشر في جميع طبقات الامة . ان اثر العلم كقوة منتجة ، يتناسب طرديا مع حجم المعارف المطبقة ، وعلى عمق استيعابها ، ومدى انتشارها بين العاملين . واذا كان العلم يسهم بهذه الطريقة في النمو الكبير للانتاج ، فان الخبرة التي اكتسبها عشرات الملايين من العاملين تسهم من جهتها في تأصيل العلم الاشتراكي .

السيبرناطيقا في خدمة التقدم الاجتماعي

وتكشف السيبرناطيقا بالذات بعض الاتجاهات الحديثة لتطور العلم وتطبيقاته ، وتعطي اوضح مثال للعلاقات التي نشأت بين العلم والنشـاط العملي للانسان . فالسيبرناطيقا علم واسع جدا ، انه علم السمات المشتركة للعمليات ونظم التحكم : في الآلات وفي الكائنات الحية وفي الحياة الاجتماعية ، وكان من الضروري قبل ظهورها ان يصل النشاط الانتاجي للانسان الى مستوى مرتفع . ووجهت المجلة اسئلتها في هذا المجال الى الاكاديمي السوفييتي ف. ترابيزنيكوف بمعهد الاوتومية والتشغيل من بعد ، التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية .

● ما الجديد الذي تدخله السيبرناطيقا في الانتاج ؟

يقول ترابيزنيكوف ان السيبرناطيقا وليدة التطبيق والخبرة المكتسبة من خلال ادارة العملية الفنية . وترتبط الثورات العظمى في مجالي الانتاج والتكنولوجيا ، بما تكشفه العلوم الاساسية من صفات جوهرية للمادة وللظواهر الطبيعية ، لا بالبحوث ذات الطابع التطبيقي البحت . والسيبرناطيقا التي كشفت البناء العام والخواص الاساسية لعملية الادارة ، ادت الى ثورة في الانتاج ، ويؤدي تقدمها الى خلق مجموعة متباينة من الآلات الالكترونية التي تحسن من عمل الانسان او تحل محله . ومن الصعب



لتكون اليوم بكل نتائج هذه الثورة ، لانها خلافا للثورة العلمية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، تختص بأعقد مجالات العمل الانسانى : الا وهو العمل الذهنى .

والسيبرناطيقا لم تمنح الانتاج ثمار تطورها فحسب . وانما ربطت به كذلك عددا كبيرا من العلوم الاخرى التى لها علاقة بالتحكم وبالاتصال ، ووجهت هذه العلوم نحو التطبيق . وقد ادت الدراسة السيبرناطيقية « المعممة » لعمليات التحكم الى اكتشاف امكانيات تطبيق التكنولوجى لعلوم ظلت بعيدة تماما من الانتاج .. ويمكننا ان نقول ان السيبرناطيقا ستكون مركز تبلور مجموعة كاملة من العلوم .

● **ما هى التغيرات التى سيؤدى اليها تعميم الاوتومية ؟**

يقول ترابيزنيكوف ان الاوتومية تتجه نحو الغاء العمل الجزا الذى ادت اليه ميكنة الانتاج فى المرحلة السابقة ، فالان تحل الالات محل العمل الالى الممل الذى يستهلك طاقة عصبية . ولكنها فى نفس الوقت تتطلب من العامل « الجديد » معارف وصفات ذهنية اكبر . فالانتاج الاوتومى يضع فى المحل الاول عوامل مثل البحث والخلق والابتكار وسرعة الاستجابة ، وهكذا يصبح تزويد العامل بدراسة فنية ضرورة اقتصادية وليس مطلبا انسانيا .

والاوتومية بهذا تغير من الطبيعة العامة للعمل ، فهى تخلق عاملا جديداً ، يجمع صفات العامل والمهندس والعالم . وباختصار ففى عصر الاوتومية ، ينتقل مركز ثقل النشاط الانسانى نحو مجال العمل الذهنى ، وهكذا لن يستهلك الانتاج الا جزءاً قليلا من جهد الانسان فتحل محله الالات السيبرناطيقية ، محررة بذلك القدرات الخلاقة للانسان ، التى تتجه نحو العلم والفن . وهى عملية طبيعية تماما ، ولن تؤدى فى ظل اقتصاد مخطط الى اى نتائج ضارة ، على العكس ستؤدى الى غنى المجتمع بمعل ابنائه .

● **هل تؤدى الاوتومية الى نقص العمل الذهنى ؟**

يقول **ترابيزنيكوف** ان هذه الفكرة خاطئة ، فالاوتومية تؤدى الى توسع كبير فى كل مجالات البحث النظرى الضرورية لتشغيل الانتاج الحديث . ورغم وجود الالات ، فان على الانسان ان يعمل الكثير . ان عالم الغد لن يكون عالم « الانسان الالى » ، ولكنه سيكون عالم الانسان النشط الذى يسمح لقدراته الخلاقة بالنشاط الحر .

ولكن طبيعة العمل الذهنى ستتغير . لنضرب مثلا : لقد قدر ان العالم يقضى ٩٠ ٪ من وقت عمله فى الاطلاع على الوثائق التى يحتاج اليها وتبويبها ، ولا يستغل اكثر من ٣ ٪ او ٤ ٪ من وقته فى البحث الخلاق ، وذلك بسبب التوسع فى البحث العلمى وسرعة تقدم العلم . اما عندما تستخدم الالات فى تجميع الوثائق وحفظها وتحليلها وتركيبها فان العالم يستطيع ان يركز جهده فى حل المشاكل العامة وفى العمل الخلاق ، وفى نفس الوقت تمكن الالات العلماء من القيام بعمليات تركيب للمعارف الواسعة فى المجالات المختلفة فى وقت يزداد فيه التخصص الضيق .

ان مكتسبات العلم تؤثر على الانتاج المادى وعلى كل الظاهر الاخرى للتطور الاجتماعى . وتعتمد الاشتراكية فى تطورها اعتمادا كاملا على مكتسبات العلوم . ولا يمكن للعلاقات بين الناس ان تتطور تلقائيا فى المجتمع الاشتراكى ، ولذا فعلينا مهمة رصد حركة التقدم العلمى والتكنولوجى ، وتطبيق الوسائل العلمية ، والاستفادة الكاملة من التقدم الفنى ومن النجاح المتزايد الذى يحققه ترابط العلم والانتاج . . .



■ فاروق عبد القادر ■

قراءة في قصص

●●● زكريا تامر

● من القضايا المطروحة في واقعنا الأدبي أن الحدود لا تزال قائمة بين الإبداع في الاقطار العربية المختلفة . ولعل ابرز وجوه هذه القضية ان القارىء المصرى لايعرف كتاب بقية الوطن العربى معرفة جيدة ، انه هو يتابع الكتاب المصريين لكنه لا يكاد يعرف كتابا لهم نفس قاماتهم من سوريا او العراق او لبنان . واهم اسباب هذه « العزلة » ان اعمال هؤلاء الكتاب لا تتوفر للقارىء بيسر ، بل لعلها لا تتوفر للدارس الا بعناء خاص . ومما يثير الشجن عند البعض ان الكتاب الذين يصلون القارىء فى مختلف الاقطار العربية انما يصلون اليه لاسباب ليست بالضرورة تميز اعمالهم الفنية ، فالقارىء العادى ربما عرف عن نزار قباني او كوليت خورى – او حتى جورج جرداق !

– اكثر مما يعرف عن حنا مينة وعبد السلام العجيلى وسعيد حورانية وزكريا تامر وسعد الله ونوس او عن ادونيس وبلند الحيدرى وخليل حاوى ، وكلها اسماء لكتاب وشعراء اثبتوا مكانتهم فى الفنون التى يمارسونها ومازالوا يواصلون الابداع .

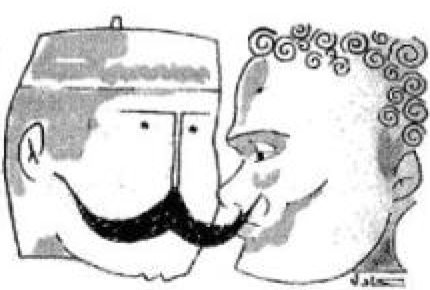
قراءة في قصص زكريا تامر

وبقدر ما تتيسر سبل المتابعة يبدو ان اسماء ثلاثة قد لعبت أكبر الادوار في تطوير فن القصة القصيرة في سوريا : « عبد السلام العجيلي » و « سعيد حورانيــة » و « زكريا تامر » . للاول منهم دور الريادة ــ بعد فؤاد الشايب ــ في أن يعتنى بشكل القصة وفنيتها ، ومنذ أصدر مجموعته الاولى في ١٩٤٨ وهو لا يزال يكتب قصته باسلوب متفرد ويسير خلالها مما شغله دائما : قصص الحب والرحلات والغرائب . وكان ضروريا ان يلعب أحــد دور جوجول فيهبط بالقصة من سمائها الى أرض « الانسان الصغير » . لعل هذا سعيد حورانيــة في مجموعتيه المتميزتين : « وفي الناس المسرة » ١٩٥٣ » و « شتاء قاس آخر » ١٩٥٨ » ، ولعلنــا الان نجد في قصص زكريا تامر مستوى من النضج الفنى يقف الى جوار افضل نماذج هذا الفن بالعربية .

لسنا نعرف شيئا كثيرا من عمــر « زكريا تامر » وحياته . لكننا نعرف حقيقة هامة : انه لم يكن « خلافا لاغلب كتاب القصة في سوريا حتى ذلك الحين طالبا في مدرسة أو جامعة ولا استاذا ولا مثقفا اتيحت له فرصة اتقان لغة أجنبية ما وقراءة تراثها الادبى . لقد كان عاملا ، يملك حسا فنيا مرهفــا وموهبة في اقتناص متناقضات الحياة اليومية ، وطاقة خيالية غنية وتجربة حافلة ، اتيحت له فرصة القراءة فقرأ بنهم كل ما كان يقع تحت يديه ، وخرج على الحياة الادبية في ١٩٥٦ باول قصة له .. » (١) ، وتتابعت قصصه بعد ذلك فاصدر مجموعاته الثلاث : «صهيل الجواد الابيض » ١٩٦١ » ، « ربيع في الرماد » ١٩٦٣ » واخيرا « الرعد » ١٩٧٠ » . وهدف هذه القراءة لا يعدو التعرف على عالمه ، ومحاولة فهمه ، ومتابعة تطوره .

* *

في احدى قصص المجموعة الاولى يقول بطل زكريا تامر: «انا لست سوى مخلوق ما ضائع في زحام مدينة كبيرة قديمة ، لست دون جوان ، لا املك سيارة ولا بناية شامخة في شارع لا يسكنه الفقراء ، جبهتي لم تلمس مرة سجادة مسجد ، لست بطل ملاكمة او مصارعة ، سوري لا يعرفها قراء الصحف والمجلات ، اشتغل في اليوم ثماني ساعات ، أتعب ، ابتلع الطعام بسرعة عجيبة ، ادخن سجائر « طالي ــ سرت » فليفلة ، أجلس في مقهى ، اشترك بحماس في مناقشات مقيمة ، الامر بمبالغ ضئيلة ، اضحك ببلاهة ، أغازل فتيات ، اصادق مومسات ، أروي بحزن حكاية حبي ذات الختام الحزين ، اسمع سيمفونيات سيبليوس ، اقرأ كتابا ، اتسكع في طرقات ليلية ، اتجرع بنهم خمورا رديئة ، الليل بدونها كآبة متجهمة .. » هذا المخلوق الضائع في المدينــة



(١) بدر الدين عردوكي ، البحث عن هوية القصة القصيرة في سوريا مجلــة « المعرفة » فبراير ١٩٧١ .

القديمة ، هذا « الرجل من دمشق » الباحث أبدا عن حل لوجهى المشكلة فى عالمه : الخبز والمرأة ، هو بطل قصص زكريا تامر الذى سيصحبه حتى آخر مجموعاته . ستنمو فى عالمه مشكلات جديدة لكنه بطل الضائع المسحوق ، يسكن قبوا فى قاع المدينة ، تلهبه الرغبة فى الحصول على رغيف وامرأة لا تتغير ملامحها : بيضاء ذات شعر أسود وعينين خضراوين ، ويمارس كل وسائل الهروب من الواقع الخانق : حلم النوم وحلم اليقظة ، والسكر ، والاغماء ، والموت ، والحوار الصامت مع الذات ، فيرى نفسه كثيرا وقد انقسم اثنين : أحدهما يتمنى الخروج للعالم الواسع ، بحارا يرتاد كل يوم ميناء لا يعرفه ، ويجلس فى حانة لم يرها يحتسى خمرها اللاذع ، ويصغى الى موسيقى لم يسمعها ، صيد له طفولته الضائعة و « ربما رقص مع فتاة عيناها كبيرتان تسهل فى اغوارهما شهوة مجنونة » . أما الآخر فيبقى فى المدينة التى يحب ازقتها ورائحة المطر حين يهطل بسخاء على مبانيها وأسفلتها وأشجارها ، له فى ركن منها زوجة وأطفال وبيت صغير . مرة أخرى يرى فى غيبوبته انه انقسم اثنين يحمل كل منهما الاسم نفسه : أحدهما يحفر الارض بحثا عن جرار الذهب ، والآخر جواب آفاق ، عربيد متصعلك ، سكير مقامر ، يبحث عن لحظة النشوة الضائعة منذ كان سمكة صغيرة ملونة فى أعماق البحار .

لكن الحلم ينتهى الى يقظة والاغماءة الى افاقة ليتكشف قبح الواقع : واقع الفقر والجوع والضياع ، لا مركب تحمل البطل الوحيد الى الآفاق البعيدة ، ولا ركن صغيرا يلوذ به ، يضم قلبا وطفلا ورغيفا .

هذا الانسان الضائع مستسلم لمصيره الشرس . حانق عليه لكنه مستسلم له لا يعمل على تغييره ليقضى يومه فى الثرثرة العقيم والحلم بعيون مفتوحة . والتوتر بين هذا الواقع الشرس من ناحية ، وفقدان كل الاسلحة التى يمكن أن تغيره من الناحية الاخرى هو ماانبثق عنه رغبة البطل فى التدمير والتحطيم .

وفى هذه المجموعة يواجه البطل عالمه برغبة فى الانسحاب منه ، فالموت هو الجواد الابيض الذى يناديه ليصحبه فى رحلته للمروج الخضر ، وهو الذى يدفع البطل لان يفكر فى أن يضع رأسه تحت دواليب العربة ويقدم دمه « ترتقالة قرمزية اللون على صدر المدينة » ، ويرى نفسه متأرجحا على مشنقة لم منطرحا على ظهره وسط سهل فسيح مغطى بثلج أسود . بل انه ـ فى احدى القصص « ابتسم يا وجهها المتعب » ـ يقرر ان الموت خلاص وحيد ، يؤكدها مرتين فى قصة واحدة : رجع البطل من قبره وقرر أن يعود للحياة ، طرق الباب فأنكرته أمه واخوته ، جائعا يمضى فى شوارع المدينة ، ومن أجل أن يأكل لا بد أن يقتل ، وحين امتلأت جيوبه بثمن القتل أكل لحم انسان ، ثم رأى صبيا واقفا تحت الظلام والبرد ينتظر أمه بعد أن تفرغ من مضاجعة الرجال . والتجلدت مراراته كلها ، هذه المدينة عاهرة عجوز ، وحين قرر هذا رجع ليموت من جديد ، مرة واحدة وللأبد .

هذه أسباب الرفض عند بطل زكريا تامر : الجوع ـ نتيجة التعطل أو رفض عمل مهين ومقرف ، والحنين للمرأة ـ نتيجة فقدان الامل فى امتلاك المحبوبة والضجر من اجساد المومسات ، ويأتى بعد هذين ـ ونتيجة لهما ـ كل ألوان التعاسة : الثرثرة العقيم والسكر وحيدا فى الحانات ، والرغبة الدائبة فى الهرب ، وألوان المهانات الكبيرة والصغيرة . هو بطل مأزوم لا يرى سوى أزمته بوجهيها : الخبز والجنس ، ولا يرى شيئا سواهما ، فعناصر الطبيعة والواقع كلها انعكاسات هذه الازمة وتلوين لها ، لا يستطيع أن يتجاوزها بالثورة عليها ، ولا يقدر على شيء سوى أن يتمنى الموت : خلاصا وحيدا ، جوادا أبيض يحمله الى المروج الخضر .

* *

هذا البطل سيواجه هموما أخرى فى مرحلته التالية . من قوقعة أزمته الخاصة خرج ناظرا للواقع فاكتشف أهم بعد من أبعاده : أنه واقع متخلف ، قبيل الوطأة ، عناصره الجوع والقهر والعنف

والقتل . في البيت القديم تعيش الافعى مختبئة ، ويفرض الاب المتسلط رعبه على الجميع لتفر الاخت الضحكة الحنون « يقول الاب للاخ : أريد منك أن تبحث عنها وتجدها بأي طريقة . اذبحها كلكبة . » — هل هذه هي الافعى القديمة المختبئة ؟ وفي خياله تجسدت بقايا مدن وابنية متهدمة لهتف بلا صوت : عمري يتبدد . أريد عمرا بلا أب . وفي خياله خرج للبحث عن أخته ورآها : زوجة صغيرة محبة لرجل فقير ، زار معها القبو الذي تسكنه « فاستقبلته

بالحة مخلوقين ينامان في سرير واحد ويضحكان ويتخاصمان لكنهما لا ينامان حزينين » ، وحين قبلته أخته غنت في شرايينه اغنية فرح دافق ، وفي خياله رجع للبيت لوجد الحية ميتة ونظر الى أبيه المكتئب بانتصار .

هذا البطل الذي لا يزال يرى الموت بحارا يحمله الى بلاد بعيدة يواجه همرما جديدة ويبني عنها تعبيرا جديدا .

قـــراءة فـــي
قصص
زكـريا تـامـر



في « الجريمة » نرى مزجا بين الجاهين سيتطوران في أعمال تالية :

الاول : هو ما يمكن أن نسميه قصص القهر وهي تلك التي تتخذ من رجال الشرطة والتحقيق والتعذيب والمحاكمة والحكم بالاعدام وتنفيذ الحكم بمختلف الوسائل وكتم الانفاس وخنق الحرية موضوعات لها .

والثاني : هو رؤية شخصيات التاريخ في ضوء معاصر ، باكسابها ملامح جديدة تعكس رؤية الكاتب لعصره . ان «السليمان الحلبي » متهم . تقبض عليه الشرطة وتقدمه للمحاكمة . وتقرأ عليه عريضة الاتهام : انه قد شوهد يحلم بقتل الجنرال « كليبر » ، وانه اطلق العصافير وتطلع يوما الى القمر ، وفكر مرة في ان قتل بعض الناس يجعل الحياة أفضل . ويتم استدعاء الشهود : هم أبوه وامه وأخته يشهدون جميعا بأنه قتل الجنرال ، يحكم عليه بالاعدام وينفذ الحكم بتقطيع أعضائه عضوا بعد عضو على حين يمارس الجلادون حياتهم : يدخنون ويشتاقون لنسائهم ويقرءون الشعر ويشاهدون الافلام .

بغتة تقبل سيارة البوليس او يطلع الشرطي ، وبعدها مباشرة يلقى القبض على بريء ، وتستحيل وجوه المارة الى اقنعة شمعية صفراء . هذا ما حدث لعمر السعدي . وقف متكئا بمرفقيه على سور النهر ، منتشيا برؤية المياه المنسابة تحت ضوء الشمس . القي القبض عليه واهين وعذب قبل ان يلقي وحيدا في زنزانته . زاره خيال المرأة المشتهاة : البيضاء ذات الشعر الاسود والعينين الخضراوين ، لم وفد الى زنزانته قط ليقول له — ولنا — مايجب أن يعمله . ملأ بطنه بالطعام لم وقف يطالب بحريته . هذه هي النغمة الجديدة الآن : بعد الخبز والجنس تأتي الحرية . وتكتمل اضلاع المثلث الذي يتوتر من اجل تحقيق اكتماله كل ابطال « زكريا تامر » .

رجال البوليس ، فرادى وجماعات ، والمحققون ، والقضاة ، والسجانون ، والجلادون ، والحكم دائما بالموت البطيء والشهود المبالغون ، والقدرة الفائقة على الاحاطة بمتهم بريء ، والملاحقة ،

والطاردة ، ثم الواقع المتخلف الذي يتجسد تخلفه – اكثر ما يتجسد – في علاقة الرجل بالمرأة .. هذه هي الهموم الجديدة التي يواجهها بطل «زكريا تامر» في هذه المرحلة ، وفي مواجهته لها يتخذ رفضه للعالم شكلاً آخر . كان في مرحلته الاولى يتمنى الموت ويراه خلاصاً وحيداً فاصبح الآن لا يرى الخلاص الا في دمار العالم كله ، وتخلق عالم جديد من انقاضه .

وقف البطل في مواجهة العالم : ما زال الجوع فيه يأخذ برقاب الناس ، والواقع المتخلف يثقل على ارواحهم ، ورجال الشرطة يترصدونهم ويلاحقونهم ويقبضون عليهم ويعذبونهم ثم يقتلونهم بلا مبالاة ، في مواجهة هذا العالم قال البطل : لن انسحب من عالمكم هذا ، لكنني اتمنى له الدمار ، كاملاً ومطلقاً ، وانا واثق انه من الدمار سيولد عالم جديد ، ومن الرماد لا بد سيأتي الربيع .

ويحكي لنا « زكريا » حكاية المدينة التي يجب ان تباد وحكاية اهلها . مدينة صغيرة ، ناسها مزيج من الاغنياء والفقراء ، وكان فيها رجل صغير لم تهزمه الكآبة ، أراد ان يتخلص من ضجر الم به فذهب يبتاع جارية ، وكانت جاريته هي شهرزاد بعد ان لقيت صنوف العذاب ، وكان هو شهريارها بعد ان انهارت مملكته وتسول واهين وطلب . ولحظة لقاء الحوالي يتصاعد صراخ : الاعداء هاجموا المدينة . الى الحرب . يحمل سيفه القديم ويقاتل حتى يصبح الرجل الوحيد الباقي وتحترق المدينة . وسط الاكوام والانقاض والدماء والخرائب يلقاها : جالسة مرتمية على العشب تطعمها من ثمار التفاح وبدأ معها خليقة جديدة : « **وشاهد الرجل وردة حمراء فاقتطفها وقدمها بارتباك الى الفتاة التي تقبلتها ببسمة خجول ايقظت الفرح وجعلته يرتد في شرايين الرجل اجمل اغانيه** .

وعاون الرجل الفتاة على النهوض ثم سارا بخطا متمهلة نحو المدينة الميتة السوداء .

وسمعا بغتة عصفوراً يغرد ، فتوقفا عن السير ، وتلاقت عيونهما في نظرة طويلة ، وخيل الى الرجل انه يسمع ضجيج اطفال ممتزجاً بعويل قطة . وتابع الرجل والفتاة سيرهما وقد تعانقت يداهما بود وألفة ، وامامهما كانت الشمس فتية وضاءة » .

واذا كان الاعداء هم الذين اباتوا هذه المدينة ، فان ابطال قصص تالية سيأمرون بابادتها . اكتمل رفضهم العالم كله ، ولم يشأ واحد منهم ان ينسحب منه بالموت ، لكنهم اصبحوا يحكمون عليه بالموت ويتمنون دماره . من الذات الى الموضوع ، من تدمير الذات لتدمير العالم . هذا يتسق تماماً وخروج البطل من الازمة للمأساة : من ازمته هو لمأساة العالم كله .

هذه المأساة لا تقف عند حد في الزمان او المكان ، ولا مهرب منها ، قائمة رغم تعدد الوجوه والملامح ، يستوي ان تضع قناع القرصان في البحر او الافاق على الشاطيء او المهرج في قصر الامير او الرجل الشرير ، فمصيرك دائماً هو ان تتولى لحمك الخناجر من كل جانب ! وان تسقط وراء كل الاقنعة ، وتلقى في الطريق جثة باردة يلعق دمها الكلاب . هذه المأساة هي اول شيء يراه الانسان حين يهم بمعرفة الحياة ، هي « الوجه الاول » يطالعه من وجوهها : طفل لا تكف امه من اصدار الاوامر والنواهي له فيقرر ان يتمرد . يملأ جيبه بالخبز وينطلق الى شوارع المدينة المليئة بالصخب والحياة . لكن المأساة تدهمه قبل ان يحقق تمرده ، وتلقى امه نبوءتها الشاحبة . يرى طفلاً يقطع القطار ساقيه وكان لون الدم الاحمر ممتزجاً بعويله الفاجع . وطفلة اخرى مشلولة الساقين تتمنى ان تجوب الشوارع كغزالة سجنت حيناً من الزمن ، فترى رجلاً في ثياب بيض يهبط من السماء ويلمس قدميها فتدب فيهما الحياة ، تركض وتركض حتى تغني الارض تحت قدميها ، وحين تتوقف عن الركض وترتمي مجهدة تحت اغصان احدى الاشجار تكتشف انه لم يبق في عالمها سوى أن تراقب العصافير ، فقطبت جبينها ثم اجهشت بالبكاء .. واستمرت مدى طويلاً غير ان الرجل الذي يرتدي ملابس بيضاء لم يحضر ، وظلت العصافير ترفرف باجنحتها عبر السماء الزرقاء .. » .

المأساة تحيط الجميع . تقتل البراءة وتكبت رغبة الطفل في الانطلاق دون ذنب جناه . هذا عالم قاس يواجه الانسان بلا انسانية ، وهو كذلك عالم متخلف ، في أكثر من قصة رسم « زكريا تامر »

ملامح المدينة المتخلفة التي يريد لها أن تباد : مدينة بلا اسوار ، أهلها يؤمنون بأن الله خلق من الملائكة عددا لا يحصى ،

وانهم من نور ولهم اجنحة بيضاء ولا تراهم اعين البشر ، اهل هذه المدينة

مغرمون بالنراجيل ، ولهتز رؤوسهم لنشوة لحظة تضرب يد على جلد دربكة ، يركبون السيارات لأنهم لم يكتشفوا الخيول بعد ، اهل هذه المدينة مزيج من الاغنياء والفقراء : الاغنياء مهذبون

يملكون اتمة بيضاء واحذية لامعة ويجيدون الرقص والحديث الناعم .. اما الفقراء فيقهقهون بخشونة في لحظات الفرح ويكثرون من البصق ويؤمنون بأنهم سيحلون ضيوفا في جنة الله بعد موتهم . لكن

قراءة في قصص زكريا تامر



الفقراء والاغنياء جميعا يحترمون الموتى احتراما شديدا ، وعندما تألم فتاة في المدينة بفصل رأسها من جسدها بسكين طويلة النصل .

في هذه المدينة تطبق المأساة على الجميع دون تمييز . وفي مواجهة عالم لا يمنح الابطال سوى الجوع والعجز وخيبة الامال ، يحكم عليه أبطاله بالاعدام ويتمنون دماره .

نقطة ضوء بعيدة تلوح في هذا العالم كنجم وحيد . يقول المهرج للاميرة وهو يحدثها من العالم الذي لا تعرفه خارج أسوار قصرها ان الناس خارج القصر يحرمون ، واحيانا ينتزعون قلوبهم من صدورهم فيبيعونها ويشترون بثمنها خبزا .

قالت الاميرة : الا يعرفون الفرح ؟
قال المهرج : يولد الفرح فقط عندما يتلاقى جسدان متآلفان ، أو عندما يجتمع بضعة أصدقاء ويتحدثون عن التعاسة والموت والعمل اليومي أو عندما ينام البشر ويحلمون » .

هذه افراح الارض التوارية : تلاقي الاجساد ولقاء الاصدقاء والاحلام . هذا هو الكمان الوحيد الذي يعزف لحن الفرح بين مآزق زكريا تامر ، تزحمه دائما حشرجات الابواق النحاسية وصراخها الوحشي حتى تكاد تطمس نأوحه الخافت !

* *

في قصص المجموعة الثالثة والاخيرة لا تكاد تخلو واحدة من الموتى أو المذبوحين أو رجال الشرطة أو المحققين أو الرجال الملتحين أو الآباء المتسلطين . تزداد رؤية « زكريا تامر » وضوحا وتحديدا ، وتزداد صياغته تركيزا وتكثيفا . فالصياغة الشعرية التي كانت طابع معظم قصصه القديمة تتجه الان نحو مزيد من التكثيف ، والصورة التي كان يرسمها الكاتب من قبل مستخدما عديدا من عناصر الواقع والطبيعة اختزلت الان في جملة واحدة ، واختزلت القصة نفسها فلم يعد طولها يتجاوز الصفحات الثلاث . واذا كان الابطال في المجموعتين السابقتين بحاجة الى وسيلة انتقال من

الواقع للخيال (الخمر أو الاغماء أو الحلم أو الموت) فان هذا الحاجز الرقيق قد تلاشى تماما . أصبحت القصص كلها لوحات تعبر عن الواقع دون تصويره ؛ معظمها لا يستخدم عناصر الواقع لكنه يقدم صياغة رمزية له تقوم على اكتشاف دلالاته والتعرف عليها ثم تقديم رموز تحمل الدلالات نفسها .

انظر لهذه القصة مثلا : ذهب الابن يزور مقبرة أبيه ، تكلم الاب ومارس سلطاته من جديد ، رجع الابن فذبح حبيبته وبقى وحيدا . فى الصباح التالى ذهب للمقبرة لكن الاب ظل صامتا ، فى طريق عودته التقى بالشرطى فانتهره بصوت صارم خشن : « انت تهين البلد » وأمره بأن يتجنب السير فى الشوارع الكبيرة ، فى الأزقة مضى يحلم بأن « **الصقر الذى يحيا فى بيوت الفقراء سيصعد يوما لاعلى ويمتلك سماء المدينة** » ، قبض عليه رجال الشرطة من جديد لانه تثاءب ، وقدم للمحكمة فحكم عليه القاضى بأن يموت غرقا . امتلأ فمه بالماء وهو ينادى امه غائصا الى قاع النهر . كف عن التثاؤب تاركا الشمس وراءه تشرق كل صباح .

هذه قصة نموذجية من حيث هى تضم الموضوعات الرئيسية فى هذه المرحلة من تطور الكاتب ، ومن حيث صياغتها التى تعتمد الجملة القصيرة المحددة التى بمقدورها أن توحى بحالة شعورية كاملة . فحين كان الشاب يحاكم لانه تثاءب كانت الشمس خارج المحكمة « **عصفورا ذهبى الجناحين** » ، وحين يلقى به الى قاع النهر يتخيل « **مدينة تحترق تحت سماء خضراء والقمر اسود ..** » . هذه الصور التى يرسمها « زكريا تامر » باستخدام الالوان استخداما شعريا فريدا كان يرسمها من قبل باستخدام الصور المتتابعة التى تستخدم عناصر الطبيعة والواقع معا .

وفى احدى قصص المجموعة يقول زكريا : « فى اليوم الاول خلق الجوع . فى اليوم الثانى خلقت الموسيقى ، فى اليوم الثالث خلقت القطط والكتب . فى اليوم الرابع خلقت السجائر . فى اليوم الخامس خلقت المقاهى . فى اليوم السادس خلق الغضب . فى اليوم السابع خلقت العصافير وأعشاشها المخبأة فى الأشجار . وفى اليوم الثامن خلق المحققون ، فانحدروا توا الى المدن ؛ وبرفقتهم رجال الشرطة والسجون والقيود الحديدية .. » .

هذه معظم عناصر عالم « زكريا تامر » لكن أخطر ما فيه هؤلاء الذين خلقوا فى اليوم الثامن ، فما أشد ما يرتكبونه بالناس ! حتى « **طارق بن زياد** » ألقوا القبض عليه وحاكموه لانه أحرق السفن دون اذن وحين اجاب بانه انتصر قيل له ان هذا لا علاقة له بالتهمة الموجهة . وبعد طارق جاء دور « **عمر الخيام** » . نبشوا قبره واخرجوا جثته لحما مهترئا وقدموه للمحاكمة . ماتهمة الخيام ؟ انه كان يكتب شعرا يمجد الخمر ، وهو من لم يحرض على استيراد البضائع الاجنبية . وحين ينكر الخيام يواجهونه بالشهود : بائع الكتب يؤكد ان ما كان يهتم به الخيام هو قصص الحب (او الكتب الجنسية كما يؤكد القاضى) ، وامرأة عجوز تشهد بأن الخيام اعترف لامرأة كان يهواها بانه يحب الكلمات أكثر من أى شىء آخر ، وصحفى يشهد بأن شعره يخلو من مدح محاسن الحكومة ؛ ورجل ملتح سمع المتهم يقول بأن الخمر تذهب الحزن . هذا الحزن يقوم بنشاط هدام كما يؤكد بقية الشهود ، فهو الذى حرضهم على طلب الحرية وشتم الحكومة والاشتراك فى المظاهرات والهرب من السجون وكراهية رجال الشرطة . هكذا يتأكد للقاضى أن الخيام جاسوس يعمل لحساب العدو فيحكم عليه بالامتناع من كتابة الشعر امتناعا تاما .. « وتولى رجال الشرطة نقل عمر الخيام الى المقبرة ، وأعادوه الى حفرته وأهالوا فوقه التراب بعد أن اتلفوا ما يملك من أوراق وأقلام غير ان الحزن ظل طليقا يمارس نشاطه الهدام » .

اننا لا نعرف كاتبا عربيا اتخذ من القهر البوليسى والسلطوى موضوعا لاعماله قدر ما فعل « زكريا تامر » . فالشرطة والمحققون والقضاة الذين يحكمون بالاعدام والجلادون عناصر أساسية فى نصف قصص هذه المجموعة على الاقل . هل صحيح اذن أن « زكريا تامر » يبتعد بقصصه عن هموم مجتمعه وينأى بها

حتى لتصبح قصص « أي انسان في أي مكان » ، ربما صح هذا اذا كان رجال الشرطة يمارسون قهرا لاسباب ميتافيزيقية ، لكنهم في عالم « زكريا تامر » يمارسون قهرا مرتبطا بقضايا واقعية ومحددة : انهم يطاردون الجياع الباحثين عن اللقمة ، ويطاردون المحرضين على طلب الحرية وشتم الحكومة والاشتراك في المظاهرات والهرب من السجون ، وهم لا يفلحون دائما في اخفاء الدوافع الحقيقية التي تجعلهم يفعلون ما يفعلون ، فهم يلقون القبض مرة على انسان ويحاكمونه ثم يعدمونه لانه تثاءب ، لكن القصاص الذكي يشير للسبب الحقيقي ، لا في كلمات ، ولكن بنسيج القصة كلها : لقد اختفت من حياة البطل كل مصادر التسلط بعد ان صمت أبوه الميت الى الابد ، وهو يسير في الشوارع جائعا ، عاطلا ، يرى طفلا يشكو لان طفلا آخر ضربه فتجيبه الام :

قراءة في قصص زكريا تامر



اضرب من يضربك . يفرح الضائع في المدينة ، لهذا هو الطريق الوحيد ، لم يروح يحلم بمعقر الفقراء الذي لا بد سيصعد يوما ويمتلك سماء المدينة . هذا هو السبب الحقيقي ، ومن اجله يقبض عليه ويعدم . يؤكد هذا بطل قصة اخرى : حين قال انه لا فرق بين الاغنياء والفقراء ، وحين طلب الى بني البشر أن يهدموا هذا الجدار الذي يفصل بين الانسان والانسان ، حين قال هذا تحتم ان يقطع رأسه وان يعود لبيته مقطوع الرأس . يقول زكريا تامر : ان قلت : « غني وفقير قطعوا راسك . لكنك تستطيع ان تعيش مقطوع الراس ، واذا كنت مواطنا مثاليا حقا وجب ان تستأذن مدير الشرطة كي تموت » .

من الحق أن نقول ان درجة القهر البوليسي كما تكشف عنها قصص « زكريا تامر » ليس ثمة ما يبررها الا نحن وقفنا عند مضمونها المباشر . لكنها تكتسب دلالاتها كلها — من حيث هي رمز لمختلف القوى القاهرة والضاغطة واللامبالية بحياة الانسان وحريته — حين نراها جزءا من عالم الكاتب الذي تسهم في اضاءته تلك القصص التي تدور حول التخلف كما يتجسد في علاقة الرجل بالمرأة في المجتمع . لقد اختار الكاتب هذه الزاوية ينظر منها الى اعراض التخلف ومظاهره ، ويمضي في كشفه حتى يكتب حواره المتخيل موضحا حقيقة الدوافع ، دون محاولة لسترها . قرر احد ابطاله ان يتزوج ، ولعل هذا أن يخضع لابيه خضوعا كاملا ومطلقا . اتفق الكبار على كل شيء واختاروا له الفتاة . وهذا جزء من الحوار المتخيل بين أبيه وأبيها :

« — كم تريد ثمنها ؟

— ابنتي جميلة ، متعلمة ، وسأقبل ان أبيعها اكراما لك بخمسة وثلاثين ليرة لكل كيلو .

— هذا ثمن باهظ !

— لو لم تكن جيرانا لطلبت اكثر .

— وانا أيضا سأطلب منك آن تخفض الثمن لاننا جيران .. »

وتمضي المساومة حتى يتفقا على السعر المناسب ، « وارسلت هيفاء على عجل الى السوق ، وهناك وضعت على ميزان

كبير ، ليبلغ وزنها خمسين كيلو ، ودفع والد صلاح الثمن بينما كانت الزغاريد تتعالى ، ثم اتجهت هيفاء الى الغرفة المخصصة لصلاح واغلق الباب باحكام ». ماذا دار وراء الباب المغلق ؟ ان هيفاء ليست عذراء بل امرأة مجربة ، ويجهش البطل بالبكاء حين ينقض على ثدييها العارى فلا يمنحه الثدى حليبا دافئا !

فقدان العذرية مرتبط بضياع البراءة من ناحية ، وبقاء الرواسب الاجتماعية من الناحية الاخرى ، وعجز الفتى وارتداده للطفولة مرتبط كذلك بالخضوع المطلق للسلطة القاهرة . هكذا تتلاقى

هموم هذا الواقع وتتشابك عناصره . تكشف هذا التشابك وتلقى الضوء عليه على نحو افضل ، قصة أخرى لعلها من أهم قصص المجموعة واكثرها دلالة على

تطور رؤية الكاتب وافتتانها بعناصر متعددة تتجاوز عالمه القديم ، ومن اكثر القصص كذلك اشارة لفكر الكاتب بعد ١٩٦٧ . فقصة « النابالم .. النابالم » تختار لحظة فى يوم من أيام الهزيمة ،

يمشى « أحمد » و « ليلى » فى الشوارع قلقين مذعورين ، وما تبقى من المحاربين ينتظر مقدم الموت فى غرف المستشفيات . « ليلى » تحكى لحبيبها عن المضروبين بالنابالم اللاتى تقوم على تمريضهم ، يطلب منها « أحمد » ان تصحبه

لغرفته فتتردد ، يستفزها فتقبل ، وحين دخلت غرفته الوحيدة « فلاقى الغصان مخضرتين جالسين تواقين للفرح ، وفى تلك اللحظة أحرقت الأرض لهاب الحداد وغنى ابناؤها للعشب الاخضر ، والنصر الاعداء ، وتحولت قنابلهم الى ورد أحمر » .

فى هذه اللحظة النادرة عند ابطال « زكريا تامر » ، لحظة الفرح فى عالم وحشى تسوده الكآبة والتآمر والتمزق والانتحار والمهانة ، فى لحظة الفرح النادرة تلك يأتى رمز التخلف وتجسيده كتفكير مبالغ : رجل ملتح مقوس الظهر ، صاحب البناية لا يرى فى أية أنثى سوى عاهرة » .

وسط الهزيمة والكآبة تتألق لحظة فرح نادرة ، ينقض عليها ذو اللحية ليمزقها دون رحمة . ماذا يفعل البطل الذى ضاعت منه لحظة الفرح فى عالم متوحش ؟ . انه يلجأ مباشرة للباب الوحيد المفتوح على مصراعيه امام ابطال « زكريا تامر » فى هذه المرحلة : الرغبة فى تدمير العالم بدل تدمير الذات .. « وتساقطت قنبلة اثر قنبلة ، دمرت المقاهى والمآذن والمدارس والمستشفيات ومخادع النوم ، واحرقت الليل والمطر غير ان أحمد أمر بقذف المزيد من القنابل» .

هذا الرجل ذو اللحية يتردد دائما حين تبدو فى الافق ملامح الفرح ازمة البطل . ما اسرع ما يتصدى لها الرجل الملتحى ليمحوها : واحد من هؤلاء شهد بأنه سمع عمر الخيام يقول ان الخمر

تذهب الاحزان والحزن يقوم بنشاط هدام ، وواحد منهم أيضا هو الذى قرأ مرثية الاتهام قبل ان تمتد الخناجر لجسد عبد الله الذى زين له ابليس اللعين انه يستطيع الحصول على حذاء ،

فكانت نهايته عبرة للفاسقين الذين لا يريدون ان ينظروا حفاة حتى موتهم . معظم القضاة الذين يحكمون بالاعدام والذين يقرءون مرافعات الاتهام من هؤلاء الملتحين ، وقد جمعهم « زكريا تامر » وجعلهم فى مدينة واحدة سماها « اللحى » !

ماذا فعل الملتحون بمدينتهم ؟ حاصرتها جيوش « تيمورلنك » فاجتمعوا لينظروا فى هذا الخطر ، وحمدوا الله لانه خلقهم ذوى لحى ولم يخلقهم نساء . صاح احد الشبان فى نزق :

للتحارب . فأسكتته نظرات السخط . أجمع ذوو اللحى على ان الحرب لا ضرورة لها ، فالحرب لن ليس موجودا ، ومن

ليس موجودا هو من لا تتدلى لحيته . وهكذا ذهب وفدهم يسلم المدينة ونساءها للغازى فلا يطلب منهم هذا سوى شىء

واحد : أن يحلقوا لحاهم كى تزدهر أعمال الحلاقين . كيف الحياة اذن دون لحى ؟ ويرفضون فتجتاحهم جيوش تيمورلنك : دكت الاسوار وحطمت الابواب

وذبحت الرجال كلهم ، وجلس تيمورلنك ينظر متشفيا الى جبل من الجماجم الملتحية .. وهكذا يا أيها السادة هزمنا دونما ثأر ، وجللنا عار لا يمحوه اى دم »

ذو اللحية الذي هو التجسيد الحي للواقع المتخلف ، تماثله ايضا صورة الاب. واذا كان « كافكا » قد اشار بوضوح لان رفضه لابيه يعني رفضا لاسلوب من

اساليب السلوك في المجتمع ، فان رفض « زكريا تامر » للأب هو رفض لواقع حضاري كامل : بقيمه وتقاليده الاجتماعية بزيفه الذي يطلي وجوه الناس واعمالهم ،

بسيطرة عقلية غيبية عليه ، لتجاهل تحديات الواقع وتكرر راجعة الى كليشيهات في الفكر والسلوك اهترأت وفقدت مبرر

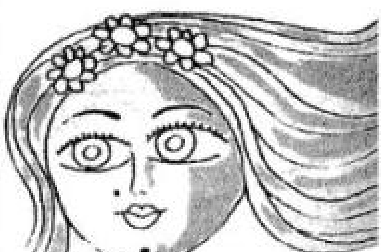
وجودها . وتبقى الام كهفا اخيرا يلوذ به البطل المأزوم المرهق .

**

قد تقول ان في عالم زكريا تامر شيئا كثيرا من عالم كافكا : فيه هذا الجو

الكابوسي الخانق في اعماله الاولى ، وفيه صور التحول التي لا تنتهي ، خاصة

قراءة في قصص زكريا تامر



تلك الصورة التي تتردد كثيرا للمرأة التي تتحول الى لحظة الملامسة ، وقد تستطيع ان ترد الى عالم كافكا هذه المقولة باكملها بقولها المحقق لسليمان الحلبي : « لماذا ولدت ما دمت بريئا ؟ جئت الى هذا العالم كي تهلك ، وستهلك دون احتجاج . انت مجرم ، وكنا نراقبك منذ امد طويل ، فالناس المشبوهون نعرفهم بسرعة ولا يستطيعون خداعنا » ..

وقد تقول ايضا ان في الجو العام لبعض قصصه الاخيرة وفي ملامح ابطالها شيئا من اعمال كتاب العبث ؛ فالبطل الذي تقطع اعضاؤه عضوا بعد آخر ، او الذي يضمحل ، او يتحلل ، والانسان الذي يتحول الى جرذ وحين يتم تحوله يأكل اللحم النيء ، ويرى جرذا انيق الثياب

يجر خلفه طفلا اشقر الشعر يمشي على يديه وقدميه ويطوق عنقه سلسلة حديدية مثل هذه الصور كادت تصبح تراثا مشاعا لكتاب العبث ، ولعلها تشبه — على نحو من الانحاء — تلك الصيحة

القديمة التي اطلقها « زكريا تامر » في مجموعته الاولى ضد الآلات ، ورغبته في ان يجمعها في مكان واحد ثم يدمرها ، كي يعود الانسان الى ارض البراءة .

قد تقول هذا ، وتقول غيره . لكن زكريا تامر استطاع ان يتمثل ما غرفه ويفيد منه جيدا ، وان يصبح نسيجا وحده في القصة العربية يمتاز بشيئين

لميزتين : الاول هو هذه الرؤية المتفردة للواقع ، واقع القهر والتخلف وافتقاد الحاجات الاساسية والبحث اللاهث عن اشباعها . والثاني هو هذه الصياغة الشعرية التي تستخدم عناصر الواقع حينا لتجعل من تراكمها عالما شعريا مرحبا ، او تكثفها حينا وتقدمها مقابلا تعبيريا نابضا بالحياة ، لا توليدا ذهنيا نائرا يفتقد الصدق والحرارة .

في عالمه يتالق نجم وحيد : الحب خلاص كذلك . واذا كان تدعي العالم خلاصا بالموت فمن الرماد سينبثق عالم

جديد ، والحب ايضا خلاص حين لا يكتم انفاسه رجال الشرطة او اصحاب اللحى ، حينئذ يصبح الحب عطاء ومشاركة وجهدا ومبادرة ، وسبيلا اساسيا للتجاوز

المسرح

جزء
خاص عن:

- **هيلين ڤيجل:**
  موت ممثلة عظيمة
- **مسرح سعد الله ونوس**
- **دخول الحمام مش زى خروجه**
  أول مسرحية كوميدية مثلت على مسرح برينتانيا ١٩١٦
  ألفها إبراهيم رمزى وأخرجها عزيز عيد
- **وثيقة هامة تنشر لأول مرة**
  كيف بدأ جورج أبيض التمثيل باللغة العربية؟

في شهر مايو الماضي ماتت هيلين فيجل الفنانة العظيمة

المثلة « سميحة ايوب » في زيارة « هيلين فيجل »



● هيلين ڤيجل : موت ممثلة عظيمة

المسرح

هيلين فيجل "والهبوط" إلى الشهرة

بقلم : برتولد بريشت

◆ انني هنا لا انوي ان اسجل نجاح « هيلين فيجل » تلك الممثلة العظيمة التي وصلت الى قمة المجد ، واستطاعت ان تذكي المشاعر والأفكار في نفوس مشاهديها ، حتى انهم كانوا يبكون لبكائها ويضحكون لضحكاتها ، ولكن اسجل ما حدث بعد هذا النجاح .

● لقد اتقنت « هيلين » فنها ، وحرصت على ان تقدمه لجماهير الشعب العريضة ، ولهذا اختارت أن تعرض وتمثل الشخصيات والموضوعات التي تهم عامة الناس ، ونتيجة لهذا الموقف الفني الملتزم بقضايا انسانية بدات « هيلين » تفقد منزلتها كفنانة كبيرة وسط تلك الفئة المتميزة القليلة من جمهور المسرح الالماني ، واخذت أسهمها في الهبوط منذ وقوفها على خشبة المسرح لتقدم اولى الشخصيات التي اختارتها — شخصية امرأة عجوز من الطبقة العاملة — لقد ادت هيلين هذا الدور باتقان بالغ وابرزت مشاعر واحاسيس هذه المرأة الكادحة تجاه العمل الذى كان يفرض عليها أن تؤديه حتى لو انعدمت لديها الرغبة في ادائه . وبالرغم مما بذلته هيلين في هذا الدور من جهد فني ، لم يستحسن جمهور الحاضرين — من تلك الطبقات المتميزة — ما قدمته ولم يشعر بالارتياح لتلك الصورة وبدا يتململ مما يشاهد .



« هيلين فيجل » في مشهد من مسرحية « انتيجونا »

● لم تغير هيلين فيجل موقفها الفنى نتيجة انصراف هذه النوعية من المتفرجين من مسرحها .. وحينما اغلقت المسارح الكبرى ابوابها في وجهها اتجهت لتقدم اعمالها على خشبة المسارح الصغرى ومسارح الاقاليم .

وكان بعض النقاد ممن يقدرون فن هيلين يتابعون اعمالها .. وجميعهم لم ينكروا عليها قدرتها الفنية ، لكنهم عابوا اختيارها لتقديم هذه النماذج .. وانطلقت الشائعات تهاجم هيلين فيجل وتردد :

« عندما تشاهد هيلين فيجل فانك تشعر بالملل »



● واخيرا وجدت هيلين الجمهور الحقيقى ، حينما بدأ العمال فى انحاء الوطن يترددون على مسرحياتها ، وبدا اهتمامهم واضحا بالشخصيات التى تقدمها هيلين لانها قريبة الى نفوسهم يتفاعلون معها ويمتزجون بها فى وعاء واحد هو فن هيلين التى كانت تبذل المزيد من الجهد حتى تستطيع بايماءاتها ان تعبر عما تقوله ببساطة ووضوح .. واحبتها الطبقات العاملة من القلب ، وقدروا فنها واعتبروها من ممثلات الدرجة الاولى .

● ان هدف الكثير من كبار الممثلين هو الاستحواذ على المشاهد لنتيجة الاتقان فى تقمص الشخصية .. لكن هيلين لم تهدف الى ذلك فى ذاته ، وانما حرصت باتقانها لدورها أن تفتح اعين جمهور المشاهدين وان تنبه عقولهم لما تقول .. لم ترغب ابدا فى ان يذوب المتفرج فى الفنانة ذاتها ، ولكن فيما تؤديه من فن .. ولقد امتدحها احد المتفرجين قائلا :

— انك لم تمثلى دور الام الكادحة .. بل كنت تلك الام ذاتها

واجابته هيلين :

— لقد مثلت دور الام الكادحة ، ولا بد انك احببت هذه الام ذاتها ، ولم تحب شخصى .. وهكذا نجحت هيلين بأن تسهم عن طريق الفن فى اعادة بناء نفسية الطبقات الكادحة .

● وحينما مثلت هيلين دور امرأة من نساء الصيادين فقدت ابنها فى الحرب الاهلية ووقفت تواجه الجنرالات الذين تسببوا فى هذه الحرب ، استطاعت أن تحول كل لحظة فى تلك المسرحية الى لحظة تاريخية ، وأن تجعل من كل كلمة تنطقها حكمة مشهورة .. ولقد فعلت هذا ببساطة وطبيعية ، وحين سئلت « كيف تمكنت من اظهار تلك الثورة الداخلية للمظلومين ؟ » اجابت « من خلال مشاهدتهم من قرب »

ان هيلين لم تعرف فقط كيف تحرك مشاعر الناس ، لكنها عرفت أيضا كيف تجعلهم يفكرون ، احيانا بعنف واحيانا برقة . وان يؤمنوا بان هذا التفكير يجب ان يكون من أجل سعادة الجنس البشرى

● وهجر مسرح هيلين فيجل المتخصصون فى النقد ومحترفو الفن ، وحل محلهم رجال الشرطة ، فقد تنبه الحكام الى خطورة ما تقدمه هيلين ، والى الاثر الذى تتركه فى نفسية مشاهديها ، فاعلنوا عليها الحرب ، وكثيرا ما كان ينتهى العرض المسرحى باصطحاب هيلين الى السجن او مقر الشرطة .

● وامام هذا الاضطهاد المستمر اضطرت هيلين الى الفرار من وطنها عبر الآرائى والمحيطات ، لكنها احتفظت بفنها ، واشتركت عدة مرات مع بعض عمال الشركات فى تقديم نماذج من فنها .. لكن أغلب وقت هيلين كان مخصصا لاداء اعمالها المنزلية ، وتربية اطفالها بعيدا عن المسارح .

● وحينما تظهر هيلين هذه الايام على خشبة المسرح فانها تجعل من فن التمثيل سلاحا من أكثر الاسلحة حدة فى النضال .. ان المتفرج ربما ينسى عذابه وهمومه وهو يرى هيلين فيجل على خشبة المسرح .. لكنه لن ينسى ابدا الاسباب التى دفعت لهذا الظلم ، وغالبا ما يترك المتفرج مكانه بالمسرح وهو اكثر صلابة واستعدادا للمقاومة ، كل هذا لان هيلين فيجل عرفت عليه حكمتها واظهرت صلاحية ما تنادى به حين أصرت على الارتقاء بفنها وحملته معها الى القمة ثم وصلت به الى الاعماق ، وحين فقدت هيلين مجدها الاول لم تهتز وصمدت حتى بدأ مجدها الثانى فى الظهور .. ذلك المجد الذى صبغه احترام المعذبين من الجنس البشرى لفنها ودورها فى ان يكتشف ابناء وطنها اعماقهم وقدراتهم ليعاوا بها .

ترجمة : غنيم عبده



« هيلين فيجل » في المشهد الاخير من مسرحية « الام شجاعة » ..

هيلين فيجل
الممثلة الخالدة

في العام الماضي ظهر البومان جميلان أصدر أحدهما « هانز شلقرلج » في المانيا الشرقية وأصدر الاخر « شركمب » في المانيا الغربية ، وذلك بمناسبة عيد ميلاد « هيلين فيجل » السبعين . ولقد تصفحت الصور التي ظهرت في الالبومين فادركت أنه منذ العشرينات « بالضبط منذ بدايتها في فرانكفورت عام ١٩١٩ حينما مثلت هيلين دور مارى لوابجز » لم تتغير الا قليلا .. تجعدت بشرتها طبعا وهذا شيء طبيعي ! لكن وجهها قناع مسرحي متحرك وجامد في نفس الوقت . تحركه عينان لا تكفان عن التعبير ويبدو فيه لم تهرم ـ هذا هو الوجه الذي اكتشفناه عام ١٩٥٤ في



مسرحية « الام شجاعة » والذى شاهدناه دون أن نشعر بأنه تغير وذلك منذ شهرين فى عرض « الام » .

كانت « هيلين فيجل » تتحدى السن والزمن . ففى عام ١٩٣٢ وكانت لا تزال فى الثانية والثلاثين من عمرها أعطت الحياة « لبلاجيا فلاسوفا » * وكانت قد قامت أيضاً بدور الخادمة فى «أوديب ملكا» ودور الملكة «كونستانس» فى «الملك جون» لشكسبير وكذلك « ليوكاديا بكبك » فى مسرحية « رجل لرجل » و « سالومى » لهيرود و « ماريان » لهيبل وكلودين لجورج داندان » ولكن .. فى عام ١٩٤٨ وبعد عشر سنوات فى المنفى لم تقف خلالها « هيلين فيجل » على خشبة المسرح ، قررت العودة اليه فى دور « أنتيجون » الذى رغب « بريخت » ان تقوم به . وكأن الزمن قد غير من اتجاهه متوجها اليها .

وفى يوم ١٩ مارس الماضى وفى مدينة « نانتير » ظهرت هيلين فى دور « بلاجيا فلاسوفا » ، ولم يكن تقدم السن يثقلها الا قليلا . كانت مصابة بالفعل فى نهاية المرض ــ كانت تمثل وشفتاها تكسوهما الزرقة وكانت بالطبع تبدو منكمشة وكنا نشعر انها تتنفس احيانا بصعوبة ولكن ذلك كله لم يؤثر على الاطلاق على ادائها ، لم تفقد أى ميزة من ميزاتها وكانت « بلاجيا فلاسوفا » تظهر ساخرة أكثر من أى وقت مضى ، متيقظة لابسط التفاصيل الصغيرة ، وحتى حينما كانت تمسك بشىء : قطعة قماش أو علم احمر أو كوب صغير لقد كانت تزنه ، وتتحسسه وكأنها تريد أن تدرج جوهر الشخصية التى تمثلها بالمادة التى تمسكها ، ولكن آداءها فى نفس الوقت كان قد اكتسب نوعا من الرقة والشفافية .

وقد تحدث « بريخت » عند أداء زوجته ممثلته وملهمته « ولا شك انها ستظل النموذج الذى بنى عليه بريخت الصورة التى يتمنى ان يكون عليها ممثل المسرح فى رأيه » . كتب عنها يصف اداءها كما لم يكتب كاتب من قبل عن ممثل أبدا ، لقد كان لا يكف عن ترديد كلمة « عبقرية فيجل » تلك العبقرية المصنوعة من اعجاب الجمهور ومن البساطة الشديدة التى تجمع لها مجهوداتها وخبراتها كما يستعيد الاستاذ سنوات تلمذته . ومن هنا لقد كانت فى الحقيقة تمثل بالنسبة لبريخت النموذج الذى يحلم به : لا شىء من النرجسية فى تمثيلها ولكن أيضا لا شىء من البرود او الانفعال .. وعلى خشبة المسرح كانت « هيلين فيجل » فى وقت واحد حاضرة وغائبة كلية .

ولم تكن تستعرض فنها على الاطلاق ، كانت تقدم لنا الشخصية التى تمثلها او بالاحرى المواقف والتصرفات المختلفة والمتناقضة لهذه الشخصية . وتدركت لنا صورا لا تنسى مثلا فى مسرحية «الام شجاعة » : الوجه المشدود من الانتظار والالم والذى يتلقى مثل ضربة السوط نبأ اعدام الابن ، ووجه « تولنى » وهو يبتعد عن ابنه « كوريولان » الذى لم

* فى مسرحية الام . لبريشت

يكن يستمع الى توسلاته » وكان النموذج كاملا ومطلقا بين الممثلة والشخصية التى تقدمها ، وكانت الممثلة تستعيد نفسها بعد ذلك وتنظر .. لقد كانت تمثل وسوف تمثل ايضاً ولكن فى هذه المرة شيئا آخر .. سوف تشرح لنا كيف لم تعرف « الام شجاعة » شيئا وكيف ان « لولتى » عرف بهذه الحركة التى تبدو تلقائية ان يغير الموقف ويذكر « كوريولان » بمصلحة طبقته .

وكانت « هيلين فيجل » تشعر بالسعادة اذ تكشف لنا عن الشخصية التى تمثلها ــ وكان بريخت يقول : ان « فيجل » تستحوذ على الجمهور بحيث لا يرى غيرها ولا يسمع سواها .

ولابد أن نقول أن من وراء اللحظات الكثيرة فى ادوارها ــ لحظات الحقيقة ــ كانت « هيلين فيجل » تقدم لنا نموذجا للحيوية وللتفوق الفنى فى أداء ادوارها لا مثيل له » والصور التى نحتفظ بها لها تكاد تنسينا ذلك ، وذلك بالضبط لانها ليست اكثر من صور وذكرى تجارب ولقطات صغيرة منعزلة وخاطفة . فى حين أن اهم ما كان يميزها هو الحرية العامة للاداء » والطريقة التى كانت تضع بها النغمة الصحيحة على كل المواقف المختلفة للشخصية التى تقدمها .

وكان ذلك خليطا متشددا من القصص الشخصية ككل وكتفاصيل . شيئا فشيئا امام اعيننا . وتقريبا دون ان يتغير شىء فى الظاهر ــ كانت « بلاجيا فلاسوفا » تتحول من ارملة عامل وام عامل الى الرفيقة « فلاسوفا » المناضلة الطيبة المجتهدة الحذرة الواثقة بنفسها . الواثقة بنضالها ، الحذرة ازاء عدوها ، المجتهدة فى عملها الثورى . ومن ناحية اخرى فان « الام شجاعة » كانت تتضاءل وتنطوى فى نطاق اسرة منهارة وعلى عربة خشبية قديمة . ولكن الممثلة كانت تشعر فى الحالتين بنفس الشعور بالسعادة لانها تنقل لنا ما يحدث للبطلة التى تؤدى دورها وهى تقدم لنا الدرس الذى تستخلصه من مغامراتها ، وكانتها فى نفس الوقت موضوع ومحرك حوار طويل ملىء بالمفاجآت ــ وكان آخر مشروع « لهيلين فيجل » هو رغبتها فى تمثيل شخصية « سلستين » لفرناندو دى روجا !

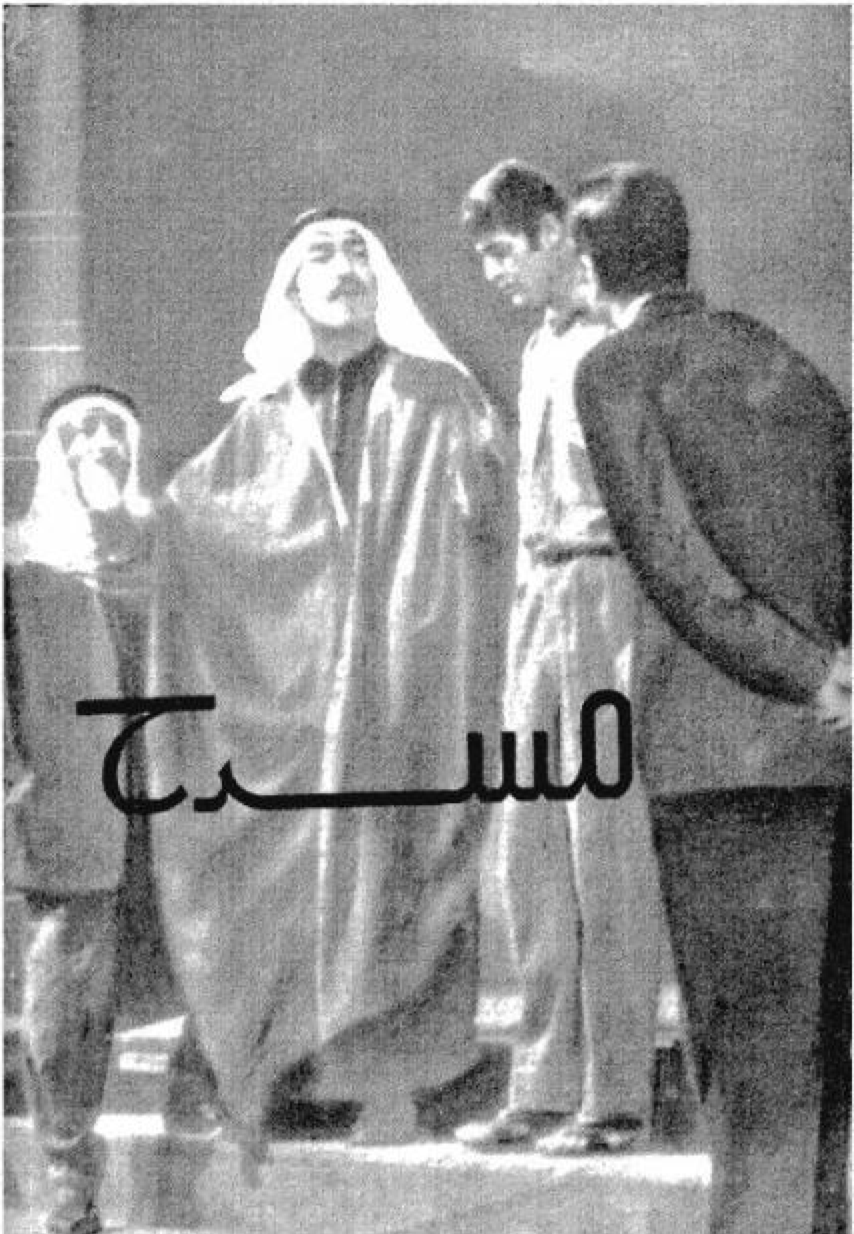
ان نموذج « فيجل » واسلوب « بريخت » عبارة عن شىء واحد : فبالنسبة لكليهما تمتزج الحقيقة والمتعة ليمثلان وحدة واحدة ــ ويعتقد بريخت انه من خلال المتعة يمكنه ان يغير الواقع وعن طريق الاداء كانت « هيلين فيجل » تعرض علينا الحقيقة المتنوعة والصريحة للشخصيات ، والى جانبها كان كل الممثلين الاخرين تقريبا يبدون متحذلقين مستهترين أو عاديين أو مفتعلين

ومن عام الى آخر كان اداء « فيجل » يزداد رهافة : وما كان تواضعها كممثلة الا المقابل الواضح لشعورها بالاعتزاز . وهى لم تكتف بتمثيل الادوار فقط ، وان لم تكن هذه المهمة سهلة دائما وبخاصة فى السنوات الاخيرة ، بل كانت تقوم ايضاً بدور الداعية للوحدة الالمانية ولم تكف عن تحقيق ذاتها الحقيقية طوال ممارستها للحياة وللمسرح .

ولذلك لقد كانت تبدو لنا وكان شيئا لايمكن ان ينال منها ، خالدة ابدا

ولم يغير موتها من الامر شيئا . لقد تركت لنا وليتها عمل طويل ونجاح كبير

ترجمة : ليلى القيسى

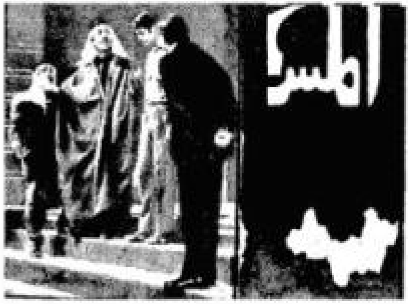

مسرح

■ فريدة النقاش ■

سعد الله ونوس كاتب مسرحي سوري في الثلاثين من عمره زاخر بالوعود ، يعد مسرحه ظاهرة فنية عربية تأكدت وتعمقت ملامحها بعد هزيمة ٥ يونية ١٩٦٧ ، وليس غريبا ان تكون مرحلة ما بعد ٦٧ من مسرحه مختلفة أشد الاختلاف عن سابقتها ، رغم ان عمر تجربته الفنية كلها قصير للغاية فالمسافة الزمنية بين مجموعة مسرحياته الاولى في ٦٥ وبين حفلة سمر من أجل ٥ حزيران في ٦٨ ليست من الاتساع بحيث تستطيع ان تفعل في وجدان الفنان كل هذا

سعد الله ونوس

الفعل . ان تغير منحاه وموقفه من المسرح . من دوره ومن الحياة انها بالاحرى تجربة جيل تفتح نضجا سريعا في ظل الهزيمة ، التى بقدر ما ألقت على انفاسه دفعته لان يعيد طرح كل الاسئلة ، والبحث عن الحقيقة في الواقع ذاته ، وفي داخل البشر انفسهم . دفعته الى المساءلة المستمرة ، مساءلة النفس ، ومنابع الالهام ، والتاريخ ، ومحاولة استشراف المستقبل من قلب الضباب الكثيف الذي يغلف كل شيء .



سعدالله ونوس

مجموع أعمال سعد الله ونوس خمس مسرحيات قصيرة هي «لعبة الدبابيس» «الجراد» ، «المقهى الزجاجي» ، «جثة على الرصيف» ، و «الفيل يا ملك الزمان» . وثلاث مسرحيات طويلة احداها من جزءين هي «حكاية جوقة التماثيل» ؛ الجزء الاول «مأساة بائع الدبس الفقير» والجزء الثاني «الرسول المجهول في مأتم انتيجونا» ، ثم «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» واخيرا «مغامرة رأس المملوك جابر» .

ويمكننا بسهولة أن نتبين مرحلتين في عمل سعد . تتمثل الاولى في مجموعته «حكاية جوقة التماثيل» التي اتسمت بالتجريد والاغراق في استخدام الرموز ، والغوص في داخل النفس الانسانية . كانت قراءات الفنان الشاب ما زالت شديدة الحضور مما أدى الى تأثيرها المباشر على عمله ، خاصة في «لعبة الدبابيس» و «الجراد» و «حكاية جوقة التماثيل» . كانت الاشكال الجاهزة امامه والمستمدة من المسرح الاوروبي – والتي ناقضها فيما بعد – هي التي بنى على نمطها أعماله الاولى .

كان الانسان الفرد على حدة ، بصراعاته الداخلية ومعاناته ووحدته ، هو بطل هذه الاعمال . وهو انسان محاصر ومطارد ومحكوم عليه أحيانا . هذا اللجوء الى الداخل جعل بناءه الدرامي يعتمد على المنولوجات الطويلة التي تقترب من شكل الرواية .

يعالج في «لعبة الدبابيس» ازدواجية الانا في شخصية «شدود» الذي يتحاور مع جليس غير مرئي يحكي من فروسيته ونبالته وذكائه الوقاد . وفي المقابل جسد متنفخ عاجز مشدود الى الارض ، يعوض بتحليق الخيال وانشاء الوهم كل ما يفتقده حقيقة . وبينما يلعب لعبته يأتي «برهوم» الحاوي الذي يلعب لعبا حقيقيا ، يغرز الدبابيس في بدنه ، ويقرر اليوم أن يلعب لحسابه للمرة الاولى . يأتي مطاردوه كقتلين وحميين من عالم سفلي ، وينهالان عليه ضربا وبيكيان . يغريهما باللعب فيرفضان ، بالمقامرة او الزهد او الاشتغال بصناعة التاريخ فيرفضان كل عروضه . ويتركان به العقاب ليبدأ جسده بالانتفاخ ، تماما كمسخ كافكا . وتنتهي لعبة الحصان بهزيمة حلم الفعل والفعل ذاته ، وتختلط شخصية برهوم اللاعب بشخصية شدود الحالم في عالم وهمي مجرد .

أما «الجراد» فهي تدور في نفس المناخ «الانسان المطارد» ، وتستمد مضمونها من فكرتين ، (قابيل) الذي قتل أخاه ، و (اوديب) الابن الشديد التعلق بأمه ، المأساة الانسانية الغامضة تتردد أصداؤها بعنف داخل الانسان الفرد في عالمه الخاص وبعيدا من الواقع اليومي ، يوسف يحب ويكره ويقتل ويضيع ، يواجه الجحيم والموت والعطش في الصحراء وعذاب الشوق الى نبع صاف ، الى عطاء الام والحبيبة . والحبيبة هي زوجة الاخ الذي يعد يوسف لقتله ، وتزدوج الشخصيتان ، الام ونادية (زوجة أخيه) في حكاية الغواية والندم بمتاهتهما الفنية والاسطورية المتعددة والشديدة الخصب . وبناء «الجراد» معقد ومتشابك . في البداية امرأة تحرض

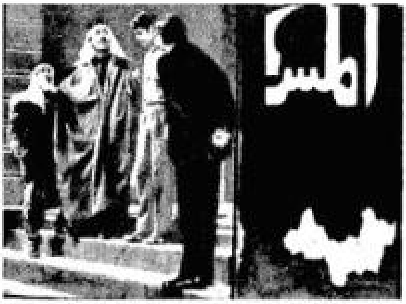
وتدور في عالم شديد الواقعية ، عالم ما قبل الكابوس ، لم نجد رجلين يعدان الزرنيخ للقتل — وتتداخل الأزمنة « الصخب والعنف » وتنسحب الحكاية ، وتفقد الشخصيات ملامح الانسان الواقعي لتصبح رموزا . ولكن يظل الانسان محاصرا مهما فعل وبسبب ما فعل . وحين يهجم الجراد ليفترس يوسف الذي لا يحميه أبوه ولا ترحمه أمه ينكشف الكابوس ويبدأ التفتح من جديد على الواقع الخشن .

وفي « المقهى الزجاجي » تطرح قضية من نوع آخر . محنة الرتابة وزحف الزمان والخوف من الموت معا . ويدور الحدث ، أو بالأحرى الحوار في مقهى زجاجي بين مجموعة من الزبائن الذين لا يتوقفون عن اللعب حتى حين يموت أحدهم . المعلم « فافا » صخرة ثابتة فقد مات كثيرون وظل المقهى يغص بالزبائن تماما كحال الدنيا . يحكي النادل قصة انفجار أمه التي تمردت على الرتابة بعد أن قضت حياتها خلف ماكينة الخياطة . أما « جاسم » فيرى مثل « فافا » أن العالم على ما يرام ، لا شيء يقلقه فهو يعرف كيف يواجه أولاده والزمان دون قلق ، بينما يشعر « أنس » بحلول الفاجعة القادمة التي تلوح بداياتها ولا يراها غيره ، فالزجاج ينشرخ والأطفال يكبرون ، ولا شيء يحمينا ، ويكون مصير أنس ككل الذين تمردوا ، يلقى بعيدا ولا يبقى في المقهى إلا الزبائن ذوو الوجوه الشمعية الذين لا يكثرون من الأسئلة ، وصاحبه فافا الذي يعرف المحظورات ويفرضها . يبقى الاستسلام للواقع المصير وعدم السماح للهموم والأسئلة أن تطل برءوسها هو شرط البقاء على المقهى ، شرط الهناء .

ولأول مرة في هذه المجموعة تتضح ملامح الواقع الاجتماعي الذي ينطلق منه « سعد الله ونوس » بعد ذلك في « جثة على الرصيف » فالواقع هنا أشد وضوحا وإيلاما ومباشرة ، ولهذا يأتي الينا سهلا لا تعقيد فيه ، هنا متسول يقف الى جانب سور قصر فخم يحرس جثة رفيقه الميت في جو شديد البرودة . يلتقي الشرطي بالمتسول ويدور الحوار حول دفء البيت الذي جاء منه « فالأحلام الوردية لا ترفرف الا في الأماكن الدافئة » وحين يكتشف الشرطي الجثة يدرك أنها ملقاة الى جانب القصر « وتلك المأساة » ويشرعان في التفكير معا للتخلص من الورطة بينما لا يكف المتسول عن استشارة صديقه الميت . ويأتي سيد القصر يجر كلبا جائعا يعده بالطعام حتى تنفجر معدته . ويعرض عليهما أن يشتري الجثة ويعرض الأسباب أمر ، ولكن قبل أن يشتريها ينبغي أن يعاينها حتى يتأكد أنها لم تتعفن . فيطلب الى الشرطي أن يفتشها ، ويطلب الى المتسول الحي الموافقة على الشراء « والآن ماذا قلت أيها السيد الذي لا اسم له ؟ » .

المتسول — بيد أن لي اسما ككل الناس .

السيد — لا يهم أني لا عرفه



سعدالله ونوس

المتسول ـ استطيع ان اقوله لك .

السيد ـ « تالد الصبر » ليس ضروريا ، افضل ان تظل بلا اسم .

هنا تقف المتناقضات كحل عملى على أقصى حدود عالمه ، المتسول يموت بردا وجوعا والكلب موعود بالشبع ، والسيد يفضل أن يظل البؤس بلا اسم ، عاما وشاملا ، وليس ظاهرة فردية . ويشترى السيد الجثة رافضا أن يدفع ثمنها لان المتسول ليس شقيقا او قريبا لصاحب الجثة ، والقانون لا يبالى بالصداقة . وهو أيضا ليس مجنونا لكى يشترى الاحياء . وخلف هذه الحادثة وفوقها ترفرف المأساة الانسانية اولا فى شكل الموت ، والمأساة الاجتماعية فى شكل هذه المفارقة البشعة بين عالمين ، هما القصر والرصيف ، السيد والكلب من ناحية ، والميتان جوعا وبردا من ناحية أخرى . انه عالم لم يعد يحتمل الانتظار أو التحليق فوق مأساته ، عالم يدعونا بالحاح أن نتقضى عليه .. وتلك اولى الخطوات .

بعد ذلك تأتى مسرحيته الطويلة الاولى « حكاية جوقة التماثيل » وهى حكاية المطاردة والقهر على مستويين ، جسد الانسان ، وروح الانسان ، قهر الانسان اولا كفرد ، وقهر المدينة بأكملها . ولكن القهر حين يوجه الى الافراد لا يولد الا الخلل ، فى الجسد والروح ، وحين يعم يولد التحدى والمقاومة . يستخدم الفنان فى كل من الجزءين جوقة من تسعة تماثيل تنزف دما وتتهشم الواحد تلو الاخر ، ولا يبقى منها الا أربعة تزداد جراحها وتنزفها على الافصاح .

وهذه التماثيل فى الساحة تتحول فيما بعد الى جموع الرياح الذين يستمعون الرائع ويتفرجون على نظيره فى الملوك جابر وهى الجموع التى تمثل لنا حكاية الفيل ـ وتماثيها ـ ثم تتدخل فى الختام لتستخلص من الاحداث عبرتها ، وتحذرنا .

فى « مأساة بائع الدبس الفقير » ضحية وصياد ، « خضور » بائع فقير يطوف المدينة طولا وعرضا كل يوم ليبيع طعام الفقراء للفقراء ، والصياد ، رجل السلطة « أهم ما يميزه نظراته الذئبية المحتقنة باللؤم والغش » . يستدرج الرجل فى الحديث حتى يحكى عن متاعبه ، فيلعن اللصوص والقتلة ، ثم يساق الى السجن ، ليلقى صنوفا من العذاب الوحشى .. وبعد شهور يستدرجه الرجل مرة أخرى الى السجن حين يحكى له الرجل عن صبى اسمه ابراهيم مثلوا به لأنه كان يغنى أغنيات من سالف الازمان » وهو بعد ذلك الرسول المجهول الذى لا يموت فى مأتم أنتيجونا » . ويخرج خضور من السجن مشوها ، حطام انسان تتقاذفه أرجل البوليس والاسياد فى الطرقات . وحين يسألونه باشمئزاز من أنت يقول « يقولون أننى من نسل آدم » ثم تراه الجوقة مبشرة بمزيد من الآلام .

اندفع ، الفنان
وتحطمت تماثيل أخرى

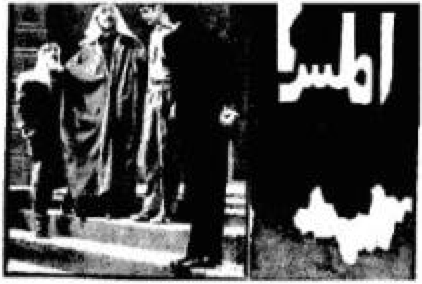
وفي ضمير الساحة لا تزال حكايات لم ترو
حكايات من بائع البرتقال ، من بائع البصل
من موظف المياه ، من طالب المدرسة
من حارس مصنع الكونسروه ، من السكرتيرة الجميلة
وطفل الحضانة لم تحمه الحصانة

والفخ ينصب هنا لا للمثقفين ولكن لأبسط القراء حتى يزدادوا فقرا ، والمسألة هنا شاسعة حقا بين الصياد والضحية ، فبقدر ما أن امكانيات الخطر المحتملة كامنة في البائع الفقير تكاد تكون معدومة « طالما ظل وحيدا وراضيا بقسمة الله له » فان « ونوس » يجعله الضحية الاولى للمطاردة البوليسية بقدر ما هو ضحية القهر الطبقي اقتصاديا واجتماعيا ، وذلك براءته حتى تتم المأساة وتكتسب بعدها وطابعها الاجتماعي !

وحين يتزايد القهر يولد الغضب والمقاومة ، يتم ذلك في الجزء الثاني حيث نجد المدينة تنتصب ، المدينة التي يرمز اليها « بالتيجون ــ خضره » ، والتي تحسم منها الجولة لتسميها بعد ذلك باسمها « مدينتنا » . وبينما كنا لا نعرف شيئا في الجزء الاول عن مصير الصبي الذي يقتل ، يتجسد هنا « الوجه الطفولي لكنه يشيع ببلوغ عقلي مبكر » انه الرسول الذي يأتي الى احتفال الشهاد بخضرة من قبل الرجل المحمر الوجه ليبلغه ان « احدا لم ينج » . في المرة الاولى يقطع لسانه ،



سعد الله ونوس



سعدالله ونوس

وفى المرة الثانية يستأصله ، وفى المرة الاخيرة يفرمه . ولكنه دائما يعاود الظهور ليبلغ الرسالة « ان احدا لم ينج » . والصبى — هو الناس القادمون — بشائر الرفض واستمرارية المقاومة . فى حين يقع الكائن المحمر الوجه « الذى قتل والذى قتل » فريسة للسعات جهنمية تتحول آلامها « خضرة » المدينة الى ضحكات لكن « سعد الله » لا يقع فى التفاؤل الساذج ، فيسجل الانتصار — الذى لا يسجل ابدا — على مسرحه . انما يترك لنا وجه الصبى مطلا عبر سحب التراب .

ويخرج « سعد الله » من هذا الشكل الرمزى المشحون بالدلالات والشعر الى شكل شديد الواقعية فى المرحلة التالية . يخرج من قلب الانسان وبعيدا من عذابه الداخلى والمادى كفرد ، او كرمز الى الاسباب الموضوعية والواقع الآنى او التاريخى الذى يسقطه بشكل واضح على العصر . ولكن هذا لا يعنى أن انقطاعا ما قد حدث فهناك صور وافكار أساسية فى أعماله الاولى التقلت لتتسع وتزداد وضوحا فى أعماله التالية . كالرجال الممسوحى الوجوه ، والمطاردة ، والخوف والقهر ، والعنف المضاد ، والسلبية والعجز .

ويمكننا ان نسمى المرحلة التالية فى اعمال سعد الله التى جاءت بعد حرب يونية وما فجرته من اسئلة وقضايا ، مرحلة محاولة اكتشاف الحقيقة ومواجهتها . وتتمثل فى اعماله الثلاثة الاخيرة ، « حفلة سمر من اجل ٥ حزيران » ، و « الفيل يا ملك الزمان » ، و « مغامرة راس المملوك جابر » .

والفارق الاساسى بين المرحلتين والذى أحدثه بالقطع وقع الهزيمة وما صاحبها من تغيير فى مواقع فنية وفكرية كثيرة لعدد من الكتاب ، هذا الفارق يتمثل فى ان هذه الاعمال الاخيرة تغوص فى الواقع مع نمو اتضاح الرؤية الفكرية والسياسية لدى الفنان ونمو الاشكال الفنية التى فرضتها المرحلة نفسها .

ففى الاعمال الاولى التى لا تخلو كلها تقريبا من صنوف القهر ، يظل من يمارسونه افرادا ، وبالرغم من انهم فى النهاية يرمزون الى قوة أكبر أو طبقة اجتماعية امرض ، الا ان المناخ الذى تدور فيه الاحداث ، الاسطورى أو الداخلى للانسان ، يعطى بعدا ميتافيزيقيا وكأنما الانسان محكوم عليه مهما فعل .. ولكن فى ٥ حزيران تتحدد بشكل واقعى ادوات القهر واسبابه انها « المصلحة الوطنية » باجهزتها وممثليها ووسائلها بشكل واقعى ومباشر .

وفى « الفيل يا ملك الزمان » هى فيل الملك ، والملك والحراس . وفى « مغامرة راس المملوك جابر » هى نظام باكمله ، رغم ان القهر فى الاخيرة يتم على مستويين ، المستوى الواقعى لزبائن المقهى الذى تدور فيه الحدوتة ، ومستوى الحدوتة التى يرويها عم « مونس » الحكواتى .

وبينما كان الخوف فى البداية خوفا مبهما وغامضا ومحصورا على مستوى فردى ، كالخوف من الزمن ، والنوم ، والحكم والمصير المجهول اى ميتافيزيقيا ، يصبح الخوف هنا محددا ، الخوف على الاطفال على لقمة العيش على الامان ، الخوف على الحياة ذاتها .

وأولى مسرحيات هذه المرحلة هي « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » . وهي أول مسرحية سياسية تعقب هذه الأحداث وتخرج من حلقة التبرير التي سقط فيها كثير من الكتاب الذين تناولوا الهزيمة ، ولم يستطيعوا ، أو لم يريدوا أن يواجهوا الحقيقة .

« غداة حرب حزيران كان معظم مديرو ورؤساء المؤسسات الثقافية ـ الرسمية منها خاصة ـ مندفعين ، وبحماسهم التقليدي لكي يثبتوا وجود مؤسساتهم . فلكل أحداث الدولة لا بد أن تكون المؤسسات الرسمية حاضرة ، وحرب حزيران بالنسبة لهم ، لم تكن الا واحداً من أحداث الدولة لا أكثر » .

المخرج يريد أن يحتفل ببدأ الحدث ولكن يبدو أنه قد وقع في ورطة ما ، ليخرج إلى المتفرجين ليحكي لهم ما دار بينه وبين المؤلف « عبد الغني الشاهر » ، الذي وضع نصاً هو « صقر الأرواح » عن الحرب ثم عاد وأصر على سحبه ، حين يبدأ في حكايته يستخلص ممثلاً ليلعب دور عبد الغني الشاهر ، ولكن الشاهر الموجود في الصالة وبين المتفرجين يصعد إلى الخشبة ليلعب دوره حيث يحكيان بأمانة ماحدث ويقدمان لنا ما أخفاه فعلا من المسرحية التي أرادها المخرج تمجيداً للبطولة ، ووجد الشاهر فيها تزييفا للواقع .

ومن الصالة يصعد على الخشبة فلاح من الذين وجهت لهم الدعوة أسكتكم؟

مشهد من مسرحية « حفل سمر من أجل ٥ حزيران »





سعد الله ونوس

لشكليات الصالح الطبقى » فثمة دعوات تقليدية للرسميين وأعمدة السلطة » وثمة أيضا دعوات تقليدية أخرى لعدد من اللاجئين ومواطنى الدرجة الثالثة » . يحكى لنا الفلاح ببساطته كل الحقيقة ، لماذا خرج الفلاحون وكيف خرجوا من قراهم حتى قبل أن تنشب الحرب . وبالتدريج تتحول الخشبة الى ساحة عامة يدور فيها حوار متدفق وحار ، حيث يحكى لأول مرة حكايته الحقيقية . خرج الفلاحون لأنهم عاجزون وفقراء لا يفقهون شيئا مما يجرى حولهم وتنحصر رؤيتهم للعالم فى دائرة الهموم اليومية ومتاعب الحياة التى تثقل عليهم وتذلهم ، وصمت المثقفون بسبب سلسلة لا تنتهى من المطاردات ونصب الشباك .

ويتضح التناقض بين التزييف الذى قدمه المخرج ممثلا « للسلطة » وبين الحقيقة الساطعة البسيطة ، بين صور البطولة المصطنعة والملفقة فى مسرحية عبدالغنى التى رفضها نتيجة لأزمته ، وبين الهزيمة الحقيقية المسبقة والمبررة بألف سبب . الهزيمة الكائنة والمعقدة فى أعماق الانسان العاجز ، وفى الواقع الذى يقهره كل يوم . وشيئا فشيئا تتسع دائرة النقاش ويصعد المزيد من المتفرجين الى الخشبة ويفقد المخرج سيطرته عليها حين يقتحمها عدد من المثقفين والطلاب والعمال الذين يطرحون كل أبعاد المحنة وأسبابها للنقاش . عجز الفلاحين المنفيين وعجز المثقفين المطاردين والذين فقدوا الاحساس بالوجود ومعناه ، منعوا الفرصة أن يكونوا مسئولين ، حين طلبوا السلاح قيل لهم « تقدر مشاعركم » لم انصرفوا ، حين تساءلوا كان اللسان قفلا والآن كلنا « فما الذى يبقى الآن من صورة نحن فيها اللسان والأنف والعينان وكذلك وسيلة التفكير » .

وبين حكاية أستاذ الجغرافيا الذى تمزق خريطته كما تمزق الأراضى التى لا تحمى ، وبين صورة الانسان ووجوده الباهت تقوم تلك الرابطة الخفية المنسوجة نسيجا بارعا ، فحين يهدر البشر تهدر الأرض . ولا يمكن أن تهدر الأرض فى ظل انسان موجود بكل ثقله ومتحمل لكل مسئولياته منفتح على العالم بحرية ، لا تكبله أغلال القهر الاجتماعى والبوليسى . فاذا كانت الأرض التى ضاعت فى ظل الاستعمار قد خرجت من ارادتنا ومشاركتنا الفعلية ، فان ما ضاع منها فى ظل الأوضاع الثالثة انما يؤكد التشابه الضمنى للظروف التى خلقت الأسباب والنتائج فى كلتا الحالتين .

هذا بالاضافة الى ما فى لعبة المرآة ، وخريطة مدرس الجغرافيا البسيطة من فرجة مسرحية وتوتر درامى يحمى ـ بتسلسل الثالثة ـ المسرحية من الانزلاق فى الاملال ، رغم اللغة الشعرية وتدفق الحوار السريع .

وفى ختام عملية الكشف يتم القاء القبض على كل الذين أسهموا فيها من الشاعر الى الفلاح فالمثقف فالعامل ، وهى نهاية لا تريح ولا تفرغ انما تقول لنا ان كل الأسباب قائمة ما زالت « والليلة ارتجلنا ، أما غدا فلعلكم تتجاوزون الارتجال » وما يبقى بعد الارتجال ، الا الفعل .

تظل « حفلة سمر » وثيقة تاريخية وفنية لاتتجاوزها الظروف ، ولن تتجاوزها الا

بالفعل ، والفعل الثورى بالتحديد .

وكان « سعدالله ونوس » بعد عملية الكشف « المرتجلة » التي قام بها في حفلة سمر مشغولا بالبحث عن شكل أكثر تكاملا ، شكل يؤمن الفرجة المسرحية ويؤمن له في نفس الوقت القدرة على « مواجهة الواقع » بمزيد من القاء الأضواء عليه والنبش في خفاياه . ليحصل بقدرة وفعالية أكبر أفكاره السياسية والاجتماعية والفنية المتقدمة ، ثم يوحى بالحلول التي لا يقدمها أبدا على مسرحه .

وجاءت « الفيل يا ملك الزمان » وهى مسرحية قصيرة مبنية على حدوتة شعبية قديمة عن فيل الملك الذى يقوم كل يوم بتخريب المدينة ، يدوس الأطفال والدجاج والخرفان ويقتلع الزرع ويهدم البيوت ، وبعد أن تتزايد المصائب بجمع الناس الذين يضيرون على بؤسهم اليومى مضافا اليه ارهاب الفيل لهم تتجمع القرية في الساحة « وشيئا فشيئا يتشكل اجتماع شعبى » - وهو حلم ونوس في المسرح وفي الدور الذى يمكن أن يؤديه في واقع تنعدمت فيه امكانيات العمل السياسي الجدى ..

وبقيادة شاب منهم يقررون الذهاب الى الملك لتقديم شكاواهم . ويذهبون الى القصر بعد تدريبات شاقة على ما سوف يقولونه للملك . واثناء دخولهم القصر بين انواع التحف والسجاد والرخام يتزايد هلعهم وحين يتحدرون أمام الملك لا يقوون بعدها على الوقوف أبدا وتخونهم الكلمات ولا يستطيعون ترديد ما اتفقوا عليه خلف قائدهم الشاب . وفي غمرة اليأس والاسى يتكلم الشاب وحده قائلا :

« نحن نحب الفيل يا ملك الزمان ، مثلكم نحبه ونرعاه وتبهجنا نزهاته في المدينة . وسررنا برؤياه . تعودناه حتى أصبحنا لا نتصور الحياة دونه . ولكن لاحظنا ان الفيل دائما وحيد لا ينال حظه من الهناء والسرور ، والوحدة موحشة يا ملك الزمان . لذلك فكرنا ان تأتى نحن الرعية نطالب بتزويج الفيل ، كى تخف وحدته ، وينجب لنا عشرات الافيال . مئات الافيال . الاف الافيال » وتكتمل المأساة الملهاة حين يستجيب الملك لطلب الرعية « الملبئة بالحنان » .

وفي الختام ينتصب الممثلون وقد نضوا الادوار ليقولوا لنا :

هذه حكاية

ونحن ممثلون

مثلناها لكم لكى تتعلم معكم عبرتها

هل عرفتم الآن لماذا توجد الفيلة

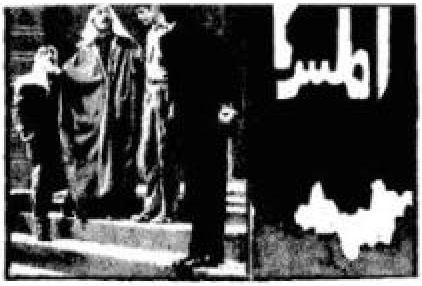
هل عرفتم الآن لماذا تتكاثر الفيلة

لكن حكايتنا ليست الا البداية

عندما تتكاثر الفيلة تبدأ حكاية اخرى

حكاية دموية عنيفة

وفي سهرة اخرى سنمثل جميعا تلك الحكاية .



سعدالله ونوس

هذه الحكاية الدموية العنيفة التى تولد مع الخوف والعجز والقهر تتضح وتتسع فى « مغامرة رأس المملوك جابر » مسرحيته الهامة والاخيرة التى يقدمها الكاتب محددا مفهومه « لمسرح التسييس . » فهذا المسرح هو حوار بين مساحتين الاولى هي العرض المسرحي الذى تقدمه جماعة تريد أن تتواصل مع الجمهور وتحاوره ، والثانية هي جمهور الصالة الذى تنعكس فيه كل ظواهر الواقع ومشكلاته • وحتى الان لايزال هذا الحوار صعبا ، فمن جهة هناك التقاليد المسرحية المبنية على الغاء مثل هذا الحوار ، أو اقامته بصورة غير مباشرة وضمنية ، وهناك ايضا ــ وهذا اهم ــ طبيعة المتفرجين أنفسهم وموانعهم الداخلية التي تحول بينهم وبين مباشرة الحوار والانسياق مع نوازعهم الداخلية للتعبير عن أنفسهم ..

ولهذا تدور الحكاية فى مقهى ــ زبائنه هم الجمهور الذى يضعه سعدالله على المسرح كوسيلة لكسر الحدود ودعوة الصالة للاسهام الفعلي فى العمل المسرحى يجلس الزبائن فى انتظار عم « مونس » الحكواتى، وقبل أن تبدأ حكايته لتلك السهرة لتبين لنحن صورة الوضع الاجتماعي والسياسي القاهر الذى يعيشه هؤلاء الناس ، وهو الوضع الذى لايغيب عنا أبدا ، والذى ينقطع اتصال أحدوثة بين الحين والاخر ليؤكده ويعمق ملامحه . « والله مفيش من قلة الموت » هكذا يردد الناس الذين يطلبون الى عم « مونس » أن يحكى لهم عن ايام البطولات والانتصارات ايام الامان وعمر الناس وازدهار الاحوال .• ولكن الحكواتى يصر على انهاء حكايات زمان الاضطراب والفوضى .

ويرد أحد الزبائن : ــ هذا الزمان نعيشه .

ولان هذا الزمان نعيشه يرى الحكواتى ان اختيار ترتيب الحكايات ليس عفويا ولا عشوائيا ، انه يرتبط بهذا الواقع حيث تنطبق الصورتان ــ زمان الفوضى فى الحدوتة ونفس الزمان فى الواقع .

كانت الخلافات على أشدها بين الخليفة المقتدر بالله ووزيره العلقمى « فى عصر كالبحر الهائج لا يستقر على وضع » وكانت المعارك تدور دون أن يعرف الناس سببا أو يسهموا فى صنع شيء . واكتفوا بالعزلة والفرجة على مايدور فى عصر المماليك حتى يأمنوا شر الخليفة ورجاله ووزرائه .

« يأمروننا بالطاعة فنطيع
يأمروننا بالبيعة فنبايع
ذلك هو سر الامان فى هذا الزمان
تعلمناه من الجلادين وسياطهم المرصعة بالمسامير
ومن حراب الحراس وعيونهم الزجاجية
ومن السجون التى لا تفتح ابوابها الا الى الداخل

ويصل الخلاف بين الوزير والخليفة الى قمة التوتر ، ويشاع فى بغداد ان الوزير يريد أن يبعث برسالة الى بلاد العجم ولا يجد وسيلة لاخراجها من بغداد المحاصرة .

فيذهب المملوك جابر الانتهازى الخارق الذكاء والذى لايعنيه شيئا مما يجرى وانما هو يعرف فحسب أن يراهن فى الوقت المناسب على الوجه الكاسب. ويذهب الى الوزير بفكرة خارقة أن يحلق شعر رأسه ويخط عليه الرسالة وينتظر حتى ينمو لم يغادر بغداد بالرسالة دون أن يكتشفه أحد . ويكتب الوزير رسالته وفى انتظار أن ينمو الشعر نعود الى المقهى لتقول نشرة الاخبار « فى الساعة السابعة من مساء اليوم عقد اجتماع هام فى القصر الجمهورى حضره السادة الوزراء » وذلك حتى لا ينقطع الاتصال وحتى لا تصبح الحدوتة متروكة لاجتهادات الاسقاط ولا تمزق الخيوط التى تربط زمان الاضطراب والعذاب فى الحدوتة بالزمان الذى يعيشه زبائن المقهى ــ الجمهور . وتنتقل المناقشة الى زبائن المقهى الذين تمتد فيهم ــ بتركيز هائل ــ بعض الشخصيات الموجودة فى الحدوتة .

فحين يختلفون فى تقييمهم لشخصية جابر يبرز الزبون الرابع ، الذى يقابله «الرجل الرابع » فى الحدوتة .

الزبون الرابع : ــ لا تزيدوها ، ما هو الا ولد ذكى ونهاز للفرص .
زبون ٢ : ــ نهاز للفرص ليكن هذا هو الطريق للوصول الى أعلى المراتب .

زبون ٤ : ــ واحيانا الى أسفل المراتب اذا كنت لا تعرف ويعلق على الرهان بين بعض الزبائن على مصير جابر قائلا « لا أراهن ، الا ان المنطق السليم هو الا يصح ما تقول » فالمنطق السليم لا يؤمن للانتهازى ابدا مصيرا سعيداً .

فى المقابل نجد شخصية الرجل الرابع فى الحدوتة الذى يدرك جيــدا أبعــاد القضايا وجوانب اللعبة ، ويواجه وحيدا منطق عامة بغداد ازاء مايحدث « من يتزوج امنا نناديه عمنا » ولكنه يدرك ايضا حدود امكانياته كفرد وأن شيئا لن يتغير بشكل جوهرى الا بعمل المجموع ، ويدرك ايضا أن الوصول الى الامان يمر عبر تضحيات اكبر تضحيات لها مردود فعلى ، تضحيات من يفعل ويؤثر ويسعى الى تغيير الواقع بالمشاركة الايجابية فى صنعه ، تضحيات يختارها عامة بغداد فى مواجهة سلطة القهر كبديل ثورى لما يفرض عليهم عبثاً من آلام .

ولانه يعرف النقائض ويدرك حدود أطراف الصراع لايجد فى البطولة الفردية مخرجا « لقد خبر السجون ولم يفعل شيئا »

وحين يقول له الرجل الثالث : اشتر خبزك وتحصن فى بيتك لن تصلح العالم على كل حال .
يرد الرجل : لا أستطيع بمفردى ان اصلح ولو زاوية صغيرة فى غرفة .

ويذهب جابر الى بلاد العجم ويسلم رسالته التى خط الوزير فى نهايتها توصية بقطع رأسه حتى يبقى الامر سرا ، وتدخل الجيوش الاجنبية الى بغداد التى تنتهك حتى النخاع ويذهب عامتها ضحايا بلا ثمن ، فتصح توقعات الرجل الرابع والزبون الرابع معا ، ويختتم الحكواتى حكايته « كان يوما مروعا لم تشهد بغداد مثله ، ثم



سعدالله ونوس

الحزن وانتشر الموت كالهواء ، لقى الكثيرون حتفهم دون أن يعلموا مايجرى حولهم ، وأصبحت الشوارع تسدها الجثث والخرائب وبقايا الجرحى ، ذلك اليوم هبط الليل على بغداد مبكرا ، ومثقلا بالويل والاهوال وانتشر الظلام مميقا ثقيلا - كأنه نهاية الزمان . »

ويخرج من بين الجموع الرجل الرابع ، وزمرد التى أحبها جابر وصلت رأسه المقطوع بين يديها ، والحكواتى الذى لا يريد أن يحكى من الفرح حتى يأتى أوانه ليتركه للزبائن والجمهور .

المجموعة : -
اذا هبط عليكم ليل ثقيل وملىء بالويل لا تنسوا انكم قلتم يوما
لنا الكبر بعطه .. ومن يتزوج أمنا تناديه عمنا .
من ليل بغداد العميق نحدثكم
من ليل الويل والموت والجثث نحدثكم

ويسأل الزبائن الحكواتى : متى تأتى سيرة الظاهر
الحكواتى : لا أدرى .. ربما .. الامر يتعلق بكم .

انه ينتقل ما يدور مباشرة الى الجمهور ، جمهور المقهى والصالة ، فبعد أن رأينا مارأينا ، بعد المصير الذى لعبه جابر « لهاز الفرص » وبعد الويلات التى لاقاها عامة بغداد من جراء خلافات لا دخل لهم فيها ، أصبح زمان الافراح متعلقا ، الآن - وبعد سيرة الحدوتة البديعة - بالناس أنفسهم هنا على أرض الواقع من المقهى والصالة .

لعلكم لو تجاوزتم الفرجة ، وقهرتم خوفكم على مالا تملكون ولو حثكم التوق الى الآتى المفرح على بذل التضحية ودفع الثمن ومواجهة سلطة القهر التى تستبدل فوق رءوسكم وعلى حسابكم ، حينئذ وحينئذ فقط يأتى عصر الجموع التى تصنع بنفسها ولنفسها الامان والمستقبل .

ويخرج الزبائن يتبادلون النظرة بحيرة وكآبة .
زبون : - يتعلق بنا .

زبون : - أما غريب هذا العم مونس .
زبون ١ : - غدا .. لن نقبل حكاية غير حكاية الظاهر .

ولعل الانفعال والحيرة أن يكونا بداية الادراك « فالامر يتعلق بنا » ، وسياق الحوار فى نهاية المسرحية لايدعنا للتفاؤل ، انه يحتمل كل شىء .. أن يكون الحكواتى ذلك الفنان الشعبى الذى بنى سعد الله مسرحيته على شكل حكاياته، قد لعب الدور المطلوب « مهيجا جماهيريا » يفتح بالحكاية سبل السلوك الايجابى حتى ينتقل من الحدوتة الى الواقع وحتى يصنع الناس عصر الافراح هم وحدنا . وحين يقول الزبون « لن نقبل غير حكاية الظاهر يتركها المؤلف لنا لتفسر مرتين ، احداها على مستوى الفرجة الخالصة التى يتلهى بها الناس من الامهم اليومية والاخرى على مستوى الفعل

الذي يلبس الحكواتي بداياته ودل على السبيل اليه عبر الاهوال والالام التي يدرك الناس منتهاها في مقابل الالام والاهوال التي لايدركون منتهاها .

وتظل مغامرة رأس المملوك جابر حتى الان هي اهم عمل درامي لسعد الله ونوس. استفاد فيه من الشكل الشعبي على طريقته وبفكره الخاص وحقق فيه شرطين رئيسيين من شروط نجاحه .

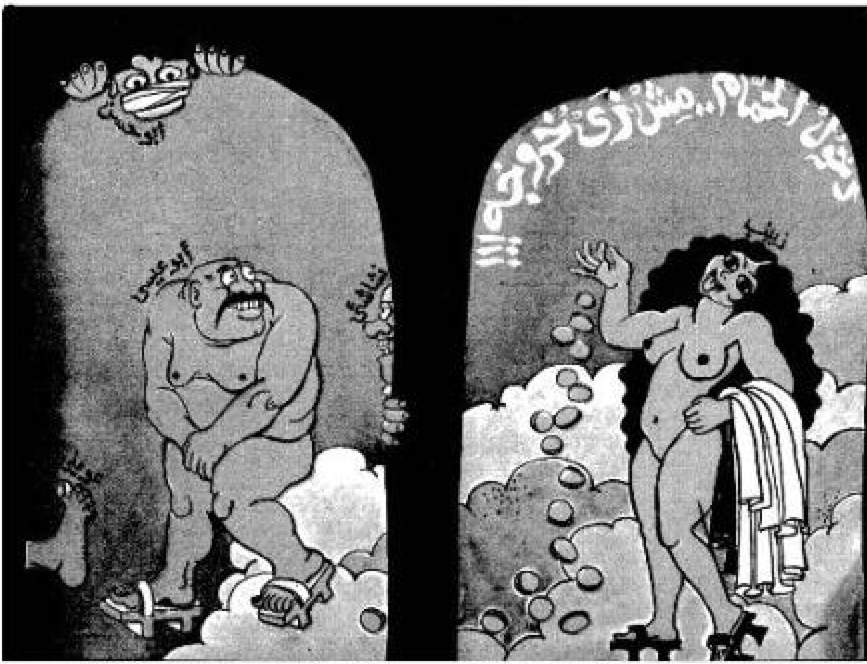
اولا : الفرجة والمتعة المسرحية البالغة التي وفرتها الحدوتة باحداثها ومسار هذه الاحداث وبعصرها وما يموج فيه وما يحيله من ملامح وبلغتها الشعرية .

وثانيا : دمج هذه الفرجة بفكر الكاتب الذي اتضح وضوحا عظيما ابتداء من « حزيران » انه يبرز سلبية الجموع وخوفها وعجزها ، ولكنه في الوقت ذاته يقدم لنا على الفور اسبابها فلا يحتقرها كما فعل آخرون ، وهو في نفس الوقت لا يغرق « في احلام ورديةعن الثورات والشعوب » وحين يكتشف طليعة لها ، على المقص وفي الحدوتة يدرك انهم كافراد لن يغيروا شيئاً وان بطولة الفرد الاثرة مرهونة بوعي الجماعة لدورها .

وحين يدين بشكل صارخ وقاطع « نهازي الفرص » الذين يركبون الموج بقطع رأس جابر على المسرح ويقدمها لنا برهانا على عقم الطريق ، وبرهانا اخر على غراوة الخلافة والوزارة ومتعلقاتهما.. الفرجة والفكرمعا يعطيانهذه المسرحية قدراكبيرة على النفاذ والاستمرار تقف شهادة على أن تعميق الرؤية السياسية والموقف الايديولوجي والنفاذ الحقيقي الى الواقع ضرورة أساسية لكل الذين يريدون للفن والمسرح بصفة خاصة كأداة مباشرة جدا ـ أن يسهم على المدى البعيد في تغيير العالم .

يقول سعد : « نحن نعرف أن المسرح ليس الا جزءا من هذه الجهود اليومية والطويلة الامد التي ستهيىء في يوم ما امكانية متواضعة من امكانيات التغيير ، وعندما سيتم ذلك التغيير لن تكون نقطة الانطلاق صالة مسرح ، أو ساحة مسرحية ، ومع ذلك فان للمسرح دوره ، وهو في الفترات التي يسود فيها الكبت أو اللاتسييس المنظم يمكن أن يكون تعويضا باهرا ، فهو من خلال جماعيته وعمله اليومي ، وعلاقته الحاضرة والمباشرة مع الناس انما يعطي الوهم بنشاط أو بعمل سياسي ، ولا يستطيع المرء الا أن يشعر بقوة عظيمة اذ يستطيع أن يهز ولو جزئيا جدار اللاتسييس المغلق . »

ومن واقع هذا الاختيار وفي اطاره يظل ونوس مشغولا بالبحث عن اشكال جديدة لا من باب « الموضة » أو لمجرد الجدة ، انما لكي يخدم بصدق مايريد ان يقوله للناس وأن يفعله بهم ؛ ان يكون المسرح اداة ايقاظ وتحريض واثارة سياسية واجتماعية ووجدانية . فسعد الله واحد من جيلنا قبل ان يختار المسرح اختار الثورة التي يمر الطريق اليها باكتشاف الحقيقة وتعميق هذا الاكتشاف كل يوم على المسرح وبأدواته ولا يرضى بما هو اقل من الحقيقة .


دخول الحمام .. مش زي خروجه !!!
أبو عيسى

تقديم المسرحية

بقلم دكتور علي الراعي

كتب « ابراهيم رمزي » هذه المسرحية في عام ١٩١٥ على ارجح الاحتمالات، وقصد بها ان تكون تطبيقا عمليا لمبدأ كان ينادي به، وهو ضرورة ان توضع الكوميديات المصرية باللهجة الدارجة.

ولعل « دخول الحمام » تكون أول كوميديا مصرية يكتبها كاتب مرموق، ذو ثقافة ادبية واسعة، وذو علم بالمسرح ودراية باحواله.

من قبلها كتب « صنوع » كوميديات متفاوتة القيمة، بعضها استمد الحياة الشعبية المصرية في النصف الثاني من القرن الماضي، وعمد — مع هذا — الى تصوير احوال الطبقات الميسورة في مصر من تجار وسماسرة ومتفرنجين، ووجه اليهم صنوع النقد بوسيلة او باخرى.

غير ان هذه المسرحيات قد وقفت في منتصف الطريق بين الخلق والاقتباس، فدينها للكوميديا العالمية — الفرنسية خاصة — واضح، وتصويرها لاحوال الشعب متعجل في الغالب، وان لم يمنع هذا من توفيق حققه يعقوب صنوع في نحت وتصوير بعض من الشخصيات المصرية الحقيقية، مثل الخاطبة مبروكة في مسرحية : ابو ريده وكعب الخير والبربري في المسرحية ذاتها.

وفي عام ١٩٠٤، كتب « محمد عثمان جلال » اول « مسرحية » من تأليفه، وهي مسرحية « المخدمين »، التي كانت اخر ما اخرج على سبيل المسرح بعد ان انتهى من تمصيراته الشهيرة لموليير وراسين.

غير ان « المخدمين » ليست مسرحية بالمعنى المفهوم للكلمة، انها صورة واقعية غنية بلغة الشعب، ثرية بما تصور من احواله، تحاول ان تعرض — على استحياء، ودون توفيق كبير — لمشكلة الخدم والمخدمين في نهاية القرن الماضي في مصر.

وبقدر ما في « المخدمين » من حيوية وقرب من الحياة الاجتماعية المصرية آنذاك، بقدر ما اخطأها التوفيق من ناحية البناء، انها لا تقدم قصة لقضية متطورة ولا تلتقي برأي فني فيما تقدم من مشكلة، وهي لهذا لا تعدو ان تكون لوحة جميلة رسمت لوضع اجتماعي ثابت.

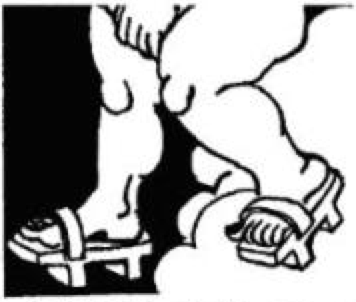
كان على الكوميديا المصرية المكتوبة ان تنتظر حتى عام ١٩١٠ — حين اخرج ابراهيم رمزي مسرحية « دخول الحمام » لتعثر لنفسها على شهادة ميلاد حقيقية.

والمسرحية من زاوية التاريخ شيء اكثر من طريف. ان حوادثها الرئيسية تدور حول ما يجري لعمدة وتابع له، وجدا نفسيهما في حمام شعبي، فحملا يستحمان ويسترخيان، وهناك يحدث لهما من المفارقات ما يقضي على مال العمدة وعقله — هو وتابعه — درسا قاسيا، وهو ان النساء لسن فتنة وملذات وحسب، بل هن ايضا تبعات وواجبات ونفقات!

ويلفت النظر على الفور ان هذا الثنائي الكلاسيكي، المتمثل في عمدة ساذج غفله والتابعة معطلة وادى الى الاهتزاز لبعض شأنه لوقوعه بين براثن امرأة جميلة مخادعة — قد استغله الريحاني بعد هذا بشهور في مسرحياته الهزلية التي تدور حول عمدة مشابه، اسمه « كشكش بك »، وتابع له اسمه « زعرب »، سرعان ما يلتحق بخدمة العمدة الهزار، ويشاركه مغامراته الغرامية، وما تجره من ويلات.

ولقد قدمت « دخول الحمام » على المسرح في اكتوبر عام ١٩١٦.

ومن الافتراض المعقول ان يكون ابراهيم رمزي قد كتبها قبل التقديم بشهور، وربما



في ١٩١٠ – كما يذهب الى هذا الاستاذ « زكي طليمات » في كتابه : « التمثيل ، التمثيلية ، فن التمثيل العربي » ، أو – على الاكثر – في أوائل عام ١٩١٦

ومعنى هذا ان عمدة نجيب الريحاني ، الذى ظهر على المسرح في ١٩١٦ ، لم يكن خلقا جديدا اوحى به الى الريحاني في فجر يوم جميل ، كما يقول الفنان في مذكراته . بل من الارجح ان ابراهيم رمزى كان قد سبق الى خلق شخصية العمــدة الفكاهي المتوج الشهية للنساء والملذات .

وعلاوة على هذا ، تذكر السيدة روز اليوسف في مذكراتها ان « كشكش بك » انما هو «التطوير الفكاهي لشخصية عمدة جاد اسمه عمدة كفر البلاص ، ظهر في مسرحية اسمها « القرية الحمراء » ، كان نجيب الريحاني قد اشترك في تمثيلها مع عزيز عيد وروز اليوسف حوالى ١٩١٦

وقد استعار الريحاني من « القرية الحمراء » شخصية العمدة ومكان العمودية معا ، ثم نقل العمدة من ميدان الجد ، الى ارض الهزل .

بل ان شخصيتى العمدة وتابعه ، لتظهران قبل هذا بسنوات – في ميدان الكوميديا الشعبية – في فصل مضحك يرجح ان فنانا اسمه « عبد القادر سليمان » كان يقــدمه في مقهى نيبال بالاسكندرية عام ١٩١١ ، وكان اسم العمدة فيه : الشيخ عاشور .

وواضح من هذا ان كلا من الريحاني وابراهيم رمزى كانا يستمدان من الارث المسرحي العام ، وهما يخلقان شخصية العمدة المتكالب على الملذات ، وان كان فضل ابراهيم رمزى على نجيب الريحاني يبدو واضحا ، في هذه الافادة الجادة التي سعى الى ان يحققها من وراء العمدة وتابعه ، لعرض مشكلة اجتماعية محددة عرضا انتقاديا يهدف الى تغيير الاوضاع .

ويذكر الاستاذ « زكي طليمات » في تقديمه للمسرحية – مطبوعة – عام ١٩٢٤ ، انها قد حظيت بنجاح باهر اينما عرضت ، وهو نجاح لم تحققه مسرحية اخرى لابراهيم رمزى ، فيما عدا مسرحية : « البدوية » .

ويضيف ان « دخول الحمام » قد كانت احدى المسرحيات القليلة التي جاب بها جورج ابيض وفرقته انحاء الوجه البحرى كله ، وقدمها بنجاح مستمر أمام جماهير تباينت عقولهم وأذواقهم تباينا كبيرا ، وذلك في اعقاب الحرب العالمية الاولى .

ثم ينهى تقديمه اللماح للمسرحية بعبارة وردت على لسان الناقد والكاتب المسرحي محمد تيمور ، في تقدير جهود ابراهيم رمزى لخلق مسرح محلى قال محمد تيمور : لقد وضع رمزى رواية : « دخول الحمام » وكفى .

وهو تقدير في محله تماما . يزيد من قوته ان صاحبه سعى ، بعد ثلاث سنوات ، الى زرع الارض التي حرثها ابراهيم رمزى لصالح الكوميديا المصرية . فاخرج محمــد تيمور في ديسمبر ١٩١٨ ، كوميديا مصرية في اللب اجزائها سماها : « عبد الستار افندى » .

وبعد .. فان الهلال ترى ان نشر مسرحية : « دخول الحمام » خليق بان يعين الباحثين في حقل المسرح على تحديد التاريخ الحقيقى لمولد الكوميديا المصرية الخالصة . فهذا التــاريخ ينبغي ان يكون ١٩١٥ او أوائل ١٩١٦ ، وليس ١٩١٨ : (تاريخ تقديم « عبد الســتار افندى ») ، او ١٩٢٣ ، (تاريخ تقديم : « المرأة الجديدة » . لتوفيق الحكيم) .

اشخاص الرواية :

ابو عويس : عمدة

عويلى : فلاح رفيق للعمدة

ابو حسن: صاحب حمام فى بولاق

نشاشقى : صبى حمام فى بولاق

زينب : امراة الحمامى

قام بأدوار المسرحية

الممثلون :





عزيز افندى عيد
فى دور ابو عويس

محمد افندى صادق
فى دور الحمامى

محمود افندى رضا
فى دور نشاشقى

حسن افندى فايق
فى دور عويلى

الآنسة روز اليوسف
فى دور زينب





الزمن : ساعة وربع

عهد الرواية سنة ١٢٨٢ هجرية ايام الخديو اسماعيل

الملابس

ملابس اولاد البلد القاهرية فى ذلك العهد جبة وقفطان وحزام وعمة ومركوب للعمدة وجلابية صوف كالزعبوط ولبدة لعويل وطرحة وشبشب وجلابية وحزام لزينب .

* * *

مثلها لأول مرة فى اكتوبر سنة ١٩١٦ جوق الاستاذ عزيز عيد بتياترو الابيه دى روز بمصر .

المنظر : رحبة حمام بلدى فى بولاق

يزاح الستار عن رحبة حمام بلدى فى بولاق . والوقت فى الصباح قبل شروق الشمس فالمكان معتم ولكنهم يبددون عتمته بثلاثة قناديل ضعيفة النور اثنين منها معلقان من عقد بابين فيه والثالث بجوار المعلم صاحب الحمام . وفى اعلى الحمام دوين السقف حبال مشدودة من طرف المكان الايمن الى طرفه المقابل نشرت عليها فوط وبشاكير مخططة بمختلف الالوان .

والرحبة مستطيلة . باستطالة الرزج ولكن لا يرى من زوايا هذا المستطيل الا زاويتان يمنى ويسرى على جانبي الواجهة واليمنى فتحة هى منتهى سرداب طويل وارد من الخارج ذات عقد مقوس ، يتدلى منه احد قناديل الزيت الضعيفة النور واليسرى فتحة باب له عقد كذلك ويتدلى منه القنديل الثـــانى وهذه الفتحة هى مبتدأ سرداب آخر يضرب الى الخلاوى والمغاطس .

أما ما يقابل المشاهد من هذا المستطيل فجدار مبنى وفيه باب صغير هو باب بيت صاحب الحمام وشباك من الشيش يرفع ويحط وتحت هذه النافذة من الخارج أى فى الواجهة دكة من الخشب مفروشة بقطعة من البساط المعروف وعلى جانبيها مسندان محشوان من القطن ويرى بعد هذه الدكة على الارض شىء مغطى ببطانية من رأسه الى قدمه هو أحد اشخاص هذه الرواية المدعو « التشاتشى » صبى الحمامى ليس عنده فى ذلك الوقت عمل فجلس وتغطى فنام .

أما جانبا المستطيل فالايمن « بالنسبة للمشاهد » مصطبة جلس على بعضها المعلم ابو الحسن صاحب الحمام وفى يده الجوزة يدخن وهو يفكر وامامه صندوق بطول نصف ذراع هو صندوق الامانات وهو لقدمه مسود ولا سيما فى ظلمة المكان ويصعد للمصطبة بدرجتين من الحجر . واما الجانب الاخر اى الايسر فمشغول بمقاصير للزبائن على مصطبة غير عالية بعضها بابه مغطى بأستار والبعض الزيحت عنه فرؤيت من ورائه طراحات « شلت » ومساند وأما أرضية الحمام فمن البلاط الحجرى اللامع . ونرى فيها عند مصعد المقاصير ازواجا من القباقيب . واذا تأمل الناظر على يمين ابو الحسن الحمامى وجد ثابة صفراء طويلة هى التى ينشر بها الفوط على الحبال او ينزلها عنه .

يزاح الستار عن :

الحمامى : (قاعدا وراء الصـــــندوق والجوزة فى يده وهو يدخن) يسر يا مفرج الفرج يا عالى الدرج ! ياللى لتحت البيضة للكتكوت خرج . يا اخوانا الناس جرى لهم ايه . أحنيجى بستحمى ولا حد بتوضا هم الناس غابقين على حرالهم والا ايه .. آى والله بأيدهم حق . كل شىء غلى بقى لى النار حتى الزبالة اهى غليت علينـــا . ماعليهش ربنا يفكها «يتنهد» ماود تدوم الايام . كريم «يسكت» واد يا تشاتشى « يتنظر » تشاتشى .

تشاتشى : (كأنه قايم من النوم) ايه ياعم ابو حسن

الحمامى : ما تقز ياواد تشوف لك شوفه . انت نايم لى جنب الخلوة زى قط البيت لا منك فايدة ولا عايدة

تشاتشى : وأنا بس اعمل ايه ياعم ابو حسن ؟ انا حجز الناس م السكة اقول تعالوا استحموا ، والا اقوم منادى فى البلد !

الحماصى : وبس ايه الفايدة من فتح الحمام من نص الليل ولافيش حد
(الحماصى ثم تشاشقى ثم زينب)
يفتح علينا الباب

تشاشقى : تعال انت راخر نام زيى . الايام الوحل يحلى فيها النوم

الحماصى : اشمعنا احنا الل بختنا حجر مايخرش المية . (يتحرك) قوم ياواد لم القوط بس نرحلهن بزرائها وحمارها ! والله لاخربه .
(يتزل من ورا الصندوق) واغلبه ينى من بناه . (يمسك القابة وياخد فى تنزيل القوط المعلقة على الحبال وحوق حالة غضب) لم يا واد . قوم . لز . هو احنا محتاش ناس .

تشاشقى : (يقوم من جنب الكنبة ويجرى نحوه يمسك القابة من يده)
حيلك شوية يا عم أبو حسن . طول بالك . رايح تعمل فيهم ايه .

الحماصى : رايح أبيعهم . وأشوف لى شغلة زى مخاليق ربنا .

تشاشقى : مش كدة ياعم ابو حسن . استنى شوية يمكن ربنا يفرجها .
النهارده شتا والناس مابتقدرش تخرج من بيوتها فى البرد

الحماصى : قال يفرجها . وايه كان حايشـــه لدى الوقت . هو ماهوش شايف ؟

تشاشقى : ماتكفرش على الصبح يا فتاح يا عليم .

الحماصى : بس يا واد لحسن الخبط لك وشك على الصـــبيم . اما مااتخشيش قليل الحيا .

تشاشقى : ديهده ياعم ابو حسن . تلخبط وش ايه . مش كفــــاية القلب الل انا فيه كمان فى حمامك . لا قرش ولا عشرين ولا لقمة عيش حتى . قال رضينا بالقلب والقلب مش راضى بنا .

زينب : (تفتح شباك بيت الحماصى لما تسمع الزيطة وتنظر من وراه)
جرى ايه ياتشاشقى

الحماصى : خشى يا مره مالك ومالنا ؟

تشاشقى : ياستى بده يلم القوط والبشاكير ويروح يبيعهـــم ويخرب علينا عشنا

زينب : وعلشان ايه ده كله يا أبو حسن ؟

الحماصى : مش شغلك يا مرة !

تشاشقى : شوفى بقى ياستى

زينب : طيب تبيعهم وتاكل بحقهم وبعدين ؟

الحماصى : وبعدين زى ماتجى تجى . أنا مش حبيعهم واشترى بهـــم فول مدمس تاكله القلوب البوارد

زينب : أمال بعك تبيعهم ليه ؟ ان كنت مضايق من الحمام روح انت وخلينا نفتحه ونشوف بختنا . يمكن على وشنا يرزق الحال

الحماصى : شوف المرة اللى ماتختشيش . بقى انا اللى معقفها فى وشكم

زينب : يو !

تشاشقى : لا ياعم أبو حسن . بس قول لنا انت رايح فين ؟

الحماصى : (آخذا فى لم القوط) . مش شغلك انت يا واد . امش هات المحلام والتراجيل . ولم العده كلها

زينب : مش بس تقول انت حتوديهم فين اديهده !انته محدش عارف

ياخد منك سؤال ليه !

الحماى : (يبطل تنزيل القوط ويلتفت) انتو ماوزين اقول لــكم

زينب : يوه .. امال بنسألك ليه

تشاشقى : أمال احنا قصدنا ايه م الصبح

الحماى : رايح اعمل شاهد زور رسمى فى المحكمة الشرعية

زينب : يا دهوتى !

تشاشقى : شاهد زور !

الحماى : ارتحتم !

زينب : يا فضيحه ! احنا وش كده

الحماى : ليه ؟ هو عيب ؟ ماعيب الا العيب . انا حـرامى ولا حازنى ولا قاتل !

زينب : هو بس العيب الثلاثة دول ؟

الحماى : اسمعنى الواد ابو عشرين بقاله بيت ملك ومربخانة، واشيته مهنى بعد ما كان مش لاقى اللقمة

زينب : طيب دا أمه باعته للتجربة بعشرين غرفة لاجل مايعيش لها وينفتح له باب الرزق . وانت كمان أمك كانت باعتاك لمين ! (تضحك)

الحماى : باعتنى للقلب والشقا . فضك يا مره . « يلتفت الى الصبيه » لم يا واد .

زينب : طيب والقوط حتعمل لك ايه بس

الحماى : حبيعهم واشترى شـــال كشمير اتلفع به واجيب طربوش مغربى منجله اصل بشال استامبولى . وعندك الجبة والقفطان اللى لبسهم الواد على م المدة اللى جه يستحمى ليلة العيد، دول يخلونى واحد زى اهل الخير الصالحين بالاتاوليهم لى

زينب : ولكن يا راجل الراجل اللى تحلف اليمين قصاد القاضى بالكدب . أنت ما تخافش لينقلب على عتبك

الحماى : مش من شغلك يا وليه . انا ما أخوك أحمد شهدلى عشرين شهادة زور فى المحكمة .. وكانت الاشيا رضا . هوه جديد على ؟

زينب : ولما تبقى أمى وتحـــس « تضحك » ابقى اجرك والا ايه ! الى ما انت شايف وانت ملتح « تضحك »

الحماى : انا يامره حاحلف فى سرى يمين طلاق انى ما احلفش قصاد القاضى يمين صدق ابدا

زينب : دبهده . ودا ايه يعنى !

الحماى : يعنى ان اليمين ما بتقلبش على عتبه زى ما بتقولى . وابقى أجى على رجل للبيت ملتسع وفى امان الله . وفى جيبى عشرين حتة بخمسة من نظار الوقف الى واكلين حقوق العالم.

ومن الاوصيا .ومن ولاد الرقفى اللى يبقى المال عندهم بالكوم، ولما تسوالهم تطالبهم بالنفقة يدعوا انهم مش لاقيين اللقمـا ويخشوا المحكمة حافيين ولابسين جلاليب مقطعة .

زينب : طيب ومش حرام عليك تيجى ع الغلابة

الحماى : ما الغلابة بتقول لهم ربنا . يروحوا له ! وانا ايش حكون

تشاشقى : (وكان واقفا يستمع المحاورة لما يسمع هذا الكلام يغير وجهه ويلتعب نحو القصورة احتجاجا وياخـــد فى تطبيق القوط) يا سلام م الكفر ! يارين ماتاخدوش « يصمت » ...

استغفر الله العظيم

زينب : طيب والقاضي لما يشوفك داخل عنده وخارج مايعرف انك شاهد زور وتبقى شهادتك زى قلتهـا . وتبقى بس خسرت دينك ودنياك

تشاتشى : (من عند المقصورة) قول له يا ستي - بس ما يتوبنا الا بيع المدة ..

الحماى : بقى انت اللى عملالى متدينة يازينب ؟ والا نسيت اللى جرى

زينب : يو . بقى يا راجل تعمل عملتك وتحطها فى ؟ مش انت اللى قلت لى اضحكى على الراجل واكمعه دم قلبه . انا بس خايفة ان القاضي يعرفك تروح عليك وعلينا

الحماى : ده مش شغل القاضى . القاضى عنده كل واحد صادق كده الشرع بيقول . وهو بيحكم بالشرع مش بكيفه . بس هاتى الجبة والقفطان والا اطلع انا البسهم ؟ احسن (يخـرج الحماى) ويدخل بيته وزينب تختفى كانها ذاهبة لمقابلته .

تشاتشى : وانا باخر ما الم التراجيل وابيعهم واخلص م العيشة دى . كان زمان الواحد ياكل ويشرب من اكل الزباين وياخد فى آخر النهار تلاتة آبيض من المعلم لاجل التعميرة والانـسيا معدن . وآخرتها

اغنيـــة

يادى الزمـــان اللى يقرف   يادى البلاوى اللى تـكسر
صبحت من الهم بقــرف   واكل واشرب واتـسخر

ما حد يفتح علينــــا   باب الفرج زى قبــله
هو احنا كنا ابتلينــا   حتى صــبحنا اذله

يا رب بابك كــريم   يا بو ســـما زرقا
بحق سـيدنا الـكليم   تبعت لنـــا رزقا

داحنــا غـلابه وانت   عليم وشــايف اللى كان
امتى تحنـــن امتى   علينــا قلب الزمـــان

يارب شـــفنا اللى ضلوا   سبيل رضــاك اهتدوله
وانت عبيدك ضــــلوا   عل الصراط ما اعتـــدلوا

. . . .
. . . .

العيش صبح بالدراهــم   من بعـــد ما كان ورق
والجيب خل م الدراهــم   والعيشــة صــارت زلق

واللحمه يا رب ياما غابت   ننى ســنين وايــام
والبطن م الجــوع دابت   وطال عل الصـــــيام

اسرق ؟ وفين اللى عنــده   شئ ينســـرق يا كريم
والــكل ما داد فى يده   ولا اللقمـــة يا حليم

أستغفر الله العظيم — يارب ما تأخذنيش . آنا راجل مسكين وأبي ولية عجزة (يخرج داخل الخلاوى ويعود الحمامي لابسا الجبة والقفطان وهو ينظر لنفسه من الجانبين وهو ممسك بهما وزينب وراءه)

زينب : والله بقيت عال يابو حسن . خلبت العين ماحت لك

الحمامي : وبكره تموج أكتر يامره لما البس العمة والشال الكشمير اللي ماكانش حيحك تفاك الا يوم الجنازة . بكره ليجي الفلوس . ونشترى الحمام ده وناجره . ونبقى الاشيا معلن . البلد دى اللي يخدمها بالسنق يموت م الجوع . واللي يمشي على سلوها تزهزه له الدنيا . الله يلعن دى أيام .

زينب : والله صدقت يابو حسن . الجماعة الدجالين وبتوع الرمل والودع والطوالع والمشايخ هم اللي رايجين فيها . والله انا بكره لشوف لي حكاية قبل ما يغلى علينا الهوا . أهو المنقلين في الدنيا بالزولة .

الحمامي : لولا ما عقلت

زينب : والله !

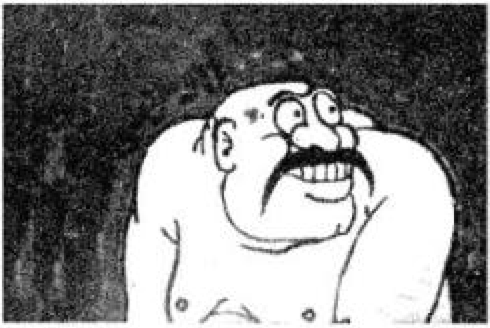
الحمامي : بس اوعى يا مره حد يضحك عليك

زينب : بقى أنا يدى اضحك عالناس والا أضحك الناس على

الحمامي : مش معنى الكلام . بس خدى بالك حرس من ولاد الحرام .

زينب : أنا مش حتخطى ربجل عتبة الحمام الا يوم الفرح . اطمن . لحنا عرفنا بعضنا انبارح يا أبو حسن ؟ اخص عليك ؟

الحمامي : لا . بس يمكن تزحلقي يا اختي ومين يقدر يلمك
زينب : اتلم انت يا راجل . واد يابالشاشي
الحمامي : عاوزاه ليه
زينب : عاوزاه أحرسه على الحمام . أنا يدى أنفش بقى .
الحمامي : خدى اتنى . أنا حادخل له اوصيه والا (يلحب مسروب



الصندوق ويقفله ويأخذ المفتاح) واد ياتشاشكي (تخـرج زينب) تشاشكي . (يصفق) فين راح الواد ــ تشاشكي

تشاشكي : (من وراه) عندك يا عم أبو حسن

الحماصي : تعال يا واد خد مفتاح الأمانات

تشاشكي : (يدخل ولا يرى الحماصي لابسا الجبة والقفطان يطرب) دهده يا عم أبو حسن ! دانت بقيت زى القاضي بتاعنا . مين يعرف ! يمكن والله تتعدل لك وتبقى تترقى من شـــاهد زور لمحامي .

الحماصي : هي بعيدة ! أنا أبويه ما كان من بتوع الأزهر وبيصلي في جامع الغوري . وعم الخديو قاضي يعرف اخوانا دول بيعملوا ايه . أهم دايرين يحكموا بالبخت . بس . آدى مفتـــاح الصندوق . يمكن حد يجي . أنا رايح . خد بالك م الحمام وخلى بالك من الملحة . أوع تسيب المحل والاتروح هنا والا..هنا لحسن . بعدين أشهد فيك شـــهادة زور توديك في داهيه .

تشاشكي : حد الله بيني وبينك يا شيخ ! .

الحماصي : بس . السلام عليكم (يهم بالخروج)

تشاشكي : عليكم السلام والرحمة

زينب : (تفتح الشباك وتطل) مع الســـلامة يابو حسن . انت جاى امته ؟

الحماصي : (يلتفت) أنا رايح أبيع دول . وأشترى العمة والمركوب والشال الكشمير . وأفوت على المحكمة أجيب أخوك أحمـــد وياى . أحو من الحجاب القدام وعارف الشغل ده من زمان وبعدين نروح على باب الله .

زينب : طيب روح ربنا يسهل لك (يخرج الحماصي)

تشاشكي : بقى انت كمان يا ستى تطاوعيه على عقله احنا قلنا تاب من الشغل ده وربنا رضي عنه وعداه تلوس توالقيه .

زينب : يوه وتاكل مخي ياتشاشكي ! اذا كان الحمام مامدش بيجيب حق ميته . ولا بيلمش قرشين تشترى بيهم شوية فول للغدا دا شيء يطهق . والله انا نفسي أشوف لي شوفة . بس ربنا يمعت . دنا من يوم دخلتي على أبو حسن . ماجبليش جلبية تخزى العين . اتسعدنا انا . دانا ضيع شبابي أعمر ايه في حمام والراجل كمان لما يكون مغموم مايبقاش منه فايده . خش . خش . اقعد أوضة المغطس والخلوة لحسن حد بيجي روح يمكن ربنا يجعل على وشى القبول النهارده .

تشاشكي : ربك كريم . والله ياستي انت وشك زى ليلة القـدر . اياك على شان دى الشوفة يـــكرمنا ربنا في دى الشهر

(يدخل بيت الغلاوى)

زينب : (قاعدة على السكنبة وراء الشباك) حس ناس جايين . (تنصت) يوه الجمان يحلم بالعيش هو حد يجى دلوقت ماعليهش . تهمهم ثم تخبط بأناملها على حافة الشباك قليلا ثم تنطلق تغنى بصوت هادىء ثم تعتدل ثم تغنى :

سبع سنين وست اشهر وست ايام
والى بحبـــه يا ناس فى حضن غيرى نام
ما فى البلد مسلمين ما فى البلد حكام
الله يجازى العزول الى رمى الفتنـــــة
حتى السلام انقطع يا امة الاســـلام

تشاتشى : (يعود على الصوت) الله يخليك ياســتى . والله انت شوفتك رضا . وكلامك رضا . وتخل شلام عيشنا نور . قلبى ياستى . اقل منها . الله الله . كمان رحياة عنيك . (هنا يسمع دبيب اقدام . فتنصت زينب وتشاتشى ويسمع ابو عويس بك يقول : الله ! الله ! ويكلم رفيقه القائم عويلى بما فى الجملة الاتية ويدخلان فى حالة اسراع وتهييص فى منتصف الجملة فتقفل زينب الشباك وتجلس وراءه تتسمع)

عويس : الله ! الله اكمان يا ستى الى ده تروام يا واد يا عويلى: ستك الز هنا النهارده . ربنا يخليك يا الز . والله انا نفسى من زمان اسمعك (يدخل) احنا جالنا صيتك فى البلد. قالوا سى عبده اجوزك على شان ما يخلكيش تبطل عليه ! الله ! الله ! (يكون فى يد كل منهما عصا . فعصا البك خيزرانة تخينة لها قبضة مستديرة صغيرة من المعدن وعصا عويل الز سنط والعمدة لابس جبة وقفطان شاهى بحــزام حرير ومركوب جديد وفى اصبعه خـــاتم . وعويل لابس جلابية بلدى ولبده عليها لفه شاش صغيرة)

تشاتشى : حوش عندك يا جدع . الز ايه ؟!

عويس : لين أمال الست الز يا جدع ؟

تشاتشى : الز مين يا سيدى ! مرحب

عويس : يا جدع الى كانت بتغنى دالوقت

تشاتشى : ماكانش حد بيغنى . يمكن يا سيدى بتهيألك

عويل : يا جدع أنا سمعتها أنا راخر

تشاتشى : ديهده ــ يمكن انت راخر بتهيألك . لهو انت أحسن من سيدنا البيه . مرحب يا سعادة البيه . ايدك

عويس : ابعد يا واد بلا نصب . انت فاكرنى من الخالم اياك .

عويلى : حوش ايدك يا جدع بلاش اونطه

عويس : دول فاكرين احنا بقى من الريف قال يعنى وبيتفسحوا علينا عجايب على ولاد مصر يا اخوانى

تشاتشى : ليه يا سعادة البيه . نصب ايه . ايه جرى . أنا كمان بدى أبوس ايدك من فرحتى وربنا يعلم .

عويس : ابعد يا واد خليك فى حالك

تشاتشى : طيب يا سيدى حقك على (عاوز يبوس راسه)

عويس : رنه يا واد ياعويل رنه

عويل : (يضربه بالخيزرانة على القوطة من ورا) ابعد يا حرامي

تشاشقي : يادي الداهية السودا ! هو انت يارب مابعتش حاجه من عندك الا بأمارة

عويس : شوف يا عويل شوف . الواد قال بده يسرق العمة وأنا لسه شاريها م المحامي ؟ انت فاكر اني عمدة عبيط من بتوع اليوم يعني والا ايه .

تشاشقي : طيب يا سيدي حقك على . ادى رجلك أبوسها . معلهش بس خش استحمى (يهم بتقبيل ركبة عويس)

عويس : عويل !

عويل : (يضربه على ظهره) سيب المركوب يا ابن المركوب دا احنا لسه دافعين فيه الريال أبو طيره

تشاشقي : يا اخوانا يا أهل البيت

عويس : أهل البيت ! .

تشاشقي : بس قولوا لى أعمل ايه . ماعليهش يا سيدى (يربت على كتفه) حقك على بس خش استحمى . ديهده الصباح المزفت ده . ماعليهش . بس يالله خش استحمى . خش اقلع . ادى مقصورة علشان سعادتك

عويس : أخش اقلع ! وليه ما اقلعش هدومى جوه مطرح ما استحمى . عجايب ! أنتو ما عندكوش كرسى ينحط جنب المغطس ! والا طشت حمام نحط عليه تيابنا . دا حمام أية اللى زى البرك .

تشاشقي : ياسيدى يلا هدومك تتماص والا تتبل من بواخ المغطس . ديهده ! كراسى ايه فى الحمام كمان

عويس : تتبل أحسن ما تتسرق هى وتمن القطن كله والا ايه ياعويل؟

تشاشقي : ياسيدى احنا ما احناش حرامية . احنا ناس على باب الله . ادى مفتاح الصندوق بتاع الامانات حط فيه اللى انتحاوزه

عويس : عجايب (العويل) قال الواد بده يضحك علينا

تشاشقي : ليه يا سعادة البيه ؟

عويس : ولما يجى اللى ياخد الصندوق باللى فيه

عويل : بقى يا واد انت بتلك تستغفلنا ؟ داحنا نستغفل عشرة زيك

تشاشقي : يا معلم الصندوق مبنيه عليه المصطبه والله ! طيب خلى سيدنا ده يقعد على الهدوم لما تطلع سعادتك م الحمام .

عويل : اقعد عليهم ! ليه أنا حطلع منهم كتاكيت ولا ايه ! يا واد متتكلم عدل

تشاشقي : بلا مؤاخذه يا سيدنا . قصدى بلا قافيه تقعد جنابك جنبهم لما يطلع البيه من الحمام .

عويل : وأنا مش بدى استحمى أنا راخر ! دا آنا اللى جايب سعادة البيه هنا . وبدنا نلحق نقابل الباشا قبل ما يخرج من الديوان . مش كده والا ايه

عويس : أمال حروح لوحدى

تشاشقي : طيب خش انت قبله . وسعادة البيه يحرس هدومك

عويس : آه ياقليل الحيا . أقعد أنا أحرس هدوم الخولى ! آه يانارى لو كنت فى البلد لكنت أوريك شغلك يا قبيح ولا كان الدبان الازرق يعرف لك جره

تشاشقي : جاى يا مسلمين يا اخوانا ! انتم انس ولا جن !

عويس : اوعى يكون بده يطلع علينا عفاريت الحمام . أنا سامعه بيقول يا أهل البيت ! يالله بنـــا يا واد لحسن بعدين مايجراش لنا طيب دول ناس مخاريين الجن والحمامات دول يبقى فيهم دايما .

تشاشقى : (يمسك ملابسهم) رايحين فين ياناس ماتخشوا تستحموا . طيب نجيب لكم كراسي م القهوة . بس خشوا اســتحموا ماتفستوش فينا المعلم .

عويس : وقعنا يا واد ياعويلى ! وقعنا وراحت علينا ! وانا حاسس انعفاريت الحمام ماشية واهى بتفتح الابواب! سامع(يتسمع)

عويل : أنا سامع حس كده تكونش الزيرة (تتقدم زينب من الباب متلفعة بطرحة)

عويس : باين كده والنبى . اهى جت ! أهى جت ! بســـم الله الرحمن الرحيم (يجرى كل منهما ويختبيء وراء الكنبة ثم لما يرى زينب وشكلها يطل من فوق جانب الكنبة وهو قايم قاعد ويكون عويل فى حالة ذعر شديد)

زينب : عواف عليكم !
(عويس يسكت)

عويل : ما ترد يا سعادة العمدة لحسن مايجراش لنا طيب

زينب : عواف يا سعادة العمدة

عويس : دى باين عليها جنية مسلمة

زينب : عواف يا سعادة العمدة . يوه .. دا ايه ياما ده

تشاشقى : ماترد يا راجل

عويل : (بذعر) رد يا سيدنا العمدة

زينب : انت ليه مابتردش . لاهو أنا باكل الناس والا ايه (تضحك وصاحبنا يطل وتذهب صوبه وتأخذه من يده) تعال ماتخفش

عويس : (يطلع من وراء الكنبة) عواف ياستى الف عافية بس انا فى عرضك ما تعمليش فى حاجة . أنا راجل أبو عيال وجاى مصر اقابل الباشا الناظـــــر واشكر له عل البهوية وجيت استحمى واترضا . لحسن امبارح نمت وحصل ما حصل وانت عارفه الواحد مايصحش يقابل الحكام جنب .

زينب : (تضحك بلطف) طيب وليه ماتكش راضى تخش الحمـــام علشان ما تلحق الباشا

عويس : خايف من الواد ده . انا سمايه تمن القطن ويمـــكن يرزه الشيطان والا حاجة

زينب : يا سلام ودا يجرى . والا كنت اديله بالشبشب

عويس : دا ياستى كان بده يسرق الخاتم والعمه والمركوب .

زينب : مش عيب يا واد ياتشاشقى كمان واحد عمـــدة أمير من الاكابر ييجى عندك بدال تعمل فيه كده .

تشاشقى : والله يا ستى انا كان قصدى أبوس ايديه ورجليه من فرحتي واستسمحه وأبوس راسه كمان . واعمل الواجب

عويس : تعمل الواجب ! واجب ايه ! شايف يا عويل

عويل : (فى تلك الاثناء متعجب جدا هل هى جنية او انسية . ومتنبه جدا للحديث) تفتك يا واد من البكش ده

عويس : بقى ياستى ولاد مصر يفتكروا ان كل العمد هبل ولايفهموش النكتة

زينب : (بدلع) حقك على يا سـعادة البيه . أمشى ياواد يا تشاتشى حضر الحمام . وخليهم يحطو هدومهم وكمن القطن فى الدركة واديهم مفتاحها . ونضف لهم الخلوة الكبيرة بتاعة سيدنا القاضى قبـل ما ييجى (تجلس على الكنبة) .

تشاتشى : حاضر ياستى . انت والنبى وشك أزعر (يخرج)

عويس : بقى يا ستى انت مفتش من اخواتنا .

زينب : هى هى هى . (تضحك) من قال لك كده . دنا بنت صاحب الحمام .

عويس : بنت صاحب الحمام ! انت اللى كنت بتغنى كده وحسك زى البلبل .

زينب : ياسلام ! عجبك حسى !

عويس : عجبنى قوى قوى ! انت كنت بتقولى موال يوقع الطير .

زينب : ياسلام يابيه . والنبى انت كلامك حلو وذوق . ربنا مايحرمناش منك .

عويس : والنبى كنت بتقول ايه ؟

زينب : كنت بقول موال على دوحى .

عويس : وحياة عيونك تغنيه . تغنيه وحياة اللى ربنا هنـاه بجمالك . الله . الله . باميتى ياسيدى . اللى الواحد ما يسمع فى البلد الا نعير البقر والجاموس . الله يقطع الريف واللى فيه .
الله . الله ! بقى انت يا مليحة بنت صاحب الحمام .

زينب : أيوه ياسيدى .

عويس : وفين هو امال ؟

زينب : راح بيت القاضى .

عويس : واسم الكريمة ايه ؟

زينب : محسوبتك زينب .

عويس : عاشت الاسامى .

عويس : والله حاجة حلوة قوى ياسعادة البيه .

عويس : (يلتفت اليـه بشىء من الكدر) غش انت ياواد اقلع هدومك واستحمى أنا حجرس لك الهدوم لما تطلع (يهيب عليه بعصاه فيخرج عويلى داخلا بيت الخلاوى) ياسلام ! يا سلام ! وانتى يا ستى قاعده هنا بتعمل ايه ؟ فين امك ؟

زينب : تعيش انت .

عويس : عشت والله انا كمان امى ماتت .

زينب : البقية فى حياتك .

عويس : الله يبقى حياتك . ها . امال الواد التشاتشى دا مين ؟

زينب : دا صبى الحمام . واد اهبل عبيط مايفهمش حاجة .

عويس : ها . بقى عبيط ! وقاعده ياأختى مع مين جوه البيت ؟

زينب : قاعده لوحدى ياسعادة البيه . ابويا مابيجيش الا العصر وما القرش أنزل هنا دى الوكت لحسن الحمـام فى الساعة دى مليان الرجالة بس أنا شفتك من الشباك

قلبي اتولع في حبك وجيت علشان اتملى بيك .

عويس : (يفرح) يا سلام ! بقى حبيتيني قوي . ليه ! شايفه فيّ ايه ..

زينب : زي القمر .

عويس : (يتهيج) وانت والله احسن من القمر . انت زي الشمع الابيض زي كوز العسل . زي القشطة . يا سلام . امال مجوزه والا لسه بنت بنوت .

زينب : متفكرنيش بحسال وحياة عينيك يابيه . لحسن انا مسكينة وحالتي تبكى .

عويس : ازاى بقى .

زينب : انا ياسيدي اجوزت قبل ما يتولى الباشا بخمس سنين في رجب زي الشهر ده وقعدت مع جوزي ست اشهر الا ست ايام . وبعدين غاب عني من يومها لدى الوقت . بقى له النهارده سبع سنين وست اشهر وست ايام ، ولا اعرفش راح فين .

عويس : بقى علشان كده بتعدي سبع سنين وست اشهر وست ايام !

زينب : ايوه ياسيدي .

عويس : وقلبك متولع ليه قوي .

زينب : قوي ولما شفتك حسيت انه جه . وقولت اجري .

عويس : ولما شفتيني بقى ..

زينب : والنبي قلبي حبك .

عويس : (يفرح) على ايه يعني !

زينب : (تقعد على المصطبة) علشان عيونك عسلية حلوة قوي زيه ..

عويس : (يفرح اشد ويبلع ريقه ويركع) وايه كمان !

زينب : وخدك ابيض احمر حلو قوي زيه .

عويس : (يفرح مفرط ويهيج ويتحسس على الركب وهي ترفع يده) وايه كمان !

زينب : وشفايفك صغيرين وحمر وحلوين قوي زيه .

عويس : (بصوت صارخ من التزود من شدة الفرح) الله . الله . وايه كمان .

زينب : وشنبك اصفر ومبروم وحلو ، حلو قوي زيه .

عويس : (بهبلة وعبط) كمان والنبي . وايه كمان

زينب : (تطبطب على صدره) وصدرك مربرب . ودلياك وحلو قوي زيه .

عويس : (يهمد وعد صوته) الله . الله . (ينهض نصف نهضة) وايه بقى ما قلتيليش بالعض زي ماكنت حتقوليه ؟

زينب : ياسلام يا سعادة البيه ! (تبتعد عنه قليلا)

عويس : طيب وكمان دي ليها ايه ! مش تبلي شوقك . بقى يغيب عنك سبع سنين وست اشهر وست ايام ولا تلقيهش قدامك .

زينب : لا ياسيدى حرام .

عويس : بلاش . . ماليش شوقك خليبى أنا أبل شوقى (يهم بتقبيلها) .

زينب : (تميل عنه وتمنعه) يوه يوه . .

عويس : بس بوسه ! (يضع يده على جسمها) .

زينب : (تزيحها) بس حوش ايدك .

عويس : طيب بس بوسه .

زينب : يوه . اوع ايدك بقول لك .

عويس : (تنفسه حائرا وينهض) ايه العمل بقى يا اخواننا والمحل فاضى والوقت حيموت .

زينب : يا سلام منك يابيه . أنا والنبى قلبى حبك . ابقى ياسيدى تعالى لنا دايما . والا ماتسافرش . والا خدنى وياك البلد .

عويس : والله أنا بدى كده ولكن خايف تبقى تقولى لى حرام وحلال .

زينب : ياسلام ياسعادة البيه . وليه ماتخدنيش بالحلال .

عويس : وبس أعمل ازاى وانت على ذمة راجل بتقولى . هى المرة بتتجوز اتنين ؟!

زينب : لا ياسعادة البيه . بقى انت قارى وعارف العلم . وبيقولوا ان اللى يغيب جوزها منها سبع سنين والا اكتر يحل لها الجواز وأنا بقالى سبع سنين وست اشهر وست ايام ويحل لى اجوزك .

عويس : يالله نجيب المأذون .

زينب : مايرضاش.

عويس : مايرضاش . لشر وهو يقدر . يخالف امرى . دنا عمده وبيه واللى ما يعرفنى يستاهل ضرب الجزم على راسه .



زينب : لا لا لا يابيه ده أبوية حفيت رجليه على بيت القاضي يترجى القاضي يطلقني ويديني ورقتي لاجل مايجوزني واحد امير ابن حلال زى حضرتك أجيب منه مولود يوحد الله .

عويس : فى محله . الأب واجب عليه برضه ..

زينب : كل ما يكلم القاضي فى الحكاية يقول له القاضي هات الشهود اللى شافوا الراجل وهو مسافر علشان يعمل حساب الغيبة ومنين تجيب الشهود . محدش شافه لما فاتنى .

عويس : طيب وايه العمل ؟ ماتجيب شهود زور يشهدوا بكده . انا عندى منهم تلاتين والا اربعين دايما يوديهم للمركز فى كل قضية عاوز أودى أصحابها فى داهية .

زينب : دا شيء يطول . انت مش بدك تجوزني قبل ماتروح البلد تجيبهم .

عويس : أيوه وبدى استحمى قوام .

زينب : تعال نروح دى الوقت لبيت القاضي . اعمل انت جوزى واهو وشك زى وش جوزى تمام . حاكم جوزى كان أصله شوى عند سيدنا القاضي (**هنا يلوح أبو حسن واحمد والا يريان زينب مع الرجل**) يقفان تحت الستار بالباب ليستمعا .

عويس : وتعمل ايه عنده ؟

زينب : انا حمسك فى خناقك قصاده ، والقول اهو جوزى جيه م السفر ولا لوش أمان خليه يطلقني ياسيدى القاضي ده سايبني سبع سنين وست اشهر وأنا عاوزه اطلق منه ولما يسألك القاضي قل له أيوه وطلقني قصاده .

عويس : أطلقك ! احنا بدنا نطلق والا نجوز !؟

زينب : لا ، بدنا نجوز .

عويس : طيب وليه بدنى أطلق قبل ما ادخل عليك .

زينب : علشان انا مادخل عليك .

عويس : فهمت ! فهمت . وبعدين ؟

زينب : وبعد ما تطلقني يقوم القاضي يديني ورقة الطلاق فى ايدى

عويس : وبعد مايديك ورقة الطلاق فى ايدك .

زينب : آه ياجدع .. يبقى ساعتها المأذون يكتب كتابى عليك .

عويس : (يفرح) ما نخش على بعض بقى دى الوقت وبعدين نكتب الكتاب على مهلنا !

زينب : بس اسمع .. لما امسك فى خناقك ماتخافش . شد حيلك ورينى شطارتك .

عويس : بس اوعى تحطشنى فى لحسن عقلى يشت ولا اطلقش هالى بوسه هالى .

زينب : (**تجرى منه**) بكره الشيخ يوس . اسمعنا لما البس واجيلك (تجرى نحو باب بيتها . واذا بها ترى زوجها عند باب الدخول فتذهب اليه — وينحدر ابو عويس الى وسط المسرح فى حالة هياج نفسى — ويرى أبو حسن تحت الستار

لابس عمة كبيرة وشال كشمير ومركوب أحمر واحمد في ملابس الحجاب ومعه رزمة ورق . وزينب تشـــتغل بالسلام على اخيها ثم تاخذ بايديهما وتذهب داخلة في السرداب) .

عويس : اه ياناري ! البت غدت لي عقلي . حدوب يا اغوالي . والله بنـــات مصر مالهمش احلى منهم . لها حس زي الكروان . مصر سحيح أم الدنيا . ياريت الواحد ما كان لقى العمر اللي فات ده كله بين نسوانا الخلاليف ! آه يا ناري لو كنت اسكها (يلتفت) لو كنت دي الوقت في الدوار والا في الغيط .
آه ياناري ! ماعليش . الصبر طيب . ولا عيالش بالنسبة لديني بوسه واحدة ابل بها شوقي .
(وعندما ينتهي ابو عويس من كلامه تجرى اليه زينب تمسكه من رقبته ويختفي الحماس واحمد ويلتفت اليها ويقبض عليها وتقول له)

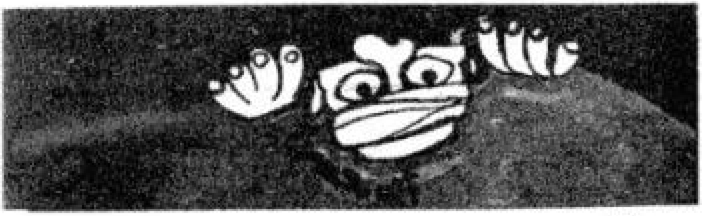
زينب : حاسب . حاسب .
عويس : انت لسه مابتخشيش اللبس والا ايه !
زينب : دنا خليت من الشباك شفت سيدنا القاضي جاي هو والحاجب بتاعه . جيت اجرى لك علشان الوقت .

عويس : يا سلام هو القاضي يتنازل وييجي هنا .
زينب : لأ . دا يوم ييجي يستحمى ديوم لأ . انت ما ســمعتليش بقولّ الراد التفاتش بحضر خلوة القاضي .

عويس : طيب ونعمل ايه دلوقتي .
زينب : بس استحمل . خليك تفتش على قوام وتتنى وتنجعج وتروح البلد بالزلزلة والتقارية وتعمل فرح يبقى حته وركة ..

عويس : والله لاعمل حتة فرح (يستعجل) بالله امسك في غناني قبل ما يجي . بس اديني بوسه قوام .
(زينب تشير لاخيها ولزوجها بالتقدم بينها وراسها)

زينب : يادعوتي . الراجل بده يفوتني تاني . الراجل بده يشيب مني كمان عشر سنين . والله ما اتركه ابدا الا لسماد القاضي طلقني قوامك . طلقني قبل مايفوتني . ياسيدنا القاضي ! ياسيدنا القاضي !





(يدخل الحماس وراء أحمد)

(والحماس رجل عامى ولما كان يريد أن يقلد القضاة يكون كلامه بلدى مع شيء من تقليد كلام الفقهاء والنحوية العجيبة)

الحماس : ما هذا دى الصراخ · فاسق فى الحمام الطاهر ؟ أعوذ بالله من الفسق والفاسقين . ياهوى خذ هذا دى الرجل فى الحال الى الحبس .

عويس : يادى المصيبة ؛ قبل ما اطلق واجوز حطنى الحبس

الحماس : خذه ياهوى فى هذا دى الوقت .

عويس : اصطبر شويه ياسيدنا القاضى . أنا مش ماسكها .

الحماس : أمال هذا دى الشيء ماذا ؟ ما هذه الفعلات القبيحاء

عويس : ماتتكلمى يا ستى · أنا مقدرش على ده كله · والا يمدين الشى .

الحماس : اخرس ياقليل الحياء . ماذا تريد تفشر . أبدك تتكلم من عرض بنات الناس الاحرار . هذا جزاء الجلد الف جلدة .

عويس : ياخرابى ياخرابى . أنا قلت ايه . أنا ياسيدنا القاضى مش راجل قلاتى .

الحماس : أمال ما شغلتك فى هذا دى الوقت . لص . أم سارق . أم قاطع طريق . ياهوى خذه للحبس بقول لك .

عويس : دنا عنده ياسيدنا القاضى جاى استحمى .

الحماس : أمال هذا الراس ليه ليس مبلول .

عويس : ودا غلب ايه يا اخوانا · دنا لسه ما استحمتش · سيبيني يا وليه بس لما آخد نفسى ·

زينب : ماسيبكش أبدا .

عويس : طيب سلمت أمرى لله . اكلمى أمال أما اشوف .

الحماس : لماذا دى الراجل كان حاضر هنا . ياست ياطاهرة .

عويس : ياسيدى أنا ..

الحماس : اسكت يافاسق .

زينب : صدقت ياسيدى فاسق تمام وظالم ولا يخافش ربه

عويس : (لزينب) مش عيب تقولى على كده .

الحماس : المرء فى هذا دى الشيء صادقة لانها هى التى تخسر ويمكن هى لا تحس ولا تخسر · ويلزم كمان ان العاقل



يصدقها لانها فى مذهب الشافعى رضى الله عنه تعالى ورسوله يسأل عنها يوم القيامة نفسها وبدنها . اما الراجل فالمسئول عنه رجلاء وندماء وعيناه وشهداء .

عويس : قولى انت كلمة وخلصينا . دى كانت جوازه مهببه !

زينب : ياسيدنا القاضى صدقت فيما قلت . امر ده جوزى اللى سابنى وحيرنى ولا سأل عنى .

العصامى : (يتفرس فيه يتمعن) هو هو بعينه . لولا انه متغير حبتين ولكن هذا من طول الغيبة وسواد اعماله . الراجل اللى يهرب من مراته ويغيب عنها سنين وايام يكون راجل وشه عكر . كنت فين يا راجل ؟

عويس : كنت فى فى فى (لزينب) فين ؟

زينب : (لعويس سرا) بيبيع القطن .

عويس : بيبيع القطن ياسيدنا القاضى .

العصامى : كذبت يا فاسق يا قليل المروءة يا قليل الحيا .

عويس : والله كنت بيبيع القطن حتى الفلوس لبختهم امبارح من البنك وهم معايه

العصامى : وعملك قد ايه ؟

عويس : خمسميت جنيه وخمسين وكمان اربعين كانوا معاى من مال الاصل وستاشر جنيه بتوع المره .

العصامى : وبقالك كام سنة غايب عن مراتك ؟

عويس : (لزينب سرا) كام ؟ (وتميل عليه زينب وتحرك شفتيها كانها تلقنه فيكمل كلامه سبع سنين .

زينب : كداب ياسيدنا القاضى . قول سبع سنين وسته اشهر وست أيام .

عويس : وست اشهر وست أيام ايه يعنى ؟

العصامى : وماذا تريدون منها هذا دى الوقت .

عويس : اريد ايه . اريد جوازها .

زينب : (لعويس) طلاقها . طلاقها . مايفسرش الدنيا .

عويس : طيب . طيب . اريد طلاقها ياسيدنا القاضى .

العصامى : ارجع ياراجل عن مزحك . (عويس يشير باصبعه رافضا) خليك مع مراتك (يشير عويس رافضا)الاتفاق احسن لك

زينب : قول ابدا عاوز اطلقها .

عويس : أبدا اريد طلاقها .

الحماص : يا راجل شاور روحك .

زينب : قول شاورت روحى . وعاوز اطلقها . بكره تجوز قوام .

عويس : شاورت روحى . وعاوز اطلقها . وبكره تجوز قوا ...
(يراجع نفسه) عاوز اطلقها جابها داهية تاخدها

الحماص : قلدب يا راجل . هل انت فى الغيط والا فى الزريبة . ليه انت مفيش عندك حيا .

عويس : معلهش بكره اطلقه منك .

زينب : بس طلقنى .

عويس : روحى وانت طالقه بالتلاته .

الحماص : لا حول ولا قوة الا بالله ! هات الورق يا فسوى .
(يذهب الى المصطبة ويصعد على الدرج ويتربع وراء الصندوق ويأخذ حزمة من الورق الذى مع احمد ويفرشها امامه ، ويطلع من صدره دواة نحاس صغيرة وقلم بوص ويأخذ فى الكتابة)
(العمدة وزينب والفلين امام القاضى وزينب مكتفة ومتلفعة بطرحتها)

الحماص : (**الى عويس**) ما اسمك ؟

عويس : اسمى ! اسمى ! (**لزينب**) اسمى ايه ؟

زينب : على ابو حجازية .

الحماص : انت لوامك نسيت اسمك ؟ دا من غضب الله عليك ! من نسى اسمه نسى دينه .

عويس : لا يا مولانا القاضى . دى بس هيبة المحكمة نستنى . انا اسمى على ابو حجازية .

الحماص : وابوك ؟

عويس : وابويه ! وابويه ؟ (**لزينب**) ابويه اسمه ايه ؟ الحقى

زينب : (**له**) محمد ابو حجازية من دهشور .

عويس : محمد ابو حجازية من دهشور .

الحماص : محمد . وامك ؟

عويس : امى ! امى كمان مالها امى ماتت من زمان (**لزينب**) الحقى اسمها ايه ؟

الحماص : اخلص قوام . بتعل ...

عويس : امى اسمها ايه ؟

زينب : (**تميل عليه**) خدوجة بنت سيد أحمد .

عويس : خدوجة بنت سيد أحمد . ودالهـار ايه ده الهبب . دى ما كانتش جوازه

الحماص : خدوجة بنت سيد أحمد . وانت يا حرمه ما اسم الكريمة

زينب : محسوبتك زينب !

عويس : الحمد لله اللى فات دورى .

الحماص : بنت مين ومين .

زينب : بنت المعلم ابو حسن الحماص من بولاق وحميدة بنت سخا الطحاوية .

الحماص : (**يسكت قليلا وهو يكتب ثم ينطق**) حكمت المحكمة المنعقدة دار حمام ابو حسن ببولاق محلا مختارا لها بطلاق الست زينب بنت ابوحسن الحماص ببولاق وبنت حميدة بنت سخا الطحاوية من على ابو حجازية ابن محمد ابو حجازية من دهشور ابن المرحومة خدوجة بنت سيد احمد . وهـذا ختمنا بذلك .

عويس : أف ! الحمد لله اللي أنتهينا . ولى كان كنت تحت كوم سباخ بس بقى امتى نقابل بعضنا لاجل اللى بالك فيه !

الحماى : اسنحى يا راجل . اخرج من هذا دى المكان . يالفاسق يا قليل الحيا . خرجه يا شورى .

زينب : (تمسك فى عويس) يروح لين ياسيدنا القاضى .

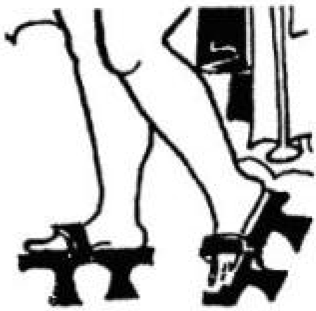
الحماى : ماذا انت عاوزه منه ؟

زينب : النفقة !!

عويس : (يضرب على صدره) نفقة ايه !

زينب : (تلفزه فى ذراعه مرات) نفقة عدتى ، تلات اشهر ، أكل منين ياسيدنا القاضى .

الحماى : ما تولك يا راجل فى النفقة ؟



عويس : أنا مقدرش على النفقة . أنا راجل مسكين وصاحب عيال ولا معاييش .. والله وقعت فى الفخ يا أولاد ...

الحماى : تدفع كام عدة مطلقتك زينب بنت المعلم أبو حسن الحماى بنت حميدة بنت سخا الطحاوية ؟

عويس : ريال ياسيدى القاضى فى الشهر معليهش .

زينب : (تضحك) ريال ايه يابو رياله ! انت الجننت يا راجل دانت عمده وجايب خمسميت جنيه واربعين من تمر القطن اللى بعته امبارح .

عويس : (لزينب) طيب وانت مالك ومال كده ! ما هو كله علشانك وعلشان الفرح لما تجوز .

زينب : وأنا شفت حاجة قبله ، لما حاشوف بعدين ، ادى بياضك قبله والا حد الله بينى وبينك .

عويس : جرى ايه ياست زينب ! انت مش قلت ...

زينب : قلت ايه يا راجل .. احكم لى يا سيدنا القاضى واللى تشوفه انت ، مافيش أحسن منه .

العماني : حكمت المحكمة على علي أبو حجازية بن محمد أبو حجازية من دهشور وخلوجة بنت سيد احمد انه يدفع لمطلقته زينب بنت أبو حسن الحماني ببولاق بنت حميدة بنت سخا الطحاوية مبلغ وقدره ثلاثين جنيه مجيدى نفقة لها من ثلاثة أشهر مدتها ويكون الدفع فورى يعنى فى الحال .

عويس : (يظل يحلق فى وجه الحماني مدة ثم يحط يده فى جيبه ويبص لزينب وهى متشفشفة منه ويطلع الكيس) أمرى لله . أمرى لله . الحق على ! خدى ياستى نفقة عدتك . دول الاربعين اللى جبتهم من البلد حاطط منهم عشرة .

زينب : (تعد النقود) واحد . اتنين ...

الحماني : فى سرك

زينب : حاضر ثلاثة . اربعة ...

الحماني : سيماه الحمام حيفوت ...

زينب : ثلاثين

الحماني : تمام

زينب : تمام يا سيدى

عويس : كفانى بقى أجى امشى بقى علشان ...

الحماني : اخرج يا راجل ، يا فاسق يا قليل المروءة . تترك مراتك للشيطان الرجيم خرجه يا شوى .

زينب : (تمسك فى عويس) يروح فين يا سيدى

عويس : ليه عاوزه منى ايه ؟ أنا خلاص ما بديش أجوز

زينب : (بصوت خافت) اخص عليك ! بقى علشان ما تسيبك الحكاية تتخض قوام .

عويس : طيب قولى عاوزه ايه . والله قلبى ما هو مصدق . قولى بقى الاقيلك فين ؟

الحماني :(وكان مشغولا بالكتابة) اقرب يا راجل يا قليل الحيا . ما دعوتك يا حرمه يا زينب يا بنت الامير أبو حسن

زينب : بقية مهرى .. المتأخر يا سيدى القاضى !

عويس : يا خرابى ! يا دعوتى ! يا مسلمين ! يا خسارة تعبى فى القطن السنة دى كلها

زينب : خمسين جنيه مجيدى بالتمام ! أصل مهرى ميه وخمسين وانت يا سيدنا القاضى اللى كتبت كتابى على الراجل ده أيام ما كان شوى عندك .

العماني : متذكر بالضبط . حكمت المحكمة على علي أبو حجازية ابن محمد أبو حجازية من دهشور وخلوجة بنت سيد أحمد انه يدفع مبلغ وقدره خمسين جنيه مجيدى مؤخر صداق مطلقته الست زينب بنت أبو حسن الحماني ببولاق . وهذا ليدها امامنا وفورى وقوام

عويس : يا خرابى ! يا خرابى ! يا خسارة تعبى فى القطن السنة دى معلهش ! أستاهل آدى الخمسين جنيه بربطتهم من ايد الخواجه . استاهل شرب العرم اللى آجى مصر

العماني : اخرج بقى يا راجـــل يا قليل الحيا . يا قليل المروءة . خرجه يا شوى . خرج

زينب : (تمسك فيه) يروح فين ياسيدى القاضى ؟ انت ماسمعتوش بيقول ان بقاله سبع سنين وست اشهر وست أيام ماعرفش

على ولا سيدى

العباسى : هذا صحيح

زينب : لين نفقتى فى المدة دى كلها !

العباسى : صحيح هذا حقك ولكن (بإشارة استعطاف) سامحيه ليوم يبقى لك عند الله .

عويس : الله يطول عمرك يا سيدنا القاضى . ولا يوريكش ضيم ويعلنا بفضلك

زينب : يا سيدى القاضى ازاى أسيب حقوقى ! دنا بعت صيغتى وهدومى وصيغة امى وهدومها وهدوم ابويه كمان . وأبويه وحياتك باع على الفوط والبشاكير بتوع الحمام .

العباسى : دا شيء أعرفه تمام . الله يجازيك يا شيخ

زينب : لا كان راجل بيصرف على ولا احنا ناس مانخافش ربنا .

العباسى : صدقت يا حرمة ، فتح الله عليك وعلى والديك .

عويس : يا سيدنا القاضى ماقيش منك رحمة !

العباسى : ليس فى الشرع محاباة . امال كنت ليه ما بترحمهاش فى غيبتك عنها وهى محصنة نفسها وروحها ليك ! حكمت المحكمة على على أبو حجازية بن ...

عويس : (يقاطعه) بلاش الباقى وحياة راسك . ما تحكيهاش

العباسى : تقدب . هكذا الأصول — (يتم الصيغة) ابن محمد ابو حجازية وخدوجه بنت سيد أحمد انه يدفع لطلقته الست زينب — طيب ما عليهش الباقى — نفقة شرعية قدرها ٣٠ جنيه مجيدى عن كل سنة من سنين غيبته فيكون الجملة ٣٠ جنيه على سبع سنين تبقى ٢١٠ وست اشهر بـ ١٥ جنيه يصير ٢٢٥ وست أيام بنصف جنيه فيكون المبلغ ٢٢٥ جنيه ونصف بالتمام ويكون الدفع فورى وفى الحال وأمام عيونتا

عويس : آه يا خرابى ! يا خراب بيتك يا عويس ! يا جوعة العيال الـ ـة دى ! يا رفتتك من المعدية بعد ناظر القسم ما يعرف انك فلست ! والله يا ناس ما شفتها قبل دى الوقت . والله يا ناس دى لعبة والعبت على وبس قلت لك كده يا سيدنا القاضى علشان هى قرفتها ...

العباسى : يا راجل يا قليل الحيا اوع تكون بلغت المحكمة شيء كذب بعد ما حكمت لحسن هذا دى الفعل ترمى به فى النطس وهو سخن بيغلى وليس لك بعدين أجر عند الله قول إذا شئت . واستعد يا عويس

عويس : لا . قلت صدق يا سيدى . عوضى على الله

العباسى : ادفع فى الحال

عويس : حاضر . آدى متين جنيه بربطة واحدة بوخرين . وادى عشرين كمان وادى خمسة وسامحنى فى النص لاحسن ما عنديش غيره وحياتك

زينب : أبدا . هات جنيه وسامحنى انت فى النص . دا حقى . تاكل حقوق الولايا !

عويس : الله يسامحك يا بعيده . آدى الجنيه . بس بقى . مايبقى عاوز أجوز

زينب : وبين عاوز يرجع لك

العباسى : اخرج يا راجل يا قليل الحيا يا قليل المروة

عويس : أنا قليل المروة . طيب يا سـيدى . أدينى مروح . ان شالله ما كان حد استحمى . دا صحيح يا أخوانا دخول الحمام مش زى خروجه (يهم بالخروج)

زينب : يروح فين يا سيدنا القاضى

الحماى : أيه كمان يا ست زينب !

زينب : واللى فى بطنى !

عويس : بطنك !! وجع فى بطنك !

زينب : أيوه يا سيدى ، فى بطنى بقى له سبع سنين وست اشهر وست أيام

عويس : ودا كلام حد يصدقه الا المجانين . حق يا سيدنا القاضى

الحماى : كلام الزوجة مصدق . هى أعرف بحالها . هكذا الشرع وبه نحكم معقول او غير معقول

عويس : طيب وايش عاوزه منى بقى

الحماى : ما دعواك يا حرمة

عويس : ما خدت نفقتها يا سيدى من المدة اللى فاتت والمدة

زينب : يمكن ما اولدش الا بعد عشرين سنة !

عويس : يا سنة سوده !

الحماى : انت عمرك كم سنة يا حرمة !

زينب : السنة دى ثلاثين الا شوية

الحماى : يعنى يمكن ما تولديش الا بعد ٢٥ سنة حتى يمنى عشـان تبلغى سن اليأس

عويس : آه .. يادى الداهية الكبيرة (يقطع فى شعره) يادى البلاوى الثقيلة (يلطم)

زينب : طيب شوف انت بقى ، رايك أحسن من كل شيء انت قاضى وعادل واحنا ناس ولايه . أدينى زى ما تحسب

عويس : (يصيح) آه يا فلوسى . يادى النهار اللى زى الطين والهباب

الحماى : اغضب يا راجل . حكمت المحكمة على على ابوحجازية ابن ..

عويس : (بالحاح) ما عليش دى النسبة الزفتة ، بس قول لى كام!

الحماى : اتقضب يا راجل يا قليل الحيا يا قليل المروءة انت عاوز تخل



دخول الحمام .. مش زي خروجه

بنات الامرا يقعدوا جابين عشرين سنة والا خمسة وعشرين ما يجوزوش علشان خاطر الولد الملعون ابن الملعون اللي في بطنهم (يكمل) على على ابو حجازية من دمشور . اقول لك ـ ما عليهش الباقي ـ انه يدفع لمطلقته حتى تستوفي عدة نفقة عشر سنوات

عويس : آه . يا خرابي ! يا خراب بيتي

الحمامي : بواقع السنة ٣٠ جنيه مجيدي ويكون الدفع فوري وامام عيونا اي قدامك ـ والعشر سنوات يحسبوا ابتداء من هذا اليوم الثالث من رجب ١٢٨٢ هجرية على صاحبها افضل السلام وافضل التحية ـ لغاية اثنين رجب سنة ١٢٩٢ هجرية يكون جملة المستحق دلمه مبلغ وقدره ٣٠٠ جنيه يتخصم منها الثلاثين جنيه اللي حكم بها لنفقة المدة الاولى فيكون المستحق مبلغ وقدره ٢٧٠ جنيه مجيدي بالتمام

عويس : آه .. اهم . لحسن بعدين الــلق في النطس . عوض على الله .

(يصيح) الله يقطعك يا عويلي .. الـلـه يخيب املك . تجيبني في الحمام المشئوم ده ؟ اهم . ميه ودي ميه . ودي ميه . هاي الثلاثين الاولين .

زينب : (تمسك في الفلوس) والباقي يا سيدي القاضي . يمكن ما اوقعش الا بعد خمستاشر سنة كمان !

الحمامي : اقول لك خدي الثلاثين كمان . ومع ذلك عندك طوالة والقبه وتقب امه فاذا فاتت العشر سنين ولم توفي ابقى قلبي لبه علم طلب

عويس : والله ماهي مراتي ولا انا اعرفها ! والنبي

الحمامي : لعلك ترجع في كلامك وتبلغ المحكمة كلام كذب بعد ماحكمت

عويس : لا وحياتك يا سيدنا القاضي دي بس من حلاوة الروح (هنا يدخل عويلي آتيا من الحمام وهو متلوط وعلى راسه بشكير وفي رجله قبقاب)

عويلي : اي والله والنبي يا ولاد . دخول الحمام مش زي خروجه !

عويس : اي والله

عويلي : خش بقى يا عمي ابو عويس بيه ادخل فوق مزاجك والنعم

عويس : (بحرقة) اسكت ماليش عمك ابو عويس بيه

عويلى : عجب . أمال انت مين . يا ابو التنا الابيض

عويس : أنا على ابو حجازية ابن محمد ابو حجازية من دمشسود وامى خدوجة بنت سيد احمد ودي الست زينب مطلقتى بنت الامير ابو حسن العماص ببولاق

عويلى : مين بيقول كده . دانت جناب عمدة كفر المجورة ابو عويس بيه . على سن ورمح

عويس : اسكت . داكان زمان يابنى ـ راحت الفلوس . وراح لمن القطن . وراح عمك ابو عويس بيه عمدة كفر المجورة اروح تتفس لحسن بعدين تروح روحك والا يرموك فى القطس وهو سخن بيغلى . أنت معك حاجة !

العماص : (كأنه مشغول بكتابة ورقة الطلاق) خلى يا عرمه هده ورقة طلاقك

زينب : ربنا يطول فى عمر سيدي القاضى

عويلى : آمين

عويس : آمين ، آمين !.

العماص : اخرج يا راجل يا فاسق يا قليل الحيا يا قليل المروءة

عويس : حاضر . قال يقول ماحدش من ولاد مصر ضحك على . ضحكت على مرة . اديني رايح . يالله ياواد يا عويلى

زينب : يروح فين يا سيدي القاضى وتلتة الحبل لما يتولد . واجرة الست الداية . وتمن الخلخال ووهبة الحجاب الى حتعمله للمولود ان شاء الله ربنا يعوض عليك

عويس : امر ياختى أمر . (يخلع العمة والمركوب والجبة ويرميهم واحدة وراء التانية فى وجهم وهو يقول فى خروجه)
الله يخرب بيتك وبيت سيدك القاضى ويبتليه بالاوجاع ويطلع على عينك البلا
(هنا يدخل التشاشتى فيلاقى فردة مركوب فى وجهه)

تشاشتى : ديهده ـ لين البقشيش يا سعادة العمده ـ دا مش حرام عليك
(الكل يضحكون . يخرج ابو عويس وعويلى جريا من باب الدخول وينزل العماص الى زينب ويأتى اخوها اليها وزينب تاخد فى الغناء على وزن رطل ونصف)

زينب : اديها فرجت يا معلم يا ابو عصوبة
اوع بقى تيجى مبلم وتسب الكون
شوف دول بعينك يا تشاشتى يا ابن العره
ادينا صرنا يا تشاشتى زى الاصرا

تشاشتى : دا كله من وشك الاغبر يا ست الناس
دا سيدنا كان وشه اغبر زى النسناس

العماص : يا ابن اللعينة دى العمة وشال الكشمير
هم اللى راحوا دى اللعبة ما تمشى كتير

الجميع : الله يخلى لنا البسطا اهل الكرمات
رزق الغلابة على العبطا فى دى الاوقات

ويسدل الستار

16 mars 1910

THÉATRES & CONCERTS

INDISCRÉTIONS — COMMUNIQUÉS



LE PREMIER ACTEUR EGYPTIEN

M. Georges Abiad était il y a cinq ans chef de gare de la station de Sidi-Gaber, à dix minutes d'Alexandrie. Il avait la passion du théâtre et rêvait de créer en Egypte un art dramatique égyptien. [illegible] il joua [illegible] de [illegible] représentations données sous le haut patronage du khédive, et devant les qualités dont il fit preuve, le souverain d'Egypte décida de l'envoyer faire ses études dramatiques à Paris. Le jeune Egyptien prit comme professeur M. Silvain. Il travailla pendant cinq ans ; et maintenant il part pour le Caire et Alexandrie où à la tête d'une troupe de comédiens de talent il va interpréter *Charles VII chez ses grands vassaux*, [illegible], *Horace*, *Andromaque*, *les Burgraves*, *Othello*, *Œdipe roi* et *Louis XI*. M. Abiad aura à côté de lui, comme vedette féminine, Mlle [illegible], la belle macédonienne applaudie à [illegible], à l'Odéon et à l'Opéra, à la Porte-Saint-Martin.

Pour la première fois les Egyptiens vont entendre un acteur égyptien interprétant les chefs-d'œuvre dramatiques français. L'année prochaine, au Caire, M. Georges Abiad, réalisant son rêve, jouera en arabe des pièces arabes.

Aujourd'hui :
Au [illegible] Sarah-Bernhardt [illegible]

وثيقة هامة

تنشر لأول مرة ..

جورج أبيض

والتمثيل بالعربية

تناول تاريخ المسرح تراث الفنان الكبير جورج ابيض (١٨٨٠ ـ ١٩٥٩) بالتقييم وعرضت الدراسات المختلفة للأسباب التى دفعته الى التمثيل باللغة الفرنسية بعد عودته من باريس الى مصر سنة ١٩١٠ .

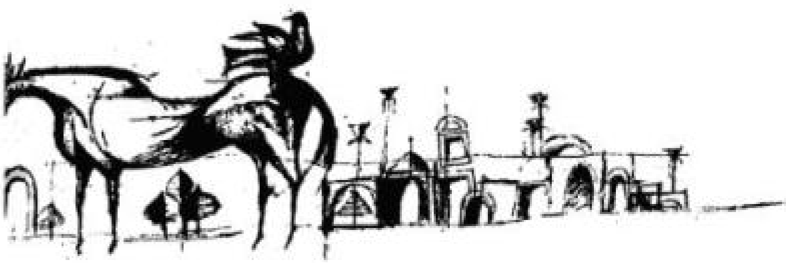
والرأى السائد فى هذه الدراسات أن جورج ابيض ظل يمثل باللغة الفرنسية على فترات متقطعة الى ان طلب منه الزعيم سعد زغلول ـ وكان وقتها وزيرا للمعارف ـ ان يعنى بالتمثيل باللغة العربية ، فلبى جورج طلبه والف فرقة ضم اليها نخبة من الشبان المثقفين وبعض الممثلين القدامى .. واستهلت هذه الفرقة نشاطها بتمثيل مسرحية شعرية من فصل واحد وهى (جريح بيروت) ١٩ مارس ١٩١٢ .

والهلال تنشر فى الصفحات التالية وثيقة هامة ، تلقى ضوءا مغايرا على هذه الواقعة فتقدم صورة زنكوغرافية لمقال نشر فى جريدة Le matin الفرنسية فى ١٦ مارس ١٩١٠ ، اى قبل وصول جورج ابيض الى مصر ، وفيها يظهر حرص جورج ابيض وهو ما زال يدرس فى باريس على التمثيل بالعربية الذى كان يعتبره حلما من أحلامه وتقول السيدة سعاد أبيض .. ابنة الفنان الكبير :

ان هدف جورج ابيض من التمثيل بالفرنسية كان عرض نماذج من المسرحيات الرفيعة على المتفرجين المصريين ، عن طريق ممثلين راسخين فى فنهم ، وذلك كى يقتنع الرأى العام المصرى بان المسرح فن رفيع ، وان له اصولا وقواعد .. تخدمها مواهب قوية يمكن ان تحظى بالاعجاب .

■ محمد مستجاب ■

يوم هام في حياة رجل نصف مهذب

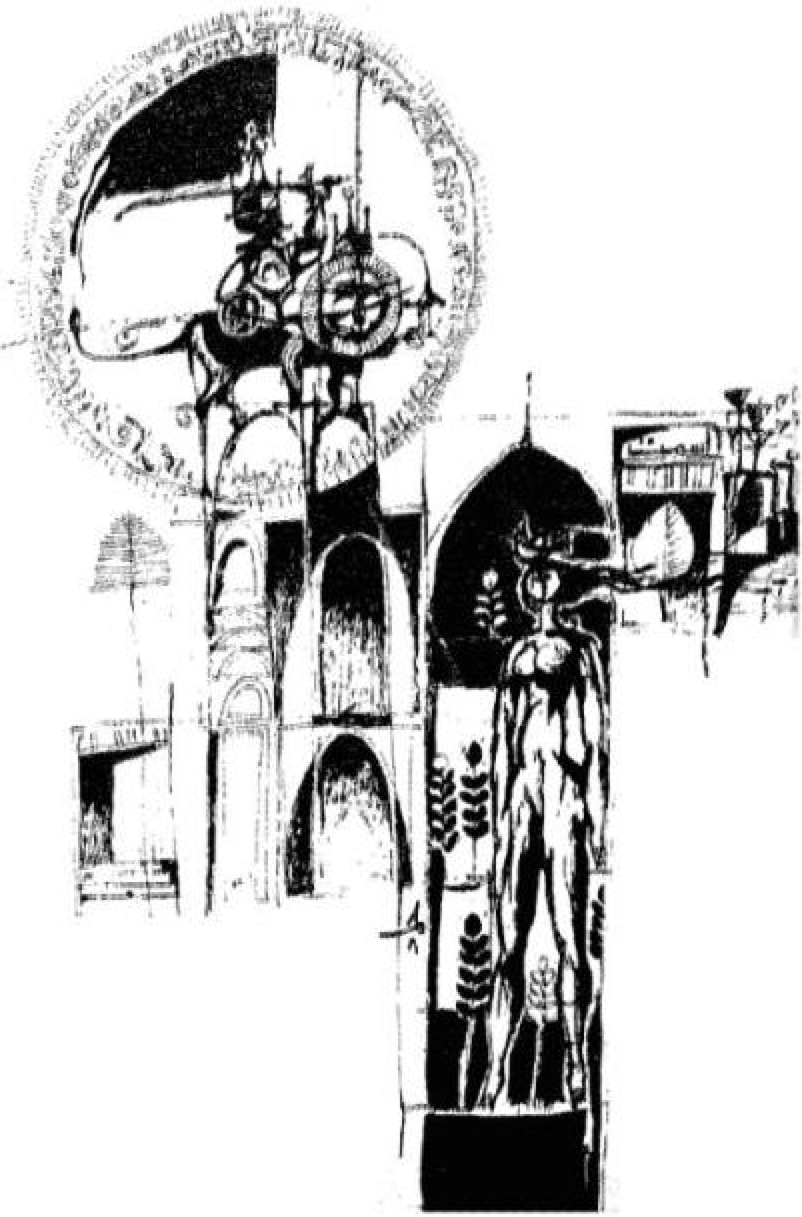


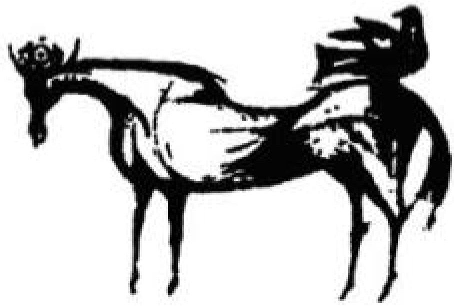
« فوجئت باحدى محاكم ديروط تصدر ضدى حكما بالحبس شهرين لعدم تنفيذ قرار هدم منزلنا الرائد فى القرية الآيل للسقوط » ..

◆ من المؤسف أن أكون فى الثانية والثلاثين من عمرى ولم أسعد برؤية قوس قزح بعد ، فى فترة المراهقة — وقبل أن أنزح من القرية الى القاهرة — حاولت كثيرا أن أصطاد خفاشا ، لم أنجح ، أحيانا كنت أصطاد السحالى ظنا أنها الطير الملون معتقدا أن فى بطنها مفتاح الجنة ، لى ابن عم يعمل ساعى بريد يميل الى مداعبة بعض الخطابات الخاصة ليفتحها ويقرؤها وأحيانا يمتلكها ، ابن عمى الثانى مدرس ابتدائى يعيش فى خيالاته صورة أمله أن يكون عمدة — وذات مرة قرر أن يستولى على امرأة فقيرة فاتنة تملك الرماع على واجهة منزل قديم وغريب ، ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر أو : ألهاكم التكاثر فقط ، استطردت من أمى عن هذا

الحكم فاعترفت بأنها اشتبكت مع الحكومة فى معركة دامية حيث أمسكت مهندس المبانى من رباط عنقه ورجمته بالكلمات

والاحجار ثم رحلت من القرية كلها لتعيش معى ، وهمست لى أمى : أن أى مسألة مهما تعقدت لها حل ، وقال لى أحد





المحاسبين انه يستطيع من طريق زملائه في بلدتنا ان يمارس لي في الحكم وأخذ جنيها ثم عاد بعد أيام وأخبرني بميعاد الجلسة وأخذ نصف جنيه .

أثناء فترة ملل بالمنزل — وأثناء احتسائي لقهوة المساء — سألت أمي عن السبب الأصلي وراء هجرة «أبوزيد الهلالي سلامة» من أواسط صحراء نجد الى الصعيد ثم قيامه بتلك المخاطر ليغزو تونس الخضراء فقالت ان السبب الأصلي هو الجوع ؛ سقطت البطولة والتقت أمي مع كارل ماركس دون سابق تعارف ؛ أنا أكبر الإخوة وحامل صولجان أبي الميت ووارث عرشه وحامي حمى ثروته المكونة من خمس بنات وولد وأمنا وفدان أرض ومنزل جاحظ الحوائط ومسببات لأحكام تصلني بين الحين والحين ؛ تحكم من ممارسة الجنس في الشقق الخاصة ذات الأضواء البهيجة والفراش الوثير والدخان الأخضر والمشروبات الذهبية ؛ يلفني حزام من الضيق ويضغط على منتصفي حتى يكاد يرقصني ؛ أسفل نخلة وبعد الظهر بقليل وعلى شاطىء جدول منساب رقراق وفي مكان فسيح ذي خضرة تعبق باللون والرائحة استطيع — ولمرة واحدة — ومن خلال أنثى مطرودة تحت صدري أن أصل بالمتعة الى لانهائيتها ؛ في ميناء بحريه التقيت بيونانية هزيلة ربع جميلة عرضت على ثديها مقابل بضع دراخمات ؛ عشنا وصولي — أرهقانا — نمت ؛ قلت المرأة تداعبني بالإنجليزية ركيكة لكني كنت لا أزال راغبا في النوم ؛ كنابليون وقفت على رأسي وتحية عصبية وألقت بالدراخمات على الأرض وأشارت — بلا دبلوماسية — الى الباب ؛ قلت لها وأنا ارتدي ملابسي أنها ربع جميلة فقالت لي وأنني نسيج رجل أو أقل ؛ سألني سارتر في أسوان عن شعوري لحظة تحويل مجرى نهر النيل فأجبته بأنه شعور مكثف وغريب وفاضح وقوي وأكثر عمقا من شعور هتلر لحظة ابلاغه سقوط باريس وشعور سارتر نفسه لحظة اعلان استقلال الجزائر فاحتضنني فيلسوف العصر والتقط لنا زميل لبيب صورة فظللت أفخر بها حتى جاءني رئيسي يخصم يومين من مرتبي لإحداثي ضوضاء في العمل ؛ أمد يدي الى عالي فتذوب أناملي داخل الكهوف الغارية وتتحول الى خلايا مرتعشة تتبدد لتصبح غذاء للارهاق ؛ قررت أن أسافر لأحضر جلسة المعارضة ؛ حقيبتي في يدي وقطار الفجر يتأهب للتحرك والناس الفقراء يغطون الرصيف ويملأون العربات ويتبادلون الصراخ ؛ لم أجد مكانا لوقفت وأشعلت سيجارتي ؛ ثم أفسح لي البعض مكانا فجلست بصعوبة وبدأت أتأمل الرجل الذي يجلس أمامي الكراهية ؛ عيناه ضيقتان وأنفه ضيق ووجهه ضيق وسطحه ضيق ؛

لأسباب لا أدريها فوجئت
بالأنثى التى اختارها أهلى
وأهلها زوجة لى منذ ست

سنوات تقف فى الطرقة ،
كقنبلة انفجرت على جبهتى
وكيد للتربة سكت نظرى ؛

ببساطة متناهية وللأسباب
مالية اختار لى أهلى
الأنثى الواقفة فى الطرقة ،

ورفضت أنا ورفضت هى ،
قالت انى لا أصلح زوجا
لهـا وأن مرتبى لا يكفى

لاصلاح أسنانها ، وقلت
أنا أنها لا تصلح لى زوجة
حيث أن اتولتها مهشمة

ووجهها أصفر عقيم وشعرها
مهوش مرتبك وقامتها قصيرة
وعلى سطح جلدها بثور ،

وقلت أن الشهادة العالية
قد تعطى الأنثى مرتبا
لكنها لا تمنحها الشكل

والقيمة والشخصية ،
استمرت الحرب ولرشت
دروب حياتها بالكراهية

حتى انتقلنا من عابدين الى
الجيزة وذهب كل منا الى
سبيله ، مازالت عيناى

تحومان حولها وهى واقفة
فى نهاية الطرقة تود أن
تجد مكانا لتجلس فيه ،

أشياء كثيرة يمكن لى أن
أتمنها ، كيف يمكن
للدبلوماسيين أن يهربوا

الى الدول المعادية دون
محنة نفسية ! ، الرجل
الذى يجلس أمامى ما زال

يكرهنى ، أى سلالة تلك
التى تكونت منها شخصية
عمرو بن هشام ـ أبى جهل

ـ ليقف حتى مقتله ضد
الدعوة الاسلامية رغم
انفراط عقد أنصاره منه ،

يقول مارك توين أن نصف
الناس خلق من طين والنصف
الآخر خلق من طين أيضا ،

صوتك ياحبيبتى ينغم عالى
ويرهف احساسى ويغمر
أشواقى باللهفة والحنين

ويدفعنى الى الرقص على
الحافة ، أشعلت السيجارة
الثانية فأخرج الذى أكرهه

سيجارة ليشعلها منى
فتغاضيت عنه وتجاهلته ،
التقت عيناى بعينى الأنثى

التى كانت مرشحة زوجة
لى فارتبكت ، أشرت لها
فتحركت فى اضطراب ،

قمت من مقعدى وأجلستها
مكانى وناولت الرجل الذى
يكرهنى السيجارة ليشعل

منها سيجارته ، كل شىء
يتداخل ومهمتنا فى الحياة
أن نفصل الحدود حتى

تصبح الكارثة الكبيرة كوارث
صغيرة محتملة ، ذات مرة

ـ منذ سنوات ـ حلمت
بأنى تزوجت نادية لطفى

وصرعت رجلا بسببها
وقتلت امرأة وحطمت كرسيا

واستيقظت دون ممارسة
شىء معها فأفزعنى مدى

جسامة التضحية ، سألت
الجالسة مكانى ـ وكانت
مازالت مرتبكة ـ عن حالها

لحمدت الله ، وسألتنى
عن حالى لحمدت الله ،
أبوها مات منذ فترة وهى

تعمل فى بنك ، عزيمتها
تكادت تبكى ، هى ذاهبة
الآن الى نفس المكان الذى

أتوجه اليه لتحصل
ـ أو لتستعجل ـ شهادة
ميلادها لحاجتها اليها فى

العمل ، سألتنى عن السبب
الذى من أجله أسافر اليوم
الى قريتنا فقلت انى قد

عينت محافظا للمنطقة
فضحكت وضحك الرجل
الذى يكرهنى ، مازالت

صفراء هشة لا أنوثة فيها
ولا يمكن أن تكون لديها أية
قدرة على أن تفرض أرقى

الرجولة بما يعنى الرغبة
والاشتهاء ، عندما تخلو
حياة الواحد منا من

أرصدتها ، لا مال ولا حسب
ولا نسب لا يبقى سوى
متعة اليوم : حكمة من

اختراعى ، حكمة أخرى :
الصبر كالكلب لو تعوده
عليك لما تركك الا ميتا ،

خبطات عجلات القطار فى
فواصل القضبان خبطات
عجلات الارهاق فى فواصل

ضلوعى ، لنذهب الى
البوليس ، وسحبت
« شهادتى » خلفى وطلبنا

من الرجل الذى أكرهه أن
يحرس حاجياتنا ، أتأمل
تتنفس وجوف غار والأرض

ذات التبر تقتل النباتات ،
مجموعة من المخلوقات لم

تظل؟ قسيتنا طوال حياتها واهتم بها الناس والالهة والكتب : اهل الكهف ، في

البوليه بادلنا الكلمات التافهة والمجاملات العمياء الصغيرة وشربت هي قهوة وشربت انا بيرة لم تهوه ،

اشمئزازي مبعثرة والدوار يلفني ، ذات مرة وجدت رجلا يفتش بعض الناس فتدخلت

في المسألة فاصطحبني الرجل معه لاقضي اسبوعا في سجن المدينة حتى يتحرى

عني ، يقول كازنتزاكي في احدى رواياته : لابد لكل قرية من امرأة غير فاضلة

يقصدها الرجال لتحمي بذلك حرائر النساء من مطاردات الرجال لم – في

آخر الامر – تصلب في ميدان عام وترجم ، معظم بنات قريتي – الجميلات

– يتولى عليهن مدرسو المرحلة الاولى لم يخزلونهن داخل البيوت المبنية بالطوب

والحصر والجير والتقاليد والملل فتشتعل البنات ذاتها لسوء التصوير ،

لماذا لم تتزوجي حتى الآن ؟ ولماذا لم تتزوج انت ؟ وضحكنا ، اكرهك

اكرهك ولا بديل لهذا الشعور حتى ولو كنت وليتي على ظهر يخت

يجوب الريفيرا الفرنسية وفي ايدينا كئوس نبيذ مارسيليا ، طلع النهار

واشرقت الشمس بطن الوادي وظل القطار يهادي مهروسا فاجا ، الحبس

شهرين لعدم تنفيذ قرار هدم منزل لم اسكنه لكنه آيل للسقوط ، لها

اخوة ولي اخوة ، لها عائلة ولي عائلة ، وكل فرد

من العائلتين تقص عنه الاساطير النصف الخائفة ، المحطة القادمة مقصدنا .

آه ياربيقتنا الطيب ، اشعلك ، اشم روائحك ، لم احس ان لي انفاسا سوى

صباحنا هذا ، القناطر

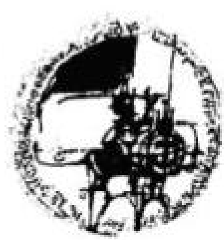
والحقول والناس والحركة والصباح والندى وفي الافق

شمس تقوم وتحتوى المظروفات ، وللماء صمت

والتكاسات ، وفي المحكمة

حكم يجب ان اعارض فيه ...

اتفقنا ان تذهب هي الى مكتب الوالد وانا الى المحكمة وان يتجه من ينهي اعماله اولا الى الآخر ، في



المحكمة قال لي سكرتير الجلسة ان قضيتي هي

الرابعة ، وان القاضي سيحضر بعد ساعة ونصف على الاقل ، شربت فنجان

القهوة وتوجهت الى صاحبتي ، قالوا لها ان سجل الوالد الخاص بها موجود بقلم المحفوظات

بالقلعة بالقاهرة ، فسألتها ان نجلس قليلا في تلك الحديقة المهجورة المشقوقة

بين ترعتين حتى الساعة العاشرة ، على الحشائش جلسنا وتناظر ديروط تنثر

الرذاذ في الجو والعالم منير وهاديء والعصافير تتقافز وتغرد وامشالي تود

ان تتفرد من آخرها ليغطي جسدي كله سطح الارض ، اي نشوة تلك التي احرق

فيروز تحت ترنيمها روما المقبرة ! اي حزن ذلك

الذي ينتشر في الكيان ويغطي الاحساس بالبلل ،

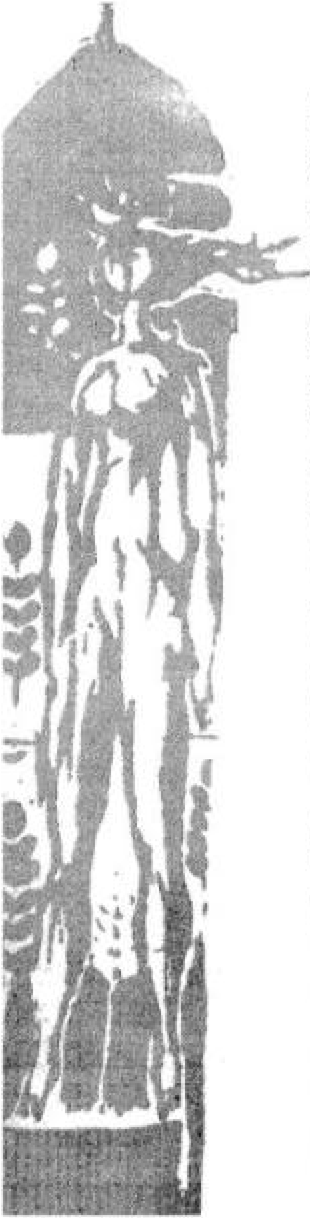
اي جرح ذلك الذي لا يريد ان يلتئم ، آه ، اختارون

بأفق الشمس على الارض ، يا قدرة الكون ، يا قوة الخالق الباحثين الحقيقة ،

الاملي تعبث في اللحم المحروق وتغوص داخل التجاويف وتلهب دنياي

بقشعريرة الرغبة ، الاستسلام كالبلل يغمر المخلوقات دون مقاومة ،

فلتتسطر الارض لكي احتضن التراب واسقط بشفتي فوق شفتيه ، المصري القديم الكثير



المخلوقات شبقا بالاحجار وعشقا لها ، المصري القديم

كان يحني رأسه لأي حجر ولقد لايتركه الا وهو قطعة فن خلقها بكل اهتمـامه

جانبا ، يوسف وهبي يقف على خشبة المسرح ويصرخ : لقد جاءت لحظة الوعيد

وسـتليها لحظة الانتقام ليصرخ الرعاع من الاعجاب ،

الرحمن الرحيم السـلام المؤمن المهيمن القـدوس

الجبار المتكبر ، خلاياي تتقلص واحـزاني تلفني

وسعف النخيل يتهادى والتربة الريفية تلتـذ بلمستنا ، أي ارتجـال

ذلك الذي يستهلك رجلا في اوروبا – خلال سـابق عصورها – وقد نزع منه

صك الغفران ، فتحـات جسدك كلها ترتجف ، تعبر اللحظة السـحرية لتصل

الى عالم المجهول ، القناطر كلها عيون مفتـوحة تعبر

عليها كائنات كثيرة لايمكن تبيان ملامحهـا ، الشؤم

اللزوجة ، العـرق ، الصفعات ، ثيران روما ،

لم يكن الانثى .. متباعدة اسفل شجرة .

كانت السـاعة تصل الى الثانية عشرة وانا اقف امام سكرتير الجلسة ، إذا لم

تحضر ! ، تأبد الحكم ، نعم تأبد الحكم ، فالتعبير مضيق باب الندب بالافيال

مع ابرهة وتحاول ان تهدم الكعبة ، القطار القادم

يحملنا بلا ضـوضاء ، لم نشرب شيئا ولم اتبادل

كراهية مع احد ، عيناي تخرجان الى الفضاء الرحب

فاحس بالاغمـاء ، اوقد سيجارة .. اظل مقـاوما

ما بداخلي ، اظل منتهك الوجـدان والـكيان ،

تستلمني محطة الوصول في الغروب ، امد يدي لتلك

الانثى التي رشحها اهلي واهلهـا لي زوجة منـذ سنوات ، لا اجـدها ،

احاول ان اتحرك ، احك ظهري بكفي ، يصرخ طفل خلفي ، قـوس قزح في

السماء ، احاول ان اتبهر ، احاول ان اتبع عيني عن

آخرهمـا ، احاول ان اتخطى مباني المدينة كي

ارى ، كي اشم ، كي اعلن عن وجودي ، لكن قوس

قزح كان قد تساقط قطعا ملونة على ظهر ترام افلتت سنجته من خط الكهرباء ،

حاولت ان اساعده ولو شظايا ، نظر الي الكمساري وهو يسحب السـنجة

بتهكم ، فتحت لي امي البـاب ، القيت بحقيبتي جانبا ووضعت رأسي تحت

المـاء وبدات اردد اغنية داعرة بصوت مبحوح ، وسحلية ملونة ذات ظهر

مشطط تنظر الي من ركن بدورة المياه وبطنها منتفخ خاو – ايهـا الاوغاد –

مفتاح الجنة ، وامي تلف حولي مستفسرة عما تم في القضية .

أحمد فؤاد سليم



صورة شخصية
تركيبة .. كمال أمين

نظرة على المعرض العام



وحشية النمر حجرية
.. عبدالبديع عبدالحي

منذ ثلاثة أسابيع افتتح المعرض العام السنوي الثالث للفنون التشكيلية بأرض المعارض بالجزيرة ، ويعتبر افتتاح هذا المعرض من الأحداث الهامة التي شهدتها القاهرة هذه الأيام .

ويشترك فيه حوالي ٣٠٠ فنان مصري بأعمالهم التي تصل الى ٥٠٠ عمل بين لوحات وتماثيل ونسجيات وخزف وكان المعرض العام الأول قد أقيم في صيف عام ١٩٦٩ في احدى قاعات أرض المعارض بالجزيرة واشترك فيه حوالي ٢٥٠ فنانا بأعمال فنية تزيد على ٤٥٠ عملا فنيا بينما افتتح المعرض العام السنوي الثاني في قاعة مبنى اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي واشترك فيه ٣٠٠ فنان بحوالي ٣٢٨ عملا فنيا .

وسوف يستمر المعرض حتى العاشر من هذا الشهر .

ومن الانصاف أن نعترف أن هذا المعرض قد تميز فضلا عن حسن التنسيق بتأكيد الاتجاهات الشابة الجادة في الفن ، وبتروجه الى ابراز التيارات الحديثة التي أخذت تثبت وجودها في الفن المصري المعاصر .

نظرة على المعرض العام

ترجع قصة المعرض السنوى العام للفنون التشكيلية الى اوائل شتاء عام ١٩٦٨ حين اجتمع المسئولون بوزارة الثقافة مع جانب مؤثر من الفنانين لاستلهام الرأى حول فكرة هذا المعرض . وكانت نقطة البحث المثارة وقت ذاك ان لجنة المقتنيات الفنية قد اصبحت عاجزة عن ممارسة مسئولياتها ... عاجزة لانها لا تستطيع ان تلاحق النشاط الدينامى البالغ لحركة المعارض الخاصة ، ومن ثم فقد بدأت تتصاعد الشكوى من الفنانين باتهام لجنة المقتنيات بالشخصية ، وبالتحيز ، وبعزوفها عن الشراء من اعمال الفنانين فى معارضهم الفنية ، ولذا فقد تفتق الذهن عن محاولة ذكية لربح جميع الاطراف ، هى « المعرض العام للفنون التشكيلية » — حيث يجتمع الفنانون فى مكان ما ، فى زمن محدد كل عام ، ومعهم اعمالهم التى يدعون بها ، لترانى اللجنة ومعها حاملو الشيكات وصكوك الاعتراف ، ويبدأ التوزيع ، وتعلن النتيجة على احدى صفحات الجرائد اليومية .

ولكن هذا الاجتماع الفنى فى اوائل شتاء عام ١٩٦٨ يرفض جماعة من الفنانين الشبان الجادين للفكرة تأسيسا على اسبابها ودواعيها . وعرضوا من بين ما عرضوا فى اسباب الرفض ، أن تقديم الفنان لعمل او لعملين من انتاجه لمعرض من هذا النوع لا يقدم فكرة دقيقة عن شكل الابداع الفنى عنده او عن اسلوب معاناته فى خلق رؤيته الخاصة . وان مبررات هذه الفكرة من شأنها ان تحسر حركة النشاط الابداعى العام ، حيث يجد الفنان نفسه — وبنفس الوقت — أمام مهمة غريبة تقتضى منه أن ينجز عملا او عملين سنويا لتقديمهما لهذا المعرض ، وتأسيسا على ذلك فان الفنانين قد يجدون انفسهم امام خطر يتمثل فى تجميد وظيفة الجهود الابداعى — فيما قد يعود اثره البالغ على مسار الحركة التشكيلية وقيمها ، ونشاطها ، وتفاعلها .

وثمة ايضا هذا الشكل المهين الذى قد يتحتم على الفنان ان يخضع له او يقبع فيه ، وهو امام قوة تمسك زمام الامر فى يديها ، الا تتحرك لتفسها بمراكزها ولوائحها ، حين تكون هى المشترى الوحيد القادر على ان يعطى اسعادا ، وحين يصير من لوازمها وصلاحياتها احيانا أن تمنح امنية ، او املا .

ولكن رافض اصحاب المصلحة الموضوعية العامة فيه ، ومنطق النقيض الاخر فيه يختلف . وهكذا خرج الفنانون الجادون ، حزينين وغاضبين ، بعد أن انفض هذا الاجتماع الفريد فى ظهر احد الايام أوائل شتاء ١٩٦٨ . ومن ثم بدأت الاجهزة المختصة فى وزارة الثقافة تعمل على تقدم وسائل لتحقيق هذه الفكرة تحقيقا يكفل لها كيانا دعائيا مثيرا ، وصدى لا يتوقعه احد .

● ● ●

وفى صيف عام ١٩٦٩ اقيم المعرض السنوى العام الاول للفنون التشكيلية ، وضم ٤١٧ عملا فنيا اشترك فيها اكثر من مائتى وخمسين عارضا ، لا تدرى حين عقدت الدهشة ألسنة الجميع ، كيف جاءوا بكل هذا العدد الضخم من العارضين ، وكيف امكن لهم ان يكوموا الموازين الفنية بحيث بدا المعرض بكليته خزانة هائلة لمجاميع من البراويز المتنافرة ، والاقمشة ، والحديد ، والجبس ، والاحجار ، والاخشاب ، والزجاج ، والزلط ، والنحاس ، وبحيث بدت المدارس والاتجاهات متضادة امام بعضها البعض ، ومتضاربة فى بعضها البعض ، وبحيث يتحتم على الشاهد أن يتطبع بنوع من الحس الفوضالى ، بمعنى أن يضع الاشياء فى مستنقانها ، أو يحتفظ للتراكيب والرتيبات بأوصالها .

وتصدرت أعمال تجار الفن القدامى ، والحرفيين ، ومقيمي الانتاج ، والانعزاليين الرومانتيكيين ، أهم المراكز الادبية في صالات العرض ، وحازت فيها حازت عليه من تقديرات اللجان أعلى الامتحان على الاطلاق ، وتبعهم رهط من مدرسي وأساتذة المعاهد والكليات الفنية ما كنا نرى منهم شيئا ، أو حتى نعرف عن نوع التزاماتهم حيال الحركة الفنية المشتعلة من الداخل ما يهز الهواء الراكد ، أو يطيب الآلام المتصاعدة التي استشهد دونها فنانون نبلاء مثل كمال خليفة ، وعبد الهادي الجزار ورمسيس يونان .

هكذا بدأت تنحسر هذه الموجة الغضبة التي كانت تشعل الأمل في ضمير الحركة الفنية ، حين أخذ عديد من الفنانين المصريين الجادين تحت الاحساس العميق بالصدمة ، يجدون في العزلة الفنية سبيلا للاحتجاج ، والحزن ، وصمم الرضا . ومنذ المعرض السنوى العام الثاني الذي أقيم في يونيو سنة ١٩٧٠ بحشد هائل مماثل ، وعرض بالغ الهبوط ، أخذت تختفي موجات المعارض الفردية الجادة وذات القيمة من الحياة الفنية ، وحلت محلها عروض هزيلة عشوائية ، لا تشيع بين الناس والفنان تواصلا ، أو حتى تثير نوعا من الاهتمام بضرورة تعزيز الفن ، هكذا تمخض الاشكال من صدام مؤسف بين النزعة الموضوعية أو الجادة للاصلاح في جانب الفنانين ، وبين نوع من الابهام الاصلاحي الظاهري في جانب الادارة ،

وفي شتاء عام ١٩٧٠ وعلى التحديد في مساء يوم ١٧ ديسمبر قال لي وزير الثقافة بالحرف الواحد : « أنني أوافقك على أن المعرض العام بشكله الراهن قد أصاب الحركة الفنية المعاصرة بالعقم » — وفي حين كان يجرى البحث عن حل ما — كانت الادارة في الطرف الآخر قد أعدت نفسها للظاهرة السنوية الثالثة المتمثلة في المعرض العام السنوى الثالث للفنون التشكيلية .

المعرض العام الثالث

ويضم المعرض العام الثالث للفنون التشكيلية حوالي ٥٠٠ عمل بين تصوير زيتي ، ونحت ، وحفر ، ونسجيات ، وسجاد ، اشترك فيها حوالي ثلاثمائة عارض . ومن هذا يتبين أن التمثيل الفني يتركز على وجه التقريب في تقديم عمل واحد لكل عارض ، فيما عدا بعض الحالات القليلة التي تقدم فيها عملان ، وبعض الحالات الاستثنائية التي تقدم فيها ثلاثة أعمال .

ولقد أشرف على هذا المعرض الضخم الاستاذ الفنان أحمد فضل المولى مدير المعارض بالفنون الجميلة ، وقام على اعداده داخل القاعة التي لم تعد أصلا لعرض من هذا النوع الفنان محمد صبرى .

والنظرة الاولى لا تمنح الاحساس بالطمأنينة ،

فأغلب الأعمال المعروضة ، هي أعمال اعتاد عليها المشاهد لتكرار عرضها في أكثر من مناسبة ، وليس ذلك راجعا الى انطفاء ثورة الحماس فقط ، ولكن ايضا الى محاولة التلاؤم الفكرى مع المجموعة صاحبة السيطرة على الفكرة برمتها .

ولعل ما يبعث على الاستغراب والدهشة ، اذ كيف يمكن تمييز الفنان العارض بعمل أو بعملين ، وكيف يسهل الحكم على مبلغ تجربته في الفن وشكل الشوط الذي قطعه ، ومحاور رؤيته الابداعية . ان التجربة الفنية في ذاتها يصعب أن يتحدد جوهرها الا من خلال عملية متواترة للممارسة الفعلية ، وهذه الممارسة الفعلية تقدم لنا فيما نستطيع أن نقدم ، مجموعة أعمال تشترك مع بعضها في تأكيد النهج الجمالي التركيبي للعمل ، ومركز فلسفته ، ومحور تجربته ككل . فهي كالشعر وكالموسيقى ، حين يكون من الصعب غالبا ، وبل ومن الظلم أحيانا ، أن نصدر حكما على قصيدة لصلاح عبد الصبور ، دون أن نلم بجوانب أعماله الشعرية خلال ديوان كامل ، بحيث يسمح الحال لنا أن نضع قصيدته هذه في أول أو في آخر أو في وسط الديوان حسب ما ترشدنا اليه التجربة كلها ، بحالها ، ومآلها .

غير أننا هنا ، نحاول أن نقرب الصورة ، ولذلك فان محاولتنا القاء الضوء على قيمة الأعمال الابداعية التي يقدمها لنا

نظرة على المعرض العام

هذا المعرض سوف تتجاوز حدود المعرض الى مجال ملتنا المسبق بتجارب أغلب الفنانين وما يمثله العمل المعروض من ثقل .

ومن ثم فنحن نعرض هنا لخمسة تقسيمات يضمها هذا المعرض على التقريب ، نحصرها تبعا لاجتهادنا ، كالتالي ، ثم نوردها على نحو تحليلي شديد التركيز في البنود اللاحقة .

- ■ اولا : نزعة تقليدية بحتة .
- ■ ثانيا : اتجاه شعبي ايحائي .
- ■ ثالثا : اتجاه تعبيري رمزي .
- ■ رابعا : نزعة عصرية قومية .
- ■ خامسا : اتجاه عصري تحررى .

اولا — النزعة التقليدية

ونحن هنا نصف النهج التقليدى في هذا المعرض « بالنزعة » لاعتقادنا بأن هذه



رأس رجل « حجر بازلت » .. محمود موسى

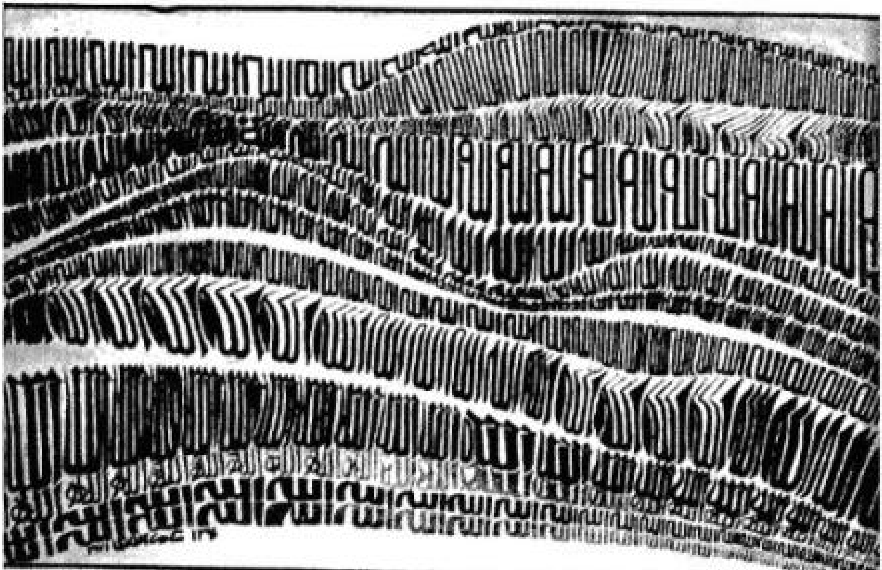


الخروج « كولاج على مساحة خشبية » .. يوسف فرنسيس

النزعة لا تمثل تيارا مؤثرا في حركة الفن المصرى ولا هي تقوم بتمثيل اتجاه ما ، يتركز على أصول فلسفية ، أو أسس بنائية ينفرد بها . والقياس هنا مع الفارق بطبيعة الحال ، فاذا أطلقنا مثلا على أعمال الفنان الراحل محمود سعيد وصف « التقليدى » ، فسوف يتعين علينا أن نضيف الى ذلك وصفا آخر هو «الاتجاه» وليس النزعة .

فلقد كان محمود سعيد في جانب كبير من أعماله ينفرد بنوع من الفكر التصوف العالى ، ومنهج مثالى في التعبير عن احساسه « بالمصرية » . فثمة الآن هذه الخاصية اللصيقة به ، والتى تحورت من خلال امكاناته الفكرية الصادقة ، ليقدم لنا من واقع هذا الاطار الملتحم ماهية فكرية لها في بعض أعماله من العمق الكثير . في أننا نقف أمام الأعمال التقليدية التى يقدمها لنا عبد العزيز درويش او كامل مصطفى او احمد صبرى او محمد صبرى ، في هذا المعرض ، فلا نعثر في اعمالهم على ما يؤكد لنا اتجاها يلتزم بهذا الشيء الذى يحمل خواص الفكر ، او يطرح امامنا اسلوبا مستقى من شيئيات تمثل هذه التى نقابلها عند فنان مثل محمود سعيد . فنحن حين نقف أمام لوحة عبد العزيز درويش « طبيعة صامتة » لا نملك الا الاعتراف بجمالهـا ، وبمميزات الصنعة الاحترافية التى أملت عليه قوانين الظل والنور على محاور التفاحات فوق المائدة ، وزوايا المساقط الضوئية ، الى آخر التقاليد ذات الاصول المرعية في هذا المجال ـ ولكننا لا نستطيع ان نطرح هذه اللوحة جانبا دون ان يقف سيزان فيما بيننا وبين أن تحدث هذه التجربة اتصالا من نوع ما . فلقد قدم لنا سيزان نفس هذه التفاحات

الله « زيت » محاولة في الخط العربي وتتضح فيها النزعة القومية . . عمر النجدي



نظـــرة علــى المعرض العام

وربما نفس المائدة على الأغلب ، فى لوحاته التى زادت على الـ ٠) ، وكان سيزان قد بدأ منذ ذلك الوقت محاولاته التى فجرت فى العالم فيما بعد ، عندما أخذ يقسم المساحة الى بقع لونية ضوئية مترابطة فى البداية ، من خلال مسلك عقلانى صعب فى المعالجة البنائية والحسية فى أعماله ، للخروج على التقـــاليد الرومانتيكية الطاغية فى زمانه .

وهكذا أدى هذا المنهج العقلانى العصرف عنه سيزان فى جانب منه ، الى محاولاته التى نحب هنا أن نصفها « بالرياضية » عندما أخذ برسم التفاحات على المائدة ، حين قدم التفـــاحة ، والتفاحتين ، والتفاحات الثلاث ، ثم تفاحة وطبقا ، ثم عشرات التفاحات ، ثم تفاحة وطبقاء ثم طبقا وتفاحتين . ثم تفاحة مشقوقة وسكينا ، ثم تفاحتين وهكذا ، غـــير أن لوحتى عبد العزيز درويش فى الطبيعة الصامتة لا تثيران على الاطلاق حسا من نفس هـــذا النوع ، وان كانت قـــد استلهمت فى معظمها الأسلوب التركيبى ونظام المــائط الفـــرولية ، والطابع الغافل الحزين الذى يصبغ التفاحات ، وبناء المــائدة ، وأيضا درجة التركيب اللونى ، وبجمــاله .

وفى حين يقدم لنا محمد صبرى منهلا غنيا بالحس الريفى القادر على اقامة طقس جمالى عذب من خلال وســيلته الباستيلية الطيعة ، نجد كامل مصطفى يقدم لنا ريفا من نوع آخر . وعلى الرغم من النقيض الذى يقدمه كل من الفنانين فى استيعابهما لمحور واحد فكرى متجانس ، الا أن كامل مصطفى يتخلى عن الهندسية البنائية التى التزم بها محمـد صبرى بشكل صارم ، ويقدم لنا أشــخاصا يتخصصون بجوانب عفوية على الأغلب ، غير أن الأشجار التى يطرحها كامل مصطفى فى ريفنا تفقد هنا ترابطها بالشخوص العفوية المميزة . انها أشجار « كوربو » على أغلب الظن ، وعلى الرغم من انهـا أشجار ترتيبية فى معظمها ، الا أننـا لا نستطيع أن نصفها بدون أن نذكر « كوربو » حين تميز فى ذلك الزمان بالنهايات النامية الرأسية التلاشية ، فى تركيز يقترب كثيرا من التهـــج الرومانتيكى ، ولكنها أيضا تأخذ فى شكل هندستها ورقتها التناهية نصيبا من عالم الروكوكو ، ونصيبا من الســلك التأثرى فى بداياته التقنية الباقلة .

ثانيا ــ الاتجاه الشعبى الايحائى

ويتميز الاتجاه الشعبى فى المعرض العام بخط راسخ ، وتقاليد متعارف عليها ، واصطلاحات وسلطية صارمة . ويحمل تيمات هذا الاتجاه فنانون أصلاء ومتميزون نذكر بينهم سيد عبد الرسول ومحمـد حسنين على ومصطفى الرزاز وخميس شحاتة وأحمد الرشيدى ، وآخرين . ويختلف هؤلاء الفنانون فى أسلوب معاملة المساحة ، وفى زاوية المشهد السطحى ،

وفى توالى الشخصــيات ، وفى تتبع الخطوط الخارجية المحيطة ، وفى عالم الوسائط المستخدمة ، وأيضــا فى نوع الرؤية الفكرية بشكل شامل .

وليس من شك فى أن سيد عبد الرسول يتميز بينهم بالرسوخ ، وبالنقاء الذهنى ، وبقدراته السهلة على المكاشفة الفنيـة المريحة . وعلى الرغم من أن سيد عبد الرسول قد قدم لنا هذه المرة عملا جديدا نوعيا ، بالمقارنة بأعماله الشهيرة التى كانت تحتفل بعالم بهيج ، شديد التركيز فى تصاعده نحو الفرح . وذلك عن طريق استخدامه لوحدات التثليث ، والتصليب ، والتربيع ، وعلى الرغم من تخليه الحاسم من أسلوب النهج التبادلى ، أو التناقض المتنظم الذى غرق فى ازومياته التنميقية



زفة العروسة « زيت » ويبدو فيها الاتجاه الى التعبيرية الرمزية .. تحية حليم

تشكيل من الخط العربي « زيت » محاولة في طريق الاتجاه الى النزعة القومية .. كمال السراج



نظرة على المعرض العام

حينا من الزمن عندما نتناول فلاحاته الجميلات وشخوصه الشعبيين وهم في حالات حركة لعبية يحملون فيها الجرار، أو السلال، أو المحاصيل، أو يقودون الجواميس والابقار والخراف، الا أننا نستطيع على الرغم من ذلك ان نتعرف على نوع الوجوه التي قدمها. فهي نفس الوجوه الشعبية المعتادة التي نقابلها كل يوم، غير انها هذه المرة، امتصت لونا شبابيا حزينا شديد الحزن، وتركيبات تربية على الاغلب الى استلهام جو من المهادنة مع اشكالات التي التي أخذ يطرحها هذا العصر.

وفي هذه اللوحة الجميلة المعروضة بالمعرض العام تنتشر على الفلاحة، او ربما هي الفلاحة على نحو ما، وبجانبها على مسافات متفاوتة وجوه مكررة، وفي حين اتخذ كل وجه يتحوط بإطار مخصص على المساحة، الا انه لم يدع لهذه الشخوص مجالا مشهودا أو نمطيا للوجيه كما اعتاد عبد الرسول في اعماله السابقة، بل ان الاشكال غاصت عنده في هذه اللوحة الى الابعد والى الاعمق، فالوجوه لا تحمل اغترابا محددا، او انفصالا منفعلا، وانما هي تلتزم بالكشف عن شحنة انسانية عالية تتعلى عليه في القالب من خلال حس اجتماعي مركز. ومهما كان محمد حسنين على – في لوحته المعروضة – يقترب في الكثير من الخصائص التي تميزت بها لوحة عبد الرسول، الا ان التناقل ينشب بين وسيلتيهما على أشده، فلسنا نجد – على ما سبق القول – اهتماما لعبد الرسول بإيجاد سطح التمالي، يتصف بغموضه وبصلابته، مثلما نجد عند حسنين، وفضلا عن اقتباس حسنين في هذا التوليف التركيبي المتصاعد، فانه يقدم لنا عالما مختلفا كل الاختلاف. فهو يطبع بعنف احساسه بالحارة الشعبية، وبعلاقات الناس بالبيوت، في حين يأخذ على عاتقه الكشف عن أدق خصائص شخوصه اللاهية. وعندما نتكلم عن الحارة عند حسنين، فنحن لا نقصد الحارة ككل مطلق، وانما نعني الناس ايضا، اولئك الناس الذين ينطبعون بتقاليد متواترة تمليها طبيعة الحارة المغلقة بنتائج المدينة، حين يكره القسوة على جانب كبير من الاقتصاد، ورطوبة الزمن على جانب عال من التأثير. ولذلك فان ما يقدمه فنان مثل مصطفى الرزاز مثلا، يحمل من هذا الوقع نقيضا حادا ومثيرا. ففي حين يهتم عبد الرسول وحسنين بالاشخاص الانفراديين اجمالا، نجد الرزاز لا يعرف الاقتصاد في توارد الاشخاص على المساحة المطروحة. فهو يقدم مجاميع هائلة من الناس والطيور والحيوانات، ودلائل ذات مسقطات شعبية شائعة.

ويلتزم الرزاز – من هنا – بشكل صارم بالحرص على الكشف عن سمات شحيحة التمييز بالنسبة لموقفه من الشعبية. فهو يهتم بإبراز الخط الخارجي المحيط بكل شكل على حدة، وهو في العادة ينتخب من اجل ذلك التحويط الخطي الاسود، للتوليفات المعروضة، سواء كانت هذه التوليفات اشخاصا صغار الحجم ام كبار الحجم ام طيورا، ام كتائب، ام حيوانات ذات تركيبات هيولية، ومن ثم فهو ينقل الينا توليفات تمليها عليه غالبا ضرورات موضوعية ملزمة، حين يقدم لنا بعدا سورياليا نوعا، في منطق الحكم بين الاشياء وعلاقاتها، وفيما بينها وبين احوالها، وفيما بينها وبين غيرها على السطح. ومن ثم فنحن نضع الرزاز في مكانة اكثر تقدما من كثير من الفنانين المهتمين بعالم الشعبية، ونميزه في جميع الجوانب عما ينهج اليه فنان مثل خميس شحاته، حين يستعير الاسد الشعبي، وتركيبات الخط العربي على مساحة

النسيج قاصدا الى جذب العين لنحو نوع من الانفعال الانفعالى الصارخ ، لحين تشبو جلوة الملوبة المفشوحة على النسيج ، لا تلمس داخل هذا التوليف شيئا يعدله عند التعبيين ، على أغلب الظن .

ثالثا ــ الاتجاه التعبيرى الرمزى

ويحتل الاتجاه التعبيرى الرمزى فى المعرض العام جانبا مميزا . فالاعمال التى يضمها تتراوح أحيانا بين التوسط من ناحية ، وبين الاقتراب الى السلوك التقليدى ، أو الطبيعى فى الفن ، وبين التطرف الى المنهج اللاتشخيصى من ناحية أخرى .

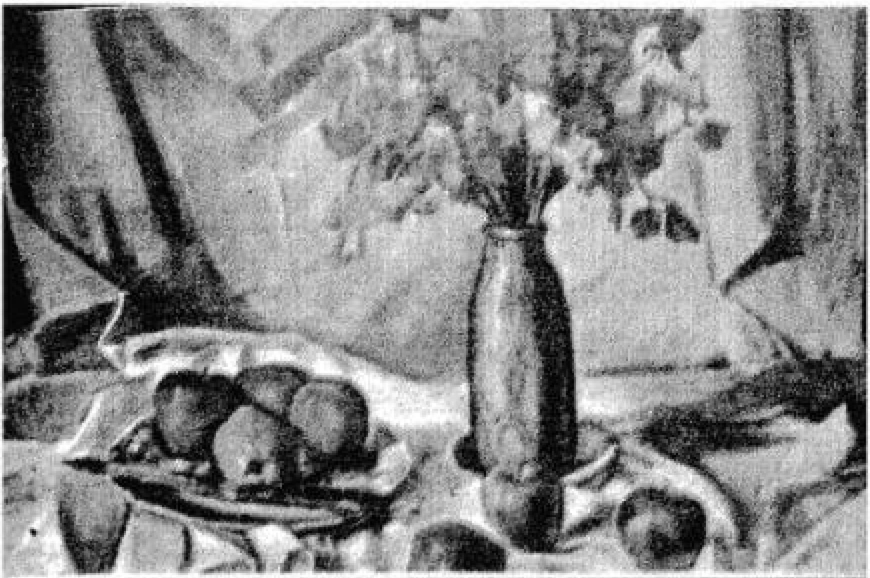
ومهما يكن من شيء فنحن لا نستطيع ان نتجاهل أعمال سيفوانلى ،وكمال خليفة، ومصطفى أحمد ، ومحمود عبدالله، وتحية حليم ، وانجى الافلاطون ، وجاذبية سرى، وفرغلى عبد الحفيظ ، وزكريا الزينى ، وعلى دسوقى فى التصوير ، وعبد البديع عبد الحى ، وعبد الحميد الدواخلى ، وجمال السجينى ومحمود موسى ، ومحمد رزق فى النحت .

على أن اتجاهنا هنا الى وصف الاسلوب بالتعبيرية الرمزية ، انما نقصد به مرحلة خروج الفنان من محاولات الارتباط الطبيعى بالعالم الخارجى ، الى محاولة هى عكس ذلك على طول الخط . او بشكل أفضل هى مرحلة النزوع الى رؤية العالم الخارجى بأسلوب المشاركة الجماعية من خلال رؤيةشخصية محايدة. ومن ثم فاننا سنكون مجبرين على ان نختار مسارنا بين الانطباعية واللاانطباعية الانطباعية باعتبارها تبريرا جماليا لزمن لحظى واللا انطباعية باعتبارها ثورة حتى على اسلوب الزمن اللحظى ، او باعتبارها نوعا من التوتر العالم المشوب بالكثير من الحذر . ولعلنا هنا ماتجده مواتيا للتركيز عليه . فلوحة ، « جنازة عبد الناصر » .. لسيف وانلى تحتل مكانها تحت هذا الاتجاه من مختلف الزوايا . حين تعمل سيف على ضبط حركة الناس فى الصفوف المتراصة أسفل اللوحة، الى عالم متسق شديد

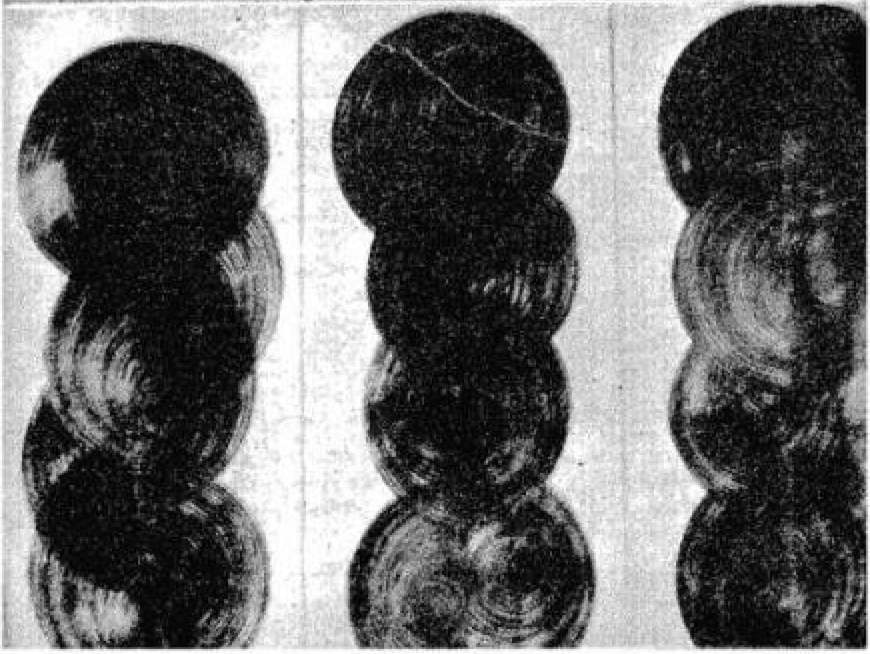
الانتظام . واختيار سيف الخلفية طالية من الرماديات الفضية المحصورة تكثف التعبير عن الحزن ، ولكنها أيضا تمنح الحزن مزايا على درجة كبيرة من التصوف . والتجاء سيف الى مجموعة الفرسان الطائرة التى تحيط بعبد الناصر من كل اتجاه قد أخذت تنقل اللوحة بجو ميثولوجى ، بطولى ، بحيث تساوت حدة التعبير ، مع حدة الرمز المطروح ، ومع ان هذه اللوحة هى واحد من أعمال سيف وانلى الجديدة الا اننا لا نستطيع الاندفاع امامها بحماس مركز ، فمجموعة الناس الملونة بأسفل اللوحة حين اكتسى شريطها الطويل المتكلم بمختلف الالوان البهيجة ، قد اخلت تنوء داخل المساحة بجو مضاد ليس فقط للموضوع المطروح ، وانما ايضا للتركيب الاجمالى . غير ان سيف على الرغم من ذلك يقف فى رأينا فى مقدمة هذا الاتجاه . وأيضا فى دقة نفاذه الى العمق حتى الاستشفاف الخالص .

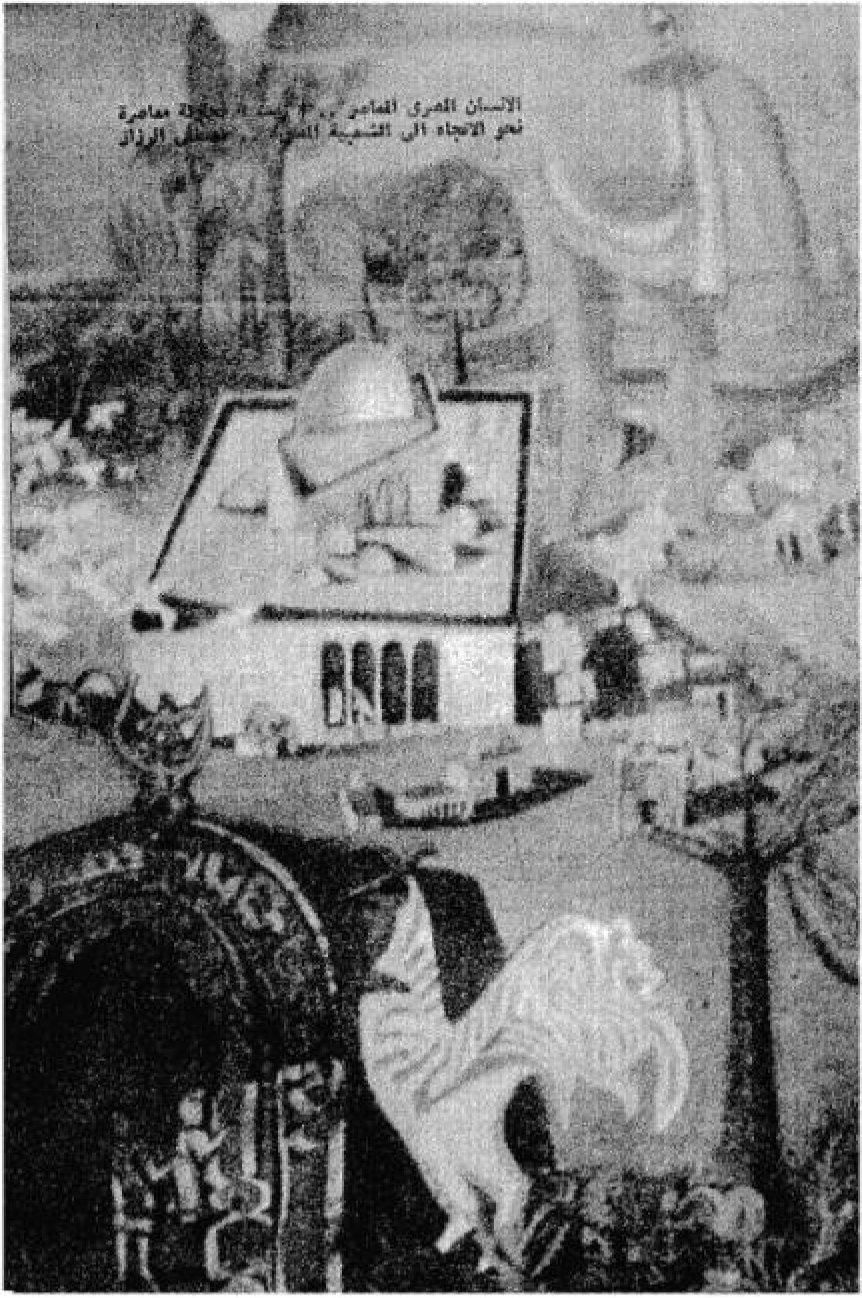
ويقف مصطفى احمد وتحية حليم بتناقضهما الاسلوبى العام ، فى حالة تعارض مع وسيلة سيف وانلى البسيطة، الصارمة . فاشخاص مصطفى أحمد هيوليون فريزيون ، وهم على الفضل قدير برهيميون ، على درجة عالية من الحس الانسانى المتعالى . فحركتهم دينامية راتبة تصطدم بعالم من الفراغ الايجابى . فهو فراغ من نوع متصارع ، يصطدم فى كل الاحوال بطبيعة الحركة المخلقة على السطح . وفضلا عما نجده فى الحركة الانسانية عند مصطفى احمد

من حس انطباعى عام ، الا اننا نقابله هنا وقد اخذ مسلكا رومنتيكيا هروبيا ، حين جعل الاشخاص تتجه فى أغلبيتها الى وجهة واحدة محددة ، يبدو ان لا سبيل الى الخلاص الا بالهرب على سبيلها ــ وتذكرنا أعمال مصطفى احمد السابقة بشكل عام بنزوعها الحاسم الى جو سكونى استاتيكى للغاية ، فقد كانت معظم شخوصه فى المرحلة السابقة تفتقر ليس فقط الى حركة السطح الظاهرى، وانما ايضا الى الحركة الانفعالية الداخلية فقد كانت اعمالا لا تعطينا فى الواقع الا نوعا من الحس الميت . من خلال تناولات تكنيكية مضنية لاضفاء جو من



طبيعة صامتة – تفاح « زيت » وتبدو النزعة التقليدية بوضوح .. عبد العزيز درويش
دوائر موسيقية – ثلاثية « زيت مع كولاج وحفر »
.. الاتجاه العصري التجريدي .. د . صالح رضا





الانسان المصري المعاصر .. [illegible] معاصرة
نحو الاتجاه الى الشعبية [illegible] الرزاز

نظـــرة علـــى المعرض العام

الثراء فوق السطح . ولذلك فنحن نحتفل الثابة بالتحول الذى طرأ على شخوصه فيما ترجمه لنا هذه اللوحة المعروضة بالمعرض العام .. وتقدم لنا نحية حليم في لوحتها في المعرض العام ثلاثة أشخاص جالسين يمسك أحدهم بالرق ، والاخر بالزمار ، اما الشخصية الثالثة فهى سيدة تجلس بين الاثنين في حالة تأمل عميق لطائر يقف امامها هو في الغالب « حمامة » . ولعل ما تلمسه على الفور عند نحية حليم ، انه تمنحنا اعمالها الاحساس بالتشبع ، وبالاكتفاء ، وبعدم اضطرارها نحو اللجوء الى الزوميات التي حتى في التفاصيل التي لا تمثل مطالبة من أى نوع .

واسلوب نحية حليم فى هذه اللوحة اقرب الى الطبيعة منه الى الانطباعية ، تقول ذلك على الرغم من التوليفات الحركية للاشخاص التي قد تناقض ما نحس به ، فهى تنقل الاشخاص في حالة من التحسس النفسى ولكنها سرعان ما تتخذ من اشخاصها موقفا سلبيا خالصا ، ففى حين تضع نحية رمزا مثاليا كالحمامة في منتصف اللوحة ، اذا بها تلجأ الى تغطية خلفية المساحة بالسلال الذهب ، وفى حين يضفى ذلك على اللوحة شحنة « فولكية » فاننا لا نملك الهرب من الاسقاطات التلقائية

التى اتخذت تقيم على عيون الشخصيات الثلاث وفي طريقة استقبالهم لواقعهم المسوى الشديد التركيز . وعلى الرغم من البناء المتزن في اللوحة ، والخطوط الرشيقة العذبة التى تحيط بشخوصها ، فاننا نتحسس اكثر لاعمال نحية حليم الاخرى . ونقصد بها اعمالها التى نعرفها ، هذه التى تمثل حالات من الخلاص الباهر في الاشياء المحيطة بنا ، وولوجها حتى الالتحام الى صميم المشاكل الاجتماعية الجارية .

* * *

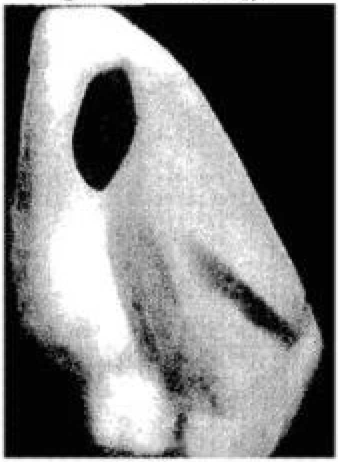
وعلى الرغم من أن النحت في هذا المعرض قد تميز بالهبوط الملحوظ ، وباحجام بعض الفنانين الراسخين من الاشتراك مثل صالح رضا ، وصبرى منصور ، ومصطفى رشيد ، وادم حنين ، وصلاح عبد الكريم ، وغيرهم وعلى الرغم من أن اغلب الاعمال المعروضة قد بلغت ميلنا حزلا الثابة في تشكيل القدرة النحتية للفنان النحات المصرى ، الا أن ذلك لا يدهشنا قط ، ولا يثير لدينا أية غرابة . ونحن لا نلوم الفنان المصرى الذى ما زال غنيا بمنابع الابتكار ، ولكن لزوميات الابداع التى يقتضيها النحت تتطلب هنا نوعا من الصراع امام حائط عظيم من الصلب . وبدون أن تشترك اجهزة وزارة الثقافة والدولة في تدعيم هذا الجانب فلن نستطيع ان نتجنب خيبة الامل ، ولن نستطيع ان نتجنب خسارة لا نريد لها ان تجد مكانا في اجيالنا ، ولا متنفسا في عصرنا . غير اننا لا نملك الا أن نقف امام بعض النماذج القليلة المدهشة التى قدمت في هذا المعرض ، في حين نرتب هذه الاستمالة الفريدة الغالية للبقاء على بارقة الامل ، حين نجد تمثال الاوزة لعبد البديع عبد الحى من خامة الجرانيت ، وتمثال « راس » لمحمود

موس من مادة الحجر البازلت وتمثال العازفين لمحمد رزق من النحاس المطروق، وتمثال « علاقات معمارية » لجمال السجيني من مادة البرونز ، وتمثال عبد الحميد الدواخلي « وحشية العصر » من الحجر . وعلى الرغم من أن الفنان عبد البديع قد قدم ثلاثة أعمال نحتية في هذا المعرض ، الا أن الاوزة التي قدمها بين أعماله تميزت بخاصية عالية من الوجود الحاضر . وفي هذا العمل الجديد لعبد البديع كان وامتحانه خلص أخيرا الى قوانين الاقتصاد النحتية الصارمة ، حين بدا انه يضطلع في هذا العمل بنوع ما من الرفض والثورة على اعماله النحتية السابقة

ثمة ما يؤكد زهده في العودة الى نظام التفسير السطحي للكتلة ، ومداومته على التفاصيل الطبيعية اللاازومية . فهو قد استوقف الاوزة في حالة لحظية بين بلوغ المياه ، والاحجام عن بلوغها ، تمثلت وهي تمد عنقها لتشرب فهو الان

لا يقدم لنا هذه المرة اوزة ، ولكنه يقدم حياة وتوترا ، وما يعنينا الان هو الحركة اللحظية التي املت عليه اختصارات لها لزوم جوهري ، كتجاهله للذيل ،

عناق .. « رخام » عبد المجيد عبد القادر القلى



وللاجنحة ، وللمنقار ، وللعينين ، وللقدمين ، فالاوزة في جميع الاحوال جسد تدب فيه الحياة ركن الى زمن ارتواء لم يحسم .

رابعا ـ نزعة عصرية قومية

في السنوات الاخيرة اختلت تنمو عند بعض الفنانين حركة اصيلة تتميز بالكثير من الاخلاص وحسن النية ، حين لجأوا الى استخدام الخط العربي في اعمالهم التصويرية . وسواء كان منهج الاستغلال الابداعي هو التركيز على

الرؤية السطحية الجمالية لرشاقة المقوسات الخطية ، او التصوير التشريحي للمواقع التركيبية للحروف العربية او حتى جعلها جزءا عضويا يشترك في تكثيف

نوع من الايهام القومي العام ، فانها على جميع الاحوال ظلت حركة ، او نزعة شديدة التميز ، اخذ لمعانها يستحوذ

على افكار كثير من الفنانين المصريين . ومن لم تتحن لنا في حالة تسمح لنا

باصدار حكم قاطع في هذا السبيل ، وان كنا نميز رمزى مصطفى ويوسف سيده ،

وربما ايضا كمال السراج في تخليقاتهم الابداعية لاستغلال الخط العربي على الساحة ، اكثر مما نتحمس لفنانين اخرين اخذوا يستعملون الخط كوظيفة احترافية

حروفية مثل الشوربجى متولى وعمر الجندى وفتحى جوده .

وعلى الرغم من أن يوسف سيده ورمزى مصطفى يقفان في مستويين شديدى الاختلاف الا اننا نميز بينهما في اسلوب

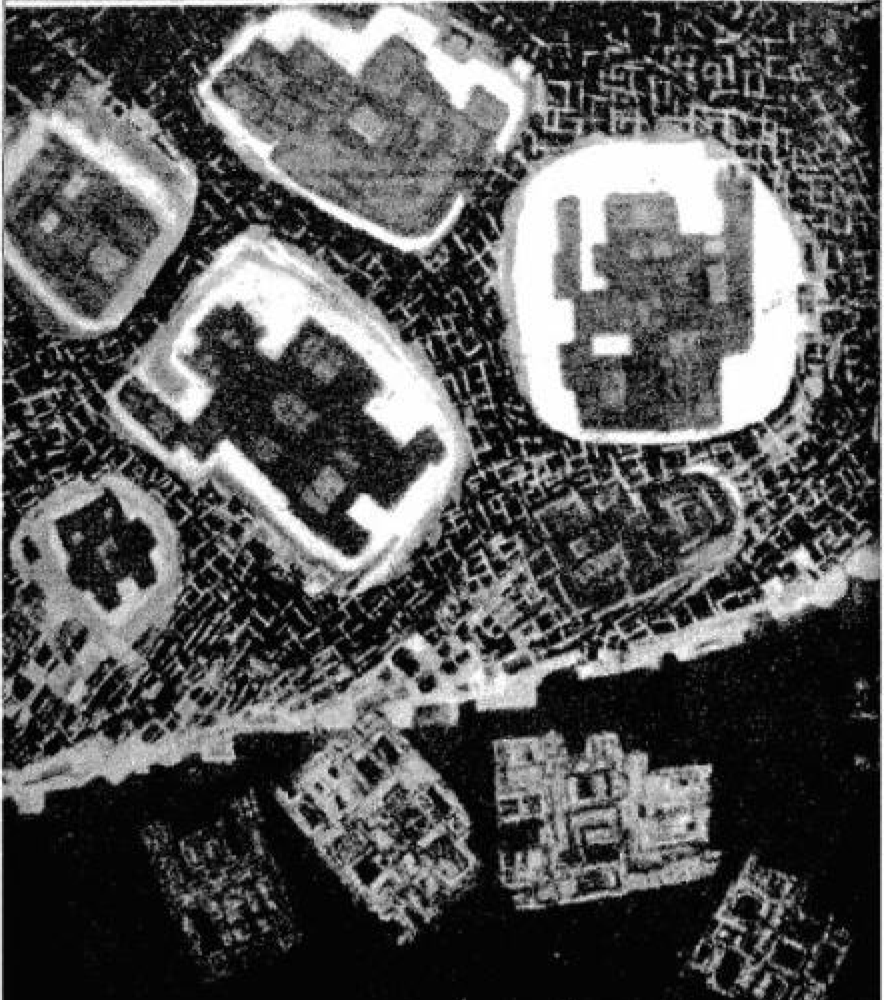
معالجتهما للعرض ، وفي طبيعة الحلول التي يقدمانها. ففي حين يهتم سيده بالخط المستقيم والمنكسر ، نجد رمزى مصطفى يهتم بالبلاستيكية النحتية لتوليفات

الخط ، وفي حين يهتم سيده بخلفية متناغمة متيرمة ، نجد رمزى مصطفى

يجعل الخط لصيقا بالشكل الشامل ، وفي حين يغلب على سيده السلوكية البصرية ، نجد رمزى مصطفى يعطى حظا متساويا للقيمة اللمسية والبصرية معا



التشبث بالأرض « زيت »
... جاذبيــة سرى



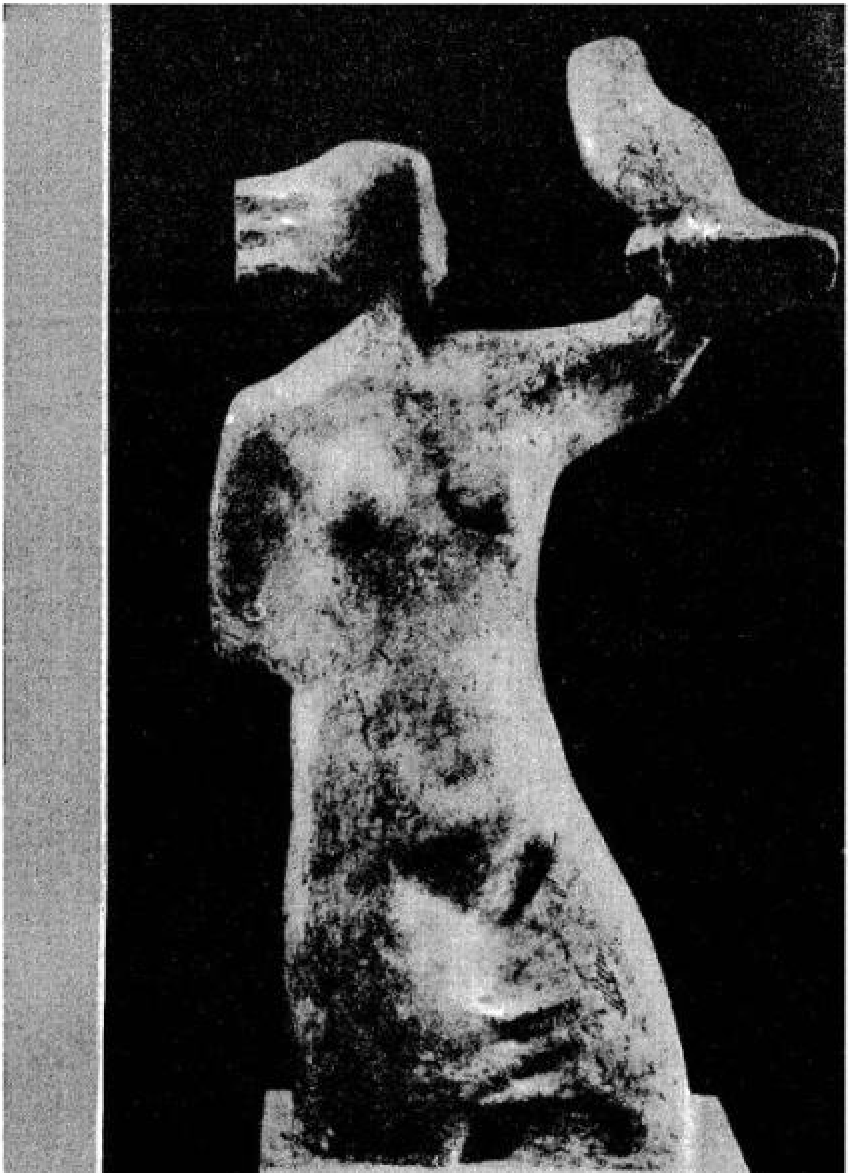
مثل شمس ... « لعلني ترسو ورقة » .. وضوح الاتجاه
الى التشكيلية العربية .. نقطة تمس شحاتة

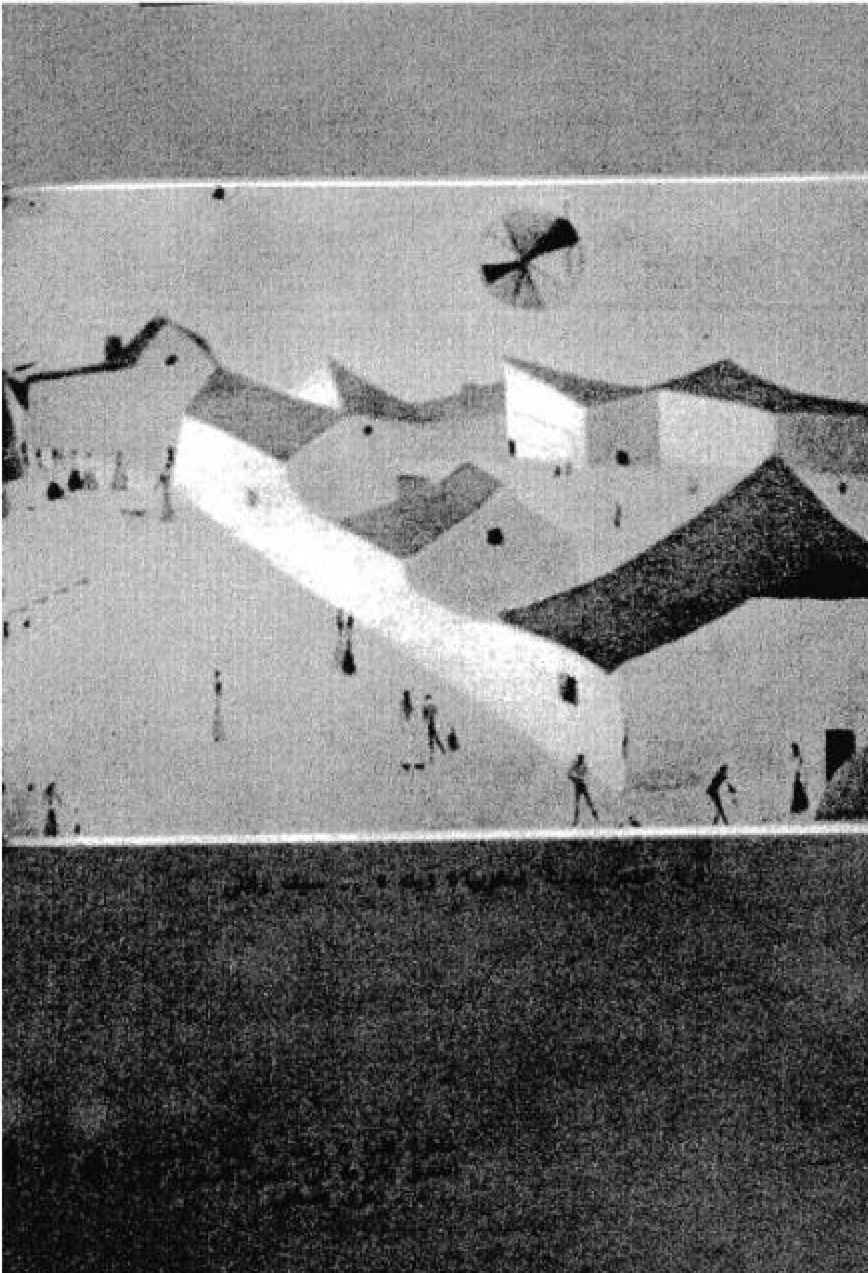
"الفتاة والطائر « جي »
.. طـــــارق زيادي

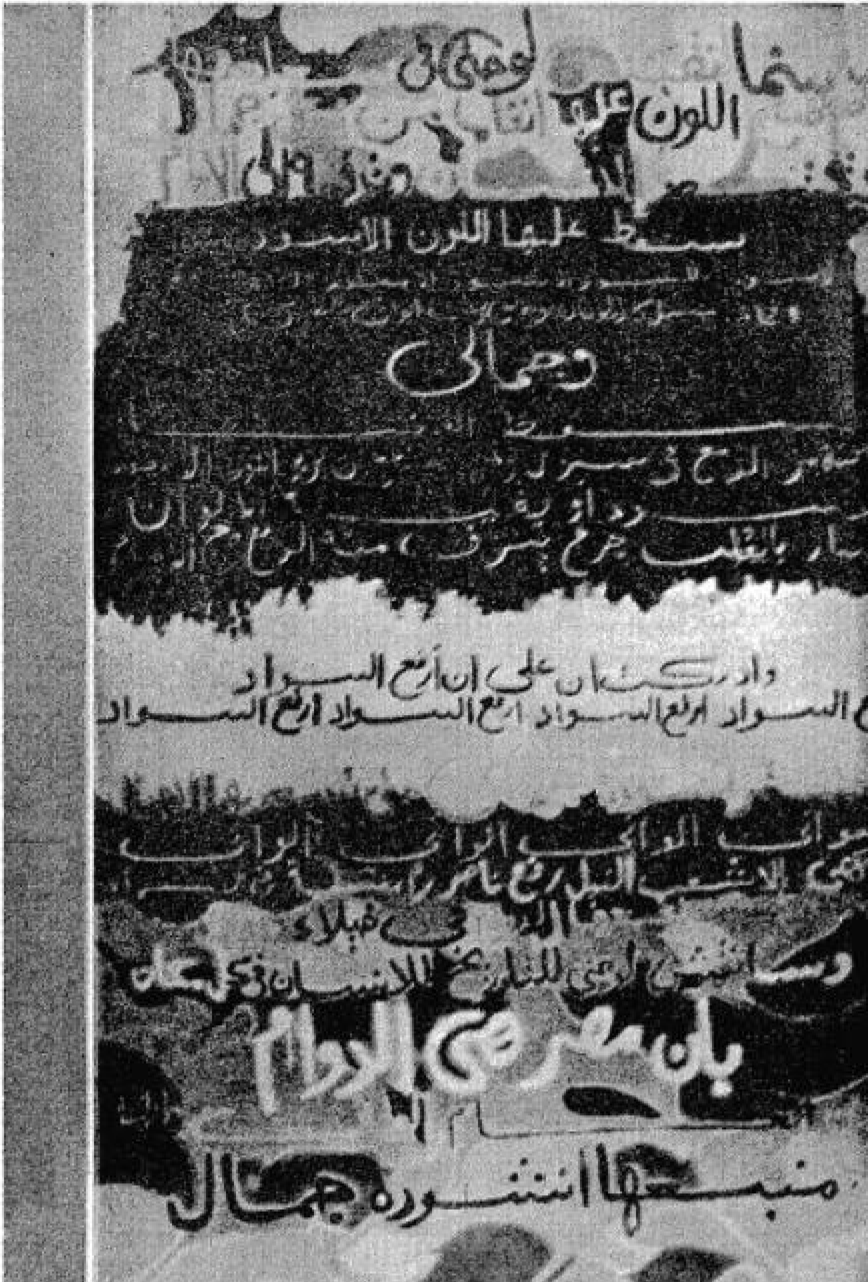
نظــرة على المعرض العام

حضارة القرن العشرين « زيت » .. محمد رياض








اللون
السواد ارفع السواد ارفع السواد ارفع السواد

نظـــرة على المعرض العام

خامسا ـ اتجاه عصرى تحررى

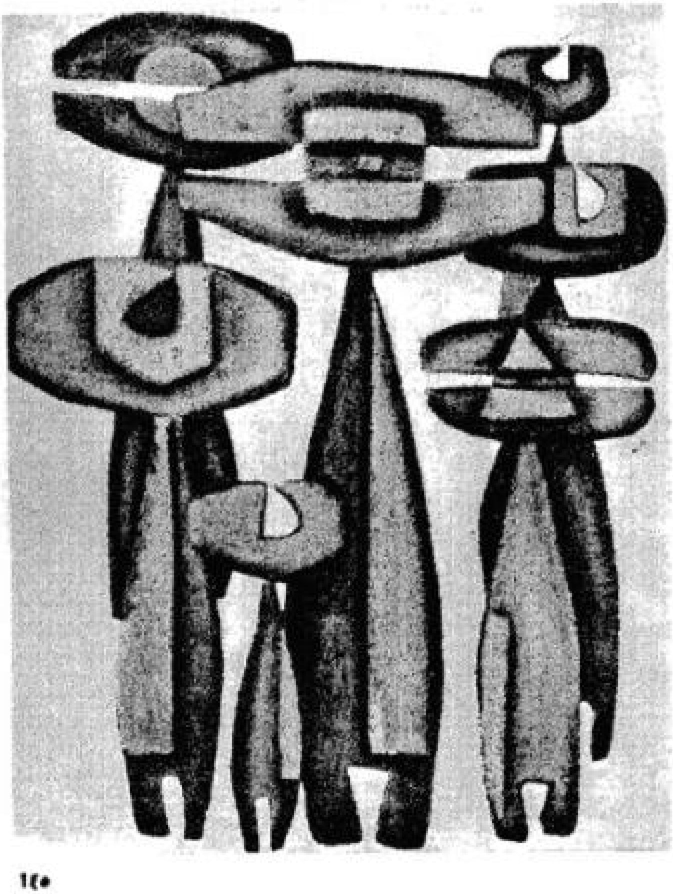
ويمثل هذا الاتجاه فى المعرض العام فنانون راسخون اصلاء مثل فؤاد كامل وصالح رضا ، وصلاح طاهر ، ومصطفى الارناؤطى ، وعبـد الوهاب مرسى ، وخديجة رياض ، وصبرى السـيد ، ومصطفى عبد المعطى ، وسيد خليفة ، وسعيد العدوى ، وابو خليـل لطفى ، وعبد الرحمن النشـــار ، وآخرين وفنانين جدد تماما يحاولون الانخراط فى مسار مماثل او متواز مثل فريال عبـد المنعم ، وليلى عزت ، وآخرين .

وقد لا نتفق كثيرا على الحـلول البلاستيكية التى قدمها صـلاح طاهر تحت عنوان « اســطورة » ، فهى تتطلب ـ غالبا ـ مسافة بينها وبين المشاهد لكى تحوز قانونها المرئى الراسخ ، فاذا دققت النظر قريبا منها ، فاننـا نصطدم بعدمية الاستجابة البلاستيكية للشحنة البصرية . ان صلاح طاهر فى هذه اللوحة يرتكز فى الغالب على معايير الطباعية التقليدية ، بعنـاصر اسلوبية وتركيبية تقـيحية . فعلى الرغم من الشوائية الوحشية ، والخطوط الملونة بالعالية ، والبناء الاسـتاتيكى الملتزم يتزوغ الى كل ما هو تراثى ، الا اننـا نجد صلاح طاهر حريصا على وضع النقط فوق الحروف . انه رأس حصان او رأس حيوان ، يقوم على تمثيـل المثال ، الميثولوجى على اكثر تقدير .

ومن لم فنحن نحسب ان فؤاد كامل قد تفادى هذه السقطة فى لوحته المسماة « عمـل رقم ١٦ » . فعلى الرغم من ان عمله يقف فى محور مضاد للمقالاتية ، الا اننا نتلمس فى لوحته وجودا اكثر تحررا وحاضرا مريرا مصريا . ونحن نقصد هنا بالمصرية اللغة اليومية الشعوبية للفن ، ومن ثم فاننا لا نستطيع ان نتجاهل ان ما قدمه فؤاد كامل فى هذا العمـل المعروض هو رؤية يعيبها انها قد حسمته فالحلول التشكيلية التى تتميـز بقوة انفجارها من جراء عنف التحطيم فى مركز اللوحة ، هى على الارجح ، حلول منتهية بحكم قوالبها التى صارت جاهزة . اننا الان عندما نميز فؤاد كامل بوصفه المصرية فانما نتلمس فى عمله الابداعى ـ غالبا ـ فعل العقل والاعقل ـ وليس فعل الفن . فاذا كان صلاح طاهر مثاليا الطباعيا ، فان فؤاد كامل عصرى نحلى ، على صعيد متساو .

وبعد ـ فنحن نعترف باننا لم نقدم هنا كل ما كنا نأمله ، فى محاولتنـا الاجتهادية لتفسـير المعرض العام الثالث للفنون التشكيلية ، ونعترف بان هناك فنانين اصـلاء جديرين بان تحلل اعمالهم الابداعية ، مثل محمد رياض ، ومصطفى مهدى ، ومحمد القبانى وطـارق زيادى ، ويوسف فرنسيس ، وحسين الجبالى ، وجمال محمـود ، واسماعيل طه وفاروق شحاته ، وآخرين غير ان معاييرنا ، هى فى اننا وضعنا فى جانب اساسى من اهدافنا ان نلفت النظر الى نماذج قد تفيد بتحليلها فى القاء نظرة عمومية على هذا المعرض الضخم ـ على اننا لا نمضى دون ان نسجل التحية والعرفان لاولئك الذين قاموا على تنسيق هذا المعرض بحيث بدا لنا هذه المرة فى صـورة افضل بكثير مما كنا نتـوقع .

عائلة .. فرغلي عبد الحفيظ





الشعب المصري العصري « زيت » محاولة لتثبيت الخط
مساحة تعادل اسلوب الزجاج المعشق.. د. يوسف سيده

والأوسمة تنهال على:

شارلى شابلن

أزمة الإنسان المعاصر

فى فيلم .. مسيو فردو

انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار للشعوب وانهزام لها فى آن واحد أما الانتصار فكان فى أول مايو عام ١٩٤٥ يوم انهيار ألمانيا الهتلرية ورفع علم الحرية على أنقاض قاعة النازية فى برلين

أما الانهزام فكان فى السادس والتاسع من أغسطس من نفس العام حين نجحت العسكرية الأمريكية فى أن تتخذ من رغبة الشعوب فى السلام ذريعة لإلقاء القنبلة الذرية غدرا على مدينتى هيروشيما ونجازاكى



■ مصطفى درويش ■

وسط هذين الحدين الآزرين على مجرى التاريخ ، والانسانية يتنازعها الامل واليأس .. الامل في غد مفرد تتحرر فيه من نير العبودية والقهر بأن تستخلص من استغلال الانسان لأخيه الانسان باستغلال البشر ـ متحدين متعاونين ـ لخيرات العالم أرضا وسماء . واليأس من مستقبل الانسان .. فلأول مرة تواجه الانسانية باحتمال انهيار العالم الذى تعيش فيه .. ولأول مرة تتساءل في جزع من المصير ، وتتشكك في جدوى عمل الانسان متخوفة من أن يؤدى الى هلاك الانسان

والحق يقال أنه من حق الانسانية ان تتشكك في مستقبلها وهى تلاحظ تخلفنا عما حققته ، وعجزها عن ملاحقة ما انجزته .. وهى تشاهد على شاشة التليفزيون الصغيرة السماء عامرة بما ابتدعه العقل البشرى ، مزدحمة بالأقمار الصناعية والصواريخ ورواد الفضاء في الملابس المثيرة ، في الوقت الذى يعيش فيه ألفا مليون بمعدن الأرض والراها على شفا هاوية من الفقر المادى يؤدى الى فقر الروح .

ما أروع التقدم الذى أحرزه الانسان ! ! ولكن لمصلحة من كل هذا التقدم ؟ هل هو حقا لمصلحة الانسان ؟ هل هو تمهيد لتلك الرؤية الهائلة التى طال انتظارها .. ولية البشرية ـ بفضل العمل الابداعى الدائب ـ من مملكة الضرورة الى مملكة الحرية ؟ أو هو مجرد وهم يحلو للانسان أن يستظل به .. يعيش أسير عطره المخدر ؟

هل الخطوة الاولى خطاها الانسان في التاريخ تلك الخطوة التى هبط بها في هدوء أليرى على سطح القمر ستختصر الزمن .. تسرع به الى بناء الفردوس .. هنا على الأرض ؟

أو انها خطوة استعراضية يراد بها الهاء الانسان عن مأساته التى يعيشها .. هنا في جحيم الأرض ؟

هل الروايات التى تحكى عما حققه العلم في سبيل تخفيف آلام الانسان روايات صادقة او هى في حقيقة الامر لا تعدو أن تكون من أباطيل أساطير



الاولين يراد بها اخفاء الحرب العسكرية وراء رداء البراءة يلبسه العلم ؟

في هذا الخضم من الصراع بين الامل واليأس ، بين اليقين والشك .. وفي مواجهة اخطبوط الصناعة والتجارة والمكتبية الذى يتحكم في انسان القرن العشرين .. تفقدت « الأنا » الانسانية الثقة بالنفس التى سبق لها ان اكتسبتها اثناء معاركها ضد قوى الاقطاع والكنيسة خلال ليل القرون الوسطى .. تلك المعارك البطولية التى قادها « مارتن لوثر » و « كرومويل » و « روبسبير » وغيرهم كثير . فأصبح لا هم لها الا في أن تهرب من نفسها المتميزة المستقلة الى وجود الآخرين ، تلجأ اليه ، تلوذ به ، تذوب فيه لتفقد ماهيتها وطابعها الفريد . انها لا تريد أن تكون نفسها بل تريد أن تكون « الآخر »

المريح .. تريد أن تتلاءم مع متطلبات المجتمع أو بمعنى أدق تتلاءم مع متطلبات القلة المختارة المتحكمة فيه .. انها لا تريد أن تكون ثائرة أو متمردة .

وهكذا اصبحت عبارة « انا آخر » هذه العبارة ذات الرنين غير المألوف والتى اثارت ضجة في دوائر المثقفين وقت أن تفوه بها الشاعر الفرنسى « آرثر رامبو » في نهاية القرن الماضي ـ شعارا للانسان المعاصر وافتقدت لذلك شحنتها من الجدة والغرابة والابهار وتحولت الى عبارة دارجة باهتة يرددها انسان آخر السلامة .

ولما كان الانسان لا قيمة له في المجتمع

المعاصر الا بالاشياء التي ينجح في الإستحواذ عليها ، والا يحكم الآخرين عليه من خلال تقييم تلك الاشياء ، فقد أصبح الهدف الأوحد من الحياة هو النجاح في الحصول على الاشياء ، ولا شيء الا الاشياء ، وبمقدار نصيب الانسان منها واستلابها له يكون النجاح ، فاذا كان النجاح كبيرا فانه يخول لصاحبه الحق في أن يفرض على الجماعة السلوك الذي يهوى حتى ولو كان فيه خروج على المألوف ، أما اذا كان النجاح أقل شأنا فان على صاحبه أن يتلاءم مع القيم السائدة فيلزم الحدود الاجتماعية المرسومة للجماعة لا يتجاوزها بما يؤذى الشعور العام .

وصفوة القول ان المجتمع قد أصبح بطغم أصبح معه ولا قدرة له الا على افراز نموذجين كريهين من البشر : المكيفين والمتكيفين .. البرابرة الايجابيين والبرابرة السلبيين .

وهؤلاء البرابرة الجدد هم النتاج الطبيعي للثورات الصناعية والسياسية التي لعبت فيها البرجوازية دورا رئيسيا وحاسما في مجتمع البرابرة في ذروته ، بل في حضيض أزمته ، تشوهت شخصية الانسان وضاعت معالمها في الاشياء التي ملكتها فتملكتها الى الحد الذي أدى بالفنان التشكيلي السينمائي « اندى وارهول» الى أن يعبر عن جزعه بصيحته الفريدة « أريد أن أكون آلة » وهي صيحة قد يكون لها من الاهمية في تاريخ الفن ما لقولة « جوستاف فلوبير » : « أيما بوفاري .. أنها أنا » في تاريخ الادب .

وفي هذا الوجود الآلي الذي تسوده الاشياء .. هذا الوجود الاقرب الى العدم ، في هذه الايام القمطرية التي يحلق فيها الموت الذرى .. هذه الايام التي تبدو كأنها الايام الاخيرة من عمر الدنيا ــ كان لابد وأن ينعكس أثر كل ما تقدم على سلوك الانسان المعاصر في شكل ظواهر تعويض هي في حقيقة الامر أمراض تؤثر في هذا السلوك . وهذه الظواهر أو الامراض تنحصر في الاغتراب والملل والوحدة وفكرة العبث .

وغني عن البيان أن السينما باعتبارها لغة العصر التي يفكر بها انسان القرن العشرين ، كان لا بد وأن تتصدى لمعالجة ما يعانيه الانسان المعاصر من خلال الابداع الفني .

وليس من شك ان السينما الامريكية هي خير من عبر عن مأساة الاغتراب ، أي استلاب الاشياء « للانسان » داخل الانسان ولا غرابة في هذا لان الانسان الامريكي بحكم سيطرة الاحتكارات وبالتالي سيادة القيم والاخلاقيات التجارية على المجتمع الامريكي أكثر قابلية للاغتراب من أي انسان آخر .

ومن غير المستطاع أن نتناول بالبحث كل أفلام تلك السينما التي تعرضت بالمعالجة الفنية لمشكلة الاغتراب ، بل سيقتصر التناول على ثلاثة أفلام لمخرجين ثلاثة ، وسيراعى في الاختيار أن يكون كل فيلم ممثلا لعقد من العقود الثلاثة التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وأن تكون الافلام المختارة قد أتيح للجمهور المصري مشاهدتها .

وأول هذه الافلام هو « مسيو فيردو » لـ « شارلي شابلن » وقد أخرجه ابان النصف الأخير من الاربعينات في أعقاب ارتكاب جريمة القاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي وثانيها هو فيلم « هذا من الممكن أن يحدث لك » وقد أخرجه «جورج كوكور» في الخمسينات ، أما الفيلم الأخير فهو « بوني وكلايد » الذي أخرجه « آرثر بين » خلال عام ١٩٦٧

وبالنظر الى أهمية مسيو فيردو من الناحيتين السياسية والفنية وذلك باعتبار انه الفيلم الذي فتح الباب على مصراعيه لجميع الافلام الامريكية المعادية للعسكرية والحرب ، وانه الفيلم الذي أشاد به جميع النقاد الجادين وعلى رأسهم الناقد الامريكي «جيمس اجي» الذي عبر عن اعجابه بهذا القول « هذا الفيلم أحبه وأبجله .. واعتقد انه أحد أعمال هذا القرن الشامخة » بوصف تمثيل شارلي شابلن فيه بأنه أحسن تمثيل شاهده في حياته .



والناقد الفرنسي « اندريه بازين » الذي قال عن الفيلم « انه العهد الجديد لشابلن » .

وبالنظر الى اجتماع كل امراض العصر السالف بيانها في « مسيو فيردو » غير مصاب بالاغتراب لان الاشياء في نظره هي السبيل الوحيد نحو توليد السعادة لكل من يحب ، وهو يعاني من الوحدة لعجزه من الافصاح بسره لأحد من الناس ، وهو بعد ان ماتت زوجته وابنه وتحول كل ما يشاه الى هشيم تذروه الرياح يمل الحياة ولا يراها الا عبثا ، بالنظر الى هذا كله سنقتصر هذه المقالة على عرض موجز للفيلم « مسيو فيردو » وتحليل لما وراءه من معان .

عرض فيلم شارلي شابلن خلال عام ١٩٤٧ في بعض الولايات « بالولايات المتحدة » ولم يعرض في البعض الآخر لاعتراض الرقابة عليه . وعام ١٩٤٧ هو العام الذي والى فيه الكونجرس الامريكي بالاغلبية ساحقة على مطاردة ثماني هوليوود العشرة الذين رفضوا المثول امام لجنة النشاط غير الامريكي ايمانا منهم بالحرية وبحقهم في الرفض .. وهو العام الذي بدأ فيه دعاة الحرب في الولايات المتحدة اعداد الرأي العام لتقبل فكرة الزج بالعالم في أتون حرب عالمية ثالثة ضد الاتحاد السوفييتي .

وبداهة ما كان يمكن لحكام الولايات المتحدة خلال تلك الفترة ان يطيقوا سيرة كل من نادى بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي وبفتح الجبهة الثانية ابان الحرب العالمية الثانية وبالذات « شارلي شابلن » لما قاله في خطابه التاريخي بميدان ماديسون بنيويورك في ٢٢ من يوليه عام ١٩٤٢ من انه « على ارض المعركة في روسيا ستعيش الديموقراطية او تموت .. ولا نستطيع ان نتظاهر بفقد روسيا آخر خط دفاع عن الديموقراطية .. ان من واجبنا وقبل كل شيء ان نفتح جبهة ثانية .. النصر في الربيع .. التحول المستحيل »

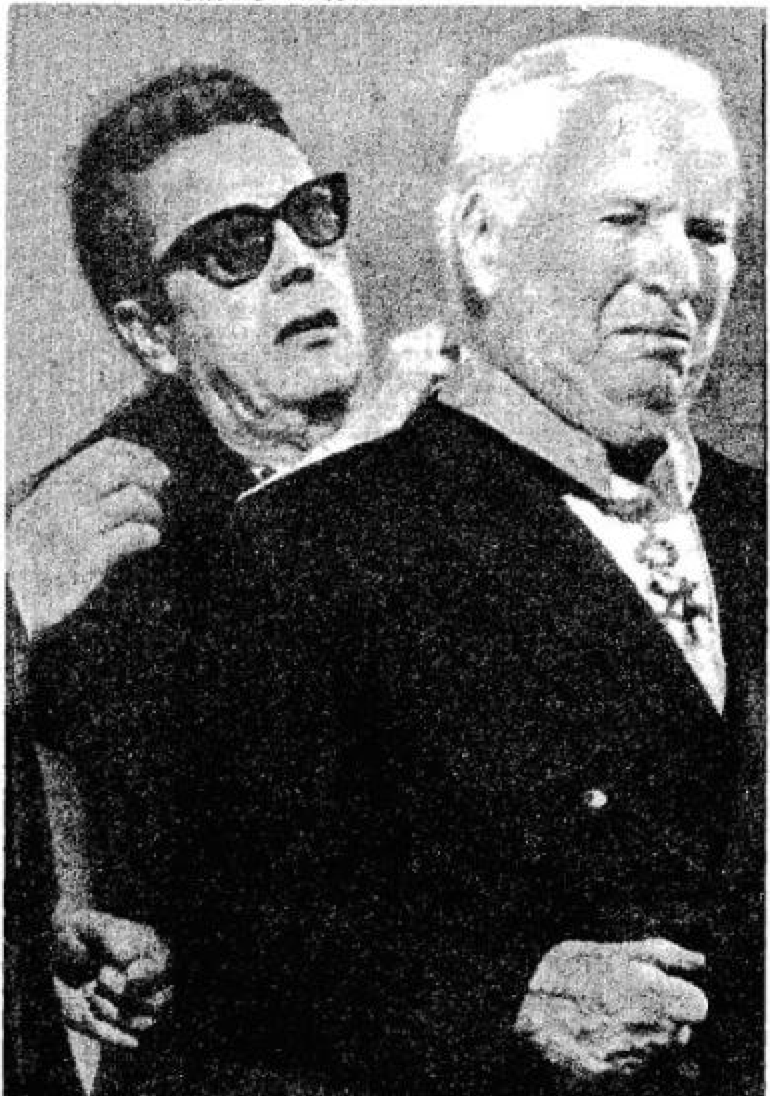
لهذه العبارات المخلصة التي قالها بها شارلي شابلن ابان الحرب لنصرة شعب حليف جعلت منه عدوا لدعاة الحرب في الولايات المتحدة وعلى راسهم « هاري ترومان » الذي كان معارضا عنيدا لفتح الجبهة الثانية وقت ان كان نائبا للرئيس الراحل « فرانكلين روزفلت » .

ولما كان للسينما اهمية خاصة وذلك باعتبارها أداة دعاية جماهيرية ، وكان لشارلي شابلن شهرة وشعبية في جميع الاوساط فقد بادرت اجهزة الاعلام بشن حملة مسعورة من الكراهية ضده بقصد التشهير به واتهامه زورا وبهتانا بممارسة نشاط معاد للبلد الذي آواه فيفقد بذلك عطف الرأي العام وبالتالي يسهل طرده من الولايات المتحدة .

في هذا الجو المشحون بالتآمر الاسود والكيد الاحمق خرج « شارلي شابلن » على الناس « بمسيو فيردو » ليسلمه السابع والسبعين مستلهما فكرته من قضية « لاندرو » سفاح النساء تلك القضية التي هزت المجتمع الفرنسي في اعقاب الحرب العالمية الاولى . وكان الفنان « اورسون ويلز » صاحب « المواطن كين » هو الذي أوحى اليه بعمل فيلم مستمد من قضية « لاندرو » .

واحداث الفيلم تجمل في ان « هنري فيردو » رب أسرة فاضل يعول زوجة وطفلا صغيرا . لجأة — وبعد خدمة متصلة في أحد المصارف الفرنسية قاربت الثلاثين عاما — يجد نفسه مفصولا وبلا عمل . ما العمل ! كيف له ان يواجه اعباء اسرة هو المسئول عنها ! انه لا

وسام الشرف ـ لأشرف فنان في مهرجان « كان » ١٩٧١



يملك ثروة كبيرة . وعليه أن يختار ، وقد اختار أن يدخل في زمرة رجال الأعمال يفعل مثلما يفعلون ، يعيش كما يعيشون

كما وقع اختياره على مهنة لا تستلزم اى رأس مال — أن يتجر بقلوب النساء الثريات . يغازلهن ليتزوج منهن ثم يقتلهن بعد أن يسلبهن كل ما يملكن.

وهو مشغول كأى رجل أعمال بنشاطاته المنتشرة في ربوع فرنسا والتى تدور وجودا وعدما حول الغزل والقتل ، وهو بحكم نشاطاته هذه لا يزور أسرته التى يرتكب كل هذه الجرائم من اجلها الا لماما فاذا ما زارها كثيرا ما تختلط الامور بحيث يتداخل التفكير في الاعداد للجرائم مع لحظات السعادة العائلية

وفي لقاء له مع صديق صيدلى يعرف «فيردو» باسم سم جديد يودى بالانسان اذا ما تعاطاه دون أن يسبب له ألما ، ودون أن يترك أثرا . ويحصل على هذا السم ثم يحاول أن يجربه في شابة تعسة وحيدة التقطها من على قارعة الطريق ، الا انه يعدل عن قتلها حين



يعرف منها أنها بدورها « تستطيع القتل من أجل الحب » .

وفي ختام الفيلم — وبعد أن يكون قد فقد زوجته وابنه واعتزل مهنة القتل — يلتقى مصادفة بالفتاة التى منحها الحياة

ومن خلال حوار أخير معها في مقهى فخم يعرف أنها ودعت حياة الفقر ، وأنها تعيش عشيقة لاحد تجار الاسلحة .

وأثناء خروجهما معا من المقهى تتعرف على شخصيته امرأة عجوز ذات صلة قربى باحدى قتيلاته فتستنجد بالشرطة. وبعد

« شارلى شابلن » في لقطة من فيلم « القتل للحب »



مشاهد لا تنسى حافلة بالسخرية من ذكاء رجال الشرطة يستسلم « فيردو » بارادته الحرة للعدالة . وايام لشمائه يتحول « فيردو » من متهم الى مدع يتهم المجتمع بجملة الزمن دعاة الحرب وتجار الموت وأنصار استعمال القنبلة الذرية ، ولا تزال تترعمهم حتى الان ، تلك القولة هى:

« اذا قتل الانسان فردا واحدا عدوه سفاحا

واذا قتل اللايين من البشر عدوه بطلا.

والعلماء الذين يخترعون القنابل لتذبح بها النساء والاطفال – يمجدون . حقا لا يفلح فى هذا العالم الا من كان منافقا » .

وثارت ثائرة الصحافة الامريكية – صحافة الجنس والجريمة – على فيلم « مسيو فيردو » واتهمت صاحبه بالدفاع من الجريمة والتحقير من شأن الجيش الامريكى بما يضعف الروح المعنوية للشعوب الحرة .

والحق يقال ان كل اتهامات الصحافة الامريكية لصاحب الفيلم ليست من الحق فى شىء ، فشارلى شابلن لم يستهدف بأول فيلم ابدعه خياله الخلاق بعد انتهاء الحرب ضد النازية الا أن يكشف القناع من الجريمة الكبيرة التى تدبر ضد النساء والشيوخ والاطفال.. جريمة اشعال نار حرب ذرية ، وان يفضح مجتمع أصحاب الاعمال الذى لابد وان يؤدى بما فيه من عبادة وثنية للأشياء الى ارتكاب الجرائم الصغيرة لتتصاعد حتى تصل الى جريمة الحرب الذرية .. وهى لا شك أم الجرائم .

ومما يؤكد ذلك ما جاء على لسان شارلى شابلن فى احد احاديثه الصحفية – وهو فى مجال التعريف بفكرة فيلم « مسيو فيردو » – حين قال :

« الحرب بالنسبة للجنرال الالمانى « كلوازفيتز » ما هى الا استمرار للسياسة ولكن بوسائل اخرى ، والجريمة بالنسبة « لفيردو » ان هى الا استمرار للأعمال ولكن بطرق اخرى»

وباعادة استظهار أحداث الفيلم بمزيد من العمق نتبين ان شارلى شابلن قد اتخذ من شخصية « فيردو » مثالا

النهاية .. الرجل المسئول .. وحيدا



لأخلاقيات الرجل المسئول فى المجتمع المعاصر ، ومحلا لدراسة العلاقة بين الغاية والوسيلة عند هذا الرجل وردود الفعل لديه فى مواجهة الظروف المحيطة به وفقا لمنطق اخلاق العصر .

وقد حصر شابلن الادوار الرئيسية فى « فيردو » وزوجته وابنه ، فالثلاثة محور الفيلم ، وهم فى الحقيقة يمثلون وجوها مختلفة لشخصية واحدة تفككت او هى فى سبيلها الى التفكك امام ضغط البطالة والاضطرار الى اختيار الجريمة وسيلة للخلاص ، وغنى عن القول ان الوجه الذى يمثله « فيردو » هو وجه الرجل المسئول ، السيد فى اسرته ، الحاد الذكاء ، وان هذا الوجه قد اصبح فى غربة مع روحه ومستقبله حين انزلق — شأنه فى ذلك شأن معظم الناس فى أيامنا هذه — ذلك الانزلاق الخاطىء الذى تقوم عليه اخلاقيات الحضارة الحديثة وهو انه لزام على الشخصية اذا ما كانت تريد الحفاظ على ما فيها من نبل وطيبة أن تستقطب كل ما فيها من شر وتستغله بلا هوادة أو رحمة مع مراعاة استحالة ممارسة الشر بنجاح اذا ما ضعفت الشخصية فآثرت التعامل بشرف مع الطيبة .

اما الزوجة والابن — وهما الوجهان الآخران لشخصية «فيردو» — فيعيشان فى عالم من الطيبة انقطعت صلته بالواقع وبالحقيقة .. عالم اقرب الى السجن منه الى عش السعادة ترفرف عليه السعادة .. عالم صامت لا تسمع فيه خفقات قلوب تحب .



أورسون ويلز



وكل ذلك نتيجة منطقيـــــة لتفكك الشخصية والفصل بين وجهيها الطيب والشرير لانه من طبائع الامور انه عندما يتحكم الوهم في الانسان فيظن ان لديه القدرة على استغلال الشر في خدمة الطيبة فان مؤدى ذلك وبحكم الضرورة ان تندحر الطيبة ويخرج الشر منتصرا سيدا على الطيبة التى كان في ظنها ان الشر عبد في خدمتها .

وهكذا وبفضـــل الحرية المتاحة للشر والعزلة المباحة له وحده ينمو الشر على حساب الطيبة التى تاخذ في الذبول بعد ان حرمت من الحرية وحجبت عنها العزلة

وعلى هذا فليس غريبا في مثل هـــذا الجو الخانق أن تصاب زوجة فيردو — وهى تمثل الطيبة — بالشلل ، وانما الغريب المثير للدهشة انها لا تزال على قيد الحياة .

لقد اختار لها « فيردو » أن تعيش حياة سلبية يسيطر عليها الخوف ، في عزلة من الحقيقة بحيث لا تعلم من امر جرائمه شيئا . وحيــــاة كهذه كفيلة بتخريب حبهما والانحدار به الى مستوى الشفقة ، تلك الشـــفقة التى حالت بينها وبين أن توجه اليه هذا الســؤال المحرج « من أين لنا كل هذه الاشياء ، من أين لنا هـــذا المستوى الرفيع من المعيشة ! » .

وهى اذا كانت قد ارتضت أن تعيش في رغد من العيش فما ذلك الا لخوفها من زوجها واستجابة منها للرغبة التى تشده الى الحياة السهلة ، تلك الرغبة الوحيدة التى كثيرا ما راوده الامــل في ان تتحقق .

لقد اختار « فيردو » طريق الجريمة في سبيل تحقيق رغبته ، وهو لايستطيع أن يحيد عنه ولا يستطيع أن يعترف به لزوجته أو لكائن من كان . واختيـــاره لطريق الجريمة ليس وليـــد أى حب لاسرته او أية شفقة عليها كما يحاول أن يوهم نفسه وانما هو وليـــــد الرغبة الجامحة في الانتقام والعشـــــق المرضى للذات وكلاهما يتخفى تارة وراء قنــاع الشفقة ، وتارة أخرى وراء قناع الحب و « فيردو » في حاجــة دائما لحب خادع في حاجة لان يلقى مسئولية خطيئته على البريء (زوجته وابنه) . وهذه الرغبـــــة الكريهة في التهـــرب من المسئولية تحطم الحب .. اى حب بل هى كفيلة بان تدمره تدميرا .

ولا فرق بين سلوك فيردو مع عائلتـه وبين سلوك معظم أصحاب الاعمـــال في اللحظات التى يشعرون فيهـــا بانعدام الحب او بغيابه .. وما اكثرها ! ! في تلك اللحظات يعبر أصحاب الاعمال عن حبهم الذى لا وجود له بالاغراق .. اغراق عائلاتهم باشياء الحياة اللذيذة كبديل يغنيهم عن الحب المفقود .

وفيردو وزوجته كلاهما على طرفي نقيض هى بطيبتها تؤثر الحياة القاسية ، وهو يؤثر الحياة اللذيذة لانه يحمل الاحترام للقيم السائدة في العالم .. قيم السادة أصحاب المال والاعمال .. تلك القيم التى كان يظن انه لا يحمل لها الا الاحتقار .. كل الاحتقار .

ولا غرابة في ان يفتن « فيردو » بقيم الســادة أصحاب المــال والاعمال ، وهو الذى قضى زهرة العمر عاملا في مصرف لا يتنفس الا عطر النقـــود في محراب الحضارة الحديثة .

و « شارلى شــابلن » يرمز بمسيو فيردو الى هذه الحضارة التى تعطل كل الطاقات الخلاقة في الانسان لا تستغلها الا لتحقيق مصلحتين : الربح والهدم.

فمسيو فيردو دائب النشاط ، دائم الحركة مشبع بالخداع حتى النخاع ، مستغرق بالاعمال على وجه لا يتيح له اى تفكير في المصير مكرس كل ما لديه من ذكاء ومهارة وحيوية لنجاح المشروع . ويستوى عنده ان يتحقق الربح من خلال الجريمة او من خلال القانون. فالشرعية لا تهم .. لا شيء يهم سوى الربح .

هذه هى حياة « فيردو » ، وهى حياة الانسان المعاصر اذا ما عاش لنفسـه وحيدا في عالم تســوده الاشيـاء ويتهـــدده شبح الحرب الذرية بالفنـــاء ..

تنويعات على لحن أساسي

شعر: فاروق شوشة
ريشة: حماد



وجه مدينتنا :

اعرف ان خطاى تسابقنى فى الدرب اليك
اعرف ان يدى تسبقانى ،

وان هواى الكامن يتواثب فى عينى ، وفى شفتى
بحثا عن لحظة ضوء منشودة ..
اعرف أنك فى خاتمة الساعات ملاذ التعب والمكدود
من زحمة عنف الايام ،

وقسوة زيف الايام ،
ولغو الزمن الكاذب ..
اعرف انك انت امان المغترب المهدود
يأوى فى جوف الليل اليك
يرتاح الى قسمة عينيك ..

يسلم للصدر الحانى راسا مجهد ،
اعرف !
لكن لا اعرف عنك ..

الا ما يمنحنا وجه مدينتنا الاسيان
حين يتيح بصلبنا قلق الرغبة

ويفجر فى وعينا خوف المجهول
ليثر بصدورنا شوق الحرمان
يفجؤنا وجه مدينتنا !
فيحيل ليالينا تعبا ..

يقهرنا وجه مدينتنا
فيحيل امانينا سأما ..
يصهرنا وجه مدينتنا !

فتذوب سحابات الاشواق
مطرا منهمرا فى الاعماق
يطويه بئر الاحزان !

يا من يرجع وجه مدينتنا الشديان ،
يغتسل بأيدينا فرحا ..
ويجيء ، فتهتز الاوراق ، وتساقط ثمرات الحب
ويغرد طير فى القلب
فالدنيا — لا أبهى — لا احلى
والعمر غناء .. واناشيد

صف شعورك :

تقولين لى : صف شعورك ..
اذا ما جلسنا بنفس المكان ، والتقت المقلتان ..
على لحظة عبرتنا فى الزمان البعيد

وكنا قلنا .. بأن الذى فات ، فات
وان الهوى ذكريات ..
وان الصغير الذى قد رعيناه مات ..

وأنا اصطنعنا ..
– فلي اخترنا معا غربة والفراق ،
بوحشة ليل بغير ارتواء –

وكنا قلنا .. بأن الذي كان –
وهم سريع المجاءة والانطفاء

وأنا سنصحو بذات صباح
فنلقى الذي في يدينا هباء .. !
تقولين لي : صف شعورك ،
من بعد عام تولى ، وعام

وقبلهما ألف عام ، وعام ..
أقول :
تغير وجه الزمان ، تغير وجه المكان ،
تغير كل الذي في يدينا ..

وحين التقينا ..
هناك استكانت لدينا اليدان ،

تقولين لي : صف شعورك ، قول !
اذا كان يحتاج بعد الى ترجمان !

اسائلكم :

في طريقي اليك ..
اراقب كل الوجوه ، اواجه كل العيون
اسارع مد الخطا ،

لعلي اراك وشيكا .. مطلا ..
تلوح بين الزحام ، تشير الي وتدنو
فتشغلني رغبة لا تحد

لاجتاز نحوك كل المسافات ،
اطوي الطريق اليك ، واعدو
وما زلت بين الزحام تلوح
بين مئات الوجوه تطل

وخلف مئات العيون تهل
ربيعا لنبض الحياة ، وظلا ..
واهتف من كل قلبي : حبيبي

فتهتف عيناك بالحب : اهلا ..
وينثال صوتك ، يملأ نفسي

رخيما ، طليق الترانيم ، جذلا
اسائلكم ، كلكم : هل لديكم
نهار كوجه حبيبي

صفاء كعين حبيبي
نقاء كقلب حبيبي
امان كعش حبيبي
اسائلكم ! لو تردون قولا !





عاد اسم جان بول سارتر ، المفكر والكاتب الفرنسي المعاصر الى مقدمة الحياة الادبية والفكرية الفرنسية ، والعالمية ، منذ منتصف شهر مايو . واصبح محور الدراسات النقدية والمناقشات والاحاديث في معظم الدوائر الادبية والفكرية ، وفي المجلات كما في الملاحق الادبية للصحف اليومية الكبرى .

عاد سارتر بعد فترة غياب ، منذ عام ١٩٥٨ تقريبا ، لم يكن يظهر فيها الا في فترات متباعدة وتحت اضواء سياسية « يسارية ثورية » اكثر منها تحت اضواء ادبية وفكرية.

وبعد التفكير وصمت ادبي ، ظهر الكتاب الذي كرسه جان بول سارتر لدراسة الروائي الفرنسي جوستاف فلوبير ، في ١٢ مايو الماضي ، وذلك بعد ان كانت مجلة « العصور الحديثة » ، التي يشرف سارتر عليها ، قد نشرت منه فصلين في خريف ١٩٦٦ .

سارتر يعـــود مـــع ”عبيـــط العائـــلة“

كتاب مثير هائل

واختار سارتر عنوانا مثيرا لكتابه هو .. « عبيط العائلة » .

واصدار نصجباهاكلا يقع في مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما ٢١٣٦ صفحة من القطع الكبير ، أو مايقدر بنحو ٤٠٠٠ صفحة من القطع المتوسط . وأعلن أنه سيتبعهما مجلدان اخران في نفس الموضوع ، لأنهما في الواقع ليسا سوى مجرد البداية للدراسة صاحب رواية « مدام بوفاري » . وهما يقتصران على دراسة طفولة وصبا وشباب فلوبير .

والمجلدان اللذان سيتبعانهما - وقد بدأ سارتر فعلا في كتابة أحدهما وقطع في ذلك شوطا بعيدا - سيعالج أولهما عصر فلوبير في فرنسا ، وسيحلل الآخر مؤلفات فلوبير الأدبية وخاصة « مدام بوفاري » .

ورغم أن المجلدين المنشورين ليسا هما كل الدراسة التي وضعها سارتر ولا يزال يضعها عن فلوبير ، فان كثيرين من النقاد ، على اختلاف اتجاهاتهم ومدارسهم ، لم يترددوا في القول بأنهما « أفضل أعمال سارتر بصورة لافتة للنظر » .

ان هذا الجزء من دراسة « فلوبير » والذى يتضمنه المجلدان الهائلان ، هو ثمرة ناضجة لحياة فكرية ، فلسفية أدبية ، ونضال لورى ، نشيط ودائب ، عاشها ولايزال يعيشها «جان بول سارتر» الذي جاوز الستين من عمره ، وعبر عنها - بصفة خاصة - في أعماله الفلسفية الرئيسية : « الخيالي » و « الوجود والعدم » و « نقد العقل الدياليكتيكي » . تلك الأعمال التي انعكست أيضا في دراسته الادبيتين :

سارتر

يعود مع



عبيط العائلة

« ما هو الادب عند سان جينيه » ، دون أن ننسى دراسته الأدبية عن « بودلير » ، والتي تبدو الآن كمدخل أولي الى أسلوب البحث ، والى بعض الافكار الرئيسية التى تتردد باصرار في كل أعمال سارتر .

ومن الممكن أن نقول - دون خشية الوقوع في الخطأ - أن سارتر قدم لنا سفر من نفسه الكلية ومن كل مكنون نفسه في هذه الدراسة عن « فلوبير » .

وفي الوقت الذى تبدو فيه الرواية الأدبية وكأنها تتباعد عن الذوق الادبي المعاصر ، فان دراسة سارتر عن فلوبير - وعلى حد اجماع النقاد الذين كتبوا عنها حتى الآن - تعتبر رواية جديدة .. رواية من نوع جديد . رواية لترجم رائع انسان ترجمة لقوية خيالية . انسان عاش حقا لكنه كان في الوقت ذاته روائيا وشخصية روائية ، لا لأنه كان كاتبا وأديبا فحسب ، ولكن لأنه كاتب وأديب لايزال يوصل رسالته الينا ، والى سارتر بصورة خاصة .

أما موضوع الدراسة ، فان سارتر يحدده بالسؤال التالى الذى يطرحه في المقدمة :

ما الذى يمكن أن نعرفه عن انسان ، أي انسان ، اليوم ؟

ثم يرد عليه بقوله :

« لقد بدا لي أنه من غير الممكن الاجابة عن هذا السؤال الا بدراسة حالة عينية محددة .. أى بصياغة السؤال على النحو التالى :

« ماالذى يمكن أن نعرفه عن جوستاف فلوبير ؟ »

لماذا الانسان .. فلوبير ؟

وهنا قد يبرز سؤال .

لماذا يختار سارتر الانسان موضوعا للفهم والدراسة ، ولا يتخذ احداثا أو أعمالا فقط ؟

والاجابة عن مثل هذا السؤال يمكن أن نجدها في نظرة سارتر ، وغير سارتر من كبار المفكرين المعاصرين ، الى أن الانسان هو جذر الاحداث والاعمال ، وهو صانع التاريخ وموضوعه ، وأن

فهم أي شيء يتوقف على فهم الانسان.

وما أدق قولة كارل ماركس في هذا الصدد :

« لكي نكون أصلاء وجذريين ، فان علينا أن نصل الى جذور الأشياء . وجذر الانسان — اليوم — هو الانسان نفسه . »

ويقول سارتر في حديثه بالملحق الادبي لصحيفة « لوموند » الفرنسية المستقلة عدد ١٤ مايو :

« ان المخطط العميق في دراستي لفلوبير يهدف الى تبيان ان كل شيء ، في الأساس ، ممكن الوصول اليه . ومن الممكن للانسان ، دون أن يكون الها ومع كونه انسانا كأي انسان آخر ، ان يصل الى فهم سليم للانسان ، اذا ما كانت لديه العناصر اللازمة لهذا الفهم ... انني اريد ان ابين ان كل انسان يمكن معرفته معرفة سليمة تماما ، اذا ما تم استخدام المناهج المناسبة ، وتوفرت الوثائق الضرورية »

وبعد هذا السؤال يبرز سؤال آخر :

« ولكن لماذا جوستاف فلوبير بالذات وليس اي انسان آخر ؟ »

أو على حد صياغة بيريديه للسؤال في مجلة « الآداب الفرنسية » :

ما الذى دفع سارتر « كل سارتر » نحو فلوبير (كل فلوبير) ؟

أو بصياغة ثالثة :

لماذا اختار سارتر فلوبير ، ولماذا اختار فلوبير سارتر ؟

ومن الممكن ان نقول ان لاختيار سارتر لفلوبير ثلاثة أسباب رئيسية .

السبب الأول : سبب شخصي . وهو سبب لم يعد له دور هام في الاختيار ، رغم أنه كان أصل الاختيار .

ويرجع هذا السبب الى طفولة وشباب سارتر . فمن كتابه « الكلمات » الذى يعرض فيه سيرة طفولته وصباه ، نعرف ان سارتر قد قرأ فلوبير في طفولته ، ثم أعاد قراءته في « مدرسة المعلمين » . واعاد قراءة « التعليم العاطفي » لفلوبير في الثلاثينات . وهنا تكون لديه نوع من العداء تجاه شخصيات فلوبير .

اما اللحظة التي واجه سارتر فيها فلوبير مواجهة تامة فكانت اثناء الاحتلال النازى لفرنسا ، عندما قرأ « رسائل » فلوبير الخاصة والتي نشرت حينذاك في اربعة مجلدات ، ووجد سارتر في هذه « الرسائل » ما اثار كراهيته لشخص فلوبير نفسه ، كما وجد فيها عناصر رئيسية لتفسير شخصية فلوبير ، ولتفسير نوعية السلالات البورجوازية التي كانت غالبة في فترة معينة من تاريخ فرنسا ، كأمة وثقافة ، نتيجة لنوعية العلاقة بين فلوبير من ناحية ، وبين ما كان يكتبه للجمهور من ناحية ثانية وما يكتبه في رسائله الخاصة من ناحية ثالثة .

وفي عام ١٩٤٣ قال سارتر لنفسه انه سيكتب ذات يوم دراسة عن فلوبير ، وهو قد أعلن عن هذه الرغبة في كتابه « الوجود والعدم » ، وفي نهاية الفصل الذى كرسه لموضوع التحليل النفساني الوجودى . وفي كتابه « ما هو الادب عند سان جينيه ؟ » لم يخف سارتر كراهيته لفلوبير .

السبب الثاني : سبب موضوعي ، فمهما قيل عن فلوبير ، ومهما كانت المشاعر الشخصية تجاهه ، فليس من الممكن انكار انه صاحب « مدام بوفارى » .

و « مدام بوفارى » هي علامة هامة من علامات تاريخ الرواية الحديثة . انها هزيمة وانتصار للرواية في وقت واحد ، لانها تمثل مفترق الطرق بين الرواية التقليدية والرواية الحديثة . وهي الام الشرعية لكل ما تلاها من ادب روائي . انها همزة الوصل والفصل بين الرومانسية والواقعية ، بين ستندال وبلزاك .

ويعتبر فلوبير — برواية « مدام بوفارى » — خالق الرواية الحديثة . وهو بهذا ، أول من طرح كل المشاكل الادبية الراهنة ، ودراسته من هذه الزاوية هي دراسة لاصول هذه المشاكل التي لا تزال مطروحة حتى الآن .

السبب الثالث : سبب منهجي . اى يتعلق بالطريقة التي يمكن بها دراسة أي انسان دراسة شاملة كلية وعينية

سارتر

محمود مع

عبيط العائلة



محددة فى وقت واحد . دراسة تاريخية عصرية ومعاصرة . دراسة ماضية وآنية وذات بعد مستقبلى .

ولعل هذا السبب أصبح أحد دوافع سارتر الى دراسته الحالية فى نحو عام ١٩٥٤ ، ذلك لانه لم يفكر فى « فلوبير » طوال الفترة من ١٩٤٣ عندما قرأ رسائله الى ١٩٥٤ ، بسبب ما كان لديه من كتب اخرى كان عليه ان يكتبها ، وفى نحو ١٩٥٤ ، وخلال الفترة التى كان فيها سارتر قريبا من الحزب الشيوعى الفرنسى ، قال له روجيه جارودى ، الذى كان حتى وقت قريب جدا من أبرز مفكرى الحزب وعضوا فى لجنته المركزية ، :

« لنأخذ شخصا ما ، ولنحاول ان نفسره ، انا وفقا للمنهج الماركسى ، وانت وفقا لمنهجك الوجودى ... »

وخلال ثلاثة اشهر ملأ سارتر عدة كراسات بلغت صفحاتها الالف . ثم تركها عام ١٩٥٥ ، ولمدة عشر سنوات كان يعود من الحين الى الحين ، الى دراسته عن فلوبير ، حتى اصبحت لهذه الدراسة ثلاثة أو اربعة نصوص . لكنه استطاع اخيرا أن يفرغ لها وأن يعكف على كتابة الدراسة الحالية فيما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ .

المعلومات والفهم

وبصرف النظر عن السبب الشخصى ، والذى لم يعد هو السبب الرئيسى ، والسبب الموضوعى الذى له دور هام فى اختيار سارتر ، فان الدراسة الراهنة تبدو قائمة اساسا على السبب الثالث ، الا وهو السبب المنهجى .

ولهذا ما يفسره تفسيرا صحيحا .

ان مشكلة عصرنا هنا هى مشكلة منهج .. منهج المعرفة والفهم والتفسير ، وبالتالى تحديد المسار الانسانى تحديدا علميا حقا .

ومنذ استقر الرأى على انه لا توجد مشكلة معرفة ، بمعنى مشكلة وجود أو عدم وجود المعرفة ، أو مشكلة امكانية أو استحالة المعرفة ، لان المعرفة حتمية الوجود ممكنة التحقق ، اصبحت المشكلة الحقيقية هى مشكلة مدى المعرفة ، كما ونوعا ، اى مشكلة ادوات المعرفة واسلوب وطريقة استخدام هذه الادوات .

ويقول سارتر فى مقدمة دراسته :

« ان عبيط العائلة هو استمرار لمشكلة المنهج »

ولما كان السؤال المطروح وهو : « ما الذى يمكن ان نعرفه عن « جوستاف فلوبير » كانسان شامل ؟ » .. هو سؤال كلى ، فان المنهج الضرورى اتباعه للوصول الى الاجابة الكلية عن السؤال الكلى لابد وان يكون منهجا شاملا وكليا .

وهنا يصبح السؤال :

هل هناك منهج كلى شامل واحد للوصول الى اجابة كلية شاملة واحدة ؟

لكن علينا قبل محاولة الاجابة عن هذا السؤال – كما أجاب عنه سارتر – أن ندرك ان كل معرفة تستلزم – أولا وقبل كل شىء – توفر المعلومات . وكل معرفة شاملة وكلية تقتضى . تجميع وتشغيل هذه المعلومات .

واذا عدنا ، بعد ذلك ، الى جوستاف فلوبير ، كانسان عينى محدد ، هو فى الوقت ذاته انسان شامل كلى ، فان المعلومات المتوفرة عنه ممكنة ، بسبب بعده التاريخى حيث عاش فلوبير ما بين ١٨٢١ و ١٨٨٠ . وطوال هذه المدة تكشفت لا تفاصيل المعلومات عن حياته وافكاره العامة والخاصة فحسب ، بل وتفاصيل المعلومات عن حياة عصره وافكار ذلك العصر ، وتكشفت التفسيرات المختلفة والمتباينة لهذه المعلومات .

والمعلومات المتوفرة عن جوستاف فلوبير هى ، كأى معلومات ، مختلفة ومتباينة

انطلاقا وتباينا شديدين «بطبيعتها» • وهي مفتتة وجزئية ، وتحتاج الى « تشغيل » •

ان جوستاف فلوبير ، مثلا ، مولود في مدينة « روان » في ٢١ ديسمبر ١٨٢١ • وهذه معلومة •

وجوستاف فلوبير كانت له ، مثلا ، عشيقة كتب اليها ، بعد ذلك بكثير ، قائلا « ان الفن يزلزل نفسي » • وهذه معلومة أخرى •

وجوستاف فلوبير قام ، كمثل ثالث ، برحلة الى « الشرق » بين ١٨٤٩ و ١٨٥١ ثم في ١٨٥٨ ، زار خلالها مصر وتركيا ، ثم الجزائر وتونس • وفي مصر ، وصل الى الاسكندرية قادما بالباخرة من مارسيليا ، وزار القاهرة ، والجيزة ، والفيوم ، وبني سويف ، وقنا والقصير والاقصر واسوان ، ووادى حلفا حتى الشلال الثاني • وقال النقاد أن هذه الرحلة قد انعكست في أدبه • وهذه معلومة ثالثة •

والمعلومة الاولى هي حدث موضوعي واجتماعي ، وتعززها الوثائق الرسمية •

والمعلومة الثانية موضوعية أيضا ، اذا ما اقتصرنا على الشيء الذى قيل والذى يعبر بمغزاه ، عن احساس معاش • لكننا لن نستطيع أن نقرر شيئا بشأن معنى ومحصول هذا الاحساس ، الا اذا برهنا ، أولا ، على أن فلوبير كان انسانا يقول الصدق بصفة عامة ، وانه كان صادقا في هذه الحالة بالذات ، بصفة خاصة •

والمعلومة الثالثة موضوعية كذلك ، لكنها أكثر تركيبا وأقل مباشرة من المعلومتين السابقتين • ومن هنا ، فهي تحتاج — حتى تكتسب مركزها المعقول في الفهم — الى جهد تحقيقى واسع ومجهد •

وقس على ذلك •

وما يحاوله سارتر في دراسته عن جوستاف فلوبير هو أن يبرهن على أن الاختلاف والتباين ، بل والتنافر وعدم الاتساق ، الذى قد يبدو في حياة اى شخص ليس الا امرا ظاهريا • واذا ما وضعت كل معلومة في مكانها الصحيح ، فانها تصبح جزءا من كل متسق غير مختلف او متباين أو متنافر ؛ كل لا يتوقف عن صنع نفسه • وفي مثل هذه الحالة تصبح المعلومة ضوءا كاشفا لانساقها جزئيا

«كم هو غريب أنني ولدت ومعي ايمان قليل بالسعادة»



ثلاث مراحل في حياة جوستاف فلوبير : صبيا في العاشرة .. وشابا .. وروائيا بارزا

انسانا كليا مع كل المعلومات الاخرى .

ذلك لأن الانسان ، أي انسان ، ليس بدا فردا .

ومن الافضل – على حد قول سارتر في مقدمة « عبيط العائلة » – ان نطلق على الانسان اسم « العام المتفرد » .

ان الانسان انسان كلي . وهو بهذا ، وبالذات ، انسان عام في عصره .

وهو يعيد كلية العصر باعادة انتاج نفسه في هذا العصر باعتباره متفردا .

ان الانسان عام بالعمومية المتفردة للتاريخ الانساني . وهو متفرد بالفردية العامة لابداعاته .

ولهذا ، فان دراسة كل انسان تقتضي دراسته من هذين الجانبين معا : جانب عموميته المتفردة في التاريخ الانساني ، وجانب فرديته المعممة في ابداعاته الاجتماعية المادية أو الادبية .

وفي الدراسات الادبية بصفة خاصة ، فان هناك انحرافين رئيسيين :

اولهما : دراسة الاديب وادبه على اساس مادية الحياة مع فقدان النظرة الى العناصر الفردية والخاصة .

وثانيهما : دراسة الاديب وادبه على اساس تحليل النصوص الادبية بالوسائل الشكلية والنقالية ، والنفسانية احيانا ، مع فقدان النظرة الى الانسان مؤلف النص .

ويبدو أن سارتر قد حاول في دراسته عن فلوبير أن يتجنب أيا من هذين الانحرافين ، دون أن يستبعد كلتا الوسيلتين ، منطلقا من نقطة هامة ، وجديرة بالتأمل والمناقشة .

هذه النقطة هي أن سارتر يرى ان الفهم العميق الكامل يستلزم عدة مناهج ، لا منهجا واحدا ، تستخدم في وقت واحد .

سارتر

يعود مع



عبيط العائلة

المناهج .. والمنهج الواحد

ان جوستاف فلوبير ، الانسان ، هو – ككل انسان آخر – يشتمل على انماط عديدة ، بعضها تاريخي ، واجتماعي ، وتحليلي ، ولغوي ، وبعضها مما يلوب في انماط الحركة التي جعلت من فلوبير فلوبير .

ودراسة هؤلاء « فلوبير » جميعا – اذا صح التعبير – تقتضي تعدد المناهج ، ويقصر عن تحقيقها التحقيق الشامل الكلي منهج واحد ، مهما كان صوابه .

ومن هنا ، فان سارتر يستخدم عدة مناهج في محاولة فهم الانسان فلوبير ، وفلوبير الانسان .

وهذه المناهج هي ، في الواقع ، المناهج الثلاثة العصرية الرئيسية ، التي اسفر عنها حتى الآن جهد الانسان على طول نضاله وعمله الدءوب في سبيل زيادة المعرفة والفهم ، وبالتالي زيادة سيطرته وتحكمه في ظروفه وحاضره ومستقبله .

ان سارتر يستخدم منهج التحليل النفسي الوجودي . ويستخدم منهج التحليل المادي التاريخي والدياليكتيكي الماركسي ويستخدم منهج التحليل اللغوي الانثروبولوجي البنائي .

وهو يستخدم ، مثلا ، منهج التحليل النفسي الوجودي ، اساسا وليس فقط ، في تحليل الجانب الشخصي ، الفردي والعائلي ، في حياة فلوبير .

وهو يستخدم ، مثلا ، منهج التحليل المادي التاريخي الدياليكتيكي الماركسي اساسا وليس فقط ، في تحليل أوضاع المجتمع الفرنسي في حياة فلوبير ، وعلاقات فلوبير بهذا المجتمع ، وعلاقات هذا المجتمع بفلوبير .

وهو يستخدم ، مثلا ، منهج التحليل اللغوي الانثروبولوجي البنائي ، في تحليل نصوص فلوبير الادبية ، وخاصة روايته « مدام بوفاري » .

أي أنه يحاول ادماج التحليل النفسي مع الماركسية في احضان علم انثروبولوجيا جديد .

ثم لا يقتصر على ذلك ، أي على تحليل الواقع ، وانما يستخدم الخيال والتخيل ، لا لكي يستبدل به الواقع ، وانما لكي يملأ به الفراغ الموجود بالضرورة بسبب

أمه ... ...وحبيبته





« لاتحبيني كثيرا .. انك تؤلمينني .. ان الحب الزائد على الحد يجلب سوء الحظ » . . .
ج.ف.

تحديات امكانيات البحث والتحقيق .

كما يستخدم سارتر الخيال والتخيل في محاولة لكي يقيم جسرا بين فلوبير الذى عاش في غير هذا « الزمكان » ، أي في غير المكان الزماني ، الذى نعيش فيه نحن : هنا والآن .

ويضرب « بيبرديه » في مجلة « الآداب الفرنسية » « عدد ١٩ ـ ٢٥ مايو ١٩٧١ » مثلا ، على « مناهج » سارتر المستخدمة في دراسته .

ففي الجزء من الدراسة الذى ينتقل فيه سارتر الى دراسة « بناء شخصية » فلوبير » بعد أن درس مقومات فلوبير الطفل والصبي ، يشير الى أن فلوبير حلم في تلك اللحظة من طفولته ، ولما يتجاوز التاسعة من عمره بأن يصبح ممثلا .

وتحت عنوان « من الطفل الخيالي الى الممثل » يحلل سارتر ماناله الطفل من تجربته المسرحية ، كما يحلل الى أى مدى كانت فكرة أن يصبح ممثلا مستقرة في عقله المباشر التلقائي ، دون ان يتأملها او يفكر فيها تفكيرا عميقا .

لكن التفكير لم يكن امرا ممكن التجنب .

ذلك ان شخصا ما ، ربما قال له ودون ان يعلق على قوله هذا اهمية خاصة : « انك ستصبح ممثلا رائعا » .

وهذا الثناء المتصل أو الجامل هو الذى ادى الى ان يغير الفتى غاية مسعاه ، كما غير اتجاه عملية اعادة امتلاكه لنفسه .

ويقول سارتر :

« ان الكلمات تغل الافاعيل عندما تسمي ما هو معاش بدون تسمية »

ان الكلمات التي تسمي المعاش باسمه تستقر على الفور فكرة التواطؤ في نفس الموجهة اليه ، لانها تطرح عليه مغزى ما لم يكن يدرك مغزاه ، وما لم يفكر فيه ، وما هو في الواقع افتراضي للمستقبل ، وبالتالي تحدد المسئولية التي هي قرينة لا تنفصل عن حرية التخيل والمعايشة والاستمتاع بالحياة واستعادة الذات .

ويستشهد سارتر بقوله لزوج وهو يتحدث عن علاقة لزوجته بعشيقها :

« اذا ما نطق احدهما او كلاهما بكلمة الحب او الزواج بينهما ، فانني سأصيح

سارتر



يعود مع

ولكن لا خطر على من علاقاتهما بدون مثل هذه الكلمات »

وهـــذا المثل يوضح الى اى مدى استطاع سارتر ان يحقق ديناميكية منهجية او مناهجية .

الشعبية والعمق

لم يبق سؤال تطرحه « بــداية » دراسة سارتر عن فلوبير ، وهو :

كيف يصبح الكاتب شعبيا مع التزامه بمتابعة الفكرة متابعة عميقـــة حتى الوصول الى ابعد جذورها ؟

ويجيب سارتر عن هـذا الســـؤال بالاسلوب الذى استخدمه فى كتابة هذه الدراسة .

ان سارتر لم يكتب دراســـة بالمعنى التقليدى بقدر ما كتب رواية عن فلوبير . لقد حول الروائى الذى اعتاد القــراء الاعجاب بشخصياته الروائيـــة ، الى شخصية روائية لا تقل قدرة على استثارة اعجاب القراء .

واذا كان من المفهوم بين النقـــاد ان جوستاف فلوبير قد عكس نفســـه فى شخصياته ، فان مافعله سارتر هو انـه عكس الشخصيات فى فلوبير .

ذلك لان كل انسان منا هو شـــخص وشخصية فى وقت واحد .

ولم يستخدم سارتر فى كتابة دراسته اسلوبا . وانما ارسل الكلام بلامحسنات ادبية فى الكتابة من شخص تفنى حياته بحثا من الاسلوب .

واذا كان سارتر قد ودع « الادب » بكتابه « الكلمات » ، فانه يؤكد الان هذا الوداع ، كما يؤكد ان الاسلوب الادبى اصبح امرا يصيب القارىء بالتخمة ، قبل ان يحقق له التذوق والشبع .

ان الشعبية والجماهيرية لا تستلزم الضحالة والسطحية ، وخشية متابعة الفكرة حتى اعمق اصولها .

والبحث عن انسانية الانسان ، يقتضى اول مايقتضى انسانية الباحث ، اى عدم خوفه من تسمية العاش باسمه ، ومواجهة تواطؤالاخر لهذا العاش، وقبولمغزى مالم يكن يدرك مغزاه وما لم يفكر فيه او يتامله ، وبالتالى قبوله افتراضات المستقبل ، وتحمله المسئولية التى هى قرينة لا تنفصل عن حرية التخيـــل والمعايشة والاستمتاع بالحياه واستعادة الذات .

وثمة امر مؤكد ــ كما يقول بييرديه ، الكاتب الماركسى الفرنسى المعروف . وهو ان سارتر لا يهرب فى فلوبير . وهو لا يلوذ بعيدا « الفن للفن » الذى طالما دعا اليه ذلك الروائى البورجوازى العظيم الميت . وهو لا يتخلى عن موقفه الراهن .

القاهرة كما رآها مكسيم دى كام عندما زارها مع فلوبير عام ١٨٥٨ !



كما أنه لا يبحث ـ بصورة مفتعلة ـ عن دروس مستفادة .

انه اختار فلوبير وهو يمقته ويمقت عصره : عصر البورجوازية الفرنسية المنحلة والتحللة ، المنافقة والمتنافقة ، التي تقول شيئا في العلن وتقول شيئا آخر في الجلسات والرسائل الخاصة ، وتزعم دائما أن هناك ما يعرف ولكن لا يقال ، وأن هناك ما يقال حتى ولو ناقض ما هو معروف .

وهناك تشابه بين بودلير ، الذي درسه سارتر منذ ربع قرن ، وفلوبير ، الذي يدرسه بعد ربع قرن ، وخاصة ذلك التشابه بين موقف سارتر من بودليـر وموقفه من فلوبير .

وهناك استمرارية في موقف سارتر ، لكنها استمرارية استيعاب كل ما هو جديد وصحيح : استيعاب الوجودية والتحليل النفسي ، واستيعاب الماركسية والتحليل المادي التاريخي الديالكتيكي ، واستيعاب البنيانية والتحليل اللغوي الرمزي الانثروبولوجي .

وهناك الخيال والتخيل .

ذلك لانه عبر الطوباويات الخيالية والمتخيلة ، يعبر الخيال الاجتماعي ، في وقت واحد ، عن ديناميكيته وعن تصوره الذاتي كما يعبر عن خصوبته وعقمه .

وفي مواجهة الانسان للتاريخ : تاريخه وتاريخ الاخرين ، فانه يحتاج الى الخيال ، وهو اذا لم يواجه التاريخ بكل الخيال الذي تتطلبه المواجهة ، فانه سيترك نفسه للدهشة امام نتائج تاريخ هو مؤلفه وصانعه ، وسيجد نفسه يحطم تاريخه هو بالذات .

سارتر .. بعد سارتر

وأخيرا ، فانني أذكر انني نشرت ، في عدد الهلال في يناير ١٩٦٨ ، مقالا بعنوان « ما بعد سارتر » ، حاولت أن أناقش فيه ضرورة تجـاوز المرحلة السارترية الوجودية ، والتي تركت آثارا ملموسة في الفكر العـربي المعاصر . وحاولت أن أقدم لمحات من اتجاهات فكرية أخرى معاصرة ..

وبالاضافة الى ما قدمته عن الاتجاهات الاشتراكية ، والاتجاه الماركسي ، فلقد حاولت أن ألفت النظر الى ذلك المنهج الجديد الذي أصبح يطلق عليه ـ التبسيط وليس للدقة ـ اسم « البنيانية » .

وفي ديسمبر من السنة نفسها ، حاولت أن أقدم لقارىء العربي مفكرا معاصرا وعصريا ، هو هنري ليفبر ، « أعظم المفكرين المعصريين » ، كنموذج آخر غير النموذج السارتري المعروف والمشهور في العالم العربي .

وفي مارس ١٩٦٩ ، عدت الى تقديم « البنيانية » بصورة أكثر تفصيلا . ثم كان مقال المنشور في عدد أكتوبر ١٩٧٠ من مجلة « الهلال » بعنوان « هل المثقفون المثقلون العرب » ، محاولة للفت النظر الى مفكر مصري عربي مقيم في باريس هو الدكتور أنور عبد الملك ، والى ضرورة اعادة تقييم الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة على ضوء حركتها التاريخية ـ الاجتماعية الذاتية والخاصة من ناحية ؛ وعلى ضوء حتمية انفتاحها على الفكر العالمي المعاصر ، وانفتاح هذا الفكر العالمي المعاصر والمعاصر عليها ، والذي يتبلور الآن ـ وفي رأيي ـ في ثلاثة اتجاهات رئيسية متكاملة هي اتجاه التحليل النفساني الوجودي ، واتجاه التحليل المادي التاريخي الديالكتيكي الماركسي ، واتجاه التحليل اللغوي الرمزي الانثروبولوجي البنياني .

على أن مشاغل عدة حالت دون متابعة هذه الدعوة الى الانفتاح العربي الثقافي ، حتى اطلعت على ماكتب من دراسة سارتر حول فلوبير ، فازداد اقتناعي بضرورة الانفتاح .

ثم جاءني الرد على سؤالي ماقبل أكثر من ثلاث سنوات :

ماذا بعد سارتر ؟

الاجابة :

ان سارتر هو ما بعد سارتر

سارتر فلوبير ، بعد سارتر « نقد العقل الديالكتيكي » و « الوجود والعدم » سارتر العالم الفيلسوف ، بعد سارتر الفيلسوف العالم .

وذلك على الرغم من أن دراسته منشورة في المجموعة الفلسفية ، بدلا من أن تنشر في المجموعة العلمية

ثورة إليكترون في ذرة

د. عبد المحسن صالح

كل ما في الكون له وجود ، ولكن الكيانات تختلف باختلاف طبيعة الشيء أو الكائن .. صحيح أن مظاهر الكيانات مختلفة ، ولكن جوهرها واحد

والشيء أو الكائن لا يتصور إلا إذا عرض للمشاهد أو [illegible] !

والكائنات في الكون خاضعة من علاقات الحياة لا الجمود .. التغير لا الركود .. التطور لا التخلف .. التقدم لا الرجعة .. [illegible] ما لا يكون

والثورة بمعناها الكوني الراسخ هي ثورة على نظام غير مستقر ، لتقوده إلى نظام أكثر استقرارا ، وأعظم اتزانا .. أي أنها ثورة تغيير وتطور ، لينتقل الشيء والجماد من شكله إلى [illegible] ؟

والفكر الآن تساءل وبحماسة للثورات ! حتى الجماد [illegible] .. أن كيف يثور الجماد وهو جامد ؟

لأن العالم المادي نظام ثائر ، إلا أننا لا نستطيع أن نرى نظام الجماد المتصور في أحاسيسنا ، ومن أجل هذا كانت هناك أجهزة حساسة ، لتوضح لنا روعة الأسس التي قام عليها هذا الجماد .. هذا النظام !

والنظم في الطبيعة دائما مستمرة ، تساير الظروف الصعبة التي قد تتعرض لها ؛ ولو لم تثر ، لأصبحت جامدة ، والجمود موت !

وليس في الكون جمود .. فالحركة روحه ، والذات [illegible] ، والطاقة أساسه ، والتغير جوهره .. لا جماد ولا جمود ، أو كما تظنون !

والواقع أن الظاهرة الحيوية في نظم الكون الكبرى أو الصغرى ، قد تعطينا إلى نوع من الشفافية العقلية ، لتوضح لنا أسرارا رائعة من خفايا هذا الكون وأسراره .. فلقد رأينا قبل وحدة البناء والخلق ، ووحدة الفكر والهدف ، حتى ولو اختلفت مظاهره ، وتعددت أمام أعيننا مناظره .

فالإنسان قد يثور على وضع من الأوضاع السائدة .. وهذا حق له مشروع .. ألا هو إن هذا النظام .. إن الطبيعة ، والطبيعة تثور ، [illegible] ، تريد ، أن تنتقل إلى حالة أفضل ، أيسر إليها لتوازنها واستقرارها .. وهذا أفضل !

فقد تثور الطبيعة أو تحدث ، ومن وراء ذلك أسباب .

إلا أن الثورات الطبيعية التي أثرتها حواسنا وأحاسيسنا القاصرة ، [illegible] الحواس

فالثورة [illegible] .. [illegible]

ومن الذرات كانت الجزيئات .. ومن الجزيئات جاءت المادة .. ومن المادة كانت الحياة وكان الجماد

والحياة تثور .. كما يثور الجماد فكما أن وحـــــدة المادة هى الذرة والجزىء ، كذلك كانت وحدة الحياة هى الخلية الحية .. ولولا التغير او التطور الذى حدث فى جزيئات الخليـــة الاولى منذ مئات الملايين من السنين ، لما ظهرت خلايا أخرى ومخلوقات أخرى أكثـــــر تطورا ، وأعظم صعودا !

يعنى هذا أن الثورات الكونيـــة على مستواها الصغير والـــكبير .. بداية من الذرة الى الجزىء الى الخليــــــة الى المخلوقات البسيطة والـــكبيرة .. والى الارض .. الى الشمس والنجوم ، هى تعبير صادق ومشروع عن ظروف صعبـــة يتعرض لها الكيان أو النظام ، ليحـــاول أن يغير ما حل به من فساد الى ترع .. من ترض وهـــــــرجلة الى توازن واستقرار ، ولولا ذلك ، لأصبح كل شىء فى الكون غير متفاعل ولا متطور ، ولاصابه الجمود القاتل .. وهنا يحق القـــــول الفصل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .. طبق هذا أيضا على الذرات والجزيئات والخــــــلايا والميكروبات والديدان والعرامـــــــس .. الخ ، تخرج بنفس النتيجة

لاننا نتحدث هنا عن نظم .. والنظام هو القانون الاول للــسماء ، رغم أن معظم البشر قد لا يعرفون ذلك

ولكى نوضح وجهانظرنا ، فهنا نتعرض لاصغر كيان عرفه العلماء .. ولنبـــدأ بذرة .. مجرد ذرة ، لنعرف كيف تثور الذرة ، وكأنما هى تريد أن تغـــــــير ما بنفسها ، لتستقر أمورها ، ويتوازن بنيانها !

* * *

ان المادة الجامدة ليست صيغة ساكنـــة كما تلتقطها حواسنا ، بل ان تكوينهـــــا الداخلى فى حركة دائبة ، وما التكوين هنا الا تكوين ذرة وذرات تنتظـــــم فى الجماد

ثورة إلكترون في ذرة

ان الذرة على ضآلتها تكوين بديع ، ونظام فريد ، أو هى بمثابة كون دقيق .. أدق كون عرفه العلمـــاء ، وتاهوا فى أسراره كتيههم فى الكون الكبير ، وكأنما الذرة بمثابة سماء صغـــيرة ، أوحى الله فيها امرها ، ووضع لها قوانينهــــــا ، ليسير كل شىء فى تكوينها بحســــــاب ومقدار

وأحيانا ما تتعرض الذرات لحالات من الضنك ، نتيجة لعوامل كثيرة تتسلط عليها ، ولكنها لا تستسلم لهذا الضنك والنكد ، ولو استســـــــلمت لكان ذلك ولا شك سيؤدى الى كوارث رهيبـــة ، أبسطها زوال الحياة من هذه الارض بكل صورها وأنواعها ، وسنتعرض لمثل ذلك بعد حين

اذن .. فـــكيف تتخلص الذرات من نكدها الذى حل بها رغما عنها ؟

من المؤكد ان الذرة ليس لها عقل ، رغم أن أصحاب العقول يعيشون فى ضنكهم راضين مستسلمين .. ولكنها قد جاءت بنظام ، ومن هذا النظام نشأ العقل ، ومن العقل ينشأ النظام .. لا نظام ، اذن لا عقل

دعنا من أصحاب العقول ونظمهم ، وعلينا أن نتعرض باختصار لنظام ذرة ،

حتى يتبين لنا كيف نعبر من شكها ، ونسجله بعيوننا أو اجهزتنا

للذرة قلب او نواة .. في النــــواة تســـكن جسيمات .. الجسيمات اما متعادلة ، او مشحونة بشحنة كهربيـــة

موجبة .. المتعادلة اسمها نيوترونات ، والموجبــــــة اسمها بروتونات .. عدد البروتونات في النواة هو الذى يحــــدد « شخصية » الذرة

حول النواة تطوف جسيمات اخـــرى في مدارات .. وكأنما هي بمثابة غلالة أو ستارة لتغلف قلب الذرة او نواتهـا

.. الجسيمات الدوارة اسمها اليكترونات .. الاليكترونات مشحونة بشحنة كهربية سالبة .. وبقدر ما في نواة الذرة من

بروتونات موجبة ، بقدر ما يطوف حولها من اليكترونات سالبة ، حتى يــكون التعادل والتوازن في هذا الكيان الدقيق

الذى يبنى المادة ، ولهذا تظهر المـــادة متعادلة ، رغم أن جوهرها جسيمــــات مكهربة

ذرة الكربون مثلا تتكون من نيوترونات ستة ، وبروتونات ستة « موجبــة » ،

ويطوف حولها اليـــــكترونات ستة « سالبة » ، في مدارين .. وستة موجبة مع ستة سالبة يعنى تعادلا كهربيا

ذرة النيتروجين تتكون من نيوترونات سبعة ، وبروتونات سبعة ، ويطـــوف

حولها اليكترونات سبعة .. فتكون ذرة متعادلة .. وهكذا تسير الامور مع الذرات الاخرى

ورغم هذه البساطة الظاهرية في تكوين الذرات ، الا ان هناك كونين مختلفين قد

جمع شملهما في هذا الكيان الدقيق نواة بقوانينها ونظمها ، واليـــكترونات بقوانينها ونظمها ؟

والواقع ان « قلب » الـذرة « او نواتها » صعب المنال ، ولهذا فلن يقدر عليه ، الا كل من عرف كيف يأتيــه ، ومن هنا فان الطاقة النووية لا تمتلكهـا الا عدة دول كبيرة تعد على أصابع اليد

الواحدة ، لانها بامكانياتها الضخمة قد سيطرت على نواة الذرة ، لتستخــرج

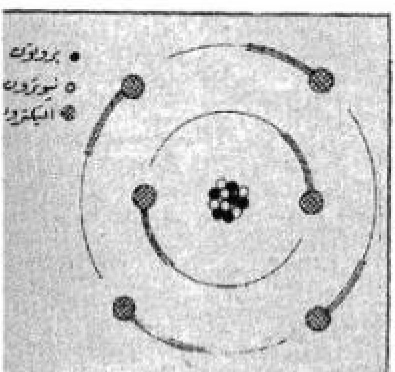
منها طاقات رهيبة لا قبل للانســـان بجبروتها .. في حين أن كل الدول تجرد الاليكترونات الدوارة حول نوى الذرات ، وتستخدمها كطـــاقة كهربية تسرى على هيئة اليكترونات في أسلاك

بعد هذا آن لنا الاوان أن نتعـــرض للشك الذى يمكن ان يحـــل بالذرة ، وعلينا ان نأخذ جزءا من كيانها ، وليكن ذلك في اليكترون يدور حول نواته في مدار محدد ، ولنترك النواة الى حين ، لنعود الى شكها فيما بعد

* * *

كثيرا ما يقول الناس عندما يتعرضــون لظروف قاسية ، أو مسئوليات ثقيلة

نظام ذرى للذرة الكربون في مركزها نواة وحولها تدور الاليكترونات في مدارات



ثورة الكترون في ذرة

« ان هذا فوق طاقتنا ، او ذلك اكثر مما تتحمله قدراتنا » .. وليس هذا القول مقصورا على البشر فقط .. بل نراه في الحمير والخيول وسائر انواع الحيوان ، وكذلك الحال في السيارات والمصاعد والطائرات .. الخ ، اذن ، فلكل شيء قدرة وطاقة محددة ، فاذا زادت الامور عن الحد ، فقد تنقلب الى غم ونكد وهم ، او الى توقف وعطل

وكذلك يكون الحال في دنيا الاليكترون .. لان الاليكترون يدور حول نواته بطاقة محددة ، ولكنه احيانا ما يتحمل اكثر من طاقته ، ولا بد أن يتخذ للذلك امرا كان مفعولا ، ولقد يسرت له السبل لكي يغير وضعه الذى ليسبح ويدور ، ثم الى وضعه الاول يعود ، بعد أن يزول الضنك ، وتنقشع الغمة !

علينا مثلا أن نأخذ قطعة من حديد ، ولنعرضها لنار قوية .. كلما زادت الحرارة ، وزاد التعرض ، توهج الحديد بلون أحمر ثم أبيض ، ثم لو ابعدناه عن النار ، ووضعناه في مكان مظلم ، فانه يضيء المكان بضوء خافت ، وتنبعث منه اشعاعات حرارية ، ولكن لا بد للحديد أن يفقد ضوءه وحرارته ، ليعود الى برودة وظلام

او لو انك القيت بحبيبات من ملح الطعام على نار ، لرأيت وهجا أصفر ، او لو عرضت سلكا من النحاس لحرارة شديدة ، فانه يبعث ضوءا أخضر .. الخ

ماذا يعني هذا وغيره ؟

يعني أن الاليكترونات التي تطوف حول نوى الذرات في الاملاح والمعادن او غيرها من عناصر ومركبات شتى قد استقبلت رغما عنها طاقة حرارية ، والذى يستقبلها هو ذلك « الرداء » الاليكتروني ، او تلك « الستارة » التي تحيط بقلوب الذرات او انويتها ، وكأنما هذه الستارة بمثابة الحوائط او الأسوار التي تحمي القلوب

لقد استقبل كل اليكترون جـزءا محددا من هذه الطاقة ، وحمله حملا وهو بهذه الطاقة الجديدة يحس كأن شيئا غريبا يثقل كاهله .. فماذا هو فاعل بمشكلته ؟ !

كأنما الذرة هنا تحدثني واحدثها ، وكأنما هي توحي الى من خلال نظامها انه لا بد من تغيير الاوضاع ، حتى تنفرج الازمة ، وتزول الغمة ، وكأنما هي تقول : « مع أنني ذرة بسيطة ، الا ان بساطتي قد تاهت فيها العقول .. ومع انني بغير عقل كعقولكم ، فقد خلقت من نظام ، وجئت بكيان ، وسرت بقدر .. ثم تركت لقدري ، لكي انظم أمري ، وأصلح شأني ، فأقيم البناء اذا تصدع ، وأدبر حالي اذا تأزمت الامور » !

وكأنما الاليكترون بدوره يتحدث من خلال موجات كهرومغناطيسية يبعث بها على هيئة نبضات تستقبلها مقترنا ، وكأنما يحدثني ويتساءل ويقول « يا لك أيها الانسان .. أتسائل عن مشاكلي ، وتقول : ماذا انا فاعل بمشكلتي ؟ »

قلت : كما نتساءل نحن عن مشاكلنا ونقول : ماذا نحن فاعلون اذا حل بنا الضنك وجاءت الازمات ؟ !

قال : لكم عقول .. ولنا نظام !

قلت : اعلم ذلك .. ولكن العقول احيانا ما تضحك على العقول ، او قد

تسخر منها ، ومع ذلك فان اصحاب العقول يخدعهم غرورهم ما فتئوا .. ودعك من هذا ، ولتحدثنا ماذا انت فاعل بغشك ؟

قال : لقد كنت في يوم من الايام الخالي في مدار ذرة في جزيء في خلية في مخ انسان يردد عن علم أو غير علم ـ لست ادرى ـ شيئا من كتاب الله ، وقرأ آية تقول « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ولقد اهتز كياني لهذه الآية كما اهتزت من قبل بلايين البلايين من المرات ، و « علمت » وقتها أن هناك نواميس كونية تسرى على كل المخلوقات ، حتى ولو كان ذلك على مستوى عالي .. عالم الاليكترونات

قلت : ماذا تعني ؟

قال : اننا نصاب بأزمات ومنغصات ، ونتعرض لنكد وغم وضنك .. صحيح ان أزماتكم وسببياتها ، تختلف عن أزماتنا وسببياتها ، وعندما نتعرض نحن « معشر » الاليكترونات لامور لا حيلة لنا فيها ، فاننا لا نستسلم ولا نتهاون ، بل علينا أن نغير اوضاعنا ، لنحاول الخروج من غشنا الى فرجنا ، ولكن ..

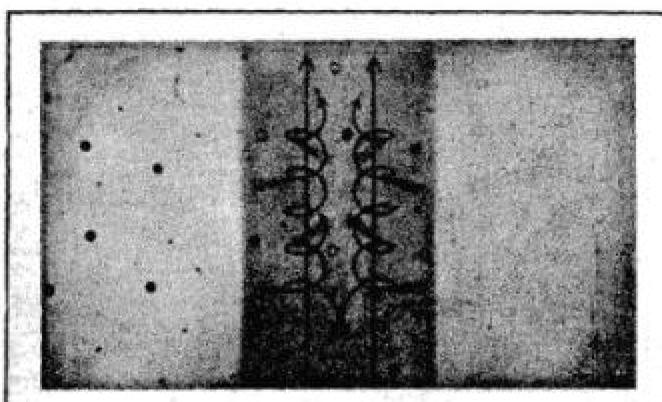
ولجأة انطلقت موجة كهرومغناطيسية من محدثي « الاليكترون » في لحظة خاطفة ، توقف بعدها متبهسمة من الحديث ، وعاد وكأنما « يقهقه ضاحكا » وكأنما يقول « لا تؤاخذني .. لقد حلت بي أزمة ، ورثت عليها بطريقتي الخاصة .. وما تورني الا ان اغير ما حل « بنفسي » ، وبما يتفق ومستوى عالي

قلت : « يا بختك » .. محظوظ انت يا اليكترون ونحن التعساء ! ... ولكن ، قل لي بربك : كيف جاءت الازمة وزالت ؟

قال : اننا دائما نتعرض للازمات من نفس نكرتنا

قلت مقاطعا : تماما مثلنا .. فربما

عندما تتعرض الاليكترونات في مساراتها تحت « مركز قوى » المجالات المغناطيسية والكهربائية فانها تثور او تهتز لتطلق طاقاتها الزائدة على هيئة موجات كهرومغناطيسية تستقبلها اجهزة خاصة وتعرف اخبارها ..



كانت ازماتنا ايضا من نفس تكويننـــا وسلوكنا ومشاعرنا

قال : لا تقاطعني .. فنحن جسيمات مادية قد تتحول الى طاقات او موجات .. الن لهناك عالم المادة وعالم الموجة

.. انهما وجهان لشيء واحد .. هذا من صنف ذاك ، وان اختلفت الظواهر بين مادة وموجة .. فاحيانا ما تتجســـد

الموجات الكهرومغناطيسية على هيئــة جســيمات وقد تتخلى الجسيمات عن تجسيدها ؛ فتتحول الى موجات .. الى

طاقات ، تنطلق في الكون على هيئــة باقات او طرود او كميات محـــددة من الطاقة دقيقة غاية الدقة

وهذه تتسلط علينا ليل نهار .. الم اقل لك ان ما يحل بنا من ازمات انمـا

يأتينا من نفس تكويننــــــا ! .. من انفســنا ! ! .. ومع ذلك فبمقدورنا أن

نغير الاوضاع ، فنتخلص مما حل بنا في كياننا من ضنك ونكد .. ولكن لا بد أن

نعلم أن كل هذا تحكمه قوانين كونيــة دقيقة ، لا يأتيها الباطل من بين أيديها

ولا من خلفها .. ونحن نطيع هـــذه القوانين .. لا فوضى ولا استثناءات .. بل النظام .. النظام !

قلت : وبما ليتنا نحترم قوانينـــا وانظمتنا ، ونغير ما بأنفسنا ، عنـــدئذ

يحترمنا من في الارض ، ومن في السماء .. والان أخبرنا يا اليكترون ، كيف تخرج من ضنكك الى فرجك ؟

قال : عندما تتعرض الذرات للنيران او الموجات الكهرومغناطيســـــية او

الاشعاعات او اية صورة اخـــرى من الطاقات ، فاننا نستقبل هذا البلاء ونحن

ندور في مدارات محددة لا نحيد عنهــا ولا نميل ، ولكننا بما حملنا رغما عنا ،

لا نستطيع ان ندور في مداراتنـــا التي رسمت لنا ، وكأنما هذه المدارات قـــد

ضاقت علينا رحابها .. تماما كما يقـول شاعركم :

ثورة الالكترون في ذرة

ضاقت فلما استحكمت حلقــاتها

فرجت وكنت اظنها لا تفـــــرج

ومن أجل هذا كان لا بد من مخرج من هذا المأزق .. وعلينا أن نقفز بمـا

حملنا الى مدارات جديدة أوسع وأفسح .. كلما كانت الطاقات كبيــرة ، كانت الاثارة شديدة ، والمدارات التي رسمت

لنا لندور فيها واسعة فسيحة .. وهكذا نهاجر بضنكنا من مدار الى مدار في قفزات سريعة ، وفي الهجرة راحة من ازماتنـا

.. تماما كما يعبر قرآنكم من ذلك « الم تكن ارض الله واسعة فتهاجــــروا فيها » ؟ !

الا أننا دائما ما يأتينا الحنــين الى مداراتنا التي نشأنا فيها ، وفي لحظــة خاطفة نقفز من المدارات العليا الى حيثما كنا .. الى مدارات ذات مستوى منخفض

من الطاقة ، وبهذه القفزة السريعـــة نتخلص مما أثقل كاهلنا على هيئة باقة جد دقيقة من الطاقة ، تنطلق على هيئة موجة كهرومغناطيسية تجري في الكـــون

بسرعة الضوء « ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية الواحدة ؟ » ويمثل هذه الاثارة ،

ثم الثورة على أوضاعنا النكدة التي نتعرض لها ، نغير ما حل بنا .. لعل يحدث نفس الشيء في عالمكم ؟

قلت : ان عالمنا يختلف عن عالمكم .. فقد نثور على الضنك والنكد بالصياح او الهتاف،او السباب او الضرب احيانا ،

او القوة احيانا اخرى ، او قد نستسلم ونسلم امرنا الى الله .. وهذا اضعف الايمان ، وهنا يكون الركود ، وتكون الطامة !

قال : غريبة اموركم

قلت : أقرب مما تتصور ، ومع ذلك فهناك حالات قلالة تشبه الى حد ما حالتك وحالة مداراتك التى تقفز منها

واليها لكى تستريح .. مثل حالتك كمثل حالة انسان يئس من الحياة ، فتراه يصعد درجا ، ثم يلقى بنفسه من اعلى الى اسفل .. كلما كان الارتفاع شديدا ،

كانت الرطمة بالارض رهيبة ، وعندئذ قد تتهشم عظامه ، وتخرج روحه ، وبهذا

يستريح من غمه وتكده ومشاكله الى الابد بالانتحار .. الا انكم انتم معشر الاليكترونات ..

وهنا يقاطعنى الاليكترون قائلا : ولكننا لا ننتحر ولا نتهشم ولا تخرج لنا روح ، بل تخرج منا الطـــاقة الزائدة التى

حملناها حملا ثقيلا ، وبهذا نستريح من الغمة ، الى ان تاتينا غمة جديدة ؛

فنثار ونثور ونهاجر ونرتفع ونسقط .. وهكذا دواليك

قلت : انها الان لعبة اليكترونية بسيطة وفعالة لتخرجوا بها من ضنككم الى فرجكم

قال : قد تكون ، وقد لا تكون ،

ولكن لا بد ان تعلم ان هذا الامر تحكمه معادلات وقوانين كونية جد رائعة ، ولتعلم

ايضا انه لولا هذه العمليات ، لاحترق كوكبكم ، ولما قامت لكم على الارض قائمة

قلت : نعم .. اعلم ذلك

قال : ما دمت تعلم .. الان ، فالسلام عليك الى حين .. « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » !

قلت : صدقت .. وعليك السلام ، وليباركك الله فى رسالتك

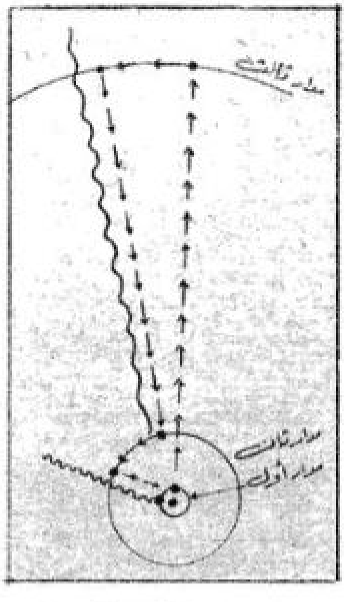
* * *

والواقع ان ما تتعرض له الاليكترونات فى مداراتها من الذرة ، فتترجمها على هيئة موجات او اشعاعات شتى ، انما

تحكى لنا فصلا شيقا من فصل الكون الذى بدأ العلماء ارتياده فى ذرة منذ

اكثر من ٧٥ عاماً .. ولقد عرفوا ان اليكترونات الذرة تطلق اشعاعاتها بين

الحين والحين ، وقالوا : ان الاليكترونات فى دورانها حول انويتها فى مدارات تطلق الموجات .. ولكن لا شىء يأتى من لا شىء ،



عندما يتعرض الاليكترون لموجة على هيئة طاقة فانه يتحملها ويقفز بها الى مدارات اوسع ثم يقفز عائدا الى مكانه ويتخلص منها كـ الفـل كاهله . . .

ثورة الكترون في ذرة

بمعنى أن الالكترون اذا أطلق صرخة ، فانه ولا شك سيتخلى عن جزء من طاقته التى بها يدور ، ولو فعل ذلك دون سبب ظاهر او باطن ، فلا شك أن هذا سيؤدى الى انهيار الكون ، لان أساس الكون ذرات .. وحول نوى الذرات تطوف

الالكترونات بمعدل ٧٠٠٠ مليون مليون دورة في الثانية الواحدة !! .. ولو لم تفعل ، لجذبتها النوى .. تماما كما لو تخيلنا ان كواكب المجموعة الشمسية قد توقفت عن الدوران حول شمسنا ، عندئذ

ستجذبها الشمس جذبا شـديدا ، لتضيع وتضيع في اتونها ، وهنا ستنهار المجموعة الشمسية كمالة دوارة لهـا كيانها .. ولهذا كان لا بد للالكترونات

ان تدور حول النوى ، وكان لا بـد للكواكب ان تدور حول الشمس .. وطاقة الدوران هي التى تعطيها قوة طاردة تعادل تماما قوة جذب النوى والشمس ، وكل هذا يسرى بحساب ومقـدار .. « وكل في فلك يسبحون »

لا يمكن للالكترونات اذن ان تتخلص من طاقتها التى بهـا تدور ، ولو فعلت

لفقدت ورهنت ولجذبتها النواة في اقل من جزء من مائة مليون جـزء من الثانية ! .. وبهذا تنهار الـذرة التى تدخل في تكوين الحى والجامد !

ولكن .. لماذا تثار الالكترونات ، لتطلق الاشعاعات ؟ .. ثم من أين تأتى الاثارة لتثور وتقفز ؟

الواقع ان هناك نواميس ثابتـة ، وقوانين متقنة ، تطيعهـا الالكترونات في بنائها الذرى .. وهـذه نلخصها فيما يلى :

● للالكترونات مدارات محددة قدر لها أن تدور فيها ، فلا تحيد عنهـا ولا تميل

● ممنوع منعا باتا ان تطـلق الالكترونات وهي تدور حول انويتهـا اية كمية من الطاقة .. واذا خالفت ذلك كانت الكارثة

● في حالة ما اذا تعرض الالكترون لاية اثارة خارجية تأتيه على هيئـة ومضات جد دقيقة من الطاقة ، كالحرارة أو الاشعاعات أو وجوده في مجـالات كهرومغناطيسية ، فعليه أن يتقبـل ذلك كجزء من القضاء والقدر ، ومن هنا تنبثق مسألة الجبر والاختيـار على مستوى الاحداث الذرية ، ونشأت منهـا مدارس فكرية لا مجال لمناقشتها هنا ،

● ان المدار الذى يدور فيـه كل الكترون له مستوى محدد من الطاقة ، فاذا تقبل الالكترون طاقة زائدة فعليـه ان يهجر هذا المدار الى مدار أوسـع يتناسب مع مستوى طاقته الجديدة التى حملها حملا

● على الالكترون الذى هاجـر ان يعود الى موطنه في فترة سريعة ، وبهذه الفترة يتخلص من الطـاقة الزائدة .. وبهذا تعود الامور الى الاستقرار

● لو ان الالكترونات قد عصت هذه الاحكام الكونية ، لفسد الكون .. ويكفى أن نشير هنا الى حقيقة بسيطة

فنحن نستقبل من الشمس والنجوم سيلا من الموجات التى تنساب على هيئة طاقات .. ضوئية وحرارية واخرى غير منظورة .. ولو احتفظت الالـكترونات

بما حملت ، فان ذلك سيؤدى حتما الى ارتفاع درجة الحرارة ويكون الجحيم .. ولكن الالكترونات تتقبل هذا الوباء ، تثور ، وكأنما هي تثور على هذا الفلك ، فتهاجر الى مدارات اوسع ، ثم تقفز عائدة الى مداراتها الاولى ، وتتخلص مما حملت على هيئة موجات كهرومغناطيسية فلقد تقبلت الالكترونات في ذرات الحديد موجات الحرارة ، ولكن لا بد للحديد أن يبرد ويظلم ، وما برودته واظلامه الا نتيجة لاشعاع موجات حرارية وضوئية خرجت من الالكترونات بعد أن عادت الى مداراتها الاولى

ولا شك اننا نسمع ليل نهار مذيعي الاذاعة وهم يرشدوننا الى اذاعة برامجهم على موجات قصيرة ومتوسطة وطويلة ، وشرح ذلك — بطبيعة الحال — يطول ، الا انه يكفى أن نقول ان الالكترونات تثار بطاقات ومجالات كهرومغناطيسية ، فتتذبذب في مداراتها ، وما الذبذبات الا نتيجة لطاقات حملتها ، ولا بد ان تتخلص منها على هيئة موجات .. كلما قصرت الموجة ، فان ذلك يعنى « شنكا » الكترونيا أشد ، وبهذا اصبحت الموجات هي التعبير الوحيد الذى تعبر به الالكترونات عما حل بها من حالات

والصورة التي نراها على « شاشات » التليفزيون ، انما تتكون بتحرير الالكترونات ثم دفعها بقوة لتصطدم بعنف على الشاشة ، لتتخلص من طاقاتها — التي كانت بها تجرى — على هيئة ومضات ضوئية تنتقل الى عيوننا فنرى بها الصورة

ومن اعماق الكون تأتينا موجات شتى ، وبهذه الموجات نستطيع أن نحدد عناصر الشمس والنجوم ، وما في الفضاء البعيد من « سحب » بلازمية « ذرات وجسيمات مكهربة » و « غبار » كوني ، وكذلك الحالات التي تتواجد عليها هذه العناصر .. فلكل عنصر طيف خاص به ، كما ان لكل انسان بصمة خاصة به ، وكأنما الالكترونات التى تدور حول نوى الذرات في الكون تذيع علينا انباءها بموجات يبثها من ابعاد تقدر بملايين الملايين من الاميال ، وشدة الموجة أو قصرها أو طولها توضح لنا حالة الذرة ، وكأنما كل موجة بمثابة تعبير صادق عن الضنك الذى تتعرض له الالكترونات في مداراتها ، مثلها في ذلك كمثل انسان له أنين ، ويتفجر أنينه ، يكون ضنكه أو مرضه أو نكده .. هذه صورة ، وتلك أخرى !

وموضوع عالم الالكترونات بعد ذلك طويل جدا ، وله مجالات وتطبيقات لانكاد نحصيها عدا ، ولكن الذى يعنينا هنا أن الالكترون هو احد مكونات الذرة .. والذرة هي الوحدة التي تكون المادة .. والمادة ليست جامدة ولا ميتة ، بل هي تتعرض دائما لضنك ونكد ، ولكنها لا تستسلم ولا تتهاون ، بل نراها تثور فتثور بموجات شتى ، وكأنما الموجات بمثابة « لغة » تعبر بها الالكترونات عن حالتها التي تتواجد عليها في الارض والسماوات ، ولا يفهم هذه اللغة السرية الا نفر من العلماء يقبعون امام اجهزتهم التي تترجم لهم بصدق ما يحتاج اليه هذا الكيان الدقيق من « لمسات » أو ثورات أو ذبذبات ، ليتخلص بها مما يثقل كاهله في عالم صراعه الأبدى ، ودفعه الأزلى .. وكل ما لبه يعبر عما يحل به من ازمات بالطريقة التي تتناسب وطبيعته .. ولكن الاساس واحد ، وان اختلفت الرسائل والصور والمظاهر !

وملخص القول — على مستوى عالم الالكترون — نقول : ان هناك دائما الثارة ، فثورة ، فتغير في المدارات او الاوضاع .. فتعبير عن ذلك باشعاع ، ولولا ذلك لفسد الكون .. ووقف التفاعل فلابد من حرية في الحركة ، ومجال في التعبير بما يتناسب وتكوينه . . .


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

الهلال من ٧٥ سنة

جمعية الإبتهاج الادبي بالاسكندرية

احتفلت هذه الجمعية باحيـاء الليلة العاشرة من سنتها الثـانية لمثلث في اواخر العام الماضي رواية «عاقبة الحسد» فأجاد الشخصون اجادة اوجبت تصفيق الحضـور العديدين واستحسانهم وقد خرجوا يثنون على مالاقوه من الحفاوة ولطف المستقبلين.

مدرسة الصحافة

اصبحت الصحافة (مهنة الجرائد) في اوربا علما مستقلا يتعلمه الناس في المدارس كسائر العلوم او الصنائع الاخرى واول مدرسـة باشرت تعليم هذا العلم بصفة رسمية المدرسـة الكاثوليكية فأفردت مكانا منها لتدريس هذا العلم في ليل بشمالي فرنسا . ومن اعظم أساتذة الصحافة هناك الموسيو أرجين احد محرري جريدة البوليفير الباريسية

التصوير الشمسي تحت الماء

اخترع احد المصورين الفرنساويين آلة حديثة لاستحضار النور الشديد اللازم للتصوير الشمسي تحت الماء وصور بها قاع البحر المتوسط في اماكن عديدة فكانت الصور واضحة جلية كأنها صورت بنور الشمس واما والآلة عبارة عن زجاجة تملأ بغاز الاوكسجين وتوضع بها آلة الانارة بالكحول فاذا وصلت آلة الكحول للمكان المعد للتصوير وضبطت آلة التصوير اديرت آلة الكحول وذر عليها مسحوق المنغنيسيوم ذرا فتنير نورا شديدا جدا

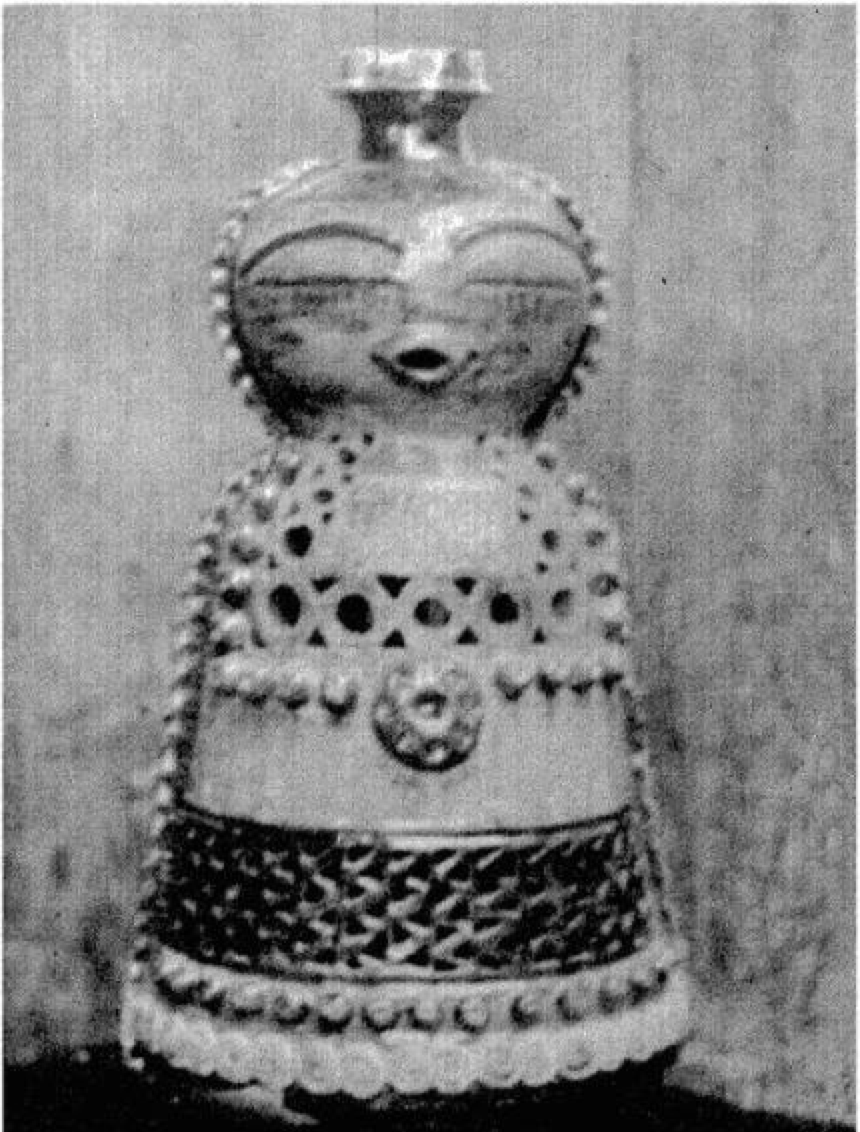
● الغلاف الأول والأخير ●

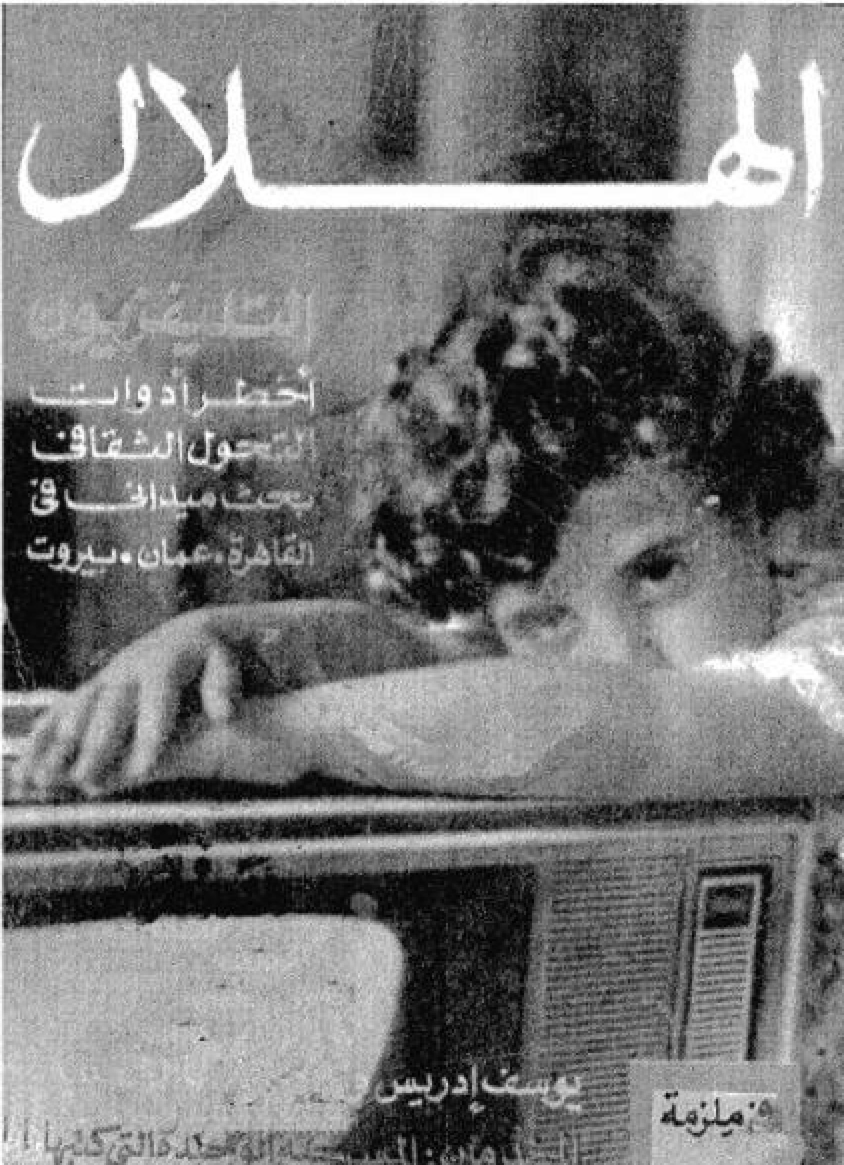


ذات القبعة السـوداء . . للفنـان رينوار . .



عروسة شمعدان « خزف » .. السـيد زكي محمد . .




الهلال
أخطر أدوات
التحول الثقافي
بحث ميداني في
القاهرة . عمان . بيروت
يوسف إدريس
أبو الزجل المصري
ملزمة
المسرح

الهلال

أغسطس ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثامن السنة التاسعة والسبعون – اول اغسطس ١٩٧١ – ١٠ جمادى الآخرة ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة :
يوسف السباعي

رئيس التحرير :
الدكتور على الراعي

الاشتراكات

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر أنحاء العالم « ونصف دولارات او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى « ج.ع.م » – والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

اول فيلم بوليفي يغزو العالم



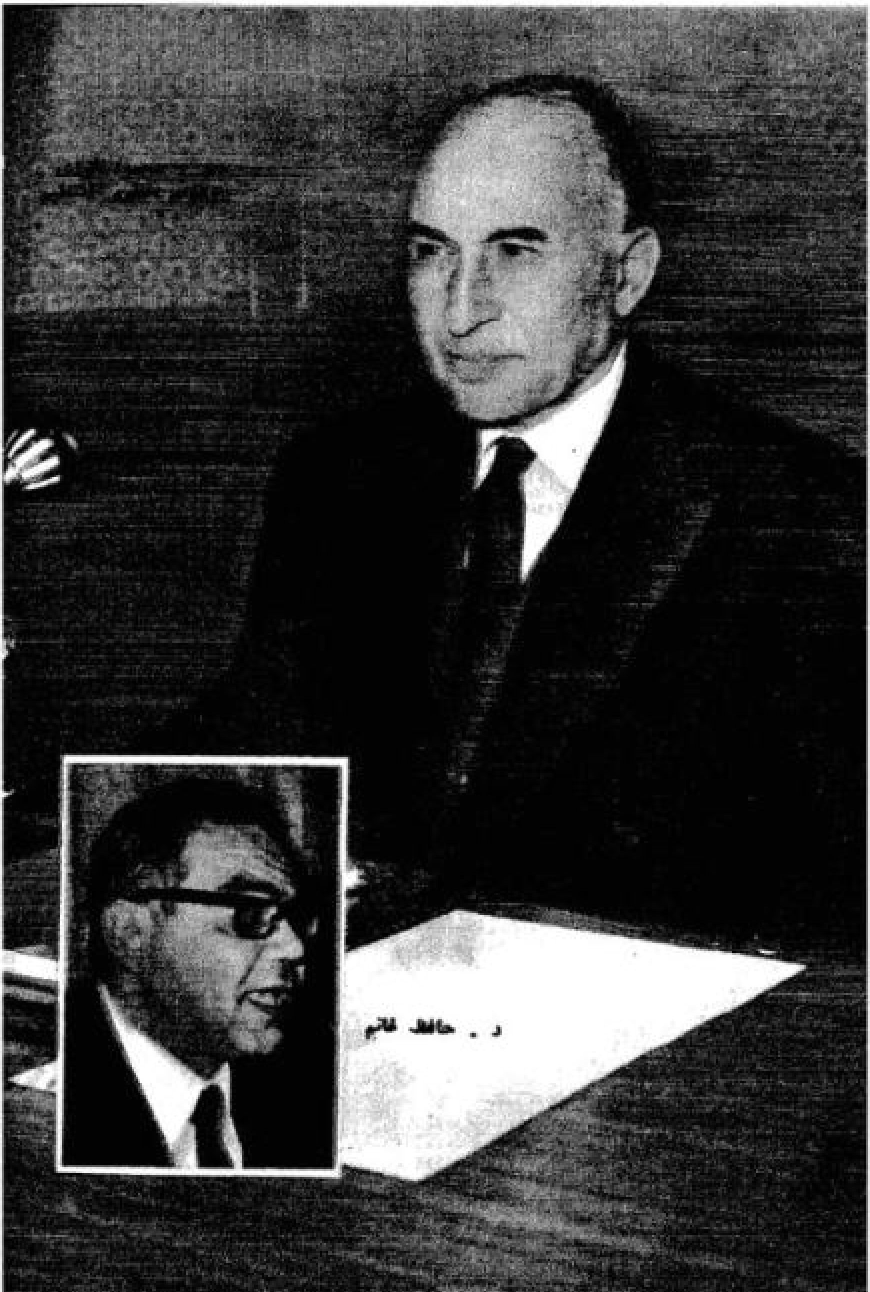


يوسف ادريس والكوميديا الشعبية



التليفزيون والتغير الثقافي

في هذا العدد


د . حافظ غانم

د. سهير القلماوي

كلما فكرت فى حالة التعليم الاساسى فى مصر ذكرت اغنية كانت شائعة منذ سنين تقول « النبات جف والحيوانات ماتت والقصر يحترق وفيما عدا ذلك سيدتى المركيزة ، فان كل شىء على ما يرام على غير ما يرام »

ليس تطويرا بل ثورة فى التعليم

نعم نحن لدلينا (؟) كالنعام عندما نظن ان التعليم محتاج الى تطوير او الى اصلاح لانه محتاج الى ثورة حقة . كيف يمكن ان

اتصور ان الامور يمكن ان تستمر والامية تزداد ، ونسبة الامية مخيفة ، والاحصاءات مهما كانت مختلفة احيانا فهى تتطبق على الاقل بان اكثر من ٦٧ ٪ منا اميون وبان نسبة التسرب من المدرسة فى اولى مراحل التدريس تصل الى اكثر من خمسين بالمائة ..

ان اى تخطيط لا يستهدف تلافى هذه الحالة فورا على اساس برنامج زمنى صارم وحازم معناه اننا نظن ان قشرة من المتعلمين يمكن فى العصر الحديث ان تقفز بامة من حال التخلف الى التقدم بقدرة قادر !

ولقد مرت بلاد كثيرة قبلنا بمشكلة محو الامية وهناك نسبة عالمية تقول ان الارتفاع بنسبة التعليم من ٥٠ ٪ الى ١٠٠ ٪ كانت تحتاج فى المتوسط عند

الدول المتخلفة او النامية الى ثلاثين سنة ولكنها اصبحت تحتاج الى عشر سنوات ويمكن بعوامل اخرى مؤثرة مثل قلة

السكان الخ .. ان تختصر المدة الى اقل من ذلك . ولا اطمع ان نقضى على الامية فى مصر فى خمس سنوات كما فعلت روسيا فى فجر ثورتها ولا فى سنة كما فعلت كوبا

•

ليس تطويرا بل ثورة في التعليم

في سنة ١٩٦٤ واذا اطمع ، ومن حق كل مصري أن يطمع ، في أن نخطط الموضوع على أساس دراسة فعلية لا تستغرق بضعة اشهر ، بحيث نعرف متى يمكن أن نقضي على هذا المعوق الاخير لاي تقدم في أي ميدان . لا بد من معرفة عدد الأميين في كل حي وفي كل قرية ، والظروف المتاحة لمحو الأمية في كل حي وقرية وامكانية الثورة في أن تمد هذه الامكانية بحيث نستطيع عن درس من أن نقول اننا لو فعلنا كذا محونا الأمية في عشرة اعوام ولو افعلنا كذا لمحوناها في خمسة وهكذا . ثم نتقدم بالبرنامج الكامل لاتخاذه من سلطة الشعب والدولة والتزم بتنفيذه على مراحله ونحاسب عليها اولا بأول وتكون هذه العملية هي الاساس الذي نحاسب عليه الجهاز التنفيذي كله .

ولا يمكن أن نفرق هذه العملية بعيدة عن فكرنا السياسي . ان الحرية والديمقراطية والاشتراكية وكل شعارات الدنيا مهما كان جلالها وجمالها وجدها لا بد أن تتحطم على صخرة الأمية . لا بد أن يكون الجهاد في محو الأمية جهادا سياسيا ثوريا ولنتخذ « لنسقط الأمية » شعارا سياسيا فلا نقول محو الأمية حتى نشعر اننا نحارب حربا مقدسة ضد اعتى الاعداء وأشدهم بنا بطشا وشراسة .

وتأتي بعد هذا الاساس الى التعليم القائم بالفعل لنرى انه يحتاج الى ثورة لا الى اصلاح أو تطوير . ان الذي يجري في العالم من حولنا في واد ونحن في واد آخر . نكتفي بأننا نواجه مشكلة الكم والصرف الكثافة وقلة المعلمين وسوء حالهم أجرا واستعدادا ونظن اننا انما نحن مثل غيرنا نواجه مشاكل متشابهة بينما الحقيقة غير ذلك اصلا .

ان طلاب المرحلة الثانوية العامة في فرنسا مثلا أكثر من مدارسها ومعلميها مرات ومرات . والمدرسة التي كانت تسع خمسمائة طالب تسع الآن ستة أضعاف هذا العدد . ولقد تقدم لشهادة البكالوريا ــ أي نهاية المرحلة الثانوية أو الليسيه ــ هذا العام ٢٧٢٠٠٠ طالب جاءوا من ١٢٥٨ مدرسة ثانوية . ولكن هؤلاء الطلاب قبل الامتحان احتشد منهم خمسة عشر الفا في الحي اللاتيني في شارع سان ميشيل وأضربوا سبع ساعات احتجاجا على أحوال التعليم . ونقول كالعادة حمدا لله طلابنا أحسن خلقا ! لا يا سادة! طلابنا مختلفون لمشكلة عدم وجود تعليم اصلا فكيف يفكرون في تحسين التعليم . يقول وزير معارف فرنسا في هذا الصدد ان اربعة اخماس المعلومات التي يحتاج اليها الفرد في حياته كان يتلقاها تلميذ في المدرسة اما اليوم فان ما يتلقاه في المدرسة لا يجاوز خمسها يحتاج اليه والتفكر ووسائل الاعلام والثقافة وديمقراطية السياسة والسياحة وغيرها في امداد الطالب باربعة اخماس ما يحتاج اليه فعلا في حياته . هذا الخمس الباقي لا بد ان نفكر ماذا هو وماذا يمكن ان يكون لانه الاساسي .

ويقول « ريمون آرون » ان سلطة الماضي في التعليم قد تحطمت وسلطة الغد لم تولد بعد . والتعليم اليوم لا يجد لنفسه سلطانا على نفوس الطلاب لانه لم يتكيف بعد بالشكل او القدر اللازمين . ويقول الطلبة للغد « بلغ السيل الزبى »

ونحن لا نعترف بالعلم على ما هو عليه الآن ولا بالعلم الذي يلقننا اياه ويرمزون في ذلك بتعبير طريف يقولون ان قانون الليسيه اي مدرسة مراحل ما قبل الجامعة هو : مادة اولى : المعلم دائما على حق . مادة ثانية : اذا اخطأ المعلم فطبق المادة الاولى عليه .

هذه الثورة تدل على ان شيئا جديدا يستجد في هذا الميدان ويشغل به كل الاطراف المعنية . ان التعليم الحديث يواجه مشكلة التقدم الاهل في ميدان الاكتشاف والتطبيق التكنولوجي فكيف يؤقلم التعليم على ذلك . كيف يمكن تغير فلسفة التعليم ذاتها واهدافه

وبالتالي وسائله وطرقه وعقلية العاملين في حقله . وفي الدول النامية بالذات مشكلات جسام اولها ميزانية التعليم ان

وزير تعليم فرنسا اوليفر جيشار يصيح فرحا لان ميزانية التعليم منذ سنة ١٩٦٥ تفوق لاول مرة هذا العام ميزانية

الدفاع القومي . فهل تستطيع الدول النامية المهددة في استقلالها تهديدات تصل الى احتلال جزء من الارض ان تأمل في ان تكون ميزانية التعليم حتى

نصف ميزانية الدفاع القومي . طبعا لا يمكن . ومع ذلك فاننا في مصر ورغم ضغط متطلبات المعركة قد ظفرنا بمائة مليون وعشرة ملايين ميزانية مخصصة

للتعليم وهو مبلغ لا شك يتيح كثيرا جدا مما نصبو اليه لو اننا فعلا خططنا لانفاقه في ضوء العصر ودراسات العصر حول مشكلات التعليم في الدول النامية بالذات .

من اهم المشكلات الاختلاف بين وجهة نظر الاقتصاديين والسياسيين حول سياسة التعليم ثم بين هؤلاء مجتمعين وبين رجال التعليم او المثقفين عامة .

ذلك ان الاقتصاديين يرون توسيع قمة الهرم لاحتياج اقتصاد البلاد الى عدد يتزايد من الفنيين ولكنه لا يزال يمثل قمة الهرم . بينما السياسيون يرون

توسيع القاعدة لان العلم حق ديمقراطي لكل فرد في الدولة . والخلاف بين الفريقين حاد جدا . فالسياسيون يرون المواطن المحروم من العلم بسبب طول

الاستعمار من حقه ان يتعلم باعداد يجب ان تستوعب الجميع . والاقتصاديون يرون ان هذا الجهد والانفاق اولى ان يبذل في القمة لبناء الدولة اقتصاديا اولا ثم يكون تعليم الجميع امرا ميسورا وسهلا بعد ذلك .

ولا نناقش حق المواطن في التعليم فهذا حق بديهي ولكننا نناقش نوع هذا الحق وهذا اساس التخطيط السليم . هل من حق المواطن ان يتعلم اي تعليم . ان الحق الديمقراطي معناه حق متكافىء متساو ولكن ليس معناه انه هو هو .

والى جانب الحق الديمقراطي تتساوى الامر وهو الحق الانساني . حق تنمية القدرات العقلية والشخصية والثقافية التي من دونها يصبح الحق الاول مجرد شكل اجوف . ان الكتابة والقراءة

والحساب وهي ما تسمى « بالراءات الثلاثة » لوجود حرف « الراء » في اللغة الانجليزية في كلماتها الثلاث ان هي الا واحد ؛ واحد فقط من خمسة اهداف

او ستة هي اهداف التعليم الاساسية . ولا نجد دولة تخطط للتعليم تجعل هذه المجموعة (الكتابة والقراءة والحساب) على رأس اهداف التعليم انها هدف

ثالث على احسن التقدير . هناك اهداف اهم فمثلا في تخطيط شبه دولي تحدد الاهداف الستة للتعليم على الوجه التالي : التكيف الاجتماعي ، المعارف الضرورية عن العالم الطبيعي جوهرية

ووظيفية ، قدرة فهم التراث القومي والعالمي ، رابعا ادوات عقلية هي القراءة والكتابة والحساب ولا يضاف اليها المنطق وقدرة التحليل في مراحل متقدمة ثم الثقافة . والهدف الخامس تدريب الجسم والعقل (التذوق) اما السادس والاخير فهو اتقان مهارة متخصصة للعمل .

من هنا نرى ان حق المواطن الديمقراطي لا بد ان يتيح له تحقيق هذه الاهداف بشكل او بآخر في نوع او في آخر من انواع المدارس . وليس حتما ان تكون كل المدارس على شاكلة واحدة مؤدية الى ان يكون الحق هو هو . انه حق متكافىء ولكنه مختلف .

ترى لو استطعنا ان نجد التطبيق العملي او التخطيط للوصول الى التطبيق العملي لتحقيق هذا الحق المتكافىء لا المتماثل كم ذا نحتاج الى جهد مخلص ! اننا لن نحتاج الى وقت ولن نحتاج الى مال اكثر ولكننا نحتاج الى

ليس تطويرا بل ثورة في التعليم

دراسة الواقع في مدارس المرحلة الاولى لنرى كيف نستطيع ان نحقق هذه الاهداف . وهل لا بد من مبنى معين بأوصاف معينة لتحقيق هذا الهدف . وهل يمكن تغيير شهور الدراسة في بعض المناطق والاستفادة من ملاءمة الطقس ثلاثة ارباع السنة للتعليم في الهواء الطلق . لا بد من ان نؤمن أن تغيير انماط التعليم والزامه ومواعيده ومبانيه مسألة حتمية . يكفي أن يجتمع الطلاب حول غايات معينة لتكفل نوعا من التجانس المطلوب في أبناء الامة الواحدة .

يظل بعد ذلك السؤال بماذا نبدأ ؟ بتوسيع القمة لتوسيع القاعدة فيما بعد أم لا بد من توسيع القاعدة اولا .. والذي اراه ان الامرين لا بد أن يسيرا معا فلن ينتظرنا الزمن اكثر مما انتظر

اذا فرطنا في حق الامة في النماء بواسطة وجود القاعدة الشاملة والقمة المرتفعة في آن واحد . والامر فيما أرى أيضا لا يحتاج الى مال بقدر ما يحتاج الى انفتاح الأذهان وتقبل التجارب الجديدة .

اما الاختلاف بين السياسيين والاقتصاديين من جهة وبين رجال التعليم والمثقفين عادة فهو في صلب مواد التعليم .

هو اختلاف لبابه السانية المواد ام نوعيتها ؟ اتقان الحرفة ام صقل الذات ؟ مهارة العمل أم القدرة على التعبير عن الذات الانسانية كهدف اساسي ورئيسي للتعليم في أولى مراحله . ويرجع بعض علماء النفس أزمات الشباب في هذا العصر الى هذه الحقيقة ، وهو ان

هذا الشباب لم يجد فرصته الحقة للتعبير عن ذاته في طور الطفولة فهو يخرج شابا تعويضا عن كبت الكلام في الطفولة . والتعبير عن الذات بالكلام بالحركة بالرسم بالنغم بأي شيء لا بد أن يدخل عنصرا اساسيا في مراحل التعليم الاولى .

ان تخطيط التعليم في اكثر البلاد النامية لا يزال مرتكزا على ما تركه وراءه الاستعمار من أسس ليس هدفها خير الامة واتاحة الفرصة امامها لتقوم بدورها في القافلة الانسانية الكبرى . هذه الاسس لم تزلزل من جذورها بعد . ومن ناحية اخرى تهجم حقيقة على الدول النامية والمتقدمة على السواء وهي تغير وظيفة المدرسة تغيرا جذريا .

ان المدارس المهنية الآن مثلا يهتز كيانها اهتزازا قويا . ان الدارسين لمشاكل التعليم يرون الغاءها الغاء تاما . التطبيق يتطور من يوم الى يوم وتعليم الحرفة يستغرق وقتا والمدرسة عاجزة بمواردها أن تغير طرق تعليم الحرفة بالسرعة المطلوبة . المصانع وحدها هي التي تستطيع أن تغير وسائل الاداء وطرقه ولها

الامكانيات والى جانب الامكانيات لها أيضا العمالة المدربة الى حد ما التي تستطيع أن تتقبل التكنيك الجديد وتفهمه . من هنا يأتي دور التدريب الخطير الذي يجب أن يصب في ميزانيته كل ما يصب الآن فيما يسمى المدارس

المهنية أو المدارس الحرفية . أما الاصول الاساسية في أبسط صورها لهذه الحرف والمهارات فانها لا بد أن تضم الى التعليم العام . ومن هنا الاتجاه العام دوليا الى المدرسة الموحدة المتكاملة التي تضم الجزء النظري والجزء العملي من التعليم في مبنى واحد أو في وحدة واحدة . لو درسنا هذه التجارب

واطلعنا على تطبيقاتها اظن حسبما قرأت واعترف بعدم الاختصاص ؛ أننا يمكن أن نقتصد في هذا لا أن نحتاج الى مزيد انفاق . فالمدرسة الحرفية مكلفة ولكن الاقسام التي لا تدرس الا الاسس والاسس فقط يمكن ان تكون اقل تكلفة وخاصة ان اكثر من حرفة ستتوحد في أسسها الواجب تعليمها .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الحق المتكافئ يتطلب هذا . فالطالب من حقه أن يعد للحياة أعدادا شاملا متكاملا ثم يختار في مرحلة متأخرة ما قد أعده الله له . وما دامت العبقرية بلوجاتها المختلفة ستظل لغزا الى زمان طويل فيما يؤكد الدارسون والعلماء فلا بد من توسيع القاعدة توسيعا شاملا حتى لا تنكب عبقرية في أى ميدان فلا تجد لنفسها سبيل الظهور ثم العطاء

.. كم من المواهب تقتل بسبب التوجيه غير السليم في مراحل مبكرة من العمر وكم من الطاقات تعطل في عملية فرض تعليم نظرى بحت على من لا يستطيع ذلك وهو أن وجه الى الناحية اليدوية العملية كان خير عنصر وخير انسان لنفسه ولوطنه .

والمدرسة المتكاملة تتكامل على حساب ضغط شديد في المواد النظرية . الاسس والاسس فقط هي المطلوبة . ولا يمكن أن يؤدى ذلك الى نقص سنوات التعليم لان المدة يجب أن تملأ بما لا بد للانسان منه من أهداف التعليم التي ذكرناها . ان الوقت سيكون أقل مما هو مطلوب دائما أما تكاليف التلميذ في الحالتين فلن تكون أكثر . ان تكاليف التلميذ الواحد على الدولة يجب أن ترتفع عشرات المرات .. ففي امريكا مثلا كان التلميذ في المراحل الاولى في سنة ١٨٩٠ يتكلف اربعة عشر دولارا .. وهو سنة

التعليم الصناعي وتقبل التكنيك الجديد والمهنة



ليس تطويرا بل ثورة في التعليم

١٩٦٦ يتكلف ستمائة واثنين وعشرين دولارا . هذه نسبة خرافية في بلد فتي تعلم اسباب غناه ولكني اسوق هذا المثل لأقول ان التلميذ يجب ان يتكلف عشرات المرات ما كان يتكلفه او ما يتكلفه فعلا الآن . سواء امنا بالعقوبة الكاملة ام لم نؤمن .

ان انخفاض مستوى التعليم الذى يجعل التلميذ يدفع اضعاف اضعاف ما كان يدفعه ايام كان التعليم بمصروفات في باب الدروس الخصوصية بشتى انواعها حتى في مراحل التعليم الاول ليجعلنا نقف حيارى مشدوهين . اصبح التعليم مجانا في بلدنا . اصبحنا نتعلم الابناء شيئا ، أي شيء ، في المدرسة . واقتصاديا ، ولست خبيرة في الاقتصاد ، أرى ان أي مبلغ لا يعود بمثله انما هو تبذير واسراف . فالانفاق على المدارس الآن تبذير ما دام لا يؤدى الغاية منه .

ان ميزانية وزارة التربية والتعليم لو رتبت اثمانها على اساس ما يجب ان يتكلفه التلميذ في مراحل التعليم، ابتدائي، اعدادي ،ثانوي ، لايمكن ان تكون قليلة . كم عندنا من الابناء في هذه المرحلة الاساسية وهل يمكن ان يكونوا اكثر من خمسة ملايين بأي حال . ما نصيب كل فرد من مائة واحد عشر مليونا لو قسمت الميزانية عليهم . وهل يتكلف التلميذ فعلا نصيبه من هذه الميزانية والا فليم تنفق . كم ذا ينفق في الامتحانات والكتب الرديئة !!

وتأتي الى محتوى التعليم نفسه . هل لنا فلسفة تعليمية او نظرية خاصة في التعليم . وهل بنيناها على اساس من تراثنا وقوميتنا وعقليتنا او اننا نقلد غيرنا ونأخذ نظريات جاهزة ونطبق ؟

سؤال اعجز عن الرد عليه الا بأني لا اعرف ان هناك نظرية او شبه نظرية .

والمواد القومية والتاريخ والجغرافيا والانسانيات عموما ما وضعها . معلومات جافة غير صحيحة يقصد بها في عصر التعليم بوسائل السمع والبصر ان تكون مجرد محفوظات يسمعها التلميذ الصغير على ورقة الامتحان ويدعو الله أن ينجح حتى لا يلقى عقاب الوالدين . اما في الحياة فانه لا يجد لها أي دور او نفع .

بينما هذه المواد الانسانية ضرورة حيوية لانسانية الانسان ضرورة لايجاد قدرته على التكيف الاجتماعي وهو اول هدف من اهداف التعليم دون منازع .

وتأتي مواد بعينها في مجتمعنا تستصرخ الخلاص من براثن التلقين الآلي مادة الدين . والدين لا بد أن يحتل مقام الصدارة في أية نظرية تعليمية . كيف يدرس وماذا يدرس منه ومن يدرسه .. اسئلة جوابها مؤسف في كل المواد ولكنها في مادة الدين اشد ايلاما واعمق أسى . ماذا يراد بالتلميذ الصغير آخر الامر ؟ والام يعد ؟ وماذا ننتظر منه بعد كل هذا ؟

وتتراوح هذه المسائل الجوهرية لتغرق في سوق الصحافة تحسب بالالكترون ما تحتاج اليه المصانع من قدرات ومهارات وتحاول أن تكون عصريين وتقدميين، ذلك في الاختيار ونحن نخطط لأزمة القبول في الجامعة . ولم نسأل انفسنا وماذا يحتاج هذا الانسان ليحيا انسانا قبل أن نسأل ماذا تحتاج اليه المصانع . ان المصانع يمكن ان يفرض عليها القانون ايجاد مدرسة مهنية ملحقة بها لاعداد العاملين لها . ولكننا لا يمكن الا ان نحمل المدرسة النظامية او المؤسسات التعليمية مهمة تلبية الحاجات الانسانية الاساسية حاجة الانسان لان يفكر مستقلا في تفكيره، حاجته أن يعرف نفسه ولحياته معنى وهدفا وقيما ، ان يعرف لماذا يعيش وما قيمة النعمة الكبرى نعمة الحياة .

ان تغيير الحياة كفيل بتغيير النظرة البالية حول قيمة العمل ومفهوم العمل وعندما نستطيع ان نوجد هذا الجيل سنراه هو الذى سيحطم اسسا بالية متعلقة بالتعليم . مثل الاحترام البالغ فيه للشهادة النظرية وجعلها وحدها المؤهل الرئيسى للعمل . ان تدفق الطلاب على الجامعة ليس حبا للعلم وانما سعيا وراء جواز سفر يدخلهم دنيا الوظيفة التى هى فى الواقع لقمة العيش . ان ابناء جيل ربى على غير ما يربى عليه ابناؤنا الان هم الذين سيحطمون قدسية الشهادة ويجعلون قدسية العمل تحتل مكانها . **ان قدسية القلم العمل لا الشهادة النظرية هى التى لا بد ان تكون الاساس فى فرص العمل ومدى انفتاحها او انغلاقها** . كيف يتم هذا التغيير ؟ بخلق الجنود الذين سيقودون الحرب المقدسة ضد كل ما لا نؤمن به ولا يزال يسود فى المجتمع من تقييم للشهادة النظرية .

وخرافة الامتحانات . وتدخل السياسة فى انجاح الطلاب طلبا لتفريغ امكنة لاستقبال اكبر عدد من الراغبين الجدد . ثم هدر كل جهد طوال العام لان عدد الطلاب كثير ، فمثلا فى هذه السوق المزدحمة يعرف زيدا من عبيد او من يميز من « عيشة » والله « عيشة » ومنها يخرج لنا طبيب يحمل امانة الارواح ومهندس وعالم وفيلسوف الخ . اعداد كبيرة نعم ولكن الاعداد الكبيرة تزداد كل عام والعلاج لا بديل له . مزيد من فرص التعليم ومزيد من تقليل قيمة الشهادة كمؤهل للوظيفة ومزيد من تداخل المواد والجمع بين مواد فى كلية ومواد فى كلية اخرى لتخرج التخصصات الجديدة المطلوبة وبعبارة اخرى مزيد من الحرية فى تأليف ما يمكن عند جمعه ان يكون شهادة جامعية ليتيح ذلك فرصا للاختيار وفرصا لخلق تجديدات فى التخصص .

اما الكتب والمكتبات واما المعامل فلها حديث لو تجوزه حقا .

ولا يفوتنى أن اقره ان بلدا مثل مالطة لا يعلم أبناءه ليخفضوا فى مالطة . ان التعليم فى مالطة للتصدير فهل يمكن ان يدخل فى اعتبارنا ونحن نحصى الحاجة او الاستيعاب فى الجامعة امكانية بناء سياسة لتصدير المعلمين والحرفيين والعمال المهرة الذين الى الان يسلمون زائدين على الحاجة . والمستقبل كفيل أن ينعش اقتصادنا لفتح مشروعات ومشروعات تسترد بها هذه الخبرات بعد أن تكون قد كسبت مرانا على الاقل لتخدم الوطن خدمة افضل . لا شك ان هذا يمكن ولكن بشرط الدراسة التى لا تجعل التفريط فى جهد تحتاج اليه بلادنا مهما يكن الثمن . وانى لاسترجع قوائم الاساتذة مثلا الذين يتدفقون للعمل فى الخليج فارى العجب ! خيرة الاساتذة هم الذين يسافرون لاننا نعجز عن دفع مرتبات تغريهم بالبقاء ولان ظروفنا التعليم نفسه عندنا مرهقة لهم . والنتيجة خسارة ابنائنا لامثالهم من المعلمين خسارة فادحة . ومثل ذلك فى الجامعة مشكلة

استنزاف العقول لصالح الاوفر مالا والاحسن ظروفا . أما من سبيل الى تدارك أخطارها . ان امما اقل منا احتياجا الى الكفاءات العليا لتوفرها بكثرة تصرخ من عملية الاستنزاف تلك ولا أرى المشكلة مثارة على قدر ثقلها وجديتها فى مصر . لماذا ؟

واخيرا فان بلادا كثيرة مثل الهند تواجه ، بصفتها بلادا نامية ، مشكلات مشابهة . ويحسن أن نتدارس تجارب هذه البلاد فلعل فيها الكثير الذى يفيد مؤسساتنا التعليمية على مختلف مستوياتها ولعل منها الكثير ايضا الذى يمكن أن يثير لنا كيفية حل مشاكلنا ولو على نمط آخر ولكن انطلاقا من نفس الاساس الفكرى. **اننا نحن البلاد النامية او المتخلفة نحتاج الى التعليم والى الكتاب قبل احتياجنا الى اى شيء آخر مهما يكن . فما احرانا ان نعطى مشكلات**

التعليم والثقافة ما تستحق من جهد ومال وفكر حتى نعبر المرحلة « مرحلة التخلف » لاننا من دون ذلك لن نظل متخلفين فحسب ولكننا قد نخرج من دائرة العالم الانسانى باتساع الهوة اتساعا رهيبا بيننا وبين دول العالم التى لها الان ان تسبقنا وتتقدم فيزيدنا التقدم تقدما اتساعا مسافة كل يوم . . .



■ صالح مرسى ■

يحيى حقى

أبى الذى أصابنى بعقدة أوديب





عدسة محمد صبرى

هو !
هذا أبى الذى اصابنى بعقدة اوديب .

واذا كانت القصة هى امى ، فالقصة هى زوجته ، واذا كنت اشعر امام القصة انى طفل صغير فهذا هو الرجل الذى يعاملها باحترام شديد ، ويكاد كلما قرأ قصة يرفع قبعته ، وينحنى فى ادب حسب اصول البروتوكول ، حتى ولو كانت شديدة الدمامة !

علمنى كما لم يعلمنى احد من كتابنا ، امضنى وجعلنى احيانا اسهر الليالى بحثا عنه ، ثمة شىء غامض فيه مستور بكثافة الكتمان والصمت ، القاه على شوق وافترق عنه بثورة ، يلقانى بعتاب ويتركنى دائما بغضب ، احبه بكل ما فى القلب من دماء واتمنى لو اننى دعوته للمبارزة ، رغم يقينى بانى لا محالة هالك .

ارادنى ان اكتبه كما يريد فتمردت ، استعمل كل اساليب الحرب الهادئة لمحاصرته ، وفى جلستنا الرابعة ، نهض من مكانه امامى ، فى بيته بمنشية البكرى ، وسار الى الباب ، وفتحه قائلا :
« كفاية كده النهارده . تعال وقت تانى ! »

كان يطردنى كما يطرد الاب ابنه ، لم اشعر بالاهانة ولم يكن

يقصدها ، خرجت وعدت وركب معى كل صعب ليصل بى الى اقصى ما يستطيعه .. ثم افترقنا.

وها هى تسعة اشهر تمر قبل ان امسك القلم لاجلس اليه ، تسعة اشهر حاولت فيها ان القاه فكان دائما يصدنى عنه ، حاولت ان اقراه ، حاولت وحاولت دون جدوى .. ثم .. ثم انتصفت ليلة من ليالى الشتاء الباردة ، واحسست برغبة شديدة فى الدفء ، ووجدت نفسى اسعى اليه ، لاضع قلمى فوق صدره . فياتى صوته الحنون، مثلجة. تحكى لى حكاية !

يحيى حقى





كان ياما كان :

تبدأ حكايتنا منذ قرن من الزمان ، بالتحديد فى عصر الخديو اسماعيل .

فى ذلك العصر فتحت ابواب مصر لعصابات الافاقين والمغامرين من السماسرة واللصوص وتجار المال ، ووفد الى مصر فى ذلك الزمان الوف الالوف من الباحثين عن المغامرة والثروة . . . لكن مصر استقبلت أيضا فى تلك الايام ، فئة أخرى من الناس ، فئة جاءت تبحث عن أرض وعن رزق وحياة أفضل ليس الا ، فئة مر عليها التاريخ المكتوب بالحبر مرور الكرام فلم يذكرهم كثيرا ، لأنهم كانوا يكتبون تاريخهم بالامتزاج بالاراضى الجديدة ، والالتصاق الشديد بها .

ومن هؤلاء الناس ، شاب صغير اسمه ابراهيم حقى .

جاء ابراهيم الى مصر من الاناضول وهو يحمل فى جوانحه احلاما جد صغيرة ، كل ما نستطيع ان نعرفه عنه اليوم انه جاء من شبه جزيرة « المورة » . . . وكل ما كان يعرفه هو عن مصر، ان فيها الست حفيظة ! !

كانت الست حفيظة واحدة من اللاتى عاد بهن ابراهيم باشا ، ابن محمد على باشا ، من حرب المورة . . . وكان المقام قد استقر بها مع الايام فى بلاط اسماعيل باشا ، وكانت قد اصبحت خازندارة فى قصر هذا الخديو ، وكان فى هذا الكفاية ، كل الكفاية ، لكى يعين ابراهيم حقى - قريب الست حفيظة - فى سلك الادارة فور وصوله الى ارض مصر !

وسرعان ما استقر الامر للشاب الذى تزوج واصبح ابا ، كان ابراهيم قد عمل لفترة فى دمياط ، وكان قد اصبح ابا لثلاثة اولاد ، هم : محمد ، ومحمود طاهر ، ثم كامل . . . وعندما كبر الابناء وشبوا عن الطوق ، كان قد انتقل من دمياط الى المحمودية ، وكان قد رقى فى سلك الادارة حتى وصل الى وظيفة تعادل وظيفة وكيل مديرية ، وكان قد اصبح مشرفا على حوض ترعة المحمودية التى تصل النيل بالاسكندرية ، وكان ايضا ، قد اصبح يمتلك مائة فدان .

المحمودية :

في بلاد مصر ، في مدنها وقراها ، تناثرت تلك العائلات التركية الصغيرة لتعطي للمجتمع المصري طعما خاصا وجديدا ، كان منهم الصيادلة والموظفون، كان منهم الفقراء والموسرون ، ورغم امتزاجهم الشديد بالحياة المصرية ، الا انهم كانوا مثل الملح غير قابلة للذوبان، عاشوا حياتهم داخل بيوتهم ، وصنعوا مع بعضهم البعض ، مجتمعات صغيرة مغلقة ، واخلدوا ينسجون من تفاصيل حياتهم الصغيرة وأحداثها ، تراثا عائليا يقفون فوقه متطلعين نحو مستقبل افضل.

وفي المحمودية لم تكن عائلة ابراهيم افندي حقي هي العائلة التركية الوحيدة ، كانت هناك أيضا عائلة السيد حسين الموظف بالتلغراف ، وكان السيد حسين هذا متزوجا من سيدة من اصل امهاتوحي هي الست « عديلة » ، وكما كان لابراهيم افندي ثلاثة من الابناء ، كان للسيد حسين بنتان وولد .

ولقد كبر الاولاد مع الزمن ... وقدر لمحمد حقي — الابن الأكبر لابراهيم افندي — ان يلتحق بالازهر زمنا ، ثم يتركه ليلتحق بمدرسة فرنسية ، ثم يتركها — وقد أتقن القراءة والكتابة وكان في هذا الكفاية — ليلتحق بوظيفة صغيرة في وزارة الاوقاف .

كبر الاولاد واصبح محمد حقي موظفا في وزارة الاوقاف ، كما اصبح الابن الاوسط — محمود طاهر حقي — اديبا وقصاصا وكاتبا وصاحب « الجريدة الاسبوعية » ونديما من ندماء الخديو عباس حلمي الثاني .

كبر الاولاد وأراد محمد ان يتزوج ، وكان طبيعيا ان يختار له أبواه احدى بنتي السيد حسين والست عديلة ، واختارا له « سيدة » ، التي كانت تشبه أمها الى حد بعيد في التدين والعبادة ، تزوجها وكانت حياتهما معا سعيدة وشاقة ، وانجبت له الست « سيدة » عددا وفيرا من الاولاد والبنات انجبت : ابراهيم واسماعيل ويحيى وزكريا وموسى وفاطمة وحمزة ومريم... ولقد توفي حمزة ومريم وهما طفلان ، كما توفي عدد اخر لا بأس به من الاطفال ، قبل ان يبلغوا من العمر شهورا !

واصبح لمحمد حقي عائلة صغيرة ، دخلت في عداد تلك العائلات التركية التي كانت تتناثر في مصر هنا وهناك ، وكانت تكون في مجموعها مجتمعا اخر داخل المجتمع ، مجتمعا له أخباره ونوادره وحكاياته ، وكانت كل عائلة من هذه العائلات تتميز بميزة تتفوق بها على العائلات الاخرى وتشتهر . . . وكانت هذه الميزات الصغيرة ، علامات واضحة لافراد العائلة ، علامات تحولت مع الزمن الى براعات حقيقية ، وتركزت هذه البراعات في الفن والادب والرياضة .

من العائلات التركية كانت هناك عائلة « عمرو » وانجبت هذه العائلة عبد الفتاح عمرو باشا ، اخر سفير لمصر في لندن قبل الثورة ، وواحد من ابطال الاسكواش راكيت ، لعبة الكرة المقلونة:

وكانت هناك أسرة لاشين ، التي اشتهرت بالدعابة والسخرية من كل شيء حتى من انفسهم...والتي انجبت واحدا من رواد القصة المصرية الحديثة ، هو محمود طاهر لاشين .

اما عائلة حقي فلقد اشتهرت وسط هذا المجتمع المغلق الذي يتناقل افراده اخبار بعضهم البعض — مهما تفاوتت درجات غناهم او فقرهم — بالدقة الشديدة في اختيار اللفظ المناسب في مكانه المناسب . . . ولقد انجبت هذه العائلة محمود طاهر حقي صاحب « عذراء دنشواي » ثم انجبت يحيى محمد ابراهيم حقي ، احد عمالقة القلم العربي الحديث !

الكلمة :

كان يحيى حقي هو الابن الثالث لمحمد افندي حقي .

كان طفلا صغير الجسم ، كبير الرأس، جميل الوجه ، هادىء الصوت ، حساس النفس ... فتح عينيه على ام هي كل شيء في البيت ، شديدة التدين، تختار اسماء ابنائها من صفحات القرآن، اذا حملت واقترب موعد الوضع لتحت المصحف على اي صفحة ، واختارت أول اسم يصادفها ، لجاءت اسماء أبنائها جميعا من اسماء الأنبياء ، عدا حمزة عم الرسول ، واسماء البنات من بنات الأنبياء او امهاتهم .

يفتح يحيى عينيه على حقيقة

شديدة الغرابة . . . ان جدته لامه ـ الست عديلة ـ أمية ، لا تعرف القراءة ولا الكتابة ، لكنك اذا اعطيتها مصحفا ، وفتحته على اي صفحة فيه ، واشرت بيدك على اية آية من آياته ، انطلقت تقرأ الكلمات بسهولة وطلاوة ايضا .

يفتح يحيى عينيه على هذا المجتمع التركي الذي لا يتحدث التركية ابدا ، يفتح عينيه ليسمع حكايات الست حفيظة والقديرو اسماعيل ومحمود طاهر والقديرو عباس ، ولا يسمع من اللغة التركية الا الشتائم التي ينطقها الاب او الام في لحظات غضب ، كل ما عرفه من لغة اجداده كلمات مثل : ادب سيز، غرسيز، طالتار ، سكتر بره »

ويفتح عينيه فاذا الفنان الناشيء في المكان الناشيء هو قدوة الحي ، تسمع لابنائه صوت الام وهي تقرأ عليهم صحيح البخاري ، او فقرات من الغزالي او مقامات الحريري . . . يتفتح وجدانه على أب مفتون بالمتنبي ، يلقي قصائده على الاولاد ، ويهتز طربا وسعادة لقافية جلست تماما في مكانها الصحيح . . . غير أن المتنبي لم يكن هو الشاعر الوحيد الذي ظلت أبياته سمة البيت ، فطالما تخاطفت ايدي الاولاد الجريدة والمجلات اذا علموا ان بها قصيدة جديدة لامير الشعراء ، فبعد المتنبي : « ظل البيت دائما شعر أحمد شوقي » !

وكان اكثر الاولاد صمتا وخشية للكلمات وكان اكثرهم حفظا لابيات الشعر ورغبة في سماع القصص ، هو يحيى .

ولقد قدر لهذا الطفل الثالث في عائلة محمد التركي حقي الموظف بالاوقاف ان يصبح اليوم : يحيى حقي ! !

يحيى حقي :

ولد يحيى محمد ابراهيم حقي في يوم ٧ يناير عام ١٩٠٥

ولد ليجد اخوة قد ولدوا من قبله ، واخوة واخوات جاءوا الى الدنيا من بعده ، ولد بحارة الميضة في السيدة زينب ، في بيت صغير الايجار تملكه وزارة الاوقاف حيث كان الاب يعمل...

ورغم ان ابراهيم التركي حقي كان قد ترك لابنائه الثلاثة ثروة لا بأس بها ، الا ان هؤلاء الابناء لم يحسنوا ادارة الارض ، فكان وجودها مثل عدمه ، وتبخرت ، ولم يعد محمد التركي حقي يملك من الدنيا سوى مرتبه الصغير ، ومعها وفيرا من الاولاد والبنات .

المرتب الصغير ، وسكنى الحواري ، مع الانغماس الشديد في الادب وحب الشعر بالذات ، هي علامات الطفولة والصبا .

كان الاب قد ترك كل شيء لزوجته تتصرف فيه كيفما تشاء ، كانوا اتراكا لكنهم كانوا مصريين ، كانوا اتراكا لكن احدهم لم يشعر يوما انه احسن من الاخرين ، حتى الخدم في البيت ، كانوا يجلسون معهم الى الطعام كما لو انه . . . تركت الملكة وايماتها وبقيتها ، انه لا فرق بين مصري وتركي الا بالتقوى .

ولئن كان التعالي والعنجهة قد نسبا الى الاتراك طوال تاريخهم في مصر ، الا ان هذا البيت لم يعرف الفروق الطبقية او الجنسية ابدا . . . ويحار المرء في كنه هذا الامر ، هل هو مكتسب بالفكر او هو طبع أصيل . . . وسواء اكان الامر هذا أم ذاك ، فان واحدا من ابناء محمد التركي حقي لم يشعر بأي فرق في الجنس بينه وبين الاخرين ، او على الاقل ، هذا ما نشأ عليه ذلك الطفل الغريب الذي ارهقته النظارة الطبية في

يحيى حقي





وقت مبكر مثله مثل كل افراد العائلة .. ان ضعف النظر وراثي في العائلة ، تماما كالقراءة ، تماما كالاحساس المطلق بالمساواة بين البشر ، حتى ان كلمة مسيحي او يهودي لم تكن تثير عنده اي معنى او فرق ، ولقد ظل الامر على هذا حتى قامت دولة اسرائيل .

. . . .

. . . .

كاد هذا الطفل يوما وقد شب عن الطوق وقرا ودرس وسافر وتعلم ورأى وطاف ، يحسب نفسه مواطنا عالميا ، احساس حر تماما ، كانه طير يحلق في اجواء الارض جميعا دون ان يطالبه احد بجواز سفر . . . لكنه ارتد على عقبيه بعنف شديد ، ارتد ارتدادا رهيبا ومفزعا في نفس الوقت ، ومع ارتداده هذا اصبح متعصبا اشد التعصب ، واصيب بنكبة روحية عظمى ، وانهدم كيانه الفردي . . . عندما قامت دولة اسرائيل ! !

هل نسبق الاحداث ونسترسل مع استرساله الحالم القافز من موضوع الى آخر !.. او نعود الى بلورة الحلم الاولى وسط بحور التنبي وشوقي ، ورحلة المدارس المجانية ، ونكبات المدرسة الابتدائية ، وبده المبكة لخمس سنوات !!

القاهرة :

كانت مدرسة ام عباس الابتدائية - ام عباس باشا الاول خديو مصر - تجمع أولاد الفقراء ، كانت مدرسة مجانية تتبع وقفا ، ولم يكن في استطاعة الام ان تدبر امر تعليم أولادها الا من هذا الطريق ، وكان التحاق يحيى بالمدرسة الابتدائية نكبة احاطت بطفولته .. انه يرفض حتى اليوم وقد مضت سنوات تزيد على النصف قرن ، ان يتحدث احد من المدارس الابتدائية ، بتلك النغمة الرومانتيكية التي يتحدث بها البعض . . . النقل من الحنان والنغم والنغم والشعر في البيت ، الى شيء غليظ كاس امات بده !

وطوال السنوات الخمس التي قضاها في هذه المدرسة ، لم يغفل بيده شبناه كانت ضربات العصا التي يؤدب بها قد تركت في نفسه ابلغ الاثر . . . ولا ترتدوا الى الماضي تاركين الحاضر جريا وراء الاسباب او النتائج ، ان الماضي عنده جزء من اساس الحاضر والمستقبل معا ، كيف عالى وكيف تطلب علايا مهولا وهو يحشر دماغه بمعلومات لا يفهم ولا يستطيع ان يفهم منها شيئا ، انه لم يعرف ما معنى ري الحياض والري الدائم ، الا بعد ان تخرج في كلية الحقوق وذهب الى الصعيد . . . ولقد كان جهاده الاعظم - بعد أن ترك مدرسة ام عباس - ان يتخلص من تلك الآثار المدمرة التي خلفتها هذه المدرسة البغيضة في نفسه .

كانت مدرسة ام عباس تتبع نفس الوقف الذي كان يتبعه سبيل ام عباس القائم في الصليبة حتى اليوم ، ورغم انها مدرسة مجانية ، الا انها كانت المدرسة التي علمت احد زعماء مصر العظام ، فيها تعلم **مصطفى كامل باشا** .

كان مصطفى كامل يسكن بيتا قريبا من حي الصليبة ، وعندما التحق يحيى بهذه المدرسة ، كان كل اساتذة الزعيم قد تركوها الا واحدا ، وكان من حظه ، ان يجلس الى **الشيخ عبد المنعم** المبدأ ، تماما مثلما جلس اليه مصطفى كامل ، كان الرجل يلقى من الجميع تبجيلا وتعظيما ، فلقد كان يوما مدرسا للزعيم ، وكان اذا دخل الفصل احتبست انفاس الطفل وهو يرقبه في اعزاز واحترام . . . وظل يحيى طوال خمس سنوات يرتدي مريلة كانت المدرسة تصرفها للتلاميذ ، مكتوب عليها بخط اخضر : مدرسة ام عباس الابتدائية .. خمس سنوات قضاها في عذاب ، خمس سنوات لانه رسب في السنة الاولى . لم لم يرسب بعدها ابدا ، ظل ينجح وينجح وكانه يفر ، وفي عام ١٩١٦ ، نال الشهادة الابتدائية ، وكان في الحادية عشرة من عمره .

كانت تتبع الوقف مدارس اخرى ، منها المدرسة الالهامية الثانوية ، والمدرسة الالهامية الصناعية ، فالتحق يحيى بالمدرسة الالهامية الثانوية .

وكانت المدرسة الثانوية في تلك الايام اربع سنوات فقط ، يحصل التلميذ بعد العامين الاولين على شهادة الكفاءة ، ثم يحصل بعد ذلك على البكالوريا ..!

وفي المدرسة ... بدأ يختلط بالعبال

خرج من جنة البيت الى حيث اولاد الفقراء والحوارى بكل ما فى مجتمعهم من غرائب ، هبط من جنـة القلق وعصبية الدين ومثالية الفكر الى واقع شديد القرابة ... فى صمت كان يتعذب، وفى صمت كان يتلقى الصـدمات النفسية ، والذين يريدون ان يعرفوا ما هى مصر عليهم ان يهبطوا الى القاع، هناك تكمن عوامل كبت عصرت جسد هذا الشعب ، ولكم تحس ثلاث يوم حياسا عقليا عندما اجتمع للفيف من التلاميذ وكونوا جمعية اسموها « جمعية الاخلاق الفاضلة » ، ولقد كونت هـذه الجمعية خصيصا لكى تحمى الضيفا صغيرا جميل الوجه من محاولات الكبار لاغتصابه .. ولكن : ما اعظم خيبـة الامل عندما اكتشف صبينا ان اعضـاء هذه الجمعية بالذات ، هم الذين يريدون الاعتداء على التلميذ المسكين ! !

ومنذ خرج يحيى من بيته الى الشـارع الى المدرسـة ، كانت مصر هى مبتغاه ، كانت مثل كنز مجهول اراد الكشـف من اسراره ، ومنـذ عرف الطريق الى الشـارع الى المدرسـة ، اصـبحت « الصداقة » هى عصب حيـاته ، واهم عناصرها على الاخلاق ... ومنـذ ايام ام عباس ، ما زال يحتفظ حتى اليوم — بعد ستين عاما — بصداقة : محمد عصمت ، ومحمد لبيب البجالى ، وما زال قلبه يذكر بالحنين المرحوم مصطفى حسن ... غير ان اهم الاصدقاء على الاخلاق ، هو شقيقه ابراهيم : دليله فى الطريق الى المعرفة .

حصـل يحيى على الابتدائية فى عام ١٩١٦ ، وحصـل على الكفاءة فى عام ١٩١٨ ، واصبح عليه لاول مرة فى حياته ان يختار بين طريقين ..

الطب ... الادب :

ايه يا احلام الصـبا ، ولـكم تمنى صبينا وهو فى الرابعة عشرة من عمره ان يصبح طبيبا ، كم عشق اكتناه اسرار ذلك المجهـول الكامن داخـل رأس الانسان ، والذى اسمه العقل ، كم اراد بكل ما فى قلبه من وجد وامل ان يتفرغ للبحث من اسباب علله وامراضه ، كم عذبته كلمة مجنون ومخبول وما هو

يقف بعد الكفاءة فى مفترق الطرق ، طريق العلم ، وطريق الادب . . . وكان عليه ان يختار .

« . . . لقد شعرت وانا فى هـذه السن المبكرة ان الامراض النفسـيـة والعقلية اشد خطرا على المجتمع من اى مرض آخر .. ان وظيفـة كل مجتمع وسبب وجوده ايضا ، هى البحث عن الطاقات الكامنة فيه وافسـاح المجال امامها . . . سبيل لابد من حشد كل القوى للانتصـار فيه ، ان الامراض النفسية هى التى تعرقل هذا الانطلاق، اكثر من الامراض البدنية ! »

ويقف لنانا بعـد الكفاءة حائرا ، تتمزق نفسه رغبة فى الالتحاق بالقسم العلمى ، وتتمزق نفسـه خوفا من الرسوب وقد شاع بين الناس ان النجاح فى القسم الادبى مضمون ! !

هل يغامر ؟؟

وماذا ستكون نتيجة المغامرة لو انه التحق بالقسم العلمى ورسب ؟من اين تدفع الاسرة الفقيرة مصروفات عام آخر؟ اراد ان يصبح طبيبا لايمانه الشـديد بان المهنة الحرة هى افضل عمل للانسان تهيء فيها سيد نفسه . . . اراد ان يصبح طبيبا لان فى نفسه غاية يريد ان يحققها ، هى اسـعاف هؤلاء الذين فى حاجة الى المساعدة . . . . و . . . .

ولكن : « لاحيـل الا الجمع فى وصمـة السقوط او احتمال السقوط ، التحقت بالقسم الادبى ! »

● ●

اى رغبة تلك التى كانت عند الصبى فى البحث خلف العقل البشرى وسبر اغواره ؟ !

انتقل من المدرسـة الالهاميـة الى المدرسة السعيدية وتلك الرغبة تتحول عنده — بمرور الوقت — الى موهبـة غريبة . . . وطالما التقى بعـد ذلك بانسان لناداه باسمه دون ان يعرفه او يراه او يسمع عنه من قبل ، ظاهرة لفتت نظره وادهشته وربما افزعته ، لم تحدث مرة او مرتين لكنها تحـدث دائما ، ينطق اسم الرجل او المرأة دون وعى فاذا الاسم هو هو ، واذا به حائر: ما مصدر هذه المعرفة ؟؟

يعود الى نفسه ويفحصهـا ويقف امامها محاولا الوصول الى شىء ..

يحيى حقي





هل كان يشعر بالغربة ؟ !

سؤال يقفز في غير مناسبة لكنه سؤال موجود !

اطلاقا لم يشعر بالغربة رغم انه كان يعرف جيدا ويعي انه من أصل تركي : « هذا مثل عجيب جدا على قدرة مصر على امتصاص العناصر الطارئة عليها!! ورغم ان هذه ظاهرة معروفة تاريخيا ، الا أن ثمة ظاهرة اجتماعية أخرى وهي ان : « الجديد في الوطنية ، أشد تعصبا لها من الأصيل فيها ! » . . .

هكذا أحب فتانا مصر حبا بلغ حد الوله . . . ووقف منها موقف العاشق الباحث عنها أبدا ، لكنه لم يشعر حيالها بالغربة، بل كان يشعر بالانتماء .

غير أن بلوغ هذه « العربة » في نفس فتانا المتوقد السنين كان له ثمن ، وكان الثمن فادحا . . . فرغم احساسه هذا كان ينتمي الى أسرة قليلة الاختلاط بالناس ، بالمصريين بالذات ، حتى الزيجات التي تمت في هذه الأسرة تمت في نطاقها أو من أسر تنتمي الى أصل تركي . . . التخلص من هذا الأمر كان مثل خلع الضرس أو الظفر ، وها هو يحاول التوحد في طين مصر بكل ما يستطيع من حب ووجد : « لا أنت لو عصرتني في عصارة القصب فلن تنفر مني الا نقطة مصرية تماما ! »

غير أن المصيبة ، أن ما من أحد من المصريين كان يقابله الا ويناديه : ياخواجا واذا ما صادفه بائع الجرائد نادى على « البوسفور » ! !

دخل فتانا المدرسة السعيدية ملتحقا بالقسم الادبي ، وحصل على البكالوريا في عام ١٩٢١ ، وكان ترتيبه الخمسين على القطر المصري كله ، ولذلك . . . فقد التحق بكلية التعليم المجاني وقتها . . بمدرسة الحقوق .

دخل الحقوق لأنه كان « مفروضا » عليه أن يدخل الحقوق . . . ان الخمسين الأوائل في البكالوريا هم السعداء دائما بهذا الاختيار ، دخل الحقوق وقد تشبعت نفسه بمبادئه الحزب الوطني رغم تعلقه بسعد والثورة، وكانت جريدة « اللواء » هي جريدة الأسرة ، دخل الحقوق وقد عصرت الاحداث نفسه واحتفظ عقله بيوم حزن عظيم ساد البيت . . . يوم كان في التاسعة من عمره وشبت الحرب العالمية الأولى بين انجلترا والمانيا ، يوم دخلت تركيا الحرب ضد الانجليز فاعلنت الاحكام العرفية ثم أعلنت الحماية في يوم شديد السواد ، ثم خلع الخديو عباس حلمي الثاني وهو في استانبول ، ونصب السلطان حسين كامل ، ثم مات حسين كامل ، ووضع بدلا منه السلطان أحمد فؤاد ، وبعدها بشهر واحد وضعت الحرب أوزارها . . . وبعد عام واحد اندلعت ثورة ١٩١٩ .

. . . .

. . . .

مع توالي الاحداث والايام كانت نفس الصبي تنمو وتتفرع ثم تتشرك وتحب ، طوال سنوات ما قبل الثورة والحياة في البيت تسير كما اعتادت أن تسير ، الزيارات والاسمار وشف النظر والمناقشات والترقب والعداء الشديد للانجليز ، وكان لابد من حدوث شيء ! !

مرات ومرات وهو يصحب أباه وأخويه ابراهيم واسماعيل الى الازهر ، أو الى بيت الأمة ، أو يشاهد مظاهر في مكان فسيح ، تلهب الشباب في عروقه نحو التظلم ، يبهره ابراهيم الخليلة ، وابراهيم تأخذه أخذا لينا أو أخذا عنيفا

وتصبح الخطابة عنده هواية ، ثم تصبح مع مرور الايام علما له قوانين ، وفنا له نجوم . . . كان ابراهيم اكبر اخوته واكثرهم ادراكا للامور ، وكان قد بدأ يتنفس مع الثوار في علاقات ، واتصل ببعض طلبة الطب الذين كان منهم **الدكتور محمد كامل حسين وعبد العزيز كبير** ..

كان الانجليز اذا ما دعا الوفد الى اجتماع في الازهر سدوا كل النوافذ الى الطريق حتى لا يذهب اليه الناس ، ولا يستمعوا الى خطباء الثورة العظام ، لكن صبينا كان يصحب اخويه واباه في طرق ملتوية وحارات ودروب حتى يتفلتوا من الحصار المحكم ، ويدخلوا الازهر ، ويشتعلوا حماسا ، ويستمتعوا بخطب « كيرشه » خطيب الثورة ، وابو شادي .

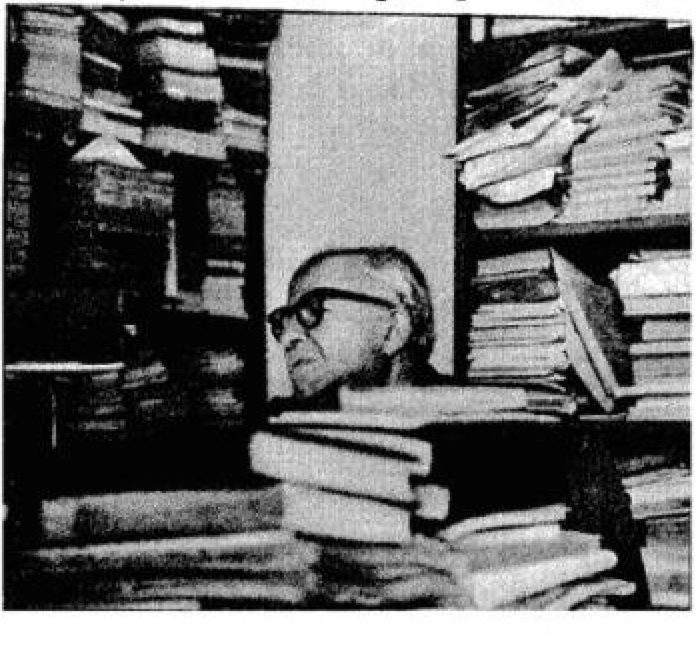
مع الناس كانوا يرددون الاناشيد الوطنية ، ولقد حفظ الاب والابناء ، وربما الام نشيد :

رسول السلم الى مصر ..
الشر في الطريق لنا الزهر ..

واذا ما دخل البيت منشور سياسي تخاطفته ايدي الاولاد والام والاب جميعا ليقرءوه بشغف ، وعندما سارت المظاهرات الدامية لتكتسح شوارع القاهرة ، سار يحيى في بعضها ، واطلق الرصاص على المتظاهرين ، وجرى مع الذين جروا ، لكنه كان صغيرا ، فلم يشترك في احداها اشتراكا فعليا .

هل تذكر حكاية تلك الليلة التي استمع فيها الى سعد زغلول وهو يخطب في بيت الامة ؟.. هل تحكي حكاية حكاها هو من قبل في كتابه « **خليها على الله** » كم اتمنى ان ادعوه للمبارزة وادخل التجربة ، ولكن هيهات . . . اني خاسر لا محالة ، فلا داعي لاظهار العجز مفضوحا امام الناس .

في تلك الايام قرأ كل ما كتبه **عبدالله نديم**، وكل ما خطه قلم **مصطفى كامل** ، وكل ما كتب وذكر وروى من حادثة دنشواي . . . دخل مدرسة الحقوق وقد تشبع وجدانه حتى الثمالة بحب مصر ، وعندما حدث الخلاف الشهير بين **سعد وعدلي** ، بين الوفد ، والاحرار الدستوريين ، اجتاحت البيت موجة عارمة من الكآبة . . . لم يقفوا في جانب ضد جانب ، فهم في الاصل وطنيون مع حزب مصطفى كامل ، لم يقفوا مع سعد ضد عدلي ، ولا مع عدلي ضد سعد ، لكنهم ذاقوا مرارة



خيبة الأمل ، وشعروا : « زى ما تكون حاجة قشتنا ! ! » وشاعت كلمة كان لها وقع المر على نفسه تقول « الفق المصريون على الا يتفقوا ! » . . .

وقبل ان يدخل مدرسة الحقوق كان قد التقى بمؤلفات مصطفى لطفى المنفلوطى وجبران خليل جبران ، وكم جرت دموعه مع ماجدولين وغادة الكاميليا وتحت ظلال الزيزفون ، كم ترنم بشعر المهجر ، وتعرف على قصيدة « أعطنى الناى وغنى » وهو فى الخامسة عشرة من عمره سنوات المدرسة لتحصيل ودرس ، وفى فترات الراحة متعة القراءة والمناقشة .. الصغير يحاول ان يلحق بالكبير ، واذا كان يحيى قد قرأ الاجنحة المتكسرة والوردة البيضاء ، فان أخاه ابراهيم كان قد سبقه الى تشارلز ديكنز ورسائل لام ، وقبل ان يحصل يحيى على البكالوريا كان ابراهيم قد قاده الى دروب الادب الفرنسى الفسيحة ، وكان الصبى قد تعلم كيف يمسك مجلة مطبوعة بلغة اجنبية !

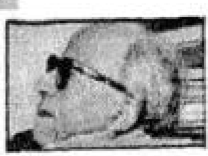
فى الثانوى كان تعلقه شديدا باللغة العربية واللغة الانجليزية ، وكان التاريخ بالذات دليلا قاده الى حقيقة وطنه الذى يعيش فيه . . . لكنه أبدا لم يفهم — وهو الذى اراد أن يصبح طبيبا — لماذا يحشون رأسه بالطبيعة والكيمياء ، علوم كانت تبدو له منفصلة أشد الانفصال من محيطه الخارجى ، من عالمه الخاص .

وعندما ذهب الى مدرسة الحقوق ، كان عليه أن يستكشف أرضا جديدة لم يطرقها من قبل ، كانت كل سفراته حتى ذلك الوقت عبر سماوات الادب والفن والشعر والخطابة والسياسة ، لكنه ابدا لم يطأ قارة القانون ، ولم يكن قد عرف عنها شيئا . . . وقادته مدرسة الحقوق الى هذه الدنيا الجديدة ، لراح يلمسها على مهل ، واذا به يكتشف قارة القانون المبقرية ، تلك الرياضة الذهنية التى تقارع الحجة فيها الحجة ، والاثبات وعدم الاثبات . . . وفى مدرسة الحقوق ، التقى لأول مرة بالشريعة الاسلامية كعلم !

وانغمس يحيى لاذنيه فى دراسة القانون ، وزامل وصادق والتقى بنخبة من عباقرة القانون الذين عرفتهم مصر ، وكانت الشلة التى انضم اليها شلة جد ، أخذت الدرس اخذ حياة ومنهج ، كان منهم المرحوم حلمى بهجت بدوى ، والاستاذ عبد الحكيم الرفاعى ، وسامى مازن . . . كانت شلة لا تكف عن المناقشة كلما سنحت لها الفرصة ، وفى المدرج التقى الشباب الأخضر العود باساتذة عظام مثل : عبد الحميد أبو هيف ، واذهله ذكاء نجيب الهلالى ، وحنت رأسه استاذية المرحوم أحمد أمين ، والشيخ ابو زيد مدرس الشريعة الاسلامية .

فى مدرسة الحقوق لم يتغير الحال ابدا ، لم تكن له صلة بالادب الا فى البيت : « حياتى الادبية مصنوعة فى البيت » ! .. فلم تكن شلة الحقوق تناقش وتهتم الا بالقانون ، وكان القانون يشغله ، تدخل فيه سباقا رهيبا كان وطيسه يشتد كلما مضت السنوات واقترب موعد التخرج ، لكنه فى تلك الايام المشحونة — ورغم كل شيء — جلس الى مكتبه وكتب القصة لاول مرة فى حياته !

يحيى حقى





القصة :

ثم . . . كتب القصة مباشرة وكان يعرف أنها قصة ، وأنه يكتب قصة .

لم يجرب قلمه فى مواطنه مثلما فعل كل الذين كتبوا ، بل دخل طريق القصة عارفا بكل خباياه دون خوف أو وجل ، لم يتطفل على أحد ، ولم يرشده أحد ، كان قد قرأ طه حسين والمازني والعقاد وكان يذهب الى المحاضرات التى يلقونها فى المحافل والنوادى الادبية . . . وعندما أرسل ذات يوم قصة الى جريدة السياسة بعنوان : « قهوة ديمتري » ، لم يدهش عندما نشرت لكن الفرحة انتابته . . . شغلته القاهرة وسباق التفوق المخيف ، لكنه نشر فى « الفجر » قصصا عديدة ، كان أقربها قصة قطة تملكها امرأة تركية فى الدور الأول من احدى العمارات ، وقط تملكه امرأة مصرية تسكن فى الدور الثاني فى نفس العمارة ، وكلب تملكه امرأة يونانية تسكن فى الدور الثالث ، وكان عنوان القصة : « قطة ، مشمش ، لولو » ! استغرقته دراسة القانون فى مدرسة الحقوق ، لكنها لم تنصفه أبدا . . .

فى تلك الايام لفتت قصة « المجنون » أنظار المهتمين بالادب والمشتغلين به ، فثمة قلم جديد يحمل فكرا جديدا وبكرا وخصبا يروى حكاية رجل مجنون أراد أن يصلح الكون .

فى مدرسة الحقوق كانت له شلة من القانونيين .

وفى الشارع أصبحت له شلة أخرى، شلة من الأدباء كانت تجتمع فى « قهوة الفن » الشهيرة أمام مسرح رمسيس — الريحاني الآن — ومن طريق ابراهيم حتى التقى بزملاء الشباب الباكر ، وعلى قهوة الفن كان أقرب الاصدقاء الى قلبه المهندس محمود طاهر لاشين ، والدكتور حسين فوزى . . ولم يقل له أحد فى البيت : على فين ورايح فين وما تتأخرش ، أعطوه الحرية فحافظ عليها ، ولم يشرب الخمر ولم يدخن الحشيش ، وعلى قهوة الفن التقى بأنواع وأنواع من الفنانين وكتاب القصة ، منهم شاب كان اسمه خيرى سعيد ، كان طالبا فى كلية الطب ووصل فيها حتى البكالوريوس ، لكنه لم يحصل عليه أبدا ، ثم التحق بالسلطة العسكرية ضابطا طبيا . . . فكانت قصصه كلها ، أول محاولات أدب المقاومة التى قرأها يحيى حقى بالعربية .. كانت قصص خيرى سعيد تدور داخل معسكرات السلطة ، وطلاب المصريين فيها .

ويشتد وطيس السباق كلما اقترب موعد الامتحان ، واذا هو ينكب على القانون يلتهمه التهاما . ولثمة حلم يراوده طوال السنوات والاشهر والايام ، أن يسافر الى الخارج ، أن يحلق فى سماء العالم ويلتقى بمباشرة القانون وعلماء التشريع والفقه .. هناك فى أوربا ، حيث الجامعة أسطورة فى البحث .. ويخفق القلب شوقا لتحقيق هذا الحلم الذى أصبح قريب المنال ، ولم يكن ثمة سبيل الفكر الا أن ينتصر فى القاهرة ، أن شلة الحقوقيين هم الاوائل دائما وهو منهم ، سلاحهم مضمون والحلم البعيد يوشك أن يتحقق ، وكاد الحلم يتحقق بالفعل لولا هامش لم ينتبه اليه فى أحد الكتب ، كان الهامش خاصا بالمعاهدة المصرية السودانية لتسليم المجرمين ، لم ينتبه يحيى حقى الى هذا الهامش ،

يحيى حقى





لجاء ترتيبه في الليسانس .. الرابع عشر !

في لحظة .. تبدد الحلم !

وسافرت الشلة جميعها في بعثات الى الخارج : علي بهجت بدوي ، طه السيد نصر ، عبد الحكيم الرفاعي ، وطالب رابع اخذ مكانه اسمه : زهدي .

تبدد الحلم ، واصبح يحيى حقي محاميا ، فراح يسعى للالتحاق بالنيابة العمومية .

منفلوط :

مرة اخرى .. هل يتحرى من كان مثلي على البلوزة ! .. هل احكي ما حكاه يحيى حقي من تلك الفترة من العمر التي تعرف فيها بالشعب المصري ، عندما عمل كمحام في الاسكندرية ، ثم عندما التحق بالنيابة العمومية ليتنقل به القطر الى بطن مصر ، فاذا به في قلب الصعيد ، واذا صورة الصليبة والسيدة زينب والازهر وحواري القاهرة تمتزج امتزاجا شديدا ، ثم تفترق افتراقا شديدا من تلك الصورة الجديدة ، الرهيبة ، الحية ، الذاهلة ، التي استقبلته في الصعيد !!

اه يا احلى ايام العمر واكثرها خصوبة !

« السنتين اللتين قضيتهم في منفلوط هم اهم احداث حياتي على الاطلاق ! »

هل تعرفون لماذا يشغل يحيى حقي كتابة القصة القصيرة بالذات ! .. هل تعرفون لماذا كان هذا القالب هو الشكل الغالب عنده واقربها الى قلبه !!

« ... ... لان الحدث فيها عندي يقوم على تجارب ذاتية ، او مشاهدة مباشرة ، ان عنصر الخيال فيها ضئيل جدا ، هو ياتي لربط الاحداث فقط ، لانه لا يتسرب الى القلب ابدا ! »

وعندما فتح عينيه على الدنيا وجد ان قمة التعبير والبراعة هي في اختيار اللفظ المناسب في المكان المناسب ، ومنذ امسك بالقلم في تلك الايام البعيدة ، وهو في العشرين من عمره ، وهو ينادي بضرورة وجود اسلوب علمي في الادب : « انا على استعداد للتنازل عن جميع قصصي واعمالي الادبية ، في سبيل السالفة في هذه الدعوة ! »

منفلوط وشهور منفلوط وليل منفلوط وناس منفلوط وطباع اهلها وعاداتهم وتقاليدهم وبدعهم وخرافاتهم ومصائبهم وموظفيهم ودنياهم . هذه هي مصر الحقيقية .

كانت سياحته في مصر عتيقة ، فاتنة عبر الحقول والسواقي والتجوع والثأر ، فاذا هذا عالم جد غريب راح يحتضنه على مهل امتصاص العطشان .. هذا هو وطنه الان ، هذه هي مصره التي ولد فيها وعاش وتعلم .. في عام ١٩٢٥ تخرج في مدرسة الحقوق ، وفي عام ١٩٢٩ كان يقلب صفحات جريدة في ليل الصعيد الصامت ، عندما وقعت عيناه على اعلان ..

مصادفة كانت ، مجرد مصادفة ، ولقد كان حافظ عفيفي وقتها وزيرا للخارجية ، وقررت الوزارة عقد مسابقة للالتحاق بوظائفها ، وتقدم يحيى في المسابقة ، ونجح ، وانتقل من منفلوط الى الخارج .. من سلك الشعب الى السلك الدبلوماسي .. قفز من طبقة الغلابة ، لينتهي الى : « طبقة الخارجية واولاد الاعيان ! »

جدة :

وكما اهتزت نفسه بعنف عندما سافر الى الصعيد لاول مرة ، وكما شعر بعد هذه الهزة وكانه انتقل من عالم الى عالم اخر ، ومن دنيا الى دنيا شديدة الاختلاف .. اهتزت نفسه بعنف اشد وهو ينتقل من الصعيد الى « جدة » .

في اسابيع قليلة ، وجد نفسه امينا للمحفوظات في قنصليتنا بجدة .

في اسابيع قليلة ، انتقل من التحقيق وحكايات السرقة والقتل والغرام المحرم وليل الصعيد الساكن وقصص الفلاحين والطين ، الى حيث كان عليه ان يتعلم البروتوكول .. الى حيث كان عليه ان يتعلم كيف ياكل وكيف يشرب وكيف يلبس وكيف يمشي وكيف ينحني وكيف يتصرف .

في جدة ، حدثت في حياته ثلاثة اشياء هامة :

التقى بالجبرتي في مكتبة القنصلية .. فقرأه .

والتقى بالمكتبة العربية القديمة .. فاحترمها .

والتقى بالمسلمين من جميع انحاء

الدنيا ، يأتون للحج فيكونون امام عينه الثاقبة لوحة كان لهـا أبلغ الأثر فى نفسه .

فى جدة ، كان النشاط الدبلوماسى قليـلا ، وكان أمامه وقت فراغ راح يقضيه فى المكتبة .. وعندما التقى بعبد الرحمن الجبرتى ، وتعرف عليه ، فتن به أشد الافتتان .. ورأى فيه شعبه الذى افنى نفسه فى البحث عنه فى الحلمية والصليبة والقلعة ومنفلوط ، رآه رأى العين ولم يقرأه .. وكان هذا هو أول كتاب يهزه هزا من الأعماق ويؤثر فيه تأثيرا مباشرا .. فكتب ست مقالات تبحث فى الفكاهة عند الشعب المصرى ، استنده فيها الى الجبرتى ، ووقعها باسم : عبد الرحمن بن حسن .. وهذا هو اسم الجبرتى !

فى جدة ، رأى المسلمين من كل انحاء الدنيا ، رآهم من الهند والصين ومن جاوة واندونيسيا ومن تركستان وافريقيا فامتشق القلم وراح يكتب ويرسل مقالاته الى القاهرة ، حلمه أن يتحقق حلم الاسلام .

... وفى جدة ، التقى بالمستر « سان جون فيلبى » ، المستشرق البريطانى الذى لعب دورا شهيرا فى الشرق لحساب مخابرات بلاده ، والذى اجتاز الربع الخالى ووضع عنه كتابا ، والذى كان يحيى حقى يمر عليه بعد انتصاف الليل ليجده ساهرا يقرأ او يكتب .. ولقد أضناه وعذبه أشد العذاب ان يفعل الغربيون هذا ولا يفعله العرب ، ان مستر « فان در مولن » قنصل هولندا فى جدة ، كان هو الآخر مستشرقا تخصص فى وضع خرائط الجزيرة العربية .. لقد تنبه الغرب الى ما لم ننتبه نحن اليه ، وساندت مخابرات الغرب ودور النشر رجال الفكر وساعدتهم واستفادت منهم .. غير ان تجربته فى جدة لم تدم لأكثر من عام واحد ، ففى عام ١٩٣٠ ، انتقل الى تركيا ، الى حيث سقط رأس جده ابراهيم حقى ، الى حيث جذور عائلته وتربتها الأولى ، وعاش هناك تجربة من أعمق تجارب حياته ، ورأى بعينى رأسه المرحلة الثالثة لكمال اتاتورك ، وهى المرحلة التى أراد فيها اتاتورك أن يحول تركيا الى دولة علمانية لا دينية !

استانبول :

الآن .. يختلط كل شيء بكل شيء .
الآن هو شاب مصرى من أصل تركى يمثل مصر فى تركيا .

الآن هو قاريء ناشيء نهم الى المعرفة .. الآن هو مسلم فى دولة تتحول بعيدا من الدين ، وتحارب تقاليد الدين وحروف لغة الاسلام .. الآن هو باحث مطلق وراء الحقيقة .. الآن تتضح نار القلق والشوق والبحث شخصه .. الآن هو يقفز من دولة تحيا فى أقصى السلفية ، الى دولة تسعى الى أقصى العلمانية .. ومنذ عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٤ ، عاش الشاب سنواته أمينا لمحفوظات قنصلية استانبول ، وكانت العاصمة قد انتقلت الى أنقرة !

كم اضناه البحث وهو فى جدة ، عندما تلقت القنصلية خطابا من وزارة الخارجية فى مصر ، تطلب فيه البحث عن عالم من علماء الاسلام اسمه « موسى جار الله » .. واذا به يفرغ الدوخات السبع حتى يعثر على « موسى جار الله » مجرد تاجر مانيفاتوره لا علاقة له بالعلم أو العالمية .. وكم هزته الفرحة والسعادة

يحيى حقى





وهو فى استانبول ، عندما عثر على « موسى جار الله » الحقيقى ، فالتقى به على شوق ، وسعادة .

وفى تركيا ، ارتدى القبعة لاول مرة فى حياته .. وتعلم ان القبعات علما واصولا .. هناك الكاسكيت التى لا يرتديها الا العمال ، اما أولاد الذوات فيضعونها على رءوسهم فى الرحلات البحرية فقط ، وهناك القبعة القش التى يرتديها ابناء حوض البحر الابيض المتوسط ، ثم القبعة الصلبة المصنوعة من الجوخ ، ثم الشمسية — هذا اسمها — التى توضع على الراس مع الاسموكنج ثم « الهاى هات » التى تستعمل مع الفراك فى الحفلات الرسمية ، ثم قبعة الاوبرا .. و .. ولقد اضطر ان يشترى كل هذه الاصناف من القبعات ، علاوة على الطربوش !!

كل شىء يختلط بكل شىء .

فى تركيا عاد الى الارض التى هاجر منها جده ، وتعلم اللغة التركية على كبر واتقنها ، بل عثر على أقاربه له فى استانبول سكن عندهم .. غير ان اكثر ما كان يحز فى نفسه ، هو الجالية المصرية ، التى كانت قد تعودت قضاء الصيف فى استانبول ، والتى تعود افرادها ان يقولوا فى تركيا انهم مصريون ، وتعودوا ان يقولوا فى مصر انهم اتراك !!

فى تركيا الدرس الاكبر فى الدبلوماسية:
« كانت زمالة حقيرة جدا ، كلها كذب ومناورات » !

فى تركيا شاهد كمال اتاتورك من قريب، وسمعه وهو يخطب ، وعاصر تحويل الحروف التركية من العربية الى اللاتينية وشاهد بالعداء الشديد للاسلام ، ومحاولة الاتصال بامجاد الترك ، وكان سعيد الحظ لانه التقى بالشاعر عبد الحق حامد — شكسبير تركيا — فى اخريات ايامه ، والشاعر يحيى كمال .. لكنه لم يقابل الشاعر الاسلامى محمد عاكف الذى فر من تركيا بعد الحركة الكمالية، برغم انه واضع النشيد الجمهورى التركى .

اربع سنوات قضاها فى تركيا، اربع سنوات عجيبة غريبة ، مارس فيها الدبلوماسية والادب والسياسة والدين والعلم ، وارتاد فيها الى اعمق جذوره ، وتطلع عبر البسفور الى اعلى ورقة فى شجرة الحضارة .. اربع سنوات صقلته وهذبته واعدته لكى يستقبل اوربا ، فبعد السنوات الاربع ، نقل الى روما !

انه بمدينة نيرون والبابوات والفاشستية والفن الخالد !

روما :

ها هو اخيرا يحقق الحلم ويطالع الثقافة الغربية راسا براس ، ويعاصر تحولات رهيبة فى حياة الشعب الايطالى، ها هو يعرف لاول مرة ما هى الموسيقى وما هو الباليه وما هى الاوبرا ..

فى روما ترق الاذنه فى الموسيقى — الهامش الذى نسيه فى كتاب ثقافته — وراح ينهل منها دون شبع أو ارتواء ، فى روما راح يتبع شجرة النسب للحضارة الاوروبية المتصلة باللاتينية وحضارة الاغريق .

انتقل من دكتاتورية اتاتورك ، الى فاشستية موسولينى .

الفاشستية تجتاح العالم ، وحكم الفرد الواحد يغزو الدول ، والجماهير تزار فى وحشية، وموسولينى يهدر كاعظم الخطباء .

موسولينى .. هذا الداهية ذو التأثير الرهيب على الناس اذا ما خطب ، هذا الخطيب المرحى العظيم ، والكاتب والاديب الكبير .

وكما تعلم التركية فى تركيا ، تعلم الايطالية فى روما ، وراح يغترف من الادب الايطالى بنهم كان يشتد ، استطاع ان يقرأ الجريدة والمجلة وبعض الكتب ، لكنه لم يستطع التوغل فى الكلاسيكيات والشعر .. ثم التقى بموسولينى الكاتب المرحى الفنان ، قرأ له مسرحية بعنوان « مائة يوم » ، وكتابا آخر بعنوان : اخى ارنالدو ، وعرف ان موسولينى كان يكتب صيغة البيانات الرسمية بنفسه ، وكانت هذه البيانات بالفعل ، قطعا من الادب الملتهب !

فى روما تعلم اصول الحديث فى الصالونات ، وعندما حاول ان يتعلم الرقص فشل ، كما فشل فى تعلم لعب الورق، وكانت هذه منه غباوة دبلوماسية شديدة ، طالما عابوها عليه .

وفى روما امتلا قلبه بالرعب على مصر .

كان يرقب التوسع الايطالى فى شمال

الريفيا بفزع شديد ، وكان يرى شره الإيطاليين وتهمهم ورغبتهم في التهام مصر .. واذا كان حديث الصالونات له أصول وآداب ، تتميز أول ما تتميز ببساطة الكلمات ورقتها ، فان هذا لم يمنع احدى السيدات من ان تقول له يوما : « ياللا طلعوا الانجليز من بلدكم علشان نيجي احنا !! »

وامتلأ قلبه بالفزع وهو يرى الشوارع وقد غطيت جدرانها بالخرائط التى تبين اتصال ليبيا بالحبشة من طريق السودان في كماشة رهيبة .. وامتلأ قلبه بالرهبة عندما زار هتلر يوما ، وشاهد هتلر وهو يمشى في صلف وكبرياء ، لم زار ألمانيا وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الالمانية ، لكنه وقف مبهورا وسط ألوف الناس ، عشرات الالوف ، يستمع الى هتلر وهو يخطب في برلين ، وبلغ به الانفعال مع كلمات الرجل التى لم يكن يفقه منها كلمة ، الى حد أن دموعه راحت تنهمر .

ماذا كنت تفعل لو انك كنت مكانه !!

ماذا كنت تفعل وأنت واقف في وسط مائة الف انسان ، كلهم منتصبو القامة كالرماح ، ايديهم ممتدة الى الامام في تحية سلبية ، عيونهم معلقة بشخصية رجل واحد يشدهم اليه بسحر غامض ورهيب ، صوتهم واحد ، واحد ، واحد .. يزار في انشودة واحدة ، تتردد كلماتها ولحنها في هدير كموج محيط يكتسح العالم .

في يوما اشتد عوده ، اصبح رجلا بعد ان دخل باب الدنيا والمعرفة !

لكنه عندما عاد الى مصر ، وكان ذلك في عام ١٩٣٩ ، وعندما وضع قدمه فوق ارضها ، انتبه في قلبه احساس غريب ، كان وكانه يراها لاول مرة !

فكتب : قنديل ام هاشم !

القاهرة :

ان كل ما جاء على لسان اسماعيل بطل قنديل ام هاشم ، هو كل ما دار في وجدان يحيى حقى .

عاد من أوروبا حيث كان الاستعمار في أزهى عصوره ، حيث الشوارع الفسيحة النظيفة ، حيث الغنى والمال والفن .. عاد من أوروبا الى مصر ، الى الجوع والفقر والقذارة ومنظر الحطات وملاعيل الناس .. عاد الى مصر في عام ١٩٣٩ ، وبقى فيها طوال عشر سنوات ، وجد نفسه اثنائها مديرا لمكتب وزير الخارجية في يده الشفرة ، وكل الاسرار !

اى تمزق جديد يعيشه الفنان بين واقعين شديدى الاختلاف ، شعب فقير بعيد كل البعد عما يدور فوق رأسه من الاعيب ، في سراديب الدبلوماسية وأوكار السياسة . عاش واتصل عن قرب بالنحاس والنقراشى وابراهيم دسوقى أباظة وابراهيم عبد الهادى واحمد محمد خشبة .

في تلك الايام ، عاش فنانا مأساة العمر كله .

... ...

... ...

الا يستحق الامر منا وقفة نلتقط فيها الانفاس !

كان الفتى قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره ، لكنه كان لا يزال أعزب وحيدا .

كان مديرا لمكتب وزير الخارجية ، وفنانا يكتب القصة ، ومثقفا نهما ، لكنه كان قد بدأ يحن الى البيت والزوجة والاولاد .. حتى رآها ذات يوم .

كانت تسير مع شقيقتها فافتتن بها ، وسأل احد أصدقائه عنها ، وعرف من الصديق انهما شقيقتان ، وانهما تسكنان في المعادى ، وان اباهما هو عبد اللطيف سعودى المحامى وعضو البرلمان ، وان سالبة لبه اسمها نبيلة .

وتقدم يحيى حقى الى الاب يطلب يد نبيلة .

ووافق الاب .. وعندما ذهب يحيى الى بيت مشوقته لاول مرة ، كاد يقع مغشيا عليه ، كانت نبيلة التى خطبها هي الشقيقة وليست الحبيبة ، فلم يستطع التراجع .

الحياة تسير القصة مع كاتب القصة ، واذا كان الكاتب استاذا فالحياة فوقا الاستاذية ، واذا هو يكتشف في نفسه ميلا شديدا تحول الى حب عارم لهذه التى قدر لها أن تصبح لزوجته ، ذلك الطيف البشرى الرقيق الذى مر في حياته كسحابة صيف لم تظلله طويلا .. ما أن تزوجها حتى حملت منه في قرة العين : في « نهى » التى اصبحت اليوم زوجة ..ثلاثة أشهر فقط عاشتها نبيلة سعودى معه ، وكانت حاملا منذ اللقاء الاول ،

في أحشائها جنين من صلبه ودمه .. ثلاثة أشهر فقط واذا المرض يدهمها على غير انتظار ، مرض غريب متوحش مؤلم راح يسحب النور من عينيها اليسرى يوما بعد يوم ، كانت قبل أن تمرض ترى النملة على بعد عشرة أمتار ، واذا بالبصر ينسحب ليحل محله الظلام ، واذا الطيف يبكى ألما وتطلب منه أن يميتها ، أن يقتلها ، أن يريحها من عذاب ضياع البصر كله ، فلقد كان الظلام يزحف الى العين اليمنى بعد أن قضى على اليسرى تماما .. وكانت « نهى » تكبر في الرحم ، حتى اذا جاءت الى الدنيا بعد تسعة أشهر من الزواج ، لم تمكث الام سوى شهر واحد .. ودعت بعده الدنيا ، وتركته وحيدا من جديد !!

وكانت الصدمة عنيفة قاسية .. لكنه احتمل ، وظل وفيا لذكرى حبه الاول ، لعشر سنوات كاملة .



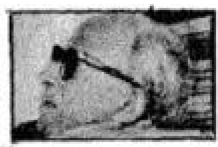
باريس :

عندما التقى الشاب بروما ، كان لقاؤه بها رقيقا ، واخذته المدينة المرهفة مأخذا لينا ، فالتقى فيها بالحضارة في غير اتقاد أو توهج .. كانت روما بالنسبة اليه ، مثل مسرح صغير .. لكنه عندما هبط الى باريس في عام ١٩٤٩ ، وجد نفسه تائها في محيط بلا قرار !

يحيى حقي

في عام ١٩٤٩ انتقل يحيى حقي من مكتب وزير الخارجية ، الى سفارتنا في باريس ، سكرتيرا أول لها .. وكان وحيدا ترك وحيدته خلفه في القاهرة ، كان حزينا يملك ذلك الاسى المتقد رغبة في العزلة ، دهشته أمواج باريس فكاد يغرق : « واللى مش عارف هو عاوز ايه ، مش حايلاقى قدامه غير الشوارع والقهاوى والبنوك والمطاعم ! » .. وحاول أن يمسك بمدينة النور فكادت تفلت منه ، غير أن أهم ما شعر به ، وأعظم ما عاشه هو هذا الاحساس القاهر بطعم الحرية ! الحرية ..

ليست كلمة لكنها معنى عظيم ينفذ الى نخاع النفس .





لم يكن قد ذاقها من قبل ، لا في القاهرة ولا في جدة ولا في تركيا ولا في روما .. لكنه في باريس التقى بها وجها لوجه ، وعرف معناها : « في باريس كل واحد حر ، الحكومة هناك هي عسكرى المرور وبس !! »

غير أنه كان يعرف ما الذي يريده من مدينة النور ، فراح يسعى اليها على حذر ، وطرق باب الفن فالتقى برفيقة العمر في مرسم .. اسمها : « مدموازيل جان ميري جيهو » .. فنانة تلتقي بفنان ، تماثيلها ولوحاتها تلوي عنقه ، كلمة بعد كلمة واذا حديث الفن يمتصهما واذا ابنة مقاطعة « بريتانيا » الفرنسية تقوده الى الوسط الفني ، والى الحب .. قصتها علاقة راحت تنمو على مهل ، وراح – في باريس – يزاول هواياته القديمة ، وها هو يعيش حيث أعظم خطباء العصر : ديكلو سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي وقتها ، ودلاديه ، ورينو ، وجول موك اليهودي، وغاير .. غير ان جلسته في لوج الدبلوماسيين بالجمعية الوطنية ، مهما بلغ استمتاعه بها ، وبأساليب الخطابة التي كان يتلونها فيها ، لم تكن تمنع الالم الدفين لنظر الاعضاء الجزائريين في هذه الجمعية حيث كانوا كما مهملا ، اذا وقف احدهم ليخطب ، تشاغل عنه اعضاء الجمعية بالحديث أو قراءة الجرائد !

هؤلاء كانوا خونة الثورة الجزائرية .. في باريس ، لم يبق سوى عامين ، نقل بعدهما الى انقرة ، وكان يحمل في قلبه حبا لم تخب ناره أبدا .

انقرة :

ها هو يعود الى تركيا من جديد ، ها هو يعود اليها وقد انحسرت ظلال الوجه الكمالية بوضوح ، ها هو يعود اليها أرمل وأبا ورجلا يحب . ها هو يعود اليها رجلا ناضجا ، مستشارا للسفارة وليس أمينا للمحفوظات ، اديبا مخضرما مارس الكتابة وعبر وشتى في وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب .. وفي انقرة بقي عامين آخرين ، شبت اثناءهما ثورة ١٩٥٢ في مصر .. وبعد قيامها بعامين ، قفز الى قمة السلك الدبلوماسي ، حيث عين وزيرا مفوضا في ليبيا .. وكان ذلك في عام ١٩٥٤ ..

ليبيا :

في ليبيا عاش عاما عصيبا ، كانت هذه هي المرة الاولى في حياته التي يتولى فيها رئاسة بعثة دبلوماسية .. كانت مصر في ذلك الوقت تقف من الاحلاف موقفا احترت له كل مسابر الدبلوماسية المصرية التقليدية ، وكانت ليبيا مقدمة على توقيع معاهدات مع امريكا وانجلترا وفرنسا ، وكان الصراع عنيفا وقلبيا وثقيلا .. وفي قلبه يكمن حبه الملتهب ، ولم يكن يستطيع الزواج من حبيبته الا اذا ترك السلك الدبلوماسي ، ولم تكن وزارة الخارجية هي ماله فلقد كان يعرف ان الفن هو طريقه ، وكان قد بلغ الخامسة والاربعين من عمره ، فمتى تلفه بيشه انفاس الحب .. متى !!

تقدم الى الوزارة طالبا الانتقال الى وزارة أخرى ، ونقل من وزارة الخارجية الى وزارة التجارة ، وتزوج حبيبته ، بعد أن عاد الى القاهرة مرة أخرى !

أخيرا .. يحيى حقي :

في عام ١٩٥٥ انشئت مصلحة الفنون، فكان هو أول وآخر مدير لها ، لانها الغيت بعد أن تركها ، وبعد أن أصبحت هناك وزارة الثقافة ، وكان آخر مناصبه هو رئيس تحرير مجلة المجلة .

... ...

... ...

ايه يا رحلة العمر الشاق المتنوع الجوانب . ولابد أن زهير بن أبي سلمى هذا الشاعر العربي الذي كان يكتب القصيدة الواحدة في عام كامل ، كان احد اجداده ، ولو بالروح .

فما زال يحيى حقي حتى اليوم منكبا يقبع خلف مكتبه الخشبي بالمكتب ، في غرفته المغلقة لرفضها وجدرانها بالكتب ، يكتب الجملة الواحدة ما يقرب من اربعين مرة ، يبحث في شوق عن اللفظ المناسب في المكان المناسب ، يكتم جمله التي يكتبها على نفسه وهو يسير وهو يأكل وهو يشرب وهو نائم .. يسلبه أشد ما يسلبه حاجتنا الملحة الى أسلوب جديد في الكتابة ، هو يرفض الاحتراف في عمله ، كما يرفض الكلام الزائد والبلاغة الشكلية .. أقرب قصصه الى نفسه هي : « صح النوم » .. وعليه الا عرفت على العود الا تسمع الناس خبطة الريشة ، وعليك اذا كتبت الا تسمع القارئ صرير القلم .. ان اعظم ما قيل له كان من فتاة في العشرين من عمرها ، لا يعرف اسمها . قالت له :

« عندما اقرأ لك ، اشعر وكأني لا اقرأ » ! ..

د. عبد المحسن
صالح

من ذرة ثائرة
.... إلى شعب ثائر

من ذرة ثائرة .... إلى شعب ثائر

الى الذين يهمهم الامر في وطننا العربي الكبير ، نقدم هذه الدراسة عن ذرة .. فتعلمهم بنظام ذرة يوقنون .. وفي امورها واحكامها يتدبرون !

ذلك ـ ولا شك ـ عنوان غريب .. ولهذا اخالكم الآن بدهشة تتساءلون فتقولون : ما وجه العلاقة بين ذرة وشعب ؟ .. وانى للذرات ان تثور ، كما تثور الشعوب ! .. اوليست الذرة هي وحدة المادة ، ومن المادة ينشأ الجماد ، وانى الحياة ! .. واذا كانت الذرة هي الاصل في الجماد ، فهل يمكن للجماد ان يثور ؟ .. ولو فرضنا جدلا ان الجماد قد ثار ، فكيف يثور كما تثور الجماعات والشعوب ؟!

أسئلة في ظاهرها غرابة ، وفي باطنها حكمة .

ولكي نتوصل الى الحكمة ، فلا بد ان نتعمق قليلا في بواطن الامور ، فهذه ستقودنا رغما عنا الى اكتشاف حقائق ابدية ، وقوانين ازلية .

فما من شيء قد ظهر في الاكوان الصغيرة والكبيرة ، الا وقد جاء الى الحياة متراكبا بوحدات خاصة .. تبدأ بسيطة ، ثم تتحد وتترابط وتتشابك لتكون اللبنات ، وتكون الخلائق والجبال والارض والكواكب والشموس والسماوات .

والذرة قد اتت الى الحياة لتشغل حيزا في الزمان والمكان بوحدات اساسية .. فالظاهر فيها كيان حي متكامل له في الحياة رسالة .. والباطن شيء آخر مختلف تماما .. انه في الاساس موجات كهرومغناطيسية ولا شك ان هذه الموجات كانت تنطلق في الكون منذ عشرات البلايين من السنين بسرعة الضوء .. اي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية ، ولكنها في زمن من عمر الكون سحيق قد تجسدت ، وتخلت عن حالتها الموجية الخالصة ، لتتجسد في جسيمات .. (١) الجسيمات مشحونة بكهرباء .. الكهرباء سالبة او موجبة ، ثم حدث الترابط والانسجام بين السالب والموجب ليكون التكامل في الذرة .. ومن الذرة تنشأ الجزيء ، ومن الجزيء تنشأ جزيئات اعقد ، ومن الجزيئات الاعقد تنشأ الخلية الحية ، ومن الخلية الحية تنشأ النسيج فالعضو ، ومن الاعضاء تنشأ الخلائق .. تنشأ انت وتنشأ غيرك !

وحدات تراكبت في وحدات لتكون بنايات من داخل بنايات من داخل بنايات .. والكل منها اساس .. وعلينا ان نأخذ الذرة هنا كاساس ، لاهمية ذلك في موضوعنا ، ولنرى كيف تثور الذرة كما تثور الشعوب .

ولكي نأخذ فكرة مبدئية عن ضآلة الذرة كان لا بد ان نقدم هنا مثلا ملموسا فنقول : ان بلورة صغيرة من السكر لا يزيد حجمها على حجم رأس دبوس صغير تحتوي على اكثر من ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١ ذرة (اي مليون مليون مليون ذرة) .. او لو تصورنا ان خمسة ملايين ذرة قد تراصت واحدة بجوار الاخرى في طابور ، لما بلغ طول هذا الطابور اكثر من ملليمتر واحد لا غير !

ومع هذه الضآلة المتناهية التي تميزها الذرة ، الا انها بمثابة كون دقيق .. انه كون مرهف التعقيد ، وقد غاصوا في اسراره الكثيرة ، رغم ضخامة البحوث الذرية العلمية التي بدأت منذ بداية هذا القرن حتى يومنا هذا

---

(١) الواقع ان عملية تجسيد الموجات ، وتكوين الجسيمات والاجسام موضوع طويل نراه في حل من التعرض هنا لتفاصيله وقد نعود اليه في مقالة قادمة .

.. صحيح ان العلماء قد عرفوا عن الذرة الكثير ، الا ان ما لم يعرف حتى الآن قد اصبح اكثر الذرة ، واصعب منالا ، وابدع اسرارا ، ولا بد من بحوث أخرى طويلة حتى تضح الحقائق الغامضة .

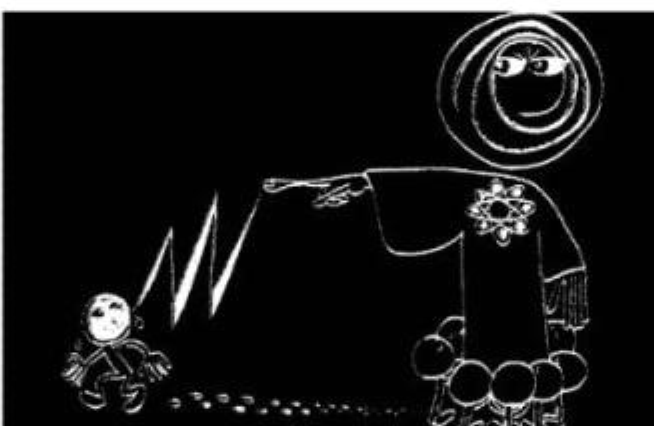
والى هنا — وبعد هذه القدمة — كان لا بد أن نعرض موضوعنا هذا بطريقة اخرى لنبتعد به عن التعقيد العلمى الذى لا تستسيغه العقول .. فلكى نعرف الكثير من عادات قوم وطباعهم وتقاليدهم ، فلا بد أن نعيش بينهم ، ومن اجل هذا كان لا بد ان نعيش بين هذه المجتمعات الذرية ، لنتحدث اليها بلغتنا ، أو تتحدث الينا بلغتها .. ولقد تصورنا الطريق واخترناه .. وبالخيال اخذت اتضاءل واتضاءل

حتى كأننى تحولت الى ذرة لتعيش بين الذرات ، واخذت المقادير تدفعنى ، والتيارات تحملنى ، حتى وصلت الى طبقات الجو العليا ، حيث تدور معركة رهيبة بين الاشعة الكونية التى تنهال على غلافنا الهوائى فى علاه ، وبين هذا المجتمع الذرى والجزيئى الذى يتواجد هناك .

وبينما أنا فى هذا التيه الفضائى دخلت فى مجال ذرة ، وحدث التزاوج او الاتحاد فى « عش ذرى » صغير نطلق عليه اسم الجزىء ، وكأنما رافقتى تحدثنى واحدثها .. هى تحدثنى بمنطق عالمها ، وأنا احدثها بمنطق عالمى الذى منه قد أتيت ، وما زلت أحتفظ فى ذاكرتى الذرية بأحداثه ومظاهره ومآسيه ، فكان هذا الحديث الذى يحمل فى طياته الاسس العلمية .

قلت لرفيقتى الذرة : ما أعجب عالمكم ، وما أغرب طباعكم .. رغم اننا لا نراكم لضآلتكم .

قالت : لا يجب عليك ان تقيس الامور بضآلة شأنها ، وبساطة تكوينها .. صحيح ان الله لم يمنحنا ضخامة فى البنيان كضخامتكم ، ولا عقلا مفكرا كعقولكم .. الا انه قد منحنى نظاما .. وفى النظام حياتى .. فلقد أشرف خالقى على تكوينى ، وبنائى وانشائى كما لم يبن ولم ينشىء فى الكون مثلى ، ومنحنى خطة مثل عظيمة ، وكأنما أسر الى ، ونفخ فى من روحه ، وكأنما همس فى كيانى وقال « عليك بنفسك ، فلقد خلقتك بقدر ، كما خلقت كل شيء فيك بقدر .. فأنت الاساس ، وعلى اساسك قد قام كل شيء فى الارض والسموات .. وعليك ان تشقى فى الحياة طريقك ، ولكن من خلال النظام البديع الذى ارسيت قواعده فى تكوينك » .. وهكذا كما ترانى .. تتمثل حياتى فى نظامى .



من ذرة ثائرة .... إلى شعب ثائر

قلت : المم به من نظام .. نظام سائر بقانون ، وسري بناموس .. فلا تكاد نرى فيه خللا ولا فروجا .. ولكن الذي يؤرقني حقا هو وجودي هنا على مشارف الفضاء .

قالت : ماذا تعني ؟

قلت : انني اخشى تلك الاشعة الكونية التي تنهال من السماوات العلا على هذا المجتمع الذري كرصاصات طائشة بأسها شديد ، ولعلها مصدر حتفه .

قالت : هكذا قدرت الامور .. ولا بد ان يسري الدفع والصراع ، لتكون الحياة .

قلت : صدقت .. « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » .. فكما ان هناك دفعا وصراعا بين البشر ، كذلك يكون الدفع والصراع هنا بين عالم الذرات وما ينهال عليها من موجات وجسيمات كرصاصات .. ولكل عالم ما يناسبه !

قالت : ولكن ماذا لو اصابتك او اصابتني رصاصة او جسيم في قلبك او قلبي .

قلت : عندئذ سوف يتفتت القلب ويتناثر ، واموت او تموتين كنظام قائم ، او قد يحدث لك ولي ما حدث لفلسطين الحبيبة .

قالت : ومن هي فلسطين الحبيبة هذه ! .. انك لغريب الاطوار .

قلت : آسف .. لقد زججت بك في موضوع لا ناقة لك فيه ولا بعير ، ولكن « تراثي » او « مخي » الذري » لا يزال يحتفظ بذكريات حزينة من عالمي الذي منه قد أتيت ، ومع ذلك فلا بد ان اوضح لك امرا من امور عالمنا ، فلا شك ان الصور تتكرر بين أحداث ذرات وشعوب !

قالت : على مهلك .. لا تفهمني شيئا ..

قلت : كان وطننا العربي في الماضي البعيد جسدا متكاملا متماسكا ذا قوة وبأس شديدين ، وكان منارا لشعوب الارض كلها ، يشع عليها بعلمه وحضارته وعدله وافكاره .. ومنذ سنوات ليست بالكثيرة تهاون ، فهان على نفسه وعلى غيره ، وحل الاستعمار بقلبه واوطانه ، لتغير كيانه ، واعصف بنهاله .. ثم كانت الطامة الكبرى عندما حلت في قلب وطننا العربي الكبير دويلة يطلقون عليها « اسرائيل » ، ولقد تبدلت امام اعيننا فلسطين فاصبحت دويلة اسرائيل .. لقد ضاع كيان ، وحل محله كيان جديد .. تماما كما يحدث لأي ذرة هنا اذا ما دخل الى قلبها غريب ، فتفقد ايضا شخصيتها التي جاءت بها من قديم الازل ، ويظهر على انقاضها كيان جديد ، وكأنما القصة تتكرر بين ذرات وشعوب .

قالت : كيف ذلك يكون !

قلت : على ان اسوق لك البرهان والدليل ، ولنراقب من حولنا تلك الاحداث الرهيبة التي تسلط على عالم الذرات وسترين بنفسك كيف تتكرر الامور .

قالت : علينا ان نراقب لنرى .. ولكن ، ألم تكن لديكم قوة عندما نشأت اسرائيل !!

قلت : لو كانت .. لما دخلت ولما نشأت وظهرت واصبحت كالدمل في الجسد .

قالت : وهل يمكن ان تعيدوا الحقوق الى اهلها .. اعني ان تتحول اسرائيل الى فلسطين !

قلت : بمنطق القوة ، ولا شيء غير القوة .. وقوتنا تتركز في علم وعمل ونظام واتحاد وارادة وصمود .. وهذا هو منطق عالمنا .

وساد بيننا فترة صمت اخذنا نرقب



لها « بعبورنا الذرية » الأحداث الرهيبة التي يتعرض لها هذا المجتمع الذري .. وفجأة كانما مرافقتي الذرة وقد لاحظت شيئاً مثيراً فصرخت

وناحت : واصهيوناه .. والثاراه ! "

وجاوبتها : وا فلسطيناه .. وا عروبتاه !

وبعد أن ترددت نداءاتنا في الكرة المحيط بنا على هيئة موجات كهرومغناطيسية ، هدأت نفوسنا الذرية قليلاً ، وبدأت مرافقتي الذرة تسأل من جديد .

قالت : ان اختنا الذرة التي دخل الى قلبها ذلك الجسيم الغريب ليست على ما يرام .. وكأنني اراها ثائرة على ما حل في كيانها .. أو كأنما هي تقسم انقسامات شتى .. فلماذا تغيرت وثارت ؟

عندئذ تمنيت لو طفرت من عيني دمعة ودموع ، ولكنني لا استطيع وانا على هيئتي الذرية ، ومع ذلك فقد عبرت من ذلك بفورة نووية والكترونية اجتاحت كياني الدقيق .. وعندما أحست الذرة باضطرابي .

قالت : هل هناك ما يثيرك أو ينغص عليك تفاعلك ؟

قلت : لقد كان مثيراً حقاً ما رأيته يحدث لأختنا الذرة – التي دخل في قلبها ذلك الغريب – من ثورة عارمة ، هو الذي أثار أحزاني .. فلقد عجبت للذرة على دخيل تثور ، ورثيت لحال شعوب على دخيل لا تثور !

قالت : أو لم تخبرني من قبل ان لكم في عالمكم عقولاً ! .. فلماذا لا تثورون وتصبحون على الدخيل جحيماً حتى يرحل !

قلت : لم تكن العقول واعية لما يجري حولها ، إذ لو كانت واعية لما حدث ما حدث .. وياليتها فعلت كما تفعل ذرة .. مجرد ذرة !

قالت : دعنا اذن من المجتمعات التي منها قد اتيت ، ولنعد الى مجتمع الذرات ، وبالتحديد تلك التي دخل في قلبها جسيم ذري ، فطرد نسبة من سكانها .. فهلا اطلعتني على سر من دخلا ، وسر من خرج !

قلت : ان الذي دخل من نوع الذي خرج ، والا فبالله اخبريني : هل دخل اليهود فلسطين ليطردوا حجارة أو صخوراً ! .. ان من طردوهم من وطنهم الأول كانوا بشراً .. كانوا عرباً .. وكذلك عندما يدخل الجسيم النووي ، فانه يطرد جسيماً أو جسيمات كانت تسكن قلب الذرة من قديم الأزل .. هذا من صنف ذاك .. بشر يطردون بشراً من وطنهم الأول ، وجسيمات تطرد جسيمات من « وطنها » النووي !

قالت : ولكنني أرى من دخل .. قد قلب كيان النوى .. فهل ترى مثل ما أرى !

قلت : هو ذلك تماماً .. وكأنما الاستعمار يتكرر هنا كما يتكرر في عالمي الذي منه أتيت ، فنرى الذرة التي « استعمرت » بجسيم دخيل ذرة نيتروجين ، ولقد حط بقلبها نيوترون كان هائماً مع الأشعة الكونية ، فطرد نسبة من سكانها – أعني بروتوناً – وفي لمحة يتم تحول النيتروجين الى كربون .. تماماً كما دخلت الصهيونية فلسطين ، لتحولها الى اسرائيل .. ونحن نعبر عن هذه الأحداث الذرية بمعادلة نووية نكتبها هكذا :

نيتروجين + نيوترون (جسم دخيل) = كربون غير مستقر أو مشع + بروتون (جسم طريد) .

واحداث أخرى كثيرة تقلب كيان الذرات ، كما تقلب كيان الناس والشعوب

.. هذه صورية ، وتلك اخرى (١) !

قالت بدهشة : ولكن لماذا لا يدخل الدخيل ويعيش مع من دخل اليهم في سلام ، ليبقى النيتروجين نيتروجينا ، او يمتلك عالمه الذي منه قد أتيت ، ويبقى فلسطين على حالها فلسطين .

قلت : ان ذلك امر لم يستقم مع « منطق » الذرات ، ان كان للذرات منطق ، فما بالك بيشر لهم عقول واوطان !! ورأيت الدخيل — كما ترين — يدخل ليعيش مع من دخل اليهم في سلام ، ولكنه قد يدخل متسللا او سائرا بمنطق القوة ، وفي كلتا الحالتين يشعر امرا خبيثا قد لا يفطن اليه القوم ، فاذا الدخيل يصبح جحيما ، فاما ان يستسلم اهل الوطن للدخيل ، وتلك طامة ، واما أن يثور كما تثور الذرة ، وتطرده من ذلك باشعاع ولهذا تسميها ذرة مشعة أو ثائرة .

اضيفي الى ذلك يا ترى أن هناك انواعا من الحشرات والطير وسائر الحيوان لا تسمح للدخلاء بأن يعيشوا في مجالها ، وكأنما هذه المخلوقات قد

من ذرة ثائرة إلى شعب ثائر

اصبحت لها اوطان وملكيات خاصة احيانا ما تستميت في الدفاع عنها .. وتصوري ياعزيزتي ان هذا منطق حشرات وطير وحيوان ، فما بالك بالانسان هو سيد مخلوقات هذا الكوكب الذي نعيش الآن على مشارفه .

الحق اقول لك : ان الانسان اذا لم يتصرف كما تتصرف هذه المخلوقات التي نعتبرها غير عاقلة ولا متطورة ولا حكيمة فلا يحق لنا ان نضعه في مرتبة اسمى منها وأرقى .

ان الذرة التي تستعمر بجسيم او جسيمات دخيلة لا تكف عن الثورة النووية ، وسوف تستمر الثورة فيداخل كيانها حتى تعود فيها الامور الى نصابها ، وتعيش في حالة من الاستقرار والتوازن المنشود .

قالت : وما السبيل الى ذلك ؟

قلت : لا بد ان يحدث لذلك امر .. فلقد تحول النيتروجين — كما سبق ان رأينا — الى كربون ، ولكنه كربون مشع ، وربما تردين معرفة السر العجيب في هذا التحول الغريب .. انها معادلة ، لكنها ليست صعبة .. فنواة ذرة النيتروجين تحتوي على بروتونات سبعة ، ونيوترونات سبعة ، ليصبح عدد سكانها من الجسيمات النووية اربعة عشر ، ولقد دخل الى قلبها نيوترونا ، وهنا يرتفع سكانها الى خمسة عشر (٧ بروتون + ٨ نيوترون) ، الا ان الدخيل قد طرد واحدا من السكان الاصليين على هيئة بروتون .. ليبقى السكان اربعة عشر

قالت متفائلة : الآن لقد عادت الامور الى سابق وضعها ، اعني ان الاربعة عشر قد صاروا مرة اخرى اربعة عشر .. واحد دخل ، وواحد خرج !

قلت : هذا هو ظاهر الامور ، اما بواطنها فشيء اخر مختلف تماما .. فالذي يحدد « شخصية » الذرة هو عدد بروتوناتها التي تسكن نواتها — تماما كما تحدد شخصية الشعوب نوع سكانها — وكل بروتون منها يحمل شحنة كهربية موجبة ، ولكي تصبح الذرة كيانا متعادلا ،

---

(١) فاذا اردت تطبيق نفس معادلتنا النووية على حالتنا فلتكن هكذا :
فلسطين + صهيونية دخيلة = اسرائيل غير مستقرة + لاجئين
واسرائيل غير مستقرة تعني ثورة تجتاح كيانها وتحويها لولا فلسطينيون لاسترداد حقهم السليب .

فلا بد ان تتواجد في بناء ذرة النيتروجين شحنات سالبة ، وقد كان .. وجاءت سبعة من الأليكترونات ذات الشحنات السالبة لتطوف حول النواة في مداراتها .. وسبعة سالبة تعادل سبعة موجبة ، وبهذا تصبح ذرة النيتروجين متعادلة ، وكذلك كل الذرات ، رغم انها تتكون في جوهرها من جسيمات مكهربة .

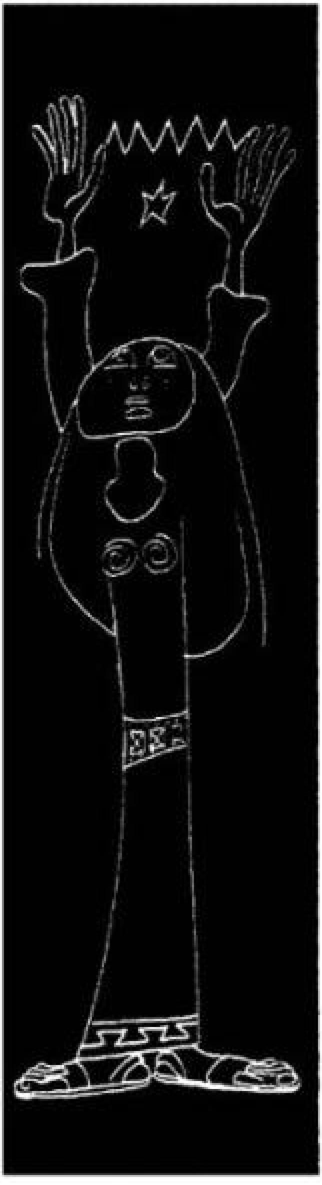
قالت : وماذا عن النيوترونات التي تسكن النواة مع البروتونات الموجبة ؟

قلت : النيوترونات — كما هو واضح من اسمها — تعني جسيمات متعادلة كهربيا .. ولكن ليس معنى هذا انها محرومة من الطبيعة الكهربية .. بل هي تحمل في تكوينها شحنة كهربية موجبة وشحنة كهربية سالبة ، وهذه تساوي تلك تماما .. ومن هنا كان التعادل أيضا على مستوى الجسيمات الذرية كما هو التعادل على مستوى التكوين الذري .

أو دعينا نوضح لك ذلك بمثال من عالمنا الذي منه قد أتينا .. فلقد جاء الانسان الى الحياة وكأنما يحمل في تكوينه النقيضين : الخير والشر .. وليكون الخير موجبا ، والشر سالبا .. ولكن الانسان ليس خيرا كله ، ولا شرا كله .. انه مخلوق متعادل ، وهو بهذا يختلف عن الملاك ومن الشيطان .. فالملاك خير صرف ، ولا يعرف شيئا عن الشر ، والشيطان شر صرف ، ولا يعرف الا الشر .. وبهذا فقد جاء الانسان كمخلوق وسط متعادل ، ليجمع بين جنبيه خيرا وشرا .. وقد تتغلب عليه نوازع الخير ليكون خيرا ، وقد يتغلب عليه الشر ليكون شريرا .. كل هذا يتوقف على العوامل والظروف التي يتعرض لها في الحياة ، وكذلك يحمل النيوترون شحنة موجبة وسالبة ليكون وسطا أو متعادلا ، كالخير والشر في الانسان .. هذه صورة ، وتلك أخرى !

قالت : ان تلك لفكرة جميلة ، ولكن هل تعني انه اذا خرج بروتون موجب من النواة ، فلا بد أن يترك اليكترون سالب مداره الذي كان فيه يدور ، حتى يعود تعادل السالب مع الموجب في بناء الذرة ؟

قلت : هو ذلك تماما .. فما الاليكترونات هنا الا بمثابة توابع أو «ذلاذيل» فاذا دخل الى الذرة بروتون ، تبعه اليكترون ، ليتخذ مدارا ، ولذا



من ذرة ثائرة .... إلى شعب ثائر

خرج البروتون ، فليس للدخيل مكان ولا كيان .. طبق هذا أيضا على البشر تخرج بنفس النتيجة :

قالت : غريبة أموركم ، وهل يسرى نفس الشيء في عالمكم ؟

قلت بحذر : وان اختلفت الصور ، وهذه من غرائب زماننا ، فلا اريد لك أن تحملي الهموم .. هموم البشر :

قالت : انها قد تعجبني !

قلت : كما تعجبنا .. سواء رضينا أم لم نرض .. ولكن دعينا من ذلك فشرحه يطول ، ولنعد الآن الى ذرتنا الثائرة ، لنعرف سر ثورتها وانتصارها .. فلقد طرد النيوترون – عندما دخل – بروتونا ، فتناقص عدد البروتونات في ذرة النيتروجين من سبعة الى ستة ، ولهذا فقد هبطت درجتها في « كادر » العناصر تبعا لذلك درجة ، فأصبحت السادسة بدلا من السابعة .. والسادس في سلم العناصر هو الكربون .. الا أن الكربون (أو الفحم) الذي يتواجد في كوكبنا على هيئة بلايين فوق بلايين من الاطنان ليس كربونا مشعا ، بل جاء متوازنا ببروتوناته ونيوتروناته .. ففي نواة كل ذرة من ذراته بروتونات ستة ، ونيوترونات ستة ، ومجموعهما اثنا عشر، ولهذا نطلق عليه اسم الكربون ١٢ أما ذرات الكربون المشعة ، فقد نشأت بطريق « غير شرعي » لنتيجة الاستعمار

لنواة النيتروجين ، ولهذا نطلق عليها اسم الكربون ١٤ (في نواتها ست بروتونات وثمانية نيوترونات) ، أو النظير المشع للكربون الطبيعي غير المشع ، وما أكثر النظائر المشعة التي تخلقت على يدي الانسان في معاملاته الذرية نتيجة « لضرب » نوى الذرات المستقرة المتوازنة بجسيمات ذرية تنطلق اليها على هيئة رصاصات دقيقة غاية الدقة ، وكأنما الانسان يحاكي ما تفعله السماء في مشارق الفضاء .

قالت : والى متى سوف تستمر ثورة ذرة أو ذراته مشعة ؟

قلت : لا بد من حدوث عمليات « تضحية وفدائية » وتغيير جذري في سكان النوى .. فلقد منحتهم الطبيعة الرحمة ، وأعطتهم الحلول التي بها يستطيعون أن يصلوا الامور الى نصابها .. الى توازنها .. (وتلك هذه الفدائية والتضحية تحدث الآن في فلسطين لتكون لعنة على اسرائيل) .

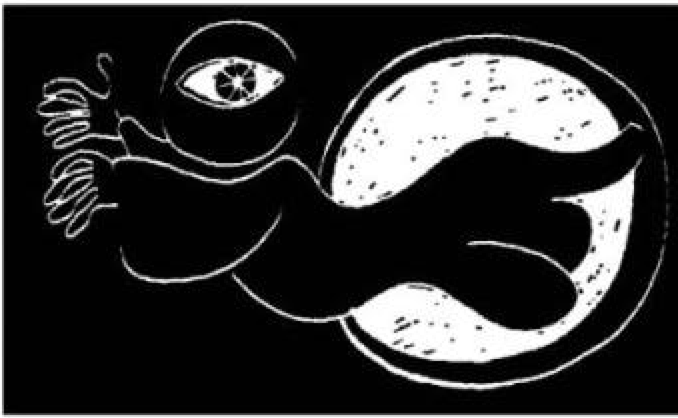
لا بد ان يضحي أحد النيوترونات بكيانه ، ويغير من طبيعته ، فاذا قتل ، ارتاحت الذرة ، وعادت ثورتها ، واستردت كيانها .

قالت : كيف ذلك يكون ؟

قلت : ان القصة لطويلة ، ولكن يكفي ان اذكر لك ان العلماء قد اكتشفوا خروج الالكترونات من نوى الذرات المشعة ، ولقد تحيروا لذلك أعظم حيرة ، لعلمهم ان الالكترون لا يمكن أن يعيش في النواة ، ولكن كيف خرج من هناك ؟ بعد بحث طويل توصلوا الى أن احد النيوترونات قد تخلص من شحنته الكهربية السالبة ، فحملها اليكترون ، وبها خرج .. وتحول النيوترون تبعا لذلك الى بروتون !

قالت : هذا أمر غريب لا استطيع ادراكه ، الا كيف يتحول نيوترون الى بروتون !

قلت : لو انك كنت تتذكرين ما سبق ان ذكرناه عن طبيعة النيوترون، لاستطعت أن تدركي روعة هذا النظام العجيب .. فالنيوترون رغم انه جسيم متعادل ، الا انه يحمل في طياته شحنة كهربية موجبة وشحنة سالبة . . هذه تساوي تلك تماما .. وسالب وموجب يعني التعادل .. ولقد خرجت الشحنة السالبة على



هيئة اليكترون، فبقيت للجسيم الشحنة الموجبة ، وجسيم في النواة بشحنة موجبة يعني بروتونا .. تماما كما لو تصورنا الانسان قد تخلى عن الشر ، عندئذ سيصبح كله خيرا .

قالت : ليست .. كون بديع ، ذو نظم متقنة وقوانين رائعة !

قلت : واظنك ما زلت تتذكرين ان نواة الكربون المشع كانت تحتوي على بروتونات ستة ، ونيوترونات ثمانية .. ولقد تحول احد النيوترونات فيها الى بروتون .. فماذا يعني هذا ؟

قالت : يعني أن عدد البروتونات زاد واحدا ، ونقص عدد النيوترونات واحدا .. اي اصبحت الستة سبعة (بزيادة بروتون) ، والثمانية سبعة (بنقص نيوترون) .. يعني بعد هذا التغيير انه قد اصبح في النواة بروتونات سبعة ، ونيوترونات سبعة .

قلت : وماذا يعني هذا ؟

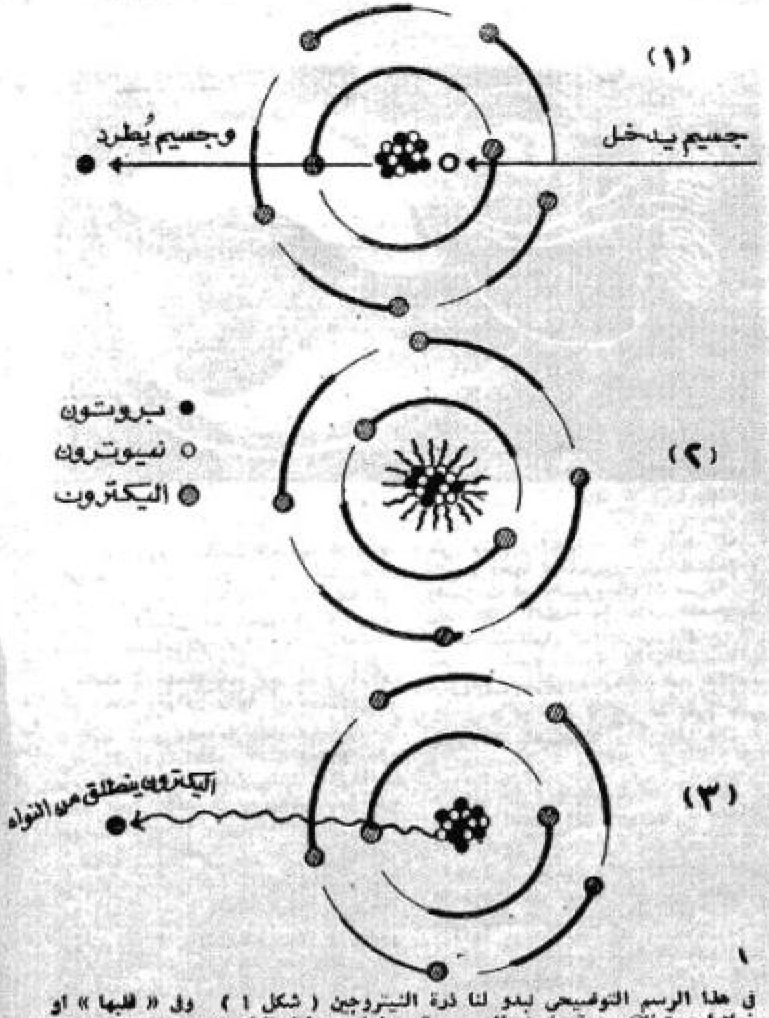
قالت : سبعة وسبعة يعني نواة ذرة النيتروجين التي ذكرنا بنيانها من قبل .. اليس كذلك ؟

قلت : تماما.. وبهذا التغيير الذري على مستوى الذرة ، قد عادت الامور الى « اهلها » .. الى نصابهـا ، واستردت ذرة النيتروجين شخصيتها .. ولقد تأكد العلماء من هذه الحقيقـة عندما اكتشفوا ان الكربون المشع قد عاد مرة اخرى نتيجة لهذا التغيير الى نيتروجين مستقر ، وهكذا كما بدأ عاد .. و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .. وهكذا لقـد استطاعت الذرة غير المستقرة ان تغير ما حل بها ، فتخلصت من كربهـا ، وعادت الحقوق الى اصحابها ، وعدلت بذلك ثورتها .

قالت : وارجو كذلك ان تنتهي نفس الاحداث التي سقتها الي من عالمكم ، حتى تهدأ الامور في اوطانكم .

قلت : اتقصدين : « فلسطين التي اصبحت اسرائيل .. » .. وعلى سكانها الاصليين ان يثوروا ويكافحوا لكي تعود اليهم مرة اخرى فلسطين .. اسوة بذرة نيتروجين !!

قالت : هو ذلك تماما .. فلماذا لا تفعلون كما تفعل الذرة .. مجـرد ذرة !!



في هذا الرسم التوضيحي يبدو لنا ذرة النيتروجين (شكل ١) وفي « قلبها » او نواتها بروتونات سبعة ونيوترونات سبعة وتطوف حولها اليكترونات سبعة (في مدارين) .. وهي بهذه الصورة تصبح ذرة متوازنة ، وعندما يدخل نيوترون (حيث يشير السهم) الى قلبها عنوة ، فانه يطرد من سكانها بروتونا (حيث يخرج السهم) ، وهنا يحدث الخلل ، وتفقد « شخصيتها » ، وتتحول الى ذرة كربون مشع أو ثائر (شكل ٢) ببروتونات ستة ونيوترونات ثمانية وتطوف حوله اليكترونات ستة (لاحظ الخلل في عدد سكان النواة) .. ولا تزال الذرات في اشعاع وعدم توازن الى ان تعيد تغيير ما حل بقلبها ، فينطلق من جوفها اليكترون ، وبهذا يتحول الكربون المشع الى نيتروجين مستقر .. كما بدأ عاد ! ..

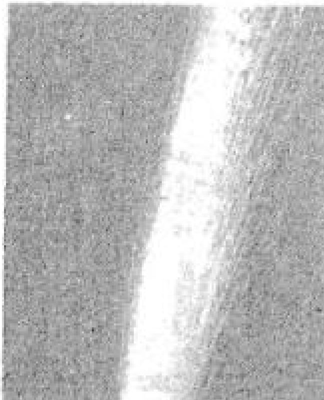
قلت : انك بهذا تحرجيننا .. خصوصا وانتا بشر ذوو عقول !

قالت : انني لجد اسفة .. لما هذا تصدت .

قلت : سواء قصدت أم لم تقصدي، فان الحقيقة بالنسبة لي مريرة .. وكالعصا طبيعة بنالك توحي الينا امورا مثيرة .. قالت من وحدات متماسكة صلبة متينة .. وقوتك الحقيقية تتركز في قلبك .. في نواتك ، فالجسيم يتماسك مع الجسيم بقوة نووية هائلة ، ولم تعرف خطورة هذه القوة الا من طريق تحرير تلك الطاقة النووية .. وكم تمنيت أن تتماسك شعوبنا العربية كما تتماسك جسيماتك ، ليشد بعضها أزر بعض ، فتكون القوة الحقيقية .

قالت : ولماذا لا تفعلون ؟

قلت : لا تسأليني واسألي الذين يهيمنون .. فلست أدري ما يجري في الرءوس .. ولكن الذى تدريه حقا أن تلك الذرة لها من عدد الجسيمات مثل ما لنا من عدد من دول عربية .. او قد تكون أكثر او اقل ، فليس ذلك مهما بقدر ما يهمنا أن يدخل في قلب هذا



صورة مكبرة لسيل من الشعاع قاتل ينطلق من هيئة ذرية مشعة

العدد الكبير تلك الدويلة الغريبة التي قد اصبحت بمثابة « الدمل » في الجسد العربي .. ولايزال الجسد في صراع مع الدمل حتى يلفظه ويقضي عليه .. كما لاتزال الذرة أيضا في ثورة وصراع مع الجسيم الدخيل حتى تتوازن الامور ..

ولكن الذى لا تستطيع أن تتوصل الى فهمه حقا أن دولنا العربية لا تزال تعيش في وديان متفرقة ، رغم علمهم أن الاتحاد قوة .. والقوة هي منطق هذا العالم الذى نعيش فيه اليوم .. وقبل اليوم .. وبعد اليوم .

ولقد ثار البناء الذرى ككل على الدخيل .. ولقد ثار شعب فلسطين أيضا على الدخيل ، وساندته بعض من دول تعد على أصابع اليد الواحدة .

قالت مقاطعة: هذا اذن امر عظيم !

قلت : ولكن ما يدريك أن هناك من يضربون هذه الثورة المشروعة، ويحاولون اخمادها، ليستأسد الدخيل ! بل الأدهى من ذلك وأمر ، أن الذين يضربون عرب!

قالت : ان ذلك لجنون ! .. ولماذا يفعلون ؟

قلت : هكذا تزين لهم العقول .. والعقول خاوية من القيم ، مليئة بالاطماع .. وياليتها لملمت مثلما لملمت ذرة .. مجرد ذرة !

قالت : ان هذا لامر مؤسف .

قلت : لا اريد لك ان تحملي الهموم .. هموم البشر .

وفجأة اصاب مرافقتي الذرة جسيم شارد في قلبها او نواتها ، وانطلقت منها موجات كهرومغناطيسية « كصرخات » هائلة تجرى بسرعة الضوء ، ولقد كان هذا الحدث الجلل كفيلا باخراجي من صورتي الذرية ، لاعود الى هيئتي البشرية ، فاكتب لمن يهمهم الامر هذا المقال ، فلعلنا نتعلم من ذرة نعتبر ، ولنكن وحدة في الكفاح واحدة ، او لنكن كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » !



قصة قصيرة

الصورة

د. نوال السعداوى

كل شىء كان يمكن ان يستمر كما كان فى حياة نرجس لولا ان يدها اصطدمت صدفة بظهر نبوية فارتطمت اصابعها بكرة طرية من اللحم ، ورات عيناها المدهشتان

بروزين صغيرين يهتزان تحت جلبابها مع اهتزازات ذراعيها وهى تغسل امام الحوض .. لاول مرة تكتشف ان لنبوية ردفين .. نبوية التى جاءت اليهم من البلد العام الماضى خادمة صغيرة

جسمها ناحل جاف كعود الذرة لا تكاد تعرف ظهرها من بطنها ولولا اسمها « نبوية » لظننت انها ولد ..

ووجدت نرجس نفسها امام المرآة فى حجرتها ، واستدارت حول نفسها امام المرآة . واتسعت

عيناها فى دهشة حين رات بروزين صغيرين يهتزان تحت الفستان ، وامتدت

يدها فى استطلاع تستكشف ظهرها ، واصطدمت اصابعها

المرتجفة بكرتين طريتين من اللحم .. هى ايضا لها لها ردفان ؟ !

ورفعت فستانها من الخلف لتكشف عنهما ، ولوت راسها لتراهما من الناحية الاخرى لكنهما كانا يدوران مع جسمها

ويختفيان وراءها . وحاولت ان تثبت نصفها الاسفل امام المرآة وتدور بعينيها دورة كاملة حول

جسمها لكنها لم تستطع . كان راسها يلف فيلف معه نصفها الاعلى وكلما دار

نصفها الاعلى دار معه نصفها الاسفل . وشعرت بشىء من الاستغراب ..

انها لا تستطيع ان ترى نفسها من الخلف على حين انها تستطيع ان ترى نبوية

من الخلف .. وخيل اليها فى تلك اللحظة انها اكتشفت محنة جديدة

للانسان .. ذلك انه لا يستطيع ان يرى جسمه

الذى ولد به والذى يحمله

معه فى كل مكان وفى كل وقت كما يستطيع ان يرى اجسام الاخرين .

وخطرت لها فكرة سريعة : ان تذهب الى المطبخ وتطلب من نبوية

ان تنظر الى ظهرها لم تصف لها ردفيها بدقة .. ما شكلهما .. هل هما مستديران او

بيضاويان .. هل هما يهتزان وهى واقفة او حين تسير فقط .. هل هما

بارزان ولافتان للنظر اوانهما لا يلفتان النظر ..

وهمت ان تذهب لكنها

توقفت .. أيمكن ان تطلب من نبوية مثل هذا الطلب نبوية الخادمة التى لم

تكن تبادلها الكلام . كانت تصدر اليها اوامر ابعد

ما تكون عن الكلام وكانت

اجابات نبوية بحاضر او نعم ابعد ما تكون عن

الصورة

الاجابات وانما هي ردود فعل تلقائية تتابع بانتظام بنفس السرعة ونفس الدرجة من الارتفاع كانجذابات الآلة سواء بسواء .

وشعرت بشيء من الضيق وصممت على ان ترى ظهرها بنفسها فشدت فستانها فانحسر تماما من الخلف وثبتت قدميها في الارض ولوت رأسها وطارت بعينيها حول جسمها . لكن رأسها ما لبث ان توقف عن الحركة ولم تصل عيناها الصورة حول نفسها ..

وشدت عضلاتها بقوة وحاولت ان تلوى رأسها مرة اخرى .. وبينما هي تدور برأسها امام المرآة وقد تعرى ظهرها من اخره اصطدمت عيناها بعيني ابيها فارتجفت ..

كانت تعرف انهما ليستا عينيه الحقيقيتين وانما هي صورته المعلقة على الجدار لكن جسمها الصغير ظل يرتجف حتى شدت الفستان وغطت ظهرها .

ولم تستطع ان تحول عينيها عن عينيه .. كانت تريد ان تراهما . في كل مرة حين كانت تنظر الى ابيها كانت تحس انها لا تراه بما فيه الكفاية وانها تريد ان تراه اكثر .

ثلاثة عشر عاما منذ ولدت وهي تراه كل يوم من الخلف فقط .. حين يكون ظهره ناحيتها تستطيع ان ترفع عينيها وتتأمل قامته الطويلة العريضة .. لم ترفع عينيها في عينيه مرة واحدة ولم يحدث ان بادلته النظرات او الكلام .. اذا نظر اليها اطرقت واذا وجه اليها كلاما لم يكن كلاما وانما توجيهات واوامر تلتقطها بعقل او نمو في تتابع آلي وطاعة عمياء ..حين امرها ان تترك المدرسة وتبقى في البيت تركت المدرسة وبقيت في البيت .. وحين امرها الا تفتح النوافذ لم تفتح النوافذ .. وحين امرها الا تنظر من وراء الشيش لم تنظر من وراء الشيش.. حتى حينما امرها ان تتوضأ قبل ان تنام لتحلم احلاما شريفة اصبحت تتوضأ قبل ان تنام واصبحت تحلم احلاما شريفة .

وظلت عيناها مشدودتين الى عينيه .. تريد ان تنظر اليه ولا تطرف ، ان تثبت عينيها في عينيه وتراهما وتعرفهما وتألفهما لكنها لم تستطع .. كانت هناك مسافة دائما تبعد عينيها عن عينيه فلا تستطيع ان تراهما عن قرب رغم ان انفها كاد يلامس الصورة .. وبدا لها وجهه كبيرا وانفه ضخما مقوسا وعيناه غائرتين واسعتين تكاد تبتلعانها ..

واخفت وجهها بيديها .. وعاد الى ذاكرتها المكتب الكبير ومن خلفه ارتفع انف ابيها المقوس من بين الاوراق الكثيرة .. يتطلع من حين الى حين الى ذلك الطابور الطويل من الناس الذين وقفوا امامه ورؤوسهم منحنية اليه في استجداء وخشوع .. ويهتز رأسه الكبير بين اكوام الورق وتلتف اصابعه الطويلة النحيلة حول القلم يجري به على الورق في سرعة شديدة .. وتضم ساقيها الرفيعتين الصغيرتين وهي جالسة في الركن وتنكمش حول نفسها كاتمة انفاسها ايمكن ان تكون ابنة هذا الرجل العظيم ؟.. وحين كان ابوها يقف ترتفع قامته الطويلة العريضة

من وراء المكتب ويكاد طرف انفه العالي يلامس السقف .. وترفع راسها في زهو وهي تسير الى جواره في الشارع وتكاد ترى العيون كلها متجهة الى ابيها ، والشفاه كلها حين تنفرج انما هي تنفرج بالدعاء لابيها ، وتكاد اذناها الصغيرتان تلتقطان همسا خافتا يدور دائما بين الناس السائرين في الشارع : هذا هو صاحب الامر والنهي وهذه هي ابنته نرجس التي تسير بجواره ! وحين يجتازان الشارع يمسك ابوها يدها في يده وتلتف اصابعه الكبيرة حول اصابعها الصغيرة فيخفق قلبها وتتلاحق انفاسها وتميل براسها لتلثم يده. وما ان تلامس شفتاها يده الكبيرة الشعرة حتى تنفذ الى انفها تلك الرائحة القوية .. رائحة ابيها المميزة .. لا تعرف تماما ماهي ولكنها تشمها في كل مكان يوجد فيه ، وحين تدخل حجرته تشمها في كل انحاء الحجرة وفي السرير وفي الدولاب وفي الملابس .. واحيانا تدفن راسها في ملابسه لتشمها اكثر واكثر ، وقد تقبل ملابسه وتلثمها وتركع امام صورته الكبيرة فوق سريره وتكاد تصلي ... ليست تلك الصلاة العادية التي تؤديها بسرعة لانها لم تره ابدا ، ولكنها عبادة حقيقية والله حقيقي تراه بعينيها وتسمعه باذنيها وتشمه بانفها وهو الذي يشتري لها الطعام والملابس وله مكتب كبير واوراق كثيرة يعرف كل ما فيها ويقضي للناس حاجاتهم وفوق كل ذلك يكتب بالقلم بسرعة تخطف البصر .

ووجدت نرجس نفسها راكعة امام الصورة كانما تصلي انتهت وهي مطرقة الى الارض في خشوع وقالت بعد كلماتها كل ليلة قبل ان تنام ... وبينما هي تستلقي على ظهرها احست ردفاها البارزان بالسرير فسرت في جسدها رعشة لذيذة جديدة .. وامتدت اصابعها المرتجفة تتحسس ظهرها . كأنهما مكورتان من اللحم تحشران بينها وبين السرير . وانقلبت على وجهها لتزول احساسها بهما وتنام لكن ردفاها ارتفعا في الهواء عاليين بثقلهما على بطنها .. وانقلبت على جنبها لكنهما ظلا يحتكان بالسرير مع كل حركة شهيق او زفير . وتوقفت عن التنفس لحظة لكن انفاسها مالبثت ان تاهت وتلاحقت بسرعة جعلت جسمها الصغير ينتفض في اهتزازات سريعة وهز معه السرير محدثا صريرا خافتا ، خيل اليها في سكون الليل انه



الصورة

مسموع وانه يصل الى اذنى ابيها النائم فى حجرته ، والذى سيعرف بلا ريب مصدره وسببه الحقيقى .

وارتعدت لهذه الفكرة وحاولت ان تكتم انفاسها لكف السرير عن الصرير وكادت تختنق لولا ان الهواء اندفع بقوة داخل صدرها فارتج جسمها ارتجاجا شديدا وارتجت السرير وهو يزعق فى سكون الليل بالصرير اللعين ، فقفزت خارج السرير ..

وما ان استقرت بقدميها على الارض حتى كف السرير عن الصرير ولم تعد تسمع الا اصوات انفاسها اللاهثة .. التى اخذت تهدأ شيئا فشيئا حتى هدأت تماما . وما ان عاد السكون الى حجرتها كل ليلة حتى تذكرت انها لم تتوضأ قبل ان تنام . وشعرت بشىء من الراحة حين اكتشفت سبب تلك الاحاسيس الآثمة التى تسللت الى جسدها فى الظاهر .

وبينما كانت نرجس واقفة امام الحوض تتوضأ وهى تبسمل وتحوقل وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم التقطت اذناها صوتا خافتا ينبعث من وراء باب المطبخ . نبوية لم تنم حتى الآن ! ودفعت باب المطبخ برفق لكن الباب لم ينفتح . ووصل الى اذنيها الصوت الخافت مرة اخرى فوضعت اذنيها على الباب وسمعت بوضوح صوت انفاس تتلاحق بسرعة واضطراب . وابتسمت وهى تحس شيئا من الراحة .. نبوية طرقة مثلها تستكشف ردفيها الجديدين ! وتعرف راسها يطل وهى فوق الباب فاصبحت عيناها على الثقب ونظرت داخل المطبخ . كانت الكنبة الصغيرة التى تنام عليها نبوية خالية وابصرت شيئا يتحرك على ارض المطبخ . دققت فيه النظر . واتسعت حدقتا عينيها وهما تستقران على كتلة عارية من اللحم تتحرج على الارض ولها راسان .. احدهما راس نبوية بضفائرها الطويلة والآخر راس ابيها بانفه المقوس العالى ! كان يمكن فى تلك اللحظة ان تسقط على الارض بعيدا عن الثقب لكن عينيها ظلتا فوق الثقب وقد التصقتا به التصاقا وكانما هما جزء منه وتجمدت نظراتها فوق الكتلة الكبيرة العارية وهى تتحرج فيصطدم راس نبوية على الارض ويرتطم بصفيحة الزبالة ويرتفع راس ابيها الى فوق ويخبط فى قاع الحوض

لم تعرف نرجس كيف انفصلت عيناها عن الثقب وكيف عادت الى حجرتها ونظرت فى المرآة .. كان راسها الصغير ينتفض ويدور حول جسمها فى اهتزازات سريعة .. واصطدمت عيناها الزائغتان بردفيها البارزين وهما يصاحبان جسمها فى اهتزازات سيمفونية .. واشتد بدها بلى وهى

تكشف ظهرها من الخبرة وهى ترمق وجه ابيهـــا بطرف عينيهـا . وكانت الرجفة القديمة تسرى فى ذراعها فتشد فستانهـا وتغطى نفسها لكن ذراعها لم تتحرك وقالت تحملق فى وجه ابيها دون ان تطرف .. كانت عيناه الواسعتان جاحظتين وانفه المقوس الحاد يشطر وجهه شطرين وقد التصق بطرفه الدبب العالى خيط طويل من العنكبوت يهتز مع نسمة الليل المتدفقة من خـلال الشيش ..



واقتربت نرجس من الصورة ونفخت العنكبوت عن انف ابيها لكن رذاذ لعابها انتشر فوق الصورة والتصق العنكبوت بوجه ابيها . وحاولت ان تنفخه مرة اخرى لكنه التصق اكثر وامتدت يداها دون وعى وباظافرها الطويلة الحادة راحت تنزع خيوطه الطويلة الرفيعـة من الصورة . واستطاعت ان تنزعه فعلا لكنها كانت تنزع معه ايضـا ورق الصورة التى تبلل بلعابها وتساقطت بين اصابعها الى الارض فتاتيت صغيرة



د. محمد طلعت عيسى

التليفزيون
أخطر أدوات التحوّل الثقافي

بحث ميداني في القاهرة - عمان - بيروت

في مطلع الستينات من هذا القرن ، طرأ على حياتنا الأسرية زائر عجيب ، أثر بحضوره على العقل والنفس ، على الفكر والروح ... أحببناه وكرهناه ... عشقناه ورفضناه !!

وانعكست هذه الحيرة على أفكارنا وأحاسيسنا ، ولم يكن ذلك كله بإرادتنا المطلقة من أي قيد .. فعندما انتقل إلى بيوتنا هذا الجهاز السحري « التليفزيون » حدثت ثورة خطيرة في علاقاتنا الأسرية ، أثرت بعمق على أذواقنا ومعاييرنا ، وبالتالي على بناء المجتمع وثقافته .

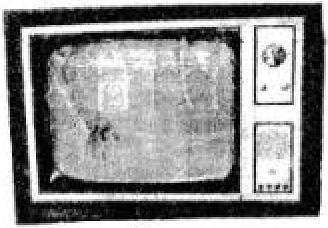
هنا أول تجمع حقيقي لأفراد الأسرة .. صغارها وكبارها ، [illegible] الفكر الواحد ، ولكن [illegible] الأجيال المختلفة في الأسرة الواحدة حول مصدر ترويحي وتثقيفي واحد .

[illegible]

سارت عجلة التغيير بسرعة فائقة مذهلة .. اكتسحت معها وطوت عددا كبيرا من المعايير التي كانت قد استقرت ورسخت وجودها في نفوس الناس وعقولهم منذ مئات السنين ، كما دفعت عجلة التغيير بالناشيء الصغير الى عالم جديد اكثر أتساعا من استعداداته الادراكية واكثر تشابكا وتعقيدا من قدراته التفسيرية العادية .. وكان لكل ذلك آثاره من ناحية شكل الحياة الاجتماعية والاخلاقية في مجتمعنا المعاصر ومن ناحية محتواها في الوقت ذاته .

وقد استطاع عدد كبير من الدول المتقدمة ان يستثمر القدرات الفعالة للتليفزيون في الاتصال والتأثير الجماهيري حتى أصبح اداة قادرة على حمل الآداب والمعايير والقيم الى عقول الناس ونفوسهم بصورة مكملة تماما لدور المؤسسات والمعاهد التربوية بل وبلغت قدرات التليفزيون في بعض الاحيان حدا فاق كل الابعاد والآمال المتوقعة له كأداة للاتصال الجماهيري . ويكفي أن نتابع تطور اعادة بناء المجتمع الالماني بعد ان حطمته الحرب العالمية الثانية ، لنجد أن سرعة النمو بلغت حدها الاقصى مع ظهور التليفزيون وخضوع برامجه لسياسة تخطيطية ترتكز على فلسفة النماذج والانماط الفكرية والانسانية في التغيير الفردي والجماعي والمجتمعي المخطط .

واذا كان التليفزيون الالماني قد استطاع أن يحقق مسئولياته بنجاح كبير ، فذلك لان الثالوث الاساسي في عملية المواجهة لاحداث التغيير - ونعني به الهدف والجمهور والوسائل - قد تم التنسيق بين ادوارها ووظائفها ، وامكانياتها ومطالبها بشكل ايجابي تماما . هذا على الرغم من ان امكانيات التغيير الثقافي والاخلاقي - الذي هو جوهر التنمية الاجتماعية - ليست ميسورة بسرعة كافية وبنسق واضح ، لصعوبات يرجع بعضها



الى خصائص البناء الثقافي للجماعات والمجتمعات موضوع التغيير - وعلى الاخص عمق العادات والتقاليد والقيم او ما يمكن ان نسميه بالسنن الاخلاقية - ويرجع جانب آخر الى سمات وخصائص العلاقات الاجتماعية بين الافراد والجماعات واللون الغالب عليها من تعاون او تنافس او صراع او توافق او تمثل او تكيف وما الى ذلك .

فالتراث الثقافي - او ما يعرف بحصيلة الاجيال المتعاقبة يمثل قوة ذات حدين : احداهما دافعة وحافزة للنمو والتكامل بما تحمله من تراكم الخبرات وتواصل الابداع الانساني على مر الاجيال والعصور ، والثانية طاردة او معوقة لاي جديد يمكن أن يغير من ملامح الماضي وتراث الاجيال - بما له من قداسة تبلغ حد التبجيل والعبادة - في بعض المظاهر الثقافية ذات الجذور الروحية او التقليدية .

وهناك جانب هام في قصور اي اداة من ادوات الاتصال الجماهيري عن احداث التغيير المنشود بالشكل الامثل وبالسرعة المطلوبة وهو عدم ملاءمتها لان تطور نفسها من حيث القدرة على توصيل الافكار والمعلومات والاتجاهات الى نوعيات غير متجانسة من الجماهير لان تصميمها - في الغالب - يقوم على اساس التخصص لفئة

واحدة أو فئات محدودة من الجماهير . أما الخاصية التي يتميز بها التليفزيون فهي قدرته على أن يخاطب كافة الفئات الشعبية سواء من ناحيـة التعليم أو التثقيف ، أو من الناحية الطبقية أو المهنية ، أو من ناحية المهارات والقدرات والمعلومات والإمكانيات العامة ، إلى جانب المستوى الثقافي أو الفكري بمعنـاه الواسع .

هذه القدرة الفائقة يمكن أن تكون نعمة ونقمة في الوقت ذاته . والفيصـل الوحيد في ذلك هو درجة كفاءة هذا الجهاز في التأثير الجماهيري . فهو نعمة لا حدود لها إذا استطاع أن يكون حافلا وناقلا للقيم والمعايير والآداب الهادفة إلى إحـداث التغيير الثقافي والأخلاقي اللازم لمتطلبات التنمية لإقامة المجتمع الأفضل . وهـو نقمة لا حدود لها أيضا إذا سخر على أهواء وأذواق ذاتية بحتة واستشرت فيه البرامج غير الهادفة التي تسعى إلى مخاطبة الانفعالات والغرائز أكثر من مخاطبتها لقوى الناس المدركة والواعية

● ● ●

ونظرا لدور التليفزيون في إحـداث التغيير الثقافي في كل من المجتمعات التي يغلب عليها الترويح التجاري الخارجي وتلك التي تميل إلى الترويح الأسري الداخلي ، على السواء . كان بحث لنا عن التماسك الأسري : مقوماته وآثاره في كل من مصر والأردن ولبنان ، أجريناه في شهري مارس وأبريل عام ١٩٦٩ ، حاولنا الكشف عن أثر التليفزيون في التجمع الأسري ، وفي نقل الأنماط والآداب وبلورتها أمام الجماهير ، وعلى الأخص جوانب القصور في هذه الأداة من تحقيق ما يرجوه منها الجماهير في هذه المجتمعات الثلاثة .

وقد حرصنا على أن تكون العينـة المختارة للبحث ممثلة إلى حد كبير للطبقات والفئات المختلفة في كل مجتمع ، ووجهنا عنـاية خاصة إلى الفئات المهنيـة والثقافية ، وإلى شباب العمال وطلاب الجامعات ، وإلى المرأة بفئتيها العاملة وغير العاملة ، المتعلمة منها وغير المتعلمة واعتبرنا الآباء والأمهات مصدرا أكثر دقة ودلالة من تأثير التليفزيون على الأطفال من واقع مشاهداتهم للتغيرات السلوكية التي يتعرض لها الأبناء كتأثير مباشر لبرامج التليفزيون

واتبعنا في هذا البحث أسلوب المقابلة الطويلة والحديث التلقائي غير المقيد على استخدام « قائمة بالأسئلة » أو كشف بحث أثناء المقابلة ، وضيقنا نطـاق العينة إلى حد ممكن بحيث تقتصر على « نماذج » لكـل فئة من الفئات التي أسلفنا الإشارة إليها « ٢٥ أسرة من مصر و ١٥ أسرة من الأردن و ١٥ أسرة من لبنان » . ولهذا فإن التمثيل الـذي حرصنا على الوفاء به ليس كميا وإنما نوعي بحت لاستحالة التمثيل الكمي في بحث استطلاعي عن التماسك الأسري : مقوماته وآثاره ، وفي منهج البحث يعتمد على « دراسة الحالة » بصـورة أساسية .

وقد تضمن هذا البحث توجيه بعض الأسئلة حول التليفزيون ، بحيث يأتي الحديث عنها في أعقاب الاستفسار عما إذا كانت الأسرة تجد فرصة يومية للالتقاء بكامل أفرادها سواء على مائدة الطعام أو في نشاط ترويحي . ويهدف الحديث حول التليفزيون إلى الكشف عن المتغيرات الأساسية الآتية :

(١) هل استطاعت الأسرة أن تستفيد من برامج التليفزيون في أي وجه من وجوه حياتها ؟ وما هي نوعية ومدى الاستفادة ؟

(٢) هل تعتقد الأسرة أن التليفزيون لم يستطع أن يحقق الأمل المرجو منـه ؟ وما هي التصورات الجماهيرية حول مسئولياته وإمكانياته ؟

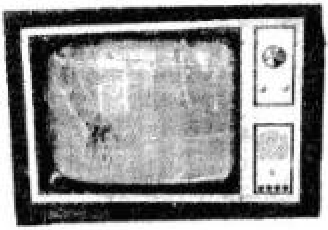
(٣) هل يعتقد أن لبعض البرامج التي شاهدتها الأسرة في التليفزيون أثرا في أبنائها وسلوكها ، وبالأخص عـلاقة

الزوجين ببعضهما ، وعلاقتهما بالابناء ، وعلاقة الابناء بالاباء ومدى التقائهم او انحرافهم عن النموذج الامثل ؟

وقد لوحظ أن تأثير التليفزيون بالمجتمعات التى يغلب فيهما الترويح الداخلى اكثر وضوحا من غيرها وخاصة من ناحية التماسك الاسرى . ففى **المجتمع الاردنى** لوحظ ان للتليفزيون فعالية كبيرة فى الانماط الاسرية ، حيث ابدت ٦٦٫٧٪ من الاسر موضوع البحث انها قد استفادت فى نواحى تدبير ميزانية الاسرة ، فى تنظيم الولائم وتضييق نطاقها ، فى استخدام ادوات مهملة والانتفاع بها جماليا وماديا ، .. ونظرا لان تجربة التليفزيون الاردنى كانت حديثة العهد بالجماهير وقت اجراء البحث ، حيث لم يتجاوز عمرهـــا سنتين فقط ، فان نسبة كبيرة ايضـا لم تتهم التليفزيون بعدم تحقيقـه للامال المرجوة منه

ابدى حوالى ٥ر١٣٪ من الاسر موضوع البحث ان التليفزيون ليس الا اداة للتسلية ، ولم يستطع أن يقوم بدور توجيهى وعلى الاخص فى الاطـار الاسرى ومن امثلة النقد الذى ينسب الى برامجه انه لم يتناول القضايا الجوهرية فى حياة الاسرة واخصها اختيـار الوالدين لشريك الحياة لبناتهم وابنائهم دون اكتراث برأى أصحاب الشأن فى التشكيل الاسرى ، ومشاكل الطـوة والقدية وغيرهما ممـا يتعلق بالصلح المشأرى والتقافى المشأرى ،

ومن ناحية تأثير التليفـزيون فى الاتجاهات والسلوك لقـد وجد ان المجتمعات المتفتحة على شاكلة **المجتمع اللبنانى** كانت الاسرة أكثر تأثرا بالتعاليم والحملات الدعائية التى تقدمها قنوات التليفزيون ــ القائمة على المنافسـة التجارية ــ من المجتمعات المحافظة على شاكلة المجتمع المصرى والمجتمع الاردنى بوجه خاص وكلاهما يتلقى الاعلام والتأثير بواسطة جهاز تشرف عليـه الدولة .



ويمكـــن تفسير ذلك من الاجابات الواردة حول موضوع تنظيم الاسرة ،هل تعتقـد الاسرة ان لبعض البرامج التى شاهدتها بالتليفزيون تأثير على اتجاهها نحو ضبط النسل مثلا :

لقد تبين ان اعلى نسبة جاءت بالمجتمع اللبنانى «٣٠ر٩٣٪ » يليها الاسرة المصرية « ٨ر٤٢٪ »ثم الاسرة الاردنية «٣٥ر٢٢٪» .. ولقـد لوحظ ان الاسر التى تأثرت اتجـاهاتها لم يتغير سـلوكها بنفس النسبة ، لقد ابدت « ١٥ » اسرة فى المجتمع المصرى انها قد تأثرت بالبـرامج التى تعالج التنظيم الاسرى وانها توافـق على ضرورة اتخاذ الزوجين لوسائل يرتضونها لضبط النسل . ولكن هذه النسبة انخفضت عندما تناول السؤال مسألة السلوك لا الاتجاهات ، على شاكلة :

هل قامت الاسرة فعلا باستخدام بعض وسائل الضبط بعد تأثرها ببرامج التنظيم الاسرى ؟

لقد تبين أن ٧ر٥٪ فقط من الاسر المصرية موضـوع البحث « اسرتان فقط من ٣٥ اسرة » قد مارسـت فعلا بعض وسائل ضبط النسل كنتيجة لمشاهدة برامج التليفزيون ولم تبد أى اسرة اردنية من اسر البحث اقدامها فعلا على استخدام اية وسائل ضابطة .

وقد ظهر ذلك بوضوح أيضـا عند الاستفسار عن أثر برامج التليفزيون فى اتجاه رب الاسرة نحو خروج المرأة للعمل ،

لقد ابدى ٩٥٫٣٪ من ارباب أسر البحث اللبنانية موافقتهم على عمل المرأة وأبدى ٩٣٫٣٪ موافقتهم على خروج الزوجة للعمل حتى اذا لم تكن تعمل وقت البحث .

بينمـــا أبدى ٨٠٪ من أرباب الاسر الاردنية موافقتهم على عمــــل المرأة ، وانخفضت هذه النســـبة الى ٥٣٫٣٪ بالنسبة لسلوكهم ازاء خروج زوجاتهم للعمل .

وفى المجتمع المصرى اظهر البحث ان ٩١٫٤٪ يوافقون على عمل المـــرأة ، وانخفضت هذه النسبة الى ٦٠٪ فقط بالنسبة للذين يسمحون لزوجاتهم بالخروج للعمل سواء كن عاملات بالفعل «٤٢٫٨٪» أم لم تكن قد التحقن بعد بالعمل .

وهكذا تتبين مسئولية برامج التليفزيون فى تغيير السلوك باعتبارها الاداة الفعالة فى التغيير الثقافى الى جانب ما تثيره النماذج والانماط التى تقدمها هذه البرامج من تغيير فى الافكار والاتجاهات .

وقد لوحظ ان الاسر التى لا تتضمن اطفالا ــ أو التى جاوز افــــرادها سن الطفولة ــ « اعتبرنا الحـــد الاعلى ١٦ سنة » ، يختلف ادراكها لابعاد واعماق برامج التليفزيون على الاطفال من نظـرة الاسر ذات الاطفال .

ففى المجتمع المصرى : أجاب ٨٧٫٥٪ «٧ اسر من ٨ أسر لا تضم اطفالا» ان برامج التليفزيون تساعد فى النضج العقلى لدى الاطفال اللذين يشاهدونها بسرعة أكبر من غيرهم . وأبدى ٦٢٫٥٪ « ٥ أسر » ان انحرافات الاطفال لا ترجـــع الى تأثير التليفزيون وحده وانما ترجع الى خلخلة الضوابط الاخلاقية فى الاسرة والى تأثير الرفاق .

بينما أجاب حوالى ٧٠٪ من الاسر ذات الاطفال « ١٩ أسرة من ٢٧ » ان برامج التليفزيون تخاطب الكبار بشخصية الصغار وتخاطب الصغار بشخصية الكبار « ٦ اسر ابدت ان توقيت عرض البرامج هو الســبب ، ٥ اسر ابدت ان مضمون البرامج هو الســبب بغض النظر عن اوقات عرضها ، ٨ اسر ابدت ان مضمون البرامج وأوقات عرضها غير ملائم ــ من بين هــذه الاسر ٧٥٪ يحملون شــــهادات فوق المتوسطة » .

وفى المجتمع اللبنانى اجاب ٦٠٪ « ٣ من ٥ أسر لا تضم اطفالا » ان برامـــج التليفزيون تسهم فى توسيع افق المعرفة لدى الاطفال ، كما انها توصل اليهـــم المعلومات دون انتظار نضجهم وادراكهم عليها .

وابدى ٨٠٪ من هـــذه الاسر ان انحرافات الاطفال لا ترجـــع الى تأثير التليفزيون وحده وانما تشترك جهود اللهو بكافة اشكالها فى تهيئة الفرصة لظهــور هذا الانحراف « ٣٠٪ » والى عــدم الاهتمام ببرامج التليفزيون لوجود وسائل جاذبة خـــارج الاسرة « ٥٠٪ » والى ممارسة الاسرة اللبنانية للحضـــرية فى التربية والتنشئة منذ الطفولة «٢٠٪» .

وقد أجاب ٧٠٪ من الاسر ذات الاطفال « ٧ من ١٠ اسر » ان برامج التليفزيون مسئولة عن مشاكل الاطفال « ومن بين هؤلاء نجد ٣٠٪ يعتبرونها مسئولة عن التخلف الدراسى ، ٤٠٪ يعتبرونهـــا مسئولة عن المشكلات الخلقية ، ٣٠٪ يعتبرونها مسئولة عن خروج الابناء على سلطة الاباء » ، وهناك ٢٠٪ يعتبرون ان عدم اشراف الدولة على برامـــج التليفزيون هو الســبب ، ٧٠٪ يعتبرون المنافسة التجارية هى السبب فى عرض برامج مثيرة دون مراعاة خصائصهــــا للناشئين ، ١٠٪ يعتبرون ان عـــدم تخصيص برامج معينة وفترات زمنيـــة معينة للاطفال هو الســبب .

اما فى المجتمع الاردنى فان ٧٥٪ من الاسر التى لا تضم افرادا فى ســـن الطفولة « ٣ من ٤ اسر » اجابت بان التليفزيون ساعد الاطفال على اكتساب العادات الطيبة ولا يؤثر عــلى انحرافهم وأبدت ٢٥٪ من الاسر انها لا تعتقد فى تأثير التليفزيون على الاطفال لســلم

ملاحظتها ذلك .

بينما اجاب ٧٢٫٧ ٪ من الاسر ذات الاطفال (٨ ـ من ١١ أسرة) أن برامج التليفزيون تؤثر فى التحصيل المدرسى لابنائهم ، واجاب ٥٤٫٥ ٪ (٦ من ١١ أسرة) بانها تؤثر فى حالتهم الصحية وخاصة على قوة الابصار وعلى الانتظام فى اللعب لتدريبات المياه ، وابدى ٤٥٫٥ ٪ (٥ اسر) ان برامج التليفزيون جعلت اولادهم يسايرون التيارات المستحدثة وخاصة فى الملبس وطريقة الحديث ، بينما اظهر ٨١٫٨ ٪ (٩ اسر) ان برامج التليفزيون الموجهة افادت اولادهم علميا وساعدت على تقدمهم دراسيا .

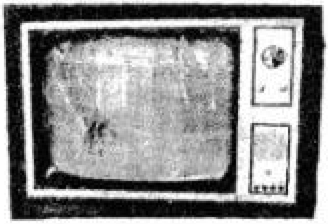
* * *

وفى سؤال مباشر حول تاثير التليفزيون فى البناء الاسرى ، تناولنا الموضوع التالى:
هل يعتقد ان وجود التليفزيون فى البيت يزيد من متاعب الزوجين فى علاقاتهما الخاصة ، او انه يهيىء مزيدا من التوافق نتيجة لما يشاهد من برامج ، او لم يلاحظ اى تاثير على هذه العلاقات ؟

وتبين من البحث ان ٨٠ ٪ من الاسر التى درست بالمجتمع الاردنى ابدت انه يهيىء مزيدا من التوافق ، وابدى ٤٣٫٥ ٪ من اسر البحث بالمجتمع المصرى (من بينهم ٦٠ ٪ تعمل الزوجة خارج اطراف زوجها ، ٤٥ ٪ يحمل الزوجان شهادات فوق المتوسطة) ان بعض الخلافات الاسرية التى انبثقت نتيجة لتباين وجهات نظر الزوجين حول بعض البرامج والعناصر المشتركة فيها .

فى حين ان ٤٦٫٦ ٪ من اسر البحث بالمجتمع اللبنانى (٧ من ١٥ اسرة) اظهرت انها لم تلاحظ تاثيرا يذكر على العلاقات الاسرية نتيجة لبرامج التليفزيون .

ومن الاسباب التى تتفاعل فى تفسير ارتفاع نسبة المؤيدين فى المجتمع الاردنى



للتاثير الايجابى لبرامج التليفزيون انه اتاح فرصة للتجمع الاسرى داخل البيت وخفف من الاسراف فى التزاور الاسرى وهو من أهم الوسائل الترويحية قبل ظهور التليفزيون فى الاردن .

ويمكن تفسير ارتفاع نسبة الذين يعتبرون برامج التليفزيون مسئولة عن بعض الخلافات الاسرية فى المجتمع المصرى الى صغر حجم الاسرة فى هذه المجموعة (اقل من ٥ افراد) ونتيجة للتفسير الناشىء من ارتفاع المستوى التعليمى واستقلال المراة بعمل فى نسبة كبيرة من افراد هذه المجموعة .

اما فى المجتمع اللبنانى فان الترويح الخارجى وخاصة فى المسارح والملاهى ودور السينما ـ وهو يجذب نسبة كبيرة من الاسر اللبنانية ـ يخفف من تاثير التليفزيون كعامل مباشر فى البناء الاسرى .

* * *

وقد وجهنا اهتماما خاصا الى الحالات التى ابدت أن برامج التليفزيون قد افادت أطفالهم أو تركت تاثيرا سيئا عليهم من جهة اخرى .

واستخدمنا لذلك ثلاثة اسئلة فرعية تتضمن ما يلى :

(١) الموضوعات التى يعتقد ان لهما تاثيرا طيبا او سيئا على الاسرة من جهة



وعلى الاطفال من جهة اخرى ، والطريقة المستخدمة في تقديمها ، والتوقيت الذى تقدم فيه عادة .

(٢) مدى تخير الاسرة للبرامج الملائمة لها ولاطفالها او عدم تحكمها في ذلك .

(٣) المقترحات التي تتصور الاسرة انها ضرورية للاستفادة المثلى من برامج التليفزيون .

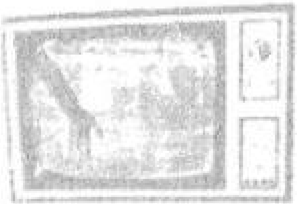
* * *

وقد اظهر البحث ان الافلام السينمائية بوجهاليها مسئولة كبرى عن التأثير السيىء على الاطفال فقد ابدت ٨٥٫٧ ٪ من الاسر موضوع البحث بالمجتمع المصرى ، ٨٦٫٦ ٪ من اسر المجتمع الاردنى ، ٧٢٫٣ ٪ من الاسر اللبنانية أن ما يسمح بعرضه من الافلام بدور السينما قد لا يصلح للعرض داخل البيوت . ففى الحالة الاولى يتخير الناس لاولادهم الافلام التى يصطحبونهم اليها بينما فى الحالة الثانية تنقل هذه الافلام وتأتى الى الاطفال بصورة مفروضة عليهم .

وقد اسهم السؤال التالى فى تفسير وتحليل السؤال الاول اذ ابدى ٨٠ ٪ من اسر المجتمع المصرى ، ٩٠ ٪ من اسر المجتمع الاردنى ، ٥٣٫٣ ٪ من اسر المجتمع اللبنانى انهم لا يمارسون اختيار البرامج ، وانهم يتركون جهاز العرض مفتوحاً من بداية البرامج الى نهايتها .

وقد يرجع ذلك فى المجتمع الاردنى بوجه خاص (وهو يمثل اعلى نسبة) الى حداثة العهد بالتليفزيون والاعجاب به كتقدم فنى تكنولوجى هذا الى جانب الفراغ الكبير الذى تتعرض له الاسرة الاردنية . فى حين ان هذه النسبة تنخفض كثيرا بالمجتمع اللبنانى حيث يغلب الطابع التجارى على برامج التليفزيون من جهة ، ووجود مخارج متعددة للنشاط خارج الاسرة وداخلها فى هذا المجتمع بالذات من جهة اخرى مما يتيح امكانية الضبط والاختيار بالنسبة لبرامج التليفزيون المقدمة يوميا .

بينما ينسب الى المرجحات من ناحية



طريقة الاداء من جهة والموضوع الذى تعالجه من جهة أخرى السبب فى التأثير السيىء على الاسرة . فقد أبدى ٧١٫٤ ٪ من الاسر المصرية ، ٦٠ ٪ من الاسر الاردنية

٦٦٫٣ ٪ من الاسر اللبنانية أن الموضوعات التى يعالجها التليفزيون تقدم نماذج سيئة للعلاقات الاسرية دون ان تعنى بتصحيح هذه النماذج وأن طريقة اداء الممثلين لادوارهم تعكس أساليب منحرفة فى السلوك .

ومن جهة اخرى ، فان ٨٠ ٪ من الاسر المصرية ، ٥٣٫٣ ٪ من الاسر الاردنية ، ٣٣٫٣ ٪ من الاسر اللبنانية ترجع الى البرامج الخاصة الفضل فيما اكتسبوه من فوائد وخبرات اسرية ، كما ان البرامج التعليمية وبرامج الاطفال الهادفة ساعدت على تحسين المستوى الثقافى وارتقاء الخبرات المباشرة لدى الاطفال .

* * *

وهكذا تتضح امكانيات ومسئوليات البرامج التليفزيونية فى التوصيل الجيد لمفهوم التنمية ومفهوم الرفاهية بصورة تزيل عنها المعانى التجريدية وغير الملموسة من جانب الجماهير . فهذه المفاهيم ينبغى ان تعرض بصيغ ووسائل واقعية ونماذج مستمدة من حياة الجماهير حتى تكون مقبولة ومفهومة فى الوقت ذاته . ولهذا فان التليفزيون ـ باعتباره أهم أدوات الاتصال الجماهيرى التى تخضع

لاشراف الدولة وتوجيهها في اكثر بقاع العالم ، حتى ولو قام على تنفيذه شركات تجارية خاصة ــ يمكن ان يكون اداة ناجحة في التغيير الثقافي . وهو يستطيع تحقيق ذلك عن طريقين :

اولهما : اثارة الموضوع الى مستوى الاهتمام الجماهيري ، وعندئذ يتعرض للنقاش والجدل دون أن يحدث تأثيره بصورة مباشرة .

ثانيهما : التأثير في مجموعات محدودة من الافراد والجماعات الذين يتصفون بقدرة على المبادأة والاخذ بالموضوعات الجديدة التي تثيرها أدوات الاتصال الجماهيري ومن بينها التليفزيون، وعندئذ يمارس هؤلاء تأثيرهم على الافراد والجماعات نتيجة قدرتهم على الاقناع .

وبهذا تؤثر برامج التليفزيون على مرحلتين الاولى تأثير جماهيري اعلامي والثانية تأثير فردي وجماعي اتصالي ، ولابد من هذا الازدواج حتى تؤتي البرامج ثمارها .

* * *

وقد اظهر البحث الذي اشرنا اليه أن التوقيت الملائم لعرض البرامج يسهم في قدرته على التأثير من جهة ، أو في تأثيره السيء من جهة اخرى . فقد أبدى ٧١٫٥ ٪ من أسر البحث المصرية ، ٤٠ ٪ من أسر البحث الاردنية ، ٨٠ ٪ من أسر البحث اللبنانية ان مدة الارسال اليومي اكثر من اللازم .

وابدى ٧٨٫٥ ٪ من الأسر المصرية ، ٤٠ ٪ من الأسر الاردنية ، ٦٦٫٦ ٪ من الأسر اللبنانية ان برامج المرأة وبرامج الاطفال والافلام السينمائية التلفزيونية لا تقدم في المواعيد الملائمة لها . وتعتبر الاهمية النسبية لتوقيت عرض البرامج عملية بالغة الاهمية في القدرة على التأثير ، فعندما يكون جانب كبير من النساء غير عاملات فمن الافضل ان يكون عرض برامج تدريب المرأة . على التفصيل او الطهو أو الماكياج وما الى ذلك في غير اوقات تجمع الاسرة بأكملها ، كما انه في المجتمعات التي لا يتاح فيها للاطفال متنفسات كافية للترويح بعد العودة من المدرسة فان من الافضل ان تكون برامج الاطفال في فترات مبكرة جدا .

كما ان النموذج الفرنسي في العرض التليفزيوني يعتبر طيبا بالنسبة للمجتمعات التي ينتشر فيها عمل المرأة حيث تقسم البرامج الى فترتين صباحية ومسائية وكل منهما قصيرة للغاية . فقد لوحظ ان امتداد فترة العرض التليفزيوني لساعات طويلة لا يؤدي لمساهمته في التأثير الاعلامي من جهة ولا يتفق مع اقتصاديات الدول المتجهة نحو النمو من جهة اخرى .

ويعتبر العرض لمدة ساعتين صباحا من الثانية عشرة ظهرا حتى الثانية بعد الظهر ثم العرض مساء من السادسة الى العاشرة مساء اكثر فعالية وتأثيرا من العروض الممتدة لفترات طويلة . ذلك لان هذا التحديد يساعد على التخطيط الملائم في عرض البرامج من جهة ، وفي اختيار الناس لانسب الفترات ملاءمة لهم واكثر البرامج اتفاقا مع ميولهم من جهة اخرى .

ومن جهة اخرى ، فان عملية انتقاء واعية للافلام السينمائية التي تعرض بالتليفزيون هامة جدا لان الفيلم السينمائي الذي يعرض بدور السينما يخضع لعملية اختيار مباشرة من جانب المشاهدين على عكس ما يحدث بالنسبة للعرض التليفزيوني . ويعتبر الكيف بالنسبة للعرض التليفزيوني في مرتبة أسمى من الكم ، بمعنى انه ليس من اللازم الاهتمام بالقدر الذي يقدم للجماهير من البرامج وانما بنوعية هذه البرامج فكلما كانت قليلة ومدروسة ومعدة بعناية بحيث يتضمن كل منها محورا هادفا لارساء قواعد الاداب والمعاملات والاحساس بالواجبات والمسئوليات واخلاقيات المهنة ــ بصورة غير نمطية أو مباشرة ــ فان تأثيرها يكون عميقا للغاية لما تتركه من نماذج وانماط قابلة للتمثل من جانب الجماهير .

فاروق عبد القادر

قراءة في روايات حنا مينه



حنامينة

[illegible]

قراءة في روايات حنا مينه



ابنها الغائب حتى بعد ان انتهت الحرب وخرجت المظاهرات هاتفة بالجلاء .

●

لكن هذه الخطوط ليست سوى العظام العارية للمصابيح الزرق . فلم يكن طموح الرواية ان تسرق حكاية فارس قدر ما كان هو تصوير مدينة اللاذقية وما فعلته الحرب بالذين يعيشون فيها. من هنا تلعب بقية الشخصيات دورا هاما في بناء الرواية . هكذا نتعرف ـ في الجزء الاول من الرواية بوجه خاص ـ على معظم الشخصيات التي ترتبط مصائرها بالحرب في المدينة . من داخل البيت نتعرف على **ابي فارس** : المعماري القديم « **الذي بنى بيوتا كثيرة ولم يستطع ان يبني لنفسه بيتا** » ، الصموت الحكيم الهادىء ، لم تبق في حياته من متع سوى التدخين فهو يسرف فيه ، واحب شيء اليه من الغناء « **الموال** » لان فيه رجولة واصالة وبعدا من الميوعة والابتذال ، وهو يطلقه احيانا في صوت شجي حنون اذا عملوا وكسبوا فاقاموا وليمة بسيطة قوامها طعام فقير وشراب قليل . هذا الرجل ابن بيئة ، صادق في التعبير عن افضل ما فيها ، لكن المؤلف يحلو له احيانا ان يتكلم بلسانه : **فيفرق بين السرقة وانتزاع الرغيف عنوة** ، مؤكدا انه « **ليس بالخبز وحده يحيا الانسان** » ، منشدا احيانا مزامير داود « **رجاء البائسين لا يخيب الى الابد** » ، ويعرف متى يحب الحرب ومتى يكرهها .

ان هذه الشخصية ـ لو لم يلتف المؤلف وراءها كي يجعلها تقول كلماته هو وافكاره ـ لكانت اغنى شخصيات الرواية واصدقها على الاطلاق .

وفي السوق يعرف **محمد الحلبي** : الجزار الشاب الذي ينظم الاضرابات ويندفع لقيادة المظاهرات . يغرس سارية العلم في زناره ويمضي في المقدمة غير هياب ، وفي غير أوقات الاضراب والتظاهر يبيع اللحم ويشرب العرق ، فيسرف فيه (يشرب الخمر لكنها لا تشربه) ، كان له خنجر مشرع دائما لكنه اغناه الان خشية ان يمتد الى غير ما يريد ، وحين يريد يغمده دون تردد في صدر جندي انجليزي دفاعا عن شرف نساء المدينة اللائي تحرش بهن الجنود ، يصادق الاوباش والابطال القدامى والخارجين من السجون ، ويعيش وسط السوق صخابا بالحديث والضحك ، غضوبا ومرهوبا من السلطة ومحترما من الجميع . ان هذه الشخصية الحية والصادقة هي التي ستنطلق ملامحها لتصبح الشخصية الرئيسية في رواية حنا مينة التالية .

ومن الحي الفقير تتتابع الشخصيات : **الصياد العجوز ابو رزوق الصفتلي** ، يعيش في قبو لا يدخله ضوء النهار ، ويؤمن بالحكمة التي لابد منها كي يكون صيادا : **الصبر وانتظار الرزق** ، يصيب رزقا قليلا ويعيش ذكرياته في بوينس أيرس حين كان هناك ، ويظل يحكيها حتى يضجر هو ويضجر الجميع ، لكنه يلوب رقة ووجدا وتنهمر دموعه ان وضع على عينيه نظارة القراءة ـ رغم انه لا يقرأ ـ وردد فقرات يحفظها من سيرة الزير سالم . **عازار الاسكافي** : مقطوع الساق ، يظل على ناصية دكانه يرقع الاحذية ويتشاجر مع الصفتلي لكنهما سرعان ما يعودان ليتابعان ملاحقة النساء باطلاق الكلمات البذيئة والداعرة في

اعتابهن . **بشارة القندلفت** : خادم الكنيسة وحاوي الفضائح ، يجمعها ويرتبها ويرويها وهو يشرب جرعات متتابعات من قنينة العرق التي لا تفارق جيبه ، لكنه لا ينسى ان يترك ابواب

كنيسته مفتوحة كي يحتمي بها المتظاهرون **مريم السوداء** : المومس القديمة التي تزوجت ماسح الاحذية في ليلة سكر بعد ان اغرته بمالها القليل ، وبقيت تشاركه

حياة قلقة لا تستقر على حال ولا تخلو من شجار ونقار : « **اذا كان الناس لا يجدون ما يأكلون .. فكيف يجدون ما يطلون به احذيتهم ؟** » .

تلك كلها شخصيات اكتملت لها اسباب الحياة ، استطاع الكاتب ان يقدمها بصدق واقناع ، لكن في مقابلها شخصيات اخرى لم تستطع أن تكتسب الصدق وان تعيش حياتها ! ثمة الثوري **عبد القادر** الذي عرفه فارس في السجن ثم رأيناه بعد ذلك في المدينة ، لا يقدمه لنا كشخصية السائبة حية بل كوجه

واحد : ثوري لا يعرف الضعف ، وبطل لا يقهر ، **وامرأة صاحب العمل** : الشبقة التي تبحث عن ارواء شبقها مع الشباب فرنسيين كانوا أو شواما ، لسنا نعرف منها غير هذا الوجه ولا نرى سواه ، **وأم فارس** تبدو في النصف الاول من

الرواية طيفا لا وجود له ، ثم نعرف فجأة انها تعمل في معمل للدخان (كي يقول لنا الكاتب شيئا عن قسوة شروط العمل في هذا العمل) ، حتى رفقة الفتاة التي تعلق بها قلب فارس لم تكتسب وجودها

الخاص ، كل ما عرفناه عنها لا يتجاوز ملامحها الخارجية وجمالها الآسر ثم موتها غير المبرر ـ مصابة بالسل ـ في الصفحات الاخيرة من الرواية .

في رواية مثل « المصابيح الزرق » لاتقوم على حكاية بطل يتتابع تطورها ، بل تهدف الى تصوير مدينة من خلال النماذج التي تعيش فيها وبتضاعف تأثير النماذج التي لم يستطع الكاتب ان يمنحها الحياة لبقيت على هامش العمل ، بسبب

وجودها ان تكون مبررات يبث الكاتب من خلالها افكارا : تبهت الشخصية وتبقى الافكار نتوءات على سطح العمل الفني .

لكننا نسلب الرواية كثيرا من قيمتها اذا لم نضع في اعتبارنا هذه « اللوحات » التي يقتنصها حنا مينة من مدينته التي احبها وعاش فيها صباه وشبابه : **المقهى ، اجتماع الابطال والمطاردين في دكان الحلبي ، التزاحم للحصول على الخبز وغيره من ضرورات الحياة ، خروج المظاهرة ، خروج الصائدين الى الصيد ، خروج الفقراء الى الحقول في يوم نزهة ، تجمع الرجال حول انشاد سيرة الزير ، تجمع العاملات في المصنع ..**

هذه اللوحات ، على وهن علاقة بعضها بالحركة العامة في الرواية ـ تعتبر من أفضل عناصر « المصابيح الزرق » ان لم تكن افضلها على الاطلاق ـ هي صور لحياة الناس في المدينة ، في هذا الواقع من المكان والزمان .

رغم الحرب ، وندرة الاقوات ، وقهر الانتداب والسلطة ، يظل الناس في اللاذقية يعملون ويسمرون ، يصنعون حياة ويعيشونها ، حين يمد كل القليل الذي يملكه للآخر ، وحين يشهر الحلبي خنجره ليغمده في صدر عدو ، وحين تردد جدران السجن اهازيج الباحثين عن الخبز والحرية ، وحين ينسى الناس هموم حياتهم اليومية كي يتلاحموا في كيان واحد له الآف الاذرع والرءوس يهتف من اجل الجلاء والاستقلال ، حين يحدث هذا يتحقق ما هدف اليه حنا مينة منذ البداية : ان يرسم صورة مدينة عربية بعيدة تعيش حربا الى جانب عدوها ، وحربا ضد عدوها ، وتمسك هذه الحرب بمصائر الافراد والجماعات .

●

قلت ان في « المصابيح الزرق » كثيرا مما تتميز به اعمال الريادة ، وفيها كثير مما يضيق به البناء الفني للرواية . فيها هذا التردد بين أن نرى المدينة بعيني الفنى أو نراها بعيني الروائي . القسم

قراءة في روايات حنا مينه



الأول كله نراه يمتطي الفرس ، وفي القسمين الثاني والثالث تتداخل الرؤيتان . هذا الازدواج يصيب قلب العمل الروائي : هل نرى لانفسنا المدينة وما يضطرب فيها من حياة ، أو يراها لنا الفتى الذي يتفتح وعيه مع تقدم الحركة في الرواية ؟ أدى هذا الازدواج لأن يكرر لنا الكاتب مرارا أن الفتى « أشد ما غيرته حياة السجن » ، لكننا نرى هذا التغيير لا يتجاوز الشارب والتدخين واكتمال التضخم الجسدي ، أما حين يتناول أمور حياته يتردى من منحدر لمنحدر : من بيع شبابه للأرملة حتى التطوع للحرب في صفوف الفرنسيين .. فأين ما تعلمه ؟ .

نحن لا نلوم الفتى لكننا نلوم الكاتب . فالنماذج التي عرفها في سجنه لم تتجاوز — لسوء الحظ — مرحلة ترديد الشعارات .. و « ليس بالشعار وحده يتغير الانسان » !

في الرواية كذلك رغبة الكاتب في أن يجعلها تشمل كل شيء وتحيط بكل ما يعرف عن المدينة . هذا طموح مشروع لكن السؤال يأتي بعد ذلك : هل استطاع أن يقدم كل التفاصيل التي يريد من خلال نسيج فني متماسك بعبارة أخرى : ألا تصدمنا في عمل روائي تعبيرات مثل : « أما ما حدث لعبد المقصود الفندي فهذا تفصيله .. » أو « عرف فارس تجارب كثيرة هاك بعضها »[1] وما يأتي بعد هذه العبارات — غالبا — تفاصيل زائدة لا ضرورة لها ، روافد لا تصب في المجرى الرئيسي للرواية ، نتوءات على سطحها يمكن استبعادها دون اخلال .

وفيها بعد هذا هذه السمة التي ميزت أدبنا حول منتصف الخمسينات : أن معظم أحداث الرواية تدور حول الصراع على الخبز — الخبز بالمعنى الحرفي — ، ومن أجل أن تصور قساوة الواقع على الفقراء تمتليء بفواجع لا مبرر لبعضها : لماذا تموت زلدة ؟ لأن ظروف العمل القاسية أصابتها بالسل . ولماذا تموت امرأة الصفتلي ؟ لأنها تعيش في قبو لا تصله الشمس أو ضوء النهار ، ولماذا يرجع عكسور المبيض من انطاكية ويحل به الدمار دون مبرر ؟ .

بعض هذه الفواجع يكفي كي يحس القاريء بشناعة الحرب وقساوة الفقر ، أما مراكمتها على هذا النحو في الصفحات الأخيرة من الرواية فلعله يؤدي لشيء آخر .

« المصابيح الزرق » خطوة رائدة في الرواية السورية ، كان حتما أن تتجسد فيها بعض آلام المخاض ، ومن يرجع الى ما كان ينشر في هذه الفترة من أعمال يدرك الى أي حد تمثل هذه الرواية مرحلة متقدمة من التعبير ، ونقطة انطلاق نحو أفق أرحب .

● ● ●

الزوايا التي لم تتحقق مكتملة في الرواية الأولى أكتملت في الرواية الثانية . « الشراع والعاصفة » ، ١٩٦٦ » واحدة من أفضل الروايات المكتوبة بالعربية ، اختارت البحر مجالا لها بعد أن ظل أدبنا سنوات طويلة بعيدا عن البحر ، رغم أن « البلاد العربية بمجملها واقعة على أطراف البحار لكننا ، منذ ألف

---

(1) راجع : محمود أمين العالم : « المصابيح الزرق » محاولة نقدية الرسالة الجديدة ، العدد ٤٠ ، ابريل ١٩٥٨ » .

ليلة وليلة ، لم يعرف البحر سبيله الى ادبنا .. » (١) .

« الشراع والعاصفة » هي جوهرة حنامينة المتألقة ، وشهادته ـ التي لايمكن نقضها ـ كروائي اكتملت له السيطرة على ادواته ، وازداد معرفة بموضوعه . « الشراع والعاصفة » هي رواية **محمد الطروسي** : البحار الذي عشق البحر فعاش فيه حياته ، وحين ابتلعت الامواج سفينته ابى كبرياؤه أن يطيق العمل صيادا او بحارا تحت امرة ريس آخر ، ولانه لا يستطيع ان يهجر البحر فقد أقام مقهى صغيرا بين صخور الشاطىء قرب الميناء ، وعاش وسط البحارة والصيادين وحكايات البحر . انه لا يستطيع الا أن يكون نفسه : هو عاشق البحر ، يشرب قهوته مع الشروق والغروب ناظرا الى صفحته ، تهبه الطبيعة بعض اسرارها ، فله كف حساسة ما أن يمدها امامه حتى يعرف اتجاه الريح وقوتها ، يرهبه البحر

ويحترمه ويراه خصما قويا شريفا ويراه صديقا . البحر والمرأة عنده شيء واحد . يقول عن نفسه : « **في راسي افكار لا اعرف كيف اشرحها ، انا عنيد ، كافر ، مؤمن ، اربح واقلق ، اشرب واحب واخلد حتى من الحياة ، واخالف الذين خمصا في الفكرة ، ولكنني لا اشرب من بئر وارمي فيها حجرا ، ولم القي ليلة مع امرأة الا شكرتها وتمنيت لو أن معي زهرة اتركها لها على الطاولة** » . البحر مدرسته ، وعى دروسها جيدا ، واضاف اليها من تكوينه وخبرته بالحياة ما جعله شخصية متكاملة ، ونموذجا فريدا في أدبنا العربي ، يقف جنبا الى جنب « **زوربا** » في رواية **كازنتزاكي** ، و « **سنتياجو** » بطل **هيمنجواي** في « **العجوز والبحر** » .

لكنه يبقى صاحب ملامح عربية ، يبقى مواطنا من **اللاذقية** : فيه عنف في الدفاع عن نفسه وعن المكان الذي اختار أن يشغله من العالم ، يخوض من أجل ذلك المعارك ولا يبالي رئيسا او كبيرا . ليس ثرثارا او مثيرا للشغب لكنه رجل فيه كبرياء واعتزاز بالقليل الذي بقي له والكثير الذي يختزنه في قلبه ، عرف البحر ربيبا وخرج منه ربيبا ولابد أن يعود اليه كذلك . وحتى يؤذن للشراع أن يفرد في وجه الريح من جديد ، وحتى يؤذن للقهوجي القاعد على الشاطىء أن يمسك بين يديه الدفة من جديد فهو باق في مكانه ، مدافع عنه وعن كبريائه ، راض عن حياته حينا ساخط عليها حينا آخر .

وحيث هو ، على صخور الشاطىء ، تبلغه المدينة فيصيبه من صراعاتها الكثير . يتمنى لو تخلى الدنيا بينه وبين البحر : فليس له فيها سوى قلب وحيد ، التقت بصاحبته رحلة الايام اليه لعرف جسدها ثم عرف روحها ، رآها التي تعطي الكثير وتأخذ الكثير ، وتسعد بما تعطي وتأخذ ، وتقيم على حبه وانتظار زورياته المتباعدة ، استأجر لها بيتا وكفل لها الحماية والامن ، لكنها ظلت لا تشغل من حياته أكثر مما تشغل امرأة البحار المقيمة في المرفأ البعيد .

لكن المدينة تفرض نفسها عليه فرضا . في الميناء رجل يحتكر ملكية القوارب التي تنقل من السفن واليها ، مرتبط باحدى الكتل السياسية المتصارعة في سوريا يدعمها ويستمد منها النفوذ ، يستغل جهد العمال ويبطش بمن يخالفه او ينافسه او يقف بوجه اتساع عمله ونفوذه . حدث أن تدخل الطروسي مرة او مرتين في بعض شئون العمال الذين لجأوا لوساطته فلم يعجب هذا رجل الميناء ، وناصب الطروسي عداء على طريقته : **لا يطفيه ولايسمح له ان يتجاوز حدوده** ، وجلب هذا العداء للطروسي تقرب قطب الاخر : رجل من عائلة تحتكر بدورها عربات النقل وينافس رجل الميناء في النفوذ والانتماء السياسي .

ان الصراع بين الشراع والعاصفة يمتد ليشمل كل شيء : في نفس الطروسي صراع بين البقاء والرحيل ، وبين ابي رشيد وندبم مظهر صراع حول السلطة في الميناء ، وبين الكتلة الوطنية والكتلة الشعبية صراع

(١) **سعيد حورانية ، مقدمة « الشراع والعاصفة » ، ص ١٠**

قراءة في روايات حنا مينه



حول الحكم في سوريا ، وبين الحلفاء والمحور صراع حول المصالح والنفوذ في العالم . تتداخل دوائر الصراع سريعة

متتابعة حتى تصل المقهى الصغير اشكالا متباينة : ثمة أبو حميد وجماعته ، دفعتهم كراهية فرنسا لحب الالمان ، فهم يتجمعون حول الراديو في مقهى الطروسي — ثم في

تجويف وسط الصخور حين يحسون بالملاحقة — يستمعون لاذاعة « يونس ، حبيب العرب » من برلين شامتين في هزيمة

الحلفاء نكاية بفرنسا ورغبة في الخلاص من احتلالها المقيت واذنابها المقيمين في اللاذقية والشام . وثمة الاستاذ كامل — الذى يشى بوجه المؤلف ويعبر عن افكاره — يؤكدان الاستقلال ينتزع ولا يؤخذ ، وان كلا من الطرفين المتحاربين يضطهد العرب أو على

استعداد لاضطهادهم ، والخلاص الحقيقى للبشرية تحمله الرياح القادمة من الشرق .

وحين يدخل المقهى — في الصفحات

الاولى من الرواية — رجل من اتباع أبي رشيد يتحرش بالطروسي ويهم بقتله فان هذا يعنى أن الصراع الذى تعصف رياحه

بأرجاء العالم لن ينجو منه هذا الرجل القائم على الصخور بين المدينة والبحر ، قدماه .. ملتقتان على الارض وروحه تواقة للانطلاق الى بعيد ، الى مرفأ من مرافئها ونساء عشقهن ، ممسكا بالدفة بين يديه في البحر ، ناشرا الشراع فوق رأسه ،

مرتديا لباس بحارة الشرق ، مرهوبا مهابا ، يأتى من بعيد ويذهب لبعيد ، وربما ان جاء أو ذهب .

و « الشراع والعاصفة » — بعد ذلك — هى تمو هذه الاشكال المختلفة من الصراع ، ما لحق ببعض اطرافها من هزيمة ، وما أصاب بعضها الآخر من انتصار .

●

اما الطروسي فقد انتصر . حقق على البحر انتصارا هو انتصار حياته . في يوم بدأ هادئا وانتهى عاصفا حدث هذا .

كان الطروسي مبتهجا في الصباح ، استثار حنينه الكامن الى الانطلاق والرياسة هذا الطقس الاحتفالى لانزال مركب جديد الى

البحر : المركب الجديد مقام على منحدر

رملى ، والبحارة يحيطون به من اليمين واليسار ، والريس واقف على مقدمته

يقود جوقة العمل بكلمات قليلة ، النساء يزغردن،والصيادون يصيحون ، والشباب

يسبحون حول المركب الجديد ، والبحارة يهزجون وينشدون ، والشاطىء كله متفتح للحياة كأزهار اللوز .

بعد أن شارك في الطقس الاحتفالى انتصب أمام عينيه سؤال حياته : « الن أصبح صاحب مركب مرة اخرى ؟ » ،

فتابع سيره الى حى الرمل ، لموعده مع عشيقته أزف منذ وقت .. « تلقيته في ثوب مزهر ، ومن شعرها وصدرها الكاشف عن

نهديها يتضوع عطر « الريف — دور » ، وفى غرفة النوم خوان عليه زجاجة عرق وقدحان ومزهرية وابريق ماء » .

هبط المساء وافاق الطروسي بعد وليمة الجسد . قلب وجهه في السماء فوجد غيوما وريحا تهب من الغرب . صدق

ظنه الآن والعاصفة قادمة . ابن البحر هذا يعرف معنى العاصفة : « أن يتفجر من قلب الهدوء غضب أكبر ، وتتصارع

عناصر الطبيعة في قتال وحشى مخيف ، ويبقى الناس كاطفال عاجزين تجاه الحرب

الندلعة بين اعداء غير منظورين » . مدينة

اللاذقية تعيش العاصفة ذات ليلة من شباط ، الشهر الخوان بين الشهور : في الفضاء سقطت صاعقة في مكان ما ، وفي المقهى خيمت كآبة الجو فتلاصق البحارة وتصاعد بخار الشاي حارا في الفناجين ،

وأنار البرق أطيافا في الأفق وانخلعت الخيمة فانهارت على طرف الصخر . وفي بيوت المدينة لاذ بعض الأطفال بأحضان الأمهات ووضعوا أصابعهم في آذانهم لكن الحياة ظلت تتابع مجراها المعتاد :

« الأضواء داخل البيوت وطاولات المذاكرة للأطفال والحصر التي يجلسون عليها وأرجلهم تحتهم .. ، قدور الحساء التي تغلي وتتصاعد بخارها ، ومواقد الشاي ، واجتماع العائلات حول المدافىء ، واختباء الذين ليس عندهم نار تحت ما لديهم من الأغطية ، والدخان المنتشر في الغرف المغلقة ، وسهرات الشتاء ، وقطرات المطر على الزجاج » .

من المقهى الى المدينة الى الشاطىء الى الميناء الى قلب البحر ، تتحرك ريشة الكاتب لتضع التفاصيل والخطوط والألوان جنبا لجنب حتى تتكامل لوحة بالغة لمدينة ساحلية تعيش العاصفة . لكن الذين يعيشون العاصفة بكل هولها هم هؤلاء الذين في قلب البحر : خرج « الرحمولي » وبحارته منذ الصباح ولم يعودوا . دقت الساعة الثانية عشرة دقة ولم يعودوا . نامت المدينة كلها ولم يبق ساهرا الا من يعنيهم الأمر : زوجات البحارة والصيادين الغائبين وأطفالهم ، ورجال الميناء ، ثم الطروسي والعاصفة .

وحين لاح الخطر جاثما أصر الطروسي على أن ينزل زورق الانقاذ الى البحر وسط الأمواج والعاصفة يبحث عن السفينة التائهة ، وتطوع للنزول معه عدد من البحارة . ومنذ وضع الطروسي الدفة بين يديه من جديد والدفع بالزورق الى الأمام بدء ملحمة صراعه ضد البحر والسماء . في المقهى تجمع الصيادون حول خليل يحكي لهم من جنية البحر التي عشقت أميرا من البشر فخانها ، لهذا لم يتوقف الثأر المتجدد دائما بين ملك البحر وجنس البشر .. ووسط البحر كان المركب الغالب قد أصبح لوحا هالكا مضطربا ، ترفعه جبال الأمواج لتصبها ثم تلقي به لأعماق اللجة ، نزل منه بحارته الى القارب الصغير يجدفون ويحاولون أن يجدوا مخرجا ، وبقي الرحمولي – رئيس المركب وصاحبه – تتساقط فوقه المياه هادرة كالشلال ، الملح في عينيه والحرقة في صدره والدوار العنيف يكاد يفقده الوعي وبداء لسكان الدفة بعناد : **« لن اتركها، سنموت معا أو تخلص معا »** .

بعد صراع متصل بين الانسان والبحر يستطيع الطروسي أن يصل بزورق الانقاذ قرب المركب الذي يكاد يهوي الى الأعماق . حوله تتناثر المجاديف وأشياء البحارة كفلول جيش مندحر ، يتردد الطروسي لحظة : هل جاء متأخرا وقد انتهى كل شيء ؟ هل انتصر ملك البحر في هذه الجولة على الانسان لحطم أسلحته ورماه في الأعماق ؟ لكنه في اللحظة التالية يقرر : لا بد أن انقذ المركب **« لو انقذ أحد الأنصوبة » مركبه الذي غرق منذ سنوات لما ظل على الشاطىء »** ، ثم – كالكلمة التالية بعد استدراك – هي خيرمراء لأطفال صاحبها ورجالها الضالين . هو الرئيس والمسئول من أرواح هؤلاء الذين نزلوا معه فكيف يخوض بهم مغامرة لا يعرف نتيجتها ولا يعرف هل عواقبها على خطأ أو صواب ؟ ليعودوا بالزورق الى الشاطىء اذن وليكمل مغامرته وحده . وحده فليخرج لقلب الخطر ، ليمثل الانسان من أسلحته جميعا وليلق العاصفة عاريا يسبح وسط اللجة ويخوض جبال الهول . وجوده كله أمام وجودها . وفي أعماقه صوت يتردد : ولدت في البحر فأية غرابة أن تموت فيه ؟

لكن الطروسي لم يهزم في هذا الصراع . خانته لا تحسبه غير قوة ذراعيه وفكره وخبرته الطويلة بالبحر . ومن قلب الصراع تبث له رفيق : فتى الميناء ، المتعطل ،

قراءة في روايات حنا مينه



فلابد أبدا في المقهى يتسامر ويلعب الورق ، ويعرف طاقته الجسدية الشابة في المراة والسباحة واداء الخدمات الصغيرة . وجد في قلب الخطر مثالا : بحارا خبير البحر ارعه واحبه ورهبه واحترمه ولم يهزأ به . كهل تخطى الشباب لكنه يتحدى هزائمهم ، حريص على رجاله أكثر من حرصه على نفسه ، يفكر في كل شيء ويراقب كل امر وحين يتخذ قراره يمضي لتنفيذه غير هياب . ذراعا بذراع خاض الريس الكهل والبحار الشاب صراعهما الوحشي ضد الطبيعة وانتصرا فيه : استطاعا ان يقودا السفينة المحطمة الى الشاطيء وينقذا صاحبها الذى لم يدركه الموت .

وحين بلغ الطروسي المرسى ، وترك الدفة مستسلما للسواعد التي احتضنته كانت مهمته قد انتهت ، وكان القسم الثاني من « الشراع والعاصفة » قد انتهى كذلك ، مسجلا بين صفحاته ملحمة فذة في ادبنا العربي لبحار يخوض الصراع ضد البحر والوجود ، من اجل ان ينقذ الرفاق « ويحمل شيئا من العزاء الى النفوس التي حطمتها الفاجعة » ومن اجل ان يحقق ذاته بحارا اكتسب في البحر خبرة عمره وجوهر وجوده ، لا يطيق أن يبتعد عنه فيبقى على قربه ولا تبتل أشواقه بلقائه ،

وحين الى اللقاء المنتظر ، الى وسط العاصفة والخطر ، فسارع اليه غير متهيب أو متردد ، كالفارس يندفع الى فرسه مهما كانت شموسا ليذللها ، كالرجل يأخذ عذراءه ليفتضها دون وهن .

علاقته بالبحر علاقته بالناس علاقته بالسماء علاقته بالمرأة . يقول لبحارته يوما وقد صفا لهم البحر : « الريح كالمرأة ، سريعة التقلب كثيرة الدلال ، فلاذا اعطتكم وجهها ، هل تتركونها دون ان تمسحوا أيديكم وراء ظهرها ؟ » ، وهو في قمة صراعه ضد البحر يتوسل ويكفر : انه يعرف ان الطبيعة خصم قوى لكنه شريف ولابد ان يكافئه على بسالته في الصراع لهذا يخاطب السماء في مزيج من العتاب والرجاء . انه – في النهاية – ابن هذه الطبيعة فلماذا تجعل للصراع حدودا لا تبلغها طاقة الانسان ؟

ثم : ماذا لو هزم الطروسي وابتلعه البحر ؟ سيهوى الطروسي الى القاع لكنه لن يموت . سيظل حيا في أساطير البحارة وحكايات الصيادين ، لن ينسوه كما لم ينس هو الاخرين الذين خاضوا صراعهم مع البحر برجولة وهزموا فيه ، سيصبح حكاية جديدة يرويها راوية حكايات البحر للبحارة وللصيادين المتحلقين حوله في مقاهي الشاطيء ، ثم يرويها هؤلاء للزوجات والاطفال في البيوت العارية والفقيرة وسط تهاويم الظلال تلقيها الصناير والشبابيك ، سيرجع الجزء الى الكل ويذوب في نسيجه ، ويبقى من الطروسي حكاية بحار عاش جسورا ومات في جولة من جولات الصراع الذى لا يفتر بين الانسان والبحر .

●

ما بقي من « الشراع والعاصفة » بعد ذلك هو تسجيل نتائج انتصاره : انتهت الحرب . انتصر الحلفاء والروس واندحر هتلر ، وانتصر الطروسي فرأدت شعبيته في المدينة ، وقرر – بعد ذلك لا مبرر له – أن يرجع البحر ريسا لمركب يشاركه فيه الرحموني الذى انقذه ، وفي اللاذقية

ومدن الشام كلها تفجر الصراع ضد فرنسا وانجلترا وأذنابهما ، وتحرك النـــاس يشترون الأسلحة ويعدونها ليوم قريب .

وبدأت دورة من دورات الحياة : جولة جديدة فى الصراع بين الشراع والعاصفة .

*

فى « الشراع والعاصفة » استطاع حنا مينة أن يستخلص لنا صورة مدينة عربية تعيش على شاطىء البحر أثناء الحرب الأخيرة . تضطرب بالحياة وتموج بنماذج مختلفة ، بطولتها موهوبة لهذه النماذج التى أحبها حنا مينة لصحبته حتى أعماله الأخيرة : الفقراء من أهل اللاذقيـــة ، الرحبين ، المحبين للسمر والعرق والحكايات والمراقد ، الباحثين أبدا عن لقمة وكلمة ، الكارهين للظلم أن وقع عليهم ، المسارعين لتقديم القليل الذى عندهم ، المبادرين لنجدة الرفاق والتخفيف من المصاب ، المتحدثين دائما عن الحظ والنصيب ، الشاكين من السماء كأنهم أطفال فى مواجهة قوى عدوة لا يعرفونها ، شاتمى السماء حتى لتحســبهم وقد تخطت أوامرهم بالسماء . وقارىء « الشراع والعاصفة » لا يستطيع أن ينسى بيسر هذه الشخصيات التى تنبض بالحياة داخل صفحاتها : فضلا عن أبى زهدى الطروسى ثمة أبو محمد الذى اتخذ من المقهى مقلا وسكنا ومن الطروسى أبنا ومثالا ، وأبو حميد عاشق عيون هتلر ، من أجله يهجر عمله ، وأصحابه ، وخليل الصياد « المصطفى فى المصابيح الزرق) راوية حكايات البحر شارب العرق ، والفتى أحمد الضالع فى المقهى الذى يولد من جديد وسط الخطر وأبو رشيد ذلك الهيام المحول الهادىء ، وأم حسن أو لجوى عشيقة الطروسى التى جاءت بعد أن وصلت القاع لوجدت فى كنفه الحب والأمن ، ثم الشخصيات التى حظيت من الكاتب بعناية أقل : نديم مظهر صاحب الشاحنات ، وأبو زكور صاحب المقهى وأبو سمره بائع نفايات الخضر . ولا يستطيع أن ينسى كذلك هذه اللوحات لسوق المدينة ، وحى الشـــحالين ، والميناء ، وانزال المركب الجـــديد الى البحر ، واجتماع الصيادين حول الحكايات والحانة الفقيرة والشاربين المفلسين ، وقبل كل شىء : تلك الصفحات الرائعة التى تصور العاصفة فى المدينة وصراع الرجال ضدها فى البحر .

وكم تمنيت أن تخلو « الشراع والعاصفة » من كل شائبة !.. لكن حنا مينة كاتب طيب القلب يحب الناس ويشفق عليهم ويأبى على نفسه أن يرى منهم غير ما يسر ويرضى . هذا ما يدفع بشخصياته أحيانا لأن تبدو ذات جانب واحد . حدث هذا فى « المصــابيح الزرق » وفى « الشراع والعاصفة » بدرجة أقل . أن شخصيات العم حنا الطيب أما طيبة تتكامل لها كل الفضائل ، وأما « مستغلة » تتبدى فيها كل الرذائل . وقد أحب حنا مينة أبا زهدى الطروسى ، فشاء أن يجعـل منه بطلا حاويا لكل الفضائل ، لهذا دفع به الى العمل السياسى ، وجعــله ينغمس فى الاهتمام بأمور العمال وتكوين نقابة لهم . وفى الصفحات الأخيرة اهتزت صـــورة الطروسى الذى صـــحبنا طول الرواية وعرفناه زاهدا فى المدينة وما تصخب به من حياة سياسية متعددة المظاهر . ابتلا فيه اهتمام مفاجىء بحضور الاجتماعات والاشتراك فيما يدور من مناقشات رغم تأكيده أنه « وطنى بلا فلسفة » ، ثم هو يشارك بنقل شحنة سلاح الى الشعب الذى يستعد للكفاح المسلح ، ومن أجل أن يقنعنا الكاتب بأن هذا ليس تحولا مفاجئا عند الطروسى يذكر لنا ــ فى الصفحات الأخيرة (ص ٣٤٤ وما بعدها والرواية تنتهى ص ٣٨٨) ــ شيئا من ماضيه يبرر هذا التحول : لقد نقل ثلاثة زعماء مطاردين سرا فى مركبه ذات ليلة بعيدة . وحين يتحقق له حلم حياته ويقف على ظهـــر مركبه الجديد والدفة بين يديه فان الفكرة الأخيرة التى تدور براسه قريبة عليه : « صدق الأستاذ كامل : القضية ليست قضية فرد بل مجتمع ، وينبغى اصلاح المجتمع » ! ، ان شخصية الأســـتاذ

قراءة في روايات حنا مينه



كامل – رغم عناية المؤلف بإبراز أفكارها بدل توزيعها على شخصيات متعددة كما في « المصابيح الزرق » – لم تستطع ان تفرض حضورها الحي في الرواية ؛ بل ان شخصيات اخرى – اقل منها اهمية في احداث مثل هذا الاثر – ليكون نصيبها من الصدق والحياة أوفى . مازلنا نحس فيه بقية من شخصية عبد القادر في « المصابيح الزرق » يردد الشعارات والتحليلات السياسية كأنه ذهن خالص .

لكن الكاتب الطيب حريص ان يسبغ على بطله كل الفضائل وان بدا بعضها غير متسق مع البعض الاخر ؛ ومن اجل ان تكتمل فضائله يجعله يعقد زواجا شرعيا على عشيقته قبل أن يرحل ؛ في الوقت الذي يحلم فيه بلقاء عشيقته الاخرى في الميناء البعيد .

ان حنا مينة لا يرتبط بمعض شخصياته احيانا الا مايمنحه منها (1) وهذا مايفقر الشخصية من ناحية ؛ او يحكم عليها بالادانة او لها بالتكريم دون ان يمنحها فرصة ان تعيش الحياة لحسابها . وتبقى القيمة التي تجمع بين « المصابيح الزرق » و« الشراع والعاصفة » هي انهما استطاعتا – على تفاوت في درجة الاجادة – ان تصورا لنا مدينة اللاذقية اثناء الحرب العالمية الثانية ؛ على نحو ما سجل نجيب محفوظ قاهرة الفترة نفسها في ثلاثية « زقاق المدق » ؛ و « خان الخليلي » .

●

● واخيرا وجد حنا مينة سبيله المباشر لكتابة رواية تدور حول العمل السياسي ان الاستقلال فياض – بطل روايته الثالثة واكثر رواياته « الثلج يأتي من النافذة » 1969 » مدرس وكاتب ؛ يخرج من بلده سوريا هاربا الى بيروت ؛ مطاردا لانه يكتب ويعبىء الناس ضد محاولة فرض الفاشية « الدفاع المشترك » . هكذا يتحدد زمن الرواية فيما بين ١٩٥٢ ؛ ١٩٥٤ أى

بعد زمن الروايتين السابقتين بحوالى سبع او ثماني سنوات . « واود ان أهمس

في اذن استاذنا الطيب أن عبد الحليم حافظ وميرنه الجريئة لم يكونوا معروفين بهذا القدر في ذلك الحين ! » .

من ملجأ لآخر ينتقل فياض . يقضي الجزء الاول من روايته في بيت عامل فقير من رفاق صباه ؛ هو معلمه الذى قاد خطاه

الاولى الى الجماعات السرية وقراءة الكتب والاوراق الممنوعة في الكهوف على ضوء الشموع ؛ والاشتراك بتنظيم المظاهرات

والعمل النقابي ؛ وقد هاجرت اسرة خليل الى بيروت بحثا عن العمل ؛ وهو الان واحد من عمال الهاتف يشترك بتنظيم

اضراب للمطالبة بزيادة الأجور وتحسين ظروف العمل ؛ ويعول أسرة ممتدة من أبويه واطفاله الخمسة وزوجته ؛ لاتستقر

حياته على حال ؛ يقضي معظمها – كما تقول امه – في « الجامع » غير آبه لجوع اطفاله. ومن طريقه يعمل فياض «مرمطونا»

في احد مطاعم بيروت الفاخرة ؛ ويكتشف خلال عمله جزءا من حياة المدينة ؛ فاهم ما في هذا المبنى صالة القمار اسفله

(1) راجع : تقديم شوقي بغدادي للمصابيح الزرق ، الطبعة الثانية ، ص ١٢ وما بعدها .

وصالات المتعة تؤلمه ، هنا وهناك تسيل اموال وتهدر قيم وتراق حياة الانسان ، يضيق الكاتب المثقف بعمله الزري ويتعرض فيه للاهانة والخطر فيتركه ويعود ليصبح في الحيرة الخلفية من بيت خليل الفقير يشغل وقته بمحاولة الكتابة واجترار افكاره وذكرياته والتطلع للحسناء التي ترنو من النافذة المقابلة . ويضيق لياس بهذا ايضا فينتقل ليقيم بشقة جوزيف : لبناني قح ، برأسه احلام كبيرة مختلفة لكن واقعه يضيق بالاحلام فلا تجد مكانا في حياته اللاهثة وراء تأمين اللقمة وقبلها الديون والاقساط والفوائد لان امرأته تصر على ان تعيش في بيروت وان تكون لها حياة نسائها . لكن جوزيف رغم هذا كله يجد الوقت للحديث وشرب العرق وممارسة شيء من العمل السري كتوزيع المطبوعات في الليل . ويضيق لياس بهذا كذلك ، ويأبى ان يعيش عالة على جوزيف الذي تطارده البطالة والديون فيقرر ان يخرج للعمل بين عمال البناء ، يرفع الاحجار والالواح على كتفيه ، ويعيش حياة العمال القاسية الخشنة ويبيت عدة ليال في العراء ، ثم يجد له كهفا يأويه عند ابي دوكو : لبناني طيب يملك بيتا صغيرا وآلة بدائية « اخترعها » لتقطيع الاسلاك الى مسامير صغيرة ، يراها اعظم اختراع واجدره بتشجيع رأس المال . يقبل ان يعمل عنده لياس ويبيت في هذا الكهف الصغير ، لكن الحياة لا تستقر به طويلا رغم اعتياده ضجيج الآلة وخشونة الحياة والعمل فيخرج ثانية ليبيت جوزيف ومنه الى حيث لا نعرف .

بعد انقضاء عام ونصف نشرت الصحف بتهويل ومبالغة مقصودين — خبر القبض على كاتب في مطبعة سرية بكهف ، ونشرت له صورة : طويل اللحية مشعث الشعر في يديه القيود . قضى لياس ستة اشهر في السجن خرج بعدها ليقيم وحيدا في بيته بالجبل ، يقرأ ويكتب ويتأمل ، ومن جديد تتخايل له الميناء ورباء النافذة ليبتسم لهما ، وتنقضي أيام الشتاء ويبدأ الربيع ويبدأ الثلج للذوب ويأتي من النافذة . رغم الصحو يحس لياس للمعة برد : انها القرية الان . لوداعا لها : « وبعد عامين من القرية استقبله الطريق الجبلي عائدا الى دمشق . اغمض عينيه على هناءة الراحة بعد تعب . في مدينته سيعيش ، وفي مدينته سيكتب ، وفيها سيكافح .. وهتف كأنه يقسم :

— « ابدا لن اهرب بعد الان ! ابدا لن اهرب بعد الان . »

٭

هذه رواية المناضل — في المدينة . ومن حقنا ان نلقي نظرة اكثر قربا على ملامح كل من الطرفين . ان شخصية لياس في هذه الرواية تجمع ملامح الابطال الثوريين في العملين السابقين وتضيف اليهما : انها تتجاوز كلا من عبد القادر والاستاذ كامل ، ولا يترك الكاتب مجالا للشك في تحديد فكره الثوري : هو يساري ، ماركسي ، يمارس عملا علنيا هو الكتابة وآخر سريا يعرضه دائما للملاحقة والسجن ، وهو يتساءل عن رأي الماركسية في الحظ ويسر لبائع التبغ « الديالكتيكي » ويصرخ في وجه العالم قبل ان يتعصف يومه الاول امام آلة العمل البدائية : « أيها العالم ، انت لا تدور على محور الفلك ولا تدرج على درب الزمن ، انت تسير مدفوعا بالاكف الشقية الدامية للصانعين الامجاد » ! .

ثوريته جاءت من الكتب لا من الممارسة ويبدو احيانا على جانب كبير من الانفصال عن ارض الواقع . كتب عناده وعذابه مرة في مقال نشره باسم مستعار ، جاءه خليل بالجريدة فانكب على المقال يقرؤه باهتمام « تململ لان بعض عباراته قد حذفت ، وحينا حاول خليل اقناعه ان العبارات المحذوفة لم تنقص من قيمة المقال لانها كانت حماسية لا اكثر ، بعد نقاش طويل »
حكم العامل المناضل الذي يعيش قروفا

قراءة في روايات حنــا مينــه



بالغة القسوة على بطلنا المثقل بانه بحاجة للراحة من عناء الراحة . تكلفه القسرية واجترار الافكار عذابا !

وفي لقائه بوجه الحياة الجهمين عمال البناء يقول احدهم عن زيارته الاسبوعية للمبغى انه كمن يأكل الخبز الجاف كل اسبوع ليظل قادرا على العمل بقية الايام ، اما الفاكهة فللنظر فقط ، فيقول فياض انه

لا يحب الخبز وحده بل لا بد من شيء من الادام والفاكهة ، ويكون تعليق رفاقه ان هذا « ذوق اولاد مدارس » ، ويظل ذوق بطلنا كذلك حتى حين يدفعه شوقه اللاهب

الى المرأة للذهاب الى المبغى ، هناك تنتابه مشاعر المقت والتقزز والقرف ، ويرى الوحل يملأ الازقة فيتساءل — متفلسفا — اجاء الوحل من البيوت ام انحدر اليها ؟

ولم ينس الاستاذ فياض لحظة واحدة انه مسيحي . فمسيحيته هي دائما نهاية المطاف لافكاره ، والتصورات المسيحية الابدة في شعوره ولا شعوره معا هي ما تدفعه لهذا الرفض « الاخلاقي »

للمبغى ، وهي ما تجعله يقنع — حين يبيع ساعته — بانه يمسح على رأس خليل بان يرسل اليه خمسين ليرة ولا يذكر اسمه ، ويتذكر العشاء الاخير حين غسل السيد اقدام الحواريين ، ويتمنى لو استطاع ان يغسل اقدام حوارييه ! ، ولا تقف

رؤيته لنفسه « مسيحا جديدا » عند هذا الحد ، بل يرى نفسه دائما يحمل صليبه على طريق الجلجلة ، ويراه الاخرون كذلك ، ويتساءل بعضهم ، هل سيصلبونه ؟!

ظل الاستاذ فياض مسيحيا حتى الاعماق ، لم يستطع ان يلائم بين مسيحيته وافكاره الجديدة ، وظل استاذا حتى الاعماق فلم يستطع ان يبقى يديه في نار العمل طويلا وتالفته الغربة ، سلاحه الكلمات لكن

في اعماقه شكوكا حول جدواها .. « العين الخفية تراقبه ، والفاكهة المرة تنتظره ، والكلمة التي يقولها ستضيع ، كالقشة في الريح ستضيع ، لان حب الزارع هنا يقع على حجر ، وان نبت يخنقه الشوك »

وقد احب حنا مينه بطله هذا اكثر مما احب أبطاله القدامى ، نأى به عن كل ما ينتقص منه شيئا ، وقدمه نموذجا

للثوري — للكاتب الثوري — كما يتصوره وشحنه بطاقة وجدانية « نرجسية ؟ » كبيرة ، فهو معشوق من الجميع : ابنة

عمه لهواء تندس بين ثيابه المبرقعة زجاجة عطر ، وفتاة النافذة الجميلة المتعلمة تتدله في حبه لنظرة القاها نحوها فترسل الرسل

في طلبه ، وبنات الحي في الشام كلهن كن يعشقنه ، وقد منحته اجمل الفتيات قبلتها حين خرج من السجن للمرة الاولى ، أبوه لا يقف في وجهه وامه تحدب عليه وامرأة

جوزيف تحرص على راحته وجوزيف ينبهر به وربما يقول وابو روكز يلوم نفسه

لانه قسا عليه . القلوب كلها تتفتح لمحبته لكنه لا يقدم في مقابل هذا كله الشيء الكثير انه يأخذ ولا يكاد يعطي ، بل نكاد نلمح

في تصرفاته وخواطره شيئا من الضيق بثوريته والسخط على الظروف التي الجأته للهرب والنضال .

●

يقول أبو روكز لسائق الشاحنة الذي يتباهى بقدرة سائقي بيروت ومهارتهم : كان لبنان منتزها فصار الآن « كاراجا » . لكن الحقيقة ان بيروت لم تصبح كاراجا

فقط بل اصبحت ايضـــا ملهى ومبغى وصالة قمار ، ومن حـــول هذا تترامى احياء فقيرة يعيش فيها كادحون بالكاد يجدون اللقمة ، وعاطلون لا يجدونها ، وموظفون صغار تلتهم الديون والاقساط

رواتبهم القليلة وتشتقهم المدينة بحبال تطلعاتهم ، وكادون وبالحون ، وزحام ، وصحف وكتب من أحدث ما اخـــرجت المطابع الى « رجوع الشيخ » ، وتهاوان

كاملان ، واضواء متلالئة ، وصـــخرة للانتحار ، واجساد صغيرة موردة تحت المصابيح الحمر ، وازقاق بالسياســـة والصحافة ، وطلقات رصاص ، وتـــوازن

دقيق يقوم على اسس كخيوط العنكبوت ، ونساء جميلات متساهلات يلثغن بالفرنسية وخياة ما زالت ترسخ فوقها التقاليد . هذه هي بيروت : الرأسمة الضيقة في آن

في ليل المدينة ، في ازقة احـــيائهـــا الفقيرة وشوارع احيائها الانيقة بمفروجال وتساءمتلفعون بالصمت والكتمان ، يعرفون ما يفعلون ، ويحلمون بأن تكون الحياة

افضل في يوم من الايام ، فلا يعود ثمة عاطلون او مسحوقون ، وتتفتح في الانسان اروع قوى الابداع . قلة هؤلاء ، هـــذا

صحيح ، لكن الكاتب المتفائل لا يترك لحظة شك واحدة : سيأتي يوم يفرح فيه الحزانى .

*

● ولد حنا مينا ســـنة ١٩٢٤ في اللاذقية ، لاسرة فقيرة جاءت اليهـــا من الشمال ، من مرسين . وبعد ولادته مرض ابوه مرضا شديدا فرجعت الاسرة الى

اسكندرونة حيث تلقى حنا تعليمـــــه الابتدائي ، وفي ١٩٣٩ انتزعت تركيا هذه القطعة من جسد سوريا فرجعت الاسرة للاذقية . فأمضى حنا في القلة مبكـــرا

فهو الصبي الوحيد ولمة افواه جائعة ، تقلب في مهن عديدة : صبيا عند بقـــال ومساعدا لصيدلي وعاملا في صالون حلاق وحين نزلت الاسرة اللاذقية فتح حنـــا

دكانا صغيرا للحلاقة كان زبائنه من الفقراء والصيادين ، هؤلاء الذين تمتلىء بهم صفحات المصـــــابيح الزرق والشراع والعاصفة .

« يحكي حنا : في سنة ١٩٤٦ وقف على باب الدكان كهل واخذ يحدق في بامعان كان في عينيه شفقة لا حد لها ، تفاضـــل باسم .. تردد قليلا ليدخل وعيناه لا تزالان تحدقان بكل شيء وقال فجأة :

– هل لا تزال هنا ؟

– ماذا تعني انني لا ازال هنا ؟

– الا تذكرني ؟ لقد حلقت عندك منذ اربعة اعوام وكنت تريد ان تذهب الى العالم . وهاأنا قد ذهبت وجبت الدنيا .. واراك لاتزال هنا ، نفس الوقفة ، تمسك بالمقص والمشط » .

أحس حنا مينة بطعنة سيف . صفى دكانه وسرح معاونه واعطى معظم ما ادخره لامه وحمل متاعه وذهب الى بيروت . في بيروت شرع في التسكع والبحث عن عمل ، كان يحاول الكتابة « متأثرا بجوركي » ويترجم بعض الاعمال وينشر القصص القصيرة ولعل في هذه الفترة من حياة حنا الحادة الواقعية لروايته الاخيرة ، ولعل الاستاذ فياض الكاتب القادم من دمشق ان يكون – في ملامحه النفسية وهمومه الفكرية – ماكان حنا قبل عشرين عاما .

في تقديم « الشراع والعاصفة » يقول الكاتب والقصاص السوري ســـعيد حورانية : « ان حنا مينة قرأ كثيرا لكنه عاش اكثر .. » ، ومن حقي ان اضيف : وتستطاع بما عاش وقرأ ان يكون واحدا من الروائيين المعدودين الذين يكتـــبون بالعربية ، وان يستبقي لنا شيئا لمينائه صورة هذه المدينة العربية تعيش الحرب والعاصفة ، وان يقدم لنا نموذج الثوري كما عرفته مرحلة من مراحل النضال .

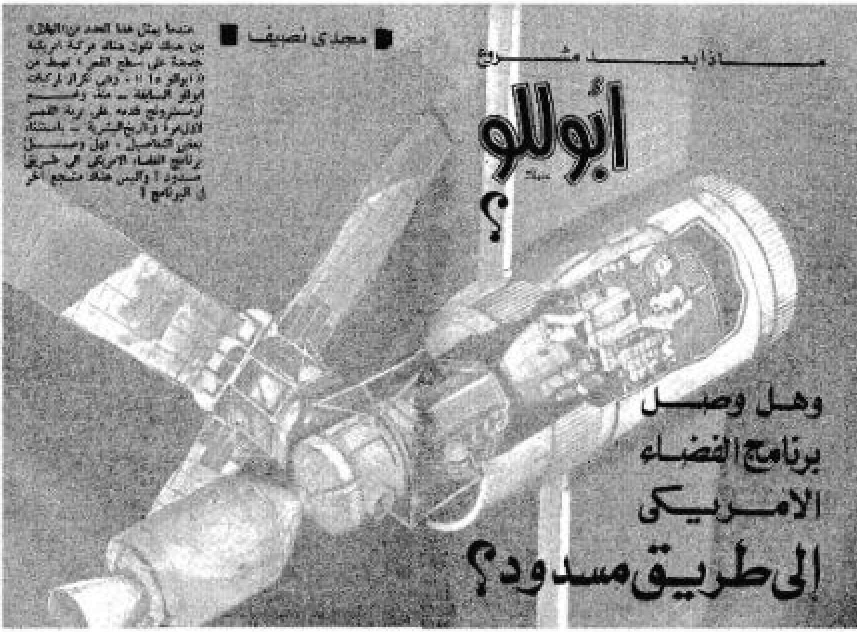
وما زال حنا مينة – الكـــاتب والـــروائي – يعيش ويعمل في دمشـــق ، قـــادرا على مواصـــلة العطاء .

■ مجدى نصيف ■

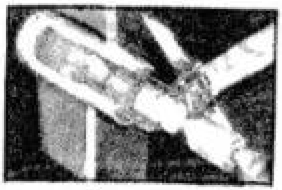
ماذا بعد مشروع

ابوللو ؟

عندما يصل هذا العدد من «الهلال» بين يديك تكون هناك مركبة «امريكية» جديدة على سطح القمر ، تهبط من «ابوللو ١٥» وهى تكرار لركبات ابوللو السابقة — منذ وضع ارمسترونج قدمه على تربة القمر لأول مرة والتاريخ البشرية — باستثناء بعض التفاصيل . فهل وصل برنامج الفضاء الامريكى الى طريق مسدود ؟ واليس هناك منهج آخر لل البرنامج !



وهل وصل برنامج الفضاء الامريكى الى طريق مسدود ؟



ماذا بعد مشروع أبوللو؟

يركز برنامج الفضاء في كل مرحلة على مشروع معين لانجاحه · ففي المرحلة السابقة وبعد ان اطلق العلماء السوفييت « سبوتنيك الاول » في اكتوبر ١٩٥٧ ، اطلق الامريكيون على هذا الحدث اسم « بيرل هاربور الفضاء » واسرع « كنيدي » بتقديم مشروع ابوللو وسارت الامور كما كان مقدرا لها ان تسير · ثم بعد أن حقق المشروع اغراضه بدأت مناقشات حامية في الولايات المتحدة. وكان من رأى المسئولين ان افضل مشروع ان يضع رواد الفضاء اقدامهم على سطح كوكب المريخ ·

المهم أنه بعد ٩ اشهر من غزو القمر لاول مرة – ابوللو ١١ – وقبل شهر واحد من كارثة « ابوللو ١٣ » ، اعلن « نيكسون » عن برنامجه الفضائي الطموح للسبعينات · ويتكون البرنامج من عدة نقاط تتركز في :

١ – استكشاف القمر والكواكب والكون ·

٢ – توسيع التطبيق العملي لتكنولوجيا الفضاء والاسراع في ذلك ·

٣ – الاقلال من نفقات تجارب الفضاء ·

٤ – محاولة توسيع قدرة الانسان على الحياة والعمل في الفضاء ·

٥ – تشجيع التعاون الدولي في مجال الفضاء ·

ولكن الكونجرس الامريكي ، خيب آمال « نيكسون » ، فلم يعتمد لبرنامجه الطموح اكثر من ٣٫٤١٠ ملايين دولار للسنة الاولى من هذا البرنامج (التي بدأت في يوليو ١٩٧٠ وانتهت عند صدور هذا العدد من مجلة الهلال) · وكان هذا المبلغ اقل بنسبة ١٤٪ من الرقم الذي طلبه مساعدو نيكسون لتنفيذ برنامجهم · وكان معنى هذا – بطبيعة الحال – الابطاء في تنفيذ البرنامج الطموح ·

واهم عامل يؤثر في اتجاهات برنامج الفضاء الامريكي · هو البحث عن طرق تؤدي الى تخفيض تكاليف المشاريع الفضائية ، ومن الملاحظ بشكل عام هبوط ميزانيات برامج الفضاء الامريكية منذ عام ١٩٦٦ : فمن الغريب حقا انه في الوقت الذي كانت امريكا تحقق فيه أعظم انتصار علمي لها عام ١٩٦٩ (الانسان يضع قدمه على القمر) ، كان العلماء والموظفون يتركون وكالة الفضاء الامريكية صاحبة المشروع ، ويبحثون لهم عن عمل في مكان آخر ، بل وكانت بعض المعامل تغلق أبوابها بمركز الفضاء بهيوستون بالذات·

المهم أن هناك شيئين يعطيان فرصة تخفيض تكاليف مشروعات الفضاء :

الاول : هو امكانية بناء صواريخ تنطلق الى الفضاء ، وبعد أن تؤدي مهمتها تعود الى الارض ، ثم تنطلق مرة أخرى في مهمات جديدة ·

والثاني : هو امكانية استخدام المركبة الفضائية في اغراض عدة ·

والمهم الان أن نلقي نظرة على البرنامج الذي طرحه نيكسون ، فما هي اتجاهات هذا البرنامج ؟

أولا : النشاط في المدارات الارضية

يمكننا ان نقسم برنامج النشاط في مدارات حول الارض الى :

١ – التطبيق العملي

٢ – البحوث العلمية ·

واهم مجالات التطبيق العملي دون شك: في الارصاد الجوية والاتصالات ، تحديد مصادر الارض الطبيعية · اما في مجال البحوث العلمية ، فلعل أوضح مثلين :

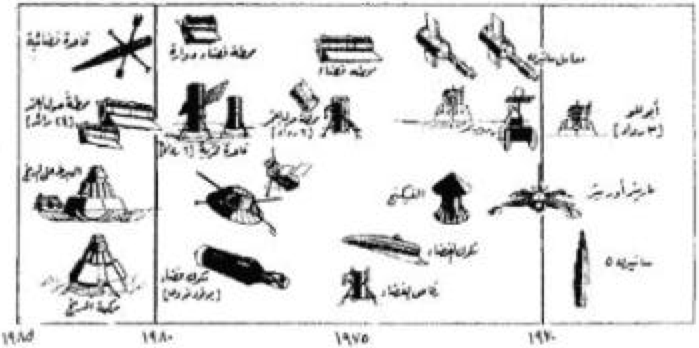
في مجال الفلك والفيزياء . وفي هـذا المجال ستدرس الشمس بالذات دراسة وافية . وعلى وجه التحديد في عام ١٩٧٣ ستنطلق في مدار حول الارض ، مركبة مزودة بأجهزة لدراسة الشمس : تلسكوبان يعملان بالاشعة السينية وسبكتروجراف لتالي احدهما عادي ويعمل التالي بالاشعة فوق البنفسجية ، وكرونوجراف يعمل بالضوء الابيض . ومن المتوقع ان يكون رائد الفضاء في هذه المركبة عالم فلك ليعمل على هذه الاجهزة .

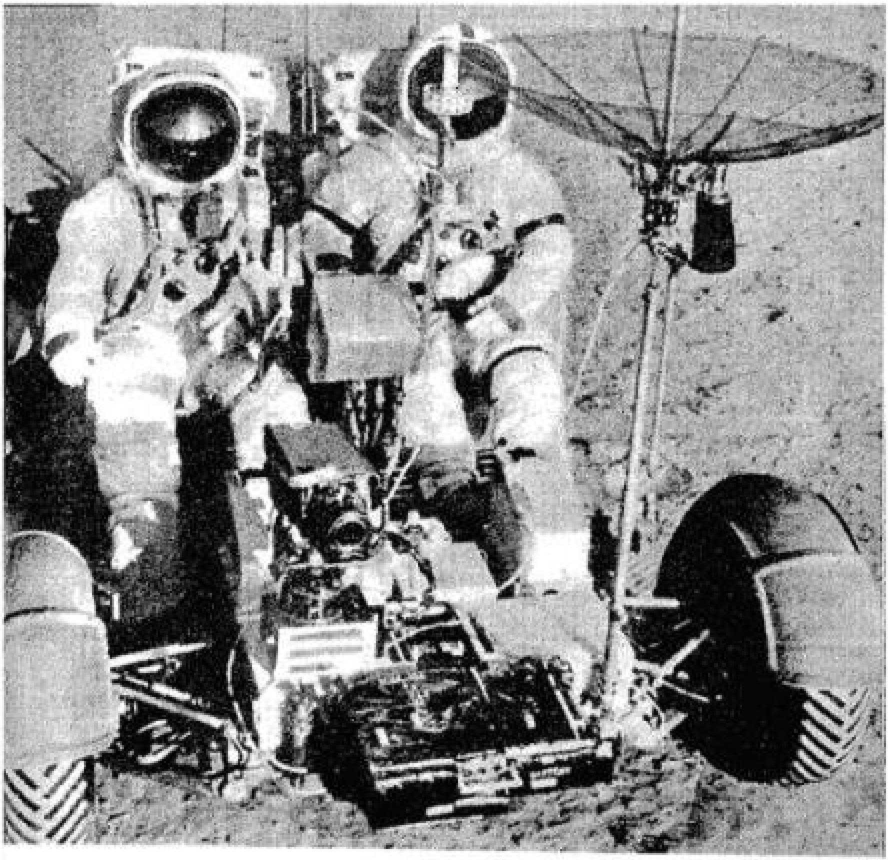
اما في مجال الفيزياء ، فهناك اتجاه لتنفيذ اقتراح تقدم به البروفيسور لويز الفاريز من معمل لورنس للاشعاع ببركلي ، وهو عالم حصل على جائزة نوبل . وهو الذي اقترح من قبل مشروع دراسة الاهرام بالاشعة الكونية ، وينفذه قسم الطبيعة بجامعة عين شمس بالاتفاق مع معمل لورنس . لقد اقترح الفاريز وضع اجهزة في مركبات الفضاء لتمسك بجسيمات الاشعة الكونية المرتفعة الطاقة لدراستها وعلينا ان نلفت النظر الى ان طاقة هذه الجسيمات قد تصل الى ٥٠ بل ومائة مرة قدر تلك الموجودة في اشعة البروتون في اكبر الالات المتوقع ان تعمل على الارض في نهاية السبعينات ، وليس تلك التي تعمل الان . اما الطريقة التي يقترحها العالم الان ــ ومن الممكن ان تتطور الفكرة خلال العمل ــ فليست اكثر من مغناطيس قوي وكالوريمتر نووي كبير . ويتم عملهما مجموعة اجهزة اخرى

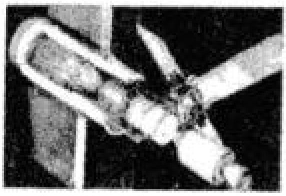
السكاي لاب

على اي الاحوال فانه من المفروض في البرنامج ان تطلق محطة فضائية اطلق عليها اسم « سكاي لاب » (المعمل السماوي) بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، وهي مصممة للبحوث ورصد المصادر الطبيعية الارضية ، والدراسات الغرض منها فهم قدرة الانسان على المعيشة والعمل في الفضاء لفترات طويلة من الزمن . وسيكون العمل العلمي الاساسي في هذه المحطة هو الذي وصفناه من قبل في مجال الفلك الشمسي . اما رصد المصادر الطبيعية الارضية فسيتم باستخدام اجهزة علمية مختلفة : واحد منها يتكون من

مشاريع الفضاء الامريكية والسنوات التي تنفذ فيها







ماذا بعد مشروع

أبوللو؟

ست كاميرات كهربائية تعمل معا . أما المجال الثالث فسيكون دراسة تأثير الفترات الطويلة التي سيقضيها الرواد في الفضاء ، على سلوك وعادات وصحة الانسان ، وعلى عمل أعضاء هذه البعثات . ومن المتوقع أن يرافق كل بعثة رائد فضاء ـ طبيب ـ وسيكون حجم الفراغ في « السكاى لاب » حوالى ٣٠٠ متر مكعب . أما أفضل ما في هذا المشروع فهو أن المحطة مصممة على أساس استخدام الامكانيات التي تطورت في مشروع « أبوللو » .

ويتم انجاز مشروع « السكاى لاب » التجريبي على مرحلتين . المرحلة الأولى

يحتل استكشاف القمر جزءا هاما من برنامج الفضاء الامريكي. وفي رحلة ابوللو ١٥ ستنزل سيارة قمرية وزنها ١٨٠ كجم تساعد الرواد على الاستكشاف . . .

ينطلق فيها المعمل سكايلاب وبه كل الاجهزة العلمية ، بدون رواد ، الى مدار حول الارض ويبعد عنها حوالى ٣٧٥ كيلومترا ويميل على خط الاستواء ٥٠ درجة ، وبعد ذلك تنطلق المركبة « ابوللو » لتلتصق بالمحطة ، وتستمر في الفضاء ٢٨ يوما .

محطة الفضاء

وهناك مشروع آخر يتم انجازه في أواخر السبعينات ، وهو مشروع «محطة الفضاء» تظل تدور حول الارض عشر سنوات يعمل فيها العلماء في عدة مجالات بامكانيات كبيرة وباستخدام العقول الالكترونية الموجودة في السفينة ذاتها . وستبنى السفينة بالتدريج في الفضاء حول الارض باطلاق أجزائها الواحد وراء الآخر . وقد بدأ تصميم هذه المحطة منذ عام ١٩٦٩ حينما تقدمت دراستان بواسطة « شركة ماكدونالد دوجلاس » و « شركة نورث امريكان روكويل الامريكية الشمالية » . وسيعيش في هذه المحطة ١٢ شخصا ، وسيكون حجم فراغها الداخلي حوالى ١٠٠٠ متر مكعب ، وقطرها ١٠ أمتار وطولها ١٢ مترا ووزنها ٦٠ طنا ، وسيبذل العلماء كل ما في وسعهم لتصميم السفينة بحيث يعيش الرواد كأنهم على الارض ، وسيكون المكان المخصص للعمل كافيا للخدمات وأجهزة العمل .

ولعل أهم التطورات في تصميم « محطة الفضاء » ، هو قيام رواد الفضاء بصيانة واصلاح المحطة : اما في المدار نفسه في الفضاء ، واما بارجاع الاجزاء الى الارض وعودتها مرة أخرى الى المدار ، بل ومن الممكن في بعض الحالات استرجاع المركبة ذاتها . وفي نفس الوقت يمكن ان تنطلق من الارض مركبات أخرى لتلتصق بنفس المركبة ، ويمكن ان يخصص بعضها للقيام بنشاط أو خدمات او تجارب معينة منفصلة عن عمل المحطة الاساسية . وهكذا من الممكن البدء بخطوة لخطوة نحو بناء « قاعدة فضائية دائمة » بها اجهزة عديدة الاغراض « وورش » صيانة واصلاح بل وتصنيع قطع غيار سفن الفضاء .

مكوك الفضاء

وستكون الخطوة الحقيقية في تخفيض نفقات مركبات الفضاء ، هي بناء مركبة تنطلق للقيام بتجاربها ومهامها ثم تسترجع لتنطلق مرات أخرى . ويعوقنا نجاحنا في هذا المجال على خبراتنا السابقة . ففي السنوات الاثنتي عشرة السابقة - وهي عمر « عصر الفضاء » - انطلقت مئات الصواريخ لتضع ملايين الكيلوجرامات من الاجهزة في مدارات حول الارض أو أبعد من ذلك . وفي كل تجربة ، كانت المركبة الصاروخية تترك ويستغنى عنها . وحتى نتصور المسألة علينا ان نتخيل تكاليف رحلاتنا الارضية ... نستغني عن كل طائرة بعد قيامها برحلة واحدة من رحلاتها .

فالهدف الآن هو أن نستخدم المركبة الفضائية عدة مرات ، ورغم اننا لم نصل الى هذا الهدف البعيد ، الا ان تكاليف رحلات الفضاء قد تناقصت بنسبة لا تصدق! لقد كان كل كيلو جرام من الاقمار الصناعية الامريكية يتكلف اطلاقه الى مداره ٢٠٠ الف دولار ، أما اقمار اليوم فلا يتكلف الكيلو جرام فيها اكثر من ٢٠٠٠ دولار فقط ولو استخدمت مركبة الفضاء عدة مرات كما يقدر العلماء ، فلن تزيد تكلفة الكيلو جرام عن ٢٠٠ دولار بل وحتى اقل .

والمركبة الامريكية التي ستنجز هذا هي « المكوك » !

ففي مايو ١٩٧٠ اختارت وكالة الفضاء الامريكية « الناسا » مجموعتين صناعيتين لرأسهما « شركة ماكدونالد دوجلاس » و « شركة نورث امريكان روكويل الامريكية الشمالية » للقيام بدراسة تمتد أحد عشر شهرا ،

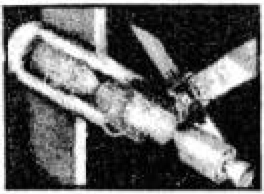
تتضمن بحوثا مفصلة عن المركبة وتحليلا مقارنا وتصميمات أولية في اتجاه اختيار التصميم النهائي الذي يتخذ القرار بتنفيذه .

سيضم « مكوك الفضاء » كل ما تجمع من خبرات في مجال تكنولوجيا الفضاء والطيران الكوني في الرحلات بين الارض والمدار المنخفض . ويتضمن هذا — على سبيل المثال لا الحصر : اقلاع المركبة عموديا ، هبوطها افقيا ، الطيران لمدة اسبوع في مدار ، قيام المركبة بمائة رحلة او اكثر ، امكانية طيران مسافرين غير مدربين « علماء وأطباء وخبراء » . على ان يكون طولها حوالي ١٨ مترا وقطر حجرة المعيشة حوالي ٤م) أمتار مع ملاحظة امكان اطلاقها خلال عدة ساعات . ويعتقد العلماء الامريكيون أن بامكانهم انجاز هذا المشروع بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ ، وأنه سيخفض تكاليف النقل بين الارض والمدار .

وقد اشار الخبراء الى مشاريع مشتركة — في هذا المجال — مع وزارة الدفاع الامريكية ، ومعنى هذا استخدام « مكوك الفضاء » في الاغراض الحربية ، وقد تم هذا الاتفاق في فبراير ١٩٧٠ ، وان لم تعلن تفاصيله .

ثانيا : استكشاف القمر

أما المجال الثاني في برنامج الفضاء الامريكي ، فهو استخدام القمر كقاعدة . فمساحة القمر أكبر قليلا من مساحة افريقيا . وفي رحلة « ابوللو ١١ » وهي الرحلة التي وضع فيها الانسان قدمه لاول مرة على تربة القمر ، استكشف رائدا الفضاء « ارمسترونج » و « الدرين » مساحة أصغر من مساحة ملعب كرة القدم وفي « ابو للو ١٢ » استكشف (كونراد) (وآلان) مساحة مدينة كبيرة . وستزداد المساحة في كل رحلة . والغرض من هذه الرحلات حتى الان احضار عينات من التربة والصخور القمرية لاجراء بحوث حول تاريخ الارض والشمس والكواكب . الى جانب دراسة امكانية العمل فوق سطح القمر . فالقمر مكان مناسب للغاية لاقامة مرصد فلكي ولهذا يجب دراسة كيفية استغلال مصادره الطبيعية من أجل هذا الغرض .

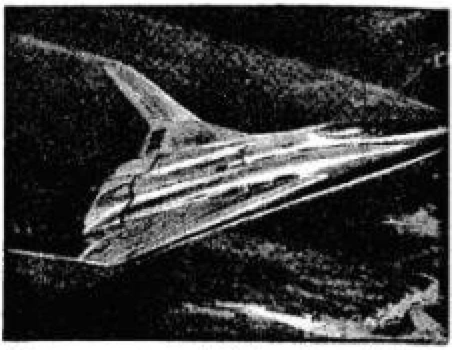


ماذا بعد مشروع أبوللو؟

ولكن في سبتمبر ١٩٧٠ انطلقت لونا ١٦ الى القمر وهبطت برفق على سطحه واحضرت عينات من الصخور القمرية الى المعامل السوفييتية . وفي نوفمبر ١٩٧٠ انطلقت لونا ١٧ ليخرج منها « الانسان الآلي » (لونوخود — ١) ليتحرك على سطح القمر ويحضر عينات من الصخور القمرية من أماكن مختلفة ، ويقوم بتجارب علمية مختلفة . وقد اثار هذا كله العديد من المناقشات حول جدوى رحلات « ابو للو » وتعريض حياة الانسان للخطر ، طالما ان الانسان الآلي يقوم بنفس المهمات . ولا شك ان هذه المناقشات ستثار مرة اخرى بشكل اعنف بعد وفاة الرواد السوفييت الثلاثة .

وعلى أي الأحوال فالجديد في رحلات أبوللو سيكون في رحلة « ابوللو ١٥ » اذ ستزود سفينة الفضاء بسيارة قمرية وزنها ١٨٠ كم تحركها موتورات كهربائية تعمل بالبطاريات وتسير بسرعة ١٦ كم في الساعة وتمكن الرواد من الذهاب بعيدا عن مكان الهبوط مابين خمسة وثمانية كيلو مترات ، أما المركبة القمرية التي ستنفصل عن المركبة الام التي تدور في مدار حول القمر ، فستزيد من عدد الساعات التي تظل فيها فوق القمر حتى تصل الى ٥٤ ساعة ، بينما تطير المركبة الام ١٦ يوما .

وسيحاول البرنامج الامريكي في السبعينات استخدام المركبات عدة مرات



« مكوك الفضاء » المفروض انه سينطلق عام ١٩٧٧ او ١٩٧٨ طوله ١٨ مترا ويقوم بمائة رحلة او اكثر

كما ذكرنا من قبل . ولذلك فسيستخدم « المكوك الفضائي » و « المحطة الفضائية » ونوعين آخرين من مراكب الفضاء : النوع الاول « مركبة مكوك » تستخدم عدة مرات للسفر بين مدار أرضي ومدار قمري ، والوقود المستخدم وقود نووي . والمركبة الجديدة الاخرى ، يطلق عليها اسم « رقاص الفضاء » وتستخدم عدة مرات وتعمل بالوقود الكيماوي . وتستخدم هذه المركبة في غرضين :

١ ـ القيام بمناورات كبيرة في مدارها حول الارض .

٢ ـ نقل المسافرين والبضائع من مدار قمري الى سطح القمر .

وهكذا ستكون هناك ٣ مراحل في الرحلة من الارض الى القمر :

المرحلة الاولى : « مكوك الفضاء » يقوم برحلاته من الارض الى محطة فضائية في مدار حول الارض .

المرحلة الثانية : « مكوك فضاء » اخر يعمل بالطاقة النووية ، يقوم برحلته من المدار حول الارض الى مدار حول القمر .

المرحلة الثالثة : « رقاص فضاء » يقوم بالمرحلة الاخيرة من الرحلة من مدار حول القمر الى سطح القمر .

ثالثا : استكشاف الكواكب

وهنا نصل الى المجال الثالث من البرنامج الامريكي . والحقيقة أن التركيز في فترة السبعينات سيكون على المشاريع التي ناقشناها . ومع ذلك فالتفكير يتركز في غزو امريكي لكوكب المريخ بالطريقة التي حدث بها الغزو الامريكي للقمر . وفي هذا المجال تقتصر فترة السبعينات على رحلات لبعض المراكب الفضائية الاوتوماتيكية بدون رواد ؛ وذلك لبعد المسافة، والطاقة الهائلة اللازمة للرحلة . ورغم ذلك فان المراكب المستخدمة في مشاريع الفضاء سيستفاد منها بشكل او باخر في برامج غزو الكواكب الاخرى في بداية الثمانينات

وضمن مشاريع مركبات الفضاء الاوتوماتيكية المخطط لها من السنين القادمة : اطلاق مركبة فضائية في مدار حول المريخ . وبين عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٩ ستنطلق مركبات تمر بالقرب من الكواكب العملاقة الخارجية في المجموعة الشمسية

في عام ١٩٧٧ مثلا ستكون الرحلة الى « زحل » و « بلوتو » . وفي عام ١٩٧٩ ستكون الرحلة الى « زحل » و « اورانوس » و « نبتون » وستستمر كل رحلة عدة سنوات .

المراجع :

١ ـ المصور ١٩٦٩ و ١٩٧٠.

٢ ـ مجلة Science Journal اعداد يونيو ١٩٦٨، فبراير ١٩٦٩ واغسطس ١٩٧٠

٣ ـ مجلة Science & Engineering العدد ٩ لعام ١٩٧١

٤ ـ The Soviet Encyclopedia of Science

لازم تعيش

شعر
فؤاد
حداد



من كل وادى لوادى
فوق الكفوف زوادى
بارىء من الاسرار
وصانى ليل ونهار
اما ولاد الديب
اما ولاد النار
ما اظلم التغريب
عينى بكت من طيب
الاغنية اللى تقول
آه يا نسيم الصبا
نازل على مرحبا
بين الخيام والعبا
من بعد آب ايلول

يجرى الشتا المستخفى
يحكى ربيع زغلول
يورد اثر من زحفى
على رملها المبلول
حلفتكم بالنعمه
لازم تعيش المقاومه

شاهد على مشهدى
مانع يفيض الكيل
خبز الفراره ندى
انوى تمام الليل
افرد واطوى جناحى
على قدم وسلاحى
بين المضارب صاحى
واعرف ظنون الظلمه
لازم تعيش المقاومه

كان يوم من الايام
جدى فى طريق الشام
حادى ولا سلام
تارك عنان الهودج
متعود الانغام
صوته تهدج لما
طلت عيونه لسلمى
لازم تعيش المقاومه

ماه الدموع فى الكون

المقاومة

ما للحبايب لون
الله يكون فى العون
بين السنابل وقفت
لا تميل ولا تتلفت
نظرت لصوب الشرق
من جفنها اللى انشق
طالبه الوطن والحق
دايم شفاها ودايمه
لازم تعيش المقاومه

ذكرت يافا واريحا
وفى الخيال عديت
والقدس اختى الجريحه
لما بعات غضبيت
تحت اللفظ والنحس
انت انين النفس
درج البيوت النايمه
لازم تعيش المقاومه

حيفا ورام الله
ومن الجليل علياه
لا تعيد عل الآه
عادت على سنين
هذا اوان التين
لعب التراب بالنور
رجع الصدى المبهور

بين الزيتون والكرمه
لازم تعيش المقاومه

الطيبات فى الحقل
بكرية الاحضان
وكتاب بير العقل
ياما سقيت الحيضان
وشكرت فضل الغيطان
طرحت عيدان بتغنى
كرامة الاوطان
أنا ابنى يكبر عنى
حمه ومودة ورحمه
لازم تعيش المقاومة



يأتي وقت يصبح فيه الفكر الإنساني كله ، بتراث فلسفاته وعلومه وآدابه ، أرخص من طلقة رصاص واحدة يحتاج اليها جندي في أرض المعركة لينقذ بها حياته .. تلك حقيقة رهيبة لاشك انها اشبعت كل مشتغل بالفكر في الفترات التي تخوض فيها بلاده معارك مصيرية كتلك التي تخوضها بلادنا .. ليتمنى لو استطاع ان يحول كلماته الى طلقات وبنادق ومدافع .. ولكننا لا يجب ان نثوب الى رشدنا ونعرف أن معركة اليوم لا تحسمها الطلقات وحدها ، وإنما تتطلب بالإضافة الى الطلقات .. فكرا منظما يتجسد في تطبيقات علمية وتكنيكية ، هي التي تزود الجندي بسلاحه وعتاده وخبراته ، وفي قيم ومبادئ حضارية هي التي تدفع الجندي بالوقوف امام عدوه بشجاعة ، وبتضحيته بحياته — اذا اقتضى الأمر — في سبيل الذود عن هذه القيم والمبادئ.

[illegible]





الشيخ محمد عبده



أنور السادات

دولة العلم والإيمان

■ فؤاد دوارة ■

دولة العلم والايمان

وما دمنا معشر الكتاب، لانملك – في هذه الظروف العصيبة التي تجتازها بلادنا – غير الكلمات ، فلا أقل من أن نشعلها بنار الصدق والجسارة ، لتضيء الطريق

لشعبنا الصامد في مواجهة العدو وامام الآلات في المصنع ، وخلف أعواد القمح والقطن في الحقل .. ولتؤكد وحدته وتماسكه حول أهداف نضاله ،

وتحرق في الوقت نفسه أعداءه والمتاجرين بأقواته ، والطامعين في خيراته ، ليثروا على حساب شقائه وحرمانه ، ويتمعوا ولو كان الثمن حريته وكرامته .

ومن حسن الحظ أن حركة التصحيح الخطيرة التي بداها الرئيس أنور السادات في ١٤ مايو الماضي لم تقتصر على الضرب علىً حفنة من اعداء الشعب عن مناصبهم ، بل سبقتها ، وصحبتها وتلتها ، حركة تصحيح اخرى اخطر في المفاهيم والقيم السائدة ، ابتداء من العمل على سيادة

القانون ، والدعوة للوفاء لكل من خدم البلاد ، واحياء تقاليدنا الريفية الاصيلة في التراسل ولجسدة الملهوف ومراعاة « العيب » ، وانتهاء بذلك الشعار

الحاسم الذي رفعه الرئيس .. شعار « دولة العلم والايمان » الذي يحمل – على ايجازه – مجموعة من القيم الانسانية الباقية كفيلة بأن تهدي خطانا في المرحلة

القاسية القادمة من تاريخنا .. لو احسنا فهمها وتحليل دلالاتها ، ونشر الوعي بها بين جماهير الشعب ، وتلك احدى المهام الاساسية الملقاة على عاتق الكتاب من رجال الدين والعلماء والادباء والفنانين ..

فما العلاقة بين العلم والايمان ؟

وما دور كل منهما في اقامة دولتنا العصرية المتاصلة ؟

وما مكان الاشتراكية والديمقراطية في هذه الدولة القائمة على العلم والايمان ؟

ثم ما العلاقة بين الفن والايمان من ناحية ، وبين الفن والعلم من ناحية اخرى ؟

وما دور الفن عامة ، والادب خاصة ، في بناء دولة العلم والايمان ؟

هذه هي اهم الاسئلة التي يطرحها هذا الشعار الحاسم ، والاجابة عن كل منها تتطلب كتابا أو بحثا قائما بذاته ، فاذا ما حاولنا الاجابة عنها جميعا في هذا المقال ، فمعنى ذلك أننا لن نزيد على تخطيط تصورنا لاهم النقاط التي ينبغي أن تتناولها الاجابات ، تاركين التفصيل لاهل العلم والاختصاص كل في مجاله .

الاسلام والعلم

من الافكار الخاطئة التي شاعت بين فئات لا تتعمق الدين أن العلم نقيض للايمان ، لانه ينتهي بأصحابه عادة الى الالحاد .. وهذا فهم سقيم للعلم والايمان على السواء ، فالدين بمعناه الايجابي الصحيح والعلم بصورته الانسانية المتحضرة

كانا دائما قرينين ، بحيث لا يصح ايمان ديني ما لم يقم على العلم ، وكذلك لا قيمة للعلم لا يحدوه الايمان ويسدد خطاه نحو خير البشرية ..

فلا تناقض في الحقيقة بين العلم والايمان الا في الاذهان المريضة التي عجزت عن فهم جوهر كل من العلم والايمان ، وأن تلازمهما تلازم شرط وضرورة ..

ان الاسلام يدعو الى العلم ويحث

عليه ، ويضع العلماء في مكانة رفيعة سامية .. يكفي ان يكون استهلال أول آية نزلت من القرآن الكريم هي «اقرأ» ثم تشير بعد ذلك الى خلق الانسان ، وفي السورة أيضا قوله تعالى : « علم الانسان ما لم يعلم » ، ولقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته في القرآن ، فيما يذكر المختصون ، حوالي ٧٦٥ مرة ، بالاضافة الى الآيات الكثيرة التي تحث على طلب العلم والمعرفة والتأمل في ظواهر الكون .. ومن الاحاديث الشريفة العديدة التي تحث على العلم وتعلي من مكانته قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا الى الجنة »

« ساعة عالم متكيء على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد ستين عاما . »

وقد جعل الرسول فدية أسرى غزوة بدر أن يعلم كل منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

والقرآن والحديث والسنة وسير الخلفاء الراشدين والصحابة وفقهاء الاسلام وزهاده لا تدع مجالا للشك في موقف الاسلام من العلم ، فمن أين جاء هذا التناقض المزعوم بين العلم والايمان؟

جاء بلا ريب خلال قرون التخلف التي بعدنا خلالها كثيرا من جوهر الاسلام ، فترتب على ذلك تأخرنا في مجالات كثيرة ، من بينها العلم الذي حملت أوربا شعلته بعد أن كنا سدنته ورواده ، وحققت به حضارة قوية شامخة ، ووقفنا امامها عاجزين بعد أن تخلينا من ايماننا فتخلى علمنا عنا ، وأصبح الايمان في نظر الكثيرين منا مرادفا للدروشة والسلبية والقدرية والتوكل والخضوع واحتمال المهانة والحرمان بحجة أنها قدر ونصيب مقسوم ، وعدم مقاومة الفساد والاستبداد بدعوى « واطيعوا اولى الامر منكم » !! حتى جاء وقت لم يتمالك فيه الاستاذ الامام محمد عبده نفسه فصرخ بألم شديد :

« ان اهل اوربا هم مسلمو هذا العصر .. اما نحن فكفرة . » !!

ولا تكاد ديانة اخرى ، سماوية أو غير سماوية ، تخلو من الحث على طلب العلم والدعوة الى التزود به ، بل ان الايمان الديني نفسه لا يصح — كما قلنا — ما لم ينبن على علم صحيح ومعرفة واقتناع ..

عودة الى الجهاد

ومع ذلك الفضل أن اصور الايمان الذي نقيم عليه دولتنا أعم واشمل من الايمان الديني بمعناه التقليدي التوارث ، والذي لا يخلو من كثير من الخرافات والتشويهات ، انه ايمان انساني عميق بالحياة والانسان والعلم والعمل والعدالة والمساواة والحرية والكرامة ، وكل قيم الحق والخير التي لا تتعارض مع جوهر الاسلام ، بل تصدر من روحه ، ويعتنقها معنا كل الصالحين والايجابيين من المسلمين وغير المسلمين

وللاستاذ يحيى حقي رأى قيم في هذا الصدد ، حين يقرر أنه ما من مبدأ من المبادىء الانسانية العليا التي يرددها المجتمع الدولي اليوم الا ونادى به الاسلام قبل ميثاق الامم المتحدة بقرون طويلة ، واهم هذه المبادىء في رأيه هي :

« .. تحرير الفرد فكرا وجسميا ، برفع الفتنة عنه ، لا سيادة عليه الا لربه ، من الاعتماد المطلق عليه يستمد شجاعته واقدامه لا قعوده وتوكله ، حثه على النظر في اسرار الكون وطلب العلم ، حثه على الفلاح ، فلاح النفس وفلاح الارض ، المناداة بالمساواة بين البشر ، ازالة فروق الجنس واللون ، المناداة بالعدالة الاجتماعية وتكافل افراد الامة ، يحمل قويهم ضعيفهم ، المسلم مطالب في معاملاته ، في زواجه ، في بيعه وشرائه بالتزام العدل ، حياء من الله لا خوفا من القانون او الناس ، فلم يبق للمسلم من عمل الا كان عبادة . »

ويرتب يحيى حقي على ذلك دعوته الى إعادة فتح باب الجهاد في الاسلام لخدمة

المبادىء الانسانية العليا على نطاق عالمي، فالاسلام عنده « دين ديناميكي » لو تمثلت ديناميكيته أسست كل لفتاته ، هذا هو المصطلح الحديث لمعنى الجهاد.

ولابد للاسلام ان يستأنف الجهاد على هذا النحو ، نريد الا يتردد في المجتمع الدولي صوت ينادي بهذه المبادىء العليا الا ارتبط في اذهان المستمعين بأنها هي المبادىء التي نادى بها الاسلام قبل ان ينادى بها ميثاق الامم المتحدة ، وعن

طريق هذا الجهاد بمعناه الحديث تتجدد حيوية الحضارة الشرقية الاسلامية ، ستقف بقيمتها امام مسئوليتها وجهاً لوجه ، سيكون من المحتم عليها حمل هذه المسئولية والوفاء بمطالبها ، وستنتقل من الركود الى الحركة في كافة الميادين .

العلم والالحاد

هذا هو موقف الايمان الحق من العلم يحتضنه ويعتز اليه ، ولا يصح بحوله بعد فما موقف العلم من الايمان ؟

حتى عهد قريب كان العلم في نظر الكثيرين نقيضاً للايمان وداعية للالحاد .. ولعل هذه النظرة كانت من العوامل الهامة في تخلفنا العلمي نتيجة لاعراضنا عن الدراسات العلمية . ونحمد الله على ان تبدد هذا الوهم او كاد ، وتغيرت

الصورة الى النقيض ، حتى اصبحنا مطالبين اليوم بالدفاع عن العلوم الانسانية

والفنون وتأكيد ضرورتها ونفعها ، بعد ان تضائل الاهتمام بها بالقياس الى الاقبال الضخم على الدراسات العلمية بمختلف فروعها

صحيح ان عدداً غير قليل من المشتغلين بالعلم ممن اغرتهم اللذة العقلية لرواجهم وغرهم ما حققوه عليها من انتصارات

مذهلة ، قد الحدوا وانكروا قدرة الله ، ولكن العلم الاصيل ذا النظرة الكونية الشاملة لابد ان ينتهى بصاحبه الى الايمان بالله وبكل قيم الحق والخير ..

وما من عالم اصيل الا واحس بعجز العلم وقصوره في مناطق عديدة من الكون وجسم الانسان ونفسه ، وان ثمة قوى

جبارة هائلة لا يمكن للعلم ان يسيطر عليها او يتدخل في ارادتها ، او حتى يحيط بكنهها هي التي تسير الكون بكل من فيه وما فيه .. فلم يسعه الا ان يؤمن .

هذا « جان روستان » عالم الطبيعة الفرنسي ، تنتهى به بحوثه العلمية الى الايمان بعالم الروح ، فيسلم بان الانسان ليس آلة مادية ، بل قبساً من قوة علوية غنية هي التي ترسم له وللكون نظامه ، ويقول : سمها الله ان شئت .

وهذا « اينشتين » اكبر علماء القرن العشرين يعلن قرب نهاية حياته :

« ان بصيرتنا الدينية هي النبع وهي الوجه لبصيرتنا العلمية . »

ويقول شرودنجر :

« ان بصيرتنا الدينية فيها من القوة والثقة والايمان ما لبصيرتنا العلمية ، العلم الذي لا يتعارض مع الايمان ولا ينكره ، بل لابد ان ينتهى اليه متى صحت مناهجه وسلمت نواياه .. بل انه لولا الايمان ما كان علم .. اذ ما

الذي يمكن ان يدفع الانسان الى ان يقضي أخصب سنوات عمره في المعامل والمعامل ليتخصص في فرع دقيق من فروع العلم العديدة ، ثم يقضي بقية عمره في بحوث لا تنتهي .. ماذا يمكن ان يدفع الانسان لذلك غير الايمان ؟ .. فليكن ذلك الايمان الانساني العميق الذي ذكرنا ،

دولـــة العـلــم والايـمان

أو ايمان بالعلم نفسه ، أو حتى الايمان الانانى الضيق بالمجد الشخصى .. فلا جدال فى أن كل كشف علمى هام قد صدر عن ايمان قوى عميق هو الذى دفع العالم الى تكريس حياته للبحث والتجارب ، وهون عليه ما احتمله فى سبيلها من مصاعب وآلام ..

مخالب الانسان وحكمته

ومن المفكرين من يذهب الى أن العلم دون ايمان لا يمكن أن يحقق نتائجه المرجوة ، ومن هؤلاء أديبنا الكبير يحيى حقى الذى يقيم روايته الصغيرة «القنديل أم هاشم» على هذا الاساس ، فحين تجرد الدكتور اسماعيل – بطل الرواية – من الايمان الا بعلمه فشلت العملية الجراحية التى أجراها لبنت عمه «فاطمة النبوية» ، فلما استرد ايمانه بالله ، وامتلأ قلبه بالتواضع ، استطاع أن ينال ثقة فاطمة وايمانها به ، ومن ثم أمكن للعملية أن تنجح .

والأخطر من هذا أن العلم اذا تخلى من ايمانه الانسانى العميق ، أمكن أن يتحول بسهولة ، وما أكثر ما فعل ، الى شر محيق بالبشر حين يتفنن فى ابتكار أسلحة الهلاك والدمار ، ليحطم كل ما سبق أن حققه للانسانية من خير وتقدم ورفاهة .. ويشير العالم المصرى فؤاد صروف الى خطر هذه المشكلة بقوله :

« لقد اخضع الانسان الطاقة الذرية لبعض ما يريده ، ولكن ، هل لديه من القوة الروحية والخلقية ما يتيح له أن ينتصر عليها ، فكيف عن استعمالها الا فى الأغراض النافعة للبشر ؟.. فى هذه العبارة المقتضبة ، وهذا التساؤل الملح يتمثل معنى العلم : قدرته ، وقيمته »

ويزيد توفيق الحكيم الموقف وضوحا :
« ان أزمة الانسانية الآن وفى كل زمان هى أنها تتقدم فى وسائل قدرتها أسرع مما تتقدم فى وسائل حكمتها .. ان المخالب فى الانسان الأول قد تطورت الى أسلحة حجرية ، ثم الى سيف ، ثم الى مدفع ، ثم الى قنبلة ذرية ، ولكن وسائل تحكمه فى غرائزه لم تتطور الى حديثها فى كل الاحيان ، من كبح جماح القدرة ، لذلك كان لابد دائما من وقوع كارثة .. أو حدوث اختناق حتى يفطن العالم آخر الامر الى ضرورة الحكمة .. »

العلم فى المعركة

اقتران العلم بالايمان الآن ضرورة تحتمها طبيعة كل منهما وتفرضها مصلحة الحياة والانسان .. واذا كنا اليوم نوظف العلم على أوسع نطاق فى صنع السلاح واستخدامه ، فاننا نفعل ذلك دون أن نتخلى عن ايماننا ، بل اطاعة لأوامره ، لاننا نعد السلاح ونتدرب عليه ، لا لنعتدى ، بل لنرد عدوانا واقعا علينا ، ونعيد المشردين الى ديارهم ، ونرد الارض لأصحابها الأصليين .. بعد أن أعيتنا الوسائل فى تحقيق ذلك من طريق السلم .. والدبلوماسية .. وبهذا يأمرنا ديننا ، وبهذا يوحى ايماننا بالانسان وبالحق والكرامة .. وفى مثل هذه الحالة يقوم العلم بخدمة الايمان والدفاع عنه ، والاستعانة به فى الوقت نفسه لحماية كل القيم التى يمثلها صراعنا ضد الاستعمار والصهيونية ..

والى أن يتحقق لنا النصر ينبغى أن توجه الى ساحة القتال أكبر قدر من طاقات ايماننا وعلمنا ..

والقول «أكبر قدر» لأن المعركة لا يمكن أن توقف الحياة ، أو تعطل جهود الانتاج من أجل السلام والرخاء ، فضلا عن أن هذه الجهود ذاتها تمثل فى الوقت نفسه عنصرا أساسيا من عناصر النصر فى المعركة ، فهى التى تزود الجنود باحتياجاتهم المختلفة ، وتدعم جبهة الصمود الداخلية التى تحتضن جبهة القتال وتحمى ظهرها ..

والمعركة بيننا وبين اسرائيل ، والاستعمار الامريكى من ورائها ، هى أولا معركة حضارة كما قيل كثيرا من قبل ، ولن نستطيع حسمها بشكل نهائى الا بما نحققه من تقدم قائم على العلم والايمان ..

.. والاشتراكية والديمقراطية

والعلم والايمان يقودان حتما ، ربما من طريقين مختلفين ، الى الاشتراكية .. لجميع الاديان السماوية ، والاسلام

بصيغة اخرى ، تنص على مبادىء المساواة والعدالة والتكافل ، وتحرم الاستغلال والربا والاحتكار ..

وكذلك انتهى كل علماء الاقتصاد الامناء الى التبشير بالاشتراكية باعتبارها افضل نظام يمكن ان يحقق للناس اكبر قدر من العدالة والرفاهة ..

وكذلك انتهى العلم والايمان من زمان الى تقرير مبادىء الشورى وسيادة الشعب وحقه الطبيعى فى اختيار حكامه وتقويمهم او عزلهم متى انحرفوا عن الجادة .. وكلها مبادىء اكدها الاسلام فى نصوص كثيرة .. كل ما فى الامر ان الاسلام اجملها ووضع اسسها العامة ، وجاء علماء الاقتصاد والسياسة فقننوها ونظروها وادخلوا عليها تفصيلات تطبيقية فاصبحت ما نسميه اليوم بالديمقراطية ، وهو ما ينطبق تقريبا بالنسبة للمبادىء والاسس الاشتراكية التى جاء بها الاسلام حين نقارنها بنظريات الاشتراكية العلمية

وعلماء السياسة والاقتصاد مجمعون بعد ذلك على ان الاشتراكية السليمة لا يمكن ان تقوم لها قائمة او تحقق اهدافها كاملة الا اذا ساندتها ديمقراطية حرة تسلم للشعب زمام اموره ، وتضع القائمين على امره فى خدمته ، وليس العكس .. ليشعر الشعب بدوره الرائد فى توجيه مقدرات بلاده ، وبملكيته الحقيقية لكل وسائل الانتاج ، ومن ثم يزداد ايمانه ببلاده ، واحساسه بالانتماء اليها ، ليتفانى فى خدمتها ، والدفاع عنها ، وزيادة انتاجها ، والمحافظة على مرافقها وادوات الانتاج ، لانه يشعر انه انما يدافع ويحافظ على اشياء تخصه حقا ، وان زيادة الانتاج وخفض تكلفته لابد ان تعود عليه شخصيا بالنفع المباشر ..

ومعنى ذلك اننا حين نقول « دولة العلم والايمان » فاننا نقول : « دولة العلم والايمان والاشتراكية والديمقراطية » .. لترابط هذه المبادىء الاساسية وتشابكها ، بحيث يستحيل تحقق واحد منها فى صورته المثلى دون توفر بقية المبادىء ، او دون الاستعانة بها على الاقل تقدير ..

ولنستعرض من تجارب الشعوب التى نهضت فى هذا العصر ، وحققت فى زمن وجيز تقدما حضاريا مذهلا .. الاتحاد السوفييتى الذى تحول خلال اقل من نصف قرن من دولة اقطاعية مهترئة يسودها الفقر والجهل الى دولة حديثة بكل معانى الكلمة ، تناجز امريكا اكبر قوة رأسمالية معاصرة ، وتسبقها فى كثير من مجالات العلم والتقدم .. الصين بملايينها الستمائة من الجوعى والمخدرين والقميين .. تقفزت فى سنوات اقل الى دولة عصرية يحسب لها المجتمع الدولى الف حساب .. وحتى شعب فيتنام الصغير ، كيف صمد هذا الصمود الاسطورى امام اعتى قوة عسكرية فى العالم اكثر من عشرين سنة وما زال ..

لن نجد تفسيرا لكل هذه التجارب الرائدة وامثالها الا فى نفس المبادىء الاربعة : **العلم والايمان والاشتراكية والديمقراطية** .. قد تختلف النسب واساليب التطبيق وطبيعة الايمان فى كل حالة .. ولكن تظل المبادىء الاربعة موجودة دائما .. ولا يمكن ان تقوم نهضة حقيقية مع افتقاد اى منها ..

الاستبداد .. والجهل ..

ولكن لكيلا يتحول الايمان الى خرافات وغيبيات مثبطة ، بل يصبح هاديا للسلوك الايجابى ، وقوة محركة فى الصمود والعمل ..

ولكيلا ينحرف العلم عن دوره ويتحول الى وسيلة امتياز للصفوة ، واحتكار لها ، بل يتحول الى اسلوب لفكر الشعب ، ويتاح لاكبر عدد من ابنائه التزود منه والتفوق فيه ، ويضع نفسه فى خدمة الشعب واهدافه فى التحرر والكرامة والتقدم ..

ولكى تتحول الاشتراكية من شعارات الى حقيقة واقعة فى كل مرافق حياتنا ..
ولكى تنتقل الديمقراطية من النظريات الى الممارسة اليومية فى كل اجهزتنا ومؤسساتنا ...

لكي يتحقق ذلك كله لابد أن يتاح لكل أبناء الشعب اجباريا ومجانيا وبلا استثناء قدر مشترك من التعليم العام، اتفقت آراء المختصين على أنه تسع سنوات دراسية، أي ما يوازي نهاية المرحلة الاعدادية حاليا على أقل تقدير..

وواضح أني استخدم « العلم » هنا بمعنى التعليم، ولعل اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تشتق الكلمتين من أصل واحد، لما هو معروف من اتساع مدلول العلم في تراثنا العربي ليشمل كل المعارف الانسانية من علوم الدين واللغة، الى العلوم البحتة والتطبيقية، والعلوم الانسانية، والفنون، وكافة المعارف الانسانية.

هذا القدر المشترك من التعليم العام الاجباري المجاني يمثل ضرورة ملحة ينبغي أن نعمل على تحقيقها بكل سبيل، ومهما كان الثمن والتضحيات، وبدونها ستظل الأمية في بلادنا أكثر من ٧٠٪، وستظل جهودنا في مقاومتها أشبه بمن يحاول ملء قربة مثقوبة ألا ما دامت مقاومتنا لا تستوعب بعد كل الأطفال الذين وصلوا الى سن التعليم.. فمعنى ذلك أن ينضم كل عام حشد كبير من الأطفال الى جيش الأميين الرهيب..

وبعد أن نتأكد من علاج هذه الظاهرة الخطيرة، التي يسميها التربويون « ظاهرة التسرب »، لا بد من القيام بحملة قومية شاملة يشترك فيها المعلمون والطلاب، وخريجو الجامعات، على الأقل خلال السنة التي تفصل بين تخرجهم وتعيينهم، لاجتثاث الأمية من جذورها بأحدث الوسائل وأسرعها، وتطهير وادينا من شرورها.. ولو اقتضى الأمر انشاء وزارة خاصة للنهوض بهذه المهمة على نحو ما أنشأنا وزارة لانشاء مشروع السد العالي.. والقضاء على الأمية ليس أقل خطرا من بناء السد العالي.

ان المصلح العربي الكبير عبد الرحمن الكواكبي قد نبه منذ ما يقرب من مائة عام الى الصلة الوثيقة بين الاستبداد والجهل، فقال في كتابه « طبائع الاستبداد »:

« .. لا يخفى على المستبد أن لا استعباد ولا اعتساف ما لم تكن الرعية حمقاء تتخبط في ظلام جهل وتيه عماء.. ان الاستبداد والعلم ضدان متغالبان، فكل ادارة مستبدة تسعى جهدها في اطفاء نور العلم، وحصر الرعية في حالك الجهل، وأخوف ما يخافه المستبدون من العلم أن يعرف الناس حقيقة أن الحرية أفضل من الحياة، وأن يعرفوا النفس وعزها، والشرف وعظمته، والحقوق وكيف تحفظ، والظلم وكيف يرفع، والانسانية وما هي وظائفها، والرحمة وما هي لذاتها.. »

والآن وقد تخلصنا من آخر مظاهر الاستبداد، فقد آن لنا أن نعمل بكل قوانا على تخليص سواد الشعب من ظلام الجهل المخيم عليه.. ولا يتصور أحد أننا يمكن أن ننجح في اقامة دولتنا المصرية على أسس العلم والايمان والاشتراكية والديمقراطية، وثلاثة أرباع قوى الشعب شبه معطلة لجهلها بالقراءة والكتابة، وما تتيحه القراءة والكتابة من اتساع في الأفق وفهم لحقائق الحياة..

من الحق أن شعبنا الأمي أثبت في مناسبات كثيرة، كان آخرها ١٥ مايو سلامة وعيه وصدق فطرته، ولكننا لا ينبغي أن نركن الى ذلك ونتراخى في تعليمه ومحو أميته، فالفطرة قد تخدع، وقد تخطىء، وقد تتأخر استجابتها في مواقف تتطلب الحسم السريع. ومن المؤكد أن هذه الفطرة السليمة التي يتميز بها شعبنا لو أتيح لها قدر معقول من التعليم والثقافة تزداد قدرتها وفاعليتها في مواجهة الأزمات والتصدي لحركة العصر التي تفرضها على الجبهة وفي كل موقع من مواقع العمل في بلادنا.. ويومها ستقترب كثيرا من النصر.. ومن قيام دولة العلم والايمان..

● ● ●

ويبقى سؤالان من الأسئلة التي طرحناها في مستهل الحديث عن علاقة الفن بكل من العلم والايمان، ودور الفن والأدب في بناء دولة العلم والايمان.. أرجو أن يأذن القارىء بتأجيل تقديم تصوري للاجابة عنهما الى مقال آخر.

الهنود والمخلطون وموسيقى الفلاحين

فى أول فيلم بوليفى يغزو العالم!



جورج سانجينس

شكرى روفائيل



ما ان عرض الفيلم البوليفى « يا وار ملكو » حتى لفت مخرجه النظر جميع المهتمين بالسينما فى العالم ، كان الفيلم تجربة جديدة فى سينما العالم الثالث ، استطاع مخرجه .. جورج سانجينس .. ان يجتاز به نطاق المحلية وان يكسب به جماهير جديدة فهمت لغته السينمائية التى حاول بها التعبير عن قضايا العصر .

الهنود والمظلومون وموسيقى الفلاحين

فمن هو « سانجينس » اولا ؟؟

هو شاب لم يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين ، فقد ولد في احدى قرى الاحراش البوليفيــة من اسرة متوســطة ، في عام ١٩٣٦ ، وفي البداية ، كان سانجينس يحاول التمرد على تلــــــك في التعبير باشكاله المختلفة ، فبعـد ان درس الفلســفة اربع سنوات ، مارس كتابة الشعر ،ونشر بالفعل بعض القصائد في الصحف والمجلات ... لكنه كان يشعر بالقلق دائما ، ثمة قوة غامض يدفعه للبحث عن وسيلة اخرى للتعبير اكثر تأثيرا وعمقا ... فرحل الى شيلي ، وهناك ... قام مع مجموعة من الشبان بكتابة بعض الافكار لسيناريوهات افلام تسجيلية ، وكان يشعر - بشكل ما - انه يقترب من هدفه ، من اللغة التي تتوائم مع مايشعر به من قلق، ذلك .

عندما عاد الى بوليفيا مرة اخرى ،التحم بمجموعة اخرى من الشباب حيث قاموا بتصوير ٦ افلام تسجيلية لحساب وزارة الصحة وبعض الوزارات الاخرى في عهد حكومة « بازستونسورو » ، وهي حكومة رفعت شــعارات تقدمية بهرت هؤلاء الشبان ، وكان اهم هذه الافلام القصيرة هي : « الثورة ، انجيو باولينو ، المبيتار » لم بوليفيا .

لكن سانجينس سرعان ما فقد حماسه بعد أن جذبته افكار «بازستو نسورو» وشعاراته التقدمية لبعض الوقت ... فقد حماسه : « لغياب الاصلاح الزراعي والتــراجع عن تأميم المناجم ، وغير ذلك من الخطوات الضرورية والهـامة لاحداث التغيير » !!

وفي مجلة « سينما ٧٠ » الفرنسية ، اجرى « جي هينيبل » المحرر بالمجلة ، حديثا مع المخرج البوليفي حاول فيه ان يحدد معه ملامح اسلوبه في الاخراج ، والاطار الذي اختاره لمدرسته في التعبير بلغة الكاميرا ... ولقد قال سانجينس في حديثه مع « هينيبل » :

« ان تجربة كتابة واخراج افلام تسجيلية قصيرة قد سمحت لي باكتساب مزيد من الخبرة في تكنيك الفيلم السينمائي عموما ، كما قرأت كثيرا من النشارة التي سببها التعلق بأوهام شعارات لم تجد طريقها الى التطبيق ... باختصار ، لقد اصبحت اكثر رؤية في فهم دور السينما الذي يجب أن تلعبه في حياة بوليفيا . »

● ولكن : كيف اتسعت تلك المجموعة التي انضممت اليها « سانجينس » ، ومتى انضممت، وما هو الطريق الذي اخترته لنفسها ؟؟

●● قال سانجينس : « تأسست من مجموعتنا نواة المعهد القومي للسينما البوليفية » فيما بعد ، غير ان هــذا المعهد الذي توليت الاشراف عليه ، تم الغاؤه وطردنا منه في عام ١٩٦٦ ، وكان ذلك بعد ان قمنا بانتاج فيلم واحــد هو « يوكامو » ... لقد صادرت السلطات البوليفية هذا الفيلم ، ومنعت عرضه ، واعتبرته منشورا موجها ضدها ... على ان ذلك الفشل الذي لم تكن نتوقعه لاول تجربة لنا ، لم ينل من حماسنا بقدر ما دفعنا لتكوين شركة للانتاج السينمائي الخاص ، اطلقنا عليها اسم الفيــلم المتنوع ، وكان فيلمنا « ياوار مالكو » هو باكورة انتاج شركة « يوكامو ليمتد للانتاج السينمائي ! »

● وهل كان « يوكامو » او كما تحب ان تسميه : فيلم الفشل الاول ، باكورة افلام بوليفيا الروائية ؟؟

●● قبل « يوكامو » كانت هنــاك محاولات جادة لصنع بعض الافلام الروائية اهمها فيلم متوسط الطول (٥٥ دقيقة)، وهو مزيج من الروائي والتسجيلي، انتجه جورج رويز «Jorge Ruiz»

●● أمي هنـدية وأبي أسـباني تجـري في عـروقـه الدماء الإنجليزيـة

●● كـان مصـوراً لفيـلـم "يـانـكي"...!! في تفكيره وأسلوبه!!

بالإضافة لفيلمين آخرين ، قمت بإنتاجهما وخلاف ذلك لم تقدم السينما في بوليفيا شيئاً يذكر في هذا المجال !.

● ما هي الفكرة التي أردت التعبير عنها في «ياوار مالكو»؟!

●● لم يكن الدافع هو الرغبة في إخراج فيلم سينمائي فقط ، أو حتى التعبير عن مشاعر مجموعة من الفنانين الشبان تجاه أوضاع السلطة السياسية في بوليفيا في تلك الفترة ، بل كان الهدف هو تحليل العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحكم الصلة بين الطبقتين اللتين يتكون منهما المجتمع البوليفي ، وأعني بهما « الهنود » و « البيتيس » أي تلك الفئة المختلطة ، والتي يصعب تحديد جذورها أو انتماءاتها ومن خلال ذلك التحليل كنا نستهدف إبراز قدرة الهنود على تحرير أنفسهم داخل إطار الصراع بينهم وبين البيتيس ، أولئك الذين يتسم تفكيرهم بالاستغلال وثقافتهم بالرجعية والتخلف ، بالإضافة إلى عوامل القهر الاجتماعي ، والظروف الثقافية الغريبة التي تحتوي حركة الهنود داخل المجتمع البوليفي . ورغم تلك الأوضاع التي ترسخ بين ظلالها فئة الهنود ، ورغم بدائية حياتهم المادية وعدم تمكينهم من الأخذ بأساليب العصر لم يغير ذلك أكثر التصاقاً بواقعهم ، وأكثر أصالة وصدقاً في علاقتهم مع الطبيعة .. ومن ذلك المفهوم كانت تحدونا الرغبة في تعميق المعرفة بواقع بلدنا الذي أصبح الآن تقريباً واحد تآلفاً نتيجة لامتزاج عدة طبقات تنتمي بظروفها وطبيعتها لثقافات وأجناس واقتصاديات مختلفة..

● إذا عرفنا أن ٦٣٪ من عدد سكان بوليفيا ...٥٠٠٠ (٢،٣ مليون) هم من الهنود الأصليين ، وأن ٣٠٪ من المختلطين (البيتيس) ، وأن نسبة البيض الأقلية ٧٪ .. فإلى أي الأجناس تنتمي أنت ؟!

●● لدرجة أنه حتى من أطلق عليهم اسم البيض الأنقياء من المختلطين بصورة أو بأخرى وبمكنك أن تفحص بينهم .. ففي عروقي تجري الدماء الهندية ، التي ترجع إلى الجيل الرابع من ناحية الأم ، أما أبي فهو ينتمي لسلالة ذات جذور أسبانية مختلطة بالإنجليز ، استقرت في بوليفيا ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقد يكون ذلك الانتماء ، وهذا الامتزاج الاثنوري عندي من أبرز الدوافع التي كانت وراء أسلوب تحقيق الصياغة الموسيقية لفيلمنا الأول « ياوار مالكو » «Yawar Mallku» حيث ينتمي مؤلفوها إلى الأجناس الثلاثة .. فالموسيقى الهندية في الفيلم تؤديها اثنان من الفلاحين ، أما مقطوعة الجيتار فهي من وضع فنان ينتمي للمختلطين ، وهي تعد من المقطوعات الإلكترونية التي طورت وفقاً للتكنيك والتوزيع الحديث حيث عزفها فنان بوليفي من ذوي الثقافة الغربية .. ومما لا شك فيه أن ملامح الحياة في بوليفيا سواء بالنسبة للحاضر أو

المستقبل ، وكذلك حرية التاريخ التي تحكم تطورها انها تحددها الثالبيـــة العكس من الهنود ، الا اننا نلاحظ وعلى اوسع رقعة لمسار التاريخ ان الاقليات البيضاء والمختلطة المسيطرة والتي تتبع السلطة من بين يديها هي التي تصنع تاريخ بوليفيا الحقيقي ، وما نشاهده اليوم من تغلغل القوى الاحتكارية وتسلل الاستعمار الجديد والامبريالية في الحام البلاد بحيث نتيجة لامتزاج مصالحهـــا مع مصالح تلك الفئات .المـــسيطرة من الراسماليين الاجانب بحيث يشـــكلون جسدا غريبا القائمة في بوليفيا ورموسه في امريكا واوربا .

● اليس ذلك يشبه الى حد بعيد ما عبر عنه الفيلم الارجنتيني « لاهوراى دى لوس هورنوس ».!

● نعم ، ولـــكن ذلك الواقع في بوليفيا أكثر وضوحا ، واشد بروزا مما عبر عنه الفيلم الارجنتيني ، ففي بلادي جيل كامل يتجه كلية الى الولايات المتحدة الامريكية ، فكريا وثقافيا ، وسياسيا ، وحتى في النمط السلوك المادى للافراد ... انا شخصيا قضيت مراحل تعليمي كلها في مدارس كانت اللغـــة الانجليزية فيها اجبارية ، واللغة في حد ذاتهـــا ليست نغمات صوتية ، او جملا وافعالا وتراكيب تفصلها قواعد .. وانما اللغة تعنى الفكر والعمل .. كما تعنى نظرية في السياسة ، وسلوكا في التسيس .. وتعبيرا ومظاهر اخرى تشـــكل الملامح الاساسية للعمل الفنى ، بحيث يصبح عليك عندما تلتزم الصدق والاصالة في التعبير عن واقع الحياة في بوليفيا ـ مثلا ـ أن تصارع كل تلك الخلفيـــات .. لا اقول بتجاوزها او التخلص منها فذلك شيء مستحيل وانما بمحاولة التخفيف من حدتها .

ولقد واجهت ذلك ـ بصـــفة خاصة ـ مع الطوليو مصـــود « يارار ماتكو » الذى قضى عشر ســـنوات في الولايات المتحدة حولته الى « يانكي » في تفكيره واسلوب عمله مع الاخرين ... وايضا كما بدا واضحا في بعض مقاطع الحوار باللغة الانجليزية في الفيلم حينما تخاطب زوجة الطبيب اولادها الصغار.. واعتقد انني بهذا لم اكن اقصـــد الرمز الظاهرى لعملية المزج الثقافي في بوليفيا، بقدر ما كنت ارغب في الـــكشف عن الطبيعة الجديدة لاسلوب تلك الطبقـــة الغريبة التي تحيا في بوليفيا بعقليـــة انجليزية امريكية ، وهى لا تكتفي بذلك تحسبه ـ على خطورته ـ وانما أيضـــا تطبع جهاز الدولة السياسى والعسكرى (الجيش والحكومة) بحيث تجعل منها اداة لتسهيل التســـلل الامبريالى الى البلاد ، وحماية مصالح الاحتكارات في استغلال المناجم وغيرها من مراكز الثروة الطبيعية ..

● كيف تفسر اختيـــار الكتلة الهندية الانعـــزال في مجتمعات مغلقة صـــورتها في القلاع .. وذلك بحجة رفض الاندماج في كيانات اخرى ، حماية لتراثها الثقافي والفكرى والحضارى ؟ الست معى في انها بذلك تقضى على نفسها ؟

●● لاشك ان ذلك مظهرا من مظاهر المشكلة الكبرى داخل المجتمع البوليفي ، وحتى نتبين حقيقة ابعادها علينا ان نحدد دوافعها واصولها .. فعندما وصـــل الاسبان الى شواطيء امريكا اللاتينية .. الى بيرو وبوليفيا بالذات ، حدتهم الرغبة والعمل على تحطيم مدنية «الانكا» وسحق كل مظاهر حضارتهم ، وتراثهم المادية والمعنوية .. ومحو كل اثر من الاثار التراثيهم العريق .. ومع هذا كله حطموا ايضا كل

الهنود والمخلطون وموسيقى الفلاحين

امكانية من امكانيات التطور الاقتصادى والتكنيكى لشعوب تلك المنطقة .. على ان الذى لم يتمكنوا من محوه حقا هو ودع تلك الشعوب التى انصهرت فيها حضارات وتراثاتها الثقافية العريقة .. ومن كل هذا وغيره جاء الدافع الهنود ايثار العزلة على الاندماج مع الغزاة الجدد ، وذلك حتى يحافظوا على كل مقوماتهم الاصيلة والموروثة . واستمروا على ذلك طوال القرون الاربعة الماضية بحيث لم يمكنوا المتطفلين او البيض من الاقتراب او التغلغل داخل مجتمعاتهم .. ، وقد يفسر البعض ذلك الانعزال او — الانكماش كما تسميه — مظهرا سلبيا ، حال دون اندماجهم واسهامهم فى الحياة الاقتصادية لبوليفيا. فى الوقت الذى يعد فيه ذلك العزوف والانغلاق مقوما اساسيا من مقومات الحياة الثقافية والاقتصادية للطبقة الهندية تسمح بالحفاظ عليها من تشويه ثقافتها وتقاليدها وفنونها الاصلية .بحيث تبدو بها دائما كمجموعة انسانية متماسكة

واعتقد ان الاسلوب الثورى الذى سيشكل الواقع البوليفى لابد وان يراعى كل تلك الاعتبارات ، لان التكنولوجيا والآلات الخاصة بقوى التطور الحديث ليست فقط فيما يجب أن نراعيه ، ولكن ايضا المراحل الثقافية والفكرية ، والتقاليد الاصيلة التى تعطى لبلادنا شخصيتها ، والروح لشعبنا ، هى المراحل الاساسية فى صنع التطور وانهاض مدنيات اصيلة باسلوب معاصر .

ولكن الست معى فى انه من العبث البرى وراء ثقافات جديدة هى فى واقعها وليدة محنة النظم الاوروبية المعاصرة ؛ بل أليست تلك الثقافات قد تشكلت فى صنع انسان جديد تتسم روحه بالاصالة رغم اسلوب الحياة العصرية التى يحط بها من كل جانب ؟؟ . ان الهزلة الحقيقية تبدو فى ذلك الاصرار المتعمد للرجل الاوروبى على صنع الموت فى كل مكان .. ، وفى استغلاله لتكنولوجيا العلم ، والالات المتطورة الحديثة فى الحاق الدمار بشعوب وحضارات اصيلة ! . وحتى نقاوم كل هذا فمن الواجب علينا ان نقوم بثورة لا تسير ذلك الطريق الذى يمجد المتطلبات المادية ؛ ويقيم امور الحياة من زاويتها الاقتصادية فقط ، لان فى شعبنا قيما اصيلة تميزه عن غيره من الشعوب فيما اسهمت فى الحفاظ على تلك الجماعية لعدة قرون . خذ مثلا جماعى الفلاحين البوليفيين الذين يمجدون قيم العمل الجماعى ، وروح التعاون التلقائية الناضجة ، والصبر المحبوب .. كل ذلك لا يجعلهم يعطون الاشياء نفس الاهمية المادية كما يفعل الغربيون او كما نفعل نحن البوليفيين المتغربين .

● كيف تعاملتم — والتعامل الصعب بأجهزتكم ، وادواتكم وآلات التصوير المتطفلة من الاقتراب من المجتمعات الهندية لتصوير الافلام ؟ ؟

●● بالتأكيد واجهنا كثيرا من الصعاب ، وخصوصا فى فيلمنا الثانى « ياوار مالكو » «Yawar Malku» فى لحظة وصولنا

●● أصحاب السلطة أقدامهم فى بوليفيا ورؤوسهم فى الولايات!

●● قالوا : إنه فيلم بوليفى! إذن فهو شىء سىء!!

الهنود المخاطون وموسيقى الفلاحين

بالقرب من تلك الجماعات هرع عمدة «المنيس» الذين يحيون بالقرب من الجماعات الهندية ، لابلاغهم بوصول مجموعة من الثوار تستهدف قتلهم ، وادارة عمليات السرقة والنهب وانتهاك أعراض النساء ، وان عليهم الاستعداد لذلك واخذ الحذر الشديد في تعاملهم معنا .. وبالطبع كانت نظرة النساء — ولهن تأثير كبير على الحياة في تلك الجماعات — تتسم بكثير من الريبة والشك ... ولكن علاقتنا الطيبة — والتي سرعان مع وثقناها مع رئيس تلك الجماعة — مالبثت ان سمحت لنا بالبقاء لبضعة أيام بعدها اقترحت على «مارسيللينو» ، وهو الشخصية الرئيسية في الجماعة ، وبطل الفيلم في ذات الوقت — فيما بعد — ان يخضعنا لنفس طقوسهم حتى نصبح اعضاء في جماعته . واقتنع مارسيللينو ، وكانت تلك هي الطقوس والمراسيم التي ضمنتها بعض مشاهد الفيلم بايجاز شديد ، على الرغم مما فيها من تفاصيل كثيرة غاية في التأثير والروعة ، حيث تتم في منتصف الليل بعد أن يجتمع كل افراد الجماعة وحتى مطلع الفجر وحيث تؤدى امامهم لم يصدر بعدها الحكم على الاعضاء الجدد بالقبول أو بالرفض .

وبالنسبة لنا فان ماحدث كان شيئا مثيرا وغاية في الطرافة ، لم أستطع ادراكه حتى الآن ! ! ، فبعد ان جمعنا رئيس الجماعة ، وعلى مشهد من افرادها .. في منتصف الليل تماما .. وبينما المعتاد طبقا لتلك المراسيم ان يتكرر على كل منا القاء أوراق «الكوكا» وهي ثياب لهصفة القداسة لدى تلك الجماعات وان تمر بعدها بعدد من الاختبارات حتى يتمكن الرئيس من اصدار حكمه كان حظنا أن تنجح — وتنجو أيضا — بعد اختبار واحد .. اذ من الغريب ان تسقط جميع الاوراق في خط واحد مستقيم امام اعيننا ، ولم تنحرف منها واحدة ، مما جعل رئيسهم يصيح : «كلى !! انها المرة الاولى التي يظهر فيها الموقف بهذا الوضوح لقد جاء الينا هؤلاء الناس بنية طيبة .. »

وما أن جاء الصباح التالي ، حتى كنا اعضاء في تلك الجماعة نحظى بحبهم واحترامهم أيضا وكان معنى هذا أن نخضع خضوعا تاما لكل مراسيم طقوسهم ، ونحاول ان نتفهم معتقداتهم عن قرب ، والمليئة بكثير من الغرابة والابهام . والجدير بالذكر أنه قد سألني بعض الاصدقاء بعد الانتهاء من الفيلم عن مدى التناص بكل ماعايشته مع تلك الجماعات .. وفي ذلك اود أن أشير الى أن المسألة ليست مسألة اقتناع او رفض .. حقيقي هناك كثير من الطقوس المثيرة ، وغير المفهومة ، بل الفاقدة الدلالة بالنسبة لامثالي ، ولكن ليس معنى هذا ان نرفض مالا نفهمه ! . ، بل العكس هو أن نحاول تعقب تلك الطقوس وتحليلها ، وردها لاصولها ، لمحاولة فهمها ، وقد اردت ذلك في فيلمي لسببين : الاول ، هو ان اوضح أهمية ايجاد الحلول لمشاكل تلك الجماعات ، حلولا نابعة من الثقافات القومية وتراث الحضارات القديمة ، والثاني لاقتناعي التام بأن الانسان المعاصر يفتقد الادراك الكامل والعميق لحدود القوى العقلية .. وأنه مازال بصورة ما في حالة من حالات اللاوعي لابعاد عالمه المعاصر .. وعلى أي حال فاننا قد لاحظنا في عدة مناسبات ، وخلال اجراء تلك الطقوس انهم لا يخطئون « احكامهم » بل ان لهم القدرة على ادراك أشياء كثيرة لا يمكن للعقل الواعي تصديقها .. ، الا لا يمكن اعطاء تفسير وشي لما يمكن ان يدخل في نطاق «القدرة» .. واننا اذا كنا غير قادرين على تفسير ظاهرة من الظواهر فهذا لا يبرر رفضها ، وفي دراسة المجتمعات التقليدية ، والبدائية لذلك



ياوار مالكو ..والنمط
الموجود الذى لايمكن
انكاره . . .



الهنود والمغلوبون وموسيقى الفلاحين

عوامل يجب أخذها بعين الاعتبار دون النظر اليها باستهزاء أو التقليل من قيمتها

● هل لاحظت فوارق جوهرية بين جماعة وأخرى من تلك الجماعات، حيث لوحظ أنك قد صورت فيلمك الأول يوكامو بين جماعة «ايمارا» وفيلمك الثاني «ياوارمالكو» بين جماعة «الكيشيوا» ؟؟؟

●● احب أن أشير الى أن هاتين الجماعتين هما أهم الجماعات الهندية التي تعيش في بوليفيا منذ الزمان سحيقة، «والايمارا» في الغالب أقدمهم، لهم الذين استوطنوا تلك البلاد منذ البداية، حيث ازدهرت ثقافتهم وحضارتهم في عاصمتهم «تياهواناكو»، بينما «الكيشيوا» هم غالبا غزاة، وأصل قبائل «الانكا» — كما يبدو —، والذين احتلوا أراضي «الايمارا» وفرضوا عليهم لغتهم التي ظلت مسيطرة حتى اليوم حيث نرى غالبية الهنود البوليفيين يتحدثون اما لغة «الايمارا» او «الكيشيوا»

● كيف كان استقبال الجمهور الفيلم «يوكامو» وهو أول فيلم روائي طويل في تاريخ بوليفيا ؟؟

●● في «لاباز» العاصمة حيث الغالبية العظمى من السكان هنود ويتكلم لغة «الايمارا» وهي اللغة التي تتحدث بها شخصيات الفيلم، كان الاستقبال حماسيا وباهتمام بالغ، وحفاوة لم تكن متوقعة. اما جماهير البورجوازية والطبقات المتوسطة المتعاطفون أو اليمين، فقد قاطعوه تماما ولم يحضروا لمشاهدته في عرضه الأول .. ولم تقتصر مقاطعتهم عند هذا الحد .. بل قاطع النقاد الحديث عنه، أو حتى مجرد الاشارة اليه في صحف البورجوازية الواسعة الانتشار بين أبناء المدينة .. على ان ذلك الموقف تبدل تدريجيا عندما عرض الفيلم في الخارج، ووصلت لأسماعهم آراء النقاد في فرنسا وغيرها فطالبوا بعرضه وبدأ اهتمامهم بالفيلم وبمخرجه . وقد قمنا بعمل استفتاء بين تلك النوعية من الجماهير للتعرف على انطباعاتها، ورأيها الحقيقي في الفيلم دون أن نذكر بالطبع أننا أصحاب ومنتجو الفيلم، واتفقت آراؤهم على معنى واحد: «انه فيلم بوليفي .. الا انه لم تعطنا شيء سوى ؟! ..» والحقيقة ان ذلك الرأي كان متوقعا من تلك الفئات بسبب تشكيل عقلياتها المعادية لكل ما هو قومي، المتطلعة فقط لكل ما هو وارد من الخارج فكيف يكون رد الفعل الى الفيلم لغة ومضمونه لغة الايمارا، وحياة الفلاحين الهنود، وبؤسهم ومستقبلهم؟

نفس ذلك الشعور واجهناه في الليلة الأولى لعرضه بسينماتيك باريس عندما اقترب مني السفير البوليفي وهمس الي بخجل شديد: «ان كل هؤلاء الناس سوف يظنون الآن اننا شعب من الهنود ..» وكان ردي الوحيد: «وماذا على أننا نكون ؟؟ ..»

● الآن بمناسبة ذكر نوعا آخر من ردود الفعل بعد مشاهدة فيلمك الثاني «ياوارمالكو»، فقد سمعنا نعرف «سكستو» الهندي الذي يعمل في المدينة بعد ان شتمه زميله في العمل بقوله: «هندي غبي» وصرخ «سكستو» فيه لست هنديا .. لست هنديا. كما انني لست غبيا . ماذا كنت تقصد ؟؟

●● ان الهندي الذي يترك جماعته الى المدينة يصطدم باستمرار بغطرسة أبناء المدينة الذين يعتبرونه أدنى منهم، كما يذكرونه معنى السلالة من جماعته ولذا ينكرون عليه ان يصبح فردا منهم، وينتهي الأمر بأن يشعر بمزيد من النقد

النفسية . وهذا الهندى الذى خرج من وسط جماعته عليه لكى يتعايش فى الوسط الجديد أن ينكر ذاته ، ويقبل احتقاره بين أبناء المدينة ويكون رد الفعل الطبيعى هو تعبيره المستمر عن انسلاخه من جنس الهنود .. وذلك النمط موجود ولا يمكن انكاره ..

● **ماهو تفسيرك لمشكلة التفرقة العنصرية فى امريكا اللاتينية ، حيث تعد مشكلة اجتماعية اكثر منها مشكلة اجناس .. الا ترى فى البرازيل مثلا حيث تختفى تلك الظاهرة ، ومع هذا يقولون : « الاسود الثرى رجل ابيض ، والابيض الفقير كلب اسود .. »**

●● فى أوروبا ربما يتولد الاحساس بالتفرقة العنصرية كرد فعل للافراط والغلو فى الشعور بالقومية ، بينما فى امريكا اللاتينية فالمسألة حس عاطفى اكثر منه قومى ، بمعنى السماح للمختلط الثرى بأن يندمج فى مجتمع البيض .. بالزواج .. او الارتباط المصلحى .. عمل تجارى .. او صفقات مالية .. أو غير ذلك .. ، على أن العنصرية هنا تأخذ شكلا اخر لا حظته اشد وضوحا عند تصوير فيلم « ياوارمالكو » حيث اقمنا لمدة أيام فى منزل سيدة بيضاء ، وفى الليلة الاولى استعرنا منها « مرتبة »، وفى الصباح التالى لاحظت تلك السيدة ان الشخص الذى نام عليها فى الليلة الماضية هو « الهندية بندكتا » التى تقوم بدور البطولة النسائية فى الفيلم .. ماذا فعلت السيدة البيضاء ؟؟ ببساطة شديدة قامت بنزع غطاء المرتبة تمهيدا لاعداد غطاء جديد بعد رحيلنا ! .

● **بالنسبة لفيلم «يوكامو» هل اهتم بدبلجته الى اللغة الاسبانية حتى تتمكنوا من عرضه فى انحاء بوليفيا ؟ ؟**

●● لا لم يدبلج ، وانما كتبت عليه الترجمة بالاسبانية ، لانه بالنسبة للبوليفيين من سكان المدن تعتبر الايمارا لغة أجنبية ، أما فيلم « ياوارمالكو »، فقد قمنا بطبع نسختين احداها بلغة الايمارا والاخرى بلغة الكيشوا مع دبلجة الحوار الخاص بالعناصر البيضاء للفيلم وذلك حتى نتمكن من عرض الفيلم فى جميع انحاء الاقاليم حيث استقبال الفيلم يكون اكثر اهمية . واعتقد ان هذا الفيلم ربما شكل بعضا من الصعوبات بالنسبة للجمهور الهندى حيث استخدمت فيه المونتاج المتوازى ، والفلاش باك اكثر من فيلم « يوكامو » الا أن لغته بسيطة ، واحداثه سهلة الاستيعاب والمثير حقا ان جماهير المشاهدين فى الاقاليم لا تكتفى بمشاهدة الفيلم مرة واحدة ولكنها تتردد اكثر من مرة لمشاهدته .. بل انه فى بعض البلاد تظل الجماهير نفسها تتردد على قاعة العرض حتى نهاية ايام عرضه .

ومنذ عرض فيلم « ياوارمالكو » فى الاقاليم استخدمنا فى تقديمه « بالراوى » الذى كان ظهوره يسبق العرض ليسرد احداث قصة الفيلم ، كما يقوم بتقديم بعض الصور للشخصيات .. وكان ذلك احياء لتقليد قديم منذ ليالى « الانكا » حيث شخصية الراوى شخصية هامة فى ثقافتهم الشعبية مازالت موجودة تلعب دورها بالنسبة لفنون التعبير المختلفة .. كما قمنا بعد ذلك باعادة عرض الفيلم على نفس الجمهور .. من خلال ادارة حوار حى بينهم .. وهذا ما نفعله فى كل عرض حينما ننتقل من قرية الى اخرى .. وهذا الاسلوب فى اعتقادى هو الذى سوف يصنع فى النهاية ثقافة سينمائية شعبية لدى جماهير عريضة محرومة منذ مئات السنين ونجاحنا فى ذلك يعنى بالنسبة لنا ولمجتمعنا قفزة تاريخية كبرى ... قفزة من الف باء السينما الى مرحلة متقدمة جدا، وليس ضروريا أن نتبع خطا التطور التدريجى بمفاهيم الجماهير لمحاولة الانغلاق على اشكال مبسطة فى التعبير انما نهدف فى النهاية الى العمل الثقافى الشعبى. نحن نحاول التعبير عن المعتقدات الاصيلة ، والحكايا الشعبية باستخدام وسائل العصر ..

● **لقد اخذنا على البناء الدرامى باسلوب الفلاش باك فى فيلم « ياوارمالكو » بأنه اصبح اسلوبا متخلفا .. كيف ذلك وانت تبشر بسينما جديدة تستخدم روح العصر**

الحشود والمتطفلون وموسيقى الفلاحين

التعبير ووسائله ؟ ؟

●● لقد راودنا ذلك الاحساس ، ولكننا حاولنا الا تكون لدينا أحكام مسبقة في الاسلوب السينمائي ، كما لم نحاول الوقوع تحت تأثير ان هذا الشيء حاولته الواقعية الجديدة ، أو تلك اللقطة استخدمها فلان .. وذلك المنظر له دلالات كذا وكذا .. لان البحث عن اسلوب جديد ومستحدث لم يكن يشغلنا .. حيث لدينا تجمعات هائلة من المسارف ، واعتقد أن أسلم الطرق هو استثمار هذا الكم من المعرفة .. مثلا المشهد الخاص الذي يبدو فيه الشاب يحاول بيع « ملة السرير » أو نشل الآخرين !! قارنها البعض بشخصية سارق الدراجات في الفيلم الإيطالي الشهير ، ولكننا في الواقع لم نفكر في هذا الشكل بالمرة ، ولكن تشابه مواقف الشخصيات هو الذي قرب الملامح بين الفيلمين ، ان ما يجب ان اعترف به حقا هو ان الفيلم قد تأثر كثيرا بسبب ضيق الوقت ، وعدم توافر الامكانيات ، لقد تم الطبع والتحميض في بوليفيا ، وكذلك الدوبلاج ، أما المونتاج وعملية ضبط الصوت مع الصورة فقد تمت كلها في « بيونس ايرس » ، وعديد من المشاكل واجهتنا جعلتنا مثلا نحذف خمس مشاهد كاملة بسبب مشاكل الدوبلاج وحدها ..

● كيف التقطت تلك الفكرة التي صنعت منها فيلمك ؟ فكرة « التعقيم » هذه ملازمات تتم في سرية شديدة في جميع

اتجاه بوليفيا ؟ . بالإضافة الى الصعوبات التي تنشأ عنها بين جماعات الهنود والمستيس .. وغيرهم .. ولماذا تلك المشكلة بالذات ؟ ؟

●● ان اول صدى لتلك الفكرة جاءني من طريق سطور نشرت في احدى الصحف اليومية ، كشف فيها أحد الصحفيين عن عمليات للتعقيم تقوم بها مجموعة من الاطباء الامريكيين في احدى مصحات الولادة في « كراكاجاكا » بالقرب من بحيرة « ستيكاكا » .. ثم اذيع النبأ مرة أخرى نقلا عن الصحيفة من راديو « فيدس » الكاثوليكي في العاصمة « لاباز » ، حاولت فورا الاتصال بالصحفي ، لكنه كان مسافرا وعلمنا فيما بعد انه تلقى خطاب تهديد من مجهول يحذره من التحدث في مثل تلك الأمور .. وفي « كراكاجاكا » لم نعثر على أي دليل ، فعدنا الى « لاباز » حيث التقينا بمجموعة كبيرة من الاطباء اخصائيي امراض النساء ، أكد لنا بعضهم انهم قد التقوا بنساء اجريت لهن عمليات التعقيم بعد مرورهن في العيادة الطبية الامريكية في « لاباز » .. ومن هنا كان الخيط لبدء الموضوع ، والترحال الطويل لعدد الزوار المشكلة بين جماعات الهنود وغيرهم ..

حقا ان هذه المراكز ليست واسعة الانتشار في بوليفيا ، كما انها لم تأخذ الصبغة الجماهيرية ، ولكن الخطر الحقيقي هو في انتشار « اللوالب » لانه عندما تكون المرأة قليلة الثقافة ، فان وضع هذا الجهاز يصبح نوعا من التعقيم حيث يصبح من المستحيل رفعه ، كما أنه ليس هناك أية رقابة على من يزرعونه .!

● لقد ارتبطت بالموضوع مباشرة مشكلتين في هذه الناحية ، واحدة تفرضها مسألة التعقيم لكائن بشري دون موافقته وهذه جريمة ، والاخرى مشكلة تحديد النسل وهي مشكلة سكانية اقتصادية من صميم اختصاص الحكومة وترجع الى الارتباط الوثيق بين التعليم ومستوى الثقافة ؟؟

●● نعم ، ويجب ان اوضح الامر ، فانا شخصيا احبذ وأؤيد التحديد الذاتي

النسل ، ولكن في بوليفيا الوضع جد مختلف ، فالشعب البوليفي لا يعاني من خطر التهديد بالانفجار السكاني ، حيث تضعف الكثافة السكانية جدا لدرجة ٤ أفراد يعيشون على كل كيلو متر مربع ، ونسبة الوفيات بين الأطفال تبلغ ١٠٪ وهذا ما يدركه تماما الأمريكيون ، فمنذ سنوات وعلماء الاجتماع والانثربولوجيا ، والاقتصاديون منهم يدرسون بلادنا ويدرسون السكان الهنود وتلك البحوث والدراسات لا تستهدف البحث الأكاديمي فقط ، كما أنها لا تتم بعفوية ، أو ببساطة فهي من وجهة نظري تعني أخطر من ذلك ، حيث يدرك الأمريكيون تماما أهمية تحديد تعداد شعب من الشعوب التي تشكل في المستقبل القريب مصدرا من مصادر المقاومة المسلحة التي يصعب قهرها .. فالفلاح البوليفي غالبا فلاح مسلح ، يملك قدرة قتالية كبيرة ، ولهم حس حاد سريع للعمل الجماعي ، والتاريخ البوليفي يظهر لنا في مناسبات عديدة كيف أن جماهير الفلاحين معا يمكنها تجسيد عددها تجند نفسها بسرعة وتصبح قوة يخشى بأسها .. ولعل المشكلة الأكثر خطورة اليوم في بوليفيا هي أن العدو قد أصبح شيئا مجردا .. حيث يمارس سطوته من خلال قوى أخرى متسلطة ، فأين هي الامبريالية في بوليفيا ؟؟ وأين توجد ؟؟ ذلك السؤال المطروح على جماهيرنا وسيظل كذلك حتى تدرك الجماهير البوليفية المقهورة أبعاد القوى الداخلية التي تستنزفها وتسحق فيها روح المقاومة ..

● ما هو الموقف الذي اتخذته الحكومة من الفيلم ؟؟

●● لقد كنا نتوقع حدوث محاولات لمنع عرضه ، لذلك قمنا بالاتصال بمجموعات وقوى لها ثقلها في الرأي العام البوليفي كالطلبة ، والجامعيين ، والمثقفين والصحفيين .. لننبه الى أن الفيلم يحمل الهاما خطيرا ولذلك نحن نتوقع أن يصادر ، وهذا ما حدث بالفعل .. ولكن في الحال هب حوالي خمسمائة شخص ونزلوا يهتفون في الشوارع باسم الفيلم .. ياوارمالكو !! ياوارمالكو !! وبالطبع تصدى لهم البوليس واستعمل القنابل المسيلة للدموع وخراطيم المياه . وأساليب القمع المعتادة !.. ولكن كانت في النهاية تلك المظاهرة في صالح الفيلم حيث حققت له دعاية لم نكن نتوقعها .. وتحت ضغط الرأي العام ، والصحافة بما فيها صحف اليمين القوية ، كانت تنادي برفع الحظر عن الفيلم حيث سمح في النهاية بعرضه ..

● سؤال أخير : ما معنى عنوان الفيلم : ياوارمالكو؟!

●● « مالكو » هي كلمة من لغة « الكيشوا » وتعني « الزعيم » ، « ياوار » تعني « الدم » وهي ترمز في الفيلم الى معنيين حيث يظل « سكستو » الممثل الهندي في الفيلم يبحث عن الدم لانقاذ حياة أخيه المريض .. في الوقت الذي تسلبه الجماعات الطبية الأمريكية من أجساد المواطنين البسطاء .. ولقد أردت بهاتين الدلالتين أن أشير الى طرفي الصراع في الواقع البوليفي .. الشعب يبحث عن الحياة .. والامبريالية تسعى للموت ..


البكاء
بين يدي
المغني
هؤلاء الرومانتيكيون الشعراء
يسألونك أن تبكي معهم ، ولكن
يسألونك ألا تسخر من صدق
عواطفهم ، وحرارة أشواقهم
الروحية ، وسط عصرهم الذي
غرق قبل ألف سنة في بحر من
اللذة المادية لم يسبق له مثيل ..

- ١ -

قال ابو العتاهية الشاعر لابراهيم الموصلي المغني:

- ويحك يا ابراهيم .. الكاد والله تنسيني واستثنيت من صحبتي منذ جالست الخليفة وكاد يحجبني من مجلسه ، فما عدت تدعوني الى لقائك في منزلك ، ولا تطلب ان ادعوك الى الغناء في منزلي . وما التقيت بك في قصر الخليفة مرة الا وقد فرغ من سماعك .. فمتى - يا اسحاق - يسمع الشعر بمجلس انس وطرب بين يديه ؟! ..

فضحك الموصلي وقد اثارت كلمات ابي العتاهية خياله :

- والله يا ابا العتاهية ما بي نسيانك ، ولكن الخليفة يطلبني بالليل والنهار . وقد فوجئت به منذ ليال يدخل داري قرب الفجر يحف به اربعة خدم ووصيف ، وامرني ان اغنيه لحنا كنت غنيته له منذ سنوات لم اذكره فيجدد له الشوق الى سماعه .. وامير المؤمنين - كما تعلم - رقيق القلب ، قريب معاني الطرب ، وان كان جبارا شديد الحزم ..

- فمتى واين اذن القاك يا ابراهيم ، فوالله ان شوقي اليك لاشد من شوق الخليفة ، وانني لرقيق الفؤاد طروب الروح ، الا انني سوقة وهو ملك ! ..

وثب الموصلي يتلفت حواليه كانه خائف :

- ويلك يا ابا العتاهية . اتقرن نفسك بالخليفة ؟! .. فوالله لو عرفها منك لازداد لك جفاء ، وربما ردك الى سجن « المطبق » فلبثت فيه بضع سنين تجدد بها ما سلف من ايامك ولياليك فيه ..

- يسجنني ان شاء ، ولكن بعد ان اجلس بين يديه فاستمع الى صوتك واطرب على روحي . فمتى لنا بذلك يا ابا اسحاق ؟! ..

صمت الموصلي لحظة كانه يتفكر ، ثم قال :

- لو وافيتني في قصر الخليفة الليلة القادمة لسمعت مني لحنا يمس شغاف قلبك ، هو اللحن الذي جلبني الخليفة في الفجر يسمعه ومن حوله خدمه ووصفاؤه الاربعة ..

- والحرس والحجاب على ابواب مجلس امير المؤمنين ؟!

- ولا اولئك هم سيحجبونك ، فستجيئني ان شاء الله لقد سهلت لك عند الخليفة الاذن بالدخول ، وبعثت في نفسه من الحنين الى صوتك ما يشده الى رؤيتك والانس بك ! ..

- ٢ -

اقبل ابو العتاهية الى مجلس الخليفة هارون الرشيد وقد انتصف الليل ، والندوة جلوس يتقدمهم الموصلي وابن جامع وابراهيم بن المهدي وضارب العود زلزال والزامر برصوما ، ومجموعة من المنشدين والمنشدات ؛ اكثرهم جلبوا من اسواق الرقيق وخصصوا للغناء والعزف والسمر .. وقد تناثرت في المجلس اقداح النبيذ واوراق الريحان والوان الفاكهة

ابصر الخليفة ابا العتاهية متصنعا الغضب :

- كيف لا يطيب لك الحضور ايها الاحمق الا وقد اكتمل مجلسي وتم سكري ! ..

رد ابو العتاهية وقد طمع في عفو الخليفة ورضاه بعد جفائه :

- انما تأخرت يا امير المؤمنين عامدا متعمدا ليكتمل لك السكر والسرور ويروق لك هذا المجلس السني فلا يعكره عليك وجهي ! ..

ضحك الخليفة . جلس ابو العتاهية على مقربة من ابراهيم الموصلي وقد

راغب الغناء ، واستحثه الخليفة :
— غنني يا ابراهيم :
يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا
زدت الفؤاد على علاته وصبا
غمز الموصلي ابا العتاهية : اعرفت الابيات فهذا هو اللحن الذي حدثتك عنه امس ..
ثم انطلق الموصلي يغني ...
طرب الرشيد . استعاد الصوت مرارا متأملا جودة صناعته اللحنية وطريقة ادائه حتى ارتوى من السماع والتأمل في اللحن والاداء وبلغ به التأثر غايته ..
قال الموصلي وقد انتشى بإقداح النبيذ نرائه الجرأة على الاقتراح والنصيحة للخليفة :
— في دارك يا أمير المؤمنين مغن شاب ممن جلبهم تجار الرقيق . مضروب حالق، بارع الحلق لين الحنجرة ، يؤدي هذا الصوت افضل مني ! ..
دهش الرشيد :
— تقول : افضل منك ! ! ..
— نعم والله يا أمير المؤمنين واقترح ان تسمعه ، لقد أخذ هذا اللحن مني ، ولكنه يفضلني في ادائه ، ويفضل الخلق جميعا ..
— وما اسم هذا الغلام الفتى !! ..
— مخارق ...
— مخارق !! .. او ليس مخارق رجلا من العصاة الذين يسمون انفسهم الشراة، قتله قائدنا هرثمة مع جماعة الآخرين في معركة قرب الموصل !! ..
تبسم الموصلي، فالخليفة حين ذكر مخارقا الشاري كان يريد أن يتفكه بالمقارنة بينه وبين الفتى الصغير المجلوب من سوق الرقيق .. كلاهما مخارق ! ..
وقال الموصلي متابعا فكاهة الخليفة ومعلقا عليها :
— ذاك مخارق الخارجي العاصي ، وهذا مخارق الفتى المطيع لأمير المؤمنين أسعده الله ! ..

— ٣ —

في مجلس الخليفة وقف « مخارق » قلقا ، لم تزايله الرجفة التي اخذت به حين صاح عليه زملاؤه الخدم والغلمان في القصر : لقد طلبك امير المؤمنين ! لم يتعود هؤلاء الغلمان والخدم ان يتخطوا من اسم الخليفة او لقبه اسما والفوا بينهم . فاذا قيل لاحدهم : أجب امير المؤمنين ، فلابد من الاجابة فورا .. والآن فالخليفة يدعو مخارقا الى مجلسه الرفيع المنعقد في هذه الساعة لفحول الفن ومهرة العازفين ، والبصراء بالسماع من علية القوم ..
قال له الخليفة متبسطا ليزيل وحشته وهيبته :
— يزعم استاذك الموصلي انك تحسن غناء بعض الاصوات ، فاجلس وغن :
« يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا » ..
اقبل مخارق يغني وقد اثر في صوته التهيب ، فبدا للخليفة كأنه لا يحسن الغناء . ثم توغل في اللحن مقطعا بعد مقطع ، وكلمـا ازداد توغله فيه ازداد اطمئنانه واحسانه حتى استوى له اللحن بشروطه الفنية الصحيحة كما تعلمها من الموصلي ، وكان مخارق اجمل منه نبرات واقوم انفاسـا ، فاذا الخليفة يطير من سريره طربا لا يأتي به هذا الفتى الصغير المجلوب من سوق الرقيق ..
وقال الخليفة وقد اتم مخارق اللحن على احسن وجه :
— بحياتي أعد هذا اللحن ! ..
في هذه المرة تسلطن مخارق في غنائه ليبلغ من التسلطن ما شاء ، وطرب الخليفة حتى بكى طربا ووجدا ، وخشعت حواسه وعواطفه كلها لصنعة الصوت الجميل ! ..
وكان ما يحدث في مجلس الخليفة يتراءى للموصلي كأنه حلم ، ليهمس لي بجواره :
— لقد بلغ الغلام جميع اماليه ، فان الرشيد لايبكي طربا الا اذا اقترب البكاء يفيض من العطاء ! ..
ولم يكد الموصلي يفرغ من همسته ، حتى ارتفع صوت الرشيد وفيه اثر البكاء :
— يا مخارق .. سل حاجتك ..
تلجلج مخارق قليلا قبل ان يعلن امنيته متوسلا :
— تعتقني يا امير المؤمنين من الرق وتشرفني بولائك ، اعتقك الله من النار !
صاح الخليفة وقد وثب على رجليه منفعلا بالسرور :

ـ أنت حر لوجه الله . أعد الصوت!

كانت اعادة الصوت هذه المرة أحب شيء الى مخارق ، فانه يغني لاول مرة بعد انعتاقه من الرق وفرحه بالحرية..

ولكنه فوجيء بالخليفة يعود الى البكاء ثم يقول له مرة أخرى :

ـ يا مخارق .. سل حاجتك ! ..

ـ حاجتي يا أمير المؤمنين ضيعة تقيمني غلتها ..

ـ قد أمرت لك بالضيعة .. أعد الصوت ! .

أعاد مخارق الصوت ، وادخل فيه من التحزن والتطرب زيادات كثيرة ، فبكى الرشيد حتى بل لحيته ، وقال :

ـ سل حاجتك ! ..

ـ يأمر لي أمير المؤمنين بمنزل وفرشه وما يصلحه وخادم فيه ...

ـ ذلك كله لك ومعه خمسة الاف دينار . أعد الصوت ! ..

أعاد مخارق الصوت فبكى الرشيد حتى بل لحيته وكمه وتساقطت دموعه على سريره وسمع الحاضرون نحيبه .. ثم قال في صوت يشبه الهمس :

ـ يا مخارق .. سل حاجتك ! ..

ـ حاجتي يا أمير المؤمنين أن يطيل الله بقائك ويديم عزك ، ويجعلني من كل سوء فداك ..

لاح نور الفجر، والرشيد يكفكف دموعه ويقول للقائد هرثمة الذي كان جالسا طوال الوقت يتعجب من رقة عاطفة الخليفة الذي يأمر بقتل الالوف من العصاة والخوارج :

ـ يا هرثمة .. اتذكر مخارقا الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل .. ما كانت كنيته ؟! ..

اجاب هرثمة :

ـ أبو المهنا ..

تبسم الرشيد :

ـ قد كنيتك أبا المهنا لاحسانك يا مخارق (١)

وهمس الموصلي في اذن مخارق وقد انطوى المجلس ورفعت الاقداح والرياحين، مهنئا ومداعبا :

ـ أراه معجبا بصوتك كاعجابه بشجاعة مخارق الشاري ، فعسى الا يقتلك كما قتله ! ..

ـ ٤ ـ

مرت بضعة عشر عاما ..

في الطريق الى بيت الموصلي ببغداد التقى ابو العتاهية الشاعر ومخارق المطرب .. قال ابو العتاهية :

ـ قد والله احزنني يا أبا المهنا موت ابراهيم الموصلي .. كان فنانا ـ رحمه الله ـ يخالط السروح ويمازج اللحم والدم ..

ـ اما أنا يا أبا العتاهية فوالله ما اعتقني من الرق في بداية أمري عند الخليفة الا ابراهيم الموصلي . وان حزني عليه لعظيم ! ..

وبلغ الشاعر والمطرب دار الموصلي فتلقاهما ابنه اسحاق اللحن العظيم واجلسهما في المكان الذي كان يتلقاهما فيه أبوه في ماضي السنين . ثم اخلدوا في الحديث عن الموت والاخرة وما يتعظ به الانسان في امرهما، فقال أبو العتاهية: كنت منذ ليال عند الرشيد فقال لي : عظني ، فقلت له : اخافك ، فقال لي : انت آمن ، فانشدته :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس
ولو تسترت بالابواب والحرس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تمشي على اليبس

قال اسحاق الموصلي معقبا :

ـ احسنت والله يا أبا العتاهية ووعظت ! ..

وفجاة ظهر على باب المجلس برصوما الزامر العظيم فرمى بنفسه الى الارض فتمرغ في التراب وبكى ، واخرج ثابه وجعل ينوح في زمره ، ويدور في المجلس، ويقبل المواضع التي كان أبو اسحاق يجلس فيها ، ويبكي ويزمر حتى قضى من ذلك وطرا ، ثم ضربه بيده الى

---

(1) التكنية هي المناداة بالكنية بدلا من الاسم ، فيقال لمخارق : يا أبا المهنا ، ولا يقال : يا مخارق .. وما زال للكنية اثر حتى اليوم في البلاد العربية كلها .. وكانت للمعاني للتشريف ومازالت كذلك ...

ثيابه تشقها ؟ .. (١) .. بينما يحاول اسحاق أن يسكته ، فما سكن ولا كف من البكاء والنواح بالزمار الا بعد حين. ثم جلس دامعا يخاطب نفسه بصوت ملء أحزانه الشجي : الآن اشتفيت من بعادك يا أبا اسحاق .. وما اشتفيت! ..

خرج ابو العتاهية متوكئا على عصاه كأنه كبر عشرين عاما دفعة واحدة في ذلك المجلس الذي شهد أحلى أيام ابراهيم الموصلي ، وشهد غيابه ونواح برصوما عليه ..

وقال ابو العتاهية لصديقه مخارق :

ـ والله لكأني أرى الساعة ابراهيم الموصلي يغني في مجلسه ذاك الذي فارقه الى الأبد ، وأنا بين يديه أسمع غناءه وأبكي وجدا وشجنا .. والله ما بقي لنا بعده من دنيانا الا البكاء ! ..

ـ هون عليك يا أبا العتاهية ، فكل انسان يمضي ، وكل شيء يزول ..

صمت أبو العتاهية لحظة ثم نظر الى مخارق متوسلا :

ـ الا تزودني منك بيوم تهبه لي قبل رحيلي من هذه الدنيا ؟؟ ..

ـ اقترح أي يوم شئت ! ..

ـ أخاف أن تخلع بي ...

ـ والله لا أخلع بك وإن طلبني الخليفة نفسه ! ..

ـ اذن يكون ذلك في غد ..

ـ أفعل ان شاء الله ..

وفي الغد جاء مخارق الى بيت أبي العتاهية .. بيت نظيف ، فيه فرش نظيف . وبادر أبو العتاهية فدعا بمائدة عليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدي مشوي ، فأكلا منه . ثم دعا بسمك مشوي فأكلا منه حتى اكتفيا . ثم دعا بحلواه ، وبعد أن غسلا أيديهما دعا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة ، فقال أبو العتاهية لمخارق : اختر ما يصلح لك منها ، وبعد أن شرب كل منهما قدحا ، نظر ابو العتاهية في وجه مخارق مليا ثم همس : غنني في قولي :

أحمد قال لي ولم يدر ما بي
أتحب الغداة عتبة حقا

فأخذ مخارق يغني هذا البيت وما يليه من أبيات ، حتى بلغ قوله :

قد لعمري مل الطبيب ومل الأهـ
ـل مني مما أقاسي وألقى
ليتني مت فاسترحت فإني
أبدا ما حييت منها ملقى

فانفجر ابو العتاهية في بكاء مر اليم ، وشرب قدحا وهو يبكي أمر بكاء .. ثم قال لمخارق : غنني في قولي :

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر

فغناه مخارق ، وأبو العتاهية يبكي وينشج ، ثم شرب قدحا آخر ، وقال : غنني يا أبا المهنا في قولي :

خليلي ما لي لا تزال مضرتي
تكون مع الأقدار حتما من الحتم

فغناه اياه . ومازال ابو العتاهية يقترح الاصوات في شعره ومخارق يغنيها له فيبكي ويشرب ، حتى انقضى وقت طويل ، ثم قال ابو العتاهية في لهجة جادة صارمة :

ـ أحب يا أبا المهنا أن تصبر قليلا حتى ترى ما أصنع ..

فجلس مخارق ، وقام ابو العتاهية فكسر كل ما حوله الساعة من أواني النبيذ وآلات الملاهي ، ثم أمر باخراج كل ما في بيته من قوارير النبيذ ، فظل يكسرها ويصب النبيذ على الأرض وهو يبكي بحرقة ، حتى لم يبق من ذلك شيء ، فانتحى جانبا فنزع ثيابه فاغتسل ثم لبس ثيابا بيضاء من صوف ، ثم وثب الى مخارق فعانقه وبكى وهو يقول له :

ـ السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلهم ، سلام الفراق الذي لا لقاء بعده ! ..

وجعل يبكي ثم عاد يقول :

ـ هذا آخر عهدي بك يا مخارق في حال تعاشر أهل هذه الدنيا .. استودعك الله ، واعتذر اليك من ترك الالتقاء ! ..

وقد قيل لأبي العتاهية وقد رقد على فراش الموت :

ـ ما تشتهي الآن ..

بكى وقال :

ـ اشتهي ان يجيء مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنيني ! ..

(١) العبارة بين القوسين من نقلة كتاب الأغاني للأصبهاني .


شكاوى الجندى الفصيح
جمال الغيطانى
رسم حلمى التونى

.. وبتاريخ ٧/٧/ ١٩٦٧ عينتني الشركة موظفا فنيا بورش الآلات الفنية ، وقمت بعملي خير قيام ، حتى استدعاني الوطن مجندا من ١/١/١٩٦٨ ، فلبيت نداء الواجب ، ومنذ هذا التاريخ كنت اصرف نصف مرتبي كما يقضي القرار الجمهوري بهذا ، وفي ٢٠/٦/١٩٦٩ ، انتهيت المدة القانونية لتجنيدي سنة ونصف سنة ، واصبح يحق صرف مرتبي كاملا ، وعندما حضرت اليوم الى الشركة فوجئت بالصراف يخبرني ، اسمك ليس في كشوف المرتبات ، سألت مدير المستخدمين ، وتبين ان سيادته اصدر لي قرارا بفصلي ، ولما عرفت السبب ، مع انني قائم بعملي خير قيام ، ويشهد رؤسائي بهذا ، ولم يوضح احد ، لماذا فصلت ؟؟ وعلمت ان المقصود بالقرار

شخص آخر يتشابه اسمه اسمي ، فكتبت شكوى عنها الى مدير المستخدمين ، الى المدير ، واليوم ينتهي

تصريح اجازتي ، واعرف انني وحتى لا اتمكن من العمل اليوم ، لهذا اكتب طالبا الرفع اليكم على عجل ، راجيا النظر اليه بعين العطف

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام

مقاتل : بدير الفحماوي

٢/٧/١٩٦٩

*

.. وحدث ان اومأ سامي سكرتير المدير العام لشركة الالبان برأسه ، قائلا واحدا مختصرا :

- الفتن ..

وحاول المقاتل بدير السلام الرتياح على ابتسامة ابعادها ، لكنني لو فقط

شكاوى الجندي الفصيح



السكرتير الشاب الفاظا اخرى ، لكنه انشغل بالنظر الى ملفات انيقة كتب فوقها بخط منسق « للعرض » وعندما دخلت فتاة جميلة يصحبها عطر شفاف الرائحة ، ايقن بضرورة انصرافه ، والا بدا القيل الدم ، قال كلمتين :

– ارجوك .. لا تنس .

سيسر ساعي السكرتير الشاب عندما يرجوه احد الناس امام فتاة جميلة .

*

بريد حربي

السيد / مدير الشركة العامة للالبان ..

بعد التحية

ياسيدي المدير ، ارجو وصول خطابي وانتم في اتم صحة وهناء ، قبل استرسالي ، اعرف لو ان احد الموظفين قرا ماكتبت لقال ، ليس هكذا تبدا الخطابات الرسمية ، لكنني انتظرت رد الشركة على الطلب المقدم اليكم في

١٩٦٩/٧/٧ ، لم انجح في مقابلتكم ، قلت فلافتح قلبي لكم ، احكي عن حياتي ، اقص فرولي ، لا اخفي امرا من اموري ، لهذا التمس العذر لو خرجت من الصيغ الرسمية ، والتمس العذر مرة ثانية لو تغير الحبر من الازرق الى احمر ، اعرف انه عيب كبير لم اعلم هذا عند التحاقي بالعمل مباشرة ، انما حدث بعد شهر من عملي بالشركة ، ان كتبت ملخصا لخطاب مصدر اليكم ، لم اكتب الخطاب نفسه بالحبر الاحمر ، انما رقمه ومايحويه في السركي الخاص بالبوستة ، استدعيت الى مكتب المهندس الحسيني ، خشيت الامر عندما نظرت الى وجهه ، بدا ساخطا ، تساءلت خائفا عما ارتكبت؟! خطر لي ، ربما كتب تقريرا يشير فيه الى عدم صلاحيتي للعمل ، هنالك الفصل خاصة واني وقتها لم اقض مدة الاختبار التي اعتبر بعدها مثبتا ، والمدة كما تعرف ثلاثة اشهر ، ثلاثة اشهر لا يحق بعدها فصل العامل او الموظف ، رآني المهندس الحسيني

وتساءل بدهشة عما تعلمناه بالمدارس ؟؟ اندفق الدم سريعا في شراييني ، انعقدت الحروف على لساني ، امسك بيده بالسركي مفتوحا ، رأيت ساعده نظيفا ، كثيف الشعر ، علا صوته موضحا ان سركي المدير لايمكن اطلاقا الكتابة فيه بخط احمر ، اي كتابة رسمية يستعمل فيها القلم الاحمر خطأ تام ، المسموح له باستعمال الحبر الاحمر ، واحد لا غيره ، سعادة المدير نفسه . واخرج عددا من الخطابات الرسمية ، مكتوبة بخط مرتب ، تحمل تأشيرات عديدة بالحبر الازرق ، فيها هنا خطوطا قليلة كتبت بسرعة ، في اسفل الصفحة او اعلاها ، باللون الاحمر ، عرفت خطك ياسعادة المدير ، في لحظات الراحة بعد الغداء اجلس الى زملائي الموظفين ، نحاول تقليد توقيعات مدير الادارة الفنية ، والسيد مدير المستخدمين ومدير ادارة البحوث الدقيقة ، وفضلا لتلقنها ، لكن امضاءك انت ، انحناءاتك ، معنى غريب ، خطوط بسيطة جدا ، لا تعقيد فيها ، مع هذا نعجز تماما من كتابة مثلها ، وعندما اري قرار فصلي ، لا اصدق ان امضاءك استقر على ورقة تحمل قرارا يحرمني من اكل عيشي ، امتناع مرتبي ، وبقائي بلا عمل ترتبط به امور عديدة لن اخفي واحدا منها - وقبل استطرادي ارجو توضيح ملاكرته، الخاص باستعمالي لونين مختلفين في خطاباتي اليك ، انا ياسعادة المدير اعمل في بورتوفيق ، بورتوفيق ليست مدينة كبقية المدن التي عرفتها ، هنا يفصلنا عن العدو مجرى مائي ضيق ،

لاتنتبه الا عند الوقوف قرب حافته مباشرة ، لو مشيت على بعد قليل من الشاطيء ، سترى بعض المباني عند العدو ، وكأنها فوق الارض ذاتها ، لاتفصلنا عنها القناة ، هنا لاتجد مبنى من طابقين ، لا نوافذ خشبية ، الواح زجاجية ، لا يقف جدار ، لايمتد سقف ، لم يعد يقوم سلم ، يقول ضابطنا ، كانت بورتوفيق من احلى

الفن ، من يدرى .. ربما جئتها يا صاحب السعادة وقت الصيف ، الآن الحضور اليها مستحيل ، دائما أرى بورتوفيق فتاة جميلة ، يتدفق وجهها حية ، تجرى فوق شاطئه

رملى ، اللهو ، تتجه دائما الى البحر ، تلف فوق قارب يقسم الله قسمين ، بحبل الازرق الى زبد أبيض ، فجأة ، يطلع قزم ، كبير الانفوالرأس، يقتلها بماء النار المركز ،

يتصير اللحم ويهطل بنيا فى لون الشيكولاتة ، رأيت مدنا بعيدة رحل اليها سكان بورتوفيق ، عندما رحلوا ذهبوا على عجل ، لم يجمعوا أشياء العمر الصغيرة ، تناثرت علب الطعام المحفوظة ، حطام أطباق الصينى ، بقايا أسماء حفرت ، عثرت على موقد بريموس صالح ، تستعمله الآن ، لا أمتلكه انما يخدم السرية

كلها ، وجدت صورة ، الامضاء عليها « الى عزيزى فوزى .. ألعلك تذكرنى ، فالذكرى ناقوس يدق فى عالم النسيان .. حمدى»

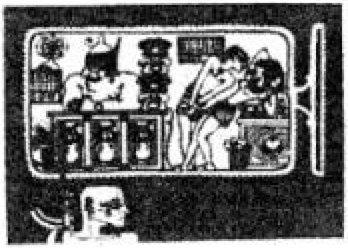
لم أعرف فوزى ، لم أعرف حمدى الذى أطل علينا من الصورة مسندا ذقنه الى يده ، تساءلت

كيف هان على فوزى أن يلقى صورة صاحبه حمدى ، سألت ، أيعرف أحدكم صاحبها ؟؟ راح كل منهم يتذكر ، حاولنا من ملامحه الرقة ، أهو متزوج أو أعزب ؟؟ عامل أو موظف ؟؟ وحولنا يجيء الليل البطيء من البحر ، من خليج السويس يرافقه صمت الايام الأخيرة من عمر الدنيا ، الصمت المعتق بالسنين ، الصمت هنا كالمرأة الحامل فى نهاية

شهرها التاسع ، يفاجئها الطلق ، فى حلكة الانفجارات موت ماقبل الأوان ، دائما الملح لا انتشر باقترابها كانهيار بيت قديم ، تجيء كموت السكتة ، أسبق من برق ، أحد من

صرخة فزع فى خلاء مزروع بالقنابل ، الشظايا تنتشر بسرعة ، بعضها فى حجم رأس عود الكبريت ، الآخر كماجور العجين ، أحد أصحابى يا سعادة المدير استشهد بجوارى ، والاستشهاد وصف مخلف

شكاوى الجندى الفصيح



للموت ، الفراق الابدى ، ارجو الا ازعجك ، بحديثى عنه ، اعرف اننى اثقل عليك ، لكن تحملنى ، اسمه سعيد باسعادة المدير ، كسارى فى هيئة السكة الحديد ، اشهر طباخ رايته ، فى نهار بعيد وقف بجوارى فى نقطة الملاحظة ، نسيت اخباركم اننى مقاتل فى وحدات الاستطلاع ، "رقيب العدو" ، المهم ان سعيد بقى على حاله عند الانفجار ، نظرت اليه ، غبار ودخان وتعب الشباب ، رائحة اجهلها تخلى نفسها ، ناديته لم يجب ، زحفت اليه ، امسكت ذراعه ، لم ينطق حرفا ، جسمه سليم تماما ، يختلف القامة من متاه الفنيا ، ينام متمددا فى يوم القائظه الحرارة ودخان مجهول النبع ، اخيرا لمحت الفم ، ثقب صغير فى جبينه يطل على الابدية ، يتدفق منه دم شديد الحمرة ، لا يخرج فى خيط رفيع ، انما على فترات ، تشى كمصباح عربة ريفية ، متقطع كضوء فنار يختفى، يعوده عين حمراء تكشف نفسها لحظات فى سواد غادر تحذر الصيادين ، تكشف اماكن شعب المرجان الخفية ، تشى بالقاع القريب ، بمرارة العمر القصير ، مات سعيد باسيدى قبل نومى اراه ، فى اللحظة الظهيرة الحده ، يحوم قربنا ، سيظهر فجأة ، ارى بمطلق ثقب جبهة الرأس ، تتسرب السنوات منه قطرة بقطرة، لو بادلته مكان وقوفى لتغلغلت الشظية فى راسى انا ، الموت هنا صدفة ، يبث الكمائن حول اعمارنا ، اذ يطلع النهار ، ترى الشمس وجها جميلا حنونا ، رفيقا ساخنا لا يمس ، تقول اعماقنا ، مازلنا نعيش ، رأينا يوما جديدا ، ترى ما الذى سيجرى اليوم ، هل سترى النهار الجديد ؟؟ او نعيد واحد منا ، تحول تذكر ، آخر مرة رايناه ، آخر لفظ ، ما تمناه ، تراه روحا طاهرة جناحاها مغموسان فى دم حار لا يجف الا يوم القيامة ، الآن كلما صحوت على صوت انفجار ، او غارة كلما دب جرذ فوق وجهى ، اذا رأيت حلما ثقيلا يزحف الى كسحابة كريهة المنظر ، اتذكر امورا عديدة ، بالذات منذ عودتى من اجازتى الاخيرة ، فى الليل المهجور من القمر ، اقف فى نقطة الملاحظة ، ارقب انفجار اللهب ، ارصد الصوت ، اعد همس البشر ، هدير الآلة ، الصمت القريب ، يتردد فيه صوت قطعة صفيح يهزها الهواء ، تصطدم بجسم حديدى فى بقايا ورشة ، منذ لحظات رايت وهج نيران بعيدا فى سيناء ، شعلة برتقالية اللون فى حجم قبضة اليد ، بين الحين والحين تنتقل الى اعلى ، تعود الى الثبات من جديد ، قدرت المسافة ، ابلغت مركز المراقبة ، قبضة اليد النارية هذه كتلة لهب تصف بمخزن ذخيرة ، سمعت جنديا يصيح الحريق عند العدو ، تساءل عن السبب ؟ ربما حادث .. ربما عملية لرجال منظمة سيناء ؟ . اصغيت الى مياه القناة ، السمك يطل علينا ، لا يصيده احد فاصبح سمينا ، فى النهار يعوم متبجحا متحديا ، لو نغوص قليلا ، سيمرق قزم شاله ، كلما تخيلت العدو اراه قزما كبير الرأس ، يمشى ، يمشى ، حتى ..

●

عندئذ توقف سامى ، السكرتير الشاب ، نظر الى الطريق ، العربات الآن قلة ، البحر يطل هواء اسكندرية ، لن يمضى وقت طويل الا وتزدحم المدينة ، يبدى ضيقه من الصيف ، يقول .. من يعرف مدينتنا لا ياتى اليها فى الصيف ، احب الشهور ابريل ، مايو ، سبتمبر والشتاء كله ، عاود النظر الى الاوراق المبعثرة ، بعبير الحلوى فيما يعلم موقف صغير لا يحق له مخاطبة سعادة المدير هكذا ، نظر الى الفتاة ، درج مكتبها عريض غير منتظم ، تقلب بالمجلة ، راديو الترانزستور، البرنامج الموسيقى انهى ارساله منذ ربع ساعة تقريبا ، بعد اتصالها بالسنيل حاول كثيرا ايجاد موضوعات للحديث ، لا تشجع الحوار من جانبها ، اجاباتها محدودة ، تنتهى فجأة ، عادة تصاحبها هزة رأس ، عندما جلست تسأل بها ، لم يعد الشخص الوحيد الذى يحق له الدخول على

سيادته ، او النظر من الفتحة المستديرة التى تتوسط الباب المكسو بالجوخ الاخضر لينظر ، امشغول سيادته ؟؟

ايكتب ؟؟ هل خرج الضيف من الباب الاخر ؟؟ هل انهى سيادته حديثه التليفونى ، يعلم انها

جاءت بتوصية من رئيس مجلس ادارة المؤسسة العامة للشحن والتفريغ ، انه صديق قديم لسيادته ، بل يقال ، ويبدو القول صحيحا ، انهما زملاء دراسة ، سهير تمت بصلة

قرابة بعيدة الى رئيس المؤسسة ، الخ .. لابد من توثيق العلاقة بها ، فلعلها زارت بيت سيادته مع قريبها ، من يدرى اى كلام تنقله اليه فى المكتب عندما تدخل اليه ، تخلو بهفترة ، اترجح ان سيادته لم يساله عن احوالها ، لم يستقص اخبارها كما يفعل بالنسبة لبقية الموظفين والعمال ، ماذا يعنى هذا ؟؟ الثقة التامة بها ، ربما ادى وجودها الى التقليل من اهميته ، ينقل يوما الى مكاتب الموظفين ، لابد من النفاذ اليها ، وكمايثق ، لاتوجد امراة تستعصى على رجل ، لكل منهن طريق خاص يتحتم عبوره ، الآن لايهمل اى القصى فى مظهره ، الشعيرات الزائفة بوجهه ينفيها تماما ، لكنها لا تشجع على تبادل اى حديث ..

– يبدو ان العالم اختل باسموازيل سهير ..

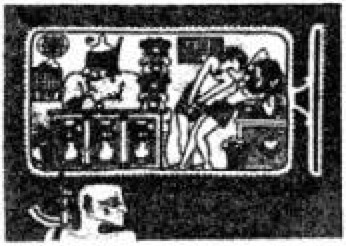
رفعت راسها ، تململ عطر ..

– واحد اختل عقله وتصور البنك المير صاحبه . وراح يكتب فى خطابه كل مايرغبه ..

*

يهاجم ابى ، تكتم امى شهقة ، يستدير الى اختى ، هنا تقشعر كتفاى ، يسرى رمل ساخن كالشظايا فى سلسلة ظهرى ، ارى التزم يوثق يدى اختى ، اختى صفية نسيت ان اخبرعنها ، صفية عندها الآن اربعة عشر عاما ، ربما تتزوج فى العام القادم ، البنات يتزوجن مبكرا فى الريف ، بالطبع سيحتاج ابى الى نقود

شكاوى الجندى الفصيح



اكثر من دخله هذا العام بالذات ليشترى جهازاً لتصفية اختي التي تنتظر رجوعي في الاجازات ، تنتظر ما احضره معي ، لادخل عليها بيدي فارغة ، مرة آخذ معي شال قطن احمر ، زجاجة عطر ،

كيلو حلوى من طنطا ، افرح جداً عندما ارى التماع عينيها ، اسمع دعاءها ، تحاول تقبيل يدي ، يتقلبني خجل فامنعها برقة ...

والذكر في نقطة الاستطلاع ، اقول في عقلي انك لابد صححت الاوضاع ،

انصفتني ، اعدت اسمي الى كشوف المرتبات ، الغيت قرار فصلي ، صحيح ان رد الشركة

تأخر ، لكنني اثق ان انصافك البسيط ، توقيعك الانيق ، استقر اخيراً فوق قرار يرجعني ...

*

لم يحدث ان ابديت اهتماماً كهذا متلوصولها ، قلم ، توسط الحجرة ..

– ما الذي يقوله سيادته عندما يرى خطاباً موجهاً اليه بهذه اللهجة ..

ابتسمت ، ابدى حماساً .. سألت ..

– هل ارسل خطابات اخرى ..

– اول خطاب ..

*

سعادة المدير ..

وصلني خطاب من ابي ، وقلت من قبل انني لن اخفى عنك امراً ، وكما قيل لي فلا أذكركم لاتنسى الله الامور ، وكلنا نذكر يوم نزولكم الى الورش ، تطمئنون على سير العمل ، وتصادف ان عاملا ترك مكانه على ماكينة السحب ، خرج يقضى حاجته ، لم يشأ احد من زملائه ان يؤذيه ، انتظر حتى مررتم عليه ، دار حول الورشة ليقف امام ماكينة السحب حتى لاترى المكان خاليا ، وتوقفتم امام العامل ، نظرتم اليه مرة واحدة ، سألتم ،

الم اره منذ لحظات ؟؟ ، اصفر وجه الرجل ، اعترف ، وخصم من مرتبه اسبوع ، اما زميله فثلاثة ايام ، وقيل انك رأفت بهما ، وعندما مررت بي ، اول مرة اراك عن قرب ، لايفصلني عنك غير متر واحد ، انتظرت اى ملاحظة ، لكنك لم تتوقف كثيراً عند الماكينات التي اشرف عليها ، بعدها حصلت على مكافأة نصف شهر ، وهذا دليل على قياس بعملي خير قيام ، اعرف قوة ذاكرتكم ، لاتنسى اسما ، او ملامح وجه ، لاتنس فصلي ، في اوقات عصيبة هنا ، وقوفي بنقطة الاستطلاع ، انتقالي عبر الخنادق ، نزولي في حفرة عند التهاب الهواء ، اقول

ربما ينهي سعادة المدير موضوعي الآن ، اقول هذا ولم يصلني اى رد ، بالامس قرات خطاب ابي ، انقبض قلبي ، اسودت الدنيا في وجهي ، رأيت كتفيه تنوءان بحمل الهم ، يمشى فوق الجسر ، تعبر عربة اجرة ، انا لست من ركابها ، لا احمل مرتبى ، اربعة عشر جنيها وخمسة واربعين قرشاً ، ثمانية لابي ، جنيها لامي ، خمسة احتجزها ، والخمسة والاربعين اشترى بهما حلوى ، ابي لا ينفق الجنيهات كلها ، يدخر مبلغا لا اعرف مقداره ، اخطار الزمان كثيرة ياسعادة المدير ، رأيت ابي يميل الى جذع شجرة قديم ، بجواره محمد الفندى مدرس الابتدائي ، يملى عليه ما اقرؤه انا فيما بعد هنا ، اخبرني

ابي انه ينوى ، اذا سهل الله الامور ، ان يبني الحجرة الطوبية المتهدمة في البيت ، اخبرني بدعائه لي في مسجد القرية ، ان يفتح الله في طريقي اولاد الحلال ، ان يفك عقد امورى ، اظن ياسعادة المدير انني اخبرت ابي بقرار فصلي ؟؟ صدقني ، خجلت ان انقله اليه ، لاتصور فيلي وحرجي عند دخولي البيت ، لا ادرى ما اقوله ، ما افعله ، تمنيت لو اقترضت مبلغا يوازى مرتبي ، اعطيتهم ما تعودته كل شهر ، لكن من يقرضني ؟؟ ياسلام ياسعادة المدير ، عندما ترفع ابي

يديها ، تعود لي بعد أن أعطيها الجنيه ، لا شيء يدفع الدمع الى عيني في بور توفيق ، هنا عند الساتر الرملي ، عند الحد الامامي ، الا هي .. اني .. أنا لم احدثك عنها يا ...

*

هنا تراجع ضاحكا ، يده تمسك بالورقة ، أصبع من اليد الأخرى تشير الى الخطاب اشارات متتابعة ، كأنه يحثها هنا خفيا ..

ــ وصلنا الى سيرة الأم .. بالسلام سلم ..

سهير لايخفى عليها مالا ضحكته من انفعال ، صحيح الامر مسل ، لكن . فلماذا الضحك بهذه الصورة ؟؟ يحاول اثارة اهتمامها ، ان يبدو خفيف الدم ، يمكنها امساكه بكلمة ، تخفف من سروره المفتعل ، لكن لاداعي ، ربما دخل الى سيادته ، وباعتباره الاقدم منها ، الاكثر فهما لظروف العمل ، ربما يحاول نقل التقرير من كلماتها ، لم التشكيك فيها ، بالتأكيد لم يخبر سيادته بالمجلات ، بالراديو ، والاحاديث الطويلة في التليفون ، هو نفسه بجواره راديو كي يفتحه احيانا بعد استئنافها لسماع اغنية ، او برنامج ما من الاذاعة المحلية ، في مرة سابقة تناقشت معه ، هي تميل الى الاغاني الاجنبية ، تجيد الفرنسية تماما ، لكنها تسمع الاغاني الانجليزية والهندية واليونانية ، سألها ، هل تفهم المعاني ؟؟ قالت ، مايهمني لحن يهزني ، كلمات الاغاني تتشابه اما الالحان فمتنوعة ، بعد ان كاد يتوقف عن الضحك ، لمحت سطح المكتب بأصابعها النحيلة الطويلة

ــ انما صدقني يا استاذ سامي ..

ــ معمو الزيل سهير .. انا وانت نلتقي معا وقتا اكثر مما نلتقيه مع اهلنا .. سهير .. الغالب واستحييت في مطلبي برفع الرسميات ..

شكاوى الجندى الفصيح



اسبلت جفنيها ، الكلمات تزالقها ابتسامة

– ممكن .. ها .. هات صاحبنا .. فاتحلى اسمه بدير ..

– بدير .. آه بالضبط بدير ...

*

اربعة امتار قماش ، كستور ، بيكة ، تحلقتها تحار عيناها ، تتسال منها رقة تمس عصب الوريد ، تبسط السكين ، تطلب الستر ، امى تخرج الى السوق ، تبيع القمح والفول ، تجادل الرجال ، تقسم الايمان ، الفول لو جاءت الى بور توفيق لن ترحها شقة ساخنة ، مئات الالاف رحل ، زحف التابالم الفرج البطىء ، لن ترمج قلبها ، لن تصرخ ، حياتها يا سعادة المدير صدى انفجار مرهق طويل لم يهدا بعد ، فى راسها سؤال ، يحركها ابنما ذهبت ، بياقتها كالسكين التثن ، ما الذى تسده القلب ؟ اى حلم يأكله الاولاد ؟ اى قسط لابد تسعيه ؟ هنا احببت امى اكثر ، ارجع البيت ، اعطيها القطعة العريضة ، تقسم طرفها ، تبتعد عنى ، اعرف ما تفعله ، تقسمها ، تمد نصفها الى اختى مع ان نصيبها منى ، القطعة الخبز حنظل فى فمها ، علقم اذا لم تشاركها فيها ، هذه المرة ياسيدى ، لم اجلس معها بعد العشاء ، لم اعطها الجنيه ، لم تطلب منى ابدا ، حتى الجنيه لا تنفقه على نفسها ، تسد به بعض حاجات البيت ، لو شرفتنى يا سعادة المدير فى بيتى ، وهذا مستحيل ، فستجلس على كرسى خشبى بواجهه آخر ، اشترتها امى ، اصحابى يجيئون ، حيث ان يجلسوا فوق الحصير ، اما الكليم الصوف فباتتم ابلها امرأتها التقسيط ، ربما اشتدت الاقساط علما ، لكن مايجيء يستر البيت ، لو سألتنى عن امنية حياتى ، لرحلت باطلى صوتى ، هنا فى بور توفيق ، ان السمن ايلما قليلة لابى ، لامى ، يطلو فلياعما فيهـا من الاسى ، بعد ان شغرته الاحمال ، اسعد ديونهما ، استرد مصاغ امى الذى جامعا مير اجيال عميقة وباعته قصياغ فى البندر ، والتقتال التفى ، لكن كيف الحل ، وقد فصلتنى يا سعادة المدير .. اخشى الا يصدقنى ابى ، يظن ان واحدة من اهل البندر لفت على والوتنى ، ابيلايهمع فى ذراعى لكن الفروض ان الخيرة ، فلماذا تجرى الامور فى الظلام ؟

*

– ساشرب شايا ياسيى .. وانت ؟؟

– مرسى خالص ..

– الرجل ينتظر .. شاى او قهوة ؟؟

– والله شربت من ...

– من فضلك .. اسمحى لى ..

– ياه .. طيب .. لولالولا انا سمحت ..

*

.. رايت البصاق النارى ، الدخان يتجمد فى الهواء كحجارة اسمنتية ، تنفجر دائاتا حولعرباتهم ، ينبثق منها دخان ، صورة شعرات القطن الناضجة من لوزة خضراء مغلقة ، دانه مباشرة فى السيارة ، النيران البرتقالية فى البداية ، اختلاطها البطىء بدخان اسود سائل كالبترول ، جاءت ريح من الخليج لونت سيارة الحته فى اتجاه واحد ، وهنا .. جاء الطيران ، هدير الاعالى الخفيف ، دائما الطيران يا سعادة المدير تبدا مدفعيتنا فيردون بالطيران ، تحركت الطوفات فى الحلو ، الصوت يحوم ، يشوه وجه الصباح الهادىء ، شفرات حادة تقطع السماء الزجاجية ، طلقات الفيكرز توخز النهار ، رفعت راسى ، رايتها ، رايتها ، نقطة بيضاء تميل متزلقة فى خط مائل ، بنعومة فوق خط غير مرئى ، عند حد معين ارتفعت فجاة ، رمت حمولتها فوق طريق بور توفيق – السويس ، الطريق مقلوب العشا ، الخط الحديدى فوقه التوت قضبانه وانفصلت لتستقر مرفوعة فى الهواء ، يد خرافية لوتها ، سلم من حبال فوق حطام سفينة عبث بها هواء غضوب ، فوقه البطحت مرات ،

رايت الموت عليا ، في وجه صاحبي سعيد ، عندما رايته أول مرة ، عرفت انه جاءنا ليموت ، انه يمر بدنيانا مرورا عابرا سريعا، تساءلت عندما رحل ، لماذا الحزن اصلا ؟؟ حزنت ، تذكرت الخاطر الفادح ، عندما اعبر الطريق في الاسكندرية ، اخاف لو دهستني عربة ، من يعطيهم نقودا ؟؟ الآن رعبي اكثر ، لا يحق لابي صرف معاش ، او مكافأة ، لانك فصلتني يا سعادة المدير ، مع انني قمت بعملي خمس ايام ، يهمني جدا ان يعرف ...

*

زجاج مغلق لا يمنع رائحة البحر من العبور ، زرقاء فيها برد وانطلاق ورحيل .

ـ سهير ..

صوته خافت هامس ، توحي النظرات وتفصح ..

ـ كنت سأتحدث اليك في الثانية صباحا ..

ـ ياه ..

عندما رآها أول مرة ، متشامخة ، معجبة بقرابة لا تمس ، هل تصور انه سيقول يوما ماقاله الآن ؟؟

ـ قبل نومي شعرت برغبة ملحة يا سهير ..

ان اسمع صوتك آخر الليل ، لكنني اسكت نفسي ، اعرف اى ازعاج يمكنني ان احدثه عندكم..

تداعب مفتاح الراديو ، تعلو موسيقى خافتة كانها التردد في البوح بسردفين، هيئاه ترسلان معانى ناعمة كالبريانتين ، ها هي لحظات يهمس فيها بخافت الكلام ، يدعوها الى مكان قصى ، مضاء بنعاس المصابيح ، فراقه همسات وضحكات مفاجئة تفلت من غمار نشوة ، الآن ، لايذكر اللحظة التي ذاب فيها الجمود في البداية ، كان قبل دخوله المكتب يلقى وقتا يعد فيه موضوعات يمكن ان يطرقها معها ، لكن مجيء الخطابات مهد الفرصة ، اتاح الطريق ، لم تنسها بعد ، لا يقرؤها الآن ، اعتاد رؤية الختم

شكاوى الجندى الفصيح



الثالث ، تسلمها هي ، تضعها في الدرج ، وربما تلقيها ، تمر على قراءتها ، لن ينسى أبدا اللحظة التي فيها من قراءة أحد الخطابات ، قال ضاحكا :

— تسمحي يامدموازيل سهير ..

ايماءة بارسية انيقة ، على شفتيها ابتسامة ود مقطر ..

— من فضلك .. سهير .. سهير بس ..

●

تتباعد عني ، ولا تدري ما يجري لي يا سعادة المدير ، لا تعيدني الى عملي ، شهرالتولاتسمحني؟؟ كل يوم جديد يؤكد فصلي ، وكما تعرف فالعمل غطاء من برتش برما ، الانفاس لترد من بينهما يختق الشهيق والزفير ، تصحني زملائي

بارسال شكاوى الى المسئولين ، الحوا حتى في ارسال شكوى الى رئاسة الجمهورية ، حتى الآن لم افعل ، اكتب اليك لتصلح

خللا ، لترتق ثوبا انقطع ، لتصل غشاء تهتك ، لتفحص جرحا ، لتوقف نزيفا ، لتستعملها في خطابي ، لتعد رصيفا يحمي السائرين من

مركبات لا ترحم ، اكتب لتبث الحياة في ضوء فنار ، والا هلكت السفن ، لتكسو مسجدا عاريا بالحصير ، هل يصلك صوتي خافتا من هنا ؟؟ اعرف ان فصلي موضوع صغير جدا بالنسبة لشاغلك . لكنه عندي الولادة من جديد ، النار تحت الخبز ، عملي في الاسكندرية خندق يحميني هنا ، دشمة لا تنفذ منها شظايا الايام ، فكيف تفصلني ؟؟ الغاء القرار لايحتاج منك الا الى جرة قلم اقل من نقطة مداد أحمر ، كيف لا تفعل ؟؟ هل غضبت لانني اكتب بالمداد الاحمر ، الم اقل لك انني في بور توفيق ، انبوبة الحبر الازرق جفت وانتهت ، من اين آتي بمثلها هنا ؟؟ لابد من اتمام الخطاب ، استعملت انبوبة اللون الاحمر ، الهذا غضبت ؟؟ لكي اطمئن نفسي ، قلت ربما سافرت الى اوروبا ، في العامين الاخيرين قمتم برحلات الى الخارج لتسويق المنتجات ، فتح اسواق جديدة ، البلاد في امس الحاجة الى العملة الصعبة ، لكن مهما طال غيابك سترجع ، قلبي يحدثني انك الآن في الاسكندرية ، تذهب يوميا من التاسعة ، تجلس في المقعد الخلفي للسيارة ، تقرأ الصحف ، في المكتب تطلب القهوة ، بعد قليل تطلب الثاني ، كما تعرف جميعا تشرب حوالي ثلاثين فنجانايوميا ، الفنجانثمنه قرشان ، ستون قرشا ، ثمانية عشر جنيها شهريا ، ومائة سيجارة ، اعرفانك تشرب نوعا اجنبيا لا اذكر اسمه ، يقول العمال ان ثمن العلبة منه خمسة وثلاثون قرشا ، خمس علب يوميا ، جنيهان الا ربعا ، اثنان وخمسون جنيها تقريبا ، اعرف مشاغلك

الجسام ، اوقن انك في الاسكندرية ، لكنك ياسيدي .. لا تسمعني ..

●

— غيرنا الرقم القياسي يا حبيبي ..

— كم الساعة الآن ؟؟

— الليل على وشك الدخول في الرابعة .. تتحدث من الواحدة ..

— سهير .. لن اسمع الساعة ..

— والشغل ..

— ياه ..

●

الخطاب الثالث وصلني، ابي قلق يا سعادة المدير ومعه حق ، الرزق خافت شحيح ، انت أب ، تخيل

انني ابنك ، اعرف ان ابنك يتلقى العلم فياوروبا، طبعا الفارق بيني وبينه عريض وفادح ، في رمضان

منذ عامين اقامت الشركة افطارا ، حضرته وخطبت فيه مبتدئا كلمتك ، ابنائي العمال والموظفون ، الآن اعتبرني ولدك ، هل تقبل

ان يتجول ابنك في باريس بلا نقود ؟؟ هل ترضى ان تشتهي نفسه رحلة الى بلدة بعيدة مع فتاته ولايقوم

بها لغة تقوده ؟؟ هــل تعرف الراحة يا ســعادة المدير ، لو علمت بتهرب ابنك من دعــوة اصحابه

للرقص ، لغلة ما يبده ؟؟ لكن كيف يحدث هذا ؟؟ اى قصور اصاب عقلى ؟؟

انا لم احلم بزيارة باريس، انت تجهلنى ، لا تعرفنى، الم تقرأ خطاباتى ؟؟ هــل سد ازيز جهاز التكييف

اذنيك؟؟ الم تقرأ ماكتبت؟؟ انت بترت بدءا امسها الى ابى ، مســتحيل ان تخيرنى ابنك ولو لحظة،

ابنك يرى العالم اول عمره انا لم احلم بركوب بحر او جو ، لم امش مع فتاة

ترتدى جاكت شمواه فى محطة الرمل ، لم اجلس الى التى تدهن جفنيهــا بلون ازرق ، انا لا اقرا الصحف الافرنجيــة ، لا اجيد لغة، تعليمى لم اتلقه

فى اوربا ، او فى مدارس اجنبية ، لكن هذا لايعنى فشلى كالتفاية يا ســعادة المدير ، انا لم ادخــل

الفنادق الكبيرة ،لم احتفل بالكريسماس فى شقق بها سلالم داخليــة ، اى عام جديد لا يأتى الا بالهم ، تسأل دائما ، ماذا تفعل

غدا ؟؟ بأى ارض نموت ؟؟ انا لم اتناقش مع صاحب حول ، الرســيمس او الفيات ، ايهما افضل ؟؟

يا سعادة المدير انا لم ار اوبرا فى حياتى ، لا ارى الافلام فى دور العــرض الكبيرة ، لن تعرفنى ، لكن يجب ان تسمعنى ، هــل انوح ، ليت للبراق عينا فترى ؟؟ كيف تصغى الى ؟؟ لو جئتك سيطحنى عنك سكرتيرك الشاب ، انت تقيم فى بروج مشيدة ، افق يا ســعادة المدير ، لا تغمض عينيك ، ولا تسد اذنيك، اضغط مقبضا خفيا ليمتلىء المكان بنور ، ادم

التقاوى لتثبت الارض ، بأى حق تفصلنى ؟؟ كيف تؤذينى ؟؟ اقلب الصفحة التى تأبى مفارقتها ، انت تعصف آمال ابى ، انت هجوم ساحق على نهاية عمره الشقى ، انتظر ان منطلقى

لا تتذكر انها تحرق آمال اختى ، تقضى على البهجة فى عينى امى لحظات عودتى، انت جنزير يعصر مرارتى، احدث كمينا ناجحا لم يخطر لحياتى ، تذبحنى

شكاوى الجندى الفصيح



ولا تدرى ، افق ، افق ، افق ونجنى ...

*

تعدو ، تعدو ، لكن الى متى ؟؟ حتما يدركهـــا ، ترلس فوق الرمال الناعمة المشـــبعة بالشمس ، بالرخاوة ، انقلبا ليواجها سماء المسطس ، اى متعة ، اى رغبة فى الانطلاق ، بلا توقف فوق امواج البحر ، يحيـــط الخصر المبلل بذراعيه ، عيناها واسعتان ، شفتاها موطن المتعة ، ارض بـــكر لم تكتشف ، غرس فوقها اعلامه والقى ترحاله ، احيانا عنـــد خروجه من مكتب سيادته ، يميل اليها فجـــأة ، بشفتيه يلمس شعرها ، تحـــذره ..

يا مجنون ، يا مجنون ، اتحبنى فعلا ؟؟ يحيطهـــا بذراعيه ، يعـــفى الى سخونة الانفاس ، اطفـــال يلعبون بكرة حمراء ملونة ، البحـــر غافل ، نائم فى الافق النـــائى ، رائحـــة شواء ، بيده يكوم الرمل فوق ساقها ، يوزع الذرات فوق النعومة المسامالمبللة ، انتفضت فجأة ، مصمصت شفتيها ..

– سارجع الى حبيبى ..
الى حبيبى البحر ..

لم يرد ، راديو قريب يعلو .. والى خليتـــه منال .. اليكم جميعا « زى الهوا »

– هنا فى الفترة اعود الى طفـــولتى .. ليتنى بقيت طفلة ..

يحرك الان اطـــراف اصابعها ، يغطيها بالذرات الصفراء التى لا تفنى .

– لكن قل لى ..

لو استمر قليلا لصاحت من اللذة ، « وخـــدتنى ومشينا ، والفرح يلمنا »

– الم يرسل خطـــابات اخرى ؟؟

اقترب بده من حافـــة الاصـــابع ، تلمسها ، تبسطها من جديد « وبقيت وانت معايا ، الدنيا ملك ايديه ... »

الشمس راس بلا جسد فى سماء متوهجة .

– ياه ... امازلت تذكرينه ..

– توقعت حضـــوره فى اى وقت ..

– من ؟؟

« وآه من الهوا ياحبيبى آه من الهوا »

– هذا الشاب الفضول

– اى .. اى .. انت تنس دائما ..

« قلبها ايضا الاخ نمر وعروسه غايبة ... »

– آه . ربما القاك .. قلبه المتقـــل .. او كان فى ..

– يود توفيق .. كـــان يذكرها دائما

« والى رباب مع اجمل التهانى بالخطوبة »

– يود توفيق .. ياستى .. ربما ...

– اى ، اى ، اى ، لا يا سامى .. آى ... سامى ..

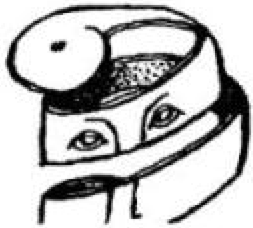
ضحك ، ضحك ، يده مســـتقرة فى دغدغة باطن قدميها

« زى الهـــوا .. آه يا حبيبى زى الهوا »

– اسكت يا روحى .. سامى .. الله .. اى . اى ..

قامت تعدو ..

« آه . زى الهوا ... »

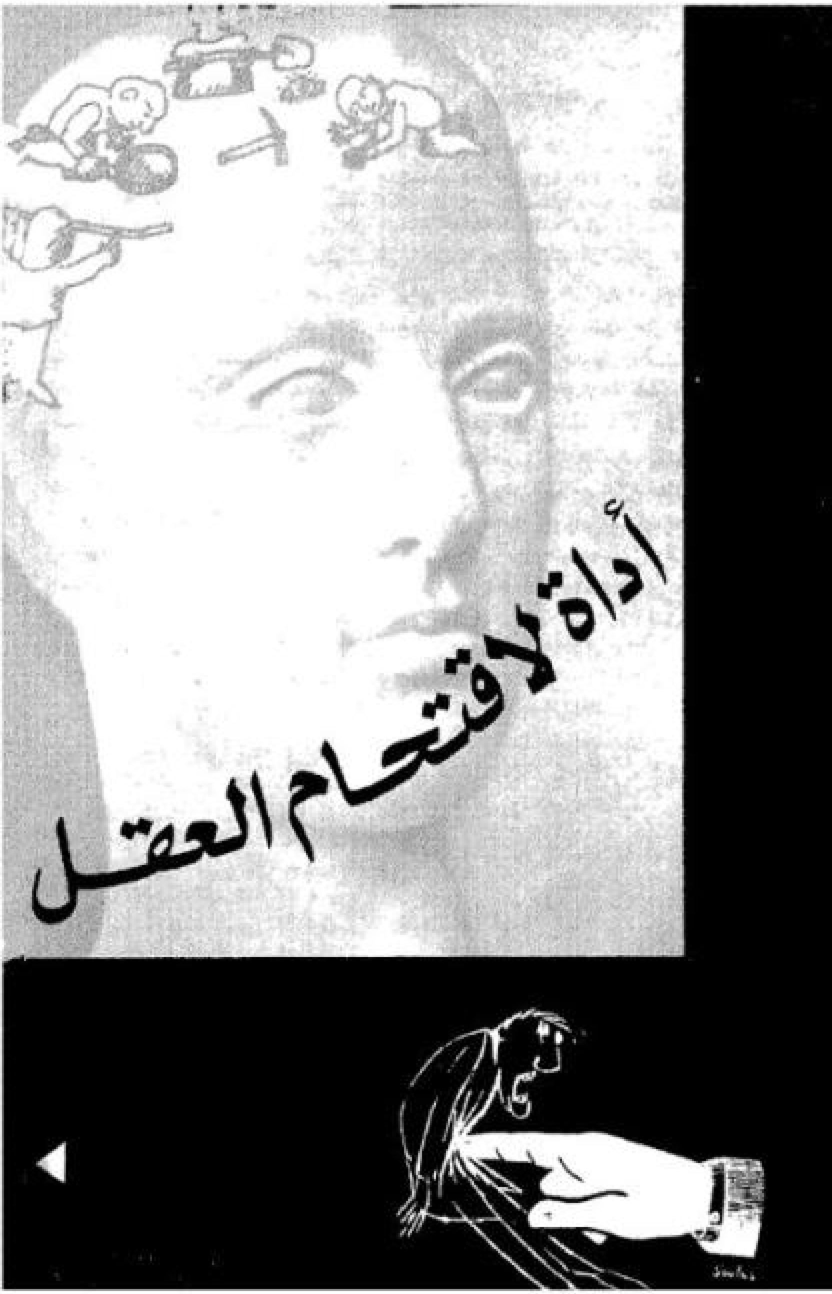


الاختبارات النفسية

ظل استخدام الاختبارات النفسية (١) حكرا على الولايات المتحدة الامريكية الى ان عرفت هذه النماذج طريقها اخيرا ، على نطاق واسع ، الى مختلف المجالات في البلدان الاخرى ، خاصة مجال اختيار الموظفين . لكن هذه الاختبارات ما زالت ، بالنسبة للجمهور العريض ، محوطة بالاسرار ، تفوح منها رائحة السحر ، مما يؤدي الى كثير من الخلط في فهمها والتطرف في تقييمها ، اذ يعتبرها البعض شعوذة ، بينما يعتبرها البعض الاخر علما لا يخطىء ابدا . وايا كان الامر ، فالمرء اذ يجد نفسه مواجها بتلك الاختبارات يحس انه اعزل لا حول له ، وان شراكا تنصب بالخبث تحت في طريقه ، وان هناك من يتلصص ويزنه ويصدر عليه حكما دون ان تكون لديه ادنى فكرة عن المعايير التي تطبق عليه . فهو لا يدرك مؤدى ذلك الفحص الدقيق الذي يفرض عليه فرضا ، ويحس انه يعامل كما لو كان جمادا . وربما كان الحكم الذي يصدر عليه مبررا ، لكن الحيثيات تظل مجهولة منه ، والاجراءات الشكلية تتم في غفلة منه ، فيدفعه الاحساس بعجزه وبالظلم الواقع عليه .

---

(١) كان الكاتب الامريكي وليم وايت William H. Whyte اول من تناول مشكلة الاختبارات النفسية في علاقتهـا بالاخلاق والانسانيات ، في كتابه الممتع The Organization man (١٩٥٦) وقد افرد في آخره فصلا كاملا عنوانه « كيف تغش لتنجو من الاختبارات ! »


أداة لاقتحام العقل

وله كل الحق في ذلك . لانه ما الداعي الى كل تلك السرية اذا كانت الاختبارات تقوم حقا على مناهج علمية كما يدعي من يستخدمونها ؟ من المسلم به طبعا انه من الضروري الا تكون الاجوبة من اسئلة الاختبار معروفة للمختبر (بفتح الباء) سلفا ، تماما كما لا يجب ان يكون حل المسألة معروفا للطالب قبل ان يحلها . ومن المفهوم ايضا ان بعض الاختبارات – التي تنصب على محاولة استخلاص ابعاد مركبة مستدقة للسلوك – ترتكز على تكنيك يؤدي شرحه تفصيلا الى وقوف المختبر على حل الاختبار ، وان كان هناك مجال التساؤل هنا عن الحدود التي يظل فيها مثل ذلك الاستقصاء المستدق لدخائل النفس مسموحا به فلا يتجاوز الحد الاخلاقي . من الممكن التسليم بذلك في شأن هذا النوع من الاختبارات تماما كما يسلم به المرء في حالة المسائل الرياضية المعقدة . لكن حل معادلة ما لا يفترض الجهل المطبق بالجبر ، بل العكس . والذي لانجده مبررا في الغموض المتعمد الذي يحوط تلك الاختبارات النفسية هو ترك الجمهور (وهو اول من تعنيه المشكلة لانه موضوع الاختبار) في جهل مطبق – قد يكون الغرض منه تجنب غضبه – بالمبادىء العامة للمناهج التي تقوم الاختبارات عليها ، وتكتسب منها مشروعيتها . هذا الغموض المتعمد لا يمكن الا ان يثير كل ريبة وسوء ظن تجاه الاختبارات ومراميها والقائمين بها ، وكل شك في طابعها العلمي ، لان العلم لا خفاء ولا تعمية فيه ، فهو يعمل في وضح النهار .

والحقيقة الاولى التي يجب ان يدركها المرء من هذه الاختبارات انها جميعا – مهما بلغت بعض اسئلتها سخيفة معنة في سخفها – اشياء ذات مغزى . يروي عالم الاجتماع الامريكي فانس باكارد (1) انه ، في معرض استقصاء سيكولوجي كان يقوم به من اختبار الكوادر الادارية لمنشآت الاعمال ، تقدم لشغل احدى الوظائف الادارية حتى يمر بما يمر به المرشحون لتلك الوظائف ، تقدم اليه ، في الاختبار اجري له ، ان يجيب عن اسئلة كهذه ، بين العديد من الاسئلة الاخرى : « ما رأيك في ابيك وفي امك ؟ »

« هل تعاني من الامساك او الاسهال كثيرا ؟ »

« هل تجد نفسك قبيحا ؟ »

« هل تعاني من الخجل كثيرا ؟ »

كما يذكر بالقرد حالة مرشح وجد نفسه مطالبا بالاجابة عن هذا السؤال :

---

(1) Vance Packard باحث اجتماعي امريكي ذائع الصيت ، متخصص في دراسة السلوك الانساني ، اشتهر بنقده الموضوعي الكاشف للمجتمع الامريكي خاصة في مجال استخدام العلوم الانسانية كمناهج للتحكم في العقول وتوجيهها . اشهر كتبه : « الاقناع الخفي The Hidden Persuaders » و « الباحثون عن المكانة The Status Seekers »

« هل تحس ميلا الى ممارسة الشذوذ الجنسي ؟ » ..

بعض هذه الاسئلة قد تبدو مثيرة للضحك . بيد انها ابعد ما تكون عن السخف . فكل اجابة من اجاباتك يمكن ان تترتب عليها نتائج قد تكون بالغة الاثر بالنسبة اليك، خاصة متى وجدت نفسك في موقف يضع مستقبلك أو رزقك تحت رحمة تلك الاختبارات وما تفضي اليه . هناك في اخلاقيات المهنة - بطبيعة الحال - قاعدة تحرم الاسئلة التي تعتبر انتهاكا لحياة المختبر الخاصة وكرامته الانسانية . لكن الذي يحدث غالبا ، للاسف الشديد ، ان تلك الاسئلة بالذات هي التي توجه الى المختبر ، علما بأن رفضــه الاجابة عنها يفسر تفسيرا بالغ الاذى .

ما عليك لتحبط هذه الاتهامات في البيرة الا ان تجيب بشيء من الذكاء : طبعا ، احب ابي وامي كثيرا .. كلا ، لا اعاني من الامساك او الاسهال .. كلا ، لا اجد نفسي قبيحا بشكل خاص، ولا اجدني وسيما بشكل خاص .. كلا، لا اعاني من رغبة في الهرش ، الا عندما اهرش بعوضة .. كلا ، لا اجد في نفسي ميلا الى ممارســـة الشــذوذ الجنسي .

وهكذا تبدو « سويا » قدر الامكان ، تبدو انسانا وسطا ، عاديا ، مطابقا ، يماثل النمط الذي يتصــوره واضعو الاختبار للانسان السوي .

*

ما هي الاختبارات؟ يعطينا عالم النفس « انجي رايل » التعريف التــالي : « الاختبارات عبارة عن مجموعات نمطية من اسئلة موضوعة بحيث تستثير لدى الفرد استجابات قابلة للتســجيل ، استجابات متباينة الانواع من حيث درجة التعقد ، والحدة ، والمدى ، والشكل، والتعبير ، والمغزى . » فمتى تم تسجيل الاستجابات قيمت ، من خلال المقارنة الاحصائية باستجابات الآخرين الذين اجريت عليهم نفس التجربة . وبذلك « يكشف الاختبار في النهاية عن مدى اختلاف الفرد عن الآخرين ومن الكيفية التي يشذ أو يطابق بها داخل الزمرة بالنسبة لاستجابة ما ، أو عمليــة بعينها ، أو مهمة محددة »

واقصى ما تدعيه أو تطمح اليـه تلك الاختبارات هو ان تقيس وجها او وجوها بعينها من قدرة الفرد على الانتباه والتركيز مثلا ، أو قوة حافظته ، او قدرته على التصرف باتزان ، تحت ظروف ومتغيرات معينة . وبناء على ذلك فان الاختبارات لا تزودنا بأي مقياس مباشر يمكننا من تقييم متكامل للفرد وكاننا نزنه عقليــا ونفسيا .

نافلة القول الى ان اقصى ما يمكن ان نطمع فيه هو ان تعطينا الاختبارات درجة معينة من احتمال نجاح الفرد او فشله في هذا العمل او ذاك .

وتلك سمة معروفة من سمات العلوم الانسانية وادواتها ، مرجعهــا الذي الراسخ المتغيرات الداخلة في المشكلة. فحتى عندما يبدو انه من الممكن - استنادا الى نتائج الاختبار - الجزم بشيء من الفرد الذي تم اختباره ، يثور الشك فورا لانه قد يكون مستمدا من العوامل الوقتية قد زاوله من تأثير على تلك النتائج : كالحالة النفسية للمختبر وقت اجراء الاختبار، والهموم الوقتية، والقلق ، وما الى ذلك . كل هذه اشياء تتدخل في الصورة فتمنع القائم بالاختبار من أن يجزم بشيء .

اختبار المختبرين

هناك عنصر آخر من عناصر عدم اليقين يتعلق بوضع الاخصائي النفساني ذاته (القائم بالاختبار) في مواجهة الفرد الذى يجرى اختباره . فذلك الاخصائي يشكل ، دائما ، شريكا اجتماعيا للمختبر ، يثير في نفسه ، – بوصفه كذلك – مواقف ومشاعر متباينة .

وفوق ذلك فان الاخصائي ، مهما تمسك بالموضوعية والزم نفسه بالحياد تجاه المختبر ، ستكون له دائما طريقته الخاصة في معالجة موضوعه ، وسيتخذ، ولو بطريقة لا ارادية ، مواقف مختلفة طبعا لما يثيره في نفسه من استجابات الافراد الذين يجد نفسه مواجها بهم ليختبرهم .

ولقد اجريت في هذا المجال دراسات اثبتت ان جنس القائم بالاختبار ، وسنه ، وصوته ، ومستواه الاجتماعي، تلعب كلها دورا هاما في استجابات من يجلسون امامه ليختبرهم . ومن جانب آخر اثبت ب. روزنثال ان القائمين بالاختبار يبادلون المختبرات من النساء النظر بمقدار ١ر٢ مرة اكثر مما يفعلون مع المختبرين من الرجال !

والاهم من ذلك كله ما ثبت من ان ما قد يتوقعه الاخصائي النفساني مسبقا من نتائج يؤثر في معظم الاحيان على استجابات المختبر ، بحيث يثور شك قوى في ان سلوك القائم بالاختبار يوجه المختبر فعلا الى ما يحقق تلك النتائج . وهى ظاهرة ملموسة ومتكررة حتى في التجارب التى تجرى على الحيوانات !

*

يمكن تقسيم الاختبارات بصفة عامة الى نوعين : اختبارات الجدارة ، والاختبارات الشخصية ، في اختبارات الجدارة يمكن أن تحدد بطريقة موضوعية صواب الاجابة من خطئها . مثلا : لا كم حاصل ضرب «٧×٣» ؟ » او في اى تاريخ وقعت معركة كذا ؟ » تلك اسئلة لا يوجد لها الا جواب واحد صحيح . أما في اختبارات الشخصية فيستحيل فعلا تحديد الجواب الصحيح او حتى الجواب « السليم » . سؤال كهذا مثلا: « أيهما تفضل : ان تقضى الأمسية في اللهو مع اصدقائك ، ام في القراءة ! » كيف يستطيع المرء ان يفاضل بين جواب وآخر في شأنه ! فالمشكلة في اختبارات الشخصية انه لا يوجد جواب صحيح في ذاته او خاطيء في ذاته . فالامر مردود دائما الى معايير خارجية تماما (كالتكيف للبيئة مثلا ، او توفر روح الالفة الاجتماعية لدى الفرد ، واشياء من هذا القبيل) فاى صواب او خطأ في ذاته يمكن ان يكون في تفضيل المرء للعلوم الطبيعية على فن الصمار مثلا ؟ لا سبيل لذن الى تقييم تلك الضروب من التفضيل الشخصى الا بمدى اتفاقها مع ضروب التفضيل التى يفترض انها يجب أن



تتوافر فيمن يشغل وظيفة ما أو يشتغل بمهنة ما ، وذلك معيار خارجي ، والتراضي بحثه .

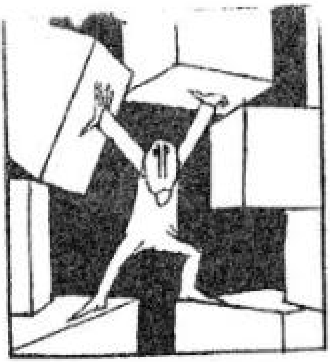
اختبارات الجدارة

ويمكن تقسيمها الى اختبارات القدرات واختبارات المعرفة . كما يمكن القول ـ بطريقة نظرية ان الاولى ترمي الى الكشف عن الاستعدادات الفطرية للافراد ، بينما تهدف الاخرى الى تحديد معارفهم المكتسبة . وتلك تفرقة لا مبرر لها في الواقع الا سهولة التصنيف ، لأن علماء النفس وعلماء الاجتماع يدركون تماما مدى الصعوبة الماثلة في محاولة التمييز بين ما هو فطري وما هو مكتسب ، من حيث أن كلا منهما يتفاعل مع الآخر ، ويؤثر فيه ، ويتأثر به .

ويمكننا أيضا أن نميز بين نوعين من اختبارات القدرات : تلك التي تدعى عادة باختبارات الذكاء ، والاخرى التي تعرف باختبارات الاستعدادات الخاصة . وكلها يمكن ان تكون شفهية أو تحريرية ، كما يمكن ان تكون يدوية (كتجميع المكعبات ، أو استكمال الاشكال ، وما الى ذلك .)

اختبارات الشخصية

ترمي تلك الاختبارات الى استكشاف العناصر الوجدانية للشخصية (الميول ، والتطلعات ، وضروب التفضيل الخاصة ، والطباع) . وهذه هي الاختبارات التي تواجه عالم النفس بأكبر قدر من المشكلات الفنية والاخلاقية . اما من الناحية الفنية ، فالتعقيد البالغ في العوامل التي تتناولها الدراسة وفي المعايير المستخدمة في التفسير يوشك ان يحد بصورة لا تنكر من الطابع العلمي لمنهج



الاختبارات كله . وأما من الناحية الاخلاقية ، فالاحترام الذي يجب ان تتحلى به المهنة لحرمة الحياة الخاصة يمكن أن يتعارض فعلا مع الاستكشاف العميق للشخصية . وأين هي الحدود التي تبدأ عندها أو تنتهي تلك الحياة الخاصة ؟ أو بعبارة أخرى ، ما هي الحدود التي يجب الا يتخطاها الاخصائي النفساني في استخدامه لمنهج الاختبارات في مجال الاختيار المهني واختيار العاملين فاذا تعداها اعتبر بحثه انتهاكا للحياة الخاصة غير مبرر اخلاقيا ؟

يجب علينا أن نميز بين ثلاثة انواع من اختبارات الشخصية : قوائم الاسئلة ـ والاختبارات الموضوعية ـ والاختبارات الاسقاطية .

تتألف قوائم الاسئلة من مجموعات من الاسئلة تقدم الى المختبر مكتوبة ، وترمي الى الكشف عن اهتماماته ، وحاجاته ، وآرائه ، ومشاعره ، واستجاباته المحتملة والطريقة التي يتصرف بها في ظل ظروف بعينها . وغالبا ما يطلب من المختبر أن تكون

اجابته مقصورة على « نعم » او « لا » حتى وان اضطر الى أن يترك سؤالا بغير جواب — شرط ان يكون ذلك فى اضيق الحدود . كما تقدم بعض قوائم الاسئلة عدة اجابات ممكنة على كل سؤال يجب على المختبر ان يختار من بينها الاجابة التى تلائمه .

والنقد الموجه الى طريقة قوائم الاسئلة يتركز فى القول بأنها تتناول الشخصية بطريقة سطحية : فهى ، من جانب ، تنتهى الى صورة للشخصية لا تخرج من كونها الصورة التى يراها المختبر لنفسه أو التى يريد أن يكون عليها ، لا الصورة الحقيقية التى هو عليها — وهى من جانب آخر ، تعتمد اعتمادا كليا على صراحة المختبر وصدقه ، مما يجعلها عرضة لاعيب المختبر ومحاولات التبرير من جانبه . وذلك نقد صائب الى حد كبير . ولكن حذار ! لا تدع تلك السهولة البادية تستهويك . فاذا ما وجدت نفسك ذات يوم مواجهـا باختبار كهذا وراودتك رغبة فى الغش والمغالطة فتذكر ان واضعى تلك الاختبارات ليسوا بكل تلك السذاجة ، لانهم يضعون فى كل اختبار من هذا النوع (قوائم الاسئلة) اسئلة يسمونها فى رطانة المهنة « سلم الاكاذيب » ، وهى اسئلة ظاهرها البراءة ، لكنها فخاخ مبثوثة تكشف لهم فورا عن ميلك الى المخادعة ، ومحاولتك الظهار تشبهك بالصورة التى تريد أن يراها الغير . والقاعدة فى تلك الاسئلة الكاشفة هى أن يسأل المختبر عن سلوكه فى حالات معينة يعترف السواد الاعظم من المختبرين (٩٥٪) ، حتى كانوا اسوياء صادقين ، بأنهم لا يلتزمون فيها سواء السبيل . مثلا : « اذا ما اتيحت لى الفرصة لدخول السينما خلسة دون أن ادفع ثمن التذكرة ، مع تأكدى الكامل من ان احدا لن يكتشف امرى ، فانى سأفعل دون تردد : صحيح — كاذب » فاذا ما كانت لديك نية الغش ، فحاذر من سلم الاكاذيب ، وحاول ان تغش بذكاء !

فوق ان هناك سلسلة كاملة من الاحتياطات الاخرى يتخذها واضعو قوائم الاسئلة للحد — قدر الاستطاعة — من الطابع السطحى بعض الشىء لهذا النوع من اختبارات الشخصية ، ومن احتمالات الغش والتعمية (الارادية او غير الارادية) من جانب من تجرى عليهم الاختبارات .

فاذا ما كثرت ، مثلا ، الاسئلة التى ترفض الاجابة عنها ، اعتبر ذلك محاولة للتعمية من جانبك ، والتظاهر بغير الواقع .

كما يجتهد واضعو الاختبارات ايضا فى التقليل ، قدر الاستطاعة ، مما يسمى فى رطانة المهنة « بالاجابات الواجهة » (وهى الاجابات التى تشير من ميل المختبر الى اعطاء ردود تبدو له مرغوبة فيها ، من وجهة النظر الاجتماعية او الشخصية) ، وذلك باستخدام منهج « زمرة الضبط » Control-Group : تطرح الاسئلة ، من جانب ، على مجموعة من المختبرين يتضح لديها بجلاء — قياسا الى معيار خارجى متحكم فيه — الميل المطلوب قياسه ، ثم تطرح نفس الاسئلة ، من جانب آخر على مجموعة اخرى عشوائية . ويستبقى واضعو الاختبار بعد ذلك ، كاسئلة دالة على وجود ذلك الميل المطلوب قياسه ، تلك الاسئلة التى يتضح فيها التباين بين الزمرتين بوجه خاص — وبهذه الطريقة يتاح لواضعى الاختبار أن يختاروا اسئلة تبدو قليلة الصلة بالميل الذى يجرى

اختبار ، وهي اسئلة لا يستطيع المختبر - تبعا لذلك - ان يلجأ الى الغش في الاجابة عنها .

كما توجد عدة وسائل اخرى تستخدم في تصويب النتائج تأخذ كلها في الحسبان ميلا ملموسا لدى كل الناس (غالبا ما يكون غير واع) الى المبالغة او الاختزال في اجاباتهم .

تتيح مقاييس صحة الاجابة هذه الكشف عن اشكال متعددة من السلوك غير السوي للمختبرين في مواجهة الاختبارات ، وبوجه خاص ما يعرف « بالردود العشوائية » (وهي ردود يمكن أن تعتبر في ظروف معينة كمحاولة للتعمية والتظاهر بغير الواقع) . وتقوم تلك المقاييس على اجابات يتعذر أن يجيب بها المختبرون ، سواء كانوا اسوياء أم غير اسوياء .

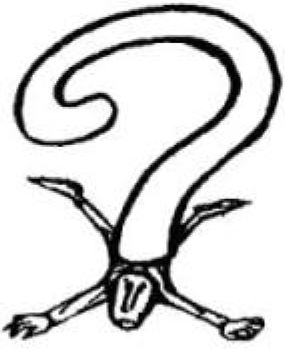
وهناك فوق ذلك وسيلة للكشف عن الردود العشوائية تقوم على حساب ما يسمى « بنقطة التخبط » : وذلك عن طريق توجيه نفس الاسئلة بصيغتين ، فاذا كان المختبر آخذا في الاجابة بطريقة منهومة ، متماسكة ، غير عشوائية ، كانت اجابته واحدة عن السؤال الواحد في صيغتيه . ويتسنى لواضعي الاختبار تحديد نقطة التخبط على اساس عدد الاجابات المتباينة عن الاسئلة المتطابقة .

اما الاختبارات الموضوعية فهي اختبارات اداء تتيح استخلاص نتائج محددة عن العوامل اللاعقلية لشخصية المختبر ، ومنها اختبارات المقاومة ، والسرعة ، والتحمل ، واختبارات « مستوى التطلع » (وتقوم على مقارنة الاداء الفعلي برأى المختبر في الاداء الذي قام به وذلك الذي سوف يقوم به) .

واما الاختبارات الاسقاطية فيعرفها لورانس فرانك (وهو اول من استخدم هذا الاصطلاح) بقوله : « الاختبار الاسقاطي منهج لدراسة الشخصية يواجه المختبر بموقف يجيب عنه تبعا للمعنى الذي يتراءى له في ذلك الموقف وتبعا لما يحسه ايضا اثناء اجابته » . والمناهج الاسقاطية بعامة تستثير المختبر الى « التعبير عن عالمه الشخصي » ، فهو ، في معرض استجابته لتنبيه لفظي او تصويري يسقط سماته الشخصية في اجاباته .

ونحن مدينون في الواقع لعالم النفس الكبير كارل جوستاف يونج باول اختبار اسقاطي : منهج التداعي المطلق الذي اخذه عنه فرويد . يذكر المحلل كلمة محركة امام مريضه الى ان يذكر كافة التداعيات التي تستحضرها تلك الكلمة في ذهنه ، وهي تداعيات تكشف عن سماته اللاواعية .

اشهر اختبارات الاسقاط بغير شك

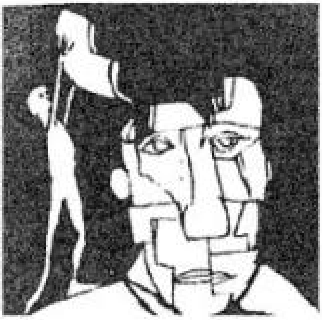


اختبار بقع الحبر المعروف باسم «Rovsc hach» ، وفيه تعرض على المختبر سلسلة مختلفة الاشكال من بقع الحبر ، وعليه بعد ذلك ان يذكر ما يتصور انه واجده من اشكال فى تلك البقع تمثل اناسا ، وحيوانات ، ومناظر طبيعية .. الخ .

ويوجد حاليا عدد كبير جدا من الاختبارات الاسقاطية يعتمد الفسير نتائجها فى معظم الاحيان على نظريات التحليل النفسى ، نذكر منها « اختبار الشجرة » حيث يطلب الى المختبر أن يرسم شجرة ، فيكون الشكل الذى يرسمها به ، ووجود الاوراق والجذور فى الرسم من عدمه ، والتشويهات التى تتراءى فى جذعها ، علامات تكشف عن الشخصية _ كما يوجد اختبار آخر يطلب فيه من المختبر ان يقوم بتكملة بعض الاشكال المرسومة ، وعن طريق تلك التكملة يكشف القائم بالاختبار عن الميول العدوانية او الماروكية (الارضاء الشبقى عن طريق العذاب) لدى المختبر ، واختبار ثالث ما زال يدور حوله جدل عنيف يدعى باختبار زوندى «Szondi» تعرض فيه على المختبر (او المريض) مجموعة كبيرة من صور المرضى بعقولهم ، والمجرمين ، ومدمنى الخمر والمخدرات ، ليختار عشرة من بينها ، باعتبار أن اختياره ذاك يكشف عن ميول بالغة العمق فى نفسه !

هل هذه الاختبارات من العلم فى شيء ؟

يكفى للدلالة على ما فى هذا النهج من أوجه القصور انه يتيح اساءة استخدام الاختبارات الى حد التعدى على حرية الفرد الداخلية ، على ادق



اسراره ومعتقداته ، على حياته الخاصة . حقيقة انه لو توفرت دائما الضمانات الكافية للاطمئنان الى ان تلك الاختبارات ستجرى دائما فى ظل افضل ظروف ممكنة تراعى فيها الموضوعية والامانة العلمية والتزام المبادىء الخلقية ، لما بات هناك مجال للتوجس منها . لكن الثابت فعلا انه نادرا ما تتوافر تلك الضمانات والظروف السليمة .

فمن الضرورى مثلا الا تجرى مثل هذه الاختبارات الا بمعرفة سيكولوجيين مؤهلين . لكن ذلك مستحيل عمليا متى استخدمت تلك الاختبارات على نطاق واسع فى مجالات الاختبار المهنى واختيار العاملين . والثابت عمليا على اية حال ان ندرة اولئك المتخصصين المؤهلين تجعل تلك الاختبارات مجالا يصول فيه ويجول غير المتخصصين .

(والشائعة على اية حال ان كثيرا من العلم ومناهجه عندما تعرف طريقها الى التطبيق العملى فى دنيا الاعمال ، تتجرد من كافة الضمانات الاخلاقية والدقة

العلمية » على نحو ما حدث فى استخدام مناهج علم النفس الاجتماعى فى « البحث العميق » فى دنيا الاعلان . فقد انقلبت تلك المناهج العلمية الى ادوات تحكم وسيلة لتحول الجماهير اشتريت بتلك الجماهير فى معظم الحالات الى مستوى القطيع الذى يساق سوقا الى شراء واستهلاك ما يريد المعلنون بيعه بصرف النظر عن مصلحة المستهلك (1) » .

وهكذا انقلب منهج الاختبارات ، وقد خرج من نطاق التجربة العلمية والعلاج الاكلينيكى بمعرفة اطباء متخصصين، الى الاستخدام الشائع فى سوق العمل ، الى اداة لاقتحام العقول وهتك اسرارها . ففى حالة العلاج الاكلينيكى يمكن للمريض ان يطمئن اطمئنانا كاملا الى الطبيب ونواياه . أما فى الاختبار المهنى فالامر ليس كذلك . بينما تلك الاختبارات، خاصة الاسقاطية منها ، لايمكن أن يجريها بطريقة علمية سليمة الا سيكولوجى متخصص .

وهو ما يحدونا الى التساؤل : بأى حق يسمح ارباب الاعمال لانفسهم بمحاولة التحكم ، بما يتجاوز كل مشروعية اخلاقية وتأهيل علمى ، فى حياة عمالهم الخاصة ، فى آرائهم السياسية، ومعتقداتهم الدينية ؟ هذه عينة من الاسئلة التى يجد طالب الاستخدام نفسه ملزما بالاجابة عنها :

— هل يحتاج المجتمع فى رأيك الى الطبقات الحاكمة والكوادر السياسية ؟

— من هم فى رأيك المتطلبون فى المجتمع ؟

— هل يزعجك أن يوجه جزء من التبرعات التى تجمعها الهيئات الدينية الى البحث العلمى ؟

— هل لديك احساس بأنك انسان لا يصلح لشىء ؟

— هل ترى أن يكون يوم العطلة الاسبوعية ذا طابع دينى أكثر ؟

— هل ترى أن يعطى الفرد كامل الحرية فى أن يعيش حياته الجنسية تبعا لمعتقداته الخاصة بدلا من أن يخضع فى ذلك للاخلاقيات التقليدية ؟

— هل من المعروف عنك :

أ — أنك عنيد ناشف الرأس ميال الى النقد ؟

ب — أنك من السهل العيش معك ، متفهم لمشكلات غيرك ؟

— هل ترى أنه من الخطأ أن نفترض أن التقدم يقتضى احداث تغييرات متطرفة فيما يخص النظام الرأسمالى ؟

— هل أنت مستعد للاجابة عن هذه الاسئلة بقدر ما تستطيع من الصدق والامانة ؟

من المفروض طبعا ان تشمل هذه الاختبارات ينصب الاهتمام فيها على ملامح الشخصية وان كافة ما تحتوى عليه من اسئلة لا غرض من ورائه الا ذلك . لكن أى ضمان هناك ؟ من ذا الذى يضمن المختبر — فى هذه الحقبة المضطربة سياسيا — الا تستغل اجاباته — أو ما تفسر به اجاباته — استغلالا مهلكا بالنسبة اليه ؟

ترجمة : شفيق مقار

(1) انظر فى ذلك تحليل فانس باكارد فى دراسته الكاشفة « الاقناع الخفى » .

بهزاد أشهر مصوري الإسلام..

قبيلة ايرانية ... القرن السادس عشر ... الجمعية الجغرافية المصرية



● عندما نشبت الحرب بين الشاه اسماعيل وتركيا عام ١٥١٤ خاف الشاه أن يقع المصور بهزاد والخطاط محمود النيسابوري في أيدي الأتراك واشتغل الشاه على مصيرهما فأخفاهما في أحد الكهوف خوفا على حياتهما ولما عاد من الحرب كانا أول من سأل عنهما واطمأن على حياتهما.

● وفي عام ١٥٢٢ عين الشاه المصور بهزاد أمينا لمكتبة الملكية ومشرفا على معهد فنون الكتاب.

● كان الخطاطون والمذهبون في ايران حتى أوائل القرن الخامس عشر لهم الكلمة الأولى في فن الكتاب فهم المتميزون على المصورين فبعد أن يفرغ الخطاط من كتابة المخطوط يترك فراغا محدودا للمصور يرسم فيه ولا يتعداه.. ولكن المصور بهزاد غير هذه الأوضاع فهو الذي يرسم الموضوع أولا في المساحة التي يريدها ثم يترك فراغا للخطاط من بعد.

● رسم الفنان بهزاد — أول ما رسـم — صورتين شخصيتين للسلطان حسين بيقرا ولمحمد خان شيباني ويقال ان هاتين الصورتين الشخصيتين تعدان الأوليين من نوعهما — في الإسلام — لأشخاص معينين بطابع وجوههم الخلقية وصفاتهم الجسمانية (بورتريه).

عبد الفتاح عيد



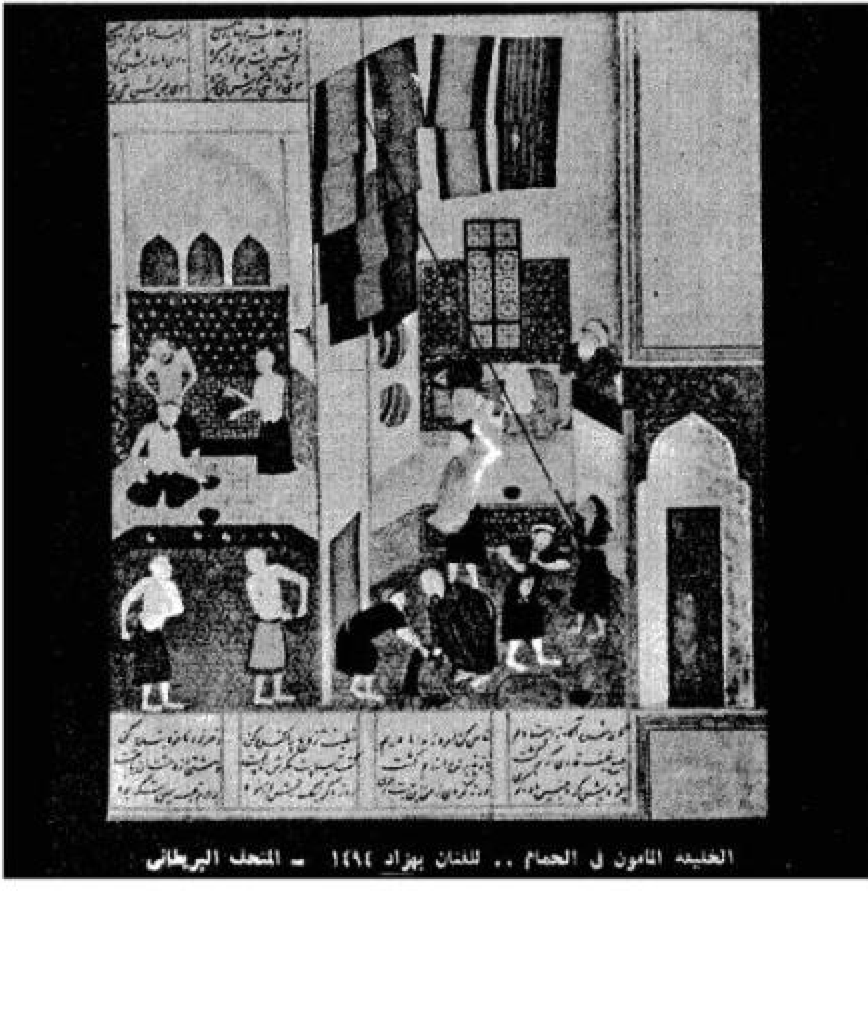
وبالرغم من ان التصوير كان مكروها فى صدر الاسلام لحماية المسلمين مما يدعو الى نسيان الخالق كما ان رجال الدين كانوا يعتقدون ان تجسيم المخلوقات الحية تقليد لله عز وجل .

غير ان ذلك لم يقف حائلا دون تقدم هذه الفنون فى بعض البلاد الاسلامية ذات التقاليد الفنية العريقة ايام الدولة الفاطمية وبعض الأسر الحاكمة فى ايران والهند وتركيا مما دعا الفنانين فى بعض الفترات الى الاتجاه الى الزخرفة فبرعوا فيها براعة كبيرة قد نراها ممثلة احسن تمثيل فى المصاحف والمساجد .

كذلك اتجه الفنانون الى الكتاب لتوضيح الموضوعات بالصور الملونة ولم تكن موضوعات هذه الكتب كلها عن العلوم والفنون الدنيوية بل كان فيها ايضا مخطوطات دينية عن السيرة النبوية كمخطوط جامع التواريخ للوزير رشيد الدين المولود عام ١٣٤٧ فى همدان وقد اصبح هذا الوزير المؤرخ الرسمى للبلاط فى عهد « الشاه غازان خان » وعصر السلطان الجايتو وجامع التواريخ جمع له رشيد الدين فى تبريز مجموعة من المصورين قاموا بتصوير الرسول عليه السلام منذ مولده وعند رفعه للحجر الاسود ليضعه فى جدار الكعبة ، والرسول عليه السلام وهو يتعبد فى غار حراء وهناك مخطوطات أخرى تناولت حياة الرسول الكريم مثل الآثار الباقية وروضة الصفا .

ومنذ القرن السادس عشر كثرت صور الرسول محمد عليه السلام وحول راسه هالة من النور أو بدون تفاصيل للوجه وفى القاهرة بعض هذه الصور موزعة بين دار الكتب المصرية ومكتبة كلية الآداب

بهـ أشهر مصوري



الخليفه المأمون في الحمام .. للفنان بهزاد ١٤٩٤ ـ المتحف البريطاني



مشهد غرامي للمصور محمود يوسف — ١٦٢٠ — نيويورك .

معركة حربية تنسب الى محمود موسافير ١٥٣٠ م





جامعة القاهرة ومجموعة شريف صبرى .

وهذا يدل على أن كراهية التصوير فى الاسلام لم تكن حائلا دون ازدهار فن التصوير على أيدي الايرانيين والهنود والاتراك .

● **ومدرسة بغداد** تعد من أقدم مدارس فن التصوير فى الاسلام حيث نشأت خلال القرن الثالث عشر وهى مدرسة عربية أخرجت مخطوطات مصورة تبحث فى الطب والجراحة والفلك والصيدلة وعلم النبات والحيوان والبيطرة وفى دار الكتب المصرية - فى القاهرة - « مخطوط فى البيطرة » يعد من أقدم المخطوطات الاسلامية المصورة . كما أخرجت مخطوطات هامة فى الحيل الميكانيكية ومقامات الحريرى وكليلة ودمنه

ومن أبرع المصورين الذين ذاع صيتهم فى هذه المدرسة ، وكان لهم فضل انشائها واعلاء شأنها **عبد الله بن الفضل ويحيى بن محمود الواسطى** .

● **أما المدرسة الايرانية المغولية** فنشأت بعد فتح المغول لايران والعراق . وبسقوط بغداد عام ١٢٥٨ وفد على بلاطهم فى بغداد وتبريز ومراغة وسلطانية جموع من الفنانين من الاقاليم التى فتحوها ، فأنتجوا فنا يميل الى الاساليب الصينية فى التصوير وهناك مخطوط ينسب الى العصر المغولى هو **منافع الحيوان لابن بختيشوع** من القرن الثالث عشر وفى هذه المدرسة امتزجت العناصر الفنية الصينية والايرانية ، ولكن التأثير الصينى كان واضحا فى رسوم الاشخاص ومحاكاة الطبيعة والسحب ورسوم الحيوان والنبات .

بهـ أشهر مصوري

● وفي عصر تيمور ومدرسة هراة في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر أخذت تزدهر المدرسة التيمورية ومدرسة هراة وكانت « مدينة سمرقند » أهم مراكز فن التصوير في ذلك الوقت وقد جمع فيها تيمور اشهر الفنانين وأصحاب الفنون الدقيقة في عام ١٣٧٠ تقريبا وبعد وفاة تيمور أصبحت هراة في عهد « ابنه شاه رخ » محط انظار أهل الفن والعلم ومن بعده « ابنه بيسنقر مرزا » الذي اسس مكتبة ومعهدا لفنون الكتاب وكان يعمل بهما اربعون فنانا بين مصور وخطاط ومذهب ومن احسن ما أخرج من الكتب المصورة في ذلك الوقت الشاهنامة للفردوسي كما اتجه مصورو البلاط الى تصوير كتب الشعر العاطفي والتصوف التي ألفها فطاحل الشعراء الايرانيين أمثال نظامي وسعدي فاخرجوا لنا المنظومات الخمس لنظامي ، والبستان لسعدي ، ويعد هذا العصر العصر الذهبي لفن التصوير الايراني حيث بدأ هذا الفن بداية جديدة فيها الروح الايرانية ففي الصور نجد الحدائق والزهور وآثار فصل الربيع وتدرج الالوان في الاشجار وفي الجبال وفي التلال التي تكسوها الحشائش والازهار ..

وفي ذلك الوقت بزغ نجم بهزاد .

● ولد كمال الدين بهزاد في مدينة هراة من أعمال خراسان حوالي عام ١٤٤٠ وكانت المدينة كما ذكرنا مركزا للفنون والعلوم من أيام شاه رخ بن تيمور ومن بعده بيسنقر مرزا فنشأ بهزاد نشأة فنية في رعاية السلطان حسين بيقرا ووزيره الشاعر الموسيقي ، المصور ميرعلي شير ، ويقال أنه تتلمذ على المصور

عاد قومنڭ هلاكنه قادرم سنڭ دشمنلرڭى داخى شويله هلاك

قيلورم ديدى ايندى رسول عليه السلام اول برسنى داخى ايلرو

وقندى ايندى سن نيه موكلسن ديدى اول فرشته داخى ايدى بكا

بن ذكر رسول اوستنه موكلم حق تعالى بيوردى انى يعسورن





من مخطوط عجائب المخلوقات - مدرسة بغداد - ١٢٨٨ - المكتبة الوطنية بباريس

من مخطوط السيرة النبوية - القرن السابع عشر (تصوير تركي) متحف طوبقابو سراي - استانبول



بير سيد احمد التبريزى والمصور الكبير ميرك نقاش وظل بهزاد فى هراة حتى وقعت المدينة فى يد السلطان اسمعيل الصفوى عام ١٥١٠ فانتقل معه الى تبريز حيث تالق نجمـــــه وبزغ فى التصوير ونال من الشرف والفخار فى خدمة الشـــاه اسماعيل ثم ابنه « طهماسب » ما لم ينله مصور آخر فى التاريخ الاسلامى .

ولقد تسابق الملوك والأمراء على كسب رضاء الفنان بهزاد عندما غطت شهرته على ما سبقه ومن عاصره ومن جاء بعده من المصورين ويقول المؤرخ الايرانى خواندمير « ان **مهارة بهزاد محت ذكرى سائر المصورين وان شعرة من فرشاته قد اكسبت الجماد حياة** » .

● كانت شهرة بهزاد الواسعة سببا فى تقليد اعماله وكتابة اسمه على صور لم يرسمها بل ربما رسمها تلاميذه من بعـــده وعمد البعض الى تقليد امضائه لرفع مستوى أعمالهم الفنيـــة ولبيعها على انها من عمل بهزاد

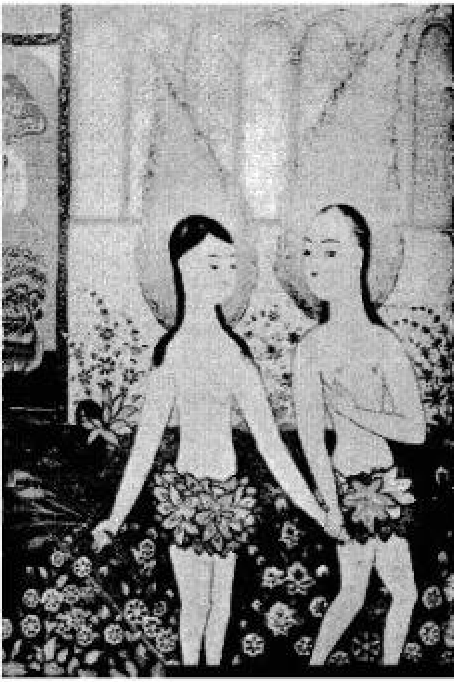
وفى دار الكتب المصرية مخطوط هندى من القرن الثامن عشر عليه توقيع بهزاد !! وقد تنبه لذلك الدكتـــور **توماس ارنولد** فى كتابه التصوير فى الاسلام وكذلك الدكتور **تشوكين** ، والدكتور **زكى محمد حسن** .

ولكن دار الكتب المصرية تفخر بمخطوط رائع من عمل بهزاد هو البستان « للشاعر الايرانى سعدى » وفى هذا المخطوط ست لوحات من رسم بهزاد ابدعها ، لوحة « للملك دارا » تمثله عندما

بهزاد أشهر مصوري

البناءون في قصر الخورنق
للمصور بهزاد - ١٤٩٤ -
المتحف البريطاني .









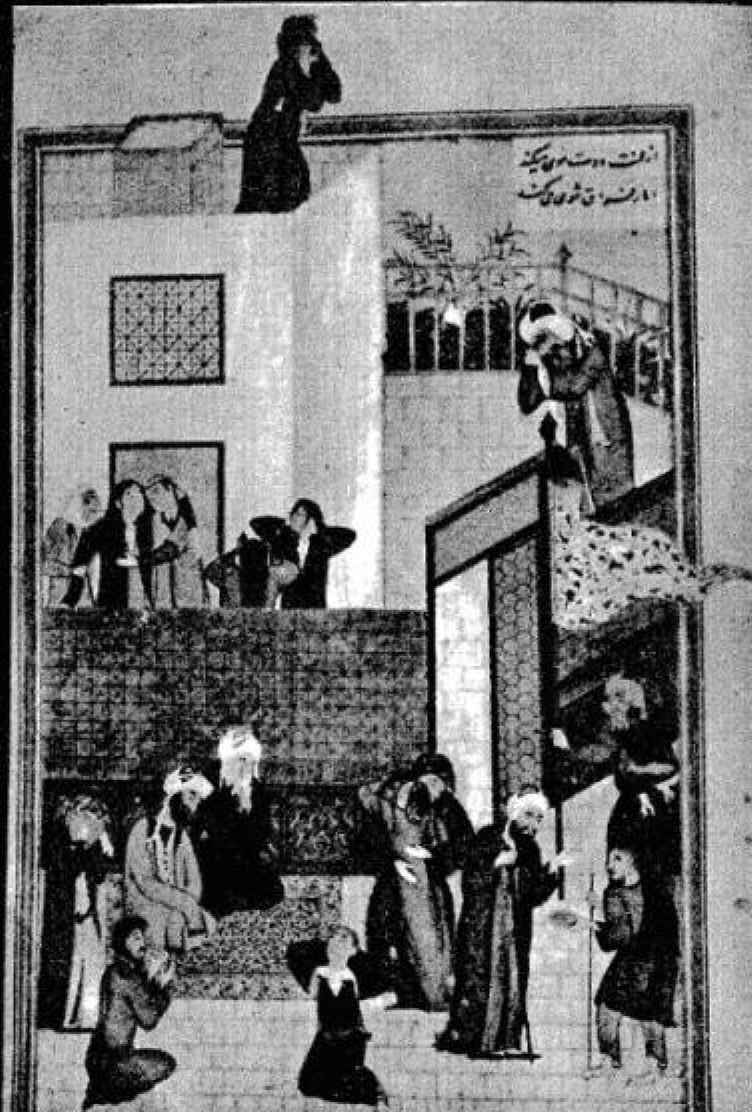
ضل طريقه بين الجبال ووجد نفسه امام احد رعاة الخيل وفي هذه الصورة تتجلى براعة بهزاد فى التصوير الواقعى للاشخاص والحيوانات ، وحسن تكوينه للموضوع اذ وضع الملك الى اليسار وباقي عناصر الصورة تحيط به وكأنه مركز اشعاع لها مما يثبت براعة بهزاد فى تكوين اللوحة

ومن روائع أعمال بهزاد ثلاث صور بمخطوط « خمسة نظامى » عام ١٤٤٢ موجودة حاليا بالمتحف البريطاني وست تصاوير في كتاب « ظفر نامه » عام ١٤٦٧ ومحفوظة بمجموعة روبرت جاريت في بلتيمور ، وصورة لبعض الدراويش في ديوان جامي •

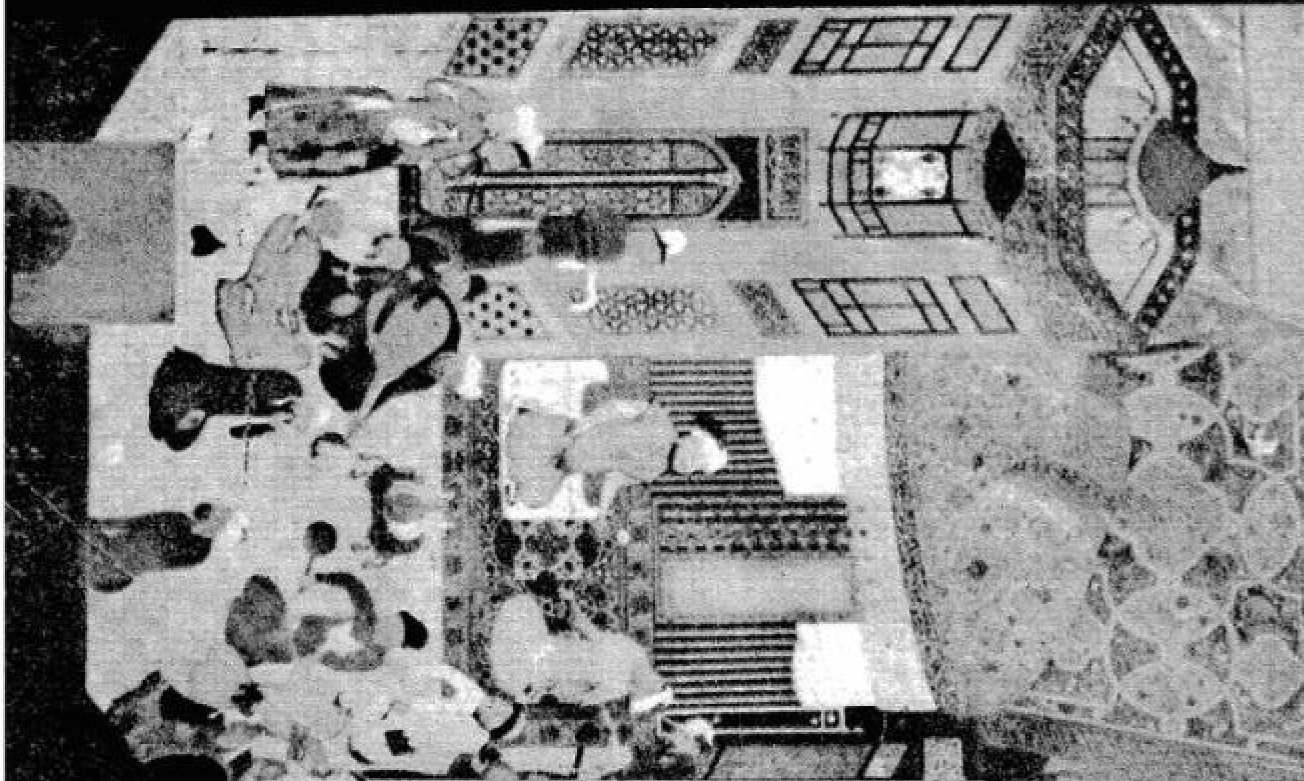
وفن بهزاد يمتاز عموما بالرقة والشاعرية والعناية الفائقة برسوم الأشخاص خصوصا لو علمنا ان حجم اللوحات (٢٠ × ٣٠ سم تقريبا) الا ان لكل شخص سماته الخاصة وتعبيراته النفسية حتى لو كان زنجيا مع تنوع الحركات والاهتمام بالنواحي المعمارية والزخرفية والمنظور ، واجادته للمناظر الطبيعية ، وان لوحاته تزخر بالحياة والواقعية ، اما الوانه فتمتاز ببراعة مزجها وتنوع درجات اللون الواحد ، فالاحمر : منه الوردى ، والقرمزى ، والطوبى ، والاحمر الغامق وكذلك اللون الاصفر والاخضر والازرق كل بدرجاته مع اجادة توزيع الالوان فى اللوحة بشكل مريح للنظر

● وبالرغم من قلة الصور التى وقعها بهزاد حاليا الا انه ترك تراثا عظيما كان له تأثير كبير على الاساليب الفنية للتصوير الايرانى فى عهد المدرسة التيمورية بل كان تأثيره أكثر وأبعد من ذلك على مدرسة بخارى ، والمدرسة الصفوية بعده بعشرات السنين

« الحزن على الميت » ـ المصور بهزاد ـ بمساعدة تلميذه صادق ـ المتحف البريطاني



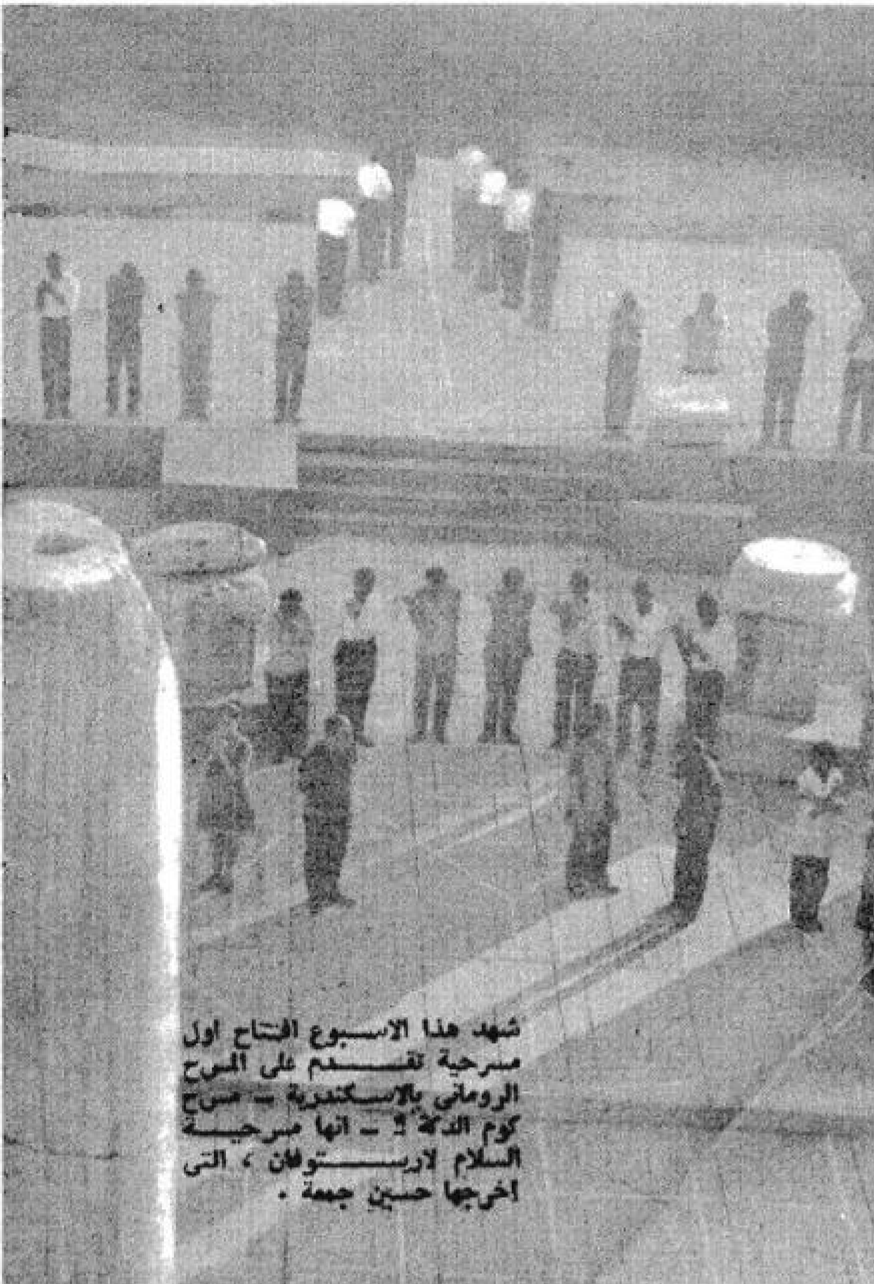
مجلس طرب للسلطان ميرزا ، للمصور بهزاد – ١٤٨٨ – من مخطوط بستان سعدى ، دار الكتب المصرية



المسرح

جزء خاص عن

- **هذا الأثر كان مسرحا..**
  ثم معبدا .. ثم دفنته المقابر
- **يوسف إدريس.. والكوميديا الشعبية**
- **المسرح التجريبي ..**
  من ستانيسلافسكي .. إلى اليوم
- **الخدامين والمخدمين ..**
  المسرحية الوحيدة التي كتبها أبو الزجل المصري محمد عثمان جلال.



شهد هذا الاسبوع افتتاح اول مسرحية تقدم على المسرح الروماني بالاسكندرية ـ مسرح كوم الدكة ! ـ انها مسرحية السلام لارستوفان ، التى اخرجها حسين جمعة .

اخر ماكان يخطر على البال ، ان يكتشف الاثريون فى هـــذا المــكان مسرحا .. واذا كان المسرح جزءا اصـــيلا من الحضارة اليونانية ، واذا كان الاغريق احفـــاد الاسكندر عاشوا فى مصر قرونا عديدة ، ورغم هذا لم يتركوا فى مصر مسرحا ، فهل يفعل هذا الرومان ، والمسرح عندهم عزل لتسلية القواد والقياصرة ؟!

بدأت الحفائر فى كوم الدكة باشراف الدكتور كازيمر ميخالوفسكى عضو البعثة البولندية التابعة لمركز الاثار فى وارسو ، والبلت الاتربة ، وبدأت علامات الاثار تتضح ، ثمة طبقتان فى كل منهما « جبانة» اسلامية ، جبانة عادية تضم رفات بشر عاديين ، كانت الاولى ترجع الى سبعة قرون مضت ، اما الثانية فكانت ترجع الى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ... وفى اقصى الشمال ، اكتشف المنقبـــون حمامات ، كان الحمام يحتوى على مجموعة من الصهاريج ، وكان عمر هذه الحمامات يشير الى انها تعود الى الفترة فيما بين القرن الثالث والقرن الســادس الميلادى .. كانت المفاجأة ان نظام هذه الحمامات لا يزال يحتفظ بتناسقه رغم الدمار الشديد الذى وقع فيه ، وكلما ارتفع التراب كلما ظهر الكشف الجديد ، ذلك المسرح الذى شيد فى القرن الثانى الميلادى ، بعد ظهـــور المسيح بمائتى عام ، بعد اختفاء الامبراطورية اليونانية ، وعندما استمرت الحفائر ،

هـــــذا الأثـــــر كـــــان

مسرحاً

ثم

معبداً

ثم دفنته

المقابر!





عايدة حسن اسماعيل وحسين جمعة ودردشة حول الاداء

اكتشف الاثريون ان تحت المسرح كانت القوم مبان قريبة لا يعرفون عنها شيئا ، وقد لا يعرف أحد عنها شيئا الى الابد ، ذلك أنها تقع تحت سطح البحر ، وقد غمرتها المياه تماما .

وعندما تم الكشف عن المسرح ، جاء الى مصر المهندس المعمارى البولندى « بوجيليتش كولتاى » ليعيد ترميم المسرح وكان معه مساعد آخر هو يانوش ماموتشكى ، وعندما اعيد الترميم ، وعاد المسرح بما تبقى من احجاره أقرب صورة لما كان ، لمعت الفكرة فى رأس مخرج مسرحى مجنون ، لولا جنونه هذا ، لما عادت الحياة الى المسرح بعد ثمانية عشر قرنا من الزمان ، بمسرحية يونانية قديمة . مسرحية اسمها « السلام » ، كتبها احد كتاب الدراما اليونانية القديمة حدة ، وهو اريستوفان .

اكتشف المسرح فى عام ١٩٦٠ ، وبدىء ترميمه فى عام ١٩٦٦ ، ووصل حسين جمعة الى الاسكندرية فى عام ١٩٦٧ ، ولعبت الفكرة برأسه ، كان يريد تقديم مسرحية « هيلينا » ليوريبيدس ، وكان هذا معناه الا يشاهد هذا المسرح ويتمتع به الا قلة من الناس ، لقد بنى هذا المسرح منذ قرون عديدة ليتفرج الشعب ، وكان المسرح اليونانى يخاطب الشعب ويتحاور مع الناس ، ومن هنا كان لابد



الأسيمى



بنايوتى

ان يتجه التفكير الى مؤلف مثل اريستوفان ، اشتهرت مسرحياته بالشتائم والسباب والالفاظ البذيئة والنقد الجارح ، وصاح حسين جمعة : السلام .

ومسرحية « السلام » تحكى حكاية مزارع بسيط ، فلاح اسمه « العناب » لانه كان يزرع العنب ، تحرك ضميره يوم لم يجد ما يطعم به بنتيه ، فقرر ان يركب « خنفسه » الى السماء ، الى دوس ـ « زيوس » ـ كبير الآلهة ، ان احدا لا يجسر على الصعود ولا تأتيه الشجاعة ، لكن هناك بين الخنفسه ودوس ثأر قديما لذلك قبلت الخنفسه بالمغامرة ، لتنتقم من كبير الآلهة ايضا .

كان آلهة اليونان قد « قرفوا » من اليونانيين ، انهم شعب مشاغب لا يكف عن الحرب رغم كل النصائح ، فتركوا اليها لاله الحرب يفعل بها ما يشاء ، وراح الاله يصعر ويعمر ، واستطاع ان يسجن الهة السلام فى جب غطاه بالاحجار وما ان يصعد العناب الى السماء حتى تبدأ مغامرته مع الآلهة حتى ينتصر ، ويحرر آلهة السلام من سجنها ، ويعود بها الى شعبه .

والذى ترجم مسرحية السلام : كل من انوار الخياط والدكتور على نور ، الاستاذ بجامعة اثينا ، والمتخصص فى اليونانيات ، لذلك فلقد ترجمت المسرحية الى العامية المصرية .

استطاع حسين جمعه بحماسه ان يحرك الاوراق والاشياء وان يبدأ فى التنفيذ فعلا ، وكان لابد ان تسهم اليونان فى هذا العرض ، فارسلت الخبير « بنايوتى كارماجوس » ليكون مساعدا للمخرج المصرى حسين جمعه لتشرف مطابقة الترجمة على الاصل ، ولقد ولد بنايوتى فى مصر وكان زميلا للدكتور على نور فى احدى مدارسها بالاسكندرية .

وكان العمل امام عيوننا طوال الشهر الماضى قائما على قدم وساق ، دبت الحياة فى المسرح الرومانى ، وارسلت اليونان نماذج مسجلة من موسيقى الاغريق القديمة وعهد الى منير الاسيمى خريج الكونسرفتوار بوضع موسيقى المسرحية ، كما قام الفنان سيف والى بتصميم ملابس المسرحية وكان قرار حسين الا يستعين بممثلين من القاهرة ، ان مثل هذا العمل لابد ان يخرج للناس اكاديميا ، وهذا يحتاج الى درجة كبيرة من الجهد ، من الاتقان ، واهم من ذلك ، من التفرغ .

واسند كل ادوار المسرحية الى ممثلين سكندريين : عايدة حسن اسماعيل ومدحت مرسى ـ الذى يقوم بدور العناب ـ وسالى احمد ومحمد بدوى ومدحت عاشور وفؤاد الليجى ومحمد بدوى ومحمد الشيرازى وسامية سويعه ويوسف سليب .

● ●

حتما يصدر هذا العدد من الهلال ، تكون المسرحية قد افتتحت منذ خمسة ايام ، هكذا كان التاريخ المحدد للافتتاح منذ اسبوعين .

« ص ● م »

يوسف إدريس والكوميديا الشعبية

د. علي الراعي





طمح يوسف ادريس الى أن يخلق مسرحا مصريا لا مسرحيات مصرية ، فكتب « الفرافير عام ١٩٦٣ » وقصد بها أن تتناول حياتنا بالأسلوب المسرحي الشعبي ، مطورا الى المستوى الفوقي والجمالي ، والمفهومات الفنية والعالمية . » (١)

ولقد وجد يوسف ادريس التجربة شاقة حقا . فلا المخرجون الذين كان يطمع في أن يستجيبوا له ويقوموا بتحسينهم في خلق حالة التمسرح مؤهلون لهذا العمل الصعب ، ولا الممثلون مقتنعون بفتح الفرص البلاد - أي الممثلين - في صالة المسرح بهدف أن تتحول الصالة الى مؤتمر عام تسيطر على الخشبة العطلية ، بينما تتحول الشخصيات المسرحية الأصلية الواقفون على الخشبة الى متفرجين .

لهذا قنع يوسف ادريس بحل وسط وهو أن « يمثل » نظريته في المسرح ، بدلا من أن « يحققها » ، وقال وشيء من الأسى يخالط كلماته : لا تزال نظرية التمسرح نظرية جديدة ، في مطروقة ، في انتظار مخرج آخر يدركها ، ويحسها ويقدمها » (٢)

(١) ، (٢) مقدمة المسرحية الفرافير ...

يوسف إدريس والكوميديا الشعبية



وقد كانت ظاهرة التمسرح هذه هي جوهر النظرة الجديدة التي سعى يوسف ادريس الى اعمالها على الخلق المسرحي في بلادنا .

وهي نظرة تنبه الى ان المسرح ظاهرة معدية — كما كان يقول انتونين ارتو — ما ان يتعرض لها المتفرج ، حتى ينتقل اثرها اليه من الخشبة ، فيصبح المتفرج في لحظة ما من لحظات العرض المسرحي هو والممثل سواء ، وينهار الحاجز بين الخشبة والصالة ، وبين الاداء والفرجة ، وتضم الكل وحدة فنية واحدة ، الكل فيها مؤد ومتفرج : والواقع فيها هو التمثيل ، والتمثيل هو الواقع .

وقد وجد يوسف ادريس لدى التجربة — كما وجد غيره من الفنانين من قبل — في امريكا واوروبا (١) ، ومن بعده في سوريا (٢) ، ان الاعتماد على مشاركة فعلية من الجمهور في العرض المسرحي ، امر لايتأتى الان ، وانه لابد من الانتظار حتى يتغير المناخ المسرحي كله ، ويتحول من الاعتماد التام على الكلمة المكتوبة — بحرص وعناية — من قبل مؤلفه معروف لا يقبل التنازل عنها أو تغييرها — اى الخالق الفرد — الى الاعتماد على مشاركة حقيقية بين المؤلف والمخرج والممثلين بعد أن يتحول هؤلاء جميعا الى طريق الخلق الجماعي .

فلو حدث هذا ، ونقل المؤلفون الجماعيون هؤلاء نظرتهم الى المتفرجين ، وطلبوا اليهم أن يضيفوا جهد الصالة في الخلق الى جهد الخشبة ؛ فسينشأ — على الدى — متفرجون خالقون ، لا يقتصرون بالاستقبال ، بل يضيفون اليه الارسال ايضا ، وتصبح الحركة من الصالة الى الخشبة مرادفة للحركة من الخشبة الى الصالة ، لا تستغني احداهما عن الاخرى بحال .

* * *

غير ان هذا الفشل في تحقيق النظرية ، لم يحل ابدا بين يوسف ادريس وبين انجاز ما طمح اليه من كتابة مسرحية مصرية أصيلة تعتمد الاسلوب المسرحي الشعبي ، وترقى به الى مستوى الجماليات المعترف بها عالميا ، وتضع في هذا الشكل الشعبي اكثر الموضوعات جدية ، واجدرها بالمناقشة .

فقد جعل يوسف موضوعه الاساسي

---

(١) اقصاري ما استطاع هؤلاء أن يحققوه ، هو دعوة المتفرجين الى اعتلاء الخشبة والقيام باداء من نوع ما — الرقص غالبا — وذلك بعد انتهاء العرض المسرحي . يتم هذا في وجود الممثلين احيانا اذ يتنحى هؤلاء جانبا من الخشبة ، ويقنعون بدور المتفرجين ، أو يغادرون الخشبة نهائيا ، ويتركونها للمتفرجين خالصة . وان كانوا في بعض الاحيان يشاركون المتفرجين الرقص الذى يختتم العرض ، والذى يقتحمه المتفرجون بعد ان تكون حالة « التمسرح » قد انتابتهم .

(٢) شكا سعدالله ونوس من ان الحوار بين الخشبة والصالة ما زال صعبا . ليس فقط لان التقاليد المسرحية تحول دون قيامه ، بل لان طبيعة المتفرجين ونوازعهم الداخلية تمنعهم من التعبير عن انفسهم بالمشاركة في العرض . راجع مقدمته لمسرحية : « مغامرة راس المملوك جابر » مجلة المعرفة السورية — نوفمبر ١٩٧٠ .



في المسرحية : كيف ينبغي ان يحكم الناس انفسهم ، وكيف تكون العلاقات بين الافراد ، والجماعات والدول ، ثم لم يقتنع بهذا ، بل انتقل بموضوعه الخطير هذا الى العالم الاخر ، ليرى كيف تكون العلاقات بين الذوات .

وفي سبيل عرض هذا الموضوع الخطير توسل الكاتب بوسائل تنتمي التعمام اصيلا الى تقاليد وتراث الكوميديا الشعبية في مصر والعالم . بل ان مواقف بعينها من كوميديا الفرافير موجودة في جوهرها وبعض تفاصيلها في فصول الكوميديا المرتجلة المصرية ، كما سنتبين حالا .

وقد عرف يوسف ادريس كيف يفيد الافادة الواجبة من هذه المواقف ، ومن الحيل والالاعيب والنكات التي ترد خلالها كي يضمن لمسرحيته ذلك المزاج السحري بين الجدية والنزق الاثيري ، الذي يميز عمل الفنانين العظام في ميدان التهريج .

واول ما فعله الكاتب في هذا المضمار هو خلقه لشخصية الفرفور في المسرحية فقد استعار رداءه من رداء البهلوانات والاراجوزات ومهرجي السيرك ، وجعل خفة اللسان وخفة الحركة ميزة كبرى من مميزاته . ووضع في يده المقابل الطبيعي لطول لسانه ، وهو القرعة ، ثم جعل الافكار والاراء والنكات والشتائم تتوالى من فمه دون انقطاع ، واعفاه من وطأة الموقف الثابت ، فهو يتقلب — مستريحا — بين المواقف جميعا ، على شدة تضاربها احيانا ، مؤمنا بمبدأ واحد فقط ، وهو ان لا شيء مقدس في الحياة سوى الحياة ذاتها ، وما ينبغي ان يكون فيها من متع .. متع الحس اساسا .

والفرفور لهذا ضعيف امام اطايب الطعام ، وضعيف كذلك امام المرأة . وهو يشارك مهرجي الكوميديا دي لارتي والكوميديا الشعبية عامة رغبتهم العارمة في تذوق هذين الصنفين الشهيين ، لا يشبع منهما ابدا .

ومشاركة لمهرجي الكوميديا الشعبية، يدخل الفرفور وفي اعقابه مباشرة ضجة وزيطة هي دائما نوع من اللحن المميز ، يعلن عن القادم المختار ، ويلفت اليه النظر .

ثم تنظر فاذا يوسف ادريس لا يترك الفرفور وحده طويلا ، فلا بد للفرفور من سيد . هذا هو منطق موضوع المسرحية ، وهو ايضا منطق الوان بعينها من الكوميديا الشعبية ، مثل الكوميديا دي لارتي ، ومثل خيال الظل التركي ، وكلاهما يعتمد على ثنائي تكاملي مكون من سيد وخادم في حالة الكوميديا الايطالية ، وصديق وصديقة يتفاوتان في الطباع والذكاء تفاوتا تنبع منه الفكاهة، في حالة خيال الظل التركي .

وما أن يدخل السيد المسرحية ، حتى يتحول الفرفور من اراجوز مصري خالص، الى خادم طويل اللسان ، كثير الذكاء ، واسع الحيلة عرفته الكوميديا المصرية في بعض المسرحيات التي اقتبسها او مصرها كتاب من امثال يعقوب صنوع ومحمد عثمان جلال ، وان كان اشد اشكال هذا الخادم بروزا هو ما نجده في فصول الكوميديا المرتجلة المصرية التي ادخلها الى بلادنا جورج دخول في اوائل القرن ، والتي تأثرت تأثرا واضحا بالكوميديا الايطالية وبفن القراقوز .

ثم يزوج يوسف ادريس الخادم وسيده من زوجتين ، كل تليق برجلها . أما السيد فيكون من نصيبه سيدة مصرية جدا ، لامن بالعلاقات الجنسية

المفتوحة ، فهى دالبسة الحركة من مستشفيات الولادة واليها تخلصا من جنين بعد جنين .

وهى متعلمة ، ومشتغلة لثقافة مصرية . نصف « خواجاية » فى الرائع ، وبهذا تقترب بخطوات واضحة من شخصية السالحة الأجنبية التى عرفتها الكوميديا الشعبية المصرية فى مسرحيات الريحانى والكسار، كما ترتبطهذه المصرية«الحرة» بشخصية الزوجة المخادعة ، الدائمة المغامرات الغرامية والحسية ، والتى تنزلها الكوميديا الايطالية باسماء مختلفة .

اما زوجة فرفور ، فان الكوميديا الشعبية المصرية تعرفها باسم « الحرمة الشلق » ، وهى امصار لا ينقطع هبوبه من السباب ، والالفاظ اللاذعة . وهى ان كانت زوجة ركبت زوجها ، واريته النجوم فى عز الظهر ، وان كانت حماة لم تكف ابدا من اثارة الشقاق بين ابنتها وبين زوجها . وقد ظهرت « الحرمة الشلق » هذه مرارا فى فصول الكوميديا المرتجلة ، ومنها انتقلت الى مسرحيات الريحانى والكسار ، باسماء مختلفة ، اشهرها : ام شولح ، فى مسرحيات الريحانى ، حيث تقوم بدور حماة كشكش بك عمدة كفر البلاص .

* * *

يدخل فرفور المسرح دخول مهسرج السيرك التقليدى – يدخل – فى كلمات المؤلف – كزوبعة ، يدور فى دائرة المسرح ويحدث هرجا ومرجاً بين الصفوف الاولى ليجبرها على التراجع وتوسيع الدائرة . يضرب البعض بمقرعته ، ثم يعد هذه المقرعة ذاتها ليضرب المؤلف فى المرحية ، الذى كان قبل دخوله يتشدق بكلمات رنانة ، يصف بها خلقته للفرفور .

وفى المشهد القصير الذى يدور فيه الحوار بين المؤلف وفرفور ، نجد انفسنا فى جو السيرك فعلا . المؤلف فى ردائه الغريب ، الذى الفه لنفسه : جاكيت سموكنج بالقميص والبابيون ، ونظارة تكسبه مهابة ، ثم شورت قصير جدا يكشف عن ساقين طويلتين رفيعتين ، يحاول جاهدا أن يمنع فرفور من الدخول قبل أن يتم المؤلف كلمته الموجهة الى المتفرجين ، بينما الموسيقى (الزمار البلدى او الآلات النحاسية) تعترضه المرة بعد المرة .

واخيرا يدخل فرفور فيقدم مع المؤلف نمرة واضحة من نمر تهريج السيرك ، يتناول فيها فرفور المؤلف ورداءه العجيب بالتعليق الساخر ، ثم يدخلان فى عملية مضحكة هى البحث عن سيد مناسب لفرفور ، واخيرا يجد المؤلف هذا السيد :

فرفور : دا هه .. ؟ (ينظر اليه باشمئناط ويدور حوله ويرفع جاكتته ويدق على صدره باصبعه وكأنه يدق ويمتحن لوحا من الخشب فيرن صفحن: الرجل ..) ايه ياخويا ده .. دا ماله كده .. ؟ (يدق على صدره فيصدن نفس الرنين) دا باينه جاى م التخشيبة لتو .. (يضع يده فى جيب الرجل ويفتشها فيخرج بها مسكة بنصف رغيف بلدى ناشف) الله . الله . (ويضع يده فى الجيب الاخر فيخرج بربع رغيف فينو جاف ايضا . ويمد يده فى جيوب بنطلونه وبين ثنيات سترته ويفتشه كله حتى يخرج كل ما معه من

والكوميديا

يوسف إدريس

الشعبية

د.



قطع خبز من مختلف الانواع والاشكال)
الت بتشتغل ايه ياعم اومي تكون
ملتش تموين (ياكل قطعة خبز ولا يلبث
ان يبصقها بعيدا) انطسع دراعي ان
العيش ده ماكل قبل كده . ومالهخايف
كده ليه ؟ (الرجل ينظر اليه برعب
متزايد) ماتتقل شوية ياواد . (ويضربه
على جانبه الايمن ، فينثنى الرجل الى
اليسار . فيضربه فرفور على الجانب
الاخر فينثنى الرجل الى الناحيـــة
اليمنى .) دا انت ســـيد ملبط قوى
يا وله . (ويضربه من امام ومن خلف
وعلى كل جانب والرجل ينثنى كاللولب)

* * *

لم يجد فرفور من بعد سيدا يرضاه .
وفي هـــذه المرة نجد انفسنا في مسرح
الاراجوز . السيد نائم ، يغط في نومه
ـ وفرفور ـ كالاراجوز ـ يمثل راسه ؛
فلا يلبث أن يستقظ ويعود الســـيد
للتمطيط :

فرفور : هو من اولها كده شخير ؟
ياعم اصحى . الله . حدش معـــاه
فاكوش ؟ ماتقوم بقى . دهدى (ويضرب
بالقرعة على راسه .)

وهنا يهب الســيد لوما ، ويجرى بينه
وبين فرفور مشهد من مشاهد الكوميديا



الاراجوزية المألوفة ، بما فيها من تطويل
ولعب بالالفاظ ، وتفاد صبر من جانب
الاراجوز ، لا يلبث أن يعبر عنه التعبير
المعتاد : بالقرعة .

السيد : (مفزوعا) هب . هي .
هم . أخ . ايه ؟ مين ؟ فين ؟ احنـا
فين ؟

فرفور : حد عارف احنا فين ؟ (ينظر
الى الجمهور) الا احنا فين صحيح ؟
السيد : مين انت ؟

فرفور : امال يعنى كريستين كيلر ؟
السيد : الله يجازيك .. ده أنت
قطعت على حتة حلم ..

فرفور : حلم ايه بقى انشا الله ؟
السيد : (في لهجة حالمة) كنت بحلم
خير اللهم اجعله خير ..
فرفور : ايوه . كنت بتحلم بايه ؟
لازم كنت بتحلم انك نايم .

السيد : (بنفس اللهجة) لا ، لا ،
لا . كنت بحلم انى بحلم .
فرفور : وكنت بتحلم انك بتحلم بايه ؟
السيد : كنت بحلم انى بحلم انى
بحلم .

فرفور : وفي المرة الاخيرة قوى دي ،
بحلم الاخيرة دى ، كنت بتحلم بايه ؟
السيد : انى بحلم .
فرفور : (وقد نفد صبره) وكنت
بتحلم انك بتحلم انك بتحلم انك بتحلم
انك بتحلم بايه ؟

السيد : كنت بحلم انى بحـــلم انى
بحلم انى بحلم انى بحلم .
فرفور : اما حتة حلم . لا . انشا
الله خير . تعرف تفسيره ايه ده يا سيدنا؟

السيد : تفسيره ايه ؟
فرفور : انك لســه نايم ، وانك مش
حتصحى الا اما واحد زيي كده يصحى
على ان تفسه ان تفسه كده بديك حتة
دين علقة .

(وينهال عليه ضربا والسيد يحتج)

* * *

وما ان تتدخل القرعة في العلاقة بين
فرفور وسيده الجديد ، حتى تتحول
الكوميديا بوحا وشـــكلا من كوميـــديا

يوسف ادريس والكوميديا الشعبية



اراجوزية ، الى كوميديا خيال الظل التركي وكوميديا الفصول المرتجلة ، حيث

العلاقة بين السيد وتابعه كثيرا ما تعتريها هذه السمات الخشنة التي تتخذ وسيلة

لاستدرار الضحك : من«ضرب» و«مقالب» ومآزق تكاد تزهق الانفاس :

السيد : طيب ما معكش سيجارة على كده يا وله يا فرفور ؟ اصلى خرمان م الصبح .

فرفور : وايه اللي مانعك انك تشرب ما دام خرمان ؟

السيد : وايه بقى يا حدق اللي بيمنع الناس تشرب سجاير لما تكون خرمانه ؟

فرفور : لازم الكحة .

السيد : ايوه . ما معكش سيجارة بقى ؟

فرفور : معايا .

السيد : طب هات سيجارة

فرفور : طب هات انا اجيبها .

السيد : تجيبها منين ؟

فرفور : م الدكان .

السيد : ما انت بتقول معاك .

فرفور : ما هي معايا في الدكان . بس عايز لها بريزه والله حاجة اجيبها

. . . .

السيد : والله ما معايا يا فرفور

فرفور : طب طلع لسانك كده .

السيد : اهه (يخرج لسانه) .

فرفور : اهو ان كنت كدبت مش ح يخش تاني .

وفعلا ، لا يدخل لسان السيد فمه حتى يضطر الى الاعتراف - بعد ثلاث محاولات لاستعطاف فرفور - بأنه يملك ... ثلاثة انصاف القرش !

هنا يجتمع في مشهد واحد القلب المملي ، الذي يوحي بجو الحاوي ومهرج السيرك وساحره ايضا ، وبين فلسفة الموقف المقلوب رأسا على عقب : السيد تحت رحمة الخادم ، الذي يكشف عجزه وفقره وينتقم للمتفرجين - في شخصه - من كل سيد متعجرف على القافي !

● ● ●

ويستكمل يوسف ادريس سمات الكوميديا الشعبية ، ليضفي على مهرجه صفة اخرى من صفات مهرجي السيرك ، فهو يستطيع الكلام من بطنه ، وهو يعيش في الخيال ببساطة ، ويخرج منه الى الواقع دون عناء . يطلب اليه السيد ان يفتح الباب لتدخل منه السيدة ، صاحبة الدور ، فيذهب الى باب وهمي ، ويمسك « باكرة » وهمية وهو يصيح ، كما يصيح الحاوي :

فرفور : كلم وستكلم وبلم .. زيق انفتح الباب .

كذلك يستخدم الكاتب تقليدا من تقاليد الكوميديا الشعبية ، يقضي باسناد ادوار النساء الى الرجال ، فيتمس

●

النهار الحاجز بين الخشبة والصالة .. والكل وحدة فنية واحدة . .





يوسف ادريس على أن يقوم بدور زوجة فرفور ـ الزوجة الشلق ـ رجل طويل ورفيع كشفيق نور الدين .

لم يفد من العراك الشعبي المعروف باسم الردح ، فيدير معركة طريفة بين الراقصة الشعبية صاحبة الدور وبين الزوجة المرشحة للسيد ـ المثقفة العصرية التي تقدم ذكرها ـ اذ تتنافس المرأتان على من منهما تظفر بالسيد وهو عراك لا تلبث زوجة فرفور أن تتدخل فيه ، فيصيبها من لسان فرفور تيار متصل من النقد اللاذع ، يجعل المشهد مزيجا من الردح والقافية معا ، علاوة على مايتخلله من طراد تكاهى بين زوجة فرفور وبين هذا الاخير ، التي فيه الزوجة القبض القاء على زوجها وألحقته بممتلكاتها ، رغم استنجاده بالبوليس ، ورجال الصحة والبلدية وال د. د. ت !

ولا يهمل يوسف ادريس سمات أخرى من سمات الكوميديا الشعبية مثل . توجه الممثل بالخطاب المباشر الى الجمهور ، ومثل . نزوع المهرج الى التعبير عن نفسه وعواطفه بالحركات الصامتة ، ومثل . اللجوء الى ما يسمى بالنمر ، وهي حركات بهلوانية محسوبة بدقة ، يقوم بها الممثل في مواقف معينة كي يستخرج الضحك مما تؤدي اليه هذه الحركات من مآزق .

هذا هو السيد والفرفور قد اتفقا على أن يقوم كل منهما بالعمل ، بدلا من أن يتعطل السيد ويعمل الفرفور .

الفرافير .. أحسن محاولة للاقتراب من تقاليد الكوميديا الشعبية ..



فرفور : ... يالله ظهرى فى ظهرك وناسك فى ايدك وناسى فى ايدى . وتوكلنا على الله .

(ويرفعان قاسيهما فيصطدمان)

السيد : احنا موش اتفقنا . ماحدش له كلمة على التانى ؟ كل واحد سيد نفسه .م اشتغل بقى يا سيد نفسك .

يبدآن فى العمل . فرفور يترك القاس ويهم بالحديث ولكن نظرة سيده تعيده الى العمل . السيد يتوقف فينظر له فرفور بحدة وانهام فيشير له بانه يريد ان يهرش مكانا فى ظهره . يحاول فلا يستطيع . يطلب من فرفور . يرفض فرفور بشدة . فينتهز السيد فرصة تلاقى ظهريهما اثناء الاشتغال ويحك ظهره فى ظهر فرفور . فرفور يتضايق من تكرار العملية ، فينحنى مرة ولا يشتغل ، بينما السيد قد وقف واشتغل ودفع نفسه الى الوراء ليحك ظهره بظهر فرفور فيقع على ظهر فرفور الذى يشتغل به وينتظر ان يغادر ظهره بعد ما وقف ولكنه يظل ملتصقا به فينحنى فرفور ليحفر ويظل السيد لاصقا بظهره .

يقف فرفور ويبدأ فى الانحناء وحين يجد الاخر لا يزال لاصقا بظهره يعود الى الوقوف ثم يدفع السيد الى الامام ليجبره على الانحناء بسرعة . وبخفة يشتغل تاركا السيد منحنيا . ينحنى هو الاخر ويظل منتظرا ان يشتغل السيد . ويظل السيد منتظرا ان يشتغل فرفور . فرفور ينتهز الفرصة مرة ويشتغل بسرعة فيشتغل هو الاخر . ولكن فرفور يكون قد عاد الى الانحناء .)

* * *

والى جوار هذا كله يستعير يوسف ادريس موقفا بذاته من مواقف الكوميديا المرتجلة ــ موقف تبادل المواقف بين السيد والخادم ، اذ يوافق السيد ــ بعد نقاش مع خادمه ــ على أن يقوم بدور الخادم ، بينما يقوم الخادم بدور السيد ، وذلك فى أحد الفصول التى كان الفنان الشعبى محمد المغربى يؤديها فى أوائل العقد الثانى من هذا القرن .

هذا هو المشهد عند محمد المغربى ، والافندى فيه هو السيد ، وكامل هو الخادم ، أو فرفور .

الافندى : ياولد يا ابن الحرام رق صوتك شوية .

كامل : نعم . نعم . نعوم . نعيم . نعيمر . أمى دى البضاعة اللى عندى .

الافندى : عجبتنى واحدة منهم .

كامل : تمرتها كام ؟

الافندى : هى « نعم » لها نمرة يا كامل ؟ عدها تانى .

كامل : نامم (صوت حريمى)

الافندى : صوت ايه ده ياواد ؟

كامل : صوت امك .

الافندى : آه يا ابن الحرام . انت مش عارف تتكلم . اجلس هنا ع الكرسى وانا اوريك المناداة .

(كامل يلبس طربوشه للافندى ، ويلبس هو طربوش الافندى ويأخذ من يده الجرنال ، ثم يجلس على الكرسى بامارة ، كأن الطربوش على قورته ، يطرح نفسه على الكرسى وينظر فى الجرنال ولا يسأل فى الافندى .)

الافندى : كامل . كامل . ادعلى يا كامل .

كامل : موش عاوزك يا ابن الكلب .

الافندى : (يشخط فيه) قوم ياابن الحرام .

(ويخطف كامل بطربوشه . كامل يخطف الافندى بطربوشه .) حيه . انت بقيت سيد صحيح ؟

كامل : امال ايه ؟

الافندى : انت سيد ، « مثلا »

يوسف إدريس والكوميديا الشعبية



كامل : والمثلا ده ايه ؟
الافندى : المثلا مايعملش كده (يجلس على الكرسى)
كامل : يا ابن الكلب .
الافندى : ايه ده يا ولد ؟ (يزعل)
كامل : مثلا . يحرق ابوك .
الافندى : ايه ده ياواد ؟
كامل : مثلا .

اما عند يوسف ادريس فان المشهد يجرى كالتالى ، بعد ان يوافق السيد ، وهو كاره على ان يقوم بدور فرفور :

فرفور : اسمع يا وله ياسيد ياوله (ثم مستدركا) لا دى مانتفعش دى . من تانى . اتدمجت ؟
السيد : اتوكل على الله .
فرفور : اسمع ياوله يافرفور ياوله .
السيد : نعم .
فرفور : فيه نعم واتقفه كده مرة واحدة ؟ ماتحركها شوية ياوله . نعمها شوية ياوله . صنفرها كده وعجنها ولونها يابهيم .
السيد : نعم ياسيدى .
فرفور : اهو كده . ماتجيش الا بالشيمة يعنى . حاكم انا عارف الصنف بتاعكو ده . صنف خسيس . نجس .

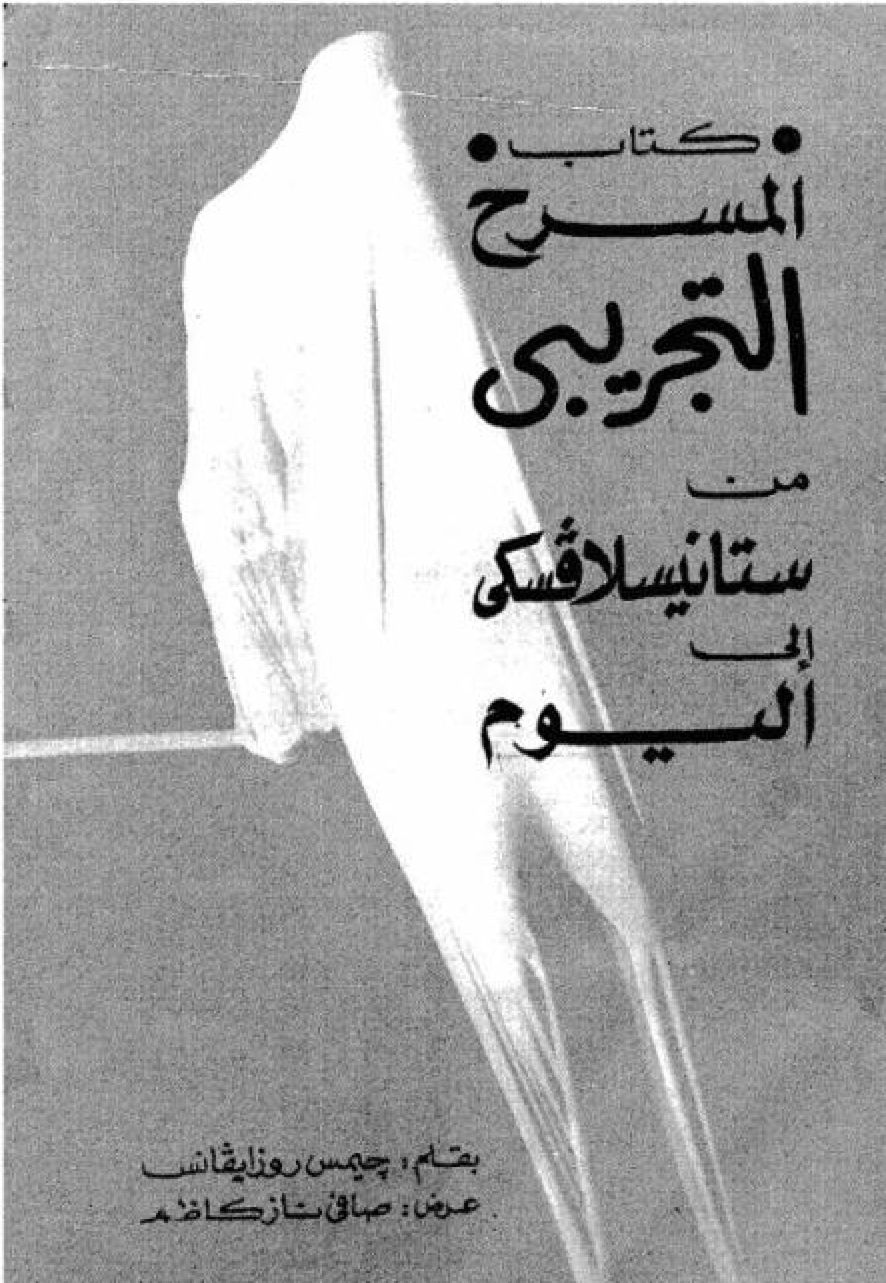
وتلاحظ على الفور ان المشهدين يلتقيان فى جوهر الفكاهة ، التى تنبع فى كليهما من الموقف المقلوب ، كما تتبين انهما يشتركان فى بعض التفاصيل : كلمة نعم ، التى لا يعجب بها السيد الحقيقى فى مشهد محمد المغربى ، والمتقمص فى مشهد يوسف ادريس) .

غير ان بالمشهدين – مع هذا – فارقا جوهريا ، يمثل كم الفرق بين موقف الفنان الشعبى من الكوميديا عامة ، وموقف يوسف ادريس .

ففى الوقت الذى يسعى فيه محمد المغربى الى اضحاك الناس وحسب ، يوظف يوسف ادريس الموقف الشعبى التقليدى توظيفا مغربيا بارعا ليخدم مجموعة الافكار والاراء التى سعى الى ان يصل بها الى جمهوره .

ان الفرافير تمثل احسن واصدق محاولة للاقتراب من تقاليد الكوميديا الشعبية بهدف تفهمها واستخدامها فى عمل يحقق تماما ما اراده له مؤلفه القلق الحس : « يتناول حياتنا بالاسلوب المسرحى الشعبى ، مطورا الى المستوى الذوقى والجمالى ، والمفهومات الفنية والعالمية . »

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف ، استعان يوسف ادريس بكل ما وعته ذاكرته ، وكل ما ترسب فى وعيه ، وكل ما استطاع ان يتخيله – متابعة لروح الكوميديا الشعبية فى مصر والعالم . فكانت النتيجة هذه المسرحية النابضة الصاخبة ، التى فتحت لكتاب الكوميديا عندنا طريقا واضحا من الاسف ان احدا منهم لم يشاء او لم يقدر على المضى فيه



كتاب

المسرح التجريبي من ستانيسلافسكي إلى اليوم

بقلم: جيمس روزايفانس
عرض: صافي ناز كاظم

أن تجرب هو أن تقوم بقفزة الى المجهول .

أن تكون طليعيا هو أن تكون بحق ، هناك بعيدا عند المقدمة .

كل الأسماء الهامة في هذا الكتاب ، هي أسماء لمن لمحوا امكانيات للمسرح كان وكان « التجريب » ، لديهم ، يحمل بالضرورة شيئا مختلفا تماما ، متفاوتا بين فنان وآخر في نتائجه واهتماماته .

●● التجريب عند « كونستانتين ستانيسلافسكي » ـ ١٨٦٣ ، ١٩٣٨ ـ كان يعني أهمية الممثل :

« من الضروري أن نصور الحياة ، ليس كما تبدو في الواقع ، ولكن كما نشعر بها في أحلامنا ، ورؤانا ، لحظات وثباتنا الروحية .. » لكن « الفكرة الجيدة اذا قدمت بشكل رديء تموت لوقت طويل » لذلك كان « من الضروري لهذا الفن الجديد ممثل من نوع جديد لديه تقنية مختلفة تماما » .

وكان ستانيسلافسكي يحلم بالمخرج الذي يرى المسرح من وجهات نظر الممثل والمخرج والمنتج والمدير وكان يعرف انه من الصعب أن يتحقق ذلك في شخص واحد حتى التقى بفلاديمير نيروفتش ـ دانشنكو : « لقد كان هو المخرج الذي احلم به ـ ويبدو انه كان يحلم بنفس المسرح الذي تصورته ووجد مواصفاته عندي .. » وحين تم اللقاء بين الرجلين عام ١٨٩٦ ولد الحدث المسرحي الذي كان له عميق الأثر على المسرح العالمي كله . بانشائهما « مسرح الفن بموسكو » ، ثار كلاهما ضد أسلوب التمثيل التقليدي البالي ، وضد نظام النجوم الذي منع تطور أسلوب التمثيل الجماعي ومضيا في ثورتهما الى أبعد الحدود حتى كتب ستانيسلافسكي يقول فيما بعد « مثل كل الثورات هدمنا القديم وبالغنا في الجديد » .

● وبينما أكد ستانيسلافسكي ، على الممثل ، كان الممثل عند « كريج » شيئا لا أهمية له وتركزت ـ تجاربه ـ في البحث عن الامكانيات التشكيلية في المسرح :

« ان الممثل عندي ليس سوى صعوبة وتكلفة لا تطاق ، واذا كان لا بد من استعمال الممثل فعليه « الا يتكلم بل يتحرك فقط ، اذا كنا نريد أن نحافظ للفن على مكانه القديم . التمثيل حركة والرقص هو شعر الحركة » .

● وأكد « آبيا » على التجارب في « الاضاءة » .

● والنفس « مايرهولد » في تجاربه على أهمية المخرج .

« كان يحلو أن مايرهولد يريد أن يحول ممثليه الى عرائس » .

« وشيئا فشيئا كان يحقق كسر الحاجز بين المنصة والجمهور ببناء المدرج من الخشبة الى القاعة وبتحريك الممثلين بين الممرات » .

لقد كانت السنوات العشر الأول من الثورة الروسية ، سنوات التجريب والاستوديوهات والورش والمدارس المسرحية وأصبح مسرح الثورة هو مسرح الطليعة ويرجع الفضل في ذلك الى مايرهولد . ففي عام ١٩٢٧ بلغ عدد الفرق المسرحية في روسيا ٤٢ الف فرقة . ورغم أن « لينين » كان من المحافظين في الفن الا انه أطلق كل الامكانيات والفرص المادية في يد التجريبيين ، فحقق لم يحدث مثله في أي بلد أو وقت آخر .

● وكما انشغل بيسكاتور بتعميق طبيعة الالتزام في المسرح تبعه بريخت

● وقد اعتقد أرتود ـ مثل ستانيسلافسكي ـ أن المسرح يجب الا يعكس الواقع الكئيب للحياة اليومية ، بل يصدر تلك المكنونات التي لا يمكن للكلمات التعبير عنها . وقدم الانكارالتي



المسرح التجريبي

يصورها لتحقيق مسرحيه .

ولم تكن اهمية افكار ارتود في جدتها – لقد طرقها قبله «آبيا» و «مايرهولد» و «رينهارت» حين جرب الاخيران كسر الحاجز بين الجمهور والممثلين . ولقد اثبت مايرهولد مرة ومرة أن المسرح خالق في ذاته وليس مجرد تصوير للنص الدرامي – لكن اهمية ارتود تبرز في انه كان يكتشف تلك الاشياء من جديد لنفسه وللمسرح الفرنسي . فكما يقول ايونسكو: «انا اعتقد اننا نكتشف اكثر مما نبتكر، وان الابتكار هو في الحقيقة اكتشاف أو اعادة اكتشاف » .

من المهم ان نؤكد هذه النقطة «الاكتشاف» وليس دائما «الابتكار»: فكثيرا ما يرتفع الحماس لعمل مخرج، باعتباره «مبتكرا» ويوصف في الصحف بأنه «تجربة» هامة تقتحم اشكالا جديدة ، ويتكلم المخرج عن تجربته – ولكن استخدامه للفيلم داخل العرض المسرحي – كأنه عمل يتحقق لاول مرة .

● هناك قاعدة لابد أن نضعها نصب اعيننا وهي : لكي نتحرك الى الامام لابد وان نستطيع النظر الى الخلف . ان مسرحا ما قد تحقق في عصور مختلفة وفي بقاع مختلفة من العالم يفوق الاحساس بالفخامة وبالجلال . العقول الخلاقة بحق . مثل بريخت وجروتوفسكي مدينون للماضي : مثل هؤلاء الرجال يبنون ما يجعلونه الاحساس بالتاريخ يخلق الاحساس بالفخامة وحتى الاحساس بالهوان : مما يجعلنا اكثر تحرجا في أن ننسب لانفسنا الفاخر ..

● الاستفادة من تجارب الرواد الاوائل نجدها بجلاء في تجارب الرقص الحديثة في امريكا .

كثيرا مما كان يأمله الرواد الاوائل ، ما كان يحلمه «كريج» من تحريك المجموعات التجريدية ليولد المسرح من خلال الحركة فقط ، وما كان يجعلت عنه «ارتود» من مفهوم المسرح غير – الكلمي – استطاعت اعمال «مارثا جرام» و «الوين نيكولاس» ان تقدمه لنا خلال سنواتنا المعاصرة .

● لقد فتح «الرقص الحديث» عند «مارثا جرام» و «الوين نيكولاس» الباب لنوع جديد من التعبير المسرحي بالتعاون مع النحت والرسم والموسيقى .

ان مارثا جرام عمدا تشير الى أعمالها في الرقص الحديث بكلمة «مسرحية» وليس كلمة «باليه» إنما تريد ان تبرز مدلولا هاما . مثلها في ذلك مثل «الوين نيكولاس» حين يدعو اعماله «قطعا مسرحية» .

ان نقاد المسرح ما زالوا تحت وطأة الفكرة الثابتة بأن المسرح هو : مسرح الكلمة . انهم بذلك يخفقون في تبين ما يمكن ان يكونه «الرقص الحديث» كمساهمة هامة في تطور المسرح في القرن العشرين .

لقد كانت «ايزادورا دانكن» اول من اوجد الصلة بين الحركة والانفعال . لقد كان اكتشافها هو : قوة الحركة الكامنة في اعطاء اشكالها المنبثقة من الزخم العاطفي .

لم تجيء مارثا جرام – أهم الكتاب الراقصين الحديثين – لتقول :

«ان ما يهمني فقط هو الوجود الكامن .. الجسم الكامن الذي يرقد بين طيات العضلات الدقيقة . كل راقصة ، بشكل او آخر ، لوحة بيانية للحس ورسم للقلب » .

وكان عليها ان تبتكر «التكنيك» الذي يمكن ان يعبر عن رؤاها الداخلية، وتستشهد «مارثا» بفقرة جاءت في رواية

« فرجينيا وولف » على لسان كاتب شاب : « أريد أن أكتب عن الصمت .. عن الأشياء التي لا يقولها الناس » . وتقول : « هناك ضرورة للحركة عندما تصبح الكلمات عاجزة . ان أساس الرقص شيء عميق بداخلك » .

وهي تعتقد ان الذين لا يمكنهم ملاحظة شيطها في التعبير هم غير المؤهلين لمواجهة الحقيقة النفسية التي هي أساس فنها : « انه مثل اشتعال حطبة ضخمة وسط منزل للعجزة ، كل فرصة متجهة إلى داخله » . ومن المؤسف لبعض الناس أن موضوع رقصات « مارثا جراهام » ليس « رقصا » .

● وحين يذكر « جرسي جروتوفسكي » فهو يذكر بصفته الوجه المعاصر الذي له الوقع التأثيري الأكبر على المسرح التجريبي الحالي في أوربا وأمريكا .

مثل « كوبو » ، عاد جروتوفسكي الى أسس المسرح : الى العلاقة الحية بين الممثل والمتفرجين .

ان اهتمام « جروتوفسكي » بالمسرح يتركز في أنه صاحب الحاجة الروحية الملحة والذي يريد حقا ، عن طريق المواجهة بالعرض ، أن يحلل نفسه . وبذلك فان جروتوفسكي لا يمتهن المسرح « كمتعة » أو « وهم » أو « سحر » أو « توجيه » .

و « التحليل » عند « جروتوفسكي » ليس عملية ثقافية لكنه وسيلة « استشفاء ذاتي » . ان مسرحه يتطلب تفكيرا وتأملا بهدف « الملامسة » وليس بهدف « التفاهم » .

ان عمل جروتوفسكي في العمل المسرحي البولندي ، الذي ترك أثره على تجارب « بيتر بروك » في انجلترا ، و « جوزيف شايكان » و « بيتر شومان » في نيويورك ، يثير مسألة « الرمزية » برمتها « والميتافيزيقي » : ان المهم ليس زيادة كمية معلوماتنا ومعرفتنا بل المهم ان نعمق ونثري نوعية الحياة نفسها : وذلك بتمكين الانسان من ملامسة منابع الخلق الغامضة ذلك الخلق الذي يمكن أن ينبعث من ذاته .

وكما يحدث في احتفالات التطهير عند قبائل « شامان » في بلاد الاسكيمو الكندية حين يصرخ طالب التطهير قائلا : « كل ذلك لانني أريد أن أشافي » ، وبتحقيق السيطرة على خياله غير الواعي ، يعيد « الشامان » تنسيق نفسية المريض ونفسية مجتمعه الذي ينتمي اليه . وشبيه بذلك ، يأخذ معمل جروتوفسكي البولندي الأساطير من التقاليد القديمة ، ويصايغها من جديد لتقوية النفسية الجماعية ، وبذلك يكون لعمل جروتوفسكي جذوره في بولندا بالقدر الذي يكون للمسرح الحي ومسرح الخبز والعرائس لبيتر شومان من جذور في أمريكا .

الضرورة متزايدة – في مسرح اليوم – للدور النشط الذي تؤديه هذه الخلايا المسرحية : « ورشة الراقصين » في سان فرانسيسكو ، و « مسرح الخبز والعرائس » و « المسرح المفتوح » في نيويورك ، و « المسرح المعملي » بوارسو في بولندا و « مسرح دالم الثقي » بانجلترا .

هذه الجماعات لا ترى أن المسرح لمتاع الليل أو مهنة ثقافية لكنه عندها : تجربة في ذاته .

المهم وكما يقول جون وين :

« .. فنانون يشكلون حقا ضمير زمانهم . يتفاعلون بعمق وبوعي لا يحدث، وما حدث ، وما سوف يحدث . وتفاعلهم يعبرون عنه : بالرمز وبالتصور وبالأسطورة » .

هذا هو تقريبا الملخص للخطوط التي يتعرض لها جيمس روز – ايفانز في هذا الكتاب « المسرح التجريبي منذ ستانيسلافسكي الى اليوم » . والذي صدر في لندن ١٩٧٠ من سلسلة كتب « ستوديو فيزيتا » التي اهتمت من قبل بتقديم كتاب « الرسم التجريبي » وصدر لها هذا العام « السينما التجريبية » و « المعمار التجريبي » .

حجم الكتاب لا يزيد عن ١٦٠ صفحة منها ٦٣ صفحة خاصة بالصور التي تعبر عن النماذج المختلفة لتاريخ التجارب المسرحية التي يتعرض لها الكتاب على مدى المائة عام الأخيرة .

حصيلة الصفحات المكتوبة ٨٥ صفحة موزعة بين ١٤ فصلا :

١ – المقدمة ..
٢ – حياة ستانيسلافسكي في الفن
٣ – مدرسة الواقعية

المسرح

المسرح التجريبي

٤ – مايرهولد والطليعة الروسية
٥ – تيروف والمسرح التركيبي
٦ – منجزات فاختانجوف ..
٧ – كريج وآبيا – مرئيات
٨ – كوبو – الصفير الفقير
٩ – المسرح اللحمي – بيسكاتور وبريخت
١٠ – مسرح القسوة – ارتود اوخلوبكوف، مسرح الهلع ..
١١ – جروتوفسكي والمسرح الفقير
١٢ – مساهمة الرقص الحديث – مارثا جراهام والوين ليكولاس ..
١٣ – بيتر شومان ومسرح الخبز والعرائس ..
١٤ – تجربة ابعد اليوم – في امريكا.

وبمقارنة الحجم المكتوب مع هذا العدد الضخم من الفصول او رءوس الموضوعات نعرف ان مهمة هذا الكتاب – وهذه السلسلة من الكتب – لا تزيد عن حصر سريع – يلم بشكل العابر للذاكرة – بأهم التجارب المسرحية التي مر بها المسرح في اوربا وأمريكا دون العرض التفصيلي المشبع لكل تجربة على حدة . وهذا ، وان كان يحرم الكتاب من صفة المرجع العلمي الوافي ، الا انه – بطباعته الجذابة والمادة صوره الثرية وأسلوبه المبسط الذي يتجنب استخدام لغة الالغاز – يجعل منه نزهة ممتعة للقارىء الذي يعشق المسرح ويهمه ان يرشف لمحات تعريفية عن حركات تطوره ترضي حب استطلاعه – بشكل صحي – دون أن تحمله هم الاغراق فيما هو غير مكلف بحمله أو بالغرق فيه .

وعلى الرغم من انني اشهد للكتاب – رغم اختزاله – بتحري الدقة والقدرة الممتازة على الموازنة بين ما يمكن اغفاله وما لا يمكن ، ومرونته الطبيعية في ايجاد الصلة المتواصلة في تجميع التجارب المختلفة وسردها من خلال ايجاد العلاقات في التشابه والتناقض – الا انه – ولانه مكتوب من وجهة نظر رجل يعمل في المسرح ويعد بالفعل من الوجوه البارزة في مغامرات التجريب المسرحية الحالية – يستدعي منا التحفظ امام الكثير من ملاحظاته ومسلماته التي يجريها في سياق حديثه بطفرية – غالبا مقصودة بخبث .

في تقديم مؤلف الكتاب تقول الكلمات المطبوعة على الغلاف ان « جيمس روز – ايفانز – مؤلف كتاب «الاخراج المسرحي» – وهو ايضا من سلسلة كتب ستوديو فيزيتا – معروف في الولايات المتحدة الامريكية كمحاضر عن المسرح ، ومعروف في انجلترا بوصفه المؤسس والمخرج الفني لنادي هامبستيد المسرحي الذي يتمتع بسمعته في كونه من اهم دور المسرح التجريبي في لندن واكثرها استمرارا منذ الحرب . وتحت رعاية هذا النادي اسس جيمس روز – ايفانز حديثا ورشة مسرحية ومركز ابحاث مسرحي له فرقته التجريبية الخاصة ملحقة به باسم « ستيج تو – مسرح رقم اثنين » .

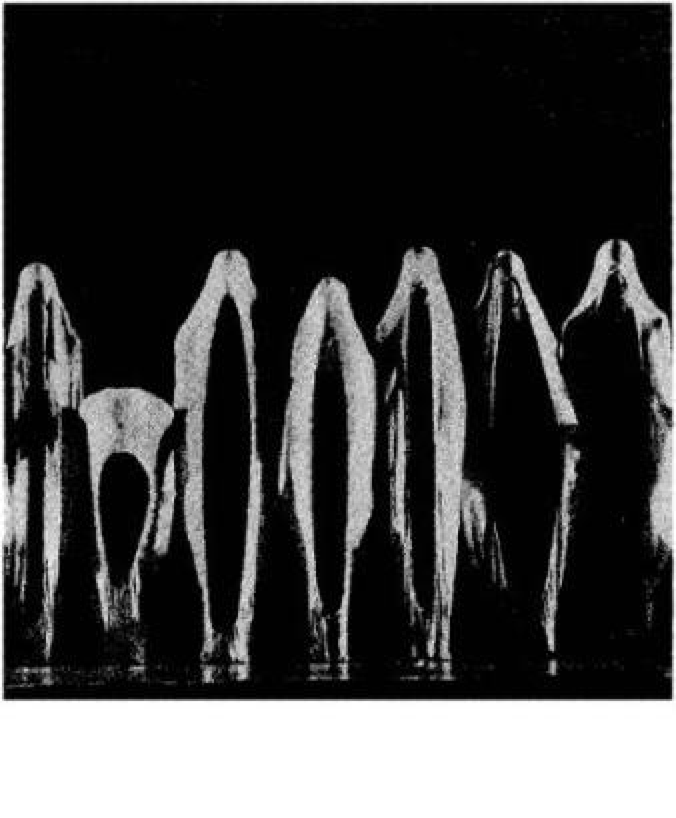
ومن المعتقدات الهامة التي يؤمن بها « روز – ايفانز » ، واعطى جزءا كبيرا من كتابه ليؤكدها ، معتقداً : « بينما كانت روسيا هي مصدر المؤثرات الكبرى على عالم المسرح في النصف الاول من القرن – قاصدا بذلك تأثير مجموعة ستانيسلافسكي ونيميروفتش دانشنكو – الا انه علينا ان ننظر الآن الى امريكا حيث نجد اكثر التطورات الحديثة اهمية » .

وطبعا باستثناء الطرافة التي تنتج من المقابلة بين بداية القرن في روسيا ونهايته في امريكا ، فان هذا المعتقد امامه علامة استفهام كبيرة لا يجمع تحته من مغالطات وتبسيط مخل للامور ، ولا اتصور ان

أحدا من مفكري المسرح في العالم يؤيد « روز ـ ايفانز » في هذا المعتقد حتى ـ أصحاب التجارب الجديدة في أمريكا أنفسهم ـ والذين يتخذهم هو دليله في اثبات معتقده ـ مثل « بيتر شومان » صاحب تجربة « مسرح الخبز والعرائس » .. فالحقيقة ـ التي يذكرها روز ـ ايفانز ثم يناقضها ان التأثير الخلاق الاصيل على المسرح المستقبلي في العالم يأتي اشعاعه من بولندا من مصدر ونبع مسرحي مليء بالاستكشافات وأعني بهذا المصدر : « جرزي جروتوفسكي » وما توحي به خصوبة تجارب « معمله المسرحي » من تأثيرات لها وسيكون لها صداها العميق والواسع على جميع حركات التجريب في العالم . وأنا بهذا لا ألغي الجهود الامريكية في التجريب ، فمما لا شك فيه أن هناك جهودا لا يمكن اغفالها لكننا لو أمعنا فيها النظر لوجدنا أنها لا تزيد عن جهود « التبني » و « الاحتواء » و « التنويع على فكرة مسبقة » . وزرع رسالاية شتلة أو بذرة مستوردة وتصييرها بمحصول وافر تخدعك وفرته وضجته حتى تظن ـ بل يظن أصحابه ـ انه نتيجة بذرة أصلية نابعة من التربة وليست منقولة اليها .

هذا « السرسوب » من الحماس المتحيز لامريكا عند روز ـ ايفانز ـ الذي يجري في فناة تخترق صالتي الكتاب ـ يمكننا مع ذلك تجاهله ـ بعد الوعي به ـ وتظل للكتاب متعته وأهميته في اطاره الخاص .

تكوين من لقطة مسرحية راقصة لنيكولاس ، متأثرة بالنحت الحديث



الخدامين و المخدمين

المسرحية الوحيدة التى كتبها
أبو الزجل المصرى
محمد عثمان جلال



كتب محمد عثمان جلال مسرحية : « الخدامين والمخدمين » عام ١٩٠٤ ، فكانت محاولته الوحيدة لكتابة المسرحية المصرية الانتقادية

ويرسم جلال في مسرحيته لوحات كثيرة منتزعة من واقع القاهرة في أوائل القرن : لوحة البيك الذي يبحث عن خادم يأتمنه ويستطيع ان يقوم بأعمال البيت الكثيرة ولوحة المخدم الماكر الذي يستخدم مهنته للقيام بعملية سرقة منظمة وفي ملحوظة لصاحب البيت . ولوحة الخادم المتواطىء مع المخدم . ولوحة الخادم الامين الذي يرفض السرقة ولكنه غير واثق بجدوى الشكوى للبوليس او النيابة .. الخ

واللوحات جميعها توشك أن تصبح مسرحية ، ولكنها تقف على مسافة قصيرة من الهدف ومع هذا فان الدارس لكوميديا المصرية لايملك الا ان يسجل قدرة جلال على استخدام الزجل في تصوير احوال الناس تصويرا دراميا ويعترف له بفضل السبق في هذا الميدان الذي اقتحمه فيما بعد فنانون مقتدرون من امثال بيرم التونسي ومحمد عبد المنعم « ابو بثينة » وفؤاد حداد وغيرهم .



اسماء المثلين

البيك	المخدوم
الحاج سالم	مخدم تمن باب الشعرية وابراهيم صبية
خدامين	سيد أحمد
اتنين حمارة	
جملة خدامين	
فرغلى	مخدم تمن الموسكى

الفصل الاول

المنظر الاول

(البيك المخدوم والحاج سالم المخدوصبيه ابراهيم)

البيك :

ياحج سالم انا اقريك السلام   انت اختيار صالح كمان وراجل تمام
اعمل معى معروف وخليك مستوى   وانظر لنا سقا يكون راجل قوى
يطلع القربه ويكلف لى الحمار   وياخد المقطف يجيب لحمه وخضار
لكن انا بدى الامانه يا جدع   ولا احب الزور واعمال البدع
ومرحبا بك فى جميع ما تطلبه   بس انت ساعدنى على اللى ارغبه

الحاج سالم « لصبيه ابراهيم » :

ده يا ابراهيم الله لأحمد أو على   وان كان غايب هات معك فرغلى

ويقول البيك :

والا أجيب سيد لانه واد لقيف   فى كل مشوار تبعته للقاء خفيف
وان كان فى شيره والا مهمشه   تبعه الغرب يجى قبل المشه
يستنضف اللحمه ويعرف فى الخضار   وان قلت له طير ياجدع فى الجو طار
وتعمله قراس والا بلطبى   ويعمل القهوه وابوه كان قهوجى

البيك :

وعند مين دا كان خدم ياهلتره   كان عند راجل يارا والا مره

الحاج سالم :

كان عند أبوه فى خدمة القهوة صبى   بعدين فتح زبات عند الاربى
يادوب خمس اشهر على بيع الشكك   اما زبايته كلهم كانوا شرك
أكلوا عليه المال وهو لاخر الكل   راح سلم المفتاح والدكان تقفل
جالى على القهوه طلب خدمه قوام   جت قسمته والعيش عند الشيخ امام

البيك :

وليه خرج من عند دا وايش لو سبب

الحاج سالم : امر الشايخ في الغدانه دا عجب

بقا اقول لك علشسبب واخبرك واعطنك على حصل وانورك
لما دخل سيد بيبت الشيخ امام قعد بين له الحلال من الحرام
ويقول استنجي وتوضا ونوم صلى وخلى للصلا بدلة هدوم
وان كان للغدمه اهي الخيشه عنه والبراهيا الحمد لله عندنه
وتغسل الحوض الكبير ويبخره وفي الكنيف ابريق ديما تحضره
وعندنا القربه وعندنا الحصير تملا لنا القربه من البحر الكبير
وتروح للجامع تجيبه ستين رغيف لكن تقيهم من العيش النضيف
وكل يوم تبيع لنا العيش القديم ويكون معك في السوق عبد الشيخ سليم
وكل شيء تسلمه لي بالعدد اوعى يغشك حد في السوق ياولد
طهق من الغدمه وكتر المرمطه والشيخ دا لاخر يحب المقرطه
قوم ياولد هات الجرايه وعدها وتقف البغله قوام وتشبعها
ويطخه شوار لتمن السيدة من شان عزومه وكل يوم على كده
حتى انبرى عظمه وجسمه انتحل كان الولد لا شك في طالع زحل
ادى السبب اما الولد قوى صليح ويختشى العيبه وفي الخدمه مليح

البيك :
وبعد مافات الامام راح عند مين ؟

الحاج سالم : اخده يهودي اسمه الخواجه بنيمين

زعل من السرج ومن بيض الفراخ وخاف ينصاب بالعمى والا الانتفاخ

بادوب تلت تشهر قعد عنده وفات لو كان لفضل شهرين كمان كان مات

البيك :
بعد اليهودي ياترى مين جا خده والا لفضل زي الحمار في مدوده

الحاج سالم :
جاني ابو حمزه وهو شيخ دهشمه وكان مجبول مره في مهشمه
وكل يوم يطخه شوار كبير وهو على الرهوان وعامل لي اسير
وصار يروح الغيط يشقر علفره لورق الحصان والولا يجري من وره
والاكل من بتاو واسمه حنضوريل اما الفرس من على ليه الدود طويل
وان فلط ليله وكان عنده طبيخ تكون بعماره امر من ماله الشيخ
والا جمل عيان والا طور تطيس طلي يكون موجود في سوق الخميس
ماصدق الله يوم مع سيده حضر جاني وقال مافيش في عيشتك تفر
ماعدت اروح لا عند دا ولا عنده ده مرا القعد بفت والا عنده ده
امر جا

المنظر الثاني

(الحاج سالم والبيك وسيد الخدام)

الحاج سالم لسيد :
بوس ايد سيدك يا ولد احسن م اللي كنت عنده في البلد
(سيد يبوس ايد البيك ويقف)

البيك : لك اب
سيد : ابويا مات
البيك : وامك
سيد : ميته
البيك : واين حوايجك
سيد : كلها مشلتته

البيك المعظم :

ياحج سالم خد جنيه وروح معه ... واحلقى كلامى اللى اقوله وسمعه
سوق الكريدليه تصنجى شمير ... اسمه عمر وله هناك مخزن كبير
هات له قميص وبالباس وعنترى ... وبعد ما تقبض فلوس وتشترى
ارجع معه وادين بستناك هنا ... اطيه انا جزمه من اللى عندنا
وادیه كمان طربوش بغير سحلته ... واشبهه الحمام ينضف جثته
(ويروحوا)

البيك لوحده :

اهو بس بصرف فى فلوس من غير لزوم ... ما اصدق الخدام على الخدمه يدوم
دكه على شهرين علشان وان شبع ... يسمع كلام مخدمه ويرجع
لا يجى باخد الجماله يبص له ... ومن الكلام اللى معاه يرص له
ويطمنه البرله ويسقيه المروج ... ويقابله فى كل يوم اذا خرج
من اجل مايقسم معه اللى طوره ... وان خرج يجيب زيه بقدره
امى كما ماشيه مع المخدمين ... لا مخدمين تصدق ولا خدام امين

المنظر الثالث

(الحاج سالم والبيك وسيد)
الحاج سالم :
اهو اشتريت له جلبيه ملتهاس ... وجبت له قميص وجبت له لباس
وجبت له بلغه وطربوش مغربى ... ودفعت من جيبى ريالين والنبى
خلك بماليه
ويقول لسيد :
واتت عليك مستقيم ... فى خدمتك والبيك دا راجل عظيم
(ويروح)

المنظر الرابع

(البيك وسيد)

البيك :

قول انت ياسيد بنا على الصحيح ... بلفظك الرايق وقولك دا الفصيح

هو المخدم فى غيابى قال لك ايه   على السلوك اللى يريد تمشى عليه
انت بقيت ابنى وصرت فى ذمتى   لما ابيت بيتى وصرت بخدمتى
قول ملصحيح لا تختشى ولا تخاف   ولا تعاكسنى ولا تقصد خلاف

سيد :
قال لى اذا اعطاك مخدومك فلوس   ان كان ثمن للشمع او حق الفنوس
والله مطالك تشترى لحمة وخضار   ولا العليق اللى يجيبه للحمار
تربط على خمس الفلوس اللى معاك   واوعى تقول حاجه لواحد يسمعك
وان شيمرك فى البيت تجيب شيت او حرير   ان كان قليل اللى انطلب والا كتير
اسمى على البقشيش من اللى رحت له   لابد يعطيك شوه لما تسأله
مع ابنهم ان شيمرك خليك لطيف   حين يدخل الكتاب خد منه رغيف
واغويه على طلب الفلوس وسلطه   لجلن اذا قابل ابوه يورطه
لو ترش تعريفة عطاه خد مليمين   هيا الفلوس امال تجى تجرى منين
وان اشترى سيدك بنفسه حاجته   اوعى تجيب سيره والا تحدثه
بس انت طير فى خشبه ولحم كتوك   واوعى تنفسك يا جدع لايمسكوك
ومور القربه وقطع فى سلبه   وكل يوم اطلع لسيدك فى طلب
البيك :
وانتا بقى واجب عليك تعمل كده   وسين يامن بس ياجمل زى ده
سيد :
وليه انا اعمل كده غرضى كلام   ماحد يتجاسر كدا الا ابن الحرام
البيك :
لوم انت روح للحج سالم شيعه   بدى على شان اجرك احكى معه
« فيروح »

المنظر الخامس

البيك لوحده :

اهو من الاول لقيتا لعبته   واظهر لنا النبل اللى فى جبهته
مامسكت آمن له ولا استخدمه   والغره بين الرجال ما اسلمه
(الحاج سالم والبيك وسيد)
البيك :
ياحج سالم خد صبيك واخرجوا   اوعوا بقا فى خطتنا يوم تدرجوا
انا نويت اليوم اسافر مالبلد   لا لى لزوم خدام ولا آخد ولد
يكفى اللى جبته لى اهو خد كسوته   خدله معك وانصحه وحدثه
الحاج سالم :
هوا جرى حاجه ؟
البيك :
بقول برا قوام   بلا كباير مصطنع بلا كلام
(يخرجوا)

البيك لوحده :
فى تهوة الموسكى بشوف خدام كتير   متجمعين كانهم موقف حمير
ديما اشوف هناك ناس من غير عدد   فيهم برابره وفلاحين واولاد بلد
اروح الاول شيخهم واساله   وان حيجبلى حد منهم البله

لا عندنا بواب ولا سقا لتظ   تقفل بلا خدام كنا يبقى غلط
لازم من الخدام بشيل قلة طحين   واذا لفى يغسل مواجير العجين
ويجيب عليقه للحمار وينفضه   ويهزله في التبن لما يلقفه
ويشيل لى المقطف واروح سوق الخضار   واشترى على رواقه آخر النهار

الفصل الثانى

المنظر الاول

(البيك وشيخ الخدامين وخدامين كتير)

البيك لواحد من الموجودين :
لين ياولد شيخكم
احد الموجودين : اهو ترغلى
البيك : وانت اسمك ايه ؟
احد الخدامين : انا اسمى على

البيك للشيخ :

باترغلى هوا على سقا مليح
الشيخ : دا بربرى لكن فى المربى فصيح
ان كان على سقا اهو احمد بليق   وينضف الاسطبل ويجيب العليق

البيك :

طيب وكم فى الشهر باخد باره ؟
الشيخ (يسكت)
البيك : ماترد هو انت بتسمع من وره

الشيخ :

روح انت روح وانا اجيبو واجى   مش بيشكم برضه اللى عند الطوبجى

البيك :

فى البرلوليسه بالفرنكش بيتنا   طيب ماتقفش دلوقيت واحنا هنا
بعدك اروح وانت بقا تبص له   ومن النصايح والكلام ترص له
امى الميه اربعين شهرى تمام   انا محبش يا اخى كتر الكلام
ياكل ويشرب كل يوم من اكلنا   وكسوته كل سنه من عندنا
بقالى كلام تانى

الشيخ :

اقول لك ملصحيح   الاربعين منك شويه مش مليح
خدام وهام سقا وهام سايس كمان   ان كان على دا ليه مبطل من زمان

تلت سنعه قيديه كمان ونظلمه كان من زمان غيرك خده وخدمه
زيده كمان عشرين واسمع كلمتى حتى خسوريه تول عليه فى لمتى
ماهش وليسد هلس دا رجل تمام وانت امير مابيجيك كتر الكلام

البيك :

طيب وحيث البيت عرفت تشيمه والاحسن انك يا اخى تجى معه

(الشيخ واحمد والبيك والتين حمارة)

الشيخ :

اهلا وسهلا حضرة البيك الامير

« ويشاور على الحماره »

اعطى لدول قرشين فى اجرة حمير

البيك :

يبقى من الوسكى لهنا تحتاج ركوب ادلمهم انتا وانسكرى لجلن تتوب
دنتا وهم احمه توى مشلبين متتاش مقدم يا اخى هو انت بين

لكن خد بأمر ترخسينك وروح بكره يقا اروعلى جنينه فى السطوح
ومعنا السقا امر يسقى الشجر اما وتمنا اليوم فى كبشة غجر

الشيخ :

تسك لنا طيب نروح امال لمين انتم مش اسيادنا واحنا خدامين

ويقول لاحمد :

يا احمد امر السطر ولا تعطى عوان والرزق يتيسر انا آن الاوان
اوعى تقصر بس ساعه فى خدمتك وان رحت فى مشوار توى همتك
وعلق القربه واوعى للسطل احسن يقولوا دا غشيم والا جلب
واستنضف اللحمه ونقى فى الخضار ونضف الاصطبل من تحت الحمار

ويقول للبيك :

كن فى امان الله

البيك :

وانتا فى الامان بدك تفارق أو تقول حاجه كمان

الشيخ :

بس الجماله

البيك :

بعد كم يوم ابق توت هو انت من غير الجماله راح تموت

« الشيخ يروح »

المنظر الثالث

« البيك واحد الخدام »

البيك :

خد ذالريال يا احمد وخد متطف لضيف هات لى تلت ارطال من الفانى اللطيف

وهات من القلقاس تمن ارطال تمام واسال عليه تبلا وشوف رطله بكام
وسلق مع لامون وارضون كبيره وقرش بيض مللى هناك فى القنطره
لكن تعال قل لى على معلمك بالله قال لك ايه لما كلمك

احمد :

ماقالش حاجه

البيك :

قلت لك فض الخلاف امشى معى دغرى وعمرك ماتخاف

احمد :

ماقلت لك ماقالش حاجه

البيك :

يا جدع يمكنى ملاوعه فى الكلام يكفى بدع
ياعلترى انتا معى والا معه وان قلت لى عن شىء هو راح يسمعه
مادام اكلك العيش عندى صرت لى وصرت زى ابنى صحيح اكله ولى
مخدمين ايه دول حرامية كلاب ياكلوا شقاكم ويوروكوا العذاب
نهار ما تقبض يجى ويقطعك وان خليت من خدمتك ما ينفعك
قاعد على القهوه ويبدر كلام وان اناه مظلوم يقربه السلام
واللى يبره بالفلوس يلسعه ويحب تانى يوم قوام يطلعه
لجل الجهاله كل ساعه تشتغل ويكتر الطيب ويلعب بالزغل

احمد :

والله ياسيدى كلامك دا مليح واللى حكيته كلته برضه صحيح
معرفش قال لى ايه لما فتشنا نهار ما جيتنا هناك جدالتنا [?]
قال اشرط القربه وخد تعبيرها [?] وقطع السلبه وهى فوق يبرها
واسرق الرقبه وهاتها لى هنه لكن انا مرضتش وحياة ربنه
واعمل مع الجزار والخضرى اتفاق وامشى عدل فى البيت من باب النفاق
وحوش حدا العلاف ربعه من العليق لكن دى سرقه بمثلى لا تليق
قال لى كمان طبردعه ابن الحرام والربه اللى تحطها تحت الحزام
قال قطع الابريم واصرى فى الطشر [?] وتول حصاوله جد فى منهه خطر [?]
وتول تصلحهم بسوا فلوس كتير لكن عرفت ان الخدم دا مكير [?]
وانا بعون الله ما اسمع له كلام اكلت عيشك والخيانة دى حرام

البيك :

انتا بقيت ابنى كمان قول قال لك ايه ان كان كلام تانى قوام احكى عليه
القصد اقول دول للمحافظ واعلمه لاجل ما يجيب له لجام ويلجمه

الخدام احمد :

قال لى اذا طلبت بالقربه الحريم وشلت سجاده قديمه او كليم
تول للصلا فى الحوش عندى ينلعم [?] وان طلبتوهم قوامك يطلعم [?]
وان شفت شبشب لى السلام طيره وحين تروح يرا قوامك صوره [?]

اما القباقيب اللى ترميهـا الصغار   خدهم وبيع الكل فى آخر النهـار
وان شفت خطوطة نحاس والاوطا   او شفت دلية صغيرة لها غطـا
فى عبك احـدفهم وهاتهم لى هنـا   احرف لهم اسواق وابيعهم انا
ونحوش الاثمـان ونقسمها سوى   وكل داء عنـدى ارالى له دوا

البيك :

شوف اما تولك الك يرضيك طمعـه   حتى ليجيب دافه عنـا ولوقعـه
ويعدها اروح للمحافظ اخبـره   واعلمـه بامورهم واسـوده

احمد :

يعدين تجى رجلى

البيك :

انا اخلصك   وازودك اجـره ولا انقصـك
بدى اشوف غير دول لكن يرضهم   فى المكر والتزوير لغرين زيهم

احمد :

فى الدرب الاحمر والصليبة والامام   من كان متقدم زيهم يرضـه تمام
قادرين على ابليس اصول البيـه   ومكررين الشيطنه والابلسـه
وان كان يملك تستكيهم للبليس   هنـاك لا تلقى اليس ولا جليس
ويحولوك على النيابه بالعجـل   وتشوف امور هنـاك تقصر الاجـل
والى تقـوله فى حقهم وتعنتـه   من غير شهود منين تعرف تثبته
والبو جـدع خدام على شيخه شهد   الا تراليه فى خلاصـه مجتهـد

البيك :

روح انت طـرق واشترى لنا العشـا   وقل لهم فى البيت انا جى العشـا

المنظر الرابع

البيك لوحده :

لابد اكتب عرضحـال واقـدمه   ومن العمـد واهل البلد اختمـه
واترجـم القـانون اللى فى بريز   وامضى عليـه من عند مولانا العزيز
واخلى كل الخـدامين تمشى عليـه   هو السكوت منـا عليهم بس ليه
واعمل لهم ديوان مخصوص او قلم   وتنصب على السطوح لوقه علم
وتقول عليـه قلم عموم الخدامين   يحـكم عليهم وعلى المخدومين
والى يريد يخـدم يجيبه ضامن غريم   ان كان رجاله والا ان كان حريم
ويدفع المعلوم ويأخـد تذكـره   وتنضبط اما اللى حاصل مسخره
حيث تنتشر لائحة لطيفـة مرضية   فيها الشروط موضحـة ومرتبـه



شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف
اقتصادي
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. والاطباق السفرة
مذهبة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

الهلال من ٧٥ سنة

هرمكيس المصرية

هي رواية تاريخية ادبية تأليف حضرة الاديب البارع سليم افندي الاسود شرح فيها حال مصر وتاريخها من عهد الملكة كليوبترا في آخر دولة البطالسة على اسلوب رشيق وعبارة رشيقة واسلوب يشوق الى المطالعة فيلهم المطالع عوائد المصريين واخلاقهم ودياناتهم وسياستهم وكل ما يتعلق بهم في القرن الاخير قبل الميلاد وهو يقرأ رواية فكاهية يتنزه بها فكره بلا ملل .

عرابي باشا

كثر تحدث الناس وذكرت جرائد العاصمة والاسكندرية ان جماعة من اعيان القطر توسطوا لدى اولي الحل والعقد في العفو عن عرابي باشا نزيل جزيرة سيلان الآن بالنظر الى انحراف صحته ليقضي بقية أيامه في وطنه بين أهله واصدقائه

آلة لدرس الحنطة وغربلتها وتقطيع التبن

اخترع حضرة الاديب المتفنن اسكندر افندي بمصر آلة لدرس الحنطة وغربلتها وتقطيع التبن على درجات مختلفة القوة بحث ما تديره بقرة واحدة او بقرتان او اكثر وقد عرض آلته هذه في محل عابدين المصري بباب الحديد فشاهدها كثير من المدعوين فشهدوا باتقانها وعظيم فائدتها .

المقطم ١٨٩٦

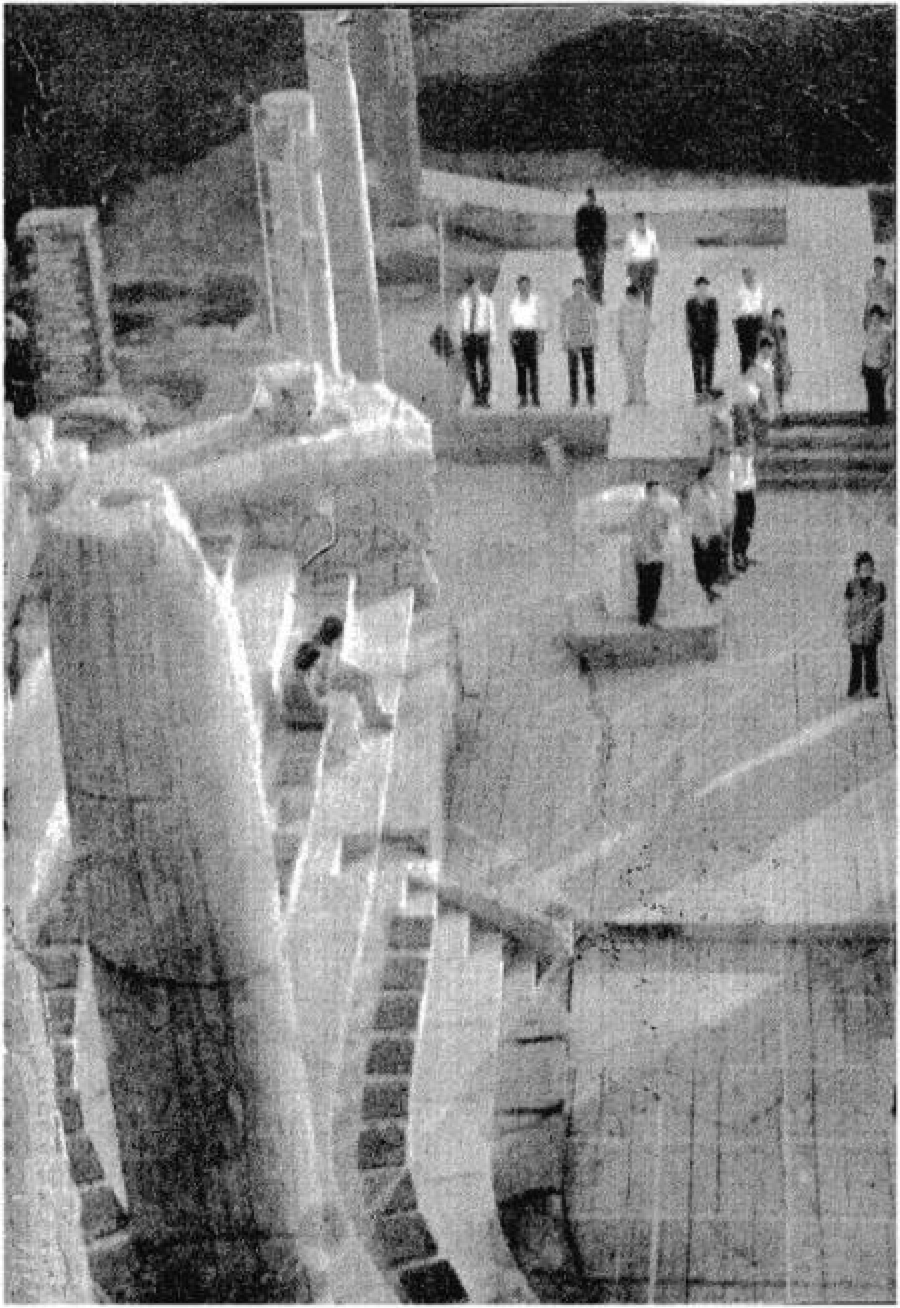
الغلاف الأول والأخير

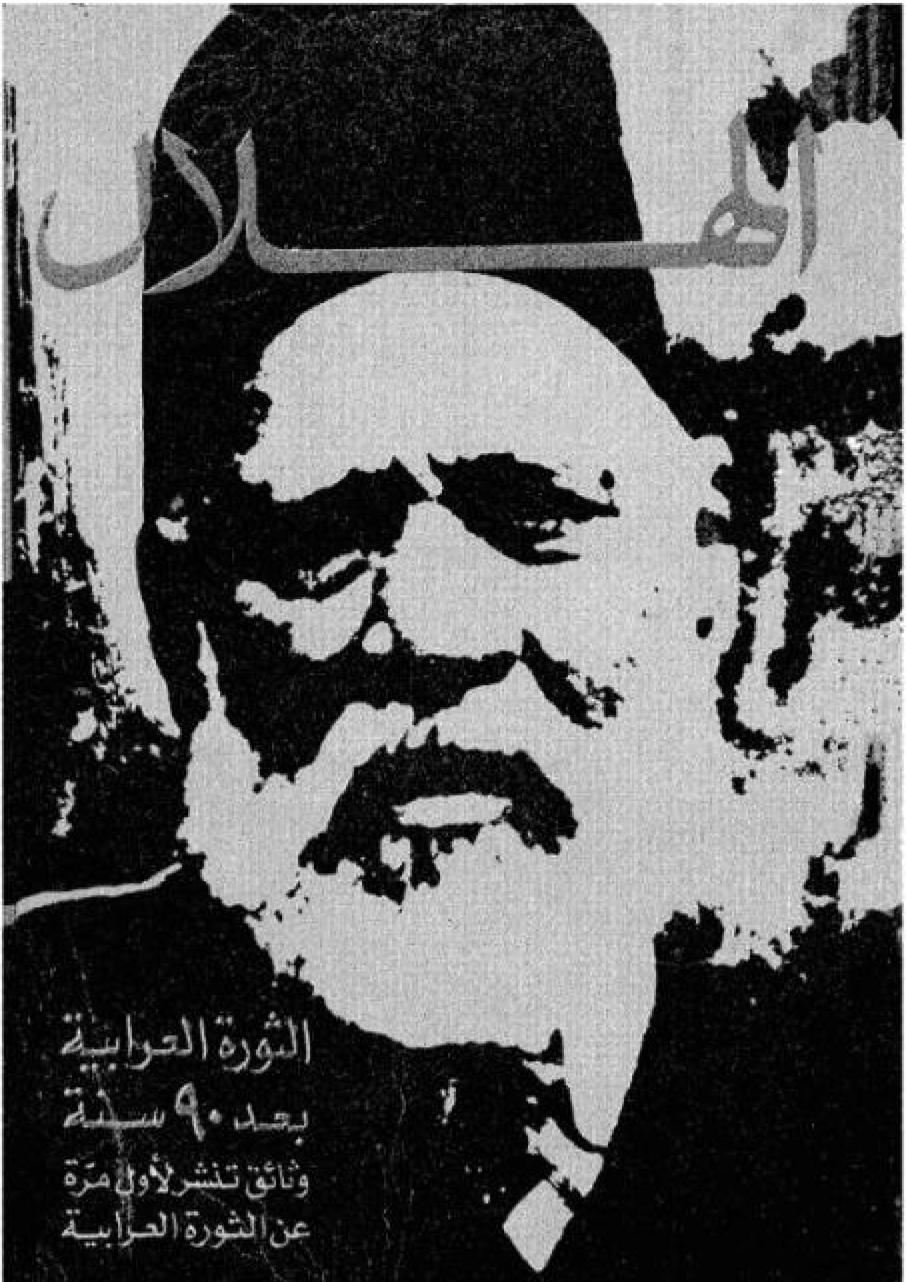


التليفزيون والتحول التقني .. تصميم الفنان حلمي التوني



مسرح كوم الدكة .. الغلافان تصوير الفنان محمد صبري




الهلال
الثورة العرابية
بعد ٩٠ سنة
وثائق تنشر لأول مرة
عن الثورة العرابية

الهلال

سبتمبر ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد التاسع السنة التاسعة والسبعون ـ أول سبتمبر ١٩٧١ ١١ رجب ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة :

يوسف السباعى

رئيس التحرير:

صالح جودت

الاشتراكات

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر أنحاء العالم « ونصف دولارات او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل للصرف فى ج.ع.م ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

«الكلاب» قصة العدد



في هذا العدد



المرأة .. ومطالعاتي الاولى



ذكرى مرور ٩٠ سنة على الثورة العرابية



افتتاحية العدد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

باسمه تعالى ...
وباسم الحرف الشريف والفكرة الطاهرة ...
وفى ظل هذا العهد الذى يحلق نحو سماء النصر بجناحى العلم والايمان ..

ابدا بهذه الكلمات عهدا جديدا لهذه المجلة التى حملت امانة الثقافة العربية عشرات من السنوات ، توالت فيها على امتنا الكبيرة مذاهب فكرية متباينة ، تشتتت بينها افكار القارئين ، وتطاحنت حولها اقلام الكاتبين

ورسالة الكاتب العربى الامين فى مثل هذه الاونة ، ان يكون قلمه عربيا خالصا مؤمنا ، لايميل مع الهوى ، ولا يؤمن بالتبعية ، ولا يهدف الى غاية الا ان تكون الكلمة جسرا الى كل قلب فى كل فج من فجاج الامة العربية ، تبشر بالوحدة الفكرية التى لاتقوم الوحدة الشاملة المنشودة الا بها ، ولا تنسج ايديولوجية عربية خالصة الا من التئام خيوطها

وهذا عهدى الى قارىء « الهلال »

عهدى له ، ان تكون صفحات هذه المجلة صوتا عربيا شاملا ، تشترك فيه اقلام المفكرين المؤمنين الاحرار ، لا من جمهورية مصر العربية وحدها ، بل من كل صقع عربى ، من المحيط الى الخليج ، حتى يحس القارىء العربى ، أينما كان ، ان هذه المجلة هى مجلته ، وانه ، وهو على شاطىء المحيط ، يسمع من خلال صفحاتها صوت اخيه فى الخليج ، بهذه اللغة التى شاءت رحمة الله ان تجمع حول كتابها قلوب هذه الامة الواحدة ، التى كانت ، ولاتزال ، وسوف تظل ، خير امة اخرجت للناس .

رئيس التحرير
صالح جودت


وفق الله
وأعان
دولة
العلم
والإيمان

■ أحمد حسن الباقورى ■

حين بدأ الرئيس محمد انور السادات يحمل اعباء الرياسة ، راحت القلوب تتلفت اليه ، والامال تحوم حوله فى شعبنا العربى فى مصر ، وفى سائر شعوب امتنا على تباعد اقطارها واختلاف منازعها واتجاهاتها .

وراح الرئيس يعلن الى العالمين منهاجه الذى يراه صالحا لتحقيق معانى الاصلاح ومسايرا لروح ثورة يوليو التى صحبها وصحبته مدة تسعة عشر عاما لم تفتر له خلالها همة ولم يقعده عن مساندتها والاخلاص لها والبذل فى سبيلها يأس .

والذين تتبعوا احاديثه وخطبه فى مجلس الشعب وفى لقاءاته فى المصانع والقرى مع سائر الطبقات يرونه واضحا غاية الوضوح لا يلف ولا يدور ولا يقول كلاما لم تقم الدلائل على صدقه فيه وايمانه به وكانت تذيع احاديثه وخطبه هذه مختلف اجهزة الاعلام فى شتى انحاء العالم سواء فى ذلك الولى المشفق او العدو المتربص .

فلما اعلن الرئيس الاصلين اللذين يراهما اساسا لبناء الجمهورية التى وضع الله فى عنقه امانة سياستها ، راحت القلوب تخفق بالولاء له والالسن تلهج بالثناء عليه ضارعة الى الله عز وجل ان يثبت خطوه على الطريق وينفى من حوله العقبات ويعينه على ما هو بسبيله من وصل ماضى مصر الماجد بحاضرها المجاهد حتى يبلغ بها منازل السيادة التى هيأتها لها الاقدار منذ اقدم العصور .

وكان منهاج الرئيس الذى استمده من التاريخ الطويل لشعبه وامته ومن روح ثورة يوليو يقوم على اصلين اصيلين لاقيام لامة فى الدنيا بدونهما ولا غنى عنهما . وهما : العلم والايمان .

ولا احسب ملما بالتاريخ يجهل ان بلادنا هذه ذات نسب عريق فى الايمان بقدر ما هى ذات نسب عريق ايضا فى المعارف والعلوم .



وفق الله واعان دولة العلم والايمان

فأما الايمان فان ثقات المؤرخين يعرفون عن يقين — كما تقرر ذلك الآثار التي لا تكذب والشواهد التي لا تجامل — أن الذين نجوا من سخط الله في جنوب الجزيرة العربية جاءوا الى مصر عن طريق باب المندب ومعهم دينهم الذى نجوا به وهم بقايا قوم نبى الله هود على ما يقول تعالى : « ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ » · فهذه الآية الشريفة من كتاب الله تقرر حقيقتين :

اولاهما : أن الشعب المصرى أو شعب وادى النيل هو موجة بشريةمن موجات الجزيرة العربية ·

وثانيتهما : أن ايمان هذا الشعب الذى خالطته الوثنيات انما هو بقايا دين سماوى أوحاه الله الى رسله وانبيائه قبل وجود أب الانبياء ابراهيم عليه السلام ·

ويقرر هؤلاء العلماء انه اذا كان هذا الدين قد انحرف الى ما يشبه مذهب الحلول الصوفى فان هذا الانحراف لا يمنع من كونه ذا أصل صحيح ، كما أن انحراف العرب فى وثنيتهم الجاهلية لا يمنع كونهم فى الاصل اصحاب دين صحيح اخذوه عن أبيهم ابراهيم عليه السلام ·

وخلاصة انحراف الشعب المصرى الى الوثنية — مع كون دينه الاصلى قائما على الايمان بالاله الواحد الغيبى الازلى — يتجلى فى ثلاث صور : عبادة الاله فى قوة التدبير فى الملك ، وفى قوة الاخصاب النباتى فى النيل ، وفى قوة الاخصاب الحيوانى فى العجل أبيس · وليس للدين معنى سوى الايمان بالخالق مهما انحرفت به الوثنيات · ثم الايمان بنظرية الجزاء على الاعمال وهى الصورة الخالدة فى معابد قدماء المصريين لم تستطع الايام أن تمحوها عن جدران المعابد ولا أن تمحوها من ذاكرة الايام ·

وأما العلم فليس ينكر العلماء أيضا أن شعبنا هذا عريق عراقة التاريخ نفسه فى كل أبواب العلوم والفنون من رسم وتصوير وموسيقى وشعر

وهندسة وطب وفلك ورياضة ، وما الى ذلك مما لم تستطع الحضارة المعاصرة على قدرتها وعظمتها – فى باب العلم – أن تصل اليه أو أن تكشف عن أسراره .

فالسيد الرئيس السادات حين علق بالحديث عن العلم والايمان عناية بالغة ، لم يشأ الا أن يربط حاضر شعبه المجاهد بماضيه الماجد لينطلق من ذلك الى مستقبل مرموق منشود ، ومن هنا تخيرنا عنوانا لهذه الكلمة هذا الدعاء المستجاب « وفق الله واعان دولة العلم والايمان » .

ثم ان هاهنا سؤالين لا مندوحة عن ايرادهما والاجابة عنهما . فانه ليس أضر على الناشئة من أن يسمعوا كلمات غير محدودة فيكونوا بذلك كالسائر فى مجاهل بلا اعلام ومتاهات بلا حدود .

وأول السؤالين : ما المراد بالايمان؟
وثانيهما : ما المراد بالعلم ؟

فاما الايمان فانه – كما اعتقد – هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبأن موسى عليه السلام بعثه الله بالكتاب الذى أنزل عليه كرامة للانسانية ، وبأن عيسى عليه السلام بعثه الله بالكتاب الذى أنزل عليه كرامة للانسانية أيضا ، وبأن محمدا عليه السلام بعثه الله بالكتاب الذى انزل عليه خاتما للنبيين والمرسلين تكرمة للانسانية ورحمة للعالمين . فهو بالكتاب الذى أنزل عليه مع الانبياء والمرسلين بالكتب التى أنزلت عليهم أخوة ، دينهم واحد وشرائعهم مختلفة كما يقول ذلك النبى نفسه فى حديثه الصحيح « انا أولى **الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبى ، والانبياء اخوة دينهم واحد وشرائعهم مختلفة » .**

وبهذا أجد من المحتم الذى لابد منه أن يكون المراد بالايمان هو الاسلام لان محمدا والاسلام والمسلمين يعترفون بعيسى والمسيحية والمسيحيين ، ويعترفون بموسى واليهودية واليهود .

فالعناية بالاسلام فى الخطب والاحاديث هى عناية بالديانات جميعا

وفق الله واعان دولة العلم والايمان



من حيث كانت داعية الى الايمان ومن حيث كان الاسلام معترفا بها حتى لا يكون مسلما من لا يؤمن بموسى والكتاب الذى أنزل عليه ، ومن لا يؤمن بعيسى والكتاب الذى انزل عليه

هذا ما يتعلق بالايمان ·

وأما ما يتعلق بالعلم فان العلم علمان : علم يندرج فى عصرنا الحاضر تحت عنوان (العلوم الانسانية) ·· وهذا النوع من العلم بكل ما ينطوى عليه من المباحث العقلية والعاطفية والفنية لا يجهل احد ما للمسلمين فيه من منزلة مرموقة ومقام كريم بل ان الناس ليعلمون أن أمتنا العربية هى التى حملت هذه العلوم وما فوقها الى أوربا عن طريق الاندلس على ما يقرر ذلك صريحا واضحا الاستاذ الفرنسى المنصف « جوستاف لوبون » فى كتابه (حضارة العرب) والسيدة الاستاذة الدكتورة سفريد هونكة فى كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) وكلا الكتابين متداول معروف بين الناس ·

هذا أحد قسمى العلم ، والقسم الثانى العلم الكونى الذى يبحث فى الانسان والحيوان والنبات ، والذين يتدبرون كتاب الله تعالى قارئين أو مستمعين يرون أن القرآن جعل النظر فى ملكوت السماوات والارض وسيلة الى الايمان بخالق السماوات والارض بل جعل توقير الله والخشية منه مقرونة الى النظر فيما خلق من حيوان ونبات وجماد بما اشتملت عليه هذه الاصناف من خلق الله من معان وأحوال لا يعقلها الا العالمون ولا يجهلها الا الجاهلون ولا يجحدها الا الجاحدون ·

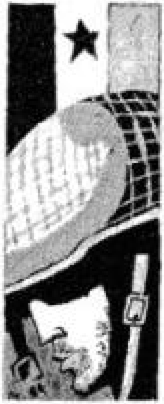
ان الرئيس السادات بعنايته الدائبة وأحاديثه المتواصلة عن العلم والايمان انما يقيم صرحا من التكريم والتعظيم للشعب الذى يعتزى اليه والامة التى يعتز بها · فاذا قدر الله تعالى لسيادته أن يبلغ بالصادقين المخلصين من المواطنين ما يريد من اقامة بناء الدولة الحديثة على أساس العلم والايمان ، فقد قضى بذلك حقا مقدسا وادى الامانة الى اهلها واجرى الله الخير على يده للانسانية جمعاء ··
والله ولى التوفيق ·



كانت هذه القصيدة من وحي حديث الرئيس انور السادات الى حاملي القلم والريشة ـ في اجتماع عقده في مستهل هذا العام ـ عن بطل من ابطالنا على الجبهة احترق هو ومدفعه بعد ان كانا يتحرقان شوقا لتحرير ارض الوطن ، ثم صمتا الى الابد ليعيشا معا في سفر الخلود والمجد ، وصدى صوت هذا البطل يهتف :

البَطَل والمدفع

لا ترفعوا عنه يدى ، فاننا لن نفترق
انا ، ومدفعى هنا ، عشنا لآخر الرمق
اسمع منه قصفه ... احلى غناء وارق
قلبى وقلبه التقى ... نبض بنبضه خفق
كأننى من صلبه ، أو أنه منى خلق
لم تنطفىء لى جذوة ، او تنطفىء له حرق
حتى انتهت حياتنا الى المدى والمنطلق
عانقته فى لهفة عناق والد شق
ثم انصهرنا شعلة تضىء حالك الطرق
نحن كتبنا قصة حقيقة لم تختلق
يقرؤها على المدى جيل وراء من سبق
ان يخنق الموت الحروف فالصدى لم يختنق
او تنطبق عينى ، فعين الشعب ليست تنطبق
شعبى انا معى هنا ... لكنه لم يحترق
سهران غير يائس ، ولم يهدده الارق
يرقب ساعة الوغى لوثبة ... فينطلق



حسن
كامل
الصيرفي

قصونه بما ملكنا من دم ، ومن عرق
أمانة قدسية .. مشدودة الى العنق

***

لا ترفعوا عنه يدى ، فاننا لن نفترق
واستمعوا فى صمتنا صوت الاباء قد نطق
ثم انظروا لميتين خالدين فى الحدق
بل خالدين فى الضمير .. فى الفؤاد .. فى العمق
ثم انظروا الى الامام خلف ذلك الافق
تروا غدا مبتسما ، يطل خلفه الفلق
منورا .. مضونا .. تهللت به الشرق (١)
ما مات ذو رسالة يدفع عنها ويشق
بجحفل من عزمه ، وفيلق من الخلق
وثورة مشبوبة .. ذل الاسار لم تطق
وزحفة الى الخطوب لم تهن ، ولم تضق
وصرخة من العروق يرعوى منها النزق
موارة .. دفاقة .. منها الغشوم يصطفق
تهز كل صخرة .. وتلتقى .. وتفترق
عصية .. عنيدة .. ابية لم تسترق
تقول للبغى : انسحق !. تقول للعزم انطلق !.
تقول للغيم : انقشع !. تقول للنور : انبثق !
تقول للحق : انتصر ! فباطل البغى زهق ...
ردت جحافل الخنا .. هدت معاقل الحمق
صوتى كصوت معقعى لم ينمحق .. لم ينسحق
له صدى مجلجل .. مندفع ، ومنطلق ..
يطوى الوهاد والربى ، لم يغشه ظل رهق
يوقظ كل نائم : قم استفق ! قم استبق !

***

خلوا بقايا معقعى .. خلوا الحطام المحترق
والموا اشلاءنا ... وجمعوا تلك المزق
ثم انثروا رمادنا على الزهور تأتلق
فى بسمة مع الضحى ، ونغمة مع الغسق
ونفحة فواحة ... لها شذى .. لها عبق
وقبلوا خد الصباح .. كفكفوا دمع الشفق
ثم امسحوا جراحكم من الدم الذى اندفق
ثم الثموا ترابكم ، فهو بلثمكم احق ...

---

(١) الشرق : الشمس



الثورة العرابية بعد ٩٠ سنة

كما يلفظ الجسد السليم الجسم الغريب الذي يزرع فيه .. لفظت هذه الأمة الأصيلة كل شاذ غريب دخل عليها على مدى تاريخها الطويل منذ خمسة الآف سنة ، وكلما تكرر الطامع تتجه نحو هذه الأرض الطيبة المباركة ، كلما هبت غضبة الشعب أن تتجمع وتتجه على صورة ثورة عارمة جامحة لا تهدأ إلا على أثار العدو

انها ثورة واحدة ، وان اختلفت أشكال الأعداء فيها ... ثورة واحدة ، منذ ثورة أحمس ، طارد الرعاة القدامى — الهكسوس — الى ثورة أنور السادات ، طارد الرعاة الجدد — اسرائيل — بإذن الله الواحد الأحد الذي جعل النصر وعدا للمؤمنين

ان كتاب الثورة المصرية المتصلة منذ خمسة الآف سنة ، لجدير بأن يروى على كل جيل

وها نحن أولاء نقرأ على جيل ١٥ مايو — جيل الطهارة الثورية — صفحة من ذلك الكتاب ... هي صفحة الثورة العرابية المجيدة ، لنجد أسبابها ، ونتدارس أسباب فشلها ، ونذكر كيف نمت من جذور هذا الفشل غضبة أكبر ، تمثلت في ثورة سنة ١٩١٩ ... ثم غضبة أكبر ، تمثلت في ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ... ثم غضبة الطهر تمثلت في ثورة ١٥ مايو سنة ١٩٧١

ص ٤٠

د. جمال مختار



الثورات

في عهد مصر الفرعونية

وطننا من أقدم مواطن الحضارة إن لم يكن أقدمها جميعاً، وأجدادنا هم أول من أنشأوا الحضارة الإنسانية، ولقد بدأ أجدادنا هذه الحضارة بدءاً، وأوصلوها إلى أصولها متحدين في الشعب، لم يكن من حولهم من يشاركونه أو يتعلمون منه، فالعكس الجهل الشامل والحياة البدائية تسود بقية أجزاء العالم، وقد كافح أجدادنا في سبيل استغلال هبة الطبيعة واستغلوا فيها مواهبهم حتى داخلهم ... من كسب الخيرات واستغلال الموارد الاقتصادية هكذا كانت حضارة مصر هي الضوء الذي قام عليه التقدم الإنساني، فما كان العالم ليستطيع ما بلغه من حضارة ومدنية الآن لو لم يكن تعلم من أجدادنا مظاهر الرقي الإنساني.

ومع ذلك فقد تعرض وطننا لكثير من الاضطهاد وألوان من الاستغلالات، فقلوب أجدادنا كل انتباه وتحملوا كل استغلال فبقي مشعل الحضارة منيراً وبقي شعب مصر حياً، تعاقب عليه العصور، وهو سائر قدماً إلى الأمام.

فلقد كان شعبنا ميالاً إلى السلام فلم يكن في حياة المصريين أول مهتم بحياة ... إلى غيرهم من شعوب الأرض — من أسباب الحرمان ما يدفعهم إلى الإثارة والغزو، ولكن عندما كانت تنفر الأمور وجد الجد وينشو المصريون داعي الحرب ... يحملون السلاح، وينطلقون إلى القتال والنزال ويكافحون في شجاعة وإحسان، هكذا كان الفلاح المصري المسالم بطبيعته تحول سريعاً إلى جندي قوي البأس أو ثائر شديد البأس.

ولقد كان عهد الدولة القديمة الذى بدأ منذ حوالى خمسة آلاف عام قبل الميلاد فترة شباب مصر التى تميزت بالاستقرار الامن ·

ولكن حوالى ٢٥٠٠ ق·م ساد الانحلال السياسى والتفكك الاجتماعى وانتشرت الفوضى واختل الامن فاغارت قبائل البدو من الساميين القادمين من فلسطين وسوريا على الدلتا واحتلتها بحد السلاح · ولقد هبت مصر كلها رجلا واحداً يدافع عن أرضه ويطهرها من المحتلين · ولقد خلد لنا القائد « اونى » قصة هذا القتال على جدران قبره فذكر أنه جهز جيشا لم تر البلاد مثيلا له ، اذ تألف من عشرات الألوف من المقاتلين تدفقوا من كل مكان فى مصر وكذا من النوبيين والليبيين ، وقد تمكن هذا الجيش من سحق العدو وأنزل به خسائر فادحة وطارده الى ما وراء حدود مصر ·

●●●

ولقد تلت هذه الثورة المسلحة ضد المعتدين بعد قليل ثورة من نوع آخر ، ثورة اجتماعية عارمة عندما سقطت الدولة القديمة وساد الفقر والبؤس فى العهد المتوسط الاول ·

وبدت اتجاهات فى المجتمع المصرى القديم تنادى بالعدالة والمساواة الاجتماعية وتندد بالاستغلال الاقتصادى والاستبداد السياسى والأجتماعى ودوت صيحات واعية تطالب بالاصلاح وتدعو الى التمسك بالحرية وحقوق الحياة · ومن امثلة ذلك ظهور جماعة من حملة الاقلام ــ خلال الثورة الاجتماعية التى سادت البلاد فى العصر المتوسط الاول حوالى سنة ٢٢٠٠ ق·م ــ صورت ما حل بالبلاد من بؤس وفقر ونادت بالعلاج السريع فالشاعر « ابيور » عندما رأى أن مصر قد تدهورت الى الحضيض وأخذت تعالج سكرات الموت ، ارتفع صوته فى وجه فرعون يحذره من العواقب ويلومه على التفريط فى الامور ويقرعه لعدم تداركه لبناء الدولة وقد كاد ينهار ويدعوه الى الاصلاح ·

أما الفلاح الفصيح فقد طلب من الملك فى شكواه أن يتروى ليبلغ القول ، وأن يدع عنه الهوى ، وأن يدافع عن المحروم ، والا يعين السارق ، والا يثور على الشاكى ، وان يجعل شعاره فعل الخير ، ثم حذره من جزاء الآخرة ، وهدده بأنه سوف يشكوه الى الارباب الاخرى بعد أن أهمل حكام الدنيا شكواه ·

ولذلك فليس مستغربا أن نرى « أمنى » حاكم اقليم الوعل (منطقة بنى حسن بمحافظة المنيا) فى عهد « سنوسرت » فى مبدأ الدولة الوسطى حوالى ٢٠٠٠ قبل الميلاد يفخر بما كان لهمن صفات انسانية ممتازة تدل على ميله للخير وحبه للانصاف ، فهو يذكر انه لم يسىء الى بنت أحد من الناس ، ولم يظلم أرملة ، ولم يذل زارعا أو يقصى راعيا ، ولم يسخر عملا لغيره ، وأن دائرة اقليمه قد خلت من البؤس ، وأن أحدا لم يجع فى زمانه ، وأنه جد فى زراعة اقليمه من أدناه الى أقصاه عندما حلت أيام القحط ،



فحفظ حياة أهله ووفر لهم طعامهم ، وأنه أغدق فى الرزق على الارامل والازواج على السواء ، ولم يميز فى عطائه عظيما على حقير ، وأنه أعفى الزارعين – عندما حل النيل – مما تأخر عليهم من ضرائب ٠

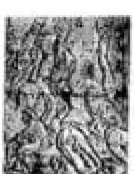
***

وقد تميز عهد الدولة الوسطى بالرخاء الاقتصادى واتجاه الحكومة الى القيام بالمشاريع التى تعود على الشعب بالخير ولكن سرعان ما دارت دورة الزمن وشاخت الدولة الوسطى التى بسقوطها بدأ العصر المتوسط الثانى الذى تعددت فيه المؤامرات واضطراب الامن وتسرب الفساد الى كل مرافق الحياة وكانت النتيجة الحتمية لاضطراب أحوال البلاد وتفككها أن سقطت فريسة حوالى سنة ٧٢٥ ق٠م فى يد عدو قوى متربص بها ، فدهمها المغيرون من القبائل الرعوية التى أطلق عليها اسم الهكسوس والتى كانت تسكن فلسطين وما حولها من بقاع ٠٠ واجتاحوها بسهولة ٠

وقد خضعت الدلتا للمغيرين الذين اتخذوا من « أواريس » فى شرق الدلتا مكان « صان الحجر » بمحافظة الشرقية عاصمة لهم كما توغلوا فى مصر الوسطى ولكن ظل المصريون لا يتعاونون مع الهكسوس ، بل يعادونهم وينظرون اليهم نظرة الكره والاحتقار٠

ويدور الزمن دورته ، بعد أن ضرب مصر كلها بسيف الذلّ والاستعمار جزاء ما جنت أيدى الفاسدين من حكامها ، يدورالزمن دورته بعد قرن ونصف قرن ، فاذا شعب مصر الأبى النبيل يستيقظ من سباته العميق ليرى فعل الدهر فى حياته ، فاذا العدو الغاصب مستقر فى شمال الوادى ، واذ الامراء الوطنيون من حكام طيبة يسيطرون على كافة اقاليم الصعيد من شمال « طيبة » حتى مطلع مصر الوسطى شمال أسيوط ٠ واذا العدو ماد عينيه الى ملك مصر جميعا ، لا يفتر عن التحرش بحكامها الذين استقلوا بصعيدالوادى يتحداهم فيقبلون التحدى ، ثم يصيحون صيحة الحق يهتفون بشعبهم أن يهب ليطهر وطنه من رجس الاستعمار وليغسل عنه عار الاستسلام ووصمة الذل ٠

هكذا انفجر بركان الثورة ، ثورة الحرية الحمراء فاذا بأمير طيبة التى بقيت مستقلة عن حكم الهكسوس يقود النضال ٠ وحفظ لنا التاريخ اخبار تلك المحاولات وكان أولها : ما قام به سقنن رع حاكم طيبة الذى وردت قصته فى احدى البرديات ٠ ومضمون تلك القصة أن « أبوفيس » ملك الهكسوس أرسل رسله الى مدينة طيبة برسالة يطلب فيها من سقنن رع أن يقتل افراس البحر التى تسكن قناة النيل فى طيبة لان أصواتها تزعج ملك الهكسوس ورجاله وتمنع عنهم النوم ولقد أدرك أمير طيبة أن ملك الهكسوس يريد أن يسحبه الى القتال فكظم غيظه وأكرم الرسل ٠ ولكن ما كاد الرسل ينصرفون حتى أخذ يعد العدة لهذا الكفاح المرير ٠ ومن المؤسف أن البردية غيركاملة وتنتهى عند هذا الحد ولكن الظاهر أنسقنن رع مات شهيدا أثناءقتالالهكسوس حيثعثر



بجثته المحفوظة بالمتحف المصرى على آثار طعنات فى رأسه ووجهه كما أن طريقة تحنيط الجثة تدل على أنها حدثت على عجل ودون عناية مما يوحى بأن ذلك تم فى ميدان القتال ·

ولم تكد تصل الاخبار بمقتل سقنن رع حتى هب ابنه كاموزا يقود الثورة ويتم رسالة أبيه ، تشجعه أمه « أباح حتب » وتنفخ فيه من روحها الوثابة · وقد جاءتنا قصة كفاحه فى وثيقتين جاء منهما أن كاموزا ضاق ذرعا بنفوذ الهكسوس وصمم على اتمام رسالة أبيه فجمع رجال البلاط وأهل المشورة ، ليباحثهم فى الامر ، ولكنهم نصحوه بتجنب القتال مع الهكسوس ولكنه لم يأبه بهذه النصيحة المتخاذلة وخرج حاملا لواء الجهاد واتجه جنوبا وقابل العـــدو وانتصر عليه وظل ينتقل من نصر الى نصر ، وان كان لايعرف الحد الذى توقف عنده ·

وقد خلفه أخوه أحمس الذى استطاع الاستيلاء على أواريس عاصـــمة الهكسوس ثم تتبعهم الى فلسطين حيث هزمهم عنـــد شاروهين ــ قرب غزة ــ هزيمة نكراء ، لم تقم لهم بعدها قائمة فى التاريخ فسجل بذلك فصل الختام من ذلك العهد البغيض المشئوم·

وبعد أن طرد أحمس الهكسوس قفل راجعا الى البلاد وتفـرغ للاصلاح الداخلى وبدأ عهدا جديدا هو عهد الدولة الحديثة ، التى وصلت فيها قوة مصر وحضارتها الى أقصى الدرجات ·

***

ولكن فى نهاية الدولة الحديثة حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذ الانحلال والفساد يستشرى فى مرافق البلاد من جديد وطمع فى البلاد كل ذى قوة وتعددت غارات شعوب البحر المتوسط الهندأوربية التى هاجرت من أواسط افريقيـا متجهة الى غرب آسيا وجنوب أوربا وحاولت دخــــول مصر فى عصر رمسيس الثالث الذى صدهم وردهم مدحورين · وكان الغزاة قد حركوا سفنهم فى اتجاه مصر ليهاجموها برا وبحرا · وقد خرج اليهم الجيش المصرى فأغرق سفائنهم حتى سد بها مصب النهر ونجح المصريون فى تعطيل سفائن العدو وتمزيق أشرعتها كما هزموا المغيرين عن طريق البحر هزيمة منكرة أقل ما يقال عنها أنها أبعدت خطر أصحابها عن مصر ·

وفى خلال القرن السابع قبل الميلاد نجح الآشوريون فى توطيد نفوذهم فى مصر ولكن رجلا من أبناء بيت كريم عرف بالجهاد والوطنية يدعى « ابسماتيك » أخذ على عاتقه مهمة تحرير مصر · وقد تمكن من اعداد جيش قوى ضم اليه بعض الجنود المرتزقة وهاجم به الحاميات الآشورية القوية التى كانت تعسكر فى الدلتا فانهارت واحدة بعد أخرى حتى تم طرد الآشوريين نهائيا من مصر ونودى به ملكا على مصر وعد منقـــذ مصر الحقيقى من نير الاستعباد ·



***

ولم يمض قرن من الزمان حتى فكرت دولة الفرس هى الاخرى فى غزو مصر ونجح قمبيز فى اجتياح مصر سنة ٥٢٥ ق·م ولـكن مصر لم تكن لقمة سائغة اذ سرعان ما بدأ المصريون فى مقاومة

الفرس حتى أحالوا البلاد كلها الى شعلة ملتهبة من الكفاح الشعبى المسلح • ولعل أهم ثوراتهم ضد الفرس كانت ثورة سنة ٤٨٦ ق٠م ونجحوا فى تحرير البلاد فترة من الزمن حتى قدم العاهل الفارسى بجيش ضخم أعاد به احتلال البلاد بعد تكبده خسائر فادحة •

وبعد عدة سنوات قام المصريون بثورة ثانية منتهزين فرصة هزيمة الفرس أمام الاغريق فى الحروب الميدية • وقد تزعم هذه الثورة أميران وقف الشعب وراءهما عاقدا العزم على التخلص من ربقة الاستعمار الفارسى • ولقد كون المصريون جيشا كبيـــرا واستعانوا بالجنود المرتزقة من الاغريق ولكن الفرس أرسلوا جيشا كبيرا التحم مع الجيش المصرى على حدود مصر الشرقية •

ولقد استبسلت القوات المصرية رغم ضآلة عددها استبسالارائعا أمام القوات الفارسية الضخمة الآتية من كافة أنحاء امبراطوريتهم الواسعة وتمكنوا من هزيمة الفرس أول الامر ولكن سرعان ما أرسل العاهل الفارسى حشودا جديدة يؤيدها أسطول ضخم مكون من ثلاثمائة سفينة • وقد خاض المصريون معركة مريرة مع جحافل الفرس انتهت بأنتصار الفرس بعد تكبدهم خسائر كبيرة أيضا •

ولكن لم يتسرب اليأس الى نفوس المصريين وقاموا بثورة مسلحة ثالثة نجحت فى القضاء على الجيوش الفارسية وبذا استقلت مصر من جديد سنة ٤٠٤ ق٠م• وقد أرسل الفرس بعد ذلك بحشودهم الى وادى النيل ولكنها أصيبت بهزائم ســاحقة على يد المصريين • وهكذا تحررت أرض مصر الطيبة وعاد الفراعنـــة الى عروش آبائهم ونعمت البلاد بالاستقلال نحو سبعين عاما حتى تمكن الفرس من الاستيلاء على مصر ثانية سنة ٣٤٢ ق٠م٠

بيد أن المصريين لم يستسلموا لهذا الطغيان وانما ظلوا يناوئون المستعمر وظلوا كذلك حتى تمكن الاسكندر الاكبر من فتح مصر سنة ٣٣٢ ق٠م والقضاء على دولة الفرس •

***

من هذا العرض الموجز يمكننــا ان نرى كيف كانت مصر خلال العصر الفرعونى الـــذى استمر ثلاثة آلاف عام مثيرة لحقــد الحاقدين وطمع الطامعين ، وكيف تعرضت البـــلاد لالوان من الاعتداء وصنوف من العدوان ، وخاصة فى تلك الفترات التى كان يشيع فيها التفكك والانقسام او تسودها الفوضى والفساد • ومع ذلك فقد كان المصريون اصلب عودا من المعتدين ، فوقفوا فى وجه كل معتد ، وقاوموا كل اعتداء ، ولم يرضخوا لحكم محتل او دخيل وجعلوا من مصر بحق مقبرة للغزاة •



هكذا علمنا المصريون القدماء معنى الصمود ومغزى الكفاح ، فلنقرأ تاريخهم ونستوعب اخبـــارهم واحــــداثهم ولنحـــاول ان نكون جديرين بالانتســـاب الى هؤلاء الاجداد الذين سطروا صفحات المجد لشعبنا وللشعوب جميعا


عمر مكرم

فتحي رضوان

أربع ثورات في ثورة

ثَورة عُمر مكرم فثورة عُرابي ثم ثورة سنة ١٩١٩ ... وأخيرا ثورة يولية سنة ١٩٥٢



مصطفى كامل

هى اربع ثورات ، فى حكم التاريخ الرسمى ، وهى اربع ثورات ، لان الزمن الذى يفصل الواحدة منها عن التالية يتسع حينا ، حتى يكاد يبلغ القرن ، ويضيق حينا آخر فيكون ثلث قرن تماما او ثلث قرن وبضع سنين .

ولكن قليلا من التامل والتدقيق ، يكشف انها ثورة واحدة ، اختلفت ازمانها ، وتباينت مظاهرها ، وتنوعت مقدماتها ونتائجها ، وتغيرت اسماء زعمائها وابطالها .

ولكنها بقيت واحدة في جوهرها هي اولا واخيرا ثورةشعب واحد ، في فترة لا يعدهـا التاريخ باى معيار من معاييره طويلة ، فقد بدات والقرن التاسع عشر ، يفتح عينيه ، ويستقبل النور متكاسلا ، وانتهت في تمام منتصف القرن العشرين ، فهي في مجموعها قرن ونصف قرن ، تمضي في حساب الامم ، كلمح البصر ، خصوصا ، اذا كان الشعب الذي خاض غمارها ، واثار غبارها ، واحتمل تكاليفهـا ، ورفع اعلامها ، هو اقدم الشعوب طرا ، امتدت حضارته ، في اتصال واتساق ، وتجدد الى اليوم ، من سنة ٤٢٧٧ قبل ان تلد العذراء البتول ، طفلها عيسى المسيح ، وهذه السنة يقول عنهـا المؤرخون العلماء من اهل الغرب ، انها بدء سـنى عصر الاسرات الاولى ، قبل ان تبدأ الدولة القديمة حكمها الباهر ، على ارض النيل العجيب .

على ان الامـر الذي يقضي حتما ، بان تكون هـذه الثورات ، محاولة واحدة ذات وجوه متعددة ، ان مصر خلال فترة الثورات الاربع احتفظت بكل خصائصـها الاجتماعية والاقتصادية ، على الرغم من المشروعـات الكثيرة التي نفذت ، والمصـانع التي اقيمت وانتجت ، والمدارس والمعاهد والكليات والمعامل ، التي اخـرجت الملايين وراء الملايين من التلاميذ والتلميـذات ، ودور الطباعة والصحافة ، التي اخرجت تلالا بل جبـالا من الصحف والمجلات والكتب المؤلفات .

فان مصر ، بعد عصـور طويلة من الظلام الـكثيف ، والظلم المروع ، خرجت امة زراعية وقد بقي انتاجهـا الزراعي ، عصب اقتصادها القومي..وبقي انتاجها الزراعي معتمدا على محصول رئيسي واحد وبقيت الزراعة فيهـا بدائية ، تعتمد على الثور والمحراث ، وتلعب دودة القطن ، ومكافحتها باليد حينا وبالمبيدات الحديثة حينا آخر ، دورا رئيسيا في نشاط الفلاح ، الذي احتفظت قريته كوحـدة



ادارية واجتماعية وروحيـــة ، بمكانتها فى البناء الادارى والاجتماعى للدولة . وفى هذه الوحدة ، تعايش الامية ، اجهزة الحضارة الحديثة ، من (راديو) و (ترانزستور) ، ويعانى الفلاح من قلة الدخل ومن الامراض المتوطنة ، وفى مقدمتها البلهارسيا والانكلستوما .

واذا كان الكفاح ضد هذه الافات المادية والاجتماعيـــة لا يكون بطبيعته الا طــويلاوشاقاء ومضنيه لانالسبيل الى النجاح فيه ، هو تغير شامل فى الفكرة والوســيلة ، وفى المنهـج وفى الاداء ، فانالغريب فى حياة مصر، خلال فترة الثورات الاربع ، ان اعداءها السياســيين كانوا ، هم هم لايتغيرون : الانجليز ، والفرنسيون ، والصهيونيون واصحاب رءوس الاموال ، فى العالم ، والعائلة المالكة ، المنحدرة من الاصل التركى ، والمتحدة مع الدولة العثمانية حينا والمخاصمة لها حينا اخر . تتغير اوضاع ومواقف هؤلاء الاعداء فيما بينهم ، يتحالفون ، ويتعادون ، ولــكن موقفهم من مصر فى جوهـــره واحد وثابت ، الطمع فى الاستئثار بها ، والرغبة فى استغلال مواردها ، والخوف من ان تستقل ، او ان تلعب دور الزعيم فى المنطقة ، او ان تتحد مع سواها من اهل المشرق العربى ، سواء فىالشمال او الجنوب ، فى اليمين او اليسار .

نابليون



لما كانت للثورات الاربـع ،وبصفة خاصـــة الثــلاث الاولى منها ، خصائص تجمعها ، ولذلكفالاصح ان نتحدث من هذه الثلاث الاولى ، معا ، ثم نختم الحديث بفصل عن الثـورة الاخيرة باعتبارها ختام تلك الثورات وتتويجها وباعتبار الاولى تحضــيرا وتمهيدا وتجميعا ، اسـلمت حصيلته ، للاخيرة ، تبنى عليه وتستمد منه وتضـيف اليه ، وتطوره ، وتخرجه فى صورته الكبرى .

من المتفق عليه ، أن مواقف الغضب ، تبرز خصائص الفرد الكامنة ، وتجسمها ، كما تبرزها وتجسمها ، حالات الخوف والقلق ، وبالجملة ، حالات الانفعال الشديد ، التي تتراخى معها الضوابط الكبحية ، التي يمارسها العقل الواعي للانسجام ، ويسلطها على دوافعه الغريزية ، والثورات في حياة الامم ، هي قمة الانفعال ، لجماعة من الجماعات ، ومن ثم فالتأمل في مسلك الامة الثائرة ، سبيل مضمون النتائج ، لتبين صفات هذه الامة الكبرى ، التي لا تبين وتتضح ، في الحياة اليومية لافراد هذه الامة ، في ذهابهم وغدوهم الرتيب ٠

وثورات شعب مصر ، ولا سيما الحديثة منها ، تعلن في غير خفاء ، ان المصريين هم في الاغلب الاعم ، شعب يؤثر الاعتدال ، ويكره التطرف ، وبالتالي ، ينفر من العنف ، في القول والفعل ، ويستهويه الرفق فيما ياخذ وفيما يدع ٠ ولكنه ــ ككل حليم ــ اذا غضب ينفجر غضبه ، وكانه بلا سبب واضح ، او بغير مقدمات تمهد له ، وتؤدى اليه ، ولا سبب لهذا ، الا انه يحسن ضبط نفسه ، ويطيل الصبر على الامور ، حتى يرى هذه الامور قد تجاوزت كل حد ، وان الذى صبر عليهم ، اطمعهم فيه ، هذا الصبر ٠

وهذا الشعب ، على حبه لكل ما هو لطيف ، ومعتدل ، حريص على استبقاء الاساس من مناهج حياته ، وافكاره ، فهو اقرب الى المحافظة ، بحكم كونه شعبا قديما واصيلا من ناحية ، وزراعيا متدينا من ناحية اخرى ، الا ان هذه الخصائص فيه ، لا تجعله عدوا للتطور ، او كارها للجديد ، فتاريخه القديم ، اهله لان يدرك ان كل شيء يتغير ، وان الفناء والتجدد سنة الحياة ، والزراعة ذاتها ، وان كانت تزرع في الفلاح ، حب الاستقرار ، وتؤكد فيه الايمان بالثبات ، الا انها تريه ، في كل يوم ، صور التطور في الطبيعة ، فهو يلقى البذرة ، لتفنى في التربة ، وليخرج منها شيء جديد ، يختلف عنها في الصورة والحجم واللون ، وما يخرج منها ، يتغير بدوره ، وينتقل من دور الى دور ، ومن حالة الى حالة ٠ ولقد شهدت مصر ، اكبر التطورات الانسانية ثورية ، من مثل كشف الافكار الاساسية في الفلك والرياضة والهندسة الزراعية ، وفكرة الاله والبعث ، والصراع الدائم والمتطور ، بين الخير والشر ، والقوة والضعف وبالتالي بين مصر ، واعدائها ، وبين وحدة الوطن وتفتته ٠ ومن هنا جمع شعب مصر ، صفات تبدو كالنقائض ، فبقدر محافظته ، تبدو ثوريته ، ففوز المرأة في مصر ، تم بايسر واسرع ، مما تم في اى بلد عربى آخر ، وقبل كثير من بلاد الشرق القريب والبعيد ٠



اما تدين المصريين فهو كذلك عامل من عوامل المحافظة ، ولكنه في الوقت نفسه ، عامل من عوامل الثورة ، فالاسلام ، منذ البداية ، دين ثورة عملية على مجتمع قديم ، كاره للتطور ،

متصلب وجامد ، وقصة حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وآيات القرآن الكريم نفسه ، مليئة بالتنديد بمن يرفضون الجديد ، ويكرهون التغيير ، ويتمسكون بما آمن به الآباء والاجداد ، وفي الاسلام دعوة ملحة ، وعاليـة ، ومتجددة ، على مر عصوره وحقبه ، الى محاسبة الحاكم ، والاخذ على يده ان ظلم ، وعزله ان لم ينصلح ، ويقبل النصيحة ، وينزل على رأى الشعب أو الجماعة ، وقد ترددت اصداء هذه المبادىء القوية فى جميع ثورات الشعب المصرى الاخيرة ، من ثورة عمر مكرم الى ثورة يوليـة ١٩٥٢ ، بل ان بعض هذه المبادىء ، قيلت بنفس الالفاظ ، وفى نفس المواقف ، كأن الذين قالوها فى مطالع القرن التـاسع عشر هم الذين قالوها فى مطالع القرن العشرين • أو كأن الذين قيلت لهم ، على سبيل النصح والتأديب ، والاخافة والتهـديد ، لم يلفظوا أنفاسهم ، ولم يفقدوا سلطانهم •

وأخيرا ، يبدو هذا الشعب المسالم ، المتـدين ، الرقيـق ، اللطيف ، الصبور ، زاهدا فى الحكم عاجزا عن الحرب ، مشفقا من أهوال الصراع ، أو ان الثقة بالنفس تعوزه ، والاعتماد على الغير ، يريحه ويخرجه من « ورطات » السياسة ، ومتاعب الحكم •

والواقع أن المصريين حيل بينهم وبين ميادين القتال ، أجيـالا ، لان الذين حكموهم ، خافوا من أن يتسلحوا أو يتدربوا على صنعة الحرب ، ثم ارهبوا هذا الشعب ، بألوان من المظالم جعلت المصرى بعامة ، والفـلاح بخاصة ، لا يدرى أيبقى فى داره ، حتى طلوع النهار ، أم سيساق الى حيث لا يدرى ، فان عاد ، الى بيته ، لم يعد وهو مطمئن الى أن شرا لم يصب زوجته أو عياله ، أو القليل من متاع الدنيا ، الذى يعتمد عليه فى تحصيل رزقه ، ورد عادية الموت عن نفسه •

وشعب مشغول بلقمة العيش وحدها ، والمخاوف تطـارده ، فى الليل والنهار ، لا يعاب عليه ان هو بدا كأنما قد فقد خصائصه العسكرية التى أعلنت عن نفسها قرونا طويلة ، ولا يعاب عليه ان انصرف ذهنه عن الحكم ، ولم يزاحم فى سبيل الظفر به ، ولـكن **الذى يذكر له ، انه بعد هذه السنين المتطـاولة من الظلم والعسف والفقر والحرمان ، بقيت له سليقته السياسية التى ورثهـا عن أجداده وعن دينه وعن بيئة سليمة • فهو لم يستسلم للظالم ، ولم يرتضه ، ولم يعجب بظالم ، ولم يفقد ايمانه بالعدل ، وبأن مصير الطغاة ، هو أسوأ مصير •**

بقيت أشعاره ، ومواويله ، وقصصه و (حواديته) ، وأمثـاله ونوادره ، وفكاهاته ومداعباته ، تدور حول انتصـار العـدل والسخرية بالظالم ، بل ان الامثال التى تروى عن الفلاح ، وكأنها تبرر الاذعان للظالم فى واقع الامر ، لا تصدر عن الفـلاح ، الا تعبيرا عن رفضه للاذعان وسخريته بالمذعنين ، فالمثل الذى يقول مثلا : « اللى يجوز امى ، اقوله يا عمى » او المثل القـائل : « ان

رايت الناس بتعبد عجل ، حش وارمي له » أو « ان فاتك الميرى اتمرغ في ترابه » ، لا تروى الا من قبيل الحسرة علـى ما وصلت اليه حال الناس ، لا اقرارا لهذه الحال ، ولا تبريرا لهـا ، أو دعوة لقبولها • ولكن سوء ظننـا بانفسنا في العهـود الاخيرة ، جعلنا نبحث عن كل ما يثبت التهمة ضد الفلاح المصرى ، بل وضد الشعب المصرى كله • والفلاح والشعب كلاهما برىء من التهمة •

***

بقى أن نعرف كيف انعكست هذه الخصائص النفسية والروحية لشعبنا في ثوراته الاخيرة التى شهدها القرن التـاسع عشر ثم القرن العشرون ومن السهل أن تتبين في هذه الثورات ـ خصوصاً الثلاث الاولى :

(١) انطلاق شرارة الثورة أصلا من الشعب ، في تلقائية تدهش أعداء الشعب ، وتهزمهم بعنف ، وتفسـد عليهم خططهم ، وتنقض لهم من الاساس ما كانوا قد كونوه من أحكام عن هـذا الشعب ، انخداعا بظاهر ضعفه ، وبطول صبره ، وبكرهه للقتال ، وبعده عن المقاومة ، وقبوله للوضع القائم ، واحترامه للنظام السائد •

(٢) خروج القائد للثورة ، من باطن النظام الذى قادت الثورة ، لتقويضه أو على الاقل تغييره ، وبقاء الصلة بين القـائد والنظام القديم ، ومرور فترات للمصالحة بينهما •

(٣) تجسد الثورة ، في شخص قائدها ، وتحول القائد الى ما يشبه البطل الاسطورى ، وحدوث شىء من الفاعلية بين الثورة وقائدها ، يزداد بفضلها القائد ، شجاعة ، وادراكاً ، ويبـدو أنه زاد طولا ، وزاد علما ، وزاد صلابة وحنكة ، وفهمـا لدوره ، وتعرفا على أساليب الثورة ، وعلى أساليب الخصوم ، وعلى مزايا الشعب •

(٤) عدم التحضير للثورة ، باعتبارها ، انفجـارا حضرت له الاحداث السابقة عليها ، وحتمته تطورات الامور في المجتمـع المصرى ، ونشوء قوات جديدة في هذا المجتمع ، وانحسار قوات قديمة وتقليدية فيه •

(٥) خلو الثورة عند انفجارها ، من عنصر (المذهبية) ، فهى تبدأ بلا برنامج معد ، فلا يعدو هدفها تحقيق الحرية بمعنـاها العام ، أو القضاء على المفاسد والمظالم ، ولكن الثورة لاتلبث حتى ترى ضرورة هذا البرنامج ، فيتكون خـلال تطورات الثـورة ، وأدوارها •

***



يقول الاستاذ فريد ابو حديد في كتابه عن عمر مكرم :

« وكان أول ظهور السيد عمر في ميدان السياسة في عام ١٢٠٥

للهجرة سنة ١٧٩١ م وذلك بعد رجوع القائد التركى حسن باشا الجزائرلى الى بلاده مع جيشه الذى أتى به لتأديب ابراهيم ومراد ، فان حزب الامراء الذى كان يحكم البلاد تحت جناح القائد التركى المنتصر لم يستطع المحافظة على السلطة بعد خروج حاميه الذى كان يعززه بقوة جيشه ، وانتهز مراد وابراهيم هـــذه الفرصة ، فأرسلا من قبلهما رسولا يفاوض الحكومة القائمة فى أن يعودا الى القاهرة ويشتركا فى الحكم ، وكان رسولهما هو السيد عمر مكرم وكان قد اتصل بالاميرين فى مدة وجودهما فى الصعيد فاختاراه ليؤدى عنهما تلك الرسالة لما توسما فيه من القـــدرة والنفوذ • فأقام فى القاهرة يومين تمكن فيهمـــا من تمهيـــد السبيل لعودة صديقيه الى الحكم ، كما أنه اتصل فى أثناء هذه المدة القصـيرة بكثير من المشايخ والامراء ، وكان مسعاه فى هذا السبيل مـــن أكبر ما سهل رجوع الحكم الى مراد وابراهيم » •

فها أنت ذا ، ترى أن السيد عمر مكرم ، كان صديقا للنظـــام القديم ورسولا ، وعونا له فى الملمات ، ولم يكن ثمة سبيل لمصرى صعيدى فى دولة الحكم فيهـــا والسيادة والزعامة ، حكر للامراء الشراكسة ، ولمندوبى السلطان العثمانى ، أن يضع قدمه فى حلبة السياسة ، وأن يشارك فى الجهد العام ، الا عن هذا الطريق ، الذى يبدو كريها وذميما ، اذ العبرة بما أفضت اليه وانتهت به هذه المقدمة • وسترى ان السيد عمر بعد أن استمر سنين صـــديقا لهذه الدولة ، ولسانا من ألسنتها ، سيخلع عن نفسه ثوب السفير ، وسيلبس ثوب الزعيم ، شيئا فشيئا ، وان مهادنته لها ، ومصادقته اياها ، سيتحولان يوما بعد يوم الى مخاصمة فمخاصمة فتمرد فحرب

وجاءت الدعوة ـ حسبما بينا فيما سبق من سطور ـ مـــن الشعب ، ولم تأت من الزعيم • جاءت الدعوة للعمل من الشعب ، فلم يصم الزعيم أذنيه عنها ، ولاء للدولة التى خدمها ، بل انضم الى الشعب ، ولبى دعوته • فان مراد وابراهيم ، استمرا عـــلى منهجهما الظالم ، من العسف بالشعب ، والفتك بأرواح أبنـــائه ، والسطو على أرزاقه ، وتعطيل مرافق حياته ، فلما رأى السيد عمر أن رجال الـــدولة لم يحققوا الامل فيهم ولم يحسنوا القيـــام بالغرض الواجب عليهم ، نادى الشعب أن يهب لحماية نفسه بمـــا استطاع وأخذ يدعوه ويحرضه ويحمسه لعله يستغنى بنفسه عن الدفاع » •

كليبر



ولكن هذه الفكرة لم تأت من عمر مكرم ، أصلا ، انما جـــاءت من الشعب فى الفترة التى لم يكن فيها عمر ، قد خرج من عزلته بعد ، فى الفترة التى كان فيها صديقا للنظام القائم ، ففى ســـنة ١٧٩٥ اشتدت وطأة أحـــد الامراء على أهل بلبيس فى تحصيل الاموال فالتجأ الفلاحون الى الشيخ الشرقاوى ليحميهم وكـــان الشيخ قد أصابه ضرر من تحصيل تلك الاموال ، فبـــدأ الشيخ بمخاطبة ابراهيم ومراد ، فلما لم يجد لسعاه أثرا فى اصلاح الحال بالسعى السلمى دعا الى الثورة فوجد النفوس مســـتعدة

لدعوته فاجتمع له كثير من أهل القاهرة ومن ضواحيها وأوشك الامر أن يؤدى الى ثورة دموية مدمرة وقضت القاهرة ثلاثة أيام فى اضطراب وخوف ، والناس حصرون على أن يقف الحكام عند حد العدل والحق ، ورأى الامراء أن الامر يوشك أن ينتهى الى اضطراب لا قبل لهم به ، يقول الجبرتى : « نزل الباشا الى بيت ابراهيم ، واجتمع الامراء هنا ، فأرسلوا الى المشايخ فحضر الشيخ السادات ، والسيد النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الامير .. وانتهى الاجتماع الى تحرير وثيقة ، تعد أول وثيقة دستورية فى حياة مصر .. اذ تعهد الامراء بأن يتبعوا العدل وان يسيروا فى الناس سيرة حسنة والا يمدوا ايديهم الى أموال الشعب ، وكان القاضى حاضرا بالمجلس فوثق هذه الحجة (وفرمن) عليها الباشا اى جعلها (فرمانا) اى مرسوما سلطانيا وختم عليها ابراهيم وارسلها الى مراد فختم عليها ايضا » .

ولكن عمر مكرم لم يشارك فى هذه الاحداث ، ويقول الاستاذ فريد أبو حديد فى هذا المعنى « ثار أهل مصر فى مدة هذين الطاغيتين (مراد وابراهيم) كما سبق لنا وصفه ، ولكن لا نجده يتصدى فى اثناء تلك الثورات المتلاحقة لقيادة العامة ، بل بقى بمعزل عن حركاتهم لا نكاد نسمع اسمه فى قيادتهم » .

ولكنه مع ذلك زعيم أصيل ، بيد أن زعامة مصر فى تلك الايام لم يكن ممكنا أن تصدر عن نفس فرد مهما عظمت ، فقد حطم النظام القديم ، هذه الروح فى الناس ، فأصبحت الزعامة لجموع الشعب الغاضبة والرافضة للظلم ، فان وجد من بين هذه الجموع ، انسان مؤهل للزعامة ، التقى مع هذه الجموع ، وتسلم منها الزمام ، وقادها ولم تخفه مخاطر المركة ، وقد حدث هذا مع عمر مكرم ، فقد رأى أن الشعب يتململ تحت حكم مراد وابراهيم ، وأن الظلم جاوز كل حد ، ورأى أن الشعب فى مرة سابقة استطاع أن يفرض حكمه ، وأن ينتزع من الطغاة ، وثيقة حريته ، فانتفع بهذه السابقة ، ودعا الناس الى الجهاد ، ثم هدته سليقة الزعامة فيه ، فأخذ علما ، كان يعرفه الناس « بالبيرق النبوى » ونزل من القلعة الى بولاق والنـــاس تحف به ، ألوف مؤلفة ، ولم يجدوا ما يتسلحون به سوى النبابيت والعكاكيز والمدى وقد راحوا يرفعون عقائرهم بالصياح والهتاف ، وانضمت اليهم فرق الصوفية ، وفرق الموسيقى البلدية ، وعلا من كل ذلك ضجيج مختلط غير منتظم ، ولكنه يخيف الظلمة ، ويؤنس الشعب الاعزل وبدل أن تقع الواقعة بين الشعب بزعامة عمر مكرم من جهة ، ومراد وابراهيم من جهة أخرى ، جاءت جيوش فرنسا من الغرب بقيادة ضابط فرنسى شاب ، عرفته فيما بعد ، ميادين القتال ، فلم تكف عن ترديد اسمه حتى اليوم « نابليون بونابرت » .



وجرت الوقـــائع على ما نعرف ، وهزم الامراء المماليك ، وتفرقوا ، وخرج الزعماء المصريون من القاهرة حتى دخلها الفرنسيون ، فأمنوا زعماء البلاد ، فعادوا اليها ، ولكن عمر مكرم

ابت عليه وطنيته وزعامته معا أن يدخل الى بلده ، ليحتمى بحكم غاصب غاز · وقد التجأ السيد عمر الى الشام ، وأقام فى يافا ، حتى وصلت جيوش نابليون اليها ، فأعادته الى بلاده قسرا ، وعلى الرغم من ان السلطة الفرنسية نجحت فى عقد مصالحة مع زعماء مصر جميعا ، الا ان السيد عمر اعتصم بعزلته ، طوال الحكم الفرنسى ، منتظرا فرصة يجاهد فيها ضد هؤلاء الغزاة ·

وقد أتيحت له هذه الفرصة حينما قامت ثورة القاهرة فى مارس سنة ١٨٠٠ ، تلك الثورة المجيدة التى استمرت سبعة وثلاثين يوما متصلة · ولسنا نستطيع أن نروى وقائع كل تلك الثورة ، وحسبنا أن نذكر أن بونابرت ، حينما أدرك أن مستقبل الحملة الفرنسية التى قادها ، قد أغلق بالفشل المحتم ، اتفق كليبر خليفة بونابرت مع الاتراك على أن يجلو عن مصر ، ولكن الانجليز حلفاء الاتراك ، أبوا أن ينفذوا هذا الاتفاق ، ليقضوا على البقية الباقية من فلول هذه الحملة التى عصف بها الطاعون ، والرمد ، ومعارك الصعيد مع الامراء ، وحروب الشـــام ، وكان المصريون يعتقـــدون أن الفرنسيين قد أعدوا عدتهم للرحيل فلمــا سمعوا أنهم باقون ، اجتمعت جموعهم فى القاهرة ، وقرروا أن يحولوا بين الفرنسيين، وبين أن يستقر لهم الحال فى مدينتهم ، واتجهوا الى زعمائهم ، وفى مقدمتهم عمر مكرم فلبى الدعوة وكان روح المقـــاومة ، فأقام المصريون المتاريس ، وعينوا عليها الحرس اللازم ، وانشأوا معملا للبارود ، وجاءوا له بالصناع ، وتبرعوا بمـــا لديهم من حلل نحاسية وأوان ، لتصهر وتصب آلات حرب من مدافع وذخائر ، وعمر مكرم ينتقل من موقع الى موقع ، يشد العزائم ، ويدعو الى الجهاد ، وينظم ويؤلف القلوب ، ويوزع الاعمـــال ، ويعقـــد مؤتمرات الحرب ، وهكذا ، فلما ضاق الحال بالفرنسيين أرسلوا رسلهم ليتفاوضوا مع زعماء مصر ، ليعقدوا معهم صلحا ، ولبى الدعوة الى المفاوضة الشرقاوى والمهدى والفيومى والسرسى ، فلما عاد هؤلاء من المفاوضة ، وأبلغوا المصريين بما تم فيها ، ووجد المصريون أنها لم تتضمن جلاء الفرنسيين عن البـــلاد ، أهانوا زعماءهم ، ورموا عمائمهم الى الارض وأسمعوهم قبيح الكلام » ·

ولذلك اضطر الفرنسيون الى تشديد الحملة على القـــاهرة ، وأعانهم على القاهريين هبوب عاصفة ممطرة ، وحلت الطرق ، وصعبت الدفاع على المصريين وسلاحهم قليل ، وعدتهم ضعيفة ، ونجح الفرنسيون فى الدخول الى القاهرة ، وخرج الزعمـــاء من القاهرة ومعهم عمر مكرم ولكن لم يكن ممكنا أن يبقى الفرنسيون فيها طويلا ، فقد بقوا ريثما استطاعوا أن يعقدوا مع العثمـــانيين والانجليز معاهدة جلوا على اثرها فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٠١ ، وعاد الجيش العثمانى الى مصر ، ومعه عمر مكرم ، فكانت عودته الى بلاده نصرا للمصريين ، فقد أصبح زعيم البلاد غير مدافع ، ثم بدأت جولة جديدة من جولات جهاده ، فقد بدأ صراع مدمر ، وخال من كل اعتبار للشرف بين الامراء المماليك ، ومنـــدوبى

السلطان ، وانجلترا ، عندما اخلت فرنسا الميدان فبقى عمر مكرم بعيدا عن هذا الصراع اذ لم يجد فيه مصلحة لمصر ، حتى استطاع محمد على أن يتغلب على خصومه ، وان يبدو أصلح الواقفين على المسرح السياسي ، واكفاهم ، واشدهم اعتمادا على زعماء الشعب ، فتولى عمر مكرم قيادة الشعب ، فى معركته الباهرة ضد خورشيد باشا الوالى التركى ، وفى فرض الحصار العسكرى على هذا الوالى فى القلعة ، **حتى اذا كان ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ ، عين الشعب محمد علي واليا على مصر ، والبسه عمر مكرم والشيخ الشرقاوى حلة الملك ، فكان اول وال فى تاريخ مصر الحديث يوليه الشعب ، قبل ان يوليه السلطان** ، ولما اشتد الحصار على (خورشيد) فى القلعة ، أرسل مندوبه الى زعماء مصر ، يقول لهم انه مولى من السلطان ، وأنه لا يعزل من الفلاحين فرد عليه عمر مكرم قولته الخالدة « **ان الشريعة تجيز للرعية عزل الوالى ، اذا سار فى الناس سيرة الجور والظلم** » .

ولما تولى محمد على الملك ، كان شديد الرعاية لمكانة عمر مكرم ، لا يناديه الا بالوالد العزيز ، ويستمع له ، ويعمل برايه ، حتى استتب الامر له ، فبدأ يرى الاحق للشعب فى مشاركته فى الحكم ، مع انه يوم ان ولى اريكة الحكم ، قبل هذا الحكم من عمر مكرم بشروط المصريين ، وتعهد بأن يسير فى الحكم سيرة العدل ، فلما أحس عمر مكرم تحولا من محمد على انفض عنه ، واعتزل مجلسه ، ولم يعد يتردد عليه ، وحاول محمد على أن يسترضيه كما استرضى سواه من العلماء ، فرفض هذا التردد ، حتى اذا شكا الناس من ضرائب محمد على الجديدة ، جهر عمر مكرم بمعارضته لصديقه الحاكم الجديد ، وجمع الزعماء واعد وثيقة احتجاج ضمنها ما كان يأخذه الناس على (محمد على) فى حكمه ، واحس محمد على بأن رياح المعارضة موشكة أن تهب ، وأنها تنذر بشر مستطير ، حاول أن يلين أمام المعارضين ، حتى استمال الزعماء الآخرين دون عمر مكرم الذى أبى أن يفاوض أو أن يتساهل ، ولما تخلى الزعيمان الشرقاوى والساداتوغيرهماعن عمرمكرم واستطاع محمد على أن ينفيه الى دمياط سنين اذ اخرجه من القاهرة فى ١٣ من اغسطس سنة ١٨٠٩ ، فلما كانت ساعة الرحيل ، خرج المصريون الوفا لوداعه ، ولم يعد اليها الا فى ٩ من يناير سنة ١٨١٩ ، ولكن حدثت قلاقل فى مصر ، جعلت المصريين يتلفتون لزعيمهم القديم فنفاه محمد على فى ١٠ ابريل سنة ١٨٢٢ ثم اذن له بالحج وبالعودة الى القاهرة بعد الحج ، فبقى فى عزلة لا يلقى احدا الا خاصة اصدقائه ، الى أن توفاه الله .



***

ولى زعماء الشعب محمد على ، على مصر ، فكان ذلك كسبا لا ينكر ، اذ ان هذه الواقعة اثبتت ان الشعب ارادة ، وأن هذه

الارادة تنفذ وانها تعلو على مكائد الامراء المماليك ، وعلى سلطة السلطان صاحب الولاية الشرعية على البلاد ، وعلى دسائس الدول الاجنبية ، وعلى الرغم من كل عيوب حكم محمد على ، فانه لم يكن فى وسع أحد من منافسيه سواء كان البرديسى او الالفى ، أن يحقق لمصر ما حققه لها ، من اقامة دولة ، ومن انشاء جيشها وبناء اسطولها ، وتحقيق فكرة الحكومة العصرية ، غير الشخصية التى لم يكن الامراء المماليك يفهمون غيرها ، والتى لم تكن تركيا تريد ان تقوم على ارض مصر حكومة الا اذا كانت على غرارها ·

ولكن محمد على الذى أنشأ جيش مصر العظيم ، من أبناء الفلاحين ، الذين أثبتوا أنهم أصلح واثبت فى ميادين القتال من الالبان والاتراك والديلم وكل الاجناس التى ألفت حرب العصابات فى مصر ·· محمد على هذا لم يكن يثق فى المصريين ضباطا لجيشه ولا قادة · فقد خاف على سلطته منهم ، وأحس بغريزته أن وصول الجندى المصرى الى مرتبة القيادة ، معناه انقضاء عهد الحكم الاجنبى المتمصر المتمثل فى شخصه · ومن هنا حال دون أبناء الفلاحين ومراكز القيادة وبقى الحال هكذا ، حتى جاء احد أبناء محمد على نفسه ، وهو محمد سعيد وكان قد اختلف مع الباب العالى (تركيا) وأحس أنه لا سند له فى خصومته مع السلطان ومن حوله ، الا الشعب المصرى ، فقرر أن يصطنع لنفسه سياسة مصرية ·

ويقول أحمد عرابى فى مذكراته : ان (سعيدا) دعا عددا من رجال الدولة ووقف يخطب فيهم ، فقال : أيها الاخوان انى نظرت فى أحوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مظلوما مستعبدا لغيره من أمم الارض ، فقد توالت عليه دول ظالمة كثيرة ·· وحيث أنى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لان يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الاجانب ، وقد وطدت نفسى على ابراز هذا الرأى من الفكر الى العمل » ·

ويقول عرابى انه حينما فرغ من هذه الخطبة خرج الامراء والعظماء من الاتراك والشراكسة ، حانقين مما سمعوا ، وخرج المصريون ، فرحين بما قال الخديو وقد نفذ (سعيد) سياسته ، فأمر بتجنيد أولاد العمد والمشايخ فى الجيش وكانوا يعفون من الخدمة العسكرية ، وقد جند عرابى ضمن من جند من هؤلاء ، ثم اخذ يترقى بناء على سياسة سعيد الجديدة فى السلك العسكرى فعين ملازما من تحت السلاح سنة ١٨٥٨ وهو بعد فى السابعة عشرة حتى وصل الى رتبة البكباشى سنة ١٨٦٠ فرتبة القائمقام سنة ١٨٦١ ثم حظى برضا (سعيد) نفسه ، فعينه مرافقا له (ياورا) ثم صحبه فى رحلته الى الحجاز · ووقع ظلم على (عرابى) فى عهد الخديو اسماعيل وقد رفع عنه هذا الظلم بفضل شفاعة مرضعة الامير الهامى شقيق زوجة الخديو ·· فانت ترى

محمد فريد



أن (عرابى) لم يكن بعيداً عن النظام الذى ثار عليه كما لم يكن عمر مكرم بعيداً عن النظام الذى حاربه ولكن لم يلبث الزعيمان أن تبينا فساد هذا النظام واجحافه بحقوق الشعب ، فوقفا منه موقف الخصومة · ولكن لم يبدأ أى من الزعيمين الحملة على هذا النظام اذ جاءت فكرة الثورة من الشعب نفسه ففى عهد اسماعيل بدأت بذور الثورة تلقى ، ادرك الخديو اسماعيل أن الانجليز والفرنسيين والمرابين الاجانب ، قد عقدوا العزم على خلعه عن عرشه ، وأنهم يجدون من الباب العالى ترحيبا وتشجيعا لاسباب كثيرة كان من أهمها دسائس الامير حليم الذى كان الوارث الطبيعى لعرش مصر ، لولا أن الخديو اسماعيل غير قانون الوراثة فى سنة ١٨٦٦ فجعل وراثة العرش فى اكبر أولاده بعد أن كانت حقا لاكبر الذكور فى العائلة العلوية · لذلك عمل الخديو اسماعيل على انشاء رأى عام مصرى ، يؤيده ويحارب النفوذ الاجنبى وبفضل هذه الروح ، تسربت أفكار ثورية الى الجيش بلغت من قوتها أن قاد البكباشى لطيف سليم مظاهرة عسكرية فى أخريات عهد الخديو اسماعيل وانتهت هذه المظاهرة بالاعتداء على نوبار باشا الارمنى الذى كان يرأس الوزارة فى عهد اسماعيل ، كما ضربت البريطانى ريفرز ولسن الذى كان وزيرا للمالية فى وزارة نوبار ·· **هذه المظاهرة التى وقعت فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ هى بداية الثورة العرابية · لانها بداية اشتغال الجيش المصرى بالسياسة ، وبداية سقوط هيبة الحكومة ممثلة فى رئيس وزرائها وأحد وزرائها ·**

لقد بدأت الثورة العرابية ، فى الصحافة التى كثرت جرائدها ، وكثرت اقلامها ، فاشتدت بفضلها ، الحملة على التدخل الأجنبى ، وعلى تضخم الفوائد الربوية التى عقدها اسماعيل مع البنوك والمرابين الأجانب ، ولما فتح باب النقد ، لم ينج الخديو اسماعيل نفسه من لاذع النقد ، ولا يبعد أن يكون الاستعماريون أنفسهم ولا سيما الانجليز منهم وراء هذه الحملات ، فهذا أسلوب الاستعمار المفضل : العمل على التهييج ولو ضد نفسه فى فترات القلق لتفاقم الاحداث ، ولتتقد حرارة العواطف ، فيقال كل شىء ، ويضطرب كل امر ·

وقد تكون الحزب الوطنى فى هذه الآونة ، أى فى نوفمبر سنة ١٨٧٩ ، وتقدم بمطالب خاصة بالديون وفوائدها وضماناتها ، وبدأ الضباط يترددون على منزل سلطان باشا الذى كانت تعقد فيه الاجتماعات ، واذا كان السبب المباشر الذى فجر غضب عرابى واخوانه هو قانون ٣١ يولية سنة ١٨٨٠ الذى وضع وزير الحربية الشركسى عثمان رفقى ، والذى كان يؤدى الى منع ترقى الجنود المصريين الى رتبة الضابط ، فان الاصطدام كان حتما لا مفر منه حتى ولو لم يصدر هذا القانون · فالحكومة التى اقامها محمد على بمعاونة الشعب وزعمائه وفى مقدمتهم عمر مكرم ، كانت قد افلست ولم يعد عندها ما تقدمه ، وكان لابد من سقوطها ، ولو



كانت الحركة الوطنية استمرت منذ عهد مكرم لكانت هى الوارث الطبيعى لهذه الحكومة ولكن هـــذه الحركة أرقفت قمرا ، بضغط الحكومة واستئثارها العام بالسلطة واقصاء أبناء مصر عنها • واذا كـــان بعض المؤرخين يذهبون الى أن الضباط حينمـــا تقدموا الى وزارة رياض باشـــا ، بعريضـــة ، ضمنوها مطـــالبهم ، وأن هـــذه المطالب اقتصرت عـلى أمور تخصهم ، تتصل بالترقيـــة فى الجيش ، فان هـــذا ليس مطعنـــا فى الحركة العرابية فهذا هو المدخل الطبيعى لجميع الثورات ، القليل منها يؤدى الى الكثير والكبير يؤدى الى ما هو اكبر منه وهكذا ، وفى بداية الثورات تندمج المطالب الخـــاصة فى المطـــالب العامة ، ذلك لان الحاكم المستبد ، يحس بأن اجابة أى مطلب ، للقوة الجديدة الناشئة التى جرى على اهمالها وازدرائها هو بدء انهياره هو • ولو اجابت وزارة رياض الضباط الى طلباتهم العسكرية البحتة ، وعزلت رفقى وزير الحربيـــة الشركسى ، لكان معنى هذا أن الثورة بدأت فقط ـ ولكان من المستحيل بعد ذلك ان تقف • اذ أن استمرار ترقى الضباط المصريين الى المراتب العليـــا فى الجيش معناه أن الجيش المصرى سيؤول أمره الى الضبـــاط المصريين فى سنين قليلة ، واذا أحست دوائر الحكومة ، وأحس الشعب معها أن الجيش الذى كانت تحكمه العنـــاصر الاجنبيـــة تركية وشركسية وانجليزية وفرنسية وأمريكية ، أصبح منطقة نفوذ مصرية ، فان الجميع سيتجهون الى كبـــار ضباط الجيش المصرى ، وسيتحرون رغباتهم ، وسينفذون توجيهاتهم ، فتسقط حكومة الخديو ، من غير أن تطلق طلقة نار واحدة ولقـــد أدرك الخديو اسماعيل وحكومته كل هذا بغريزة الحاكم المستبد ، فقد



مقاومة المصريين للاحتلال الفرنسى

وقف ترقية عرابي بعد أن وصل عرابي الى رتبة القائمقام ، لانه تفهم أن مصر كلها قد بلغت بهذه الترقية رتبة (القائمقام) ، وهي رتبة اقرب ما تكون من مراتب الرياسة الكبرى ، **لذلــك لم يكن وقف ترقية عرابي عند هذا الحد اضطهادا شخصيا من الخديو لعرابي ، وانما كان قرارا سياسيا الغاية منه ان تقف مصر كلهـا بعيدا عن مناصب الحكم وعن مواطن السياسة الكبرى ·**

واذا كانت الحرب قد وقعت بعد ذلك بين مصر وبريطانيا ، بعد أن تولى الضباط الوزارة برياسة (البارودى) ، فى حين كـان عرابي وزيرا للحربية ، فنحن نخطىء اذ نتصور أن سبب هــذه الحرب أن الدستور المصرى الصــادر فى ٢٦ من ديسمبر سنة ١٨٨١ ، قد منح مجلس النواب حق مناقشة الميزانية وان الانجليز والفرنسيين اشفقوا من ذلك لان تدخل النواب فى وضع الميزانية يمكن ان يؤدى الى المساس بضمانات الديون الاوربية ، ذلك أن الحرب كانت قد تقررت منــذ احس الاستعماريون أن رأيا عاما مصريا تكون ، وأن حركة وطنية قد ولدت ، وأن هذا الرأى العام ، سينمو سريعا ، وستنمو معه الحركة الوطنية ، ما لم يضربا وهما طفلان صغيران · وقد حدث ذلك ·

وقعت الحرب وهزمت مصر ، وهــزم عرابي واخوانه ، وعلى الرغم من ان هذه الحرب لم تدخل فى حساب الضباط المصريين ، ولم يحسنوا الاستعداد لها ، لاكثر من اعتبــار ، فان الشعب المصرى الذى وقف ضد المماليك ، ثم ضد الفرنسيين ، والذى هم بالوقوف ضد محمد علي ، اثبت أن أهدافه القــديمة لاتزال هى أهدافه العزيزة عليه ، وأنه مستعد أن يقــاتل فى سبيلها ، ولذلك كان من السهل أن تتكون جمعية وطنية ، وأن تصدر فى ١٧ يولية سنة ١٨٨٢ من القرارات ما يحيل هذه الجمعية الوطنية و (المجلس العرفى) ، الى مجلس حرب ، ولما انضم (توفيق) الى الانجليز ثم عزل (عرابى) لم تحفل هــذه الجمعية الوطنية بهــذا العزل ، وثبتت عرابى فى مكــانه فى وزارة الحربيــة ، واعتبرت نفسها الحكومة الشرعية ، واعتبرت (توفيق) خائنــا ومعزولا ، ولقب (عرابى) من الشعب « **بحامى حمى الديار المصرية** » ووقفت الامة كلها من ورائه تبذل الاموال والمهج ، وتشتعل حماسة وحمية ، وقد كانت هذه الحماسة وتلك الحمية ، **كفيلتين** بالنجــاح عرابى سياسيا وعسكريا ، أو سياسيا على الاقل ، لو أن الثورة دبر لها كما يجب أن يدبر للثورات ، ولو تذرع عرابى بشىء من سوء الظن فى دليسبس ووعوده وبشىء اكثر من الحزم مع توفيق واتباعه ·



وإذا كانت الهزيمة العسكرية قد حلت بمصر فى معارك الشرق عند قناة السويس واذا كانت الهزيمة الكبرى قد تمت بدخول الجيش البريطانى الى القاهرة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، فان هــذه الثورة ، لم تمض بغير أثر باق · **فقد اعلنت هــذه الثورة ، ان ارادة الشعب المصرى التى اعلنتهــا عمر مكرم فى اوائل القرن**

التاسع عشر ، ولدت لتبقى ، وانها لن تموت ، وان الامر ، امر سنوات ، قد تطول وقد تقصر ، ولكن هذه الارادة سيتم انتصارها ·· على ان هذه الثورة قد اثبتت شيئا هـاما ، لم تخطئه عين المؤرخين ، ولا عين المراقبين السياسيين ذلك ان نظـام الحكم الخديوى الذى أسسه محمد على قد افلس تمـاما ، وقد اثبتت الايام التالية لدخول الانجليز الى مصر ، هذا الافلاس ، فقـد انتزع الانجليز الحكم من يد الخديو توفيق ، ومن يد كل الـذين جاءوا بعده من أفراد الاسرة المالكة العلوية ، واصبح الامر كله لبريطانيا تدير شئون مصر على هداهـا ، حتى بدأت المقـاومة المصرية تستعيدوجودها بقيادة « مصطفى كامل » والحزب الوطني·

ولقد كان فى الوسع أن تبدأ هـذه المقاومة عملها بعـد الهزيمة العسكرية لو أن (عرابى) لم يؤثر وقف القتال والجهاد معا بعد وقعـة التل الكبير ، أو على الاقل لم يسلم نفسه للانجليز ، ولم يرتض أن يدافع عنه انجليزيان وأن يوقع اقرارا يتضمناعترافه على نفسه بارتكاب جريمة عصيان الخديو ، ولكن هذه المقـاومة لم يطل على استئناف نشاطها الوقت فقد نفضت عنها غبـار اليأس وبدأت تعمل ·

واستمرت تعمل ضد نفس الاعداء : الحكم الفاسد المستبد فى الداخل ، والسيطرة الاجنبية من الخارج · وقـد زادت الحركة الوطنية من قواها ، ونظمت صفوفها ، وكانت موشكة أن تخوض معارك واسعة-النطاق ، كانت مظاهرات ٣١ من مارس سنة ١٩١٩ وأول أبريل من نفس السنة احتجاجا على قانون الصحافة ، بدايتها ·· لكن الحرب العـالمية الاولى دهمت هـذه الحركة الوطنية ، ووقفت نشاطها ، اذ اعلنت الاحكام العرفية فاصبح فى وسـع بريطانيا ان تطارد الوطنيين ، وان تنفى بعضهم فى مالطة ، وان تضع البعض الآخر فى المعتقلات فى مصر ، كما اصبح فى الوسع تكميم الصحافة ، ولذلك اتجهت الحركة الوطنية الى العمل السرى فتوالت عمليات القتل السياسى والشروع فيه ، خلال الفترةالسابقة على الحرب العالمية وفترة الحرب نفسها ، فلما وضعت الحـرب أوزارها ، كان التحضير للثورة قد اتى ثمره فانفجرت فى ٩ من مارس سنة ١٩١٩ ، بمناسبة اعتقال « سعد زغلول » واصـحابه « اسماعيل صدقى » و « محمد محمود » و « حمد الباسل » · ولم يكن هذا الاعتقال الا مجرد مناسبة فقد كان الغضب الوطنى قـد كمل ، وكان لابد له أن ينفجر بصورة أو أخرى ·

سعد زغلول



واذا كان الزعماء الذين ظهرت اسماؤهم فى هذه الثورة قـد ترددوا أول الامر فى السبيل الذى يسلكونه ، فان الشعب كان قد عرف طريقه فلما اختفى هؤلاء الزعماء بالنفى ، انطلق فى ثورته الشاملة ، واقام متاريسه ، ونظم صفوفه ، وكأنه ابن ثورة اكتوبر سنة ١٧٩٨ ، او ثورة مارس سنة ١٨٠٠ ، وكان عمر مكرم قـد بعث من قبره ·

وإذا كان عمر مكرم وعرابى ، قد خرجا من بطن النظام القديم الذى حارباه ، فان سعد زغلول كان قطبا من أقطاب هذا النظام وعميدا من عمدائه ، ولذلك لما سمع بالنية على ارسال وفد الى الخارج ليطالب فى مؤتمر « فرساى » بباريس رفض الفكرة واستخفها ، فلما أعلمه رشدى رئيس الوزراء وعدلى الوزير بأن السلطان فؤاد على علم بهذا السعى وأنه يقره قال فى مذكراته على ما نشرته وثائق ثورة ١٩١٩ المعنونة (٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩) « ورأيت من الواجب أن أعرض الامر على السلطان فحدد لى الساعة الخامسة .... » .

وإذا كان زعماء الثورة ، قد فوجئوا باندلاعها وهم فى منفاهم فى مالطة ، وإذا كان زعيمها قد استبعد وقوعها لأسباب ظنها معقولة فانهم لم يلبثوا حتى جرفتهم حماسة الشعب ، واصرارهم على قتال أعدائه : السلطان فى الداخل ، والانجليز من الخارج ، ومضت الثورة باهرة وعظيمة ، حتى تفتتت الوحدة ، ونجح الانجليز فى تحويلها الى حرب داخلية .

ولكن على الرغم من كل ما تعثرت فيه الحركة الوطنية فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ فانها بحكم كونها امتدادا للثورات السابقة عليها ، أكدت الاهداف الوطنية فسار الشعب فى الطريق المرسوم منذ عمر مكرم ، يأبى الا أن تقوم فى بلاده حكومة وطنية نظيفة وعادلة ، وأن يقوم حكم دستورى صحيح وسليم ، وأن يكون لمصر جيش وطنى قوى وقادر على الدفاع عن البلاد ، وأن تكون مصر أمة مستقلة ، فلما لم تستطع القوى الوطنية التى نشأت بعد ثورة سنة ١٩١٩ أن تحقق هذه الأهداف ، وكان الجيش المصرى الذى أنشأه محمد على ، وأسند قيادته الى ضباط موالين له ، من غير المصريين قد استطاع أن يحقق ما أراده عرابى من أن تكون القيادة فيه مصرية ، فانه لم يكن ممكنا أن يبقى هذا الجيش المصرى بعيدا عن السياسة ولا سيما عندما يسوء الأمر ، ويصاب العرض المصرى بما يعتبر انتهاكا داميا للشرف .

وثورة ٢٣ يولية ، تشبه الثورات الثلاث السابقة فى أشياء ، وتختلف عنها فى أشياء .

تتلاقى مع الثورات السابقة فى :



أولا : حاربت من نفس أهداف الثورات السابقة

ثانيا : وحاربت نفس الاعداء

ثالثا : وحاربت فى نفس الظروف

رابعا : حاربت بنفس الوسائل .

أما الاهداف ، فقد عرفنا ، أن عمر مكرم حينما حارب المماليك ، ثم الفرنسيين ، ثم محمد علي ، فقد كانت الغـــاية من حربه ، تحرير المصريين من حكم ظالم فاسد شديد ، مضيع على النـاس ثرواتهم ، ومهدد لامنهم ، ومانع من تقدمهم • وحارب في الوقت نفسه غزاة أجانب مسلمين ومسيحيين ، يأبون أن يدعوا للمصريين بلادهم ، فيتنفسوا حريتهم في تدبير شئونهم ، وتقرير مصيرهم ، وبعد مائة وخمسين سنة ، كانت مصر تشكو من نفس الحـــال :

حاكم مصرى ، فاسد ، مستبد ، مبدد لثروات البـــلاد ، ومضيع لطاقاتها ، ومهدد لامن الناس ، ومعتد على كراماتهم • وحكم اجنبي دخيل ، هو صاحب الكلمة العليا في شئون مصر ، يتخـذ من الملك المصرى ستارا لاغراضه ، وقناعا لنشاطه ، وكما طالب عمر مكرم أن يلتزم المماليك ومحمد علي من بعده دستورا في الحكم يمنع الحاكم من أن تمتـــد يده الى أرزاق أو حريات أو أعراض الناس ، طالبت ثورة ٢٣ يولية بحكم دستورى سليم •

والذين حاربوا عمر مكرم ظاهرين ومختفين ، وحالوا بينـه وبين غاياته هم نفس الذين حاربوا ثورة ٢٣ يولية وعملوا عـلى احباط نشاطها ، وتعويق جهادها : العائلة المالكة التى أسسها محمد علي ، والانجليز والفرنسيون •

وقد كانت الظروف التى حارب فيها عمر مكرم وأحمد عرابى ، هي نفس ظروف ميلاد ثورة سنة ١٩٥٢ ، وهى نفس ظروف سنة ١٩١٩ • مظالم متراكمة ، يرتكبها الحاكم المصرى مســتندا الى الاجانب أو الاجانب مختفين وراء الحاكم المصرى ، أو الاثنين متعاونين ومتحالفين ومجتمعين على مصر والمصريين •

بل ان بعض الظروف تكرر وقوعهـــا في ثورة عرابى و ٢٣ يولية • فقد كانت هزيمة الجيش المصرى في الحبشة ، وعجـز قيادة الجيش ، وسوء التدبير للمعركة ، وفســـاد الاسلحة ، والسرقات والاختلاسات في المال العام ، أشبه ما تكون بهزيمـة الجيش المصرى في فلسطين ســنة ١٩٤٨ ، وما اقترن بهـذه الهزيمة من الادلة الصارخة على عجز القيادة ، وسوء التدبير والتدريب ، وخيانة الامانة العامة ، واختلاس المال العام •

الخديو اسماعيل



واذا كان الجيش المصرى لم يخلق الا بعـد قيام دولة محمـد علي ، فلم يلعب دورا في الثورات التى قادها عمر مكرم ، الا أن الشعب المصرى ، كون من نفسه فرقا تعاونت مع الفرق العسكرية الاجنبية كفرق الالبان مثلا ، وكانت جموع الشعب المصرى ، غير المدربة أصلا على القتال المنظم ، تقوم بالاعمال العسكرية بنفس الكفاءة التى تقوم بهـــا الفرق العسكرية التى كانت تسـمى جيوشـا ، وهى لا تزيد على أن تكون جموعا سيئة التدريب ، تنقصها الطاعة ويعوزها النظام ، وتفتقد فكرة الجيش وتضامنه وولاءه •

ولكن الجيش المصرى لعب فى ثورة عرابى ، الـدور الرئيسى الذى لعبه الجيش فى ثورة سنة ١٩٥٢ وقد كتب لقواد الجيش أن يستولوا على الحكومة ، بطريق مشروع ، بموافقة الحـاكم وهو الخـديو توفيق ، ودانت لهم أجهزة الدولة ولـكن لم يطل بقاؤهم فى الحكم ٠

وقد اختفى الجيش من مسرح الاحداث فى ثورة سنة ١٩١٩ ، ولكنه بقى يلوح فى الافق يبتعد عن المسرح ويقترب ، فقد أضربت الكليات العسكرية وخرجت بسلاحها الى الشوارع مؤيدة لثورة الشعب ، ثم المشاركة الكاملة من قوات الجيش المصرى فى سنة ١٩٢٤ ، التى كانت بأحداثها ، ابتـداء من مقتل السردار حتى سحب الجيش المصرى من السودان ، امتدادا لثورة سنة ١٩١٩ ٠

ولكن ثورة سنة ١٩٥٢ تختلف عن سابقاتها فى كثير ٠

وأول وجه من وجوه الاختـــلاف أن قادة ثورة سنة ١٩٥٢ ، كانوا ينتمون الى الطبقـــة المتوسطة الصغيرة ، فهم أقرب الى الطبقات العاملة ، وقد عرف أكثرهم فى حياته ، ضيق الرزق ، وشظف الحياة ، فقد كان اباء أكثرهم من صـــغار الكتبة فى الدواوين الحكومية ، أو من صغار الملاك فى حين أن زعماء ثورات القرن التاسع عشر ، وفى مقدمتهم عمر مكرم ، كانوا ينتمون الى الطبقة الارستقراطية ، فعمر مكرم نفسه كان نقيب الاشراف ، وان لم يكن فى مثل غنى « الشرقاوى » و « المهدى » و « الدواخلى » و « المحروق » ، ولكنه كان على صلة وثيقة وقريبة بالحـــكم الاعلى ، وكان معدودا بين الاغنياء ٠

أما زعماء ثورة سنة ١٨٨١ فقد كان بعضهم من أبناء الطبقة المتوسطة الكبيرة ، وقد أصبحوا فيما بعد من أعضــــاء الطبقة الاولى فى البلاد ، وكان منهم من هو عضو أصلا فى تلك الطبقة كمحمود سامى البارودى باشا ، ولكنهم جميعا كانوا قبل الثورة بكوات وباشوات ، أى فى قمة المجتمع المصرى ٠

أما زعماء ثورة سنة ١٩١٩ فقد كانوا جميعا تقريبا من أغنياء مصر ، فقد كان منهم « محمود باشا سليمان » و « ابراهيم باشا سعيد » و « أحمد بك لطفى » و « السيد على باشا شعراوى » و « محمد باشا محمود » و « سينوت بك حنـــا » و « واصف باشا غالى » ، وهؤلاء من ذوى الثراء البعيـد ، أما « سـعد زغلول » زعيم الثورة نفسه فقد اقتنى قبل الثورة مئات الافدنة ، وان كان بعضها قد بدد ، فلأسباب لا علاقة لها بالحياة العامة ، وأيا كان السبب ، فهو لا يمنع انتماءه الى طبقة الاغنياء وذوى النفوذ العريض وقد جاءت مصاهرته لمصطفى باشا فهمى ولأسرة سرهنك باشا تأكيدا لانتمائه للطبقة الارستقراطية ، ولكنه كـان يقول من باب البلاغة الخطابية أنه من أبنـاء ذوى الجـلاليب الزرقاء ٠



ووجه الاختلاف الثانى أن ثورة سنة ١٩٥٢ هى الثورة الوحيدة التى تم لها نجاح كامل فقد استولت على السلطة استيلاء تاماً ، ودام استيلاؤها عليها ، وتسييرها لشئون الدولة منذ قامت حتى اليوم ، وكان هذا الاستيلاء على وجه من الاستقرار والثبات لم يكتب لثورة أخرى فى المنطقة العربية ولم يكتب لثورات كثيرة سواها فى العالم كله ·

والوجه الثالث أن ثورة سنة ١٩٥٢ ، هى الثورة التى استطاعت أن تصمد فى وجه كل أنواع التدخل والضغط الخارجى من قوى هائلة ، فى حين كان التدخل الاجنبى ناجحا فى ثورة عمر مكرم ، بل وفى عهد محمد على ، وفى ثورة عرابى ، وفى ثورة سنة ١٩١٩

أما وجه الاختلاف الرابع ، فهو أن ثورة سنة ١٩٥٢ هى الثورة التى خرجت من النطاق السياسى البحت ، الى النطاق الاجتماعى ، وأنها تجاوزت دور التحرر الوطنى ، الى دور التغيير الاجتماعى والاقتصادى ، وأنها وضعت لنفسها برنامجا ، على مر السنين ، وقد زاد هذا الدور بفضل الاحداث الكبرى التى لابست الثورة ، والتى ترتب عليها فى الداخل وفى الخارج وفى المحيطين العربى والعالمى وضوحا حتى كاد يكون برنامجا ذا خصائص مصرية ·

أما الوجه الخامس ، فهو ادراك قيادة ثورة سنة ١٩٥٢ مدى الارتباط الوثيق بين أجزاء المنطقة العربية ، وضخامة الدور الذى تهيأت للقيام به هذه المنطقة فى حقب التاريخ الكبرى وفى ثراء هذه المنطقة المادى والروحى ، وقد غابت هذه الحقائق عن زعماء الثورات السابقة ، واذا كان للثورتين الاوليين بعض العذر ، للظروف التى كانت سائدة وقتذاك فى المنطقة العربية ، فانه لا عذر لثورة سنة ١٩١٩ وزعمائها وقد كان فى مقدورهم أن يلعبوا دورا كبيرا فى الشرق العربى ، خصوصا فى المراحل التالية لبدء الثورة ـ لو انهم كانوا أوسع افقا ، وأكثر اطلاعا على التاريخ ·

وترتب على هذا الوجه الاخير مباشرة السمة العالمية لثورة سنة ١٩٥٢ ، فان اثرها تجاوز المنطقة العربية الى المحيط الافريقى والاسيوى ، حتى كان لها فضل المساهمة الفعالة فى خلق العالم الثالث ·

لقد كان دور مصر دائما دورا عالميا حتى وهى فى فترات الانحسار والضعف ، بل وهى كرة يتقاذفها الغزاة والفاتحون ، فان خصائص وجودها الجغرافى ، وخصائص تراثها التاريخى ، يجعلها مركزا عالميا ، وميدانا عالميا ، ولقد حد من طاقة مصر من النهوض بهذا الدور ، القيود السياسية والاجتماعية ، التى كبلتها ، ولما سقطت هذه القيود فى أعقاب ثورة سنة ١٩٥٢ وخلالها ، أصبح فى مقدور مصر ، أن تلعب دورها فى أوسع صوره وأعلاها ، وأحسب أن السنين القليلة القادمة ستشهد ذلك ، وهو فى واقع الامر ، فى أشد الحاجة اليه ·


بعد ٩٠ عاما
من الثورة
العرابية

صبرى أبو المجد

لست اعتقد أن ثورة من الثورات .. فى جميع ارجاء العالم قد لقيت من الجحود ، والاجحاف، والظلم ، وعدم الفهم ما لقيته الثـورة المصرية الرائدة فى ١٨٨١ تلك التى اطلق عليهااسم الثورة العرابية نسبة الى قائدها ورجلها الاول احمد عرابى الحسينى المصرى ، وربما كان من سوء طالع تلك الثورة انها لم تواجه ـ منذ اللحظات الاولى لقيامها ـ عدوا داخليا يتمثل فى حكم الخديو توفيق فحسب ، بل واجهت ، حتى قبل ان تختمر فكرتها وتولد ، اعداء اقوياء للغاية من الخارج يتمثلون فى حملة الاسـهم المالية التى اقترضها الخديو اسماعيل من البيـوت المالية ، الاوربية وفى مقدمتها بنك روتشيلد وكذلك بريطانيا العظمى التى كانت تتطلع منذ القرن الثامن عشر للاستيلاء على مصر وكذلك فرنسا التى كانت تريد مزاحمة انجلتـرا فى الشرق الاوسط لتاخذ منها زمام المبـادرة الاستعمارية تمهيدا لاحلام نابليـون بونابرت وكذلك تركيا التى كانت قد فقدت نفوذهـا السياسى فى مصر ، ولم يبق لها الا بعض النفوذ الاسمى فرات فى الثورة المصرية فرصة سانحة لتعود ـ من جديد ـ الى احتلال مصر .



وقد تجمعت كل هـذه العداوات للثورة ـ رغم ما بينها من تناقضات ـ منذ البداية وعملت فى انسجام مرة وفى تنافس مرة أخرى الى ان نجحت بريطانيا فى الانفراد بالامر وتمكنت بفضل أسطولها وقواتهـا البرية من دخول العـاصمة المصرية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وكان الاحتـلال البريطانى المدعم بالجيش ، والخبرة الاستعمارية ، وكانت حملات التشفى والانتقام التى باشرها الخديو والانجليز ضد أنصار الثورة قد بلغت ذروتها حتى لقد بلغ عدد الذين اعتقلوا فى اعقاب الهزيمة العسكرية ٢٩ الف مصرى من المدنيين والعسـكريين ، ولظروف خاصـة لم يقف كثير من المتهمين من قـادة الثورة العرابية فى محـاكماتهم موقفا جريئا يتحملون فيـه المسئولية السـياسية والعسكرية ولعوامل أخرى عديدة لا مجال للافاضة فيها فى هـذه الدراسة ، ظلت الثورة العرابية تهمة ، أو لعنة تطـارد كل من اشترك فيهـا حتى الممات ، بل بعد الممات ، حتى عنـدما مات « أحمد عرابى » قائد الثورة العرابية والرجل الذى دوخ أوربا الاستعمارية أكثر من عامين ، والذى أثرت شخصيته وثوريته على كثير من الدول من بينها الصين ، واليابان ، والهند ، يموت هذا الرجل فلا تنصفه الصحافة المصرية ، الا بكلمات قليلة ، ضعيفة مترددة فيما عدا الاستاذ « لطفى السيد » ، الذى كان وحده الذى انطلق بحرية يعدد حسنات الرجل وسيئاته ، وفيما عدا مجلة ادبية كان يصـدرها الصحفى الاديب أنطون الجميـل ، واسمها مجلة الزهور ٠

لطفى السيد ينصف عرابى

وصف عبد القادر عرابى بن احمد عرابى فى مقالة له وقعهـا باسم « النسر الصغير » ونشرت فى البلاغ الاسبوعى (١٠ يونية ١٩٢٧) جنازة والده ، فقال :

كنت فى الثامنة من عمرى حين مات عرابى فبكيته بكاء الولد البار على أبيه العطوف وقلت فى نفسى حين حملته الحـدباء الى داره الاخيرة ما أشد سخرية الاقدار منا ، « ها انا أرى دنيـا خالدة تسير فى اثرها دنيا زائلة » ولم أكد انتهى من توديع ذلك الذى اعتبطه الموت حتى رأيت النـاس عـلى مختلف أعـمارهم ودرجاتهم يتقارضون اسم هـذا الرجل فيما بينهم فى همس ، ويتخاطفون الصحف التى أتت فى ايجاز بتاريخ هذا الرجل ولقد قرأت اذ ذاك صحيفة « الجريدة » التى كان يديرها الاستاذ لطفى السيد مدير الجامعة « اليوم » اذكر أن مقال الاستاذ كان خلابا وان لم يكن موفقـا الى الحق فى بعض ما كتب واكبر الظن ان الاستاذ لم يتكلف هذا الذى أخذه عليه بل لعله تورط فيه مدفوعا وراء تلك الاسطورة التى تقول بخروج عرابى على العرش وطمعه

فى الملك وليس من شك فى أن هذه الاسطورة نفسها كان تاثيرها على كل الناس حادا عنيفا الى حد أنها امتزجت بعقولهم فأصبحت يقينا من العسير انتزاعه ، ومهما يكن من شيء فانا اعترف فى كثير من الاعجاب بأن الاستاذ لطفى السيد (وهو المعلم الاول للمدرسة الحديثة) كان اول رجل جرؤ فى ذلك العصر المضطرب على أن يودع عرابى فى موته بما يستحق فقال : انه رجل عمل لوطنه لا لنفسه ، ولكن التوفيق أخطأه ، ولو نجح لتراموا على أقدامه واستمروا خيره ولكن هى عادة الجماهير » ..

ومجلة الزهور تقول

أما مجلة الزهور فقد كتبت عن عرابى ست صفحات بدأتها بالقول :

ثار عرابى ثورته سنة ١٨٨١ فكانت من اهم الحوادث شأنا فى تاريخ مصر الحديث بل من اعظمها تاثيرا فى السياسة الافريقية وقد مر عليها ما يناهز الثلاثين سنة وهى لاتزال تبدى لنا نتائجها المختلفة اما شهرتها فى الشرق وخصوصا فى القطرين المصرى والسورى فهى تفوق كل شهرة سواها ، وقد اتخذها العامة للتاريخ فيقولون مات فلان او ولد فلان او حدث ذلك سنة عرابى » وبعد أن تحدثت المجلة الادبية عن تاريخ عرابى انهت مقالها بقولها : « فى ١٣ سبتمبر هجم الانكليز قبل الفجر على التل الكبير فانهزم العساكر ، وفر عرابى الى مصر ، وتبعه الجيش الانكليزى وفى ١٤ سبتمبر دخل الانكليز القاهرة ، وفى ١٥ سلم لهم عرابى فسجنوه فى العباسية ثم حوكم فحكم عليه بالاعدام واستبدل الحكم بالنفى فنفى الى سيلان ، ثم صدر العفو عنه فعاد الى مصر سنة ١٨٩٧ مع رفاقه واجرت الحكومة عليه ٦٠ جنيها فى الشهر وسكن بجهة الناصرية حيث توفى » .

كل ذلك كان ما قيل – من كلام حسن – فى عرابى وقد قيل فى استحياء بالغ حتى أن مجلة الزهور مثلا لم تطلب لعرابى الرحمة ، فقد خشيت أن تعتبر ذلك الطلب ، طعنا فى العرش باعتباره جريمة يعاقب عليها قانون المطبوعات .

مصادرة عرابى



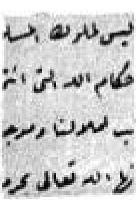
وقد ظلت مصر ، الى سنوات قليلة قبيل الثورة لا تعرف حق عرابى ، بل لقد كانت الكتب المدرسية ، التى تدرس فى المدارس الابتدائية والثانوية لا تذكر اسم عرابى الا بقولها « العاصى أحمد عرابى » ، وظل الكتاب والمؤرخون عاجزين حتى على أن يقولوا

كلمة حق فى أحمد عرابى وثورته بل لقد كانت الافتراءات على عرابى وثورته تتوالى عبر السنوات السبعين التى سبقت عام ١٩٥٢ الى درجة أن بعض كتابنا قد انزلق فردد بعض ما روته المصادر الاستعمارية من آراء لتشويه ثورة أحمد عرابى فذكروا أن أحمد عرابى كان متفقا قبل موقعة التل الكبير مع الانجليز على التسليم مقابل انقاذهم لحياته من الاعدام وأن الثورة العرابية كانت بوحى وتشجيع ، ومساعدة من الخديو اسماعيل الذى كان يهدف من ورائها الى العودة لحكم مصر من جديد بعد نفيه منها وغير ذلك من الافتراءات التى لم يكن أحد بقادر حتى على الرد عليها ..

وعندما أصدر الاستاذ محمود الخفيف ــ وهو من خيرة كتابنا الوطنيين ــ كتابه عن « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه » تعرض لسلسلة من الاضطهاد لانه تجرأ فأنصف أحمد عرابى وعندما أصدرت دار الهلال كتابا لاستاذنا عبد الرحمن الرافعى طيب الله ثراه عن « الزعيم أحمد عرابى » صودر الكتاب بعد طبعه ولم يفرج عنه الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وثائق جديدة

لقد كان اسم أحمد عرابى يخيف حكام مصر ، ويبعث فيهم القلق على مصيرهم ، ولذلك كان هؤلاء الحكام ــ طوال سبعين عاما ــ من ١٨٨٢ حتى ١٩٥٢ ــ يعملون باستمرار على تشويه سمعة الثورة العرابية ، ورجالها ، ومن اتصل بهم كما أنهم كانوا يعملون باستمرار على اخفاء الوثائق ، والمعلومات التى تتصل بهذه الثورة الرائدة ولذلك فان كتابنا ومؤرخينا كانوا معذورين الى حد كبير عندما لم يحاولوا انصاف هذه الثورة والنظر اليها من زاوية جديدة بعد أن زال سلطان الحكام الذين قامت الثورة العرابية للتخلص منهم ومن أسلوبهم فى الحكم وليس من شك فى أن مهمة هؤلاء الكتاب والمؤرخين الذين يرغبون فى اعادة تأريخ الثورة العرابية من جديد سوف يتعبون فى بحوثهم نتيجة لمرور تسعين عاما على أحداث هذه الثورة ووجود جو من الظلم والظلام أحاط بها ، وبقياداتها اثر هزيمتها العسكرية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .



وكانموذج من الجو المظلم الذى أحاط بعرابى وصحبه الاكر النشر فى سبتمبر الماضى نقلت عن كتاب الاستاذ محمود الخفيف ــ أول وأجرأ من أنصف أحمد عرابى ــ فقرة قال فيها عند حديثه عن موت أحمد عرابى : **لم يكن لدى أولاده من المال ما يكفى لتجهيزه ودفنه فاضطروا الى عدم اعلان نبأ وفاته حتى اليوم التالى حتى**

قبضوا معاشه اذ صرفت وزارة المالية المرتبات والمعاشات في هذا اليوم بمناسبة عيد الفطر المبارك ، كما نقلت ـ وكان الكلام عن عرابي بمناسبة ذكراه ـ عبارة وردت على لسان احد أولاده لي شخصيا من انهم لم يجدوا المدفن الذى يدفن فيه ..

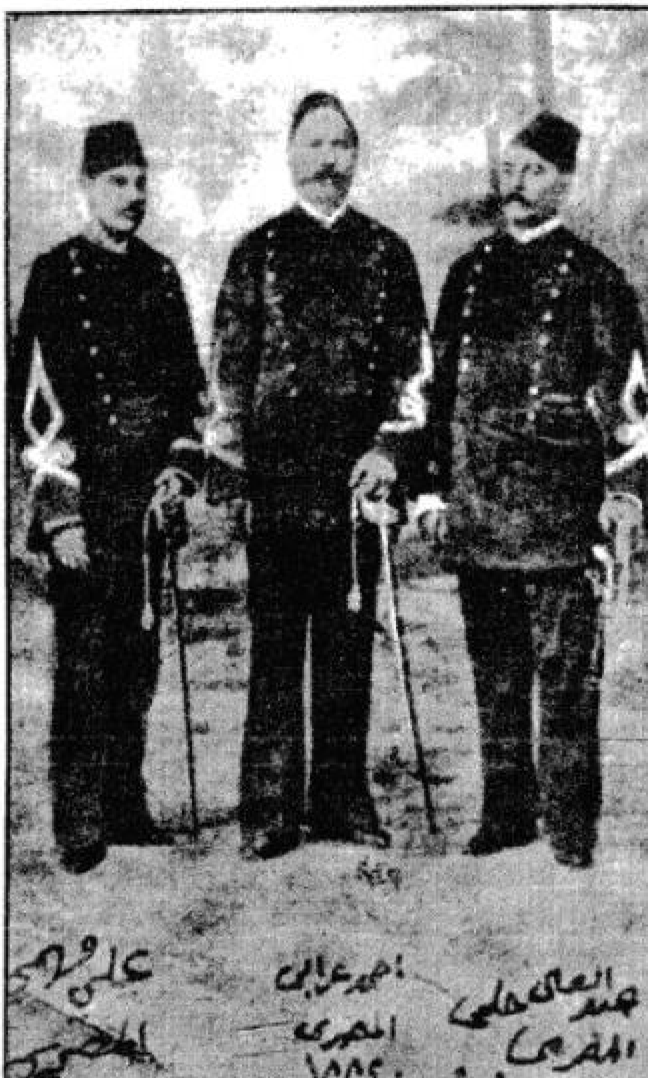
وتلقيت بعد المقال سلسلة من الاعتراضات على ما نقلته عن الاستاذ الخفيف وما رويته عن أحد أبناء عرابي بخصوص تأجيل الجنازة وعدم العثور لعرابي ـ الا بعد جهد ـ على مدفن يليق به وكان حفدة عرابي هم أصحاب هذه الاعتراضات ذلك لان تكاليف الجنازة وقت الوفاة ، لم تكن تزيد على ثلاثة جنيهات وقد كان من أزواج بنات عرابي محمد توفيق عبد القادر بك ابن عبد القادر باشا فهمي المهندس ، الذى حفر قناة السويس والذى كان يملك ثمانين منزلا في حلوان وشبرا ودرب الشمس بدمياط (ومدرسة دمياط الثانوية للبنين كانت هبة منه ، لوزارة المعارف) والذى كان اول من اشترى سيارة عرفتها مصر والشرق ماركة رينو عرضها مسيو رينو ضمن ثلاث سيارات في معرض باريس الدولي سنة ١٩٠٠ وكان ممن حضر تشييع الجنازة احد ازواج بنات عرابي الدكتور الاميرالاى حسين بك راسم من اثرياء مصر ، والاستاذ حسن بك غازى من أعيان دمياط وكان يملك الف فدان فكيف يقال مع وجود هذه الشخصيات حول سرير الموت وفي جنازة عرابي ان أسرة عرابي لم تجد نفقات جنازته ؟؟

انصفوا زوجة عرابي

وحول زوجة احمد عرابي صديقة « خانم » عيسوى ، ابنة الاميرالاى عيسوى بك ابراهيم من رجال الجيش المصرى ومن ابناء كفر الزيات تلقيت الوفير من المعلومات التى صححت الى حد كبير بعض ما لحق بهذه السيدة الفاضلة من معلومات غير صادقة وفي مقدمتها انها رفضت ان تلحق بزوجها الى المنفى وانها انساقت وراء حاشية الخديو ، فتبرأت من عرابي وطلقت منه .

وتقول هذه المعلومات ان تلك السيدة قد اختفت اثر فشل الثورة العرابية ـ وهذا كلام يقال للمرة الاولى ـ اكثر من ستة اعوام هى واولادها دون ان يعثر عليها جواسيس الانجليز وعملاء القصر ، وأعداء الثورة ، وقد ساعدها الشعب المصرى ، الذى حمى عبد الله النديم عشر سنوات ومن قبله طومان باى بعد هزيمة الغورى في موقعة مرج دابق وتقول المعلومات الجديدة انها عاشت في حارة النصارى بالقاهرة تحت اسم مستعار وكان كل اهالي الحى من مسلمين واقباط يعرفون ان أسرة عرابي بينهم ولم يظهر خائن واحد يرشد الاعداء المتربصين بالفريسة حتى ذلك المواطن الذى





صورة نادرة تنشر لاول مرة بتوقيعات زعمـــاء الثورة العرابيـة

باعته تلك السيدة مجوهراتها ، عرفها واجزل لها الثمن ، وأبى ان يرشد عنها السلطات .

والمواطن المصرى الشريف عطية العزونى ـ ابن «هرية رزنة» الذى قام بشراء ٥٣ فدانا فى مسقط راس عرابى بثمن هذه المجوهرات باسمه حتى انتهت الحتلالتقلها باسم السيدة صديقة وكان فى وسعه أن يستولى على الارض ويسلم زوجة عرابى وأولادها لايدى زبانية المراى ، وتمضى المعلومات التى وصلتنى من حفيد عرابى « عزالدين عبد القادر » قائلة أن السيدة صديقة «خانم» تملك بيتا كبيرا فى هرية رزنة وآخر فى حارة البابلى فى شارع خيرت بالسيدة زينب نزل فيه عرابى بعد عودته من المنفى هو وأولاده من غيرها وأن عرابى ودعها عندما ماتت قبل عام من وفاته قائلا لها وهى على فراش الموت ودموعه تجرى كالمطر : لقد شبعت فى حياتى من كل شىء ولكنى لم اشبع منك يا حبيبتى يا صديقة .. وقد ماتت صديقة وهى على ذمة احمد عرابى كزوجة ..

ولقد حرصت على أن انوه بما تلقيته من معلومات للتاكيد بان الجو قد اصبح الان ملائما لاعادة تاريخ الثورة العرابية على ضوء الوثائق والمعلومات الجديدة التى كان يخفيها البعض خوفا من الاضطهاد ، أو رغبة فى استمرار جو الظلم والاظلام الذى يحيط بالثورة العرابية ولست بحاجة الى القول بان انصاف احمد عرابى وثورته قد اصبح اليوم ضرورة قومية فليس هناك افدح من أن تظل هذه الثورة ـ بعد مرور تسعين عاما على بزوغها ـ تجد الاهتمام من عشرات من المؤرخين فى أوروبا وآسيا بل وفى سيلان حيث قضى زعماء الثورة العرابية قرابة عشرين عاما فى المنفى ثم لا تجد العناية من ابناء مصر ..

ثورة من اجل الدستور

ان ثورة عرابى فى عام ١٨٨١ لم تكن مجرد انتفاضة عسكرية قام بها بعض ضباط الجيش المصرى فحسب بل كانت كما يقول استاذنا الرافعى « ثورة قومية اشترك فيها كل طبقات الامة ، كانت ثورة على المظالم ، وثورة على الحكم والاستبداد ومن الوجهة الاقتصادية كانت ثورة على التدخل الاوروبى فى شئون مصر المالية ، وعلى النظم الاقتصادية التى كانت تعانيها البلاد قبل الثورة » .



ثم انها ـ كما يقول الاستاذ احمد لطفى السيد : « ثورة من اجل الدستور » فالدستور المصرى من عمل احمد عرابى ومن صنع يديه ومن آثار جراته .. طلبه احمد عرابى لا بوصفه انه عسكرى ثائر ولكن

بوصفه انه وكيل وكلته الامة فى ذلك فان عريضة طلب الدستور كانت ممضاة من وجهاء الامة ومشايخها فعرابى حقق امال الامة بالدستور ولم يرتكب فى ذلك جريمة ولم يسفك دما ، بل كانت الحركة فى حقيقتها سلاما لابسا كسوة عسكرية » ·· اننا ــ هكذا يقول لطفى السيد ــ لا يجوز لنا أن نغمط حق الرجل فى انالتنا الدستور بل يجب علينا أن نرد له ثناء اباءنا يوم صدور قانون الانتخاب وقانون مجلس النواب ·

صديقنا « بلنت » يقول

من ضمن ما عثرت عليه من وثائق رسالة بعث بها صديق مصر « مستر ويلفريد بلنت » الى غلادستون رئيس وزراء بريطانيا اثر تحقيق الثورة لآمال الشعب فى الحصول على الدستور ، يقول « بلنت » : « تحدثت الى عرابى وأؤكد لكم انه رجل غير عادى ، فهو قوى الحجة واسع العلم ، كبير النفس والقلب ، عالم فى شريعة دينه كاكبر علماء الشرع الشريف وافكاره وما يجول فيها من آراء مبتكرة حديثة ، ليست قديمة مقتبسة ، ولعل ذلك اكبر دليل على ما لعقله من قوة وسلطان على فهم التاريخ العالمى ، وبخاصةتاريخ العرب حينما كانت للاسلام حكومة دستورية ، واقسم لكم ان هذا الرجل بطل الساعة فى تاريخ العالم كله فهو يقبض فى لين وعدل على شعب من اعرق الشعوب قاطبة وهو الى هذا شريف من قريش ينتسب فى قرب الى النبى محمد «ص» وأنت اذا سمعت اليه رأيته وادعا يتحدث فى منطق مستقيم خلاب وقد قال لى فى تواضع قبل افتتاح البرلمان المصرى بايام انى نائب الجيش والجيش نائب عن الامة وحاميها وسيبقى كذلك الى أن تستغنى عنه وقال لى ايضا نحن القوة الوطنية الماثلة فى تيقظ من مصر وحكامها الاتراك الذين من العسير عليهم أن يعيدوا فى أية لحظة مظالم اسماعيل المروعة . وأما الموافقة الاوربية فلا احسبها تكفى وحدها لمنع ذلك الشر كله ولا فيها ما يغرى الامة بأن تتولى شئونها بنفسها كما ينبغى وهذا أمر أراه فى جد يغنينا ولقد اثلنا الامة حق التمتع بمجلسنا النيابى وجل ما نطمع فيه هو أن نمنع كل ما يحرم شعبنا ذلك الحق الدستورى ، فنحن لا نسعى لانفسنا لاننا قوم غير مخلدين وانما نسعى فى عفة وشرف لاولادنا فى الغد » ·

ويذكر احمد عرابى ــ فى مذكراته ــ انه عندما خرج بالجيش الى عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ حدثت بينه وبين القنصل البريطانى بالنيابة مناقشة حول عدم احقية الجيش فى المطالبة بالمجلس النيابى وان عرابى قال له بالحرف الواحد : اعلم أن طلباتى المتعلقةبالاهالى لم اعمد اليها الا لانهم اقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطةهؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن اخوانهم وأولادهم فهم القوة التى



احمد لطفي السيد

تنفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة ، انظر يا جناب القنصل الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر فهم الاهالى الذين انابونا عنهم فى طلب حقوقهم واعلم علم اليقين اننا لا نتنازل عن طلباتنا ، وعندما ساقر أحمد عرابى فى ٦ اكتوبر سنة ١٨٨١ الى الزقازيق بعد أن صدر الامر بنقله على رأس الالاى الذى يقوده الى رأس الوادى بالشرقية قال لمن ودعوه فى محطة مصر :

بكم ولكم قمنا وطلبنا الحرية وقطعنا عرش الاستبداد ولا تنثنى عزيمتنا حتى نحيى البلاد وأهلها وما قصدنا بسعينا افسادا ولا تدميرا ، ولكن لما رأينا أننا بتنا فى اذلال واستعباد ولا يتمتع فى بلادنا الا الغرباء حركتنا الغيرة الوطنية والحمية العربية الى حفظ البلاد وتحريرها ، والمطالبة بحقوق الامة .

من محاضر التحقيق

وحتى فى محاضر التحقيق مع زعماء الثورة العرابية ـ بعد الهزيمة العسكرية ـ قال أحمد عرابى ردا على سؤال لجنة التحقيق له بخصوص الاسباب التى دعته الى الخروج بالجيش يوم عابدين قال عرابى أيضا بالحرف الواحد : ان الاسباب التى دعت لذلك هى عدم الاخذ بالعدل والمساواة فى المعاملات بشأن البلاد التى لم يكن بها قوانين او لم يراع فيها الاجراء على مقتضى تلك القوانين فلذلك اعتمد أعيان البلاد على أبنائهم رؤساء العسكرية وتألفت أنفسهم لتشكيل مجلس نواب يحفظ لها حقوقها ويدفع عنها ما ألم بها من المظالم ، حيث أن من كانت لديه مظلمة منهم كان يلقى بها فى مجلس من المجالس الاهلية فلا تنتهى ولا ينظر لها بعين الاعتبار وربما تترك بالمجلس فوق العشرين سنة حتى يموت صاحب الدعوى كمدا بظلمه » .

« لقد تجمعت لدينا اعراضات (يعنى عرائض) وختم عليها نحو الالفين نفس من عمد وأعيان وتجار البلاد ولخوفهم من البطش بهم انابونى مع اخوانى الضباط لكوننا ابناءهم وهم اهلونا يضرنا ما يضرهم وينفعنا ما ينفعهم فقام العساكر البيادة والطوبجية والسوارى الموجودين بمصر دون أن يتخلف منهم أحد وتوجهوا الى عابدين بتلك الطلبات الشرعية الحقة التى لا ينكرها منصف »

الامة هى التى امرتنا



وفى محاضر التحقيق مع على فهمى باشا سأله رئيس قومسيون التحقيق :

ـ كنت تعلم أن عرابى عزله الجناب الخديوى فكيف تنقاد لامره ؟

ويجيب على فهمى :

ـ لم أنقد لامر عرابى بل لامر الامة

ـ اين امر الامة ؟

ـ احضروا المحضر الموقع عليه من ممثلى الامة لما عقـــدت جمعية عمومية بالداخلية وانظروا ..

ـ امر الخديو بابطال الحرب ، وعزل عرابى فلم لم تمتثل لامره؟

ـ نعم ولكن من حيث ان الامة كلفتنى بالمحاربة فالتزمت الاذعان لاوامرها ، لقد كان ممثلو الامة اشبه بمجلس العموم نمتثل لامره

ـ هل يوجد عندنا مجلس عموم ننقاد له كما قلت ؟

ـ الاهالى الذين اجتمعوا من ذوات ورؤساء روحانيين وعلماء وعمد واعيان هم مجلس العموم ونحن تحت امرهم

وبمثل هذه المعانى ـ تاكيد سلطة الشعب ـ اجاب « عبد العال حلمى باشا » على أسئلة أعضاء قومسيون التحقيق وعندما سئل :

ـ هل عرفت احمد عرابى بعد عزله بصفته ناظر جهادية أم لا ؟

وأجاب عبد العال حلمى : عرفته اولا انه معزول ولكن حضر بعد ذلك امر الامة بأن عرابى يبقى فى وظيفته ويستمر على المدافعة فعرفته اذن بصفته ناظرها بناء على امر مجلس الامة » .

الفلاح أحمد عرابى

وفى وصية أحمد عرابى الى جريدة التيمس البريطـــانية التى أملاها على محاميه مستر « برودلى » قال عرابى :



« لما كنت من ابناء الفلاحين الذين يحبون بلادهم فقد بذلت ما فى وسعى لاجراء الاصلاحات التى قمنا للمطالبة بها والكفاح من اجلها كالغاء المراقبة الثنائية والقضاء على تحكم الوف الموظفين الاجانب فى امرها ، الذين يحرمون ابناء مصر من ادارة شئونها كما قمنـــــا من اجل تطهير المحـــاكم الاهلية من اوشارها ووضـــع القوانين والمشروعات الــــلازمة لنظـــام الادارة واهم من وضـــع تلك القـــوانين والمشروعات مراقبـــــة

تنفيذها وتشكيل مجلس للنواب يكون له حق الاشتراك في ادارة شئون الامة المصرية ومنع المرابين من الانتشار في قرى الفلاحين ، ولئن ادت انجلترا لمصر هذه المهمة واستخلصت مصر للمصريين سيتضح للعالم جليا ما هو الغرض الجليل الـــذى كان عرابى العاصى يسعى اليه ٠

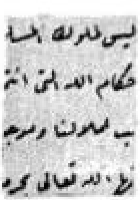
ان جميع المصريين كانوا فى جانبى كما اننى وقفت نفسى على خدمة بلادى التى لن اتحول عن حبها الى نهاية حياتى وانى لا ازال اكرر القول بانى غير حزين لما وصل اليه امرى بل ارانى مغتبطا مسرورا لاعتقادى بأن ما حل بى من سوء العاقبة كان من البواعث لحصول مصر على ما هى اهل له من الحرية ورغد العيش ٠

ومرة كان مستر برودلى – محامى عرابى – يزوره صباح يوم ما ، فى السجن فقال له عرابى : اتحب ان اريك برهانا على ان شعب مصر ، كان معى ؟ انظر هنا ٠٠ وقال برودلى :

واخذ بذراعى وقادنى الى نافذة فرايت خلال ثقوبها عددا من النساء والصبية يبكون على الجانب الاخر من الشارع وكان يزداد الازدحام شيئا فشيئا كل يوم حتى ليضطر الحراس الى تشتيتهم ٠٠ ولم ار عرابى اكثر ضيقا مما رأيته عند ذاك » ٠٠

يجب اعادة التاريخ

لقد كانت ثورة عرابى ورفاقه ثورة شعبية بكل ما فى كلمـــة شعبية من معنى وعلى هذا الاساس يجب ان يعاد تاريخ هذه الثورة من جديد على ان تقيم الثورة كثورة قومية رائدة تعتبر من اولى الثورات الشعبية التى قامت فى تلك المنطقة الحيوية من العـــالم ان لم تكن اولاها ، لقد ظلمت الثورة العرابية لانها لم تحقق هدفا من اهم اهدافها وهو الانتصار على القوات البريطانية ولان خصوم هذه الثورة هم الذين ظلوا يحكمون البلاد بالحديد والنار طول خمسين عاما بعد الهزيمة العسكرية ، التى لحقت بتلك الثورة ولعل من الزم واجباتنا ان نفصل بين الثورة كثورة شعبية متقدمة وبين الهزيمة العسكرية التى نالتها هذه الثورة على يد جيش جبار دوخ الكثير من الامبراطوريات ورفع العلم البريطانى على الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها ٠٠



الثورة هى الاصل ، والهزيمة العسكرية بعض اخطاء هـــذه الثورة : تلك هى الزاوية الجـــديدة التى نرجو ان تكون فى اعتبـــار كتابنا ومؤرخينـــا عندما يعيدون تاريخ هذه الثورة ٠٠

لماذا أخفقت الثورة العرابية ؟

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى



الخديو توفيق

في تاريخ الشعوب الحية فترات حاسمة تعد مراحل انتقالية بين ماض له طابعه الخاص ومستقبل يخالف هذا الماضي في خطوطه العريضة . وفي ابان هذه المراحل الانتقالية يبلغ التوتر أشده ، فيلم بالاحتمالات الثورية بشتى ابعادها . وقد تكون الظروف العامة في صالح المد الثوري وقد تكون معاكسة له . فاذا كانت مساعدة ونجحت الثورات في تحقيق اهدافها انتقل المجموع البشري في المجتمع المعين انتقالة الى الامام وربما ازيد من التطور .. ومن هنا تكون الثورة نوعا من التطور السريع . واذا فشلت الثورة الى حين في تحقيق اهدافها الرئيسية لان القوى المضادة تكون قد امسكت بزمام الموقف ، فهذا التوقف ومعه الردة معا قد يبدو للعين المجردة نوعا من الانتكاس الظاهري وان لم يعد كونه نوعا من الهدوء الذي يسبق العاصفة حقيقة قد تنتكس الثورات وقد تنحرف ، الا ان الذخيرة الثورية تبقى ماثلة في شعور الشعب ولا شعوره : فتتضح بمرور الزمن اسباب الفشل وتتجمع عناصر التوتر ، وهكذا دواليك .

ويرتد نجاح الثورات او فشلها لعوامل داخلية واخرى خارجية ، واهمية كل من الناحيتين بالنسبة الى الاخرى تتوقف على نوع الملابسات المحيطة بالاحداث في بلد او آخر . فعلى المجال الداخلي يستلزم الامر وجود لواء تبقى بالتوتر ، شديدة الصلة بالجماهير الشعبية بحيث تكتسب الحركة الصاعدة التأييد العام ، التطور ، او اضعاف فاعليتها بصورة او بأخرى بحيث تتسنى حماية القوى الجديدة التي في تحقيق اهدافها بنجاح مطرد .

وفى الربع الاخير من القرن التاسع عشر تجمعت عناصر التوتر فى مصر وتمخضت عن اندفاعة ثورية نسبت الى الزعيم الوطنى المصرى احمد عرابى • وفى ثورة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ لعب عرابى الدور الذى تؤهله له امكانياته ، فتصدى لتزعم فئات متنوعة من الشعب لم تلبث أن انقسمت حول « الاسلوب » الواجب اتباعه ، فكانت بوادر الخيانة فالهزيمة التى الصقت فى نهاية الامر بالرجل وحده • ولا يجدر بنا أن نغفل الحقيقة الخاصة بأن الاصطلاح على تسمية هذه الثورة المصرية بالعرابية انما بدأ على أيدى أعدائها الذين حاولوا تشويه معالمها ، والنيل منها بعد انتكاسها بكيل الاتهام الى زعيمها الاول وزعمائها الاخرين وتصوير احداثها بالصورة التى يشاءون •

والحق أن الثورة المصرية المعروفة بالعرابية لا يقل أثرها بالنسبة الى مصر وغيرها من البلدان العربية ـ الاسلامية عن اية ثورة تحريرية أخرى عرفها العصر الحديث • فلقد كانت رد فعل للعدوان الاوروبى الذى أخذ يتغلغل فى مصر فى عصر خلفاء محمد على ، على شكل شركات وجاليات أوروبية همها الكسب ، ورأس مال يتغلغل فى البلاد على شكل ديون ومشروعات وربا ، الى غير ذلك من عمليات السطو المنظمة التى استلبت رزق المصريين وضيقت عليهم الخناق فى عقر دارهم • كما انها كانت ثورة وطنية ضد العناصر الاجنبية الممتازة التى مكنت لها الاسرة المالكة وأوسعت لها فى العطاء والاملاك والمناصب والتى كانت تنظر الى المصريين بعين الاحتقار وتطلق عليهم اسم « الفلاحين » من قبيل التقذر أو الاحتقار •

حقيقة لم تحقق هذه الثورة أهدافها المباشرة الخاصة بالتصدى للاستعمار وتحديد سلطة الخديو ••• فان نكستها راجعة الى تدخل القوى الخارجية القوية وعرقلتها لعملية التطور الداخلى لمصر والمصريين • هذا الى انقسام مصر ما بين « عرابيين » و « توفيقيين » وعناصر الانتهازية المحلية وما قامت به من أعمال الخيانة والغدر وبلبلة الخواطر • وفوق ذلك فان الصعاب كانت تكتنف الثورة من كل جانب بحيث عرقلت تحقيق أهدافها الاصلاحية وحولت جهودها الى مكافحة الاعداء الداخليين والخارجيين •



ولتفصيل هذه العوامل نجد لزاما علينا ان نقسمها ما بين داخلية وخارجية ·

فمن الناحية الخارجية نجد ان الثورة المصرية قد اصطدمت بالامبريالية التى كانت انجلترا تمثل قمتها فى القرن التاسع عشر · وكانت انجلترا قد دخلت فى صراع مع فرنسا حول النفوذ فى مصر منذ حملة بونابرت : فاشتركت مع تركيا فى القضاء على الحملة الفرنسية ، وأرجعت محمد على الى قواعده بعد ان اتسعت أملاكه فى الشرق الادنى ، وعارضت فى شق قناة السويس على اعتبار ان المشروع فى أصله ذو صبغة فرنسية · وحين افتتحت القناة فى عام ١٨٦٩ سلمت انجلترا بالامر الواقع ومالت الى فرض نفوذها على مصر ، ان لم يكن احتلالها ·

على ان الساسة الانجليز حتى أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر كانوا قانعين بعرقلة المشروعات الفرنسية فى مصر · الى ان بدأ انهيار الامبراطورية العثمانية والارتباك المالى فى أواخر حكم اسماعيل ، ونمو الحركة الوطنية فى مصر ·· كل هذا مما دفع حكومة الاحرار الى العمل على احتلال مصر ، وان يكن ذلك ضد اتجاه ومبادىء حزب الاحرار وزعيمه « وليم جلادستون » · فالرأى العام الانجليزى قد اشتدت حماسته للفتح والاستعمار نتيجة لنمو الصناعة الانجليزية التى أخذت تبحث جاهدة عن أسواق لاستيراد المواد الخام وتصدير المنتجات المصنوعة · وفى داخل وزارة الاحرار وجدت كتلة أطلقت على نفسها اسم كتلة « الامبرياليين الراديكاليين » التى ضغطت على جلادستون وحملته على الرضوخ لاتجاهات الرأى العام واستغلال أحداث الثورة المصرية للتدخل العسكرى فى مصر بالشكل الذى أفضى الى الاحتلال

الا أن تدخل انجلترا المنفرد فى شئون مصر قد واجه معارضة من جانب تركيا صاحبة السيادة على مصر ومن جانب فرنسا التى كانت تعتبر مصر منطقة من مناطق نفوذها · الا ان تركيا لم تكن من القوة بحيث تواجه انجلترا · كما ان فرنسا كانت حينئذ تحت حكم الجمهورية الثالثة التى تميزت بعدم الاستقرار وكثرة التعديل الوزارى · وفى الوقت الذى اشتعلت فيه الثورة المصرية انقسم الرأى العام الفرنسى ما بين مؤيد للتدخل فى مصر ومعارض فيه ، خاصة وان فرنسا لم تكن قد افاقت بعد من آثار حملتها على تونس واعلانها الحماية عليها (١٨٨١) ، ومن ثم خلا الجو لانجلترا خلال عملياتها العسكرية فى مصر ، فلم تواجه أية عراقيل جدية فى

البارودى



المجال الدولي ، كما أنها لم تعترضها مقاومة عسكرية ذات بال من جانب الجيش المصرى الذى لم يكن فى وضع يمكنه من مجــــابهة اقوى دولة فى العالم حينئذ ٠

ذلك أن الازمة المالية التى ألمت بمصر فى عهد اسماعيل والتدخل الاجنبى فى شئونها لم يمكناها من تطوير قواتها المسلحة ٠ ففى عامى ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩ كانت خزانة البلاد تعانى الافلاس ، بحيث لم يقبض الجنود ومعظم الضباط رواتبهم مدى عشرين شهرا ، وبحيث فصل مئات الضباط دون أن يقبضوا متأخرات رواتبهم ٠ ولهذا ليس عجبا أن يطالب الثوار فى عام ١٨٨١ بزيادة عــدد الجيش الى ١٨,٠٠٠ جندى وفق ما نصت عليه الفرمانات ٠

وحين تسلمت وزارة الثورة الحــــكم برئاسة « محمود سامى البارودى » فى فبراير ١٨٨٢ وجهت اهتمامهــا الى تدعيم القوات المسلحة والاهتمام بتحصينات البلاد ٠ الا أنها ووجهت بوجود عدد كبير من الضباط الاتراك والشراكسة المشكوك فى اخلاصهم للثورة ٠٠ ففصلت منهم حوالى ٣٠٠ ممن تعدت أعمــــارهم السن القانونية للتقاعد ٠ وفى ابريل ١٨٨٢ اكتشفت مؤامرة كان الهدف منهـــا اغتيال الوزراء وكبار زعماء الحزب الوطنى واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الثورة ٠٠ وكان المتآمرون من العسكريين الاتراك والشراكسة ٠ وحين جرت محاكمتهم أبدى الخديو « توفيق » العطف عليهم واستند الى قنصل انجلتــــرا العام واستنجد بتركيـــا ، مستهدفا من وراء ذلك خلق أزمة داخلية تعيــد اليه سلطته ، وذلك باستعداء الاجانب على البلاد ٠ ومهد هـــذا كله لاحداث يونية الدامية فى الاسكندرية ثم ضرب المدينــة على يد الاسطول البريطانى فى ١١ يولية ٠

ومن الطبيعى أن ينعكس كل هذا فى ضعف الجيش المصرى وعدم فعاليته فى الدفاع عن البلاد ٠ فهناك من ناحية الازمة الماليـــة ونشوب الثورة المهدية فى السودان والفتن فى صفوف الضبــاط الاتراك والشراكسة ٠ وفوق هذا كله فان زعيم الثورة وزملاءه ـ باستثناء البارودى ـ لم يكونوا على خبرات عسكرية ذات بال ٠ فهو وعبد العال حلمى وعلى فهمى قد ترقوا من تحت السلاح ، ولم يشترك الا فى حرب الحبشة التى اقتصر دوره فيهـــا على تولى منصب ادارى اختصاصه الاشراف على المؤن ٠ هذا الى طيبة قلبه وتصديقه ما أخبره به « فردنان دلسبس » من حيث أن فرنسا لن تسمح للقوات الانجليزية بالنزول فى منطقة قناة السويس ٠٠



ومن ثم تردده فى ردم القناة ، اعتقادا منه بأن الانجليز سيأتون من ناحية الغرب • وبالاضافة الى هذا فانه كان يعتقد أن الانجليز يشبهون السمك ، ومن ثم لا يمكنهم أن يتصدوا للقتال فى البر • حقيقة ان جنود الثورة كانوا يلتهبون حماسة للدفاع عن الوطن وبذل دمائهم فى سبيله • الا أن القتال يعتمد ــ الى جانب الحماسة ــ على السلاح والتدريب ، وهو ما كان يعوز الجيش المصرى خلال الثورة العرابية •

على ان قوة عرابى كانت فى اخلاصه وجرأته وبلاغته الخطابية وتعبيره عن آمال الشعب وآلامه وفى عدالة القضية التى تصدى للدفاع عنها • وعلى الرغم من انه وزملاءه لم يكونوا من الثقافة واتساع الافق أو من التجربة بحيث يحسنون معالجة امور السياسة العليا ، فانهم وجندهم كانوا الوحيدين من رجال الفئات الحكومية الذين كانت غالبيتهم من صميم الشعب بحيث يشعرون بآماله وآلامه ويحسنون التعبير عنها • فهو وزملاؤه كانوا يشكلون القيادة الممكنة الوحيدة ، برغم أن ظروفهم لم تمكنهم من الارتفاع الى مستوى الاحداث العالية وادراك ما تنطوى عليه من اخطار • هذا الى أن خبراتهم العسكرية لم تؤهلهم للتصدى للجيش البريطانى القوى •

وبالاضافة الى هذا فلم يتوفر للثورة تنظيم طليعى يكتل الجماهير ويقودها • حقيقة لقد أثير الوعى الطبقى لدى الجماهير وبخاصة فى المدن • فعرابى وغيره من الخطباء ــ وعلى رأسهم عبد الله النديم ــ كانوا يخاطبون الجماهير باستمرار ويحاولون ضمهم الى صفوف الثورة ، بل ان احد الضباط خاطب الفلاحين فى نواحى الزقازيق وقال لهم : «ان الاراضى التى يمتلكها الاثرياء من حقكم انتم» • ولقد شعرت جموع الجند والشرطة والعمال البسطاء فى المدن باهميتها واخذت تتطلع الى تحسين أحوالها • ولكن ليس معنى هذا ما قيل من ان الحزب الوطنى ــ الذى كان قد تشكل فى أواخر حكم اسماعيل بتوجيه من جمال الدين الافغانى ــ لم يلق كثيرا من التأييد من جانب المثقفين وأن معظم انصاره كانوا من احط الفئات واكثرها جهلا • فطلائع المثقفين الجدد ــ على قلتهم حينئذ ــ انحازوا الى الثورة • بل ان بعض الاشخاص من امثال محمد عبده ممن اختلفوا مع العرابيين حول وسيلة استمرار الثورة ونجاحها وجدوا أن من واجبهم أن ينضموا اليها حرصا على مصلحة البلاد • فلم تكن المسألة متعلقة بشخص

عرابى ، اذ لقيت الثورة التأييد العام وان تكن قـــد ضمت الى صفها عددا من الانهزاميين والانتهازيين ممن آثروا الانتظار قبل أن ينضموا الى الثورة أو الى الخديو ومن التف حوله من الاتراك والشراكسة .

حقيقة كان يوجد بمصر مجلس نيابى . الا أن الانتخابات التى اجريت فى نوفمبر ١٨٨١ لم تشترك فيها سوى أقلية من السكان استقيت برمتها من الطبقة الحاكمة ، مما ترتب عليه أن كل أعضاء مجلس شورى نواب ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ كانوا من الاعيان الذين تميز معظمهم بالجهل ولم تكن لديهم الخبـرة أو الشعور بالمسئولية أو النزاهة أو الشعور بالصالح العام بحيث يمكن الاعتماد عليهم فى تحقيق استقلال مصر . بل لقد أبدى بعضهم منذ البداية تخوفا من تطرف الثوار وأعلنوا أنهم قد خدعوا . وكذلك الحال بالنسـبة الى البدو . فحين اقترحت الحكومة وضع حـد للامتيازات التى تمتعوا بها وجعلت منهم دولة داخل الدولة ،وذلك بالغاء اعفاء رجال القبائل من السخرة والتجنيد والاحصاء ، اجتمع شـيوخ القبائل فى ٨ ابريل وأعلنوا أنهم لا يعترفون بوزارة البـارودى او بمجلس شورى النواب وأنهم سيدافعون عن مزاياهم القديمة . **وهكذا نجد ان قوى الاقطاع والقبلية كانت تعترض طريق الثورة وتعرقل الاجراءات التقدميةالتى تزمع القيام بها.وكان الخديو قمة الرجعية فى مصر يستند الى قوة انجلترا التى كـانت تخشى أن تؤدى الثورة الى تهـديد مصالحها فى البـلاد ومواصلاتها الامبراطورية . وهـكذا كانت الامبريالية السند الرئيسى للرجعية المحلية ، وهى اولا واخرا التى ساعدت على فشل الثورة والتمكين لاعداء التطور .**

كان الوطنيون الذين تشكلت منهم وزارة الثورة يهـدفون الى اعلان مصر جمهورية تضمن الدول حيدتها ثم تنضم اليها سوريا والحجاز . ويذكر « محمد عبده » أن الوطنيين وجـدوا الرجعية الدينية المتمثلة فى بعض علماء الازهر غير مستعدة تماما لهذه الفكرة ، اذ ان « العلماء » حينذاككانوا متخلفين عن زمن الثورة . كما أن الغالبية العظمى من الشعب كانت أمية بحيث لم يكن مـن السهل عليها أن تهضم فكرة الجمهورية أو تمارسها ممارسة واعية فيما لو دخلت الى حيز التنفيذ . فالحكم الجمهورى المستند الى مجالس نيابية يستلزم تدريبا ووعيا وتدرجا . وتنفيذه طفرة واحدة فى الدول التى لم يدرب شعبها أو يتلق قسطا وافرا من التعليم



مما يسهل تحول الحكم النيابي الى دكتاتورية برلمانية أو تسخير الشعب بصورة أو بأخرى لخدمة ذوى الاغراض .

وما أن شعر بالانجليز الاسكندرية وبدت نيتهم في احتلال البلاد حتى انضم الى الخديو كثير من الموظفين والاعيان والباشوات . وعلى رأسهم « محمد سلطان » باشا رئيس مجلس شورى النواب الذى كان قد انقاد هو وعدد من أعضاء المجلس لتهديد قنصل انجلترا بالتدخل الاجنبي حين اشتد النزاع بين الخديو ووزارة البارودى . وأبدى الموظفون المقيمون في القاهرة والاقاليم بعض السلبية انتظارا لما قد يتمخض عنه الموقف . وانضم الى معسكر الخديو كل من سبق لهم الاصطدام بالوطنيين أو بالعسكريين .. وتخلى عن عرابى عدد كبير من أعضاء الحزب الوطني القدامى ، ففرضت الرقابة على من ظلوا منهم بالقاهرة . وعاد الضبـاط الشراكسة ـ الذين نفوا من مصر نتيجة لتآمرهم ضد قادة الثورة ـ ليضعوا خدماتهم تحت تصرف الخديو .

على أن العامل المباشر في تقرير الهزيمة والتعجيل بهـا هو الخيانة التى دبرها ونسج خيوطها الخديو ومحمدسلطان والقنصل البريطاني ، والذى أعان على تهيئةالجو اللازم لتفرخ فيه هو اعلان الحكومة العثمانية عرابى عاصيا وخارجا على الخلافة . وكان الانجليز ومندوبو الخديو قد بدأوا منذ ١٨٨٢ يوزعون الرشـا السخية على البدو الضاربين في الصحراء الشرقية . فلما ظفروا باعلان عصيان عرابى وزعوا جريدة « الجوائب » التى نشرت هـذا الاعلان بين صفوف الضباط ، وأطلقوا أعوانهم على الاهالى . وفي ١٣ سبتمبر وقعت الموقعة الفاصلة في التل الكبير التى انهزم فيها الجيش المصرى الذى اشترى الانجليز بعض ضباطه على حين كان بعضهم الآخر موالين للخديو .

وأعلن المنافقون والانتهازيون ولاءهم للخديو وقدموا الهـدايا للقادة الانجليز . وتهيأ الموقف لتصفية الثورة بالمحاكمات والنفى والتشريد والفصل من الخدمة . وتعمد أعداؤها أن يختلقوا الاكاذيب والاشاعات لازالة آثارها من مخيلة الشعب فمسخت حقائقهـا وصور قادتها على غير حقيقتهم . الا أن ذلك كله لم يوقف تيار النهضة المصرية التى ما لبثت أن شقت طريقها بالحاح وتحدت كل الانحرافات . واثبت الشعب بأناشيده وادابه تمسكه بالجـذور الثورية التى اشـتعلت في عامى ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ . اذ الثورات الاصيلة لا يخبو اوارها بفعل الهزائم الطارئة او تزييف التاريخ .

محمد عبده



الثورة العرابية في الشعر المصري الحديث

■ د. عبد المنعم تليمة ■


أحمد شوقي


عبد الله فكري


عبد الله النديم


رفاعة الطهطاوي


محمود سامي البارودي

تمثلت الثورة العرابية بعيد التعبير عن مرحلة من مراحل « ثورة مصر » في العصر الحديث . ويمكن الرجوع ببدايات الثورة المصرية — التي مرت بمراحل وانتقالات عبر القرنين التاسع عشر والعشرين والتي لا تزال مستمرة حتى الآن — إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين أخذت الطبقة الوسطى المصرية في الظهور كقوة اجتماعية وحين أخذت هذه الطبقة — في طريق نموها — تتناقض مع القوى الأجنبية الغربية من جهة والقوى العثمانية والمملوكية من جهة ثانية . وقد استعان الفرنسيون ، كما استعان محمد علي من بعدهم ، بهذه الطبقة الوسطى المصرية . ولكنها — ببروز مصالحها — بدأت تعمل مستقلة ، وشرعت في قيادة العمل الوطني المصري وفي الانتقال بمصر من مجتمع تقليدي تسوده العلاقات الإقطاعية إلى المجتمع البرجوازي الحديث .

ولكن الطبقة الوسطى المصرية لم تكن — عند قيامها بالثورة العرابية — قد بلغت درجة عالية من النضج من حيث وضوح أساسها الاجتماعي ، ومن حيث فكرها الفكري الليبرالي ، وكفاحها الدستوري ، وخطها السياسي الديمقراطي البرجوازي . فقد قامت تلك الثورة على أرض يتداخل ويتعقد عليها كل ما يحمله الانتقال من مقومات النظام الإقطاعي وقيمه إلى بدايات الانتصارات الرأسمالية ولذلك امتزجت لدى قيادات تلك الثورة المشاعر الوطنية والقومية والدينية بالأفكار والمبادئ الليبرالية الحديثة ورغم هذا الامتزاج — المنطقي في ظرفه التاريخي — كان للثورة طابعها العام ، وهو طابع وطني ساع إلى التخلص من السلطة المطلقة ذات الأصول التقليدية الإقطاعية والدينية وإلى التخلص من السيطرة الأجنبية الاحتكارية وإلى إقامة حكم وطني .

والثورة العرابية فى شعرنا الحديث لا تلتمس فى الشعر الـــذى (سجل) حوادثها لحظة وقوعها فحسب ، انما تلتمس كذلك فى النتـــاج الشعرى الوطنى الذى سبقها ، ثم فى النتاج الذى جاء بعـــدها مستلهما وقائعها وحياة أبطالها • فقد ساعدت تغيرات عميقة على نضج الحركة الوطنية المصرية منذ فجر القرن الماضى : فقـــام التعليم المدنى الحديث ـ منفصلا فى أهدافه ووســائله ـ عن التعليم التقليدى ، وقامت صحافة وطنية رسمية وشعبية ، وبدات دولة حديثة تقوم على أرض مصر ، تمتعت بقدر نسبى من الاستقرار السياسى والاساس الاقتصادى اللازمين لنمو المشـــاعر الوطنية واكتشفت أمجـــاد مصر القـــديمة ، واستطاع رفاعة الطهطاوى وتلاميذه أن ينقلوا الى المصريين من الفكر البرجوازى الحـديث ما عمق وعيهم الوطنى • ولم يكن « الطهطاوى » رائدا للفـــكر المصرى وأبا غير منازع لاتجاهاته الحديثة فحسب ، بل كان عاشقا لمصر ، خلف مجموعة قليلة من الاشعار جلها اناشيد لفكرة (الوطن القومى) ولمعنى الوطنية بمفهومها الحديث • فمصر لديه قاهرة ظافرة أبدا وابناؤها أبطال لا يغلبون :

قوة مصـــر القـــاهرة على سواها ظـــاهرة
وبالعمـــار زاهـــرة خصـــت بذكـــر حسن

●●●

ابنـــاؤها رجـــال لم يثنهم محـــــال
وجنـــدهم صـــنديد وقلبـــه حـــديد
وخصـــمه طـــريد بل مـــدرج فى كفن

ومن البديهى أن يرتبط معنى الوطن القومى ـ عند « رفاعة » ومعاصريه ـ بفكرتين موروثتين ، الاولى الاصل القديم عن الديار والربوع أو (الوطن المحلى) الصغير ، ومسقط الراس ، ومعاهد الاحبة .... الخ ، والثانية الاصل الدينى • وعند « رفاعة » حنين الى موطنه الصغير (طهطا) ، يذكر بالحنين الى (الربع) القديم ، ولديه أيضا معنى (حب الوطن من الايمان) :

يا صـــاح حـــب الوطن حليـــة كـــل فطن
محبـــة الاوطـــان من شـــعب الايمـــان
فى الفـــر الاديـــان اية كـــل مؤمـــن

ولكن الفكر القومى عند ذلك المعلم العظيم كان يفصح فى كثير من الاحيان عن معنى الوطن بمفهومه الدقيق الحديث :

وعـــزيز الوطن نخـــدمه برضا فى النفس نحكمـــه
مال المصرى كـــذا دمه مبـــذول فى شرف الوطن



وقد كانت (اقامة جيش مصرى) وجها بارزا من وجوه الوطنية المصرية فكان لتجنيد المصريين فى جيش قوى يستمد رجاله من أبناء الفلاحين اثر كبير فى اعتزاز المصرى بنفسه وثقته بها • وقد خاض هذا الجيش الناشىء معارك ضد اكبر الامبراطوريات فى القرن التاسع عشر : الامبراطورية العثمـــانية والامبراطورية الانجليزية والامبراطورية الفرنسية • وولدت قوة الجيش المصرى

وانتصاراته حماسا شديدا فى نفوس المصريين كما ولد الاغتراب عن مصر ـ للعلم فى الغرب وللحرب فى الشرق ـ حنينا وشوقا اليها . ووجدت هذه التغيرات أصداءها فى أشعار الوطنيين وأناشيدهم التى اتسعت لهذه المشاعر الوطنية وغزتها . فرفاعة الطهطاوى ينشد لجند مصر :

لكم لكم حروب ... بنصركم تؤوب
لم تلتكم خطوب ... ولا التحام معمع

***

وكم شهدتم من وغى ... وكم هزمتم من بغى
فمن تعدى وطغى ... على حماكم يصرع

وينتشى بالفخر عندما يصف نظام الجند المصريين ، كما يفخر بأن عدد الجيش المصرى ومدافعه من مطلع مصر :

تنظم جندنا نظما ... عجيبا يعجز الفهما
بأسد ترعب الخصما ... فمن يقوى يناضلنا ؟

***

مدافعنا القضا فيها ... وحكم الحتف فى فيها
واهونها وجافيها ... تجود به معاملنا

وليست تلك كل أغانى الطهطاوى فى الجيش المصرى ، بل له فيه أناشيد كثيرة (١) ، ولمعاصره صالح مجدى مقطوعات قالها أيضا فى الجيش المصرى ، كمقطوعته التى يشيد فيها ببطولة العساكر المصرية :

اكرم بهم عند الهجوم ... من فتية قهروا الخصوم
وكسوهم ثوب الهموم ... والطير قد عاف اللحوم
فى كل معترك وناد
وجنودنا يوم الغبار ... قلبوا اليمين على اليسار
وشهيدهم للخلد سار ... متحليا بحلى الفخار
من بعد ماكسر السواد (٢)

والحق أن الجيش المصرى كان فخرا للوطنيين ، وكان غناؤهم له بعضا من التيار الوطنى الجديد ، ذلك لان هذا الجيش وان كان قد قام فى عصر « محمد على » على القهر والعسف ، الا أن بناءه الاجتماعى تحول ـ منذ عهد سعيد ـ بصعود المصريين الى مراكز قيادية فيه ، ومن ذلك الوقت بدأ دوره الوطنى فى الوضوح والتأثير ، فقام الضباط الوطنيون بتأسيس تنظيم عسكرى سرى سنة ١٨٧٦ ، واتسعت آفاقهم فتجاوزت مطالبهم الفئوية المحدودة الى العمل الوطنى السياسى ، ومن ثم اتصلوا بالتنظيم السرى المدنى (جمعية حلوان : الحزب الوطنى القديم) ، واتسعت صفوفهم لمثقفين مدنيين اصلاحيين وثوريين من ادباء ورجال دين ونواب وصحفيين ، ولذلك اكتسبت (العرابية) صفة شعبية أصيلة : بنضالها وفقا لبرنامج وطنى هو حلقة من كفاحنا


شوقى

---

(١) راجع منتخبا من اناشيد الطهطاوى الوطنية فى (شعراء الوطنية) لعبد الرحمن الرافعى ص ٨ وما بعدها
(٢) ديوان صالح مجدى ص ٢٩٢

الديمقراطى العظيم ، وبتعبيرها عن السعى نحو (التمصير) رفضا للقهر والاستغلال عن الانسان المصرى . لهذا كله كان منطقيا ان يجد الجيش – مادام قد عبر تعبيرا رفيعا عن المطالب الوطنية – من الفلاحين الفقراء زادا بشريا وماديا هائلا ، وان يجد من قراهم البسيطة معسكرات وساحات قتال تمـده بحـاجاته المعيشية والانسانية . من هنا كانت العرابية (مواجهة مصرية) شاملة ضد القوى الغازية والمستغلة ، وكانت بعض معاركها ملاحم واقعيـة تنتظر الفنان الذى يخلدها فى وجداننا .

الشعر ابان الثورة :

اظهرت وقائع الثورة العرابية التناقض الحاد ، بين معسكر يضم الشعب وجيشه ، ومعسكر يضم الخديو وحلفاءه الانجليز والاتراك والفئات المستغلة فى الداخل . وقد عبر ضابط عرابى شاب عن حقيقة (العرابية) ، فهى قيادة عسكرية وزعامة شعبية غايتها القضاء على العبودية : « **يتعين علينـا معشر رجـال العسكرية والامة المصرية ان نقدم مع الاحترام واجب الشكر لحضرة احمد باشا عرابى ... ان من اكبر ماثره علينا انه هو السبب الوحيد فى حل اعناقنا من سلاسل العبودية** » (١) . كمـا ادرك الحس الشعبى حقيقة معسكر الاعداء ، فوضع الخديو والانجليز فى صف واحد :

يا توفيق يا وش القملة
مين قالك تعمل دى العملة
يا رب يا عزيز
كبة تاخد الانجليز ..

وظهرت فى هذا التناقض بين المعسكرين نظرة الحاكم الدخيل الى المصريين ، فتوفيق – اداة المعسكر المعادى – يرى المصريين فلاحين (اولاد كلب) ، فقد رأى احد مستشاريه أنه بالامكان انقاذ الاسكندرية من الدمار قبل ضربها (فأجاب الخديو ، فلتحرق المدينة جميعها ولا يبقى فيها طوبة على طوبة ، حربيحرب كلذلك يقع علىراس عرابى وعلىرءوس اولاد الكلب الفلاحين) (٢) ولكل ذلك دلالته فى الاساس الاجتماعى للمواجهة .

١ – شعر الموالين للخديو:



افضى مناخ الهزيمة ببعض الكتـاب والشعراء الشرفاء الى الرجوع عن موقفهم الناصر للثورة ، والى موالاة الخديو ، من هؤلاء الشيخ « حمزة فتح الله » و « اديب اسحق » . وكان منطقيا ان تكون ردة شعراء البـلاط – وعلى راسهم « على الليثى » و « عبد الله فكرى » – أبعد ، فتراهم يلعنون الثورة والثوار ويذمون عرابى ويمدحون توفيق ، فعلى الليثى كـان نديمـا لاسماعيل وتوفيق ، ولكنه اتصل بالعرابيين وناصرهم : « ثم جاء

---

(١) سليم النقاش : مصر للمصريين ج ٥ ص ١٩٧
(٢) تاريخ الامام محمد عبده ج ١ ص ٢٥١

الشيخ المذكور بعد هزيمة الجيش المصرى ودخول الانجليز مصر يعتذر للخديو عن نفسه وأمثاله » (١) ويزور على الليثى التاريخ فيصف مصر بالامن والطمانينة والرخاء قبل الثورة :

كان اقليمنا رياض صفاء فيه للواردين أعذب منهل
من رآه يقول توفيق مصر أبصر الناس بالامور واعدل
قد امنا الزمان فيه ونمنا امتين الخطوب لا تتململ

ويستعدى الخديو على الثوار ليحكم السيف فى رقابهم :

واجعل العدل عامل الرمح فيهم نافذا قدر ما يعل وينهل
واسقهم قدر ما سقيناه انا قد شربنا مزيعد بعدحنظل (٢)

ويكاد عبد الله فكرى يكون مثالا من على الليثى ، فقد كان كاتبا وشاعرا بلاطيا ، ومربيا لتوفيق واخوته . واتصل فكرى أيضا بالعرابيين وتولى وزارة المعارف فى حكومة الثورة — وزارة البارودى — وقبض عليه وحوكم بعد الهزيمة وثبت انه لم يكن مع الثوار من أول الطريق ولم يسايرهم الى نهايته ، وبعد الافراج عنه : « انضم الى الخديو مع من انضم من الخائنين » (٣) .. وتوجه فكرى بقصيدة الى توفيق ، لم تكن للتنصل مما نسب اليه من الشر — كما يقول عرابى فى مذكراته — لان التحقيق اثبت براءته ولكنها كانت لتجديد ولائه للخديو واثبات انه لايزال من فريقه وشيعته :

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى
وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا
وقف خاضعا واستوهب الاذن والتمس
قبولا وقبل سدة الباب لى عشرا
وبلغ لدى الباب الخديو حاجة
لذى امل يرجو له البشر والبشرا
لدى باب سمح الراحتين مؤمل
صفوح عن الزلات يلتمس العذرا (٤)

وليس خافيا أن قصيدتى الليثى وفكرى صورتان من الشعر البلاطى فى قصور المماليك والسلاطين المتأخرين .

فاذا كان الليثى وفكرى قد اكتفيا بالاعتذار لصلتهما بالقصر وصاحبه ، فان فريقا آخر — كله من الاتراك والمتمصرين وكبار الرجعيين والمنتفعين — قد مثل بشعره صراحة مصالح الجبهة المعادية للشعب . فهؤلاء يبكون الاسكندرية بعد ضربها وينسبون خرابها الى عرابى و (فتنته) . ولفكرى بك — أحد أعضاء الوفد العثمانى الذى جاء الى مصر لاقرار الاحوال ابان الحوادث التى سبقت ضرب الاسكندرية — بكائية :

---

(١) مذكرات عرابى ج ٢ ص ١٦٣
(٢) مصر للمصريين ج ٦ ص ٣٢
(٣) مذكرات عرابى ج ٢ ص ١١٩
(٤) عبد الله فكرى : الاثار الفكرية ، مطبعة بولاق سنة ١٨٩٧ ص ٢٢

اسكندرية هـــذه احـــلام
ام قد قضت فيمـــا نرى الايام
ما هـــذه الاحـــوال يا ثغر الغنى
حارت بهـــا الافكار والاوهـــام
اليوم اضحى باكيـــا اســـكندر
ممـــا اعتراك وما بذا اعظـــام
لو الهـــا تدريه يا بلد الهنـــا
لتدكدكت من حزنهـــا الاهـــرام

ويلعن الشاعر قائد الثورة وينسب اليه خراب الثغر ويخلص من ذمه الى مدح توفيق ويستعديه على الثوار :

احرقت اعـــرابى ثغـــر بلادنا
واللـــه قـــد حاطت بك الآثـــام
فانظر جزاك كيف ياتى عاجـــلا
يا ابهِ الزنا ما هذه الاجـــرام
ياليت تدرى مـــا اقترفت فـــانه
ما ســـام هذا الفعل قبلك حـــام
وبعزة التوفيـــق تلقى فى غـــد
ما تستحق وتقصـــد الاحـــلام

ونجد فى هذا السبيل ـ فى شعر الموالين للخديو وحلفائه ـ قصائد تبدى الشماتة بهزيمة الثورة ، وتهتف بحياة الخديو ، وتفرح بانتصار الانجليز وترحب بقدومهم (١) · وشعر هـــذا المعسكر يرتد فى جملته الى روح عصر الانحطاط الفنى الـــذى سبق النهضة القومية ·

ب ـ شعر الثوار :

عقد صاحب كتاب (مصر للمصريين) فصـــلا فيـــه صورة للاجتماعات الوطنية ابان حوادث الثورة ، وما كان يثار فيها من مناقشات وما كان يلقى من خطب واشعار قال : « وكانت المقالات والخطب والقصائد من جهـــة أخرى تتلى وتلقى فى مجـــالس العرابيين ومنتدياتهم من غير انقطاع تحميسا وتهييجا ، فمنها قول بعضهم معرضا بذكر « ولسلى سيمور » فى بيت السموءل :

وانا لقوم لا نرى القتـــل سبة   اذا ما راه ولسلى وســـيمور

ومن أقوال الشعراء فى عرابى منظومة للشيخ « احمد سيف البارى » مطلعها :

الام يسوء فعل الجاهليـــنـــا   ونمنحهم بفضل الجاه ليـــنـــا

وفى مدح عرابى :

اذا ما راية رفعت لمجـــد   تلقـــاها عرابيـــنـــا يمبينـــا



(١) مصر للمصريين : الجزء الثانى ص ٣٢ ، والجزء الخامس ص ٢٣٨ ، ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٥ ، والجـــزء السادس ص ٣٤ و ص ٣٧

ومنها منظومة لسيد المرصفى استهلها بقوله :

يا صاح قم واشكر الهك واحمد فالدين منصورعلى يد احمد (١)

ويحدثنا عرابى فى مذكراته عن القصائد التى كانت تلقى فى جلسات العرابيين واجتماعاتهم ، منها قصيدة للشيخ « احمد عبد الغنى » مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى ولا وقت السماع على الشراب
ولكن ذا زمان المجد وافى وذاوقت الفتوة والشباب
ووقت فيه الاستعداد فرض لتنفيذ الاوامر من عرابى (٢)

غير أن هذا الشعر الذى يرويه صاحب (مصر للمصريين) وعرابى فى مذكراته قليل لا غناء فيه وهو شعر ضعيف متهافت .

ولكن بعض زعماء الثورة كانوا شعراء تركوا من شعرهم ما يكفي لبيان مواقفهم السياسية والاجتماعية ، وما تركته من آثار على صورة تعبيرهم الشعرى :

عبد الله النديم :

كان عبد الله النديم نباتا شعبيا خالصا ، كونته (الوطنية المصرية) تكوينا نادر المثال . وظف طاقته الحركية فى الكفاح الديمقراطى العملى ، كما وظف طاقته الفكرية والتعبيرية فى الحفز والاستنهاض والدفع والاستنفار . اشترك حركيا بدور بارز فى الكفاح السرى والعلنى واشترك بدور قائد : فى النقد الاجتماعى قبيل الثورة (**صحيفة التنكيت والتبكيت**) ، وفى اصدار المنشورات الثورية (**صحيفة الطائف**) خلال أحداث الثورة . وفى توجيه فكرة مصر للمصريين (**صحيفة الاستاذ**) بعد الثورة .

اشتغل النديم بالتربية والاصلاح الاجتماعى ثم انتقل فى اكتوبر سنة ١٨٨١ الى دور جديد وهو دور الصحفى السياسى الناطق بلسان الثوار ، وأصبحت (الطائف) لسان الثورة ، وصاحب النديم قائد الثورة وصحبه وجنودهم الى كل مكان ذهبوا اليه والى كل المعارك التى خاضوها بالاسكندرية وكفر الدوار والتل الكبير ، وكانت صحيفته تصدر من معسكر الجند بأسلوب ثورى عنيف مهيج ، كما كان النديم يخطب فى الجماهير التى تلتقى بالثوار فى كل مكان ويخطب فى الجند مودعا ومستقبلا ودافعا على الاستبسال والمقاومة .

الطهطاوى



وخلف النديم مجموعة ضخمة من الخطب ومن المقالات السياسية ولكنه لم يخلف الا القليل من الشعر ، فقد كان يضمن خطبه السياسية بيتا أو مجموعة من الابيات له أو لغيره ، وله خطبة مشهورة فى توديع الآلاى السودانى عندما سافر الى دمياط بقيادة عبد العال حلمى بعد يوم عابدين وهذه الخطبة بعنوان « حماة البلاد وفرسانها » :

---

(١) مصر للمصريين جـ ٥ ص ١٩٨
(٢) مذكرات عرابى جـ ١ ص ٢٠١

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم اليه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات . فقد ارتقيتم ذروة ماسبقكم اليها سابق ولا يلحقكم فى ادراكها لاحق الا وهى حماية البلاد وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنها ، فلكم الذكر الجميل والمجد المخلد يباهى بكم الحاضر من اهلنا ويفاخر بمآثركم الآتى من ابنائنا فقد عاش الوطن حياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقى ، فان الامة جسد والجند روحه ، ولا حياة للجسم بلا روح وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم ويقول :

اليكم يرد الامــــر وهو عظيم   فانى بكم طول الزمــــان رحيم
اذا لم تكونوا للخطوب وللردى   فمن اين ياتى للــــديار نعيم
وان الفتى ان لم ينازل زمــانه   تاخر عنه صــــاحب وحميم
فردوا عنان الخيل نحو مخيم   تقلبـــــه بين البيوت نسيم
وشدوا له الاطراف من كل وجهة   فمشدود اطراف الجهات قويم
اذا لم تكن سيفا فكن ارض وطأة   فليس لمغلول اليــــدين حريم
وان لم تكن للعائدين حمــــاية   فانت ومخضوب البنان قسيم (١)

وللنديم مطولة قالها بعد هزيمة الثورة وهربه واستخفائه ، يحكى فيها صبره على النوازل والكوارث ويفخر بنفسه اذ انه لم يضعف ولم يهن :

وهل انسى هجوم الجند عصــرا   بلا علم وقد كنــــا نجينـــــا
احاطوا بى وسدوا كـــل باب   وصرنا بين ايدى الباحثينـــــا
وكان السطح مملوءا بجنـــــد   وخلف البيت كم وضعوا كمينا
فادركت الوحيد وكان صـــيدا   قريبا من فخاخ الطالبينــــــا
وارشدت النديم الى مكـــــان   رآه بعــد حيرته مكينــــــا
واعمى الله عنـــا كل عين   وكنـــا للعساكر ناظرينـــــا
وصرنا فوق سطح فيــــه علو   بحطم هاويا منه متينـــــا
فلم ارهب ولويى من ضــــار   ولم انظر شمالا او يمينا (٢)

وفى الحقيقة أن النديم لم يضعف امام الهزيمة ولم يندم على اشتراكه فى الثورة ، بل ظل مخلصا لمبادئها بعد هزيمتها ولكن شعره ضاع فى معظمه ، وقد تنصل منه ، وذكر لصديقه ومترجمه أحمد سمير انه كان ينوى حرقه لو وقع عليه ، كما ضاعت معظم ازجاله ، وكانت هذه الازجال ــ التى رددها الشعب وغناها المغنون فى تلك الفترة ــ من ادواته الطيعة التى ساعدته فى التأثير ، ويسودها بصورة عامة روح التوجيه التعليمى والنقد الاجتماعى .

محمود سامى البارودى :



كان البارودى شاعرا فحلا ، وهو رأس الشعراء المحدثين ، وعمله الباقى فى تاريخنا هو دوره الفنى ، وشعر البارودى فى الثورة العرابية صورة أولية للمزاوجة بين ذات الشاعر والآمال الوطنية . وقد كان البارودى احد رجال الحزب الوطنى القديم

(١) المصدر نفسه ص ٩١
(٢) شعراء الوطنية ص ١٤

وتلميذا لجمال الدين الافغانى ، لهذا كان يؤمن بالشورى وبالحرية السياسية ويطالب بالدستور ، ونراه يتوجه بهـذه المطالب الى توفيق عند تهنئته بتولى العرش :

سن المشورة وهى أكرم خطة   يجرى عليها كل راع مرشد
هى عصمة الدين التى أوحى بها   رب العباد الى النبى محمد
فمن استعان بها تأيد ملكه   ومن استهان بامرها لم يرشد
امران ما اجتمعا لقائد امة   الا جنى بهما ثمار السؤدد
جمع يكون الامر فيما بينهم   شورى وجند للعدو بمرصد
فيهات يحيا الله دون مشورة   ويعز ركن المجد ما لم يعضد

والابيات صورة موفقة للمديح الجديد الذى تخلص من المبالغات المجوجة واتجه فيه حمل المطالب الوطنية بصورة متأثرة بالوروث الدينى .

وعندما تطورت الحوادث وبدات وقائع الثورة ، فكر الثوار فى عزل الخديو ، ولكن البارودى لم يوافق على أعمال العنف ، فقد كان رأس (المعتدلين) ، غير أن احلام المجد لعبت براسه وطمحت نفسه الى عرش مصر :

أخنى الزمان على فرسانها فغدت   من بعد منعتها مطروقة السبل
فبادروا الامر قبل الفوت وانتزعوا   شكالة الريث فالدنيا مع العجل
وقلدوا امركم شهما أخا ثقة   يكون ردءا لكم فى الحادث الجلل
ماضى البصيرة غلاب اذا اشتبهت   مسالك الراى صاد البازى بالحجل
ان قال بر وان ناداه منتصر   لبى وان هم لم يرجع بلا نفل (١)

وهذه القصيدة من اقوى قصائده السياسية ، فهو يبلغ درجة عالية من اجادة الصياغة التقليدية الجهيرة عندما يتحدث حديث ذاته وطموحه وعندما يلتحم هذا الحديث بالمطلب الوطنى .

غير أن الامور تعقدت بشــكل اخاف المعتــدلين – ومنهم البارودى – فظهرت نذر الحرب بعد أن ارسلت انجلترا وفرنســا مذكرتهما المشتركة ورفضتها وزارة البارودى وقبلها الخديو . لم يحيد البارودى – فى هذا الموقف – العنف ، ولكنه لم يجــد مفرا من مسايرة الثوار الى نهاية الشوط ، وهو يبين موقفه هذا ونصحه لزملائه ثم اضطراره واذعانه لرايهم :

نصحت قومى وقلت الحرب مفجعة   وربما تاح امر غيــر مظنون
فخالفونى وشبوها مكــابرة   وكان اولى بقومى لو اطاعونى
تأتى الامور على ما ليس فى خلد   ويخطىء الظن فى بعض الاحايين
حتى اذا لم يعد فى الامر منزعة   وأصبح الشر امرا غير مكنون
اجبت اذ هتفوا باسمى ومن شيمى   صدق الولاء وتحقيق الاظانين (٢)

والواقع أن البارودى لم يكن مؤمنا بالعمل العسكرى ، ولم يشترك فى معارك كبيرة من معارك الثورة ، وكل ما يذكر له أنه رحل الى الاسكندرية فى اليوم الذى ضربت فيه ، والموطن الثــانى الذى نكر فيه البارودى هو اشتراكه حكمدارا للجيش المعسكر فى الصالحية ، وكان هذا الجيش قطاعا من القوات التى اشتركت فى معركة القصاصين . هذا ما قام به البارودى فى المعارك الحربية

---

(١) و (٢) ديوان البارودى ، المقدمة

للثورة ، لميله في تلك الفترة ـ رغم عسكريته القديمة ـ الى العمل الدستوري والتطور السلمي · ويجمع شعر البارودى بعد الهزيمة بين الفخر ومحـــاولة التنصل وتبرير الهزيمة ، ففى قافية له مشهورة (١) يبرىء نفسه ويعلن أنه لم يكن راضيا عن اعمـــال العنف والحرب ويذم الثوار لحنثهم فى ايمانهم ـ فى رأيه ـ ويعيب عليهم التخاذل ويندم على اشتراكه معهم :

دعونى الى الجلى فقمت مبادرا — وانى الى امثال تلك لسـابق
فظننت بهم خيرا فابت بحسـرة — لها شجن بين الجوانح لاصق
فياليتنى أصبحت فى رأس شاهق — ولم ار ما ألت اليــه الوثائق
وياليتنى راجعت حلمى ولم اكن — زعيما وعاقتنى لذاك العـوائق

والقصيدة طويلة ، ونلاحظ فيها اللجوء الى الدين عند الهزيمة، وتبرير الاشتراك فى الثورة بالدفاع عن حمى الاســلام ، وهى ملاحظة عامة على كل الشعر الذى قيل بعد الهزيمة ·

ونستمع فى قصائد كثيرة للبارودى الى نغمة الشكوى من تخاذل المتخاذلين ، وبالرغم من شكواه وتبريره المتواصل فانه لم يضعف، بل يقول انه قام لنصرة الدين والوطن :

ومن عجائب ما لاقيت من زمنى — انى منيت بخطب امره عجب
لم اقترف ذلة تقضى على بمـا — اصبحت فيه فماذا الويل والحرب؟
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى — ذنب ادان به ظلما واغترب ؟
فلا يظن بى الحساد مندمة — فاننى صابر فى الله محتسب
وما ابالى ونفسى غير خاطئـة — اذا تخرص اقوام وان كـذبوا

لم يكن شعر البارودى فى الثورة متفائلا بها منذ بداياتها ، ولم يكن راضيا عن العمل العسكرى ، ولعل دوره فى سياسة الثـورة كان اكبر من دوره فى معاركها · وعلى اية حال فانه لم يشعر بضرورة الثورة لانه كان يؤمن بغير العنف ، كما أن طبيعته الارستقراطية أبعدته عن الاحساس المصرى الخالص الذى حملته قلوب المصريين الخلص من ابناء الطبقة الوسطى · ولكننا نلاحظ أن شعره وان كان قد اتخم بفخره بنفسه واعتداده بها يدل من هذه الزاوية على طموح قومى عام ، كما أن احياءه للشعر العربى بتقاليده الكلاسيكية يعد فى ذاته صورة من الروح القومى النامى الذى يلوذ بالقديم يفتش فيه عن الشخصية القومية ·

***

اين أصداء الثورة فى شعرنا عند الاجيال التالية لجيل الثوار العرابيين ؟ هذا حديث يطول ، ولكننا نشير الى جملة أمور :

ـ مزقت الهزيمة صفوف الثوار ، وملأت المناخ المصرى بروح اليأس والقتامة ، فظهر التنصل والتبرير والاتهام · وعلى جيلنا أن يتثبت فى رصد الوقائع ، وأن يوثق الاحكام عـلى الرجـال والمواقف · فقد اختلف المؤرخون ـ مثلا ـ فى موقف الشـيخ « محمد عبده » ، واعتمدوا فى وزنهم لهذا الموقف على مجموعة



(١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣١٥

من المواقف العملية للشيخ ، وعلى ما كتبه فى تاريخه للثورة (١) .. ثم على قصيدة مطولة (٢) نظمهـا فى السجن عقب هزيمة الثورة ، وانتهى بعضهم الى تجريح موقف محمد عبده . ولكن يبدو من وثائق تلك الفترة ، أن الشيخ لم يكن راضيا عن الثورة فى مرحلتها الاولى (مرحلة المطالب العسكرية) وانه كان يعتقد أن العرابيين ينطلقون بمطالب عسكرية خالصة عن طريق القوة . غير انه اشترك فى معارك الثورة ـ سياسيا وفكريا ـ فى مرحلتها الثانية (المرحلة القومية) بعد ان تبين له ولغيره ان الامر قد انتهى الى جبهتين : جبهة الامة وجيشها ، وجبهـة المستعمر وحلفائه ، وبعد الهزيمة عاد الشيخ الى سبيله الاصلاحى والى نظرته التى تأبى العنف ، واغضبه تخـاذل نفر من الثـوار وفرارهم ، فهاجمهم فى قصيدته وبنى بعض الدارسين حكمه عـلى موقف الشيخ اعتمادا على ما جاء بتلك القصيدة دون نظر الى ملابساتها .

ـ واستطاع المستعمر وحلفاؤه فى الداخل أن يشوهوا تاريخ الثورة العرابية لفترة طويلة ، حتى استقر فى أذهان بعض الوطنيين فى الجيل التالى لها ، انها كانت سببا فى الاحتلال الانجليزى لمصر . ولعل هذه الحقيقة تساعد فى تفسير الحملة الظالمة التى شنها « مصطفى كامل » نثرا و « احمد شوقى » شعرا (٣) عـلى عرابى عند العفو عنه وعودته الى الوطن . ويقوى هذا الرأى أن احمد شوقى الح ـ بعد سنوات من نشر قصـائده فى جريدة (اللواء) ـ على أهله الا يجمعوا قصائده الثلاث التى ذم فيها عرابى فى ديوانه ، لانه ظلم فيها الزعيم .

ـ اشترك أبناء المدن وجماهير الفلاحين اشتراكا حقيقيا فى الثورة وأنتجوا شعرا شـعبيا وعاميا ، انشـدوه على الانغام البسيطة ، ولقد ضاع معظم هذا النتاج ، وعلينا ان ندرك ما بقى منه بالتسجيل والدراسة حتى لا نبدد جزءا عزيزا من تراثنـا الثورى القريب .

ـ اثرت المضامين الوطنية فى صورة التعبير الشعرى وجمالياته، ويمكن للدارس الفنى المتمهل أن يتحسس هذا التأثير فى بنـاء القصيد ومعجمه وصوره ، وأن يربط ذلك بالقيم الفنية لحـركة الاحياء الشعرى عامة .

ـ ظهرت أصداء للثورة العرابية فى شعر الاجيال التالية لهـا لكنها محدودة . ويبدو السبب ـ فيما نرى ـ فى أن الثورة قـد دونت فى تاريخنا باعتبارها قطعة من سياقه العام لكنها لم توضع بعدوضعها (وجدانيا) فى سياق ثقافة وطنية شعبية . ذلك يجعلها ملهما دائما لكل الاجيال

البارودى



---

(١) اورده محمد رشيد رضا فى الجـزء الاول من (تاريخ الامام)

(٢) تاريخ الامام ج ١ ص ١٥٠

(٣) راجع : محمد صبرى : الشوقيات المجهولة ج ١ ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٥٢ ، وجريدة (اللواء) عدد ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ وعدد ٣ اكتوبر سنة ١٩٠١ ، وعدد ١٢ يناير سنة ١٩٠٢



قصة العدد

الإعلان

تأليف الكاتبة الإيطالية ناتاليا جنزبرج

عرض وتلخيص : الفريد خاطر

« أنا مازلت أحبه فعلا وسأحبه دائما . فلتنته المشكلة . ولو كان في منتصف الطريق عبر العالم ، وأشار لي فقط بإصبعه ، لجريت إليه على أربع . كم أتمنى أن أستعيده ، حتى لو كان عجوزا تماما ومنضورا جوعا، حتى لو كان مريضا بالطاعون ، مسترق الشباب . »

« تريزا »

قالت : « بالشقة خمس غرف ، لذا فهي في الحقيقة كبيرة جدا بالنسبة لي ، لكنني لا ارغب في تركها : لا استطيع الانتقال ... فانه أمر محزن ، على ما أعتقد . لذا فانا ارغب في تأجير حجرة واحدة لفتاة جامعية مقابل قيامها ببعض الاعمال المنزلية الخفيفة وما شابه ذلك . »

... كان ذلك هو بداية الحديث الذي بدأت به تريزا سرد قصة حياتها للطالبة الجامعية « اليتا » التي استجابت للاعلان الذي نشرته الاول بخصوص الحجرة . تسرد عليها حياتها بطريقة غير متعمدة على الاطلاق . فالكلام يجر بعضــه بعضا والموقف يترتب عليه موقف . الا أنها تستطرد فتقول : « نشرت ثلاثة اعــلانات بالجــريدة ، الاول بخصوص الحجرة والثاني بخصـوص خزانة ملابس من طراز القرن التاسع عشر، اذ ماحاجتي الى هذه الخزانة، فانا لم أستعملها أبدا كخزانة ، مملوءة الان بالمجلات القديمة، اذ انني آكل وحدي في المطبخ . أما الاعلان الثالث فكان بخصوص منزلي الريفي في « بوكاتش بابا » . أريد بيعه ، لانني لا أذهب الى هناك على الاطلاق ، والمرات القليلة التي ذهبت فيها الى هناك كانت تنتابني الكآبة ، وفي اللحظة التي أشم فيها رائحة القش والابقار أشعر برغبة في الصراخ . وربما كان مرجع ذلك الى أنني عشت في الريف عندما كنت صغيرة . بدأت أكره الريف منذ أن كنت فتاة صغيرة . كانت فترة طفولتي قاسية فظيعة . فلقد عشنا مع عائلة جدي لابي ، أمي ، وشقيقي ، وأنا . كان اجدادي فلاحين ، فلاحين فقراء . وكان أبي موجودا أيضا في البداية ، وكنت ارتعب منه ، تعود أن يضرب أمي ، لم يضربني أبدا ، لكنه كلما كان يراني العب في المطبخ كان يلتقطني من ذراعي ، ويرميني خارجا . كان يقول دائما انني لست ابنته . أخي فقط هو ابنه ، أما أنا فلا ، قال انني ابنة العم **جياكومو** .

كان العم جياكومو يسكن في نهاية الطرف الاخر للقرية ، كنت متعودة على رؤيته احيانا في الشارع : كان رجلا ضئيلا ، يضع غليونا في فمه ويرتدي حذاء ركوب الخيل . كان لديه كلب ضخم يتبعه ، حيثما ذهب . كان يتطلع الي ، ويفتش في جيوبه ، ويعطيني بعض الحلوى ، ثم يصفر لكلبه ويمضي . ودائما ما كنت افكر : « **لماذا لا يأخذني الى البيت معه ، اذا كنت حقا ابنته ؟** » . كان جياكومو عمي فعلا، ولكنه كان قد تشاجر مع عائلة جدي بخصوص بعض الاشـجار ، وتخاصم معهم للفترة . ثم هاجر أبي الى امريكا وبقينا بعد ذلك مع اسرة جدي ، كانوا قساة جدا مع والدتي ، يصيحون فيها على الدوام . وأخذت أمي تزداد كآبة ، واهمالا لنفسها، وارتعابا ، وعجزا عن القيام بواجباتها . وحدث أن أصيب جدي بنوبة « فالج » فقامت أمي على رعايته كانت تلبسه ، وتطعمه ، كانت ترفعه بين ذراعيها كما لو كان طفلا، وتجلسه بجوار المدفأة . وكان يسبها ويعنفها دائما ، كما ان « جراني » كانت تقول لها ! انها السبب في رحيل والدي ، حيث لم يعد هناك من يعمل في الحقل . وفي حين كانت أمي تكاد تقتل نفسها في العمل بالحقل ، وفي رعاية جدي ، واعداد الاكل للماشية . لم تكن أمي تقول شيئا أبدا . احتفظت بفمها مقفولا على الدوام .

بعد ذلك وبالتدريج بعنا الارض ، والماشية ، ورهن البيت • توفي جداي، ورحلنا عن البيت ، ذهبنا لنعيش عند العمة « آماتا » • وكانت تعيش من تجارة بسيطة للقماش والخردوات في قريتنا « ريجالوآلتو » • اصبحت أمي خادمة للعمة اماتا • كتب عليها أن تكون خادمة ، لانها لم تفعل اى شيء غير ذلك ابدا طول حياتها ، وبمجرد أن بلغت سن العشرين ، فررت من القرية • لانني لم أكن ارغب في ان يرتبط مصيري للابد بتجارة الاقمشة ، وبيع الازرار • لم أكن ارغب في ان انتهي الى ما وصلت اليه أمي • »

***

وهكذا جاءت الى روما لتبـــدأ المرحلة التالية من حياتها بعد تلك المرحلة القاسية المجدبة • تعمل في روما في محل لبيع الزيوت والخمور ••• وأعمال أخرى ، الى ان اصبحت تكرة «كومبارس»في السينما ، وفي أحد الايام عندما كانت تعمل في احد الافلام التقت مصادفة بزوجها « لورنزو » • وفي مساء نفس اليوم كان لهما لقاء حيث تناولا العشاء • بعدها ذهب معها الى حجرتها المتواضعة • ولمدة ثلاثة أيام كاملة ، لم يخرجا أبدا ، لم يفعلا شيئا في هذه الايام الثلاثة ، سوى ممارسة الحب ، النوم ،التدخين، وأكل معلبات اللحم المحفوظ ، وفجأة قال لها : «انه سيذهب لشراء بعض السجائر» لكنه لم يعد ، ولم تره لمدة ستة أشهر •

بعد ذلك قابلته مصادفة عندما أحضر فتاة صديقه الموسيقى الالماني الى محل قص الشعر الذي كانت تعمل فيه •• وفي المساء التقيا • وعاتبته على هذا الفراق ،لكنه قرر لها أنه عندما خرج ليشتري السجائر قابله صديق وبدأ في الكلام ونســيها كلية وعندما تذكر انه يجب أن يعود اليها كان الوقت متأخرا واعتقد أنها نائمة ،

وفي اليوم التالي أرسلته والدته لاحضار بعض الكلاب من القسيمة وفي الطريق حدث له حادث بالسيارة • وملخت كتفه ، ووضعت في رباط ضاغط • لم يستطع تذكر رقم منزلها ولذا فلم يستطع الكتابة اليها •

••• من هذا الموقف يتضح لنا انها وقعت في حبه فعلا ازاء اصرارها على البقاء معه خاصة عندما قالت له : « لا تتركني على هذا النحو » فقال : « ما الذي تريدينه مني ؟ لماذا لا تبحثين عن شخص آخر ، شخص يستطيع أن يجعلك سعيدة ؟ ما هو الشيء المشترك الذي يربط بيني وبينك ؟ » لكنها قالت : « كلا ، اريد ان أبقى معك ! لا أعرف لماذا ، لكنني اريد ان ابقى معك » • على حين يتضح لنا ان شعوره نحوها لم يزد عن كونه شعورا بالعطف •

••• وفجأة يتزوجها ، وتمضي الحياة بهما على نفس النحو الذي كانت تسير عليه حياته : التسكع والسهر في النوادي الليلية مع أصدقائه ، الذين أصبحوا أصدقاءها في نفس الوقت • عاشا اولا في حجرتها المتواضعة ، ثم بعد ذلك في شقة ، ثم فكرا في بناء فيللا بالريف في روكاكي بابا ، وأنفقا عليها دون وعي ، ثم قضيا هناك ليلة واحدة فقط • عادا بعدها الى روما ليعيشا في الشقة التي أصبحت خالية بعد أن نقلا كل شيء الى روكاكي بابا • وعلى هذا بدأ يقضي فترة ما بعد الظهر عند والدته بحجة أنه يدرس الطبيعة البحتة رغم أنه حصل على شهادة الهندسة •• وبدأت الغيرة والقلق ينهشانها وكانت تثير معه شجارا في كل مرة يعود فيها متأخرا الى البيت وتتهمه بأنه كان في أحضان امرأة أخرى ، وهكذا انقلبت حياتهما جحيما ، ازاء عدم اهتمامه بها • حتى انها فكرت في خيانته حتى تستثيره ، لكنه عندما وجدها في الفراش مع صديقه ماريو لم يفعل اى شيء ســـــوى أن غادر البيت ••• وتيقنت تريزا ساعتها أن كل شيء قد انتهى •• واتفقا بعد ذلك على الانفصال وساعدها في العثور على هذه الشقة وكتب الفيللا باسمها

وتستطرد تريزا محدثة الينا بانه يتصل بها تليفونيا ويحضر لزيارتها من حين لآخر وقد يحضر الآن اذا بقيت بعض الوقت . لكن الينا تخبرها بأنها ستنصرف الآن على أن تعود في الغد لسكنى الغرفة .

بذلك ينتهي الفصل الاول ورغم ما فيه من طول الا انه لا يمكن ان يتطرق الملل على الاطلاق الى القارىء او المشاهد ذلك ان الحوار هنا حوار متدفق حي يجسد المشكلة منذ بداية المسرحية حتى نهايتها بل ونحس بوجود لورنزو من البداية حتى النهاية رغم انه لا يظهر الا في الفصل الثاني فقط ، انما نشعر به في كل كلمة تقولها تريزا مما يؤكد سيطرته الكاملة والمطلقة على قلبها ، تلك السيطرة التي تصل الى حد الاستبداد الذي يتمثل في اطاعتها لاوامره ونواهيه .

***

.. وفي الفصل الثاني يلتقي لورنزو بالفتاة الجامعية الينا عندما يحضر لزيارة تريزا ولا يجدها . وتبهر به الفتاة الينا خاصة وهي القروية الساذجة التي لم يصادفها في حياتها ابدا اي نوع من التجارب سوى تلك التجربة الوحيدة عندما فارقت أهلها بالريف لتدرس في روما . ولا شك انها تبهر به ، خاصة بعدما روت لها تريزا عنه . ويأخذ لورنزو في شرح وجهة نظره بخصوص تريزا فيقول : « انها تعتقد أنني تركتها بسبب ذلك الامر الذي حدث ، لكن ليس هذا هو السبب . ما ذلك الا تعلة . الحقيقة انني تركتها لانني لم اعد احبها . لم أكن اشعر بالغيرة . كنت بعيدا عنها بمقدار مليون سنة ضوئية . لم اعد احبها بعد ، ولقد حاولت ان اشرح لها ذلك عشرات المرات . لكنها لا تفهم . لا تريد أن تفهم ... أعتقد انني تخليت عن حبها منذ فترة بعيدة . بعد فترة قصيرة من بدايتنا للعيش معا ، لكنني لم أعترف لنفسي بذلك صراحة ، ابان ذلك الوقت . كانت مشاعري نحوها معقدة ... تستعصي على الحل ولقد اقتضى مني تحديد مشاعري نحوها الكثير من الوقت ، قررت أن أعيش معها لشعوري بالعطف عليها . كانت تعاني من الكوابيس المزعجة ... من القلق ، والخوف . قررت ان أعيش معها لانني أردت ان اضايق والدتي . لهذه الاسباب ، قررت ان أعيش مع فتاة كانت وحيدة ... وفقيرة ، ضائعة .. فتاة نشأت في عالم مغاير تماما لعالم عائلتي . قررت ان أعيش معها لانني أردت أن أعيش مع فتاة حمقاء فوضوية ، مبلبلة . أردت ان اخلصها من قلقها ، والقي الضوء على حيرتها وبلبلتها . لكنني في الواقع كنت انا نفسي قلقا مبلبلا ؛ ولذلك لم أستطع بأي حال من الاحوال ان أمنح الاحساس بالطمأنينة لانسانة كانت تشبهني تماما في الكثير من الصفات . . كانت هي قلقتي » .

ويستطرد لورنزو كم هو وحيد أيضا ويحس بالعزلة . وكيف ان الانسان لا يتفق الا مع من لا يشبهه . أي أن الانسان لا يتفق الا مع ضده . وهو هنا يقصد الينا .

.. وتحضر تريزا وقد احست لاول وهلة بما بين الينا ولورنزو . فالاحساس الانثى لا يخطىء ابدا . وتحاول ان تختلق شجارا بينها وبينه ، لكن لورنزو يخبرها بأن اعصابه قد هدأت الآن خاصة بعد أن قضى شهرا بالريف عند أخته . وعبثا تحاول أن تثير معه شجارا .

... وفي الفصل الثالث تلتقي بتريزا والينا التي تخبرها بانها تأخرت ليلة امس لانها كانت مع لورنزو وأصدقائه في السينما . وبعد ذلك خرجت هي ولورنزو للتمشي ومشيا لدرجة ان ساقيها تصلبتا من جراء ذلك . ونعرف من خلال

حديثهما أن الينا ستترك الحجرة لتعود الى بيت خالها حيث أنها لم تستطع أن تستذكر جيدا هنا • ومن المحتمل أن تستطيع التحصيل هناك • وتخبرها تريزا بأنها نشرت اعلانا فى الجريدة بخصوص الحجرة • وتدخل الاثنتان فى حوار يكشف لنا عن حقيقة ترك الينا للحجرة • هذه الحقيقة انها تحب لورنزو • وتدهش الينا لان تريزا تلقت ذلك بكل هدوء • لكنها تقرر لها انها ما زالت تحبـــه وستحبه دائما • تلك هى المشكلة ، لكن لاأمل فى ان يعود اليها وهى تعرف ذلك •

••• وتأتى نهاية المسرحية والينا تدخل حجرتها لترتب حاجياتها • فتدخـــل تريزا خلفها •• ويظل المسرح خاليا •• وفجأة نسمع طلقة رصاص • وتخرج تريزا الى التليفون تدير رقما •• ثم تتكلم : « هالو ، لورنزو ! لورنزو ! • تعال الى ، بحق الله تعال ، لقد قتلتها ! لم اكن أقصد ذلك ، لم أكن اقصد ذلك ، لكننى قتلتها ! ماتت •• ماتت فى الحال • بحق الله لورنزو ، ارجـــوك ان تحضر ، ارجوك ان تحضر ! » تنهار وهى تنتحب »

•• ويدق جرس الباب ، لتدخل فتاة تسأل عن الحجــــــرة التى نشر من اجلها الاعلان ••

***

هكذا تصور لنا ناتاليا جنزبيرج مأساة حب حقيقى وقعت فيه بطلة مسرحيتها من خلال شكل فريد وصعب فى نوعه ، أولا من ناحية الشكل؛ فالفصل الاول يحتل نصف المسرحية تقريبا بينما الفصل الثانى والثالث يحتلان النصف الثانى • واعتقد ان ذلك له ما يبرره ، ولا داعى مطلقا لان نطالب الكاتبة بتوازن بين الفصول اذ أن المشكلة تفرض نفسها بطابعها الواقعى ، على الشكل • فالشكل هنا تابع وخادم للموضوع وبذلك لا نحس بالتصنع والحرفية انما تنطلق المسرحية فى مسار طبيعى مشوق فى حد ذاته • يساعد على ذلك ويبرزه المبادرة والدخول فى الحديث مباشرة ، فمنذ الوهلة الاولى للقاء تريزا بالينا نجد الاولى تأخذ فى سرد قصة حياتها أو مأساتها اذا شئنا الدقة دون أن يطلب منها أحد ذلك • مما يؤكد ثقل العبء النفسى الذى ترزح تحته تريزا • يساعد على ذلك طبيعية الحوار وحيويته ، رغم أن الفصل الاول يعد تقريبـــا منلوجا واحدا ، لكن الملل لا يتسرب كما قلت الى نفس المشاهد أو القارىء بل يجد نفسه مشدودا متلهفا لما سيأتى بعد ذلك ، وهذا يعد من أبرز ما حققه العمل من الناحية التكنيكية •

•• أعود الى الشكل فأقول ان طبيعة المشكلة فرضت نفسها وجعلته بهذا الطول، ذلك أن الاحداث استغرقت حوالى خمس سنوات ، أما الفصل الثانى والثالث فكانا قصيرين ويتناسبان أيضا مع طبيعة الاحداث التى جرت فيهما • اذ كانت أحداث سريعة لم تستغرق الكثير من الوقت • فهذا الشكل بهذه الطريقة حقق البعد الزمنى للاحداث وجعلها أقرب الى الواقع •

••• ان ناتاليا جنزبيرج بهذا العمـــل الجديد فى شكله وتكنيكه تؤكد انها من دعائم الحركة المسرحية الايطالية الحديثة ، مما حدا الى ترجمة العمل الى اللغة الانجليزية وقدمته فرقة ناشيونال تيتز فى ١٦ ســــبتمبر ١٩٦٨ ، كما ان البرنامج الثـــالث بالاذاعة البريطانية قام بتسجيلها قبل ذلك بعدة شهور •

نظرية المسح الجغرافي للأدب العربي المعاصر

■ صالح جودت ■

منذ مائة سنة ، او نحو ذلك ، ذهب المهاجر اللبناني الاول الى أمريكا ، طلبا للعيش

ثم تلته افواج وافواج ، ولكن الهجرة المشرقية الى الدنيا الجديدة لم تتخذ صورتها الواضحة الا خلال الحرب العالمية الاولى وما تلاها من سنوات لدوافع لم تكن لقمة العيش على قمتها ، وان تكن من بينها ، ولا سيما ان الازمة الاقتصادية المت بربوع الشام يومئذ ، وبلغت فى بعض الاحيان حد المجاعة ، اذ راح جنود الاحتلال ينهبون اكثر نتاج الارض ، ثم اقبل الجراد يلتهم ما بقى منه ، حتى لقد وصف الشاعر الكبير بشارة الخورى ماساة ذلك العصر فى قصيدة « الفقراء » قائلا :

سلط الحرب والجراد علينـا
نحن نحيـا بمعجزات السماء

بيد أن عاملاً آخر من عوامل البقاء الانسانى ، هو طلب الحرية ، كـان فى ذروة الدوافع التى حملت أسراب الملهمين من أبناء سوريا ولبنان على الهجـرة الى الامريكتين ، الشمالية والجنوبيـة • وعلى أسـنة أقلامهم وابداع عقولهم واشعاع أرواحهم نشأ ذلك الادب الجديد الذى نسميه اليوم ادب المهجر •

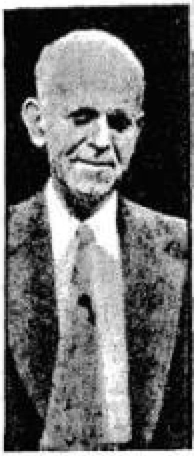
ومن وحى ذلـك المطلب الرفيـع ، مطلب الحـرية التى ماتت فى الشرق يومئذ ، يقول شاعر « بساط الريح » الملهم ، فوزى المعلوف :

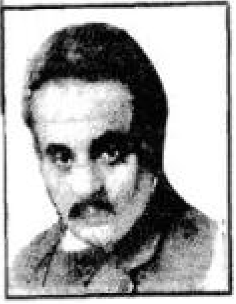
قسـما باهلى لم افـارق عن رضى
اهلى ، وهم ذخرى وركن عمـادى
لـكن انفـت بان أعيش بموطنى
عبـدا ، وكلت به من الاسـياد

قد يأخذ النقـاد على أدب المهجر بعض الهنات • ولكنها هنات مغتفرة اذا نصبنا الميزان ، فوضعناها فى كفة ، ثم وضعنا فى الكفة الاخرى : عالمية ادب « جبران خليل جبران » ، وانسانية أدب « ميخائيل نعيمة » ، ثم ما اتسم به شعر المهجريين من سمات التجديد ، وأبرزها التحليق فى أجواء لم يحلق الشعر العربى فى مثلها من قبل ، والموسيقى الدافقـة السلسالة التى تكاد تجعـــل أكثر منظوماتهم موقعة بغير لحن ، والسهولة اللفظية التى لا تعرف الكلمة الحوشـية ولا التركيب المعقد ، والتجديد فى الاطار الشعرى على نسق لا يخل بالاوزان ولا بالقوافى ، على غير ما يفعـل المجددون فى هذه الايام •

كل هذا نشأ فى المهجر ، منذ أوائل هذا القرن ، وأوشك أن ينتهى برمته


ميخائيل نعيمة


ايليا ابو ماضى


جبران خليل جبران

ـ بكل أسف ـ قبل أن ينصرم القرن ·

وقد جعلت همي ، عندما ذهبت الى امريكا لاول مرة سنة ١٩٥٩ ، أن اذهب الى وكر شعراء المهجر الشمالي ، في بروكلين ، فوجدته يكاد ينفض ، فقد ذهب كبيرهم « ايليا ابو ماضي » الى لقاء الله منذ حين ، وذهب قبله أو بعده أكثر رفاقه ، وكان آخر من ظفرت به منهم هناك ، هو الشاعر « عبد المسيح حداد » ، الذي ما لبث أن لحق بهم هو الآخر ·

أما المهجر الجنوبي ، فكبيره اليوم ، هو الشاعر المطبوع « الياس فرحات » ، الذي يقضي شيخوخته الآن في « بيللا هوريزونتي » ·

اما رفاقه ، فقد ذهب منهم من ذهب الى رحاب الله ، وعاد منهم من عاد الى حضن الوطن ، وقد لقيتهم في ربوع لبنان منذ شهور قريبة ، شاعرين كبيرين هما « رشيد سليم الخوري » أو الشاعر القروي و « شكر الله الجر » ·· وقد آثرا أن يقضيا شيخوختهما على أرض الوطن ·

وهكذا لم يبق هناك من الشعراء الكبار غير شفيق المعلوف ـ شقيق فوزي ـ ومعه قلة من الشيوخ ، اذا ذهبوا ـ مد الله في آجالهم ـ فقد انتهت قصة أدب المهجر في الشمال والجنوب الى ما شاء الله ، لان الجيل الجديد من أبناء المهاجرين قد استغرقته جنسيته الجديدة ، وانقطعت صلاته بالوطن الاب ، واللغة الام ، واصبح يتكلم باللغة الانجليزية في الشمال ، وباللغة البرازيلية في الجنوب ·

حقبة من تاريخ الأدب ، توشك أن تنتهي كما انتهى أدب الاندلس من قبل ، ولكنها ستظل موضعا للتأثير على مدى جيل أو جيلين ، وان تكن ستظل موضعا للدراسة على مدى أجيال طويلة ·

***

يذكرنا بخصائص الادب المهجري ، في عجالة ، كتاب فريد صدر أخيرا للأديب العراقي « خالص عزمي » ، يحتضن فكرة « المسح الجغرافي للادب المعاصر » ·



أبو القاسم الشابي



سامي البارودي

يقول المؤلف في مقدمته :

« لا شك أن في المكتبة العربية العديد من المؤلفات والمباحث في الادب العربي الحديث ، تمكن الدارس والمتتبع الافادة منها والنهل من منابعها ، الا أنني وجدت أن طريقة المسح الجغرافي للادب المعاصر تسهل على الكثيرين تقصيه وربط أجزائه في حلقات تقرب من فكرة وحدة الادب في مراميه وأهدافه ، اذ من المتعارف عليه أن الادب العالمي مازال يقيم ويدرس على أساليب مختلفة التفرعات تلتقي اما عند اللون الفني للعمل

الادبي . وأما الموازنة الشخصية للنتاج، أو الترابط التاريخي لجمل التكوين الادبي عند أمة من الامم .

• الا أن اختيار أسلوب المسح الجغرافي هذا ، يوصل حتماً بين تلك الاساليب مجتمعة ، الى جانب المزج المتكامل بين قطبي النظرية والتطبيق العملي للادب في آن واحد ، فالمؤلف في هذا الكتاب ، أو – على الاصح – في هذا الجزء الذي انجزه من الكتاب الذي لم ينجزه برمته بعد، يستعرض امامنا صورا من الادب العربي في سبعة فجاج ، هي : المهجر ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، ومصر ، والسودان ، وهو يزمع أن يستكمل الصور العربية في الجزء الثاني ، وتكون فجاجه في المرة القادمة ، هي لبنان وسوريا والاردن وفلسطين والعراق والكويت وامارات الخليج العربي والجنوب العربي .

وبهذا يكون قد أتم المسح الجغرافي في جميع ربوع الادب العربي ولعل أبرز نتائج هذا المسح بالنسبة للقارىء العربي – الى جانب المتعة الفكرية – هي أن المؤلف يضع امام القارىء صورا واضحة ، وان تكن سريعة ، للون الادب في كل فج من هذه الفجاج ، على مائدة واحدة ، لا ليقارن بينها بقدر ما هو مطالب بأن يربط بين وشائجها ، ويعرف مؤثراتها ، ويرنو الى اتجاهاتها ، ليخرج من كل ذلك بمسار الطريق الذي يسلكه الادب العربي المعاصر في الكون الحضاري الحديث .

●●●

ويبدأ المؤلف بما بدأنا به ، من الحديث عن ذلك الادب الراحل الباقي: أدب المهجر .

ويطالعنا ، في أول انموذج من هذا الادب بقصيدة لميخائيل نعيمة يقول فيها :

ما أنا يا ملاكي السعيد
غير طيف شريد
علمته الحنين
عاديات السنين
فاستطاب الانين
واسترق النواح
صفقي .. صفقي يا رياح

يا ملاكي الا من مآب
لطريد براه العذاب
ان يعز الرجوع
الا من هجوع
لغريب الربوع
يا ملاك الصلاح
ولولي .. ولولي يا رياح

وانني لأترك للقارىء أن يتأمل ما في هذه القصيدة ما ذكرت من سمات أدب المهجر ، ثم ليلمح بعد ذلك كيف عبر اثرها الموسيقى المحيط ، فكانت لها أصداء على الجانب الآخر ، في الجرس على الاقل ، نلمسها في قصيدة أبي القاسم الشابي ، التونسي التي يقول فيها :

الـوداع الـوداع
يا جبال الهموم
يا ضباب الاسى
يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي
في الخضم العظيم
ونشرت القلاع
فالوداع الوداع

هذا الى جانب نغمة الحنين الى الوطن ، التي يسوق الاستاذ خالص عزمي كثيرا من الشواهد عليها ، من اجملها قول ابي ماضي :

وليس ما بي يا رب داء
ولا احتياجي الى دواء
ولا حنيني الى الغواني
ولا اشتياقي الى الظباء
ولا اريد الذي لغيري
ذا حكمة كان او مضاء
لكن امنية بنفسي
يسترها الخوف والحياء
فقال : يا شاعرا عجيبا
قل لي الآن ، ما الذي تشاء ؟
فقلت يا رب فصل صيف
في ارض لبنان او شتاء
فانني ههنا غريب
وليس في غربة هناء

ويقترن هـذا الحنين ، بموجات من القلق والحيرة والتشاؤم غمرت نفوس المهجريين ـ حتى الذين أصابوا الثراء منهم ـ مردها الصراع بين العـالم العريق الذى أتوا منه والعالم الجديد الذى أتوا اليه ، بكل ما بينهما مـن تناقض وتباين ، حتى ليقول ميخائيل نعيمة معبرا عن ذلك الشعور :

أخي مـن نحن ؟ لا وطن
ولا أهـل ولا جـار
اذا نمنـا ، اذا قمنـا
ردانا الخـزى والعـار

ويقول ندرة حداد :

يمـر ذكر الصبـا
أنغـام مزمـار
او نفح زهـر الربى
في شـهر آيار
ما قيل لي مرحبـا
في كـل أسفاري
الا وقلبي صـبا
للأهـل والـدار

***

وتعود بنا رحلة المسح الجغرافى من المهجـريين الى المغرب ، لنرى ضراوة الاستعمار الفرنسى تحاول على طول المدى أن تطمس كل ما هو عربى فى المغرب ، وفى الطليعة اللغة ٠

ويقول الاديب المغربى الكبير عبد الكريم غلاب :

« لقد دخلت اللغة الفرنسية لغـة غازية تحل محل اللغـة القومية فى الحديث والكتابة والمعاملة ٠٠ واذا كانت قـد دخلت المدرسة والادارة ، فقد غزت السوق والعمل والمصـنع والمزرعة والمنزل وطاردت العربيـة فى كل مجال يمكن أن تتنفس فيـه نسيم الحياة ٠ واذا لم تستطع القضاء على لغتنا القومية نهائيا ، فلقـد كانت آثار مطاردتها قوية عنيفة » ٠

***

ولقد أتيح لى أن أزور المغرب فى عهد الملك المجاهد محمد الخامس ، وقد ذهبت اليه وأنا أحمل هـذه الفـكرة ، ولكنى عدت مؤمنـا بأن الجذور العربية كانت أقوى من أن يقتلعها المستعمر ، فقد وجدت هناك ـ فى فجر عهد الاستقلال ـ رغبـة قوميـة كبـرى تدعو الى تعريب الدواوين والاعمال الادارية والتجارية ٠٠ ولمست نهضة أدبية رصـينة فى الشعر والمقالة والقصة والمسرحية ، يؤكدها لنا المؤلف بنماذج مشرقة من هذا الادب ، من أجملها هذه الابيات من قصيدة « الطوفان » للشاعر المغربى بهاء الدين الاميرى ٠٠ وفيهـا لمسة مؤمنة من شوقى ، الى جانب ومضة متفتحة على موسيقى العصر :

البائسـات المائسـات
كآلة مـن غيـر روح
النـافرات شـذى ومن
أعماقهن الذي يفـوح
الضاحكات وقـد طوين
قلوبهن عـلى جـروح
الامهـا الحـرى مع
الزفرات في لهث تنـوح
ولقـد يقـال الفن ما
يحيين فيه من الجنـوح
ونجين من رهق العقـول
من الغموض ، من الوضوح
وسـعدن بالايام تمضي
بالغبوق وبالصـبوح

الى أن ينتهى بمنتهى الايمان الى قوله :

الآلة الصـماء والشهوات
٠٠٠ والطبـع الطموح
من ذاتها ٠٠٠٠ بأذاتهـا
سينكهـا قرن نطـوح
يا نجـدة الانسـان
بالقرآن ، بالخير النفوح
انى لأخشى قبـل منبلج
السنا ٠٠٠٠ طوفـان نوح

***

وتأخـذنا الرحلة بعـد ذلك الى الجـزائر ، حيث أناخ الاسـتعمار بكلكله على الارض والناس منذ سنة ١٨٣٠ الى ما قبل سنوات قريبـة ، ليحيل هذه البقعة العربية الخضراء الى امتداد للتراب الفرنسى ٠

وفى ذلك يقول الكاتب الاستعمارى



طه حسين



أحمد شوقي



عباس العقاد

الفرنسي « أوجستين برنار » :

« اننا لم نحضر الى الجزائر لاقرار الامن ، بل لنشر الحضارة واللغة والافكار الفرنسية . وليست الجزائر مستعمرة ، بل هي جزء من فرنسا . اننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات ، وسيتم هذا كله بعد نشر لغة فيكتور هوجو » .

وزاد الطين بلة ، أن أصدرت فرنسا في يوم من أيام سنة ١٩٣٨ — أي بعد أكثر من قرن من الاحتلال — قانونا باعتبار اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية !

وكان لهذا القانون رد فعله الطبيعي في الارض العريقة في عروبتها وإسلامها ، فاندفع الناس الى الدين ينهلون منه الايمان واللغة والعقيدة والتقاليد ، وكان لاثنين من أقطاب الجزائر ، هما الشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير الابراهيمي ، الفضل الاكبر في هذه المعركة ضد لغة المستعمر .

كما تفتحت عقول الشباب الجزائري على دعوات الحرية التي أزدهر بها الادب الفرنسي المعاصر ، وعلى حركات التحرير العربية الوافدة من الشرق ، فكان لكل هذا أثره في استحداث ألوان مشرقة من القصة والقصيدة والرواية العربية ، الى جانب أدب آخر ، جزائري النبع فرنسي اللغة ، من نتاج الجيل الذي أرغمته الظروف على الا يحسن التعبير الا بلغة المستعمر ، وان جاءت كلماته حربا على المستعمر .

ولعل أبرز من يحدثنا عنهم المؤلف من شعراء الجزائر ، هو الشاعر الملتهب محمد عيد ، الذي يقول لفرنسا :

ليس حقا أن تحرمي الشعب حقا
لقي النار دونه والحديدا
ليس حقا أن تستريحي ويشقى
ليس حقا أن تضحكي ويبيدا
ليس حقا أن تستجدي ويبلى
ليس حقا أن تخلدي ويبيدا
يا فرنسا ردي الحقوق علينا
واتقي الأذى وكفى الوعيدا
نحن رغم الطغاة في الارض أحرار
... وان خالنا الطغاة عبيدا

●●●

وترجع بنا الرحلة خطوة نحو الشرق ، فتهبط في تونس الخضراء .

ويحدثنا المؤلف عن المدارس الثلاث التي أنجبت أجيالا مزدهرة من الادب

التونسي المعاصر ، هي جامعة الزيتونة الاسلامية التي تأسست منـــذ ١٢٧٢ سنة ـ أي قبل الجامعة الازهرية ـ ثم المدرسة الصادقية ، وقوامها الفكر المتفتح على الغـــرب ، ثم المدرسة الخلدونية ، وهي مزاج من حصـيلة المدرستين ٠

وقد كان الصراع الضاري ضـــد الاستعمار الذي جثم على صـــدور التونسيين منذ سنة ١٨٨١ من أعظم الحوافز واشرقها لاستحداث طفـــرة كبيرة في الادب التونسي المتطلع الى الحرية ، وهي طفرة أسهم فيها التأثر الكبير بآراء الاســـتاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وحمل عبئها نفر مـــن كرام شيوخ البلاغة التونسيين ٠

وفي مطالع هـــذا القرن ، بدأت الارهاصات الاولى لظهـــور الرواية والقصة والمسرحية في تونس ، وكانت باكورتها رواية « الهيفـــاء وسراج الليل » للشاعر القيرواني صـــالح سويسي ، ثم ازدهرت هذه الالوان من الادب في ثلاثينات هـذا القرن ، الى جانب الشعر ، الذي انبثق فيه في تلك الفترة نجم شاعر لايزال اسمه يتألق في صفحات الشعر العربي المعاصر ، ويعد نسيج وحـــده في صـــياغته وموسيقاه وخياله وتطلعاته ، هـــو « أبو القاسم الشابي » ، الذي جاء بأنماط جديدة من الغزليات والوجدانيات والوطنيات والانسانيات ، تعتبر مدرسة لها أثرها على عشرات من الشـعراء المعاصرين في كل بلد عربي ٠

وقد ودع « الشابي » الحياة وهو دون الثلاثين وبكى شبابه بهذه الدموع :

يا حيـــــاتي ، أنا لا
أبكي لمال أو لجـــــاه
فأنا احتقـــــر المجـــد
٠٠٠٠ وأوهام الحيــــاه
بل لعمـــــر بلغت منـــه
٠٠٠٠ الليـــالي منتهاه
وأنــــا مـــا زلــت في
فجر شبابي أو ضحــــاه

ونزداد قرباً ، فنصل الى ليبيـــا العزيزة ٠٠ ويحدثنا المؤلف أن ليبيا قد مرت بمرحلتين من الاحتـــلال ، تلتهما مرحلتان من الاستقلال ٠

أولا : السيطرة العثمـــانية التي دامت ثلاثة قرون ونصف القـــرن ، ذاقت ليبيا خلالها ما ذاق سائر العرب من ألوان الكبت والحرمان ٠

وثانيا : السيطرة الايطالية ، التي حاصرت الثقافة وضربت طوقا مـــن الحديد على الحركة الفكرية ٠

على أن الليبيين اندفعوا ـ رغم هـذا الضغط ـ الى تراثهم العربي ، وكـــان للبعوث التي وفدت منهم الى الازهر والمعـــاهد المصرية اثرها في ايقاظ الوعي الادبي والقومي وتجديد دماء الحركة الادبية هناك ، حتى تحقق الاستقلال ، وهبت نسمات الشـــعر والمقالة والقصـــة والبحث في فتـــرة قصيرة من عمـــر الزمن ، وعالجت النواحي الفنية المختلفة كالحــــوار والتداعي والتداخل الوصفي والتعبير الحسي المهموس وغيرها ٠

على أن الشعر كان ألمع ما لمـــع فيه الاديب الليبي المعـــاصر ، وفي القمة ، الشاعر أحمد رفيق المهدوي وأحمد الشارف وابراهيم الاسطى عمر وحسن السوسي وغيرهم ٠

٭٭٭

وتستقر الرحلة طويلا في مصر ، حيث يخصص المؤلف للادب المصري وحده ثلث الكتاب ٠

ولعل سبب ذلك ـ قبل غنى هـــذا الادب ـ كثرة ما توفر للمؤلف مـــن المراجع في مجاله ٠

وتبدأ القصة من فترة الانهيار في عصر المماليك ، الى الموجة الحضارية ابان الحملة الفرنسية ، الى الطفرة التي استحدثتها البعوث العلمية الاولى الى أوربا في عهد محمد علي ، الى عصر النهضة الـــذي صحب الثورة العرابية وكان رواده الامام محمد عبده وعبد الله فكري وعلي مبارك ومحمود سامي البارودي واسماعيل صبري ،

ثم امير الشعراء احمد شوقي ، وما صاحبه وتلاه من مدارس ، أبرزها مدرسة « مطـران » ، ومدرسـة « العقـاد » وصاحبيه « المازني » و « شكري » ، ثم « جماعة ابوللو » ، التي يخطيء الكثيرون فيزعمون انها كانت مدرسة ، بينما هي في الحقيقة جماع لمدارس الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ، ومازال اثرها ممتدا حتى اليوم ، ومازال نتاجها ــ نتاج « ناجي » و « عـلى محمـود طه » و « أبي شادي » و « الشـابي » و « الهمشري » و « الصـيرفي » و « الغضبان » و « غنيم » وغيرهم ــ هو الطابع الرئيسي الاصيل للشعر العربي المعاصر لولا خشخشة الشعر الجديد ٠

والكتاب ــ في هذه الرحلة ــ غني بالامثلة الى حد كبير ٠

ويلي حديث الشعر ، حديث طويل عن غير الشعر من النتـاج الادبي ، يظفر فيه الاستاذ العميد الدكتور « طه حسين » بنصيب الاسد ، عن اثره في التحرر الفكري ، والانطلاق الذهني ، والمدرسة التي اخترعها في القصـة والمقالة والنقد ٠

ثم يلي ذلك فصل عن المعـارك الفـكرية التي شب اوارها بين طه حسين والعقاد وزكي مبـارك ومندور وغيرهم من الرواد ، والتي امتـزج فيها الادب بالسياسة واصطدمت فيها الكلاسية بالعقريات ٠

ثم يجيء حديث ممتع عن وثبـة الـرواية والقصـة ، التي بدأت « بالمويلحي » في حـديث عيسى بن هشام ، وثنت « بهيكل » و « تيمور » و « توفيق الحكيم » ، الى أن انتهت الى جيل « نجيب محفوظ » و « يوسف السباعي » وأضرابهما من انصاف الشيوخ

●●●

وتنتهي الرحلة في جنـوب وادي النيل ، في السودان الحبيب ٠

وقـد ألمت بالسودان نفس القسوة الاستعمارية التي ألمت بمصر وسـائر الامة العربية ، ولكن الفكر السوداني افاد بالمد الفكري المصري ، واستطاع به أن يجتاز العقبات ويقفز الى مرحلة المحـاكاة للادب المصري ، ثم يتجاوز هذه المرحلة الى مرحلة الابتـكار والخلق والانطلاق ٠

وقد لعبت الصحافة هنـاك دورا بارزا في التوجيه الفكري ، واستقطاب الحركة الادبيـة ، حتى انبتت أرض السودان اعلاما وقفوا مع اقرانهم في سائر الامة العربية على مسـتوى متعادل ، كمحمد هاشم ، صـاحب قصة « تاجوج » والطيب صـالح صـاحب رواية « موسم الهجرة الى الشمال » والشاعر الراحل « التجاني يوسف بشير » ، والشاعر الـذي مات في يوم الهول ، « محمد محمد علي » ، ثم « محمد المهدي المجذوب » و « الهادي آدم » و « الحردللو » ومحمد الضرير ومحمد البنا وغيرهم ٠

وقد حفل الادب السوداني الجديد بالاتجاهات القومية نحو الفـكرة العربية ، وبالتعاطف مع مصر ، في مثل قول الشاعر عبد الله عبـد الرحمن وهو يتحدث عن النيل :

تحـدر من اقصى الجنوب ولم يكن
ليمنعـه حسـاده وعواذله
تحـدر لا عن جفوة بجنـوبه
ولـكن شوقا للشـمال يداخله

وفي مثل قوله :

بني مصر حياكمو ذو الجـلال
بعرف تحيـاته الزاكيـه
واسدى بأحسـانه منعمـا
لكم كل صـالحة باقيـه
بكم تحـدث اليوم أم اللغـات
كحسـناء في حلة صـافيه
حملتم بمصـر وبالمشـرقين
رسالة آدابهـا الغـاليه
أجل وشاوتم بسحر البيـان
عبـاقرة الاعصر الخـاليه
بيان كذي البـدر في تمـه
يشق حشا الليلة الداجيـه
بلوتا الكرام فكان البنـاء
وكنتم له حجـر الـزاويه

■ محمود الشرقاوى ■

شعراء عرب من اليهود

لم تعرف الحياة العربية التعصب للدين او السلالة لافى جاهليتها ولا اسلامها. وكم نجد من خلافات وخصومات وحروب فى هذه الحياة الطويلة المعقدة ، ولكن مردها كان لاسباب سياسية او مذهبية او اسرية ، ولذلك نجدها بين المسلمين انفسهم . وقد عاش العرب ، جاهليين واسلاميين، فى صفاء وسلام ومودة تشمل اهل السلالات والديانات المختلفة منهم ، حتى الصابئة وعبدة الاوثان ، واصحاب السلالات اليهودية من العرب .

هذه السماحة العربية التى اكدها الاسلام كان من الطبيعى ان تشمل ، بل ان تسيطر، على الحياة الفكرية والفنية ايضا، لذلك نجد فى تاريخ الادب العربى - فى عصور كثيرة - شعراء من اصل يهودى عربى كان لهم فضل فى اثراء هذا الادب وكانت لهم بين الشعراء العرب منزلة لاينكرها عليهم مؤرخو هذا الادب ونقاده ، ولا مؤرخو الرجال ايضا : كما نعرف بعد قليل من ترجمة «السموءل» خاصة و «ابن سهل»

السموءل

اقدم ما نعرف من هؤلاء الشعراء العرب من اليهود واكبرهم منزلة واعلاهم مقاما هو « **السموءل** » وهو وان كان اسما عبرانيا فان « البحتري » يروى عن ابى العلاء أن معناه « **الظل الظليل** » .

اسم أبيه « **غريض** » وجده «**عادياء**» ويذكر مؤرخوه أنه مات في سنة ٥٦٠ م أى قبل البعثة المحمدية باثنتين وستين سنة .

وكذلك قالوا ان نسبه ينتهى الى الكاهن بن « هرون » بن « عمران » اخى « النبي موسى » .

وكان « السموءل » امرا ذا شأن كبير يملك حصنا في « **تيماء** » (١) كان اسمه « **الابلق** » .

ويقترن اسم « السموءل » في التاريخ العربي بالوفاء ، فهو مضرب المثل فيه عند العرب ، يقولون: **أوفى من السموءل** ولهذا المثل قصة :

يقول التاريخ العربي الجاهلي ان العرب كانت تنزل في حصنه هذا فيحميهم صاحبه ويسقيهم ويطعمهم ، فاذا رحلوا ابرهم .

اما قصة الوفاء التى اشتهر بها « السموءل » وضربت مثلا فكانت مع « امرىء القيس » اشهر شعراء الجاهلية :

في سيرة « امرىء القيس » انه كان طريدا لملك فارس لامر لا يعنينا هنا ، ورأى الشاعر الطريد ، وكان كما نعرف من أسرة « كندة » العربية الكريمة العريقة ، أن يستجير بقيصر الروم حتى يحميه من بطش ملك فارس ، فقصد الشام يريد أن يتوسل بأميرها الى قيصر وكان « امرؤ القيس » في طريقه الى الشام قد تحارب مع خصوم له وقتل منهم ، فطاردوه حتى لجأ الى «السموءل» الذى استضافه في حصنه هو ومن معه من القوم ، وكانت منهم ابنته **هند** .

وكان مع « امرىء القيس » وهو في طريقه الى « السموءل » شاعر حسن له أن يمدح « السموءل » (فان الشعر يحبه) كما قال صديق « امرىء القيس » هذا .

ويحفظ لنا « **ابوالفرج الاصبهاني** » في « الاغاني » هذا الشعر الذى مدح به « امرؤ القيس » « **السموءل** » والشعر الذى أجابه به هذا (فعرف السموءل حقهما وضرب على بنت «امرىء القيس » قبة وانزل القوم في منزل له براح) .

---

(١) شمال غربي « المدينة المنورة » في الطريق الى الشام .

وظلوا عنده زمناً ثم طلب « امرؤ القيس » الى مجيره أن يكتب له خطابا الى أمير غساني بالشام كان على صلة بقيصر ، فكتب له « السموءل » ما أراد من الوصية الى الامير الغساني .

سار « امرؤ القيس » في طريقه الى الشام ليستجير بقيصر وترك عند « السموءل » بنته و « دروعا خمسة » كانت لأهله وأجداده يفاخرون بها ويعتزون كما ترك عنده مالا كثيراً .

بعد رحيل « امرىء القيس » من حصن « السموءل » تقدم الطاردون له يحيطون بالحصن، وكان ولد «السموءل» عائدا من الصيد فأخذه المغيرون .

وقف قائد المطاردين يتحدث الى « السموءل » وامامه ولده :

هل تعرف هذا ؟ ..

قال : نعم ، انه ابني ..

فقال له القائد : هل تسلم ما عندك من امانة « امرىء القيس » أم أقتل الفتى !!

وأجابه السموءل : ذلك شأنك ..! اما انا فلا أخون عهدي ولا أسلم مال من استجارني فأجرته .

وضرب القائد بسيفه وسط الفتى فقطعه قطعتين وانصرف ، ثم قدم بعد ذلك ورثة « امرىء القيس » على « السموءل » فوفاهم دروعه وامواله .

هذا المثل النادر العجيب للوفاء كان من حق « السموءل » ومن حق العرب الذين يقدرون الوفاء أن يضربوه مثلا يحتذى .

وقد بلغ من تقدير العرب لهذا المثل الخارق أن شك بعض مؤرخي الادب العربي (١) في وقوعه وقالوا انه موضوع ، وأن القوم وضعوه أو بالغوا فيه على سبيل التمثيل : « ترغيبا في الوفاء » .

اما « السموءل » فقد جعل قصة ابنه هذا مفخرة يعتز بها في شعره الذي يقول :

وفيت بأدرع « الكندي » انى
اذا ما ذم اقـــوام وفيت

ثم يفتخر بأصوله وقومه فيقول :

وأوصى « عاديا » يوما بألا
تهدم يا « سموءل » ما بنيت
بنى لي «عاديا» حصنا حصينا
وماء كلمــا شئت استقيت

ويعجبني بيتان « للسموءل » جمعا بين الحكمة الصادقة والحرص على جميل الثناء وبين حسن الصياغة والأداء الفني هما :

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه
يوما، فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثني عليك وان من
أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

وقد كان هذان البيتان يغنى بهما في العصر العباسي أمام الخلفاء وسادة العصر ، بل اختيرا ضمن « المائة المختارة » من الاصوات ، وكان الشطر الاخير منهما يضرب مثلا .

وفي حديث لعائشة أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل عليها وهي تردد شعر « السموءل » هذا فقال :

ردي علي قول اليهودي قاتله الله ، لقد أتاني « جبريل » برسالة من ربي : ايما رجل صنع الى أخيه صنيعة فلم يجد له ثناء الا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه .

ومن أجود شعره ، وكان يتغنى به في العصر العباسي أيضا ، هذه الأبيات الرقيقة القوية :

اعاذلتي ، ألا لا تعذليني
فكم من أمر عــاذلة عصيت
دعيني وارشدي ان كنت اغوى
ولا تغوي ؛ زعمت ، كما غويت
اعاذل ، قد أطلت اللوم حتى
لو اني منتـــه لقد انتهيت
وحتى لو يكـون فتى اناس
بكى من عــذل عاذلة بكيت
وصفراء المعاصم قد دعتني
الى وصل فقلت لها : أبيت
وزق قد جررت الى الندامى
وزق قد شربت وقد سقيت

---

(١) انظر : « جورجي زيدان » ص ٣٧ الجزء - ٢ - من تاريخ « أدب اللغة العربية » طبع « دار الهلال » ١٩٣٦ .

شعراء عرب.. من اليهود

أما قصيدته الرائعة فهي تلك التي اختارها له « البحتري » في « ديوان الحماسة » والتي تقول :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميـــــل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثنـــاء سبيل
تعيرنا انا قليـــل عديدنا
فقلت لهـــا : ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقـــاياه مثلنا
شباب تســـامى للعلا وكهـــول
ومـــا ضرنا انا قليـــل وجارنا
عزيز وجار الأكثـــرين ذليـــل

ومنها :

يقرب حب الموت آجالنا لنـــا
وتكرهه آجـــالهم فتطـــول
وننكر، ان شئنا، على الناس قولهم
ولا ينكرون القـــول حين نقـــول

وهي من أشهر الشعر العربي وأسيره وأكرمه منزلة في جميع العصور (١) .

* * *

وقد جعل الأب « شيخو » اليسوعي « السموءل » نصرانيا وذكره بين شعراء النصارى ، ولكني لا أعتقـــد ذلك ، والمراجع القديمة تصف حصن «تيماء» الذي كان يملكه والذي بناه واحد من آبائه ، تصف هذه المراجع حصن «تيماء» بأنه « حصن اليهود » ، وكذلك يكاد مؤرخو الادب العربي في عصوره كلهـــا يجمعون على يهودية « الســــموءل » وأسرته وأهله .

وأعتقد أن حماسة « الأب اليسوعي » وإعجابه بحياة « السموءل » وشعره هما اللذان دفعاه لان يجعل هذا الشاعر الوفي العظيم نصرانيا .

ابنه وأخوه

وكان للسموءل ابن اسمه « شريح » تذكر له كتب الادب والتاريخ . قصة أخرى من النجـــدة والمروءة صنعها مع الشاعر الجاهلي « الأعشى » جعلت هذا الشاعر يقول فيه وفي أبيه « السموءل » شعرا جيدا يمدحهما فيه (٢) .

وكان للسموءل أخ كان المغنون والمغنيات يغنون شعره أمام الخلفاء العباســيين وأهل الســيادة فيهم . وكان « معاوية » يتمثل من شعره بهذه الابيات :

انا اذا مالت دواعي الهـــوى
وانصت الســـامع للقـــائل
لا نجعل البـــاطل حقا ولا
نلظ (٣) دون الحق بالبـــاطل
نخاف ان تســـفه احلامنـــا
فنخمل الدهر مع الخـــامل

وكان الخليفة « عبد الملك بن مروان » اذا جلس للقضاء بين الناس أقام على رأسه وصيفا ينشده من شعر « سعية » هذه الابيات نفسها ، ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين المتخصمين ..

ومن شعر « سعية » هذا الذي كان يغنيه المغنون أيضا هذه الابيات الغزلية الرقيقة :

لباب : هل عنـــدك من نائل
لعاشق ذي حاجة ســـائل ..!

---

(١) القصيدة كلها في « ديوان الحماسة » للبحتري ، الجزء الاول .
(٢) القصة في « الاغاني » لأبي الفرج الاصبهاني » ، الجزء ١٩ ص ٩٩ – ١٠٠ .
(٣) نلتزم .

علّلتـــه منك بما لم ينــــل
يا ربمــا عللت بالبــــاطل

وكان « سمية » هذا ذا مال كثير امتحن بفقده في حرب بعض ملوك اليمن له ، وكان له اخلاء يكثرون من زيارته ويقيمون عنده ، فلما فقد ماله انقطعوا عنه . ثم كثر ماله مرة أخرى فعادوا لزيارته والتردد له فقال فيهم هــــذا الشعر :

ارى الخـــلان ، لما قل مالى
واجحفت النـــوائب ، ودعونى
فلمـــا أن غنيت وعاد مالى
اراهم — لاابالك — راجعــونى
وكان القوم خـــلانى لمـــالى
واخـــوانا لما خـــولت دونى
فلمـــا مر مالى باعـــدونى
ولمـــا عاد مالى عـــاودونى

وكانت القيان والمغنون يغنون هـــذا الشعر فى حضرة الخلفاء العباســـيين واهل السيادة فيهم .

ابن سهل

اسمه « ابراهيم بن سهل الاشبيلى » وشهرته « ابو اسحاق » .

شاعر غزل من الكتاب : اصــله من « اشــبيلية » بالاندلس ، وعاش فى « سبته » بالمغرب الاقصى .

ولد فى سنة ٦٠٥ هـ : (١٢٠٨) م
ومات فى ٦٤٩ هـ (١٢٥١) م .

يصفه مؤرخ الادب الاندلسى ورجاله: « المقرى » بانه : (شاعر اشــبيلية ووشاحها) وانه : (حاز قصب السبق فى النظم والتوشيح .. وقد عارضه فى التوشيح غير واحد فما شقوا له غبارا)

ويصفه « ابن الابار » بانه : (كان من الادباء الاذكياء الشعراء) .

ويصفه « ابن اثير الدين ابو حيان» بانه : (اديب ماهر دون شـــعره فى مجلد) .

ويقول مؤرخوه انه « كان يقــرأ مع المسلمين ويخالطهم » .

ويروون عنه قصة تدل على ســماحه الشعر وهو صبى صغير ، وانه كانت له بفتوله دراية وذوق وتبريز مبكر ، حتى تنبأ له سامعوه بأن سيكون له فى الشعر العربى شان كبير ، بل سيكون (اشعر اهل الاندلس) ، كما قالوا وكما كان فعلا فى حياته القصيرة .

ولا نكاد نجد فى شعر « ابن سهل » الذى جمع فى ديوانه اثرا لديانتـــــه اليهودية وان وجدنا ذكرا يتردد لاسم « موسى » ولكن فى سياق الغزل ، واكثر شعره غزل .

وشعر « ابن سهل » — فى جملته — سائغ فى قياس عصره .

ويقول مؤرخوه ورواة شعره انه كان يكثر الغزل فى معشوق له اسمه «موسى» فلما اسلم ، فى ختام عمره ، كان يتغزل فى آخر اسمه « محمد » .

ولا أستطيع ان ازعم ، بعد ان قرات ديوانه ، ان هذا الغزل او ذاك يمكن ان يدخل فى باب الغزل الصوفى .

وهنا يجب ان نذكر ان غزل المذكر كان شائعا فى فترات كثـــيرة من تاريخ الادب العربى ، وانه فى كثير من هــذه الفترات وعند كثــير من الشــعراء لم يكن يزيد على كونه صنعة لاظهار القدرة اللفظية والفنية والبلاغية .

ومن جيد شعره فى الغزل هـــذه الابيات :

الا ليت شعرى — والامانى كثيرة —
واكذبها فى الوعد اطيبهـــا وردا
اانس عينى بالكرى بعد نفــرة
ويكحل ميل الوصل مقلتى الرمدا
ويسمح فى ليل الصـــدود بزورة
يصير فيها الشوق حر التى عبدا
عجائب لم تدرك ، فعنقاء مغرب ،
واقبال موسى ، او زمان الصبا ردا

ومن شعره الجيد قصيدة مذكورة فى كتب الادب على انها من جيد الشعر العربى ، اولها :

ردوا على طرف النوم الذى سـلبا
وخبرونى بعقلى اية ذهبــــا
علمت — لما رضيت الحب منزلة —
ان المنـــام على عينى قد غضبا

ومنها :

ماذا ترى فى محب ما ذكـــرت له
الا شكا، او بكى، او حن، او طربا
يرى خيالك فى المـــاء الزلال اذا
رام الورود ، فيروى وهو ما شربا

ومن شعره الجيد :

اموسى : متى احظى لديك وميعدى
ودادى ، واعذارى اليك لذنوبى
تيلت ، لصبرى فيك ، اكرم عدة
وقاطعت من قومى اعـز حبيب
وعبت – ولامنعلى– الحسن مهجتى
ولبى ، وجثمانى لغـير مثيب
فضاعت – ولا رد عليه – وسائلى
وخاب – ولا عتب عليه – نصيبى

ومن شعره الجيد فى الغزل :

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى
اداري بها همى اذا الليل عسعسا
اتانى حديثالوصلسزوراعلىالنوى
اعد ذلك الزور اللذيذ الآنسا
ويا ايها الشوق الذى جاء زائرا
اصبت الامانى ، خذ قلوبا وانفسا
كسانى موسى من سقام جفونه
رداء وسقانى من الحب أكؤسا

وقوله فى ليلة الوصال :

سـدلت ليلة الوصـال علينـا
ظلمـة تملأ الخـواطر نورا
بت فيها ، والبدر يسطو فى الآفا
ق ، حسودا ، والنجم يهفو غيورا
شـاربا فى الاقداح نجم شـعاع
لائما فى الاطواق بدرا منـيرا
مت قبـل اللقـاء شـوقا فلما
جاد لى باللقـاء مت سرورا

وقوله :

سل النوم ياموسى ، وهذنت طيبه
متى عهده من عين مهجورك الشقى
وقال القالى ان اصـاب بفتنـة
لقد جلبت عينـاك ما كنت القى
نظرت بتلك العين نظرة قاتـل
فهل بعدها – ان مت – نظرةمشفق؟

وهذه القطعة الغنائية الرقيقة :

شـارق لو جـرى مع الشـه
س فى حلبـة سـبق
عانق الغصـن فاحتـذى
لين عطفيـه واسـترق
نشـق الزهـر فاستقا
وبانفاسـه عبـق
وجـرى باسـم النسـ
يم عـلى خـده فـرق
قـل لموسى : زعـزعت قلا
بى الـكليم فالقلـق

شعراء عـرب .. مـن اليهـود

يا حبيبـا عـلى القلو
ب ، ويا جنـة الحدق
ما ارى الخـال فوق خـد
يك ليـلا علـى فلـق
انمـا كان كوكبـا
قابل الشـمس فاحترق

وله قصيدة أخرى تذكر من مختارات الشعر العربى :

سل فى الظلام اخاك البدر عن سهدى
تدرىالنجوم، كما يدرى الورى، خبرى
ابيت اهتف بالشكوى ، واشرب من
دمعى ، واشق ربا ذكر الظفر

وله شعر جميل فى وصف الطبيعة والزهور والربيع ، كما نجد له بعض الموشحات التى كان الشعراء يكثرون من صناعتها فى الاندلس حيث عاش شاعرنا ، وبعضها كان يعارضه شعراء العصور ويغنيه الفنون .

ومن موشحات « ابن سهل » هذه القطعة الجميلة :

باكر الى اللذة والاصطباح بشرب راح
فما على اهل الهوى من جناح
اغتنم زمان الوصل قبل الذهاب
فالروض قد ردد دمع السحاب
وقد بدا فى الروض سر عجاب
ورد ، ونسرين ، وزهرالاقاح فالمسك فاح
والطير تشدو باختلاف النواح
فى كأسها تبدو كلون العقيق
بكف ظبى ذو قوام رشيق

وهى طويلة رقيقة جميلة تشبه أن تكون شعرا غنائيا مصريا ، بل انهـا

اجمل وارق من كثير مما نجد من شعر غنائي عصري .

***

وهذا الديوان الصغير الذي انقل منه هذا الشعر طبع في القاهرة ، ولكني حصلت على مخطوطة له هي التي نقل منها الديوان المطبوع (١) وهذه المخطوطة كانت ملكا للشيخ « حسن العطـــار » الذي يقول في مقدمتها انه جمع شعر ابن سهل هذا : « **من شاسع الاقطار . بعد الفحص الشديد والسؤال من كثير من الناس في اكثر البلدان التي تنقلت بها حتى وصلت الى هذه النسخة من اقليم افريقيا باستدعاء مني لبعض العلماء هناك** » .

وقد نقلت هذه السطور من مقدمة الشيخ العطار ليدرك منها القارىء المنزلة التي ظلت باقية لابن سهل وشعره بعد قرون طويلة منذ مات الى عصر الشيخ العطار في القرن الثامن عشر ، وتقديراً لشيخ الاسلام « العطار » الذي صبر على هذا الجهد حتى حصل على ديوان ابن سهل ، وكثير منه — كما رأينا — في غزل المذكر ، واكثره قاله وهو على دين اليهود .

وفي مقدمة النسخة الخطية هذه يذكر الشيخ « حسن العطار » انه تصرف بالحذف فيما وصل اليه من شعر « ابن سهل » ، وانه اقتصر في نسخته الخطية هذه : « **على الغـــزل والنسيب فقط ، لاني رأيت صحبه لم « يكن » به تلك الطلاوة والرقة** » . ثم قال : « **وانا ايضا اهل المدائح ، وهي بديوان شعرى نادرة** » .

ومما استبقاه شيخنا « العطار » ، ونجده في الديوان المطبوع ، ثلاثة ابيات يقول « ابن سهل » في اولها :

لي صاحب ترك النساء تظرفا
منه ومال الى هوى الغلمان

وذلك « التوشيح » الغزلي الظريف الذي كان شائعا في عصر « ابن سهل » وبعد عصره ، والنسخة المطبوعة تزيد قليلا على نسخة الشيخ « العطار » :

هل دري ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صـــب حله عـــن مكنس
فهو في حـــر وخفـــق مثلمـــا
لعبـــت ريح الصـــبا بالقبس
ما لنفس في الهوى ذنب ســوى
منـــكم الحسن ومن عيني النظر

وشعر « ابن سهل » ، على ما نرى من هذه النماذج القليلة ، سهل رقيق حتى سجل النقاد القدامى لشعره ذلك . ومن طريف ما علل به ذلك ما قاله بعضهم : « وســئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم « ابن سهل » فقال : لانه اجتمع فيه ذلان : ذل العشق وذل اليهودية ! » .

***

بلغ « ابن سهل » في شعره ، وفي حياته ، منزلة رفيعة ، اما في شعره فقد رأينا ، واما في حياته فقد وصل ، مع يهوديته ، الى ان صار كاتبا لوالي « سبته » بالمغرب : « **ابن خلاص** » .

ولكنه عندما اراد السفر مع « ابن خلاص » هذا ركبا سفينة ، او «غرابا» كما كانت تسمى هذه السفن عندهم يومذاك ، وعندما بدأت السفينة تأخذ طريقها من الاندلس الى الشاطىء الافريقي غرقت وغرق معهـــا حاكم « سبته » « ابن خلاص » وكاتبه « ابن سهل » ، وكان ذلك في سنة ٦٤٩ هـ — ١٢٥١ م وكان شاعرنا « ابن سهل » في نحو الاربعين .

وقد ترك ابن سهل دين اليهود الى الاسلام ، ولا نعرف متى كان ذلك ، ولكني اعتقد ان ذلك كان بعـــد ســن الشباب .

ولا تمر قصة اسلامه هكذا ســهلة يسيرة ، فقد شك فيها بعض معـــاصريه وبعض اصدقائه وبعض مؤرخيه ، ولكن اكثرهم رجح صـــدقه فيها واســـتشهد في ذلك ببعض شعره ، بل منهم من اثر ان يجعله من الشهداء فقال ان الله اكرمه في اخر حياته بالاســـلام واكرمه

---

(١) **مطبعة التقدم في ٦٢ صفحة .**

شعراء عرب .. من اليهود

بالشهادة ايضا حيث مات غريقا كما رأينا .

و « لابن سهل » قصيدة مدح بها النبي محمدا لا ندرى أقالها قبيل اسلامه ـ وليس ذلك بمستبعد ـ أم بعده . وأولها هو :

وركب دعتهم نحو طيبة نية
فما وجدت الا مطيعا وسامعا
تضيء من التقوى خبايا صدورهم
وقد لبسوا الليل البهيم مدارعا
تكاد مناجاة النبي محمد
تنم بهم مسكا على الشم ذائعا
قلوب عرفن الحق فيه قد انطوت
عليها جنوب ما عرفن المضاجعا

وهى طويلة جيدة جميلة واضحة الصدق .

شعراء اخرون

ومن شعراء اليهود العرب الذين سجلت اسماءهم وشعرهم كتب الادب العربي القديم « ابو الرئاد اليهودى » ، وآخر هو « ابراهيم ابن الفخار » اليهودى وقد كان في خدمة ملك طليطلة المسيحى « الفونس » وبلغ في بلاطه مرتبة السفير ، وكان يسفر بين هذا الملك وملوك المغرب ، قالوا انه كان عالما بالمنطق والشعر .

واورد له « المقرى » نوادر وشعرا يمدح في مدح ملكه « الفونس » هذا

وهناك شاعر وشاح يهودى آخر كان يعيش في الاندلس اسمه « القسيم » ذكره « المقرى » ايضا وروى له شعرا (١) .

ونجد من شعراء اليهود العرب في الجاهلية « اوس بن دنى » ومن كبار الرجال والشعراء فيهم « الربيع بن الحقيق » ، وله شعر جيد رواه « الاصبهانى » منه هذه القطعة التى يلوم فيها قومه ويلوم سفهاءهم :

سئمت وامسيت رهن الفرا
ش من جرم قومى ومن مغرم
ومن سفه الرأى بعد النهى
وعيب الرشاد ولم يفهم
فلو ان قومى اطاعوا الحلـ
يم ، ولم يتعدوا ولم يظلم
ولكن قومى اطاعوا الغوا
ة ، حتى تعكس اهل الدم
فاودى السفيه برأى الحليـ
م ، وانتشر الامر لم يبرم

ومن شعراء اليهود وأشرافهم ولرسائلهم « كعب بن الاشرف » الذى عاصر النبى عليه الصلاة والسلام وله المناقضات المشهورة مع شاعر النبى « حسان بن ثابت » والمهاجيات ايضا ، والذى نزل في ذمه وتأنيبه قرآن . ومع ذلك كان يتغنى في قصور الخلفاء العباسيين وسادتهم بشعر له في الفخر .

وشاعرات ايضا

ونجد في الحياة العربية ، على امتدادها شاعرات يهوديات ايضا ، منهن « سارة القريظية » وهى جاهلية يروى لها صاحب « الاغانى » شعرا مؤثرا حزينا في رثاء قوم لها (٢) .

ونجد في هذه الحياة الادبية الخصبة لعرب الاندلس ذكرا لشاعرات يهوديات منهن « قسمونة بنت اسماعيل » ، كان

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب جزء ـ ٥ ـ
(٢) الاغانى الجزء ١٩ .

ابوها شاعرا فعنى بتعليمها العربية والادب حتى برعت فيهما ، وكان يبدا

فى صنع القصيدة من الشعر او التوشيح ثم يترك لها اتمامها فتجيد .

قال لها ابوها يوما : أجيزى :

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت
بطنا بظهر واستحلت جرمهـا

فقالت :

كالشمس: منها البدر يقبس نوره
ابدا ، ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام ابوها مسرعا فرحا وضمها الى صدره واخذ يقبل راسها ويصيح : انت والله اشعر منى .

وكانت عندها غزالة فنظرت اليهـا وقالت :

يا ظبيــة ترعى بروض دائم
انى حكيتك فى التوحش والحور

امسى كلانا مفردا عن صـاحب
فلنصطبر ابدا الى حكم القـدر

ونظرت الى المرآة فرأت جمالهـا وشبابها وقد بلغت سن الزواج ولم تتزوج فقالت :

ارى روضة قد حان منها قطافها
ولست ارى جان يمد لهـا يدا

فوا اسفا ، يمضى الشباب مضيعا
ويبقى الذى ما ان اسميه مفردا

فتأثر ابوها وضمها الى صدره ونظر فى تزويجها .

كانوا عربا قبـل ان يكونوا يهودا

لم تعرف الحياة العربيـة التعصب للدين ولا للسلالة لا فى جاهليتها ولا فى اسلامها .

كذلك بدأنا الحديث فى مقالتنـا ، ونجد فيه كثيرا مما يبرز لنا هـذه الحقيقة ويؤكدها .

نجد فى حديثنا هذا ان « **السموءل** » اليهودى لم يجحد فضله ولم ينكر شعره ولا وفاؤه ، بل ضرب مثلا باقيا للوفاء والمروءة عند عرب الجاهلية وعنـد المسلمين على مدى العصور ، ولم تحل يهوديته دون بلوغه هذه المنزلة فى الشعر والحياة والكرامة .

ونجد شعر « السموءل » هذا يحفظ ويردد فى بيت النبى عليه الصلاة والسلام فيسمعه ويعجب به ويذكر فى معناه حديثا نبويا كريما .

وان خلفاء المسلمين كانوا يحفظون شعر أخيه ويرددونه ويتمثلون به .

ونجد فى حديثنا ان فضائل النجدة والمروءة والمفاخرة بشريف الاعمال – التى هى فضائل العرب ومفاخرهم – هى نفسها فضائل يشاركهم فيهـا اليهود منهم ويحرصون عليها ولا تستطيع أن تميز منهم يهوديا من غير يهودى ، وان مؤرخى الادب والرجال لم يضعوا واحدا من شعراء اليهود فى اقل من موضعه لانه يهودى .

ونجد فى حديثنا ان « ابن سهل » اليهودى ، كما سجل مؤرخو عصره :

(كان يقرا مع المسلمين ويخالطهم) ولم تخف دلالة ذلك على واحد منهم حيث يقول : **(وفى ذلك دليل على ان اليهود كانوا يدرسون علوم العربية)**

ولقدرة « ابن سهل » الفائقة فى ذلك نجد فى شعره اصطلاحات لغوية كثيرة . فاليهود ، اذن ، كانوا جزءا من الامة العربية يتكلمون لغتها ويجيدون أدبهـا وتندمج ثقافتهم فى ثقافتها .

ونجد فى حديثنا هذا العنـاء الذى لقيه شيخ الاسلام « حسن العطار » وهو يبحث عن شـعر « ابن سـهل » اليهودى حتى يجمعه بعد طول الصبر والجهد والتحرى ليحرص عليه ويدونه ويقدم له .

ونجد قبل ذلك وفوق ذلك أن شاعرا منهم كانت له مناقضات مع شاعر النبى عليه الصلاة والسلام وهجاء ايضا ، ولكن شيئا من ذلك لم يجعل العرب أو المسلمين يهملون هذا الشعر وهذه المناقضـات والاهاجى ، بل سجلوها وعنوا بهـا وحفظها تاريخهم كما حفظتهـا دواوين

شعراء عرب .. من اليهود

شعرهم . بل كان خلفاؤهم وسادتهم يستمعون الى شعر هذا الشاعر ومفاخراته بلحن ويتغنى به فى مجالسهم ، وكذلك كانوا يفعلون بشعر غيره من اليهود العرب .

ونجد فى حديثنا هذا شعرا كانت ترثى فيه يهودية شاعرة قومها فحفظته كتب الادب وسجلته وعنيت به .

***

ثم ننتقل من الاستشهاد الى الشهادة فنترك الحديث لكاتب مؤرخ يهودى معاصر فنجده يقول : « .. **ان العربى فى الجاهلية ، لم يكن يعرف البغض والضغينة** » .

ويسجل ماسجله كثيرون من مؤرخى الدولة الاسلامية ، عربا واجانب ، من ان : « اليهود فى اغلب مدن العراق **كانوا يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والاكرام** » عند الفتح الاسلامى للعراق . ثم يقول : « وقد ازدادت هذه **الروابط مع الزمن حتى دخل اليهود فى جيوش المسلمين يناضلون معهم فى اقاليم الاندلس** » .

وكان اليهود فى هذه المشاركة مع العرب يدافعون عن كيانهم وانفسهم ، فقد كانوا فى العصور الوسطى يلقون النفرة والاضطهاد والعذاب فى اوربا كلها فلم يجدوا لهم ملجأ ولا ملاذا الا بين عرب الاندلس ، وكان عددهم فيها كبيرا ، ونال بعضهم بين اهلها العرب مكانا ملحوظا ، يعرف ذلك من يطلبه فى موضعه .

ثم نعود لشهادة المؤرخ اليهودى المعاصر فنجده يقول ان العرب : «**انتقلوا الوفا من اليهود كانوا منتشرين فى اقاليم الدولة الرومانية وكانوا يقاسون الوانا شتى من العذاب** » .

ومن الاثر الثقافى للاتصال بين العرب واليهود يقول : « **ان اتصال اليهود بالمسلمين فى الاقاليم الاسلامية كان سببا فى نهضة فكرية عظيمة بقيت اثارها فى تاريخ الاداب العربية والعبرية زمنا طويلا** » (١) .

***

هذه السماحة واليسر اللذان لقيهما اليهود فى بلادنا العربية الاسلامية على مدى تاريخها وتاريخهم الطويل ، هل يمكن ان يدوما اذا استمع عقلاء اليهود الى تلك الصيحة الجاحدة المدمرة التى ينادى بها التعصب الصهيونى الان .. هيهات .. ذلك شأن بعيد . فليتدبر ذلك عقلاء اليهود .

---

(١) المقتبسات كلها عن اسرائيل ولفنسون – ابو ذؤيب – فى كتابه : « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » تصدير » .

●● مراجع عن «الشعراء يهود من العرب » : معاهد التنصيص . سمط اللآلى . معجم البلدان لياقوت الحموى . الشعر والشعراء . الاغانى . الاجزاء : ٢ – ٦ – ٨ – ١٩ . المستطرف فى كل فن مستظرف للابشيهى . تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، لاسرائيل ولفنسون . فوات الوفيات . الرحلة العياشية . المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، لابن تغرى بردى الاتابكى ، الجزء ١ . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب .

« مايول » العودة إلي النبع



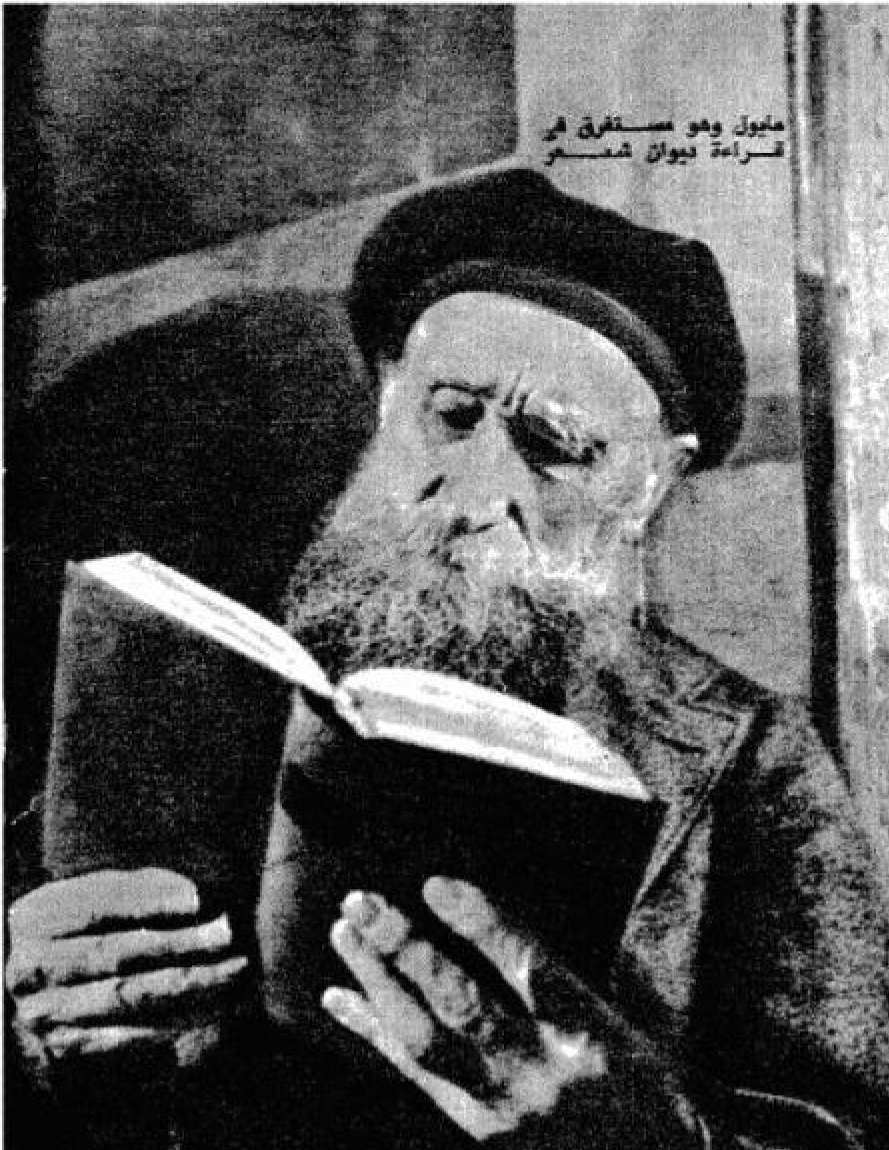
مسكن عائلة مايول

« كان احد ثلاثة التمعت لهم زعامة في النحت في اوائل القرن العشرين .. اخذ كل منهم مكانه على القمة وأثروا على نحو او آخر في مسار الفن وفتحوا الآفاق لأساليب جديدة .. وكان هذا الريفي الفرنسي القادم من الجنوب الدافئ واضحا وصريحا ولكنه بفطرة وذكاء عاد بالنحت الى منابعه الأصلية »

■ بدر الدين ابو غازي ■



النهر (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) رصاص


مليول وهو مستغرق في
قراءة ديوان شعر

مايول

بـ

لقد كـان فن النحت حتى منتصف القرن التاسع عشر يعيش على ميراث التعاليم الاكاديمية .. كان مقياس البراعة هو تقليد شكل الانسان ومحاكاة ملامح الحياة ومراعاة مقاييس ونسب معينة فرضتها التعاليم المدرسية .

وبدا هـذا البناء الاكاديمي يتأثر بالنزعة الرومانسية التى سادت اعمال « رود » و « كاربو » و « باري » واعادت الى النحت شرارة الحيـاة المتدفقة من تمثـال « المارسيلييز » لرود الذى يتصدر بمجموعته العظيمة قوس النصر فى باريس . ومن تماثيل الرقص للمثال « كاربو » بما تنبض به من فورة الحياة وغنائيتها ومرحها، ومن تماثيل الحيوان للمثال « باري » الذى استطاع ان يودع اعطافها شرارة التحفز والتوتر والانطلاق .

موجة من الحيـاة سرت فى فن النحت فحررته من جموده حتى بلغ عبقرية من أعظم عبقـريات الفن « أوجست رودان » (١٨٤٠ ـ ١٩١٧)

وبظهور « رودان » بدا النحت يتخذ وجهة أخرى ويتهيأ لطريق جديد . فهو قـد تلقى الشرارة من « رود » و « باري » و « كاربو » وتطلع بعيدا نحو « دوناتللو » و « ميكيل أنج » . وضرب صـفحا عن كـل النسب والمقاييس التى املتها تعاليم المدرسة على الفنانين وتحرر منها جميعا فى سبيل التعبير عن القيم النفسية وابراز اثرها على مسطحات تماثيلة فهـو شاعر « الجسم الانساني » تغنى به ونحت حبه واحزانه ورغباته باسلوب منفرد خرج على تعـاليم الاقدمين وجمود الاتبـاعية .. واستطاع أن يجعل من ملامح الانسـان مسرحا للتعبير عن كل خلجات اعماقه وبهذا بدأت ثورة الفن الحديث معه وعاش حتى شهدمعاركهاوجانبا مناانتصاراتها

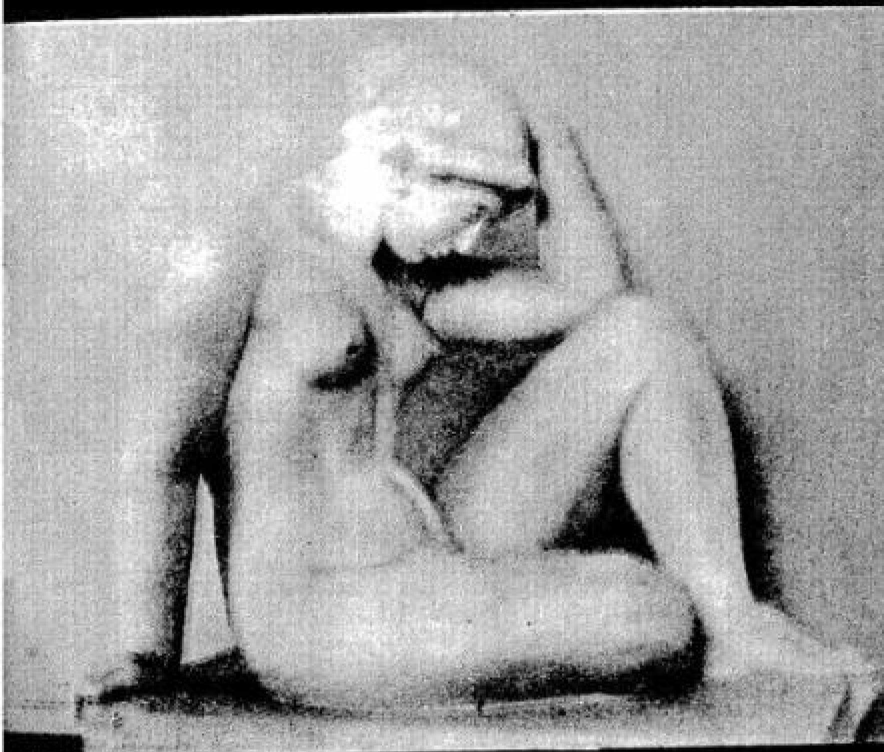
وجاء بعد « رودان » نحات عظيم آخر « انطوان بورديل » (١٨٦١ ـ ١٩٢٩) عمـل فترة فى ظل رودان ولكنه انفصل عنه ليواجه طريقهوفكره الخاص وارتفـع فن « بورديل » فى مواجهة فن « رودان » . الاول فن بنائي اعاد للنحت الفرنسى جـلال التماثيل القوطية القديمة والآخر فن حسي تأثرى ملهم بالحياة والحـركة هائم بالنور .

كـما سجل « رودان » فى النحت قصة المشاعر والرغبات الانسانية . عبر « بورديل » عن الرموز القوميـة والملاحم الكبرى فى تماثيله العظيمة فى اطار مفهومه للنحت كعمل صرحي قرين للعمارة .

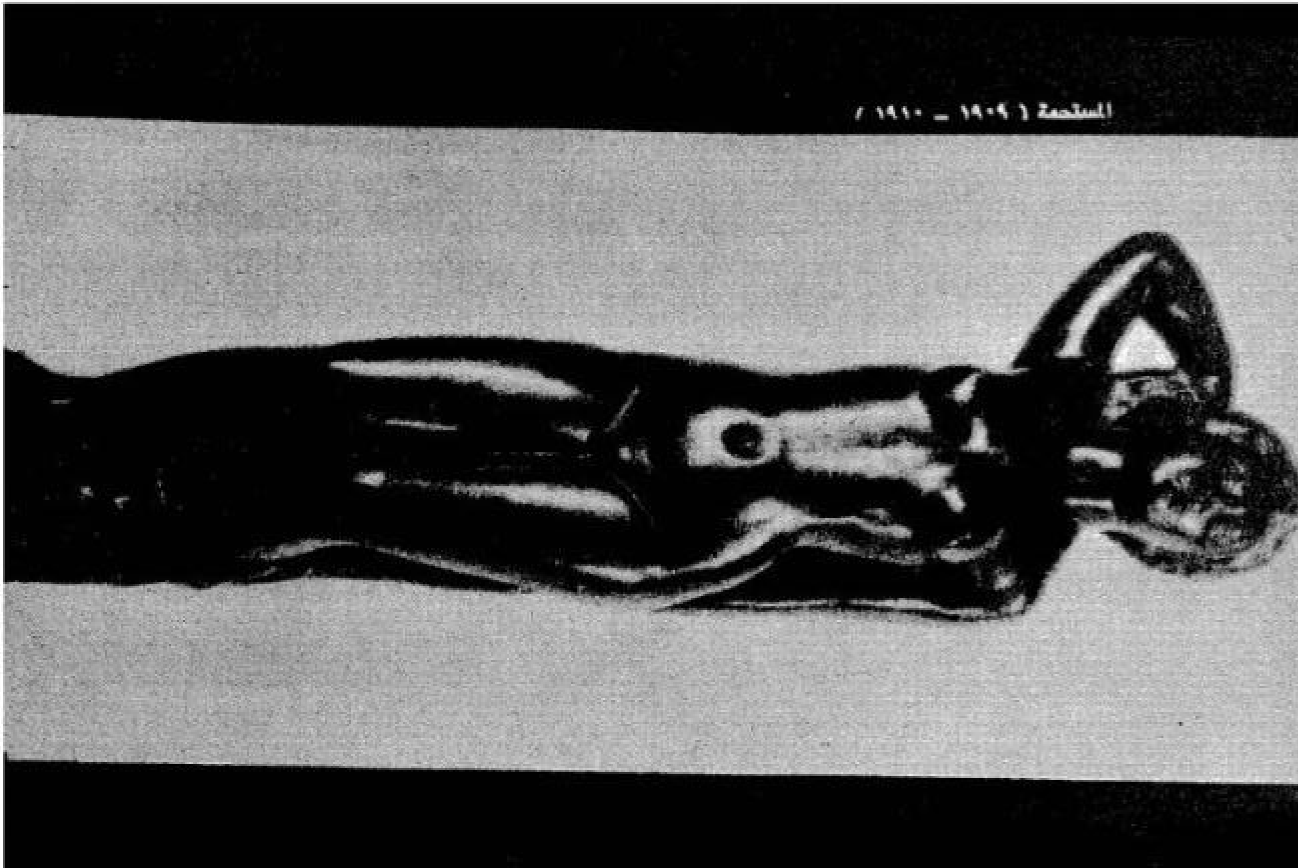
ظل « رودان » و« بورديل » رائدين للنحت الحديث حتى قدم من الجنوب الى باريس فتى ريفى وله فى ظلال الهضاب وعلى شـاطىء البحر . اجتذبه سحر المدينة الخالدةتنحسر عوالم الفن المجهولة .

وله « ارستيد مايول » فى بانالييس سنة ١٨٦١ من اب يشتغل باعمـال البحرية والصيد وعاش طفولته قريبا من البحر وفى ظل سماء الجنـوب الزرقاء فى وادى العنب وظل شأن كل من تثوى فى اعماقهم شرارة الفن يبحث عن طريقه الى ان هداه زميل الى مدرسة الفنون الزخرفية بباريس .. تلقى فيها تعـاليم الفن الاولى والتحق بمدرسة الفنون الجميلة بعـد ذلك على منحة من المجلس البلدي .

« مايول »



البحر (١٩٠٢ ـ ١٩٠٥)


(١٩٠٩ – ١٩١٠)

يقول « ماتيس » : ان مدارس الفنون تذكرني بلوحة بروجيل الشهيرة .. الاعمى يقود الاعمى .. كذلك شأن تعليم الفن في مدارسه .. استاذ يقوم باتباعه الكثيرون وهو نفسه فاقد البصر

ويبدو ان احساس المصور العظيم « ماتيس » كان نفس احساس مايول الذي قال « ان مدرسة الفنون الجميلة قادتني بعيدا عن النور بدلا من ان تضيئني اليه » .

كانت دراسات مايول في الفنون الجميلة تتناول التصوير .. ولكن متحف « اللوفر » اجتذبه الى روائعه كما اجتذبه متحف كلوني الى روائع السجاد في العصور الوسطى .. غير ان اروع اكتشاف لمايول كانت لوحات المصور « بول جوجان » .

ان بساطة هذا الفنان العظيم والوانه الرائعة والتكوينات التي حققها بذهابه الى تاهيتي استهوت مايول ولكنه ادرك انه يمكنه ان يحققها دون ان يجتاز المحيط .. يكفيه ان يتأمل شاطىء البحر عند قريته . والهضاب . والاعناب .

ضوء آخر هداه الى الطريق من لوحات المصور الزخرفي « بوفي دي شافان » . ومن نبع الصفاء الذي غمس فيه الوانه فراح ينقلها ويتعرف من خلالها على سر هذا الفنان العظيم

وفجأة وجد مايول في نفسه انجذابا الى الفنون التطبيقية .. الى فن السجاد فعاد الى بانيولس وانشأ مشغلا وبدأ يختار خاماته ويصنع الوانه من اعشاب قريته ويغزل نسيجه الباهر الذي اثرى هذا الفن ثراء كبيرا . ولكنه لم يكفل للفنان الريفي مورد عيش منتظم فأراد أن يهجره ويعود الى زراعة اعنابه الى أن تبرع له بعض اصدقائه عملا كمزخرف للجدران .

وكان مايول قد عرف من قبل نخبة من الفنانين شكلوا جماعة صغيرة باسم « الانبياء » كانت تسعى الى اكتشاف رؤى جديدة وتعتنق التحول من التاثيرية الى الرمزية وتؤمن بقول بوفي دي شافان « من قلب الانسان ومن كل اصوات الطبيعة تتألق السيمفونية الناعمة » .

بين هؤلاء كان موريس دينيس والمصور بونار وفويار وماتيس ... وقد اعانه هؤلاء الاصدقاء على مواصلة ابداعه في فن السجاد وقدموه الى افراد من الارستقراطية الاوروبية في ذلك العصر .

ولكن القدر اراد لمايول ان يتحول الى فن النحت حين مر بأزمة صحية لنحت منه البصر . وردته الى الظلمات ستة اشهر فاسدل الستار على فصل من حياته وبدأ في سن الاربعين دوره الخالد كنحات من اعظم نحاتي العصر .. بدأه حين كان يمارس خلال مرضه تشكيل الطين بيديه

وأتاح له المصور « فويار » لقاء « امبرواز فولار » تاجر الاعمال الفنية وصديق فناني الطليعة فاستقبل اعماله الاولى بحرارة ونقدها في

مايول



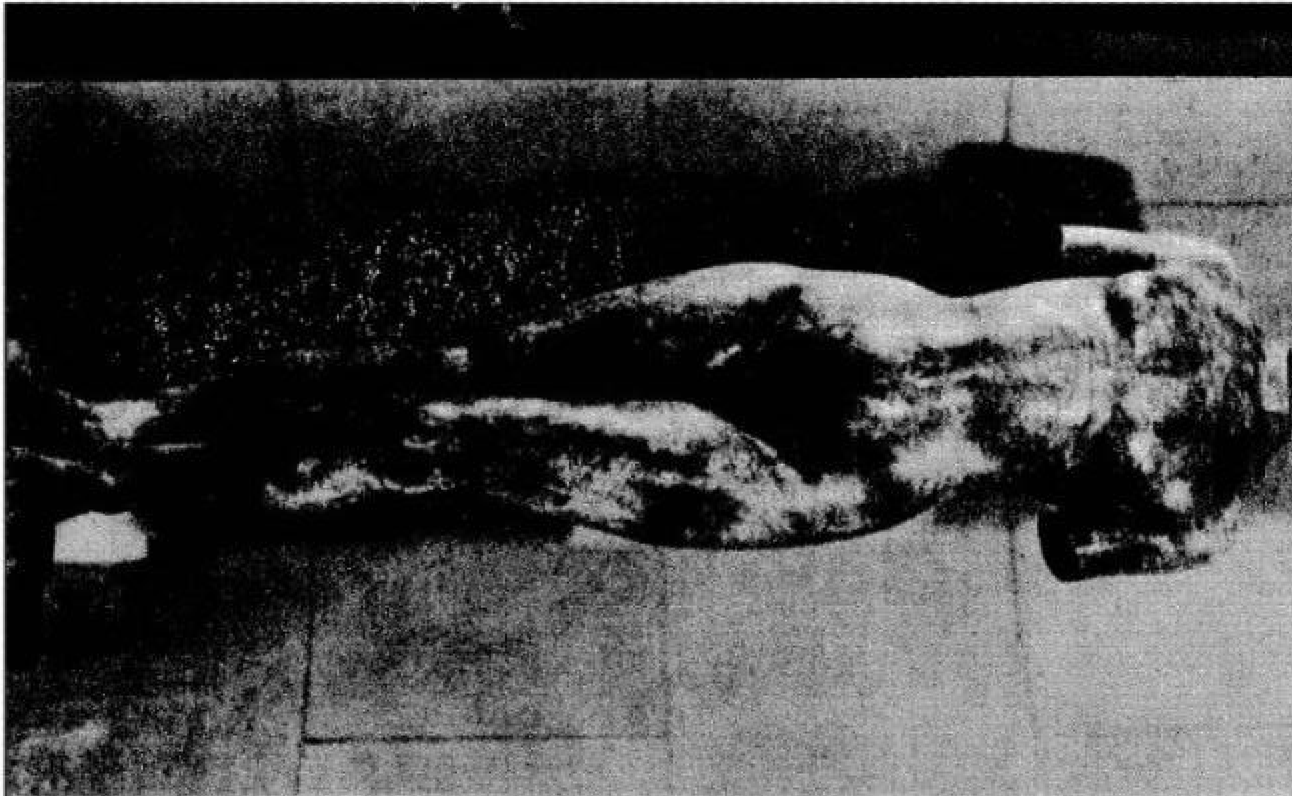
منزل مايول في بانيليس

البرونز واقام له معرضا كبيرا كان واسطة لقائه بالمثال العظيم رودان الذي اعجب اشد الاعجـاب بتمثاله « ليدا » وسجل هذا الاعجاب في كلمته الخالدة « من كل النحت الحديث لا اعرف عملا له هـذا الجمال المطلق والصفاء المطلق كتمثال مايول ليدا »

خـلال هـذه السنوات الاولى من تجاربه كنحات اقترب مايول ايضـا من معاصره العظيم « بورديل » وعمل فترة في مرسمه وتعرف على اسرار فنه .. ولكنه بعيدا عن « التراجيديا الانسانية » التي شغل بها رودان ، وبعيدا عن الرموز القومية والمعاني الادبية التي كان بورديل يسعى الى تسجيلها بلغة النحت ، تطلع الى ان يجعل اعماله صنوا لاشراقة الشمس ، وبكارة النبات ، وخصوبة الطبيعة ، وعكف على عالمه الريفي يجمع منه رحيقه

استطاع هذا الفلاح الجنوبي بفطرته الصافية وصدقه للحياة ان يجتـذب مجموعة من مفـكري وادباء عصره اعجبوا بفنه وصفاء اعماله .. كان منهم « اندريه جيد » الذي كتب عن تمثاله الكبير « البحر الابيض » حين عرض في صالون الخريف سنة ١٩٠٥ مقالا يفيض بالاعجاب والثناء فهو قد رأى في تمثال البحر كل الجمال ، والصمت الهادىء ، والتعبير الصافي وهذا النور الرائع يعـانق مقاطع النحت الساكنة .

كان في هذا التقدير العزاء لمايول عن اساءه حين اراد صـديقه الكاتب



الربيع (برونز)

« مايول »

مطرقة باب (برونز مذهب)



« أوكتاف ميربو » أن يعهد اليه في سنة ١٩٠٢ باقامة تمثال للكاتب الفرنسي « اميل زولا » .. حلق مايول في عوالم هذا الكاتب الزاخرة بالواقع وحاول أن يردها الى رموز صامتة . وتماثيل من الصفاء يغرسها في حديقة من الزهور فهو كما قال « بستاني ونحات معا » .. ولكن طموح مايول ومشروعه الكبير كان يفوق قدرة جماعة أصدقاء زولا من الناحية المادية ، ويرتفع على ذوقها الفني ، فرفضوا مشروعه وعهدوا بالعمل الى المثال البلجيكي « كونستانتين نييه » .

لم يلبث مايول أن لقي في مشروع آخر منطلقا لخياله التشكيلي حين أسندت اليه لجنة مشكلة من « كليمنصو » و « اناتول فرانس » و « ميربو » عمل نصب تذكاري للزعيم الثوري « جوستاف بلانكي » الذي قضى نصف حياته في السجون ، فأقام له مايول رمزه العظيم « الحرية في القيود »

وقد أتيح له بعد هذا التمثال الرحلة الى اليونان .. أتاحها له صديقه الألماني « الكونت كيسلر » .. هناك لقي مايول روائع « فيدياس » و « بوليكليت » .. ولكنه مع ايمانه بأن فيدياس قمة الذكاء والعبقرية كان يؤثر الفن في العصر العتيق على فن عصر البارثنون .. وكان يشده الى اليونان أكثر من منحوتاتها الباقية ذلك الروح الهائم في الجزر اليونانية الذي حرك فيها الجمال .

الطبيعة الاغريقية قبل الاساطير كانت شاغل مايول فهو نحات الطبيعة لا نحات الفكر .. والبحر المتوسط عنده ليس بحر الحضارات والآلهة وانما هو بحر الفلاحات البسيطات يطهين الغذاء بالعشب العطر .

من أجل هذا عاد مايول من اليونان أشد ارتباطا بفطرة الحياة ومنابع الارض .. وظل فنه كشجرة تعطي الثمار .. واذا كان أحد معاني اسمه في الأصل اللاتيني هو شجرة العنب اليانعة ، فان صديقه الشاعر النمساوي « سباستيان برتز » شبهه بشجرة يانعة على شاطىء البحر .

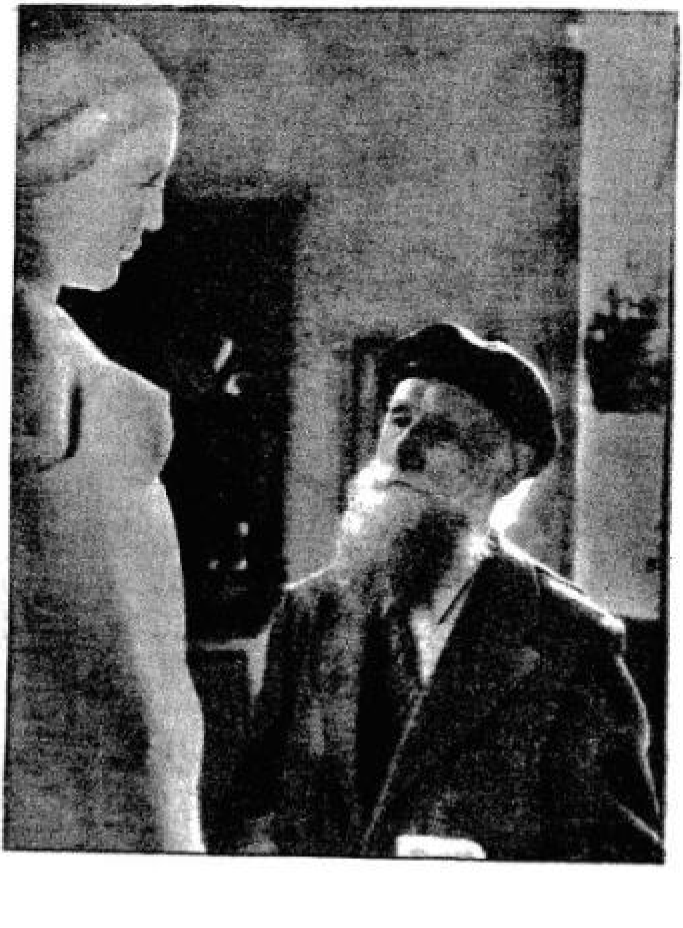
ولقد ظل مايول يصنع التماثيل في بلدته كمزارع يتعهد غرسه بالنماء دون قلق أو تعجل ولكن في يقظة ونشاط . وهو يبدع أعماله الرائعة ولكنه يقول في بساطة انه لا يدعي الخلق والابتكار .. هو مثل شجرة التفاح تقدم الثمار ولكنها لا تدعي خلقها

هكذا توالت أعمال مايول .. أشكال من الجمال المطلق والبساطة .. صروح من البناء المعماري تتميز بالوحدة والكمال تستشعر أمامها حضور الجمال كما لا تستشعره بنفس الروعة في أعمال غيره . وتلمس فيها ادراك الفنان للقانون التناسق في النحت ، وروعة الجمال الانساني من خلال هذه الأجسام الصافية اليانعة كالأشجار صنعتها الطبيعة .. ومن خلال الوجوه التي أفرغها من محتواها لتتحدث بلغة أخرى غير لغة الشاعر والعواطف والتوتر .. لغة الطبيعة في صفائها وتدائبها الذي جعل من تماثيله وحدة كونية فالمرأة عنده نهر ، وجبل ، وبحر وهواء ونشيد خالد للجمال الابدي .

ظل مايول وفيا لنابعه في بلدته بانيلس ، وفي مصيفه الريفي في مارلي ليروا يمارس في تلك العزلة أروع أعماله . وخلال الحرب العالمية الأولى بدأ تمثاله لتكريم « سيزان »

مايول

مايول يصنع من الجبس خامتـــه
المفضلة تمثاله الاخير « التناسق »





فينوس ذات العقد (١٩٣٠) برونز

« مايول »

الجبل (١٩٣٥) حجر



تمثال للشهداء بكربلاء (١٩٢١ - ١٩٢٢)



مايول

الذي كان يعده « عبقـرية التصوير الحديث » ، وانتهى منه في أعقـاب الحرب ثم شغل بمجموعة من الرموز تحية للشهداء والضحايا ٠

غير أن هذه الاعمال كانت بتكليف من الجمعيات والهيئات أما الدولة فقد جاءه تكليفها الاول سنة ١٩٣٢ حين عهدت اليه بمجموعة لوحات مـن الاقمشة للمكتبة الوطنية ٠

ولقد عانى مايول دائما من الاعمال التي كانت تسند اليه بتكليف الجمعيات والهيئات للهوة بين مطالبهم مـن العمل الفني وبين رؤية الفنان الخاصة ٠٠ هم يطلبون التعبير المباشر وهو يؤثر المعنى التشكيلي عـلى المعنى الادبي ٠٠ ومن اجل ذلك رفضت بلدية اكس اقامة تمثال المصور سيزان حتى قام أصـدقاء مايول بالدعوة الى اكتتاب لاقامته ٠٠ وأمكن بفضـل الرئيس هيريو ان ينتقل تمثال « تحية لسيزان » من بلدة مايول الى مدينة باريس

كان مايول يقول ان المال لا يعنيني ولن أسعى اليه ، والشهرة ليست شاغلي وسابقى هذا الريفي من الجنوب وفيا بحبه للاحات بلاده ٠

ولكن العالم كان يسعى الى هـذا الريفي العازف عن المال والشـهرة فاقيم لاعماله سنة ١٩٣٣ معرض كبير في نيويورك ، ومعرض شامل آخر في مدينة بال واجمع النقاد على ان مايول سيطر على عصره ٠

وتوالت أعمال الشيخوخة النضرة ، متجددة الشباب ٠٠ كثير من الرموز النسـائية ، وقليل من تماثيـل الاشخاص ، ونادرا ما اتجه الى جسم الرجل ، ففي مقاطع المرأة وفي الاشكال الاسطوانية والكعبة مجـال رحيب لكل ما يمكن ان ترمز له لغة النحت ٠

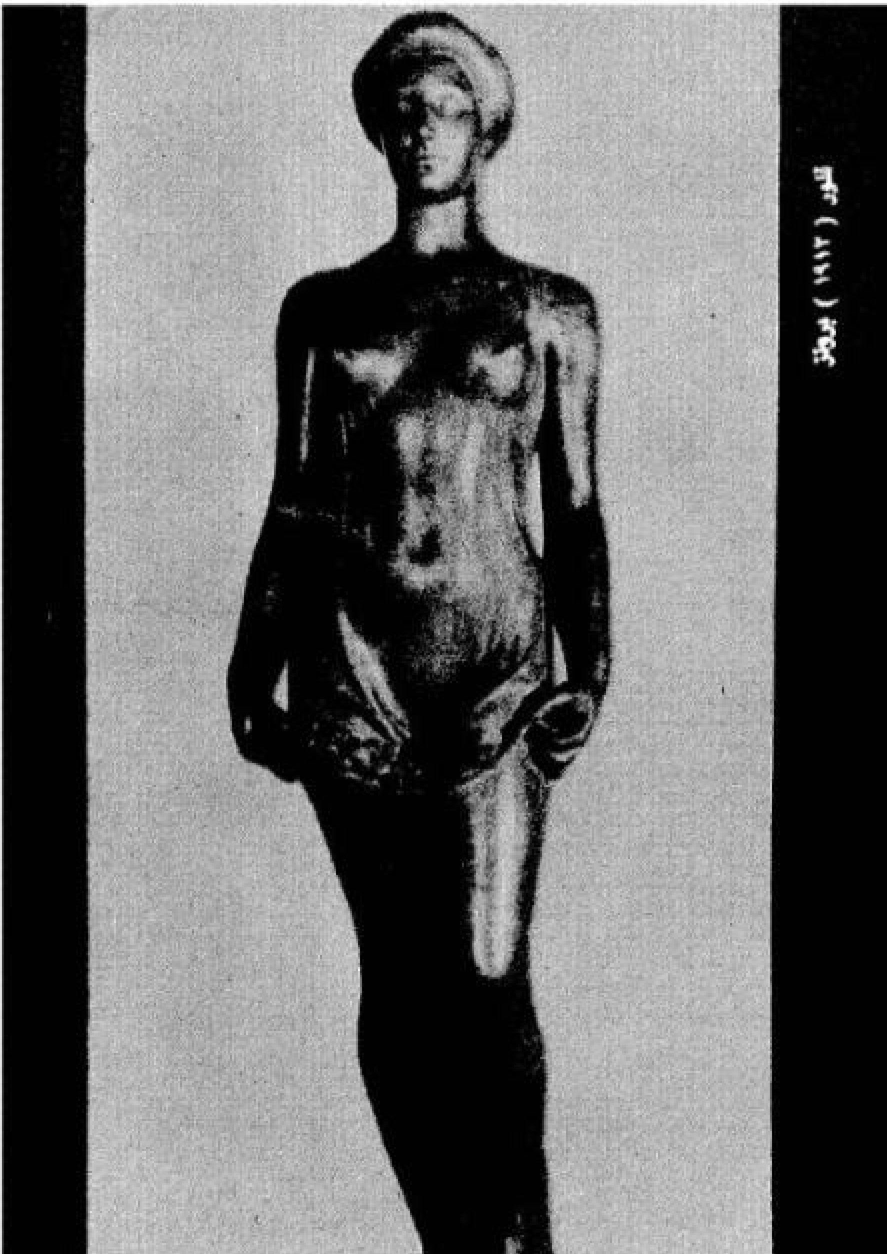
ولقد ظل الرسم عنده صنو النحت وعدته ٠٠ خلف منه مجموعة كبيرة وعكف على تصوير دواوين الشعراء العظام « فيرجيل » و « هوراس » من الاقدمين ، و « فيرلين » من المحدثين

كان التنـاسق شاغله في فنه ٠٠ وكان « التناسق » آخر تماثيله التي عكف عليها حتى دهمه الموت سنة ١٩٤٤ ، اثر حادث وهو في طريقه لزيارة صديقه المصور العظيم « راءول دوفي » ٠

لقد شق مايول طريقا للنحت المعاصر مغايرا لتقاليد رودان وعالمه الحافل بالعواطف التاجج بالصراع والتقى مع بورديل في عودة النحت الى التقاليد المعمارية والبنـاء الصرحي ، ولكنه اختلف معه في مفهوم النحت ومضمونه وفي تجريد التمثال من كل المعاني الادبية ليكون نبعا صافيا من البساطة التي لا يحققها الحساب ، ولكن تكتشفهـا الروح ، ومن التناسق الذي ينبع من حساسية التشكيلي والتقاء الاحجام في وحدة وصفاء ٠

لقد تساءل الكاتب الفرنسي « جول رومان » سنة ١٩٣٠ « هل يمكن أن يحتل مايول مكانا موازيا لرودان في تاريخ الفن ؟ » وأجاب حينئذ « ليس ذلك بمستحيل ٠٠ ان مايول من نواح عدة اقرب الى صـدق النحت من رودان » ٠

ويأتيك الجواب بعد هذه السنين حتى تلمح أصداء رؤاه في أعمـال ارب ولوران وبرانكوزي ونجومو مـن معاصريه ، بل في مفهوم جيـل لم يعاصره ولكنـه ادرك معنى بلاغـة الصمت في لغـة النحت ٠٠



عبد الرحمن صدقى

« عهد الصبا المجنون » المرأة و مطالعاتي الأولي



كانت مكتبة والدى المتواضعة فى نطاقها المحدود ، المنزوية فى ركنها البعيد فى غرفة بمنزلنا بحى الدرب الاحمر ، هى المورد السرى الوحيد الذى كنت اعتمد عليه فى اولى مطالعاتى فى اوليات حياتى .

لقد كنت ارى والدى — فى ممارسته لمبدأ العزوف عن كثرة المخالطة للناس — يقضى الامسيات مع امى بعد تعاطيه الشاى فى اقداحه الزجاجية المذهبة الصغار ، يتلو عليها بعض القصص القديمة فى طبعاتها الصفرة الورق العتيقة . ولم يكن يبدو على والدى مع ذلك انه من هواة القصص ، فهى عنده خيال فى خيال ، وهو فيما يزعمه لنفسه على مذهب المحققين اهل الواقع . ولكنه كان فيما يتلوه على امى انما يقصد — على حسب تحليلى فيما بعد للموقف — الى تسليتها عن حزنها على امها ، التى كانت فى صميم قلبها لا تجد عن فقدها سلوى ، وان تكن تتعمد الا يجرى امام الزوج او غيره اى ذكر لها على لسانها ، بعد انقضاء السنين على وفاتها بالقصورة .

وهنا كنت — وانا صغير — احاول بدافع الفضول ، أن أستمع الى هذا الذى يقرؤه ابى على امى فى كل مساء . ولكن كان ابى يصدنى عن ذلك ، فى المرات الاولى بلطف ، وبعدها باشد العنف .

ولعل هـــذا الفضول الى معرفة المجهول ، هو الذى ساقنى فى غيبة والدى الى التقليب فى مكتبته . وكان اغفال ابى للمكتبة غير موصـــدة بالاقفال ، هو التبرير الذى التمسته ـ دون تردد ـ لنفسي ، ثم هو العذر الذى اعـــددته لرفع المؤاخذة اذا تكشف للوالد امرى .

رغمى عن البيان ، اننى تحريت أن يكون تقليبى فى المكتبـــة ، فى وقت اشتغال امى فى شئون البيت . وكان اهم ما اجتذبنى من محتوياتها المكدسة فيها ، تلك الطبعات القديمة نفسها التى كان ابى فى كل امسية بعـــد العشاء يتلو منها على امى ، وهى ـ كمـــا يبدو ـ مسلسلات متصلة الحلقات ، كل مسلسلة من أجزاء متعددة ، لن يتحقق لى قراءتهـــا فى السويعات المختلسة الا فى سنوات .

الملاحم الشعبية

اتفق أن امتدت يدى أول ما امتدت لكتبة والـــدى ، الى أغرب القصص فيها عنوانا عندى ، وهو « فيروزشاه » .

وكل ما بقى لى فى ذاكرتى ـ بعد أكثر من نصف قرن ـ عن « فيروز شاه » ، هو انه ابن ملك « المدينة البيضاء » . وان الامير الصـــغير لـــا بلغ سن المراهقة ، تراءت له فى المنام صورة صبية كالبدر التمام ، ذات جمـــال ساحر فتان كأنهـــا حورية من حور الجنـــان . فاستيقظ الفتى مبهورا مشدوه اللب من نومه ، وقد بلغ من تعلق قلبه بالتى رآها فى حلمه ، ان اصبح مشغولا بها مدلها فى حبها .. فزهد فى الطعام ، وامتنع عليـــه الرقاد ، ونال منه السهاد ، حتى تغير لونه وادركه السقام . وكان لابيه وزير شيخ يونانى يتعاطى التنجيم ، كـــان دائما نعم المشير . فاخبره بأن ذلك الحلم الذى رآه أمير البلاد فى منامه ، ممثلا « جمال المرأة المثالى » على ما رواه من أوصاف صاحبته ، انمـــا ينطبق على صبية واحدة ، هى الاميرة « عين الحياة » بنت ملك « المدينـــة الخضراء » . وكان الرأى عند الوزير ان يوفد من أهل الذكاء الى المدينـــة الخضراء من يحمل صورة متقنة جميلة من صنع ابرع الفنانين للامير فيروز شاه الشجاع الجميل . وان يحتـــال هذا الرسول على الدخول الى حديقة القصر ، ويضعها على جذع شجرة من الاشجار الوريقة المزهرة ، تجـــاه المقصورة التى تنام فيها الاميرة .

وقد حقق الرسول ما طلب اليه على



اثم رجه · فلما كان الصباح ، فتحت الوصيفة كالعادة نافذة المقصورة التى تطل على الحديقة · فما وقع نظر الاميرة على الصورة ، حتى وقع فى قلبها حب صاحبها الامير ، الذى يمثل « جمال الرجل المثالى » · لقد انشغل به فكرها حتى ذهبت راحة بالها ، وامست قلقة الوساد ، لايطمئن جنبها فى رقاد ، ولا يكاد يغمض لها جفن او يطيب لها نوم · واستمرت - اكثر من ذى قبل - على رفضها لكل من جاء من الرجال يخطبها ، انتظارا لذلك المحبوب المنشود الذى جاءها الدليل على أنه موجود ·

وهنا ، انتهت مهمة الرسول ، فاسرع بالعودة الى المدينة البيضاء يحمل البشرى ، فلم يبق بعدها الا ان يهب من سقامه ويأس غرامه الامير الشجاع الجميل « فتى الصورة » ، لينطلق بعزيمة دونها سائر العزائم ، بما يحفزها من ذلك الحب الملهم



العارم ، فى طلب « فتاة الاحلام » الاميرة عين الحياة · وهذا هو يرحل الى بلادها البعيدة وفى ركابه الفرسان ، استعدادا لخوض المعارك التى تنتظره فى الطريق ، حيث يعترضه فريق العاشقين لجمالها ، وفريق الطامعين فى ملك والدها ، وكلا الفريقين من ذوى العدة والقوة ···

وأرجو الا ينتظر القراء من ذاكرتى اكثر من هذا · فهذا قصارى ما انا ذاكره من أجزاء قصة « فيروز شاه » ، بعد طول النبش والتنقيب فى الاغوار البعيدة من الذاكرة الهرمة ، وزواياها المظلمة واركانها المتداعية المتهدمة ، وهو لا يتعدى البقايا العضوية الهامة من البداية ، جمعتها من حيث المحتوى دون العبارة · فالعبارة من عندى ، وقد استمليتها مما انطبع فى نفسى من ذلك اللون الحلو فى أسلوب القصص الشعبى ·

وانتقل هنا بعد « فيروز شاه » الى القصص الشعبية الاخرى التى قرأتها على وجه اليقين : « سيف بن ذى يزن » البطل الذى غطت على ما بقى فى ذاكرتى من صورته البطولية الآدمية ، صورة أخته « عاقصة » الجنية · ثم قصة «حمزة البهلوان» وهى جميعا تكاد تتشابه عند صبى فى مثل سنى ·

وأيا كانت الحال ، فان هذه القصص جميعاً قد ضاعت ، أو باعها أهل البيت او الخدم ، هى وغيرها من كتب والدى ، ومنها موروثات من مخطوطات قديمة فى العلوم موضحا بالرسوم الملونة ، وكذلك كتب

المدرسية وغير المدرسية فضــلا عن كراساتي وأوراقي ، بحجة التخفف من الاثقال اثناء الانتقــال من دار الى الى دار .

ممارستي لدور الابطال بعد ان امتـــلات مخيلتي بهم في عــالم الخيـــــال

هذه المطالعة في صباي ، لهـــذا النوع الملحمي من القصص الشـعبي بما فيه من عديد المعارك في قمـــة جوها الحربي ، قد بلغ من استثارته حماستي وتاثيره على خيالي ، ان ادار عقلي الغـــرير السريع التصـــديق ، واستولي على حواسي المتفتحة المتقززة ، حتى احتواني جميعا وانساني نفسي ، فكنت اذا خلوت ، تخيلت انى هـــذا البطل او ذاك من ابطـــال القصة الشعبية . فلا البث ان اراني قد قمت بحركة لا شعورية الى قاعة الاستقبال وهى خاليـــــة من الزوار في معظم الاحوال ، فاقف في وسطها منصوب القامة مرفوع الهامة كالبطل في حومة النـــزال ، واجول واصول ، وتراعى العزلاء ممدودة كانى شاك السلاح . ثم انقض على الخصم الذى اتخيله ، فانازله كاحمى ما يكون القتال . ولا مانع ان يكون الخصم خصـــمين او عصبة كاملة . وازعق مرددا صيحة الحرب عند من امثله من الابطال ، مترنما ببعض ما كـان يتحـدى به الخصوم من اشعار ، بصوت جهير عال

وكانت امي في اول الامر تنزعج ، وتظن ان صياحي من مكروه اصابني . ولكنها كانت تعود من حيث اتت ، في هدوء واطمئنـــان على انه لا مكروه اصابني ، ولكنه لعب اولاد . ولم تعد بعدها ـ بحمد الله ـ تحرك ســـاكنا لهذه الضوضاء الصادرة من قـــاعة الاستقبال بعد ان عرفت سرها . وكنت اذا فرغت امي من عمل البيت ، اسارع اليها في هيئة جادة ، لاقدم التفسير الذى يبرر ما سمعته وراته مني .. فتنصت الام الرءوم لى فى اهتمـــام ظاهر بضع دقائق من وقتها ، وان تكن مشغولة البال تنتظر ـ في موعـد الغـــداء ـ زوجها ، حتى اذا راتني تجاوزت الحد في سرد تفاصيل وقائع القصة ، افهمتني انهـــا قراتهـــا ، وصرفتني عنها في لطف .

اما الذى كان حقا يغضبها اشد الغضب ، ويثير نقمتها على بطولتي الخيالية ، فهو دخولى احيانا قـــاعة الاستقبال قبيل موعد الغداء ، وفى يدى صحفة من الارز الســاخن الداخن كنت



اتعجلها لسد جوعي حين يتأخر والدي بعض الوقت عن العودة من الشغل . ولما كنت في قاعة الاستقبال ، بما توحيه لي سعتها من أنها ـ نسبيا ـ ساحة القتال ، لا اتمالك نفسي من الاستغراق في الجو الملحمي ، بحيث لا البث أن تلابسني روح البطل وتتقمصني ، ويتم حلولها في بدني ..

وعندما يواجهني هذا الاشكال : كيف لي بمنازلة الخصوم في الحال ، ويداي مشغولتان بصحفة الارز وانا في جوعي اطعم منه ؟

لا بأس ، ان القتال ليس مقصورا كله على النزال ، بل من عناصره الى جانب منازلة الأعداء ، مطاردتهم على ظهور الجياد في الوهاد والنجاد .. وهذه هي مرتفعات النجاد ممثلة في أرائك قاعة الاستقبال ، وهي من نوع « الكنبة » الشرقية لا مساند لها من الخشب على الجانبين تعوقني عن اجتيازها كالفارس ركضا . وهذا ما فعلته ، وفي يدي صحفة الارز تتناثر حباتها ـ على الرغم من شديد حرصي ـ على الاثاث والبسط . فلا عجب ، اذا ذكرت أن أمي الطيبة كانت تثور ثائرتها وقتذاك علي ، فتوصد قاعة الاستقبال مع الحرص على عدم بلوغ الخبر الى والدي ، ومثل هذا الغلق بطبيعة الحال لم يكن ليطول اكثر من يوم أو يومين ، كنت أعود بعدهما الى ممارستي لدور الابطال في ميدان معاركي المعتاد ، قاعة الاستقبال .

أما الذي كان يغيظني على الدوام ، فهو جهل الخادمة الشابة ، التي كلما رأتني أثناء قفزي ـ ممثلا الفارس الراكض في الهضاب ـ من أريكة الى اخرى ، لا تملك نفسها عن ترديد ما كانت تصفني به عند الاهل والزوار ، من مشابهة للجرادة الخضراء المعروفة باسم « فرس النبي » من حيث قفزي مثلها مع طولي ونحولي ، فهي تفاجئني وتفتح باب قاعة الاستقبال وانا على تلك الحال ، وتناديني ضاحكة في سخرية : أبو النطيط ! أبو النطيط !

حكاية ألف ليلة وليلة وخيانة المرأة

كانت مطالعاتي في القصص الشعبية الملحمية أول الامر ، تستثير خيالي وأي ثورة ، وتستوقد حماستي وأي حماسة ، على حد ما وصفت . ولكن تكرارها للمعارك على الوتيرة نفسها ، بدأ يثقل على نفسي ويدخل عليها غير قليل من السأم والملال ، وخاصة مع استمرار تدخل القوى الخارقة من الجان ـ وكنت أعتقد وقتذاك بهم ـ في معركة الانسان . فان هذا التدخل جعل الاعجاب ببطل القصة غير خالص له مقصور عليه ، لوجود مشاركة خارجية تنتقص لا محالة من بطولته بقدر اشتراك تلك القوى الكبرى الاخرى . ولما كانت هذه القوى الاخرى الكبرى غير بشرية ، فان هذا ايضا بدأ يضعف من حماسة اعتزازي ـ وانا من البشر ـ ببطولة بشري من جلدتنا . يضاف الى ذلك ، ان توقع النجدة الاكيدة المطلقة من جانب تلك القوة الخارقة ، سرعان ما يتعوده القارىء سيان كان كبيرا أو صبيا مثلي . فيبطل أهم عنصر في القصة . وهو

موقف الانتظار القلق لما سوف يأتى به الغيب المجهول ، ذلك الموقف الدرامى المعلق ، الذى يكون فيه القلب والعقل معا على أحر من الجمر ، تتنازعهما قوتان متعادلتان من اليأس والامل ، لا يبين لاحداهما على الاخرى رجحان

هنا ، تحركت الرغبة فى نفسى الى العدول عن هـذا الجانب من مكتبة والدى ، الى غيره . فوقعت يدى فى رفها الاعلى ، وفى الصف الخلفى منه، على اربعة أجزاء من مجموعة طالما سمعت باسمها وهى « حكايات الف ليلة وليلة » ، تزينها صور لبعض المشاهد المغرية ، وان تكن رسومها غير متقنة ، اما لكونها منقولة عن أصول شعبية قديمة العهد ، أو لايهام أهل التصديق البسطاء انها كذلك .

فما كادت تحتوى يدى على الجزء الاول ، حتى صعدت به الى سطح البيت ، وانتحيت ركنا لا يقطع الخلوة على فيه أحد ، مهيئا نفسى ـ على حد ما سمعت ـ لقراءة أمتع الحكايات القديمة المأثورة عن الشرق .

وابتدأت من أول سطر ، كيلا يفوتنى حرف .

وهذه خلاصة شديدة الايجاز لما قرأته فى مقدمة الكتاب ، يحدونى الى عرضها حتى على من سبق أن طالعوها كاملة فى الصغر ، ما فى هذه الاعادة الموجزة من تجديد للاثر :

كان فيما مضى من الزمان وسالف العصر والاوان ، ملكان أخوان : الكبير « شهريار » يملك على الهند حتى أطراف الصين ، والصغير « شاه زمان » يملك على سمرقند العجم . وقد مرت السنون ، وكلاهما مشغول بتصريف شئون مملكته ، حتى اشتد حنين كل منهما للآخر . فأرسل الاكبر يدعو أخاه الاصغر لزيارة بلاده ، وهذا هو « شاه زمان » قد خرج مع ركبه بعد مغيب الشمس طالبا بلاد شهريار . فلما كاد الليل ينتصف .. تذكر حاجة نسيها فى غرفته .. فرجع واتجه توا الى غرفة نومه ، فاذا به يجد الملكة زوجته راقدة مع عبد أسود فى فراشه . فلما رأى ما رأى ، اسودت الدنيا فى وجهه . وقال فى نفسه : اذا كان هذا الامر قد وقع ، وأنا ما فارقت حدود بلادى ، فكيف حال هذه العاهرة اذا طالت غيبتى عند أخى . ثم انه استل سيفه ، وضرب الاثنين فقتلهما .. وخرج لا يلوى على شىء ، ليلحق بركبه .

وبلغ الاخ الصغير « شاه زمان » بلاد « شهريار » أخيه الكبير ، فاستقبله مرحبا وقد فرح به غاية



الفرح . ولكنه لاحظ أن ضيفه ـ على الرغم من تحامله وتجمله ـ ساهم واجم ، مضطرب البال ، قليل الاحتفال بما يدور حوله .

واستضاف شهريار أخاه في أحد القصور الملاصقة لقصره . وفي اليوم التالي عزم عليه بالخروج معه للصيد ، ترويحا عن النفس . فأبى معتذرا . فذهب شهريار وحده للصيد .

أما الملك الضيف ، فبقي في القصر المخصص له . وكانت للقصر شبابيك تطل على بستان أخيه . فجعل وهو غارق في التفكير يسرح فيه الطرف . فاذا باب قصر أخيه المؤدي الى البستان ينفتح ، ويخرج منه في صفين عشرون جارية وعشرون عبدا ، وامرأة أخيه تمشي بينهما كأبدع مثال للحسن والجمال . فلما وصلوا هناك الى بركة واسعة من الرخام مملوءة بالماء ، خلعوا ثيابهم جميعا من رجال ونساء



يتبردون . وقعدت الملكة قبلهم ، ثم نادت « يا مسعود ! » ، فجاءها عبد أسود فارع الطول ، موثق البنية مفتول العضل . فعانقها وعانقته وكذلك فعل باقي العبيد والجواري .

ولم يزالوا في تقبيل وعناق حتى ولى النهار ، وحان موعد رجوع الملك شهريار .

فلما عاد شهريار ، وجد أخاه الأصغر ، قد خف ما كان به من برحاء الهم والغم ، كمن دخل عليه ما لم يكن متوقعا من العزاء . فلما سأله وألحف في السؤال ، أعاد عليه جميع ما رآه ، فكان يسمع وهو يكاد لا يصدق .

واتفقا آخر الأمر فيما بينهما ، على أن يعلن الملك شهريار اضطراره للسفر أياما لأمر ذي بال . وبكرت العساكر ومعها الخيام الى ظاهر المدينة حيث نزلوا ، ودخل الملك خيمته للراحة ، وأمر بمنع الاذن لأحد بالدخول . ثم غير من هيئته متنكرا ، وعاد سرا الى حيث يقيم أخوه في قصره يرصدان وراء النافذة . فاذا به ـ بعد قليل ـ يشهد بعيني رأسه ، المنظر الذي تعاظمه تصديقه حين نقل الى سمعه . الجواري ومولاتهن الملكة زوجته ، مع عبيد السوء !... فكان ما لابد أن يكون ، اذ دهمهم الملك وهو كالمجنون ، وضرب بسيفه المسلول عنق زوجته والعبد مسعود ، بينما ضرب رجاله أعناق العبيد والجواري .

هذا المنظر المكرر لخيانة المرأة للرجل بمحض مشيئتها ، دون داع مقبول محتوم يمكن الاحتجاج لها به من دواعي الاضطرار ، كان ـ للأسف

– اول منظر طالعني وتكرر انطباعه في خيالي وانا غلام ، حين طالعت – خاليا بنفسي ، خفية عن اهلي – الصفحات الاولى من تلك الفاتحة المثيرة لحكايات الف ليلة وليلة .

ولست ناسيا – مهما نسيت – ما قد دهاني عندها . فاني ما كدت انتهي في القراءة الى حيث انتهيت ، حتى مادت بي الارض ، لفرط ما صدمني ما تمثله من صورة ، ولفرط ما ازعجني ما صار يشغلني من فكرة . ولبثت في موضعي جالسا جلستي ، ساهما واجما برهة طويلة ، وموضوع خيانة المرأة يجرح صدري ويشغل فكري ويعذب نفسي مثل عذاب الجحيم ..

اي فجيعة ! انها افجع الفجائع عندي !.. وكيف لا ، وهي فجيعتي في المثال الاعلى الذي نصبته في قلبي للمرأة ، قياسا على امي . لقد كان النساء عندي في جملتهن من ربات النقاء والطهارة والعفاف .. فهل ترى هذا الذي جرى كان من قبيل الاستثناء من القاعدة ؟.. والى اي حد يتسع نطاق هذا الاستثناء ؟.. يا للبلاء !.. اتراه يبلغ من السعة ان يصبح القاعدة !!.. ان تكن الحقيقة هي ذاك ، فليت امي لم تلدني لاشهد هذا بعيني راسي على الارض . اما وقد ولدتني ، فليتها تثكلني اليوم قبل الغد .

ولم ازل على هذه الحال من التأمل والانفعال ، في جلستي بعينها بالوضع الذي اخترته على سطح المنزل ، حتى التفت لنفسي على صوت مدفع الظهر . فذكرت والدي ، واقتراب موعد وصوله من المسجد بعد صلاة الجمعة، فتهيأت للنزول ومعي الكتاب ، اول الاجزاء من حكايات الف ليلة وليلة .. واتجهت متسللا الى مكتبة الوالد ، حيث قذفت بالكتاب في موضعه ، وانا مضطرب النفس ، متقزز الحس ، منزعج الفكر مما فاجأتني به تلك المقدمة المثيرة لحكايات الف ليلة وليلة .

الفن والاخلاق

في مساء ذلك اليوم ، لم اكد اوى الى فراشي ، حتى عاودني التفكير – مقترنا بغير قليل من الاخيلة والتهاويل – فيما جاء بمقدمة الف ليلة وليلة ..

لقد اخذت الصور تتوالى على وهمي وتتكرر في يقظتي ونومي ، في شان ما جرى من خيانة الزوجتين الملكتين : مشهد خيانة زوجة الملك « شاه زمان » ، التي فوجئت في



غرفة النوم فى الفراش مع العبد ٠ وهـــذا المشهد فى صراحة بهيميته المحضة وحيوانيته الصارخة ، كـان كلما تمثل لى يزداد فى عينى قبحا وشناعة ، ويزداد يقينى بانه قمين بان يستنكره كل ذى عينين ، لا يستثنى من ذلك ـ اذا جاز الاستثناء ـ غير الاثنين المشتركين ٠

ومشهد خيانة الملكة الاخرى زوجة الاخ الاكبر « شهريار » ، وهذا المشهد ظلت صورته فترة طويلة اكثر الحاحا على وعيى والسر فى ذلك عندى ، هو انه ـ على الرغم من ان الخيـــانة واحدة فى الحالتين ـ كانت هنالك فى مشهد خيانة هذه الملكة الثـــانية ، مقدمات من التفاصيل الجميلة لهـــا ـ فى ذاتها ـ من جمال الاثر الفنى ، ما يخفف فى النفس ـ من حيث لا تشعر ـ وقع التبذل الخلقى ٠ لقد كنت اتمثل هنا ـ قبـــل كل شىء ـ بستان قصر الملك « شهريار » بتنسيقه البديع ٠ وقد غطيت ارضه بامثـــال البسط والطنـــافس من العشـــب ، وانتثرت فيه من احواض الزهـــر والريحان من سائر الاشكال والالوان امثـــال الزرابى المنقوشة والوســـائد المطرزة المفروشة ٠ وقامت فيهاالاشجار ممشوقة القدود فينانة الفروع ، ومن تحتها تنساب الجداول متعرجة متلوية كالحيات الراقصات ، وقد تعـــالت فى كل ناحية انغام النافورات ، وهى تقذف بمائها متناثرا فى الهواء ٠٠ وفى وسط البستان بركة من الرخـــام واسعة كالبحيرة ، يترقرق فيها الماء كالفضة البيضـــاء ، تظللها بثوب الذهب شمس الاصيل عند المساء ٠

وهنا ، لا اكاد اتمثل البستان فى وقت الاصيل ، حتى اتذكر كيف كـان يعمر فى الحين بعد الحين هذا المكان الساكن الجميل كانه عالم الاحلام ، كلما غاب عنـــه سيده الملك العظيم الشان « شهريار » ٠ فاذا بهـــذا البستان ـ مثل عالم الاحلام الـــذى تتحقق فيه امانى المحرومين واغلبهـــا حرام ـ تدب فيه الحياة فجاة ، حين ينفتح الباب الخلفى للقصر ، فيخرج الى رحبة البستان صفان ، عـــدة كل منهما عشرون بالتمام ، صف من الفتيان السود ، وصف من الجوارى البيض ٠ وفى الوســـط تمشى فى اختيال ، ملكة القصر ربة الشـــباب والجمـــال ٠ ويسير الموكب ، موكب الشباب والجمـــال ، حتى يصل الى البركة ٠

وهنا تقع الماساة ، ماساة خيانة المراة ، التى احاول فى كل مرة تتمثل لى فى المشهد ان اتقضيه عنـــدها ، لاحجبها عن نظرى ، واصم عنهـــا اذنى ، لكى انساها ٠ انى احاول دائما ان اتجاهلها ، لاننى لا احتملها ٠

فهل انطمس من ذاكرتى مع تعاقب السنين ذلك الاثر ؟٠٠ او انه العـــلم فى الصـــغر ، لايزال كالنقش فى الحجر ؟

جناية الخيال الشرقى عـــلى المـــراة

لم تمض ايـــام ، حتى نازعتنى نفسى للعودة الى استئناف المطالعـــة

فى حكايات « الف ليلة وليلة » ، بحجة انها لا شك ذاكرة من النساء فيما هو آت ، من هن خير ممن قدمت ذكرهن فيما فات ٠

وهكذا استرجعت من مكتبة والدى الجزء الاول من الف ليلة وليلة ، وانزويت استأنف القراءة من الموضع الذى كنت قد انتهيت عنده ٠ فاذا بى مازلت امام الموضوع نفسه لا سواه ، كما لو كانت خيانة المرأة قضية الحياة ٠

ولكن صاحب المقدمة ـ هنديا كان أو فارسيا أو غير ذلك من الاجناس الشرقية ـ لم يكتف هذه المرة بضرب الامثال على خيانة المرأة للرجال من بنى الانسان ، بل ذهب فى اثبات ما هى عليه من الذكاء الخارق وسعة الحيلة والجرأة فى انجاز الرغبة ، أن روى لى ولن قبلى وبعدى من الاجيال ما يلى ، تتمة لما جرى للاخوين الملكين بعد أن قتل كل منهما زوجته الخائنة :

قال « شهريار » لاخيه « شاه زمان » : « قم بنا نسافر الى حال سبيلنا ، حتى ننظر هل جرى لاحد مثل ما جرى لنا ، أو لا فيكون موتنا خير من حياتنا » ٠ ولم يزالا فى سيرهما اياما وليالى الى أن بلغا ساحل البحر المالح ، فجلسا تحت شجرة كانت هناك يستريحان ٠٠ ومضت على ذلك ساعة من الزمان ، فاذا هما بالبحر قد هاج ، وطلع منه عمود اسود صاعدا الى السماء ، وهو يتقدم مقبلا عليهما ٠ فاخذهما الخوف رغم شجاعتهما ، وطلعا الى أعلى الشجرة ٠ فاذا بجنى عملاق القامة عظيم الهامة واسع الصدر ، يحمل صندوقا كبيرا عليه سبعة أقفال ٠٠ فطلع الى البر تحت الشجرة ، واقبل على الصندوق يفتح أقفاله واحدا بعد الآخر ، ثم أخرج منه علبة من البللور تشف عن أفتن مخلوقة يتصورها الخيال ٠ وبعد أن تأملها تأمل المعجب المفتتن بها ، فتح العلبة بعناية فائقة ، وقال : « اخرجى يا سيدة الحرائر التى كان اختطافى لها ليلة عرسها ، واجلسى على الرمل ، ومدى ساقيك لاوسدهما رأسى المتعب ، فانى أريد النوم » فلما استغرق الجنى فى النوم ، ادارت المرأة نظرها فيما حولها ، فلما لمحت فى أعلى الشجرة رجلين ، رفعت من فوق ركبتيها رأس الجنى وأوسدته الارض ،



واشارت اليهما بالنزول فامتنعا ..
فهددتهما بايقـــاظ الجنى المـــارد
واتهامهما عنده بمراودتهـــا ، فلم
يسعهما الا النزول . ولما اشبعت من
كل منهما رغبتها ، قامت الى العلبة ،
فاخرجت حلقة انتظمت فيهـا خواتم
عديدة ، وقالت لهما : « هذه خواتم
من لهوت معهم مــــن الرجال ملوكا
وصعاليك ، على غفلة من هذا المارد
الجبار الذى ظن انه جدير بأن يطمئن،
مادام قد أودعنى قاع البحر فى هـذا
السجن المحكم الاقفال . فاعطيانى الان
خاتميكما ، لاضمهما للمجمـــوعة فى
انتظار المزيد . فليس هنالك ما يحول
دون المرأة وما تريد حين تريد » .

هذه الخاتمة التى لا اشك فى ان
صاحب المقدمة أيا كان ، قد ظن أنها
فصل الخطاب فى البرهان على خيانة
المرأة الى أبعد حد يتعلق به الوهم ..

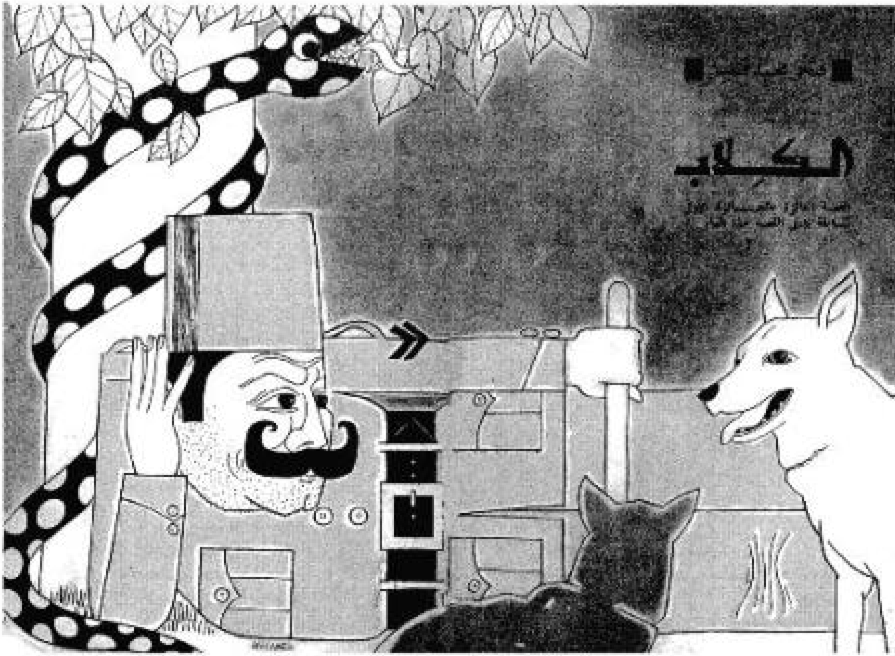


أقول هذه المقدمة كانت فعلا فى تلك
السن الباكرة ذات تأثير قوى عـلى
خيالى ، لاسيما وقد كنت ـ كالكثيرين
غيرى ـ من سرعة القبول والتصـديق
بحيث لا استبعد وجود مغـــامرة
ـ كالتى تكون بين الازواج ـ بين
نساء من الانس ورجال من الجان ،
وبالعكس .

والقـــراء المطلعون فى الميثولوجيا
الوثنية على أساطيرالارباب والربات،
يذكرون مافيها من أمثال هــــذه
العلاقات بين هؤلاء وأهل الارض .

ولكن الذى يهمنا من هذه الحكاية
وما سبقها طبيعية كانت أو غيـــر
طبيعية ، هو أن كثرة ما ورد فى
حكايات الف ليلة وليلة مما يعكس ما
هو مشهور عن التفكير الشرقى عامة
من سوء الظن بالمرأة ، قد أخذ يسرى
من هذه الحكايات ـ خيالية كانت أو
واقعية ـ الى نفسى . فبدأت ـ على
رغمى ـ أخاف الجنس الاخر ..
تلك الانثى ـ أيا كانت سنها ـ التى
كنت فى صغرى ألعب معها وأحبها .
أقول بدأت أخافها ، ولكنى لم أبغضها
قط ، ولن أستطيع بغضها لو أردت .
كل ما فى الامر ، أنها بعد أن كـانت
عندى اللعبة اللطيفة المحبوبة ، تحولت
فجأة وأنا لماتجاوز عتبةالشباب ، الى
تلك القطة البرية التى تأنس لك وتأنس
لها ، ولكنك لا تأمن مخالبها .. قطة
كتلك التى كانت عند أجدادنا معبودة

وهل منمعبودة ، الا
وهى غامضة محبـــوبة
مرهوبة ؟! ..


الكلاب

الكلاب

عم جابر .. عسكرى . عمره ثمان وخمسون سنة

له شارب كث أبيض ، مختلط بسواد خفيف ، من بقايا شباب غابر . ولكنه الآن على عتبة المعاش . فقد أصبح شيئا لا يصلح لشيء ..

أنت ...

صرخ الباشجاويش .. ووجهه عابس ، والدماء تتصاعد فائرة فى وجهه :

ـ من الغد تأخذ الجردل .. والعصا ..

ـ لم ؟..

قالها العسكرى ، ولكن كلمته كانت غير واضحة ، جراء أسنانه الهتمة :

ـ تصديد الكلاب فى الريف ..

وضحك الباشجاويش ، واستطرد :

ـ نزهة ..

وقهقه عاليا .. وتلك عادته اذا أنهى أمرا . يبدأ بالصرامة . وينتهى بالقهقهة .. ولكن ضحكاته مخيفة .

لا تعترض يا جابر .. هذه أوامر .. والاوامر كالحديد لا تتكسر .. ربما ينكسر الحديد .. ويبلى .. ولكن الاوامر أقوى وأمتن .

عشت مطيعا . فيجب أن تتم جميلك . وتمد هذه الطاعة عامين آخرين ..

نعم .. عامين آخرين ، وما أسرع الايام ..



وقضى عم جابر أيامه صامتا ، الا من سعاله الجاف الخشن ، ولكنه كان يتمنى لو تخلص من سجائره اللف .. فهى التى تثير سعاله ..

كان ينهض فى ساعة مبكرة .. ويدخل المركز ، وكل شيء من حوله نائم .. ثم يتوكأ على العصا الغليظة . ومعه منديل « محلاوى » . قابضا على رغيفين وبعض الادام . وكان الجردل يحتوى على قطع صغيرة من الطعام الممزوج بالسم . ويقطع الطريق الزراعى ، وخيوط الشمس تتدفق فى بطء ، فاذا ما رأى كلبا متشردا ضالا ، جائعا ، قدم له قطعة من الطعام المسموم ، فيهز ذيله ، ويلتهم القطعة فى نهم .. ويلعق فمه ، وينظر اليه فى اطمئنان وعيناه تترقبان قطعة أخرى .

وسرعان ما يحس بالالم وسرعان ما يقع على الارض ..

وتظهر عليه الذلة والمسكنة ، فيهوى جابر على ناصية رأسه بعصاه . فتجحظ العينان ، وتنبثق الدماء من الرأس والفم ، ويرقد هامدا بلا حراك ثم يقطع قطعة من ذيله .. وهكذا تنتهى العملية .

ولكنه كان يشعر بعد كل عملية بأنه قد بذل مجهودا كبيرا ، فيلف سيجارة ، وينفثها .. وقلبه يدق بين ضلوعه ، ثم يسعل سعاله الجاف الخشن ..

واذا ما سقطت الشمس من ذروة الافق ، حمراء قانية ، يعود على الطريق الزراعى ، ويدخل المركز فى

عدوه وصمت ، ويترك هناك الجردل والعصا ، وأيضا مجموعة من الذيول .. ومع مرور الايام الشاحبة استمرأ هذا العمل ، واعتاده ، وشعر نحوه بالضيق والقرف . ولكنه كان يؤمن في قرارة نفسه أن هذا قدره ، لا فكاك منه ..

اوامر صارمة كالحديد ، وقد ينكسر الحديد ، أما الاوامر فهي أمتن وأقوى . لابد للانسان أن يسعى لرغيف عيشه ، حتى ولو كان هذا الرغيف منزويا في الفضاء العريض ، والشمس المحرقة ، والكلاب .

ولكنه كان يشعر وهو يرفع عصاه ، ويهبط بها على رأس الكلب أن قلبه يدق بشدة . ويكاد يقفز من صدره . وكان يحس أيضا بألم حين يطقطق الرأس تحت ضربته .. وينبثق الدم ، ويخضب الرأس المكسور . وكان كثيرا ما يشعر بأن الضربة تهوى على رأسه هو .. لا رأس الكلب ..

ولكن .. الصبر ..
الايام تمر بسرعة ..
والسنتان قد انصرمتهما الشيء الكثير ..

وكان يفكر كثيرا وهو يضع رأسه على الوسادة الكالحة ، وامرأته العجوز بجواره .. تصدر منها انفاس واهنة بينما ضفيرتها البيضاء المخضبة بآثار الحناء ترقد بجوارها كالثعبان ..

كان يفكر في حاله ، ويفكر كذلك في ظلمة واسعة عريضة ، اسمها التقاعد .

أخيرا يا جابر .. سترقد ..

ستصبح شيئا لا أهمية له ..

سقط متاع ..

آه .. رأسك يكاد ينفجر ، فالايام تمر بسرعة كالموج ، وأنت على متنه ، ويلقيك على الشاطيء الصخري مكدودا متعبا .. شائخا ..

تنهد في عمق .

قال في نفسه : هكذا الايام ..

وكثيرا ما كان يرى في نومه كلابا كثيرة ، تملأ بقعة غير واضحة المعالم ثم ترقد هذه الكلاب على صدره بثقلها فيصحو من النوم ثقيل الصدر ، ويشعر بنار تحرق جوفه ، فيتناول القلة .. ويشرب ، ثم يضع رأسه على الوسادة .. ويهمس :

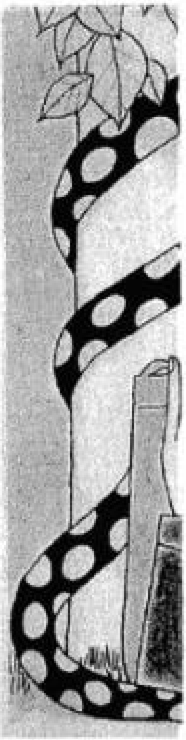
ـ اللهم اجعله خيرا ..

دائما كلاب .. هناك في الفضاء العريض . وفي النوم أيضا .

ذات مرة .. قبل أن يصبح قاتلا للكلاب ، كلفه المأمور بشراء الخضار

ذهب الى بيت المأمور بالسلة المملوءة ، وجد هناك كلبا يلعق خد المأمور ، والمأمور يضحك ملء شدقيه ، ولكن هو نفسه الذي أصدر له أمرا بقتل الكلاب .

قال في نفسه :



ـ فرق كبير يا جابر ، بين كلب وكلب ..

اصبح يشعر بملل شديد وهو يسـير على الطريق الزراعى ، بينماضوء الصبح ينسل من الافق البعيـد . وكان يشعر ايضا وهو فى الفضاء العريض ، انه هو الاخر قد اصبح ضالا .

خرج له كلب اسود مـن عيدان الاذرة ..

بصبص له بذنبه ، نبح نباحا كانه الانين ..

هم بأن يضع له اللقمة المسمومة ، ولكنه ابصر كلابا صغيرة تهرع الى الكلب . وترشق فمها فى اثدائه .. تركه ومضى ، والكلب يلعق صغاره .. همس لنفسه :

ـ ما الفرق بينك ياجابر .. وبين اى قاتل ؟

انت لك صفة مميزة ، قاتل كلاب .. هـذا كل ما فى الامر ..

هوى بعصاه مرة عـلى راس كلب .. تأوه فى ذلة ومسكنة .. ارتمى عـلى الارض .

انطلقت صرخة طفل من خلف جدار :

ـ يا عسكرى يا بن الـ

انقطع صوت الطفل .. كان يدا بترت كلماته .

وذات يوم ، كان يسـند ظهره الى جـذع شجرة سامقة ، افترش منديله ، وضع عليه خبزه ، وقطعة جبن ، وبيضة ..

لم يقتل كلبا فى هـذا اليوم ، لميقطعذيلا ، ساعده كل وتعب ، والاحـلام التى يرى فيها الكلاب ، تزعجه، وتقطع عليه نومه ، المركز قد نسيه تماما ، يذهب اليه وكل مابداخله نائم ، ويعود اليه وقد سكن ما فيه لهداة الليل .

هل يتذكره المأمور ؟.

غيـر معقول ، فالمأمور يحمل فى رأسه مهام كثيرة غير جابر قاتل الكلاب ..

والجاويش ايضا لابد انه قد نسيه ..

فليكف عن قص الذيول ، لقد كرهها . ولولا أن العصا الغليظة أمانة فى رقبتـه لطوح بها فى الترعة ..

وبينما هو يقذف فى فمه الهتم بعض اللقيمات ، راى كلبا مقبلا يتدلى منه لسان جاف ، ويلهث فى اعياء ، عرج على جدول به ماء ، مد الكلب فمه ، وراح يلعق الماء ، ثم وقف غير بعيد منه . وطفق يحـرك ذيله والجوع واضح على قسمات وجهه .

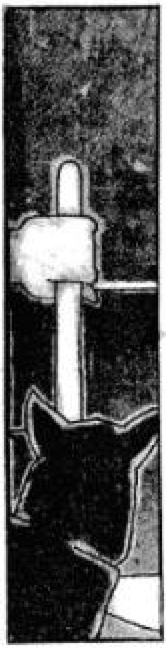
مد جابر يده تلقائيا .. امسك بخرقة . اطبق بهـا على قطعة من الطعـام المسموم . القى بهـا على الطريق ..

قال فى صوت هرم :

ـ كل أيها الكلب .. لابد أن أسلم ذيلك ..

ولكن الكلب زمجـر فى وحشية ، تقوس ظهـره ، ظهرت انيابه . اتى بصوت متحشرج . ظهرت عليـه الشراسة ، هجم عليـه .. هب هو من جلسته ، ورفع عصاه بينمـا الكلب يضرب الشجرة بمخالبه ..

وكانت مفاجأة لجابر ..



فقد رأى ثعبانا غليظا فوق الشجرة يولى الادبار. كان وراء ظهره مباشرة . مرق الثعبان . بينما الكلب ينبح بشدة .

نظر الى الكلب وقطعة الطعام المسموم ..

ورأى طعامه فى منديله « المحلاوى » . رحمل الجردل ، ووضع العصا على كتفه .. بعد أن القى فى الجردل قطعة الطعام المسموم ..

والكلب مازال ينبح ..

كان الجو قائظا ، ولكنه غير مبتور من نسمة ندية .

سار يحدث نفسه ..

كنت ستموت يا جابر ..

وترقدفى الفضاءالعريض بجوار الشجرة جثة هامدة .. وتمر الايام فاذا بك ملقى هناك ، منسيا ، وقد تنهشك الكلاب الضالة ..

ولكن واحدا منهم قد انقذك ..

الصمت يحيطه من كل جانب ..

أحس بالكلب يسير من خلفه صامتا هو الاخر .. استدار وراح يتفرسه ، مخلوق حسن يسير هادئا ، لا يعرف يومه من غده .. ضال ..

قال فى نفسه :

ـ وأنت يا جابر ؟

بيد أن شفتيه الجافتين. انفرجتا عن بسمة متعبة ، وطرد من رأسه خاطرا سخيفا ..

جلس بجوار ساقية قديمة مهملة تظللها شجرة جميز ضخمة ، تعبث بأوراقها نسمات هادئة .. افترش



منديله « المحلاوى » بينما اقعى الكلب امامه ، وراح ينظر اليه فى الفة ، فالقى له قطعة خبز . قدها من رغيفه . فالتقطها الكلب قبل أن تستقر على الارض ..

كل أيها الكلب . لقد انقذتنى من موت محقق ، ولكن ثق أن الموت لا يهمنى فانا على اعتاب الفضاء العريض الذى تهيم أنت فيه

كان الكلب يسدد له عينيه ، ويبصبص بذنبه ، فالقى له بلقمة ثم اخرى ولم يأكل هو شيئا . فان حالة الخوف التى خرج منها .. صدته عن الطعام ، وقلبه الكليل مازال يرجف بين ضلوعه .

شعر الكلب نحوه بالفة .. فاقترب منه .

ـ لماذا انت ضال ؟..

قال له ...

تثاءب الكلب ، أخرج من صدره صوتا واهنا أشبه بآهة ممتزجة بالالم . ارخى جسده الاعجف . بسط ذراعيه . وسد رأسه .. وراح ينظر اليه بعينين نصف مطبقتين بينما جابر قد مد ساقيه هو الاخر .. وأسند ظهره الى الساقية الخربة الهامدة ..

أردف قائلا :

ـ لا شك أنك لا تعرف السبب ..

مد يده .. وضعها برفق على رأس الكلب . أجفل الكلب عينيه . استراح لليد التى راحت تمر عليه فى حنو ..

قال جابر :

ـ هل تعرف أننى مكلف

بقتلك ؟.. ولكنك أنقذت حياتي . صحيح انني عجوز مثلك . ولكن عندي زوجة. وبنتا هي كل ما خرجت به من الدنيا . ولها خمسة أطفال . وبالطبع هذه المخلوقات معلقة في رقبتي

وظل يحدث الكلب ، ويمر بيده على رأسه الاعجف ، وأحس نحوه بالفة صنعها ذلك الفضاء العريض ..

حدثه عن امرأته ..

– ليتك تراها .. امرأة طيبة . وراضية . وشاكرة

ولكنه خص ابنته بكل حديثه ..

– كانت حلوة ، الشيء الوحيد الذي قدمته لزوجها حلاوتها .وأنجبت له خمسة أطفال . ولكنها مرضت بمرض صدري فتزوج صاحبنا ، وتركها وأطفالها الخمسة وروى للكلب كيف راح يطلب اللقمة للأطفال الخمسة من المحكمة ، ولكن زوج ابنته أوعز الى أمه وزوجه الجديدة برفع دعوى عليه .

واستطرد :

– انني لم أنل منه للآن مليما واحدا . والشيء الغريب انه قدم زورا أدلة دامغة . تثبت أنه معدم ليمتنع عن أولاده ثمن اللقمة . أنا لا أخفي عليك انني خائف جدا ، فقريبا سوف أحال على المعاش و « القبضية » ستصبح .. ضئيلة .

تثاءب الكلب والشمس تتهاوى نحو المغيب ، وقد خضب الافق بلون أحمر قان .. شعر بضيق يجثم على صدره .. وهو يرى قرص الشمس الغارب والافق المخضب بالحمرة . خيل اليه أن الافق بركة آسنة من الدم يسكب فيها قرص الشمس جراحه ...

قبض بأصابعه المعروقة على الجردل ، ووضع العصا على كتفه وسار يضرب الارض بحذائه الغليظ ...

بدأ الظلام يتدفق وئيدا . ويتكاثف في قتامة .. بينما صوت ناى حزين . يسبح في الفضاء العريض .. والكلب من ورائه يتبعه .. وكل ما فيه يوحي بالتشرد

وحين أقبل الليل وضع جابر رأسه على الوسادة الكالحة ، وراح يفكر في صديقه الجديد .

لقد أنقذ حياته ..

حسبه هذا ..

أنقذته الكلاب الضالة من ثعبان قاتل .

انه يشعر نحوها بالجميل ، حتى ولو كانت كلابا ..

ولكن .. ما العمل ؟.

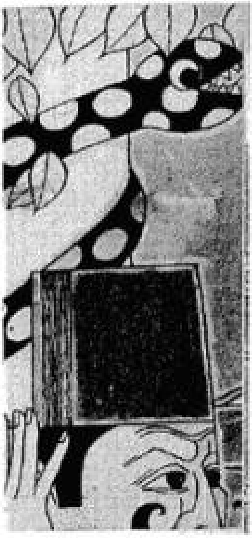
أيكف عن قتل الكلاب ؟.

والاوامر ؟. الاوامر يا جابر ؟..

أحس بالحيرة ..

راحت الهواجس تحاصره .. رأى بعين خياله ثعبانا يمرق فوق شجرة وقطعة الطعام المسموم ملقاة على الارض ، والهراوة الغليظة تستقر على رأس الكلب ، والدماء تنبثق وتخضب الرأس المكسور . ولكن الاوامر .. الاوامر يا جابر ؟..

– خير لك أن تنام .. وتريح رأسك المكدود .. قال



لنفسه ·· أطبق جفنيه ·· وسرعان ما علا غطيطه ··

وحين تنفس الصبح ، وضع قدميه على أرض الحارة ليعاود رحلته ، حيث الفضاء العريض فرأى الكلب قابعا أمام داره ··

مشى والكلب يتبعه ، ساكتا عجوزا على كاهله عديد من السنين والتشرد · وسارا سويا على الطريق الزراعى ، بينما خيوط الصبح تنبثق من الافق ·

لم يقتل كلبا فى هذا اليوم ·

جلس على شاطىء الترعة · أمضى هناك وقتا ، وأيضا بجوار الساقية الخربة ثم تحت ظل شجرة ، والكلب يتبعه ··

قال للكلب وهو يلقى إليه نصيبا مما احتواه منديله :

ـ لقد كان جميلك أقوى من أى « كلبش » · ومن الاوامر أيضا ، اليوم لم أقتل كلبا ·· ارضاء لك ، ولكنى أتمنى أن تسرع الايام ·

ومرت بهما الايام سريعة متلاحقة ··

والكلب يتبعه ·· ويقبع أيضا أمام داره · فى قتامة الليل ·

وكان هو لا يجد فى الفضاء العريض غير الكلب ·· فكان يتحدث اليه طويلا ·· ويلقى على أسماعه بمتاعبه · والكلب باسط ذراعيه · وعيناه نصف مطبقتين ·· وذات يوم ·· بينما هما يسيران على الطريق الزراعى ·والشمس تنحدر نحو الغروب ·· قال له :

ـ نسيت أن أعرفك ·· لن أذهب الى الخلاء من الغد ·· لقد أحالونى على المعاش ·

وفى ليلته هذه أحس براحة ، فقد القى عن كاهله ثقل الاوامر · وأصبح حرا ·· ولكن جسده متعب ·· ويحتاج الى راحة كبيرة · وسعل سعلة جافة خشنة ، رغم أنه قد أقلع عن سجائره اللف ، بعد أن وعد الكلب وبر بوعده ·

ونام ملء جفونه ··

ولكن جفونه المتعبة الثقيلة ارتفعت فى نفس الميعاد الذى كان يصحو فيه كل يوم بيد أنه أطبقهما مرة ثانية ، وانكمش تحت « اللحاف » القديم ··

وحين استيقظ فى الظهيرة تذكر الكلب ، فاتجه صوب الباب ، وأطل منه ، فلم يجد الكلب الذى كان يقبع دائما أمام الباب ··

ـ أين ذهب ؟ قال لنفسه

ولكنه فى اليوم التالى نهض من فراشه مبكرا فى نفس الساعة التى كان يخرج فيها متجها صوب الفضاء العريض ·

كان الضباب يجثم على الحارة · وقف يبحث عن الكلب ، ضاقت حدقتا عينيه ··

ـ أين ذهب ؟··

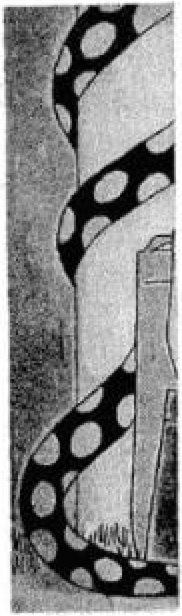
وقف ساهما ··

بيد أنه رشق على شفتيه المترهلتين بسمة متعبة · جافة · تقطر بالمرارة ··

ثم دخل بيته ··

وصفق الباب··

فى هدوء ··



كمال النجمي

في بداية ذلك الصيف لم يستطع أن يهرب من حب تلك الجميلة الغضة التي رآها على شاطئ البحر . وفي نهاية الصيف استطاع أن يودعها وينساها .. هكذا كان في كل صيف : يستقبل بدايته بمغامرة عاطفية، ثم يودع نهايته بالهجران..

نقطة عطر في الربيع الأزرق



نقطة عطر فى الربيع الأزرق



لم يكن الرجل عابثا ولا فاتكا . كان « هاويا » للحب – ان صح التعبير – وكانت هوايته بريئة خالصة جادة لا هزل فيها ، تسعده كل السعادة وتوحى اليه اجمل ما يكتب ، ولكن عواقبها كانت تؤله وتهز كيانه وتحطم عواطفه، لانه كان فى كل تجربة حب من تجاربه العديدة يرى برهان ربه – على حد قوله – فلا يعود منها الا بجرح فى القلب !....

كان الرافعى (١) – بطل حكايتنا – شديد الحب للصيف ، يسافر من طنطا – حيث يقيم مع أسرته – الى الاسكندرية، وينزل فى شاطىء سيدى بشر ، ويسمى الصيف « الربيع الازرق » (٢)

وفى الثلاثينات اثارت هذه التسمية الطريفة للصيف اعجاب بعض الادباء والصحفيين فظهرت فى الصحف الى جوار الكلمات السائرة التليدة .

فى الربيع الازرق كان الرافعى – كما قال فى احدى مقالاته الصيفية – يجلس على الشاطىء وكأنه جالس فى سحابة لا فوق الارض !.. « والقمر فى ليالى الصيف زاه رفاف من الحسن ، كأنه اغتسل وخرج من البحر .. ويلقى من سحره على النجوم فتظهر حوله كأنها احلام معلقة فى السماء » ..

أما النساء على رمل الشاطىء فيشبهن حواء قبل اختراع الثياب .. « ان الغريق على الشاطىء هو الذى يغرق فى الرمال التى يجلس فوقها »

وعندما يرسل الرافعى خواطره عن البحر والصيف يأتى دائما بكلام بارع خلاب : « ما اجمل الارض على

(١) هو الكاتب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، وهذه احدى حكايات حبه الكثيرة على شاطىء الاسكندرية ، وهى غير حكايات حبه بين القاهرة وطنطا ..

(٢) اى ان البحر الازرق قد احالت انسامه الصيف الحار الى ربيع لطيف يتخذ لون البحر ..

حاشية البحر والسماء . يكاد الجالس هنـــا يظن نفسه مرسوما فى صــورة الهية » .. « فى الايام التى يجعلهـــا المصيف أيام سرور ونسيان ، يشعر كل انسان انه يستطيع أن يقول للدنيا كلمة هزل ودعابة » ..!

وفى صيف عام ١٩٣٥ وقع الرافعى فى حب فتاة مغنية راقصة كانت تعمل فى أحــد ملاهي الاسكندرية . تعرف اليها عن طريق صــديقه الدبلوماسي الاديب حافظ عامر .

وقد قرات قصة هذا الحب الملتهب فى بعض مقــالات الجزء الثــانى من كتاب الرافعى « وحى القلم » فاكتشفت انه سرح فيهـــا وراء عرائس الخيال ، فلا فتاة هناك ولا حب ولا لقــاء ولا هجران .. كل ما هنالك ان الرافعى اراد ان يكتب عن الحب فكتب !..

ثم عرفت صديقه حافظ عامر سنة ١٩٤٥ فى بداية نشاتى الادبية ــ وكان الرافعى قد توفى منذ ثمانى ســنوات تقريبا ــ فسالت حافظ عامر عن حقيقة قصة الرافعى مع الفتاة الاسكندرانية .. فاكد لى انه أحبها فعلا وانه صدق فى كل ما كتب عنها من اللقاء الاول الى الوداع الاخير .. واعترف حافظ عامر بانه هو استدنى الفتاة فى البداية ثم انست الى الرافعى ولانت به .

عن هذه الفتـــاة المغنية الراقصة ، كتب الرافعى مقالات قصصية عنوانها « الجمال البائس » .. ويحق للادب العربى فى تاريخه كله أن يفخر بهذه المقــالات القصصية البــالغة الروعة والظرف والطــلاوة ، والتى لم يكتب مثلهــا فى الادب العربى أحــد قبل الرافعى ولا بعده !..

❀❀❀

كان الرافعى فى الحب يشبه طفلا لا تجارب له . يقع فيه بغير حســاب للعواقب ، وان كان دائما على يقين من عاقبــة لابد منهــا ، هى الهجر، والفراق ، مهما لذ له الحب فى بدايته وغمره بفيوضاته السماوية ..

ولم يكن الرافعى يحــب من المرأة الا الجانب الذى يشعل فيه نشوة علوية تطير بها اشواقه الروحية محلولة من عقالها ، مرددا هذه الكلمات : « اننا لن ندرك روعة الجمال الا اذا كانت النفس قريبــة من طفولتهـــا ومرح الطفولة ولعبها » ..

وقد بدأت قصته على هــذا النحو بداية طفولية .. كان يذهب الى كازينو الشاطىء كل صباح ليكتب مقـــالاته لمجلة « الرسالة » ، فيظل يكتب حتى ينتصف النهـــار فتجىء المغنيـــات والراقصات اللاتى يعملن فى الكازينو ليتدربن على الاغانى والرقصات التى سيؤدينها ليلا ..

نقطة عطر في الربيع الأزرق



ولكن يرين الرافعي يكتب ويفكر فلا يعبأن به ، فقد كان كهلا أشيب في الخامسة والخمسين من عمره ، إلا واحدة منهن .. يقول الرافعي في وصفها : « رأيت لها وجها فيه المرأة كلها باختصار ، يشرق على جسم تعرض فيه الأنوثة فنها الكامل » ..

وتغافل عنها الرافعي أياما حتى طال ذلك منه وشق عليها ، فتدخل حافظ عامر واستدناها اليه فحدث ...

« وجاءت أحلى من الأمل المعترض سنحت به الفرصة » .. و « جلست الينا كما تجلس المرأة الكريمة الخفرة: تعطيك وجهها وتبتعد عنك بسائرها ، وتريك الغصن وتخبيء عنك أزهاره . فرأيناها لم تستقبل الرجل منا بالأنثى منها كما اعتادت . وكان هذا عجيبا منها فكلمها في ذلك الأستاذ « ح »

– يقصد حافظ عامر – فقالت : إذا وجدت احدانا رجلا بأخلاقه لا بأخلاقها ردتها أخلاقه الى المرأة التي كانت فيها من قبل .. » (١) ..

وأخرجت من حقيبتها مرآتها ونظرت فيها ابتغاء أن تتعهد من وجهها مواقع نظرات الرافعي ، ولكن الرافعي غض بصره كطفل خجول !..

« فأخرجت منديلها المعطر ومسحت به وجهها ثم هزته في الهواء فاذا الهواء منديل معطر آخر مسحت به وجهي » .. « آه من العطر !.. إن منه نوعا لا أستنشيه مرة إلا ردني الى حيث كنت من عشرين سنة خلت ، كأنما هو مسجل بزمانه ومكانه في دماغي » ..

لقد حركت الفتاة الجميلة المعطرة قلب الرافعي وأثارت فيه نقطة عطر كانت ساكنة هاجعة !..

ودار الحوار بين الرافعي ومحبوبته

(١) أي من قبل احترافها الرقص في الملاهي ..

الجديدة ـ محبوبة صيف ١٩٣٥ ـ وتولى كتابة كلامها صديقه حافظ عامر فقد كان الرافعي أصم لا يسمع شيئا ، وكان محدثوه يكتبون له كلامهم على الورق فيطالعه ويجيبهم بصوته الذى يشبه أصوات الاطفال !٠٠

قالت للرافعي :

ـ انى احسبك تحبنى ٠ بل اراك تحبنى ٠ بل انت تحبنى ٠ لم يخف على حبك لى منذ رايتك ورايتنى !٠٠

قال :

ـ حبيه صحيحا ، فكيف عرفته ولم ازد على ان أجيء الى هنا لاكتب ؟!٠

ـ عرفته من انك لم تزد على ان تجيء الى هنا لتكتب !٠٠

وتدخل حافظ عامر فى الحديث :

ـ انه يحبك ٠ ولكن اتعرفين كيف حبه ؟!٠٠

ـ ؟!٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ـ انه عاشق ينثر العشق بين يديه فكانه هو وحبيبته تحت اعين الناس ، ما تطمع الا ان تراه ، وما يطمع الا ان يراها ، ولا شيء غير ذلك !٠٠

قالت وهى لا تكاد تصدق ما سمعت :

ـ ان هذا لعجيب !٠٠

قال حافظ عامر :

ـ والذى هو اعجب ان ليس فى حبه شيء نهائى ٠ فلا هجر ولا وصل ٠٠ ينساك بعد ساعة ، ولكنك ابدا باقية بكل جمالك فى نفسه ٠ والصغائر التى تبكى الناس وتلذع قلوبهم كالنار ٠٠ تبكيه هو ايضا وتعتلج فى قلبه ولكنها تظل عنده صغائر ولا يعرفها الا صغائر ٠٠ وهذا هو تجبره على جبار الحب !٠٠

***

اصبحت فتاة الكازينو ملهمة الرافعى فى ذلك الصيف ٠ فى كل اسبوع يستوحيها ويكتب عنها حلقة من حكايته الصيفية الطويلة معها ، ويبعث بها الى مجلة الرسالة فيتلقاها القراء فى العالم العربى كله متلهفين لما حدث وما سيحدث لكاتبهم الكبير فى مغامرته العجيبة ٠٠

واعلن الرافعى بصراحة لعشرات الالوف من قرائه انه قد غرق فى حب هذه الفتاة : « ان وجهها هو الابتسام وروح الابتسام ، وجسمها هو الاغراء وروح الاغراء ، وفنها هو الفتنة وروح الفتنة ٠٠ وهى بهذا كله ، هى الحب وروح الحب » !٠٠

والرافعى على طفولته فى الحب لم يكن تخفى عليه حقيقة الفتاة وهى راقصة شبه مجهولة ترتزق من الرقص ومما حول الرقص ٠٠ ولكنه

بالاستخذاء » ..

وبوما بعد يوم رأى الرافعي حقيقة الفتاة قطعة قطعة . تجالس هذا وذاك ، وتكتسب باغرائها قبل فنها .

وأيقن الرافعي ـ المتدين ـ أنه اذا لم ينسحب بحبه من هذه الساحة ، تعرضت فضيلته للامتهان .. « أما اني احبها فنعم ، بل أراه حبا فالقا كبدي ، وأما اني أستذل في الحب وامتهن فضيلتي وأنزل بها فلا .. ابدا » ..

***

اللقاء الاخير في اليوم الاول من سبتمبر ١٩٣٥ لم يستغرق الا ساعة واحدة ، وكانت اللقاءات من قبل تستغرق ساعات ..

قال حافظ عامر للراقصة وقد وقف مع الرافعي يودعانها :

ـ لا تكتبي اليه لانه لن يرد عليك حتى يستأذن زوجته في الرد ، كيلا يعتدي على شيء من حقها ، وربما منعه حياؤه من استئذانها فيطول انتظارك لرده بلا جدوى !..

بكت الراقصة لقد وخزها حافظ عامر في قلبها بذكره لها الزوجة .. « وياما كان اجملها يترقرق الدمع في عينيها الفاتنتين فيبث منهما حزنا يخيل لمن رآه انه من اجلها سيحزن

نقطة عطر في الربيع الأزرق



كان قد وقع في الحب ولم يعد قادرا على الخلاص منه قبل مفارقته المصيف كعادته كل عام ..

وحز في نفسه أن يرى محبوبته في موضعها ذاك من الابتذال .. « ان قلبي وقلبك يتجاليان في هذه الساعة ويتباكيان . اتدرين ماذا يقول لك قلبي ؟!.. انه ليقول عني : أعزز علي بأن تكوني مهنا ، وأن تتألف منك هذه القصة التي تبدأ بالوصمة وتنتهي

الوجود كله » ..

وودعهـــا الرافعي وداع اللوعة واليأس الذى عرفه فى نهاية كل صيف مضى مع حبائب كثيرات . وبكت فى وداعه بدموع حقيقيـــة ، فانصرف يمسح عينيه ويقول لصديقه : « ليس البكاء من هاتين العينين بكاء عند من يراه اذا كان من العاشقين ، بل هو فن الحزن يضع جمالا جديدا فى فن الحسن .. واكاد أعجب كيف وجد الدمع مكانا بين المعانى الضاحكة فى وجهها لو لم يكن هذا الدمع قد جاء ليظهر على وجههـا الفن الآخر مـن جمال المعانى الباكية » ..

كلمات معقدة النسج ، لا يطالعهـا القارىء بسهولة ، ولكنها تعبر بصدق عن اضـــطراب الرافعي فى موقف الوداع ، واضطرابه فى وصفه ..

كان الرافعي منذ البداية يعرف أن نهاية حبه ستجىء فى نهاية الصيف ، ولكن نهاية حبه لهذه الراقصة بالذات كانت حتمية ولو أحبها فى عزالشتاء ، لانه كان يراها فى موضع المهـــانة والابتذال عـــلى الصورة التى كانت عليها الراقصات قبل خمسة وثلاثين عاما .. وكان مستحيلا عليـــه أن يواصل امرأة يراها فى هذا الموضع ، ويضطر الى مجالستها فيه ..

ولما افاق الرافعي من نشوة هـذا الحب ، كتب الاسطر الاخيرة فىحكاية « الجمال البائس » :

« وداعا يا اوهـــام الذكاء التى تلمس الحقائق بقوة خالقة تزيد فيها .. ووداعا يا أحلام الفكر التى تضع مع كل شىء شيئا يغيره .. ووداعا يا حبها » .!.

هكذا انتهى حب الصيف فى نهاية الصيف .. انتهت قصة حب الرافعي على شـاطىء الاسكندرية فى صيف ١٩٣٥ وكسب الادب العربى تحفـة ادبية فائقة الجمال ارتفعت باصالتها وروعتها فوق كل مواصفات فن القصة ومواصفات فن المقالة !..

وطارت نقطة العطر فى الهواء بعد أن دوخت الاديب الكبير عـــلى امتـــداد ايام الربيـــع الازرق !..



بقلم : د . مهندس
عادل جزارين



السيارة نصر ١٢٨

أضواء على صناعة السيارات في الجمهورية العربية المتحدة

[illegible]

التجميع في المصنع الفرعي تزيد عن المصنع الام نتيجة للتحول الى عمليات الانتاج الكمي في المصنع الام وبالتالي انخفاض ساعات العمل اللازمة للتجميع في هذا المصنع بينما يتطلب العدد المنخفض نسبيا من السيارات المجمعة في المصنع الفرعي الاستمرار في التجميع بالطرق اليدوية التي تستهلك ساعات عمل أكثر ... وبالتالي تتلاشى مزايا الوفر في استيراد العربات المفككة .

وهكذا واجهت الدول النامية هذا الموقف فقام بعضها باصدار القوانين التي ترغم الشركات التي تقوم بالتجميع على تصنيع نسبة معينة من السيارة محليا كما حدث في بعض بلاد أمريكا اللاتينية ومنها من أوقف عمليات التجميع كلية وبدأ في انشاء مصانع انتاجية للسيارات كما حدث في يوغوسلافيا .

فماذا حدث في الجمهورية العربية المتحدة ؟

لقد بدأ التفكير في صناعة السيارات عقب قيام الثورة وبدء الثورة الصناعية .. التي حملت رايتها وزارة الصناعة عقب انشائها في ١٩٥٦ .

وتحول هذا التفكير الى عمل جدي ودراسات مستفيضة واتصالات واسعة أدت في نهايتها الى توقيع أربعة عقود هامة في السنوات ٦٠ و ١٩٦١ وذلك لتصنيع اللوارى والاتوبيس ـ والمقطورات ـ والجرارات الزراعية ـ وسيارات الركوب وقد كان واضحا من البداية انه لكي يمكن اقامة هذه الصناعة بنجاح فلابد من توفير ثلاثة عوامل هامة وهي :

● **وجود الصناعات المغذية التي تتخصص في صناعة اجزاء معينة من السيارة يتم انتاجها في مصانع متخصصة في شتى المجالات الصناعية سواء المعدنية او الهندسية او الكيماوية مثل اليايات وموانع الارتجاج ومهمات الرباط والاجزاء البلاستيك والأجزاء المطاط وغيرها من مئات بل الوف الاجزاء .**

● **توافر الخامات اللازمة للانتاج داخل مصنع السيارات ويقع في مقدمتها المطروقات والتي أسند توريدها الى شركة النصر للمطروقات والمسبوكات الحديدية والالا حديدية والتي اسند القيام بهما لعدد من المسابك المحلية القائمة او التي انشئت حديثا واخيرا توافر الصاج والقطاعات الحديدية اللازمة والتي يدخل اغلبها في برامج انتاج شركة الحديد والصلب .**

● **توافر العمالة الفنية المدربة اللازمة لهذه الصناعة الدقيقة وقد كلفت بهذه المهمة مراكز التدريب المختلفة والمدارس الصناعية وكذلك مركز التدريب الذي انشيء خصيصا لهذا الغرض مع بداية انشاء شركة النصر لصناعة السيارات .**

وبالاضافة الى هذه العوامل الثلاثة فهناك **عامل اقتصادي هام هو توافر حجم الاستهلاك الذي يسمح بقيام عمليات الانتاج على اسس اقتصادية سليمة ، وبدون زيادة كبيرة في التكلفة .**

وأخذا لهذه العوامل الاربعة في الاعتبار فقد وضعت خطة صناعة السيارات على الاسس الهامة الآتية :

● اعطاء الاولوية الكاملة لصناعة اللوارى والاتوبيسات والجرارات الزراعية والمقطورات لاهميتها الكبيرة خلال فترة التنمية الاقتصادية التي تمر بها البلاد بالاضافة الى أن حجم الانتاج المحدد لها هو في حدود الحجم الاقتصادي وأن التغيير في موديلات هذه المنتجات بطيء نسبيا وأقل بكثير من التغيير المستمر الذي تتعرض له سيارات الركوب .

● رسمت خطة الانتاج على أساس قيام مصانع شركة النصر للسيارات بانتاج حوالى الـ ٤٦٪ من قيمة المنتج الكامل داخل مصانعها ـ بينما تتولى المصانع المغذية المحلية القيام بتوريد حوالى الـ ٤٦٪ اخرى من قيمة المنتج والتي تشمل الاجزاء التخصصية كالاطارات والبطاريات واليايات والاجزاء المطاط والبلاستيك وغيرها ... ويستمر استيراد باقي القيمة من الخارج وهي تمثل عددا من الاجزاء الخاصة لا يبرر حجم الانتاج اقامة صناعة محلية لها بطريقة اقتصادية مثل بعض أنواع الرولمان بلى واجهزة القياس للتابلوه وغيرها .

● بدء الانتاج بعمليات التجميع من الاجزاء التي يتم استيرادها بالكامل وكمرحلة تمهيدية يتم خلالها اقامة الاوصال الانتاجية للشركة وتنظيم المخازن فيها وكذلك تدريب

العاملين تمهيدا للتحول الى المراحل الانتاجية التالية ، ثم على ذلك التحول الى الانتاج فى شكل مراحل يمثل كل منها تصنيع مجموعة أو مجموعات أساسية على السيارة **وبصفة عامة فقد وزعت المراحل على النحو التالى :**

- صناعة بعض الاجزاء البسيطة نسبيا وكذلك المكبوسات الخاصة بالكابينة وبعض أجزاء الشاسيه ·
- صناعة المحرك وباقى أجزاء الشاسيه ·
- صناعة التروس وأجهزة نقل الحركة والتى تعتبر أدق المراحل وأصعبها ·

وسارت شركة النصر لصناعة السيارات فى طريقها نحو تحقيق هذه الخطة ·· وتجمعت الالوف من السواعد الفتية ، والعزائم التى لا تكل تعمل ليل نهار فى سبيل تحقيق هذه الاهداف وبدات عمليات تجميع اللوارى والاتوبيسات والمقطورات والجرارات الزراعية ١٩٦٢ وتلاها تجميع سيارات الركوب ١٩٦٣ ·

وانتهت المرحلة الاولى من تصنيع اللوارى والاتوبيسات سنة ١٩٦٥ ·

وفى نوفمبر ١٩٦٩ تم افتتاح المرحلة الثانية وتمت صناعة المحرك الديزل الخاص باللوارى والاتوبيسات بنجاح وأصبح هذا المحرك صناعة مصرية كاملة بكافة أجزائه باستثناء بعض الاجهزة المساعدة مثل أجهزة الحقن وبعض الاجهزة الكهربائية · كما تم صناعة الاكسات والعديد من أجزاء الشاسيه وفى مارس ١٩٧١ تم افتتاح المرحلة الاخيرة وبدأ انتاج التروس واجهزة نقل الحركة محليا ·

وهكذا تحققت الخطة وأمكن انتاج اغلب أجزاء اللوارى والاتوبيسات محليا وأصبحت نسبة الانتاج المحلى حوالى الـ ٧٠ ٪ من قيمة المنتج الكامل ومن المنتظر زيادتها مع التوسع فى الصناعات المغذية لتصل الى الهدف الاصلى المحدد لها ·

وسار تصنيع المقطورات فى طريق مشابه وارتفعت نسبة التصنيع المحلى فيها الى حوالى الـ ٨٥ ٪ ·

ومع قرب الانتهاء من صناعة اللوارى والاتوبيسات كان من الطبيعى توجيه الجهود للتحول الى التصنيع فى سيارات الركوب التى استمرت فى مراحل التجميع خلال الفترة الماضية ··وهكذا وجهت الجهود الى صناعة محرك السيارة ·· أولى مراحل تصنيعها ·· وقد قام السيد الدكتور عزيز صدقى نائب رئيس الوزراء لشئون الانتاج والتجارة بافتتاح مصنع المحركات البنزين الـ ١٥٠٠ التى ستزود به السيارة الـ ١٢٤ المزمع انتاجها قريبا ··

وظهر أول محرك بنزين عربى يتم انتاجه محليا ·· رمزا لنجاح الصناعة العربية وعنوانا لا يمكن لدولة نامية توافر لها العزم والارادة ان تحققه ·

وليس ادل من الارقام لتصور الصورة المشرفة التى وصلت اليها صناعة السيارات فى الجمهورية العربية المتحدة · ان هذه الارقام توضح الحقائق الاتية :

- **قيمة انتاج الشركة فى العام المالى ٦٩/١٩٧٠ «٦١١ر٥٥٩ر١٦ جنيها »**
- **قيمة صادرات الشركة فى العام المالى ٦٩/١٩٧٠ – ٧٣٤ر٩٤٥ر١ جنيها**
- **البلاد التى تم التصدير اليها : الكويت – سوريا – العراق – تنزانيا – الصومال – ابو ظبى – ليبيا – المانيا الغربية ·**
- **راس مال الشركة : ٠٠٠ر٨٦٠ر١٥ جنيه ·**
- **عدد العاملين بالشركة فى ٣٠/٦/١٩٧٠ ٧٤١١ عاملا ·**
- **عدد المصانع المغذية المحلية التى تقوم بتوريد اجزاء وخامات للشركة : ١٠٢**
- **المساحة الكلية لاراضى الشركة : ٣٤٠ فدانا ·**
- **مساحة المبانى الحالية : ٠٠٠ر١٦٠ متر مربع**

وهكذا اصبحت صناعة السيارات فى جمهوريتنا العزيزة حقيقة واقعة وصرحا اقتصاديا هاما يقوم بدوره الاساسى فى اقتصادنا القومى والنهضة الشاملة التى يمر بها ·

المتنبي والمُستَشرِقون

■ علي أدهم ■



اهتمام الغربيين بالأدب العربي والثقافة الشرقية بوجه عام ليس من الأمور المستحدثة ، فهو يرجع الى العصر الوسيط ، وكانت هناك اتصالات بين الشرق والغرب قبل ذلك ، ولكنها لم تكن في الغالب على نطاق واسع ، وقد بدأت بوادر الاهتمام بالثقافة الشرقية في القرن العاشر الميلادي ، ومن الاقبال [illegible] على تلك الثقافة [illegible] وكان الاهتمام في العصور الأولى يكاد يكون مقصورا على المسائل العلمية البحتة مثل الطب والرياضة والكيمياء والفلك ، واقترنت [illegible] بالمنطق والفلسفة ، [illegible] القرن الثاني عشر الميلادي [illegible] [illegible] الكثير من الكتب العلمية [illegible] الفلسفية [illegible] اللغة اللاتينية والعبرية ، وترجمت في تلك الفترة آثار مؤلفات ابن رشد والفارابي والكندي وغيرهم من أعلام الفكر العربي والفلسفة الاسلامية . وتبارى فريق من الملوك في تشجيع هذه الحركة مثل فردريك الثاني [illegible] سنة ١٢٥٠ ميلادية [illegible] صاحب قشتالة (١٢٥٢ — ١٢٨٤ م) [illegible] الاستفادة من التقدم العلمي في الحضارة العربية [illegible] النهوض بالحياة العلمية ورفع مستواها .

[illegible]

الغزل بالقلق والتحسل برغم والدمع بينهما عصي طيع

[illegible]

المتنبي والمستشرقون

ومن المستشرق « جبرائيل دي لاجرانج » (الذي توفي سنة ١٨٥٦) بديوان المتنبي ، وترجم بعض قصائده ، وعبر عن اعجابه بالمتنبي قائلا « بعد ان ننتقل الى قراءة ابي الطيب بعد دراسة جدية للغة العربية لايفوتنا ان نرى فيه الصفات التى تكون الرجل العبقري ، فهذا الشاعر يملك الخيال وعنده القريحة المتوقدة والحماسة المشبوبة ، وهو يمتاز بشدة الاسر والنشاط الجم وسمو الافكار ، واسلوبه محكم ونابض بالحياة والواقع ، وله تعبيرات موفقة ، وروحه بطبيعتها نزاعة الى السمو الذى يصل اليه في بعض الاوقات ، ولكنه في الوقت نفسه بسبب رغبته في بلوغه قد يخطيء كثيرا في اختيار الافكار والاخيلة ، ويتورط في المبالغة والتزيد »

وهذا التقدير العالي لادب المتنبي يقابله من ناحية أخرى النقد الشديد الذى وجهه المستشرق الفرنسي الكبير « سيلفستر دي ساسي » لادب المتنبي ، فهو يقول « لا اظن شاعرا مثل المتنبي قد لعب دورا له من الاهمية مايدعونا اليوم الى الاهتمام بمعرفة دوافع سلوكه ، ومع ذلك فان الملق البالغ حد الاسراف في اشعاره لايعطينا فكرة عالية عن اخلاقه ، وخصوماته مع الرجال الذين كانوا قبل قليل موضوع مدائحه تبدو لي وثيقة الارتباط بطبيعته ذات الطموح المخدوع او الطمع الذى لاتشبع نهمته »

وحكمه على شعر المتنبي لايقل قسوة عن حكمه على اخلاقه وشخصيته ، وعنده ان شعر المتنبي ليس له قيمة الشعر القديم ولا صعوباته ، واذا كان الامر كذلك فما السر في شهرة المتنبي عند المشارقة ؟ لايرى هذا المستشرق النابه بأسا في أن يعزو هذه الشهرة التى ظفر بها أبو الطيب الى فساد الذوق عند العرب !

وهو حكم تنقصه الدقة ، ويعوزه الانصاف للمتنبي وللذوق الادبي عند العرب عامة ، ولم يقم هذا الحكم الصارم العقبات في طريق أنصاف المتنبي ، فقد مضى المستشرقون الالمان في دراستهم لادب المتنبي بعد صدور هذا الحكم ، وقام المستشرق « همر برجستال » بترجمة كاملة باللغة الالمانية لديوان المتنبي ووصفه بانه اكبر شاعر عربي ، وهو يخالف رسك ودي ساسي في نظرتهما الى المتنبي وادبه ، وهو يرى أن مكانة المتنبي فوق متناول الشكوك ، وانه امتلك زمام الفن الشعري ، وانه شاعر ساحر لايجارى ، وان منزلته في الادب العربي أسمى من منزلة « ابي تمام » الذى يكتفي الان بذكره بوصفه جامعا لديوان الحماسة ،

ويرى « برجستال » أن القصائد التى نظمها المتنبي في صدر شبابه لاتصلح لاصدار الحكم النهائي على ادبه لانها نظمت على عجل ، وان الجوهر الاساسي لديوانه هو القصائد التى نظمها في مدح سيف الدولة ، ولا يغض برجستال النظر من بعض الهنات في أدب المتنبي وشخصيته ولكن تقديره العاطف لأدب المتنبي يجعله يمر بها مر الكرام ، ولا يتخذها ذريعة للنيل من شخصية المتنبي والتقاص ادبه ، ويرى برجستال ان الكبرياء التى كان يتظاهر بها المتنبي كانت بمثابة درع واقية يتقي بها طعنات خصومه ، ويظهر قيمته أمام حساده وأنصاره .

ويسرت الترجمة التى قام بها برجستال السبيل أمام المستشرقين لدراسة أدب المتنبي .

ويرى المستشرق « بوهلن » بعد دراسته لحياة المتنبي وشعره وما كتبه عنه المستشرقون السابقون وما جمعه من أخباره البديعي في كتابه « الصبح المنبي » ان المتنبي ليس من العظمة بالقدر الذي يصفه به محبوه ولا من الحقارة بالمنزلة التي يضعه فيها خصومه ، انه شاعر لاتنكر قدرته وبراعته ، وهو يرد عيوب المتنبي الى العصر الذي عاش فيه ، وقد انتهى بوهلن في دراسته للمتنبي الى رأي له قيمته لو استطاع الغربيون من قراء أدب المتنبي ان يأخذوا به ويلتزموا جادته ، وهو أن يتخلصوا من أحكامهم الغربية السابقة قبل ان يتصدوا للحكم على شاعر عربي نشأ في جو تقاليد أدبية مخالفة .

ويرى المستشرق الالماني الكبير «نولدكه» « الذي توفي سنة ١٩٣٠ » ان المتنبي عظيم العبقرية في الشعر ، وقد نسب أخطاءه الى العصر الذي عاش فيه وملابسات حياته ، ورأى المستشرق « بوهل » قريب من رأي « نولدكه » ، وعنده ان روح العصر الذي عاش فيه المتنبي تغفر له الكثير من أخطائه وتجعلها مشروعة ، وان الامة العربية هي الجديرة بأن تختار للمتنبي المنزلة التي تضعه فيها ، ومادامت قد أحلته في المكانة المرموقة فان على المستشرقين أن يقبلوا رأي نقاد المتنبي الطبيعيين ، وهو رأي جدير بالتقدير ويدل على رغبة في الانصاف ومجافاة التعصب والتحامل .

والمستشرق الالماني الشهير « ألفرد فون كريمر » سيء الرأي في المتنبي ، فهو يقول عن شعره « قصائد أبي الطيب تمتاز بالمبالغات الرديئة الذوق والاسلوب الكثير الصنعة وبتغيير معاني الكلمات ، وهي لذلك تتيح الفرصة لعلماء اللغة لكتابة الشروحات ، ولكي يظهر نفسه عالما بمحض ارادته فانه يأتي باصطلاحات فنية وتعبيرات متصيدة ، ولذلك صارت أشعاره لا تفهم بغير شرح ، ولا يعوض هذه العيوب الى حد محدود سوى بعض مقطوعات صادقة الجمال وأوصاف تدل على شاعرية عالية » ويبدي فون كريمر اعجابه ببعض المقطوعات الرثائية لما تضمنته من تأملات وخواطر فلسفية ، ويفضل شعر « أبي فراس الحمداني » على شعر المتنبي من حيث رقة العاطفة والبساطة والبعد عن التعقيد .

وعند المستشرق العلامة « جولدزيهر » ان المتنبي يمثل بعض الاتجاهات الاجتماعية وأفكار التعصب الجنسي التي كانت سائدة في عصره ولكنه مجرد من الاصالة ، وقصائده تناقض قصائد الشعراء الاقدمين الذين كان يحاول أن يجعل نفسه في مستواهم وذلك بسبب الحرية التي كان يستخدمها في نظم قصائده ، ويرى جولدزيهر ان الناقد المعروف « ابن الأثير » صاحب كتاب « المثل السائر » يقره على هذا الرأي .

والمستشرق الالماني المعروف «بروكلمان» يرى ان المتنبي كان يعتقد أنه فاق القدماء — وهو يقول في بعض قصائده « ان بابل لم تسمع بسحره » — ولا يقر بروكلمان المتنبي على هذا الرأي ويعده من قبيل الغرور الذي عرف به المتنبي ، والقليل من العبارات الشعرية الجميلة عنده تتوارى وراء البلاغة المتكلفة والمجازات الفارغة والمبالغات في المدح الرديئة الذوق ، وهو يذهب مذهب فون كريمر في تفضيل شعر ابي فراس على شعر المتنبي ، وبعد مرور سنوات على ابداء هذه الآراء عاد بروكلمان الى الحديث عن شعر المتنبي ومكانته ، وقال ان المتنبي قد أنمى في نظام القصائد البلور التي غرسها عظماء الشعراء في العصر الاموي ، وعمل على انضاجها بل انه تجاوز الحد في هذا الانضاج ، وانه كثيرا مايأتي بما ينبو عنه الذوق ، ويقول بروكلمان « قد نستطيع أن نعجب في الشعر القديم بنقاء الصورة التام برغم معانيه الاجنبية الغريبة عنا ، أما عند المتنبي فاننا نرى أن كل شيء قد شوه باستخدام فنون البيان والمجاز والتشبيهات المتكلفة غير المفهومة ، ويرى بروكلمان ان هذه العيوب في شعر المتنبي قد حملت الاوربيين على ان يصدروا احكاما قاسية على الشعر العربي برمته

وتناول المتنبي المستشرق الفرنسي « كلمنت ايوار » في كتابه من الادب

العربي ، وهو يرى أن شعر المتنبي قد لقى الكثير من الاستحسان ، وتعرض الكثير من حملات النقد في العالم العربي وفي العالم الاوروبي ، وقد ترجم بيتا للمتنبي في احدى قصائده التي اختص بها سيف الدولة ، وقد وجد ان هذا

البيت شديد التكلف غريب الاختراع ، واذكر للقارىء هذا البيت وهو في وصف حالة الخيل في احدى المعارك التي خاض غمارها سيف الدولة ، فالمتنبي يقول في وصف حالة الخيل :

في معرك ستر العيون غباره
فكأنما يبصرن بالآذان

المتنبي والمُستَشرقون

وواضح ان المتنبي يقصد ان الغبار الثائر في الجو حجب الرؤية ، وكانت الخيل في هذه الحالة وقد اظلم الجو تهتدي من طريق السماع من الاذن فكأنها كانت تبصر من طريق الآذن لا من طريق العين ، وهو وصف حالة محتملة ، وواقعية عادية ، ولكن الاستاذ ايوار يقول عنها ومن امثالها « هذه الاختراعات الثقيلة من مدعى النبوة ومعاصريه كان لها نجاح عظيم حتى اصبحت حاكمة مستبدة بالشعر العربي » ويبدو انه احس قسوة هذا الحكم فاشار الى أن الشرقيين هم وحدهم الاكفاء في تقدير ديوان المتنبي وان يفرضوا في ذلك رايهم .

وقد وقف المستشرق نيكلسون من ديوان المتنبي هذا الموقف ، وعنده ان الشرقي مولدا هو وحده الذي يستطيع ان يقدر ديوان المتنبي التقدير العادل ، ولذلك آثر نيكلسون الاعتماد على راى الثعالبي مؤلف كتاب « اليتيمة » في تقدير أدب المتنبي .

والمستشرق « كراتشكوفسكي » يقدر المتنبي بوصفه فنانا ولكنه يراه متكلفا ، وقد لحظ فيه صفات المفكر ، ولكنه عاب عليه بعده من الاحساس الصادق ، وهو مثل غيره من المستشرقين يفضل عليه ابا الفراس لبساطة اسلوبه ، ووضوح معانيه .

وكتب المستشرق « ريتيه باسيه » الى المستشرق بلاشير يقول « لا تستطيع برغم كل شيء الا ان تعد المتنبي ناظما عظيم المهارة ، يلعب بالكلمات والاساليب والتعبيرات بصورة تحير الافكار ، وحكمه الفلسفية ليست الا قضايا مطروقة » والحكم بأن حكم المتنبي ليست سوى قضايا مطروقة كما يقول هذا الباحث لا ينتقص قيمتها ، فليس المطلوب من الشاعر أن يأتي بالحكم الغريبة ، وحسبه ان يحسن التعبير من الحكمة المألوفة ويدل على صدق تجربته لها ، فالمتنبي حينما يقول معزيا سيف الدولة في فقد خادمه يماك .

وقد فارق الناس الاحبة قبلنا
واعيى دواء الموت كل طبيب

انما يقول شيئا مألوفا ، ولكنه في الوقت نفسه قد أحسن صياغته ودل على صدق احساسه بهذا الشيء المتعارف المألوف ، وربما كان من العنت أن نطلب من الشاعر أكثر من ذلك .

والمستشرق « كارا دى فو » يرى « ان للمتنبي حكما ذات ايجاز مؤثر ومعرفة بالنفس قوية » ، واعتمد المستشرق جب رأى بروكلمان في المتنبي واضاف اليه ان المتنبي احد خواتم شعراء العرب العظام .

وقد درس المستشرق الايطالي « جبر يلي » دراسة وافية ، وعني فيها بحياته بوجه خاص ، وقد استخلص ان المتنبي ظل في الحقيقة

أقرب الى الشعراء القدماء منه الى المحدثين ، ويرى هذا المستشرق ان ابطال شعر المتنبى لا ينبضون بحياة خالصة حرة حين يحبهم أو يكرههم ، فأين اذن قيمة شعره ؟ أفى المعانى ؟ انها ليست سوى ترهات ذات بريق كاذب ، أفى الفن باستخدام الخيال والتشبيه والمبالغة ؟ هذه كلها ليست سوى شعوذة عقلية ، والمقطوع به فى رأيه بعد قراءة الديوان هو أن القارىء يعجب اعجابا عميقا بمهارة المؤلف وما يبديه من الفن فى لغة عرفت بأن ثروتها لا تنفد ، ويصدر جبرييلى حكمه الاخير على المتنبى قائلا « لا نستطيع أن نعطى المتنبى فى الشعر العالمى الا مكانا متواضعا ، يختلف كل الاختلاف من هذا الذى أعطاه له الشرقيون والمتحمسون المعجبون من الاوربيين » .

وبعد فهذه آراء بعض كبار المستشرقين ومشاعرهم فى أدب المتنبى ، وقد اختلفت مواقفهم من المتنبى وأدبه ، فبعضهم اثنى عليه وأكبر عبقريته ، وفريق آخر عاب شعره وأخلاقه وفريق ثالث مال الى التحفظ ورأى ان الحكم الفيصل فى أدب المتنبى هم قراؤه الشرقيون ، والمستشرق

د . طه حسين



« بلاشير » يحبذ موقف الفريق الثالث ويقول « هل نستطيع نحن الاوربيين ان ندعى القدرة على الحكم بسداد على هذه الكتب التى فكر فيها مؤلفوها تابعين فيها مبادىء لا تتفق مع مبادئنا ، وألفوها بطرق تصطدم بكل طرقنا ؟ أليس الافضل أن نعترف بعدم أهليتنا وأن نقر - فيما يتعلق بالمتنبى - بأن ديوان هذا الشاعر مدين بنجاحه فى الشرق لاسباب تجعل شعره فى أغلب الاحيان يبدو تافها بالنسبة للوقنا » .

ونحن من غير شك نفيد من الوقوف على منهج العلماء الغربيين فى البحث ، ويعنينا أن نرى قيمة أدبنا العربى فى موازينهم ، وصورته فى مرائيهم ، ومعرفة وجهات النظر المختلفة تعين على جلاء الحقائق ، وتجنب الاخطاء والمبالغات ، وقد اختلفت آراء المستشرقين فى أدب المتنبى كما نعت كما اختلفت آراء نقاد العرب القدامى فى أدبه مثل الصاحب ابن عباد والعميدى والثعالبى وابن الاثير والحاتمى مما اضطر القاضى « عبد العزيز الجرجانى » الى تأليف كتابه « الوساطة بين المتنبى وخصومه » واختلف كذلك

النقاد الشارقة المحدثون فى تذوق أدب المتنبى وتقديره مثل الاستاذ « العقاد » والدكتور « طه حسين » والاستاذ « الجبرى » والاستاذ « المازنى » وغيرهم من نقاد الادب العربى المحدثين ، ويبدو لى ان آراء النقاد الشرقيين اقرب الى الاصابة وأدل على ذلك حسن التذوق من آراء الاساتذة الغربيين برغم مناهجهم العلمية وامعانهم فى الدراسة والاستقصاء ، وتقدير الآثار العلمية قد تضيق فيه دائرة

اختلاف الآراء ، ولكن تقدير الآثار الادبية يحتاج الى نوع خاص من التذوق ، وتجارب الحياة تدلنا على أن الشرط الاول لتذوق أدب أى لغة من اللغات يستلزم ان يكون الانسان قد أتقن هذه اللغة وهو فى المهد صبى ، والمتحدثون بهذه اللغة هم أقدر الناس على تقدير أدبها وتذوقه ، ولم يغب هذا الرأى عن الاساتذة الافاضل والعلماء الاماثل من المستشرقين



الدكتور عبد العزيز حجازى والى يمينه المهندس أحمد سلطان والى يساره الأستاذ يوسف السباعى فالمهندس سليمان عبد الحى ..

ندوة الهلال

عن الحوافز والإنتاج

إعداد
أنور المرصفى



ندوة الهلال

عقدت مجلة « الهلال » ندوة كبرى موضوعها « الانتاج والحوافز » حضرها الدكتور عبد العزيز حجازى وزير الخزانة والمهندس سليمان عبدالحى وزير النقل والمهندس احمد سلطان وزير الكهرباء والسيد / محمد على احمد وكيل وزارة العمل عن السيد / وزير العمل .

كما حضرها من قطاع النقل المهندس محمد البدوى فؤاد رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلى والسيد/ احمد صبيح رئيس مجلس ادارة شركة النيل العامة للنقل الثقيل والسيد/ رياض بخيت رئيس مجلس ادارة شركة النيل العامة لنقل البضائع والمهندس حسن رمضان رئيس مجلس ادارة شركة النيل العامة لاعمال النقل والمهندس محمود صولى رئيس مجلس ادارة شركة النيل العامة للنقل المباشر والمهندس كمال نجيب رئيس مجلس ادارة شركة النيل العامة للطرق والكبارى والمهندس محمود مختار وكيل وزارة النقل والسيد/ عبد الحميد صالح عضو مجلس ادارة شركة النيل العامة لاتوبيس شرق الدلتا لشئون الحركة والمهندس انور ابو حشيش عضو مجلس ادارة شركة النيل العامة لاصلاح السيارات .

الدكتور عبد العزيز حجازى وإلى يمينه المهندس احمد سلطان والدكتور مهندس محمود على حسن وإلى يساره الاستاذ يوسف السباعى فالمهندس سليمان عبد الحى فالاستاذ عبد الواحد الوكيل فالسيد محمد على احمد ..

كما حضر الندوة من قطاع الكهرباء المهندس عبد العزيز عبد النبى رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة لكهربة الريف والمهندس كمال حامد مدير عام المشروعات بمؤسسة الكهرباء والمهندس راشد مسعود رئيس مجلس ادارة الشركة العامة للمشروعات الكهربائية « ايجيكو » والمهندس محمد على حسين الاصفهانى رئيس مجلس ادارة شركة مصر للمشروعات الميكانيكية والكهربائية

ومن قطاع الصناعة الدكتور مهندس محمود على حسن رئيس مجلس ادارة الاتحاد العام للغرف الصناعية والمهندس حسنى حافظ رئيس مجلس ادارة شركة الكابلات الكهربائية والمهندس مصطفى القطان مدير عام المبيعات بشركة النصر لصناعة السيارات .

كما حضر الندوة ايضا المهندس صلاح القلش مدير عام الشئون العامة بوزارة الكهرباء والسيد/ سعيد عثمان مراقب العلاقات العامة بوزارة الخزانة والسيد / عبد المنعم زكى السكرتير الصحفى للسيد وزير الخزانة .

وحضر الندوة عن مؤسسة دار الهلال الاستاذ / يوسف السباعى رئيس مجلس ادارة المؤسسة والاستاذ عبد الواحد الوكيل العضو المنتدب للمؤسسة

والاساتذة / ابراهيم عامر وانور المرصفي ويوسف فكري وماجد عطية واحمد زكي عبد الحليم .

● موضوع الندوة ●

وقد حددت مجلة ((الهلال)) النقط التي يدور في اطارها حوار الندوة .. وكانت هذه النقط تتكون من :

● ماهو مفهوم الحوافز سلبيا او ايجابا بصفة ؟

● هل الحوافز بشكلها الحالي يمكن ان تحقق اهداف زيادة التنمية ؟.

● بعض القادة الاداريين في ممكنين من ممارسة الحوافز السلبية لصالح حسن الادارة وانطلاق الانتاج .

● ضرورة ايجاد برامج التدريب والتوسع في البعثات الخارجية حتى يقف العاملون على احدث اساليب الادارة والانتاج في الخارج ، لم تضع هؤلاء في اماكنهم الصحيحة بعد ذلك .

● هل هناك دراسات على مستوى الوحدة بالنسبة لحجم الاجور وحجم ونوع الانتاج ومدى تناسب الاجور مع الانتاج لمكننا من تحقيق حوافز ايجابية مناسبة ؟ واذا كانت هذه الدراسة موجودة بالفعل فلماذا لانمارس - على اساسها - نوعا من الحوافز التي تؤدي الى زيادة الانتاج بصورة افضل ؟

● لماذا تترك الوحدات تعالج الربحية من طريق زيادة الاسعار ، مع ان ذلك يؤدي الى عدم توافر ادارة علمية ويعطي صورة غير دقيقة للانتاج ؟

● هناك حديث عن ربط العمل بالانتاج ... وهناك تجارب واقعية اكدت سلامة هذا النظام .. فهل في الاعتبار تحقيق شكل من اشكال ربط العمل بالانتاج ؟.

● هناك ايضا كلام آخر عن تسعير الوظيفة لا العامل وتحرير العامل من روتين العلاوات والترقية بحيث يكون مجال التفوق والعمل هو الطريق الى الحصول على وظيفة عليا بدلا من روتين الترقيات والعلاوات .

● متى وكيف ولماذا نعطى كاس الانتاج

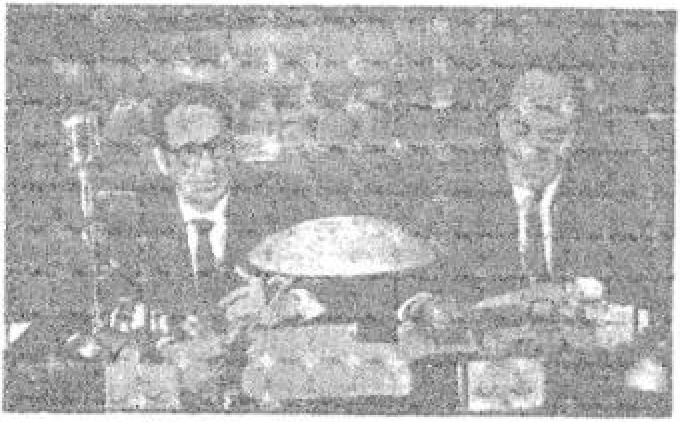
وقد افتتح الندوة الاستاذ يوسف السباعي بكلمة قال فيها :

- بسم الله الرحمن الرحيم - باسمي وباسم دار الهلال نرحب بضيوفنا ونشكرهم على ماتحملوه من مشقة من أجل الاشتراك في هذه الندوة .

وباسم الله نفتتح ندوة « الانتاج والحوافز » وارجو ان يتفضل السيد الدكتور عبد العزيز حجازي بالقاء كلمة الافتتاح .

الدكتور عبد العزيز حجازي :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الاخ يوسف السباعي السادة الزملاء .. يسعدني حقا ان التقي معكم الليلة في موضوع اعتبره من الموضوعات الاساسية اذا كنا نتحدث حقيقة عن دولة العلم والايمان ، فلا شك أن موضوع الحوافز والانتاج على راس الموضوعات التي يجب ان تكون نصب اعيننا في المرحلة القادمة ، ويكفي ان اقول دلالة على ذلك انه ماس خطاب من الخطابات الرسمية التي يلقيها المسئولون على كافة المستويات سواء من رئيس الجمهورية او رئيس الوزراء او الاجهزة الشعبية او الاجهزة السياسية او الاجهزة الادارية في كافة مستوياتها الا ويكون موضوع العمالة والحوافز والفائد البشري على راس هذه الموضوعات وبنظرة سريعة فيما يتضمنه بيان ٣٠ مارس وماتضمنه برنامج العمل الوطني



الدكتور عبد العزيز حجازى والمهندس احمد سلطان

الذى استمعنا اليه فى الايام الاخيرة الا ونجد من ضمن التوصيات بل على راسها توصية تتعلق بالحوافز وضرورتها فى مجتمع لاشك أن عماده الانتاج، وان امور التنمية فيه لابد وان تعتمد على وضع نظام للحوافز يكفل مزيدا من الكفاءة الانتاجية ، ومزيدا من الكفاءة الاقتصادية لهذا ليس عجيبا أن يكون هذا الموضوع محل اهتمام من كافة الدوائر سواء الحكومية او دوائر القطاع العام على حد سواء ، وسواء كان ذلك فى مجال الانتاج او فى مجال الخدمات ، لان هذا الموضوع يمس طاقة العمالة كلها التى تعمل فى كافة المجالات سواء اكانت فى الصناعة او فى الزراعة او المرافق او الخدمات ...

وقبل أن اضع بعض النقاط الرئيسية التى اود ان اثيرها فى هذا الموضوع ، اود أن اركز على بعض الحقائق الرئيسية فيكفينا أن نعلم مثلا ان حجم العمالة فى الجمهورية العربية المتحدة فى كافة القطاعات يصل الى مايقرب من ثمانية ملايين مشتغل وان حجم الاعتمادات المخصصة للاجور فى القطاعات الثلاثة الرئيسية « الحكومية والهيئات والمؤسسات العامة وقطاع الوحدات الاقتصادية » يزيد على ٧٢٠ مليون جنيه فى موازنة العام الحالى ٧١-١٩٧٢ ، وهذا لاشك يشكل جزءا كبيرا من الدخل القومى ويشكل جزءا كبيرا من الاعباء التى تتحملها وتؤثر بشكل او باخر على اقتصاديات الانتاج ، وعلى اقتصاديات الاداء فى الجمهورية العربية المتحدة ، وبالتالى لهما تأثيرها المباشر على نفقات المعيشة من ناحية وعلى امكانيات التصدير من ناحية اخرى لما بالنا بتأثير ذلك على تحقيق الكفاية الانتاجية وكفاءة الاداء بالنسبة لدخول الافراد فى حد ذاتها ؟.

● تكافؤ الفرص والدخول ●

وواصل الدكتور حجازى كلامه قائلا :
ولا تخلو دراسة ولا يخلو لقاء عند مناقشة الموازنة العامة للدولة من مطالب



المهندس سليمان عبد الحي في حديث مع الاستاذ يوسف السباعي

وتعليقات ثم تساؤلات من تكافؤ الفرص بل تكافؤ الدخول وتوازنها بين الافراد في مجالات العمل المختلفة .. وهذا هو التساؤل الحقيقي.. ففي مجتمع اشتراكي مخطط تشرف الدولة على الجانب الاكبر منه لنا أن نتساءل اليوم من ضرورة وجود الحوافز من عدمه ، اذ أن هذا الموضوع لا يصح أن يكون محل بحث بأي حال من الاحوال لانه في تخطيطنا لسياسة الاجر المقابل المادي او المعنوي الذي تمنحه لطاقة العمالة في بلدنا لابد أن تقوم هذه السياسة على أساس نظام الحوافز في بلدنا ، لكن في الواقع مايهمنا في هذه المرحلة هو لماذا لم نتمكن حتى الآن من أن نضع الانظمة المتعلقة بالحوافز موضع التطبيق العملي ؟ ثم ماهي المعوقات التي تحد من الحركة .. في مجال التطبيق العملي ؟ ثم ثالثا ماهي المتطلبات التي يجب أن تتوافر حتى يكون للحوافز تأثيرها المباشر وتأثيرها الفعال في مستويات الدخول من ناحية ، وفي نفقات المعيشة من ناحية أخرى ، وفي امكانيات تأثيرها على اقتصاديات السلع والخدمات ؟ وحتى نتحدث من هذه الجوانب لابد في الواقع أن نركز على اهمية الطاقة العاملة في قطاعات العمل المختلفة ، ثم نتحدث من الحوافز الخاصة بها ، وهذه تتوقف على مبادئه بسيطة نضعها امامنا ثم نراجعها ثم ندرس الى أي مدى أمكن تحقيقها في بلدنا ، وعلى ضوء هذا يمكن القول هل « الفرصة » جساهزة لتطبيق نظام الحوافز ؟.. وهل هناك امكانيات للتطبيق حقيقية او لا ..؟ ونحن لاناقش ضرورة الحوافز من عدمها .. لكننا نسأل .. اولا : هل لدينا في هذه المرحلة تحديد نوعي ومهني للوظائف بمعنى هل هناك توصيف كامل لنوعيات الوظائف المتاحة حاليا على المستوى القومي في كافة القطاعات ؟ ثم نوعية الشخص او المشتغل الذي لابد أن يشغل



السيد محمد على احمد والأستاذ عبد الواحد الوكيل

هذه الوظيفة ، وكثيرا مانردد النداء بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب تأكيدا لذلك .

● ما هو المكان المناسب ●

« وواصل الدكتور حجازى حديثه قائلا :

« اول نقطة هى هل هناك تعريف واضح ومحدد لوضوع الرجل المناسب فى المكان المناسب ؟

اقول أولا ماهو المكان المناسب .. ؟ وماهو توصيف هذا المكان المناسب ؟ ثم نتحرك فى الخطوة الثانية ... ما هو الرجل المناسب لامن الناحية الشخصية فقط بل من ناحية المواصفات أصلا وفى تعريفنا للرجل المناسب اقول صراحة ان هناك مدرستين يحدث فيما بينهما صراع الاولى تعتمد على الشهادة وتسعير الشهادات والثانية تعتمد على الخبرة وحدها ـ ونحن نعرف اننا فى مجتمع درجة الامية فيه كبيرة الى حد ما ـ او الخلط فيما بينهما اى ـ الشهادة زائد الخبرة ـ واسمحوا لى ان اقول لاول مرة اننى اعتبر ان الشهادة ماهى الا توصيف محدد تحديدا قاطعا ، فعندما اقول بكالوريوس هندسة مدنى على سبيل المثال فاننى اقصد مضمونا معينا لتأهيل له توصيف محدد ، وكثيرا مانسمع النداء بعدم تسعير الشهادات ولكن لابد أن يكون الشهادة نفسها مقدمات تعطينا توصيفا معينا يخدم وظيفة معينة .. الان اول نقطة اثرها .. هل نحن فى هذه المرحلة نضرب عرض الحائط بالشهادات وبمواصفات هذه الشهادات ؟ بالتالى نقول بأن نضع وظائف ثم نبحث عن اشتراطات جديدة سواء كانت بالمؤهل او الخبرة او المؤهل والخبرة معا ، واعتبر ان الخط الاول للتوصيف هو ان يكون لدينا على الاقل توصيف واحد يعتمد على الشهادات المتاحة باعتبار ان الشهادة لاتعبر عن مؤهل عملى ؛ لكن

ندوة الهلال

عن الحوافز والإنتاج



الدكتور عبد العزيز حجازى

تعبر عن مواصفات محددة فى صورة موضوعات أو محتوى تأهيل تعليمى معين ثم ثانيا توصيف الخبرة لاننا فى مرحلة ربما لابد أن نعتمد فيها على خبرات معينة وليس بالضرورة أن يكون لهذه الخبرة مؤهل يجمعها ، أى لابد أن نعترف بتوصيف الخبرة وتحديد مجال هذه الخبرة وعدد سنوات هذه الخبرة .

والنقطة الثالثة هي أن نبحث عن معادلة تربط ما بين المؤهل العلمى ، باعتباره وصفا لمضمون تأهيل وتعليم معين وبين الخبرة باعتبار أنها تعبر عن محتوى عمل واداء معين ، لعدد من السنوات ، ولابد من تحديد معدلات الاداء . واعترف بان هناك جهدا كبيرا قد بذل فى القطاع العام على وجه خاص فى توصيف الوظائف وتعريفها وتحديد الاشتراطات وان هناك محاولة لتوصيف الوظائف فى القطاع الحكومى ينتظر أن تنتهى فى ديسمبر ١٩٧١

● قاعدة الحوافز ●

وقال أيضا :

ولكن من التطبيق العملى أن ننتفع انتفاعا كاملا من هذا التوصيف النوعى والمهنى والذى يحدد المستويات بحيث يمكن أن نعتمد عليها فى المرحلة الثانية وهى مرحلة التقييم التى نستخدمها ،بعد ذلك المرحلة الثالثة وهى دراسة موضوع الحوافز . اذ لايمكن أن نتحدث عن الحوافز من غير أن نتحدث عن القاعدة التى تبنى عليها هذه الحوافز وهذه القاعدة تتلخص فى مبادىء بسيطة ... وظيفة معرفة محددة معالمها واشتراطات واضحة وتقييم لهذه الوظيفة ومعدلات للاداء ، ويمكن على ضوء هذه المجموعة من العناصر أن تدخل فى طبيعة الحوافز سواء كانت هذه الحوافز مادية أم معنوية .. ويمكن القول من خبرتنا العملية ومن خلال تجربتنا فى الموازنة العامة للاجور

ومن خلال مناقشتنا لتقييم الاداء ومن خلال ماتسمع من فائض العمالة في القطاع الحكومي أو القطاع العام وماتسمع من سوء توزيع العمالة وماتسمع من فرض العمالة على بعض القطاعات جبرا ، وتطبيقا لمبدأ العمالة الكاملة ، كل هذه العناصر تبين لنا الحقيقة وهى أنه ليس لدينا موازنة تخطيطية عملية للاجور وبالتالى للوظائف المرنة والمحددة فعالها والمخطط لها مستويات واشتراطات بحيث يمكن القول بأنها مقيمة تقييما سليما يمكن على ضوئه أن ننتقل الى الكلام عن الحوافز ، لأنه اذا كانت القاعدة غير موجودة فالكلام عن التوابع الخاصة بها لايمكن ان يكون علميا .

● بعض الامثلة ●

ثم قال : ـ

وأورد هنا بعض الامثلة .. فمنذ ثلاث سنوات ونحن نتابع الموازنة العامة للاجور فى الدولة وجدنا فى أول سنة وفرا قدره ٢٠ مليونا من الجنيهات . فطلبت البحث عن أسباب هذا الوفر .. وهل هو وفر فى الكفاية أو نتيجة خطأ فى التقديرات أو نتيجة عدم وضع موازنات تخطيطية للاجور كما يجب أن يكون ، أو هو خطأ نتيجة عدم وجود معدلات بنيت عليها احتياجات الوظائف . وفى الحقيقة وجدنا كل هذه العناصر موجودة اذن اين القاعدة التى ستبنى عليها نظام الحوافز ! واين القاعدة التى ستعرف منها احتياجاتنا على مستوى الوحدة واحتياجاتنا على مستوى الدولة ! وهذا بالنسبة للقطاع الحكومى ، أما بالنسبة للقطاع العام فقد وجدناه موصفا الى حد كبير بناء على الدراسة والعلم ، الا ان هناك نداء ملحا من العاملين بالقطاع العام بأن نطبق عليهم بعض المعايير والاساليب التى نستخدمها فى الحكومة كتطبيق الاصلاح الوظيفى والرسوب الموجود فى الحكومة ، ونحن نرد عليهم بأن عندهم مستويات محددة المعالم ولايصح أن يخرج القطاع العام عن هذا الاطار العلمى المرسوم .. وهكذا سنجد انفسنا فى النهاية امام مشكلة رئيسية وهذا هو التساؤل الرئيسى اذا كنا نبحث عن العلم ، ماهو الخط الواجب أن نعتمد عليه بغض النظر عن الفلسفة الخاصة بضرورة تعيين الخريجين لان هذه الفلسفة هى فى مواجهة مشكلة اجتماعية لابد أن تتحملها الدولة بصورة أو بأخرى اذ لابد من الانتفاع بهذه الطاقات بطريقة أو بأخرى دون أن تؤثر على كفاءة الاداء فى القطاعات سواء كانت اقتصادية أو حكومية .. لان تساؤلنا هو الآن .. ماهو الاطار الذى لابد أن ننتبه قبل الكلام عن موضوع الحوافز ومقوماتها بحيث لايكون اطارا نظريا ولكن اطارا عمليا حتى اصل الى القواعد التى تبنى عليها نظام الحوافز !

.. أولا ـ لدى ٢٠ مليون جنيه وفرا فى الباب الاول وفى كل عام اوفر من الوظائف التى ليس لها داع لم اضيق الخناق على حجم العمالة فى الموازنات التخطيطية

ثانيا ـ كلما ضيقت الوضع أجد أن العمل يسير لكن اجد ان حجم العمالة ونوعيته بيداوينكمش فى القطاعات الى أحجام جديدة فى السنوات الثلاث .وفى سنة ١٩٧٢ تقريبا ستقضى على الوظائف والدرجات التى يكون عبئها حوالى ٢٠ مليون جنيه .. وكلما ضيقنا الخناق فمعنى ذلك اننا نحصر مجال العمل فى عدد من الوظائف فى نوعيات معينة وهى حاليا ليست محددة مثل الدرجات الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة .. والخطوة الثانية أن نعمل حصرا وظنيا نوعيا على مستوى الدولة للاشخاص



المهندس محمد البديوى فؤاد والسيد أحمد صبيح

الذين في مواقع العمل في هذه الوظائف حسب طبيعتها .. ولاول مرة نستخلص من هذا الحصر نوع الاشخاص الذين يشتغلون من حيث مؤهلاتهم وخبراتهم وأى المواقع يوجهون اليها لانه لايمكن أن نتحرك في معدلات اداء او رفع الكفاية الانتاجية

الا اذا عرفنا اين نقف وماهو هدفنا من وراء العملية استطيع أن أحصر حجم العمل في نوع معين من الوظائف ..ونوعا ومؤهلا وخبرة ومستويات واعداد .. السؤال الثاني .. ماهى معدلات الاداء التى نخرج بها من خلال مشروعات ميدانية

لبعض الوظائف النمطية ، ثم نراجع هذه المعدلات على الوظائف القائمة حتى تحدد خط الحركة ، نحن لانستطيع أن نفصل أو نغير مواقعهم بسهولة ولا نستطيع بين يوم وليلة أن نخلق جيلا يحل محل

الجيل القديم ، لابد وأن تكون هناك خطة طويلة الاجل ، وسيحدث نتيجة لهذه الدراسة ثلاثة أمور لكى ابنى قاعدة يمكن لى بعدها أن اتكلم عن الحوافز .. وهذه الادوار الثلاثة هى : —

● انسان معرف يصلح لشغل الوظيفة من حيث مؤهله وخبرته .

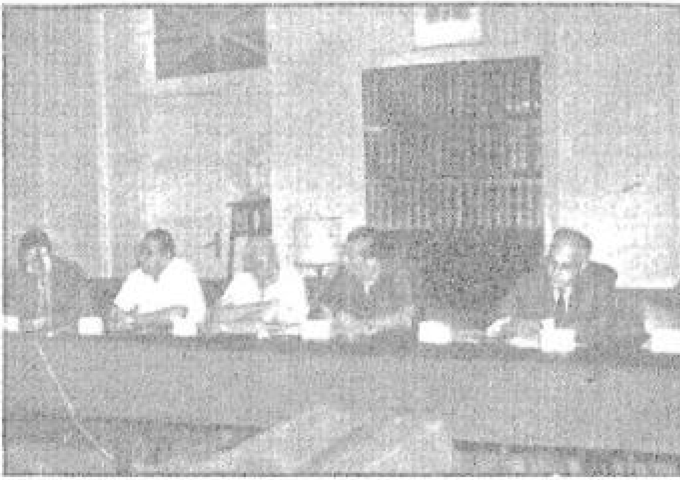
● انسان اكتسب خبرة في وظيفة بغض النظر عن المؤهل ، ويمكن بعمليات تأهيل وتدريب ان يصل الى مستوى كفاءة بحيث يمكن ان نقول بانه الرجل المناسب في المكان المناسب او الوظيفة المناسبة .

● وهذا هو اخطر جزء .. عمالة تشغيل بوظائف لا تتناسب لامن حيث النوع ولا من حيث الاشتراطات او الخبرة او المؤهل لشغل الوظيفة ، وهذه لابد ان يحدث لها عملية تحرك .

● الجهد والعمل ●

ثم قال : —

كل هذا لكى أتحرك للبناء الذى يمكن ان ابنى عليه نظام الحوافز وهو وظيفة معرفة ، وتشخص محددة معالم نشاطه ومؤهلاته . ويمكن على ضوء هذا قياس العمل سواء فى وحدات زمنية او وحدات انتاجية ثم مستويات الانسان الذى يشغل



من اليمين الى اليسار المهندس حسن رمضان والسيد رياض بخيت فالمهندس محمود كمال طه نجيب فالمهندس محمود عوني فالمهندس محمـــود مختار ..

هذا العمل .. ومن هنا نستطيع أن نربط بين الجهد والعمل ، وبين قيمة هذا العمل .. ان الحوافز لايمكن ان تبدا من فراغ بل يجب أن تبدا بمستوى كفاءة معين لم يكون هناك شيئان . هدف بعيد المنال ، وهدف عملي قريب ، الا لايمكن ان تبدا في الحوافز من منطلق نظرى بأن النظر الى المعامل الانتاجيــة في السويد أو في امريكا مثلا ، واطبق ماتتبع ، ان الواجب ان تبدا في اى نظام للحوافز سواء الحوافز الفــردية او الجماعية من منطلق محدد فيه مستوى اداء معين ، ولكن كيف يأتى هــذا المستوى من الاداء ؟ يمكن القول انه يأتى على مستوى الوحدة التنظيمية اذا كانت شركة أو مصلحة أو حتى اذا كانت ادارة نمطية متكررة .. هذا المستوى لايصح ان يكون نظريا ولا يصح ان يبعد من مناخ التطبيق .. فلدى مجتمع عمالة من نوع معين وفي ظروف اجتماعية معينة ، كما ان مكونات المصنع او الوحدة الانتاجية سواء من حيث الميكنة او العمل اليدوى او الظروف الاجتماعية داخل الوحدة او امكانيات الادارة أو مستويات الادارة كل هذا يؤثر على مستوى الاداء في داخل الوحدة .. الن لابد ان يكون التعريف الخاص بالوظيفة وتحديد الاشتراطات من حيث المؤهل والخبرة والدخول في تحديد المستوى مرتبطا بالواقع ...

● في مواقع العمــل ●

وقال الدكتور حجازى ايضا :

واعطى مثلا على هذا .. اذا كان هناك ثلاثون شركة غزل لايمكن أن اختار مجموعة منهاواعمل لها دراسات للزمن والحركة لم افرضها على بقية الوحدات الانتاجية الا ان هذا يكون نظريا . فلابد أن اخلــق مستويات الاداء التى ابنى عليهــا نظام الحوافز ، وذلك من واقع ظروف الوحدة الانتاجية ومكونات العمالة فيها .. هذا العمل ليس عملا محاسبيا وليس اقتصاديا او احصائيا أو هندسيا او اجتماعيا أو نفسانيا .. ولكن هو في الواقع مجموعة

هذه العوامل مشتركة فيما بينها ولابد ان تكون الدراسة واقعية في الموقع وتكون من ظروف الموقع نفسه .. ان المكتب مليئة بدراسات الامن والحركة وتبسيط الاجراءات وغيرها ، ولا ينظر اليها من برج عاجي ولكن طبقا لظروف موقع العمل الخط الاول هو تحديد مستويات الاداء في مواقع العمل كل على حده .. ويؤسفني ان اقول على حد علمي ان هناك قصورا كاملا في مثل هذه الدراسات والسبب في هذا امران : الاول هو النظر الى هذه الدراسات على انها ستوجد نظام رقابة وتؤدي الى كشف اخطاء ومسائلة وحساب وجزاء لكن ينبغي ان تنظر الادارة الى مثل هذه الدراسات على انها تخدمها وعلى انها ستعود عليها بالخير وان تضع نفسها في هذا الموضع الذي تدفع فيه بمثل هذه الانظمة .. هذا هو الامر الاول .. اما الامر الثاني فان هناك تعصبا مهنيا فرديا بين الفئات التي تعمل في داخل الموقع .وكما قلت هذه عبارة من دراسات اجتماعية هندسية محاسبية اقتصادية .. فاذا وكلنا مثل هذه الدراسات الى فئة معينة مثل المحاسبين او المهندسين فقد يحدث نوع من التضارب بين هذه الفئة وبين الفئات الاخرى لان المطلوب هو كيف تجمع هذه الكفاءات المشتركة التي تكون ادارات الكفاية الانتاجية او يجب ان تكون مجموعات الكفاية الانتاجية . وينبغي ان نعلم ان هذا العمل غير مؤقت ، فلا يمكن ان نحضر خبراء من الخارج يقومون بعمل دراسة ثم يذهبون الى حال سبيلهم ان مايجرى في مصانع الغنب شيء اخر فهي تقوم بعمل الدراسات بصفة مستمرة وتتابع نتائج التنفيذ وتأخذ من حصيلة هذه النتائج لتبنى نتائج جديدة ، وهذا هو الجانب الاول وكيف نقنع الادارة بأن هذا العمل في خدمتها قبل ان يكون رقابة عليها او كشفا لاخطائها او محاولة لمحاسبتها .

الدكتور مهندس محمود على حسن فالمهندس
عبد العزيز عبد النبي فالمهندس كمال حامد



● كيف نخلق هذا الجيل ●

ان الجانب الثانى يتمثل فى كيف نخلق هذا الجيل المتكامل الذى يمثل دراسة اقتصادية فنية مالية بحيث ان هذه الفرق تحتاج الى تدريب وتأهيل ومتابعة لكى تعمل فى كل المواقع على مستوى الجمهورية .. والخطوة الثالثة بعد ذلك فى المؤسسات الاقتصادية التى تشرف على مجموعة من الوحدات النوعية والتى تعمل فى نشاط معين كقطاع الغزل مثلا .. فبدلا من ان تقوم هذه المؤسسات بالنظر فى الترقيات او التعيينات او الخلافات او تدخل فى ادارة شركات ، والمطلوب منها ان تجمع وتدرس الخبرات الخاصة بالدول المختلفة فى هذا المجال من النشاط ، وان تدرس كيف نقاس معدلات الاداء فى مثل هذا النوع من النشاط ، وكيف يمكن ان تضع دليل العمل الخاص بحساب معدل الاداء .

.. اقول صراحة ان مثل هذه المهمة نترك امر العناية بها عندنا للجهاز المركزى للمحاسبات او الرقابة الادارية وربما وزارة التخطيط اووزارة الخزانة وتمثل هذه الجهات بعيدة كل البعد عن مواقع العمل الفعلى .. ان اقرب المواقع الى العمل فى الوحدات الانتاجية هى المؤسسة النوعية فهى التى ينبغى أن تدرس مشاكل وحداتها وظروفها وبالتالى يجب ان تتحول المؤسسات الاقتصادية الى بيوت خبرة فى الدراسات التى يجب ان تجرى دراسات مقارنة محلية ودولية ، ومن غير هذا ومن غير معدلات الاداء يصعب علينا ان نتحدث عن المرحلة التالية بتحديد نوع هذه الحوافز مادية او معنوية ، للفرد او للمجموعة ، لوظيفة ما او لكل الوظائف ، لرجال الادارة العليا والعاملين فى المواقع من الغفير الى المدير بل كل الطوائف المعنية .. لابد من وضع خطة وبرنامج زمنى وان نبدا بنوعيات من الوظائف التى يكون لها تأثير على الانتاج ، لان الاساسى

المهندس محمد رضا مدبولى والمهندس محمد على حسين الاصفهانى



ندوة الهلال

عن الحوافز والإنتاج



المهندس سليمان عبد الحي

هو الانتاج أى لابد ان أركز على الوظائف المباشرة ألتى تتعلق بالانتاج ، اما الوظائف التى لاتتأثر زيادة ونقصا بحجم الانتاج فيعمل لها نوع من الدراسات الخاصة بالكفاية الانتاجية .

● اطالب بالآتى : ●

لذلك فانى اطالب بالآتى : — وقد سبق أن قلت فى ندوات سابقة أن الموازنة عندما تعتمد وتوضع ترسل الى المراقب المالى ولا ينظر اليها نظرة شاملة حتى فى نهاية العام عندما تناقش فى الجمعية العمومية «الختامية» فان هذه الموازنة التخطيطية للعمالة لاتأخذ الاهمية الكافية .. ومايتطبق على الاجور يمكن أن ينطبق على العناصر الاخرى ، اذ لابد أن تنزل الى الوحدات الاقتصادية الى أدنى مستوى الى الورشة أو المكتب او ورشة الصيانة أو متبسس الانتاج المختص والى كل رئيس وردية والى كل رئيس مسئول ، فان كل شخص مسئول عن مجموعة من العمال ذات نوعيات معينة

وفى نفس الوقت هناك عمل مطلوب اداؤه من هذه المجموعة تحت اشرافه بالتالى يمكن عمل المحاسبة على هذه الصورة حسب نتيجة العمل ، وقد رأيت فى بعض المصانع فى الخارج ان نتائج هذا العمل تعرض اسبوعيا وذلك لتقرير الحوافز وابسطها الحافز المعنوى بأن توضع قائمة فى نهاية الاسبوع بأسماء اوائل المنتجين فى العنبر وهذا يوجد نوعا من الحماس لان هناك معاملات من الكفاية الانتاجية ، وينعكس هذا عند صرفية الاجور .. ومعنى هذا اننا لابد ان ننزل بالموازنات التخطيطية للاجور الى التجمعات الوظيفية .. أن الاسطى فى الورشة عندما تحدد له مسئولية العمل ونقول له ان الاول والثانى والثالث يحصلون على شهادات تقدير أو شهادات استثمار او الخ فان على هذه مسائل قياسها سهل واذا كنا لانريد ان نبتدع فهناك عشرات ومئات من الطرق المطبقة ، وكل قطاع

له طريقة معينة للحسابات بالانتاج او معاملات الوقت او بالاثنين معا .. بالفرد او مجموعة الافراد .. الخ واسمحوا لى

ان اقول انه اذا لم ننزل الى العامل فى موقعه واذا لم نحمله مسئولية الاشتراك

فى تحديد هذه المعاملات ونسجل ونتابع هذه الحقائق فاننا لن ننجح فى وضع

النظام السليم للحوافز ، وللاسف فى كثير من النظامات نجد ان الحوافز تصرف

بطرق ابعد ماتكون عن العلم وعن الايمان بنتيجة التطبيق او بنتيجة العمل .

● حتى لا نقع فى التناقضات ●

وواصل الدكتور عبد العزيز حجازى كلامه فقال :

من هنا فان الموضوع فى رأيى من اخطر الموضوعات بسبب انه فى حالة

مااذا وضعت معدلات ليست بالمستوى المعقول والمناسب ، ولم تكن مقومات

دراستها علمية تكون مدعاة الى التناقضات العمالية والى انخفاض الانتاجية ومانسمع

عنه من اضرابات خاصة فى الدول الراسمالية لهذه غالبا ماتكون بسبب أن معاملات

الانتاج بين العامل وصاحب العمل غير موضوعة على أساس علمى ، فاولا ان

الايمان بالحوافز امر لايحتاج الى بحث الا ان موضوع الحوافز لابد ان يرتبط

بالانتاجية والكفاءة وثانيا ان الانتاجية والكفاءة ليست شعارات ولكنها قياس علمى

ونطى للاداء وتوصيف وتعريف لحقائق . فلنسأل انفسنا اذا وجدت الحقائق

كان بها ، واذا لم توجد فلنتحدث عن الحقائق قبل أن نتحدث عن الحوافز..

واخيرا لايمكن لنظام الحوافز ان ينجح الا اذا حدث نوع من النزول بالحقائق الى

المستويات الدنيا وآمنت الادارة فى مستوياتها المختلفة ، واننى لا احمل مسئولية هذا لرئيس مجلس الادارة او

المدير العام بل احملها لكل المديرين والمسئولين فى كل المواقع وعلى كافة المستويات .. اذن لابد ان ينزل هذا

الكلام الى المستويات الدنيا لكى تبنى على معدلات واقعية يؤمن الناس بها ومن غير هذا لاينجح نظام الحوافز .

● ما هو طريقنا .. ؟ ●

ثم قال :

ان طريقنا اما ان نعمل نظريا ونستجلب خبراء من الخارج للقيام بعمل دراسات

للزمن والحركة ووضع معدلات أداء ، واما أن نبدأ من الوضع الفعلى اى بالموجودين

فيه وهذا الاخير هو الطريق السليم فانا مقتنع بالمثل الذى ذكرته بالنسبة للحكومة،

فبناء على خبرتى العملية فى التطبيق ـ أيام كنت أمارس العمل فى مكتبى الخاص

ـ أن الناس تقتنع عندما تبين لها الحقائق فلابد ان نحصر حقائق الامور ، ما يمثل

منها انتاجا وما لا يمثل ، ولابد من حصر الفاقد البشرى الذى يمثل الضياع الحاصل

بنتيجة وجود عمالة لا تؤدى عملا ، ثم بعد ذلك ننتقل فى المرحلة الثانية الى العمالة

التى تؤدى عملا ونبحث ما اذا كانت تؤدى هذا العمل بكفاءة وما هو قدر هذه الكفاءة .

ثالثا : نبدأ فى خلق الجيل او المدرسة الفنية ولا أعنى بكلمة فنية المهندس او

الكيماوى .. الخ . ولكننى أعنى فنية الكفاءة الانتاجية ولم اسمع ان ارى

الجامعات تخرج المهندس الاقتصادى او المحاسب المهندس اى خليط من الكفاءة

الزوجية .. وتوجد بكليات الهندسة شعبة للانتاج ، الا أن عدد خريجى هذه

الشعبة قليل ولا يفى الا بنسبة قليلة من احتياجات المصانع والمؤسسات .. ان

الفاقد الموجود يقدر بملايين الجنيهات ولابد ان نحسب احتياجاتنا من مهندس الانتاج

أو ما شابه ذلك من تخصصات تساعد على تقليل هذا الفاقد .. وعلى سبيل المثال اذا أمكن تحقيق وفر بنسبة ١٪ من الاجور فان هذا الوفر سيبلغ حوالى سبعه ملايين من الجنيهات واما اذا أمكن تحقيق وفر بنسبة ٢٪ فان هذا الوفر يقدر بـ ١٤ مليونا من الجنيهات .. وهنا اتساءل هل يمكن حقا أن نحقق وفرا بنسبة ١٪ ٢٪ اعتقد يمكن تحقيق هذا عندما يكون لدينا الجيل الذى يستطيع أن يضع هذه المعايير والمعدلات موضع التنفيذ .ولقد بدأنا على الطريق فهناك ترتيب وهناك توصيف وتقييم . وبدأنا فى عمل ميزانيات اداء وهناك محاولات جادة فى بعض المواقع تقاس فيها الانتاجية بأنها علاقة الاجر بالانتاج لكن المطلوب هو كفاءة الاداء من ناحية الامن ومن ناحية الانتاج ولقد بدأنا على الطريق فى بعض المواقع ونحن نريد الآن أن نطور وأن نحدث تغييرا جذريا فى الوحدات الاقتصادية بحيث تصبح خلايا للبحث والدراسة المقارنة وتكوين هذا الجيل بما يدفع الادارة الى تطبيق نظام للحوافز يتفق وظروف هذه الوحدة .. لقد تعمدت من حديثى ان أفتح المجال الى قبل الرد على أى تساؤلات لابد ان نعرف اين نقف .. والان أنتقل الحديث الى الاخ سليمان عبد الحى والاخ أحمد سلطان وهما مهندسان ولابد انهما يؤمنان بالكفاية الانتاجية وسوف ينقلان لنا خبرتهما من واقع العمل كما شاهداه فى موقعهما .

المهندس سليمان عبد الحى :

• بسم الله الرحمن الرحيم • بعد الشرح الوافى الذى تفضل به السيد الدكتور عبد العزيز حجازى وهو الاستاذ المحاضر الدقيق الملم باطراف الموضوع وقد عاشه نظريا وعمليا . لم يبق لنا الا النذر اليسير لتكملة الموضوع .. لقد ذكر سيادته انه لكى نبدأ نظام الحوافز يجب أن نعد الفرصة المناسبة .. وهذا كلام علمى وعمل حقيقى وقد تفضل وشرحه لنا وكذلك التوصيف والتقييم واعداد الجهاز المتمكن من هذه العملية ثم أشار الى انه قد تم هذا العمل فى القطاع العام وفى الشركات ، وان مثل هذا العمل سيتم فى الجهاز الحكومى قبل نهاية هذا العام .. وأود ان اذكر ان اى حافز يجب أن يسبقه العامل النفسى للعامل الذى يعمل فى المؤسسة او الوحدة الاقتصادية فهل وصل بنا التوصيف وتقييم الوحدات الاقتصادية فى القطاع العام الى المستوى المطلوب الذى نرضى به ؟ ومما لا شك فيه أن العاملين فى أى شركة ليسوا منقطعين عن العاملين بالشركات الاخرى ، وهنا اذكر عاملا أساسيا وهو اذا لم يكن هناك نظام لتوصيف وتقييم يكاد يكون متماثلا بين هذه الوحدات الاقتصادية فسيستمر العامل النفسى مؤثرا وسيستمر القلق النفسى بين العاملين فى هذه الوحدات وسيكون أثر الحوافز بعد ذلك اذا ماطبقت قليلا أولا يؤدى الى النتيجة الكاملة واضرب لذلك مثلا ففى الفترة منذ عام ١٩٦٩ كانت هناك بعض الانظمة الناجحة فى الدولة كالسد العالى وقناة السويس ،فمثلا نجد بالنسبة للسد العالى أن نظام الاجور فيه قبل الحوافز يختلف اختلافا كليا عن الانظمة فى الحكومة والوحدات الاقتصادية المجاورة ، وقد ظهر هذا حيث قدمت شكاوى من ان العاملين فى الحديد والصلب يتحايلون لكى يذهبوا للعمل فى السد العالى ومهما زادت الحوافز عندهم فلن تؤدى الى نتيجة لان بجوارهم عاملا نفسيا آخر قد ساعد على هذه العملية وهو الارتفاع الكبير فى أجور العاملين بالسد العالى عن أقرانهم بالوحدات الاقتصادية

الاخرى .. وقد لاحظنا أن بعض الوحدات الاقتصادية التى تراعى العاملين ، بها عدة نواح اجتماعية كتوفير الاسكان وخلافه ان هناك محاولات من العاملين فى شركات اخرى لكى ينتقلوا اليها وبالتالى يستمر القلق النفسى فى هذه الوحدات .. ولذلك فاننى ارى انه يجب أن نضع فى اعتبارنا محاولة وضع النظام الذى يحقق الكثير من العدالة بين هذه الوحدات ولا اقول بأن يكون نظاما نمطيا لان طبيعة العمل فى شركة قد تختلف عن طبيعة العمل فى شركة اخرى ، على أن يوضع فى الاعتبار ان العامل الذى يتقاضى عشرين جنيها فى وحدة اقتصادية يجب أن تتماثل مسئوليته وحجم العمل الذى يؤديه مع زميله الذى يتقاضى نفس الاجر فى وحدة اقتصادية اخرى .. وهناك مثل فى السكك الحديدية فاننا نجد ان معاون المحطة بالثانوية العامة يعين فى نفس الدرجة التى يعين فيهـا زميله فى مصلحة حكومية اخرى فى حين

ندوة الهلال

عن الحوافز والإنتاج

ان هذا المعاون يعمل فى بعض المحطات اثنتى عشرة ساعة دون ان يحصل على اجر اضافى وزميله الذى يعمل فى مكتب يعمل ست ساعات فقط ، وقد يحصل على أجر اضافى فمن الطبيعى ان يؤثر هـذا على نفسية عامل السكك الحـديدية وبالتالى يؤثر على انتاجيته حيث يصبح غير مقتنع بهذا الاسلوب وفى هذه الحالة لن يفيـد اى حافز فى زيادة انتاجيته .. فالنقطة الاولى اذن لابد أن تراعى الناحية الروحية والنفسـية فى العمالة بالوحدات الاقتصادية المختلفة التى أشار اليها السيد الدكتـور عبد العزيز حجازى ، فانا لابد أن نعد الفرصة المناسبة ، بعد ذلك يمكن النظر الى الحوافز وقد افاض فيها الدكتـور حجازى حيث ذكر اهمية المعدلات وكيفيـة عملها .. ان الشائع فى كثير من الجهـات ان نظام الحوافز المعمول به حاليا لايرتكز على أساس علمى ولا أساس تطبيقى بحيث يمكن القول بأن العـاملين بالوحـدات الاقتصادية يعتبرون أن الاجر الشـهرى الذى يحصلون عليه هو مقابل مجـرد تنازلهم بالحضور الى مكان العمل . وفيما عدا ذلك يطالبون بأجر حافز على كل عمل آخر يقومون به لاننا نزلنا بنظام الحوافز حتى وصلنا الى ان العامل قليل الانتـاج يحصل على أجر حافز وفى بعض الجهـات وصلت اجور الحافز الى ١٢٠٪ من الاجر الاصلى وهذا غير معقول لان أجر الحافز هو ما يدفع نظير زيادة الانتاج عن المعـدل النمطى المقرر فالاجر المقرر اذا كان سليما فانه يوازى المعدل النمطى للانتاج . فاذا اسرفنا فى هذه الحوافز فانها ستؤدى الى عكس الهدف والى التكاسل والى قـلة الانتاج وفى بعض الاماكن عندما تم تحديد الحوافز بـ ٥٠٪ فقط بحـد اقصى قل الانتاج ، مع أن العمل فى هذا الوقـت

يمكن أن يؤدى ضعف حجمه بالجهد العادي وللاسف فاننا نجد فى بعض الورش أنهم يعطون اجرا حافزا بنسبة ١٠٠٪ لجميع العاملين مع أننا لو حسبنا انتاج العامل متوسط القدرة فان العامل الممتاز لا يمكن ان يزيد انتاجه عنه بنسبة ١٠٠٪ وعند زيارتى لمصنع مرسيدس فى ألمانيا وجدتهم يعطون حوافز ولكن بنسبة ١٠٪ ووجدت أن الذى يقرر اعطاء الحافز هو الملاحظ وليس رئيس مجلس الادارة كما هو حادث عندنا ، والحد الاقصى لاجر حافز هناك لايزيد على ١٠٪ لان المعدل محسوب اساسا بدقة ومقدر تقديرا سليما كذلك فاننا لو راعينا فى الحوافز الاغراء للعامل فقد يؤدى ذلك الى اهلاكه صحيا وعدم الاستفادة منه مباشرة كما يحدث بالنسبة لسائق اللورى فى البضائع فانه يعمل ٢٤ ساعة لكى يحصل على أجر حافز مما يؤدى الى كثرة الحوادث .

المهندس احمد سلطان :

فى الحقيقة بعد الكلام الذى تفضل بالقائه السيد الدكتور عبد العزيز حجازى، ترك لى شيئا بسيطا وهو فى واقع الامر على شكل اسئلة . اولا هل فى الدول الاشتراكية نظام الحوافز موجود وضرورى او لا ؟ اذا كان ضروريا فمتى نبدأ فى مصر تطبيق نظام الحوافز خصوصا بعد ما سمعنا أنه ليس عندنا مقومات ولا مؤشرات تساعد فى وضع نظام الحوافز .

.. والحوافز كما تعلم عبارة عن حوافز ادبية ، وحوافز سلبية وحوافز ايجابية ... واذا اخذنا بنظام الحوافز ، لاى نوع منها نبدأ تتفتح عناصره .. وأرى ان نهتم من الآن بالحوافز السلبية أى العقاب الى ان يكون هناك نوع من الانضباط ، فلم تبدأ دولة اشتراكية فى أول عهدها بتطبيق الحوافز الايجابية فقط ففى روسيا لم يبدأ تطبيق الحوافز الايجابية الا فى الستينات، وأعتقد ان القطاع الذى ينبغى أن نعززه ونكثر فيه من نظام الحوافز هو القطاع الزراعى .

الاستاذ يوسف السباعى :

هناك نقطة بسيطة أود أن اتعرض لها ، اذ قبل الدخول فى عملية الحوافز لابد أن يكون هناك حد ادنى للعمل .. هناك وجهان للعمل . ان يكون هناك عمل يؤديه الانسان ويؤدائه له يقدم للبلد شيئا . وهذا أجر . لقد حدث عندنا خلط بين الوجهين الى حد كبير . ونحن كدولة اشتراكية نجد من حقنا أن نوفر لكل انسان



المهندس حسني حافظ فالمهندس مصطفى القطان فالسيد عبد المنعم زكي

حقه في العمل ونعطيه الاجر الذي يجب ان يعيش به كانسان وهذا هو حقه في الدولة الاشتراكية . الا انه حدث في كثير من الميادين ان اعطى اجر بلا عمل يؤدى ، وبالتالي يجب قبل أن اعطى حق العامل أن أجهز العمل الذي سأطلبه مقابل الاجر .. واذا كان لابد من تعيين الخريجين فلابد ان يكون هناك عمل يستوعبهم اما تعيين الخريجين دون وجود العمل الذي يستوعبهم فقد يكون من نتيجته توزيع حوافز العمل من باب الانسانية على من يعمل ومن لا يعمل .. والنقطة التي تلي توفير المسألة هي ان نحدد عقابا اذا لم يقم العامل بالعمل الموكل به .. تلي هذه الخطوة أنه اذا عمل عملا افضل يزيد على المعدل العادي فاننا نعطيه ميزة تميزه عن المستوى العادي فلابد ان يكون عندنا معدل عادي ثم اجر اضافي عن المعدل الزائد .. وقد بدأت الدول الشيوعية مؤخرا في استخدام الحوافز الايجابية . أما قبل ذلك فقد كان هناك نظام عمل قاس وسيف مسلط على من لا يعمل ، فقد تصل عقوبته الى السجن او الاعدام بينما نجد اننا نعطى اجرا لان من حق الناس علينا ان نوفر لهم الاجر بينما نحن لا نوفر لهم حجم العمل الذي يقابل الاجر واذا لم يعملوا لا نجازيهم ثم نعود فنقول اننا نريد ان نعطي اجرا حافزا لمن يعمل .. وانني أرى أنه اذا كان لابد من توفير العيش للخريجين بينما لا يوجد لدينا عمل يستوعبهم فيمكن ان نعطيهم نفس المبلغ الذي يحصلون عليه كتأمين بطالة .

الدكتور عبد العزيز حجازي :

هذا الموضوع يثار فعلا دائما سواء في الندوات او الاحاديث .. اوافق على ماقاله الاخ يوسف السباعي من حيث المبدأ ولكني أختلف معه كثيرا من حيث الاسلوب .. لقد طرح القائد الخالد جمال عبد الناصر هذا

الموضوع فى سؤال متكرر ومستمر : هل فى بلدنا عمالة فائضة - كما يتردد - ان الامر لا يعدو سوء توزيع فى العمال .. هل تشبعت كل المواقع بالعمالة المطلوبة

.. وأين يكمن العيب فى العمالة التى .. تخرج من الجامعات والمدارس • من خلال دراسة صغيرة عاجلة يمكن الاجابة عن هذا السؤال بطريقة استفسارية أيضا :

- هل دبرنا لكل مدارسنا المدرسين اللازمين ؟

- هل وفينا كل احتياجات الاجهزة المالية فى البلاد ؟

- هل توفر العمالة اللازمة لكل التخصصات التى تحتاج اليها وتمنع الهجرة فيها ؟

- هل توفر الخدمات الاجتماعية فى الريف عن طريق توفير المؤهلين للخدمة فى كل قرية ؟

- الامية هل لدينا الاعداد اللازمة للقضاء عليها ؟.

انا اعترف بانه لا يجب ان تكون هناك طاقة عاطلة بأى حال ومن كل المستويات .. حتى مجرد العمالة العادية شوارعنا وقرانا ومدننا فى حاجة اليهم .. ويمكن للبعض الاخر بعمليات تدريب وتاهيل ان تحدث تحريكا للعمالة الزائدة الى مواقع اخرى فى حاجة اليهم • وبذلك يمكن ان نصل فى تخطيطنا للقوى العاملة وتوزيعها على مواقع العمل بحيث يمكن ان يحقق التحرك سياسة « وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب » .

من عيوب القيادات والادارة ان معظم المسئولين فى اى موقع عمل يطلب غالبا عمالا يزيدون على حاجته الفعلية ، ثم يعود بعد ذلك فيشكو من أنه قد فرض عليه عدد من العمال •

نحن نحتاج فى وزارة الخزانة « الوزارة الام » الى تدعيم الجهاز المالى على مستوى الدولة بخبرات ومؤهلات قد تكون عاطلة خاملة فى جهة أخرى •

ان السيد وزير التربية والتعليم مطلوب منه تدبير خمسة الاف مدرس للدول العربية ، ولم يتمكن من تلبية طلبات هذه الدول الا بنسبة من هذا الرقم المطلوب هذا فضلا عن ان هناك عجزا فى عدد المدرسين بمدارسنا هنا يصل الى ٣٠ الف مدرس .. هل يمكن وهذا العجز المخيف قائم القول بأن هناك عمالة فائضة •

قضية اخرى يثيرها الدكتور حجازى وهو يواصل الحديث وهى قضية الاجور الاضافية ومن يحصل عليها ؟ •

من الذى يحصل على الاجور الاضافية انها فى الواقع تصرف لطوائف معينة واشخاص معينين .. لقد انتقلت هذه الاجور فى بعض المواقع حتى أصبحت جزءا من الاجر الاصلى وهذا عيب فى هذه المزايا أنها بعد فترة من الانتظام تفقد وجاهتها وتنتفى الغرض الحقيقى منها ما لم ترتبط بالعمل والجهد والانتاج .. ولهذا نحن فى وزارة الخزانة نرفع الحافز فى الاشهر التى يزيد فيها العمل بالميزانية عن شهور العمل العادية الاخرى فى باقى السنة •

علاج ذلك .. يبدأ من سؤال : هل لدينا معايير لقياس كفاءة الاداء ؟

رأى البعض فى القطاع الحكومى ان نخصص اعتمادا على بند جديد أعطوه اسما « تعويض من جهود غير عادية » فهل نعرف حدود « الجهود العادية » حتى نكون بعد ذلك قادرين على معرفة الجهد غير العادى •

عند تقييم الجهود والمكافآت يجب أن يتم على ثلاثة مستويات : أ.ب.ج حتى يكون هناك نوع من التنافس الجزئى .. اننا نؤمن بالحوافز وأهمية الاستخدام العلمى

فى تخطيط العمالة الزائدة أستخداما امثل

ويخرج وزير الخزانة من هذه الآراء وهذا الاقتراح الى موضوع حيوى وهو « تصدير الخبرة المصرية » فالخبرة المصرية والعمالة المصرية سلعة تصديرية من الدرجة الاولى سيما واننا نتمتع بأسماء مصرية رنانة تلمع فى الخارج .

وقد يقول البعض هؤلاء كفاءات نادرة تضيع على البلاد وتقيم فى الخارج تخدم بلادا أخرى .. لكن أحدا من القائلين لم يحاول قياس العائد المترتب على خروج مصرى فى الخارج سياسيا ومعنويا .

ولكن .. ما هى المجالات التى يمكن التركيز عليها ولستخدمها حتى تصبح العمالة المصرية سلعة تصديرية .. انا فى دولة مواردها محدودة ، لكن مواردها الضخمة هم البشر .. بعض الدول تطلب عمال بناء مصريين مثلا ولا يوجد مركز تدريب متقدم واحد لهؤلاء .

لابد من تكوين جيل قادر على العمل فى الخارج ، هذا فى ذاته يحقق لنا هدفا انتاجيا وهدفا استهلاكيا .. اننا اذ نقفل فرص العمل بالخارج فى وجه شبابنا انما نقفل الباب على انفسنا ونفرض على انفسنا اعباء يصعب تحملها فى الاجل الطويل .

لهذا يجب ان نعد شبابنا ان نهتم بنوعية التعليم حتى نخلق تخصصات فى هذا الجيل ، انا أركز على الجيل المتوسط والحرفى .. لابد أن نكسر عقدة الجامعة حتى لو اضطررنا الى استخدام لفظ «الجامعة التكنولوجية » لقد سويناً بينهم فى الاجر ومع ذلك لابد أن نغير طبيعة الناس وطبيعة البرامج والاعداد .

ولقد كانت هيئة السكة الحديد – ذات يوم – مدرسة تخرج كل الكفاءات فى الوظائف المختلفة .. أين هى اليوم .. وهل ما زالت مدرسة ؟

انما ألف مصنع ولابد من توفر الخبرات المطلوبة لها .. لابد من تلبية مطالب افريقيا من خبراتنا لابد من تقديم كل الخبراء والفنيين الذين تطلبهم الدول العربية الشقيقة .

واثار الدكتور حجازى موضوع الانفاق على تكوين العمالة الفنية والتدريب ،واعتبر ذلك استثمارا له عائد من كل النواحى فضلا عن تحقيق سمعة عالية لمصر ، ولذلك يجب الا نبخل بالانفاق على التدريب ..ويضرب وزير الخزانة مثلا على ذلك ..

لقد بدأت مصر من ٥١ حتى ١٩٥٣ فى انشاء المصانع الحربية ، ولم يكن لدينا فى ذلك الوقت العامل الماهر الدقيق ، وحدث تدريب وحدث اسراف وضياع ولكن على مر السنين يمكن أن نكون لدينا جيلا فى الصناعات الدقيقة .. جيلا يعتبر من بعض نواحى الكفاءة فى مركز أعلى من بعض المستويات الموجودة فى دول متقدمة ، بل حقق هذا الجيل معدل أداء اعلى من المعدلات الخارجية .. لقد عاصرت ذلك بنفسى فى مصنع ٥٤ الحربى .

ثم يعود الدكتور حجازى من جولة المناقشة الى طرح افكار واقتراحات جديدة حول الحوافز :

يجب الا ننتظر بل يجب أن نخرج من خلال التجربة بتقييم مستمر وأن نستمع لكل فكرة ونتحرك مع كل اقتراح .. انا ارفض سياسة الانماط تطبق على الجميع بنفس الصورة .. ان الظروف الراهنة تحكم حركتنا البطيئة ، لكن لابد ان نعد انفسنا ونخلق من كل بيئة طبيعة نظام يتفق معها .

ولناخذ مثلا : كيف أعامل الممثل الذى يعمل على المسرح معاملة الموظف الذى يجلس على المكتب ؟

انى ارى – لكى نساعد على حل المشكلة



المهندس احمد سلطان



الاستاذ يوسف السباعى

ـ أن تكفل حدا أدنى للاجر مع اعتبار أن جهد العامل وتفكيره ونشاطه هو الذى يحكم الزيادة فى هذا الاجر .

ولتحديد قيمة العمل لابد أن نعرف نوعية وطبيعة العمل .. فالعامل الذى يعمل فى فرن عال بخلاف العامل الذى يجلس فى غرفة مكيفة .

وبغير الحقائق الخاصة بالعمل ونوعيته وطبيعته فان هذا الكلام يعتبر مجرد كلام نظرى .

الاستاذ يوسف السباعى :

لقد دفعنا الدكتور حجازى الى عمق المشكلة . وهى أن هناك خطأ فى توزيع العمالة على مواقع العمل المختلفة .. عمالة زائدة فى موقع ، وقحط فى موقع اخر .. فى الوقت ذاته يحكى الشعب عندما يطلب أطباء ومهندسون للخارج ولا نجد .. وفى اعتقادى أن السبب يكمن بالقطع فى مشكلة التعليم وهى معضلة البلد الحقيقية .

أماكن التعليم ضيقة . وموارد التعليم لا تسمح بالاعداد المطلوبة من ذوى التخصصات التى يكثر عليها الطلب .. بالاضافة الى قلة الفنيين المتوسطين الذين يدفعون بأولادهم الى أعلى مراحل التعليم ويلبسون مهنتهم الهامة .

انى أقترح ايجاد أماكن تعليم بأجر وقد كان هناك فعلا فكرة جامعة أهلية بأجر لا تلتزم الدولة تعيين من يتخرج منها .

بالنسبة للمهنيين والفنيين المتوسطين يجب أن نوجه لهم مجالا ثقافيا يمكن أن يحصلوا منه حتى على درجة مهندس كما هو حادث فى الاتحاد السوفييتى .

انا بحاجة الى تقييم المشكلة من جذورها ، وهى المشكلة التعليمية .

الدكتور عبد العزيز حجازى :

يهمنا أن نشترك جميعا بالاراء . وان نستمع الى كل الحاضرين .

المهندس عبد العزيز عبد النبى :

انى أعرض بعض الافكار .. أومن بنظام الحوافز ولا يجب الانتظار لحين عمل برنامج التوصيف والوصول الى الاداء الكامل .. لابد أن نسير فى الخطين فى وقت واحد .

يجب أن نبدأ بدراسة الاجر وتناسبه مع حجم العمل مع مراعاة مستويات الاداء المختلفة .. كذلك لابد من مراعاة الاسلوب



السيد عبد الحميد صالح والمهندس انور ابو حشيش
والمهندس صلاح القلش والسيد سعيد عثمان

العلمي في الانتاج وأن نضع أسلوباً علمياً للمحاسبة والادارة . ثم لابد أن نبحث ونضع الضوابط الخاصة بنسبة الاجر الى قيمة الانتاج حسب طبيعة الوحدة الانتاجية ، ونخطط العمالة على هذا الاساس .

لقد بدأنا هذا الاسلوب في الهيئة التي أشرف عليها الا أننا نصادف عقبات في تحريك الاعتمادات من باب الى باب كما نجد اختناقات في الدرجات الخاصة ، وبالتالي لا توجد المرونة الكافية للتصرف خلال العام المالي ، الامر الذي يجعلنا واقفين في انتظار ميزانية العام التالي .

وفي رأيي انه لابد أن تحدد نسبة الاجر الى قيمة الانتاج أو يحدد رقم الاعمال في كل وحدة حسب طبيعة نشاطها ، وأن يعطى المسئولون في الوحدات حق التحرك داخل ابواب الميزانية .

والنى أختلف مع رأى الوزير المهندس أحمد سلطان بأن نبدأ بالحوافز السلبية، لقد زرت بلاداً كثيرة تطبق الحوافز السلبية والايجابية ، وقد ثبت أن الحوافز السلبية لا تحقق النتيجة المطلوبة ، ممكن في نفس الوقت لا يجب أن نتوسع في الحوافز الايجابية حتى لا تصبح حقاً مكتسباً كما حدث في هيئة السد العالي .

لى تجربة عن الحوافز فى قطاع النقل دفعنا حوافز في حدود ٤٠ ـ ٥٠٪ من الاجور وزاد معدل النقل ٣٠٠٪ وعندما أوقف المسئولون عن الميزانية هذا النظام انخفض معدل الانتاج انخفاضاً شديداً .

المهندس احمد سلطان :

نحن لم نسمع عن الحوافز الا فى القاهرة والاسكندرية .. وعندما كنت محافظاً للمنوفية كنت أتساءل لماذا يحصل ساعى الوزارة على حافز وزميله فى المحافظة لا يحصل على شيء مع تأكدى بأن ساعي المنوفية يعمل اكثر من ساع فى اى وزارة أخرى .

انى أسأل الدكتور وزير الخزانة عن الاجور الاضافية للمحافظات ونسبتها الى الاجور الاضافية التى تعطى لدواوين الوزارات .. هذا كله سوف يرجهنا الى ضرورة الاخذ بنظام عادل فى الحوافز كما أحب أن أضيف أنه لا توجد دولة باشتراكية بنت نفسها الا بالحوافز السلبية .

ندوة الهلال

عن الحوافز والإنتاج



المهندس عبد العزيز عبد النبي

صحيح يجب أن نشجع الحوافز لكن هل هناك ضوابط لها .. رؤساء الشركات يقررون الحوافز كما يشاءون وليس من يحاسبهم .. الحوافز الايجابية تتم دون ضوابط لكن الحوافز السلبية يمكن تطبيقها ١٠٠٪ بطريقة أقرب الى الصواب

.. ولا ينبغى أن تطبق الحوافز الايجابية دون السلبية بل يجب استخدام النوعين وعدم التوسع فى الايجابية منها .

المهندس سليمان عبد الحى :

الحوافز الايجابية هى مقابل زيادة الانتاج الفردى عن المعدل الطبيعى ، أى للممتازين فقط ، ولكن لا يعقل أن نعطى الجميع حافزا ، أو نعطى فئة معينة حوافز .. ومن هنا يجب ان يعرف العامل معنى الحافز حتى أصغر مستوياته .

واتفق مع رأى الدكتور عبد العزيز حجازى فى أننا لا يجب ان نتوسع فى الحوافز حتى تصبح حقا مكتسبا وتنقلب الى مجرد رفع للأجر .

الدكتور عبد العزيز حجازى :

أحب ان أسمع رأى الدكتور محمود على حسن المسئول الآن عن قطاع كبير من القطاع الخاص الصناعى الذى يشكل الآن عنصرا من عناصر العمود الاقتصادى ، بدليل أن رقم صادراتنا ارتفع من ٣ ملايين الى ١٥ مليون جنيه .

الدكتور محمود على حسن :

بدأ الدكتور حجازى حديثه بضرورة ايجاد « فرشة » للموضوع وفى الواقع كان حديث سيادته أو بالأحرى محاضرته التى ألقاها بأسلوب الاستاذ الجامعى يمثل « الفرشة » المطلوبة ومنها يمكننا تغطية الموضوع من نواحيه المختلفة .

وقبل حديثى عن القطاع الخاص أحب أن أتناول موضوع الحوافز الايجابية والسلبية بكلمة مختصرة .

لا يمكننا أن نتصور أن يكون هناك انتاج جيد بدون حوافز ولا يجب أن نبالغ فى تطبيق أى من النوعين الموجب أو

السالب بل يجب ان يكون طريقنا هو الطريق الوسط بينهما وذلك بمكافأة المجد المنتج ومعاقبة المهمل المقصر وهذه قاعدة قديمة ومعروفة فمدرب خيول السرك مثلا لا يمكنه ان ينجح الا اذا حصل فى يده اليمنى كرباجا وفى يده اليسرى قطعة من السكر يوازن بين استعمال أيهما حسب الحاجة • اما المبالغة فى استعمال اى من النوعين فتقود دائما الى الفشل •

فالمبالغة فى استعمال الحوافز السلبية تخلق جيلا من الجبناء الذين لا يعملون الا خوفا من العقاب وتقتل فيهم روح المبادأة والابتكار •

وقد جربت هذه الطريقة بعض الدول الاشتراكية فى أول الامر وبالغت فى الحوافز السلبية ووصلت العقوبات الى حد النفى والشنق فماذا كانت النتيجة ؟ المحافظة على ارقام الانتاج هربا من العقوبة ولكن مع هبوط تام فى مستوى الانتاج •

والمبالغة فى الحوافز الايجابية تخلق بين العاملين جوا من « الدلع » والتراخى لا يستقيم معهما الانتاج أبدا الا بتكاليف باهظة قد تقف فى سبيل تصريف هذا الانتاج سواء محليا او تصديريا •

والواقع انه يمكننا اقامة التوازن المطلوب بين الحوافز الايجابية والسلبية فى الصناعة بطريقة قديمة وناجحة وهى طريقة ربط الاجر بالانتاج فالذى ينتج أكثر يأخذ أكثر والذى ينتج أقل يأخذ أقل « المقصود هنا بالانتاج هو الانتاج حسب المواصفات المطلوبة » هذا بجانب مكافأة العامل المبتكر على ما يقدمه من افكار جديدة •

وسياسة ربط الاجر بالانتاج هى السياسة السائدة فى القطاع الخاص وهى فى الواقع سر نجاحه •

اما عن القطاع الخاص فى مصر والذى يمثل انتاجه الصناعى حوالى ٢٥٪ من اجمالى الانتاج الصناعى فقد خطا خطوات واسعة الى الامام من حيث التوسع فى الانتاج وفى التصدير •

ومن البديهى ان النجاح فى عملية التصدير أساسه الجودة والخفاض التكاليف •

ولقد كان رقم التصدير بالنسبة للقطاع الخاص فى عام ١٩٦٧ حوالى ٩٠٠ الف جنيه ارتفعت فى ١٩٦٨ الى حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات ثم الى أكثر من ١٣ مليون جنيه فى عام ١٩٧٠ وآمل أن يصل الرقم هذا العام الى ما يقرب من ١٦ مليون جنيه •

وهنا يجب أن اقرر من واقع تجربتى الشخصية أن العامل المصرى يمكنه أن يكون من أدق وأكفأ العمال فى العالم اذا ما أعطى الفرصة والتدريب اللازمين •

فمثلا كانت تسلم عينات أجنبية الصنع للعامل المصرى لمحاولة الوصول الى مستوى جودتها فى انتاجه وفى جميع الاحوال تمكن العامل المصرى من الوصول الى الهدف •

وذات مرة منذ سنوات عديدة أرسلنا أربعة عمال مصريين الى الخارج للتدريب على آلة انتاجية حديثة الصنع وكان يتدرب معهم عدد كبير من العمال الاوروبيين والامريكان على نفس الالة وفى ختام الفترة التدريبية عقد الامتحان النهائى للجميع وكان الاربعة الاوائل هم الاربعة المصريون •

واذا عدنا الان الى موضوع الحوافز وفى القطاع العام بالذات فانى ارى ضرورة تطبيق هذا النظام وربط الاجر بالانتاج واعتقد ان أكبر معوق لكفاءة الانتاج بالقطاع العام هو « اللائحة الموحدة » اذ من البديهى انه لا يمكن تطبيق لائحة موحدة على عامل

ندوة الهلال

عن الحوافز والإنتاج



الدكتور مهندس محمود على حسن

فى مكتب بالقاهرة مثلا وفى نفس الوقت تطبق على عامل يعمل فى منجم فى الصحراء . ولقد كان الاصل عندما بدأ

التفكير فى اذابة الفوارق بين الشركات المختلفة عقب التأميم هو وضع اطار معين

يتحرك خلاله كل مصنع وفق لائحة خاصة به ولكن الامر تطور أثناء العمل فى ذلك

الى وضع لائحة تفصيلية موحدة تطبق على الجميع رغم اختلاف الظروف . ولقد كان

بهذه اللائحة فى اول صدورها شرط غريب

يستلزم استصدار قرار جمهورى بتعيين اى

عامل طالما كان هذا التعيين فى غير اول مربوط درجات التعيين أو فى درجة غير

درجات التعيين ولكن هذا الشرط قد ألغى فيما بعد لاستحالة تنفيذه .

وانى اقترح كخطوة أولى فى بناء سياسة الحوافز الغاء هذه اللائحة الموحدة وعلى كل

مصنع أن يضع لائحة خاصة به تحت اشراف أجهزة متخصصة وفى اطار محدد

حتى لا يحدث شطط أو مزايدات .

المهندس احمد صبيح :

اود أن اوضح مجموعة نقاط تتلخص فى :

ــ الهدف من الحافز سواء أكان ايجابيا

أم سلبيا هو زيادة الانتاجية من طريق رفع الكفاءة الى مستوى الطاقة .

ــ هناك نظريات كثيرة وضعت فى بلاد كثيرة سبقتنا فى التطبيق وعلينا أن

نستفيد من هذه الخبرات ليس نصا ولكن بما يتلاءم مع ظروفنا وطبيعتنا .

ــ مهما اختلفت المسميات والتقسيمات فهناك حقيقة عامة وهى أن الواقع يختلف

من فرد الى فرد ومن مكان الى مكان ومن زمن لآخر .

ــ ضرورة وضع الحافز ليشمل جميع المستويات من أدناها الى أعلاها مع مراعاة

اشباع مستويات التطلع المختلفة فالافراد يعملون لاشباع مجموعات مختلفة من



المهندس كمال حامد



المهندس محمد رضا مدبولى

الحاجات يقسمها علماء النفس والاجتماع الى :

١ - احتياجات الفرد الاساسية .

٢ - احتياجات اجتماعية .

٣ - حاجته لشغل مركز اجتمـــاعى مرموق .

٤ - حاجته الى الاعتداد بالنفس وحصوله على احترام الاخرين .

٥ - حاجته الى الرضا عن انجازاته .

وهذه الحاجات متدرجة فى سـلم تصاعدى لا نهاية له فكلما اشبعت احداها فقدت قدرتها على ان تكون حافزا اساسيا ويجب ان تكون الادارة متنبهة الى هذا لاستمرار فاعلية الحافز .

- ليست الصورة قاتمة فيما يتعلق بعدم تطبيق نظام جيد للحوافز بسبب امكانية وضع نظام جيد لتقييم الاداء فهنـاك شركات فى ج . ع . م قد تكون قلة ولكنها موجودة اتفخر بما وصلت اليه فى هذا المجال .

- اخيرا اود ان اؤكد ان رئيس الشركة هو المسئول الاول والاخير عن كل مايحدث فى الشركة سلبا او ايجابا .

المهندس حسن رمضان

تحدث الدكتور محمود على حسن عن كفاءة العامل المصرى فى القطاع الخاص وكنت ارجو ان يوضح لنا سيادته كيف يتم تقييم العامل المصرى فى القطاع الخاص وعلى الاجر الذى يتقاضاه يوفر له ولاسرته مستوى العيش الكريم !

واعتقد ان كفاءة العامل المصرى موجودة دائما سواء فى القطاع الخاص او العام ولكنها تظهر بوضوح فى القطاع الخاص لان تقييم العمل فى هذا القطاع يعتمد على الخبرة والكفاءة فقط ولا يتقيد بلوائح او قيود اخرى وعلى العكس فى القطاع العام

ندوة الهلال
عن الحوافز والإنتاج



السيد محمد على أحمد

فان تقييم العمل مرتبط بلوائح وقيود أخرى لا تسمح بظهور كفاءة العامل المصرى كاملة .

وقد تحدث السيد الوزير أحمد سلطان عن الحوافز السلبية وكنت أود أن يوضح لنا كيفية تطبيق هذا المبدأ فى البلاد الاشتراكية التى تقدم المأكل والمسكن والملبس .

دكتور محمود على حسن :

دخل العامل فى القطاع الخاص لا يقل عن دخل زميله فى القطاع العام ان لم يزد لكن جهد العامل فى القطاع الخاص أكبر .

الدكتور عبد العزيز حجازى :

هناك قاعدة رقابية مشهورة وهى انه كلما حولنا الأجر الى أجر متغير كان ذلك مرتبطا بالحافز لو نظرنا الى الاجر بمفهوم « الصنعية » .

مهندس كمال حامد :

فقط اريد أن أركز على نقطتين :

الاولى : الغرض الاول من الحافز هو زيادة النشاط بغرض الزيادة الانتاجية ولما كانت أقصى زيادة للنشاط عن النشاط العادى هى ٤٠٪ فلا يجب أن يزيد الحافز على ٤٠٪ من الاجر العادى للعامل فلى الثانية مثلا نجد ان الحوافز لاتزيد على ١٠٪ او ١٥٪ من الاجر العادى .

وما يجب أن يفهمه العامل والادارة على السواء أن الحافز المادى لا يصرف الا بناء على تحقيق زيادة فاعلية فى الانتاج .

النقطة الثانية : وهى انشاء اقسام التنظيم الصناعى بالوحدات الاقتصادية الذى لم تعد نهتم به واقترح انشاء كلية للتنظيم الصناعى لايجاد جيل من المتخصصين فى هذا النوع من الدراسات كوسيلة هامة لكى نبنى القاعدة الصناعية .



السيد أحمد صبيح



المهندس حسن رمضان

الدكتور عبد العزيز حجازى :

أؤيد هذا الرأى بالنسبة كلية للتنظيم الصناعى ، اذ لكى نتحرك صناعيا لا بد أن نتحرك عمليا وتدريبيا .. وان كانت قد اتخذت بالفعل خطوات فى مجال التدريب المهنى .

المهندس رضا مدبولى :

لى تعليق صغير على النظام المعمول به حاليا فى القطاع الخاص ، والذى أعطى السيد الدكتور / محمود على حسن نموذجا له بالنظام المعمول به فى صناعة الاحذية — وهو ما يتصل بالجانب الانسانى للعامل فقط — فاذا كان العامل يحاسب بالقطعة — فما هو الوضع فيما اذا مرض هذا العامل؟ ومن يقوم بالصرف عليه اثناء فترة مرضه ؟

وأوصى لعلاج ذلك أن يطبق نظام الانتاج بالقطعة مع ضمان حد أدنى للاجر .

أما بالنسبة للتساؤل من أهمية تطبيق نظام الحوافز فى الدول الاشتراكية فانى أرى ضرورة ملحة لتطبيق هذا النظام اليوم فى مجتمعنا عن أى وقت مضى وذلك بهدف زيادة الانتاجية ودفع معدلات الاداء للفرد — ولقد سبقتنا دول اشتراكية كثيرة فى تطبيق نظام الاجر الحافز ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى .. وتشيكوسلوفاكيا .. والمجر .. ويوغوسلافيا .

ولما كان من المعلوم أن مستوى الاداء للفرد يتأتى أساسا من حاصل عنصرين .. الاول وهو القدرة على العمل ، وذلك عن طريق التعليم والتدريب والخبرة مع توافر الاستعداد الشخصى .. والعنصر الثانى ، وهو الرغبة فى العمل والتحفيز لادائه .. وهو يتأثر بالظروف المادية والاجتماعية ، وذلك عن طريق تطبيق النظام الحافز ماديا واجتماعيا وأدبيا .



الاساتذة احمد زكى عبد الحليم ويوسف فكرى
وماجد علية وابراهيم عامر وانور المرصفى فالخترلان

ولهذا فانه لرفع مستوى أداء الفرد – فانه يلزم علينا الاهتمام بهذين العنصرين معا ، الا أن الاهتمام بعنصر واحد منهما دون الآخر ، لا يؤدى الى النتيجة المرجوة ٠

وبالنسبة لما اشار اليه السيد الدكتور عبد العزيز حجازى وزير الخزانة من صعوبة ايجاد نظام للاجور الحافزة حتى فى القطاع الواحد لاختلاف ظروف كل شركة ٠ فانى أؤيد هذا الرأى فى صعوبة امكانية خلق نظام حافز موحد يمكن تطبيقه على جميع الشركات ذات النشاط الواحد لاختلاف العوامل المؤثرة فى العملية الانتاجية ٠

لهذا – فانى أوصى بالبدء فى تطبيق نظام حافز لكل شركة على حدة – مع الاخذ فى الاعتبار هذه العوامل – على ان يكون أحد مؤشرات النجاح لهذه الشركات هو مدى اسهامها فى الاقلال من التكلفة عاما بعد اخر ٠

وهناك من شركات القطاع العام الكثير من اتم ما سماه السيد الدكتور عبد العزيز حجازى « بالفرشة » كما قام كثير من هذه الشركات بوضع النظام الحافز بها وغنى عن الايضاح ما تحتاج اليه نظم الحوافز من اعادة نظر كل سنتين على الأكثر أسوة بما هو متبع فى الدول المتقدمة ٠

وانى أرى أن مسئولية خلق النظام الحافز بالشركات تقع على عاتق الادارة العليا بالشركة ويلزم اقناع المسئولين بقطاع الانتاج والزراعة والخدمات باهمية خلق هذا النظام كضرورة اساسية لزيادة الانتاج ٠

الدكتور عبد العزيز حجازى :

نحن ندرس فى الحكومة الان ما يسمى بالفاقد البشرى بعد أن انتهينا من دراسة الفاقد المادى ٠٠ وقد طلبت من أحد المديرين الماليين أن يدرس ما هو الضائع من الاجور نتيجة عوامل الاجازات والغياب وعطل الالات ٠٠ وقد وجدنا فى مصنع من انجح المصانع والتى يتم تصدير انتاجها بالكامل ان الفاقد يمثل ٤٨٪ من الاجر ٠ اننى أومن بالحوافز تماما بشرط الا تقع فى « مطب » وهى دفع اجور لا يقابلها انتاج وندخل فى « دوامة » ٠

أؤكد فى هذه الجلسة اننا قد بدأنا على الطريق وان الانتاج المصرى يتزايد بما يصل الى ١٠ – ١٢٪ ويمكن للانتاج أن يتزايد أضعاف هذه النسبة لو فهمت

القيادات الادارية أهمية هذا الموضوع ولو شارك العمال انفسهم مشاركة فعالة في مناقشته .. وكم كنت أتمنى ان تضم هذه المائدة — الى جانب رجال الادارة — الاسطوات وممثل العمال .

وهنا انتقل الى دور لجان الانتاج داخل المصانع التي يجب ان يكون شغلها الشاغل خطط الانتاج ومعدلات الكفاية .

ماجد عطية :

على اى أساس يعطى كأس الانتاج للوحدات الاقتصادية والعمال ، وما هو تقييم هذه العملية ؟

السؤال الثاني : لا يزال الربح هو قياس نجاح الوحدات ونحن نعلم أن الربح في كثير من الوحدات يمالج عن طريق الاسعار ، وكما تحدث الدكتور وزير الخزانة كثيرا عن ربط جهاز الاسعار بكفاءة الانتاج والوحدات الانتاجية .

الدكتور عبد العزيز حجازي :

موضوع الارباح مرتبط بظروف اقتصادية واجتماعية فرضت نظاما معينا، وبالطبع فان الربح ليس أن تكون هناك معايير اخرى ، والى أن تتوفر هذه المعايير لا تستطيع ان تغير والا حدثت نوع من القلق السياسى والاجتماعى .

وأنقل الحديث الآن الى الاخ محمد على أحمد للاجابة عن السؤال الخاص بكأس الانتاج .

السيد محمد على أحمد :

ان الفكرة فى ذاتها حافز على زيادة الانتاج وكأس الانتاج يخضع لمعايير ومقاييس معينة ، وتعرض النتائج على لجنة تمثل فيها جميع الوزارات والهيئات لبحثها ، وبناء عليه تقرر الجوائز .

كذلك هناك وسام العمل ويقصد منه تقدير رجال الادارة العليا لانهم كانوا خارج هذا التقدير وكان الزعيم الراحل قد وافق على فكرة وسام العمل .

الدكتور عبد العزيز حجازى :

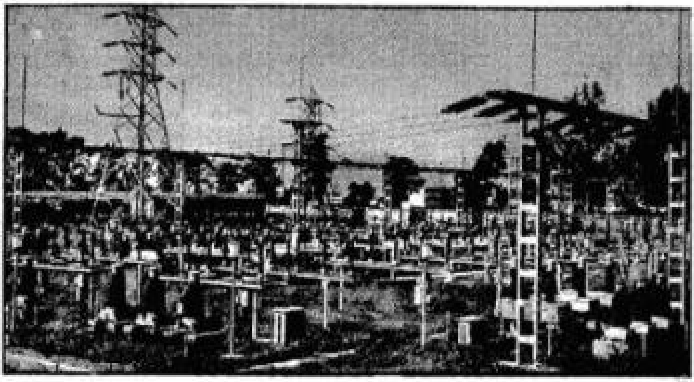
اشكر الاخ السباعى ومؤسسة دار الهلال وكل الاخوة الذين سمحوا لنا بهذا اللقاء البناء والايجابى خصوصا واننا فى بداية الطريق لمناقشة وتنفيذ برنامج العمل الوطنى الذى يتضمن ضرورة اعادة النظر فى لائحة العاملين كما يتضمن توجيها فيما يتعلق بالحوافز وضرورة تعديل نظام الترقيات وتأكيد الحوافز المادية والاجتماعية والانسانية .

إتضح مما دار في ندوة "الإنتاج والحوافز" أن هذا الموضوع أكبر من أن تستوعبه ندوة واحدة. ولذلك فسوف تعقد ندوة أخرى لاستكمال مناقشة الموضوع وسوف ننشرها في عدد قادم من الهلال

المؤسسة المصرية العامة للكهرباء

طاقة الإنطلاق المضيئة

على طريق المستقبل المشرق



- توليد الطاقة من القدرة المائية يحقق وفراً في الوقود يمكن استغلاله في التصدير أو في إقامة الصناعات البترولية والبتروكيماوية
- الاستخدام الكامل للتوليد من محطة كهرباء السد العالي يوفر حوالي ٢٠ مليونا من الجنيهات سنوياً . وبالتشغيل الجزئي وفرلنا ٧ ملايين جنيه عام ١٩٧٠
- إرتفاع نصيب الفرد السنوي من ٤٥ كيلووات ساعة عام ١٩٥٢ الى ٢١٢ كيلووات ساعة عام ١٩٧٠ يدل على إرتفاع ملحوظ في مستوى المعيشة



المهندس عدلى يكن رئيس مجلس ادارة مؤسسة الكهرباء

● عرف الانسان طريقه نحو المدنية ، والحضارة والتطور ، عندما اكتشف الطاقة المحركة ، باعتبارها الركيزة الاساسية لكل تطور اقتصادى وصناعى واجتماعى على امتداد تاريخ الحضارات ..

وقد اختلفت صورة هذه التطورات وانعكاساتها على حياة الأمم والافراد باختلاف الطاقة وامكانياتها على التغيير .. فاذا كان الانتقال من عصر الفحم الى عصر البخار يمثل الثورة الصناعية التى بدأت فى اوربا وامتدت الى كافة انحاء العالم ، فان الانتقال من عصر البخار الى عصر الكهرباء يعنى التكنولوجيا الحديثة بكل ما تمثله من انطلاقة حضارية شاملة فى شتى الميادين ، وهكذا فان الطاقة المستخدمة تعبر من روح العصر اكثر من أى شىء اخر .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فانها كانت تعى هذه المعانى جيدا . ولذلك فقد وضعت فى اعتبارها منذ البداية ان تعوض سنين التخلف الطويلة التى عانت منها بلادنا اجيالا بعد أجيال ، حتى تستطيع مواكبة ركب التقدم والتطور فى العالم ، ولكى تكون فى الصورة التى تعيش فيها الامم المتطلعة الى الغد والمقبلة بكل اصرار على تحديات القرن العشرين .

وتتولى مسئولية هذا الدور الخطير فى بلادنا ، مؤسسة الكهرباء التى تتولى توفير الطاقة الكهربائية اللازمة لخلق قاعدة صناعية عريضة ، والتعبير عن ارتفاع مستوى المعيشة بين الافراد .. وتبدو اهمية هذه المسئولية من خلال الاعباء المتعددة والحيوية التى تقوم بها الكهرباء فى العصر الحديث .. فهى ترتبط بحياة الانسان فى كل مجال من مجالات هذه الحياة ، سواء فى العمل او فى البيت او فى المصنع او فى الشارع . وهذا يعنى اهميتها القصوى بالنسبة للانتاج ، ودورها الحيوى بالنسبة لتوفير سبل الحياة المريحة لجماهير الشعب .

واذا نحن اردنا أن نعطى صورة واضحة بالارقام للتطورات الهائلة التى حدثت فى قطاع الكهرباء ، فيكفى فى هذا المجال ان نقول ان القدرة المركبة فى محطات توليد الكهرباء كانت حوالى ٣٨٥ ألف كيلو وات فى عام ١٩٥٢ ، فارتفعت الى ٤٠٢٢ الف كيلووات فى عام ١٩٧٠ ، موزعة على مناطق الوجه البحرى والقاهرة ومصر الوسطى ومصر العليا .. وهذا يعنى أن معدل الزيادة فى هذه القدرات قد زاد عشرة اضعاف مما كان عليه فى عام ١٩٥٢ ، وبالتالى يعبر عن الفارق الحضارى بين أمسنا ويومنا ، ويدل من خلال مدلالته على مايمكن ان نحققه مستقبلا فى هذا الميدان الحيوى .

وجدير بالذكر أن الزيادة ليست فقط فى تطور القدرات الكهربائية لبلادنا ، ولكنها أيضا فيما صاحب هذا التطور من انشاء شبكة كهربائية موحدة تربط بين محطات التوليد بعضها ببعض ، وتنقل الطاقة المتاحة من محطة خزان اسوان ومحطة السد العالى الى مراكز استهلاك الطاقة فى كافة انحاء الجمهورية ، وتمثل هذه الشبكة تطورا حيويا وهاما فى مجال انتاج الطاقة واستخدامها ، لقد أصبح قطاع الكهرباء يمثل وحدة كهربائية متكاملة ، تضمن تحقيق التشغيل الاقتصادى الامثل ، وتوفر للميادين الحيوية ما تحتاج اليه من هذه الطاقة فى كل وقت .

المؤسسة المصرية العامة للكهرباء

ولا يمكن لنا ان نحيط بأبعاد هذه التطورات الا اذا عرفنا ما كانت عليه الصورة فى الماضى ، فان النظرة المقارنة هى التى تفسح دائما المجال لرؤية واعية وسليمة .

ففى الفترة التى سبقت قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كان انتاج الطاقة الكهربائية منحصرا فى محطات توليد صغيرة ومبعثرة فى مراكز الاستهلاك . وكان انتاجها مقصورا على الاستهلاك المحلى المحدود ، وكان اقصى جهد مستخدم فى نقل الطاقة الكهربائية هو ٣٣ الف فولت ، واطوال شبكاته لا تتجاوز بضع مئات من الكيلو مترات موزعة بين الوجهين البحرى والقبلى ، وكان استخدامها محصورا اساسا فى الاغراض العرف .

اما ما حدث بعد ذلك ، فيتحدث عنه المهندس « عدلى بكن » رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكهرباء . يقول :

— لقد وضعت الدولة عديدا من برامج التنمية الاقتصادية بهدف تحقيق نهضة شاملة فى الميادين الصناعية والزراعية والاجتماعية . وقد ترتب على ذلك ان تغيرت ابعاد الصورة فى قطاع الكهرباء تغيرا جذريا ، حيث شهدت البلاد لأول مرة استخدام القدرة المائية من خزان أسوان كمصدر هام من مصادر الطاقة الكهربائية .

وقد اعقب ذلك اقامة محطات التوليد الحرارية بوحدات كبيرة وصلت قدرتها الى حوالى ١١٠ الاف كيلووات .وصاحب ذلك التوسع فى اقامة شبكات النقل للطاقة ، حيث ارتفع جهدها من ٣٣الف فولت الى ٦٦ الف فولت ثم الى١٣٢الف فولت عام ١٩٦٠ .

ومع بداية العمل فى السد العالى ومحطته الكبرى لتوليد الطاقة الكهربائية ، فقد تطلب ذلك التوسع فى اقامة الشبكات ذات الجهد المرتفع . وقد ارتفع جهد هذه الشبكات الى نصف مليون فولت لنقل الطاقة المولدة من محطتى خزان اسوان والسد العالى الى القاهرة .

وقد استلزم التطور اقامة شبكات جهد ٢٢٠ الف فولت لربط المحطات الحرارية بالوجه البحرى والقاهرة . وبذلك اصبحت جميع محطات توليد الطاقة سواء كانت مائية أو حرارية مرتبطة بشبكة موحدة . كذلك فقد أصبحت الجمهورية العربية المتحدة من أوائل دول العالم استخداما للجهد الفائق نصف مليون فولت .

وهناك مركز رئيسى للتحكم فى هذه الشبكة الممتدة من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال ، مهمته وضع برامج تشغيل المحطات لتشغيلها اقتصاديا . وتنعكس اثاره فى مجالات انتاج ونقل وتوزيع الطاقة الكهربائية .

اما بالنسبة لاطوال شبكات النقل الكهربائية ، فقد ارتفعت من بضع مئات من الكيلومترات فى عام ١٩٥٢ الى حوالى ٥٧١٥ كيلو مترا عام ١٩٧٠ ، منها ١٥٧٥ كيلو مترا جهد ٥٠٠ الف فولت ، و ٨٧ كيلو مترا جهد ٢٢٠ الف فولت ، و ٨١٠ كيلو مترات جهد ١٣٢ ألف فولت ، و ٢٤٦٠ كيلو مترا جهد ٦٦ الف فولت و ٣٣ الف فولت ، وذلك بخلاف شبكات توزيع الطاقة على الجهد المتوسط والمنخفض والتى يبلغ طولها عشرات الالاف من الكيلو مترات . كما ارتفعت قدرات محطات المحولات الى حوالى ٧٠٧ ملايين كيلو فولت أمبير فى عام ١٩٧٠ .

وتعتبر القدرات المركبة فى محطات التوليد واطوال الخطوط وسعات محطات المحولات ، ركيزة قوية للتطورات المنتظرة فى قطاعى الصناعة والزراعة ، وهذا فضلا عن توفير الطاقة اللازمة للقطاعات الاخرى

والاستخدامات المنزلية .

ويشير تزايد الطلب على الطاقة الى ارتفاع مستوى المعيشة في البلاد ، فقد ارتفع الحجم الكلي للطاقة المولدة من محطات المؤسسة من ١٠٥٧ مليون كيلوات ساعة عام ١٩٥٢ الى ٧٠٠٠ مليون كيلوات ساعة عام ١٩٧٠ ، أى أن الاستهلاك قد تضاعف خلال هذه الفترة اكثر من سبع مرات . كذلك فقد ارتفع نصيب الفرد السنوى في نفس الفترة من ٤٥ كيلووات ساعة الى ٢١٢ كيلووات ساعة ، بزيادة خمسة اضعاف ما كان عليه تقريبا . وتبدو اهمية هذه الزيادة في أنها تحققت رغم الزيادة المطردة في عدد السكان .

وتبلغ نسبة الطاقة المستخدمة حاليا في قطاع الصناعة حوالي ٦٤٪ . وتعتبر هذه النسبة دليل صحة في دولة تأخذ بأساليب التطور ، اذ ان من أهم اهداف التنمية اقامة المشروعات الصناعية الكبرى التي تعتمد على الطاقة الكهربائية كقوة محركة ومادة أساسية . كذلك فان من أهم الآثار المترتبة على بناء السد العالي ومحطته الكهربائية ، أتاحة طاقات كبيرة تفتح المجال أمام اقامة عدد كبير من الصناعات الثقيلة المعدنية والكيماوية . وتبدو اهمية محطة السد العالي في أن توليد الطاقة من القدرة المائية يوفر عنصرا هاما من عناصر التكلفة وهو الوقود الذى يستلزم استخدامه لتوليد طاقة مماثلة من محطات توليد حرارية . ويقدر الوفر في الوقود عند الاستخدام الكامل للتوليد من محطة كهرباء السد العالي بحوالي ٢٠ مليونا من الجنيهات سنويا ، هذا وقد بلغ ما حققه التشغيل الجزئي لهذه المحطة حوالي ٧ ملايين من الجنيهات في عام ١٩٧٠ . وهذا الوفر يتيح لنا استخدام كمية كبيرة من البترول في اغراض التصدير الى الاسواق الخارجية أو في قيام الصناعات البترولية والبتروكيمائية

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نلقى نظرة على حجم الاستثمارات التي خصصت للمشروعات الكهربائية منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن ، لنرى من خلالها مدى الاهمية التي اولتها الدولة لقطاع الكهرباء .

لقد بلغت قيمة هذه الاستثمارات مبلغ ٥ر١٢١ مليون جنيه خلال الخطة الخمسية الاولى ٦٠/١٩٦٥ ، واستثمرت هذه المبالغ في اقامة محطات التوليد الحرارية وشبكات النقل والربط والتوزيع . وهى تعادل حوالي ضعف الاستثمارات التي انفقت خلال الفترة من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٦٠ أما من الفترة منذ نهاية الخطة الخمسية الاولى وحتى اليوم ، فقد تم تنفيذ أعمال تقدر استثماراتها بمبلغ ١٩٠ مليون جنيه ، منها مبلغ ٥ر٩٤ مليون جنيه جملة ما تم استثماره في محطة توليد الكهرباء بالسد العالي وتنفيذ شبكات المشروع .

على أنه اذا كانت المشروعات الصناعية والزراعية تحظى بأهمية كبرى فيما يتصل بالطاقة الكهربائية ، فان هناك تخطيطا يهدف الى توفير الطاقة لجميع المواطنين كهدف من أهداف قطاع الكهرباء. ويعود هذا الاهتمام الى أثر الطاقة في رفع القدرة الانتاجية للمواطنين ، بما توفره من وسائل لزيادة الانتاج وتهيئة الظروف الملائمة لذلك . وهذا الى جانب دور الشبكة الموحدة في مد مراكز الاستهلاك الصناعية المنتشرة في كافة أنحاء البلاد بأقصى ما يمكن من حاجتها من الطاقة . فتوفر بذلك التكاليف المرتفعة لانتاج الطاقة في المحطات المائية . ومن ناحية أخرى فان تطوير شبكات التوزيع على نظام موحد جديد للتوزيع داخل المدن سوف يؤدى الى تأمين التغذية ويقضى على شكوى الجمهور من انقطاع التيار ويرفع من مستوى الخدمة بصفة عامة . هذا وقد بدأ بالفعل تنفيذ المشروع ، وتقدر تكاليف شبكتي القاهرة والاسكندرية بمبلغ ٣٤ مليون جنيه تقريبا .

وقد حققت مؤسسة الكهرباء عددا كبيرا من التيسيرات بالنسبة لجمهور المستهلكين . ويتمثل ذلك في النقاط التالية :

● تعميم نظام القايسات النمطية الموحدة حتى يكون الجمهور على بينة منها .

● العمل على تثبيت مواعيد الكشف والتحصيل شهريا بالنسبة لكل مشترك حسب ظروف تواجده صباحا أو مساء .

المؤسسة المصرية العامة للكهرباء

هذا الى جانب قبول تبليغ المشترك من قراءة عداده لمدة شهرين متتاليين .

● التيسير على المشتركين الذين تتراكم عليهم قيمة الاستهلاك ، وذلك بقبول مبدأ التقسيط .

● زيادة المراقبة والتفتيش لضمان الثقة فى قراءة العدادات .

● رفع العدادات المشكوك فى سلامتها فورا لفحصها فنيا ، مع تركيب عدادات أخرى سليمة لضمان أن يدفع المستهلك ما يوازى استهلاكه تماما بلا أى زيادات .

● تعميم مراكز التحصيل «الاكشاك» للتيسير على المشتركين فى سداد قيمة الاستهلاك ، مع منحهم مهلة أسبوعين بعد مرور الكشاف عليهم ليقوموا بتسديد المبالغ المستحقة فى الاكشاك .

الصورة من الداخل

واذا كان هذا هو الدور الحيوى الذى تقوم به مؤسسة الكهرباء من أجل تطور البلاد فى المجالات المختلفة . ومن أجل صالح جماهير الشعب فى كل مكان .. فان علينا أن نقف بعض الوقت أمام صورة المؤسسة من الداخل ، لنرى جيش العاملين فى هذا القطاع فى صورته الانسانية العاملة .

● يبلغ عدد العاملين فى مؤسسة الكهرباء حوالى ٣٢ ألف عامل ، وتصل جملة النفقات السنوية بالنسبة لهم الى مبلغ ٠٠٠ر٧٣٠ر٩ جنيه .

● تبلغ قيمة المصروفات الجارية السنوية اللازمة لتشغيل المرافق الى ٠٠٠ر٨٥٩ر٤٢ جنيه .

● تصل قيمة الانفاق السنوى فى المؤسسة ما بين الأجور والمرتبات والمصروفات والتشغيل والتجديدات وغيرها الى مبلغ ٠٠٠ر٥٦٨ر٨٦ جنيه

● تهتم المؤسسة بتحقيق مزايا عينية لجمهور العاملين بها تعبيرا عن روح المجتمع الاشتراكى الذى يضع القوى البشرية فى المكانة اللائقة بها . وتصل قيمة هذه المزايا الى ٣٠٠ر٨٩٨ جنيها سنويا ، وهى تنفق ما بين العلاج الطبى والرعاية الغذائية وكسوة العاملين .

● تحرص المؤسسة على تهيئة الجو الاجتماعى المناسب فى كل موقع من مواقع العمل . ويتمثل ذلك فى اقامة النوادى فى كل محطة من محطات المؤسسة على امتداد الجمهورية .

● تهتم المؤسسة بانتشار العاملين فيها فى كافة انحاء الجمهورية لتوفير الخدمة المطلوبة لكافة المشتركين على مستوى جيد من الاداء ، ولضمان استمرار وتأمين التغذية فى كل الاوقات دون انقطاع .

● تتعامل المؤسسة مع جمهور المشتركين فى القاهرة والاسكندرية مباشرة عن طريق المحصلين . اما بالنسبة للمدن الاخرى ، فان المؤسسة تقوم بتوريد الطاقة الى مجالس المدن والقرى لتقوم هذه المجالس بمحاسبة الاهالى ، مع الاخذ فى الاعتبار ان المؤسسة هى التى تتولى عمليات الصيانة .

وبعد ، فهذه بعض ملامح الصورة عن النشاط الذى تقوم به المؤسسة المصرية العامة للكهرباء ، التى تحمل أمانة المسئولية بالنسبة لوجه مصر العربية الصاعدة على طريق التطور والتقدم بما يتناسب مع تحديات القرن العشرين فى الدول المتقدمة .. هذه المسئولية التى تضع على كاهلها مهمة توريد الطاقة الكهربائية لكافة المستهلكين لها وعلى مختلف الضغوط ، وسواء أكانت هذه الطاقة مولدة من المحطات المائية أم الحرارية ، لتغذية المصانع والمرافق والرى والمواصلات والانارة العامة .. ليكون وجه مصر مضيئا ، فى انطلاقتنا العظيمة الى مستقبل أفضل .

مشروع كهربة الريف

من أجل إنتشار النور فى كل أنحاء بلادنا

● المشروع يستهدف انارة ٥٥٠٠ قرية هى كل قرى الجمهورية خلال ٥ سنوات

● الكهرباء تؤثر على مجتمع القرية صناعيا واجتماعيا واقتصاديا وحضاريا

● دخل مشروع كهربة الريف مرحلته التنفيذية ، عندما اعلن الرئيس أنور السادات فى احتفالات انتهاء العمل بالسد العالى فى ١٥ يناير ١٩٧١، تبنى الحكومة لمشروع كهربة الريف ، وقيام الاتحاد السوفييتى بالمساهمة فى تنفيذ المشروع . وبعد قيام الدكتور عزيز صدقى نائب رئيس الوزراء بتوقيع اتفاقية التعاون الفنى والاقتصادى بين ج.ع.م والاتحاد السوفييتى فى ١٦ مارس ١٩٧١ ، انشئت هيئة كهربة الريف .

ويبلغ حجم الميزانية الخاصة بالهيئة ١٨٣ مليون جنيه . وسوف تقوم هذا العام باستكمال خطة ٧١/٧٠ بانارة ٢٠٠ قرية ، واستكمال خطة احتياطية ٧١/٧٠ بانارة ٣٥٠ قرية ، والبدء فى خطة ٧٢/٧١ بانارة ٥٠٠ قرية ، وكذلك البدء فى تعديل شبكات الكهرباء فى عواصم ١٦ محافظة .

وجدير بالذكر ان المشروع يستهدف كهربة جميع قرى الجمهورية ، والبالغ عددها ٥٥٠٠ قرية خلال خمس سنوات، على أن يتم أولا بأول انارة توابع القرى من نجوع وعزب وكفور وتجمعات سكنية تضم ١٠٠ نسمة فاكثر . ويشمل المشروع أيضا انشاء شبكات توزيع الكهرباء بالمحافظات من خطوط ومحطات محولات ، وعددها ١٩ محطة محولات ٦٦ ك . ف و ٦ محطات محولات ٣٣ ك . ف . وتدعيم شبكات التوزيع الكهربائية بالمدن وتطويرها ، تداركا لحالة هذه الشبكات التى وصلت الى درجة كبيرة من التخلف . ويبلغ عدد المدن التى تشملها الخطة ١١٩ مدينة .

اما المشروعات الانتاجية الجديدة التى ستدخل القرى نتيجة الاستفادة من الكهرباء فهى :

● استبدال محركات الديزل العاملة فى قطاعات الرى وحليج الاقطان وما شابه ذلك بمحركات كهربائية .

● تشغيل الالات الزراعية بالكهرباء ، مثل الات الحصاد والكبس والتعبئة والصحن والعصر ..

● تشجيع تصنيع الحاصلات الزراعية، سواء بالتجفيف أو التبريد او غير ذلك من الاساليب .

● فتح مجالات كثيرة للتصنيع فى الريف ، وخاصة بالنسبة للصناعات الصغيرة والحرفية والبيئية ، وكذلك كهربة الات صناعة الالبان .

وقد اعيد النظر فى نظام العدادات ، وتقرر ان تكون المحاسبة على أساس تحديد اشتراك ثابت للمستهلك ، وذلك تجنبا لعديد من المشاكل المترتبة على نظام العدادات ، ومنها ضخامة الاعباء الخاصة بالقوى العاملة فى القراءة والحسابات والتحصيل وضبط العدادات ، وصعوبة تحصيل مبالغ شهرية من

الفلاحين ، وما يترتب على قطع التيار من انتشار التوصيلات غير القانونية ، وغير ذلك من المشاكل ، والحل الامثل هو أن يتم التعاقد بين مجلس القرية وكل مشترك على اشتراك ثابت ، يحدد على أساس عدد الغرف وعدد الاجهزة وانواعها ، ويدفع بصفة دورية . ولتلافي مشكلة التوسع في استخدام الكهرباء ، فسوف يتم استخدام قواطع تيار خاصة أوتوماتيكية ، تقوم بقطع التيار اذا تجاوز الاستهلاك الحد المقرر له . وقد نجحت هذه الطريقة في بعض الدول النامية .

هذا وسوف يشمل مشروع كهربة الريف التغذية الكهربائية للقوى المحركة المتوسطة والصغيرة داخل وخارج كردونات القرى . كما يشمل أيضا انشاء شبكات توزيع الكهرباء بالمحافظات من خطوط ومحطات محولات اللازمة لتوصيل الكهرباء الى القرى .

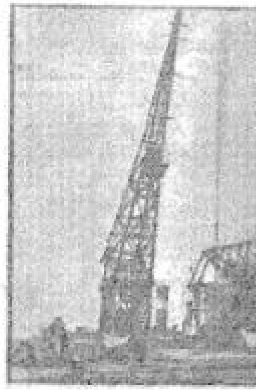
أما فيما يتعلق باعداد الفنيين الذين سوف يتولون ادارة الشبكات وصيانتها ، فقد وضعت وزارة الكهرباء خطة لتدريب الفنيين باستخدام مراكز التدريب والمعاهد التابعة للوزارة . كما عملت مؤسسة الكهرباء على انشاء معاهد ومراكز للتدريب بها يتولى التدريس فيها مهندسون متخصصون ، وتتناول برامج التدريب والتدريس فيها الاوجه العملية المتعلقة بنشاط العاملين بقطاع الكهرباء . وقد تم بالاتفاق مع الامم المتحدة انشاء « معهد القوى الكهربائية » بجنوب القاهرة لتدريب المهندسين الجدد والعاملين في التخصصات الكهربائية المختلفة . كما تم بمعاونة الاتحاد السوفييتي انشاء « مركز التدريب الكهربائي » بشمال القاهرة للقيام بتدريب الفنيين الذين يلحقون بالمؤسسة ، وعقد دورات تدريبية خاصة للفنيين العاملين بالقطاع في التخصصات والاعمال الكهربائية المختلفة .

ولمواجهة التوسع المستمر وخاصة في مشروع كهربة الريف ، والذى يتطلب أعدادا كبيرة من الفنيين المؤهلين ، فقد اتجه قطاع الكهرباء الى وزارة التربية والتعليم لتدعيم اقسام الكهرباء في المدارس الصناعية بالمحافظات وتطويرها لتخريج المستوى المطلوب من الفنيين والكهربائيين الذين يمكن الاعتماد عليهم مستقبلا في تشغيل وصيانة الشبكات الكهربائية . والامر يتطلب مزيدا من التعاون بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الادارة المحلية من جهة ووزارة الكهرباء من جهة أخرى لتحقيق هذا التطوير وتوفير الفنيين اللازمين للقيام بالاعباء الجديدة .

ويعتبر تنفيذ خطة كهربة الريف مرحلة جديدة من مراحل التحدى التي تمر بها بلادنا ، وأملا من الامال الكبار التي يتطلع اليها كلّ مواطن . ولذلك فقد وضعت خطة محكمة لحل مشاكل انقطاع التيار ، ذلك ان تشغيلَ الشبكة الكهربائية الموحدة بالجمهورية يقتضى تحكما مركزيا في اجزاء هذه الشبكة ، ولذلك أنشيء مركز رئيسى للتحكم في القاهرة ، يعاونه مراكز تحكم اقليمية بالقاهرة والاسكندرية وطلخا ونجع حمادى واسوان . ويختص التحكم المركزى بوضع برامج الصيانة والعمرات لوحدات التوليد ومحطات الشبكات . ويتولى مراقبة تشغيل الشبكة الكهربائية الموحدة لحظة بلحظة ، واصدار التعليمات لجميع محطات التوليد والمحولات في أحوال التشغيل العادية وفي حالات الحوادث والطوارىء لسرعة اعادة التغذية الكهربائية لجمهور المستهلكين . ويشتمل مشروع السنوات الخمس القادمة لخطة الكهرباء على استكمال مشروع مركز تحكم منطقة القاهرة ، وانشاء مركزين للتحكم بأسوان وطلخا ، وربط التحكم المركزى بالقاهرة بمراكز التحكم الاقليمية ، وهكذا تصبح الشبكة الكهربائية الموحدة للجمهورية العربية المتحدة على ارقى المستويات العالمية ، وبخاصة في جوانبها الفنية .

شركة مصر للكراكات والأشغال العامة

نشاط واسع فى مجال الري والصرف والإنشاء والتعمير



● تلعب شركة مصر للكراكات والاشغال العامة . احدى شركات المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الانشاءات المدنية . دورا بارزا فى خدمة الاقتصاد القومى اذ انها تقوم بتشغيل وحداتهـا الآلية فى اعمال تطهير وتوسيع وتعميق الترع والمصارف وانشاء مجـارى الرى والصرف وعمليات الردم فى مناطق مختلفة بانحاء الجمهورية .

وقد اسهمت شركة مصر للـكراكات والاشغال العامة فى تنفيذ بعض المشروعات الهامة اسهاما فعالا وعلى رأس هـذه المشروعات ما قامت به فى مجـال الرى والصرف واعمال التوسع على مياه السد العالى :

● قامت الشركة بتنفيذ اعمال ضخمة فى هذا المجال سواء لاعداد المجارى المائية اللازمة لتوصيل المياه للاراضى الجديدة او تحويل اراضى الحياض التى تبلـغ مساحتها ٤٢،٣٠ الف فدان الى رى دائم . وذلك بواسطة معداتها الضـخمة من الكراكات والشفاطات . وكان اهم ماقامت به فى ذلك المجـال هو عملية توسيع وتعميق ترعة نجع حمادى الغربية

● تقوم الان بعملية توسـيع ترعة الاسماعيلية بالـكراكات من الفم حتى نهايتها وذلك من المناطق الجديدة بشرق الدلتا ، والتى تبلغ مساحتها نحونصف مليون فدان بمياه السد العالى ، كما تقوم بتوسيع رياح البحيرة لتوفير المياه اللازمة لرى واستصلاح منطقـة النصر بمريوط ومساحتها نحو ٢١٠ الف فدان .

● وهى تقوم حاليا بمشروعات تحسين الرى والصرف لزيادة الرقعة المنزرعة فى شمال ووسط الدلتا .

اما فى مجال الانشاء والتعمير فقـد اسهمت فى المشروعات الآتية :

● انشاء كورنيش النيل بالقاهرة من شبرا حتى حلوان .

● انشاء كورنيش مدينة المنيا

● انشاء كورنيش مدينة اسـوان مع اقتطـاع مساحة قدرها خمسة واربعـون فدانا من مجرى النيل واعدادها للاسكان

● اسـهمت فى الاعداد للمـواقع الصناعية ومحطات القوى الكهربائية فى مناطق متعددة من الجمهورية .

والشركة تقوم بكل هذه الأعمال معتمدة على امكانياتها الضخمة حيث تمتلك ورشة خاصة لصيانة وعمل العمرات اللازمـة لوحداتها الآلية وهى تقـوم حاليا بدعم هذه الوحدات بوحدات جديدة حيث تقوم بانشاء ثمانية شفاطات اخرى بخـامات وايد مصرية .

تقييم لأسباب نجاح :

شركة النيل العامة لنقل البضائع

● تنظيم إدارى ممتاز
يقوم على أسس علمية حديثة
● رعاية كاملة
وحوافز متميزة للعاملين المتفوقين

عندما يكون هدف المؤسسة او الشركة واضحا ... وعندما يكون هذا الهدف منصبا على خدمة الاقتصاد القومى على اسس علمية واضحة ... عندما يحدث هذا فى شركة ما فاننا لابد ان نسجل لها بانها شركة ناجحة مائة فى المائة

ولان الشركات الناجحة مائة فى المائة عندنا قليلة ، فلابد من ان نقدم بين الحين والحين نموذجا من هذه الشركات مع تحليل لاسباب نجاحها واسلوب عملها ، حتى يمكن أن تكون مثلا يحتذى بين سائر الشركات ..

● والشركة الناجحة التى نقدمها كنموذج اليوم هى شركة النيل العامة لنقل البضائع احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلى ..

لقد استطاعت هذه الشركة أن تضع بين أهدافها خدمة التصدير والاستيراد ايمانا منها بدورها الكبير فى قطاع نقل البضائع على الطرق فى خدمة الاقتصاد القومى

ومن خلال هذا الايمان بدأت شركة النيل العامة لنقل البضائع تعمل وتؤدى خدماتها بأكبر كفاءة ممكنة ودون نظر الى ربحيها بحقق نقل السلع المصدرة الى موانئ التصدير فى الوقت المناسب وبما لا يعطل أسطول النقل البحرى وبما يحقق نقل السلع والمواد المستوردة فى الوقت المناسب والى المكان المناسب وبالحالة المناسبة.



السيد وزير النقل والمهندس البديوى فؤاد والسيد رياض بخيت فى حفل توزيع الجوائز على السائقين

وقد وضعت الشركة أيضا أمام عينيها أهداف الدولة وهى زيادة الصادرات الى أقصى حد ممكن لتمكيننا من توفير العملات الصعبة حتى نتمكن من استيراد ما نحتاجه لتحقيق خطط التنمية وتلبية احتياجات الحركة .

وقد تمكنت الشركة من تجاوز الاهداف المقررة لها بما يعادل ٤٠٪ تقريبا عما وضعته لها المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلى ، ونسقت الشركة تنقلاتها بما يحقق كفاءة التشغيل بانشاء مكاتب لتنسيق الحركة ومتابعة تنفيذ الالتزامات .

وكان من نتيجة هذا كله أن تمكنت الشركة من الاسهام فى نقل الصادرات بما يصل الى ٥٠٪ من صادرات البلد خصوصا الحاصلات الزراعية والاقطان .

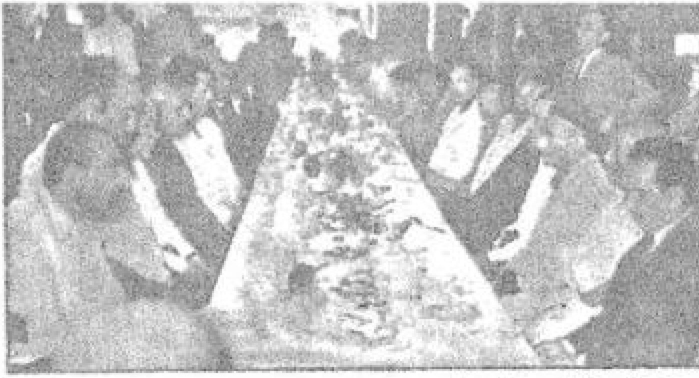
فكيف حققت شركة النيل العامة هذا التقدم الكبير ؟ ..

الاجابة عن هذا السؤال نقول :

● أن الشركة حققت هذا النجاح نتيجة جهد كبير يبذله ٢٢٠٠ عامل يعملون دون نظر الى ساعات عمل محدودة .. وتحت أى ظروف تفرض عليهم ..مراعين مصلحة بلدهم قبل أى شىء آخر .

● بذلت الشركة جهودا واضحة لاتباع الاسلوب العلمى فى الادارة والتنظيم فطورت أساليب العمل بها فتخلصت من السيارات القديمة التى كانت تشكل غالبية وحداتها العاملة ذات الماركات المتعددة مما يشكل صعوبة الاصلاح وفى توفير قطع الغيار وتم توحيد أسطول الشركة اعتبارا من عام ٦٢ . كما تم تقسيم الشركة الى خمسة فروع حسب مناطق التشغيل المخصصة لها جغرافيا .

واستخدمت الشركة نظام المجموعات المتكاملة فنيا وحركيا واداريا وهو نظام ذو طابع علمى حديث وعالمى وذلك بالتعاون مع الجهاز المركزى للتنظيم والادارة . كما تم تطوير العمل من الناحية الفنية الى مستويين ، الاول



السائقون الممتازون الذين كرمتهم الشركة لامتيازهم

للاصلاحات الجارية والصيانة ويتم في كل فرع تدبير الجراجات الحديثة الكاملة الاستعداد .. أما المستوى الثاني فخصص للاصلاحات الثقيلة والعمرات والمحركات وأفردت لها ورشة خاصة مركزية تضم الفنيين والمتخصصين .

ذلك الى جانب مجموعة أخرى من الاجراءات لتطبيق مبدأ مركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ وانشاء مكاتب للتنسيق في الفروع الكبيرة وانشاء قسم الرقابة لمتابعة السيارات على الطرق.

العمال والحوافز

ولعل ما أتبعته شركة النيل العامة مع العاملين بها من تعميق للقيم الاشتراكية كان سبباً أكيداً في وصول الشركة الى هذا النجاح الكبير فالعاملون بالشركة يتمتعون بالمكاسب الاشتراكية وبالاضافة الى ذلك بالميزات الآتية :

● العلاج الطبي الشامل وتدبير أعمال المصابين والمرضى غير القادرين

● أنشأت الشركة قسما لتدريب العاملين حيث يعقد دورات ناجحة لرفع كفاءتهم ويمنح الأوائل مكافآت مالية مجزية مع ارسال بعض العاملين للخارج للتدريب.

● توفير المساكن والاستراحات بالجراجات .

● تسهم الشركة بجزء كبير في نفقات الرحلات الخاصة بالعاملين في المصايف

● وضعت الشركة نظاما للحوافز لتشجيع الاكفاء والمنتجين على الاستمرار والتقدم وهذا النظام يتلخص في : حوافز شهرية لسائقي سيارات الملاكي وحوافز للتحصيل وحوافز لخفض استهلاك السولار وحوافز للنقلات الصغيرة والمحلية وأخرى للمجموعات عند تحقيق أعمال التشغيل المقررة وحوافز لحسن صيانة المحركات تصل الى ٢٠ جنيها

● اجراء حركة ترقيات دائمة تشمل أكبر عدد من العاملين .

● يحصل العاملون على علاواتهم سنويا منذ ١٩٦٥ بنسبة ١٠٠ ٪ وعلى أرباح سنوية متزايدة .

ولقد كان من نتيجة ذلك أن حصلت الشركة على كأس الانتاج لعام ١٩٦٨ وتم رفع الشركة الى المستوى الثاني ثم المستوى الأول في سنة ١٩٦٨

ولقد أجرت وزارة النقل دراسة في شهر يونيو ١٩٧١ اتضح منها أن الشركة هي أقل شركات الأوتوبيس تكلفة وهذا نتيجة وجود الرقابة الصارمة على المصروفات

وأخيراً زاد الانتاج والتشغيل بالشركة بمقدار أربعة أضعاف منذ سنة ١٩٦٥ حتى الآن .. واستحقت الشركة أن يطلق عليها اسم الشركة ناجحة » وتأخذها كنموذج يحتذي به الشركات المتفوقة ..

شركة النيل العامة لأعمال النقل

ومدى ما حققته من التطور



المهندس سليمان عبد الحي وزير النقل

● مما لا شك فيه أن النقل يعد في كل دول العالم احدى الدعامات الكبرى التي تقوم عليها انشطة كثيرة من القطاعات الانتاجية والصناعة والتجارة والخدمات وذلك استنادا الى مبدأ توفير الطاقات الفردية على بعد المسافة ، بالاضافة الى الاثر الاقتصادي للنقل من خلال تكاليف النقل في اقتصاديات مختلف المشاريع ، الامر الذي يترتب عليه رفع مستوى وزيادة كفاية تشغيله وفقا للاسس العلمية الحديثة مما يؤدي بطريق مباشر الى التأثير الملموس امام خطط التنمية الاقتصادية فضلا عن رفع المستوى الثقافي والفني وتقريب الفوارق بين سكان المدن والقرى .

ومن هنا فان [illegible] النقل ، و[illegible] شبكة له والتنسيق [illegible] بين [illegible] ووسائله ، [illegible] جديد ونقل من الفرق ونقل اخرى ، واعادة تنظيم أساليب الاداء التي تقوم عليها باستخدام وسائل النقل المتطورة التي [illegible] بما لا ادنى شك في الوصول الى عدة اهداف في مقدمتها توفير [illegible] الاقتصادية ، وتخفيض [illegible] باعتبار أن النقل عنصر من عناصر التكاليف ، وتنظيم الانتاج واستمراره وزيادة معدلاته بهدف الوصول الى الانتاج الكبير [illegible] من التخصصات العلمية والفنية .

ومن هنا كان النقل [illegible] من حيث

التكنولوجي من أجل تقدم النقل



المهندس محمد الدسوقي فؤاد
رئيس مجلس ادارة المؤسسة



المهندس حسن [illegible]
رئيس مجلس ادارة الشركة

ملكية الوحدات الى اربعة اقسام هي :

● وحدات مملوكة للقطاع العام متخصص ممثلة في المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلي وشركاتها وهي تمثل ٦٣٪ من مجموع وحدات النقل .

● ووحدات مملوكة لقطاع عام غير متخصص في النقل وتمثل ٦٥٪ من وحدات النقل .

● ووحدات مملوكة للافراد داخل الجمعيات التعاونية وتمثل ٣٣٪ من وحدات النقل .

● ووحدات مملوكة للافراد [illegible] وتمثل ٢٤٠٪ من وحدات النقل . [illegible] تقسيم [illegible] المصرية من حيث الملكية فان نشاط النقل في ظل القطاع العام المتخصص [illegible]

مملوكة [illegible] من الشركات [illegible] ، والتي [illegible] الى من القطاع الخاص ، [illegible] الى الافراد .

ويأتي ذلك [illegible] الحالية [illegible]

القطاع من جهود كبيرة في سبيل تحقيق الهدف الاكبر وهو الحركة والتنمية الاقتصادية .

وانطلاقا من المسؤولين عن النقل [illegible] السيد المهندس وزير النقل والسيد المهندس رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلي [illegible] القطاع سواء [illegible]

شركة النيل العامة لأعمال النقل

سير العمل أو بتدبير الوحدات المتحركة اللازمة للاحلال محل الوحدات المستهلكة وتدعيم الشركات بوحدات جديدة .

منطق الارقام

وكان من الطبيعي أن ينعكس اثر هذا كله على شركة النيل العامة لاعمال النقل (النيل) احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للنقل الداخلي .

واذا استعرضنا نسبة التطور من سنة الاساس ١٩٦٣/٦٢ والسنة المالية الحالية ١٩٧١/٧٠ لاتضح لنا مدى التطور الذى حدث فلقد زاد راس مال الشركة بنسبة ٨٠٠٪ ، وزادت فيه الاموال الثابتة بنسبة ٥٤٠٪ وزادت قيمة الانتاج بنسبة ٢٣٠٪ وزاد عدد العمال بنسبة ١٦١٠٪ وزاد عدد الوحدات بنسبة ١٠٠٠٪ .. ان هذه الزيادة التى حدثت توضح أن شركة النيل العامة لاعمال النقل (النيل) تسير بخطوات واسعة نحو الهدف المرسوم لها برغم كل الصعوبات والمنافسة التى تتعرض لها الشركة من قبل الشركات الاخرى .. وذلك لان المسئولين فى الشركة يؤمنون بضرورة تطوير اساليب العمل وذلك باستخدام الاسلوب العلمى والتكنولوجى ويظهر ذلك بوضوح فى اعمال الشركة مثل :

● التطور فى حمولة الوحدات المتحركة اذ ارتفع متوسط الحمولة للوحدة من ١٢٫٥ طن الى ٢٠ و ٢٥ طنا مما يساعد على نقل عدد اكبر من الاطنان فى الرحلة الواحدة بتكاليف كلية اقل مما كانت عليه .

● انشاء جراجات تتناسب مع الوحدات الجديدة وورش اصلاح ذات استعداد عالى الكفاءة لاجراء الصيانة والعمرات للوحدات المتحركة .

● اتباع ادارة الشركة للاسلوب العلمى الحديث فى ادائها لوظائفها من حيث التخطيط والتنسيق والاشراف .

● تمشيا مع تطور العصر الحديث تستخدم الشركة الحاسب الالكترونى لحساب جميع التقليات ، ومراقبة التشغيل وتحديد مراكز العملاء وحساب الاجور حتى تتوافر لدى الشركة البيانات المساعدة على التخطيط والوصول الى العملة الطلوبة .

والى جانب هذا فان الشركة لا تدخر وسعا فى رفع طاقة تشغيل وحداتها المتحركة وفقا لاحدث الاساليب العلمية المتمشية مع المبادىء الاشتراكية عملا بمبدا « العلم والايمان »

ومن خلال ما تقدم استطاعت الشركة الى جانب اعبائها المادية من الوفاء بالتزاماتها قبل العملاء أن تسهم فى الخدمات القومية اقتصاديا او فى اطار خدمة المعركة كاشتراكها فى عملية تهجير النوبة ابان التهجير لانشاء السد العالى بالاسهام بنقل الاهالى وامتعتهم ومنقولاتهم وماشيتهم الى مناطق التهجير الجديدة والاشتراك فى تهجير سكان منطقة القناة فى ظل المعركة كما أن الشركة تسهم فى العمل على منع تكدس البضائع بميناء الاسكندرية بأن خصصت عددا من سياراتها فى اطار وحدة مستقلة لهذا العمل القومى

وهكذا فان شركة النيل العامة لاعمال النقل « النيل » تعد فى طليعة شركات النقل بالقطاع العام فى بلدنا ... وهى مفخرة لهذا القطاع وسند حقيقى فى تحقيق اهداف الوطن القومية .


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي
شعلتان ونصف
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباقه السفرة
مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

فى شركة النيل العامة للنقل المائى :

- الباب المفتوح + حوافز الانتاج = جهد خلاق
- حوافز الانتاج تقدمت بالشركة خطوات واسعة
- خبير الأمم المتحدة يوصى بتطبيق نظم الشركة فى شركات العالم المماثلة !



السيد احمد صبيح والى يمينه : السيد المحاسب محمد فتحى عبد المجيد والى يساره : السيد خليل عثمان عضوا مجلس الادارة وبعض العاملين بالشركة فى اجتماع عقب فوز الشركة بكأس الانتاج للسنة الرابعة ..

● تخوض شركة النيل العامة للنقل المائى تجربة فريدة فى القطاع العام تقريبا .. هذه التجربة تقوم اساسا على شعار يقول : سياسة الباب المفتوح + حوافز الانتاج = جهد خلاق . فماذا كانت نتيجة هذه التجربة ؟ !

ان هذه التجربة عمرها ثمانى سنوات هى عمر شركة النيل العامة للنقل المائى .. منذ انشئت الشركة حتى الان وقد التزمت الادارة العليا بها بسياسة الباب المفتوح .. لا معوقات عند أبواب رئيس او اعضاء مجلس الادارة ، فأى موظف او عامل يمكنه أن يدخل مكتباى مدير ويتحدث اليه .. والحديث دائما يدور عن الانتاج .

ولقد بدأ السيد / أحمد صبيح رئيس مجلس ادارة الشركة هذه السياسة بنفسه فهو يمارس عمله في مواقع العمل نفسها ، حتى أصبح من المعتاد أن يجد أي دريس وحدة رئيس مجلس الادارة يفاجئه الرحلة وهي في عرض النيل في أي مكان من أسوان الى الاسكندرية دون سابق أنذار انه يقول دائما : **لا ادارة من المكاتب ، يجب أن نرى المشاكل على الطبيعة حتى يمكن حلها بواقعية** » .. ولقد اقتدى به كل أعضاء مجلس الادارة .

● الرقابة والحوافز ●

وجهاز الرقابة في هذه الشركة يلعب دورا هاما ومحددا بأهداف للصالح العام وبطريقة عملية فهو يكتشف الخطأ قبل وقوعه ثم اصلاحه فوريا ثم الوقوف على أسبابه ثم محاسبة المخطىء .. وليس هذا هو كل عمل الرقابة انها أيضا **مكلفة باكتشاف الممتازين من العاملين وتقديمهم للادارة العليا** .

وتلقى الحوافز اهتماما بالغا من **السيد / أحمد صبيح** رئيس مجلس ادارة الشركة فهو يرى ان الغرض الاساسى من حوافز الانتاج هو الوصول بالعاملين الى أقصى طاقة جهد في امكانهم أن يبذلوها . وقد وضعت معايير وحوافز الانتاج بالشركة على أسس عادلة وطبقت بجانبيها السلبي والايجابي بمبدأ المطلقة وكان من نتيجتها ان تقدمت الشركة بخطوات واسعة حتى وصلت الى الصورة المشرفة التى هى عليها الآن .

ولعل الارقام هى خير دليل على ذلك .. ان آخر ميزانية للشركة قبل التأميم تؤكد ان الشركة حققت خسائر ملحوظة .. ثم جاءت أول ميزانية للشركة بعد التأميم لتؤكد ان الشركة حققت ارباحا ورغم أن الشركة بدأت نشاطها بعد التأميم « في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦٣ » الا أنها حققت أرباحا هائلة في خلال عام واحد حتى أن رئيس مجلس ادارة المؤسسة أرسل خطابا للشركة يشكرها فيه على الجهد غير العادى الذى بذله العاملون فيها مما مكن الشركة من تحقيق أعلى فائض تشغيل .

● تقدير كبير ●

وقد استطاعت الشركة بسياستها التى تقوم على الباب المفتوح والحوافز العادلة واستمرار الجهد الخلاق ان تحصل على تقدير لم تحصل عليه كثير من شركات القطاع العام فقد جاء في التقرير السنوى للجهاز المركزى للمحاسبات عن السنة المالية ١٩٦٥ /١٩٦٦ أن شركة النيل العامة للنقل النهرى هى احدى ثلاث شركات من مجموع شركات قطاع النقل والمواصلات التى تعد من أبرز الوحدات الناجحة التى حققت الاهداف المقررة لها بنجاح مع الكفاءة في التشغيل وسلامة المركز المادى ، وقد رفع هذا التقدير الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومجلس الأمة .

وليس هذا فقط بل ان الشركة استطاعت بهذه السياسة أن تحصل على كأس الانتاج اربع مرات متتالية ، كما رفعت درجتها من الدرجة الرابعة الى الثالثة ، وأصبح من المعتاد ان يوجه الشكر للعاملين من السيد وزير النقل

كما حصلت الشركة أيضا على تقدير خبير الامم المتحدة في النقل النهرى الداخلى « كلود بوتيت جورى » الذى أوفدته الهيئة العالمية للاطلاع على نشاط النقل النهرى الداخلى بالجمهورية العربية المتحدة الذى قال في تقريره « **ان النظم والاساليب التى تتبعها الادارة العليا بهذه الشركة في مجال الادارة تعد من احسن النظم في كافة شركات النقل النهرى الداخلى بالعالم اجمع .** » وقد أوصى ان يتبع هذا النظام بالشركات الاخرى في انحاء العالم .

وقد قال نفس الخبير عن ورش العمليات الحركة بالشركة انه لم ير مثيلا لها في كافة شركات النقل النهرى الداخلى التى زارها في العالم .

ان هذا النجاح الكبير يرجع فيه الفضل كل الفضل للتنظيم بخطوطه الاربعة : التخطيط ومتابعته والتنفيذ ومراقبته .

صورة مشرفة لتطبيق مبادئ التعاون على طريق التقدم الاشتراكي تقدمها :

الجمعية التعاونية لنقل البضائع بالسيارات في القاهرة

● الجمعية نفذت نقليات بلغ حجمها ٢٠٠ مليون طن/كجم في عام ١٩٧٠/١٩٧١ وحققت إيرادات ذاتية ١,٩٠٠٠٠ جنيه وأرباحاً بلغت ١٠٠ ألف جنيه

● من الإشارات الدالة بوضوح على نجاح التعاون في بلدنا ، تلك الصورة المشرفة التي تقدمها الجمعية التعاونية لنقل البضائع بالسيارات في القاهرة .

والواقع ان هذه الجمعية مع ٢٣ جمعية اخرى مثيلة جاءت ثمرة من ثمرات قوانين التعاون العظيمة التي ارست الثورة مفاهيمها في المجتمع الاشتراكي الجديد .

ومنذ اليوم الاول لنشأة الجمعيات التعاونية لنقل البضائع التزمت هذه الجمعيات بمبادىء اشتراكيتنا التعاونية لتؤدي دورها الذي انشئت من اجله في مجال نقل البضائع على الطرق مؤدية بذلك اجل الخدمات لكل قطاعات اقتصادنا المختلفة سواء اكان القطاع الزراعي أو الصناعي او قطاع التموين والتجارة الخارجية او نقل البضائع والسلع من مواقع الانتاج الى مراكز التصدير او الاستهلاك .

ولقد برهنت هذه الجمعيات وعلى راسها جمعية القاهرة على فعالية الدور الذي تستطيع أن تؤديه التعاونيات في ظل تحالف قوى الشعب العاملة خدمة للوطن وعلى طريق تقدمه وازدهاره ..

لقد بلغت عضوية الجمعية التعاونية لنقل البضائع بالسيارات في القاهرة ٦٠٠ عضو يمتلكون ٩٠٠ وحدة نقل ، وتقدم في كل يوم دليلا جديدا على نجاح التعاون في قطاع النقل اذ تقوم الجمعية بدورها في انجاز كل مايسند اليها من عقود النقل العامة .. ناقلة طاقات الصناعة والسلع

الاستهلاكية والتمـوين وغير ذلك من النشاطات التى ترتبط ارتباطا حيـويا بتنفيذ خطط التنمية .

وتبرز صورة النجاح أكثر اذا نظرنا ـ الى جانب ذلك ـ الى الخدمات التى تؤديها الجمعية لاعضائها تحقيقا لمبـدأ التعاون وتتيجة له ..

ونجحت الجمعية فى توفير النقليـات المناسبة للاعضاء لتشغيل سـياراتهم بالكفاءة المطلوبة وبالاسعار المناسبة التى تحقق هدف التعاون سواء لاصـحاب السيارات من الاعضاء او العملاء .

● افتتحت الجمعية مخزنا لبيع قطع الغيار والمحركات والاطارات باسعار تعاونية مناسبة فاسهمت فى القضاء على السـوق السوداء فى هذا المجال .

● قدمت الجمعية القروض الصغيرة للاعضاء تسهيلا لهم عند احتياجاتهم لاصلاح سياراتهم وبذلك امنتهم من الوقوع فريسة للاستغلال .

● اعتمدت الجمعية عائدا نسبته ٣٪ على معاملات الاعضاء بالاضافة الى نسبة ٦٪ ارباح الاسهم عن السنة المالية ٦٩/٧٠

ويقول السـيد / محمد رضوان المفوض بالجمعية التعاونية لنقل البضـائع بالسيارات لمحافظة القاهرة :

« ان الجمعيات التعاونية كانت بنقـل ١١ مليون طن اى مايوازى ١٦٠٠ مليون طن / كم من البضائع المختلفة وبلغ اجمالى ايراداتها ٩ ملايين جنيه ووصلت قيمـة البضائع المنقولة الى ١٥٠ مليون جنيـه تقريبا . هذا دليل قاطع على أن هـذه الجمعيات تشارك فى خطة التنميـة الاقتصادية وتعمل وحدات النقل بهـا كالخلية على جميع خطوط الجمهورية

« اما بالنسبة لجمعية القاهرة فقد كان رأس مالها العامل فى السنة المالية ٦٩/٧٠ مبلغ ٩٠ الف جنيه ووصل فى سـنة ٧٠/٧١ الى ١٢٠ الف جنيه ووصـلت ايرادات النقل فى السـنة المالية ٦٩\٧٠ الى مبلغ مليون و ١١٦ الفا و ٨٠٠ جنيه وفى السنة المالية ٧٠/٧١ وصـلت الى مليون و ٩٥٠ الف جنيه .

« اما فيما يتعلق بحجم الانتاج فقد بلغ ١٤٥ مليون طن / كجم فى ٦٩\٧٠ ووصل الى ٢٠٠ مليـون طن / كجم فى عام ٧٠/٧١ . وقد حققت الجمعية ارباحا صافية قدرها ٤١ الف جنيه فى عـام ٦٩/٧٠ ووصلت الى ١٠٠ الف جنيه فى سنة ٧٠/٧١

« والجمعية تسير فى طريق التقـدم باذلة كل جهدها لمسايرة التطـورات الحديثة فى مجال النقل لتكون اقدر على الوفاء بمسئولياتها وتقديم خدماتها وفق احدث الطرق والوسائل والاساليب ... وفى هذا المجال فقد اصبح كثير من اعضائها يمتلكون وحدات النقل الثقيلة التى تصل حمولتها الى ٢٠ طنا الامر الذى سـاعد على خفض تكاليف النقل من ناحية وتوفير الطاقة المناسبة لنقل معدات المصـانع الثقيلة من ناحية اخرى .

« ولقد جاء هذا النجاح نتيجة للجهد « غير العادى الذى يبذله العاملون واعضاء الجمعية فى سبيل خدمة الاقتصاد القومى وخطط التنمية .

لقد اوضح بيان ٣٠ مارس العظيم انه سوف تحقق التنظيمات التعاونية القادرة على تحريك جهود الانسان لمواجهة مشاكله .

ولقد طالب السيد الرئيس انور السادات فى برنامج العمل الوطنى ان تطور الفئة التعاونية لاقامة علاقات انتاجية متقدمة تدفع بالانتاج الى الامام وتنمى قيمـا اجتماعية جديدة .

وعلى هذا الطريق الواضح المعالم تسير جمعية النقل بالسيارات بمحافظة القاهرة بكل حبة عرق وبكل جهد تحت قيـادة مجدد شباب ثورتنا وباعث الامل فى النصر القريب بإذن الله . السيد الرئيس انور السادات .

الجمعية التعاونية للبترول تطبق

نظاما متميزا للحوافز

والنتيجة : زيادة الإنتاج فى كل إداراتها

● يأخذ مفهوم حوافز الانتاج فى شركة الجمعية التعاونية للبترول شكلا انسانيا يتفق مع حركة الانتاج والجهد الذى يبذله العاملون بها ، فشركة الجمعية التعاونية للبترول تعد من طلائع الوحدات الانتاجية بالدولة ، التى تطبق منذ عدة سنوات نظاما متميزا لحوافز الانتاج وذلك ايمانا منها بأن تطبيق هذا النظام يحقق مزايا كثيرة تعود على الانتاج والعاملين .

ولما كان الاصل فى حوافز الانتاج للعاملين هو الجهد الزائد ــ الحقيقى المبذول منهم ــ من معدلات الانتاج الطبيعية، لذلك شكلت الجمعية التعاونية للبترول لجانا متخصصة تمثل العاملين واللجان النقابية ولجنة الاتحاد الاشتراكى العربى لوضع معدل اداء لكل عملية انتاجية لجميع مراحل العمل بالشركة . وقد تم فعلا وضع معدل أداء عادل لكل عملية واعتبر ما يزيد على هذا المعدل جهدا اضافيا يحق للعامل ان يصرف عنه حافزا يتناسب مع حجم الجهد المبذول .

النتيجة .. زيادة الانتاج

ومن خلال تطبيق هذا النظام راعت الشركة المرونة الكاملة ، وذلك بادخال التعديلات المستمرة طبقا للتغييرات المستحدثة فى حجم ووسائل الانتاج .

وقد حققت الشركة من خلال تطبيقها لنظام الحوافز مزيدا من الانتاج فضلا من المزايا المادية والمعنوية الاخرى التى عادت على العاملين بها .

وهنا يجدر بنا أن نعطى مثلا لزيادة الانتاج ولنأخذ احدى ادارات الشركة ، وهى ادارة النقل مثالا على ما تقول

ان نتيجة تطبيق نظام الحوافز فى

عمليات النقل المختلفة تطور بشكل ملحوظ فقد زادت الكميات المنقولة فيما بين سنة ٦٨/١٩٧١ بنسبة ٣٣٪ فاذا اعتبرنا سنة ١٩٦٨ تمثل ١٠٠٪ باعتبار انها السنة التى حصلت فيها الشركة على كأس الانتاج فقد حققت سنة ١٩٦٩ زيادة قدرها ١٢١٪ اى بنسبة ٢١٪ ثم حققت سنة ١٩٧٠ زيادة قدرها ١٢٨٪ أى بنسبة ٣٨٪ ثم جاءت سنة ١٩٧١ لتحقق زيادة قدرها ١٤٥ ٪ بنسبة ٤٥٪

كما حدث تطور كبير ايضا فى النسبة المئوية للمسافات المقطوعة بالمقارنة بعام ١٩٦٨ سنة كأس الانتاج . فقد زادت المسافات المقطوعة بنسبة ٤٥٪ تقريبا بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧١ نتيجة تطبيق نظام الحوافز

ان الخدمات الاجتماعية التى تؤديها الشركة للعاملين بها تعد فى حقيقة الامر حافزا ايجابيا للانتاج وتشجيعا للعاملين على الاستمرار فى رفع مستوى الاداء ..

ماذا تقدم الشركة ؟

ان الشركة توفر للعاملين بها ولاسرهم كافة الانشطة الاجتماعية التى تساعدهم على تحقيق رسالتهم .. وعلى سبيل المثال .. قامت الشركة بتوفير سيارات لنقل العاملين من مناطق سكنهم الى مكان العمل نظير اشتراكات رمزية ؛ وقد ادى ذلك الى شعور العاملين بالاستقرار النفسى وهو عامل هام جدا فى الاقبال على العمل وزيادة الانتاج ؛ فضلا عن انه اسهام من الشركة فى حل مشكلة المواصلات بشكلها العام .

وللممتازين من بين العاملين تكريم خاص .. فقد سنت الشركة تقليدا انسانيا ممتازا لتشجيع العاملين وتحفيزهم على زيادة انتاجهم وتجديده ؛ وذلك بقيامها سنويا باختيار ثمانين عاملا من بين الممتازين من وحدات الانتاج المختلفة وتكريمهم كعمال مثاليين فى حفل يقام بهذه المناسبة توزع فيه شهادات تقدير وشهادات استثمار من فئة الخمسة جنيهات .

ووفاء من الشركة بمبادئها التقدمية — فى مجتمع من بين مثله الوفاء والحب — تقوم الشركة بتكريم العاملين بها ممن امضوا ٢٥ عاماً فى خدمتها والمجندين من ابنائها والسابقين فى خدمة القوات المسلحة واسر الشهداء والمفقودين باعمالهم ؛ منح وهدايا ؛ رمزية .

والرعاية الطبية ؛ اهتمام انسانى ؛ وحافز كبير على زيادة الانتاج ؛ فعندما يحس العاملون بانهم يجدون العلاج والرعاية الصحية من الشركة التى يعملون بها لا يبخلون ببذل اقصى الجهود فى سبيل زيادة الانتاج ؛ هذا المفهوم جعل الشركة تهتم بعلاج العاملين واسرهم مجانا فى قسم طبى خاص مزود باحدث الاجهزة الطبية وبالاخصائيين على مستوى عال .

وايمانا من الشركة فى توطيد الروابط الاسرية تقدم للعاملين منحا مالية فى حالات الزواج والولادة والوفاة والتجنيد والحصول على مؤهلات دراسية .

كما تعمل الشركة دائما على خلق روح الفريق عن طريق ممارسة النشاط الاجتماعى وتنظيم الرحلات للاماكن السياحية وتهتم باقامة مصيف العاملين واسرهم نظير اشتراكات رمزية .

ووجهت الشركة عناية خاصة للنشاط الرياضى والرياضيين العاملين بها فكونت فرقا فى مجالات الرياضة المختلفة واتاحت امامها فرص الاشتراك فى المباريات المختلفة

وايمانا من الشركة بتعميق القيم الروحية ونشرها بين العاملين فقد اتاحت الفرصة امام عدد كبير منهم لاداء العمرة وفريضة الحج بالاراضى المقدسة ..

ان الجمعية التعاونية للبترول تتبع نظاما متميزا لحوافز الانتاج بها ، وقد اثمر هذا النظام وذلك لايمانها بانه المدخل الطبيعى والحقيقى لزيادة الانتاج ورفع مستوى الاداء وتحقيق التقدم والازدهار للوطن .

شركة الكابلات الكهربائية المصرية..و

دور الرعاية الإنسانية في تطور الإنتاج كماً وكيفاً

● في مجال الصناعة ، لا يتحقق النجاح صدفة او اعتباطا .ولكنه يكون نتيجة خطة واضحة في المجالات المختلفة ، تنتهى عند رصيد واحد ، هو : النجاح .

ومن بين شركاتنا الناجحة ، شركة الكابلات الكهربائية المصرية بشبرا الخيمة .. فهى تعمل فى ميدان جديد وحيوى بالنسبة للصناعة فى بلادنا . ورغم ذلك فقد استطاعت ان تحقق فى مجالها تفوقا فى الانتاج من حيث الكم والكيف .

والسؤال الآن ، هو : كيف استطاعت شركة الكابلات الكهربائية المصرية ان تحقق هذا النجاح ؟ وبمعنى اخر ، ما هى المعانى التى تحرص عليها الشركة فى اسلوب عملها ، دفعا لعجلة الانتاج نحو المزيد من التقدم والتطور ؟

والجواب يتركز فى جانب العلاقات الانسانية ، ودورها الخطير فى اقامة مجتمع الاسرة فى مجال العمل ، بما ينعكس فى صورة تعاون كامل ، وتجاوب صادق ، واندفاع واع على طريق زيادة الانتاج .

وقد حرص المسئولون بالشركة على رفع شعار « رفع الكفاية الانتاجية » ليكون دليل العمل بين كل العاملين فيها ، بما يحويه هذا الشعار من قيم ومعان . والحقيقة ان رفع الشعارات شيء ، وتنفيذها شيء اخر . ولذلك فقد اهتم المسئولون بهذه القضية اهتماما كبيرا ، ولكى يضعوا هذا الشعار موضع التنفيذ ، لم يغفلوا شقيه :

الشق الكمى : بمعنى كمية الانتاج التى يتم الحصول عليها باستخدام موارد محدودة .

والشق الكيفى : وهو الذى يتعلق بالجودة والاتقان فى الانتاج ، الامر الذى كان سببا فيما وصلت اليه الشركة من مركز مرموق فى مجال الصناعة المصرية المصرية .

ومن خلال هذه الصورة كانت النظرة الى العاملين فى الشركة باعتبارهم الطاقة البشرية والعنصر الاهم من عناصر الانتاج . وقد وضع فى الاعتبار ان هؤلاء العاملين لهم رغبات وآمال تحكم تصرفاتهم ، وتؤثر على مستويات ادائهم للعمل ، وتحدد مدى مساهمتهم فى انتاجية الشركة .

ومن خلال هذا المنطلق ، كان الاهتمام بتقديم كل ما من شأنه رفع مقدرتهم على العمل وزيادة رغبتهم فيه ، وكذلك كل ما من شأنه ان يدفعهم الى العمل ويحفزهم اليه .

ومع اتجاه الشركة الى العناية بالعنصر البشرى ، وباعتبار هذه العناية وسيلة الى رفع الانتاج كما وكيفا ، وباعتباره اسلوبا اشتراكيا يهتم بالجوانب الانسانية ويضعها فى المقام الاول . . فقد دأبت الشركة على تقديم الحوافز للعاملين بها . وتتمثل هذه الحوافز فى الجوانب التالية :

● حوافز مادية . . فى هذا الجانب . نجد ان الشركة تشبع احتياجات العاملين بها من طريق منحهم منحا شهرية فى حدود ٢٠٪ من الاجر الشهرى . وهذه المنح تنظمها قواعد محددة ، وهى تقل او يمنع صرفها للعاملين فى حالات توقيع جزاءات عليهم او بسبب غيابهم . وبذلك تكون الشركة قد جمعت بين الحافز الايجابى الذى ينمى بعض انواع التصرفات وبين الحافز السلبى الذى يمنع التصرف فى اتجاه معين .

ومن الحوافز المادية التى تقدمها الشركة للعاملين المكافآت التشجيعية ، وذلك بالنسبة لكل من يقدم اقتراحا يؤدى الى زيادة الانتاج او يسهم فى

تذليل العقبات التي تعوق الانتاج .

كذلك فان هناك حوافز مادية أخرى تقدمها الشركة ، وتتمثل في المزايا العينية التي يتمتع بها العاملون على كافة مستوياتهم . وهذه المزايا تتمثل في النقاط التالية :

● تقديم وجبة غذائية يوميا لكل عامل مقابل قيمة رمزية يتحملها العامل وقدرها خمسة مليمات ، وتتحمل الشركة باقي تكاليف الوجبة . وهي بهذا توفر للعامل احتياجاته من الطعام حتى ينصرف بتفكيره الى العمل كلية ، وبذلك يستطيع أن ينتج على أكمل وجه .

● توفير المواصلات المجانية للعاملين، التي تقوم بنقلهم من مناطق تجمعهم بالقرب من مناطق سكنهم الى الشركة، وذلك حرصا على راحتهم من ناحية وضمان الالتزام بالمواعيد المحددة للعمل من ناحية أخرى .

وجدير بالذكر أن هذه المناطق قد تعددت بحيث أصبحت تشمل القاهرة بأكملها وبعض ضواحيها .

● توفير العلاج الطبي الشامل للعاملين دون مقابل ، وقد تعاقدت الشركة مع أكبر المستشفيات لهذا الغرض ، مثل مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية بالعجوزة لاقامة المرضى من العاملين بها، كما تعاقدت أيضا مع أشهر الاخصائيين في مختلف فروع الطب .

وتقوم الشركة باتخاذ الاجراءات اللازمة لسفر صغار العاملين للعلاج بالخارج، اذا كان الامر يتطلب ذلك . فهي تهتم برعاية طبية شاملة ، وعلى كافة المستويات .

● صرف ملابس للعاملين بالشركة دون مقابل لاستخدامها أثناء تأدية العمل. وهي بهذا تحرص على توفير ملابسهم الخاصة، فضلا عن مسايرة هذه الملابس لأغراض الامن الصناعي .

● منح العاملين بالشركة هدايا تموينية من الشاي والسكر والزيت واللحوم في عيد الاضحى ، وحلاوة المولد في مولد النبي وفي رأس السنة الهجرية، والكعك في عيد الفطر .

● تقيم الشركة في صيف كل عام مصيفا كبيرا في رأس البر خلال أشهر الصيف الثلاثة ، وتستأجر الفنادق لاقامة العاملين وأسرهم ومرافقيهم نظير اشتراك رمزي زهيد قدره ثمانون قرشا للفرد ، وذلك مقابل نفقات الذهاب والعودة والمبيت لمدة أسبوع . وهذه الرحلات تفيد في تجديد نشاط العاملين وتمتعهم بالاجازة مع أسرهم ، كما أنها تؤدي الى تحقيق الروح الاسرية بين العاملين .

● أنشأت الشركة للعاملين بهما



صندوق زمالة لاعانة العاملين فى أحوال الكوارث والملمات والمناسبات السعيدة، وليخفف من عبء مشاكلهم المادية .

الحوافز غير المادية

والى جانب هذه الحوافز المادية ، فان هناك حوافز اخرى غير مادية .وهى تتمثل فى الجوانب التالية :

● اتاحة فرص الترقى امام العاملين، وذلك بانشاء وظائف سنويا طبقا للخطة الانتاجية للشركة خلال سنة مالية . والنص على عدم قصر الترقية على الوظائف من الفئة العاشرة حتى السابعة بالاقدمية المطلقة ، بل جعلت نسبا من كل فئة للترقية اليها بالاختيار حسب التقارير الدورية للعامل المرتبطة بانتاجيته ومواظبته وسلوكه بصفة عامة . وقد عمدت الشركة الى اتباع هذا الاسلوب لحث العاملين على بذل المزيد من الجهد فى العمل ، الى الحد الذى جعلت معه نسبة الترقية بالاختيار الى الفئة السابعة ٩٠٪ من الوظائف الشاغرة فى كل مجموعة نوعية من الوظائف .

● تحرير نشرة شهرية خاصة بالشركة، تتضمن موضوعات ادبية وسياسية ، كما تشتمل على مسابقات تتعلق بالشركة وانتاجها ، وتوزع على الفائزين هدايا قيمة .

وهنا لا بد أن نذكر أن للشركة ناديا يقع فى وسط المدينة ، وهو يضم مكتبتين بهما مجموعة طيبة من الكتب الدينية والسياسية والادبية وهناك ايضا الاذاعة المحلية التى تتولى تشجيع المواهب ، ويمتد ارسالها على مدار اليوم كله .

● أهتمت الشركة اهتماما بالغا بالرياضة باعتبارها الاساس لبناء الاجسام السليمة ، والاسلوب السليم لتنمية الروح الرياضية والتعاونية بين العاملين بها . وتضم الشركة فرقا صاعدة لكرة القدم وكرة السلة وتنس الطاولة ورفع الاثقال . وتقوم الشركة برعاية هذه الفرق حيث تصرف الملابس لافرادها ، كما تصرف مكافآت لكل فريق فى حالة الفوز .

والى جانب الفرق الرياضية ، فهناك فريق للتصوير وفريق للموسيقى وفريق للتمثيل ، ويقيم فريق التمثيل حفلا سنويا ناجحا ، كما أن هذه الفرق تشارك فى كثير من المناسبات والحفلات والمهرجانات باسم الشركة .

● تقوم الشركة بجهود ايجابى وفعال فى مجال محو الامية ، حيث انشأت فصلا لذلك تتعهد العامل منذ بداية التحاقه بالشركة لكى تخلق منه شخصا اخر اكثر وعيا وفهما لكل ما يدور حوله فلا شك أن هذا ينعكس على مستوى انتاجه أيضا .

والى جانب ذلك ، فان الشركة تقيم الندوات واللقاءات والاجتماعات بهدف التوعية السياسية والاجتماعية لرفع المستوى الثقافى والفكرى والحضارى لجميع العاملين بها .

● يعد مشروع تنظيم الاسرة داخل شركة الكابلات الكهربائية المصرية مشروعا متميزا ، نظرا لاهتمام الشركة به اهتماما خاصا يتمثل فى توزيع حبوب منع الحمل على العاملات بالشركة وعددهن حوالى ١٥٠ عاملة وكذلك على أسر العاملين البالغ عددهم حوالى ٢٠٠٠ عامل .هذا الى جانب التعرض لهذه القضية الاجتماعية الهامة فى الندوات التى تعقدها الشركة .

● تهتم الشركة بمشروع الاسر المنتجة، حيث تستخدم اسر العاملين فيها فى عمليات صناعة الملابس وغيرها . وتقوم ببيع هذه المنتجات فى معرض الشركة بوسط المدينة . وقد لقى هذا المعرض نجاحا كبيرا يعادل الاهتمام بنجاح المشروع فى حد ذاته ، وانعكاس اثاره على الحالة المادية لاسر العاملين .

وبعد . فهذه صورة سريعة للاسس الرعاية الانسانية التى تبذلها شركة الكابلات الكهربائية المصرية للعاملين بها . وهى رعاية تؤدى الى نتيجة واحدة ، وهى : مزيدا من الانتاج وتفوق فيه ، فى ظل ظروف نفسية واقتصادية واجتماعية طيبة . وهكذا تؤكد تجربة الشركة مدى أهمية العلاقات الانسانية فى مجال العمل وانعكاس ذلك على الانتاج كما وكيفا .

الهلال من ٧٥ سنة

الغلاف الأول والأخير



احمد عرابي ... زعيم الثورة العرابية



الجذع « برونز » لوحة للفنان الفرنسي مايول

شركة التمثيل الادبي

يسرنا أن هذه الشركة باذلة قصارى الجهد في اتقان التمثيل مع المواظبة على العمل وقد مثلت في أوائل أوغسطس الماضي رواية أوتيلو وفي أواخره رواية (السيد) أجاد الممثلون فيهما اجادة أوجبت اعجاب الحضور وسرورهم فنهنيء هذه الشركة بما نالته من ثقة الجمهور واقبالهم

معدل الاعمار باختلاف العلو

أحصى أحد الاحصائيين المجريين في بودابست معدل الاعمار باختلاف علو المساكن فوجد أن معدل أعمار الذين يسكنون الطوابق السفلى تحت سطح الارض ٣٩ سنة و ١١ شهراً ومعدل أعمار سكان الطوابق السفلى المساوية لسطح الارض ٤٣ سنة و ٣ أشهر وسكان الطابقين الاول والثانى معدل أعمارهم ٤٤ سنة وشهران وسكان مافوق ذلك ٤٢ سنة ·

الخطبة بالسيكارة

من غريب عوائد السياميين أن الشاب عندهم اذا أراد خطبة فتاة يكفيه لابلاغها ذلك أن يطلب اشعال سيكارته من سيكارتها لتفهم قصده فان أشعلتها تم عقد الخطبة تقريبا

سبتمبر ١٨٩٦



ارستيد مايول فنان فرنسي ولد سنة ١٨٦١ وتوفي سنة ١٩٤٤ ، وقد تلقى تعليمه في مدرسة الفنون الزخرفية بباريس وكان احد ثلاثة أسلمت لهم زعامة النحت في اوائل القرن العشرين .

تميز هذا الريفي الفرنسي القادم من الجنوب بأن كان اكثرهم تواضعا وصمتا، وقد استطاع بفطرته وذكائه الشديدين أن يعود بالنحت الى منابعه الاصيلة ...

نقرأ لهذا الفنان وتشاهد أروع لوحاته داخل العدد ..


الهلال
عدد خاص
عام مضى على
جمال عبد الناصر

الهلال

أكتوبر ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد العاشر ـ السنة التاسعة والسبعون ـ اول أكتوبر ١٩٧١ ـ ١١ شعبان ١٣٩١

رئيس مجلس الإدارة :

يوسف السباعى

رئيس التحرير

صالح جودت

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم عن الكميات المرسلة بالطائرة ، فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ. فى سائر أنحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد



سيد مرعى .. عبد الناصر والفلاح ..



محمد احمد .. لمحات من شخصية جمال عبد الناصر



ام كلثوم .. كيف عرفت عبد الناصر



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كلمة
الهـــلال

فى هذه الايام العظيمة التى يلتئم فيها عقد المشرق والمغرب من الامة العربية ، لاول مرة فى تاريخهـا ، ممثلا فى دولة الاتحاد المبـاركة ، وتسترد مصر الخالدة اسمها اللى باركه الله بالذكر ، لتصبح واسطة العقد ، ولتغدو هذه الوحدة نواة تتفجر منها بشائر النصر . . .

فى هذه الايام العظيمة ، تعبـر بنا ذكرى مرور العـام الاول على رحيل اعظم الرجال فى تاريخ هذه الامة .. جمال عبد النـاصر .. صـاحب الصيحة من المحيط الى الخليج ، ومرسى حجر التجـربة الوحدوية الاولى فى هذا العصر ... التجربة التى لن يـذكر المؤرخ المنصف انها منيت بالفشل سنة ١٩٦١ ... بل انه سيسجل انهـا اختلفت حينا لتمسـح اخطاءها وتلبس حسناتها وتعـود مبرأة موطدة سنة ١٩٧١

وها نحن اولاء ننحنى امـام جلال هذه الذكرى ، ونقدم هـذا العدد من « الهلال » تحيـة وفاء وولاء لهذه النفس الطـاهرة التى رجعت الى ربها راضية مرضية

صالح جودت

ذكرياتي مع
جمال عبد الناصر

بقلم الرئيس جعفر محمد نميري رئيس جمهورية السودان الديمقراطية



بعقل ثائر حينما يحاول التمسح بشخصية الرائد الصادق ، بأن السوداني يجيء ؟ لا تسمح منه أبداً غير ما عرفت الملايين جمال ؟ أم الفلاحين وعسكره ، وعواطفه ومطالبه للآمال العربيـــة الكبيرة ، العيش في قلب وعقل ؟ كان بقائد الثورة الأخيرة ، وزوجه الثائرة تعيش في حرية خالصة سماء العروبة كلها النصر لحظات ولحظات عبر الأيام الصعبة .. تحقق الحلقة ، وتحرير مصير ذلك الشعب العربي يراق هدراً في غير مراجعة ... أم التمسح منه زعيماً عربياً ، ومثالاً مقداما كانت العربية - العقيدة وحضارة ، وتراثاً ونظاماً وأملاً - فلا أقوى وأقيس بين جوانحه ؟



الرئيس جعفر محمد نميري ، عقب زيارته للقاهرة ، مع الرئيس أنور السادات ، ويدان لتحية الجماهير ..

كانت خريطة الارض العربية تبين ▼ امام ناظريه بغير معالم او حدود ... شعب واحد ، وأمل واحد من الخليج الى المحيط ، كما كانت تشد اليها انظار اعداء الامة العربية بركانا هائجا لا يعلمون ما تصبح أو تمسى عليه .. لان الامة العربية أضحت ـ بفضل جهاده ، وقبس اشراقاته ، وكفاح ابنائها المستلهم من روائع نضاله ـ قوة هائلة يحسب لها الف حساب !

كان عبد الناصر يتحدث ليصغى لكلماته العالم بأسره ، ما كان يسوق الكلام الا تحديدا لمواقف ، أو ابانة لاهداف .. كان حديثه لابناء مصر بناء وتركيزا وتحقيقا لآمال ، وحديثه للامة العربية خططا لمسار النضال ، وقيادة للمعارك الضارية ، وحديثه لافريقيا شواظا يحرق أقنعة التآمر ويدك قلاع الرجعية ، وكلماته للعالم ارساء لمباديء الحق والعدالة واستتباب السلام فى الارض ..

لقد استطاعت مصر العزيزة ان تهب العالم ابنا من اعز ابنائها لتتجسد فيه آمال عراض ، ولم تكن ثمرات جهاده لمصر وحدها ، وانما غيث تتدفق خيراته حتى لا مزيد !!

● وفاء ونبل وحكمة ..

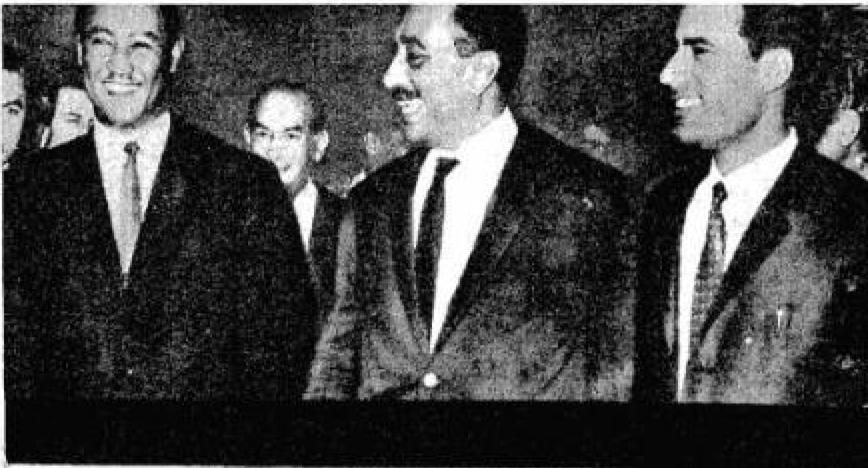
وجم العالم كله يوم أن توقفت أنفاس الرئيس الراحل .. وكانت أمواج الاثير تضطرب ، تحمل الى شعب مصر رثاء الدنيا كلها لقائد من اشجع قادتها وفاء ونبلا وحكمة . وكان موكب القاهرة الحزين يعتصر القلوب فتنزف دما يوم أن جمد الدمع فى المآقى المقروحة ، والتاعت القلوب الثكلى وبحت الاصوات بالنحيب .

هرعنا الى القاهرة يوم اتانا النعى الاليم .. فكانت لحظات كئيبة مشئومة ▼ لا عادتها الايام .. كنت مضطرب الذهن ، تراود مخيلتى هواجس ليس لها من سبيل .. أأهبط مطار القاهرة ولا ألقى أخى جمال .. ترف روحه ، وتتبدى اشراقاته ، ويغمرنا بقبس من ومضاته المضيئة ؟

● صمت أعمق من الحزن ..

شرقت بالدمع ، وأنا أعانق الاخ السادات ، ذلك القلب الجريح فى ساعات تعرف فيها معادن الرجال . وكانت مصر كلها من حولنا قلبا باكيا ، ودموعا ليس لها من قرار .. وكانت الوفود التى تقاطرت على القاهرة من كل ارجاء العالم الكبير دموعا على الرئيس الراحل ، وعزاء لشعبه

فى الصورة العليا : لقاء الثورات الثلاث ... الرؤساء : السادات والقذافى والنميرى ....
فى الصورة الاخرى : الزعيم الخالد جمال عبد الناصر يرحب بالرئيس جعفر النميرى ....







.. موقف كاد يتكرر ونحن فى اديس ابابا نحضر مؤتمر القمة الافريقى الاخير ، وليس معنا ناصر .

وقف الرئيس كاوندا يسرد قصة الكفاح الافريقى فى تقريره عبر العام المنصرم ، ويتحدث عن التحرك الافريقى الذى كان ناصر يمثل رأس الرمح فيه . ولكنه صمت عند ذكره للرئيس الراحل .. صمت دقيقة ، ودقيقتين ، وثلاثا ، وعشرا تشرقه دموعه وهو يحاول أن يتماسك فلا يستطيع . ويخيم على القاعة وجوم يحمل فى طياته من المعانى ما لا أستطيع أن أحصر !

لقد كان جمال املا لافريقيا مثلما كان املا للعروبة . فى لحظات الصمت هذه والوجوم ، ارتسمت على الافئدة صورة حية من صور التلاحم الافريقى العربى تعجز الخطب الضافية التى دوت بها أرجاء القاعة ردحا من الزمن عن أن تصورها كما صورتها لحظات صمت الرئيس كاوندا ، وخفقات قلوب القادة والوفود الافريقية . وكانت القاعة تنفجر بالصمت .. وكانت لحظات أروع من الرثاء وأعمق من الحزن نفسه !

● دلائل الفكر الثاقب ..

كان جمال يضع للسودان ركنا كبيرا فى قلبه الحانى ، ولقد ادرك بثاقب بصره ما كان يعتمل فى قلوبنا نحن قادة ثورة الخامس والعشرين من مايو ، يوم كنا نضطرب فى خضم الحياة فى بلادنا ، نهتف من الاعماق لثورة ٢٣ يوليو أمل الامة العربية المخضر .. كان قلبه على ثورتنا الفتية ، ما فتىء يحدثنى عن الحفاظ على الثورة .. قال فى نبرات لا تخطئنى ، ونحن نتحدث فى الخرطوم فى قصر الشعب « أخى جعفر ، اريدكم أن تعوا تجاربنا ، وتفيدوا من اخطائنا أيضا .. اننى أتحدث عن تماسك القيادات وترابطها ، صدقونى .. اذا ما ظهر أى تفكك أو ضعف فى القيادة سينعكس ذلك على كل تنظيمات الثورة . »

ثم أردف قائلا « ان التآمر على ثورة مايو سيتخذ اشكالا عدة ، وقد يصل الى درجة أن اقرب الاقربين اليك سيقف ضدك ، ولكن الضمان الوحيد هو الشعب ، هو الباقى . يجب أن تشركه فى كل شىء ، وينبغى أن تتسم اقوالك معه بالوضوح والصراحة ، ولن يبخل عليك الشعب بالتأييد ، سوف يقف معك ويشد من أزرك » .

وأخذ يضرب أمثالا عن التآمر الذى

خلال احداث الازمة الدامية بين الاردن والمقاومة الفلسطينية ، فى العام الماضى ، كان الرؤساء الثلاثة عبد الناصر ، والقذافى ، والنميرى ، يتابعون الموقف الخطير بعمل ثورى وعربى موحد ....

استهدفت اليه ثورة ٢٣ يوليو ، فقال ينبغى الا يلهيكم هذا التآمر عن بناء وطنكم ، اذا كانت سرعة التآمر خطوة فيجب أن يسير البناء بمائة خطـوة لان هذا هو الترياق ، وهذا مهم لان التآمر ضد بلادكم سوف يستمر ، ومن كل الجهات · **وينبغى ان تأخـذوا الحيطة ولا تحكموا على النـاس بطيبتهم وفطرهم بل بأعمـالهم الحقيقية » ·**

ولقد تيقنت مصداق هذه الرؤى ، ووقفت على نصـائح المعلم الرائد ، وكانت خفايا وأسرار المؤامرة الخائنة دلائل على ثاقب فكر الرئيس الراحـل ·· انزله الله مع القديسين والشهداء

● فى كل لقاء عبرة ··

كانت لقاءاتى مع الرئيس الراحـل كثيرة ومتعددة ، ولقد كان فى كـل لقاء عبرة ، وفى كـل موقف أثر لا ينمحى من الذاكرة · كان لقاؤنا الاخير عبر أحداث الاردن المؤسفة ألصقهـا بفكرى ، وأشدها تأثيرا على مشاعرى ·· رأيت ذلك القلب الكبير ينزف دماء ويضمد جراحه فى صبر لا يقوى عليه غيره ، ثم رأيت جمال الانسان ·· فى أحلك الساعات يفيض نبلا ووطنية مع البصر الدقيق وبعد النظر السياسى · رأيته وكان الرصاص الذى ينصب على المقاومة الفلسطينية يخترق قلبه !

وكان وهو يتحدث عن المأساة فى الاردن ، يختزن الالم الـذى كان يعتصره اعتصارا ، حتى أشفقت عليه ·· ولمح ذلك منى وقال فى نبـرات هادئة ولكنها تخفى تحتها ما تخفى : **« اخى جعفر ، هذه الدماء التى تسيل فى الاردن تتدفق من قلبى · لابد مـن وقفها سريعا ، فلتذهب الى الاردن مع بقية الاخوة ، هناك شىء ينبىء بليـل لابد من أن نتداركه » ·**

وذهبت الى الاردن ، ثم عدت اليه ·· وما كنت أعلم أن جراحات الاردن قد غارت الما ممضا فى قلبه الكلوم ، وما كنت أعلم أن تلك اللحظـات العصيبة هى آخر ما تخبئه الاقدار من لقيا الشهيد البطل·· وكنتحساعتها أشعر بالارتياح العظيم ، وأنا أقوم بتلك المهمة التى حملنى اياها الرئيس الراحل بالذهاب للاردن ، وبهـذه الثقة التى أولانى اياها والاخـوة الرؤساء ·

● كلنا على العهد الكبير ··

لقد كان مفتاح هـذه الشخصية العظيمة هو الايمان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ·· ايمان قوى بالله لا يتزعزع ، وايمان بهذا الشعب الذى أحبه من سويداء قلبه ، وايمان بعظمة الاهداف التى كرس حياته من أجلها ·

لقد كان رحمه الله كبيرا فى كـل ما يصدر عنه ، تلوح خـلال حيـاته اليومية سيماء الزهد فى عرض الحياة ·· وتقوى العارف لربه · لقد عـاش أيامه كلها ، دقيقة بدقيقة وسـاعة بساعة ، من أجل النضال العربى ، وفارق الحياة وقلبه يخفق من أجـل الامة العربية التى رعاها بقلبه ودمه وبطاقاته الثرة التى لا تعرف الحدود

رحمه الله بقدر ما أسـدى للامة العربية من جهد ، وما خلد لها منمآثر ·· وما أنار لها من سبل لن تتفرق · **وكلنا على العهد الكبير الذى كـافح من اجله ومات فى سبيله** · وهذا أبلغ رثاء تطمئن اليـه روحه الطـاهرة فى ذكراه المجيـدة · · ·



إلى روح عبد الناصر

ماذا أقـول وقـد قال المجيـدونا
ما طاب في الذكر تمجيدا وتأبينا
لم يبق من شدة الآه أهتف بها
صوت يناديك محمولا ومغفرة
أو مقلة لم تفض بالدمع جازعة
على سكوتك يا خير الميامينا
لدوك حينما قلبت الذي هتفت
به الملايين تأييدا وتمكينا
واليوم نادوا فلم تسمع شكاياتهم
ولم ترد سؤالا للمنادينا
طافوا بنعشك في يوم هواؤه

أجسادهم راقصين الصوت داعينا
سقتهم في طريق الصدق مقتديا
وقدتهم في سبيل الخير ساعيا
ولم تدع شاكيا إلا رأفت به
ولم تذر كادحا في الرزق مغبونا
جمعتهم حول راع آمنوا بيد
تمتد منه لتجري المستحيلينا
من صانع بارع الكفين مبتدع
وزارع يجعل الصحرا بساتينا
هذا على المصنع مرفوعا بهمته
وذا على الزرع يجنيه أفانينا

أحمد رامي

يا ناصر السلم قد أضنيت روحك فى
سبيله ثم جاوزت المضحينا
ما زلت تسعى اليه فى مواطنه
وتسهر الليل مهموما ومحزونا
حتى وقفت مسيلاً من زكىّ دم
جرى هباء وألقت المعادينا
ثم انثنيت واحدى راحتيك على
عهد الوفاء وبالأخرى تحيينا
مودعا ليلة الإسراء مبتغيه
لقاء ربك فى ركب النبيينا
***
تبارك الله عينى أينما نظرت
رأت على صدق مسعاه براهينا
أضاء للحق آفاقا ملبدة
وسار فى حالك الأيام يهدينا
وبدد الظلم فانجابت غشاوته
وأرسل العدل يرعانا ويحمينا





وشجع العلم والعرفان فانطلقت
طلائع الفكر تحصيلا وتدوينا
وساند الفن فانسابت مشاعره
تزيد فى الفن إبداعا وتلوينا
وكرم الأدب السامى فزوده
من خالص الروح الهاما وتبيينا

***

هذى أياديه أعلام ترف على
مشارف المجد فى أنحاء وادينا
ما غاب عن مصر من ظلت مواقفه
تفجر العزم فى مصر براكينا
تمضى الليالى وما بثت مبادئه
باقٍ على الدهر تسرى روحه فينا
يعيش فى فمنا ذكرا نردده
وفى خواطرنا طيفا يناجينا
وكيف تنساه أو تنسى مآثره
انا اتخذنا لنا من حبه دينا

لقاء ضاحك ولقاء حزين

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو لم تكن ملامحها واضحة وخشى الكثيرون أن تكون كغيرها من الانقلابات العسكرية التى فجعت بها الامة العربية فى النصف الثانى من هذا القرن ، لذلك هاجمها البعض وكنت واحدا منهم ، حيث حملت على الثورة فى الجريدة التى كنت اراس تحريرها وهى (لواء الاستقلال) الناطقة بلسان حزب الاستقلال العراقى ، وكان نورى السعيد وقتذاك يطمع فى احتواء الثورة فقام بزيارة الى القاهرة . وعندما وصل عدد مجلة « المصور » الى بغداد يحمل صور هذا اللقاء بين نورى السعيد وجمال عبد الناصر ، بلغ عنف الهجوم على الثورة الحد الذى جعلنى اكتب مقالا حول هذا اللقاء جعلت عنوانه المثل المصرى الشائع : « وقع المتعوس على خايب الرجا » ولم يطل الامر كثيرا حتى بدت قسمات ثورة ٢٣ يوليو وملامحها تتضح للامة العربية فى الجلاء ومؤتمر باندونج وكسر طوق السلاح فاندفعنا فى تأييد الثورة وقائدها الذى ارتضته الجماهير العربية زعيما ورائدا ومعلما .

وعندما عقد مؤتمر الخريجين العرب فى بيروت واتخذ مقرراته فى مختلف القضايا العربية المصيرية ، ارتأى ان يحمل هذه القرارات وفد من اعضائه لتقديمها الى الملوك والرؤساء العرب ، وسافر الوفد الى القاهرة وتحدد موعد لمقابلة الرئيس عبد الناصر وكان الاعضاء المصريون فى الوفد : أحمد حسن الباقورى ، ومحمد فؤاد جلال - طيب الله ثراه - وكان الوفد العراقى يضم حسنى جميل ومحمد صديق شنشل وانا ، الى جانب ممثلين عن بلدان عربية اخرى ..

وعندما بدا رئيس الوفد فى تقديم الاعضاء واحدا واحدا جاء دورى فمد الرئيس عبد الناصر يده ليصافحنى قائلا : « وقع المتعوس على خايب الرجا » .. فضحكنا لهذه الالتفاتة التى دلت على ان الرئيس لم يكن ليتابع ما تنشره صحف مصر

وحدها بل الصحافة العربية عموما ، وكانت دلالة اخرى على سعة صدره واتساع افقه ·

وتتابعت اللقاءات بعد ذلك وتوثق اتصالي بالرئيس · واني لا اذكر انني مررت في القاهرة ولو مرورا عابرا دون أن يتسنى لي مقابلة الرئيس والتحدث اليه والاصغاء الى توجيهاته وارشاداته في كثير من الشئون وفي كثير من المناسبات ، ومن بين هذه المناسبات ظروف كالحة مرت بها الامة العربية وأزمات واجهتها ثورة ٢٣ يوليو وكان الرئيس في كل هذه الظروف متين الاعصاب قوى العزيمة شامخا · ولم تفارق الابتسامة شفتيه الا في لقائي الحزين معه في اعقاب حرب يونيو حيث القت المرارة ظلالا على وجهه المشرق ··

لقد كان جمال عبد الناصر زعيما ورائدا ومعلما ، ولقد حقق لمصر من الانجازات ما يشبه المعجزات لقد حقق لها : الجلاء ، وكسر طوق السلاح ، وتأميم القنال ، والسدالعالى ، والتصنيع، وعشرات من هذه المشاريع ···

ولكن في تقديري أن أعظم انجازات عبد الناصر انه جعل مصر « تكتشف » نفسها فتحقق انتماءها العربي ووضع بذلك حجر الزاوية في صرح الوحدة العربية التي سوف تتحقق وان طال الزمن · ومن أجل هذا وهذا وحده حورب جمال عبد الناصر وتألبت عليه قوى الشر بما فيهم ادعياء العروبة مما حز في نفسه وعجل في منيته ، وقديما قيل :

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

الا رحم الله « جمال » وامطره شآبيب رحمته ورضوانه ، واسكنه فسيح جناته بين الشهداء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ··



فائق السامرائي


عبد الناصر
والفلاح



عبد الناصر والفلاح

والیوم نذكر بعض نواحي نهضة شاملة غمرت قطاعا من أهم قطاعاتنا الاقتصادية وأبعدها أثرا في حياتنا ..

انه القطاع الزراعي .. الذي عاصرناه لفترات طويلة في العصر الناصري وشاركنا في اقامة بنيانه ، وفي وضع العديد من برامجه ومشروعاته ، وخبرنا مختلف مجالاته، ووقفنا على وقائعه وأسراره .

لقد كان هدف ثورة ٢٣ يوليو الاقتصادي والاجتماعي تحقيق حد أدنى لمستوى المعيشة يكفل لافراد الشعب ، وعلى الاخص أبناء الريف ، حياة حرة كريمة كأساس لنظام تسوده العدالة الاجتماعية .

فكان أن رسمت خطط التنمية ووضعت السياسات الزراعية ، هدفها جميعا تحقيق الكفاية وزيادة الانتاج الزراعي .

وقبل هذا وذاك كان ، الاصلاح الزراعي ، باكورة أعمال الزعيم الانساني الراحل ، فبعد قيام الثورة بما لا يتجاوز الخمسين يوما أصدر قانون الاصلاح الزراعي ، للاخذ بيد الفلاح ، وللقضاء على الاقطاع والظلم الاجتماعي . فلم يكن يغيب عن الادراك ما كانت تعانيه الغالبية العظمى في الريف من ذل الحرمان وضيق ذات اليد ، واستئثار القلية من الافراد بالجزء الاكبر من الثروة والدخل القومي ، غير تاركين الا

بقلم المهندس :

سيد مرعى

نائب رئيس الوزراء للزراعة والري

جانبا ضئيلا لغالبية الشعب .. على الرغم من أن هذه الاغلبية هي التي عملت وتعمل دائما على الحفاظ على الثروة ومضاعفة الانتاج وتنمية الدخل القومي ورفاهية المواطنين .

سوء توزيع الثروة قبل ١٩٥٢

لقد كان سوء توزيع الثروات الزراعية قبل عام ١٩٥٢ أوضح دليل على الظلم الاجتماعي في أهم جانب من جوانب الحياة المصرية ، ونعني به جانب الريف ، اذ كان أقل من ١٪ من الملاك يملكون اكثر من ٣٥٪ من

الاراضي الزراعية ، بينما كان ٩٥٪ منهم يملكون حوالي ٣٣٪ من هذه الاراضي .. وفي نفس الوقت كان ثمانون الف مالك يملكون أكثر من نصف الارض الزراعية ، بينما هناك ثلاثة ملايين من الملاك يملكون اقل من النصف ..

وترتب على هذا وذاك أن أصبح كثيرون من ملاك الاراضي الزراعية في ذات الوقت من كبار ملاك أسهم الشركات على اختلاف أنواعها .. أي أن الاقطاعيين في الريف كانوا هم

أيضا الرأسماليين المستغلين ... ولا يخفى ما في هذا الوضع من مضاعفة شديدة وتعميق بالغ للظلم الاجتماعي المتمثل في سوء توزيع الثروة القومية في هذا المجتمع .

والى جانب هذا .. لم يكن هؤلاء الاقطاعيون والرأسماليون جميعا من المصريين ، بل كانت بينهم نسبة غير قليلة من الاجانب والمتمصرين ، الذين لم يروا في مصر الا أنها : « بقرة حلوب » يستغلونها لمصلحتهم .

الظلم الاجتماعي

في ظل تلك الاوضاع ، ضاعت الحريات ، واختلت موازين الكفايات ، واضطربت المعايير الانسانية ... وأصبح الحكم مضمونه مصلحة أفراد وليست مصلحة شعب بأسره .

ومن هنا كانت الثورة ثورة شعب ... ثورة فلاحين وعمال حرموا متعة الحياة الطيبة التي كثيرا ما تطلعوا اليها وجاهدوا للوصول لشيء منها ... ولكن دون جدوى .

لقد كنا ندرك حقا الواقع الحزين الذي عاشه مجتمعنا الريفي قبل الثورة بيقائه على الدوام عند مستوى الكفاف . وفي أسفل درجات السلم الاجتماعي .

الاصلاح الزراعي حتمية مصير

من أجل هذا كان القضاء على الاقطاع وازالة التحكم والسيطرة، ثاني مبادىء ثورتنا المباركة ، بعد القضاء على الاستعمار مباشرة ... وصار الاصلاح الزراعي ضرورة حياة وحتمية مصير للفلاحين كافة .

لقد استحسيرة الاصلاح الزراعي في بلادنا على مدى تسعة عشر عاما ... ولاتزال . تحررت فيها الملايين من الظلم والقهر ، وقسوة الحياة ،



عبد الناصر والفلاح



واستشعروا في ظلها الامن والعدل والحرية · واقاموا صرحا شامخا للعزة والكرامة والانسانية ·

ان المحافل الرسمية لهيئة الامم المتحدة ، بعد ان وضعت نظام الاصلاح الزراعي في بلادنا محل الدراسة والبحث لسنوات عدة ، وضعت يديها على كثير من مواطن النجاح فيه ، لتجعل منه مثلا يحتذى في اغلب الدول النامية ، وصولا بانتاجها الزراعي الى مستوى متقدم ومزدهر وبمجتمعاتها الريفية الى حياة اعز وافضل ·

ان خبراء هيئة الاغذية والزراعة الذين زاروا بلادنا في الفترة الاخيرة ادركوا ما حققه نظام الاصلاح الزراعي من تغيير وجه الريف الى حياة افضل، يتضح ذلك من تقاريرهم المتعددة التي سجلوا فيها نجاح هذا النظام في مختلف ميادين التنمية ، وتحقيقه حلما ظل يراود الفلاحين ·

ارفع رأسك يا أخي

لقد بدأ الزعيم الراحل توزيع عقود التمليك والتحرر على أحبائه من الفلاحين المعدمين صبيحة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٣ ، بعد عام من قيام الثورة ·· وفي قرية دميرة دوت كلمته المشهورة بين جموع الفلاحين « ارفع رأسك يا أخي ، فقد مضى عهد الاستعباد » ·

لقد كان يعقد على مشروع الاصلاح

الزراعي امالا كبيرة واهدافا عظيمة لنهضة بلادنا ورفعتها ٠

وفي بلتاج ، قال رئيسنا الخالد : « ان توزيع الارض على الفلاحين يعتبر الدعامة الاولى للثورة ولاهداف الثورة واماني الثورة ٠٠ ونحن حين نوزع الارض انما نبني بناء ثابت الاساس في سبيل الحرية ٠٠ الحرية الحقيقية ٠٠ الحرية الكاملة ، لا في سبيل الحرية الزائفة او الحرية الخادعة »

وفي ٢٢ يوليو ١٩٥٤ وفي المنصورة، دوت كلماته في جموع الفلاحين « اني اذ اسلمكم صكوك التمليك ، ادعو الى نشر الحرية والمساواة والعدل ٠٠ وحين اراكم امامي ترفعون رءوسكم وتشعرون بالعزة والكرامة ، اطمئن الى انكم ستحققون جميع الاهداف فتنشئون وطنا عزيزا قويا يتخلص من الظلم الاجتماعي » ٠

وفي نوفمبر من عام ١٩٥٩ وفي مدينة اسوان تابع جمال عبد الناصر التحامه بالقاعدة ، معمما مفاهيم مبادىء ثورته في حفل بدء تنفيذ السد العالي ، معلنا على الملا : « ان السبيل للقضاء على الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي في الزراعة هو تحديد الملكية وتوزيع الارض على الفلاحين واقامة جمعيات تعاونية للملاك الجدد ، وفي نفس الوقت زيادة الرقعة الزراعية ٠٠ وبهذا نستطيع ان نشعر بان الاستغلال بالنسبة للفلاحين وصل الى وضع لا يمكن ان يشعر به الفلاح ، بمعنى ان الفلاح سيكون مالكا ٠٠ واذا كان الفلاح مالكا ، بدلا من ان يكون اجيرا عند الاقطاعي لقد اصبح حرا ٠٠ والسد العالي في حد ذاته يمثل العامل الرئيس لزيادة الرقعة الزراعية حتى تزيد وسائل الانتاج بالنسبة للفلاحين وحتى توزع اراض اكثر عليهم » ٠

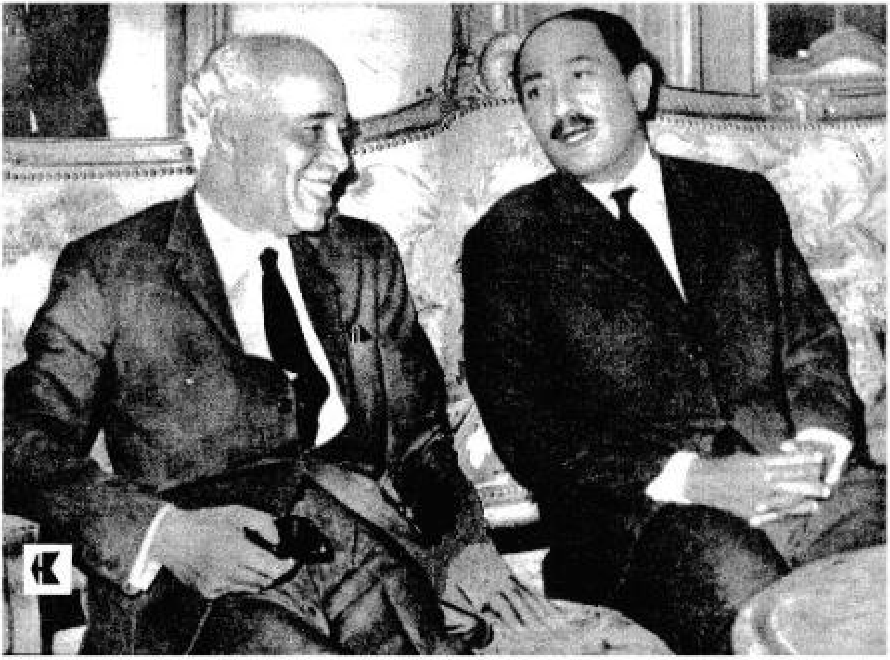
لقد كانت كلماته هذه دستورا لمشروعات التنمية في الخطة الزراعية التي بدأت بعد ذلك بشهور كما كانت نبراسا للعاملين في مجال الانتاج الزراعي يسيرون على هديه ٠

الاستيلاء والتوزيع

لقد بلغت المساحة التي الت للدولة بموجب قوانين الاستيلاء والمصادرة واستبدال اراضي الوقف وشراء الاراضي التي خضعت لاحكام الحراسة العامة ٩٩٨ الف فدان ٠٠٠ تم التصرف في مساحة من هذه الاراضي ، بالتمليك للمعدمين او التأجير لصغار الزراع ، جاوزت ٨٥٠ الف فدان استفاد من حيازتها ٤١٨ الف اسرة قوامها ثلاثة ملايين من الافراد ٠

وذلك بالاضافة الى توزيع حيازات للاستثمار الزراعي ، فقد تم تقسيم وتوزيع اراض للتوسع السكني للفلاحين بانشاء ٢٢٫٨٣٦ مسكنا ٠

لقد ترتب على عملية الاستيلاء والتوزيع نقل ملكية راس مال تجاوز





عبد الناصر والفلاح

٣٠٠ مليون جنيه الى صغار الزراع ، مما تحقق معه حسن توزيع الثروة الزراعية وما يرتبط بها من دخل ينشأ عن استثمارها لمصلحة هؤلاء الزراع ، فاتسعت قاعدة الملكية الصغيرة تطبيقا لمبدأ الارض لمن يزرعها وانخفضت نسبة الاراضى المؤجرة الى اقل من ٥٠٪ بعد أن كانت تمثل ٧٥٪ قبل تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ·

فى مجال التعاون الزراعى

ومما لا شك فيه أن استثمار اراضى الاصلاح الزراعى يعتمد بالدرجة الاولى على بنيان تعاونى يبدأ من القرية ، ولا شك أيضا فى أن استقامة التعاونيات تنظيما وتخطيطا وتوجيها وادارة تعنى تحقيق أهداف الاصلاح الزراعى وترتبط بها تمام الارتباط ، ولقد أعد لتعاونيات الاصلاح الزراعى من الامكانيات الاقتصادية والمناخ الاجتماعى ما يجعلها تحقق أهداف القانون بالكامل ، وعلى أفضل مايكون الاداء والمسئولية ، ولعلها قد حققت الشيء الكثير ·

لقد ظلت جميع معاملات الحائزين تتم عن طريق تعاونياتهم واصبحت وسيلتهم الرئيسية لتوفير احتياجاتهم ومستلزمات انتاجهم وبلغت قيمة معاملات منتفعى الاصلاح الزراعى عام ١٩٧٠ اكثر من ٣٧ مليون جنيه ··· كما بلغ جملة ما تم تسويقه من



الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، يوزع صكوك تمليك الأرض على أسر الفلاحين ...



عبد الناصر والفلاح

حاصلاتهم خلال هذا العام اكثر من ٣٠ مليون جنيه ... وتحققت نتيجة لتعامل الاعضاء مع تعاونياتهم أرباح بلغت هذا العام اكثر من مليون جنيه .

كما ان تعاونيات الاصلاح الزراعي قامت بانشاء مساكن للمنتفعين جاوزت قيمتها ٥٢٣ الف جنيه .. وتم رصد ٢٦٧ الف جنيه عام ١٩٧٠ لانشاء مخازن ومقرات للتعاونيات .

وعلى ضوء ما اسفرت عنه تجربة التعاون فى الاصلاح الزراعي من نجاح ، اتجهت الثورة الى تدعيم التنظيم التعاونى فى جميع قرى الجمهورية ورعايته لما يتيحه النظام التعاونى من امكان الانتفاع بمزايا الانتاج الكبير الى جانب تقليل نفقات الانتاج وفي ذلك يقول الرئيس الخالد في مارس ١٩٦١ : « كان القطاع الذى اتجه اليه اهتمامنا هو قطاع التعاون فالتعاون لازم للزراع حتى يتخلصوا من المرابين وهو أساس رئيسى فى جمهوريتنا ففى قطاع الزراعة صار التعاون لا للاراضى التى وزعت فقط ولكن لكل الاراضى على اساس خطة خمسية يعم بعدها التعاون كل انحاء الجمهورية ليمكن للفلاح ان يحصل على القروض بدون فائدة عالية ، ويحصل على البذور والسماد وكل متطلباته بدون ربح عال ، ويمكن الفلاح من ان يبيع محصوله وانتاجه بدون استغلال » .

وتحققت أهداف قيام التعاون في بلادنا وعمت الجمعيات التعاونية ٤٢٠٠ قرية ، وأصبحت الجمعيات تؤدي نشاطها طبقا لبرنامج مدروس يشترك في اعداده مجالس ادارتها التي يمثل ٤/٥ أعضائها صغار الفلاحين ممن يملكون اقل من ٥ افدنة .

لقد كانت هذه التعاونيات طريقا الى خلق قيادات واعية من الفلاحين شقت طريقها الى المجالس الشعبية والتشريعية بصورة لم يسبق لهم عهد بها من قبل ، وكان ذلك موجبا لاشتراك الفلاحين في المجالس واللجان الكبرى التي تناقش وتقرر كثيرا في السياسات الزراعية .

الائتمان الزراعي

واذا كان الائتمان الزراعي يعتبر من مقومات الانتاج الزراعي ، فانه في عهد زعيمنا الخالد قد اصبح انسانيا في أسلوبه ، فضلا عن اثره ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة للفلاحين .

لقد كان تمويل الفلاح الصغير باحتياجاته الزراعية يتم بواسطة فئة من التجار والمرابين ، كما كان الائتمان الزراعي قبل عام ١٩٥٢ يتخذ الملكية اساسا للضمان وقصرت خدماته على كبار الملاك وحرم منها صغارهم كما حرم المستأجرون بغير ضمان من ملاك الاراضي .

وفي العهد الناصري حظي الائتمان الزراعي بدفعات ثورية قوية في مختلف نواحي نشاطه واغراضه ، فتطور اسلوبه من الصورة الفردية الى التعاونية لكافة المزارعين من ملاك ومستأجرين سبيله في ذلك الجمعيات التعاونية معتمدة على كفاية الانتاج من الضمان بعد أن كانت الارض هي الضمان . واستند هذا الاسلوب الى مبادىء اشتراكية تعاونية يأتي في مقدمتها عنصر تعامل بنوك التسليف مع الجمعيات التعاونية وصرف القروض العينية والنقدية الى الزراع في قراهم ، وأصبح بنك التسليف يقوم على أساس مركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ بما يساير نظام الحكم المحلي .

ويباشر مهمته في الاشراف على التسويق التعاوني للحاصلات وامتد نظامه الى محاصيل القطن والبصل والقمح والارز والكتان وغيرها ، فاستقرت السوق من ناحية أسعار المحصولات وحصل الفلاح على أسعار مجزية كان معظمها يستحوز عليه المستغلون والمرابون .

تحسين مستوى المعيشة

كذلك أدى القانون الى زيادة دخل المشتغلين بالزراعة وتحسين مستوى معيشتهم **فزاد دخل المنتفعين بالتمليك بمقدار ٢٥ مليون جنيه سنويا نتيجة تملكهم لمزارعهم الجديدة ، وانخفاض قيمة ما كانوا يدفعونه للملاك السابقين الى مستوى اقل بكثير باعتبارهم ملاكا يدفعون اقساط وضرائب الاطيان ، وهي لا تعدو سبعة جنيهات عن الفدان في المتوسط .**



عبد الناصر والفلاح

كذلك زاد دخل المستاجرين بحوالي ٦٠ مليون جنيه ، وانتقلت هذه الزيادة من ملاك الاراضي الى هؤلاء ... بسبب خفض القيمة الايجارية بما لا يزيد عن سبعة امثال الضريبة ، اما العمال الزراعيون فقد اصبحت ظروف العمل لهم اكثر ملاءمة بسبب اتساع فرص العمل ، نتيجة تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعي من ناحية ، والمشروعات الزراعية الاخرى التي ترتب عليها تشغيل عدد كبير من العمال ارتفع الى نحو ٤ ملايين عام ١٩٧٠

عمال التراحيل

وقد أولى الزعيم الراحل عمال التراحيل الكثير من عطفه وحبه وتاكد فى اكثر من مناسبة العمل على تصحيح أوضاعهم ورفع مظلة الامن والاستقرار الاجتماعى فوق هاماتهم ، فوضع العديد من المشروعات لرفع مستوى معيشتهم .

ويحدونا الامل فى المستقبل القريب بفضل مشروعات الرئيس انور السادات أن نراهم وقد اظلتهم ايحاءات عبد الناصر وتوجيهاته ، بما يؤمن عملهم ومصادر رزقهم وكفالة حياتهم كقطاع مؤثر وفعال فى عمالة الريف .

الآثار الاجتماعية والانسانية

وترتب على تشريع قوانين الاصلاح الزراعى وتطبيقها ، زوال الامتيازات الطبقية أو تلاشيها ، كما نتج عنها انعدام كثير من عوامل الخلل والاضطراب التى سادت المجتمع قبل الثورة ، تلك العوامل التى كان لها

اسوأ الاثر فى اتساع حجم الفجوات الاجتماعية وأسباب الحقد والكراهية وانعدام الشعور بالمسئولية الجماعية

وفى ظل هذه القوانين ، بدأ الفلاح يشعر بأن له حقا مكفولا ، فشق طريقه فى الحياة باطمئنان وثقة ، وبدأ يسهم ايجابيا فى بناء المجتمع ، وأصبح يشعر بكيانه وبانسانيته وبحقه الاصيل فى كل تقدم تحققه الجماعة التى هو عضو فيها ، مما فتح الباب

على مصراعيه لديمقراطية قومية تكفل له صوتا مسموعا فى تقرير سياسات البلاد . ولهذا قرر الميثاق الوطنى نسبة لا تقل عن ٥٠٪ من عضوية المجالس الشعبية والتشريعية

للفلاحين والعمال مما ينشأ عنه زوال كل اسباب الضغط والتحكم ليصبحوا قوة كاملة متحررة من كل العوامل التى تخنق ارادتها وتقيد حريتها .

ولعل من الفضل ما حققه الاصلاح الزراعى ، التغيير الشامل فى وضع

الفلاح ومركزه ، فقد أصبح رمزا للتقدير والاحترام ، بعد أن كان رمزا للتخلف والاستعباد ، وبذلك كانت اهمية الفلاح وتقدير شخصه وانسانيته موضع الاهتمام والتأكيد فى سياستنا على امتداد السنوات الماضية ومنذ قيام الثورة .

تطور الانتاج الزراعى

وبالاضافة الى قانون الاصلاح الزراعى والآثار الكبيرة التى ترتبت على تنفيذه ، كان هناك خط آخر مواز له .. هو قيام الثورة بوضع سياسة زراعية واضحة المعالم محددة الاهداف لرفع مستوى الانتاج الزراعى فى انحاء الجمهورية والاخذ بيد الفلاح الى مستوى معيشة افضل .

لقد بلغت المساحة المستصلحة منذ قيام الثورة حتى عام ١٩٧٠ نحو ٨٩٠ الف فدان بوادى النيل والمناطق الصحراوية ومناطق البور المتخلل ، وبلغت الحدية الانتاجية منها ٢٥٠ الف فدان ، وسيتم استغلالها بربط الانتاج فيها بالتصنيع والتصدير .

وسارت خططنا للنهوض بالانتاج الزراعى على اسس علمية تطبيقية جمعت بين الخبرة الفنية ، والتكنولوجيا الحديثة ، فارتفع الدخل الزراعى القومى الى ٧٥٠ مليون جنيه عام ١٩٧٠ مقابل ٢٥٢ مليون جنيه عام ١٩٥٢ .

كما ارتفع متوسط انتاجية الفدان من مختلف المحاصيل ، وزادت تلك المتوسطات زيادة مؤكدة فى سنوات ما بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، فكانت تلك الزيادات عام ١٩٧٠ : ٤٧٪ للقطن و ٣١٪ للقمح و ٨٠٪ للذرة الشامية و ٤٥٪ للذرة الرفيعة و ٧٣٪ للارز ، بالمقارنة بعام ١٩٥٢ ، ووصلت بعض المحاصيل الرئيسية الى ارقام قياسية فى متوسط الفدان لم تشهده البلاد من قبل .

كذلك زادت جملة الانتاج فى اغلب المحاصيل بالرغم من نقص المساحات

التي زرعت بها ، وزاد انتاجنا في الخضر والفاكهة نحو ٥٦٪ خلال فترة حياة زعيمنا الراحل جمال عبد الناصر .

وشهدت البلاد زيادة كبيرة أيضا في اجمالي الصادرات الزراعية المصرية ، وسوف تشهد السنوات القليلة القادمة طفرة كبيرة في الكميات المصدرة .

هذه المؤشرات في تطور انتاجنا الزراعي وزيادته كان لها انعكاس واضح على الفلاح المصري أيضا من

حيث زيادة دخله ورفع مستوى معيشته وتحسين حالته الاجتماعية .

آخر كلمات عبد الناصر

لقد كان آخر خطاب للزعيم الخالد ذلك الذي ألقاه في المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ تعبيرا حقيقيا عن تطوير الانتاج

الزراعي والذي ينعكس صداه على حياة الفلاحين .. « لقد تم حتى الآن تحويل ٨٣٦ ألف فدان من أراضي الحياض الى الري الدائم ، وتم استصلاح ٨٥٠ ألف فدان أضيفت الى الرقعة الزراعية انتصارا على الصحراء . ومازالت عمليات الاستصلاح على المياه الفائضة مستمرة كل يوم لا تتوقف لحظة مهما كانت الظروف . لقد كان العدو

واصدقاؤه يتصورون أن ارادة الصمود سوف تهتز وتضعف ، فاذا هذه

الارادة في وقت الشدة اشد ثباتا وطاقة . عمل بطولي يقوم به الفلاحون والعمال من قوى هذا الشعب العامل » .

وبعد ..

ان الرحلة القصيرة التي قطعناها مع الزعيم الراحل وعلى امتداد ثمانية عشر عاما والتي حققنا خلالها ما لمسناه من التغيرات الجوهرية الهائلة في المجال الاجتماعي والانجازات

الضخمة في المجال الاقتصادي ، والانتصارات الهائلة في المجال السياسي وخاصة لاخواننا الفلاحين لا تقاس في عمر الامم والشعوب .

ولقد ودعنا في سجل الزمن والتاريخ هذه الحصيلة من الجهد والعمل والفكر ، التي فاقت كل ما كان يراود أحلامنا قبل الثورة ، لنجدد العزم تأكيدا ، والعهد وفاء للفقيد الخالد

جمال عبد الناصر في ذكراه الاولى ، ونواصل الزحف المقدس مع خليفته ورفيق جهاده الرئيس محمد انور

السادات بنفس القوة لنحقق المزيد من النجاح .

ان الطريق الذي سار بنا فيه جمال ، مازال يمتد امامنا ، والشوط الذي بدأناه معه ، مازال يحتاج الى كل طاقاتنا وامكانياتنا الخلاقة ، حتى

تتم الرسالة وتتحقق بالكامل أهدافنا الكبرى في الحرية والاشتراكية والوحدة والنصر المبين .



بقلم : أم كلثوم

كيف عرفت عبد الناصر ؟



لا ازال اذكر اجمل الذكر ، المرة الاولى التى رايت فيها جمال عبد الناصر

كان ذلك فى عام المأساة الكبرى فى تاريخ الامة العربية ، ماساة فلسطين ، سنة ١٩٤٨ ، حين هبت مصر للذود عن الارض السليبة ، وذهب الجيش الى هناك ، وكان على ابواب النصر ، لولا ان دبرت له الدول الكبرى المؤامرة التى انتهت بخدعة الهدنة الاولى ، ثم الثانية ، فانقلب النصر الى هزيمة ، وحوصر ابناؤنا فى الفالوجا حصارا قاسيا مريرا ابدوا خلاله الوانا اسطورية من البطولات فى الصمود فى وجه العدو ، كانت مثار اعجاب العالم

كان الزعيم الخالد شديد الاعتزاز بالفن المصرى ودوره فى معركة بناء حياتنا الجديدة



كيف عرفت عبد الناصر ؟

كنت أتتبع أنباء اخوتي وأبنائي أبطال الفالوجا يوما بيوم ، وساعة بساعة. وقلبي معهم يخفق لهم في كل لحظة ، ويضرع الى الله أن يؤيدهم في صمودهم العظيم ، الى أن يردهم الينا سالمين

واستجاب الله الدعاء

وعاد أبطال الفالوجا الى القاهرة ، وعلى رأسهم قائدهم البطل ، المرحوم السيد طه ، الذى أشتهر يومئذ باسم « الضبع الاسود »

ودعوتهم جميعا — جنودا وضباطا — الى حفلة شاى في بيتى ..

ووجهت الدعوة كـذلك الى وزير الحربية في ذلك الحين ، الذى اتصل بى معتذرا عن عدم استطاعته تلبية الدعوة ، وأضاف أنه لا يرى ضرورة لدعوة الجنود والضباط أيضا .

واستغربت منطقه ، وقلت له :

— لقد وجهت اليوم الدعوة وانتهيت .. وساكون سعيدة بهذا اللقاء بهم . فاذا شرفتنا بالحضور فأهلا وسهلا ، واذا لم تستطع ، فهذا شأنك .

وجاء الابطال الى بيتى ، واستقبلتهم بدموع المصرية الفخور بأبناء مصر ، وجلست بينهم وأنا أشعر انهم أسرتي ، صميم أسرتي ، اخوتي وأبنائي .

وأذكر يومئذ انني أقمت لهم في حديقة البيت محطة اذاعة صغيرة ، تذيع عليهم ما يطلبون من الغناء

وقدم لي « الضبع الاسود » ضباطه وجنوده واحدا واحدا ، وحدثني عن أصحاب البطولات الكبيرة منهم ، وكان في مقدمة أصحاب هـذه البطولات ، الضابط الشاب ، جمال عبد الناصر .

وشددت على يده وأنا أصافحه . وأتأمل ما يتألق في عينيه من بريق الوطنية ، وحدة العزم ، وعمق الايمان

وكان هذا هو أول لقاء لي بالبطل. قبل أن يلعب دوره التاريخى في حياة مصر بأربع سنوات .

***

أما اللقاء الثاني ، فكان يوم قيام الثورة بالذات ..

كان المؤذن قد أنتهى لتوه من أذان الفجر ، حين اتصل بى ابن أختى — وكان يومئذ ضابطا بسلاح الاشارة — وقال لي :

— ابشرى .. لقد حقق الله سبحانه وتعالى الامل الكبير الذى طالما كنت تحلمين به .. لقد قامت الثورة .. اسمعي الاذاعة ..

كنت يومئذ أصطاف بالاسكندرية .

وهرعت الى الراديو ، وسمعت « أنور السادات » ، بصوته القوى المؤمن ، يبشر الناس بقيام الثورة ، ويتلو البيان الاول الذى خرجت مصر على صيحته تتنسم أنفاس الحرية ..

كان شيئا كالاحلام ، بل اجمل من الاحلام ..

ونهضت على الفور ، وأعددت عدتي للسفر الى القاهرة ..

اتجهت الى مطار الاسكندرية وهناك ، وجدت بعض أعضاء الوزارة القائمة يومئذ — وزارة « نجيب الهلالى » — يتأهبون لركوب الطائرة لتذهب بهم الى القاهرة ..

وسألنى أحد الوزراء :

— لماذا أنت ذاهبة الى القاهرة ؟

قلت له بمنتهى الصرامة :

— قل لى أنت .. لماذا انتم ذاهبون الى القاهرة ؟

قلت له هذا ، لاننى كنت واثقة انهم ذاهبون لعلهم يحاولون الوقوف فى وجه القدر .

ولكن يد الله كانت فوق ايديهم ، وبقيت الثورة ، واستقرت فى أعماق التاريخ ، اما هم ، فقد ذهبوا مع الريح .

***

وتزلت من الطائرة ، فذهبت الى ادارة الجيش بكوبرى القبة رأسا ، لاهنىء الابطال الثائرين على الظلم والبغى والطاغوت ، الذين وثبوا ليضعوا نهاية تاريخية لعهود الظلام

وكنت أتصور ، وأنا أتسرب الى مبنى ادارة الجيش ، أننى لن أعرف منهم أحدا ..

ولكننى عندما قلبت عينى فى وجوه هؤلاء الابطال ، لم ألبث أن تبينت أننى أعرف من بينهم تلك الوجوه الحبيبة المؤمنة .. وجوه أبطال الفالوجا الذين احتفيت بهم فى بيتى منذ أربع سنوات، وفى طليعتهم وجه «جمال عبد الناصر»

وتصافحنا للمرة الثانية ، وقد ازداد فى عينيه هذه المرة بريق الاصرار على النصر ..

وعدت الى بيتى فى القاهرة ، واتصل بى الاستاذ الشاعر « احمد رامى » ، وسألته أن يعجل بنظم تحية اقدمها للثورة ، فنظم لى الاغنية التى مطلعها :

مصر التى فى خاطرى وفى فمى
احبها من كل روحى ودمى
بنى الحمى والوطن
من منكمو يحبها مثلى انا ؟

***

وتابعت الثورة مسيرتها المنتصرة بقيادة « جمال عبد الناصر » ..

وتوالت الاحداث .. وخرج الانجليز من مصر ، وانكسر احتكار السلاح ، وأممت القناة ، وقام العدوان الثلاثى وانتصرت مصر مرة أخرى ، وأقيم السد العالى .. الخ .. وأنا انفعل بهذه الاحداث حدثا وراء حدث ، وأترجم كل انفعال الى انشودة من اناشيد الثورة ، وهى خير ذخر أعتز به فى حياتى .. ومنها « منصورة يا ثورة أحرار » و « طوف وشوف » و « يا حبنا الكبير » و « على باب مصر » .. الخ ..

غير أن هناك أنشودتين من بين كل هذه الاناشيد ، أحسست بانفعال أعمق وأنا أغنيهما ، وقد ظللت أستشعر عمق هذا الانفعال كلما ذكرتهما ..

الاولى : هى الاغنية التى غنيتها لجمال عبد الناصر يوم كتب الله له النجاة من الحادث الاثيم الذى أطلق

كيف
عرفت
عبد
الناصر
؟

نيه عليه الرصاص بالاسكندرية • يوم غنيت له :

اجمل اعيادنا الوطنية
بنجاتك يوم المنشية

والثانية : عقب النكسة •• يوم اعلن جمال ذلك النبأ الاسود الذى

انخلع له قلب مصر ، بل قلب الامة العربية كلها ، نبأ تنحيه عن الحكم •

وكنت ، منذ الساعة التى تأكدت فيها انباء النكسة ، قد خاصمت النوم ،

ولم يعد لى هم بالليل ولا بالنهار ، الا أن انفرغ لدموعى ، وأتوجه الى الله

فى صلاتى وضراعتى أن يمدنا ببصيص من الامل فى انقاذ مصر •

فلما أعلن « جمال عبد الناصر » نبأ تنحيه عن الحكم ، فقدت الامل فى اطلالة هذا البصيص من الامل •

وكنت لا أفتأ اتصل بأصدقائى ، وأصدقائى يتصلون بى ، ليل نهار ،

لعل احدنا يجد عند الاخر نبأ يكشف

الغمة ، ولا حديث لنا جميعا الا عن

المأساة التى ازدوجت وأطبق عليهما اليأس بتنحى « جمال » عن مكانه •

وفى تلك الليلة ، قلت لصديقى صالح جودت ونحن نتحدث بالتليفون :

– ان الامل الباقى ، هو أن يبقى جمال عبد الناصر فى مكانه ••

وبعد منتصف الليل ، عاود « صالح جودت » الاتصال بى • وتلا على هذا المعنى منظوما فى أنشودة تحمل صورة نداء الى جمال ، مطلعها :

قم واسمعها من اعماقى
فأنا الشعب
ابق فأنت السد الواقى
لمنى الشعب
ابق فأنت الامل الباقى
لغد الشعب
ابق فأنت حبيب الشعب

وأملى على كلمات الانشودة بالتليفون ••

وأيقظت « رياض السنباطى » ، وأمليتها عليه بالتليفون أيضا ••

ولم ينم السنباطى ليلته ••

وفى الصباح ، كان قد انتهى من تلحينها •

وبعد يوم واحد ، سجلتها ، وقدمتها الاذاعة للجماهير •• جماهير ٩ و ١٠ يونية •• التى خرجت عن بكرة ابيها ،

فى حلكة الاظلام ، وتحت وابل من قنابل العدو ، تطالب ببقاء جمال عبد الناصر ••

وبقى جمال عبد الناصر
وعاد الامل يطل علينا من جديد

***

لقيت جمال عبد الناصر قبل ذلك وبعده عشرات المرات ، فى مختلف المناسبات •

وكان لا يفوته – رحمه الله – فى كل حفلة أغنى بها ويشهدها فى « نادى الضباط » أو « جامعة القاهرة » أو غيرهما ، أن يدعونى أثناء الاستراحة، وتدور بيننا أحاديث طويلة عن الفن •
كان شديد الاعتزاز بالفن المصرى ،


صالح جودت
رياض السنباطي

كيف عرفت عبد الناصر ؟

قوى الايمان بأن أهل الفن كتيبة عزيزة من كتائب المعركة ، ترسى دعائم الوحدة الشاملة ، وتأصلها فى نفوس العرب ، وتحرك العزائم العربية ليوم عظيم تتغلب فيه هذه الامة على اعدائها ، وتحتل المكان اللائق بها فى المجتمع الدولى ، وتثبت انها بحق خير امة اخرجت للناس .

***

وكان جمال انسانا بكل ما فى كلمة الانسانية من معان سامية .

كان يرى فى ولده « خالد » رمزا لجيل الثورة ، ويحس نحو كل ابن من أبناء هذا الجيل ، بنفس احساسه نحو خالد .

كلهم أولاده .. ويجب أن تتاح لكل منهم نفس الفرص المتاحة لخالد ، حتى ينشأوا فى جو من تكافؤ الفرص .. لا فرق بين ابن رئيس الجمهورية وابن أى مواطن آخر .. وهكذا يتجهون جميعا نحو بناء مستقبل مصر باخلاص وايمان ..

والواقع ان ايمان جمال عبد الناصر كان الأساس الاول لانسانيته .

كان لا يفتأ يذكر الله فى كل موقف .

وكان لاغانى « رابعة العدوية » وقع خاص فى نفسه ، لما فيها من تصوف وروحانية . وكثيرا ما كان يقول لاهل الفن ، كلما التقى بهم فى مناسبة من المناسبات ، أن أغانى رابعة العدوية يجب أن تكون نصب أعينهم دائما كانموذج لمثالية الغناء .

وكان حبه للغناء والموسيقى دليلا حيا على حسه المرهف ، الى حد أنه كثيرا ما كان ينكب على العمل فى مكتبه ، وهو يستمع الى الغناء المنبعث هادئا من ركن الغرفة .

وكنت أشعر بالفخر ، كل الفخر ، حين اسمع انه يطلب اغنياتى فور تسجيلها فى الاذاعة ، وقبل أن تذاع على الناس .

* * *

كنت أعرف أنه متعب القلب ، ومع هذا فانه يبذل من روحه وجسده ما فوق طاقته لخدمة مواطنيه ورفعة شأن وطنه .

وآمنت به وبما يفعل

وفى حدود طاقتى ، حاولت أن احذو حذوه ، واتخذ منه أسوة حسنة

ولهذا ، أبيت أن أستسلم لليأس بعد النكسة .

لم يكن امامى الا احد امرين ، فاما أن ألتزم الصمت ، واقبع فى ركن من الانهيار النفسى ، وأما أن امضى بسلاحى — وهو صوتى — ابذل ما أستطيع من جهد من أجل المعركة .

واخترت الامر الثانى ..

احسست أننى اكون سلبية لو امتنعت عن الغناء .

واحسست اننى اقف وراء رسالة عبد الناصر ، لو غنيت داخل الحدود ، وخارج الحدود ، لارفع صوتى باسم وطنى ، واجمع ما استطيع أن اجمع من عدة وعتاد من أجل المعركة ، لعلى ارد بعض جميل مصر ، وبعض جميل البطل الذى يحترق من أجل مصر ، والذى كرم الفن أجمل تكريم ، والذى زين صدرى بأرفع وسام فى الدولة ، وأعز قدرى بجائزة الدولة التقديرية

للفنون .. هذه الجائزة التي أحسست ان عبد الناصر لا يكرمني بها وحدي ، وانما يكرم بها جميع اخواني ، خدام الفن . ولهذا تبرعت بمنحتها المادية لصندوق الفنانين .

وبهذا الدافع غنيت في كثير من المحافظات بعد العدوان ..

ثم غنيت في « ليبيا » ، و « تونس » و « المغرب » ، و « السودان » ، و « لبنان » ، و « الكويت » و « باريس » .

وكان اخر المطاف في موسكو .. ذهبت لاغني لهؤلاء الاصدقاء الذين وقفوا معنا في المعركة ..

ولم اكن ادرى ما يخبىء القدر وانا في موسكو .. الا حينما ايقظني ابن اختي في الصباح الباكر ، وهو يجاهد نفسه ، ويجالدها ليلتمس الوسيلة التي يقول لي بها ان عبد الناصر قد ذهب الى لقاء الله .. وان مصر قد فجعت في اعز ما تملكه ..

ورحت اصرخ .. مصر .. وطني .. بلدى .. مصير بلدى .. المعركة .. ما المصير .. يا رب .. لطفك يا رب ..

وعدت من موسكو دون ان اغني ..

عدت اسائل نفسي : هل استسلم لياس ثان كياس النكسة .. او بنفس الايمان الراسخ في اعماقي .. الايمان الذي تعلمته من عبد الناصر .. اطرح الياس وراء ظهري .. وأمضي في طريقي .. اغني للنصر حتى يوم النصر ؟

ومرت الايام ، وتمثل لطف الله في قضائه ، في شخص ذلك المجاهد الشريف ، الرئيس انور السادات ، الذى كان ضمادا كبيرا للجرح الكبير ، وامتدادا رائعا لروح عبد الناصر التي لن تموت ...

احمد رامي



بقلم:
محمد أحمد
وزير شئون
رئاسة الجمهورية

حينما يكون الحديث عن جمال عبدالناصر تتزاحم امام الذاكرة ، صور كثيرة للجوانب المختلفة من شخصية تاريخية نادرة ، شاء الله ان اعمل بجوارها ليلا ونهارا واعيش عن قرب منها اعظم سنوات العمر .. لذلك فان الانسان لا يدرى ، كيف يلم بهذه الصور المتزاحمة العديدة ، ولا كيف يستعرضها او من اين يبدأ الحديث عنها .

ومنذ البداية ، احب ان اعرض لحقيقة راسخة وبديهة مؤكدة ، هى ان موضع جمال عبدالناصر - القائد الثائر والسياسى الزعيم - سوف يكون فى صدر صفحات تاريخنا الحديث وهو يروى نضال شعب مصر والشعوب العربية بل والبلاد النامية والمستضعفة فى انحاء قارات العالم ، على امتداد الخمسينات والستينات فى هذا القرن .. وستبقى اشعاعاته وتعاليمه واسلوب كفاحه الى عصور متتالية قادمة .



يكفى ان خريطة العالم - وخاصة فى افريقيا واسيا - قد تغيرت تغيرا كاملا بعد ثورة الثالث والعشرين من يوليو المجيدة .. ويكفى ان قلاع السيطرة التى كانت متحكمة فى غالبية شعوب الارض ومقدراتها ، قد زالت او تداعت وتهاوت امام تيار التحرر الذى اجتاح عالمنا بعد نجاح الثورة المصرية ، وتاييدها المطلق لنضال كل الشعوب ودعوتها لحرية الانسان وكرامته



ان جمال عبد الناصر ، كان ظاهرة مضيئة، من تلك الظواهر التى تلوح على مدى العصور والازمان ، تؤثر فى عصرها وتتأثر به ، وتترك للاجيال المتعاقبة ، معالم بارزة على طريق الحياة الكريمة ، وزادا وفيرا يستلهمها فى خطا كفاحها الانسانى النبيل .

لمحات من شخصية

جمال عبد الناصر

القدوة الحسنة والمثل الأعلى



وحياة القائد الخالد والسياسي الثائر، وتأثيراتها في التاريخ الحديث، سوف يتناولها المؤرخون لفترات طويلة ... ولست أظن أن الصديق صالح جودت، كان يطالبني بتاريخ لحياة جمال عبدالناصر أو أعماله وكفاحه ... فذلك يحتاج الى مجلدات ... انما أظن انه كان يطالبني بلمحات عن شخصية جمال عبد الناصر الانسان والقدوة الطيبة، الزعيم الذي زادته الزعامة ارتباطا بالجماهير، ولم تغير منه، ولا من نفسه، ولا من طباعه شيئا.

من هنا فان حياة جمال عبد الناصر، لم تكن مجرد تاريخ، يسرد الحقائق والارقام والوقائع والمعارك السياسية والاقتصادية والعسكرية المتصلة وحسب ... انما حياته كانت فوق ذلك كله، سيرة عطرة لانسان بكل معاني الانسانية من نبل وخصال ... سيرة مصرى عربي نبع من الارض الطيبة وظل وفيا لها ولاهلها ولكل القيم والمبادىء الرفيعة التي تمتد جذورها في أعماق هذه البقعة من العالم.

وسيرة الزعيم الخالد، تحتاج الى دراسة وتأمل .. نأخذ منها المثل الطيب والقدوة الحسنة، وتأخذ الاجيال المتعاقبة منها العبرة والعظة.

ان جمال عبد الناصر منذ عرفته، لم يعش يوما واحدا لذاته، انما كانت أيامه وساعاته ونبضات قلبه كلها للآخرين.

ومنذ ما قبل الثورة، ما كان تفكيره في تنظيم الضباط الاحرار والاعداد للثورة والقيام بها، بهدف الوصول الى السلطة، ولا كان عبد الناصر يقرأ الغيب أنه سيكون زعيما مصريا وعربيا تهفو اليه القلوب والابصار .. انما كانت هذه المخاطرة، من أجل جماهير شعبنا المصرى التي ظلت مئات السنين ترزح



تحت وطأة الظلم الاجتماعي والاستغلال البشع والاستعمار الاجنبي ٠

كانت هذه المخاطرة ، من أجل الحق المهدور للشعب المصري والشعب العربي ، بواسطة قلة عميلة تنفذ سياسة الاستعمار وتحقق له أطماعه٠

حقيقة ان ثورات عديدة قامت بعد ذلك في أرجاء الوطن العربي ، وفي القارة الافريقية وقارة اسيا ٠٠ لكن خطورة القيام بثورة تحررية في يوليو عام ١٩٥٢ ، تكمن في أنها كانت تشق طريقها وحيدة وسط المساحة الشاسعة من أرض العالم في هذه المنطقة التي كانت خاضعة كلها للسيطرة الاجنبية والاحتلال ، وتئن من حكم الاستغلال الطبقي الرهيب ٠٠٠ بل لم تكن علاقات البلاد العربية وقتئذ قد انفتحت على دول العالم الاشتراكي وغيرها . حتى يمكن أن تمد يدها الى ثورة يوليو ، بالعون والمساندة وهي في مهدها الاول ٠

ومع ذلك ٠٠٠ وبعد ان تمكن جمال عبد الناصر ـ ابن مصر البار ـ من طرد الملكية والقضاء على الفساد السياسي والحزبية المتناحرة ، وبعد ان بدأ النظام الثوري يشق طريقه نحو اهدافه النبيلة ، وبعد ان دوى اسم جمال عبد الناصر والثورة المصرية في انحاء العالم ، فانه لم يتغير ٠٠٠ ظل هو هو ٠٠ في بساطته التامة ، وعدم تعاليه ، وانسانيته الغلابة ٠

كان وهو يدير أمر امته ، يعرف حدود الحاكم الانسان العادل ، يحاسب على ما يقترفه الفرد في حقوق الاخرين أو تجاه مصالح الشعب ، ويترك ما في الضمائر والنوايا لربه يحاسب الناس عليه ٠

كان يكره ان يتلمس احوال الجماهير ومشاعر الشعب من افواه رواد النوادي والصالونات ويقول « انهم يطلبون مني أن أذهب الى النوادي والحفلات لاتعرف على الاحوال ٠٠٠ ورواد النوادي والحفلات، لايعرفون من أمر الناس ولا من أمر وطنهم شيئا ٠٠٠ انهم يجيدون أمرا واحدا هو أن يلوكوا سيرة الاخرين وحياتهم » ٠

كان يؤمن ايمانا عميقا ان الجماهير العاملة ، هي الاقدر على تحديد المشاكل وعلى معرفة الوسيلة لحلها وحسمها ، ولابد أن تنبع الحلول لاي مشكلة من المشاكل ، من القاعدة الجماهيرية ، لا من الصالونات أو النوادي الليلية ٠

لذلك فكر منذ البداية في تنفيذ نظام الحكم المحلي ، واخذ يقرأ عن تطبيقه في الدول المختلفة ، ويطلع على النتائج التي حققها في كل دولة ٠٠٠ وزاد تصميمه على تطبيق نظام الادارة المحلية ، عند زيارته لمحافظة قنا لاول مرة ووجدها في حالة تخلف رهيب ٠٠٠ وأمله الدائم كان أن تنتقل السلطة الى الهيئات الشعبية والمؤسسات الجماهيرية ، لانها الاقدر على تلمس المشاكل وابعادها وأسبابها والعمل على حلها حلا صحيحا بعيدا عن التعقيدات المكتبية، وتعالي رجال السلطة التنفيذية ٠

***

كنت ـ ونحن في الطريق الى برج العرب أو أثناء ذهابنا وعودتنا من القناطر الخيرية أو في زياراته للمحافظات ـ اتمنى أن لا يقع بصر الرئيس على صورة تشير الى التعاسة أو الفقر أو المرض ، فهذا المنظر كان يؤثر فيه الى حد بعيد . لدرجة انه كان يسكت عن الحديث وتتغير قسمات وجهه ، ويظل بصره

شارداً لعدة دقائق .. فذات يوم ونحن عائدون من استراحة القناطر، وجدت وجهه فجأة يتغير ، ويطيل النظر من النافذة الى أم فلاحة ، تجلس على الارض بجوار الطريق الزراعي ، وبجانبها ابنها الطفل الرضيع وبجوارها تجلس طفلة ، والذباب على وجوههم جميعاً ... وسمعت زفرة خافتة تعبر عن الالم وهو يقول « يارب .. امتى ييجى اليوم اللى الناس كلها تبقى قاعدة فى مكان نضيف والدولة بترعى صحة أولادهم » .

ولم تكن الايام والليالى التى قضاها الزعيم الخالد فى برج العرب أو القناطر ، لمجرد الدراسات السياسية أو الاستجمام ... لكنه وفى أوقات راحته ، كان يقود السيارة بنفسه ويمضى بها مئات الكيلو مترات الى نقط الحدود ... هناك يجلس مع مجموعة من « عساكر » الحدود ، على « الدكة » أو البطانية أو الحصيرة ، يشرب معهم الشاى الاسود ، ويتحدث اليهم، ويستمع منهم ... ويسالهم عن أولادهم ومشاكلهم وحياتهم فى هذه المناطق النائية ...كان حديثه بسيطاً واضحا .. وكان يستمع بكل جوارحه الى محدثه ، يعطيه كل انتباهه فى غير تعال او تأفف ... بل لعله مع البسطاء والعاملين والمكافحين ، كان يضحك من كل قلبه ، كما لا يضحك فى اى مكان آخر .. وفى عودته يملى على اسماء وحالات تحتاج الى مساعدة او انصاف .. أو رعاية .

كان ذهنه الصافى ، وذاكرته القوية ، تتسعان الى جانب كل المشاكل العامة واحتياجات العمل الوطنى ، لهذه الاسماء والحالات .. فيسالنى بعد أيام : « عملت ايه فى حالة فلان ؟ » ..



أذكر ونحن فى طريقنا الى مسجد



عبد الناصر الوالد والإنسان

مولانا الامام الحسين رضى الله عنه صباح يوم العيد ، اذ بسيدة تتقدم من سيارته تحمل شكوى وهى تبكى ... فأوقف الركب وأخذمنهاشكواها، وأخذ يقرؤها .. كان زوجها معتقلا ، فطلب أن يعرف وضع زوجها قبل أن يغادر المسجد ... وكانت تعليماته خلال عودته الى منزله بالافراج فورا عن هذا المعتقل..وقال لى « أنا عاوز الراجلده يفطرالنهارده مع أولاده ومراته ، فهو مظلوم ، وترسل له شخصا يقدم له كل ما يطلب ... » ، وبعد ساعة ونصف ساعة سألنى الرئيس « عملت ايه ؟ » فكان جوابى « وصلناه بيته وبيفطر دلوقتى مع أسرته وتسلم المنحة اللى أمرت سيادتك بيها » .. هنا فقط بدأ الرئيس الراحل ، يتناول افطاره صباح ذلك العيد .

وكتبت له فتاة يتيمة من السويس، تقول أن زفافها مؤجل لانها عاجزة عن شراء ملابس الفرح ومصاريف الزفاف ... فطلب الى أن أوفد أحد رجال السكرتارية الخاصة لمعرفة حالتها وشراء كل ما يلزم الزفاف ومصاريفه واعطائها مساعدة من جيبه الخاص .

وفتاة أخرى كتبت له عقب زواج كريمته هدى ، ترجوه لو حصلت على الملابس القديمة الخاصة بالسيدة هدى .. فتأثر تأثرابالغا.. وطلب منى على الفور ، دراسة حالتها الاجتماعية ، وشراء ملابس جديدة لها ، وقرر لها اعانة شهرية ما زالت تحصل عليها حتى اليوم .

***

وبمناسبة الحديث عن الشباب ، فان الزعيم الخالد ، كان يهتم اهتماما شديدا ، بمشاكل الطلبة



والشباب من قوى الشعب العاملة سواء كانوا عمالا أم فلاحين ·

كان دائم السؤال عن عدد المدارس الجديدة ، وعدد تلاميذ كل مرحلة ·· وعن الخدمات الصحية والتعليمية التى تقدم لعمال القطاع العام ·· ويوم أصدر قانون التعليم المجانى بكل مراحله ، كانت السعادة تغمر وجهه ، وكان أملا غاليا ، ظل حبيسا فى صدره ، يملأ وجدانه ثم تحقق ·

ومع ذلك ، فان الطلاب والشباب، كانوا يكتبون اليه عن مشاكلهم الاجتماعية والانسانية كأب رحيم ··· وبلغت سجلات الطلبةالذين أمر الزعيم الخالد ، بتقديم اعانات ومصاريف شهرية لهم بصفة خاصة وبدون علم أحد المسئولين ، عشرات المئات ··· وكان يداوم السؤال عن نتائجهم الدراسية ، ويسعد أيما سعادة ، حينما يعلم أن أحدا من هؤلاء كان من الاوائل والنابغين فى دراسته ·· وكان الزعيم العظيم يردد على كثيرا ، تعليماته بأن تستمر هذه الاعانات ، حتى تنتهى مراحل دراسة كل منهم ويلتحق بعمل يقيه الحاجة ومذلة السؤال ·

كانت نظرته الى التعليم أعمق من مجرد فتح المدارس والحصول على الشهادات ····· أن العلم للولد والفتاة ، فى ايمان الرئيس عبد الناصر ، هو الحماية من الانحراف وهو الحصن من التفرد واليأس ·· ومن ناحية أخرى فهو السبيل الوحيد لتطور المجتمع ، والنهوض بالأسرة المصرية ·

❋❋❋

وحين التقى ببعض المشايخ ، وأثاروا معه موضوع ملابس المرأة ، وضرورة العودة الى الحجاب ·· سأل الرئيس الراحل بكل هدوء ·· « كيف السبيل الى » فقالوا « عن طريق اصدار قرار بذلك » ·· فقال الرئيس المعلم « وماذا تفعل فى سيدة أو فتاة تخالف هذا القرار ؟ ·· هل تكلف رجال الشرطة أن يتصدوا للسيدات والفتيات فى الشوارع ، لقياس مدى طول هذا الفستان ··· هل يقبل أحد منكم ذلك لزوجته أو لكريمته ؟ » فسكتوا ··· ثم سألهم واحدا واحدا عن ملابس بناتهم فكان الجواب « الملابس العادية ولكنها ليست المتبهرجة » فقال الرئيس « وما هو مقياس البهرجة ؟ أن سيدة ترتدى الثياب الفضفاضة ، قد تكون أكثر ابتذالا وهى وراء الحجاب ··· واذن فالاخلاق لا تتحقق بالقرارات والقوانين ··· انما تتوفر بالوعى والتربية السليمة والقدوة فى المنزل وبالعلم وبتعميق العقيدة فى أذهان أولادنا ··· » ·

❋❋❋

وجانب آخر من جوانب شخصية عبد الناصر الذى كان مثلا أعلى للانسان المصرى العربى المسلم ··· هو ايمانه العميق بالله ··· كان يحترم كل الاديان والعقائد السماوية ·· وكان يقول دائما « ان حياة الانسان وديعة من خالقه وهى حياة واحدة وليست حياتين ·· لذلك فانها الفرصة الوحيدة أن يؤدى المرء واجبه نحو ربه ونحو الناس بشرف وأمانة واخلاص » ·

وقد بدأ بنفسه وقال : « لقد أعطيت هذه الامة عمرى ، وسيبقى لهذه الثورة العربية عمرى، ولسوف أبقى ما أراد الله لى أن أبقى ، اقاتل بجهدى كله ، من أجل



لقاء الشعب والقائد
القـائد جمال
عبد الناصر .....



مطالب الشعب ، وأعطى حياته كلها لتحقيق الجماهير في الحياة ... فقد اصطفى هذه الأمة من تأييدها وحبها ما لم يكن يخطر بالبال ، ويستحق ما القمة وقاد لتطلعاتهــا ، في كل فتـرة من العمر ، وكل خفقة في وجداني ... .

كان ذلك إيمانه حتى في طفولته وشبابه ... وبالذات أن شرع يحمل حياته على كفه في القناة والمعارك من بولي ، لا يفكر في أرقامه رقة في مصير الحرب ، كان احتسابه لله وتوكلا على الله سبحانه وتعالى .

وبعد الثورة ، كانت الحدة في كثير من الأزمات ، والمشاكل العسكرية والعربية ، يقطع ويسرد إلى أعلى ويطول بصوت خافت ، ويارب .

***

أذكر ونحن في طريقنا إلى باندونج وكنا في شهر رمضان ، أن أوقفنا في مدة بالك .. وكان هذا الأول أول خطوة تلتقي بها مصر الرابحة للتعاون الفذ السليم مع كافة دول العالم ..... وكان الجو قاسيا شديد الحرارة والرطوبة جدا ، لدرجة أن

على طبيب الإعياء من كثرة التعب والجهد ، والتعـرق والزيارات المكثفة ، والانتقالات .... وقد أتى لنا السادة الشيخ والباقوري ، وكانوا كثيرا في الوفد الرسمي ، بأن الإفطار حلال ، لأننا على سفر ، ثم إننا نقوم بمهمة جليلة في خدمة المجتمع الإنساني التي يريده الله حرا عزيزا ... ولكن يحتاج أن يقوم كل منا طاقته كاملة وجهوده غير منقوصة

لانجاح هذه المهمة ...
وفعلا افطر أعضاء الوفد والمرافقون ... ما عدا عبد الناصر .. رغم انه كان اكثر من يعمل منا ، واكثر رؤساء الوفود نشاطا وبذلا للجهد والتزاما في حضور الجلسات قال لنا ونحن نرجوه أن يفطر :

« مادام ربنا منحني نعمة القدرة على تحمل الصيام ، فهل تطلبون أن اكفر بنعمته .. سأداوم الصيام ... »

وهنا أحس أعضاء الوفد والمرافقون بالخجل ، حتى انهم كانوا يستترون وهم يأكلون او يشربون خلال ايام الصيام في هذا الجو القاسي .

وكان الرئيس الخالد يفكر منذ قيام الثورة ، في انشاء مركز أعلى للشئون الاسلامية حتى اقامه كما تمنى ، وكان يحرص على أن يتتبع نشاطه وأعماله في دول العالم الاسلامي ، ويوفر له الميزانية التي تكفل له أداء رسالته على خير وجه .

وقبل وفاته طلب دراسة وافية لاقامة مجمع للبحوث الاسلامية ، يلتقي فيه علماء العالم الاسلامي ، يستعرضون دراساتهم في قضايا الدين والدنيا ، وبالفعل تحققت هذه الرغبة الملحة عنده .



وفي أحد اجتماعات مجلس الوزراء برئاسته ، كانت الميزانية العامة تناقش ... وكان يبدو على الدكتور عبد العزيز كامل ، الحزن والتأثر لأن لجنة الخطة لم توافق على الاعتماد المدرج في ميزانية الاوقاف لترميم وتعمير وبناء المساجد .. وكان هذا المشروع بتوجيه من الرئيس الى وزير الاوقاف ..

وسأله الرئيس ، فقال الوزير :
« شطبوا اعتماد المساجد المقترح » .

فقال جمال عبد الناصر المؤمن :
« انت عاوز كام لخطة السنة دى »
فقال الدكتور عبد العزيز كامل « ربع مليون جنيه » .
وكان رد الرئيس عليه « لك ما طلبت بدون حذف أو نقصان » .

***

وفوق كل هذه الخصائص والجوانب من شخصية جمال عبد الناصر الانسان القدوة والمثل الاعلى ، فان الزعيم الخالد ، كان حازما فى حقوق امته ومصلحة الوطن .. لا يقبل فيها شفاعة ، ولا يسكت امام تفريط او تهاون .. الا انه كان يكره ان يؤخذ احد بذنب المذنبين .. فكان رأيه دائما ان افراد اسر المعتقلين والمتآمرين ، لا يجب ان يضاروا فى قوت يومهم . ويجب ان تصرف لهم المرتبات كاملة ليعيشوا الحياة الكريمة ، بدلا من الانحراف او الفاقة .. بل كان يحرص على السؤال عن احوال اسر المعتقلين والمتآمرين ليعرف مشاكلهم ويعمل على حلها .

ولذلك اصدر قراره عام ١٩٦٤ ، بان يكون صرف المرتب حقا حتى لاسر الموقوفين عن العمل رهن التحقيق او المسجونين فى جرائم العمل ، حتى تصدر احكام المحكمة او يفصل فى هذه القضايا .

واذا كان جمال عبد الناصر لايقبل التفريط او التسامح فى حق الشعب ومصالح الوطن ، الا انه كثيرا ما عفا عن الذين تآمروا على حياته الشخصية ، ايمانا منه بان ذلك يحرك ضمائرهم وقد يجعل منهم مواطنين صالحين .

ومن ناحية اخرى كان شديد الاهتمام والتقدير ، بالذين خدموا بلادهم فى اى مجال من المجالات ...

اذكر يوم ذهب الى عزبة النخل ، ليعزى فى وفاة الشهيد « محمد حافظ » ، الذى كان فى غزة واستطاع اليهود أن يدسوا له قنبلة راح ضحيتها ... هناك التقى حوله أهل الشهيد وابناء القرية ، يشكرونه ويحيونه ... فسألهم عن مشاكلهم وطلباتهم .. وتقدم اليه اقارب الشهيد ببعض الطلبات ، وكنت ادونها ، اولا بأول .. وفى طريق العودة اعطانى توجيهاته لتنفيذها .

وكنت اظن أن الامر بالنسبة له قد انتهى ... لكنى فوجئت بعد شهور أن الرئيس يسالنى عن طلبات أهل الشهيد واحدا واحدا بالاسم والمكان .

***

ان الدهشة كانت تتملكنى ، حينما يتعرف على الشخصيات التى عملت معه وحاربت فى فلسطين ... وكان يناديهم كلما زار الخرطوم وام درمان بالاسم ، ويسال عن احوالهم واولادهم

وتقدم له احد المصابين فى الحرب الاخيرة ، وكان الاطباء قد قرروا أن حالته لا امل فيها ، الا أن له رغبة فى السفر الى اوديسا بالاتحاد السوفييتى او الى أحد مراكز العلاج فى المانيا ، فقد يكون فى العلاج هناك امل فى الشفاء ... فأمر سيادته على الفور بأن يسافر على نفقة الدولة الى اوديسا فاذا لم يفلح العلاج هناك فانه يسافر الى المانيا او الى اى بلد من البلاد يريدها ، وفاء لكفاحه ... فاذا كان قضاء الله أن لا يكتب له الشفاء ، فان المريض المقاتل يكون مستريح النفس راضيا ..

واعتقد أن اسراعه باصدار قوانين التأمينات الصحية والاجتماعية ، للعاملين فى المؤسسات العسكرية

والقطاع العام كان نتيجـة لاحساسه بالالم وهو يتعرف على الام الاخرين من المرضى والمحتاجين ...

ولقد وضع مبدأ العلاج فى الخارج على نفقة الدولة ، لغير القادرين أو الذين ادوا خدمات جليلة لوطنهم ، وليس لذوى المحسوبيات والوساطة من القادرين ...

***

والذين عاشوا عن قرب مع الرئيس الراحل ، يعرفون الكثير عن مدى اهتمامه وتقديره للذين يعملون معه.. كانت له لمسات انسانية لا تخطر على ذهن أحد .. حين ينزل فى أول أيام شهر رمضان مثلا لتحية العاملين بالقرب منه ، ويمر على الجنود والضباط من رجال الحرس فى مواقعهم ليلا ... ويسال كلا منهم عن احواله ومشاكله وموقفه المالى ... ثم يطلب شراء احتياجات رمضان وتقديمها لكل منهم ..

كان يزور أهله فى كل المناسبات . ويعود المريض منهم ، ويتتبع أحوال الفقراء منهم .. فكان يستدعى احدهم مثلا ويتحدث معه فى حنان واعتزاز وخاصة حينما يكون قريبه هذا من الكادحين الذين يؤدون واجبهم فى أى موقع على احسن مايكون الاداء

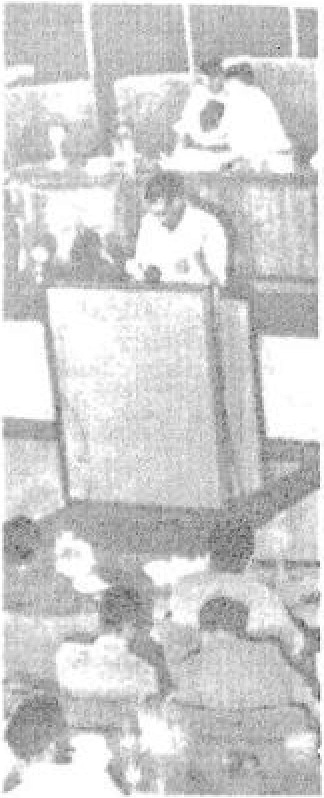
وكان الرئيس العظيم فى تربيته لاولاده ، مثالا يحتذى ، حينما علمهم الاعتماد على النفس والبساطة والتواضع ، لكى يشق كل منهم طريقه فى الحياة ، بقدر ما يبذل من جهد ، لا بسبب انه ابن لرئيس الجمهورية.. فاستطاعوا أن يتعلموا منه الكثير وأن ينهلوا من طباعه ما يجعلهم أهلا لبنوته ..



كان وفاؤه نادرا فى عمقه وشموله ، فى صدقه ونبله .. لم يقبل أن يعيش فى قصر أو ينتقل من المنزل الذى عاش فيه وهو ضـابط .. ولم يفرط فى سيارته الاوستن الصغيرة ، التى زاملته طوال فترة عمله بالجيش ، وكـان يستخدمها فى المرور على الضباط الاحرار ، وطالـما حملت المنشورات والتعليمات .. وكان يقودها فى فجر الثـالث والعشرين من يوليو ، وظل محتفظا بها ، وهى مازالت موجودة فى منزله حتى اليوم .

واذكر هنا ، ولا يتسع المقام لـذكر كل الجوانب والصور والذكريات ان كل لحظة فراغ عند الرئيس الخالد كـان يقضيها فى الاطلاع والقراءة .. كان يستوعب كل ما يقرأ ، بالاحـداث والتواريخ والارقام ، وكان يستطيع أن يدرك ما وراء الاحداث والارقام . وكان حبه شديدا لقراءة كتب التاريخ القديم والحديث ، ويعتقـد أن وقائع التاريخ هى الموسوعة التى يتعلم منها الانسان علما كثيرا .. وكان يؤمن بأن الشـعب هو الرائد والمعلم لكل سياسى يريد أن يخدم امته باخـلاص وأمانة ..

لقد علمنا القائد والمعلم الكثير ، واستطعنا ان نعيش أزكى سـنوات العمر قريبا منه ، نرى خطاه ، ونحس بمشاعره ، ونتفاعل بكل عمل يحققه لامته وللناس ، ونحن اليوم نعيش فى ذكراه الخالدة العطرة التى لن تغيب عنا .. وستبقى ماثلة فى حياتنا وفى حياة الاجيال القـادمة ، ومكانه بين الصديقين والابرار ، بين الشهداء ذوى العزم الـذين قدموا كل شىء للاخرين ولم يحرصوا عـلى شىء لانفسهم ..



الزعيم الخـالد يلقى خطـابه التـاريخى فى مؤتمر « باندونج » ..

أكذا تفارقنا

شعر : الهادى آدم

أكذا تفارقنـــا بغير وداع ... يا قبلة الابصـــار والاسماع
ماد الوجـود وزلزلت أركانـه ... لما نعـاك [illegible] العروبة ناع
ماذا عسى شعرى وخطبك آخذ ... بالقلب [illegible] بخط يراعى
ياصاحب الوجه النبيل وحامل الـ ... خطب [illegible] ، وقمة الابداع
يا من تخيـرك الاله لامـة ... محفوفة [illegible] والاطماع
كم اصبحت هدفا لصولة غاصب ... [illegible] الذلة و[illegible]
ما زلت تنهضها بكف معـالج ... ذى خبرة [illegible] الاوضاع
حتى نفخت الروح فى أوصالها ... واقمت واهى [illegible] التداعى
واطت اقنعة اللئـام وزيفهم ... حتى بدوا فينا بغير قنـاع
زنت السياسة اذ حملت لواءها ... وجلوتهـا من ريبة وخـداع
فغدوت مثل الانبيـاء كرامـة ... او كالملائك فى سـمو طبـاع

الشرق لم يك للضريع بحاجة ... لكنه فى حـاجة لشـجاع
بغرى المزاعم بالبيان اذا سعى ... بالدس فى ارض العروبة ساع
وكذاك كنت شجاعة واصـالة ... وبيان وضـاح الاسرة واع

***

أكذا تفارقنـا بغير وداع ... يا منية الابصـار والاسماع
أكذا تفارقنا و «سينا» لم تزل ... تجتـاح بين ثعالب وسـباع
وشواهق «الجولان» عند مكابر ... متزايد الامال والاطمـاع
« والقدس » فى ايدى اللئـام ... تشبثوا منها باشرف تربة وبقاع
وبنو فلسطين الشهيدة اعين ... تدمى القلوب بصرخة الملتـاع
أزمعت عنا يا جمـال مكرما ... فينا ولـكن لات حين زماع

***

يا ليلة من شهر يوليو اسقطت ... عرش الممالك من اجل يفـاع





كانت مع القدر الشريف بموعد
والحرب حولك بالمخاطر حافل
فاذا بمصر مع الشعوب طليقة

واذا بصلاح التراب مملك
حررته من ذله واساره
واذا مياه السد تغمر ارضه
واذا بروحك وهو عزم ثائر
واذا فلسطين الحبيبة قلعة
واذا بهذا الشرق بعد هموده
قسما بوجهك لن نعيش وبيننا
وبمنطق الجبروت نأخذ حقنا
انا كما علمتنا واردتنـــــا

وافته بين الحب والابــداع
لم تخش من شوك به والافاعى
مزهوة الفلوات والاصــقاع

فى كل شبر عنـــده وذراع
ونزعته من قبضة الاقطاع
فتحيلها ...الانـــــاع
بـــ...الروح قبابه الايفاع
اثار ... جحافل وقـــلاع
... جبار وعهد صراع
متسلط بالدس والاقنــاع
قسرا وليس بمنطق الاقناع
لن نستكين لواقع الاوضــاع

***

أكذا تفارقنــــا بغير وداع
فغراك اللهم لست مصدقا

لكنه الانسان يؤثر ضعفه
اجمال انك ان رحلت مفارقا
فلأنت من ارواحنـــا وقلوبنا
كلمات قلبك سوف تبقى دائما
لا يسترد بغير قوة ساعد
يا فخر هذا الشرق يا ملاحه
يا من بكفك صغته وصنعته
نم فى جوار الله وانعم عنده
خرجت لك الجنات تكرم وافدا

يا زينة الابصـــار والاسماع
ولدى للشـــك المريب دواعى

حينا ويجبن ان يصيخ لناع
ودعاك للعليـــــاء اكرم داع
مهما استطال العهد قيد ذراع
فى كل قلب مصدر الاشعاع
حتى اشيع بقـــوة وصراع
وزعيم نهضتـــه بغير نزاع
اكرم بكف للشعوب صناع
بكريم مصطحب وحسن متاع
والارض قد خرجت ليوم وداع



بقلم : صلاح الشاهد
كبير الأمناء

القائد الإنسان

في الذكرى الاولى لقائد العروبة ، تتداعى المعانى عن خصاله العظيمة التى شهدتها وانا الى جواره لثمانية عشر عاما ، وقد يعرف الناس كل جليل وجميل فى تاريخ هذا القائد العظيم ، بيد أنه ليس من السهل أن يعرف الناس (الحياة الثانية) من سيرة القائد الانسان ، وهى أقرب ما تكون الى الحياة الخاصة التى تعز معرفتها الا على المقربين منه ، الملتصقين به .

رحيم .. حتى بخصومه

فالناس يعلمون سيرة عبد الناصر في الحرب والسلام ، وأعرف أنا عنه كثيرا من صفاته البعيدة عن الحرب والسلام : أعرف قلبه الكبير الذى كان يعانى الام الناس ، اى ناس ...

انه اب للمصريين ، وقد بدت أبوته مبكرة حين انتهت اليه مقاليد الامور وهو لم يتجاوز الثلاثين الا بسنوات ، ولم يكن رحيما رقيقا بنا نحن المحيطين به وحسب ، بل كان رحيما رقيقا حتى بخصومه او باولئك الذين يمثلون المدرسة القديمة ولا يهضمون الجديد الذى جاء به .

نما اليه أن زعيما مصريا من زعماء ما قبل ثورة ١٩٥٢ يعاني المرض ، وانه اقترض للعلاج الف جنيه ، وانه طريح الفراش منذ نحو سنة ، فعز عليه ذلك ، وقال : « لقد ادى الرجل واجبه نحو بلاده ، ولا شك في وطنيته ، ولا يليق أن تراه مصر في هذه المحنة ولا تمد يدها اليه » ٠

ثم امر بان يبقى وزير المالية في مكتبه حتى يجيء رسول هذا الزعيم فيتسلم الديون لتسديدها لاصحابها ، ثم امر برفع مخصصاته كرئيس سابق حتى تفي هذه المخصصات بمطالبه ٠

اهتمام بكل مواطن

ولو اردت أن اروى بعض الامثلة لانسانية عبد الناصر ، لوجب أن افرد لها كتابا ضخما ، وهو ما انوى عمله بمشيئة الله ، ولم يقتصر القائد الانسان في عطفه على زعماء الماضي ، او على المحيطين به ، الذين كان لهم اخا وابا وصديقا يأسو جراحهم ، ويعيش احزانهم ، بل انه كان اذا سمع بمواطن عز علاجه في مصر ، امر بان يعالج على نفقة الدولة في أي مكان يلوح له فيه امل الشفاء ٠ وتمضي الايام فيسالنا : « هل تم علاج فلان ؟ » ونعجب نحن للذاكرة القوية ، ناسين انه القلب الكبير الذي يسالنا عن هذا المواطن ، وكم كان سروره عظيما حين كان يعلم انه شفي ، وكم كانت الامه تبدو على وجهه حين يعلم ان الطب عجز عن علاجه !

وكان احيانا يقترض على حساب مرتبه لمعاونة غريب لا يعرفه ، ليفك أزمته ، بينما هو نفسه يدور في ازمة ، راضيا مستريح البال ، اذ رفع عن مواطن يعرفه أو لا يعرفه ، عبئا يتهدد امن حياته ٠

زملاء المدرسة

وكنا نراه احيانا وفي يده ورقة بها اسماء ، وكان يطلب منا أن نتعرف على احوال هذه الاسماء ، وندهش لذلك ، فكان يقول هؤلاء زملاء المدرسة الابتدائية أو الثانوية ، أو معارف للاسرة من قديم الزمان ، وكان وجهه يشرق اشراقة السعادة حين يعلم منهم انهم بخير ، وانهم موفقون في حياتهم ٠

تلك لمحات من سيرة القائد الانسان ، اوجزتها بعيدا عن التفاصيل ، فالتفاصيل يضيق بها المكان ، وينتظرها كتاب طويل البيان ٠٠

القائد

الإنسان



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع حفيده جمال

عبد الناصر باق.....

في كل ما حققناه وما نأمل فيه



... وما نهدف إليه ...

بقلم
يوسف السباعي

عبد الناصر باق.....



بعد مضي عام على رحيل الزعيم القائد .

لايملك المرء أن يتحدث عنه كراحل شيعناه باللوعة ، أو مفارق ودعناه بالاسى .. وانما هو باق موجود .. في كل ما نفعله ونأمل فيه ونهدف اليه .. لقد آمن به شعب عربي ، عريق أصيل .. وأحس بقدره من خلاله .. فصمم على الا ينكص عن طريق خطه له .. والا ينكل عن السعى الى هدف قاده اليه لتحقيق حريته .. واشتراكيته .. ووحدته..

لقد كان عبد الناصر جزءا لا يتجزأ من الشعب العربي بأحاسيسه ومشاعره وآماله وآلامه ، وكان مجسدا لثورته على قيود الاستعمار والاستغلال ، ونضاله من أجل التحرر والانطلاق في سبيل بناء مجتمع الكفاية والعدل ، وتحقيق الرخاء والمساواة والطمأنينة والسلام ...

قاد جمال عبد الناصر أمته في معارك عديدة ضد القوى المضادة للتحرر والتقدم ، وحقق من الانتصارات ما لا يمكن أن تطفيء شعلتها ظلمة نكسة طارئة من نكسات التاريخ التي تتعرض لها كل الامم في نضالها ضد العدوان .

ولم يحدث في تاريخ الامم أن وقف شعب متمسكا بقائده عقب هزيمة ، كما وقف الشعب العربي متمسكا به مصرا عليه عقب نكسة يونيو ، لانه يؤمن بأن عبد الناصر لم يكن مجرد قائد في معركة يكرمها بالانتصار ويلحى بالهزيمة، وانما هو جزء منه في انتصاراته وهزيمته ، وفي كل ما يحل به من سراء أو ضراء ، وأن قوى العدوان الصهيوني الاستعماري التي تربصت به لتفرض ارادتها عليه ولترده الى التخلف والتبعية كانت تعتبر انتصارها

الحقيقى فى تنحيه كما اعتبرت فقده عيدا لها .. ومن أجل هــذا أصر

الشعب العربى على أن يبقى زعيمه فى قيادته ليواصل معه الكفاح ضــد

القوى التى تحاول أن تعوق تقــدمه نحـــو مستقبل مشرق مليء بالامل والعدل والكرامة والامان .

لقد كانت الثقة التى منحهــا له الشعب العربى هى سنده فى النضال ودرعه فى مواجهة أعدائه ..

وعبد الناصر باق فى حياة الشعب العربى ، بقــاء النور الهــادى .. والشعلة المبددة لغيوم الناس .

باق بكل المبــادىء القويمة التى ارسى دعائمهــا ، وبكل الانجازات الباهرة التى حققها ..

باق فى كل الاعمال الضخمة التى غير بها وجه المجتمع المصرى وأرسى

بها دعائم التنمية والتقدم والانطلاق نحو مستقبل افضل يفوز فيه الرخــاء وتتحقق فيه العدالة ..

باق فى السد العالى بكل الارض التى كساها خضرة وبكل المصانع التى ادارها والقرى التى أضاءها .

باق فى المصــانع التى دعمت الاقتصاد الوطنى وفوتت على العدو

اية محاولة لفرض ارادته عن طريق الضغط الاقتصادى .

باق فى فكره الواضح الذى ارسى لنا به دعائم المجتمع الحر ، ووضعنا به على قاعدة غير عائمة ، واثق غيــر

مهتز ، لاقامة عدالة اجتماعية تضمن المشاركة العادلة لكل أبناء الشعب

فى نتاج ثمار جهودهم .. وتمنــع استئثار فئة أو طبقة بهذه الثمار .

باق فى علامات الطريق الثــابتة المشرقة التى خط لنــا بهــا طريق المستقبل ، والتى اكد بها فى وضوح

الانتماء المصرى الى الامة العربيــة وان الدين أســـاس المجتمع ، وأن الاشتراكية بيت سعيد لكل أسرة يقوم على عمل القـــادرين مفتوح للعلم

والثقــافة والصـحة مظلل بالامان الاجتماعى ضد مفاجآت الحياة . وانه لا محظورات فى الاشتراكية ســوى الاستغلال . وأن الانتاج هو الاداة الفعالة لتحقيق الاشتراكية وان خدمة الانتاج هى معيار الاخلاص للاشتراكية

وان الاتحاد الاشتراكى يجمــع تحالف قوى الشعب العاملة ويسـعى لتحقيق الديمقراطية الكاملة ، واذابة الفوارق بين الطبقات والا تنفرد طبقة بالحكم والا تكون هنــاك ديكتاتورية الطبقات .

وان الثورة لم تكن دموية عازلة بل ازالت فوارق الطبقات بالطرق السلمية .. وبتجنب الصــدام الــدموى بالديمقراطية السياسية والاجتمــاعية والاشتراكية .

وان القانون يجب ان يظل دائمــا اكبر من مراكز القوى وأعلى مــن ارادات الافراد .

وأخيرا وليس آخــرا ، ان التزام المثقف هو التزام بالارتقاء للمجتمع والارتقاء بالحياة ، وليس معنى العلم

الملتزم ان نطلب الى العلمــاء ترديد الشعارات أو أن يتركوا اماكنهم فى الجامعات لالقاء الخطب .

ان عبد الناصر باق بكل ما خلفه لنا من اشراق على طريق المستقبل ..

خالد بكل ما منحه لنا من قدرة علـى الصمود وخوض معركة التحــرير ، نخوضها بقيادة خليفه وصديقه الرئيس

انور السادات بكل ما يملأ جوانحه من أمل فى تحقيق النصر وقــدرة على الانطلاق بنا من أجل بناء المجتمع المصرى القــائم على العلم والايمــان .



عيسى عبده

اشتراكية عبد الناصر مصرية ، عربية ، مؤمنة

في جمهورية مصر العربية
« تنص المادة الأولى من الدستور الدائم على أن جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي اشتراكي يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة .
والشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة » .

« ونصت المادة الرابعة على أن الأساس الاقتصادي لجمهورية مصر العربية هو النظام الاشتراكي القائم على الكفاية والعدل ، بما يحول دون الاستغلال ويهدف إلى تذويب الفوارق بين الطبقات »

« كما نص الدستور أيضا في مادته الثالثة على أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية »

ومن هذه النصوص التي أحلت الاشتراكية في المركز المميز ، يتضح أن دراستها لا تقع في المجالات النظرية وحسب ، بل تقع أيضا في مجال الدراسات التطبيقية التي تؤثر في مجرى الاحداث الاقتصادية من يوم الى يوم .. وتأتي من الآثار اليسيرة ما يتجمع على مر الايام والسنين حتى يؤثر في البناء الاقتصادي وفي هيكل المجتمع .. هذا عن مصر العربية التي عاشت تجربة الناصرية ولاتزال على طريقها ، وعن البلاد العربية التي تأخذ عن مصر ملامح النشاط والتطوير .. ومثل ذلك يقال أيضا عن بلاد بعيدة في القارة الأفريقية وفي أمريكا اللاتينية ، فقد تسامعت تلك البلاد باشتراكية ناصر ، وأخذت عنها جملة من الأوضاع والاساليب ، ومن ثم كان موضوعنا هذا بالغ الأهمية .

وفرة الدراسات

كان لزاما ، اذن ، أن نرجع الى أول العهد بثورة الجيش في عام ١٩٥٢ ، وما تلا ذلك من أدوار مرموقة ، الى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ .. للنظر في أقوال الرئيس الراحل وقراراته الاشتراكية ، وأن ننظر فيما جرت به الأقلام في كثير من الصحف والكتب والندوات العلمية ومادة الاعلام بوسائله الاخرى كالاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما .. وأن ننظر في طائفة من برامج المعاهد المتخصصة في دراسة الناصرية والاشتراكية العربية المعتمدة في مصر .. كما كان لزاما أن نرجع بالذاكرة الى مواقف شخصية (قبلة العهد) كان لها شأن في تكوين فكرة صحيحة عن اشتراكية عبد الناصر .. وبقيت هذه الفكرة واضحة وثابتة ، رغم تكاثر الزحام : زحام في الآراء وفي التيارات المضللة التي تريد أن تدفع بمصر في طريق

شرقي أو في طريق غربي . وقد بلغ هذا التدافع حدا خطيرا بعد وفاة الرئيس (رحمة الله عليه) الى حد أن بعض التفصيلات قد التبست على الدارسين في عمق واحاطة ، فما بال الكثرة الكاثرة من الشعب ، وقد شغلتها تكاليف الحياة عن كل دراسة جادة .

وما جهل الناس

في هذا الموقف الفكري غيرالمستقر، رغم كثرة البحوث والدراسات ، يطيب لنا ان نذكر بقول الامام الشافعي ، رضي الله عنه « **وما جهل الناس ولا اختلفوا الا لتركهم لسان العربوميلهم الى لسان أرسطاليس** » .

وانك لتنظر في أنهار المحفوريين دفتي الكتاب العربي ، في زمننا هذا ، فلا تستبين من اثار العروبة في شئون الاقتصاد ، الا الاقل ، ولا تكاد تخرج باتجاه واحد ، شرقي او غربي .. فما هي الا أمواج من الفكر المتلاطم التي يحطم بعضها بعضا ، ثم يعود التيار الدافق من الاراء والشعارات ، ليتجدد مع كل خطوة في مسيرة الشعب العربي الى غاية لم تتضح بعد عند الكثيرين .. **واخطر ما يعانيه الباحث ويشقى به الناس ان فريقا من الكتاب يحرص على تاويل أقوال الرئيس وقراراته الاقتصادية وفق مفهوم كل كاتبيجدوره .. وهكذا ظلت الخصومة بين المجتهدين قائمة في عنف .. اما رأينا الذي انتهينا اليه ، فقد جعلناه عنوانا للمقال ، فهي اشتراكية مصرية عربية مؤمنة .**

مصرية عربية مؤمنة

نعم هذا رأينا وما فهمنساه عن اشتراكية مصر ، فما هي تبع لمذهب اقتصادي عالمي ، وما هي حرب على العروبة ، وما هي منكرة للدين داعية الى الوجودية ، أو تقديس الطبيعة أو عبادة الزعماء .. وفي هذا تفصيل يجيء في دوره ، بعد تحديد المفاهيم .

تحديد المفاهيم

اذا نظرنا الى كثير من المادة المنشورة في ظل ثورة الجيش ، عن قضايا الاقتصاد ، لهالنا الخلاف الشديد فيما بين المفردات وما تدل عليه .. فالاشتراكية مثلا : فكر ، ونظام ، وسياسة ، ومذهب ، وعقيدة ، وهدف ، ووسيلة ، ورابطة ، وشعار !! فاذا تركنا طبيعةالاشتراكية الى لونها وصبغتها لوجدنا الجمالغفير من الاقوال ، **فمنها : اشتراكية علمية ، واخرى نقابية ، وثالثة مسيحيةورابعة فابية .. ومنها اشتراكيات أصلاحية .. واخريات عملية .. وعندنا اشتراكيتنا العربية** .. وفي ناحية اليسار نجد مذاهب اقتصادية شديدة العنف في مناهضة رأس المال والملكية الخاصة ، ونجد أصحاب هذهالمذاهب يختارون الاشتراكيةرمزا للماركسية .. ومع تتابع الدراسات والصياغات نسبت المذاهب الى أصحابها كانينسب الفكر الاقتصادي وطائفة من الاساليب الى « لينين » أو « ستالين » أو « شواين لاي » .. ومن ثم كانت هناك اشتراكيات روسية واخرى صينية ، كما أن انجلترا لها اشتراكياتها ، واوروبا لها مثل ذلك .. وفي افريقية مزيد من النظم والاوضاع في هذا المجال ..

وليس الامر بمقصور على الاشتراكية وحدها ، بل ان الكلام عن غيرها كثير ومتضارب .. ومن ذلك مثلا ، الرأسمالية ، فهي رمز لنور من انوار الثورات الصناعية التي تعاقبت في القرنين الاخيرين .. وهي رمز لطائفة من اساليب الانتاج الحديث وهي جملة من الاوضاع الاجتماعية والسياسية ، وهي ايضا (كالاشتراكية تماما) فكر ونظام الى اخر هذا القصص المعاد ..

وحين كتب « شارل رست » عن هذه المذاهب سنة ١٩٢٠ ، تردد كثيرا في القول بما اذا كانت جملة الاحداث والوقائع المادية هي الاصل (ومن ثم يكون الفكر تبعا) أم ان الاصل هو الفكر ، ومن ثم تجيء الاحداث تبعا .. ومن الاحداث : تطور وانقلاب وثورة ..

اشتراكية عبد الناصر



وحين كتب « فرانسوا بيرو » سنة ١٩٦٠ وهو عالم له وزنه في مدارس الاقتصاد ، لا في فرنسا وحدها ، خرج هذا الكاتب الجاد المتزن عن تقيود الاسلوب العلمي الى فسحة من التشبيه والاستعارة وسائر فنون الادب ، فقال : اذا ذكرت كلمة راسمالية .. فكما تذكر كلمة « معركة » ثم قال : ان هذه الكلمة المفردة « راسمالية » توحي للسامع على الفور بكثير من عوامل الخلاف بين الناس حول العمل وادوات الانتاج وملكيتها واساليب الادارة .. وتجمع الثروات والميراث ولا يكاد الباحث يتقدم في دراسته للراسمالية حتى يصطدم بالعقبات .. كما يصطدم الجيش الزاحف بالغام تتفجر في أرض المعركة !! ولعل تشبيه هذا الكاتب الفرنسي صالح للتعميم على دراسات الفكر الاقتصادي كله .. فالباحثون والكتاب كالجيش الكبير الزاحف في أرض مليئة بالالغام ، فما لم يكن الباحث يقظا في مسيرته ، فان آراءه تنسفها وتذروها الرياح .

ولكن الى أن يخلص الشرق العربى من هذا الزحام ، والى أن يتم تطهير الارض من الغام الفكر العنيف ، فان كثيرا من القلق سيبقى عالقا فى النفوس ، وكثيرا من الضياع الفكرى سيظل جاثما فى رءوس الشباب الذين لم يتسع لهم الوقت بعد لتحديد المفاهيم وتوضيح المدلول الدقيق لاهم المفردات التى طغت على لغة العصر ٠

***

ولعله من الخير أن نقف هنا لحظات للتنبيه الى ضرورة التزام الدقة فى اختيار المفردات ، وأن ندعو الى تصفية هذا الخلاف القائم بين حملة الاقلام ، من حول مفردة هامة فى العهد الحاضر ٠٠ ونريد بها « الاشتراكية » وفى مراكز البحث العلمى والجامعات ومجمع اللغة خبراء راسخون فى العلم وقادرون على وضع حد لفوضى المصطلحات المتداولة ، بالاضافة الى مصطلحات الاقتصاد بوجه خاص ، ولا يحسبن القارىء أننا نبالغ حين نشير الى المتاهات التى يهيم فيها بعض المتعلمين والدارسين ، ففى قول بعضهم تزيد وشطط ، وأصله حماس عنيف وغير مستبصر ٠٠ وأما المسئول عن هذا كله فهو قائد الفكر فى كل مركز علمى أو معهد أو جهاز اعلام ٠

ولقد وقفنا عند هذه المفردات مرة بعد أخرى ودعونا الى ارسائها على أسس ثابتة ٠٠ ولا يتسع المقام هنا لتوفية الموضوع حقه ، ولكننا نجتزىء بكلمات نشير بها الى أن اللغة العربية ما قصرت ولا عجزت عن حمل المعانى ، ولكنه الحماس فى غير اناة ، أو هو الهوى فى بعض المواطن ٠٠ وكل منهما يحمل على الشطط ٠٠ ومن ثم يتخطى القلم كل الحدود ، واذا بالمفاهيم وقد تداخل بعضها فى بعض ، واذا بالمتون والشروح لا تزيد القضايا الفكرية الا غموضا !٠٠

واذا اردنا أن نصف الاشتراكية بشىء من الدقة ، ثم نصف اشتراكية الزعيم الراحل ، فى دورها ، فلابد من الاحاطة بدقائق المعانى التى تحملها الالفاظ ، وان نرجع فى ذلك الى المعاجم اللغوية والى المراجع العلمية المعتمدة حتى نخرج بالقول السديد الثابت ٠٠ ومن ذلك على سبيل المثال :

مفردات هامة

الفكر : هو تردد الخاطر ، بالتأمل والتدبر ، بطلب المعانى ٠

الرأى : من المادة الثلاثية رأى رأيا ، ورؤية ٠٠ والرؤية نظر بالعين الى المدركات الحسية وبالعقل الى المفهومات ٠٠ وقد تكون الرؤية بهما معا ٠ كما فى قوله تعالى « ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا » قال الزمخشرى : « الرؤية هنا رؤية بصر ورؤية بصيرة ٠٠٠ » والرأى منسوب لصاحبه ٠ فهو تقدير شخصى ٠٠ يبتنى على التأمل والتدبر أو على الفكر كما تقدم البيان ٠٠ ومن ثم قد يصيب الفرد فى رأى ارتآه ، وقد يخطىء ٠

المذهب : طريق يتبعه الفرد بعد اعمال الفكر وبعد الرؤية ٠٠ أى بعد تكوين الرأى الخاص الذى يهدى الى طريق بعينه ، والتقدم فى الطريق يسمى صاحب المذهب ، وغيره متبع أو مقلد ٠٠ واذا كان الطريق لجماعة من الناس فقد تسمى هذه الجماعة « مدرسة فكرية » ومن الكتاب المحدثين من يقول « ان المذهب لا يعدو أن يكون تيارا فكريا دون أن يعنى بالضرورة

اشـتراكية

انه قد صادف التطبيق في كليته او في
احدى جزئياته ، ومن هذه النــاحية
يختلف عن النظام ·· فقول : « وليس
كذلك ·· بل المذهب ، رأى متبع » .
بهذا قال الاولون وثبت القول أربعة
عشر قرنا في ظل الاسلام وحده ··
ومن قبل ما كانت هذه اللفظة (المذهب)
تحمل المعنى الذي صح عند فقهــاء
المسلمين ·· ووجه الاهمية فيما نحن
بصدده انه قد ترتب على التسامح او
التهاون في اختيــار المصطلحات ··
خلط شديد بين المفهومات الاصطلاحية
·· وانك لتقرأ في المراجع المشهورة
في الاقتصاد (وتريدبذلك ما هومنقول
عن الاجــانب) تقرأ عن النظــام
الرأسمالي والنظام الشيوعي··والحق
ان الرأسمالية مذهب اقتصادى وكذلك
الاشتراكية ·
النظام : من المادة الثلاثية ن ظ م
بمعنى جمع في سلك على هيئة منتظمة
أى متسقة كما في نظم العقــد ونظم
الشعر ·· ويقال نظم الامر اقامه ··
ونظام الامر قوامه ·· ويقال نظم الى
الشيء : ضمه والفه ·· وفي الامور
الانسانية يراد بالنظام اتساق الامــر
واستقراره على هيئة رتيبة ففي المجتمع
نظم (جمع نظام) منها نظام للاسرة ،
وآخر للحكم ، وثالث للمعــاملات ،
ورابع للامن ، وخامس للقضــاء ،
وهكذا ·· ومن المعانى المقبولة ايضا
في الدراسات الانسانية ، **القول بأن
النظام هو جملة الاوضاع ذات الاتجاه
الواحد** ·· فاذا قلنا : اقتصاد حر ،
فمعنى ذلك أن الفرد يتحرر من القيود
الا بمقدار ما يحفظ لغيره حريته ··
فيختار الفرد حرفة او مهنة ، ومقرا
للاقامة ، ويدخر او ينفق ، ويستــثمر
ويتملك ويورث · وكل هــذه اوضاع
تشترك في اتجاه واحد هو « كفـالة
حرية الفرد » · ومن النظم ايضــا
« الاقتصاد الموجه » وفيه تدخل مــن
جانب الدولة في حرية الفرد وفيــه
قيود على تصرفاته الاقتصادية ·· وقد
يصل التدخل حدا تفرض فيه الدولة

جملة الاراء التي تؤمن بهـا وتفرض على النـــاس قبول هــذه الاراء والاشادة بهـا .. اذن يصح القول بوجود نظام للاقتصاد الحر في ظـل المذهب الرأسمالي ، ويصح القـول بوجود نظام اقتصادى موجه في ظـل المذاهب الاشتراكية .

النزعة : ترد هذه اللفظة في دراسة الفكر الاقتصادى ، واشهر ما نجده منها « النزعة الفــــردية » كأساس للحرية الاقتصادية و « النزعــــة الجماعية » كأساس للاتجاه الاشتراكي .. وفي معاجم اللغة قولهم : نزع الى الشيء نزاعا ذهب اليه واشتاق أيضا ، ويقولون نازعتني الى هواهـــا اى غالبتني .. ومن ثم تكون « النزعة » في الفكر الاقتصادى ، من قبيل الهوى الذى يغالب الفرد .. وجدير بالتنبيه هنا أن مغالبة الهوى لفرد أو جماعة قد كانت الاصل في ظهور معظم المذاهب الاقتصادية ، ونادرا ما نجد أتجاها فكريا يدعو الى غير ذلك .. ومـــن الامثــــلة القليلة ميل الطبيعيين « الفيزيوكرات » الى أعتبار الطبيعة مصدرا لكل الطيبات ، وايمانهم بوجود قوانين ثابتة تحكم النشاط الاقتصادى وتقديمهم للزراعة على غيرها مـــن وجوه النشاط .. وفيما عدا هــذه الاستثناءات لا تحمل النزعة الا علـى معناها اللغوى الصحيح .. وهـــو مغالبة الهوى عند فرد أو جماعة .

العقيدة : يقال .. اعتقــد الامر بمعنى صدقه ، والعقيدة هي ما اطمأن اليه القلب والضمير .. ويقال ايضا .. اعتقد الامر بمعنى تدين به اى انزله من نفسه منزلة الملة التي يدين بها .. وفي التاريخ الاقتصادى « عقــائد » صادفت فراغا فشغلته .. وفي بلادنا : لا فراغ ، فالعقيدة قائمة واصلها ثابت في الارض ، وقد امتدت أسبابها الى السماء .

الاصل : اصل الشيء هو اساسه .. وفي كشـــاف مصطلحات الفنـون للتهانوى ، قوله الاصل هو ما يبتنى عليه من حيث انه يبتنى عليه .. ولقد اسرف كتاب الاقتصاد في الـكلام عن الاصول .. وما جاءوا الا بفروض لا تكاد تتراءى في الوهم حتى تتهاوى .. ولذلك بقيت دراسة الاقتصاديين في تردد وفي تعثر دائمين .. ولو انصفوا لفصلوا فصلا تاما بين الفــكر وبين الحقائق العلمية .. وفي هذا تفصيل يجده القارىء في مظانه .. وانمـــا بحسبنا الآن أن ننبه الى موقـــع الاشتراكية من جملة هذه المفاهيم .. وقد عرفنا أنها « مذهب » وأن مادتها الاولى من « الفكر » فما هى – اذن – من العلم في شيء .. لان العلم لا يتبع ارادة الفرد ولا يتقلب مع الهوى ... وعرفنا ايضا أن الاشتراكية ليســت دينا قديما كان منسوبا من عهد الاغريق مثلا .. وليست دينا حديثا هبط به الوحي على فترة من الرسل ، بل الدين لله وحده ومصدره مفـــارق لقدرات البشر .. وجملة الرسالات قد تمت ، والرسالة الخاتمة مستقرة من اربعة عشر قرنا .. وهذه كلها بديهيات ، فلا محل للاطالة ، وانما بقيت كلمـــة موجزة عن دخول هـــذه المفـــردة « الاشتراكية » في لغتنا العربية ... فنقول :

خليل افندى غانم

اول من تكلم عن المذهب الاقتصادى المعروف بلفظـــة « سوشيالزم » في الشرق العربي ، وعبر عنه بكلمـــة

« الاشتراكية » هو مواطن عربي من لبنان ، يدعى خليل افندى غانم ٠٠ ولد في بيروت عام ١٨٤٦ وتوفي فيباريس عام ١٩٠٣ ويقال عنه بانه اتقن العربية والتركية والفرنسية ٠٠ وهو (فيما نعلم) اول من صاغ هذه العبارة المشهورة « الاقتصاد السياسي » في اللغة العربية للدلالة على ما يسمى « ايكونومي بوليتيك » في اللغة الفرنسية ٠٠ وكان عمله الاول في الترجمة ، ثم اشتغل بالسياسة وبالتمثيل النيابي وبالصحافة ، وقد نشر في العقد الثامن من القرن الماضي سلسلة من المقالات عن الاقتصاد السياسي أو فن تدبير المنزل ، ثم جمع هذه المقالات في كتاب صدربالاسكندرية عام ١٨٧٩ — وللمرة الثانية نقول بأن خليل افندى غانم ، هذا ، هو (فيما نعلم) اول من أدخل مصطلحات الاقتصاد في لغتنا العربية وأول من صاغ لفظة الاشتراكية ٠ أما أصلها الفرنسي فمأخوذ عن اللاتينية ٠ ولم نطلع في كتاب عربي صدر خلال مائة عام مضت من يومنا هذا ، على ذكر لهذا الكاتب ولا على ذكر لاصل هذه التسمية « الاقتصاد السياسي » ، ولا على ذكر لاصل كلمة الاشتراكية في لغتنا العربية ٠٠ وهذا التعميم الذى قصدناه ينصرف الى الكتب الجامعية ومؤلفات الكتاب المشهورين كالعقاد ، كما ينصرف الى البحوث العلمية الخاصة والوثائق الرسمية التى مهدت للمذهب الاقتصادى أو تصدت لتزكيته ٠٠ وتبقى دراسات السيد خليل غانم هى الاصل ، حتى يقف الباحثون على من سبقه ، وفوق كل ذى علم عليم ٠٠

اما معانى الاشتراكية

نقول : أما معاني الاشتراكية فهي عند العرب اقدم من العصور الوسطى والعصور الحديثة ٠٠ ومن المفكرين وأصحاب المبادىء الانسانية من بلغ

اشـــــــتراكية
عهد
الناصــر



في ايمانه بهذه المعاني حدا لم يبلغه فلاسفة الاغريق ·· ولا يقدر عليه الا من قدر على هواه فتحكم فيه وروضه الى حد أنه يؤثر غيره على نفسه ، وهذا في الرجال قليل ··· واية ذلك ، مثلا ، ما قاله عروة بن الورد في أبيات له مشهورة ·· قال « اقسم جسمي في جسوم كثيرة » ذلك انه كان يؤثر الضيف والجار على ذاته ·· ويرضى بالحرمان ليحصل الاخرين ·· وأما الابيات التي أشرنا اليها فقد ذهبت في الايثار مثلا سائرا ·· قال عروة (الانســــان الكريم) لاخيه الاناني ما يلى :

اني امرؤ عــــافي انائي شركة
وأنت امرؤ عافي انائك واحـــد
اتهزأ مني أن سمنت وأن ترى
بوجهي مس الحق ، والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيــرة
واحسو قراح المــاء والماء بارد

ولقد عاش هذا الشاعر الى ما قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام بنحو عشرين عاما ، فهو سابق على الاسلام اذن ·

وأمـــا الاسلام وما جاء به مـــــن تعاطف وتراحم وتماسك بين درجـات المجتمع ، فليس له ضريب ، لا في الفكر ولا في أي تقنين وضعي ·

« وما جهل الناس ولا اختلفوا الا لتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان ارسطاليس » ـ كمـــا قال الامام الشافعي ·

فما بال قوم يريدون أن ينسبوا الى الزعيم الراحل غير الذي أراده من تصحيح أوضـــاع كانت غيــــر مستقيمة ، فعمد الى تقويم المعـــوج بشيء من الحزم أو بشيء من القســـوة التي فرضتها ظروف طارئة ·

لقد بدأ الزعيم جمال عبد الناصر ـ يرحمه الله ـ ثورته وليس في يده مؤلف يتقيد بنصوصه ، وأعلى بذلـك أن يكون له فكر سابق أودعه في مؤلف يسترشد به ، ومن أقواله نصـــــوص كثيرة ومتواترة ، تدل على أنه مـــا قصد الا : القضـــــاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان ، وتقريب بعض درجات المجتمع من بعض ، وتصفية الاستعمار ، ورفع مستوى الكادحين حتى تزيد قدرتهم على الافادة بما في أرض الله من طيبة ·

وهذه كلها أهداف كبيرة ·· ولكن تحقيقها يقتضي من الزمن ما قـــد يستغرق عمر الجيل أو الجيلين ··

وفي سبيل تحقيق الاهداف الكبيرة يزيد النشاط أحيانا وتقع الاخطاء ، وانما العبرة بالخواتيم ·· فلقد كانت الاخطاء محل نقد ومراجعة وتقويم ·

ومن كلمات الزعيم الراحل ، مـــا هو شديد الابانة قطعي الدلالة ، كقوله بأن اشتراكيته « لا شرقية ولا غربية » اذن هي خاصة ببلادنا وتنبع مـــن بيئتنا الخاصة ·· وللبيئة مقومات ، وللمقومات أصول وعاها التاريخ ·

ومن هـــــذه الاصول أن رسالة سماوية قد جاءت الى أرض مصر في فجر الاسلام ، واستقرت ·· ومن ثم تعيـــــن رد الاساليب الاشتراكية الى أحكام الدين ·· فما وافقت هـــــذه الاساليب تلك الاحكام ، استقر وثبت ·· وما تنافر منها تبدد وتراجع عنه المصلحون ، لانهم مصلحون وكفى ·

ان أقوال الزعيم الراحل قد مـــلأت الابصار والاسماع حتى أصـــبحت الاشارة السريعة اليها كافية ·· وليس في هذه الاقوال ، وكذلك القرارات ، الا ما يدل على أن مقاصـــــد الزعيم وأهدافه ، كانت لخير مصر ، ولخير العروبة ·· وما خرجت يوما عـــلى رسالة التوحيد ، حتى يكون بينهمـــا وبين الايمان جدل أو خلاف ولذلك قلنا انهـــا مصرية عربيـــــة مؤمنة ···

لي معه ٣ مواقف

— ١ —

الكلام يطول عن تلك الشخصية الفذة التي عاصرت التاريخ المصري الحديث — بل انشأته وشيدته — ولكنني اذ في النطاق الصحفي فنقول ان جمال عبد الناصر كان صحفيا باستعداده ، معارضا بغريزته لماحا من الطراز الاول :

اتعبنا واضنانا في مراجعته لكل الصحف اليومية — والمجلات الاسبوعية والشهرية — وكأنه كان يقرأ كل كلمة بالبنط التاسع او الثاني عشر !٠٠ حتى ملاحظاته على الصور والخرائط كانت ملاحظات دقيقة عميقة ٠٠ وليس ذلك الاستعداد بغريب ، فقد حرر وهو بالمدرسة الثانوية مجلة طلابية كانت تفيض وطنية وحماسا ٠

***

انا اعتبره زعيم المعارضة في هذا البلد : لم تخل خطبة من خطبه العديدة من حملات شعواء على الاداة الحكومية ، ولا على الوزارات المختلفة ، ولا على القطاع العام ٠٠ وكان طبيعيا ان ينص في الميثاق القومي وبيان ٣٠ مارس على اهمية النقد الذاتي ٠

وكان « لماحا » ٠٠ كانت خطبه مزيجا بين الفصحى ولغة الجمهور العامية ، وميزته كخطيب انه كان يلمح غريزة الجمهور في المفاجات فيفاجئه بخبر مثير او باجراء خطير ٠

كتبت مرة في « كلمة حق » كلمة عنوانها : « الرئيس عاوز كده ! » قلت فيها ان بعض المسئولين في مختلف المجالس عندما كان يعرض موضوعا يريد الموافقة عليه ، ويلاحظ ان بعض الاعضاء يعارضونه ٠٠٠ كان يلجا الى الهمس المسموع قائلا : « الرئيس عاوز كده !

بل ان احد معارفه كان يهمس في اذني قائلا : « جمال يريد كيت وكيت » فكنت اسأله : « جمال مين ؟ » جمال العطيفي ؟ جمال مدكور ؟ جمال حمدي ؟ فيقول لي : « لا٠٠لا٠٠لا٠٠لا يا اخي ٠٠ جمال عبد الناصر ! » ثم يظهر انه على البعد الشاسع من جمال عبد الناصر يريد أن يزج بشخصه في رغبة شخصية له ٠٠ وانهيت المقال بأن الرئيس مظلوم وانهم يكذبون

الا يحملونه مسئولية الرغبة فى تنفيذ ما يريدونه بدون ان يعلم بذلك ...

عرضت هـــذه الكلمة على رقيب النشر المرحوم « موفق الحموى » فاشر بالرفض ، وكلمنى تليفونيا مندهشا قائلا : « كيف تريد ان تنشر هذا ؟ » ارسلت الى الرئيس « جمـــال عبد الناصر » ، « بروفة » هذه الكلمة ـ وتاشيرة المرحوم موفق الحموى ، وارفقت بالبروفة خطابا قلت فيه :

« سيدى الرئيس ..

« حاولت ان اوفق مع الاستاذ موفق ، فلم اوفق ، الجـــا الى سيادتكم » ..

وكان رده تاشيرة بخط يده قال فيها : « اوافق ـ وموفق »

الامضاء : جمال عبد الناصر

ونشرت الكلمة بحذافيرها ...

ـ ٢ ـ

فى مؤتمر اللجنة التحضيرية للدستور الاول كنت عضوا فى « لجنة الوعى القومى » وكان يراس اللجنة الدكتور حاتم ، وطلبت الكلمة . ولكنى فوجئت بان الرئيس جمال عبد الناصر دخل قاعة الجلسة وترأس اجتمـــاع اللجنة . وسال من الذى سيتكلم ؟ فقال له الدكتور حاتم ان فكرى اباظة كـــان يريد الكلام ، ولكنه سحب الكلمة بعـــد حضور سيادة الرئيس .. وهنا امرنى بان اتكلم .. فاخذت اشكو من ان بعض اذاعات الراديو كانت تقاطع من المذيع الذى معى او المذيعة لعـــدم الموافقة على الكلام .. وضربت مثلا باذاعة كنت أحمل فيهـــا على تعدد الزوجات معتمدا على الاية القرانية الكريمة التى تقول : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .. فنظر سيادته مندهشا الى الدكتور حاتم واذا باحـــد زملائى الاعضاء وهو الشيخ العالم احمـــد سليمان يطلب الكلمة . فاذن له بها وقال : « الاستاذ فكرى اباظة ثلاثة أرباع كلامه هزل ! والربع الباقى جد ! وكيف يعارض الشريعة التى تبيح الزواج مثنى . وثلاث . ورباع ؟ » . وهنا قاطعه الرئيس

وقال له : « هل تقبل ان تتزوج ابنتك رجلا متزوجا من اخريات ثلاث ؟ هل اقبل انا وغيرى مثل هذا ؟ والشريعة الاسلامية شريعة تيسير واضحة تبحث كل التشديد فى تعدد الزوجات » .. ثم قال سيادته : « انا مندهش ، مذيعة او مذيع فى الدرجة السابعة او السادسة يشرف على الافكار وآراء مثل الخبراء المجربين من اهل الرأى ويستعوضهم من الكلام » .. وقد حدث فعلا ان الدكتور حاتم اجرى تحقيقا • وتعديلا فى هذا الموضوع

— ٣ —

كان لماحا بشكل غريب : فى سنة ١٩٥٨ كنت فى صحبته فى روسـيا .. وفى بلدة « سوخومى » عاصمة احـدى الجمهوريات السوفيتية ، وقد أعد أميرال بحرى حفلة تكريمية لسيادته على البارجة • ولكن دعانا احد الجرسونات ان نتناول غداءنا — نحن الصحفيين — مع العمال فى الدور الارضى من البارجة ، فحدث تذمر شديد من زملائى ورفض بعضهم تناول الطعام • ولكنا — بعد دقائق — رأينا الاميرال بنفسه قد جاء يعتذر الينا ويرجونا ان نصعد الى الحفلة الكبرى حيث اعدت لنا — نحن الصحفيين المصريين — مائدة فاخرة بين موائد كبار المسئولين .. والظاهر البديهى ان سيادة الرئيس حين بلغه الخبر ، لفت نظر الاميرال الى ان الصحفيين المصريين لهم مكانتهم فى الصفوف الاولى ، فكان الاعتذار .. ولكن لم يكتف الرئيس بهذا بل احلنى فى الكلام محل اكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحـدة — اذ ذاك — مع سوريا رغم « البروتوكول » الذى يقضى بان يكون الخطيب الاول هو رئيس الجمهورية الروسية المرحب بالضيف ، والثانى هو الرئيس جمال عبد الناصر ، والثـالث هو نائب رئيس الجمهورية السوفيتى والرابع هو اكرم الحورانى نائب الرئيس العربى •
وكان احلالى محل اكرم الحورانى غمزة من غمزات الرئيس اللماح لكى يعلم الجميع بان الصحفيين المصريين هم محل تقدير وتكريم •
رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن بلده وكفاحه خير الجزاء



فكرى أباظة

عبد الرحمن صدقي

الروح الخالدة

أيا باعثاً كبرياء العرب ... إلى أوجها في طويل الحقب
كسبت بسعيك جنة ربك ... فادع لنا ربنا يستجب
مشى الخلق خلفك يوم الوداع ... يتامى وللحزن فيهم نسب
تساوى الغني بهم والفقير ... وفلاحهم ورفيع الرب
خلائق في مصر يخطئها الحصر ... والكل دامي الحشى ينتحب
كأن الورى حشروا ههنا ... رعمسيس منهم وآمنحوتب
لقد زلزلت أرضنا بالفجيعة ... من منبع النيل حتى المصب
وسار بك النعش وسط الزحام ... كما يخفق البدر بين السحب
فلما دنا من ختام المطاف ... وأشفى على لحده واقترب
وحم الفراق، فراق الحبيب ... تعاظمهم في الثرى يحتجب
وجن جنونهم، وتراموا ... يحولون ما بينه والترب
فيارب، رد لهم وعيهم ... فمذ مات، وعيهم لم يثب
زعيم الفدا، مالنا سلوة ... سوى أن ظلك لم يغترب
وما برحت روحك الألمعية ... في الخلد تلهم روح العرب

تعبير «لايخطئ الهدف»

منذ بداية الثورة الى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، كنت اتمنى ان يسعدنى الحظ بلقاء شخصى معه ، أسمع حديثه واتبادل معه الرأى ، ولكن ظروف الحياة والمشاكل المتراكمة عليه لم تتح لى الفرصة لتحقيق هذا الامل العظيم ..

وظلت هذه الامنية مجرد امنية ، سنين طويلة ، لم احظ منه خلالها الا بالمصافحة ، كعشرات الناس الذين يصافحونه ، فى مؤتمر كبير احضره ، او فى مناسبة من المناسبات العامة .

وكنت دائما اسمع ان جمال عبد الناصر له طريقة خاصة فى التعبير عن نفسه ، ولكن هذه الطريقة معبرة عن نفسها فى حين حدوثها .

فمثلا الابتسامة ليست دليل الرضا ، والتقطيبة العابسة ليست دليل الغضب ، واشياء أخرى من هذا القبيل ، كانت تزيدنى لهفة لكى اراه ولو مرة واحدة ، اسمعه وحدى لاهتدى بكل هذا ..

ومرت الايام ، وجاء اليوم الذى قرر الرئيس جمال عبد الناصر فيه أن يشرفنى بمنحى وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى ، مع نخبة من الزملاء الصحفيين والفنانين ، واجتمعنا فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، ووقف الرئيس جمال عبد الناصر معتليا المنصة ، واقبل موكب الحاصلين على الشهادات الممتازة ، وأبتدات اختبر ذكائى فى الحكم على تعبيرات وجهه واستنباط رضاه من هذه التعبيرات التى طالما شغلت بها زمنا طويلا ، ولكن فى الحقيقة لم استطع أن أرى شيئا اكثر من ومضة العين ، وابتسامة بسيطة جـدا على

شفتيه ، لم أستطع أن أستشف من ورائها حقيقة هذا الانسان العظيم .

وبينما أنا مستغرقة في تأملاتي العميقة ، سمعت اسمي ينادى ، فسرت الى المنصة وأنا أكاد أتعثر ، بل تعثرت بالفعل على السلالم القليلة المؤدية من القاعة الى المنصة وأقبلت نحو الرئيس وعيناى مركزتان على وجهه في محاولة يائسة لمعرفة حقيقة مشاعره نحوى ، واستقبلني وهو يسلمني الوشاح بنفس الومضة في العين ونفس الابتسامة الخفيفة التي قابل بهـــا الجميع ، والتي لم أستطع أن أفسرها قبل ذلك ، وعندما أوشك اليأس أن ينتابني سمعته يقول لي بمنتهى الجد والهدوء : « أنني أقرأ حواء باستمرار » ..

في تلك اللحظة وجدت هـذه الكلمة تسرى بين جوانحي كالسحر . وارتفعت معنوياتي الى عنان السماء ، واستطعت من خلال هذه الكلمات القليلة أن ألمس تشجيعه العظيم لي ، وفهمت في تلك اللحظة فقط ماذا كانوا يعنونه بقولهم أن له أسلوبا خاصا في التعبير عن نفسه ..

ولقد كان لهذه الكلمات تأثير عظيم في نفسي نقلني من حــال الى حال آخر ، وضاعف جهدى في المجلة ، وشحذ رغبتي في خدمة وطني بأن أعمل عملا مفيدا له قيمته .

ويكفيني فخرا أن الرجل العظيم الذى كنا نبني آمالنا عليه كان يحس بكل جهد مخلص في كل مكان ، وعندما يبدى رضاه فهو لا يبديه بالأساليب التقليدية ولا بالألفـــاظ الرنانة ولا بالعبارات المنمقة المتملقة ، انما يصب تعبيره في معنى دقيق بسيط يصل الى القلب مباشرة ولا يمكن أن يخطىء الهدف ...



أمينة السعيد



الرئيس أنور السادات

صالح جودت

الرجل الذي اختاره جمال

ان شخصية انور السادات لجديرة بالاعجاب ، خليقة بالاطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ، وشجاعته ورباطة جاشه ، واخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا ، الى جانب قوة ارادته ، وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للعدالة والانصاف ... كل هذه الصفات جعلته اهلا للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والسير بها قدما فى سبيل النجاح ..

جمال عبد الناصر

الرجل الذي اختاره جمال



لعل اجمل تحية نزفها لروح جمال عبد الناصر ، فى يوم ذكراه الاولى ، هى ان نتأمل ما يحدث اليوم على يد الرجل الذى اختاره خليفة له ، وما كان يمكن ان يحدث لو انه لم يختر احدا ليخلفه او لو انه اختار رجلا اخر من الرجال الذين احاطوا به فى اخر ايامه ، لهذه الخلافة ..

لقد رأينا ماذا صنع هؤلاء الرجال رأينا ما دبروا لهذا الوطن من مكر ، لولا ان مكر الله قد قلب مكرهم ، فارتدوا خاسرين .

●●●

كان من ابرز صفات عبد الناصر ، انه كان بعيد النظر ، يزن الرجال ويعرف معادنهم ..

وكان يدرك ان بين الذين صاحبوه فى مسيرة الثورة ، من لا يستطيعون مواصلة المسيرة حتى نهايتها ..

وهؤلاء هم الذين تخلفوا فى منتصف الطريق ..

وان من بينهم من يؤمنون بانه يجب ان يكون للجهاد اجر ، وهؤلاء هم الذين سعوا الى المناصب والمكاسب ، وانكشفت اطماعهم بمجرد ان ذهب القائد الخالد للقاء الله .

ولكن رجلا واحدا بقى معه ، ووقف الى جانبه ، وسانده من اول المسيرة — بل من قبل المسيرة — حتى اخر يوم فى حياته ، لم يطلب لنفسه شيئا ، ولا صبا الى كسب ، ولا تطلع الى غنيمة ، ولا اختصم مرة واحدة مع الرجل الذى عاهده على الوفاء للثورة من البداية الى النهاية .

لقد عرف جمال عبد الناصر فى انور السادات الرجل المؤمن ، المخلص ، الشجاع ، المنزه عن الغرض ، المتشبث بالمثل العليا .

وعرف فيه الانسان العاطفى المرهف ، المرجح لكفة العدل والانصاف فى كل قضية .

ولهذا اختاره ، واختاره وحده ، نائبا له ، عندما احس أن الاجل لن يمتد به ، حتى يكون خليفته امينا على العهد ، حفيظا على مسيرة الثورة ، قويا فى الحق ، غضوبا على الباطل ، عميقا فى الايمان بالله ، واثقا بيوم النصر .

كان هذا هو راى جمال عبد الناصر فى انور السادات .. وقد اضاف اليه ، وهو يتحدث عن سجاياه ، وذلك فى المقدمة التى كتبها لكتاب « صفحات مجهولة » الذى كتبه انور السادات عن الثورة فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، قوله:

« ولقد استخدم انور السادات هذه السجايا فى جميع اطوار حياته ، كما احسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فتجده قد سجن فى شهر نوفمبر سنة١٩٤٢ بامرالعدو المستعمر ثم اعيد اعتقاله سنة ١٩٤٤ لنشاطه الوطنى . ولكم تحمل من الوان التعذيب والحرمان .. فلم تهن عزيمته ، ولم تتزعزع عقيدته ، لا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخا وايمانا . ولا غرو فعلى قدر اهل العزم تاتى العزائم . فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير مليا ، حتى رجع بتمعنه وتاملاته الى الآف السنين الخوالى ، وطالع ما كان خلالها من مطامع العالم التى شخصت وتجمعت حول هذا البلد الطاهر ، فظل الشعب المصرى الابى الكريم رازحا تحت نير الاستعباد ردحا طويلا من الزمان ، متخلفا بذلك عن تقدم سائر البلدان .

« فما كاد يفر من معتقله ، حتى صار رمزا حيا للمطالبة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشعور الجامح الذى سرى فى شعب وادى النيل اجمع ، من البحر الابيض المتوسط حتى اعالى خط الاستواء ، مطالبا بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان .

« ها هو ذا يكافح بهمة لا تعرف الكلل فى سبيل المثل العليا ، فى الوقت الذى ترى فيه الجموع العالية تطالب ايضا بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا جدوى فى انكار مطالبها » .

ومن احقاق الحق ، أن نقول انه عندما قامت الثورة فى ذلك الفجر المبارك من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وطالعنا اول صوت لها فى الاذاعة .. كان هذا الصوت هو صوت انور السادات .

كانت الثورة يومئذ لاتزال تتنفس اول انفاسها ، وهى بين كفى القدر . وكان ممكنا ان تنتكس ، لا قدر الله .

ولو حدث هذا ، لكان اول صوت للثورة .. صوت ذلك الانسان القوى الجريء المؤمن ، الذى اقتحم ابواب الاذاعة يومئذ واذاع بيان الثورة هو اول ضحايا ذلك الانتكاس .

وعندما طالع الناس اسماء الثوار لاول مرة ، لم يعرفوا من بينهم الا اسما واحدا ، هو اسم انور السادات ذلك لان الناس كانت قد عرفته قبل ذلك بعشر سنوات على الاقل ، شابا

ثائرا على الاستعمار ، وعلى الطغيان ، وعلى الفساد الضارب أطنابه فى جسوم الاحزاب وكيان الحكم ، وقد اعتقل المرة بعد المرة بعد المرة ، دون أن يسكن له ساكن قبل أن يتنسم البلد نسيم الخلاص ٠

***

وغير مستأذن ، أعيد على قراء الهلال قصة نشرها أنور السادات فى مجلة « الاثنين » التى كانت تصدر عن دار الهلال ، فى عددها رقم « ١٠٤٣ » الصادر فى ٧ يونية سنة ١٩٥٤ ، يروى فيها صفحة منصفحات حياته الثائرة :

« وقفت داخل قفص الاتهام مع بقية الزملاء المتهمين ، بعد أن صاح الحاجب هاتفا : محكمة !

« واتجهت كل الانظار الى فم القاضى والحكم يتدفق منه ٠ ورأيت الزملاء يتساقطون من حولى مغمى عليهم ، وهم يسمعونه يقول :

ـ فلان الفلانى ٠٠ عشر سنوات ٠٠

فلان الفلانى ٠٠ خمستاشر سنة ٠٠

فلان الفلانى ٠٠ خمس سنوات ٠

« وخيل لى انه قد مضى دهر قبل أن اسمعه يقول :

ـ أنور السادات ٠٠٠ براءة !

« ولم اصدق اذنى ٠٠ وتهاويت جالسا معهم فى القفص ، ولم اتحقق مما نطق به القاضى الا عندما اقبل الناس على لتهنئتى ٠

« وبعد جولة بين سجن مصر والمحافظة ، افرج عنى ، ووجدت نفسى سجينا من جديد ، ولكن فى القاهرة الواسعة

« وبعد بحث مرهق ، عثرت على

الرجل الذى اختاره جمال





الرئيس المؤمن أنور السادات

بنسيون قبلت صاحبته ايوائى ، واتفقت معها على ان تقدم لى وجبة الفطور فقط ، وعلى ان اتناول غدائى وعشائى فى الخارج

وأسرعت اتمدد على السرير ، وفى رأسى دوامة من آثار تفكيرى فى موقفى

• لم يكن هناك اى أمل فى العثور على عمل • فأنا سجين سابق مشهور، ولا يوجد فى مصر صاحب عمل جرىء يستطيع ان يضع ثقته فى سجين سابق

• وكذلك لا يمكننى ان اكذب على اية شركة فاقول أننى لم اكن سجينا • فقد كانت الصحف تنشر صورى طوال ايام نظر القضية •

• اما الاعمال الحرة ، فلم تخطر لى ببال يومذاك ، فقد كنت انظف من الصينى بعد غسيله •• وتجفيفه ايضا ••

:

• وفى اليوم الاول ، غادرت البنسيون اتجول فى القاهرة ، فمررت بمقهى عند قصر النيل ، ولقيت هناك بعض الاصدقاء ، ولم تطاوعنى نفسى أن احدث احدا منهم بموقفى •

• وعدت الى البنسيون حيث بت على الطوى ، فى انتظار الافطار الذى ستقدمه لى صاحبة البنسيون فى الصباح •

ولم أخرج فى اليوم التالى ، اذ كنت قضيت الليل كله انتظر الافطار ، فما كاد يستقر فى امعائى ، على تفاهته ، حتى داخل النوم عينى فنمت

• وغاظنى ان هذه السيدة لم يكن عندها نظر •• فرغم انها رات اننى لم اخرج ، ولم ابرح غرفتى ، الا انها



لم تفكر فى ان تقدم لى وجبة الغداء او العشاء ، واصرت على تنفيذ الاتفاق بحذافيره ، وهو يقضى بتقديم وجبة الافطار فقط !

• وكانت معى نسخة من مجلة المصور ، وفيها مذكراتى التى كتبتها عن السجن • وقد قدمها لى احد اصدقائى فى المقهى ، فرحت استعيد قراءتها للمرة العاشرة ، واحاول بها ان اطرد الجوع الذى يناوش امعائى مناوشة قاسية •

• ولكننى فشلت فى تهدئة صرخات الجوع ، فقمت انظر من النافذة واتسلى برؤية المارة •• وكان عجيبا حقا ان يكون اول ما يقع عليه نظرى ، خادم تسير فى الشارع وقد حملت صينية بطاطس تتربع فوقها اوزة محترمة ، وصلت رائحتها الى خياشيمى ، رغم اننى كنت اطل من الدور الرابع •

• وحتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه ، تراجعت من النافذة الى السرير •

• وفجاة ، دخلت صاحبة البنسيون فانكمشت فى ملابسى ، وقد خشيت ان تكون قد جاءت تريد نقودا او تطلب ملابس لكيها • وكانت قد ضايقتنى بهذا الطلب السخيف كثيرا • ولكنها قالت لى ان احد اصدقائى يسال عنى فى الخارج •

• وقمت اليه فورا ، واستقبلته بالعناق والاشواق ، وبعدها جلس يقول لى :

ـ يا شيخ •• فى دار الهلال بيدوروا عليك علشان تشتغل وتكمل كتابة مذكراتك ••

• انبسط ..

• وقبل ان ارد عليه ، كنت قد ارتديت ملابسى وانا امنى نفسى بالفرج

• واسرعت بالنزول مع الصديق • وفى الطريق ، اخبرنى ان دار الهلال حاولت ان ترسل لى اجرى عن الجزء الذى نشر من المذكرات ولكنها لمتعرف عنوانى •

• وتاكدت انها فرجت اليوم ، فانطلقت استدعى تاكسى ركبته حتى وقف بى امام دار الهلال ، حيث استقبلنى البواب العجوز وهو يهز راسه قائلا لى :

ـ يا افندم •• النهاردة الاحد •• مافيش حد موجود !

•••

هذه هى القصة التى كتبها انور السادات •• قصة واقعية •• لا اثر فيها للخيال •

هى صفحة من حياة مناضل شريف ، ذاق مرارة السجن والجوع والحرمان فى سبيل مثله الاعلى : الحرية ••

الحرية •• لا لنفسه ـ فلا حرية فى السجن ولا فى المعتقل ـ بل الحرية لوطنه ، ولابناء هذا الوطن •

ثم تكشفت لنا القصة بعد ذلك عن حقيقة من اجمل الحقائق فى تكوين انور السادات ، هى الاديب الفنان الذى يسكن بداخله •• الذى يعرف كيف يقص القصة ، وكيف يبتدئها ويختتمها ، وكيف يتخير مواطن السياق والحوار ، وكيف يتانق ويخفف ظله فى الاسلوب ، حتى فى مواضع المرارة والشجن •

ولقد اتيح لى ان اعرف انور السادات الاديب ، وانور السادات



المفكر ، وانور السادات القارىء ، وانور السادات المؤمن ، وانور السادات الانسان ، فى أيام جميلة قضيتها فى صحبته بكراتشى ، عاصمة باكستان ، يوم ذهبنا الى هناك سنة ١٩٥٥ لنشارك فى احتفال هذه الدولة الاسلامية الكبرى بيوم الاستقلال .

وقد دعى انور السادات يومئذ بوصفه ممثلا للحكومة ، ودعيت أنا كممثل للصحافة .

وكان الجو حارا الى حد لا يحتمل ، وتزيد من قسوته الرطوبة التى تصل الى مائة فى المائة ، مما عز معه النوم ، فكنا نقضى اكثر الليل ساهرين فى حديقة السفارة المصرية ، ومعنا السفير المصرى - وهو يومئذ الاستاذ عبد الحميد سعود - نتحدث فى مختلف الشئون .

وكان انور السادات قد اعد الخطاب الذى سيلقيه يوم الاحتفال ، قبل وصولنا الى باكستان ، وسمعته منه ، فاذا هو خطاب رائع حقا ، استهله - كما هى عادته فى اكثر خطبه - باية مناسبة للمقام من آى الذكر الحكيم .

ووصلنا الى كراتشى قبل الحفلة بيوم واحد ..

وحين وصلنا ، وجدنا جوا غير الجو الذى توقعناه ، لظروف قد لا يكون من حقى أن اذكرها فى هذا المقام .

واصبح علينا الصباح ..

وذهبنا الى الحفلة ..

وصعد انور السادات الى المنبر ،



الرئيس السادات بملابس القائد الاعلى للقوات المسلحة

الرئيس المجاهد بملابس الميدان



الرجل
الذي
اختاره
جمال



فاذا به يلقى خطابا غير الخطاب الذى أعده من قبل !

وفوجئت بالخطاب الجديد .. الذى جاء أروع من سابقه ، لا من ناحيته البلاغية وحسب ، بل من زاوية المهارة السياسية التى تناول بها أنور السادات الجو المتغير الذى لمسناه عقب وصولنا الى باكستان ، تناولا واعيا لبقا ، عنيفا كل العنف ، مهذبا كل التهذيب !

ولم يفته أن يستهل خطابه الجديد كذلك بآية كريمة جاءت اكثر مناسبة لمقتضى الحال .. الحال التى تغيرت من يوم الى يوم .

ولم أستطع أن أخفى عجبى منه ، واعجابى به ، وأنا أسائل نفسى : متى أعد هذا الخطاب الجديد ، الذى لا يستطيع كاتب متمكن ، ولا سياسى مقتدر ، أن ينتهيا منه فى أقل من يومين أو ثلاثة ..

وسألته فى ذلك .. فقال لى مبتسما ، وبكل ايمان :

– اليوم .. بعد صلاة الفجر !

وصلاة الفجر ، التى يحرص أنور السادات على أدائها ، تكشف عن مدى ايمانه ..

وهو ايمان الدارسين الواعين ، لا ايمان الجهلاء الذين يأخذون الدين عن وراثة لا فضل لهم فيها .

ولقد كانت لنا ، فى تلك الليالى بباكستان ، أحاديث طويلة عن الدين ودقائقه ، عرفت فيها أن أنور السادات .. لم يقرأ القرآن وحده ، بتفاسيره ، بل قرأ التوراة والانجيل بعمق ، كما درس كثيرا من العقائد الاخرى كالبوذية والكونفوشيوسية وغيرهما من الاديان غير السماوية .

وقد قال لى يومئذ انه يتمنى أن يتيح له الزمن فسحة يكتب فيها عن العقائد .

ولكن يبدو أن الزمن قد القى على كاهليه من الاعباء ما لن يسمح له بتحقيق هذه الامنية .

ولعل الفضل فى هذا التكوين الثقافى الفريد لانور السادات ، يرجع الى أستاذه ، الجندى المصرى الخالد ، عزيز المصرى ، الذى كان لا يفتأ يقول لانور واخوانه من الضباط الاحرار فى لقاءاته بهم قبل الثورة :

– اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب .. اقرأوا فى السياسة ومذاهبها ، والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه . اقرأوا واضيئوا فى رءوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء ، لا لكى يهمل ويهال عليه التراب .. اقرأوا ، ثم اضربوا فى الارض ، واعرفوا الناس ، وجربوا بأنفسكم كل شىء ، ولا تتقيدوا بدعوة ، ولا بزعيم ، ولا تربطوا أنفسكم برأى قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت رءوسكم بالعلم .

وكان عزيز المصرى لا يفتأ يحدث أنور وأصحابه ، فى ذلك الزمن المبكر ، عن الايمان ، كما حدثهم عن العلم .

كان اذا حدثهم عن نابليون الذى قاد جيش بلاده وهو شاب فى السابعة والعشرين ، قال لهم :

– التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته ، هو الايمان ، الذى كان ينبعث من نفسه . فابحثوا عن الايمان ، ولا تعتمدوا

ابدا على احد الا على أنفسكم بعد الله

ويعقب انور السادات على هـذه الكلمـات ، فى كتابه « صفحات مجهولة » فيقول :

« وكان لكلمة الايمـان فى نفسى رنين خاص عميق ، فقد كنت انا ايضا ابحث عن الايمان ، واومن فى الوقت نفسه بانه المخرج الوحيد لنا مـن الحيرة التى كان المصريون جميعـا يعيشون فيها ، فلا يكادون يقـدمون حتى يحجموا ، تبلسهم الحسرات ، وترعبهم المخاوف » ..

وهل رايت ايهـا القارىء والدا يعتذر لولده ، فى كتاب كامل ، لانه لم يحتفل به عند مولده ، لم يحتفل به ، مع انه كان اول ولد ذكر له ، لانه كان مشغولا يومئذ بما هو أهم من الولد !

هذا هو كتاب « يا ولدى : هـذا عمك جمال » الذى كتبه انور السادات سنة ١٩٥٨ ..

ويروى انور السادات فى مقـدمة هذا الكتاب ، بعض ذكريات عدوان سنة ١٩٥٦ ، فيقول لولده :

« اننى اذكر تلك الليلة من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وكنت كعادتى امضى سحابة النهار فى مبنى مجلس قيـادة الثورة ، الى جوار الرئيس جمال ، مع بعض الزملاء ، حيث كنا نتلقى الانبـاء ونضع انفسنا تحت تصرفه . وكنت انصرف بعد ذلك الى مكتبى بجريدة الجمهورية لكى اكتب مقالى ، واظل حتى اقرأ اخر برقيـة من برقيات وكالات الانباء .

الرجـل الـذى اختاره جمـال



الرئيس انور السادات فى بداية ثورة ٢٣ يوليو المجيدة



الرجل الذي اختاره جمال



• وفى ذلك اليوم ، وعلى خلاف عادتى ، بقيت فى مبنى مجلس قيادة الثورة ، وكتبت مقالى من هناك ، وارسلته الى الجريدة ٠

• وبينما انا اناقش بعض الزملاء ، اذ دق جرس التليفون فى غرفة نوم الرئيس جمال ، وكنت انا المطلوب ، وابلغونى انك فى الطريق الى الدنيا يا بنى ، وان والدتك تنتظر قدومك بين لحظة واخرى ٠

وصدقنى يا بنى ، اننى نسيت كل ما يتعلق بك بمجرد ان وضعت سماعة التليفون ، ورحت اكمل حديثى السابق مع الزملاء ، فقد كنا نتناقش فى مختلف الاحتمالات التى قد يلجأ اليها الاعداء ، بعد ان اتضحت نواياهم الحقيقية ، وهى تحطيم مقاومة الشعب المصرى ، وكانوا قد توسلوا بمؤامرة ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ المشهورة لكى يحققوا هذه الاهداف ٠

وحين ايقظونى فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى ، لكى يبلغونى بانك اتيت الى عالمنا ، وانك ولد ، لم يغير هذا الخبر من الامر شيئا ٠ ولو انه فى ظروف اخرى كان يمكن ان يكون حدثا خطيرا ، فستعلم يا بنى ، اننا نحن الفلاحين نعتبر ولادة الولد انتصارا ٠٠

واخيرا يقول له :

• لم احتفل اذن بك يا بنى ٠ بل لم افكر لحظة واحدة فى هذا الامر ، ولم احس ابدا بما يحس به كل اب فلاح جاءه ولد ٠٠ ليس لان المناسبة

لا تستحق الاحتفال ، وليس لاننى اسوى فى عاطفتى بين البنت والولد

« ولكن الامر كان اكبر واجل من كل ذلك ·

« كان هناك اولا ، ابناؤنا واطفالنا ونساؤنا ورجالنا الذين نفقدهم كل يوم ، بل كل ساعة ، فى بورسعيد ، وفى سيناء ، وفى غزة ، وفى جميع انحاء مصر ، بفعل قنابل بريطانيا وفرنسا واساطيلهما ، مضافا اليها قنابل حلف الاطلنطى واساطيله وعتاده باكمله ! »

***

رايت انور السادات فى عشرات من المناسبات ·

ولكنى اشهد اننى ما رايته فى صورة أحب الى القلب ، ولا اوقع فى النفس ، من تلك الصورة التى رايته عليها وهو مؤتزر بعباءته العربية ، متربع تربع القرفصاء ، فى (مضيفته) الريفية الرحبة بقريته الطيبة « ميت ابو الكوم » ومن حوله اهله وذووه واحبابه وابناء قريته ، الفلاحون الاطهار ·· المصريون الخلص ·· بوجوههم السمحة وقلوبهم العامرة بالحب والصفاء والايمان ·· وهو يستقبل هذا ، ويصافح ذاك ، ويعانق الثالث ، ويسأل الرابع عن اولاده ، ويتلقى من الخامس شكاته ·

ويومئذ ، ذكرته وهو يتحدث الى الشعب حديث القلب للقلب ، يتحدث اليه عن القرية الطيبة ، وحياة القرية الطيبة التى يعرف أهلها العيب ويتجنبونه ·· التى يشفق قويها على ضعيفها ، ويرحم غنيها فقيرها ، ويتراحم اهلها بعضهم ببعض فى افراحهم واتراحهم ·· ثم يقول للناس انه يتمنى أن تكون مصر جميعا فى هذه القرية الطيبة ، بكل سماحتها ، وبكل اخلاقياتها ·

ويومئذ ، لم أملك الا أن اعانق هذا المصرى الاصيل ، الذى اشربت قسماته سمرة مياه النيل ·· وأرى فى وجهه النبيل الصورة الصادقة للفلاح المصرى ، الذى عانى ما عانى اجيالا طويلة حتى حررته الثورة ·· تلك الصورة التى ترسمها ريشة الشاعر بهذه الكلمات :

عربى السمات ، فيه السماح
فيه نور الهدى ، وفيه الصلاح
فيه جود وطيبة ومراح
وعليه من الصفاء وشاح
تتبارى فيه الخلال الملاح
عاش دهرا ···· نهاره اتراح
ولياليه ما لهن صباح
واغانيه ··· ادمع ونواح
وحواليه لوعة وجراح
وحماه لغيره مستباح
حاكموه مسلطون وقاح :
ملك ··· عيشه خنا وسفاح
وعدو مستعمر سفاح
ورعاة تاريخهم فضاح
وسراة الهتهم الارباح
يستبيحون منه مالا يباح
ويقولون : انه فلاح !



تمثال نصفي للرئيس انور السادات للمثال عبد الحميد حمدي

روح الفنان الثائر

التقيت بالزعيم الخالد جمال عبد الناصر في سنة ١٩٥٥ . وكنت في ذلك الحين مشرفا على معروضات سراي النصر بأرض المعارض بالجزيرة اثناء احتفالات اعياد الثورة ..

وعندما زار الرئيس المعرض لفت نظره تمثال مستلهم من وحي كلماته المجيدة : « ارفع راسك يا اخي »

وكان التمثال لفلاح يرفع راسه الى اعلى وفي يده اليمنى شعلة من جذع شجرة وقد اتكأ بيده اليسرى على فأس فلاح مصر الاصيل واقفا على قاعدة تمثل تاريخ مصر القديم في ظل شعار مصر الحديثة : النسر ..

وبروح الفنان الثائر الباحث في كل ما يشاهده عن القيم الجمالية والمعاني السامية المعبرة ، ناقشني الرئيس في هذا العمل الفني معجبا بتعبيره الصادق عما تقوله الكلمة ..

واكد لي حديث الزعيم ان الفنان الاصيل هو الذي يعبر عن احداث وطنه ويتفاعل معها ، ويعبر عن البيئة التي يعيش فيها والاحداث التي تؤثر فيها ، وأن سر عظمة الفنانين القدماء تكمن في تعبيرهم عن روح الوطن دينيا واجتماعيا وسياسيا ، والفنان الحقيقي هو الذي يسجل طوال فترة حياته الامجاد والاحداث البارزة في تاريخ وطنه ..

ولقد لمست اصرار الرئيس على اتاحة الفرصة للفنانين لتحقيق رسالتهم بتذليل كل العقبات التي تقف في طريق انعاش الفن ، وانطلاقة الفنانين حتى يحققوا للفن المصري الاصيل نهضة شامخة تستلهم عظمة الفن المصري القديم ، ولا يتخلف في الوقت نفسه عن مسايرة التطور الحديث في أوسع المجالات الفنية العالمية المعاصرة ..



عبد الحميد حمدى


الثقافة والثورة
إن رصد خطوات الثورة السياسية والاقتصادية أسهل كثيرا من رصد خطوات الثورة الثقافية : ففي السياسة والاقتصاد تبرز الأحداث ضخمة واضحة تحمل في طياتها كل الشحنات المؤثرة الفعالة التي تتضح لأول وهلة ويسلم بها لمجرد ذكرها . ولكن الأمر مختلف في الثقافة ، فالأحداث في ميدانها تحتاج إلى إعمال فكر ، وإلى طول أمد ، وإلى وعي خاص لاستيعاب دلالتها وتقدير آثارها في المستقبل البعيد أو القريب .
د. سهير القلماوي

الثقافة والثورة

فاذا قلنا ان ثورة ٢٣ يوليو قد حررت مصر من النفوذ الاجنبي وانهت احتلال الانجليز لارض الوطن . برز لنا هذا المعنى بغاية الوضوح وبكل ثقله . ولكنا اذا قلنا ان هذه الثورة قد حررت الفكر العربي والمصري من كل نفوذ اجنبي احتجنا الى تأمل **واقع ما كان وواقع ما هو كائن .. وواقع ما سيكون ، في محاولة ربط الموضوع عبر اجزائه كلها ، لنعي معنى هذا التحرر وكنه هذا التحويل . ماذا كانت ثقافتنا ؟ وكيف اصبحت ؟ وماذا ينتظر لها ان تكون ؟**

لقد وضعت الثورة الناصرية على كل نشاط حيوى ، سددت مساره ورسمت له طريق المستقبل ، وفتحت له الآفاق الجديدة على مصراعيها . فماذا كان معنى ذلك في الثقافة ؟

واذا قلنا ان الثورة الناصرية تحدت الاستعمار اقتصاديا ، وبنت السد العالى معجزة كمعجزة الاهرام لتؤمن للشعب رخاء وتفتح له آفاقا جديدة في التصنيع ، كان من السهل على أهل الاقتصاد والصناعة أن يخاطبونا بالارقام عن اتساع الرقعة الزراعية وكمية المحصول المنتظر ومدى اسهامه في غذاء الشعب المصرى وفي امكانية حصوله على ميزان افضل من ميزان التبادل التجارى الدولى . كذلك يمكن بالارقام حساب الطاقة الكهربائية وتقدير طاقة المصانع المطلوبة وحاجاتها من الكهرباء وتقدير ما سيعود به كل ذلك على الشعب من فوائد ومزايا .

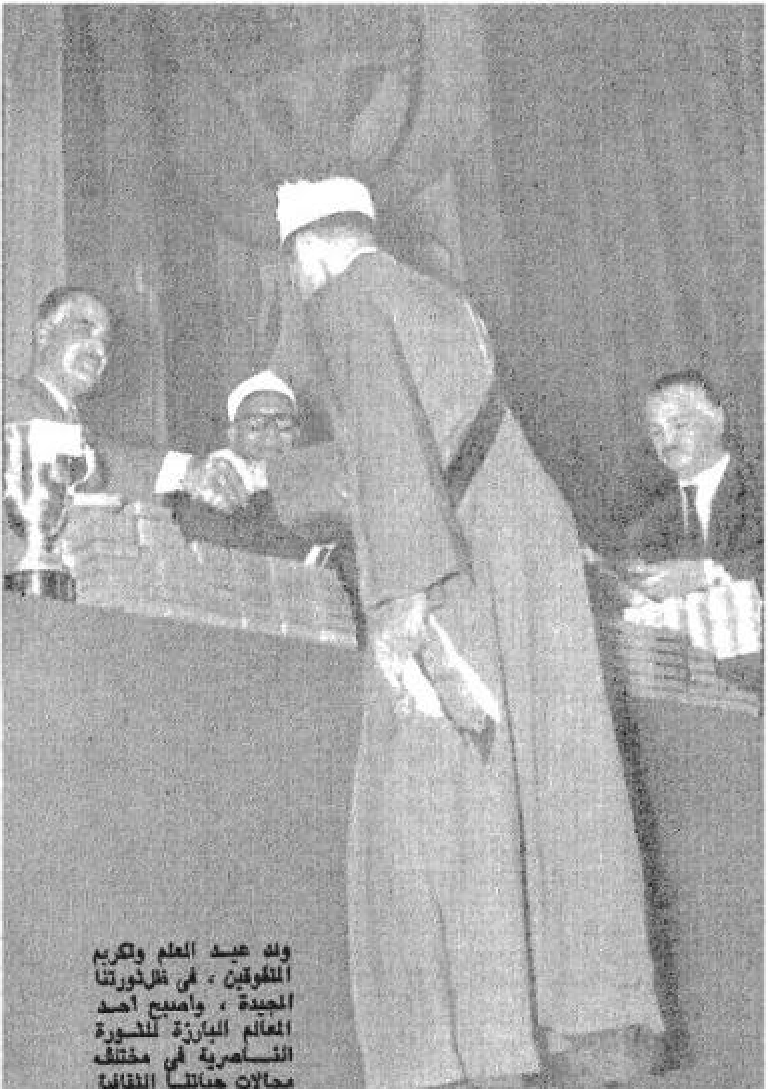
ولكن السد العالى الثقافى الذى شرعت الثورة في بنائه وسارت به خطوات ، ليس من السهل أن نقيس فوائده بالاحصاءات والارقام ، ولا من السهل أن ندل على تفصيلاته واحدة فواحدة ، وانما يلزمنا أن نقول كثيرا، وأن نحاول من خلال ما نقول أن نؤثر في السامع بالمعنى العميق أو الاحساس القوى بخطورة العمل الذى تم في هذا الميدان .

ان الميثاق ينص على « **حق الفرد في ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال في حياة الانسان الحر ..** » وبوعى واضح لخطورة مرحلة الطفولة وأثر ما يناله الطفل من ثقافة في تكوينه وعطائه فيما بعد ، ينص الميثاق أيضا على « حق الطفل في الحصول على حياة تجعل من نشأته طفرة لتقدم الانسان المصرى المعاصر »

ماذا كانت الثقافة فيما قبل الثورة الناصرية وماذا أصبحت ؟ ان الثورة مؤمنة بحق الفرد في هذه الثقافة الوطنية الحرة المفجرة لينابيع الاحساس وحق الطفل في نشأة تؤهله للاسهام في تقدم الانسان المعاصر .

كانت الثقافة قبل الثورة اجتهادات شخصية يقوم بها أفراد نذروا انفسهم اما لنقل الثقافة الغربية الى مصر أو الحفاظ على الثقافة العربية العريقة ، أو محاولة تلمس طريق وسط بين الثقافتين . أفراد عظماء أمجاد ولكنهم أفراد عملوا قدر طاقتهم وأعطوا عصارة فكرهم وكدح ذهنهم للقارئين .. ولكن لم تكن تجمعهم وحدة ولم يكن لهم برنامج ولم تكن عندهم رؤية وطنية شاملة واضحة بقدر متساو للجميع والاهم من ذلك انهم كانوا يعملون ضد حكومتهم او رغم انفها .

قامت حركة ترجمة وحركة نقل وحركة تمصير ، وقامت حركات تأليف جديدة وجهود رائعة في ميدان الخلق



وولد عيد العلم وتكريم المتفوقين ، في ظل ثورتنا المجيدة ، واصبح احد المعالم البارزة للثورة الناصرية في مختلف مجالات حياتنا الثقافية

الثقافة والثورة

والابداع ، ولكن كل هذا كان رهنا بالفرد الفذ ، بالانسان العبقرى ، ولو قدر الله الا يولد هؤلاء لما عرفت مصر الا امتدادا لعصور الظلام التى امتدت حتى منتصف القرن الماضى ·

ان أهم ما قامت به الثورة الناصرية فى ميدان الثقافة هو ايضاح لمعالم ثقافة وطنية اى عربية مصرية ·· فلقد وضح سياسيا واقتصاديا ضرورة ابراز حقيقة الانتماء الى الامة العربية · ولم يكن ميدان الثقافة محتاجا الى هذا ، فان الانتماء الثقافى العربى كان رغم كل السياسات والانقسامات والحروب حقيقة ضخمة قائمة لا تحتاج الى تاكيد أو الدلالة عليها ولكنها كانت محتاجة الى ايمان الحكام بها وهى محتاجة أكثر الى توصيف وتحديد من حيث الوقف الثنائى أى تحديد موقف ثقافة مصر من الثقافات العالمية الاخرى · وهنا أوضحت الثورة الناصرية ضرورة الانفتاح الحر على كل الثقافات · « لا استثناء ولا انغلاق ولا انحصار » · لقد كانت ثقافة البلدان الاشتراكية مثلا محرمة ، وكانت الثقافة الاشتراكية كلها مجال اتهام ومصدر عذاب للذين بشروا بها ، ولكن الثورة ، استلهاما لروح الثقافة الاسلامية العربية الحقة ، قررت ان كل ثقافة فيها خير للعرب وللمسلمين لا يمكن ان تكون محرمة أو محجوبة · ان الانفتاح هو الاساس ، انه السبيل الوحيد لتاكيد حرية الثقافة · ولكن هذا الانفتاح يتحدد فقط بانه يجب ان يتلاءم مع الاصل الثابت العريق ، أصل الثقافة العربية الاسلامية · اننا لا ننسلخ من جلدنا لنرتدى جلد غيرنا ولكنا نفتح مسام الجلد لنتلقى الهواء الصحى المنعش المجدد للحياة ·

وعلى هذا الاساس بدأ العمل فى ميدان الثقافة بروح ثورية حقة · روح متطلعة متفائلة ولكنها ايضا روح منظمة مخططة دارسة · وكان أول عمل هو ايجاد المهاد الثقافى لامة تحكم فيها الاجنبى قرونا طويلة وخضع اهلها لتلاعب الاستعمار ومجالات تفكيك شخصيته وتفريق وحدته · فماذا كان فى هذا المهاد الاساسى للثقافة مهاد التعليم · كنا فرقا وشيعا وشعوبا · تعليم دينى مغلق · وتعليم اجنبى دخيل وكأنه جزيرة متعزلة على أرض مصر يخلق اجيالا تحس الغربة الثقافية فى ثقافتها الوطنية بعد أن هاجرت عقولها الى ثقافات الغير واستطابت ثمارا مغرية لا تعرف غيرها ولا ما يعادلها بل يفوقها فى ثقافتنا الاصيلة · والغت الثورة التعليم الالزامى واخضعت التعليم الاجنبى فى مصر لخطة التعليم القومية الوطنية · ومهدت فى أن يكون التعليم فعلا وعملا حقا لكل مواطن وبدون مقابل · قد لا تكون الثورة فى هذا الميدان بالذات انجزت ما كان يجب أن تنجز ولكنها على كل حال وضعت الاساس السليم من حيث ان ابناء الامة الواحدة لابد أن يتعلموا تعليما واحدا متجانسا · وكان هذا هو المهاد الحق لايجاد الثقافة الحرة المعتمدة على الاصول الثابتة العريقة والمفتحة النوافذ على كل ما هو جديد أو غريب لنأخذ منه ما ينفعنا ·

ثم بدأ العمل المباشر فى حقل الثقافة وشعاره التخطيط السليم لمستقبل قريب ومستقبل بعيد ، بحيث تصبح كل فروع الثقافة عالية المستوى

مصرية الهوية . وكما تؤمن الثورة الاقتصادية بالاجراءات السريعة لحل الازمات وفى الوقت نفسه تبنى للمستقبل صروحا ضخمة لتمكين الاقتصاد من الازدهار المستمر ، فكذلك اتخذت الثقافة مسارين : مسارا يوجد الشكل القريب السريع الذى يسد الحاجة المباشرة ، ثم مسارا يبين القلاع القوية للمستقبل . ففى المسرح مثلا انشئت مسارح عديدة واتخذت كل الوسائل لتشجيع الكتاب على التأليف للمسرح ، وفى الوقت نفسه أعيد انشاء معهد المسرح وتفريع اقسامه ليخرج على المدى الطويل مختصين فى النص

المسرحى وفى الديكور والاخراج والملابس وسائر فروع الدراسات المسرحية . عمل عاجل وآخر آجل يسيران جنبا الى جنب لبناء صرح المسرح المصرى الحديث . هذا والجمهور يتاح له التعلم فى مدارس تتزايد عددا ، وبرامج اذاعية ثم تليفزيونية تزداد عدداً وتنوعا لينتزع المسرح الجديد ويسهم فى الدفع نحو آفاق الابداع الفنى الاصيل .

ان اسهام الدولة فى نشر الثقافة قبل الثورة كان موكولا الى ادارة صغيرة ملحقة بوزارة المعارف (التربية والتعليم) تقوم بنشاط صغير متغير يخضع لشخصية وزير المعارف أو مدير الادارة ، ولا يخضع الى اساس مدروس أو خطة مرسومة . كل يجتهد اذا استطاع أن يجتهد ، فى أن يقدم كتبا وبعض المعاونات فى النشاط المسرحى المدرسى . أو نحو ذلك . واذا كان الوزير غفلا من الثقافة ، وما أكثر ما كان ، فان الادارة نائمة بحمد الله ... يتلاقى موظفوها على القريبة لقضاء أوقات العمل الرسمى قريبين من مبنى الوزارة لا اكثر ولا أقل .

والى جانب هذه الادارة كانت هناك جهود فردية وجماعية شجاعة مؤمنة ولكنها قاصرة ، مثل جهود بنك مصر الذى انشأ شركة مصر للتمثيل والسينما سنة ١٩٢٥ ، كما أن بعض الوزراء استطاع أن يضع اسسا طيبة لم يقدر لها أن تتتابع أو أن تثمر بصفة قوية مثل انشاء المسرح القومى والعناية بدار الاوبرا وايفاد بعض النابهين فى بعثات الى فرنسا وايطاليا لاتقان فن التمثيل .

وقد نلاحظ الفرق الثورى فى هذا الميدان بالذات فى السينما والمسرح عندما نقارن هذه الجهود الطيبة القاصرة بالاصلاح الشامل أو البداية القوية عندما نرى أن الثورة فى سنة ١٩٥٤ تفرض بقانون رقم ١٢٨ ضريبة على رواد السينما تخصص لتشجيع صناعة السينما ودعمها . الفرق بين جهد مشكور وبين قانون عام هو الفرق بين نظرة الثورة الى هذا النشاط الثقافى بوجوب دعمه بصفة دائمة ومؤكدة وشاملة وبين مجرد الرغبة فى الاصلاح والجهد فى تحقيق هذه الرغبة بشكل ضيق محدود .

كذلك نرى الفرق فى النظرة بين مجرد ايفاد بعثات فردية لخلق نواة طيبة فى المسرح القومى مثلا ، وبين عمل الثورة فى اعادة تنظيم معهد للدراسات المسرحية بل معاهد لدراسة كل فن من الفنون واستقدام الخبراء لتعليم اكبر عدد ممكن من أبناء الامة المستعدين لتعلم هذه الفنون مع التوسع فى ايفاد البعثات بشتى اشكالها .

ولعل ميدان الموسيقى بالذات يدلنا على كثير من طابع العمل الثورى فى الفنون ، فلقد كان للموسيقى قبل الثورة معهد لتدريس الموسيقى العربية مغلق على نفسه يؤمن القائمون على أمره بأن الموسيقى العربية شىء يختلف كل الاختلاف فى أصوله العلمية عن الموسيقى العالمية . ثم دار للاوبرا تتبع وزارة الاشغال أول أمرها تستقدم كيفما اتفق فرقا اجنبية للاجانب المقيمين فى مصر أو لقلة من المصريين

الثقافة والثورة

[illegible]



[illegible]

الثقافة والثورة

تداعت له سائر الاضلاع ، مثلث من السياسة والاقتصاد والثقافة لابد أن يتكامل بشكل ثابت ودائم حتى تضمن نهضة ثورية حقة . ولذلك فقد انشأت مؤخرا اكاديمية كاملة لدراسة الفنون حسب الاصول العالمية وعلى أساس من أصالة الفنون المصرية العربية .. ومهما كان الوضع في هذه الاكاديمية ومهما تكن العقبات في سبيل تحقيق ما عقد عليها من آمال فالاهم أنها فكرة تجسدت ويبقى علينا أن نتيح لهذا التجسيد فرصة العطاء المثمر حتى ترسخ قدم الفن على أساس سليم من الاجيال المتعاقبة التي تتعلم الفن حسب أصول عالمية مدروسة لتحمل رسالته الى الجماهير في أرقى صورة وعلى اكمل وجه .

وحق الجماهير في الفن الرفيع كان حجر الزاوية في تفكير الثورة لذلك فقد بدأ الاهتمام مبكرا بالاتصال بين العاصمة والمدن الكبرى والصغرى ما أمكن ذلك فنشطت فكرة قوافل الثقافة والثقافة الجماهيرية لترعى خطوط الاتصال بين انحاء الجمهورية والعاصمة أخذا وعطاء تتيح لسكان غير العاصمة أن يروا انجازات العاصمة وتتيح لانجازات الاقاليم أن تعرض على جمهور القاهرة . وفرق الفنون الشعبية للبحيرة وبورسعيد وطنطا وغيرها لن هي الا ثمرة من ثمار الاتصال واستنباط الارض المحلية الطيبة لذخائرها الدفينة فيها . ثم كانت مسابقات المسرح بين فرق الاقاليم التي أخذ عدد المتسابقين فيها يزداد منذ المهرجان الاول سنة ١٩٦١ حيث اشتركت ست فرق وفي سنة ١٩٦٨ اشتركت ثلاث عشرة فرقة وفي سنة ١٩٧٠ اشتركت في الوجه البحري ثلاث عشرة ومن الوجه القبلي ست فرق . وهكذا تأخذ رقعة الحركة تتسع عرضا وعمقا لتعم الحركة المسرحية الجمهورية كلها .

والعناية بالفن الشعبي تمتد من العاصمة الى الاقاليم وتتسع للاقاليم في العاصمة ، وتحس الثورة مسئوليتها في استمرار الفنون الشعبية المعبرة عن اصالتنا وتحاول اقامة مراكز للصناعات البيئية وتشجع الفنانين الشعبيين وتقيم مراكز مثل مركز الفوري لتعليم الصناعات التقليدية للجيل الجديد : صناعة زخرفة الخيام والصدف والزجاج ، كما يمتد الاهتمام في مجال الموسيقى الى جمع هذه الموسيقى الشعبية ودراستها وتطوير آلاتها والحفاظ على التقليدي منها وادخاله في تراكيب الاوركسترا الحديثة .

ونتيجة لذلك بدأت موضوعاتنا الشعبية وتسللت فننا الشعبي الاصيل تغزو موسيقانا الرسمية ، تدخل الاغاني والاناشيد وتدخل الموسيقى العامة كما تدخل موضوعات الادب الشعبي في تأليفها الادبي مسرحا وغير مسرح . ونمثل مجرد تمثيل بالمؤلف نجيب سرور في « ياسين وبهية » و « يس وبهية » و « ياليل يا قمر » لنرى عند مؤلف واحد الاثر البالغ البعيد لفننا الشعبي وجلائه عن الناس وكيف يكون تأثيره بالغا شاملا صحيا رائعا .

ومراكز تجمع هذه الفنون في الامكنة التي لم ينلها تشويه الحضارة لها مثل السواحل الغربية أو الواحات أو غيرها تلقى عناية خاصة . وقبل نقل سكان النوبة الى مقرهم الجديد ينشط جمع فنهم الشعبي بأصوله

المختلفة ليظل مصدر وحي جميل للفنانين من بعد ومصدر دراسات لنفسية الشعب المصري من خلال فنه الشعبي الذي قاوم كل محاولات التشويه والمسخ وظل معبرا نقيا عن الام الشعب وأحلامه .

وفي مجال الحفاظ على تراثنا وابراز شخصيتنا نجد في ميدان الاثار شواهد على بصمات الثورة الناصرية وعلى قمتها يقف العمل الجيد لانقاذ اثار النوبة من طغيان مياه السد العالي عليها . فالسد العالي للرخاء والحياة ، ومعبد أبو سنبل رمز للتاريخ والتراث والفن الاصيل . وكان نداء زعيم الثورة جمال عبد الناصر ناقوسا مجلجلا لشعوب العالم فاذا بها كلها تسهم في انقاذ هذا الاثر الحضاري النادر المثال . وانه بروعته وخلوده لا يدل على عظمة مصر وحدها وانما هو تشريف للانسانية كلها . ويرتفع المعبد الى مكانه الجديد بمعجزة ثورية ، وتزهو بلاد كثيرة بأنها أسهمت في هذا العمل المعجز النادر . ولا نقف عند هذا الحد في فننا الرسمي الاصيل وانما تسافر آثارنا مثل آثار توت عنخ آمون الى باريس لتعرض على الملأ التذوق الذي لا تتاح له فرص السفر على نطاق واسع فيؤم المعرض اكثر من مليون مشاهد يرى عظمة مصر الفرعونية وأصالة شعبها على مر العصور ويكثر التبادل بين معارضنا ومعارض الدول الاخرى وتكثر الاسابيع الفنية هنا وهناك ... وتتصل شرايين الفن المصري بالفن العالمي ويعرف العالم هنا كثيرا ونعرف عنه الكثير فالكثر ويثري فننا من هذا الاتصال ، ويؤثر فننا في الفن العالمي كله . وهكذا تتناثر فنانونا في انحاء الارض يعرضون فنهم ويتعلمون من التجارب ما يثري عطاءهم ويزيد من فعاليته المحلية والدولية .

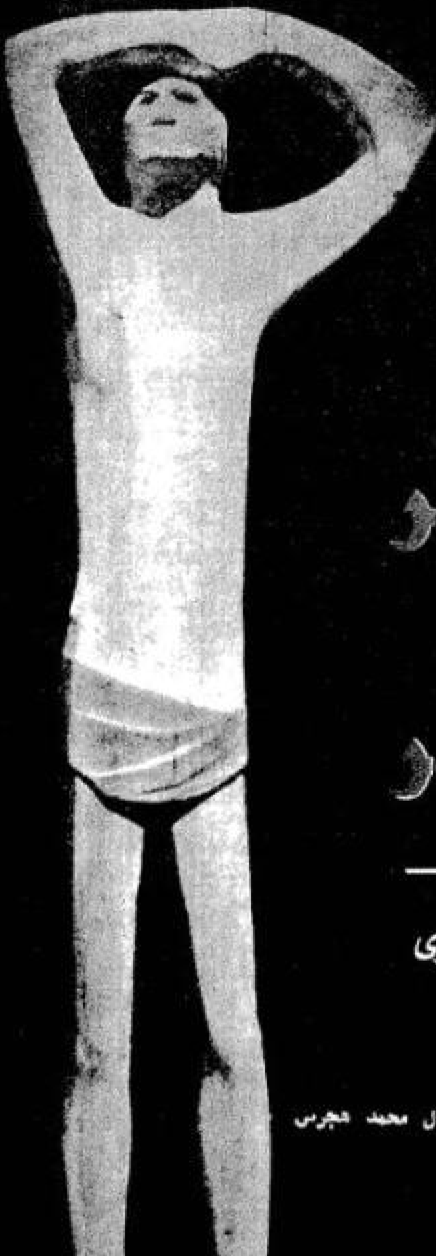
ولم تغفل الثورة اساس الفن والادب ، لم تغفل الانسان المنتج أو الانسان المبدع أن كرامته من كرامة الفن . وكان تكريم الفن مع تكريم التفوق العلمي على حد سواء في عيد العلم : عيد الثورة الحق وكان تكريم الفنان في شتى الصور الاخرى .. وبوعي ثوري خرجت فكرة التفرغ الى حيز التنفيذ فأتيح لجمهرة من الفنانين أن يتفرغوا للابداع ضامنين لقمة العيش التي كثيرا ما شغلتهم عن تجويد فنهم واتقانه .

كل هذه الخطوات الثورية في عالم الفن كانت بدايات موفقة تحتاج مثا ولا شك الى تدعيم وربما الى تصحيح ولكن فضل الثورة في ايجادها ولا يمكن أن يناقش انها كلها راسية على أساس من علم يخطط للمستقبل البعيد ويستوعب الاجيال الحاضرة والماضية والمستقبلة وعلى أساس من ايمان أيضا بأصالة الشعب ومجيد ثروته الثقافية وخلود تراثه الانساني العظيم .

وفي مجال التعليم تمتد جهود الثورة قاصرة احيانا كثيرة متعثرة في نواح جوهرية بلا شك ، ولكنها كما قلت بدايات حقة لايجاد تعليم مصري سليم وتربية أجيال جديدة على أساس مصري عالمي جديد . هدف واضح ومشاكل مدروسة وتخطيط شامل .. قد يقف التمويل عقبة ، قد تقف بعض النظم التي مازالت تتعثر في سبيل تحقيق ما أرادته الثورة في بعض الميادين ، ولكن الاساس واضح واللبنات الاولى وهي الاصعب دائما ، قد وضعت وعلينا نحن المؤمنين بالثورة وعلى ابنائنا من بعدنا متابعة المسيرة بثورية متجددة ، وايمان لا يفتر أبدا بأن مصر الثورة ستظل ابدا امتدادا لماض عريض باهر ، وتعميقا لحاضر مجيد ، وتطلعا الى مستقبل لا تحده الآفاق ...

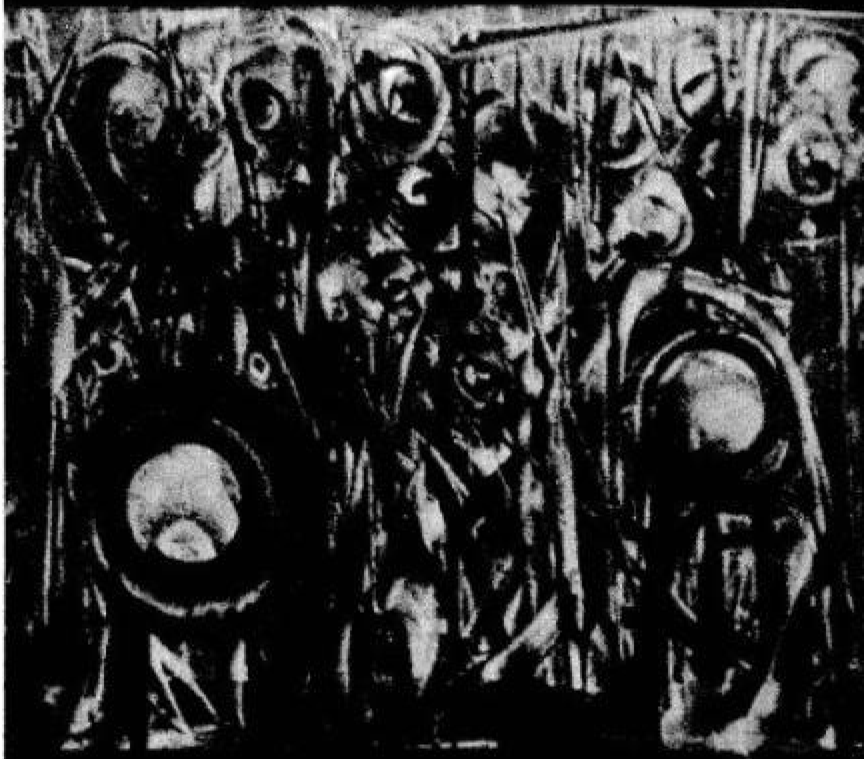
الفنون في عصر عبد الناصر

بدرالدين أبو غازى



تطلع .. للمثال محمد مجرس

الحرب .. للفنان صلاح طاهر .. هزت احداث يونيو فن المصور صـــــلاح طاهر فاشتعلت الوانه بضراوتها وبدا فى خطوطه المتوترة وتكويناته الدرامية جو المعركة ...



بعد السنوات الاولى من اقامة البناء السياسى ، اتجه الاهتمام الى الثقافة ، فأقيمت المؤسسات الثقافية ، واخذ العمل الثقافى نصيبا ملحوظا فى ميزانية الدولة ، وانفسحت مجالات الابداع لأصحاب المواهب .. ومانهضة الفنون الا صورة من صور النشاط الثقافى الذى لقى فى عصر عبد الناصر تألقا وازدهارا ..



قبل عصره ، كانت الشئون الثقافية يعوزها كيان كبير يجمعها ويحقق لها تناسق الفكر والتخطيط والعمل ... كانت الفنون الجميلة ادارة بوزارة التربية والتعليم ، اختصت اساسا بالاشراف على نشاط المعارض والمتاحف والاوبرا والموسيقى • وكان مسرح الدولة منحصرا في حدود ضيقة ، وكانت السينما نشاطا خاصا ، ولم يكن للدولة في مجال التأليف والنشر غير دور محدود النطاق •

ثم انشئت وزارة الارشاد القومى ، وقامت في ظلها مصلحة الفنون للنهوض بانواع من النشاط الفنى يتصل اساسا بالفنون الشعبية والفنون التعبيرية ، بينما ظلت الفنون التشكيلية تحت اشراف وزارة التربية والتعليم ، الى ان تحولت وزارة الارشاد الى وزارة الثقافة والارشاد القومى وتولت مسئوليات الثقافة عامة وضم اليها جهاز الفنون الجميلة بوزارة التربية والتعليم •

وفي سنوات التحول الاشتراكى استكملت وزارة الثقافة كيانها في البناء التنظيمى للدولة ، واتسعت المؤسسات الثقافية فقام للمسرح والسينما والتأليف والنشر مؤسسات ثقافية مستقلة ، وشاع جو الثقافة في المجتمع كله ، واصبحت الخدمة الثقافية مطلبا قوميا •

وبقيام هذا الكيان الثقافى الكبير تفجرت ينابيع الابداع في الفنون والاداب واقترن شيوع التعليم بشيوع الثقافة •

وقد اعان على ذلك تخصيص اعتمادات للعمل الثقافى كان للفنون الجميلة منها نصيب تمثل في ميزانية المقتنيات الفنية ، وفى ظهور مشروعات اقامة المتاحف في الخطة القومية ، وفى

تحويل بعض البيوت الاثرية الى مراسم للفنانين ، واعداد قاعاتتابعة للدولة لاقامة المعارض ، وفي محاولات احياء الفنون والحرف التقليدية ، واحتضان الفنون التلقائية ، وتشجيع الخط القومي في الابداع الفني ، ورعاية الدولة للمواهب الفنية عن طريق نظام التفرغ وفيه تتمثل الصيغة الملائمة لرعاية الفنان دون قيد او الزام يلقي عليه ·

لقد قدمت مصر منذ سنة ١٩٥٩ من خلال نظام التفرغ حلا موفقا لمشكلة ظلت تلح على المؤتمرات الدولية ، عرضت في « فلورنسا » سنة ١٩٥٠ ، وفي باريس سنة ١٩٥١ ، وافرد لها « اليونسكو » مكانا هاما في مؤتمر « فينيسيا » سنة ١٩٥٢ تناول مشكلة الفنان في المجتمع المعاصر ·· وكان اهم الاسئلة التي برزت في جلسات المؤتمر تدور حول رعاية الدولة للفنان · دورها في العصر الحديث · كيف تحميه ؟ كيف تساعده ؟ وهل تستطيع ذلك دون ان تلزمه ، ومن غير أن تجعل الفن رسميا وموجها ؟

وبرغم المخاوف من تدخل الدولة ، فان الاجماع انعقد على ضرورة اضطلاعها بدورها في مساعدة الفنانين ، وتمهيد جو الابداع لهم دون ان يطفيء تالقهم الفقر او الحاح البحث عن سبل العيش ·

لقد برز في مقدمة مشكلات الثقافة العالمية خلال السنوات الاخيرة اهمية دور الدولة في مجال الفنون وموقفها من الفنان في المجتمع المعاصر ·

وجاءت استجابة الحكوماتبوسائل متباينة تراوحت بين التشجيعباساليبه المختلفة وبين التدخل المباشروالتكليف الخاضع لاشراف الدولة ورقابتها ·

ولكن تجربة مصر الثورة كانت تجربة رائعة فهي لم تكتف بالتشجيع الذى لم تقصر في كثير من وسائله ، ولا هى انساقت الى التدخل المباشر الذي يعوق مسار الابداع الفني وانما توصلت فضلا عن وسائل التشجيع العادية الى تجربة تعتبر حلا لمشكلة الفنان المعاصر ، فما من شيء يعوق الابداع الفني مثل ظروف الحياة التى تسوق الفنان الى انيضرب فيمجاهلها فيضل الطريق الى نفسه ، وتدفعه التزاماته الى ان يتخلى عنمثله الفنية او ان يهجر فنه من اجل مهنة ثانية تحفظ له اسباب العيش وان كانت تبدد طاقاته ·

من خلال هذا النظام الذى قدمته مصر الثورة امكن لعديد من الفنانين المبدعين ان يفيضوا بعطائهم وان يقدموا لمصر اروع ما لديهم ·

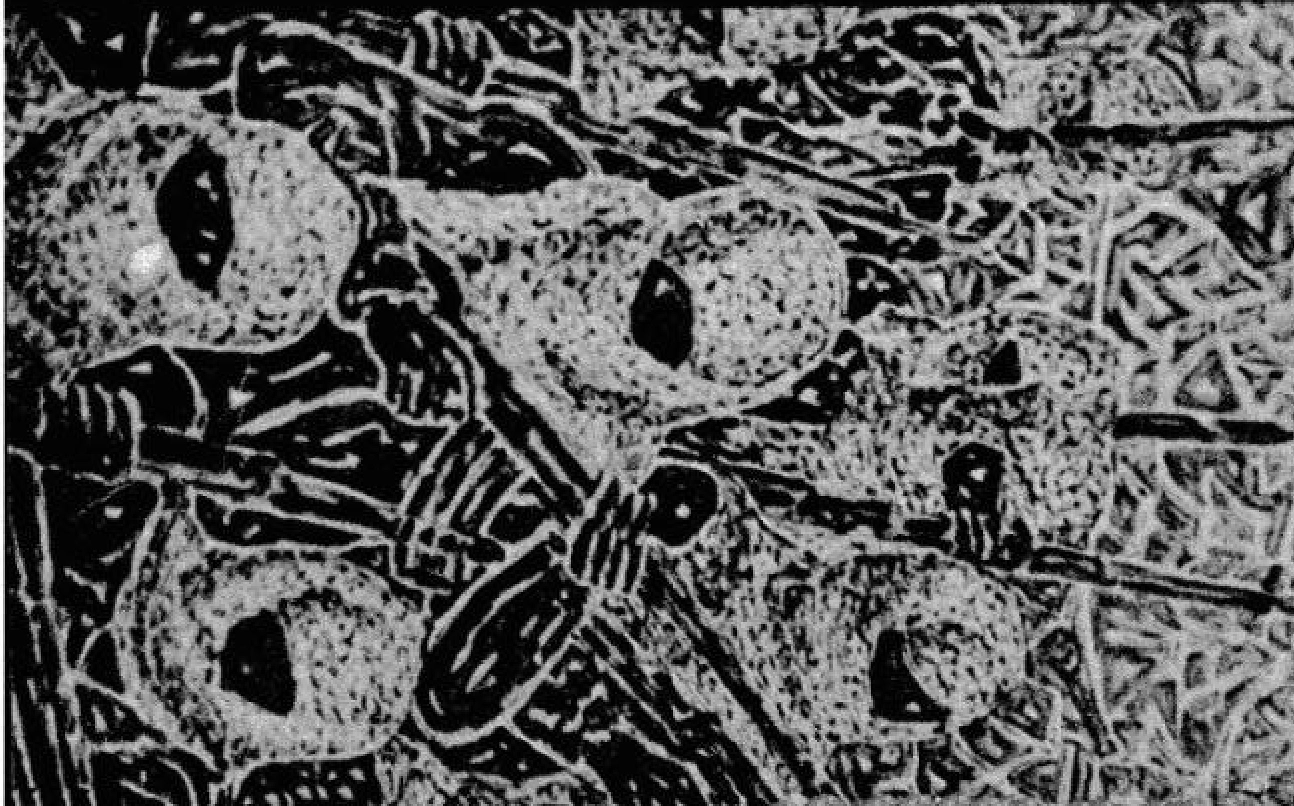
هذا عن المناخ الرسمي العام الذى استمدت منه الفنونتالقها وازدهارها، ولكن المناخ الفكرى والسياسى واحداث هذه الحقبة كانت من العوامل المؤثرة في مضمون العمل الفنى وفي اساليب التشكيل المعاصر ·

في السنوات التى سبقت ثورة يوليو ، ومع ظهور الطبقة الوسطى الجديدة ، هبت على الفن والادب نزعات من التمرد على الاوضاع ، وظهرت صرخات احتجاج حملتها اللوحات والتماثيل ·· كانت تلك مرحلة الغضب التى سبقت الثورة ·

وجاءت الثورة فلم تلزم الفنانين بفن موجه · وتركت لهم حرية التعبير واختيار الاساليب الملائمة لتاكيد الذات المصرية في الفن ، فتفتحت الزهور وارسلت في طلاقة عبيرها ·

وتلاحقت مظاهر الثورة الاجتماعية والاحداث السياسية الكبرى فاهتز وجدان الفنان التشكيلي لها · وفتحت

المقاومة .. للفنانة انجي افلاطون.. فضلا عن لوحاتها التي تعبر عن العمال والفلاحين ، تناولت أيضا الحرب والمقاومة بأسلوبها الخاص

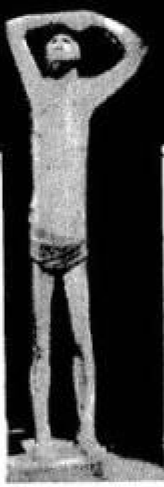




من وحي الفنون الشعبية .. للفنان
حامد ندا ... محاور الفن
في هذه المرحلة تناولها الفنان وأوغل
في التعبير عن دلالاته .....

الفنون

في عصر عبد الناصر



له آفاق واقع جديد حفزه الى البحث عن اشكال يصب فيها أحاسيسه ورؤاه : الاصلاح الزراعى – الجلاء عن مصر – حرب السويس ، وكلها أحداث ارتفعت بالفنان الى جلالها فانطلقت طاقات التعبير تصور ارادة الاصرار ، وبسالة المقاومة ، والمعانى الفكرية والاجتماعية الجديدة ٠

وكان دخول مصر عصر التصنيع ، وتشكل معالمها الاشتراكية ، مجالا لانفتاح رؤى جديدة للفنان التشكيلى ٠٠ فبدت صور جديدة لم تكن تظهر فى فن ما قبل الثورة الا بقدر ضئيل ، كما تجلى تأكيد معنى القيم الاشتراكية وتمجيد الانسان العادى الذى اصبح البطل الاول فى اللوحات والتماثيل ٠

واستخلص الفنان من عصر السد العالى ، وارادة البناء والتشييد ، معانى شكلت ملامح الفن فارتسمت على الالواح والتماثيل حركة الحياة الزاخرة ، وتمجيد معنى العمل ، ومقابلات تشكيلية بين قوة الطبيعة العاتية وجهد الانسان لتطويعها ، وأتاح ذلك للفن ابعادا من الرؤية والتعبير والتطلع ٠٠ وظهرت فى الفن المصرى محاور جديدة ابرزها محور الانسان بين الطبيعة والآلة ٠

وفى المناخ السياسى تأكدت فكرة الوحدة العربية فدفعت الفن الى مزيد من التوغل فى التراث الحضارى للمنطقة ٠

لم تعد مصر بتراثها وحده منبع الالهام الفنى ، وانما اصبح التراث الحضارى كله فى هذه البقعة بمشاعله التى توهج ضوؤها على امتداد الزمان ٠

وبدأ اكتشاف لعناصر من الفنون الاسلامية والتراث العربى تنعكس ملامحه على اساليب الفن ، بل ان طاقات افريقيا العميقة دخلت فى مجال



خيال الحقول .. للفنان رستم عشرى من فنانى جيل الثورة . استلهم الفنو الشعبية بأسلوب زخرفى .. وجاءت الوانه ترديدا لما تزخر به البيئة من عناصر لونية

رؤى الفنان المصرى المعاصر فاتجه الى فنونها التى سبقنا الغرب الى اكتشافها والاستعارة منها .

ومن العلامات الثقافية لتلك الحقبة الاهتمام بالفنون الشعبية وما قام حولها من جهود لاحياء « الفولكلور » فانكشف للفنان التشكيلى عالم ملىء بالسحر وبأسرار التعبير ...

ولم يعد الامر مجرد استيحاء لمضامين الفن الشعبى أو تصوير لمظاهره ، وانما امتد ايضا الى استلهام لاساليب الفنون الشعبية والاقتباس منها ، واصبح « الموتيف » الشعبى من مفردات لغة العصر التشكيلية .

ولعل غرق النوبة القديمة بعد تهجير سكانها كان محركا قويا ساق الفنان المصرى الى هذا المجال ، فدخلت الالوان والتشكيلات النوبية فى مجال التعبير الفنى .

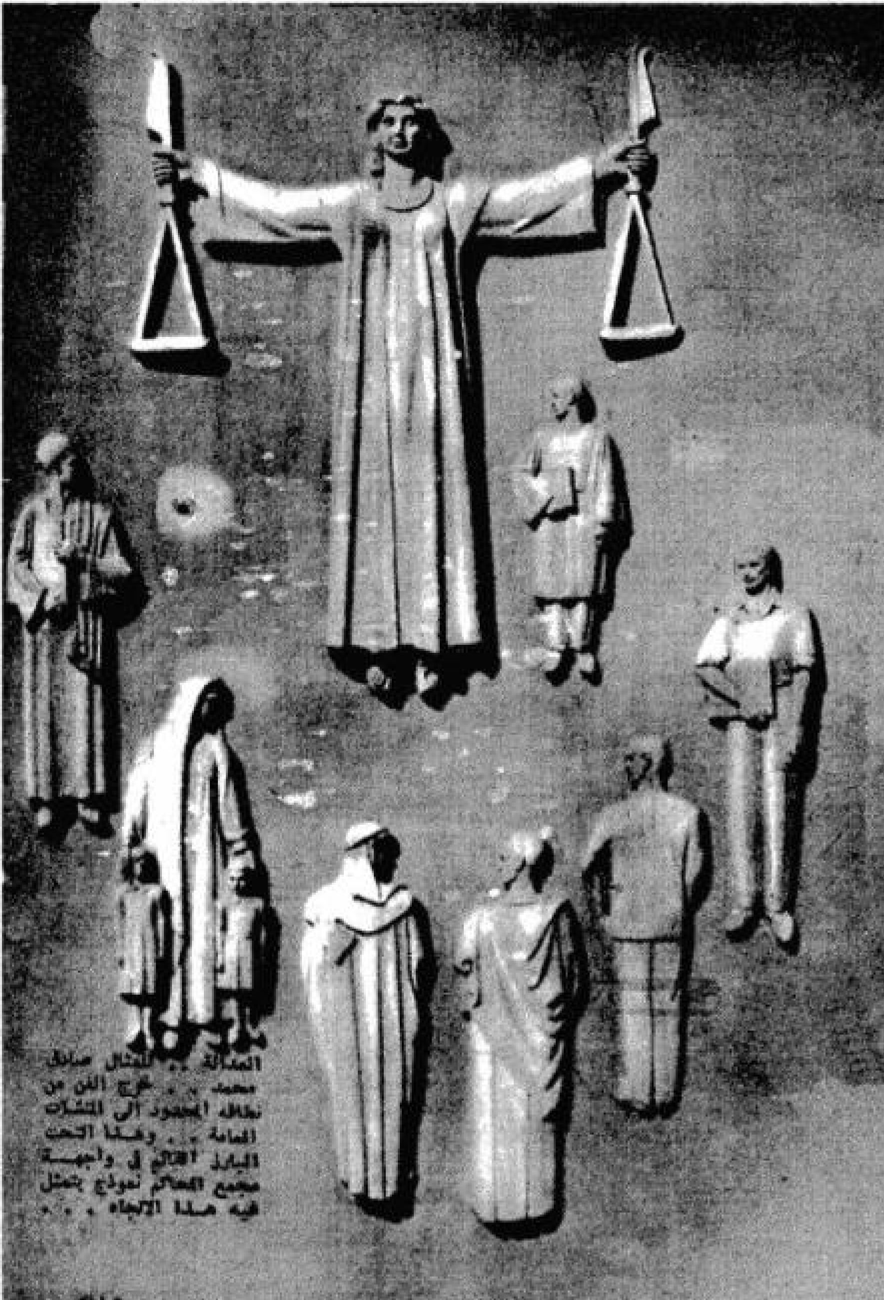
ولقد كان فى العصر تطلع وبناء وأمل وانفتاح على معان وقيم جديدة أحدثت



امل جديد .. للفنان محمد رزق .. مجال اخر جديد من مجالات التعبير الفنى أوحى به اكتشاف البترول لهذا الفنان الشاب وتمثل فى تعبيره اللونى المتدفق فى هذه اللوحة .



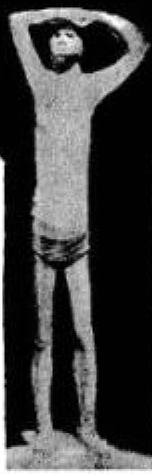
في وحي الاحداث ..
الفنانة جاذبية سري من
أكثر الفنانات مواكبة
لاحداث عصرها . ولكم
امتزج وجدانها بمعان تفجرت
في لوحاتها باسلوب رمزي
كما يبدو في هذه اللوحة .



العدالة .. للفنان صادق محمد .. خرج الفن من نطاقه المحدود الى المنشآت العامة .. وهذا النحت البارز الكائن في واجهة مجمع المحاكم نموذج يتمثل فيه هذا الاتجاه ...

الفنون

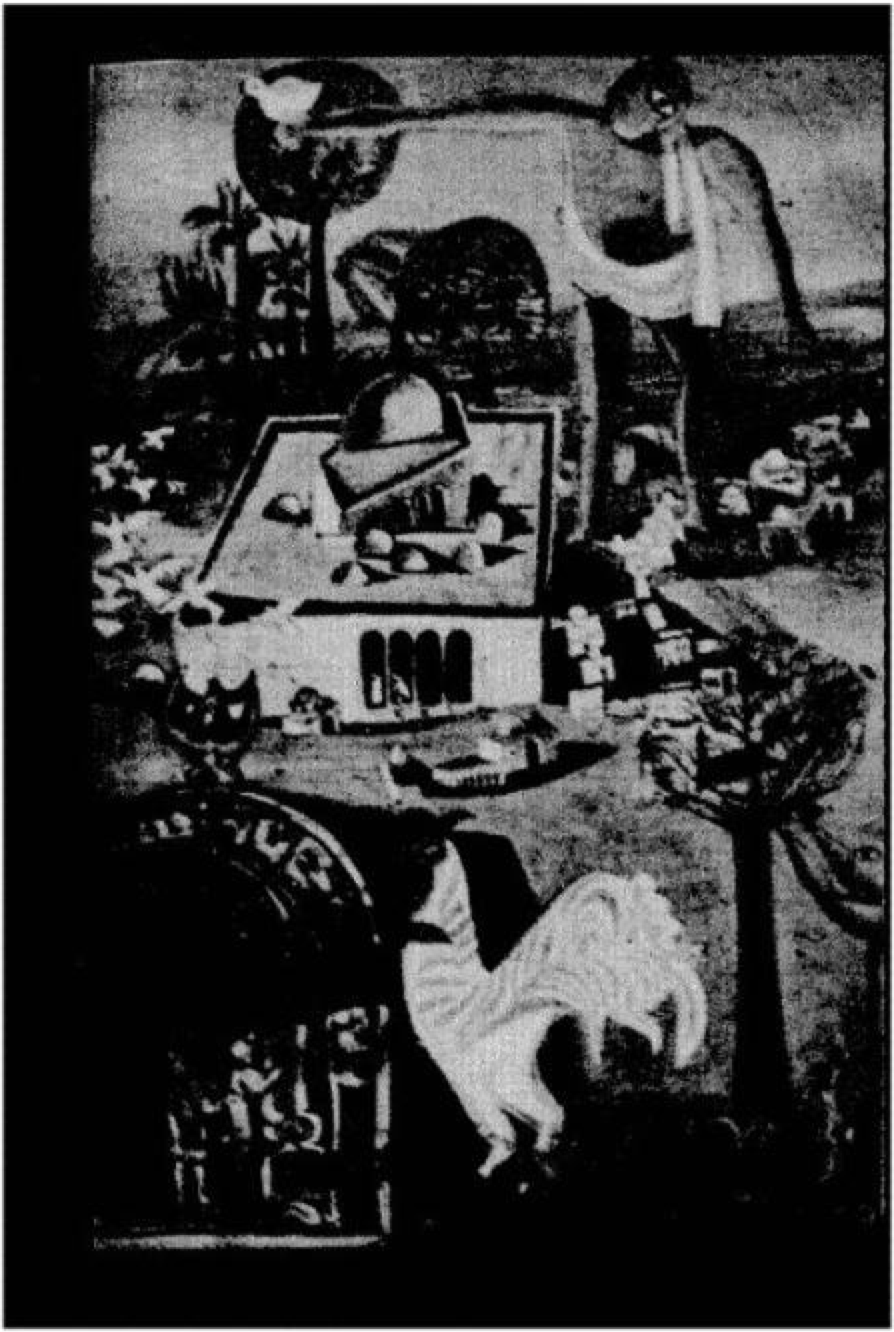
في عصر عبد الناصر



في الفن أثرها ·· وكان فيه أيضا أحداث كبرى وعدوان على القيم الحضارية في المنطقة ··· دفعة البناء والتحرير تدفعها قوى الاستعمار ·· وفي لحظات الخطر والعدوان كان لابد أن تكون له الالوان الاما وأن تشحن الخطوط بتوتر الغضب ، وأن يتحول التكوين الى دوامة تتمثل فيها حيرة الفكر وأنين الروح المثخنة بالجراح · كان للفن أن يعكس هذه الملامح ، مادام الفنان شاهدا صادقا على عصره ··· ومن هنا شغلت المعركة مجالا من التعبير الفنى ، بعض الاعمال سجلت مظاهرها ، بينما ارتبطت الاحداث فى أعمال أخرى بمغزاها التاريخي ومعناها العميق ، فاستحالت رموزا تخطت الاحداث الطارئة الى الحقائق البعيدة ··· منها ما يمثل وثيقة اتهام صارخة لهذا العصر ، ومنها ما يعبر عن ارادة الصمود التى تنطق بمعانى الاصرار والمقاومة ··· ومنها ما يسجل بالعار مذابح القيم الحضارية ، وفيها نبض جراح القاتلين ، وصمت الاصوات الخرساء ··· بينما يلوح فى اعمال اخرى شروق ينبيء عن النصر ؛··· فيها الحدس والامل والاحتجاج··· الحرب متواجدة فيها ولكن الصمود أيضا ماثل ··· صلب المعانى الكبرى ، ومعها فى نفس الوقت انتصارها ·

تلك هى معانى المعركة والصراع والتطلع الى النصر تلوح فىفن هذا العصر ، قد يتفاوت النبض ويختلف الايقاع ولكنه يمثل التزام الفنان بقضايا عصره ومشاكلته لها ·

من موقع الفنان وسط أحداث عصره تغيرت معالم من التعبير الفنى ، اهم ما بدا فى هذه الحقبة الخروج عن « العمود الاكاديمى » فى التصوير والنحت ، واختفاء كثير من اللوحات بمضمونها الدارج التقليدى من المعارض الفنية ، ومحاولة التعبير عن صور



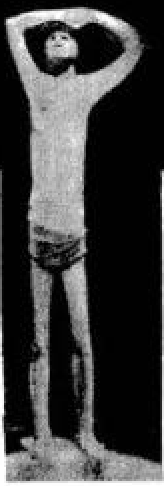
ارض السلام .. للفنان مصطفى الرزاز .. تألق حس الفنان الرزاز بالارض ، وزاد ارتباطا بتراثه في منابعه الاصيلة .

اللاجئون .. للفنان جمال السجيني .. كانت اعمال هذا الفنان صرخة غضب قبل الثورة .. وجاء في تماثيله ولوحاته النحاسية تعبيرا صادقا عن احداثها . . .



الفنون

في عصر عبد الناصر



جديدة من شكل البيئة والمجتمع ، فلم يعد الفنان يدور حول عالم « المناظر » واللقطات العابرة من مشاهد الطبيعة وانما اتسعت له مجالات ورؤى عميقة .. وتمردت اللوحة والتمثال على مناسيبها الصغيرة ، وظهرت مناسيب صرحية اعان عليها التحول الكبير في موضوع العمل الفني ، وارتباط الفن بالعمارة في بعض ما اقيم من منشآت عامة .

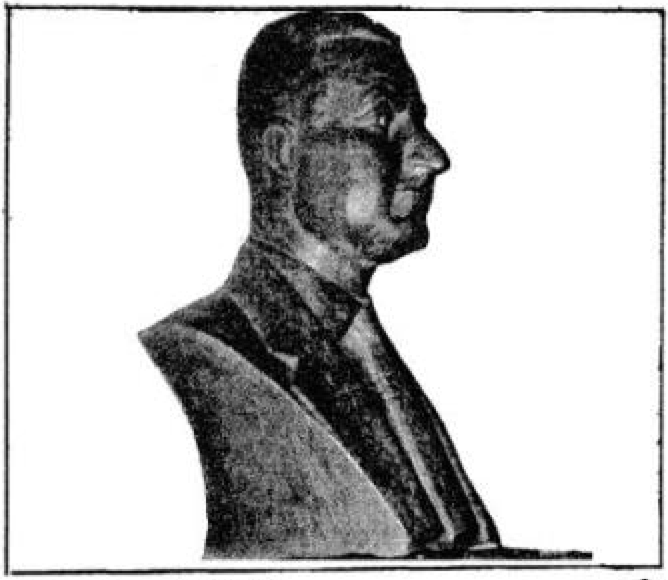
وعاش الفنان عصره بآفاقه الرحيبة ، وزاد الاتصال المباشر بالتيارات العالمية من خلال تشجيع الدولة للفنانين على عرض اعمالهم بالخارج واحتكاكهم بلغة العصر التشكيلية وفلسفة التعبير الفني المعاصر .

وبعد ان كان الفن يخرج على استحياء من نطاق خاماته التقليدية رايناه يقتحم في التصوير والنحت خامات جديدة من الاسمنت الى قطع الحديد وحطام الآلات والاسلاك محاولا التعبير عن روح فترة وعصر . فهذه السنوات من التحول في حياة مصر صحبتها كشوف باهرة في العالم من التنقيب في جزيئات الذرة الى اقتحام الفضاء .. وقد حفز ذلك كله اساليب التعبير الفني وتردد صداه في رؤى الفنانين المصريين .

ومن اهم ما اتسمت به هذه الفترة غزارة في حجم الانتاج الفني تمثلت في عديد من المعارض التي تتابعت خلال السنوات الاخيرة ، وظهور اسماء في الحياة الفنية تبشر مواهبها بالامل الكبير .

***

وصمت عبد الناصر .. وكان صمته حدثا آخر فجر معاني الحزن والفجيعة في الفن .. تحول وجهه المعبر عن الامل والاصرار وهامته الشامخة التي سجلتها اللوحات والتماثيل في حياته الى رموز من



جمال عبد الناصر . . .
للمثال عبد الحميد حمدى

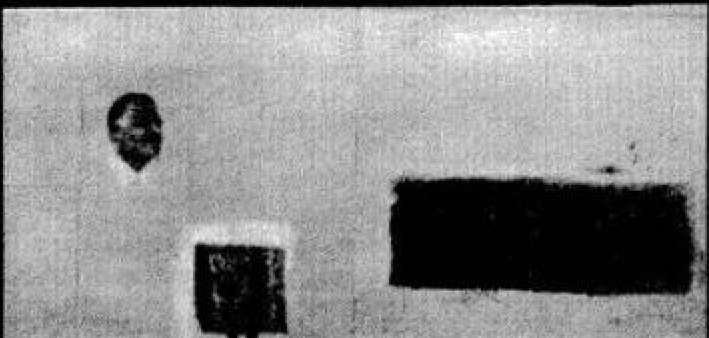
الإصلاح الزراعي ..والسد العالي والتصنيع .. من محاور التعبير التى طرقها الفنان المصرى صلاح عبد الكريم . . .



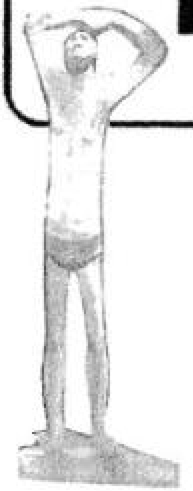


لهيب شدوان .. للفنان عبد الحميد الدواخلى من اللوحات التى تمردت على فن «الصالون» منسوبا وموضوعا عالج فيها الفنان أحداث مصر . . .

جنازة عبد الناصر .. للفنان أحمد نبيل ... هز رحيل عبد الناصر وجدان الفنان المصرى المعاصر ، فبدت فى اللوحات والتماثيل أبعاد رمزية تمثل فيها الحزن والرسم الزعيم كمعنى من المعانى العميقة فى حياة مصر ..



الفنون في عصر عبد الناصر



التعبير عن الحزن والاسى ، ومعان من قيمه الباقية ·

لقد خلف عصر عبد الناصر بصماته على الفن ·· وكان الفنان التشكيلي من أصدق شهود هذا العصر ·· حقق بأعماله ما تطلع اليه في ميثاقه العظيم من « حق الفرد في ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال في حياة الانسان الحر » ·

لقد استطاع الفنانون بعيدا عن قيود التكليف والالتزام ان يحققوا للمجتمع هذا الثراء الثقافي العظيم ·

ومازال لرحلة الفنان المصرى ابعاد عميقة تستطيع أن تفتح له افاقا لا حدود لها للمعرفة الفنية ولاساليب التعبير ولتأكيد وظيفة الفن الكبرى في تعميق الحياة والصدق لها ، والربط بين الفن والحياة عن طريق امتداده الى ابواتهاللارتفاع بذوق المواطنين···

كذلك مازال الأمل معقودا على تهيئة الجو المعمارى للعمل الفني بخروجه من نطاق المعارض والمتاحف الى المنشآت العامة والميادين والحدائق ليفيض بعطائه على جموع المواطنين ويدخل في مجالهم البصرى والوجداني·

وان دستور مصر الجديد ينص لاول مرة على هذا الموضوع والتأكيد على التزام الدولة بأن تكفل للمواطنين حرية البحث العلمى والابداع الادبى والفنى والثقافي وتوفر وسائل التشجيع اللازمة لتحقيق ذلك ·

ان الدستور في نصه هذا ليفتح افاقا رحبية للفنان المصرى وليتطلب ترجمة هذا النص الحضارى الى أنظمة وبرامج ووسائل تضع الفنان والاديب والمفكر في مكانه من حياتنا الجديدة ليحقق لجموع المواطنين هذا الثراء الوجداني والفكرى الذى يتمثل فيه معنى كبير من معانى مصر كدولة عصرية ، كانت الحضارة دائما صناعتها الكبرى عبر التاريخ · وكان الفن التشكيلي أبدع اضافاتها الى الحضارة · · ·

إضافة إلى حياة كل إنسان

كان هذا الموقف في المؤتمر الاول للاتحاد القومى ، الذى عقد بجامعة القاهرة منذ سنوات .

وشكلت اللجان المختصة ، واحتلت كل لجنة قاعة من قاعات الجامعة لتمارس اختصاصها وتضع تقريرها .

وكان موقعى فى لجنة الآداب والعلوم والفنون .

وبدأت المناقشات ، وحمى وطيسها حينما وقف العالم الراحل الدكتور احمد رياض ترك يهاجم الصحافة ، لانها تخصص الصفحات الطوال العراض لصور الفنانين ، كام كلثوم وعبد الوهاب وفريد الاطرش وشادية ، والحديث عنهم ، بينما لا تنشر صورة لاحد من علماء البلد او تنشر شيئا مذكورا عنه .

وخص الدكتور ترك – رحمه الله – صحف دار الهلال – بالنصيب الاكبر من سخطه ، مما اثارنى ، فقمت ادافع عن الصحافة ، وعن صحف دار الهلال التى انتمى اليها بالذات .

واحتد كل منا على الآخر ...

وفى هذه الاثناء ، دخل الرئيس جمال عبد الناصر قاعة اللجنة – وكان قد راى ان يطوف باللجان جميعا ، واحدة بعد الاخرى – فلما سمع احتداد النقاش ، تساءل عن السبب ، فلخصه له مقرر اللجنة ، فابتسم الرئيس رحمه الله ، وقال :

– الواقع ان العلماء يستحقون كل تكريم من الصحافة ، ولكن متى ؟.. حينما تدخل اعمالهم كل بيت ، وتضيف شيئا الى حياة كل انسان . العلامة اديسون مثلا ، ادخل مصباح الكهرباء الى كل غرفة فى كل بيت فى العالم .. هذا هو مثل العالم الذى يستحق التكريم ، وقد استطاع الفنانون ، ام كلثوم وعبد الوهاب وغيرهما ، ان يدخلوا بفنهم كل بيت ، ويسعدوا كل نفس ، وهذا ما نطلبه من علمائنا .. نريد منهم ان يضيفوا شيئا الى حياة كل انسان . وعندئذ ، اكون انا اول من يهاجم الصحافة اذا لم تكرم العلماء .



صالح جودت

صبري
أبو المجد



مـو دكراه
الاولــو

شباب ثائر
علي ضفاف النيل

وجه الصحفي البريطاني « دافيد مورجان » للقائد الراحل جمال عبد الناصر ـ طيب الله ثراه ـ سؤالا عن بداية تكوين احساساته الثورية .. ورد جمال عبد الناصر قائلا : كثيرا ما سئلت هذا السؤال ، متى أصبحت ثوريا لاول مرة ؟ وهو سؤال تستحيل الاجابة عنه ، فهذا الشعور املته ظروف تكويني وتنشئتي ، وهذا شعور

عام بالسخط والتحدى اجتاح كل أبناء جيلي في المدارس والجامعات ثم انتقل الى القوات المسلحة ... ومازلت أذكر بوضوح أول صدام لي مع السلطة ، كان ذلك في سنة ١٩٣٢

وكنت يومئذ تلميذا في الاسكندرية لم أبلغ بعد الخامسة عشرة من عمري ، وكنت أعبر ميدان المنشية في الاسكندرية حين وجدت اشتباكا بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات من البوليس ، ولم أتردد في تقرير موقفي ، فلقد انضممت على الفور

الى المتظاهرين دون أن أعرف أي شيء عن السبب الذي كانوا يتظاهرون من أجله ... ولقد شعرت أنني في غير حاجة الى سؤال ، لقد رأيت افرادا من الجماهير في صدام مع السلطة ، واتخذت موقفي دون تردد في الجانب المعادي للسلطة ...

« ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف لكن سرعان ما جاءت الى المكان الامدادات من رجال

البوليس لتعزيز القوة ، وهجموا علينا جماعتهم ... وانني لاذكر انى ـ في محاولة يائسة ـ القيت حجرا لكنهم ادركوا في لمح البصر ، وحاولت أن اهرب لكنني حين التفت هوت على رأسي عصا من عصي البوليس تلتها ضربة ثانية حين سقطت ، ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من رأسي مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الافلات بالسرعة الكافية .. »

ويمضي جمال عبد الناصر يروي تلك القصة التي كتبها «دافيد وين مورجان» وترجمها د. لويس عوض ـ قائلا : ولما كنت في قسم البوليس واخذوا

يعالجون جراح رأسي سألت عن سبب المظاهرة ، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة للاحتجاج على سياسة الحكومة ، وقد دخلت السجن

تلميذا متحمسا ، وخرجت منه مشحونا بطاقة من التحمس ... وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل أن تتبلور

افكاري ومعتقداتي وخططي ، ولكن حتى في هذه المرحلة الباكرة كنت أعلم أن وطني يخوض صراعا متصلا من أجل حريته » .

ويروى الكاتب والمعلق الامريكي « روبرتسان جون » قصصا أخرى عن فترة الصبا في حياة عبد الناصر ،

فيقول : أتيح لجمال دور بارز في تنظيم المظاهرات أولا في مدرسته ، ثم في جميع المدارس الثانوية بمنطقته ، وحدث أن أمضى ثلاثة أيام بلياليها ،

في سجن عابدين ، لأنه ضبط وبعض عمال آخرين وهم يحاولون اقامة معسكر للشباب في الصحراء بالقرب من الاهرام دون اذن ... ومرة في

يوم أحد وبمجرد أن بدأ العام الدراسي القى وزير الخارجية البريطانية



شباب ثائر

خطابا في لندن كان الهدف منه تثبيط همم المصريين واضعاف آمالهم في أي تغيير فيما سموه بوضعهم الاستعماري ، وطوال يوم الاثنين كان تلاميذ المدارس الثانوية وطلاب الجامعات يتدفقون عبر شوارع القاهرة بعضهم يحمل لافتات وبعضهم يحمل أعلام المدارس ، وآخرون يسيرون ويصيحون معبرين عن مشاعرهم ، وكان جمال في وسط هذه المظاهرات ·

وفي يوم الاربعاء خطب جمال في زملائه التلاميذ بمجرد وصولهم الى مدرسة النهضة ، واقترح عليهم حمل علمهم والتنقل من مدرسة الى مدرسة ليحثوا تلاميذ المدارس الاخرى على الانضمام اليهم في مظاهراتهم ، وبينما كانوا يغادرون مدرستهم حاول ناظر مدرستهم الانجليزي منعهم ··· وبعد ان انضم اليهم تلاميذ من مدارس اخرى تدفقوا عبر المدينة هاتفين ، وعبروا « الكوبري الصغير » فوصلوا جزيرة الروضة ، ثم ولوا شطرهم نحو كوبري آخر يوصلهم الى ساحة الجامعة ، ولكن البوليس كان اكثر دهاء منهم · وعندما وصل جمال وزملاؤه فتح « الكوبري » لمرور المراكب ، وكشر البوليس عن انيابه وهو ينقض على فريسته ، فقفز بعض الطلبة في الماء وحاول البعض استئجار قوارب ليعبروا بها النهر ، وحاول آخرون — وكان جمال من بينهم — السيطرة على الجهاز الميكانيكي الذي يمكن بواسطته غلق « الكوبري » ،

وبدأ رجال البوليس يلوحون بهراواتهم، والطلبة يرمونهم بالحجارة ، ثم وصل مزيد من رجال البوليس المسلحين بالبنادق ووصل ضابط يدعى «تومس» نائب قائد قوات الامن البريطانية في عربة مكشوفة ، فرماه الطلبة بوابل من الحجارة فاصابوه بجراح بالغة ثم اطلق البوليس النار فاصيب طالب بطلقة في رأسه وتوفي لساعته ، واصيب آخر في معدته ونقل الى المستشفى حيث توفي فيما بعد ··· ·

وفي مرة اخرى وكان الاحتفال الوطني في بيت الامة — في شارع الفلكي — وصل جمال وكانت هناك جموع محتشدة في شارع الفلكي وخطب حماسية ، وانفعل جمال كما انفعل الآخرون وغادرت الجموع مكان الاجتماع وتدفقت عبر الشوارع في سلسلة من المظاهرات كان بوليس الملك وقوات الامن البريطانية على اهبة الاستعداد ولوحت بالهراوات ودوت الطلقات ورفع احد المتظاهرين منديلا ملوثا بالدماء وهو يطلق النار وكان لمنظر الدم ، كالمعتاد ، تأثير قوي على المتظاهرين المصريين ، فبدأوا بالقاء الحجارة على البوليس ·

وفجأة اصيب جمال في رأسه·· لم يكن متأكدا بعد ذلك ما اذا كانت هذه الاصابة نتيجة لرصاصة اطلقت من بندقية عسكري او نتيجة هراوة صوبت اليه تصويبا دقيقا ، ولكن جبهته اصيبت وبدا فيها جرح غائر تنزف الدماء منه وتسيل على عينيه وعلى انفه وعلى فمه ، وعلى ملابسه ، حتى انه لم يستطع ان يرى شيئا الا بصعوبة ··· لم يكن متأكدا ما اذا كان احد تولى حمله او سحبه او قيادته حتى مكتب صحيفة الجهاد الذي كان قريبا من المكان ، واقترح الذين شاهدوا الجرح ضرورة ذهابه الى المستشفى في الحال ، ولكن الشاب رفض وظل يردد « لا ·· لا ! »

كان متأكدا من انهم لو اخذوه الى المستشفى فسيلقى القبض عليه ، وطلب من الحاضرين مجرد غسل الجرح

وربطه وتركه يعود الى البيت في الحال قبل ان يلقي البوليس القبض عليه ٠٠٠ »

وكان الجرح من العمق بحيث ترك ندبا في جبهة جمال عبد الناصر . وكان طول الجرح ثلاث بوصـــات « تقريبا » وعلى يسار جبهته واسفل شعر الرأس مباشرة كان يتخذ شــكل الهلال . ونشرت جريدة « الجهـاد » ما حـــدث من اضطرابات . وذكرت ضمن المصابين في تلك الليلة وزير الحربية الذى أصيب في رأسه بطريقة ما مضربة من عصا عسكرى وجمال عبد الناصر الذى أصيب في جبهتـه وكانت هذه أول مرة ظهر فيها اسم الطالب جمال عبـد النـــاصر في صحيفة ٠٠٠ »

وطنية مبكره

وقد كانت خطابات عبد الناصر . الى زملائه واصدقائه تفيض وطنيـة وثورة . وتعبر بأصدق لغة عما تجيش به نفسه الشابة من سخط وغضب على ما يجرى في بلده ٠ كتب الى صديقه حسن النشار الطالب في مدرسة النهضة المصرية يقول في صراحة تامة وثقة بالغة :

اخي علي :

قال الله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ٠٠٠ » فأين هي تلك القوة التى نستعد لهم بها ؟ ٠٠٠ ان الموقف دقيق ومصر اليوم في موقف أدق . ونحن نكاد نودع الحيـــاة . ونصافح الموت فان بناء اليأس عظيم الاركان فأين من يهدم هذا البناء ؟ ٠٠٠ ان في مصر حكومة قائمة على الفساد والرشوة فأين من يغير هذه الحال ٠ ان الدستور معطل والحماية عــلى وشك الاعـــلان . فأين من يقـــول للاستعمار : قف عند حدك فان في مصر رجالا ذوى كرامة لا يريدون أن يموتوا كالانعام » ٠

• عبد الناصر في مرحلة شبابه المبكر

• مجموعة هامة من خطابات عبد الناصر الخاصة

التحق جمال عبد الناصر بالكلية الحربية ايمانا منه بدور الجيش في القضاء على الفساد ، وتحرير الوطن من الاحتلال .



شهاب ثائر



• كيف بدأ التفكير الثوري عند عبد الناصر

أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل نارا فى الصدور ؟... بل أين ذلك الذى يذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياض الوطن العزيز مضحيا بالحياة والعمر فى سبيل الإستقلال ؟ أين من يخلق خلقا جديدا حتى يصبح المصرى الخافت الصوت ، الضعيف الامل الذى يطرق برأسه ساكتا صابرا على حقه المهضوم... يقظا عالى الصوت عظيم الرجاء مرفوع الرأس ، يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الاستقلال والحرية ، أين من يقود المصرى الى مواقف الدفاع ومواطن الكفاح فيكون له صوت أعلى من صوت الرعد ، تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد ، فكل روح سكنت جسما جاء من أبوين مصريين لا ترضى بحالتنا الراهنة وتبذل نفسها قربانا للوطن العزيز والجامعة الوطنية المقدسة .

قال مصطفى كامل « لو نقل قلبي من اليسار الى اليمين لو تحرك الاهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل فلن اتغير عن المبدأ » .

جمال عبد الناصر ، الطالب بالكلية الحربية ، يحمل علم الوطن الذى كان على موعد معه فى المستقبل ليحقق له الامجاد والانتصارات ...

شاب ثائر



كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم ، فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الامة من غفوتها ويضرب على الاوتار الحساسة من القلوب ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل الى الآن .

وعلى ذلك فأنا منتظرك فى منزلى يوم ٤ سبتمبر ١٩٣٥ الساعة الرابعة مساء لكى نتباحث فى هذا الموضوع وأملى ان تحضر فى الموعد المحدد . –

جمال عبد الناصر .

الخرنفش : حارة خميس العدس رقم ٣

الى الجيش

ان أحدا لا يتصور أبدا أن كاتب تلك الرسالة شاب لم يتعد السابعة

عشرة من عمره ، ولم يكن قد أكمل بعد دراسته الثانوية ، لقد كان جمال عبد الناصر ، الشاب المصرى يحمل هموم أمته وشعبه من صغره ، ففى الوقت الذى كان زملاؤه يستمتعون بمباهج الحياة الدنيا ، يترددون على دور السينما أو المسرح ، ينتقلون من سهرة الى سهرة ، ومن ناد الى آخر ، كان الطالب جمال عبد الناصر دائم التفكير فى مصر ، وهموم مصر ، ومشاكل مصر ، وكان يعمل قدر الاستطاعة رغم كل العقبات المحيطة به لانقاذ مصر ، ولتخليصها — ان أمكن — من الاحتلال والفساد .

وعندما ترك المدرسة الثانوية والتحق بكلية الحقوق بالجامعة اتسع نشاطه .. وازداد ادراكه وتمت قدراته ، ولما لم يكن راغبا فى دراسة الحقوق فقد كانت أمنيته أن يلتحق بالكلية الحربية ، ايمانا منه بأن دور الجيش فى تخليص البلاد هو الدور الطبيعى لقدرة الجيش على التحرك ، لضرب الفساد ولازاحة كابوس الاحتلال ...

كان عبد الناصر يرى ان الثورات ، والهبات الوطنية التى قامت فى مصر منذ بداية القرن العشرين سواء تلك التى وقعت فى سنة ١٩١٠ ، أو تلك التى قامت فى ١٩١٩ أو تلك التى ظهرت فى ١٩٣٥ كانت لا تنجح بسبب عدم اشتراك الجيش فيها ، كان عبد الناصر منذ الصغر ، مؤمنا بدور الجيش فى تخليص البلاد .

وقد كان عبد الناصر على حق فى ايمانه بدور الجيش . فلقد فسدت الحياة السياسية فى تلك المرحلة فسادا لا أمل فى القضاء عليه ، وقد تعفنت الاحزاب وراحت تدور فى دائرة ضيقة هى دائرة الحكم ، والتكالب عليه ، وخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وفى الكلية الحربية كان جمال عبد



الناصر ، هو جمال عبد الناصر ، الشاب الثورى الذى لا يؤمن بالاصلاح بل يرى الثورة هى العلاج الحاسم ، بل هى العلاج الاوحد .

وبعد أن تخرج عبد الناصر ، من المدرسة الحربية وأصبح ضابطا من ضباط الجيش المصرى ، قوى أمله فى الثورة وأصبحت لديه امكانيات اكثر، واكبر فى التعرف على مجموعات من خيرة الشباب المصرى ، لم تلوثها الحزبية ، ولم تبعدها عن الاهداف الوطنية الكبرى ، أغراض ذاتية او مصالح وقتية .

من رسائل جمال الخاصة

كتب عبد الناصر من منقباد ـ أول عمل رسمى له بعد أن ترك مقاعد الدراسة ـ الى صديقه وزميله حسن النشار : استلمت أمس عملى فى منقباد ، وهى ظريفة جدا ذات جو شاعرى يتطلب الخياليين ، انها

تجمع بين الصحراء والجبال والمزارع والبرك ، والقنوات ، ففى الشمال المزارع ، وفى الجنوب سلسلة من الجبال ، تمتد من الجنوب الشرقى الى الجنوب الغربى وتطوقها الصحراء

بسواعد جبارة عاتية ... ويسرنى أن تعلم أن أخلاقى مازالت متينة فطبعا جمال الحاضر او الموجود فى منقباد هو بعينه جمال الذى تعرفه من زمن بعيد ، يبحث دائما عن أماله فى الخيال ، ولكنها تفر منه كالاشباح .

وفى رسالة اخرى ـ فبراير ١٩٣٩ ـ يقول جمال عبد الناصر « اننا نشتغل الآن تحت رياسة شوية (......) اكثرهم او جلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش كلهم مجردون من الاخلاق ربنا ما يوريه » ..

وعن هذه الفترة الهامة من حياة جمال عبد الناصر ، ورفاق عبد الناصر مل من حياة مصر ، كتب أنور السادات يقول وهو يحلل الاسباب التى ادت الى تلك الثورة :

لقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لأنها كانت فى كل مراحلها تفاعلا ، طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر ، وضمير شعب مصر ، متى نشأت الآن واين نشأت ؟ لنرجع الى الوراء ، الى عام ١٩٣٨ ولنذهب الى منقباد . فى هذه البيئة الخالصة حيث يشعر المصرى

بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه ، وفى الشتاء حين يقسو الجو وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الاصدقاء يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على عواء الرياح ، هناك حول نار فى معسكر المناورات بتبات الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة ، أصدقاء كلهم صغار السن ، صغار المناصب كبار الآمال والفرو الشباب ..

ضباط لم تزد رتبة أحدهم عن الملازم ثان نحترق طول النهار فى الجبل فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب وكانت فى القلوب نار ..

كانت أمالنا الكبيرة وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الاحداث

شباب
ثائر



فقد كنا ضباطا صغارا ، وكان لنا قواد ، وكان هناك أيضا انجليز وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا والانحناء أمام الانجليز ، وكنا نرى هذا الوضع الكريه فنحترق ونسخط

ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم ، وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى ، وفى تلك الارضاع الرهيبة الا أن يسكت ويكظم الغيظ ويدفن النار فى حشاه ·

كانت هذه أيامنا ولكن ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا ففى جو من الصراحة والالفة كنا نجلس لنمرح ونذيب فى هذا المرح شقاء اليوم الطويل شقاء الجسد وشقاء النفس وشقاء الغربة فى جبل بعيد ·

ولا ندرى لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع عامر النفس بالصفاء لم يكبرنا سنا ولا رتبة فقد كنا جميعا ابناء دفعة واحدة ولكنه كان الملتقى الذى جمع صداقتنا جميعا ·· كنا نمرح فنضحك عاليا ، ونسخر من كل شىء ولا ترحم ألسنتنا أحدا وأحيانا كنا نغنى ، وكان يصنع كل مانصنع ولكنه كان مع ذلك أيضا كان يفكر ، يفكر بقلبه ويفكر بوعيه ولا نكاد ننطلق فى المرح حتى نجد موضوعا هادئا يثيره بيننا جمال عبد الناصر ، وربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما ، وربما كان ذكريات عابرة ، تمر به من حياته فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيا يثير بيننا مناقشة طويلة هادئة ·

وكان جمال يطوى نفسه على كثير من الآلام الشخصية الام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير فأثرت وفاتها فى حياته تأثيرا كبيرا لعل من اظهر عناصره شدة الحياء التى طبعت حياته حتى اليوم ·

وكان الى حيائه وهدوئه يمثل الشخصية الكاملة ، لابناء الصعيد فهو يكيف الحياة بمثله الصعيدية الخاصة فتجده وديعا رقيقا مليء الصدر بالحنين اذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لا تحرك احدا من الناس ، ولكنه ينقلب اسدا هصورا فى اللحظة التى يشعر فيها بأن احدا فكر مجرد تفكير فى الاعتداء عليه ··

كان هذا الصديق بيننا ، صورة حلوة للاخاء ، والصداقة والاتزان والهدوء والكرامة فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا · فكان فى سكوته وهدوئه وطابعه الخاص معنى مجسم حى بكل المعانى والانفعالات الانسانية الانتصارية فى انسان قست عليه الحياة ، وهكذا وحول هذا الرجل الثامت مجموعة من الضباط الصغار ، الاصدقاء ، ولم يكن احد يدرى أنها ستكون نواة لمجموعة اكبر واكبر وان اجتماعها فى تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر ويتشتت من بعدها شمل الاصدقاء ·· وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير ·· »

انصار لفكرة الحياة

ويمضى أنور السادات فى تصوير تلك الحقبة الهامة من تاريخ مصر بأسلوب حلو رقيق ، فيذكر كيف بعثت الاقدار لهم بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل اليها حتى شعرنا بأن الذى وصل غاز من غزاة الترك ·· وبدأنا نيأس من خدمة الجيش وأعد بعضنا استقالته فعلا من هذا الجيش الذى يضم بين قواده مثل السلطان عبد الحميد « الأمر الناهى الذى لا يناقش » ·

ولكننا نرى صبر جمال فنعجب ونرى هدوءه وصموده لهذا الذل الطويل فتسكن نفوسنا فقد كان جمال

يعيش بأمل ، لم نحلم نحن به في تلك الفترة السحيقة من حياتنا في منقباد ، واشتدت الصلات بين كل منا وبين المجموعة الكاملة حتى اصبح كل منا يفكر بعقلية الكل ، واصبح من حق كل منا ان يتصرف باسم الجماعة ، واصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لان كل عمل يأتيه فرد منا ينسب للجماعة شاءت ام لم تشأ علمت بالامر ام لم تعلم ، اذكر اننا في خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب ، بدانا نفكر ذات ليلة وقال جمال : « انهم الانجليز اصل بلائنا » وكانت مفتاح تفكير طويل ، لم يلبث ان اصبح خطا عملية متتابعة ، كنا جميعا نعلم ان الانجليز هم اصل بلائنا كله ، وكنا جميعا نكره الانجليز ولكن هذه الكلمة قالها جمال وكانه كان يحدد لنا رسالة كبرى ، لا ينبغي ان يتخلى عنها أحد .

وشهدت تباب الشريف والنار الموقدة عليها عهدا مقدسا ، ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار ، لم يربطهم بعمل معين ، ولا بزمن معين ولكن ربطتهم فكرة الحياة . وبدانا نجمع حولنا انصارا لفكرة الحياة كل منا يختار عددا من الشباب الاخرين ويكون في مجموعه خلية صغيرة يلقي فيها هذه الفكرة ويرى مدى استعدادها للعمل يوم يأتي وقت العمل ، وبدانا نخطو الخطوة الاولى نحسب لها حسابا ونلقي الكلمة فنفكر قبل القائها مرتين بدانا ننزع من اعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والانتصار في الامل

لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا في فرح الشباب ..

لا يعرف الملق

ومن رسائل جمال عبد الناصر في تلك الفترة رسالة الى صديقه حسن وصفي النشار يقول فيها : يبدو أن الاخبار غير مطمئنة في مصر ، ولو ان الجرائد لا يظهر بها شيء الا ان الواحد يمكن يفهم من بين السطور ، قرأت أن مجلس النواب يتناول موضوع الطلبة المعتقلين ممن فتشت منازلهم ويظهر ان حمدى محجوب وسليم زكى عاملين همة ، اللهم ان يكون ظني في غير محله وارجو الا تكون قد اندفعت بغير عقل أو تصرفت بغير روية .

ورسالة اخرى من جمال عبد الناصر ، لصديقه القديم يقول فيها : كل عيبي في عملي اني دوغرى ، لا اعرف الملق ولا الكلمات المنمقة ، ولا التمسح بالاذيال .

ان شخصا هذه صفاته يحترم من الجميع وكان الرؤساء يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم ، يسوءهم ذلك الذى لا يتملقهم فهذه كبرياء الذين اعتادوا الذل في كنف الاستعمار يقولون : كما كنا يجب أن يكونوا .. كما رأينا يجب أن يروا : والويل كل الويل ، لذلك المتكبر ـ كما يقولون ـ الذى تأبى عليه نفسه السير على منوالهم ... ويحزنني أن أقول ان هذه السياسة قد نجحت نجاحا باهرا فهم يصهرون نفوس الشبان ولكنهم لم تضللهم الايام بعد ، ويحزنني أن هذا الجيل قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقا متملقا ، ويحزنني أن اقول اننا نسير الى الهاوية بالرياء والنفاق والملق ، بالدنايا التى تنتشر بين الصغار نتيجة لمعاملة الكبار ، اما أنا فقد صمدت ومازلت ولذلك تجدني

كانت رسائل جمال عبد الناصر الى زملائه واصدقائه ، في مطلع الشباب الباكر ، تفيض بحب الوطن وتتطلع الى ثورة التحرير والتطهير . . .

أخي علي

خالص تحياتي، وبعد فقد وصلني خطابك يوم ١٠ سبتمبر في التليفزيون وقد

سألته عليك فأخبرني أنك موجود في الجبهة.

لذلك عزمت على أن أكتب إليك ما كنت أعلم

فيه تليفونيا

قال تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" فأ

تلك الحكمة التي نستخلصها منها ... إنه بحرصنا

وتوجيه. ونعمل على تأمين أرضنا. ونحن نقترب نود

الحياة ونضالنا المستمر ما بناه الناس عظيم

فقد وصلت في برلين يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٥،

الساعة الرابعة مساء، لكن تنبأ صحتك

جمهورية وأملي ان تكون في الجهد المجهود

سعيد إلى أشقائك وبلدك العزيزة

سعيد

جمال عبد الناصر

الزعيم شمس حلاوة حسني البيطري

فى عداء مستمر مع هؤلاء الكبار ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

وعن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ عندما اعتـدى الانجليز على كرامة الشعب بتدخلهم فى أخص شئونه ، قال عبد الناصر لصاحبه : اشعر بخزى وعار شديدين لان جيشنا سكت على هـذا الاعتداء وارتضـاه ، ولكنى مسرور على كل حال لان ضباطنا كانوا مـن قبل يشغلون أوقات فراغهم بالحديث عن المتع والمسرات ولكنهم الان بدأوا يتحدثون عن الانتقام والثأر ٠٠

ويقول فى خطاب آخر :

« اما الجيش ، فقد كان لهـذا الحـادث تأثير جدى عـلى الروح والاحساس فيه ، فبعد ان كنت ترى الضباط لا يتحدثون الا عن الفسـاد واللهو ، اصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سـبيل الكرامة واصبحت تراهم وكلهم ندم ، لانهم لم يتدخلوا مع ضعفهم الظاهر ، ويردوا للبـلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء ولكن ان غدا لناظره قريب »

ثم ينهى عبد الناصر رسالته بقوله : عموما فان هذه الحركة او هـذه الطعنة ردت الروح الى بعض الاجساد ، وعرفتهم ان هنـاك كرامة يجب ان يستعدوا للدفاع عنها ، وكان هـذا درسا ولكنه كان درسا قاسيا » ٠

ايمان قوى بالشباب

ومن الوصف الممتع ، الذى سجل

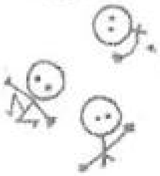

شباب ثائر

فيه الشاب أنور السادات تلك الفتـرة الحاسمة من تاريخ مصر ، ومن تلك الرسائل الصادقة ، التى عبر فيهـا الشاب جمال عبد الناصر عن مشاعره فى تلك الايام الحزينة التى مرت بها مصر ، ومن دراستنا لاحوال مصـر السياسية فى الفترة من ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ يتجلى لنا كيف كانت مصر تحكم بالحديد والنار وكيف كانت السياسة البريطانية الاستعمارية هى التى تسير كل أمور البلاد صغيرها ، وكبيرها ، وكيف كانت الاحزاب السياسية تسىء الى شباب مصر ، بتكالبها على الحكم وتصارعها عليه ، لقد كان عبد الناصر ، منذ بداية شبابه مؤمنا بشباب مصر ، وقد ظل ايمانه بهذا الشباب قويا لا يتزعزع ، حتى فى احلك الظروف التى مرت بالبـلاد وفى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ رفض عبد النـاصر أن يضع الشباب تحت الوصاية ٠

ولعل خير دليل على ايمان الشـاب عبد الناصر بالشباب المصرى قوله فى عيد العلم الثامن (١٥ر١٢ر٦٢) : ليس يداخل يقينى اى شك فى ان هذا الشعب باصالته قادر على أن يصوغ الاجيال القادمة من ابنـائه وفقـا للتغييرات مطالبه على مراحل الامـل مرحلة بعد مرحلة ، ومن هنا فان ايمانى لا يتزعزع بان كل جيل جـديد فى شعبنا اقدر من الجيل الذى سبقه على الوفاء بمسئولية عصره ، وانى لارفض رفضا مطلقا ذلك القول الذى يتردد فى بعض الاحيان اعزازا للماضى واسترجاعا لذكرياته يقول ان الاجيال التى مضت لن تعود ، وان ما فات لن يعود ، وان الاجيال السابقة خير من الاجيال اللاحقة ، لقد كان جيلنا هـو جيل تحدى اليأس والتغلب عليه والجيل الجديد هو جيل الامل والوصول اليه » يرحم الله عبد الناصر ، فلقـد كان — حتى بعد أن تجـاوز الخمسين — يفكر بعقلية الشـباب ، ويؤمن ايمانا لا حـد له بالشـباب ٠٠٠

الهلال



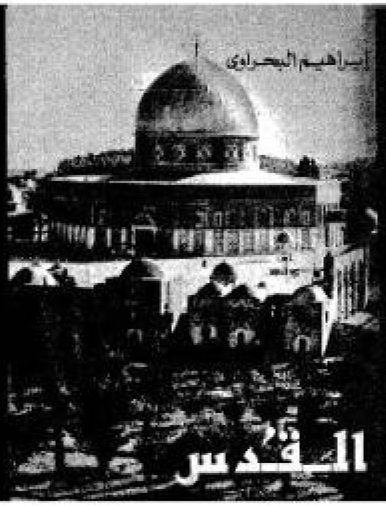




الهلال

العدد القادم

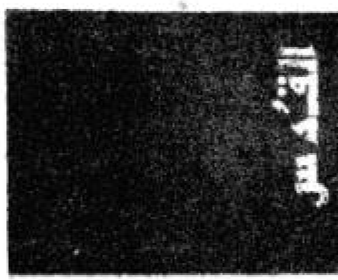
عالم الروح



بين الأدب العبري القديم

تحتل القدس مكانة خاصة فى التفكير اليهودى .. تنعكس آثارها فى الابداع الأدبى العبرى على امتداده ابتداء بالعهد القديم وحتى الانتاج الأدبى المعاصر . وعلى مر العصور ، حيكت حول القدس الأساطير الخاخامية ، وفيها نسجت أشعار التمجيد والحنين ، وعنها كتبت الأقاصيص والروايات لتؤكد مرورتها للحياة اليهودية الدينية القومية . فما هى طبيعة العلاقة بين الاسرائيليين والقدس . كيف بدأت الصلة الروحية وكيف نمت وتطورت لتصبح صلة مادية يصر عليهما الاسرائيليون ويرفضون معها أن يكون لغيرهم من المسيحيين والمسلمين أية حقوق فى مدينة الرسالات السماوية ؟ . وكيف تحولت العلاقة الدينية من اليهودية النقية فى منابعها الأولى الى ونسيجه هوسية تأبى الا أن تظل القدس من أى أثر ظلت غير اسرائيلي ؟ أية تغيرات اعتورت جوهر اليهودية الأول فحادت بها عن أن تكون كما أراد لها مشرعها موسى أن تكون أساسا للهداية والنورانية ، وكما أراد لها الرب بعد ذلك أن تكون أساسا لعهد جديد من السلام والمحبة يوثقه مع بنى اسرائيل وشعوب الأرض جميعها على يدى يسوع المسيح . وكيف انعكست آثار هذه التغيرات على الوجدان الاسرائيلى لتحيل صلته بالأرض المقدسة وبمدينة القدس على وجه خاص ، الى صلة مرضية عصابية تصمم على تحويل هذه الأرض وهذه المدينة الى صليب عرض أصلب عليه شعبا كاملا من المسيحيين والمسلمين بكل ما يحمل من مقدسات سامية .

والأدب الصهيوني المعاصر



الحقيقة انني شعرت ببعض التردد تجاه تحرير هذه المقالة لعلمي ان معظم ما سأجده من مواد في الادب العبري تتعلق بالقدس سينطوي على شخصية عاطفية مستمرة ومتصاعدة تعبر عن ارتباط اسرائيل ارتباطا عضويا بمدينة القدس ٠

كان مبعث ترددي هو الخشية من الاثر الذي قد يترسب في نفس القارىء العربي عندما يواجه هذا الاصرار الاسرائيلي القديم على الارتباط بالقدس .. غير انني قررت ان اكتب المقالة وان اشرك القارىء معي في التفكير الى نهاية المطاف ٠

انني اعتقد ان القارىء العربي اذا ما تفهم الاصول الفكرية التي دعت ادباء العبرية الى اخراج الكم الهائل من ادب الحنين والارتباط بالقدس ، اذا تفهم القارىء هذه الاصول فلن يكون لهذا الادب تأثير سلبي على موقفه هذا . الا ان ما سيراه القارىء العربي من تصميم الادباء العبريين على شحن النفس الاسرائيلية بشحنة الارتباط العاطفي والمادي بالقدس ، لابد أن يثير رد فعل مشابه في نفوسنا نحن ٠ ذلك انه اذا كان الطرف الاسرائيلي مصمما اليوم على الاحتفاظ بالقدس مدينة نورانية لتكون عاصمة لامبراطورية تمتد من النيل الى الفرات ، واذا كان عزمه واضحا ومتجها في نفس الوقت الى ازالة جميع المقدسات غير اليهودية من القدس فلابد أن يكون رد الفعل لدى النفس العربية مسيحية ومسلمة ، اشد تصميما واقوى عزما على استرداد القدس لتظل مدينة للهداية والسلام ٠

هكذا كان تفكيري وانا اقرر تقديم هذا المقال الى القارىء العربي الذي شاهد بنفسه اجماع الاحزاب الاسرائيلية من اقصى اليمين الى اقصى اليسار في انتخابات الكنيست السابقة التي جرت أخيرا على عدم رد القدس الى العرب تحت اية احتمالات ٠

واخيرا فيما يتصل بهذا الخاطر فقد اتجه بي الفكر الى أن ما نراه من حماس واصرار لدى الادباء العبريين لفكرتهم القومية ومستلزماتها — وان قامت على ضلال — قد يثير لدى ادبائنا بعض الحمية والانفعال ليصدروا بكتابات صادقة أصيلة عن قيم الارتباط بالوطن ومقدساته وهو امر يعز وجوده في آدابنا المعاصرة ٠

الدوال العبرية المستعملة للاشارة الى القدس

هناك مجموعة من الدوال اللغوية تستعمل في الكتابات والاداب العبرية للدلالة على القدس ٠ نرى من الضروري تصدير المقال بها حتى نفهم دلالتها اذا ما وردت في النماذج الادبية

التى ستنقلها فيما بعد عن العبرية ٠ ومن اكثر هذه الدوال شيوعا ما يلى :

أ ـ يروشاليم ٠٠ وتنقل الى العربية اورشليم

ويختلف العلماء فى تفسيراشتقاقها ومعناها فى العبرية ، فيذهب البعض الى أن معناها أرث السلام ، ويتجه البعض الآخر الى أن معناها بيت السلام أو شعب السلام ٠

ب ـ شاليم ٠٠ وتنقل الى العربية ساليم ومعناها ٠ سلمى أو سالم وتستعمل غالبا فى الشعر ٠

ج ـ القرية الامينة

د ـ المدينة الجائرة

هـ ـ المدينة المقدسة

و ـ مدينة داود

ز ـ صيون ٠٠ وتنقل الى العربية « صهيون » وهى اكثر الدوال شيوعا وقد اتسع مدلولها فأصبحت تدل على فلسطين كلها الى جانب دلالتها على القدس بنحو خاص ٠

القدس مدينة فرعونية مقدسة

ترجع أولى الاشارات التاريخية الى مدينة القدس الى عام ١٤٥٠ ق٠م أى قبل دخول بنى اسرائيل الى فلسطين بحوالى قرنين من الزمن ٠ وترد هذه الاشارة التاريخية فى رسائل الامبراطورية الفرعونية المتبادلة بين ملوكها وبين ولاتهم فى البلدان المفتوحة ، وهى الرسائل المعروفة برسائل تل العمارنة ، ففى سبع من هذه الرسائل يرد اسم أبو خيبا الذى كان يحكم القدس المسماة فى الرسائل ـ أرر ـ اورسالم ـ كممثل لفرعون مصر ٠

وفى هذه الرسائل ترد أيضا أول الاشارات الى تاريخ مدينة القدس ٠٠ ذلك انه يفهم منها أن ملك مصر فى ذلك الوقت الفرعون امنحتب الرابع قد أنشأ بها معبدا للمعبود المصرى آتون كان يرتاده للعبادة جنود الحامية المصرية الذين كانوا يقيمون بالمدينة ٠

الغزو الاسرائيلى للقدس

يحدثنا سفر يشوع أحد الاسفار التاريخية بالعهد القديم عن اول صلة لبنى اسرائيل بمدينة القدس ، وكان ذلك حوالى القرن الثانى عشر ق٠م فعندما بدأ بنو اسرائيل غزو أرض كنعان تحت قيادة يشوع بن نون بعد وفاة موسى ، كانت القدس عبارة عن قلعة لليبوسيين تحمل اسم صهيون ، وبعد موت يشوع بفترة قصيرة قام بنو اسرائيل بأول حملاتهم على القدس فذبحوا ملكها اليبوسى وأشعلوا فيها النيران ، ومع ذلك فان الوثائق العبرية نفسها تفيد أن المدينة ظلت لسنين بعد ذلك فى قبضة اليبوسيين « سفر القضاة ٠٠ الاصحاح الاول ٠٠ آية ٢١ » الى أن سقطت بعد ذلك بصورة نهائية فى يد الملك الاسرائيلى داود فى القرن العاشر ق٠م فتغير اسمها من صهيون الى « مدينة داود » ٠

العقاب الالهى والقدس

تذكر الكتابات اليهودية المقدسة خاصة سفر الملوك الاول أن رب موسى ، أنزل عقابه بالملكة



الاسرائيلية فى صورة التصدع الـــذى اصابها بعد موت سليمان فى عام ٩٣٢ ق·م· ففى ذلك العام انقسمت المملكة قسمين . قسم شمالى وسمى اسرائيـل وقسم جنوبى وسمى يهـــودا وكانت القدس عاصمة له ·

ومنـــذ ذلك الوقت راحت القـــدس تتردى فى قبضات الغزاة الفـاتحين ، ففى عام ٩٢٨ ق·م استولى عليهـــا فرعون مصر شيشنول وبعد ذلك بقليل غزتها جماعات من العرب ثم سقطتبعد ذلـــك فى أيدى الملوك الاسرائيليين الشماليين · وابتـــداء من عام ٧٧٩ سادتها فترة من استقرار الحكم فى ظل الملوك الاسرائيليين الجنوبيين ·

وعلى الرغم من العقاب الذى انزله الرب بالمملكة نتيجـــة لانحرافها عن الشريعة الموسوية ، فقـد ظل الشعب الاسرائيلى مقيما على وثنيته مغرقا فى الانحلال الدينى والاجتماعى ·

القدس وادب النبوة

وتقول المصادر اليهودية المقدسة انه نتيجة لهذه الحال . أرسل الرب انبياءه الى بنى اسرائيـــل فى المملكتين ، يدعونهم الى التوبة والعودة الى الطريق القويم · وتفسر هـــذه المصادر سبى المملكة الشمالية علىيد الاشوريين عام ٧٢٢ ق·م على انه عقاب من رب موسى نزل بالشعب لعدم تجـاوبه مع دعوة الانبياء له بالتوبة ·

ومع ذلك بقيت الحال فى الجنوب على ما هى عليه ، فبدات صيحات الوعيد النبوية تتردد ، تصور القدس وساكنيها من الاسرائيليين فى صورة مقيتـــة كريهة وتتهددهم بشديد العقاب ان لم يعدلوا عن سلوكهم ·

ومن الادب النبوى فى هذه الفترة يمكننا ان نختار النماذج التـالية التى تعبر عن نظرة الانبياء الاسرائيليين الى القدس وشعبها الاسرائيلى ·

(سفر النبى اشعيا ·· الاصحاح الاول)

« اية ٢١ ، كيف حالت القرية المؤمنة الى زانية ·· من قبل كانت مهـــدا للعدالة والهدى فاضحت وكرا للقتلة السفاكين ·

« اية ٢٢ ، فضتك اصبحت صـــدا وخمرك بالمـــاء غشت · « اية ٢٣ ، تحـــول امراؤك الى مارقين وقرناء للصوص السارقين ·· كلهم بالرشوة مغرمون وسعيا الى العطايا يسعون ، فى حق اليتيم لا يحـــكمون وبشكاية الارامل لا يعبأون · »

(سفر النبى اشعيا ·· الاصحاح الثالث)

« اية ١ ، ليقطعن يهوه المولى رب الجنود عن يهوذا وعن اورشليم كـــل سند وكل مدد من خبز وماء ·

« آية ٨ » .. زلت اورشـــليم .. سقطت يهـوذا .. اقوالهما واعـمالهما ضد ربهما .. خطاياهم فى الجهـر يعلنون كما كان يفعل ال سدوم .

(سفر النبى أرميا .. الاصحاح الخامس)

« آية ١ » طــوفوا فى شـوارع اورشليم .. انظـــروا فى ساحاتها وابحثوا فان وجدتم انسانا على العدل مقيما .. لاغفرن لها ولاصفحن عنها .

« آية ٢ » يقولون حى الهنـــا وهم فى قسمهم به يحنثون .

« آية ٣ » رب أليس حقا ما تفعله . انزلت بهم العذاب فلم يرجعوا الفيتهم فازدادوا ضلالا وابوا انابة اليــــه وعدولا عن غيهم .

(سفر النبى صفنيا .. الاصحاح الثالث)

« آية ١ » ويل للمتمردة الدنســـة المدينة الجائرة .

« آية ٢ » لم تستجب للنداء . لم تتكل على الرب . لم تتقرب الى الهها .

« آية ٣ » رؤساؤها فىوسطها اسود زائرة . قضاتها ذئاب ليل لاتبقى شيئا الى الصباح .

« آية ٤ » كهنتهـــا نجوا المعبـد وخالفوا الشريعة .

القدس والسبي وادب الحنين

هذه هى الصورة التى تظهر عليهـا القدس فى أدب النبوة العبرية ، صورة المدينة العاصية الجائرة المهددةبالعقاب العاصف . والى جانب هذه النغمـــة الوعيدية فى أدب النبوة كان الانبياء فى نفس الوقت يمنون القدس وأهلهـا بالخلاص من عقاب السبى الـذى قرر الرب انزاله بهم وذلكاذا ما ثابوا الى رشدهم .

كان الخلاص من هذا العقابمشروطا بالتـوبة والانابة والتمسك بالعهـد الالهى النورانى .

وفى بابل وعـــلى ضـفاف دجلة والفرات بدأت نغمة التوبة والحنين الى القـدس تتردد على الســـنة الاسرى الاسرائيليين الذين حملهم نبوخذ نصر البابلى سبايا عام ٥٨٦ ق.م.

ومن الادب العبرى المعبر عن الحنين الى القدس يمكننا أن نعرض النموذج التالى :

المزمور ١٣٧

على ضفاف انهار بابل
جلسنا
هنـاك . .
انتحبنا كلما طاف بقلبنا صهيون .
على الصفصاف
علقنا اعوادنا
عندما طلب أسرونا منا
ان نغنى لهم
وقال معذبونا فى جذل
رنموا لنا من ترانيم صهيون
كيف نرنم ترنيمة الرب
فى ارض غريبة
لتنسنى يمينى
ان نسيتك يا شاليم

ليلتصق بحنكي
لساني ·
ان لم تفضلي عندي ابهى افراحي
ان لم اذكرك في كل حين ·

الانحراف الديني واثره على الفكر اليهودي

يتجه رجال اللاهوت المسيحي الى فهم مرحلة السبي البابلي على اساس ما قرره الانبياء الاسرائيليون انفسهم ، من ان السبي يمثل عقابا لشعب اسرائيل تهيئة له لاستقبال مملكة الخلاص ، فمملكة السلام والمحبة ·· ومن خلال هذا التفكير الذي ينظر الى العهد القديم على انه توطئة لبزوغ العهد الجديد ، فلقد كان المفروض ان يعود بنو اسرائيل من بابل الى فلسطين يعدون انفسهم بالتوبة والممارسة الروحية لاستقبال المخلص الذي وعدهم به انبياؤهم ·

وقبل ان نلحق بمتابعة الانحراف الاسرائيلي عن هذا الخط الالهي وما نتج عنه من تصور خاص للقدس يحسن ان نعرض ما يذهب اليه رجال اللاهوت المسيحي من تصور للمملكة الالهية · وهم يركزون تصورهم من خلال الكتابات الاسرائيلية المقدسة في النقاط التالية :

اولا : ان الرب قد اصطفى بني اسرائيل ليكونوا له شعبا ويشكلوا مملكته على اساس الميثاق الذي عقده مع ابراهيم بان يكون الها له ولذريته من بعده وان يمنحه وذريته ارض كنعان لتكون مقرا لمملكة الرب الدينية· ولم يكن هدف الرب من هذا الاصطفاء تمييز شعب اسرائيل ، بل كان اختيارا قصد به ان يكون هذا الشعب امة من الاتقياء تمثل مملكة دينية يحكمها الرب بشرائعه وليكون نورا وهداية لشعوب الارض الوثنية ·

ثانيا : ان بني اسرائيل لم يحفظوا العهد بل نقضوه وتكرر عصيانهم وتمردهم · وبدلا من ان يكونوا هداة للايمان تحولوا هم انفسهم الى الوثنية والتخلي عن شرائع الرب · ولهذا انذرهم الرب مرارا على لسان انبيائه وتوعدهم بأنه سيشتتهم في الارض ولكنه مع ذلك وعدهم بانهم اذا تابوا الى رشدهم واانابوا فانه سيخلصهم من عذابهم ويقيم معهم عهدا جديدا على يد مخلص سماوي يبعثه اليهم ·

ثالثا : ان عقوبة السبي البابلي التي

انزلها الرب بهم ، كانت تعنى انتهاء وجود مملكته فى شكلها القديم الى الابد وبداية مرحلة جديدة فى علاقته ببنى اسرائيل وسائر شعوب الارض ، ذلك أن الرب قد قصد من وراء السبى البابلى ـ كما تنص على ذلك الكتابات النبوية الاسرائيلية ـ الى عقاب الشعب من ناحية والى غربلته وتنقية جوهره من ناحية اخرى اعدادا له وتهيئة لاستقبال مملكة الخلاص العالمية الجديدة على يد يسوع المسيح .

هذه هى الخطة الدينية التى رسمتها الكتابات الدينية الاسرائيلية فى نطاق العهد القديم لتطور حياة بنى اسرائيل

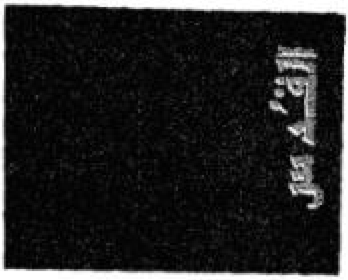
غير أنه عندما ظهر المسيح يحمل النور والسلام لقيه الكهنة اليهود بالعداء ، حرصا على مكانتهم وسيطرتهم على الشعب الاسرائيلى . وانتهى بهم الامر الى قتله مصلوبا ، تخلصا منه ومما تعنيه دعوته الى الخلاص الروحى من فقدانهم السيطرة المادية على بنى اسرائيل .

وبعد صلب المسيح بوقت قليل ، حاقت بهم اللعنة السماوية فشتتوا بصورة نهائية على يد الرومان . ومن يومها راحوا يكونون لانفسهم تراثا خاصا يتوقعون من خلاله مسيحا خاصا بهم لا يحمل رسالة هدى بل رسالة فتح وغزو وسيطرة تضعهم على راس العالم البشرى وتجعل القدس عاصمة لعالمهم الخاص الذى تحدد معالمه وترسم خطة الوصول اليه الكتابات التلمودية .

القدس بؤرة التجمع الخاص

وخلال فترة الانتظار الطويل لمجىء المسيح المخلص ، راحت قرائح المفكرين والادباء الاسرائيليين ، تخرج مددا لا ينقطع من أدب الحنين الى القدس ، تغذى به الوجدان اليهودى كيلا ييأس بفعل الزمن من مجىء المخلص . خلال فترة الادب الربانى وهو الادب الدينى الذى يبدأ بالتلمود وينتهى فى العصور الوسطى ، نلتقى بسيل لا ينقطع من الاساطير والاشعار الدينية التى تركز على أهمية القدس بالنسبة لامل الخلاص وضرورتها الحيوية للحياة المستقبلة .

والى جانب تيار الادب الدينى هذا نشهد تيارا جانبيا لدى الفلاسفة والشعراء من غير رجال الدين فى تلك الفترة ، نحو بث احساس الحنين الى القدس بين اليهود الذين انصرفوا عن الفكر الدينى الخاص . ونورد على سبيل المثال الفيلسوف الشاعر « ابو الحسن يهودا اللاوى » الذى عاش فى اسبانيا خلال العهد العربى والذى يعتبره دعاة الصهيونية اليوم ، ابا روحيا لدعوتهم بسبب الدور الكبير الذى لعبه باشعاره فى ربط اليهود بالقدس والفكر الخاص ، ومن أهم قصائده فى هذا الاتجاه قصيدة « الا تسالى » وهو يصور فيها الحياة



اليهودية بلا معنى وبلا هدف طالما انها لا ترتكز على القدس .

ويستمر هذا الاتجاه طيلة العصور الوسطى الى ان يأخذ شكلا دنيويا كاملا فى الادب العبرى الحديث الذى بدأت موجته فى مطلع القرن الثامن عشر . منذ ذلك الوقت نلتقى بفيض من أدب الحنين الى القدس والى صهيون بوجه عام يهدف الى تحريك اليهود نحو الهجرة الى هناك بدلا من انتظار المسيح السماوى . وممن يمثلون هذا الاتجاه من الشعراء « ابراهم لوصاتو » و « حاييم نحمان بياليق » و « فرنحوفسكى » ومن الروائيين « ابراهام مابووص » ومن كتاب القصة القصيرة « بيرتس » و « متتلى موخير سفاريم » ويستمر هذا الاتجاه مرورا بفترة التنوير اليهودى المعروفة بفترة (الهسكالاة) وفترة الاحياء القومى التى تلت فترة الهسكالاة والتى تمخضت عنها الحركة الصهيونية ، الى ان يتم تكوين الدولة والاستيلاء على قسم من المدينة المقدسة .

وهنا تظهر نغمة جديدة فى الادب العبرى . نغمة الحنين الى القدس الكاملة ، وبعد ان يتم الاستيلاء على القسم الثانى من المدينة ، تظهر نغمة القدس الذهبية وتصبح قصيدة « القدس الذهبية » لاحد الشعراء المعاصرين ، اغنية يتغنى بها الكبار والصغار ، أغنية تتحدث عن بهاء القدس الكاملة تحت الراية الاسرائيلية تدعو اليهود فى جميع بقاع الارض الى الاحتماء بها ليسهموا فى احياء الامجاد الاسرائيلية انطلاقا من القدس

وتتأكد النغمة وتتكثف منادية بالكشف عن جذور الهيكل السليمانى واعادة تشييده وتحرير القدس من الآثار غير اليهودية .

***

وبعد ، فليست هذه هى النغمة الوحيدة فى الادب الصهيونى حول القدس . فهناك لحن بدا يعلو الى جانبها . لحن تمثله هذه الفقرة الشعرية للشاعر « ارنولد سلرنسكى » اضعها ختاما لهذه المقالة بلا تعليق .

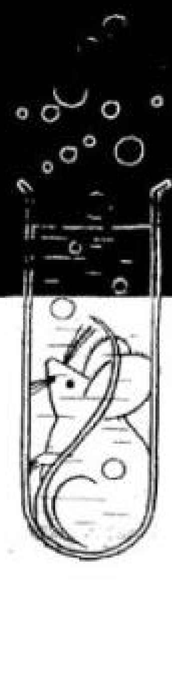
« من اين فى اورشليم
يندلع اللهب وتتأجج النيران ؟
انها قنبلة يدوية قنبلة عربية
تنفجر فتصيبنى
الدخان دخانها
يتراجع ثم يتجمع
ليغلف السهول والوديان »

د.عبدالمحسن صالح

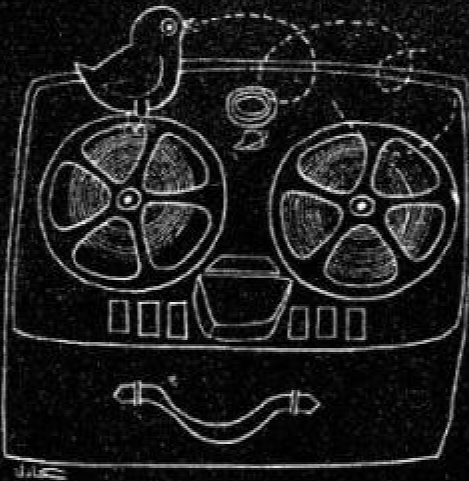
الخلية الحية

عَرفت معنى الحنين والاتحاد

قَبل أن تعرفه شعوبنا



الى المتشككين والمنشقين عن الوحدة .. الى دعاة التفرقة نسوق هذا المقال .. فلعلهم بسلوك خلية يؤمنون !



هذه الدراسة خاصة بسلوك خلية حية داخل او خارج جسم اى مخلوق حى يعيش على هذا الكوكب .. ومنها سنعلم كيف تحدث التفرقة والتفكك ، ثم كيف تسعى خلية الى خلية اخرى من نفس نوعها لتتعرف عليها ، وتتآلف معها، وترتبط بها ، ومن هذا الترابط الخلوى ينشا نسيج حى ، وكانما الطبيعة تقدم لنا درسا عظيما ما احرانا ان نتامل احكامه ونتمعن فى اسراره، لنتعلم ان كل شيء فى الكون قد قام على اساس من الحنين والترابط لتكون الحياة قوية دافقة كالطوفان .

الجسم الحي كيان عظيم .. وبناء فريد ووحدة الجسم خلية .. كما انه نشأ من خلية .. أخذت تنقسم وتتكاثر وتتشكل في انسجة واعضاء .. ليكون الانسان والنبات والحيوان ..

واجسامنا بمثابة امبراطوريات هائلة .. كل امبراطورية منها تتكون من حوالي ٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ خلية (اى ٦٠ مليون مليون) .. كل خلية تعرف ما لها وما عليها ، وتؤدى للكيان الذى تعيش فيه وظيفة محددة ، ما اعظم اسرارها المطوية ، وما ادق عملياتها الكيميائية والحيوية التى تاهت فيها العقول .. أعظم العقول

كأنما الخلية فى الجسم قد جاءت لتكون بمثابة الفرد فى المجتمع .. انها تتغذى وتشرب وتتنفس وتتخلص من نفاياتها .. ولها عمر وأجل .. كما للافراد عمر وأجل ..

ولكل خلية « سور » أو جدار أو غشاء يحدد شكلها ، ويحافظ على محتوياتها الثمينة من التشتت والضياع .. وهو - أى السور - يتحكم فيما يدخل الى الخلية ، وما يخرج منها ، وكل شيء يجرى بحساب ومقدار .. حتى لكأنما سور الخلية قد أصبح بمثابة حدود دولة عليها حرس شديد ليحمى الكيان .. ثم هو قد ملك الوسيلة ليتآلف ويترابط مع ما حوله من أسوار أخرى .

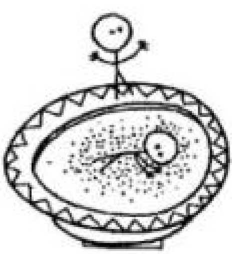
وغشاء الخلية رقيق غاية الرقة .. اذ لا يزيد سمكه عن ثمانية أجزاء من مليون جزء من المليمتر !.. ولكن لا يجب أن تخدعنا هذه الرقة المتناهية ، لأن ما به من التصميمات العجيبة قد يفوق كل تصوراتنا وخيالنا ، وكأنما فيه سجلات مكتوبة بلغة سرية كيميائية لم نتوصل الى كل تفاصيلها بعد ، ولكن من سلوك الخلايا فى مجتمعاتها قد عرفنا بعض اسرارها .. ظاهرا لا باطنا !

يقولون « ان الدم العربي يحن الى الدم العربي » .. وهو حنين طبيعي مرده الى تآلف فى اللغة والطباع والعادات والمعتقدات والتقاليد ، ومن هنا نبعت فكرة اصيلة الى ترابط واتحاد بين الدول العربية ، لتكون جسدا وكيانا صلبا قويا منيعا .

واظنكم الان تتساءلون : ما دخل هذا فى موضوعنا الذى نتحدث فيه عن اجسام حية ، وما حوت من خلايا ، ثم ما يحيط بالخلايا من أسرار لها أسرار ؟!

لان الاساس واحد .. جاء من خالق واحد ، تربطه فكرة واحدة ، ليكون كل ما فى الكون الكبير والصغير متآلفا بروابط مختلفة طبيعية التكوين .

فلملايين البلايين من الاجرام السماوية الدوارة فى افلاكها روابطها التى تؤلف بينها ، وتخلق منها نظما لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وليسرى كل شيء فيها



بميزان .. وما روابطنا هنا الا قوى رهيبة تظهر لنا على هيئة حركة وجاذبية ، ليبقى الكيان .. كيان السماوات .

وعلى النقيض من هذه الضخامة في الاجرام السماوية ، تأتي الضآلة في التكوينات الذرية ، وكأنما الذرة على دقتها المتناهية بمثابة سماء أخرى صغيرة ، أوحى الله فيها نظمها وقوانينها ، ليتآلف كل شيء فيها بمقدار ، وتترابط مكوناتها بحساب ، وتسبح جسيماتها في أفلاكها بشحنات سالبة وموجبة ، فيكون أدق بنيان ، وأكمل كيان .

وما بين ضخامة السماوات ، وضآلة الذرات تأتي نظم أخرى كثيرة لتربط الذرات في جزيئات .. الجزيئات في مادة .. المادة حية أو ميتة .. ومادة الحياة تتكدس بملايين الملايين من الجزيئات في خلية ، ومن ترابط الخلايا تنشأ أنسجة ، ومن الانسجة تتكون الاعضاء في الانسان والحيوان .. ثم يتآلف الانسان في جماعات وشعوب ، والطير في أسراب ، والحيوان في قطعان .. كما تتآلف فيها الخلايا في أنسجة وأعضاء .. وما بين ذلك تكون أمور لا نكاد نحصيها عدا ..

الموضوع بطبيعة الحال متشعب وطويل ، ولكن فيما قدمنا الكفاية ، ليتبين لنا أن التآلف صفة بارزة من صفات السماوات والارض والحياة .. ولهذا فان الحنين والترابط بين شعوب عاداتها واحدة ، ولغتها واحدة ، ومعتقداتها واحدة .. ليست بدعة ولا شذوذا عن الامور الطبيعية التي أرسى الخالق قواعدها في كل المخلوقات .. بما في ذلك الارض والسماوات ..

لنترك اذن هذا الموضوع الكبير لنعود الى الخلية الحية .. فهي بدورها نظام قائم ، أو أنها بمثابة سماء دقيقة تضاهي السماوات العلا بأسرارها وألغازها .. صحيح أن السماوات مكتظة بملايين البلايين من النجوم ، وكذلك تكتظ الخلية بملايين البلايين من الذرات والجزيئات .. ولكل أرسيت له أموره ، لتسير النظم في الحياة وفي السماء وفق قوانين خاصة لا يعرف جوهرها الا كل دارس لهذا الملكوت أو ذاك .

***

ان الخلية تحن الى خلية أخرى من نفس نوعها ، كما يحن المخلوق الى نوعه .. ولكن النوع يعرف نوعه الذي ينتمي اليه بالعين أو السمع أو اللغة والعادات والطباع التي تدعو الى هذا التجمع والتآلف .

والى هنا يبرز سؤال وسؤال : كيف تتعرف الخلايا المتشابهة على بعضها رغم أنها لا تمتلك عيونا تبصر بها ، ولا آذانا تسمع بها ، ولا لغة تتخاطب بها ، ولا أحاسيس خاصة كالتي نعرفها ؟ .

ثم أين هي الحاسة أو الحواس التي تهييء لها سبل التقارب في عالمها الذي يطويه الصمت والالغاز والظلام؟ وما الذي يدعوها الى السعي لكي تتجمع في بناء واحد ؟

وما هي كلمة السر التي تستخدمها في التعرف على نوعها ؟

وما الذي يدعونا الى هذا الافتراض الغريب ونحن نعرف أن خلايا أجسامنا متماسكة مترابطة ، ولا نعرف في حياتها هجرة ولا تمردا ولا تفككا

ولكي نجيب عن هذه الاسئلة

الكبيرة ، دعنا نتعرض للقصة من اولها :

لنبدأ باول تجربة اجريت فى هذا الميدان على الاسفنج ، ثم تطورت التجارب بعد ذلك لتتناول خلايا الحيوان والانسان عندما تتفكك من روابطها وتتشتت .

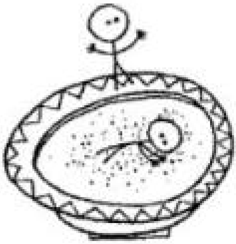
ان الاسفنج حيوان بدائى يتكون من ثلاثة انواع من الخلايا تنتظم فى بناء خاص على هيئة مستعمرة خلوية تضم ملايين الخلايا .. والاسفنج الذى نستخدمه ليس الا البيت المهجور او الهيكل اللين الذى تعاونت فى بنائه الملايين لتسكن فيه ، وبالتحديد فى فجواته الكثيرة التى نراها كثقوب تتفرع فى داخله على هيئة قنوات دقيقة متشعبة ، وكأنما هذه الخلايا قد شيدت لها وطنا صغيرا لتسكن اليه وتستقر فيه ، وتحتمى به من عالم ملىء بالعداوات والصراع والبطون الجائعة !

فى عام ١٩٠٧ قام العالم الفسيولوجى « ويلسون » من جامعة كارولينا الشمالية باحضار مستعمرة من احد انواع الاسفنج ، ووضعها داخل قطعة من القماش ذات ثقوب ضيقة (نسيج الشاش) ، وعصرها عصرا خفيفا ، حتى خرجت الخلايا من فجواتها ، ومرت خلال الثقوب ، لتستقر فى وعاء به ماء بحر .

لقد شتت « ويلسون » الملايين من سكان المستعمرة ، لتصبح فى الماء خلايا شاردة ، لا تربطها رابطة ، ولا تجمع بينها اهداف ظاهرة .. او هكذا بدت الامور على الخلايا وهى فى الوعاء على وجهها هائمة !

بعد ساعات من حركة بطيئة ، بدأت الامور تتكشف على حقيقتها .. اذ اخذت الخلايا تزحف وتتحرك حركة اميبية (١) بطيئة ، ثم تتقارب وتحتضن بعضها بعضا ، وكأنما هناك دوافع خفية تدفعها ، لكى يجتمع شملها من جديد فى « جاليات » لها كيانها ونظامها .. مثلها فى ذلك كمثل الجاليات العربية او غير العربية التى تسعى الى تكوين روابط تجمعها فى بلاد اجنبية بدافع الحنين والتقارب .. او كبشر اغتصب منهم وطنهم اغتصابا ، فتشردوا واصبحوا لاجئين ، ثم عاودهم الحنين الى وطنهم السليب ، ولكى يتحقق لهم املهم ، فلابد من سعى الى التآلف والترابط ، وما يتبع ذلك من امور كفاح لتعود الامور الى اصحابها .. هذه صورة ، وتلك اخرى !.

نعود الان الى خلايانا التى سعت وتقاربت والتحمت فى « جاليات » ، او مستعمرات خلوية صغيرة ، اذ لم يكن تجمعها وارتباطها بدون نظام ، بل بدأ كل نوع من الانواع الثلاثة يأخذ مواقعه التى ورثها عن المستعمرة الام التى تحطمت ، وكأنما كل خلية تعرف مكانها ووظيفتها ، وتدرك رسالتها فى التنظيم الجديد ، بدليل ان هذه التجمعات الصغيرة تستطيع ان تنشىء



(١) نسبة الى حيوان الاميبا الاولى ذى الخلية الواحدة الذى يزحف على سطوح الاشياء المائية كالكسيح .

مستعمرات جديدة لو أنهـــا وجدت الظروف المناسبة .

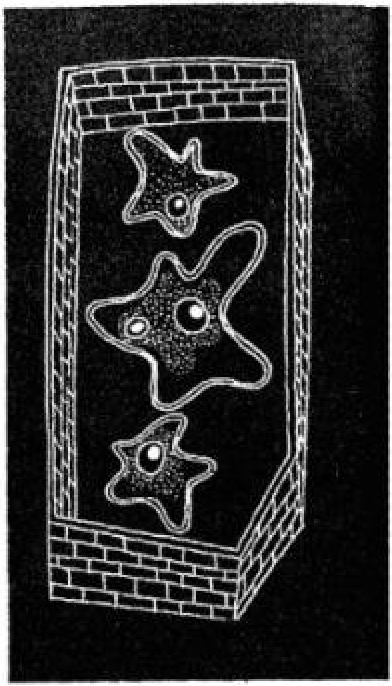
والواقع أن ذلك كان بدايةللموضوع متواضعة .. فقد تبع ذلك بحوث كثيرة على سلوك المجتمعات الخلوية التى تبنى أنسجة كل المخلوقات ، بمـا فى ذلك الانسان .. وهدف العلماء من ذلك هو التوصل الى مزيد من الاسرار .. ولفهم طبيعة الاغشية التى تحيط بخلايانا ، ولجمع معلومات أعمق عن خبايا الحياة وألغازها .

لقدخطا العالمالفسيولوجى«سبيجل» فى عام ١٩٥٤ خطوة أخرى فى هـذا الموضوع وأجرى تجاربه على أنواع مختلفة من الاسفنج ، وانتقى بعض سلالات ذات ألوان مختلفة ، وقـام بتشتيت خلاياها بنفس الطريقة التى استخدمها « ويلسون » من قبل ، ثم خلط السلالات المختلفة فى وعاء كبير ملىء بماء البحر ، وتركهـا وشانها بعض الوقت ، ولقد أجرى هذهالتجربة لهدف محدد : هل يمكن لخلاياالسلالة الواحدة أن تتعرف على بعضهاوتتالف فى مستعمرات صغيرة ؟

وقد كان .. اذ تبين أن خـلايا الاسفنج البرتقالى اللون قد سعت الى بعضها وتجمعت فى مجموعاتبرتقالية .. وكذلك فعلت خـلايا السـلالة البيضاء .. ولم يحـدث أن تجمعت خلايا السلالة البرتقالية مع خـلايا السلالة البيضاء فى جاليات خلوية !

وماذا يعنى هذا ؟

يعنى أن الخلايا ربمـا قد امتلكت « كلمة السر » التى تتفاهم بهـا ، أو كأنما هناك « بصمات » كيميائية خاصة تنتشر على جدرها ، وتحـدد لخلايا السلالة الواحدة « شخصيتها ».



ومن هنا يحدث التعارف والانسجام والتئام الشمل من جديد !

ثم يجيء « توم همفريز » منجامعة شيكاغو ليكتشف لنا مزيدا من الاسرار .. ففي عام ١٩٦٣ قــام بتشتيت الخلايا الاسفنجية بطريقة كيميائيةبدلا من الطريقة اليدوية التى استخدمها « ويلسون » أو « سبيجل » فى عصر الخلايا خلال قطعة من الشاش .

عندما وضع « همفريز » نوعا من مستعمرات الاسفنج فى ماء بحر خال من امــلاح الكالسيوم والماغنسيوم ، لاحظ انها بدأت تتفكك وتنفصلوتتشتت فى الماء ، وهذا يعني اهمية هــذين العنصرين فى ترابط الخــلايا فى مستعمراتها ، بدليل انها لم تستطع أن تتجمع وتتآلف من جديد .

ودارت بخلد «همفريز» عدة أسئلة حائرة : هل الكالسيوم أو الماغنسيوم هما العنصران الوحيدان اللذان تكمن فيهما كلمة السر ؟.. واذا لم يكونا كذلك ، فهل هنــاك وسيلة أخــرى للتفاهم والترابط ؟.. واذا كان ، فما هى طبيعتها ؟.. الخ .

لقد اجاب « همفريز » على هــذه الاسئلة بالتجربة العلمية الهادفة ، فقام بعزل الخلايا من الوعاء الذى اصبحت فيه شاردة ، ووضعها فى اناء آخر به ماء بحر متكامل الاملاح، وانتظر النتيجة ، فلم يحدث الترابط والالتئام ، وبقيت الخلايا هائمة .

النتيجة اذن واضحة .. فليست كلمــة السر موجودة فى الكالسيوم والماغنسيوم ، ولابد أن هناك شيئا آخر .. فماذا يمكن أن يكون ؟

لـ. اهتدى « همفريز » بحساسيته العلمية الى أن هذا السر ربما يكون قد انفصل عن الاغشية التى تحيط بالخلايا .. انفصل عنهــا كمركب كيميائى خاص ، وانتشر فى المـاء الخالى منعنصر الكالسيوموالماغنسيوم .. فماذا لو أعدنا هذا الماء ، بكلمة السر ، الموجودة فيـــه الى الوعاء المتكامل الاملاح ؟

وفعلا أجرى « همفريز » التجربة ، ونجحت الفكرة .. وبدأت الخــلايا تتعارف ، واجتمع الشمل بعد طول فراق . وكأنما هناك « مناديا » ينادى على الخلايا الشاردة بأن تعود الى الترابط من جديد .. ومن المؤكد أن « المنادى » هذا ليس الا مادة كيميائية خاصة .

كأنما لكل عالم لغته الخاصة به.. فاذا رأت الدجاجة خطــرا عــلى كتاكيتها صرخت « كاك » .. فــاذا الكتاكيت تسرع فى لحظة خاطفة الى الاختفاء تحت جناحى أمها ، رغم أنها – أى الكتاكيت – لم تتعلم ولم تسمع هذه الصيحة من قبل ، ولكنها تعرف بالغريزة أن « كاك » تعني خطرا ، وأن « كى .. كى » تعني سلاما ، فتنتشر الكتاكيت وتتفرق ..

كذلك كان للطير لغته ، وللنحل والنمل والحشرات لغة أخرى مختلفة .. وللانسان لغته ولهجاته ، ولا غرو أن تكون للخلايا لغتها .. معالاختلاف طبعا بين طبيعة لغة ولغـــة ، لان الخلايا تستخدم لغة كيميائية ، هى بمثابة كلمة السر التى تجمع شملهــا بعد تفرق ، وتؤلف بينها بعد تشرد !

وهل « كلمة السر » هذه واحدة بين الخلايا التى جاءت من أنواع مختلفة من المخلوقات ؟.. أو هل لكل نوع شفرته الخاصة لتصبح لغته الكيميائية التى لا تعرفها خلايا سواه ؟

لقد اجاب همفريز على ذلك ببساطة

من التجارب على انواع من الاسفنج ذات الالوان المختلفة حتى يمكن التعرف عليهـــا بالوانها اذا ما جمعتها كلمة السر فى مستعمرات ٠٠ الا اننا نرانا فى حل من التعرض هنا للتفاصيل ، وتكفينا النتائج التى ترصل اليها ٠٠ اذ يتضح منها ان كلمة السر الكيميائية ليست واحدة ولا مشاعة بين خـلايا هذه المخلوقات ٠٠ بل لكل نوع منهـا شـارته الخـاصة به ٠٠ فما ينفع فى تجميع خلايا هذا النوع ، لا ينفع فى تجميع خلايا نوع آخر ٠

لكن ٠٠ ما هى طبيعة هذه اللغة ؟

الواقع ان العلماء لم يعرفوا ذلك على وجه الدقة ٠٠ كل ما عرفوه ان كلمة السر تتكون من انواع خاصة من جزيئات بروتينية ، وان هذه البروتينات تتداخل فى اغشية الخلية ، لتصـبح بمثابة « بصمات » كيميائية ٠٠ مثلها فى ذلك كمثل بصمات أصابعنـــا ٠٠ فكما لكل منا بصماته الخاصة به ٠٠ كذلك تتكرر نفس القصة مع خـــلايا الانواع المختلفة من المخلوقات ، ولكل عالم ما يناسبه !

***

وما الذى يفيدنا من كل هذه البحوث التى أجريت عـــلى الاسفنج وغيــر الاسفنج ؟٠٠ وهل لذلك دخـــل فى حياتنا ؟

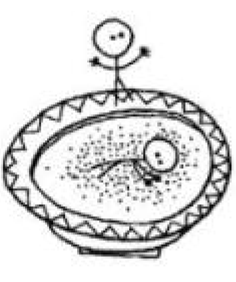
أعظم دخل ٠٠ فالواقع ان البحوث تبدأ بدايات متواضعة ثم تتطور بتطور الافكار ، وبتقدم وسائل البحث العلمى

ومن ذلك مثـــلا ان البحوث التى أجراها العلماء بعد ذلك ، يتبين لنـا ان الكالسيوم الذى كان يلعب دورا فى ترابط خلايا الاسفنج بوجود كلمـــة السر ، يلعب نفس الدور فى ربط خلايا اجنة الانسان والحيوان وهى فى دور التكوين ، بدليل ان غياب هذا العنصر الهام يؤدى الى تفكك الخـلايا ، فاذا عاد ، عادت الى الترابط من جديد ٠

وعندما يبلغ الجنين مراحل خاصة من النمو ، فان الكالسيوم لايستطيع ان يقوم وحده بهذه المهمة الكبيرة ، بل لابد من تخليق مواد عضوية أخرى ـ تكون البروتينات من بينها ـ لتساعد على ترابط الجدر ٠

ثم ان اعظم خطـر يتعـــرض له انسان او حيوان اصيب بداء السرطان يتركز فى انفصال خلايا سرطانية من أورامها ، فتتجول فى الدم ، وتهجرها الى مواقع أخرى فى الجسم ، وفيها تستكين ، وتحـدث أوراما جديدة ، وهكذا ينتشر داء السرطان ويستشرى ، ومن وراء هـــذا الانفصال الخلوى السرطانى يكمن سر غريب ٠٠ ذلك ان جدر الخلايا السرطانية تتخلص بطريقة غامضة من الكالسيوم الذى كان يشدها ويربط بينها ، فاذا غاب او تناقص حدث الانفصال ، وزاد الخطر !

الا ان اعظم برهان يمكن ان نقدمه هنـــا هو رفض الجسم الحى لعضو دخيل مزروع فيه ، والعضو مكون من خلايا ، ولا شك ان خلايا اجسـامنا تعرف فى عالمها من هو العدو ، ومن



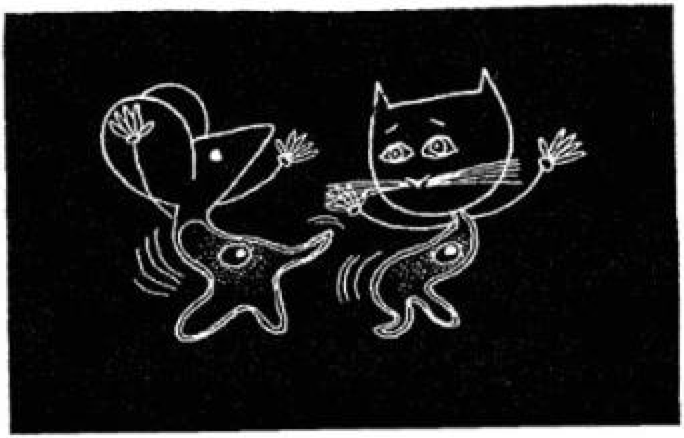
هو الصديق ، فتراها تتقبل بارتياح نفس خلاياها التى عزلت منها ثم أعيدت اليها ، فى حين أنها تحارب كل عدو دخيل .. ميكروبا كان ذلك أو عضوا مزروعا ، ومادام الامر كذلك فلابد من وجود « لغة » سرية تستخدمها للحرب والسلام ، وعلينا أن نؤجل هذا الموضوع ، لنعود الى موضوعنا الاصلى ، لنخطو فيه خطوة وخطوات

لقد بدأت الدراسات بتشتيت خلايا الاسفنج ، وانتهت بالتوصل الى وسيلة لتشتيت خلايا أجسامنا وأجسام الحيوانات الاخرى .. الا أننا لا نستطيع أن نأخذ كبد فأر ، أو بنكرياس خنزير ، أو قلب كتكوت ، أو مخ قرد .. الخ ، فنعصره كما نعصر الاسفنج حتى تتفكك الخلايا ، ولو فعلنا لما حصلنا الا على حطام خلوى لا فائدة فيه ولا مأرب ، ذلك أن خلايا هذه الانسجة تترابط مع بعضها بقوة ، ولابد من ايجاد وسيلة أخرى لتجعلها تتخلى عن رباطاتها دون أن نحدث بها ضررا .

وتفتقت افكار العلماء عن حيلة رائعة ، وبها استطاعوا أن يهدموا الروابط الخلوية ، كما يهدم العمال مثلا بمعاولهم الحوائط والبيوت ، ويحولونها الى كومة من الاحجار السليمة التى يمكن استخدامها فى البناء مرة أخرى .. وكذلك نفعل مع أنسجة الحيوانات لنحولها الى كومة من الخلايا السليمة ليتسنى لنا دراسة سلوكها ولغتها .

ولكن .. أية معاول تلك التى يستخدمها العلماء فى هدم خلايا الانسجة ؟

الواقع أن لكل عالم ما يناسبه .. ولهذا فقد توصلوا الى « معاول » كيميائية على هيئة أنواع خاصة من الخمائر أو الانزيمات .. فهناك مثلا خمائر تفرزها المعدة والامعاء لتهضم (أو تهدم) الجزيئات الغذائية العملاقة .. وتحولها الى جزيئات بسيطة حتى يستطيع الجسم أن يمتصها .. وهذا فى الواقع نوع من التفكك الجزيئى الى وحدات صغيرة .. الا أننا لا نريد أن نهضم الخلايا أو نهدمها ، بل علينا أن نبحث عن الخميرة المناسبة للروابط المناسبة .. وبهذه الخميرة نستطيع أن نفك الروابط الخلوية ونهدمها ،



فتتفكك الخلايا وتتحرر من تماسكها ، دون أن تحدث بها ضررا ٠

وفعلا وجدوا خميرة أو خمائر مناسبة ، واشتغلت فى الروابط الخلوية وهدمتها وهشمتها ، وهامت الخلايا فى المحاليل على وجوهها ، لتصبح فيها شاردة ، وبهذا استطاع العلماء أن يعزلوا خلايا اجسامنا واجسام الحيوانات الاخرى ، ويزرعونها فى الدوارق والانابيب ٠٠ تماما كما كنا نربى الميكروبات ونزرعها ، ومن هنا خرج الى الوجود علم جديد ـ هو علم زراعة الخلايا والانسجة ، ولقد افادنا كثيرا فى دراسة سلوك الخلايا ، خاصة السرطانية منها ـ وهذا موضوع طويل لن نتعرض له هنا ٠

وهل تستطيع خلايا اجسامنا ان تعيش خارجها فى الدوارق والانابيب؟

نعم ٠٠ تعيش وتتنفس وتتغذى وتتكاثر وتفرز نفايات ، ولكن على شرط ان نقوم بتخليصها من هذه النفايات التى تتجمع حولها كسموم ، وتمدها بالغذاء ، وتحافظ عليها من الميكروبات ٠

والواقع ان لدينا الان حصيلة علمية هائلة من المعلومات التى جمعناها عن سلوك الخلايا الهائمة فى اطباقها ومحاليلها ، ولهذا لا تستطيع ان نتعرض لها هنا بالتفصيل ، لكن يكفينا ان نقدم كيف تتعارف وتتآلف وتؤثر فى بعضها بعضا ٠

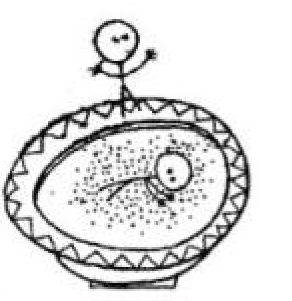
***

لدينا الان دورق به مثلا خلايا كبد مفككة وهائمة ٠٠ ولتكن من فأر أو دجاجة أو كلب أو حتى من انسان ، ذلك أن العلماء لا تنقصهم الحيلة فى الحصول على خلايا اجسامنا بطرق علمية ومشروعة ٠

الخلايا تزحف الآن ببطء شديد ، وتتحرك بدون هدف ظاهر ، أو هكذا تبدو الامور فى بدايتها ، وتقترب الخلايا من بعضها شيئاً فشيئاً ، وكأنما هى تجس النبض ، أو كأنما تتحسس شخصياتها بجدرها العجيبة ، لعل البصمات الكيميائية على هذه الجدر تتوافق وتتآلف وتتداخل فى اتحاد ٠٠ وفعلا تتعرف خلايا كبد الفأر على نوعها ويلتصق الجدار بالجدار ، لتتكون لدينا مستعمرة من خلايا كبدية فأرية !

لكن ٠٠ ماذا لو خلطنا خلايا كبد فأر مع خلايا كبد قط مع خلايا كبد كلب ؟٠٠ هل سيتعرف كل نوع على نوعه ؟٠

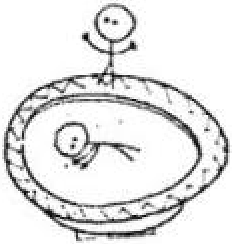
دعنا نر ذلك ٠٠ ولنصنع خلطة خلوية من اكباد هذه الحيوانات ، عندئذ ستختلط الخلايا بطريقة همجية ، وتبدأ فى الزحف والحركة ، وقد تتقابل ـ بالصدفة ـ خلية كبد فأر مع خلية كبد قط أو كلب ٠٠ عندئذ لن يحدث فى هذا العالم الصغير ما يحدث فى عالمها الكبير ٠٠ أى أن الخلايا لا تعرف ذلك العداء الذى تعرفه المخلوقات التى منها قد عزلت ، بمعنى أن خلية كبد القط لن تهجم على



خلية كبد الفار لتأكلها ، ولا كذلك نرى خلية كبد الفار تجرى مبتعدة عن خلية كبد القط ، بل تسير الامور بينهما سيرا عاديا ، فتتمسح هذه بتلك ، وكأنهما تتبادلان المعلومات ، أو كأنما أحدهما تقول للاخرى « انني لست ضالتك التي تبحثين عنها يا أختاه ، فلست انا من نوعك ، ولا انت من نوعي ، ولا « لغتك » الكيميائية تتوافق مع « لغتي » ، ولا « بصماتك » تنسجم مع بصماتي ، ولهذا فلن نستطيع أن نكون روابط مشتركة تؤلف بيننا ، وخير لنا أن نفترق ، وحظ سعيد فيما أنت اليه ساعية » !

وتبتعد الخليتان ، وتسير كل منهما في طريق ، وكذلك تفعل كل الخلايا ، وبمرور الوقت يتحول التشتت الى تجمع ، والفوضى الى نظام ، والنظام الى كيان ، والكيان الى تآلف بين خلايا النوع الواحد .. فنرى خلايا كبد الفار تحن الى بعضها ، ثم تتآلف وتترابط في نسيج ، كذلك تفعل خلايا النوع الواحد .. فنرى خلايا كبد الفار تحن الى بعضها ، ثم تتآلف وتترابط في نسيج ، كذلك تفعل خلايا كبد القط أو الكلب .. الخ .

ولكن .. ماذا لو تفككت خلايا



أنسجة مختلفة من نوع واحد من المخلوقات ووضعناها في طبق لتحيا في المحلول الغذائي بطريقة همجية

لو أننا احضرنا جنين كتكوت مثلا ، واخذنا منه أنسجة مختلفة ، ولتكن أنسجة عصبية وعضلية وكبدية وجلدية وعظمية .. الخ ، ثم فككنا خلايا كل نسيج ، وخلطناها في دورق كبير به غذاء وظروف مناسبة ، فان الخلايا تزحف في أول الامر دون هدف ظاهر ، ثم نراها تتجمع بطريقة عشوائية ، لا نظام فيها ولا تعارف .. ثم تتضح الامور بعد ذلك لتبين لنا أن هذه التجمعات المختلطة من خلايا مختلفة انما تلم الشمل أولا ، ثم يأتي التنظيم بعد ذلك .. مثلها في هذا كمثل مدينة اصابتها كارثة فتشتت سكانها ، ولابد أن يلتئم شملهم ، ثم ينظمون أمورهم ، ليأخذ كل فرد فيهم موقعه الصحيح كما كان في المدينة ..وكذلك تفعل الخلايا مع أنواع الانسجة المختلفة ، فبعد التجمع ، نراها تتحرك وتتزحلق وتغير مواقعها بحيث تسعى خلايا الكبد الى انواعها ، وخلايا الاعصاب الى مثيلاتها ، وكذلك تفعل خلايا الجلد والعظام والعضلات .. الخ

ثم تتضح لنا أمور أغرب ، ومناظر أعجب ، عندما نرى خلايا الجلد تزحف الى الخارج ، وتتخذ مواقعها ، وتترابط فيما بينها ، وكأنما هي تريد أن تحيط المجموعات الخلوية الاخرى بسور غريب ، وكأنما لديها « ذاكرة » خلوية عجيبة تتذكر بها الاشياء في كيانها الحي القديم الذي تهدم .. انها خلايا جلدية ، ووظيفتها الحماية ، ومكانها هناك في الخارج ، والى الخارج تتحرك دون أن تنتظر منا النصيحة .

كذلك نلاحظ أن خلايا العظام قد تجمعت واتخذت لها في هذه الكومة

الخلوية موقعاً ، وحول خلايا العظام تتجمع خلايا العضلات .. تماما كما يحدث فى الكائن الحى ، ثم نرى خلايا عضـــلات القلب تحن وتتعرف على بعضها وتتجمع فى موقع استراتيجى داخل هذه الكتلة ، ولكن الاغرب من ذلك أن خلايا هـــذا التجمع تتبض بطريقة متشابهة لنبضات عضـــلات القلب .. الى آخر هـــذه الامور الغريبة التى تجعلنـــا نلزم الصمت احيانا ، لجهلنا التام ـ الآن عـــلى الاقل ـ بما يحدث بين الخـــلايا .. ولكن ممـــا لا شك فيه أن هنـــاك « اشارات » كيميائية تتبادلها فيما بينها ، وأن هذه الاشارات بمثـــابة معلومات أو لغة سرية لم يتوصل العلماء الى معرفة كل الغازها ، وان كنـــا نعرف أن كثيرا منها جزيئات بروتينية وكلت اليها مهمـــة الحث والتوجيه والتنظيم .. والموضوع بعدذلك متفرع وطويل .

يكفينا هنا مثلا أن نقدم تجربة أو تجربتين مثيرتين اجريتا على هـــذا العالم الخلوى العجيب ، ليتبين لنـــا أن لكل شيء اساس ، ولكل نظـــام قوانين ارسيت فيه من قديم الازل .

لقد عزل العالمان الفرنسيان «ولف» و «سنجله» خـــلايا جنينية لجلـــد كتكوت ، وزرعاها فيدورق ، وتكاثرت الخلايا وتجمعـــت فى نسيج جلدى أصلع ، أى بدون أن يظهر فيه الريش أو حتى بداياته .. ولكن كيف يظهر الريش فى الكتكوت ؟.. هل هنـــاك « رسالة » كيميائية خاصة تؤثر فى هذا الجلد « وتأمره » بتكوين الريش ؟ ومن الذى يعطى الرسالة ؟

فى تجربة اخرى قاما بوضع«مزرعة من خلايا مخية كتكوتية مع هـــذا النسيج الجلدى ، وفعـــلا اشتغلت الفكرة ، وبدأت جذور الريش تظهـــر على الجلد ، وهذا يعنى أن خلايا المخ تفرز « رسالة » كيميائية تتعرف عليها خلايا الجلد ، ولهـــا تستجيب .. ليظهر الريش !

وتجربة أخرى مثيرة وضعت فيهـــا خلايا عصبية من جنين كتكوت ، مـــع خلايا جنينية من كلية فأر ، وهنـــا « أوحت » الاولى للثانية أن تقـــوم بتكوين انيبيبات (تصغير انبوبة) ، وهى التى تظهر فى الكائن الحى فى مرحلة من مراحل تكوينه ، لتقـــوم بترشـــيح البول وافرازه .. وبدون وجود هذه مع تلك ، فلن يكون هناك تفاهم ولا حث ولا « ايحاء » كيميائى .. ولن تتكون تبعـــا لذلك تلـــك الانيبيبات !

ان مثل هذه النتيجة توحى الينا بأن هناك تفاهمـــا حتى بين الانســـجة المختلفة من المخلوقات المختلفة ، وأن لغة الخلايا الحية كالعملة المتـــداولة بينها ، وهذا يعنى أن الكائنات الحية لها أصل واحد ، ونشأة واحدة ، وفكرة واحدة تربطها فى اطار واحد لا انفصام فيه ولا انفصال .

ولكى نوضح هذا المعنى دعنا نقدم هذه التجربة التى خلط فيها العلمـــاء خلايا كبد كتكوت مع خلايا كبد فأر ، ثم خلايا عصبية من هذا وذاك ، ليروا أن كانت خلايا كبد الكتكوت واعصابه ستحن الى بعضها وتميل ، أو هـــل ستستلطف خلايا كبد الكتكوت خلايا كبد الفأر وتتفاهم معها وتتجاوب ؟

لقد ظهر أن خـــلايا الكبد من فأر وكتكوت تفضل التقارب والتجمع فى مستعمرات ، ولكنها لا تترابط بروابط، لاختلاف « اللغة » الكيميائية على جدار هذا وذاك .. وكذلك تفعل الخـــلايا العصبية من فأر وكتكوت .. اذ تسعى الى بعضها فى مستعمرات ، ثم تحدث

عملية فرز خلوى ، بمعنى أن تتحد الخلايا الكلكوتية العصبية وتترابط فى مجموعة ، وبجوارها مجموعة أخرى مترابطة من خلايا أعصاب الفأر !

كأنما عملية التطور التى سارت فيها المخلوقات منذ مئات الملايين من السنين ، قد تركت بصماتها على الاعضاء والانسجة .. فالكبد فى أى مخلوق له أصل وتاريخ .. وهو ينشأ فى الاجنة المختلفة على نفس الاسس ، ويؤدى فى كل المخلوقات وظائف محددة لا تختلف فى جوهرها كثيرا ، حتى ولو اختلفت أشكالها وأحجامها .. ولهذا فان خلايا كبد فأر تحن الى خلايا كبد قط او ديك أو قرد أو انسان ، وتتجمع مع بعضها أولا فى مجموعات ، ثم تتعارف خلايا كل مخلوق بعد ذلك ، وتترابط فيما بينها ، ولكن يبقى لنا ذلك اللغز الابدى .. لغز الحنين الى الاصل والبداية ، حتى ولو تفرقت السبل بالمخلوقات ، وشق كل منها طريقا آخر مختلفا فى التطور والحياة !

ولكن ما يدرينا أن هناك لغة كيميائية مسجلة على أغشية الخلايا لتسمح لها بهذا التقارب والتعارف والاتحاد ؟

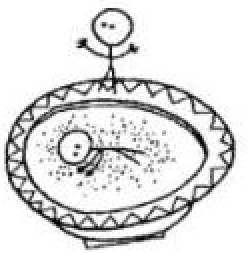
اننا نعرف ذلك بالتجربة .. فماذا لو كشطنا هذه اللغة ومسحناها كما تمسح شريط التسجيل ؟.. عندئذ لن تكون هناك لغة .. لا على غشاء خلوى ، ولا شريط تسجيلى ، الا اننا لا نمسح الغشاء من معلوماته ، كما تمسح أشرطتنا فى أجهزتنا ، بل نقوم بعمليات كيميائية خاصة تدمر بها ما يتواجد على الاغشية دون أن نضر بحياة الخلية ذاتها ، وقد فعلنا ، وبعدها عاشت الخلايا هائمة فى ظلام ومتاهات ، دون أن تستطيع التعرف على بعضها أو التجاوب مع أخواتها ،

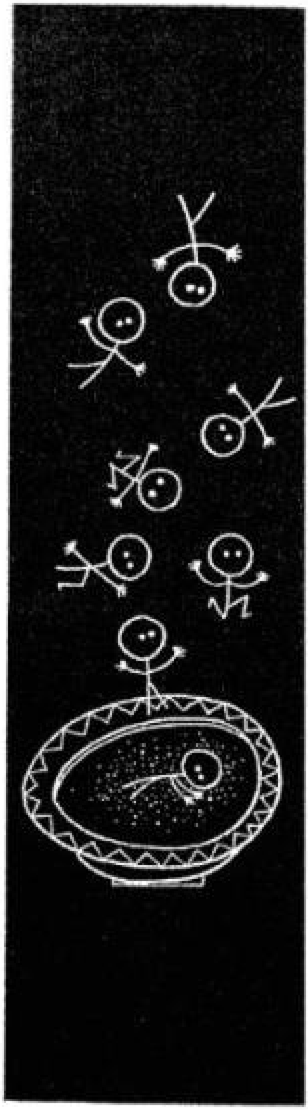
فى حين أننا لو قتلنا الخلايا دون أن نغير ما بجدارها ، ووضعناها مع خلايا أخرى حية من نفس نوعها ، فان الخلايا الحية تتعرف على الميتة ، وتأوى اليها ، وبجوارها تسكن !

أضف الى ذلك أن الخلايا الهائمة فى الاطباق اذا ما بقيت فى مزارعها لفترات طويلة ، فانها تفقد « ذاكرتها » بالتدريج ، وتتضاءل فرصتها تبعا لذلك فى التعرف على أخواتها .. بعضها قد ينسى بعد أيام أو أسابيع أو شهور .. كل هذا يتوقف على نوع الخلايا ونوع المخلوق الذى منه قد جاءت .. لكن ما السبب فى هذا النسيان ؟

لسنا – على وجه الدقة – ندرى .. اذ ربما يرجع ذلك الى حدوث تغيير فى نظام الجزيئات التى تتراص وتنتظم على أغشيتها الرقيقة نتيجة للظروف غير العادية التى وجدت فيها رغما عنها ، فمكانها الطبيعى هناك فى كيان المخلوقات الحية .

الا أن العلماء قد استطاعوا أن يعيدوا الى مثل هذه الخلايا ذاكرتها فى التعرف على قومها ، وما عليهم الا أن يخلطوا القديم بالجديد ..تعنى





ان يضعوا معها فى مزارعها خلايا جنينية طازجة ، وهذه ستكون اكثر نشاطا من الخلايا القديمة المتهالكة ، وربما يرجى ، الشباب ، الى ، الكهول ، فى عالم الخلايا شيئا من نشاط ، فيدفعها الى التخلى عن كسلها وضعفها ·· ولن يتجاوب القديم مع الجديد الا اذا كانا من أصل واحد، ونوع واحد ، لتجمعهما كلمة واحدة ·· عرفتها الخلايا ، ولم يعرفها البشر !

كاننا بهذا نتحدث عن مجتمع رائع منظم بديع ·· فيه أسرار ومتاهات والغاز ، وهو فعلا كذلك ، ويوم نعرف كل شيء فيه بدقة وتعمق ، فسوف تبرز أمامنا عظمة الخلق كما يجب ان تكون عظائم الامور ، وهل هناك شيء اكثر اثارة من نظام خلية ترابطت فى نسيج تآلف فى عضو جاء فى انسان وحيوان ، لتسير الحياة دافقة بمخلوقاتها كالطوفان ، فاذا كل شيء فيها يسرى بميزان ؟·· « صنع الله الذى اتقن كل شيء » .

لقد تفكك الجسد العربى العظيم الى عدد من الدول والدويلات بعد أن كان فى الماضى كيانا واحدا يمتد من الخلايا فى نسيج ، ولقد سعت الخلايا الخلايا فى نسيج ، ولقد سعت الخلايا ـ كما رأينا ـ للترابط فى نسيج بدافع من غريزة وحنين ·· فهل تفعل دولنا العربية مثلما تفعل خلية ؟·· مجرد خلية لم تمتلك من المقومات مثلما تمتلك الشعوب العربية ؟

لقد بدا التجاوب والحنين للترابط من جديد ·· لكن ، هل من مزيد ؟·· هل يتحقق الحلم ، ويقوى الكيان ، ويصبح صامدا قويا متينا كالبنيان ؟

لست أدرى ·· ولعلكم تدرون ·· فتلك حياة خلية ، وتلك حياة شعوب ، ولنا فى الخلية خير دليل لقوم يفقهون

صفحات من كتاب جديد

يوسف السباعي

أيام عبد الناصر



خواطر
ومشاعر

مكتبة الخانجي

أحلام كاتب في مجتمع جديد

مضى عام على رحيل عبد الناصر ، والدنيا كلها بنا ، ومن حولنا، تعيش ايام عبد الناصر..

فايام عبد الناصر ، فى حياتنا معه ، ثورة نضال وامجاد ، أعادت صنع الحياة على الوطن ، وارست قواعد البناء لمستقبل الحرية والعزة ، والرخاء ..

و « ايام عبد الناصر » ، بعد رحيله ، مسيرة وفاء على نفس الطريق .. وعنوان كتاب جديد ينبض باعمق وارق الخواطر والمشاعر ، للكاتب الكبير يوسف السباعى .

ومن قلب هذا الكتاب الرائع، الذى صدر اخيرا ـ نقدم لك هذه الصفحات ..

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى لجنة الفنون فى مؤتمر الاتحاد القومى انه آت من القناطر .. وانه قد ابصر اطفال القرى .. أمام بيتهم. وان هذا هو مجتمعنا الحقيقى الذى يجب ان نفكر فيه ..

والكتاب لهم طريقتهم فى التفكير .

وهم يبدأونها بالاحلام والأمانى ويصورون أمانيهم .. فى دقة .. ومثابرة والحاح .. ويدفعون الناس اليها .. حتى تصبح حقائق ..

والرئيس جمال عبد الناصر .. نفسه .. هو أحد امانى الكتاب .. واحلامهم .. لقد بدأناه بأحلام .. عن زعيم .. كتبت عنه أصوره فى كتاب « البحث عن جسد » اقول : انه الزم شىء

صفحـــات
من
كتـــاب
جـــديد

لهذا الشعب في هذا الوقت، انه يؤمن بأن لـه رسـالة يؤديها وهدفا يقصد اليـه .. واغراضـا يسـعى لبحققها .. وقد أهله الله لتادية الرسالة . . وهياه للوصول الى الهــدف ولتحقيق الاغراض .. لقد وهب له من المـواهب ما يجعله يؤدى رسـالته بيسر واخلاص .. ويشعر فى قرارة نفسه .. ومن طريقة خلقه ان ذلك عمله يؤديه بلاتكلف وبمهارة وثقة وبلا اعوجاج او خلط .

تلك كانت صورة الزعيم فى اذهاننا .. عرفنـا حاجتنا اليه .. وظللنـا نرسمها في الحاح ودقـة حتى أضحت حقيقـة .. وحتى بعث الينا الزعيم ..

وكما كان لنا فى الزعيم .. حلم .. وكانت امنية .. وكانت صورة .. وأضحت حقيقة .. فان لنـا فى مجتمعنا .. حلمـــا .. وامنية .. ونحـن نرسمه فى اذهاننا .. فى صورة .. ستصبح مع الحاحنا فيها .. حقيقة .. كما اضحى الزعيم حقيقة ..

وكمـا كان الزعيم يبدو وهما فى زمن كنا نغـرق فيه فى ظلمات اليأس .. وقد تبدو صورة مجتمعنا الذى نرسمه الان وهما .. وظلمات الفقر والعجـز ما زالت تخيم علينـا .. ومع ذلك .. فلا شيء يمكن ان يعوق ذهن الكاتب عن التصور.. لاظلمات اليأس .. ولا ظلمـات الفقـر والعجز ..

ولاضير عليه.. اوعلينا. من ان يطلق شعاع ذهنـه ليسبقنا فى ظلمة الطريق عله يبدد حلكتها ويبرز لنـا بعض معالمه ..

التصور نظام الحكم المحلى قد بدأ . والســد العالى



صورة فريدة للزعيم الخالد ، من مجموعة الصور النادرة فى كتاب « ايام عبد الناصر »

يرتفع .. والقوى الكهربائية تتدفق من اعالى النيل . والوقود يتزايد من آبار البترول يوماً بعد يوم ..

و« امانين » الطوب الاحمر قد انتشرت فى القرى ..

تصب قوالبه من الطمى وتحرق فيها .. لتخرج لكل قرية ما تحتاج اليه ..

وبعض أبناء القرية قد تدربوا على البناء فى مركز تدريب مهنى فى المركز ..

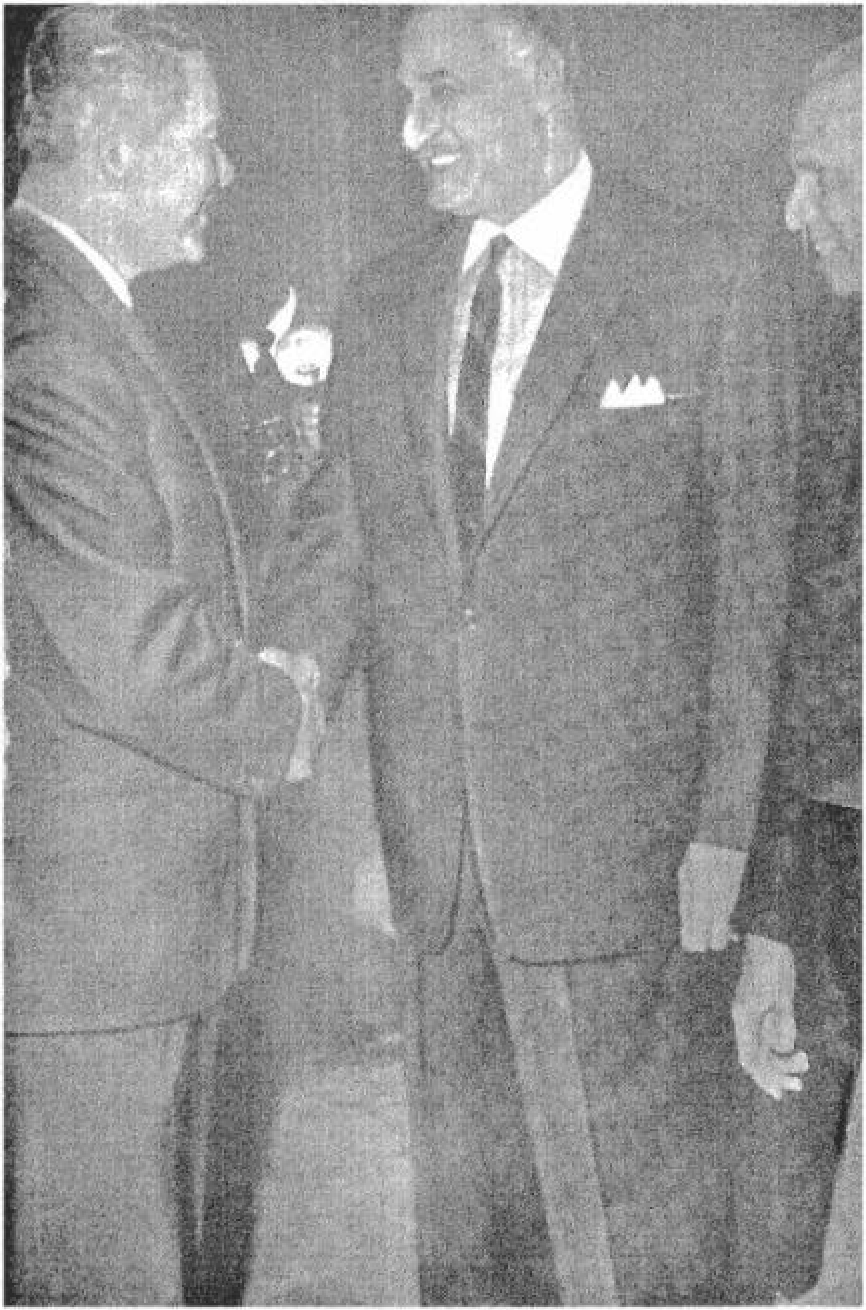
وعادوا ليشيدوا مع ابناء القرية .. قريتهم من جديد .. بتخطيط كل بيت يشمل « الزريبة » والفرن ..

ومسكن الاسرة ..

وتخطيط للقرية .. تمد فيه مواسير المياه .. وتضاء

ابواب الدور بالفوانيس .. وتقام فيه السوق .. وزاوية الصلاة ..

والمصانع تنتج آلات الحرث وماكينات الرى .. ومراكز التدريب تدرب



صفحات من كتاب جديد

الفلاحين على الالات .. والفئوس والشواديف والطنابير والسواقى والمحاريث قد اختفت كلها ..

ومصانع الملابس تنتج القميص والبنطلون والصندل. والقبعة القماش .. وتغمر بها الاسواق بثمن الجلباب والمركوب واللبدة .. والفلاح قد ركب « التراكتور » بزيه الجديد .. والفلاحة لم تعد تجر وراءها الذيول .. وتلف الطرح ..

والطرق تشق جميع انحاء الجمهورية.. فلاتترك فيها منفى أو منعزلا .. والمصانع قد انتشرت على طول الطريق .. وابناء المحافظات يعيشون فيها ويعتزون بها .. ويشعرون بقدرها .. يخدمون فى مصانعها .. ويدرسون فى مدارسها .. ويعملون فى مستشفياتها ..ويحتضنون قراها .

ولم يعد فى الجمهورية .. اطراف ميتة ..ولاعاد فيها .. افراد يعيشون بمعزل عن الحياة .. كل انسان يعمل .. وينتج..

دفى كل يوم تكتشف فى ارضنا خيرا جديدا ..ننفع به انفسنا .. ونضيف به شيئا جديدا الى بلدنا ..

تلك هى صورة مجتمعنا كما تخيله كاتب ..

اتروته .. واهما ..لا اظن .. اترونها تحتاج الى معجزات لكى تتحقق: لااظن ايضا .. فكل مانحتاج اليه لكى تصبح حقيقة .. هو كما قال الزعيم : ان نعمل

لقاء مع الزعيم الخالد ، استلهمه يوسف السباعى فى اهداء كتابه « ايام عبد الناصر » :

« .. بعض الخواطر والمشاعر التى اثارها فى نفسى طوال ايام النضال المرير ، يشق به طريقنا من اجل مستقبل افضل ، وكفاح افنى فيه عمره لكى يحقق لنا الحرية والرخاء والسلام ... »

كلمات .. جمال عبد الناصر

• الغلاف الأول والأخير •



جمال عبد الناصر ..
للفنان جمال قطب ..



الوحدة العربية ...
للفنان يوسف سيده

اني لاثق في حتمية الوحدة بين شعوب الامة العربية ثقتي بالحياة، وثقتي بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال ...

*

ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان السماوية قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من اجل الخير والحق والمحبة ...

*

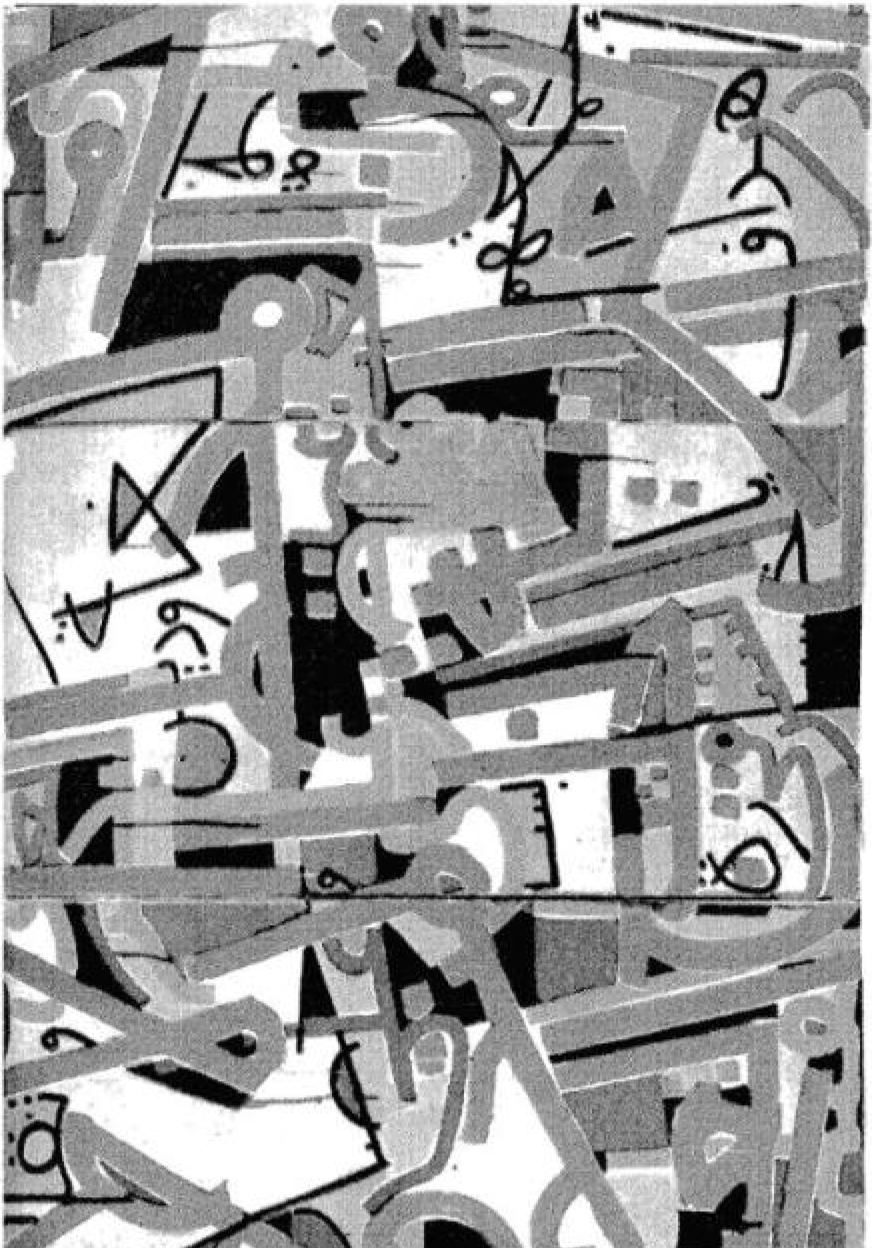
سوف نحقق كما حققنا ، وسوف ننتصر كما انتصرنا ، ولتعل ارادة الحق فوق كل ارادة ، لانها جزء من ارادة الله ...

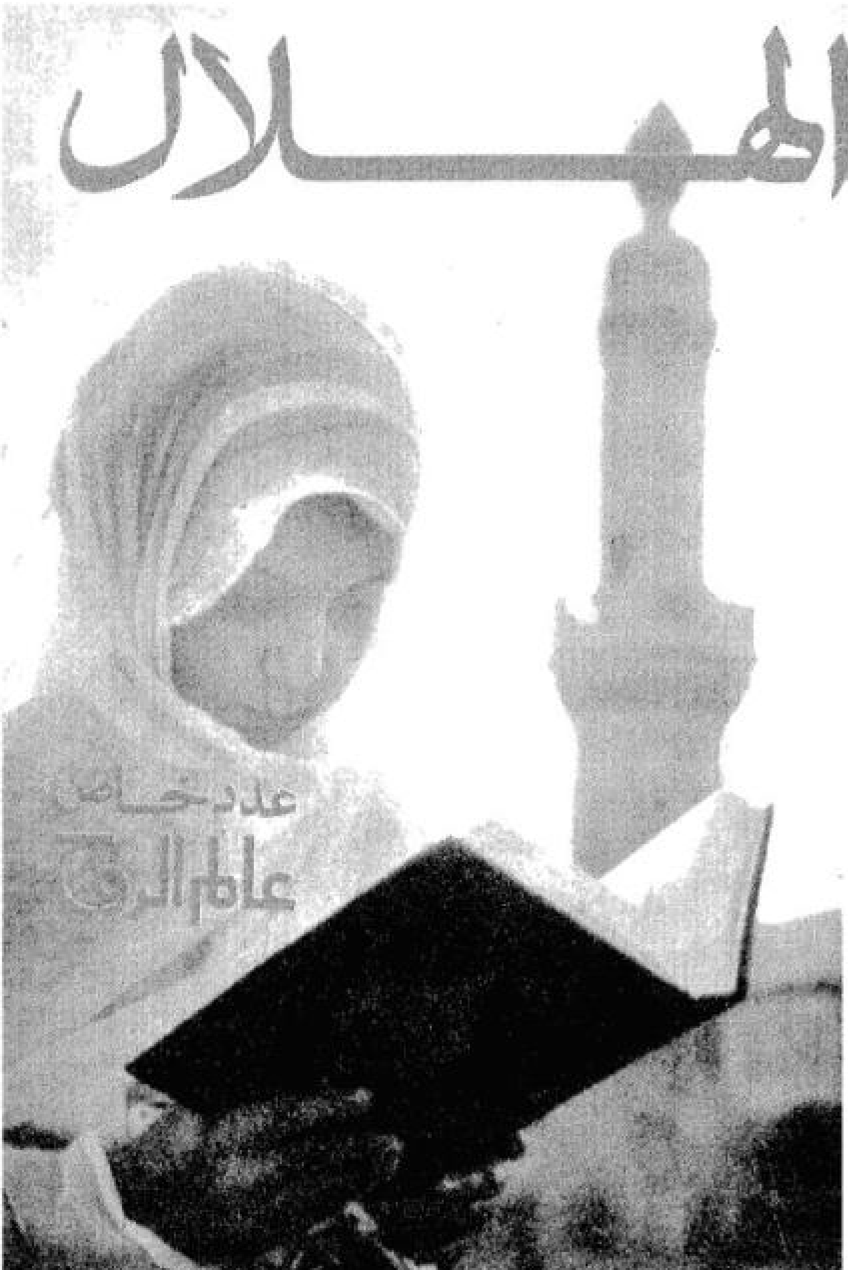
*

ان الحرية وحدها هي القادرة على تحريك الانسان الى ملاحقة التقدم وعلى دفعه .. والانسان الحر هو اساس المجتمع الحر ، وهو بناؤه المقتدر ...

*

منطق هذا العصر ، ولعله منطق كل العصور ، ان الحق بغير القوة ضائع ... وان امل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام ... وان المبادىء بغير مقدرة على حمايتها احلام مثالية ، مكانها السماء ، وليس لها على الارض مكان ...




الهلال
عدد خاص
عالم الرق

الهلال

نوفمبر ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الحادى عشر ـ السنة التاسعة والسبعون ـ اول نوفمبر ١٩٧١ ـ ١٢ رمضان ١٣٩١

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ، فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ . فى سائر انحاء العالم « ونصف دولارات او ٢ جـ ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

تطور العمارة الاسلامية في مصر .. د كمال الدين سامح ...







الانتصارات الاسلامية في رمضان .. د . سيد نوفل

الى روح شوقي للشاعر احمد رامي

في هذا العدد



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كلمة الهلال

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

وهذا العدد عن الروح ، نسهم من مختلف جوانبها ، دون ان نتجاوز القليل الذى اذن الله سبحانه وتعالى أن نؤتاه من العلم،

وغايتنا - وهذا عهد شعاره العلم والايمان - ان نعرض على القارىء غاية ما وصل اليه العلم فى امر الروح ، فى غير تزمت ولا شطط ، ليهتدى الناس الى حقيقة ما اذن الله لهم به من علم ينأى بهم عن الخرافة ولا يتجاوز بهم حدود الايمان

وغايتنا بعد ذلك ، ونحن فى الشهر الطيب العطر الذى انزل فيه القرآن هدى للناس، واذ نقف متطلعين الى النصر القريب باذن الله ان نزكى القيم الروحية التى لا نصر الا بها ، وما النصر الا من عند الله .

صالح جودت

د. سيد نوفل

الإنتصارات الإسلامية الكبري في شهر رمضان

يقدم علينا شهر رمضان المبارك ، ونحن نقترب من الغاية فى مرحلة الحسم للصراع العربى الاسرائيلى الراهن ، سياسة أو قتالا كما أكد الرئيس القائد محمد أنور السادات . . وانه لمن يمن الطالع للشعب العربى المناضل فى مصر ، وللامة العربية جمعاء المواجهة فى سائر أقطارها لاخطار المطامع الاستعمارية الصهيونية ، ان يحفل شهر رمضان منذ فجر الاسلام بأعظم الانتصارات التاريخية ...



الانتصارات الاسلامية



اولاً : انتصار الحضارة الاسلامية بنزول القرآن

◆ واول الانتصارات التاريخية للاسلام ، وابقاها اثرا فى حياته ، واصلبها عودا فى مقاومة الحملات الاستعمارية العدوانية ، التى تعاقبت على الحقب ، وبذلت اقصى جهدها كى تجرد الاسلام من اساسه العربى ، والعروبة من مقومها الاول اللغوى — أول هذه الانتصارات ، واخلدها على التاريخ ، هو انتصار الحضارة الاسلامية العربية فى شهر رمضان ... « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

فالقرآن هو كتاب الايمان والحضارة العربية الاسلامية . والفتوحات الاسلامية هى فتوحات حضارية فى اساسها نشرت مبادىء الحرية والاخاء والمساواة قبل ان تدعو اليها الثورة الفرنسية باكثر من اثنى عشر قرنا ، واظلت العالم بالوية العدل والتعاون الدولى والسلام العالمى نحو ستة قرون ، ثم ورثت الحضارات الغربية المستحدثة من بعدها طائفة من مبادئها واحكامها ، وان لم تورثها جوهرها واساسها الانسانى العالمى ... وقد اعتمدت الحضارة العربية الاسلامية على العلم والايمان ... والآثار العربية التاريخية حافلة بانشطة المعاهد والجامعات العلمية ، المنتشرة من غانا فى غربى افريقية الى فرغانه فى وسط روسيا حيث تدرس علوم القرآن ، ومن هنا سارت قولة الرحالين العلماء فى عصور الاسلام المزدهرة : « من غانه الى فرغانه ... » .

والذين يدرسون اللغة السواحلية وغيرها من اللغات الافريقية ، واللغة الاردية وغيرها من اللغات الهندية والاسيوية ، والذين يدرسون الاداب والفنون وتاريخ العلوم فى الشرق والغرب ... يعجبون اشد الاعجاب بما توفر للحضارة العربية من اسباب التاثير العالمى ، الذى لايزال بادى المعالم والشواهد فى ارجاء العالم...

ولعل تفوق الكثيرين من اهل الاندلس فى الشعر والادب العربيين ، وصيرورة الحضارة العربية فى الاندلس ، اوضح برهان على ان الفتوحات العربية كانت فتوحات حضارية علمية ...

ولقد مثل الفارو «Alvaroa» اسقف قرطبة ، فى منتصف القرن التاسع الميلادى وقبل اتمام التحول الحضارى العربى فى الاندلس ، التاثير العربى فيها اروع تمثيل . لقد اسهب فى وصف اقبال الاسبان على درس اللغة العربية وادابها ، وشكا مر الشكوى من انهم يتوفرون على مطالعة الشعر العربى ، وكتب السيرة الاسلامية وعلم الكلام والفقه ،

لا لكي يفقدوها وانما ليمتثلوا الفكر العربي ويكتبوا البيان العربي في دقة واحكام ۰۰۰ وتأسف أشد الأسف على ضياع اللاتينية بينهم وازدرائهم للتراث الغربي ، وعلى حماسهم الشديد للغة العربية ، وانفاقهم في سخاء على مكتباتهم العربية واعلانهم في كل وقت ومكان الاعجاب بالعربية وآثارها !۰

وفي تعبير بالغ الدلالة على تأثير الحضارة العربية وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الفتوحات الاسلامية ، قال الفارو :

« وا أسفاه ! لقد نسى الاسبان لغتهم ، حتى ليندر أن نجد بين الألوف واحدا يستطيع ان يكتب في أسلوب وسيط كتابا الى صديقه ، بينما يستطيع الكثيرون جدا ان يعبروا عما في أنفسهم بالعربية تعبيرا بديعا ، وأن يقولوا الشعر باللسان العربي في حذق يفوق حذق الشعراء العرب انفسهم (١) ۰۰۰ »

واذا كان القرآن مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية في أصالتها ، وقد نزل في ليلة القدر من شهر رمضان بنص احدى آياته الكريمة ، فقد روى أن التوراة نزلت كذلك لست ليال مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة ليلة مضت منه (٢) ۰۰۰

كما حفل شهر رمضان بالدارسة للقرآن الكريم بين جبريل عليه السلام والرسول صلوات الله وسلامه عليه ، الى جانب ما يمتاز به الشهر من بر عميم ۰۰۰ وفي الحديث الشريف « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس ۰ وكان اجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » ۰

ومن هنا فان نزول القرآن : دستور الاسلام والحضارة الاسلامية العربية ، كان لا ريب اعظم الانتصارات التاريخية الاسلامية ، وكان نزوله في شهر رمضان وما ينطوي عليه من مسئولية وتكليف على رسول الاسلام وصحبه مقتضيا لان يفرض على المسلمين الصوم في هذا الشهر ، تحريرا للمسلم من رق العبودية للطعام والشراب وغيرهما ، وتحقيقا لاعظم معاني الاخاء والبر والمساواة ، وانتصارا للانسان المؤمن على ضعف نفسه ، وتمكينا له من ان يؤدي دوره الانساني العظيم الجديد ۰

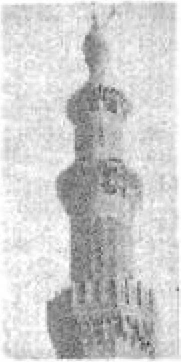
ثانيا : انتصار الاسلام في غزوة بدر الكبرى

بعد أن دعم محمد أواصر الوحدة والاخاء بين المسلمين المهاجرين والانصار في المدينة ، واتفق على قواعد التعايش السلمي للمسلمين مع اليهود والنصارى والمشركين من اهل يثرب ـ وان تعرضت من بعد للنقض والعدوان ـ وبعد ان اشتد ساعد الاسلام ، وفرضت الصلاة والزكاة ، وشرعت الحدود ۰۰۰ بعد ذلك كله تهيأت الاحوال رغم الصعاب

---

(١) Dosy : Histoire des musulmans, Paris, Vol. II PP. 103-105.

(٢) تفسير النيسابوري على هامش تفسير الطبري ج ٢ ص ١٨١ ۰



الانتصارات الاسلامية

لان يخطو المسلمون خطوة جديدة ، استجابة لداعى الله ورسوله ...

لقد رجد محمد والسابقون من اصحابه ان اذى قريش وتحديها للمسلمين يزدادان ، وان هجرة المسلمين الى يثرب تنتج آثارها فى اشتداد مكر اليهود والمشركين وكيدهم للمسلمين ، وان المقام بمكة حيث البيت الحرام وملتقى الناس من كل حدب وصوب امر لا مندوحة منه لاعلاء كلمة الاسلام ، وان هذا المقام لابد ان تسبقه هزيمة القرشيين . ولذلك كله عزم محمد وصحبه الامر على منازلة قريش ، وخاصة بعد ان اخذت تؤلب القبائل العربية ، وتحاول جمعها فى حلف ضد المسلمين . وايقن المسلمون انهم مواجهون معركة مصير ، ونضال بقاء او فناء ...

وهنا كانت وقعة بدر الكبرى ، وكان نصر الله المؤزر للاسلام ، فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة النبوية ...

ويتمثل انتصار الاسلام فى هذه الغزوة فى ثلاثة جوانب :

اولها : قدر النصر : فقد كان كبيرا الى مبلغ يشبه المعجزة . كان عدد المشركين نحو الف مزودين بالخيل والابل وادوات الحرب الوفيرة . وكان عدد المسلمين ثلثهم وحظهم من الراحلة والسلاح قليلا ، اذ كان كل ثلاثة يركبون بعيرا .. وكان فى قتلى المشركين قادة قريش ، ومن نجا من القتل وقع فى الاسر وحق عليه القتل او الفداء ... وكانت خسائر المسلمين فى الارواح قليلة ومغانمهم كبيرة ... ولهذا لم يكن عجبا ان ينزل فيها الكثير من القرآن ، وان يفصل الله سبحانه ادوار المعركة والعبر المستخلصة منها ، وكيف غلبت القلة المؤمنة الكثرة الكافرة ، وكيف امد الله المؤمنين بملائكته وروح من عنده ، وحقق ما وعد نبيه من نصر لدين الله ودعاته وهزيمة للشرك والمشركين ...

وثانيها : نتائجها فى اهل مكة والمدينة ومستقبل الاسلام : فلى اهل مكة كانت هزيمة الشرك ساحقة لم تقم له من بعدها قائمة ، رغم المحاولة اليائسة التى خاضها من بعد فى احد مع غيره من عناصر الكفر وقضى عليها ... ولقد ذهلت مكة حين بلغتها انباء النصر الاسلامى العظيم ، ولم تصدق فى البداية انباء الضحايا من اشرافها ... فلما استوثق رجال الشرك الذين لم يشهدوا المعركة من الانباء ، خروا صعقين ، حتى لقد حم ابو لهب ومات غما وكمدا بعد سبعة ايام ...

وادرك المشركون فى المدينة ان قوة المسلمين بعد « بدر » لا قبل لهم بها . وكبت اليهود حتى قال احد زعمائهم : « بطن الارض اليوم خير من ظهرها

واما لنتائجها فى مستقبل الاسلام ، فقد كانت خير تمهيـــد لفتح مكة ،

ولخوض اليهود والمشركين فى المدينة حربا يائسة ضـد المسلمين ، تنتهى

بهزيمتهم الماحقة ، وباخلاص شـبه جزيرة العرب كلهاللاسلام ، وتخليصها

من المشركين واليهود المعتدين ··· واذ

اطمان الاسلام فىمنزل وحيه ، وموطن رسالته ، تهيأت له الاسباب كى يبلغ رسالته الى البشرية كلهـا فى شتى الارجاء ، وأن يمد حضارته الى جميع ارجاء المعمورة المعروفة حينذاك ···

وثالث الجوانب المشرقة فى انتصار الاسلام ببدر هو المبادىء الاسـلامية

التى اكدها ، والقواعد السامية التى رفعها ···

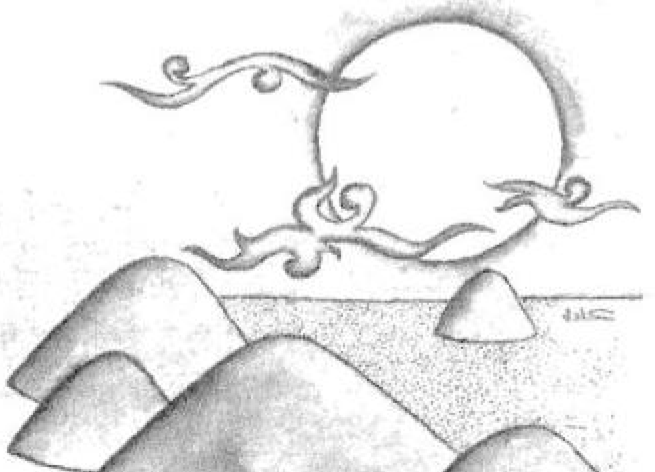
وفى مقدمة هذه المبادىء الرفيعة الاسوة الحسنة التى ضربها الرسول الامين للامام والحاكم الصالح ···

فقد كانت الشورى ديدنه ، وكانتحرى الحق وحده غايته ، وكان احتـرام

الرأى المخالف وصاحبه نهجه · فحين اختـــار الرسول منزلا للجنود فى

« بدر » ، سأله الحباب بن المنذر عما اذا كان هذا الاختيار بوحى ، او انه

الرأى والحرب والمكيـدة · وأجـاب الرسول بالثانى ، فاقترح الحبـاب منزلا آخر · حينئـذ رحب محمـ





الانتصارات الإسلامية

باختيار الحباب مؤكدا لقومه انه بشر وان الشورى بما تنطوى عليه من احترام الاراء المخالفة هي سبيل النصر ...

وحين طالب عمر بقتل الاسرى ، وطالب ابو بكر بقبول فدائهم ، استمع الى الرأيين في تقدير ، واثنى على صاحبيهما معا . وبعد تدبر اخذ برأى ابى بكر . ولم يغير تقديره له أن أيد الله بالقرآن رأى عمر ...

ومن سمو الرسول الكريم رفقه باعدائه ، ودعوته المسلمين الى الاحسان الى المشركين الذين احسنوا للمسلمين أيام محنتهم في مكة قبل الهجرة ، وتحاشى قتلهم وان تهيأ لهم في المعركة . وقوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، لاصحابه بعد ان فرق الاسرى بينهم : « استوصوا بهم خيرا » . وكان في الاسرى سهيل بن عمرو المعروف بهجماته الخطابية المقذعة ضد الرسول ورسالته . وحين قدم مكرز بن حفص في فدائه ، طلب عمر بن الخطاب ان يأذن له الرسول بنزع ثنيتي سهيل حتى لا يقوم من بعد خطيبا ضد الاسلام ابدا . ولكن محمدا الرسول القريب من ربه ، المتمثل ادبه ، اجابه في تواضع ورفعة قائلا : « لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا » .. بل ان المسلمين اكرموا قتلى المشركين وحفروا لهم قبرا ودفنوهم فيه ...

ومن القواعد التى ارساها الاسلام ورفعها محمد في « بدر » ، قاعدة المساواة بين العاملين ، وان اختلفت مواقعهم ، مادام كل منهم يؤدى الواجب ، ويخدم الرسالة ... فقد اختلف المسلمون على قسمة الفيء وطالب الجامعون للغنائم بحظ أوفر ، نازعهم فيه المطاردون للعدو ، كما نازع الاثنين المدافعون عن عريش الرسول اثناء المعركة ... حينئذ أمر محمد أصحابه أن يترفعوا عن الخلاف على الغنيمة ، وأن يسلم كل منهم ما في يده ، ثم قسم الغنائم بينهم جميعا على سواء .. ومن امثلة المساواة الرائعة أن محمدا ركب مع اثنين بعيرا واحدا اسوة بسائر المحاربين في « بدر » ...

ومثل هذه المبادىء والقواعد السامية هي التى مكنت للاسلام في فجره ، وفي عصوره الذهبية الاولى ، وهي التى ترجى للمسلمين حين تصح عزيمتهم على احياء مجدهم ، والنهوض بدورهم وطنيا وقوميا ودوليا ...

ثالثا : فتح مكة وتطهيرها من الوثنية

وثالث الانتصارات الاسلامية الكبرى ، التى اتمها الله على المسلمين في شهر رمضان ، هو فتح مكة ..

وفي هذا يتمثل الفتح الحضارى الذى يتحرى اعلاء كلمة الحق لوجه الحق



وحده ، وينفر من الطغيان والنم فى جميع المواقف ، ويحرص على أن تحل الحسنى محل القسر فى جميع دروب العلاقات بين بنى الانسان ...

لقد جهز النبى عشرة آلاف جندى مزودين بأوفر الركب والزاد وأحدث السلاح لذلك العصر ، ومن بينهم الكتيبة الخضراء التى راع منظرها أبا سفيان ، اذ رآها تحرس الرسول وقد تغطت أجسام جنودها بالدروع الحديدية الصماء ، لا يبدو منها سوى حدق العيون ... ورغم قوة المسلمين الساحقة ، فقد كان الرسول الكريم أحرص ما يكون على توفيرها لمهمات أخرى ، وأن يدخرها لنشر دين الله فى قوة وسلام ...

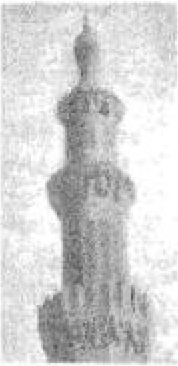
والحق ان حال قريش ومسلك القلة الباقية من عتاة المشركين فيها يدل على اقتناعهم بانه لا قبل لهم بمنازلة المسلمين ، وانهم اخطأوا كل الخطأ حين نقضوا عهد الحديبية معهم ، وعرضوا آثارهم الضئيلة للضياع ... وما ذلك بعد خروج أبى سفيان كبير قريش الى المدينة يلقى النبى وأصحابه مستنجدا متذللا لارجاء الغزو وعودته فى اخفاق وخزى زادا من آلام المشركين فى قريش وذلتهم ؟! ولم يجد أبو سفيان من الاسلام الا اليه فأسلم قبيل غزوة الفتح ، ولم يبق للمشركين فى مكة من بعد ذلك سند يشد أزرهم ...

ومهما يكن من أمر ، فقد دخلت جيوش المسلمين مكة فاتحين بدعوة الله مبرأة من الدماء الا ما علق بها من شوائب القلة التى تعرضت لقوة خالد بن الوليد ، وهى تمثل نحو الربع من القوة الاسلامية الفاتحة ، فردت عليها قوة خالد ، وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا أو ثمانية وعشرين على اختلاف الرواية ، ولم يقتل من المسلمين سوى اثنين انفصلا عن الجيش وضلا طريقهما ...

وفى فتح مكة تستوقف النظر شواهد كبرى تنطق بعظمة الاسلام ، وتقدم المسلمين الحضارى فى عهد الجهالة العمياء التى عم ظلامها العالم كله منذ أربعة عشر قرنا خلت ... وفى مقدمتها ما يأتى :

١ ـ تأكيد الرسول على قواته وقوادها بعدم استخدام السلاح الا عند الضرورة القصوى وفى حال الرد على عدوان لا مفر من الرد عليه .. واستاء حين علم باشتباك قوة خالد مع المشركين ، ورفعها شائبة فى

الإنتصارات الإسلامية



وجه الغزوة الابيض الناصع · وغضبه صلوات الله وسلامه عليه حين عثرت قوة مسلمة على رجل مشرك عنيد من هزيل فقتلته · فقام الرسول وخطب الناس محذرا ومؤكدا حق اهل كل قتيل في الدم او الدية ، وودى القتيل المشرك ·· واعلن في تأكيد ان مكة كانت حراما ، وقد عادت اليها حرمتها · وكان ذلك طبيعيا بعد ان انتهت لديه مهمة القائد الذى اكره على خوض القتال بعدوان المشركين · وذللت العقبات التى قامت في وجه مهمة الرسول بالحسنى كما بدأت ···

٢ ـ اتجاه محمد من بعد ذلك الى تطهير الكعبة من الاصنام ، والبيت الحرام ومكة وما حولها من جميع مظاهر الوثنية ، وايفاده عددا من السرايا في ذات الشهر المبارك لذلك الغرض العظيم وانجازه ···

٣ ـ اصداره عفوا عاما عن جميع المعتدين الذين حق عليهم القتل من قبل · سوى اربعة اعدموا لجرائم ارتكبوها ·

٤ ـ الوفاء الذى لا وفاء مثله حين كان اول صنيع للرسول بعد الفتح ، وقبل ان يدخل بيتا من المدر او الوبر ، هو نزوله في قبة ضربت له قرب جبل هند باعلى مكة وعلى مقربة من قبري ابي طالب عمه وخديجة زوجه الوفية الاولى ···

ولهذا كله ، وبمبادىء السلوك المحمدى الاسلامى الرفيع ، ساد الاسلام مكة ، وشبه جزيرة العرب كلها ، واصبح البلد الحرام عاصمة للاسلام ومنارة للمسلمين من يومئذ الى يوم الدين ···

رابعا : الانتصار على التتار وتصفية الاستعمار الصليبى

وفى منتصف رمضان لعام ستمائة وثمانية وخمسين (٣ من سبتمبر ، أيلول ، لعام ١٢٦٠) ، سجل التاريخ الاسلامى للقوات المصرية السورية المتحدة انتصارا فى موقعة ، عين جالوت ، قرب بيسان بفلسطين · وقد وقى هذا الانتصار الخالد فى المعركة الفلسطينية العرب والاسلام شرا كثيرا ، وصد استعمارا مغوليا اهوج هدد مصير الامة العربية الاسلامية ···

واذا كان البطل صلاح الدين الايوبى قد اجلى ، بتوحيد مصر وسورية واليمن ، الصليبيين عن فلسطين ، سوى بعض امارات على الساحل ، ووقع بذلك صلح الرملة فى عام ١١٩٢م ـ فان السلطان قطز والظاهر بيبرس استطاعا من بعد ذلك بثمانية وستين عاما ، وبالاتحاد المصرى السورى ، القضاء على اكتساح التتار البربرى للعالم الاسلامى ، وردهم على اعقابهم

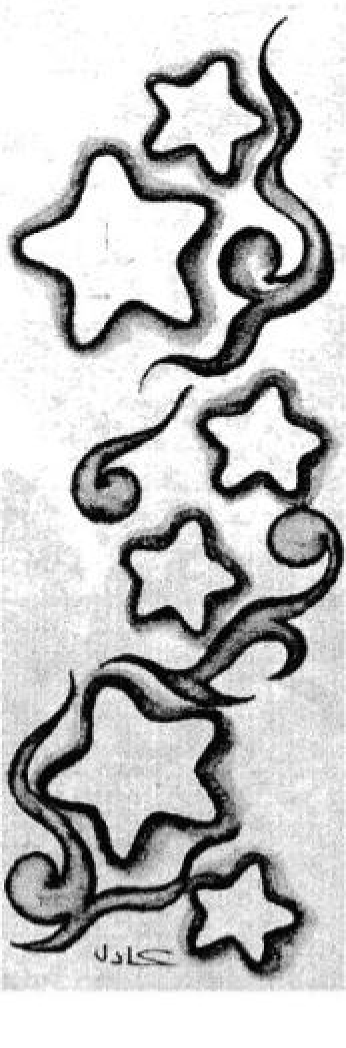
يتقوقعون في أواسط روسيا ، حيث يقيم أحفادهم الى اليوم وأكثرهم من المسلمين في جمهورية « تتار » السوفييتية ...

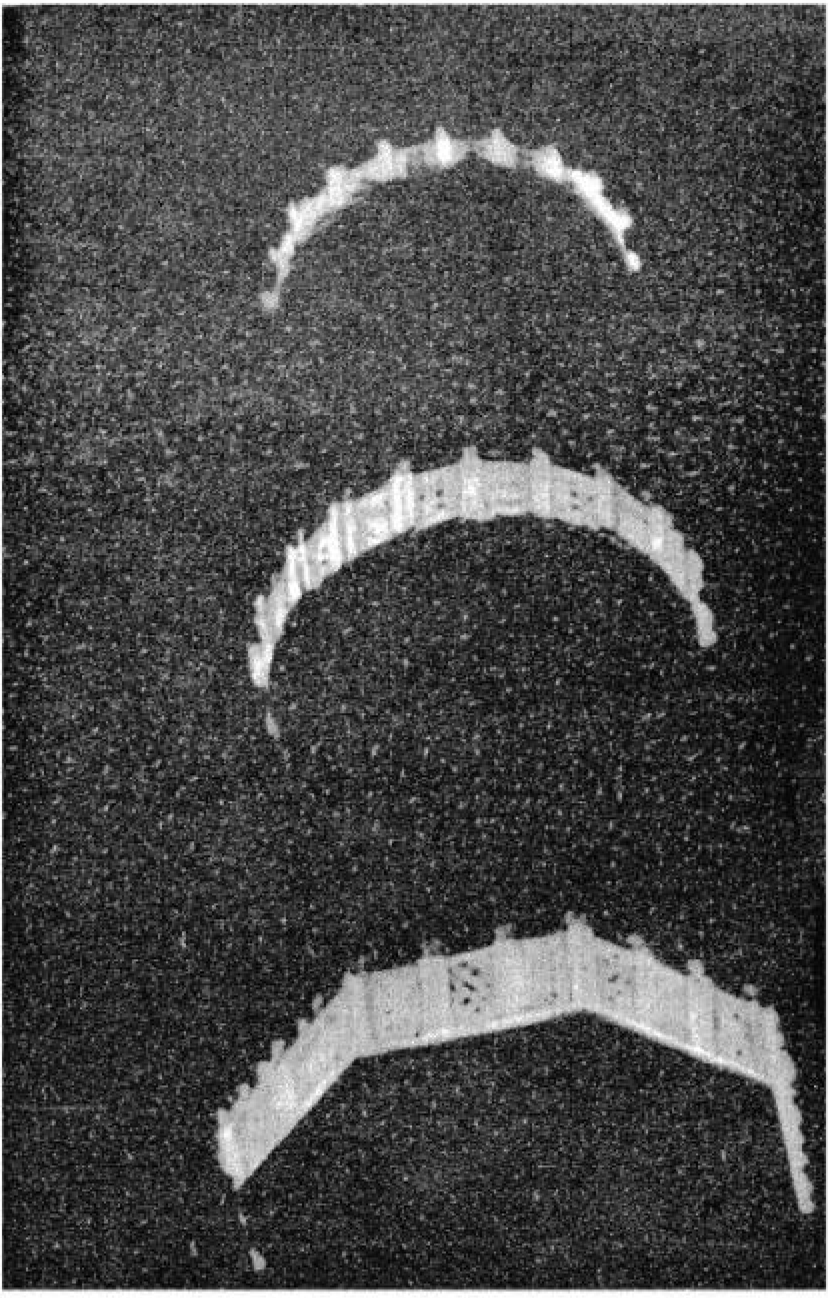
وتبدو أهمية هذا الانتصار التاريخي فيما يأتي :

١ ـ القضاء على البقية الباقية من الأحلام الصليبية بتصفية بعض قواعدهم المتخلفة من غزوتهم الاستعمارية على الساحل الفلسطيني

٢ ـ حفظت للعروبة والاسلام مصر قلعتها الصامدة على مدى العصور ، وفي وجه التحديات المتصلة ... وقدر بعض المؤرخين الغربيين أن مصر لو سقطت في أيدي التتار لما بقي للعروبة والاسلام ملجأ يحميهما ، ولكنهم في الواقع نسوا أن مصر والبلاد العربية قد انتصرت على الكثير من الغزوات والفتوح قرونا طوالا ، والبتت أنها أقوى من جميع القوى العاتية والتحديات الباغية ... ولكننا ينبغي الا ننكر أن التخلص من قبضة التتار ووحشيتهم بعد الوقوع في قبضتهم أمر كان يكلف المصريين والمسلمين من الثمن الغالي وافدحه .

٣ ـ كان من نتائج المعركة ان احتفظت مصر في عهد المماليك بقوتها الاساسية في الشرق الادنى لمدة قرنين من الزمان ، حتى قامت الدولة العثمانية وتزعمت العالم الاسلامي أربعة قرون حسوما ، وهوت في نهاية عهدها الى الحضيض ، واستيقظت الامةالعربية ، تحاول أن تحييامجادها وقوميتها وتراثها .. ولايزال نضالها متصلا ، وسينتصر بعون الله وارادة الامةلانه نضال الحرية ...والعدل والسلام





محمد عبد الغني حسن



في حديث نبوي شريف متفق عليه
رواه أبو هريرة عن النبي عليه الصلاة
والسلام أنه: «إذا جاء رمضان فتحت
أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار
وصفدت [illegible]
[illegible] الشياطين»

الشعر في رمضان

الشعر في رمضان

وقد روى هذا الحديث بسند اخر اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم ، ونصه :

(كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يبشر اصحابه بقدوم رمضان، يقول : قد جاءكم شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه ، تفتح فيه ابواب الجنة ، وتغلق فيه ابواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ...)

ومن فضل الله ، وفضائل رمضان أن الشياطين تقيد فيه بالاغلال ، فتقل – أو تنعدم – فيه فرص الاغواء والاغراء ... ويصبح الشيطان – لعنه الله – في عطلة ، حيث لايسمح له الجو الروحي ، والمناخ المشرق بالتجليات الالهية في صيام النهار وقيام الليل... أن يمارس عمله في اغواء خلق الله وفتنتهم وابعادهم عن الصراط المستقيم .

ولكن « شياطين » الشعر في رمضان لاتزال تمارس ايحاءها وامدادها للشعراء في خلال ذلك الشهر الكريم كما تمارسه في سائر الشهور على مدار العام كله ... ويظهر ان شياطين الشعراء مستثنون من القيود والاغلال التي تصفد بها بقية الشياطين ، فهم يطيفون في شهر رمضان وفي لياليه الطيبة المباركة بأروقة الشعراء وهياكلهم ، وهم يوحون اليهم بالقول كما يفعلون معهم في بقية الشهور والايام ...

ويظهر أن شياطين الشعر العربي في شهر رمضان يستحيلون الى الهة كما كان الشأن عند اليونان ، حتى لا يدنسوا حرمة هذا الشهر الكريم بايحاءات الشياطين !...

ولماذا نجد عند قدماء الاغريق الها للشعر هو « أبولو » ، كما نجد ربات اخريات للفنون يبلغ عددهن تسعا ، من امثال « كاليوبي » ربة شعر الملاحم والبطولات ، و « ملبومين » ربة شعر المأساة ، و « اراتو » ربة شعر الحب ، وغيرها من بقية الربات التسع ؟ ثم لا نجد في الفنون العربية الاسلامية الهة واحدة ؟ على حين نجد للشاعر الاعشى اكثر من شيطان ، بعضهم عربي ، وبعضهم اجنبي ، مثل : مسحل : وجهنام ، ونجد للشاعر حسان بن ثابت المخضرم بين الجاهلية والاسلام شيطانا من بني الشيصبان ، ونجد للفرزدق الشاعر الاموي شيطانا أسمه (عمرو) ، وللكميت الشاعر الاسلامي شيطانا اسمه « مدرك » ونجد شعراء اسلاميين اخرين لهم شياطين بلا اسماء !؟

وسواء اكان الموحون والملهمون بالشعر العربي في رمضان المعظم الهة ام شياطين فاننا على كل حال نجد منهم كثرة كاثرة منذ كان للامة الاسلامية صيام ورمضان ... فهم لايزالون يوحون الى شعرائنا بالقول في رمضان وفي غير رمضان . وهم لايزالون يتنزلون في رمضان ، ويلهمون شعراء الروح والصفاء النفسي بأطيب المعاني ، واكرم الافكار.

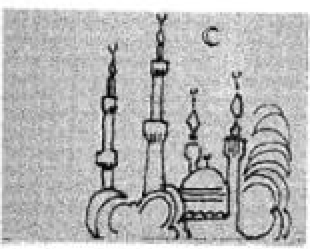
وكم نجد في الادب العربي على مدار العصور قيما روحية عالية ، وافكارا روحانية ، وفيوضات ربانية تجلت في شهر رمضان . ولو ان

شعراءنا القدامى والمحدثين يؤرخون لقصائدهم باليوم والليلة والشهر - كما ينبغي ان يكون - لعلمنا حينئذ كم من الشعر العربي قد حيكت ديباجته، ونسجت بردته، وتجلى به الالهام في شهر رمضان ...

ولا شك - ونحن نتحدث عن تجربة - أن نظم الشعر، وعمل القصيد في خلال شهر رمضان هو عمل - على ما فيه من المشقة واجهاد الفكر - فيه كثير من الصفاء والاشراق . واذا كان نظم الشعر، أو بناء القصيدة، في نهار رمضان الصائم هو عمل محفوف بالارهاق والاعنات، وخاصة لاصحاب العادات كالتدخين وشرب القهوة، فانه في ليالي رمضان - بطولها وانسها وبهجتها وروحانيتها - عمل تحبه النفس، حيث تصفو الروح، ويتطهر الوجدان، وينطلق الخيال الى سموات قدسية لا ترام في غير رمضان .

على أن معنى ذلك أنه لا يكون شعر الروح والصفاء والتجليات الا في ليل رمضان القائم ... فكم من شعر عربي : قديم ومحدث، يتجلل بالاشراق والفيض، ويذوب مما كاد قائله يذوب ويفنى في جلال الله ...

أليست تعترينا هزة، وتلف كياننا خشية ورهبة، وتغدق علينا سحائب عفو ورحمة ونحن نقرأ أبيات « اسماعيل صبري » التي تحمل عنوان : (الى الله)، والتي يقول فيها في معرض الرجاء والطمع في عفو الله :



يا رب ! أين ترى تقام جهنم
للظالمين غدا، وللاشرار ؟
لم يبق عفوك في السموات العلا
والارض شبرا خاليا للنار !
يا رب ! أهلني لفضلك، واكفني
شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك لكي أرى
غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الاسرار ! حسبي محنة
علمي بانك عالم الاسرار
اخلق برحمتك التي تسع الورى
الا تضيق باعظم الاوزار !

ثم اننا نحس بسريان روح الله في كل صغيرة في الكون، حتى في الزنبقة البيضاء، وفي رعشة العشب، ونحس بعدم وحدتنا أو وحشتنا في الكون، وروح الله معنا وعين الله ترعانا، حين نقرأ قصيدة الشاعر الدكتور « عمر النص » التي عنوانها (الطريق الى الله)، وفيها يقول :

لم أكن وحدي فهذا الحلم قد قبل هدبي
انا في الموج وراء الموج، في النجم المحب
انا في قافلة تهفو الى رشة سحب
في الصدى يشهق في الليل ويطوى ألف سهب
في ندا زنبقة بيضاء ... في رعشة عشب
في انتظار اللمحة البكر التي تهتك حجبي
في الهوى يجرح عيني، ويندى منه تربي

ايها الليل على الدرب هنا بيبا نربي
انا ماض افتح الكون فمن الح قربى ؟
اانا وحدى ؟ وعين الله لا تبرح قلبى ؟

ثم السنا نرى الله يتجلى بعظمته ونحن نقرأ قصيدة الشاعر « عدنان مردم » التى عنوانها (المؤذن) ، والتى يقول فيها :

اى سحر نفث الداعى الذى   هب فى جنح الدجى يدعو الالها ؟
التسابيح التى رددها   فى الدجى فاح مع الصبح شذاها
كشف الوجد الذى ساورنى   لهبه عن ظلمة طال دجاها
وجلت نار الهوى عن ناظرى   حجب الشك ، وعن عينى قذاها
فرأيت الحق بالعين التى   انزف الشوق الى الحق بكاها
وتجلى الله للقلب الذى   تابع الدنيا على نهج خطاها ....

وكذلك تسكرنا بخمرة الحب الالهى قصيدة (الفجر) التى يقول فيها الشاعر « حسن كامل الصيرفى » :

الله اكبر .. الله اكبر
تسبيحة العالم المطهر
للخالق المبدع المصور

الشعر في رمضان

ومثلها قصائد ومقطعات روحية صافية للشاعر « حافظ جميل » ، والشاعر « محمد البزم » شاعر سورية الفحل ، والشاعر « احمد الصافى النجفى » الذى يقول :

الله نور الارض نور السماء
ما انا ؟ ما العالم لولاه ؟
اعمى الورى من لا يرى نوره
الم يشاهد ؟ اين عيناه ؟

هؤلاء الشعراء وعشرات غيرهم فى القديم والحديث ، وفى الوطن العربى والمهاجر ، قد تركوا لنا رصيدا طيبا من الشعر الروحى الاشراقى ، سواء اكانوا نظموه فى ليالى رمضان أم فى غيرها . وما لنا نقيد شعر القيم الروحية العالية فى رمضان ، مع أن كثيرا من شعراء هذا اللون الصافى هم من اخواننا الكرام الذين لا يدعوهم دينهم الى صيام رمضان ؟ كالشاعر « صلاح لبكى » الذى يناجى ربه قائلا :

تحدثنى لاحس وميضا   تلفجر بى نبعه الصبيب
وترمقنى ، فيهم البياض   ويغمرنى ضوءه الاشقب

وكالشاعر المهجرى « رشيد ايوب » الذى يقول عن الله محبة وجمالا :

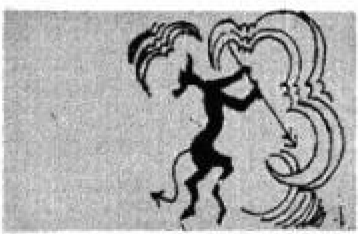
خلق الرحمن هذى الكائنات   وحباها كل حب ازلى
ما ترى الانجم ترنو ساهرات   وهى لولا الحب لما تفعل
كلما شاهدت تلك النيرات   وجمال الله فيها ينجلى
دق قلبى دقة النائى الغريب   ذكر الاوطان والعهد القديم
ان عين الحب ليست ترقد   فهى عين الله بارينا القدير

وكالشاعر المهجرى « جبران خليل جبران » ، و « ميخائيل نعيمة » ، و « ايليا أبو ماضي » ، ودواوينهم تفيض بشعر الحب الالهي والروح والتجليات .

وينتهز كثير من شعراء المسلمين ـ قديما وحديثا ـ شهر رمضان فيجعلون من حلوله فرصة للون من الشعر الديني الوعظي ، ويتخذون من مقدمه مجالا لاستلهام الفيوض من التجليات الالهية ، التي يواتيها شهر رمضان ولياليه بما قد لا تواتي به بقية الشهور من العام ، مع التسليم بأن شعر القيم الروحية قد يكون في غير رمضان كما قد يكون في رمضان ... ولكن هذا الشهر المكرم قد يمهد للشعراء بيئة ، ويهيىء لهم جوا من شعر الصفاء والنقاء . فهذا الشاعر الامير « تميم » ابن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي يستقبل رمضان بأبيات يقول فيها :

يا شهر مفترض الصوم الذي خلصت فيه الضمائر ، والاخلاص للعمل
ارمضت يا رمضان السيئات لنا بشربنا للتقى علا على نهل
فليت ذلك عنا غير منتقل بصالح وخشوع غير منفصل
وليت شهرك حول غير منقطع صوم ، وبر ، ونسك فيه متصل

وقد جرى كثير من شعرائنا على هذه السنة باستقبال رمضان ، وتهيئة النفوس له ، والحفاوة به ، وحسن تلقيه زائرا كريما ، وضيفا عظيما . فالشاعر الكاتب « مصطفى صادق الرافعي » يوجه التحية الى رمضان ، مشتاقا الى لقائه ، فرحا بمقدمه قائلا :



فديتك زائرا في كل عام
تحيا بالسلامة والسلام
وتقبل كالغمام يفيض حينا
ويبقى بعده أثر الغمام
وكم في الناس من كلف مشوق
اليك ، وكم شجي مستهام

والشاعر « محمد مصطفى حمام » يستقبل استهلال رمضان بقصيدة يعدد فيها فضائل هذا الشهر ومآثره ، فهو يجمع الشمل ، ويطفىء الغل ، ويذكي قبس الحب ، ويوقظ الايمان ، وهو يقهر الناس دون قهر ، ويتسلط عليهم بلا سلطان :

انفثوا السحر يا رجال البيان واطيلوا الحديث عن رمضان
العزيز ، الحبيب .. أسمح من هل علينا ، واكرم الضيفان
النصيح ، المعلم ، الواعظ ، الهادى ، رسول الحنان والاحسان
جامع الشمل ، مطفىء الغل ، مذكي قبس الحب ، موقظ الايمان
حدثونا عن راحة القيد فيه حدثونا عن نعمة الحرمان
هو للناس قاهر دون قهر وهو سلطانهم بلا سلطان !

والشاعر « محمود جبر » يحسن استقبال رمضان بأبيات يعبر فيها عن مكابداته في ليل رمضان ونهاره ، فهو يعف في نهاره عن لغو الحديث واثمه ، ويذيب ليله بالتبتل والتهجد ، قائلا :

الشعر في رمضان

رمضـــان يا طهر النفوس ... هرعت أســتجديك رفـــدك
واعف يومـــك عن حـــديث ... لا يطـــابق منك قصـــدك
وانيب ليلـــك في التبتـــ ... ل أبتغي الانوار عنـــدك
انت المفضـــل في الســما ... ء وبالكتاب خصصت وحـــدك
يا معبـــد المتهجـــدين ... فزعت أســتهديك رشـــدك
يا قلب ! ذلـــك من تحـــب ... فسق له يا قلب وجـــدك
وافرح له شـــوق الجـــوا ... رح ، وابتغ الاحسان جهـــدك
فضـل الـــذي لا يستطيـ ... ع شـــذا رباك ، وعـــاف وردك
رمضـــان يا روض الخلـــو ... د ، انا اللهيف رجوت سعدك !

وهـــذا اللقاء وحسن الاستقبال وفرحة التهلل لمقدم رمضان الكريم ، قد اجاد كثير من شعراء العرب في القديم والحديث وصفه ، واحسنوا التعبير عنه . وكان الدنيا كلها دار تستقبل — على رحبها وسعتها — هذا الضيف الكريم ، خاصـــة اهـــل التقى والتقين الذين يحرصون على اقامة حق الله في هـــذا الشهر خير قيام . وليس من الضروري أن يكون الشعر الذى نظم في استقبال مواكب رمضان هو لشعراء يحرصون على أداء فريضة الصوم او يمارسونها بالتزام ... واذا كان لنا ما ظهر ولله ما بطن ، فاننا نقبل كل ما أحسن به الشعراء استقبال شهر رمضـــان ، قبولا حسنا ، ونحسن الظن بأصحابه ، ونشكرهم على حسن تعبيرهم لاستقبال هذا الضيف الكريم .

ولا شك ان تهلل كثير من شعرائنا المعاصرين والمحدثين للقـــاء شهر رمضان هو رد فعل لموجة قديمـــة ثقيلة كان يواجه بها بعض المتحللين من شعراء العربية الاقدمين هـــذا الشهر الذى انعقد اجماع المسلمين على حرمته وفضله ووقاره .

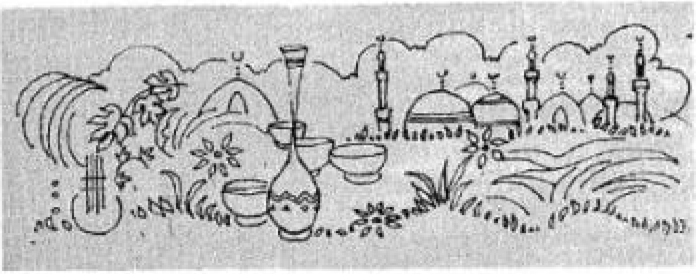
فقد كان باردا وثقيلا وممجوجا في الذوق الاسلامي العام ان نجد في ديوان الشعر العربي مثل هذا الشعر الجريء لابن الرومي حيث يقول عن شهر رمضان :

شهر الصيام — وان عظمت حرمته — ... شهر طويل ثقيل الظل والحـــركة
يا صدق من قال : ايام مبـــاركة ... ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركة
شهر كان وقوعي فيـــه من قلقي ... وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه
لو كان مولى وكنا كالعبيـــد له ... لكان مولى بخيـــلا سيء الملكه
قد كاد — لولا دفاع الله — يسلمنا ... الى الردى ، ويؤدينا الى الهلكه ..

ويظهر ان الشاعر ابن الرومي كان واقفا لرمضـــان بالمرصاد كل عام ، فهو يستقبله اسوأ استقبال ، ويتحدث عن بركاته ، ولكنه مبارك في طوله وتطاول ايامه ! ويتحدث عن حرمان الصائم في نهاره من لذائذ المأكول والمشروب . ولا شك ان بطنـــة ابن الرومي وحيوانيته ونهمه وفرط ولوعه بالمشارب والمطاعم مســـئولة عن توجس ابن الرومي دائما من شـــهر رمضان ، وخشيته من طوله . فكان الرجل كان يقع دائما مطلع كل رمضان

في حرج كبير · ولولا بقية من دين ، ومسكة من حياء وتأثم ، لضرب ابن الرومي بصوم رمضان عرض الحائط ، وأضرب عن صيامه ، ولكنه استحى أن يتهم بالافطار في هذا الشهر ، وهو تعطيل لركن من اركان الدين ، فاكتفى بأن يصب سخطه على رمضان ، مع القيام بحق الصوم فيه ! وهو حق لا يسقطه الا أعذار مبيحة للفطر نص عليها الفقهاء ··· على كل حال كانت نغمة للشاعر ابن الرومي في هجاء شهر رمضان وفي الحملة العنيفة عليه نغمة غير لائقة ولا متوقعة من شاعر مسلم متدين ، فان الرجل لم يتخذ لنفسه مذهب الفلاسفة في عصره ، ولم يتزندق ، ولا عرف عنه أنه كان ضعيف العقيدة ، مهزوز الايمان مثل « بشار بن برد » ومن لف لفه من الشعراء ·

والحمد لله أن ابن الرومي لم يقرن هجاءه لشهر رمضان بالافطار فيه ، وحسبه ثوابا أنه صبر على عنت الصوم وارهاقه وضيقه ، بما نفس عنه في شعره الهجائي لشهر الصيام !· ولم ينفرد ابن الرومي وحده من بين شعرائنا القدامى بهجو شهر رمضان المعظم ، فقد سبقه الى هذه الظاهرة العجيبة شاعر من الكبار هو ابو نواس المتوفى سنة ١٩٨ هـ ،



ونحن نعلم أن ابن الرومي مات سنة ٢٨٣ هـ ، فكان بين وفاتيهما بضعة وثمانين عاما · وجرأة أبي نواس على شهر رمضان بالهجاء أشد من جرأة ابن الرومي ، فقد كان « النواسي » أقرب الى القرن الاول من الاسلام ، وادنى الى ايام انتشاره··· ولكن هذه القرابة الزمنية لم تمنعه من أن يتعاطى الخمر ، ويرتكب كل موبقة مما يصدنا الحياء هنا عن ذكره ! ومحمود منه – على أية حال – أنه كان يصوم رمضان مع سوء استقباله له بشعره · وقد يكون من باب الفائدة الادبية لا غير أن نسجل هنا بعض شعره في الخمر وصوم رمضان :

لو كان لي سكن بالراح يسعدني لما انتظرت بشهر الصوم افطارا
الراح شيء عجيب انت شاربه فاشرب ! وان حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية صر في الجنان ! ودعني أسكن النارا

ويدخل مع أبي نواس وابن الرومي في حلبة الساخطين على شهر رمضان شاعر ثالث من الكبار ومن المغالين في التصوير الشعرى البعيد ، وهو « بشار بن برد » ، المتوفى سنة ١٦٧ هـ·· فهو سابق على صاحبيه في الزمن ، وسابق عليهما في الجرأة والتهجم على شهر رمضان ! وكثيرا

ما كان يترقب طلوع هلال شوال ،ليخلص من رمضان ومضايقات • و... اطرفه وهو يقول :

قل لشهر الصيام انحلت جسمي فمتى يا ترى طلوع الهلال ؟:
اجهد الان كل جهدك فينا سترى ما يكون في « شوال » ":

ولو اخذنا نعد الشعراء الذين برموا بشهر رمضان واساءوا استقباله ، ولو عنينا النفس بتسجيل شعرهم ، لطال بنا القول من ناحية . وسبح الحديث من ناحية أخرى ،ولكنا نكتفي بأن نذكر حفنة منهم ، على رأسها « الاقيشر الاسدي »الشاعر الاموي الماجن الخليع ، و « أبو عيسى بن الرشيد » الذي استجاب الله دعوته بأن لا يصوم رمضانا اخر بعد الذي كان فيه ،فادركه شؤم دعائه • ولم يعش الى رمضان قابل • وبيتاه في هذه المناسبة المشئومة هما :

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهرا بعده اخر الدهر
ولو كان يعديني الامام بقدرة على الشهر لاستعديت دهري على الشهر

وتسوقنا غرابة هذا الدعاء المشئوم على المرء نفسه ، الى دعاء اخر نذكره هنا استطرادا لقرب الشبه بين الحادثين ، فقد ذكر ابن رشيق في كتابه (العمدة » في صناعة الشعر ونقده) أن الشاعر المحب : « المؤمل ابن اميل » لما قال بيته المشهور :

شف « المؤمل » يوم الحيرة النظر
ليت « المؤمل » لم يخلق له بصر

نام ذات ليلة صحيحا ، فلما أصبح وجد نفسه مكفوف البصر • وكان الله عجل له بما تمناه ••• ومن شعراء هذا المضمار أيضا « السرى الرفاء » الشاعر الموصلي المتوفى سنة ٣٦٢ هـ •• وله في سيف الدولة أمير بني حمدان مدائح كثيرة • وياليته كانت له في شهر رمضان مدحة واحدة ؟ بدلا من مدائحه للأمراء والعظماء ، التي كان « يقبض » عليها الصلات والعطاء !

الشعر في رمضان

ويمتاز الشعر العربي في رمضان بأن هناك كثرة من الشعراء انتهزوا فرصة حلول هذا الشهر من كل عام فيرفعون الى من يحبون أو يجلون أو يتعلقون بالبالهم من الممدوحين والمرجوين ، تهاني شعرية تحمل معنى التبريك والتهنئة بمقدم هذا الشهر الكريم • والتهنئة بشهر رمضان عادة قديمة عند المسلمين • وقد لجأ بعضهم الى التهنئة النثرية برمضان مادام الشعر لا يطاوعهم ، والقريحة لا تواتيهم • ولاتزال بطاقات التهنئة بحلول شهر الصوم باقية الى يومنا هذا • ولاتزال (الامساكية) التي تحمل المواقيت في شهر رمضان ،تحمل في الوقت نفسه تحيات أصحابها وتهنئاتهم الى من يرسلونها اليهم ،الا ان الشعر العربي على خلال العصور رأى ان يتخذه اصحابه الشعراء مطية الى تهنئة أصحابهم وممدوحيهم بحلول شهر الصيام • ولو أن تفتح ديوانا من دواوين الشعر القديمة الا وجدت فيه قصيدة أو اكثر نظمها صاحب الديوان في التهنئة بشهر

رمضان . واصبحت التهنئة بشهر رمضان غرضا من اغراض الكلام فى باب التهانى الشعرية . فاذا كان الناس يهنئون بالمولد ، وختان الصبيان ، والاعراس ، وبناء الدور، والسفر الى الارض المقدسة لاداء فريضة الحج ، والعودة من الحجاز ، وعيد النيروز ، وعيدى الفطر والنحر ، وغيرها من المناسبات التى تجب فيها التهنئة ، فلماذا لا يهنئون بشهر رمضان : شهر الخيرات والبركات ؟

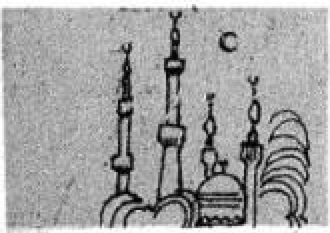
ان الشاعر « الشريف الرضى » من شعراء القرن الرابع الهجرى واوائل الخامس يهنىء الخليفة الطائع العباسى بشهر رمضان فيقول :

تهن قدوم صومك يا اماما ... يصوم مدى الزمان عن الاثام
اذا ما المرء صام عن الخطايا ... فكل شهوره شهر الصيام

والامير الشاعر « تميم بن المعز » الفاطمى يهنىء العزيز الفاطمى الخليفة بقوله :

ليهنك ان الصوم فرض مؤكد ... من الله مفروض على كل مسلم
وانك مفروض المحبة مثله ... علينا بحق قلت لا بالتوهم
فهنئته يا من به الله قابل ... من الخلق فيه كل نسك مقدم

و « ابن حمديس الصقلى » المتوفى سنة ٥٢٧ هـ والذى عاش فى صقلية زمنا ، يقول فى تهنئة الامير أبى الحسن على بن يحيى حفيد « المعز ابن باديس » بشهر الصيام :



صمت لله صوم خرق همام
مفطر الكف بالعطايا الجسام
اطلع الله للصيام هلالا
ولنا من علاك بدر تمام
وانقضى الشهر من صنيعك صنعا
معلنا منه همة باهتمام
قطع ضوء النهار صوما وبرا
ودجى الليل بالسرى والقيام
وسجود من نور وجهك طوعا
ما اطال السجود وجه الظلام

حتى ابن الرومى الذى كان يبرم ويضيق نفسا – لا نفسا – بشهر رمضان ويهجوه ويفتن فى هجائه ... ابن الرومى هذا يسارع الى تهنئة أحمد معلوجيه : أبن يحيى ، بهذا الشهر ، فيقول له :

الصمت والحنث له الام ... يمن له الشعر والمقام
انك ما راض لك الصيام ... طرفا ولا فرجا له عرام
لوجهك الاجلال والاكرام ... عن ذاك والتبجيل والاعظام
سيشكر الشهر لك الحزام ... الك لما عره الطغام
وتبحث فى وجهه اللئام ... ولم يعظم حقه اقوام
فيهم عليه بالخنا اقدام ... كانهم من جهلهم انعام
ليس على افواههم ختام ... ولا لضيف عندهم ذمام
بش به منك فتى بسام ... طلق المحيا ، ماجد مقدام ...

وليت شعرى ! هل نسى ابن الرومى هنا – فى مقام التهنئة بالشهر – انه كان واحدا من هؤلاء الطغام الذين يبرمون – أو يكرهون – رمضان ، وانه

الشعر في رمضان

كان واحداً من هؤلاء اللئام الذين ينبحون في وجه رمضان ؟؟ لقد صدق الشاعر القديم حين قال : (وماسمي الانسان الا لنسيه ...)

ولكن هناك شكوى مشتركة بين الشعراء المتحاملين على رمضان ، وهي شكوى اتهام هذا الشهر الجميل اللطيف الخفيف ، بالثقل والطول .. وقد يكون اتهامه (بالثقل) لان واحدا من اخواننا الشعراء الغزليين المحبين قد حيل بينه وبين الاجتماع بمحبوبه وشفاء حاجة النفس منه !. وقد احسن شاعر قديم التعبير عن هذا بقوله :

ثقل الصوم علينا ... اثقل اللـــه عليه !
زارني بالامس بدر ... كنت مشتاقا اليه
فمضى ... لم اقض منه ... حاجة كانت لديه !....

اما اتهام رمضان بالطول فتكاد تكون الشكوى الشائعة عند كارهيه سامحهم الله ! « فابن الرومي » يقول في طوله وثقله :

شهر الصيام وان عظمت حرمته ... شهر طويل ثقيل الظل والحركه
يمشي الهويني ! فاما حين يطلبنا ... فلا (السليك) يدانيه ولا (السلكه)(١)
يا صدق من قال : ايام مباركة ... ان كان يكني عن اسم الطول بالبركة

ثم يقول من مقطعة أخرى :

اذا بركت في صوم لقوم ... دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل ... يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهراً ... ومر نهاره مر السحاب !

ويلاحظ هنا أن الشكوى من طول أيامه الصائمة لا من طول لياليه . ويمضي ابن الرومي في استطالته لشهر رمضان زاعما أن البركة التي فيه هي طول أيامه !

شهر الصيام مبارك ... لكنما ... جعلت لنا بركاته في طوله !
من كان بالله فليت خروجه ... علي بجدع الانف قبل دخوله
شهر يصد المرء عن مشروبه ... مما يحل له ، وعن ماكوله ...
لا أستثيب (٢) على قبول صيامه ... حسبي تصرمه ثواب قبوله !

ولقد أوحى طول شهر رمضان الى بعض الشعراء الخبثاء معاني طريفة، « فابو نواس » يصف فتاة كان قد تقدم لخطبتها بأن عرقوبها طويل مثل شهر رمضان ، فيقول :

نبئت ان فتاة كنت اخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

على أن (حالات) الصوم ،والافطار ، وافطار الصائم عند البخلاء ، وأجر الصائم ، وليلة القدر التي خصها الله بالعشر الاواخر من

---

(١) السليك هو شاعر جاهلي صعلوك اشتهر بالعدو الشديد ، والسلكة اسم امه (٢) اى لا اطلب الثواب

شهر رمضان هي من المعاني التي دار عليهــا الشعراء كلامهم حين يمدحون ، أو يهجون ، أو يتظرفون ، كقول ، ابن عبد ربه ، في مــائدة الافطار عند بخيل :

لا يفطـــر الصـــائم من اكله ... لكانه صـــــوم لن الفطـــرا
في وجهــه من لؤمه شـــاهد ... يكفي به الشـــاهد ان يخبرا !

والكلام في هــذه المعاني الدارة يطول ، والحديث عنها والاستشهاد بها قد لا يلائم جلال العبادة وجمالها في هــذا الشهر . ولكن المناسب ان نقف وقفة قصيرة عند ، ليلة القدر ، فقد شبه شاعر قديم محبوبته بليـــلة القدر ، كما شبهها قبل هــذا بجملة تشبيهات جيدة رائعة فقال :

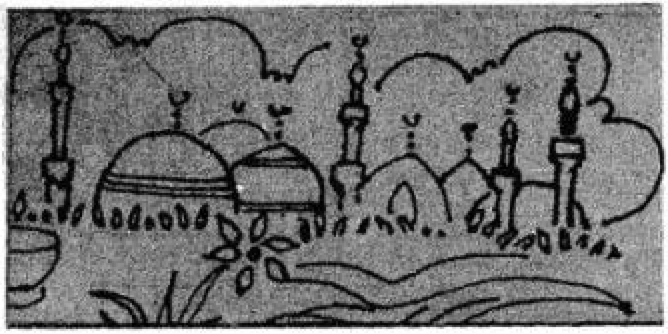
فلو كنت ماء كنت ماء غمـــامة ... ولو كنت درا كنت من درة بكــر
ولو كنت مسكا كنت من مسك طيبة ... ولو كنت طيبا كنت من عنبر البحرا
ولو كنت لهوا كنت تعليل ســاعة ... ولو كنت نوما كنت اغفاءة الفجر
ولو كنت ليـــلا كنت قمراء جلبت ... محاق ليالي الشهر او (ليلة القدر)

ويظهر أن هذا اللون من التشبيه البديع قد استهوى بعض الشعراء ، حيث روى ، ابن الاعرابي ، هــذين البيتين الرقيقين :

فلو كنت يوما كنت يوم تواصـــل ... ولو كنت ليلا كنت لي (ليلة القدر)
ولو كنت عيشا كنت نعمة جنـــة ... ولو كنت نوما كنت تعريسة الفجر !

واذا كانت (ليلة القدر) قـــد اتخذها بعض الشعراء في القديم مجالا للتشبيه في معرض الحب ومقـــام الغزل ، وجعلوا ليلة وصال المحبوب شبيهة بها ، وقريبة لها ، فان فريقــا آخر من شعرائنــا المعاصرين قــد اشادوا بهـــذه الليلة من الناحيــة الدينية ، ورفعوا من ذكرها كما رفع الله ذكرها في كتابه الكريم ، وجعلوا منها سببا لاحياء عزائم المسلمين ، واستنهاض هممهم لاعادة أمجادهم ، واسترداد مكانتهم ، فنجد - مثلا - الشاعر العراقي المعـــاصر المرحوم ، عبد القادر رشيد الناصري ، يحيي هذه الليلة المباركة التي هي خير من الف شهر ، قائلا في قصيدة قــوية النسج محكمة البناء عنوانها ، ليلة القدر ، :

يا ليلة القـــدر المنيـــرة الرقي ... فخرا بآفاق الهدى وفراقــــدا
قصي على الاسماع من انبائهــــا ... ما يرجع التاريخ منها حاســـدا
واسترجعي العهد القصي كما هفـا ... طيف يراود في الظلام الراقـــدا



جبريل بالآيات يهفو خاشعا ... نحو الامين مراوحا ومعاودا
حمل الرسالة وهي عبء فادح ... الا لمن نذر الحياة بما هدى
يبنى على الجهل المشتت دولة ... ويشيد في سوح الضلال معابدا
ويهد بالفكر المحرر طاغيا ... ويرد بالآى الشمع معاندا

كما نجد الشاعر المفكر « احمد مخيمر » يصف هذه الليلة وانوارها جليات الغيب فيها قائلا :

ليلة القدر عندهم فرحة العمر ... تدانت على سناها السماء
وتجلى لنا بها الغيب حتى ... ما عليه دون العيون غطاء
في انتظار لنورها كل ليل ... يتمنى الهدى ، ويدعو الرجاء
وتعيش الارواح في قلق الاشواق ... حتى يباح فيها اللقاء
فاذا الكون فرحة تغمر الخلق ... اليها تبتل الاتقياء
واذا الارض في سلام وامن ... واذا الفجر نشوة وصفاء
وكاني ارى الملائكة الابرار ... فيها وحولها الانبياء ...
نزلوا فوقها من الملا الاعلى ... فاين الشقاء والاشقياء ؟..

ويجرنا الكلام عن ليلة القدر وتناول الشعر المعاصر لها ، واهتمامه بها من جهة التعبئة الروحية ، الى الاشارة الى قصيدة لنا نظمناها في خلال الحرب العالمية الثانية ، وهي تشيد بقدر هذه الليلة وتدعو العرب والمسلمين ان يعيدوا فيها ما كان للاسلام من مجد وقوة ، وقد غناها مطرب من احدى محطات الاذاعة العربية سنة ١٣٦٨ هـ ، وفيها نقول :

الشعر في رمضان

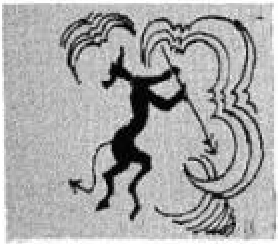
يا ليلة حفها بالفضل خالقها
لها على الدهر تكريم وتفضيل
كانها من جبين الدهر غرته
او انها فوق هام الدهر اكليل
وللعروبة في اشراق طلعتها
احلى الاماني ، وللاسلام تاميل
يارب حقق رجاء المسلمين بها
واجعل دعائي فيها وهو مقبول

وكما اشتهر بعض الشعراء بصفات خاصة اضيفت اليهم ، فيقال : فلان شاعر الربيع ، وفلان شاعر الطبيعة ، وفلان شاعر الزهر والورد لاكثاره في شعره من وصفهما .. فان هناك شعراء اشتهروا بانهم شعراء الكنافة والقطايف ! ومن هؤلاء الشعراء ابن الرومي ، و « ابو هلال العسكري » صاحب كتاب « ديوان المعاني » الطريف المفيد في موضوعه . و « ابن نباتة ـ المصري » المتوفى سنة ٧٦٨ هـ وصاحب كتاب « سرح العيون » في شرح رسالة ابن زيدون ، و « ابو الحسين الجزار » الشاعر المصري الظريف في العصر المملوكي ، و « الامام البوصيري » صاحب البردة المشهورة ، والهمزية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، و « برهان الدين القيراطي » من شعراء مصر في القرن الثامن ، وهو صاحب ديوان « مطلع النيرين » الذي يشتمل على القصائد والمراسلات التي دارت بينه وبين صديقه الشاعر ابن نباتة المصري . و « صلاح الدين بن ايبك »

الصفدى الاديب الشاعر المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٧٦٤ هـ وصاحب كتاب « الوافى بالوفيات » الذى يعد أكبر موسوعة عربية للتراجم • و « أبو الفتح كشاجم » المتوفى نحو سنة ٣٦٠ هـ وهو من شعراء عصر المتنبى • و « السراج الوراق » من شعراء مصر فى القرن السابع الهجرى ، وله ديوان اختار منه صلاح الدين الصفدى منتخبات رتبها على حروف الهجاء وأسماه « لمع السراج » •

وتطول قائمة هؤلاء الشعراء التواقين للكنافة والقطايف الى حد قد يخرج بالكلام عن موضعه ••• ولكن حسبنا أن نعرف أن للامام السيوطى العالم المؤرخ المصرى المشهور والمتوفى سنة ٩١١ هـ رسالة لطيفة ظريفة فى هذا الموضوع عنوانها (منهل اللطايف •• فى الكنافة والقطايف) •

فانظر الى أى حد قد شغلت قطايف شهر رمضان وكنافته شعراء العربية جميعا منذ أن عرف العرب أكل الكنافة على مائدة معاوية بن أبى سفيان أيام أن كان واليا على الشام •• ومنذ أن دخلت القطايف بلاد العرب وقدمت على الموائد العربية فى زمن قديم غير معروف على وجه التحقيق ؟! ولم تكتف الكنافة والقطايف بشغل الشعراء بوصفها وتشبيهها وصفات حشوها ، بل جرت بعض علمائنا المحققين ، هو الامام السيوطى ، فالف فيهما كتابا برمته •



واكثر الشعر العربى الذى قيل فى الكنافة والقطايف مقطوع بصحة نسبه الى قائليه وأصحابه ، الا ابياتا قليلة نادرة مما أوحى الى أن أسميه الابيات « الحائرة النسب » ••• لان بعض المصادر القديمة تنسبها الى شاعر ، وبعضها ينسبها الى شاعر آخر • ومن ذلك الضرب الحائر هذه الارجوزة التى يعزوها بعضهم الى « ابن يحيى بن أبى منصور المنجم » المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وكان نديما للخليفة المتوكل العباسى • والارجوزة منها

قطايف قد حشيت باللوز والسكر الماذى (١) حشو الموز
تسبح فى آذى (٢) دهن الجوز سررت لما وقعت فى حوزى
سرور عباس بقرب فوز (٣)

وقد جرى على هذه النسبة المرحوم حسن عبدالوهاب ، الاثرى المصرى، وتابعه عليها بعض المؤلفين المعاصرين دون تحقيق ، والذى نعلمه على وجه اليقين أن هذه الارجوزة هى للشاعر ابن الرومى ، وهى موجودة فى

---

(١) السكر الماذى هو العسل الابيض
(٢) الآذى بالمدة وتشديد الياء = هو معظم الموج فى البحر •
(٣) عباس هو الشاعر العباس بن الاحنف ، وفوز هى محبوبته التى يقول فيها :
يا فوز يا منية عباس قلبى يفدى قلبك القاسى
أسأت اذ أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس

الشعر في رمضان

ديوانه صفحة ٤٧٧ ، ولعل ذلك من خلط الرواة ..

ومن هذا الخلط ايضا ما جاء حول الابيات الكافية فى طول رمضان وثقل ظله وبطء حركته – فى نظر الساخطين – وقد ذكرنا هذه الابيات قبل هذا ، واشرنا الى انها من شعر « ابن الرومى » كما جاء فى ديوانه وكما هو معروف ومشهور ،ولكن « ابا هلال العسكرى » ينسبها على لسان « المبرد » الى « الحارثى » .. وهى نسبة لم تتحقق لنا ، ولم ندر كيف جاء بها « ابو هلال » مع شدة تحريه ؟ ولعلها من الابيات الحائرة النسب ، وهى كثيرة فى الشعر العربى .

ومالنا نمر هنا بحديث الكنافة والقطايف فى شهر رمضان ثم لانقف وقفة على المائدة نتخير من أطايب ما قيل فيها من شعر ؟ وقد تطول بنا الوقفة ، ويزيغ منا البصر ،وتتحير منا العين فلا تدرى ايها تؤثر بالاستشهاد وأيها تدع . وما أحوجنا وأحوج القارىء الكريم هنا الى شعر (يفتح النفس) ، ويفتح شهوة الضحك بالمعابثة اللطيفة ، والداعبة البريئة ، والفاكهة الحلوة .فمن ذلك قول « ابى الحسين الجزار » الشاعر المصرى الظريف :

سقى الله اكناف الكنافة بالقطر (١)
وجاد عليها سكر دائم الدر !
وتبا لاوقات « المخلل » انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى ؟

اما « ابو هلال العسكرى » المؤلف، وكان شاعرا ايضا ، فيقول فى القطايف :

كثيفة الحشو ، ولكنها
رقيقة الجلد ، هوائيه
رقت بماء الورد اعطافها
منشورة الطى ، ومطوية
كانها – من طيب – انفاسها
قد سرقت من نشر (ماريه) ؟
جاءت من السكر فضية
وهى من الادهان تبرية (٢)
قد وهب الليل لها برده
ووهب الخصب لها زيه

ولقد لجأ شعراء الكنافة والقطايف الرمضانية الى استعمال المحسنات البديعية واللعب بالالفاظ ، كالتورية والجناس والمطابقة وما اليها . ومن هذا اللون ما استعمله الشاعر « صلاح الدين الصفدى » من « التضمين » فى وصف القطايف :

رعى الله نعماك التى من اقلها
قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفى .... فاهتز فرحة
كما انتفض العصفور بلله القطر (٣)

---

(١) القطر هو محلول السكر وذائبه الذى يرش على الكنافة والقطايف

(٢) تبرية اى مثل التبر وهو الذهب (٣) هذا الشطر تضمين من قول الشاعر ابى صخر الهذلى من شعراء العصر الاموى :

وانى لتعرونى لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

وقصيدة ابى صخر هذه من ارق شعر الغزل العربى ، وفى « الامالى » كثير من ابياتها جزء اول .

وقد جمع « أبو الحسين الجزار » بين الكنافة والقطايف في قوله :

تالله ما لثم المراشف ... كلا ولا ضم المعاطف
بألذ وقعا في حشا ... ي من الكنافة والقطايف

وفي « الجزار المصري » هذا رقة .. وملح ، وبديهة تذكرنا بحفنة من شعراء الرقة المصرية في القديم والحديث من أمثال « ابن مطروح » ، و « البهاء زهير » ، و « ابن نباتة » ، و « محمد الاسمر » ، و « صالح جودت » طال عمره ...

وكما كان الشعراء يحسنون استقبال شهر رمضان كل عام ، فانهم كانوا يحسنون وداعه . وتعادل فرحة اللقاء والاستقبال هنا ألم الفراق والوداع ... ونقف عند شعراء « الاحساء » — أو هجر كما كانت تسمى في القديم — بالشاعر « عبدالله بن علي آل عبد القادر » من شعراء القرن الماضي والحالي معا ، فقد توفي سنة ١٩٢٥ م . وله في توديع شهر رمضان قصيدة طويلة يقول فيها:

خليلي ! شهر الصوم زمت مطاياه ... وسارت وفود العاشقين بمسراه
فقوما بنا نبكي على حسن عهده ... وما فاتنا منه ، ونذكر حسناه

***

عليك سلام الله يا شهر انتنا ... رأيناك معنى للزمان استثناه
ويا شهر لا تبعد ! فأنت وسيلة ... وذو قدم عند الحبيب اذخرناه
ويا شهر لا تبعد ! لك الخير كله ... فيارب محروم بيرك أولاه
عليك سلام الله شهر صيامنا ... وشهر تلاقينا بدهر أقصعناه

وما ودع شاعر من أهل زماننا هذا شهر رمضان بمثل ما ودعه به الشاعر محمد مصطفى حمام ، فهو وفي له — على الرغم من أن الله لم يقدره على صوم بعض مواسمه — وهو يحب أيامه ولياليه الثلاثين التي تمضي كالحلم اللذيذ ، وهو يفرح لمقدمه قدر حزنه لفراقه ، فيقول :

أنا يا شهرنا الكريم وفي ... أنا باق على هوى رمضان
ان أيامك الثلاثين تمضي ... كلذيذ الاحلام للوسنان
كلما سرنا قدومك أشجا ... نا نذير الفراق والهجران

وشاعرنا « أحمد شوقي » رحمه الله كان أكثر مجاملة وهو يودع رمضان ويتلهف الى الكأس التي حرم منها طوال ذلك الشهر ، ويعلن اشتياقه اليها قدر اشتياقها اليه ، كما كان أكثر تهذبا وتأدبا مع الله الكريم غافر الذنب وقابل التوب ، حيث يقول :

رمضان ولى هاتها يا ساقي ... مشتاقة تسعى الى مشتاق !
ما كان أكثره على ألافها ... وأقله في طاعة الخلاق
الله غفار الذنوب جميعها ... ان كان ثم من الذنوب بواقي

مسكين شهر رمضان ! يلاقي كل عام كثيرا من فرح الفرحين المتهللين ، ويلاقي كذلك شيئا من جهامة المتجهمين ، وسخط الكارهين ، ولكنه — على كل حال — يحمل من أنبل معاني السماحة والكرم ما يحقق فيه القول الدائر ، والمثل السائر : رمضان كريم .

رسالة فى جامعة لندن للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى

الحكيم الترمذي

● هل للقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن ؟

لندن من : إبراهيم البعثي

شهدت جامعة لندن مناقشة ممتعة ومثيرة استغرقت اكثر من اربع ساعات ... كان موضوع المناقشة : الحكيم الترمذى ، احد عمالقة الفكر الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى ، الذى اثارت آراؤه معظم العلماء وقتئذ فاتهموه بالكفر ، واستعدوا عليه الوالى ، فحدد اقامته فى داره مدة استمرت عشر سنوات !

وكان طرفا المناقشة ، هما : لجنة من الاساتذة برئاسة الدكتور « اوستن » – والشيخ محمد ابراهيم الجيوشى المدير المساعد للمركز الاسلامى فى لندن .

وقد انتهت المناقشة الممتعة المثيرة بحصول الشيخ محمد ابراهيم الجيوشى على درجة الدكتوراة فى التصوف الاسلامى ، مع نشر رسالته التى بلغت ٤٦٠ صفحة باللغة الانجليزية .

- ولكن من هو الدكتور الجيوشى ؟
- ومن هو الحكيم الترمذى ؟

اما الدكتور الجيوشى فهو ازهرى مصرى تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٥٤ ، ثم حصل على الشهادة

العالية من كلية أصول الدين فى العام التالى ، وفى نفس العام حصل ايضا على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية ، شعبة الدراسات الادبية واللغوية .. وقد حصل على الشهادتين فى عام واحد لانه كان يدرس فى الكليتين فى وقت واحد ...

وفى عام ١٩٦١ حصل على الماجستير من نفس المعهد . وكان موضوع رسالته عن احمد محرم شاعر العروبة والاسلام .

وقد عمل فى مبدأ حياته العملية مدرسا بمدرسة الصف الثانوية ثم عمل مديرا للشئون الدينية باذاعة القاهرة حتى عام ١٩٦٤ حيث تقرر سفره الى لندن للعمل بالمركز الاسلامى .

وكان يعتزم اعداد دراسة عن النظام الاجتماعى فى القرآن ، أو الاجتهاد فى الاسلام ، ولكنه التقى قبل سفره بالدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر . ودار بينهما حديث لفت فيه الدكتور عبد الحليم نظره الى مكانة الحكيم الترمذى العلمية بين المفكرين الاسلاميين ، وكيف أن هذا المفكر الاسلامى الذى واجه الكثير من المحن وتعرض لتحديد الاقامة عشر سنوات متتالية ، لا توجد عنه دراسة تجلو للناس آثاره وآراءه ، بل ان كتبه كلها تبلغ ٦٠ كتابا عبارة عن مخطوطات موزعة فى مكتبات عواصم العالم شرقا وغربا ...



د. محمد الجيوشى

ولم يكتف الدكتور عبد الحليم بالنصيحة بل أعطاه نسختين من الكتابين الوحيدين اللذين طبعا من كتب الترمذى ، وهما : كتاب « الرياضة وأدب النفس » ، وكتاب « الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » .

وكانت قراءة الشيخ الجيوشى لهذين الكتابين نقطة تحول بالنسبة لموضوع رسالته للدكتوراه ، اذ آمن بأن الحكيم الترمذى يعتبر ثروة يجب أن يعرف المسلمون قيمتها ، كما انه مفكر من الطراز الاول لا يليق بالعالم الاسلامى ان يجهل آثاره وآراءه .

وهكذا بدأت رحلته الشاقة وراء مخطوطات الترمذى حتى وفق فى اعداد رسالته التى ظفرت بتقدير واعجاب أساتذة جامعة لندن .

هذه هى قصة الدكتور محمد ابراهيم الجيوشى ...

- والآن ، ما هى قصة الحكيم الترمذى ؟
- وما ابرز آرائه وأهمها ؛

الحكيم الترمذي

الحكيم الترمذي

واحد من الشيوخ الاعلام في القرن الثالث الهجري ، تميز بسعة الافق ورحابة الصدر ، وغزارة العلم ، وسداد الرأي ، ونفاذ البصيرة ...

ولد في « ترمذ » احدى مدن ما وراء النهر ـ هذه المنطقة تقع حاليا في افغانستان وبعض الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي ـ وقد خرجت « ترمذ » عددا من العلماء الاعلام من أشهرهم محمد بن الترمذي المحدث المشهور . وليس هناك تاريخ ثابت لمولد الحكيم الترمذي ، والمرجح انه ولد في أوائل العقد الثاني من القرن الثالث الهجري ، واسمه محمد ابن علي بن الحسن بن بشر الترمذي . وقد اشتهر بالحكيم الترمذي ، ربما لانه اكثر من التحدث عن الحكمة والحكماء في كتاباته المتعددة ، أو لان له معرفة بعلم الطب جعلت معاصريه يطلقون عليه لقب الحكيم ... وكونه اكثر في كتاباته عن الحكمة والحكماء فهذا امر مسلم به ، تنطق بذلك كتبه ورسائله ، وخاصة ما يتعلق منها بنظرية المعرفة ووسائلها ودرجاتها ، وأما كونه ذا بصر بالطب فهذا ما لم يذكره أحد عنه وان كان يمكن استنتاج ذلك من بعض كتاباته .

والذي يدرس اثار الحكيم الترمذي ويعرف مدى نهمه للمعرفة بكل الوانها ، لا يتردد في القول بانه حصل جانبا من علم الطب المتداول في عصره ، ولا شك انه كان عصر النضج الفكري والحضاري في تاريخ الاسلام .

وقد اكثر الحكيم الترمذي في كتاباته من التحدث عن علل النفس وادوائها حديثا يضعه في مصاف الاطباء النفسانيين ، بل لا تجد كاتبا اسلاميا قد تحدث في هذا الموضوع بالافاضة والدقة اللتين تجدهما عند الحكيم الترمذي ... ولا شك ان الرجل الذي يتناول النفس الانسانية ويحلل نوازعها وميولها تحليلا يثير الدهشة والعجب في أصالة ووضوح واقناع ـ لا شك في استحقاقه هذا اللقب الذي لا اعرف انه اطلق على احد قبله من المفكرين الاسلاميين ، ولعل هذا اللقب لصق به للامور الثلاثة مجتمعة .

وكان نهم « الحكيم » للمعرفة لا حد له . فقد الم بمعارف عصره جميعها ، وبلغ فيها الغاية من حديث وفقه وتفسير وتوحيد ، حتى علوم الفلك وغيرها ، وانتهى به المطاف الى التصوف حتى صار اماما فيه . ووضع أسسا ونظريات لم يتحدث عنها الصوفية من قبله . وقد سار جماعة من الصوفية على مبادئه وسموا بالحكيمية نسبة اليه .

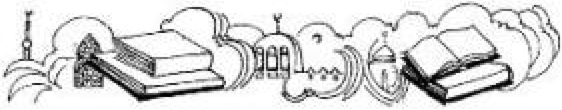
نشأ « الحكيم » في بيت علم ودين ، وتلقى تعليمه أول الامر على يدي والده علي بن الحسن الذى كان محدثا وفقيها ، وترجم له صاحب تاريخ بغداد في الجزء العاشر من كتابه ، وقد أخذ والده يغرس فيه منذ نعومة أظفاره حب المعرفة والتعلق بالعلم حتى اتجه اليه منذ الصبا الباكر ، وكان يعكف على دروسه في الوقت الذى ينصرف فيه لداته الى اللهو واللعب اللذين تتطلبهما مرحلة الصبا هذه .

ويبدو أن أمه كانت ذات معرفة بالحديث وروايته فقد روى عنها حديثا في كتابه « الرد على المعطلة » . ويعتقد أن أباه توفى وهو في مقتبل شبابه ، وتوفيت أمه قبل أن يبلغ السابعة والعشرين . وقد تلقى الحديث عن شيوخ عصره ، وقد أحصيت من شيوخه في الحديث ما يربو على مائة وستين شيخا ، تلقى عنهم وروى احاديثهم ، واغلبهم ثقات معتمدون ، وقد اشتهرت معرفته بالحديث وبرع فيه ، ورحل في سبيله ، وألف وحدث ، حتى لقب بالمحدث ، ومن مؤلفاته في الحديث كتاب « نوادر الاصول » وقد رواه عنه علماء خراسان وطبع في تركيا عام ١٢٩٣ هـ ، وكتاب « الرد على المعطلة » ومازال مخطوطا وتوجد منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية ، وكتاب « النهيات وكل ما جاء من حديث بالنهي » وهو مخطوط وتوجد منه نسختان في باريس وتركيا وكان قد عزم على الرحلة في طلب العلم واتفق مع صديقين له على السفر ، الا أن أمه لم تسمح له لحاجتها الى رعايته والقيام على شئونها وخدمتها اثناء مرضها ، فالغى الرحلة نزولا على رغبة أمه ، وظل بجانبها لا يني عن التحصيل والدرس ، ولم تزل امنيته في الرحلة لطلب العلم تعاوده حتى استأثر الله بأمه ، فعزم على الحج وكانت سنه قد بلغت السابعة والعشرين كما حدثنا في كتابه « بدو الشأن » .

وفي طريقه الى الحج مر بالعراق واقام فترة بكل من البصرة والكوفة يأخذ عن علمائهما ومحدثيهما ، وفي شهر رجب من العام الذى بدأ فيه رحلته غادر العراق الى مكة ، وجاور في رحاب البيت الحرام يصلي ويطوف ويدعو ربه حتى جاء وقت الحج فأدى مناسك الحج ، ويبدو أن فترة جواره للبيت كانت ذات أثر بعيد في حياته ويحدثنا كيف كان يقضي أوقاته فيقول : انه كان يتعلق بباب الملتزم في الهزيع الاخير من الليل طوال اقامته بمكة ، ويتوجه الى الله بالدعاء والتضرع . ويقول انه لم يكن يجرى على لسانه الا أن يسأل الله أن يصلحه ويزهده في الدنيا ، وأن يرزقه حفظ كتابه .

وعاد « الحكيم » من رحلته هذه وقد صفت نفسه وانشرح قلبه ، ورق وجدانه ، وسمت روحه ، فاقبل على القرآن الكريم يحفظه حتى تم له جانب منه في طريق عودته ، واكمل حفظه بعد وصوله الى بلده ، وكان ربما قضى الليل كله يقرأ القرآن لا يجد ملالة حتى طلوع الفجر ، ويقول هو عن ذلك : « لأخذت صدرا منه في الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسر الله على ذلك بمنه حتى فرغت منه ، فاقامني ذلك بالليل ، فكنت لا امل من قراءته حتى انه كان ليقيمني ذلك الى الصباح » .

وعاد من رحلته شيئا اخر ، فقد اتجه الى البحث في التصوف وكيفية الوصول الى الخالق سبحانه ، بعد ما رأى من صراع الثقافات وجرى دعاتها في ركاب ذوى السلطان ، وجد في البحث عن مرشد يهديه فلم يوفق .



الحكيم الترمذي

فانقضت عزيمته ، ولجأ إلى الصلاة والصيام والعزلة والتأمل الطويل ، واهتدى في تلك الوقت إلى كتاب الانطاكي فنظر فيه فقاده إلى شيء من رياضة النفس ، ويحدثنا عن هذه التجربة فيقول : « ووقع إلى كتاب الانطاكي فنظرت فيه فعلمت لعزه من رياضة النفس فأخذت فيها ، فأعانني الله والهمته منع الشهوات [illegible] ، حتى ربما كنت أمتنع عن [illegible] عن شرب ماء الانهار ، وأقول لعل هذا الماء جرى في موضع بغير حق ، فكنت أشرب من البئر أو من الوادي الكبير ، ووقع على حب الخلوة في المنزل والخروج إلى الصحراء ، فكنت أطوف في تلك الخرابات والنواويس حول الكورة ، فلم يزل ذاك دأبي ، وطلبت أصحاب صدق يعاونني على ذلك فعز علي » .

الله نور السموات والأرض

وخرج الحكيم من هذه التجربة وقد وجد نفسه ، وعرف طريقه ، واستنارت بصيرته ، فنفذ نور القرآن إلى قلبه ، وكان فهمه لكتاب الله — فهما واعيا عميقا مدركا لمقاصده ومراميه — عونا له على اختيار الطريق والسير فيه حسب هدي القرآن ونوره ، ونجد أثر ذلك في آرائه واضحا جليا ، وقد كان في أخريات حياته بكتابة تفسير للقرآن الكريم ، إلا أنه مات قبل أن يتمه ، كما يقول الهجويري في كتابه « كشف المحجوب » ، وله في حقل القرآن خاصة كتاب « تحصيل نظائر القرآن » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة [illegible] الاسكندرية ، وكتاب « الأمثال من الكتاب والسنة » ، وتوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بباريس وتركيا والهند ، هذا إلى جانب عدد من آيات القرآن الكريم فسرها ونجدها مبثوثة بين رسائله ومسائله ، خاصة « مجموعة رسائله » بتركيا ، وأشهر هذه الآيات تفسير آية النور « الله نور السموات والأرض » ، وقد نقل رأيه في تفسير هذه الآية كل من القرطبي والشوكاني .

ويرى « الحكيم » مثل غيره من الشيوخ الصوفية أن القرآن له معنى ظاهر ومعنى باطن ، وأن العالم الراسخ هو الذي يدرك ظاهر القرآن وباطنه ، إلا أنه يعلن صراحة أنه ليس هناك تعارض بين الظاهر والباطن ، ويرجع ذلك إلى القول بالعلم الظاهر والباطن ، وهو هنا أكثر وضوحا وتحديدا ، لأنه يريد أن هناك تلازما بين العلم الظاهر والباطن ، وأن من يدعي معرفة بالعلم

الباطن من غير أن يحصل علم الظاهر فدعواه مردودة ، وعلمه وسوسة من عمل الشيطان ، وقوله زندقة .

وقضية علم الظاهر والباطن قد تناولها كثير من العلماء بالنقد والتحذير ، وساعد على ذلك هذا الوقف أن كثيرين من مدعي التصوف قد ولجوا من هذا الباب إلى كثير من الخلط والتمويه على الناس والدس للحق بالباطل ، فجاء هذا التحذير من جانب العلماء من باب سد الذرائع ، وقطع الطريق على أولى الأغراض الخبيثة حتى لا يتسللوا بدعواهم بين عامة الناس ويخدعوهم عن دينهم ، الأمر الذي لا يعني أن كل من تكلم عن العلم الباطن يدخل دائرة الاتهام ويناله سوء الظن ، وحسبنا أن نورد هنا ما كتبه الحكيم الترمذي في مجال تصوره لمفهوم العلم الباطن ، ومدى صلته بالعلم الظاهر وارتباطه به ، يقول [illegible] : « فهذا طريق باطن العلم وظاهره ، ولا يستغني أحدهما عن الآخر ، [illegible] الشريعة ، وهو حجة الله تعالى على خلقه ، والآخر [illegible] الحقيقة التي [illegible] عمارة القلب [illegible] بهما جميعا ، وصلاح ظاهر [illegible] بظاهر الشريعة ، وصلاح باطنه [illegible] بالعلم الآخر ، وهو علم الحقيقة ، والدليل على ذلك أن صلاح الدين بجميعا الأمرين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التقوى ها هنا » وأشار بيده إلى قلبه ، فمن أقر بالعلم الظاهر وأنكر العلم الباطن فهو منافق ، ومن أقر بالعلم الباطن وأنكر العلم الظاهر [illegible] الشريعة وأنكرها فهو زنديق ، وليس علمه في الباطن علما في الحقيقة ، إنما هو وساوس يوحي بها الشيطان إليه » .

ومن هذا الفهم الذي يبديه « الحكيم » في الفقرة السابقة جاء قوله بأن القرآن ظاهرا وباطنا ، إلا أنه ليس هناك تعارض بين الظاهر والباطن ، [illegible] أن من يدعي علما باطنا بغير معرفة بالعلم الظاهر ووقوف على معالم الشريعة ، فإن دعواه مردودة عليه ، وعلمه وسوسة من عمل الشيطان ، والذي يدرس آثار « الحكيم » يدرك بسهولة مدى اعتماده على القرآن والحديث في البرهان على آرائه والاستشهاد عليها من الكتاب والسنة .

الثمار الروحية والعقلية

وقد خلف « الحكيم » في علم القلوب [illegible] إلا أنه لم يقتصر في ذلك [illegible]

الحكيم الترمذي



مذهب من المذاهب المشهورة ، وان كان صاحب طبقات الشافعية يترجم له باعتباره واحدا من فقهاء المذهب الشافعي ، غير ان الحقيقة أنه لم يلتزم باتباع مذهب بذاته ، بل كانت له اجتهاداته الخاصة ، وفهمه الذي يهديه اليه القرآن والسنة ، وكان ينفر من التقليد وضيق الافق والجمود على النص بدون فهم واع ورأي مستنير ، وقد بدا ذلك في هجومه العنيف في مواضع عدة من كتبه على العلماء الجامدين واتخاذهم المعارف الدينية وسيلة للوجاهة بين العامة او سبيلا الى الجاه عند ذوي النفوذ والسلطان ، وكان يسميهم علماء الرسوم ، ويرى أنهم اساءوا الى العلم الذي ينتسبون اليه حينما اتخذوه مطية لاغراضهم وأهوائهم ، ويرى أن العلم اذا لم ينعكس اثره على سلوك المنتسب اليه وتصرفاته فلا خير فيه ولا قيمة له .

وحينما يتناول « الحكيم » مسألة من مسائل الفقه بالبحث لا يهتم كثيرا باجزائها الشكلية وتفريعاتها على عادة الفقهاء . وان كان الاتيان بها على الوجه السليم أمرا ذا بال عنده ، انما يولي اهتمامه الاكثر الى الدوافع والعلل التي امرنا من أجلها باقامة هذا اللون من التعبد ، وكذلك يتجه اهتمامه الى النتائج والثمار الروحية والسلوكية والخلقية التي تعود على المرء من

مباشرة هذا اللون من التعبد ويبدو ذلك حتى في العناوين التي اختارها لكتبه في هذا الحقل ، مثل :

١ ـ الحج وأسراره
٢ ـ الصلاة ومقاصدها
٣ ـ اثبات العلل في الامر والنهي
٤ ـ علل الشريعة أو علل العبادات

ويمكن ان نطلق عليها جميعا مباحث في فلسفة العبادة في الإسلام ٠

ويوم تنشر هذه الكتب على الناس ، سيرون فيها نظرات جديدة بالتأمل والاعتبار ٠

وقد شارك « الحكيم » في مباحث علم الكلام ، وله فيها نظرات ممتعة طريفة ، وقد كتب رسالة في معنى « لا اله الا الله » سماها شفاء العلل ، لم اقرأ لباحث في هذا الموضوع مثلها ، وآمل أن أوفق يوما لنشر هذه الرسالة الطريفة ٠ وله بحوث في الرؤية ، والخير والشر ، وفناء الجنة والنار ، والهداية والاضلال ، وزيادة الايمان ونقصانه وهل هو مكتسب أو موهوب ، وفي مناقشة فكرة زيادة الايمان ونقصانه وكونه مكتسبا او موهوبا ، يقول : ان الايمان مكتسب لانه فعل العبد اما ما يحصل به الايمان وهو العقل ، فهو هبة من عند الله ، ويعرض رأيه في زيادة الايمان ونقصانه من خلال هذا الحوار فيقول : دخلت بين متنازعين

يقول أحدهما : ان الايمان يزيد وينقص ، ويقول الاخر : انه لا يزيد ولا ينقص ، فأشرت الى عين الشمس فقلت : ما هذه ؟
قال : هذه شمس ٠
فقلت : تنقص أم تزيد ؟
قال : لا ٠٠
ثم أشرت الى اشراقها على الارض ، فقلت : ما هذا ؟
قال : هذه شمس ٠
قلت : تزيد وتنقص ؟!
فتحير ٠٠٠
قلت : أليس اذا كان بينها وبين الارض غيم او سحابة رقيقة نقص من اشراقها ، فاذا ذهب الغيم زاد في اشراقها ؟٠
قال : نعم ٠!

قلت : افلست تسميه شمسا ، وهو يزيد وينقص ، وتلك العين تسميها شمسا وهي لا تزيد ولا تنقص ؟٠
قال : نعم ٠
قلت : أليس بقدر ما تنقص يدخل النقص في جميع بني ادم والزرع والثمار ، واذا زاد اشراقها عملت حرارتها في زروعهم وثمارهم ؟٠
قال : نعم ٠

قلت : فكذلك الايمان بمنزلة كالشمس ـ التي قد برزت لك على قلبك ـ من النور ، واشرق على صدرك ، فاذا حال بينه وبين القلب غيوم الشهوات والهوى نقص الاشراق ، فدخل الوهن في القلب وفي النفس وتعطل عن العمل ، واذا ذهب الهوى والشهوة زاد في اشراقه ، واستقر القلب وقويت النفس للعبادة ،

الحكيم الترمذي

فمن الاشراق يزداد وينقص ، فأي تنازع بقي ها هنا ؟! فمن قال : يزيد وينقص بهذا المعنى فهـذا مصيب في قوله ، ومن قال : لا يزيد ولا ينقص لانه متى نقص دخل الشـك انما يعني حقيقـة الايمان ، فاما الزيادة التي ذكر الله تعالى في تنزيله يزيده نورا الى نور فيزداد قلبه بذلك النور الزائر ايمـانا واستقرارا وثباتا ٠

ومن السهل استنتاج رأى « الحكيم » في زيادة الايمان ونقصانه من خـلال هذا الحوار الذي عرضه ، وهـو يرى أن حقيقة الايمان وذاته لا تزيد ولا تنقص ، وأما آثار الايمـان وتأثيره فانهما يتعرضان للزيادة والنقصـان بسبب ما يعترى القلب مـن أغراض وأهواء قد تؤثر على صـفاء القلب فينعكس ذلك على سلوكه وتصرفاته ٠

و « الحكيم » في آرائه في التوحيد يأخذ جانب أهل السنة ، وقد الف كتابا سماه « الرد على المعطلة » جمع فيه الاحاديث التي تثبت الصـفات لله سبحانه ، وكذلك يتضح من قوله بامكان رؤية الله تعالى في الاخرة ، ومع ذلك فهو يقدر العقل ويحله مكانة عالية ، ويرى ان هداية العقل من الله سبحانه ، ولذلك أطلق عليه بعض البـاحثين الاوربيين « نصف معتزلي » ٠

المعرفة : هبة من الله

ان المعرفة الواسـعة بكل جوانب الثقافة ، التي كان يموج بهـا عصر الترمذي ، أمدته بطاقات فكرية وروحية لا حد لها ، فاندفع يفـكر في النفس والروح والقلب والعقل والملوك الانساني كله ، والحدود التي يجب أن يسير فيها حتى يتحقق للانسان في هذه الحيـاة السعادة التي ينشـدها ، وللمجتمع الاستقرار الذي يرتو اليه ، وكان ذلك منطلقا الى بحثه في تقديم صـورة للانسان الذي يترجم سلوكه واخلاقه ومعاملاته مثلا يحتذى وقدوة تتبع ٠٠٠ وقاده ذلك الى تتبع الوسـائل التي توصل الى هـذا الهدف المنشود حتى وجدها في تتبع خطا النبي صلى الله عليه وسلم ، والاهتداء الفاهم الواعي بتوجيه القرآن الكريم واقتفاء معالمه ، ووجد الطريق الى ذلك متوقفـا على هداية الله واصطفائه انطلاقا من الاية الكريمة : « الله يجتبي اليه من يشـاء ويهدى اليه من ينيب » فاخذ يتحدث عن الولاية والاولـيـاء وكيفية الوصول الى

الولاية ودرجات الاوليــــــاء وعلاقتهم بالانبياء حديثا مستفيضا واضحا دقيقا لم يعرفه الفكر الاسلامي من قبل ، ولم يسبقه مفكر اسلامي الى الحديث عن هذا الجانب بهــــذه الصورة الكاملة التى عرضها ، حتى صح أن نطلق بدون تردد ان الحكيم الترمذى هو الذى جعل من موضوع الولاية والاولياء نظرية متكاملة في الفكر الاسلامي .

وكل من تناول هذا الموضوع من بعده سواء كان مؤيدا لارائه او معــــارضا لها ، قد اعتمد عليه ، واتخذ من منهجه في التفــــكير محورا يدور من حوله تأييدا او رفضا ، وقد كتب فى هـــذا الموضوع كتابا من أخطر كتبه ، بل هو أخطرها على الاطلاق ، هو كتاب « ختم الاولياء » ، وقد قام بتحقيقه ونشره الدكتور عثمان اسماعيل يحيى سنة ١٩٦٥ م .

وله أيضا فى نفس الموضوع كتـاب« علم الاولياء » ولايزال مخطوطا ، ويمكن أن يقــــال ان الكتب الخمسة والستين التى كتبها الحكيم الترمذى ، ومئات الرسائل التى تركهـــا لم تخل واحدة منهـــا من الحديث عن الولاية والاولياء حديثا مباشرا أو غيــــر مبــــاشر ، ذلك لان موضوع الولاية والاولياء يعتبر محورا تدور من حوله افكار « الحكيم » الاخرى ، والفـــكرة الثانية التى اكثر الحديث عنهـــا هى فكرة المعرفة أو نظرية المعرفة ، فقــد كتب فيها عدة كتب ورسائل ، ويمكن تلخيص رأيه هنا بأن هناك فرقا بين العلم والمعرفة ، فالعلم يعتبر درجـــة موصلة الى المعرفة ، وقد يكون الرجـل عالما ولا يكون عارفا ، أما العـــارف فلابد أن يكون عالما ... والعلم يمكن الحصول عليه بالدرس والاكتساب ، أما المعرفة فهى هبة من الله لعباده ييسر بها قلوبهم ولا ينالها الا المقربون منهم ، ومن أوتى المعرفة فقد أوتى الحـــكمة « يؤتى الحكمة من يشـــاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، ومـــا يذكر الا أولو الالباب » .

وهنا للترمذى حديث طـــويل متفرع لا يتسع المقال للالمام به ، وقد كتب فى هذا الموضوع عدة كتب ورسائل كلهـــا ما زالت مخطوطة ، وأهمها ثلاثة :

كتـــــاب « غور الامور » ــ ولايزال مخطوطا ــ وقد شرح فيه مملكة المعرفة وكيفية تكوينها ، وصراعها الدائم مع مملكة النفس التى تحاول أن تحتــل عاصمة المعرفة ، وهى القلب ، وتوجه سلوك الانسان وتصرفاته توجيها يتفق مع رغبات النفس وأهوائها .

وكتاب « العقل والهوى » ــ ولايزال مخطوطا ايضا ــ وفيه بيان لدورة العقل فى مملكة المعرفة وعمل أعوانه الثلاثة . وكتاب « الاكياس والمغترين » ــ وهو مخطوط كذلك ــ وهو تطبيق عملى للسير فى طريق المعرفة وما يعترض السائر فيه من عقبـــات منشؤها اغراء النفس وأهواؤها ، وقد اعتمــد الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين اعتمادا كبيرا على أفكار الحكيم الترمذى فى هـــذا الكتاب ...

والفكرة الثالثة التى تلازم الفكرتين السابقتين من حيث سريانها فى كتابات الحكيم الترمذى هى فكرة الصراع بين العقل والهوى ، وقد اصطنع « الحكيم » أساليب عدة الى كشف هـــذا الصراع الناشب فى داخل الانسان والذى يوجه نوازعه وميوله ، وخيـــر مثـــل لشرح اتجاهات الميول والنوازع الانســـانية يتجلى فى كتابه « الفرق بين الصــدر والقلب والفؤاد واللب » الذى طبع فى

الحكيم الترمذي

القاهرة سنة ١٩٥٨ م بعناية المستشرق الامريكى الدكتور « نقولا هيـر » : والقارىء لهذا الكتاب يشعر انه امام عالم بصير بأحوال النفس الانسانية ودوافعها وغرائزها المختلفة ، الا ان الحكيم الترمذى يربط تفسيراته للاتجاهات والميول الانسانية بمعان دينية ترتبط كل منها بمنطقة معينة داخل الجسم البشرى وتباشر اعمالها ، وهو فى تفسيره لنشاطات هذه القطاعات فى داخل الانسان ، يربطها بالصراع الدائم بين القلب والنفس ، ويتخذ من الصدر والقلب والفؤاد واللب التى فرق بينها ، مناطق ترتبط كل منها بنور من انوار درجات العباد عند خالقهم سبحانه ، وهذه الانوار يشبهها بالجبال فى رسوخها وثباتها ، ويربط هذه الاربعة على التوالى بالاسلام والايمان والمعرفة والتوحيد ، وكل منها تمثل درجة من القرب ادناها الاسلام الذى مقره الصدر واعلاها التوحيد الذى مستقره فى اللب وهو الجبل الاعظم ٠

ويقول « الحكيم » مصورا هذا الارتباط : فالاسلام جبل وأرضه الصدر ، والايمان جبل وموضعه القلب ، والمعرفة جبل ومعدنه الفؤاد ، والتوحيد جبل ومستقره اللب ، وعلى رأس كل جبل طائر ، فطائر جبل الصدر: النفس الامارة بالسوء ، وطائر جبل القلب : النفس الملهمة ، وطائر جبل الفؤاد : النفس اللوامة ، وطائر جبل اللب : النفس المطمئنة ، وهذه الانفس هى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، ولكل منها اتجاه معين وتأثير خاص على صاحبها ، فيأخذ فى بيان أعمال كل منها بقوله : فالنفس الامارة يكون طيرانها فى أودية الشرك والشك والنفاق وما يشبهها ، ولكن رحم الله أولياءه فحفظهم من شرها ٠ قال تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ٠٠ » والنفس الملهمة يكون طيرانها فى أودية التقوى احيانا وفى اودية الفجور احيانا ، قال تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » ، وطائر جبل المعرفة هى النفس اللوامة ، ويكون طيرانها فى أودية الترفع والعز والنظر فى كرامات الله ، والافتخار والفرح بنعم الله احيانا ، وفى أودية الافتقار والتواضع والازدراء بنفسها ورؤية الذل والمسكنة احيانا ، ومع ذلك تكون لوامة لصاحبها فى احوالها ، قال تعالى : « ولا اقسم بالنفس اللوامة » ، وطائر جبل اللب النفس المطمئنة ، ويكون طيرانها فى أودية الرضاء والحياء والقرار على التوحيد ، ووجود حلاوة لذكر الله تعالى ، وهى شكل الروح ، طيبها الله عن خبث المنازعة ، قال الله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » وقال : « فروح وريحان وجنة نعيم » ٠

« لا تطلب الخالق بالمخلوق »

وقد تعرض « الحكيم » لكثير من المحن والاضطهاد بسبب ارائه التى لم يستطع جمهرة علماء بلده ان يفهموها.فاتهموه بالكفر واستعدوا عليه والى بلخ الذى امره بملازمة بيته وعدم الاتصال بالناس ، وقد دامت هذه الشدة مدة عشر سنوات أو تزيد ، كان لا يجد فيها سبيلا لقطع الوقت الا بالكتابة والتأليف ، وكانت حصيلة ذلك هذه الكتب التى اربت على الستين والرسائل التى بلغت اكثر من مائتى رسالة ، وفى تصوير شدة الوقت عليه يقول : كنت اذا أشتد على وقتى اتسلى بكتابة مصنفاتى ·

وقد صور لنا الحكيم الترمذى جانبا من الشدة التى عاناها فى رسالته التى كتب فيها جانبا من احداث حياته ،وسماها الباحثون « بدو شأن الحكيم الترمذى » لانه بداها بقوله : كان بدء شأنى أن الله تبارك اسمه ـ قيض لى شيخى ، رحمة الله عليه ، منذ لدن بلغت من السن ثمانيا ·· ويقصد بشيخه والده ·

وكانت كتابة الحكيم الترمذى يغلب عليها الاسهاب والسهولة والوضوح ، حتى وان كان يتناول ادق النقاط بالشرح والتحليل ، وكان يكثر من ضرب الامثال الموضحة لشرح فكرته حتى تبدو جلية بينة ، واغلب كتاباته يسوقها مساق الحوار بينه وبين تلاميذه ·

وكان الحكيم الترمذى عارفا باللغة الفارسية لانها لغة التخاطب فى المنطقة التى عاش فيها ، وهناك مؤلفان بالفارسية منسوبان اليه ، وكان رب اسرة كبيرة ، ويؤخذ مما ذكر عرضا انه كان فى يسر من المال وسعة فى العيش ·

وعلى الرغم من ان شيوخ الصوفية جميعا يتفقون على انه لابد من شيخ يوجه مريديه ويقولون « من لا شيخ له فشيخه الشيطان » فان « الحكيم » لا يرى ذلك ، ويرى اللجوء الى الشيخ تضييع ، وقال مرة لن حدثه عن تجربة له مع شيخ ظن انه يوصله : « لاتطلب الخالق بالمخلوق ··· »

وقد عاش الحكيم طويلا واختلفت المصادر فى تاريخ وفاته اختلافا كبيرا ، والمرجح انه عمر عمرا طويلا ومات فى عام ٣٢٠ هـ او قبل ذلك بقليل ·

رحم الله الحكيم الترمذى وكتب لنا من الاجل مايمكننا من نشر اثاره على الناس ، حتى يروا مقدار الثروة الفكرية التى خلفها من بعده ··

الهـــلال

قد قرأت ((الهلال)) خمسين عاما فاق فيها بدر السماء اكتمالا
وعجيب يزيد فى كل شهر ثم يدعى برغم ذاك هلالا

على الجارم

البحث في الروح من أقدم الأمور التي شغلت الناس منذ العصور الموغلة في القدم، وقد طال فيها الخلاف بين رجال الدين والفلاسفة والصوفية وعلماء النفس، وقد أنكر الملحدون وجودها وقالوا إنها ظاهرة … حتى صاحبها عن الدنايا، … ثم اختلفوا فيما وراء ذلك: ما أصل الروح؟ ما حقيقتها؟ من أين جاءت؟ وكيف تحيا وتقوى؟ وإلى أين تذهب حين تعود؟ … إلخ.

والبحث هنا لا يريد أن يدخل في متاهات هذا الخلاف، أو سراديب تلك الطرق، وإنما يحاول أن يعطي تعريفا للروح في ضوء الإسلام، مستعينا في ذلك بالقرآن والسنة وأقوال الأئمة والعلماء. ولا ندعي أن هذا التعريف أتى على … وجه فيه تام، وصاحبه … من الفضل فيما يحاول … سيعاون الدارس على أخذ صورة واضحة المعالم للأمور الأساسية التي تتعلق بالبحث في الروح.

عالم الروح

الروح في الإسلام

د. أحمد الشرباصي

وأول خطــوة ينبغي أن نخطوها هي أن نعــرف مفهوم كلمة « الروح » في اللغة التي نبحث بهــا ونعبر ، وهي اللغة العربيــــة ، فاذا عــدنا الى معجماتها وجدناها تقدم الينا اكثر من معنى لكلمــة الروح . فالروح هي النفس ، أو ما به حياة النفس ، أو خلق من خلق الله لم يعط علمه لاحد ، أو النفس - بفتح الفاء - الذي يتنفسه الانسان ... الخ .

ولكنا نلاحظ أن أصل مادة «الروح» في لغة العرب يدل عــلى الحركة والســير ، ومن ذلك قولهم : راح يروح ، أي سار في أي وقت كان . ولعل ذلك يتصــل باشتقاق كلمة « الريح » من المادة ، لأن الهــواء متحرك في الطبقات المحيطة بالارض ، والحركة هي المظهر الاساسي للحياة ، ومن هنا أطلقوا كلمة « الروح » على ما به حياة الانسان . وقال الاصفهاني في « مفردات القرآن » ان الروح اسم للجزء الذي تحصل به الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع الضار .

في الإســــلام

وقال ابن الاثير في « النهــاية » : الروح هو الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة .

وقد حفلت المراجع والمصادر العربية بطائفة من التعريفات للروح ، فقيل هي جسم هــوائي في القلب ، او هي جزء في الدماغ لا يتجزأ ، وقيل هي جسم لطيف بخاري يتكون من لطــافة الاخلاط وبخاريتها ، وقيل ان الروح لطيفة سارية في البــدن سريان ماء الورد ، باقية من أول العمر الى آخره ، لا يتطرق اليها تحلل ولا تبدل ، حتى اذا قطع عضو من البدن انقبض مــا فيــه من تلك الاجــزاء الى سائر الاعضاء .

واختار بعضهم هــذا التعريف : الروح الانساني جوهر مجرد ، ليس بداخل العالم الجسماني ، ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، يدركه العقل ولا يبلغه الحس ، وهذا الجوهر هو اكرم ما في الانسان .

واغلب التعريفات للروح - ان لم تكن جميعها - تعتمد على التعبير عن الخواص والآثار والمظاهر ، ولا تقدم الكنه او الحقيقة ، وكان العلماء بهذا يريدون أن يقولوا : اننا نستطيع أن نبحث في الروح وسلطانها ، وبدئهــا ونهايتهــا ، وتأثيرهــا وآثارها ، وخصائصها وظواهرها ، ولكن حقيقة جوهرها مستورة محجبة ، وان ثار فينا حب البحث عنها والجري وراءها ، ولعل هذا هو الــذي جعل الواسطي يقول : « خلق الله الارواح من بيــن الجمال والبهــاء ، فلولا انه سترها لسجد لها كل كافر » !

* * *

ونسعى الى كتاب الله عز وجل ، لنتعرف الى حديث الروح فيه :

تجد القرآن الكريم قد استعمل كلمة « الروح » في أكثر من معنى .

استعملها تارة للدلالة على ذلك السر الالهى الذى يودعه الله تعالى جسم الانسان فيحيا به ، فقال في سورة السجدة : « وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون » . وقال في سورة الحجر : « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » . وقال عن مريم في سورة الانبياء : « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين » . وقال في سورة التحريم : « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

واستعمل القرآن الكريم كلمة « الروح » احيانا للدلالة على جبريل عليه السلام ، وسماه تارة « روح القدس » وتارة « الروح الامين » . فقال في سورة البقرة : « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » . وقال في سورة المائدة : « اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس » . وقال في سورة النحل : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » .

وقال أهل التفسير ان روح القدس هو جبريل ، وهو روح الوحى الذى يؤيد به الله تعالى أنبياءه في عقولهم ومعارفهم ، وسمى روح القدس لأن التعليم الذى يكون به مقدس ، أو لأنه يقدس النفوس ، أى يطهرها .

وقال القرآن أيضا في سورة الشعراء : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » . وقال أيضا عن جبريل وهو يتحدث عن مريم في سورة مريم : « فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » .

واستعمل القرآن الكريم كلمة « الروح » للدلالة على بعض الملائكة ، او على صنف من الملائكة له مكانة وشرف ، فقال في سورة المعارج : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقال في سورة النبأ : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا » . وقال في سورة القدر : « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » .

واستعمل القرآن « الروح » بمعنى القوة والتأييد من الله ، فقال في سورة المجادلة : « أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » . وقال

الروح

في الاسلام

في سورة النساء : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » اى ذو روح ، اى ذو قوة وهبه الله اياها فاستطاع بفضل من الله ان يصنع بها المعجزات ·

واستعمل القرآن كلمة « الروح » للدلالة على وحي الله ، او على كتابه المجيد ، وهو القرآن المجيد ، فقال في سورة النحل : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون » · وقال في سورة غافر : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » · وقال في سورة الشورى وهو يريد القرآن الكريم : « وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » · وقال في سورة الاسراء : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ·

ولعل هذه الآية الكريمة هي اكثر الآيات القرآنية ترديدا على الالسنة للدلالة على الروح بمعنى السر الالهي الذى يودعه الله الانسان فتكون به الحياة والحركة ، مع أن المراد بالروح في هـــذه الآية ـ حسبما يلوح من سياقها ـ هو القرآن الكريم ، لان هذه الآية جاءت وسط آيات تقول :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ، واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجـــانبه ، واذا مسه الشر كان يئوسا ، قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ، ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما اوتيتم من العـــلم الا قليلا ، ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينـــا وكيلا ، الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ، قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كـــان بعضهم لبعض ظهيرا ، ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا » ·

هكذا مضت الآيات في مسيرتها ، وهي في اولها ووسطها وآخرها تتحدث عن القرآن او تشير اليه ، وهذا يرجح ان المراد بالروح الوارد هنا هو القرآن المجيد لانه شبيه بالروح في احياء النفوس ، ولانه سبب الحياة الاخروية السعيدة الباقية ·

ويؤيد الامام الرازى في تفسيره ان المراد بالروح هنـــا هو القرآن ،

فيقول فيما يقول : « تسمية الله القرآن بالروح يدل عليه قوله تعالى : (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) وقوله : (ينزل الملائكة بالروح من امره) . وايضا : السبب فى تسمية القرآن بالروح أن بالقرآن تحصل حياة الارواح والعقول ، لان به تحصل معرفة الله تعالى ، ومعرفة ملائكته ، ومعرفة كتبه ورسله . والارواح انما تحيا بهذه المعارف ، وتمام تقرير هذا الموضع ذكرناه فى تفسير قوله : (ينزل الملائكة بالروح من امره) » .

ثم يضيف قوله : « اللائق بهذا الموضع هو القرآن ، لانه تقدمه قوله : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، والذى تأخر عنه قوله : (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) الى قوله : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فلما كان ما قبل هذه الاية فى وصف القرآن ، وما بعدها كذلك ، وجب ايضا أن يكون المراد من هذا الروح القرآن حتى تكون ايات القرآن كلها متناسبة متناسقة » .

* * *

وقد ثار خلاف حول تحديد العلاقة بين « الروح » و « النفس » : أهما شىء واحد أم متغايران . وقد قيل فى النقاش ان الروح اذا اتصلت بالبدن صارت نفسا . وقيل : بل النفس شىء آخر غير الروح ، لان النفس هى المعنى الجامع لقوتى الغضب والشهوة ، ومن هنا قال القرآن : « ان النفس لامارة بالسوء » . وقال الحديث النبوى : « اعدى اعدائك نفسك التى بين جنبيك » .

وحين نعود الى القرآن نجده قد اطلق « النفس » احيانا على « الروح » كما فى قوله تعالى فى سورة الانعام : « ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم » . ويقول فى سورة الفجر : « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » . ولعل هذا هو الذى جعل الاصفهانى يقول : « وجعل الروح اسما للنفس ، وذلك لكون النفس بعض الروح ، كتسمية النوع باسم الجنس » .

ولكن هناك آيات أخرى يراد فيها بكلمة « النفس » ذات الانسان ، كقوله تعالى فى سورة الاسراء : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » . وقوله تعالى فى سورة الانعام : « وهو الذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع » .

* * *

والمفهوم من الحديث الصحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرسل ملكا الى الجنين فى بطن أمه ، فينفخ فيه

الروح » ، ولا تستوقفنا هنا حقيقة الطريقة التي يتم بها هذا النفخ ، فباطن ملكوت الله الخفي اكثر من مشاهد كونه المنظورة او المحسة ، ولكن الذي يستوقفنا هنا هو : اكانت الروح موجودة قبل الجسم ، ام وجدت معه ، ام وجدت بعده ، وهذا الموضوع ايضا كان مثار نقاش طويل بين علماء الاسلام ، فبعضهم رأى ان الروح لابد ان تكون سابقة في الوجود على الجسد ، بل غلا بعضهم وقال ان الروح قديمة ، وذهب فريق الى ان الروح سبقت الجسد في الوجود ، ويؤكد الامام ابن تيمية ان الروح الآدمية مخلوقة محدثة ، اوجدها الله تعالى ، ويؤكد الامام ان ذلك موضع اتفاق بين سلف الامة وائمتها .

وتفرع عن هذا النقاش ايضا حوار حول طبيعة الروح : اهي جسد ام لا . ولقد توسع الامام الرازي في بحث هذا الموضوع ، واقام حججا عقلية وسمعية على ان الروح ليست جسداً ،



في الاســـــــلام

ومما قاله في هذا الشأن وهو لا يفرق بين الروح والنفس :

« الحجة الاولى : قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم) ومعلوم أن احدا من العقلاء لا ينسى هذا الهيكل المشاهد ، فدل ذلك على أن النفس التي ينساها الانسان عند فرط الجهل هي شيء آخر غير هذا البدن .

الحجة الثانية : قوله تعالى : « اخرجوا انفسكم) وهذا صريح في أن النفس غير البدن ، وقد استقصينا في تفسير هذه ، فليرجع اليه .

الحجة الثالثة : انه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانية ، فقال : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الى قوله : (فكسونا العظام لحما) ولا شك ان جميع هذه المراتب اختلافات واقعة في الاحوال الجسمانية . ثم انه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال : (ثم انشأناه خلقا آخر) ، وهذا تصريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة في الاحوال الجسمانية ، وذلك يدل على أن الروح شيء مغاير للبدن .

فان قالوا : هذه الآية حجة عليكم ، لان الله تعالى قال : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) وكلمة (من) للتبعيض ، وهذا يدل على ان الانسان بعض من ابعاض الطين . قلنا : كلمة (من) اصلها لابتداء الغاية ، كقولك : خرجت من البصرة الى الكوفة ، فقوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) يقتضي أن يكون ابتداء تخليق الانسان حاصلا من هذه السلالة ، ونحن نقول بموجبه ، لانه تعالى يسوي المزاج

اولا ، ثم ينفخ فيه الروح ، فيكون ابتداء تخليقه من السلالة ·

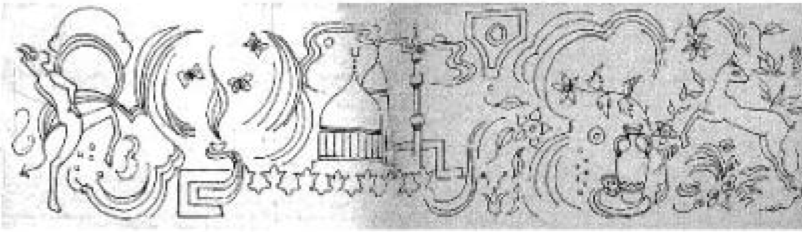
الحجة الرابعة : قوله (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) : ميز تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح · فالتسوية عبارة عن تخليق الابعاض والاعضاء ، وتعديل المزاج والاشباح ، فلما ميز نفخ الروح عن تسوية الاعضاء ، ثم اضاف الى نفسه بقوله : « من روحى » دل ذلك على أن جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد ·

الحجة الخامسة : قوله تعالى : (ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها) · وهذه الآية صريحة فى وجود شيء موصوف بالادراك والتحريك معا ، لان الالهام عبارة عن الادراك ، واما الفجور والتقوى فهو فعل ، وهذه الآية صريحة فى أن الانسان شيء واحد ، وهو موصوف بالادراك والتحريك ، وموصوف أيضا بفعل الفجور تارة ، وفعل التقوى تارة أخرى ، ومعلوم أن جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين ، فلابد من اثبات جوهر آخر يكون موصوفا بكل هذه الامور ·

الحجة السادسة : قوله تعالى : (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) ، فهذا تصريح بأن الانسان شيء واحد ، وذلك الشيء هو المبتلى بالتكاليف الالهية والامور الربانية ، وهو الموصوف بالسمع والبصر ، ومجموع البدن ليس كذلك ، وليس عضو من أعضاء البدن كذلك ، فالنفس شيء مغاير لجملة البدن ، ومغاير لأجزاء البدن ، وهى موصوف بكل هذه الصفات ·

واعلم ان الاحاديث الواردة فى صفة الارواح قبل تعلقها بالاجساد ، وبعد انفصالها من الاجساد كثيرة ، وكل ذلك يدل على ان النفس شيء غير هذا الجسد ، والتعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ، ويروى هذه الاخبار الكثيرة ، ثم يقول : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان يعرف الروح ، وهذا من العجائب ، ·

ويقرر علماء الاسلام كالغزالى والرازى وغيرهما انه كلما قوى البدن بشهواته وتوسع فى ملذاته ، ضعفت الروح عند صاحبه ، والعكس بالعكس ، ولذلك يقررون ان أصحاب الرياضات النفسية والمجاهدات الروحية ·· كلما امعنوا فى قهر القوى البدنية وتجويع الجسد ، قويت قوادم الروحانية ، واشرقت نفوسهم بالمعارف الالهية ، وكلما امعن الانسان فى الاكل والشرب وقضاء الشهوة الجسدية صار كالبهيمة ، وبقى محروماً من آثار العقل والفهم والمعرفة والاشراق الروحى ·



نور الإسلام

ولحجة الإسلام الغزالي تقسيم للأرواح البشرية، فهو يرى أنها تنقسم إلى خمس مراتب:

المرتبة الأولى: هي مرتبة «الروح الحساس»، وهو الذي يتلقى ما تورده الحواس الخمس، وكأنه أصل الروح الحيواني وأوله، إذ به يصير الحيوان كائنا حيا، وهذا الروح موجود عند الصبي الرضيع.

والمرتبة الثانية: هي مرتبة «الروح الخيالي»، وهو الذي يستثبت ما أوردته الحواس، ويحفظه مخزونا عنده، ليعرضه على «الروح العقلي» الذي فوقه عند الحاجة إليه. وهذا الروح الخيالي لا يوجد عند الصبي الرضيع في أول نشأته، ولذلك ترى الرضيع يولع بالشيء ليأخذه، فإذا غاب عنه نسيه، ولم تنازعه نفسه إليه، حتى يكبر قليلا فيصير بحيث إذا غاب عنه بكى وطلبه، وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله. وهذا قد يوجد عند بعض الحيوانات دون بعضها، فهو لا يوجد مثلا عند الفراش المتهافت على النار، ولذلك يقصد متلبسا على النار لعشقه بالتشبيه، فيظن أن السراج كوة مفتوحة إلى ضوء النهار، فيلقي نفسه عليه فيتأذى به، ولكنه يعاود ذلك مرة بعد أخرى، ولو كان عنده ذلك الروح الحافظ المستثبت لما عاد، ولكن الكلب إذا ضرب بالعصا مرة، ورأى العصا مرة أخرى بعدها، هرب منها.

والمرتبة الثالثة: مرتبة «الروح العقلي» الذي يدرك به الإنسان المعاني الخارجة عن الحس والخيال، وهو الجوهر البشري الخاص، ولا يوجد عند البهائم ولا عند الأطفال، وتتسع مدركات هذا الروح ومعارفه التي إذا تروج نور العقل على نور الحس.

والمرتبة الرابعة: هي مرتبة الروح الفكري، وهو الذي يحصل العلوم والمعارف العقلية المحضة، فيوقعها تأليفات وازدواجات، ويستنبط منها معارف شريفة، ويستنتج منها معارف جديدة، ويظل يتزايد في ذلك إلى ما شاء الله.

والمرتبة الخامسة: وهي مرتبة «الروح القدسي النبوي»، وهو الروح العالي الذي يختص به الأنبياء وبعض الأولياء، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة، وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض، بل من المعارف الربانية التي يقصر عنها الروح العقلي والروح الفكري، وإليه الإشارة بقول الله تبارك وتعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا»

الروح

في الاســـــــلام

ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، الا الى الله تصير الامور » .

وقد يتساءل متسائل عن مصـــير الارواح بعد وفاة اجسادها .

ان المفهوم من النصوص الدينية ان الروح تفارق جسد صاحبها عنــــد موته ، ولكن تظل لروحه صلة مـــا بهذا الجسد ، وتصور حقيقة هـــذه الصلة ليست فى طاقة الانسان ، ولما كانت الأرواح مختلفة الدرجـــات والمناصب ، وكان منها ارواح الخيـار وأرواح الشرار ، فان مصير الارواح بعد الموت يختلف ، فقد اخبرت السنة النبوية المطهرة مثلا ان ارواح الشهداء تكون فى اجواف طيور خضر تطيـر تحت العرش ، وقد جاء فى كتـــاب « ادب الاحاديث القدسية » انه لـــا اصيب من اصيب من المســلمين فى غزوة احد ، جعل الله تعالى ارواحهم فى طيور خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل مــن ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلمـــا وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا : من يبلغ اخواننا عنـــا انا احياء فى الجنة نرزق ، لئلا يزهـدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال ربهم : انا ابلغهم عنكم . وانزل الله فى ذلك قوله : « ولا تحســبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما اتاهم الله مــن فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خــوف عليهم ولا هم يحـــزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين » .

ويستنبط بعض الكاتبين عن الروح من النصوص الدينية أن أرواح الانبياء والرسل تكون فى أعلى عليين ، فى الملأ الاعلى ، وبعض أرواح الشهداء تسرح فى الجنة كما تشـــاء ، وبعض الارواح يكون موقوفا عـــلى أبواب الجنة ، وبعض الارواح يكون محبوسا فى الارض ، والارواح المتشابهة او المتقاربة تتدانى وتتلاقى .

واذا كان للروح تعلقها بصاحبها منذ البداية ، فلها تعلقهـــا به وهو مازال جنينا فى بطن امه ، ولهـــا تعلقها به وهو حى يسعى فى الدنيا، ولها تعلقها به أثناء نومه ، فان لها تعلقها به أيضــــا وهو فى المرحلة البرزخية ، ما بين الدنيا والاخرة ، أو ما بين الموت والبعث ، ولقد شغلت

السنة المطهرة نفوسنا فى هذا المجال بحديث جليل فيه تفصيل ٠

فقد روى البراء بن عازب قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ، اسم مكان ، فأتانا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقعد وقعدنا حوله كأن على رءوسنا الطير ، وهو يلحد له ، فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر (ثلاث مرات) ان العبد المؤمن اذا كان فى اقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء ، فيأخذها ، فاذا اخذها لم يدعها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض ٠

فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : روح فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها ٠

الى ان يقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، واعيدوه الى الارض ، فانى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها اخرجهم تارة اخرى ٠

فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : ربى الله ٠

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : دينى الاسلام ٠

فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

فيقول : هو رسول الله ٠

فيقولان له : وما علمك بهذا ؟

فيقول : قرأت كتاب الله ، فآمنت به وصدقت ٠

فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى ، فافرشوه من الجنة ، وافتحوا له بابا من الجنة ٠ فيأتيه من ريحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : ابشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد ٠ فيقول له : من انت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير ٠

فيقول : انا عملك الصالح ٠ فيقول: رب ، اقم الساعة حتى ارجع الى اهلى ومالى ٠

وان العبد الكافر اذا كان فى

انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة ، نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح (١) ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي الى سخط من الله وغضب ، فتتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فاذا أخذها ، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على ظهر الارض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، باقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح ·

الروح

هو الاسلام

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ربه : « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » ·

فيقول الله تبارك وتعالى ، اكتبوا كتابه في سجين (٢) في الارض السفلى ، فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ النبي : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » · فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟· فيقول : هاه هاه ، لا أدرى ·

فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى · فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى ، فافرشوه من النار ، وافتحوا له بابا الى النار · فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب نتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد ·

فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر ؟!·

فيقول : أنا عملك الخبيث ·

فيقول : رب لا تقم الساعة !!·

ويدل هذا النص على أن الروح لا تنفصل انفصالا تاما عن صاحبها بعد موته ، بل يكون لها نوع تعلق به ، وقد جاء حديث آخر يؤكد ذلك ، قال فيه : « اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ، ويقول : يا أهلي ويا ولدى ، لا تلعبن بكم

(١) المسوح : ثياب خشنة
(٢) سجين : ديوان الشر ، وقيل هو اسم علم للنار ، وقيل هو الحبس



الدنيا كما لعبت بى ، جمعت المال من حله وغير حله ، فالغنى لغيرى ، والتبعة على ، فاحذروا مثل ما حل بى » !°

كما أن هذا النص يشير الى حالة النعيم ، أو حالة الشقاء التى يكون عليها فى المرحلة البرزخية بين الدنيا والاخرة ، وهو يشير كذلك الى حساب القبر وعذابه أو نعيمه ، ويؤيد ذلك من القرآن قول الله تعالى عن آل فرعون : « وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » فعرضهم على النار غدوا وعشيا لابد أن يكون قبل يوم القيامة ، والحديث عنهم بعد أن هلكوا ، فلزم أن يكون هذا العرض على النار بعد الهلاك وقبل البعث ، فلم يبق الا أن يكون فى فترة البرزخ°

وكذلك جاء الحديث يقول : « القبر اما روضة من رياض الجنة ، واما حفرة من حفر النار » ° وقد يؤكد هذا أنه جاء فى الحديث المتفق عليه أن النبى عليه الصلاة والسلام وقف على المكان الذى دفنوا فيه قتلى غزوة بدر من المشركين ، وجعل يناديهم بأسمائهم : « يافلان بن فلان ، ويافلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ، فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟° فقال له عمر : يا رسول الله ، ما تخاطب من أقوام قد جيفوا (أى ماتوا وصاروا جيفة) فأجابه النبى : والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جوابا » °

والذى افهمه من خلال الفكر الاسلامى أن الروح موجودة ، ولكن جوهر حقيقتها غير معروف لنا ، وأنها أسبق وأبقى وأشرف من المادة ، وأننا نستطيع التعرف الى كثير من آثارها وظواهرها ، وأن آثارها تظهر

الروح

فى الاســــلام

لنا حين اتصالها بالجســـد ، وان الجسد لا قيمة له دون الروح ، وان البحث قد شغل - وسيظل يشـغل - العلماء والحكماء والشـعراء والانبياء الى ما شاء ، وكان للروح جاذبية قاهرة تشدنا اليها ، فتسارع نحوها ، وكلما خطونا نحوها مرحلة بعدت عنا مراحل ، وتركت لنا على طريق البحث اشياء من « مخلفاتها » • وكانهـا حسناء تبرقعت بحجبهـا واستارها ، ولكن اشعة ساطعة من بهائها تنفذ من خلال حجبها فتشاغل ابصـارنا وبصائرنا ، فنجد السير اليهــا ، والطريق طويل طويل طويل •

وهذا مثلا هو الشــيخ الرئيس الفيلسوف العالم ابن سينا : ابو على الحسين بن عبد الله المتوفى سنةثمان وعشرين واربعمائة ، يصوغ بضـعة وعشرين بيتـا فى موضوع الروح ، وتسمى هذه الابيات « عينية ابن سينا فى الروح » ، فتملا الدنيا وتشـغل الناس ، وتوضع عليها الشروح بعد الشروح ، وتصاغ فيها المعارضة بعد المعارضة ، وهذه الابيات تؤكد لنـا ان الروح « ... ة ذات بهاء وسناء ، وانها ممنعة ارفعة ، وانها - كمـا اشار ورمز فى قصيدته ، وكما صورت « دائرة المعــارف » - جوهر قائم بذاته ، لا عرض من اعراض الجسم •

ولعل أول شيء ينفى عنها «العرضية» كونها مستقلة تمـام الاستقلال عن الجسم ، فبينما نجد الجسم محتاجا اليها لا يتعين ولا يتحــدد الا اذا اتصلت به نفس - أو روح - معينة ، نجد النفس يمكنها أن تعيش منفردة ، لانها جوهربسيط ، والبسيط لايفسد •

ان علاقة الروح بالجسم علاقةجوار عرضى لا علاقة اتحاد ذاتى ، وكمـا هبطت الروح الى الجسم من المــلا الاعلى وهى كارهة ، تفارقه عند الموت وهى كارهة لانهــا الفته مع طول الجوار ، وكـأن الجسم سجن كثيف او قفص ضيق يحول دون بلوغ الروح كمالها ، وكانها لا تألف مجاورة الجسم الا بحكم الاعتياد ، فاذا فارقته بعد اكتمال ملكاتها العقلية ، وبلوغها الكمال بالتامل ، انكشف عنها الغطاء وادركت السعادة •

وما الحياة الدنيــا سوى مدرسة اهبطت الروح اليهـــا ، لتكتسب المطالب العقلية ، فاذا نالت هـذه المطالب ، تمتعت بعد الموت بالسعادة الابدية ، واذن فسعادة النفوس الطيبة او الارواح الخيرة العــارفة هى فى اتصالها بالعقل الفعال ، وأما النفوس الشريرة التى الفت السوء والاثم فان جزاءها هو العذاب الدائم ، ومن هنا يكون الثــواب فى الاخرة متناسبا مع كمال النفس فى الدنيا

أحمد رامي



إلى روح شوقي

« ألقيت هذه القصيدة في حفل إزاحة الستارة عن تمثال أمير الشعراء في جارة الوادي، زحلة ، يوم ١٧ سبتمبر الماضي »

الى روح شـوقي

هنا ، تحت ظل على الجدول ... يموج بفياضه السلسل
تغنى بهذا الجمال الفريد ... وأثنى على حسنه الأكمل
وصور ما فيه من فتنة ... تداعبُ مقبلة من يجتلى
سماء ترف بنشر الورود ... ووادٍ يرد صدى البلبل
وصحب لهم فى مجال الصفاء ... على الكأس أنس الحديث الطلى
وغيد خطرن كحور الجنان ... سرى السحرُ فى لحظها الأكحل
تهادين ، تسمع فى مشيهنَّ ... دبيب الخُطا ورنين الحُلى
وكيف يطالع هذا الجمال ... ويشهد هذا البهاء الجلى
ولا يُرسل الشعر فى وصفه ... نميرا تحدر من منهل
الى جارة الحىِّ لما بدا ... سناها وحرك قلب الخلى
ونبه من ذكريات الشباب ... حنينا الى عهده الأول

* * *

هنا ، كان «شوقى» يُطيل المقام ... ويأنس للرفقة الكُمَّل
ويُسمعهم من أغاريده ... حديث العصافير للسُّنبل
ويجلو لأعينهم صورة ... جرى رسمها فى يدى صَيقل
وينفحهم من جَنَى شعره ... بفاكهة الموسم المقبل
غناء يدور على السامعين ... بلحنٍ من المطرب الأول

شجيُّ الرنينِ نديُّ الحنين لطيفُ المخارج والمدخل
الى قلب من يستطيب الشجيّ ويطرب للنغم المرسل

* * *

أعشاق « شوقى » وآياته وذواقة الأدب الأمثل
أقمتم بلبنان تمثاله وأكرمْ بلبنان من منزل
علا ذكرُه فى سماء البيان بشبلى ونخلة والأخطل (١)
وأطلع من أفق أعلامه كواكبَ تبهرنا من علٍ
وسن الى ربوات الهدى طريقا أضاء على مشعل
توالى على حمله السابقون الى ندوة العمل الأفضل
الى أن غدا فى يدٍ برّةٍ سليمان رافعها يعتلى
مشيرا الى صهوات العلا يقول لمن خفّ: سرْ واعجلِ
وهذى يدى فى يد الصادقين وهذا صباحُ المنى ينجلى

* * *

سعيتُ الى داركم شاكرا وفاءَ الصديق وعطف الولى
الى مصر جئتم لتكريم «شوقى» وجدتم من المدح بالأجزل
وغاب ، ومازال فى صدركم جنانٌ عن الذكر لم يغفل
رفعتم له أثرا باقيا يطل على الظل والجدول
وأنهل زحلة من قوله زلالا كفياضها السلسل

---

(١) الشعراء : شبلى ملاط . وامين نخلة . والاخطل الصغير « بشارة الخورى »

فكرة الروح عند الانسان البدائي

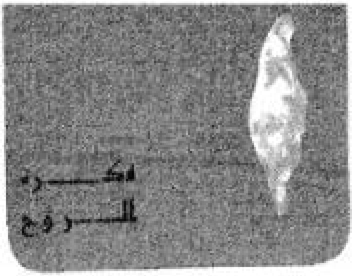
قد يبدو لأول وهلة في اختيار هذا الجانب من موضوع « الروح » شبهة الادعاء العريض ، لاعتزامنا التعرض للموضوع الشائك من البداية ، وهي بداية ـ كما يرى القارئ في العنوان ـ موغلة في ظلمات القدم الى ما قبل التاريخ ، الى الزمن الأول السحيق كان يعيش فيه الانسان البدائي عيشة الحيوان الوحشي أو قريب شبيه منها .

ولكننا نبادر ، لندفع شبهة الادعاء العريض عنا بأن هذا المظهر الحيواني في الانسان البدائي ، لم يكن ليثنينا حين اخترنا هذا الجانب من الموضوع ، أن الانسان أيا كان ، فصار من حيث كونه انسانا على سائر الحيوانات ، بما هو مزود به الى جانب الغرائز الحيوانية ، من تلك الجذوة المقتبسة المستمدة من القبس الالهي ، الذي هو العقل ، وان يكن في ذلك الطور ، ضعيف الضوء في فجره الأول .

هذا الايمان بالانسان هو الذي يحدونا الى محاولة اجتياز ظلمات تلك الأزمان السحيقة ، في محاولة شبه ، لبدء موضوعنا من البداية ، وهي أن فكرة الروح قائمة عند الانسان البدائي .



عبد الرحمن صدق



مصادر معرفتنا للانسان البدائي

لكي يكون للكاتب الحق في أن يصغي القارىء اليه مطمئنا لحديثه . نذكر بمنتهى الايجاز فيما يلي المصادر لمعرفة الحال التي كان عليها الانسان البدائي والجماعات البدائية ·

اولا : الكشوف الاثرية لمخلفات الانسان البدائي قبل التاريخ منذ اقدم العصور التاريخية ، من انية طعامه وشرابه ، وادوات صيده وسلاحه ، وحلى الزينة وتعاويذ السحر ، وطريقة دفنه لموتاه ، وما الى ذلك من اهتمامه بما وراء الموت · والامثلة على ما ذكرناه كثيرة في بلادنا العريقة في القدم ، وفي العديد من بلاد العالم ، ومن اعجبها بدائع رسوم ذلك الانسان البدائي الفنان ، الممثلة لواقع حياته ونوع معتقداته ، على جدران الكهوف التي كان يأوي اليها ·

ثانيا : ما كتبه المؤلفون من اهل الحضارات القديمة في وصف الجماعات المتخلفة البدائية التي شاهدوها اثناء اسفارهم القريبة والبعيدة ، في اطار بلادهم او خارجها في الاقطار التي اخضعوها او زاروها ·

ثالثا : ما نشره الرحالة المحدثون منذ فاتحة عهد الاستكشافات في نهاية العصور الوسطى الى العصر الحاضر · ومن هؤلاء الاواخر باحثون من العلماء المتخصصين في علم اصول الجنس البشري وتطوره وعاداته وعقائده ، وقد اجتمعت لهم من رحلاتهم حتى اقصى الاصقاع جملة كبيرة من المعارف المحققة ، عمن درسوا احوالهم من الاقوام ، كالقبائل المتخلفة في مجاهل القارة الافريقية ، ومثلها في القارة الاسيوية كالقبائل المنعزلة في اعماق الهند والصين شرقا حتى الجزائر اليابانية · وكذلك الكثير من السكان الاصليين في استراليا والهنود الحمر في امريكا الشمالية ، فضلا عما لايكاد يحصر عدده من الجزائر المبعثرة في المحيطات ·

ولابد من الاشارة هنا في عصرنا الحاضر ، الى ان حالة البدائية في العديد من هذه البقاع النائية التي سجل العلماء احوالهم المتاخرة ، بسبيل التقدم تدريجيا نحو المدنية العصرية مع الاحتفاظ بدرجات متفاوتة بمقوماتهم القومية ، مما يجعل رحلات العلماء العصريين في القرن العشرين ، الاقيمة في مجال هذا البحث ممن سبقوهم بقرن او بضعة قرون ·

واخيرا ـ ما نكشفه نحن انفسنا ابناء هذا العصر ، في الوعي الباطن من اغوار انفسنا ، ويكشفه جميع ابناء الشعوب المتحضرة في انفسهم حتى

اليوم ، من بقايا رواسب الاطوار البدائية التى عاشها اجدادنا الاولون من البشر البدائيين ·

الانسان البدائي لم يقف عند التفسير المادي

كانت الجماعات البدائية فيجاهليتها الاولى ، تواجه حيثما كانت « لغز المجهول » فى نفوسها ، وفى كل ما يكتنفها من مظاهر الطبيعة حولها ، وتحاول أن تبنى على ما تعانيه من هذه الظواهر الانسانية والطبيعية افكارها عن الانسان وعن الطبيعة ·

ولعل أروع ما واجهته هذهالجماعات فى نفسها من الغاز المجهول : « لغز الموت » ·

واننا لنتمثل الانسان البدائى منذ اقدم العصور ، فى أول موقف له أمام الموت ، وهو واقف على جثة رفيقه الميت حائرا مذهولا ، وخاصة وهو قريب عهد بالميت ، يذكر كيف كان منذ لحظة مثله يغدو ويروح ويتكلم ، ويفعل مثل ما يفعله سائر الاحياء ·

فماذا دهاه ؟

ان كل شيء فيه يبدو عاديا ، فهو سليم البنية لم يبتر منه عضو ، صحيح الجوارح لم تصبه طعنة فى قلبه ، ولا كسر فى جمجمة رأسه ، ولا غير هذا وذاك من مواضع الاصابة فى المقاتل · ومع ذلك ، فان جسده برغم سلامة بنيته وصحة جوارحه ، قد بردت حرارته وهمدت حركته !

فما هو ذلك الشيء الحى غير المنظور الذى كان فى هذا الجسد ، ثم فارقه فاذا الحياة قد فارقت معه الجسد ، مع انه ـ من حيث هو جسد ـ لا يختلف فى مرأى العين عن جسد من هم على قيد الحياة لايزالون ؟

ذلك الشيء الخفى ، سر الحياة فى الجسد الحى ، سرعان ما اهتدى اليه الانسان البدائى حين انحنى على وجه الميت ، فاذا به لا يحس للميت نفسا يتردد !

من هنا ، استنتج الانسان البدائى ، أن ذلك الشيء الخفى غير المنظور كالهواء ، هو فى أجسام الاحياء عنصر الحياة ، أى أن الروح من عنصر غير عنصر الجسم ·

ولكن للقاريء أن يقول : ان هذا الاستنتاج وان كان غير بعيد أن يقع للانسان البدائى ، فان الحكم بوقوعه له لا يخرج عن أنه حكم افتراضى لا يستلزم القبول ·



فكرة الروح

وجوابنا على الاعتراض انه صحيح ، ما لم يقم دليل يؤيده ٠

وعندنا لحسن الحظ الدليل ، وهو الوحيد الذى لا يمكن ان يكون فى مثل هذه الحال غيره ٠ ذلك الدليل هو ما اسفرت عنه الدراسة المقارنة للغات منذ اقدم العصور ، من الابتعاد منذ القدم بالمدلول اللغوى لفكرة « الروح » من كل ما هو جسدى ، الى ما هو - فى اعتقاد هؤلاء الاقدمين - لا مادى ، مثل نسمات الهواء ونفحات الريح ٠

ففى القارة الاسيوية ، نجد اللغة السنسكريتية اقدم لغات الهند فى حضارتها الادبية الدينية ، قد اطلقت على « الروح » و « الهواء او الريح » لفظا واحدا هو « السان Alman » كذلك لا يختلف الوضع عن ذلك فى اللسان الجاوى ٠

كما ان الدارسين لاحوال البقية الباقية من الجماعات البدائية فى غرب استراليا ، قد لاحظوا على القوم هذه الظاهرة بعينها فى لغتهم ٠ وهذا بعينه كذلك ما يجرى حتى اليوم على لسان الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ٠

وفى القارة الاوروبية منذ الحضارات القديمة ، اشتق اليونان من الفعل الذى معناه « يتنفس » كلمة Psyche
ثم جاء الرومان فاشتقوا من الفعل نفسه كلمة Psychicus وكلاهما بمعنى « النفس او الروح » ٠ وكلنا يعرف معنى هاتين الكلمتين فى التركيب الاوروبى المنقول عنهما وهو Psych ology الذى نقلناه الى لغتنا بحروفه « بسيكولوجيا » بمعنى علم النفس ٠ كذلك نجد فى هاتين اللغتين القديمتين ذاتهما - اليونانية واللاتينية - كلمة Pneuto ومعناها « الهواء » ٠ وهى بمعنى « الروح » فى بعض فروع فلسفة ما وراء الطبيعة ، وهو المسمى Pneutology اى « العلم الروحى » ٠

ونسوق اخيرا - وليس آخرا - هذا المثل من اقدم اللغات السامية فى الشرق ، وهما العربية والعبرية ٠ وحسبنا فى بيان قدم لغتنا ان نذكر ما هو ثابت لدى علماء التوراة من ان احد اسفارها وهو « سفر ايوب » مترجم للعبرية عن العربية ٠ ومن ثمة نبدأ باللغة العربية فنقول ، ان كلمة «الروح» فيها قريبة من « الريح » من حيث لفظها واشتراكها فى معظم الحروف ، بل ان كلمة «الروح» ، تشتمل فعلا على المدلولين معا ، فهى « الروح » و « الريح الخفيفة » ٠ ومرادف الروح فى لغتنا « النفس » ٠ وهنا ايضا يقال « لفظ النفس الاخير » بمعنى فاضت نفسه او صعدت روحه ٠ وتتفق اللغة العربية مع اللغة العبرية فى كلمة « النفس » بمعنى الروح مع فارق واحد فى اللفظ ، وهو

ان حرف « س » فى لغتنا « ش » فى لغتهم • فالنفس عندهم « نفش » ، كما ان السلام عندهم « شالوم » •

ومما قدمنا يظهر باجلى بيان ، ان الانسان البدائى كان فهمه اول الامر لحياته ، ان قوامهـا تحرك الى يرجع الى تركيبه العضوى ، وبعبارة اخرى كان وقوفه عند المادة على انها الحقيقة الاولى والاخيـرة ، ولكنه مع تطوره الحضارى ادرك ان عنصر الحياة فى جسده المادى غير مادى بل شىء خفى هوائى كالريح ، بدليل اتفاق مدلولهما اللفظى فى اقدم اللغات •

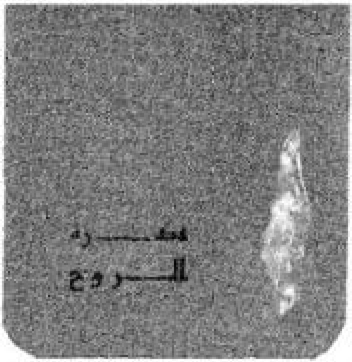
ولا شك ان هذا الادراك الذى حققه الانسان البدائى نحو ادراك الروح ، يعد نقلة كبرى ودرجة لها ما بعدها فى معراج الارتقاء الروحى ، لو استقام على الطريق •

مـن فكرة « وجـود الروح » الى « خلود الروح »

اذا كانت فكرة « وجـود الروح » بوصفها قوة لا مادية تمثل عنصرالحياة والحركة فى الجسد ، قد تلقاها الانسان البدائى ، كما قدمنا ـ من الموت ، فان بلوغ الانسان البـدائى الى الفكرة التالية الاسمى عن « بقـاء الروح » نشأت عنده من الاحلام •

اما كيف كان ذلك ، فالجواب عنـه من البساطة بمكان • والى المسـائل البيان :

لما كان الانسان البدائى ، بعد جهده طوال نهاره فى السعى بوسائله القاصرة البدائية على طعامه وسائر ما يحتاج اليه فى عيشه سواء بالصيد او غيره •• يغلب عليه ـ كما يغلب علينـا اليوم ـ سلطان النوم الذى لا يغالب فينام ، فانه لا محالة كان فى بعض الاحيان ، يحلم فى نومه بمثل ما نحلم به من الاحلام ، التى تمت من قريب او بعيد الى حياتنا وما يشغل فيها نفوسنا من المخاوف والامال • فيرى فيما يرى النائم ـ على سبيل المثال ـ فى بعض جولاته العادية ، انه قد لقى اناسا ممن يعرفهم او ممن لا عهد له بهم ، فدار



بينهم وبينه هـــذا الحديث أو ذاك بالاشارة او بعض الكلام ، وانتهى الامر بما انتهى اليه من سلام او خصام ·· أو انه خرج فى احدى رحلات الصيد البعيدة فى الغابة أو فى الجبال ، فاذا الصيد غير الذى جاء مستعدا لصيده ، بل هو وحش من الوحوش الضخـــام شديد الضراوة ، فثبت له مع ذلك ولم يتراجع ، ولم يزل به يناوشه ويصاوله حتى صرعه ، بما أظهره ــ فى الحلم ــ من شجاعة فى القتال تفوق ســـائر من يعرف من الرجال ، بل وبما يكون أتى ــ فى حلمه ــ من الفعال ما هو فى حكم المحال ·

هذه الاحلام او غيرها كان الانســان البدائى يحلم بهـــا بطبيعة الحال · والــذى يعنينا من أحـــلام الانســـان البدائى ليس احداثهـا بقدر ما هى الاحلام نفسها · ذلك انه كان كلما انتبه من منـامه ، ألفى نفسه مع كل تلك الرحلات فى احلامه راقدا فى فراشه لم يفارقه · فلا غرو أن يكون تفسير ذلـك عنـــده فى كل مرة تتكرر فيها هـــذه الظاهرة ، انها هى روحه تفارق جسده اثناء نومه ، وتنطلق حيث شاءت لتحيا الحياة التى تشاؤها ثم تعود للجسد ·

وعلى أساس هذا التفسير ، تقررت عند الانسان البدائى العقيـــدة بان



« الروح » وان حلت في الجسد ، فان لها وجودها المستقل عن الجسد ·

وعلى اثرها ، عقد الانسان البدائي المقارنة بين مفارقة الروح للجسد في الحالتين : حالة نوم الانسان وحالة موته · فبدا له أن الروح تفارق جسد الميت كما تفارق الروح جسد النائم (على حد قولنا ان النوم موت اصغر ، والموت نوم اكبر) ، وان الفارق في الحالتين : هو ان الروح في حالة النوم تعود للجسد ، وفي حالة الموت لا تعود للجسد ·

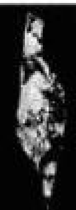
وبذلك يكون الانسان البدائي ، بما اودعه الله فيه من العقل ـ وان يكن لما يزل في طوره البدائي ـ قد سجل لنفسه على طريقته ، وصوله الى الاعتقاد بحقيقة من الحقائق الكبرى : وهي « خلود الروح » ·

اعتقاد « خلود الروح » ينحرف الى التعبد لارواح الاجداد

لما كانت روح الانسان تقيم في جسده طوال حياته ، فقد قر في تفكير الانسان البدائي ان هذه الملابسة ـ طالت او قصرت ـ تميل بالروح المفارقة الى الرابطة بالقرب من جسد صاحبها الميت حيثما كان بعد الممات ·

ولكنه ـ على الرغم من هذه الفكرة المثالية ـ كان لا يتصور ان تصير روح الميت على هذه السلبية ، فتبقى اكثر الوقت حبيسة في القبر بجوار جثته ملازمة لها · وهذه هي ارواح الاموات تغادر مكانها جوار رفات اصحابها بعد ايام يتفاوت عددها باختلاف الجماعات ، وتمضي الى حيث كانت تعيش معه ، وهناك تهيم حول كوخه الذي ربما كان ايضا مسقط راسه ، وفي هذه الحالة يكون على أرملته وأولاده أن يتوخوا في تلك المواعيد المقررة ، ترك الباب دون مغاليق تمنع دخول روح فقيدهم للزيارة الموعودة ···

وبعد هاتين المرحلتين ، يكون للارواح المفارقة ان تستمتع كل واحدة منها بحريتها ، فلا يقتصر غشيانها على الامكنة التي كانت تغشاها مع جسد صاحبها ، بل تهيم في سائر النواحي حيث شاءت في الليل ، لان النهار يخص الاحياء وحدهم · ومن اجل هذا ، كان كل مكان ـ في الغابة او في العراء ، في الطريق العام او في منعطفاته الضيقة ـ موعدا لسرى ارواح الموتى تحت جنح الظلام ، لا تراها الاعين الا اذا شاءت ان تظهر لهم اطيافها لسبب او لاخر · وهذه الارواح تستطيع ان تتعرض بالخير والشر للاحياء بحسب موقف كل واحد من هؤلاء منها قبل الموت وبعده ، فضلا عن امكان تدخلها في سير الاحداث ، باعتبار ان عدم تقيدها بالجسد يكسبها قوة على مثل هذه الامور الغيبية ، على الرغم من حاجتها الى الاحياء في امور اخرى شخصية سياتي ذكرها ·



فكـــرة الـــروح

من أجل ذلك ، كان الانسان البدائي يتحرى رضا هذه الارواح الهائمة ، لاعتقاده أنها وقد حرمت من الحياة ، تحسده عليها : تحسده على ما لايزال يتمع به ـ دونها ـ من الحياة المستقرة في بيته مع أفراد أسرته ... تحسده على ملء عينيه بنور الشمس واستمتاعه بدفئها ، وأكله من صيد البر والبحر وما تؤتيه الارض من ثمرات . تحسده على اشتراكه ـ بعد الطعام والشراب ـ في حلقات الرقص في الساحة ، وسط جلبة النساء والرجال وهم مع رقصهم ينشدون وقد نسوا من فرط الحبور أنفسهم فيلقــروا قمة النشوة ، ثم يتفرقون وقد اصطحب كل رجل زوجته

وتهيئة لما عند أرواح الموتى مــن موجدة الحسد للاحياء على كونهم أحياء لايزالون يستمتعون بالحياة من دونهم ، كان على هؤلاء الا يدعوا لاسترضائهم سبيلا الا سلكوه . فالانسان البدائي في افريقية الشرقية وفي مدغشقر يبني لارواح الموتى خصــاصا من القش لتعتصم بها من الرياح والامطار التي تكثر في تلك الاصــقاع . وفي بعض البقاع من استراليا وجزائر الاقيانوس ، توقد بعض النيران بالقرب من مدافن الموتى حتى تستدفىء بها أرواح الموتى التي تشكو البرد . وأمثال ذلك كثير .

ويلاحظ كذلك في المدافن من قديمها الى حديثها ، أنها غير بعيــدة من مساكن الاحياء ، حتى يقوم ذلك دليلا لدى أرواح الموتى على حرص الاحياء على جوارها ، واستبقاء العلاقة الطيبة بينهم وبينها ، كما يضاف الى ذلك ما تلتزم به كل أسرة من زيارة موتاها مرة أو أكثر من مرة في المواسم كل عام ، حاملين اليهـا معهم أنواع الزاد من الذبائح والخبز والفاكهة فضــلا عن الازهار . والامثلة على ذلك ماثلة بكثرة وافرة منذ الوف السنين في مقابر قدماء المصريين . ولا غنى لنا عن التنبيه هنا الى ان هذا الزاد وهذه الرياحين وغيرها .. وأن تكن صورا على الجدران أو تماثيل ، تتحول الى حقائق حية بقوة الرموز السحرية عند المصري القديم ، الذي لا يرى بسمع السحر فرقا بين الصورة والاصل ، والذي يلغي ايمانه بخلود الروح المسافة بين الميت والحي .

الاعتقاد في وجود الارواح يمتد الى الجمادات .

لم يقف الانسان البدائي من بعــد توفيقه الى اعتقاد « خلود الروح » ، عند حد انحرافه ـ كما تقدم بنا ـ الى التعبد لارواح الاجداد ، بل طرأ انحراف آخر أبعد أثرا وأطول أمدا على اعتقاده الاول « وجود الروح » ، حتى شمل كل ذي حركة في الطبيعة كلها .

وهذا هو كلما نظر حوله في الطبيعة الى كائنات تتحرك — وما اكثرها ! — اعتقد كل كائن منها مثله ، يتحرك لان روحا تكمن فيه .

فالاشجار لا ترتجف أوراقها وتتمايل اغصانها الا لان فيها الروح ، والانهار لا تجرى بين الصخور وتناغى الاسماع بنغم الخرير الا لان فيها الروح . وكذلك البحر الواسع الرحاب الممتد الى اخر الافق ، وهو زاخر اللجة صاخب عجاج من تلاطم الامواج ... وأمثال ذلك الى اخر ما هنالك .

وهكذا ازدحمت الطبيعة حول الانسان البدائى بالارواح . فثمة روح لكل شجرة ... واذن ، لا غرو يكون للغابة المتكاثفة الاشجار ، المتعددة المسالك ، المترامية الاطراف ، أسرة من الارواح كثيرة العدد ، ويكون على رأسها من الارباب مما يناسب الغاب . وثمة روح لكل نهر ... واذن ، لا غرو ان يكون للبحر — ذلك العالم المائى الكبير — أسرة روحية اكثر عددا ، وعلى رأسها رب وربة من الكبار ذوى المكانة !

وعلى هذا المنوال ، مضى الانسان يتمثل الارواح فى كل ما يلقاه على وجه الارض ، حتى انتهى الى الاعتقاد بان حركة الحجر المتدحرج من قمة الجبل على السفح ، تقوم دليلا على وجود الروح فى الجماد . وكان اروع ما أيد ذلك عنده « جبل النار » . ذلك البركان الذى لا يرى فى قمته عند الهدوء الا سحابة من دخان ، فاذا هو ثار ، سمع له زمجرة لا تكون الا لكائن جبار ، وصار يقذف من جوفه ذات اليمين واليسار من قذائف النار ومصهور الاحجار ، ما يزلزل الارض وينشر الموت والدمار . بل ان الصحارى الجرد نفسها ، لا تخلو من كثبان الرمال المتحركة فى مهاب الرياح ، فضلا عن أن ما يصدر عن تمدد رمالها بحرارة النهار وانكماشها فى برد الليل من التخلخل فى الرمال ، ينجم عنه حركة انهيار بطىء مستمر ، اذا سمعها الانسان البدائى توهمها فى سكون الليل وسط القفار ، همسات ارواح الصحراء !

هذه بعض الظواهر الطبيعية فى الارض . اما فى السماء فان الانسان البدائى ما يكاد يطمئن الى صفائها فى هذا اليوم او ذاك ، حتى تجذب النظر قطع متحركة من السحب تسرى فى الفضاء متفرقة ، ثم تتجمع فيكفهر الجو .. واذا الرياح التى كانت نسائم لطيفة ناعمة ، تصير زوابع عاصفة تتواثب وتتضارب كالوحوش الضارية . وفجأة تعلو على اصواتها جلجلة صيحات مروعة تتردد فى الافاق ، من اصوات الرعود القاصفة ، بينما تلتمع فى جوانب السحب الملتهبة هنا وهناك كألسنة النار ، تلك البروق الخاطفة ذات البريق الذى يخطف الابصار ...

فهل بعد ذلك ، يبقى عند الانسان البدائى ادنى شك ، فى ان السماء ايضا عامرة كالارض بالارواح ... وان هذه الارواح — مثل روحه احيانا —



لاتخذها صورة من الغضب ، هي هنـــا كأشد ما يكون الغضب !

في هذه الحال ، وغيرها من الاحوال ـ سيان ما ذكرناه وما لم نذكره ـ كانت تتحرك عند الانسان البدائي رغبة ملحة لمعرفة السبب ...

ولما كان من الطبيعي أن يكون لـكل جماعة بدائية زعيمها ، وكان لابد لهذا الزعيم لحكم الجماعة والسيطرة عليها ، من الاستحواذ الكلي على عقولهم ، فقد اقتضاه ذلك ـ الى جانب ما حصله من المعرفة التجريبية ـ أن يجعل اعتمـاده الاكبر على ايهامهم بما تلقنه عن أرواح الاجداد من المعـارف الغيبية الكفيلة بالرد على كل سؤال ، فضلا عن القوى السحرية القادرة على شفاء كل داء ، ورد كل شر وبلاء .

ومن ثمة كان هذا الزعيم المتطبب الساحر ، هو الذي يفسر لهم ـ بحسب اجتهاده ـ السبب في غضب هذا أو ذاك من الالهة المتمثلة في العنـاصر الطبيعية ، ويدلهم ـ قدر سعة حيلته ـ على وسائل استرضائها بالقرابين واداء الشعائر وغيرها ، مع ابداء استعداده اذا استدعى الامر الى اكراهها بفضل ما لديه من القوة الفعالة السحرية .

ولم يكن هذا بمانع للزعيم كلمـــا اجتمعت جماعته حوله ، من أن ينسج لهم الاساطير التي يجود بها خياله عن عجائب حياة كل من الالهة المعبودة بما يميز بعضها عن بعض ، من حيث عظمة سلطانها وجبروتهـا أو براعة ذكائها وسعة حيلتها ، او رجاحة عقلها وعمق حكمتها أو روعة محاسنها وسطوة فتنتها . وهذا ما نراه منعكسا بصورة منتظمة مستكملة ومحسنة ، في آثار الحضارات الوثنية الاولى ، واقدمها حضارة مصر الفرعونية ، ومن بعدها الهند ، ثم اليونان التي حفظت لنـا ملحمـــة « الالياذة » عبـر الازمان أساطيرها الجميلة .

واعتمادا على تلك الاساطير ، يكون ما تعبد له الانسان البدائي من رموز القوى الطبيعية متمثـلا في قوتين : احداهما قوة أرضية ، والاخرى سماوية وتتمثل القوة الاولى في « أمنـــا الارض » بما يمثله رمزها عند الانسان البدائي من قوة الاخصاب الخلاقة ، في كل ما تنبته بطنها من نبات يعيش عليه الاحياء ، وكل ما ينتجه الاحياء على ظهرها من حيوان وانسان .

وتتمثل القوة الثانية في الاجـرام السماوية ، وهي بالليـــل كالمصابيح المضيئة لا عداد لها ، ومن بينها الكواكب السيارة التي عرفت الحضارات القديمة لكل كوكب منها مسارها المحـــدود ، متنقلا بين البروج لا يخطيء المواعيد .

حتى زعم الاولون ـ ومنهم الانســـان البدائى ـ انهــا تجرى لهم بالنحوس والسعود ·
امــا الشمس ـ أعظم الاجـــرام السماوية ـ فقد عرف فيهــا الانسان البدائى المركز الاكبر المشع للنور الذى يهدى ، وللحرارة التى تحيى ، فجعلها ـ لا محالة ـ على رأس القوى الطبيعية المعبودة كلها · ومن ثمة كانت عبادة الشمس اقدم العبــادات فى مصر ، صاحبة اقدم الحضارات ·
وهذه القوى الطبيعية كلها التى كانت ـ كما تقدم بنا ـ بمثابة « الارواح » عند الانسان البدائى ، جاء بعد الوف السنين فى القرن الرابع قبــل مولد المسيح كبير فلاسفة اليونان افلاطون ، فوحدها فيما اسماه «Anima Mundi» اى « روح الكون » ·

الخاتمة

من حق الانسان البدائى علينا وهــو فى طوره الحضارى الاول ، ان نترك جانبا ما طرأ عنده على « فكرة الروح » من الانحرافات حين ضل الطريق · وان نجعل موقفنا عنــدما اصابه مـــن التوفيق ، حين استكشف ـ على طريقته ـ ان جسمه المادى لا يقوم بذاته ، بل تحركه قوة فيه خفية لا مادية ، فكانت فكرته الاولى عن « وجود الروح » ، ثم استكشف ـ على طريقة له أخرى ـ ان هــذه الروح التى هى جوهر لا مادى لا تهلك مع الجسد ، بل هى خالدة ابد الدهر ، وتلك فكرته الثانية عن « خلود الروح » · وأيا كـــان نصيب هاتين الفكرتين من الموافقة عندنا او عـــدم الموافقة ، فان البشرية كلهــا قد وقع اتفاقها ـ مع كل ما بين الناس مـــن خلافات ـ على جوهر هـــذه الحقيقة « وجود الروح وخلودها » التى تعتبــر لا محالة فى صورتها الدينية الكــاملة من الحقائق الكبرى ·
والواقع ـ فى رأينا ـ ان الانسان البدائى قد نجح بالقياس الى المرحــلة التى كان فيها بين أواخر البدائية واوائل الحضارية ، فما كان له ان يلم باكثــر مما الم ، ولا كان له بعــد التوفيق الا يضل الطريق كما ضل ·
الحقائق الكبرى فى صورتها الدينية الكاملة ، انمــا ينهض بحملهــا الى البشر ، أصـــحاب الاديان من الرسل والنبيين ، الذين اصطفاهم لذلك رب العالمين · وهذا ما جاء فى كتابه الكريم بشأن « الروح » :
« ويسألونك عن الروح ، قل الروح مـــن امر ربى ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ·

موسيقى من الروح

محمود حسن إسماعيل

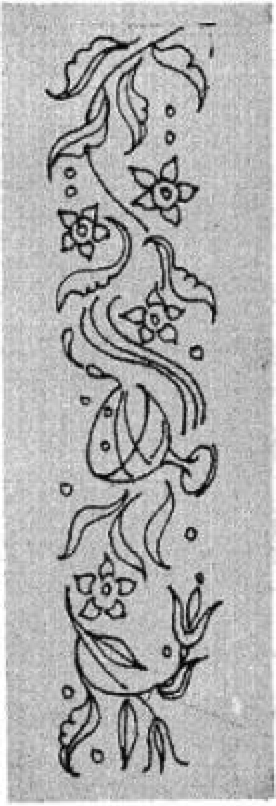
سألوا ، فقال اللهُ ، جلَّ جلاله :
الروح من أمري ، فقل لاتسألوا
لا تسألوا الأنغام كيف تفجَّرتْ
السِّر تاه ، وتاه فيه البلبلُ
وتحيرتْ بدمى الطيور ، فمرةً
تئد الطريق ، ومرةً تستعجل
أصغيتُ ، ثم أطلتُ إصغاء الرؤى
فلعلَّ بارقةً لليلى تثقبل
والشرفةُ الكبرى بذاتي أجهشتْ
واللهفةُ العمياءُ راحت تعولُ
والعقلُ مسجورٌ ، يُطل ويختفى
مات الضياءُ به ، وجُنَّ المشعل
شدهتهُ أضواء الطريق ، فظنَّها
وصلت ، فراح من العماية يخُتُلُ
وثبتْ مخالبه ، ودقَّ جناحه
بالنور ، قبر النور ، وهو مخبَّلُ
سلب الغرور حياءه ، فمضى كما
يمضى الغرور ، على السراب يحوقل
أغراه أن الذرَّة انفلقت على
كفَّيه ، فهو بكبرها يتدلل
قهر السماء ، وشقَّها ، وسرى بها



ومشى على القصر الاصم يُرتل
نشوان ، يلطم كل غيبٍ ، لا يرى
شيئا وراء الغيب منه يجفل
لا رب .. لا روحا .. ولا أمدا ، به
من سطوة المجهول طيف" يمثل
مَلَكَ الوجود ، فلا حدود لخطوه
القبحَ طاب له ، وجماع المنجل
يَرقى كما لو كان يهبط ، لا يرى
الا المحالَ لشوقه يتنزل
أهدابه بيد الاله ، وخطوه
بيد الحقيقة فارس مترجل
صهر الظلامَ على الضياء ؛ وصاغه
دربا على شطحاته يتنقل
وصل النواة ، فصاغها قدرا على
راحاته ، كل الوجود يتبدل
يرمى بها ، فيحيل كل زمانها
عدَما يذيب رؤى الحياة ويشكل
يفنى ولا يُحيي .. وليس بطوقه
رَدُّ الحياة لأى شىء يذبل
الزهر مات ... فهل بسرك قدرة"
تدع الخلود بعطره يتجول ؟



والعطر ذاب .. فهل بسرك قدرةٌ
تحييه من روض البِلى يتسلل ؟
وأتى الخريف .. فهل بسرك قدرةٌ
تدع الربيع على خطـاه يهلل ؟
والحبُّ ، هل بيديك توقد ناره
فى مهجة من حقدها تأكل ؟
والروض ، ان خرست جميع طيوره
ألديكَ للاغصان نايٌ يرسل ؟
أعرفتَ سر غنائها وسكوتها ؟
أعرفت ؟ أم أنت العليم الأجهل ؟
أعرفت نفسك ، كيف تعقل ما ترى
أو لا ترى ، فى كل شيء تعقل ؟
أعرفت كيف تضيء منك شعاعةٌ ؟
كيف الضياءُ لطرفها يتنزل ؟
أعرفت ان سكنتْ لذاتك نبضة
لم أنت بعد سكونها تتبدل ؟
يغشاك صمتٌ ، لا تعى لهموده
سرا على أسرار وعيك يُسبَلُ ؟
تُغنَى ، وطائرك الخفيُّ مُجنح
فوق الزوال ، جناحه لا ينزل





قد كان فيك .. وكنت فيه ..وكنتما:
هو ضوءُك الحادى ، وأنت الهيكل
فاذا انطفأت ، تخلّصتْ ومضاته
ورجعت الا شيء شـــيئا يعول
هى فيك .. تجهلها ، وتشرب خمرها
فاذا تطير .. فأنت كأس مُهمَلُ
يسقيك طين الأرض أصلك ، مثلما
يسقى الزوالُ رُبا الزوال وينهل
دعتها ملثمة ، وحـاور دربهـا
ودع القوافل ، فالطــريق مكبل
ماشئت ، أو كما لم تشأ ، ان السُّرى
شرب الوقوف ، وأنت فيه معلّل
ستظل تمـــرق ، ثم تمرق ، ثم لا
تجد الرؤى ، فيعود طرفك يهـزل
وتظل تلهث ، والحقيقــة سرّها
فى كل شيءٍ ســاطعٌ متحلل
الروح سر الله ، والعقـل الذى
يشقيك ضيفٌ فى حسـاها نزل
فاذا مضيتُ مضى ، وتبقى خمرة
وكما يريد شعاعها ... يتحول

د. عبدالمنعم أبوبكر

الروح عند الفراعنة

عناصر الحياة ومقوماتها عند المصريين القدماء



تزخر النصوص المصرية القديمة بعقيدة المصرى القديم، فى بدء الخلق، وكيف حدث الخلق. وهناك مدارس دينية عديدة لكل منها مذهبها الخاص. ولكن أهم هذه المدارس هى مدرسة «منف» التى جعلت «بتاح» العظيم هو الخالق، وطريقته فى الخلق تتلخص فى أن «بتاح العظيم هو قلب الآلهة ولسانهم» ويعنى ذلك أن «القلب» هو «العقل» أو «الفهم»، فى حين أن «اللسان» هو رمز النطق والنطق هو الكلمة وفى الكلمة «الخلق».

وهم يقولون فى ذلك: «ان بتاح هو القلب فى كل صدر وهو اللسان فى كل فم، سواء فى ذلك جميع الآلهة وجميع الناس وجميع الماشية وجميع الزواحف وسائر الاحياء، ان بتاح يفكر فيما يشاء ويأمر بما يريد ... ان الآلهة هى صور لبتاح وهى التى أوجدت بصر العين، وسمع الأذن، وتنفس الانف، لتصل جميعا الى القلب، والقلب هو الذى يصدر كل قرار واللسان هو الذى يعلن فكر القلب. ان كل كلمة مقدسة خرجت الى الوجود عن طريق ما فكره القلب ونطق به اللسان».

واذا اردنا التعرف على حياة الناس وما هى عناصر هذه الحياة ومقوماتها فنجد أيضا أن المصرى القديم قد ترك لنا الكثير من النصوص التى تفسر لنا عقيدته فى ذلك، ولو اننا نعترف أن

هذه النصوص تحوى فى كثير من الاحيان غموضا دفع العلماء الى الكثير من الجدل والاختلاف فى الرأى .

ان عملية الخلق المادى للانسان تسند عادة الى الاله « خنوم » ، فهو الذى يشكل الانسان من طين وعصالة ، تماما كما يشكل الانسان آنيته الفخارية ، ولذلك صوروا « خنوم » جالسا امام عجلة الفخارى يقوم بتشكيل الانسان ، اى يخلقه خلقا ماديا ، وبعد ذلك يقوم بتشكيل جسم اخر هو ما أطلق المصريون عليه اسم « كا » (وسوف يأتى الحديث عنـــه) ثم تنفث الآلهة « حقت » (التى صورها المصرى بجسم انثى ورأس ضفدع) روح الحياة فى هذين التمثالين الفخاريين ، وهـــكذا يتم الخلق . ولقد رمز المصرى القديم الى « روح الحياة » بعلامة « عنخ » التى نتعارف على تسميتها « مفتاح الحياة » .

الا ان المصرى منذ اخذ بفكرة الخلود بعد الموت ، بدا يكون لنفسه صورة لطبيعة الانسان كمخلوق حى لا يلبث ان يموت ويطلب لنفسه سعادة دائمة فى حياة خالدة تعقب الموت . والواقع انه لا يوجد شعب قديم او حديث بين شعوب العالم احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم ، ولا يمكن تفسير هـذه الظاهرة الا على اساس ان الناس الذين استقروا فى وادى النيل الاسفل (اى فى مصر) قد نعموا بحياتهم وسعدوا بها الى درجة جعلتهم يحاولون جاهدين الابقاء عليها حتى بعد الموت ، ومما ساعدهم على هذا التخيل تلك الحقيقة المعروفة عن تربة مصر ومناخها وهى انهـــا تحفظ الجسم الانسانى بعد الموت من البلى الى درجة لا تتوافر فى بقعة اخرى من بقاع العالم ، هذا مع العلم ان المصرى كـان يحرص باستمرار على أن يختار جباناته فى بطن الصحراء بعيدا عن الارض المزروعة ، التى كان النيل يغطيها بمياه فيضانه مرة كل عام ولمدة تزيد على ثلاثة أشهر . ولابد ان حالة الحفظ التـــامة للاجساد البشرية التى كان المصرى الاول يكشف عنها فى كل مرة يقوم فيها بحفر قبر جديد ، قد زادت اعتقاده فى بقاء تلك الجثث البشرية الى الابد ، بل والهبت خياله بتصورات مختلفة عن عالم الموت ، واخذ يعتقد فى ان الموت ليس الا صورة من صور الحياة يفقد الانسان فيها مقومات الحركة فقط ، ومن ثم نراه يتصور أن الموت لا يصيب الا الجسم الخارجى ، فى حين تتبقى عناصر اخرى هى التى تتمتع بالحياة فى دنيا ما بعد الموت .



واهم ما ذكرته النصوص المصرية من عناصر الانسان ومقوماته هى :ـ

١ ـ جسم مادى « خت »
٢ ـ روح « با »
٣ ـ قرين « كا »
٤ ـ نورانية تنكشف فى الآخرة « آخ »
٥ ـ قلب مدرك « ايب »
٦ ـ اسم شخصى « رن »



١ ــ « الجسد » :

لقد اطلق المصرى على الجسد لفظ « خت » واعتبره بمثـابة مستدرق يحوى عناصر مختلفة هى التى ستبقى بعد الموت ، فى حين أن الجسد سيدفن بعد تحنيطه فى المقبرة • ولقد عبر المصرى بكلمة « خت » ليس فقط عن الجسد المادى بل وأيضا عما يحويه من شهوة وشرور • ونستدل على ذلك مما ورد فى أحاديث بعض حكماء مصر القديمة ، فنرى « بتاح حوتب » الذى عاصر الملك اسى من الاسرة الخامسة يقول عن طبيعة الجسد وهو يعظ ابنه : « لا تردد الكلب ولا تتسمعه لانه وليد جسد فاتر » و « أن العاقل هو الذى يستمع الى نداء الجسد » و « اذا ضل القلب وأطاع نداء جسده فانه يكون قد أحل صغاره محل حبه ، ويصبح عقله تعسا ويسوء وجهه بما جرته عليه نفسه • أما من اتبع نداء الرب فقد عزت نفسه ، والقلب لا يشعر بالنقـه الا من فضل الرب وحده • ومن أطاع جسده كان عدو نفسه » •

٢ ــ « البا » :

ان هذا العنصر الذى نترجمه تجاوزا « الروح » قد كثر الجدل عنه بين علماء الاثار وذلك لغموض كنهـــه ولتشعب صفاته ، « فالبا » لا يرد ذكرها مطلقا الا فى المناظر المرسومة على جدران المقابر وعلى توابيت الموتى • ولقد صوره المصرى القديم كطائر له رأس انسان وذراعاه ، وتراه يرفرف على مومياء صـاحبه فى تابوتها وهو يقدم لانفهـا صورة شراع منشور وهو الرمز المصرى « للهواء » ، ويحمل فى يده الاخرى علامة « عنخ » اى الحياة • ومن الملاحظ أن « البا » لا تظهر الا عند موت الانسان ، وكل النصوص المصرية تنص على محاولة جعل المتوفى « با » عند موته •

واذا كان الامر كذلك فنحن نتساءل دون أن نجد الجواب : هل للانســـان الحى « با » ؟ حقيقة أن متون الاهرام من الاسرة السادسة تتحدث عن « با » الملك ، وانها بعد الموت تفارق صاحبها وتصعد الى السماء حيث تحيا بين الآلهة ، ولكن « البا » تعود من حين لاخر لزيارة مقبرة صاحبها لتتقبل القرابين التى تقدم فى الاعياد المختلفة فى المقبرة ، وفى هذه الحالة نجد أن الكاهن الجنازى يخاطب المتوفى الذى يرقد فى تابوته قائلا :

« ان عظامك لا تفنى ولحمك لن يبلى واعضاءك ليست بعيدة عنك •••••• ان الهة الســـماء تعيد لك رأسك ثانية وتجمع لك اعضاءك ثانية وتحضر قلبك لجسدك ثانية • قم لخبزك هذا الذى لن يجف وجعتك التى لا يمكن ان تفسد ، اذ بهما تصبح « با » • »

ومن هذا يجب أن نعترف بأن الطعام الذى يقدمه الكاهن يحوى قوة سحرية هى التى تحول المتوفى الى روح « با » • وهذا التصور له خلفيته فى أسطورة مصرية ، وهى أسطورة أوزوريس وست وحوريس • ومن المعروف أن ست قتل أخاه أوزوريس طمعاً فى عرشه ، ثم بعد ذلك قام بمحاولات شتى لمنع حوريس بن أوزوريس



من أن يرث عرش أبيه ، ومن بين هذه المحاولات أن انتزع عينه ليصبح غير قادر على الحكم ولكن حوريس استرد هذه العين وأعطاها لابيه أوزوريس الميت ، فلما تسلمها صار روحا أى « با » ، ومن أجل ذلك اعتاد المصريون تسمية أى قربان يقدم للميت : « عين حوريس » ٠

٢ ــ « الكا » :

لقد سبق القول أن « الكا » كانت تخلق مع الانسان وأن الاله « خنوم » كان يقدمهما الى الربة « حقت » التى تنفث فيهمـــا الحياة ، ومعنى ذلك أن « الكا » تولد مع الانسان ٠ ولقد لعبت « الكا » دورا رئيسيا بالنسبة الى الانسان سواء فى حياته الاولى أم فى حياة ما بعد الموت ٠

فنحن اذا اعتمدنا على بعض النصوص ذات الصبغة الدنيوية مثل التراجم الخاصة والتعاليم الخلقية والاسماء الشخصية ، نجد أن المعنى لا يستقيم الا اذا ترجمنا « الكا » بكلمة « النفس » أو « النفسية » ٠ فمثلا نرى أن « بتاح حوتب » عندما يتحدث عن « الكا » فى سياق نصائحه المتعددة الى ابنه ، يقصــــد نفسية الشخص الحى : « لا تبتر وقت متعتك » فكريه على الكا (أى النفس) افساد وقت متعتها » و « اذا تقاعد المرء عن أن يرضى خلصاءه ، قال الناس هو « كا أنانية » بمعنى هو نفس أنانية ٠

كما أن الاسماء الشخصية المصرية مثل « كا وعب » تعنى « نفس طاهرة » ، « كا منخ » أى « نفس فاضلة » ، و « مريرو كا » أى محبوب النفس ٠

ولقد عبر المصريون عن « الكا » بصورة ذراعين مرفوعتين الى أعلى ، وفى الواقع أراد الفنان تمثيل ذراعين ممدودتين الى الامام ولكن قواعد الرسم المصرى كانت لا تسمح بذلك فرفع الذراعين الى أعلى ، وهو يقصد بلا شك تمثيل الذراعين فى وضع « الحماية » ، ونجد مثلا من بين نصوص مذهب « هليوبوليس » التى تتحدث عن الخلق الاول الذى قام به « أتوم » : « أتوم الذى أوجد نفسه بنفسه وعاش فريدا أمدا بعيدا حتى ذرأ من نفسه ذكرا وأنثى وهمـــا شو (الفضاء والهواء والنور) وتفنوت (الرطوبة والندى) ثم مد ذراعيه حولهما بمقدرة « الكا » فسارت كافه فيهما ويعنى ذلك ولا شك بأنه أحاطهما بساعديه فانتقلت اليهما « نفسه » لحمايتهما ٠

واعتقد المصريون أن « الكا » تبقى فى جسم صاحبها مادام حيا ، فهى كما سبق القول تولد معه وتعيش معه ، تصونه وتتأثر بما يتأثر به ، وهذا التصور اعتقد أنه لايزال باقيا عندنا حتى الان ٠ وذلك عندما يجرى طفل ويقع على الارض فجاة فتجد أمه تسارع اليه قائلة : « اسم الله عليك وعلى اختك احسن منك » ، فهى وان كانت ترى أن الطفل لم يصب بسوء ، الا انها تخشى أن تكون « الاخت » أى « الكا » قد أصيبت بأذى ، ومن الطريف اننا نعتقد ان لكل ذكر « كا » انثى ، ولكل انثى « كا » ذكرا ، فى حين أن المصرى القديم اعتقد أن « الكا » من جنس صاحبها ٠





أما الدور الذى لعبته « الكا » فى حياة ما بعد الموت فكان اكثر اهمية وذلك لانه يمس آمال المصرى فى حياة الخلود · لقد اعتقد المصرى أن « الكا » ستنفصل عن الجسد فورا بعد الموت ، ولكنها ستبقى بجانبه وهى العنصر الذى سيعيش الى الابد ، الا أن هناك ضمانات متعددة تتحكم فى نوعية هذه الحياة ومدى السعادة التى سترفرف على « الكا » ، ومن أهم هذه الضمانات :

١ ـ تحنيط الجثة حتى تحتفظ بصورتها الدنيوية لتتعرف عليها « الكا » ·

٢ ـ تشييد مقبرة تجهز بحجرة دفن تحوى تابوتا ضخما من الحجر للمحافظة على الجثة وسميت المقبرة عند المصرى القديم « منزل الابدية للكا » ، وذلك لانها ستعيش فى المقبرة الى جوار صاحبها الى ابد الابدين ·

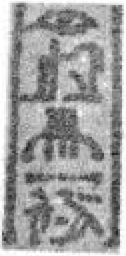
٣ ـ تكديس الاكل والشرب ومجموعة كاملة من الاثاث الذى يستعمله صاحب المقبرة فى حياته الدنيوية ، تكديسها فى حجرة الدفن بالمقبرة لتعيش عليها « الكا » وتستعملها كما كانت تستعملها وهى جزء من صاحبها فى حياة الدنيا الاولى ·

٤ ـ اقامة تماثيل فى المقبرة تعرف باسم تماثيل « الكا » لكى تتجسدها « الكا » وتعيش فيها عند تقدمة القرابين الطازجة فى المناسبات والاعياد الجنائزية المختلفة ·

٥ ـ ربط مساحات شاسعة من الارض المزروعة كاوقاف يصرف من ريعها على تقدمة القرابين الطازجة وعلى مرتبات كهنة « الكا » الذين كانوا يقومون بالطقوس الجنازية فى المقبرة ·

وهكذا كانت الجبانة ليست الا مدينة كبيرة تسكنها « كاوات » الملك وافراد اسرته ورجالات الحاشية وموظفى الدولة ، وكان الملك يرقد فى هرمه يحيط به ويكتنس حوله ما اعتقد انه سيحتاج اليه فى حياته الطويلة فيما بعد الموت ، كما كانت القرابين الطازجة من الطعام والشراب تقدم اليه فى المعبد الكبير المشيد الى الشرق من هرمه ، ويقوم على هذه التقدمة « كهنة الكا » الذين كانوا ينفقون عن سعة ، على هذه القرابين من الاوقاف الضخمة التى توقف على هذا الغرض · وكانت « كا » الملك تخرج من الهرم مترددة على المعبد ، اما افراد اسرة الملك ورجال الحاشية وكبار موظفى الدولة فكانوا جميعا يرقدون فى مقابرهم التى تحيط بالهرم ، يزود كل منهم نفسه بما تسمح به امكانياته ويضمن لنفسه قرابين يومية على قدر ثروته وقدرته الاجتماعية ·

ولقد كان اطعام « الكا » امرا جوهريا عند المصريين والا جاع وظمىء الانسان ، وهذا ما كان يرتعد امامه كل مصرى اذ اعتقدوا ان « الكا » فى هذه الحالة ستأكل من برازها وتشرب من بولها · ونحن نحمد الله على ان المصرى القديم قد نحا هذا النحو فى عقيدته من حياة ما بعد الموت · فكدسوا ما كدسوا فى مقابرهم ، وبالتالى امدونا بهذه المعلومات الواسعة عن كل كبيرة وصغيرة فى حضارتهم وحياتهم اليومية ·



ومن الطريف أن تعلم أن المصرى القديم قد تخيل وجود جنة سماوية ، الا أن هذه الجنة كانت طوال عصر الدولة القديمة وقفا على الملوك ، ونحن نجد فى بعض فقرات متون الاهرام ما يساعدنا على معرفة ما تخيله المصرى عن جنة الفراعنة السماوية ، وهى جنة كان الملوك يغارون عليها ويحرمونها على افراد شعبهم ، ولو أن الثورة العارمة التى قام بها الشعب فى اواخر الدولة القديمة جعلت الجنة حقا لهم • وفيما يلى احدى فقرات متون الاهرام (فقرة رقم ٨١٥) التى تصف لنا الجنة •

« هل تريد أن تعيش ابديا ؟ اذن عليك يا حوريس الذى يسيطر على حرية الصدق (وهى الحربة التى يتسلح بها حوريس ليمنع اى شخص من المرور بباب الجنة الا اذا كان من الصادقين المرئيين امام الله) الا تغلق مصراعى باب السماء ، ويجب عليك الا تحمى عقبه (اى عقب الباب) وخذ روح « بيبى » الملك وادخلها الى هذه السماء لتكون بين المنعمين حول الآلهة والذين يحميهم الآلهة وهم يتكئون على صولجاناتهم ، وهم الذين يحمون صعيد مصر وهم الذين يرتدون احسن الملابس الكتانية الارجوانية اللون ، وهم الذين يأكلون التين ويشربون الخمر ويتضمخون باحسن العطور • دع روح بيبى الملك تتكلم امام الاله العظيم حتى يسمح لبيبى أن يصعد الى جنته » •

٢ — « الآخ » :

فى الواقع عنصر « الآخ » هو من اكثر عناصر الحياة غموضا ، ولعل السبب فى ذلك انه عنصر معنوى بحت ، اذ أن اللغة المصرية عبرت بلفظ « آخ » عن فضائل معنوية كثيرة مثل البهاء ، والجلال ، والصلاح ، والنبل ، والقداسة • ولقد اعتقد المصرى أن عنصر « الآخ » ينفصل عن الجسم بعد الموت ويصعد الى السماء لينضم الى « الآخو » (جمع آخ) المنتشرين فى بطن السماء كنجوم متدلية متلألئة • فنجد مثلا الفقرة رقم ٤٧٤ من متون الاهرام تقول : « الآخ للسماء والجسد للارض » • وفى فقرة أخرى ١٥٣ — ١٥٩

● الروح كما صوره المصري القديم : طائر له رأس إنسان وذراعاه ترفرفان على مومياء صاحبه فى تابوتها ..

● هل نعم أهل وادى النيل القدامى بحياتهم إلى درجة جعلتهم يحاولون الإبقاء عليها حتى بعد الموت ؟



نـ « أنه أصبح « أخا » لا يأفل ، أن شــاء أن تعيشوا عشتم و ن شاء أن تهلكوا هلكتم » .

ولقد وصف أحد فصول كتاب الموتى (بردية آني) نعيم الآخرة بصفات معنوية شيقة جعل من أهمها تلك البهاء والجلال الـــذى هو « الإله » . كما صور الفارق الكبير بين ظلمة المقبرة في باطن الأرض ووحشتها ، وبين راحة النفس التي تنتظر الصالحين فيها : « حقا إنها بغير ماء ولا هواء ، عميقة مظلمة وصعبة ، لا حد لها ولا نهاية ، ومع ذلك فيعيش الصالح فيها سعيد النفس . فهي أرض لن تمارس فيها شهوات الجنس ويصبح الإنسان فيها « أخا » لا يحتاج الى ماء ولا هواء ولا متعة الجنس ، ويوهب فيها راحة القلب بدلا من الطعام والشراب » .

● ـ « الإيب » :

عبر المصرى القديم بكلمة « ايب » عن القلب كعضو مادى في جسم الانسان ، وكذلك عبر به عن معانى العقل والضمير والإرادة والوجدان ، فتراهم يقولون عن المعاني السالفة الذكر : « ان خصال انسان قويم القلب لأكثر قبولا عند الاله من ثور يقدمه له قربانا رجل اعتاد الشرور » ، و « ان قلب الانسان هو حيــاته ونعيمه وسلامته » ، و « ان ما تراه العينان وتسمعه الأذنان ويشمه الأنف يؤدى جميعه الى القلب » .

واعتقد المصريون أن القلب هو المركز الـذى يوحى للانســان بأعماله الحسنة منها ، والضارة ولذلك كان هو الشاهد الـذى يعتمد القاضي الاكبر (أوزوريس) على أقواله فيحكم على صاحبه اما بدخول الجنة واما بالقائه الى جهنم ، واعتادوا تصوير قلب الانسان فى كفة الميزان ، وريشة العدالة فى كفته الاخرى ، ومن زادت أعماله الحسنة كان هو الذى يدخل جنة أوزوريس .



● إيزيس سيدة الآلهة ، والمرأة الماهرة . كان لها قلب تفوق شجاعته مليون قلب من قلوب الرجال .



ولعل من اجمل ما وصل الينا من منــــاظر محاسبة الميت امام محكمة اوزوريس ، رب العالم السفلى ، هو المنظر الذى ورد على بردية انى :

يدخل « انى » قاعة المحكمة التى سيقرر فيها مصيره ، وهــو مطأطأ الراس خاشع وياتى « انوبيس » اله التحنيط واحــد الهة الدنيا الاخرى ، ويطالب بقلب انى ، ثم يضــعه فى كفة الميزان ويضع فى الكفة الاخرى ريشة العدل والصدق . ويخاطب « انى » قلبه قائلا :

« يا قلبى الذى اثبت من امى — يا قلبى الخاص بكيانى — لا تقف شاهداً ضدى — ولا تعارضنى فى محكمة العدل — ولا تكون حربا على امام الموازين — ولا تجعل اسمى كريه الرائحة امــام المحكمة — ولا تقول ضدى زورا فى حضرة الاله » .

ويبدو ان هذا الاستعطاف لم يات بالاثر المطلوب ، فنرى الاله « تحوت » رسول الالهة ورب الكتــابة يتقدم قــائلا امام الاله « اوزوريس » :

« اسمع انت هذه الكلمة فهى كلمة الحق — لقد حاسبت قلب انى — ان روحه شاهدة عليه — واخلاقه كانت مستقيمة كما يدل على ذلك الميزان العظيم — لم تجد له ذنبا ولم يقترف شرا »

عندئذ تقول الالهة التسعة تعقيبا على ما قاله تحوت :

« ما احسن ذلك الذى نطق به فوك العادل — لقد شهد انى المبرا من الذنوب انه ليس له ذنب واحد — ولا نجد انه اقترف شرا — ولذلك لن يكون للملتهمة سلطان عليه (والملتهمة عبــارة عن حيوان مفترس يقف مستعدا لالتهام من يثبت ان اعمال الشر تفوق اعمال الحسنى) فليؤمر باعطــائه الخبز الــــذى يوضع امام اوزوريس ، وليعط الضيعة التى فى حقول القربان (الجنــة) كما عمل لاتباع حوريس » .

واذا ما ثبتت براءة « انى » يقود حوريس بن ايزيس « انى » ويقدمه الى اوزوريس قائلا له :

« انى آت اليك يا اوزوريس وانا احضر معى « انى » — ان قلبه المحق قد خرج من الميزان بعد ان ثبت انه لم يقترف خطيئة ضد اى اله او الهة — حاسبه تحوت كتابة — ولقد شهدت له الالهة التسعة شهادة عادلة جدا — فليؤمر باعطائه الخبز والجعــة اللتين توضعان امام اوزوريس مثل اتباع حوريس » .

ويبدا انى حديثه امام اوزوريس قائلا :

« تامل انى امامك يا رب القرب — ان جسمى خال من الذنوب — انى لم انطق كذبا على علم منى — واذا كنت قد كذبت فانى لم اكرر ذلك مطلقا — دعنى اكن مثل اصحاب الحظوة من اتباعك »

ويركع انى امام الاله العظيم وبذلك يصير مقبولا ويدخــل جنة اوزوريس .



٦ ـ الاسم « رن » :

اعتبر المصرى القديم « اسمه » جزءا هاما من كيانه ، يتميز به فى دنياه ويتأكد به خلوده وسعادته فى أخراه . ولذلك اهتم المصرى بتخليد اسمه على آثاره حتى يردده الاحياء بعد وفاته . واعتقد المصرى ايضا أن ما يلحق بالاسم من شر يلحق أيضا بصاحبه ، وأن الانسان يمكن أن ينتقم من اعدائه أحياء كانوا أو موتى عن طريق الاضرار بأسمائهم سواء بالمحو أو بالسحر .

لقد كان الاسم من أهم عناصر صاحبه حتى أن تحوتمس الثالث عندما اراد الانتقام من حتشبسوت ، محا اسمها من فوق جميع آثارها ، وكذلك صنع اخناتون عندما اراد أن ينتقم من « آمون »

ومن الطريف أن تعلم أن معظم آلهة مصر كانوا يخفون أسماءهم عن عبادهم ، وبالتالى اعتقد المصرى أن من عرف اسم معبود أو كائن مقدس فى الاخرة يستطيع أن يتقى غضبه ويكسر شره . وهناك اسطورة ايزيس المشهورة التى تحكى كيف حاولت معرفة اسم الاله الاكبر رع .

وهذا هو نص الاسطورة :

« اسطورة الاله الاعظم الذى خلق نفسه من نفسه والذى خلق السماء والارض والماء ونسيم الحياة والنار والآلهة والانسان والحيوان والزواحف والطيور والاسماك ، ملك الآلهة والبشر الذى لا تقاس حياته بالسنين والذى لا يعلم اسمه الحقيقى هذا الاله او ذاك » .

« والآن كانت ايزيس تلك المرأة الماهرة لها قلب يفوق فى شجاعته شجاعة مليون قلب من قلوب الرجال ، وكانت مهارتها تفوق مهارة مليون اله ، ولم يكن هناك شىء فى السماء أو على الارض لا تعرفه ، ودبرت هذه الآلهة امرا لتحققه لكى تعرف اسم الاله الاعظم وكانت قد تقدمت به السنون وضعف تحكمه فى لعابه الذى كثيرا ما كان يسيل من فمه ويتساقط على الارض ، فتناولت ايزيس بعضا منه وعجنته بتراب الارض وشكلت منه ثعبانا مقدسا وضعته فى طريق « رع » اليومى الذى كان يسلكه حسب ارادته بين شطرى الوادى » .

وفى يوم خرج الاله المقدس من قصره تحف به الآلهة لكى يبدأ رحلته اليومية فدبت الحياة فى هذا الثعبان ولدغه ، فصرخ الاله صراخا مدويا من الالم وتجاوبت السموات صراخه ، وصاح افراد التاسوعة متسائلين : ما هذا .. ما هذا ....؟ ولكن « رع » لفرط الامه وكثرة صياحه لم يستطع الاجابة عن تساؤلهم ، وكانت شفتاه ترتعشان واعضاء جسمه ترتجف اذ تمكن السم من كل جزء منها ، وما لبث الاله الاعظم أن قال : اذركونى .. اغيثونى .. انتم معشر الآلهة يا من خلقتكم واخرجتكم من جسمى .. اقتربوا منى لاحدثكم بما حدث .. لقد وخزنى واخز لا يعرفه قلبى ولم تره عيناى ولم تصنعه يداى ولا أستطيع التعرف عليه



من بين مخلوقاتي ، ان ايلامه شديد لم اشعر بالم مثله وليس هناك أشد ايلاما منه ! »

« اني شريف ابن شريف . أتيت الى الحياة الها ...... اني عظيم ابن عظيم ، اختار أبي اسما لي ، لقـــد تعددت أسمائي واختلفت اشكالي وقد أودعت صورتي الهة مختلفة .. واختار أبي وأمي اسما لي واخفيا هذا الاسم في جسدي قبل ولادتي حتى لا تستطيع قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به على ...... دعوا أولاد الالهة يحضرون لي ، اولئك الذين عرفوا بالحـــديث الطيب وعرفوا بالسحر ، ووصلت حكمتهم عنان السماء .

« فحضر هؤلاء الاولاد ومعهم « ايزيس » التي سارعت تتساءل بدهائها وفي حديثها نسيم الحياة كما لا يخلو كلامها من الالم : ماذا حدث ؟.. ماذا حدث يا أبي المقدس ؟ هل وخزك ثعبان فحل بك الهزال ، هل تجاسر احد أبنـــائك ورفع رأسه امامك ؟. اني مستعدة أن احطمه بسحري النفاذ واجعله ينهزم عند اول نظرة من شعاعك ..»

« فقص عليها الاله المقدس قصته ووصف الامه قائلا :

« اني أشعر ببرودة اشد من برودة الماء ، واني اشعر بحرارة اشد من حرارة النار ويغرق جسمي في العرق بينما اهتز من شدة البرد ، وهناك غشاوة على عيني ولا استطيع الرؤية » . فقالت له ايزيس :

« أخبرني باسمك أيها الاب المقدس ، لان الانسان لا يستطيع ان يحيا دون أن يذكره في تعويذة السحر » .. فاخذ « رع » يعدد لها اسماءه المختلفة ، ولكن الالم كان لايزال على اشده فقالت ايزيس لـ « رع » :

« ان اسمك الحقيقي لم تذكره بين الاسماء التي قلتهـا ... اذا اخبرتني به خرج السم من جسدك ، اعلم أيها الاله الاعظم ان الانسان لا يعيش الا اذا نطق باسمه الحقيقي » .

ولكن الام السم مازالت تحرق جسده وكانت اقوى من لهيب النار ..

فقال « رع » : « يا ابنتي ايزيس ... قربي اذنيك مني حتى يخرج اسمي من جسدي فيدخل جسدك » ...

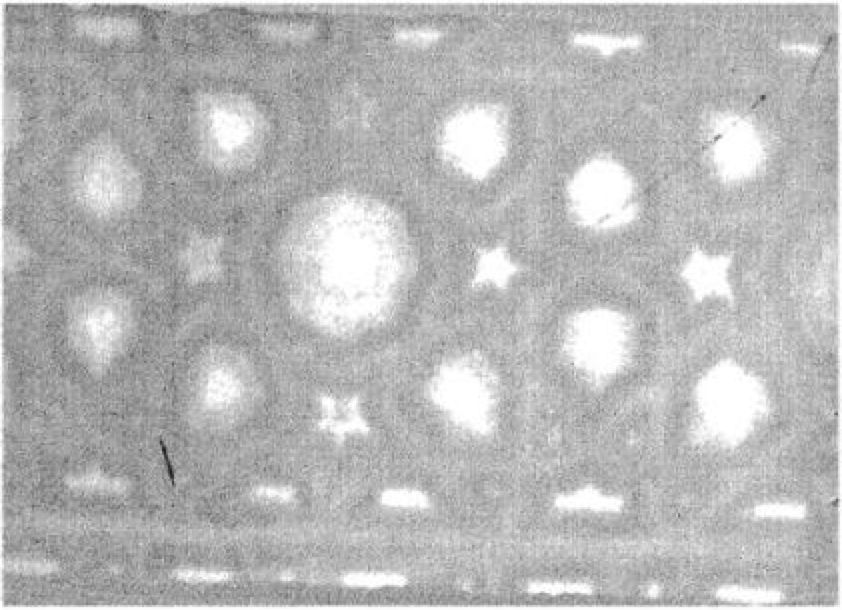
وهكذا تمكنت « ايزيس » من معرفة اسم « رع » الحقيقي ومن ثم قالت متمتمة :

« اخرج ايها السم ... اخرج من جسد « رع » ... اخرج من جسد « رع » المحترق لاني اقول التعويذة ... اني انا التي امرك ... اني أنا التي ابعث بالرسالة ... اخرج على الارض أيهـــا السم القوى ... ولتعلم ان الاله الاكبر قد امر في اذني باسمه الحقيقي . »

وعاش « رع » ومات السم من قول ايزيس الكبيرة سيدة الالهـــة التي تعرف « رع » باسمه الحقيقي .

د. عيسى عبده

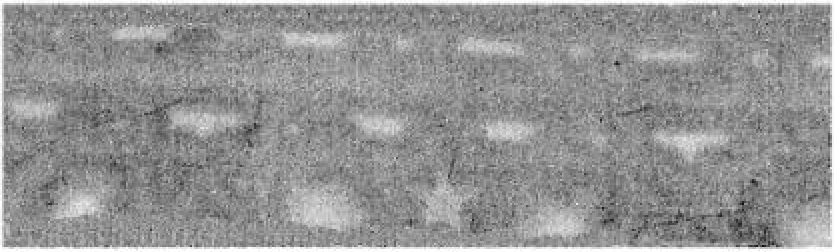
الإسلام وتنمية القيم الروحية



يتساءل الناس : ما الروح ، وما النفس ، وما القيم الروحية ؟ وكيف كانت النشأة الاولى ، وما النشأة الآخرة ؟

ويتساءل الناس عن الغيب ، وعن الساعة .. لان الروح من عالم الغيب ولان الساعة موعدهم «اليوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا »

ولقد تساءل الناس من قبل عن هذه المفاهيم على مر العصور ، وشهد كل جيل فريقا من قادة الفكر يعرض لهذه القضايا ، حتى تناهى الينا تراث كثير الركام شديد الزحام ، لا يكاد الباحث يستبين فيه وجه الحق بشيء من اليقين ، ومن ثم يعمد الباحث ، بدوره ، الى هذه القضايا فيبدي فيها ويعيد



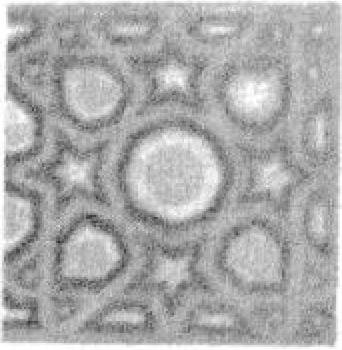
تطور هائل

جاءت الثورات الصناعية والاجتماعية تباعا خلال مائتي عام مضت من وقتنا هذا ، فأضافت مزيدا من الخلاف حول أمور قد كانت من قبل واضحة .. ومنها « القيمة » وجمعها « قيم » وتنازع الناس من جديد حول القيم المادية واستحدثوا المفردات اللغوية : فهذا فائض القيمة . وتلك قيمة حدية . وثالثة يقال لها قيمة مضافة ، ورابعة تعرف بالقيمة الاسمية تمييزا لها عن القيمة الحقيقية ... وفي المعاملات قيمة تبادلية واخرى سوقية ...

وتدور هذه القيم جميعا في فلك مادي من المتاع العاجل والمتاع المرتقب ... فهذه سيارة تشبع حاجة حاضرة (ومن ثم تحقق المتاع العاجل) وتلك دار كراء (أو عمارة) تعود على صاحبها بالورد الثابت في شيخوخته ولعياله من بعده (ومن ثم تضمن له المتاع الآجل أو تحقق له الأمن) وإذ كانت أنصبة العاملين والكادحين والضاربين في الأرض من أجل القوت ، تتفاوت من قديم الزمن فقد زادت الثورات الصناعية والاجتماعية من هذا التفاوت ... وشهد العالم كله في القرنين الأخيرين ظاهرتين متناقضتين . إحداهما تزايد مطرد في قدرة الانسان على الافادة بما في الأرض من طيبة ومورد وطاقة، على نحو تكاثرت فيه أسباب المتاع بل الرفاهية .. هذا في ناحية ... وفي ناحية أخرى شهد العالم مزيدا من شقاء الجنس البشري ومزيدا من التدني في المادية ... وأخيرا عرف الانسان ظاهرة الانتحار الجماعي كما يقول علماء الاجتماع ، ويريدون بهذه الظاهرة : الحروب العالمية التي أفنت الملايين من أجل الصراع على مزيد من التظالم في توزيع الأرزاق المنهوبة من الضعفاء أو من المستضعفين في الأرض ..

وهكذا ، فقد الجنس البشري كله ما كان ينعم به في القرون الخالية من أمن نسبي لأجيال تلا بعضها بعضا ، ووصل هذا الجنس الجاحد بأنعم الله حدا من الخوف والرعب في زمننا هذا ، لم يسبق له ضريب ... فعمدت الشعوب المتفوقة بكل معيار مادي الى بناء شبكات ومن ورائها شبكات للإنذار ولصد الهجوم ... وما أفاق العالم بعد ليتساءل : فيم كل هذا الخوف ؟ ولماذا لا

الإسلام
وتنمية
القيم
الروحية



نعالج اسبابه الضــــارية في اسس التجارة الدولية واسس المعاملات بوجه عام ··· وقـــد فارقت كل معيــار انسانى وكل قيمة روحية ؟!

يتساءل الناس عن هذا كله ··· ثم تلهيهم الاموال ويشوف من المتاع الرخيص عن الانصات لصوت الحق، وهو علوى وابدى ··· لقـــد غرتهم الحياة الدنيا فاتخذوا منها معايير التفرق والتباغى، فيما بين الافراد والشعوب والتكتلات البــــاغية ··· واعماهم الهوى عن ابسط الظاهرات ··· ولناخذ مثلا من الذهب وقـــد جلس من فوق قمة الاصنام المعاصرة، لنرى ماذا صنع به الانسان وكيف افاد بتسخيره فى احـــدث صـــور المعاملات ؟···

اخطر المعايير

لقد كان الذهب مطمورا فى جوف الارض دهورا كثيرة، وكانت قـدرة الانسان على تعدينه محدودة، حتى كان القرن التاسع عشر، بوجه خاص، وتقدمت اساليب الكشف عن المنــاجم واستغلالها وتزايد القدر المتاح ليكون غطاء للنقود، وحسب، حتى بلغت قيمته نحوا من ستين الف مليـــون دولار وكان للولايات المتحدة نصف هذا القدر الى ربع قرن خلا ··· ثم هبط نصيبها الى الخمس، وزادت انصبة دول اخرى كاليابان والمانيــــا الغربية وفرنسا ··· وتحرك الذهب فى اقبية البنوك العالمية ليكون موقوفا على بلد بعد بلد ··· وكلمــا نجح اليهود فى احراج دولة باضـــعاف عملتهـــا، عادت حركة الذهب فى اقبية البنوك جيئة وذهابا ··· وفى هذا تفصيل دقيق يخرجنا عن سياق الكلام ··· ولكن العبرة هنا ظاهرة ··· فلقد وقف اللصوص بالمرصـــاد لمثل هذه التحركات ليدهموا وســـائل النقل حال رفعها للذهب من جهة الى اخرى ··· بل عمدوا الى مداهمة البنوك المركزية القوامة عـــلى حفظ الذهب ··· وابتدع المنظمون والخبراء اساليب للتخفيف من خطر السطو، فهذه بنوك اتحادية وتلك هيئات دولية كصندوق النقد الدولى وبنك الانشاء والتعمير، وفى كل هذا التطوير عمد الخبراء الى التقليل من نقل الذهب على سطح الارض عنـــد تسوية المراكز بين الدول وعندمنح التيسيرات والقروض، وجعـــلوا التحـــركات (الامانذر) فيما بين غرف مسلحة تحت ارض البنوك، فى انفاق تهبط مئات الاقدام، وتسير فى بطن الارض فى طـــرق ملتوية كاذنب الضب ··· ومن دون المضى فى هـــذه السراديب عقبات، وشبكات انذار، وحراس، حتى يبقى الذهـــب فى مأمن مـــن هجمات اللصوص ···

وعلى قليل من التامل نجد ان جهود مائة عام خلت فى استخراج كميات كبيرة من الذهب، ونقلها من حيـــازة اصحابها الشرعيين (كجنوب افريقيا) الى حيث تراكم هذا المعدن النفيس فى حيازة الدول التى اغتصبته ··· نجدان هذه الجهود كلها قد انتهت باعـــادة الذهب الى باطن الارض من جديد، ولكن بتكلفة باهظة ··· وعلى خوف مقيم !! فماذا افادت البشرية من رفع الذهب الى سطح الارض ثم نقله مرة اخرى فى بطن الارض او قاع المحيط ؟ انها المعايير المادية الخــــالصة التى صبغت العقل البشرى بصبغة هـــذه الحياة الدنيا فى ادنى درجاتها ··· ونريد بذلك درجـــات المتاع الحسى المادى، المنقطع الصلة عن كل معيار

روحي ... ثم تقول «ذلك مبلغهم من العلم» .

مساءاة الله

ولقد بلغ الفساد في الفكر الانساني حدا أطلق الطغيان من عقاله ، فظهر الجبابرة الذين يريدون املاء الارادة على سائر الخلق ، لمجرد أن هؤلاء

الجبابرة قد تفوقوا في حشد القوة المادية واخضاعها لسلطانهم (كما يظنون) ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ... انظر الى الجيوش

الكثيفة المجهزة بأسلحة الدمار ، تجدها محرومة من كل حصانة الروح ، ولذلك تفشى فيها الانحلال الخلقي وادمان

المخدرات ، الى حد أن القيادات العليا لتلك الجيوش أعلنت في تكرار وفي الحاح : أن المستقبل مظلم ... وأن الخوف من اقدام بعض المعتوهين أو المدمنين على اطلاق مارد الاسلحة النووية من عقاله ، قد أصبح خطرا قائما يهدد الارض ومن عليها ... بهذا جرت اقلام القيادات العليا

للجيوش فرددته الصحافة مرة بعد أخرى – الى يومنا هذا – واخيرا عمد الخبراء في الامن الى ادخال مزيد من

عوامل الضبط والرقابة ، حتى لايفلت الزمام عن غير قصد ، أو في غفلة من الرقباء ... ولكنها – بدورها – اساليب مادية ، يجوز عليها الخطأ والعجز والفساد ... ولو انصف الناس لعرفوا ان مساءاة الله في

جبروته لا تصدر الا عن غفلة او غرور ، ولعلها في زمننا هذا تصدر عن هاتين النقيصتين جميعا ... ولذلك عمد فريق من الراسخين في

العلم الى توجيه النظر الى القيم الروحية واجتهد هذا الفريق قدر استطاعته في اختيار منهج سليم للبحث

الإسلام وتنمية القيم الروحية

في هذه القضايا ... ولكنه ما أصاب !! لأنه أراد أن يحكم العقل في

أمور الغيب التي يتلقاها المؤمنون من مصدر علوي مفارق لقدرات البشر ... وهكذا ظل الباحثون من عهد الاغريق

الى يومنا هذا يتخبطون ويعارض بعضهم بعضا ، ذلك انهم جحدوا المصدر الصحيح ، وهو الوحي .. ومن ثم كانت جهودهم عقيمة ولاتزال

ولكن ... ما عذرنا نحن المسلمين ، وعندنا كتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ؟

لا عذر لنا ... الا الركون للتقليد والشعور بالضعف حيال القوى المادية

التي اغارت على بلادنا ... ولهذا الضعف تاريخ وله مقدمات تجدر الاشارة اليها ... ومن خير من

عرض لهذه القضية (قضية المنهج الامثل لدراسة الغيب ، ومنه الروح والنفس والقيم الروحية) واحد من

أساتذة الجيل هو الدكتور عبد الحليم محمود ، وكيل الجامع الازهر .

وكان حديثه هذا من عشرة أعوام في

● ماذا أفادت البشرية من رفع الذهب إلى سطح الأرض، ثم دفنه مرة أخرى في باطن الأرض؟

● أنظر إلى معظم الجيوش الكثيفة المجهزة بأسلحة الدمار، تجدها محرومة من كل حصانة الروح.

● القيم الروحية هي كل ما تجرد عن المادة، وارتفع فوق حب الذات.

مناسبة الاحتفال بمرور تسعمائة عام على مولد الامام الغزالي ... كان ذلك في دمشق عام ١٩٦١ قال الاستاذ الجليل ما يلي :

في مناهج البحث

« ان البحث العقلي في الالهيات امر طبيعي بالنسبة للمفكرين الذين نشأوا في اقاليم لم يجدوا فيها « كتاب مقدس » . من الطبيعي أن يوجد في هذه الاقاليم رجال يحاولون ابتداع مذهب فيما وراء الطبيعة ،

ذلك أن الانسان بفطرته طلعة ، وهو يحاول دائما معرفة العلل والاسباب، ويتشوق الى رؤية المجهول ، ويتطلع الى الكشف عن عالم الغيب .

اما في البيئات التي فيها نص مقدس ، يحتفظ بنضرته ولا يشك انسان في صحته ، فانه من غير الطبيعي أن ينشأ بجوار هذا النص المعصوم اختراعات ذهنية تتصل بعالم الغيب . ذلك أن ثمرة التفكير الانساني عرضة للخطأ ، والخطأ في الذات الالهية أو في الصفات الالهية والخطأ في عالم الغيب على وجه العموم فيه خطورة كبيرة .

الطريق المستقيم اذن هو الا ينشأ بجوار النص المقدس اختراع عقلي يتصل بعالم الغيب تلافيا لما عساه أن يكون في ثمار البحث العقلي من أخطاء » .

ثم يقول :

« اذن التسليم للنص المقدس هو المبدأ السليم عند ذوي العقول الحكيمة ، وقد استسلم المسلمون الاوائل للنص المقدس متبعين في ذلك الطريق القويم ، ومضى الصدر الاول للاسلام دون جدال في العقيدة ودون محاولة عقلية لاختراع ما وراء الطبيعة ، أو بتعبير اخر ، دون محاولة لتحديد ما لا يحد وتقييد ما لا يقيد .

وفي التراث الاسلامي فيض من النور يهدي الله به من يشاء من عباده ... قال بعض الصالحين : الطريق الى الله واحد لا يتعدد ...

قال تعالى فى سورة الانعام : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » وفى نظم الاية توجيه واضح الى ترك الفرقة والجدال ... فالله سبحانه، فى هذا النص القرانى ، وحد الطريق اليه فى قوله « وان هذا صراطى مستقيما » وعدد السبل التى تكون بها الفرقة والخصومة ، ومن ثم يكون الضياع ...

مع الغزالى

على ان التراث الاسلامى غنى بالنظرات الصادقة الى النفس ... ونتظر الى حجة الاسلام .. الغزالى ، ونصاحبه لحظات ، ونورد هذا النص من معراج السالكين ، وقد عرض فيه لحقيقة الانسان بعد الافاضة فى وظائف النفس ـ وفق ما انتهى اليه اجتهاده ـ قال :

« واذا فهمت هذا القدر وساعدت عليه وانست لقوله عليه السلام : ان الله خلق ادم على صورته ، وفهمت ان معنى ذلك خلقه خلقة على شبه العالم فاعلم ان الانسان عبارة عن حيوان ناطق مائت منتصب القامة ضحاك . فهذا حد يتناول نفسه وجسمه لضرورة الفصل بينه وبين الاشخاص الحية . والا فقولنا حيوان ناطق يتناول نفسه فقط .

ثم ان هذا الحيوان الناطق ، اعنى الانسان ، تنقسم جملته فى التقسيم الى ثلاثة اشياء نفس وروح ، وجسم . فالجسم هو المؤتلف من المواد والعناصر الحاملة لروحه ونفسه ، وهو الشكل المنتصب ذو الوجه واليدين والرجلين الضاحك . واما الروح فهو الجارى فى العروق الضوارب والشرايين . واما النفس فهو الجوهر القائم بنفسه الذى ليس هو فى موضع ولا يحل شيئا ، وسنشبع الكلام عليه مقدار ما يحتمله الوضع ، فنتكلم على الجسم بمقدار ما يرشد الى الغرض ويكون معينا لنا على ان نذكره من امر النفس فنقول ، قال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » . وقال : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » فاخبر تعالى عن ثلاثة امور جسمه وروحه ونفسه ، وحقيقة الروح الحرارة الغريزية المنبثة فى الاعصاب والعضلات ، وهى موجودة للبهيمة وبها حياتها والفصل بين الانس والبهيمة هى النفس التى اضافها الله تعالى اليه فى قوله « ونفخت فيه من روحى » .

* * *

وهنا نقف لحظة اخرى لنتساءل عن مدى التوفيق الذى اصابه كل من قال بان الانسان حيوان !! وندعو الباحثين الى مزيد من التأمل فى كتاب الله وفى السنة المطهرة ، فسيبقى القرآن دائما ، حجة بالغة ، وسيبقى فوق الاجيال الى يوم

يعيشون ... والذى ارتاح اليه ، هو القول بأن الانسان خلق كرمه الله سبحانه وتعالى بقدرات تؤهله للخلافة فى الارض ، وهو (أعنى الانسان) خلق مميز عن الممالك الثلاث المشهورة ، وهى مملكة الجماد ومملكة النبات ومملكة الحيوان . ودليلى على ذلك من قوله تعالى فى سورة البقرة « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » والخطاب لبنى آدم ، فيما فهمت عن السلف الصالح ... ثم ان هذه الآية الكريمة تحدد لنا عالم الاحياء، بأبعاد ثلاثة .. بيانها ان الانسان يسر للانتفاع بكل ما فى الارض وهو سيد على المادة والطاقة وجملة الجماد والنبات والحيوان ، وشرط السيادة هنا .. الايمان ... هذا هو البعد الاول ...

وأما البعد الثانى فهو ان الانسان أخ لكل انسان ، وهذا ما لا تقبله الفلسفات والنزعات التى تدعو بعض الناس الى الاستعلاء على بعض ، وأما البعد الثالث فهو : أن الانسان عبد لمن خلق كل شىء ، وأنعم عليه بنعمة الحياة والخلافة فى الارض .. وسخر له من سائر المخلوقات ما يعلم شأنه .. كالشمس والقمر .

* * *

بقى ان نشير الى نقاط رئيسية تساعد على تحديد ما يعرف بالمقومات الروحية ، فنقول :

النفس جوهر مشرق اذا خالط البدن اكسبه قدرات بعضها يطفو والبعض الآخر يغوص ... فأما الذى يطفو فيتعطل بالنوم . وأما الذى يغوص فلا يتعطل بالنوم ولا يغيره ما بقى الآدمى على قيد الحياة ... ورد هذا التأويل فى أقوال بعض المفسرين حين عرضوا لقوله تعالى « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وجدير بالذكر هنا ان بعض الاساتذة الدارسين لعلوم الطب (فى عصرنا هذا) يدهشون لدقة أقوال السلف الصالح ، ذلك ان مراكز الاعصاب التى تتحكم فى الابصار والسمع والنطق ، تقع فى قمة الرأس تحت الجزء الاعلى من الجمجمة .. وهذه المراكز تتعطل بالنوم ، على حين ان مراكز الاعصاب التى تتحكم فى الدورة الدموية وانتظام التنفس واستمرار القلب فى وظيفته ويقظة الاعصاب اللاارادية (التى تمنع النائم من ان يبول مثلا) هذه المراكز كلها تقع فى مواقع تغوص فى البدن ... فمنها ما يقع تحت تلافيف المخ ، ومنها ما يسرى فى السلسلة الفقرية من أعلاها الى أدناها ... وهذه تفصيلات تخرج عن اختصاصنا ونسمعها من الدارسين لجسم الانسان ، وبخاصة أولئك الذين اطمأنت قلوبهم الى ذكر الله .. وهم يقفون فى خشوع امام النص القرآنى الكريم ، ثم يعجبون لقول الفقهاء : منها ما يطفو ومنها ما يغوص ... فأما الذى يطفو فيتعطل بالنوم الى آخر ما ذكرناه فى هذه الفقرة ... ثم انى ادعو نفسى وكل قادر على البحث ، أن يعيد التلاوة مرة بعد اخرى للآية كلها ... ثم يقف طويلا عند قوله تعالى « ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

الروح خلق فى عالم الغيب .. لم يرد فى كتاب الله الا بصيغة

الافراد (دون الجمع) فلا ذكر في للقرآن الكريم للارواح أبدا أما النفس فقيها المفرد والجمع ··· وتأويل ذلك

عند الاوائل ·· أن النفخ يكون من الروح ، فاذا خالطت النفخة كانتا هو الجنين في بعض مراحل نموه ، وإذا تدرجت هذه النفخة حتى هبطت الى الارض (بالميلاد) كانت نفسا تكتسي بالبدن وتقدر على البقاء في الحياة الدنيا بقدر ما يمتد الاجل ·

اما ذكر بعض الاحاديث النبوية للارواح بصيغة الجمع فقد عرض له الفقهاء وقالوا ان الانفس اصلها من الروح ، ومن ثم جازت تسمية الفرع بما يطلق على الاصل ، وذلك من قبيل المجاز ·

هذا الانسان – فيما فهمنا من المصادر الاولى التي نجلها ولا نقبل سواها في أمور الغيب كلها – هذا الانسان يتكون من عنصرين اثنين

فقط ، احدهما ارضي خالص هو البدن ··· وهو جسم كثيف اصله من التراب

ومآله الى التراب ، ولا تصلح حاله في الحياة الدنيا الا على شيء من تراب ، كالنبات والاداة والطاقة ،

فهذه كلها مادة ارضية في نشأتها وفي مآلها ···

واما العنصر الثاني فهو الجوهر المشرق الذي تقدم ذكره ويعرف بالنفس تحديدا ، فان أطلقت كلمة النفس على

العنصرين معا كان نقول : في القاهرة خمسة ملايين من الانفس ··· فهذا من قبيل التوسع الذي أخذ به العرب ولا وجه للاعتراض عليه ، وهنا تكون

كلمة النفس مرادفة لكلمة « نسمة » وتكون لفظة النفس واردة على سبيل المجاز ، دون الحقيقة ·

فما الحياة اذن ، وهل هي عنصر ثالث ؟ نقول : لا ··· ان الحياة

ظاهرة موقوتة تجد علتها في ائتلاف العنصرين سالفي الذكر ، وحين

يفترقان فان هذه الظاهرة تتوقف ولا يبقى لذاتها من اثر ، ان كانت لها ذات ··· فهي عرض وما هي بجوهر

··· ومعلوم من الدين بالضرورة ان ما كسبه الآدمي في حياته لا ينقضي ، بل هو مرصود ··· وهو باق الى يوم يبعثون ··· وواضح أن القول ينصرف

هنا الى الحياة الاولى اي الاجل الموقوت للآدمي في هذه الارض ··· اما الحياة الاخرى فشيء آخر ، نؤمن به وبتفصيلاته التي وردت في الكتاب والسنة ·

شبهات خطرة

يهدف هذا المقال ، آخر الامر ، الى تمييز القيم الروحية من القيم المادية ، وبيان وسائل تنمية هذه القيم (الروحية) وما جاء الاسلام به من الهدى والرشاد في هذا الخصوص ···
ومن ثم لا يمكن للكاتب أن يعرض

لامور كثيرة تتصل بالروح وتشغل الناس ، ولكن بعض الشبهات قد تعلق بهذه القضية الكبرى ، ومن ذلك ما يقال عن تحضير الارواح ، اي استدعائها بمعرفة خبير ووسيط ، وما

يقال من أن هذه الممارسة تستند الى أصول علمية ··· وسنكتفي هنا بالتنبيه الى ما في هذه الاقوال من فساد ومن خطورة على عقول الناس الذين لا تسمح لهم المشاغل والظروف الخاصة بدراسة الامراض الوافدة على البيئة الاسلامية ···

ونحن نستأنف فيما تدلي به هنا الى قدر مناسب من المشاهدة والدراسة

الإسلام وتنمية القيم الروحية



والمناقشة الهادئة مع بعض المشتغلين بهذا الترف المستورد (هذا على أحسن الفروض) ومع بعض المشتغلين به ايضا ، وهم لايعلمون انهم يروجون لعامل خطير من عوامل الهدم الموجه الى أسس العقيدة الصحيحة... ومما يؤسف له حقا ان بعض هذه الاقوال يجد قبولا عند فريق من الناس . والامل كبير في ان تفيق الامة الإسلامية ، وان تنتبه لما يراد بها ، فتنصرف عن مثل هذه الاقوال الصادرة عن بساطة وحسن نية ، وتلك التى لا تصدر الا عن دراسة طويلة المدى وتخطيط هادف الى تدمير الامة الاسلامية . وما الكلام عن الروح بالاسلوب الغربي المستحدث الا اداة من ادوات التدمير كالتسلح الخلقي والماسونية ، مثلا ، وفي الحق ان امثال هذه الادوات المستخفية اشد خطرا من الادوات السافرة كالصهيونية والخصومة التقليدية للاسلام منذ اشرقت الارض بنوره في ختام الرسالات .

ولئن كان المجال لا يتسع - كما قدمنا - لتوفية هذا الموضوع حقه فلا اقل من اثارة هذا العدد اليسير من الامور التي يعلمها كل متتبع لبدعة تحضير الارواح ، كما يزعمون فنقول :

اولا : حضور الروح بناء على دعوة الخبير المتخصص في هذا الفن ، لكي تحل في الوسيط المسترخي امامه (كما يزعمون) يقتضي التمهيد بعزف قطعة موسيقية (هكذا في غير دار الاسلام) اما في بلادنا فيكون التمهيد بالموسيقى او بترتيل آيات من القرآن الكريم ، والاثر في الحالين واحد ... هكذا عند الخبراء المسلمين المعاصرين ، سامحهم الله .

لنتأمل هذه التسوية بين الذكر الحكيم وبين الموسيقى في عرف هـــؤلاء الخبراء ؟!

ثانيا ـ يقول الخبراء : ان القرآن خلا من النص القطعي الدلالة بشأن النفس والروح ، ولـــذلك يبقى باب الاجتهاد مفتوحا علىمصراعيه ، ومنه يدخلون ... وهذه فرية كبرى ، أو جهل بكتاب الله ، لان القرآن الكريم

قد قطع في ثبات وفي ابانة تامة ، فميز بين الروح وبين النفس ، وافرد الروح وجمع الانفس ، ودعا الىتدبر هذا كله ، بنصوص صريحة ، اشرنا الى بعضها فيما تقدم هذا المقـال ونورد فيما يلي اضافات يسيرة .

ثالثا : نعلم من القرآن الكريم ان الله ، جل وعلا ، اذا امسك فقد امسك .. كما في قوله تعالى « ما يفتح‌الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهــو العزيز الحكيم » نقـــول : افلا يريد

الخبراء ان يفهمـوا آيات النفس في ضوء هذا النص ، اذ يقول اللهتعالى عن الانفس « .. فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى » أفلا يريدالخبراء منالمسلمين ان يتدبروا القرآن ؟؟ نقول : لعـــل وعسى !!

رابعا : هذه البدعة التي يقـال لها تحضير الارواح نشأت في الغرب في اواخر القرن التاسع عشر ، في وقت تضافرت فيه الجهود على حشد كل الطاقات العلمية والفنية وتوجيهها

الى امة الاسلام لتوهين العقيـــدة وصرف المسلمين عن تراثهم ...وقد اثمرت هذهالجهود ، وما كانتاحوال الامة الاسلامية في هذا الزمن الحاضر الا نتيجة معقولة لانصراف المسلمين عن دينهم .

خامسا : في تحضـــير الارواح ـ كما تجرى تجاربه ـ خلط شديد بين دراسات جادة تعتمـــد على تسلط

احدى النفوس على غيرها ، والنفوس هنا هي ما يخالط البـدن الحي ... وصور هـذا التسلط كثيرة وآثارها

ملموسة : كالتنويم ، والتـداعي .. وفي دراسة علم النفس الجنائيأمثلة وقضايا ، فما لهـــذه الظـــاهرات والروح ؟؟

سادسا : وفي تحضـــير الارواح خلط بين وهم يقال له استدعاء أرواح الموتى ، وبين اللهو الذي يصدر عن الجن ... ومن الكتاب في هذا الزمن

من ينكر الجن ويتصدى لتأويل مـا ورد بشأنه في كتـــاب الله ، ومن آثار هذا الخلط ان رأينـــا تجارب

مستحدثة كتجربة السلة ... ويقـال عنها ان السلة قد اشتملت روحا !! الا ساء ما يزرون ... أفلا يتدبرون

القرآن وهو يقول « انه يراكم هـــو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنـا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » .

سابعا : لقد كان لسيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام ، خصائص لم

تكن لنبي غيره ... وفي كل مـــن الاسراء والمعراج آيات كبرى ، وفي

تلقيه للوحي في سبع صور مشهورة ـ آيات أخرى ، وفي سورتي الاسراء

والنجم نصوص واضحة ، كما في قوله تعالى « فاوحى الى عبده ما اوحى » فكان اتصاله عليه الصلاة والسلام بالملأ الاعلى غير مسبوق ... ولم يجرؤ كاتب او راوية على ان ينسب الى الرسول الكريم انه زعم القدرة على استدعاء روح او احضارها ... وفرق كبير بين خطابه للشهداء والقتلى في اعقاب بعض الغزوات ، وبين دعوى تحضير الروح في أرضنا هذه ... ومعلوم من التقدم التكنولوجي في زمننا هذا أن الاصوات والرسائل تسمع على مسافات شاسعة وموغلة في الفضاء، فهل يكون عجبا أن يصل صوت المصطفى عليه الصلاة والسلام الى أنفس فارقت الاجساد وانطلقت في ملك الله ؟!٠ لا عجب ولا غرابة ، وانما العجب أن يزعم الخبراء ان لهم خصائص لم تكن لسيد البشر ، بفضل عزف الموسيقى ، وبشهادة « اللوردات » واصحاب الالقاب والدرجات ، حتى اذاجاءت التجربة ، وجدت غموضا وتعمية وجدلا عقيما ... وخرج الناقد الجاد بغير نتيجة ... الا امعان الخبراء في عنادهم ، وحيرة الشباب من أمر هذه الظاهرة نسأل الله لنا ولهم الهداية ..

القيم الروحية

قد يبدو للقارىء أن محور البحث قد تأخر كثيرا ، وأنه قد كان الارفق أن نفتتح المقال بتعريف هذه القيم وتحديدها وبيان وسائل الدعم والتنمية في هذا المجال ... ولكن هذا مطلب عسير ، لانه اذا كانت المفاهيم الرئيسية غير واضحة ، فكيف ننسب لها وكيف نبنى على غير أساس ؟... نريد بذلك ضرورة الفهم للغيب ، والروح ، والانفس ... أما وقد ألقينا بعض الضوء على هذه المفردات ، فان نسبة القول والفعل والتقدير الى بعضها يكون واضحا دون اسهاب ... ومن ثم يسهل الان فقط أن نتناول ما القيم الروحية ، وكيف نستزيد منها ...ومن ذلك :

القيمة ـ بوجه عام ـ من المادة الثلاثية (ق و م) فنقول قوم بتشديد الواو ، ولا نقول قيم بتشديد الياء كما هو مشهور في بعض أوساطنا عند الكلام عن لجان التقييم !!٠ والتقويم هو التقدير ومن ثم تكون القيمة رمزا لتقدير شيء او شخص في حكم الاخرين ... قال سيدنا على بن ابي طالب « قيمة كل امرىء ما يحسنه » وقد وقف بعض علماء الاعجاز كالخطابي البستي في رسالته) عند هذه العبارة المروية عن سيدنا على ، وبين ما فيها من تفوق على كلام البشر ، باستثناء السنة الشريفة ...

والقيمة نسبية اساسا ، هكذا يقول المحدثون ، وهم على حق ، والمعنى أن قيمة الشيء أو الشخص تختلف في بعض الناس عنها في نظر بعض آخر ، وكذلك تتفاوت القيمة الواحدة لشيء بذاته من زمان لآخر ، ومن بيئة لاخرى ... فمثلا : قيمة السيف في الجهاد كبيرة عند العرب وفي القرون الوسطى ... وقيمة السيف في زمننا هذا اقرب الى الرمز التاريخي ، اما في الدفاع وفي الهجوم الآن ، فقد تكون لا شيء ... واذا عرفنا عن النفس ما عرفنا فاعلم أن القيم الروحية هي كل ما تجرد عن المادة وارتفع فوق حب الذات ، ومن ثم تكون الفضائل كلها والاهداف العليا كلها من القيم الروحية ، وأما تنمية هذه القيم عند الفرد فلها طريق واحد ، هو ، تصحيح العقيدة ثم تثبيتها ... وعندئذ فقط يرجو الفرد أن يكون له حظ وفير من القيم الروحية ، وفي هذا بلاغ..

شباب الروح

■ صالح جودت ■



يا سكرة العشرين ، لا تفتري
من همسة الحنين في مسمعي
أنا شبابٌ مرتجى المنى
أنا ربيعٌ دائم المطلع
لا يكبر الشاعر يا خافقي
عمرٌ في خشيته الخليع
قلبي على العشرين قيّدته
فعمر قلبي ليس يجري معي
ما زلتُ بالروح فتوى القرى
كدفقة النهر من المنبع



أهفو إلى الصافي نحو الأفق الدافئ
وأفرش الشوق في مخدعي
وأزرع الورد بقلب الدجى
وأنشر الخضرة في البلقع
وأبدع اللحن لكي ترقصي
وأعصر الطيب لكي تسجعي
وأصنع الشعر لتستروحي
وأعصر الخمر لتستمتعي
وأحتوي حبك في خافقي
فأملك العالم في أضلعي



وأفتح التاريخ ، كى تدخلى
شرفته من بابها الأوسع

***

يا نجمتى ، لولا الذى صغته
فيك من الأضواء ، لم تلمعى

هل كنتِ قبلى غير أنشودةٍ
فى الغيب لم تُكتَبْ ولم تسمع ؟

أنا الذى غذيتها من دمى
أنا الذى رويتها أدمعى

أنا الذى غنيتها للورى
مجلوة الإيقاع والمقطع

لولاى ، ما أبصرتِ دَرْبَ الهوى
يزخر بالمجد والرُكَّع

تجربة الخمسين ، أفنيتها
فى صنع هذا الجوهر المبدع

شباب الروح

لا تفسدي بالمنّ ما بيننا
أو تدّعي بعض الذي أدّعي

غداً ترين الشيب يا طفلتي
يزحف في عارضك الألمع

ويحفر العمر تجاعيده
فوق حنايا جيدك المتلع

وترمقين الأمس في لهفة
كلهفة الطفل الى المرضع

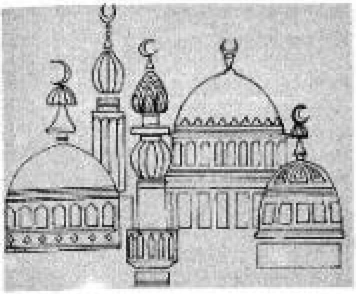
فيهمس الأمس اليك انتهى
ما فيك من شوق ومن مطمع

***

سيرجع الشاعر في حبه
لزهرة العمر ، ولن ترجعي

لا يكبر الشاعر يا طفلتي
فعمره في حبه الطيّع

شباب
الروح

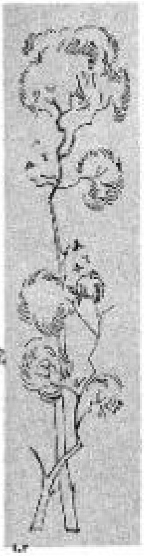


الروح في الفكر العربي

■ عبدالعزيز الدسوقي ■

شغلت فكرة الروح العقل الانساني منذ فجر التاريخ ، وخاصة في هذه المنطقة العربية الممتدة من المحيط الى الخليج ، حيث كانت مهد النبوات ، ومهبط الرسالات .

واتجهت البشرية ــ عبر العصور ــ بنظرتها الصافية الى جوهر الايمان ، وتمرد العقل الانساني على أسوار هذا الواقع المحيط بالانسان ، هذا الواقع الناقص ، الذي يترصده الفناء بكل ما فيه من كائنات ، وراح يهفو الى عالم مرهف خالد ، لا يشوبه نقص ، ولا يمحوه فناء .



الروح في الفكر العربي

وكان العربي القديم ـ وهو سار في الصحراء ، بين السماء المجلوة والرمال الممتدة يتأمل في انفعال حار عميق ، طبيعة الحياة في هذا الكون : ليل ونهار .. ظلام ونور ... كواكب تتلألأ ثم تختفي ... وجود وفناء ... حياة تدب في الاشياء ، فتزدهر وتكتمل ، ثم يدهمها العدم ، فتتبدد وتتلاشى .. فيهتف : لايمكن أن يوجد كل هذا عبثا ، وبلا غاية ، لابد من قوة كبرى وراء هذا الكون . قوة عليا لايدركها فناء ، ولا يشوبها نقص ، تتحكم في كل هذه الكائنات ، وتهيمن عليها ، وتسيرها على هذا النحو المطرد الدقيق !. ويبدو أن فكرة الايمان بدأت على هذا النحو ، ثم اهتدى العقل الانساني بعد ذلك الى أن كل هذه الكائنات من صنع الله ، وان البشرية كلها نفحة من روح الله ... وأن هناك جوهرا مجردا يكمن في باطن الاشياء ، يمنحها الحياة ، فاذا تركها ، دب اليها الفناء ، هذا الجوهر المجرد الذي يسرى في كل الموجودات ، هو الروح ..

وتطورت البشرية ـ عبر تاريخها الطويل ـ وعرفت الرسالات السماوية .. وأبدعت الحضارات ، وتحكمت في الطبيعة وسخرتها لصالح الحياة ، ولكنها ظلت حيال هذا العالم المحجب ، لا تدرى شيئا ، فعالم الروح ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ « من أمر ربي » ... هذا الروح السارى في كل شيء . ما كنهه ؟ ما طبيعته ؟ لا ندرى شيئا ... متى تستقر الروح في الكائن ؟ ومتى تنطلق الى مستقرها الامين ؟ لا ندرى شيئا ...

وكان من الطبيعي أن تشغل الافكار ، العقل العربي ، وتؤثر في الضمير ، وتلهب الخيال . وتترك بصمات عميقة على الادب ، والفكر .

الروح والادب العربي

والادباء والشعراء ، هم أقدر الناس على تصوير مجاهل الروح . وطوايا السريرة ، وتحويل أشواق البشرية وخواطرها العميقة ، الى صور فنية . تهز الوجدان هزا ... فلا عجب أن يزخر انتاجهم بما يمور في هذا العالم المحجب : عالم الروح ... هذا العالم الذي تختلط فيه فكرة الحياة بالموت . والوجود بالعدم ... والفناء بالخلود .

وشهد الادب العربي الوانا كثيرة ، ونماذج رفيعة ، تعكس ما يدور حول هذه التأملات العميقة المرهفة . والقيم الروحية الخالدة . وتبدع صورا فنية موحية حول لغز الموت الذي يتربص بالحياة . والحنين الدائم الى عالم آخر ، ننعم فيه بالخلود الدائم في رحاب الله ، وفي ظلال حياة روحية سامية ، تخالف هذه الحياة المادية الصارمة ، التي يحاصرها النقص وتكدرها الأوشار . ويدهمها الفناء .

ولقد كان احساس العربي عميقا بفكرة الموت الذي يتربص بالحياة .

منذ وقت مبكر ، فالحكيم العربي القديم « قس بن ساعدة الإيادي » يصور هذه الاحاسيس أصدق تصوير ، وهو يعظ الناس في « سوق عكاظ » قبل مشرق الإسلام . يقول : « ايها الناس . اسمعوا ، وعوا ... من عاش مات ... ومن مات فات... وكل ما هو آت ، آت ... ليل داج ... ونهار ساج ... وسماء ذات ابراج ... ونجوم تزهر . وبحار تزخر ... وجبال مرساة ... وارض مدحاة ... وانهار مجراة ... ان في السماء لخبرا ... وفي الارض لعبرا ... ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ ارضوا فأقاموا ، ام تركوا هناك فناموا ؟ ... وانشد :

في الذاهبين الاولين ،
من القرون ، لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تمضي الاكابر والاصاغر
ايقنت اني لامحا
لة حيث صار القوم . صائر

* * *

ولعل هذا الاحساس الحاد بفكرة الفناء الداهم ، والموت المتربص بالحياة ، هو الذي كان يدفع العرب القدامى الى الوقوف على الأطلال الدارسة ، ووصف الرسوم الطامسة ، والنؤى ، والاثافي ، كرموز للفناء الذي يعدو على مسراتهم ، ويلتهم — في ضراوة — أشواقهم ، وينتزع روح الكائنات التي تحيط بهم ، من جماد ، وحيوان ، ونبات .

ولو أعدنا دراسة ادبنا العربي على ضوء هذه الفكرة ، لاهتدينا الى مناجم ثمينة ، ومنابع غزيرة . وقد توصل الدكتور مصطفى ناصف ، في كتابه « دراسة الادب العربي » الى اجتهادات قيمة تدور حول هذه الفكرة ... فهو يقرر أن الشاعر العربي ، لم يكن يتحدث عن عاطفة شخصية ، وانما يفكر بطريقته الخاصة ، في مشكلات أساسية ... كان يحاور نفسه في معنى الحياة . ويلتمس لها العون حين يخاطب الطلل . الطلل هو الماضي الذي ذهب ولن يعود . هو قطعة من الحياة التي تهزم ، كلما مضى منها جزء . الطلل المرئي ، رمز للماضي الذي لا يستطاع رده ... الشاعر يروع بفكرة الحياة الذاهبة. انه يصحو على الشعور المستمر ، بأن جانبا من العمر قد ولى . والشاعر يقف ويسترق ، لكي يعالج هذا الشعور . لكي يصور لنفسه انه حي. يملك عقله زمام الماضي (١) » .

ويرى الناقد الكبير : ان « الناقة » هي الرمز الثاني للحياة التي يعبث بها الموت .

* * *

ولا شك أن فكرة الروح وفلسفتها. وما يدور حولها من تأملات حزينة حين تغادر الحياة وتعود الى مستقرها ، دفعت الشعراء ، الى تصوير الموت وبكاء الراحلين ، والوقوف عند النهايات وغروب الحياة ، في شعر نجي نافذ ، وكأنهم بذلك يحاولون الفرار من رياح العدم التي تعصف بالحياة ويهفون الى عالم روحي خالد . يختفي فيه هذا الرحيل الدائم نحو الفناء .

ونحن نبكي مع ابو ذؤيب الهذلي ، وهو يبكي أولاده الخمسة الذين

---

(١) د. مصطفى ناصف : دراسة الادب العربي ص ٢٣٦

دهمهم الموت وعصف بحياتهم فى يوم واحد · ونحن معه الى عالم روحى ، ينقلنا من هذا العالم المادى المنهار · الذى تندرس فيه الحياة · ويتصدع كل شيء :

امن المنون وريبها تتوجع ؟
والدهر ليس بمعتب من يجزع
اودى بنى واعقبونى غصة
بعد الرقاد · وعبرة لا تقلع
سبقوا هوى واعنقوا لهواهم
فتخرموا ، ولكل جنب مصرع
ولقد حرصت بان أدافع عنهم
فاذا المنية اقبلت لا تدفع
واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لا تنفع
كم من جميع الشمل ، ملتئم الهوى
باتوا بعيش ناعم – فتصدعوا

* * *

وعلى الرغم من احزان الشاعر المحرقة ، فانه يتجاوز الخاص الى العام ، ويصور المغزى الكونى من رحيل الحياة الدائم · وعجز البشرية امام الفناء ، واندراس العامر ، وتصدع الكائنات ·

* * *

و ، ابو العلاء المعرى ، الشاعر الحكيم · من ابلغ الذين صوروا ماساة الفناء · ومفارقات هذا العالم المادى الدائم الانهيار :

غير مجد فى ملتى واعتقادى
نوح باك ، ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى اذا
قيس بصوت البشير ، فى كل ناد

ابكت تلكم الحمامة ام غنت
على فرع غصنها المياد
ان حزنا فى ساعة الموت اضعا
ف سرور فى ساعة الميلاد !
صاح هذى قبورنا · تملأ الرح
ب ، فاين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ، ما اظن اديم الار
ض ، الا من هذه الاجساد !
سر ان استطعت فى الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد
فقبيح بنا ، وان قدم العه
د · هوان الاباء والاجداد !

وعلى الرغم من هذا الجو القاتم الحزين الذى يصوره ابو العلاء ، الا اننا نحس نفحات روحية عميقة ، تنفذ الى نفوسنا ، فالشاعر يحلق ويرتفع وهو يصور مفارقات الحياة ، الى المعنى الكونى الكبير ، الذى يتجاوز هذا العالم المنهار الذى تزحمه انفاس الموت ، ويستشرف عالما روحيا خالدا تستقر فيه الارواح بعد عناء ·

* * *

وقريب من هذا الجو ، رثاء ، ابى الطيب المتنبى ، لابى شجاع الذى يقول فيه :

انى لاجبن من فراق احبتى
وتحس نفسى بالحمام فاشجع
اين الذى الهرمان من بنيانه
ما قومه ·· ما يومه ، ما المصرع ؟
تتخلف الآثار عن اصحابها
حينا · ويدركها الفناء · فتتبع

* * *

واذا كان التاثر بعالم الروح ، على هذا النحو الذى قدمنا ، تاثرا غير مباشر – فهو مجرد احساس حاد بفناء هذا العالم المادى ، وشوق الى عالم روحى – فان الشعر العربى لم يخل من تاثر مباشر بالروح ، فمعظم الشعراء والفلاسفة والمتصوفين ابدعوا صورا كثيرة حول الروح او النفس او القلب ، وهى تعنى شيئا واحدا ، هو الروح ·

فالمعرى اخضع الروح للفكر ،

المحتدم . فهو تارة يصورها حرفرا مجردا يحمل الجسم لاهيا ويطلب منها ان تتركه :

يا روح كم تحملين الجسم لاهية
أبليته .. فاطرحيه ، طالما لبسا

وهو يصورها فى قفص الجسم الذى هو صورة لها ويحذرها من الخداع:

كاناك الجسم الذى هو صورة
لكفى الحياة فحاذرى أن تخدعى
لافضل للقدح الـــذى استودعته
شربا .. ولكن فضله للمودع

ويقول :

يا محلى عليــك منى ســلام
سوف امضى . وينجز الموعـود
فلجسمى الى التـــراب هبوط
ولروحى الى الهـواء صعـود

ويرى أن الـــروح نار والمـــوت يطفئها :

دولاتكم شمعات يستضاء بها
فباشروها ، الى أن تطفأ الشمع
والنفس تفنى بأنفـــاس مكررة
وساطع النار ، يخبى نوره اللمع

ويتمرد احيـــــانا على الروح ، فيتساءل هل تحس بعد أن تغادر الجسد فيقول :

لا حس للجسم بعد الموت اعرفه
فهل تحس اذا بانت عن الجسـد

ثم يقول :

والروح ارضية فى رأى طـائفة
وعند قوم ترقى فى السموات
تمضى الى هيكل الشخص الذى سكنت
فيه ، الى دار نعمى ، او شقاوات
وكونها فى صفيح الجسم احوجها
الى ملابس عنتهـــا . والوات

ويقول :

روح اذا اتصلت بشخص لينزل
هو . وهى فى مرض العناء المكمد
ان كنت من ريح فيا ريح اسكنى
او كنت من نار ، فيا نار اخمدى

وقد ظل « المعرى » طوال حياته يعالج هذا الموضوع . تارة متمردا ، وتارة مؤمنا .

● ● ●

وتحولت فكرة الروح عند فلاسفة الصوفية الى وجـــد فنى ، وبوارق تومض معطرة بأريج هذا العالم المثير .. فابن الفارض يتناولها فى تائيته المشهورة قائلا :

واوجدتنى روحى . وروح تنفسى
يعطر انفـــاس العبيـر المفتت
وعن فرق وصف الحس ، كلى منزه
ولى – وقد وحدت ذاتى – نزهتى

● ● ●

ولما نقلت النفس من ملك ارضها
بحكم الشرا منها – الى ملكجنتى
وقد جاهدت ، واستشهدت فى سبيلها
وفازت ببشرى بيعها حين أوفت
سمت بى لجمعى ، عن خلود سمائها
ولم ارض اخـلادى لارض خليقتى

● ● ●

وتقودنا هـــذه الانغام الصوفية الحـــارة الى تائيـــة أخرى ، تنسب للامام ابى حامد الغزالى يتحدث فيها عن الروح ، ذلك النور الباطنى الذى تلألأ كالمصباح فى جوهره وارتفع من خلاله الى النور الاسمى ، وشـــاهد النور الالهى ، يقول :

جلت شبهة الاعراض عنى ببيهـــة
توقـــد كالمصـــباح فى جوهريتى
رأيت بهـــا النور الالهى لامعـــا
وراء ســـتور للامور – بقبلــة
فحققت ما قد كنت فيـــه مشـــككا
وعاينت ما قد كان فى سرخفيـــة
وادركت ما المقصود من بنيتى وما المـ
راد باحيـــائى ومـــوتى ورجعتى
ولم يبق عنـــدى ريبة فى الـــذى
استراب منه الناس فى امور كثيـــرة

فالفت عصاها النفس منى وايقنت
بان سفرت عن وجه نجمى سفرتى

* * *

ولعل الرئيس ابن سينا من اوائل الفلاسفة الشعراء الذين صاغوا فكرة الروح شعرا موحيا حارا ، على الرغم مما يحمل من مضمون فكرى فلسفى عميق . وقصيدته «النفس» المشهورة دراما شعرية صغيرة تصوغ فكرته الفلسفية عن الروح ، وهى متأثرة الى حد بعيد بفلسفة افلاطون كما سنبين فيما بعد . فهو يصور الروح حمامة كانت تسجع فى عالم الغيب هناك فى الذرى الشاهقة ، فانزلها الله وسجنها فى الجسد الانسانى ، وهى لهذا حزينة متألمة ، وتظل تنوح وتئن كلما ذكرت عالمها السامى ، حتى يأذن الله بالفكاك من الاسر فتنطلق الى معاهدها الاولى . وقد ادركت كل شىء .. يقول

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك . وربما
كرهت فراقك ، وهى ذات تفجع
انفت ، وما انست عهودا بالحمى
ومنازلا ، بفراقها ، لم تقنع
تبكى اذا ذكرت ديارا بالحمى
بمدامع تهمى ، ولما تقطع ...
وتظل ساجعة على الدمن التى
درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف ، وصدها
قفص عن الاوج الفسيح المربع

الروح
فـي الفكر
الـعـربي



حتى اذا قرب المسير ، الى الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
سجعت ، وقد كشف الغطاء فابصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع ...
وغدت مفارقة لكل مخلف
عنها ، حليف الترب ، غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع

ثم ينفعل ابن سينا ، انفعالا حارا ، وهو يصور رحلة هبوطها الى الارض ثم صعودها ويتساءل فى حيرة عن ذلك :

فلأى شيء اهبطت من شامخ
سام ، الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان ارسلها الاله لحكمة
طويت عن الفطن اللبيب الاروع ..
فهبوطها — ان كان ضربة لازب
لتكون سامعة بما لم تسمع ..
وتعود عالمة بكل خفية
فى العالمين — فخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها
حتى لقد غربت ، بغير المطلع
فكأنها برق تألق فى الحمى
ثم انطوى ، فكأنه لم يلمع

* * *

واذا كانت هذه القضية الكبرى قد ظلت تلح على وجدان الشعراء العرب ، وتبرز فى شعرهم ، خواطر حارة ، وتأملات عميقة ، واستشرافا لعالم روحى يخلصهم من هذا العالم المادى الذى يشوبه النقص ، ويتربص الفناء الدائم بكل ما فيه ، فانها قد اخذت صورة اخرى عند المفكرين والفلاسفة ، وخاصة هؤلاء الذين كانت تؤرقهم هموم عصرهم الفكرية والروحية ، وكانوا يحرصون على التوفيق بين قيم الدين ، وبين الافكار التى كانت تحتدم فى عالمهم ، وسنحاول ان نقف عند بعض هؤلاء المفكرين .

الروح والفكر العربى

ولا يمكن ان نلم فى مقال سريع ببعض افكار العرب والمسلمين حول هذا الموضوع ، فعالم الروح كان من أهم القضايا التى افاض فيها الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة ، فالروح من القضايا الغيبية التى كثر فيها الجدل ، واحتدم النقاش ، ثم هى تتصل بفكرة الموت والعالم الاخر والثواب والعقاب ، فكثر حولها الكلام والتصورات ، وتأثرت بعض النظرات التى دارت حول هذا الموضوع بالثقافات اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية وغيرها من الثقافات التى كانت تؤثر على عقول فلاسفة المسلمين ومفكريهم .

وسنكتفى هنا باستعراض لمحات من آراء ثلاثة ، من مفكرى المسلمين ، فى جوهر هذه القضية . هم « الفارابى » و « ابن سينا » و « الغزالى » ، وهم جميعا يمثلون العقل العربى ، على ارفع مستوى ، ثم هم من المع مثقفى العرب والمسلمين الذين لم يقتصروا على الثقافة العربية وحدها ، بل كان لهم المام واسع ، بعلوم الاوائل ، كما كانت تسمى فى زمانهم ثقافات اليونان والهنود والفرس وغيرهم .

الفارابى وقضية الروح

اما ابو نصر الفارابى (٢٥٩ - ٣٣٩ هـ) فقد تناول هذه القضية فى اهم مؤلفاته . وهى عنده ، جوهر

بسيط مباين للجسد » (١) وهي مرادفة للنفس ، وهـــو يقسمها الى نفس فاضـــلة ونفس جاهلة ... فالنفس الفاضلة ، هي التي تعمل الخير دائما حتى تنطبع عليه ، ويصبح سجية لها · وهذه هي النفس الخالدة التي تعود الى عالمها الامين لتنعم بالخلود في رحاب الله ·

ويتحدث عن الروح في كتـــــابه (الثمرة المرضية) حديثـــا مفصلا فيقول « ان الروح الذى لك ، من جوهر عالم الامر · ولا يتعين باشارة ، ولا يتردد بين ســـكون وحركة ، ولذلك تدرك المعـــلوم الذى فات ، والمنتظر الذى هو آت · وتسبح في عالم الملـــكوت ، وتنتقش من خاتم الجبروت » (٢) ·

ولا شك أن الفارابي يذكرنا بأفلاطون وأرسطو وآراء الفلاسفة الاغريق حول هذا الموضوع ، فهو يسبح في جـــو قريب من الأجواء التي كانوا يحلقون فيها ·

والنفس الخالدة عند الفارابي هي التي تبلغ مرتبة العقل المستفاد ، وتصبح في غنى عن المادة ، قــــادرة على الاتصال « بالعقل الفعال » ·

ويهتم الفارابي بهذا العقل الفعال فهـــــو « الروح الامين ، أو روح القدس » الذى يهب الصور للعقـــل الانساني ·

ابن سينا وقضية الروح

وابن سينا ـ كالفارابي ، وفلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالثقـــــافة اليونانية ، وحاولوا التوفيق بينهـــا وبين قيم الاسلام الفكرية ، وربمــــا كان تأثره في هذه القضية أشـــد ، فهو يصطنع تعريف أرسطو المشهور للنفس · فيعرفها بأنهـــا كمـــال أول لجسم طبيعى الى ذى حيـــــــاة بالقوة » (٣) ·

وبهذا التعريف يحـــدد ابن سينا نظرته لطبيعة النفس والروح ، فهى صورة للجســــد ، وبداية لوظائفه الحيوية ، ثم هى مرتبطة به ، توجد بوجوده ، وتفنى بفنائه ... وقـــد كان ابن سينا يرى هذا الرأى في مرحلة من مراحل حياته ، ولكنه عاد بعد ذلك واهتدى الى تصور مخالف ، فالنفس « جوهر مجرد مخالف للبدن مستقل عنه » ·

ثم هو يرى ان العقل قوة من قوى النفس ... والنـــاس عنده صنفان « صنف مؤيد النفس بشدة الصفاء ، وشدة الاتصال بالمبادىء العقلية الى ان يشتعل حدسا » هـــؤلاء يتلقون الوحى عن العقل الفعال ويعلمون كـل شىء · وتتكشف لهم المعقولات دفعة واحدة ... ويصف ابن سينا طريق هؤلاء « بأنه ضرب من النبوة » ·

واهتمام ابن سينا بهـذا الموضوع ناشىء عن نظريته في الســـعادة ، سعادة النفس ... فهي حالة توصف بها بعد مفارقتهـــا للجسد ... ولا ينالها الا هـؤلاء الذين تخلصوا من شواغل البدن « وخلصـــوا الى عالم القدس والسعادة ، وانتقشوا بالكمال

(١) سعيد زايد ـ الفارابي ص ٤٤
(٢) الدكتور رءوف عبيد ـ الانسان روح لا جسد
(٣) د· فؤاد الاهوانى ابن سينا ص ٦٢ ·

الاعلى ، وخلصت لهم اللذات العليا » (١) ...

ويقسم ابن سينا النفوس الى نفوس بله ، ونفوس قدسية ، ويذكر في كتابه « احوال النفس » « ان النفوس البله التي لم تكتسب الشوق، فانها اذا فارقت البدن ، غير مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، صارت الى سعة من رحمة الله ونوع من الراحة . وان كانت مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، وليس عندها هيئة غير ذلك ، فتتعذب عذابا شديدا بفقد البدن ... » واما الانفس القدسية فانها تتبرأ عن مثل هذه الاحوال . وتتصل بكمالها بالذات ، وتنغمس في اللذة العقلية » فالسعادة عند ابن سينا أن تتخلص النفس من شهوات البدن ، وتعيش حياة عقلية عليا .

الغزالى وعالم الروح

اما حجة الاسلام الامام الغزالي ، فقد كان ظاهرة من أبرز ظواهر الفكر الانساني جاء كالاعصارفي دنيا الفكر الاسلامى . حرك كل شيء ، واقتلع في طريقه كثيرا من الاشجار التي انبتتها الفلسفات الدخيلة ، في التربة الاسلامية ، ودمر كثيرا من افكار الفلاسفة ، وعزلهم عن التاثير في الوجدان العربى لاعوام طويلة .

وموقفه من عالم الروح من اصدق المواقف واعمقها . فهو صورة فريدة للمفكر الانساني العظيم ، الثقافة عنده مجاهدة . والفكر عنده افراق ووجد . والمعرفة عنده علم وسلوك .

ولقد توصل الى كل اولئك من خلال تجربة ثقافية وروحية من اعمق التجارب التي مرت بمفكر في العالم، عاني خلالها المشقة الفادحة التي اوهنت جسمه ، وأرهقت روحه ، وكادت تصل به الى الجنون .

ولذلك ـ فهو عندما يتحدث عن الروح . أو النفس او القلب . وكلها مترادفات عنده ـ فانما يتحدث عن تجربة شخصية ، ومعاناة حقيقية ، يقول في كتابه « كيمياء السعادة » « الانسان من عالم الخلق من جانب. ومن عالم الامر من جانب . فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق .وليس للقلب مساحة ولا مقدار ، فهو من عالم الامر » .

والغزالي يقصد بعالم الامر . عالم الغيب ، فالقلب عنده ، أو الروح من عالم الغيب . « واصل معدنه من الحضرة الالهية ، من ذلك المكان جاء ، والي ذلك المكان يعود » . وللقلب باب يطل على الباطن يحصل الانسان من خلاله كل المعارف دفعة واحدة في حالة من حالات « الكشف »

.. ويؤكد الغزالى « أن ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت . تارة على سبيل الالهام ، بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون . وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة ، وتارة في اليقظة ، على سبيل كشف المعاني ، بمشاهدة الامثلة ، كما يكون في المنام . وهذا اعلى الدرجات (٢) .

---

(١) ابن سينا ص ٦٢

(٢) ابو حامد الغزالى في ذكراه المئوية التاسعة ص ١٠٧

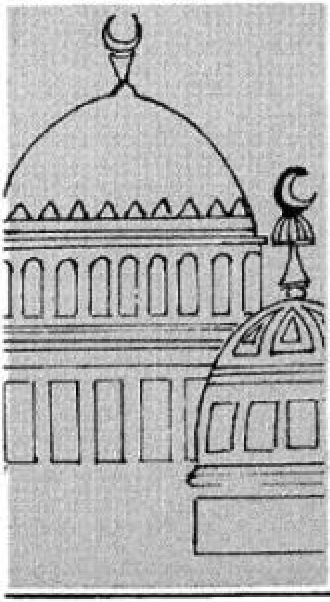
والغـــزالي يرى أن « الروح » محجوبة في هـــذا العالم المـادي الصارم · والارواح الخيرة هي التي تجاهد وتجالد حتى تتخلص من هذا السجن ، ويزول الحجاب بالموت وتصعد هذه الارواح الفاضلة لتنعم في رحاب الله ·

واهتم الغزالي اهتماما كبيرا بفكرة الثواب والعقاب في العـالم الاخر · ومصير الروح في هذا العالم · ولقد الحت هذه الفكرة بعنف على عقول الفلاسفة المسلمين ، وبعض الفلاسفة الماديين ، لانهـا كانت تتصل بقضية البعث بعد الموت · والحشر ··· وهل تحشر الاجساد والارواح · وتعـود كل روح الى جسدها ؟· أو أن الحياة في العـــالم الاخر ، تقتصر عـلى الارواح ؟· أو أن كل شيء ينحل ويعود الى التراب وتنتهي دراما الحيـاة ، فلا بعث ولا حشر ، كمايقول الماديون ؟

ولقد اشتبك ، الغزالي ، مع كـل الفلاسفة الذين خاضوا في هذا الامر بعنف ، وفند آراءهم ، وسخر مـن تصوراتهم ·

يقول (١) : «اعلم ان للناس في حقيقة الموت ، ظنونا كاذبة ، فظن بعضهم ، ان الموت هو العدم ، وانه لا حشـر ولا نشر ··· وقـال اخرون : ان الروح باقية لا تنعدم بالموت · وانما الثواب والعقاب ، هي الارواح دون الاجساد ، وان الاجساد لا تبعث · ولا تحشر اصلا · وكل هذه ظنون فاسدة ، ومائلة عن الحق ، بل الذي تشـهد له طرق الاعتبار ، وتنطق به الايات والاخبار ، أن الموت معناه ، تغير حال فقط · وأن الروح باقية بعد مفـارقة الجسد ، اما معذبة ، واما منعمة ، ومعنى مفارقتهـا للجسد : انقطـاع تصرفها عن الجسد ، بخروج الجسد عن طاعتها ، فان الاعضـاء ، آلات تستعملها ، حتى انها لتبطش باليد ، وتسمع بالاذن وتبصر بالعين · وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب ، والقلب هنـا

عبـارة عن الروح ، والروح تعـلم الاشياء بنفسها من غير آلة · ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد · وينعم بانواع الفـــرح والسرور · وكل ذلك لايتعلق بالاعضاء ··· فكل ما هو وصف للروح بنفسها»



الروح في الفكر العربي

(١) احياء علوم الدين جـ ١٥ ص ٢٩١٥

يبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الاعضاء ، فيتعطل بموت الجسد ، الى ان تعاد الروح الى الجسد » .

والغزالي يقرر أن الانسان ينكشف له بالموت ما لم ينكشف له بالحياة . كما قد ينكشف للمتيقظ ، ما لم يكن مكشوفا له في النوم . « والناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا » ، « واول ما ينكشف له ، ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته ، وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوى في سر قلبه . وكان يشغله عن الاطلاع عليه ، شواغل الدنيا ، فاذا انقطعت الشواغل ، انكشف له ، جميع اعماله ، فلا ينظر الى سيئة ، الا وتحسر عليها تحسرا ، يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة ، وعند ذلك يقال له « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

اما هؤلاء الذين عاشوا في الدنيا يزرعون للآخرة ، فهم الذين يتخلصون لذات النعيم .

والغزالي يؤكد أن اعظم اللذات الخالدة للشهداء « الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا ، مشتاقين الى لقاء الله » ... وهكذا تختلط في تصور الغزالي لعالم الروح ، الومضات الصوفية ، بالتأملات النفسية ، بالنظرات العلمية ... وهو لهذا من اهم مفكري العرب والمسلمين الذين تناولوا هذا الموضوع الجليل ، بالدرس والتحليل .

الرجل الالهي ...

ولا اريد بعد ذلك ان اتتبع تاريخ الفكر العربي ، حول هذه القضية ، فقد شغلت كل الانبياء والمفكرين العرب والمسلمين ، على اختلاف مدارسهم ونزعاتهم ، ذلك ان هذه المنطقة — كما قلت في مطلع هذه الدراسة — شهدت بزوغ النبوات واشرقت عليها رسالات السماء ، وتحرك بين جنباتها عدد من « الرجال الالهيين » الذين مزجوا الدين بالدنيا ، وربطوا الارض بالسماء ، ومن اخص خصائص هؤلاء الرجال ، تلك القوى الباطنة ، التي هي الرمز الاسمى لعالم الروح ومن خلال هذه القوى الروحية العليا ، فجر هؤلاء الابطال الالهيون ، اعظم الثورات في التاريخ الانساني . وانجزوا اكبر التحولات ، وستظل حضارات البشر مدينة بوجودها لهؤلاء الافذاذ ، الذين وصلوها بالنبع الاسمى . والروح الخالد .

وما اشد حاجتنا في هذه الايام ، الى رجال من هذا الطراز ، يستشعرون هذه القوى الباطنة بين اعماقهم ، ليصنعوا المعجزات ، ويتغلبوا على قوانين هذا العالم المادى ، بقوانين الروح غير المحدودة . وستظل هذه الارض العربية ، مهيأة دائما لان تخرج من ثراها النبيل الاصيل ، ذلك الرجل الالهي الذى يحرك في ابناء هذه الامة اشواقها الروحية الهاجعة ، ويقودها ، بمركب جديد ، من العلم والايمان ليعيدها سيرتها الاولى « خير امة اخرجت للناس » .

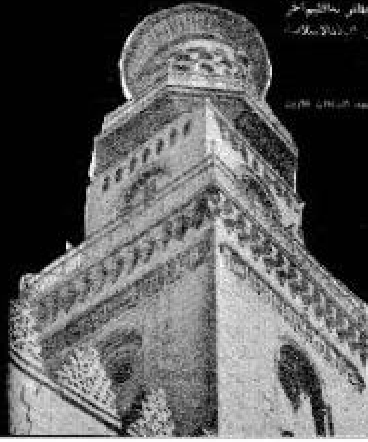
من الفن الروحي

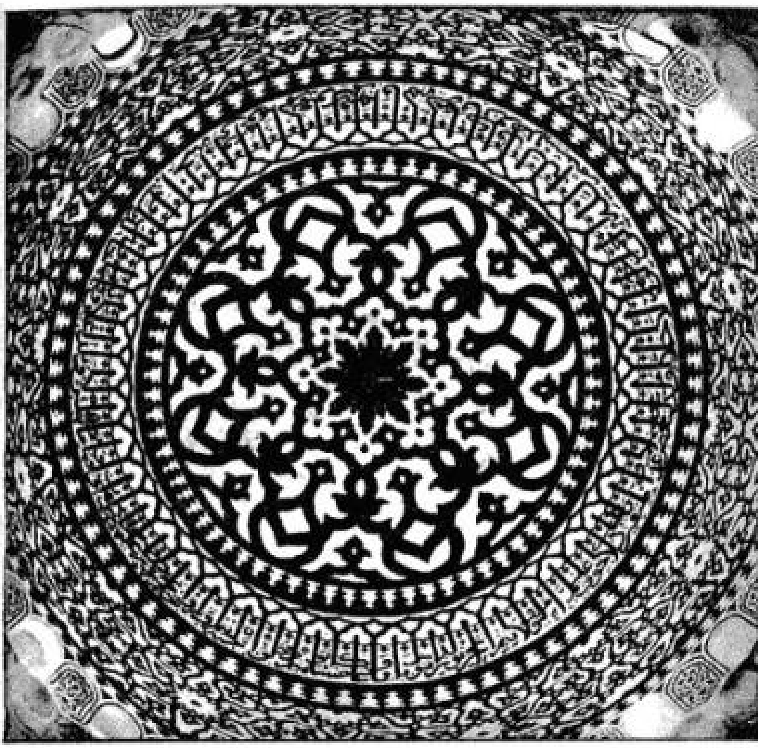
تطور العمارة الإسلامية في مصر

د. كمال الدين سامح

مرت بمصر فترة طويلة حققت بتطور كبير في العمارة الإسلامية ، من الفترة التي امتدت منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر محمد علي ، وكان لمصر فيها حظ كبير من العناية بالبناء والتعمير قل أن ظفر به الكثير من دول







نقوش زخرفية رائعة ، في قبة جامع السلطان برقوق بصحراء العباسية

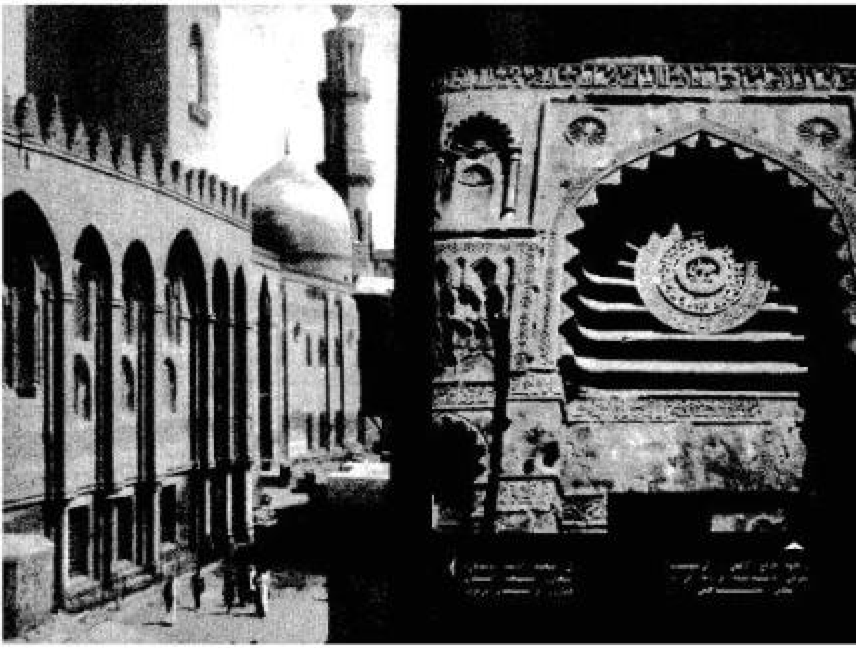
تطـــور العمــارة
الاســلامية
فــــي مصـــــر

كانت الفسطاط هى العاصمة الاولى فى العصر الاول بعد فتح العرب لمصر على يد عمرو ابن العاص (سنة ٢١ هـ) واستمرت كذلك حتى سنة (١٣٢ هـ) ، ثم اصبحت مدينة « العسكر » التى تقع شمالى الفسطاط مقرا لدار الامارة فى عهد الوالى العباسى صالح بن علي، ونمت المدينة بعد ذلك شمالا حتى أنشأ احمد بن طولون المدينة الثالثة «القطائع» فى سنة (٢٦٣ هـ ـ ٨٧٦م) ، واطلق على مجموعة المدن الثلاث (الفسطاط والعسكر والقطائع) اسم مصر أو الفسطاط • وقد تميزت به فيما بعد عن القاهرة التى انشأها جوهر القائد شمال الفسطاط •

وقد جاء جوهر الصقلى فى عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمى ، فأنشأ مدينة القاهرة المعزية فى العصر الفاطمى وبنى سورا « باللبن » يحيط بالعاصمة الجديدة التى تم تخطيطها على شكل مربع تقريبا يواجه اضلاعه الجهات الاربع الاصلية ، ويتجه الجانب الشرقى نحو المقطم ، والغربى يسير بمحاذاة الخليج ، والبحرى يتجه نحو الفضاء الواقع فى الشمال ، والقبلى يواجه الفسطاط ، وكان طول كل ضلع من اضلاع المدينة الفاومائتى متر ، ومساحة المدينة ثلاثمائة واربعين فدانا ، ويتوسطها قصران ، القصر الكبير الشرقى ، والقصر الصغير الغربى ، وبينهما ميدان فسيح لاستعراض الجند عرف باسم « بين القصرين » •

ثم اقام امير الجيوش بدر الجمالى سورا جديدا من الحجر خارج سور القاهرة الذى بناه جوهر ، وزاد فى مساحة المدينة حوالى ستين فدانا ، كما انشأ ابوابا جديدة بدلا من القديمة ، لايزال باقيا منها الى اليوم ثلاثةابواب، هى باب النصر ، وباب الفتوح فى السور الشمالى ، وباب زويلة فى السور





الجنـــوبى • واقام الابراج والممرات المقبية داخل الاسوار وبها فراغــــات وفتحات للدفاع عن المدينة الجديدة •••

ثم انشأ صلاح الدين الايوبى ســـورا جديدا هو فى الواقع امتداد لسور بدر الجمالى من جهة الشـمال حتى برج المظفر شرقا ، ومن هناك يمتد جنوبا ، موازيا للسور الشرقى حتى منطقـــة السيدة نفيسة •

كما اقام صلاح الدين ايضـا القلعة التى اصبحت فيما بعد مقرا للحكم ••• وخلال الازمنة المتعاقبة اخذت العاصمة فى الزيادة والنمو شمالا وغربا ، حتى اصبحت على ما هى عليه الان •

الوان من المساجد الاسلامية

اما من ناحية تخطيط المساجد ، فقد ظهر فى بادىء الامر النوع الاول الذى يتوسطه صحن مكشوف ومحاط بأربعة اروقة اكبرها رواق القبلة وبه المحراب الذى يوجــه المصلين نحو الكعبة • والمنبر الذى يقف فوقه الخطيب ليلقى خطبة الجمعة ، وبه الاريكة التى يجلس فوقها المبلغ حين الدعوة للصلاة وترتيل القرآن فى أيام الجمعة • ومن امثلة هذا النوع من المساجد الجامع الطولونى •

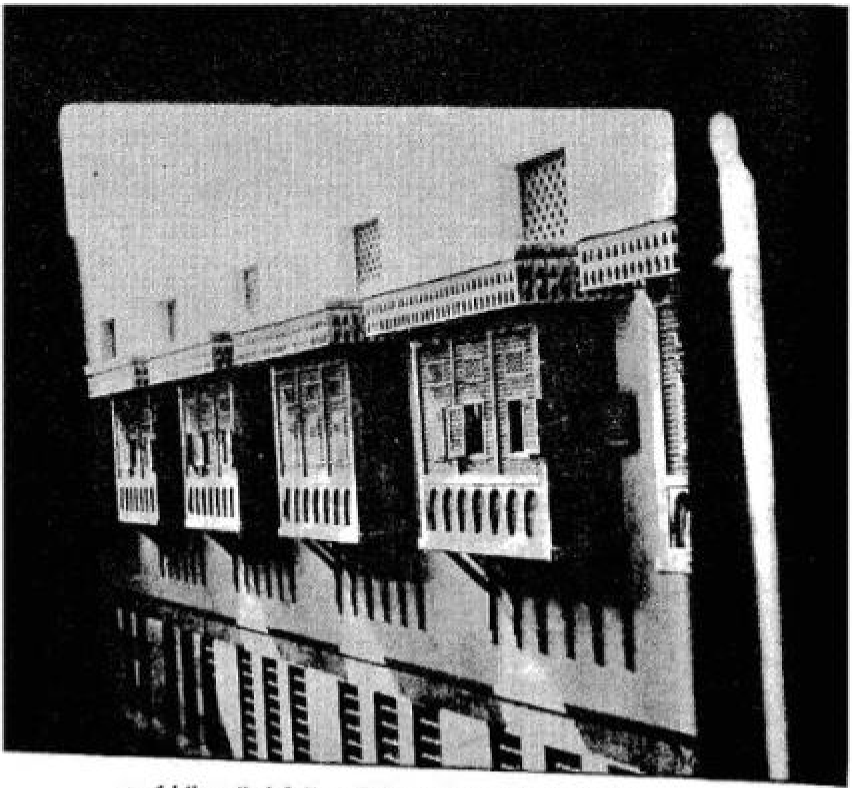
وفى نهاية العصر الفاطمى ظهر نوع من المســـاجد يعرف باسم « المساجد المعلقة » كمـــا فى مسجد الصـــالح طلائع سنة (٥٥٥ هـ ـ ١١٦٠ م) • ثم ظهر نوع آخر من المساجد بعد ظهور المدارس الاسلامية ، واخذ يتطور حتى اصبح التخطيط فى عصر المماليك من النوع المعروف بالمتقاطع المتعامد ، وذلك لايجاد اربعـــة ايوانات ، وفى الوسط يوجد الصحن الذى يحوى الميضاء فى وسطه •

وقد كان كل ايوان بمثـــابة مدرسة لتدريس مذهب من المذاهب الاربعـــة الاسلامية ، وهى الشافعى ، والمالكى ، والحنفى ، والحنبلى ••• والحقت بهذا التخطيط مســـاكن للطلبة ، وضريح لمنشىء المدرسة ، وكـــان ايوان القبلة عادة اكبر الايوانات وكان يقوم مقام قاعة الصلاة الرئيسية فى المساجد وبه

تطـــور العمـــارة

الاســـلامية

فـــــى مصـــــر



المشربيات ، طراز من العمـارة الاسـلامية فى العصر المملوكى ، لا تزال آثاره باقيـة حتى الآن فى وكالة الغـورى بحى الأزهر





أبواب ، ويمثل ذلك مدرسة السلطان حسن بالقاهرة .

وبعد الفتح العثماني في عام ١٥١٧ ، تأثرت العمارة الإسلامية بالطراز البيزنطي ، فظهر نوع جديد من المساجد ، عبارة عن قاعة مربعة ، تعلوها قبة وتحيط بها ثلاثة ممرات ، عدا الجهة القبلية حيث يوجد حائط القبلة ، كما هو الحال في مسجدي سنان ببولاق ، وأبي الذهب بالأزهر . ثم ظهرت مساجد أخرى ، عبارة عن قاعات مستطيلة وفي وسطها أربع دعامات مربعة تحمل فوقها منورا للاضاءة ، ومن أمثلة هذا النوع مسجد المحمودية بميدان صلاح الدين بالقاهرة ... كما ظهرت بعد ذلك نماذج أخرى للمساجد متأثرة إلى حد بعيد بمساجد القسطنطينية ، ومن أمثلتها مسجدا سليمان ، ومحمد علي ، بالقاهرة .

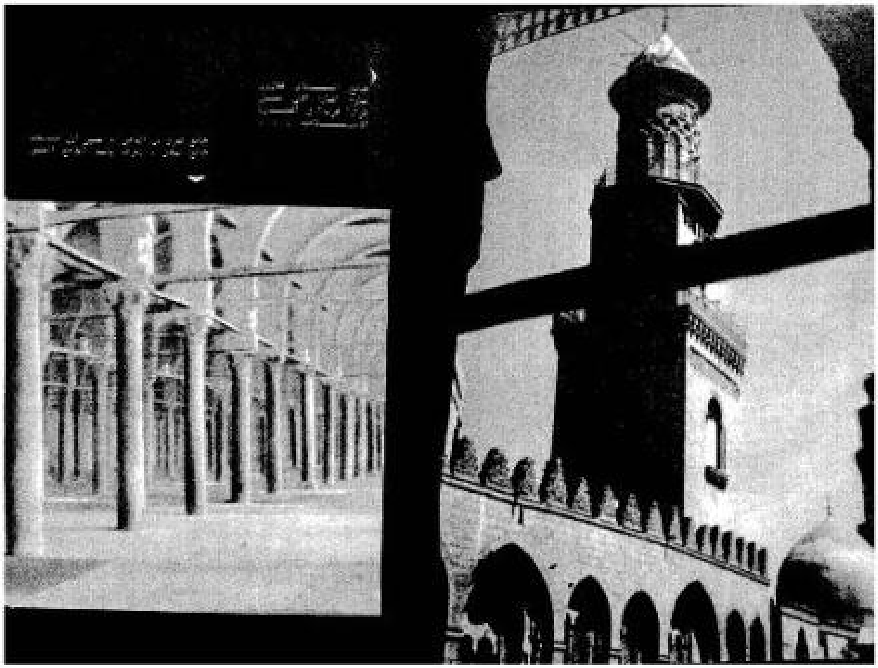
وتعتبر أسوار القاهرة الفاطمية التي شيدت في عهد أمير الجيوش بدر الجمالي في خلافة المستنصر بالله الخليفة الفاطمي – وكذا الأبواب الثلاثة



صورة من الجو ، للجامع أحمد بن طولون ، يظهر فيها صحن المسجد الواسع الفسيح داخل بناء مربع الشكل تعلوه قبة محمولة على عقود من المقرنصات



تطور العمارة
الإسلامية
في مصر



باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب زويلة التى بنيت فى ذلك الحين ـ اقدم امثلة للعمارة الحربية الاسلامية فى مصر ، وبعدها القلعة التى انشاها صلاح الدين الايوبى بالقاهرة ، وقلعة قايتباى بالاسكندرية ... وكل هذه المنشآت فى الواقع امثلة نادرة . تشهد بعظمة العمارة الحربية فى العصر الاسلامى فى مصر .

ملامح التطوير فى المآذن والقباب

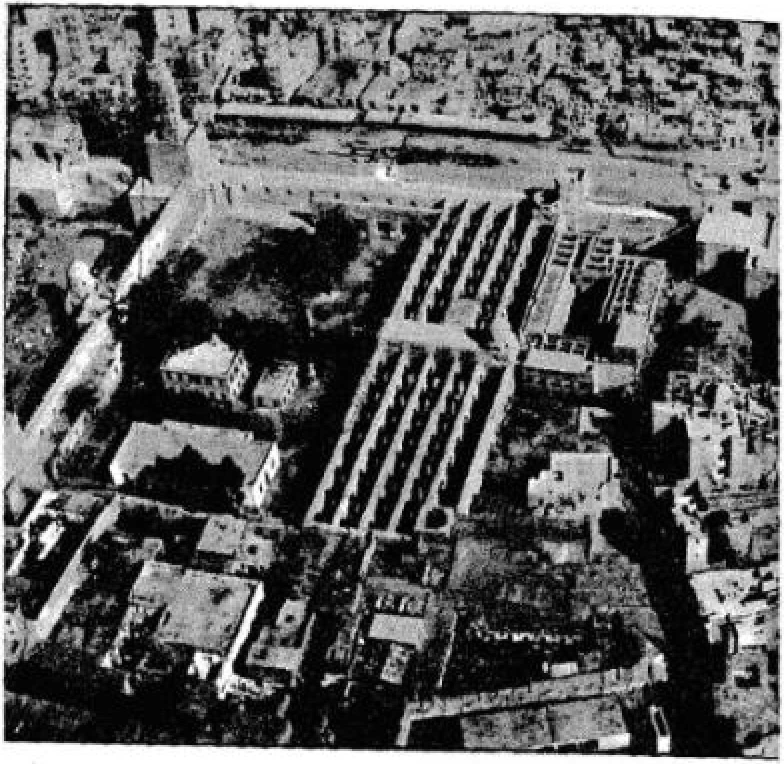
وقد لعبت القبة ، دورا هاما فىتاريخ العمارة الاسلامية ، فقد ظهرت فى بادىء الامر صغيرة ، تعلو المنطقة المربعة التى تتقدم المحراب فى المساجد ، كما فى جامعى الازهر والحاكم ، ثم اخذت فى الكبر ، كما فى مسجد الظاهر بيبرس ، واصبحت فى العصر العثمانى تغطى رواق القبلة باكمله ، كما فى مسجدى سنان ببولاق وابى الذهب بالازهر ...

ثم عظمت اهمية القبة فى عصر محمد على فاخذت تغطى مساحة كبيرة فى وسط رواق القبلة وتحيطها من اربع جهات انصاف قباب اخرى ، متاثرة فى ذلك بايا صوفيا بالقسطنطينية .

كما وجدت القباب مفردة تعلو الاضرحة الاولى فى الاسلام بمصر ، كما فى اضرحة السبع بنات ، وكان لتطور طريقة منطقة الانتقال من المربع الى الدائرة اهمية كبرى فى التصميم ، فقد كانت الطريقة المتبعة فى مسجدى الازهر والحاكم تتم بواسطة المحاريب الركنية التى انتقلت الى مصر عنالعراق فى العصر العباسى ، وكانت قد انتقلت الى العراق عن العمارة الساسانية فى بلاد الفرس منذ القرن الثالث الميلادى .

ثم ظهرت طريقة القباب ذات المقرنصات كوسيلة للانتقال من المربع الى الدائرة فى نهاية العصر الفاطمى ، فى ضريحى عاتكه والجعفرى ومشهد السيدة رقية ، وكانت الحطات من دورين ، وبعد ذلك اخذ العدد يتزايد فى السنين المتعاقبة وبعد ذلك ظهر التأثير البيزنطى بعد الفتح العثمانى لمصر واصبحت القباب تنشا بطريقة المثلثات الكروية .

ولم تكن المئذنة معروفة ايام انشاء مسجد الفسطاط الاول الذى بنى فى

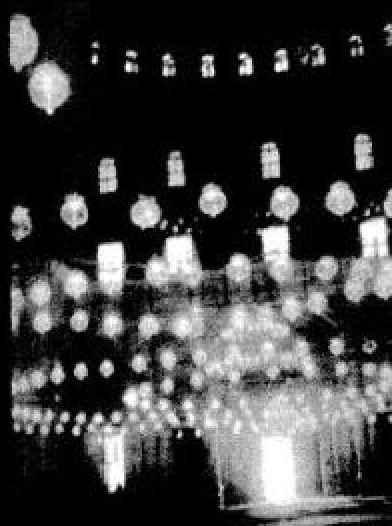


صورة من الجو يبدو فيها باب النصر في القاهرة ومسجد الحاكم بأمر الله





صورة من الجو تظهر فيها مساجد
القاهرة ...



جامع محمد علي بالقلعة و
نموذج من المساجد التي
قاومت ... شاهد
القاهرة ..

عهد عمرو بن العاص ، وكان هناك درج خارجي يصعد منه الى اعلى سطح المسجد حيث يقف المؤذن للدعوة للصلاة ، ثم ظهرت مئذنة ابن طولون التي تعتبر الاولى في مصر الاسلامية وقد تأثرت في تصميمها عن «الملوية» وهي مئذنة مسجد سامرا بالعراق ، كما تعتبر مئذنة جامع الجيوشي فريدة في نوعها ، اذ انها تتكون من قاعدة مربعة تعلوها منطقة مربعة تقل في مساحتها عن السفلى ثم تعقبها منطقة علوية مثمنة اصغر في القطاع من السفليتين ، وبقمة المئذنة توجد طاقية صغيرة مبنية بالطوب ··

وفي العصر الايوبي ظهر النوع الخاص بالمآذن المعروفة باسم « المبخرة » كمئذنة أبي الغضنفر (١١٥٧م) ومئذنة الصالح نجم الدين ايوب (١٢٤٩م) ، واصبح التصميم السائد في مصر بعد ذلك يقوم على اساس جعل المنطقة السفلى مربعة القطاع ، تعلوها منطقة مثمنة ثم اخرى مستديرة · ومن اجمل امثلة هذا النوع من المآذن مئذنة مدرسة وضريح قايتباي بمقابر المماليك (١٤٧٢ - ٧٤ م) ·

وهناك بعض مآذن ظهرت في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى وبقمتها رأس مزدوج وأحيانا أربعة رؤوس بأعلى القمة ، كمئذنة السلطان الغوري·

اما في زاوية عبد الرحمن كتخدا بالقربلين (١١٤٢هـ أو منتصف القرن الثامن عشر الميلادى) فقد صممت المئذنة على شكل شرفة تعلو مدخل الزاوية وهي محمولة على عدة صفوف من المقرنصات ، استعيض بها عن التصميم الشائع للمئذنة ، ويدعو المؤذن من فوقها للصلاة ، وقد ظهر التأثير التركي على المآذن بعد الفتح العثماني وكذلك في عصر محمد على ، فأصبحت تشبه « القلم الرصاص المدبب » فتنتهي من أعلاها بقمة مخروطية مدببة وأحيانا يكون البدن مضلعا أو اسطوانيا ·

وفي العصر الحديث ، ظهرت عدة اشكال للمآذن ، بعضها متأثر بالطراز المملوكي والبعض الاخر بالطراز المغربي ، ومن هذا الطراز الاخير ظهرت المآذن المربعة المثقوبة بفتحات رأسية

تطـــور العمــارة
الاســلامية
فـــي مصـــر

ضيقة بها اشكال مفرغة ومزخرفة باشكال هندسية جميلة ، كما هو الحال في مسجد حديقة الزهرية بالجزيرة بالقاهرة .

زخارف الدور والقصور

وتمتاز قاعات الدور والقصور في القاهرة بتصميمها البديع وما حوته من زخارف واثاث تبهر الزائرين . وفي داخل قاعات الغرف الكبيرة بنى المعماري نافورة للمياه وابدع في تصميمها ، وجعلها تتوسط « الدرقاعة » .

وهي جزء مربع التخطيط يفصل ايواني القاعة .. ويعلو الدرقاعة « شخشيخة » وهي عبارة عن قبة من الخشب بها فتحات صغيرة تسمح بدخول الهواء الى داخل القاعة واحيانا يستعاض عنها بملقف . ولتبريد اواني الشرب وايضا لترطيب جو الغرف صممت المشربيات ، وهي عبارة عن نواقذ من الخشب الخرط بها فتحات يتخللها الهواء ، وتساعد ايضا على السماح لنساء الدار برؤية من في الخارج دون ان يراهن احد من عابري الطريق .

وفي بعض الدور التي كانت تقع على الخليج ، استعمل الشادوف والسواقي لنقل المياه الى الدار ، كما كانت تستخدم المراكب الصغيرة ، والقوارب للنزهة والترويح عن النفس . كما توجد غرفة للاستقبال في الدور الارضي يستقبل فيها رب الدار ضيوفه وتسمى « التختبوش » وعادة تستقبل النسيم العليل في فصل الصيف اذ انها تقابل الجهة البحرية .

كما يلاحظ تقسيم الدار الى قسمين رئيسيين احدهما بالطابق الارضي خاص بالرجال ويعرف بالسلاملك ، وقد اعد للاستقبال واقامة الحفلات ، بينما خصص القسم الاخر للحريم ويعرف بالحرملك ، ويقع بالطابق العلوي ، بالاضافة الى وجود مداخل وسلالم ثانوية تكفل الحجاب .

ومن اشهر البيوت القديمة بالقاهرة بيت الكريدلية (١٦٣١ - ٣٢ م) ويقع بجوار مسجد ابن طولون ، ومنزل جمال الدين الذهبي (١٦٣٧ م) بشارع حوش قدم ، وبيت السحيمي (١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م) ويقع بشارع الدرب الاصفر بالجمالية ..



الروح تحت مجهر الطب

د. مصطفى الديواني

● ما سر هذا الحبل الأثيري الذي يمتد بين الحياة والموت وبين الصحو والمنام ؟!

● مادام النوم هو تجربة الموت كل يوم، فلماذا نخاف الموت ؟!

لست في عالم الروحيات إلا عابر سبيل محايد ،
اجتذبته الأنوار فتأمل فيها [illegible] دون أن يخلص بها
أو سائراً على الشاطئ، رأى الأمواج تزبد تعلو وتنخفض
حتى إذا اقتربت من الشاطئ انكسر في [illegible] قصتها التي
لن تنتهي إلا مع الزمان تحدث عن طريقها فلم تصرفه
ثوبا أو تبال له حتى إذا تلاشت وعادت منسحبة
من حيث أتت .. عاد يتأمل من جديد كيف يتهادى
الأمواج العالية ...



ولقدتساءلت في بعض الاحايين متعمدا أن أخرج من هذهالمناورة امحايدا كما بدأتها . املاالآنأقص احسن القصص على كل ناشد للسلوى على غصن ذوى وحبيب مات وقضى ، او كل مقترب من خريف الحياةيسائل نفسه لاى غرض نعيش ونكافح وماذا بعد تلك ، الحفرة التى فيها تودعون ، .. وهل تنتهى الحياة عند القبر . او ان هذه الدنيا بكل ما فيها من مصاعب ومتاعب ليست أكثر من روضة أطفال تهيئنا لمهمة اكثر روعة واكتمالا في عالم آخر سوف تتاح الفرصة فيه لن قصر في اداء مهمته في هذه الدنيا ان يصل ما انقطع ويجرب حظه محاولا اسداء بعض الخير لن حوله .

ان للروحيين منطقا لطيفا كالنسيم العليل ينزل على الجرح العميق في النفس الحائرة الحزينة فيلتئم على غير ميعاد . وهو يتلخص في أن هناك جسدا أثيريا يفارق الجسد عند الوفاة ، ويتكون من مادة اسمها ، الاكتوبلازم ، توصل العلماء منهم الى تحليلها ميكروسكوبيا والى تصويرها بالاشعة تحت الحمراء فوتوغرافيا وسينمائيا ، ويبلغ وزنها بضع عشرات



من الجرامات . وهذه المادة هي التي تنبثق من جسوم الوسطاء لتصعد وتجول مخترقة الحجب ومتعدية الاميال في ثوان ودقائق فتصل الى اماكن قاصية . وهم يفسرون اسراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم بانه طرح روحي لا جسدي . ويصفون محمدا (صلعم) بانه من اعظم الروحيين الذين وجدوا على ظهر البسيطة .

ويعتقدون ان الانبياء والرسل قد اغدق الله عليهم ميزتين عظيمتين . الاولى : الجلاء البصرى اى القدرة على الرؤية بشكل يخالف العرف ودون استعمال الحواس العادية . والثانية : الجلاء السمعي ، اى القدرة على ادراك المؤثرات الصوتية دون تقيد بالزمان او المكان . ويفسرون نزول الوحي على الرسل بانه قد تعتريهم غيبوبة تغادر خلالها الروح الجسد مع بقائها متصلة به بحبل اثيرى وتهيمن عليه روح اخرى تنطقه بالاعجاز المبين . الم ينطق الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران الكريم خلال نوبات شبيهة ، كان يمضي خلالها في شبه غيبوبة وتنتابه رعدة ، وتتيبس منه الاطراف وينطق بما لا يمكن الا ان يكون تنزيل العزيز الحكيم على لسان نبيه الكريم .

وما الوسيط في الحلقات الروحية الا شخص موهوب يتمتع بجلاء بصرى وجلاء سمعي يجعلانه يرى ويسمع ما لا يمكن للشخص العادى رؤيته أو سماعه . اما النائم فان الروحيين يعتقدون ان روحه تغادر جسمه اثناء نومه ، ولكنها تبقى متصلة به بحبل اثيرى يستطيل ويتكمش حسب مقتضيات الرحلة التى تسبح الروح فيها في عالم المادة والروح ، فترى من الاحداث ما تسميه الاحلام ، فالنوم طرح مؤقت للروح ، وما الاحلام الا سياحاتها ، فترى الاحياء والاموات على حد سواء . ويهيىء هذا الاستيطان المؤقت

في عالم الروح فرصة لارواحنــــا للحصول على تغذية وتقوية روحيتين لا تلبثان أن تنعكسا على الجسم عامة فيصحو الانسان من نومه منتعشــا متجدد النشاط .

أما الموت فانه طرح روحي دائم ، ومتى انقطع الحبل الاثيرى فلا أمل مطلقا فى عودة الميت الى الحياة .

سياحة فى عالم الارواح

ما سر هذا الحبل الاثيرى الذى يفرق بين الحياة والموت وبين الصحو والمنام ؟ يقولون انه يبدأ من مكــان حيوى فى المخ المادى حيث تتجمع جميع المراكز الحيوية التى تسيطر عــلى القلــب والتنفس ، وينتهى فى نفس المكان من الروح الاثيرية ، فاذا كان الشخص مستلقيا على ظهره ووجهــه الى أعلى طرحت الروح ووجهها الى أعلى أيضا ، ويبرز الحبل الاثيرى من الجبهة لينتهى فى مؤخرة الرأس من الجسم الاثيرى ، وتكون الروح فى بداية الأمر موازية فى اتجاهها للجسم المادى ، ثم تتخذ بالتدريج وضعــا عموديا قبل أن تبدأ سياحتها فى عالم الروح ، وعند الاستيقاظ نتيجة ضجة أو انفعال شديدين تعود ثانيــة الى وضعها الافقى ثم تقترب من الجسم ، بينما يقصر حبل الاتصال حتى تصل الروح فى الجسد مرة ثانية ..

● بعض الروحيين يزعمون أن روح الإنسان لا تفارق جسده إلا بعد الموت ببضعة أيام !

ويقول العلامة الروحي (مولدن) – وقد أوتى القدرة على النوم الاختيارى – انه جرب هــذه الظاهرة فى نفسه فشعر أولا برأسه ينثنى حتى لامس ذقنه صدره ثم راح جسـمه فى استرخاء النوم بينمــا صعدت روحه الاثيرية تدريجيا نحو سقف الغرفة ، وكان يشعر بما يشبه نبضات القلب عند مؤخرة رأسه مما أثبت له أن الحبل الاثيرى يبدأ هناك .

والويل لابن أدم اذا انقطع الحبــل الاثيرى ، فان معنى هــذا انتهــاء الحيــاة . ويزعم « مولــدن » و « كارنجتون » فى كتابهما عن الطرح الروحى أن معجزات يسوع عن احياء الموتى لايمــكن تفسيرها الا اذا افترضنا أن الذين بعثوا الى الحياة لم يكونوا موتى ، بل كانوا فى حــالة غيبوبة شديدة ، وضربا لذلك مثــلا بمعجزة المسيح عليه السلام فى احياء صديقه اليعازر . فان يسوع بوصفه وسيطا روحيا من الدرجة الأولى يرى غير المنظور ، ولما كان له من ميزة الجلاء البصرى ، أدرك أن صــديقه اليعازر لم يكن ميتا ، فقال عليــه السلام : أن اليعازر لم يمت وسأذهب اليه وأحــاول ايقاظه ، ثم ذهب الى المقبرة وأمر بازالة الحجارة قائلا : قم يا اليعازر .. فهب الأخير من نومه وتقدم الى يسوع ..

ونفس الشيء حدث عند نفخ الحياة فى ابنة الحاكم الميتة عندما نظر الى من حولها وقال : أن الفتــاة ليست ميتة ، لماذا تبكون اذن ؟ . وأمسك بيد الفتاة وصاح فيها قائلا : قومى يافتاة .. قومى ! .. فقامت الفتــاة لتوها ومشت الى خارج الغرفة .

ولكن القرآن الكريم نص على هذه المعجزة التى انفرد بها يسوع ففى آية « وتحيى الموتى باذنى » وفى آية اخرى « واحيى الموتى باذن الله » .

فرصة الليلة الاخيرة

ومادام النوم هو تجربة الموت كل يوم فلماذا نخاف الموت ؟ الا ينطبق هذا على قوله تعالى : « الله يتوفى الانفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى » ..

ولكننا نحن الاطباء لا نمل من التعمق فى هذه المشكلة التى يبدو تفسيرها بالحبل الاثيرى سهلا ميسورا ، فما اسهل أن يطول ويقصر فتحدث الاحلام او ان ينقطع فتنتهى الحياة الى غير رجعة !... اننا بحكم مهنتنا كثيراً ما نلمس باحاسيسنا كيف تنتهى الحياة . وقد تلتمسون لنا العذر اذا قسمنا الموت الى مستويات ، فنزعم مثلا ان الموت نوعان اودرجتان اولاهما الذى يحدث على مستوى الخلية ، وهو الموت الكلى ، وثانيهما الموت الجزئى حين تتوقف الاجهزة الرئيسية عن العمل مثل الدورة الدموية والجهاز التنفسى ومراكز الاستقبال والارسال والتنظيم من الجهاز العصبى .

وقد تنقضى ساعات او ايام بين الموت الكلى والجزئى ، وقد يطول دور الاحتضار او يقصر .

ويالهفى على المريض اذا طالت مدة احتضاره لان معناه أن الروح تبذل جهدا قاسيا فى سبيل خروجها من الجسد المتهاوى . وبينما نحن فى حيرة نسائل انفسنا أى المدرستين اقرب الى المنطق : تقول الاولى ان اكرام الميت فى دفنه عاجلا ، وتنصح الثانية بالتأجيل حتى نصل به الى دور الموت الكلى حين تتوقف الخلية عن العمل والتفاعل الى الابد . والمعقول أن يمهل الميت فرصة المبيت على فراشه ولو لليلة أخيرة وأعرف اصدقاء اوصوا بهذا ونفذت وصيتهم واوصى واحد منهم ـ رحمه الله ـ صديقا له أن يذهب الى قبره كل مساء لمدة ثلاثة أيام علّه يلبى استغاثته اذا افاق من نومته الابدية ، فكان يذهب فى سواد الليل الى جو المقبرة القاتم مصحوبا بحارس المدفن ويبقى لفترة غير وجيزة تنفيذا لوصية صديقه الراحل .

رسالات من عالم الروح

وهناك سؤال كثيرا ما يتبادر الى الذهن وهو ما مصير الروح بعد مغادرتها الجسد مباشرة ؟ ان بعض الروحيين يعلمون من رسالات وصلتهم من عالم الروح أن روح الانسان لا تفارق جسده تماما الا بعد الموت ببضعة ايام وهم لذلك يصممون على الا تحرق الجثة أو تدفن الا بعد الموت بأيام .

وهناك مدرسة كبيرة تزعم ان الروح تبذل مجهودا كبيرا اثناء مفارقتها للجسد حتى اذا ما تم لها ذلك مرت فى دور ارتجاج يدفع بها غير شاعرة



الى الافاق العليا البعيدة جدا من الاتصال الروحي بأهل الارض ، وكأنها تائهة تترنح حتى يتاح لها استعادة اتزانها وتعود مرة ثانية الى الاتصال بمن تريدهم ويريدونها من أهل الارض سواء الوسطاء الروحيين في الحلقات الروحية أو الاحباب في عالم الاحلام.

وقد يدل على صدق هذه النظرية انك قلما ترى في الحلم عزيزا قضى نحبه الا بعد أن تمر على انتقاله فترة قد تصل الى الاسابيع عدا .

وقد حضرت منذ عام في الكويت جلسة روحية على مستوى عال . وسالت الوسيط هل تبقى الروح في البيت تشاهد تفاعلات أهله بعد مفارقتها لجسد عزيزهم .. فكان الرد مطابقا للنظرية السابقة ، أى انها تصعد الى مستويات عليا متارجحة مترنحة من هول الارتجاج الذى تعانيه ولن تعود الى الارض ثانية حتى تفيق .

اين .. اين عمرى ؟

وكان هناك معالج روحى انجليزى اسمه « وليم باريش » يقول عنه « هانون سوافر » الصحفى الانجليزى الكبير انه أكبر معالج روحى ظهر على وجه الارض . ولما مات شاهدت وسيطتان روحيتان روحه أثناء الصلاة جالسة على كرسى بالقرب من النعش تنظر اليه من حين لاخر ، حتى اذا جاء موعد حرقه ونثر رماده فى حديقة حسب وصيته انسحبت الروح وهى تبتسم وتلوح بيدها مودعة الجسد المادى !

وهكذا نجد انفسنا واقفين حيارى عند مفترق طريق يكاد يكون مسدودا ، وتكاد تضيع ملامحه نتيجة للمفارقات الملموسة بين المدرستين الطبيعية والروحية بل وبين الاراء المختلفة فى المدرسة الواحدة . وكثيرا ما نسائل انفسنا ما الذى يحدد العمر ؟ لماذا يموت البعض فى سن الزهور ويعيش البعض الى ارذل العمر ؟ ..

ومع يقيننا الثابت فى الله وبأن لكل أجل كتاب ، وان حظ الحياة قسمة ونصيب .. يبقى فى نفوسنا واذهاننا ذلك الحلم الجميل بالعالم الاخر الباقى ، قانعين ببضع جرامات من « الاكتوبلازم » يتكون منها جسدنا الاثيرى أى الروح ، وبحبل أثيرى ينقطع لتصعد الروح الى عالم لا تسمع فيه لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ، تنتظر يوم البعث والنشور والحساب العسير .. ولسوف يمضى الباحثون فى سرد ما يمتع النفس التواقة الشواقة ويغرى بغزو هذا الميدان الشائك الذى مازلنا نخبل فى ارجائه الفسيحة ، وسوف يوالون الضغط عليه حتى ينجلى السر الاكبر أو يعودون مدحورين غير يائسين تعزيهم الاية الكريمة (ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

وكلما ارهقنى التعمق الرصين وزادت حيرتى من مختلف الاراء ، صممت على تجاهل تلك الحقيقة الكبرى التى يسمونها الموت ، وعملت لدنياى كأننى لن أعيش أبدا . لان الانسان اذا اعتمد على الغد فى تصحيح أخطائه ثم تراكمت الاخطاء عليه يجد نفسه فجأة – وفى ذات يوم من أيام الحياة – متعلقا بالعشب الاخضر النامى على حافة الهاوية التى تؤدى الى قاع سحيق ، فيصيح من الاعماق قائلا أين عمرى .. اين عمرى !!

وكلما تردد على الخاطر بين حين وحين ، وعادت حيرتى من جديد وشيعت حبيبا اثر حبيب ، ابتسمت بينى وبين نفسى فى غير سخرية هاتفا :

على كل منا أن ينتظر دوره ، فأما الحقيقة الكبرى .. وأما النكبة الكبرى !..



عالم الروح»

تأليف : د. رءوف عبيد
عرض وتلخيص : محمد حسن

« اقرأ هذا الكلام بكل تحفظ .. انه من كتاب لأستاذ جامعي استغرقته الدراسات الروحية .. ونحن إذ نعرضه على القراء نوجهه نظر البعض المتحمس .. ولكنها لا نرفضها ولا نؤيده .. ولا نقره تماما لا نرفضه ومن يقفون موقف الشك في أمر الروح »
« الهلال »

يبذل الدكتور رءوف عبيد جهدا كبيرا يقع في أكثر من ١٩٠٠ صفحة من كتابه « الانسان روح لا جسد » لينقل القارئ في رحلة ممتعة الى عالم المجهول .. عالم الخلود ، حيث تنطلق الروح وقد تخلصت من ردائها ـ الجسد ـ بالموت، تنطلق الى « الاثير » الرحب لتحلق بلوغ الفكر بلا حدود : تسكن البيوت وتخرج الى الحدائق ، تأكل وتشرب وتنام ، وتمارس الحب وتلعب الموسيقى .. أرواح من كل لون : أرواح خيرة وأرواح شريرة أرواح حساسة وأرواح عربيدة ، أرواح راقية وأرواح منحطة .. أرواح تعذب وأخرى تتمتع بالنعيم أرواح ارتفعت الى أرقى درجات العلم والمعرفة وأخرى تتيه في بيداء الجهالة .. أرواح في جنات عدن وأخرى عادت الى الأرض لترتدي جسدا جديدا علها تبلغ مستوى أرقى حين تخلع الرداء !

إطلالة على عالم الروح

وهذه - كما يقول المؤلف - حقائق لا تقبل الشك . ثم اثباتها بكل ادلة العلم الحديث . وعلى يدي طائفة من أساتذة العلم والادب، الذين لا يرقى الشك الى تجاربهم وعالمهم ... من أمثال القاضي

« جون ورث أدموندز » الذي كان رئيسا للمحكمة العليا بنيويورك ثم رئيسا لمجلس الشيوخ الامريكي . و « جيمس مابس » عالم الكيمياء وعضو المجمع العلمي الامريكي . و « روبرت هير » ، أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا ،

وعالم الكيمياء « سير وليام كروكس » رئيس المجمع العلمي البريطاني ، و « سير وليام ستيد » نقيب الصحفيين البريطانيين . وسير « آرثر كونان دويل » ، الروائي البريطاني المشهور و « برجسون » و « وليام جيمس » الفيلسوفان ، و « وليم مكدوجال » ، فضلا عن العديد من الجمعيات والمعاهد والجامعات !

ولكننا هكذا نكون قد بدأنا المسألة من النهاية ...



تشارلز ديكنز





اوليفر لودج

وليم جيمس

في البداية كان « علم الروح » الحديث وليد طرقات غامضة ، داخل كوخ متواضع ، في قرية « هيدسفيل » قرب مدينة « روتشستر » بولاية نيويورك سنة ١٨٤٨ ... وان كان علم الانسان بالروح يرجع الى بدء الخليقة وحضارات المصريين والاغريق والهند والصين ... ولو أن حادثة « هيدسفيل » كانت حادثة عادية ، تحدث عشرات المرات في بقع عديدة من العالم ، الا انها اثارت حيرة المسئولين - الامريكيين - فشكلت لها ثلاث لجان رسمية ، كما أسهم في دراستها عدد كبير من العلماء والباحثين ، الذين انتهوا - متفرقين

ومجتمعين — الى نسبة هذه الطرقات الغامضة الى كائنات غير منظورة…

هى أرواح الموتى ممن انتقـلوا الى العالم الاخر !

بعد ذلك اتسعت حركة هذا البحث العلمى حتى شملت العشرات ثم المئات من أفضل مفكرى القرنين المـاضى والحاضر فى شتى البلاد ، فأصبحوا من دعائم هذا العلم ودعاته ، وأكثر من ألقى أضواء باهرة على هـذا العلم بعد مماتهم — أقصد بعد خلعهم لرداء الجسـد — واتصال أرواحهم بزملائهم على الارض ، تمدهم بالثمين من المعلومات !

الموت فى عرف علم الروح الحديث اذن ليس نهاية الحياة ، بل مجرد انتقال من حال الى حال ، كالمصباح الكهربى تدير مفتاحه ، فينتقل من حالة الاظلام الى حالة النور … الموت هو انتقال بالانسان من عبودية الجسد الى حالة انطلاق الروح … عملية انتقـال سهلة — بلا ألم — الى عالم أرق من عالمنا وأرقى ، يوم الوفاة خير من يوم الولادة ، لان الولادة اعتقـال للروح فى جسـد ، أما الوفاة فهى انطلاق للروح من أغلال الجسد .

قالت روح السيد « سانسون » ، الذى كان عضوا بالجمعية الروحية بباريس ، يصف لزملائه الاحيـاء ، وفـاته فى ٢١ ابريل سنة ١٨٦٣ : « كانت الحيـاة تنطفىء ، والنثار — نثار الروح — ينطلق ، وبعد العثور على الفراغ والمجهول ، يجد الانسان نفسه محمولا على رهبـة لا أعرف ماهيتها ، الى عالم كل ما فيه يمثـل النعيم والعظمة ، لقد فقدت الاحساس والالتفات ، ومع ذلك فقد امتلأت نشوة لا توصف ، ولم أعـد أشعر بسطوة الألم (كان الاستاذ « سـانسون » يعانى من آلام السرطان قبل الوفاة) وعندما تمكنت من أن أسترجع نفسى ، وأشاهد ما هو أمام نظرى ، أصبحت كما لو كنت مذهولا ، ولم أكن مدركا تماما ما جرى ، لان التمييز الواضح لا يسترد بغتة ، ولكن الله الـذى منحنى علامة عميقة من رأفته ، قـد سمح لى بأن أسترد ملكاتى ، وأشاهد نفسى محوطا بأصـدقاء مخلصين كثيرين ، فجميع الارواح التى تحمينا وتساعدنا كانت محيطة بى : باسمة ، تغذيها سعادة لا نظير لها ، بل انى نفسى قد تمكنت ، بعـد أن أصبحت قويا معافى ، من الانتقال بغير جهد خلال الفضاء » !

الموت اذن ميلاد ثان — أو ثالث اذا كان قد مات قبل ذلك — انتقـال الى عالم الارواح الفسيح ، وللانتقـال نشوته … بلا ألم أو ضيق : المحتضر كالنائم يحلم حلما جميلا ، يعقبه رد فعل عميق ، من الاحسـاس بنشوة الانطلاق الى عالم الخلود والحرية !

وعالم الروح هو العالم الحقيقى ، أما عالم المادة — أى الحياة — فهـو مظهرى من صنع الحواس ، ومع ذلك فانه عالم لا يرى ولا يسمع ولا يلمس ، لانه أثير يهتز — أى يتردد — بسرعة تتجاوز سرعة الضوء . والاثير وسط غير مادى ، يتغلغل فى كـل

إطلالة على عالم الروح

شيء ، وهو « صلب » جدا ، ومرن جدا فى نفس الوقت ، ولذلك فهو يتخلل عالمناويحيط به من كل الجهات، ولكن الاحياء لا يشعرون به ، لوقوعه فى هذه المنطقة العالية من الاهتزاز ... كمروحة الطائرة تراها وهى ساكنة ، فاذا بدأت فى الدوران غابت عن ناظريك حتى لا تعود تراها من شدة الدوران !

وفى عالم الروح لا يعيش الجميع سواء ، فلكل روح حسب عملها مكان من سبعة ، يطلق عليها علم الروح مستويات ، هى مستوى الجحيم أو الحياة البائسة ـ وهى مثوى الارواح الشريرة وذوى الآثام ، ومستوى الرغبات ـ وهو يعد مستوى منحط ، ومستوى السمرلاند (أو الارض السعيدة) ـ تذهب اليه الارواح الطيبة الراقية من سكان الارض . ومستوى العقل ، ومستوى التجريد ، ومستوى تقابل الجنسين ـ حيث يمارس الحب الطاهر . ومستوى الاتحاد بين الجنسين ـ وفيه تختفى الخصائص المميزة لكل من الجنسين ... ثم السموات العليا غير المحدودة ، التى تمثل ذروة المجد والنعيم !

وعالم الروح لا يختلف كثيرا عن عالمنا المادى : « ليس كل الارواح يعرف كل شيء ، ومهما بلغت الروح من الرقى والنضج فهى لم تطلع على شيء يذكر من خفايا الكون واسراره . وكلما ازداد رقى الروح كلما ارتفع مكانها من المستويات السبعة ، وصار الاتصال بها أصعب منالا ، فضلا عن أن بعضها يفضل الا يفصح عما يعرفه ! وأساليب الحياة هناك متنوعة بالنسبة لتعدد مستويات الوجود ، واكثر المعلومات مستمدة من المستوى الثالث ، الذى يعد بمثابة مهجر للناس بعد الموت » ...

تقول روح الكاتب البريطانى المشهور ، « سير آرثر كونان دويل »، نقلا عن روح صديقه « سير وليام ستيد » : « لقد وجدت نفسى فى صحبة اثنين من أصدقائى القدامى ، أحدهما والدى الذى جاء ليصحبنى ويطوف بى ـ عالم الخلود ـ وكنت أشعر أننى فى حالة تشبه حالة شخص غريب هبط الى مملكة أجنبية ومعه صديق عزيز يطوف به أنحاءها ... أما لذتنا بالحياة الجديدة فليشوبها أى أسف لفراق أحبائنا الدنيويين ، ولست أقصد انه لم يكن بيننا بائسون ، بالعكس كان عدد البائسين كبيرا ، وما ذلك الا لانهم لم يفهموا التقارب بين الحياتين الاولى والاخرة ... سرت ووالدى ، ولكن شيئا غريبا لفت نظرى ، ذلك أنى شعرت أنى ارتدى ملابس كتلك التى كنت ارتديها فى الدنيا ... كذلك وجدت والدى يرتديا ملابسه كما كنت أراه فى الحياة الدنيا ... وقد ظهر كل شيء امامى عاديا كما كنا فوق سطح الارض ...

لورد نورثكليف



ولقد نظرى شعور بأنى أعيش فى أرض زرقاء !...

• أما حياة الفرد اليومية فتشبه حياته اليومية التى اعتادها فى الدنيا ، ولكنه فى بادىء الامر ـ أى بعد الوفاة مباشرة ـ ينال قسطا وافرا من الراحة ، تمشيا مع عادة النوم الدنيوية ... فنحن وان كان لا ليل عندنا كما هو عندكم ، الا انه لابد لنا من الراحة ... والشخص ـ يقصد الروح ـ منا يشغف بزيارة بعض الارجاء ، ويهتم باكتشاف جهات ومبان اخرى ، ودراسة الحياة الحيوانية والنباتية ، كذلك يكون له أصدقاء عليه أن يبحث عنهم ويزورهم ، وعليه فوق ذلك اشباع ميوله الخاصة بانغماسه فيها !... وعليه كذلك ان يغذى الرغبة التى ولدت فيه حديثا ، وهى رغبة العلم والمعرفة ... أما نظام العمل اليومى هنا فيشبه النظام الدنيوى .

• ولسنا نبعد عن الارض الا قليلا ، ونتيجة ذلك اننا الى الان لم نتخلص من الافكار الدنيوية رغم اكتسابنا بعض الافكار الجديدة ... أما حركة التخلص من تلك الافكار فهى تدريجية . فكلما تقدمت بنا الحياة هنا ، ازدادت معرفتنا بكثير من الامور ، واكتشفنا أن كثيرا من الاشياء التى كنا نظنها ضرورية ، صارت ، علاوة على عدم أهميتها ، عبئا ثقيلا ، وبذلك نميل الى التخلص من عادات الدنيا ومتعلقاتها ... ونحن فى بادىء الامر نشعر بالحرية فى الفكر والعمل ، ولا نكون مقيدين الا ببعض القيود المفروضة ، لا عن طريق القانون ، بل عن طريق الظروف ، أما فيما عدا ذلك فلنا الحرية المطلقة ...

• ... على اننى لم انس اسرتى ولا أصدقائى ، ولكنى اشعر بسعادة عجيبة اذا ذكرتهم ، دون أن اعرف السبب . ثم انى وجدت أن معلوماتى الدنيوية كانت صحيحة ، فجمعت كل قوتى للاتصال بهم ، موقنا انهم كذلك يعتقدون اننى فى حالة طيبة ، وأن تأخرى فى الكتابة لهم كان طبيعيا لظروف انتقالى الى حياة جديدة ... وقد اصبح « المنزل » الذى خصص لهذا العمل هنا ـ أى خصص للاتصال بالانسان على الارض ـ مأوى لى ، أتردد عليه بانتظام منذ اخطرنى به والدى ، فذهبت اليه كثيرا جدا ، وحصلت من مختلف المهيمنين عليه ، على مساعدات كثيرة ... وسمعت من احد « المسئولين » هناك ان مجهودا

إطلالة على عالم الروح

كبيرا قد بذل فى هذا الصدد ، كما ذكر لى أن لديهم عددا وفيرا من الرواد يتصل عملهم بالحياة الدنيا ، ويمكنهم أن يتعرفوا على أولئك الاحياء من أهل الدنيا الذين يمكن استخدامهم فى هذا السبيل ، فيرتبون أسماءهم فى « قوائم » حسب مقدرة كل منهم ، وعندما تأتى الروح التى وصلت حديثا طالبة المعونة ، يستخدم أولئك الوسطاء من أهل الدنيا ... كل حسب قدرته »

وهكذا فانه عن طريق هؤلاء الوسطاء اطلع عالم الحياة على أحوال عالم الارواح ، وبفضلهم ، كما قال عالم الفيزياء « سير أوليفر لودج » فى مؤتمر المجمع العلمى البريطانى « قرب الحد الفاصل بين العالمين المادى والروحى أن ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره » . فلم ينشأ العلم الروحى عن رغبة فى دراسة سر الحياة الانسانية ، بل نشأ عن مجرد دراسة معملية لظواهر تعرف الآن باسم الظواهر الوساطية ، أو فوق العادية ، أو غير المألوفة . وهى ظواهر لا تخضع لأى انسان ، بل أن الوسيط نفسه لا يعلم كيف تحدث ولا متى تحدث أو لماذا تحدث أحيانا ولا تحدث أحيانا أخرى ، وليس لظهور الوساطة سن معينة ، فقد تظهر مبكرة وقد تظهر متأخرة ، وقد تتطور مع الوقت ، وقد تنمو وقد تضعف ، وقد يفقد الوسيط موهبته لسبب لا يعلمه ، وقد تعود اليه هذه الموهبة وقد لا تعود أبدا ... ودور العالم الروحى هو التحقق من حدوثها وتدوين أو تسجيل مشاهداته . وكل ما يملكه الوسيط بشأن هذه الظواهر هو تهيئة الظروف المواتية لتيسير حدوثها ، ومن هذه الظروف : الهدوء ، والتنظيم فى مواعيد معينة ، والمواظبة وأحيانا الظلام التام ، أو الضوء الخافت أو الأحمر ، بالاضافة الى وجود الوسيط أو الوسطاء مجتمعين فى انتظار حدوثها ، وجو من التوافق فى الغرفة ... ويساعد على تحقيقه الصلاة أو الموسيقى الهادئة ، أو الاناشيد .

قالت احدى الارواح : « هناك صعوبات جمة نواجهها قبل التمكن من الاتصال بكم ، فصعوبة اختراق هالة الوسيط ، وصعوبة التحكم فى حواسه وتفكيره ، وصعوبة الهامه ، وصعوبة ايقاعه فى غيبوبة ، وصعوبة سحب مادة الاكتوبلازم من دمه ، وصعوبة ابعاد الموجات الفكرية المعاكسة ، وصعوبة منع المتطفلين من الارواح الجاهلة من الاقتراب والتأثير فى مجرى أعمالنا ، بالاضافة الى صعوبة القضاء على الشعور بالخوف والاضطراب بين الوسيط والمجتمعين معه » .

والظواهر الوساطية اما عقلية واما فيزيقية واما الاثنان معا ، وأهم الظواهر العقلية هى الجلاء البصرى ،

اى رؤية ما لا يمكن للعين العادية ان تراه ، كرؤية اشياء موضوعة داخل علب او مظاريف مقفلة او الكائنات غير المنظورة داخل غرف الجلسات ، والجلاء السمعي ، اى سماع ما لا يمكن للاذن العادية ان تسمعه ، والكتابة التلقائية ، اى ان يكتب الوسيط بخط ليس خطه افكارا ليست افكاره ، وقد تكون بلغة لا يعرفها ، والاعمال الفنية التلقائية ،وتقع بارشاد روح مهيمنة ، وهى كالرسم والنحت والعزف على الات موسيقية بمهارة قد تتجاوز مهارة الوسيط المألوفة ، وطرح الجسد الكوكبي ، وفيها يكون الجسد الكوكبي مطروحا خارج الجسد المادى ، وقد يكون منظورا وقد يمكن تصويره بالاشعة دون الحمراء ، وتفوهات الغيبوبة بصوت الوسيط نفسه ، والتنبؤ الصحيح بأمور مستقبلة ، و « السيكومترى » ، اى قدرة الوسيط على الارشاد الى معلومات صحيحة عن طريق الامساك بسلعة من السلع المملوكة للغير ... وباختصار هو ادراك الوسيط عن غير طريق الحواس .

والظواهر الفيزيقية هي :

● تحريك الاجسام الصلبة بغير وسيلة مادية ، كرفع مائدة في غرفة الجلسات دون وسيلة مادية ، أو رفع الوسيط نفسه الى ابعاد مختلفة او تحريك جسم تحت بصر الموجودين .

● الكتابة المباشرة وفيها يتحرك القلم على الورق تلقائيا وهو فى غير متناول الوسيط ويكتب او يرسم .

● الصوت المباشر ، وهو ظهور صوت مسموع بالاذن العادية متميز تماما عن صوت الوسيط .

● المجلوبات والمأخوذات الروحية .. وهى انتقال الاجسام الصلبة عبر الجدران والابواب المغلقة والعلب المختومة ، وقد يكون الانتقال من مسافات قريبة أو بعيدة .

● العلاج المعجز لامراض شتى جسمية وعصبية استعصى بعضها على وسائل العلاج المألوفة .

● ظهور اضواء مجهولة المصدر ، كثيرا ما تصاحب العلاج الروحى وتتطاير فى جو الغرفة وقد امكن تسجيلها بالكاميرا .

● تغيرات الجو والوسيط تتناول أحيانا درجة الحرارة ، والضغط الجوى ، بل قد تتغير درجة حرارة الوسيط وسرعة نبضه ووزنه ، وربما أوزان بعض الجلساء فضلا عن أوزان بعض الاشياء المادية ، وقد تنبعث أحيانا رائحة نفاذة مجهولة المصدر أو قد يسمع صوت آلة موسيقية مرئية أو غير مرئية .

● ظهور رسوم وكتابات على الالواح الحساسة عن طريق بعض وسطاء نادرين ، باستخدام الكاميرا أو بدونها ، بل بمجرد وضع اللوح الحساس بين يدى الوسيط او على جبهته .

وأغرب الظواهر الفيزيقية اطلاقا

هو انبعاث مادة فريدة فى خصائصها، وفى قابليتها للتشكل والتلون ، هى مادة « الاكتوبلازم » ، وهى مادة جديدة لها أوضاع وألوان متعددة تتراوح بين الابيض والرمادى والاسود ، كما تتراوح كثافتها بين كثافة الضباب أو بخار الماء ، وبين الصلابة التى يمكنها أن ترفع جسما صلبا ثقيلا كالمائدة ، وتكون دائما عند انبعاثها من جسم الوسيط فى شكل ضباب باهت ، ثم تأخذ فى التماسك والتشكل التدريجى بحسب الغرض الذى يستهدفه الكائن أو الكائنات المهيمنة على الجلسة ·

وينبغى أن تنبعث هذه المادة وأن تعود فى ظلام تام أو فى ضوء أحمر باهت ، والا تعرض الوسيط للاذى الجسيم الذى قد يصل الى الموت المباغت ، بسبب صدمة ارتداد « الاكتوبلازم » بغتة فى الجسم ·

وينبعث « الاكتوبلازم » عادة من فتحات الجسم ، خصوصا الفم والانف والاذنين وأحيانا مسام البشرة أو القدمين · وقد أطلق عليها هذا الاسم الدكتور « شارل ريشيه » ، عضو اكاديميتى الطب والعلوم بباريس ، وهى تتكون من مقطعين : « أكتو » ، أى خارج ، و « بلازم » ، أى مصل الدم ، وذلك لانها تنتزع من مصل الدم ومن خلايا الجسم بوسائل لايزال يجهلها العلم المادى · وقد أمكن تصوير هذه المادة ، وكذلك اتضح من تحليلها أنها تحتوى على كلوريد الصوديوم وفوسفات الكالسيوم !

و « الاكتوبلازم » هو الوسيلة المألوفة للتجسد ، وهو من أندر الظواهر الروحية ، وله عدة صور ، ويتفاوت فى مقدار وضوحه ، وقد يكون جزئيا وقد يكون كليا ···



ادجار والاس

● لورد بريطانى يؤكد : هناك أرواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة أشعة «إكس»

تتجسد الروح وجهها او يدها او قدمها او تتجسد كلها كما كانت على قيد الحياة الارضية ... وقد تتحدث الى الموجودين بصوتها المعروف لديهم .

واشهر تجسيد من هذا النوع قامت به الوسيطة الامريكية « مارجرى » ، عقيلة الدكتور « كراندون » ، استاذ الجراحة بجامعة « هارفارد » . وهى الوسيطة التى توصف بانها العجيبة الثامنة فى العالم . وكانت «مارجرى» توضع داخل صندوق كبير محكم الغلق لا يبرز منه سوى راسها ويديها ، ويمسك باحدى اليدين احد العلماء وباليد الاخرى « هوديني » الساحر المشهور ، لكشف اى خداع منها . ومع ذلك صمدت ونجحت تجاربها فى تجسيد يد حية لروح شقيقها « والتر ستنسون » الذى كان قد توفى فى حادث قطار ، وصنع لليد قالب من الجبس ، والتقطت لها حوالى ٧٠ بصمة ، اتضح انها مطابقة تماما لبصمات يد المتوفى !

وقد طافت مارجرى اوروبا وامريكا واجرى عليها اشهر علماء القارتين اقسى التجارب العلمية ، فاجتازت الوسيطة جميع الاختبارات بنجاح تام !.

وبلى « مارجرى » فى الشهرة ، الوسيط البولندى « فرانك كلاسكى » الذى امكن بفضله تشكيل (الاكتوبلازم) على شكل جندى مسلح ، ونسر ضخم يطير فوق راسه !.. وبفضل هذا الوسيط امكن صنع قوالب رقيقة جدا من شمع البرافين لاعضاء متجسدة فضلا عن دقتها التى تعيى احسن التالين ... مع عجز العلماء التام عن تفسير كيفية خروج الايدى من القوالب الرقيقة دون ان تتحطم !

غير انه للتجسد الروحى اساليب اخرى غير « الاكتوبلازم » . هناك تجسد حر لا يحتاج الى وسيط « الاكتوبلازم » ، ويكون بفعل ارادى من الروح ، متى كانت ظروفها مواتية مع ظروف الجلسة والجلساء . ويمكن ان يشترك فى مشاهدته جميع الموجودين فى الغرفة لان الروح تبدو ملموسة . وهناك التجسد الاثيرى وهو لا يدوم الا للحظة قصيرة ، وتبدو فيه الروح على شكل طيف عابر او شبح غير واضح المعالم ، ولا يمكن ان يظهر فى الصورة الا فى حضور وسيط خاص للتصوير الروحى ، وهناك اخيرا التجسد خلال راس الوسيط ، وفيه يتغير وجهه ويصبح كوجه الشخص المتوفى ، ويمكن اثباته بالصور عن طريق كاميرا مزودة بجهاز للاشعة تحت الحمراء



إطلالة على عالم الروح

ووسطاء علم الروح ووسيطاته هم رواد هذا العلم وبناته ، وهناك قائمة طويلة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر العالم السويدي « عمانويل سويدنبرج » الذى تعد كتبه من أهم مراجع هذا العلم ، وكاتب الحكمة الامريكى « اندرو جاكسون دافيز » الذى الف ثمانية مجلدات فى مبادىء الطبيعة فضلا عن كتب الفلسفة وعلم الروح ، والمزارع الامريكى « هدسون تاتل » ، وله عدد وافر من المؤلفات العميقة رغم مستواه الثقافى المتواضع ، و « وليام اجلنتون » ، والاخوة النمسويين « ويلى ورودى شنيدر » ، و « جاك ويبر » ، و « كارلو ايللى » ... من الرجال ، و « فلورنس كوك » ، و « اسابيا بلاديلو » ، ومدام « ديسبرانس » ، و « أدا ايمادين » ... من النساء .

وعلى يد هؤلاء بهر العالم بسلسلة من الظواهر الخارقة ، مثل تغيرات أوزان الاجسام ، وتحرك الاشياء والادميين بدون ملامسة ، والظهور المضيء والكتابة المباشرة ــ أى بمعرفة الروح !

يقول العالم « كروكس » عن تجسد أيد رآها : « رأيت غيما كثيفا يأخذ شكلا ما ويتحول الى يد كاملة ، وعندئذ كان فى مقدور جميع الموجودين أن يروا هذه اليد ... نابضة بالحياة وانيقة ، فالاصابع تتحرك ، واللحم يبدو انسانيا كلحم كل انسان عادى ، ولكن يصبح شكلها عند الرسغ أو عند الذراع بخاريا ، ويضيع فى غيمة مضيئة . وعند اللمس تبدو هذه الايدى باردة كالثلج ولا حياة فيها ، ولكنها فى احيان أخرى بدت لى دافئة وحية . وقد ضغطت على يدى بحرارة كما لو كانت صديقا قديما يصافحنى . وقد امسكت يدا من هذه الايدى مصمما على الا أدعها تفلت منى ، ولم اقابل اية محاولة أو أى جهد للافلات ... ولكن بدت لى هذه اليد وقد ذابت تدريجيا وتحللت الى بخار ، وبهذه الطريقة افلتت من ضغط قبضتى » !

وعن الكتابة المباشرة يقول : « فى حضور الوسيط وضعت أوراق ومعها قلم رصاص على المنضدة ، فارتفع القلم واتجه تلقائيا نحو الورق بقفزات غير مستقرة ثم سقط ، ثم استقام وسقط ثانية ، وكرر نفس العمل مرة ثالثة ، وبعد هذه المحاولات اليائسة ، انزلقت مسطرة خشبية نحو القلم ، وارتفعت تلقائيا الى ارتفاع بضعة بوصات من المنضدة ، وارتفع معها القلم من جديد واستند على المسطرة وقاما معا بمجهود مشترك للكتابة على الورقة . وبعد ثلاث محاولات عادت المسطرة الى مكانها تاركة القلم .. ونزل القلم على الورقة وكتب الرسالة الاتية : « لقد حاولنا ان نرضى رغبتكم ، ولكن هذا فوق قدرتنا » !

غير ان اغرب تجسد للروح تم على يد الوسيطة « فلورنس كوك » ، التي تجسدت في حضورها روح « كاتي كينج » التي كانت تعيش على الارض تحت اسم « آني اوين مورجان » في جزيرة جامايكا في عهد الملك شارل الاول ، والتي انجبت طفلين وماتت في سن مبكرة ... وقد ذكرت الروح « كاتي » معالم كثيرة من الجزيرة تحقق العالم « كروكس » من صحتها . وقد التقط « كروكس » للروح عدة صور ، وكانت فيها متجسدة تجسدا كاملا ... « كان بمقدور الجميع ان يروا الوسيطة - فلورنس كوك - في غيبوبتها وقد غطى وجهها بنقاب احمر لحمايتها من الضوء ، وكانت «كاتي» واقفة امام الحاضرين تتحدث عن قرب رحيلها ، وتقبلت باقة من الورد قدمها لها احد الحاضرين ، كما قدم اليها السير « كروكس » بعضا من ازهار الزنبق ربط بعضها بالبعض الاخر ، فطلبت « كاتي » ان تفك الباقة وتنثر الازهار على الحاضرين . كما كتبت خطابات وداع الى بعض الجالسين ... ثم حررت خطابا لوسيطتها واختارت لها برعم زهرة كهدية للفراق ، ثم امسكت بمقص وقصت خصلة من شعرها وأعطت الجميع كمية منه . ثم امسكت بذراع « كوكس » واخذت تتجول معه في انحاء الغرفة مصافحة أيدي الجميع الى أن عادت الى مكانها وقصت قطعا عديدة من فستانها وتقابيها واهدتها للحاضرين ، فسالوها عما اذا كانت تستطيع ان تصلح من التلف الذى اصاب الفستان ... فعرت جزءا مقطوعا من فستانها وضربت بيدها عليه ، وفي الحال عاد الجزء سليما كما كان » ؟

ووصف « كروكس » تجربة اجراها بنفسه على الروح « آني » قال : « ولتفكيرى بانه اذا لم تكن هذه التي تقف الى جوارى روح ، فهي على الاقل سيدة ، فقد طلبت اليها ان تسمح لى بان آخذها بين ذراعي ، حتى اتمكن من تحقيق الملحوظات الهامة التي عبر عنها بأحث جرئ ... وقد سمحت لى بذلك متلطفة ، فقمت بالتنفيذ بطريقة مناسبة ... وبذلك تمكنت من التحقق من ان الشبح الذى لم يبد أى مقاومة ، كان كائنا ماديا كالانسة كوك - الوسيطة - نفسها » !

ولعل العلاج الروحي هو أعجب هذه الظواهر جميعا ، وقد عالجه مارشال الطيران البريطاني « لورد دودنج » ، في الفصل الثامن من كتابه « بوابة الجثث » ، فقد ذكر ان الارواح تعالج المرضى باساليب متعددة هي :

- شفاء عن طريق صلاة المريض وابتهاله الى الله ، وقد شاهد ذوى الجلاء البصرى في تلك الجلسات وسائل غير منظورة تمتد لمباركة جمهور المصلين .

- ارواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة أشعة اكس !

- ارواح تشخص المرض ، ثم تترك العلاج للطب البشرى العادى .

- ارواح تشخص المرض ، ثم يتولى الوسيط العلاج بلمسات اليد أو بحركات أخرى .

● أرواح تشخص المرض ثم تعطى وصفة علاجية من الصيدلية .

● أرواح تشخص المرض ثم تتولى هي العلاج بالاضواء والالوان .

● علاج « غيابى » يتم بعلم المريض والطبيب المعالج أو بدون علمهما .

● علاج « غيابى » يزور فيه الوسيط - وهو فى جسده الاثيرى ، المريض .

● علاج عن طريق مياه محملة بسيالات روحية .

● علاج تتولاه أرواح متجسدة ، باجهزة طبية بشرية !

ومن هذا القبيل ما رواه الجراح البرازيلى « متى براسيلار » ، قال : « فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ اتجهت الى انربيدس برادو ، لاشاهد عملية فتح خراج لطفل بواسطة طبيب من عالم الروح ، وكانت الوسيطة هى السيدة « أنا برادو » ، وتقدمت الى الطفل فلمسته قبل العملية ، وتبينت ان هناك خراجا تحت ابطه الايسر ، وكان لابد لاجراء العملية من الانتظار ثلاثة ايام لعلاج الالتهاب : موضع الخراج . وفى التاسعة من مساء تلك اليوم دخلت الوسيطة الى الغرفة المظلمة ، وجلس الحاضرون متشابكى الايدى ، وجلس الطفل بجوارهم بعد أن كشف عن ذراعه اليسرى ... وبعد نصف ساعة تجسد وجهان ، احدهما لروح تسمى « جواو » وثانيهما لروح مجهولة تقدمت نحو المقعد الذى يجلس عليه الطفل ، ثم اصبح جسد « جواو » اكثر وضوحا فلمست أصابعه ، وأخيرا ظهر شبح كامل تقدم ناحية المريض .

إطلالة على عالم الروح



وانحنى عليه بطريقة شخص يجرى عملية . وانتهت العملية بعد ٣٠ دقيقة . فانسحب الشبح واختفى ، واخبرنا بفم الوسيط بانه لم يفتح الخراج اكثر مما فتحه حتى يوفر على المريض ألما أشد وطأة ، وأن العملية تعد على هذا النحو كافية كي تؤدى للشفاء العاجل . ثم قال : « ان الصغير لن يشعر بأى ألم بعد الان » ... ثم اضيئت الغرفة . ولدهشتى تبينت أن المريض يمسك بمنديل ملوث بالدم والصديد ... وقد أحس الطفل بحدوث التدخل الجراحى ، ولكن انه كان محتملا بحيث لم نسمع أنينا خلال العملية » !

ونشرت صحيفة « دياريو داتوارث » البرازيلية خبرا يقول أن مريضا ايطاليا يدعى « أندريار دى برناردى » .. يعمل فى صناعة الصلب بايطاليا، أجرت له الارواح عملية ازالة الزائدة الدودية ، بعد تجسدها ، وكان ذلك فى غرفة مغلقة ومختومة بالشمع ، وكان ينتظر الى جوارها أحد عشر شخصا ، منهم ثلاثة من الاطباء - المنكرين للروحية - اصابهم الذهول مما تحققوا منه بأنفسهم قبل الجراحة وبعدها ، من استئصال الزائدة الدودية للمريض ووضعها فى وعاء للكحول ! وقد شهدوا بانه لايمكن لغير جراح ماهر جدا أن يقوم بمثل هذه الجراحة ... حتى ولو كانت الغرفة مضاءة !

وتتصدى الارواح للجنون ، سئلت الروح المسماة « الشعاع الابيض » : لماذا يصاب الناس بالجنون ،فأجابت : « يرجع ذلك أحيانا الى الوراثة ، وأحيانا أخرى الى أمراض مختلفة ، أو الى اصابات فى المخ ... هذا فضلا عن الافراد الموهوبين بموهبة وساطية عالية ، ولكنهم لا ينمونها ، اما لجهلهم بالطريقة اللازمة لذلك واما لاهمالهم اياها ، ولذا لا يتيحون لحلفائهم من المناطق العليا - بعض الارواح - أن يحصنوا لهم ذلك الباب المفتوح - يقصد باب الوساطة - فيصابون بالمس من روح شريرة - اى أن تلج روح شريرة باب أجسادهم - وأنتم لا تعرفون كيف تحمون أنفسكم من أولئك الذين لهم عقليات منحطة أو ادراك ناقص فى عالم الروح ، فتبقون « أبوابكم » مفتوحة ، معرضة لجميع اللصوص غير المنظورين ، الذين قد يغدون عليكم ويتلفون عقولكم » !

وسئلت نفس الروح : « ماذا يحدث للمصابين عقليا عندما ينتقلون اليكم ؟ » فأجابت : « عندما يأتون الينا سيجدون رعاية خاصة ، لان لدينا لكل نوع من الارواح مساكن خاصة لاعداد أصحابها للائمة الحياة الجديدة ، وهناك يوزعون على اقسام مختلفة ، فيوضع المصابون بأمراض عقلية فى قسم خاص ، والمصابون بمس من روح شريرة فى قسم آخر . والمصابون بالمس يمثلون أصعب الحالات ، لانهم كثيرا ما يرتبطون بالارواح التى اختلطت هالاتها بهم ، ومع انه لا يمكن الجمع بين تلك الارواح بالحب او بأى رباط آخر ، الا انها تبقى معا فى المستوى المظلم » !

و « الشعاع الابيض » يقودنا الى عباقرة الروح الذين ذاعت شهرتهم فى عالمنا هذا ... والشعاع الابيض واحد منهم ، وهناك آخرون : الشجرة الفضية ، والنسر الابيض ، والصقر الابيض ، وطريق القمر ، والابراج ، وشجرة الصبر ، وأجاشا - وغيرهم والى هؤلاء العباقرة يرجع الفضل فى سيل من المؤلفات تتسم بسعة الافق ،

إطلالة على عالم الروح

وتنبض بالفلسفة الحية ، وعمق الحكمة ... الروح المسمى بالنسر الابيض اصبحت له دار نشر خاصة ، وعن طريق وسيطته المفضلة « جريس كوك » ، نشر عددا لا يحصى من الكتب فضلا عن صحيفة « ستيلا بولاريس » الشهرية التى لاتزال تصدر منذ ربع قرن !

وهكذا ، ومن العالمالاخر ، صدرت كتب عن « لورد نور ثكليف » ، و« جيروم » ، و « كونراد » ، و « جاك لندن » ، و « ادجار والاس » ، و « أوسكار وايلد » ، و « وليام ستيد » ، و « أرثر كونان دويل » ... بل أن روح الكاتب الانجليزى المشهور « تشارلس ديكنز » ، الذى توفى فى ٨ يوليو سنة ١٨٧٠ قبل أن يتم روايته الاخيرة « لغز ادوين دروود » ، أتمتها روحه بين عامى ١٨٧٢ و ١٨٧٣ عن طريق الكتابة التلقائية فى ١٢٠٠ صفحة ، بفضل الوسيط الامريكى « ت.ب. جيمس » ونشرت فى سنة ١٨٧٤ !

وبين يدى رئيس تحرير هذه المجلة ، الاستاذ الشاعر صالح جودت ، ديوان شعر كامل اصدرته روح امير الشعراء احمد شوقى من العالم الاخر ، واذا علمنا أنالاستاذ صالح جودت يعد مرجعا واسعا فى شعر شوقى وخصائصه ، فلا شك أن القارىء يتحرق شوقا الى رأيه فىذلك الديوان ...

* * *

ولعالم الروح تفسيرات طريفة لطائفة من الغاز الحياة ...

التفسير الروحى للنوم مثلا أنه ارتفاع فى اهتزاز الجسد الاثيرى ، ليستريح الى حين من اهتزاز الجسد المادى المنخفض ، والمختلف عن طبيعته ، الذى يفرضه عليه التصاقه بهذا الجسد فى ساعات اليقظة ... وأثناء النوم ، وبسبب اقتراب اهتزاز الجسد الاثيرى – الى حد ما – من اهتزاز عالم الروح ، يختلف حكم حواس النائم على الزمان والمكان ، عن حكمها أثناء اليقظة ، فتحدث الاحلام ، وفيها يحتمل الاتصال ببعض أرواح الموتى ، ويحتمل حدوث أحلام صادقة عن حوادث قد تقع فى المستقبل ، بسبب امكان الادراك الرباعى الابعاد ، عن هواجس العقل الباطن وهواتف الرغبات المكبوتة !

والقيامة فى رأى الروحيين – والارواح – هى لحظة الوفاة ، حين تتخلص الروح من قيدالجسد ، وتنطلق حرة طليقة فى الفضاء ... أما العذاب فى الاخرة ، فمن المسلم به أن الروح تتحمل نتائج رذائلها أثناءحياة الجسد ، وسعادتها وشقاءها ، وكل رذيلة هى بذاتها مصدر لعذابالروح ، وبقدر عدد الرذائل يكون العذاب . وكل معصية ارتكبت فى الحياة الدنيا هى فى الاخرة دين يستحق الاداء · ومدة العقاب تتوقف على تقدم الروح

الائمة فى التكفير عن اثامها ، وتوقف الروح عن التقدم فى التكفير يؤلمها ، وفى الالم قصاص ٠ والارواح البعيدة عن الكمال تظل بعيدة عن المناطق العالية حتى لا تفسد تناسقها ، وهذه ايضا عقوبة مؤلمة ، لذلك تحاول الروح أن تتخلص من نقائصها او تكفر عنها ، حتى تستحق الانتقال الى عالم أرقى ...

***

روح المنتحر مثلا تظل سجينة القبر حتى يستوفى الجسد حظه المكتوب من الحياة ، وروح السفاح تظل غارقة فى دوار المادة الجسدية وهى فى مستوى الجحيم أو الحياة البائسة ، حتى تكفر عن اثامها الدنيوية ... وقد تضطر الروح التى فاضت اثامها الى العودة الى الارض ، وترتدى جسداً جديدا لتكفر عن اثام الحياة الاولى — وهو رأى روحى يعود الى مبادىء تناسخ الارواح المعروفة ٠

سئلت روح الشاعر الفرنسى « فيكتور هيجو » ، عن العقوبة التى ترى هذه الروح توقيعها على المسئول عن الحرب العالمية الاولى ، بحيث تكون هذه العقوبة اشد ايلاما من عقوبة الموت ... فاجابت قائلة : « عقوبة الحياة » !

جمال الأرواح

« خلق الله الارواح من بين الجمال والبهاء ، فلولا ان سترها ، لسجد لها كل كافر »

الواسطى

حول عرابي

اسمحوا لى ان اعارض قصيدة شوقى التى اوردتموها فى عدد الهلال الخاص بذكر الثورة العرابية ، والتى مطلعها :

صغار فى الذهاب وفى الاياب
اهذا كل شأنك يا عرابى

فاقول :

فخار فى الذهاب وفى الاياب
فانت فريد عصرك يا عرابى
ذهبت الى « سر نديب » شجاعا
وعدت لمصر مرهوب الجناب

محمد الهوارى

■ صالح جودت ■


اديث بياف
عالجتها الارواح

لى حكايات طويلة مع الارواح .. حكايات قرأتها .. او سمعتها او عاشرتها .. او عانيتها .. او جعلنى القدر جزءا منها على غير قصد . وكان بعض ذلك فى مصر وبعضه الاخر فى الخارج . ولو ضعف خيالى امام هذه الحكايات لكان ممكنا ان يستغرقنى عالم الارواح الى حد الدروشة ولكننى كنت افيق من كل حكاية على صوت الايمان ، وعلى ضوء الاية الكريمة التى تهتف فى ضمائرنا دائما ان الروح من امر الله ، فهى لا تأتمر بأمر البشر .

إلا ..... قليلا !


محمد فتحى
كروان الاذاعة

وأول هـذه الحكايات ، حكاية قديمة ، جرت منذ نحو ربع قرن ، وأنا يومئذ في أول الشباب ، أعمل مراقبا للبرامج الثقافية بالاذاعة المصرية .

كانت بالقاهرة يومئذ جمعية روحية ، يرأسها أستاذ جامعي بكلية العلوم ، هو المرحوم الاستاذ أحمد فهمي ابو الخير .

وكنت أعرفه عن طريق الاذاعة ، اذ كان يقدم بعض الاحاديث عن العلوم بين الحين والحين .

وكان كثيرا ما يحدثني عن الارواح ، واستحضار الارواح ، والعلاج بالارواح ، فلا يستهويني هذا الحديث في كثير ولا في قليل .

الى أن عرف عني يوما أنني مفتون بالغناء العربي القديم ، فجاءني يقول لي :

ـ هل تحب ان تسمع المغنية القديمة الراحلة « ألمظ » ... زوجة عبده الحامولي ... تغني ؟ انني ساستحضر روحها الليلة ... واني لادعوك الى سماعها اذا شئت ، أنت ومن تحب من الاصدقاء .

واستهوتني الفكرة .. .

وذهبت ، واصطحبت معي صديقين ، هما الاذاعي الكبير العريق محمد فتحي ـ الذي كان يسمى يومئذ « كروان الاذاعة » لعذوبة نبراته في الميكروفون ـ والنجم السينمائي الراحل أنور وجدي .

وجلسنا ، ومعنا آخرون ، في غرفة متسعة ...

واطفئا للضوء ، وفي الظلام الدامس سمعنا همهمة غريبة كأصوات العفاريت كما تمثلها الاساطير ، فلم نهتز طبعا ، لاننا ، كاذاعيين ، كنا خبراء بالأفراح الصوتية التي نقدمها في مختلف البرامج والتمثيليات بالاذاعة .

ثم بدأت نغمة بشرية ، بدأنا بعدها نسمع أغنية قديمة من أغاني الفولكلور .. بصوت نسائي .

وأرهفت السمع ... وما لبثت ان عرفت ان معدن صوت هـذه المغنية ليس غريبا على اذني ... ثم مالبثت أن تأكدت ان هذا الصوت هو صوت مغنية كانت ناشئة يومئذ ، وكان لها صوت طيب ، وكانت هي الاخرى شابة طيبة ، فيها شيء من الدروشة ، وطالما سمعنا عنها أنها مشغولة بحكاية الارواح ، اسمها منيحة عبد الحليم .

وفي الظلام الدامس ، وبينما هي مستطردة في الغناء ، همست في اذن محمد فتحي متسائلا :

ـ أليس هذا صوت منيحة عبد الحليم ؟

وشعرت بمحمد فتحي وكأنما هو ينتفض في الظلام ، ليفيق مما نحن فيه ، ثم يقول لي :

ـ اي والله ... انت على حق !

ولما انتهت الاغنية ، وساد الهدوء ، واضيء نور الغرفة ، لم نر المغنية بالطبع ، ولكننا رأينا الاستاذ أحمد فهمي أبو الخير يسألنا :

ـ ما رأيكم في صوت « ألمظ » ؟

فضحكت ، وقلت له :

ـ عيب يا أستاذ أن تكون اذاعيين ، ولا نعرف الاصوات التي

تقدمها للناس فى الميكروفون ٠٠ هذا ليس صوت « الظ » ٠ انه صوت مديحة عبد الحليم ، واذا اذنت لى ان افتش الشقة التى نحن فيها على الفور ، فاننى واثق أننى ساجد مديحة عبد الحليم فى مكان منها ٠

ت.سقط فى يد الرجل ، وطاطا قائلا :

ــ نعم ٠٠٠ انه صوت مديحة عبد الحليم ٠٠٠ التى حلت فيها روح « الظ » وهى تغنى ٠

وضحكنا ، وانصرفنا ٠

***

وشعرت منذ ذلك اليوم أن هذا الرجل الذى حاول أن يسخر منا ، يسخر من الناس السذج البسطاء ، ويجمع حوله بطانة كبيرة منهم ، ويقيم جمعية واسعة الانتشار ، كثيرة الاعضاء لها مجلة تجمع الاشتراكات من هؤلاء الاعضاء فى كل أنحاء القطر ، وهو يسيطر على هؤلاء الاعضاء ، عن طريق مثل هذه الجلسات ، وعن طريق ما تنشره المجلة ، سيطرة روحية رهيبة ، وكان يرتكب ، عن طريق مجلته هذه ، جريمتين جسيمتين ، احداهما علمية ، والاخرى ادبية ٠

أما الاولى ، فهى أن المجلة جعلت تبشر الناس بعلاج الامراض المستعصية ، التى يحار فيها نطس الاطباء ، بوساطة الارواح ٠٠٠ وما على المريض الا أن يرسل اسمه وعنوانه ونوع المرض الذى يعانيه ، مع حوالة بريدية بقيمة الاشتراك فى المجلة (وهذا هو بيت القصيد) ٠٠٠ ثم يبقى فى مكانه ، وستعالجه الارواح وهو قابع فى عقر داره !

ووقع الكثيرون من المرضى المساكين فى الشرك بطبيعة الحال ، ولا يعلم مصيرهم الا الله ، ولكن الذى أعلمه ان نقابة الاطباء ووزارة الصحة لم تحركا ساكنا فى ذلك الوقت بازاء هذه الجريمة النكراء !

اما الجريمة الادبية ، فهى أن المجلة جعلت تنشر قصائد منسوبة الى روح امير الشعراء ، وتزعم أن روح امير الشعراء تملى من الاخرة هذه القصائد على سيدة طيبة ، قليلة الحظ من العلم ٠ وقد كثرت هذه القصائد « العفاريتى » وتجاوزت حدود الشعر الغنائى الى الاعمال المسرحية ، فاذا بروح شوقى تهبط على هذه السيدة بمسرحية شعرية كاملة !

وهذا هو الشعر الذى صدقه صديقنا الدكتور رءوف عبيد ، وآمن به ، وخصص له اكثر من فصل فى موسوعته الضخمة « الانسان روح لا جسد » التى استعرضناها فى احد مقالات هذا العدد ، متحفظين فى تقديمها للقراء ٠

ومع احترامنا للعمل الضخم الذى قدمه الدكتور رءوف عبيد ، وتقديرنا

..... إلا قليلا !

عزيز اباظة
روح امير الشعراء



للجهد العظيم الذى امتــد الى الفى صفحة من البحث الواسع ، فاننـــا لا نستطيع ان نتقبل الكثير من وقائع هذه الموسوعة فى سهولة ويسر .

وفى طليعـــة ما لا نستطيع ان نتقبله من هذه الموسوعة ، هذا الشعر المنسوب الى روح امير الشعراء .

وعلى الرغم من ان الدكتور رءوف عبيد قد اجهد نفسه فى تاكيد نسبة هذا الشعر الى روح امير الشعراء ، وجـــاء بشهادات من بعض كبـــار الادباء ، وفى طليعتهم الاســـــاتذة عزيز اباظة ، وعلى الجندى ، وعادل الغضبان ، وبدوى طبانة وغيرهم ، وان كان بعضهم قـــد تحفظ بعض الشىء ، وساق نمـــاذج من السقطات التى لا يمكن ان يقع فيها شاعر ضخم كشوقى ... اقول على الرغم مـــن هذه الشهادات ، فاننى اؤكد ان النظر الطويل الى هذه القصائد ، الـــذى شاركنى فيه صديقى الشـــاعر الكبير احمد رامى ، قد اكد لنا نحن الاثنين ان هذا الشعر لا يرقى الى مســـتوى شوقى ، ولا يمكن ان يكون له ، وكل ما هناك ، انه من صنع مقلد كبير ، محسن للنظر فى شعر شوقى ، حافظ لالفاظه وتعبيراته ، ضيع جهد حياته فى نسج خيوط هذه الاكذوبة الكبيرة التى كم اخشى ان تنطلى على التاريخ، وتتداخل فى الصحيح من الشوقيات، على غرار ما صنع المرحوم محمـــد مصطفى حمام ، اذ كان خير من يقلد انفاس الشعراء والزجالين ، وقـــد نظم كثيرا من الازجـــال والمواويل ، ونسبها الى بيرم التونسى ، كما نظم كثيرا من القصـــــائد ، ونسبها الى شوقى والعقـــــاد وناجى وعلى طه وغيرهم ، وكان يتندر بها فى مجالس الليل ، زاعما انه يحفظ للزجـــالين



احمد رامى .. لم
يعترف بشعر الروح

والشعراء ما لا يحفظه اى راوية سواه ... ويبهر الساهرون بها ، دون ان يدركوا انها من صنعه !

***

ولى مع ابى الخير ، غفر الله له ، واقعة اخرى ، خلاصتها ان الاستاذ الاثرى الكبير الدكتور احمد فخرى ، اهتدى ذات يوم الى كشف اثرى كبير، اثار اهتماما بالغـــا فى حينه ، وهو الكشف عن معبد هرم دهشور .

وكانت لى فى ذلك الحين اهتمامات عميقـــة بالاثار المصرية ، من طول صحبتى للدكتور فخرى ، الذى طالما حدثنى فى سهراتنا بصومعته العلمية وراء الهـــرم الثـــانى عن حلمه باستكشاف معبد هرم دهشور . وكانت له فى هذا الصدد فكرة راسخة قائمة على اساس علمى ، هو ان الفراعنة ، من بناة الاهرام ، قد درجوا عـــلى بناء معبد فى الجانب الشرقى من كل هرم ... هذه هى النظرية التى اثبتها اكثر من معبد جنائزى من المعـــابد المستكشفة من قبل ، وعلى هـــذا ،

فلابد أن يكون لهرم دهشور معبـــد جنائزى .

فلما واتته الفرصة ، حفر فى منطقة سقارة ، شرقى هـــرم دهشور ... وسرعان ما كشف عن طريق سردابى ممتد نحو الشرق ، ظل يطهره ويتبعه حتى وصل فى النهاية الى استكشاف المعبد الجنائزى .

وما كادت الصحف تطلع بنبأ هذا الكشف ، حتى بعث الاستاذ ابو الخير الى الصحف ببيان يقول فيه انه هو الذى استكشف المعبد ، لا الدكتور فخرى ، عن طريق وسيط رومانى كان معه ، بوساطة الارواح !

وجن جنونى ، لاننى كنت قـــد عاشرت فكرة وجود المعبـد قبـــل استكشافه بعدة سنوات ، وتابعت حلم الدكتور فخرى عاما بعد عام حتى تحقق علميا ، فكيف يحاول الرجل ان يسرق النصر من العلم ؟

هنا ... وجدت الفرصة سـانحة لآخذ من ابى الخير ثار الافتراء على شوقى ، وثار الاستخفاف بنـــا فى

..... إلا قليلا !

الدكتور احمد فخرى
مكتشف المعبد الجنائزى



حكاية « الكنز » !

وذهبت مع اجهـزة الاذاعة ـ اذ كنت لا ازال بالاذاعة ـ الى منطقـة سقارة ، واجريت تحقيقا اذاعيـــا واسعا مع العاملين فى المنطقة ، من مهندسين والريس ومصورين وعمـال .. واثبتت رواياتهم جميعا ان ابا الخير جاء ومعه احـد الخواجات ، واتجها الى غربى الهرم ـ لا شرقيه ـ مســافة طويلة ثم اشارا الى بقعة معينة ، زاعما ان فيها كنزا (لا معبدا)

وحفر العمال ...وحفروا وحفروا، ... ولم يجدوا غير الرمال !

واذعت الحـكاية ، ونشرتها فى الصحف ، وطالبت الدولة ان تحمى العلم من الدجـل ، لانه اذا كان فى استطاعة الارواح ان تكشف عن الاثار ... فما اسهل التنقيب ... وماعلينا الا ان نغلق مصلحة الاثار ، ونوفر على الخزانة الاموال المرصودةللبحث العلمى والتنقيب ، ونكتفى باستحضار الارواح للكشف عن اثار الاقدمين .

وتحديت ابا الخير ان يكشف عن اثر واحد ... ولو جعران صغير ..

فاجاب بانه يستطيع ، لو وجـد الوسيط القوى ، واضاف ان وسيطه القوى ، الرومانى ، قـد سافر الى جهة مجهولة ولم يعد !

وعدت اتحـــداه ان يقصف قلمى بوساطة الارواح ليمنعنى من الكتابة اذا كان صادقا فى مزاعمه ... فلم يجب ... الى ان ذهب الى رحمـــة الله ومغفرته الواسعة التى تشـمل التائبين النادمين .

وقد امرت الدولة باغـــلاق ابواب جمعيته ومجلتها منـذ اعوام قليلة ، والحمد لله .

***

جعلت عنوان هذا المقال : الا قليلا

اقتبسته من الآية الكريمة التى تقول فى مجال الروح « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ولهذا اقول ـ كما قلت فى « كلمة الهلال » بصدد هذا العدد ـ أنه لا يجوز لنا أن نخوض فى حديث الروح الا فى حدود القليل الذى أذن الله سبحانه وتعالى لنا به .

على أن هذا القليل يختلف من انسان الى انسان ، فالعلم الذى يؤتيه الله للعالم ، قليله اكثر من كل ما يعلم الجاهلون .

كما أن القليل من العلم الذى يؤتاه عالم الدين ، يختلف فى جوهره عن القليل من العلم الذى يؤتاه عالم الذرة ، وهذا وذاك يختلفان عن القليل من العلم الذى يؤتاه عالم الزراعة ، او الكيمياء ، او الكهرباء ، او الطب ، او الجيولوجيا ، او الفلك .. وكل هذه علوم تمس دراسة الروح ، ولكن الله اتى كل عالم من هؤلاء العلماء قليلا من العلم عن الروح ، وكل قليل عند الواحد منهم ، يختلف فى جوهره عن القليل الذى عند الاخر ، بحيث قد يتناقض الواحد منهم مع الاخر ، فى حدود الايمان ، دون أن يدرك كل منهم أن الاخر على حق ، وأن الحق أولى أن يتبع ، وانه لو صح عزمنا على البحث فى أمر الروح ، دون أن نتجاوز حدود الله ، لعقدنا مجلسا روحيا من جماع هؤلاء العلماء ، تكون له مؤتمرات تبحث فى أمر الروح ، يطرح فيها كل منهم القليل الذى عنده ، وتضاف هذه « القلائل » جميعا لتهدى الناس بأمور علمية قاطعة فى شأن الروح ، حماية لهم من الدجل والشعوذة .

اقول هذا ، لاننى ـ انا وغيرى ـ نقف فى كثير من الاحيان حائرين أمام مشاهد وظواهر وخوارق من الجلاء البصرى ، يحار فيها الفكر البشرى ، واذكر اننا فى رواق الحكيم ، الذى ينعقد فى ردهة فندق سميراميس بالقاهرة كل يوم جمعة ، وقوامه الاستاذ توفيق الحكيم ، والدكتور حسين فوزى ، والدكتور مصطفى الفلكى ، والاستاذ مصطفى مرعى المحامى ، والاستاذ يوسف وهبى ، وبعض اعلام الشعر والادب والطب والفن ... أعنى أننا زمرة لا يجوز أن تتهم بالسذاجة أو السطحية ... كثيرا ما نتذاكر وقائع وقعت لنا أو لغيرنا ، هى فى الواقع اقرب الى الخوارق الخارجة عن حدود الامور الطبيعية .

سمعنا فى الرواق حكايات كثيرة عن اشخاص يمسون موضع الداء عند المريض فيشفى ... وعن أشخاص اذا طلب منهم أى شىء مادى بعيد عن متناول أيديهم ، مدوا أيديهم فى الهواء فأتوا به ... دون أن نجد لهذه الظواهر تعليلا !

ورويت لهم واقعة وقعت لى شخصيا فى أول يوم ذهبت فيه الى امريكا سنة ١٩٥٩

كنت قد ذهبت مع ثلاثين من كتاب العالم ، للاعداد لدرجة علمية فى دراسة منظمات الامم المتحدة ، بمقر الامم المتحدة بنيويورك .

وفى اليوم الاول ، ذهبت مع صديقى الكاتب السودانى محجوب صالح الى بنك الامم المتحدة ، الذى يقع فى قاعة فسيحة جدا من نفس المبنى ، لنصرف رواتبنا .

ووقفنا فى الطابور امام الشباك ـ وكان الطابور طويلا ... وفجأة ... وقعت عيناى على مدير البنك ، الذى

يجلس وحده عند مكتب في ركن بعيد من القاعة ··· فاذا عيناي تلتقيان بعينيه صدفة ··· واذا بالرجل يقف ، ويحملق في من بعيد ··· ثم يقبل نحوى وئيد الخطا ، جامد الوجه ، كانه يمشي وهو منوم مغناطيسيا ، الى أن يدركني ، فيصافحني ويشد على يدى بحرارة ، ويسحبني من الطابور ، ويأخذني الى مكتبه ، ويقدم لى مقعدا ، ويسألني :

ــ الا تعرفني ؟

قلت :

ــ من موقعك ··· اتصور انك مدير هذا البنك !

قال :

ــ نعم ··· انا المستر « كول » ··· انا مدير هذا البنك ··· وانت صديقي ··· صديقي الحميم ··· انني اعرفك منذ مئات السنين !

وبيني وبين نفسي ، بدأت اشك في الرجل ، واعتقد أنه مجنون ، واعجب من أن تولى الامم المتحدة أمور مصرفها رجلا مجنونا ···

ولكنه عندما استطرد في الحديث، جعلني اشعر برهبة عجيبة ··· قال :

ــ انني أعرفك من مئات السنين ··· ياما تلاقينا وتحادثنا وسهرنا ··· الست شاعرا ؟

قلت : نعم ··

قال : الست مصريا ··· من القاهرة ؟

قلت : نعم ··

ومضى يذكر لى اشياء عجيبة عنى وعن حياتي الخاصة ، مع انه لم يزر مصر في حياته ، ومع انني لم اكن قد زرت امريكا في حياتي قبل هذا اليوم!

وطال حديثنا ، ثم اخذ مني الشيك ليصرفه لي بنفسه ···فقلت له ان معي صديقا سودانيا ، فذهب اليه ، ودعاه الى مكتبه ، وصرف له الشيك هو الآخر ، ووعدنا وهو يرجوني ان أزوره دائما للتواصل سهراتنا وأحاديثنا القديمة عن الادب والشعر والفن !

واقول لك الحق أيها القارىء ··· انني خفت من هذه الظاهرة ، وخرجت من بنك الامم المتحدة أرتجف ، ولم أعد الى المستر « كول » أبدا ، وجعلت أرسل شيكاتي بعد ذلك مع أي صديق بعد أن « أظهرها » ، ليصرفها لي !

كيف ــ مثلا ــ اجد او يجد غيرى تعليلا لمثل هذه الظاهرة ، التي يروى علماء الارواح نظائر كثيرة لها في المجامع والمجلات العلمية في الخارج ؟

***

واذكر أيضا انني كنت مفتونا بصوت المغنية الباريسية المشهورة « اديث بياف » التي ماتت منذ سنوات قريبة، وقد أعلنت فرنسا الحداد مضاعفا يوم وفاتها ··· ذلك لان صديقها الفيلسوف الكبير « جان كوكتو » ، عضو الاكاديمى فرانسيز (والكاتب والشاعر والناقد والمؤلف السينمائي والمسرحي والممثل والمخرج) قد سقط عندما سمع بنبأ موتها ··· ولحق بها في اليوم نفسه !

اقول ··· كنت مفتونا بصوتها الى حد بعيد · وكنت كلما كتبت عنها ·· سميتها « ام كلثوم باريس » ·

وذات يوم ، حدث شيء هز باريس كلها ··· ذلك أن صوت « اديث بياف » انحبس وهي على المسرح ·

وحار فيها نطس الاطباء في فرنسا ·· ثم في انجلترا والمانيا والسويد ··· الخ ·

واستولى عليها اليأس ، فنصحها صديقها « جان كوكتو » أن تلجأ الى العلاج الروحي ، عن طريق قوم يعرفون في باريس باسم « المعالجين » ... ومنهم النجار والحداد والبدال والقصاب — هذه حرفهم اليومية — ولكنهم يمارسون العلاج الروحي الى جانب هذه الحرف ، ويقال انهم يستعينون ببعض الوسائل الروحية الصينية العريقة والمصرية القديمة في العلاج .

وذهبت « اديث بياف » الى واحد منهم ، وقضت في صومعته سبعة ايام ، خرجت بعدها وقد استردت صوتها كاملا ، وعادت تجلجل على مسارح باريس ، كما جلجلت حكايتها مع المعالجين بالارواح على وجوه الصحف الباريسية !

***

وحكاية اخرى ، قرأتها في احدى صحف نيويورك وأنا في امريكا ، وقد ذكرت الصحيفة انها نقلتها عن المجلة الطبية البرازيلية .

الحكاية باختصار ، ان بعض العلماء المشتغلين بالروحانيات في البرازيل ارادوا تجربة الارواح في اجراء العمليات الجراحية ، فجاءوا بمريض بالزائدة الدودية (المصران الاعور) وادخلوه غرفة العمليات بالمستشفى ، وجهزوا كل أدوات العملية ومستلزماتها من مشارط ومباضع وبنج وقطن الخ ...

ثم استحضروا روح جراح وممرضتين من الراحلين ، وخرجوا من الغرفة ، واغلقوها بالمفتاح ، ثم عادوا بعدساعة ، فدخلوها ، ووجدوا ان العملية قد أجريت بنجاح ، ورأوا آثار الدم على المشارط والمباضع والقطن !

***

ومن هذا القبيل ، ما يرويه لنا الاستاذ يوسف وهبي من انه حينما سقط من سلم بيته السقطة التي لايزال يعاني آثارها منذ عدة سنوات ، قيل له أن في حي غمرة ، بالقاهرة ، شيخا يعالج الناس بوساطة الارواح .

ودفع حب الاستطلاع يوسف وهبي الى استدعاء هذا الشيخ ، الذي اظلم الغرفة ، ثم راح يخاطب الارواح بالانجليزية .. فيمتلىء جو الغرفة باصوات غريبة .

الى هنا ، يقول يوسف وهبي انها عملية دجل ...

ولكن الشيء الذي اذهله ، انالشيخ سأله عن نوع الادوية التي يتناولها لتهدئة الالم ، فذكر له اسم الدواء ، واضاف ان الكمية التي كانت لديه من هذا الدواء قد نفدت ، وهو غيرموجود في السوق ، فضرب الشيخ على ذراع يوسف وهبي ، واذا بشيء يسقط من سقف الغرفة . وعندما اضيء النور ،

..... إلا قليلا !

أحمد شوقي
أمير الشعراء



وجد يوسف وهبي على حجره علبة من هذا الدواء !

ويســـتطرد يوسف وهبي في حكايته ، فيقول انه لا يشك في أن هذا الشيخ كان دجالا ، وان لم يستطع أن يجد تفسيرا لحكاية علبة الدواء !

وسافر يوسف وهبي بعد ذلك الى لندن للعلاج عند الدكتور « تاثر » ـ المشهور في مصر ـ وطال العلاج عدة شهور ، ازدادت فيهـا حالة يوسف وهبي سوءا ، حتى أشرف على الموت ، وسمعهم في المستشفى يرددون أنه من الخير له أن ينقل الى القاهرة ليموت هناك .

وعندئذ استولى عليـــه شيء من اليأس من هذا العلاج . وكان قـــد سمع أن في لندن كثيرا من المعالجين الذين يمارسون الوسائل الروحية في علاج الامراض المستعصية ، فلم يجد بدا من الذهاب الى أحدهم ، كضرب من يأس الغـــريق اذا تعلق بعود من الحطب .

وذهب الى أكبرهم ، واســــمه الدكتور « لانج » .

ثم يروى يوسف وهبي حكاية هذا الدكتور ، فيقول ان رجلا ريفيـــا انجليزيا دخل مدينة لندن ذات يوم ، وســـار في شوارعهـــا يزعم انه هو الدكتور « لانج » ، الجـــراح الانجليزي المشهور الذي مات منـــذ سنوات طويلة ..

وتصور رجال الشرطة أن هـــذا الريفي ليس الا مخبولا ، فأحالوه الى الكشف الطبي ، وجاء الاطباء للكشف عليه ، فأصر الرجل على انه هـــو نفسه الدكتور « لانج » ، الجراح القديم الراحل ، قد عاد الى الحيـــاة من جديد . وجعلوا يناقشونه في الطب وفي الجراحة بالـــذات ، وفي بعض عملياته القديمة المشهورة في تاريخ الجراحة ، وفي بعض العمليات الاخرى التي أجراها آخرون ، والرجل يجيب في كل مرة اجـــابات علمية مذهلة

وفي النهاية اقروا له بأن يمـــارس العلاج الروحي رسميا ، وبإذن مـــن الدولة .

وذهب اليه يوسف وهبي ، وهو في حالة اعياء ، متكئا على عصاه مـــن ناحية ، وعلى ذراع السيدة عزيزة عيد ـ ابنة الفنـــانة فاطمة رشدي والمرحوم عزيز عيد ـ من الناحيـــة الاخرى .

واستقبله الدكتور « لانج » ، وقال له :

ـ هل قالوا لك انك ستموت غدا ؟
وذهـــل يوسف وهبي .. فابتسم الرجل ، وقال له

ـ لا تخف .. انك ســـتشفى وستعيش ، ولكنك عولجت بطريقـــة خاطئة ..

واستدعى الدكتور « لانج » الممرضة .. وطلب منها مصلا روحيا في ابرة روحية ايضا ـ كلاهمـــا غير مرئي ـ وحقن يوسف وهبي حقنا روحيـــا ـ أي في الهواء ـ ثم أجرى له جراحة روحية ، أي ايمائية ، من سبع غرز ، بدون أية ابرة مرئية او مشرط مرئي ... ثم قال له :

ـ والآن ... ألق بالعصا ... ولا تستند الى ذراع السيدة التي معك .. وسر في الغرفة وحدك .
وسار يوسف وهبي ، فاذا هـــو يسير صحيحا معافى !

وعاد الى مصر ... وعـــاش ...



يوسف وهبي
الملاح الروحي

ووقف على المسرح !

ويؤكد يوسف وهبي ان اثار الخدز الروحية السبع ـ اى اثار الجراحة الروحية ـ لاتزال واضحة فى جسمه حتى اليوم !

***

وحكاية أخيرة عن الارواح ...

نشرت مجلة « لوك » وهى من أعظم المجلات الامريكية ، منذ شهور قريبة، قصة فنانة فى وسط العمر ، فى باريس ، صحت من نومها ذات ليلة دون أن تشعر ، ورسمت فى الظلام صورة .

وعندما استيقظت فى الصباح ، استغربت ما حدث فى تلك الليلة ، وتأملت الصورة ، فزاد من دهشتها ان الاسلوب الفنى لهذه الصورة التى رسمتها فى الظلام من خطوط وألوان وأضواء وظلال ، يخالف أسلوبها تماما ... بل هو أقرب الى أسلوب الفنان الخالد « جويا » .

وتكررت الحكاية أكثر من مرة .. أكثر من ليلة .. قامت غير واعية ، ورسمت فى الظلام صورة بعد صورة بعد صورة ، كلها مخالفة لاسلوبها الفنى ، ومتابعة لاسلوب جويا ..

وفى النهاية ، ذهبت الى طبيب نفسانى يستعين بالتنويم المغناطيسى فى علاجه لمرضاه ، فنومها ، واتصل بعقلها الباطن (اللاواعى) الذى اعترف بأن روح « جويا » تزور هذه السيدة اثناء نومها لتخدمها ، ردا لجميل قديم لاسرة هذه السيدة ، اسدته اليه منذ مائتى سنة .

وعندما افاقت السيدة ، ذكر لها الطبيب هذه الحكاية ، فذهبت السيدة الى احدى المكتبات ، وراجعت سيرة حياة « جويا » ، فعرفت انه عندما هرب من اسبانيا خوفا من القتل ، لاذ باسرة تعيش فى جنوب فرنسا ، هى أسرة « زابس » ـ جد زوج هذه السيدة !

***

اروى هذه الحكايات على ظاهرها ، دون أن أتوغل فى بواطنها ، ولا أقول اكثر من اننا قد نقف حائرين أمام هذه الظواهر التى لا تفسير لها عندنا ، لاننا لم نؤت من العلم الا قليلا .

ولكن المتصوفة يقولون اننا كلما ازددنا زهدا فى الدنيا ، وتقربا الى الله سبحانه وتعالى ، صعدنا درجة من الصفاء ، حتى اذا اوشكنا فى صعودنا ان نقترب من القمة ، تحت اقدام العرش ، فهذه هى درجة الصفاء السابعة ، التى لا ترقى اليها الا انقى الارواح ... وعندئذ تملك هذه النفوس مقدرة الجلاء البصرى ، الذى تكشف به عن اشياء لا يراها امثالنا من البشر .. ولا أقول أكثر من قولى : الله أعلم ...

هل تعرف

مَن القائل ؟

١ ـ وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء
يجئك بملئه يوما ، ويوما يجئك بحمأة وقليل ماء
ولا تركن الى كسل الامانى تحيل على المقادر والقضاء

احمد شوقى ـ ظالم بن عمرو ـ ابو فراس الحمدانى

***

٢ ـ اننى انسان متفائل ، لاننى لا ارى جدوى من ان اكون غير ذلك

طه حسين ـ ابن المقفع ـ ونستون تشرشل

***

٣ ـ انى اضحك ، لانه لا ينبغى لى أن ابكى

ابو العلاء المعرى ـ الجنرال ديجول ـ ابراهام لنكولن

***

٤ ـ ان الالحان هى أهنا اللذات اذا سمعها ذوو القرائح الصافية والانفس اللطيفة

سيد درويش ـ بتهوفن ـ ابو هلال العسكرى

من هو القائل ؟

الاجوبة :

١ ـ ظالم بن عمرو
٢ ـ ونستون تشرشل
٣ ـ ابراهام لنكولن
٤ ـ ابو هلال العسكرى

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

تقدم أحدث إنتاج من نوعه فى الشرق العربى



موقد مسطح :
شعلتان ونصف وتمتاز الشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية

الفرن الشعبى :
شعلتان ونصف وشوا
اقتصادى وسريع





أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. وأطباق السفرة
مزخرفة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

قضية ربط الأجر بالإنتاج بين النظرية والتطبيقات الواقعية

- هل العلاوة دورية يحكمها الزمن أو تفوق إنتاجي يحكمه العمل ؟
- الأشكال العلمية التي تنظم قضية ربط الأجر بالإنتاج
- ما هي المشاكل المتوقعة بين الإدارة والعاملين من تطبيق ربط الأجر بالإنتاج

[illegible]

« المحور »

[illegible]



[illegible]

[illegible]

قضية ربط الأجر بالإنتاج

بعد ان ردت فيه ثورتنا . لان تقييم هذه القرارات والاجراءات يجب أن يتم في ظل الاوضاع التي كانت سائدة وقت منح هذه المزايا .. ومنها :

تحديد ساعات العمل .. رفع الحد الادنى للاجور .. نصيب العاملين في الارباح .. التأمينات الاجتماعية .. تأمينات العجز والشيخوخة والوفاة .. تأمينات البطالة .. العلاوات الدورية .

وهذه البدعة الاخيرة بدعة العلاوات الدورية التي ابتدعتها اللائحة (٣٥٤٦) للقطاع العام والتي سايرتها فيهــا اللائحة الجديدة (٣٣٠٩) مبدأ خطير ، فالعلاوة الدورية أمر مرتبط بالزمن اما العلاوة بالنسبة للعاملين بالانتاج فلايمكن أن نتصور لها الا أساساواحدا فقط هو زيادة الانتاج . ومن المستحيل أن نجمع بين نظام للعلاوات يتحكم فيهــا عنصر الزمن البحت وبين ربط الاجر بالانتاج .

وقد تم تصريب هذا الوضع نسبيا بتحديد العلاوات الدورية للوحــدات الاقتصادية الانتاجية في مصر على أساس نسب مئوية من العلاوات الكاملة الدورية وفق معادلة تحتسب فيها انتاجيةالجنيه من الاجور بعد اضافة العلاوات المرتقبة الى انتاجية الجنيه من الاجور في السنة السابقة ويحدد على أساس هذه المقارنة ما يستحقه العاملون من نسبة العلاوة وفق شرائح معينة . ولكن هذا الاجراء ما زال يفتقر الى عنصر هام هو مقارنة المحقق بالمستهدف بالنسبة لانتاجيــة الجنيه من الاجور لكل وحدة اقتصادية بدلا من المقارنات التاريخية التي قد تعكس تقدما ظاهريا في الوقت الذى ترزح فيه الوحدة الاقتصادية في تخلف في مستوى انتاجيتها الحقيقي .

من ناحية اخرى ، ادت فلسفة التطبيق الاشتراكي من اتاحة فرصة العمل لكل مواطن الى التوسع في حجم العمالة قبل كفالة فرص التشغيل الكامل لهذه الزيادات في القوى العاملة ، بما يضمن استخداما منتجا . وبذلك اصبح لدينا تضخم في هيكل العمالة وفائض يعتبر هامشا يمكن الاستغناء عنه من حجم العمالة الحالية دون اى نقص في الانتاج الكلى . ولا نغالى اذا قلنا ان هذا الهامش رغم تفاوته من وحــدة اقتصادية لاخرى لا يقل عن ٢٥ ٪ الى ٣٠ ٪ من حجم القوى العــاملة على المستوى القومى ومستويات انتاجنــا الحالى آخذين في الاعتبار انخفــاض مستوى الانتاجية لنسبة كبيرة من العاملين في مختلف مجالات العمل .

ويؤدى اختلال العلاقة بين الاجــر والانتاج بالضرورة الى ظهور عدة نتائج بالغة الخطورة على اقتصادنا القومى أهمها :

- زيادة تكلفة العمــل للوحدة بما يؤدى الى ارتفاع تدريجي ومستمر في مستوى الاسعار وبالتبعية الى ارتفاع الرقم القياسي لنفقات المعيشة الذى يتعرض لضغط تضخمى منشؤه التكاليف.
- زيادة الدخل المتاح للانفــاق بالنسبة للمعروض من السلع والخدمات . وتزايد الطلب على هذه الصورة يؤدى بطبيعة الحال الى رفع الرقم القياسى لنفقات المعيشة اكثر فأكثر .
- امتصاص الهامش المتاح للاستثمار الذى كان يمكن احتجازه من الفرق بين زيادة الانتاج وزيادة الاستهلاك لتوجيهه نحو زيادة الانتاج ، وبالتالى زيادة فرص العمل المنتج لا بد أن يتآكل ويندمس بحيث تتضاءل فرص الزيادة في الاجور .
- تخفيض الفائض المتاح للتصــدير بسبب الانفجار في الاستهلاك مما ادى الى تقليل الفائض المتاح للتصــدير وبالتالى تقليل حصيلتنا من النقــد الاجنبى . فضلا من أن ارتفاع تكلفــة العمل للوحدة يضعف من قدرتنــا التنافسية في الاسواق الخارجية ، في حين أن المفروض هو ان تكلفة العمل هى ميزتنا النسبية الوحيدة في الخارج .
- زيادة الواردات من الموارد الغذائية على حساب احتياجات التنميــة لان التغييرات التى حدثت في هيكل الاجور اضافت فئات تنفق معظم دخلها في

الغذاء والنتيجة هي استنزاف حصيلة النقد الاجنبي الى الواردات الغذائية بدلا من استيراد المعدات والالات اللازمة لتحقيق اغراض التنمية .

كيف نواجه المشكلة ؟

هناك ثلاث استراتيجيات بديلةلمواجهة هذا الموقف ولو ان اى منها فى تقديرنا لا يصلح للتطبيق على اطلاقه فى مصر ، لمثلا ؟ تخفيض قائمة الاجور تخفيضا مطلقا :

وهو فى تقديرى خطأ مطلق ليس فقط لتعارضه مع نظريات حفز الانتاج ولا لانه افتراض لا يدعو للتفاؤل ، ولكنه يتعارض مع فلسفة التطبيق الاشتراكى .

وفكرة تجميد الاجور تجميدا مؤقتا ونسبيا .. وقد اتبعها الاتحادالسوفييتى خلال الحرب العالمية الثانية فى وقت كان لا بد فيه من رفع الانتاج الحربى بينما كانت اى زيادة فى الاجور لهذه بالاثار التضخمية خطيرة . وبمقتضى هذه الاستراتيجية قامت الحكومة بصرف العلاوات والحوافز والمكافآت التشجيعية فى صورة سندات النصر . وهى سندات لا تصرف قيمتها الا بعد يوم النصر . وقد يسمح بمقتضى هذا النظام ببعض الزيادات الجزئية فى بعض القطاعات التى يعلق عليها الامل فى الاسهام فى زيادة حصيلتنا من النقد الاجنبى كقطاع البترول وقطاعات الصادرات مثلا . وهى من وجهة نظرنا اصلح الاستراتيجيات

واستراتيجية التثبيت .. وهى اكثر شيوعا فى التطبيق العملى . ويمكن الى جانب التجميد وحتى لا تقتل الحافز تماما ان نسمح بهامش محدد ومعلن مسبقا من الزيادات البسيطة فى مواجهة نسبة معينة من الزيادة فى الانتاج .

وعلى الطريق — فى اتجاه ربط العمل بالانتاج — قامت بعض الاجراءات الوقائية السريعة فى مصر ، مثل تحديد معدل العلاوات بالمقارنة بين الاجر والانتاج فى كل سنة مالية بالسنة المالية السابقة .. ومثل التحكم فى توزيع الارباح بحيث لا يصرف نصيب من الارباح يساوى ما تم صرفه فى السنة السابقة الا اذا تحقق ربح يزيد بنسبة ١٠٪ على السنة السابقة .

ومن هذه الاجراءات الزوبيزاليات لتصيلية ، بدلا من الميزانيات التقديرية والنزول بها الى قواعد واقسام العمل تحدد المستهدف وتبرز السلبيات لدفع عجلة الانتاج .. مع الاهتمام بالتدريب ودفع الكفاءة الانتاجية للافراد ..وكذلك تحديد العمالة الزائدة ووقف التعيين فى الوحدات الاقتصادية الا بعد امتصاص هذا الفائض .

ولكن ربط الاجر بالانتاج يثير بعض المشاكل .. فماذا عن منشأة لا تتوافر لها مستلزمات الانتاج وقطع الغيار وكيف يربط اجر عامل يعجز عن الانتاج لاسباب خارجة عن ارادته .. الامر الذى سوف يثير الكثير من المشاكل بين الادارة والعاملين ، هذا فضلا عن عدم توفر التنظيم العلمى لدورة الانتاج مما يجعل قضية ربط الاجر بالانتاج قضية مقبولة .. وهناك صعوبة فى تحديد متوسط نمطى لانتاجية العامل ، لان هذا المتوسط يجب ان يخضع للنقص والزيادة الامر الذى يثير المشاكل بين الادارة والعاملين ويؤثر على كفاءة الانتاج .. ولن ينجح هذا النظام الا بالتوعية التى تجعل العاملين يتقبلونه ، وهى عملية بالغة الصعوبة .

غير ان نظام ربط الاجر بالانتاج ليس شكلا واحدا ، فهناك عديد من الطرق والاشكال ، فهناك الاجر بالقطعة ، وهناك الاجر المتزايد مع الانتاج ، وهناك الاجر بالانتاج على مستوى المجموعة وغير ذلك .

لم عرض البحث للنظريات العلمية الحديثة فى العالم نظريا وتطبيقيا حول ربط الاجر بالانتاج ، عرضا شاملا مبسطا يتيح للدارسين ان ينظروا فيه ويتعرفوا على المناسب لظروف الوحدات وظروف البلاد عامة .. واشار البحث كذلك الى بعض نظم ربط الاجر بالانتاج فى شركات القطاع العام وخاصة تجربة الشركةالشرقية للدخان (ايسترن) وتجربة شركة النيل العامة لاتوبيس شرق الدلتا .

ركيزة المستقبل..

المشروعات الكهربائية والميكانيكية



المهندس علي حسن الاصفهاني رئيس مجلس ادارة الشركة . . .

بعد أن تخطينا الآن أعتاب السبعينات ، كان على بلدنا أن يترك وراءه أعباء التخلف وان يتجه بكل قواه الى بناء المستقبل بالتنمية والتخطيط ، واذا تأملنا مشروعات التنمية الاقتصادية فسوف نجد أن أهم جزء منها هو التنمية الصناعية ، والبناء الصناعي يعتمد أساسا على الكهرباء كقوى محركة هامة وضرورية فى مجالات التنمية والتقدم ومن خلال هذا المفهوم ازدادت الحاجة الى قطاع اقتصادى حيوى فى مجال الكهرباء يمكن أن يسمح بوحدة متكاملة تضمن تحقيق الطاقة الكهربائية اللازمة للتطور فى شتى المجالات .

واذا كان المطلب الضرورى اليوم ونقصد به استمرار تفوق معدل النمو الاقتصادى على معدلات النمو السكانى بما يسمح بحدوث تحسن فى مستويات المعيشة والاستمرار فى هذا التحسن بتحقيق اهداف خطة التنمية الاقتصادية التى وصلت بمعدل النمو فى عام ١٩٧٠ الى قدر لم يكن متصورا فى آفاق البناء القومى فى ظروف المعركة فقد كان معدل النمو ٧ر٢٪ .

وبرامج التنمية الاقتصادية تهدف الى تحقيق التقدم فى المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية . وقطاع الكهرباء من أهم ركائز هذه الاهداف الاقتصادية كوسيلة وطاقة لخدمة التنمية الصناعية والزراعية والاجتماعية فقد ساعد قطاع الكهرباء على تطور القدرات الكهربائية لوطننا مصر العربية وصاحب هذا التطور عديد من الانشاءات فى محطات توليد الكهرباء ومحطات المحولات والشبكات التى تربط بين هذه المحطات والشبكات التى تنقل الطاقة المتاحة من المحطات الكهربائية المائية الى مراكز الاستهلاك فى كل مكان .

ومن أجل الوصول الى هذا الامر استلزم وجود جهة تتولى تغطية جوانب نشاطه ولهذا تغيرت أبعاد الصورة فى قطاع الكهرباء تغيرا جذريا بعد أن وافق مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكهرباء على انشاء وحدة اقتصادية تحت اسم « شركة مصر للمشروعات الميكانيكية والكهربائية » وجمع لها من الخبرات الفنية العالية مايغطى جوانب نشاطها المتعددة .

وفى مايو الماضى وفى اجتماع مجلس الوزراء فى ٦ مايو ١٩٧١ وافق على انشاء الشركة وفى اغسطس صدر القرار الوزارى رقم ١٨١ لسنة ١٩٧١ بتأسيس شركة مصر للمشروعات الميكانيكية والكهربائية برأس مال قدره مليون ونصف مليون من

الجنيهات ، وبذلك القرار شهد المجتمع الصناعي وحدة اقتصادية تقوم بدور هام وحيوى من مجالات النشاط الانتاجي والخدمات .

ولكن يبقى سؤال .. ما هى مجالات عمل شركة مصر للمشروعات الميكانيكية والكهربائية ؟

ان هناك أمرا فى غاية الاهمية وهو تنفيذ المشروعات الميكانيكية والكهربية فى جمهورية مصر العربية فى ظروف البناء الحالية هذا الامر تتولاه الشركة ليس فى مصر فقط ولكن فى الخارج ايضا فى مجالات تخصصها مثل محطات توليدالقوى الكهربية ومحطات المحولات ومحطات الطلمبات وخطوط الربط والنقل والتوزيع وشبكات المدن والانارة واعمال التركيبات الميكانيكية والكهربائية بالقطاعات الاخرى بالاضافة الى تركيب المصانع والورش والقيام بكل مايلزم لهذه الاعمال من بحوث ودراسات وتصميمات وتنفيذ انشاءات مدنية ومايتعلق بها من أعمال النقل وتدبير المهمات والمعدات وانشاء ورش مركزية للتصنيع والصيانة والاصلاح .

واذا كان بناء القرية المصرية الان من اهم أهداف برنامج العمل الوطنى فان مشروعات كهربة الريف عنصر هام وحيوى فى تكوين هذا البناء العصرى الامر الذى يرتبط بخطة شركة مصر للمشروعات الكهربية والميكانيكية فى تنفيذ مشروعات كهربة الريف بمحافظات الجمهورية اسهاما فعالا يظهر حاليا فى تنفيذ كهربة قرى محافظة الجيزة كمرحلة أولى .

وهناك مشروعات التوسع فى الشبكة الموحدة لكهرباء الجمهورية وهى من أبرز ادوار الشركة وهى احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للكهرباء فى خدمة قطاع الكهرباء فى جمهورية مصر العربية .

واذا كنا نتطلع اليوم لدولة حديثة حدد الرئيس السادات معالم تنظيمها فان من اهم أسس هذا البناء العصرى الجديد ، الانطلاق بالانتاج الصناعى وتوفير كل ظروف المرونة والحرية والحوافز له واعمال شركة مصر للمشروعات فى مجال التعدين والمناجم خطوة على هذا الطريق

فالشركة تقوم الان بتنفيذ ما يلزم لمناجم الحديد والصلب بالواحات البحرية من شبكات ومحطات محولات وانارة للمستعمرة السكنية .

أيضا اذا كان البناء الجديد والتنظيم العصرى للدولة يرتبط بهيكل عصرى فى مجالات التنمية الزراعية فانه يستلزم الانطلاق باقصى طاقة لقطاع الزراعة باعادة تنظيمه وحسم العوائق التى تواجهه . وفى هذا المجال تسهم شركة مصر للمشروعات الميكانيكية والكهربية فى القيام بتركيب محطة طلمبات النوبارية رقم ٣ ، أكبر محطات الرى فى الجمهورية لخدمة التوسع الزراعى .

واذا كان قطاع الصناعة يستحوذ على أكبر الاهتمام فى خطط التنمية القومية لاهميته فى تكوين الدخل القومى وزيادة آفاق النمو والتقدم ، فان الشركة محور تحقيقنا تقوم حاليا بالاعداد لما يلزم للقيامها بتركيب محطة توليد القوى الكهربية فى كفر الدوار التى تعتبر اكبر محطات التوليد الحرارية بالجمهورية اذ سيتركب بها وحدتان قدرة كل منهما ١١٠ ميجاوات . وهذه المحطة ليست فقط مجال التنفيذ الوحيد أمام الشركة لقدستها العمل الان فى انشاء ورشة ضخمة فى مسطرد خاصة للصيانة وعمل العمرات اللازمة لوحداتها الالية ولتصنيع الهياكل الحديدية وكل ما تتطلبه دواعى التركيبات التى تقوم بها .

لعل استعراض هذه الانجازات الطموح وتوقعات العمل المقبلة يوحى بالثقة فى قدرة شركة مصر للمشروعات الميكانيكية والكهربائية .. احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للكهرباء على القيام بتنفيذ المشروعات الميكانيكية والكهربائية داخل وخارج جمهورية مصر العربية ، الى جانب

اسهامها فى الخطة الطموح : لكهربة الريف المصرى والتوسع فى الشبكة الموحدة لكهرباء الجمهورية . هذه الثقة النابعة من ضخامة هذه الانجازات وبالنظر ايضا الى اعتماد الشركة على امكانياتها من خبرات ومعدات ودراسات متنامية وهندسية لتسهم فى بناء ركيزة المستقبل .

مجموعة من الاخصائيين والفنيين

وأسطول من الجرارات والسيارات لاستصلاح ١٠٨ ألف فدان



● عمليات الصرف المغطى فى ٣٥ ألف فدان



● الجهد البشرى المصرى يقطع الأراضى الصحراوية فى شركة وادى كوم أمبو

[illegible]

مجموعة من الاخصائيين والفنيين

اسند اليها استصلاح المساحات التالية :

٣٥٠٠٠ فدان بمنطقة كوم امبو
١٥٠٠٠ فدان بمنطقه اسنا وادفو بقراشي الجبانى
٥٠٠٠ فدان بمنطقة سوهاج
٢٦٠٠٠ فدان بمنطقة التحرير الجنوبى
١٢٠٠٠ فدان بمنطقة النوبارية
١٥٠٠٠ فدان بمنطقة امتداد مريوط

١٠٨٠٠٠ فدان مجموع ما اسند الى الشركة من اعمال .

مراحل الاستصلاح

وتشمل عمليات استصلاح الاراضى تنفيذ المراحل التالية :

اولا : رفع الميزانيات الشبكية للوقوف على مناسيب الارض بالدقة الكافية .

ثانيا : تصميم المشروع فى مجال محطات الرى والترع والمصارف بدرجاتها المختلفة ، الى جانب الاعمال الصناعية اللازمة للتحكم فى مياه الرى والصرف .

ثالثا : تنفيذ الاعمال الترابية والصناعية .

رابعا : تسوية الاراضى بالمعدات الميكانيكية بالمناسيب والميول اللازمة للزراعة .

خامسا : انشاء الجسور والطرق واقامة القرى اللازمة للاسكان .

سادسا : غمر الاراضى بمياه الرى وتسليمها جاهزة للزراعة .

سابعا : انشاء القرى ومرافقها اللازمة لاقامة المنتفعين بالاراضى المستصلحة . الى جانب هذا قامت الشركة بتنفيذ اعمال الرى والصرف العمومية بما عليها من منشآت كمحطات الرى وآبار وقناطر وسحارات .

الصرف المغطى

وقد اسند الى الشركة اعمال فى مشروع الصرف المغطى : فى حوالى ٣٥

الف فدان يجرى فيها العمل على قدم وساق الآن بمناطق ادفو واسنا ودير بجم .

ونظرا لما يحتاجه الاسطول الضخم الذى تمتلكه الشركة من المعدات الميكانيكية والالات والسيارات ، من اعمال الصيانة والاصلاح ، فقد قامت الشركة بانشاء الورش المتكاملة الكافية لاجراء جميع مراحل الاصلاح والعمارات والتجديدات لهذه المعدات سواء بالمركز الرئيسى او بمناطق العمل المختلفة .

ولان اعمال استصلاح الاراضى تنفذ فى مناطق جرداء نائية ، فان على الشركة اعاشة العاملين بهذه المناطق ، وتقوم الشركة فى سبيل ذلك باعداد المساكن اللازمة لايوائهم وتجهيزها بالمعسكرات والماكينات وتقديم الخدمات اللازمة لهم لتمكينهم من الاقامة بها ، الى جانب الخدمات الطبية بالعلاج الكامل .

ولان الحياة الاجتماعية والرياضية شىء هام فى حياة العاملين ، فقد قامت الشركة بانشاء «نادى اجتماعى ورياضى للعاملين بمنطقة كوم امبو » يشمل الى جانب صالات اللعب والملاعب ، مكتبة وحماما للسباحة ، اقتناعا من الشركة بأن الجهد الشاق الذى يبذله العاملون فى الشركة لابد وان يقابله ما يلزم توفيره من وسائل الترفيه والترويح .

ان اعمال استصلاح الاراضى بطبيعتها تعتبر غالبا من اشق الاعمال الانشائية ، وان حتمية التوسع فى استصلاح الاراضى لمواجهة الزيادة المطردة فى عدد السكان ،

امر يقدره العاملون فى شركات استصلاح الاراضى فى شركتنا ، لذلك فانهم لا يدخرون وسعا او جهدا فى سبيل انجاز برنامج الخطة الموضوعة .

● الغلاف الأول والأخير ●



رمضان شهر القرآن
تصوير شوقي مصطفى



جامع ابن طولون
تصوير عبد الفتاح عيد

من حديث الروح

للشاعر:
محمد إقبال

حديث الروح للأرواح يسري
وتدركه القلوب بلا عناء
هتفت به فطار بلا جناح
وشق أنينه صدر الفضاء
ومعدنه ترابي ولكن
جرت في لفظه لغة السماء
لقد فاضت دموع العشق مني
حديثا كان علوي النداء
فحلق في ربا الأفلاك حتى
أهاج العالم الأعلى بكائي

* * *

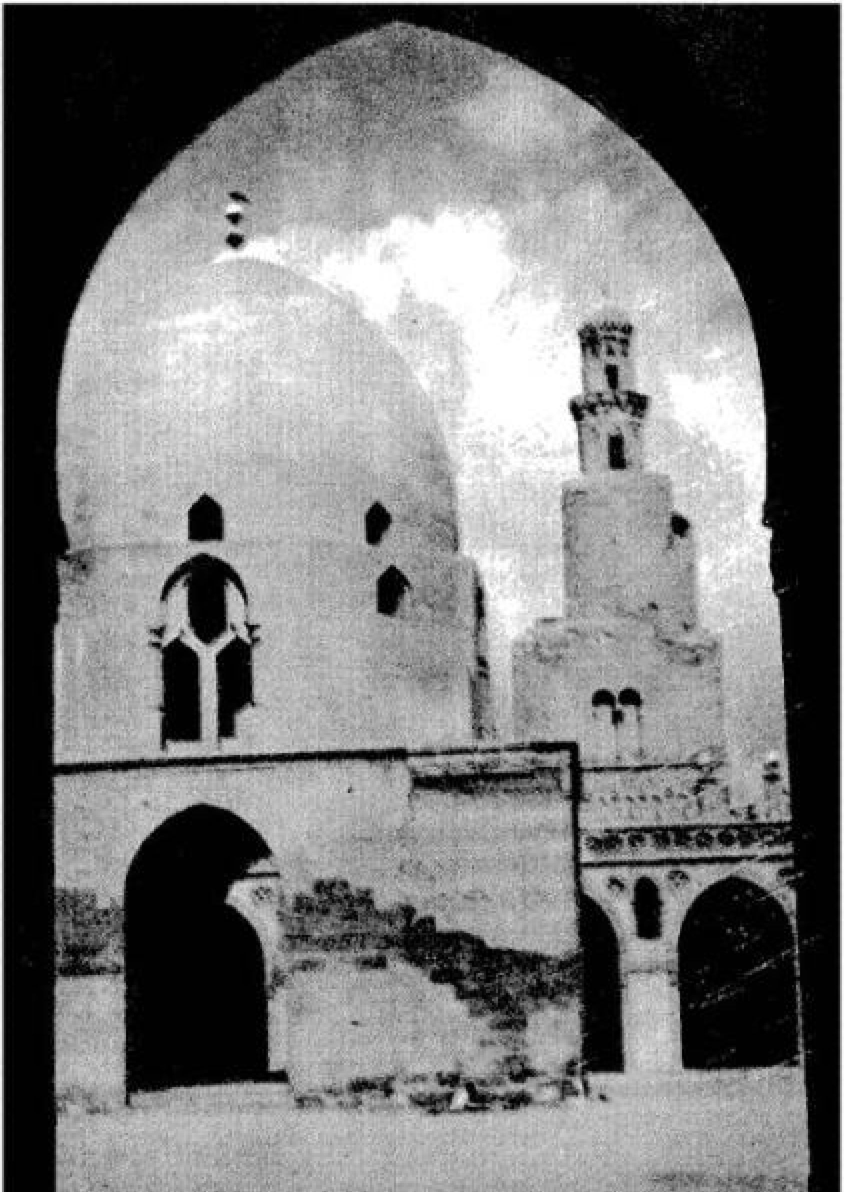
تحاورت النجوم وقلن صوت
بقرب العرش موصول الدعاء
وجاوبت المجرة عل طيفا
سرى بين الكواكب في خفاء
وقال البدر هذا قلب شاك
يواصل شدوه عند المساء
ولم يعرف سوى رضوان صوتي
وما أحراه عندي بالوفاء

* * *

اذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحي دينا
ومن رضي الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قرينا
وفي التوحيد للهمم اتحاد
ولن تبنوا العلا متفرقينا

* * *

ألم يبعث لأمتكم نبي
يوحدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعا
منار للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمن رحيم
إله واحد رب الأنام




الهلال
عدد خاص
الفن للشعب

الهلال

ديسمبر ١٩٧١

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثاني عشر ـ السنة التاسعة والسبعون ـ أول ديسمبر ١٩٧١ ـ ١٢ شوال ١٣٩١

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ـ من الكميات المرسلة بالطائرة ، في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، في الأردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ . في سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات او ٢ جـ ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بتحويل او بشيك مصرفي قابل الصرف في جمهورية مصر العربية ـ والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد

يوسف وهبي :
المسرح للشعب



المهدى الجواهرى :
رسالة مملحة

البابا شنودة الثالث :
الروح فى المسيحية

● للهيمشترفون: احمدراميـ عبد الحليم نويره ـ كمال الطويل ـ بليغ حمدى ـ د . سمحه الخولى ـ محمد الموجى « اقرا آراءهم داخل العدد »



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كلمة الهلال

فى هذا الشهر الحاسم من تاريخ نضالنا ضد العدوان ، لا يعلو صوت على صوت المعركة .

فهل حديثنا عن الفن بعيد عن حديث المعركة ؟

كان هذا القول جائزا ، حينما كان الفن بضاعة خاصة بالصالونات وحدها ... حينما كانت الموسيقى هى موسيقى الصالون . والغناء وقفا على بيوت الاغنياء . واللوحة الجمالية لا تمثل الا ربة القصر ، لابساً او عارية . والقصيدة مرفوعة الى الاعتاب الملكية .

اما اليوم ، فقد أصبح الفن ـ بجميع الوانه ـ حلالا لوجه الشعب ، مرفها فى وقت السلام ، ومجندا فى وقت المعركة .

لقد كان نشيد « المارسلييز » فى معركة التحرير الفرنسية اقوى من فرقة مدفعية كاملة ، كما وصفه احد السياسيين يومئذ .

وكانت انشودة « الله اكبر » فى معركة بورسعيد سنة ١٩٥٦ ، هى الذخيرة الاولى للمقاومة الشعبية التى حققت ـ بمشيئة الله ـ وحدها النصر .

وكان تمثال « نهضة مصر » للفنان الخالد محمود مختار نقطة تحول فى تاريخ الفن التشكيلى ، نقلت رسالة الفن المصرى الحديث من المتحف الى الشارع

وكان البيتان الاثيران للشاعر التونسى الراحل أبى القاسم الشابى :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد ان يستجيب القدر
ولابد لليل ان ينجلى
ولابد للقيد ان ينكسر

القول ... كانا لهبا مضرما فى ضمير كل شاعر ، استنقذه من اعماق الذاتية الى سطح الوعى القومى .

فنحن ـ اذ نقدم هذا العدد من الهلال : الفن للشعب ـ لا نبتعد عن قضية اليوم ـ وهى المعركة ـ وانما نخوض فى صميمها ، ونقدم الفن مجندا مجلجل الصوت ، رائع السمت ، فى طابور المجاهدين السائرين فى موكب النصر

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل



الأدب الشعبي

وهل هو مناهض لأدب الفصحي وحركة القومية

« ان الادب العامي ينبغي ان يقاوم لانه انحراف بادب الفصحى ، وتدل بفكر الشعب بدل العمل لتهذيبه»

ظهرت في النصف الثاني للقرن الثامن عشر حركة اوروبية للعناية بالادب الشعبي ، ودراسة آثاره وحسن الافادة منها · وكان هـ · تين «H. Taine» المؤرخ الادبي والناقد الفرنسي الشهير ، واستاذ تاريخ الفن وعلم الجمال – في مقدمة أعلام الفكر الاوروبي لنتصف القرن التاسع عشر الذين وجهوا أعظم العناية الى الادب الشعبي ، وبينوا أهمية تراثه في التاريخ لحياة الامم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفكريا ···

ومن آراء (تين) ، المأثورة في كتابه الكبير : « تاريخ الادب الانجليزى » عام ١٨٦١ ، أن الاسطورة الشعبية قد تفوق الكثير من الاحداث المدونة والوثائق الرسمية والتراث الادبي الكبير – في فهم حياة الامم والتعريف بأحوالها ···

ولم يكن لحركة « تين » وعصره

الأدب الشعبي

نحو الاداب الشعبية ، صلة بما أريد لى أن اعالجه فى هـذا الموضوع ، من تاثير الادب الشـــعبى على ادب الفصحى • انما كان مصدرها ، فى تلك الحقبة من الزمان ، ذلك التحول الاجتماعى الناجم عن التحول الصناعى للعالم الغربى ، وما يترتب عليه من اثر فى الادب الشعبى •••

فمشكلة الفصحى والعامية ليست من المشاكل المذكورة فى اللغـــات الغربية ، ذلك بان لغة الخطاب هنالك هى فى الاعم لغة الكتاب ، والتغيرات الخطابية محدودة ، ومعترف بها فى اللغة المدونة • ولغة الكتاب ذاتها فى حركة وصور دائبين ، يباعدان بين اساليبهـــا فى العصور المختلفة ، مسايرة لحركة الحياة وبنيهـــا فى تطورها المتصل •• والاختلاف هنـالك بين الادب الشعبي والادب الخاص او الكلاسيكى ، هو اختلاف فكر واسلوب ومؤلف ، وليس اختلاف لغة او الفاظ فضلا عن الفكر والاسلوب والمؤلف ، كما هو الشان فى الادب الشعبي وادب الفصحى فى اللغة العربية ••• •

بل ان النقاد ومؤرخى الادب العربى قد يقسمون الادب الى ثلاثة الوان :

أدب الفصحى ، وهو ذلك الادب الملتزم بسلامة اللفظ وصحة القاعدة فضـــلا عن الاسلوب البلاغى • والادب العامى ، وهو ذلك الادب الذى يؤلفه اصـــحابه متحررين من قواعد اللغة لفظيـــا ومعنويا • وهذا الادب العامى يتمثل فى نتاج الكتاب الذين لم يؤتوا حظا كبيرا من الثقافة •

اما الادب الشعبى العربى فله عدة مقومات • فى مقدمتها انه ليس مـــن عمل مؤلف معين ، وانمـــا هـــو ذو صاحب عام ، ونتاج اشخاص عديدين يعبرون عن منــــاحى الشعب او الشعوب ، ومن هنا فلا يتقيد بأسلوب مؤلف بعينه • ومنها أنه من عمـــل عصور عديدة ، تتناوله بالمراجعـــة والحذف والاضافة ، تبعا لما يجد فيها من احداث وتطورات ، يستهدف الادب الشعبى التعبير عنها او خدمة مبادئها واهدافها •• ومنها انه يكون قسمة بين بلاد عديدة تتحدث لغة واحدة ، وتظهر فيه لهجاتها فى جملتــه رواية خاصة بكل منها ، او فى تفـــاصيله اقساما موزعة بينها ••• ومنها انه لا يتناول امرا معينا بل موضـوعات عديدة مختلفة او موضـوعا واحـــدا يعالج فى شمول وعموم بحيث يشـــمل الكثير من الموضوعات ••• ومنها انه لذلك كله يكتب بلهجة الشعب الدارجة فى بساطتها وصراحتها ودون ما تكلف لتعقيدات الصنعة والطلاء •



وفي رأيي أن الادب العامي ينبغي أن يقاوم لأنه انحراف بأدب الفصحى وتدل بفكر الشعب بدل العمل لتهذيبه .. ويدعم ذلك طبيعة اللغة العربية التي يكثر فيها السهل الفصيح ، وتمتاز بالمرونة والمقدرة على التجدد . وذلك أمر يتعين بخاصة في هذا العصر الذى رفعت فيه الحواجز بين الطبقات، وأصبح من مبادىء الحياة فيه أن يؤلف أبناء كل شعب عربي وحدة وطنية في فكرها وارادتها وعملها ، وأن يشتركوا في وحدة قومية أكبر ، يمليها التطور الدولى المعاصر فضلا عن الروابط القومية التليدة ، وأن يحملوا مسئولياتهم مع سائر أعضاء المجتمع الدولي الكبير في رعاية المصالح المشتركة ، وكفالة التعاون الدولى الحر المتكافىء ، ودعم السلام العالمى المستقر العادل .

أما الأدب الشعبي الذى تزخر به الحياة الادبية العربية ، مثلما تزخر به الحياة الادبية للكثير من الشعوب الاجنبية ، فله حديث مختلف جدا ...

فمادامت هنالك جماهير تعيش حياة أقل في مستواها المادى والمعنوى من مستوى حياة الخاصة ، وفيها أبناء يسمعون ما لا يسمع غيرهم من وحى الاحداث والطبيعة ، ويبصرون ما لا يبصر سواهم في الكون وابداع الانسان ، ويشعرون بما لا يشعر به سواد الجماهير من أحاسيس وانفعالات - نعم ، مادامت هنالك جماهير وخاصة ، ومادامت الجماهير تجد متاعا في البيان مثل الخاصة ، ومادام في الجماهير موهوبون يوفرون لهم هذا المتاع الذى يبتغون ملائما لمقتضى أحوالهم ، فلا يمكن بحال من الاحوال أن نحد من مسيرة الادب الشعبي ، أو أن نفرض على العامة والأميين وأشباههم أدب القلة من الخاصة والصفوة المثقفة الذين لا يتيسر لهم امتثاله والمتاع به .

كان هذا شأن الآداب الغربية القديمة والحديثة حين سار معها الأدب الشعبي ممثلا في أدب الرعاة وصيادي

الأدب الشعبي

الاسماك والزراع وغيرهم ، وفي اغاني الجوالة ينشدون احاديث البطولة لابطال معروفين او مجهولين ، فتحوا المدائن ، او قهروا الغزاة ، او خلصوا بلادهم من الطغيان . كما ينشدون احاديث الهوى من مثل ريفيات القرون الوسطى في فرنسا ، الدائرة حول قصة شاب نبيل يلقى راعية في الحقول ، فينزل عن جواده ويخطب ودها باناشيد الغرام . وقد ينجح فيحظى بها ، وقد يفشل فيركب جواده وينطلق في سبيله باناشيد الحرمان ، حتى تتاح له فرصة اخرى مع من صدته ، او مع غيرها تبادله حبا بحب وهوى بهوى ..

اثر ذلك عن اداب الامم المتبربرة الكلتية والقوطية وغيرهما . كما اثر عن الاداب الاسكندنافية واداب العصور الوسطى في اوروبا ، والاداب الاوروبية الحديثة .

ومثله في الاداب الشرقية ، وخاصة الهندية والفارسية ..

واذا رجعنا البصر الى الادب العربي حين لم تكن غير الفصحى ، وقبل الغزو الاعجمي للعربية ، واتساع صعيدها في اقطار كثيرة اصطنعت لهجات عامية شتى اذا رجعنا البصر الى ذلك الماضي ، وجدنا الادب الشعبي او ما يقاربه متمثلا في اشعار الصعالكة او العدائين من امثال : السليك بن السلكة ، والشنفرى ، وتابط شرا ، وهي قديمة قدم شعر امرىء القيس او قبله قليلا ، وتمثل الوانا من الحياة البدوية لا عهد لشعر المعلقات بمثلها ..

وفيما بعد الاسلام نجد شعر الرجاز ، من امثال رؤبة والعجاج والزفيان ، ناهجا ذات النهج البدوى الذى لا ينهجه الشعر العربي المأثور لذات العهد ... وكذلك نجد اغاني البادية وفنون الشعر الشعبي غير الفصيح الذى اورد منها صاحب المثل السائر الزجل ، والكان كان ، والقوما ، والمواليات ...

وفي عصرنا وما قبله راينا اناشيد الافراح وندب المأتم واشعار البطولات والمدائح النبوية ، واغاني المهن والجماعات المختلفة ، وغيرها .

وفي مجال النثر نجد قصص الف ليلة وليلة ، وغيرها من القصص العربية .

ولعل ذلك يكفي في الجواب عن التساؤل : هل الادب الشعبي مناهض لادب الفصحى ؟..

فهو ليس مناهضا له ، بل ان ادب الفصحى قد ازدهر في مختلف العصور والبيئات مع ازدهار الادب الشعبي .

● التطور الاجتماعي الحديث والمعاصر يؤثر على مستقبل الأدب الشعبي

● لم يعد الأدب الشعبي سائراً في الريف سيرورته الماضية!



ولا نعدو الحقيقة اذا قررنا مطمئنين أن الادب الشعبي عون ومساعد لادب الفصحى ...

فالادب الشعبي يعم البيئة وينال منه المثقف وغير المثقف . ومن شأن سيرورته وشيوع تداوله ترقية الذوق الادبي العام والارتفاع بادب الفصحى تبعا لذلك . وكثير من الادباء البارزين قد عنوا بامتثال الادب الشعبي سبيلا للتفوق في ادب الفصحى .

واذا كان الادب الشعبي يمثل البيئة في صدق وبساطة ووضوح ، فليس من اليسير على اديب أن ينبغ في بيئة قبل أن يلم بطريقة تصوير الادب الشعبي لهذه البيئة ...

ولقد أورد بعض الباحثين في الادب الشعبي العربي مقارنات بين صياغات أدبية شعبية وصياغات ادبية فصحى في موضوع بعينه ، تدل على امتياز الاولى افكارا ومعاني ..

ومنذ الحركة الالمانية في النصف الثاني للقرن الثامن عشر التي قادها « هردر » في كتابه الجامع للاغاني الشعبية الالمانية ، أصبح من المسلمات أنه لا مناص للاديب الممتاز من امتثال روح الشعب الذي يكتب فيه ، وأن الادب الشعبي من أصفى منابع هذا الامتثال ...

واذا كانت العربية الفصحى هي رابطة القومية الوثقى بين ابنـاء

الأدب الشعبي

الوطن العربي الكبير – وكان العمل لسيادتها من أول ما يجب أن يعمل له أبناء هذا الوطن – فان الادب الشعبي يبدو للبعض مناهضا للقومية العربية

ومنذ عشر سنوات ، وفي مؤتمر الاعلام العربي المعقود بمدينةالكويت ، تحدث الاستاذ العلامة عبد الرحمن البزاز مدير معهد البحوث والدراسات العربية حينذاك ، منكرا أن يدرج في جدول أعمال المؤتمر موضوع الادب والفنون الشعبية وسيلة للاعلام العربي ، ومؤكدا أنها دعوة اقليمية تجافي العمل في سبيل القومية العربية عن طريق العمل الاعلامي المشترك ٠

وتحدثت حينذاك معارضا هذا الرأي ، ومؤكدا على ادراج الموضوع في جدول أعمال المؤتمر ٠ وأدرج الموضوع وصدرت فيه توصية أقرها مجلس الجامعة العربية ٠٠٠ ولايزال الادب والفنون الشعبية العربية من أهم وسائل الاعلام العربي في الداخل والخارج ٠ وكذلك انتحلت اسرائيل آدابا وفنونا شعبية للاعلام عنها ، حين أعوزتها الاداب والفنون الشعبية

ويمكن ايجاز الحجج الداعمة لهذا الرأي فيما يأتي :

أولا – أن دراسة الفنون الشعبية في الاقطار العربية المختلفة ، وفي مقدمتها الادب الشعبي ، تظهر في وضوح عناصر التشابه والتماثل بين هذه الفنون والاداب ، آية جديدة على وحدة هذه الامة في جميع الميادين ٠٠



ثانيا — ان الادب الشعبي في الاقطار العربيـــــة المختلفة يدور حول قادة وابطال وشخصيات من العرب ، ومثل عليا في الدين أو البطولة يلتقي حولها ابناء الامة في جميع البلاد ، وتدعم اواصر القومية والوحدة بينهم ...

وفي هذا المقام يمكن أن نذكر سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه وطائفة من صحبه رضى الله عنهم ، وآثارها في وحدة الفكر العربي .

كما نشير الى قصص عنترة وسيف ابن ذى يزن ، وصلاح الدين الايوبي، والظاهر بيبرس ، وبنى هـــلال التى تسير في جميع الاقطار العربية ...

ويمكن أن نشير كذلك الى قصص الف ليلة وليلة ، التى يعتبـــرها الغربيون من أمهات الادب العـــربي الدالة على سحر الشرق ... فهذه القصص بدأ ظهورها ترجمة وتأليفا وتعديلا منذ القرن الرابع الهجرى في العصر العباسى الاول ، ثم ظلت عدة قرون تدخل عليهـــا التعـــديلات والاضافات ، حتى انتهت الى وضعها الذى طبع في طبعاتها المصرية والهندية الباقية ... والنقاد الاوروبيون والعرب الذين درسوها ينتهون الى انها ذات صيغ مختلفة في الاسلوب تبعا للاقطار العربية . فمنهـــا صيغة مصرية ، وصيغة سورية ، وصـــيغة عراقية ، وصيغة تونسية . وبعضهم ينسب بعض الفصول الى قطر من هذه الاقطار ، ولكن الكل يجمع على تشابهها وأنها كانت من العوامل في دعم وحدة اللغة والفكر والخيال العربية بسيرورتها في جميع اقطار وطننا ، والتقاء الصغار والكبار والرجال والنساء من حولها .

ثالثـــا : أن الادب الشعبي مثـــل ادب الفصحى نتــــاج البيئة المادية والمعنوية .. واذا كانت هذه البيئة واحدة او متشــــابهة على الاقل في الوطن العربي الكبيـــــر ، وكانت الهجـــرات والاندماجات متصلة بين اقطارها عبر العصور المختلفة ، فمن الطبيعي ان تظهر آثارها الموحـــدة و المتشابهة في الادب الشعبي ظهورها في ادب الفصحى ، وأن يكون أولهما مؤديا الى ذات الهدف المؤدى اليـــه آخرهما ...

والآن يمكن التأكيـــــد بأن الادب الشعبي يساعد ادب الفصحى ، وان لم يستطع اى منها ان يحل محل الآخر مادامت هنالك بيئة للشعب وبيئـــة للخاصة ...

ولكن هل يعني هـــــذا ، ان الادب الشعبي في بقاء ونماء ؟.. يبدو ان الامر ليس كـــذلك ، وان التطـــور الاجتماعي الحديث والمعاصر ، يؤثر على مستقبل الادب الشعبي ، ويؤذن بوحدة ادبية عربية في مستقبل نرجو أن يكون قريبا ...

فالادب الشعبي نتاج بيئة ريفية او بدوية او متخلفة تعيش فيها الجماهير عيشا مغايرا لعيش الخاصة من أهل المدن .

وبلاد العالم المتقدمة قد أستطاعت أن تمحو أكثر الفوارق بين حيـــاة

الريف والمدينة ، وان تمحو الامية محوا تاما ، وان توفر الخدمات المعيشية والثقافية لسكان الريف توفيرها لسكان الحضر ...

وذلك أمر قد سار بخطا واسعة في الدول المتقدمة ، حتى دفع المؤرخ الشهير الاستاذ « أرنولد توينبي » الى ان يكتب منذ اشهر في صحيفة « التيمس » اللندنية مقالا ممتعا ، تحت عنوان : مدينة العالم «The World City» وقد صور فيمستقبل عالمنا ، بعد ان يتم الاخذ بوسائل المواصلات المتطورة ورفع جميع الحواجز بين الريف والحضر ، وتخيله مدينة واحدة ، يعيش اهلها ، في مقابل عيش سكان الكواكب الاخرى ، عيشا موحدا او متشابها ، وبها شارع لاوروبا وثان لافريقية ، وثالث لاسيا ، ورابع لامريكا ، وان يعبر الانسان المحيطات بوسائل مواصلات الفضاء مثلما يعبر الان جسرا صغيرا على شفتى نهر فيمدينة او ريف !!

بل ان الذين يقابلون بين حياة الريف المصرى لثلاثين عاما خلت وحياته اليوم يرون ان الامر ليس مقصورا على العالم الغربي ، وانما يسير بخطا مختلفة في العالم ..

فالريف المصرى والبادية العربية قد غزتهما أجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة . واهل الريف المصرى لم يعد الادبالشعبى سائرا فيهمسيرورته الماضية ... فقد أصبحوا يأخذون بوسائل المدينة وفنونها في أفراحهم ومأتمهم ومجتمعاتهم ، وأصبح لهم فرق فنية تنحو منحى الفن الحضرى او تقلده ، بل ان الفن الشعبى قد ادخل عليه الكثير من التعديلات ووسائل التحديث والتطوير الحضارى

والى جانب ذلك ، فان نشر التعليم والثقافة من شانه ان يوحد اسلوب الحياة ، ويقضى على دواعى الادب الشعبى ... وذلك أمر بين في حركة التقارب بين العامية والفصحى ، ومسيرتها تبعا لحركة التطور في التقدم الاجتماعى والثقافى لسواد الشعب .

واذا ما اصبح الشعب وحدة متشابهة الحياة والوسائلوالاهداف ، اصبح فكره واداة التعبير عنه واحدين

وقد لا يطول الزمن حتى يرى ابناؤنا او حفدتنا ، امتنا العربية أمة واحدة ، تحكمها حكومة واحدة وتعيش حياة واحدة ، وتسلك طرائق وتستهدف اهدافا واحدة ، ويعبر عنها حينئذ ـ لا ريب ـ ادب عربى فصيح واحد ....

محمد المهدى الجواهرى



رسالة مملحة من براغ

الميني - جوب

« بعث بها الشاعر من براغ الى صديقه (ابي هدى) وكان من حكام بغداد ، حين اصدر امرا صارما بان توسع أزياء الفتيات عبا واعتسافا ، وان يطول منها ما قصر ، حتى يبلغ ما تحت الركبتين بعدة اقدار :

وفَّى لها نذرا فوافَى . وسعى بها سبعا ، وطافا
ورمى بها الجمرات من قلبٍ تملكتها شغافا
عاد الحجيجُ ، وقد سعى ، وسعى ، ويأبى الانصرافا
يتلمس الحجرات ، يعرفهن قربَى ، وازدلافا
ويرى بكل ثنيةٍ بعشا لذكرى واكتشافا

***

وافى بها والثلج يحتضن المشارف والحفافا
حتى « المسارجُ » في الكوى الخفرات يخفقن ارتجافا
الغادةُ المعطاء كلّفت الخصاصة والشظافا
عرّيتُ ، فراحت بالنديف البض تلتحف التحافا
وشبابها وكأنه لم يَشتُ قبلُ ، ولا أصافا
متنظرا عرس « الربيع » لعله يزّعى الزفافا

***

آه على « ابن العبد » اذ يتبرض العيش اشتفافا (١)

---

(١) هو طرفة بن العبد صاحب المعلقة التى يقول فيها :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى — وجدك لم احفل متى قام عودى
فمنهن سبقى العاذلات بشربة — كميت متى تعل بالماء تزبد

يهوى « الطراف » ، وبهكنا (1) رودا ، وأن يحمي المضافا
لو عاد لاختصر المسافا كدّاً ، وحيثا ، واستضافا
لرأى له وسط الجبال الخضر من ثلج « طرافا »
لاعتاض عن حلب العصير سعى به « علج » ودافا
حلبا تقطر من شفاه الغيد يعتصر انتزافا
وعن « البهاكن » كل رود تسرج الليل الغدافا

***

« أأبا هدى » شوق يلح ولاعج يذكي الشغافا
شوق المبارح لم يغيره البعاد ، ولا تجافى
ثبتٌ أنك توسع الأزياء عيبا ، واعتسافا
وتقيس بالأفتار أردية بحجة أن تنافى
ماذا تنافى ؟ بل وماذا ثم من خلق ينافى
حوشيت ، أنت أرق حاشية ولطفا ، وانعطافا
أترى العفاف مقاس أقمشة ؟ ظلمت اذن عفافا
هو في الضمائر لا تخاط ولا تقص ، ولا تكافى
من لم يخف عقبى الضمير فمن سواه لن يخافا
يا قائد الجيش اقتحاما والتحاما ، والتفافا

***

طوق جمالات الحمى والمنعشات به الجزافا
وتقص كل جذورهن فلا القوى ، ولا الضعافا
أشع الحياة ولطفها في موطن يشكو الجفافا
أقوى فلا المرح ، استجد ، ولا الصداح ، ولا الهتافا
وخلا كما تخلو الفيافي غير أتربة تسافى
وسوى العروق الناشفات كأنها تشكو الرعافا



(1) البهكن : الفتاة الجميلة



هوت المحاجر في العيون كأنَّ فيهن انخسافا
وتفرت الرغبات منع العاطش العذب النطافا

***

يامن رأى فلك النجوم سعى بأكوابٍ وطافا
هذى الصحاف من الزبرجد رُحن يحملن الصحافا
ساعا على ساعٍ وقوفا وانتشارا ، واصطفافا
الساحراتُ ، فمن يردك أن يطرن بك اختطافا
والناعسات فما تحسُّ الطرف أغفى ، أم تغافى
والناهدات يكاد مافى الصدر يختطف اقتطافا
والخيرات النافرات النفسُ للطيب اعتكافا
هذى « المسيح » الى السلام على العيون طفا ، وطافا
ودم « الصليب » على الخدود يكاد يرتشف ارتشافا
علقن في أوساطهن مآزرا بيضا ، خفافا
ورددنهن الى « الظهور » فكنَّ اردفة ردافا
ساءلتُ نفسى ، لا أريد ، لها عن « النحو » انصرافا
أترى « المضاف » اليه أحلى ، أم علاقته « المضافا » ؟

***

« أأبا هدى » : قولٌ يخاف سأدعيه ولن أخافا
انى ورب صاغهنَّ كما اشتهى ، هيفا لطافا
وأدقهنَّ فما ونى وأجلهنَّ ، وما أحافا
لأرى الحياة اذا خلت منهن أولى أن تعافا
لو قيل ما سر الخلود لقلت : ما كنَّ الغلافا
أو قيل « كيف الحبُّ ؟ » قلتُ بأن تداه فما تشافى
وفتى لها نذرا فواق وسعى بها سبعا وطافا

ملامح البطل في الأدب الشعبي

د. عبد الحميد يونس

● ملامح بطولة عنترة أثرت في أبطال أوربا أواخر القرون الوسطى وعصر النهضة

● أين المؤلف الحديث الذي يلتقط هذه المشاهد المجسمة للصراع ثم الألفة بين الأجيال ؟

سيظل بارزاً في الأدب الشعبي لمدان ، منذ اللحظة الأولى ، مقومات البطولة وملامح الأبطال ؛ أولاهما زوال الحاجز تماما بين الإبداع والمتلقي وبين انتقاء الكثير من القصص الشعبي ، فإن المتلقي يعمل باستمرار على تطويع المادة الأدبية لمختلف البيئات والمواقف ، بمعنى أن لنفسه الحق دائماً في الإضافة والحذف والتعديل ، بل في إعادة الصياغة ، ولكن بشرط واحد هو عدم الخروج على الصراع أو الشكل المستقر في أخلاق الجماهير .

أما السمة الثانية التي تميز الأدب الشعبي ، وبخاصة في صورته السيرية ، فهي الاقتراب من عالم الواقع ، كما يتصوره الشعب نفسه ، وهو واقع يرتبط بكثير من سياق الأحداث الجارية ، كما تصنعها الجماهير ، ولذلك أن الشعب الانتقاء من الشخصيات والوقائع ، عبر تاريخه الطويل ، والتزم في هذا الانتقاء بمعيار واحد هو وفاء الوقائع والشخصيات بما يريد أن يحسه من آمال ورغبات ومشاعر ، ولقد [illegible] من تاريخه القريب أبطالاً ، لا يكاد يلتفت إليهم التاريخ الرسمي ، كما نجده يمد بصره وبصيرته إلى مراحل موغلة في القدم ليعيد إلى الحياة شخصيات ، خرجت ، أو كادت تخرج من أفق التاريخ إلى رحاب الأساطير .

ولابد لنا من التفريق أيضاً بين الحدث التاريخي ، كما نفهمه الآن ، محدداً بالزمان والمكان ، موثقاً بالنصوص ، خاضعا لمعايير الفكر والعقل ، وبين الحدث التخيلي ، كما يتصوره الشعب ، معبراً عن الواقع النفسي للجماهير التي تستقبله أو تتلقاه ، ولا يشغلها مسايرة المعقول أو الممكن بقدر ما يشبع عنده من قيمة أو مثال ، وما يقربه من الوفاء برغباتها أو تحقيق إرادة .

ولذلك حتى المتخصصين في الأدب الشعبي والمرحلة التي يؤدي فيها أكثر من علاقتهم بالعصر التاريخي الذي يقال إن الأحداث قد وقعت في نطاقه ، ومن الضروري والحالة هذه ، أن نلتمس ملامح البطل الشعبي في أفق الجماهير نفسها ، لأنها هي التي تصنع الملاحم ، وهي التي تحرص على الحكي والتشبث بالتزامها وعدم الخروج عليها بحال من الأحوال .

● عصر البطولة والعصر الذهبي

وبحسبنا الآن الظروف التي توحي بانتخاب هذا البطل أو ذاك ، من التواريخ أو الأخبار أو القصص ، فالشعب لا شك لديه ذاكرة تلتقط العصور بمراحل معينة ، وتتمسك بالشخصيات القليلة ، على كثرة ما شاهد من وقائع وأحداث .

والشعب العربي [illegible] في ذاكرته [illegible] ، [illegible] على حلقات تاريخه الطويل ، [illegible] كثير من الشعوب ، [illegible] على الأرض ، [illegible] في مسيرة التاريخ الإنساني ، [illegible] تراث الإنسان ، منذ أمد طويل ، [illegible] عصر البطولة والعصر الذهبي ، [illegible] [illegible] الوحدة القومية ، [illegible] [illegible] في الإطار والنصوص ، [illegible] إلى جانب ذلك ، [illegible] في كل أمة ... [illegible] ... [illegible] ... أما العصر الذهبي [illegible] التي [illegible] تاريخ الجماعة [illegible] ، [illegible] الحضارة [illegible] و[illegible] ، [illegible] العصر [illegible] [illegible] أن يكون عليه الأفراد في [illegible] .

ولا يخرج التصنيف أو التفصيل في [illegible] عن [illegible] [illegible] ، [illegible] الشعب [illegible] عصر البطولة والعصر الذهبي ، ولا بأس [illegible] من [illegible] ، أو [illegible] [illegible] [illegible] ، والسياق التاريخي [illegible] أن [illegible] في الواقع [illegible] ، أو في [illegible] الأدبي على الإيهام بأنه من صميم الواقع والتاريخ .

ومن اليسير أن نقرأ أن عصر البطولة عند الشعب العربي إنما هو العصر الجاهلي ، فقد كان عصر [illegible] العربي ، و[illegible] العربي ، والفروسية العربية ، [illegible] في [illegible] العربية إلى [illegible] ، وأن العصر الذهبي هو [illegible] الحضارة العربية الإسلامية فيما اصطلح المؤرخون على تسميته بالعصر العباسي الأول .

ملامح البطل في الأدب الشعبي

والادب الشعبي العربي يحدد نقطة الاوج في تلك الحضارة بشخصية هارون الرشيد ، كما تخيلها مثالا لما ينبغي أن يكون عليه الحاكم العربي في مرحلة الازدهار الحضاري • ولقد استقر هذا المثال حتى أثر ، بطريق مباشر او غير مباشر ، على مناهج المؤرخين الى الجيل الماضي ، ورأينا الدكتور طه حسين يحاول جاهدا منذ أربعين سنة أن يضع خطا فاصلا بين شخصية هارون الرشيد المثالية المجسمة للعصر الذهبي ، وبين شخصيته التي يحددها منهج الدراسة الواقعية للتاريخ ••

وتكاد تستوعب السير الشعبية ملامح البطولة والابطال ، كما صورها الشعب العربي ، وهي تلتمس شخصياتها من مرحلة الجاهلية ، كما تلتمسهم من المراحل التي فرض فيها على الشعب العربي أن يقف في وجه الغزاة او الطغاة ، دفاعا عن أرضه ومصيره ، أو تحقيقا لمثله وقيمه وفضائله ، ولقد انتخب الشعب العربي عنترة بن شداد، والمهلهل ، وسيف بن ذي يزن ، من فرسان الجاهلية ، كما انتخب الاميرة ذات الهمة ، وأبى زيد الهلالي ، واضرابهما من فرسان المسلمين ، واختار الى جانب هارون الرشيد في العصر الذهبي شخصيات تجسم أبهة الملك وترف الحضارة وازدهار الفنون وطلب التسلية والترفيه والمنادمة •

والسير والقصص والنوادر والاناشيد والمواويل تزخر بنماذج بشرية ، ليست فيها خصوصية الشخصية التي تميزها من غيرها ، ولو كانت في اطار بيئتها وعصرها ، ولكنها تجسم الفرد كما ينبغي أن يكون في نظر جماهير الشعب ، اذا كان الموقف يتطلب صراعا أو مقاومة أو تحقيقا لفضيلة ••• أو تصور النموذج ، كما يحب الشعب أن يكون ، مثالا لخليفة أو وزير أو قاض أو نديم • ولا يستطيع دارس للمجتمعات العربية أن يتعرف على المعايير والضوابط التي تحدد العلاقات دون أن يواجه الشخصيات المنوعة في الادب الشعبي ، وما تكشف عنه من فضائل ومزايا ، بل وما تنم عنه في بعض الاحيان من مفارقات •

● الفارس الاسود

وهناك مقياس على قدر من الدقة يحدد الملامح الثابتة ، التي لم يتحول الشعب العربي عنها ، في صورة البطل الذي يتصوره مجسما لآماله محققا لرغباته ، وهذا المقياس هو قدرة الملحمة التي تحكي أمجاد البطل ووقائعه، على مقاومة الزمن ونحن نذكر أن ملاحم كثيرة ظهرت وتمت وتكاملت ، ثم انحلت عراها ، وتفككت عناصرها ، وطواها النسيان الا من واقعة شاردة أو خبر منتزع من سياقه واطاره •

واذا طبقنا هذه القاعدة على فرسان الجاهلية ، فاننا نجد شخصية عنترة ابن شداد تحفر لها مكانا بارزا في ذاكرة الشعب العربي ، فهو اولا وقبل كل شيء بطل ملحمي ، قدر له أن يتجاوز العصر الجاهلي والجزيرة

العربية ، وان يعيش مع الشعب العربي في جميع أوطانه ومراحل تاريخه ، بل ان هذا البطل قد تجاوز العالم العربي الى آفاق أخرى ، فترجمت ملحمته الى بعض اللغات الاوروبية ، واثرت ملامح بطولته في ابطال اوروبا اواخر القرون الوسطى واوائل عصر النهضة ، واذا أردنا ان نلخص خلائقه فلن نجد غير « الفروسية » ، التي صاغت الشخصية العربية في عصر البطولة وما تلاه ، والتي رسمت النموذج الذي يريد الانسان العربي ان يسمو اليه ٠

وتتركز هذه الفروسية فيما نعرفه بالفتوة أو المروءة ، فالفارس العربي يصور الرجولة المثالية في قوة الشكيمة ومضاء العزم ، وكراهة الضيم ونجدة الملهوف ، والدفاع عن الحمى والعرض والمال ، والترفع عن الصغائر ٠

واذا كانت الفروسية الاوروبية تتركز حول ثلاثة مقومات ، هي الحب والدين والحرب ، فان الفروسية العربية جمعت بين الحب والحرب ، ومن هنا اختار الشعب العربي عنترة بن شداد ، لان واقعه التاريخي يجعله من الفرسان الشعراء ، ويجعل الحب من اعظم حوافزه على تحقيق الذات ، بتحريرها من العبودية أولا ، وبدفاعها عن الجماعة كلها ثانيا ٠

ولقد كان عنترة أبنا لاحد أشياخ القبائل الذين لهم شرف ومجد ، ولكن والدته كانت أمة حبشية ، وقدر عليه من أجل ذلك أن يلحق بالعبيد ، وأن يقصى عن عالم الاحرار ٠ وحفزه ذلك الى أن يجاهد في سبيل تحقيق ذاته ، وطمح الى أن يصبح فارسا ، ولم يستطع أن يستكمل انسانيته الا بالدفاع عن الجماعة بأسرها ٠ وهكذا اثبت أن حرية الفرد ، مهما كان وضعه الاجتماعي ، لا يمكن ان تتحقق الا بحرية الجماعة كلها ٠ وكان حبه المشهور لصاحبته عبلة حافزه القوي على تحقيق الذات وتحرير النفس والجماعة معا ٠

ولم يكتف الشعب العربي بانتخاب هذا البطل من بين الفرسان ، وما اكثرهم ، ولكنه صاغ ملامحه كما ينبغي أن يكون البطل العربي في خلد الشعب العربي ، وجمع الفضائل والمثل التي ينبغي أن يتحلى بها الفارس ، فاودعها هذه الشخصية ، ليجعل منها نموذجا للامة العربية بأسرها واذا كان عنترة قد حرر قومه ، فان الشعب العربي قد حرره من ربقة الجاهلية ، وكأنما عز عليه أن يموت وثنيا ، فاسبغ عليه فضائل الاسلام ٠

وليس المهم في مكانة هذا البطل من الشعب العربي فحسب ، ولكن المهم أيضا هو الدلالة ، التي نستخلصها من انتخابه ، والاحتفال بملحمته ، دهرا

الدكتور طه حسين :
منهج الدراسة الواقعية للتاريخ



طويلا . والواقع أن انتخاب الشعب العربي لهذا البطل الجاهلي لم يكن بلا سبب حيوي ، أملاه عليه موقفه من ذاتيته القومية العامة من ناحية ، ومن الشعوب الاخرى التي تسللت الى موطنه وغلبته على مصالحه من ناحية أخرى . ومن الواضح أن الشعب العربي انما اعتصم بموطنه الاصلي ، وهو الجزيرة العربية ، والتفت ـ كما قلنا ـ الى عصر نقاء الجنس وهو الجاهلية ، عندما احس بوجدانه القومي ينبض ، دفاعا عن الحمى والنفس ، بعد انحسار موجة الفتوح الاسلامية ، واستئثار غير العرب من المماليك واشباههم بمقدرات الحكم في أجزاء من الوطن العربي ، وابان ذلك الصراع الدموي الطويل الذي عرف بالحروب الصليبية .

واذا كنا نذكر دائما « مجنون ليلى » على انه مثل أعلى للحب ، فان الواجب يقتضينا أن نسجل مزية لحب عنترة لعبلة ، ذلك لان هذا الحب لم يكن صراعا بين تصور افلاطوني لهذه العاطفة الانسانية من ناحية ، وبين عرف الجماعة وتقاليدها من ناحية أخرى ، كما هو الشأن في قصة « ليلى والمجنون » ، وانما كان حافزا رئيسيا من الحوافز النفسية على تحقيق الوجود ، والظفر بالحرية ، والتفوق على الفتيان والانداد ... ولم يكن حب عنترة لعبلة رمزا لوجود خلاف أو صراع ، بين الفرد وبين اطاره الاجتماعي ، وانما كان عاملا على الالتحام بالاطار الاجتماعي ، وتأكيدا للمثال الذي ترتضيه الجماعة لكل فرد حر من افرادها الاحرار .

ولم يكن اختيار الشعب العربي لفارس اسمر اعتباطا ، ولكنه يؤكد حقيقة على جانب كبير من الاهمية ، وهي أن اللون الاسمر كان رمزا فنيا وواقعيا على طبيعة الصراع بين العرب وأعدائهم ، فلقد تحيف الرجل الابيض الوطن العربي ، واقام فيه ابان الحروب الصليبية جيوبا أو مستعمرات ، وتسلل الى الحكم في بقاع من الوطن العربي ، وتسلط على أرزاق الناس ومصائرهم ، فما كان من الشعب العربي الا أن يجسم الصراع بانتخاب فارس اسمر فاختار عنترة ، الذي كانت السمرة فيه أمرا طبيعيا متوقعا ، لان والدته كانت امة حبشية .

وترددت هذه الحقيقة في ملاحم اخرى ، وأراد الشعب العربي أن يؤكد الفارق بينه وبين اعدائه ، فآثر باهتمامه بطلا كانت السمرة بالنسبة اليه مفاجأة غير طبيعية من حيث الظاهر ، وغير متوقعة ايضا . وهذا البطل هو « أبو زيد » فارس بني هلال .

وتبدأ سيرة أبي زيد بتبرير فني رائع لهذه الخصيصة في بطلها المرتقب ... تبدأ بالدعاء المشهور من أمه السيدة خضرة الشريفة الى الله أن يمن عليها بغلام اسمر يشبه الطائر الذي غلب سائر الطيور ، والذين يستمعون الى المنشد يكادون يحفظون هذا الاستهلال الفني ، فلقد خرجت السيدة خضرة الشريفة مع العقائل من بنات هلال ، واسترحن عند عين في الطريق ، فرأت طائرا اسود ينقض على مجموعة من الطير مختلف الالوان والانواع ، فيغلب

عليه . ويقتل الجانب الاكبر منه ، فأعجبت به ، ورفعت وجهها الى السماء، تدعو الله ان يرزقها غلاما على شاكلته، ولو كان فاحم اللون ، واستجاب الله لها ··· وظهر الى الوجود الفارس الاسمر ، وابو زيد الهلالي ، المشهور ·

● أين المؤلف الذى ...

وما اكثر الاحداث التي تتوالى في السير الشعبية ، والتي تفسر صراع الاجيال ··· الاباء والابناء ، او كما يقول النقاد المعاصرون الصراع الذى تحفز اليه عقدة اوديب ، فقد واجه عنترة اباه الامير شداد ، ولم يلحقه بنفسه الا بعد ان اثبت جدارته بالفروسية ، وتفوقه على الاقران ، وقدرته على الدفاع عن الحمى ·

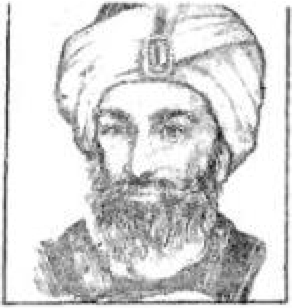
وعلى نفس الطريق سار ابو زيد الهلالي ، وان اختلفت التفاصيل فقد نفي وامه من الديار ، لظنة السوء بنشاته · ولم يستطع ان يستكمل انسانيته الا بتبريزه في الفروسية ، وقدرته على ملاقاة العدو · وكما اعترف شداد بابنه عنترة ، فقد اعترف رزق بابنه ابي زيد ، بعد مواجهة دموية بينهما · واصبح ابو زيد منذ ذلك الجامع للكلمة ، المدافع عن الجماعة ، المجسم لآمالها ·

وسيرة بني هلال ، كغيرها من الملاحم الشعبية ، انما تعبر عن نزوع الجماعة الى الوحدة العامة ، ولكنها باستعادة العروة الوثقى بين الاباء والبنين ، تضيف مقوما اخر هو العمل على تواصل الاجيال ، من اجل مصلحة الجماعة · وهذه المزية التى تؤكد تكافل الاجيال في الملحمة العربية هي بعينها التي تؤكد التكافل الاجتماعي بين جميع الافراد والطبقات في اطار الجماعة او الامة ··· فاين المؤلف الحديث الذى يلتقط هذه المشاهد المجسمة للصراع ثم للالفة بين الاجيال ، ويستطيع ان يشخص هذه العواطف ، ويبرز ما فيها من تفاصيل الصراع النفسي ، حتى يتحول بالشكل الملحمي الى قالب درامي ، يكشف عن نوازع النفس ، ويحقق ارادة الإنسان ، ويدعو الى انتصار الحياة ؟

ولا يستطيع باحث في هذه الملاحم الشعبية ان يغفل ملامح البطولة في المراة العربية ، فلم تكن مجرد فتاة عذراء تحفز الى ركوب الاهوال والحصول على الجزة الذهبية او النوق العصافير ، ولكنها كانت الى جانب ذلك عضوا عاملا في الجماعة ومحركا رئيسيا للوقائع ، ومشاركا في التخطيط والتنفيذ معا · وهذه شخصية الجازية ، الام المثالية في سيرة بنى هلال ، فلقد امتحنت بين نفع خاص ومصلحة عامة فآثرت الاخيرة ، وتركت بيتها وولدها وزوجها ، وسارت مع بني قومها ولذلك حرصت الملحمة على توقف الجمع الهلالى كله في انتظار ان تلتحم الجازية ، به ، ليبدأ زحفه الكبير ، او بتعبير السيرة الشعبية ليبدأ التغريبة الكبرى · ولقد بلغ من اهمية هذه الشخصية النسائية ، عناية ابن خلدون بها فهو يذكرها في مقدمته وفي تاريخه على السواء ، ويراها مثلا رفيعا للحب ··· الحب الايجابي الذى تعترف به الجماعة ··· الحب الزوجي العظيم، مع الامومة المقدسة · ويقول هذا الحكيم فيما يقول : « ان حبها يزرى بحب ليلى للمجنون » ··

● مواقف رائعة للمراة العربية

ولقد ظلت الجازية تنهض بواجبها العام ، تجمع الكلمة ، وتراب الصدع ، وتستنفر للمعركة · والملحمة تذكر لها موقفا رائعا ، يحتاج هو الاخر الى مؤلف درامي معاصر ، ففي مرحلة وسطى من الطريق ، والاحداث متتابعة



ملامح البطل في الادب الشعبي

هارون الرشيد : الشخصية المجسمة للعصر الذهبي

التقت فيها السياسة بالحرب ، وأسهم فيها العقل مع السيف ، وواجه الزحف الهلالي الكبير عقبة كأداء ، ذلك لان بني هلال التقوا بفارس قوي السلطان ، كثير الانصار وكان الهلالية يريدون أن يبلغوا الغاية دون أن تتبدد قوتهم ، لانهم لم يواجهوا بعد عدوهم الاكبر • وهذا الفارس الذي يقف لهم في الطريق، لا مصلحة له في القضاء عليهم ، ولكنه يريد منهم غنيمة ••• يريد ثمن العبور• ولقد اشترط هذا الفارس أن يحصل على أعز ما في القبيلة ••• على (الجازية) التي كان يعرف رجاحة عقلها وحسن تدبيرها وقوة ارادتها • واحتالت المرأة العظيمة ، ومكنت لبني هـــلال من العبور ، وتظاهرت بقبول ما اشترطه ذلك الفارس • وتقول الملحمة انهـــا لبثت معه ليلة واحدة ، أخذت تروي له فيها القصص والأخبار والاسمار ، مثلها مثل شهر زاد في قصص الف ليـــلة وليلة ، وحتى اذا داعب الكرى اجفانه غافلته في الهزيع الاخيـــر من الليل ، وكرت مسرعة تحث الخطا وراء قومها الذين رحلوا • وطلعت الشمس ورأى بنو هلال « الجازية » تستعيد مكانهــا بين الابطال والفرسان •

وحفلت الملحمة الشعبية العربيـــــة بنماذج فريدة من البطولات النسائية ، وتجاوزت الحب الافلاطوني والزوجي الى مثال اخر ، يؤكد الامومة ، تمنحهــــا البطلة للمخلص الموعود ، وان لم يكن من ابنائها ، وهـــــذه السيدة فاطمة الاقواسية تدرك بفراستها ان الفتى الذي يبـــاع في أسواق النخاسين سيكون له شأن عظيم ، وانه الفارس الذي قـــدر عليه أن يقود جحافل العرب والمسلمين الى النصر ، وتصفية ما بقي من الجيوب الصليبية داخل الوطن العربي ، ولذلك صورتهـــا الملحمة أما عظيمـــة تهيىء بحنانها الجو النفسي الذي يتيح لمحمود بيبـــــرس أن يحقق ذاته وان يثقف الفروسية ، وأن يبرأ من العقـــد التي تصيب امثاله الذين ينتزعون من جحور أمهاتهم الى عالم مجهول • وهـــذه البطولة النسائية الفذة ملمح جـــدير بالتسجيل والاحترام ، الى جانب ملامح البطولة ، كمـــا صورتها شخصيات الابطال انفسهم • وفي امثال الجـــازية وفاطمة الاقواسية ، وعائشة الدمشقية ، ما يؤكد الايجابية في المرأة العربية••• لم تكن مجرد صورة خيـــالية توصف بالجمال فحسب ••• لم تكن محصورة في اثارة البطل وشحذ همتـــه علـى الحركة والعمل ••• لم يكن وقازهـــا حرصا على العفـــة في حدود غرفة متعزلة ، وامام متسع دقيق ولكنهـــا كانت عضوا عاملا وبارزا ومحاربا في كثير من الاحيان •

● ضرب من البطولة والزعامة

ان امتياز البطل أو البطلة لا يعني اقتصار البطولة على فرد واحد ، أو عدد قليل من الافراد في المجتمع بأسره• وتعرف الملاحم الشعبية عادة باسم ابرز ابطالها الـــذي يكاد يكون في بعض حلقاتها المحور الرئيس لجميع الاحداث

والعلاقات ، مثل سيرة عنترة ، وسيرة سيف بن ذى يزن ، وسيرة الاميرة ذات الهمة ، وسيرة الظاهر بيبرس ... الخ • بيد أن هناك حقيقة أخرى تؤكد أن أفراد الشعب ، على كثرتهم واختلاف طبقاتهم واعمالهم ، يسهمون فى البطولة ، ويحاولون أن يصعدوا الى مستواها فى السلوك • كما أن هناك ملاحم شعبية تدور أحداثها حول أبطال متعددين وعلى مستوى واحد أو متقارب فى المكانة ، مثل سيرة بنى هلال التى تعج بعشرات الابطال من الفرسان • ولقد عرفت الحياة الاجتماعية فى المدن العربية ضربا من البطولة أو الزعامة يرتبط بالاحياء والمهن ، وله تقاليده التى تعد امتدادا للفروسية ، وظلوا محتفظين بهذه التقاليد ، حتى بعد أن تغيرت العلاقات بفعل التطور ، وكانوا يعرفون الى عهد قريب بالفتوات، من الفترة المريقة فى الحياة العربية بطبيعة الحال •

ومهما يكن من أمر الجمود الذى ران على تلك الطوائف ، وجعلها تتعلق بمراسيم جامدة وأخلاقيات أصبحت تتنافى مع المصالح العامة ، فان السير الشعبية احتفظت لبعض هؤلاء بملامح ، يمكن أن تسلك فى باب البطولة •

ومن أشهر هؤلاء الاسطى عثمان الذى استقل بديوان قائم برأسه من دواوين سيرة الظاهر بيبرس ، فقد جعله الشعب قرينا للبطل الاكبر بيبرس ، وتم التعارف بينهما بعد اختبار عنيف للقوى ، انتهى بأن تآخيا على طريقة الفرسان • وأسبغت الملحمة على بطلها الجديد مقومات الفتوة ، وانتخبته من سواس الخيل ، ليكون من المتصلين بالفروسية والفرسان ، والتقطته من الآحاد الذين لا يميزهم جاه أو مال ، ثم جعلته زعيما لمن هم على شاكلته قوة وفروسية ، وهكذا أسهم فى المعارك ، التى انتهت بتحرير الأوطان والمواطنين من سطوة الغزاة والدخلاء •

وأول شىء يلاحظه الباحث فى شخصية الاسطى عثمان ، الى جانب ارتباطه بالخيل والفرسان ، أنه من أبناء البلد الاصلاء ، وقد صورته الملحمة متصفا بجمال الصورة وحسن الهندام وبالشجاعة ، الى جانب الحيلة مع سائر الفضائل التى لابد أن يتحلى بها الشطار والعياق والزعر ـ كما كانوا يسمون فى ذلك الحين ـ وأضافت الملحمة اليه مزية يتفرد بها ، فقد جعلته ممن كشف عنهم الحجاب ، حتى أنه عرف الظاهر بيبرس منذ رآه لأول مرة ، وأكد أنه المنتظر لخلاص الاسلام من الباغين عليه ، وكان كلما قابله قال له : « اظهر يا ظاهر » ، وكأنما أراد الشعب أن يفسر على طريقته لقب الظاهر تفسيرا فنيا ، لا يخرج عن مزاج الشخصية ، ويعين على تأكيد ملامح البطولة من ناحية ، ويدفع بالاحداث والابطال فى الطريق الذى ينتهى بانتصار الشعب النزاع الى الحرية من ناحية أخرى •

● ملامح شخصية ابن البلد

ولا تترك الملحمة الشعبية مجالا للشك فى أن الاسطى عثمان انما كان زعيم طائفة الشطار والعياق ، لتبحره فى الشطارة والعياقة وقوة شخصيته ، الى جانب تجسيمه لاخلاقيات ابن البلد فى خفة الروح والاتجاه الى المرح ، وتحويل المواقف العسيرة من الناحية النفسية الى رسائل للفكاهة وانبساط النفس وتأكيد التفاؤل ، والاسطى عثمان بهذه المثابة ، يجمع فضائل ابن البلد ، ويتسم بميزتين أخريين : الاولى ـ انه من أبطال التحرير ، ولم يستخدم شطارته لمجرد اظهار الحذق والبراعة ، والثانية ـ انه من أصحاب المهن فى الاصل ، وان كانت مهنته ارتبطت بالفروسية •

ملامح البطل في الأدب الشعبي

واقترنت هذه الصورة من صور التفوق والامتياز بابن البلد ، باعتباره شخصية تختلف بأماراتها وأخلاقياتها عن غير العرب ، وبذلك عنيت السير الشعبية بابن البلد ، وجعلت له مثالا أو نموذجا في القصص الشعبي ، ومن أبرز الشواهد على تلك الصورة شخصية « على الزيبق المصرى » في السيرة المعروفة باسمه .

ومما له دلالته أن الشطارة استهدفت فيما استهدفت المشاركة في الحكم ، أو بعبارة أخرى عبرت بأسلوبها الخاص عن نزعة الشعب الديمقراطية الى حكم نفسه بنفسه ولنفسه .. وكان للشطارة درجات يرقى بعضها على بعض . ويقوم التفوق فيها على الصراع ، وهو صراع يرتكز على أعمال الحيلة ارتكازه على القوة ، ومع أن على الزيبق قد أكد الشطارة والعياقة ، فانه شخص اتجاه الشعب الى تجسيم فضائله وأخلاقياته كما انه أكد الاحساس القوى بالمواطنة وعبر عن كراهة الضيم ، والمبادرة الى رد الظلم ، مع النزعة القوية الى التفوق ، ومع الرغبة الصادقة في النهوض بالخدمة العامة .

● دليل على حكمة شعبية

ويزخر الأدب الشعبي بشخصيات الابطال من كل طبقة ومهنة وسن ، والملاحم تبرز أمارات البطولة ، كما يحب الشعب أن تكون ، وهى صور ايجابية تصرغ الأحداث والمواقف ، وتصدر أخلاقيات مثالية ، بيد أن هناك أنماطا أخرى من الشخصيات تصور بأسلوب مغاير النماذج المتشردة ، فتميز أحداثا وأقوالا وكفايات ، تتركز فيها حكم وانطباعات وملاحظات ، وهى تستقر في الذاكرة ، وتلابس الحياة اليومية ، وتستدعيها التجارب العادية في كل حين ، وتدور حول صفات مرفوضة أو مكروهة ، وتشيع الفكاهة بما فيها من مفارقات ومغالطات ، فنوادر الحمقى تؤكد فضيلة التعقل ، ونوادر البخلاء تستدعى فضيلة الكرم . أما الخروج عن المألوف ، والاستجابة الشرطية للأحداث ، بتصرفات لا تصدر عن التعقل ، أو تخرج على حدود المألوف والمنطق ، فان أكثرها يدل على حكمة شعبية ، تؤثر التخلص من التوتر، بما يشبه الرسم الكاريكاتورى .

وليس غرضنا أن نسترسل في هذه النماذج وأمثالها ، وحسبنا أن نقرر منهج الشعب في تصوير بطولاته ، فهو ينتخبها من تاريخه وواقعه ، وهو الذى يصورها ويتذوقها في وقت واحد ، ويجمع فيها بين الحلم والحقيقة ، وهو صادق في ابداعه وفي تلقيه ، ايجابي في انتخابه وفي تصوره ، وفي التحامه بثمرات فنونه ، ولاتزال هذه البطولات في انتظار المؤلف الدرامى ، أو الاديب الروائى ، أو الفنان التشكيلى ، لكى يرفع هذه النماذج ، التى كادت تصبح من المهملات بسبب استعلاء الذين يقصرون تراث الأمة على حلقاتها الرسمية فحسب ...

يوسف وهبى

الرئيس أنور السادات
نصير الفن والفنانين



الدكتور عبد القادر حاتم
رعاية كاملة لمسرح الشعب



المسرح للشعب ، ضرورة لحياة الملايين من المواطنين ، تعمق فى الوجدان ارتباطه بالقيم الانسانية والاجتماعية ، وتهدى الى نور الحضارة والمعرفة وبناء الحياة الافضل ...

وبالنسبة لقضايا الوطن ، والمجتمع والارتقاء بوعى الجماهير ، فان مسرحية ناجحة ومقنعة ، يمكن ان يكون لها من التأثير والنفع ، أضعاف ما تبلغه مقالات كثيرة وخطب وتوجيهات تكتب او تقال !...

وصحيح أن المثقف قد يتاح له ان يستوعب ويفيد من قراءة كتاب قيم أو مجموعة كتب ، مثلما يفيد من مشاهدة بعض المسرحيات ، ولكن ... ليس كل الناس فى بلدنا ، وفى كل بلاد

العالم ـ مثقفين ... وفى نفس الوقت فان الثقافة ليست هى مجرد ، فك الخط ، او معرفة القراءة والكتابة

المسرح للشعب

... ولهذا فقد اهتمت دول العـــالم بانشاء المسارح الشعبية التي تقبـــل عليها الجماهير ، وتتزود منها بالاراء والافكار الجديدة ، ودفعات التطور ، وصور البطولة في حب الوطن وانتصار الحق والعدل والحرية ...

وفي انجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول المتقدمة في انحاء العـــالم ، يقدرون أهمية الرسالة التي يؤديهـــا « المسرح ـ للشعب » ، ويؤمنون بأن المسرحية التي تقدم على المسرح اقوى وأبعد في تأثيرها على الجماهير من المسرحية المنشورة في صـــحيفة أو كتاب ، والمشهد التمثيلي على المسرح لظالم ومظلوم او مستقل شرير ، يثير في نفس المتفرج أعمق مشاعر الغضب والاشمئزاز ، ويحفزه لرفض الظلم ، والثورة ضد الطغيان والاستغلال ...

● أولاد الفقراء وتوبة العملاق

اذكر ، ذات ليلة ، اننا كنا نقـــدم في احـــدى قرى الريف مسرحية «الجحيم» ، وبين أحداثها وشخصياتها رجل ســـافل وضيع يريد أن يحطم مستقبل فتاة أوقعتها الظروف السيئة بين براثنه ، فتقدم بنذالة في حفـــل زفافها وأعلن ماضيهـــا أمام العريس وأسرته ...

وعند هذا الحـــد من المشهد ، فوجئنا بشاب من أهل القرية يقفز الى خشبة المسرح ، وفي يده سكين حادة يريد أن يغمدها في صدر ممثل دور الرجل الوضيع وينتقم منه للفتـــاة المسكينة المظلومة ... لقد انفعل هذا الشاب بأحداث المسرحية ، ولولا اننا بادرنا بانقاذ الموقف ، لذهب ممثـــل ذلك الدور ضحية دوره !

ومنذ ثلاثين عاما ، كنا نقدم في مدينة اخميم مسرحية أولاد الفقراء ، وبعـــد الفصل الثالث ـ وكان ختامه مشهد يمثل توبة رجل ظالم جبار ـ جاء الي في الكواليس حكمدار مديرية جرجـــا وقتذاك اللواء محمود لبيب ، ليرحب بي ... وبينما نحن نتبادل الحديث ، دخل علينا في الكواليس رجل عمـــلاق عابس الوجه صـــارم النظرات ، ولم يكد يرى الحكمدار حتى صاح يقول في مواجهته : « أنا لا أخافك !... انني أعرف انك موجود هنـــا ، وانك تتمنى أن تلقـــاني لتقبض على ... ولكني حضرت لأقابل يوسف وهبي ، ولأقول له انني بعد ما شاهدت في هذه

المسرح للشعب

يعقوب صنوع : مسرح النقد والسخرية من الاســـتعمار



● وفوجئت أثناء التمثيل بأحد المتفرجين يقفز إلى المسرح، وفى يده سكين حادة، يهم بإغمادها فى صدر الممثل الذى فضح البطلة!

● القاتل الذى اقتحم غرفتى فى مسرح اخميم، وتحدى حكمدار الشرطة، وأعلن توبته إلى الله!

● "خيال الظل" .. لم يكن مجرد تسلية .. بل هجوما على الظلم والاقطاع والاستغلال!

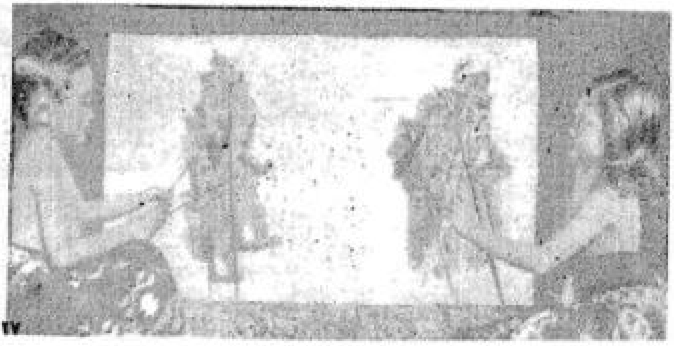
المسرحية ، اقسم على التوبة عن سفك الدماء وارتكاب الجرائم ··· وسوف أحج الى بيت الله » .

وقبل أن نفيق من دهشتنا ، الحكمدار وأنا – كان الرجل العملاق قد أسرع بالخروج واختفى عن الانظار ··· وقلت للحكمدار : « هل تعرفه ؟ » قال : « نعم ··· انه مجرم سفاح يستأجرونه للقتل ، يرهبه الناس فى انحاء المديرية ، وقد حوكم غيابيا ، وصدرت ضده احكام بالاعدام فى أكثر من قضية !··· »

وأسرع الحكمدار بالانصراف الى واجبه فى مطاردة المجرم والقبض عليه ··· ولكننى علمت فيما بعد انهم ، رغم البحث والتفتيش فى كل مكان – لم يعثروا له على أثر !

ومرت بضع سنوات ، التقيت بعدها بالحكمدار فى القاهرة ، وسألته عن أخبار ذلك السفاح ، فقال : لم نسمع عنه منذ تلك الليلة ، ولكنى علمت انه بر بقسمه امامك وحج الى بيت الله ··· واعتقد انه تاب حقا ، وهاجر أو لجأ الى مكان امين ··· والمهم أن

خيال الظل فن شعبى قديم



المديرية قد استراحت من جرائمه واطمأن الناس !

واضاف الحكمدار يقول : « لقد فهمت من التحريات عن هذا المجرم الخطير ، انه كان عنيدا ، ضعيف الايمان مستهترا بالاخطار ··· ومن المؤكد ان تأثره بالمسرحية كان اشد فى نفسه من بطش القانون والخوف من حبل المشنقة ، خاصة وأن هذا التأثر قد فجر فى أعماقه مشاعر التوبة الصادقة !··· »

ولا يقتصر تأثير المسرح على الافراد ، فهو يمتد الى الجماهير العريضة فى المجتمع كله ، ونحن نعرف ، من وقائع التاريخ ، أن مسرحيات شكسبير ، وموليير ، وفولتير ، كان لها أثرها الكبير فى تحطيم الاغلال ، والثورة على الظلم ، وهدم الباستيل ··· وأن رواية كوخ العم توم والمسرحية المأخوذة عنها كانت عنصرا هاما فى تحرير العبيد فى امريكا ·

● المسرح اقوى وانجح وسائل الاقناع ··

ومنذ الوف السنين ، فى عهد الفراعنة واليونان والرومان ، كان المسئولون والكهنة ورجال الدين ، يجدون فى المسرح الشعبى ، اقوى وأنجح الوسائل لاقناع الشعب بالتمسك بمبادىء الدين والاخلاق ، وكان الكهنة يؤلفون ويمثلون المسرحيات والملاحم أمام المعابد والكنائس وفيها تمجيد للخالق ، وحث على الخضوع للنظم المقدسة ···

وفى هذه المسرحيات والملاحم كانت النصوص مبسطة سهلة الفهم ، تحوى الكثير من عناصر التشويق ····

وكان من معالم التطور والرقى فى تلك العهود اقامة التماثيل تخليدا للفنانين والمؤلفين ، وقد عثر المكتشفون وعلماء الآثار على الكثير من هذه التماثيل ···

وفى القرون الوسطى ، كانوا يعرضون على المسارح الشعبية مشاهد تمثل صلب السيد المسيح وتجسد تضحياته وآلامه ··· ومازالت هناك فى بلاد كثيرة من العالم مسارح شعبية تعرض كل عام مشاهد من حياة وسيرة المسيح عليه السلام ···

وكان الفرس منذ مئات السنين يعرضون على المسارح الشعبية التى تنصب فى الخيام يوم عاشوراء ، مشاهد مسرحية من حياة الحسين

موليير : المسرح وقضايا الشعب



للشعب
المسرح

سبط الرسول عليه الصلاة والسلام ، منذ خروجه من المدينة حتى استشهاده في ساحة كربلاء ، وكان النظارة من الجماهير وعامة الشعب ، يضجون بالالم من فرط التأثر ، ويلطمون الخدود ويضربون اجسامهم بأسياخ من الحديد ...

وفي مصر ، بدأ الفن الشعبي القديم ، خيال الظل ، الذي كانت شخوصه تنطق بحوار عامر بالفكاهة والسخرية ، يخفي تحت عباراته نقدا لاذعا لظلم الحكام واستغلال الاقطاع وسيطرة الاستعمار ...وقد ذاع هذا اللون من الفن وانتشر في بلاد حوض البحر الابيض المتوسط ...

وكان ظهور مسرح يعقوب صنوع ، « أبو نظارة » ، في بلاد الشام ، بداية مرحلة جديدة لتطور المسرح الشعبي العربي ... ولكن مسرحياته الحافلة بالنقد والسخرية من ظلم الحكام وتحكم الاستعمار ، جعلت المستعمرين الاتراك يطردونه من البلاد ، فجاء الى مصر ليواصل تقديم مسرحياته ، ولكن اقامته فيها لم تطل ، فقد طرده الخديو من مصر لنفس الاسباب التي طرده من أجلها الحكام والمستعمرون في بلاد الشام ...

فولتير : مسرح الثورة للحرية



وبدأت مصر تشهد مرحلة خصبة من نشاط رواد المسرح الشعبي ، أمثال مارون النقاش وشقيقه سليم ، وبعدهما ابو خليل القباني ، وسليم القرداحي ، وسليم حداد وغيرهم ممن اتخذوا من المسرح الشعبي منبرا للارشاد الشعبي وتنوير العقول وكشف النقاب عن الفساد والاستغلال ، وقد تعرض هؤلاء الرواد جميعا لحملات الاضطهاد من سلطات الحكم وسيطرة جيوش الاحتلال ...

وتوالت رغم كل العقبات خطوات المسرح الشعبي ، حتى تكونت له في الخمسينات فرق جوالة تطوف بالمحافظات والقرى النائية ... ومع الانطلاقة الظافرة لثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، بدأ المسرح الشعبي يستقبل عهد النهضة والازدهار في مصر ، وفي البلاد العربية الشقيقة ومنها تونس والجزائر والمغرب ...

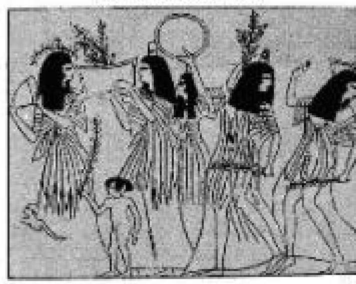
ولكن الظاهرة المؤسفة ، أن المسرح الشعبي — في السنوات الاخيرة — لم يحرص على الاحتفاظ بطابعه الشعبي الخالص المتميز ، واتجه الى تقليد الفرق المسرحية الكبيرة بعرض المسرحيات المترجمة ومسرحيات اللامعقول ...

وانى لارجو ، في ظل السيد الرئيس انور السادات ، نصير الفن والفنانين ، ورعاية الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ، أن يعاد تنظيم المسرح الشعبي بما يحفظ له طابعه الشعبي الخالص ، ويتيح له اداء رسالته بأسلوب شعبي ونصوص سهلة الفهم ، صادقة التعبير عن واقع الحياة في مجتمعنا ، فالمسرح الشعبي كما يجب أن يكون بحق : من الشعب ، وللشعب ...

■ عبد الرحمن صدقي ■

الفولكلور

من الرقصات الشعبية للمصريين القدماء ..



«إن كلمة «فولكلور» في ذاتها ـ المعنى كما لا يخفى «حكمة الشعب» والعبارة في اختلافها مبهمة تحتاج إلى بعض التوضيح، فالمراد «بالحكمة» «المعرفة التجريبية» والمقصود «بالشعب» في التعليم الأعم، فيكون المعنى المعارف الشعبية عن طريق تواتر النقل السماعي من جيل إلى جيل. ومن هنا كانت مهمة علماء الفولكلور الميسرة هي جمع المعلومات من المأثورات المتواترة على ألسن عامة الشعب وتسجيل تقاليده المتوارثة.»

والرقص الشعبي

كان أول من استعمل كلمة «فولكلور» Folklore بمفهومها الحالي، عالم المأثورات الانجليزي، وليام جون تومز William John Thoms في مقال له نشره موقعا «امبروز مرتون» في مجلة «الاثنيوم» Athenaeum في عددها الصادر يوم ٢٢ من أغسطس سنة ١٨٤٦، وذلك بدلا من تلك العبارة الطويلة الثقيلة المعتادة التي لا تصلح عنوان علم، وهي «المخلفات الاثرية الشعبية» popular antiquities التي كانت إلى ذلك الحين تستعمل للدلالة على القديم المتوارث من الحكايات والاغاني الشعبية والامثال والعادات والعقائد الخرافية الخاصة بين الجماهير المحافظة غير المتعلمة من الفلاحين.

ومما يدل على حسن التوفيق وصدق الحدس عند هذا العالم الانجليزي الذي اختار كلمة «فولكلور» Folklore ايثارا لها على كل ما عداها، انها سرعان ما جرت على الألسن وشاعت في جميع الأصقاع، انها سرعان ما دخلت ـ كما هي في منطوق لفظها ـ سائر اللغات ومنها لغتنا العربية، على الرغم من شيوع استعمالها في مختلف اللغات التي صارت في هذه رموزا مصطلحا عالميا، يجمع الخاص والعام.

بيد أن التاريخ ـ سنة ١٨٤٦ ـ الذي تقرر فيه ظهور كلمة «فولكلور» واشتهارها كمصطلح عالمي، لا يصح اتخاذه تاريخا لحركة الاهتمام بالموضوع نفسه، فالاهتمام بموضوع الفولكلور يرجع إلى عهد سابق على هذه التسمية بوقت طويل.

كما أن ذلك القبول العالمي الذي صادفه اسم «فولكلور»، كان من حيث الشكل، أما من حيث التعريف فهو لا يصطلح تعريفا محددا واضحا للعالم. ومن ثمة وقع الخلاف الذي لا يزال على مجال التخصص.

أما تعريف الفولكلور من حيث



بمثابة مرادف حديث لعلم « التاريخ الطبيعي للانسان «Anthropology» او على الاصح لفرع من فروعه وهو « الاثنولوجي «Ethnology» الخاص بوصف الخصائص المميزة للاجناس البشرية من حيث الطبـاع والعادات والمعتقدات ومـا تؤدى اليـه مـن التصرفات والمواقف الشـعبية فى مختلف المناسبات ·· على حين اتجه فريق آخر من العلماء وجهـة ادبية بالفولكلور وكان الشعر خاصة موضع اهتمام الانجليز والالمان حيث اتسعت الدائرة ، فاقبل علمـاء الفولكلور ، وغيرهم فى حماسة زائدة يتلقفون من أفواه أبناء الشعب بعيدا عن مراكز الحضارة الجديدة ، ما تلقوه ابا عن جد ، من الامثال والحكم والاحجيات والاساطير والحكايات وغير ذلك مـن الادب الشعبي وبخـاصة الاشعار كالاغاني والاقاصيص الشعرية والملاحم الحماسية ، وذلك باعتبـار الادب الشعبي أصدق مرآة تعكس حيـاة الشعب وتكشف عن خصـائصه التي يتميز بها كل جنس عن غيـره من الاجناس البشرية ·

ويدل قيام « جمعيات الفولكلور » في مختلف بلاد العالم (ونرجو ان نكون من بينها) على صدق الاهتمـام بتنظيم البحث المنهجي عن شتى المواد الفولكلورية ، والتحقق من اصالتهـا ثم جمعها وتصنيفها ، للتوفر علـى دراستها علميا لاكتشاف دلالاتها خدمة للتـاريخ الشعبي لكل بلد ، وتاريخ الانسان بوجه عام ·

● متى يكون الرقص الشعبي «فولكلورا»؟!

مما تقدم يخلص لنـا ان الرقص كغيره من وسائل التعبير الانساني ـ لا يكون « فولكلورا » بحسب المصطلح عليه من مفهوم الفولكلور ، الا بقدر احتفاظه بعناصر من مخلفات الاجيال الانسانية الغـابرة ، كالاحتفـالات الشعبية الراقصة فى المواسم الزراعية ومنها وفاء النيل عنـدنا وسقوط الامطـار ـ ويسمونها الغيث ـ فى الاقطار التى لا ترويها الانهـار ، وموسم بذر الحب فى الارض ، ثم الحصاد ، والاحتفالات الدينية ومنها الذكر وسير المواكب فى الموالد النبوية وموالد آل البيت والاولياء ، وكذلك ما جرت العادة أن يحتفل به من المناسبات فى الحياة الاجتمـاعية كالزواج ، وانجاب الاولاد ، والختان ، والحلقات التى يجتمع فيها النسـاء لنـدب الاموات ، فضلا عن الطقوس السحرية لاسترضاء الجـان وطرد الارواح الشريرة فى الحفلات الشائعة كذلك عند النساء المعـروفة باسم « الزار » ، والكثير غير ذلك ·

وهـذه الموضوعات فى جملتهـا فولكلورية عن آبائنا واجدادنا بل هى



رقص شعبي لليونان الاقدمين

أكثر من ذلك في الصميم من الفولكلور ، لانها لا تقف عند كونها من مخلفات الاجيال الغابرة منذ بضعة قرون ، بل هي موغلة في القدم

الى ما قبل التاريخ عند الجماعات البدائية التي تتمثل فيها الانسانية كما هي على فطرتها الاولى ، قبل أن يتطرق اليها الرياء الاجتماعي وزيف المدنية ·

ويعتمد علماء الفولكلور في الحكم على مدى اصالة هذا الرقص الشعبي او ذاك ، على مقارنته بما شاهدوه شهود العين او قرءوا عنه من واقع حياة الجماعات التي لم تزل الى عهد قريب ، ولاتزال نسبيا حتى اليوم تعيش على الفطرة · والمقارنة هنا مقارنة مع الفارق ، لانها مقارنة بين ما تمارسه جماعات متخلفة فعلا في واقع حياتهم ، وبين ما يعكسه الرقص الشعبي الحاضر في مجتمع متحضر لا يمارس في الواقع كل ما يعرضه ، وانما هي في معظمها مجرد عروض لرواسب في وعيه الباطن ، ربما ألفنا

التنفيس عنها والتخفيف من ضغطها عن طريق عرضها ·

هذه الشروط لابد من توافرها في الرقص الشعبي ليكون فولكلوريا ·· ومنها يستفاد أن ليس كل رقص شعبي فولكلوريا ، كما قد يزعم البعض ، بل العكس هو الاصح ، أي أن الرقص الفولكلوري هو بالضرورة رقص شعبي · ونحن نعتمد في هذا على الثقاة من علماء الفولكلور الذين جاء في تعريفهم للفولكلور انه « صدى الماضي » أو بعبارة أكثر شاعرية « الماضي الحي » ·

يبقى بعد ذلك كلمة لابد منها للاحاطة بالموضوع ، وهذه الكلمة تتعلق بما أخذ يتردد في الاوساط الفنية من ضرورة تطوير الفنون الشعبية · ولقد وقف ذلك في أول الامر عند حد الدعوة ، فهب المحافظون على التراث لمعارضتها ، وكان نجاح فرقة الموسيقى العربية أخيرا سندا لهذه المعارضة · وهنا تحرك بعض كبار الموسيقيين والمغنين في حرصهم على ارضاء الشعور القومي المتزايد الذي يتجه الى بعث التراث ، الى دخول الميدان · ولما كانوا لا يرضون لانفسهم – كفنانين مجددين – مجرد الترديد لهذا التراث القديم ، فقد سلكوا طريقا ارتأوه وسطا ربما رضي به الجميع · فهم يلتزمون التراث القديم في كلمة الافتتاح ونغمته فيكتسبون الجمهور الذي يظهر حماسة مضاعفة ، ثم يذهبون بعد ذلك والجمهور في غمرة نشوته ، بعيدا كما يشاءون ويشاء لهم فنهم في التجديد الذي نرحب به في غير هذا الموضع كل الترحيب ·



هذا التصرف في التراث شمل ايضا سائر الفنون بحجة تطور الفولكلور ، ومنها الرقص الفولكلوري · ولما كان هذا مدار حديثنا ، فلا مندوحة لنا من الاشتراك في مناقشة الموضوع من ناحية واحدة ، هي ناحية الفولكلور ·

ان عبارة « تطوير الفولكلور » في حد ذاتها تتعارض مع نفسها · فان الفولكلور — كما راينا — ليس بصنع فردي ، بل هو واقع شعبي ، نشأ نشوءه الطبيعي منذ أجيال تمتد في معظم الاحيان الى ما قبل التاريخ ، فتكون نشأته مع نشأة اولى الجماعات البدائية · فلا نخطىء اذا قلنا ان التطوير يفقده حقيقته التاريخية وقيمته الواقعية ودلالاته العلمية ، مهما تكن اليد التي تمتد الى تطويره ·

الفولكلور يقوم على الحقيقة فلا يجوز تطويره ، لان الحقيقة الفولكلورية لابد ان تنقل كما هي ، وتدرس كما هي ، لنخرج منها بمفاهيم علمية صحيحة ·

ويؤيد رأينا هذا ، ما تتبعه الامم العريقة في الفولكلور · ونذكر على سبيل المثال ، ما شهدناه منذ سنوات في مصر على مسرح دار الاوبرا في برنامج « فرقة بكين » الصينية من العروض الفولكلورية · فقد كانت الموضوعات هي الموضوعات الصينية منذ الوف السنين ، والمناظر والاثاث والثياب مطابقة لما كانت عليه التقاليد. وكذلك طريقة الاداء التمثيلي قديمة حتى في أدق التفاصيل ، فضلا عن الموسيقى فهي بالاتها الشبيهة بالالات البدائية لم تستجد عليها آلة واحدة عصرية · وعلى الرغم من ذلك كان من ايمان أعضاء الفرقة برسالتهم الفولكلورية وحسن بلائهم في تادية ادوارهم أن نجحوا في كل البلاد الاجنبية التي زارتها الفرقة في جولتها ، دون الالتجاء الى تطوير فنهم بما يلائم اذواق غيرهم ، لان ذلك يجعل الفولكلور الصيني الذي يعرضونه اسما على غير مسمى · فيضيعون بذلك شخصيتهم ولا يكسبون من وراء ذلك حتى اهتمام العالم بفنهم بعد تزييفه مرضاة لهم ·

وندع الرقص الاسيوي كما تمثله الصين باعتبار كونه بعيدا كل البعد عن رقصنا ، لنضرب المثل برقص اخر شديد الشبه برقصنا العربي البدوي الاصيل ، وذلك الرقص رقص شعب اوروبي ، ونعنى به الرقص الاسباني وخاصة الاندلس ومعه غناؤه · ومعلوم أن أسبانيا كلها ترقص ، ولكن القوم مازالوا يستحسنون رقص أهل الاندلس على رقص أهل الشمال الاسبانيين ·

«Certes, toute l'Espagne danse mais il l'eut mieux dit encore des Andalous que des Basques»

وهذا الرقص المستحسن هو الذى دخل اسبانيا مع العرب ، وخرج العرب من الاندلس بعد سبعة قرون ولم يخرج غناؤهم ورقصهم ، ثم مرت مئات السنين ، ولم يتغير من هذا الرقص الا اسمه ، الذى اصبح معروفا باسمه

الجديد « الرقص الاسباني » . وبفضل تعلق الشعب الاسباني برقصهم العربي البدوي الاصيل وبراعتهم في ادائه ، اصبح هذا الرقص الاسباني « عالميا » على الرغم من حفاظ الاسبان على تقاليده العربية . ولقد حاول بعض الفنانين والفنانات ادخال الجديد عليه ، فأنكر الشعب عليهم ذلك ، وتألفت جمعيات المحافظة على التراث دون هذه المحاولات . فلا يكاد يكون هنالك فارق في الصميم – في رأى النقاد المختصين – بين ما يقدمه المحترفون من الفنانين والفنانات ، وبين رقص الهواة من عامة الشعب .

● الرقصة الشعبية التي اخفقت محاولات التخلص منها

وما دمنا بسبيل الكلام عن الرقص الشعبي عندنا ، فلا مندوحة لنا من التعرض لتلك الرقصة الشعبية الكبرى ، التي تكررت طوال العديد من السنوات ، محاولات التخلص منها ، فذهبت مع الريح كل الجهود دون جدوى .

وكيف السبيل ، الى اقصاء هذه الرقصة عنا ، وقد استحقت بحكم طول الاقامة بيننا ، حق الاقامة في بلادنا حتى صار اسمها الجاري على السنتنا : « الرقص البلدي » .

أما عن الاصل في هذه الرقصة ، فيمكن ذكر هذا التعليل القريب ، وهو أنها ترجع الى عادة اقتناء الجواري عند أصحاب القصور من الملوك والامراء الترك ، ومنهم الاسر الحاكمة التركية التي حكمت مصر ، ومن بعدهم الحكام المماليك ، ولم يكن بطبيعة الحال بهؤلاء الجواري – وقد غصت بهن القصور – من عمل الا احياء

احدى الرقصات الشعبية للرومان الاقدمين





حفلات الغناء والرقص المثير ، اجتلابا للسرور والطرب فى نفوس السادة العظام ، وتهيئة للجو الملائم لقضائهم سهرة بعد السهرة فى احضان من تروقهم من نساء الحريم ٠ ولما كان الناس على سنة ملوكهم وامرائهم وسائر اصحاب الجاه فيهم ، فقد تطلع العامة الى هذه الرقصة فتقدم العديد من النسوة بعد أن تعلمنها وزدن عليها وبالغن فيها غاية المبالغة ، لاحتراف رقصها لجمهور الشعب الذى تعلقها وشغف بها اشد الشغف ، فصارت عنده الرقصة الشعبية الكبرى ٠

وبناء على هذا ، تكون هذه الرقصة قد فرضت علينا أن تدخل ضمن بحثنا ، باعتبارها أولا شعبية ، ثم باعتبارها فولكلورية لكونها قديمة متوارثة عن اجيال غابرة ٠

ولكننا نحب فوق ذلك ان نذهب فى اصل هذه الرقصة الى ابعد من هذا الماضى ، الذى هو عندنا قريب نسبيا ، من وجهة نظر دراساتنا فى التاريخ الطبيعي للانسان ٠

وعلى ضوء ذلك التاريخ نقول ، انه حين عرفت الجماعات البدائية الزراعة واستنبات الارض ببذر الحب ، فضلا عن استئناس الحيوان وتربيته والاستكثار منه عن طريق السفاد بين الذكر والاناث ، كان فى صميم الديانة الزراعية فى الحضارة الاولى التى ظهرت فى أواخر العصور الحجرية المتأخرة ، ما يوحى الشعور بالدهشة والرهبة والاعجاب ، بتلك القوى الخلاقة التى تبعث الحياة من بطن الارض فى النبات ، وعلى ظهر الارض فى نتاج الحيوان والانسان ، وهى قوة التوليد فى هذا الكون العجيب ٠

فلا عجب ان كان من أهم العناصر الطقوسية فى هذه الديانة ، رقصة الحب ، أو بعبارة أخرى ، رقصة الخصب أو الاخصاب ، التى كان المقصود بأدائها فى رقعة أو اخرى من الارض ، استثارة القوى الطبيعية فى هذه الام ـ أمنا الارض ـ التى تبدو قواها خامدة هامدة فى الشتاء من كل عام ، ثم تستثار فيتحقق من استثارتها نجاح اللقاح ، ومن ورائه الخصب والانتاج ، وهنا تقام الافراح من جديد احتفالا ببعث الارض بعد مواتها وعودة الربيع ٠

ويؤيد ذلك شبيه له وان كان أغلظ واقعية فى وقتنا الحاضر ، وهو ما جاء فى أشهر كتب الرحالة الانجليزى « جفرى جورر Geoffrey Gorer » من ان رجال بعض القبائل البدائية فى أواسط افريقية (نضرب صفحا عن ذكر اسمها) كانوا يمارسون فى بعض رقصاتهم الغريبة المستهجنة فى عرفنا ، الانكفاء على الارض فوق ثقوب يحفرونها فيها ، زاعمين أن فى ذلك اخصاب الارض وضمان الحصول على الوافر من نباتها ٠



هذه الرقصة كما تؤدي مثلها راقصات المعابد الهندية ، علي ذلك النحو الذى ترك في ادب العباقرة العالمين مثل « جوته » كبير شعراء الالمان في قصيدته (١) (راقصة المعبد (la Bayadère احسن الاثر .

● الفارق بين الرقص الشعبي والرقص الفنى

كان الفارق الاول عند علماء الفولكلور ، بين العمل الفولكلورى والعمل الفنى ، انالعمل الفنى ، شخصى ومصطنع ، والعمل الفولكلورى ، غير شخصى وطبيعى » ، ولم يلبث ان ثار النقاش حول هذه التعاريف ، ونحن ندع مناقشة هذا النقاش اذ لا متسع له هنا .. ونسوق بدلا منه ما ترتب على التعريف الاصلي لطرافته . فان الاهتمام بالبحثعن الاعمالالفولكلورية وفقا لذلك التعريف ، وهو انه ــ من حيث هو شعبي ــ عمل غير شخصى وصاحبه غير معروف ، كان من شانه ان اغرى كل من له ملكة مطاوعة وذمة واسعة ، بتقديم اى شيء من صنعه زاعما انه لا يعرف صانعه ، فيكون هذا كافيا لاعتبار ذلك العمل شعبيا وبالتالى فولكلوريا ، ويبيعه للعالم الفولكلورى بالمال الوفير .

ونذكر من الذين افادوا المال والشهرة من هذا التزوير عند العرب

واستنادا على هذه الاسانيد المتطابقة التى لا مطروحة عن الاخذ بها ، لا يبقي هناكشك في ان « رقصة البطن » التى اعتدنا على تسميتها « الرقص البلدى » ــ هى في بلادنا الزراعية من مخلفات « رقصةالاخصاب عند الجماعات البدائية في عهد الحضارة الزراعية الاولى منذ الوف السنين .

ولما كان كل هذا القدم الذى ثبت لهذه الرقصة الشعبية يجعلها بحق في راس رقصات الفولكلور القديمة ، فقد وجب لهذه الرقصة الا تمارس بتلك الخلاعة التي لا معني لها الا انها خلاعة تشين راقصاتنا ، كما انها ليست بالضرورة من طبيعة الجنس . فالجنس قوة كبرى من القوىالحيوية، لها قيمة خلاقة نحن مدينون لها بوجودنا وبقاء النوع كله .. فمن حسن الفهم والتقدير الجاد ، ثانية

(١) يمكن الرجوع الي ترجمة هذه القصيدة في كتاب الهلال « الشرق والاسلام في ادب جوتة » لصاحب المقال ..



الراقصة العالمية « ايزادورا دنكان » في محاكاتها للرقص اليوناني القديم



ـ وهم أمة الشعر ـ أشهر رواة الشعر وهو « حماد الراوية » • فقد بلغ من علو المنزلة ان كان من جلساء الخليفة الاموى « الوليد بن يزيد » فقال له الخليفة فى اعجاب : « كم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ » قال : « انشدك من كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات ، من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » • هكذا قال الراوية • ولكن النقاد لم يلبثوا ان فضحوا سره • فاتضح ان الراوية لم يكن امامه لبلوغ هذه الشهرة وماوراءها من العطاء الجزيل ، الا ان ينحل من يراد الرواية لهم من الشعراء الجاهليين ابياتا من وضعه•

ويقابل هذا المثل عند العرب مثال نظيره عند الاوروبيين فى القرن الثامن عشر ، فى شخص الشاب الاديب الشاعر جيمس ماكفرسون games Macpherson الذى دعاه فرط الاهتمام فى انجلترا وقتذاك للشعر القديم فاختار اسم الفارس الارلندى أوسيان Ossian من ابناء القرن الثالث الميلادى ، ونحله اشعارا ثم ملحمة نشرها سنة ١٧٦٢ من ستة أجزاء ، وافاد من ذلك الشهرة والمال حتى تصدى له الاديب المشهور الدكتور « صموئيل جونسون » بتهمة التزييف الأدبى لما نسميه اليوم « فولكلور » •

وننتقل من هذا الذى قيل من التزوير فى الفولكلور الى موضوع الرقص الشعبى عامة ، فنقول :

أول ما يتسم به الرقص الشعبى عامة بساطته شكلا ومضمونا •

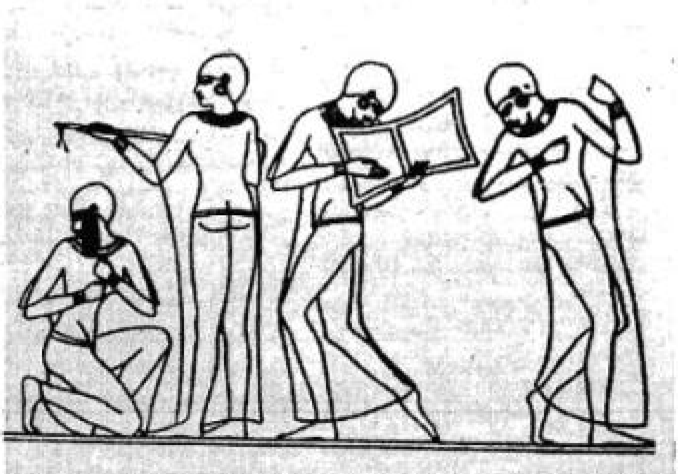
اما من حيث المضمون فان الرقص الشعبى قلما تخرج موضوعاته عن المجال المشترك الذى يستوى فيه الناس أجمعين ، مثقفين وغير مثقفين • كما أن طريقة المعالجة للموضوعات تدع لكل واحد فرصة لفهمها ، ولو ترهما

على طريقته ، بحيث ينصرف بعد العرض راضيا عنه وعن نفسه • ومع ذلك ، فان الشعب كله أو بعضه يلتقي في الرقص الشعبي دائما حول مفهوم عام واحد ، وينبض الدم في عروقه من الانفعال بالحركات ، سريعا عاليا او بطيئا خافتا بميزان واحد وهذا الاتحاد في الشعور هو اهم خصائص الرقص الشعبي •

أما من حيث أشكال الرقص الشعبي ،فكلها من النوع الذي يستطيعه على وجه العموم كل فرد ، لكونه من واقع اسمه وفي صميم وجوده ، من صنع الشعب في جملته ، ومقصود به الشعب • وهذا الرقص لا يعرف الاحتراف لان الاصل الا يتخذ حرفة بسبب واحد على الاقل ، وهو ان القائمين به من العاملين الكادحين في الارض أو المصانع او غير ذلك من أنواع العمل الجاد ، وهم يتخذونه رياضة ـ كسائر الرياضات ـ لحاجتهم الى ما ينسيهم مشقة الكدح ويدفع عنهم الملل من رتابة العمل •

والرقص الشعبي يقوم على القليل من التتابعات والوقفات ، وهي في كل رقصة تتكرر طوال الوقت المرة بعد

الموسيقى والرقص عند قدماء المصريين





المرة ، وفي كل مرة نفس الحركات والسكنات على النسق نفسه . ومع ذلك لا يكاد أحد يحس بثقل هذه الرتابة ، لان من أهم أهداف الرقصة الرياضة ، ثم ان المتفرجين والراقصين يتناوبون في كل حين . ولا يجب أن ننسى أن مكان هذا الرقص الشعبي ليس في دور العرض بل في الساحات الشعبية وما هو في حكمها الا في بعض الحالات الخاصة

هذا كله هو القاعدة ، أما غير ذلك ، فهو استثناء لا يعتد به ولا يقاس عليه .

وتجنبا لزيادة التكرار ، نكتفي في الكلام عن الرقص الفني بأنه نقيض ما ذكرناه عن الرقص الشعبي ثم نضيف الى ذلك ، أن بعض الغلاة المتطرفين يأخذ على فرق الرقص الفني التابعة للدولة مثل فرقة رضا انها في تناولها للموضوعات الفولكلورية لا تتحرج من حرية التصرف التي هي من حق الرقص الفني في اجراء بعض الحذف والاضافة أو التعديل في أسلوب الرقص أو في الموضوع ، ونحن — في موقفنا بين المحافظة والتجديد — لا نرى مانعا من ذلك بل نرحب به ، على شريطة عدم مجاوزة التفاصيل الى الصميم .

● ازدهار الرقص الفولكلوري علامة على يقظة الشعور القومي :

من طريف ما يلاحظ في رقصات الفولكلور ، ان كل قطر من الاقطار ، يعتقد أن رقصاته الفولكلورية نسيج وحدها وفريدة نوعها ، بحكم ما لدى كل قطر في تواريخه وآثاره من الادلة القاطعة على انها نشأت في القطر نفسه ولم يأخذها الشعب عن غيره من الشعوب .

ولا شك أنه نزولا على المنطق السليم والحق ، ينبغي التسليم لكل قطر من هذه الاقطار ، بأصالة رقصاته الفولكلورية ، مادام ذلك ثابتا بالحجة الدامغة والبرهان الذي لا يرد .

ولكن هذا التسليم بالحق ، لاينبغي أن يمنع من ناحية أخرى ، الاقرار بهذه الحقيقة الكبرى التي سبق بها واقع سابق .

وهذه الحقيقة الكبرى التي يقررها الواقع السابق ، تقوم على ما قدمناه من ان الفولكلور يرجع تراثه في كثير من موضوعاته الهامة ، الى اجدادنا الاولين من الجماعات البدائية التي كانت تعيش على الفطرة في فجر التاريخ وما قبله . ولما كانت هذه الموضوعات — وقد ذكرناها — تتعلق بالطبيعة الانسانية عامة ، فلا يمكن أن يخلص من ذلك الا شيء واحد ،

وهو حتمية الوحدة المشتركة في جميع الاقطار بين هذه العروض ، لانتسابها

في جملتها قبل كل شيء الى هؤلاء الاولين من الجدود في أول الدهر .

وحسبنا من قبيل المثال ، أن نذكر هنا اعتقاد معظمنا الراسخ ، أن رقصة

التحطيب بالعصى في بلادنا رقصة مصرية صميمة ، لايمكن أن تكون بحال غير أصيلة وقد ورثناها عن أجدادنا

المصريين الاقدمين منذ ألوف السنين، بدليل وجودها على الاثار في نقوشهم

.. ولكن حين زارتنا ــ بناء على اتفاقات التبادل الثقافي ــ فرق الرقص

الشعبي من أوروبا الشرقية ، كانت دهشة الكثيرين منهما عظيمة حين

شهدوا رقصة التحطيب بين عروضهم. أما عن أوروبا الغربية فاننا نقف على

وصف هذه الرقصة في كتبهم التي

تصف الحياة الشعبية في العصور الوسطى .. وليس تفسير ذلك بالعسير

.. فان عامة الشعب في كل مكان

يعجبون بالابطال الشجعان ، ومن هذا جاء تعلق نفوسهم بمنازلة الاقران بين

الفرسان كما شهدوا أو قرءوا عنه في قصص الفروسية ، ولما كانوا لايتقلدون

سيوفا أو رماحا مثلهم ، فانهم يعقدون بينهم المبارزة بالعصي كما نشهدهم حتى الان .

ولكن علمنا وعلم غيرنا بذلك ، لم يغير ، ولن يغير من حب كل شعب لرقصاته الشعبية ، لما فيها ــ على

رغم التشابه ــ من مظاهر القومية في المناظر والازياء وغير القليل من التفاصيل ، فضلا عن شخصية الراقصات والراقصين وكلهم مصري

أو عربي صميم . وذلك كله كفيل أن يضفي بفضل اللون المحلي على رقصنا الشعبي الاصالة التي هي من حقه ،

فلا تعود تنكر الا انها رقصة بلادنا وانها تمثلها دون غيرها من البلاد .

فلا غرو أن تشغل الرقصات الشعبية في كل شعب ــ مع التشابه الذي بينها ــ حماسة كل من هذه الشعوب لبلده وتعصبه لقومه .

من أجل هذا ، ما نراه من اهتمام الامم الناهضة مثلنا في مصر ، أو الامم الكبرى اذا كان يحيط بها الاعداء

الاقوياء ، مثل الاتحاد السوفييتي ، من تشجيعها فرق الرقص الشعبي

والاستكثار منها ، مع التوقي الشديد من تسرب الرقصات الخليعة اليها لاي سبب ، حرصا على تحقيق الغرض، .. وهو الاحتفاظ بنفوس الشعب معدة

مهيأة ، وبالروح المعنوية مهيأة ، لتلبية نداء الوطن على المدى الذي يشمل كل مواطن ، للتضحية وبذل كل نفيس حتى

النفس الغالية ، في سبيل الدفاع عن الحمى المقدس ان يتهدده أدنى خطر ...

في الديانة الهندية ، تمثال الاله « سيفا » يرقص



كلمة من القلب

الفنانون الكبار ... الذين ارسوا دعائم فنون المسرح والسينما والموسيقى والغناء والتمثال واللوحة والكلمة والقصيدة والقصة والمسرحية في هذا البلد ... في العشرينات والثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ... ثم اسدلت عليهم الشيخوخة ستار الصمت ، هل يجوز لنا أن نتناساهم ؟... هل من الوفاء لهذه الارض الطيبة أن نترك هؤلاء الرواد الذين بذروا



فيها بذور الخير والجمال ، ضحية للحاجة والحرمان ؟

ان الشعوب السباقة في مجالات الحضارة ، تكرم حتى التراث الجامد ... تكرم المقعد الذى جلس عليه الموسيقار موزار يوما ما في احدى حدائق فيينا ... وتكرم المقهى الذى كان يرتاده الشاعر ديلان توماس في احد الاحياء الفقيرة بنيويورك ... وتكرم حتى الجسر الذى تصور شكسبير ان روميو التقى بجولييت عنده في مدينة فيرونا . فكيف تسكت نحن عن تكريم التراث الحي ؟

لقد اجتمعت كلمتنا ، نحن خدام الفن في هذا الجيل ، على أن نقف بكل قلوبنا مع هؤلاء الرواد الذين علمونا وأرشدونا وأرسوا لنا معالم الطريق التى جعلت الفن المصرى المعاصر مفخرة لكل عربى ، ومدرسة تتجه نحو العالمية .

ولقد خططنا لاكثر من مشروع يمهد سبيل الحياة الكريمة لكل فنان عرضته الشيخوخة لغائلة الحرمان ، وسنبدأ بحفلتين كبيرتين تقامان في القاهرة ، في يومى ١٦ و ٢٣ ديسمبر الحالى ، ويخصص دخلهما لتحقيق هذه الغاية الكريمة .

وبقى واجب الجماهير العربية .. لقد قدم الفن لها كل ما يملك من خلق وابداع ... بقى ان تقدم هي له اية من ايات الوفاء العربي ... بان تمد ايديها الحانية ، لتكون ظلالا وارفة تحمي شيخوخة الفن من هجير الحاجة والحرمان ...

نادية لطفي

رأى فى الفولكلور

الشاعر أحمد رامى

لا داعي للسطو على المطالع القديمة



كلمة «Folklore» تتكون من مقطعين ، الاول «Folk» بمعنى الشعب ، والثانى «lore» بمعنى كنز ، فكلمة فولكلور معناها اذن كنز الشعب ، اى تراث الشعب ...

فكونها تطلق على الشعب ، معناها أنها لكل شعب ، لا تنسب الى انسان بذاته وانما تنسب الى عصر من العصور ، والى لون من الالوان .

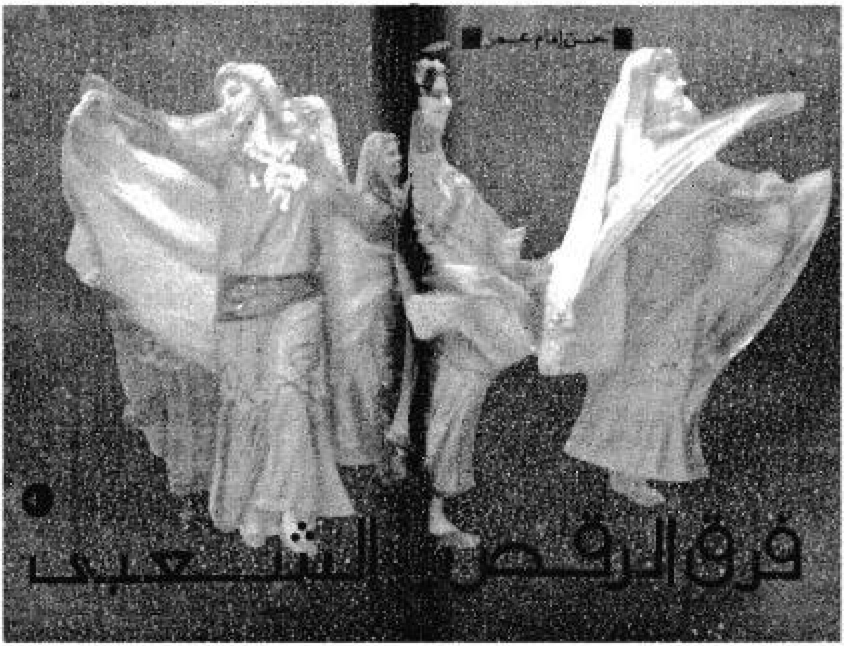
والفكرة أن كل عصر من العصور له لونه فى أغانيه ، من حيث النغم .

وابتزاز هذا الحق ونسبته الى انسان بذاته أو الى عصر غير عصره ، افتئات على هذا النوع من الاغنية ، وأحرى بنا أن ننظم أغاني تعبر عن عصرنا بالذات ، وتبقى على الايام ، فتنسب الى عصرنا هذا ، وتصبح « فولكلورا » من وضعنا نحن .

اما السطو على مطلع قطعة فولكلورية قديمة والحاقها بعد ذلك بمعان جديدة أو لحن جديد ، فعمل فيه تبديد ، بل تشويه للاغنية الفولكلورية القديمة .

وواضع الفولكلورية الجديدة لفظا ولحنا بعد سطوه على المطلع القديم ، يسطو على شهرة خاصة لهـذه القطعة يتقدم بها الى الجمهور لكي يجتذب شيئا من الانتباه الى هذه القطعة ممن يسمعها فى هذه الايام ، وفى ذلك عدم اعتزاز بشخصية صاحب هـذه القطعة الجديدة لانه يريد أن يجتـذب الجمهور الى شىء الفته الاسماع سنين طويلة ، رغبة منه فى أن يقترن عمله بهذا العمـل القديم فيصل الى شىء من الاعجاب ونباهة الذكر .

واجدر بنا أن ننظم أغانى تعبر عن عصرنا هذا من ناحية المعنى والصورة واللحن الى درجة الرضا عنهـا وحفظها وترتيبها ، حتى تصبح « فولكلورا » ، خاصا بنـا ينتبـه اليه السامعون بعـد سنين طويلة ...


فرق الرقص الشعبي

عندما ينفعل مجتمع من المجتمعات بأحداث غير فردية ، يعود الى الرمز والى لغة الرقص والغناء ، ويشترك في التعبير عن انفعالاته بأغنية أو برقصة او بهما معا بعد صياغة جماعية تتتابع مع الاجيال ، كل جيل يضع فيها لمسات من ذاته ويتركها للجيل التالى ، وهكذا الى يومنا هذا ... عندما نرقص او نغنى ولا نعلم من ابتكر الرقصة او من الف ولحن الاغنية ...

ويأخذ العلم الحديث هذا التراث الشعبى ويدونه بوسائله المهذبة واجهزته المتقدمة ليصبح فنا شعبيا (فولكلور) ... باطنه كما هو وظاهره ثوب جديد .

وفى مصر كما فى اى بلد من بلاد العالم ، انتشر الرقص والغناء المتوارث ، وتعـــددت أشكاله وألوانه ، وانحصرت وحداته فى الفئات وفى الطبقات وفى الجماعات ، وفى سكان النواحى المتباعدة فى انحاء البلاد ... فللسواحل تراث ، وللصحارى آخر ، وللنوبة ثالث ، ولـــكل من الوجه البحرى والوجـــه القبلى كذلك ، ثم لكل مهنـــة ولكل مســـتوى ، اما رقصة واما اغنية واما عمل فنى يجمعهما معا .

ولكن لم يكن هناك اى اهتمام جماعى بهذا التراث ، بل كان هناك شبه نفور من هذا التراث فى مرحلة من مراحل تاريخنا ، وهى المرحلة التى يبلغ فيها الصراع قمته بين تطلعات المجتمع وواقعه الذى تتابعت عليه الوان من الاستعمار والاستغلال والضغوط الاقتصادية والسياسية ، وتشابكت فيه العـــلاقات الاجتماعية وتعقدت ، فسيطرت فيه فئة تنفر مما هو محلى وترتبط بكل ما هو وافد من ناحية ممثل القوة أو السلطان .

ولما قامت الثورة لتعطي للشعب حقوقه ، كان من بينهـــا تراثه الفنى ، ليس كهـــدف ولكن كأمر مسلم به ، يدفع اليه تيار الشعب الزاحف الى كل حقوقه .

وأدرك الشعب حقه فى هذه المجالات بفتح نوافذ المجتمـــع الجديد ، فكان أن نشأت علاقات ثقافية بيننـــــا وبين الدول الصديقة التى وقفت الى جانبنا ، واطلعنا التبادل الثقـــافى بيننا وبينها على ما فعلته هذه الدول من أجل تراثها الفنى ، فى الرقص والغنـــاء ، من تجميع ودراسة وتهذيب وصـــياغة متطورة ، وتكوين فرق تعتمد عليه ، لتطلع الشعب عليـــه وتمتعه به فى أجمل صورة وأبهى رونق .

فـــرق الرقص الشعبى

فرقة ياليل ياعين

واذا كان التبادل الثقافى قد اطلعنا على نتائج ما يجب ان نقوم به نحو التراث ، وكان الاتجاه العام المستمد من أهـــداف الثورة هو حق الشعب فى كل شىء فى بلاده ــ فان الهيئة المشرفة على الفن فى ذلك الوقت ، وهى مصلحة الفنون التابعة لوزارة الارشاد القومى قد أحست بأن أول واجب عليها أن تبحث

وتنقب عن فن الشعب ، وتزيح عنه التراب الذى كان يخفى معالمه • وكان من حسن الحظ أن يكون مديرا لمصلحة الفنون فى ذلك الوقت الاديب المعروف الاستاذ يحيى حقى ، الذى عرف عنه اهتمامه بأدب وفن الشعب ، وكان لديه الحماس الكافى الذى دفعه لان يخطو خطوات عملية حاسمة فى هذا المجال •

ولعل عثوره على الاسطورة التى تحمل اسم « يا ليل يا عين » وما تضمنته من عناصر فنية تستوعب العديد من اللوحات الشعبية ، حفزه على المضى فى تنفيذ مشروع أول فرقة مصرية للرقص والغناء الشعبى • ولم يدخر وسعا فى توفير جميع الامكانات التى تحقق النجاح لهذا المشروع ، خصوصا بعد أن صادفت الفكرة هوى فى نفوس الكثيرين من المهتمين بهذه المجالات ، ومنهم زكريا الحجاوى الذى كرس جهوده للأدب والفن الشعبى ، ومحمود رضا الذى كان قد عاد لتوه من باريس وفى رأسه أحلام كبيرة عن ضرورة تكوين فرقة للرقص الشعبى • فكان أن اتفق مع زكريا على صياغة حوار هذا العمل الفنى وأغانيه ، ومع محمود على القيام بدور « ليل » بجانب تدريب الراقصين والراقصات على اللوحات الراقصة التى يتضمنها • أما دور « عين » فقد قامت به الراقصة الراحلة نعيمة عاكف • وقام بمهمة التوزيع الموسيقى قائد الاوركسترا المعروف عبد الحليم نويرة • واضطلع الفنان الكبير زكى طليمات بمهمة الاخراج والاشراف الفنى • وهكذا قدمت أول فرقة للرقص والغناء الشعبى برنامجها على مسرح دار الاوبرا لمدة ثلاثة اشهر كاملة عام ١٩٥٦ •

والجدير بالذكر ونحن بصدد الحديث عن هذه الفرقة أن الفنانة فريدة فهمى كانت تشترك ضمن مجموعة الراقصات وكان سنها فى ذلك الوقت لا يتجاوز خمس عشرة سنة •

فرقة رضـــا

محمود رضا : فرقة
قائد للرقص الشعبي



بانتهاء عرض « يا ليل يا عين » انتهت أول فرقة للرقص والغناء الشعبى ، وتفرق أعضاؤها • ولكن محمود رضا لم يهدأ له بال ولم يفتر له حماس ، وأخذ يسعى لتكوين فرقة دائمة للرقص الشعبى ، خصوصا بعد النجاح الفنى والجماهيرى الذى حققته « ياليل ياعين » • وتحمس للفكرة شقيقه على رضا الراقص القديم ، زوج فريدة فهمى ، والمهندس حسن فهمى والد فريدة • ولكن الصعاب التى واجهت تكوين الفرقة فى البداية ، كالتمويل وغيره ، كادت تجعلهم يعدلون عن الفكرة ، لولا أن محمود استطاع أن يقنع بعض زملائه فى الجامعة وفى الاندية من الشباب الرياضى الذى يقوى على الحركات الراقصة بحكم اعداده العضلى والعصبى ، وقبلوا مرتبات ضئيلة ، وانضمت الى الفرقة فريدة فهمى • وبالرغم من الحماس والاصرار ، فقد

فرق الرقص الشعبي



الدكتور عبد القادر حاتم : المهرجانات الدولية للفن الشعبي

توالت العقبات وتعثرت التدريبات ، بل توقفت أحيانا ، بسبب عوامل الشك والريبة في امكان نجاح مثل هذا العمل الـــذى يولد بغير ميزانية دعاية ، والذى يحتاج اساسا الى نفقـــات ضخمة للمناظر والملابس « والاكسسوار » .

وفي عام ١٩٥٩ ارتفع الستار عن اول برنامج لفرقة رضـا للفنون الشعبية ، بعد أن انضم اليها الموسيقار علي اسماعيل الذى اقتنع بالمشروع ، وعاون بكل امكاناته على ابراز افكار محمود رضا الذى طاف القرى والنجوع لكي يستوحي الحركات والملابس والالحان لتقديم لوحات مصرية فنية رائعة مثـــل « بائع العرقسوس » و « النـــاى السحرى » و « الرقص الإسكندراني » .

واقبل الجمهور على عروض الفرقة اقبالا فاق كل توقعات الآمال ، ورحبت الصحافة بالرقص الشعبي أو الرقص الجماعي المنسق الذى تقدمه الفرقة لتعبر به عن مضمون شعبي . وقامت الفرقة بجولات ورحلات هنا وهناك وخارج البلاد .

وكانت أولى رحلات الفرقة الى لبنان وسوريا ، ثم الى المانيا ويوغوسلافيا والاتحاد السوفييتى ، وذلك خلال عامى ١٩٥٩ و ١٩٦٠ .

وعندما بدأ ارسال التليفزيون العربي ، وكان عملاقا منذ مولده كما يذكر الناس جميعا ، عنى بالنشاط الفني عـــامة والنشاط المسرحي خاصة ، ليدعم برامجه بســـائر الالوان الفنية . من اجل هذا كون العديد من الفرق المسرحية المختلفة ، وضم اليه فرقة رضا التي ذاع صيتها بما قدمت من اللوحات الراقصة ذات المضمون الشعبي . ودعمها التليفزيون براقصين جدد ، وامكانات مادية اوسع ، وتنظيمات ادارية هيأت لهـــا رحلات خارجية على نطاق عالمي .

وقد بلغت رحلات فرقة رضا في الخارج ثلاثين رحلة تقريبا ، عرفت اخيرتها برحلة السبعين يوما ، حيث زارت بلغـــاريا والاتحـــاد السوفييتي وبولنـــدا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والمانيا . وذلك بعد ان انتهت من زيارة طوكيو واوزاكا وهونج كونج والصين الشعبية .

لقد مسحت الفرقة في رحلاتها ثلثي مساحة الكرة الارضية . ولو اتيح لها زيارة أمريكا حسب المخطط المعطل تنفيـــذه منـــذ عامين لغطت برحلاتها الفنية سطح الكرة الارضية بأجمعه .

ويبلغ عدد افراد هذه الفرقة الآن ٦٠ راقصا وراقصة ، بلغ مدارك الشهرة منهم بجانب فريدة فهمي ومحمود رضا ـ عدد وافر ، وقد أتاحت الفرقة لاصحاب هذه الاسماء بطولات كثيرة بجانب محمود وفريدة ، واصبحت لهم لوحات خاصة أسوة بلوحات بطلي الفرقة .

واما لوحات الفرقة التي طافت بها ثلثي العالم فعـــددها ١٢٠ لوحة راقصة أشهرها : « النـــاى السحرى » و « بائع

العرقسوس » و « السد العالى » و « بطل الثورة » و « خان الخليلي » و « سيوه » و « الدبكة » و « المولد » ٠

ويمثل عنصر الغناء فى الفرقة المطرب محمد العزبى الذى بدأ حياته الفنية بتقليد محمد عبد المطلب ، وأصبح الان بعد أن نضج فنيا أشهر من يؤدى الليالى والموال فى اللوحات الراقصة ٠ وتصاحب بعض هذه اللوحات الاغانى الجماعية الشعبية التى يلتقطها ويسجلها محمود رضا من مواقعها الاصلية ، ويصقلها ، ثم يضع لها التوزيع الموسيقى المناسب على اسماعيل ، وقد اشتهر منها على سبيل المثال « العتبة جزاز » و « الطشت قاللى » ٠

وجدير بالذكر والتسجيل أن فرقة رضا استطاعت بما قدمت من لوحات شعبية أن تغير مفهوم الرقص فى بلادنا ، فالمسالة لم تعد هز بطن كما كان سائدا ، وانما أصبحت صورة فنية كاملة يشترك فيها عشرات الراقصين والراقصات مع الملابس والالوان و « الديكور » وتعبر عن آمال وآلام الشعب ٠ وقد حفز نجاح هذه الفرقة الكثيرات والكثيرين من الشباب الى مزاولة هذه المهنة ، ويكفى ان نقول أن راقصة فرقة رضا الاولى فريدة فهمى قد حصلت على وسام الدولة فى الفنون ، كما حصلت على الليسانس فى الادب الانجليزى من جامعة القاهرة ، وتستعد لتقديم رسالة الماجستير عن الرقص الشعبى ٠

رقصة الغربال : رقصة شعبية من احتفالات الاسرة بالمولود الجديد ٠



فرق الرقص الشعبى



الدكتور حسن فهمي ميلاد الفرقة الجديدة

الفرقة القومية للفنون الشعبية

كان لتجربة فرقة رضا اثرها الطيب فى تخطيطات الهيئات الرسمية المعنية بالفنون ··· فبالاضافة الى احياء التراث الشعبي ، يأتى التعرف الدولى على اصالة شعبنا بتعارفه على فنونه ··· لهذا وضعت الدولة فى الاعتبار أن يكون بجانبها فرقة اخرى تنهض بتبعات احياء التراث وتقديمه للعالم الخارجي فى الاطار الحديث المتطور الذى يستوعب مضمونه الجميع ·

وهكذا تقرر تكوين الفرقة القومية للفنون الشعبية عام ١٩٥٩ ، من ٧٥ راقصا وراقصة تم اختيارهم من خريجى المعاهد الرياضية ، استدعى لتدريبهم خبير من الاتحاد السوفييتى اسمه « رمازن » · وظل هذا الخبير يوالى مهمته فى الفرقة ثلاث سنوات كاملة دون أن يقدمها للجماهير ، حتى اذا ما اطمأن الجميع الى ان اعضاء الفرقة قد بلغوا المستوى المنشود ، بدأت الفرقة تقديم عروضها على مسرح البالون فى اعياد الثورة عام ١٩٦٢ بعد أن تولى ادارتها احمد رشدى صالح الذى اشتهر بمؤلفاته عن الادب والفن الشعبى ·

وبعد الخبير الروسى جاءت خبيرة رومانية اسمها « تمارا كاسبة » ، زاولت مهمتها مع اعضاء الفرقة لمدة عام ، ثم استدعى الخبير الروسى « اناتولى بورزوف » ليتولى الاشراف على تدريبات الفرقة ·

وعندما لاحظ المسئولون ان عمر الراقص هو اقصر الاعمار الفنية ، او بعبارة أخرى أن سن الراقص أو الراقصة تتدخل فى عمرهما الفنى ، وأن المجموعة التى بدأوا بها بحاجة الى تدعيم وتطعيم بعناصر شابة ، قرروا انشاء مدرسة ملحقة بالفرقة لاعداد الراقصين والراقصات ، واستعانوا فعلا بخبيرة روسية للتدريب اسمها « اللاشولخينا » · واستطاعت هذه المدرسة أن تزود الفرقة بعد خمس سنوات بحوالى ١٥ راقصا وراقصة يعملون بها الان ·

ونظمت الفرقة القومية رحلات لها فى الخارج ، فزارت تونس عام ١٩٦٣ ، واسبانيا عام ١٩٦٥ ، كما زارت السنغال عام ١٩٦٦ · وفى اكتوبر عام ١٩٦٨ بدأت رحلتها الطويلة التى بلغت ستة اشهر كاملة ، زارت خلالها تركيا وبلغاريا ورومانيا والاتحاد السوفييتى وبولندا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا والبانيا · هذا بالاضافة الى عدة عروض موفقة قدمتها الفرقة فى بغداد والبصرة بالعراق ، كما اشتركت فى مهرجان دمشق المسرحى ومعرض دمشق الدولى ··· واحيت بعض الحفلات فى الاردن لحساب منظمة تحرير فلسطين ··· وكان اخر رحلاتها فى هذا العام فى ليبيا واليونان ·

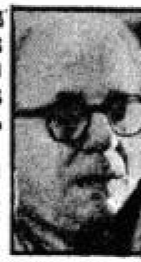
وعدد افراد الفرقة القومية للفنون الشعبية ستون راقصا وراقصة ، برع من بينهم سامى يونس وكمال نعيم ويسرية وجيلان ودنيس ومشيرة وليونى ، وسامى يونس هو المدير الحالى

ملامح الحياة في احيائنا الشعبية ، مجال خصب لاقتباس الرقصات الشعبية



للفرقة ، ويتميز بالقدرة على ادارة تدريبات الفرقة وسائر تنظيماتها ، وقد اكتسب خبرته من معاونته للخبير الروسى الاول « رمازن » . أما كمال نعيم فله موهبة ومقدرة كبيرة فى تصميم الرقصات ، وقد صمم عددا من انجح رقصات الفرقة مثل « البمبوطية » و « المقاومة الفلسطينية » .

ولما كانت الفرقة لا تقتصر على لون واحد من الفنون الشعبية ، فقد خاضت تجربة الغناء الشعبى بالمطربة ليلى نظمى . والطريف أن ليلى فى البداية لم تكن تقف على خشبة المسرح وتواجه الجمهور ، وانما كانت تجلس مع الاوركسترا فى مكانه تحت المسرح . ولما تأكد نجاحها خرجت من المخبأ وبدأت تظهر للجمهور وسط المجاميع . ولما تأكدت هى من نجاح اللون الذى تقدمه وذاعت اغنياتها مثل « يا راجل يا عجوز » و « ابو لاسة نايلون » خرجت من الفرقة واحترفت الغناء الشعبى منفردة .



يحيى حقى : فكرة « يا ليل يا عين »

فرق الرقص الشعبى

مهرجان الفنون الشعبية

ومادمنا بصدد الحديث عن فرق الرقص الشعبى ، فلا نستطيع ان نغفل الاشارة الى مهرجان الفنون الشعبية الذى عقد فى بلادنا عام ١٩٦٤ فى غمار المهرجانات الدولية التى اتاحها للشعب الدكتور عبد القادر حاتم ايام ان كان نائبا

« المماليك » ، بملابسهم التقليدية ، لمحة من التاريخ تحولت الى رقصة شعبية



لرئيس الوزراء ووزيرا للارشاد والثقافة للمرة الاولى ·

لقد وفد على المهرجان عشر فرق اجنبية من خيرة فرق الرقص الشعبي مثل الفرقة اليابانية ، والفرقة الرومانية ، والفرقة المجرية ، بجانب فرقتي رضا والقومية للفنون الشعبية · كان مجموع عدد راقص وراقصات هذه الفرق ١٦٥ راقصاً وراقصة ، يتعارفون فيما بينهم على فنون بعضهم البعض ، ويمتعون شعبنا بالتعرف على فنون الشعوب الصديقة

ان تنظيم هذا المهرجان لم يقصر نشاطه على العاصمة ، بل تنقل بسائر الفرق الى مختلف المحافظات ، وانتقلت معها المتعة الفنية والثقافة العالية · وبذلك تحققت الفائدة الجماعية التى هى شعار كل عمل جماعى ·

فرق المحافظات

وقد اغرى النجاح الذى حققته كل من فرقتي رضا والقومية للفنون الشعبية ، الكثير من المحافظات على أن تقوم بتكوين فرق للرقص الشعبي خاصة بها ، وكان فى مقدمتها فرقة البحيرة التي قدمت أول عرض لها عام ١٩٦٣ ، من اشهر لوحاته « الدبكة » و « الذهب الابيض » و « خلخال فضة » ، وتتابعت عروضها فى القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم المحافظات ، ثم سافرت هى الاخرى فى رحلة موفقة الى الخارج ·

ومن فرق المحافظات الناجحة ايضا فرقة طنطا وفرقة المنصورة ، وفرقة اسوان ، وفرقة قنا ، وفرقة السويس ··· ولكن من الملاحظ ان الخط الرئيسى فى سائر هذه الفرق هو نفس الخط الواضح فى فرقتى العاصمة · وقد يكون هذا مرجعه الى ان التدريبات على الرقصات المعدة لها يقوم بها راقصون من فرقتى رضا والقومية ، ويلعب كمال نعيم دورا كبيرا فى هذا المجال حتى لقد أصبح القاسم المشترك الاعظم فى تدريب معظم فرق الاقاليم ·

ومهما يكن الامر ، فالاهم فيه هو الوجود ذاته ، والنجاح الذى تحقق · وقد يأتى المستقبل القريب بخطوط رئيسية بتعدد هذه الفرق وتأصيل فنونها فى وجدان المدربين والمؤلفين من ابناء المحافظات أنفسهم ·

والمقياس الواضح لتعلق الجماهير عندنا بفرق الرقص الشعبى ، يتضح فى انتشارها كذلك فى معظم الملاهى الليلية أو فى الحفلات التى تقيمها الهيئات والمؤسسات العامة · صحيح أن اغلب اللوحات التى تقدم فى هذا المجال تؤديها فرق مقلدة أو فرق فقيرة فى تكوينها ، ولكن مجرد وجودها وافساح البرامج لها دليل على هذا التعلق الجماهيرى بالرقص الشعبى ··· دليل على حتمية التقدم والتكامل المنشود فى يوم قريب · ···

الشعر الشعبي في الأندلس

د. أحمد هيكل

تميز الشعب الأندلسي بسمات خاصة جعلته مجتمعا فريدا بين مجتمعات الأمة العربية، وكان للوضع الجغرافي من جانب، ولتعدد العناصر من جانب آخر، ثم للظروف الحضارية المختلفة التي عاش في ظلالها هذا الشعب، أبلغ الأثر في تكوين تلك السمات، ثم في اتضاحها في أدب الأندلسيين وسائر فنونهم، وبخاصة الشعر الشعبي .

فالاندلس تقع فى الجنوب الغربى لاوربا ، وتبعد عن سائر الاقطار العربية فى اسيا وافريقيا بعدا شاسعا ، باستثناء الشمال الافريقى الذى لا يفصل الاندلس عنه الا مضيق جبل طارق .

وشعب الاندلس مزيج من عناصر عربية وافدة من المشرق مع الفتح الاسلامى أو بعده ، وعناصر غير عربية أهمها هذا العنصر الاوربى المحلى الذى كان يسكن اسبانيا قبل العرب .

وبرغم أن العرب أصبحوا العنصر الغالب ، وبرغم أن اللغة العربية قد صارت اللغة الاولى ، فان رواسب كثيرة من الاصول غير العربية التى امتزجت بها العناصر العربية ظلت تعمل عملها فى تشكيل الاطار الحضارى للاندلس ، كما أن اللغة اللاتينية العامية — التى كانت لسان القوم فى اسبانيا قبل الوجود العربى — ظلت هى الاخرى — على وجه من الوجوه — تمد اللسان الشعبى بكثير من الكلمات والتراكيب ، لا بين ذوى الاصول الاسبانية وحدهم ممن يسمون بالمستعربين ، بل بين ذوى الاصول العربية أنفسهم من حكام وقواد وشعراء مشاهير ...

وهكذا كان المجتمع الاندلسى يتسم بشىء من الازدواج العنصرى واللغوى وان كان العنصر العربى هو الطاغى على السطح ، واللغة العربية هى المسيطرة فى مجال الفكر والثقافة والادب المستقر المعتبر الفصيح .

اما فى قاع المجتمع ، وفى مجالات الادب الشعبى ، فقد كان الامر يختلف بعض الشىء ، حيث عبر هذا الشعب الاندلسى عن نفسه بادب شعبى ، مثل هذه الثنائية او هذا الازدواج ، فى الجانبين البشرى واللغوى جميعا ..

وقد اتضح امتزاج العنصرين واللغتين فى المجال الشعبى بعد نحو قرنين من الفتح الاسلامى ، أى فى أواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . أما قبل ذلك وخلال القرنين اللذين أعقبا الفتح منذ أواخر

العصر الذهبي في الأندلس

القرن الاول للهجرة ، فقد كان المجتمع الاندلسي لم يتكون بصورته المكتملة ، التي تتحد فيها عناصر الشعب ، برغم اختلاف اصول هذه العناصر ، والتي تتفاعل فيها لغات ابناء هذا الشعب، برغم تباين هذه اللغات ...

ولما امتزج اهم عنصرين في الاندلس مكونين لحقيقة الشعب الاندلسي ، التي تلتقي في عروق ابنائه الدماء الاسبانية ، ولما تفاعل اهم لسانين في الاندلس مؤلفين للغة الشعب الاندلسي ، التي تجتمع في احاديث افراده الكلمات العربية والكلمات اللاتينية ، اصبح من طبيعة الاشياء ان يظهر ادب يعبر عن هذا المجتمع وبلغة هذا المجتمع الجديد ...

ولان الشعر كان الفن الغالب حينذاك ، ولان الموسيقى والغناء كانا في طريق ذروة الازدهار حينئذ ، بعد أن نقل زرياب الى الاندلس الكثير من موسيقى الشرق وآلاتها ومعلميها ، وبعد أن أشاع بين الاندلسيين الشغف بالطرب وضروب الالحان وفنون الغناء ، أقول لان الشعر كان هو الفن الادبي الغالب ، ولان الموسيقى والغناء كانا في طريق الذروة ، فقد اقتضى كل ذلك أن يكون الشعر هو الفن الادبي الذي يعبر به المجتمع الجديد عن نفسه في الاندلس ، وأن يكون هذا الشعر هو الشعر المتصل بالموسيقى والمرتبط بالغناء ...

وهكذا ظهرت الموشحات في الاندلس، كأول شكل من أشكال الفن الادبي الشعبي الذي عبر بها المجتمع الاندلسي عن نفسه ...

ومن هنا نقول : ان الموشحات قد ظهرت تعبيرا عن ظاهرة اجتماعية اولا ، ثم تلبية لحاجة فنية ثانيا . اما كونها تعبيرا عن ظاهرة اجتماعية ، فلانها قد جاءت معبرة عن الازدواج العنصري في حقيقة الشعب الاندلسي، هذا الازدواج الذي مثله بوضوح هذا الازدواج اللغوي ـ في الحياة الشعبية ـ بين اللغة العربية واللاتينية العامية ... وأما كون الموشحات تلبية لحاجة فنية ، فلانها قد واكبت النهضة الموسيقية الغنائية التي وضع أسسها زرياب ، والتي بدأت تصل الى الذروة منذ أواخر القرن الثالث ، أي في عهد ظهور الموشحات .

ودليل ذلك كله هو أن للموشحات جانبين تخالف فيهما الشعر المستقر ذي القصائد والمقطوعات ، وهذان الجانبان يتصل أحدهما باللغة ،

ويرتبط الثانى بموسيقى الشعر ، اى بالوزن والقافية ••• أما ما يتصل باللغة فخلاصته ان الموشحة كانت

- فى عهد نشأتها - يتحتم أن يختتمها مؤلفها بشطرات من عامية الاندلس ، أى من تلك اللغة التى تجمع بين ما

هو عربى وما هو لاتينى • وهــذا الختام يسميه الوشاحون « خرجة » ••• وأما ما يتصل بموسيقى الشعر ،

فخلاصته أن الموشحة لابد أن تتنوع فيها الأوزان والقوافى ، بحيث تخرج

عن المألوف فى القصيدة من وحــدة الوزن ورتابة القافية •••

ولهذا كانت معظم الموشحات تتألف من خمس فقرات رئيسية ، وكل فقرة تتألف من جزءين أساسيين : أولهمـا

تختلف فيه القافية من فقرة الى اخرى ويسمى غصنا ، والاخر تتماثل فيـه القافيـة خـلال الموشحة كلها ويسمى

قفلا ••• وهكذا يكون الحـد الادنى لقوافى الموشحة ست قواف •• ومن الممكن ان تزيد كثيرا اذا كانت نهايات

الشطرات الاولى فى كل فقرة مغايرة لنهايات الشطرات الثانية • بل من الممكن ان تتضاعف وتتعدد ما شـاء

الوشاح ، اذا جعل فىفقرات موشحته قوافى داخلية وعدد الاقسامبوالشطرات

فى نظام وتوافق ومعمـــار موسيقى متنوع مرسوم •••

هذا من ناحية القافية •• أما من ناحية الوزن ، فالموشحة فيها حـرية مرنة وانطلاق موسيقى لا تعـــرفه

القصيدة • وذلك أن الموشحة يجـوز فيها أن تنظم من بحر واحد من بحور الشعر فى حالة من حالاته التامة أو

المجزوءة أو المشطورة الخ ، كـذلك يجوز أن تنظم الموشحة من بحر واحد

فى اكثر من حالة من حالاته ، بحيـث تكون بعض الشطرات من تفاعيـــل

البحـر تامة ، وتكون بعض الشطرات الاخرى من تفاعيل البحر مجزوءة أو

مشطورة ••• وكذلك يجوز أن تنظم الموشحة من أكثر من بحر من بحور

الشعر ، بحيث تكون شطرات من بحر الرمل وأخرى من بحر الكامل مثلا فى

الفقرة الواحدة ، وبحيث يكونالغصن من بحر والقفل من بحر آخر •••

وهكذا نجد انطلاقة الموشحات مـن ناحية الموسيقى ، وتحررها الشديد الذى ليس له ضابط الا وجوب التقابل

بين الاجزاء المتماثلة ، بحيث يجب أن تساوى الفقرة من الموشحة أختها ،

> «إن المفتـاح الحقيـقى للشعـر الغنـائى الأوربى الراقـى فى العصـر الوسـيط ..إنما هـو الشعـر الشعـبى الأنـدلسى ..»

الشعر الشعبي في الأندلس

ويماثل تقسيم الغصن وأسلوب وزنه تقسيم باقي الاغصان وأسلوبها في الوزن ... ومن هنا يتمثل في بناء الموشحة الموسيقي معمار فيه حرية من جانب والتزام من جانب آخر ، فالحرية في تصميم الوحدة النغمية التي ستتالف منها الموشحة ، وهذه الوحدة هي الفقرة بجزءيها : الغصن والقفل . فللوشاح ان يصمم الفقرة الاولى بحرية كاملة في عدد شطراتها وطريقة تقفيتها ونغمات ايقاعها ، ولكن عليه بعد ذلك ان يصنع الشيء نفسه في الفقرة الثانية وما بعدها باستثناء قافية الاغصان التي يجب ان تتغير من فقرة الى اخرى ، ولا يصح ان تتماثل القوافي بينها اصلا .

وبهذا الانطلاق الملتزم والتحرر المضبوط في الموشحات لبت حاجة المجتمع الاندلسي الفنية ، ابان نهضته الموسيقية الغنائية ، التي عجزت عن مواكبتها القصيدة التقليدية بوزنها الواحد وقافيتها الرتيبة ... كذلك عبرت الموشحات بخواتيمها الشعبية غير الفصحى عن ظاهرة الازدواج اللغوي في المجتمع الاندلسي ، وبخاصة في المجال الشعبي ، حيث لم يكن من الممكن أن تقوم القصيدة الفصحى بهذا الدور ، نظرا لطبيعتها الصارمة وروحها التي تغلب عليها المحافظة بل الرسمية في كثير من الاحيان .

امثلة من الموشحات

وهكذا سجلت لنا الموشحات الاندلسية فقرات من الشعر الشعبي الاندلسي الخالص ، وهي تلك الفقرات التي نجدها في نهايات الموشحات ، والتي يغلب على الظن انها بدورها اجزاء من اغنيات اندلسية شعبية لم تدون ، وانما حفظت لنا بفضل اقتباس الوشاحين لها وختم موشحاتهم بها .

ومن امثلة الموشحات الاندلسية التي تعتبر من الشعر الشعبي الاندلسي ، والتي حفظت لنا جزءا من لغة الشعب التي تمتزج فيها العربية باللاتينية العامية ، موشحة ابن بقي التي يقول في أولها :

لحظـــات بابليـــه
متعـــت التي عشـــقا
لي ثغـــر مفلـــج
لائمي منـــه مـــوقي

ثم يقول في ختامها على نفس وزن المطلع وطريقة تقفيته ، ولكن بلغة غير فصحى بل غير عربية خالصة :



الب ديه اســـــت ديه
دي ذا العنصر حقــــا
بشـــترى مو المـــدبج
ونشق الـــرمح شـــقا

فهذا الختام الذى ختمت به الموشحة مزيج من الفاظ عربيـــة واخـرى « رومانثية » أى لاتينية عامية ...

والشطرة الاولى معناها : « هـــذا اليوم يوم فجـــرى » ، أى مشرق » فالكلمة « الب » من الكلمة الاسبانية «Alba» بمعنى : فجـــر ...

والكلمة الثانية وهى « ديه » معناها : يوم ، وهى فى الاسبانيا «dia»

والكلمة الثالثةوهى « است » معناها: هذا ، وهى فى الاسبانية «este»

أما الشطرة الثانية فمعناها : « يوم العنصرة حقا » ، والعنصرة عيد من أعيـاد الاندلسيين ، والكلمة الاولى وهى « دى » معناها : يوم ، ويظهر أنها كانت تنطق : « ديه » و « دى » .

وأما الشطرة الثـــالثة فمعناها : « سألبس مدبجى » . والكلمة الاولى منها وهى « بشترى » هى التى صارت فى الاسبانية «Vestire» أى سوف ألبس ... والكلمة الثانية وهى « مو » هى ضمير الملك للمفرد الغائب المذكر ، وقد صارت فى الاسبانية Mi أو mio

وأما الشطرة الاخيرة فهى عربيـــة كلها . وعلى هذا يكون معنى هـــذا الختام : هذا اليوم يوم فجرى مشرق .. انه يوم عيد العنصرة .. سوف ألبس ثوبى المزين ... وأشق الرمح شقا ..

على انه لم يكد يمضى قرنان ، حتى هضمت العربية الفصـــحى الموشحة كلها ، ولم تعد تكتفى بالاجزاء الاولى تاركة للغة الشعبية الاندلسية الختـــام

الشعر الشعبي فى الاندلس

الاخير . ولعل ذلك من طبيعة العربية الصارمة المحافظة المرتبطة ابدا بما هو جاد ومستقر ووقور وعربي اصيل .. ومن هنا وجدنا الموشحات بعد القرن الخامس تنظم بلغة الشعر الفصحى ، ولا يبقى لها ما يميزها عن القصيد الا جانب التنويع الموسيقى المعروف .

ولكن روح الشعب لابد ان تعبر عن نفسها بلغتها . فلما ضاق مجال الموشحة وطردت لغتها الفصحى اللغة العامية وانتصرت عليها ، ظهر لون من الادب الشعبي المنظوم هو الازجال

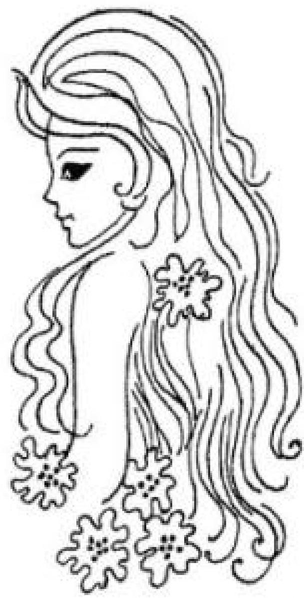
ازدهار الزجل فى الاندلس

والازجال فى حقيقتها ليست الا امتدادا شعبيا للموشحات ، او اتساعا للتعبير الشعبي الشعرى ضاقت عنه الموشحات ، فاستقل هو بمنظومات كاملة بلغة الشعب ، كرد فعل لاستقلال الوشحة كلها باللسان الفصيح ...

ولذا نرى طريقة نظم الازجال ـ فى جملتها ـ كطريقة نظم الموشحات ، من حيث تكون المنظومة من فقرات ، وانقسام كل فقرة الى غصن تتنوع قافيته بين فقرة واخرى ، وقفل تلتزم فيه القافية الموحدة فى كل المنظومة ..

والجانب الواضح فى الزجل الذى يفرق بينه وبين الموشحة ، هو الجانب اللغوى ، حيث سيطرت الشعبية الاندلسية فى الزجل ، وغلبت الفصحى العربية فى الموشحة .

ولعل مما ساعد فى الاندلس على ازدهار الزجل ما كان من تقلص ظل



الادب الفصيح فى أيام المرابطين ..

فقد وجد الشعراء والادباء الذينيكتبون بالفصحى أن سوق بضاعتهم ليست رائجة فى المجال الرسمى بالقـــدر الكافى ، لان الحكام المرابطين الوافدين من الشمال الافريقى ليسوا مقبلين على الشعر والادب بالقدر الكافى ، بعكس سابقيهم ملوك الطوائف مثلا ، وذلك لانشــــغال هؤلاء المرابطين بتأمين الوجود الاسلامى بالاندلس ، بعد أن تزعزع فى أيامملوك الطوائفالمتنازعين المتلهين كثيرا بالوان من الترف منها الشعر الرسمى ..

لهذا بدأ الشعراء فيعهد المرابطين بالاندلسيتلفتون الىالشعب ، ويعبرون عنه بلغته فى كثير مما يؤلفون .. وتالق ابن قزمان كبيــــر الزجالين الاندلسيين الذى ازدهر فن الزجـــل على يديه وعرف به كما لم يعرف بفنان اخر ، حتى اوشك أن يحجب اسماء سابقيه كالاخطل بن نمارة ، ويحيى بن راشــــد ، واسماء معــــاصريه كعيسى الاشبيلى ، وأبى عمر الزاهد ، وابى الحسن الدانى ، وأبى بكر بن مرتين .

وقد كان الزجل ـ كأى فن شعبى . يعبر عن روح الشعب الاندلسى ويعكس طابعــه النفسى والسلوكى الخالص ، البعيد عن الرسميات والتقليـــديات والمواضعات ، التى يعكسها الشــعر الفصيح .

كذلك كان الزجـــل يعبر بلغـــة الاندلسيين الشعبية ، التى تخـــالط عناصرها العربية الرئيسية عنــاصر اسبانية تختلف كثرة وقلة من نص الى اخر ، حسب الموضوع والموقف وما يحتاج اليه من وسائل التعبير . ولذا نجد أزجالا أو اجزاء من ازجالاندلسية تكاد تخلو من الالفاظ الاسبانية ، على حين نجد أزجالا اخرى تزدحم بتلك الالفاظ الاسبانية التى قد تطغى عــلى العربية .

ومن أزجال ابن قزمان التى تغلب فيها العربية قوله فى تفضيله لتـــرك الزواج ، والانطلاق الى حياة التحرر والاستمتاع بعيدا عن قيود الزوجية :

صرت عازب وكان لعمرى صواب
لس نزوج حتى يشيب الغـــراب
انا تايب يا ، لس نقول بزواج
ولا جلو ، ولا عروس بتـــاج
لا رياسة غير اللعب بالزجـــاج
والمبيت برأ ، والطعام والشراب

وواضح أن هذا المطلع والفقرة التى تليه ليس فيهما من الالفاظ الاسبانية الا كلمة « يا » ومعنــــاها : انتهى ، وهى بالاسبانية «Ya» وقد جاءت هذه الكلمة فىالشطرةالثالثة ، ليصير المعنى : « انا قد تبت وانتهى الامر » .. وأما الالفاظ العامية العربية فهى كثيرة ، مثل « لس » بمعنى ليس ، فقوله : « لس نزوج » يعنى لســـت أتزوج ، أو لن أتزوج .. وقوله « لس نقول « بزواج معناه : لن اقول بالزواج مرة أخرى ، أو لست أطلب ثانية .. ومن هذه الكلمات العربية التى أخذت شكلا عاميا : «جلو » والمراد بها : جلوة .. ومن تلك الكلمات أيضا كلمة « برا » أى خارجا . فالزجل يقول : ليست السيادة ولا التفـــوق الا فى

الشعر الشعبي في الأندلس

اللعب واللهو والشراب من أكواب الزجاج المليئة بالسلاف ، والا في البيت خارج البيت ، والطعام والشراب بعيدا عن جدرانه الباعثة على الضيق، والتي تحرم الانسان من الحرية والانطلاق !!

على أن في بعض أزجال ابن قزمان اجزاء تتألف في أغلبها من غير العربية ، اي من تلك العامية اللاتينية التي كانت تعايش العامية العربية في أوساط الشعب • ومن أمثلة هذه الاجزاء قول ابن قزمان في مطلع شكاية حزينة واستغاثة مكلومة على لسان محب :

يا قطر بن شلباط
تن حزين ا بناط

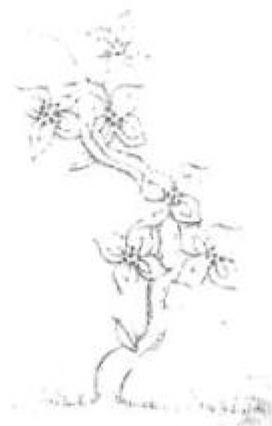
فليس في الشطرين من الكلمات العربية الا كلمة يا ، التي هي اداة النداء ، في صدر الشطرة الاولى ، والا كلمة حزين ، التي هي الكلمة الثانية في الشطرة الاخرى •• اما بقية الكلمات المؤلفة للبيت فهي « رومانثية » اي من عامية اللاتينية ، التي تطورت فيما بعد فصارت قوام اللغة الاسبانية ••• فكلمة « قطر » معناها « أم » ، وقد صارت في الاسبانية «Madre» وكلمة « بن » معناها : القبلي ، وقد صارت في الاسبانية veu وكلمة « شلباط » معناها : انقاذ ، وقد صارت في الاسبانية «salvado» وعلى هذا يكون معنى الشطرة الاولى : « أماه تعالى انقذيني » •

واما كلمة « تن » في الشطرة الثانية فمعناها : جدا ، وقد صارت في الاسبانية «tanto» وكلمة « بناط » معناها : متألم ، وقد صارت في الاسبانية «penado»

وعلى هذا يكون معنى الشطرة الثانية « انني حزين جدا ومتألم للغاية » ••

مفتاح الشعر الغنائي

هذا ، ومعروف أن الشعر الشعبي الاندلسي قد انتقل الى المشرق وراح بين المشارقة فصار لكل قطر عربي ــ تقريبا ــ وشاحون وزجالون •• ولان الموشحات اصبحت تؤثر الفصحى ، والازجال تفضل العامية المحلية ، فقد دخلت الموشحات في كل بلد عربي في نطاق الادب الفصيح وسجلت وغنيت وحفظت ثم درست ، فظهر كتاب مثل « دار الطراز » لابن سينا الملك يقعد لها ويدرس اوزانها وقوالبها •••



اما الازجال فقد بقيت – غالبا – في نطاق الادب الشعبي الذي ينتجه ادباء كل قطر عربي بلغة قومهم المحلية ، ولا يعني – لذلك – بكتابته وتسجيله غالبا ... هذا بالاضافة الى ما تفرضه طبيعة اللغات – أو اللهجات – المحلية من عدم شمول الفهم أو عموم الاستجابة ، لان ما يفهمه الناس في قطر من الفاظ وعبارات بعينها ، لا يفهمه آخرون من نفس الالفاظ والعبارات في قطر آخر .. ولذا كان من النادر أن نجد ديوان زجل لزجال قديم كابن قزمان . وإذا وجد صعب فهم نصوصه وتصور تجاربه على الوجه الكامل .

ومع هذا قد كان لهذا الفن الاندلسي من الشعر الشعبي اثر بالغ في الشرق والغرب ، اما في الشرق فقد نبه الشعراء في كل اقليم الى التعبير الشعبي الواقعي المواكب لحركة الشعب والمعبر عن روحه والممثل لوجدانه الخالص البعيد عن الرسميات ، بل المقاوم لانحرافات الرسميات أحيانا ..

واما في الغرب فقد علم الشعراء « التروبادور » في جنوب فرنسا ، كما علم الشعراء « الخوجلار » في اسبانيا كيف ينظمون غنائيات راقية القالب الموسيقي والشكل الايقاعي ، صادقة المضمون الشعري متقدمة الهدف الفني .

فمن المعروف ان القالب النغمي للموشحات والازجال ، قد كان رائد « التروبادور » الفرنسيين و « الجوجلار » الاسبان ، فيما نظموا من اغنيات متنوعة الاوزان والقوافي ، ذات اغصان واقفال .. ومطالع وخواتيم ، كالتي صنعها الشعراء الاندلسيون .. ومعروف ايضا انه عن طريق الموشحات والازجال الاندلسية ، نقل الشعراء الفرنسيون والاسبان كثيرا من الافكار والمعاني والموضوعات والتجارب . وفي مقدمة هذه جميعا تأتي موضوعات الحب الطبيعي ، الذي يجل المرأة ويكاد يقدسها ، على العكس مما كان معروفا في الفكر الاوربي حينذاك من تحقير للمرأة وزراية بها ... ومن هنا يقول المستشرق الاسباني « خوليان ريبيرا » : « ان المفتاح الحقيقي للشعر الغنائي الاوربي الراقي في العصر الوسيط ، انما هو الشعر الشعبي الاندلسي » ... ولم يجاوز هذا العالم النصف الصواب ، فقد رأينا الشاعر الاسباني الغنائي الكبير « الفونسو العاشر » يؤلف مجموعة كبيرة من الشعر الغنائي تحاكي الشعر الشعبي الاندلسي شكلا ومضمونا في كثير من المواطن ... واكثر من ذلك رأينا على النسخة القديمة لهذه المجموعة صورة تجمع بين مغن عربي بعوده وملابسه الاندلسية ، ومغن اسباني بهيئته وشاراته الاسبانية . وكأن واضع هذه الصورة على هذا الديوان الشعري الاسباني ، يقول بالصورة قديما ما يقوله هذا المستشرق الاسباني حديثا . . . . .

وداع الحبيب

أحمد الجندي

يا حبيبي حان الوداع فدعني
أتملى عينيك قبل الوداع
أنا أحببت فاغتفر لي ذنبي
واتس ما كان من أسى والتياع
وهب الحب هفوة ، انها زفـ
ـرة قلب يعيش في أوجاع
عرف الوجد فاستقاد اليه
وأطاع الجمال بعد امتناع
يا حبيبي أعد الي شبابي
فلقد راح ممعنا في الغياب
مر عمري فما التفت اليه
ومضى الحب فالتفت لما بي
وكأني فقدت نفسي إذ غبـ
ـت فقل لي ، متى زمان الاياب ؟
لا تدعني مع الحياة وحيدا
في شقاء وعزلة واغتراب
أو تنسى ما فيك من بدع الحسـ
ـن ومن بسمة كلون الغروب
وقف الحب عندها خاشع الطر
ف عليه غلالة من شحوب
وسعى القلب نحوها يتشهى
ما لديها من نفحة وطيوب
كنت لي في الهوى قصيدة عشق
ألفت من مرارة ووجيب

يا حبيبي ألست تذكر عهـــدا
كان أحلى من يانعات الزهـــور
كم نعمنـــا به وأنت ربيـــع
وســـكرنا فيـــه وأنت سميرى
وأفقنـــا فكل شيء بعيـــد
وصـحونا على جوى وســعير
عـــــد الى الحب يا حبيبي فا
ن العيش حلو والدهر جد قصير
يا حبيبي ، ولى الشـباب وولت
لهفـــة كانت الحيـــاة لنفسى
كنت أهوى بهـــا ، وأعشـق دنيا
ى ، وكانت مَجتلَى شعورى وحسى
طَفت فيها حول الجمال ، خلى القلـ
ـب أنأى عـــن كل هم وبؤس
طائرا ، حـــالم الجنـــاح يغنى
فى صبـاح كأنه ليـــل عـــرس
ليس بعـد الشبـاب والحب الا
ذكـريات فى خاطرى كالجـــراح
هجر الحب عشه فنأى اللهـــ
ـو وجفت ثمـــالة الأقـــداح
ومشى الأنس واجمـــا يتشكى
تحت ظـــل من يأسه ووشـــاح
أترى يا حبيب ، ترجـــع دنيا
نا .. وهل بعد ليلنـــا من صباح ؟

دمشق — أحمد الجندى





السامر وأولاد... رمز

زكريا الحجاوي

استقرت فى مسـايرة « السوامر » والتعلق بها تعلقا شديدا فى طور الطفولة الباكرة ، وبداية الكشف عن عناصر الامتاع والجمال بها فى طور « الهواية » ، ثم بجمعها ودراستها فى طور الابانة عن قيمتها ...

المطرية ، دقهلية ، بلد صغير على شاطىء بحيرة المنزلة ، يعتبر مركزا كبيرا من مراكز الصيد وتجارة السمك، ونقل البضائع بالمراكب الشراعية بين بلاد هذا الجزء العريض من الشمال الشرقى لبلاد الدلتا ، بورسعيد ودمياط والمنصورة ...

الشاطىء كظ بالمراكب ، فى غدوها ورواحها ، والصيادون والتجار المسافرون والقادمون ، وكذلك الاهالى

.. يجتمعون على طول الشاطىء الدائرى ، بحيث يكاد يكون البلد جزيرة تحيط بها البحيرة من كل الجهات .

وفى بقعة لا يشغلها الناس ، يرى المارة اسرة صغيرة ، مكونة من اب وام وولد شاب ، وفتاة ، وطفل صغير ،

السامر

وأولاد رمز



يقفون ثم يضعون عن اكتافهم « جوالا » أو « جوالين » ، ثم يخرجون منهما « ادوات » اللعب .. وأهم هذه الادوات ، « الودعة » أى المحارة الكبيرة التى يمسك بها الرجل ، كما تمسك الفتاة بالمزهر « الطار » أو الدف الكبير ...

وعلى ايقاع ثقيل ، يبدأ الرجل ينفخ فى الودعة ، فتحدث صوتا يشبه الى حد كبير صوت الآلة النحاسيةالموسيقية « الطرمبة » ... وعلى الصوت الموسيقى المبسط فى مقطعات نغمية متتابعة ، بمصاحبة الايقاع الثقيل ، ينجذب الاطفال أولا ، ثم يخف الرجال سراعا ، من الصيادين والتجار والاهلين ــ الى مصدر الدعوةالموسيقية الشعبية ... ودون ترتيب أو تنظيم ، تجد القوم من المشاهدين يلتفون حول « الجوقة » التى تصبح بعد بضع دقائق مركزا لدائرة منتظمة من صفوف بشرية ، قال الرجل عبارة واحدة :

« اللى يحب النبى يوسع ! »

ويزحف الاطفال الذين رسمواالدائرة بدقة قطرية ، الى وراء ، وكذلك يفعل الرجال الواقفون فى صفوف متلاصقة ، والجوقة تتحرك موجهة نفسها الى كل جهات الدائرة البشرية ...

كان ذلك فى مطالع العشرينات ، ولم انتظم فى الدراسة بالمدارس بعد ، وان كنت قد بدأت ككل اطفال القرية الكبيرة،

التعليم بالكتاتيب ، وبخاصة حفظ القرآن الكريم .

وكان والدى رحمه الله ، يعطينى كل صباح ، قطعة فضية صغيرة ، هى « نص فرنك » ، أى قرشين ، وكان فرحى بها كبيرا لانهاهى التى بسببها،يوما بعد يوم ، أصبحت « زبونا » مرموقا لدى افراد الجوقة ، حيث اتخذ مكانى بين

الاطفال ، فاذا ما بدأت الفرقة تعرض فنونها ، يجيء الرجل ، أو الشاب ، عنـد نقطة تشويق مثيرة ، ويكف عن مواصلة اللعب ، ويقول وهو يمد يده بالدف :

« عيلة على الله ، وماشيين فى البلاد نفرح الناس ، ونسليهم ، والشكوى لغير الله مذلة ، واللى يحب النبى يعطيها مما عطاه الله ! »

ثم يمر من داخل الدائرة ، وقـد تحول الدف فى يده الى ما يشبه الطبق ، وكل الواقفين ، وتلقائيا ، يلقـون فى الدف كل منهم بقرش أو بأكثر أو بأقل ، ويندر أن يتخلف أحـد الشاهدين عن العطاء ، فاذا جاء دورى ، تتنـاول الرجل أو الشاب ، « نص الفرنك » منى بيده .. تكريماً لى ، بعـد أن صار وجهى مألوفا لهم !...

ويتكرر طلب الفـرقة « بعض ما أعطاه الله للناس » ، أكثر من مرة ، ليس تبعا لكل فقرة تقدم فقط ، بل لان المشاهدين يتغيرون ويتبدلون بين فقرة وأخرى . فالذى شـاهد فقرة وناداه العمل ترك « السامر » وذهب الى عمله ، ومن لم يكن قد بدأ العرض من أوله ، يتمكن من مشاهدة العروض الباقية ، وهكذا ..

العروض فى الشارع .

والعروض تقدم نهارا ، ابتداء مـن الضحى حتى الظهر تقريبا .

والفرقة ، والناس من حولهـا ، اسمها « السامر » .

والفرقة تقـدم ألوانا مختلفة من فنونها ، فهى تقدم فى الاول ألعـاب « الحاوى » ...

يجلس « الحاوى » القرفصاء ، وينقر على الدف ، ويكلم شيئا مجهولا داخل الزكيبة ، « الجوال » ثم يعرف الناس انه يخاطب ثعبانا ، ثم يأمره بانه اذا لم « يسمع الكـلام » فانه سيؤذيه ويؤدبه !...

ويتم الاندماج بين النظارة والفنان الفقير الاسمر ، الـذى حسر عن رأسه الطاقية أو العمامة ، وحلق شـعر رأسه الا قصة طويلة فى أم رأسه ... ويخرج الثعبان يتلوى على الارض ، ويقترب من اللاعب ، ثم ينهض حاملا بنصفه الى أعلا ، ورأسه يتلفت هنـا وهناك ، ثم يهتز رقصـا على نقـر الدف ...

ويأمره الحاوى بأن يصعد الى صدره .. لانه يريد أن « يوشوشه » ويقول له كلاما « سرا » ، ويصعد الثعبـان ، ويلتف حول عنق الحاوى ... ثم يقرب الثعبان رأسـه من فم الرجـل ، فيوشوشه ، وينهض الرجل ليكمل لعب الحواة ، والثعبان الذى لف نفسه حول عنق الحاوى فى حلقات متعددة ، أصبح واحدا من الشاهدين ...!

بمثل هذه المشوقات تبـدأ الفرقة ألعابها ، ثم تتتابع فقرات الحـاوى ، وتقدم الصبية رقصة بارعة ...

ثم تبدأ الفقرة الهامة ...

انها رواية مسرحية كاملة الاركان .

ممثلوها هم أفراد الجوقة لا يزيدون ولا ينقصون ، اللهم الا اذا كان هنـاك دور ثانوى ، لا يقوم بتمثيله أحد ، لان الفرقة كلها قد توزعت عليها الادوار ، حتى الطفل الصغير ، الذى كان يصعد باجادة دوره ، اجادة مذهلة ، هنا .. يقطع الاب التمثيل ، ويخاطب الجمهور :

ـ « عاوزين حد منكم يتطوع ويجى

يعود ويأتنا دور فلان ، ويتطوع كثيرون ، فيختار أحدهم ، ويتقزز البـــاقون .. وغالبا ما يكون هذا « الاحد » ، مجرد « ديكور بشرى » يسقط عليه الكلام فى وجوده .. أو يسأله الاب بضعة أسئلة فى مكانها من الحوار والموقف ، ويهمس

له بالرد المطلوب أن يرد به ، والنـــاس يتابعون الفقرة كلها باهتمام وبامتـــاع ، لانها تتناول نقدا اجتماعيا ، لامر يشغل النـــاس ، ويعرض فى قالب شـــديد التشويق ، التمثيل والحوار يصحبهمـــا الغناء فى بعض المواقف ، وصـــوت الصبية عذب وجهير ، والالحان فطرية رائعة ... ثم يدخل الحوار والغنـــاء الى موقف راقص ، ويرقص أفـــراد الجوقة ، رقصا مخالفا لكل ما هـــو

مألوف من أنواع الرقص ، بســيط ، وجميل ، ورائع ، وكان الحـــركة فى الرقص تكمل الكلام والموضوع ...

والموضوع متكامل ، وفى قالب فنى فريد ، ذابت الحكمة فيه ، وذاب التوجيه والنقد فى تضاعيف الحوار ونصـوص الغناء وفى الرقص ...

ولا ينتهى السامر الا بعد أن تعطى الفرقة للناس ، أحلى وأعذب ما تقدم من فقرات ، والفقرة الاخيرة تكون دائما ، جزءا من الملاحم الشعبية التى تندرج فى القصص البطولى ...

وأحب أن أشير الى أن المـــلاحم الشعبية نوعان ، نوع منهما يقـــدمه السامر ، ونوع ثان تقدمه فرقة أخرى اسمها « الداحين » فى سامر آخر ..

الداحون ينصبون سوامرهم ، نهارا ، بالاسواق ، حيث يتجمع رواد السوق

بعد شراء احتياجاتهم ، ويتحلقون حول الفرقة ، ليستمعوا الى الملاحم الشعبية التى تندرج فى « المأساة » مثل ملحمة أيوب ، والعابدة التى قدمتها للاذاعة باسم « كيد النسا » ، وغيرهما ، وقد

وفقنى الله الى جمع ثلاثين ملحمـــة منها قبل انقراضها وذهاب منشديها الى عالم الشيخوخة وزوال العمـــر ، وهم

يقدمون ملاحمهم فى الاسواق نهارا ، وفى أى مكان من القرية أو المدينة فى « ساعة عصارى » ...

هذا هو « سامر الداحين » ..

أما السامر ، الذى يقدم المسرحية ، وهو موضوع الحديث ، فانه يقدم ملاحم القصص البطولى ، مثل عنترة ، وأبو زيد الهلالى سلامة (السيرة الهلالية) وغيرهما ...

ولا خلاف بين نوعى المـــلاحم فى المضـــمون ، لانه تراث فى النوعين ، ولكن الخلاف فى الشـــكل ، فالقصص البطولى يقدم بواسطة الآلة الشـــعبية الموســـيقية « الربابة » أما الداحون فيقدمون ملاحمهم بواسطة المزاهـــر « الدفوف الكبيرة » ..

السامر وأولاد رمز



وفي القاهرة ، من قديم الزمان ، حتى يومنا هذا ، وحتى غداً وبعد غد ، ينصب في « المحمدي » قرب مستشفى الدمرداش بالقاهرة ، عدة سوامر ، كل يوم خميس ... وقد تخرج معظم الذين يتعاطون هذه الصناعة ، مثل محمد طه ، ومحمد العلاوي ، أبو دراع ، ومعظم الفنانات الشعبيات الجهيلات الاسم دون استثناء ، اذ تعتبر سوامر المحمدي ، مدرسة حضانة لهذه الفنون ، كما أنها تعتبر أيضا ، سوقا لعرض الاصوات الجديدة الواعدة بالصعود الى المكانة المرموقة .

في ميدان الفنون الشعبية

وكان الشاب الذي يعمل في فرقة السامر التي ملأت قلبي بالنبض الساخن في طفولتي يلعب دور الحاوي ، مع والده واخته واخيه الطفل ، وكان اسمه « مرسي » وهو نفسه الذي يمسك الربابة، بعد المسرحية ، يساعده والده بربابة ثانية ، وتمسك اخته بالمزهر ، أما الطفل فيمسك الدف الصغير ذا الشخاليل ، ويبدأ « مرسي » في السيرة الهلالية ، كل يوم يعطي جزءاً منها ...

ولما كبرت وبدأت منذ عام ١٩٤٩ ، اصبح كاشف عن قيمة « الفن الشعبي » .. كنت اكتب في الصحف عن رحلاتي التي قمت بها كباحث ميداني عن الفنون الشعبية منادياً بضرورة الاهتمام بها ...

وبدأ الناس يتنبهون الى هذا الفن المزجور في القرية ...

ووظفت - بعد الثورة - في وزارة الثقافة ، وفي رعاية الاستاذ الكبير محمد فتحي رضوان ، أول وزير ثقافة في مصر ... وفي رعاية الصديق الجليل ، والفنان الكبير الاستاذ يحيى حقي ، كتبت أول دراما شعبية ، هي (يا ليل يا عين) ، وكنت اسافر ومعي الاستاذ نويرة الى مختلف الاقاليم لنجمع نصوص فولكلورها الغنائي ...

وعلى الرغم من نجاح (يا ليل يا عين) - عام ١٩٥٦ ، في مصر على مسرح الاوبرا ، وفي الاتحاد السوفييتي ، فاني كنت أحلم بالسامر ، واكرس نفسي وجهدي لايجاد مسرح السامر ، حتى يمكن أن يكون فرصة امتاع ومدرسة حضانة ثم نقطة ارتكاز لمواصلة تاليف النصوص المسرحية باسلوب السامر ، حوارا ، وغناء ، ورقصا ، في وقت واحد ، خاصة بعد أن رأيت بلادي قد ظلمت ظلما أشد من كل ظلم لومي آخر ، عندما راح بعض المجتهدين في النقد ، يتحدثون عن « بريخت » وهم لا يعلمون أن بلادهم أم الدنيا ،

عبد الحليم نويره نصوص الفولكلور الغنائي ..



زكي طليمات : تلقائية القالب الشعبي



سبقت « بريخت » بقرون فى خلق مسرح الملاحم ، بقـــالب مصرى خالص ، ومتكامل ...

ولقد رأيت أن بعض البلاد العربيـة الشقيقة ، قد بدأت تحقق وجود مسرحها التاريخى القومى ، فى بلادها ، ولاتزال مصر أم الدنيا ، والتى تصرف عـلى المسرح ملايين الجنيهـــات سنويا ، لاتزال متعثرة فى احتضان تراثها ...

و .. نجحت الفكرة

لم أكن راضيا كل الرضا ، عن قالب (يا ليل يا عين) رغم نجاحه الدوى ، ورغم المعطيـات السخية التى أعطاها بالعمل الاستاذ « محمود رضا » والفنانة الراحلة « نعيمة عاكف » فى ناحيـة الرقص ، ورغم الجهـد العظيم الذى بذله الاستاذ عبـد الحليم نويرة فى وضـع الفولكلور فى قالب أوركسترالى يتسق مع عمل فنى سنخاطب به جمهـور الاتحاد السوفييتى عن حضارة بلادنا واصالتها ، ورغم جهد الاستاذ الكبير زكى طليمات فى محاولة ابعاد أسلوب العرض عن قالب الاوبريت ، وتقريبـه من تلقائية القالب الشعبى ...

فى عام ١٩٥٨ ، تقدمت بمذكرة الى السيد الوزير فتحى رضوان ، شرحت له وجهـة نظرى عن « السامر » ، ثم قلت : « ماذا علينا لو انتهزنا فرصة رمضان المقبل بعد شهرين ، وأعـددنا مجموعة من « السوامر » وبثثناها فى « مصر الفـــاطمية » ، حى سـيدنا الحسين ، وتركنا التجربة طبيعية بين الجماهير حتى نرى نتائجها ... » .

ووافق الوزير فورا ، وكنا قد جربنا « السامر » فى بعض ساحات الموالـد وذكر لى السيد الوزير أنه سمع قوما راجعين من طنطا ، بعد مولد شـيخ العرب السيد أحمـــد البدوى ، وهم يقولون « أحسن حاجة شفناها السنادى .. سامر الحجارى ! ... »

ونشرت السوامر عام ١٩٥٨ فى مصر الفاطمية ، بعضها فى قهوة الفيشاوى ، وبعضها فى « أم الغلام » وبعضها فى ساحة المسجد الحسينى ، وبعضها فى « الخرنفش » وبعضها فى الدراسة .

ودون اعــلان ، فى الصحف ، أو الملصقات ، بدأ الحـديث عن السوامر يلفت اليها جماهير القاهرة ...

واقول الحق ، أن الناس قد هرعوا الى « الاصالة » التى افتقدوها ، وكان هذا (القديم) الذى تقدمه لهم مـن التراث ، هو « الجديد » المطلوب ، فى وقت تستدعى فيه مصر ، روحهـا ، واصالتها ، تحضيرا لمعاركها التاريخية نحو التقدم والازدهار داخليـا ، والايلاف العربى على الصعيد القومى الكبير ...

ونجحت الفكرة اكثر مما كنا نتوقع ..

السـامـر

وأولاد رمـز



من فن « ابن عروس »

فى عام ١٩٥٩ ، نصبت « السامر » فى فناء كلية الشريعة بالازهر ، بعد ان تبين رجال الازهر الفضلاء ، ان هذه الرسالة الفنية ، تعتبر الخط الوطنى الموازى لخط التوعية الدينية ، وانهما يحضان معا على كل قيمة وطنية ودينية ، وانهما يحرضان معا ضد كل حرام اجتماعى او دينى .

لقد تفضل الاساتذة الاجلاء من رجال الوعظ والارشاد بالازهر الى الصعود الى المسرح ، وتقديم الفقرات التى رفعت منها الرقص الشعبى فى ذلك الوقت اجلالا للجامعة الازهرية .

ولا اقول شيئا عن مدى اقبال الجماهير على « السوامر » بالحسين ، اكثر من الاشارة الى ان ذلك اصبح تقليدا سنويا فى كل رمضان بحى مولانا الحسين ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، وحتى غدا والى ما شاء الله .

ولكنى ، ايضا ، اريد ان يختص مسرح مستقل بالسامر ، يظل يعرض طول العام ، يخدم اصالة بلادنا ، داخليا ، ويعطى فكرة لنزلاء مصر من الوفود الاجنبية ، الى اعتباره مدرسة كتلك التى اقمتها بمسرح القطم عام ١٩٦٢ ، وساعدت كثيرا من المشتغلين بالتليفزيون على تذوق فنون بلادهم وتكشف قيمتها

ولا اذيع سرا ، ان قلت للقراء ، ان سامر الثقافة بالحسين ، فى رمضان عام ١٩٦٧ ، بعد النكسة ، كان هو النبض الفنى فى ذلك الوقت ، لقد قدمت يومذاك فن « ابن عروس » ، وكل كلمة فيه كانما قيلت فى الموقف الحزين ، على الرغم من انه غاب عن الدنيا منذ مائتى سنة ...

فابن عروس الذى يقول :

اللى يـــــداديك داديه
واجعــــل عيالك عبيـــده
واللى يعــاديك عـاديه
روحك ماهيـــاش بايده

هو نفسه الذى يقول :

ان صادفك سعد الايام
الخيــر ياما تشوفه ديمه
اضرب بعصـــايتك قدام
(عوجه) تيجى مستقيمه

اى انه لو كان بيد الرجل الشجاع عصا معوجة ، وضرب بهـا عدوه ، لاستقام الاعوجاج فى العصـــا من حبها لوظيفتها بيد الرجل الشهم .

فرقة اولاد رمز

قلت ان البـلاد العربية سبقتنا فى هذا المضمار ... وخذ مثالا بالمغرب العربى ، فهناك « مسرح البساط » وهو عبارة عن فرقة متجولة ، تختار اى مكان بالمدينـــة او القرية ، ثم تفرش « بساطا » على الارض ، فيجلس الناس عليه فى حلقات ، وتبدا الفرقة تقديم عروضها ، مثل « سامر » مصر تماما ، وتبدا عروضهـــا « بالقرداتى » ، حتى يندمج الناس بالضحـــك والتسرية عن النفس بما ياتيه القرد من المهـــارة والطاعة للقراد الذى يداعبه ، ثم تبدا الفرقة فى تقـــديم المسرحيات بالقالب الشعبى المحض .

و « مسرح البساط » موجود بالمغرب منذ قديم ، يرجع تاريخه كمـــا يقول البعض الى القرن الســـابع عشر ، وحديثا ، منذ عام ١٩٦٨ بدا الفنـــان المغربى الكبير الطيب الصديقى ، يجمع ملامح هذا المسرح ، وينقله من الشارع الى المسرح بنفس اسلوبه وملامحــــه التراثية .



زفة جهاز العروسة فى الريف ، تحولت الى رقصة شعبية

السامر وأولاد رمز



وتعالوا فى نهاية المطاف نر ما هو المسرح الحقيقى فى مصر ، والذى ابتدعته مصر للسامر .

تكلمنا عن فرقة السامر ...

فهل أتاك نبأ فرقة « أولاد رمز » ورمز بفتح الحرف الاول والثانى وسكون الثالث ، ولقد انقرضت هذه الفرقة ولكنى استطعت فى الاربعينات أن أصل الى آخر بقاياها فى «رشيد» واطلعت علي عروضها ، وجمعت بعض مسرحياتها .

و « أولاد رمز » ، هم مجموعة افراد من الرجال والنساء ، يحمل كل واحد منهم طبلة صغيرة يعلقها فى كتفه ، ويدخلون القرية ، ويختارون مكانا ما ، ويقفون ، ويتحلق الناس حولهم ، اذ ان لهم شهرة مدوية فى الامتاع والمؤانسة ولهم مكانة عالية فى لونهم الفنى الذى ياخذ بمجامع القلوب وهم يغنون ويمثلون ...

وأرجو أن يتأمل القارىء هذا القالب الفريد من فننا الاصيل .

تقف الفرقة ، بملابسها التقليدية ، السروال الاسود الطويل ، والفانلة ذات الرقبة المقفلة ، والصديرى فوق الفانلة ، ثم طاقية فوق الراس .. وكذلك السيدات ، يلبسن السروال الطويل ، وفوقه (عنترى) يشبه البلوزة ، وصديرى فوقها كالرجال ، ثم منديل الراس والكل يدق على الطبلة ، ويغنون فى الاول :

يانا يارشيدى يانا
وفى حبها بلادى دايب
سجنونى وخدوا المفاتيح
وقالولى ده السجان غايب

: ؛ علامة بيجي منها الريح
بحت جواب للحبايب

بعد المقدمة يعلنون عن الرواية التي سيقدمونها للناس هذا اليوم ، ولنكن مثلا عن « أحمـــد عرابي » فيكملون الغناء بعد المقدمة .

تقول الفـــرقة التي تقف في صف واحد : « معانا عبد الله النديم »

هنا يتقدم أحـــد أفراد الفرقة الى الامام بضع خطوات ، وهـــو ممسك بطبلة ومستمرا مع الجوقة في الغناء ، ولكن المشاهدين عرفوا أن هذا الـــذى خرج عن الصف ، الى الامام ، هـــو الذى سيقوم بدور عبد الله النديم ، ويستمرون في الغناء :

ومعانا عبد الله النـديم
خطيب الثورة العرابيـة
سوفود تقولوا ايه باتي صمم
وهو ثورة وطنيه ؟...

ويستمرون في الغناء :
ومعانا كمان الخـــديو
توفيق الخـديو الخـائن

ويخرج الذى سيلعب دور الخـــديو توفيق عن الصف ، ويقف في محـاذاة عبد الله النديم وهو مستمر في الغناء مع الجوقة ، ويدق على طبلته .

الى هنا ، لا تمثيل ، ولا تعبير على الوجوه اكثر من الاعـلان عن تمثيل رواية « أحمد عرابى » وتقديم شخصيات الرواية .

ويظلون يقدمون : « خنفس الخائن » و « سيمور » ابن النملة قائد أسطول الانجليـــز ، و « أبو شنب فضـــة » القـــائد الشـــهير في جيش عرابي ، و « محمود فهمى » و « عبيد » عـــلى انهم أبطال القصة ..

ثم يعلنون : « ومعانا أحمد عرابى »

ويخرج الـــذى يلعب دور عرابي ، ويواجه الخديو ، ثم تبدأ المسرحية ، في حوار اخـــاذ ، ومواقف متتـــابعة منطقية ، وصراع درامي حاد ، يحيث يستغرق الموضوع المعروض امام الناس أكثر من ساعة ، وهم يقفون وجهـــا لوجه امام حقبـــة نابضة من تاريخ بلادهم ، حولوها الى ملحمـــة بطولية رائعة !

وتحت يد أولاد « رمز » تراث ضخم من المواقف الوطنية التى حولوها الى مسرحيات شعبية بأسلوبهم .

وفي الافتتاح الـــــذى أعد لمسرح « السامر » يوم ٩ سبتمبر الماضي وهو يوم ذكرى عرابى ، كلفت بتقديم نص عن عرابي ، فكشفت اللثام عن قالبنـــا المصرى الاصـــيل ، « أولاد رمز » ، ووضعت الملحمة الشعبية أحمد عرابى، بقالب والحان « أولاد رمز » مضـــيفا اليها ما يجب اضافته لجماهير عصرنا، من الكشف الحقيقى عن شـــخصية عرابى ، وعن الصراع الوطنى العظيم الذى الف بين مجموع أمتنا في ذلك الوقت .

واخيرا ...

لقد حدث ـ كما عزل الخـــديو عـــرابي ـ ان عزلت عن الثقـــافة الجماهيرية ، ملحمة عرابي ...

ولكنى كبير الامل في ان احقق ، بعون الله ، مسرح السامر ، ومسرح «أولادرمز»

رأي في الفولكلور

الموسيقار عبد الحليم نويرة

صورة مجسمة لوجدان الشعب

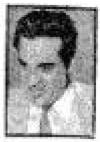
الفولكلور تراث الشعب ، يحظى دائما باهتمام كبار الفنانين في كل دولة متحضرة ، والعمل في سبيل تطويره الى صور يتمثل عليها مدى التطور الفني في عصره ، وفي حياة هؤلاء الفنانين الكبار ...

وعلى موسيقيينا العرب الذين يمارسون هذا العمل ان يكونوا على كفاءة علمية عالية ، ولا يجب ان ينظر أحد الى هذا التراث باستخفاف ، لان هذه المشاهد الاولية تعتبر صورة مجسمة لوجدان شعب بأكمله ، وهذه الاعمال تحتاج علاجا فنيا على أعلى وأرقى مستوى .

ومثال ذلك ما فعله الموسيقار الكبير الراحل « ايجور سترافنسكي » في موسيقى الباليهات الشهيرة وكذلك ما فعله « بيلا بارتوك » ...

انني أحزن كثيرا عندما اسمع علاجا فنيا ضعيفا لمثل هذه الحان الفولكلور ، لان هذا يفقد براءة وجمال اللحن الشعبي .

ويجب ان تحتوي الثمرة العلمية الموسيقية ، ثمرة موسيقانا العربية بخصائص واسرار شرقيتها ، لان الموسيقى العربية غنية بعلومها ، راقية في مبادئها ... وانني ارفض ان يعتقد البعض ان العلم قد انصب فقط على الموسيقى الغربية ، ولا يفوتني ان



اسجل ان الموسيقى السيمفونية الغربيـة صورة مشرقة لعبقرية الانسان في صقل هذا الفن والخروج به الى مستوى اعلى .

وكذلك الموسيقى العربية ، علوم عريقة لها قاموس روحي لابد من معرفته بدقة ، الا ان هذه الموسيقى التي تحمل بسلم وتتحرك وتتلون حسب النغمة او المقام ، ليست بالمساحة التي يستغل بها ، والا فكيف يكون العلاج بالاساليب العلمية الحديثة وما تقره علوم الموسيقى الاوربية ...

والمؤسف اني أرى كاتب موسيقى معاصرا يمارس المهنة ، وان لم يكن على معرفة تامة بكل ما ذكرت من علوم ومراحل ، فلا يجب ان يتناول هذا العمل ، لان الحقيقة سوف تكشف عنه مع الزمن ...

ويجب الا يتناول هـذا الفن الا الخبير المتمكن ، حتى يحس الجماهير في الآلة الموسيقية التي يقدمها النقاد والاكاديميون ، والا نال العمل الذي صنعه الاحترام وقوبل بالاستخفاف ، وهذا لا يرضاه الضمير ولا يرضاه الوطن ...

ان مستقبل الفولكلور يعكس خصوصيتنا وتطلع فنانينا المستقبلي ، ويتحقق في انتشار ثمار جهود ادائه العليا الموسيقية وكل الذين يعنيهم هذا الفن الراقي .



سيد درويش : الفن الأصيل

لترتفع اليوم الدعوة الى خلق موسيقى مصرية كالتي استوحاها فناننا الأصيل سيد درويش ، والتي يجب أن نجمعها ونستوحيها الآن الموسيقى المصرية والمشتغلون بها ، وأن نطورها وننظمها علميا ، ونتيح منها في تأليف جديد واختراع جديد ، كما فعل « بارتوك » في هنغاريا ، وكور سساكوف ، و « موسورجسكي » « وبالاكريف » في روسيا »

د. نعمات أحمد فؤاد







الغناء المصري في مطالع القرن العشرين

وعندنا اليوم محاولة لهز الرتابة في المغاني والاداء، وهذه المحاولة تستند الى « الفولكلور » والتنقيب فيه عن احساس الشعب المصرى ، الحقيقى ، وجلاء هذا الاحساس وتطويره .

ان قماش الاغنية الفردية يضيق اليوم عن اغانى الجماعات والطوائف

ومع هذا فان الاغنية الفردية لها معنا تاريخ طويل سالح الى جانب منه فى هذا المقال ، ومن باب التحديد سأتحدث عن اغانى الربع الاول من القرن العشرين ، وهى الفترة التى تقع فيها ثورة مصر الاولى فى هذا القرن ، وان كانت سبقتها فيه انتفاضات عدة ...

فى هذه الفترة اشتركت فى الغناء مصر من اقصاها الى اقصاها ، يقول الاستاذ العقاد :

« ان اقاليم مصر الوسطى والعليا لا تتميز بمراثى النائحات والنائحين وحدها ، بل تتميز بالتعبير الاجتماعى حيث كان فى الغناء والتنظيم الموزون .. فما اشتغلت خواطر الامة المصرية قط بأمر عظيم الا ظهر التعبير الشعبى عنه فى اغنية من اغانى الصعيد الاعلى لا تلبث ان تطوف انحاء القطر من اقصاه الى اقصاه ، وقد تكرر ذلك بين الحرب الماضية ، والحرب الحاضرة فى مناسبات متوالية اقدمها : « ياعزيز عينى والسلطة خدت ولدى » ... واحدثها : « سلم على ... » وما فيها من الاشارة الى الخزانات ومشروعات الرى » .

« وجملة القول ان تلك الاقاليم الوسطى والعليا ، اقاليم « معبرة » لا تسكت عما يختلج فى ضمائرها ، وهى منذ الوف السنين تترجم عن روح الشعب المصرى فى افراحه واحزانه فتحسن التعبير بالكلمات والاوزان ، وتقول الكلام الذى يسبق الى الخاطر توا انه خليق ان يصدر من قدماء المصريين ، لو انهم كانوا يعيشون معنا فى هذه العصور » .

« تلك نفحات « طيبة » الخالدة واصداء العرابة المدفونة التى لم تدفن تحت التراب ، وهى الاقاليم التى تمثلت فيها خصائص الروح المصرى الاصيل احقابا واجيالا قبل المسيحية والاسلام ، ثم اصطبغ العصر الحديث كله على يديها بصبغة تلك الروح القديم » .

***

كان الشعب اذا اراد ان ينقد تصرفا للحكومة ، صاغ النقد طقطوقة او دورا يغنيه فيصل صوته بهذه الوسيلة الى حكومته ... فعل هذا حين سنت الحكومة تشريعا يقضى بعدم زواج البنت قبل بلوغها السادسة عشرة ، فغنى :

ابوها راضى وانا راضى
ومالك انتومالنا ياقاضى !

الغناء المصرى

الاستاذ العقاد: مزايا التعبير الاجتماعي



وترتفع الاسعار فيسطر الشعب شكواه غناء ويقول :

استعجبوا يا افندية
اللتر الجاز بروبية !

ومن الطريف انه كان اذا وقع على احد افراد الشعب مظلمة ، لاذ بالغناء فيضع له احد مؤلفي الاغاني طقطوقة او موالا يضمنه شكواه واستعطافه ، ويعرض الشاكي باسمه كاستشهاد بالواقعة ، فينظر في امره ، ومن هذه الادوار التي وضعت لتكون ملتمسا ، الدور المشهور : (فتك امير الاغصان) للمرحوم اسماعيل « باشا » صبري ·

ومن القصص التي تروى في هذا المجال قصة احدى مديريات الوجه القبلي ، وكان مديرها اسمه « نوحي بك » · وقد حدث بينه وبين احد الاهالي جفوة فاحتال بالغناء على استرضائه ، فسعى الى من الف له موالا للغناء هو استعطاف رقيق للمدير الغاضب :

طال الجفا من حبيبك ياعيون نوحي
التي رسول الغرام في كل يوم نوحي
ياروح جسمي الى نوح الحبيب روحي
واستسمحيه الوصال ان كان عفا عنك
والا اتركيه في سبيل الله يا روحي

كما صورت الاغاني من ناحية اخرى النزعة الدينية للشعب ممثلة في المدائح النبوية والتواشيح والقصائد ، يلحنها الشيخ درويش الحريري ، والشيخ ابو العلا محمد ، والشيخ اسماعيل سكر ، والشيخ علي محمود ··· فكان الفقهاء يتغنون بالموشحات بعد تصفيتها من الالفاظ التركية التي كان الملحنون يحشدونها في موشحات الغناء مثل : « جانم » و « امان » ···

ولكن الشعب لم تركه الموشحات فلم يتغن بها على الرغم من تمسك بعض المطربين بها زمنا ، لانهم اعتادوا أن تمتص الموشحات لهم فترة الحرج ساعة ظهور المغني منهم على المسرح ·· او يشترك مع الجوقة في الوشحة حتى اذا اطمأن صوته و (انضبط) انفرد بالغناء ···

ولم تكن الادوار اسعد حظا من الوشحات ، فان الجمهور لم يتحمس لها ولم يرددها ، فقلما تغنى بالدور غير ملحنه ومغنيه ···

ويعلل الشيخ يونس القاضي هذه الظاهرة بأن (الدور لابد له من «هنك» وقد يردد الجمهور حركة من مجموع النغمات وينسى الباقيات ، ويصعب على المغني أن يأخذ الدور الا في جلسات متعددة متتابعة · وهذا يرجع الى سرعة خاطر المغني وطريقة تعليم اللحن ···)

اما المواليا ، فتكاد تكون معدومة اذا استثنينا ما كان يغنيه « العربي » و « الحاجة زينب » و « مصطفى افندي امين » على الارغول او الكمان في الاسطوانات ·

وكانت الكلمات اقرب الى النثر منها الى الشعر ، ولا يعرف مؤلفها ، وهي اقرب ما تكون الى الموال وان لم تقع موقعه ، فقد كان الشعب يميل الى الموال ، وقد اشترك عامته في وضعه ··· وقد خطت « مجلة المسرح » جدولا طريفا يضم اسماء المؤلفين وحرفهم ، فهم بين نحات ، وسفرجي ، ونجار ، ومغربل ، وجلاد ··والاخير هو علي عشماوي بن عشماي الجلاد !

الى اخر هذه الحرف والصناعات .

وهم في الوجه القبلي ينظمون الموال (المربع) والموال الاحمر ، واشهرهم « عبد الرحمن ابو عوف الجزار » بالنخيلة ... وكــان في سوهاج وجزيرة شندويل نوابغ من مؤلفي هذا اللون من المواويل ...

ومن طريف مــا يروى عن مؤلفي المواويل انهم اصطلحوا على تعريفات تقابل ما وضعه العروضيون مــن مصطلحات ، وهذه هي بعض المصطلحات الفنية وما يقابلها من مصطلحاتهم :

الاصطلاح الفني	الاصطلاح المواويلي
التاليف	قطع الفن
المواليا	الفن
المطلع	نشر الموال
الشطرة	العتبة
شطرات الوسط	الشجر
مختلف القافية	مردون ويسمى شقتين
التقفية	طاقية
الشطرة التى تلي الردف اول الشطر الاخير	فرشة
مثل آخر ما قبله	سندة الطاقية
الجناس التام ما اختلفت فيه	محبك الطرفين
القافية من الابتداء	دكر وتتاية
الموال البليغ المضبوط	فرشه واكل من الطاقية .

ثم جاءت « الطقطوقة » فتفوقت على الوان الغناء الاخرى ... و (الطقطوقة) اغنيــة ذات مذهب واربعة او خمسة ادوار او اغصان ، وهــذه المسافة تختلف باختــلاف حجم الاسطوانات واسلوب المغني في الالقاء ، يسرع او



الغنــاء المـصري

الشاعر احمــد رامي صور وقصــة وذكريات

يبطيء او يعيد شطرا ويردد فيــه حركة .

[illegible] الطقطوقة » كان على هيئة نشيد [illegible] زجل نعماني - اى له مطلع من شطرين - والادوار مربعات ذات ثلاث قواف اتحدن رويا وقافية وامالة ، والرابعة قافيتها مثل المطلع . وقــد اصطلح الجميع على ان هذا الوضع اسمه « طقطوقة » .

ومن اشتهر بتلحين الطقاطيق داود حسني » .

وقد جذبت « الطقطوقة » بعاميتها ويسرها المغنين ، ووجد فيها المرحوم الشيخ سيد درويش مجالا رحبا لفنه المصرى الاصيل ، فطلع على الشعب « بطقاطيق » استهوته لان الفاظهــا الفاظه ، والحانها صدى ما في نفسه من نغمة وشعور .

وقد بدع ذيوع « الطقطوقة » تغيير

بل انقلاب في مجلس الغناء ، فاستغنى المغنى عن البطانة او السنيدة الا فى الاغانى الدينيـة وهى التواشـيح والقصائد ، واعتمـد على التخت . وتنوع تبعا لهذا التلحين ، ودبت فيه روح جديدة ، وانقسم محبو الموسيقى فريقين : فريق يدافع عن القديم لقدمه ، والآخر يحبذ الجديد لجدته ...

وكان لاختراع « الفونوغراف » اثر كبير فى انتشار « الطقطوقة » .. اذ ان الاسطوانات تتطلب الاغانى الخفيفة القصيرة التى لا تزيد عـلى خمس دقائق ، فوجدت شركات الاسطوانات طلبتها فى « الطقطوقة » والموال .

اما المعـانى التى كانت تتناولها الاغانى على اختلاف الوانها فى ذلك العصر فقد كانت تميل الى الابتذال . ولعل هذا الابتذال يرجع الى الحجاب الكثيف الذى كان مضروبا على النساء فتنفست الغـرائز المكبوتة التى لم يصقلها الاختلاط المهذب بين الجنسين، فى المعانى الرخيصة . وكان من اثر الحجاب ايضا ان الرجال لم يجدوا حرجا فى سماعها ، لان سامر الغناء ليس فيه سيدة او انسة يخشون عـلى سمعها مما يؤذيه ، وان كانت هذه الاغانى تصل بفضل الاسطوانات الى الحريم فتسمعها النسـاء المحجبات وتطرق الاسـماع المصونة الالفـاظ العارية .

ولعل من دواعى ذيوع تلك الاغانى المبتذلة انها يسيرة المأخذ على الصبية الذين يذرعون الشوارع والحـارات يرددون ما يسمعونه منهـا ترديدا ببغاويا .. وكان المؤلف فى سبيل رواج اغنيته يرسماطتهم يتملق هواهم فيصنع لهم ما يخف عـلى السنتهم ويرضى اذواقهم .

ذاعت « الطقاطيق » الماجنة مثـل (ارخى الستارة ....) و (ماتخافش عليه دانا واحده سيجورتيا ـ فى الحب واخده البكالوريا) .

وغضب رئيس الوزراء وقتئذ محمد باشا محمود ، ابن الصعيد وعميده ، اشد الغضب من هذا الغناء . وانشأ قلم المطبوعات لمراقبة هذا الانحـراف فى التأليف وأسـنده الى الاسـتاذ يونس القاضى ، وجعله مديرا لقـلم المطبوعات ليمنع هذا الكلام الرخيص .

والطريف فى الموضوع ان الشيخ يونس القـاضى كان هـو مؤلف « الطقطوقتين » بل مؤلف الغالبيـة العظمى من هـذه الاغانى كمـا ان ملحنها شيخ ايضا هو زكريا احمد !

ومن طرائف « الطقاطيق » فى ذلك العصر ، أن تراسل بها العشاق بديلا من الخطابات التى قـد تقع فى يد « العذول » وهو والد الفتـاة فتكون الطامة الكبرى !

وقد نشرت مجلة روزا سنة ١٩٣٢ أن عبد الوهاب تلقى خطاب شكر من مجهول لان اسطوانته (احب اشوفك كل يوم) فعلت باهدائها الى الحبيبة فعل السحر . فقد نفذت ما جاء بها حرفيا ... وظل العاشق يجنى ثمارها حتى حدث يوما سوء تفاهم ، فاختار اسطوانة اخرى تطابق الحال ، فهى

تقول (فى الجو غيم) ... ولكن الحبيبة هذه المرة لم تبال . فأرسل العاشق رسالة ثالثة أى اسطوانة او « طقطوقة » تقول : (أهون عليك) ؟ .

وعلقت روزا على الموضوع فقالت: المطلوب الان من حضرات الزجالين وناظمى « الطقاطيق » أن يمونوا سوق الاسطوانات بأدوار تنفع فى الرد على العشاق غير المرغوب فيهم ، فيكون هناك مثلا « طقطوقة » او اسطوانة عنوانها :

(أنا مش من دول ابعد عنى)
او (دمك تقيل داهيه تسمك)

وموضوعات هذه الاغانى تستحق وقفة .

كانت منيرة المهدية (سلطانة الطرب) تغنى « للبوكر » و« الدرمة » ، ينادى عليها البائع الشاطر :

يا بنت يا لابسه الشاش
والعطر منك وشواش
اليوم بعصارى بكره بلاش
انا لابيعك دندورما

وبهذه المناسبة نقول ان «طقطوقة » ذلك العهد نزلت السوق تنادى على « الزبدة » (زبدة من العال ، وبنص ريال) .

ولم تكتف « الطقطوقة » بتحديد السعر بل اعطت عنوان البائع واوصافه واسم زوجته وابنه أيضا !

لقد غنت منيرة قصائد بليغة مثل القصيدة ـ من رواية صلاح الدين ـ التى مطلعها :

ان كنت فى الجيش ادعى صاحب العلم
فاننى فى هواكم صاحب الالم .

والقصيدة من (رواية حمدان) التى مطلعها :

بالله مرحمة وصبرا للفـد
واشفق على قلبى قلبى فى يدى

كما غنت سكينة حسن قصائد مثل القصيدة التى مطلعها :

تقلى زمان لعبت به
بروح الحسان ذوات الحور
فمالت على وهمت بها
غراما يذيب الفؤاد الحجر
فانت الهناء وانت الغنى
وانت النعيم وانت سقر
وانت المنون وفيك المنى
ومنك الامان وفيك الخطر

وغنت نعيمة المصرية أيضا هذه القصيدة :

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم
والشوق حرك ما عندى من الالم

ولكن هذه القصائد غنيت باعتبار انها « صنف » موجود فى ذلك الوقت ... وكما يحب التاجر أن يوفر فى متجره اكثر ما يستطيع من الاصناف الموجودة فى السوق ، كان معنى ذلك

الغناء المصرى

زكريا احمد

بيرم التونسى



محمد عبد الوهاب

الوقت أو مغنيته يحبان أن يغنيا كل « صنف » تكلفا لا طبعا ، فمطرب القصائد الاصيل ، لابد ـ كما يقول رامى ـ أن يكون (فقى ابن فقى) ..

ومن هنا تفوقت أم كلثوم فقد حفظت القرآن طفلة ، ثم أنشدت المدائح والوشحات وقصائد (أبو الـ لا) . كل هذا قوم لسانها تقويما لم يتيسر لغيرها ، لان أهم ركن فى القصائد سلامة النطق ومخارج الحروف واخراج المعانى وقد برعت أم كلثوم فى هذا كله براعة فائقة .

وفى أغنيات ذلك العهد ليال حمراء . كانت الاغنية تعيش فسادا وتزرع الشر . ومن الاغانى الماجنة طقطوقة (ياحالى ع البدويه) و طقطوقة (الافندية يا نينة).

حتى الاغنية الشعبية اللطيفة (البحر بيضحك لى) داخلتها حمى الاباحية

ويبدو أن الدين فى بعض النفوس تنتهى مهمته بانتهاء صلاة العشاء . فبعد العشا تحدث فى الاغنية أمور تدخل تحت طائلة العقاب .. فى أغنية تقول (بعد العشا ... يحلا الهزار والفرفشة)

حتى أغنية « الحنة » ترق فى مطلعها كخفة بنت البلد ، ثم ما تلبث أن تقترح اقتراحات سخيفة لتتستر على الحبيب .

وقد هذبنا اليوم الاغانى القديمة المنخوبة التى يرق مطلعها الجميل وفى عفنة من الداخل كالتفاحة الفاسدة ، ومن هذا النوع :

(يا تخلتين فى العلالى يابلحهم دوا)

وقد غدت الآن أغنية رقيقة

حتى التواشيح كانت حسية وكانت دائما سكرى . على أن بعضها كان فيه مع الغزل نغمة دينية فهذا التوشيح يبدأ :

(سبح الله العزيز الحكيم) ..

(عذل العذال يشرح لى صدرى)

والتواشيح كثيرة الحلف بالله وبدائعه المجلوة فى خدود الحبيب وقوامه ...

وكانت الاغانى المثلة تستعمل (الاصطلاحات الخاصة) فكان الحبيب (يشرب فى صحة المحبوب) فللشيخ المسلوب دور يبدأ اللاعب فيه هكذا :

جميل زمانك لك صفا

اشرب بقى فى صحته

وتتطرف الاغنية بالتفرنج وكلمات انجليزية :

زيارة من طيفك

فرى جود فرى نيس

عذولى فرى باد

يجى يوم ينكاد

وتقف الاغنية الى جانب المرأة التى تكون لها ضرة فتحكى آلمها وعذاباتها .

وتسخر الاغنية ـ ولو أنها غير جادة ـ من تعدد الزوجات والانفجار السكانى فى طقطوقة (جوزى اتجوز على اربعة) .

ومن الطريف ان الاغنية تلجأ الى حيلة بارعة فتخيف الزواج من خلف البنات فتجعل الزوجات الاربع يلدن فى نفس واحد أربع بنات !

وأحيانا تتعجل الاغنية الرسائل وعودة الغائب ، وأحيانا تضيق الاغنية بالحال فتطلب من الله أن (يتوب عليها) .

وتسلك الاغنية أحيانا مسلك (هزر فزر) ...

والحبيبة فى الاغنية القديمة لا ينطبق عليها قانون الزواج بسن الـ ١٦ فهى طفلة . يدل على هذا مبرع

الفاظ : (يا حلاوتها ـ يا كتاكيتها)

واحيانا تكون دية الوصال فى الاغنية حاجة تافهة .. « ملبس » أو « مربى » أو « جوزية » .

هات لى ملبس
علشانك افرح والبس

دور

سليبنى وهات لى مربة
وحايلنى حبه حبه

والحبيب فى اغنية ذلك العهد شمس وبدر وغصن ، ثم حمامة ، وقطة ، وبطة !...

واحيانا تحكى الاغنية الشجار اليومى التقليدى بين الحماة وزوجة الابن وتدخل معهما المطبخ فلا تخرج الا والطاسة على الارض بعد المعركة .

والدموع غزيرة فى اغنية ذلك العهد ، ومن الطريف ان الجار فى الاغنية (بيبكى من بره) على بكاء العاشق . أى أن الشقق الاخرى تقوم بدور « الكورس » فى حفل الدموع !

وهى مطرزة بالشكوى والانين والبكاء ، بل لعلها تتعمد هذا اذ يحلو لها هذا المنظر :

ما احلى وقوف اتنين عشاق
دا يشكى والتانى بيبكى .

ولا يخلو ذلك العهد من اغان رقيقة ناعمة مثل اغنية عبده الحامولى :

فؤادى اساله قل لى
تعلمت الهوى ده منين
وتاه فكرى معاه قال لى
انا حاضر وانت فين

دور

غرايب والنبى سيرك
وحق اللحظ والخدين
انا قلبى ماليه غيرك
وليه قلبك يساع اتنين

كانت تلمع بين اكوام التراب احيانا قطعة زجاجية ، كالطقطوقة ، التى كان يغنيها محمد انور (مسجلة على اسطوانات بيضافون) .

اسمعى منى يا بنيه
وابقى اعملى بالوصيه



الشيخ درويش الحريرى : العلم والموسيقى والغناء



يونس القاضى مؤلف الطقاطيق

الغنا المصرى

بيت ابوك تسليه
وبيت جوزك تربيه
جوزك هاويه فى كلامه
وابقى اعملى له مرامه
قدام الناس اوعى ملامه
يا ست يا رقه يا مصريه
حماتك ابقى حبيها
والله عيب تكرهيها
اعزنها تبقك عامليها
بحبك رب البريه

ولعل هذه « الطقطوقة » هى الجدة العليا لاغانى اليوم العائلية الاجتماعية : يابيت ابويا ، يا غالى عليا يا حبيبى يا خويا ، اغنية الزوج ... الخ .

واحيانا تشتغل « الطقطوقة » بالسياسة مثل :

شال الحمام حط الحمام
من مصر السعيدة للسودان

وطقطوقة (عطشان يا صبايا) ..

وتتذكر الاغنية فجاة مجد مصر القديم فتتغنى :

(احنا ابونا توت عنخ امون)

وترتفع الاغنية احيانا الى مستوى

الوطنية الرشيدة مثل « طقطوقة » :

(مصـــر اولادها رجـــال
يلهموها وهي طـــايره)

وانتقلت الاغنية الى البرلمان وسارت اليه هاتفة (مارش) ·

وغنيت في هذا العصر ايضا القصائد بلبقة :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فلما انقضى مابيننا سكن الدهر
فياحبهـــا زدني جوى كل ليلة
ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى
وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
هجرتك حتى قيل لايعرف الهوى
وزرتك حتى قيل ليس له صبر
واني لتعروني لذكراك هـــزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

وقصـــيدة :

فتكات طرفك ام سيوف ابيـــك
وكئوس خمر ام مراشف فيـــك

وغنت ام كلثوم في العشرينـــات قصيدة الجارم :

مالي فتنت بلحظك الفتـــاك
وسلوت كـــل مليحـــة الاك

ومع جـــزالة الجـــارم او جـزالة القصيدة فقد نجحت الاغنية حتىرددها الناس في القرى بله المدن ·

وغنت ام كلثوم فيهذه الفترة ايضا لرامي :

قصيدة (الصب تفضحه عيونه) التي لحنها الشيخ ابو العلا ومونولوج (خايف يكون حبك ليه شفقة علي) الذي لحنه الدكتور صبري النجريدي ،

كما غنت له في العشرينات أيضـا مونولوج (حيرانه ليه يا دموعي) الذي لحنـــه القصبجي ، وطقطوقة (ولحد امتى حاتدارى حبك) وطقطوقة (ياروحي بلا كتر اسية) و (ايهـــا الفلك) ومونولوج (انظري) ·

وتشير أصابع الاغنية القديمة الى بعض عبارات في الاغنية الحديثـــة فهذا الدور للشيخ محمد المسلوب .

طول ليلى سهران من وجدى
بس الحبيب عامل على عندى
لو يجيني البيت عنـــدى
لاعطيلـــه ما تملك يدى

قد يذكر المطلع بمطلع اغنية (سهران لوحدى) ولكن الاغنيتين تختلفان بعد ذلك اختلاف القرن العشرين عن القرن التاسع عشر · فهـذه اغنية امية ، واغنية (سهران لوحدى) اغنيـــة غنية فيهـــا الصورة ، والقصـــة ، والذكريات ، والاحساس الحـــار ، واللفظ الشاعر ا٠٠٠

ومذهب :

أسباب الغـــرام العيـــون
والقلــــب ماله مـــايل
زاد اشتياقي والشـــجون
والحـــب على عـــاذل

يبدو أن هـــذا الجواب التقريرى أوحى بالسؤال :

القلـــب ولا العيـــن
مين السبب في الحـــب

واحيانا يأخذ مؤلفنا (الفكرة) · فاغنية بيرم (منام) التى يقول فيها :

هوا يقول لى وأنا أقول له
وخلصنا الـــكلام كلـــه

موجودة فكرتها فيمجموعة (الاغانى الشرقية) ص ٢٩ وان كان بيـــرم اخف لفظا والطف روحا وتصوفا واكثر قربا الى الروح المصرية ·

واغنية لا لا (طول عمرى أحبـــك واشكي لك) ، تلمح لموال :

البدر مملوك جمالك والدجا لالا
ونور جبينك بأستار الجمال لالا
كم من متيم مثالي في هواك لالا

ومن الاغاني الدائمة وقتئذ (ليه عزيز دمعي تذله) التي لحنها الشيخ زكريا احمد وكان يتناقش سنة ١٩٢٠ جنيها واحدا عن تلحين القطعة ·

وكان فنانو الشـــام يسعون الى القاهرة يأخذون عنها اغانيها وألحانها ليعيشوا عليها بعـــد عودتهم الى بلادهم حتى اذا بليت من الاستعمال سعوا من جديد الى ··· الى القـــاهرة

في ندوة اليونسكو العربي



أدب شعبي ... بلا حدود

تبين التداخل العجيب في الأدب الشعبي لمنطقة العربية ـ الأمر الذي برز من خلال الحلقة التي أقامتها المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، التي تمثل اليونسكو العربي واشتركت فيها لمان دول عربية ، لدراسة المأثورات الشعبية ـ أمرا في موضع .. فوراء كل ذلك تراث مشترك ، فقد ذابت المنطقة العربية تحت لواء الحضارة الإسلامية ، بمنجزات ضخمة في تاريخ العالم كله ، ووصلت ما بين حضارات المنطقة القديمة والعصور التالية ، وربطت بين مشرق المنطقة ومغربها ربطا لا نظير له ووحدتها وأغنت ذلك التداخل الخصب الذي صنع من كل ذلك حضارة واحدة :

محمد حسن

[illegible]



عن ان تقارب الاوضاع الاجتماعية والامزجة والنفسيات يؤكد انها ليست من صادرات الجزيرةالعربية وحدها ، بل لقد شارك فيها كل قطر بنصيب ، ولكن تشابه الاوضاع الاجتماعية والحضارية صنع لها اطارا عاما !

●●●

ولنفترض أن مواطنا عربيا ولد فى مصر ··· فليس غريبا أن يحتفل الشعب المصرى ، الذى يعيش خصوبة الحياة ، بميلاد الطفل ، لان ولادة الزوجة للاطفال ـ خاصة الذكور ـ يدعم مركزها فى اسرة زوجها ، فامثال الريف تقول : « حطت عجلها ومدت رجلها » ، ودعاء ليلة الزفاف للعروس : « ربنا يجعلها شجرة تطرح وتملا المطرح » · أن انجاب الزوجة معناه أنها مصدر خير وبركة لزوجها : تمتد بنسبه ، وتؤكدوجوده فى الحياة ، واذا لم تنجب الزوجة حزنت ، ولجأت الى الساحر ، يفك عقدتها ، فضلا عن زيارة الاضرحة خاصة البعيدة ، لان « الشيخ البعيدسره باتع » · وتعير الام اذا انجبت بنتا :

لما قالوا ده ولد
انشد ضهرى وانسند
ولما قالوا دى بنيه
انطبقت الدار على
لما قالوا ده غلام
انشد ضهرى واستقام
ولما قالوا دى بنيه
اتشمتت العدا فيه

ولكن الشعب المصرى الطيب لا يطاوعه قلبه ان تظل ام البنات نهبا للاحزان ، لذلك تجد من يواسيها :

لما قالوا دى بنيه
قلت ياليله هنيه
تكنس لى وتفرش لى
وتملا لى البيت ميه
ولما قالوا ده غلام
قلت يا ليله ظلام
اكبره واسمنه
وياخدوه منى النسوان !

وبمجرد ولادة الطفل يصنع له حجاب ـ يحجب ـ عنه الحسد والعين الشريرة ، ويوم « سبوعه » ، يعتقدون أن الملائكة السبع التى كانت تحرسه سوف تفارقه ، لذلك يبيتون بجواره قلة ـ ان كان بنتا ـ أو ابريقا اذا كان ذكرا ، ومع الابريق او القلة فى الصينية يضعون حبات الفول ، وتحت رأسه يضعون الخضرة النضرة · وفى الصباح تضعه القابلة فى الغربال وتهزه برفق ، وينثر الملح ، ويغنى الحاضرون :

يا ام الصغير الرحى بغرباله
ده السعد عدا جسرنا وتداله

ويصاحب هز الغربال دق الهون ، وتقول القابلة : « اسمع كلام امك ··· اسمع كلام ابوك ، شرق شرق ، غرب غرب » ، ثم تحمله وتطوف به ارجاء البيت ، وفى نفس الوقت يحمل الاطفال الشموع ويغنون

●●●

ولو أن المواطن العربى ولد فى الاردن ··· فهذه أيضا فرصة يحتفل بها ، خاصة اذا كان المولود ذكرا ،

فالاولاد قوامون على تقاليد الاسرة ، وارثون لاسمها وشخصيتها ومثلها الحضارية واحتياجاتها الاقتصادية ، وهم موضع تفاخر لانهم يعبرون عن رجولة الزوج وخصوبة المرأة . والادب الشعبي الاردني لا يقر العقم أو تحديد النسل ، والمثل يقول : « جيبوا بنات ولا تقعدوا بطالات » و « بيت رجال ولا بيت مال » ... والزوجة الاردنية مثل أختها المصرية تعير بميلاد البنات :

يومن قالوا لي غلام
اسند حظي وقام
جابوا لي ميدة طعام
وقالوا كلي يم الغلام
يومن قالوا لي بنيه
مسكت الحمى عليه
جابوا لي ها لرغيه
وقالوا اصحني يم لبنيه!

ومع تفضيل الاسرة الاردنية للذكور ، الا أن أم البنات الاردنية – مثل أختها المصرية – لا تعدم من يواسي حزنها في شكل مثل يقول : « بنت مليحة ولا ولد فضيحة » أو أغنية تقول :

هناها يا هناها
والباشا يتمناها
يا باشا ربط خيلك
لما تخمر حناها
الف يحف والف يزف
والف يباري هودجها
والباشا والمتصرف
حضروا ليلة خطبتها

ومن الطقوس المرعية أثناء الوضع ، تبخير الغرفة مع قراءة بعض الاوردة وطلب شفاعة الاولياء والانبياء حتى يساعدوا في الولادة الطبيعية ، ويترقب الزوج وباقي أفراد الاسرة جنس المولود ، فاذا كان ذكرا ، فلمن يخبر الزوج « البشارة » . ومنذ اليوم الاول وحتى اليوم السابع « السبوع » تقدم المأكولات والمشروبات للمهنئين ، وفي اليوم الثالث يحتفل «بتفتيح العينين» ، وفي اليوم السابع يقدم « غدا السبوع » أو « السبوعية » ... ولا يمر يوم السبوع دون طقوس : من تكحيل وغربلة للطفل واحتفالات !

***

ولو كان المولود فلسطينيا ... فهذه أيضا مناسبة تستحق الاحتفال ، فالولادة هي الهدف الاول والاخير للزواج ، فالارض هي مصدر الرزق ، ويحرص رب الاسرة على انجاب الابناء ليرثوا الارض ويعاونوا اباهم في العمل ، وهكذا فلا معنى لوجود زوجة عاقر ، لان العاقر « شجرة بلا ثمرة حلال قطعها » ، وهكذا فان المرأة تستمد أسباب رسوخ قدمها في البيت من عدد الاطفال الذين تنجبهم . ووسائل علاج العاقر تدور حول الوصفات البلدية والاحجبة ، فاذا حملت المرأة فلابد أن تلبى طلباتها من الاطعمة خشية أن تظهر « الوحمة » على جسد المولود ، وهناك مزيج من زيت الزيتون والسمسم والزبدة يسخن مع البصل والثوم تتناوله الحامل اذا اشتهت شيئا لا يمكن تلبيته . وتعتبر لحظة الولادة لحظة «تفتح فيها أبواب السماء » وتقبل الدعوات . عندما يقطع الحبل السري لبنت يقال « هذا الحبل للولد الفلاني » فتصبح البنت مخطوبة لذلك الولد !... ويقدم للام فور الولادة كاس من القهوة وطبق من حساء الدجاج ، وتذبح دجاجة اذا كان المولود ذكرا ، ويذبح ديكا اذا كانت المولودة طفلة . ولسبعة أيام تأتي « الداية » لتدلك الطفل بالزيت ، وتضع في عينيه الملح . والاسرة الفلسطينية تحب الذكور ، وترتفع مكانة « أم الصبيان » في الاسرة ، ويغنون لها : « يومن قالوا لي غلام ، انجبر قلبي وقام ، واطعموني لحم ظان ، وافرشوا لي بدنام ، يومن قالوا

لى بنيه ، انهـــدت الحيطة على ، واطعمونى لحم حيه ، وافرشوا لى ع الرحيه » . ويتبع ذلك سوء معـاملة أم البنات وكراهية زوجها واهله لها ، « لانهـــا مبغظة وجابت بنت » ، لان البنات « همهم للممات » ، الا انها لا تعدم من يواسيها ، فيقول :

اللى يسعدها زمانهـــــا
تتجب بناتها قبل صبيانها

او :

ان كنت مسعودة وسعدك قوى
بكرى ببنت وثنى بصــــبى

***

وختان الصبي مناسبة هامة تتشابه فى معظم الاقطار العربية ، ويحتفل بها الاهل والاقارب ، وكثيرا ما يضم حفل الختان اكثر من صبى ، وتتم العملية عادة أثناء الاحتفال بمولد احدالاولياء ... خوفا من الحسد والعين الشريرة وفى الاردن وفلسطين ومصر يرتدى الصبى فى هذا الاحتفال ثيابا جديدة زاهية الالوان ، ويوضع على رأسه طربوش مرصع بالذهب والخرز الازرق ـ ردا للعين الحاسدة ـ واثناء الختان يقف الرجـال فى حلقـة متلاصـــقة ويقتربون من المطهر ـ او الشلبى ـ وهم يحنون رءوسهم ويقربونهـــا ، بحيث أن رأس الواحـــد يكاد يلمس رأس الاخر ، حتى لا يسمحون بتسرب النظرات الحاسدة الى داخل الحلقة ، وهم يغنون :

يا عيـن صلى ع النبى
والورد فتـــــح للنبى

واحتفالات الختـــان تشبه احتفالات الزواج الى حد كبير ، بل ان الصبى يسمى « العريس » ، وله موكب يطوف شوارع القرية وهو يرتدى ثيــــابه الجديدة ، وقد زين جســده بالازهار والاوراق والريش ، و « ام المطـــاهر ترشـــــه بالملح سبع مرات » درءا للحسد ، ويرتفع الغناء فى مصر :



يـــابو الـــريش
آن شـــالله تعيش
تكبـــــر لامـك
تبقى عـــريس !

وحينما تبدأ عملية الختان ، تأخذ الاغانى شكل المواساة والاحســـاس بالام الصبى :

طاهره يامزين تحت السجيفه
والقطع يامزين قطعة لطيفه !

وفى الاردن وفلسطين يغنون :

بالله ياشلبى بالله عليــــك
جلخ مواســـه وخفف ايديك
وان اوجعت محمد بندعى عليك

ان حفلات الختـــــان فى الواقع « بروفة » زواج أو « عينة » من الحفل الذى ينتظر الصبى حينيكبرويتزوج ، والاحتفال نفسه يكشف عن رغبـــة الريف فى البلاد الثلاثة فى انجـاب الذكور ... ولحفـــلات « الزواج » الصغيرة هذه حنه وزفه ، ونقوط ، وهدايا ... وموكب لا يقل عن موكب الزفاف !

***

والاغانى والامثال التى تغنىوتروى بمناسبة الزواج كثيـرة ، وتقـــاليده

تكاد تتقارب حتى تصبح واحـــدة ·

واغاني الزواج لا تعبر عن البهجة في تلك المناسبة السعيدة فقط ، وانمـــا هي ايضا تعبر عن مثل اجتماعية وعادات تحكمت في الريف ، ولاتزال تتحكم فيه الى اليوم ···

في مصر مثلا ، لعل أهم الاسباب التي تدفع الريفيين الى تزويج ابنائهم في سن مبكرة ، « ستر عرض الفتاة » وصيانة الشباب من الوقوع في الفتنة والاغراء ··· هذا فضلا عن بساطة الريف ، الامر الذي لا يكلف نفقـات كثيرة ، ويعبر أهل الريف عن مبدأ الزواج المبـكر فيقولون : « جوز من عود أحسن من قعود » و « ضل راجل ولا ضل حيـــط » · وتكتئب الاسرة الريفية اذا تأخر زواج الفتـــاة عن السن المألوفة — وتبلغ في اقصاها سن العشرين — لانه سيشاع أن « البنت بايرة » ، وتعتقد الاسرة أن « البنت معقودة » ، فيسرعون الى فك هـــذه العقدة عن طريق « العمل » و « حجاب المحبة » ، آملين بهذا الحجاب أن يقع شاب معين في أسر هذه الفتاة فيتقدم لخطبتها · ويحوى الحجـــاب بعض التعاويذ والادعية مثل : « يا باب ، يا جامع الاحباب ، ان طلع شفقه ، وان دخل نفقه ، نجم فلان وفلانة في السماء يتبقى » ··· ويوضع في الحجـــاب « اثر » الشـــخص المطلوب بشرط أن يكون قد تشرب عرقه ، وتعلقه الفتاة بجوار قلبها ، ويصطحبها اهلهـــا لزيارة الاوليـــاء ··· حتى « تفك عقدتهـــا » وتتزوج ، حتى لا تكون معيرة بين الناس ·

وقد يكون تأخر البنت عن الزواج بسبب اسراف أبيها في مطالبه ·

وقد تحول القيود الاجتماعية دون افصاح البنت عن رغبتها في الزواج، فتقول الاغنية على لسان البنت :

يـــا عمتي يـــا عمتي
قولي لابويا كلمـــــه
الله يا ابـــــــل الله
داحنا بنـــات يا عمتي
مش قمـــح بخـــزنا

وقد تكون الاغنية وسيلة لمهاجمة قسوة القيود المفروضة علـى الفتاة ، فتصور البنت وقد حطمت تلك القيود ، وعبرت لابيها عن رغبتها المكبوتة

والزواج بالاقارب له اهمية خاصة عند اهل الريف ، خاصة ابنـــاء العمومة ، وتعبر الامثال عن هـــذا المبدأ : « الضفر مايطلعش م اللحم والدم مايبقاش ميه » و « نار القريب ولا جنة الغريب » و « بنت عمك تحمل همك » و « آخـــد ابن عمي واتغطى بكمي » و « اخذت الغريبة وعملتهـــا خيبة ، فتقت جروحي واتشمتت الناس فيه » · وتفضيل زواج الاقارب سببه الاحتفاظ بالتماسك العائلي « عزوه » ، هذا فضلا عن ان الزوج القريب يراعي حق القرابة في معاملة زوجتـــه · واغاني الزواج تشيد بابن العم اولا، ثم بابن الخال في المرتبة الثانية :

يانا يا ابن عمي ، يانا يا الغـــريب
ان جاني ابن عمي ، لازغـــرد واغني
واقول دا ابن عمي ، ابدا من الغريب
يانا يا ابن خالي ، يانا يا الغـــريب
ان جاني ابن خالي ، لازغرد واغني
واقول دا ابن خالي ، ابدا من الغريب

واخر ما يطلبه الزوج في زوجتـــه هو الجمـــال ، انه يفتش أولا عن « الحسب والنسب » :

ان كان بيك تناسب ناس لجرانها
خد بنت أصل العرب والمجد لجرانها
تعيش ع الملح ولا تشكيش لجرانها
ان طلبوا مهرالاصيله ادفعلهم مهرين
الغالي غالي باللي تعرفوا الغالي

ثم يفتش بعد ذلك عن مهارتهـــا في أعمال البيت :

ماتبصوش لحلاوتها
ولا لخراطة قصتهـــا
قدام الفرن باوكستها

ما تخدش السهتانه
ولا ام كحله ولبانه
تاكل وتعمل عيانه !

ثم يضيع فى حسابه سمعة أمها ، فالمثل يقول : « اكفى القـدرة على فمها ، تطلع البنت لامها » ...

يا خاطب البنت شوف الام قبليها
واسال عن الخال وبعد الخال ابقيها

ثم .. فوق كل شيء سمعة الفتاة ، أغلى ما تحرص عليه الاسرة :

يابنت ماتضحكيش لا الضحك يرميكي
ولا تلمحي العنو وابن الحـرام فيك
يا بنت ماتضحكيش وتبيني ضبـبك
لابن الحرام وابن الحلال ياخدوا حمار خدك

وأخيرا الجمال ... فالمثل الشعبى ينصح العريس قائلا : « يا واخـد القرد على ماله ، يروح المال ويبقى القرد على حاله » . والجمال المطلوب هو الجمال الطبيعي ، والاغنية التالية تقيم الجمال عند الشاعر الشعبى :

انظر بعينك يا جميـل
بيضه بلون الياسمين
رأسها رأس اليمـامه
سبحان الخلاق العظيم
يا جبينها هلال شعبان
يا شعرها سلب الجمال
يا عيونها عيون غزلان
يا حاجبينها خطين بقلام
يا سنانها لولي ومرجان
يا خدودها تفاح الشام

وبعد اختيار العروس ، تبـدأ احتفالات الزواج ، فيتفق على الخطبة والمهر ، ومفهوم المهر عند أهل الريف هو الشراء :

ادوا لابوهـا قد ما رباها
روح ياعم ماانتش شراها

واذا جاءت ليلة « كتب الكتـاب » يمتلىء بيت العروس بالاهل والاحباب ، وتجلس العروس فى أبهى زينتها ، وقد وضعت قدميهـا فى وعاء به ماء ونعناع اخضر - رمزا « لقدمهـا »



المبارك « الاخضر » على زوجهـا - وقطع سكر فى فمها - ليكون حديثهـا مع زوجها « زى السكر » - وعلى رأسها مصحف مفتوح على سورة يس - لحمايتها من الشر والحسد والاذى ... ويرتفع غناء أم العريس :

كتبوا كتابه يا نقـاوة عينى
يوم الهنا يا حلوة يوم ماتجيلى
ابنى العزيز ع العز انا ربيتـه
حبيه يا غالية قد ما حبيتـه
هنى حياته وعمرى له بيتـه
بسعد بقربه يا نقـاوة عينى
كتبوا كتابه ....

مبروك يا قدم السـعد يا نواره
يام الحسب ياماصله يا اماره
ولا حد زيك من بنات الحـاره
يشبه جمالك يا نقـاوة عينى
تدرين على يوم قدومك عندى
لافرش لك السكة حرير م الهندى
تمشى عليه تتمخطرى وتتعاجبى
وتخشى بيتك يا نقـاوة عينى
وادعى حبايبى واهلى يستتوكى
ويطوفوا بيكى الحى ويزفوكى
ويهنوا ابنى الغـالى ويهنوكى
ليلة فرحكم يا نقـاوة عينى
كتبوا كتابه ....



وفى جمع الرجال يتسلم والد العروس المهر ، ويشرع بعد ذلك فى شراء « الجهاز » ، ويطوف موكب « الجهاز » فى حوارى القرية على الدواب ، ويشترك فى حمله الاقارب والاحباب ، ويغنون :

يا ام العروسة كتريلها شوارها
دى دار حماها بكرتصبح دارها
خلى الشيلان فوق لسبته مرخيه
واسعي وشيلى فلتين وصنيه
عشرين صنيه بالشوار وصنيه
لقوا البلد لما زمام بندرها

وقبل ليلة الزفاف بليلة تكون « ليلة الحنا » ، فتجهز الحناء للعروس والمدعوات ، ويخضب الجميع أيديهن وهن يغنين :

الحنا يا الحنا يا قطر الندى
يا شباك حبيبي ياعيني جلاب الهوى
يا خوفي من امك لتدور عليك
لاحطك فى شعري ياعيني واضفرعليك
يا خوفى من امك لتدور عليك
لاحطك فى حاجبي ياعيني واتخطط عليك
يا خوفي من امك لتدور عليك
لاحطك فى عيوني ياعيني واتكحل عليك
وان جاتنى امك تدور عليك
لاحلف بالامانة ياعيني ماجاه عندنا !

وواضح هنا بداية نوايا العروس تجاه حماتها ، انها قد بدأت تستعد للسيطرة على زوجها وفصله تماما عن امه ليتفرغ لها وحدها !

وتحين ليلة الزفاف ، فيقام احتفال كبير ، و « تقرصها » صويحباتها حتى يلحقن بها ، وتنتقل العروس الى بيت عريسها فى هودج – أو سيرا على الاقدام – وقد تركب الهودج احدى الفتيات بدلا من العروس اتقاء للعين الحاسدة ، فاذا وصلت العروس الى عتبة بيت زوجها ، حملها فوقها خوفا من أن يكون هناك « عمل » أخفى تحتها · ولابد ان تكون أول خطوة « برجلها اليمين » ، وتكون حماتها فى انتظارها ، فتسلمها عودا أخضر فى احدى يديها ، وفى الثانية قلة مغطاة بقطعة من الخميرة ··· رمزا للخصب ووفرة الانجاب ··· وترتفع الاغانى :

يا محلى جمالك يا عروسة
يا حلوة م العين محروسة
ياالتثبيت أهلا يا الف مرحبتين
عريس قمر وعروسة قمرين
عين الحسود فيها عود يا حلاوه
عريس قمر وعروسه تفاوه

وتزف العروس ·

وبعد احتفالات الزواج يأتى احتفال البكارة ، فينتظر المدعوون وأهل القرية امارة شرف العروس فى لهفة ، حتى اذا تم ذلك هللوا وغنوا :

خدوا قلاحها وانزلوا به الخيمة
بنت الاكابر شرفتنا الليله
بنت الاماره شرفتنا الليله
خدوا قميصها واعملوه شليله

وتبدأ الحياة الزوجية ··· ومشكلاتها : علاقة الزوجة بحماتها ، والزوج بزوجته ··· وتحاول الزوجة ان تنفرد بزوجها وتمارس سلطانها عليه ··· ولا يترك الفنان الشعبى هذه التفاصيل :

بردان انا يا قرنفلة غطيني
والله ما غطيك ولا قرب جارك
حاش تبيع امك وابوك واخوالك
وتكسر السلم على جيرانك
ونا البس الكشمير واقف قدامك
بردان انا يا قرنفلة غطيني
والله ما غطيك ولا قرب يمك
حاش تبيع خالك وترهن عمك
وتكسر السلم على راس امك
ونا البس الكشمير واقف قدامك

***

ولا تختلف تقاليد الزواج في الاردن وفلسطين عن مصر كثيرا ...

هناك ايضا يفضل الزواج المبكر ، فمن يتزوج متأخرا « مهاجر او مفاجر » - من الفجور - وزواج الاقارب مفضل ، لانه « ما يحمل همك الا ابن دمك » ... ويأتي زواج ابناء العمومة في المرتبة الاولى : « الطريق لو دارت ، وبنت العم لو بارت » ، ثم ابناء الخئولة وهكذا ، عملا بالقول المأثور : « خذ من اهلك ولا تهلك » .

وقد « تحجز » الطفلة الوليدة لابن عمها ...

ويمر الزواج بمراحل...«الطلبة» ، وهي الخطوة التمهيدية قبل عقد القران ، وفيها يتم اختيار الفتاة وقراءة الفاتحة ، والاتفاق على المهر ... ثم عقد القران او « الخطبة » او « الحطة » او « العقد » ، وفيها يتم « ملاك » او « كتب الكتاب » . وبينما الرجال يتجمعون لشهود العقد ، تتجمع النساء على الشرفات والاسطح القريبة من بيت العروس، يغنين ويزغردن :

هي ويابي (فلان) يا برجنا العالي سكنت حذاك

هي ويا كل ماهب الهوى يتفتح نداك

هي وياما تمنيت من الله يقل عداك

هي ويصبر عليك زمانك تاتتول مناك

ويتجه موكب كبير من قريبات العروسين والجارات والصديقات الى منزل والد العروس ، وتحمل قريبات العريس اطباق القهوة والسكر والكعك ويطوف الموكب حارات القرية على انغام الغناء :

واحنا مشينا م الصبح للعصر
واحنا خطبنا طيبات الاصل

ويدخل الاب وهو مندوب العروس ، وقد يدخل خالها او المأذون ليسألها





رأيها ، ولكن العروس تغض حياء ولا تتفوه بكلمة ، فيعتبر السكوت رضا ، فتتم مراسم الزواج ، وتوزع الحلوى على « المعازيم » بين زغاريد النساء وأغانيهن .

وهناك زواج « القصلة » عند البدو ، وهو عرفي لا يتطلب وثيقة زواج وانما يتم بالايجاب والقبول . واذا طالت الفترة ما بين الخطبة والزفاف ، فعلى العريس أن يقوم بـ « الطلة » فيزور العروس بين الحين والاخر حاملا الهدايا . وقد يكون اختيار العروس على يد الاقارب، أو على يد « موفق العرائس » الذي يتقاضى أجرا على عمله . وقد يقرر الاهل خطيب المولودة وهي على « صينية » القش التي كان من المعتاد وضع المولودة عليها ، ويعرف هذا النوع من الخطبة بـ « عطيه الصينية »

وهناك « عطيه القبور » ، وتتم عندما تدفن زوجة رجل ويتبرع والد احدى الفتيات بتزويج ابنته لزوج المتوفاة ، فور انتهاء مراسم الدفن

وكثيرا ما يتم الزواج في سن مبكرة ... حتى قبل سن البلوغ : طفلة كانت تنادي زوجها يا عمي ، فلما افهموها أن الرجل زوجها ذعرت وفرت من البيت ، وأخرى عندما أحست بحركة الطفل في احشائها ظنت نفسها مريضة ، وطلبت من أمها دواء « للدودة » التي تتحرك في احشائها !

وكما أن موسم القطن في مصر هو موسم الزواج ، كذلك يختار الفلسطيني فصل الصيف ، حيث تكون « الخوابي » قد امتلأت بالمحاصيل ، واستراح الناس من العمل في الزراعة ، وصفا الجو . ويتجنب الفلسطيني الاحتفال بالزواج في الشتاء ، لان « عرس المجانين في كوانين » — أي في شهري كانون أول وكانون ثان : ديسمبر ويناير — لذلك يختار أفضل الليالي ، حيث يسطع القمر ويضيء كافة أرجاء القرية ، ليتمكن الناس من السهر في ضوء شاعري رائع . ويحتفل أهل القرية سبع ليال متتالية في ساحة القرية حيث يشعلون النار لاعداد القهوة ، أما النساء فيحتفلن في دار العريس ، ويبدأ الاحتفال كل ليلة عندما تحضر النساء الى دار العريس حاملات المشاعل وهن « يهاهين » ويزغردن :

هي ويا وافتحوا باب الدار
هي وخلي المهني يهني
هي وانا طلبت من الله
هي وما خيب الله ظني

أما الرجال فيبدأون سهرتهم بالدبكة ، فيرقصون في حلقة مفتوحة بقيادة « لويح » ، ويكون هذا بمثابة دعوة لاهل القرية ليتوافدوا ويرقصوا ويغنوا ... وقد يستضاف شاعر يلقي أشعارا خاصة على أنغام الربابة .

وقبل الزفاف تشتري كسوة العروس: ملكة — أي ثوب رئيسي ، ثوب حرير ، ثوب اخضاري — أخضر ، حزام ، سترة مخملية مطرزة ، تقصيرة ، ستير — غطاء رأس ، أوناق — سلسلة،



اسـاور وخواتم و « حرف » ذهب ـ ما شاء الله ـ ، حذاء ـ وطا أو كندرة أو صرماية ، قميص ، الباس ـ سروال .

و « ليلة الحنـا » تسبق ليلة الزفاف ، فتقوم النساء بعجن الحناء في بيت العريس ، ثم يأخذنها في موكب غنائي الى بيت العروس ، فيحنين يدي العروس حتى الرسغ وقدميها حتى الركبة ، ثم تتقاسم المدعوات ما تبقى من الحناء ... على انغام الاغاني ..
وليلة السامر يأتي موكب أهل العريس الى دار العروس حاملات المشاعل وهن « يهاهين » :

ها هي احنا دار العريس هينا جينا
ها هي قولوا لام العروس تلاقينـا
ها هي بقمقم الفضة والورد رشيد
ها هي لا عدو منكم ولا فينـا
فترد أم العروس :

ها هي اهـلا بكم وسهلا بيكم
ها هي يسلم العريس اللي جـابكم
ها هي وإن كان العريس جلابكم
لا حشيم صابنا ولا صـابكم

وتجلس النسوة عـلى الارض في حلقات ، أما الرجال فيجتمعون أمـام البيت أو على حجارة « البيدر » .

ولاغاني السامر دور هام في افراح القرى الفلسطينية ، وهي فرص طيبة يروح فيهـا القرويون عن انفسهم

وأما النسوة فيرقصن على شـكل دائرة ، ويلوحن بالمحارم الملونة أو بالردان ـ اكمام اثوابهن ـ ويقفـزن قفزات رشيقة تارة الى اليمين وتارة الى اليسار ، ويغنين :

غنـدور (فلان) غنـدور
اسـمر يا ظريف الطـول
من يوم ما خطبنـا له
واحنا في هنـا وسرور
فـلاح (فلان) فـلاح
اسمر يابو عيون مـلاح
ومـن يوم ما نويـنا له
واحنـا في هنـا وافراح

وقد تنتقل الاغاني من موضـوع الفـرح الى السياسة ، فهي فرصة لنقد الحكام أو تصرفات الغير :

الخاتم السلماني اخدوه مني يا ناس
اخدوه مني ذهب ، ردوه على نحاس
والناس موهم فقر ولي اصـابيعك
لا كل من جاك تشكيله مواجيعـك

وفي الليلة الاخيرة من هذه الليالي تبكي العروس لفراق دار أبيهـا ، وتنشد لها صاحباتها اغاني الوداع فيقلن :

لاتبكي وتبكيني خيت(اي يا اختي) حمده
على خدك حرقتيني ان طاح دمعـك
لا لك دمعة ولا تنتين خيتي يا حمده
يزورك ليلة الاثنين خيك (اخوك) حنين

فتـرد العروس ـ على لسـان المغنيات :

لو دلوني دلال ريال ابو ريشـه
وأهلي جلوني ولا لي عندهم عيشه
لو دلوني دلال ريال ابو عـامود
وأهلي جلوني ولا لي عندهم قعود

وقبـل أن تنتقل العروس الى بيت العريس ، يقدم لها أهلها الوصايا ، وكلها تدور حول الحرص والصدق والامانة والحفاظ على الشرف وتنتقل

العروس الى بيت الزوجية في موكب حافل على طلقات البنادق ، وعندما تصل الى بيت العريس ، ترحب بها نساء العريس :

يا مرحبا واهـلا
بعوينة الكحلا
ويا نخلة طويلة
بين الحرم والصخرة
يا مرحبا يا اعزازى
ميتين حمرا تزازى
واللى ماتفرح بجيبها
تنكسر كسر القزازى

واذا كانت للعروس « ضرة » - ضرة - فانها ايضا تستقبل ضرتها :

يا راسك زى القنفه (مثل الشوك)
يا أخـدانك زى الكرشـه
وحياة اكبـار اهلك هالخمسه
ما انبلشنا فيك غيـر بلسه

وعلى مائدة العشاء يكون الرد سريعا في شكل اغنية :

تغدن يا صبيا ياريته صحه
واللى ما تقولكن صـحة
يا ريت قلبها يوجعهـا
ودواها عنـدى واعطيها
دوا اللى ما ينفعهـا !

واخيرا يدخل العريس بعروسه وهو يحمل سيفا او عصا ، ليضرب عروسه ضربا خفيفا حتى تهـابه وتحترمه ، ثم يكشف الحجاب عن وجه عروسه - وقد تكون هذه هي المرة الاولى التى يرى فيها وجه عروسه - ويلصق العريس قطعا من العـملة على جبين وخدى عروسه ، فتتلقفها أم العروس وتضعها في كمهـا ... وتبدأ عملية جمع « النقوط » .

وقـد تنهض العروس فترقص « رقصة الجلوة » أمام عريسها ، وقد ترقص أمام عريسهـا وهى ترتدى ثيابها واحدا بعد الاخر ، لتعـرض كسوتها امام المحتفلات ... واخيرا تعـود لتجلس الى جوار عريسها ، فيقـدم الحاضرون « التبريكات » ، ويخرجون تاركين العروسـين في خلوتهما الزوجية ...

وتحين اللحظة التى يقدم فيهـا العريس « نقوط » العروس ، فيطلب اليها أن تخلع ثيابهـا ، فترفض ، فيقدم لها قطعة نقدية ، ثم يعيـد الطلب ، فترفض ، فيقدم لها قطعـة نقدية أخرى وهكذا ، حتى ترضى... هذا بينما الاقارب خارج البـاب ينتظرون ، ليتأكدوا من أن العريس قد قام بواجبه ، وأن العروس قد حافظت على شرفها ...

وفى صباح اليوم التـالى يذهب العريس الى الديوان ليتقبل تهـانى الاصـدقاء ، وتذهب العروس للعين لتلتقى بصويحباتها تروى لهن مـا حدث لها !

وفى البيت يبدأ الصراع الخـالد بين الحماة والكنة - زوجة الابن - فالحماة ترى أن « الكنة حية ، والحية ما بتصير خية ، أى أخت » ، فاذا سئلت الحماة عما حدث بعد الزفاف ، تقول : « جبت حية لبيتى ... أخذت ما ربيت ، وظالت (أخذت) ما خبيت (وفرت) » !

●●●

وفى العراق ايضا ، وفى نهـاية مواسم الحصاد وجمع المحاصيل في الريف يقبل الشباب على الزواج الذى يتم أيضا في سن مبكرة ، « اذا بلغت الفتاة الخامسة عشرة ، فاما أن تكون في أحضان زوجها أو في أحضـان الارض » ! ولتحقيق أصالة النسب والارتباط القبلى فان ابن العم هـو « العريفى » - المعترض - وله حق « النهوة » - أى منع ابنة عمه مـن الزواج من الاخرين . وثمة زواج اخر هو زواج « الكصة » او « الصدغ » وهو زواج البدل ، وفيه يصـبح الزواجان مرتبطين ببعضهما ، طـلاقا او وفاقا . وهناك زواج « السفطة » ،





وهو وعد يقطعه ولي الامر على نفسه في « المضيف » — أو المجلس — بتزويج ابنته من شخص ما ، وطبعا تتحمل « المسفوطة » تبعات هذا الوعد ··· بلا مهر !

وقد ينفرد العراق بزواج « الفصل » — وهو نوع من الترضية والتعويض عن جريمة ارتكبت في حق أسرة أو عشيرة ، ويتم هذا في مجلس يضم عقلاء العشيرة لتقرير عدد النساء المقدمات كترضية ··· واعطاب اليد او الرجل أو فقء العين فصله امرأة واحدة ، أما جريمة القتل العمد أو غير العمد فصله من امرأة واحدة الى ١٥ امرأة !

وفي الزواج العادي يعتبر ولي الامر أن المهر حق له مقابل تربيته للفتاة ، وعلى العريس أن يقوم بعد ذلك بتجهيز عروسه ··· وتسير بعد ذلك المراسم المعتادة حتى ليلة الحناء في يوم عقد الزواج ، حيث تجلس العروس على فراش عالٍ وتغمس قدميها في الماء وأمامها « صينية الشموع » التي تحتوي على الحناء والحلوى ومرآة وقرآن مفتوح · وبعد رشق أصابعها في الحناء ، يضعون في فمها « سكر نبات » رمزا للانسجام الحلو المنتظر ، « ويستنطقونها » — يسألونها عن موافقتها على الزواج — فاذا اجابت بالقبول ، رفع القرآن أمام وجهها وأغلق بقوة ، مباركة للزواج ، ثم يأخذون الحناء من بين أصابعها ويرشقونها بالسقف ، ليكون حظها عاليا محلقا ، ثم يرسلون للعريس المنتظر قطعة من « سكر النبات » ، فيتناولها هذا ويرسل بدلها مبلغا نقديا ، هدية للعروس ··· حينئذ تقوم العروس بصفع غير المتزوجات على رءوسهن أو خدودهن لتجلب لهن الحظ السعيد !

وليلة الدخلة يولم اصدقاء العريس له ، وبعد العشاء يؤدون الصلاة في أحد المساجد ، ثم يعودون الى البيت

في زفة كبيرة تعمرها « الهوسات » والعيارات النارية والاهازيج · وقبل أن يدخل العريس مخدع الزوجية تكون العروس قد سبقته وتهيأت لاستقباله ، ويصافح العريس « الزفافة » فيردون عليه بالقرص والشك بالدبابيس و « الشكمة » بالاصابع ، ويدخل مخدع عروسه ، فتقوم احدى سيدات الاسرة بعملية « حط الايد بالايد » ـ اى التعارف بين الزوجين ··· ويبدأ العريس لقياه مع عروسه بخنجر يستله من غمده ويضعه تحت الوسادة ، دلالة على قسوته واشعارا للعروس بأن الموت ينتظرها اذا تبين له انها مست من قبل ، فاذا تم كل شيء على ما يرام ، زغردت النساء ، وارتفع الغناء :

مبارك مبارك والف مبارك
ياسامعين الصوت قولوا مبارك!

***

ويمضي العمر ··· مولد ، فزواج، فحياة وعمل ··· فوفاة ·

والشعب البسيط ، رغم تقواه وورعه ، تفزعه فكرة الموت ، فيعبر عن مأساة الموت وعنفه وقسوته ، وحزنه على فراق احبابه ، في بكائيات تطفح بالحزن والاسى واللوعة ····هنا يتحسر الانسان الشعبي على فراق من كانت بالامس زهرة يانعة :

يامه خطفني حابك شماراته
خدني ذبيحه وعازم رفاقاته
يامه خطفني حابك منساديله
خدني ذبيحه وعازم رفاقاته
يامه خطفني الطير برياشه
وابويا ع الديوان ما حاشه :

وتتعدد بكائيات الشعب المصرى بحيث تشمل كل مناسبة : للصغير بكائياته ، وللشاب والعروس والشيخ المهدم العجوز !··· وقد يعجز الانسان العادى عن نظم البكائيات ، فيستأجر بكائيا محترفا « معددة » وكثيرا ما تصور البكائيات العزيز الراحل وهو لايزال يعيش بين أهله ، وان اصبح عاجزا عن ممارسةعاداته، ومن ثم فالبكائية تهيب به أن ينهض ويمارس عاداته :

مال المصلى اليوم ما صلى
ابريقه انكسر والا استغفار الله
مال المصلى اليوم ما جانى
مليت له الابريق النهاردة تانى
طريح الجوامع يبكى عليه وينوح
يبكي على من كان بيجيويروح !

وفي الاردن يكفى أن تنطلق صرخة نسائية ايذانا بوجود حادث وفاة ، حتى تتجمع نسوة الحى ، وقد تلفعن بالسواد ، للمشاركة في المصاب ، لانه « كل شيء قرضه ودين ، حتى دموع العين » ، وتفرغ دلال القهوة حزنا على الراحل العزيز ، وتعقد النساء « مناحات » قد تدوم أربعين يوما ، ويرتفع بكاء النادبات :

شقي ثوبك يا حزينه
لا تستحي وسط المدينه
ع راسك هيلي السكن

وبكائيات فلسطين نوعان : النعى وهو ذكر لمحاسن المتوفى ، والمعيد الذى يفسر حادث الوفاة :

والبين صبحلي صباح
طرقني بجناحه وصاح
طرقني بجناحه وولى

وبكائيات فلسطين ترتبط عموما باعمال البطولة والمقاومة :

طلت البارودة والسبع ما طل
يا بوز البارودة من الندى منبل

وهكذا فرغم أن « الموت ما عنه غنا » و « الموت برقاب العباد » الا أن الانسان الشعبي العربي لا يطيق الم الفراق ، ولكن بقدر ما يحزن الانسان الشعبي للوفاة ، يحدوه دائما الامل في الميلاد الجديد ، الحياة الجديدة ، والزواج الجديد، والحصول الجديد ··· وهكذا دائما الحياة !

رأى فى الفولكلور

الفنان كمال الطويل



مسابقة كل شهر لأحسن اغنية

اساس فكرة الاستفادة من التراث الشعبى فى الموسيقى والاغانى ، بدأ فى روسيا أيام الخمسة الكبار « رمسكى كورساكوف » واخوانه الذين فكروا فى تاسيس ما يسمى بالموسيقى الروسية .

والنهضة الموسيقية الكبرى التى قامت فى روسيا بالجهد الواعى لهؤلاء الخمسة الكبار هى التى لفتت الوجوه الى اهمية الحفاظ على التراث الشعبى فى الموسيقى والغناء عالميا ، وبالتالى الاستفادة منه فى مختلف انواع التأليف الموسيقى .

والمفهوم عندنا فى مصر عن الفولكلور وتطويره ، هو الاستعانة بكلمات لها اصل شعبى قديم أو فلكلورى قديم ، ولحن مشابه لذلك ، ثم ادخال تعديلات لفظية ميلودية على الكلام واللحن ، ثم نقول أن هناك تطويرا ، وخصوصا اذا استخدم فى آلات الفرقة

الموسيقية بعض الالات المستخدمة حديثا ، والتي لم تكن تستخدم من قبل في الاغاني المصرية ... مع أن استخدام الفولكلور هو جمع هذا التراث بوساطة متخصصين ثم طرحه على مؤلفين دارسين متخصصين في مجال الموسيقى على اساس أن يستخدموه في اعمالهم الموسيقية بتحفظ ، في الوقت الذي يكون فيه البناء الموسيقى عندهم له جذور مصرية عميقة واصيلة ، وهذه هي وظيفة الفولكلور ببساطة شديدة جدا .

أما فيما يختص بالاغنية المصرية الحديثة ، فقد يكون من المفيد الرجوع الى « التيمات » الشعبية القديمة بقصد الابتعاد عن الاتجاه الذي كاد يتفشى بالتأثر الشديد بروح الموسيقى الغربية ، وليس بالتكنيك أو القوالب المتعارف عليها .

ومن المهم جدا أن نصحوا وأن ينتبه الملحنون الى خطورة المنزلق الشديد نحو عدم العمق في تناولهم المستمر للفولكلور ، لان وظيفة التطوير ، هي وظيفة موسيقية لبناء أعمال موسيقية كبيرة ، مصرية الجنسية ، يحس من يسمعها لاول وهلة بعدم انتمائها الى أي موسيقى أخرى .

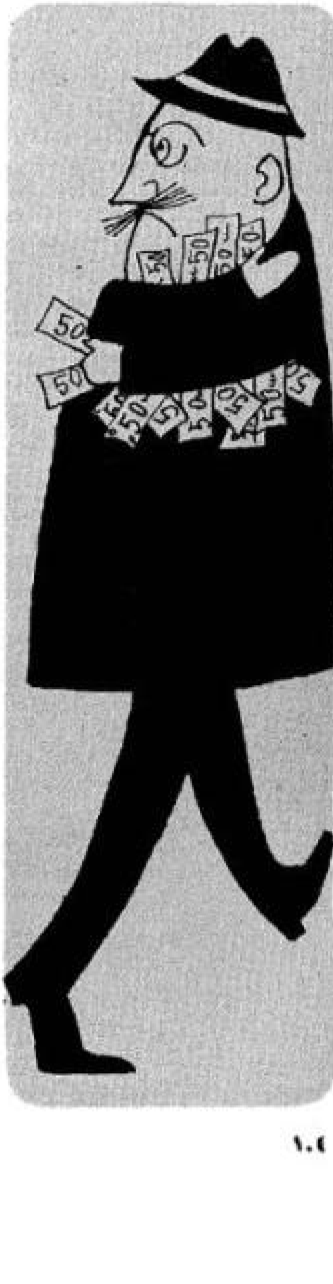
وتبقى كلمة ، وهي انه اذا كان بليغ حمدى قد عرف الطريق الى قلب المستمع بوساطة استخدام « التيمات » الشعبية ، فان ذلك قد اغرى كافة الملحنين أن يسلكوا نفس الطريق ، وقد ترتب على ذلك دخول الاغنية المصرية في طريق مسدود . وهذا يجعل من المحتم على المهتمين بشئون الموسيقى والغناء في مصر أن يعيدوا النظر في المسالة كلها ، وللإذاعة والتليفزيون ووسائل الاعلام الاخرى دور رئيسي في هذه المشكلة ، وواجبها وضع قيود شديدة على استخدام « التيمات » الشعبية ، ، مع عمل مسابقات متنوعة ، ودراسات من أجل الارتفاع بمستوى الاغنية المصرية .

واقترح عمل مسابقة لاحسن اغنية تقدم خلال شهر ، وبصفة مستمرة ، على أن تكون هناك لجنة تحكيم يشترك فيها كبار النقاد والجمهور أيضا ، بقصد ايجاد مناخ مناسب لازدهار الاغنية المصرية وتطويرها على أسس صحيحة .

وبهذا نحد من الموجة العارمة التي تسيء استخدام الفولكلور ، وأيضا اتاحة الفرصة كاملة أمام كافة الملحنين للابداع والخلق .

عادل شريف

فكري أباظة الكندي مع قصة ضاحكة



عن المؤلف :

ستيفن بتلر ليكوك (١٨٦٩ - ١٩٤٤) .. اديب ومفكر ومؤرخ واقتصادى كندى ، لاحظ له من الشهرة بين قراء العربية ، لعدم اهتمام المثقفين العرب بالادب الكندى والتنقيب فيه ، والغوص في اعماقه للتعريف به .

ولد « ليكوك » في انجلترا وهاجر الى كندا مع اسرته وهو فى السادسة من عمره ، ودرس فى كندا وامريكا ثم تدرج فى سلك التدريس بجامعة « ماكجيل » الكندية بمونتريال ليصبح رئيسا لقسم الاقتصاد السياسى ، واعتزل العمل سنة ١٩٣٦ . وله مؤلفات عديدة فى التاريخ والعلوم السياسية والاقتصاد وتشارلز ديكنز ومارك توين !

ولكن شهرته الحقيقية ، كانت في مجالات الفكاهة ، والدعابة والظرف والاضحاك ، كمحاضر ومؤلف ومتحدث اذاعي لبق ! وقد قامت شهرة « ليكوك » على كتابه « زلات ادبية » (١٩١٠) المبنى على خيالات مسلية متحررة من قيود القزمت الفكرى ، و « روايات غير معقولة » (١٩١١) .

وبعد هذين الكتابين .. جاء الطوفان !.. فقد نشرت المطابع لذلك الكاتب الوافر الانتاج ثلاثين كتابا ضاحكا ساخرا من كل عيوب المجتمع ونقائص الناس ومتناقضاتهم !

لقد كان « ليكوك » في بعض جوانب حياته ، فكرى اباظة ، كندا ، ان جاز التشبيه !

وترتكز الفكاهة « الليكوكية » على خيال فكه ينفذ بخبرة صاحبه وبصيرته الى اعماق النفس البشرية ، ومتأثر بشدة بالظلم الفظيع لمصير الانسان . وعدم تكافؤ الفرص بين الناس... ولعله كان من اوائل من كتبوا عن الاثرياء الكسالى (العاطلين بالوراثة) ، وكان يرى أن أرقى صنوف الفكاهة هو خير وسيلة لاصلاح المجتمع ، والتخفيف من أعباء الحياة الثقيلة التى يعيشها الكادحون .

ولم تكن السخرية اللاذعة ركيزة كتاباته الاساسية ، بل قامت طريقته واسلوبه وحرفيته على « الاضحاك » الذى يوحد ويربط القلوب - قلوب العائلة الانسانية كلها !

ونفاذ بصيرته وحيويته المتجددة في فكاهاته الخلاقة يندر ان يكون لهما مثيل فى كتابات كتاب كل العصور ، ولعل ذلك هو الذى حمل القراء على التغاضى عن البعد الدرامى المفقود في كتاباته ، وان كان نقاد البحث المنهجى لم يغفروا له هذا ...

ومن اشهر اعمال « ليكوك » « صور مشرقة لبلدة صغيرة » (١٩١٢) و « وراء الوراء » (١٩١٣) و « مغامرات ساذجة مع العاطلين بالوراثة » (١٩١٤) و « اللغز المحير للعدالة الاجتماعية » (١٩٢٠) و « اكتشافى لانجلترا » (١٩٢٢) و « الصبى الذى خلفته ورائى » وهى سيرته الذاتية التى لم يكملها وقد نشرت عام ١٩٤٦ .

ويقال انه يندر الا « يقهقه » احد وهو يقرأ قصص « ليكوك » الكندى . فاذا كان ذلك صحيحا . فلماذا لايهتم هواة الاقتباس عندنا بفكاهات ذلك الكندى ... المغمور ؟!

ونرى هل ان الاوان لينفتح مثقفونا ومترجمونا على « كل » عالم الادب . وليدركوا ان كندا البعيدة النائية قد انجبت عباقرة غير الفيلسوف .. ابن اسحاق « الكندى » ؟! وأين « كندا » من « كنده » ...

قصة ضاحكة

حسابي المصرفي

كلما دخلت مصرفا انتابني شعور غريب، بالخوف والرعب !

فكل شيء من حولي يبعث الخوف في نفسي ... الكتبة .. والمكاتب .. والنقود .. كل شيء .. يرعبني ! وعندما الج باب مصرف وأحاول التعامل مع موظفيه ، أتحول الى غبي .. غير مسئول عن تصرفاته ! ورغم انني كنت ادرك هذه الحقيقة ، فانني عندما وصل مرتبي الى خمسين دولارا في الشهر ، انتابني احساس قاهر بأن المصرف هو الآمن مكان لمثل هذا المبلغ ... الكبير .

ودخلت أحد المصارف بخطا غير ثابتة ، ونظرت الى كتبة المصرف في خوف وفي غير اطمئنان ! وخطر لي أن من يريد فتح حساب في مصرف يجب عليه – بالضرورة ! – أن يستشير مدير المصرف !

وتوجهت الى مكتب يحمل لافتة عليها كلمة « محاسب » .
وكان المحاسب طويل القامة ، يبدو كأنه شيطان بارد الاحاسيس ، وسرى الرعب في أوصالي .. من مجرد النظر اليه ! وسألته :

– هل استطيع مقابلة المدير ؟

وأضفت في جدية : « وحده » !

ولا اعلم لماذا اضفت كلمة « وحده » الى سؤالي !

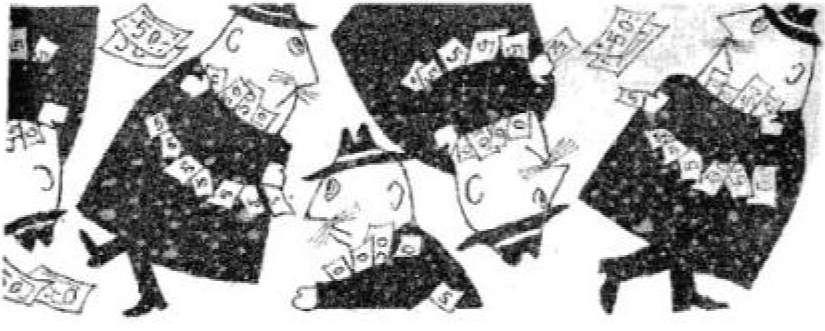
ورد المحاسب :

– بالتأكيد ...

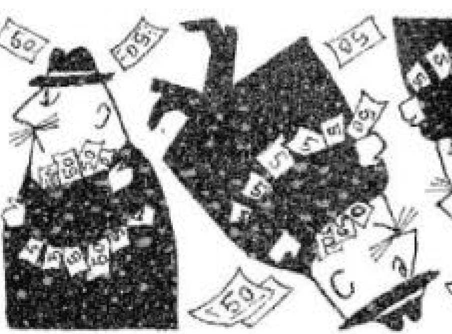
وغاب برهة ليعود ومعه مدير البنك .

وكان المدير رجلا هادئا رزينا جادا .

وفي جيبي كانت تقبع دولاراتي الستة والخمسون ، وكانت يدي تشدد قبضتها على ذلك المبلغ .. الهائل !



وسألته : هل انت المدير ؟
سألته رغم تأكدى من انه كان المدير فعلا ..
وأجاب : نعم ..
وسألته ثانية :
ـ هل استطيع مقابلتك ؟!
وبلا وعى أضفت الى سؤالى كلمة « وحدك » ولم أكن أرغب فى اضافة هذه الكلمة الى سؤالى ، ولكننى شعرت ان السؤال بدونها يصبح .. غير ذى موضوع !
وبدا بعض القلق فى نظرات المدير الذى ظن ان هناك سرا رهيبا أود ان أفضى به اليه ، ورد المدير :
ـ تفضل معى ...
وقادنى الى غرفة خاصة وأغلق بابها .. بالمفتاح !
ثم بادرنى قائلا :
ـ نحن فى امان هنا، تفضل بالجلوس ..
وجلسنا ، وتبادلنا النظرات وافتقدت .. صوتى ..!
وحاولت ،وحاولت ،وحاولت ... ولكن صوتى كان قد ضل طريقه الى شفتى !
وانقذنى الرجل من معاناتى عندما سألنى :
ـ هل انت احد مخبرى مكتب « بينكرتون » ؟
وكان الرجل على حق ... فقد جعله مسلكى الغامض يظن اننى ... مخبر ! وأدركت ما يجول بخاطره ، فازدادت حالتى سوءا !
واجبته :
ـ لا .. لست من وكالة « بينكرتون » ..
وكانت اجابتى توحى باننى من وكالة مخبرين .. منافسة !
واستطردت وكأننى ادحض شائعة مغرضة :
ـ اقول لك الحق ! اننى لست مخبرا على الاطلاق ... لقد جئت لافتح حسابا .. ففى نيتى وضع كل نقودى فى هذا المصرف !
وكأنما انزاحت عن المدير غمة ، ولكن جبهته ـ رغم ذلك ـ لم تفارقه ! فعلام اذن .. التنفس الصعداء ؟! وبدا الرجل واثقا باننى رجل واسع الثراء .. مليونير ابن بليونير! وسألنى فى رقة :
ـ مبلغ كبير هذا الذى ستودعه .. أليس كذلك ؟
و .. وهمست :
ـ تقريبا .. سأودع الآن ستة وخمسين دولارا ! وخمسين دولارا كل شهر ، بصفة منتظمة !
وهنا .. نهض المدير ، وفتح الباب القلق ، وصاح بصوت عال ـ خيل الى انه خال من الرقة والشفقة ! ـ مناديا :
ـ يا سيد مونتجومرى ... هذا السيد يريد فتح حساب ! وسيودع لدينا ستة وخمسين دولارا ... طاب يومك !
وكل ما استطعت ان افعله هو ان انهض من جلستى !...



وكان هناك باب حديدى ضخم وقد فتح على مصراعيه فى جانب الحجرة ... كان باب خزانة البنك الكبرى بلا شك ، ولكن ارتباكى جعلنى اتجه اليه بحسبانه باب الخروج ..وقلت للمدير وانا أسير نحو الباب الحديدى الكبير :

– طاب يومك !

وهنا صاح المدير ببرود :

– لا تدخل من هذا الباب !

وقادنى – فى حزم – الى الباب الاخر !

وفى هذه المرة ، تهيأت لعملية مجابهة مرة ، فقد كان على أن أواجه .. الصراف ! وفى حركة سريعة مفاجئة وكأنى اقوم بخدعة ما ، دفعت اليه بأموالى التى كانت أوراقها قد تكورت !

ولكم كان وجهى شاحبا عندما قلت له :

– ضع هذا المبلغ فى حسابى

وبدا صوتى – الشاحب هو الاخر – وكأنما يعنى « دعنا نتم هذه العملية المؤلمة المرهقة ، وكأننا نريد القيام بها ... فعلا » !

واخذ الرجل نقودى واعطاها لكاتب اخر ، ودعانى الموظف الاخر الى كتابة المبلغ فى استمارة والتوقيع باسمى فى دفتر كبير .

وهنا لم اع ما انا .. فاعل !

وخيل لى أن المصرف ... يتمايل !

ومن خلفى خرج صوت مهتز مبحوح يتساءل :

– هل انتقلت نقودى الى حسابى ؟

ورد احد المحاسبين :

– بالتأكيد ..

فقلت فى شك :

– هل استطيع ان اكتب شيكا ؟

وكنت انوى سحب ستة دولارات لمصروفاتى الشخصية . وقدم لى احدهم دفتر شيكات واخذ يشرح لى كيفية تحرير الصك . وظن عملاء المصرف اننى امتلك ملايين الدولارات . ولكن حالى ليس على ما يرام .. صحيا !

وكتبت شيئا فى الصك وقدمته الى الصراف ونظر الرجل الى الشيك وتساءل فى دهشة :

– ماذا ؟ هل تريد سحب كل ما اودعته من لحظات ؟!

واتضح لى اننى كتبت « ستة وخمسين » دولارا ... بدلا من ستة دولارات !

ويبدو أن أحوالى لم تكن على مايرام .. الى حد بعيد .. بعيد .. بعيد جدا !! وانتابنى احساس بعجز تام عن شرح الموقف لهؤلاء ... الزبانية !

وتوقف كل الكتبة عن عملهم وحولوا نظراتهم ..الى ! ومن اعماق تعاستى ، جمعت بقايا شجاعتى ، وتوصلت الى قرار يموج بالجرأة وحسمت الامر بقولى :

– نعم سأسحب كل نقودى!

وكرروا السؤال :

– هل ستسحب كل مالك ؟!

فاجبت :

– كل سحتوت ودانق ومليم!

وتساءل احدهم فى دهشة :

– الن تودع اى شئ مستقبلا فى حسابك ؟!

وكان الرد القاطع المانع :

– لا .. شىء !

وراودنى أمل باهت وخاطر غبى ... أن يظنوا أن اهانة قد لحقتنى بينما كنت احرر

الشباك ، فحملتني على تغيير رأيي وسحب كل مالي عندهم وقمت بمحاولة تعسة لابدو كرجل حاد الطباع ، لاتم الرواية فصولا !

واستعد الصراف ليقدم لي ما طلبت ·· وسألني :

ــ كيف تريدها ؟

فرددت على سؤاله بسؤال مضاد :

ــ ماذا ؟

فاعاد سؤاله :

ــ كيف تريدها ؟!

وادركت ــ ولا ادري كيف ! ــ ما كان يرمي اليه فاجبت بدون محاولة للتفكير :

ــ آه ·· من فئة الخمسين دولارا ··

فقدم لي الرجل ورقة مالية من فئة الخمسين دولارا · وسألني ببرود :

ــ والدولارات الستة ؟

فاجبته بسذاجة :

ــ من فئة الستة دولارات !

ولما لم تكن هناك عملة من فئة الستة دولارات ، فقد اعطاني الصراف ستة دولارات من فئة الدولار الواحد ··

و ·· واندفعت خارجا !

وعندما تجاوزت عتبة الباب الرئيسي الكبير ، سمعت ضحكات عالية اخترقت سقف المصرف المرتفع ، وطاردتني في الطريق العام !

ومنذ ذلك اليوم العصيب ، قررت الا اتعامل مع أي مصرف !

ومن يومها وانا احتفظ بأموالي في جيبي ، واضع مدخراتي في حصالة ، بعد أن احول ما أريد ادخاره الى ··· دولارات فضية !··



كمال النجمى

الأغنية الشعبية لها مشكلة

يسمونها مشكلة الاغنية الشعبية ، ولكن الحقيقة انها مشكلتهم الخاصة مع الاغنية الشعبية والغناء العربى بجميع الوانه ! ..

ام كلثوم : بعد المحبوب



عبد الوهاب : عيشة الفلاح



لما غنى عبد الحليم حافظ منذ أربع سنوات تقريبا اغنيتـــه الشـــعبية :

« على حسب وداد قلبى » •• واغنيته الشعبية الاخرى : « وانا كل ما اقول التوبة يابوى » ـ لاقت الاغنيـــة الاولى رواجا لم تلقه اختها الثانية • وقلنا وقتها ان « توزيع » الحـــان « انا كل ما اقول التوبة » عـــلى الطريقـــة الافرنجية كان سببا فى حشوها بمجموعات نغمية وايقـــاعية صاخبة ، باعدت بين هذه الاغنية ذات الاصـــل الفولكلورى المصرى ، وبين اذواق المستمعين فى مصر والبـــلاد العربية على اختلافهم فى تذوق الغناء الخفيف والغناء المتقن ، فقد تمزق اللحن الفولكلورى بين المطـــرب والمجموعة المصاحبة له « الكورس » أو « الكورال » •• وانقلبت الاغنية الخفيفة الى مشاجرة ثقيلة تشابكت فيهـــا الاصوات الرجالية والنسائية ، وتناطحت الآلات الوترية والخشـــبية والنحاسية !••

وامعن من هذا فى سوء التقدير ، ان « موزع » اللحن ـ وهو غيـــر ملحنه ـ قد افرغه من ايقاعه الموسيقى العربى الموافق لنغمته الشجية البديعة، ونفخ فيه ايقاعا اوربيا اختلط بضجة الآلات الموسيقية المفتعلة ، فاتم قطع الصـــلة بين اللحن واصله المصرى الريفى القريب الى النفوس !••

اما اغنية « على حسب وداد قلبى » التى خرجت فى العشرينات أو قبلها بقليل من مدينة « قفط » بالصـــعيد ، فلم يصبها من « التوزيع » ما اصاب اختها ، بل نجت منه تماما ، فاقبـــل عليها المستمعون مستمتعين ببهجتهـــا الغنائية الاصيلة ••

ولعل اكثر المستمعين قد نسوا الآن هاتين الاغنيتين اللتين كانتـــا ملء الاسماع فى وقتهمـــا ، فان الاغانى الخفيفة تذوب ذوبان الثلج فى اشعة الشمس •• ولكنى اتخذ منهما مثلا لما يسمى بمشكلة « الاغنية الشعبية » فى هذه المرحلة الدقيقة من تطور الغنـــاء العربى ، وبخاصة فى مصر •

واصل المشكلة ـ أو « المسألة » أو « الحكاية » ـ ان شئت ـ ما نادى به



منيرة المهدية : الصدق المؤثر فى النفس

منذ حين بعض من درسوا الموسيقى الاوربية دون أن يكون لهم تمرس كاف بالموسيقى العربية أو حتى مجرد تذوق لا يخالطه انحراف فى الذوق .. من ضرورة الاستعانة بالميلوديات الشعبية ـ الالحان المفردة ـ فى اقامة الاشكال او « التشكيلات » الموسيقية والغنائية ذات التراكيب الهارمونية والكونتربونتية ، على غرار ما صنعه بعض الموسيقيين الاوربيين حين اقتبسوا الحان بلادهم الشعبية «صاغوها من جديد فى الحانهم المتراكبة ..

هكذا بدأت الحكاية ، تقليدا لا ابتكارا ، ونسجا على منوال مستعار

فريد الاطرش : ارضنا والنيل سالبها



بلا نظر الى طبيعة الخيوط المراد نسجها ، وهى طبيعة خاصة لابد لها من نسج خاص ..

وتمت فى هذا الاتجاه تجارب قليلة لم يكتب لها الذيوع ، حتى تقدم المهندس المرحوم ابو بكر خيرت ـ وكان من هواة الموسيقى الاوربية ـ فاخذ جملة غنائية لسيد درويش واقام على اساسها عملا غنائيا كوراليا جسيما اشتهر باسم « ايه العبارة » لاقتباسه النغمة الميلودية التى تجرى فيها هاتان الكلمتان ، وقد سمع الناس قديما هذه الاغنية من سيد درويش ، ومازالوا يسمعونها ..

ولم تولد « ايه العبارة » فى الصمت ، بل ولدت فى ضجة دعائية فخمة ، ولكن فخامة الضجة من حولها لم تجلب لها الحظ الحسن ، فأعرض عنها المستمع العربى اعراضا حاسما برغم بنائها الباذخ ، بل بسبب بنائها الباذخ لان المستمع لم يلمح فيه لبنة موسيقية عربية صحيحة واحدة ، مع ان أصل اللحن مأخوذ من غناء عربى الايقاع والمقام واللسان !..

ولكن فشل هذه التجربة لم يمنع عدواها أن تنتقل الى بعض الملحنين والموزعين والمطربين عند ارتفاع المد الفولكلورى فى الزمن الاخير ، وخيل لبعضهم ان مستقبل الغناء العربى

يتعلق بما يسمى « الاغنية الشعبية » وأن مستقبل الاغنية الشعبية ذاتها يتعلق بالتوزيع والهرمنة وتعدد الاصوات والآلات ، وكل ما يجرى فى أسلوبه مجرى « أيه العبارة » فى جسامته وضجته وتعاليه على أذواق الناس ··

واندفع أصحاب هذا الاتجاه يعملون فى حماسة وتفاؤل حتى اصطدموا بالمستمع العربى فأوقع بهم الهزيمة ، وثنى عنان اتجاههم ، فخفتت التجارب التى اتخذت من « أيه العبارة » مثلا أعلى ··· وكف المطربون المعروفون عن الجرى بلا مبرر وراء سراب المصطلحات الموسيقية الغربية عن الغناء العربى ، وبخاصة الغناء الشعبى ···

ولم تكن هزيمة هذا الاتجاه خيرا كلها ، فقد أعقبت ردود فعل سيئة ، تمثلت فى موجة لم تكن متوقعة من الاغانى الشعبية الشديدة الخفة كلاما ولحنا الى حد الابتذال ، يمكن أن تندرج كلها تحت عنوان « الطشت قاللى » وهى الاغنية « الشعبية » الذائعة التى كانت ومازالت رمزا لهذه الموجة كلها ···

وفى حمى هذه الموجة انبرى من يندد بالغناء العربى المتقن (١) وينادى باحالته الى المتاحف ليتخذ مكانه مع آثار الجدود الغابرين ، ويؤكد بكل ثقة أن هذا الغناء السريع الخفيف المثير هو غناء العصر ولسان حاله ·· بل هو كذلك غناء المستقبل ولسان حال الاجيال القادمة !··

ولكن الغناء العربى المتقن الذى انهزمت فى مواجهته تجربة « أيه العبارة » وأخواتها من التجارب والعبارات الاخرى الغريبة الوجه واليد واللسان عن المستمعين العرب ، انهزمت فى مواجهته أيضا موجة « الطشت » وما حمله هذا « الطشت » من شعارات واتجاهات فى اللحن والكلام ·· وتم للغناء العربى فى معركة « الطشت » ما تم له من نصر فى معركة « أيه العبارة » !··

فكيف حدث ذلك ؟!··

نعود الى الثلاثينات ، فنسمع أم كلثوم تغنى لحنا شعبيا يقول : « على بلد المحبوب وديني » ·· ونرى المستمعين مقبلين على هذا اللحن الشعبى الجميل كاقبالهم على أجمل ما تشدو به أم كلثوم من الغناء المتقن ··

ونسمع محمد عبد الوهاب أيضا يغنى : « محلاها عيشة الفلاح » فتروق للمستمعين لهجتها الريفية ونغماتها الشعبية برغم سوء حالة الفلاح حينذاك ·· ·

ويغنى فريد الاطرش وأسمهان :

---

(١) الغناء المتقن هو التعبير الذى استعملته الكتب العربية القديمة للتفريق بين ما يسمى بالغناء الشعبى والغناء القائم على أساس فنى دقيق ·



محمد الكحلاوى : المتخصص للغناء الشعبي

« ليه تشتكي ارضنا والنيل ساقيها » فيتذوق المستمعون حلاوة الاغنيـــة الشعبية فى صورة من اجمل صورها

ولا نسترسل وراء الاغاني الشعبية التي غناها كبار المطربين من اصحاب الغناء المتقن ، فضـــلا عن المطربين المتخصصين للغناء الشعبي كمحمـــد العربي ، ومحمد الكحلاوى ، والمطربين الاخرين الـــذين كانوا يملأون « ركن الريف » فى الاذاعة ...

المهم أن الغنـــاء الشعبى فى تلك الايام لم يكن تيارا خاصا يعارض به أصحابه أو ينافسون الغناء العربى المتقن ٠الذى هو أساس كل غنـــاء يتذوقه الانسان العربى ...

فالاغنية الشعبية الخفيفة مثـــل اغنية « على بلد المحبـــوب وديني » تجيء فى مكانها وأوانها بلا افتعـــال ولا رفع لشعارات فنية لا أساس لها .. وكذلك اغاني العربي والكحلاوى والمطربين الريفيين ، تتخذ مكانهـــا الفنى بلا زيادة ولا نقصان ، فمـــا الاغنية الشعبية الا اغنية عربية قائمة على السلالم الموسيقية العربية ، ولا أثر فيها لغير هذه السلالم العربية.. وحتى السلالم الموسيقية التى كـــانت معروفة فى مصر قبل العرب ، كالسلالم الفرعونية ــ مثلا ــ لم يبق لها فى الموسيقى المصرية الشعبية أدنى أثر .

وهذا كله ينفى كل تعـــارض أو تصـــادم ــ أو مجرد تنافس ــ بين الاغنية المتقنة والاغنية الشـــعبية أو الاغنية الدارجة .. ولم يقع تعـــارض أو تنافر بين الاغنيتين الا فى الاذهـــان الداعين الى الغاء الموسيقى العربيـــة المتقنة فى السنوات الاخيرة . وقـــد انهزمت دعوتهم فى جميع الحالات ..

وهل يجهل أحـــد من المستمعين ــ فضـــلا عن المحترفين ــ أن الموال وهو غناء شعبى ، كان ومازال يدخـــل فى صميم الغناء المتقن ؟.

وكذلك الطقطوقة التى ابتكر شكلها النغمى الملحن محمـــد على لعبة

ومعاصروه قبل خمسين عاما ، فجمعت بين صفتها كغناء شعبي بسيط ، وصفتها كلون من الغناء المتقن اشتغل بتلحينه وغنائه أعظم الملحنين والمغنين منذ ظهوره حتى اليوم ..

فازدهار الغناء الشعبي متوقف دائما على تمسك أصحاب هذا الغناء بالصلة الوثقى بين غنائهم وبين الغناء المتقن الذى لا غنى عن ممارسته والتدرب عليه لمن أراد أن يغنى أى لون من ألوان الغناء ...

وقد غنت منيرة المهدية التى كانت مطربة الملوك والامراء والوزراء ، مجموعة هائلة من الاغانى الشعبية ، والكثير من هذه الاغانى للترفيه والدغدغة العاطفية ، ولكن الكثير منها أيضا للمعانى الراقية والاهداف الوطنية والاجتماعية ...

ولو فتشنا ميراث منيرة المهدية - مطربة الطبقة العليا - لوجدنا فيه من الاغانى الشعبية ذات الصدق العفوى المؤثر فى جميع النفوس ، أكثر مما نجد لعشرين مطربة من المطربات الشعبيات فى هذه الايام ... ولم يخطر على بال أحد فى عصر منيرة أن يسميها « مطربة شعبية » ولا أن يسمى غناءها الشعبى غناء شعبيا .. فلا حدود تفصل بين ألوان الغناء العربى ، من أعلى ذروة فى الغناء المتقن الى أدنى مكان فى السهل الذى ينبسط لكل غناء قائم على الاصول العربية ..

وهذا فى الحقيقة سبب كل ما لاقته تجارب الموسيقيين (المستغربين) من فشل فى تسخير النغمات الشعبية او الفولكلورية لبناء أشكال موسيقية وغنائية غير عربية ...

فاذا كان الغناء العربى المتقن قد استعصى على الهدم والتلاشى فى الابنية الموسيقية المستعارة او المقلدة ، فان الغناء الشعبى ، وهو فرع أصيل من الغناء العربى ، يستعصى أيضا على كل من يريد انتزاعه من مجراه الطبيعى ...

وليس فى تراث كبار الملحنين والمطربين المصريين خلال مائة سنة مدونة فى المكتبة الموسيقية ، أدنى أثر للتفرقة بين ما انتجوه من ألحان القصائد والتواشيح والادوار ، وبين ما انتجوه من غناء خفيف أو غناء شعبى كما نسميه فى هذه الايام ، فالينبوع الذى ينبثق منه اللونان واحد ، والمواهب التى جادت بهذا جادت بذاك ، والمستمع الذى يتلقى فيض هذه المواهب لم يتغير طبعه ولن تغير منه الايام الا ما يزيده تعلقا بهذا الفن العربى الاصيل الذى عاش مع ذوق الانسان العربى وفى صميم وجدانه جيلا بعد جيل !

رأي في الفولكلور

الفنان محمد الموجي

اطار جميل

الفولكلور فن جميل ، له مميزاته الكثيرة المحببة للنفس ، ومن رأيي تجاه هذا الفن الجميل الا نغير من معالمه شيئا ، والا فسنحرمه بحجة التجديد ... لان الفولكلور اثر باق كأي اثر من اثارنا الخالدة التي نعتز بها كالاهرام وأبي الهول .

وعلينا ان نأخذ هذا التراث الجميل ونقدمه ونعمل له الاطار الموسيقي الجميل ، ونضع له الهارمونية الجيدة والتوزيع الحديث ، على الا نغير من اللحن القديم بأي حال من الأحوال ، حيث ان هذا التراث الخالد ينسب لأشخاص اشتركوا بجهد كبير في عمله ولا يمكن أن ننسبه لأنفسنا مهما كانت الأحوال ...

والذي يتناول هذا الفولكلور لا يجب أن ينسب اللحن اليه بل يذكر أنه من اعداده وتنسيقه ، كما يجب الا يأخذ من الفولكلور سوى [illegible] على هذا العمل ، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون [illegible] من [illegible] الكثير لاكثر ما [illegible] من اللحن الفولكلوري القديم .

والفولكلور الذي منذ ثلاثين عاما في عمري الفني في الموسيقى ، وبحكم نشأتي في الريف والناس والاغاني الشعبية بلحنها القديم الا انني لم أمس هذا الفولكلور القديم ... بل فضلت أن



لحن قديم

يكون كل ألحاني من جهدي وخلقي الشخصي ، لان الفنان يعبر عن شخصيته باللحن الذي يقدمه ، وكيف يصوغ الفن بصيغته الخاصة وبيان الطريق الذي يسلكه في هذا المضمار ... ربما قدمت من ألحاني شعبية : « يامه القمر ع الباب — الحلوة داير شباكها — ويش عينه — انا قلبي اليه ميال » ، كل هذه الاعمال صيغتها اليوم التي تعاير فيه « فولكلورا » شعبيا يردده الناس بعد خمسين أو مائة سنة ..

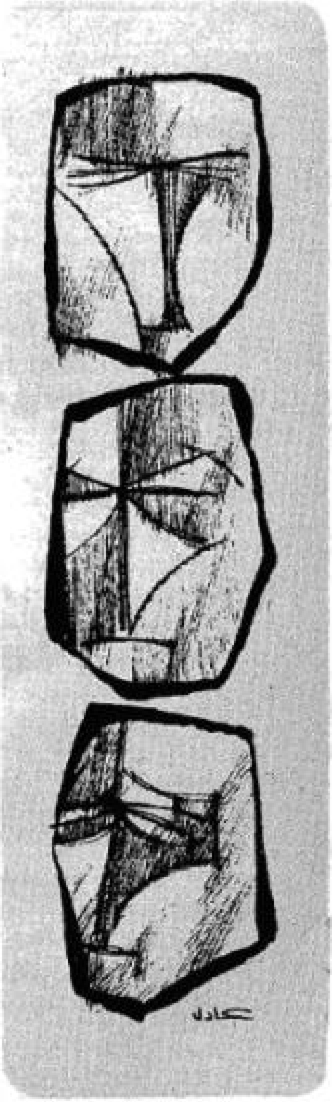
كذلك من تقديمي للموشحات لا أحاول أن استقي من الفولكلور ولا من الموشحات القديمة بل اقدم موشحات تتناسب مع العصر الذي نعيشه مبرزا الامكانيات الموسيقية لهذا العصر ، حيث يمكننا ان نؤدي أعمالا للجمهور كالذين سبقونا من الرواد في هذا المجال امثال : سيد درويش وكامل الخلعي ، ومحمد عثمان وغيرهم ..

ومن الضروري ان نحث الموسيقيين وننوه لأننا مسئولون عن الموسيقى في هذا العصر ، وأننا سنحاسب امام التاريخ حسابا عسيرا في هذه الفترة من حياة مصر العظيمة وكمسألة يجب ان تنمو موسيقانا نموا واضحا يبرز سمة العصر الذي نحياه ، مبينة وموضحة المعالم الرئيسية لمجتمعنا الذي نعيش فيه وننتمي اليه ...

من وحي
روح مصر

أصداء يونانية حديثة

للشاعر
عبد الحليم القباني



١

كان « قسطنطين كفافس » ١٨٦٣ ـ ١٩٣٣ شاعر الإسكندرية اليوناني العظيم ، يعمل بمصلحة الري تحت رئاسة انجليزية ٠ الا انه عثر بين اوراقه ـ بعد موته ـ على قصائد وطنية بينها هذه القصيدة التي يهاجم فيها وحشية الانجليز في دنشواي ٠

شهيد من دنشواي ● صدى قصيدة للشاعر « كفافيس »

هناك .. على الساحة المظلمه
برغم ائتلاق الضحى مظلمه
جموع من « القوم » زرق العيون
. . . . . وجوههمو شعل مضرمه
بأيديهمو من شباب القرى
فتى ... تشتهي الغواني فمه
بريء يشوه بثقل الحديد
... ثنى ساقه ولوى معصمه
يرى أرضه ... ينحني فوقها
فتأبى عليه القوى المجرمه
مشى خطوة خطوة فوقها
صلاة على الأرض مستسلمه
تشد المحبة أعصابه
اليها ، الى الطينة المعتمه
يدوس بأقدامه نبتها
فما عاد يملك أن يلثمه
ترى ... من رآه ... كما قد رأيت
... ... فاني أحس بحلقي دمه !

٢

حصل الشاعر اليوناني المعاصر « جورج سفيرس » على جائزة نوبل للآداب ١٩٦٢ ، والقوى شعره ـ فيما يقول بعض النقاد ـ ما كتبه في مصر عندما كان لاجئا بها مع الحكومة اليونانية ايام احتلال الالمان لبلاده ، ومن شعره في هذه الفترة قصيدته هذه التى يصف فيها احساسه بشبابة « فرعون » ..

شراع على النيل ● صدى قصيدة للشاعر « سفيرس »

وحيدة (١) .. وحيدة الجناح\
تساب فوق معزف الدهور\
لما تزل بريشة الصباح\
تخط في السماء ما يدور

***

والمزمر المقدس البعيد\
يئز بالدماء والصديد (٢)

لكنما « فرعون » فوق صخرة البقاء\
يضمنا .. يستقبل الجميع في حنان\
ترتد عن جلاله عواصف الفضاء\
وتنثنى من رهبة جوارح الزمان

---

(١) اشارة الى المركب ذى الشراع\
(٢) الإله المريخ [illegible] يشير به الشاعر الى ما اصاب بلاده من ويلات الحرب العالمية الثانية .

٣

في سنة ١٩٦٠ انتقلت الشاعرة مع زوجها الى قبرص حيث استقرت هناك بعد ان نظمت تسعة دواوين شعرية في الفترة ما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨ · ولدت الشاعرة بالاسكندرية سنة ١٩١٨ وبذلك عايشت النضال المصرى لفترة طويلة اثرت في شعرها ، وقصيدتها هذه قديمة الميلاد ، وقد وصفت المدينة فيها وصفا تاريخيا مؤثراً ، وفيما يلي اصداء منظومة لاجزاء منها ·

الاسكندرية ● اصداء قصيدة للشاعرة اليونانية السكندرية «بترونه باليولوغو»

« اسكندرية » لولا أنت ، لم أكن
ياموطـن الروح ، يا اشراقة الزمن
ذكرتُ أمسك و « اليونان » تصنعه
وبحرك السمحُ : فيه المرءُ كالعلن
وللهيـاكل أصـداء مقدسـة
وللملذات أيك ناضـر الفـنن
كما ذكرتك و « الرومان » قد عبثت
جنودهم بصبـاك الفاتن الحسَن
وأنت مابين قلـب مؤمن ورع
وملحد في طـريق زائغ السَـنَن
هى الحقيقة .. هاما .. خلف جوهرها
ما بين مسـتلهم سرا وممتحن
حتى اذا أقبل العَربُ الألى صنعوا
حضـارة تتحـدى صـولة المحن

وأقبل الجيل ، بعد الجيل في دعة

حينا ، وحينا ، على جسر ، من الفتن

عفوت ، حتى أحس الناس ، أن سكنت

ريح الحضارة ، بين الجزر والسكن

وأن ما ضيك قد تاهت قوافله

اذ أنت في وسن مفض الى وسن

لكن صحوت ، فراع الناس ما شهدوا

من يقظة عصفت - شماء - بالوهن

واذ بضوئك يهدى الناس قاطبة

من عاش بالريف أو من عاش بالمدن

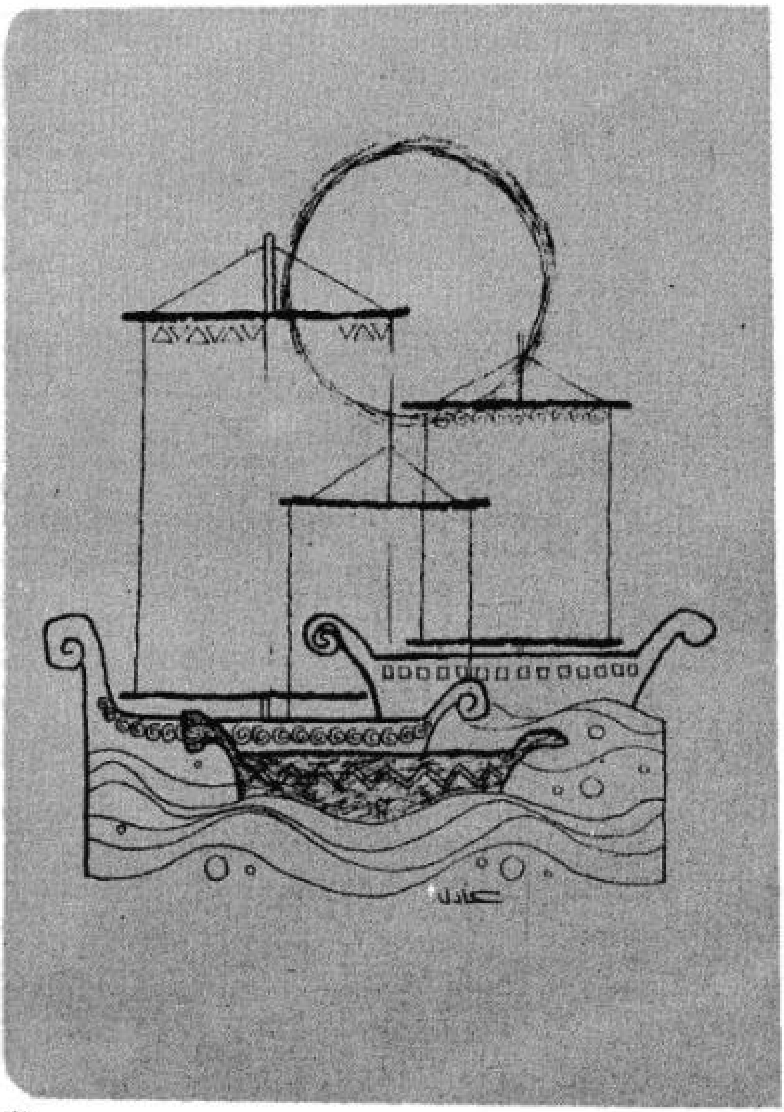
لكنما الحقد صالا	والقض داء عضالا
« انجلترا » وهى خصم	لكل نجم تلالا
قد ساءها من « عرابى »	أن راح يحمى المجالا
فاقبلت فوق سفن	غضبى تدك الجبالا
وتجعل البحر نارا	والشاهقات تلالا
ثم استقرت بغيا	جبارة تتعالى

وأنت احدى الجوارى

تشكين ذل الإسار

لعل « آمون » يصحو

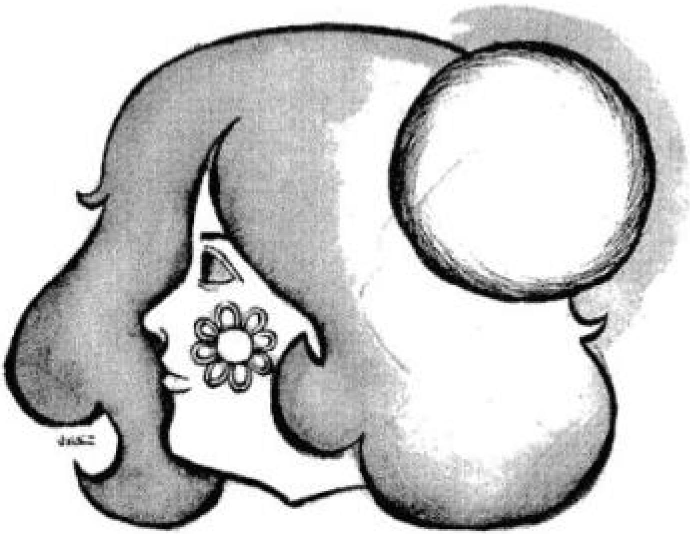
على وميض النهار !


عادل

صالح جودت

لا وقتَ للحُب

تسـاءلين لِمَ انثنى قلبي ؟
يا طفلتي ، لا وقتَ للحبِّ
لا تسألي ما خَطْبُ قصتنا
وتأملي ما جدَّ من خَطْبِ
ما عاد بي شوقٌ أكابده
وأنا أكابد محنة الشعب
ألحب ، والعدوانُ في وطني
متوغلٌ كالشوك في جنبي
وكرامتي في البيد نازفةٌ
نواحة لكرامة العُرْب ؟



أوّاه من جُرحى ، ومن خجلى
ومن الشعور بعقدة الذنب
ذنب الملايين التى جمعت*
أحلامها وتلفتت* صوبى
ذنب المساكين الألى احتشدوا
وتأهبوا لمسيرة الأوب
ذنبى أنا ، اذ ندّ عن حذرى
غدر اليهود وخدعة الغرب
ان لم أكفّر* عنه منتقما
فلأقض قبل تراجعى نحبى !

يا طفلتى ، لا وقتَ للحـــب

لا وقتَ للآهـــات والعتـــب

أفما ترين الشجو فى نغمــى ؟

أفمــا ترين الشــوك فى دربى ؟

فبأىِّ وجــهٍ ألتقيك ، وقــد

مرَّغتُ هــذا الوجه فى التُّرب ؟

دهم اليهودُ قناتنــا ، وغدَتْ

سيناؤُنا جــزءاً من « النقب »

صلبوا حقوق اللاجئين ، كــأنْ

لم يسأموا من قصـــة الصلب

وعَدَوْا على مَسرى النبىِّ ، وإن

يترفقــوا بكنيســة الــرب

لا تســـألينى أين عاطفتى

وجوى الحب ولهفــة الصــب

من ثقب الأحقــادُ مهجتــه

خرجتْ عواطفــه من الثقــب

الوقتُ وقت الــكره مشتعلا

الوقت وقتُ الطعن والضــرب

الوقتُ وقتُ الثــأر ، أطلبــه

غــولاً بلا عقـــل ولا قلب

أمشى اليــه معربدا شرهــاً

بعــواطف أقسى من الصــلب

أمشى لردِّ العــار عن وطــنى

حتى أعود مطهَّــرَ الثــوب

يا طفلتي ، لا وقتَ للحــــــب
امّا دعا الداعي الى الحـــــرب
لا تسألي الغيب الســـــلامة لي
ان الشـــــهادةَ قســـة الغيـــب
أو تجعـــلي حبَّ الجبـــــان مني
فالجبن لا يصــبو ولا يُصــــبي
الحـــب يوم أرى كرامتنــــــا
مرفوعةَ الهـــامات للسُّحُب
الحـــب يوم أرى عدوَّتنـــــا
أســـطورة صفراء في الـكتُب
الحب يوم يعـــــود لاجئنـــــا
متحررا من عيشــــــة الجدب
الحـــب يوم تضيء رايتنـــــا
في ثالث الحرَمين كالشُّهُب
الحب يوم تطـــــير فرحتنـــــا
فوق القنــــــاة وشطها الرحب
فهنـــــاك موعدنا وملعبنـــــا
بين الســـنى والمـــاء والعشب
أمشي اليـــك بقلبٍ منتصـــرٍ
مترنمٍ بحـــلاوة الكَسْــب
واقــــــول يا حلمي ويا وَلَهي
هاتي شـــقائق ثغرك العــذب
الوقت كل الوقـــت للحـــب
فدعي شـــجونك واشربي نخبي

رأى فى الفولكلور

الدكتورة سمحة الخولى

لا تتركوه للتحريف والاقتباس



الوعى الكامل بالفولكلور غير متوفر لدينا حتى الان ، وعلى الرغم من انشاء مركز للفنون الشعبية ، واقسام فى الكليات الجامعية ، فان الرأى المثقف نفسه ليس على وعى كامل حتى بماهية الفولكلور · والدليل على هذا ما نسمعه بكثرة من اغان جديدة تنسب خطأ الى الفولكلور وتقدم على انها جزء منه ·

وهذه العملية فى حد ذاتها تتطلب وقفة متانية لفهم اسبابها ···

لقد سبقنا العالم كله الى تاصيل الدراسة العلمية للفولكلور منذ قرن مضى ، وأصبح لدى الكثير من الامم المتحضرة سجل كامل بماثوراتها الشعبية الاصيلة فى المجال السمعى والمرئى ، وهذا السجل هو جزء حى من تاريخها الثقافى والروحى ، وفى الوقت نفسه هو ذخر يستلهم منه الفنانون الروح التى تنبض بها اعمالهم الفنية القومية الجديدة · وبدون هذا الحصر والتوثيق للفولكلور فان اى محاولة لاستلهام الفن الشعبى فى اعمال فنية جديدة لا تستند الى اساس ، وبذلك تضعف الصلة بين الفنان وبين روح الشعب الذى يعبر عنه ·

وانعدام هذا الحصر والتوثيق يترك فراغا للتخمين والتحريف والاقتباس وربما التشويه للفولكلور ·

وازاء هذا الانتشار العريض للوسائل التكنولوجية الجديدة التى تفرز ثقافة المدنية بغزارة وتفرضها على جميع انحاء البلاد ، ازاء هذا الانتشار الواسع ينكمش الفولكلور الاصيل ويتوارى ويتعرض للضياع ما لم تنقذه الجهود العلمية للحصر والتسجيل

والفولكلور ، ككل نشاط ثقافى ، ظاهرة نامية ومتعددةوبعيدة عن الجمود او التوقف ، ولكن الخطورة التى يواجهها الفن الشعبى فى بلادنا الان هى الاتجاه الحالى لاستغلال الفولكلور بالتغيير والتجديد ، لان الفنان الشعبى لو ترك لبيئته وظروفه الطبيعية فهو دائما قادر على الاضافة الاصيلة لهذا التراث ، ولكنه اذا تعرض للتوجيه والتاثير الخطير الذى يتمثل فى فن المدينة او الفن الرسمى الذى يصدر عن اجهزة الاعلام فان الرؤية لاتكون واضحة ، ويفقد الفن الشعبى صلته الطبيعية الصحية بمنابعه ···

ولا يمكننا ان نطالب الفنانين بربط انتاجهم ببيئتهم وتراثهم واستلهام الفن الشعبى الا بعد ان نكرس الجهود لجمعه وحصره اولا ، ثم ننشره بكل وسائل النشر الصوتى والمرئى بحيث يصبح مادة حية فى متناول الاجيال الناشئة من الفنانين ، وبذلك فقط يمكنهم ان يستلهموا الفن الشعبى بصورته الاصيلة النقية ·

فالفن الشعبى فى حاجة الى الحماية من التحريف ، فى حاجة الى الجمع والحصر السريع والدقيق ، وهو بحاجة ايضا الى ان يكون بمتناول الفنانين عند تكوينهم الفنى فى معاهد الفنون المتخصصة ، وبعد ذلك فىمرحلة نضجهم بحيث يكون من المصادر الاصيلة التى يستمدون منها تعبيرهم الفنى ···

رأى فى الفولكلور

الفنان بليغ حمدى



موجات البدعة الموسيقية

دراسة الفولكلور كاساس لحضارة امة ، هى القاعدة التى يجب أن يرتكز عليها كل من يعمل فى مجال الفنون المختلفة ·

وكلمة الفولكلور عموما ، تعودنا سماعها فى أيامنا هذه ، وربطناها بالموسيقى فقط رغم أن الفولكلور لا يشتمل على الموسيقى فقط بل يشتمل على الحدوتة ، والقصص الشعبى ، والملابس ، والالوان ··· الخ ·

واعتقد أن الخلط الذى حدث فى هذه الايام أو بمعنى أصح عملية التمييع فى ألحاننا · من أبرز أسبابه اتجاه الكثير من ملحنينا الى الفولكلور دون دراسة كاملة لاسس الفولكلور ، واضعين فى تصورهم أنها موجة من موجات البدعة الموسيقية ·

ورأيى أن الاساس الصحيح لمعالجة هذه السطحية فى فهم الفولكلور فهما جيدا ، هو ضرورة العمل على دراسة الفولكلور كما تدرس الموسيقى تماما ، ويجب أن يوضع كمادة تدرس فى معاهدنا الموسيقية ، حيث يمكن للدارسين وللجيل الذى نعده فى الكونسرفتوار والمعاهد الموسيقية أن يجدوا الفرصة فى متناول أيديهم وفى وجدانهم لدراسة أغانى بلادهم ، وعلى هذا الاساس يمكن أن تكتب الاعمال الموسيقية الكبيرة على أساس علمى سليم ، وهذا ما يحدث فى بلاد العالم المتقدمة فى هذا المجال ·

عادل ثابت

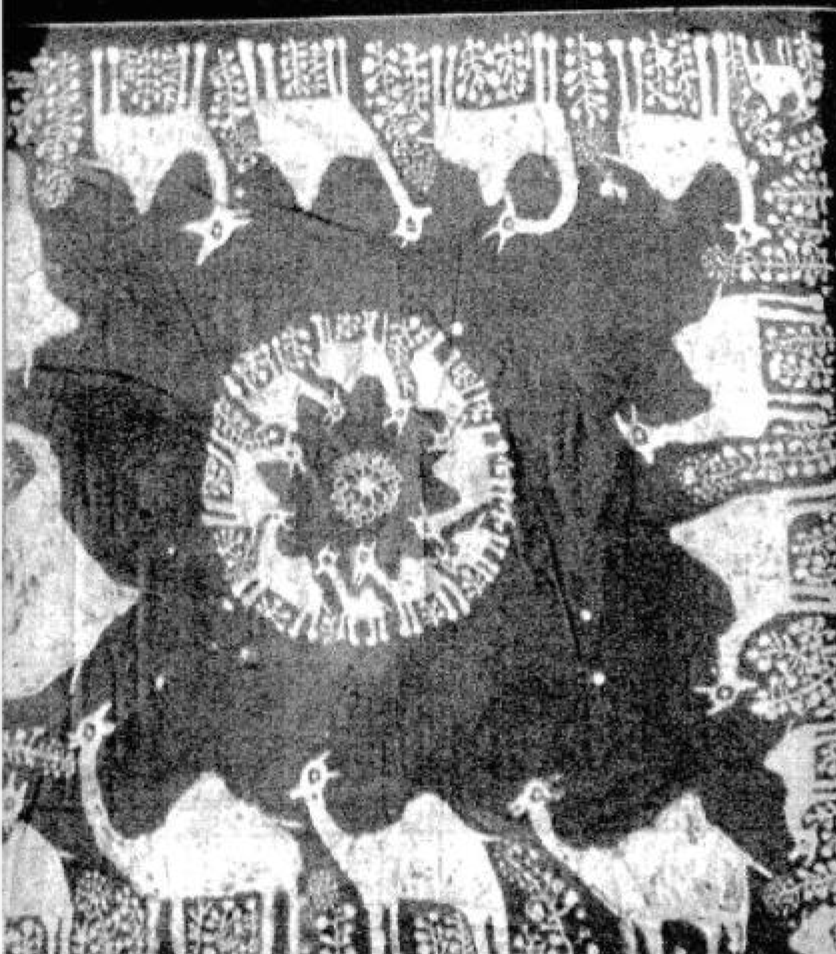
حرية التعبير الفني بين حبيب .. و رمسيس



تمثال من انتاج تلاميذ المدرسة الفنية في الحرانية

ليس هذا بحثا أو دراسة في التجربة الفنية لأطفال قرية الحرانية، بقدر ما هو استعراض لمظاهر الفن الشعبي في بلادنا؛ وملامح تجربة المرحوم الفنان حبيب جورجي بمدرسته ورمسيس ويصا واصف الذي أسس مركز الحرانية، وقدم فيه الكثير من التجارب الفنية؛ واحدثهـا تجربة أطفال الحرانية، على ذلك عرض لآخر انتاج أطفال الحرانية من الطباعة بطريقة (الباتيك) !

• من نماذج التجربة الفنية الجديدة : مفرش مطبوع بطريقة « الباتيك »



حرية التعبير الفني

● الفنان حبيب جورجي ●



● الفنان رمسيس ويصا ●



كان فرد الخالق تقول قوله إلى الفرد الواحد - ويكشف لختلاف طريقة تعبيره عنه ... والفنان - حتى حينما يعبر عن فنه - لا يلتقط الطبيعة حرفيا لأن التعبير - بالنسبة له - هو الطبيعة، منشآتها الموجبة الخاصة ومهارته ...

والتعبير الفني قديم، قدم من

الفنانة في تاريخ البشرية، وقد أحس الفنانون في مختلف العصور بجمال الطبيعة وعبروا عنها تبعا لانفعالاتهم وطاقاتهم تعبيرا فنيا ...

● وكان الشعب من التعبير الفردي التي تعبر عن أحاسيسه ومشاعره، عن آلامه وآماله، عن أفكاره ومشروعه، وأبرز مثال لذلك مثلا، الفن

الشعبي ... والفن الشعبي لا يخضع لنظم أكاديمية، بل ملتصق للتقاليد الفنية الموروثة، وربما يضيف إليها شيئا من عنده.

ومن الرأي، الفن الشعبي، تلك الرسوم التلقائية الجميلة التي يرسمها الفنان الشعبي على واجهات الأعياد الشعبية، تعبيرا عن الفرحة بمناسبة

● منظر عام لقرية الحرانية الجديدة ●

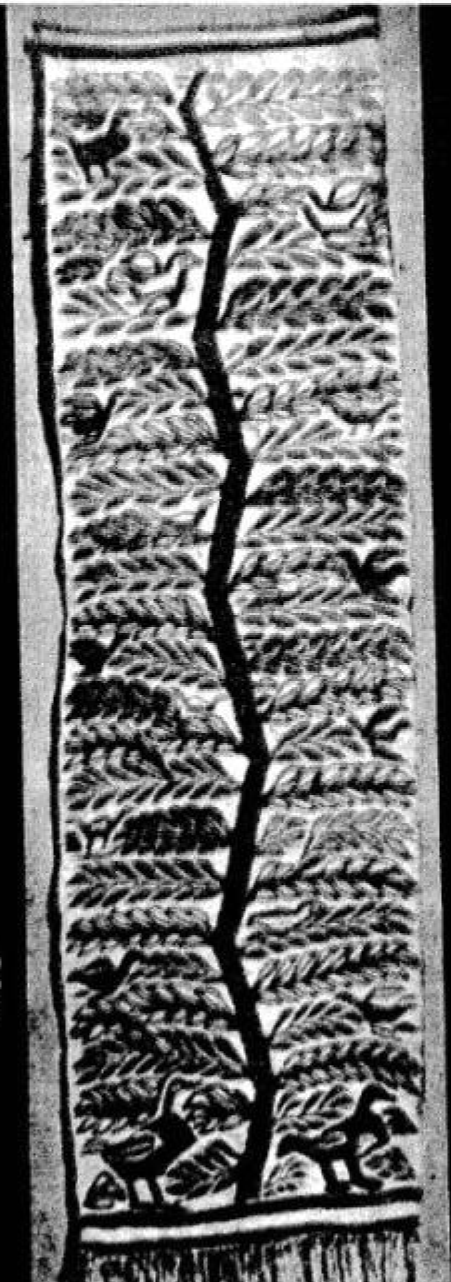
● تلاميذ المدرسة الفنية الأولى للفنان حبيب جورجي ●





● مفرش مزخرف بنقوش شعبية طبعت بطريقة « الباتيك » .. لأطفال قرية الحرانية ●

حُرية التَعبير الفَني



● « شجرة الطيور » كليم من الصوف الملون بالأبيض والأزرق لطفلة من الحرانية





سعودة ، وبخاصة مناسبة العودة من الحجاز بعد اداء فريضة الحج ...

● وفي قرانا المصرية يلاحظ ان بعض البيوت تزين واجهاتها برسوم مستمدة عناصرها من البيئة ، كالنخلة وعازف المزمار ، وما الى ذلك .

والناظر لهذه الرسوم يجد فيها انطلاقا وحرية ، كما يجد ايضا تعبيرا صادقا عن احاسيس الفنان الشعبي ..

● والفنون الشعبية وثيقة الارتباط بالمناسبات الشعبية ، التي تعتبر معلما في حياة الفلاح من الناحية الاقتصادية ... فهناك الخامات الاولية التي تتميز بها بيئته ، والصناعات الشعبية تقوم على استخدام الخامات الاولية في البيئة ، وعلى المهارة والخبرة التي يكتسبها الصانع بالوراثة ، وكذلك لمسات الفنان الشعبي البارع .

وانتشار الصناعات الشعبية في مصر انتشارا كبيرا ، خاصة السجاد و ، الكليم ، التي اكتسبت شهرة عالمية من زمن بعيد بزخارفه الشعبية والوانه الممتزجة ...

●●●

حرية التعبير الفني

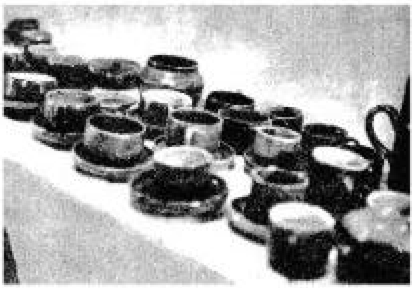
● وهناك تجربة فنية متميزة وناجحة ، بدأها في بلادنا الفنان حبيب جورجي ، واستمرت ، بعد



● اثنان من تلاميذ مدرسة التجربة الاولى يعرضان انتاجهما من التماثيل ●

● شجاعة : الصبية تتفوق موهبتها الفطرية بعمل على النول ●

● مجموعة اوان خزفية من الاعمال الجديدة لمدرسة [illegible] ●





● شجرة مورقة وحولها حيوانات ـ كليم ملون ●

حرية التعبير الفني

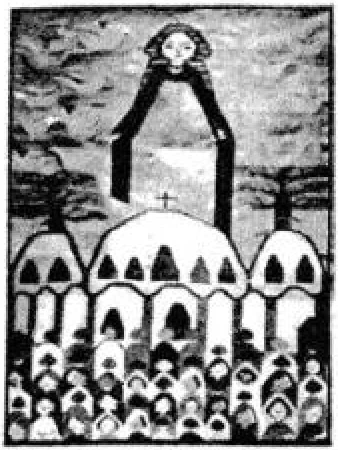
● قطعة من الانتاج الجديد لأطفال قرية الحرانية ●



حُـريـة التَعبيـر الفَـنـي



● المصور احمد خورشيد .. سجل تجربة حبيب جورجي ●



● نموذج بديع من رسوم الكليم ●

وفاته ، برعاية المهندس المعماري رمسيس ويصا واصف وزوجته صوفي حبيب جورجي ... انها التجربة التي طبقها في فينا الاستاذ « تشزك » النمسوي عام ١٨٩٧ ، فقد اتاح الفرصة للاطفال ليكشفوا عن مواهبهم في تكوين اللوحات والتماثيل من الصلصال وغيره وليعبروا عن انفسهم بانطلاق وحرية ، وكان ينادي باحترام تعبير الاطفال وترك الحرية المطلقة لهم دون توجيه او ارشاد فني .

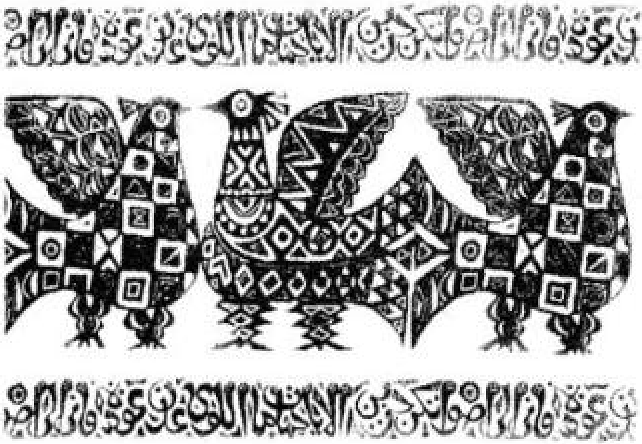
وكان الفنان حبيب جورجي ، وهو استاذ تربية فنية ، يرى ان الطفل « مجهول لم يكتشف بعد » . وكان ايمانه بتجربته الجديدة يهبه حماسة بغير حدود ...

وفي احيان كثيرة يبرز امتياز الاطفال على الكبار في بعض اللمحات الفنية ، والسر في هذا ان الطفل ، عادة يتميز بالصدق والبراءة ولا يعرف التصنع ...

وفن الاطفال الذي ظهر في النصف الاول من هذا القرن يعد ضمن المؤثرات على الفن المعاصر .

ويحاول بعض من خيرة الفنانين التشكيليين المعاصرين ان يكتسب بعض سمات ذلك الفن في انتاجه الخاص .

ومع الفنان حبيب جورجي في تجربته التي بداها مع اطفاله بتشكيل التماثيل من الصلصال ، عاش المصور السينمائي احمد خورشيد ، على مدى ست سنوات ، من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٠ ـ يسجل بالكاميرا خطوات التجربة مع الاطفال عاما بعد عام ،



● لوحة للفنان سعد محمد كامل ، يبدو فيها تأثره بالرسوم الشعبية ●

وفي عام ١٩٦٠ كان قد انتهى من تصوير أول فيلم تسجيلي عن « مدرسة حبيب جورجي » ، وقد عرض الفيلم بعد ذلك في موسكو ، وكندا ، وبرلين ، ونال جائزة احسن فيلم تسجيلي ، كما قدم في القاهرة عدة مرات في عروض خاصة محددة ·

●●●

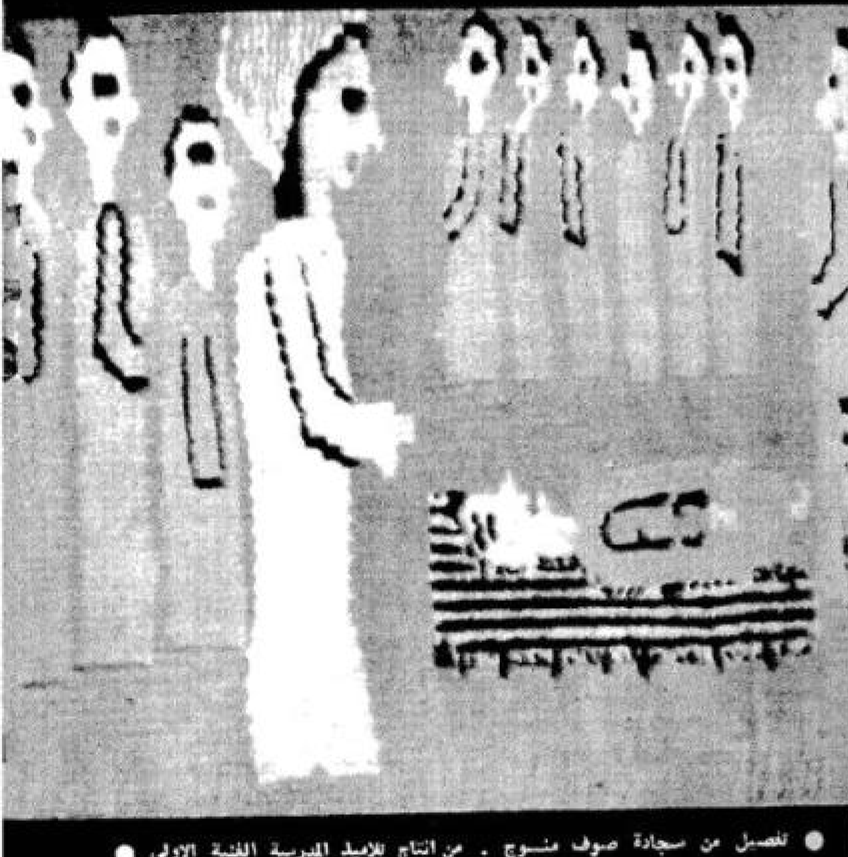
● وقبل ذلك ، في عام ١٩٤٢ ، كان المهندس المعماري رمسيس ويصا واصف قد بدأ تجربة مماثلة في بعض المدارس الاولية الخاصة ، ثم تطورت الفكرة خلال السنوات التالية الى ان اسس مركز قرية الحرانية سنة ١٩٥٥ حيث جمع ابناء الفلاحين ومنحهم وسائل للتعبير الحر · وقد رأى رمسيس ويصا واصف الابتعاد بالتجربة عن المدينة الى ريفنا المصرى للحصول على جو خال من مؤثرات المدينة ، فبيئة الفلاح المصرى بما فيها من بساطة وتفتح تعطى مجالا أرحب لحرية التعبير الفنى المتميز بالصدق والاصالة ···

وبدأ رمسيس ويصا واصف فى تجميع أطفال قرية الحرانية ، وتحبب فى معايشتهم ، وكان حريصا على ان يستقبل الاطفال معلوماتهم بأنفسهم ودون اى تدخل أو توجيه ···

● والـذين اتيحت لهم فرصة مشاهدة بعض المعارض التى قدمت انتاج اطفال قرية الحرانية ، يشيدون بصدق واصالة التعبير الفطرى فى هذا الانتاج ، وخاصة (الكليم) باعتباره مجالا خصبا لانطلاق مخيلة

حُرية التَعبير الفَني

● تفصيل من لوحة مصنوعة من الصوف
انتاج اطفال مدرسـة الحرانية ●



● تفصيل من سجادة صوف منسوج . من انتاج تلاميذ المدرسة الفنية الاولى ●

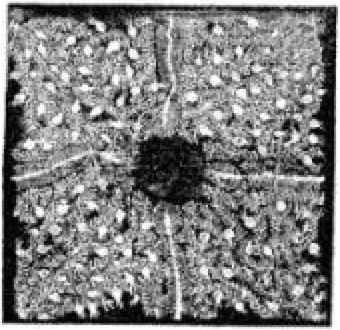


الصبية ، كما انه مجال للاجابة الحرفية ايضا ٠

٠٠٠ والظاهرتان الفنيتان الاخيرتان فى مجال نشاط أطفال الحرانية ، هما :

اولا : الطباعة بطريقة (الباتيك)، وهى تجربة جديدة ظهرت بوادرها من خلال ممارسة التعبير التلقائى ، واستخدام الشمع السائل فى الرسم على القماش ثم وضع القماش بعد ذلك فى أصباغ ملونة ، على أن يزال الشمع بعد ذلك بوضعه فى الماء الساخن ٠

والطباعة بهذه الطريقة (الباتيك)، لاتزال حتى الآن فى طور التجربة ، وهى تبشر بنجاح عظيم ٠٠٠ وبقى أن نعمل منذ الآن على أن تدخل تجربة الطباعة (الباتيك) كل منزل من



حُرية التَعبير الفَني

فى العرض الفنى لمنتجات اطفال قرية الحرانية، يتوقف الزوار لتفقد المعروضات



منازل قرية الحرانية .

أما الظاهرة الثانية ، فتتبع من افكار رمسيس ويصا كمهندس معماري وخريج الفنون الجميلة بباريس ، فقد لفت نظره اثناء دراسته هناك أن البلاد والقرى القديمة في فرنسا وسويسرا وبلاد الشمال قد بنيت بدون مهندس معماري ، وانها مندمجا في الطبيعة من حولها ...

ولما عاد الى مصر ، وجد في انعقد والقبة ما جذبه الى العمارة المصرية ، والى بساطة المسكن المبني بالطوب الاخضر ، واتجه مجهوده الى نشر العمارة التي تعتمد في بنائها على الطوب والملاط في القرية بشكل بسيط غير مكلف ، وبدون الاستعانة بمهندس معماري ، بمعنى أن يتولى الفلاح نفسه اقامة مسكنه وفق احتياجاته .. وبالجهود الذاتية ...

وعندما تكون في طريقك الى قرية الحرانية قرب الجيزة ، فسوف تطل عليك من بعيد القباب والعقود التي طليت بالطين ذي اللون المائل الى البني المحمر .. المستخرج من نيلنا العظيم .

ورمسيس ويصا واصف - وهو شاب رغم أنه قد جاوز الخمسين - يخوض الآن مع مجموعة من الاطفال تجربة تشكيل الاواني الخزفية وحرقها بعد طلائها بالالوان المطلوبة .

● وأخيرا ، فان الانتاج الذي تقدمه هذه التجارب الفنية المتميزة في الحرانية ، مشهور في كثير من بلاد العالم ، فمنذ عام ١٩٥٨ الى



● « النعمة » لوحة فنية بالجواش ، للفنان عبد السلام الشريف ●



● « تكوين » من وحي البيئة الشعبية ، للفنان سيد عبد الرسول ●

١٩٦٩ زارت معروضات انتاج اطفال الحرانية دولا كثيرة ، منها سويسرا ، والسويد ، وهولندا ، والنرويج ، وتشيكوسلوفاكيا ، وكذلك متحف اللوفر بباريس ، وبينالى لوزان بسويسرا ، والسويد ، ولندن .

● وقد اقيم آخر هذه المعارض بالمركز الثقافى الايطالى بالقاهرة فى شتاء ١٩٧١ ، وهناك الان دعوات جديدة لعرض منتجات الحرانية فى اوسلو ، وكوبنهاجن ، وباريس ...

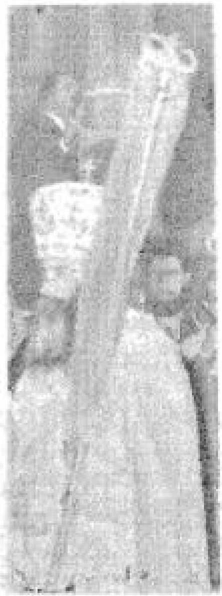
● ان هذه التجارب الفنية الخصبة والمثمرة ، تستحق المزيد من الدراسة والاهتمام ... كما انها فى نفس الوقت تجدد مطالبة فنانينا التشكيليين ، بان يلتفتوا الى هذه القرية المصرية ... فهناك ... المنبع الخصب للانتاج الاصيل المتميز الذى تتطلبه بلادنا الحبيبة ...

● احدى فتيات قرية الحرانية تعمل على النول: امامها لوحة من الكليم ●



الروح في المسيحية

■ بقلم غبطة البابا البطريرك شنودة الثالث ■



كتب نيافة الانبا شنودة هذا البحث الممتع للهلال ، قبل ان يستقر على العرش البابوى ولاشك ان قراء « الهلال » الذين طالما استمتعوا بقلمه اديبا ومفكرا وموجها روحيا ووطنيا مخلصا - يشاركوننا فى التوجه بالتهنئة الصادقة لغبطة البطريرك شنودة الثالث ، بطريرك الكرازة المرقسية وبابا الاسكندرية ، على الثقة الغالية التى احاطه بها اخواننا الاقباط ، سائلين الله ان يجعل عهده يمنا عليهم وبشيرا لمصر بالغلبة والنصر .

الـــــروح في المسيحيــة

ان الحـــديث عن الروح حديث جميل ، يســمو بالانسان فوق مستوى هذا العالم المادى ، ويحلق به فى اجواء عالية ، او يغوص به فى لجج عميقة·

ونحن نحتاج فى كل حين ان نهتم بارواحنا ، نرعاها اكثر مما نرعى اجسادنا ، ونغذيها بكل غذاء صالح، ينقيها ، ويربطها بعـــالم الارواح الطاهرة ·

وفى هذا المقال سانحدث عن الروح فى المسيحية من ناحيتين : ناحية فكرية تشمل مدلول كلمة الروح ، وصفات الروح ، ومصير الروح بعد الموت ، ورأينا فى استحضار الارواح ·

اما الركن الثانى من المقال ، فهو كلمـــة روحيـــة عن طريقـــة السلوك الروحى ، ومعنى الصراع بين الجسد والروح ، ومقارنة بين اهتمامنـــــا باجسادنا واهتمامنا بالروح ··

مدلولات كلمة « الروح »

فى الكتاب المقـــدس تطلق كلمة « روح » على :

روح الله

أرواح الملائكة والشياطين

أرواح البشر

● فمن جهـــة الله يقول الكتاب : « الله روح · والذين يسجدون له ، فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يوحنا ٤ : ٢٤) ·

وروح الله يسمى « الروح القدس » او روح الله القدوس ، او روح الحق ، او الروح المعـــزى ، او البارقليط « باليونانية » ·

ويتميز روح الله بأنه غير محدود ، وأنه كلى القداسة وكلى القدرة ، وهو الناطق فى الانبياء ، والعـــامل فى الابرار · ان الابرار هم الذين سلموا ارادتهم الى روح الله ليعمل فيهم ، ويعمل بهم ، ويعمل معهم · لان الانسان انما يعمل الخيـــر بمعونة الله له ، ويعمل روح الله فيه ، لانه بذاته وحده كثيرا ما يضعف أمام الشر · لـــذلك فان البار يدخل فى « شركة الروح » ، أى أن ارادته تشترك مع ارادة الله فى عمل الخير · والذين ينقـــادون بروح الله ، نسميهم أشـــخاصا روحيين · هؤلاء يرشدهم روح الله القـــدوس ، ويقود دفة حياتهم ، وان اخطأوا يبكتهم على الخطية ، ويدفعهم الى التوبة · وروح الله هو الذى يشعل حيـــاتهم بحرارة مقدسة وغيرة الهية ·

اما الاشرار فانهم يقاومون عمـــل الروح فيهم ···

وروح الله هو الذى يمنح المواهب الروحية المتعددة ، التى يسميهـــا الكتاب المقدس « مواهب الروح » ، مثل عمـــل الآيات ، وصنع المعجزات ، والتنبؤ ، ومثل موهبـــة الحكمة ··· وروح الله يمنح الانسان قوة خاصة·

● أين تذهب الروح بعد الموت ؟

● هناك عقاب للروح وعقاب للجسد

ولذلك قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لي شهودا » (أعمال الرسل ١ : ٨) .

● ويتحدث الكتاب المقدس ايضا عن أرواح الملائكة ، فيقول « الذى خلق ملائكته أرواحا ، وخدامه لهيب نار » (مزمور ١٠٤ : ٤) . ويقول عنهم الكتاب أيضا « أليس جميعهم أرواحا خادمة ، مرسلة للخدمة ، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (العبرانيين ١ : ١٤) .

فالملائكة أرواح تعمل فى خدمة الله ، يرسلهم الله احيانا للتبشير ، مثل الملاك الذى بشر العذراء مريم بميلاد السيد المسيح . أو يرسلهم لمعونة البشر مثل الملاك الذى انقذ بطرس من السجن ، والملاك الذى انقذ دانيال من جب الاسود . وقد يرسل الله ملائكته للانذار أو العقوبة احيانا ... وهؤلاء الملائكة عملهم ايضا تسبيح الله وتمجيده . ويخاطبهم داود النبي قائلا : سبحوا الرب يا ملائكته ، المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه » (مزمور ١٠٣ : ٢٠) .

● والشياطين ايضا كانوا ملائكة قبل سقوطهم ، لذلك فهم ارواح مثل الملائكة ، ولكنهم ارواح شريرة ، او ارواح نجسة . وهؤلاء عندما سقطوا ، فقدوا قداستهم ، ولكنهم لم يفقدوا طبيعتهم .

هذه الارواح الشريرة تحارب الناس وتغريهم ، وتحاول اسقاطهم فى الخطيئة . وبالنسبة الى البعض تحاول أن تخيفهم أو تفزعهم . وبعض الناس تصرعهم الشياطين وتسكنهم .. ومن المعجزات التى صنعها السيد المسيح انه كان يخرج الشياطين من امثال هؤلاء المصروعين ، وكانت هذه الارواح النجسة تخافه وتفزع عند ملاقاته . ومن امثلة ذلك انه دخل مرة مجمعا لليهود وكان فيهم رجل به روح نجس ، فصرخ ذلك الروح قائلا « مالنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا » فانتهره السيد المسيح ، فخرج من الرجل . واندهل الناس مما فعله المسيح « لانه بسلطان يأمر حتى الارواح النجسة فتطيعه » (مرقس ١ : ٢٧)

● نوع آخر من الارواح هو الروح البشرية ، وهو نوع مختلف . لان روح الانسان ليست قائمة بذاتها وانما هى متحدة مع جسد مادى ترابى . وهذا الجسد قد يجذبها معه الى الامور المادية ، فاما أن تسقط الروح معه الى المستوى المادى ، واما أن ترفعه الى

المستوى الروحي . ومن هنا نشأ جو من الصراع سنتحدث عنه فيما بعد ..

صفات الروح

على أن الروح البشرية لها صفات تختص بهـــا ، وتميزها عن النفس الحيوانية . ومن تلك الصـــفات ما يأتي :

١ ـ انها روح خالدة ، منحهـــا الله نعمة الخلود ، فهي لا تموت بموت الجسد ، وانما تنتظره حتى يقوم في يوم القيامة ، فتعود الى الاتحاد به .

وصفة الخلود ليست مقصورة عـلى ارواح الابرار فقط ، وانما الاشرار أيضا ، ستخلد ارواحهم في مستقر عقابهم الابدي .

٢ ـ انها روح عاقلة حرة مريدة : فالانسان يتميز بالعقل ، كمـا يتميز أيضا بحرية الارادة ، يستطيع أن يفعل ما يشاء . ومن هنا نشأت المسئولية بالنسبة الى افعاله ، في حدود مـــا يتمتع به من عقل ومن حرية .

٣ ـ انها روح عابدة : بطبيعتهـــا تشتاق الى الله . ولهذا نجد أن جميع الناس كانوا يعبدون الهة . اختلفوا في من هو الله ، ولكنهم لم يختلفوا في مبدأ العبادة ذاتها . حتى ان الوثنيين أنفسهم كانوا يتصفون بالعبـــادة ، وكانت لهم صلوات ، وقرابين يتقربون بها الى آلهتهم . لذلك نرى أن موضوع الالحـــــاد شيء غريب عن الروح البشرية ...

٤ ـ انها روح خيرة : تحب الخير بطبيعتها . وكل شر يكون فيها ، هو بدون شك دخيل عليها ، تستطيع أن تتخلص منه ان رجعت الى ذاتها . لذلك يقال في التوبة ان التائب رجع الى نفسه ، فندم على شره السابق

الـــــروح في المسيحيــة

تناسخ الارواح

والمسيحية لا تؤمن مطلقا بتناسخ الارواح ، وما يعرف في بعض الديانات الوثنية بتجوال الروح من جسد الى آخر . ولعل هذه العقيدة الخـــاطئة نابعة في وثنيتها من فكرتين :

أ ـ احداهما فكرة فلسفية تقول ان عدد الارواح محدود لايتزايد ، فلذلك يحدث التناسخ في الارواح لتعـويض نقص في عددها

ب ـ والفكرة الاخرى قائمــــة في بعض الديانات الشرقية على أساس من نتيجة عمل الانســـــان ، فيكون التجسد الجديد بعد الموت لونا مـــن الثواب او العقاب لحياة سابقة في الجسد ، حتى تنطلق الروح نهـائيا من الارتباط بجسد

وكلتا الفكرتين لا توافق عليهمـــا المسيحية التي لا تؤمن بتناسخ الارواح

ترى المسيحية أن الروح بعد مفارقتها للجسد ، تذهب الى مكان انتظار تستقر فيه حتى يوم القيامة العامة .

فأرواح الابرار تذهبالى الفردوس، فردوس النعيم . وأرواح الاشرار تذهب الى الجحيم . وتكون الارواح البارة مستريحة في الفردوس . وهذه الراحة يسمونها فيالسريانية (النياح). فيقال أن فلانا قد تنيح بمعنى أنه استراح من تعب هذا العالم الحاضر ، وذهب الى موضع الراحة في فردوس النعيم . ولعل هذه الراحة مأخوذة من آية في سفر الرؤيا (١٤ : ١٣) تقول « طوبى للاموات الذين يموتون في الرب منذ الآن . نعم – يقول الروح – لكي يستريحوا من أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم » . من أجل هذا يقول داود النبي في المزمور (١١٦ : ٧) « ارجعي يا نفس الى موضع راحتك ، لان الرب قد أحسن الى » . وهذه الآية كثيرا ما تكتب على مقابر المسيحيين .

ولهذا فان الموت عند المسيحيين لا يسمى موتا بلهو انتقال . في الصلاة على الموتى يقال « لانه ليس موت لعبيدك ، بل هو انتقال » . لذلك يعتبر الموت مجرد رقاد . والصلاة الخاصة بالموتى تسمى « صلاة الراقدين » ...

فالانسان يرقد حتى يناديه الرب من قبره في يوم القيامة . ولذلك يقول الانجيل المقدس « فانه تأتي ساعة ، فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذينفعلوا الصالحات الى قيامة الحياة . والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يوحنا ٥ : ٢٩)

والروح تشترك مع الجسد في العقاب أو الثواب ، لانها قد اشتركت معه قبلا في العمل . فالجسد بدون روح ، ما كان ممكنا أن يعمل عملا ، الروح تشترك معه . فالمصلي مثلا ، روحه ترتفع في ابتهال الى الله وفي تضرع وتأمل وحب ، وجسده يقف أو يركع أو يسجد أو يجثو ، مشتركا مع الروح . والانسان في حالة الغضب . يكون جسده في اضطراب ، ودماؤه في غليان ، وأعصابه في توتر ، وربما يلفظ لسانه بكلمة جارحة ، أو ترتفع يده بلطمة . وروحه تكون خالية من المحبة ، وخالية من التواضع ومن الوداعة .

لذلك لا يمكن أن يكون عذاب الاشرار هو مجرد نار ، لان النارتعذب الجسد فقط ، فأين يكون اذن عقاب الروح .

لا شك ان حرمان الروح من الله هو عذاب لا يطاق ، كذلك حرمانها من مجمع الملائكة والرسل والقديسين ، كذلك شعورها بالخسة والخزيوالخجل والعار عندماتنكشف اعمالهاوفضائحها أمامها وأمام الكل ...

يقول القديس اوغسطينوس أن موت الجسد ، هو انفصال الروح عن الجسد . أما موت الروح ، فهوانفصال الروح عن الله ...

تقول ايضا ان الارواح تتفاوت في عقابها وفي ثوابها . ليس عقاب واحد للكل ، ولا ثواب واحد للكل . وانما الله « سيجازي كل واحد حسب أعماله » . كل انسان سيكافأ حسب مقدار عمق حبه لله ، وحسب مقدار تعبه من أجله . ويقول الكتاب في ذلك « أن نجما يفوق نجما في الرفعة » ... كذلك في العقوبة .

وفي القيامة تقوم الاجساد ، ولكن في حالة روحانية • هذا الجسد المادي الذي لبسته الروح على الارض ، عندما يقوم من الموت ، سيقوم جسدا روحانيا ، جسدا نورانيا ، جسدا لا يدركه الفساد • لا يجوع ولا يعطش ، ولا يتعب ولا ينام ، ولا يتحلل ولا يموت ••• وبالتالي فانه سيكون جسدا بعيدا عن المادة : لا يعود يأكل من نباتات الارض وثمارها ، ولا من حيوانها ، ولا يعود يحيا حياة الجنس ، أي لا يتزاوج رجل وامرأة ، وانما كما يقول السيد المسيح في الانجيل ، يكونون كملائكة الله في السماء ، (متى ٢٢ : ٣٠) • لان كل الخيرات المادية ، هي تكملة للحياة المادية على الارض ، وهذا لا يتفق مع النعيم السمائي الذي ستتمتع به الروح عندما تتحد بالاجساد الروحانية النورانية •

اما الروح الخاطئة فتعاقب • وهذا يذكرنا بحقيقة هامة ، وهي أن الروح يمكن ان تخطيء ، ويمكن ان تتنجس وتفقد طهارتها • نقول هذا لان البعض قد تعود أن ينسب الخطأ دائما للجسد ، ويجعل الروح على الدوام بريئة !•• وهذا ما لا توافق عليه المسيحية • لان الروح يمكن أن تخطيء • ونحن المسيحيين نصلي ونقول ، طهرنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ، ، نجنا من دنس الجسد والروح ، •

والروح لا تتنجس فقط ، بالنزول الى مستوى الجسد في مادياته ، وانما تتنجس أيضا بأمور غير مادية ، مثل الحسد ، والشك ، والخوف ، والكبرياء ، والكراهية ••• الخ •

استحضار الارواح

لست أستطيع مطلقا أن أوافق على استحضار الارواح • وأمامي في ذلك نقطتان :

أ ـ هل هذا الامرممكن او غيرممكن ، وما مدى الرقابة عليه ، وما مدى ضمان صحته ؟؟

ب ـ هل لو أمكن استحضار الروح ، يكون ذلك من الامور المحللة ، او يكون فيه خطأ من الناحيةالدينية ؟

● والان فلنعرض للسؤال الاول عن مدى الامكانية • ولكي نتفهمه لابد ان نسأل سؤالا قبله ، وهو : ما مدى سلطتنا نحن البشر على عالم الروح ؟ وسؤالا اخر وهو ، ما مدى حرية الارواح في تنقلها وفي قدرتها على الرجوع الى عالمنا ؟

هل كل روح حرة تستطيع ان تترك مقرها وترجع الى عالمنا ؟ وان كانت هناك بعض الحرية لارواح الابرار ، فهل هناك حرية لارواح الاشرار التي تعتبر كأنها في سجن تنتظر مصيرها الابدي ؟ أليس خروجها الى العالم ، واتصالها بالاحباء والاصدقاء والمريدين ، هو نوع من الانطلاق والرفاهية بالنسبة اليها مما لا تستحقه ؟! أم هل كل الارواح التي يقال انه يتم استحضارها تكون كلها أرواحا بارة ، لها حرية في التنقل ؟! وهذا ما لا يمكن أن يقوله أحد •••

ثم هل يتم هذا الاستحضار باذن من الله تبارك اسمه ، أو بمجرد مشيئة البشر ؟! وهل الله يأذن في كل حالة برجوع الروح الى الارض ؟ وهل الروح حرة في أن تدلي بما عندها من أخبار لسكان الارض ؟

وبالنسبة الى الارواح البارة أو أرواح القديسين أو أرواح الرسل ، الذين يزعم البعض انه قد تم استحضارها ، أليست هذه الارواح أسمى منا وأعلى وأرقى مرتبة ، وأكثر نقاء ؟ فكيف يمكننا أن نستدعيها ونأتي بها ؟! كيف يمكننا نحن الترابيين أن نخرج أرواح القديسين من فردوسها وراحتها ، لكي نقلقها بأخبارنا التي استراحت منها ؟ كيف يسمح الله أن

الروح في المسيحية

نقطع حبل تأملات تلك الارواح الطاهرة، ونخضعها لحب استطلاعنا ، واحيانا لاسئلة تكون في نظرها تافهة ؟! كيف نتطاول على المركز السامي الذي نالته تلك الارواح بعد ان اكملت جهادها على الارض ؟!

يأتي سؤال هام بعد هذا هو : **كيف تضمن ان الروح التي ظهرت لك هي نفس الروح التي طلبتها ؟** ان اجبت بأن الصوت هو لنفس الشخص ، نقول ان الصوت يمكن تقليده . وان قلت ان الاخبار التي أدلى بها صحيحة ، نقول ان الماضي يمكن معرفته ... فكيف تضمن ؟

ان نفس خبراء علم الارواح ، يقولون ان هناك ارواحا متطفلة يمكن ان تقحم ذاك في المجال الروحي ، فكيف يمكن الضمان ؟ الا يجوز ان تكون هناك ارواح شريرة مضلة تنتحل الاسماء وتظهر باسم شخصيات مطلوبة بأسلوب من الخداع . الا يجوز ان يكون البعض تحت تأثير ضلالة من الشياطين ؟! كل ما اطلبه هو ما قاله البعض : ان الارواح التي تظهر تحتاج الى اثبات شخصية ...!

● ننتقل الى السؤال الثاني ، وهو: حكم الدين على استحضار الارواح . اقول في وضوح ان المسيحية **تمنع هذا الامر بنص صريح في الكتاب المقدس** فقد ورد في سفر التثنية اعتبار تحضير الارواح (استشارة الموتى) امرا يشبه نجاسات الوثنيين . ونص الاية الكريمة هو « لا تتعلم ان تفعل مثل رجس اولئك الامم . لا يوجد فيك من يجيز ابنه او ابنته في النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا ساحر ، ولا من يرقي رقية ، ولا من يسأل جانا او تابعة ، **ولا من يستشير الموتى . لان كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب** » (١٨ : ٩ ـ ١٢) .

ان هذه الايات تظهر ان استشارة الموتى غير مقبولة دينيا ، وانها من النجاسات ، وتشبه من يستشير الجن، وتوضع مع اعمال السحر في درجة واحدة ، وانها مكروهة من الرب ...

صراع الجسد والروح

لم يخلق الانسان من تراب الارض فقط ، انما نفخ فيه الله نسمة حياة كما ورد في سفر التكوين (٢ : ٧) ، فصارت للانسان روح .

روح الانسان تشتاق الى الله واهبها، وجسد الانسان يشتاق الى المادة التي خلق منها . وهكذا وجد الصراع بين الجسد والروح . وفي هذا يقول الكتاب « الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح تشتهي ضد الجسد (غلاطية

٥ : ١٧) . ونتيجة هذا الصراع تحدد مصير الانسان ، كما تحدد نوع عنصره .

ان انهزمت الروح ، وخضعت للجسد ، وسارت في اهوائه ، صار الانسان اسوا من الحيوانات ، لان الحيوانات لا تملك مثل هذه الروح العاقلة العابدة الخيرة التي تعصيها .. وان انتصرت الروح على اهواء الجسد ، صار الانسان في وضع اسمى من الملائكة ، لان الملائكة لاتوجد امامها عقبات من جسد ومادة تعوق طهارتها . فان انتصر الانسان على هذه العقبات ، صار في وضع اسمى من جهة الجهاد الروحي ...

الانسان الذى يخضع للجسد ، هو انسان جسداني ، اما الانسان الذى يخضع للروح فهو انسان روحاني يتشبه بالملائكة الروحانيين ...

على ان هذا الصراع بين الجسد والروح ، ليس صراعا دائما ، انما هو صراع اولى للمبتدئين الذين لم يتدربوا بعد على حياة الروح . أما الشخص الروحي ، الذى سلك فى الحياة الروحية زمنا طويلا ، وذاق حلاوة تلك الحياة السامية ، وذاق لذة الوجود مع الله ، فانه يرتفع بطبعه عن الماديات ، ويصل الى عدم الاكتراث بها ، ولا يبذل جهدا للانتصار عليها ، لانه لا يوجد فى داخله ما يشتاق اليها ...

هذا الانسان الروحي قد ارتفع فوق مستوى الصراع بين الجسد والروح ، لان جسده لا يحاربه ، او لم يعد يحاربه .

واراني مضطرا ان اقول ان الجسد ليس شرا في ذاته . لانه لو كان الجسد شرا في ذاته ، ما خلق الله جسدا على الاطلاق ، لان الله لا يخلق الشر . انما الجسد مجرد آلة ، ولكنها آلة مادية ، ومع ذلك يمكن أنتستخدم هذه الالة فى الخير ، ان احسنتالروح استخدامها . فالجسد الذى يتعب من اجل الاخرين ، ويسهر فى الصلاة ، ويكبر فى الركوع والسجود وفى الصوم ، والذى يبذل ذاته لاجل راحة غيره ، مثل هذا الجسد يكون قد سار فى طريق الروح ، وينال من الله الاكاليل ، فلا يحتج انسان بالجسد ويتخذه مبررا للخطأ . ان كثيرا من الاجساد عاشت مقدسة فى طاعة الروح ، مثل اجساد الانبياء والشهداء الذين نتبرك بعظامهم كذخائر مقدسة الى يومنا هذا .

وكما يمكن للروح ان تنتصر على الجسد ، كذلك يمكنها ان تنتصر على العوامل الخارجية التى تغرى الجسد وتحاول اسقاطه .

ربما يقول انسان ، كيف استطيع ان اقاوم هذه النار الخارجية التى

استحضار الأرواح.. أكذوبة يكرهها الله!

تلهبني من الداخل ؟ » . وأنا أجيبه بسؤال آخر وهو : هل أنت مادة قابلة للاشتعال حتى تحرقك النار الخارجية ؟ ان النار اذا قربتها من ورق أو قش أو بنزين أو كحول ، لاحترق كل هذا . أما اذا قربت النار من الماء فانها لا تحرقه ، بل يستطيع الماء أن يطفئها وأنت أيها القارىء العزيز : هل أنت

بنزين أو ماء ؟ ان كنت كالماء الذى يطفىء النار ، فأنت انسان روحى . أما ان كان في داخلك ما يشتاق الى النار وما يشتعل بها ، فاعلم أن روحك ليست قوية . انها روح ضعيفة قد خضعت للجسد . اعلم أيضا أن في داخلك عدوا لك . هناك خيانة في حياتك . روحك قد تآمرت عليك وانضمت الى أعدائك الخارجيين. ارجع اذن الى مقوماتك الروحية لكى ترمم هذا الانهيار الداخلى ، وتطرد هذا الطابور الخامس الذى يخونك

اعلم أيضا أن الروح لها أغذية معينة يجب أن تعطى لها حتى لا تضعف .

غذاء الروح

الروح تتغذى كما يتغذى الجسد تماما . وان لم تنل غذاءها ، فمن الجائز أن تضعف أو تقصر أو تمرض أو تنحل . وهنا يمكن للجسد أن ينتصر عليها مستغلا ضعفها .

انني الاحظ انه لا يوجد عدل عند الناس اذا قارنا بين تغذية الجسد وتغذية الروح . ولتفسير هذا الأمر أقول الآتى :

- الجسد يتغذى كل يوم ، وثلاث مرات تقريبا كل يوم . فهل الروح تنال غذاءها كل يوم مثل الجسد ، ومرات عديدة مثله ؟

- الجسد لا يكتفي بعدد مرات الغذاء بل ينال أغذية من عناصر متعددة ، مثل البروتينات، والفيتامينات والمعادن المتنوعة ، والسكريات ، والدهون . وان نقص عنصر واحد من هذه العناصر ، يتعب الجسد أو يمرض ، ولابد أن تعوضه ما ينقصه . هكذا الروح أيضا : لها عناصر عديدة لازمة لغذائها : انها تتغذى على الصلاة ، والتأمل ، وقراءة كلام الله والكتب الروحية . وتتغذى أيضا بالسماعات الروحية ، والاجتماعات الروحية ، والصداقات الروحية ، والقدوات الصالحة ... الخ . فهل أنت تعطي روحك كل هذه العناصر ، أو تقصر في بعضها ؟ اسأل نفسك ،

وكن صريحا مع ذاتك لكي تعرف سر الضعف الذي فيك .

● والجسد لا يكتفي بكل هـــذه العناصر ، انما يصر على أن ينـال كميات كافية من كل واحدة منها . انك لا تستطيع مثلا أن تأكل لقمـــة واحدة من الخبز ، أو ملعقة واحـدة من الارز ، وتقول انك اخذت مايحتاجه الجسد من مواد كربوهيدراتية ، بل لابد من كميـــات كافية . كذلك مع الروح : لا تستطيع أن تعطيها خمس دقائق من الصلاة ، أو دقائق قليلة من القراءة ، وتطلب اليها أن تكتفي بهذا الغذاء الضئيل لكافحة كل مـا تتعرض له مـــن اغراءات وعثرات واسباب متعددة للسقوط !!

● والجسد لا يكتفي في غـذائه ، بالاكل كل يوم مرات عديدة ، ومن أغذية متنوعة وبكميات كافية ، وانمـا يلزمه في غذائه أنيكون مطهيا طهيا، سليما ناضجا شهيا . كـذلك الروح لا تصلح لها الاغذية الروحية غيـر الناضجة ، كأن يصلي انسان بذهول فكر ، أو بغير ايمان ، أو بغيرحرارة ، أو بغير خشوع ، أو بغير محبة لله . ولا يصلح لها أن يقرأ الانسان كتـاب الله بغير فهم ، أو بغير تأمل ، أو بغير عمق .. كل هذه اطعمة رديئة لاتفيد الروح ولا تغذيها !...

مرض الروح

أقول أيضا أن الروح ان لم تنـل أغذيتها الروحيـــــة يمكن أن تمرض وتضعف ، تماما مثلما يمرض الجسد. فالتقصير في قراءة كتاب الله ، قد يصيب الروح بالجهل أو بعدم الافراز وعدم الحكمة والتخبط في التصرف . والتقصير في الصلاة قد يصيبكبالفتور الروحي ، أو بنقص محبتـك لله . والتقصير في الصوم قد يوقعـك في شهوات الجسد والتقصير في العبادة قد يصيب الروح بمرض التهـــاون والكسل .. والتقصـــير في القراءة والاجتماعات الروحية قـــد يصيبك بالجفاف أو بعدم الاكتراث أو بضعف الواعز الروحي ...

والتقصير في الوسـائط والمقومات الروحية قد يدفع الروح الى السقوط في الخطيئة والخضوع للجسد ، **لأن التوازن يكون قد اختل بين الجســد الذي ينال كل اغذيته ، والروح لاتنال كفايتها او لا تنال شيئا على الاطلاق.**

مسكينة هذه الروح التي تحـارب من الخارج بحروب لا تحصى ، وتحتاج الى اغذية للطاقة ، فلا تجد . وهكذا تصاب بأنيميا روحية أو بسل روحي ... وقد تموت الروح . **وموت الروح هو انفصالها عن الله .** ألم تسمع عن الموت الادبي ، والموت الابدي ... ليتك تخشى على روحك من الموت ان استمرت في أمراضها .

وكما يحتاج الجسد في امراضه الى طب ودواء وعلاج ، كذلك تحتاج الروح

فى امراضها الى طب روحى وعلاج روحى · من أجل هذا أرجد الله المرشدين والقادة والاباء الروحيين ·

وفى المسيحية يوجد سر الاعتراف به تكشف الروح ذاتها فتعالج من امراضها الروحية · وكما يحدث بالنسبة الى الجسد أن يمنعك الطبيب عن غذاء معين يضر جسدك ، كذلك

فى مرض الروح قد يمنعك طبيبك الروحى من قراءة كتب معينة ، أو يمنعك عن نواح معينة من الترفيه أو اللهو حسب نوع حالتك وما تتطلبه · وقديصف لك مقوياتروحية ، وقد ينصحك بتغيير الجو ··· الخ ·

وكما ينبغى ان يطيع المريضبالجسد ما يامر به طبيبه ، كذلك تجب الطاعة للمرشدين الروحيين ···

ان الامراض الروحية تضر الانسان والمجتمع اكثر من الامراض الجسدية · وكما توجد فى أمراض الجسد عدوى ينقلها مريض لغيره من الاصحاء ، كذلك فى امراض الروح يوجد خطر من العدوى · ومن هنا كانت القدوات السيئة ذات تاثير ضار جدا على الروح · ولذلك ورد فى الانجيلالمقدس ان « المعاشرات الرديئة تفسد الاخلاق الجيدة » · السنا نرى فى مجتمعنا الشرقى المحافظ بعض امراض روحية

قد انتقلت الينا من الغرب المستهتر ؟! او ليست هناك نواح من الشك تهدد ايمان الروح تجلب اليها المرض من الحاد بعض الفلاسفة والمفكرين · لذلك يجب على الشخص أن يحترس فى انتقاء أصدقائه وجلسائه ···

زينة الروح

وكما يتزين الجسد بالملابس الجميلة ، ويتعطر بالعطور ، كذلك الروح تتزين بالفضيلة · تتجمل بالتواضع وبالوداعة ، وتشتم رائحتها

الذكية فى كلماتها واسلوبها وادبها ومعاملاتها للاخرين ·

ان الانسان الخاطىء يقف امام الله والملائكة عريانا لا يجد ما يستره ، وتفوح منه رائحة كريهة ، هى رائحة الخطية التى تزكم انوف الاطهار ·

لذلك تجملوا ايها الاخوة · زينوا ارواحكم بالفضيلة ، وبالصفات الجميلة ، حتى يشتم الناس رائحتكم الذكية فى حياة الروح ·

رياضة الروح

وكما توجد رياضة بدنية للجسد ، توجد رياضة للروح ، فى التداريب الروحية ، التى يدرب بها الانسان روحه لتنمو فى فضيلة معينة ، وكلما تدرب الانسان على الفضائل الروحية. صارت سهلة امامه يمارسها بغير صعوبة ، تماما مثل مرونة انسجة الجسد الذى يمارس رياضته ·

ثمار الروح

اذا صحت الروح ، وعاشت سليمة ، تظهر ثمارها فى حياة الانسان · وقد وردت هذه الثمار الروحية فى الكتاب المقدس اذ يقول

« واما ثمر الروح فهو : محبة ، فرح ، سلام ، طول اناة ، لطف ، صلاح ، ايمان ، وداعة ، تعفف » ·

نطلب من الله أن يعطينا هذه الثمار فى حياتنا الخاصة والعامة ، لكى يمتلىء مجتمعنا من كل عمل صالح ، وحتى يصل الناس الى محبة الفضيلة ، وهكذا يفعلون الخير حبا

فيه ، بدون تغصب ، وبدون جهد ، وبدون صراع مع المادة ، بل بتلقائية روحية عجيبة من أرواح طاهرة تحب الله والناس · · · ·

العقل ومستقبل الإنسان

ميشيل تكلا

ظل عقل الانسان ، وطريقة عمله ، لغزا كاللغز الغريب الذي يحول فيه ... ولكن دراسة العقل البشري دراسة متكاملة ، لم تتكامل الا في الازمنة الحديثة . خلال القرن الماضي ... جديدة على طبيعة عمل العقل وعلى مصادر الحياة والاحساس بهما ، وانطلق على ذلك انواع السلوك الفردي والجماعي . ومع ذلك لا يزال الانسان يتساءل : ما هو العقل ؟ وهل تخفى الالغاز المحيطة به ... لفهم طبيعة تكوينه الفسيولوجي ، والذي يعرف بالنظام العصبي ؟

كان رأي الرجل الافريقي القديم في العقل بسيطا : « العقل محشو بالافكار » . ولكن « افلاطون » ربط العقل بالاحساس ، وان الاحساس محل الجسم النشط ...

اما « ارسطو » فقد كان له رأي آخر ، كان يعتقد ان القوى الطبيعية التي في جسم الانسان ، وهذه القوى متصلة بالذاكرة والاحساس . ومع هذا كان يعتقد ان مركز الحياة العقلية في القلب وليس في العقل ...

وبعد الفي سنة ظهر فيلسوف فرنسا « ديكارت » في وقت ظهرت فيه اكتشافات خطيرة عن طبيعة العالم اطلقت عقل الانسان اللهفة . وكان الفلكي البولندي « كوبرنيكوس » قد مات قبل « ديكارت » بخمسين عاما ولكن نظريته بان الارض كوكب يدور حول الشمس اثارت الجدل بين العلماء .

.. وفي العالم « ديكارت » علم « وليم جلبرت » دراسة وافية عن المغناطيسية واعلن ان الارض مغناطيس عظيم ... ورأى العلماء المعاصرون ان ... الوسطى سعيا وراء البحث عن اصل الكون . « برونو » و « جوهان كبلر » بقوانين الفلك ، و « جاليليو » اسس قوانين الميكانيكا ، و « وليم هارفي » ... البحوث عن الدورة الدموية ، و « اسحاق نيوتن » ... الطبيعة ...

ورأى استاذ « ديكارت » كنوز المعرفة التي اكتشفت في عصره ، فاشتغل بالرياضيات ، وعلم وظائف الاعضاء « الفسيولوجيا » ، و « الميكانيكا » ، والفلسفة ، وحاول استخدام الطرق العلمية لاستيعاب حقيقة العقل وكذلك السلطة ، ومن اقواله المأثورة : « انا افكر ، اذن انا كائن » ...

وتعاقب الفلاسفة والعلماء يحاول كل منهم ان يضع تعريفا لطبيعة العقل ... ومن ثم عرضت اسئلة ... لم يجب عنها العلماء اجابات ... ومنها : هل كان الفلاسفة قد ... العقل ... المعرفة ، وكيف عرفها ؟ لان المعرفة كانت تعتبر محصلة افكار ثابتة رغم ان الشعور او الاحساس كان مستقلا كجزء من المعرفة ايضا ...

على هذا النحو ظهرت ... الفلاسفة عبر القرون ، حتى جاء علماء القرن العشرين بنظريات جديدة تختلف اختلافا جوهريا عن ... ما كان يعتقده « افلاطون » او « ارسطو » او « ديكارت » عن العقل البشري ... من هذه النظريات ما قاله العالم ... [١٩٥٩] ... انه يمكن ان نجري دراسة على عقل الانسان ... كما اننا نستطيع ان نجمع ادلة غير مباشرة بدراسة تصرفات ... من الرجال والنساء ... الاخرى ... من الكثير من ...

العقل

ومستقبل الإنسان



ديكارت : استغل كنوز المعرفة

ومزاجك ... ربما استلفتت نظرى وردة جميلة . فملاحظتك للون الوردة ورائحتها وحدة أشواكها تكون انطباعة عن هذه الوردة الصفراء فى مخيلتك . وهذه الانطباعة تبرز فى الحال مع الانطباعات السابقة . والوردة التى تصورتها فى مخيلتك قد تكون مطابقة للوردة التى امسك بها ، ولكنهما ليستا متطابقتين ، لانه ليس هناك عقلان متطابقان أو متساويان تمام التساوى .

هذه الانطباعات متداخلة فى ذاكرتنا وفى صلب تجاربنا ، كما أن تصرفنا الفردى يقرره ارتباط الانطباعات الجديدة بذاكرة التجارب السابقة . والعقل يستطيع أن يتحمل اعقد الحالات عن طريق السهو والامتزاج ويصل الى حلول منطقية قد تصدر أحكاما حازمة أو أفكارا خالقة ... »

ومن علماء هذا القرن الذين قاموا بدراسات هامة عن عقل الانسان وأثره على المستقبل : « جون روان ويلسون » وهو جراح انجليزى ، و « رينيه ديبوس » وهو عالم فى الجراثيم ، و « هنرى مارجينو » وهو من علماء الطبيعة المعروفين ، وغيرهم ممن أرسوا قواعد ثابتة فى تفسيرهم للعقل البشرى ...

هؤلاء العلماء جميعا وغيرهم من علماء النفس الذين بحثوا كثيراً فى العقل البشرى يتوقعون تغييرات جوهرية فى تصورنا الراهن عن العقل والمخ . ولكنهم لا يتفقون على طبيعة هذه التغييرات المنتظرة . وقد تبحث بعض المعلومات الجديدة عن طبيعة الشعور الذى يعد من الظواهر النفسية المحيرة . وقد تكشف هذه المعلومات أو البحوث الجديدة عن طبيعة البهجة والالم ، وعن احتمال رفع الذكاء الى مستويات أعلى مما هى عليه اليوم ، واحتمال الابقاء على مخ الانسان حيا حتى بعد أن يموت صاحبه .

وفهمنا لمخ الانسان يأتى من طريقين مختلفين - الاول : من الوسائل الالكترونية والكيميائية التى مكنتنا من التوغل فى فهم كل دقيقة ميكروسكوبية عنه ، والوقوف على المصادر الطبيعية للاحساس وطرق التفكير ... والثانى :

● نبضات كهربائية تسير في جسمك بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة !

● العقل الإلكتروني .. هل يستطيع أن يحلم كالعقل البشري ؟

● أنت تحلم ٤٥ دقيقة.. إذا نمت ثماني ساعات

هو العلم الجديد الذي يسمونه *Cyberhe Tics* والذي يقرر أن المخ يؤدي وظائف عجيبة خارقة ·

وقد ابتكر هذا العلم الات او اجهزة تستطيع أن تفكر وتتعلم وتتجاوب بطريقة بشرية مع مجموعة من الحالات المختلفة ·

ان النظام العصبي في جسم الانسان يعد من الاجهزة المعقدة فهو يتكون من شبكات من خلايا الاعصاب بها شعيرات طولها عدة أقدام تسرى خلال الجسم وتصل كل عصب بعيد بخلايا الاعصاب التي يبلغ عددها عشرة مليارات خلية · وتسرى النبضات الكهربائية خلال هذه الممرات بسرعة تتراوح من ميلين الى مائتي ميل في الساعة ، تقفز فوق الثغرات الضيقة بين الخلايا وتنقل الافكار أو الاوامر من والى المخ في لحظات ··· أن الطبيعة الكهروكيميائية للنشاط في النظام العصبي للانسان مثلها مثل اى نظام كهربائي يمكن قياسه · وعليه فان نشاط مخ الانسان ضعيف بدرجة يمكن تسجيله · فمخ الانسان به ، كما أسلفنا ، عشرة مليارات من الخلايا العصبية · فاذا وضع قطب على رأس انسان فانه سوف يسجل من خمسة الى خمسين مليون جزء من « الفولت » · وقد تستطيع ستون الف رأس أن تنير مصباح بطارية صغير ···

اكتشف الانسان وجود الكهرباء في مخه في عام ١٨٧٥ ; وكان صاحب هذا الاكتشاف الطبيب البريطاني « ريتشارد كاتون » · وبعد ذلك عرفت موجات المخ وتياراته ودوراته في العشرينات من هذا القرن ، وكان الفضل في ذلك يرجع الى العالم الالماني « هانز برجر » ، ولكن جهله بالكهرباء جعله يتخبط في تقاريره وكتاباته · ومن ثم تعهدها العلماء الانجليز بالتنقيح والتهذيب وذلك باستخدام الرسوم الالكترونية البيانية · فاذا وضع قطب كهربائي على مخ انسان فانه لا يلتقط موجة عادية بل موجات متعددة ذات سعات وذبذبات مختلفة · والواقع تولده الخلايا الموجودة في جوار القطب الكهربائي ، ثم تمتزج معها موجات اخرى تصدر من مراكز قريبة منها في

العقل
ومستقبل الإنسان



اسحاق نيوتن : اسس قوانين الطبيعة

مناطق المخ · وفى الوقت نفسه قد تكون هناك أصوات أو شحنات تصدر من بعيد فتبدو ضعيفة واهنة ·

وعن طريق الاقطاب الكهربائية أمكن العلماء تحديد المناطق التى تكون قد خربت فى مخ الانسان لسبب من الاسباب ، ولاسيما فى حالات الصرع · وفى العصر الحديث أمكن بناء أجهزة حاسبة تترجم المعلومات التى يحصل عليها العلماء من أعماق مخ الانسان أو الحيوان ···

● تسجيل افكار الانسان فى رسوم بيانية :

لم يستطع العلماء تسجيل الموجات التى تعين الانسان على تسجيل افكاره · ولم يستطيعوا مثلا تسجيل الشحنات الكهربائية التى تنبعث من مخ الطالب عندما يحل مسالة رياضية ولكنهم على يقين من انهم يسيرون فى الطريق الصحيح الذى يستطيعون فيه أن يسجلوا هذه الافكار قريبا ···

وقد أوضحت بعض البحوث المعقدة التى اجراها العالم « جون ويلسون » ان القسم الخاص بالعمل فى مخ الانسان من الاقسام الشديدة التعقيد · وأن هناك مراكز مختلفة للبهجة والالم وان تكوين مخ الانسان مهيأ لاجراء أو انجاز اعمال متقاربة أو مماثلة ، ومعنى ذلك انه ليس به خلايا عصبية مفردة أو مجموعات من الخلايا العنقودية الصغيرة قد تكون ضرورية لانجاز عمل عقلى معين واذا حدث وخربت بعض الخلايا التى يعهد اليها بانجاز عمل ما ، فان هناك من الخلايا ما يقوم بعملها فى الحال ···

واصل العلماء بحوثهم فى العقل البشرى وتعمقوا فى دراسة المخ ، وعلى الاخص فى المناطق التى تتحكم فى الانفعالات · وكان على رأس هؤلاء العلماء الدكتور « دلجارو » من جامعة « ييل » ، وقد خرج بمعلومات مذهلة منها أن الانفعالات تتاثر بنشاط كل من : « الثالاماس » فى مركز المخ و « الهايبوثالاماس » من تحته ، وفى النظام « الليمبوس » ، وهو مجموعة من الانسجة تضرب بجذورها حول المخ ، وفى النظام الشبكى وهو مجموعة من

الخلايا العصبية في النخاع المستطيل للمخ والذى يمتد نحو الحبل الشوكى . وبتحريك الاقطاب الكهربائية على هذه الاماكن قد تنعكس انفعالات الحيوان فيغضب ويثور فى وجه أصدقائه . وبتحريك الاقطاب قليلا تظهر على الحيوان انفعالات الالفة والحب وهكذا .. وأثبتت بحوث الدكتور « دلجادو » أن التأثير الكهربائى على « الهايبوثالاماس » مثلا قد يزيد من شهية الحيوان أو امساكه عن الطعام .

ولم تقتصر التجارب على الحيوان وحده بل امتدت الى الانسان نفسه فبدا قلقا حائرا يتألم ويتوجع اذا سلطت الاقطاب الكهربائية على مناطق خاصة فى مخه . وظهرت عليه علامات الرضا والنشوة عندما نقلت هذه الاقطاب الى مناطق أخرى . وفى حالات كثيرة لمرضى الصرع وعندما سلطت هذه الاقطاب على مناطق معينة فوق رءوسهم ، أستطاعوا أن يتذكروا بالدقة المتناهية تفاصيل حوادث مرت بهم منذ عشرات السنين . وكان مردهم لهذه الوقائع مثار دهشة العلماء الذين يأملون فى الكشف عن حوادث تاريخية هامة عن طريق استخدام هذه الاقطاب الكهربائية ...

العقول الالكترونية تحل أعقد المسائل الرياضية فى كسور الثانية:

ان العقول الصناعية أو الالكترونية التى استطاع الانسان أن يصممها على غرار العقل البشرى تستطيع اليوم أن تحل المسائل الرياضية المعقدة فى كسور الثانية كما تستطيع أن تهضم المعلومات الخام التى تقدم اليها وتفرز ما هو نافع لها . والعقل البشرى والعقل الالكترونى يعملان بموجب دوائر كهربائية ، والخلايا العصبية فى مخ الانسان كثيرا ما تقارن بالانابيب المفرغة فى العقول الالكترونية التى يمكن ادارتها أو ايقافها للتحكم فى مجرى الكهرباء خلال الدورة ذاتها .

والعقول البشرية والالكترونية تخضع عادة لنظم طويلة تمنع تكرار الخطأ وتتحاشاه . والعقل البشرى يفعل ذلك بتدوينه الصواب فى ملايين الخلايا العصبية . أما ذاكرة العقول الالكترونية فقد بنيت لتسجيل حقائق العمليات السابقة والعودة اليها أو تذكرها عند اللزوم .

كما نجحت العقول الالكترونية فى التكهن أو التنبؤ بالاشياء أو الوصول الى النتائج بالاستقراء ، وهى أشياء تفعلها العقول البشرية منذ أمد بعيد ، ولكن هناك فارقا كبيرا بين العقل البشرى والعقل الالكترونى . ففى حين أن بعض العقول الالكترونية تستطيع أن تحل بعض أنواع من المشاكل أو المسائل المعقدة بطريقة أفضل من العقول البشرية فليس لواحد منها القدرة على تخزين المعلومات ..

ومن أبرز العلماء الذين نجحوا فى نقل عمل العقول البشرية الى العقول الالكترونية الدكتور « ولتر » فقد استطاع هذا العالم بناء نماذج كهربائية لخلايا المخ ، ولكن تكاليفها كانت باهظة بدرجة تكاد تكون خيالية ، وقد أطلق عليها « المخلوقات الالكترونية » . وهذه المخلوقات ينقصها الاحساس والشعور ولكن العالم الفذ « طومسون وولدريدج » لا يأخذ عليها هذا النقص ويقول : أن الاحساس قد يكون من صميم عمل فولت معين فى العقل الالكترونى ...

والاحساس فى حد ذاته ليس شيئا يمكن أن يراه الانسان ، وعليه فهل يمكن أن يوجده الانسان فى العقول الالكترونية التى ستظهر فى المستقبل ؟

ويقول « وولدريدج » : ربما يستطيع الانسان فى المستقبل أن يولد الاحساس

العقل
ومستقبل الإنسان

فى العقول الالكترونية عن طريق اضافة عدد كبير من الاسلاك التى تركز هذا الاحساس ...

والاجهزة أو العقول الالكترونية الحديثة تستطيع أن تقوم بوظائف بشرية كثيرة . والفرق بينها وبين العقول ان الاخيرة عندما تنام ترى رؤى واحلاما ... ويقضى الانسان ثلث حياته فى النوم ... وخمس فترات نومنا احلام . والعلم لا يعرف الا القليل عن الحياة الليلية — فى النوم — للعقل البشرى ...

وفى الخمسينات اكتشف علماء جامعة شيكاغو أن النائمين يحركون عيونهم من وقت لاخر وعندما أيقظ العلماء هؤلاء النائمين اكدوا انهم كانوا يحلمون . واكتشف هؤلاء العلماء أيضا أن قلب الانسان تزداد ضرباته أثناء الاحلام ، وان كل انسان يحلم ، وان الاحلام تعاود الانسان مرة كل تسعين دقيقة أثناء الليل . وفى ثمان ساعات التى ينامها الانسان قد يحلم ٤٥ دقيقة !

● المعجزات العلمية التى سيحققها عصر الفضاء :

ان العلماء يعملون الان لتزويد رواد الفضاء باجهزة كهربائية يحملون بعضها على اكتافهم اليسرى على هيئة « طربيد » ينظم حرارة أجسامهم ، وتسيطر عليهم أيضا مجموعة من الاقطاب الكهربائية للتحكم فى الاعمال التى يقومون بها وتتحكم كذلك فى ضربات القلب والتنفس . وتغرس بعض هذه الاقطاب فى مراكز البهجة للمخ ، وبذلك يستطيع كل رائد فضاء أن يتغلب على الضجر الذى قد يعتريه أثناء رحلة الفضاء الطويلة المرهقة .

قبل اختراع العقول الالكترونية استطاع انسان القرن التاسع عشر ان يبنى أجهزة ميكانيكية على هيئة الانسان قلدت حركاته وطريقة سيره ، فظهر أول انسان بخارى فى كندا قوته المحركة نصف حصان ، وكان يحرك مفاصله التى تحرك بدورها ساقيه ، ويدور فى حلقات ودوائر ويخرج من فمه البخار من مرجل يغلى فيه الماء فيساعده على الحركة والسير والدوران

ومن هذا الانسان البخارى تطورت فكرة العقول الالكترونية التى نجحت نجاحا عظيما فى هذا العصر . وبمعاونتها سوف يرتاد الانسان الفضاء ليصل الى الكواكب والنجوم البعيدة . ومع ذلك فالعقل البشرى من أعظم المنح التى منحها الله سبحانه وتعالى لمخلوقاته البشرية . وفى ذلك يقول الطبيب البريطانى المشهور « روبرت فلاد » الذى عاش فى القرن السابع عشر :

ان عقل الانسان عالم بأسره ... ذكاء ومخيلة وشعور اجتمعت كلها فى دماغه لتكون الاجزاء المختلفة من عقله ...

د. عبد المحسن صالح

الروح.. بين العلم والعقيدة والخرافة

في الريف المصري ، وعلى فراش الموت يرقد انسان ، وحوله يلتف الاهل والخلان وفي فضاء الغرفة تطير ذبابة او اكثر ذات الوان زاهية تميل الى زرقة سنتسية وعلى وجه الانسان الذي يكاد يموت او هو مات بالفعل يحوم الذباب او يحط . ويوقن الناس وقتها ان اجل هذا الانسان قد انتهى . فهذا الذباب الجميل ليس ذبابا ، بل هو - على حد اعتقادهم - ارواح اموات جاءت لتحوم حول الذي سيموت ، لتصحب روحه - عندما تخرج - الى الدار الآخرة !

وعندما يتوجهون الى القبور لدفن من مات ، يشاهدون نفس هذا النوع من الذباب ، وهو يحوم حول الميت او بين القبور ، فالذباب السنتسي لا يظهر الا اذا كان هناك موت وقبور . والمشهد يتكرر عبر اجيال طويلة ، ومن هنا يستطيع الفكر الساذج ان يجد تعليلا لهذه الظاهرة الا ان يرجعها الى ارواح تأتي على هيئة مخلوقات سنتسية صغيرة لتكون للروح - التي ستفارق جسدها - خير أنيس ورفيق في رحلتها المجهولة !

ليست هــذه فى الواقع أسطورة ، بل هى حقيقــة تحدث فى كثير من قرى الريف المصرى ... ولقــد عشت فى الريف أيام الطفولة ، ورأيت هــذا الذباب ، وأردت مطــاردته ، ولكنهم حذرونى وقالوا : « احترس .. هذه أرواح أموات ! » فاذا رأوا بالصدفة ذبابة تحــوم فى بيت ، تشاءموا واستعاذوا ، ولقد صدقت كل هــذا بسذاجة طفل لم تتطور مداركه ، تماما كما بقى الفكر الانسانى كذلك ساذجا ليصدق كل ما ينتقل اليه عبر الاجيال من خرافات وأساطير .

كان لابد أن نسوق هذه الواقعــة الساذجة ونحن نستهل حديثنــا عن الروح ، لنوضح الى أى مدى يذهب الخيال بالناس ليحيكوا الاساطير حول الظواهر التى لا يعرفون لهــا تعليلا مقبولا .. وتعليل وجود هذا الذباب المستمى بين القبور أو حول انسان سيموت ، انما يرجع للحساسية الفائقة لهــذا النوع من الحشرات للروائح التى تنبعث من الجثث بين القبور ، أو من الذين قضوا فتــرة طويلة على فراش المرض دون أن يغتسلوا لاسابيع طويلة ، وهنا تفوح

الـــروح
بين العـلم
والعقيـدة
والخـرافة

منهم روائح لا تستسيغها أنوفنــا ، ولكنها تجذب هذا الذباب منمسافات بعيدة ليضع بويضاته خلسة فىفتحات الانف والفم دون أن يدرك الناس ذلك ... وقــد تحـدث المعجزة ، ويبل المريض منمرضه ، وعنــدئذ يكتشف وجود عدد من الديدان الصغيرةتسكن فمه أو أنفه ، وكان من المفروض أن تتحول الى ذباب . ولكن ذلك يحدث يقينا فى الجثث المتعفنة للانســان والحيوان .

وعندما تتطور مدارك الانســان ، فانه يسعى الى التســاؤل ، ويكد فى تقصى الحقائق ، ويحــاول أن يفسر الظواهر الكونية على اساس من علم، ثم يربط بين ما جمــع فى نســيج من المعرفة ، وتتطور المعرفة بدورهــا وتصقل ، وتقترب شيئا فشيئا مــن الحقيقة الكامنة فى طبــائع الكون والحياة ، وبهــذا تتخلص مــن الخرافات والاساطير التى سيطرتعلى عقول الناس ردحا طويلا من الزمان .. وهذه فى الواقع من اعظممحسنات البحث العلمى الذى يعتمد دائما على التجربة ، ليفــرق بين ما هو غث وثمين . فليس ادراك رجل العــلم كادراك رجل الشارع أو الريفى فى تعليله للظواهر الكونية ، ومنهامسألة الروح ...

صحيح أن العلم لا ينظر للروح كما ينظر اليها عامة الناس ، ولهــذا لم يضعها فى حسابه لتكون منهــاجا يخضعها لتجاربه ، وليقول فيهــا رأيه ، بل ترك ذلك لعقيدة الانســان فى المقام الاول ... لكن ذلك لايعنى الا نتعرض لمسألة الروح مادامت لا تخضع لمنهج علمى معتــرف به بين جمهرة العلماء بل ان لنا رأيناالخاص النابع من طبائع الاشياء وما وضع فيها من أسرار . ولكن قبل أن نعرض رأينا فى هذا الموضوع ، لابد أننشير

أولا الى فكرة الروح . وكيف نشأت ، ومــن أين جــاءت فلكل شيء بداية ونهاية ..

أسطورة انتقام الروح

الواقع أن فكرتنا عن الروح مازالت حتى الآن هي نفس فكرة الانســان القديم التي اخترعها له خياله نتيجة لخاوفه ..فمنذ فجر التاريخ البشري، وحيث كان الرجل البدائي يعيش في العصر الحجري ، سيطرت عليه عوامل كثيرة لم يجد لها تعليلا الا بالالتجاء الى تصوره بامكان وجود ارواح او الهة تسيطر بدورها على الظواهــر الطبيعية من رياح وبرق ورعد وزلازل وبراكين وشهب .. الخ . ولا شــك أن الانسان البدائي القديم كان يحــلم ايضا كما نحلم ، وكان يرى في منامه زوجته أو أخاه أو ابنه وقد جــاءه ليزوره في منامه ، ويتخاطب معه ، رغم أن هؤلاء جميعــا قــد فارقوا الحياة . أو قد يأتيه في حلمه طيف انسان كان قد مات مقتولا على يديه، فاذا به يراه وقد عاد اليه أثناء نومه لينتقم لقتله ، ومن هنا سيطرت على الانسان القديم فــكرة امكان عــودة روح الميت لتؤدى دورها مع النــاس وهم نيام ، ونشأت معها أيضا فــكرة السحر والطقوس التي كان يزاولهــا حكماء القبــــائل لطرد الارواح أو مصــالحتها أو ابطال مفعولها !

ثم تمر أجيال طويلة . ويتطــور الفكر البشري شيئا فشيئا . حتى إذا ما ظهرت الحضارات القديمة . تغير النظرة الى الروح قليلا . ونظــر الناس اليها من زوايا مختلفةلتتناسب مع البيئة التي يعيشون فيها . ومــن أعظم الأمثلة الحية على ذلك ما تركه لنا قدماء المصريين من اثار توضــح نظرتهم الى الموت والحياة . فالانسان [illegible] الى [illegible] وروحها . والروح [illegible] كانوا يطلقون عليها [illegible] مستقل عن الجسد ، بمعنى انها قد تنفصل عنه فيموت . أو تعود اليه فيحيا . ولهذا عبروا عنها بطائر . والروح ستعود يوما الى الجسد لتدب فيه الحياة يوم الحساب . ومن هنا كانت اهتمامهم في تحنيط الجثث لحفظها من التحلل . ووضعوا معها كل مايحتاجه الميت من طعام وملابس وأدوات . حتى [illegible] وجد كل شيء حوله جاهزا !

ومازالت جذور الفكر البدائي القديم تعيش بين معظم الناس حتى الان ، اذ يقال مثلا أن الانسان الذي يقتــل ظلما ، تظل روحه هائمة حزينــة ، وأنها لن تهدأ أو ترتاح الا اذا أخذ أهله بالثأر من قاتله ، أو أن الروح قد تتمرد على الظلم الذي وقع عــلى صاحبها ، فتصبح لعنة على القاتل أو على الناس ، وتنتقم أشد انتقام !

ومن أساطير اليونان القــديمة مــا قصه علينــا « هوميروس » من أن « أوريستس » بن « أجا ممنــون » قد قتل أمه لانها استدرجت أباه الى الحمام وقتلته فيه بمساعدة عشيقها ، وبرغم ان في هذا القصاص عدلا ، الا أن الفكر اليوناني القديم لم يستطع أن يتخلص من أســطورة انتقام الروح ، ولهذا استمرت القصة تحكي لنا كيف أن روح الام الخائنةوالقاتلة لزوجها قد عادت لتطارد ابنها حتى انتهى به الامر الى الجنون !

والواقع أن هذا التراث الثقيل الذي ورثناه عن الفكر القديم ، وما فيه من أســاطير عن عالم الارواح لا يزال ساريا بين كثير من القبائل البدائية.. ففي قبيلة « اوماها » الهنــدية تجرى أحكام غريبة لحماية القاتل من روح القتيل الغاضبة . وقد تستمر هــذه الاحكام ما بين سنتين الى اربعسنوات ... ومنها مثلا ان يسير القاتل حافي

القمين ، لايقرب طعاما ساخنا ، ولا يتكلم عاليا ، ولا يلتفت حوله ، ولا يترك ملابسه فضفاضة ، بل عليه ان يلف ملابسه جيدا حول كل جزء من جسمه ، وان تلتصق يداه دائما بجانبه ، والا يترك شعره متهدلا او مكشوفا ، حتى لا تتسلل روح القتيل من خلال شعره او ملابسه وتؤذيه .. كذلك لا يجب الا ياكل او يشرب مع احد ، وعليه ان يذهب الى خيمة معزولة بعيدا عن خيام القبيلة ، حتى لا تسبب لهم الروح الهائمة المتاعب !

وهناك عادات كثيرة تقوم بها القبائل البدائية لطرد الروح المظلومة وتجنب اخطارها · فمن عادة اهالى قبائل الزولو والفيجى ان يعقدوا حلقات لعدة ليال يدقون فيها الطبول ويصرخون ويهللون · حتى تنزعج روح القتيل ، وتتركهم الى غير رجعة ... الا ان الامر يتخذ نغمة اخرى غريبة فى قبائل « البوتياس » التى تعيش فى جبال الهيمالايا ، فعندما يقتل انسان فيهم ظلما ، فانهم يسارعون باقامة حفل كبير يحضرون فيه احد الحيوانات ويقوم الكهنة بترديد الصلوات واجراء الطقوس الدينية لدفع الروح الى جسد الحيوان لتسكن فيه ، وعندما يتم ذلك — على حد تصورهم — يسرع كل من فى الحفل ليضرب الحيوان المسكين ضربا مبرحا ، ثم يطردونه ويطاردونه ليهرب بعيدا بالروح ، وبعدها يعودون الى قراهم وهم يرقصون وينشدون !

الا ان هناك طقوسا اخرى تقوم بها بعض القبائل لارضاء الروح بدلا من معاملتها مثل هذه المعاملة الوحشية .. والوسائل فى ذلك كثيرة ومختلفة · منها مثلا ان يذبحوا للروح حيوانا ، ثم يقومون بغسل جسم القاتل بدماء الحيوان الذبيح !

والغريب ان مثل هذه الافكار عن الروح مازالت سارية فى كثير من الاقطار ، منها مثلا ان الناس يتجنبون الاماكن او البيوت التى قتل فيها انسان لخوفهم من روح القتيل التى لا يهدا لها بال ، لانها تعيث فسادا فى المكان الذى قتل فيه صاحبها ، او قد تنتقم او تظهر سخطها بوسائل مختلفة ... كذلك يعتقد اهل بعض القرى المصرية ان روح القتيل تظل هائمة مكتئبة ، ولن يهدا لها بال الا اذا اخذوا لها ثارها ، وهنا تستكين وتستريح .. هذا على حد تصورهم !

● الروح فى القرآن الكريم

هذا هو بعض التراث الفكرى القديم عن الروح · وهو تراث انتقل الينا عبر الاجيال ، ولكنه لا يتوافق الا مع العقليات الساذجة التى تعتقد فى كل ما تتوارث عن الاجداد من افكار كثيرها غث ، وقليلها ثمين .. الا ان الكثير من هذه الافكار لا يتوافق مع عقلية رجل العلم الحديث الذى يبحث دائما فى نظم الكون والحياة ويحاول ان يربط الاسباب بالمسببات ، ويريد ان ينفذ الى طبائع الاشياء ، الحي منها والجامد ... ولهذا ترى كثيرا من

العلماء ينكرون مسألة الروح كما يتصورها الانسان العادى على أنها شيء شفاف اذا تركت الجسد مات ، واذا حلت فيه عاش ، كما أنها اذا خرجت ، فانها تخرج بنفس التفاصيل التى يتواجد عليها هذا الجسد ، لها رأس وجذع وأطراف ، ولكنها نورانية الصفات • كما أنها تستطيع أن تضر اذا كانت شريرة ، أو تنفع ان كانت روحا طيبة ، الى آخر هذه التخيلات التى تدل على طفولة التفكير فى العقل البشرى البدائى ••

ولا شــك انكم الان تتساءلون • وبدهشة تقولون : ولكن الروح قــد وردت فى كل الاديان ••• فلم الانكار ؟ أو أن هنــاك من يستطيعون تحضير الارواح وتصويرها والتخاطب معهــا •• الخ • فهل يستطيع العلم أن ينكر ذلك ؟

على السؤال الاول نجيب ونقول : صحيح أن كل الاديان تعرضت للروح واعترفت بها ، ولكنهـــا لم تتعرض لطبيعتها أو أسرارها كمـــا يتصور الناس • وكل ما ورد فى القرآن الكريم عن الروح لا يشير من قريب أو بعيد الى تلك الفكرة الساذجة التى ترتسم فى عقول الناس •

ويجدر بنـا أن نعرض عليك كــل الآيات التى تعرضت للروح فى القرآن الكريم ، لنلقى عليها معناً نظرة فاحصة ، ونتعمق فيها تعمقا فــكريا أصيلا ، وبعدها سيتبين لك الفرق بين المعنى الكامن فى الآيات وفى عقول الناس : « واتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » ــ « وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ــ « اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القـــدس » ــ « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » ــ « قل نزله روح القـدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا » ــ « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » ــ « يلقى الروح من أمره على من يشـــاء من عباده لينذر يوم التلاق » ــ « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » ــ « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » ــ « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » ــ « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » ــ « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » ــ « ومريم ابنـــة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » ــ « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » ــ « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ســـاجدين » ــ وأخيـرا « يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » • وكان فى هذه الآية فصل الخطاب ، فليس فيها أو فى غيرها ما يشير الى طبيعة الروح أو كنهها كما يتصورها الناس • والى هنا كان رأى الدين • أما رأى العـلم فسنتعرض له بعد أن نقدم شيئا عن هؤلاء الذين يعتقدون فى امكان حضـــور الروح والتخاطب معها •

ان لتحضير الارواح ــ كما يدعون ــ جوا خاصا تهيأ فيه النفوس البشرية لحالة من الرهبة والسكينة والخشوع ، وعندما يتوصل الوسيط ــ بحسن ادراكه ــ الى أن الحاضرين قد وصلوا الى درجة من حسن التلقى والايحاء ، يبدأ فى السيطرة عليهم ، ويوحى اليهم بما يريد ، وكلما كان الوسيط أكثر ذكاء ، وأشد دهاء ، كـــان تأثيره عــلى الناس أعظم ، وسيطرته على عقولهم أكبر ، ولكن البشر لا شك مختلفون فى حسن الادراك ، وكبـح العواطف ، وتحكيم العقل ، وانتباه الحواس •• الخ ، فمنهم من يرى « الــروح » أو يسمعها أو يحس بوجودها ، ومنهم من لا يرى ولا يسمع ولا يحس ، وكلا الفريقين على حق !

فالفريق الذى يؤكـــد أنه لم ير

شيئا انما يتميز بعقلية راجحة وارادة صامدة لا شك انها اكبر من ارادة الوسيط ، ولهذا يختفي عنصر السيطرة ، والفريق الساذج هو الذي يرى . فما أيسر على الوسيط أن يوحي للسذج بما يشاء من افكار ، ويزف اليهم ما يريد ، وهؤلاء هم الذين يعتقدون انهم قد رأوا الروح ثم ينشرون ذلك بين الناس ، رغم أن الروح لم تحضر ولم تظهر ، بل هيئ اليهم ذلك !

وليست قصة تحضير « الروح » التي وزعت السلطات على ذوى السلطة ببعيدة ، ولقد ظهرت نتيجة ذلك لكل ذى عقل رزين ، ولا شك أن الوسيط هنا كان أكثر ذكاء من هذه العقول الساذجة التي كانت تحكم في يوم من الايام !

والواقع ان العلم يعترف بالتنويم المغناطيسي ... خصوصا في مجالات علم النفس التجريبي (لانه نوع من الايحاء) ، ولكنه لا يعترف بتحضير الارواح ... صحيح أن بعض رجالات العلم التجريبي في القرن الماضي ومطلع هذا القرن كانوا من بين من حضر بعض هذه الجلسات ، وآمنوا بامكان تحضير الارواح ، ولكنهم خسروا

الروح بين العلم والعقيدة والخرافة

الكثير من سمعتهم ومكانتهم بين زملائهم .. ومن هؤلاء العالم المرموق « سير اوليفر لودج » الذى قابل ذات مرة العالم الشهير « جوليان هكسلى » وقال له « أرجوك أن تنقذني من اصدقائي » .. وهو يعني هؤلاء الذين ينالون منه ومن مكانته ، وكان « لودج » قد هجر جلسات تحضير الارواح ، وعاد الى « حظيرة » العقل تائبا نادما !.. وليس هناك من تعبير نستطيع ان نصف به هؤلاء الا انهم « دراويش » . وفي كل وسط يوجد بعض « الدراويش » ، سواء كان هذا الوسط دينيا ام علميا ام سياسيا .. الخ .

وموضوع تحضير الأرواح موضوع طويل ولا يمكن التعرض لتفاصيله هنا ، ولكن الشيء البارز فيه انه ينطوي على خدع ومتاهات وايحاءات ، ومن أجل هذا تتخلله امور شاذة قد لا يجد لها الحاضرون تعليلا . الا انه بمزيد من البحث والدراسة ، ومعرفة الكثير من أسرار العقل وخبايا النفس البشرية ، يكون في الامكان التوصل الى تفسير صحيح وسليم لبعض هذه الظواهر الغريبة تماما كالتي يقوم بها الحواة ليخدعوا بها الشاهدين .. ولهذا فان كلا من الحاوي ومحضر الارواح يتمتع بالمعية وذكاء ، وربما كانت لديهما أيضا خبرة بالنفس البشرية حتى يمكن النفاذ اليها وخداعها ، وقد لا يتوصل الى معرفة الخدع الا كل من كان اكثر منهما ذكاء ودهاء ، والوسيط يخشى هؤلاء . الا انه سريع التسلط بافكاره وحيله على السذج والبسطاء ومن تصور لهم عقولهم واحاسيسهم تخيلات قد تصبح عندهم عقيدة راسخة ... ومن هنا تنتشر ظاهرة الاعتقاد بالارواح ، ولا ينقلها ويتفاخر بها الا البسطاء ، و « الدراويش » .

ولكي نوضح جذور الاعتقاد الى

شيء أو عدم الاقتناع به ، دعنـــا نضرب لذلك مثلا من الامثلة الحية : فللقبائل البدائية زعمـــاء يحكمونها بالسحر أو الشعوذة ، وهذه الوسيلة اكثر ردعا للافراد من أحكام القانون عندنا ··· والشعوذة عندهم قد تضر وقد تقتل ، ومفعولها قد يكون اكيدا بالنسبة للرجل البدائي ، ولكنهـــا غير ذات مفعول على الرجل المتمدين ، لانه يعـــلم تماما أن ذلك نوع من الدجل الذي لايضر ولا ينفع ··· وقد سجل علماء النفس حالات حدثت في القبائل البـــدائية ، فما أن يوحى البعض لانســـان أن شيوخ القبيلة يقومون باجراء عمليات السحر (في عرفنا شعوذة) لتدميره وقتله ، حتى نراه وقد بدأ يفقد الثقة في استمرار حيـــاته ، وتعتريه حـــالة من الكآبة وتسيطر عليه الهـــواجس ، ويحـــل به المرض والهزال الى أن يموت !

خلاصة القول نقول : ان الاعتقاد — أي نوع من الاعتقاد — سواء في جن ام أرواح أم عفـــاريت ، أم اشباح ، أم شيوخ ، أم ســـحرة ·· الخ · انه يؤثر على النفس البشرية الساذجة · ولكنها كلما ارتقت في العقل ، وتطورت في سلم الادراك ، كلما كان ذلك القوم واجـــدى ، وسيتبين لها أن كل شيء ما خلا الله باطل ·

وفي هذا الكفاية لقوم يفقهون !

● قدرة فذة ونظام بديع

وسؤالنا الاخير والاهم : ما رأى العلم في مسألة الروح ؟

ليس له — في الواقع — رأى ··· فلو سألت العلمـــاء التجريبيين — خصوصا علماء الخلية والوراثة والحياة — عن ذلك ، لكان جوابهم : « ان هذا السـؤال ليس له معنى » ··· ثم يضيفون ويقولون : « ليس ما جاءت به الاجيـــال عن الروح أو غيرها صحيحا » ، وعلينا أن « ننخل » هذا التراث الفكري الثقيل الذي تجمعت حصيلته عبر القرون الطـــويلة ، لنفصل الحقائق عن الخـــرافات والاساطير ·· ولن يتأتى ذلك — في أغلب الاحيان — الا عن طريق البحث العلمي ، والدراسة التجريبية · ومن ورائها عقل فيه حكمة وتجـــاريب وادراك ···

لكن الدراسة التجريبية العميقة لن توصلنا الى امكان اكتشاف روح ، بل الى امكان التطلع الى نظـــام ، وروح الخلق البديع نظام· سواء أكان هـــذا الخلق في ذرة أم جزيء أم خلية أم نســـيج أم مخلوق أم أرض وكواكب وشموس واكوان ··· وفي كل هذا وغيره يتواجد أروع وأدق وأعقد نظام يتوه العلماء فيه أعظم تيه · بدليل أننا لم نعرف حتى الآن الا ظواهر الاشياء ، أما بواطنهـــا فشيء عجيب تتوه فيه عقول الرجال ، هذا بالرغم من أن نتائج البحـــوث التي تتناول أسرار الخلايا والمخلوقات مثلا تبدو أمامنـــا كحصيلة هائلة ، ولكن الراسخين في العلوم يقولون : ورغم ذلك الطـــوفان الدافق من البحوث ، الا أنه ليس الا بمثابة قطرة في بحر من بحور المعـــرفة ··· صحيح أننا عرفنا الكثير ، ولكنـــه ضئيل بالنسبة للاسرار الهـــائلة التي وضـــعت في المخلوقات ، ومازالت تطويها ظلمات من فوق ظلمات · وحقا نشير الى القول الكريم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ·

ان الروح — في الواقع وكمـــا نراها — هي « روح نظـــام » ، والنظام هو القانون الاول الذي وضعه الخالق في طباع الاشياء ، من أول الذرات الى الخلايا والكائنات الحية

الـــــروح بين العـلم والعقيـدة والمـرأة

والسموات ... ولكن دعنا توضح معنى ذلك بايجاز ، رغم ان الايجاز قد لا يفيد كثيرا فى تقديم صورة واضحة عما نود ان ننفذ اليه .

العظمة الحقيقية التى تتجلى لرجل العلم من خلال دراساته هى أن كل شيء قد قام على اساس ، وسار بقانون ، وسرى بناموس .. صحيح أن كل شيء نراه او نحسه له صفات مميزة ، ولكن لا يجب أن تخدعنا الحواس ، فبرغم هذا الاختلاف الكبير بين المخلوقات ـ الحى منها والجامد ـ الا ان اساسها جميعا وحدات قد تراكبت وانتظمت وتعقدت ليكون نظام من داخل نظام من داخل نظام ، وهكذا ، ولكل نظام « روحه » وكيانه ، ليؤدى فى هذا الكون رسالته ... لكن الكون الكبير يتكون بدوره من اكوان اصغر فاصغر فأصغر ... الخ

فالذرة على ضآلتها كون له نظام أدق كون عرفه العلماء ، ففى ظاهرها بساطة ، وفى باطنها اسرار تخفى على الافهام ... انها ـ اى الذرة ـ ـ وحدات تراكيب ، وجسيمات سبحت ، وقوى تصارعت ، ومجالات تشابكت .. وكل هذا تحكمه القوانين، والقانون الطبيعي يعني النظام، وكأنما الله قد أوحى فى هذا الكون الدقيق (الذرة) أمره ، كما أوحى فى كل سماء أمرها .. نظامها .. قانونها .. حياتها !

بدون هذا النظام لن يكون هناك ذرة ولا ذرات ، والذرة هى الوحدة الاساسية فى بناء عوالم اكبر واكبر ... اذن « فروح » الذرة نظامها ، وهو الذى يهبها كيانها ، وحياتها . صحيح انها لا تمتلك عقلا كعقولنا ، ولا حياة كحياتنا ، ولكن عندما يختل هذا النظام فينا او فيها ، فلن نكون ولن تكون ... وسيتضح ذلك اكثر فيما بعد .

الذرة نظام من جسيمات متآلفة سابحة ، ومن ترابط الذرات تنشأ جزيئات صغيرة لها ايضا نظامها الذى يعطيها صفاتها ، ومن الجزيئات تنشأ جزيئات اكبر فاكبر حتى نصل الى الجزيئات العملاقة التى تسيطر على حياة الخلية (كالجزيئات الوراثية والبروتينية .. الخ) . الخلية وحدة جديدة فى نسيج ، النسيج فى عضو ، العضو فى مخلوق ، المخلوق وحدة فى جماعة ، الجماعة تسكن على كوكب ... الكوكب وحدة جديدة فى مجموعة كوكبية تسبح بدورها حول شمس او نجم ... النجم وحدة فى مجرة ليدور فى فلك معلوم ... المجرة جزيرة كونية ... الجزيرة تنطلق بالبلايين من وحداتها (نجومها) فى محيط لا نهائى هو المحيط الفضائى الذى لا تدركه العقول ، ولا تعيه الحواس ... فى هذا المحيط تتواجد بلايين من المجرات ... والكل يتحرك ويدور : « وكل فى فلك يسبحون » بناء من وراء بناء من وراء بناء .. وحدات تراكيب فى وحدات تراكيب فى وحدات .. الخ ، لينشأ منها نظام من داخل نظام من داخل نظام . والله بكل هذا محيط ، وليبث فيه من روحه

ما يشاء ·· قدرة فذة ، ونظام بديع · « فهل من مدكر » ؟ – « انا كل شيء خلقناه بقدر » !

وكل وحدة من هذه الوحدات قد تموت ، لكن الموت هنا يعني خللا في النظام ··· فاذا اختلت القوى الجبارة التي تسيطر على بلايين النجوم في مجرة من المجرات ، كان في ذلك ايذانا بتصادمها وانكدارها · وهذا يعني هلاكها ثم زوالها كنظام قائم ··· لقد مات فيها النظام · لقد ماتت المجرة ، وليس ذلك نوع من الخيال ، فلقد سجل العلماء بمراصدهم الفلكية ، موت مجرات ، وبعث اخرى ··· وكأنما هناك نظام يزول لينشأ على انقاضه نظام جديد : « قل هو يبدىء ويعيد » !

كذلك قد تموت النجوم في مجراتها كما يموت الافراد في مجتمعاتهم · فللنجم عمر – كما لكل شيء عمر ، وقد تصيبه الشيخوخة كما تصيبنا ، وقد يموت عندما يتوقف تفاعله النووي ، كما نموت عندما يتوقف في اجسامنا التفاعل الحيوي ··· ولقد رصد العلماء عددا من هذه النجوم التي ماتت فأظلمت ، أو انكدرت وانفجرت ، فضاع بذلك كيانها ، وخرجت « روحها » · نعني اختل نظامها ، فلقد كان في النظام حياتها او وجودها كنجوم يدب فيها النور والحياة !

والافراد في المجتمعات ، كالنجوم في المجرات ··· فللنجم نظام خاص ، وللجسم نظام اخر أعقد وأروع ، حتى يستطيع ان يعي ويفكر ويتساءل ويكتب عن روح النظام · وقد يختل نظام الجسم الحي ، وتدب فيه الفوضى · ولا حياة ولا نظام مع فوضى · ولابد ان يتوقف هذا النظام بالموت · ثم يتحلل الى عناصره البسيطة لتدخل في بناء مخلوقات اخرى تجيء ايضا بالنظام · يعني هذا أن نفسا تروح ، لتجيء نظم جديدة نراها في كل ما حولنا من مخلوقات ، وما أروع ما عبر عن ذلك الفيلسوف عمر الخيام في احدى رباعياته :

وان تواف العشب عند الغدير
وقد كسا الارض بساطا نضير
فامش الهوينى فوقه ·· انه
غذته اوصال حبيب طرير !

والخلايا في الاجسام ، كالافراد في الجماعات ، كالنجوم في المجرات ··· فالخلية نظام ، وأروع نظام يتوه فيه العلماء ··· ولها في أجسامنا اجل ، ولها حياة ، فمنها ما يموت في كل لحظة بالملايين ، وما مات يعوض « بولادة » خلايا جديدة ، تماما كما يموت الافراد ، ليولد غيرهم ، وكما تموت النجوم لينشأ غيرها ··· اذن فروح النظام سارية ، لتعيش الخلايا والجماعات والنجوم والمجرات ··

والجزيئات في الخلايا ، كالخلايا في الاجسام ، كالافراد في الجماعات ، كالنجوم في المجرات ، كالمجرات في السموات ··· صورة مكررة ، ولكن في تكرارها روعة ، ولبنائها فكرة ، ولوجودها هدف ، ولنظامها حياة··· ولله در الفيلسوف المتصوف محيي الدين بن عربي حيث يقول بنظرة ثاقبة :

اتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر !

والواقع أن اجسامنا بمثابة اجرام صغيرة ، أصغر ببلايين البلايين من الاجرام السماوية الكبيرة · ولكنها – أي اجسامنا – تحتوي على أجرام أصغر فأصغر فأصغر ·· الخ ، وكلها تسبح وتتفاعل وتترابط وتتآلف ··· ففي جسم كل منا ملايين الملايين من الخلايا ، وفي كل خلية نظم دقيقة

تتكون من ملايين البلايين من الجزيئات ... الجزيئات بنايات أدق من ذرات . الذرات بنايات أدق من جسيمات . وكل هذه نظم . وبنظامها تكون حياتها . وأى خلل فى النظام - أى نظام تشاء - يؤدى الى هدم هذا النظام ، لينشأ نظام جديد دون أن يصحب ذلك صعود « روح » جسيم أو ذرة أو جزىء أو خلية أو عضو مبتور أو انسان . لأن الروح كما أشرنا الى ذلك مرارا هى روح نظام !

● ما يحدث لكل الكائنات الحية

اننا نستطيع مثلا أن « نقتل » ذرة أو ذرات . نعنى نهدم نظامها باشعاعات أو جسيمات ذرية من نفس تكوينها ، لتنطلق اليها كرصاصات جد دقيقة . عندئذ يدمر كيانها فى الجزىء الذى يحتويها ، وتنطلق موجات كهرومغناطيسية أو طاقات ، أو ان شئت فسمها « روحا » . فالكون لا يخرج عن كونه مادة وطاقة (وكذلك الجسد) .. ولكن الذى يعنينا هنا أن رسالة الجزىء الذى يحتوى على الذرة أو الذرات المهدومة

الروح بين العلم والعقيدة والخرافة

ستتوقف نتيجة للخلل الذى حل بنظامه ، ومزيد من الاشعاع يعنى مزيدا من التدمير ، وقد تتوقف (حياة) الجزيئات كنظام ، ولا شك أن ذلك سيتبعه توقف حياة الخلية أو الخلايا التى تكون نسيجا لعضو ما لمخلوق ما ، ولابد أن تنتهى حياة المخلوق كنظام متفاعل ينتج طاقة حيوية ، ولهذا فنحن نخشى الاشعاع ، لانه يعبث بذرات هذا النظام الحى وجزيئاته الاساسية ...

والسموم أيضا قد تقتلنا . انها لا تهدم كما يفعل الاشعاع ، بل تندس وتتداخل وتنحشر فى مواقع حساسة على جزيئات الحياة المهيمنة على التفاعلات ، وتعوقها عن أداء رسالتها ، فتتوقف التفاعلات الكيميائية التى تجرى بحساب ، وتذوى الطاقات الحيوية التى تنطلق بمقدار ، وينتهى الامر بتوقف هذا النظام . نعنى « روح » هذا النظام البديع المتفاعل ... أما اذا استطعنا - فى الوقت المناسب - أن نعادل هذه السموم ، فاننا لا شك سنعيد النظام الى حاله ، وتكون الحياة .

كذلك قد يحدث خطأ فى التفاعلات التى تجرى بها النظم الحية ، وقد يؤدى الخطأ الى توقفها ... وبالعلم نستطيع - فى اغلب الاحيان - أن نصلح تفاعلات كيميائية تجرى فى داخلنا بمواد كيميائية (الدواء) لتصلح ما افسده الدهر ... ولهذا الق نظرة على الوف الادوية المتراصة على رفوف فى صيدلية ، عندئذ يتبين لك أن تلك مواد كيميائية لتصلح كيميائية اجسامنا . كيمياء فى كيمياء ... ولكنها من أروع النظم التى اكتشفها العلماء ...

وقد يمتد بنا العمر ، ونحس أن جذوة الحياة قد هبطت فينا شيئا فشيئا فنتحول الى كهول وشيوخ ...



لقد شاخ النظام ، ومن ورائه أسباب · فما من نظام حى متفاعل ، الا وله نفايات ، ولكن الجسم لا يستطيع أن يتخلص من كل نفاياته ، بل تبقى منها نسبة ضئيلة ، لتتداخل مع التفاعلات المتحررة فى أيام شبابنا ، وتثقلها ببطء شديد ··· أعط هذه العملية عمرا ، تعطك مزيدا من الاغلال ومزيدا من الشيخوخة · وهكذا تغل الحيـــاة من بعد تحرر ، وتهبط الجذوة من بعد اشتعال !

وما يحدث للانسان يحدث لكل كائن حى على هذه الارض ، بداية من الفيل والحوت والثور الى الحشرة والدودة والنبات والميكروب والخلية ··· ذلك أن أساس الحياة فيها جميعا واحد ، وتخضع لنفس القوانين ، وتتأثر بنفس الظروف ·· الخ ، رغم أننا لا نستطيع أن نقول أن للميكروب أو الخـلايا أو النباتات ، أرواحا ، تصعد الى السماء اذا ماتت · ولكن الموت هنا هو موت نظام رائع سارت به حياة كل المخلوقات · فما من نبات يذبل ويموت الا وينبت غيره ، وما من دودة تختفى ، الا وتحل أخرى محلها ، وما من انسـان ينتهى ، الا ليجىء انسان اخر ··· وهكذا تسير الامور ليكون هنــاك استمرار للأنواع لا للأفــراد ، فليس معنى اننى مت وتحللت ، أن الحياة قد توقفت · ان ذلك يعنينى وحدى ، ولابد للحياة أن تسير فى مشوارها الطويل ممثلة فى كل أنواعهـا ، وليكون لهـا صفة الاستمرار ···

● على الطريق القويم

يزداد الامر سخفا وغموضـا اذا اعتبرنا أن هناك ، روحا ، تخرج من الجسد كما يخرج الثوب الشفاف ، والروح ـ كما يقولون ـ وحدة واحدة لا تقبل التجزىء أو الانفصال ···لكن قد يبتر من الانسان الحى قدم أو ساق أو ذراع أو أنف أو أذن ··· الخ ، ولا شك ان هذه الاجزاء المقطوعة سوف تتحلل كجزء من نظام لايزال حيا ، فهل ستبقى روحها معلقة حتى يخرج الباقى ؟·· وهل يمكن للروح ـ والحال كذلك ـ ان تتجزأ ؟·· سؤال متروك لكم لتجيبوا عنه كمـا تصور لكم العقول !

أضف الى ذلك انه من الممكن أن نحصل على أعضـاء بشرية حية ، ونحتفظ بها فى ثلاجات ـ رغم أن أصحابها قــد ماتوا ـ حتى يمكن زراعتها فى أجسام تحتـاج اليها ، وبهذا فقد ظهرت قطع ، الغيـار البشرية ، ليحل الجديد محل القديم · فما حكم ، روح ، الذى مات رغم أن عضوا من أعضـــائه لايزال يتمتع بالحياة فى انسان اخر ؟· ثم مـا

حكم العضو الذى مات فى هـــــذا الانسان ، وزرع مكانه عضو اخر من انسان ميت ؟٠٠ هل يمكن أن نخترع نظرية جديدة فى « ترقيع » الارواح مادامت الاجسام قد استجابت لهذا الترقيع ؟ سؤال نتركه لحسن تقديركم

ثم ما رأيكم فى قلب انسان نزع بعد موته مباشرة ـ ومن الطبيعى أن نجد هذا القلب ساكنا لا نبض فيه ولا حياة ـ ثم اذا وضعناه فى محلول خاص ودلكنـــــاه ، فانه يعود الى الحياة ، ويستمر نابضا لساعات قد تطول ؟٠٠ ماذا يعنى هذا ؟ ولم ينبض رغم أن صاحبه قد دفن منذ ساعات ؟

ولقد أصبحت لعبة العلماء الان أن يحصلوا على أى نسيج من أى كائن حى ، ويقصصونه الى خـــلايا ، ويضعونها فى الدوارق والاطباق ، ويقدمون لها طعاما سائلا ، فاذا بها تأكل و « تشرب » وتتنفس وتخرج النفايات وتتكاثر ٠٠ هذا يعنى أن بها « روحا » بلغة الناس ، وبلغة العلم تحتوى على نظام تبقى به حية ، رغم أن صاحبها قد فارق الحياة !

وأمور أخرى كثيرة يضيق بهـــا المجال ٠٠٠ ولهذا اذا سألت ـ مرة أخرى ـ أحد علماء الحياة عن الروح ، لاجابك أن هذا السؤال غير ذى معنى ٠٠ فالصورة التى ترتسم فى عقله ، غير الصورة التى ترتسم فى عقـــول الناس ، لانه يعيش دائما مع تلـــك النظم البديعة المفعمة بالاسرار ٠٠٠ نظم تقوم وتنهار وتقوم ، ليكون من ورائها طوفان متجدد دافق من كـــل أنواع المخلوقات ٠٠٠ وهـــكذا تبهره صورة ما يرى ، ويسحره جـــلال ما يكتشف ٠ فما أعظم النظام ـ نظام الله فى خلقــه ـ ففيه صـــــفة الخلود والاستمرار ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها كنظـــام فى مجمــــوعة فى مجرة !

« لقد كان الامام الغزالى يقول : ان الايمان التقليدى الموروث عن الاباء والاجداد لا قيمـــة له اذا لم يقترن « بالعلم اليقينى » ، وهو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معـــه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك » (عن كتاب الدكتور عمر فروخ ـ عبقـــرية العرب فى العلم والفلسفة) ٠

الـــــروح
بين العـلم
والعقيـــدة
والخـــرافة

ان الصورة التى ترتسم فى عقول عامة الناس أن عـدم وجود الروح التقليدية انما هو أمر بالغ الخطورة·

ومن ينكرها ينكر البعث ، لكننـا لا نخشى الناس مادمنا نسير على الطريق القويم · طريق الباطن البديع لا الظاهر الخادع ·

كأنمـا الله ـ فى عرف هؤلاء ـ يعييه ويشق عليه ـ سبحانه عمـا يصفون ـ أن يبعث كل ما فى الكون بغير هذه الارواح العجيبة التى تعـود

من مخازنهـا ، لتلبس أجسـامنا كما يلبس الناس أثوابهم ··· ان الله لا يحتاج الى ذلك ، وهو القادر على هدم كل هذه النظم وبعثها ، سـواء فى ذرات أم جزيئات أم مخلوقات أم

سموات · وما أروع قوله « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » · فلقد دبر من قبل النظم وسواها ، ووضع فيها نواميسها ، وسن لها قوانينها ،

وبهذا يكون الموت والبعث على كـل المستويات « يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله ·· فانى تؤفكون » ؟!

ولا يعلم باطن هذه الآيات الا قوم يدركون ويفقهون !

وقبل أن أختتم موضوعنا هـذا ، لابد أن نشير الى أن ماقدمناه لا يعدو قشورا من علم ، أما الباطن فأعمق من ذلك بكثير ، ولا يتسع له هنـا المجال · ويكفينا أننا قد عرضنا عليك العموميات ـ وهو نوع من الاجتهاد ـ فان كنت قد أصبت فهذا فضل من الله ، وان كنت قد أخطأت ، فلأتحمل وزر خطئى !

لكن لابد أن نعترف أن الاساس فى الخلق واحد ، ويؤلف بينه فـكرة واحدة ، لانها جاءت من خالق واحد، ولا يعرف شيئا من ذلك الا كل مـن بحث ودرس ، ثم تطلع فجمع فأوعى ففكر ، وعندئذ ستتجلى له الاسس العظيمة الكامنة فيما أنشأالله فاتقن·· فيما خلق فسوى ··· سواها نظما ، وبالنظم تكون الحياة ، فى كل ما تراه فى الارض والسموات · فى كل مـا تتطلع اليه ـ بالبحث ـ من موجودات حية وساكنة وسابحة فى أفلاكهـا الصغيرة والكبيرة ·

وحدانية الخـالق · ووحدة فى الخلق واحدة ـ واللـه أعلم ····




شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم أحدث إنتاج من نوعه في الشرق العربي
موقد مسطح :
شعلتان ونصف وممتاز لشعلة
الكبرى بوجود سبرتاية
الفرن الشعبي :
شعلتان ونصف وشوا
اقتصادي ومريح
أدوات منزلية من الصاج المدهون
بكافة أشكالها وأحجامها .. واطباقه السفرة
مزهرة وسادة .. يتحمل درجات الحرارة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
الحضرة - الاسكندرية تليفون: ٧١٧٦١ / ٧٠٢٠٤

● الغلاف الأول والأخير ●



الفنانة فريدة فهمى فى مرحلة جديدة فى الرقص الشعبى ..



« المقاومة » .. رقصة قدمتها الفرقة القومية للفنون الشعبية

هل تعرف من القائل ؟

١ ـ « ليس من الضرورى ان ينحط الادب ليصبح شعبيا ، وليس من الضرورى أن يبقى الشعب حيث هو ، جاهلا غافلا »

● ابنة الشاطىء ـ طه حسين ـ بيرم التونسى

***

٢ ـ « ياذابح العنقود ، خضب كفه »
« بدمائه ، بوركت من سفاح »

● بشارة الخورى ـ أبو نواس ـ عبد الحميد الديب

***

٣ ـ « قد تستطيع يد الجريمة ، بالذهب ، ان تدفع العدالة جانبا · وكثيرا مانرى مغانم الجريمة نفسها تشترى ضمير القانون · ولكن الامر ليس على هذا النحو فى السماء ··· هناك ··· لا خداع ! »

● البابابول ـ دستويفسكى ـ شكسبير

الاجوبة

١ ـ طه حسين
٢ ـ بشارة الخورى
٣ ـ شكسبير « فى هملت »

